تفسير القرآن

للإمام العلامة شيخ الإسلام حجة أهل السنة والجماعة

أبي المظفر السمعاني

منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي المروزي الشافعي السلفي

٤٢٦ - ٤٨٩ هـ

تحقيق

أبي تميم ياسر بن إبراهيم   أبي بلال غنيم بن عباس بن غنيم

دار الوطن

تفسير القرآن

تفسير القرآن

للإمام العلامة شيخ الإسلام حجة أهل السنة والجماعة

أبي المظفر السمعاني

منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي المروزي الشافعي السلفي

(٤٢٦ - ٤٨٩)

المجلد الأول

من الفاتحة إلى النساء

تحقيق

أبي تميم ياسر بن إبراهيم

دار الوطن

الرياض - شارع المعذر - ص. ب: ٣٣١٠

☏ ٤٧٩٢٠٤٢ - فاكس: ٤٧٦٤٦٥٩

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
١٤١٨هـ / ١٩٩٧م

دار الوطن للنشر - الرياض
هاتف : ٤٧٩٢٠٤٢ - فاكس : ٤٧٦٤٦٥٩ - ص.ب : ٣٣١٠ الرمز البريدي : ١١٤٧١

قال ابن السمعاني :

هو إمام عصره بلا مدافعة ، وعديم النظير فى فنه ، ولا أقدر على أن أصف بعض مناقبه ، وصنف التفسير الحسن المليح الذى استحسنه كل من طالعه .

وقال الذهبي:

الإمام العلامة مفتى خراسان شيخ الشافعية ، تعصب لأهل الحديث والسنة والجماعة ، وكان شوكًا فى أعين المخالفين ، وحجة لأهل السنة .

وقال السبكي:

الإمام الجليل ، العلم الزاهد الورع ، أحد أئمة الدنيا، الرفيع القدر، العظيم المحل، المشهور الذكر، أحدُ من طبق الأرض ذكرهُ، وعبق الكون نشرهُ .

وقال عبد الغافر:

هو وحيد عصرِه فى وقتهِ فضلا ، وطريقةً ، وزهدًا ، وورعًا .

وقال ابن العماد:

وله تفسير جيد حسن

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد.....

فإن أعظم ما تصرف فيه الأوقات، وينشغل به أهل الهمم العاليات هو القرآن العظيم؛ لأنه كلام الله الدال عليه لمن أراد معرفته، وطريقه الموصلة لسالكها إليه، ونوره المبين الذى أشرقت له الظلمات، ورحمته المهداة التى بها صلاح المخلوقات، وهو الصراط المستقيم الذى لا تميل به الأراء، والذكر الحكيم الذى لا تزيغ به الأهواء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء.

وقد تجلى الله تعالى فيه لعباده بصفات الكمال، ونعوت الجلال، فعرفوا أنه منزه عن المثال، وبرىء من النقائص والعيوب، له كل اسم حسن وكل صفة كمال، وعرفوا أنه أرحم الراحمين، وأقدر القادرين، وأحكم الحاكمين، وأنه الرزاق ذو القوة المتين. وأن له العزة جميعًا والقوة جميعًا، والجود كله، والإحسان كله، والعلم كله، وأنه فعّال لما يريد وقد أنزل الله كتابه ليعرِّف عباده به، وبصراطه الموصل إليه، وبحال السالكين بعد الوصول إليه. وأنزله لنقرأه تدبراً، ونتأمله تبصراً، وليس ذلك إلا بالإقبال عليه وتفهمه، وتدبر آياته واستخراج كنوزه وإثارة دفائنه، وصرف العناية إليه، والعكوف بالهمة عليه.

ولما كان ذلك لا يتحصل إلا بفهم معنيه ومعرفة غوامض كلماته، وأسباب نزول آياته، والمحكم من الآيات والمتشابه، والإحاطة بالمشهور والشاذ من قراءاته. والسبيل إلى ذلك إنما يكون بالعناية بالكتب التى صنفت فى علم التفسير، ومطالعتها ودراستها.

فظهرت أهمية نشر المؤلفات التى عنيت بهذا الفن، وإخراج ما اندثر من كتب التراث التى صنفت فى هذا العلم.

وانطلاقاً من هذه المعانى، وتحملاً لجزء يسير من هذه الأمانة نقوم بنشر هذا السفر العظيم النفع، والنفيس فى هذا الفن، ألا وهو كتاب « تفسير القرآن » لأبى المظفر بن السمعانى، رحمه الله. والذى يتميز بسلاسته، وصفاء عقيدته، مما يجعله سهل التناول للطالب المبتدىء، والعالم المنتهى، فنسأل الله - تبارك وتعالى - أن يوفقنا فى إخراجه فى أحسن صورة فهو ولى ذلك والقادر عليه.

ترجمة المصنف(١)

نسبه ومولده:

هو الإمام الجليل العلامة، وحيد عصره، ومفتى خراسان، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد بن محمد بن جعفر بن أحمد بن عبد الجبار بن الفضل بن الربيع بن مسلم التميمى المروزى السمعانى.

ولد فى مدينة مرو الشاهجان، وأعظم مدن خراسان فى ذى الحجة سنة ست وعشرين وأربعمائة هجريًا.

شيوخه وتلامذته:

سمع أباه أبا منصور محمد بن عبد الجبار، وأبا غانم أحمد بن على الكراعى، وأبا بكر بن عبد الصمد الترابى، وعبد الصمد بن المأمون، وأبا صالح المؤذن، وأبا على الشافعى، وأبا القاسم الزنجانى، وغيرهم.

وروى عنه أبو بكر محمد، وأبو محمد الحسن، وأبو القاسم أحمد - أولاده، وعمر بن محمد السرخسى، وأبو نصر محمد بن محمد الفاشانى، ومحمد بن أبى بكير السنجى، وإسماعيل بن محمد التيمى، وأبو نصر الغازى، وخلق كثير.

مصنفاته:

له مصنفات كثيرة حسان منها:

١- الأحاديث الألف الحسان

قال عنه أبو سعد بن السمعانى: جمع «الأحاديث الألف الحسان» من مسموعاته عن مائة شيخ، عن كل شيخ عشرة أحاديث.

---

(١) انظر ترجمته فى:
الأنساب (٣/٢٩٩)، المنتظم (٩/١٠٢)، واللباب (٢/١٣٨ - ١٣٩)، ووفيات الأعيان (٣/٢١١)، وسير أعلام النبلاء (١٩/١١٤ - ١١٩)، والعبر (٣/٣٢٦)، وطبقات السبكى (٥/٣٣٥ - ٣٤٦)، والبداية (١٢/١٥٣)، وطبقات المفسرين (٢/٣٣٩ - ٣٤٠)، والرسالة المستطرفة (ص٤٣)، وشذرات الذهب (٣/٣٩٣ - ٣٩٤)، وهداية العارفين (٢/٤٧٣)، كشف الظنون (١/٤٤٩).

٢- الاصطلام

قال عنه أبو سعد بن السمعانى : المختصر الذى سار فى الأفاق والأقطار الملقب بـ «الإصطلام» ورد فيه على أبى زيد الدبوسى، وأجاب على الأسرار التى جمعها .

٣- الأمالى فى الحديث .

قال الذهبى : وله الأمالى فى الحديث .

قال أبو سعد السمعانى : وأملى المجالس فى الحديث، وتكلم على كل حديث بكلام مفيد .

٤- الإنتصار بالأثر .

٥- الأوسط فى الخلاف .

٦- البرهان :

قال أبو سعد بن السمعانى عنه : وهو قريب من ألف مسألة خلافية .

٧- كتاب التفسير؛ وهو كتابنا هذا :

قال عنه حفيده الحافظ أبو سعد بن السمعانى : صنف التفسير الحسن المليح الذى استحسنه كل من طالعه .

وقال ابن العماد؛ وله تفسير جيد حسن .

٨- الرد على القدرية .

٩- الطبقات .

قال ابن العماد : وله الطبقات أجاد فيه وأحسن .

١٠- القواطع فى أصول الفقه .

قال عنه أبو سعد بن السمعانى : وهو يغنى عما صنف فى ذلك الفن .

وقال السبكى : ولا أعرف فى أصول الفقه أحسن من كتاب «القواطع» ولا أجمع، كما لا أعرف فيه أجلّ ولا أفحل من «برهان» إمام الحرمين، فبينهما عموم، وخصوص .

١١- منهاج أهل السنة .

ثناء العلماء عليه:

قال حفيده أبو سعد بن السمعاني: «إمام عصره بلا مدافعه، وعديم النظير فى فنه، ولا أقدر على أن أصف بعض مناقبه، ومن طالع تصانيفه، وأنصف؛ عرف محله من العلم».

وقال عبد الغافر فى تاريخه: «هو وحيد عصره فى وقته، فضلاً وطريقةً، وزهداً وورعًا، من بيت العلم والزهد، تفقه بأبيه، وصار من فحول أهل النظر، وأخذ يطالع كتب الحديث، وحج ورجع وترك طريقته التى ناظر عليها ثلاثين سنة، وتحول شافعيًا».

وقال إمام الحرمين: «لو كان الفقه ثوبًا طاويًا؛ لكان أبو المظفر السمعانى طرَّازه».

وقال أبو على الصفار: «إذا ناظرت أبا المظفر، فكأنى أناظر رجلاً من أئمة التابعين؛ مما أرى عليه من آثار الصالحين».

وقال الذهبى فى السير: «الإمام العلامة، مفتى خراسان شيخ الشافعية، تعصب لأهل الحديث والسنة والجماعة، وكان شوكًا فى أعين المخالفين، وحجة لأهل السنة».

وقال السبكى: «هو الإمام الجليل، العلم الزاهد الورع، أحد ائمة الدنيا، أبو المظفر ابن الإمام أبى منصور بن السمعانى، الرفيع القدر، العظيم المحل، المشهور الذكر، أحد من طبق الأرض ذكره، وعبق الكون نشره».

وفاته

وكانت وفاته فى يوم الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الأول سنة تسع وثمانين وأربعمائة، وعاش ثلاثاً وستين سنة؛ رحمه الله.

عقيدته:

وإذا تكلمنا عن عقيدة أبى المظفر السمعانى – رحمة الله – فيجب أن ننوه؛ إلى أن عقيدته، ومباحثه العقائدية؛ هى أهم ما تميز به هذا التفسير، وهو من التفاسير القليلة التى اهتمت ببيان عقيدة أهل السنة والجماعة، والرد على أهل البدع والأهواء، ودحض شبهاتهم، وأباطيلهم.

والمطلع فى هذا الكتاب يتجلى له هذا الأمر جيداً، فما من آية من القرآن اتخذها أهل البدع والأهواء دليلاً لنصرة مذهبهم، أو صرفوها عن ظاهرها وأولوها، إلا رأيته متصديًا لهم مبطلًا لبدعهم، ومنتصراً لمذهب أهل السنة والجماعة، ومبينًا الحق فى المسألة، وقد أكثر من ذلك على مدار تفسيره كله.

فنجده حين تكلم عن ماهية الإيمان وحقيقته قال:

والإيمان فى الشريعة يشمل على الإعتقاد بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان - (١ / ٤٣).

وهذا هو تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة.

ورد على من يخرج الإعتقاد من جملة الإيمان؛ حيث قالوا: أنه يكفى فى الحكم بالإيمان لمن نطق وأقر باللسان، كما فى (١ / ٤٧) فقال عند قول الله تعالى: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾ - سورة البقرة - نفى الإيمان عنهم؛ حيث أظهروا الإسلام باللسان، ولم يعتقدوا بالجنان.

وهذا دليل على من يخرج الاعتقاد من جملة الإيمان.

ورد على المرجئة حيث أخرجوا العمل من مسمى الإيمان كما فى (١ / ١٥٠) حيث قال عند قول الله تعالى: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ أى: صلاتكم، فجعل الصلاة إيمانًا، وهذا دليل على المرجئة، حيث لم يجعلوا الصلاة من الإيمان، وإنما سموا مرجئة لأنهم أخرجوا العمل عن الإيمان.

وكما أنه أحكم تعريف الإيمان، والكلام على أقسامه، ورد على المخالفين لمذهب أهل السنة؛ فقد تكلم عن الكفر، وتعريفه، وبيان أنواعه كما فى (١ / ٤٥ - ٤٦).

هذا فى بيان مجمل الإيمان، والكفر، ثم فصل ذلك على مدار كتابه وفصل الكلام عن أنواع التوحيد، وأقسامه، كما فى (١ / ٥٦ ، ٥٧) وبين أن الإتيان بتوحيد الربوبية وحده لا يكفى للحكم على الإيمان كما فى (٣ / ٧١) ، (٣ / ٨٦).

ولما كانت مسائل الأسماء والصفات هى أكثر مسائل الخلاف فى الاعتقاد بين أهل السنة، وأهل الفرق نجد أن المصنف قد عنى بتفصيل هذه المسائل جيداً.

فتراه حين يرد اسم لله - عز وجل - فى أول موضع يتكلم عن معنى هذا الاسم

كما فى (١ / ٣٣ - ٣٤) فتكلم عن اسم « الرحمن، والرحيم »، و (١ / ٢٥٧ ، ٢٩١) عن معنى الحى القيوم، و(١ / ٣٦ - ٣٧) حيث تكلم عن اسم « مالك، ملك »، و(١ / ١٦١) عن معنى « الواحد »، و(١ / ١٤١) عن معنى العزيز، و(٢ / ٤٥١) حيث تكلم عن معنى « الودود »، و(٣ / ٤٧) عن معنى « الوكيل »، و(٣ / ٦٨) عن معنى « اللطيف »، و(٣ / ٨٧) عن معنى « الواحد القهار »، وأفرد فى (١ / ١٦١) مسألة فيما جاء فى اسم الله الأعظم، وعندما يتكلم عن صفاته - سبحانه وتعالى - نجد أنه قد اهتم ببيان مذهب أهل السنة فى إثباتها، وإمرارها كما جاءت فى القرآن دون تأويل أو تشبيه أو تعطيل، ورد على من فعل ذلك، وخص من بين ذلك مسائل كثر الجدل فيها، وزلت فيها الأقدام مثل:

مسألة الاستواء: فقال فى (٢ / ٨٦) عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ ثم استوى على العرش ﴾: أوَّل المعتزلة الاستواء بالاستيلاء، وأنشدوا فيه:

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ودم مهراق

وأما أهل السنة فيتبرءون من هذا التأويل، ويقولون: إن الاستواء على العرش صفة لله - تعالى - بلا كيف، والإيمان به واجب، كذلك يحكى عن مالك بن أنس، وغيره من السلف أنهم قالوا فى هذه الآية:

الإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

ولما تكلم عن قوله تعالى: ﴿ ثم استوى على العرش ﴾ من سورة « يونس » (٢ / ٣٦٤) قال: قد بينا مذهب أهل السنة فى الاستواء، وهو أنه، نؤمن به، ونكل علمه إلى الله - تعالى - من غير تأويل ولا تفسير.

وأما المعتزلة فإنهم أولوا الاستواء بالاستيلاء، وهو باطل عند أهل العربية.

وكذا قال عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ من سورة « طه » (٣ / ٣٢٠): المذهب عند أهل السنة أنه يؤمن به، ولا يُكيِّف... الخ.

وقال عن إثبات صفة الاستعلاء: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ﴾ من سورة النحل: قال بعضهم معناه: يخافون عذاب ربهم من فوقهم، والقول الثانى - وهو الأصح - أن هذه صفة العلو التى تفرد الله بها، وهو كما وصف به

نفسه من غير تكييف.

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ من سورة الأنعام (٢/ ٩٣) قال: هو صفة الاستعلاء الذى لله - تعالى - الذى يعرفه أهل السنة.

وعن صفة العلم لله - تعالى - قال: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه﴾ من سورة النساء (١/ ٥٤) أى: مع علمه، كما يقال: جاءنى فلان بسيفه، أى: مع سيفه، وفيه دليل على أن لله علماً، وهو صفته، خلاف قول المعتزلة خذلهم الله.

وعن صفة الكلام: قال عند تفسيره لقوله - تعالى: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ من سورة النساء (١/ ٥٠٢ - ٥٠٣): إنما كلمه بنفسه، من غير واسطة، ولا وحى، وفيه دليل على من قال: إن الله خلق كلاماً فى الشجرة فسمعه.... إلى أن قال:

وهذا مذهب أهل السنة أنه سمع كلام الله حقيقة، بلا كيف.

وقال وائل بن داود: معنى قوله: ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾ أى: مراراً، وكلاماً بعد كلام.

وعن صفة الإتيان والمجىء لله - تعالى -: فعند تفسيره لقول الله - تعالى - ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة﴾ من سورة البقرة (١/ ٢١٠ - ٢١١) قال: والأولى فى هذه الآية، وما يشاكلها أن نؤمن بظاهره، ونكل علمه إلى الله - تعالى - وننزه الله سبحانه وتعالى - عن سمات الحدث والنقص.

وعن إثبات صفة اليد لله تعالى: قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾ من سورة المائدة (٢/ ٥١ - ٥٢) قال أهل العلم: ليس فى هذا رد على اليهود فى إثباتهم اليد لله - تعالى - وإنما الرد عليهم فى نسبته إلى البخل، وأما اليد فصفة لله - تعالى بلا كيف، وله يدان، وقد صح عن النبى ﷺ أنه قال: كلتا يديه يمين. والله أعلم بكيفية المراد.

وعن إثباته لصفة الوجه لله – تعالى –: قال عند تفسير قوله – تعالى – ﴿ فثم وجه الله ﴾ من سورة البقرة (١ / ١٢٩) : وقد ذكر الله – تعالى – الوجه فى كتابه فى أحد عشر موضعاً، وهو صفة لله – تعالى – وتفسيره قراءته والإيمان به.

وعند تفسيره لقوله – تعالى – :﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ﴾ من سورة الأنعام (٢ / ١٠٨).

قال ابن عباس: أى يريدون إياه بالطاعة، ويريدون خالص وجهه، والوجه صفة لله – تعالى – بلا كيف؛ وجه لا كالوجوه.

وعند تفسيره لقوله – تعالى –: ﴿ كل شىء هالك إلا وجهه ﴾ من سورة القصص (٤ / ١٤٦) أى: إلا هو، وعن سفيان بن عيينه قال: كل ما وصف الله به نفسه فى الكتاب، فتفسيره قراءته، لا تفسير له غيره.

وقد ذكر الله – تعالى – الوجه فى أحد عشر موضعاً من القرآن، وقد بينا أنه صفه من صفات الله يؤمن به على ما ذكره الله – تعالى –.

وعن إثبات الرؤية لله تعالى فى الآخرة: قال عند تفسيره لقوله – تعالى –: ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴾. (٢ / ١٣٢ – ١٣٣): استدل بهذه الآية من يعتقد نفى الرؤية، قالوا: لما مُدِحَ بأنه لا تدركه الأبصار فمدحه على الأبد فى الدنيا، والآخرة، واعلم أن الرؤية حق على مذهب أهل السنة وقد ورد به القرآن والسنة... الخ.

وعند تفسيره لقوله: ﴿ كلا إنهم عن ربهم يؤمئذ لمحجوبون ﴾ من سورة المطففين، قال: وفى الآية دليل على أن المؤمنين يرون الله تعالى، وقد نقل هذا الدليل عن مالك والشافعى، رحمة الله عليهما.

وهكذا لا يمر المصنف، رحمه الله – على آية أو قول لله تعالى يجد فيه مجالاً للرد على أهل البدع، وإبطال قول الملحدين فى أسماء الله، وصفاته إلا انتصر لمذهب أهل السنة من سلف هذه الأمة وبين زيغ المبطلين.

وكان كما قال الإمام الذهبى – رحمه الله –: متعصباً لأهل الحديث والسنة والجماعة، وكان شوكاً فى أعين المخالفين، وحجة لأهل السنة. وانظر رده على الفرق

الضالة والمخالفة لأهل السنة فى هذا التفسير، وقد أكثر من الرد على القدرية كما فى (١/ ٣٦٧، ٣٦٩، ٤٢١، ٤٥١)، (٢/ ١٥٢ - ١٥٣، ١٩٦) و(٣/ ٨٣، ٩١، ٩٩ - ١٠٠، ١٣١، ١٧١، ٢٣١) وغير ذلك كثير، وقد صنف فى الرد على القدرية كتابًا منفصلاً يزيد على عشرين جزءاً.

وأكثر أيضًا من الرد على المعتزلة، والجهمية، والخوارج، والكرامية، والشيعة، والروافض، ومن قال بتناسخ الأرواح.

كما تجد هذا مبسوطًا فى تفسيره، والمقام لا يسمح بالتفصيل أكثر من هذا.

ونختم الكلام على عقيدته - رحمه الله - بذكر ما نقله عنه تلميذه النجيب النابغ، والإمام الحافظ أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهانى صاحب كتاب «الترغيب والترهيب»، وكتاب «سير السلف الصالح»، والذى جعل كلام المصنف أصلاً من أصوله فى إثبات عقيدة أهل السنة، والرد على المبتدعة، وذلك فى كتابه «الحجة فى بيان المحجة فى شرح عقيدة أهل السنة».

والذى أكثر فيه من النقل عن أبى المظفر السمعانى فى العقيدة، والحديث.

فقد نقل عنه فى كتابه (١/ ٣٢٠ - ٣٢٢) ما نصه:

«واعلم أن فصل ما بيننا وبين المبتدعة هو مسألة العقل، فإنهم أسسوا دينهم على المعقول، وجعلوا الاتباع، والمأثور تبعًا للمعقول، وأما أهل السنة قالوا: الأصل فى الدين الاتباع؛ والمعقول تبع، ولو كان أساس الدين على المعقول لاستغنى الخلق عن الوحى، وعن الأنبياء، ولبطل معنى الأمر والنهى، ولقال من شاء ما شاء، ولو كان الدين بنى على المعقول لجاز للمؤمنين ألا يقبلوا شيئًا حتى يعقلوا! ونحن إذا تدبرنا عامة ما جاء فى أمر الدين من ذكر صفات الله وما تعبد الناس به من اعتقاده، وكذلك ما ظهر بين المسلمين، وتداولوه بينهم، ونقلوه عن سلفهم، إلى أن أسندوه إلى رسول الله ﷺ من ذكر عذاب القبر، وسؤال منكر ونكير، والحوض، والميزان، والصراط، وصفات الجنة، وصفات النار، وتخليد الفريقين فيهما؛ أمور لا ندرك حقائقها بعقولنا، وإنما وَرَدَ الأمر بقبولها، والإيمان بها، فإذا سمعنا شيئًا من أمور الدين، وعقلناه، وفهمناه، فلله الحمد فى ذلك والشكر، ومنه التوفيق، ومالم يمكننا إدراكه

وفهمه، ولم تبلغه عقولنا؛ آمنا به، وصدقنا، واعتقدنا أن هذا من قبل ربوبيته، وقدرته، واكتفينا في ذلك بعلمه ومشيئته، قال الله - تعالى -: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾ [البقرة: ٢٥٥].

ثم نقول لهذا القائل الذي يقول بُنَيِ ديننا على العقل وأمرنا باتباعه: أخبرنا إذا أتاك أمر من الله يخالف عقلك، فبأيهما تأخذ؟ بالذي تعقل أو بالذي تؤمر؟ فإن قال: بالذي أعقل؛ فقد أخطأ، وترك سبيل الإسلام، وإن قال: آخذ بالذي جاء من عند الله فقد ترك قوله.

وإنما علينا أن نقبل ما عقلناه إيمانًا وتصديقًا، ومالم نعقله، قبلناه استسلامًا وتسليمًا، وهذا معنى قول القائل من أهل السنة: إن الإسلام قنطرة لا تعبر إلا بالتسليم!

فنسأل الله التوفيق فيه، والثبات عليه، وأن يتوفانا على ملة رسول الله ﷺ، بمنه وفضله».

ونقل عنه أيضا في الحجة (٢ / ٣٠ - ٣١) في باب القدر:

قد ذكرنا أن سبيل معرفة هذا الباب التوقيف من قبل الكتاب والسنة، دون محض القياس ومجرد المعقول فمن عدل عن التوقيف في هذا الباب ضل وتاه في بحار الحيرة ولم يبلغ شفاء النفس، ولا وصل إلى ما يطمئن به القلب، وذلك لأن القدر سر من سر الله وعلم من علمه، ضربت دونه الأستار وكفت عليه الأزرار، واختص الله به علام الغيوب، حجبه عن عقول البشر ومعارفهم لما علم من الحكمة، وسبيلنا أن ننتهي إلى ما حدّ لنا فيه، وألا نتجاوز إلى ما وراءه، فالبحث عنه تكلف، والاقتحام فيه تعمق وتهور.

قال: وجماع هذا الباب أن يعلم أن الله تعالى طوى عن العالم علم ما قضاه وقدره على عباده فلم يطلع عليه نبيا مرسلا، ولا ملكا مقربا؛ لأنه خلقهم ليتعبدهم ويمتحنهم قال الله - تعالى - ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾(١)، وقد نقلنا عن علي رضي الله عنه: أنه خلقهم ليأمرهم بالعبادة.

---

(١) الذاريات: ٥٦.

فلو كشف لهم عن سر ما قضى وقدر لهم وعليهم فى عواقب أمورهم لا فتتنوا، وفتروا عن العمل، واتكلوا على مصير الأمر فى العاقبة فيكون قصاراهم عند ذلك أمن أو قنوط، وفى ذلك بطلان العبادة وسقوط الخوف والرجاء، فلطف الله سبحانه بعباده وحجب عنهم علم القضاء والقدر، وعلقهم بين الخوف، والرجاء، والطمع، والوجل، ليبلو سعيهم واجتهادهم، وليميز الله الخبيث من الطيب، ولله الحجة البالغة. اهـ.

ونقل الأصبهانى أيضا عنه فى الحجة (٢ / ٥١ – ٥٢).

فقد دعا الله الخلق إلى الوحدانية والأقدار معًا: فالتوحيد لوحدانيته، والتقدير لربوبيته، والإذن قدرته. فكما لا يجوز إبطال وحدانيته، كذلك إبطال ربوبيته وقدرته. وهو التقدير والإذن، وكذلك قالوا: كما لا يجوز الركون إلى الدنيا، كذلك لا يجوز ابطالها حتى يكتسب بها النظر إلى التقدير والإذن.

فالأبدان كلها مضطرة إلى الأسباب أبداً، وذلك فى أهل السموات والأرض اضطرهم الله جميعًا إلى الأسباب وإن تفاوتت وجوهها فى قلتها وكثرتها، وزيادتها ونقصانها.

وأما القلوب فإنها مضطرة إلى مسبب الأسباب وحده، أما ترى أن أهل الدنيا اضطروا إلى الأسباب من الأمكنة، والأغذية، واللباس وسائر ما يرجع إلى معاشهم، فهذا لأبدانهم، واضطرت القلوب إلى أن الله تعالى وحده خالق الدنيا ومالكها، وإن الأسباب عاملة بإذن الله، فما أذن الله – تعالى – لشىء كان من غير سبب، وإذا لم يأذن للسبب لم يعمل.

فالنار بإذنه تُحرق، فإذا أذن لها أن تمتنع من الإحراق امتنعت، كما أذن لنار إبراهيم عليه السلام.

والماء بإذنه يُغرق، فإذا أذن له أن يمتنع من الإغراق امتنع، كما أذن له فى إغراق فرعون وقومه، ومنعه من إغراق موسى وقومه... الخ.

ونقل الأصبهانى عنه أيضا فى الحجة (٢ / ٢١٥ – ٢١٦) قوله فى أخبار الآحاد:

إن الخبر إذا صح عن رسول الله ﷺ ورواه الثقات والأئمة، وأسندوه: خلفهم عن

سلفهم إلى رسول الله ﷺ وتلقته الأمة بالقبول؛ فإنه يوجب العلم فيما سبيله العلم هذا قول عامة أهل الحديث والمتقنين من القائمين على السنة، وإنما هذا القول الذى يذكر أن خبر الواحد لا يفيد العلم بحال، ولابد من نقله بطريق التواتر لوقوع العلم به شيء اخترعته القدرية والمعتزلة، وكان قصدهم منه رد الأخبار، وتلقفها منهم بعض الفقهاء الذين لم يكن لهم علم فى العلم وقدم ثابت، ولم يقفوا على مقصودهم من هذا القول، ولو أنصفت الفرق من الأمة لأقروا بأنّ خبر الواحد يوجب العلم، فإنهم تراهم مع اختلافهم فى طرائقهم وعقائدهم يستدل كل فريق منهم على صحة ما يذهب إليه بالخبر الواحد .... الخ.

هذا كان مجمل اعتقاده – رحمه الله – وهو اعتقاد أهل السنة والجماعة كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – «إن سلف الأمة، وأئمتها كانوا على الإيمان الذى بعث الله به نبيه ﷺ، يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، ويقولون: إن القرآن كلام الله تعالى، ويصفون الله بما وصف به نفسه من التكليم، والمناجاة، والمناداة، وما جاءت به السنن، والآثار موافقة لكتاب الله – تعالى –» انظر مجموع الفتاوى (٦/ ٥١٨).

التوصيف العلمى للنسختين الخطيتين

اعتمدنا فى تحقيقنا لتفسير أبى المظفر السمعانى على نسختين خطيتين، وهما كالآتى :

أولا : النسخة الأزهرية، وهى نسخة مصورة عن النسخة المحفوظة بالمكتبة الأزهرية تحت رقم (٢٠٩٥) تفسير، وهى تقع فى مجلدين كبيرين.

فأما المجلد الأول فيقع فى (٢٢٨) ورقة، ويبدأ من تفسير سورة الفاتحة، وينتهى عند تفسير قوله تعالى من سورة الإسراء ﴿ ... وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾[١].

والمجلد الثانى يقع فى (٣٢٩) ورقة، يبدأ من تفسير سورة مريم إلى آخر القرآن الكريم.

والنسخة كتبت بخط نسخ معتاد، ولا يعرف تاريخ نسخها، ولا اسم ناسخها.

والورقة من وجهين، وعدد أسطر الوجه (٢٥) سطرًا، ومتوسط عدد الكلمات فى السطر الواحد (١٦) كلمة.

وقد سقط من النسخة أواخر تفسير سورة الإسراء من قوله : ﴿ ... وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ إلى آخر السورة، وتفسير سورة الكهف كاملة.

وقد ضبط ناسخها بعض الكلمات بالشكل، وكان إذا أخطأ أو سقط منه شىء يستدركه فى الهامش، ويضع فى آخر علامة « صح ». ويضع خطًا فوق الآيات التى يفسرها المصنف، وذلك فى الأغلب من التفسير.

ولكن الناسخ - عفا الله عنه - لم يكن من الحاذقين فى هذا الفن؛ فلقد تحرفت وتصحفت عليه كثير من الكلمات، وقد نبهنا عليها فى الهامش.

كما توجد فى حواشى النسخة تعليقات لبعض المتأخرين، وهى بثلاثة خطوط مختلفة، ولم يذكروا أسماءهم، ولا تاريخ كتابتها.

---

(١) الاسراء : ٨٥.

ولقد اعتمدنا عليها فى عملنا كأصل، لقدم نسخها وقلة أخطائها بالمقارنة بالنسخة الأخرى.

ثانيا: نسخة دار الكتب، وهى نسخة مصورة عن النسخة المحفوظة بخزانة دار الكتب المصرية، تحت رقم ١٣٦ تفسير، وهى تقع فى ثلاثة مجلدات.

المجلد الأول ويبدأ من تفسير فاتحة الكتاب وينتهى بنهاية تفسير سورة التوبة، ويقع هذا المجلد فى (٢٥٩) ورقة.

والمجلد الثانى: يبدأ بتفسير سورة يونس وينتهى بنهاية تفسير سورة القصص ويقع فى (٢٦٢) ورقة.

والمجلد الثالث: يبدأ بتفسير سورة العنكبوت إلى نهاية التفسير ويقع فى (٣٣٠) ورقة.

ومقاس الورقة ٢٠ X ٣٠سم، والورقة من وجهين، وعدد الأسطر فى الوجه الواحد ٢٧ سطرا، ومتوسط عدد الكلمات فى السطر الواحد (١٢) كلمة.

وقد نسخت سنة (١٢٧١هـ)، ولم يذكر اسم الناسخ.

وكتبت الآيات بالمداد الأحمر؛ ليميزها عن كلام المصنف، ووضع فى بداية كل مجلد فهرس فى جدول وضع فيه أسماء السور وأرقامها وقد سقط من النسخة أيضا نفس السقط من النسخة الأولى.

ولم يكن ناسخ هذه النسخة من الحاذقين فى هذا الفن، فلقد تحرفت وتصحفت عليه الكثير من الكلمات وسقطت منه الأسطر والكلمات وكثر ذلك منه فى كتابته.

وقد نبهنا على بعض ذلك فى عملنا، وأعرضنا عن أكثره خشية الإطالة، ولعدم جدواها.

وهذه النسخة غير مأخوذة عن النسخة السالفة يقينا، فلقد جبرنا منها بعض السقط، منها ثلاث ورقات كاملة فى تفسير سورة آل عمران، وقد سقطن من النسخة السابقة، وغير ذلك من الأمثلة التى يحدها القارىء بطول الكتاب والله أعلم.

وقد رمزنا لها فى عملنا بالرمز «ك».

توثيق نسبة الكتاب لمصنفه

(١) ذكر العلماء أن للسمعانى كتاب التفسير منهم :

حفيده أبو سعد بن السمعانى فذكر أن جده : صنف التفسير .

الذهبى، وقد نقل ذلك عن حفيده أيضًا : وأن تفسيره ثلاث مجلدات .

ابن كثير قال : وصنف التفسير .

السبكى، نقل أيضًا عن حفيده : صنف التفسير .

الداودى قال : أن للسمعانى كتاب التفسير، نقلا عن حفيده .

ابن العماد قال عنه : وله تفسير جيد حسن .

وغيرهم، فلا يكاد يترجم أحد له إلا ويذكر أن له كتاب التفسير .

(٢) كتب على غلاف النسختين؛ تفسير الإمام العلامة السمعانى . وكتب فى أول الكتاب بعد الحمد لله . . . قال الشيخ الإمام الأجل الزاهد جمال الأئمة أبو المظفر منصور بن محمد السمعانى . . وكذلك كان كثيرا ما يذكر : قال أبو المظفر السمعانى فى طيات الكتاب .

كما أن الأسانيد التى يوردها فى الكتاب هى عن شيوخه وبعض الأحاديث التى يوردها فى التفسير هى بأسانيدها ومتونها فى كتاب الحجة فى بيان المحجة، كما سيأتى .

(٣) وقفنا على كثير من الأحاديث والآثار والأراء لأبى المظفر السمعانى فى كتاب الحجة فى بيان المحجة وهى لتلميذه أبى القاسم الأصبهانى - كما سبق بيان ذلك - يرويها عن شيخه أبى المظفر هى نفسها فى تفسيره وبأسانيده .

ومما سبق يتبين لنا يقينًا أن هذا الكتاب هو لأبى المظفر السمعانى، والله أعلم .

منهجنا فى التحقيق :-

١- اعتمدنا فى تحقيق الكتاب على نسختين : النسخة الأزهرية، ونسخة دار الكتب المصرية.

٢- اتخذنا من نسخة المكتبة الأزهرية أصلاً فى ضبط النص، فقمنا بقراءتها قراءة متفحصة، ثم قمنا بنسخها.

٣- قمنا بتنظيم النص بما هو متعارف عليه فى عصرنا، من صورة الإملاء، ورسم الكلمات، وغيرنا ما اصطلح عليه النساخ فى رسم بعض الكلمات، مثل تسهيل الهمزات، وكحذف الألف الوسطية فى كثير من الأسماء مثل « سفين = سفيان »، و« الحرث = الحارث »، وغير ذلك.

ومثل حذف الهمزة المتطرفة من بعض الكلمات، مثل « السما = السماء »، « وجا = جاء ».

٤- قمنا بضبط النص ضبطًا صحيحًا، وتقسيم الفقرات، ووضع علامات الترقيم، ولم نتوسع فى إيراد الشروح، والتعليقات، واكتفينا بشرح الكلمات الغريبة، وذلك فيما احتجنا إليه فى ضبط النص.

٥- ومما تجدر الإشارة إليه أن أسلوب المصنف كان يتسم ببعض العجمة، وعدم إحسان الربط بين الجمل، وذلك مثل تذكير المؤنث، أو تأنيث المذكر، أو إهمال الفاء السببية، ورواية الشعر بالمعنى أو ما شابه ذلك.

ولعل ذلك وقع من قِبَلْ النساخ، فإن هناك أخطاء؛ لا نظن أنها وقعت من قبل المصنف - رحمه الله -، بل يغلب على الظن أنها من تصرف النساخ، فقمنا بتغيير مالا تحتمله العربية، ونبهنا على ذلك فى الهامش، - هذا فى أول عملنا فى الكتاب - فلما رأينا أن ذلك كثر جداً؛ تركنا التنبيه عليه حتى لا نثقل الحواشى، ولا يُمِلَّ القارئ، مكتفين بالتنبيه على ذلك فى المقدمة.

٦- قمنا بتخريج الأحاديث المرفوعة مع نقل أقوال أهل العلم فيها ممن أخرجها دون توسع؛ مثل نقل كلام الترمذى، والحاكم، وغيرهما إذا عزونا الحديث إليهم، وما كان من الحديث متفق عليه اكتفينا بالعزو إليهما دون غيرهما.

٧- لم نتعمد تخريج الموقوفات، والآثار، حيث إن هذا كثير جِدا لأن جُلَّ التفسير

يعتمد على نقل أقورال الصحابة، والتابعين فى تفسير الآيات، أو ذكر أسباب النزول، أو ما شابه، ولكن ما احتجنا إلى تخريجه، أثناء ضبط المتن، ونحوه ذكرناه.

٨ قمنا بعمل فهارس للأحاديث، والأشعار، والمباحث الفقهية، والعقائدية، حتى يسهل الرجوع إلى موضعها من الكتاب، واستغنينا عن عمل فهارس للموضوعات، لأننا قمنا بوضع آيات المصحف بأرقامها، وأسماء السور فى أعلى الصفحات، مما يستغنى به عن وضع فهرس للموضوعات فى آخر كل مجلد.

٩- قمنا بعمل مقدمة للكتاب اشتملت على ترجمة للمصنف وبيان عقيدته واشتملت أيضًا على وصف المخطوطات، وصور بعض الورقات، منها، وتوثيق نسبة الكتاب للمصنف، وذكر منهجنا فى التحقيق.

ولا يفوتنا فى هذا المقام أن نشكر كل من أسهم فى إخراج هذا السفر العظيم من إخواننا الباحثين فى دارنا؛ دار المشكاة، ونخص بالذكر منهم الأخ الفاضل أبا عبد الله حسين بن عكاشة، والأخ الفاضل الدكتور أشرف بن سعيد، والأخ الفاضل الأستاذ عبد القوى زيد، ونسأل الله العظيم أن يجعل ذلك فى ميزان حسناتنا، وأن يجعله خالصًا لوجهه العظيم.

هذا، وما كان من عيب أو خلل فمن أنفسنا والشيطان، وما كان من توفيق فمن الله وحده فله الحمد والشكر.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

شوال ١٤١٧ من هجرة المصطفى ﷺ

دار المشكاة

للبحث العلمى

صور للنسختين الخطيتين
اللتين اعتمدنا عليهما
فى
إخراج هذا السفر العظيم

الورقة الأولى من النسخة الأزهرية

الورقة الأخيرة من النسخة الأزهرية

الورقة الأولى من نسخة دار الكتب المصرية

الورقة الأخيرة من نسخة دار الكتب المصرية

نص الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة على رسوله محمد وآله أجمعين، ولا عدوان إلا على الظالمين، اللهم باركْ وَوَفِّقْ.

القول فى تفسير فاتحة الكتاب

قال الشيخ الإمام الأجل الزاهد جمال الأئمة، أبو المظفر منصور بن محمد السمعانى – رحمه الله تعالى –: اعلم أن لهذه السورة أربعة أسامى: فاتحة الكتاب، وأم القرآن، والسبع المثانى، والسبع من المثانى، برواية عبد خير، عن على – رضى الله عنه –.

أما فاتحة الكتاب فلأن بها افتتح الكتاب وهو القرآن.

وأما أم القرآن لأنها أصل القرآن، منها بدئ القرآن. وأم الشيء: أصله، ومنه يقال لمكة: أم القرى؛ لأنها أصل البلاد.

وأما السبع المثانى لأنها سبع آيات باتفاق الأئمة؛ إلا فى رواية شاذة أنها ثمان آيات.

وسميت مثانى لأنها تُثنى فى الصلاة فتقرأ فى كل ركعة.

وقال مجاهد: إنما سميت مثانى؛ لأن الله – تعالى – استثناها لهذه الأمة، كأنه أوحى بها لهم، ولم يعطها أحداً من الأمم.

وأما السبع من المثانى ففيه قولان: **أحدهما**: أنها سبع آيات مخصوصة من المثانى وهو القرآن، قال الله – تعالى–: ﴿كتابا متشابها مثانى﴾(١).

وإنما سمى القرآن مثانى؛ لاشتماله على علوم مثناة من الوعد والوعيد، والأمر والنهى، ونحوها.

والثانى: أَن السبع من المثانى هو السبع المثانى؛ و«مِنْ» فيه للصلة، وإنما نشأ هذا الخلاف من قوله – تعالى –: ﴿ولقد آتيناك سبعًا من المثانى﴾(٢).

ثم اعلم أن هذه السورة مكية على قول ابن عباس، وقال مجاهد: هى مدنية.

وقيل: نزلت مرتين مرة بمكة، ومرة بالمدينة؛ ولذلك سميت مثانى؛ لأنها ثنيت فى التنزيل، وهذه رواية غريبة.

(١) الزمر: ٢٣.

(٢) الحجر ٨٧.

بِسْمِ اللَّه

قوله: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ آية من الفاتحة على قول بعض العلماء، وهو مروى عن ابن عباس وأم سلمة.

وليس بآية منها على قول البعض. وهذا مذكور بدليله فى الفقه. ثم اعلم أن الباء فى قوله: ﴿بسم الله﴾ أداة يخفض مابعدها من الكلام، مثل: من، وعن، وفى، وعلى، وأمثالها.

والمعنى المتعلق بالباء لدلالة الكلام عليه، وتقديره: «أبدأ بسم الله»، أو: «بدأت بسم الله».

وقوله: ﴿بسم الله﴾ أصله باسم الله، كقوله: ﴿اقرأ باسم ربك﴾(١)، وإنما حذف الألف فى الكتابة؛ لأنه (لا يظهر)(٢) فى اللفظ.

وقيل: إنما حذفت لكثرة الاستعمال تخفيفًا؛ ولأنه كثر استعمالها؛ فاستخفوا حذفها، بخلاف قوله: ﴿اقرأ باسم ربك﴾(١)، ونظائره لأن هناك لم يكثر الاستعمال.

ثم اختلفوا فى اشتقاق الاسم. قال المبرد وجماعة البصريين: الاسم مشتق من السمو، وهو العلو والظهور، فكأنه ظهر على معناه وعلا عليه، وصار معناه تحته.

وقال ثعلب من الكوفيين: هو مشتق من الوسم والسمة، فكأنه علامة لمعناه. والأول أولى؛ لأن الاسم يصغر على المسمى. ولو كان مشتقًا من السمة، لكان يصغر على الوسم، كما يقال فى الوصل: وُصَيْل، وفى الوعد: وُعَيْد.

وأما قوله(٣): ﴿الله﴾ - تعالى- فقد اختلفوا فيه، فقال الخليل، وابن كيسان: هو اسم علم خاص لله - تعالى - لا اشتقاق له، وهو كأسماء الأعلام للعباد، مثل:

(١) العلق: ١.

(٢) في النسخة «ك»: لا تظهر.

(٣) فى «ك»: قول.

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾

زيد، وعمرو، ونحوه. وهو اختيار القفال الشاشى، وجماعة من أهل العلم.

وقال الباقون: هو اسم مشتق، [و][1] فى موضع الاشتقاق قولان: أحدهما: أنه مشتق من قولهم: أَلِهَ إلاهَةً، أى: عَبَدَ عبادة. وقرأ ابن عباس: «ويذرك وإلاهتك»[2] أى: عبادتك.

ويقال للناسك المتعبد مُتَأَلِّه، ومنه قول القائل:

سَبَّحْنَ وَاسْتَرْجَعْنَ مِنْ تَأَلُّهِ [3]

أى: تَعَبُّد، فيكون معناه أنه المستحق للعبادة، إليه توجه كل العبادات، وأنه المعبود فلا يعبد غيره.

وقيل: الإله من يكون خالقًا للخلق، رازقًا لهم، مدبراً لأمورهم، مقتدراً عليهم.

والثانى: أن «الله» أصله إله، وأصل الإله: وِلاه؛ إلاَّ أن الواو أبدلت بالهمزة. كقولهم: وشاح وإشاح.

واشتقاقه من الوَلَه، وكأن العباد يولهون الله، ويفزعون إليه ويتضرعون ويلجأون إليه فى الشدائد.

وأما قوله: ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ قال ابن عباس: هما اسمان رقيقان، أحدهما أرق من الآخر.

وحكى عنه أيضاً أنه قال: «الرحمن»: الرفيق بالعباد، و«الرحيم» العاطف عليهم.

ثم اختلفوا فيه، فقال بعضهم: «الرحمن» غير «الرحيم» ولكل واحد منهما معنى

---

(١) ليست فى الأصل، وك.

(٢) الأعراف: ١٢٧.

(٣) كتب فى حاشية الأصل بخط مغاير لخط الناسخ: وأوله: لِله دَرُّ الْغَانِيَاتِ الْمُدَّهِى.

غير معنى صاحبه. وقال بعضهم: هما واحد.

فأما من قال: «الرحمن» غير «الرحيم»، قال: للرحمن معنى العموم، وللرحيم معنى الخصوص، فعلى هذا «الرحمن» بمعنى الرازق فى الدنيا، والرزق على العموم للكافر والمؤمن، و«الرحيم» بمعنى العافى فى الآخرة، والعفو فى الآخرة على الخصوص للمؤمنين دون الكافرين. ولذلك قيل فى الدعاء: «يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة»[1]. «فالرحمن» من تصل رحمته[2] إلى الخلق على العموم، و«الرحيم» من تصل رحمته إلى الخلق على الخصوص؛ ولذلك يُدْعَى غير الله رحيمًا، ولا يدعى رحماناً؛ لأن الله - تعالى - هو الذى تصل رحمته إلى الخلق، كأنه كما قال تعالى: ﴿ورحمتى وسعت كُلَّ شىء﴾[3]. وأما غير الله قد يخص شيئًا بالرحمة؛ فيكون بذلك رحيمًا.

وأما من قال: إن معناهما واحد؛ فقد قال قطرب: هما اسمان، ذكر أحدهما

(١) روى عن ابن مسعود وأبى سعيد الخدرى مرفوعاً: «أن عيسى ابن مريم قال: الرحمن، رحمن الآخرة والدنيا، والرحيم رحيم الآخرة. رواه ابن جرير الطبرى فى تفسيره (١/ ٤٣).
وروى أيضا من حديث عبد الرحمن بن سابط مرفوعًا ولكن لفظه: «... ورحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما». أخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه (١٠/ ٤٤١).
وأخرجه الحاكم فى المستدرك (١/ ٥١٥)، والبيهقى فى الدلائل (٦/ ١٧١ - ١٧٢) عن أبى بكر الصديق مرفوعًا. وفيه «... رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما»..
وقال الحاكم: صحيح وتعقبه الذهبى بأن فى إسناده الحكم بن عبد الله الأيلى ليس بثقة.
وأورده السيوطى فى الدر المنثور (١ / ١٥) وعزاه للبزار والبيهقى فى الدلائل وقال: إسناده ضعيف.
وأورده الهيثمى فى المجمع (١٠ / ١٨٩) وقال: رواه البزار، وفيه الحكم بن عبد الله الأيلى، وهو متروك.
وفى الباب عن معاذ بن جبل، وأنس بن مالك وغيرهم. انظر الدر المنثور (٣ / ١٦ - ١٧).
(٢) زاد فى «الأصل»، و«ك»: «إليه» قبل كلمة: «رحمته». وهى زيادة مقحمة.
(٣) الأعراف: ١٥٦.

الْحَمْدُ لِلَّهِ

تأكيداً للآخر، مثل: لهفان، ولهيف، وندمان، ونديم.

وقال المبرد: (هذا تمام بعد إتمام)[1]، وتفضل بعد تفضل، وتطميع لقلوب الراغبين، ووعد لا يخيب آمله، ومعناه: ذو الرحمة، والرحمة [هي][2] الإنعام والتفضل.

قوله: ﴿الحمد لله﴾ اعلم أن الحمد يكون بمعنى الشكر على النعمة، ويكون بمعنى التحميد والثناء على الأوصاف المحمودة. يقال: حمدت فلانًا على ما أسدى إليَّ من النعمة. ويقال: حمدت فلانًا على شجاعته وعلمه. وأما الشكر لا يكون إلاَّ على النعمة؛ فلِلْحمدِ معنىً عامٌّ، وللشكر معنى خاصٌّ. فكل حامد شاكر، وليس كل شاكر حامداً.

يقال: حمدت فلانًا على شجاعته. ولا يقال: شكرت فلانًا على شجاعته.

ثم اعلم أن حمد الله - تعالى - لنفسه حسن لا كحمد المخلوقين لأنفسهم؛ لأن [حمد][3] المخلوقين لا يخلو عن نقص؛ فلا يخلو مدحه نفسه عن كذب؛ فيقبح منه أن يمدح نفسه. وأما الله - جل جلاله - بريء عن النقص والعيب؛ فكان مدحه نفسَه حسنًا.

وقوله: ﴿الحمد لله﴾ هاهنا يحتمل معنيين: الإخبار، والتعليم. أما الإخبار كأنه يخبر أن المستوجب للحمد هو الله، وأن المحامد كلها لله - تعالى -.

وأما التعليم كأنه حمد نفسه وعلَّم العباد حَمْدَه، وتقديره: «قولوا: الحمد لله».

وقوله: ﴿لله﴾ فاللام تكون للإضافة، وتكون للاستحقاق، يقال: أكل للدابة،

---

(١) كذا في «ك» ووقع في «الأصل»: هذا نعام بعد إنعام.

(٢) في «الأصل، و ك»: هو.

(٣) ليست في «الأصل»، والسياق يقتضيها.

رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾

والدار لزيد، فاللام هاهنا بمعنى الاستحقاق، كأنه يقول: المستحق للحمد هو الله - تعالى -، وقد فرغنا عن تفسير قوله: ﴿لله﴾.

﴿رب العالمين﴾ وأما الرب يكون بمعنى التربية والإصلاح، ويكون بمعنى المالك. يقال: رب الضيعة يربيها، أى: أتمها وأصلحها. ويقال: رب الدار لمالك الدار. فالرب هاهنا يحمل كلا المعنيين؛ لأن الله - تعالى - مربى العالمين، ومالك العالمين.

وأما ﴿العالمون﴾ قال ابن عباس: هم الجن والإنس. وقال الحسن وقتادة، وأبو عبيدة: هم جميع المخلوقين. وقيل: الأول أولى؛ لأن الخطاب مع المكلفين الذين هم المقصودون بالخليقة وهم الجن والإنس. وقيل: الإنس عالم، والجن عالم. والله تعالى - وراءه أربع زوايا، فى كل زاوية ألف وخمسمائة عالم(١).

وقد فرغنا عن تفسير ﴿الرحمن الرحيم﴾ وإنما ذكره ثانياً لفائدة التوكيد.

قوله: ﴿مالك يوم الدين﴾ يقرأ بقراءتين: «مَالك، وملك». قال أبو حاتم السجستانى: «مالك» بالألف أولَى؛ لأنه أوسع وأجمع، يقال: مالك الدار، ومالك الطير، ومالك العبد، ولا يستعمل منها اسم الملك.

وقال أبو عبيد، والمبرد: «ومَلك» أولى؛ لأنه أتم، فإن «الملك»(٢) يجمع معنى «المالك»، والمالك لا يجمع معنى الملك، فإن كل ملك مالك، وليس كل مالك ملكًا، ولأنه أوفق لألفاظ القرآن، مثل قوله - تعالى -: ﴿فتعالى الله الملك الحق﴾(٣)، وقوله: ﴿لمن الملك اليوم﴾(٤) ونحو ذلك فمالك: من المِلْك والملكة، ومَلك من المُلك

(١) هذا مروى عن أبى العالية من قوله، من طريق أبى جعفر الرازى، عن الربيع بن أنس عنه كما فى تفسير الطبرى (١ / ٤٩). قال ابن حبان فى ترجمة الربيع بن أنس من الثقات (٤ / ٢٢٨): الناس يتقون من حديثه ما كان من رواية أبى جعفر عنه. قلت: ومثل هذا لايثبت إلا بما صح عن النبى ﷺ مرفوعًا.

(٢) تكررت من الناسخ فى «الأصل، و ك».

(٣) المؤمنون: ١١٦.

(٤) غافر: ١٦.

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾

والملكة، والله – تعالى – مالك، وملك.

وأما ﴿اليوم﴾ اسم لزمان معلوم، والمراد بيوم الدين: يوم القيامة، ومعناه: يوم الحساب، ويوم الجزاء. وقد يكون الدين بمعنى الطاعة وبمعانٍ شتى، ولكنه ها هنا على أحد المعنيين. فإن قال قائل: لمَ خص يوم الدين بالذكر، والله – تعالى – مالك الأيام كلها؟ يقال: إنما خصه لأن الأمر في القيامة يخلص له، كما قال: ﴿والأمر يومئذ لله﴾. وأما في الدنيا للملوك أمر، وللمسلمين أمر، وللأنبياء أمر.

قوله: ﴿إياك نعبد وإياك نستعينُ﴾، أما قوله: ﴿إياك نعبد﴾ بمعنى نحن نعبدك، والعبادة: هي الطاعة مع التذلل والخضوع، يقال: طريق مُعَبَّد: أي مذلَّل، ومعناه: نعبدك خاضعين.

﴿وإياك نستعين﴾ أي: نطلب منك المعونة، فإن قيل: لمَ قدم ذكر العبادة على الاستعانة؛ والاستعانة تكون قبل العبادة؟ ولمَ ذكر قوله: إياك مرتين، وكان يكفي أن يقول: إياك نعبد ونستعين؛ فإنه أوجز وأخص؟ يقال: أما الأول فإنما يلزم من يجعل الاستطاعة قبل الفعل، ونحن بحمد الله نجعل الاستعانة والتوفيق مع الفعل، سواء قرنه به أم أَخَّره جاز.

أو يقال: لأن الاستعانة نوع تَعَبُّدٍ، فكأنه ذكر جملة العبادة، ثم ذكر ماهو من تفاصيلها.

وأما قوله: ﴿وإياك نستعين﴾ إنما كرره لأنه لو اقتصر على قوله: إياك نعبد ونستعين؛ ليعلم أنه المعبود، وأنه المستعان، وعلى أن العرب قد تتكلم بمثل هذا، قد يدخل الكلام تجريداً أو تفخيماً وتعظيماً. ولا يعد ذلك عيباً، كما تقول العرب: «هذا المال بين زيد، وبين عمرو»، وإن كان يفيد قولهم: «المال بين زيد، وعمرو». مايفيد الأول، ولا يعد ذلك عيباً في الكلام؛ بل عد تفخيماً وتجزيلا في الكلام.

اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾

قوله: ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ يعنى: أَرْشِدْنا، وثَبِّتْنَا.

والهداية فى القرآن على معان، فتكون الهداية بمعنى الإلهام، وتكون بمعنى الإرشاد، وتكون بمعنى البيان، وتكون بمعنى الدعاء.

أما الإلهام، قال الله – تعالى –: ﴿ ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى ﴾(١) أى: ألهم.

وأما الإرشاد، قوله – تعالى –: ﴿ واهدنا إلى سواء الصراط ﴾(٢).

وأما البيان قوله: ﴿ وأما ثمود فهديناهم ﴾(٣) أى: بينَّا لهم.

وأما الدعاء، مثل قوله – تعالى –: ﴿ ولكل قوم هاد ﴾(٤) أى: داع، فهو بمعنى الاسترشاد ها هنا.

فإن قال قائل: أى معنى للاسترشاد، وكل مؤمن مهتد، فما معنى قوله: ﴿ اهدنا ﴾؟ قلنا: هذا سؤال من يقول بتناهى الألطاف من الله – تعالى –. ومذهب أهل السنة أن الألطاف والهدايات من الله – تعالى – لا تتناهى، فيكون ذلك بمعنى طلب مزيد الهداية، ويكون بمعنى سؤال للتثبيت، اهدنا بمعنى ثبتنا، كما يقال للقائم: «قم حتى أعود إليك». أى: اثبت قائماً.

وأما ﴿ الصراط المستقيم ﴾ قال على، وابن مسعود: هو الإسلام. وقال جابر: هو القرآن.

وأصله فى اللغة: هو الطريق الواضح، والإسلام طريق واضح، والقرآن طريق واضح.

---

(١) طه: ٥٠.

(٢) ص: ٢٢.

(٣) فصلت: ١٧.

(٤) الرعد: ٧.

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾

وقد قال القائل:

أميرُ المؤمنينَ على صـــراطٍ ... إذا اعْــوَجَّ المــواردُ مستقيمُ

قوله: ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾، قد قرأ عمر – رضى الله عنه –: «صراط من أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم وغير الضالين» ولكنه فى الشواذ، والمعروف هو القراءة المعهودة.

وقيل: «الذين أنعمت عليهم» هم الأنبياء. وقيل: كل من ثبته الله على الإيمان من النبيين والمؤمنين كافة.

وقال أبو العالية الرياحى: هم الرسول، وأبو بكر، وعمر.

وأما قوله: ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾. **آمين** .فالمغضوب عليهم هم اليهود، والضالون هم النصارى.

وروى عن عدى بن حاتم أنه جاء إلى النبى ﷺ ليسلم، وقال: «يارسول الله، من المغضوب عليهم؟ فقال: اليهود. وقال: فمن الضالون؟ فقال: النصارى. قال عدى: أشهد أنى حنيف مسلم. قال عدى: فرأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل، ويبتسم؛ فرحًا بإسلامى»(١).

وأما «آمين» فليس من القرآن. والسنة للقارئ أن يقف وقفة، ثم يقول: آمين.

وفيه لغتان: آمين بالمد، وأمين بالقصر. ومعناه: اللهم استجب. وقيل: إنه طابع الدعاء.

(١) أخرجه الترمذى فى السنن بنحوه مطولا (٥ / ١٨٦ – ١٨٧ / رقم ٢٩٥٣، ٢٩٥٤) وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث سماك بن حرب. وأحمد فى مسنده (٤ / ٣٧٨ – ٣٧٩) وسعيد بن منصور فى سننه (٢ / ٥٣٧ رقم ١٧٩) وابن جرير فى التفسير (١ / ٦١)، وابن أبى حاتم فى التفسير (١ / ٢٣ رقم ٤٠). والطبرانى فى الكبير (١٧/ ٩٩ – ١٠٠ رقم ٢٣٧). وابن حبان فى صحيحه – الإحسان – (١٤/ ١٣٩ – ١٤٠ رقم ٦٢٤٦)، (١٦/ ١٨٣ – ١٨٤ رقم ٧٠٢٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تفسير سورة البقرة

اعلم أن سورة البقرة مدنية باتفاق الأئمة، وحكى عن بعض العلماء أنه قال: يكره تسميتها بسورة البقرة، والأولى أن يقال: السورة التى يذكر فيها البقرة، وكذا فى سائر السور من أمثالها. والأصح أنه يجوز؛ لما روى عن ابن مسعود - رضى الله عنه - أنه رمى جمرة العقبة من بطن الوادى ثم قال: هذا والله مقام الذى أنزلت عليه سورة البقرة.

وروى عبد الله بن بريدة، عن أبيه، عن النبى ﷺ أنه قال: «تعلموا سورة البقرة؛ فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولايستطيعها البطلة»[(١)] أى: السحرة. وفى هذا دليل على فضيلة هذه السورة، وعلى جواز تسميتها سورة البقرة، وسمى بعض المتقدمين هذه السورة: فسطاط القرآن؛ لشرفها وفضلها.

(١) أخرجه أحمد فى مسنده (٥/ ٣٤٨، ٣٦١) والدارمى (٢/٥٤٣ رقم ٣٣٩١)، والحاكم فى المستدرك (١/ ٥٦٠) وقال صحيح على شرط مسلم، وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ١٦٢): رجاله رجال الصحيح. والحديث رواه الإمام مسلم فى صحيحه من حديث أبى أمامة (٦/ ١٣٠ رقم ٨٠٤) ولفظه: «اقرءوا ...».

﴿ الٓمٓ ۝١ ﴾

قوله – تعالى –: ﴿ الٓمٓ ﴾ قال الشعبى وجماعة من المتقدمين، فى هذا وسائر حروف التهجى فى فواتح السور: والفائدة فى أوائل السور لا (يعلم)[1] معناها، وهى سر القرآن، ولكل كتاب سر، وسر القرآن حروف التهجى من فواتح السور، والفائدة من ذكرها طلب الإيمان بها، وأن يعلم أنها من عند الله – تعالى –.

وقال غيرهم: هى معلومة المعانى. وقال ابن عباس – رضى الله عنهما –: معنى قوله: ﴿ آلم ﴾ أنا الله أعلم، وكل حرف يدل على معنى، والألف دليل قوله: «أنا»، واللام دليل قوله: «الله»، والميم دليل قوله: «أعلم».

وكذا قال فى أمثاله، فقال فى ﴿ آلمص ﴾: معناه: أنا الله أعلم وأفصل. وفى ﴿ آلمر ﴾: أنا «الله» أعلم وأرى. وفى ﴿ آلر ﴾: أنا الله أرى.

قال الزجاج: هذا حسن، وبمثله قالت العرب فى قولها. فإن العرب قد تأتى فى كلامها بحرف وتريد به معنى، كما قال القائل:

قُلتُ لَها قِفِى فقالتْ قَافْ[2] لاتَحسَبِى أنَّا نَسِينَا الإيجَافْ

ومعنى قولها قاف، أى: وقفت. فدل الحرف على معنى، كذا هذا.

وقال قتادة فى حروف التهجى: إنها اسم للقرآن.

وقال مجاهد: إنها أسماء للسور وقال غيرهم: هو قسم، أقسم الله – تعالى – بهذه الحروف؛ لشرفها وفضلها؛ لأنها مبانى كُتُبِهِ المنزلة.

قوله – عز وجل –: ﴿ ذلك الكتاب لاريب فيه ﴾، أما قوله: ﴿ ذلك الكتاب ﴾ أى: هذا الكتاب، كما قال القائل:

---

(١) فى «ك»: يعرف.

(٢) البيت هكذا مكسور، وفى تفسير الطبرى (١ / ٧٠): قلنا لها قفى لنا قالت قاف... وجاء فى تفسير القرطبى (١ / ١٥١) كما فى الأصل.

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾

أَقُولُ لَهُ والرّمْحُ يأْطِرُ مَتْنَهُ ... تَأَمّلْ خِفَافًا إِنّنى أنا ذَلِكَا

[أى](1): أننى أنا هذا. وقيل: هذا مضمر فيه، ومعناه: هذا ذلك الكتاب الذى وعدتك يامحمد أن أنزله عليك على لسان الذين قبلك، و«هذا» للتقريب و«ذلك» للتبعيد.

فأما ﴿الكتاب﴾ هو القرآن، والكتاب بمعنى المكتوب كما يقال: «ضَرْب الأمير» أى: مضروبه.

﴿لاريب فيه﴾ أى: لاشك فيه. فإن قال قائل: كيف أخبر قال: «لاريب فيه» وقد ارتاب فيه كثير من الناس، وخبر الله - تعالى - لايكون بخلاف مخبره؟ يقال: معناه أنه الحق والصدق لاشك فيه.

وقيل: هو خبر بمعنى النهى، أى: لاترتابوا فيه.

قوله تعالى: ﴿هدى للمتقين﴾ والهدى بمعنى الرشد والبيان.

وأما المتقون مأخوذ من الاتقاء و التقوى. وأصله الحجز بين شيئين، ومنه يقال: اتقى بترسه، أى: جعله حاجزًا بين نفسه وبين ما قصد به من المكروه. وفى الخبر «كنا إذا احمر البأس اتقينا برسول الله ﷺ»(2). أى: «اشتدت الحرب» جعلناه حاجزًا بيننا وبين العدو.

فكأن المتقى يجعل امتثال أمر الله والاجتناب عن نهيه حاجزًا بينه وبين العذاب فيتحرز بطاعة الله عن عقوبة الله.

فإن قال قائل: لِمَ خص المتقين بالذكر وهو هدى لجميع المؤمنين؟ قيل: إنما خصهم بالذكر تشريفًا، أو لأنهم هم المنتفعون بالهدى، حيث نزلوا منزل التقوى دون غيرهم،

(1) فى «الأصل»، و«ك»: إلى.

(2) أخرجه مسلم فى صحيحه (١٢/ ١٦٩ - ١٧٠ رقم ١٧٧٦) من حديث البراء بنحوه.

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾

فلهذا خصهم به.

قوله – تعالى – :﴿ الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ﴾

قوله: ﴿ الذين ﴾ نعت المتقين ﴿ يؤمنون ﴾ من الإيمان. وهو التصديق، قال الله تعالى : ﴿ وما أنت بمؤمن لنا ﴾(١) أى: بمصدق لنا.

والإيمان فى الشريعة يشتمل على الاعتقاد بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان. وقيل: الإيمان مأخوذ من الأمان، فسمى المؤمن مؤمناً؛ لأنه يؤمِّن نفسَه من عذاب الله. والله مؤمن؛ لأنه يؤمِّن العباد من عذابه.

﴿ بالغيب ﴾ قال ابن عباس: الغيب كل ما أمرت بالإيمان به مما غاب عن بصرك، وذلك مثل الملائكة، والجنة، والنار، والصراط، والميزان، ونحوها.

وقال غيره: الغيب ها هنا هو الله تعالى .

وقال ابن كيسان: أراد به القدر. ﴿ يؤمنون بالغيب ﴾،أى: بالقدر.

﴿ ويقيمون الصلاة ﴾ أى: يديمون الصلاة. وحقيقة إقامة الصلاة المحافظة على أدائها بأركانها وسننها وهيئاتها.

فالصلاة فى اللغة: الدعاء، وقد ورد فى الخبر: «من دُعِىَ إلى الطعام فَلْيُجِبْ، فإن كان مفطرًا فليأكل، وإن كان صائماً فليُصَلِّ»(٢). أى: فليدع. وقد قال الشاعر:

تقولُ بِنْتِي وقد[قَرُبْتُ](٣) مُرْتَحِلاً ... يارَبُّ جَنِّبْ أَبى الأوصابَ والوَجَعَا

---

(١) يوسف: ١٧.

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه (٩/ ٣٣٤ رقم ١٤٣١) وأبو داود (٢/ ٣٣١ رقم ٢٤٦٠)، وأحمد (٢/ ٥٠٧)، والبيهقى فى الكبرى (٧/ ٢٦٣) من حديث أبى هريرة مرفوعا بنحوه.

(٣) كذا فى تفسير القرطبى (١/ ١٦٤)، ووقع فى «الأصل»، و «ك»: عربت، أوله عين.

وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾

عَلَيكِ مثلُ الذى صَلَّيتُ فاغْتَمِضى عَيناً فإن بِجَنْبِ المرءِ مُضْطَجَعا(١)

معنى قوله: صليت أى: مثل الذى دعوت.

وقيل: الصلاة من الله الرحمةُ، ومن الملائكة الاستغفارُ، ومن الناس الدعاءُ، وهى فى الشريعة تشتمل على أفعال مخصوصة وعلى الثناء والدعاء.

قوله: ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ أما الرزق اسم لكل ما ينتفع به الخلق، فيدخل فيه الولد والعبد.

﴿ينفقون﴾ من الإنفاق، وأصله الإخراج، ومنه نفاق السوق؛ لأنه تخرج فيه السلعة ويقال: نفقت الدابة إذا خرجت روحها، فهذه الآية فى المؤمنين من مشركى العرب.

قوله - تعالى -: ﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك﴾

وهذه الآية فى المؤمنين من أهل الكتاب؛ لأنهم هم الذين آمنوا بالقرآن وسائر الكتب قبله، وقد روى فى حديث صحيح عن النبى ﷺ أنه قال: «من آمن بالكتب المتقدمة وآمن بالقرآن يؤتى أجره مرتين»(٢). وعليه دل نص القرآن ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين﴾(٣).

وقوله: ﴿وبالآخرة هم يوقنون﴾ فالآخرة هى دار الآخرة. وسميت الدنيا دنيا؛ لدنوها من الخلق، وسميت الآخرة آخرة؛ لتأخرها عن الخلق.

---

(١) وقع هذا الشطر من البيت فى تفسير القرطبى كما يأتى: نوماً فإن لجنب المرء مضطجعا

(٢) هكذا أورده المصنف بالمعنى كشأنه فى كثير من الأحاديث وأصل الحديث فى الصحيحين من حديث أبى موسى: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبى ﷺ فآمن به واتبعه وصدقه، فله أجران....». رواه البخارى (١/ ٢٢٩ - رقم: ٩٧) وانظر أطرافه فى ٢٥٤٤، ٢٥٤٧، ٢٥٥١، ٣٠١١، ٣٤٤٦، ٥٠٨٣). ومسلم (٢/ ٢٤٥ - ٢٤٦/ رقم ١٥٤).

(٣) القصص: ٥٤.

﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٥ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾

﴿هم يوقنون﴾ من الإيقان وهو العلم، وقيل: الإيقان واليقين: علم عن استدلال، ولذلك لايسمى الله تعالى موقناً إذ ليس علمه عن استدلال.

قوله – تعالى –: ﴿أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾

فقوله: ﴿أولئك﴾ يعنى الذين وصفهم ﴿على هدى﴾ أى: على رشد وبيان من ربهم. فإن قيل: لم ذكر الهدى ثانيا وقد وصفهم بالهدى مرةً؟ قيل: كرره لفائدة التأكيد. أو يقال: الهدى الأول من القرآن، والهدى الثانى من الله، وفيه بيان أن الهداية من الله – تعالى – ومن كلامه كما هو مذهب أهل السنة.

وأما ﴿المفلحون﴾ من الفلاح، والفلاح يكون بمعنى البقاء. يقال: افلح بما شئت. أى: ابق بما شئت. وقد يكون بمعنى الفوز والنجاة. وأصل الفلاح القطع والشق، ومنه سمى [الزارع][1] فلاحا؛ لأنه يشق الأرض. وفى المثل: «الحديد بالحديد يُفْلَح»، أى: يشق. قال الشاعر:

قدَ عِلْمتَ يَابْنَ أم صَحْصَحِ ... أنَّ الحـديدَ بالحديدِ يُفْلَحُ

أى: يشق. فمعنى المفلحين أنهم الباقون فى نعيم الأبد، والفائزون به، والمقطوع لهم بالخير فى الدنيا والآخرة.

قوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا﴾ فالكفر مأخوذ من الكَفْرِ وهو الستر والتغطية، ومنه يقال لليل: كافر؛ لأنه يستر الأشياء بظلمته، وسمى الزارع[1] كافرا؛ لأنه يستر الحب بالتراب، ويسمى الكافر كافراً؛ لأنه يستر نعم الله – تعالى – بكفره ويصير فى غطاء من دلائل الإسلام وبراهينه.

وقيل: الكفر على أربعة أنحاء: كفر إنكار، وكفر جحد، وكفر عناد، وكفر نفاق.

(١) فى «الأصل» و «ك»: الزراع.

سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾

فكفر الإنكار هو أن لايعرف الله أصلاً، أو لا يعترف به.

وكفر الجحد: هو أن يعرف الله - تعالى -، ولكن يجحده، ككفر إبليس.

وكفر العناد: هو أن يعرف الله - تعالى - بقلبه، ويعترف بلسانه، ولكن لايتدين به ولايتخذه دينا، ككفر أبي طالب؛ فإنه عرف الله ورسوله بقلبه وأقر بلسانه حتى قال:

ولقدْ علِمْتُ بأنَّ دِين مُحَمَّدٍ ... مِنْ خَيرِ أدْيَانِ البَرِيَّة دِينَا

لولا المَلامةُ أو حذارُ مَسَبَّةٍ ... لوجَدْتَنِي سَمْحًا بذاكَ مُبِينَا

وأما كفر النفاق: أن يعترف باللسان ولايعتقد بالقلب؛ فهذه أنواع الكفر ؛فمن لقي الله - تعالى - بنوع منها لم يعف(١).

قوله - تعالى -: ﴿سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون﴾

﴿سواء عليهم﴾ أي: مستو عليهم. ﴿أأنذرتهم أم لم تنذرهم﴾ أي: خَوَّفْتَهُمْ أم لم تخوفهم. والإنذار: تخويف مع الإعلام.

وقيل: هو أشد التخويف. يعني: سواء خوفتهم أم لم تخوفهم لا يؤمنون. وردت هذه الآية في قوم بأعيانهم علم الله - تعالى - أنهم لايؤمنون.

قوله - تعالى -: ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم﴾

ذكر في الآية الأولى أنهم لايؤمنون، وذكر في هذه الآية عِلَّتَهُ، فقال: ﴿ختم الله على قلوبهم﴾ والختم: هو الطبع، وحقيقته: الاستيثاق من الشيء؛ كيلا يدخله ما هو خارج منه، ولايخرج عنه ما هو داخل فيه، ومنه الختم على الباب.

فقوله: ﴿ختم الله على قلوبهم﴾ ذكر ابن كيسان أقوالاً في معناه: أحدها: أي: جازاهم على كفرهم بأن(٢) ختم على قلوبهم.

---

(١) كذا بالأصل، و«ك»، ولعل الصواب: لم يعف عنه. والله أعلم

(٢) في «الأصل»، و «ك»: ناراً.

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ

والثانى وهو قول أهل السنة أى: ختم على قلبهم بالكفر؛ لما سبق من علمه الأزلى فيهم.

وحُكِيَ قول ثالث: أن معناه: جعل على قلوبهم علامة تعرفهم الملائكة بها، وهذا تأويل أهل الاعتزال، نبرأ إلى الله منه.

وحكى أبو عمر غلام ثعلب، عن ثعلب، عن إبراهيم الأعرابى: أن الختم هو منع القلب من الإيمان، ذكره فى كتاب الياء.

قوله: ﴿وعلى سمعهم﴾ أى: أسماعهم، ذكر الجمع بلفظ (الواحد)(١)، ومثله كثير فى القرآن. معناه: على موضع سمعهم، فختم على قلوبهم؛ كيلا يقبلوا الحق، وعلى سمعهم؛ كيلا يسمعوا الحق.

قوله تعالى: ﴿وعلى أبصارهم غشاوة﴾ هذا ابتداء الكلام ومعناه: على أبصارهم غطاء.

﴿ولهم عذاب عظيم﴾ أى: كبير، وصف عذاب الآخرة بالعظم ولاشك أنه عظيم.

قوله - تعالى -: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾ قال الكلبى: ورد هذا فى شأن اليهود. وأكثر المفسرين على أنه فى شأن المنافقين. ومعناه: ومن الناس ناس تقول آمنا بالله وباليوم الآخر يعنى: القيامة. ﴿وما هم بمؤمنين﴾ نفى الإيمان عنهم؛ حيث أظهروا الإسلام باللسان ولم يعتقدوا بالجنان. وهذا دليل على من يخرج الاعتقاد من جملة الإيمان.

قوله - تعالى -: ﴿يخادعون الله والذين آمنوا﴾ الآية: المخادعة، والخدع بمعنى واحد وحقيقة المخادعة: أن يظهر شيئًا ويبطن خلافه.

---

(١) فى الأصل: الوحدان.

﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا

وقال ابن الأعرابى فى كتاب الياء: قوله: المخادعة مَنْعُ القلب من الحق، قاله فى حق المنافقين حيث أظهروا الإسلام باللسان وأبطنوا خلافه.

فإن قال قائل: ما معنى قوله: ﴿يخادعون الله﴾ وهذا يوهم الشركة فى المخادعة، وقد جل الله - تعالى - عن المشاركة فى المخادعة؟! الجواب: قال الحسن البصرى: معناه يخادعون نبى الله.

وقال غيره من المفسرين معناه: يعاملون الله معاملة المخادعين.

فأما قوله: ﴿وما يخادعون إلا أنفسهم﴾ يقرأ بقراءتين: «يخادعون، ويخدعون». فمن قرأ: «يخادعون»(١) فهو على المشاكلة؛ لأنه ذكر الأول بلفظ المخادعة، وهذا شكله فذكره بلفظه.

ومن قرأ: «يخدعون»(٢) فهو على الأصل، وعلى أن لفظ المخادعة لا يقتضى المشاركة، بين اثنين، ومثله: طرقت النعل، وطارقت النعل، ومثله كثير فى ألفاظ المفاعلة.

فمعنى قوله ﴿وما يخادعون إلا أنفسهم﴾ أى: وبال خديعتهم راجع إليهم ﴿وما يشعرون﴾ أى: لايعلمون ذلك. يقال: شعرت بمعنى علمت، ومنه قولهم: ليت شعرى؛ أى: ليت أعلم.

قوله تعالى: ﴿فى قلوبهم مرض﴾ الآية، أراد بالمرض الشك والنفاق، بإجماع المفسرين.

ويوصف القلب والدين بالمرض والصحة كما يوصف البدن به.

﴿فزادهم الله مرضا﴾ أى: شكًّا ونفاقا؛ فإنه لما نزلت الآيات آية بعد آية فكلما كفروا بآية ازدادوا كفرا ونفاقاً، وذلك معنى قوله تعالى: ﴿وأما الذين فى قلوبهم

(١) هى قراءة نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، انظر النشر فى القراءات العشر (٢/٢٠٧).

(٢) هى قراءة حفص، وحمزة، والكسائى، وابن عامر، انظر المصدر السابق.

وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ

مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم ﴾[1].

قوله تعالى: ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾ أى: مؤلم. فعيل: بمعنى: مُفْعِل؛ كما قال القائل:

أَمِن رَيحَانةِ الداعى السميعِ ... يُؤرِّقُنى وأصحابى هُجُوع خفية

وأراد بالسميع المسمع.

قوله - تعالى -: ﴿ بما كانوا يكذبون ﴾ قرئ بقراءتين: مخفف[2] ومعناه: يكذبون بما أظهروا من الإسلام وأبطنوا خلافه، وهو مثل قوله: ﴿ والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ﴾[3].

وقرئ: «يكذِّبون»[4] مشدداً، ومعناه: يكذِّبون الرسول.

قوله - تعالى -: ﴿ وإذا قيل لهم لاتفسدوا فى الأرض ﴾ معناه: لا تكفروا، والكفر أشد فساداً فى الأرض.

﴿ قالوا إنما نحن مصلحون ﴾ يعنى: أن الذى أظهرنا من الإسلام واستفدنا به من العز والأمان مصلحة لنا ونحن مصلحون به.

﴿ ألا إنهم هم المفسدون ﴾ هذا ابتدأ كلام من الله. وقوله: (ألا) للتنبيه؛ قال الشاعر:

أَلاَ إنَّ هـذا الدَّهْرَ يَوْمٌ ولَيْلَـةٌ ... ولَيْسَ عَلَى شَىءٍ قديمٍ بِمُسْتَمِرٌ

يقول الله - تعالى -: ﴿ **ألا إنهم هم المفسدون** ﴾ يعنى: بما أظهروا من الإسلام وأبطنوا خلافه، فهو فساد؛ وإن ظنوه صلاحا، وأظهروا خلاف ما أبطنوا.

﴿ ولكن لايشعرون ﴾ أى: لا يعلمون.

(١) التوبة: ١٢٥.

(٢) هى قراءة الكوفيين حفص، وحمزة والكسائى، وخلف. انظر النشر (٢ / ٢٠٧).

(٣) المنافقون: ١.

(٤) هى قراءة الباقين. انظر النشر (٢ / ٢٠٨).

وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

فإن قيل: كيف يلزمهم الحجة إذا كانوا لا يعلمون؟

قيل: يلزمهم الحجة بما أوضح من السبيل، ونصب من الدلائل، وجهلهم لا يكون عذرا لهم.

قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس...﴾ الآية. كما آمن الناس يعنى: المهاجرين والأنصار.

﴿قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء﴾ سموهم سفهاء فأجابهم الله - تعالى - بقوله: ﴿ألا إنهم هم السفهاء﴾

والسفيه خفيف العقل رقيق الحلم؛ من قولهم: ثوب سفيه، أى: رقيق بالٍ يقول: هم الذين خفت عقولهم، ورقت أحلامهم ﴿ولكن لايعلمون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا...﴾ الآية، معناه: وإذا لقوا المهاجرين والأنصار قالوا: آمنا. أظهروا الإسلام باللسان.

﴿وإذا خلوا إلى شياطينهم﴾ أى: بشياطينهم، يذكر «إلى» بمعنى «الباء» لأن الصلات يقوم بعضها مقام البعض. والشيطان: كلٌّ عاتٍ متمرد من الجن والإنس، وأصله: البعد والامتداد. يقال: بئر شطون، أى: بعيد العمق والقعر. ويقال للحبل: شطن؛ لامتداده. وسمى الشيطان شيطانًا؛ لامتداده فى الشر وبعده عن الخير.

فأراد بالشياطين هاهنا عتاتهم ورؤساءهم فى الكفر. يقول: إذا خلوا برءوسهم، قالوا: إنا معكم فى دينكم ﴿إنما نحن مستهزئون﴾ بما أظهرنا من الإسلام مع المهاجرين والأنصار.

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ

وقوله - تعالى -: ﴿ الله يستهزئ بهم... ﴾ الآية. فإن قال قائل: ما معنى الاستهزاء من الله - تعالى -؟ قلنا فيه أقوال: قال بعضهم: معناه يجازيهم على صنيعهم، إلا أنه سماه الله استهزاء؛ لأنه جزاء الاستهزاء؛ كما قال: ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾(١) وإن لم يكن الجزاء سيئة حقيقة.

وقال بعضهم: يستهزئ بهم أى يعيبهم، ومنه قوله تعالى: ﴿ يكفر بها ويستهزأ بها ﴾(٢) أى: يعاب كذلك هذا.

وقال أهل الرواية معناه: الله يستهزئ بهم فى الآخرة، والاستهزاء بهم فى الآخرة يحتمل وجهين؛ أحدهما: أن يضرب للمؤمنين على الصراط نوراً يمشون به، وإذا وصل المنافقون إليه حال بينهم وبين المؤمنين، فذلك الاستهزاء بهم؛ كما قال: ﴿ فضرب بينهم بسورٍ له باب ﴾(٣).

والثانى: أنه يقربهم من الجنة، حتى إذا رأو زهرتها وحسنها وبهجتها، واستنشقوا رائحتها صرفهم عنها إلى النار، فذلك الاستهزاء بهم، وقد نطق عنه - عليه الصلاة والسلام بمعناه حديث فى الصحاح.

قوله: ﴿ ويمدهم ﴾ أى، يمهلهم حتى يستدرجهم. ﴿ فى طغيانهم ﴾ أى: ضلالتهم. ﴿ يعهمون ﴾ أى: يتحيرون، قال الشاعر:

ومهمه أطرافها فى مَهْمَهٍ(٤) أَعْمَى الهُدَى بالجاهلِينَ العُمَّهِ

قوله تعالى: ﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ﴾ لأن معناه: اختاروا الكفر على الإيمان؛ لأنهم لما آثروا أشياء على شيء فكأنهم استبدلوا هذا بذلك ﴿ فما

---

(١) الشورى: ٤٠.

(٢) النساء: ١٤٠.

(٣) الحديد: ١٣. (٤) والمَهْمَهُ: المفازة البعيدة، أو البلدة المقفرة. انظر لسان العرب مادة (مهه).

يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا

ربحت تجارتهم﴾ أى: فما ربحوا فى تجارتهم. ﴿وما كانوا مهتدين﴾.

قوله - تعالى -: ﴿مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً﴾ الآية. المثل: قول سائر فى عرف الناس، يعرف به معنى الشىء من الشىء. وهذا أحد أقسام القرآن؛ فإن القرآن على سبعة أقسام.

وقيل: مثلهم، أى: صفتهم. ﴿كمثل الذى استوقد ناراً...﴾ أوقد النار، واستوقد بمعنى واحد، كما يقال: أجاب، واستجاب.

وقيل: أوقد إذا فعل بنفسه، واستوقد إذا طلب الإيقاد من غيره. ﴿فلما أضاءت ماحوله﴾ يعنى: أضاءت النار الموقدة حول المستوقد. ضربه مثلا للمنافقين ومعنى هذا المثل- قوله تعالى: ﴿كمثل الذى استوقد ناراً﴾ - ضربه مثلا لما أظهروا باللسان من الإسلام.

﴿فلما أضاءت ما حوله﴾ يعنى: ما استفادوا بذلك الإسلام الظاهر من التجمل والعز والأمان فى الدنيا.

﴿ذهب الله بنورهم﴾ قيل: فيه معانٍ: أحدها: ذهب الله بما أظهروا من الإسلام بإظهار عقيدتهم على لسان النبى ﷺ.

وقيل: معناه ذهب الله بنورهم، يعنى فى القبر. وقيل: فى القيامة؛ يعنى أن ما استفادوا به فى الدنيا لا ينفعهم فى الآخرة إذا كان مصيرهم إلى النار.

فإن قال قائل: كيف قال: ﴿ذهب الله بنورهم﴾ ولا نور لهم، وقال فى موضع آخر: ﴿يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾(١) ولا نور لهم؟ قيل: أراد به نور ما أظهروا من الإسلام؛ وذلك نوع نور.

وقيل: قد يذكر مثله على معنى الحرمان كما يقال: أخرجتنى من صلتك، وإن لم

(١) البقرة: ٢٥٧.

﴿حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ﴾

يكن داخلاً فى صلته. بمعنى: أنك حرمتنى صلتك، كذلك قوله – تعالى –: ﴿ذهب الله بنورهم﴾ أى: حرمهم ذلك النور. ﴿وتركهم فى ظلمات﴾ أى: شدائد ﴿لا يبصرون﴾ الحق.

قوله: ﴿صم بكم عمى فهم لايرجعون﴾ فالصُّمُّ: جمع الأَصَمِّ، وهو الذى لا يسمع، والبُكْمُ: جمع الأَبْكَمِ، وهو الذى لا ينطق، ووُلِدَ على الخرس.

والعُمْيُ: جمع الأَعْمَى، وهو الذى لا يبصر؛ فمعناه أنهم صم لا يبصرون الحق، ولا يعرفونه كأنهم لم يسمعوا؛ وهو مثل قول الشاعر:

* أَصَمُّ عمَّا ساءَهُ سَمِيعُ *

أى: لا يسمع ما ساءه مع كونه سميعا.

﴿بكم﴾ يعنى: أنهم لما أبطنوا خلاف ما أظهروا؛ فكأنهم لم ينطقوا بالحق.

﴿عمى﴾ أى: لا بصائر لهم، ومن لا بصيرة له كمن لا بصر له.

﴿فهم لا يرجعون﴾ عما هم عليه من الضلالة.

قوله تعالى: ﴿أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق...﴾ الآية. فالصَّيِّب: المطر، وكل مانزل من الأعلى إلى الأسفل فهو صيِّب، من قولهم: صَابَ يَصُوبُ، إذا نزل.

وقيل: الأَهْل مضمر فيه، أى: كأَهْل الصيب؛ كقوله: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾(١) أى: أهل القرية.

﴿من السماء﴾ كل ما علا فهو سماء. فالسقف سماء، والسحاب سماء، وما فوقه سماء، وأراد به السحاب ههنا.

﴿فيه ظلمات﴾ يعنى: فى السحاب؛ لأنه لا يخلو عن ظلمة، ألا تراه يغشى وجه

(١) يوسف: ٨٢.

وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾

الشمس ﴿ ورعد وبرق ﴾ قال على وابن عباس وأكثر المفسرين: إن الرعد صوت ملك يزجر السحاب، والبرق لمعان سوط فى يد ملك يضرب به السحاب يسوقه إلى حيث قدره الله تعالى .

وفى الخبر أن النبى ﷺ قال: «إذا سمعتم صوت الرعد فاذكروا الله فإنه لايصيب ذاكرا»(١) . وكان ﷺ إذا سمع صوت الرعد يقول: «اللهم لاتقتلنا بغضبك، ولا تهلكنا بعذابك، وعافنا قبل ذلك»(٢).

وقيل: الرعد اسم الملك. وقيل: صوت [اختناق](٣) الريح إلى السحاب. والأول أصح.

﴿ يجعلون أصابهم فى أذانهم من الصواعق ﴾ يعنى: من صوت العذاب، حذر الموت. وقيل: الصاعقة قطعة من العذاب ينزلها الله - تعالى - على من يشاء وعليه دل قوله - تعالى -: ﴿ ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء ﴾(٤) ﴿ واللهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ أى جامعهم. قال مجاهد: يجمعهم فيعذبهم. والإحاطة بالشىء جمعه بحيث لا يشذ منه شىء، والإحاطة من الله - تعالى - تكون بالقهر والاقتدار والعلم.

ومعنى المثل فى هذا: أما قوله: ﴿ أو كصيب من السماء ﴾ يعنى: إن شئت مثلهم بالمستوقد وإن شئت مثلهم بالصيب، أى بأهل الصيب. ضرب الصيب مثلاً لما أظهروا

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ١٦٤ رقم ١١٣٧١) وفى الدعاء (٢/ ١٢٦٠ رقم ٩٨٢)؛ وأبو الشيخ فى العظمة ص٢٦٨ رقم ٧٨٦ من حديث ابن عباس. وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ١٣٩): فيه يحيى بن كثير أبو النضر، وهو ضعيف.

(٢) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد (ص٢١٢)، والترمذى (٥/٤٦٩ رقم ٣٤٥٠)، والنسائى فى الكبرى (٦/٢٣٠ رقم ١٠٧٦٣، ١٠٧٦٤)، وأحمد فى مسنده (٢/١٠٠ - ١٠١)، والحاكم (٤/٢٨٦) وصحح إسناده والبيهقى فى الكبرى (٣/٣٦٢) وابن السنى فى عمل اليوم والليلة (ص١١٠ رقم ٣٠٤) من حديث ابن عمر رضى الله عنهما وقال الترمذى: غريب.

(٣) فى «الأصل»، و«ك»: الخناق، وهو تصحيف والصواب ما أثبتناه. انظر تفسير الطبرى (١/٣٤١).

(٤) الرعد: ١٣.

يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾

باللسان من الإسلام.

﴿ فيه ظلمات ﴾ مثل لما فى الإسلام من البلايا والمحن والشدائد ﴿ ورعد ﴾ مثل لما فيه من المخاوف فى الآخرة.

﴿ وبرق ﴾ لما فيه من الوعد والوعيد.

وقيل: ضرب الصيب مثلا للقرآن الذى كانوا يقرءونه باللسان؛ لأن فى القرآن حياة الباطن كما فى الماء حياة الظاهر. ﴿ فيه ظلمات ﴾ مثل لما ذكرنا فى القرآن من أنواع الكفر والنفاق، ﴿ **ورعد** ﴾ مثل لما ذكرنا فيه من الوعيد ﴿ **وبرق** ﴾ مثل لما فيه من البيان.

﴿ يجعلون أصابعهم فى آذانهم ﴾ يعنى: أن المنافقين إذا رأوا فى الإسلام بلاء وشدة، هربوا وتأخروا؛ حذراً من الهلاك.

﴿ والله محيط بالكافرين ﴾ يعنى: لاينفعهم حذرهم؛ لأن الله - تعالى - من ورائهم يجمعهم فيعذبهم.

قوله تعالى: ﴿ يكاد البرق يخطف أبصارهم... ﴾ الآية ﴿ يكاد ﴾ كلمة القرب، يكاد يفعل، أى: قرب يفعل ﴿ يخطف أبصارهم ﴾ والخطف: استلاب بسرعة. وهذا من تمام المثل، ومعناه على القول الأول: تكاد دلائل الإسلام تزعجهم إلى النظر لولا ما سبق لهم من الشقاوة.

ومعناه على القول الآخر: يكاد القرآن يبهر قلوبهم.

﴿ كلما أضاء لهم مشوا فيه ﴾ معناه: كلما نالوا غنيمة وراحةً ثبتوا على الإسلام.
﴿ وإذا أظلم عليهم قاموا ﴾ يعنى: كلما رأوا شدة وبلاء تأخروا. وقاموا، أى: وقفوا.

﴿ ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ﴾ يحتمل معنيين: أحدهما: لو شاء

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾

الله لذهب بما استفادوا من العز والأمان الذى لهم بمنزلة السمع والبصر.

والثانى معناه: ولو شاء الله لذهب بأسماعهم وأبصارهم الظاهرة؛ كما ذهب بأسماعهم وأبصارهم الباطنة.

﴿إن الله على كل شىء قدير﴾ يعنى: قادر.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم...﴾ الآية، قال ابن عباس: كل ما ورد فى القرآن من قوله: ﴿يا أيها الناس﴾ فإنما نزل بمكة، وكل ما ورد من قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ فإنما نزل بالمدينة.

وقوله: ﴿يا أيها الناس﴾ يعنى: يا هؤلاء الناس. وهذا وإن عمت صيغته ولكن دخله الخصوص؛ فإنه لايتناول الصغار والمجانين. ﴿اعبدوا﴾ أى: وحدوا.

قال ابن عباس: كل ما ورد فى القرآن من العبادة فهو بمعنى التوحيد، وكل ما ورد فى القرآن من التسبيح والسبحة فهو بمعنى الصلاة.

وقوله: ﴿اعبدوا ربكم الذى خلقكم﴾ أى: وحِّدوا الله الذى خلقكم. وإنما خاطبهم به؛ لأن الكفار مُقِرُّونَ أن الله خالقهم، والخَلْقُ: هو اختراع الشىء على غير مثال سبق. ﴿والذين من قبلكم﴾ أى: وخلق الذين من قبلكم. فإن قيل: أى فائدة فى قوله: ﴿والذين من قبلكم﴾ فإن مَنْ عرف أن الله خالقه فقد عرف أنه خالق غيره من قبله؟ قيل: فائدته المبالغة فى البيان، أو يقال: فائدته المبالغة فى الدعوة، يعنى: إذا كان الله خالقكم وخالق من قبلكم فلا تعبدوا إلا إياه. وفيه إشارة لأنه خلق الأولين وأماتهم وابتلاهم فى الدنيا والآخرة؛ فأشار بهذا إلى أنى أفعل بكم ما فعلت بهم.

﴿لعلكم تتقون﴾ قيل معناه: لكى تتقوا، قاله أبو عبيدة، وقيل معناه: كونوا

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

على رجاء التقوى. فإن قال قائل: التقوى [هى][(١)] العبادة، فأى شيء معنى قوله: اعبدوا لكى تعبدوا؟ قلنا معناه: اعبدوه وكونوا على حذر منه، وهذا دأب العابد أن يعبد الله ويكون على حذر منه. وقيل معناه: اعبدوه وكونوا على رجاء التقوى؛ بأن تصيروا فى ستر ووقاية من عذاب الله تعالى، وحكم الله من ورائكم يفعل بكم ما يشاء؛ وهذا مثل قوله تعالى: ﴿ فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ﴾[(٢)] أى: ادعواه إلى الحق وكونا على رجاء التذكر والخشية منه. وحكم الله وراءه يفعل به ما يشاء.

قوله تعالى: ﴿ الذى جعل لكم الأرض فراشا ﴾ الآية. هذا راجع إلى ما تقدم يعنى: اعبدوا الذى جعل لكم الأرض فراشا، والجعل ها هنا بمعنى: الخلق ﴿ فراشا ﴾ أى: بساطا، وقيل: وطاء. وقيل: مقاما. يعنى لكم الأرض قرارا لتكونوا عليها ﴿ والسماء بناء ﴾ أى: سقفا ﴿ وأنزل من السماء ماء ﴾ إنما أضافه إلى السماء وإن كان ينزل من السحاب؛ لأنه ينزل من جهة السماء.

﴿ فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ﴾ قيل: الرزق هو كل ما يؤكل. وقيل: كل ما ينتفع به. ﴿ فلا تجعلوا لله أندادا ﴾ قال قتادة: الند: هو المثل. وقال أبو عبيدة: الند هو الضد. وهذا من الأضداد، والله - تعالى - برىء عن المثل والضد. قال حسان بن ثابت فى مدح رسول الله ﷺ:

أَتَهْجُوهُ ولَسْتَ لَهُ بِنِدٍّ ... فَشَرُّكُمَا لخيركما الفداءُ

يعنى: ولست له بمثل؛ قال لبيد:

أَحْمَدُ اللهَ فَلاَ نِدَّ لَهُ ... بِيَدَيْهِ الخَيْرُ مَا شَاءَ فَعَلْ

(١) في «الأصل»: هو.

(٢) طه: ٤٤.

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾

أى: لا مثل له. ومعنى قوله: ﴿فلا تجعلوا لله أندادا﴾ أى: لا تتخذوا من دونه أربابا تعبدونهم كعبادة الله، وتطيعونهم كطاعة الله لا أن له مثلا، أو لا مثل لله – تعالى –.

﴿وأنتم تعلمون﴾ أى: فلا تعبدوا غيره وأنتم تعلمون أنه خالقكم وخالق السموات و الأرض. قوله – تعالى –: ﴿وإن كنتم فى ريب﴾ أى: شك. فإن قيل: كيف ذكره على التشكيك وهم فى ريب على التحقيق؟ قيل: مثله جائز فى كلام العرب؛ كما يقول الرجل لغيره: إن كنت رجلا فافعل كذا؛ وإن عرف أنه رجل على التحقيق. قيل: أراد به «وإذ كنتم» فيكون على التحقيق، ﴿مما نزلنا﴾ من القرآن ﴿على عبدنا﴾ يعنى: على الرسول ﷺ.

﴿فأتوا بسورة﴾ السورة: اسم للمنزلة الرفيعة؛ ومنه سورة البناء؛ لارتفاعه. قال الشاعر:

أَلَـمْ تَر أنّ اللّـهَ أعطـاكَ سُـورَةً ... تَرَى كُلَّ شيءٍ دونَها يَتَذَبْذَبُ

أى: أعطاك سورة منزلة، أى: منزلة رفيعة. وسميت سورة القرآن سورة؛ لأن القارئ ينال بقراءة كل سورة منزلة؛ حتى يستكمل جميع المنازل باستكمال القرآن، وقيل: السورة اسم لقطعة من القرآن معلوم الأول والآخر، ومنه سؤر الطعام لما بقى منه. وفى الخبر «إذا أكلتم فاسأروا»[(١)] أى: أبقوا بقية. وإنما نزل القرآن سورة سورة حتى [أن][(٢)] القارئ كلما قرأ سورة وافتتح أخرى ازداد نشاطا، فيكون أنشط فى القراءة، أو لأنه ربما لايمكنه حفظ جميع القرآن فيحفظ بعض السور.

﴿فأتوا بسورة من مثله﴾ وقوله: ﴿من مثله﴾ فيه معنيان: أحدهما – قاله ابن

(١) ذكره السخاوى فى المقاصد الحسنة (ص٨١ رقم ٥٤) بلفظ: «إذا أكلتم فأفضلوا» وبيض له، وقال العجلونى فى كشف الخفا (١/ ٨٦): قال النجم لم أجده حديثًا، بل فى الحديث ما يعارضه. وفى النهاية لابن الأثير (مادة سأر): «إذا شربتك فاسئروا» أى أبقوا منه بقية.

(٢) ليست فى «الأصل»، و لا «ك».

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾

عباس وجماعة -: أراد به من مثل القرآن. فإن قيل: كيف قال: من مثل القرآن، ولا مثل له؟ قيل: أراد به من مثله على زعمهم.

وفيه قول آخر: أنه أراد به من مثل محمد؛ لأنهم كانوا يقولون: إنه مفترًى فقال: فأتوا بسورة من مفترًى مثله.

﴿وادعوا شهداءكم من دون الله﴾ أى: استعينوا بأعوانكم وأربابكم من دون الله ﴿إن كنتم صادقين﴾ فيما تزعمون. وفائدته: أنهم إذا اجتمعوا وأحضروا أربابهم فعجزوا كان أبلغ فى إلزام الحجة. وقوله - تعالى -: ﴿فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا...﴾ الآية يعنى: فإن لم تفعلوا ذلك، ولن تفعلوه أبدا على طريق الإخبار. «وتَمْ» للماضى، «ولن» للمستقبل. وإنما قال هذا لبيان المعجزة؛ لأن القرآن كان معجزة للنبى ﷺ حيث عجز الكل عن الإتيان بمثله.

﴿فاتقوا النار﴾ أى: فآمنوا؛ لكى تتقوا النار بالإيمان ﴿التى وقودها الناس﴾ الوقود يعنى: الإيقاد. والوَقود بفتح الواو الحطب. ﴿والناس﴾ أهل جهنم ﴿والحجارة﴾ قال على وابن مسعود: هى حجارة الكبريت؛ لأنها أكثر توقدا والتهابا، وقال الباقون: هى جميع الحجارة. وهذا دليل على عظم تلك النار، و﴿أعدت للكافرين﴾ أى: هيئت للكافرين، وهذا دليل على أن النار مخلوقة، لا كما قال أهل البدعة. ودليل على أنها مخلوقة للكافرين، وإن دخلها بعض المؤمنين تأديبا وتعريكًا(١).

قوله تعالى: ﴿وبشر الذين آمنوا...﴾ الآية، البشارة: اسم لكل خبر صدق تتغير به بشرة الوجه ويظهر عليها، وقد تكون فى الخبر السوء. كما قال: ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾(٢) إلا أنه فى الخبر السار أغلب. ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾

---

(١) (تعريكا): عَرَكه: دلكه وحكه حتى عفاه (القاموس مادة: (ع ر ك) ٣/٢٠٧ ولعل المراد - والله أعلم -: تطهيراً وتنظيفاً.

(٢) آل عمران: ٢١، التوبة: ٣٤، الانشقاق: ٢٤.

وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ

يعنى: المؤمنين من أهل الطاعة ﴿أن لهم جنات﴾ الجنات: جمع جنة وهو اسم للبستان الذى فيه أشجار مثمرة، فإذا لم تكن الأشجار مثمرة لا تكون جنة. وقيل: الجنة ما فيه النخيل. والفردوس ما فيه الكرم، وإنما سميت جنةً من الاجتنان؛ لأنها تستر الأرض بالتفافها وأوراقها. وقيل: الجنان سبع، وقيل: ثمان، والكل فى القرآن.

﴿تجرى من تحتها الأنهار﴾ أى: من تحت أشجارها تجرى المياه من الأنهار، وفى الحديث: «إن أنهار الجنة تجرى فى غير أخدود»(١) أى: فى غير شق.

﴿كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا﴾ أى: كلما رزقوا شيئا من ثمار الجنة قالوا هذا الذى رزقنا من قبل. وفيه قولان: أحدهما معناه: رزقنا من قبل فى الدنيا، والثانى: أن الثمار فى الجنة متشابهة فى اللون مختلفة فى الطعم، فإذا رزقوا منها ثمرة ثم رزقوا أخرى ظنوا أنها الأولى لاستوائهما فى اللون فـ ﴿قالوا هذا الذى رزقنا من قبل﴾.

﴿وأتوا به متشابها﴾ قال مجاهد: أى متشابها فى اللون. كما ذكرنا، وقال الحسن البصرى: معناه كلها خيار ليس فيها رذال. قال ابن عباس: ليس فى الدنيا من ثمار الجنة إلا الأسامى ﴿ولهم فيها أزواج﴾ قيل: من الحور العين، ويحتمل من أزواج الدنيا: ﴿مطهرة﴾ من الأدناس؛ لا يتمخطن، ولا يتغوطن، ولا يحضن. وقيل: مطهرة الأخلاق، فيكن مطهرات خَلْقًا وخُلُقًا. ﴿وهم فيها خالدون﴾ أى: مقيمون لايظعنون.

قوله تعالى: ﴿إن الله لايستحيى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها﴾ وسبب نزول الآية: أن الله - تعالى - لما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت، قال المشركون: إنا

(١) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٦ / ٢٠٥) وفى صفة الجنة له أيضا (٢ / ١٦٨ رقم ٣١٦)، وابن مردويه، والضياء المقدسى - كما فى الدر المنثور (١ / ٤٤) - من حديث أنس مرفوعاً، ولفظه: «لعلكم تظنون أن أنهار الجنة أخدود فى الأرض، لا والله، إنها لسائحة على وجه الأرض». وأخرجه أبو نعيم فى صفة الجنة (٢ / ١٦٧ رقم ٣١٦) وابن أبى الدنيا فى صفة الجنة له (رقم ٦٨) عن أنس موقوفا من قوله. وقال المنذرى فى الترغيب (٤ / ٥٥): والموقوف أشبه بالصواب

مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ

لانعبد إلها يذكر الذباب والعنكبوت، فنزل قوله - تعالى -: ﴿إن الله لايستحيى﴾ أى: لايمتنع ولا يترك ﴿أن يضرب مثلا﴾ أى: يذكر مثلا ﴿ما بعوضة﴾ (ما) للصلة هاهنا، أى: مثلا بالبعوضة. قال الشاعر(١):

قَالَتْ ألا لَيْتَمَا هذَا الحَمَامُ لَنَا إِلَى حَمَامَتِنَا أو نِصْفَه فَقَدِ

معناه أى: ليت هذا الحمام لنا. والبعوض: صغار البق، سميت بعوضة لأنها بعض البق. ﴿فما فوقها﴾ معناه: فما دونها؛ كما يقال: فلان جاهل، فيقال: وفوق ذلك. يعنى: أجهل من ذلك، فكذلك قوله تعالى: ﴿فما فوقها﴾ يعنى: فى الصغر، وأصغر من ذلك، وقيل: فما فوقها على الحقيقة؛ لأنه ضرب المثل بالذباب، والعنكبوت. قال الربيع بن أنس: مثل البعوضة مثل صاحب الدنيا؛ لأن دأب البعوضة أنها إذا شبعت هلكت، وإذا جاعت عاشت؛ كذلك صاحب الدنيا إذا استكثر من الدنيا هلك، وإذا استقل منها فاز ونجا. وقيل: إن حكم الله - تعالى - فى صغار خلقه أكثر من حكمه فى كبار خلقه. قوله تعالى: ﴿فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم﴾ يعنى: أنه الصدق من ربهم.

﴿وأماالذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا﴾ أَىُّ شىء أراد الله بهذا المثل؟ يقول الله تعالى: ﴿يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا﴾ أى: أراد هذا، والإضلال: هو الصرف عن الحق إلى الباطل. وقيل: الإضلال هو الإهلاك؛ يقال: ضل اللبن فى الماء أى: هلك.

﴿ويهدى به كثيراً﴾ أى: ويُرشد به كثيرا. ﴿وما يضل به إلا الفاسقين﴾ يعنى: الكافرين. والفسق: هو الخروج عن طاعة الرب؛ يقال: فسقت (الرطبة)(٢) إذا خرجت

(١) وهي زرقاء اليمامة وهو بيت من كلام النابغة الذبياني من قصيدة مطلعها:

يا دَارَ مية بالعلياءِ فالسَّنَدِ أَقْوَتْ وطَالَ عليها سَالفُ الأمدِ

(٢) في «ك»: الوطية وهو تحريف.

الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَنقُضُونَ

عن قشرها، ومعنى إضلالهم بالمثل أنه لما ضرب المثل فكفروا به ازدادوا ضلالاً.

وقوله تعالى: ﴿الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه﴾ أى: يخالفون أمر الله. والميثاق: مفعال من التوثقة وهو العهد المؤكد. وفى معناه قولان: أحدهما: أنه أراد نقض الميثاق الأول الذى أخذه على آدم وذريته بقوله: ﴿ألست بربكم قالوا بلى﴾(١).

وقيل: أراد به نقض الميثاق الذى أخذه على النبيين وسائر الأمم أن [يؤمنوا](٢) بمحمد ﷺ بقوله: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين...﴾(٣) الآية.

﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل﴾ فيه ثلاثة أقوال؛ أحدها: أنهم يقطعون ما أمروا بوصله من الإيمان بمحمد وبسائر الرسل. وقيل: أراد به قطع الرحم. والأول أولى؛ لأنه أعم، وقيل: أراد به قطع العمل عن القبول؛ فإنهم لم يعملوا بما قبلوا.

﴿ويفسدون فى الأرض﴾ بالمعاصى ﴿أولئك هم الخاسرون﴾ المغبونون.

قوله تعالى: ﴿كيف تكفرون بالله﴾ قاله تعجبا، كيف تكفرون بالله بعد نصب الدلائل ووضوح البراهين؟!! ثم ذكر الدليل فقال: ﴿وكنتم أمواتا﴾ هذا دليل، أى: كنتم نطفا فى أصلاب الآباء.

﴿فأحياكم﴾ أى: خلقكم ﴿ثم يميتكم﴾ عند انتهاء الأجل. ﴿ثم يحييكم﴾ للبعث ﴿ثم إليه ترجعون﴾ إلى الله مصيركم. وقيل: أراد بالموت الأول: الموت المعهود ﴿وكنتم أمواتا﴾ أى: تصيرون أمواتا. فأحياكم أى: يحييكم فى القبر للسؤال، ثم يميتكم بعده فى القبر ثم يحييكم للبعث. ثم إليه ترجعون.

قوله تعالى: ﴿هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعًا﴾ لكى تعتبروا

---

(١) الأعراف: ١٧٢.

(٢) فى «الأصل»، و «ك»: يؤمنون. على جعل «أن» مصدرية غير عاملة.

(٣) آل عمران: ٨١.

عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ

وتستدلوا، وقيل: لكى تنتفعوا.

﴿ثم استوى إلى السماء﴾ قال ابن عباس وأكثر المفسرين من السلف: أى ارتفع وعلا إلى السماء.

وقال الفراء وابن كيسان وجماعة من النحويين معناه: أقبل على خلق السماء؛ لأنه خلق الأرض أولا، ثم أقبل على خلق السماء، كما ذكر فى «حم السجدة»(١).

﴿فسواهن سبع سموات﴾ أى: خلقهن مستويات؛ لافطر فيها، ولا صدع، ولا شق.

﴿وهو بكل شىء عليم﴾ أى: عالم بصغار خلقه وكبارهم.

قوله - تعالى -: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة﴾ معناه: وقال ربك. «وإذ» زائدة فيه.

وقيل، معناه: واذكر إذ قال ربك. والملائكة: جمع الملك، وأصل الملك مألك، فقلبت الهمزة فصار مَالَك ثم أسقط الهمزة فصار ملك، واشتقاقه من الألوكة، وهى: الرسالة، ومثلها المالكة، والمألكة؛ قال الشاعر:

أَلِكْنِى إِلَيْهَا (وخيرُ)(٢) الرسولِ أَعْلَمُهُم بنواحِى الخَبَرْ

يعنى: أرسلنى إليها.

﴿إنى جاعل فى الأرض خليفة﴾ اتفقوا على أن المراد بهذا الخليفة آدم - صلوات الله عليه - والخليفة، والخليف بمعنى واحد، وجمع الخليف خلفاء. وجمع الخليفة خلائف.

واختلفوا فى أنه لِماَ سمى خليفة؟ منهم من قال: لأنه خليفة الجن؛ فإن الله - تعالى - لما خلق الأرض أسكنها الجن، ولما خلق السماء أسكنها الملائكة، ثم لما خلق

---

(١) سورة فصلت.

(٢) كذا فى «الأصل»، و «ك»، وفى لسان العرب، مادة (ألك): بخير.

لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ

آدم أزعج الجن إلى أطراف الأرض؛ فهو خليفة الجن فى الأرض.

وقيل: إنما سماه خليفة؛ لأنه يخلفه غيره. فيكون الخليفة بمعنى أنه يخلف غيره. ويكون الخليفة بمعنى أنه يخلفه غيره.

وقيل: إنما سمى خليفة لأنه خليفة الله فى الأرض؛ لإقامة أحكامه، وتنفيذ قضاياه، وهذا هو الأصح.

قوله تعالى: ﴿ قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها... ﴾ الآية. قالت الملائكة: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء؟! فإن قيل: من أين علموا ذلك؟ قيل: إن الله تعالى أعلمهم بذلك. وقيل: اطلعوا عليه فى اللوح المحفوظ.

﴿ ونحن نسبح بحمدك ﴾ هو التنزيه عن السوء. ومعناه: ونحن ننزهك عن الأنداد والشركاء.

وقال الحسن: معنى قوله: ﴿ ونحن نسبح بحمدك ﴾ هو قولهم: سبحان الله وبحمده.

﴿ ونقدس لك ﴾ يعنى: نثنى عليك بالقدس والطهارة.

وقيل: معناه نطهر أنفسنا بطاعتك والثناء عليك.

فإن قيل: قولهم ﴿ أتجعل فيها ﴾. يشبه الاعتراض عليه. وقولهم نحن ﴿ نسبح بحمدك ﴾ يشبه التفاخر بالعمل؛ وكلاهما لايجوز على الملائكة. فما معنى هذا الكلام؟

قلنا: أما قولهم: (أتجعل فيها) معناه: أنت جاعل فيها على سبيل التقدير، ومثله قول الشاعر:

أَلَسْتُمْ خيْرَ من ركِبَ المْطَايا ... وأندَى العــالمين بطـونَ راحِ

يعنى أنهم بهذه الصفة.

وقالوا: إنما قالوه على سبيل التعجب طلبا لوجه الحكمة فيه.

خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ

وأما قوله: ﴿ونحن نسبح بحمدك﴾ ليس على سبيل التفاخر بل معناه: أنه إذا أفسدوا وسفكوا الدماء فنحن نبقى على هيئة التسبيح والتقديس أم لا؟ قال: ﴿إني أعلم ما لاتعلمون﴾ له معنيان:

أحدهما: إني أعلم فيهم من يعبدني ويطيعني من الأنبياء والأولياء والصلحاء.

والثاني معناه: إني أعلم فيكم أيها الملائكة من يعصيني - يعني إبليس -.

قوله - تعالى -: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ أما آدم إنما سمي آدم؛ لأنه خلق من أديم الأرض، ولما خلقه الله - تعالى - علمه أسماء الأشياء بأجمعها.

قال ابن عباس: علمه أسماء الأشياء حتى القصعة والقصيعة، والفسوة والفسية.

وإنما علمه ذلك تكريما وتشريفا له. وذلك دليل على أن الأنبياء أفضل من الملائكة وإن كانوا رسلا كما ذهب إليه أهل السنة.

﴿ثم عرضهم﴾ قرأ أُبي بن كعب: «ثم عرضها» [وهي][(1)] في الشواذ. ورجع [الكناية][(2)] إلى المسميات التي لاتعقل. والقراءة المعروفة: «ثم عرضهم» فإن المسميات لما جمعت من يعقل ومن لايعقل؛ كني بلفظ من يعقل تغليبا له.

وإنما عرضهم على الملائكة لإظهار فضيلته عليهم، فإنهم كانوا قد قالوا: لن يخلق الله خلقا أكرم عليه منا، فقال: ﴿أنبئوني﴾ أخبروني ﴿بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾ فيما زعمتم.

قوله تعالى: ﴿قالوا سبحانك لاعلم لنا إلا ما علمتنا﴾ قد ذكرنا معنى التسبيح. ومعنى الآية: أنك أَجَلُّ من أن نحيط بشيء من علمك؛ إلا الذي علمتنا منه.

﴿إنك أنت العليم﴾ أي: العالم ﴿الحكيم﴾ له معنيان أحدها: الحاكم، وهو

(1) في «الأصل»، و«ك»: هو.

(2) أي: الضمير.

لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا

القاضى بالعدل.

والثانى: معنى الحكيم: المحكم للأمر كيلا يتطرق إليه الفساد، ومنه: أحكمت الدابة لأنها (تمنعها)[1] من الفساد.

قوله تعالى: ﴿قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم﴾ لما عرضهم على الملائكة فعجزوا؛ يقول الله تعالى لآدم: أخبرهم بأسمائهم ﴿فلما أنباهم بأسمائهم﴾ فأخبرهم آدم بأسماء تلك المسميات، والحكمة التى لأجلها خلقوا، فلما أخبرهم بها﴿ قال الله﴾ تعالى للملائكة: ﴿ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض﴾ فإنه قد قال لهم: ﴿إنى أعلم مالا تعلمون﴾ وغيب السموات والأرض كل ما غاب وخفى عن الأبصار.

﴿وأعلم ما تبدون﴾ أى قولكم: أتجعل فيها من يفسد فيها.

﴿وما كنتم تكتمون﴾ فيه قولان: أحدهما: ما كتموا من قولهم: لن يخلق الله خلقا أكرم عليه منا.

والثانى: معناه ما كتمه إبليس فيهم حين خلق آدم؛ فإنه قد قال: إن سلطت عليه لأهلكنه وإن سلط عَلَيَّ لا أطيعه.

قوله - تعالى -: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ اختلفوا فى أن هذا الخطاب مع أىّ الملائكة؟ فقال بعضهم: هو خطاب مع ملائكة الأرض خاصة.

وقيل: هو خطاب لجميع الملائكة. - هو الأصح - لقوله - تعالى - ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون﴾[2].

والسجود عبادة مع التواضع والخشوع والخضوع، ومنه شجرة ساجدة إذا ماتت من

(١) فى «ك»: تمنعه.

(٢) الحجر: ٣٠، وص: ٧٣.

سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ

كثرة حملها.

وفى قوله: ﴿اسجدوا لآدم﴾ قولان أحدهما: أن معناه اسجدوا إلى آدم، فيكون آدم كالقبلة. والسجود لله - تعالى -.

والأصح: أن السجود كان لآدم على الحقيقة. وتضمن معنى الطاعة لله - تعالى - بامتثال أمره فيه. فعلى هذا يكون السجود لآدم على سبيل التحية له. وهو كسجود إخوة يوسف ليوسف بمعنى التحية له. ثم نقل ذلك إلى السلام بين المسلمين.

﴿فسجدوا إلا إبليس﴾ قال بعضهم: إبليس مشتق من الإبلاس. وهو اليأس من الخير، قال الشاعر:

يَاصاحِ هَلْ تعرفُ(رسما) [1] مكرسا   قال: نَعـم أَعْـرِفُه وأَبْلَسَـا [2]

وقيل: هو اسم أعجمى معرب لا اشتقاق له ولذلك لا ينصرف.

واختلفوا فى إبليس، والذى قاله ابن عباس وأكثر المفسرين: أنه كان من الملائكة.

وقال الحسن: كان من الجن لقوله تعالى: ﴿كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾ [3] ولأنه خلق من النار، والملائكة خلقوا من النور، ولأن له ذرية ولا ذرية للملائكة.

والأصح أنه كان من الملائكة لأن خطاب السجود كان مع الملائكة.

وأما قوله: ﴿كان من الجن﴾ قيل: إن فرقة من الملائكة سموا جنًّا خلقهم الله - تعالى - من النار. وعليه دل قوله تعالى: ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا﴾ [4].

حيث قالوا الملائكة بنات الله. فسماهم جنة. وإنما سموا جنا لاستتارهم عن الأعين.

وإبليس كان من ذلك القبيل. وإنما كان له ذرية؛ لأنه أخرجه من الملائكة ثم جعل

---

(١) فى «ك»: اسما.
(٢) انظر لسان العرب، مادة (بلس).
(٣) الكهف: ٥٠.
(٤) الصافات: ١٥٨.

السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ

له ذرية.

وقيل: إن الله – تعالى – لما خلق إبليس أعطاه ملك الأرض، وملك السماء الدنيا، وجعله خازن الجنة.

قوله – تعالى –: ﴿أبى﴾ امتنع ﴿واستكبر﴾ أى: أنف؛ حيث ظن أنه خير من آدم ﴿وكان من الكافرين﴾ فيه قولان: أحدهما: معناه وصار من الكافرين فى علم الله – تعالى –.

قال مجاهد: علم الله فى أزله أنه تكون منه المعصية فخلقه للمعصية.

قوله تعالى: ﴿وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ أراد بزوجه حواء، فإن قيل: [لِمَ](١) أمرهما بدخول الجنة، وقد وعد أن من دخلها يكون خالدا فيها فكيف أخرجهما من الجنة؟

قلنا: إنما ذلك الوعد فى حق من يدخلها للثواب والجزاء، وآدم إنما دخل الجنة بالكرامة دون الثواب.

﴿وكلا منها رغدا حيث شئتما﴾ الرغد: الواسع من العيش. وهو أن يأكل ما شاء إذا شاء كيف شاء. ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾ يعنى: للأكل.

والشجرة: اسم لما يقوم على الساق، والنجم اسم لما (لا)(٢) يقوم على ساق.

قال الله تعالى: ﴿والنجم والشجر يسجدان﴾(٣) وفى تلك الشجرة ثلاثة أقوال: قال ابن مسعود: كانت شجرة العنب. وقال ابن عباس: كانت شجرة السنبلة. وقال ابن جريج: كانت شجرة التين. وقيل: إنها شجرة العليم.

﴿فتكونا من الظالمين﴾ الظلم وضع الشىء فى غير موضعه وفيه يقال: «من أشبه

(١) فى «الأصل»، و«ك»: لما.
(٢) ليست فى «ك».
(٣) الرحمن: ٦.

أ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا

باه فما ظلم » أى: فما وضع الشبه فى غير موضعه.

قوله - تعالى -: ﴿ فأزلهما الشيطان عنها ﴾ قرأ حمزة(١): « فأزالهما » ومعناه: نَحَّاهُمَا وبعدهما عن الجنة.

وقوله: ﴿ فأزلهما ﴾ إلى الزلة ﴿ فأخرجهما مما كانا فيه ﴾ يعنى من نعيم الجنة. وإنما نسب الإخراج إليه؛ لأنه كان السبب فيه.

﴿ وقلنا اهبطوا ﴾ الهبوط هو النزول من الأعلى إلى الأسفل، والخطاب مع آدم، وإبليس، وحواء، والحية، وهى الحية [التى](٢) كانت من خزان الجنة فخدعها إبليس حتى أدخلته (الجنة)(٣).

﴿ بعضكم لبعض عدو ﴾ العدو: اسم للواحد والجمع، معناه أعداء.

﴿ ولكم فى الأرض مستقر ﴾ أى: قرار ﴿ ومتاع ﴾ متعة تتغذون بها ﴿ إلى حين ﴾ إلى منتهى الآجال.

قوله تعالى: ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات ﴾ التلقى: هو قبول عن فطنة وفهم دليل. فتلقى هو [أى: تعلم](٤): ﴿ ظلمنا أنفسنا ﴾(٥) إلى آخره.

وقال عبيد بن عمير: هى كلمات قالها آدم حين ابتلاه الله بالمعصية.

﴿ من ربه كلمات ﴾ قال ابن عباس والأكثرون: الكلمات هى قوله: ربنا - أى: تعلم بالمعصية يارب - هذا شىء كتبته علىَّ [أم](٦) ابتدعته من تلقاء نفسى؟ فقال: بل شىء كتبته عليك. فقال آدم: (فكما)(٧) كتبته على فاغفره.

(١) انظر النشر فى القراءات العشر (٢/٢١١). (٢) فى الأصل: « الذى ». (٣) فى « ك »: الحية.
(٤) فى « الأصل » و « ك »: التعلم. (٥) الأعراف: ٢٣. (٦) فى « الأصل »، و« ك »: ادم. وهو خطأ.
(٧) ليست فى « ك ».

الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ
وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ
فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا

﴿ فتاب عليه ﴾ فقبل توبته ﴿ إنه هو التواب الرحيم ﴾ هو القابل للتوبة من العباد؛ الرحيم بهم.

قوله تعالى: ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعا ﴾ الهبوط الأول كان من الجنة إلى السماء الدنيا، والهبوط الثانى كان من السماء الدنيا إلى الأرض.

﴿ فإما يأتينكم منى هدى ﴾ أى: رشد [و](1) بيان شريعة.

﴿ فمن تبع هداى ﴾ أى: ذلك الرشد والشريعة.

﴿ فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ فى الآخرة.

قوله تعالى: ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا ﴾ أى: كفروا بالله وبالرسل وكذبوا بآياته ﴿ أولئك أصحاب النار ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿ هم فيها خالدون ﴾.

قوله تعالى: ﴿ يا بنى إسرائيل ﴾ إسرائيل اسم يعقوب. وله فى القرآن اسمان: يعقوب وإسرائيل. ومعنى إسرائيل عبد الله، «إسر» مثل قولنا «عبد»، و«إيل» مثل قولنا «الله» ﴿ اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم ﴾ الذكر يكون بالقلب، ويكون باللسان، وهو ضد النسيان. وقوله: ﴿ نعمتى ﴾ أى: نعمى، ذكر الجمع بلفظ الوحدان، ومثله كثير فى القرآن.

واختلفوا فى تلك النعم. قال قتادة: هى النعم التى خصت بها بنو إسرائيل من

(1) من «ك».

يَأْتِينَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي

إنجائهم من فرعون بتغريقه، وإرسال موسى إليهم، وإنزال التوراة عليهم، ونحو ذلك.

وقال غيره: هى جميع النعم التى لله على عباده.

فإن قال قائل: لِمَ أمرهم بالذكر وهم كانوا ذاكرين لتلك النعم؟

قلنا: الذكر بمعنى الشكر، ومعناه: اشكروا نعمتى. وإنما ذكر بلفظ الذكر؛ لأن فى الشكر ذكرا، وفى الكفر نسيانا.

﴿ وأوفوا بعهدى ﴾ أوفى يوفى، ووفى يفى، بمعنىً واحد. وقد جمعها الشاعر فى بيت واحد فقال:

أمّا ابنُ عوفٍ فقـدْ أَوفَى بذمَّتـهِ كَمَا وَفَى بِقِلاَصِ النَّجْمِ حاويها

والعهد: هو الأمر المؤكد. ومعناه: «أوفوا بعهدى» بامتثال أمرى.

﴿ أوف بعهدكم ﴾ بالقبول والثواب. وقال مجاهد: أراد بهذا العهد ما ذكر فى سورة المائدة ﴿ ولقد أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا ﴾(١) إلى آخر الآية. ﴿ وإياى فارهبون ﴾ فخافونى.

قوله – تعالى –: ﴿ وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ﴾ بما أنزلت فى القرآن مصدقا لما معكم من التوراة. يعنى أن القرآن مصدق لما فى التوراة من التوحيد ونعت محمد ﷺ.

(١) المائدة: ١٢.

أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلا

﴿ ولا تكونوا أول كافر به ﴾ يعنى أول من كفر به. وقيل: أول فريق كافر به. وهما فى المعنى سواء. فإن قيل: قد كفر به مشركو العرب قبلهم، فكيف قال: ولا تكونوا أول كافر به؟ قلنا: أراد به من أهل الكتاب؛ لأن الخطاب مع أهل الكتاب.

﴿ ولاتشتروا بآياتى ثمنا قليلا ﴾ ولاتستبدلوا؛ ذلك أن علماءهم وأحبارهم كانت لهم مأكلة على أغنيائهم وجهّالهم؛ فخافوا أن تذهب مأكلتهم إن آمنوا بمحمد ﷺ فغيروا نعته، وكتموا اسمه، فهذا معنى بيع الآيات بالثمن القليل.

﴿ وإياى فاتقون ﴾ فاحذرون.

قوله – تعالى –: ﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل ﴾ اللبس: هو الخلط والتعمية.

يقال: لَبِسَ يَلْبَسُ لُبْسا، من اللباس. ولَبَس يَلْبِسُ لَبْسا، من التلبيس. قال الله – تعالى – ﴿ وللبسنا عليهم ما يلبسون ﴾(١) أى: خلطنا عليهم كما خلطوا. وقال على – رضى الله عنه – للحارث: لا يكن ملبوسا عليك، الحق لايعرف بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله.

فمعنى قوله: ﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل ﴾ أى: الإسلام باليهودية والنصرانية، كذا قال الأكثرون. وقيل: هو لبس التوراة بما غيروا من نعت محمد ﷺ.

﴿ وتكتموا الحق ﴾ يعنى نعت محمد. ﴿ وأنتم تعلمون ﴾ أنه حق. قال محمد ابن سيرين: هذا الخطاب مع قوم من اليهود كانوا بالشام رأوا فى كتبهم اسم محمد ونعته، وأنه يبعث من القرى العربية، فخرجوا فى طلبه ونزلوا بالمدينة فلما بعث محمد حسدوه، وغيروا اسمه ونعته؛ خوفا من ذهاب مأكلتهم.

قوله – تعالى –: ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ أما الصلاة فقد ذكرنا. وأما

(١) الأنعام: ٩.

تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ

الزكاة: فمأخوذ من زكا الزرع، إذا كثر ونما.

وقيل: هي مِنْ تَزَكَّى. أي: تطهر، وكلا المعنيين موجود في الزكاة المفروضة؛ لأن فيها تنمية المال وتطهيره.

﴿ واركعوا مع الراكعين ﴾ أي: صلوا مع المصلين. وأصل الركوع: عبادة مع انحناء. يقال: ركعت النخلة إذا انحنت، ومنه قول الشاعر:

أخبر أخبار القرونِ التي مَضَتْ أَدِبُّ كأني كُلَّما قُمْتُ راكِعُ

وإنما ذكره بلفظ الركوع؛ لأن صلاة اليهود ما كان فيها ركوع؛ فكأنه قال: وصلوا صلاة ذات ركوع.

فإن قيل: قد أمرهم في أول الآية بإقامة الصلاة، فأي شيء معنى هذا الأمر الثاني:

قلنا: الأول مطلق في حق الكل، وهذا الثاني خطاب لقوم مخصوصين، قال لهم: صلوا مع الذين [سبقوكم] [1] بالإيمان والصلاة.

قوله - تعالى -: ﴿ أتأمرون الناس بالبر ﴾ أي: بالطاعة ﴿ وتنسون أنفسكم ﴾ أي: تتركون أنفسكم ﴿ وأنتم تتلون الكتاب ﴾ التوراة.

﴿ أفلا تعقلون ﴾ العقل: مأخوذ من عقال البعير، وهو ما يشد به ركبة البعير، سمي به لأنه يمنعه من الشرود، كذلك العقل يمنع صاحبه من التمرد والخروج عن طاعته. وفي معنى الآية قولان، أحدهما: أنه خطاب لأحبارهم؛ حيث أمروا أتباعهم بالتمسك بالتوراة، ثم خالفوا وغيروا نعت محمد ﷺ.

والقول الثاني: أن أهل المدينة كانوا يشاورون علماءهم في اتباع محمد فأشاروا عليهم باتباعه ثم خالفوه وكفروا به.

في الحديث: (روى أنس) [2] عن النبي ﷺ أنه قال: «رأيت ليلة أسري بي في السماء أقواما تقرض شفاههم بمقاريض من نار، فسألت من هؤلاء؟ فقالوا: هؤلاء

(١) في «الأصل، وك»: سبقكم.

(٢) في ك: روى عن أنس.

أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم

الخطباء من أمتك كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم»(١).

قوله - تعالى -: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ الاستعانة طلب المعونة. وأما الصبر فالأكثرون على أنه حبس النفس عن المعاصي.

ومنه الدابة المصبورة وهي أن تمسك لترمى كالهدف.

وفي الحديث: «أنه نهى عن الدابة المصبورة»(٢). وقال ﷺ في الذي يمسك غيره حتى يقتل: «اصبروا الصابر واقتلوا القاتل»(٣) أي: أحبسوا الممسك واقتلوا المباشر.

وقال الحسن البصري: هو الصوم. ومنه سمي شهر رمضان شهر الصبر. فإن قيل: ما معنى الاستعانة بالصوم والصلاة؟ قيل: لأن الصوم يزهده في الدنيا. (وكذلك)(٤) في الصلاة يقرأ ما يحثه على الزهد في الدنيا. فكأنه قال: استعينوا بهذين على الدين؛ لتقووا على الإقبال على الآخرة والإعراض عن الدنيا.

﴿وإنها لكبيرة﴾ لثقيلة. وفي قوله: ﴿وإنها﴾ قولان: أحدهما: أن (الكناية)(٥)

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ١٢٠، ٢٣١، ٢٣٩، ٢٤٠)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٤/ ٣٠٨)، وابن حبان في صحيحه (١/ ٢٤٩ رقم ٥٣)، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ١٧٢)، وغيرهم. وانظر الدر المنثور (١/ ٧٠)، وابن كثير (١/ ٨٦).

(٢) متفق عليه من حديث ابن عمر. البخاري (٩/ ٥٥٨ رقم ٥٥١٤. ٥٥١٤)، ومسلم (١٣/ ١٥٩ - ١٦٠ رقم ١٩٥٨)

(٣) أخرجه الدارقطني في سننه (٣/ ١٤٠)، وابن عدي - كما في الكنز ٣٩٨٣٨ - ومن طريق ابن عدي رواه البيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٥٠) من حديث ابن عمر مرفوعًا بنحوه، قال البيهقي: هذا غير محفوظ، وقد قيل عن إسماعيل بن أمية عن سعيد بن المسيب عن النبي ﷺ، وهو الصواب، ثم ساق الحديث بإسناده عن إسماعيل بن أمية مرسلاً ولفظه: قضى رسول الله ﷺ في رجل أمسك رجلاً وقتل الآخر .. الحديث. وقد أخرجه الدارقطني أيضا في الموضع السابق، والبيهقي (٨/ ٥١) من حديث معمر عن إسماعيل بن أمية يرفعه: «اقتلوا القاتل واصبروا الصابر». قال أبو عبيدة: قوله: «اصبروا الصابر» يعني احبسوا الذي حبسه.

(٤) في «ك»: وكذا.

(٥) في «ك»: الكتابة، وهو تصحيف، ويقصد بالكناية الضمير.

مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ

راجعة إلى الصوم والصلاة جميعا. إلا أنه اكتفى بأحد المذكورين والكناية عنه. وهو كما قال القائل:

وَمَنْ يكُ أمْسَى بالمْدينةِ رحلهُ ... فإني وقَيَّارٌ بها لغريبُ

أى: لغريبان إلا أنه اكتفى بأحدهما. وأورد الأزهرى فى كتاب التقريب قولا حسنا، فقال: تقديره: واستعينوا بالصبر وإنه لكبير، وبالصلاة وإنها لكبيرة، إلا أنه حذف أحدهما واختصر المعنى اختصارا.

﴿إلا على الخاشعين﴾ الخاشع: هو المطيع المتواضع.

﴿الذين يظنون﴾ يستيقنون. والظن يكون بمعنى الشك، ويكون بمعنى اليقين، قال الله - تعالى -: ﴿إنى ظننت أنى ملاق حسابيه﴾[1] أى: استيقنت، وقال الشاعر:

فقلتُ لهم ظُنُّوا بألْفَىْ مُقَنَّعٍ ... سُراتُهمُ فى الفارسىِّ المسردِ

وقوله - تعالى -: ﴿أنهم ملاقوا ربهم﴾ أى صائرون إلى ربهم. وكل ما ورد فى القرآن من اللقاء فهو بمعنى الصيرورة إليه، كذا قال المفسرون.

وقيل: هو اللقاء الموعود، وهو رؤية الله - تعالى -.

وقوله - تعالى -: ﴿وأنهم إليه راجعون﴾ أى: صائرون.

وقوله تعالى: ﴿يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم﴾ معناه ما سبق.

﴿وأنى فضلتكم على العالمين﴾ التفضيل نقيض التسوية. وأراد به التفضيل بتلك النعم التى سبق ذكرها. وذلك التفضيل وإن كان فى حق الآباء ولكن يحصل به الشرف للأبناء، فصح الخطاب معهم.

﴿على العالمين﴾ على عَالَمى زمانهم.

قوله - تعالى- ﴿واتقوا يوما لاتجزى نفس عن نفس شيئًا﴾ معناه: واحذروا

(١) الحاقة: ٢٠.

عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ

عذاب يوم القيامة. ﴿لا تجزى نفس عن نفس شيئا﴾ قال الأخفش: معناه لاتقوم نفس مقام نفس. وقال غيره: معناه لاتقضى نفس عن نفس حقا لزمها.

﴿ولايقبل منها شفاعة﴾ يقرأ بقراءتين بالتاء(١) والياء(٢) والكل جائز لأن الشفع والشفاعة بمعنى واحد كالوعظ والموعظة والصوت والصيحة بمعنى واحد. ثم يذكر تارة بالتذكير على المعنى. وتارة بالتأنيث على اللفظ. قال الله تعالى: ﴿قد جاءتكم موعظة من ربكم﴾(٣) وقال فى موضع آخر ﴿فمن جاءه موعظة من ربه﴾(٤) قال ﴿وأخذت الذين ظلموا الصيحة﴾(٥) وقال فى موضع آخر: ﴿وأخذ الذين ظلموا الصيحة﴾(٦) كذا هذا.

﴿ولا يؤخذ منها عدل﴾ العَدْلُ والعِدْلُ هو المثل، قال الله - تعالى - ﴿أو عدل ذلك صياما﴾(٧) أى: مثله.

والمراد بالعدل ها هنا الفدية، وسميت عدلا، لأنها مثل المفدي به. وأما قولهم: لايقبل منه صرف ولاعدل قيل: الصرف النافلة، والعدل الفريضة. وقيل: الصرف الحيلة، والعدل الفدية.

﴿ولا هم ينصرون﴾ يمنعون العذاب.

قوله - تعالى -: ﴿وإذ نجيناكم من آل فرعون﴾ الإنجاء والتنجية واحد. هو الإنقاذ من المكروه. وآل فرعون: أتباعه الذين اقتدوا به وبفعله. وكذلك آل النبى ﷺ أتباعه.

---

(١) وهى قراءة ابن كثير، ويعقوب، وأبى عمرو كما فى النشر (٢ / ٢١٢).

(٢) وهى قراءة الباقين. انظر المصدر السابق.

(٣) يونس: ٥٧.

(٤) البقرة: ٢٧٥.

(٥) هود: ٩٤.

(٦) هود: ٦٧.

(٧) المائدة: ٩٥.

يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا

وروى أنس عن النبى ﷺ أنه قال: «آلِى كُلُّ مؤمنٍ تقى»(١)، فأما آل القرابة فهم قوم مخصوصون [لا](٢) تجرى عليهم الصدقة. وقد ذكروا فى الفقه.

﴿يسومونكم سوء العذاب﴾ أى: يجشمونكم ويولونكم. وقيل: يصرفونكم فى العذاب مرة هكذا ومرة هكذا، كالإبل السائمة فى البرية.

﴿سوء العذاب﴾ أشد العذاب ﴿يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم﴾ مذكور على وجه البدل عن قوله ﴿يسومونكم﴾ ومثله قول الشاعر:

مَتَى تَأْتِنَـا تُلْمِمْ بِنَـا فِى دِيَـارِنا ... تجدْ حَطَبا جَزْلا ونارًا تأجَّجَا

وقوله: «تلمم بنا فى ديارنا» بدل عن قوله: «متى تأتنا».

ومعنى قوله: ﴿يذبحون أبناءكم﴾ أى: يقتلون. الذبح والذبيح بمعنى واحد.

وسبب ذلك أن فرعون رأى فى المنام نارا جاءت من نحو بيت المقدس، وأحاطت بمصر، وأحرقت كل قبطى هنالك، ولم تتعرض لبنى إسرائيل، فعلم بذلك أن نبيا يخرج من بنى إسرائيل؛ يكون هلاكهم على يديه، فأمر بقتل الأبناء، وترك البنات، حتى قيل: إنه قتل فى طلب موسى اثنى عشر ألف صبيا.

﴿ويستحيون نساءكم﴾ أى: يتركون ويستبقون، وهو استفعال من الحياة، ومنه

(١) أخرجه العقيلى فى الضعفاء (٤/ ٢٨٧) والبيهقى فى سننه (٢/ ١٥٢) وابن الجوزى فى العلل المتناهية (١/ ٢٦٦ رقم ٤٢٩) - من طريق العقيلى - جميعهم من طريق نافع عن أنس مرفوعًا. ونافع هو ابن هرمز. قال البيقهى. وهذا لايحل الاحتجاج بمثله. وقال ابن الجوزى: هذا حديث لايصح عن رسول الله ﷺ.

وأخرجه الطبرانى فى الصغير (١/ ١٩٩ - ٢٠٠ رقم ٣١٨). وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ١٦٩): فيه نوح بن أبى مريم، وهو ضعيف.

(٢) ليست فى «الأصل» ولا «ك».

آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ

قول النبى ﷺ: «اقتلوا شيوخ المشركين واستحيوا شرخهم»(١) أى: شبابهم، وأراد به الذرية والنساء.

﴿وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾ البلاء: يكون بمعنى النعمة ويكون بالشدة، لأنه من الابتلاء. والله - تعالى - قد يختبر على النعمة بالشكر وقد يختبر على الشدة بالصبر. قال الله - تعالى -: ﴿[ونبلوكم](٢) بالشر والخير فتنة﴾(٣) قال الشاعر:

جزى الله إحسانًا بما فعلا به وأبلاهما خير البلاء الذى يبلو

وقوله - تعالى -: ﴿وفى ذلكم بلاء﴾ يحتمل هذا المعنيين، أحدهما: فيما لحقكم من فرعون من الأذى والشدة بلاء عظيم.

ويحتمل أنه أراد: فيما حصل لكم من النجاة بغرق فرعون بلاء عظيم، أى: نعمة عظيمة.

قوله - تعالى -: ﴿وإذ فرقنا بكم البحر﴾ قيل: فرقنا لكم البحر. وقيل: الباء فى موضعها، ومعناه: فرقنا البحر بدخولكم إياه فرقا فرقا فوق الرأس وفرقا من تحت القدم أو فرقا من ذلك الجانب، وفرقا من ذلك الجانب، والبحر سمى بحرا، لاتساعه. ومنه يقال للفرس: بحر إذا اتسع فى جريه، وللجواد: بحر إذا اتسع كفه للجود.

وقوله - تعالى -: ﴿فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون﴾ قيل فى القصص: إن عدد المُنْجَيْنَ منهم كانوا ستمائة ألفٍ [وعشرين](٤) ألفًا، لايعد فيهم ابن عشرين لصغره،

(١) أخرجه أبو داود فى سننه (٣/٥٤ رقم ٢٦٧٠)، الترمذى (٣/١٢٣ رقم ١٥٨٣) والإمام أحمد في مسنده (٥/١٢، ٢٠)، والطبرانى فى الكبير (٧/٢١٦ - ٢١٧، ٢٢٤، رقم ٦٩٠٠، ٦٩٠١، ٦٩٠٢، ٦٩٣٢)، والبيهقى (٩/٩٢). وقال الترمذى: حسن صحيح غريب. وأعله ابن التركمانى بضعف الحجاج، وأن أكثر الحفاظ لايثبتون سماع الحسن من سمرة؛ سوى حديث العقيقة. ونقل الزيلعى فى نصب الراية (٣/٣٨٦) هذا الإعلال عن البيهقى نفسه. وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع وأبى داود والترمذى.

(٢) فى «الأصل وك»: ولنبلونكم، وهو خطأ.

(٣) الأنبياء: ٣٥.

(٤) فى «الأصل وك»: عشرون، وهو خطأ.

الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ

ولا ابن ستين لكبره. وأما عدد المغرَقين فالله بهم عليم.

وقيل: كان على مقدمته هامان مع ألف ألف وسبعمائة ألف نفر حين غرقوا، والله أعلم بمن كان على المؤخرة.

﴿ وأنتم تنظرون ﴾ إلى غرقهم وهلاكهم. وقيل: تعلمون.

قوله - تعالى -: ﴿ وإذا واعدنا ﴾ وقرأ: «وإذ وعدنا»(١) معناهما واحد، فإن قال قائل: المواعدة على وزن المفاعلة، فتقتضى اثنين يتواعدان، فكيف تكون المواعدة من الله مع موسى؟

قلنا: المواعدة من الله - تعالى - بالأمر، ومن موسى - صلوات الله عليه - بالقبول وكذلك الوعد.

وأما موسى، اسم عبرى، و«مو» بلغة العبرية هو الماء و «شى» هو الشجر، فسمى «موشى» لأنه أخذ من الماء والشجر ثم قلب الشين سينا فى العربية فصار موسى.

وقوله: ﴿ أربعين ليلة ﴾ أى: انقضاء أربعين ليلة. أمره الله - تعالى - أن يصوم أربعين يوما لإعطائه التوراة، وكان قد وعده ثلاثين؛ إلا أن الله - تعالى - كان قد نهاه أن يتناول شيئا فى هذه الثلاثين، فلما أتم الثلاثين مر بشجرة، فتناول من ورقها، أمره الله - تعالى - أن يصوم عشرة أيام بسبب ذلك. وعليه دل قوله - تعالى - فى سورة الأعراف ﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر... ﴾(٢) الآية.

وقوله - تعالى -: ﴿ ثم اتخذتم العجل من بعده ﴾ يعنى: إلها، وله قصة معروفة ستأتى فى سورة طه.

---

(١) وهى قراءة أبى جعفر ويعقوب، وأبى عمرو، انظر النشر (٢ / ٢١٢).

(٢) الأعراف: ١٤٢.

تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ

﴿وأنتم ظالمون﴾ باتخاذ العجل إلها.

قوله تعالى: ﴿ثم عفونا عنكم من بعد ذلك﴾. العفو: محو الآثار. ويقال: عفت الرياح كذا، إذا محت الآثار. يقول: عفونا عنكم من بعد اتخاذكم العجل إلها. ﴿لعلكم تشكرون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿وإذ آتينا موسى الكتاب﴾ يعني: التوراة. ﴿والفرقان﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه أراد به التوراة أيضا. إلا أنه ذكرها باسمين، ومثله قول الشاعر:

ألا حبذا هند وأرض بها هنـــد ... وهند أتى من دونها النأى والبعد

والنأى والبعد اسمان بمعنى واحد.

والقول الثاني: أراد به الفرقان بين الحق والباطل. وقد أعطى الله موسى ذلك. ومنه سمى يوم بدر: يوم الفرقان؛ لأنه فرق فيه بين الحق والباطل.

والقول الثالث: أراد به انفراق البحر كما سبق. ﴿لعلكم تهتدون﴾ بالتوراة.

قوله - تعالى -: ﴿وإذ قال موسى لقومه﴾ معناه: اذكره إذ قال موسى لقومه ﴿يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل﴾ إلهًا. ﴿فتوبوا إلى بارئكم﴾ خالقكم. ﴿فاقتلوا أنفسكم﴾ ليقتل بعضكم بعضا. وقيل معناه: استسلموا للقتل.

﴿ذلكم خير لكم عند بارئكم﴾ خالقكم ﴿فتاب عليكم﴾ بالقبول ﴿إنه هو التواب الرحيم﴾ القابل للتوبة.

وروى عن على - رضى الله عنه - أنه قال: كان عدد القتلى منهم [سبعين](١) ألفا فلما بلغوا ذلك، أوحى الله - تعالى - إلى موسى: إنى رفعت القتل عنهم،

(١) فى «الأصل وك»: سبعون وهو خطأ.

عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ

ورحمت من مضى منهم، وعفوت عمن بقى، وتبت عليهم .وحكى أن يوشع بن نون خرج عليهم حين تأهبوا للقتل واحتبوا له، فقال: إن الله رحم من حل حبوته. ثم إن الذين لم يعبدوا العجل سلوا سيوفهم، وأقبلوا على قتل الذين عبدوا العجل، حتى كان الابن يقتل أباه والأب يقتل ابنه، حتى أتوا على سبعين ألفا؛ ثم نزل الوحى كما وصفنا.

قوله تعالى: ﴿وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة﴾ هو خطاب للسبعين الذين حملهم موسى إلى الطور ليسمعوا كلام الله؛ فإنهم لما سمعوا كلام الله قالوا لموسى: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة. أى: عيانا.

وقيل: فيه تقديم وتأخير يعنى قلتم: يا موسى جهرة لن (نؤمن)[1] (لك)[2] حتى نرى الله (جهرة)[3].

﴿فأخذتكم الصاعقة﴾ قرأ[4] عمرو: «فأخذتكم الصعقة» وهو فى الشواذ: وقد سبق تفسير الصاعقة. والمراد بها الموت هاهنا، أى: أخذكم الموت ﴿وأنتم تنظرون﴾.

فإن قيل: إذا ماتوا كيف نظروا؟ قيل: معناه: ينظر بعضكم إلى بعض حين أخذكم الموت. قيل: معناه: تعلمون ويكون النظر بمعنى العلم.

قوله – تعالى –: ﴿ثم بعثناكم من بعد موتكم﴾ يعنى أحييانكم بعد تلك الموتة بالطور.

قال قتادة: أحياهم ليستوفوا آجالهم ﴿لعلكم تشكرون﴾.

(١) سقط من «ك».

(٢) فى «ك»: بك.

(٣) كذا فى «الأصل»، و«ك»، وهى زيادة تفسد المعنى.

(٤) فى تفسير القرطبى (١ / ٤٠٤) وقرأ عمر وعثمان وعلى: «الصعقة» وهى قراءة ابن محيصن فى جميع القرآن

لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

قوله – تعالى –: ﴿وظللنا عليكم الغمام﴾ الغمام: من الغم. وأصله: التغطية والستر ومنه يقال للقلب الحزين: مغموم. لأن الحزن غطَّى قلبه. وللسحاب: غمام لأنه يغطى وجه الشمس. ومنه قوله تعالى: ﴿ثم لا يكن أمركم عليكم غمة﴾(١) أى: ملبوسا عليكم.

ومعنى الآية: قال مجاهد: أراد بتظليل الغمام عليهم ما ذكر فى قوله ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام﴾(٢) وسيأتى شرحه.

وقال قتادة: إن قوما من بنى إسرائيل بقوا فى التيه فعطشوا، وتأذَّوا بحرٍّ الشمس، وظلل الله عليهم غماما، كيلا يتأذَّوا.

﴿وأنزلنا عليكم المن والسلوى﴾ الأكثرون: على أن المن هو الترّنجبين(٣). وقال قتادة: هو صمغة تقع على الشجر. وقال وهب: هو الخبز الرقاق.

وأما السلوى: قيل: إنه طائر يشبه السمانى بعينه. وفيه قول غريب: أنه العسل.

وفى القصص: أن الله – تعالى – كان ينزل عليهم ذلك كل صباح من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس قدر ما يكفى ليومهم؛ إلا يوم الجمعة فإنه كان ينزل صباح الجمعة والسبت جميعا، وماكان للجمعة ينزل عليهم يوم السبت.

وأما قوله – عليه السلام –: «الكمأة من المن، وماؤها شفاء للعين»(٤) فليس ذلك من هذا المن وإنما معناه: أنها من عطاء الله من غير كلفة ولا مشقة.

---

(١) يونس: ٧١.
(٢) البقرة: ٢١٠.
(٣) هو طلٌّ من السماء، يشبه العسل، ويقال له كذلك: الطرنجبين، بالطاء. انظر غريب القرآن لابن قتيبة (ص٤٩).
(٤) متفق عليه من حديث سعيد بن زيد. أخرجه البخارى – مع الفتح – (١٠/ ١٧٢ رقم: ٤٤٧٨) وطرفاه فى (٤٦٣٩، ٥٧٠٨)، ومسلم – بشرح النووى – (١٤/ ٥ رقم ٢٠٤٩).

وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا

﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ أى: من حلال ما رزقناكم.

﴿وما ظلمونا﴾ وما بخسوا بحقنا ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾.

فالظلم: بمعنى البخس والنقص، وأصله ما بينا.

قوله تعالى: ﴿وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية﴾ سميت القرية قرية؛ لأنها تجمع أهلها. ومنه المقرآة للحوض؛ لأنه مجمع الماء. ومنه قرية النمل؛ لأنها تجمع النمل، والمراد بالقرية ها هنا البيت المقدس. وقيل: هى أريحا موضع هنالك.

﴿فكلوا منها حيث شئتم رغدا﴾ ومعنى الرغد ما سبق، وقيل: هو الرزق الواسع الذى لايضيق (ولايُعَنى)[1] طالبَه.

﴿وادخلوا الباب سجدا﴾ أراد بالباب: باب القرية. وقيل: هو باب حطة، وهو باب إيلياء.

﴿سجداً﴾ أى: ركعا خضعا. وأصل السجود الخضوع وفى الركوع خضوع، وقال الشاعر

بِجَمْعٍ تَضِلُّ البلْقُ فى حُجُرَاته ... ترى الأكْمَ فيه سجداً للحوافرِ

أى: ركعا خضعا.

﴿وقولوا حطة﴾ قال ابن عباس - رضى الله عنهما -: معناه قولوا: حط ذنوبنا، وقال الزجاج: تقديره: قولوا: مسألتنا حطة. وقال عكرمة: هو قول: لا إله إلا الله.

﴿نغفر لكم﴾ تقرأ بقراءتين: «نغفر لكم» بالنون، و«يغفر لكم» بالياء[2] وهما

(١) فى «ك»: ولا يغنى.

(٢) قال القرطبى فى تفسيره (١/ ٣٨٨): قراءة نافع بالياء مع ضمها، وابن عامر بالتاء مع ضمها، وهى قراءة مجاهد. وقرأها الباقون بالنون مع نصبها؛ وهى أبينها. وانظر النشر (٢/ ٢١٥).

قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ

واحد. وهو من الغفر، وهو الستر. ومنه المغفر؛ لأنه يستر الرأس. كذلك المغفرة تستر الذنوب.

﴿ خطاياكم ﴾ جمع الخطيئة وتجمع على الخطيئات أيضا، وهى الذنوب. يقال: خَطِئَ يُخْطِئُ خِطْأً وخطيئة، إذا أذنب متعمدا.

وأَخْطَأَ يُخْطِئُ إخطاءً إذا أذنب خاطئا(١).

﴿ وسنزيد المحسنين ﴾ من فضلنا.

قوله تعالى: ﴿ فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم ﴾ أجمعوا على أنهم بدلوا قول الحطة بالحنطة، وقالوا بلسانهم: هطا سمقاثا. أى: حنطة حمراء. وقيل: إنهم دخلوا الباب يزحفون على استاهِهِم، وكان قد طوطئ لهم الباب، فما استطاعوا أن يدخلوا قياما، وأبوا أن يدخلوا سجدا، فدخلوا يزحفون على استاههم مخالفة فى الفعل كما بدلوا القول.

قوله تعالى: ﴿ فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ﴾.

الرجز. العذاب. والرجس: النتن. والرُّجْز (بضم الراء) صنم على قول من قرأ ﴿ والرجز فاهجر ﴾(٢) وقيل: أنزل الله عليهم - إذ فعلوا ذاك - طاعونا أهلك منهم أربعة وعشرين ألفا فى ساعة واحدة.

﴿ بما كانوا يفسقون ﴾ من المخالفة فعلا وقولا.

قوله تعالى: ﴿ وإذا استسقى موسى لقومه ﴾ الاستسقاء طلب السقيا. والسبب فى ذلك: أن بنى إسرائيل بقوا فى التيه فعطشوا، فسألوا موسى أن يستسقى لهم، ففعل.

(١) انظر لسان العرب (مادة: خطأ).

(٢) المدثر: ٥.

فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ

قوله – تعالى –: ﴿فقلنا اضرب بعصاك الحجر﴾ اختلفوا فى ذلك الحجر، منهم من قال: كان حجرا معينا على قدر رأس الرجل.

وقيل: كان ذراعا فى ذراع. وقيل: كان حجرا من الأحجار لا يعينه، أىَّ حجر كان.

﴿فانفجرت منه﴾ يعنى: فضرب (وتفجرت)(١). هكذا تقديره: منه ﴿اثنتا عشرة عينا﴾ على عدد الأسباط. ﴿قد علم كل أناس مشربهم﴾ عرف كل سبط منهم مشربهم.

وقيل: كان يظهر فيه بضرب موسى [اثنتى عشرة](٢) حفرة، يعرف كل سبط منهم حفرته.

وقيل: كان يحمل الحجر مع نفسه فى وعاء؛ فكلما احتاجوا إلى الماء ضرب موسى على الحجر. ﴿كلوا﴾ مما أنزلنا عليكم من المن والسلوى ﴿واشربوا﴾ من هذه المشارب.

[﴿من رزق الله﴾](٣).

﴿ولا تعثوا فى الأرض مفسدين﴾ العيث: أشد الفساد. وقيل: معناه: ولا تسعوا فى الأرض مفسدين.

قوله – تعالى –: ﴿وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد﴾ كأنهم أجمعوا وسئموا من أكل المن والسلوى، فسألوا موسى أن يسأل لهم غيره من الطعام.

فإن قيل: كان لهم المن والسلوى، فَلِم سماهما واحدا؟! قيل: كانوا يأكلون أحدهما بالآخر (فكان)(٤) كطعام واحد.

(١) فى «ك»: وانفجرت.

(٢) فى «الأصل وك»: اثنى عشر.

(٣)من «ك».

(٤) فى «ك»: وكان.

طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا

وقيل: إنه كان أبدا على نسق واحد، وكان من حيث اتساقه كطعام واحد.

﴿ فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها ﴾ سألوا هذه الأطعمة.

وقوله - تعالى -: ﴿ وفومها ﴾ اختلفوا فيه. قال ابن عباس، والأكثرون: إنه الحنطة. وقيل: الخبز. وحكى أن بعض الأعراب قال لامرأته: «فومى لنا» أى: اخبزى لنا.

وقال الضحاك بن مزاحم: أراد به الثوم. فأبدل الثاء بالفاء. ومنه قول الشاعر:

كَانتْ ديارُهم - إذ ذاك - بارزةً ... فيها الفرادِيسُ والفومانُ والبصَلُ

وقد قرأ أبى بن كعب وابن مسعود: «وثومها» بالثاء ﴿ وعدسها وبصلها ﴾.

قوله تعالى: ﴿ قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير ﴾ يعنى: أتختارون الأدنى على ما هو خير. فإن قيل: أليس فيما سألوا الحنطة والخبز، وهى خير من المن والسلوى فلم سماه أدنى؟ قيل: أراد به أدنى فى القيمة، أو أراد به أسهل وُجُوداً على العادة.

﴿ اهبطوا مصرا ﴾ أى: انزلوا واذهبوا إلى مصر. واختلفوا فيه، فالأكثرون على أنه المصر المعروف. وقد قرأ ابن مسعود: «اهبطوا مصر» غير منصرف[1]. ومن صرفه كان لقلة الحروف.

وقال الأعمش: أراد به مصر الذى عليه صالح بن على، وهو المصر المعروف. وقيل: كان مصرا من الأمصار لابعينه يقول: انزلوا مصرا ﴿ فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة ﴾ قيل: أراد به الجزية، وقال عطاء بن السائب: هو الكستيج والزنار[2].

وقال ابن عباس: أصحاب القبالات ممن ضربت عليهم الذلة.

(١) قال القرطبى (١ / ٤٠١): وقرأ الحسن بن تغلب، وطلحة «مِصْرَ». بترك الصرف وكذلك هى فى مصحف أبى بن كعب، وقراءة ابن مسعود.

(٢) هو ما يلبسه الذمّى يشده على وسطه. انظر لسان العرب (مادة: زنر).

فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ

﴿ والمسكنة ﴾ والفقر، يقال: تمسكن الرجل أى صار فقيرا، وسمى الفقير مسكينا لأن الفقر أسكنه وأقعده عن الحركة.

﴿ وباءوا بغضب من الله ﴾ أى: رجعوا واحتملوا غضب الله.

﴿ ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ﴾ والآية: العلامة. والآية: الجماعة. يقال: خرج القوم بآيهم أى: بجماعتهم. والآية من القرآن مجمع كلمات معلوم الأول والآخر.

قوله – تعالى –: ﴿ ويقتلون النبيين ﴾. قرأ نافع بالهمز والمد .والباقون بالتليين، وأصله الإنباء، فمن همزه كان على الأصل. ومن لينه فلكثرة الاستعمال.

وقيل: هو مأخوذ من النَّبْوَةِ وهى المكان المرتفع، فعلى هذا يكون التليين على الأصل.

وفى الحديث: «أن رجلا قال: يانبىء الله – بالهمز والمد – فقال ﷺ: لست بنبىء الله إنما أنا نبى الله»(١).

قوله – تعالى –: ﴿ ويقتلون النبيين بغير الحق ﴾ فإن قال قائل: لم قال: «بغير الحق» وقتل النبيين لايكون إلا بغير الحق؟! قلنا: ذكره وصفا للقتل، والقتل يوصف تارة بالحق، وتارة بغير الحق وهو مثل قوله – تعالى – ﴿ قال رب احكم بالحق ﴾(٢). ذكر الحق وصفا للحكم لا أن حكمه ينقسم إلى الجور والحق.

(١) أخرجه العقيلى فى الضعفاء (٣/ ٨١،٨٢) من حديث ابن عباس به مرفوعًا. وقد أورده فى منكرات عبد الرحيم بن حماد الثقفى، ثم قال: وقد روى بإسناد لين.

قلت: ولعله أراد رواية أبى ذر التى أخرجها الحاكم فى مستدركه (٢/ ٢٣١) وقال: هذا حديث صحيح. وتعقبه الذهبى بقوله: بل منكر لم يصح، قال النسائى: حمران ليس بثقة، وقال أبو داود: رافضى، روى عن موسى بن عبيدة وهو واه. اهـ.

(٢) الأنبياء: ١١٢.

وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ

﴿ذلك بما عصوا﴾ من المعاصى ﴿وكانوا يعتدون﴾ يتجاوزون الحد.

قوله - تعالى -: ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا﴾ أراد بالذين هادوا اليهود، وإنما سموا يهودا؛ لأنهم قالوا ﴿إنا هدنا إليك﴾(١) أى: ملنا إليك.

وقيل: لأنهم من أولاد يهودا بن يعقوب. والنصارى قوم يعرفون. وإنما سموا نصارى؛ لأنهم نزلوا قرية تسمى ناصرة. وقيل: لقول عيسى: من أنصارى إلى الله قالوا :نحن أنصار الله.

﴿والصابئين﴾ قرأ نافع باللين وقرأ الباقون بالهمز. وأصله الصبو وهو الميل والخروج.

يقال: صبأ ناب البعير إذا خرج. وصبا قلبه إلى فلان أى: مال. قال الشاعر:

صبا قلبى إلى هند وهند مثلها (يصبى)(٢)

أى: مال قلبى إليها ومثلها تميل القلب.

واختلفوا فى معناه؛ قال ابن عباس: هم قوم من اليهود والنصارى.

وقال قتادة: هم قوم يقرءون الزبور، ويعبدون الملائكة، ويصلُّون إلى الكعبة ﴿من آمن بالله﴾ . فإن قيل: قد ذكر فى الجملة ﴿إن الذين آمنوا﴾ فكيف يستقيم قوله ﴿من آمن بالله﴾؟.

قيل: هذا فى سلمان وأتباعه الذين آمنوا بمحمد ﷺ قبل البعث. ثم أقروا به بعد البعث.

وقيل: أراد به: من ثبت على الإيمان. وقيل: أراد بالذين آمنوا: المنافقين الذين آمنوا باللسان.

---

(١) الأعراف: ١٥٦.

(٢) فى «ك»: يضنى.

خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ

وقوله تعالى: ﴿من آمن بالله﴾ يعنى بالقلب مع اللسان ﴿بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ فى الآخرة.

قوله تعالى: ﴿[وإذ](١) أخذنا ميثاقكم﴾ أى: عهدكم ﴿ورفعنا فوقكم الطور﴾ قيل: أراد به طور سيناء.

وقيل: كل جبل طور. وفى القصص: أن الله تعالى قلع جبل طور ورفع فوق رأسهم وقال لهم: إن لم تقبلوا التوراة أرسلت هذا الجبل عليكم، فقبلوا التوراة. وعليه دل قوله تعالى: ﴿وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم﴾(٢) الآية.

﴿خذوا ما آتيناكم﴾ من التوراة ﴿بقوة﴾ بجد واجتهاد ﴿واذكروا ما فيه﴾ وادرسوا ما فيه. ﴿لعلكم تتقون﴾ النار فى الآخرة.

قوله - تعالى -: ﴿ثم توليتم من بعد ذلك﴾ أعرضتم من بعد ما قبلتم التوراة ﴿فلولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ يعنى: بالإمهال والإدراج ﴿لكنتم من الخاسرين﴾ لَمِنَ المعذبين فى الحال؛ كأنه رحمهم بالإمهال.

قوله - تعالى -: ﴿ولقد علمتم الذين اعتدوا﴾ أى: جاوزوا الحد، ويقال: تعدى طوره. أى: جاوز حده.

﴿منكم فى السبت﴾ وأصل السبت: القطع، وسمى يوم السبت بذلك؛ لأن اليهود أمروا فيه بقطع الأعمال - أراد به قوم أيله، وهى قرية على شط البحر - وترك الاصطياد فى يوم السبت؛ فخالفوا واصطادوا. وقصتهم تأتى مشروحة فى سورة

(١) فى «الأصل»: إذا.

(٢) الأعراف: ١٧١.

الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾

الأعراف.

﴿فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين﴾ وهذا أمر تكوين ليس للعبد فيه صنع ولا اختيار.

﴿خاسئين﴾ مبعدين. ومنه يقال: [أخسأ][1] أى: أبعد. فإن قيل: لم قال: «قردة خاسئين» وإنما تنعت القردة بالخاسئات؟ قيل: فيه تقديم وتأخير. وتقديره: خاسئين قردة.

قوله – تعالى –: ﴿فجعلناها نكالا لما بين يديها﴾ أى: فجعلنا عقوبتهم بالمسخ نكالا. والنكال: اسم لكل عقوبة تُنَكِّل الناظر من فِعْلِ ما جعلت العقوبة جزاء عليه. ومنه النكول من اليمين، وهو منع اليمين.

﴿لما بين يديها﴾ فإن قيل: كيف يكون نكالا لما بين يديها وهم قد مضوا؟ قيل: أراد به الذين حضروا فى ذلك الزمان.

﴿وما خلفها﴾ الذين يأتون من بعد «وما» ها هنا: بمعنى «من» وفيه قول آخر: أراد «لما بين يديها»: ما سبقت من الذنوب ﴿وما خلفها﴾ ما حضرت من الذنوب التى أخذوا بها.

وفيه قول ثالث: أراد «بما بين يديها» القرى التى كانت مبنية فى الحال. وما خلفها: بالحدث من القرى من بعد.

﴿وموعظة للمتقين﴾ من أمة محمد ﷺ.

---

(١) فى «الأصل»: إخساء.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ

قوله تعالى: ﴿وإذ قال موسى لقومه﴾ واذكر إذ قال موسى لقومه: ﴿إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة﴾ البقرة: الأنثى من البقر. وهى مأخوذة من البقر، وهو الشق. سميت بذلك لأنها تشق الأرض بالحراثة.

وفى الخبر: «أن النبى ﷺ نهى عن التبقر فى الأهل والمال»[1] أى: التوسع. والقصة فى ذلك: أنه كان فى بنى إسرائيل رجل غنى، وله ابن عم فقير، فاستطال حياته فقتله، وحمله إلى حى آخر، وطرحه بفنائهم، ثم أصبح يطلب دمه. فسألوا موسى أن يسأل ربه من القاتل؟ فسأل فأوحى الله – تعالى – [إليه][2] أن يأمرهم بذبح البقرة.

فقال: إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴿قالوا أتتخذنا هزوا﴾ لأنهم لما سألوه أن يسأل ربه من القاتل؟ فقال: إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة، فلبعد ما بين السؤال والجواب، قالوا: أتتخذنا هزوا. وذلك من شدة جهلهم، وتبسطهم فى الكلام نسبوا نبيهم إلى الاستهزاء.

﴿قال أعوذ بالله﴾ أعتصم وأمتنع بالله. ﴿أن أكون من الجاهلين﴾ بالجواب، لا على وفق السؤال. لأن كل من سئل عن شيء فأجاب لا على وفق السؤال يكون جاهلا.

(١) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (١/ ٤٣٩) والطيالسى فى مسنده ص٥٠ رقم ٣٨٠، والشاشى فى مسنده (٢/ ٢٤٢ ٢٤٤رقم ٨١٤، ٨١٥) عن ابن مسعود وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٢٥٤): رواه أحمد بأسانيد وفيها رجل لم يسم. وقال الشيخ أحمد شاكر – رحمه الله –: فى إسناديه نظر، وأحدهما ضعيف لجهالة الرجل من طيئ، والآخر صحيح على بحث فيه. انظر المسند بتحقيق شاكر (٦/ ١٠٤). وانظر تعليق الحافظ ابن حجر فى تعجيل المنفعة (٤٧٨ – ٤٧٩)، وتعليق الشيخ ناصر – حفظه الله – فى الصحيحة رقم ١٢.

(٢) زيادة من «ك».

إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾
قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا

قوله – تعالى –: ﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى﴾ هذا استيصاف السن ﴿قال إنه يقول﴾ يعنى: فسأل[1] فقال: إنه يقول: ﴿إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك﴾ قيل: الفارض الكبيرة المسنة، والبكر: الفتى، والعوان ما بين ذلك.

ومنه يقال: عَوَنَت المرأة، إذا زادت على الثلاثين. ويقال: فى الْمَثَل «العَوَانُ لاتُعَلَّمُ الْخِمْرَةَ» أى: الاختمار.

وقيل: الفارض التى ولدت بطونا، والبكر: التى لم تلد أصلا، والعوان: التى ولدت بطنا أو بطنين. ﴿فافعلوا ما تؤمرون﴾ من الذبح.

قوله تعالى: ﴿ادع لنا ربك﴾ سل لنا ربك. ﴿يبين لنا ما لونها﴾ هذا استيصاف اللون. ﴿قال إنه يقول إنها بقرة صفراء﴾ قال الحسن: الصفراء: السوداء.

ومنه قول الشاعر:

تِلْكَ خَيْلِى مِنْه وتِلْكَ رِكَابِى ... هُــنَّ صُفْرٌ أَلْوَانُهــا كالزَّبيبِ

يعنى سود، والصحيح: أنه أراد به الصفراء المعهودة بدليل قوله: ﴿فاقع لونها﴾ وإنما يقال: أصفر فاقع، وأسود حالك، وأحمر قانٍ، وأبيض يقق. ويقال: ذلك للمبالغة.

وقال سعيد بن جبير: كانت صفراء القرون والظلف. والصحيح: أنه كانت صفراء بجميعها.

﴿تسر الناظرين﴾ أى تعجبهم وتدخل السرور فى قلبهم من حسنها وهذا دأب كل حسن قد يرى. وقد قال النبى ﷺ «من لبس نعلا صفراء لم يزل فى سرور حتى ينزعها»[2].

---

(١) في «ك»: أنه سأل.

(٢) أخرجه العقيلى فى الضعفاء (٣ / ٤٤٦)، والطبرانى فى الكبير (١٠ / ٢٦٣ رقم ١٠٦١٢)، وابن أبى حاتم فى تفسيره (١ / ٢١٩ رقم ٧١٠ – تفسير سورة البقرة) جميعهم عن ابن عباس موقوفا. قال أبو حاتم فى العلل (٢ / ٣١٩): هذا حديث كذب موضوع.

تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ

قوله تعالى: ﴿قالوا ادع لنا ربك﴾ سل لنا ربك. ﴿يبين لنا ماهى﴾ وهذا استيصاف العمل أنها من العوامل أم لا؟ ﴿إن البقر تشابه علينا﴾ أى: اشتبه. ﴿وإنا إن شاء الله لمهتدون﴾ وفى الخبر: «أنهم لو لم يقولوا: إن شاء الله ما اهتدوا أبدا»(١).

قوله - تعالى -: ﴿قال إنه يقول إنها بقرة لاذلول تثير الأرض﴾ الذلول: بَيِّن الذِّلَّة، والذليل بَيِّن الذُّل، والبقرة الذلول التى أذلها العمل بإثارة الأرض.

﴿ولاتسقى الحرث﴾ ليست بساقية ﴿مسلمة﴾ عن العيوب. ﴿لاشية فيها﴾ قال الزجاج: ليس فيها لون يخالف معظم لونها.

﴿قالوا الآن جئت بالحق﴾ فإن قيل: قد كان جاء بالحق فى كل مرة. فما معنى قوله ﴿الآن جئت بالحق﴾؟! قيل: معناه: الآن أتيت بالبيان التام الشافى الذى لم يبق معه لبس ولا إشكال.

﴿فذبحوها وما كادوا يفعلون﴾ يعنى: من غلاء ثمنها، لأنه روى أنهم اشتروها بملء مسكها(٢) ذهبا.

وحكى عن عكرمة أنه قال: ما اشتروها بذلك، إنما اشتروها بثلاثة دنانير.

وقيل: معناه وما كادوا يفعلون من شدة اضطرابهم واختلافهم فيها، والأول أصح.

وفى الحديث أن النبى ﷺ قال: «شددوا على أنفسهم؛ فشدد الله عليهم. ولو

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره (١/ ٢٢٣ رقم ٧٢٧)، وابن مردويه فى تفسيره - كما فى تفسير ابن كثير (١/ ١١١) من أبى هريرة مرفوعا. وذكره الأخير مطولا. وقال ابن كثير: هذا حديث غريب من هذا الوجه وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبى هريرة كما تقدم مثله عن السدى. وعزاه الهيثمى إلى البزار وقال: وفيه عباد بن منصور وهو ضعيف، وبقية رجاله ثقات المجمع (٦/ ٣١٧). ورواه سعيد بن منصور (٢/ ١٩٣)، والفريابى، وابن المنذر - كما فى الدر (١/ ٨٣) - عن عكرمة مرسلا.

(٢) المَسْكُ: الجلد، وخص بعضهم به: جلد السخلة. لسان العرب (مادة: مسك).

وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ

اعترضوا بقرة فذبحوها؛ حصل مرادهم»[١].

قوله تعالى: ﴿وإذ قتلتم نفسا﴾ هذا فى التلاوة مؤخر، وفى المعنى مقدم؛ لأنه أول القصة. ﴿فادَّارأتم فيها﴾ أى: اعوججتم[٢] ومنه قول الشاعر:

فَنَكَّبَ عَنْهُمُ دَرْءَ الأَعَادِى ... ودَاوَوْا بالجنُـونِ مِنَ الجُنُونِ

أى: اعوجاجهم.

وقيل: معناه: تدافعتم إذا كان يحيل بعضهم على بعض وأصل [الدرء][٣] الدفع.

قوله تعالى: ﴿والله مخرج ما كنتم تكتمون﴾ أى: مظهر ما كنتم تكتمون؛ فإن القاتل كان يكتم القتل.

قوله تعالى: ﴿فقلنا اضربوه ببعضها﴾ أمر الله تعالى أن يضرب المقتول ببعض البقرة. واختلفوا فى ذلك البعض؛ قال ابن عباس وأكثر المفسرين: كان ذلك من الغضروف إلى الكتف. قال مجاهد: وهو عجب الذنب. وقال غيره: هو الفخذ. وقال بعضهم: اللسان.

وقيل: بعض منها لابعينه؛ أىَّ بعض كان.

﴿كذلك يحيى الله الموتى﴾ لأنه أراهم إحياء المقتول حين ضرب ببعض البقرة.

وفى القصة: أنه لما ضرب ببعضها قام حيا وقال: «قاتلى فلان»، ثم سقط ميتا؛ فحرم قاتله الميراث.

وفى الخبر: أن النبى ﷺ قال: «ما ورث قاتل بعد صاحب البقرة»[٤].

---

(١) وهو جزء من الحديث المتقدم. وهو جزء من حديث رواه أيضا ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ رقم ٦٩٥)، والبيهقي في سننه (٦ / ٢٢٠ – ٢٢١) عن عبيدة السلماني قوله.

(٢) في الأصل، «ك»: اعوجتم.

(٣) فى «الأصل»، و«ك»: الدواء. وهو تحريف.

(٤) لم أقف عليه مرفوعاً، وإنما وجدته من قول أبي عبيدة السلماني، رواه أبو حاتم فى تفسيره (١/٢١٤-٢١٥ رقم ٦٩٥).

تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ

﴿ويريكم آياته لعلكم تعقلون﴾ تمنعون أنفسكم من المعاصى.

وقيل: إنما خص البقرة بذلك الذبح؛ لأنهم كانوا قد عبدوا العجل، فأراد أن يريهم هوانها، وأنها تعجز عن دفع القتل عن نفسها.

أو ابتلاهم بالأمر بذبحها حتى [يراهم](١) هل يقتلون أم لا.

قوله تعالى: ﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك﴾ يعنى يبست وجفت، وجفاف القلب بخروج الرحمة والرقة عنه. ﴿من بعد ذلك﴾ من بعد ما ظهر لكم من تلك الآيات. ﴿فهى كالحجارة﴾ يعنى فى الصلابة ﴿أو أشد قسوة﴾.

فإن قيل: لم قال: أو أشد قسوة و«أو» كلمة التشكيك؟ ولم شبَّه بالحجارة والحديد أصلب من الحجارة؟.

قلنا: أما الأول معناه وأشد قسوة. وقيل: بل أشد قسوة، وهو مثل قوله تعالى: ﴿إلى مائة ألف أو يزيدون﴾(٢) أو بل يزيدون.

وقال جماعة النحويين: معناه إن شئت مثلهم بالحجارة؛ وإن شئت مثلهم بما هو أشد من الحجارة، فأنت مصيب فى الكل. وهذا قول حسن.

وإنما لم يشبِّه بالحديد؛ لأنه قابل للين، فإنه يلين بالنار، وقد لان لداود – عليه السلام –، والحجارة لاتلين قط.

قوله تعالى: ﴿وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار﴾ قيل: أراد به جميع الحجارة. وقيل: أراد به الحجر الذى كان يضرب عليه موسى للأسباط.

﴿وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء﴾ أراد به عيونا دون الأنهار، وتكون فى بعض

(١) فى «الأصل» و«ك»: أنهم.

(٢) الصافات: ١٤٧.

قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾

الأحجار ﴿وإن منها لما يهبط من خشية الله﴾ أى ينزل من مخافة الله.

فإن قيل: الحجر جماد لايفهم؛ فكيف يخشى؟! قلنا: قد قال أهل السنة: إن لله – تعالى – علما فى الموات لايعلمه غيره.

وقيل: إن الله تعالى يفهمهم ويلهمهم ذلك فيخشون بإلهامه، وبمثل هذا وردت الأخبار.

فإنه روى: «أن النبى ﷺ كان على «ثبير» والكفار يطلبونه، فقال الجبل: انزل عنى فإنى أخاف أن توخذ علىّ فيعاقبنى الله بذلك. فقال له جبل حراء: إلىّ إلىّ يارسول الله».

وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «كان حجر يسلم علىّ بمكة قبل أن أبعث، وأنا أعرفه الآن»(١) الخبر صحيح.

وفى الباب حديث أنس وسهل بن سعد، «أن رسول الله ﷺ كان يخطب إلى جذع فى المسجد قائما، فلما اتخذ له المنبر تحول إليه فلما رقاه حن الجذع»(٢).

ويروى: «أنه خار كما يخور الثور، حتى ارتج المسجد؛ فنزل رسول الله ﷺ من المنبر وكان الجذع يخور حتى التزمه فسكن. فخيره النبى ﷺ بين أن يكون شجرة فى الدنيا أو شجرة فى الجنة، فاختار الجنة، فأمر به فدفن»(٣).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٥/ ٥٣ رقم ٢٢٧٧)، والترمذي (٥/٥٥٣ رقم ٣٦٢٤)، وأحمد في مسنده (٥/ ٨٩، ٩٥/ ١٠٥) جميعهم من حديث جابر بن سمرة.

(٢) متفق عليه من حديث سهل بن سعد. البخاري (٢/ ٤٦١ رقم: ٩١٧) ومسلم (٥/ ٤٦ – ٤٩ رقم ٥٤٤). وحديث أنس أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٤٤٩)، والترمذي (٥/ ٥٥٤ رقم ٣٦٢٧) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (١/ ٤٥٤ رقم ٤١٥) وابن خزيمة في صحيحه (٣/ ١٤٠ رقم ١٧٧٧).

(٣) هذه الزيادة جاءت فى حديث طويل لعائشة، أخرجه أبو يعلى، وقال الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (٦/ ١٣١): هذا حديث غريب إسنادا ومتنا.

وجاءت أيضا فى حديث طويل لأبى بن كعب عند أحمد (٥/ ١٣٨، ١٣٩)، وبريدة عند الدارمى (١/ ٢٩– ٣٠) وغيرهم.

أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلا

وقد قال مجاهد: لاينزل حجر من [الأعلى][(١)] إلى الأسفل إلا من خشية الله.

ويشهد لكل ما قلنا. قوله - تعالى -: ﴿لوأنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله﴾[(٢)].

﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ أى: يشاهد ما تصنعون.

قوله تعالى: ﴿أفتطمعون﴾ أى: ترجون ﴿أن يؤمنوا لكم﴾ أى: يصدقونكم بما تخبرونهم به. ﴿وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنهم سمعوا التوراة ثم حرفوا ما فيها من الأحكام ونعت محمد.

القول الثانى: أنه أراد به السبعين الذين حملهم موسى إلى الطور حين قالوا: إن كنت ترى الله فينبغى أن نرى الله، وإن كنت تسمع كلام الله؛ فينبغى أن نسمع كلام الله. فقال موسى: أما أنا فلا أرى الله، ولكنى أسمع كلامه، ثم سأل موسى ربه تعالى أن يسمعهم كلامه فقال الله تعالى: مرهم فليصوموا كذا وليغسلوا أو ليلبسوا ثيابا جددا نظيفة، ثم ليحضروا ففعلوا ذلك. وسمعوا كلام الله.

وفى التفسير: أنه قال لهم: أنا الله لا إله إلا أنا، أخرجتكم من مصر بيد شديدة فاعبدونى ولا تشركوا بى شيئا، وافعلوا كذا، وكذا فلما سمعوا كلامه، خرجت أرواحهم وماتوا فأحياهم الله تعالى فقالوا لموسى: إنا لانطيق أن نسمع كلامه، فاسمع أنت، وبلغنا إياه. ثم رجعوا إلى قومهم قالوا: قد سمعنا كلام الله، وقد أمرنا أن نفعل كذا وكذا، لكنه قال: افعلوا إن شئتم أو إن استطعتم.

وفى رواية قال: لاترتكبوا كذا وكذا إلا أن يكون لكم بد؛ فارتكبوا، فهذا معنى

---

(١) فى «الأصل»: أعلى، والمثبت من «ك».

(٢) الحشر: ٢١.

بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ

قوله ﴿ يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه ﴾ أى: فهموه ﴿ وهم يعلمون ﴾ أنه الحق.

قوله تعالى: ﴿ وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ﴾ أنزل فى قوم من اليهود آمنوا فنافقوا. ﴿ وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ﴾ والفتح بمعنى القضاء. قال الله تعالى: ﴿ إنا فتحنا لك فتحا مبينا ﴾(١) أى: قضينا لك قضاء بينا.

وقال الأصمعى: سمعت أعرابيا يقول: تعالَ إلى الفتاح. وفى معنى الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم قالوا لأهل المدينة حين شاوروهم فى اتباع محمد ﷺ: آمنوا به فإنه حق. ثم قال بعضهم لبعض: أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليكون لهم الحجة عليكم عند ربكم أى: يأخذونكم.

والقول الثانى: أنهم أخبروهم بما عذبهم الله به على الجنايات؛ فقال بعضهم لبعض: أتحدثونهم بما فتح الله عليكم من العذاب ﴿ ليحاجوكم به عند ربكم ﴾ ليروا الكرامة لأنفسهم عليكم عند الله.

والقول الثالث: أن النبى ﷺ لما فتح خيبر حاصر بنى قريظة قال لهم: «يا إخوة القردة والخنازير. فقال بعضهم لبعض: هذه الكلمة ما خرجت إلا منكم، يعنى: أنتم حدثتموه بذلك»(٢) ﴿ أفلا تعقلون ﴾.

قوله تعالى: ﴿ أو لا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ﴾ يعنى: أنه عالم بما أسروا (وأعلنوا)(٣).

---

(١) الفتح: ١.

(٢) هذا الحديث أخرجه الطبرى فى تفسيره (١/ ٢٩٤) وابن أبى حاتم فى تفسيره (١/ ٢٣٨ رقم ٧٨٧) من حديث مجاهد مرسلاً. وعزاه فى الدر لعبد بن حميد وابن المنذر (الدر المنثور ١/ ٨٧).

(٣) فى «ك»: وما أعلنوا.

﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾

قوله تعالى: ﴿ومنهم أميون﴾ الأمى: الذى لايقرأ ولا يكتب. وفى اشتقاقه قولان:

أحدهما: أنه من الأم، فالأمى باق على ما انفصل من الأم.

والثانى: من الأمة وهى الخلقة، ومنه قول الشاعر:

وإن معاوية الأكرمين حسان الوجوه طوال الأمم

يعنى بنى معاوية. وطوال الأمم أى الخلق. فالأمى: باق على ما كان عليه من أصل الخلقة.

﴿لايعلمون الكتاب إلا أمانىّ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: قال مجاهد: الأمانى الأكاذيب.

ومنه قول عثمان – رضى الله عنه –: منذ أسلمت ما تمنيت ولا تغنيت أى: ما كذبت. وقال ابن دأب لرجل ذكر شيئا: هذا شىء رويته أم شىء تمنيته. أى: اختلقته واخترعته من تلقائك.

والقول الثانى: أنه التلاوة، أى: لايعلمون الكتاب إلا التلاوة ومثله قوله: ﴿إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته﴾(١) أى: تلاوته. وقيل فى عثمان – رضى الله عنه –:

تَمنَّى كتابَ اللهِ أولَ لَيْلهِ [فيالَيْتَهُ] (٢) ما لاقَى حِمامَ المقَادِرِ

أى: تلا كتاب الله

والقول الثالث: قال الفراء والكسائى: هو من التمنى، وذلك هى أمانيهم الباطلة من قولهم ﴿لن تمسنا النار إلا أياما معدودة﴾(٣) ومن قولهم: ﴿لن يدخل الجنة إلا

(١) الحج: ٥٢

(٢) فى «ك»: فياليت، وفى لسان العرب (مادة: منى)، وتفسير القرطبى (٢/٨): وآخره. (٣) البقرة: ٨٠.

فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا

من كان هودا أو نصارى ﴾(١) ومن قولهم: ﴿ نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾(٢) فعلى قوله هذا «إلا» بمعنى «لكن» يعنى: لايعلمون الكتاب لكن يتمنون أشياء لاتحصل لهم.

﴿ وإن هم إلا يظنون ﴾ قال مجاهد: يكذبون. ولم يعرف أهل البصرة الظن بمعنى الكذب؛ فقالوا: معناه: إلا يخرصون.

قوله تعالى: ﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنهم كانوا يكتبون من عندهم أشياء، ثم يقولون للأعراب: هذا من عند الله، يبتغونها منهم. وقيل: أراد به ما غيروا بأيديهم من نعت محمد ﷺ فى التوراة؛ فإنه كان فيها أنه أكحل أعْيَنْ، ربعة، سبط الشعر، فكتبوا فيها أنه أشقر، أزرق طويل القامة، جعد الشعر.

﴿ ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم ﴾ اختلفوا فى الويل؛ قال أبو سعيد الخدرى - ويروى ذلك مرفوعا عن النبى ﷺ أيضا - «إن الويل واد فى جهنم يهوى فيه الكافر سبعين خريفا»(٣).

وقال عثمان: هو جبل من نار. وأصل الويل: الهلاك ودعاء العذاب، فإن قيل: ما

(١) البقرة: ١١١.

(٢) المائدة: ١٨

(٣) أخرجه الترمذى (٥/٣٠٠ رقم ٣١٦٤)، وقال: غريب. وأحمد فى مسنده (٣/٧٥)، وابن حبان فى صحيحه (١٦/٥٠٨رقم ٧٤٦٧)، والحاكم فى مستدركه (٢/٥٠٧، ٥٣٤، ٤/٥٩٦) وقال: صحيح الإسناد جميعهم من طريق دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد مرفوعاً، وعندهم جميعاً: «أربعين خريفا». وقال الحافظ ابن كثير فى البداية (١/١٠٧): وهذا الحديث بهذا الإسناد مرفوعا منكر، والله أعلم.

لَن تَمسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ

معنى قوله: ﴿مما كتبت أيديهم﴾ و[١] الكَتْبُ لا يكون إلا باليد؟ قيل: ذكره مبالغة في التحقيق. وقيل: معناه أنهم كتبوا بأنفسهم اختراعا.

﴿وويل لهم مما يكسبون﴾ من المعاصى.

قوله تعالى: ﴿وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة﴾ اختلفوا فيه، منهم من قال: أرادوا به أربعين يوما عدد ما عبدنا العجل.

ومنهم من قال: سبعة أيام. لأن مقدار زمان العالم سبعة آلاف سنة فقالوا: نعذب بكل ألف سنة يوما.

وقيل: إنهم قالوا: سمعنا أنبياءنا أنهم قالوا: ما بين طرفى جهنم مسيرة أربعين سنة فنحن نقطع فى كل يوم مسيرة سنة فتبقى مسيرة جهنم فى أربعين يوما وننجو منها.

﴿قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده﴾ معناه: أنى لكم بهذا؛ قول من الله؟ فلا يخالف قوله. قوله: ﴿أم تقولون على الله ما لاتعلمون﴾.

قوله تعالى: ﴿بلى من كسب سيئة﴾ «بلى» تذكر فى جواب النفى. «ونعم» تذكر فى جواب الإيجاب. قال الله – تعالى –: ﴿ألست بربكم قالوا بلى﴾[٢].

وقال: ﴿ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى﴾[٣]. وقال: ﴿فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم﴾[٤]. ﴿بلى من كسب سيئة﴾ السيئة: الشرك. ﴿وأحاطت به خطيئته﴾ أى: مات على الشرك.

وقيل: أراد بالسيئة: الكبيرة. ﴿وأحاطت به خطيئته﴾ أى: أصر عليها، ومات

(١) ليست فى «الأصل»، ولا «ك».

(٢) الأعراف: ١٧٢.

(٣) الزمر: ٧١.

(٤) الأعراف: ٤٤.

بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ

غير تائب. وقال ابن السراج النحوى: معناه: انسدت عليه مسالك النجاة. ﴿فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾.

قوله تعالى: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ إلى آخر الآية، ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لاتعبدون إلا الله﴾ قرأ أبى بن كعب وابن مسعود: «لاتعبدوا إلا الله» على الأمر، والقراءة المعهودة «لاتعبدون».

وتقرأ بالياء(١) والتاء(٢) ومعناهما واحد؛ فإن العرب قد تذكر المخاطبة فى (موضع)(٣) المغايبة، والمغايبة فى موضع المخاطبة. وفى هذا الميثاق عهد وقسم، وتقديره: والله لاتعبدون إلا الله.

﴿وبالوالدين إحسانا﴾ أى: وأحسنوا بالوالدين إحسانا. والإحسان بهما البر والعطف والتحنن، والنزول عند أمرهما فيما لايخالف أمر الله - تعالى -. ﴿وذى القربى﴾ أى: أهل القرابات. ﴿واليتامى﴾ اليتيم: اسم لمن لا أب له من الآدميين. ولمن لا أم له من البهائم، وهو اسم للفقير منهم.

وقال على - رضى الله عنه -: «حفظت لكم عن رسول الله ﷺ ستا: لا طلاق قبل النكاح، ولا عتاق فى غير الملك، ولا نذر فى معصية الله، ولا يُتْمَ بعد الحُلُم، ولا صمت يوم إلى الليل. ولا صوم وصال»(٤). ﴿والمساكين﴾ هم الفقراء كما سبق.

(١) هى قراءة ابن كثير، وحمزة، والكسائى. انظر النشر (٢/ ٢١٨).

(٢) وهى قراءة الباقين. انظر المصدر السابق.

(٣) فى «ك»: معنى.

(٤) أخرج أبو داود بعضه فى سننه (٣/ ١١٥ رقم ٢٨٧٣)، وهو بطوله عند عبد الرزاق فى المصنف (٦/ ٤١٦ رقم ١١٤٥٠) وابن عدى فى الكامل (٢/ ١٢٢) باختصار والطبرانى فى الصغير (١/ ١٦٩ رقم ٢٦٦) والدارقطنى فى العلل (٤/ ١٤٢)، والبيهقى فى السنن (٧/ ٤٦١)، وصوب الدارقطنى وقفه، وقال الهيثمى فى المجمع (٤/ ٣٣٧): ورجاله ثقات. وانظر تخريجه فى الإرواء للشيخ الألبانى حفظه الله (٥/ ٨٠ - ٨٣/ رقم ١٢٤٤).

بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلا

﴿ وقولوا للناس حسنا ﴾ تقرأ بقراءتين حَسَناً[١] وحُسْناً[٢].

وتقديره: وقولوا للناس قولا حسنا، أو وقولوا للناس قولا ذا حسن. وفى معناه ثلاثة أقوال، أحدها: قال سفيان الثورى: القول الحسن هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. والقول الثانى: أنه اللين فى القول، والمعاشرة بحسن الخلق.

والقـول الثالث: أنه خطاب لأهل التوراة يعنى: وقولوا للناس صدقا فى نعت محمد ﷺ فى التوراة.

﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ سبق تفسيره.

﴿ ثم توليتم ﴾ أعرضتم ﴿ إلا قليلا منكم ﴾ وذلك أن فريقا منهم قد آمنوا ﴿ وأنتم معرضون ﴾ كإعراض آبائكم.

قوله تعالى: ﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم لاتسفكون دماءكم ﴾ أى: لا يسفك بعضكم دماء بعض.

وقيل: لا تسفكوا دماء غيركم فتسفك دماؤكم؛ فكأنكم سفكتم دماء أنفسكم.

﴿ و لا تخرجون أنفسكم من دياركم ﴾ أى: لايخرج بعضكم بعضا.

وقيل: معناه: لاتسيئوا جوار من جاوركم؛ فتلجئوهم إلى الخروج؛ بسوء الجوار.

﴿ ثم أقررتم ﴾ أى: قبلتم ﴿ وأنتم تشهدون ﴾ تعترفون بالقبول.

قوله تعالى: ﴿ ثم أنتم هؤلاء ﴾ يعنى: ياهؤلاء ﴿ تقتلون أنفسكم ﴾ (بقتل)[٣] بعضكم بعضا.

---

(١) هى قراءة: حمزة، والكسائى، ويعقوب، وخلف، بفتح الحاء والسين. انظر النشر (٢/٢١٨).

(٢) هى قراءة الباقين، بضم الحاء، وإسكان السين. انظرالمصدر السابق.

(٣) فى «ك»: يقتل.

تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ

﴿وتخرجون فريقا منكم من دياركم تظاهرون﴾ يقرأ بالتشديد والتخفيف(١) وأصله: تتظاهرون. فأدغمت التاء فى الظاء. فصار مشددا ومعناه: تعاونون.

﴿عليهم بالإثم والعدوان﴾ فالإثم والعدوان: المبالغة فى الظلم. وقد روى: «أن النواس بن سمعان سأل رسول الله ﷺ ما البر؟ فقال: ما اطمأنت إليه نفسك، قال: ما الإثم؟ فقال ﷺ: ما حاك فى صدرك»(٢).

قوله تعالى: ﴿وإن يأتوكم أسارى﴾ يقرأ بقراءتين «أَسْرى، وأُسَارى»(٣) وفرق أبو عمرو بينهما فى المعنى، فقال: الأسارى لمن كان فى اليد مع الوثاق. والأسرى: لمن كان فى اليد من غير وثاق، ولم يرضوا منه بهذا الفرق، والصحيح :أنهما واحد.

﴿تفدوهم﴾ و﴿تفادوهم﴾ قراءتان(٤). قيل: هما فى المعنى واحد، وقيل: (تفادوهم)(٥) تقال فى فداء الأسرى بالأسرى. وتفدوهم فى الفداء بالمال.

﴿وهو محرم عليكم إخراجهم﴾ فيه تقدير وتأخير. وتقديره: وتخرجون فريقا منكم من ديارهم؛ وهو محرم عليكم إخراجهم؛ تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان.

﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض﴾ لأنهم خالفوا فى البعض وامتثلوا فى البعض.

---

(١) قرأ الكوفيون: حمزة، وعاصم، الكسائى، وخلف بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد. انظر النشر (٢/٢١٨)، وتفسير القرطبى (٢/٢١).

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه (١٦/١٦٧ - ١٦٨ رقم ٢٥٥٣)، والترمذى (٤/٥١٥ رقم ٢٣٨٩)، وقال: حسن صحيح وأحمد فى مسنده (٤/١٨٢)، وابن حبان فى صحيحه (٢/١٢٣ رقم ٣٩٧).

(٣) قرأ حمزة «أَسْرَى»، بفتح الهمزة، وسكون السين، من غير ألف، وقرأ الباقون «أُسَارى» بضم الهمزة وألف بعد السين، انظر النشر (٢/٢١٨)، وتفسير القرطبى (٢/٢١).

(٤) قرأ نافع وحمزة، والكسائى ويعقوب: «تفادوهم» وقرأ الباقون: «تفدوهم» انظر المصادر السابقة.

(٥) فى «ك»: تفادونهم.

وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ

قال السدى – فى كشف معنى الآية –: إنهم أمروا بأربعة أشياء: أن لايقتل بعضهم بعضا. وأن لايخرج بعضهم بعضا. وأن لايتعاونوا على الإثم والعدوان. وأن يفادوا الأسارى. فخالفوا فى الثلاث وامتثلوا فى المفاداة.

والقصة فيه: أن بنى قريظة كانو ا حلفاء الأوس، وبنو النضير كانوا حلفاء الخزرج وكانت بين القبيلتين مقاتلة، فوقعت المقاتلة بين حلفاء القبيلتين، ثم إذا وقع أسير من حلفاء إحدى القبيلتين فى يد أخرى القبيلتين فأداه حلفاء القبيلة الأخرى، مع كون الأسير من عدوهم، فإذا قيل لهم: لم تفادون؟ قالوا: أمرنا بالمفاداة. فإذا قيل لهم: لم تقاتلون؟ قالوا: نحن حلفاؤهم فلابد لنا من القتال معهم فهذا معنى الآية.

وقوله تعالى: ﴿ فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ﴾ يقال: خَزِىَ يُخْزَى خِزْيًا، من الذل والهوان. وخَزِىَ يَخْزَى خِزَاية. من الخجل والاستحياء والافتضاح. ومنه قول الشاعر:

و الموت خزيان ينظر خزيان

أى: مستحى.

﴿ ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعلمون ﴾.

﴿ أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ﴾ اختاروا الدنيا على الآخرة.

﴿ فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ﴾ يمنعون العذاب.

قوله تعالى: ﴿ ولقد آتينا ﴾ أعطينا ﴿ موسى الكتاب ﴾ التوراة ﴿ وقفينا من بعده بالرسل ﴾ أتبعنا. أى: يقفو رسولٌ رسولاً.

﴿ وآتينا عيسى ابن مريم البينات ﴾ فيه قولان؛ أحدهما: أنها المعجزات التى أوتى

﴿٨٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا

عيسى من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، ونحو ذلك.

والقول الثانى: أنها الإنجيل. ﴿وأيدناه﴾ قويناه من الأيد. وهو القوة.

﴿بروح القدس﴾ اختلفوا فى الروح، قال الحسن وقتادة - وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس - أنه أراد به جبريل. وقيل: إنه أمر أن يسير معه حيث سار حتى صعد به إلى السماء. وقيل: إن الروح هو الاسم الأعظم الذى كان يحيى به الموتى. وقيل هو الإنجيل.

وإنما سمى روحا؛ لأنه كان سببا لحياة القلوب؛ ولذلك سمى القرآن روحا.

وسمى عيسى روحا؛ لأنه حصل بتكوين الله من غير توليد والد.

وأما جبريل: فإنما سمى روحا؛ للطافته، أو لمكانه من الوحى الذى هو سبب لحياة القلوب.

وأما القدس: قيل: إنه نعت جبريل. وأصل القدس: الطهارة. ومنه القَدُّوس: وهو الطهارة. والأرض المقدسة: المطهرة؛ وإنما وصف جبريل بالقدس لأنه لم يقترف ذنبا قط. وكان طاهرا من الذنوب.

وقيل: القدس هو الله - تعالى -.

قوله تعالى: ﴿أفكلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم﴾ لا تريد قلوبكم ﴿استكبرتم﴾ أَنِفْتُمْ وتعظمتم ﴿ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون﴾.

فالمُكَذَّبون: مثل عيسى ومحمد. والمقتولون: مثل زكريا ويحيى - صلوات الله عليهم أجمعين -.

قوله تعالى: ﴿وقالوا قلوبنا غلف﴾ قرأ ابن عباس: غُلُف بضم اللام، وهو قراءة الأعرج وابن محيصن؛ وهو من الشواذ.

لا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ

والقراءة المعهودة بجزم اللام، وهم جمع الأغلف، ومعناه: قلوبنا فى أوعية مما تقول لانفهم شيئا من ذلك وهذا مثل قوله - تعالى -: ﴿وقالوا قلوبنا فى أكنة﴾(١).

وأما الغُلُف: بضم اللام: جمع الغلاف. ومعناه: قلوبنا أوعية العلم، وليس فيها مما تقول شيء. أى: ما تقوله فليس بشيء.

﴿بل لعنهم الله بكفرهم﴾ طردهم الله عن الفهم والرحمة. وأصل اللعن: الطرد والإبعاد وقال الشاعر:

ذغرق(٢) به القطا ونَفَيْتُ عنه   مقامَ الذئبِ كالرجلِ اللعينِ

أى: مقام الذئب اللعين، يعنى: المطرود.

﴿فقليلا ماتؤمنون﴾ قيل: أراد به المشركين ومعناه: قليل إيمانهم والمراد [به](٣) إيمانهم بأن الله خالقهم وخالق السموات و الأرض.

وقيل: أراد به أهل الكتاب؛ لأن الذين آمنوا منهم أقل من الذين آمنوا من المشركين.

وقيل: معناه: فلا يؤمنون أصلا.

وحكى الكسائى عن العرب: قلَّ ما تنبت هذه الأرض إلا الكراث والبصل. أى: لاتنبت إلا الكراث والبصل.

قوله تعالى: ﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله﴾ يعنى القرآن. ﴿مصدق لما معهم﴾ من التوراة والإنجيل.

﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا﴾ يستنصرون؛ ومنه قول الشاعر:

---

(١) فصلت: ٥.

(٢) كذا فى «الأصل»، و«ك»، وفى لسان العرب (مادة: لعن)، وتفسير القرطبى (٢/ ٢٦): ذَعَرْتُ.

(٣) فى «الأصل»، و«ك»: بهم.

مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ

ألا أبلغ بنى عصم رسولا فإنى عن قباحتكم غنى(١)

أى: عن نصرتكم.

وفى الخبر: «أن النبى ﷺ كان يستفتح بصعاليك المهاجرين»(٢). أى يستنصر بهم فى الدعاء للغزوات.

ومعنى الآية: أن المشركين من قبل كانوا يؤذون اليهود فربما تكون الغلبة لهم على اليهود فى القتال؛ فقالت اليهود: اللهم انصرنا بالنبى الأمى الذى تبعثه فى آخر الزمان، فكانوا ينصرون به، فلما بعث كفروا به. فهذا معنى قوله: ﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾.

قوله تعالى: ﴿بئسما اشتروا﴾ بِئْسَ: اسم مستوف لكل ذم. ونِعْمَ: اسم مستوف لكل حمد. ﴿اشتروا به أنفسهم﴾ اختاروا لأنفسهم ﴿أن يكفروا بما أنزل الله﴾ من القرآن ﴿بغيا﴾ حسدا. والبغى: الظلم. وأصله الطلب؛ فالباغى طالب للظلم. والحاسد: ظالم لأنه يريد زوال النعمة عن المحسود من غير جناية منه. ﴿أن ينزل الله من فضله﴾ من النبوة: ﴿على من يشاء من عباده﴾ من الأنبياء.

﴿فباءوا﴾ أى: رجعوا ﴿بغضب على غضب﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الغضب الأول عبادة العجل. والغضب الثانى الكفر بمحمد.

والقول الثانى :أن الغضب الأول تكذيب عيسى. والغضب الثانى تكذيب محمد ﷺ.

والقول الثالث: أن الغضب الأول الكفر بالإنجيل. والغضب الثانى الكفر بالقرآن.

﴿وللكافرين عذاب مهين﴾ أى: مخزٍ.

---

(١) كذا فى «الأصل»، و«ك»، وفى لسان العرب (مادة: فتح)

أَلا مَنْ مُبْلِغٌ عمراً رسولاً فإنى عن فُتَاحَتِكم غَنِىٌّ

(٢) أخرجه أبو عبيد فى غريب الحديث (١/ ٣٠٩ رقم ٩٤) والطبرانى فى الكبير (١/ ٢٩٢ رقم ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩) من حديث أمية بن خالد بن أسيد. وقال المنذرى فى الترغيب: رواته رواة الصحيح، وهو مرسل (٤/ ٩٠). قلت: وأمية ذكر الحافظ ابن حجر أنه لا صحبة له. وانظر الإصابة (١/ ١٢٧ - ١٢٨).

أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ

قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله﴾ من القرآن. ﴿قالوا نؤمن بما أنزل علينا﴾ يكفينا ما أنزل علينا من التوراة.

﴿ويكفرون بما وراءه﴾ قال أبو عبيدة: بما بعده. قال الفراء: بما سواه من الكتب. وهو الأصح. ﴿وهو الحق﴾ يعني: القرآن ﴿مصدقا لما معهم﴾ من التوراة. ﴿قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين﴾ فإن قال قائل: القتل كان من آبائهم فكيف خاطب الأبناء به؟

الجواب قلنا: قتل الأنبياء وإن وجد من الآباء لكن الأبناء رضوا به، ووالوهم عليه؛ فلهذا خاطب الأبناء به. وأيضا فإنه قال: ﴿فلم تقتلون أنبياء الله من قبل﴾ على صيغة الاستقبال، فكان اللائق بالحال أن يقول فلم قتلتم؟

وأما قوله: ﴿فلم تقتلون﴾ معناه: فلم قتلتم، لكن العرب قد تضع الماضي في موضع المستقبل، والمستقبل في موضع الماضي، والدليل عليه قوله: ﴿من قبل إن كنتم مؤمنين﴾ يعني في زعمكم.

وقيل: معناه: ما كنتم مؤمنين على النفي. كقوله تعالى: ﴿قل إن كان للرحمن ولد﴾(١) أي: ما كان للرحمن ولد. وفيه قول آخر سيأتي.

قوله تعالى: ﴿ولقد جاءكم موسى بالبينات﴾ بالمعجزات. ﴿ثم اتخذتم العجل من بعده﴾ في الهاء قولان: أحدهما: أنه عائد إلى موسى والثاني: عائد إلى المجيء. ﴿وأنتم ظالمون﴾ بذلك.

قوله تعالى: ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة﴾ قد ذكرناه. ﴿واسمعوا﴾ واقبلوا ﴿قالوا سمعنا وعصينا﴾ يعني: سمعنا بالآذان

(١) الزخرف: ٨١.

مُصدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ وَلَقَدْ
جَاءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ
أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا

وعصينا بالقلوب.

وقيل: إنهم لما سمعوا وخالفوا بالعمل؛ فكأنهم قالوا: سمعنا وعصينا. وإن لم يقولوا ذلك ومثله قول الشاعر:

امتلأ الحوض وقال قطنى ... مهلا رويدا قد ملأت بطنى

فقدر القول من الحوض وإن لم يقل شيئا.

﴿وأشربوا﴾ أى: خُلطوا، ومنه فلان مشرب اللون إذا اختلط بياضه بالحمرة. ﴿فى قلوبهم العجل﴾ أى: حب العجل. فحذف المضاف، واكتفى بالمضاف إليه، ومثله قول الشاعر:

وكيف تواصل من أصبحت ... خلالته كـأبى مرحـــب

أى كخلالة أبى مرحب.

وفى القصص: أن موسى - صلوات الله عليه - أمر أن يبرد العجل بالمبرد، ثم أمر أن يذر فى النهر، وأمرهم بالشرب منه، فكل من بقى فى قلبه شىء من حب العجل ظهرت سحالة الذهب على شاربه. ﴿قل بئسما يأمركم به إيمانكم﴾ أى: بئس إيمان يأمر بهذا. ﴿إن كنتم مؤمنين﴾.

قوله تعالى: ﴿قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس﴾ لأنهم قالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى؛ فعيرهم بذلك.

﴿فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾ لأن من علم بدخول الجنة إذا مات يتمنى الموت ولايشق عليه أن يموت.

قوله تعالى: ﴿ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم﴾ أخبر أنهم لن يتمنوا ذلك،

سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا

كأن الله صرفهم عن تمنى الموت؛ تصديقا للرسول، وتحقيقا لمعجزته، إذ كان يمكن أن يتمنى بعضهم ذلك تكذيبا للرسول ﷺ.

وفى الخبر قال ﷺ: «لو تمنوا ذلك لأخذهم الموت فى الحال»(١).

﴿والله عليم بالظالمين﴾ منهم. قوله: ﴿ولتجدنهم أحرص الناس على حياة﴾ يعنى اليهود. ﴿ومن الذين أشركوا﴾ أى: وأحرص من الذين أشركوا. وهو مثل قولهم: «فلان أسخى الناس ومن هرم» أى: وأسخى من هرم.

يريدون به هرم بن سنان. كان رجلا معروفا بالسخاوة، وله شاعر يقال له: «زهير بن أبى سلمى».

والمراد بالذين أشركوا ها هنا: المجوس وذلك أنهم يقول بعضهم لبعض: عش ألف سنة «بزء هزا رسال» فأخبر الله - تعالى - أن اليهود أحرص الناس على حب الحياة ومن المجوس الذين يقولون ذلك.

﴿يود أحدهم لو يعمر ألف سنة﴾ كما وصفنا ﴿وما هو بمزحزحه﴾ بمبعده ﴿من العذاب أن يعمر﴾ يعنى لايبعدهم طول العمر من العذاب.

﴿والله بصير بما يعملون﴾ ظاهر المعنى.

قوله - تعالى -: ﴿قل من كان عدوا لجبريل﴾ فى سبب نزول الآية قولان:

(١) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (١/٢٤٨)، والنسائى فى التفسير من الكبرى (٦/٣٠٨ رقم ١١٠٦١)، وابن جرير الطبرى فى تفسيره (١/٣٣٦)، وأبو يعلى فى مسنده (٤/ ٤٧١ - ٤٧٢رقم ٢٦٠٤) جميعهم من حديث ابن عباس بنحو هذا، وفى بعض سياقه زيادة. وعزاه الهيثمى فى المجمع (٦/٣١٧) للبزار وقال: رجاله رجال الصحيح. وفى موضع آخر (٨/٢٣١) قال: ورجال أبى يعلى رجال الصحيح.

قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ

أحدهما: أن عمر - رضى الله عنه - قال لليهود: أنشدكم بالرحمن الذى أنزل التوراة على موسى هل تجدون محمدا فى كتابكم؟ فسكتوا. ثم عاودهم ثانيا، فقالوا: نعم. قال عمر: فلم لم تؤمنوا به؟ قالوا: لأنه ينزل عليه جبريل؛ وهو عدونا؛ وهو الذى يأتى بالعذاب، ولو نزل عليه ميكائيل لآمنا به. فقال عمر: أشهد أن من كان عدوا لجبريل فهو عدو لميكائيل، ومن كان عدوا لهما فالله عدو له، فنزلت الآية على وفق قول عمر(١).

وقد روى عن عمر - رضى الله عنه - أنه قال: «وافقت ربى فى ثلاث».

ويروى «وافقنى ربى فى ثلاث». أحدها: هذا والثانى: آية الحجاب؛ وذلك قوله - تعالى -: ﴿وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب﴾(٢).

والثالثة(٣): الصلاة خلف مقام إبراهيم، وذلك قوله تعالى: ﴿واتخذوا من مقام إبرهيم مصلى﴾(٤).

والقول الثانى: فى سبب نزول الآية: «أن ابن صوريا الأعور - وكان أعلم اليهود - أتى النبى ﷺ وقال: إنى سائلك مسائل لايعرفها إلا نبى، فإن أجبتنى عرفتك صادقا. فقال: سل. قال ابن صوريا: ما علامة النبى؟ قال: أن تنام عيناه ولا ينام قلبه. قال: صدقت. ثم قال: كيف خَلْقُ الولد من الماءين؟ قال: إذا علا ماء الرجل ماء المرأة أذكر بإذن الله، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل أنث بإذن الله.

وقال: ومن ينزل عليك من الملائكة؟ قال جبريل فقال: لو نزل عليك ميكائيل لآمنا

(١) فى «ك»: هاهنا.
(٢) الأحزاب: ٥٣.
(٣) فى «ك» الثالث.
(٤) البقرة: ١٢٥

نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ

بك؛ فإنه عدونا فنزل قوله - تعالى -: ﴿قل من كان عدوا لجبريل﴾»(١).

وفيه أربع قراءات: «جِبريل» على الكسر واللين، «وجَبريل» على الفتح واللين، «وجَبْرَئيل» على الفتح والهمزة والإشباع «وجَبرئيل» على الفتح والهمز من غير إشباع(٢).

و«جبر» بمعنى العبد، و«ئيل» اسم الله، وكذلك ميكائيل، ومعناه: «عبد الله»، أو «عبد الرحمن». كذا قال ابن عباس، والحسن بن علي.

فجبريل على وزن قنديل وبرطيل وزنبيل، وجبرئيل على وزن عندليب، وجبريل لامثال له.

﴿فإنه نزله على قلبك﴾(٣) يعني: قلب محمد ﴿بإذن الله مصدقا لما بين يديه﴾ من التوراة والإنجيل ﴿وهدى وبشرى للمؤمنين﴾.

قوله - تعالى -: ﴿من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل. [وميكال](٤) فإن الله عدو للكافرين﴾. هذا الذي نزل على وفق قول عمر - رضي الله عنه - وقوله: ﴿وجبريل (وميكال)(٤)﴾ وإن دخل في جملة الملائكة الرسل؛ لكن خصهما بالذكر تشريفا.

قوله تعالى: ﴿ولقد أنزلنا إليك آيات بينات﴾ يعني القرآن وآياته. ﴿وما يكفر بها إلا الفاسقون﴾ أي: الكافرون.

قوله تعالى: ﴿أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم﴾ قيل: أراد به العهد الذي

(١) قد روى نحو هذا من غير ذكر ابن صوريا، وفي سياقه زيادة عما هاهنا من حديث ابن عباس أخرجه النسائي في الكبرى (٥/٣٣٦ - ٣٣٧ رقم ٩٠٧٢)، وأحمد في مسنده (١/٢٧٤)، والطبري في تفسيره (١/٣٤٢)، وابن أبي حاتم مختصراً (١/ ٢٨٨ - ٢٨٩ رقم ٩٥٨) وأبو نعيم في الحلية (٤/٣٠٥) وغيرهم.

(٢) انظر النشر (٢/٢١٩)، وتفسير القرطبي (٢/٣٧).

(٣) أثبت في الأصل، و«ك»: مصدقا، وهي مقحمة هنا، وستاتي في سياق الآية.

(٤) في الأصل: ميكائيل.

﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلاَّ الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ

أخذه الله على اليهود أن يؤمنوا بمحمد؛ فخالفوا ونبذوا.

وقيل: هو العهد الذى أخذه رسول الله ﷺ على بنى قريظة والنضير أن لايعاونوا المشركين على قتاله. فخالفوا ونبذوا. والنبذ. الطرح، ومنه قول الشاعر:

نظرت إلى عنوانه فنبذته   كنبذك نعلا أخلقت من نعالكا

﴿بل أكثرهم لايؤمنون﴾ وقد آمن قليل منهم.

قوله تعالى: ﴿ولما جاءهم رسول من عند الله﴾ يعنى: محمدا.

﴿مصدق لما معهم﴾ من الكتب ﴿نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم﴾ أراد به التوراة.

قال الشعبى: كانوا يقرءون التوراة ولايعملون بها. فكذلك نبذهم.

وقال سفيان الثورى: أدرجوها فى الحرير والديباج ،وحلوها بالذهب والفضة، ثم لم يعملوا بها، فهم نابذون.

وقيل: أراد بالكتاب القرآن ﴿كأنهم لايعلمون﴾ أى: لما خالفوا ما علموا كأنهم لايعلمون.

قوله تعالى: ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين﴾ يعنى: اليهود ﴿ما تتلوا الشياطين﴾ أى: ما تلت، مستقبل بمعنى الماضى. قال الحطيئة:

شهد الحطيئة حين يلقى ربه   أن الوليد أحق بالغدر

يعنى: يشهد.

ومعنى قوله: ﴿تتلوا﴾ أى: تحكى وتقص ﴿على ملك سليمان﴾ على عهد

اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا

ملك سليمان. وقيل: فى ملك سليمان. والقصة فى ذلك: ما روى أن فى زمن سليمان صلوات الله عليه - كانت سحرة، ولهم فى ذلك كتب، فانتزع سلمان كتب السحر(١) من أيديهم ودفنها فى صندوق تحت كرسيه، فلما توفى قالت الشياطين للإنس: ألا ندلكم على كنز كان سليمان يفعل به ما كان: فاستخرجوا تلك الكتب. وقال الجهال منهم: به كان يفعل سليمان ما يفعل.

وقيل: لَمَّا لم نزع الله الملك من سليمان، كتب الشياطين كتب السحر، ودفنوها تحت الكرسى، فلما رد الله الملك إليه. بقى ذلك السحر مدفونا كما كان، فلما توفى سليمان استخرجوا تلك الكتب وقالوا إن سليمان كان يفعل به ما يفعل. وقيل: إن الشيطان تمثل فى صورة النبى وقال لهم ذلك. وقيل: إنه وسوس إليهم ذلك، فهذا الذى تلت الشياطين على ملك سليمان. ﴿**وما كفر سليمان**﴾ أى: وما سحر سليمان. وقيل: أراد به الكفر المعهود.

﴿ولكن الشياطين كفروا﴾ يقرأ مخففا ومشددا فإذا شدد عمل فى نصب الشياطين(٢). وإذا خفف بقى على الرفع ﴿كفروا﴾ سحروا. ويحتمل الكفر المعهود ﴿يعلمون الناس السحر﴾ والسحر فى اللغة عبارة عن تمويهات وتخييلات وخدع، قال امرؤ القيس:

أرانا موضعين (لحتم)(٣) غيب ونسحر بالطعام وبالشراب

أى: نخدع.

وقال الفراء: السحر: قول يقوله إنسان يأخذ به الرجل عن امرأته.

---

(١) فى «ك» السحرة.

(٢) قرأ ابن عامر، وحمزة والكسائى، وخلف بتخفيف النون من «ولكن»، ورفع الاسم بعدها. وقرأ الباقون بالتشديد، والنصب. (٣) فى «ك»: لحتم.

أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا

وحكى عن الشافعى أنه قال: السحر يحيل ويمرض وقد يقتل. والسحر يتحقق وجوده على مذهب أهل السنة ويؤثر، ولكن العمل به كفر، وتأثيره ماذكرنا، وقيل: إنه يؤثر فى قلب[١] الأعيان؛ فيجعل الآدمى على صورة الحمار، والحمار على صورة الكلب. والأصح أنه يُخَيِّل ذلك كما بينا.

وقد سحر رسول الله ﷺ فأثر فيه؛ روى: «أن لبيد بن أعصم اليهودى سحر النبى ﷺ حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشىء ولا يفعله، فأطلعه الله عليه، فأمر به فاستخرج من بئر ذى [أروان][٢] وكان عليه إحدى عشرة عقدة؛ فأنزل الله - تعالى - عليه المعوذتين؛ إحدى عشرة آية، فكلما قرأ آية انحلت عقدة، حتى إذا انحلت العقد فكأنما أُنْشِطَ من عقال»[٣].

قوله تعالى: ﴿وما أنزل على الملكين﴾ قرئ على النفى[٤] وهو محكى عن عطية بن عوف، فعلى هذا فى الآية تقديم وتأخير، تقديره: وما كفر سليمان، وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ولكن الشياطين كفروا، يعلمون الناس السحر، وما يعلمان من أحد وهذا قول غريب.

والصحيح: أن «ما» بمعنى «الذى»، يعنى: والذى أنزل على الملكين.

وقرأ ابن عباس على «الملكين» بكسر اللام وهو فى الشواذ. قال الحسن البصرى: هما كانا علجين من علوج بابل، ولم يكونا ملكين.

والصحيح أنهما كانا ملكين وهو القراءة المعهودة.

والقصة فى ذلك ما حكى ابن عمر عن كعب الأحبار؛ وهو قول عطاء بن أبى رباح، وجماعة من المفسرين قالوا: إن الملائكة تعجبوا من كثرة معاصى بنى آدم، فقال

---

(١) من «ك»، وفى الأصل»: أروان.

(٢) فى «ك»: ذروان.

(٣) متفق عليه من حديث عائشة. أخرجه البخارى فى صحيحه (١٠/ ٢٤٣ رقم ٥٧٦٥)، ومسلم (١٤/ ٢٥٠ رقم ٢١٨٩).

(٤) انظر تفسير القرطبى (٢/ ٥١).

نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم

لهم الله - تعالى -: لو أنزلتكم إلى الأرض. وركَّبت فيكم ما ركَّبت فيهم؛ لفعلتم مثل ما فعلوا. فاختاروا من خيارهم ملكين؛ هاروت وماروت؛ فأنزلهما الله - تعالى - إلى الأرض، وأخذ عليهما أن ألاّ يشركا ولايقتلا، ولايزنيا. قال كعب: فما مضى عليهما اليوم إلا (وفعلا)[1] الكل.

وفى القصة: أن المَزْنِيَّ بها كانت زهرة؛ فمسخت شهابا، ورفعت إلى السماء، فكان ابن عمر كلما رآها لعنها.

وفى القصة: أنهما لما ارتكبا ذلك خيرهما الله - تعالى - بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة؛ فاختارا عذاب الدنيا؛ فعلقا بأرجلهما.

قال عطاء بن أبى رباح رؤوسهما [مطوية][2] تحت أجنحتهما.

وأما بابل: قال ابن مسعود: هى أرض الكوفة. وقيل: هو جبل دماوند. وقيل: هو من نصيبين إلى رأس العين. وإنما سمى بابل لأنه تبلبلت فيه الألسن. أى: تفرقت وانتشرت فى البلاد.

﴿وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر﴾ والفتنة: الابتلاء. ومنه يقال: فتنت الذهب فى النار. أى: اختبرته، ليتبين الجيد من الردىء.

فإن قيل: ما معنى إنزال السحر على الملكين، وما معنى تعليم السحر من الملكين، وكلاهما مستبعد؟!.

قيل: أما إنزال السحر: بمعنى التعليم والإلهام يعنى عُلِّمَا وأُلْهِمَا السحر.

وقيل: هو حقيقة الإنزال، وهو إنزال هيئة السحر وكيفيته؛ لينتهوا عنه، وأما تعليم السحر من الملكين: بمعنى الإعلام. ومثله قول الشاعر:

---

(١) فى «ك»: وقعا.

(٢) فى «الأصل»: مصوبة.

بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا

تعَلَّمْ أن بعدَ [الْغَيِّ رشدا](١) وأن لهـــذه الغبَرُ انقشـــاعًا

يعنى: اعلم.

وقيل: هو على حقيقة التعليم، ثم فيه قولان: أحدهما: أنهما يعلمان كيفية السحر لينتهوا) عنه(٢) كان الرجل يأتيهما فيقول: ما الذى نهى الله عنه؟ فيقولان: الشرك. فيقول: وما الشرك؟ فيقولان: كذا وكذا.

ويأتيهما آخر فيقول: ما الذى نهى الله عنه؟ فيقولان: السحر. فيقول: وما السحر؟ [فيعلمانه](٣) كيفية السحر لينتهى عنه، وكذا فى كل المعاصى.

والقول الثانى: أنه تعليم ابتلاء، سلطهما الله على تعليم السحر ابتلاء للناس حتى أن كل مَنْ تعلم واعتقد وعمل به كفر.

ومن لم يتعلم ولم يعمل به؛ لم يكفر. والدليل عليه قوله - تعالى -: ﴿إنما نحن فتنة﴾ أى: بلية ﴿فلا تكفر﴾ أى: لاتتعلم السحر. فتعمل به؛ فتكفر.

وقوله - تعالى -: ﴿فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾ يعنى السحر الذى يؤخذ به الرجل عن امرأته كما وصفنا.

﴿وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله﴾ معناه: إلا بتكوين الله، فالساحر يسحر، والله يُكَوِّن.

قال سفيان الثورى: معناه: إلا بقضاء الله وقدره.

﴿ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم﴾ يعنى: السحر يضرهم ولا ينفعهم.

﴿ولقد علموا لمن اشتراه﴾ اختاره ﴿ماله فى الآخرة من خلاق﴾ من نصيب.

---

(١) فى الأصل: الرشد غيا.

(٢) ما بين القوسين سقط من «ك».

(٣) فى الأصل: فيعلمان.

يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ

﴿ولبئس ماشروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون﴾ بئس اختيارا اختاروه لأنفسهم.

فإن قيل: أليس قد قال: ﴿ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق﴾ فما معنى قوله: ﴿لو كانوا يعلمون﴾ وقد أخبر أنهم قد علموا؟

قيل: أراد بقوله: ﴿ولقد علموا﴾ الشياطين. وبقوله: ﴿لو كانوا يعلمون﴾ اليهود.

وقيل: كلاهما فى اليهود؛ لكنهم لما لم يعملوا بما علموا؛ فكأنهم لم يعلموا.

قوله – تعالى –: ﴿ولو أنهم آمنوا واتقوا﴾ آمنوا بك يا محمد ﴿واتقوا﴾ الكفر والسحر ﴿لمثوبة﴾ لثواب ﴿من عند الله خير لو كانوا يعلمون﴾.

قوله – تعالى –: ﴿يا أيها الذين آمنوا لاتقولوا راعنا﴾ معناه: أرعنا سمعك واسمع منا وحقيقته (فرغ)[1] سمعك لكلامنا.

﴿وقولوا انظرنا﴾ أى: انتظرنا، وقيل: انظر إلينا.

وقرأ الأعمش: «أَنْظِرْنَا» أى: أمهلنا. وقال الشاعر:

أَبَا هِنْدٍ فَلاَ تَعْجَلْ عَلَيْنَا ... وَأَنْظِرْنَا نُخَبِّرْكَ الْيَقِينَا

أى: أمهلنا.

﴿واسمعوا﴾ أى: أطيعوا. ﴿وللكافرين عذاب أليم﴾ أى: عذاب مؤلم. وفى سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: أن الصحابة كانوا يقولون للنبى ﷺ: «راعنا» ويريدون به ما ذكرنا، فسمعه اليهود. وكان ذلك عندهم سبًّا وهو بمعنى يا أحمق.

وقد قرأ الأعمش: «راعِنًا» منونا، وقرأ الحسن: «راعونا» وهما لغتان من الرعونة،

(١) فى «ك»: فزع.

عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ

فلما سمعه اليهود فرحوا به؛ حيث رأوهم يسبونه ولايعلمون، وكانوا يقولون ذلك للنبى ﷺ موافقة للمسلمين فى الظاهر، ويضحكون فيما بينهم، إنا نسبه وهم لايعلمون؛ فنزل قوله - تعالى -: ﴿لاتقولوا راعنا وقولوا انظرنا﴾.

والقول الثانى: أن قولهم «راعنا» كان فيه جفوة وخشونة؛ لأن حقيقته فَرِّغْ سمعك لكلامنا حتى تفهم، وفى هذا نوع جفاء؛ فنزل قوله: ﴿لاتقولوا راعنا وقولوا انظرنا﴾ حتى يقولوا ما يقولوا على طريق التبجيل والمسألة. ويختاروا من الألفاظ أحسنها ومن المعانى أحكمها.

قوله - تعالى -: ﴿ما يود الذين كفروا﴾ أى: ما يحب، والود: الحب.

ومعنى الآية: أن الأنبياء قبله بعثوا من ولد إسحاق، فلما بعث النبى ﷺ من ولد إسماعيل؛ لم يقع ذلك بُودِّ اليهود ومحبتهم. وأما المشركون فإنما لم تقع نبوته بودهم، لأنه جاء بتضليلهم، وعيب آلهتهم، فهذا معنى قوله - تعالى -: ﴿ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم﴾ يعنى عليك يامحمد. ذكر الواحد بخطاب الجمع على ماهو عادة العرب ﴿من خير من ربكم﴾ يعنى النبوة. ﴿والله يختص برحمته من يشاء﴾ قال ابن عباس وأكثر المفسرين: الرحمة بمعنى النبوة ها هنا. وقيل: بمعنى الإسلام. والهداية إليه. ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ الفضل [ابتداء][1] إحسان بلا علة.

قوله - تعالى -: ﴿ما ننسخ من آية﴾ قرأ ابن عامر «ما نُنْسِخْ» بضم النون وكسر السين[2] ومعناه ما تجده منسوخا وهو مثل قولهم: أحمدت فلانا. أى: وجدته محمودا، وأبخلت فلانا. أى: وجدته بخيلا.

والقراءة المعروفة ﴿ما ننسخ﴾ على الفتح.

(١) فى «الأصل»، و«ك»: ابتلاء. وهو تحريف.

(٢) انظر النشر (٢/ ٢١٩).

الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾

والنسخ فى اللغة: رفع الشيء وإقامة غيره مقامه. يقال: نسخت الشمس الظل. أى رفعته وأقامت الضياء مقامه.

وقد يكون بمعنى رفع الشيء من غير إقامة غيره مقامه.

يقال: نسخت الرياح الآثار إذا رفعتها من أصلها من غير شيء يقوم مقامها. والنسخ جائز فى الجملة باتفاق الأمة. ونسخ القرآن على وجوه:

منها نسخ يوجب رفع التلاوة والحكم جميعا. وذلك مثل ما روى عن أبى أمامة بن سهل بن حنيف «أن قوما من الصحابة قاموا ليلة ليقرءوا سورة فلم يذكروا منها إلا قوله: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فغدوا على النبى ﷺ وأخبروه بذلك فقال - عليه السلام -: «تلك سورة رفعت بتلاوتها وأحكامها»[1].

وقيل: إن سورة الأحزاب كانت مثل سورة البقرة؛ فرفع أكثرها تلاوة وحكما.

ومن النسخ ما يوجب رفع التلاوة دون الحكم وذلك مثل آية «الرجم» رفعت تلاوتها وبقى حكمها.

ومنه ما يوجب رفع الحكم دون التلاوة. مثل آية «الوصية للوالدين والأقربين» وآية «عدة الوفاة بالحول» ومثله آية «التخفيف فى القتال» وآية «الممتحنة» ونحو ذلك.

ومن وجوه النسخ ما يوجب رفع الحكم وإقامة غيره مقامه، وذلك مثل القبلة نسخت إلى الكعبة، والوصية نسخت إلى الميراث، وعدة الوفاة نسخت من الحول إلى أربعة أشهر وعشرا، ومقاومة الواحد العشرة فى القتال نسخت إلى مقاومة الواحد الاثنين. ونحو ذلك.

---

(١) أخرجه البيهقى فى الدلائل (٧/١٥٧) وفيه زيادة، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور (١/١١٠) لأبى داود فى ناسخه، وابن المنذر، وابن الأنبارى فى المصاحف، وأبى ذر الهروى فى فضائله.

ومنها : رفع الحكم من غير إقامة شيء مقامه؛ وذلك مثل امتحان النساء، نسخ من غير خلف . وكذلك أمثال هذا.

رجعنا إلى تفسير الآية فقوله : ﴿ما ننسخ من آية﴾ أى : نرفع من آية . فأما قوله : ﴿أو ننسها﴾ اختلفوا فى معناه . وقال ابن عباس معناه : أو نتركها فلا ننسخ . وهو مثل قوله : ﴿نسوا الله فنسيهم﴾(١) أى : تركوا الله فتركهم . ومنه قول الشاعر :

إنَّ علَىَّ عقبَةً أقْضِيهَا لَسْتُ بِنَاسِيهَا ولاَ مُنْسِيهَا

أى : لست بناسيها ولا تاركها . فعلى هذا يرجع قوله : ﴿نأت بخير منها أو مثلها﴾ إلى قوله : ﴿ما ننسخ من آية﴾ .

وقيل : معنى قوله : ﴿أو ننسها﴾ يعنى ننسيها على قلبك يامحمد . وذلك مثل ما روينا فى حديث أبى أمامة .

وروت عائشة «أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقرأ سورة، فقال : إن هذا الرجل ذكَّرنيَ آية كنت نسيتها»(٢) . وهو نظير قوله - تعالى - ﴿سنقرئك فلا تنسى إلا ماشاء الله﴾(٣) وقرأ ابن مسعود : «ما نُنْسكَ من آية أو ننسخها» وهذا يؤيد هذا القول؛ فعلى هذا يكون الإنساء على القلب فى معنى النسخ .

وفيه قول ثالث : معنى قوله أو «ننسها» أى : نأمر بتركها، ونبيح تركها، وذلك مثل نسخ آية الممتحنة ونحوها .

فإن قال قائل : إذا كان الإنساء بمعنى إباحة الترك . فأى فرق بينه وبين النسخ؟

قلنا : هما وجهان من النسخ إلا أنه أراد بالنسخ الأول : رفع الحكم وإقامة غيره مقامه، وأراد بالثانى : نسخ الحكم، من غير إقامة غيره مقامه . كما ذكرنا .

---

(١) التوبة : ٦٧ .

(٢) متفق عليه . أخرجه البخارى فى صحيحه (٨/ ٧٠٣ رقم ٥٠٣٧، ٥٠٣٨)، ومسلم (٦/ ١٠٧ رقم ٧٨٨) .

(٣) الأعلى : ٦ - ٧ .

نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن

وقرأ أبو عمرو. و ابن كثير «أو نَنْسَأْها» على الفتح والهمز[١] وحكى أبو عبيد القاسم بن سلام، عن أبى نعيم القارئ. أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ فى المنام، فقرأت عليه بحرف أبى عمرو فغير علىَّ شيئين: فقوله: «وأَرْنَا» فقال: «قل وأَرِنَا» بكسر الراء قال أبو عبيدة: وأحسبه قال الحرف الثانى: قوله: أو «نَنْسَأها» فقال: قل: «أو نُنْسِهَا» النساء والإنساء: بمعنى التأخير، تقول العرب: أنسأ الله أجلك ونسأ الله فى أجلك. فى معناه قولان:

أحدهما: أن معنى قوله: «أو ننسأها» أى: نرفع تلاوتها، ونؤخر حكمها، كما فعل فى آية «الرجم». ويكون النسخ الأول بمعنى رفع التلاوة والحكم جميعا.

والقول الثانى: أن معنى قوله: «أو نَنْسَأَهَا» أى: نؤخر إنزالها، ونتركها فى اللوح المحفوظ، فلا تنزل.

وقوله: «ما ننسخ من آية» يعنى: ما ينزل، أو «ننسأها» فلا ينزل، نأتى بخير منها أو مثلها.

فإن قيل :أيش معنى قوله: ﴿نأت بخير [منها][٢]﴾ وآيات القرآن سواء، لافضل لبعضها على بعض. وإن أراد به الخير فى السهولة، فقد نسخ الأسهل بالأشق، مثل الصوم كان على التخيير بينه وبين الفدية، فنسخه بصوم رمضان على الحتم. فما معنى الخيرية؟

قلنا: قد قيل، تقديره: نأت منها بخير، أى: نرفع آية ونأت بآية.

والصحيح: أنه أراد بالخير الأفضل، يعنى فى النفع والسهولة. ومعناه: نأت بخير منها، أى: أنفع وأسهل.

---

(١) انظر النشر (٢/ ٢٢٠).

(٢) من «ك».

يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ

﴿أو مثلها﴾ فى النفع والسهولة. وإن[1] نسخ الأسهل بالأشق فمعنى الخير فيه بالثواب. فإن ثواب الأشق أكثر. فإن قيل: هما سواء فى (امتثال)[2] الأمر فكيف يختلفان فى الثواب؟ والجواب: أن الله – تعالى – يجوز أن يثيب على الأشق أكثر مما يثيب على الأسهل، وقد وعد الثواب على صوم رمضان ما لم يعد على الصوم المخير فيه أولا.

وفيه قول آخر: أنه أرادبقوله: ﴿نأت بخير منها﴾ فى نسخ القبلة خاصة.

وبقوله: ﴿أو مثلها﴾ على العموم، وذلك أن التوجه إلى الكعبة كان خيرا للعرب وأدعى لهم إلى الإسلام؛ إذ كانت فى قلوبهم نفرة عن التوجه إلى البيت المقدس؛ لأنه قبلة اليهود.

وفيه قول ثالث: أن المراد بقوله: ﴿نأت بخير منها﴾ يعنى: فى حال نسخ الأول فإن الثانى – الذى نزل جديدا ويعمل به – خير من الأول المنسوخ الذى لايعمل به، وهذا قول بعيد.

قوله – تعالى –: ﴿ألم تعلم أن الله على كل شىء قدير﴾ فقوله: ﴿ألم تعلم﴾ وإن كان على صيغة الاستفهام، لكن المراد به التقرير. ومعناه: أنك تعلم أن الله على كل شىء قدير. وكذلك قوله: ﴿ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض﴾ وأما الملك: هو القدرة التامة. ومنه الملك. وهو السلطان التام القدرة.

﴿وما لكم من دون الله﴾ قال أبو عبيدة: من بعد الله. وقال غيره: بما سوى الله.

﴿من ولى﴾ أى: وال وهو القيم بالأمور ﴿ولا نصير﴾ ولا مانع من العذاب.

قوله: ﴿أم تريدون أن تسألوا رسولكم﴾ «أم» تَرِد فى اللغة على وجوه.

---

(١) فى «الأصل»، و «ك»: وإنما.

(٢) فى «ك»: إمساك.

فتكون بمعنى التقرير وهو المراد ها هنا. ومعناه: أنتم تريدون.

وقد ترد بمعنى التشكيك، يقال: رأيت زيدا أم عمرا؟

وقد ترد «أم» بمعنى بل، قال الشاعر:

بدت مثل قرن الشمس فى رونق الضحى

وصورتها أم أنت فى العين أملح

أى: بل أنت فى العين أملح.

﴿أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل﴾ وفى معناه قولان: أحدهما: أنهم سألوا الرسول فقالوا: لن نؤمن لك حتى تأتى بالله والملائكة قبيلا كما قال قوم موسى لموسى: ﴿لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة﴾(١).

والثانى: أنهم سألوا الرسول أن يجعل الصفا ذهبا؛ كما سأل قوم عيسى من عيسى المائدة. والأول أظهر. والمراد بالآية: منعهم عن السؤالات المفتوحة بعد ظهور البراهين.

﴿ومن يتبدل الكفر بالإيمان﴾ أى: يستبدل الكفر بالإيمان. وذلك أن مثل ذلك السؤال بعد ظهور البرهان كفر.

﴿فقد ضل سواء السبيل﴾ أى: وسط السبيل.

وقيل: قصد السبيل. وهما سواء، وحكى عن عيسى بن عمر النحوى أنه قال: مازلت أكتب حتى انقطع سوائى أى: وسطى.

قوله - تعالى -: ﴿ود كثير من أهل الكتاب﴾ يعنى: أحب وتمنى كثير من أهل

(١) البقرة: ٥٥.

الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾

الكتاب ﴿لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا﴾ قيل: نزل ذلك فى عمار وحذيفة؛ فإن اليهود دعوهم إلى دينهم فقال عمار: كيف نقض العهد فيكم؟ قالوا: شديد. قال عمار: فقد عاهدت الله ألا أكفر بمحمد. فقالوا لحذيفة: ما تقول أنت؟ قال: الله ربى ومحمد نبيى، والقرآن إمامى. فأنزل الله - تعالى - هذه الآية.

وقيل: هو فى حق الكفار والمسلمين على العموم؛ لأنهم مازالوا يودون عود المسلمين إلى الكفر.

﴿حسدا﴾ وذلك أنهم عرفوا أن محمدا نبى حق، وأنهم باتباعه نالوا من الإسلام ما لم ينالوه؛ فحسدوهم على دينهم.

فإن قيل: ما معنى قوله: ﴿حسدا من عند أنفسهم﴾ ولايكون الحسد من عند الغير؟ قيل: معناه: من تلقائهم لم ينزل به كتاب ولا ورد به أمر.

وقيل: فى الآية تقديم وتأخير، وتقديرها: ود كثير من أهل الكتاب من عند أنفسهم لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا.

﴿من بعد ما تبين لهم الحق﴾ من بعد ما ظهر أنه حق.

قوله - تعالى -: ﴿فاعفوا واصفحوا﴾ العفو: المحو، والصفح: الإعراض، وإنما نزل هذا قبل آية القتال، ثم نسخ بآية القتال.

﴿حتى يأتى الله بأمره﴾ يعنى: بشرع القتال. وقال ابن عباس معناه: حتى يأتى الله بأمره: من فتح قسطنطينية، ورومية، وعمورية.

وقيل: حتى يأتى الله بأمره: من فتح قرى اليهود، مثل خيبر، وفدك، وإجلاء بنى النضير، ومثل بنى قريظة.

﴿إن الله على كل شىء قدير﴾ أى قادر.

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ

قوله - تعالى -: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ معلوم.

﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير﴾ من طاعة ﴿تجدوه عند الله﴾ ذخيرة لاتضيع ﴿إن الله بما تعملون بصير﴾.

قوله - تعالى -: ﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى﴾ تقديره: قالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديا. وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيا؛ فاختصر اختصارا.

نزلت الآية في وفد نجران، وكانوا نصارى، اجتمعوا في مجلس رسول الله ﷺ مع اليهود، فتنازعوا وكفَّر بعضهم بعضا، وكذَّب بعضهم بعضا؛ فأنزل الله - تعالى - هذه الآيات».

﴿تلك أمانيهم﴾ يعني: تمنيهم الباطل ﴿قل هاتوا برهانكم﴾ ائتوا بالحجة على ما زعمتم ﴿إن كنتم صادقين بلى من أسلم﴾ يعني: ليس الأمر على ما تمنوا بل الحكم للإسلام ﴿من أسلم وجهه﴾ أخلص عبادته لله ﴿وهو محسن﴾ مؤمن ﴿فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾.

قوله تعالى: ﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء﴾ هو ما جرى في مجلس رسول الله ﷺ من منازعة اليهود مع النصارى. فأما قوله: ﴿وهم يتلون الكتاب﴾ يعني: أنه يكذب بعضهم بعضا ويضلل بعضهم بعضا وهم يتلون الكتاب، وليس في كتابهم هذا الاختلاف، فدلت تلاوتهم الكتاب ومخالفتهم ما في الكتاب على كونهم على الباطل.

﴿كذلك قال الذين لايعلمون مثل قولهم﴾ قيل: أراد به المشركين. قاله ابن عباس وقال مجاهد: أراد به عوام النصارى.

﴿فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ يريهم دخول المسلمين

مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا

الجنة ودخولهم النار.

قوله - تعالى -: ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها﴾ قال ابن عباس، وقتادة، وجماعة من المفسرين: أراد بالآية النصارى الذى عاونوا بختنصر المجوسى على تخريب بيت المقدس.

﴿أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين﴾ وذلك أن بيت المقدس موضع حج النصارى، وموضع زيارتهم، فلا يدخله نصرانى إلا خائفا، من ذلك الوقت إلى يوم القيامة ﴿لهم فى الدنيا خزى﴾ أى: جزية لِذِمِّيِّهِمْ وقتل لِحَرْبِيِّهِمْ ﴿ولهم فى الآخرة عذاب عظيم﴾ أى: عذاب النار.

وفيه قول آخر: أن الآية نزلت فى المشركين الذين منعوا رسول الله ﷺ من دخول مكة عام الحديبية.

وقوله - تعالى -: ﴿وسعى فى خرابها﴾ لأنهم منعوا المسلمين من دخول المسجد. ولم يسلموا حتى دخلوا؛ فكأنهم سعوا فى خرابها.

﴿أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين﴾ وهذا شرعنا ألاَّ يمكن مشرك من دخول الحرم. ولا يدخله أحد منهم إلا خائفا.

﴿لهم فى الدنيا خزى﴾ هوان ﴿ولهم فى الآخرة عذاب عظيم﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ فيه أربعة أقوال:

أحدها: أنها نزلت فى نسخ القبلة أى: الكعبة؛ فإنها لما حولت إلى الكعبة عيّر اليهود المسلمين، وقالوا: ليست لهم قبلة معلومة، فتارة يستقبلون هكذا، وتارة هكذا، فنزلت الآية ردا لقولهم.

كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ

والقول الثاني: ماروى عمر[١] «أن رسول الله ﷺ كان يصلى على راحلته أينما توجهت به راحلته؛ فنزلت الآية فى إباحة النافلة على الراحلة أينما توجهت به الراحلة»[٢].

والقول الثالث: روى جابر أنه قال: «كنا فى سفر، فاشتبهت علينا القبلة، فصلى كل واحد منا إلى جهة، وخط بين يديه خطا، فلما أصبحنا فإذا الخطوط إلى غير القبلة، فسألنا عن ذلك رسول الله ﷺ، فلم يأمرنا بالإعادة، ونزلت الآية فى معناه»[٣].

والقول الرابع: أنه نزلت فى ابتداء الإسلام، حين لم تكن القبلة معلومة، وجازت الصلاة إلى أى جهة شاءوا. فعلى هذا تكون الآية منسوخة بآية القبلة، وهذا قول غريب.

وأما قوله: ﴿فثم وجه الله﴾ قال مجاهد: قبلة الله. الوجه: بمعنى القبلة، وكذلك الوجهة والجهة: هى القبلة. وقيل: معناه رضا الله، وقيل: معناه قصد الله، ومنه قول الشاعر:

أستغفر الله ذنبا لست أحصيه ... رب العباد إليه الوجه والعمل

يعنى: إليه القصد والعمل.

وقد ذكر الله - تعالى - الوجه فى كتابه فى أحد عشر موضعا، وهو صفة لله - تعالى - وتفسيره: قراءته والإيمان به. وسيأتى[٤].

(١) كذا فى «الأصل وك»، والصواب: عن ابن عمر، كما سيأتى فى تخريج الحديث.

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه (٥/ ٢٩٣ رقم ٧٠٠)، والترمذى (٥/ ١٨٩ رقم ٢٩٥٨) وقال: حسن صحيح، والنسائى (١/ ٢٤٤ رقم ٤٩١، ٤٩٢،و(٢/ ٦١ رقم ٧٤٣، ٧٤٤)، وأحمد فى مسنده (٢/ ٢٠).

(٣) رواه الدارقطنى (١/ ٢٧١)، والحاكم (١/ ٢٠٦)، والبيهقى (٢/ ١٠-١٢) وقال الحاكم: محتج برواته كلهم غير محمد بن سالم فإنى لا أعرفه بعدالة وا جرح. وتعقبه الذهبى بقوله: أبو سهل واه. وقال البيهقى: ولا نعلم لهذا الحديث إسنادا قويا.

(٤) قال المصنف فى تفسير سورة الأنعام (الآية رقم: ٥٢): والوجه صفة الله - تعالى - بلا كيف، وجه لا كالوجوه. نقل تفسير سورة القصص (آية رقم: ٨٨) عن سفيان بن عيينة أنه قال: «كل ما وصف الله به نفسه فى الكتاب؛ فتفسيره قراءته، لاتفسير له غيره». وهذا يوضح مراد المصنف فى هذا الموضع.

وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا

﴿إن الله واسع﴾ أى: غنى يعطى من السعة ﴿عليم﴾ أى: عالم بالأمور.

قوله تعالى: ﴿وقالوا اتخذ الله ولدا﴾ يعنى: النصارى ﴿سبحانه﴾ تنزيه ﴿بل له ما فى السموات والأرض﴾ مِلْكًا ومُلْكًا ﴿كل له قانتون﴾ القانت: المطيع، وأصل القنوت: القيام. وفى الخبر: «أن النبى ﷺ سئل عن أفضل الصلاة، فقال: طول القنوت»(١) أى: طول القيام.

وقوله: ﴿كل له قانتون﴾ أى: قائمون بالعبودية. وفى معناه أقوال:

أحدها: قال ابن عباس: هو عام بمعنى الخصوص. والمراد به المسلمون، وبه قال الفراء. ولم يرضه من الفراء نحاة البصرة، وقالوا: الكل يقتضى الإحاطة بالشىء، بحيث لايشذ منه شىء ومعناه: كل العباد قانتون. فالمسلم يسجد طوعا. والكافر يسجد ظله كرها، كما قال الله - تعالى -: ﴿ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال﴾(٢).

والقول الثانى: معناه: ﴿كل له قانتون﴾ مذللون مسخرون لما خلقوا له.

والقول الثالث: ﴿كل له قانتون﴾ يعنى: فى القيامة.

قوله - تعالى -: ﴿بديع السموات والأرض﴾ أى: مبدعها، قال ابن عباس: هو الخالق لا على مثال سبق. ومنه المبتدع؛ لأنه أحدث ما لم يسبق إليه.

﴿وإذا قضى أمرًا﴾ أى: أحكم وأتقن. وأصل القضاء: الفراغ ومنه يقال لمن مات قضى نحبه لفراغه من الدنيا ومنه قضاء القاضى. لأنه فرغ عن فصل الحكومة. ومنه قضاء الله وقدره. لأنه فرغ عنه تقديرا وتدبيرا. وقال الشاعر:

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه (٦/ ٥٢ رقم ٧٥٦)، والترمذى (٢/ ٢٢٩ رقم ٣٨٧)، وابن ماجة (١/ ٤٥٦ رقم ١٤٢١) وأحمد فى مسنده (٣/ ٣٠٢)، جميعهم من حديث جابر بن عبد الله.

(٢) الرعد: ١٥.

فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ

وعليهما (مَسْرُودَتان)(١) قضاهما داودُ وصنع السوابغ تُبَّعُ

أى: صناع السوابغ، وقوله: قضاهما داود، أى: أحكمهما، فكذلك قوله: ﴿وإذا قضى أمرًا﴾ أى: أحكم وأتقن ﴿فإنما يقول له كن فيكون﴾ فإن قال قائل: كيف قال: فإنما يقول له، والمعدوم لا يخاطب؟ قيل: قد قال ابن الأنبارى: معناه: فإنما يقول له أى: لأجل تكوينه، فعلى هذا ذهب معنى الخطاب.

وقيل: هو وإن كان معدوما، لكنه لما قدر وجوده، وهو كائن لامحالة، كان كالموجود: فصح الخطاب.

وفيه قول ثالث: أنه خرج على ما يفهمه الناس فى العادة؛ فإن كل من يريد فعلا فإما أن يقول قولا، أو يفعل فعلا. ومعناه: التكوين فحسب، إلا أنه قال: ﴿فإنما يقول له﴾ لأنه كذا يفهمه الناس.

فأما قوله - تعالى -: ﴿**فيكون**﴾ قرأ ابن عامر. «فيكونَ» بنصب النون، وهو أظهر على النحو؛ لأنه جواب الأمر بالفاء. فيكون على النصب.

والقراءة المعروفة: «فيكونُ» بالرفع(٢). ومعناه: فهو يكون.

قوله - تعالى -: ﴿وقال الذين لايعلمون﴾ قال ابن عباس: أراد به اليهود.

وقال مجاهد: أراد به النصارى.

﴿لولا يكلمنا الله﴾ أى: هلاَّ يكلمنا الله، «ولولا» فى كل القرآن بمعنى «هلاَّ» إلا فى موضع واحد؛ وذلك فى قوله - تعالى -: ﴿فلولا أنه كان من المسبحين﴾(٣) معناه: فلو لم يكن من المسبحين.

(١) المسرودة: الدرع المثقوبة، والسرد: الثقب. انظر لسان العرب (مادة: سرد). وذكر البيت فى (مادة: قضى).
(٢) انظر النشر (٢ / ٢٢٠).
(٣) الصافات: ١٤٣.

يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ

﴿أو تأتينا آية﴾ أى: آية نقترحها، كما اقترحوا من الآيات. ﴿كذلك قال الذين من قبلهم﴾ من الكفار فى القرون الماضية. ﴿مثل قولهم تشابهت قلوبهم﴾ أى: أشبه بعضها بعضا فى القسوة وطلب المحال. ﴿قد بينا الآيات لقوم يوقنون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿إنا أرسلناك بالحق﴾ أى: مع الحق، والصلات تتعاقب، ومثله قوله - تعالى -: ﴿فادخلى فى عبادى﴾(١) أى: مع عبادى.

والمراد بالحق: القرآن. وقيل: شريعة الإسلام.

﴿بشيرا ونذيرا﴾ أى: مبشرا ومنذرا ﴿ولاتسئل عن أصحاب الجحيم﴾ قرئ بقراءتين. «ولا تُسأل». «ولا تَسأل»(٢). فأما قوله ﴿ولا تُسأل﴾: يعنى: أرسلناك غير مسئول عن حال الكفار. وذلك مثل قوله: ﴿فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب﴾(٣).

وقرأ ابن مسعود «وما تُسْأَل» وقرأ أبى بن كعب. «ولن تُسْأَل» ومعنى الكل واحد، وأما قوله: «ولا تَسْأَل» له معنيان: أحدهما: أنه على معنى قولهم: لا تسأل عن شر فلان؛ فإنه فوق ما تحسب.

وقيل: هو على النهى، وسببه ما روى محمد بن كعب القرظى: «أن رسول الله ﷺ قال: ليت شعرى ما فعل أبواى. فنزل قوله - تعالى -: ﴿ولاتسئل عن أصحاب الجحيم﴾»(٤) والجحيم: اسم للنار الشديدة الالتهاب.

(١) الفجر: ٢٩.

(٢) قرأ نافع ويعقوب، بفتح التاء وجزم اللام، على النهى وقرأ الباقون بضم التاء، ورفع اللام على الخبر. انظر النشر (٢/٢٢١).

(٣) الرعد: ٤٠.

(٤) رواه الطبرى فى تفسيره (١/٤٠٩)، وابن أبى حاتم (١/٣٥٥ رقم ١١٥٨) وقال السيوطى فى الدر المنثور (١/١١٧): هذا مرسل ضعيف الإسناد. ورواه الطبرى (١/٤٠٩) عن داود بن أبى عاصم بنحوه. وقال السيوطى: معضل الإسناد ضعيف، لا يقوم به ولا بالذى قبله حجة.

الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ

قوله - تعالى -: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ معناه: ولن ترضى عنك اليهود إلا باليهودية، ولا النصارى إلا بالنصرانية.

﴿حتى تتبع ملتهم﴾ والملة: الطريقة، ومنه خبز الْمَلَّة. سمى الرماد الذى جعل فيه الخبز: مَلَّة؛ لأنه يظهر فيه آثار وخطوط.

﴿قل إن هدى الله هو الهدى﴾ يعنى: دين الله، هو الدين الذى أنت عليه.

﴿ولئن اتبعت أهواءهم﴾ قيل: إنه خطاب للنبى، والمراد به الأمة لأنه كان معصوما من اتباع الأهواء، ومثله قوله تعالى: ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾(١) ﴿بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير﴾ معلوم.

وقيل معنى الآية: أن اليهود طلبوا من النبى ﷺ المهادنة وقالوا: لاتحاربنا ولاتقتلنا، وأمهلنا؛ فربما نسلم. فنزل قوله - تعالى -: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ يعنى: إنك إن هادنتهم فلا يرضون بها. وإنما يطلبون ذلك تعللا وافتعالا، ولا يرضون عنك إلا باتباع ملتهم.

قوله تعالى -: ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ قيل: أراد به قوما من اليهود أسلموا.

وقيل: أراد به قوما من النصارى جاءوا مع جعفر بن أبى طالب حين قدم من الحبشة فأسلموا.

﴿يتلونه حق تلاوته﴾ قال ابن عباس، وابن مسعود: يحللون حلاله، ويحرمون حرامه ولايحرفون الكلم عن مواضعه.

وقال الحسن: يعملون بأوامره، ويؤمنون بمحكمه، ويكلون المتشابه إلى الله - تعالى -. وقال عكرمة: يتبعونه حق اتباعه من قولهم: تلا أى تبع ومنه قوله - تعالى: ﴿والقمر إذا تلاها﴾(٢).

(١) الزمر: ٦٥.
(٢) الشمس: ٢.

بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلا

﴿ أولئك يؤمنون به ﴾ يعنى: ما ذكرنا ﴿ ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون ﴾ أى: الغابنون أنفسهم.

قوله - تعالى -: ﴿ يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين ﴾ أعاده تأكيدا لما سبق.

قوله - تعالى -: ﴿ واتقوا يوما لاتجزى نفس عن نفس شيئا ﴾ قد ذكرنا معناه.

﴿ ولايقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون ﴾ إن قيل: أليس قد جعل الشفاعة للأنبياء وغيرهم، حيث قال: ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾(١) وقال النبى ﷺ: «شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى»(٢)؟ قيل: أراد بقوله: ﴿ ولاتنفعها شفاعة ﴾ فى قوم مخصوصين، وهم اليهود و الكفار.

قوله - تعالى -: ﴿ وإذ ابتلى إبراهيم ربه ﴾ أى: اختبر، ومعنى ابتلاء العباد، ليس ليعلم أحوالهم بالابتلاء - لأنه عالم بهم وبما يكون منهم - ولكن ليُعْلِم العباد أحوالهم، حتى يعرف بعضهم بعضا. ﴿ بكلمات ﴾ وأما الكلمات: قيل: هى التى وردت فى الخبر فى قوله ﷺ: «عشر من الفطرة: خمس فى الرأس، وخمس فى الجسد. والخمس التى فى الرأس المضمضمة والاستنشاق، وقص الشارب، والسواك، وفرق الرأس. وأما اللواتى فى الجسد مثل قلم الأظفار، ونتف الإبط، وحلق العانة، والختان، والاستنجاء - فى رواية وغسل البراجم -»(٣).

(١) الأنبياء: ٢٨.

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده (٣/٢١٣)، وأبو داود (٤/٢٣٦ رقم) ٤٧٣٩، والترمذى (٤/٥٣٩ رقم ٢٤٣٥) جميعهم من حديث أنس بن مالك. وقال الترمذى: حسن صحيح غريب. وقد ورد هذا الحديث وما فى معناه عن كثير من الصحابة وقال الحافظ ابن كثير فى النهاية (٢/٢٠٩): وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث. ثم أفاض فى ذكرها رحمه الله - تعالى -.

(٣) رواه ابن جرير (١/٤١٤ - ٤١٥)، والحاكم فى المستدرك (٢/٢٦٦) وقال: صحيح على شرط الشيخين، وابن أبى حاتم (١/٣٥٩ رقم ١١٧٢)، والبيهقى فى سننه (١/١٤٩) كلهم من حديث ابن عباس موقوفا: «ابتلاه الله بالطهارة، فى خمس فى الرأس وخمس فى الجسد... وذكر الحديث». وقد جاء مرفوعًا من حديث عائشة، ولفظه «عشر من الفطرة» وفى ذكر بعضه اختلاف عما هنا. أخرجه مسلم فى صحيحه (٣/١٨٨ رقم ٢٦١)، وأبو داود (١/١٤ رقم ٥٢)، والترمذى (٥/٨٥ رقم ٢٧٥٧)، والنسائى (١/١٢٦ رقم ٥٠٤٠)، وابن ماجه (١/١٠٧ رقم ١٢٩٣) وأحمد في مسنده (٦/١٣٧).

يُقْبَلُ مِنهَا عَدْلٌ وَلا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي

وفى الخبر أن الله - تعالى - بعث جبريل إلى إبراهيم أن تطهر لى، فتمضمض، ثم بعث إليه أن تطهر لى، فاستنشق هكذا إلى العشر، فلما أمره فى المرة العاشرة: أن تطهر لى. فنظر إلى بدنه، فلم يجد شيئا ينظفه فتنبه على الختان فاختتن.

وفى الخبر: «أنه ﷺ اختتن بعد ثمانين سنة بالقدوم»(١). وهو اسم موضع، وعاش بعده ثمانين.

وفى الأخبار: «أن إبراهيم - صلوات الله عليه -. أول من قص الشارب، وأول من اختتن وأول من قلم الأظفار، وأول من رأى الشيب، فلما رآه قال يارب ما هذا؟ فقال: الوقار فقال يارب زدنى وقارا»(٢).

﴿فأتمهن﴾ أى فأداهن به تامة، قال ابن عباس: ما أتى أحد بسهام الإسلام كما أتى بها الخليل إبراهيم - صلوات الله عليه -.

وفيه قولان آخران: أن معنى الكلمات: هو أن الله - تعالى - ابتلاه بالكوكب فرضى عنه، وابتلاه بالقمر فرضى عنه، وابتلاه بالشمس فرضى عنه. وابتلاه بنار نمروذ فرضى عنه. وابتلاه بذبح الولد فرضى عنه. وابتلاه بالختان فرضى عنه.

وقوله - تعالى -: ﴿قال إنى جاعلك للناس إماما﴾ يعنى فى الخير، وقد يكون الإمام فى الشر؛ على طريق المجاز. كما قال - تعالى -: ﴿وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار﴾(٣) وحقيقة الإمام: أن يقصد، من فعله ما يقصد وهو من الأَمِّ: وهو القصد.

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة. أخرجه البخارى (٦ / ٤٤٧ رقم ٣٣٥٦) ومسلم (١٥ / ١٧٨ رقم ٢٣٧٠).

(٢) أخرجه ابن عدى فى الكامل (٤ / ١٩٤)، وعزاه السيوطى فى الدر (١ / ١٢١) إلى البيهقى، من حديث عبد الله بن واقد، عن حماد عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، عن أبى هريرة مرفوعاً بنحوه.
ورواه الإمام مالك فى الموطأ (٢ / ٩٢٢) عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قوله قلت: وهو الأشبه، والله أعلم وفى كنز العمال (٦ / ١٧٢٤٩) بالشطر الأول فقط للديلمى من حديث ابن عمر، وهو فى مسند الفردوس، وفى إسناده محمد بن القاسم الطالقانى، وهو متهم بالكذب كما فى ترجمته من الميزان واللسان.

(٣) القصص: ٤١

الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ

﴿قال ومن ذريتى﴾ أى: اجعل من ذريتى أئمة.

﴿قال لاينال عهدى الظالمين﴾ أى: لاينالە من كان منهم ظالما. واختلفوا فى هذا العهد، قال ابن عباس: هو النبوة. وقال مجاهد: أراد به الإمامة. وهو الأليق بظاهر النسق، وفيه قول آخر: أنه الأمان من النار.

والظالم: الفاسق، وقيل: أراد به المشرك ها هنا. وهو مثل قوله - تعالى -: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾(١) أى: بشرك ﴿أولئك لهم الأمن﴾(١) فجعل الأمن لمن لايشرك به، فكذلك قوله: ﴿لاينال عهدى الظالمين﴾ أى: أن أمانى لايناله المشركون منهم.

قوله - تعالى -: ﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا﴾ قال عطاء: مثابة أى: مجمعا.

وقال غيره: مثابة أى: مرجعا، وهو مأخوذ من ثاب، أى: رجع، والبيت مثابة؛ لأنهم يعودون إليه مرة بعد أخرى.

قال الضحاك: لايقضون منه وطرا، أى: لايملون منه. والمثاب والمثابة بمعنى واحد، قال الشاعر:

مثاب لأفناء القبائل كلها   تَخُبُّ إليه اليعملات الذَّواملُ

وأما قوله: ﴿وأمنا﴾ أى: ذا أمن. قال ابن عباس: أمنه أن يدخله الجانى فيأمن ولايستوفى منه حتى يخرج، وإليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه - رضى الله عنهم -.

وقال غيره: معناه: أنه مأمن من أيدى المشركين؛ فإنهم ما كانوا يتعرضون لأهل مكة ويقولون: إنهم أهل الله وخاصته. وإنما كانوا يتعرضون لمن حوله. كما قال الله - تعالى -: ﴿أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم﴾(٢) فأما قول

---

(١) الأنعام: ٨٢.

(٢) العنكبوت: ٦٧.

السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ

ابن عباس فمحمول على الاستحباب. وذلك الأولى عندنا؛ أن لايتعرض له حتى يخرج، لكن مع هذا أجاز الاستيفاء؛ لأن الحرم لايمنع استيفاء الحقوق.

قوله تعالى: ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ قرئ بقراءتين: «واتخذوا» على الخبر، «واتخذوا» على الأمر(١). وأما المقام بالفتح: موضع الإقامة. والمُقام بالضم: فعل الإقامة. ومعناه على القول الصحيح: أن مقام إبراهيم هو الحجر الذى فى المسجد، يصلى إليه الأئمة وذلك الحجر الذى قام عليه إبراهيم عند بناء البيت، وبذلك سمى مقام إبراهيم.

وقيل: كان أثر أصابع رجله بينة فيه، واندرس من كثرة مسح الأيدى.

وفى الخبر: «أن الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة. ولولا ما مسته أيدى المشركين. لأضاءا ما بين المشرق والمغرب»(٢).

وقد روى عن عمر - رضى الله عنه - أنه قال: وافقنى ربى فى ثلاث:

قلت لرسول الله ﷺ: لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى، فنزل قوله - تعالى -: ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾.

وفيه قول آخر: أنه أراد بمقام إبراهيم: جميع مشاهد الحج، مثل عرفة والمزدلفة، وسائر المشاهد.

(١) قرأ نافع، وابن عامر، بفتح الخاء، على الخبر، وقرأ الباقون بكسر الخاء، على الأمر، انظر النشر (٢ / ٢٢٢).

(٢) أخرجه، والترمذى (٤ / ٢٢٦رقم٨٧٨) الإمام أحمد فى مسنده (٢ / ٢١٣-٢١٤) وابن خزيمة فى صحيحه (٤ / ٢١٩ رقم ٢٧٣١، ٢٧٣٢)، والحاكم فى مستدركه (١ / ٤٥٦) وابن حبان فى صحيحه (٩ / ٢٤رقم ٣٧١٠) عن حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا.

وقال الترمذى: هو حديث غريب هذا يروى عن عبد الله بن عمرو موقوفا قوله، وفيه عن أنس أيضا.

قلت: قال أبو حاتم فى العلل (١ / ٢٩٩-٣٠٠): رواه الزهرى وشعبة كلاهما عن مسافع بن شيبة عن عبد الله ابن عمرو موقوفا وهو أشبه، ورجاء شيخ ليس بقوى.

مَنْ آمَنَ مِنهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا

وقوله: ﴿ مصلى ﴾ أى: مُدَّعًا؛ أمرهم أن يتخذوها مواضع للدعاء.

وقوله - تعالى -: ﴿ وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل ﴾ أى: أمرنا، والعهد ها هنا بمعنى الأمر.

وأما إسماعيل: أصله: اسمع إيل، وذلك أن إبراهيم - صلوات الله عليه - كان يدعو الله أن يرزقه ولداً، ويقول: اسمع إيل. فلما رزقه [الله](١) الولد سماه إسماعيل.

وقوله - تعالى -: ﴿ أن طهرا بيتى ﴾ يعنى من الشرك والأوثان ﴿ للطائفين ﴾ الدائرين حول الكعبة. ﴿ والعاكفين ﴾ المقيمين المجاورين ﴿ والركع السجود ﴾ المصلين. رُكَّع: جمع راكع، والسُّجُود جمع ساجد. قال الكلبى ومقاتل: الطائفين: هم الغرباء. والعاكفين: أهل مكة.

قال عطاء ومجاهد: الطواف للغرباء أفضل؛ لأنه يفوتهم، والصلاة لأهل مكة أفضل؛ لأنه لايفوتهم.

قوله - تعالى -: ﴿ وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا ﴾ أى: اجعل الحرم ذا أمن ﴿ وارزق أهله من الثمرات ﴾ وإنما دعا بذلك لأنه كان بواد غير ذى زرع.

وفى القصص: أن الطائف كانت مدينة من مدائن الشام بأردن، فلما دعا إبراهيم هذا الدعاء، أمر الله - تعالى - جبريل حتى قلعها من أصلها، وأدارها حول البيت سبعا، ثم وضعها موضعها الذى هى الآن فيه، فمن تلك ثمرات أهل مكة.

﴿ من آمن منهم بالله واليوم الآخر ﴾ دعا إبراهيم أن يرزق من الثمرات المؤمنين خاصة.

﴿ قال ومن كفر ﴾ يقول الله - تعالى -: والكافرين أيضا؛ وذلك أن الله - سبحانه وتعالى - وعد الرزق للخلق كافة، مؤمنهم وكافرهم.

(١) من «ك».

تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ

﴿ فأمتعه قليلا ﴾ يقرأ مخففا ومشددا(١) ومعناهما واحد يعنى: أبقيه فى النعمة قليلا.

وإنما ذكر القليل؛ لأن الإمتاع أصله الطول والكثرة. يقال: متع النهار. أى: طال وارتفع. ونخلة ماتعة. أى: طويلة. وإنما أراد به الإمتاع فى الدنيا وهو قليل؛ لانقطاعه.

﴿ ثم أضطره ﴾ ألجئه ﴿ إلى عذاب النار وبئس المصير ﴾ أى: المرجع.

قوله - تعالى -: ﴿ وإذا يرفع إبراهيم القواعد من البيت ﴾ قال الفراء: القواعد: أسس البيت.

وقال الكسائى: هى جدر البيت، وحكى أن ابن الزبير لما هدم البيت ليبنيه؛ ظهرت أحجار بيض كبار فقال: هذه هى القواعد التى بنى عليها إبراهيم البيت.

وقال ابن عباس: إنما بنى البيت من خمسة أجبل: طور سيناء، وطور زيتا، ولبنان وهو جبل بالشام - والجودى، وهو جبل بالجزيرة، وحراء وهو جبل بمكة.

وفى الأخبار: أن الله - تعالى - بنى فى السماء بيتا - وهو البيت المعمور، ويسمى صراح - وأمر الملائكة أن يبنوا الكعبة فى الأرض بحذائه، على قدره ومثاله.

وقيل: أول من بنى الكعبة آدم - صلوات الله عليه - فاندرس ذلك زمان الطوفان، ثم أظهره الله - تعالى - لإبراهيم حتى بناه.

قال: ﴿ وإسماعيل ربنا تقبل منا ﴾ قرأ أبى بن كعب «يقولان ربنا تقبل منا» وهو فى الشواذ، وهذا هو المعنى. ﴿ إنك أنت السميع العليم ﴾

قوله - تعالى -: ﴿ ربنا واجعلنا مسلمين لك ﴾ يقول: مستسلمين، خاضعين، منقادين.

(١) قرأ ابن عامر بتخفيف التاء، وقرأ الباقون بتشديدها. انظر النشر (٢ / ٢٢٢).

فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ

﴿ ومن ذريتنا أمة ﴾ والأمة: أتباع الأنبياء ﴿ مسلمة لك ﴾ خاضعة لك ﴿ وأرنا ﴾ قرأ أبو عمرو « مختلسا »، وقرأ غيره بكسر الراء[١] ﴿ مناسكنا ﴾ أى: متعبداتنا.

والنسك: العبادة، ومنه يقال للعابد: ناسك، معناه: مواضع حجنا ﴿ وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ﴾.

قوله تعالى: ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ﴾ يعنى محمدا ﷺ، وفى الخبر، أن النبى ﷺ قال: « أنا دعوة أبى إبراهيم وبشرى عيسى »[٢] وأراد بدعوة إبراهيم هذا؛ فإنه دعا أن يبعث فى بنى إسماعيل رسولا منهم.

قال ابن عباس: كل الأنبياء من بنى إسرائيل إلا عشرة: نوح، وهود، وصالح، وشعيب، ولوط، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب ومحمد- صلوات الله عليهم أجمعين -.

وفى القصص: أن لكل نبى ممن مضى [اسمًا واحدًا][٣] فى القرآن إلا نبيين[٤] يعقوب وعيسى. أما يعقوب له اسمان: يعقوب، وإسرائيل، وأما عيسى له اسمان:

---

(١) قرأ ابن كثير، ويعقوب بإسكان الراء. وقرأ أبو عمرو بالاختلاس، وقرأ الباقون بكسر الراء، انظر النشر (٢/ ٢٢٢).

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده (٤/ ١٢٧، ١٢٨)، والحاكم (٢/ ٤١٨، ٦٠٠)، وابن جرير فى تفسيره (١/ ٤٣٥)، وابن أبى حاتم فى التفسير (١/ ٣٨٨ رقم ٢٤٦٤) عن حديث العرباض بن سارية مرفوعاً. قال الحاكم: صحيح الإسناد. وتعقبه الذهبى بأن فى إسناده أبا بكر ضعيف.

وقال الهيثمى فى المجمع (٨/ ٢٢٦): وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سويد، وقد وثقه ابن حبان.

وللحديث طرق أخرى عن عدد من الصحابة فانظر المجمع (٨/ ٢٢٥-٢٢٧)، وتخريج أحاديث الكشاف للزيلعى (١/ ٨٢-٨٣).

(٣) فى « الأصل »، و« ك »: اسم واحد.

(٤) فى « الأصل »، و « ك »: نبيان.

اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ

عيسى، والمسيح.

﴿يتلو عليهم آياتك﴾ يعنى من القرآن ﴿ويعلمهم الكتاب﴾ القرآن ﴿والحكمة﴾ فيها أقوال:

قيل: الحكمة فهم القرآن، وقال أبو بكر بن دريد صاحب الجمهرة: الحكمة كل كلمة زجرتك ووعظتك ونهتك عن قبيح، ودعتك إلى حسن، وقيل: الحكمة الفقه. وهذا قول حسن.

﴿ويزكيهم﴾ أى: يطهرهم، ويجعهلم أزكياء طهرة. وفيه قول آخر: أنه بمعنى التزكية. يشهد الرسل بالنبوة من سائر الأمم وذلك أن مؤمنى سائر الأمم شهدوا للرسل بالنبوة وتبليغ الرسالة فهذه[1] الأمة تزكى أولئك الشهود.

﴿إنك أنت العزيز﴾ قيل: هو الممتنع، والله ممتنع لاتناله الأيدى، ولايصل إليه شىء.

وقيل: هو القوى الغالب. ومنه قوله – تعالى –: ﴿وعزنى فى الخطاب﴾[2] أى: غلبنى.

ويقال فى المثل: «مَنْ عَزَّ بَزَّ» أى: من غلب سلب ﴿الحكيم﴾ معلوم.

قوله – تعالى –: ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم﴾ أى: طريقة إبراهيم ﴿إلا من سفه نفسه﴾ حكى أبو عبيد عن أبى عبيدة: معناه: أهلك نفسه.

وقال الزجاج: معناه جهل نفسه، وكل سفيه جاهل، وذلك أن من جهل نفسه لم يعرف الله.

وفى الأخبار: أن الله – تعالى – أوحى إلى داود: اعرف نفسك واعرفنى. فقال

(١) فى «ك» فتلك.

(٢) ص: ٢٣.

اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ

يارب كيف أعرف نفسى، وكيف أعرفك؟ فأوحى الله إليه: اعرف نفسك بالضعف والعجز والفناء، واعرفنى بالقوة والقدرة والبقاء.

وقيل: معناه سَفه نفسه وجعله سفيها، وفيه قول رابع: معناه سفه فى نفسه، فحذف كلمة «فى» فصار: سفه نفسه.

﴿ولقد اصطفيناه﴾ اخترناه ﴿فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين﴾ من الأنبياء.

قوله - تعالى -: ﴿إذ قال له ربه أسلم﴾ يعنى أى: استسلم وأخلص عبادتك لله.

﴿قال أسلمت لرب العالمين﴾ أخلصت وفوضت إليه.

قال ابن عباس: وقد حقق التفويض إليه، ولم يستعن بأحد من الملائكة حين ألقى فى النار.

قوله - تعالى -: ﴿ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب﴾ قرئ «وأوصى» من الإيصاء. «ووصى» من التوصية[1] وهى للمبالغة والتكثير، يعنى أوصى إبراهيم بنيه. وأوصى يعقوب بنيه. ﴿يابنى إن الله اصطفى لكم الدين﴾ اختار لكم دين الإسلام ﴿فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ فإن قيل: كيف قال: فلاتموتن إلا وأنتم مسلمون وليس بيدهم أن لايموتوا إلا مسلمين؟

قيل معناه: داوموا على الإسلام حتى لايصادفكم الموت. إلا وأنتم مسلمون، وهذا كقول القائل: لا أريتك تفعل كذا معناه: لا تفعل كذا، حتى لا أراك وأنت فاعل له.

(١) قرأ ابن عامر، وأبو جعفر، ونافع: «وأوصى» بهمزة مفتوحة بين الواوين مع تخفيف الصاد، وقرأ الباقون بتشديد الصاد من غير همزة بين الواوين. انظر النشر (٢ / ٢٢٢ - ٢٢٣).

إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُوا

قوله - تعالى -: ﴿أم كنتم شهداء﴾ بمعنى: أكنتم شهداء والمراد به ما كنتم شهداء.

﴿إذا حضر يعقوب الموت﴾ أى: ما كنتم حضورا حين قرب يعقوب من الموت.

﴿إذ قال لبنيه﴾ وهم اثنا عشر سبطا. على ما سيأتى ﴿ما تعبدون من بعدى﴾ أى: أيش تعبدون من بعدى ﴿قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب إلها واحدا ونحن له مسلمون﴾ وقرأ الحسن البصرى وعاصم الجحدرى. «وإله أبيك» كأنه على هذه القراءة لم يجعل العم ولا الجد أبا.

والقراءة المعروفة «وإله آبائك» فجعل الجد والعم أباء.

وإبراهيم هو الجد وإسماعيل هو العم. وقد سمى رسول الله ﷺ عمه العباس أبا حيث قال: «إنه من بقية آبائى». (١) وقال: «رُدُّوا علىَّ أبى كيلا تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود» (٢) وذلك أنهم قتلوه.

قوله - تعالى -: ﴿تلك أمة قد خلت﴾ أى: مضت ﴿لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعلمون﴾ معناه: يُجازى كل بكسبه، ويُسْأَلُ كلٌّ عن عمله. والله أعلم.

قوله - تعالى -: ﴿وقالوا كونوا هودا أو نصارى﴾ هود جمع هائد، وهو مثل حائل وحُول. وقيل: كان أصله كونوا يهودا فحذفت الياء فصار: هودا.

وقيل: هود مصدرها يهود هودا، فهو مصدر بمعنى الجمع كما يقال: قوم صُوم

---

(١) أخرجه الطبرانى فى الصغير (١/٣٤٤رقم ٥٧٢) من حديث الحسن بن على بن أبى طالب مرفوعاً.

قال الهيثمى فى المجمع (٩/٢٧٢): وفيه جماعة لم أعرفهم.

ورواه الطبرانى فى الكبير (١١/٨٠ رقم ١١١٠٧) من حديث ابن عباس.

وقال الهيثمى (٩/٢٧٢): وفيه عبد الله بن خراش وهو ضعيف، وثقه ابن حبان وقال: ربما أخطأ. وبقية رجاله وثقوا.

(٢) رواه ابن أبى شيبة فى المصنف فى خبر طويل (١٤/٤٨٤ رقم ١٨٧٤٨) عن عكرمة مرسلاً.

كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ

وقوم فُطر.

ومعناه: قالت اليهود: كونوا يهودا وقالت النصارى كونوا نصارى فهذا معنى قوله - تعالى - ﴿كونوا هودا أو نصارى تهتدوا﴾.

﴿قل بل ملة إبراهيم حنيفا﴾ قرأ الأعرج «بل ملةُ» بالرفع. ومعناه بل ملتنا ملة إبراهيم.

والقراءة المعروفة: ﴿بل ملةَ إبراهيم﴾ أى: بل نتبع ملة إبراهيم.

وقيل: معناه: بل نكون على ملة إبراهيم، فحذف «على» فصار منصوبا.

قال الكسائى: هو نصب على الإغراء كأنه يقول: اتبعوا ملة إبراهيم حنيفا، وأما الحنيف: هو المسلم، وأصله الميل، ومنه الأحنف وهو: المائل القدم، والمسلم مائل من سائر الأديان إلى ملة الإسلام.

وقيل: معناه المستقيم، فسماه حنيفا على الضد كما يقال للمهلكة: مفازة وللديغ سليم.

وقيل: الحنيف هو الحاج المختتن؛ وذلك أنه لم يبق مع العرب من ملة إبراهيم إلا الحج والختان، وكانوا يعرفون كل من حج واختتن على ملة إبراهيم، وَعرَّفوا الرجل بذلك حنيفا. فقال: بل ملة إبراهيم حنيفا على وفق ما عرفوا ﴿وما كان من المشركين﴾.

قوله - تعالى -: ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم﴾.

قال الضحاك: علموا أولادكم أسماء الأنبياء المذكورين فى القرآن كى يؤمنوا بهم، ولاتظنوا أن الإيمان بمحمد يكفى عن الإيمان بسائر الأنبياء.

وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَّإِن

وفى الخبر: «أن النبى ﷺ قرأ فى الركعة الأولى من ركعتى الفجر هذه الآية قوله – تعالى –: ﴿آمنا بالله﴾ إلى آخرها. وقرأ فى الركعة الثانية ﴿قل آمنا بالله وما أنزل علينا...﴾ إلى آخرها»[1]. أخرجه مسلم فى الصحيح[2].

حكى عن السلف أنهم كانوا إذا قيل للرجل منهم: [أمؤمن أنت]؟[3] قرأ ﴿آمنا بالله وما أنزل إلينا...﴾ الآية.

وأما الأسباط: هم اثنا عشر سبطا وهم أولاد يعقوب والأسباط فى بنى إسرائيل كالقبائل فى [العرب][4].

وقيل: السبط: الشجر، سمى بذلك لكثرة فروعه.

﴿لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾ أى: نؤمن بالكل، ولانفضل البعض عن البعض.

قوله – تعالى –: ﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به﴾ قرأ ابن عباس «بالذى آمنتم به» وهو المعنى. فقيل معناه: بما أمنتم به.

والمثل: ضد كما فى قوله: ﴿ليس كمثله شىء﴾[5] ومعناه: ليس كهو شىء.

قال الشاعر:

ياعاذلى دعنى عن عذلكا ... مثلى لايقبل من مثلكا[6]

(١) آل عمران: ٨٤.

(٢) الحديث فى صحيح مسلم (٦/٨–٩ رقم ٧٢٧) من حديث ابن عباس مرفوعا إلا أنه قال فى الآخرة: ﴿آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون﴾.

وفى الرواية الثانية قرأ فى الآخرة: ﴿تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾

(٣) فى «الأصل، ك»: امنوا أمؤمن أنت.

(٤) فى «الأصل، ك» بنى إسرائيل وهو سبق قلم.

(٥) الشورى: ١١.

(٦) فى «الأصل، وك»: مثلها. والصواب ما أثبتناه.

تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾

أى: لايقبل منك.

وقال الزجاج: معناه فإن أتوا بإيمان كإيمانكم، وتصديق كتصديقكم، وتوحيد كتوحيدكم، وقال أبو معاذ النحوى: معناه فإن آمنوا بكتابكم كما آمنتم بكتابهم.

﴿فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم فى شقاق﴾ أى: منازعة؛ لأن كل منازع يكون فى شق آخر عند المنازعة.

﴿فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم﴾ وعده أن يكفيه شرهم، وقد كفى بإجلاء بنى النضير، وقتل(١) بنى قريظة، وضرب الجزية على اليهود والنصارى، وقتل المشركين.

﴿وهو السميع العليم﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿صبغة الله﴾ قال ابن عباس – فى رواية الكلبى – وقتادة، والحسن، وعكرمة، والسدى: معناه: دين الله. وإنما سماه صبغة؛ لأنه يظهر أثر الدين على المتدين كما يظهر أثر الصبغ على الثوب.

وقال مجاهد: معناه: فطرة الله. وهذا يقرب من الأول.

وقيل: أراد به الختان. وقوله ﴿صبغة الله﴾ أى: تطهير الله بالختان، وإنما سماه صبغة؛ لأنه أقامه مقام فعل النصارى، وذلك أنهم كانوا يصبغون الولد فى ماء أصفر بدل الختان فى زى اليهود. ويعدونه تطهيرا للولد فالله – تعالى – أقام التطهير بالختان فى حق المسلمين مقام ما صبغوا.

قال الكسائى: هو نصب على الإغراء وتقديره: الزموا دين الله. ومن أحسن من الله دينا، أو الزموا تطهير الله ﴿ومن أحسن من الله صبغة﴾ أى: تطهيرا ﴿ونحن له عابدون﴾.

(١) فى ك: وقبل.

قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ

قوله تعالى: ﴿قل أتحاجوننا فى الله وهو ربنا وربكم﴾ والمحاجة: المجادلة بالحجة لإظهار الحق.

نزلت فى اليهود ونصارى نجران حيث حاجوا رسول الله ﷺ وقالوا: ديننا أقدم من دينكم وكتابنا أقدم من كتابكم، فنحن أولى بالله منكم، فنزل قوله: قل يا محمد ﴿أتحاجوننا فى الله وهو ربنا وربكم﴾ أى: نحن وأنتم سواء فى الله فإنه ربنا وربكم.

﴿ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم﴾ أى: نجازى بأعمالنا وتجازون بأعمالكم ﴿ونحن له مخلصون﴾ يعنى: كيف تَدَّعُون أنكم أولى بالله ونحن له مخلصون وأنتم به مشركون؟

قوله - تعالى -: ﴿أم تقولون﴾ يعنى: أتقولون؟ والصيغة صيغة الاستفهام، ومعناه التوبيخ يعنى أتقولون ﴿إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى﴾. وذلك أنهم ادعوا أن هؤلاء الأنبياء كانوا يهودا أو نصارى.

﴿قل أأنتم أعلم أم الله﴾ وذلك أن الله - تعالى - قد أعلم المسلمين أنهم كانوا على الدين الحنيفية وما كانوا يهودا ولا نصارى، كما قال - تعالى -: ﴿ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما﴾(١).

﴿ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه أراد به أن الله - تعالى - قد أشهدهم فى كتبهم علي أن إبراهيم كان على الدين الحنيفية، ولم يكن يهوديا ولا نصرانيا؛ فكتموا تلك الشهادة.

وقيل أراد بالشهادة على نعت محمد ﷺ.

﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ أى: لايخفى عليه شىء مما تعملون.

قوله - تعالى -: ﴿تلك أمة قد خلت﴾ أى: مضت ﴿لها ما كسبت ولكم ما

---

(١) آل عمران: ٦٧.

كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ

كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون ﴾ يعنى: أنكم غير مسؤولين عن أعمالهم بل هم المسئولون.

فإن قيل: هذا تكرار؛ فإنه قد ذكره مرة.

قلنا: أما الأول: كان فى الأنبياء الذين سبق ذكرهم. وهذا الثانى: فى اليهود والنصارى الذين سبق ذكرهم فى هذه الآيات. أو كرره تأكيدا.

وحكى عن بعض العلماء أنه سئل عما وقع من الفتن بين على ومعاوية وطلحة والزبير وعائشة - رضوان الله عليهم - فقرأ ﴿ تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم... ﴾ الآية وهذا جواب حسن فى مثل هذا السؤال.

قوله - تعالى -: ﴿ سيقول السفهاء من الناس ﴾ أى: يقول السفهاء الجهال، والسفيه: خفيف الحلم والعقل. ومنه الثوب - يعنى - السفيه ويقال: رمح سفيه، أى: سريع النفوذ.

﴿ ما ولاهم ﴾ ما عدلهم وحرفهم ﴿ عن قبلتهم التى كانوا عليها ﴾ يعنى: بيت المقدس ﴿ قل لله المشرق والمغرب ﴾ يوجه العباد إلى أيهما شاء ﴿ يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ أى: طريق مستقيم. والطريق المستقيم: هو الموصل إلى المقصود.

ونزلت الآية فى اليهود؛ حيث عيروا المسلمين على تحويلهم من بيت المقدس إلى الكعبة.

قوله - تعالى -: ﴿ وكذلك جعلناكم ﴾ يعنى: كما اخترنا الأنبياء واخترنا بنى إسرائيل من الخلق فكذلك اخترناكم من الأمم. ﴿ أمة وسطا ﴾ أى: عدلاً خياراً. قال الشاعر:

عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ

هُمُ وسط يرضى الأنام بحكمهم ... إذا نزلت إحدى الليالى بمعظم

وفى الخبر أن النبى ﷺ قال: «إنكم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأعدلها»(١).

وقد ورد فى الخبر عنه ﷺ أنه قال: «خير الدين النمط الأوسط»(٢) يعنى الذى ليس فيه غلو ولا تقصير. وذلك دين الإسلام؛ لأن النصارى غلوا فى دينهم، واليهود قصروا. وأما المسلمون أخذوا بالنمط الأوسط.

﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾ وذلك يوم القيامة، حين يسأل الأمم عن إبلاغ الرسل، فينكرون تبليغهم الرسالة. فيسأل الرسل فيقولون: بلغنا، فيقال لهم: ومن يشهد لكم؟ فيأتون بهذه الأمة فيشهدون لهم بالبلاغ. فتقول الأمم: إنهم أتوا بعدنا فكيف يشهدون بذلك؟ فيسأل هذه الأمة. فيقولون: أرسلت إلينا رسولا، وأنزلت علينا كتابا، وأخبرتنا فيه ببلاغ الرسل، وأنت صادق فيما أخبرت، فبذلك نشهد لهم بالبلاغ.

﴿ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ على أعمالكم.

وقيل: معناه مزكيا مصدقا علي شهادتكم.

قوله – تعالى –: ﴿وما جعلنا القبلة التى كنت عليها﴾ أى: ما حولنا القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ﴿إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه﴾ فإن قال قائل: مامعنى قوله: ﴿إلا لنعلم﴾ وهو عالم بالأشياء قبل كونها؟

---

(١) أخرجة الترمذى (٥/ ٢١١ رقم ٣٠٠١) وقال: حديث حسن، وابن ماجه (٢/ ١٤٣٣رقم ٤٢٨٧، ٤٢٨٨)، والإمام أحمد فى مسنده (٤/ ٤٤٧، ٥/ ٣، ٥) والحاكم فى مستدركه (٤/ ٨٤) وقال: صحيح. جميعهم من حديث بهز بن حكيم عن أبيه، عن جده مرفوعا.

(٢) عزاه العراقى فى تخريجه على الإحياء (١/ ٧٢) لأبى عبيد فى الغريب من حديث على موقوفاً ولفظه «عليكم بالنمط الأوسط». وقال: ولم أجده مرفوعاً.

الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ

قلنا بلى كان عالما به علم الغيب، وإنما أراد بهذا: العلم الذى يتعلق به الثواب والعقاب، وهو العلم بوجود الأتباع؛ فإن كونه موجودا إنما يعلم بعد الوجود.

وقيل: معناه إلا لنرى، وهو قريب من الأول.

وقيل: الابتلاء مضمر فيه، وتقديره: إلا لنبتلى فيظهر المتبع من المنقلب، وفى الخبر: «أن القبلة لما حولت إلى الكعبة، ارتد قوم من المسلمين إلى اليهودية، وقالوا: إن محمدا رجع إلى دين آبائه». فهذا معنى قوله: ﴿ممن ينقلب على عقبيه﴾ وقوله - تعالى -: ﴿وإن كانت لكبيرة﴾ لثقيلة.

قيل: معناه: وإن كانت القبلة لكبيرة. قال الزجاج: وإن كانت التحويلة لكبيرة.

﴿إلا على الذين هدى الله﴾ أى: هداهم الله. ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ نزل هذا فى قوم معينين. ذلك ما روى: «أن القبلة لما حولت سأل قوم رسول الله ﷺ فقالوا: إن قوما منا كانوا قد صلوا إلى بيت المقدس، وماتوا، فما شأنهم؟ منهم أسعد بن زرارة، وأبو أمامة والبراء بن معرور - فنزل قوله - تعالى -: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾» أى: صلاتكم فجعل الصلاة إيمانا، وهذا دليل على المرجئة؛ حيث لم يجعلوا الصلاة من الإيمان. وإنما سموا مرجئة لأنهم أخروا العمل عن الإيمان.

وحكى: أن أبا يوسف شهد عند شريك بن عبد الله القاضى فرد شهادته، قيل له أترد شهادة يعقوب؟ فقال: كيف أقبل شهادة من يقول: إن الصلاة ليست من الإيمان؟!.

وقيل: معنى قوله: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ بالتحويل.

﴿إن الله بالناس لرءوف رحيم﴾ والرأفة: أشد الرحمة.

قوله - تعالى -: ﴿قد نرى تقلب وجهك فى السماء﴾ هذه الآية وإن كانت

لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ

متأخرة فى التلاوة لكنها متقدمة فى المعنى؛ فإنها رأس القصة.

وسبب نزول الآية ما روى جابر: «أن النبى ﷺ بعد ما قدم المدينة صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا - أو سبعة عشر شهرا - وكان يود أن يحوله الله إلى الكعبة فكان يقول لجبريل: وددت لو حولنى الله إلى الكعبة؛ فإنها قبلة أبى إبراهيم، وكان يقول لجبريل: سل ربك فقال له جبريل: سل أنت فإنك عند الله بمكان، وكان كلما نزل جبريل تردد وجهه فى السماء؛ رجاء أن ينزل بالنسخ»(١).

قال السدى: إنه ﷺ كلما افتتح صلاة، كان يردد وجهه فى السماء رجاء أن يحوله الله إلى الكعبة، فأقامه الله عليه ستة عشر شهرا، ثم نزل قوله - تعالى -: ﴿قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها﴾ أى: تودها وتهواها؛ لأن القبلة الأولى كانت [ترضيه](٢) أيضا.

﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ أى نحو البيت.

﴿وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾ أى: نحوه. وفى الخبر أن النبى ﷺ قال: «هذه القبلة وأشار إلى البيت»(٣).

﴿وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم﴾ يعنى التحويل إلى الكعبة ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ قال ابن عباس: أول ما نسخ بعدما قدم المدينة هو القبلة.

---

(١) لم أقف عليه بهذا السياق من حديث جابر ولا غيره، وقد صح عن النبى ﷺ أحاديث فى حبه أن يستقبل الكعبة وفى سبب نزول قوله تعالى ﴿قد نرى ...﴾ منها حديث البراء الذى أخرجه البخارى فى صحيحه (٨/ ٢٠ رقم ٤٤٨٦)، والله أعلم.

(٢) فى «الأصل، وك»: ترضاه.

(٣) متفق عليه من حديث ابن عباس. فرواه البخارى (١/ ٥٩٧ رقم ٣٩٨)، ومسلم (٩/ ١٢٥ - ١٢٦ رقم ١٣٣٠).

فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا

وقيل: أول صلاة صليت إلى الكعبة كانت صلاة العصر. وروى «أنها حولت إلى الكعبة وكانوا في الصلاة. والصحيح: أن التحويل كان خارج الصلاة. وإنما كان ذلك في حق أهل قباء؛ فإنهم شرعوا في صلاة العصر، وكانت صلاة العصر نحو بيت المقدس، فأتاهم آتٍ وقال: «أشهد أني صليت هذه الصلاة مع رسول الله ﷺ إلى الكعبة؛ فاستداروا إلى الكعبة وبنوا على صلاتهم»(١).

قوله - تعالى -: ﴿ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك﴾ معناه: لو أتيتهم بكل معجزة ما تبعوك في الكعبة. ﴿وما أنت بتابع قبلتهم﴾ يعني: قبلة اليهود والنصارى ﴿وما بعضهم بتابع قبلة بعض﴾ يعني: اليهود والنصارى، وذلك أن قبلة اليهود بيت المقدس وهو المغرب، وقبلة النصارى المشرق، وأما قبلة المسلمين هي الكعبة.

وقد روى ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «ما بين المشرق والمغرب قبلة»(٢) قال ابن عمر: يعني لأهل المشرق. وصورته أن يجعل مشرق الشتاء في أقصر يوم من السنة على يساره. ومغرب الصيف في أطول يوم من السنة عن يمينه، فيكون وجهه إلى الكعبة وذلك بأن يتوجه إلى مسقط قلب العقرب حين يسقط. فهذا معنى قوله: «ما بين المشرق والمغرب قبله..».

﴿ولئن اتبعت أهواءهم﴾ وإن كان الخطاب مع الرسول، ولكن المراد به الأمة كما سبق.

(١) تقدم في حديث البراء عند البخاري.

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه (١/٢٠٥-٢٠٦)، والبيهقي من طريق الحاكم (٢/٩) وقال الحاكم: صحيح، وقد أوقفه جماعة عن عبد الله بن عمر، وقال الذهبي: وصححه أبو حاتم موقوفاً على عبد الله، والله أعلم.

قلت: وفي العلل لابن أبي حاتم (١/١٨٤) أن أبا زرعة قال في الرواية المرفوعة لابن عمر: هذا وهم، الحديث حديث ابن عمر موقوف.

قلت: وفي الباب عن أبي هريرة مرفوعاً، أخرجه الترمذي في سننه (٢/١٧٣ رقم ٣٤٤)، وابن ماجة (١/٣٢٣ رقم ١٠١١) وقال الترمذي: حسن صحيح.

قَبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ مِن

﴿من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين﴾ معلوم التفسير.

قوله - تعالى -: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾ قيل: أراد به القبلة. وقيل: أراد به محمدا ﷺ.

وروى أن عبد الله بن سلام قال: معرفتى بهذا النبى أشد من معرفتى بابنى. قال له عمر: وكيف ذاك؟ قال: لأنى لا أعرف ما أحدثت النساء، وأعرف أنه نبى حق. فقال عمر: لله درك.

﴿وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين﴾ أى: الشاكِّين.

قوله - تعالى -: ﴿ولكل وجهة هو موليها﴾ قال مجاهد: هو موليها وجهة. يعنى: القبلة. وقال أبو حاتم، عن الأخفش معناه: الله موليها.

فقوله: «هو» كناية عن الله - تعالى - يعنى: الله مولى الأمم إلى قبلتهم. وقرأ ابن عامر: «هو مولاها»(١) أى: المستقبل مصروف إليها.

﴿فاستبقوا الخيرات﴾ أى: بادروا، والمراد ها هنا: المبادرة إلى القبول من الله ﴿أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعا إن الله على كل شىء قدير﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ أى: نحوه.

﴿وإنه للحق من ربك﴾ ذكره تأكيداً للأول ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾.

(١) انظر النشر (٢/٢٢٣).

رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا

قوله تعالى: ﴿ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة﴾ يعنى: اليهود؛ وذلك أنهم قالوا: إن محمدا اتبع قبلتنا، فسيعود إلى ملتنا.

﴿إلا الذين ظلموا﴾ وهم المشركون. وقيل: «إلا» بمعنى «ولا» الذين ظلموا. ومثله: قول الشاعر:

وكل أخ مفارقه أخوه لعمرو أبيك إلا الفرقدان

يعنى: ولا الفرقدان.

والصحيح: أنه استثناء منقطع، «وإلا» بمعنى «لكن» الذين ظلموا يخاصمونكم ويحاجونكم بالحجة الباطلة، وذلك أن المشركين قالوا - حين تحولت القبلة إلى الكعبة -: إنه رجع إلى قبلتنا فسيعود إلى ملتنا، والحجة الباطلة قد تسمى حجة، كما قال الله - تعالى -: ﴿حجتهم داحضة﴾(١) فكأنه أبطل حجة اليهود بالتحويل إلى الكعبة: ثم أبطل حجة المشركين بدليل سواه.

﴿إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشونى ولأتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون﴾ قال سعيد بن جبير: لاتتم نعمته على المسلم إلا بأن يدخله الجنة.

وفى الخبر: «أن النبى ﷺ سمع رجلا يقول الحمد لله على الإسلام، فقال ﷺ: لقد حمدت الله على نعمة عظيمة»(٢).

قوله - تعالى -: ﴿كما أرسلنا فيكم رسولا منكم﴾ فإن قال قائل: الكاف للتشبيه فأين المشبه به؟ قلنا: قال - على رضى الله -: عنه تقديره: فاذكره لى، كما

(١) الشورى: ١٦.

(٢) أخرجه ابن أبى الدنيا فى الشكر (ص٦٨ رقم ٩) عن الحسن مرسلا.

تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا

أرسلنا فيكم رسولا فيكون الذكر على هذا القول بمعنى الشكر.

وقيل: تقديره: ولأتم نعمتى عليكم كما أرسلنا فيكم رسولا منكم، وذلك أن إبراهيم – صلوات الله عليه – كان قد دعا دعوتين: دعا أن يبعث فيهم رسولا منهم، ودعا إتمام النعمة على ذريته بالرزق من الثمرات، فأجاب إحدى الدعوتين بأن بعث فيهم رسولا، ثم أجاب الدعوة الثانية فقال: ولأتم نعمتى عليكم، كما أرسلنا فيكم رسولا منكم.

﴿ يتلو عليكم آياتنا ﴾ يعنى: القرآن ﴿ ويزكيكم ﴾ كما بينا ﴿ ويعلمكم الكتاب والحكمة ﴾ وقد ذكرنا. وقيل: الحكمة السنة، وقيل: مواعظ القرآن.

﴿ ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكرونى أذكركم ﴾ قيل: ذكر الله ها هنا بمعنى المدح والثناء عليه.

وفى الخبر عن النبى ﷺ «أن الله – تعالى – يقول: أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه حين يذكرنى، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسي، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه، وإن تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلى ذراعا، تقربت إليه باعا وإن أتانى يمشى أتيته هرولة» أخرجه مسلم فى الصحيح[1].

وقيل: معناه: فا ذكرونى كما أرسلنا، وهذا قريب من قول على.

وقيل: الذكر من العبد الطاعة، ومن الله المغفرة والرحمة. ومعناه: فاذكرونى بالطاعة أذكركم بالمغفرة والرحمة.

﴿ واشكروا لى ولا تكفرون ﴾ يعنى واشكروا لى بالطاعة ولا تكفرونى بالمعصية. فإن من أطاع الله فقد شكره، ومن عصاه فقد كفره.

(١) هو فى الصحيح (١٧/ ٣ رقم ٢٦٧٥) عن أبى هريرة مرفوعاً.

فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ

وحكى أن موسى - صلوات الله عليه - سأل ربه فقال: ما الشكر الذى ينبغى لك؟ فقال أن لايزال لسانك رطبا بذكرى.

قوله - تعالى -: ﴿ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ﴾ فالاستعانة: طلب المعونة. وفى الصبر قولان: أحدهما: الثبات على الدين، والآخر: الصوم. ووجه الاستعانة بهما ما سبق.

﴿إن الله مع الصابرين﴾ قال عطاء، عن ابن عباس: بالحفظ والنصر.

قوله - تعالى -: ﴿ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات﴾ نزلت الآية فى قوم معينين، استشهدوا يوم بدر، وكان يقول المسلمون: مات فلان، فلم يَرْضَ الله - تعالى - ذلك منهم، وأنزل الله هذه الآية.

﴿بل أحياء ولكن لاتشعرون﴾ أى: شهداء؛ لأن الشهيد حىّ.

وقيل: معناه ما ورد فى الخبر: «أن أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر تعلف من ثمار الجنة - أى تأكل - وتأوى إلى قناديل معلقة تحت العرش». (١) فذلك قوله: ﴿بل أحياء عند ربهم﴾(٢).

وقيل: معناه أحياء بالثواب والثناء الحسن، وليسوا بأموات بالذكر السيء وعدم الثواب.

قوله - تعالى -: ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف﴾ واللام فيه لجواب القسم. وتقديره: والله لنبلونكم. وحكمة الابتلاء لإظهار المطيع من العاصى، لا ليعلم شيئاً

(١) رواه الترمذى (٤/١٥١ رقم ١٦٤١)، وابن ماجة (١/٤٦٦ رقم ١٤٤٦) وأحمد فى مسنده (٦/٣٨٦) جميعهم من حديث كعب بن مالك، وقال الترمذى: حسن صحيح.

وبنحوه رواه الإمام مسلم فى صحيحه (١٣/٤٦-٤٧ رقم ١٨٨٧)، والترمذى (٥/٢١٥ - ٢١٦ رقم ٣٠١١) من حديث ابن مسعود، وقال الترمذى: حسن صحيح.

(٢) آل عمران: ١٦٩.

﴿١٥٣﴾ وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ
﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ

لم يكن عالماً به، واختلفوا فيمن نزلت الآية فيه، منهم من قال : نزلت فى اليهود وقيل: نزلت فى المسلمين .

﴿ بشئ من الخوف ﴾ خوف العدو ﴿ والجوع ﴾ بالقحط والجدب ﴿ ونقصٍ من الأموال ﴾ بالخسران والهلاك ﴿ والأنفس ﴾ بالمرض والشيب والموت ﴿ والثمرات ﴾ بالجوائح، وقيل : بالأولاد؛ وذلك أنهم ثمرات القلوب، وحكمة الابتلاء بهذه الأشياء: حتى إذا صبروا عليه فكل من سمع به بعدهم؛ علم أنهم أنما صبروا عليه لما عرفوا من الحق .

﴿ وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنّا إليه راجعون ﴾ . قال سعيد بن جبير : كلمة الإسترجاع لم تعط [لأحد](١) من الأمم سوى هذه الأمة . ألا ترى أن يعقوب – صلوات الله عليه – لما ابتلي بفراق يوسف قال: ﴿ يا أسفى على يوسف ﴾(٢) ولم يقل: إنا لله وإنا إليه راجعون؟ ومعناه: إنا لله ملْكًا وعبودية، وإنا إليه راجعون في القيامه، وإنما قيد بهذا لأن الأمر فى القيامة يخلص لله – تعالى – .

وروي: «أن رسول اللّه ﷺ طُفِيءَ سراجه، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون. فقيل له في ذلك، فقال : كل ما أذى المؤمن فهو مصيبة له»(٣) .

قوله تعالى : ﴿ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ ومعنى الصلوات هاهنا الرحمة بعد الرحمة؛ لأن الصلاة من الله: الرحمة. ومن الملائكة: الاستغفار، ومن الناس الدعاء. قال الشاعر :

(١) فى الأصل أحد.

(٢) يوسف : ٨٤

(٣) أخرجه أبو داود فى مراسيله (رقم ٤١٢) عن عمران القصير.
وروى مرسلا أيضا عن عكرمة، أخرجه عبد بن حميد وابن أبى الدنيا فى «الفداء» كما فى الدر المنثور للسيوطى (١/ ١٦٥). وعزاه أيضا لابن أبى الدنيا عن عبد العزيز بن أبى داود بلاغا.

وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ

صلى على يحيى وأشياعه رَبٌّ كريم وشفيع مطـاع

يعني: ترحم عليه.

قوله: ﴿ ورحمة ﴾ ذكرها تأكيداً للأول ﴿وأولئك هم المهتدون ﴾ قال عمر – رضى الله عنه –: نِعْمَ العِدلان ونِعْمَتِ العِلاوة، والعِدلان: الصلوات والرحمة، والعلاوة: الهداية.

وقد ورد فى ثواب المصيبة أخبار كثيرة، منها: ما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما أصيب العبد المؤمن بمصيبة إلا كُفِّر عنه، حتى الشوكة يشاكها»(١).

قوله – تعالى –: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾ الصفا: جبل بأحد طرفى المسعى. والمروة: جبل بالطرف الثانى، والصفا: الحجر الصلب، والمروة: الحجر الرخو.

قوله – تعالى –: ﴿من شعائر الله﴾ فالشعائر: جمع الشعيرة، وهى: الأعلام التى على مناسك الحج. ومثله المشاعر، فالموقف شعيرة، والمطاف شعيرة، والمنحر شعيرة، والمشعر شعيرة.

﴿فمن حج البيت أو اعتمر﴾ فأصل الحج: القصد. قال الشاعر:

وأشهدُ من عوفٍ حُلُولاً كثيرةً يحجون(٢) سِبَّ الزِّبْرقانِ المزعفرَا

أى: يقصدون. وأصل العمرة: الزيارة. قال الشاعر:

وجاشَت النفس لما جاء فَلُّهُمُ وراكب جاء من تثليثَ معتمرُ(٣)

أى: زائرا وفى الحج والعمرة قصد وزيارة.

(١) متفق عليه من حديث عائشة، فرواه البخارى (١٠/١٠٧ رقم ٥٦٤٠)، ومسلم (٦/١٩٣–١٩٦ رقم ٢٥٧٢) وفى هذا المعنى أحاديث كثيرة فى الصحيحين وغيرهما.

(٢) فى «الأصل» و«ك»: يحجون العمامة. والبيت فى لسان العرب (مادة: حجج وتفسير الطبرى (٣/٢٢٨). وزيادة «العمامة» ليست فى لسان العرب، ولاتفسير الطبرى، ولعلها مقحمة.

(٣) كذا فى لسان العرب (مادة: عمر)، ووقع فى «الأصل، وك»: معتمراً. على النصب.

﴿١٥٧﴾ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا

وقوله – تعالى –: ﴿فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾ قرأ ابن عباس: «فلا جناح عليه أن لايطوف بهما». وهى قراءة أنس، وكذلك كان فى مصحف أبى بن كعب، وابن مسعود. والقراءة المعروفة: ﴿أن يطوف بهما﴾.

وقد روى عن عروة بن الزبير: أنه قال لعائشة: «أنا(١) لا أرى جناحا على من لا يطوف بين الصفا والمروة، وقرأ هذه الآية.

فقالت عائشة: بئسما رأيت يا ابن أختى وذكرت القصة فى سبب نزول الآية»(٢).

والقصة فى ذلك أنه كان فى الجاهلية على الصفا والمروة صنمان: إساف ونائلة، وكان إساف على الصفا، ونائلة على المروة، وكان أهل الجاهلية يطوفون بين الصفا والمروة تعظيما للصنمين، فلما فتح النبى ﷺ مكة، وكسر الأصنام. وكان المسلمون يتحرجون عن السعى بين الصفا والمروة لمكان الصنمين اللذين كانا عليهم؛ فنزلت الآية فى رفع ذلك الحرج.

ثم وجوب السعى بالخبر؛ وهو قوله ﷺ: «إن الله – تعالى – كتب عليكم السعى فاسعوا»(٣).

(١) فى «ك»: إنى.

(٢) متفق عليه من حديث عائشة. أخرجه البخارى (٣/ ٥٨١ رقم ١٦٤٣) ومسلم (٩/ ٢٩–٣٤ رقم ١٢٧٧).

(٣) رواه أحمد فى مسنده (٦/ ٤٢١، ٤٢٢)، وابن خزيمة فى صحيحه (٤/ ٢٣٢–٢٣٣)، والدارقطنى (٢/ ٢٥٥) والحاكم فى مستدركه (٤/ ٧٠) من حديث حبيبة بنت أبى تجزأة. وقال الهيثمى فى المجمع (٣/ ٢٠٠): وفيه عبد الله بن المؤمل. وثقة ابن حبان وقال: يخطئ، وضعفه غيره.

ورواه الدارقطنى (٢/ ٢٥٥)، والبيهقى (٥/ ٩٧) عن نسوة من بنى عبد الدار أدركن رسول الله ﷺ. ونقل الزيلعى فى نصب الراية (٣/ ٥٦) تصحيح ابن عبد الهادى لإسناد هذا الحديث.

ورواه الطبراني فى الكبير (١١/ ١٨٤، ١١٤٣٧) من حديث ابن عباس وقال الهيثمى فى المجمع (٣/ ٢٥١): وفيه المفضل بن صدقة وهو متروك. ورواه الطبرانى فى الكبير (٢٤/ ٢٠٦–٢٠٧ رقم ٥٢٩)، والبيهقى فى سننه (٥/ ٩٨) من حديث تملك العبدية. وقال الهيثمى: وفيه المثنى بن الصباح، وقد وثقه ابن معين فى رواية، وضعفه جماعة. وللحديث طرق كثيرة انظر نصب الراية (٣/ ٥٥ – ٥٧).

أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا

فأما تلك القراءة «أن لايطوف بهما» فهى قراءة مهجورة فلا تترك بها القراءة المعهودة.

وقيل: «لا» فيه صلة. والمراد: أن يطوف. قال الشاعر:

لا ألوم البيض ألا تسخرا　　　لما رأين الشمط القفندرا

أى: أن تسخر.

قوله - تعالى -: ﴿ومن تطوع خيرا﴾ قرأ حمزة: «ومن يَطَّوع» مشدد[1]. ومعناه يتطوع والمعروف ﴿ومن تطوع﴾. ثم من قال: إن السعى ليس بركن صرف قوله: ﴿ومن تطوع﴾ إلى السعى.

ومن قال: إنه ركن صرفه إلى أصل الحج والعمرة.

ويحتمل أنه أراد التطوع بسائر الأعمال.

﴿فإن الله شاكر عليم﴾ والشكر من الله: أن يُعطى فوق ما يستحق العبد.

قوله - تعالى -: ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب﴾ نزلت الآية فى اليهود.

﴿أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾ قال ابن عباس: اللاعنون: هم كل الخلائق سوى الجن والإنس.

وفى الأخبار: «أن الأرض إذا أجدبت يلعن كل شيء عُصَاة بنى آدم؛ حتى الخنافس يقولون: اللهم العن عُصَاة بنى آدم؛ فإنا حرُمنا الرزق بشؤم معاصيهم»[2].

وقال قتادة: اللاعنون: هم الملائكة والمؤمنون. وقيل: هم الجن والإنس.

---

(١) قرأ حمزة، والكسائى، وخلف «يَطَّوع» بالياء المفتوحة، وتشديد الطاء، وإسكان العين على الاستقبال.
وقرأ الباقون بالتاء، وتخفيف الطاء وفتح العين على المضى. انظر النشر (٢ / ٢٢٣).

(٢) أخرجه الطبرى فى تفسيره (٢ / ٣٣)، وعبد بن حميد، وأبو نعيم، والبيهقى فى الشعب عن مجاهد قوله.
وأخرجه ابن جرير (٢ / ٣٣)، وعبد بن حميد عن عكرمة قوله، وانظر الدر (١ / ١٧٠).

التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ

وعن ابن مسعود - رضى الله عنه -: ما تلاعن اثنان ولم يكونا مستحقين إلا رجعت اللعنة على اليهود.

قوله - تعالى -: ﴿إلا الذين تابوا﴾ أى: أسلموا ﴿وأصلحوا﴾ أى: داموا على التوبة ﴿وبينوا﴾ ما كتموا ﴿فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم﴾.

قوله - تعالى -: ﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين﴾ فإن قال قائل: قد قال: ﴿الناس أجمعين﴾ والملعون من جملة الناس؛ فكيف يلعن نفسه؟ قيل: يلعن نفسه فى القيامة. قال الله - تعالى -: ﴿ويلعن بعضكم بعضا﴾[1].

وقوله: ﴿خالدين فيها﴾ يعنى فى اللعنة، ويحتمل فى النار وإن لم تكن مذكورة فى الآية ﴿لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون﴾ معلوم التفسير.

قوله - تعالى -: ﴿وإلهكم إله واحد﴾ وسبب نزول [هذه][2] الآية ما روى أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ انسب لنا ربك، أوصِفْ لنا ربك؛ فنزل قوله - تعالى - ﴿وإلهكم إله واحد﴾ وسورة الإخلاص.

قال الأزهرى: الواحد: الذى لانظير له، يقال: فلان واحدُ العالم أى: لانظير له فى العالم. وحقيقة الواحد: هو المنفرد الذى لانظير له ولاشريك. ﴿لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾ روى شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد النهشلية[3] عن النبى ﷺ أنه قال: «اسم الله الأعظم فى آيتين من سورة البقرة: آية الكرسى، وهذه الآية ﴿وإلهكم إله واحد﴾»[4].

قوله - تعالى -: ﴿إن فى خلق السموات والأرض﴾ روى أنه لما نزل قوله:

---

(١) العنكبوت: ٢٥.

(٢) من «ك».

(٣) كذا فى «الأصل»، «ك». والصواب الأشهلية كما جاء فى ترجمتها فى كثير من المواضع، وهى أسماء بنت يزيد بن السكن بن رافع بن عبد الأشهل الأنصارية. انظر تهذيب الكمال (٣٥/١٢٨).

(٤) رواه أبو داود (٢/٨٠ رقم ١٤٩٦)، والترمذى (٥/٤٨٣ رقم ٣٤٧٨)، وابن ماجة (٢/١٢٦٧ رقم ٣٨٥٥) وأحمد (٦/٤٦١)، وابن أبى شيبة (١٠/٢٧٢ رقم ٩٤١٢)، والدارمى (٢/٥٤٢ رقم ٣٣٨٩) والطبرانى فى الكبير (٢٤/١٧٤ - ١٧٥ رقم ٤٤٠، ٤٤١)

يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ

﴿ وإلهكم إله واحد ﴾ قال المشركون لرسول الله ﷺ : ما الدليل على أنه واحد؛ فنزل قوله: ﴿ إن فى خلق السموات والأرض ﴾ والخلق: هو ابتداع الشىء وتقديره، ومنه قول الشاعر:

ولأنت تفرى ما خلقت وبعـ ـــض القومِ يخلق ثم لايفرى

أى: يقطع ما قدرت.

والسموات: جمع سماء، وهى سبع سموات، وكذلك الأرضون سبع، على الصحيح.

وإنما ذكر السموات بلفظ الجمع، والأرض بلفظ الواحد؛ لأن كل سماء من جنس آخر. والأرضون كلها من جنس واحد. وهو التراب، والآية فى السموات: سمكها [وسعته](١) وارتفاعها من غير عمد ولا عُلاَّقة، وما ترى فيها من الشمس والقمر والنجوم.

والآية فى الأرض: مدها وبسطها وسعتها وما يرى فيها من الأشجار والأنهار والجبال والبحار والجواهر والنبات.

وقوله تعالى: ﴿ واختلاف الليل والنهار ﴾ وذلك [ذهابهما ومجيئهم](٢) ومنه قولهم: فلان يختلف إلى فلان. أى: يذهب ويجىء مرة بعد أخرى. ومثله قوله - تعالى -: ﴿ وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة ﴾(٣) أى: يخلف أحدهما الآخر، والآية فى الليل والنهار نقصانهما وزيادتهما وأن يذهب ضوء النهار فلا يدرى أين ذهب، ويذهب سواد الليل فلا يدرى أين ذهب.

(١) فى «الأصل، وك»: شغلها.

(٢) فى «الأصل، وك»: ذهابها ومجيئها.

(٣) الفرقان: ٦٢.

النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ

وقوله – تعالى –: ﴿والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس﴾ والفلك: اسم للجمع والواحدان فإذا أريد به الجمع يؤنث، وإذا أريد به الواحد يذكر، وقد ورد بالصيغتين فى القرآن، والمراد ها هنا الجمع.

والآية فى الفلك تسخيره [وجريها](1) على وجه الماء. وهى موفرة مثقلة لا ترسب تحت الماء بل تعلو على وجه الماء.

قوله – تعالى –: ﴿وما أنزل الله من السماء من ماء﴾ قيل: إن الله – تعالى – يخلق الماء فى السحاب، فعلى هذا؛ السماء ها هنا بمعنى السحاب. وقيل: بل يخلق الماء فى السماء، ومن السماء ينزل إلى السحاب ثم من السحاب ينزل إلى الأرض.

وقوله – تعالى –: ﴿فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ أى: بعد يبسها وجدوبتها. فإن الأرض إذا أجدبت فقد ماتت. وإذا أخصبت فقد حييت.

وقوله – تعالى –: ﴿وبث فيها من كل دابة﴾ أى: فرق فيها. وقوله: ﴿وتصريف الرياح﴾ قيل: تصريفها: أن الريح تارة تكون شمالا وتارة تكون جنوبا، وتارة تكون قبولا، وتارة تكون دبورا، وتارة نكباء، والنكباء: فهى التى لاتعرف لها جهة.

وقيل: تصريفها: أن الريح تارة تكون لينا، وتارة عاصفا، وتارة حارة، وتارة باردة.

قال ابن عباس: أعظم جنود الله الريح والماء.

وقال ابن المبارك: للريح جناحان، والسحاب: غلاف مملوء من الماء.

وفى مصحف حفصة: (وتصريف الأرواح) وهو قريب من الرياح. وسميت الريح ريحا؛ لأنها تريح النفس.

قال شريح القاضى: ما هبت ريح إلا لشفاء سقيم أو لسقم صحيح.

وقوله – تعالى –: ﴿والسحاب المسخر﴾ أى: المذلل ﴿بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾.

(1) ليست فى الأصل، ولا «ك»، وما أثبتناه من تفسير البغوى (1/135) فإن البغوى ينقل عن المصنف.

يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ

قال وهب بن منبه: ثلاثة لايدرى من أين تجيء: الرعد، والبرق، والسحاب.

قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا﴾ كأنه عاب المشركين حيث اتخذوا من دونه أندادا بعدما أظهر الدلائل، ونصب البراهين، على الوحدانية ﴿أندادا﴾ أى: أصناما.

قوله - تعالى -: ﴿يحبونهم كحب الله﴾ قال أبو العباس المبرد النحوى: معنى قوله: ﴿يحبونهم كحب الله﴾ أى: يحبون آلهتهم كحب المؤمنين لله.

وقيل معناه: يحبون الأصنام كما يحبون الله؛ لأنهم أشركوها مع الله.

﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ لأنهم لايختارون على الله ما سوى الله. والمشركون إذا اتخذوا صنما ثم رأوا أحسن منه، طرحوا الأول واختاروا الثانى.

وقوله - تعالى -: ﴿ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب﴾ قرئ هذا بقراءتين. «ولو يرى» بالياء. «ولو ترى» بالتاء(١).

والمعنى: اعلم أولاً أن جواب «لو» ها هنا محذوف، ومثله كثير فى القرآن.

قال الله - تعالى -: ﴿ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم﴾(٢) وقال: ﴿ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى﴾(٣) ثم حذف الجواب اختصارا لسبقه إلى الإفهام.

---

(١) قرأ نافع، وابن عامر، ويعقوب بالخطاب: «ولو ترى، وقرأ الباقون بالغيب «ولو يرى» واختلف على أبى جعفر فروى ابن شبيب عن الفضل من طريقه النهراوانى عنه بالخطاب.

انظر النشر (٢ / ٢٢٤). وتفسير البغوى (١ / ١٣٧).

(٢) سبأ: ٣١.

(٣) الرعد: ٣١.

ثم من قرأ «ولو يرى» بالياء، فتقديره : ولو يرى الذين ظلموا شدة عذاب الله وعقوبته - حين يرون العذاب - لعرفوا أن ما اتخذوا من الأصنام لايضرهم ولاينفعهم.

ومن قرأ «ولو ترى» بالتاء ففى معناه قولان: أحدهما: ولو ترى يامحمد الذين ظلموا فى شدة العذاب - حين رأوا العذاب - لرأيت أمرا عجيبا.

والثانى: معناه: قل يا محمد: أيها الظالم، ولو ترى الذين ظلموا فى شدة العذاب لتعجبت منه ولرأيت أمرا فظيعا.

وقوله - تعالى -: ﴿أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب﴾ قوله: «أن القوة» يقرأ بكسر الألف، وفتحها[1]، فمن قرأ بالكسر، كان على الابتداء بعد تمام الأول، ومن قرأ بالفتح كان تمام الأول، ومعناه: لأن القوة لله.

قوله - تعالى -: ﴿إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا﴾ هذا فى القيامة، حين يجمع الله القادة وأتباعهم، يبرأ بعضهم من بعض.

﴿ورأوا العذاب وتقطعت [بهم][2] الأسباب﴾ أى: الوصلات فى الدنيا من [القرابات][3] والصداقات.

قال مجاهد: يعنى الوصل وهو قريب من الأول.

وقيل الأسباب: الأعمال. وقد ترد بمعنى: أبواب السموات والأرض.

(١) قرأ يعقوب وأبو جعفر بكسر الهمزة، وقرأ الباقون بفتحها. انظر النشر (٢ / ٢٢٤)، وتفسير البغوى (١ /١٣٧).

(٢) فى الأصل»: به، وهو سبق قلم.

(٣) فى الأصل، وك»: القربات، وما أثبتناه هو الصواب انظر البغوى (١ / ١٣٧)

الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾

وذلك فى قوله – تعالى –: ﴿لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات﴾(١) أى: أبوابها. قال الشاعر:

ومن هاب أسباب المنايا [يتلقها] (٢) وإن رام أسباب السماء بسلم

وأصل السبب: ما يوصل. ومنه يقال: للحبل سبب، وقوله – تعالى –: ﴿وتقطعت بهم﴾ أى: عنهم، ومثله قوله – تعالى –: ﴿فاسأل به خبيرا﴾(٣) أى: عنه خبيرا.

وقوله – تعالى –: ﴿وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة﴾ أى: رَجْعَةَ إلى الدنيا. ﴿فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار﴾.

وفيه قولان: أحدهما: أنه يريهم ما ارتكبوا من السيئات؛ فتلك الحسرات.

والثانى: أنه يريهم ما تركوا من الخيرات والحسنات؛ ليكون عليهم حسرات.

---

(١) غافر: ٣٦ – ٣٧.

(٢) فى «الأصل»: يتلقه، وفى «ك» ثلثه. وكلاهما خطأ انظر لسان العرب (مادة: سبب). وفيه: (ولو رام). بدلا من: (وإن رام).

(٣) الفرقان: ٥٩.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ

قوله - تعالى -: ﴿يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض﴾ حكى عن أبى محمد سفيان بن عيينة الهلالى أنه سئل عن أكل الطين فقال: لاتأكل لأن الله - تعالى - قال: ﴿كلوا مما فى الأرض﴾ ولم يقل: كلوا من الأرض ﴿حلالا طيبا﴾ فالحلال: كل ما أحله الشرع.

وفى الطيب قولان:

أحدهما: كل ما يستطاب ويستلذ فهو طيب. والمسلم يستطيب الحلال ويَعَافُ الحرام.

وقيل: الطيب: الطاهر.

وقوله - تعالى -: ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها قال مجاهد: هى خطايا الشيطان. وقال أبو مجلز لاحق بن حميد السدوسى: هى النذور فى المعاصى. والقول الثالث: هى كل أعمال الشيطان. واشتقاقها من الخطوة؛ لأن لِلْخُطَا آثارًا تبقى ﴿إنه لكم عدو مبين﴾ ظاهر المعنى.

قوله - تعالى -: ﴿إنما يأمركم بالسوء والفحشاء﴾ فالسوء: المعصية.

والفحشاء فيه قولان: أحدهما: أنه أراد به الزنا. وقيل: البخل، ومنه قول الشاعر:

عقيلة مال الفاحش المتشدد

أى: البخيل المتشدد

﴿وأن تقولوا على الله ما لاتعلمون﴾ قوله - تعالى -: ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا﴾ أى: وجدنا.

﴿عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لايعقلون شيئا ولايهتدون﴾ معناه: كيف يتبعون

آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

آباءهم وآباؤهم لايعقلون شيئا ولايهتدون؟! وفى هذا نهى عن تقليد الآباء فى الدين.

قوله - تعالى -: ﴿ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لايسمع إلا دعاء﴾ النعق: صوت الراعى بالغنم قال الأخطل.

فانعق بضأنك ياجرير فإنما منَّتْكَ نفسك فى الخلاء ضلالا

وفى الآية محذوف مقدره .وتقديرها: مثل الكفارومثلك يا محمد فى دعائهم كمثل الراعى ينعق بالغنم وهى لاتسمع إلا صوتا ولاتفهم إلا دعاء.

﴿ونداء صم بكم عمى فهم لايعقلون﴾ وقيل: معناه: مثل الكفار فى دعاء الأصنام.

على هذا القول إشكال لأن؛ الأصنام لايسمعون النداء ولا الدعاء. وكيف يكون مثلا أن يسمع ذلك كمثل الذى ينعق بما لايسمع كما بينا؟

قال ابن الأنبارى: أراد بالذى ينعق: الصائح فى الجبل يصيح فيسمع صوتا؛ وهو الصدى. وليس هناك معقول ولا مفهوم. وضرب المثل به للكفار فى قلة الفهم والعقل.

قوله - تعالى -: ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ وفى الخبر عن النبى ﷺ أنه قال: «أمر الله المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات﴾[١] وقال للمؤمنين ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله﴾»[٢] وقد ذكرنا معنى الطيبات.

(١) المؤمنون: ٥١.

(٢) رواه مسلم (٧/ ١٣٩ - ١٤٠ رقم ١٠١٥)، والترمذى (٥/ ٢٠٥ رقم ٢٩٨٩) وقال: حسن غريب، وأحمد (٢/ ٣٢٨).

كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا

﴿ واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون ﴾ يعنى: أنكم كما تعبدونه على الإلهية، فاشكروه على الإحسان. قوله – تعالى –: ﴿ إنما حرم عليكم الميتة ﴾ «إنما» للنفى والإثبات؛ لأنها مركبة من حرفى النفى والإثبات «فإن» للإثبات «وما» للنفى.

تقول: إن فى الدار زيدا. يفهم منه وجود زيد فى الدار. فإذا قلت: «إنما زيد فى الدار» يفهم منه أنه لا أحد فى الدار إلا زيد.

وأما الميتة: إسم لما خرج روحه من غير ذكاة ﴿ والدم ﴾ معروف وفيهما تخصيص؛ فإن الشرع أباح من الميتة: السمك والجراد، ومن الدماء: الكبد والطحال.

وقوله – تعالى –: ﴿ ولحم الخنزير ﴾ أى: الخنزير بلحمه وشحمه وجميع أجزائه.

﴿ وما أهل به لغير الله ﴾ أى: ذبح على اسم الأصنام، وأصل الإهلال: رفع الصوت، وكانوا يرفعون أصواتهم على الذبائح، قال ابن أحمر:

يهل بالفرقد ركبانها … كما يهل الراكب المعتمر

قوله – تعالى –: ﴿ فمن اضطر ﴾ يقرأ بقراءتين: بكسر النون، ورفعها،(١) فمن قرأ بالكسر فهو على الأصل ومن قرأ بالضم فلاتباع ضمة الطاء، والاضطرار إلى أكل الميتة ﴿ غير باغ ولا عاد ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: غير باغ أى: غير خارج على السلطان. ﴿ ولا عاد ﴾ ولا متعد، عاص فى سفره. ففى هذا دليل على أن العاصى فى سفره لايترخص بأكل الميتة.

وقال الحسن وقتادة: ﴿ غير باغ ﴾ أى: غير طالب للميتة على الشبع؛ فيأكله تلذذاً. ﴿ ولا عاد ﴾ ولا مجاوزاً بأكله حد الحاجة.

﴿ فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم ﴾ ظاهر المعنى.

(١) قرأ عاصم، وحمزة، ويعقوب، وأبو عمرو بكسر النون، وقرأ الباقون بضمها. انظر النشر (٢/٢٢٥) وتفسير البغوى (١/١٤٠).

عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمُ

قوله تعالى: ﴿إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا﴾ قد سبق تفسيره.

وقوله - تعالى -: ﴿أولئك ما يأكلون فى بطونهم إلا النار﴾ فيه قولان: أحدهما: أن الذين أكلوا من الرشوة فالمأكلة تصير فى بطونهم نارا.

وقيل: معناه أن ذلك الأكل لما كان يفضى بهم إلى النار؛ فكأنهم يأكلون فى بطونهم نارا.

ومثله قول الشاعر:

وأم سليم فلا تجزعن ... فللموت ما تلد الوالدة

وقال آخر:

لدوا للموت وابنوا للخراب ... فَكُلُّكُمْ يصير إلى الفوات

ومعلوم أن الولد لايولد للموت، ولكن لما كان يؤول إلى الموت لا محالة أضافه إليه.

وقوله - تعالى -: ﴿ولايكلمهم الله يوم القيامة﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه لايكلمهم(١) ولكن يكلمهم بالتهديد والتوبيخ.

وقيل: فى معناه: أنه غضبان عليهم؛ كما يقال: فلان لايكلم فلانا؛ إذا كان عليه غضبان.

---

(١) فى تفسير البغوى (١/ ١٤١): أنه لايكلمهم بالرحمة وبما يسرهم، ولكن يكلمهم بالتهديد والتوبيخ. ولعله سقط من الناسخ: «بالرحمة وبما يسرهم» أو ما يشبه ذلك.

اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ

﴿ ولايزكيهم ﴾ أى: لايطهرهم من الذنوب ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾. قوله – تعالى –: ﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار ﴾ قال ابن عباس: معناه: أى شيء صبّرهم على النار؟!

وقال الكسائى والفراء: معناه: فما أجرأهم على النار، وحكى الكسائى: أن أعرابيين اختصما إلى قاض، فحلف المنكر، فقال له المدعى: ما أصبرك على النار، أى: ما أجرأك على النار.

وقال بعض النحويين: معناه: فما أبقاهم فى النار، يقال: فلان ما أصبره على الحبس، أى: ما أبقاه فى الحبس، «وما» للتعجب ها هنا.

قال الكسائى: التعجب من الله بمعنى: التعجب للخلق ﴿ ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق ﴾ وهم منكرون لذلك.

﴿ وإن الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد ﴾ أى: خلاف طويل.

وإنما سمى الخلاف: شقاقا؛ لأن المخالف يكون فى شق، وصاحبه فى شق آخر.

قوله – تعالى –: ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ﴾ فالبر: كل عمل خير، يفضى بصاحبه إلى الجنة.

وفى معناه قولان: أحدهما: أن الخطاب مع المسلمين، فإنهم كانوا فى الابتداء يأتون بالشهادتين، والصلوات إلى أى جهة شاءوا.

فقال: ليس كل البر أن تُصَلُّوا قِبَل المشرق والمغرب ﴿ ولكن البر من آمن بالله ﴾ فأمرهم بسائر الشرائع المذكورة فى الآية.

وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا

وقيل: هو خطاب لليهود والنصارى إذ كان قِبْلَةُ اليهود المغرب، وقبلة النصارى المشرق.

فقال: ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق أيها النصارى، وقبل المغرب أيها اليهود، ولكن البر من آمن بالله.

وفى تقديره قولان: أحدهما: أن تقديره ولكن ذا البر من آمن بالله، والثانى: أن تقديره: ولكن البَرَّ من آمن بالله ﴿واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه﴾ أى: حب المال.

قال ابن مسعود: هو أن تتصدق وأنت صحيح شحيح، تأمل البقاء، وتخشى الفقر ﴿ذوى القربى﴾ أهل القرابات. ﴿و اليتامى والمساكين﴾ قد ذكرناهم.

﴿وابن السبيل﴾ هو المنقطع. وقيل: أراد به الضيف ﴿والسائلين﴾ معلوم ﴿وفى الرقاب﴾ يعنى: المكاتبين.

﴿وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا﴾ فإن قال قائل: لم قال: «والموفون» على الرفع؟ قيل: فيه قولان. أصحهما: أنه معطوف على خبر لكن، وتقديره: ولكن ذا البر المؤمنون بالله والموفون.

وقيل تقديره: وهم الموفون كأنه عد أصنافا، ثم قال: هم والموفون كذا وكذا.

وفيه قول ثالث: أن الكلام إذا طال فالعرب قد تخالف فى الإعراب.

﴿والصابرين﴾ نصب على المدح. وقيل تقديره: أعنى الصابرين. قال الشاعر:

لايبعدن قومى الذين هُمُ ـــــم العداة وآفة الجزر

النـــازلين بكـــل معـترك والطيـــبين معاقـــد الأزر

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿فى البأساء﴾ هو الجوع ﴿والضراء﴾ المرض والضرر.

عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ

﴿ وحين البأس ﴾ وحين القتال ﴿ أولئك الذين صدقوا ﴾ وَفُّوا بالعهد، وقيل: صَدَّقَتْ أفعالُهم أقوالَهم ﴿ وأولئك هم المتقون ﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى ﴾ أى: فرض عليكم. ﴿ الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى ﴾ قال ابن عباس: كان هذا فى ابتداء الإسلام، وكان القصاص بين الحر والحر، والعبد مع العبد، والأنثى مع الأنثى، وما كان يقتل الحر بالعبد، ولا العبد بالحر، ولا الذكر بالأنثى، ولا الأنثى بالذكر: ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ﴾(1) فجرى القصاص بين الكل.

وأما على بن أبى طالب - رضى الله عنه - فقد قال فى الحر إذا قتل عبدا: يقتل الحُرُّ به، ثم سيد العبد يغرم لولى القاتل الحر، ما بين ديته وقيمة العبد، وإذا قتل العبد حرا، يقتل العبد به، ثم يغرم سيد العبد القاتل لولى الحر المقتول ما بين ديته وقيمة العبد.

وفيه قول آخر محكى عن ابن عباس: أن الآية نزلت فى قبيلتين، كان لأحديهما على الأخرى فضل. فقالت القبيلة الفاضلة: يقتل الحر منكم بالعبد منا، والذكر منكم بالأنثى منا؛ فنزلت الآية ردًّا لقولهم.

وقوله - تعالى -: ﴿ فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ﴾ وأصل العفو: الترك. وأظهر الأقوال فيه: مذهب عامة الصحابة والتابعين؛ أن من عفا عن القصاص فله أخذ الدية، فهذا يَتَّبِع بالمعروف، يعنى: لا يطلب المزيد على قدر حقه. ويُؤَدِّى ذلك بالإحسان، أى: لايماطل فى الأداء.

(1) المائدة: 45.

إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ

قال الأزهرى: فى الآية تقدير: ومعناه: فمن جُعل له من مال أخيه - يعنى القاتل - أو فمن جعل له من بدل دم أخيه - يعنى المقتول - عفو أى: فضل، فليتبع الطالب بالمعروف، وليؤد المطلوب بالإحسان.

وظاهره يقتضى أن أخوَّة الدين لاتنقطع بين القاتل والمقتول، حيث قال: من أخيه، وهو الذى نقول به. وقيل: معناه أخوة النسب.

وقيل: إنما سماه أخا حال إنزال الآية، وحال نزول الآية كان أخا له قبل حصول القتل، لا أنه يبقى أخا له، فإن القتل يقطع الموالاة بين القاتل والمقتول، ويوجب البراءة [منه](1)؛ لفسقه وقتله.

﴿ذلك تخفيف من ربكم ورحمة﴾ ومعناه: أن الدية كانت فى شرع النصارى حتما، والقصاص فى شرع اليهود حتما، وخيرت هذه الأمة بين القصاص والدية، [فذلك](2) التخفيف.

﴿فمن اعتدى بعد ذلك﴾ أى: قتل بعد العفو. ﴿فله عذاب أليم﴾ أى: القصاص.

قال ابن جريج: إن القصاص حتم عليه، بحيث لايقبل العفو.

قوله - تعالى -: ﴿ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب﴾ ومعنى الحياة: أنه إذا فكر أنه لو قتل قتل، لم يقتل؛ فيبقى والمقتول حيين. ﴿لعلكم تتقون﴾ ترتدعون عن القتل.

قوله - تعالى -: ﴿كتب عليكم﴾ أى: فرض عليكم ﴿إذا حضر أحدكم

(1) فى «الأصل»: عنه.

(2) فى «الأصل، وك»: فكذلك.

إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ

الموت ﴾ إذا قارب أوان الموت. ﴿ إن ترك خيرا ﴾ أي: مالا وسعة، والخير في كل القرآن بمعنى المال.

﴿ الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين ﴾ وذلك أن الوصية كانت واجبة في ابتداء الإسلام للوالدين والأقربين، ثم صار منسوخا بآية الميراث.

قال النبي ﷺ: «إن الله - تعالى - قد أعطى كل ذى حق حقه، ألا لا وصية لوارث»(١).

وقال الحسن، وطاوس، وقتادة والضحاك: إن النسخ في الوالدين دون الأقربين.

ثم اختلفوا فيمن أوصى بثلث ماله للأجنبي، فقال بعضهم: ثلث ما أوصى به للأقربين، وثلثاه للأجنبي.

وقال بعضهم: ثلثاه للأقربين، وثلثه للأجنبي.

وقال بعضهم: كل الثلث للأقربين، ولاشيء للأجنبي، والأصح: أنه صار منسوخا في حق الكل، وبقي الاستحباب في حق الأقربين الذين لايرثون.

وقيل: هو في ابتداء الإسلام كان على الندب، والمندوب في الوصية: بما دون الثلث.

وحكي عن بعض السلف أنه قال: الخمس معروف، والربع جهد، والثلث غاية تنفذها القضاة.

قوله - تعالى -: ﴿ فمن بدله بعد ما سمعه ﴾ فإن قال قائل: لم قال: ﴿ فمن

---

(١) أخرجه أبو داود (٣/١١٤ رقم ٢٨٧٠)، والترمذي (٤/٣٧٦-٣٧٧ رقم ٢١٢٠) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٢/٩٠٥ رقم ٢٧١٣) وأحمد في مسنده (٥/٢٦٧) من حديث أبي أمامة، وللحديث طرق كثيرة عن غير واحد من الصحابة انظر تلخيص الحبير (٣/١٩٧-١٩٩)، ونصب الراية (٤/٤٠٣-٤٠٥).

سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى

بدله﴾ بعلامة التذكير، والمذكور مؤنث، وهى: الوصية؟ قيل معناه: فمن بدل أمر الوصية.

وقيل: معناه: فمن بدل قول الموصى؛ لأن الوصية تصدر عن قول الموصى؛ فرجع إلى المعنى دون اللفظ، وهذا مثل قوله - تعالى -: ﴿فمن جاءه موعظة﴾(١) أى: جاءه وعظ، فرجع إلى المعنى، كذا وأراد بالتبديل: تبديل الشهداء والأوصياء والأولياء.

﴿فإنما إثمه على الذين يبدلونه﴾ لا على الموصى. ﴿إن الله سميع﴾ لما أوصى به الموصى ﴿عليم﴾ بتبديل المبدلين.

قوله - تعالى -: ﴿فمن خاف من موص جنفا أو إثما﴾الخوف ها هنا بمعنى العلم.

وهو مثل قوله - تعالى -: ﴿فإن خفتم ألا يقيما حدود الله﴾(٢) وقوله: ﴿وإن خفتم شقاق بينهما﴾(٣). أى: علمتم، وإنما عبر بالخوف عن العلم؛ لأن الخوف طرفٌ إلى العلم فإنه إنما يخاف الوقوع فى الشىء؛ للعلم به.

وقوله - تعالى -: ﴿من موص﴾ قرئ بالتخفيف والتشديد(٤)، يقال: أَوْصَى وَوَصَّى بمعنى واحد.

وأما الجنف: الميل، والإثم: الظلم، وأنشد سيبويه:

تجانف عن جو اليمامة ناقتى ... وما كان قصدى أهلها لسوائكا

(١) البقرة: ٢٧٥.

(٢) البقرة: ٢٢٩.

(٣) النساء: ١٤٩.

(٤) قرأ يعقوب، وحمزة، والكسائى، وخلف، وأبو بكر، بفتح الواو وتشديد الصاد، وقرأ الباقون بالتخفيف، مع إسكان الواو.

انظر النشر (٢ / ٢٢٦)، وتفسير البغوى (١ / ١٤٨).

الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ

وقال السدى: الجنف: الخطأ، والإثم: العمد.

ومعنى الآية على - قول ابن عباس ومجاهد -: أن الرجل إذا حضر وصية الموصى فرآه يميل، إما بتقصير، أو بإسراف، أو وضع الوصية فى غير موضعها؛ فأرشده، ورده إلى الحق فهو مباح له، وهذا معنى قوله - تعالى -: ﴿فأصلح بينهم فلا إثم عليه﴾.

وقيل: هذا فى الوصية للأقربين حين كانت واجبة، فإذا رآه يوصى لغير الأقربين، يرده إلى الوصية للأقربين.

وقيل: أراد به الإمام يصلح بين الموصَى لهم والورثة، فيردهم إلى الحق.

﴿فلا إثم عليه﴾ أى: فلاحرج عليه ﴿إن الله غفور رحيم﴾.

قوله - تعالى -: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام﴾ أى: فرض عليكم الصيام.

والصيام فى اللغة: هو الإمساك. يقال: صامت الخيل: إذا أمسكت عن العلف، والسير، ومنه قول الشاعر:

خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج وأخرى تعلك اللُّجُمَا

ومنه يقال: صام النهار: إذا ارتفعت الشمس وصارت فى إبطاء السير كالواقفة؛ وذلك فى وقت الهاجرة، ومنه قول الشاعر:

فدعها وسل النفس عنك بجسرة [ذمول][1] إذا صام النهار وهجرا

ومنه قوله - تعالى -: ﴿إنى نذرت للرحمن صوما﴾[2] أى: صمتا، وفى الصمت إمساك عن الكلام.

---

(١) فى «الأصل، وك»: ذبول بباءٍ بدلا من الميم.

وما أثبتناه من لسان العرب (مادة: صوم). وفيه أيضاً: وتسلِّ الهم بدلاً من وسَلِّ النفس.

(٢) مريم: ٢٦.

وأما الصوم فى الشريعة: هو الإمساك عن الأكل، والشرب، والوطء، مع النية، فى وقت مخصوص.

﴿كما كتب على الذين من قبلكم﴾ اختلفوا فى هذا التشبيه،

قال سعيد بن جبير: كان الصوم فى ابتداء الإسلام واجبا من العتمة إلى الليلة القابلة، وكذا كان واجبا على من قبلنا.

وقيل: أراد به: صوم رمضان كتب على المسلمين كما كتب على الذين من قبلهم، يعنى: النصارى.

قال دغفل بن حنظلة: كان الصوم واجبا على النصارى ثلاثين يوما، ثم إن ملكا منهم مرض، فقال: إن شفانى الله أزيد عشرة، فشفاه الله فزاد عشرة، ثم إن ملكا آخر منهم مرض وقال: إن شفانى الله أزيد فيه سبعة أيام، فشفاه الله فزاد سبعة. قالوا: ما هذا النقصان؟! أكملوه بخمسين. وقالوا: نصومه فى وقت لاحر ولا قر. فكانوا يصومون الخمسين فى وقت الربيع، فهذا أصل صوم الخمسين فى حق النصارى.

وقيل: أراد به: صوم ثلاثة أيام من كل شهر: كان واجبا فى ابتداء الإسلام، كما كتب على اليهود.

روى معاذ بن جبل: «أن النبى ﷺ لما هاجر إلى المدينة، رأى اليهود يصومون ثلاثة أيام من كل شهر، ويوم عاشوراء، ففرضه الله عليه كذلك»(١).

وكان يصومها سبعة وثلاثين يوما، من الربيع إلى الربيع، ثم نسخ ذلك بصوم

---

(١) رواه أبو داود (١/١٤٠ وقم ٧٠٥) أحمد فى مسنده (٥/٢٤٦-٢٤٧)، والطبرى فى تفسيره (٢/٧٦)، والطبرانى فى الكبير (٢٠/١٣٢ - ١٣٤ رقم ٢٧٠) والحاكم فى مستدركه (٢/٢٧٤) وقال: صحيح الإسناد، والبيهقى فى السنن الكبرى (٤/٢٠٠) جميعهم من طريق ابن أبى ليلى عن معاذ به مرفوعاً. وقال البيهقى: وهذا مرسل؛ عبد الرحمن لم يدرك معاذ بن جبل.

رمضان.

وقيل: كان يصوم الثلاث فى أيام البيض.

قال ابن عباس: أول ما نسخ بعد الهجرة: أمر القبلة، والصوم.

قوله - تعالى -: ﴿لعلكم تتقون﴾ يعنى: بالصوم؛ لأن الصوم وصلة إلى التقوى بما فيه من قهر النفس وكسر الشهوات.

وقيل: معناه لعلكم تحترزون عن الشهوات من الأكل، والشرب، والوطء.

قوله - تعالى -: ﴿أياما معدودات﴾ فإن قلنا بنسخ الآية فهو صوم كان واجبا ثم نسخ.

وإن قلنا: الآية غير منسوخة فالمراد بقوله: ﴿أياما معدودات﴾ أيام رمضان، وفيه إشارة إلى التيسير، حيث لم يوجب صوم كل السنة، وإنما أوجبه أياما معدودات ﴿فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر﴾ قال داود وأهل الظاهر: يجب على المسافر صوم عدة من أيام أخر وإن صام رمضان قولا بظاهر الآية.

والجمهور على أن فيه إضمارا وتقديره: فأفطر، فعدة من أيام أخر.

ثم اختلفوا فى حد المرض الذى يبيح الفطر، فقال داود وأهل الظاهر: هو ما ينطلق عليه اسم المرض. وهو قول ابن سيرين من السلف. وقال الحسن: هو المرض الذى تجوز معه الصلاة قاعدا.

ومذهب الشافعى: هو المرض الذى يخاف من الصوم معه الزيادة فى المرض.

فأما حد السفر الذى يبيح الفطر اختلفوا فيه، فقال داود ومن تابعه: هو ما ينطلق عليه اسم السفر. ومذهب الشافعى أنه مسافة القصر، ستة عشر فرسخا.

ومذهب أبى حنيفة – رضى الله [عنه](١)– أنه مسيرة ثلاثة أيام، كما قال فى القصر.

قوله – تعالى –: ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾ فى الآية قراءات: فالقراءة المعروفة: هذا.

وقرأ ابن عباس وعائشة – وهو صحيح، عن ابن عباس –: و«على الذين يُطَوَّقُونه» وقرأ مجاهد: «وعلى الذين يَطَّوَّقونه»، وهما من الشواذ.

فأما قراءة: «فدية طعام مسكين» فيه قراءتان معروفتان: أحدهما هذه،

والثانية: قراءة أهل المدينة والشام «فدية طعام مساكين» بالألف(٢).

وأما القراءة المعروفة ﴿وعلى الذين يُطِيقُونَهُ فدية﴾ أراد به: فى ابتداء الإسلام كانوا مخيرين بين الصوم والفدية، فقال: وعلى الذين يطيقونه فدية؛ إن اختاروا الفدية.

وقيل معناه: وعلى الذين يطيقونه فى حال الشباب، وعجزوا عنه فى الكبر الفدية إذا أفطروا، وهو مروى عن علىٍّ، فَعَلَى هذا لا تكون الآية منسوخة.

فأما قراءة ابن عباس معناه: وعلى الذين يُطَوَّقونه فلا يطيقونه الفديةُ.

(١) فى «الأصل، وك»: عنهما.

(٢) قرأ نافع، وجعفر، وابن ذكوان: «فديةُ» بغير تنوين، «طعام» بالخفض. وقرأ الباقون بالتنوين، والرفع «فديةٌ طعامُ».

وقرأ نافع، وأبو جعفر وابن عامر «مساكين» بالألف على الجمع، وقرأ الباقون «مسكين» على الإفراد. انظر النشر (٢/٢٢٦).

الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾

وأما قراءة مجاهد يَطَّوَّقونه أى: يتطوقونه ويكلفونه فلا يطيقونه.

وأما قوله: ﴿فدية طعام مساكين﴾ إنما أضاف الفدية إلى الطعام لأن الفدية قدر من الطعام، والطعام اسم الجنس، وهو كما يقال خاتم فضة، وثوب خز، ونحو ذلك.

وأما القراءة الثانية ﴿فديةُ﴾ رفع على الابتداء ﴿طعام مسكين﴾ تفسير له وبدل عنه، وإنما قال: «مسكين؛ لأن لكل يوم يُطعم مسكينا.

ومن قرأ: «مساكين» لأن جملة طعام أيام الصوم تكون لمساكين.

وقوله - تعالى -: ﴿فمن تطوع خيرا فهو خيرا له﴾ قال ابن عباس: أراد به: من أطعم مسكينين وعليه طعام مسكين واحد، أو أطعم صاعا وعليه مد، فهو خير له.

قوله - تعالى -: ﴿وأن تصوموا خير لكم﴾ إن قلنا بقول النسخ، معناه: وأن تصوموا خير لكم من الفدية.

وإن قلنا: الآية غير منسوخة فمعناه: وأن تصوموا فى حال الشباب خير لكم من الفدية فى حال الكبر والعجز.

وقيل: هذا فى حق الشيخ الهرم، أن يتكلف الصوم خير له من أن يفدى. والصحيح: أحد القولين الأولين ﴿إن كنتم تعلمون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿شهر رمضان﴾ سمى الشهر بذلك لشهرته.

وأما رمضان كان فى الجاهلية يسمى شهر رمضان ناتقا.

قال أبو على قطرب: إنما سمى: رمضان؛ لأنهم كانوا يصومون فى الحر الشديد، ومنه الرمضاء: للرمل الذى حمى بالشمس.

وقال مجاهد: هو اسم من أسماء الله، ولذلك لايجمع على رمضانات، ويروى هذا

عن النبى ﷺ غريبا(١)، والصحيح أنه اسم الشهر.

وقد ورد فى فضل الشهر والصوم أخبار، منها ما روى مرفوعا: «سيد الشهور شهر رمضان»(٢).

وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا كان أول ليلة من رمضان فتحت أبواب الرحمة، وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين»(٣) أخرجه مسلم فى الصحيح.

وقال ﷺ: «يقول الله - تعالى -: كل عمل ابن آدم له إلا الصوم؛ فإنه لى وأنا أجزى به..»(٤) الخبر.

واختلفوا فى تخصيص الصوم، منهم من قال: لأنه أشد العبادات فى كسر

(١) رواه ابن عدى فى الكامل (٧/٥٣) من حديث أبى هريرة والبيهقى من طريقه (٤/٢٠١-٢٠٢)، وابن الجوزى فى الموضوعات من طريق ابن عدى (٢/١٨٧) ولفظه: «لا تقولوا: رمضان، فإن رمضان اسم الله، ولكن قولوا: شهر رمضان». وقال ابن الجوزى: هذا حديث موضوع لا أصل له، وأبو معشر اسمه نجيح، كان يحيى بن سعيد يضعفه ولا يحدث عنه، ويضحك إذا ذكره.

وقال ابن معين: إسناده ليس بشىء، ثم قال - رحمه الله - ولم يذكر أحد فى أسماء الله - تعالى - رمضان، ولا يجوز أن يسمى به إجماعا.

وأخرجه ابن أبى حاتم فى العلل (١/٢٤٩ - ٢٥٠ رقم ٧٣٤) ونقل عن أبيه أنه قال: هذا خطأ، إنما هو قول أبى هريرة.

وقال البيهقى: وقد قيل: عن أبى معشر، عن محمد بن كعب، من قوله، وهو أشبه. وفى الباب عن عائشة، وابن عمر انظر اللآلىء المصنوعة (٢/٩٧ - ٩٨).

(٢) رواه البزار - مختصر زوائد البزار لابن حجر (١/٤٠٢ رقم ٦٦٣) - من حديث أبى سعيد، وقال: يزيد فيه لين، وقد روى عنه جماعة.

(٣) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (٤/١٣٥ رقم ١٨٩٩)، ومسلم (٧/٢٦٢ - ٢٦٣ رقم ١٠٧٩) واللفظ له.

(٤) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (٤/١٤١ رقم ١٩٠٤)، ومسلم (٨/٤٢ رقم ١١٥١).

الشهوات وقمع النفس. ومنهم من قال: لأنه سر بين العبد وبين ربه.

وقوله - تعالى -: ﴿الذى أنزل فيه القرآن﴾ فإن قال قائل: إنما أنزل القرآن فى ثلاث وعشرين سنة فكيف قال: أنزل فيه القرآن؟ والجواب: قال ابن عباس: أنزل الله - تعالى - القرآن جملة فى رمضان إلى بيت فى السماء الدنيا يسمى بيت العزة، ثم منه أنزل إلى الأرض إرسالا.

روى واثلة بن الأسقع عن النبى ﷺ أنه قال: «أنزلت صحف إبراهيم فى أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة فى الليلة السادسة من رمضان، وأنزل الإنجيل فى ليلة الثالث عشر من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين من رمضان»(١).

وفيه قول ثالث معناه: أنزل فيه القرآن بفريضة صوم رمضان.

وإنما سمى القرآن قرآنا؛ لأنه يجمع السور والآى، والحروف، وأصل القرآن: الجمع، ومنه قول الشاعر:

ذراعى عيطل أدماء بكر ... هجان اللون لم تقرأ جنينا

وقوله - تعالى -: ﴿هدى للناس﴾ رشاد وبيان. وقوله - تعالى -: ﴿وبينات من الهدى والفرقان﴾ أى: دلالات واضحات من الحلال والحرام، والفرقان: المفرق بين الحق والباطل.

وقوله - تعالى -: ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: معناه فمن كان منكم مقيما فى الحضر فأدرك الشهر فليصمه.

ثم اختلفت الصحابة فيمن أدرك الشهر وهو مقيم، ثم سافر على قولين: فقال على - رضى الله عنه -: لايجوز له أن يفطر. وأكثر الصحابة على أنه يجوز الفطر،

(١) رواه الإمام أحمد (٤/١٠٧)، والطبرانى، فى الكبير (٢٢/٧٥ رقم ١٨٥)، والطبرى فى تفسيره (٢/٨٤).

وقال الهيثمى فى المجمع (١/٢٠٢): فيه عمران بن داود وثقه ابن حبان وضعفه يحيى، وقال أحمد: أرجو أن يكون صالح الحديث، وبقية رجاله ثقات. وعزاه للطبرانى فى الأوسط أيضًا.

وهو الأصح؛ لما صح عن رسول الله ﷺ برواية جابر «أنه سافر فى رمضان فلما بلغ كراع الغميم أفطر وأفطر الناس»(١).

وقوله – تعالى –: ﴿فليصمه﴾ أى بقدر ما أدرك وهو مقيم ﴿ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر﴾ إنما أعاد هذا ليعلم أن هذا الحكم فى الناسخ مثل ما كان فى المنسوخ.

وقوله – تعالى –: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ يعنى فى إباحة الفطر بالمرض والسفر، وتأخير الصوم إلى أيام أخر.

وحكى عن الشعبى أنه قال: ما خير رجل بين أمرين فاختار أيسرهما؛ إلا كان ذلك أحبهما إلى الله.

وروى محجن بن أدرع: «أن النبى ﷺ أخبر برجل كان يطيل الصلاة فى المسجد طول النهار – فجاء إليه وأخذ بمنكبيه وهزهما هزا، ثم قال: إن الله – تعالى – رضى لهذه الأمة باليسر، وكره لهم العسر، وإن هذا الرجل رضى بالعسر ويكره اليسر»(٢).

ومشهور عن رسول الله ﷺ: «أن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه»(٣).

---

(١) رواه مسلم (٧ / ٣٢٨ رقم ١١١٤)، والترمذى (٣ / ٨٩ رقم ٧١٠)، والنسائى (٤ / ١٧٧ رقم ٢٢٦٣)، والطيالسى (ص ٢٣٢ رقم ١٦٦٧) والحميدى (٢ / ١٣٥ رقم ١٢٨٩)، والشافعى فى مسنده (١ / ٢٦٨ – ٢٦٩ رقم ٧١٢، والطحاوى فى شرح المعانى (٢ / ٦٥)، وأبو يعلى (٣ / ٤٠٠ – ٤٠١ رقم ١٨٨٠)، وابن خزيمة (٣ / ٢٥٥ رقم ٢٠١٩)، وابن حبان فى صحيحه (٦ / ٤٢٣ رقم ٢٧٠٦)، والبيهقى فى الكبرى (٤ / ٢٤١، ٢٤٦) وفى الدلائل (٥ / ٢٥).

(٢) رواه الحارث بن أبى أسامة فى مسنده كما فى بغية الباحث (ص٨٨ رقم ٢٣٣) وقال البوصيرى فى مختصر اتحاف السادة المهرة (٣/٦٠ رقم ٢٠٠٢) –: رواه الحارث عن سعيد بن يونس ولم أقف له على ترجمة وباقى رجال الإسناد ثقات.

(٣) رواه البزار – كما فى مختصر الزوائد لابن حجر – (١/٤٢٠ رقم ٧٠١)، والطبرانى فى الكبير (١١/ ٣٢٣ رقم ١١٨٨٠) وابن حبان فى صحيحه (٢/٦٩ رقم ٣٥٤)، وأبو نعيم فى الحلية (٨/٢٧٦) عن ابن عباس مرفوعاً.
وقال الهيثمى فى المجمع (٣/١٦٥): رجال البزار ثقات، وكذلك رجال الطبرانى.
وفى الباب عن ابن عمر، وأبى هريرة، وعائشة وابن مسعود وانظر تلخيص الحبير (٢/١٠٥–١٠٦).

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي

﴿ولتكملوا العدة﴾ أى: عدة الشهر بقضاء ما أفطر فى المرض أو السفر. ﴿ولتكبروا الله على ما هداكم﴾ أى: لتعظموه على ما أرشدكم إلى ما رضى به من صوم رمضان. قال ابن عباس: هو تكبيرات ليلة الفطر - وهو مروى عن ابن عمر، وعائشة - رضى الله عنهما -. وقال: حق على كل مسلم أن يكبر ليلة الفطر إلى أن يفرغ من صلاة العيد ﴿ولعلكم تشكرون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب﴾ فى سبب نزول الآية قولان: أحدهما: أن الصحابة قالوا: يارسول الله أقريب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ فنزلت الآية».

والثانى: أنه لما نزل قوله - تعالى -:(﴿ادعونى أستجب لكم﴾(١) قالوا: يارسول الله كيف ندعوه ومتى ندعوه؛ فنزلت الآية.

وقول:(٢) ﴿فإنى قريب﴾ أى: لايخفى علىّ شىء، وهو أقرب إلى العباد من حبل الوريد، وأقرب إلى القلب من ذى القلب.

وقوله - تعالى -: ﴿أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ فيه حذف. وتقديره: أجيب دعوة الداع إن شئت. وهذا مثل قوله - تعالى -: ﴿فيكشف ما تدعون إليه إن شاء﴾(٣).

قال ابن الأنبارى: معناه: أسمع دعوة الداعى، تقول العرب: فلان يدعو من لايجيب، أى من لايسمع، وهذا لأنه قد يدعى فلا يجيب، فدل أنه أراد بالإجابة السماع.

وقيل: هو على حقيقة الإجابة، ومعناه: أنه لايخيب من دعاه، فإنه إن دعاه بما قَدَّر

(١) غافر: ٦٥.

(٢) ما بين القوسين ليس في «ك».

(٣) الأنعام: ٤١.

وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا

له أعطى، وإن دعاه بما لم يُقدَّر له يدخر له الثواب فى الآخرة فلا يخيب دعاءه.

وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما من عبد يقول [يارب](١) إلا قال الله – تعالى –: لبيك عبدى، فيعجّل ماشاء، ويدخر ما شاء»(٢).

قوله – تعالى –: ﴿ فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى ﴾ قيل: الاستجابة ها هنا بمعنى الإجابة، وعليه يدل قول الشاعر:

وداع دعايا من يجيبُ إلى النَّدَى فلم يستجبه عند ذاك مجيب

أى: فلم يجبه، وقال أبو عبيدة: معناه فليستدعوا منى الإجابة.

وحقيقته فليطيعوا لى. ﴿ وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون ﴾ ظاهر المعنى.

قوله – تعالى –: ﴿ أحل لكم ﴾ أى: أبيح لكم ﴿ ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ﴾.

قيل: والرفث: كل ما يريده الرجل من امرأته، وهو بمعنى الوطء ها هنا.

قال ابن عباس: إن الله حَيِيٌّ كريم، يكنى بالحسن عن القبيح.

﴿ هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ﴾ قيل: معناه: هن سكن لكم، وأنتم سكن لهن. وقيل: لايسكن شيء إلى شيء كسكون أحد الزوجين إلى الآخر.

وقيل: أراد به حقيقة اللباس، فإن أحدهما يصير لباسا لصاحبه عند المباشرة، قال

---

(١) ليست فى «الأصل، ولا ك».

(٢) روى والبخارى فى الأدب المفرد (١٠٩–٢١٠) وأحمد (٢/٤٤٨)، والحاكم (١/٤٩٧) وقال صحيح الإسناد. من حديث أبى هريرة مرفوعًا: «ما من مسلم ينصب وجهه لله – عز وجل – فى مسألة إلا أعطاه إياها، إما أن يعجل له، وإما أن يدخرها له» قال المنذرى فى الترغيب (٢/٤٧٨): رواه أحمد بإسناد لا بأس به.

الشاعر:

إذا ما الضجيع ثنى جيده تثنت فصارت عليه لباسا

قال الربيع بن أنس: معناه: هن فرش لكم، وأنت لحف لهن.

وقوله – تعالى –: ﴿علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم﴾ هو افتعال: من الخيانة، أى: تخونون أنفسكم بمخالفة الأمر، وترك الوقاية.

وقوله – تعالى –: ﴿فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن﴾ قيل: أراد به الوطء.

وقيل: مادون الوطء.

وقوله تعالى: ﴿وابتغوا ما كتب الله لكم﴾ قال أنس بن مالك: أراد به طلب الولد.

وروى أبو الجوزاء عن ابن عباس: أراد به ابتغاء ليلة القدر.

وقال قتادة – وهو أحسن الأقوال –: يعنى: وابتغوا ما كتب الله لكم من الرخصة بإباحة الأكل، والشرب، والوطء، فى اللوح المحفوظ.

وقرأ ابن عباس فى الشواذ: «واتبعوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا».

وسبب نزول الآية: أن الله – تعالى – كان قد أوجب الصوم فى الابتداء من العتمة إلى الليلة القابلة، وكان كل من نام أو صلى العشاء حرم عليه الأكل، والشرب، والوطء «فروى أن رجلا يقال له: صرمة أبو قيس ظل يعمل جميع النهار، ثم آوى إلى منزله، وطلب من امرأته طعاما، فأبطأت، فغلبه النوم، فلما استيقظ كان قد حرم الطعام والشراب فأصبح وقد جهد جهدا شديدا، حتى خر مغشيا عليه، فأخبر به

الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ

رسول الله ﷺ؛ فنزلت الآية بإباحة الأكل والشرب بالليل(١).

وسبب إباحة المباشرة: ما روى أن عمر - رضى الله عنه - قال: «يارسول الله إنى أصبت امرأتى بعد ما نمت، فقال ﷺ: ما كنت جديرا بهذا ياعمر»(٢).

«وروى أن رجلا من الصحابة أخبر النبى ﷺ بمثل ذلك، فنزلت الآية بإباحة المباشرة» وذلك معنى قوله: ﴿كنتم تختانون أنفسكم﴾.

فأما قوله: ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾ قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: أراد بالخيط: اللون، ومعناه: بياض النهار من سواد الليل.

وقوله - تعالى -: ﴿من الفجر﴾ سبب نزوله ما روى «أنه لما نزلت هذه الآية أخذ عدى ابن حاتم عقالين، أحدهما أبيض، والآخر أسود، ووضعهما تحت وسادته فلما أصبح كان ينظر إليهما، ويتسحر، حتى يتبين الأبيض من الأسود، فأخبر به النبى ﷺ فقال: إنك لَعَرِيضُ الوسادِ»(٣).

وفى رواية: «إنك لعريض القفا، إنما هو بياض النهار من سواد الليل»(٤) وهى كلمة لهم يكنون بها عن قلة الفهم؛ فنزل قوله ﴿من الفجر﴾ والفجر فجران:

---

(١) قصة صرمة أبو قيس أخرجها البخارى فى صحيحه (٤/ ١٥٤ رقم ١٩١٥)، وأبو داود (٢/ ٢٩٥ رقم ٢٣١٤)،والترمذي (٥ / ١٩٤ رقم ٢٩٦٨) والنسائى (٤/ ١٤٧ رقم ٢١٦٨).من حديث البراء لن عازب.
ووقع فى اسمه اختلاف كثير، وانظر الإصابة (٢/ ١٨٢ - ١٨٣).

(٢) رواه الطبرى فى تفسيره (٢/ ٩٦) وعزاه السيوطى فى الدر (١ / ٢٠٦) لابن أبي حاتم أيضًا من حديث ابن عباس.

(٣) متفق عليه من حديث عدى بن حاتم، رواه البخارى (٤/ ١٥٧ رقم ١٩١٦)، ومسلم (٧/ ٣٨٢ رقم ١٠٩٠).

(٤) البخارى (٨/ ٣١ رقم ٤٥١٠).

وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ

أحدهما فجر مستطيل كذنب السرحان، يطلع صاعدا، ثم يغيب، ويغلب الظلام، وهو الفجر الكاذب.

والثانى بعده: فجر مستطير، ينتشر فى الأفق سريعا، وقيل: تختلط به الحمرة، وهو الفجر الصادق الذى يُحَرِّم الطعام ويبيح الصيام.

وتقول العرب: الفجر(بشير)[١] الشمس.

ويحكى عن حذيفة بن اليمان خلافا غريبا، وهو معروف عنه، أنه قال: أراد بالفجر طلوع الشمس، وكان يبيح التسحر بعد طلوع الفجر.

وقوله – تعالى –: ﴿ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾ وهذا يقتضى حرمة الصوم بالليل لأنه قد جعله حدا.

وقد قال ﷺ: «من صام بالليل فقد تعب ولا أجر له»[٢].

وقال أيضا: «إذا أقبل الليل من هاهنا، وأدبر النهار من هاهنا، فقد أفطر الصائم»[٣].

قوله – تعالى –: ﴿ولاتباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد﴾ والعكوف: هو المقام فى المو ضع.

وقيل: نزلت الآية فى قوم من المسلمين كانوا يخرجون من الاعتكاف، ويباشرون الأهل، ثم يعودون إلى المعتكف، فحرم الله – تعالى – المباشرة فى الاعتكاف.

---

(١) فى «ك»: مشى. وهو خطأ.

(٢) رواه الترمذى فى العلل الكبير (١/ ٢٦٤) وقال: سألت البخارى عن هذا الحديث، فقال: أرى هذا الحديث مرسلا، وما أرى عبادة بن نسى سمع من أبى سعد الخير، وعزاه الحافظ فى الإصابة (٢/ ٨٦) لابن أبى داود فى الصحابة، وأبى أحمد الحاكم، والدولابى فى الكنى.

(٣) متفق عليه من حديث عمر، رواه البخارى (٤/ ٢٣١ رقم ١٩٥٤)، ومسلم (٧/ ٢٩٥ رقم ١١٠٠).

يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِه لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا
بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ يَسْأَلُونَكَ

والاعتكاف جائز فى كل المساجد، وحكى عن حذيفة بن اليمان خلافا شاذا فيه فقال: لايجوز الاعتكاف إلا فى ثلاثة مساجد: فى المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجد المدينة وكان يعيب على عبد الله بن مسعود اعتكافه فى غيرها من المساجد، وكان عبد الله ينكره ويرد عليه قوله، والأمة على قول عبد الله.

وقوله - تعالى -: ﴿تلك حدود الله﴾ وهى ما منع الله - تعالى - عنها من المعاصى.

وأصل الحد: المنع. ومنه الحداد للبواب؛ لأنه يمنع الناس، ومنه الحديد؛ لأنه يُحْتَمَى به للامتناع من الأعادى.

وقوله - تعالى -: ﴿فلا تقربوها﴾ أى: فلا ترتكبوها.

وقوله - تعالى -: ﴿كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ أى: لايأكل بعضكم أموال بعض بالباطل. والأكل بالباطل نوعان:

أحدهما: أن يكون بطريق الغصب والنهب والظلم.

والآخر: بطريق اللهو واللعب مثل القمار والرهان وأجرة المغنى ونحو ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وتدلوا بها إلى الحكام﴾ قيل: معناه: ولا تدلوا بها إلى الحكام، أى لاترشوهم وتصانعوهم فيحكموا لكم بالجور.

وقيل: معناه: ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتنسبونه إلى قول الحكام وتتخذون قولهم حجة.

﴿وأنتم تعلمون﴾ خلافه، هذا دليل على من يقول بنفوذ القضاء ظاهرا وباطنا.

والإدلاء: الإلقاء يقال: أدلى دلوه، إذا أرسل، ودَلَّى إذا أخرج.

عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾

وقوله – تعالى–: ﴿ لتأكلوا فريقا ﴾ أى: طائفة ﴿ من أموال الناس بالإثم ﴾ بالظلم ﴿ وأنتم تعلمون ﴾.

قوله – تعالى –: ﴿ يسألونك عن الأهلة ﴾ وهى جمع الهلال، وهو اسم للقمر أول ما يبدو دقيقا وإنما سمى هلالا؛ لأن الناس يرفعون أصواتهم عند رؤيته. يقال: استهل الصبى: إذا صاح بالبكاء، والعرب تسمى كل ثلاثة من الشهر باسم خاص، فتقول للثلاثة الأولى: غرر، ثم يليه، نفل، ثم يليه، تسع، ثم يليه، عشر، ثم يليه، بيض، ثم يليه، ربع، والأصح روع، ثم يليه، ظلم، ثم يليه، حناوس، ثم يليه، وادى، ثم يليه محاق.

وسبب نزول الآية: ما روى أن معاذ بن جبل، وثعلبة بن عثمة، قالا: «يارسول الله، ما بال حال القمر يبدو دقيقا؛ ثم يمتلئ فورا ثم يعود دقيقا؛ فنزل قوله تعالى: ﴿ يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج ﴾.

يعنى: فعلت ما فعلت؛ ليكون مواقيت لصومكم، وفطركم، وحجكم، وآجال ديونكم».

وقوله – تعالى –: ﴿ وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ﴾ قال البراء بن عازب: نزلت الآية فينا معشر الأنصار، كان الرجل منا إذا خرج إلى الحج ثم عاد، لايدخل داره من الباب، ولكن ينقب نقبا فى مؤخر البيت، فيدخل منه، ويعد الدخول من باب البيت فجورا؛ فنزل قوله – تعالى –: ﴿ وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ﴾ أى: بآخرها.

﴿ ولكن البر من اتقى ﴾ أى: برَّ من اتقى ﴿ وأتوا البيوت من أبوابها ﴾ ردهم إلى الأبواب ﴿ واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾.

قوله – تعالى –: ﴿ وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ﴾ قيل: كان فى ابتداء

وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ

الإسلام، أمر الله - تعالى - نبيه بالكف عن قتال المشركين ثم[1] لما هاجر إلى المدينة أمره بقتالهم إذا قاتلوا؛ بقوله - تعالى -: ﴿وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم﴾ [ثم][1] أمره بقتالهم قاتلوا أو لم يقاتلوا.

وقوله - تعالى -: ﴿ولا تعتدوا﴾ أى: لاتبدءوهم بالقتال.

وقيل: ولاتعتدوا أى: لاتقتلوا المعاهدين منهم ﴿إن الله لا يحب المعتدين﴾.

قوله - تعالى -: ﴿واقتلوهم حيث ثقفتموهم﴾ قيل: نسخت الآية الأولى بهذه كما بينا. وقيل: بل نسخت بقوله - تعالى -: ﴿اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾[2].

وقالوا: نسخت بها قريبا من سبعين آية.

﴿حيث ثقفتموهم﴾ أى: وجدتموهم.

وقوله - تعالى -: ﴿وأخرجوهم من حيث أخرجوكم﴾ وذلك أنهم أخرجوا المسلمين من مكة؛ فقال: أخرجوهم من ديارهم كما أخرجوكم من دياركم.

﴿والفتنة أشد من القتل﴾ يعنى بالفتنة: الكفر، وسبب ذلك: أن الله - تعالى - لما حرم بدايتهم بالقتال فى الشهر الحرام، بادر إلى قتالهم بعض المسلمين، فعيرهم الكفار عليه، فقال الله - تعالى - ﴿والفتنة أشد من القتل﴾ يعنى: الشرك الذى أنتم عليه أشد من قتالهم الذى بدءوا به.

وقوله - تعالى -: ﴿ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه﴾ كذا كان فى الابتداء حراما بدايتهم بقتالٍ فى البلد الحرام، ثم صار منسوخا.

---

(١) ليست فى «الأصل، ولا ك».

(٢) التوبة: ٥.

وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ

قال عطاء: لم يصر هذا منسوخا. والأصح أن الآية منسوخة.

وقوله - تعالى -: ﴿فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين﴾

﴿فإن انتهوا﴾ يعنى فإن أسلموا. ﴿فإن الله غفور رحيم﴾ لما سلف.

قوله - تعالى -: ﴿وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة﴾ أى: شرك ﴿ويكون الدين لله﴾ أى: قاتلوهم حتى يسلموا لله. وقيل: حتى لاتكون سجدة إلا لله.

وقوله - تعالى -: ﴿فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين﴾ أى: فإن أسلموا فلا نهب، ولا أسر، ولا قتل، إلا على الذين بقوا على الشرك.

قوله - تعالى -: ﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص﴾ فى معنى الآية قولان:

أحدهما: أنه أراد به فى أمر العمرة، وذلك ما روى «أن النبى ﷺ خرج معتمرا فى ذى القعدة، فلما بلغ الحديبية صده المشركون، فصالحهم على أن يعود فى العام المقبل، ثم عاد معتمرا فى العام المقبل فى ذى القعدة فأقضاه الله - تعالى - ما فات فى العام الأول بما فعله فى العام الثانى»(١) فهذا معنى قوله: ﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام﴾ يعنى ذا القعدة. ﴿والحرمات قصاص﴾ يعنى: حرمة الشهر الحرام، وحرمة البلد الحرام، وحرمة الإحرام.

والقول الثانى: أنه وارد فى أمر القتال، ومعناه فإن بدءوكم بالقتال فى الشهر الحرام، وانتهكوا حرمته فقاتلوهم فيه ولا تبالوا بحرمته؛ فإنه قصاص بما فعلوا.

﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ والاعتداء: الظلم،

---

(١) رواه الطبرى (٢/١١٤ - ١١٥) عن ابن عباس بنحوه، وكذا هو عنده عن مجاهد، وقتادة، وعثمان بن مقسم، والسدى، والضحاك، والربيع.

الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ

وإنما سمى الجزاء على الظلم: اعتداء، على ازدواج الكلام، ومثله قوله – تعالى – ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾(١).

وتقول العرب: ظلمنى فلان فظلمته، أى: جازيته على الظلم. ويقال: جهل فلان عليَّ فجهلت عليه، قال الشاعر:

ألا لايَجْهَلَنْ أحد علينا ... فنجهلَ فوق جَهْلِ الجاهلينا

وقال آخر:

ولى فرس للحلم بالحلم مُلْجَمُ ... ولى فرس للجهل بالجهل مُسْرَجُ

﴿واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين﴾.

قوله – تعالى –: ﴿وأنفقوا فى سبيل الله﴾ أراد به: الإنفاق فى الجهاد، وكل خيرٍ سبيلُ الله، ولكن إذا أطلق سبيل الله، ينصرف إلى الجهاد.

﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ قيل: الباء زائدة، وتقديره: ولا تلقوا أيديكم، وعبر بالأيدى عن الأنفس، كما قال الله – تعالى: ﴿بما كسبت أيديكم﴾(٢) أى: بما كسبتم. وقيل الباء فى موضعها، وفيه حذف، وتقديره: ولاتلقوا أنفسكم بأيديكم إلى التهلكة.

والتهلكة والهلاك: واحد. وقيل: بينهما فرق، فالتهلكة: ما يمكن الاحتراز عنه،

والهلاك: ما لايمكن الاحتراز عنه. وفى معناه قولان: أحدهما: ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة بترك الإنفاق فى سبيل الله.

والثانى: قال النعمان بن بشير، والبراء بن عازب: إن المراد به: أن يذنب الرجل

(١) الشورى: ٤٠.

(٢) الشورى: ٣٠.

اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ

ذنبا ثم يقول: لا توبة لى، فيقنط من رحمة الله – ونعوذ بالله.

والأول أصح. لما روى عن أبى أيوب الأنصارى – رضى الله عنه – أنه قال: نزلت الآية فينا معشر الأنصار فإن الله – تعالى – لما نصر دينه، وأعز نبيه، قلنا: لو أقمنا فى أموالنا نصلحها، ونترك الجهاد، فإنها تضيع، فنزلت الآية: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾» يعنى: بترك الإنفاق فى الجهاد، والإقامة على الأموال، حتى روى: أنه لما نزلت الآية مازال أبو أيوب يغزو حتى كان آخر غزوة غزاها بقسطنطينية، فى بعث بَعَثَهُ معاوية وتوفى (هنالك)(١) ودفن فى أصل سور قسطنطينية وهم يستسقون(٢) به.

وقوله – تعالى –: ﴿وأحسنوا﴾ يعنى: بالإنفاق فى سبيل الله.

وقال عكرمة: معناه: أحسنوا الظن بالله.

وقيل معناه: أدوا فرائض الله ﴿إن الله يحب المحسنين﴾ قال فضيل بن عياض: من كانت تحت يده دجاجة فلم يحسن إليها لم يكن من المحسنين.

قوله – تعالى –: ﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾ وقرأ ابن مسعود: فى الشواذ: «وأتموا الحج والعمرة إلى البيت» من غير قوله: «لله» وقرأ الشعبى: وأتموا الحج والعمرةُ لله على الابتداء.

واختلفوا فى معنى الإتمام، قال عمر: إتمامهما أن لاينسخ إذ كان جائزا نسخه فى الابتداء. وقال على، وابن مسعود: إتمامهما أن يحرم بهما من دويرة الأهل. وقيل: إتمامهما أن يكون الزاد والنفقة من الحلال. وقال سفيان الثورى: إتمامهما أن يقصد

(١) فى «ك»: هناك

(٢) فى «ك»: يستشفون، وفى كلاهما نظرة، فالاستسقاء أو الاستشفاء بالأموات وقبورهم غير جائز، كما هو مقرر فى علم العقيدة.

الحج ولايقصد التجارة.

وقيل: إتمامهما أن لايعصى الله فيه، ويأتي به على وجهه كما أمر.

ثم اعلم أن العمرة واجبة، وهو قول ابن عمر، وعند أبي حنيفة - رضي الله عنه - سنة، وهو مروى عن جابر.

والدليل على وجوبها: ظاهر الآية، وهو قوله: ﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾ وظاهر الأمر للوجوب.

وقد ورد في فضل الحج والعمرة أخبار، منها: ما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «العمرتان تكفران ما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»(١).

وقوله - تعالى -: ﴿فإن أحصرتم﴾ قال ابن عمر: الإحصار: من العدو. (وقال ابن مسعود: الإحصار: من العدو)(٢) والمرض كلاهما معتبر. وعن ابن عباس فيه روايتان. والإحصار والحصر بمعنى واحد.

وقال الفراء: الإحصار: بالحبس، والحصر: منع العدو. والصحيح أنه من العدو دون المرض لقوله: ﴿فإذا أمنتم﴾ والأمن: من العدو. ومن قال: بالأول قال فيه حذف، وتقديره. فإذا أمنتم من العدو، وبرأتم من المرض.

وقوله - تعالى -: ﴿فما استيسر من الهدى﴾ وأقل ما يجب منه: ذبح الشاة، والأعلى: نحر بدنة، والأوسط: ذبح بقرة، والهَدْيُ والتهدية والهَدِيُّ بمعنى واحد؛ وهو ما يهدى إلى موضع، أو إلى شخص. قال الشاعر:

حلفت برب مكةَ والمُصَلَّى — وأعناقِ الهَدِيِّ مُقَلَّدَات

وقوله - تعالى -: ﴿ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله﴾ أي: حتى

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة، رواه البخاري (٣/٦٩٨ رقم ١٧٧٣)، ومسلم (٩/١٦٧ رقم ١٣٤٩).

(٢) سقط من «ك».

يذبح في موضعه، وموضع الذبح عندنا: حيث أحصر وتحلل.

وقال أبو حنيفة: موضعه: مكة. وما قلناه أصح؛ لأن رسول الله ﷺ «لما بلغ الحديبية معتمرا، فصده المشركون، تحلل وذبح هنالك»(١).

قوله - تعالى -: ﴿فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه﴾ نزل هذا في كعب بن عجرة. روى عبد الرحمن بن أبي ليلى. عن كعب بن عجرة أنه قال: «كنت مع رسول الله ﷺ بالحديبية، وكنت أنفخ تحت القدر والقمل يتهافت على وجهي، فقال - عليه السلام -: ماهذا؟! احلق رأسك، واذبح شاة، أو صم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين»(٢). فهذا معنى قوله: ﴿ففدية من صيام أو صدقة أو نسك﴾ يعني: ذبح الشاة.

وذلك المذهب عندنا، أن يذبح في فدية الأذى: شاة، أو يصوم ثلاثة أيام، أو يتصدق بفرق من طعام، والفرق: ثلاثة أصوع، كل صاع أربعة أمداد، فيتصدق على كل مسكين بِمُدَّيْنِ.

وقال عطاء: يطعم عشرة مساكين.

وقوله - تعالى -: ﴿فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج﴾ قال ابن الزبير: يختص التمتع بالْمُحْصَرِ؛ لقوله - تعالى -: ﴿فإذا أمنتم﴾ وعامة الصحابة على أنه جائز على العموم للكافة.

ثم مذهب المدنيين، والكوفيين: أن التمتع هو: أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج،

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر رواه البخاري (٤/٦-٧ رقم ١٨٠٧)، ومسلم (٨/٢٩٢-٢٩٥ رقم ١٢٣٠).

(٢) متفق عليه من حديث كعب بن عجرة، رواه البخاري (٤/١٦ رقم ١٨١٤)، ومسلم (٨/١٦٧-١٧٢ رقم ١٢٠١).

لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ

ثم يقيم بمكة، ويحج من عَامه ذلك.

وسمى تمتعا؛ لأنه يستمتع بالمحظورات إذا تحلل عن العمرة إلى أن يحرم بالحج.

وقال طاوس: لايختص التمتع بأشهر الحج، بل إذا أحرم بالعمرة فى غير أشهر الحج يكون متمتعا.

وقوله - تعالى -: ﴿فما استيسر من الهدى﴾ أى: ذبح الشاة.

وقوله - تعالى -: ﴿فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج﴾ وذلك بأن يصوم يومًا قبل التروية، ويوم التروية، ويوم عرفة، ويجوز أن يصوم الثلاثة متفرقة.

وقال ابن عمر، وعائشة: يصوم ثلاثة أيام منى، وذلك أيام التشريق وهو قول الشافعى فى القديم. وقوله - تعالى -: ﴿وسبعة إذا رجعتم﴾ قال ابن عمر: معناه إذا رجعتم إلى الأهل.

والصحيح: أنه إذا أراد الرجوع عن الحج حتى لو صام السبع فى الطريق جاز ويجوز متفرقا أيضا.

وقوله - تعالى -: ﴿تلك عشرة كاملة﴾ فإن قال قائل: لايشكل أن الثلاثةَ والسبعَ عشرة، فلِمَ قال: تلك عشرة كاملة؟ قلنا: قيل: إنما قاله تأكيدا، ومثله قول الفرزدق(١):

ثلاث واثنتان فهن خمس ... وسادسة تميل إلى شمام

وهذا لأن العرب ما كانوا يهتدون إلى الحساب، وكانوا يحتاجون إلى فضل شرح وزيادة بيان.

---

(١) فى «الأصل، وك» الفارق، وهو تحريف.

وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الشهر هكذا وهكذا وهكذا - حبس إبهامه فى الكرّة الثالثة»(١). فأشار إليهم بأصابعه ليعرفوا الحساب.

وقيل: فيه تقديم وتأخير، يعنى: فصيام عشرة أيام: ثلاثة أيام فى الحج، وسبعة إذا رجعتم، وقيل: إنما قال ذلك؛ لقطع توهم الزيادة، فإن قوله: فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجعتم. يوهم وخمسة إذا فعلتم كذا، ونحوذلك، فقال: تلك عشرة ليقطع توهم الزيادة.

وقوله: ﴿كاملة﴾ أى: كاملة فى الأجر. وقيل: كاملة فيما أريد به من إقامة الصوم مقام الهدى.

قوله - تعالى -: ﴿ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام﴾ قال بعض الصحابة: أراد بحاضرى المسجد الحرام: أهل مكة، وكان ابن عباس يقول: يا أهل مكة لاتمتع لكم. إنما التمتع للغرباء.

وقيل: هم جميع أهل الحرم. وقال الشافعى: كل من كان من مكة على ما دون مسافة القصر؛ فهو من حاضرى المسجد الحرام.

﴿واتقوا الله﴾ أى: فى أداء الأوامر ﴿واعلموا أن الله شديد العقاب﴾ على ارتكاب المناهى.

قوله - تعالى -: ﴿الحج أشهر معلومات﴾ الأكثرون على أن المراد به: شوال، وذو القعدة، وعشر من ذى الحجة.

وقال مالك: كل ذى الحجة وقوله - تعالى -: ﴿فمن فرض فيهن الحج﴾ قال ابن عمر، وابن مسعود: أراد به: فمن فرض فيهن الحج بالتلبية. أى: فمن لبى.

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر، رواه البخارى (٤/١٤٣ رقم ١٩٠٨) ومسلم (٧/٢٦٤ - ٢٧٠ رقم ١٠٨٠)

وعندنا يختص إحرام الحج بأشهر الحج، وعند أبى حنيفة يجوز فى جميع السنة. وفيه خلاف الصحابة، وهو مذكور فى الفقه.

وقوله - تعالى -: ﴿ فلا رفث ﴾ قيل: هو الوطء. وقيل: الرفث: الإفحاش فى القول.

وقيل: هو أن يتعرض لأمر الوطء مع النساء، وذلك بأن يقول: إذا حللنا فعلنا كذا.

وعن ابن عباس أنه كان محرما فأنشد:

فَهُنَّ يَمْشِينَ بِنَا هَمِيسَا ... إِنْ تَصْدُقِ الطَّيْرُ نَنِكْ لَمِيسَا

فقيل له: أترفث وأنت محرم؟ فقال: الرفث: هو ما روجع به النساء، أى: يذكر فى مشاهدتهن.

وقوله - تعالى -: ﴿ ولافسوق ﴾ الفسوق: السباب. وقيل: هو كل المعاصى.

وقوله: ﴿ ولا جدال فى الحج ﴾ قال ابن مسعود: الجدال: أن يمارى الرجل صاحبه حتى يغضبه.

وقيل: أراد به ما كان عليه أهل الجاهلية من الاختلاف فى أمر الحج، حتى كان بعضهم يقف بعرفة، وبعضهم بالمزدلفة، وكان يحج بعضهم فى ذى القعدة، وبعضهم فى ذى الحجة، وكل يقول: ما فعلته فهو صواب، فقال: ﴿ ولاجدال فى الحج ﴾ أى: استقر أمر الحج على ما فعله الرسول، فلا خلاف فيه من بعد وذلك معنى قوله ﷺ «ألا إن الزمان قد استدار كهيئته...»[1] الحديث.

وقوله - تعالى -: ﴿ وما تفعلوا من خير يعلمه الله ﴾ أى: لايخفى عليه ولايضيعه، بل يثيب عليه.

(١) متفق عليه من حديث أبى بكرة، رواه البخارى (٨/ ١٧٥ رقم ٤٦٦٢)، ومسلم (١١/ ٢٤١ - ٢٤٧ رقم ١٦٧٩).

أُوْلِي الأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ

وقوله - تعالى -: ﴿ وتزودوا ﴾ نزل في قوم من اليمن، كانوا يخرجون إلى الحج من غير زاد ويسألون الناس الزاد، وربما يفضى الحال بهم فى السلب والنهب، فقال: ﴿ وتزودوا ﴾ أى: اخرجوا مع الزاد.

وقوله: ﴿ فإن خير الزاد التقوى ﴾ يعنى: من السلب والسؤال.

وقال سعيد بن جبير: تزودوا بالكعك والسويق.

وقال غيره: وتزودوا بالخشكنانج، والسويق. وقوله - تعالى -: ﴿ واتقون يا أولى الألباب ﴾ معلوم المعنى.

قوله - تعالى -: ﴿ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم ﴾ فى سبب نزول هذا قولان: أحدهما: ما روى عن أبى أمامة التيمى أنه قال: قلت لابن عمر: إنا نكرى فى هذا الوجه - يعنى إلى مكة - والناس يقولون: لاحج لكم، فقال ابن عمر: ألست تقف؟ ألست تسعى؟ ألست تطوف؟ قلت: نعم. فقال: لك حج. وروى ابن عمر «أن رسول الله ﷺ سئل عن ذلك، فلم يجب بشىء حتى نزل جبريل بهذه الآية»(١).

والثانى: قال ابن عباس: كان فى الجاهلية أسواق يقال لها عكاظ، والمجنة، وذو المجاز، وكان أهل الجاهلية يتجرون منها، فلما جاء الإسلام كان المسلمون يتحرجون عن التجارة فى تلك الأسواق، فنزل قوله: ﴿ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم ﴾» يعنى: بالتجارة فى تلك الأسواق.

وقرأ ابن الزبير: فضلا من ربكم فى مواسم الحج.

وقوله - تعالى -: ﴿ فإذا أفضتم من عرفات ﴾ أما عرفات: سمى بذلك؛ لأن

(١) رواه أبو داود (٢/١٤٢ رقم ١٧٣٣)، والحاكم فى مستدركه (١/٤٩٩)، وأحمد (٢/١٥٥) وقال: صحيح الإسناد، والبيهقى فى سننه (٤/٣٣٣).

لِمَنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

جبريل لما وقف بإبراهيم، كان يقول له: عرفت. فيقول: عرفت.

والإفاضة: الدفع بكثرة، يقال: فاض الإناء. إذا امتلأ حتى سال من الجوانب، ومنه: رجل فياض، إذا كان كثير العطاء، قال الشاعر:

وأبيض فَيَّاضٌ يداه غمامة   على معتقيه ما تَغِبُّ نَوَافِلُهْ

وإنما قال: ﴿فإذا أفضتم﴾ لأنه يدفع بعضهم بعضا بكثرة عند الرجوع.

وقوله – تعالى –: ﴿فاذكروا الله عند المشعر الحرام﴾ والمشعر الحرام، والمزدلفة، والجمع أسامى موضعٍ واحد. فالمشعر: المَعْلَمُ فإن المزدلفة مَعْلَمٌ للمبيت، والوقوف، والدعاء، والجمع بين الصلاتين. وإنما سمى: جمعا؛ لأنه يجمع هنالك بين المغرب والعشاء.

وسمى: مزدلفة، من الازدلاف وهو: الاجتماع، والمزدلفة: موضع بين جبلين، يسمى أحدهما: قزح يقف عليه الإمام، وهو من جملة الحرم ولذلك سمى المشعر الحرام.

وقوله – تعالى –: ﴿واذكروه كما هداكم﴾ أى: واذكروه بالتوحيد والتعظيم، كما ذكركم بالهداية.

وقوله – تعالى –: ﴿وإن كنتم من قبله لمن الضالين﴾ قيل: ما كنتم من قبله إلا من الضالين، وقيل: معناه: قد كنتم من قبله لمن الضالين.

قوله – تعالى –: ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾ يعنى: من عرفات.

فإن قيل: كيف قال: ثم أفيضوا – بكلمة التعقيب – والإفاضة من عرفات إنما تكون قبل الوصول إلى المزدلفة؟ قلنا: «ثم» بمعنى «الواو» ههنا، يعنى: وأفيضوا. وهو مثل قوله: ﴿ثم كان من الذين آمنوا﴾(١) أى: وكان من الذين آمنوا، فيكون

(١) البلد: ١٧.

جمعا بين الحكمين.

وقيل: تقديره: ثم أمركم أن تفيضوا من عرفات. وهذا مثل قوله - تعالى -: ﴿ثم آتينا موسى الكتاب﴾(١) (وإنما آتاه الكتاب قبل محمد ﷺ لكن معناه ثم أخبركم أنا آتينا موسى الكتاب)(٢)، كذلك هاهنا، فيكون عمل «ثم» في الأمر لا في الإفاضة.

وأما الكلام في المعنى: قيل: إن قريشا وأحلافهم كانوا يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن أهل حرم الله فلا نخرج من حرم الله. لأن عرفات كانت في الحل، وأما سائر العرب كانوا يقفون بعرفات.

فقوله: ﴿ثم أفيضوا﴾ خطاب لقريش، يعني: قفوا بعرفات، وأفيضوا منها ﴿من حيث أفاض الناس﴾ يعني: سائر العرب.

وقيل: أراد بالناس في قوله: ﴿من حيث أفاض الناس﴾ إبراهيم، وقد يسمى الواحد ناسا، كما قال الله - تعالى -: ﴿الذين قال لهم الناس﴾(٣) وأراد به: نعيم ابن مسعود الأشجعي وحده.

وقرأ الضحاك، وسعيد بن جبير ﴿من حيث أفاض النَّاسِ﴾ يعني: آدم - عليه السلام -.

وقوله - تعالى -: ﴿واستغفروا الله إن الله غفور رحيم﴾(٤).

قوله - تعالى -: ﴿فإذا قضيتم مناسككم﴾ يعني: فرغتم من المناسك، وذلك عند رمي جمرة العقبة والاستقرار بمنى، وقوله: ﴿فاذكروا الله كذكركم آباءكم﴾

(١) الأنعام: ١٥٤.

(٢) سقط من «ك».

(٣) آل عمران: ١٧٣.

(٤) كذا في الأصل، وك» لم يعلق علي هذه الآية، ولعله وقع سقط هاهنا. ولعله قال: «ظاهر المعنى». والله أعلم.

فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾

يعنى: فاذكروا الله بالتكبير والتمجيد والثناء عليه.

وفى قوله: ﴿كذكركم آباءكم﴾ قولان، قال عطاء: هو أن الصبى أول ما يتكلم فإنما يلهج بذكر أبيه، فيقول: يا أبة. لايذكر غيره، فقال – تعالى –: ﴿فاذكروا الله﴾ لاغيره ﴿كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا﴾.

والثانى: هو أن العرب كانوا إذا فرغوا من الحج، ذكروا مفاخر آبائهم، فقال – تعالى –: فاذكروا الله بدل ذكركم آباءكم أو أشد ذكرا.

وقوله – تعالى –: ﴿فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا﴾ أراد به: المشركين، كانوا لايسألون الله فى الحج إلا الدنيا، وكان الرجل منهم يقول: اللهم إن أبى كان عظيم القبة كبير الجفنة، كثير المال، اللهم فاعطنى مثل ما أعطيته.

وقوله – تعالى –: ﴿وما له فى الآخرة من خلاق﴾ من نصيب.

قوله – تعالى –: ﴿ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة﴾ أراد به المسلمين، واختلفوا فى معناه.

قال الحسن البصرى: ﴿فى الدنيا حسنة﴾ يعنى: العلم والعبادة، ﴿وفى الآخرة حسنة﴾ يعنى: الجنة.

وحكى عن على – رضى الله عنه – أنه قال ﴿فى الدنيا حسنة﴾ المرأة الصالحة، ﴿وفى الآخرة حسنة﴾ الجنة.

وقد ورد فى الحديث مرفوعا: «من أوتى قلبا شاكرا، ولسانا ذاكرا، وامرأة صالحة تعينه على أمر دينه، فقد جُمِعَ له خير الدنيا والآخرة»[1].

---

(١) رواه ابن أبى الدنيا فى الشكر (ص ٨١ رقم ٣٤)، والطبرانى فى الكبير (١١/ ١٣٤ رقم ١١٢٧٥)، وفى الأوسط – كما فى مجمع البحرين (٤/ ١٥٥ – ١٥٦ رقم ٢٢٤٩)، وأبو نعيم فى الحلية (٣/ ٦٥)، والبيهقى فى الآداب (ص٢٩٣ رقم ٨٨٩) كلهم من حديث ابن عباس.

وقال الهيثمى فى المجمع (٤/ ٢٧٦) رواه الطبرانى فى الأوسط، والكبير، ورجال الأوسط رجال الصحيح.

واختلف فى إسناده انظر الضعيفة رقم (١٠٦٦).

أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾

وقال قتادة: ﴿في الدنيا حسنة﴾ يعنى: العافية، ﴿وفى الآخرة حسنة﴾ يعنى: العاقبة.

وروى أنس عن النبى ﷺ: «أنه عاد مريضا قد أنهكه المرض حتى صار كالفرخ، فقال له - عليه السلام -: بم كنت تدعو؟ فقال الرجل: قلت: اللهم إن كنت معاقبى بشىء فى الآخرة فعجله لى فى الدنيا، فقال ﷺ: سبحان الله، ما تطيق ذلك، هلا قلت: ﴿ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة﴾»[1]. وقيل: كان هذا أكثر دعاء رسول الله ﷺ[2].

وقوله - تعالى -: ﴿وقنا عذاب النار﴾ أى: اصرف عنا عذاب النار.

قوله - تعالى -: ﴿أولئك لهم نصيب﴾ أى: الاستجابة ﴿مما كسبوا﴾ من الدعاء. ﴿والله سريع الحساب﴾ قال أهل التفسير: يحاسب العباد أسرع من لمح البصر.

وقال أهل المعانى: يحاسب العباد من غير تدبير ولا رؤية؛ لكونه عالما بما للعباد، وما على العباد فلا يحتاج إلى رؤية.

وقال ابن الأنبارى: معناه: أن الله آت بالقيامة عن قريب، فإن ما هو كائن لامحالة فهو قريب، ففيه إشارة إلى قرب القيامة.

---

(١) رواه البخارى فى الأدب المفرد (ص٢١٤)، ومسلم فى صحيحه (١٧/٢٢-٢٣ رقم ٢٦٨٨)، والترمذى (٥/٤٨٧ رقم ٣٤٨٧) وقال: حسن صحيح غريب. والنسائى فى الكبرى (٦/٢٦٠-٢٦١ رقم ١٠٨٩٢)، وأحمد (٣/١٠٧، ٢٨٨).

(٢) متفق عليه من حديث أنس بن مالك. رواه البخارى (١١/١٩٥ رقم ٦٣٨٩)، ومسلم (١٧/٢٧ رقم ٢٦٩٠).

فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ

قوله – تعالى –: ﴿واذكروا الله فى أيام معدودات﴾ يعنى: أيام منى، وهى أيام التشريق. قال ابن عمر: الأيام المعلومات والأيام المعدودات فى أربعة أيام، فيوم النحر ويومان بعده هى الأيام المعلومات، وثلاثة أيام بعد يوم النحر هى الأيام المعدودات.

والمعدودات الْمُحْصَيات، وإنما قال ذلك لقلتهن، والمراد بالذكر منها ههنا: هو التكبيرات أدبار الصلوات.

وقوله – تعالى –: ﴿فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه﴾ أراد به: النفر فى اليوم الثانى من أيام التشريق، يعنى: فمن تعجل بالنفر بالرجوع من منى فيه فلا حرج عليه.

وقوله – تعالى –: ﴿ومن تأخر فلا إثم عليه﴾ يعنى: من تأخر بالنفر الثانى فى اليوم الثالث من أيام التشريق فلا حرج عليه.

فإن قيل: الآية فيمن رجع على إتمام المناسك، فكيف نفى الحرج عنه وهو بمحل استحقاق الثواب لابمحل الحرج؟ قلنا: قال ابن مسعود: أراد به: من[نفى][1] الحرج: أنه رجع مغفورا له. وهذا مؤيد بالحديث، وما روى مرفوعا «من حج هذا البيت ولم يرفث ولم يفسق؛ رجع كيوم ولدته أمه»[2].

وقال النخعى معناه: فمن تعجل فلا إثم عليه بالتعجيل، ومن تأخر فلا إثم عليه بالتأخير.

وفيه قول ثالث: إنما قال ذلك، لأن بعضهم كان يزيد فى المقام بمنى على الثلاث تبررا وتقربا؛ فقال الله – تعالى –: من رجع فى اليوم الثانى أو الثالث ولم يزد على الثلاث فلا حرج عليه. يعنى: فى ترك الزيادة.

---

(١) ليست فى «الأصل»، ولا فى «ك».

(٢) متفق عليه من حديث أبى هريرة، فرواه. البخارى (٣/ ٤٤٦ رقم ١٥١٩، وأطرافه فى: رقم ١٨١٩، ١٨٢٠)، ومسلم (٩/ ١٦٦ – ١٧٠ رقم ١٣٥٠).

اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ

وفيه قول رابع: حسن، معناه: من ترخص بالتعجيل فلا إثم عليه بالترخص، ومن تأخر فلا إثم عليه بترك الترخص؛ وذلك أن النبي ﷺ كان قد ندب إلى الرخصة بقوله: «إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه»(١).

قوله - تعالى -: ﴿لمن اتقى﴾ قال أبو العالية: معناه: لمن اتقى الله بعد الحج فى جميع عمره.

وقال الآخرون: معناه: لمن اتقى المعاصى فى الحج، وقوله - تعالى -: ﴿واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون﴾ ظاهر المعنى

قوله - تعالى -: ﴿ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا﴾ نزلت الآية فى الأخنس بن شريق حليف بنى زهرة فإنه أتى النبى - عليه السلام - وقال: «إنى أحبك، وأريد أن أؤمن بك، والله يعلم ما فى قلبى، وكان يبطن بغضه، وكان - عليه السلام - يعجبه قوله (ويُسَرُّ به)(٢) فنزلت الآية: ﴿ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا﴾»(٣) يعنى فى العلانية.

وأما قوله: ﴿ويشهد الله على ما فى قلبه﴾ قرأ ابن مسعود: وشهيد(٤) الله على ما فى قلبه. وقرأ ابن محيصن: ويَشْهَدُ الله على ما فى قلبه، وهما فى الشواذ، والمعروف هو الأول.

وقوله - تعالى -: ﴿وهو ألد الخصام﴾ أى: شديد الخصومة قال الشاعر:

إن تحت (التراب)(٥) حزْمًا وجودًا ... وخصيمًا أَلَدَّ ذا معْلاق

(١) تقدم تخريجه.

(٢) فى «ك»: ويسره.

(٣) رواه ابن جرير الطبرى فى تفسيره (٢ / ١٨١ - ١٨٢) عن السدى مرسلا.

(٤) كذا «بالأصل، وك» وفى تفسير القرطبى، وغيره: (ويستشهد). (٥) فى لسان العرب (مادة: علق): الأحجار.

الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ

وقال مجاهد: ﴿ ألد الخصام ﴾ أى: الظالم فى الخصومة.

وقوله - تعالى -: «﴿ وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ﴾ فيه نزلت الآية أيضا؛ فإنه خرج من عند النبى ﷺ فرأى حمارا فعقره، ومر بزرع فأحرقه(١) فهذا معنى قوله: ﴿ سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ﴾ فالحرث: الزرع. والنسل: ولد كل دابة.

﴿ والله لايحب الفساد ﴾ أى: لايرضى الفساد، وقيل: من الفساد: كسر الدرهم، وشق الثوب من غير مصلحة.

قوله - تعالى -: ﴿ وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم ﴾ فيه نزلت الآية أيضا. ﴿ وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة ﴾ أى: حمية الجاهلية ﴿ بالإثم ﴾ أى: بالظلم، والعزة: التكبر والمنعة، ومنه قوله تعالى: ﴿ فى عزة وشقاق ﴾(٢).

وعن ابن مسعود قال: كفى بالمرء إثما أن يقال له: اتق الله، فيقول: أنت الذى تأمرنى بالتقوى.

وروى أنه قيل لعمر بن الخطاب - رضى الله عنه -: اتق الله. فوضع خده على الأرض تواضعا لله.

وفى رواية قيل لعمر: اتق الله: فأنكر المغيرة بن شعبة على قائله، فقال عمر: إنكم لاتزالون بخير ما قالوا ذلك لنا، وقبلنا منهم.

وقوله - تعالى -: ﴿ فحسبه جهنم ﴾ أى: كافيه. قال امرؤ القيس.

وتملأ بيتنا أَقْطًا وَسَمْنًا ... وحسبك من غنى شِبَعٌ وَرِيُّ

وقوله - تعالى -: ﴿ ولبئس المهاد ﴾ المهاد: كل فراش يستقر المرء عليه.

(١) رواه ابن جرير الطبرى فى تفسيره (٢ / ١٨١) عن السدى مرسلا.

(٢) ص: ٢.

بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ

قوله - تعالى -: ﴿ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله﴾ قال سعيد ابن المسيب: «نزلت الآية فى صهيب بن سنان، وذلك أنه خرج من مكة مهاجرا إلى المدينة فتبعه المشركون ولحقوه، فنثر كنانته وقال: إنكم تعلمون أنى من أرماكم، والله لاتصلون إلى حتى أرمى جميع ما بكنانتى ثم آخذ سيفى وأضرب حتى أعجز أو ترجعوا عنى وما لكم مالى ثمة، فقالوا: أين مالك؟ فدلهم عليه، فرجعوا عنه، فلما سمع ذلك رسول الله ﷺ قال: ربح البيع يا أبا يحيى»(1). فهذا معنى قوله: و﴿ومن الناس من يشرى نفسه﴾ أى: يبيع.

والشراء: البيع، ومنه قول الشاعر:

وشرِيت بُرْدًا ليتنى   من بعد برد [صرت هامه](2)

قاله رجل كان له غلام يسمى بردا، وكان مفتونا به، فباعه فندم عليه.

وقوله - تعالى -: ﴿والله رءوف بالعباد﴾ أى: شديد الرحمة بهم.

قوله - تعالى -: ﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة﴾ آمنوا: أى صدقوا.

ادخلوا فى السلم كافة، أى: ادخلوا جميعا فى الإسلام.

قال الأزهرى السلم الصلح، والسلم: الانقياد، والمراد به: الإسلام ههنا.

---

(1) رواه ابن سعد فى الطبقات (٣/١٧١ - ١٧٢) والحارث بن أبى أسامة فى مسنده كما فى بغية الباحث فى زوائد الحارث (ص٢١٤ رقم ٦٧٧) وأبو نعيم فى الحلية (١/١٥١ - ١٥٢).
وعزاه السيوطى فى الدر (١/٢٤٩) لابن المنذر، وابن أبى حاتم، وابن عساكر. ورواه الحاكم عن أنس (٣/٢٩٨) وقال: صحيح على شرط مسلم. وأخرجه الطبرى (٢/١٨٦) عن عكرمة بنحوه.

(2) فى الأصل: ضرب هامة، وفى «ك»: ضرب هامتى.

يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ

وقال الأزهرى أيضا: معناه: ادخلوا فى الإسلام وشرائعه كافة.

وفيه قول ثالث، معناه: ادخلوا فى الإسلام إلى منتهى شرائعه، كافِّين عن المجاوزة إلى غيره، من الكَفِّ.

قال ابن عباس: نزلت الآية فى عبد الله بن سلام، وقوم من اليهود أسلموا، وأرادوا أن يجمعوا بين الإسلام واليهودية، فقالوا: نلزم السبت فلا نأكل لحوم الإبل ونحو ذلك، فنزلت الآية. أى: كونوا للإسلام خاصة، ولا تجمعوا بينه وبين اليهودية، وكفوا عن المجاوزة إلى غيره.

فإن قال قائل: كيف خاطب المؤمنين بالدخول فى الإسلام؟ قيل: يحتمل معناه: الثبات على الإسلام، ويحتمل أنه خطاب للذين آمنوا باللسان ولم يؤمنوا بالقلب.

وقوله - تعالى -: ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ أى: آثار الشيطان، وهى جمع الخطوة. والخطوة: ما بين القدمين ﴿إنه لكم عدو مبين﴾.

قوله - تعالى -: ﴿فإن زللتم﴾ زَلّ يَزِلُّ: إذا ضل وتنحى عن الطريق، وأَزَلّ يُزِلُّ: إذا أسدى نعمة إلى غيره. ومنه قوله ﷺ: «من أزلت إليه نعمة فليشكرها»(١).

وقوله - تعالى -: ﴿من بعد ما جاءتكم البينات﴾ الدلالات الواضحات.

﴿فاعلموا أن الله عزيز حكيم﴾ فالعزيز: الغالب الذى لايفوته شيء، والحكيم: ذو الإصابة فى الأمر.

قوله - تعالى -: ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة﴾ والآية من المتشابهات.

(١) رواه القضاعى فى مسند الشهاب (١/ ٢٣٨ - ٢٣٩ رقم ٣٧٦) من طريق يحيى بن صيفى عن ابن عمر.
وعزاه الحافظ ابن حجر فى الإصابة (٣/ ٦٧٩) لابن الأعرابى فى معجمه.

شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا

وروى أصحاب الحديث عن أبى بن كعب ومجاهد، أنهما قالا فى تفسير الآية: يأتى الله يوم القيامة فى ظلل من الغمام.

وأما أبو بكر محمد بن الحسن النقاش المفسر فلم يتعرض للآية بشىء، وقال الزجاج: يحتمل معنى الآية من حيث اللغة: يأتى الله بما وعدهم من العقاب.

قال الشيخ الإمام: والأولى فى هذه الآية وما يشاكلها أن نؤمن بظاهره ونكل علمه إلى الله - تعالى - وننزه الله - سبحانه وتعالى - عن سمات الحدث والنقص.

وأما قوله: ﴿فى ظلل﴾ فهو جمع الظلة وهو السترة من الغمام. قد ذكرنا معنى الغمام.

﴿والملائكة﴾ قرئ بالرفع والخفض[1]. فإذا قرئ بالرفع، فهو منسوق على الله، وإذا قرئ بالخفض فهو منسوق على الظلل.

﴿وقضى الأمر﴾ أى: فرغ من الأمر، وذلك فصل الله القضاء بالحق بين الخلق.

﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾ قال قطرب: إنما خص به يوم القيامة؛ لأن الأمر يخلص يومئذ لله - تعالى -.

قوله - تعالى -: ﴿سل بنى إسرائيل﴾ هو خطاب للرسول ﷺ، يعنى: سل الذين أسلموا منهم ﴿كم آتيناهم من آية بينة﴾ أى: من دلالة واضحة على نبوة موسى.

وقيل: معناه: الدلالات التى آتاهم فى التوراة والإنجيل على نبوة محمد ﷺ ﴿ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب﴾ فى معناه قولان:

أحدهما: ومن يغير عهد الله.

والثانى معناه: ومن ينكر الدلالة التى على نبوة محمد ﷺ.

(١) قرأ أبو جعفر بالخفض، وقرأ الباقون بالرفع. انظر النشر (٢/٢٢٧)، وتفسير البغوى (١/١٨٤).

فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا

قوله - تعالى -: ﴿زين للذين كفروا الحياة الدنيا﴾. قال الزجاج: المزينُ هو الشيطان. فإن الله - تعالى - قد زهد الخلق فى الدنيا، ورغبهم فى الآخرة. وقال الأكثرون: المزينُ هو الله - تعالى - والتزيين من الله هو أنه خلق الأشياء الحسنة والمناظر المعجبة، فنظر الخلق إليها بأكثر من قدرها، فأعجبهم ذلك، ففتنوا به؛ [فلذلك](١) التزيين من الله.

﴿ويسخرون من الذين آمنوا﴾ أى: يستهزئون. وهم رؤساء قريش كأبى جهل وغيره، وكانوا يسخرون من الفقراء.

قال ابن عباس: أراد بالذين آمنوا: عبد الله بن مسعود، وعمار بن ياسر، وخباب بن الأرت، وأبا ذر.

﴿والذين اتقوا﴾ أى: هؤلاء الفقراء ﴿فوقهم يوم القيامة﴾ لأنهم فى أعلى عليين، وأولئك فى أسفل السافلين.

﴿والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ فيه أقوال، أحدها: أنه يوسع على من يشاء من غير مضايقه ولا تقتير.

والقول الثانى: معناه: أنه لايأخذ شيئا من شيء مقدر، كالعبد يأخذ ألفًا من ألفين، فيعطى قدرا من مقدَّرِه فيخاف الإجحاف على ماله؛ ولكن الله يرزق العباد من خزائنه التى لاتنفد.

والثالث: معناه: أنه يقتر على من يشاء، ويبسط على من يشاء، ولايعطى كل أحد على قدر حاجته؛ بل يعطى الكثير من لايحتاج إليه، ولايعطى القليل من يحتاج إليه.

والقول الرابع: قال ابن عباس: هذا فيما سهل الله - تعالى - على رسوله من

(١) فى «الأصل»: فلذلك، وفى «ك»: فكذلك.

اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا

الاستيلاء على بنى قريظة والنضير، على أسهل وجه من غير قتال ولا تعب.

وقوله – تعالى –: ﴿كان الناس أمة واحدة﴾ فالأمة فى اللغة: على وجوه، منها: الأمة بمعنى الدين، ومنه قول النابغة:

حلفتُ، فلم أترك لنفسكَ رِيبَةً — وهل يَأْثَمَنْ ذو أمة وهو طائع

أى: ذو دين

والأمة: الفرقة من الناس وغيرهم، فالترك أمة، والروم أمة، والفرس أمة، ومن الطير أمة، قال الله – تعالى –: ﴿ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾(١).

والأمة: الحين، وقال الله تعالى: ﴿وادكر بعد أمة﴾(٢) أى: بعد حين.

والأمة: الإمام الذى يقتدى به ومنه قوله – تعالى –: ﴿إن إبراهيم كان أمة﴾(٣).

والأمة: الْمُعَلَّمُ للخير. والأمة: القامة، ومنه قول الشاعر:

وإن معاوية الأكرمين — حسان الوجوه طوال الأمم

والإمة – بكسر الألف –: النعمة، والمراد بالأمة ههنا الدين.

يعنى: كان الناس على دين واحد ثم اختلفوا فى معناه.

وقال بعضهم – وهو قول مجاهد – أراد به آدم، كان أمة واحدة.

وقيل – وهو قول قتادة وسعيد بن جبير –: أراد به عشرين قرنا من بنى آدم ونوح كانوا على الإسلام.

(١) الأنعام: ٣٨.

(٢) يوسف: ٤٥.

(٣) النحل: ١٢٠.

اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ

وقيل: أراد به الناس فى زمن إبراهيم كانوا على ملة الكفر.

﴿فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه﴾.

فإن قال قائل: كيف يحكم الكتاب؟ قيل: قرأ عاصم الجحدرى: «لِيُحْكَمَ بين الناس» بضم الياء(١) - فيكون الحكم من الأنبياء.

وأما قوله: ﴿ليحكم بين الناس﴾ يعنى: ليحكم الذين أوتوا الكتاب من النبيين.

وقوله - تعالى -: ﴿وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه﴾ يعنى: أوتوا الكتاب. ﴿من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم﴾ أى: حسدا وظلما. ﴿فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه﴾ قال زيد بن أسلم: اختلفوا فى القبلة، فهدانا الله إلى الكعبة، واختلفوا فى الأيام، فاختار اليهود السبت، والنصارى يوم الأحد، فهدانا الله للجمعة، واختلفوا فى عيسى، فقال بعضهم: كذاب. وقال بعضهم: ابن الله فهدانا الله لكونه نبيا عبدا، واختلفوا فى إبراهيم، فادَّعاه كل فرقة فهدانا الله لكونه حنيفا مسلما.

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «نحن الآخرون السابقون، وأول الناس دخولا الجنة، بيد أنهم أوتوا الكتاب قبلنا وأوتيناه من بعدهم، الناس لنا تبع، فاليوم لنا، - يعنى: الجمعة - وغدا لليهود، وبعد غد للنصارى»(٢).

﴿والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم﴾.

(١) وهى قراءة أبى جعفر المدنى، كما فى تفسير البغوى، (١/ ٨٦)، والنشر فى القراءات العشر لابن الجزرى (٢/ ٢٢٧). وقرأ الباقون بفتح الياء.

(٢) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (٢/ ٤١٢ رقم ٨٧٦)، ومسلم (٦/ ٢٠٤ - ٢٠٦ رقم ٨٥٥).

يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا

قوله – تعالى –: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة﴾.

نزل فى المهاجرين إلى المدينة حين أصابهم حر شديد و فاقة عظيمة فأنزل الله – تعالى – هذه الآية؛ تطييبا لقلوبهم وتسلية لهم.

فقوله: ﴿أم﴾ كلمة للخروج من كلام إلى كلام، ونكون بمعنى: بل يقول الله – تعالى – لهم: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم﴾ يعنى: ولم يصبكم ما أصابهم، وقوله – تعالى –: ﴿مثل الذين خلوا﴾ أى: صفة الذين خلوا. ﴿من قبلكم مستهم البأساء﴾ الفقر ﴿والضراء﴾ المرض ﴿وزلزلوا﴾ حُرِّكُوا بشدة وخُوِّفُوا. ﴿حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله﴾ حتى استبطئوا نصر الله. ﴿ألا إن نصر الله قريب﴾.

قوله – تعالى –: ﴿يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين﴾ قيل: المراد به الوصية التى كانت واجبة فى الابتداء للوالدين والأقربين.

وقيل: أراد به التطوعات والصدقات جعلها للوالدين، والأقربين، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل.

وقيل: إنه كان فى الابتداء، ثم نسخت بآية الزكاة.

﴿وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم﴾ أى: يحصى ويجازى عليه. وهذا مثل قوله – تعالى –: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره﴾(١) أى: يرى الجزاء على العمل؛ لأن العمل فائت فلا يراه.

قوله – تعالى –: ﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم﴾ أى: شاق عليكم.

واعلم أن أكثر العلماء على أن الجهاد فرض على الكفاية، وقال عطاء – وهو قول الثورى(٢) –: أنه تطوع قالوا: والآية فى الذين أمروا بالقتال من الصحابة.

---

(١) الزلزلة: ٧.

(٢) فى «ك»: النووى، وهو خطأ.

مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ

﴿ وعسى أن تكرهوا شيئا ﴾ يعنى: القتال ﴿ وهو خير لكم ﴾ بإصابة الشهادة، وحيازة الغنيمة، والظفر بالعدو.

﴿ وعسى أن تحبوا شيئا ﴾ يعنى: القعود عن القتال ﴿ وهو شر لكم ﴾ بفوت المنازل. قال ابن عباس: «كنت رديف رسول الله ﷺ فقال لى: يا غلام ارض بما قدر الله لك؛ فعسى أن تكره شيئا وهو خير لك، وعسى أن تحب شيئا وهو شر لك، وتلا هذه الآية: ﴿ والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾»(١).

قوله – تعالى –: ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ﴾ أى: عن قتال فيه، خُفِضَ على البدل ﴿ قل قتال فيه كبير ﴾ عظيم. ثم ابتدأ فقال: ﴿ وصد عن سبيل الله ﴾ يعنى: صدكم المسلمين عن الإسلام.

﴿ وكفر به ﴾ أى: كفركم بالله. ﴿ والمسجد الحرام ﴾ أى: وصدكم المسلمين عن المسجد الحرام.

﴿ وإخراج أهله منه ﴾ أى: إخراج أهل مكة من مكة ﴿ أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ﴾ أى: والكفر الذى أنتم عليه، وأفعالكم تلك، أكبر عند الله، وأشد من قتال المسلمين فى الشهر الحرام.

قال عروة بن الزبير: سبب نزول الآية: ما روى «أن النبى ﷺ بعث عبد الله بن جحش مع ثمانية نفر قِبل مكة، ودفع إليهم كتابا وقال: لاتَفُكُّوهُ إلا بعد يومين، فلما مضى يومان فكوا الكتاب، فإذا فيه: امضوا إلى بطن النخل – وذلك موضع بين مكة والطائف – وفيه استعلموا أخبار قريش، فنزلوا هنالك، وكانوا يستعلمون خفية، فمر بهم عير من الطائف عليهم عمرو بن الحضرمى مع زبيب وأدم، فرماه واحد من

(١) رواه ابن جرير الطبرى (٢ / ٢٠١).

وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

المسلمين فقتله وقادوا العير إلى رسول الله ﷺ . وكان ذلك فى آخر يوم من جمادى الآخر، أو فى أول يوم من رجب - وكانوا شاكين فيه - فعيرهم المشركون بقتلهم ابن الحضرمى فى الشهر الحرام فنزلت الآية »(١).

يعنى الذى فعلتم أنتم من تلك الأفعال أكبر وأشد من قتلهم فى الشهر الحرام.

وفى الخبر: «أن النبى ﷺ لم يمد يده إلى شىء من ذلك العير حتى نزلت الآية، ثم قسمها بين المسلمين »(٢).

﴿ ولايزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾ يعنى: المشركين كانوا يقاتلون المسلمين ويعيرونهم على الإسلام.

﴿ ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾.

قال - تعالى -: ﴿ إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدو ا فى سبيل الله ﴾ هذه الآية متصلة بالأولى فى المعنى وذلك أن عبد الله بن جحش لما مر بالسرية وقتل ابن الحضرمى من قتله قال: المشركون إن لم يصيبوا وزرا فلا ينالون خيرا فنزلت هذه الآية ﴿ إن الذين آمنوا ﴾ يعنى عبد الله بن جحش وقومه ﴿ والذين وهاجروا ﴾ من أوطانهم ﴿ وجاهدوا ﴾ يعنى بالغزو فى سبيل الله ﴿ أولئك يرجون رحمة الله ﴾ أخبر أنهم على رجاء الرحمة، وإنما لم يقطعوا لأنفسهم بالرحمة؛ لأن الإنسان يعرف من نفسه أنه لايمكنه تأدية حق الله - تعالى - على وجهه فلا يأمن تقصيرا؛ فلا يمكنه القطع لنفسه بالرحمة.

(١) رواه الطبرى فى تفسيره (٢ / ٢٠٢ - ٢٠٣) مطولاً.

(٢) تقدم فى الذى قبله من رواية عروة.

ولأنه ربما يرتكب فى المستقبل ما يستوجب به العقاب.

﴿والله غفور رحيم﴾ فالغفور: الستور. والرحيم: العطوف.

قوله - تعالى -: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾ فالخمر: كل شراب مسكر، وسمى المسكر: خمرا؛ لأنه يخامر العقل ويستره.

وأصل الخمر: الستر والتغطية. ومنه الخِمَار؛ لأنه يستر الرأس. ويقال: دخل فلان فى خمار الناس، أى تَسَتَّرَ فيهم.

وقال عمر - رضى الله عنه -: الخمر ما خامر العقل. وهو حجة أصحاب الحديث على أن كل مسكر خمر، ومنه يقال للسكران من أى شراب: كان مخمورا.

والميسر: القمار. وقال ابن مسعود: دعوا الكعاب فإنه من الميسر.

وقال ابن سيرين: كل ما يلعب به فهو ميسر، حتى الجوز الذى يلعب به الصبيان. ثم اختلفوا فى تحريم الخمر أنه بأى آية كان؟.

قال بعضهم: هو بهذه الآية، فإنه قال: ﴿قل فيهما إثم كبير﴾ (ولفظ الإثم)[١] يدل على التحريم؛ فإنه حرم الخمر بلفظ الإثم فى آية أخرى، حيث قال: ﴿قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم﴾[٢] وأراد به: الخمر. ومنه قول الشاعر:

شربتُ الإثم حتى ضل عقلى　　　كذاك الإثم يذهبُ بالْعُقُـولِ

وقال ابن عباس، وأكثر المفسرين: إن تحريم الخمر بالآية التى فى سورة المائدة[٣]. بأنه لما نزلت هذه الآية: ﴿قل فيهما إثم كبير﴾ فانتهى بعضهم، ولم ينته البعض. فنزل قوله: ﴿لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾[٤] فكانوا يتحينون للشرب حتى كان

(١) فى «ك»: والإثم الكبير.　　(٢) الأعراف: ٣٣.

(٣) هى قوله - تعالى -: ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ إلى قوله: ﴿فهل أنتم منتهون﴾ آية: ٩٠، ٩١.

(٤) النساء: ٤٣.

الرجل يشرب بعد العشاء الأخيرة فيصبح وقد زال السكر، ثم يشرب بعد صلاة الصبح فيصحو إذا جاء وقت الظهر، فنزلت آية المائدة. قال ابن عمر: حرمت الخمر بآية المائدة، وروى هو عن رسول الله ﷺ أنه قال: «تحريم الخمر بآية المائدة»(١).

وعن عمر - رضى الله عنه - أنه لما سمع قوله: ﴿فهل أنتم منتهون﴾(٢) قال: انتهينا ربنا.

﴿قل فيهما إثم كبير﴾ قرأ حمزة والكسائى: بالثاء وقرأ الباقون كبير(٣)- بالباء، فالكبير: بمعنى العظيم، والكثير: لكثرة عدد الآثام فى الخمر التى ذكرها فى آية المائدة ﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة و البغضاء﴾(٢) الآية.

وقوله - تعالى -: ﴿ومنافع للناس﴾ فالإثم فى الخمر: هو ما يقع فيه من العدواة و البغضاء والصد عن ذكر الله وعن الصلاة.

وأما المنافع فى الخمر: اللذة، والفرح، واستمراء الطعام، والربح فى التجارة فيه.

وقد قال حسان بن ثابت: فى الخمر ونفعها:

ونشربها فتتركنا أُسودًا ... ولُبُوثاً ما يُنَهْنِهُنَا اللقاءُ(٤)

وقال آخر:

وإذا سَكِرْتُ فإننى ... رَبُّ(الْخَوَرْنَقِ)(٥) والسدير

وإذا صحوتُ فإننى ... رَبُّ الشُّوَيْهَةِ والبعير

وأما المنافع للناس فى الميسر: فهو إصابة المال فيه من غير كد وتعب.

والإثم فيه: أنه إذا ذهب ماله من غير عوض يأخذه يسوءه ذلك؛ فيعادى صاحبه، ويقصده بالسوء.

---

(١) رواه ابن جرير الطبرى فى تفسيره (٢ / ٢١١) من حديث ابن عمر. (٢) المائدة: ٩١.

(٣) انظر النشر (٢ / ٢٢٧)، وتفسير البغوى (١ / ١٩٣).

(٤) كذا وقع فى «الأصل وك». وفى تفسير القرطبى (٣ / ٥٧).

ونشربها فتنزلنا ملوكًا ... وأسدًا ما ينهنهنا اللقاء

(٥) فى «ك»: الخرونق.

نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾

وقوله ﴿ وإثمهما أكبر من نفعهما ﴾ قيل: معناه: إثمهما بعد التحريم أكبر من نفعهما قبل التحريم.

وقيل: إثمهما أكبر من نفعهما قبل التحريم، يعنى: الإثم الذى يصير الخمر سببا فيه من العدواة والعربدة أكبر من نفعهما.

قوله تعالى: ﴿ ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو ﴾ قرأ أبو عمرو وحده بضم الواو، وقرأ الباقون بفتحها[١]، فمن قرأ بالضم؛ فتقديره ما الذى ينفقون، فقال: قل الذى ينفقون العفوُ؛ ومن قرأ بالفتح فتقديره: ماذا ينفقون؟ فقال: قل: ينفقون العفو. واختلفوا فى معنى العفو، فقال طاوس: هو اليسير من كل شىء، وقال أكثر المفسرين: العفو: الفضل، وذلك أن الصدقة إنما تجب فى الفاضل عن الحاجة، وكانت الصحابة يكتسبون المال، ويمسكون قدر النفقة، ويتصدقون بالفضل، بحكم هذه الآية، ثم نسخ ذلك بآية الزكاة.

وقيل معناه: [التصدق][٢] عن ظهر الغنى؛ وذلك أن يتصدق وهو غنى، ولايتصدق وهو فقير. فيبقى كَلاًّ على الناس. وهو معنى قوله ﷺ: «أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى»[٣].

وحقيقة العفو: الميسورُ. ومنه قوله: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾[٤] أى: ما تيسر من أخلاق الرجال.

---

(١) انظر النشر (٢/ ٢٢٧)، وتفسير البغوى (١/ ١٩٣).

(٢) فى «الأصل وك»: التصديق. وهو تحريف.

(٣) متفق عليه من حديث حكيم بن حزام، رواه البخارى (٣/ ٣٤٥ رقم ١٤٢٧)، ومسلم (٧/ ١٧٦ رقم ٩٥٠).

ورواه البخارى من حديث أبى هريرة (٣/ ٢٤٥ رقم ١٤٢٦) وأطرافه فى ١٤٢٨، و ٥٣٥٥، ٥٣٥٦.

(٤) الأعراف: ١٩٩.

﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾﴾

﴿كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون فى الدنيا و الآخرة﴾ فيه تقديم وتأخير، وتقديره: يبين الله لكم الآيات فى الدنيا والآخرة لعلكم تتفكرون فى الدنيا والآخرة؛ فتعرفون فضل الآخرة على الدنيا. فتزهدون فى الدنيا، وتنفقون رغبة فى الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿ويسألونك عن اليتامى﴾ روى أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا﴾(١) تحرج المسلمون من أموال اليتامى تحرجا شديدا، حتى عزلوا أموال اليتامى عن أموالهم فى المرعى، والطعام، والإدام، فنزلت هذه الآية بإباحة المخالطة فى ذلك كله؛ لكن بشرط أنه إن استخدم غلام اليتيم يخدمه، وإن أكل بطعامه يبدله.

قال مجاهد: يوسع عليه من طعام نفسه لايتوسع من طعام اليتيم.

وقوله تعالى: ﴿قل إصلاح لهم خير﴾ قرأ الضحاك: قل إصلاح إليهم خير، والمتلو: قل إصلاح لهم. ومعناه: إصلاح لهم خير لكم فى الدين. ﴿وإن تخالطوهم فإخوانكم﴾ هو إباحة المخالطة.

﴿والله يعلم المفسد﴾ يعنى: الذى يخالط فيخون ﴿من المصلح﴾ وهو الذى يخالط فلا يقصد الخيانة. ﴿ولو شاء الله لأعنتكم﴾ قال أبو عبيدة: لأهلككم. وقال ابن عباس: يجعل ما أصبتم من أموال اليتامى موبقا لكم. وقيل: معناه: ولو شاء الله لما أباح لكم المخالطة.

وقال أهل اللغة: العنت: المشقة. ومعناه: ﴿ولو شاء الله لأعنتكم﴾ أى: كلفكم فى كل شىء ما يشق عليكم.

﴿إن الله عزيز حكيم﴾ فالعزيز: هو الذى يأمر بعزة؛ سهل على العباد، أو لم يسهل، والحكيم، قد ذكرنا معناه.

(١) النساء: ١٠.

وَلا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ

قوله تعالى : ﴿ ولاتنكحوا المشركات حتى يؤمن ﴾ قال ابن عباس : لايجوز نكاح الكوافر أبداً إلى يوم القيامة؛ بحكم هذه الآية.

وسائر المفسرين والعلماء من الصحابة وغيرهم، على أن الآية منسوخة فى الكتابيات، بقوله : ﴿ والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب ﴾(١).

وروى عن عثمان - رضى الله عنه - أنه تزوج بنائلة بنت فرافصة - وكانت نصرانية - فأسلمت تحته. وعن طلحة بن عبيد الله : أنه تزوج بنصرانية. وعن حذيفة : أنه تزوج يهودية. وقال قتادة وسعيد بن جبير : أراد بالمشركات : الوثنيات.

فإن قال قائل : الكفار عندكم مشركون كلهم، فمن لاينكر إلا نبوة محمد كيف يكون مشركا بالله؟

قلنا : قال أبو الحسين بن فارس صاحب المجمل : هو مشرك؛ لأنه يقول : القرآن الذى أتى به محمد ﷺ كلامُ غير الله، وهذا القرآن معجز لايقوله إلا من كان إلها، فإذاً هو كلام غير الله. وكأنهم أشركوا بالله غير الله.

وأما سبب نزول الآية : ما روى «أن أبا مرثد الغنوى كانت له حبيبة بمكة، وكان يصيبها بالفجور - وتسمى عناقًا - فلما هاجر إلى المدينة وأسلم، تمنت له حاجة، فرجع إلى مكة، فتزينت له، فقال أبو مرثد : إنى قد دخلت فى دين الإسلام، وإن الزنا حرام فى دينى، فحتى أرجع فاستأذن رسول الله ﷺ أن أتزوج بك، فرجع واستأذن؛ فنزل قوله تعالى : ﴿ ولاتنكحوا المشركات حتى يؤمن ﴾»(٢).

وقوله : ﴿ ولأمة مؤمنة خير من مشركة ﴾ نزل هذا فى عبد الله بن رواحة. «كانت له أمة سوداء فلطمها، ثم أخبر رسول الله ﷺ بذلك فسأله عنها، فقال :

(١) المائدة : ٥.

(٢) ذكره الواحدى فى أسباب النزول (ص ٥٠) عن ابن عباس، وفى (ص ٤٩) عن مقاتل بن حيان.

وَلا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي

إنها مؤمنة، تؤمن بالله والرسول، وتحسن الوضوء، والصلاة. فقال عليه السلام: بئسما صنعت. فقال: والله لأتزوجن بها، فأعتقها، وتزوج بها. وكان قد عُرِضَت عليه حرة مشركة، فعيره المشركون على نكاح الأمة السوداء؛ فنزل قوله: ﴿ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم﴾»(١).

﴿ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا﴾ في هذا إجماع، أن المسلمة لاتنكح من المشركين أجمع ﴿ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم﴾، فإن قال قائل: كيف قال: ﴿خير من مشرك﴾ ولاخيرَ في المشرك؟ قيل: يجوز مثله كما قال الله - تعالى -: ﴿ءآلله خير أما يشركون﴾(٢) ويقال: الرجوع إلى الحق خير من التمادى فى الباطل.

﴿أولئك يدعون إلى النار﴾ أى: إلى أسباب النار ﴿والله يدعو إلى الجنة و المغفرة بإذنه﴾ أى: بقضائه وإرادته ﴿ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون﴾

قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن المحيض﴾ أما السائل عنه: هو أسيد بن حضير، وعباد بن بشير. وأما المحيض: مفعل من الحيض. والمراد به: نفس الحيض.

قال الأزهرى: يقال: حاضت المرأة حيضا، ومحيضا: إذا نزل بها الدم من الرحم فى وقت معلوم.

ويقال: استحيضت المرأة: إذا نزل بها الدم من عرق لا من الرحم لا فى وقت معلوم.

---

(١) رواه الطبرى فى تفسيره (٢ / ٢٢٣) عن السدى مرسلاً.

(٢) النمل: ٥٩.

الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾

﴿ قل هو أذى ﴾ أى: قذر. وقال الكلبى: الأذى: هو الدم.

﴿ فاعتزلوا النساء فى المحيض ﴾ وسبب نزول الآية ما روى عن أنس: أن اليهود كانوا يعتزلون المرأة فى حالة الحيض أشد الاعتزال، وكانوا لايؤاكلونها، ولايشاربونها، ويخرجونها من البيت، فسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك فنزلت الآية.

ولم يُرِدْ بهذا الاعتزال ما كانوا يفعلونه، وإنما أراد به الاعتزال بترك الوطء حتى تحل المضاجعة، وسائر أنواع المباشرة.

وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: « اصنعوا كل شىء إلا الوطء »(١).

وفيه قول آخر: أنه يفعل كل شىء ويجتنب ما تحت الإزار، وذلك ما بين السرة والركبة وهو قول الشافعى.

﴿ ولا تقربوهن ﴾ أراد به: القربان بالوطء؛ فإن قُربانها بغير الوطء مباح. ﴿ حتى يطهرن ﴾ يقرأ مخففا. والمراد به حتى يطهرن من المحيض. وقرأ أهل الكوفة غير حفص « حتى يَطَّهَّرن » مشدد(٢).

وقرأ أبى بن كعب، وابن مسعود - رضى الله عنهما -: « حتى يتطهرن » فى الشواذ.

وقوله: ﴿ يطهرن ﴾ بمعنى: يتطهرن؛ إلا أنه أدغم التاء فى الطاء. ومعناه: حتى

(١) رواه مسلم فى صحيحه (٣/ ٢٧٢ رقم ٣٠٢)، وأبو داود (١/ ٦٧ - ٦٨ رقم ٢٥٨)، والترمذى (٥/ ١٩٩ رقم ٢٩٧٧) وقال: حسن صحيح، والنسائى (١/ ١٥٢ رقم ٢٨٨)، وابن ماجه (١/ ٢١١ رقم ٦٤٤)، وأحمد (٣/ ١٣١، ٢٤٦) والطيالسى فى مسنده ص٢٧٣ رقم ٢٠٥٢، وابن حبان (٤/ ١٩٥-١٩٦ رقم ١٣٦٢)، والبيهقى (١/ ٣١٣).

(٢) قرأ حمزة والكسائى، وخلف، وأبو بكر بتشديد الطاء والهاء، وقرأ الباقون بتخفيفها. انظر النشر (٢/ ٢٢٧)، وتفسير البغوى (١/ ١٩٧).

يغتسلن.

قال أبو جعفر النحاس: قوله: ﴿يَطْهُرْنَ﴾ على التخفيف قد يكون بمعنى الاغتسال، من فعل الطهارة.

والكل حجة الشافعى فى وجوب الاغتسال (لإباحة الوطء فإنه)(1) مَدَّ التحريم إليه.

وقوله: ﴿فإذا تطهرن﴾ أى: اغتسلن ﴿فأتوهن من حيث أمركم الله﴾ فيه قولان: أحدهما معناه: من حيث أمركم الله بالاجتناب فى حال الحيض.

و الثانى - وهو قول محمد بن الحنفية - معناه: من حيث أباح الله، وذلك بطريق النكاح.

﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ قيل: معناه: التوابين من الذنوب. والمتطهرين من العيوب.

والقول الثانى: معنى التوابين الرَّجَّاعين إلى الله بالتوبة والاستغفار، ومعنى المتطهرين: المتبرئين من حول أنفسهم وقوتهم.

وفيه قول ثالث: أن التوابين: من التوبة، والمتطهرين يعنى: بالاستنجاء بالماء.

وهذا مثل قوله تعالى: ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين﴾(2) يعنى: المتطهرين بالاستنجاء بالماء بعد الحجر.

قوله تعالى: ﴿نساؤكم حرث لكم﴾ أى: موضع حرث لكم ومزدرع، وقد قال الشاعر:

إذا أكل الجرادُ حروثَ قومٍ ... فحرثى هَمُّهُ أكلُ الجرادِ

(1) فى «ك»: فى وجوب الوط؛ لأنه.

(2) التوبة: 108.

سمى العيال: حرثًا، أنشده المبرد.

﴿ فأتوا حرثكم أنى شئتم ﴾ وسبب نزول هذا: ما روى جابر: أن اليهود قالوا من أتى امرأته مولية جاء ولده أحول؛ فنزلت الآية.

﴿ فأتوا حرثكم أنى شئتم ﴾ أى: (مقبلة ومدبرة)[1] وقائمة وقاعدة، وكيف شئتم.

وقيل: معناه: متى شئتم.

قال ابن عباس: معنى قوله: ﴿ أنى شئتم ﴾ أى: إن شئتم فاعزلوا، وإن شئتم فلا تعزلوا.

قال الشيخ: واعلم أن الآية لاتدل على إباحة إتيان النساء فى غير المأتى؛ لأنه قال: ﴿ نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم ﴾ فخص الإتيان بموضع الحرث، وهو القبل.

وروى نافع، عن ابن عمر. أنه كان يبيح إتيان المرأة فى الدبر، وأنكروا هذا على نافع. وقالوا: كذب العبد على سيده - عبد الله بن عمر - فإنه ما كان يبيحه قط، وحكى ذلك عن مالك أيضا، وأنكره أصحابه.

وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله لايستحى من الحق، لا تأتوا النساء فى أدبارهن»[2].

وعن ابن عباس أنه قال: هى اللوطية الكبرى. وقال فى العزل: هى المؤودة الصغرى.

وقوله تعالى: ﴿ وقدموا لأنفسكم ﴾ قال ابن عباس: هو التسمية على الوطء. وقيل: هو طلب الولد. وقيل: سائر أفعال الخير.

---

(١) فى «ك»: مقبل ومدبر.

(٢) رواه والنسائي فى الكبرى (٥/ ٣١٨ رقم ٨٩٨٩)، وابن ماجة (١/ ٦١٩ رقم ١٩٢٤)، وأحمد فى مسنده (٥/ ٢١٢، ٢١٤، ٢١٥) وابن حبان فى صحيحه (٩/ ٥١٢ - ٥١٥ رقم ٤١٩٨و ٤٢٠٠) وغيرهم من حديث خزيمة بن ثابت. وفى الباب أحاديث عن غير واحد من الصحابة، وراجع تلخيص الحبير (٣/ ٣٦٧-٣٨٠).

أَنَّكُم مُّلاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي

﴿واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه﴾ صائرون إليه ﴿وبشر المؤمنين﴾ يامحمد.

قوله - تعالى -: ﴿ولاتجعلوا الله عرضة لأيمانكم﴾ نزلت الآية فى عبد الله بن رواحة، كان له ختن على ابنته، فحلف أن لايبره فإذا قيل له: ألا تصل ختنك؟ فقال: حلفت - وكان من أقربائه - فنزلت الآية. ﴿ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا﴾

والعرضة: كل ما يعترض فيمنع من الشيء. ومعناه: ولا تجعلوا الحلف بالله سببا يمنعكم عن البر والتقوى.

وقيل: معناه: لاتستكثروا من الأيمان؛ فإن من كثر يمينه فقد جعل اسم الله عرضة للهتك.

وفيه قول آخر: معناه: ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن لاتبروا، «ولا» محذوفة، وهذا كما قال الشاعر:

فقالت يمينُ اللهِ أبرحُ قاعـدًا ... وإنْ قُطِعَتْ رأسى لديكِ وأوصالى

أى: لا أبرح قاعدا.

﴿وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم﴾ قوله تعالى: ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم﴾ اللغو: كل مطرح (من) الكلام وفى معناه ها هنا خمسة أقوال:

أحدها: وهو قول عائشة - رضى الله عنها - قالت: يمين اللغو: قول الرجل: لا والله، وبلى والله، وإى والله. وهذا قول الشافعى.

والثانى: وهو قول أبى هريرة، وابن عباس: وهو أن يحلف الرجل على شيء أنه فعله ولم يفعله، أو على عكسه وهذا قول أبى حنيفة. وقال الشعبى: هو اليمين فى

أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا

حال الغضب. وقال سعيد بن جبير: هو الحلف بتحريم الحلال.

وقال زيد بن أسلم: هو أن يقول الرجل: أعمى الله بصرى، أو أتلف مالى، إن لم أفعل كذا؛ فهذا يمين اللغو، والله لايؤاخذ به، ولو يؤاخذ به الناس لعجل عقوبتهم.

والأصح: ماقالت عائشة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم﴾ وكسب القلب: هو القصد بالقلب إلى اليمين؛ فدل أن يمين اللغو: مالم يقصد بالقلب.

﴿والله غفور﴾ أى: ستور ﴿حليم﴾ وهو الذى لايعجل بالعقوبة.

قوله تعالى: ﴿للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر﴾ الأَلِيَّة: اليمين. وكذلك الإيلاء قال الشاعر:

قليل الألايا حافظٌ ليمينه وإن بدرت منه الأَلِيَّةُ برت

فقوله: ﴿للذين يؤلون﴾ أى: يحلفون. قال ابن عباس: إنما ينعقد الإيلاء إذا حلف على ترك الوطء أبدا ومطلقا. ومذهب أبى حنيفة أنه ينعقد الإيلاء بالحلف على أربعة أشهر. ومذهب الشافعى أنه إنما يصير مُولِيًا بالحلف على أربعة أشهر، وهى ﴿تربص أربعة أشهر﴾ أى: انتظار أربعة أشهر.

﴿فإن فاءوا﴾ أى: فإن رجعوا عن اليمين بالوطء فى حق من يقدر على الوطء، أو بالقول فى حق من لايقدر على الوطء ﴿فإن الله غفور رحيم﴾ وقرأ أبى بن كعب: «فإن فاءوا فيهن» يعنى فى المدة، وهذا يوافق قول أبى حنيفة.

﴿وإن عزموا الطلاق﴾ يعنى: بالإيقاع ﴿فإن الله سميع عليم﴾ لقول الزوج، عليم بما يضمره.

ومذهب الشافعى أنه تجوز الفيئة بعد المدة بوقف حتى يفىء أى: يطلق، وهو

مروى عن عمر، وعلى، و أبى الدرداء - رضى الله عنهم -.

وذهب أبو حنيفة إلى أنها تطلق طلقة بائنة بانقضاء المدة. وهو مروى عن ابن عباس رضى الله عنهما - وابن مسعود، وعلى، فى رواية ضعيفة، والمسألة فى الخلافيات.

قوله تعالى: ﴿ والمطلقات ﴾ يعنى المخليات يقال: أطلق الأسير وأطلق البعير إذا خلاّه.

﴿ يتربصن بأنفسهن ﴾ ينتظرن ﴿ ثلاثة قروء ﴾ والقُرْء: الطهر، وهو قول أهل الحجاز.

قال الزهرى: لم يقل أحد من أهل الحجاز: أن الأقراء الحيض؛ إلا سعيد بن المسيب.

ومذهب أبى حنيفة. أن الأقراء الحِيَض وهو مروى عن عمر، وعلى، وابن مسعود، وهو قول أهل الكوفة.

وقال أبو عمرو بن العلاء: القرء اسم ينطلق على الحيض، وينطلق على الطهر، ويذكر بمعناهما أيضا.

وأصل القرء: الجمع. وقيل: هو مأخوذ من القرء بمعنى الوقت، يقال: أقرأت الرياح إذا هبت لوقتها.

وقَرَأَتْ النجوم إذا أفلت. ويكون بمعنى طلعت لوقت معلوم.

وأنشدوا فى الأقراء بمعنى الأطهار قول الأعشى:

أفى كل عام أنت جاشم غزوة ... تشد لأقصاها عزيم عزائكا

مُوَرِّثَةً مالا وفى الحى رِفْعَةً ... لِمَا ضاع فيها من قُروء نِسائِكا

يَحلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ

وإنما يضيع فى السفر زمان الأطهار لا زمان الحيض؛ لأنها مضيعة.

وقوله تعالى: ﴿ولايحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن﴾ يعنى: من الحيض، والحبل.

قال قتادة: علم الله تعالى أن يكون فى النساء لوائم، تقول المرأة: حضت، ولم تحض، وطهرت(1) ولم تطهر، وحبلت ولم تحبل.

قوله تعالى: ﴿إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ فإن قيل: ما معنى قوله: ﴿إن كن يؤمن بالله﴾ والحكم فى الكافرة مثل الحكم فى المؤمنة؟ قيل: معناه: أن هذا من فعل المؤمنات، كما يقال: إن كنت مؤمنا فأدّ حقى. يعنى: من فعل المؤمنين أداء الحقوق. وقوله ﴿وبعولتهن﴾ أى: أزواجهن ﴿أحق بردهن﴾ أى: برجعتهن ﴿فى ذلك﴾ يعنى: فى تلك المدة. ﴿إن أرادوا إصلاحا﴾ معناه: إن أرادوا بالرجعة الصلاح، وحسن العشرة، ولم يكن قصده الإضرار، كما كانوا يفعلون فى الجاهلية. كان الرجل منهم يطلق امرأته، ثم يراجعها إذا أشرفت العدة على الانقضاء، ثم يطلقها، ثم يراجعها كذلك، يقصد به تطويل العدة عليها.

﴿ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف﴾ قال ابن عباس: فى معناه: إنى أحب أن أتزين لامرأتى كما تحب امرأتى أن تتزين لى؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف﴾ وفيه قول آخر، معناه: على الرجل أن يتقى لحقها كما على المرأة أن تتقى لحقه يعنى: من الحرام.

﴿وللرجال عليهن درجة﴾ قال مجاهد: بالجهاد والميراث. وقيل: يعنى: فى الطلاق؛ لأن الطلاق بيد الرجال. وقال حميد: باللحية. ﴿والله عزيز﴾ أى: منيع

(1) فى «ك»: وتطهرت.

بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا

﴿ حكيم ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ﴾ . قال عروة بن الزبير: كان الناس فى الابتداء يطلقون من غير حصر ولا عدد، فيطلق الرجل امرأته فلما قاربت انقضاء العدة راجعها، ثم طلقها كذلك، ثم راجعها، وقال: لا أُخليك تتزوجين أبد،ا فنزلت الآية ﴿ الطلاق مرتان ﴾ » ويعنى : الطلاق الذى يملك عقيبه الرجعة مرتان .

﴿ فإمساك بمعروف ﴾ هو الرجعة، وقيل: هو الإمساك بعد الرجعة للصحبة . وقوله: ﴿ بمعروف ﴾ هو كل ما يعرف فى الشرع من أداء حقوق النكاح، وحسن الصحبة . ﴿ أو تسريح بإحسان ﴾ هو أن يتركها بعد الطلاق حتى تنقضى عدتها .

« وسئل رسول الله ﷺ أين الطلقة الثالثة؟ فقال: أو تسريح بإحسان »(١) .

ولفظ السراح والفراق صريحان مثل الطلاق عند الشافعى .

وقال أبو حنيفة: الصريح لفظ واحد وهو الطلاق .

وقوله تعالى : ﴿ ولايحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا ﴾ يعنى : غصبا وظلما، وذلك مثل قوله فى سورة النساء : ﴿ وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا ﴾(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله ﴾ يعنى : إنما يحل الأخذ عند

(١) رواه الدارقطنى (٤ / ٣،٤)، والبيهقى فى سننه (٧ / ٣٤٠) من حديث أنس وأنكراه، وصححاه من حديث أبى رزين مرسلا . وقال البيهقى : وروى عن قتادة عن أنس وليس بشىء .

ورواية أبى رزين أخرجها أحمد، وأبو داود فى المراسيل، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد وابن جرير الطبرى، وابن أبى حاتم، وابن مردويه، والبيهقى وغيرهم . وانظر التعليق المغنى على الدارقطنى .

(٢) النساء : ٢٠ .

إرادة الخلع، ووجود الخوف.

وقوله: ﴿إلا أن يخافا﴾ يقرأ بفتح الياء وهو المعروف. وقرأ الأعمش وحمزة: «إلا أن يُخافا» بضم الياء[(١)]. وقرأ ابن مسعود: «إلا أن تخافوا».

أما الأول: راجع إلى الزوجين. وأما قراءة ابن مسعود: فهى خطابٌ للولاة والقضاة.

وأما قراءة حمزة: قيل: إنه قصد اعتبار معنى قراءة ابن مسعود، ومعناه: إلا أن يخاف الزوجان؛ [فيعلم][(٢)] الولاة والقضاة. وقالوا: إنه لم يصب.

واختلفوا فى معنى هذا الخوف، قال أبو عبيدة إمام اللغة: الخوف بمعنى العلم.

قال أبو إسحاق الزجاج: هو على حقيقة الخوف، معناه إلا أن يغلب على الظن خوف أن لايقيما حدود الله.

وفيه قول ثالث: أن الخوف بمعنى الظن، قال الشاعر:

أتانى كلام من نصيب (يقوله)[(٣)] وما خفت ياسلاَّم أنك [عائبى][(٤)]

أى: ما ظننت.

وقوله تعالى: ﴿فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به﴾ أى: فيما اختلعت به. واختلفوا فى الخلع،

قال طاوس، والربيع بن أنس: يختص جواز الخلع بحال خوف النشوز؛ تمسكا بظاهر الآية.

وقال الزهرى: يختص جواز الخلع بقدر ما ساق إليها من المهر، حتى لايجوز بالزيادة. وقال الحسن: الخلع إنما يجوز للولاة والقضاة؛ تمسكا بظاهر الآية.

---

(١) قرأ بالياء المضمومة: أبو جعفر، ويعقوب، وحمزة.

وقرأ الباقون بفتحها. انظر النشر (٢/٢٢٧)، وتفسير البغوى (١/٢٠٧).

(٢) فى «الأصل و ك»: ومن الخائف، وما أثبتناه هو الصواب، انظر تفسير البغوى (١/٢٠٧).

(٣) فى «ك»: بقول.

(٤) فى «الأصل وك»: عاصى.

افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا فَلا جُنَاحَ

والأكثرون على أن الخلع يجوز بكل حال، وبكل قدر تراضيا عليه من الزوجين وغيرهما.

وإنما الآية خرجت على وفق العادة في أن الخلع إنما يكون في حال خوف النشوز، وهو الأولى أن يؤتى بالخلع في حال النشوز، وبقدر المهر.

وقوله - تعالى -: ﴿تلك حدود الله فلا تعتدوها﴾ أي: فلا تَجَاوَزُوها، وحدود الله: كل ما منع الشرع من المجاوزة عنه.

وقوله تعالى: ﴿ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾. ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿فإن طلقها فلا تحل له من بعد﴾ هو الطلقة الثالثة. وحكمها تحريم العقد إلى أن يوجد الزوج الثاني. ثم التحليل للزوج الأول إنما يحصل بالعقد والوطء جميعا، على قول أكثر العلماء.

وحكى عن سعيد بن المسيب - وقيل: عن سعيد بن جبير - أنه يحصل بمجرد النكاح. بظاهر الآية. وقد عُدّ هذا من شواذ الخلاف.

والدليل على صحة القول الأول: ما روى «أن امرأة رفاعة القرظي جاءت إلى رسول الله ﷺ، وقالت: إن رفاعة بَتَّ طلاقي، وتزوجت بعده بعبد الرحمن بن الزبير، وإنما معه مثل هدبة الثوب. فقال عليه السلام: أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟ لا، حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك»(١). فدلت السنة على اشتراط الوطء وهذا خبر صحيح.

وقوله تعالى: ﴿حتى تنكح زوجا غيره﴾ فالنكاح بمعنى الوطء، ويكون بمعنى

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري (٩/ ٢٧٤ رقم ٥٢٦٠)، ومسلم (١٠/ ٣-٧ رقم ٤٤٣٣) من حديث عائشة - رضي الله عنها -.

عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ

العقد . ﴿ فإن طلقها ﴾ يعنى : الزوج الثانى ﴿ فلا جناح عليهما أن يتراجعا ﴾ وأراد بالرجعة هاهنا : إنشاء النكاح مع الزوج الأول .

وقوله تعالى : ﴿ إن ظنا أن يقيما حدود الله ﴾ يعنى : إن علما أن يكون بينهما الصلاح ، وحسن الصحبة .

وقوله : ﴿ وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون ﴾ أى : يعلمون ما أمر الله به

قوله تعالى : ﴿ وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن ﴾ أى : قاربن بلوغ الأجل كما يقال : بلغت المنزل ، إذا قاربه .

وقوله : ﴿ فأمسكوهن بمعروف ﴾ أى : راجعوهن بالمعروف .

﴿ أو سرحوهن بمعروف ﴾ أو اتركوهن حتى تنقضى العدة .

﴿ ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا ﴾ أى : لاتقصدوا بالرجعة الضرار بالمرأة ، كما كانوا يفعلونه . ﴿ ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ﴾ أى : أضر بنفسه لابغيره .

﴿ ولا تتخذوا آيات الله هزوا ﴾ قالت عائشة – وهو الأصح – : هو النهى عن قصد الإضرار (بالرجعة)[1] فإن كل من خالف أمر الشرع فهو متخذ آيات الله هزوا . وقال أبو الدرداء – وهو قول الحسن – : هو أن الرجل منهم كان يطلق ، ثم يقول : ما كنت جادا ، ويعتق ، ثم يقول : ما كنت جادا ، كنت لاعبا .

وفيه قول ثالث : أنه نَهْىٌ عن الزيادة على قدر الطلاق الثلاث .

(١) فى « ك » : مع الرجعة .

وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم

وقوله تعالى : ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم ﴾ قال عطاء : أراد به نعمة الإسلام.

﴿ وما أنزل عليكم من الكتاب ﴾ يعنى : القرآن ﴿ والحكمة ﴾ يعنى : السنة.

﴿ يعظكم به ﴾ يرشدكم به ﴿ واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم ﴾.

قوله تعالى : ﴿ وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن ﴾ أراد ببلوغ الأجل فى هذه الآية : تمام انقضاء العدة.

وقوله تعالى : ﴿ فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن ﴾ والعضل : المنع.

قال الخليل : يقال : دجاج معضل، إذا نشبت فيها البيضة وامتنعت من الخروج؛ لضيق المخرج. ومنه الداء العضال، وهو الذى لايطاق علاجه.

وعن عمر - رضى الله عنه - أنه قال : أعضل بى أهل الكوفة. أى : ضيقوا علىَّ، وأوقعوا بى فى أمر شديد.

وأكثر العلماء والمفسرين على أنه خطاب للأولياء، نهاهم عن الامتناع من التزويج.

وقد قال الشافعى : هذا بين، أنه دليل على أن المرأة لاتلى عقد النكاح.

ونزلت الآية فى معقل بن يسار المزنى؛ فإنه زوج أخته من رجل فطلقها وتركها حتى انقضت عدتها، ثم جاء يخطبها مع الخُطَّاب، ورغبت المرأة فيه، فقال معقل : زوجتك أختى دون غيرك، وخطبها أشراف قومى فاخترتك! أطلقتها، لا أنكحتكها أبدا؛ فنزلت الآية.

وفيه قول آخر : أنه خطاب للأزواج؛ لأن ابتداء الآية خطاب لهم.

ومنع الأزواج هو ما ذكرنا من أن يطلق، ثم يراجع، ثم يطلق. والأول أصح.

وقوله - تعالى - : ﴿ إذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم

بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لا

يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ إنما خصهم لأن الوعظ إنما يؤثر فى المؤمنين.

وقوله تعالى: ﴿ذلكم أزكى لكم وأطهر﴾ أزكى لكم أى: خير لكم، وأطهر أى: أصلح. ﴿و الله يعلم وأنتم لاتعلمون﴾.

قوله تعالى: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن﴾ هذا خبر بمعنى الأمر.

﴿حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾.

فالحولان: (مدة)[1] الرضاع، فإن قال قائل: لم قال: كاملين؟

قيل: لأن الحولين قد ينطلق على الحول وبعض الحول الثانى، كما فى قوله: ﴿الحج أشهر معلومات﴾[2] أطلق الأشهر على شهرين وبعض الثالث، فقال: كاملين ليعرف أنه أراد تمام الحولين. وقيل: إنما قاله تأكيدا.

وروى أن امرأة أتت بولدٍ لستة أشهر من وقت النكاح، فجاء زوجها إلى عثمان فى ذلك. فهم عثمان - رضى الله عنه - برجمها، فقال علىّ: لاسبيل لك عليها؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهرا﴾[3] وقال: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين﴾ فإذا ذهب الفصال حولين، بقى للحمل ستة أشهر، فتركها عثمان، ودرأ الحد.

وقوله تعالى: ﴿وعلى المولود له﴾ يعنى: الزوج أبو الولد. ﴿رزقهن وكسوتهن بالمعروف﴾ وذلك نفقة مدة الرضاع. ﴿لاتكلف نفس إلا وسعها﴾ إلا طاقتها،

(١) فى «ك»: عدة.

(٢) البقرة: ١٩٨.

(٣) الأحقاف: ١٥.

تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن

يعنى: على الموسع بقدر وُسْعِه، وعلى المقتر بقدر طاقته.

وقوله تعالى: ﴿لاتضار والدة بولدها﴾ بفتح الراء. وقرأ أبو عمرو وغيره بضم الراء. وقرأ أبان [عن][1] عاصم: «لاتضارر» وفى الشواذ[2]. فمن قرأ بفتح الراء فمعناه: لاتضار المرأة بولدها. يعنى: لايَنْتَزِع الأبُ ولدها منها، فيسلمه إلى غيرها وهى راغبة فى الإرضاع.

ويحتمل أن معناه: أن المرأة لاتضار بولدها فتتركه (لغيرها)، وتمتنع من الإرضاع.

ومن قرأ بالرفع فهذا أيضا معناه، وهو معنى القراءة الثالثة.

وقوله تعالى: ﴿ولا مولود له بولده﴾ يعنى الأب لايضر بولده فيسلم إلى غير الأم.

وقوله تعالى: ﴿وعلى الوراث مثل ذلك﴾ قال عمر: أراد به على غير الوالدين مثل ذلك النفقة، وهذا قول أبى حنيفة، فإنه يوجب نفقة القرابة على الإخوة والأعمام.

والقول الثانى: أراد بمثل ذلك: ترك المضارة. وهو قول ابن عباس، ولم ير النفقة على غير الوالدين. وهذا مذهب مالك والشافعى.

وفيه قول ثالث: أراد بالوارث هذا: الولد، عليه نفقته من ماله إن كان له مال.

وقوله تعالى: ﴿فإن أرادا فصالا﴾ أى: فيما دون الحولين. ﴿عن تراض منهما﴾ يعنى: من الوالدين ﴿وتشاور﴾ أى: يشاور أهل العلم به حتى يخبروا أن الفصال فى ذلك الوقت لايضر بالولد. والمشاورة: استخراج الرأى.

(١) فى «الأصل وك»: بن، خطأ.

(٢) قرأ ابن كثير، ويعقوب، وأبو عمرو. برفع الراء، وقرأ الباقون بفتحها واختلف على أبى جعفر فى تخفيف الراء وتسكينها، أم تشديدها وفتحها انظر النشر (٢/ ٢٢٧)، وتفسير البغوى (١/ ٢١٢).

تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ

وقيل: إن عمر ركب فرسا يشوره، أى: يستخرج سيره، فعطب تحته، فَحَكَّمَ شريحا؛ فقضى عليه بالضمان. وقال: إنما ركبته سوما؛ فولاه القضاء، فقضى بعد ذلك سبعين سنة.

وقوله: ﴿فلا جناح عليهما﴾ أى: فلا حرج فى الفصال قبل تمام الحولين.

وقوله: ﴿وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم﴾ أى: تستأجروا مرضعة لأولادكم، واللام محذوفة. ومعناه: أن تسترضعوا لأولادكم.

وقوله: ﴿فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف﴾.

يقرأ: «آتيتم» ممدودا، ويقرأ: «أتيتم» مقصورا(١) ومعنى الأول: إذا سلمتم إلى الأم، وما آتيتم أى: ما سميتم لها من أجرة الرضاع بقدر ما أرضعت. ويحتمل التسليم إلى المستأجرة أجرتها إلى الرضاع.

ومن قرأ «أتيتم» فمعناه: إذا سلمتم ما أتيتم بالمعروف، يعنى: إذا سلمتم لأمره وانقدتم لحكمه فيما فعلتم من المعروف. ﴿واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعلمون بصير﴾.

قوله تعالى: ﴿والذين يتوفون منكم﴾ قرأ على: «يَتَوفون» بفتح الياء، ومعناه: يستوفون أعمارهم. والمعروف بضم الياء، ومعناه: والذين يموتون ويتوفى آجالهم ﴿ويذرون أزواجا﴾ أى: ويتركون أزواجا والمراد بالأزواج: الزوجات.

﴿يتربصن﴾ ينتظرن ﴿بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا﴾ الآية فى عدة الوفاة، وهى مقدرة بأربعة أشهر وعشرٍ باتفاق الأمة لنص الكتاب.

(١) قرأ ابن كثير بقصر الهمزة. وقرأ الباقون بالمدِّ. انظر النشر (٢/ ٢٢٨).

فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ

وقيل: إنما قدر بتلك المدة لحكمة، وهى أن الولد يرتكض فى بطن الحامل لنصف مدة الحمل وأربعة أشهر وعشر قريب من نصف مدة الحمل.

والارتكاض: بمعنى التحرك، ويقال: امرأة مركضة إذا تحرك [فى](١) بطنها، قال الشاعر:

ومُرْكِضَةٌ صَرِيحىٌّ أبوها   يهان لها الغُلامةُ والغُلامُ

وأما قوله: ﴿وعشرا﴾ فهى ليال، يقال: عشرة أيام وعشر ليال، وإنما خص الليالى لأن كل أجل يبتدئ من الليل.

وقال المبرد: أراد به: عشر مدد، كل مدة يوم وليلة.

وقوله تعالى: ﴿فإذا بلغن أجلهن﴾ أى: انقضت عدتهن.

﴿فلا جناح عليكم فيما فعلن فى أنفسهن بالمعروف﴾ يعنى: فيما فعلن من اختيار الأزواج دون العقد، والعقد إلى الولىِّ.

وقيل: معناه فيما (تَزَيَّنُ)(٢) للأزواج زينة لاينكرها الشرع. ﴿واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون خبير﴾.

قوله تعالى: ﴿ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء﴾ التعريض بالخطبة فى أوان العدة جائز. والخطبة: خطبة العقد، يقال: خَطَبَ يَخْطِبُ خِطْبَةً إذا خطب العقد. وخَطَبَ يَخْطُبُ خُطْبَةً إذا خطب الناس بكلام معلوم الأول والآخر.

وصورة التعريض بالخطبة: أن يقول للمرأة: إنكِ لجميلة، وإنك علىَّ لكريمة، وإنى لراغب فى النساء، أو ما قضى الله يكون، ونحو ذلك. فهذا لا بأس به فى حق المعتدة. ولايجوز التصريح بالخطبة.

وقال مجاهد: وذلك أن يقول: لاتسبقينى بالنكاح، أو يقول: لاتفوتى على نفسك، أو أخطبك حتى إذا حللت أتزوجك، ونحو هذا.

(١) فى «الأصل»: ذو.   (٢) فى «ك»: تتزين.

وَلَكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلاَّ أَن تَقُولُوا قَوْلاً مَّعْرُوفًا وَلا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ

وقيل: إن ذلك يجوز مع الولى بأن يقول له: لاتسبقنى بالنكاح ونحو ذلك.

وإنما لايجوز التصريح معها. والدليل على جواز التعريض بالخطبة: ما روى أن سكينة بنت حنظلة تأيمت عن زوجها، فدخل عليها أبو جعفر محمد بن على الباقر، وقال: تعلمين قرابتى من رسول الله، وقرابتى من علىّ، وحقى فى الإسلام، وشرفى فى العرب. فقالت سكينة: أتخطبنى وأنا معتدة وأنت أنت - يعنى: منك يؤخذ العلم؟! فقال: ما خطبتك، ولكن ذكرت منزلتى.

ثم روى «أن رسول الله ﷺ دخل على أم سلمة - وكانت فى عدة زوجها أبى سلمة، فذكر - عليه السلام - كرامته على الله، ومنزلته عند الله، وكان يذكر من ذلك ويعتمد على يديه حتى أثر الحصير فى يديه»(١). فهذا كله من التعريض بالخطبة، ودل الحديث على جوازه.

وقوله - تعالى -: ﴿أو أكننتم فى أنفسكم﴾ أى: أضمرتم فى أنفسكم أمر النكاح ﴿علم الله أنكم ستذكرونهن﴾ يعنى: فى أنفسكم. ﴿ولكن لاتواعدوهن سرا إلا أن تقولوا قولا معروفا﴾ فى معنى هذا السر أقوال، أصحها: أنه أخذ ميثاق النكاح مما، نهى الشرع عنه فى حال العدة.

وقيل: السر: الزنا. وقيل: هو الوطء. قال امرؤ القيس:

ألا زعمت بسباسة اليوم أننى ... كَبِرْتُ وأن لايحسنُ السرَّ أمثالى

يعنى: الجماع. قال الشافعى قوله: ﴿لاتواعدهن سرا﴾ هو أن يصف نفسه بكثرة الجماع؛ ليرغبها فى نكاحه.

وقوله تعالى: ﴿إلا أن تقولوا قولا معروفا﴾ هو ما ذكرنا من التعريض المباح.

قوله: ﴿ولا تعزموا عقدة النكاح﴾ أى: لاتحققوا العزم على عقد النكاح فى العدة ﴿حتى يبلغ الكتاب أجله﴾ أى: فرض الكتاب؛ لأن العدة من فرض الكتاب.

﴿واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه﴾ هذا فى التحذير عما نهاهم عنه. ﴿واعلموا أن الله غفور حليم﴾.

(١) رواه الطبرى فى تفسيره (٢/٣٢٢)، والدارقطنى فى سننه (٣/٢٢٤)، والبيهقى فى الكبرى (٧/١٧٨) جميعهم من حديث أبى جعفر الباقر مرسلا.

غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً

قوله تعالى: ﴿لاجناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة﴾ تقديره: ولم تمسوهن، ولم تفرضوا لهن فريضة.

هذه الآية فى المطلقة قبل الفرض والمسيس. وفى الآية دليل على جواز إخلاء النكاح عن تسمية المهر. وفيها دليل على وجوب المتعة فى الجملة؛ فإنه قال: ﴿ومتعوهن﴾.

قال ابن عباس فى المتعة: أعلاها خادم، وأوسطها الورق، وأدناها ثوب للكسوة. قال الشافعى: واستحسن فى المتعة أن تكون من عشرين درهما إلى ثلاثين، وفى الجملة هى مفوضة إلى اجتهاد الحكام، فيوجب على كل واحد تقدير ما يرى ﴿على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين﴾.

قال شريح: هذا إرشاد وندب إلى الإمتاع، ولم ير وجوب المتعة، وسائر العلماء ذهبوا إلى وجوب المتعة، فمذهب على - رضى الله عنه - أن لكل مطلقة متعة.

وقال ابن عمر: لكل مطلقة متعة؛ إلا التى فرض لها زوجها، وطلقها قبل الدخول، حسبها نصف المسمى، وهذا أحد قولى الشافعى.

وفيه قول ثالث: أنها لاتجب إلا للتى لم يفرض لها، وطلقت قبل الدخول.

قوله تعالى: ﴿وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم﴾ هذه الآية فى المطلقة بعد الفرض قبل المسيس، وجب لها نصف المسمى عند الطلاق قبل الدخول.

﴿إلا أن يعفون﴾ هذا فى الزوجات، يقال: تعفو، تعفوان، يعفون. ومعنى عفو المرأة: هو الفضل بترك النصف الذى وجب لها.

﴿أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح﴾ قال على - وهو مذهب شريح، والشعبى:

فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلاَّ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا

إن المراد به: الزوج، وعفوه: الفضل بإعطاء تمام المهر.

وقال ابن عباس: أراد به: الولى – وهو الأليق بنظم الآية – ورأى جواز إبراء الولى عن مهر المرأة.

وفيه قول ثالث: أنه فى أب البكر خاصة، وله العفو عن مهر ابنته مادامت بكرا.

والفتوى على أنْ ليس إلى الولى من العفو شيء. وإنما الآية فى الزوج، كما قال على رضى الله عنه.

﴿وأن تعفوا أقرب للتقوى﴾ الخطاب مع الكل. ﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾ أى: أفضال بعضكم على بعض. ﴿إن الله بما تعملون بصير﴾.

قوله تعالى: ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾ أمر بالمحافظة على جميع الأوقات.

وأما الصلاة الوسطى ففيها سبعة أقوال: أحدها: قال عمر، وعلى، وأبو هريرة، وأبو أيوب، وعائشة – رضى الله عنهم – هى صلاة العصر، لأنها وسط (صلاتى)(١) الليل وصلاتى النهار.

وعن حفصة أنها قالت لكاتب مصحفها: إذا بلغت قوله: ﴿حافظوا على الصلوات﴾ فأعلمنى، فلما بلغه أعلمها، فقالت: اكتب: والصلاة الوسطى صلاة العصر.

وقد صح الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال يوم الخندق: «شغلونا عن صلاة الوسطى – صلاة العصر – ملأ الله بطونهم وقبورهم نارا»(٢).

والقول الثانى – وهو قول زيد بن ثابت –: أنها صلاة الظهر، لأنها وسط النهار.

(١) فى «ك»: صلاة.

(٢) متفق عليه من حديث على بن أبى طالب، إلا أن ذكر صلاة العصر تفرد بها مسلم، رواه البخارى (٨/٤٣ رقم ٤٥٣٣)، ومسلم (٥/١٧٧ – ١٧٨ رقم ٦٢٧)، وفى الباب أحاديث، وانظر تعليق الحافظ ابن حجر فى الفتح.

والقول الثالث – وهو قول ابن عباس، وابن عمر، وجابر –: أنها صلاة الصبح. وهو [اختيار][1] الشافعى لأنها وسط صلاتى الليل وصلاتى النهار.

ووراء هذا فيه أربع أقوال غريبة: أحدها قاله قبيصة بن ذؤيب: أنها صلاة المغرب؛ لأنها وسط فى عدد الركعات.

والقول الثانى – وهو قول سعيد بن المسيب، والربيع بن خثيم –: أنها كل صلاة من الصلوات الخمس؛ لأن كل صلاة من الصلوات الخمس: وُسْطَى بين الأربع. وإنما خصه بعد ذكر الصلوات تأكيدا وتحريضا على المحافظة على جميع الصلوات.

والقول الثالث: أنها الجمعة.

والقول الرابع: أنها الجماعة.

واختلفوا فى صلاة الصبح أنها من صلاة الليل، أو من صلاة النهار؟

فأكثر العلماء على أنها من صلاة النهار.

وقال بعضهم: إنها [من][2] صلاة الليل. وهذا الخلاف يرجع إلى أن النهار من وقت طلوع الفجر أو[من][3] وقت طلوع الشمس.

فمن قال: إنه من وقت طلوع الفجر؛ جعل صلاة الصبح من صلاة النهار.

ومن قال: إن النهار من وقت طلوع الشمس؛ جعلها من صلاة الليل. واستدل قائل هذا القول بقول أمية بن الصلت.

والشمس تطلع كل آخر ليلة حمراء يصبح لونها يتورد

وقال ابن الأنبارى: ليل محض، ونهار محض، ومشترك بين الليل، والنهار فصلاة المغرب والعشاء الآخرة فى محض الليل.

وصلاة الظهر والعصر فى محض النهار، وصلاة الصبح مشترك بين الليل والنهار.

---

(١) فى «الأصل وك»: اختيارات.

(٢) ليست فى «الأصل ولا ك».

(٣) من «ك».

فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا

وفيه قول آخر – هو المختار –: أنه ليل لغة ونهارٌ شرعا.

وقوله: ﴿وقوموا لله قانتين﴾ أى: مطيعين ساكتين.

وذلك أن الكلام كان مباحا فى الصلاة فى الابتداء، فلما نزلت هذه الآية؛ سكتوا.

والقارئ فى الصلاة ساكت عن الكلام. ومذهب الشافعى أنه [لو][1] حلف لايتكلم فقرأ القرآن لم يحنث؛ لأنه كلام الله لا كلامه.

خلافا لأبى حنيفة قال: يحنث.

قوله تعالى: ﴿فإن خفتم فرجالا أو ركبانا﴾ هذه فى صلاة الخوف، يصلون مشاة، وفرسانا.

وقوله: ﴿فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم مالم تكونوا تعلمون﴾ يعنى: كما علمكم من أصل الصلاة فى حال الأمن.

قوله تعالى: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم﴾. يقرأ بالفتح، وتقديره: أوصوا وصية. ويقرأ بالضم: وتقديره: عليكم وصية،[2] وهذا ورد فى ابتداء الإسلام حين كانت (العدة للوفاة)[3] حولا كاملا، وكانت نفقة جميع الحول على الزوج واجبة، وكان يجب عليه الوصية بالإنفاق إذا مات، فهذا معنى قوله: ﴿وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول﴾ أى: نفقة الحول.

وقوله: ﴿غير إخراج﴾ وحرم على الوارث إخراج المعتدة من البيت قبل تمام الحول، لكن إذا خرجت بنفسها سقطت نفقتها. فنسخ ذلك بآية عدة الوفاة كما سبق، وتلك

---

(١) ليست فى «الأصل» ولا «ك»، ويقتضيها السياق.

(٢) قرأ أبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، وحفص بالفتح، وقرأ الباقون بالضم. انظر النشر (٢ / ٢٢٨)، وتفسير البغوى (١ / ٢٢٢).

(٣) فى «ك»: عدة الوفاة.

جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ

الآية وإن كانت متقدمة فى التلاوة ولكنها متأخرة فى المعنى، وهى ناسخة لهذه الآية.

وقيل لعثمان: ألا تضع تلك الآية مكان هذه الآية، وهذه مكان تلك؟ فقال: أكره أن أُغَيِّرَ القرآن عن موضعه.

وقوله تعالى: ﴿فإن خرجن فلا جناح عليكم فى ما فعلن فى أنفسهن من معروف﴾ هو ما ذكرنا بعد الفراغ من العدة.

وقوله تعالى: ﴿والله عزيز حكيم﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿وللمطلقات متاع بالمعروف﴾ أعاد ذكر المتعة تأكيدا.

وسبب نزول الآية: ما روى أنهم لما سمعوا قوله تعالى: ﴿متاعا بالمعروف حقا على المحسنين﴾(١) قالوا: إن شئنا نمتع، وإن شئنا لا نمتع، فنزلت هذه الآية.

﴿وللمطلقات متاع بالمعروف﴾ أى: المتعة لهن ملكا، جعلها لهن بلام التمليك. وقوله: ﴿حقا على المتقين﴾ يعنى: واجبا على المؤمنين(٢).

قوله تعالى: ﴿كذلك يبين الله لكم آياته﴾ لأنه ذكر فيما قبل كثيرا من الآيات، والأحكام، فأراد به ذلك. وقوله: ﴿لعلكم تعقلون﴾ أى: تفهمون وتفقهون.

قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف﴾ قال ابن عباس: كانوا أربعة آلاف، وقال غيره: كانوا ثمانية آلاف، وقال السدى: كانوا [بضعة](٣)

---

(١) البقرة: ٢٣٦.

(٢) فى «ك»: على امرئ يتقى.

(٣) فى «الأصل وك»: بضعٌ.

فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَن ذَا

وثلاثين ألفا وفى رواية ابن جريج: أربعين ألفا، وقال ابن دريد: ألوف، أى: مؤتلفة قلوبهم، والصحيح أن المراد به: العدد كما بينا.

وقوله: ﴿حذر الموت فقال لهم الله موتوا﴾ أى: أماتهم الله ﴿ثم أحياهم﴾ هذا [فى](١) قوم من بنى إسرائيل هربوا من الطاعون، وقالوا: نذهب إلى أرض ليس بها طاعون، فذهبوا فأماتهم الله تعالى هنالك وبقوا سبعة أيام كذلك، فمر بهم نبى يقال له: حزقيل، فدعا الله تعالى فأحياهم. قال الحسن البصرى: أماتهم الله تعالى قبل آجالهم؛ عقوبة لهم، ثم أحياهم ليستوفوا آجالهم.

وفى القصص: أنه بعد ما أحياهم كان يوجد منهم ريح الموت، وكذلك من أولادهم. وقوله تعالى: ﴿إن الله لذو فضل على الناس﴾ قيل: هو على العموم فى حق الكافة فى الدنيا، وقيل: هو على الخصوص فى حق المؤمنين.

وقوله تعالى: ﴿ولكن أكثر الناس لايشكرون﴾ أما الكفار فلا يشكرون.

وأما [المؤمنون](٢) فلم يبلغوا غاية الشكر.

قوله تعالى: ﴿وقاتلوا فى سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم﴾ قيل الخطاب مع الصحابة. والمعنى فيه: أن أولئك القوم لما هربوا من الموت لم ينفعهم الهرب حتى أدركهم الموت، فلا تقعدوا أنتم عن القتال خوفا من الموت؛ بل جاهدوا وقاتلوا فى سبيل الله.

وقيل: الخطاب مع أولئك القوم من بنى إسرائيل، فإنهم إنما قعدوا عن القتال؛ فأماتهم الله ثم أحياهم، وأمرهم بالقتال.

---

(١) من «ك».

(٢) فى «الأصل وك»: المؤمنين. وهو خلاف الجادة.

قوله تعالى : ﴿ من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا ﴾ القرض : هو القطع . ومنه المقراض، وسمى القرض قرضا؛ لأنه يقطع من ماله شيئا ليكافأ عليه . أو يرد عليه مثله .

قال لبيد :

وإذا جوزيت قرضا فأجزه ... إنما يجزى الفتى ليس الإبل

فإن قيل : كيف يكون الإقراض من الله تعالى ؟ قيل معناه : يقرض أنبياء الله . فقال الضحاك : معناه : يتصدق لله، وسماه قرضا لأن الله تعالى قد وعد الثواب عليه .

وقوله تعالى : ﴿ قرضا حسنا ﴾ يعنى : حلالا، وقيل : حسنًا أى : طيبة نفسه به .

وقوله : ﴿ فيضاعفه له أضعافا كثيرة ﴾ يقرأ بقراءات : فيضاعفُه » بضم الفاء على إتباع قوله : ﴿ يقرض ﴾ .

وقرىء : « فيضاعفَه » . بفتح الفاء نصبا على جو اب الاستفهام . ويقرأ : « فَيُضَعِّفَه » بالياء ويقرأ بالنون : « فنضعفه »(١) .

والتضعيف والمضاعفة بمعنى واحد . والضِّعْفُ كل مازاد على المثل .

وقوله : ﴿ أضعافا كثيرة ﴾ قال السدى : كثيرة لايعلم عددها إلا الله .

وقال غيره : سبعمائة ضعف .

وقوله : ﴿ والله يقبض ويبسط ﴾ فيه أربعة أقوال :

---

(١) قرأ ابن عامر، ويعقوب بفتح الفاء، وقرأ الباقون بضمها، واختلفوا فى حذف الألف وتشديد العين، فقرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب « فيضعِّفه » بالتشديد مع حذف الألف، وقرأ الباقون بإثبات الألف والتخفيف .

انظر النشر (٢ / ٢٢٨)، وتفسير البغوى (١ / ٢٢٥)، وتفسير القرطبى (٣ / ٢٤٢) .

[أحدهما(١)]: قال الحسن: يقبض بالتقتير، ويبسط بالتوسيع.

وقال الزجاج: يقبض بقبول الصدقة، ويبسط بإعطاء الثواب عليه.

والقول الثالث: يقبض بتقليل الأعمار، ويبسط بتكثير الأعمار.

والقول الرابع: يقبض بالتحريم، ويبسط بالإباحة.

وقوله تعالى: ﴿وإليه ترجعون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الملأ من بنى إسرائيل من بعد موسى﴾ الملأ: أشراف كل قوم. وفى الخبر: «أنه لما قتل رءوس المشركين مثل أبى جهل، وعتبة، وغيرهما يوم بدر قال رجل من الأنصار: ما قتلنا إلا عجائز صلعا - أى: أواخر القوم شيوخا - فكره ذلك رسول الله ﷺ وقال: أولئك الملأ من قريش؛ لو رأيتهم هبتهم، وإن أمروك أطعتهم، واحتقرت فعلك مع فعلهم»(٢).

وقوله: ﴿إذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله﴾ قيل: ذلك النبى كان اشمويل، وقيل: كان يوشع بن النون، وقيل: هو شمعون، وسمى بذلك؛ لأن الله تعالى دعاه فسمعه. والقصة فى ذلك: أن بنى إسرائيل [ظهر](٣) عليهم العدو، وسبوا من أبناء ملوكهم أربعمائة وأربعين نفرا - وكانوا قد قعدوا عن القتال أربع سنين - فجاءوا إلى نبيهم ذلك، وقالوا له: ابعث لنا ملكا يجتمع أمرنا عليه

(١) من «ك».

(٢) أخرجه الطبرانى فى الكبير (١٧/ ٨٦ - ٨٧ رقم ٢٠١) من حديث عدى بن حاتم فى حديث طويل، وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٢٧) وفيه حصين السلولى، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. وذكر موسى بن عقبة فى كتاب المغازى له أن القائل هو سلمة بن سلامة أحد بنى عبد الأشهل، رواه البيهقى بإسناده لموسى فى الدلائل (٣/ ١٤٧).

(٣) ليست فى «الأصل» ولا «ك» وما أثبتناه يقتضيه السياق.

ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ

فنقاتل فى سبيل الله.

وقوله تعالى: ﴿قال هل عسيتم﴾ القراءة المعروفة: بفتح السين. وقرىء: «هل عَسِيتم» بكسر السين وهما فى المعنى سواء. وبالفتح أصوب.

وقوله: ﴿إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا﴾ ومعنى الآية: لعلكم أن تجبنوا عن القتال فلا تقاتلوا.

وقوله: ﴿قالوا ومالنا ألا نقاتل فى سبيل الله﴾ أى: ما يمنعنا أن نقاتل فى سبيل الله. ﴿وقد أخرجنا من ديارنا﴾ لأنهم كانوا أخرجوا من بيت المقدس.

﴿وأبنائنا﴾ أى: أخرجنا من أبنائنا بالسبى، والسبى فيه مضمر، ومثله قول الشاعر:

ورأيت زوجك فى الوغى(١)   متقلدا سيفـــا ورمحـــا

أى: وحاملا رمحًا.

وقوله تعالى: ﴿فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين﴾ وأراد بالقليل: أولئك الذين اقتصروا على الغَرْفَةِ، وجاوزوا مع طالوت وسيأتى.

قوله تعالى: ﴿وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا﴾ قيل: إنه كان سَقَّاء يستسقى على الحمار.

وسمى طالوت؛ لطوله لأنه كان أطول من كل أحد برأسه ومنكبه.

وقيل: كان الرجل منهم إذا رفع يديه وصل إلى رأسه، يعنى: رأس طالوت.

(١) جاء هذا الشطر فى لسان العرب (مادة: قلد): ياليت زوجك قد غدا.

بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن

وقوله: ﴿ قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ﴾ أى: كيف يكون له الملك علينا، وليس هو من سبط النبوة، والملك؟

وذلك أن سبط النبوة كان سبط لاوى بن يعقوب، وهو سبط موسى بن عمران، وسبط الملك كان سبط يهوذا، وكان طالوت من سبط بنيامين، ولم يكن سبط ملك ولا نبوة؛ وذلك أنهم كانوا قد عصوا الله معصية عظيمة؛ فنزع الله منهم النبوة والملك وكانوا يسمون سبط الإثم.

وقوله: ﴿ ولم يؤت سعة من المال ﴾ لأنه كان سقاء كما بينا.

قوله تعالى: ﴿ قال إن الله اصطفاه عليكم ﴾ أى: اختاره عليكم.

وقوله: ﴿ وزاده بسطة فى العلم والجسم ﴾ أما الزيادة بالجسم: معلوم.

وأما العلم: قيل أراد به علم الحرب - وكان طالوت أعلمهم بأمر الحرب - وقيل: أراد به علم الدين، والأول أصح.

وقوله: ﴿ والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم ﴾ فالواسع: ذو السعة، وهو الذى يعطى عن غنى.

وأما العليم: فقيل: العليم والعالم بمعنى واحد، ومنهم من فرق بين العليم والعالم، فقال: العالم: بما كان، والعليم: بما يكون.

قوله تعالى : ﴿ وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت ﴾ طلبوا منه آية على الملك، فأخبرهم نبيهم بآية ملكه، وذلك إتيان التابوت.

قيل: هو التابوت الذى كان مع موسى وهارون، كانت بنو إسرائيل يخرجون به إلى الغزوات ويستنصرون به.

وقيل: كان من شجر الشمشاذ، وكان ثلاثة أذرع فى ذراعين.

وفيه قول آخر: أنه التابوت الذى أنزله الله تعالى على آدم مع الركن، وكان فيه صورالأنبياء.

وقوله: ﴿ فيه سكينة من ربكم ﴾ قال على - رضى الله عنه -: السكينة لها وجه كوجه الإنسان، وهى بعد ريح هفافة.

وقال ابن عباس: هو طست من ذهب كان يُغْسَل فيه قلوب الأنبياء، وقيل: هى شيء يشبه الهر له عينان لهما شعاع، وله جناحان من الزمرد والزبرجد، وكانوا إذا سمعوا صوته تيقنوا بالنصر، وكانوا إذا خرجوا بالتابوت إلى الحرب يضعونه قدامهم، فإن سار ساروا، وإن وقف وقفوا.

وقال مجاهد: السكينة آية كانوا يسكنون إليها.

وقوله - تعالى -: ﴿ وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون ﴾ وذلك عصى موسى، ونعلاه، وعمامة هارون، ورضاض الألواح التى تكسرت، وقفيز من المن الذى أنزل على بنى إسرائيل.

وقيل: أراد به التوراة، كانت فى التابوت. ﴿ مما ترك آل موسى وآل هارون ﴾ يعنى: موسى وهارون، ومثله قول الشاعر:

فلا تَبْكِ ميتا بعد ميت أَجَنَّهُ ... علىٌّ وعباسٌ وآلَ أبى بكرِ

أى: دفنه يعنى: وأبو بكر.

وقوله تعالى: ﴿ تحمله الملائكة ﴾ قال الحسن: كان التابوت مع الملائكة فى السماء، فلما تولى طالوت الملك، حملت الملائكة التابوت ووضعوه بينهم.

وقيل: إن العمالقة غلبوا على التابوت، ودفنوه، فأمر الله تعالى الملائكة حتى استخرجوه، وحملوه إليهم.

الْمَلائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ

قال ابن عباس: إن العمالقة لما غلبوا على التابوت أخذهم الباسور، فعلموا أن ذلك عقوبة عليهم من أجل التابوت، فشدوه على عجلة وحملوه على ثورين، وساقوهما إلى المفازة وتركوه فجاءت الملائكة وساقوا ذلك إلى بنى إسرائيل.

وقوله تعالى: ﴿إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿فلما فصل طالوت بالجنود﴾ قال ابن عباس: كان عدد الجنود ثمانين ألفا.

وقوله تعالى: ﴿قال إن الله مبتليكم بنهر﴾ وذلك نهر كان بين أردن وفلسطين، ومعناه: أن الله ممتحنكم بذلك النهر؛ ليظهر من له نية وقصد فى القتال، ممن لانية له.

وقوله: ﴿فمن شرب منه فليس منى﴾ قاله طالوت، يعنى: ليس من أهل ولايتى وصحابتى.

﴿ومن لم يطعمه فإنه منى﴾ أى: من لم يذقه، قال الشاعر:

فإن شئت حَرَّمتُ النساء سِواكمُ وإن شئت لم أطعَمْ نُقاخًا ولا بَرْدًا

أى: لم أذق ماء ولا نوما. يقال: منع البردُ البردَ أى: منع البردُ النومَ.

وقوله تعالى: ﴿إلا من اغترف غرفة بيده﴾ يقرأ بقراءتين، بفتح الغين وضمها(١).

والغَرفة بفتح الغين: المرة. والغُرفة بضم الغين: ملء الكف.

وقوله: ﴿فشربوا منه إلا قليلا منهم﴾ قال عكرمة: كان عدد القليل الذين اقتصروا على الغرفة: أربعة آلاف.

(١) قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو بفتح الغين وقرأ الباقون بضمها. انظر النشر (٢ / ٢٣٠)، وتفسير البغوى (١ / ٢٣١).

اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ

وأكثر المفسرين - وهو الأصح - على أنهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر نفرا.

قال البراء بن عازب: كنا نتحدث أن عدد أصحاب رسول الله ﷺ، ورضى عنهم يوم بدر كانوا على عدة الذين جاوزوا مع طالوت، وكانوا يوم بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر نفرا»(١). قال البراء بن عازب: ولم يجاوز إلا مؤمن.

وفى القصص: أنهم لما وصلوا إلى النهر، كان قدألقى الله عليهم العطش، فشرب الكل إلا هذا العدد القليل. وكل من شرب منهم اسودت شفتاه، ولم يرو، وبقى على الشط، وكل من اقتصر على الغرفة روى وجاوز.

وقيل: إن الكل جاوزوا، ولكن حضر بعضهم القتال، ولم يحضر البعض.

وقوله: ﴿فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لاطاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده﴾

قال ابن عباس والسدى: إنما قاله الذين انخذلوا ولم يجاوزوا، وقيل: إنما قاله من الذين جاوزوا؛ من قلت بصيرته فى الدين دون من قويت بصيرته.

وقوله - تعالى -: ﴿قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله﴾ يعنى: الذين قويت بصيرتهم.

﴿يظنون﴾ يستيقنون أنهم ملاقو الله، وقد ذكرنا الظن بمعنى اليقين، وقيل: هو على حقيقة الظن يعنى: الذين يظنون إصابة الشهادة فى الوقعة.

وقوله: ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله﴾ بقضائه وإرادته.

﴿والله مع الصابرين﴾ بالنصر والمعونة.

وقوله: ﴿ولما برزوا لجالوت وجنوده﴾ كان جالوت رئيس تلك العمالقة.

(١) البخارى فى صحيحه (٧/٣٣٩ رقم ٣٩٥٧).

وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ

وقوله: ﴿قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا﴾ معناه: أصبب علينا.

وقوله: ﴿وثبت أقدامنا﴾ أى: فى القتال ﴿وانصرنا على القوم الكافرين﴾.

قوله - تعالى -: ﴿فهزموهم بإذن الله﴾ أى: كسروهم، يقال: سقاء مهزم، ومنهزم أى: متكسر مُتَثَنٍّ بعضه على بعض.

وقوله ﴿بإذن الله﴾ أى: بقضائه وإرادته.

وقوله: ﴿وقتل داود جالوت﴾ وفى القصة: أن أبا داود حضر الحرب مع ثلاثة عشر نفرا من أولاده كان أصغرهم سنا داود، وكان [أصاب](١) معه مقلاع وقذافة، فبرز جالوت وطلب البراز وخرج إليه داود، ورماه بالمقلاع - الحجر - بين عينيه وخرج من قفاه، وأصاب قوما آخرين وقتلهم.

وقوله: ﴿وآتاه الله الملك والحكمة﴾ جمع لدواد بين الملك والحكمة، يعنى: النبوة. قيل: بعده بسبع سنين، ولم يكن من قبل مجتمعا، بل كان الملك فى سبط والنبوة فى سبط، وقيل: الملك والحكمة: هو العلم مع العمل.

وقوله: ﴿وعلمه مما يشاء﴾ قيل: صنعة الدروع، وأصوات الطيور، والزبور.

وقوله: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾ قرأ نافع: «ولولا دفاع الله»(٢) والمعنى واحد.

قال ابن عباس ومجاهد: معناه: لولا دفع الله الكفار بالمؤمنين؛ لكثر الكفر، ونزلت السخطة، واستؤصلت الأرض.

(١) فى «الأصل وك»: ماصاب. وما أثبتناه هو الصواب.

(٢) وهى قراءة أبى جعفر المدنى، ويعقوب أيضًا، بكسر الدال، وألف بعد الفاء. وقرأ الباقون بفتح الدال، وإسكان الفاء، بغير ألف. انظر النشر (٢/ ٢٣٠)، وتفسير البغوى (١/ ٢٣٥).

عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ

وقال على، وعامة المفسرين: إن الله يدفع بالمتقى عن غير المتقى، وبالصالح عن الفاجر، وبالمصلح عن غير المصلح، وبالمؤمن عن الكافر، وهو معنى قول النبى ﷺ «لولا مشايخ ركع، وبهائم رتع، وصبيان رضع، لصب عليكم العذاب صبا»(١).

وقال رسول الله ﷺ «إن الله يدفع البلاء بالرجل الصالح عن مائة بيت من أهله وجيرانه»(٢).

وقوله: ﴿ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين﴾ وهى ما ذكر من الآيات.

قوله تعالى: ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض﴾ هذه الآية فى بيان فضل الرسل بعضهم على بعض مع استوائهم فى أصل الرسالة.

وقوله: ﴿منهم من كلم الله﴾ يعنى: موسى وقوله: ﴿ورفع بعضهم درجات﴾ يعنى: محمدا ﷺ قال الزجاج: ما أوتى نبى آية إلا أوتى نبينا مثل تلك الآية، وقدأوتى انشقاق

---

(١) رواه أبو يعلى فى مسنده (١١/٢٨٧ رقم ٦٤٠٢)، (١١/٥١١ رقم ٦٦٣٣)، والبزار - كما فى مختصر الزوائد (٢/٤٥٠ رقم ٢١٩٣)، والطبرانى فى الأوسط - كما فى مجمع الزوائد - (٨/٢٦٤ رقم ٥٠٨٤)، والبيهقى فى الكبرى (٣/٣٤٥)، والخطيب فى تاريخه (٦/٦٤)، كلهم من حديث أبى هريرة.

وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/٢٣٠): وفيه إبراهيم بن خثيم، وهو ضعيف.

ورواه الدولابى فى الكنى (١/٤٣ - ٤٤)، والطبرانى فى الكبير (٢٢/٣٠٩ رقم ٧٨٥)، وفى الأوسط - مجمع البحرين - (٨/٢٦٤ - ٢٦٥ رقم ٥٠٨٥)، وابن عدى فى الكامل (١/٢٤٣)، (٦/٣٨٠) كلهم من طريق مالك بن عبيدة بن مسافع، عن أبيه عن جده.

وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/٢٣٥): فيه عبد الرحمن بن سعد بن عمار، وهو ضعيف.

(٢) رواه الطبرى فى تفسيره (٢/٤٠٤)، والطبرانى فى الأوسط - مجمع البحرين - (٥/١٩٠ - ١٩١ رقم ٢٨٩٩)، (٨/٢٢٢ رقم ٥٠٠٥)، والعقيلى فى الضعفاء (٤/٤٠٣ - ٤٠٤) وابن عدى فى الكامل (٢/٣٨٢ - ٣٨٣)، والبغوى فى تفسيره (١/٢٣٦)، وأشار الطبرانى، وابن عدى إلى تفرد حفص بن سليمان به - وهو متروك.

وقال الهيثمى فى المجمع (٨/١٦٧): رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط، وفيه يحيى بن سعيد العطار، وهو ضعيف.

وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ

القمر، وحنين الجذع، وكلام الشجر، ونبع الماء من بين الأصابع، والقرآن العظيم، وبعث إلى الأحمر والأسود، وغيره من الأنبياء بعث إلى قوم مخصوصين.

وقوله: ﴿وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس﴾ قد سبق ذكره.

وقوله: ﴿ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات﴾ هذا دليل على القدرية حيث أحالوا الاقتتال على المشيئة.

وقوله: ﴿ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر﴾ منهم من تفضل عليه الله فآمن، ومنهم من خذله الله فكفر.

وقوله: ﴿ولو شاء الله ما اقتتلوا﴾ أعاده ثانيا تأكيدا. وقوله: ﴿ولكن الله يفعل ما يريد﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم﴾ قال السدى: أراد به الزكاة المفروضة. وقال غيره: أراد به الإنفاق فى سبيل الله وقوله: ﴿من قبل أن يأتى يوم﴾ يعنى: يوم القيامة.

وقوله: ﴿لابيع فيه﴾ أى: لافدية فيه، وسماها بيعا، لأن فى الفدية شراء نفسه.

وقوله: ﴿ولا خلة﴾ فإن قال قائل: قد نفى الخلة هاهنا فى القيامة، وقد قال فى آية أخرى: ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو﴾(١) فأثبت الخلة.

وقيل: تقديره: الأخلاء فى الدنيا بعضهم لبعض عدو يوم القيامة، وإنما قال ﴿ولا خلة ولا شفاعة﴾ وذلك أن الكفار كانوا يقولون: إن الملائكة أخلاؤنا والأصنام

(١) الزخرف: ٦٧.

شفعاؤنا فقال: لاتنفع خلتهم ولا شفاعتهم.

وقوله: ﴿والكافرون هم الظالمون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿الله لا إله إلا هو﴾ ذكره مبالغة فى الثناء، وهو مثل قولهم: لا كريم إلا فلان. أبلغ من قولهم: فلان كريم.

وقوله: ﴿الحى القيوم﴾ قرأ عمر: «القَيَّام». وقرأ علقمة: «القَيِّمُ» والمعروف: ﴿القيوم﴾. فالحى هو الباقى الدائم على الأبد، وهو من الحياة.

والحياة: صفة الله تعالى وأما القيوم: قيل: هو القائم على كل أحد بتدبيره فى الدنيا.

وقيل: هو القائم على كل نفس بما كسبت للمجازاة فى الآخرة.

وقيل: هو القائم بالأمور.

وقوله: ﴿لا تأخذه سنة ولانوم﴾ قال المفضل الضبى: السِّنة فى الرأس، والنوم فى القلب، فالسِّنة أول النوم، وهو النعاس.

ومنهم من فرق بين السِّنة والنُّعاس، فقال: السِّنة فى الرأس والنعاس فى العين، والنوم فى القلب.

والنوم: غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع من المعرفة بالأشياء.

وفى الأخبار أن «موسى – عليه السلام – قال يارب ألك نوم؟ فأوحى الله إليه ياموسى انظر ما تقول، خذ قَارُورَتَيْن فأخذهما بيديه فألقى الله عليه النوم، فوقعت إحداهما على الأخرى وانكسرتا، قال الله تعالى: لو كان لى نوم ما قامت سماء ولا أرض»(١).

وقوله: ﴿له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه﴾

(١) رواه الطبرى (٣/٦)، وأبو يعلى (١٢/٢١ رقم ٦٦٦٩)، والبيهقى فى الأسماء والصفات (ص٦٨ – ٦٩)، والخطيب فى تاريخه (١/٢٦٨) وابن الجوزى فى العلل (١/٣٩–٤٠ رقم ٢٢،٢٣)، كلهم من حديث أبى هريرة، قال ابن الجوزى: لايثبت هذا الحديث عن رسول الله ﷺ، وغلط من رفعه. وقال الذهبى فى الميزان (١/٢٧٦): حديث منكر...، ولايسوغ أن يكون هذا وقع فى نفس موسى، وإنما روى أن بنى إسرائيل سألوا موسى عن ذلك.

السَّموَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّموَاتِ وَالأَرْضَ

لأنهم زعموا أن الملائكة والأصنام يشفعون لهم فقال: ﴿ من ذا الذى ﴾ يمكنه الشفاعة إلا برضاه.

وقوله: ﴿ يعلم ما بين أيديهم ﴾ يعنى: الآخرة ﴿ وما خلفهم ﴾ يعنى: الدنيا، وقيل: ﴿ ما بين أيديهم ﴾ ما قدَّموا ﴿ وما خلفهم ﴾ ما خَلَّفوا.

وقوله: ﴿ ولايحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء ﴾.

الإحاطة: العلم بالشىء بجميع جهاته وأنواعه، ومعناه: ولا يحيطون بشىء من علم الغيب إلا بما شاء، يعنى: إلا بما أَخبَر به الرسل، وهو مثل قوله فى سورة الجن: ﴿ فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول ﴾(١).

وقوله: ﴿ وسع كرسيه السموات والأرض ﴾ قرأ يعقوب الحضرمى: «وسع كرسيه السمواتُ والأرضُ» والمعروف هو الأول.

واختلفوا فى الكرسى، قال الحسن: هو العرش نفسه. وقال أبو هريرة: الكرسى موضوع قُدَّام العرش.

ومعنى قوله: ﴿ وسع كرسيه السموات والأرض ﴾ أى: سعته مثل سعة السموات والأرض وأوسع منه، وهو ظاهر فى قراءة الحضرمى، وفى الأخبار «أن السمو ات والأرض فى جنب الكُرْسى كحلقة فى فَلاَة، والكُرْسى فى جنب العرش كحلقة فى فلاة»(٢).

وفى رواية عطاء عن ابن عباس: أن السموات والأرض فى جنب الكُرْسى كدراهم سبعة على الترس.

---

(١) الجن: ٢٦ – ٢٧.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٣/٧–٨)، وأبو الشيخ في العظمة (ص ٨٦ رقم ٢٢٢، وص ١٠١ رقم ٢٦١) والبيهقى فى الأسماء والصفات (ص ٥١٠ – ٥١١) وابن مردويه في تفسيره – كما في تفسير ابن كثير – (١/٣٠٩ – ٣١٠) من حديث أبي ذر مرفوعاً.

وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ

وروى سعيدبن جبير، عن ابن عباس: أنه أراد بالكرسى علمه. ومثله قول الشاعر:

مالي بأمرك كرسي أكاتمه ... ولا بكرسي علم الله مخلوقه.

ومعناه: العلم. وقيل: هو مُلْكُه وسُلطانُه. قال الزجاج: وفى الجملة هو أمر عظيم يَدُلُّ على كمال قُدْرَته.

وقوله: ﴿ولا يؤده حفظهما﴾ قيل: هو راجع إلى الله تعالى. يعنى: ولايَثْقُل عليه حفظ السموات والأرض.

وقيل: هو راجع إلى الكرسى، وقيل على هذا: إن الكرسى تحت الأرض كالعرش فوق السموات، والسموات والأرض على الكرسى. وقيل: معلقة بالكرسى.

﴿ولا يؤده﴾ أى: لايثقل على الكرسى حفظ السموات والأرض.

﴿وهو العلى العظيم﴾ يعنى بالعَلىّ: المتعالى عن الأشياء والأنداد.

وقيل: العلى بالمُلْك والسلطنة. والعظيم: الكبير.

وقد ورد فى فضل آية الكرسى أخبار منها:

ما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال لأبى بن كعب: «أى آية أعظم فى القرآن؟ فقال: آية الكرسى. فقال عليه السلام: لِيَهْنِئْكَ العلمُ أبا المُنذر»(١).

قوله: ﴿لا إكراه فى الدين﴾ قيل: سبب نزول الآية أن المرأة من أهل المدينة كان لايعيش لها ولد؛ فكانت تنذر وتقول: إن عاش لى ولد لأُهوِّدَنَّه، فإذا عاش لها ولد جعلتْه بين اليهود، فلما جاء الإسلام وأجلى رسول الله ﷺ بنى النضير إلى الشام بقى بينهم عدد من أولاد الأنصار قد هُوِّدُوا فاستأذنوا رسول الله ﷺ فى استردادهم؛

(١) رواه مسلم في صحيحه (٦/ ١٣٥ رقم ٨١٠)، وأبو داود (٢/ ٧٢ رقم ١٤٦٠)، وأحمد (٥/ ١٤٢)، والحاكم (٣/ ٣٠٤).

الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ

فنزلت الآية». ﴿لا إكراه فى الدين﴾ فمن شاء منهم أن يدخل فى الإسلام، فليدخل ومن لم يشأ فلا إكراه فى الدين.

وقال الشعبى: هذا فى أهل الكتاب لايجبرون على الإسلام إذا بذلوا الجزية.

وفيه قول ثالث: أنه كان فى الابتداء، ثم صار منسوخا بآية القتال.

وقوله: ﴿قد تبين الرشد من الغى﴾ أى: الحق من الباطل، والإيمان من الكفر.

وقوله: ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله﴾ الطاغوت: هو الشيطان، وينطلق على الواحد والعدد. وقيل: كل ما يعبد من دون الله فهو طاغوت.

وأما الطاغوت فى قوله: ﴿يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت﴾(١) هو كعب بن الأشرف خاصة.

وقوله: ﴿فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها﴾ العروة: الكوز والدلو. والمراد هاهنا بالعروة الوثقى: العقد الوثيق المحكم فى الدين.

قال ابن عباس: أراد به كلمة لا إله إلا الله. قال مجاهد: أراد به الإسلام. وقيل: هو القرآن ومعناه: فقد تمسك بتمسك.

﴿لا انفصام لها﴾ أى: لا انقطاع لها ﴿والله سميع﴾ بدعائك إياهم إلى الإسلام ﴿عليم﴾ بحرصك على إسلامهم.

قوله تعالى: ﴿الله ولى الذين آمنوا﴾ يعنى: القَيِّم عليهم بالنصر والمعونة والمثوبة.

وقوله: ﴿يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ يعنى: من الكفر إلى الإسلام، وإنما سمى الكفر ظلمات؛ لأن طريق الكفر مشتبه ملتبس. وإنما سمى الإسلام نورا لأن طريقه بين واضح.

---

(١) النساء: ٦٠.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ

وقوله: ﴿ والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات ﴾ أى: من الإسلام إلى الكفر.

فإن قال قائل: كيف يخرجو نهم من الإسلام ولم يدخلوا فيه؟ قيل: هو فى قوم من المرتدين خاصة.

وقيل: هو على العموم؛ وذلك أنهم لما عدلوا وصرفوا عن الإسلام؛ فكأنهم أخرجوا عنه، يقول الرجل لغيره: أخرجتنى عن صلتك، أى: لم تعطنى، ولم تصلنى.

وقوله: ﴿ أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه ﴾ معناه: هل انتهى إليك خبر الذى حاج إبراهيم - وهو نمروذ -؟ قاله قتادة.

وهو أول من تجبَّر فى الأرض وادعى الربوبية. والمحاجة: المجادلة، ثم بَيَّن المحاجة فى سياق الآية.

قوله: ﴿ أن آتاه الله الملك ﴾ أى: كانت تلك المحاجة فى الربوبية من نظر الملك وطغيانه.

وقوله تعالى: ﴿ إذ قال إبراهيم ربى الذى يحيى ويميت ﴾ وفى القصص: أن الناس قحطوا على عهد نمروذ، وكانوا يمتارون من عنده الطعام، وكان إذا أتاه الرجل فى طلب الطعام يسأله من ربك؟ فإذا قال: أنت، باع منه الطعام، فجاء إليه إبراهيم فيمن جاء يمتار الطعام، فقال له نمروذ: من ربك؟ قال: ربى الذى يحيى ويميت، فأشغل(١) بالمحاجة ولم يعطه شيئا، فانصرف عنه إبراهيم، ومر بكثيب من الرمل، فملأ منه الجواليق تطييبا لقلوب أهله، فلما بلغ منزله فإذا فيه الدقيق.

---

(١) في «ك»: فاشتغل.

إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ

وقوله تعالى: ﴿قال أنا أحيى وأميت﴾ هذا قول نمروذ حين قال له إبراهيم: ربى الذى يحيى ويميت.

قال سفيان: إنه دعا برجلين وجب القتل عليهما، فقتل أحدهما ولم يقتل الآخر، فهذا إحياؤه وإماتته.

وقوله: ﴿قال إبراهيم فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب﴾ فإن قال قائل: لِمَ انتقل إبراهيم من حجة إلى حجة، وهذا يكون عجزا؟ قيل: كانت الحجة الأولى لازمة، ومعارضة نمروذ إياه كانت فاسدة؛ لأنه أراد به الحياة والموت اختراعا، ولم يعارضه بمثله لكنه خاف أن يشتبه على السامعين، فأتى بحجة أوضح من الأولى؛ مبالغة فى الإلزام، وقطعا للشغب.

وقوله: ﴿فبهت الذى كفر﴾ أى: تحير بغلبة الحجة عليه. ومنه قول الشاعر:

وما هو إلا أن أراها فجأة ... فأبهت حتى ما أكاد أجيب

فإن قال قائل: كيف بهت وكان يمنكه أن يعارض إبراهيم فيقول له: سل أنت ربك حتى يأتى بها من المغرب؟ قلنا: إنما لم يقله؛ لأنه خاف أن لو سأله ذلك دعا، فأتى بها من المغرب؛ فكان زيادة فى فضيحته وانقطاعه.

والصحيح أن الله صرفه عن تلك المعارضة إظهارا للحجة عليه، ولتكون معجزة لإبراهيم.

وقوله: ﴿والله لايهدى القوم الظالمين﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿أو كالذى مر على قرية﴾ تقديره: ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم، وإلى الذى مر على قرية؟.

وقيل: تقديره: هل رأيت كالذى حاج إبراهيم، وكالذى مر على قرية؟.

عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ

واختلفوا فى الذى مر على قرية، فقال قتادة: هو عزير النبى. وقال وهب: هو إرمياء النبى. وقال محمد بن إسحاق: هو الخضر - عليهم السلام -.

والصحيح: أنه كان عزير النبى مر على قرية، يعنى: على بيت المقدس.

وقوله: ﴿وهى خاوية على عروشها﴾ قيل: كانت السقوف ساقطة على الأرض، وكانت الجدران متساقطة على السقوف، فهى الخاوية على عروشها. ومعناه: أنها كانت خالية، وكان قد خربها، بختنصر الملك البابلى.

وقوله: ﴿قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها﴾ وفى القصة: أن عزيرا مرّ [بها](1) وهو على حمار ومعه التين والعصير فقال: أنى يحيى هذه الله بعد موتها؟!

فإن قال قائل: كيف قال: أنى يحيى هذه الله بعد موتها، وهذا يكون سببه الشك فى قدرته؟ قيل: لم يكن شاكا فيه؛ وإنما قال ذلك استبعادا على ما يقال فى العادة، أى: لايحيى هذه الله بعد خرابها.

قال عطاء: دخل فى قلبه ما يدخل فى قلوب الناس.

وقوله: ﴿فأماته الله مائة عام ثم بعثه﴾ أى: أحياه، وإنما سمى الإحياء بعثا؛ لأنه إذا أحيى يبتعث للأمور.

وفى القصة: أنه لما قال تلك المقالة غلبه النوم، فقبض الله روحه مئة عام، وبعث مَلكًا عمّر بيت المقدس فى تلك الأعوام، ثم لما أحياه بعث إليه مَلَكًا فسأله: كم لبثت؟

فهذا معنى قوله: ﴿قال كم لبثت﴾ وقوله: ﴿قال لبثت يوما أو بعض يوم﴾ لأن الله تعالى إنما أماته فى أول النهار وبعثه فى آخر النهار وقبل غروب الشمس، فقال:

(١) في «الأصل» و«ك»: به، والصواب ما أثبتناه وهو ما يقتضيه السياق.

لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ

لبثت يوما، ثم نظر إلى الشمس لم تغرب بعد، فقال: أو بعض يوم ﴿ قال ﴾ - يعنى - الملك -: ﴿بل لبثت مئة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه﴾ أى: لم يتغير؛ فإن التين الذى كان معه لم يتغير؛ كأنه قطف من ساعته، وكذلك العصير كأنه عصر من ساعته.

قال الكسائى: لم يتسنه، معناه: كأنه لم تأت عليه السنون، وقطف من ساعته.

وقال مجاهد: معناه لم ينتن، ومنه قوله تعالى ﴿من حمأ مسنون﴾(١).

وقيل: أصله لم يتسنن، فقلبت إحدى النونين هاء ومثله فى كلام العرب كثير، مثل: يتمطى كان فى الأصل (يتمطط)، فقلبت إحدى الطائين ياء. وقال الشاعر:

يقضى البازى إذا البازى انكسر

وكان فى الأصل: (يقضض البازى).

وقوله: ﴿وانظر إلى حمارك﴾ قيل: فنظر إليه، فإذا عظام بيض تلوح نخرة فركَّب الله تعالى العظام بعضها على بعض، وجعله حماراً من عظام، ثم أدخل فيه الدم، ثم كساه الجلد، ثم نفخ فيه الروح، فقام الحمار ونهق، وهو ينظر إليه، فهذا معنى قوله: ﴿ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها﴾ يقرأ بقراءتين بالراء: نحييها، وبالزاى: يركب بعضها على بعض، من النَّشَز، وهو الارتفاع(٢).

وقوله: ﴿ثم نكسوها لحما﴾ فى الآية تقديم وتأخير، وتقديرها: وانظر إلى حمارك، وانظر إلى العظام كيف ننشزها، ثم نكسوها لحما لنحييها.

---

(١) الحجر: ٢٦، ٢٨، ٣٣.

(٢) قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائى، وعاصم بالزاى المنقوطة، وقرأ الباقون بالراء المهملة. انظر النشر (٢/٢٣١).

نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن

وقوله: ﴿ولنجعلك آية للناس﴾ وبيان الآية فيه: أنه بُعِثَ شابا، وابنه شيخ.

قال علي – رضى الله عنه –: أماته الله وهو ابن خمسين سنة وامرأته حامل، ثم بُعِثَ بعد مئة سنة وهو ابن خمسين، وابنه [ابن](١) مئة سنة.

وقوله: ﴿فلما تبين له قال أعلم﴾ فلما ظهرت له قدرة الله تعالى على عمارة بيت المقدس، وإحياء الموتى ﴿قال أعلم﴾ يقرأ بقراءتين: على الخبر، وعلى الأمر(٢)، أما على الخبر فمعناه: علمت أن الله على كل شيء قدير، وأما على الأمر قال لنفسه: ﴿أعلم أن الله على كل شيء قدير﴾.

قوله تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى﴾ قيل: سبب سؤاله ذلك: أن إبراهيم مرّ على حيوان على شط البحر مزقته السباع والوحش، وكان يأكل منه حيتان البحر، فقال: رب أرنى كيف تحيى الموتى.

وفيه قول آخر: أنه لما حاجّه نمروذ فى إحياء الموتى؛ أراد أن يعرف بالعيان ما آمن به بالخبر والاستدلال.

وقوله تعالى: ﴿قال أو لم تؤمن﴾ يعنى: قد آمنت فلم تسأل؟ وهذا مثل قول الشاعر:

ألستم خير من ركب المطايا

يعنى: أنتم كذلك.

وقوله: ﴿قال بلى ولكن ليطمئن قلبى﴾ فإن قال قائل: أكان إبراهيم شاكا فيه

(١) ليست فى «الأصل» ولا «ك».

(٢) قرأ حمزة، والكسائى بهمزة وصل وإسكان الميم على الأمر، وإذا ابتدأ كسر الهمزة، وقرأ الباقون بهمزة قطع، ورفع الميم على الخبر. انظر النشر (٢ / ٢٣١ – ٢٣٢).

لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ

حتى احتاج إلى السؤال، وما معنى قوله عليه السلام: «نحن أحق بالشك من إبراهيم»(١)؟ والجواب: أنه لم يكن شاكا فيه، ولكنه إنما آمن بالخبر والاستدلال، فأراد أن يعرفه عيانا.

قال عكرمة: ليزداد يقينا على يقين؛ لأن العيان فوق الخبر فى ارتفاع العلم. وقد قال عليه السلام: «ليس الخبر كالمعاينة»(٢).

وأما قوله: ﴿ولكن ليطمئن قلبى﴾؛ وذلك أنه لما سأل ذلك تعلق به قلبه، فقال: ولكن ليطمئن قلبى عن ذلك التعلق.

وقيل: إنما قال ذلك؛ لأن الله تعالى لما اتخذه خليلا، قال ملك الموت: يارب، ائذن لى حتى أبشره؛ فبشره بأن الله اتخذك خليلا فأراد أن يريه الله إحياء الموتى تخصيصا له بكرامته؛ ليطمئن قلبه بالخلة.

وقيل معناه: ولكن ليطمئن قلبى، فأعرف أنى إذا سألتك أعطيتنى، وإذا دعوتك أجبتنى. وأما قوله ﷺ: «نحن أحق بالشك من إبراهيم»(٣) إنما قاله على سبيل التواضع، يعنى: نحن دونه، وأحق بالشك منه، فإذا لم نشك نحن فكيف يشك إبراهيم؟

وقوله تعالى: ﴿قال فخذ أربعة من الطير﴾ قيل: هى الطاووس، والديك، والحمامة، والغراب.

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخاري (٦/ ٤٧٣ رقم ٣٣٨٢ وأطرافه فى ٣٣٧٥، ٤٥٣٧، ٤٦٩٤، ٦٩٩٢)، ومسلم (٢/ ٢٤٠ - ٢٤١، ١٥/ ١٧٩ رقم ١٥١).

(٢) رواه أحمد في مسنده (١/ ٢١٥، ٢٧١)، وابن حبان في صحيحه (١٤/ ٩٦ - ٩٧ رقم ٦٢١٣، و٦٢١٤)، وابن عدي في الكامل (٧/ ٢٨، ١٣٦)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٣٢١)، وصححه جميعهم من حديث ابن عباس مرفوعًا. وفي بعض ألفاظه اختلاف، وفي الباب عن ابن عمرو، وأنس وأبي هريرة.

(٣) سبق.

جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ

وقوله تعالى: ﴿فصرهن إليك﴾ أى: فضمهن إليك. وقرأ حمزة بكسر الصاد[1].

وفيه تقديم وتأخير، وتقديره: فخذ أربعة من الطير إليك فصرهن، أى: فقطعهن.

وقوله: ﴿ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا﴾ قيل: جعلها على أربعة أجبل.

وقال السدى: على سبعة أجبل، وقال ابن عباس: على أربعة أرباع العالم، جزءا على جبل بجانب الشرق[2]، وجزءا على جبل جانب الغرب[2]، وجزءا على الشمال، وجزءا على الجنوب.

وفيه قول آخر: أنه أراد بقوله: ﴿اجعل على كل جبل منهن جزءا﴾ أى: عشرا، وكان على عشرة أجبل؛ حتى ذهب بعض العلماء من هذا إلى أنه لو أوصَى الإنسان بجزء من ماله ينصَرِف إلى العُشْر.

وقوله: ﴿ثم ادعهن يأتينك سعيا﴾ وفى القصة: أنه جزَّء تلك الطيور الأربعة، وخلط اللحم باللحم، والريش بالريش، والعظم بالعظم، وجعلها على الأجبل.

وقيل: دقَّه بالهَاوُن وأخذ رءوسهن بين أصابعه، وقيل: مناقيرهن، ثم دعاهن؛ فكان يطير الريش إلى الريش، واللحم إلى اللحم، والدم إلى الدم، ويُركَّب بعضها على بعض، وأَتَيْنَ ساعيات إلى رءوسهن.

وقوله تعالى: ﴿واعلم أن الله عزيز حكيم﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله﴾ قيل: سبيل الله: الجهاد.

---

(١) وهى قراءة أبى جعفر، وخلف، ورويس. انظر النشر (٢ / ٢٣٢).

(٢) في «ك»: المشرق.. المغرب.

يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ

وقيل: جميع أبواب الخير سبيل الله.

وقوله: ﴿كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مئة حبة﴾ ضربه مثلا للمتقين وما وعد من الثواب على الإنفاق.

فإن قال قائل: كيف ضرب المثل به، وهل(١) يتصور فى كل سنبلة مئة حبة؟

قيل: لما كان ذلك متصورا فى الجملة، صح ضرب المثل به وإن لم يعرف، ومثله ما قاله امرؤ القيس:

ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وناب الغول لايعرف، ولكن لما تصور وجوده بالجملة مثل به. وقيل: هو يتصور فى سنبلة الدخن ونحوه.

وقوله: ﴿والله يضاعف لمن يشاء﴾ قيل: معناه: يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء. وقيل: معناه يضاعف على هذا ويزيد لمن يشاء.

وقوله: ﴿والله واسع﴾ أى: واسع الفضل والرحمة والقدرة، يعطى عن سعة.

وقوله: ﴿عليم﴾ أى: عليم بنية من يعطى.

قوله تعالى: ﴿الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لايتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى﴾ أما المن: فهو أن يقول للفقير: أعطيتك كذا، وصنعت بك كذا، فيعدد عليه نعمه، وأما الأذى: فهو أن يعير الفقير، فيقول له: إلى كم تسأل، وكم تؤذينى فلا زلت فقيرا ونحو ذلك.

وقيل: من الأذى: أن يذكر إنفاقه عليه عند من لايريد أن يعرف.

وقوله: ﴿لهم أجرهم عند ربهم﴾ أى: ثوابهم، وقوله: ﴿ولاخوف عليهم﴾

(١) فى «ك»: وكيف.

يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ

ولايخافون فوات الثواب، وقوله: ﴿ولا هم يحزنون﴾ أى: على ما أنفقوا إذا رأوا الثواب.

قوله تعالى: ﴿قول معروف﴾ قال الحسن: هو القول الجميل.

وقيل: هو أن يعطيه ويُبَرِّك له، فيقول: بارك الله لك فيه، أو يمنعه ويدعو له.

وقوله: ﴿ومغفرة﴾ هو: أن تستر خَلَّته[1]، ولاتهتك ستره.

وقيل: هو أن تعفو عن الفقير إن بدرت منه مساءة أو أذى.

وقوله: ﴿خير من صدقة يتبعها أذى﴾ يقول: ذلك القول المعروف، وتلك المغفرة، خير من صدقة يتبعها أذى.

وقوله: ﴿والله غنى﴾ أى: مستغن عن صدقاتكم. وقوله: ﴿حليم﴾ أى: لايعجل بالعقوبة إذا منعتم الصدقة.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى﴾ قد ذكرنا معناهما.

وقيل: المَنُّ فى الصدقة بمنزلة الحَدَث فى الصلاة، يبطلها ويحبطها.

وقوله: ﴿كالذى ينفق ماله رئاء الناس﴾ أى: كإبطال الذى ينفق ماله رئاء الناس؛ لأن الرياء يبطل الصدقة ويحبطها.

وقوله: ﴿ولايؤمن بالله واليوم الآخر﴾ يعنى: النفقة مع الرياء ليس من فعل المؤمنين.

وفى الجملة كل من أتى بالصدقة تقربا إلى مخلوق فلا يكون مؤمنا.

(١) الخَلَّة: الحاجة والفقر. انظر لسان العرب (مادة: خلل).

فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ

وقوله: ﴿فمثله كمثل صفوان عليه تراب﴾ الصفوان: الحجر الصلد الأملس.

وقوله: ﴿فأصابه وابل﴾ الوابل: المطر الشديد العِظَام القطر.

وقوله: ﴿فتركه صلدا﴾ أى: أملس ﴿لايقدرون على شىء مما كسبوا﴾ ومعنى هذا المثل: أن الذى يرائى بالإنفاق يفرق نفقته، ولا يفوز بشىء من الثواب، كالتراب الذى يكون على الحجر فيصيبه الوابل؛ فيفوت الذى عليه، ويبقى أملس، بحيث لايقدر على شىء منه.

وقوله: ﴿والله لايهدى القوم الكافرين﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله﴾ أى: خالصا لوجه الله.

وقوله: ﴿و تثبيتا من أنفسهم﴾ قال قتادة: هو أن يكون محتسبا بالإنفاق.

وقال الحسن: هو أن يثبت من نفسه حتى إن كانت نيته أن يتصدق لله يفعل، وإن كانت نيته غيره يمسك، وقال الكلبى، والشعبى: هو أن يتصدق على يقين بالثواب، وتصديق بوعد الله فيه.

وقوله: ﴿كمثل جنة بربوة﴾ الجنة: البستان. والربوة: المكان المرتفع.

وقوله: ﴿أصابها وابل﴾ كما ذكرنا. وقوله: ﴿فآتت أكلها ضعفين﴾ أى: ثمرها ضعف ما تؤتى غيرها. قوله: ﴿فإن لم يصبها وابل فطل﴾ الطل: المطر الخفيف الصغار القطر، ويكون دائما.

ومعنى هذا المثل: أن الذى ينفق خالصا لوجه الله تعالى لا تخلف نفقته، بل تنمو وتزكو بكل حال: كما أن الجنة التى على الربوة لاتخلف، بل تنمو وتزكو بكل حال سواء أصابها الوابل، أو أصابها الطل؛ وذلك أن الطل إذا كان يدوم يعمل عمل

بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

الوابل الشديد.

وقوله: ﴿والله بما تعملون بصير﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء﴾ أى: صغارا.

﴿فأصابها إعصارا فيه نار فاحترقت﴾ الإعصار: ريح ترتفع كالعمود نحو السماء، تسميه العرب، وسائر الناس: زوبعة، ومنه قول الشاعر:

إن كنت ريحا فقد لاقيت إعصارا

وأما معنى الآية: روى أن عمر - رضى الله عنه - سأل الصحابة عن معنى هذه الآية، فقالوا: الله أعلم، فغضب عمر، وقال: قولوا: نعلم، أو لانعلم، ونحن نعلم أن الله يعلم؛ فسكتوا، وكان ابن عباس فيهم فقال: فى قلبى شىء، فقال له عمر: قل، ولا تحقر نفسك، ضرب مثلا لعمل. وروى تمام الكلام فيه. - ثم اختلفوا، منهم من قال: تمام الكلام من عمر، ومنهم من قال: تمام الكلام من ابن عباس -

وتمامه: أن الله تعالى ضرب هذا مثلا للذى يعمل طول عمره عملا، ثم يحبطه برياء أو بشىء فى آخر عمره، فيفوته ذلك، ولاينفعه فى أحوج حال يكون إليه؛ كالذى له بستان ذات أشجار، وثمار، وأنهار، فيدركه الكبر، وله عيلة كبيرة وأولاد صغار، فلما قرب إدراكه واحتاج إليه، أصابته نارٌ فأحرقته، فيفوته ذلك (ولاينفق)(١) فى أحوج حال يكون إليه.

(١) في «ك»: ينبت.

آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾

قوله : ﴿ كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ﴾ . ظاهر المعنى .

قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ﴾ أى : من حلال ما كسبتم، وفى هذا دلالة على أن الكسب يتنوع إلى الطيب، والخبيث .

وقوله : ﴿ ومما أخرجنا لكم من الأرض ﴾ قيل : هو الأمر بإخراج العشور .

وقيل : هو أمر بإخراج الحقوق التى كانت واجبة فى نبات الأرض فى الابتداء، ثم صارت منسوخة بآية الزكاة .

وقيل : هو فى صدقات التطوع .

وقوله : ﴿ ولاتيمموا الخبيث منه تنفقون ﴾ أَمَّ، وتيمم : إذا قصد . وأراد بالخبيث : الرديُ ها هنا، أى : ولاتقصدوا الردىء منه تنفقون .

وسبب نزول الآية : « ما روى أن أصحاب النخيل على عهد رسول الله ﷺ كانوا يأتون بقنوٍ فيعلقونه فى المسجد ؛ ليأكله الفقراء، فجاء رجل بقنوٍ حشف أردأ ما يكون، وعلقه، فلم يرضه رسول الله ﷺ ونزلت الآية : ﴿ ولاتيمموا الخبيث منه تنفقون ﴾ »(١) .

وقوله : ﴿ ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه ﴾ إلا أن تسامحوا وتساهلوا فى أخذه، ومعناه : أن الحق لو كان لكم على غيركم، فجاء به رديئا لاتأخذونه إلا بإغماض فيه، فتعتقدون أنكم تركتم بعض حقكم وأغمضتم .

وقوله : ﴿ واعلموا أن الله غنى ﴾ يعطى عن غنى ﴿ حميد ﴾ محمود الغنى، وفيه دليل على أن الغنى لغير الله مذموم .

وقيل : الحميد : المستحق للحمد .

(١) رواه الترمذي (٥ / ٢٠٣ - ٢٠٤ رقم ٢٩٨٧) وقال : حسن غريب صحيح، وابن ماجه (١ / ٥٨٣ رقم ١٨٢٢)، والحاكم في المستدرك (٢ / ٢٨٥) وقال : حديث غريب صحيح على شرط مسلم . جميعهم من حديث البراء بن عازب .

الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا

قوله تعالى: ﴿الشيطان يعدكم الفقر﴾ يخوفكم بالفقر، والباء محذوفة.

وقوله: ﴿ويأمركم بالفحشاء﴾ أى: بأن لا تتصدقوا وتبخلوا، ومنه قول طرفة:

عَقِيلةَ مالِ الفاحِشِ المتشدد[1]

أى: البخيل المتشدد[2].

والبخل داء عظيم، قال ﷺ «لا داء أدوى من البخل».

وقوله: ﴿والله يعدكم مغفرة منه وفضلا﴾ مغفرة، أى: عفو الله، وفضلا: بالثواب.

وقوله: ﴿والله واسع عليم﴾ وقد ذكرنا معناهما.

وقوله تعالى: ﴿يؤتى الحكمة من يشاء﴾ قال ابن عباس: وهو حكمة القرآن، وهو أن يعرف ناسخه و منسوخه، ومقدمه ومؤخره، ومحكمه ومتشابهه، وحرامه وحلاله، وأمثاله.

وقيل: هو الفقه فى الدين.

وقال إبراهيم النخعى: هو معرفة معانى الأشياء وفهمها.

وفيه قول رابع: هو الإصابة، فعلا وقولا.

وقوله: ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾.

قرأ يعقوب: «ومن يؤتِ» بكسر التاء يعنى: ومن يؤته الله الحكمة.

---

(١) هذا شطر من البيت، والشطر الأول كما فى لسان العرب (مادة: فحش):

أرى الموت يَعتام الكرامَ ويصطفى

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٢/ رقم١٢٠٣)، والحاكم (٣/ ٢١٩) من حديث أبي هريرة، وقال: صحيح على شرط مسلم. وقال الهيثمى فى المجمع (٩/ ٣١٨): رواه الطبرانى، والبزار، وفيه سعيد بن محمد الوراق، وهو متروك. وقد روى موقوفا على أبي بكر الصديق كما في البخاري (٦/ ٢٧٤،٢٧٩ رقم ٣١٣٧)، وأحمد في مسنده (٣/ ٣٠٧-٣٠٨). وفي الباب عن جابر، وكعب بن مالك.

كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا

قيل: هذه الحكمة: هى الكتابة، ومعرفة الخط.

وقيل: هى العقل. وقيل: الأمانة.

﴿وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾ أى: وما يتفكر إلا أولوا العقول.

قوله تعالى: ﴿وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم﴾ فيه قولان: أحدهما: أن المراد بالنفقة: الزكاة المفروضة، وأما النذر: هو أن ينوى عمل الخير، وصدقة التطوع.

والقول الثانى: أن النفقة هى صدقة التطوع، وأما النذر هو ما عرف من نذر اللسان؛ وهو أن يوجب التصدق على نفسه.

وقوله: ﴿فإن الله يعلمه﴾ أى: يجازى. وقال مجاهد: يحصيه.

وقوله: ﴿وما للظالمين﴾ أى: الذين يتصدقون من الغصب والنهب. ﴿من أنصار﴾ جمع النصير، أى: ما لهم من ينصر ويمنع من العذاب.

قوله تعالى: ﴿إن تبدوا الصدقات﴾ معناه: إن تظهروا. ﴿فنعما هى﴾ يقرأ بالقراءات بفتح النون، وكسر العين، ويقرأ: بكسرهما، وقرأ أبو عمرو: بكسر النون وجزم العين، ولم يرض ذلك منه نحاة البصرة، وقالوا فيه التقاء الساكنين، واستشهد أبو عمرو بقوله ﷺ لعمرو بن العاص: «نعم المال الصالح للرجل الصالح»[١] والكل فى المعنى سواء، ومعناه: نعم خلة، هى أو نعم شيء هو.

قوله: ﴿وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم﴾ قيل: هذا فى صدقات

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (ص٩٠ – ٩١رقم)، وأحمد في مسنده (٤/ ١٩٧، ٢٠٢)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٢،٢٣٦) وصححه. وأبو يعلى فى مسنده (١٣/ ٣٢٠ رقم ٧٣٣٦)، والقضاعى فى مسند الشهاب (٢/ ٢٥٩ رقم ١٣١٥)، وابن حبان فى صحيحه – الإحسان – (٨/ ٦–٧ رقم ٣٢١٠، ٣٢١١). وقال الهيثمى فى المجمع (٩/ ٣٥٥): رواه أحمد، وأبو يعلى، والطبرانى فى الأوسط والكبير... ورجال أحمد، وأبى يعلى رجال الصحيح.

وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

التطوع، والإخفاء فيها أفضل، وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «صدقة السر تفضل صدقة العلانية بسبعين ضعفا»(١).

وأما الزكاة المفروضة: فالإظهار فيها أفضل، وقد قال ﷺ «صدقة العلانية تفضل صدقة السر بخمس وعشرين»(٢)، وهذا فى الزكاة، والأول فى التطوعات.

وقيل: الآية فى الزكاة المفروضة، وكان الإخفاء خيرا فى الكل على عهد رسول الله ﷺ فأما فى زماننا فالإظهار خير فى الزكاة لسوء الزمان، كيلا يساء الظن به.

وقوله: ﴿ويكفر عنكم﴾ يقرأ: بالنون، والياء، ويقرأ: بالرفع، والجزم(٣) ﴿من سيئاتكم﴾ قيل: من صلة فيه. وتقديره: ويكفر عنكم سيئاتكم، فعلى هذا يكون شاملا للصغائر، والكبائر.

وفيه قول آخر: أن «مِن» على التحقيق، والتكفير بالصدقات يكون عن الصغائر فأما الكبائر فإنما تكفرها التوبة.

والأول أقرب إلى أهل السنة، وقد قال النبى ﷺ: «صدقة السر تطفئ غضب الرب»(٤).

وقوله: ﴿والله بما تعملون خبير﴾ هذا ظاهر المعنى.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٣/٦٢) عن ابن عباس موقوفا، وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/٢٥٦ رقم ١٦٧) للحكيم الترمذي في نوادر الأصول.

(٢) هو بقية حديث ابن عباس المتقدم.

(٣) قرأ ابن عامر، وحفص بالياء، وقرأ الباقون بالنون، وقرأ نافع، وأبو جعفر، وحمزة، والكسائى، وخلف، بجزم الراء، وقرأ الباقون برفعها. انظر النشر (٢/٢٣٦).

(٤) روى هذا الحديث من حديث عمر بن الخطاب، وعبد الله بن جعفر، وأنس بن مالك، وأبي أمامة، وأبي سعيد الخدري، وابن عباس، وابن مسعود، ومعاوية بن حيدة، وأم سلمة.

وقال الشيخ ناصر - حفظه الله - في السلسلة الصحيحة (٤/٥٣٩): وجملة القول أن الحديث بمجموع طرقه وشواهده صحيح بلا ريب. وراجع الصحيحة (رقم١٩٠٨)، والإرواء (رقم ٨٨٥).

﴿٢٧١﴾ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي

قوله تعالى: ﴿ليس عليك هداهم﴾ ليس المراد به: هداية الدعوة، فإنها عليه حتم، وإنما المراد به: هداية التوفيق.

قال سعيد بن جبير: «سبب نزول الآية ما روى: أن النبى ﷺ نهى عن التصدق على المشركين، وإنما كان نهى عنه، كى تحملهم الحاجة على الدخول فى الإسلام فنزلت الآية فأمر النبى - ﷺ - بالتصدق على أهل الأديان كلها»(١).

ومعناه: ليس عليك هداهم، بأن تلجئهم وتحملهم على الدخول فى الإسلام، ﴿ولكن الله يهدى من يشاء﴾ أى يوفق من يشاء، ويخذل من يشاء.

قوله: ﴿وما تنفقوا من خير فلأنفسكم﴾ أى: تعملونه لأنفسكم.

قوله: ﴿وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله﴾ هذا خبر بمعنى الأمر، أى: أنفقوا لوجه الله، ومعناه: ابتغاء مرضاة الله.

وقيل: هو على المبالغة، فإن قول الرجل: عملت لوجه فلان. أبلغ وأشرف من قوله: عملت لفلان، فذكرنا شرف اللفظين.

وقوله: ﴿وما تنفقوا من خير يوف إليكم﴾ أى: يوفر عليكم ثوابه.

﴿وأنتم لا تظلمون﴾ ظاهر.

قوله تعالى: ﴿للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله﴾ يعنى: تلك الصدقات التى سبق ذكرها للفقراء.

قال مجاهد: أراد به فقراء المهاجرين من مكة.

وأما قوله: ﴿أحصروا فى سبيل الله﴾ فيه ثلاثة أقوال:

[أحدها](٢): قال ابن عباس: يعنى: حبسهم العدو والفقر عن سبيل الله والجهاد، فصاروا محصورين عنه.

(١) الطبري في تفسيره (٣/٦٣).

(٢) من «ك».

وقال سعيد بن المسيب : أراد به : أنهم خرجوا إلى الحرب، فأصابتهم جراحات، فصاروا محصَرين عن الجهاد بسبب الجراحات.

وقال قتادة - وهو أحسن الأقوال -: معناه : أنهم حبسوا أنفسهم على الجهاد فى سبيل الله، وتركوا الخروج للتجارة والمعاش، ووقفوا أنفسهم على الحرب.

وقد ورد ذلك فى أهل الصفة، كانوا قريبا من أربعمائة نفر، اجتمعوا فى مسجد رسول الله ﷺ وكانوا لا يأوون إلى أهل ولا إلى مال، وكان يبعث الناس إليهم بفضل قوتهم، وكانوا وقفوا أنفسهم على الجهاد فى سبيل الله، وقالوا : لا تخرج سرية إلا ونخرج معها، فهذا معنى قوله : ﴿ أحصروا فى سبيل الله ﴾.

وقوله : ﴿ لايستطيعون ضربا فى الأرض ﴾ هذا على القولين الأولين يرجع إلى الضرب فى الأرض للجهاد.

وعلى القول الثالث : هو الضرب فى الأرض للمعاش والتجارة.

وقوله : ﴿ يحسبهم الجاهل ﴾ قال مجاهد : ليس المراد بهذا الجاهل خلاف العالم وإنما هو الذى لاخبرة له ولا معرفة بحالهم.

وقوله : ﴿ أغنياء من التعفف ﴾ يعنى : من القناعة التى لهم يظنهم من لم يعرفهم أغنياء.

قوله : ﴿ تعرفهم بسيماهم ﴾ قيل : بالتخشع الذى كان لهم.

وقال الضحاك : بصفرة الألوان.

وقال ابن زيد : برثاثة الثياب.

وقيل : أثر الجوع والجهد.

وقوله : ﴿ لايسألون الناس إلحافا ﴾ أى : إلحاحا.

وقيل: أصله من إلحاف؛ فالإلحاف: السؤال على العموم، كأنه يسأل كل من يلقى.

وفيه قول آخر: أنه أراد به ترك السؤال أصلا؛ فإنه إذا سأل فقد ألحف، يعنى: لايسألون أصلا.

والدليل عليه أنه قال: ﴿أغنياء من التعفف﴾ وإذا سأل لايكون متعففا، وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «من سأل وعنده أوقية فقد ألحف»(١). يعنى: عنده أربعون درهما.

وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره، خير له من أن يسأل الناس أعطى أو منع»(٢).

وقوله: ﴿وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية﴾.

قال ابن عباس: هذا فى على بن أبى طالب، كانت له أربعة دراهم، فتصدق بدرهم بالليل، ودرهم بالنهار، ودرهم فى السر، ودرهم فى (العلن)(٣)؛ فنزلت الآية رضا بفعله، وثناء عليه.

وقيل: أراد بالنفقة ها هنا: النفقة على الخيل فى سبيل الله؛ فإنها تعتلف من تلك النفقة ليلا ونهارا، وسرا وعلانية؛ والنفقة على الخيل فى سبيل الله باب عظيم فى

(١) رواه وأبو داود في سننه (٢/ ١١٦ - ١١٧ رقم ١٦٢٨)، والنسائي (٥/ ٩٨ رقم ٢٥٩٥)، والإمام أحمد في مسنده (٣/ ٧، ٩) وابن خزيمة في صحيحه (٤/ ١٠٠ رقم ٢٤٤٧)، وابن حبان في صحيحه (٨/ ١٨٤ - ١٨٥ رقم ٣٣٩٠) عن أبي سعيد الخدري.

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة، رواه البخاري (٣/ ٢٩٣ رقم ١٤٧٠ وأطرافه فى ١٤٨٠، ٢٠٧٤، ٢٣٧٤)، ومسلم (٧/ ١٨٤ - ١٨٥ رقم ١٠٤٢).

(٣) في «ك»: العلانية.

وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ

الخير. وقد ورد فى الحديث: «أنه يؤجر بأرواثها وأبوالها»(١).

وقوله تعالى: ﴿فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿الذين يأكلون الربا﴾ أى: يأخذون، فعبر بالأكل عن الأخذ؛ لأنه يؤخذ ليؤكل.

وقوله: ﴿لايقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس﴾.

الخبط: ضرب على غير استواء، يقال: فلان يخبط خبط عشواء، إذا كان يسلك طريقا لايهتدى إليه. ومنه قول الشاعر:

رأيت المنايا خَبْطَ عشواء من تُصِبْ تُمِتْهُ ومــن تخطىء يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ

ومعناه: أن آكل الربا يحشر يوم القيامة كمثل السكران، يقوم تارة، ويقع أخرى.

وقيل: هو من تخبط الشيطان، وذلك [أن](٢) يدخل الإنسان فيصرعه.

والمس: الجنون، والخبط: أول الجنون، ومعناه: أنه يحشر يوم القيامة كمثل المصروع؛ وذلك علامة أكلة الربا يوم القيامة.

وقوله: ﴿ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا﴾. أراد بهم ثقيف؛ فإنهم قالوا إنما البيع مثل الربا.

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة، فرواه البخارى (٥/٥٦ رقم ٢٣٧١، وأطرافه فى ٢٨٦٠، ٣٦٤٦، ٤٩٦٢، ٤٩٦٣، ٧٣٥٦)، ومسلم (٧/٨٩ - ٩٧ رقم ٩٨٧).

(٢) فى «الأصل وك»: أن لا، ولعل «لا» زيادة مقحمة.

وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا
وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ
﴿٢٧٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن

﴿ وأحل الله البيع وحرم الربا ﴾ هذا جوابهم.

وقوله: ﴿ فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى ﴾ يعني: من أكل الربا.

﴿ فله ما سلف ﴾ أي: مغفورا له ما سلف منه ﴿ وأمره إلى الله ومن عاد ﴾ إلى أكل الربا ﴿ فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾.

قوله تعالى: ﴿ يمحق الله الربا ﴾ أي: يُذْهِبَ بركة المال؛ فإن للحلال بركة، وليست للحرام بركة.

وقيل: معناه: يبطل الصدقة من الربا ﴿ ويربى الصدقات ﴾ ويكثر الصدقات ﴿ والله لايحب كل كفار أثيم ﴾ فالكَفَّار: عظيم الكفران، والأثيم: كثير الإثم.

قوله تعالى: ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ وقد سبق تفسيره.

قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين ﴾. نزل هذا فى ثقيف وبنى مخزوم تنازعوا إلى عتّاب بن أسيد قاضى مكة فقالت ثقيف إنما أسلمنا على أن ما علينا من الربا موضوع وما لنا باقي فكتب بذلك عتاب إلى رسول الله ﷺ فنزلت الآية، فبعث رسول الله ﷺ بالآية إلى عتاب ليقرأ عليهم»(١).

وقوله: ﴿ إن كنتم مؤمنين ﴾ يعنى: ترك الربا من فعل المؤمنين».

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣/ ٧١) عن ابن جريج مرسلا. وعزاه السيوطى فى الدر (١/ ٣٧٧) لابن أبى حاتم بنحوه عن مقاتل، وفيه شك فى اسم الصحابى، هل هو معاذ بن جبل أم عتاب. ورواه أبو يعلى - كما في أسباب النزول للواحدى من طريقه (ص٦٤ - ٦٥) - بإسناده عن ابن عباس في حديث طويل.

لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ

وقيل: معناه: إذ كنتم مؤمنين.

والآية فى إبطال ربا الجاهلية؛ وذلك أنهم كانوا يدينون الناس بشرط أن يزيدوا فى الدين عند الأداء، وكان يقرض الرجل غيره، ويضرب له أجلا، ثم عند حلول الأجل يقول له: زدنى فى الدين حتى أزيدك فى الأجل، فهذا كان ربا الجاهلية وهو حرام.

وقوله تعالى: ﴿فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾ أى: فأيقنوا به.

ويقرأ ممدودا: «فآذنوا بحرب من الله»(١) أى: أعلموا غيركم أن يتركوا الربا، إنكم حرب الله ورسوله، فإذا أعلمتم فقد علمتم.

﴿وإن تبتم﴾ أى: تركتم استحلال الربا، ورجعتم عنه ﴿فلكم رءوس أموالكم﴾ أبطل الزيادة، وجعل لهم أصل المال.

وإنما قال: ﴿وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم﴾ لأنهم ما داموا على استحلال الربا كان ما لهم فيئا ليس لهم أصله ولا فرعه.

﴿لاتظلمون ولا تظلمون﴾ أى: لاتَظْلِمُون بطلب الزيادة، ولا تُظْلَمُون بنقصان حقكم فى أصل المال.

قوله تعالى: ﴿وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة﴾ قرأ: أبى بن كعب: «وإن كان من عليه الدين ذا عسرة». وقرأ عطاء: «فناظرة إلى ميسرة».

والمعروف: ﴿وإن كان ذو عسرة﴾ أى: وإن وقع ذو عسرة، أو وإن كان ذو عسرة غريما لكم، فنظرة إلى ميسرة، أى: فأنظروه إلى اليسار.

وقرأ نافع: «إلى ميسُرة» بضم السين(٢)، وهو مثل الأول فى المعنى.

(١) قرأ حمزة، وأبو بكر بقطع الهمزة ممدودة، وكسر الذال، وقرأ الباقون بفتحها ووصل الهمزة. انظر النشر (٢/٢٣٦).

(٢) قرأ نافع بضم السين، وقرأ الباقون بفتحها. انظر المصدر السابق.

تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب

وروى أبو اليسر عن النبى - عليه السلام - أنه قال: «من أنظر معسرا أظله الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله»(١).

وروى أبو هريرة عن النبى ﷺ أنه قال: «كان فيمن قبلكم رجل يداين الناس فقال لفتاه: إذا كان معسرا فتجاوز عنه؛ لعل الله يتجاوز عنا، فلقى الله فتجاوز عنه»(٣). والخبر فى الصحاح.

﴿ وأن تصدقوا ﴾ يعنى: بترك أصل المال الذى أعطيتموه قرضا. ﴿ خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾.

قوله - تعالى: ﴿ واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ﴾. قال ابن عباس: هذه آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ.

قال ابن جريج: إنما عاش بعدها سبع ليال، وفى رواية تسع ليال.

ويروى أن جبريل - صلوات الله عليه - لما نزل بهذه الآية قال: ضعها على رأس مائتين وثمانين آية من سورة البقرة، وهذه الآية مسجلة سجلها الله على الخلق كافة.

﴿ ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لايظلمون ﴾ وهو ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين ﴾ قال ابن عباس: أشهد أن السلف المضمون المؤجل فى كتاب الله، قد أنزل فيه أطول آية، وتلا هذه الآية.

وقوله: ﴿ تداينتم بدين ﴾ أى: تعاملتم بالدين، يقال: داينته، إذا عاملته بالدين.

فإن قيل: قوله: ﴿ تداينتم ﴾ يغنى عن المعاملة بالدين، فلمَ قال: تداينتم بدين؟ قيل: لأن العرب تقول: تداينا - أى: تعاطينا وتجازينا، وإن لم يكن فى الدين؛ فقال:

---

(١) رواه مسلم (٨/ ١٨١ - ١٩٣ رقم ٣٠٠٦)، وابن ماجة (٢/ ٨٠٨ رقم ٢٤١٩). وأحمد (٣/ ٤٢٧)، والحاكم (٢/ ٢٨-٢٩) والبيهقى فى الكبرى (٥/ ٣٥٧).

(٢) متفق عليه. رواه البخاري (٤/ ٣٦١ رقم ٧٠٢٨ وطرفه فى ٣٤٨٠)، ومسلم (١٠/ ٣٢٣ - ٣٢٤ رقم ١٥٦٢).

بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لا

﴿ تداينتم بدين ﴾ ليعرف المعنى المراد من اللفظ، ويحتمل أنه قاله تأكيدا. ﴿ إلى أجل مسمى ﴾ الأجل: مُدَّة معلومة الأول والآخر، وهذا يشتمل على الأجل فى السلم، والأجل فى الثمن، والأجل فى القرض، ولم يجوّز أكثر العلماء الأجل فى القرض، وجوزه بعضهم.

﴿ فاكتبوه ﴾ قيل: هو على الوجوب، وهو قول مجاهد.

وقال الشعبى: إنما يجب الكتب إذا وجد من يكتب، والأصح أنه على الندب.

وقال أبو سعيد الخدرى: هذا الأمر منسوخ بقوله تعالى: ﴿ فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى أؤتمن أمانته ﴾.

وقوله: ﴿ وليكتب بينكم كاتب بالعدل ﴾. الكتابة بالعدل هو: أن يكتب من غير زيادة ولانقصان، ولاتقديم فى الأجل ولا تأخير.

﴿ ولا يأب كاتب أن يكتب ﴾ قيل: الكتابة واجبة على الكتبة لظاهر الآية، والأصح أنه على الندب.

﴿ كما علمه الله فليكتب ﴾ أى: كما شرعه الله، فليكتب.

﴿ وليملل الذى عليه الحق ﴾ الإملال والإملاء بمعنى واحد.

والإملال لغة قريش وبنى أسد، والإملاء: لغة قيس وتميم، وهما مذكوران فى القرآن.

فالإملال هاهنا، والإملاء فى قوله: ﴿ فهى تملى عليه بكرة وأصيلا ﴾(١).

﴿ وليتق الله ربه ﴾ يعنى: المملى ﴿ ولايبخس منه شيئا ﴾، ولا ينقص من الحق شيئا.

وقوله: ﴿ فإن كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا ﴾ أما السفيه: قال مجاهد:

(١) الفرقان: ٥.

يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا

هو الجاهل.

وقال الزجاج: هو خفيف العقل، ويشتمل هذا على: المرأة، والصغير ونحوه، ومنه قول الشاعر:

مشينَ كما اهتزت رماحٌ تسفهت — أعاليهـا مَـرُّ الريـاحِ النواسـمِ

وقيل: السفيه: الصغير ومذهب الشافعي: أنه المبذر المفسد لماله.

وأما الضعيف: هو ضعيف العقل من عته، أو جنون.

﴿أو لايستطيع أن يمل هو﴾ أى: لايقدر على الإملال من خرس، أو عمى.

﴿فليملل وليه بالعدل﴾ يعنى: وليّ هؤلاء.

أما من لم يجوز الحجر على السفيه - كالنخعى، وابن سيرين، وغيرهما - قالوا: أراد بالولى: صاحب الحق، يعنى: إن عجز من عليه الحق من الإملال فليملل الذى له الحق.

﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم﴾ أى: وأشهدوا.

﴿فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان﴾ يعنى: فإن لم يكن الشاهدان رجلين فرجل وامرأتان.

﴿ممن ترضون من الشهداء﴾ وهم أهل الفضل والدين، قاله ابن عباس. ﴿أن تضل إحداهما﴾ أن تنسى وتغفل إحداهما، وذلك بأن يغيب حفظها عن الشهادة، أو تغيب الشهادة عن الحفظ.

﴿فتذكر إحداهما الأخرى﴾ وذلك بأن تقول: ألسنا حضرنا مجلس كذا؟ ألم نسمع كيت وكيت؟.

الأُخْرَىٰ وَلا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلاَّ تَرْتَابُوا إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً

وقرأ حمزة: «إِنْ تضل فتذكرُ إحداهما الأخرى» على الشرط(١).

قال سفيان بن عيينة: فتذكر إحداهما الأخرى، معناه: تجعل إحداهما الأخرى ذكَرًا، أى: يقومان مقام الذكر، والأول أصح.

﴿ ولايأب الشهداء إذا ما دعوا ﴾ قيل: أراد به: إذا ما دعوا للتحمل، وإنما سماهم شهداء على معنى أنهم يكونوا شهداء. وقيل: هو الدعاء إلى الشهادة.

﴿ ولاتسأموا ﴾ أى: لاتملوا ﴿ أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله ﴾ يعنى: الذى قَلَّ أو كَثُر.

﴿ ذلكم أقسط عند الله ﴾ أعدل عند الله ﴿ وأقوم للشهادة ﴾ لأن الكَتَبة تذكر الشهود.

﴿ وأدنى ألا ترتابوا ﴾ أى: أن لاتشكوا ﴿ إلا أن تكون تجارة حاضرة ﴾ قرأ: بضم التاء على اسم كان، وقرأ بفتح التاء، يعنى: إلا أن تكون التجارة تجارة حاضرة، ومثله قول الشاعر:

فِدىً لِبَنِي ذهلِ بنِ شيبانَ ناقتي إذا كان يوما ذا كواكبَ أشهبا(٢)

يعنى: إذا كان اليوم يوما.

﴿ تديرونها بينكم ﴾ يعنى: إذا كانت التجارة يدا بيد.

---

(١) قرأ حمزة: «إِن» بكسر الهمزة، وقرأ الباقون بفتحها، وقرأ: «فتذكرُ» بضم الراء، وقرأ الباقون بفتحها. وقرأ ابن كثير، ويعقوب، وأبو عمرو بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد. انظر النشر (٢ / ٢٣٦ – ٢٣٧)، وتفسير البغوى (١ / ٢٦٩).

(٢) جاء هذا الشطر من البيت فى لسان العرب (مادة: شهب) كما يلى:

إذا كان يومٌ ذو كواكبَ أشهبُ

تُديرُونَهَا بيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلا يُضَارَّ كَاتِبٌ
وَلا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ
﴿٢٨٢﴾ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا

﴿ فليس عليكم جناح ألا تكتبوها وأشهدوا إذا تبايعتم ﴾ أمر به استحبابا.

﴿ ولا يضار كاتب ولا شهيد ﴾ قرأ عمر: «ولا يضارِر» وقرأ ابن مسعود: «ولا يضارَر» والمعروف: ﴿ ولا يضارَّ ﴾، وهذا يحتمل أن يكون نهيا للكاتب والشاهد عن الإضرار، ويحتمل أن يكون نهيا للمملى والداعى.

فأما إضرار الشهود والكاتب: أن يأبى الكتابة والشهادة إذا دعى إليها.

وأما الإضرار بالكاتب والشهود: أن يدعوه وهو مشغول، فيمنعه من شغله.

قوله تعالى: ﴿ وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم ﴾ أى: معصية منكم ﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شىء عليم ﴾.

قوله تعالى: ﴿ وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا ﴾. قرأ عطاء: «ولم تجدوا كُتَّابًا» وهو جمع الكاتب، كما يقال: قائم وقيام، ونائم ونيام.

﴿ فرهن مقبوضة ﴾ ويقرأ: «فرهان» مقبوضة والمعنى واحد(١).

وحكم الرهن معلوم، وليس ذكر السفر، وعدم الكاتب على سبيل الشرط فى جواز الرهن؛ وإنما خرج الكلام على الأعم الأغلب.

﴿ فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمانته ﴾ يعنى: إن ائتمنه فى الدين فليقضه على الأمانة.

﴿ وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ﴾ نهى الشهود عن كتمان الشهادة، وهو

(١) قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: بضم الراء والهاء، من غير ألف، وقرأ الباقون: بكسر الراء، وفتح الهاء، وألف بعدها. انظر النشر (٢ / ٢٣٧).

فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ

حرام.

﴿ ومن يكتمها فإنه آثم قلبه ﴾ قيل: ما أوعد الله تعالى على شيء كإيعاده على كتمان الشهادة، فإنه قال: ﴿ فإنه آثم قلبه ﴾ وأراد به مسخ القلب، ونعوذ بالله ﴿ والله بما تعملون عليم ﴾.

قوله تعالى: ﴿ لله ما فى السموات وما فى الأرض ﴾ مِلْكًا ومُلْكًا. ﴿ وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ﴾ هذا منسوخ؛ فإنه روى: لما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين وقالوا: يحاسبنا الله بما نحدث به أنفسنا؟! وبقوا فى ذلك حولا كاملا؛ فنزل قوله تعالى: ﴿ لايكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ فصار هذا منسوخا به.

هذا قول أبى هريرة، وابن مسعود، (وابن عمر)(١)، وفى إحدى الروايتين عن ابن عباس.

وقد قال النبى ﷺ: «إن الله تعالى عفى عن أمتى ما حدثت به أنفسها؛ ما لم تعمل أو تكلم به»(٢) أى: تتكلم به».

وقال أهل الأصول: هذا ليس بمنسوخ؛ لأن قوله: ﴿ يحاسبكم به الله ﴾ خبر، والنسخ لايرد على الأخبار، وإنما يرد على الأوامر والنو اهى.

وقد روى الوالبى، عن ابن عباس - فى الرواية الثانية - أن معنى قوله: ﴿ يحاسبكم به الله ﴾ أى: يُعْلِمْكُم به، أى: لايخفى عليه شىء من ذلك.

---

(١) وفى «ك»: وأبى عمر، خطأ.

(٢) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (٥ / ١٩٠ رقم ٢٥٢٨ وأطرافه فى ٥٦٦٩، ٦٦٦٤)، ومسلم (٢ / ١٩٣ رقم ٢٠١).

شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا

﴿ فيغفر لمن يشاء ﴾ أى: يغفر للمؤمنين ﴿ ويعذب من يشاء ﴾ يعنى: الكافرين ﴿ والله على كل شىء قدير ﴾.

قوله تعالى: ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ﴾ لأنه ذكر الآيات والأحكام، ثم قال: آمن الرسول بذلك كله.

﴿ والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله ﴾ وقرأ يعقوب: «لايفرق» بالياء(١)، أى: لايفرق الرسول بين أحد من رسله.

﴿ وقالوا سمعنا وأطعنا ﴾ أى: قبلنا ﴿ غفرانك ربنا ﴾ أى: اغفر غفرانك، أو اعطنا غفرانك ربنا ﴿ وإليك المصير ﴾ أى: المرجع.

قوله تعالى: ﴿ لايكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ أى: طاقتها.

وقيل: ما (يشق)(٢) عليها. وهو مثل قول الرجل: لا أستطيع أن أنظر إلى فلان، أى: يشق علي أن أنظر إليه، فكذلك ذكر الوسع بمعنى: السهولة، أى: لايكلف الله نفسا إلا ما يسهل عليها.

وهذه الآية هى الناسخة لما بينا.

﴿ لها ما كسبت ﴾ أى: من الخير ﴿ وعليها ما اكتسبت ﴾ أى: من الشر.

﴿ ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا ﴾ أى: تركنا، وقيل: هى على حقيقة النسيان.

﴿ أو أخطأنا ﴾ الخطأ: يكون بمعنى: العمد، ويكون على حقيقة الخطأ، يقال: أَخْطَأَ يُخْطِئُ وخَطَأَ يَخْطَأ [والمراد](٣) بقوله ها هنا ﴿ أو أخطأنا ﴾ أى: تعمدنا.

---

(١) انظر النشر (٢/٢٣٧).

(٢) فى «ك»: يضيق.

(٣) ليست فى «الأصل» ولا «ك»، والسياق يقتضيها.

رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

﴿ ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ﴾

قيل: هو العهد الثقيل الذي حمل من قبلنا.

وقيل: لاتحمل علينا ما يشق علينا.

وقيل: الإصر: هو ذنب لاتوبة له، أى: اعصمنا من ذنب لاتقبل له توبة.

﴿ ربنا ولاتحملنا ما لاطاقة لنا به ﴾ فى هذا دليل علي أن الله تعالى يجوز أن يُحَمِّل العباد ما لايطيقونه؛ لكنه إنما حمل الكفار ما لايطيقونه ولم يحمل المؤمنين. ﴿ واعف عنا ﴾ أى: امح عنا ﴿ واغفر لنا ﴾ أى: استر علينا. ﴿ وارحمنا ﴾ أى: ارحم علينا.

﴿ أنت مولانا ﴾ أنت ناصرنا والقيم بأمورنا. ﴿ فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ وقد ورد فى فضل الآيتين أخبار، منها: ما روى عن النبى ﷺ أنه قال: «من قرأ فى ليلة بآيتين من آخر سورة البقرة كفتاه»[(١)].

وروى أنه قال – عليه السلام –: «هما آيتان أنزلتا عليّ من كنز تحت العرش»[(٢)].

وﷺ [وآله أجمعين][(٣)].

---

(١) متفق عليه من حديث أبي مسعود الأنصاري، رواه البخاري (٨/٦٧٢ رقم ٥٠٠٩ وأطرافه فى ٤٠٠٨، ٥٠٠٨، ٥٠٤٠، ٥٠٥١))، ومسلم (٦/١٣٢ رقم ٨٠٧).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٤/١٤٧، ١٥٨)، والطبراني في الكبير (١٧/٢٨٣ رقم ٧٧٩، ٧٨٠) وأبو يعلى في مسنده (٣/ ٢٧٧رقم ١٧٣٥) عن عقبة بن عامر.

وقال الحافظ ابن كثير في رواية أحمد (١/٣٤١): هذا إسناد حسن ولم يخرجوه.

وقال الهيثمي في المجمع (٦/٣١٥): الحديث حسن. وفي الباب عن حذيفة وعلي.

(٣) من «ك».

تفسير سورة آل عمران

وهى مدنية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قال الشيخ الإمام الأجل - رضي الله عنه - لقد ورد في فضل هذه السورة وسورة البقرة أخبار منها: ما روي عن رسول الله ﷺ [أنه][1] قال: «تعلموا البقرة وآل عمران فإنهما الزهروان تظلان صاحبهما يوم القيامة»[2].

وروى عنه ﷺ أنه قال: «تجيء البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف»[3].

(١) من «ك».

(٢) تقدم فى أول سورة البقرة.

(٣) رواه مسلم (٦/ ١٣٠ - ١٣١ رقم ٨٠٥)، والترمذى (٥/ ١٤٧ - ١٤٨ رقم ٢٨٨٣)، وأحمد (٤/ ١٨٣) عن النواس بن سمعان، وقد تقدم تخريجه فى أول سورة البقرة، من حديث أبى أمامة، وبريدة - رضى الله عنهما -.

الٓمٓ ﴿١﴾ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ

قوله تعالى: ﴿آلٓم الله﴾

فالألف: هو الله، واللام: جبريل، والميم: محمد ﷺ، وفيه إشارة لما أنزل الله، على لسان جبريل، على محمد ﷺ.

وقد ذكرنا الأقوال فى حروف التهجى.

وإنما فتح الميم عند الوصل، وإن كان الساكن إذا حرك حرك إلى الكسر؛ لأنهم استثقلوا الكسرة بعد [الجزم، والياء فيه جزم](١).

﴿لا إله إلا هو﴾ لامعبود سواه. ﴿الحى القيوم﴾ فالحى: الدائم الذى لم يزل.

وأما القيوم فقد سبق تفسيره، وقيل: هو الذى لايزول ولايحول. وقال جعفر بن محمد[بن] (٢) الزبير: هو دائم الوجود. وقرأ عمر، وابن مسعود ﴿الحى القيام﴾ وهو فى الشواذ.

قوله تعالى: ﴿نزل عليك الكتاب بالحق﴾ الكتاب: القرآن، وسمى كتابا؛ لأنه يجمع الآى والحروف، وهو من الكتب وهو: الجمع، ومنه: الكتيبة و[هى] السرية لاجتماعهم.

ومنه يقال: كتبت البغلة، إذا جمع بين شفريها بحلقه. وقوله: ﴿بالحق﴾ أى: بالصدق فى الدلالات والإخبارات، والوعد والوعيد.

وقوله: ﴿مصدقا لما بين يديه﴾ يعنى: القرآن مصدق لما قبله من التوراة والإنجيل. وإنما قال: ﴿لما بين يديه﴾؛ لأنه فى تصديق ما قبله، وإظهار صدقه، كالشىء الحاضر بين يديه.

﴿وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس﴾

---

(١) من «ك».

(٢) ليس فى الأصل ولا «ك» والصواب إثباتها.

الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا

فذكر هاهنا ﴿ أنزل ﴾ وذكر في الابتداء ﴿ نزل الكتاب ﴾، لأنه أنزل التوراة جملة والإنجيل جملة، ونزل القرآن مفصلاً.

وأما التوراة أصلها وَوْرَيَةٌ من الورى، من قولهم ورى الزند إذا أضاء، وخرجت ناره، ويقال: ورى زندى عند فلان؛ إذا أضاء أمره عنده.

فسمي وورية؛ لضيائها وكونها نوراً، وقلبت الواو تاء فصارت تورية. وأما الإنجيل من «النجل» وهو الأصل فسمي به؛ لأنه كان أصلاً من الأصول في العلم.

﴿ وأنزل الفرقان ﴾ قيل: هو القرآن، وهو المفرق بين الحلال والحرام، وقيل: كل ما أنزل الله فهو فرقان؛ لكونه مفرقاً بين الحلال والحرام، وفي الآية تقديم وتأخير، وتقديره وأنزل التوراة والإنجيل من قبل، وأنزل الفرقان هدى للناس.

قوله تعالى: ﴿ إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد ﴾ «نزلت في وفد نجران من النصارى، قدموا على رسول الله ﷺ، وفيهم السيد والعاقب: كانا رجلين منهم، وهم ستون راكبًا، وقيل: قريبًا من عشرين راكبًا، فدخلوا المسجد، والنبي ﷺ قد صلى العصر، فوقفوا يصلون نحو المشرق صلاتهم، فلما فرغوا سألهم رسول الله عن عيسى، فاختلفوا فيه، فقال بعضهم: الله. وقال بعضهم: ابن الله، وقال بعضهم: ثالث ثلاثة، فقال ﷺ: أسلموا، فقالوا: نحن مسلمون، فقال ﷺ: كذبتم؛ يمنعكم من ذلك قولكم عيسى ولد الله. فأنزل الله تعالى فيهم بضع وثمانين آية، من أول سورة آل عمران في الحِجَاج، والدِّلالة عليهم، وردِّ قولهم، وهذه الآية من جملتها نزلت فيهم»(١).

﴿ والله عزيز ذو انتقام ﴾ فالعزيز: المنيع الذي لا يُقْدَر عليه، ومنه: الأرض العزاء،

(١) رواه ابن جرير الطبري (٣/١٠٨) من طريق ابن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير مرسلا، الخبر بطوله، وفي أماكن متفرقة من تفسيره. وعزاه صاحب الدر المنثور (٢/٣-٤) لابن إسحاق، وابن المنذر أيضا.
وعزاه في الدر (٢/٤٣) لأبي نعيم في الدلائل، من حديث ابن عباس ولكن قال: «وهم أربعة عشر رجلا..» الحديث، ورواه ابن مردويه من حديث رافع بن خديج. إلا أنه قال في الأشراف: «كانوا اثني عشر..» الحديث. (تفسير ابن كثير ١/٣٦٩)

يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ

وهى الصلبة الشاقة المسلك، وقيل: العزيز: الغالب الذى لايفوته شىء، ومنه: يقال: من عزَّ بزَّ أى[1] من غلب سلب، والمنتقم المعاقب على (الجناية)[2]، والنقمة: العقوبة.

قوله تعالى: ﴿إن الله لايخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء﴾ وهذا لاشك فيه.

﴿هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء﴾ هذا فى الرد على وفد نجران؛ حيث قالوا: عيسى ولد الله، فكأنه يقول :هو الذى صوره فى الرحم، (فكيف يكون ولد له)[3] ؟!

وقد روى عن ابن مسعود – رضى الله عنه – قال: إن النطفة إذا وقعت فى الرحم تكون أربعين يوماً نطفة، ثم أربعين يوماً علقة، ثم أربعين يوماً مضغة، ثم يبعث الله تعالى ملكاً يأخذ تراباً بين أصبعيه فيخلطه بالمضغة، ثم يصوره بإذن الله كيف (شاء)[4]، أحمر أو أسود أو أبيض، طويلاً أو قصيراً، حسناً أو قبيحاً، ثم يكتب رزقه وعمله وأثره وأجله وشقى أو سعيد، ثم إذا مات يدفن فى التربة التى أخذ منها التراب. ﴿لا إله إلا هو العزيز﴾ فى أمره ﴿الحكيم﴾ فى سلطانه.

قوله تعالى ﴿هو الذى أنزل عليكم الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات﴾ اختلفوا فى المحكمات والمتشابهات، قال ابن عباس: المحكمات هى[5] الآيات الثلاث التى فى آخر سورة الأنعام، وذلك قوله: ﴿قل تعالوا﴾[6] إلى

(١) تكررت فى الأصل من الناسخ.

(٢) في «ك»: الخيانة.

(٣) في «ك»: فكيف يكون له ولداً.

(٤) في «ك»: يشاء الله.

(٥) فى «ك»: من.

(٦) الأنعام: ١٥١.

آخر الآيات الثلاث، وأما المتشابهات: حروف التهجى فى أوائل السور. وقال عكرمة ومجاهد: المحكمات: الحلال والحرام(١)، وما سواه كله من المتشابهات؛ لأنه يشبه بعضها بعضاً فى الحق، والتصديق، يصدق بعضه بعضها.

وقال الضحاك: المحكمات: الناسخات، والمتشابهات: المنسوخات.

وقال جابر بن عبد الله الأنصارى: المحكمات ما أوقف الله تعالى الخلق على معناها، والمتشابهات ما لايعقل معناها، ولايعلمها إلا الله. وفيه قولان آخران: أحدهما: أن المحكمات ما لايشتبه معناها، والمتشابهات ما يشتبه ويلتبس معناها. والقول الثانى: أن المحكمات ما يستقل بنفسه فى المعنى، [والمتشابهات](٢) ما لايستقل بنفسه فى المعنى إلا بنوع استدلال، أو رُدَّ إلى غيره؛ وإنما سميت محكمات من الإحكام؛ (كأنه)(٣) أحكمها؛ فمنع الخلق من التصرف فيها؛ لظهورها (ووضوح)(٤) معناها.

﴿هن أم الكتاب﴾ أى: أصل الكتاب، فإن قال قائل: لِمَ لم يقل: هن أمهات الكتاب؟ قيل: قال الفراء: تقديره: هن الشىء الذى هو أصل الكتاب. وقال غيره: معناه: كل واحدة منهن أصل الكتاب، كما يقال: القوم أسد علىّ، أى: كل واحد منهم أسد علىّ، ومعناه: هن أصل الكتاب؛ لأن الخلق يفزعون إليه، كما تفزع الفروع إلى الأصول، فإن قال قائل: كيف فرق ها هنا بين المحكمات والمتشابهات، وسمى كل القرآن متشابها فى قوله تعالى ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها﴾(٥). وسمى الكل محكماً حيث قال: ﴿الر. كتاب أحكمت آياته﴾(٦)؟ قلنا: لما ذكر هنالك ﴿كتاباً متشابه﴾ على معنى: أنه يشبه بعضه بعضاً فى الحق والصدق، وإنما ذكر فى الموضع الآخر ﴿أحكمت آياته﴾(٧) على معنى أن الكل حق وجدٌّ، ليس فيه

(١) فى «ك»: الحلالات والحرامات.
(٢) من «ك».
(٣) فى «ك»: لأنه.
(٤) فى «ك»: وظهور.
(٥) الزمر: ٢٣.
(٦) هود: ١، ٢.
(٧) هود: ٢.

عبث ولا هزل، ثم ذكر تفصيلاً آخر بعده، فجعل البعض محكمًا والبعض متشابهًا.

﴿فأما الذين فى قلوبهم زيغ﴾ قال مجاهد: الزيغ: اللبس. وقيل: هو الشرك، وقيل: هو الشبهات التى تتعلق بالقلب ﴿فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله﴾ يعنى: أن الذين فى قلوبهم زيغ يغلون فى طلب التأويل للمتشابه؛ فيقعون على التأويل المظلم؛ فذلك ابتغاء الفتنة؛ لأن من غلا فى الدين، وطلب تأويل ما لايعلمه إلا الله، يقع فى الفتنة، ويكون مفتونًا، وخير الدين: النمط الأوسط الذى ليس فيه غلو ولا تقصير.

ثم اختلفوا فى الذين يتبعون ما تشابه من هم؟ قيل: هم اليهود الذين قالوا: مدة أمة محمد على حروف التهجى فى أوائل السور، فهم الذين اتبعوا ما تشابه من حروف التهجى، وقيل: هم النصارى من وفد نجران، حيث قالوا لرسول الله ﷺ: ما تقول فى عيسى؟ فقال: عبد الله ورسوله، قالوا: فهل تقول: إنه كلمة الله وروح منه؟ فقال: نعم، قالوا: حسبنا الله(١). واتبعوا ما تشابه من قوله: كلمة الله وروح منه. وقيل: هم الغالون فى طلب التأويل واتباع المتشابه، وروت عائشة «أن النبى ﷺ قرأ هذه الآية، ثم قال: إذا رأيتم الذين يجادلون فى الآيات فاحذروهم فهم هم» (٢).

قوله تعالى: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ استأثر الله تعالى بعلم التأويل، وقطع أفهام العباد عنه، والفرق بين التأويل والتفسير: أن التفسير: هو ذكر المعنى الواضح، كما تقول فى قوله: ﴿لاريب فيه﴾(٣) أى: لاشك فيه، وأما التأويل: هو ما يؤول المعنى إليه، ويستقر عليه. ثم الكلام فى الوقف، فاعلم: أن أبىّ بن كعب وعائشة

---

(١) رواه ابن جرير الطبري (٣/١١٨)، وابن أبي حاتم فى تفسير (آل عمران ١/٦٦ رقم ١٠٦) كلاهما عن الربيع مرسلا. وعزاه السيوطي في الدر لهما عن الربيع (٢/٧).

(٢) متفق عليه من حديث عائشة. رواه البخاري (٨/٥٧ رقم ٤٥٤٧)، ومسلم (١٦/٣٣١-٣٣٢ رقم ٢٦٦٥).

(٣) البقرة: ٢.

مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لا تُزِغْ

وابن عباس – فى رواية طاوس عنه – (رأو)[1] الوقف على قول ﴿إلا الله﴾، وهو قول الحسن، وأكثر التابعين، وبه قال الكسائى، والفرّاء، والأخفش، وأبو عبيد، وأبو حاتم، قالوا: إن الواو فى قوله: ﴿والراسخون﴾ واو الابتداء؛ والدليل على صحته قراءة ابن عباس «ويقول الراسخون فى العلم آمنا به» وروى ابن جريج، عن مجاهد، عن ابن عباس – فى رواية أخرى –: الواو للنسق، ولا وقف (على قوله) ﴿إلا الله﴾ (وأن الراسخون)[2] فى العلم يعلمون التأويل، قال ابن عباس: وأنا ممن يعلم تأويله، وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «اللهم فقهه فى الدين، وعلمه التأويل»[3]، قالوا: والصحيح رواية طاوس، عن ابن عباس، كما ذكرنا، وعليه إجماع القراء؛ ولأن على قضية قول مجاهد لايستقيم.

قوله: ﴿والراسخون فى العلم يقولون﴾ قال النحاة: وإنما يستقيم أن تقول: وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم قائلين ﴿آمنا به﴾(و)[1] لأنه قال: ﴿والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا﴾؛ ولو علموا التأويل لم يكن لقولهم هذا معنى، وقد روى عن ابن عباس أنه قال: «أنزل القرآن على أربعة أوجه: الحلال والحرام، وعربية تعرفها العرب، ومما يعلم العباد تأويله، وما لايَعلم تأويله إلا الله» وهذا يشهد لما قلنا؛ فدل أن الوقف على قوله: ﴿إلا الله﴾. والواو: واو الابتداء فى قوله: ﴿والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا﴾ قالوا: ومن رسوخهم فى العلم يقولون ذلك ﴿وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾.

قوله تعالى: ﴿ربنا لاتزغ قلوبنا﴾ أى: لا تمل قلوبنا ﴿بعد إذ هديتنا﴾ وهذا

(١) ليست فى «ك».

(٢) في «ك»: وإن الراسخين.

(٣) متفق عليه. رواه البخاري في الصحيح (١/ ٢٠٤رقم ٧٥، وأطرافه ١٤٣، ٣٧٥٦، ٧٢٧٠)، ومسلم (١٦/ ٥٥ رقم ٢٤٧٧).

قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ
جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن
تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُوْلَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ
آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ

دعاء للتثبيت والإدامة عليه، وقد روت أم سلمة عن النبى أنه كان يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك»[(١)] ﴿وهب لنا من لدنك رحمة﴾ نصرة ومعونة ﴿إنك أنت الوهاب﴾.

قوله تعالى: ﴿ربنا إنك جامع الناس ليوم لاريب فيه﴾ أى: لاشك فيه عند أهل الحق، وقيل: أراد لاريب فيه: يوم القيامة إذا قامت وظهرت.

﴿إن الله لايخلف الميعاد﴾ فلا تزغ قلوبنا، وارحمنا، ولكنه أوجزه ولم يذكر تمام الدعاء

قوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا﴾ هو قول الكافرين يوم القيامة: شغلتنا عن الحق أموالنا وأهلونا، يقول لا عذر لهم فيه، ولايغنيهم ذلك ﴿وأولئك هم وقود النار﴾.

قوله تعالى: ﴿كدأب آل فرعون﴾ الدَّأَب: الشأن، والدَّأْب: العادة، ومعنى الآية: أن هؤلاء الكفار فى تكذيب الرسول، وجحد الحق، والتظاهر على الكفر؛ كعادة آل فرعون، وآل فرعون: فرعون وقومه.

﴿والذين من قبلهم﴾ يعنى: عاداً وثمود ﴿كذبوا بآيتنا فأخذهم الله بذنوبهم﴾، عاقبهم بجرائمهم، ﴿والله شديد العقاب﴾ لأنه دائم، عقابه لاينقطع؛ وكل دائم شديد.

قوله تعالى: ﴿قل للذين كفروا﴾ قال ابن عباس: وسبب نزول الآية ما روى: «أنه لما فرغ رسول الله ﷺ من قتال المشركين يوم بدر جمع اليهود بقينقاع، وقال

(١) رواه الترمذي (٥/٥٠٣ رقم ٣٥٢٢) وقال: حسن. وأحمد (٦/٢٩٤، ٣٠٢، ٣١٥)، وابن أبى شيبة فى مصنفه (١٠/٢٠٩ - ٢١٠ رقم ٩٢٤٦) وابن خزيمة فى التوحيد (ص٨١)، والطبرى فى التفسير (٣/١٢٦)، وابن أبى حاتم فى تفسير آل عمران (١/٨٤ رقم ١٤٥)، وابن أبى عاصم فى السنة (١/١٠٠/ رقم ٢٢٣)، والآجرى فى الشريعة (ص٣١٦).

الْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ

لهم: أسلموا قبل أن ينزل بكم ما نزل بالمشركين من بأس الله، فقالوا: إنك لقيت قوماً أغماراً لايعرفون القتال، فلو قاتلتنا لوليت»(١) فنزل(٢) قوله تعالى: ﴿قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد﴾ يعنى: ستغلبون فى الدنيا، وتحشرون فى الآخرة إلى جهنم. ﴿وبئس المهاد﴾ وقال مقاتل وجماعة: هو خطاب لأولئك المشركين يوم بدر، يقول الله: قل للمشركين: ستغلبون، وتحشرون إلى جهنم، وقد غلبوا وحشروا إلى جهنم، ويقرأ: «سيغلبون ويحشرون»(٣) بالياء – وهو بمعنى الأول، قال الفراء: وهو مثل قول الرجل: قل لزيد: إنك قائم. هو بمعنى قوله: قل لزيد: إنَّه قائم؛ فهما(٤) فى المعنى سواء، ويحتمل أن يكون هذا خطاب لليهود، يعنى: قل للذين كفروا من اليهود: سيغلب المشركون، ويحشرون إلى جهنم، وبئس المهاد، أى: بئسما مهدوا لأنفسهم، أو بئسما مُهِّد لهم.

قوله تعالى: ﴿قد كان لكم آية﴾ أى: معجزة وعلامة، ﴿فى فئتين﴾ فى فرقتين ﴿التقتا﴾ اجتمعتا، من الالتقاء: وهو الاجتماع، ومنه: «يوم التلاق»؛ لأنه يجتمع فيه أهل السماء وأهل الأرض ﴿فئة تقاتل فى سبيل الله﴾ يعنى: المسلمين يوم بدر ﴿وأخرى كافرة﴾ يعنى: المشركين ﴿يرونهم مثليهم رأى العين﴾ يعنى: المسلمين رأوا المشركين مثلى عددهم، وكانوا ثلاثة أمثالهم؛ لأن عدد المسلمين يوم بدر كان ثلثمائة وثلاثة عشر نفراً أو أربعة عشر نفراً، وكان عدد المشركين تسعمائة وخمسين

(١) رواه أبو داود فى سننه (٣/ ١٥٤ – ١٥٥ رقم ٣٠٠١)، وابن جرير في تفسيره (٣/ ١٢٨)، والبيهقي في الدلائل (٣/ ١٢٨) من حديث ابن عباس. وعزاه السيوطي في الدر (٢/ ٧) لهما وزاد فعزاه لابن إسحاق. وقد رواه ابن جرير من طريقه.

(٢) فى «الأصل»: فنزلت.

(٣) وهى قراءة حمزة، والكسائى، وخلف، انظر النشر (٢/ ٢٣٨) وأما القرطبى فى تفسيره (٤/ ٢٣) فعزى هذه القراءة لنافع.

(٤) فى «ك»: فهو.

نفرًا، وعن عليّ وابن مسعود: أن عدد المشركين كانوا ألفًا، فرآهم المسلمون نيفًا وستمائة. قال ابن مسعود: رأيناهم ضعفى عددنا، ثم رأيناهم مثل عددنا؛ رجل [برجل](١) وهذا معنى قوله تعالى فى سورة الأنفال ﴿وإذ يريكهم إذ التقيتم فى أعينكم قليلاً ويقللكم فى أعينهم ليقضى الله أمرًا كان مفعولاً﴾(٢) فرآهم المسلمون أقل من عددهم، وكذلك المشركون رأوا المسلمين أقل من عددهم، وكانت الحكمة فيه إذا رأوهم أقل مما كانوا لا يحجمون، ولايفترون عن القتال؛ لأن الله تعالى قد أخبرهم أن الواحد منهم يقاوم اثنين من المشركين، وكذلك المشركون إذا رأوا المسلمين أقل مما كانوا لا يمتنعون عن القتال؛ ﴿ليقضى الله أمراً كان مفعولاً﴾، وذلك من قتل رؤسائهم وقادتهم، بإذن الله تعالى.

قال الفراء: إنما رأوهم على عددهم كما كانوا، وإنما قال: ﴿يرونهم مثليهم﴾ يعنى: مثليهم سوى عددهم، وهذا مثل قول الرجل - وعنده درهم -: أنا أحتاج إلى مثلى هذا الدرهم، يعنى إلى مثليه سواه. والأول أصح.

وقرئ: «ترونهم» بالتاء(٣) فيكون خطابًا لليهود، وكان جماعة منهم حضروا قتال بدر؛ لينظروا على من الدبرة، فرأوا المشركين مثلى عدد المسلمين، ورأوا النصرة مع ذلك للمسلمين، وكان ذلك معجزة، وآية للرسول فى أعينهم. وعلى القراءة الأولى يكون الخطاب مع المسلمين فى قوله: ﴿قد كان لكم آية فى فئتين﴾.

﴿والله يؤيد بنصره من يشاء﴾؛ لأنه نصر المؤمنين يومئذ.

﴿إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار﴾ أى: علامة لأولى البصائر فى الدين، ولذوى العقول أجمعين.

---

(١) فى «الأصل، وك»: فرجل. أوله فاء، وهو تصحيف.

(٢) الأنفال: ٤٤.

(٣) وهى قراءة نافع، ويعقوب، وأبى جعفر. انظر النشر (٢ / ٢٣٨).

الأَبْصَارِ ﴿١٣﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ

قوله تعالى: ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين﴾ قال الحسن: المُزَيِّنُ: هو الشيطان؛ لأن الله تعالى ذم الدنيا بأبلغ ذم، فلا يزينه في الأعين. وقال عامة المفسرين: المُزَيِّن: هو الله تعالى، وتزيينه: أنه حبب في قلوبهم شهوة النساء والبنين ﴿والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة﴾، فالقناطير: جمع القنطار، وهو مال كثير، ثم اختلفوا؛ قال معاذ وأُبَيّ بن كعب: القنطار: ألف ومائتا أوقية، وقال ابن عباس والضحاك: هو ألف دينار أو اثنا عشر ألف درهم. وقال سعيد بن المسيب: هو ثمانون ألف درهم. وقال مجاهد: هو سبعون ألف دينار. وقال قتادة: هو مائة رطل من ذهب أو فضة. وقال أبو نضرة: هو ملء مَسْك ثور من ذهب أو فضة. وسمى قنطاراً؛ من الإحكام والتوثيق، وأما المقنطرة: فهي المجموعة المملكة. قال الفراء: القناطير ثلاثة، والمقنطرة تسعة.

قوله: ﴿والخيل المسومة﴾ قال مجاهد: هي الحسان المُطَهَّمَة، وقال سعيد ابن جبير: المسومة: الراعية. يقال: أسام الخيل من الرعي. وفيه قول ثالث، المسومة: المعلمة من السيما، وهي العلامة. منهم من قال: سيماها: الشبه. ومنهم من قال: سيماها(١) الكي ﴿والأنعام﴾: هي الإبل والبقر والغنم ﴿والحرث﴾: هي الأراضي المهيأة للزراعة ﴿ذلك متاع الحياة الدنيا﴾ فيه إشارة إلى أنه متاع يفنى.

﴿والله عنده حسن المآب﴾ فيه تزهيد في الدنيا وترغيب في الآخرة، ثم أكده

بقوله تعالى: ﴿قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله...﴾ وقرئ «رُضوان» بضم الراء(٢)، وهما في المعنى سواء يقال: رضي يرضى رضاءً ورضوانًا. ورضوانا،

---

(١) من «ك».

(٢) هي قراءة أبي بكر. انظر النشر (٢/٢٣٨).

تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ اللَّهُ

وفى الخبر عن النبى ﷺ: «أن أهل الجنة؛ إذا دخلوا الجنة يقول الله تعالى: إن لكم عندى موعداً، وأنا منجزكموه، فيقولون: قد أعطيتنا كل ما نتمنى، فما هو يارب؟ فيقول: أنزل عليكم رضوانى ولا أسخط عليكم أبدا»(١).

قوله تعالى: ﴿والله بصير بالعباد الذين يقولون﴾ فقوله: ﴿الذين يقولون﴾ يحتمل أن يكون فى موضع الخفض، وتقديره: بالعباد الذين يقولون، ويحتمل أن يكون فى موضع الرفع، وتقديره: يقولون على الابتداء، ويحتمل أن يكون فى موضع النصب، وتقديره: أعنى: الذين يقولون: ﴿ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار﴾.

﴿الصابرين﴾ يحتمل أن يكون فى موضع الخفض، ويحتمل فى موضع النصب، يعنى: الصابرين على الشدائد والمصائب، وعلى الطاعات، وعن المعاصى ﴿والصادقين﴾ الذين استقامت أحوالهم وأفعالهم ﴿والقانتين﴾: المقيمين على الطاعة، المداومين عليها ﴿والمنفقين﴾ يعنى: المتصدقين، قيل: فى الجهاد، وقيل: فى كل أبواب البر ﴿والمستغفرين بالأسحار﴾ قال ابن عباس: هم المصلون بالليل. وقال أنس: هم السائلون بالمغفرة. وقال زيد بن أسلم: المصلون صلاة الصبح فى الجماعة، وإنما قيده ﴿بالأسحار﴾ لقرب صلاة الصبح من السحر.

قوله تعالى: ﴿شهد الله﴾ أى: بين وأعلم؛ وكل شاهد مبيِّن ومعلم ﴿أنه لا إله إلا هو﴾ لنفسه بالوحدانية؛ وذلك أن وفد نجران قد أنكروا وحدانيته، وهذه الآية من الآيات التى نزلت فى شأنهم، والحجاج عليهم ﴿والملائكة﴾ أى: وشهدت الملائكة، ﴿وأولوا العلم﴾ قيل: هم علماء بنى إسرائيل، وذلك مثل: عبد الله بن سلام، ومن

(١) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري. رواه البخاري (١١/ ٤٢٣ رقم ٦٥٤٩، وطرفه في رقم ٧٥١٨)، ومسلم (١٧/ ٢٤٦ رقم ٢٨٢٩).

أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ

آمن معه، وقيل: هم المهاجرون والأنصار، وقيل: هم جميع علماء الأمة.

﴿ قائما ﴾ نصب على الحال، فهو الله تعالى قائم بتدبير الخلق ﴿ بالقسط ﴾: بالعدل، يقال: قَسَطَ يَقْسِط إذا جار. وأَقْسَطَ يُقْسِطُ؛ إذا عدل، فالقاسط: الجائر، ومنه قوله تعالى ﴿ وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبًا ﴾[1] والمقسط: العادل، ومنه قوله تعالى: ﴿ إن الله يحب المقسطين ﴾[2].

﴿ لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ ويقرأ: «أن الدين» بفتح الألف، فمن قرأ بكسر الألف؛ فهو على الابتداء وقرأ الكسائى بالنصب،[3] وتقديره: شهد الله أن الدين عند الله الإسلام؛ فإنه لا إله إلا هو والإسلام: هو الانقياد والاستسلام، وقد يكون مجرد الاستسلام من غير العقيدة فرقا بينه وبين الإيمان على ما سيأتى.

والإسلام المعروف فى الشرع: هو الإتيان بالشهادتين مع سائر الأركان الخمس، وفى الأخبار: «أنه يؤتى بالأعمال يوم القيامة، فيؤتى بالصلاة على صورة، فتقول: يارب، إنى الصلاة، فيقول الله تعالى: إنك بخير، ويؤتى بالزكاة على صورة، فتقول: يارب، إنى الزكاة، فيقول الله: إنك بخير، وهكذا الصوم والحج، ثم يؤتى بالإسلام على أحسن الصور، فيقول: يارب، إنى الإسلام، فيقول الله تعالى: إنك إلى خير، بك آخذ اليوم وبك أعطى».

وحكى عن غالب القطان أنه قال: أتيت الكوفة للتجارة فنزلت قريبًا من الأعمش، فكنت أختلف إليه وأسمع منه الحديث، فقصدت منه ليلة أن أنحدر منه إلى البصرة، فوجدته يتهجد فى المسجد، فمر بهذه الآية ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة

(١) الجن: ١٥.

(٢) المائدة: ٤٢.

(٣) قرأ الكسائى بفتح الهمزة، وقرأ الباقون بكسرها. انظر النشر (٢ / ٢٣٨).

﴿١٨﴾ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ

وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ ثم قال: وأشهد بما شهد الله به، وأستودع الله هذه الشهادة؛ لتكون وديعة لى عنده، ثم قال: ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ كرره مرارا، فقلت فى نفسى: لقد سمع فيه شيئًا، فمكثت، وصليت معه الصبح، ثم قلت له: مَرَرْتَ بهذه الآية، وكنت تكررها! فقال: أما بلغك ما ورد فيها؟!

قلت: أنا عندك منذ سنتين ولم تحدثنى، وقد قصدت الانحدار إلى البصرة، فقال: والله لا أحدثك سنة، فمكثت بالكوفة وكتبت على بابه ذلك اليوم، فلما تمت السنة أتيته، فقلت: يا أبا محمد، قد تمت السنة. فقال: حدثنى أبو وائل، عن عبد الله بن مسعود، عن النبى - ﷺ - أنه قال: «يجاء بصاحبها يوم القيامة، فيقول الله تعالى: إن لعبدى هذا عندى عهداً (وأنا)[(١)] أحق من وفى بالعهد، ادخلوا عبدى الجنة»[(٢)].

قوله تعالى: ﴿ وما اختلف الذين أوتوا الكتاب ﴾ يعنى: اليهود والنصارى ﴿ إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ﴾ أى: حسداً بينهم. ﴿ ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ فإن حاجوك ﴾ أى:[(٣)] فإن جادلوك ﴿ فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن ﴾ أى: قصدت بعبادتى الله تعالى ﴿ وقل للذين أوتوا الكتاب ﴾ يعنى: اليهود والنصارى ﴿ والأميين ﴾ يعنى: المشركين.

---

(١) فى «ك»: وإنى.

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير (١٠/١٩٩)، وأبو نعيم فى الحلية (٦/١٨٧ - ١٨٨)، والعقيلى فى الضعفاء (٣/٣٢٥) وابن عدى فى الكامل (٥/٣٥ - ٣٦)، والخطيب فى تاريخه (٧/١٩٣ - ١٩٤) وابن الجوزى فى العلل. (١/١١٠ - ١١١) وقال الذهبى فى الميزان (٣/٣٣١) الآفة من عمر؛ فإنه متهم بالوضع. وقال الهيثمى فى المجمع (٦/٣٢٩): وفيه عمر بن المختار وهو ضعيف.

(٣) ليست فى «ك».

ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ

﴿ أأسلمتم ﴾ يعنى: أسلموا، وقيل: ذكره على التهديد؛ كما يقال: أقبلت هذا منى؟ على وجه التهديد ﴿ فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد ﴾ أى: عليك تبليغ الرسالة وليست عليك الهداية ﴿ والله بصير بالعباد ﴾ بالضال منهم والمهتدى.

وتلخيص معنى الآية: أن الله تعالى يقول: فإن جادلوك بالباطل، فقل: أسلمت وجهى لله، أى: أخلصت عملى لله، أو قصدت بعبادتى إلى الله الذى تقرون له(١) بالخلق والتربية؛ فإنهم كانوا مقرين بأن الله خالقهم ومربيهم، فأنا أقصد إليه بعبادتى ولا أتبع هواى كما تتبعون أهواءكم.

ثم قال: ﴿ وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم ﴾ أى: أسلموا. كما قال: ﴿ فهل أنتم منتهون ﴾(٢) أى: انتهوا، وإنما سمى المشركين أميين؛ لأنهم لم يكونوا قراء، وقيل: نسبهم إلى أم القرى وهى مكة لسكونهم فيها.

قوله تعالى: ﴿ إن الذين يكفرون بآيات الله ﴾ أراد به اليهود من بنى إسرائيل. ﴿ ويقتلون النبيين بغير حق ﴾ إنما قال: بغير حق تأكيداً؛ لأن قتل النبيين لا ينقسم إلى الحق والباطل.

وروى أبو عبيدة بن الجراح، عن النبى ﷺ أنه قال: «أشد الناس عذابًا يوم القيامة من قتل نبيًا أو قتله نبى». ثم روى فى هذا الخبر أنه قال: «قتلت بنو إسرائيل اثنين وأربعين نبيًا فى ساعة واحدة، فقام إليهم مائة واثنا عشر رجلاً من زهادهم وعبادهم، وأمروا بالمعروف، فقتلوهم»(٣) فهذا قوله تعالى: ﴿ ويقتلون الذين

(١) ليست فى الأصل، ولا «ك».

(٢) المائدة: ٩١.

(٣) رواه البزار فى مسنده (٤/ ١٠٩ – ١١٠ رقم ١٢٨٥)، وابن جرير فى تفسيره (٣/ ١٤٤–١٤٥)، وابن أبى حاتم فى تفسير «آل عمران» (١/ ١٦١ – ١٦٢ رقم ٢٧٦)، والبغوى فى تفسيره (١/ ٢٨٨) من حديث أبى عبيدة وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ٢٧٥): وفيه ممن لم أعرفه اثنان.

يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ
أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا
نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم

يأمرون بالقسط من الناس﴾ أى: بالعدل ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ وإنما خاطب أبناءهم به، مع أن (الجناية)[1] وجدت من آبائهم؛ (لأنهم)[2] رضوا بفعلهم، ودانوا بدينهم، فاستوجبوا هذا (العذاب)[3].

قوله تعالى: ﴿أولئك الذين حبطت أعمالهم﴾ أى: بطلت، والحبوط والبطلان، فى الدنيا والآخرة، وبطلان العمل فى الدنيا: ألا يقبل، وفى الآخرة: أنه لا يجازى عليه بالثواب، ﴿وما لهم من ناصرين﴾ من يمنع عنهم العذاب.

قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب﴾ قيل: ورد هذا فى يهود بنى قريظة والنضير؛ «فإن النبى ﷺ أتى بيت مدارسهم، فقال له نعيم بن عمرو بن الحارث بن زيد: على أى ملة أنت؟ فقال ﷺ: على ملة إبراهيم. فقال نعيم: إن إبراهيم كان يهوديًا. فقال ﷺ: بينى وبينكم التوراة، أخرجوا التوراة. فأبوا أن يخرجوها»[4]، فهذا هو قوله ﴿يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم﴾ يعنى: التوراة.

وفيه قول آخر: أن الآية فى نصارى وفد نجران، وقوله ﴿يدعون إلى كتاب الله﴾ يعنى: القرآن ليحكم بينهم.

﴿ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون﴾ وذلك أن بعضهم قد أسلموا.

قوله - تعالى -: ﴿ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات﴾ يرجع هذا

---

(١) فى «ك»: الخيانة.

(٢) ليست فى «الأصل»، ولا «ك».

(٣) فى «ك» العتاب.

(٤) رواه ابن جرير فى تفسيره (٣/١٤٥) من حديث ابن عباس مرفوعًا.

مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ

إلى اليهود، وقد ذكرناه من قبل.

﴿وغرهم فى دينهم﴾ الغرور: هو الإطماع فيما لايحصل منه شيء، والغَرُور: الشيطان، وغر الثوب: طيه، فيقال: أعد الثوب إلى غره، أى: إلى طيه، والغرور: ركوب الخطر. ﴿ما كانوا يفترون﴾ الافتراء: اختلاق الكذب؛ ومنه: الفرية: تسوية الكذب، قال الشاعر:

وَلاَ أَنْتَ تَفْرِى ما خَلَقْتَ ... وبَعْضَ القَومِ يَخلقُ ثُمَّ لا يَفْرِى

أى: لا يكذب ولا يسوى.

قوله تعالى: ﴿فكيف إذا جمعناهم﴾ أى: فكيف حالهم ﴿إذا جمعناهم ليوم لاريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت﴾ من الجزاء ﴿وهم لا يظلمون﴾.

قوله تعالى: ﴿قل اللهم مالك الملك﴾ فى سبب نزول الآية قولان: أحدهما: أنه لما فتح مكة وعد أصحابه ملك فارس: فسمعه اليهود، وقالوا: هيهات فارس والروم أعز وأمنع جانبا مما تظنون؛ فنزلت هذه الآية.

وقال الحسن: إنه ﷺ سأل ربه لأصحابه ملك فارس و الروم.

فأما قوله: ﴿قل اللهم﴾ فأصله: يا الله؛ فلما حذف حرف النداء زيدت الميم فى آخره، قال الفراء: للميم فيه معنى، ومعناه: يا الله، أعنا بالمغفرة أى: اقصدنا.

﴿مالك الملك﴾ تقديره يا مالك الملك، ومعناه: مالك العباد؛ وما ملكوه، وقيل: أراد بالملك: النبوة، وقيل: مُلْك السموات والأرض. ﴿تؤتى الملك من تشاء﴾ أى: من تشاء أن تؤتيه من المسلمين. ﴿وتنزع الملك ممن تشاء﴾ أى: ممن تشاء أن تنزعه، وهم فارس والروم. ﴿وتعز من تشاء وتذل من تشاء﴾ فيه ثلاثة أقوال:

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ

أحدهما: تعز من تشاء بالنصر، وتذل من تشاء بالقهر.

والثاني: تعز من تشاء بالغنى، وتذل من تشاء بالفقر.

والثالث: تعز من تشاء بالهداية، وتذل من تشاء بالضلالة.

﴿بيدك الخير﴾ أى: بيدك الخير والشر، كما قال: ﴿سرابيل تقيكم الحر﴾[(١)] أى: تقيكم الحر والبرد، فاكتفى بأحد المذكورين عن الآخر.

﴿إنك على كل شيء قدير﴾، وقد ورد فى فضل هذه الآية من الأخبار: ماروى عن جعفر بن محمد الصادق، عن أبيه، عن على، عن النبى ﷺ أنه قال: «فاتحة الكتاب، وآية الكرسى، وآيتان من آل عمران – شهد الله، وهذه الآية – متشفعات لمن قرأها يوم القيامة، ليس بينها وبين الله حجاب».[(٢)] وروى فى هذا الخبر: أنه قال: «لما أنزل الله تعالى هذه الآيات تعلقن بالعرش، وقلن: يارب، تهبطنا إلى أرضك وعبادك، فقال الله تعالى: «وعزتى وجلالى ما قرأكن عبد من عبادى إلا أسكنته جنتى؛ على ما كان عليه، و قضيت له كل يوم سبعين حاجة، أدناها المغفرة»[(٣)].

قوله تعالى: ﴿تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل﴾ الإيلاج: الإدخال، ومعناه: تنقص من أحدهما وتزيد فى الآخر، وقيل: معناه: تغطى الليل بالنهار، والنهار بالليل.

﴿وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى﴾ قال الحسن: معناه: تخرج

---

(١) النحل: ٨١.

(٢) رواه ابن السنى فى عمل اليوم والليلة (رقم ١٢٤)، وابن حبان فى المجروحين (١/٢٢٣)، وابن الجوزى فى الموضوعات (١/٢٤٥)، وقال ابن حبان فى ترجمة الحارث بن عمير: كان يروى عن الأثبات الموضوعات، ثم ساق له هذا الحديث، وقال الذهبى فى الميزان (١/٤٢٠): قال ابن حبان: موضوع لا أصل له. وقال ابن الجوزى: موضوع تفرد به الحارث بن عمير. وقال السيوطى فى اللآلئ (١/٢٢٨): موضوع. وانظر ما نقله السيوطى من كلام الأئمة على هذا الحديث وشواهده فى اللآلئ (١/٢٢٨ – ٢٣٣).

(٣) هو جزء من الحديث السابق.

الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ

الكافر من المؤمن، والمؤمن من الكافر، والقول الثانى: تخرج النطفة من الحى، والحى من النطفة، وفيه قول غريب: تخرج الفطن الكيس من البليد الفاجر، والبليد من الفطن؛ لأن البليد ميت فهمًا؛ والفطن حى فهمًا. ويقرأ ﴿من الميت﴾: مخففًا ومشددًا،(١) وفرّق نحاة الكوفة بين الميّت والميْت، فقالوا: الميِّت - بالتشديد -: هو الحى الذى يموت، والميْت مخففًا: هو الذى مات؛ واستدلوا بقوله تعالى ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾(٢) وأنكر ذلك نحاة البصرة وقالوا: هما بمعنى واحد.

وأنشد المبرد لبعض الشعراء:

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فاستراحَ بميتٍ ... إنَّما الميْت مَيِّتُ الأحياءِ

إنَّما الميتُ مَنْ يعيشُ كَئِيبًا(٣) ... كاسفًا بالُه قليلَ الرجاءِ

فجمع بين الميت والميت على معنى واحد.

﴿وترزق من تشاء بغير حساب﴾: من غير تضييق ولا تقتير.

قوله تعالى: ﴿لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾ هذا فى قوم مخصوصين، أسلموا على موالاة اليهود والمشركين، فنهاهم الله عن ذلك، وهو معنى قوله: ﴿لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله﴾(٤).

﴿ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء﴾ أى: ليس من حزب الله ﴿إلا أن

(١) قرأ أبو جعفر، ونافع، وحمزة، والكسائى، وخلف وحفص، بالتشديد، وقرأ الباقون بالتخفيف، وانظر النشر (٢/ ٢٢٤).

(٢) الزمر: ٣٠.

(٣) كذا فى «الأصل»، و«ك». وفى لسان العرب (٢/ ٩١ مادة: موت): شقيًا. وعزا البيت لعدىّ بن الرعلاء.

(٤) المجادلة: ٢٢.

إلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تُخْفُوا

تتقوا منهم تقاة ﴾ وقرئ: تَقِيَّة(١)، ومعناهما واحد، يعني: إلا أن يقع في أيديهم، فيخافهم، فيوافقهم باللسان وقلبه مطمئن بالإيمان، فلا بأس به، ولكن لو صبر حتى قتل، فله من الأجر العظيم، ما الله به عليم.

وقد روى: «أن مسيلمة الكذاب – لعنه الله – أخذ رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ وقال لأحدهما: أتشهد أن محمدا رسول الله؟ قال: نعم، فقال: أتشهد أني رسول الله؟ قال: نعم، تقية منه، فخلى سبيله. ثم قال للآخر: أتشهد أن محمدا رسول الله فقال: نعم نعم نعم، قال: أتشهد أني رسول الله، فقال: أنا أصم، فقتله؛ فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فذكر درجة الذي صبر على القتل، وقال: إن الأول أخذ برخصة الله».

وقد صح عن رسول الله: أنه قال: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»(٢). وقال ﷺ: «إن أفضل الشهداء بعد شهداء أحد: من قام إلى سلطان جائر وأمره بالمعروف، فقتله عليه(٣)»(٤).

قوله – تعالى –: ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ أي: يخوفكم إياه ﴿ وإلى الله

(١) هي قراءة يعقوب. انظر النشر (٢/٢٣٩).

(٢) رواه أبو داود (٤/١٢٤ رقم ٤٣٤٤) والترمذي (٤/٤٠٩ رقم ٢١٧٤)، وأحمد في مسنده (٣/١٩، ٦١) جميعهم عن أبي سعيد الخدري مرفوعا. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وقال: وفي الباب عن أبي أمامة.
قلت: حديث أبي أمامة رواه الإمام أحمد (٥/٢٥١، ٢٥٦)، وابن ماجه (٢/١٣٣٠ رقم ٤٠١٢).
ورواه النسائي (٧/١٦١ رقم ٤٢٠٩)، وأحمد (٤/٣١٥) من حديث طارق بن شهاب مرسلا. وانظر السلسلة الصحيحة للألباني رقم (٤٩١).

(٣) كذا في «الأصل» و«ك» وسيكرره المصنف بعد ذلك، وفيه: غيلة.

(٤) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وروى الطبراني في الأوسط – كما في مجمع البحرين (٦/٣١٤ رقم ٣٧٦٢، و (٧/٢٣٥ رقم ٤٣٧٥) عن ابن عباس مرفوعا: سيد الشهداء يوم القيامة حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر، فأمره ونهاه، فقتله». وقال الهيثمي في المجمع (٩/٢٧١): فيه ضعف.
قلت: ورواه الحاكم في مستدركه (٣/١٩٥) عن جابر مرفوعا وقال: صحيح الإسناد، وتعقبه الذهبي بأن في إسناده الصفار، ولا يدرى من هو. والخطيب في تاريخه (٦/٣٧٧). وانظر السلسلة الصحيحة رقم (٣٧٤).

امَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

لمصير﴾ أى: المرجع.

قوله تعالى: ﴿قل إن تخفوا ما صدوركم أو تبدوه يعلمه الله﴾ أى: يجازى عليه ﴿ويعلم ما فى السموات وما فى الأرض والله على كل شيء قدير﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا﴾ أى: محضر لها ما عملت من الخير والشر، فتسر بما عملت من الخير.

﴿وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا﴾ أى: غاية مديدة، قال السدى: ما بين المشرق والمغرب. وفى الأخبار: أن الأعمال يؤتى بها يوم القيامة على صور فما كان منها حسنا، فعلى الصورة الحسنة، وما كان قبيحا، فعلى الصورة القبيحة.

﴿ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد﴾ ومن رأفته أن حذرهم، ورغبهم ورهبهم، ووعدهم وأوعدهم.

قوله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله﴾ فى سبب نزول هذه الآية قولان: أحدهما: أنه خطاب لليهود والنصارى من وفد نجران، وذلك أنهم قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، فنزل قوله: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم﴾ والثانى: أنه خطاب لمشركى قريش؛ فإنه ﷺ رآهم يعبدون الأصنام؛ فقال لهم: «خالفتم ملة أبيكم إبراهيم، فقالوا: إنما نعبدهم تقربًا إلى الله؛ فإنا نحبه؛ فنزل قوله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم

وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾

والله غفور رحيم ﴾»[١].

واعلم أن محبة الله العبد، ومحبة العبد الله لايكون بلذة وشهوة، ولكن محبة العبد فى حق الله: هو إتيان طاعته، وابتغاء مرضاته، واتباع أمره، ومحبة الله فى حق العبد: هو العفو عنه، والمغفرة، والثناء الحسن، وأكده قوله تعالى: ﴿ قل أطيعوا الله والرسول ﴾؛ بين أن محبته فى طاعته وطاعة رسوله.

﴿ فإن تولوا فإن الله لايحب الكافرين ﴾، فإن قال قائل: لِمَ كرر اسم الله مرارا، وكان يكفيه: أن يقول فإنه لايحب الكافرين؟ قيل: هو على عادة العرب؛ فإن من عادتهم أنهم إذا عظمّوا شيئا كرروا ذكره، وأنشد سيبويه فى مثل ذلك:

لا أرى المـوت سبق الموت شيء نغص الموت زلته الغنى والفقير[٢]

وقوله تعالى: ﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحا ﴾ الاصطفاء: الاختيار. والصفوة: الخيرة: ولِمَ[٣] اختار آدم؟ اختلفوا؛ فمنهم من قال: اختاره للدين، ومنهم من قال: اختاره للنبوة. فإن قال قائل: إلى من كان مبعوثًا؟ قيل: إلى الملائكة؛ حتى علمهم الأسماء، وإلى أولاده. قال: وآل إبراهيم: هم إسماعيل وإسحاق ويعقوب.

وآل عمران: موسى وهارون، وآل عمران من آل إبراهيم، وقيل: أراد به عيسى؛لأنه ابن مريم بنت عمران ﴿ على العالمين ﴾ على عالمىْ أهل زمانهم.

قوله تعالى: ﴿ ذرية بعضها من بعض ﴾ قيل: هو مشتق من ذرأ بمعنى: خلق، وقيل: هو من الذرِّ، لأنه خلقهم؛ واستخرجهم من صلب آدم كالذر، والأبناء يسمون ذرية، وكذلك الآباء، قال الله تعالى ﴿ وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى

(١) أورده الواحدى فى أسباب النزول ص ٧٣ عن ابن عباس بطوله.

(٢) كذا وقع البيت فى «الأصل، و «ك». وفى تفسير القرطبى (٤/ ٥٨).

لا أرى الموتَ يسبقُ الموتَ شيء نغص الموتُ ذا الغِنَى والفقـــيرا

(٣) فى «الأصل» ، و«ك»: وم. بميمين. والصواب ما أثبتناه.

﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ

الفلك المشحون ﴾ [١] يعني: آباءهم، والأبناء: ذرية، لأنه ذرأهم، والآباء ذرية؛ لأنه ذرأ الأبناء منهم، ﴿ بعضها [٢] من بعض ﴾ فى التفاضل، وقيل: في التناسل.

﴿ والله سميع ﴾ بما قالوا ﴿ عليم ﴾ بما اضمروا.

قوله تعالى: ﴿ إذ قالت امرأت عمران ﴾ وهى: حنة زوجة عمران، وكانت أختها تحت زكريا ﴿ رب إنى نذرت لك ما فى بطنى محرراً ﴾ قال الشعبى: معناه مخلَصاً لعبادة الله تعالى. وقال مجاهد معناه: مسمى لخدمة البيت، مفرغا لها عن سائر الأشغال.

﴿ فتقبل منى إنك أنت السميع العليم ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ فلما وضعتها قالت رب إنى وضعتها أنثى ﴾ وذلك أن زوجها عمران كان قد (عاتبها) [٣]. على ما نذرت، وقال لها: لاتدرين أنه يخلق ولدك ذكرا أو أنثى، وقد نذرت مطلقا.

﴿ والله أعلم بما وضعت ﴾ هذا إخبار من الله تعالى عن علمه ويقرأ «والله أعلم بما وضعتُ» [٤] على الخبر؛ وذلك من قول المرأة ﴿ وليس الذكر كالأنثى ﴾ فإن الذكر أقوم وأقوى لخدمة البيعة من الأنثى، وقيل: لأنه أبعد عن الموانع من العبادة بخلاف الأنثى، يمنعها الحيض والنفاس.

﴿ وإنى سميتها مريم ﴾، فإن قال قائل: ما معنى قولها: وإنى سميتها مريم؟ قيل: حتى تعرف هل وقع ذلك الاسم برضا الله تعالى حتى يغير أو يقرر.

(١) يس: ٤١.

(٢) فى «الأصل»، و«ك»: بعضاً.

(٣) فى «الأصل» و«ك»: عاقبها عاتبها. ولعله من الناسخ.

(٤) هى قراءة ابن عامر، ويعقوب وأبى بكر، بإسكان العين وضم التاء، وقرأ الباقون بفتح العين وإسكان التاء. انظر النشر (٢/ ٢٣٩).

وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ

﴿ وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ﴾ فالشيطان: المطرود، والرجيم: المرجوم بالشهب، وروى أبو هريرة عن النبى ﷺ أنه قال: «ما من ولد يولد إلا ويطعن الشيطان فى خاصرته؛ فيستهل صارخا إلا مريم وابنها، فإنه ضربهما فوقع الضرب فى الحجاب، وقرأ قوله تعالى ﴿ وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ﴾»(١).

قوله تعالى: ﴿ فتقبلها ربها بقبول حسن ﴾ أى: رضى بها وقبلها ﴿ وأنبتها نباتا حسنا ﴾، أى وأنبتها فنبتت نباتا حسنا.

قال أبو العباس بن عطاء الصوفى(٢): لما أنبتها الله نباتا حسنا، فانظروا إلى ثمرته كيف أثمر النبات؟ يعنى: عيسى صلوات الله عليه.

﴿ وكفلها ﴾ - مشدد - ﴿ زكريا ﴾ بنصب الألف، وتقرأ مخففا «وكَفَلَها زكرياءُ» بضم الألف(٣)، ومعنى الكفالة: الضم، يعنى: وضمها زكرياء إلى نفسه، ومن قرأ بالتشديد، معناه: ضمها الله إلى زكريا، وقال النبى ﷺ: «أنا وكافل اليتيم كهاتين»(٤).

ومن الأسباب التى خُصَّ بها زكريا بكفالة مريم؛ أن خالتها كانت تحته، وهى أخت حنة امرأة عمران، ولكفالة زكريا مريم قصة معروفة ستأتى فى سورة مريم إن شاء الله تعالى.

﴿ كلما دخل عليها زكريا المحراب ﴾ يقرأ «زكريا» بالمد والقصر(٥)، والمحراب:

---

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (٦/ ٣٨٨ - ٣٨٩ رقم ٣٢٨٦، وطرفاه فى ٣٤٣١، ٤٥٤٨) ومسلم (١٥/ ١٧٤ رقم ٢٣٦٦).

(٢) فى «الأصل»، «ك»: الصونق. آخره قاف. وهو تحريف.

(٣) اختلف القراء فى (وكفلها) فقراء الكوفيون - حمزة، والكسائى، وأبو بكر - بتشديد الفاء، وقرأ الباقون بتخفيفها.

(٤) رواه البخارى (٩/ ٣٤٩ رقم ٥٣٠٤) وطرفه فى [٦٠٠٥]، وأبو داود (٤/ ٣٣٨ رقم ٥١٥٠)، والترمذى (٤/ ٢٨٣ رقم ١٩١٨)، وأحمد فى مسنده (٥/ ٣٣٣)، وابن حبان - الإحسان - (٢/ ٢٠٧ رقم ٤٦٠) كلهم من حديث سهل بن سعد، وفى الباب عن أبى هريرة، وأبى أمامة، ومرة الفهرى.

(٥) واختلفوا فى (زكريا) أيضاً، فقرأ حمزة، والكسائى، وخلف، وحفص بالقصر من غير همز، وقرأ الباقون بالمد، والهمز؛ إلا أن أبا بكر نصبه هاهنا بعد (كفلها) على مفعول ثانٍ لـ(كفلها) ورفعه الباقون ممن خفف. انظر النشر (٢/ ٢٣٩).

يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾
هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾

غرفة يرتقى إليها بالسلم، وكان زكريا قد اتخذ لمريم مثل تلك الغرفة، وكان يرقى إليها بالسلم، قال الشاعر فى معناه:

رَبَّةُ مِحْـــرابٍ إذا جِئْتُهـا ... لَمْ ألقها أو أرتَقِى سُلَّما(١)

أى: ربة غرفة، وقيل: المحراب: أشرف المجالس، وقيل: هو المحراب المعروف.

﴿وجد عندها رزقا﴾ والرزق: ما يؤكل، قال قتادة: فاكهة الشتاء فى الصيف، وفاكهة الصيف فى الشتاء، كان قد رآها عندها، قال الحسن: حين ولدت مريم لم تلقم ثديا، وكان يأتيها الله تعالى برزقها.

﴿قال يامريم أنى لك هذا﴾ قال أبو عبيدة: معناه: من أين لك هذا؟!وأنكرت النحاة هذا، وقالوا: هذا تساهل من أبى عبيدة، وبينهما فرق، فـ«أَنَّى» للسؤال عن الجهة، و«أين» للسؤال عن المكان، وأنشد المبرد لبعضهم.

أنيَّ وَمِنْ أَينَ آنكَ الطربُ

فرق بينهما، قوله: ﴿أنى لك هذا﴾ أى: من أى جهة لك هذا؟! ﴿قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾.

قوله تعالى: ﴿هنالك دعا زكريا ربه﴾ وذلك أن زكريا لما رأى مريم يأتيها رزقها فى غير حينه نحو فاكهة الصيف فى الشتاء - طمع أن يرزق الولد فى غير حينه - على الكبر - فدعا الله أن يرزقه ولدا، وكان قد بلغ مائة وعشرين سنة، وبلغت امرأته ثمان وتسعين سنة.

﴿قال رب هب لى من لدنك﴾ من عندك ﴿ذرية طيبة﴾ أى: ولدا صالحا تقيا نقيا، والذرية تشتمل على الذكر والأنثى، وإنما قال: ﴿طيبة﴾ بنعت المؤنث على لفظ

(١) فى «الأصل»، و«ك»: أو ألتقى السلما. وهو تصحيف. وما أثبتناه من لسان العرب (مادة: حرب).
وفى تفسير القرطبى (٤/ ٦٦): حتى أرتقى سلمًا.

الذرية.

﴿إنك سميع الدعاء﴾ ﴿فنادته الملائكة﴾، ويقرأ: «فناداه الملائكة» بالألف[1] واختلفوا فى المنادى، منهم من قال: كان جبريل. ومنهم من قال: جمع من الملائكة ﴿وهو قائم يصلى فى المحراب أن الله يبشرك﴾ يقرأ «إن» بكسر الألف وفتحها[2]، فمن قرأ بالكسر، فتقديره: فنادته الملائكة وقالوا: إن الله يبشرك، ومن قرأ بالفتح، فهو على النسق، ﴿يبشرك﴾ يقرأ مخففا ومشددا[3]، وهما فى المعنى سواء.

والبشارة: خبر سار يظهر أثره على بشرة الوجه، ﴿يبشرك بيحيى﴾ سماه يحيى قبل أن يولد، ﴿مصدقا بكلمة من الله﴾ قيل: مصدقا بكتاب الله وكلامه. وقيل: معناه مصدقا بعيسى، وهو كلمة الله فإن قال قائل: «كلمة الله» لايكون مخلوقا، وقد أنكرنا على النصارى قولهم: «المسيح ابن الله»، وقولهم: «إن الله ثالث ثلاثة»، فكيف نعرف أن عيسى كلمة الله؟ قيل: فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه كلمة الله على معنى: أنه يكون بكلمة من الله حيث قال له: «كن فكان»، من غير سبب ولا علة، وصنع بشر وإلقاء نطفة.

الثانى: أنه كلمة الله على معنى: أنه يهتدى به، كما يهتدى بكلام الله.

والثالث: أن الله تعالى كان قد أخبر سائر الأنبياء، ووعدهم فى كتبه أنه يخلق نبيًا بلا أب، ووعد مريم أنه يولد لها ولد بلا أب، فلما تكوّن عيسى سماه كلمة؛ لأنه حصل بتلك الكلمة، وذلك الوعد، وهو كما تقول العرب: أنشدنى كلمتك، أى قصيدتك، وقيل لحسان: إن الحويدرة أنشأ قصيدة، فقال: لعن الله كلمته، أى:

---

(١) هى قراءة حمزة، والكسائى، وخلف. انظر النشر (٢ / ٢٣٩).

(٢) قرأ ابن عامر وحمزة بكسر الهمزة، وقرأ الباقون بالفتح. انظر المصدر السابق.

(٣) قرأ حمزة، والكسائى بفتح الياء، وفتح الشين وضمها، وقرأ الباقون بضم الياء، وتشديد الشين المكسورة. انظر المصدر السابق.

اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ

قصيدته، فلمّا حصلت القصيدة بكلمته سمّى ذلك كلمة.

قوله: ﴿وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين﴾ أما السيد: قال سعيد بن جبير: السيد: التقى، وقال مجاهد: هو الكريم، وقيل: هو العليم الذى لايغضبه شىء، وقيل: هو الذى يفوق قومه فى جميع خصال الخير.

والحصور: قال سعيد بن جبير ومجاهد والضحاك وعطاء وجماعة: هو الذى لايأتى النساء، والحصور بمعنى: المحصور، وكان ممنوعا من النساء، وهو مثل قول الشاعر

فِيهَا اثْنَتَانِ وأربعونَ حلوبة ... سودًا كَخَافِيَةِ الغُرَابِ الأَسْحَمِ

فالحلوبة بمعنى: المحلوب، وقال سعيد بن المسيب: كان له مثل هدبة الثوب، وقد تزوج مع ذلك؛ ليكون أغض لبصره، وقال الشعبى: الحصور العنّين، وفيه قول آخر: الحصور: هو الممتنع من الوطء مع القدرة عليه، وهذا يوافق قول الشافعى فى مسألة التخلى لعبادة الله.

واختاروا هذا القول لوجهين: أحدهما: أنه يكون أقرب إلى استحقاق الثناء، لأن الكلام خرج مخرج الثناء.

والثانى: أنه يكون أبعد من إلحاق الآفة بالأنبياء؛ لبعدهم عن الآفات.

قوله تعالى: ﴿قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر﴾ وإنما قال: ﴿بلغنى الكبر﴾؛ لأن الكبر فى طلب الإنسان، فإذا أصابه فقد بلغه.

وأما العاقر: فهى التى عقم رحمها من الكبر، فإن قيل: كان شاكا فى وعد الله تعالى حين قال: ﴿رب أنى يكون لى غلام﴾ قيل: إنما قاله على سبيل التواضع، يعنى: مثلى على هذا الكبر من مثل هذه العجوز يكون له الولد، وقيل معناه: كيف يكون لى هذا الغلام؟ أتردنى لحالة الشباب، أم يكون الغلام على حال الكبر؟.

﴿قال كذلك يفعل الله ما يشاء﴾.

آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ

قوله تعالى : ﴿ قال رب اجعل لى آية ﴾ أى : علامة . قيل : إنما سأل العلامة ؛ لأن إبليس وسوس إليه أن الذى ناداك هو الشيطان ، دون الملك وكان يديم عليه وسوسته ، فسأل العلامة ؛ دفعا لتلك الوسوسة . وقيل : إنما سأل العلامة ؛ لمعرفة وقت الولادة حتى يزداد لله[١] شكرا .

﴿ قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام ﴾ وقيل : [إن الله أمسك][٢] لسانه وحبس عنه الكلام ثلاثة أيام ، وهو سَوِىٌّ صحيح ؛ وعليه دلّ قوله تعالى فى سورة مريم ﴿ ثلاث ليال سويا ﴾[٣] .

﴿ إلا رمزا ﴾ أى : إشارة ، والإشارة تكون باللسان ، وتكون باليد ، وتكون بالعين والمراد هاهنا : الإشارة بالإصبع المسبحة ، قال قتادة : إنما أمسك لسانه عن الكلام عقوبة له على ما سأل من الآية بعدما أوحى الله تعالى إليه ، وشافهته الملائكة بالبشارة .

﴿ واذكر ربك كثيرا ﴾ قيل : إنما أمسك لسانه عن الكلام مع الناس ، ولم يمسكه عن ذكر الله تعالى ، فأمره بالذكر .

﴿ وسبح بالعشى والإبكار ﴾ المراد بالتسبيح : الصلاة ، وأما العشى : ما بين زوال الشمس إلى غروب الشمس ، ومنه سمى صلاة الظهر والعصر صلاتى العَشِىّ ، وأما الإبكار : ما بين طلوع الفجر إلى الضحى الأعلى .

قوله تعالى : ﴿ وإذ قالت الملائكة يامريم ﴾ أى : واذكر إذ قالت الملائكة : ﴿ يامريم إن الله اصطفاك ﴾ اختارك وطهرك من الحيض والنفاس ، وقيل : من الذنوب . ﴿ وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ﴾ منهم من قال : على نساء عالمى زمانها ، ومنهم من قال :

(١) فى الأصل : الله ، وهو خطأ من الناسخ .

(٢) فى الأصل : إنه أمسك الله . وما أثبتناه من « ك » .

(٣) مريم : ١٠ .

الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ

على (جميع نساء)[1] العالمين؛ في أنها وَلَدَت بلا أب، ولم يكن ذلك لأحد من نساء العالم.

قوله تعالى: ﴿يا مريم اقتنى لربك﴾ أى: أطيعى ربك، وقومى لطاعته. والقنوت: طول القيام، قال مجاهد: معناه أطيلى[2] القيام لربك، وقيل: إنها قامت حتى انتفخت قدماها وتورمت. وسمى القنوت فى الصلاة؛ لأنه فى حال القيام، وعن النبى ﷺ «أنه سئل عن أفضل الصلاة، فقال: طول القنوت»[3] أى: طول القيام.

﴿واسجدى واركعى مع الراكعين﴾ قيل: إنما قدم السجود على الركوع؛ لأنه كان كذلك فى شريعتهم، وقيل: لا، بل الركوع قبل السجود فى جميع الشرائع، وليست الواو للترتيب، بل للجمع، ويجوز أن يقول الرجل: رأيت زيدا وعَمرا، وإن كان قد رأى عَمرا قبل زيد، ويجوز أن نقول: رأيت عمرا وزيدا أى زيداً وعمراً، قال الشاعر:

ألا يانخلة من ذات عرق　　　عليك ورحمة الله السلام

أى: عليك السلام ورحمة الله، فكذلك قوله: ﴿واسجدى واركعى﴾ أى: واركعى واسجدى، وإنما قال: مع الراكعين، ولم يقل: مع الراكعات؛ ليكون أعم وأشمل، وقيل معناه: مع المصلين فى الجماعة.

قوله - تعالى -: ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك﴾ يقول لمحمد ﷺ: ذلك من أخبار الغيب نوحيه إليك ﴿وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون﴾ فالأقلام: السهام، وإنما سمى قلما؛ لأنه يقطع ويبرى. وأصل القلم: القطع، ومنه قلّم الظفر.

---

(١) فى «ك»: نساء جميع.

(٢) فى «الأصل»: أطيل، وفى «ك»: أطول.

(٣) رواه مسلم فى صحيحه (٦/٥٢ رقم ٧٥٦)، والترمذى (٢/٢٢٩ رقم ٣٨٧) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (١/٤٥٦ رقم ١٤٢١) جميعهم من حديث جابر.

لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ

والقصة فى ذلك: أنهم تشاحنوا واختصموا فى كفالة مريم، فقال زكريا: أنا أولى بكفالتها منكم؛ لأن خالتها عندى، وقال أحبارهم – وقيل: أولياؤهم –: نحن أولى بكفالتها؛ لأن أباها كان إمامنا وحبرنا، فاقترعوا واستهموا، على أن من يثبت قلمه فى الماء وصعد، فهو أولى بكفالتها، فألقوا الأقلام على الماء، وعلى كل قلم اسم واحد منهم، فانحدرت أقلامهم تجرى فى الماء، وجرى قلم زكريا مصعدا إلى أعلى الماء، قيل: غرقت أقلامهم، وارتد قلم زكريا، وبقى فوق الماء، وقيل: إنما اختصموا فى كفالتها؛ لأنه كان قد أصابهم قحط وأزمة، وكانت تضيق بهم النفقة؛ فاستهموا على كفالتها تدافعا حتى أن من خرج سهمه هو الذى يعولها، وينفق عليها، والأول أصح وأشهر.

قوله تعالى: ﴿إذ قالت الملائكة يامريم إن الله يبشرك بكلمة منه﴾ قيل: إن الملائكة قالوا لها ذلك مشافهة وعيانا.

﴿اسمه المسيح عيسى ابن مريم﴾ قال ابن عباس: إنما سمى مسيحا؛ لأنه ما مسح ذا عاهة إلا برئ، وقال الحسن وقتادة: سمى مسيحا؛ لأنه مسح بالبركة، وقيل: المسيح: الصديق، ويكون المسيح بمعنى: الكذاب، وهو من الأضداد، وقيل: سمى مسيحا؛ لأنه كان يمسح وجه الأرض، ويسيح فيها، وقيل: إنما سمى مسيحا؛ لأنه ممسوح القدم لأخمص قدميه، ومنه قول الشاعر:

بَاتَ يُقَاسِيهَا غُلَامٌ كَالزَّلَمْ خديج السَّاقين مَمْسُوحُ القدمْ

ومن ذلك سمى الدجال مسيحا؛ لأنه مسح أحد شقى وجهه، لاعين له.

﴿وجيها فى الدنيا والآخرة﴾ أى: رفيعا ذا جاه عند الله ﴿ومن المقربين﴾ ﴿ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين﴾ أما كلامه فى المهد هو قوله فى سورة

فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ

مريم ﴿إنى عبد الله﴾[1] وأنكر النصارى كلامه فى المهد سيأتى بيانه، وأما كلامه وهو كهل، قيل: هو إخباره عن الأشياء المعجزة، وقيل: هو كلامه بعد نزوله من السماء.

والكهل: قيل: هو ما فوق الغلام، ودون الشيخ، وهو ابن أربع وثلاثين سنة، وأصله: الطول، ومنه: اكتهل النبات إذا طال.

قوله تعالى: ﴿قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر﴾ قالت ذلك تعجبا؛ إذ لم تكن جرت العادة بأن يولد ولد بلا أب ﴿قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له: كن، فيكون﴾ أى: لايعسر عليه شىء، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.

قوله تعالى: ﴿ويعلمه الكتاب﴾ يقرأ: بالياء، والنون[2]، والكتاب: الخط ﴿والحكمة﴾: العلم والفقه، ﴿والتوراة والإنجيل﴾ علمه الله التوراة والإنجيل، ﴿ورسولا إلى بنى إسرائيل﴾. منهم من قال: كان رسولا فى حالة الصبا، ومنهم من قال: إنما كان رسولابعد البلوغ.

﴿أنى قد جئتكم بآية من ربكم﴾ معناه: بآيات من ربكم، وإنما اكتفى بذكر الآية؛ لأن الكل دال على شىء واحد.

﴿أنى أخلق لكم من الطين﴾ أى: أقَدِّر وأصور ﴿كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله﴾ قيل: إن عيسى قال لهم: أى شىء أشد خلقا؟ قالوا: الخفاش، فقدر من الطين خفاشا وصوره، ونفخ فيه؛ فقام يطير بإذن الله.

---

(١) مريم: ٣٠.

(٢) قرأ نافع، وأبو جعفر، وعاصم، ويعقوب بالياء. وقرأ الباقون بالنون. انظر النشر (٢ / ٢٤٠).

مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ

﴿ وأبرئ الأكمه ﴾ قال أبو عبيد : الأكمه الذى ولد أعمى، وقيل : هو الأعمش الذى يبصر بالنهار ولايبصر بالليل ﴿ والأبرص ﴾ : الذى به وضح ﴿ وأحيى الموتى بإذن الله ﴾ قال ابن عباس : قد أحيا أربعة : عازر وابن العجوز وبنت العاشر وسام بن نوح عليه السلام .

فأما عازر : فكان صديقا لعيسى، فَأُخْبِرَ بموته، فدعا الله تعالى فأحياه [الله][1]، وأما ابن العجوز : كان على السرير يحمل إلى المقبرة، فرآه عيسى، فأمر بوضع السرير، ودعا فأحياه، فأخذ كفانه[2]، ولبسها ورجع إلى البيت، وأما بنت العاشر : فقد كان رجل يأخذ العشور، ماتت له ابنة فدعا الله فأحياها، وأما سام بن نوح فإن عيسى جاء[3] إلى قبره ودعا (الله فأحياه)[4]، فقام إليه وقال : أقامت القيامة؟! وقد شاب نصف رأسه خوفا من قيام الساعة .

فقال : لا، أنا عيسى بن مريم؛ فكلمه؛ ومات من ساعته، وأما الثلاثة الذين أحياهم عاشوا، وَوُلِدَ لهم .

﴿ وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ﴾ كان عيسى يخبر الرجل بما أكل فى بيته البارحة، وما يأكل اليوم، وما ادخره للعشاء، وقيل : إنه كان فى المكتب يخبر الصبى بما أكل، وما خبّأت له أمه من الطعام، حتى كان الصبى يأتى إلى أمه، فيبكى حتى تعطيه الطعام، فيحمله إلى عيسى، فحبسوا الصبيان عن المكتب، فجاء عيسى فى طلبهم، وكانوا فى دار، فقال : من هؤلاء الذين فى الدار؟ فقيل : خنازير، فقال عيسى : يكونون كذلك؛ فصاروا خنازير بأمر[5] الله - نعالى - ﴿ إن فى ذلك لآية

(١) من «ك».

(٢) في «ك» : لباسه.

(٣) في «ك» : صار.

(٤) تكررت فى «ك».

(٥) فى «ك» : بإذن.

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ

لكم إن كنتم مؤمنين﴾.

قوله تعالى: ﴿ومصدقا لما بين يدى من التوراة﴾ يعنى: وأكون مصدقا، ﴿ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم﴾ قال أبو عبيدة: أراد بالبعض: الكل، يعنى: كل الذى حرم عليكم، ومثله قول الشاعر:

أو يرتبط بعض النفوس حمامها

أى: كل النفوس، وقيل: هو على حقيقته، وقدكان أحل لهم بعض ما حرم عليهم فى التوراة من لحوم الإبل وثروبها(١).

﴿وجئتكم بآية من ربكم﴾ يعنى: بآيات كما بينا، ﴿فاتقوا الله وأطيعون إن الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾ أى: طريق واضح.

قوله تعالى: ﴿فلما أحس عيسى منهم الكفر﴾ أى: أبصر ووجد منهم الكفر؛ قال: ﴿قال من أنصارى إلى الله﴾ قيل معناه: من أنصارى مع الله، وقال النحويون: «إلى» فى موضعها، وليست بمعنى «مع»، وإنما معناه: من يضم نصرته إلى نصرة الله لى ﴿قال الحواريون نحن أنصار الله﴾ قال ابن أبى نجيح: الحواريون: كانوا قوما قصارين، سموا بذلك لأنهم كانوا يقصرون الثياب.

وقيل: كانوا صيادين يصطادون السمك. والصحيح أن الحوارى: صفوة كل شىء وخالصته، ومنه قوله ﷺ فى الزبير: «هو ابن عمتى وحواريى من أمتى»(٢)، أى:

---

(١) الثروب: هو الشحم الرقيق الذي يغشى الكرش والأمعاء. النهاية ١/٢٠٩.

(٢) رواه النسائى فى الكبرى (٥/٦٠/رقم ٨١١٢)، وأحمد (٣/٣١٤). وابن أبى شيبة (١٢/٩٢) والخطيب فى تاريخه (٥/١٢٦) من حديث جابر.

ورواه البخاري (٧/٩٩ رقم ٣٧١٩)، ومسلم (١٥/٢٦٨ رقم ٢٤١٥) من حديث جابر ايضًا مرفوعاً: «إن لكل نبي حواريا، وإن حواريى الزبير بن العوام».

أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ

صفوتى وخالصتى.

وأصل الحوارى: النقاء والنظافة؛ فسموا حواريين؛ لنقاء قلوبهم، ومنه يقال لنساء الأمصار: حواريات. قال الشاعر:

فقل للحَوَارِيَّاتِ يَبْكِينَ غيرنا ولا تَبْكِينَا إلا الكلابُ النوابحُ

ومنه الخبز الحوارى؛ لنقاوته وبياضه.

وأما قوله: ﴿نحن أنصار الله﴾ لأنهم إذا نصروا عيسى، فكأنهم نصروا الله ﴿آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون﴾.

قوله تعالى: ﴿ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين﴾ قيل: مع الشاهدين من أمة محمد؛ لأنهم يشهدون للرسل بالبلاغ، وقيل: من الشاهدين على نبوة عيسى.

قوله تعالى: ﴿ومكروا ومكر الله﴾ المكر من العبد: الخب والخداع، ومن الله تعالى: أن يأخذ العبد بغتة من حيث لايعلم، وإنما سماه مكرا - على المقابلة - لأنه جزاء مكرهم: كما قال: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾(١) والمراد بمكرهم هاهنا: أنهم احتالوا لقتل عيسى، فقال رجل: ألا أدلكم على البيت الذى فيه عيسى، فجاءوا معه البيت الذى كان فيه عيسى، فرفعه الله إلى السماء، وألقى شبه عيسى على من دلهم عليه، فأخذوه، وهو يصيح: لست بعيسى، فقتلوه، وقيل: إن الدال كان واحدا من الحواريين؛ فذلك مكر الله ﴿والله خير الماكرين﴾.

قوله تعالى: ﴿إذ قال الله ياعيسى إنى متوفيك﴾ أى: واذكر قول الله لعيسى: إنى متوفيك ﴿ورافعك إلىّ﴾. فإن قال قائل: ما معنى التوفى، وعيسى فى الأحياء

(١) الشورى: ٤٠.

كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ

على زعمكم؟ قلنا: فيه أقوال، قال الحسن البصرى: معناه: إنى قابضك من الأرض، وهو صحيح عند أهل اللغة، فيقال: توفيت حقى من فلان. أى: قبضت.

قال الأزهرى: كأنه يقول: إنى متوفى عدد آبائك فى الأرض، وكل شيء تم فهو متوفى، ومستوفى، وقال الفراء: فيه تقديم وتأخير، وتقديره: إنى رافعك إلىّ ومتوفيك» أى: بعد النزول من السماء.

وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ليهبطن عيسى بن مريم حكما مقسطا يكسر الصليب ويقتل الخنزير»(١)، وفى رواية: «أنه يقتل الدجال بباب لدّ»(٢) من دمشق، وفى الأخبار: أنه يعيش بعد ذلك فى الأرض سبع سنين،(٣) ويتزوج، ويولد له. ثم يموت، ويصلى عليه المؤمنون من هذه الأمة(٤).

وهذا التقديم والتأخير الذى ذكرنا فى الآية محكى عن ابن عباس وله قول آخر: أن الآية على حقيقة الموت، وأن عيسى قد مات، ثم أحياه الله تعالى ورفعه إلى السماء.

قال وهب بن منبه: أماته الله ثلاث ساعات من النهار، ثم أحياه الله، ورفعه إليه، وقال الربيع بن أنس: التوفى: هو النوم، وكان عيسى قد نام، فرفعه الله نائما إلى السماء، والمعروف: القولان الأولان.

وقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «رأيت ابنى الخالة: عيسى، ويحيى فى السماء الثانية ليلة المعراج»(٥)، وروى أيضا: «أنه رآهما فى السماء الدنيا» والأول

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة. رواه البخاري بطوله (٦/٥٦٦ رقم ٣٤٤٨)، ومسلم (٢/٢٤٩ رقم ١٥٥).

(٢) رواه مسلم (١٨/٨٥-٩٤ رقم ٢١٣٧، وأبو داود (٤/١١٧ رقم ٤٣٢١، والترمذى (٤/٤٤٢ - ٤٤٥ رقم ٢٢٤٠، وابن ماجة (٢/١٣٥٦ - ١٣٥٩ رقم ٤٠٧٥) وأحمد فى مسنده (٤/١٨١ - ١٨٢) كلهم من حديث النواس بن سمعان به وقوله «من دمشق» ليس فى الحديث، بل هو تفسير منه، وهو خطأ، انظر شرح مسلم للنووى (١٨/٩١)، ومعجم البلدان (٥/١٧).

(٣) ثبت هذا عند مسلم (١٨/٩٩-١٠٢ رقم ٢٩٤٠) من حديث عبد الله بن عمرو..

(٤) رواه أبو داود (٤/١١٧ - ١١٨ رقم ٤٣٢٣)، وأحمد (٢/٤٠٦، ٤٣٧)، والطبرى (٦/١٦ - ١٧) وابن حبان (١٥/٢٣٣ - ٢٣٤ رقم ٦٨٢١) والحاكم (٢/٥٩٥) وصححه من حديث أبى هريرة.

(٥) متفق عليه من حديث أنس، عن مالك بن صعصعة، رواه البخارى (٦/٣٤٨ - ٣٥٠ رقم ٣٠٢٧) وأطرافه فى (٣٣٩٣، ٣٤٣٠، ٣٨٨٧)، ومسلم (٢/٢٩٠ - ٢٩٣ رقم ١٦٤).

بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ

أصح، وقال عليه الصلاة والسلام: «رأيت المسيح بن مريم يطوف بالبيت»(١) فدلّ على أن الصحيح أنه فى الأحياء، وفى أخبار المعراج: «أن النبى ﷺ لقى آدم فى السماء الأولى وعيسى فى السماء الثانية ويوسف فى السماء الثالثة، وإدريس فى السماء الرابعة وهارون فى السماء الخامسة وموسى فى السماء السادسة، – وفى رواية السماء السابعة – وإبراهيم في السماء السابعة»(٢).

قوله: ﴿ ومطهرك من الذين كفروا ﴾ أى: مخرجك من أرجاسهم وأنجاسهم، ﴿ وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ﴾.

وقيل: أراد به النصارى، وهم فوق اليهود إلى يوم القيامة، واليهود أذل الفريقين؛ قد ذهب ملكهم، فلا يعود أبدا، وملك النصارى دائم إلى قريب من قيام الساعة، وقيل: أراد بالذين اتبعوه: أمة محمد ﷺ؛ حيث صدقوه ووافقوه على دين التوحيد، فهم فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة.

وفيه قولان: أحدهما: أنهم فوقهم بالحجة.

والثاني: بالعز والغلبة، وقد قال ﷺ: «أنا أولى بعيسى بن مريم، ليس بينى وبينه نبى»(٣).

﴿ ثم إلى مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون ﴾.

قوله تعالى: ﴿ فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا والآخرة ﴾

(١) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمر في حديث طويل، رواه البخاري في صحيحه (٦/ ٥٥٠ رقم ٣٤٤٠ وأطرافه فى ٣٤٤١، ٥٩٠٢، ٦٩٩٩، ٧٠٢٦، ٧١٢٨)، ومسلم (٢/ ٣٠٢ – ٣٠٧ رقم ٦٦٩).

(٢) تقدم تخريجه في رقم (٥)، ورواية: أنه رأى موسى في السماء السابعة، أخرجها البخاري من حديث شريك عن أنس (١٣/ ٤٨٦ رقم ٧٥١٧) وهو عند مسلم (٢/ ٢٨٣ رقم ١٦٢) ولكن لم يسرده.

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة، رواه البخاري (٦/ ٥٥٠ – ٥٥١ رقم ٣٤٤٢ وطرفه فى ٣٤٤٣)، ومسلم (١٥/ ١٧٣ – ١٧٤ رقم ٣٣٦٥).

أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾

والعذاب فى الدنيا: القتل والأسر والجزية، والعذاب فى الآخرة: عذاب النار.

قوله تعالى: ﴿وما لهم من ناصرين وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم﴾ أى: جزاء أعمالهم ﴿والله لايحب الظالمين﴾ أى: لايرحم الكافرين، ولا يثنى عليهم بالجميل.

قوله تعالى: ﴿ذلك نتلوه عليك من الآيات﴾ يعنى: القرآن ﴿والذكر الحكيم﴾ أى: الذكر ذى الحكمة، وقيل: الذكر المحكم الذى لا يتخلله الفساد.

قوله تعالى: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم﴾؛ سبب نزول الآية ما روى: أن وفد نجران لما قدموا على النبى ﷺ قال لهم: «أسلموا، فقالوا: نحن مسلمون، قال: كذبتم؛ يمنعكم من ذلك ثلاث: قولكم إن الله اتخذ ولدا، وسجودكم للصليب، وأكلكم الخنزير، فقالوا: من أبو عيسى؟ فنزلت هذه الآية»(١)، وفى الآية دليل عليهم، ورد لقولهم، فقوله: ﴿إن مثل عيسى﴾ أى: صفة عيسى ﴿عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾، يعنى: إن خلق عيسى بلا أب مثل خلق آدم بلا أب، ولا أم، وخلق عيسى بلا أب ليس بأبدع من خلق آدم بلا أب ولا أم.

فأما قوله: ﴿ثم قال له كن فيكون﴾ راجع إلى آدم، فإن قال قائل: لما ذكر أنه خلقه من تراب، فما معنى قوله بعده ﴿ثم قال له كن فيكون﴾ بعد الخلق؟ قيل: معناه: خلقه من تراب، ثم أُخْبِرُكم أنى قلت له: كن، فكان من غير ترتيب فى الخلق: كما يكون فى أولاده، وهو مثل قول الرجل: أعطيتك اليوم درهما، ثم أعطيتك أمس درهما، أى: ثم أخبرك أنى أعطيتك أمس درهما.

قوله تعالى: ﴿الحق من ربك فلا تكن من الممترين﴾، فإن قيل: أكان شاكا فى الحق حتى نهاه عن الشك؟ قيل: الخطاب مع النبى، والمراد به: الأمة، وقيل: معناه: قل للشاك فيه: الحق من ربك فلا تكن من الشاكين.

---

(١) تقدم تخريجه.

واعلم أن فيما سبق من التمثيل على جواز القياس دليل، على أن القياس هو رد فرع إلى أصل بنوع شبه، وقد رد الله تعالى عيسى إلى آدم بنوع؛ فدل على جواز القياس. والمثل: هو ذكر سائر يستدل به على غيره في معناه.

قوله تعالى: ﴿فمن حاجك فيه﴾ أي: جادلك في الحق ﴿من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكافرين﴾.

هذا في دعاء النبي ﷺ بني نجران إلى المباهلة، روى سعد(1) بن أبي وقاص: «أن النبي ﷺ أخذ بيد الحسن والحسين وفاطمة وعلي، ثم دعاهم إلى المباهلة»(2).

فقوله: ﴿ندع أبناءنا﴾ أراد به: الحسن والحسين، وقوله: ﴿ونساءنا﴾ يعني: فاطمة، وأنفسنا يعني: نفسه وعليّ، فإن قال قائل: كيف قال: ﴿وأنفسنا﴾ وعليّ - رضي الله عنه - غيره؟ قيل: العرب تسمي ابن عم الرجل نفسه، وعليّ كان ابن عمه، وقيل: ذكره على العموم لجماعة أهل الدين. والابتهال: الالتعان، ومنه البهلة: وهي اللعنة، يقال:

عليك بهلة الله، أي: لعنة الله، والابتهال: الاجتهاد في دعاء اللعنة.

واللعنة: الإبعاد والطرد عن الرحمة بطريق العقوبة، قال لبيد:

وكهول سادةٌ مِنْ عَامرٍ ... نَظر الدَّهْرُ إليْهِمْ فابتهلْ

أي: نظر الدهر إليهم بالهلاك فأفناهم باجتهاد فيه.

وفي القصة وكهول «أن النبي ﷺ لما دعاهم إلى الابتهال، وجعل اللعنة على

---

(١) في «ك»: سعيد وهو خطأ.

(٢) رواه مسلم بطوله (١٥/ ٢٥١ رقم ٢٤٠٤)، والترمذي (٥/ ٢١٠ رقم ٢٩٩٩) وقال: حسن غريب صحيح و(٥/ ٥٩٦ رقم ٣٧٢٤)، وأحمد (١/ ١٨٥).

الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَا أَهْلَ

الكاذب من الفريقين، فقال الأسقف لهم: لاتباهلوا؛ فإنكم لو ابتهلتهم؛ لاضطرم عليكم الوادى نارا، فقالوا للنبى ﷺ: وهل غير المباهلة؟ قال: الإسلام أو الحرب أو الجزية، فقبلوا الجزية، وانصرفوا»(١)، وقال النبى ﷺ: «لو تلاعنوا لصاروا قردة وخنازير»(٢) وفى رواية «لو تلاعنوا لم يبق فى الدنيا نصرانى ولا نصرانية إلى يوم القيامة»(٣).

قوله تعالى: ﴿إن هذا لهو القصص الحق﴾ أى: النبأ الحق ﴿وما من إله إلا الله﴾ «مَن» صلة، وتقديره: وما إله إلا الله ﴿وإن الله لهو العزيز الحكيم﴾.

﴿فإن تولوا﴾ أى: أعرضوا ﴿فإن الله عليم بالمفسدين﴾ أى: بمن يفسد منهم.

قوله تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب﴾ الخطاب مع اليهود والنصارى ﴿تعالوا إلى كلمة﴾ العرب تسمى كل قصة لها شرح: كلمة، ومنه سميت القصيد: كلمة.

﴿سواء بيننا وبينكم﴾ أى: عدل، ومنه قول زهير بن أبى سلمى:

---

(١) رواه الحاكم في مستدركه (٢/٥٩٤)، وابن مردويه (تفسير ابن كثير ١/٣٧٠ - ٣٧١) وعزاه السيوطي في الدر (٢/٤٣) لهما ولأبي نعيم في الدلائل من حديث جابر بمعناه، وفيه قوله ﷺ: «إن العذاب قد أظل نجران». وقوله: «لو ابتهلتم؛ لاضطرم عليكم الوادي نارا، هو من قوله - ﷺ -.

وقال الحافظ ابن كثير (١/٣٧١): وقد رواه أبو داود الطيالسي عن شعبة عن المغيرة عن الشعبي مرسلا، وهذا أصح، وقد روي عن ابن عباس والبراء نحو ذلك.

قلت: راجع تخريج حديث وفد نجران الذي تقدم فى أول السورة.

(٢) لم أقف عليه مرفوعاً، وإنما جاء في سياق حديث رواه ابن جرير (٣/٢١٣) من حديث علباء بن أحمد اليشكري مرسلاً، في مباهلة النبي ﷺ اليهود «فقال شاب منهم: ويحكم، أليس عهدكم بالأمس إخوانكم الذين مسخوا قردة وخنازير، لا تلاعنوا فانتهوا».

(٣) رواه ابن جرير (٣/٢١٢)، وعبد بن حميد، وأبو نعيم في الدلائل - كما فى المنثور - (٢/٤٦) بمعناه، ولفظه: لو فعلوا لاستؤصلوا عن جديد الأرض».

الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ

أَرُونِى خُطَّةً لاضَيْمَ فِيهَا ... يُسَوِّى بَيْنَنَا فِيهَا السَّوَاءُ
فَإِنْ تُرِكَ السَّوَاءُ فليسَ بينى ... وبينَكُم بنِى عمرو لقاءُ

وأراد بالسواء: العدل.

﴿ألا نعبد إلا الله﴾ سبب هذا: أن اليهود قالوا: لايريد محمد منا إلا أن نعبده، وكذلك قالت النصارى؛ فنزلت الاية ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾، معناه: تعالوا إلى أمر نستوى فيه: وهو أن لانعبد إلا الله، ولنتفق جميعا على عبادته ﴿ولانشرك به شيئا﴾.

﴿ولايتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله﴾ قال عكرمة: أى: لايسجد بعضنا لبعض؛ فإن من سجد لغيره فقد اتخذه ربا.

وقيل: هو طاعة الخلق فى معصية الخالق ﴿فإن تولوا﴾ أى: فإن أعرضوا ﴿فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ أى: بهذه الكلمة وهذا الأمر.

قوله تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب لم تحاجون فى إبراهيم﴾ سبب نزول الآية: أن اليهود والنصارى اختصموا [إلى][(١)] النبى ﷺ فى إبراهيم، فقالت اليهود: هو منا، وقالت النصارى: لا، بل منا؛ فنزل قوله: ﴿لم تحاجون﴾ لم تجادلون ﴿فى إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون﴾ [(٢)]، معناه أن اليهودية محرفة من التوراة، والنصرانية محرفة من الإنجيل، والتوراة والإنجيل أنزلتا بعد إبراهيم.

فكيف تَدَّعُون أنه على اليهودية أو على النصرانية؟ وأما التوراة والإنجيل فقد ذكرنا

---

(١) كذا في «ك»: إلى وفى «الأصل»: الذى وهو خطأ.

(٢) رواه ابن جرير (٣/ ١٢١٦)، والبيهقي في الدلائل (٥/ ٣٨٤) عن ابن عباس رضي الله عنه، وعزاه السيوطي أيضا في الدر (٢/ ٤٥) لابن إسحاق.

وررواه ابن جرير (٣/ ٢١٦، ٢١٧) عن قتادة، والربيع، والشعبي جميعهم مرسلا.

﴿٦٥﴾ هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ

اشتقاقها، وقيل: ليس لهما اشتقاق، وهما اسمان بالسريانية.

قوله تعالى ﴿ها أنتم هؤلاء﴾ «ها» للتنبيه، ومعناه: يا هؤلاء، أنتم ﴿حاججتم﴾ جادلتم ﴿فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم﴾ أى: جادلتم فى أمر موسى وعيسى، وادعيتم أنّا على دين موسى وعيسى، وقد أنزلت أمره عليكم، فلم تجادلون فى أمر إبراهيم، ولم أنزله عليكم، ولا علم لكم به؟! ﴿والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾.

قوله تعالى: ﴿ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا﴾ أخبر الله تعالى أنه ليس على ما ادعوا من اليهودية و[لا](1) النصرانية، ﴿ولكن كان حنيفا مسلما﴾.

والحنيف: هو المائل إلى الدين، المستقيم عليه، ومنه: الأحنف: وهو المائل القدم، وقال مجاهد: الحنيف: المتبع، وقال الضحاك: الحنيف: الحاج. فإن قال قائل: لم قال ﴿حنيفا مسلما﴾ والمسلم: هو الذى يكون على جميع ما أتى به محمد رسول الله ﷺ، وإبراهيم لم يكن على جملة شريعته؟

قيل: قد كان على بعض شريعته؛ فيكون بذلك مسلما؛ كمن مات من هذه الأمة فى بدء الأمر، كان مسلما ببعض شريعته؛ فإنها إنما تمت، واستقرت فى آخر الأمر، ويحتمل أن يكون قوله: ﴿مسلما﴾ بمعنى: الانقياد من قوله: ﴿أسلم قال أسلمت لرب العالمين﴾(2)؛ فلذلك قال: ﴿حنيفا مسلما وما كان من المشركين﴾.

قوله تعالى: ﴿إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه﴾: من اتبعه فى زمانه. ﴿وهذا النبى﴾ يعنى: محمداً ﷺ ﴿والذين آمنوا﴾ يعنى: من هذه الأمة ﴿والله ولى المؤمنين﴾.

قوله تعالى: ﴿ودت طائفة من أهل الكتاب﴾ أى: تمنت طائفة من أهل

---

(1) من «ك».

(2) البقرة: ١٣١.

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ

الكتاب. ﴿لو يضلونكم﴾ لو يردونكم إلى الضلالة، وما هم عليه من اليهودية والنصرانية ﴿وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾.

قوله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون﴾ فيه قولان: أحدهما: معناه: لم تكفرون بنعت محمد وصفته، وأنتم تشاهدونه فى التوراة والإنجيل؟!.

والثانى: معناه: لم تكفرون بما يأتى [به][1] محمد من الدلالات والمعجزات، وأنتم تقرون بمثلها مما أتى به موسى وعيسى؟!

قوله - تعالى -: ﴿يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون﴾ معناه: لم تخلطون الإيمان بعيسى - وهو الحق - بالكفر بمحمد ﷺ - وهو الباطل -؟ وقيل معناه: لم تغطون «الحق» من نعت محمد بالتغيير «الباطل»؟!.

قوله تعالى: ﴿وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار، واكفروا آخره لعلهم يرجعون﴾ أما وجه النهار: أوله، ومنه قول الشاعر:

من كان مسرورا بمقتل مالك … فليأت نسوتنا بوجه نهار

أى: أول النهار، وهذا فى اليهود، قالوا: نؤمن بمحمد فى أول النهار، ثم نكفر به فى آخر النهار؛ حتى (يتهمه)[2] الناس (ويقولوا)[3]: قد ظهر منه شيء؛ حتى كفروا به، وقيل: إنهم قالوا: نصدقه فى البعض، ونكذبه فى البعض؛ حتى يقول الناس: صدقوه فيما كان صادقا، وكذبوه فيما كان كاذبا (فيستريبون)[4] بحاله.

(١) ليست فى «الأصل»، ولا «ك».

(٢) فى «ك»: نريب.

(٣) في «ك»: يقولون.

(٤) فى «ك»: فيسترقبون.

﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن

﴿لعلهم يرجعون﴾ أى: من تَبِعَهُ فى دينه، ويكون وجه النهار وآخره بمعنى: البعض على القول الثانى.

قوله - تعالى -: ﴿ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم﴾ أى: لاتصدقوا إلا من تبع دينكم، «واللام» فيه زائدة كما قال: ﴿قل عسى أن يكون ردف لكم﴾[١] أى: ردفكم. وهذا فى اليهود أيضا، قالوا: لاتصدقوا إلا من وافقكم فى ملتكم.

ثم ابتدأ الله تعالى فقال: ﴿قل إن الهدى هدى الله﴾ أى: إن البيان بيان الله.

﴿أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم﴾ أى: لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم، يقوله للمسلمين.

﴿أو يحاجوكم عند ربكم﴾ أى: ولا يحاجونكم عند ربكم؛ فإن الحجة لكم عليهم، وليست لهم عليكم عند الله.

وقال محمد بن يزيد المبرد: فى الآية تقديم وتأخير: قوله: ﴿ولا تؤمنوا﴾ أى: لاتصدقوا ﴿أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم﴾ من الدلالات والآيات من المن والسلوى ونحوه.

﴿إلا لمن تبع دينكم﴾ إلا لمن وافقكم فى اليهودية ﴿أو يحاجوكم عند ربكم﴾ أى إن صدقتموهم، يحاجونكم يوم القيامة عند ربكم، فيقولون: نحن مثلكم، أو خير منكم، فلا تصدقوهم حتى لايحاجوكم عند ربكم. إلى هاهنا كلام اليهود ثم ابتدأ الله تعالى فقال: ﴿قل: إن الهدى هدى الله﴾ وقيل: معناه ﴿ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم﴾ أى: ولاتصدقوا أن النبوة فى غير بنى إسحاق، وأنها فى بنى إسماعيل.

[قوله تعالى][٢] ﴿قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص

---

(١) النمل: ٧٢.

(٢) من «ك».

يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾

برحمته من يشاء ﴾ قال ابن عباس: هو الدين. وقال مجاهد: هو النبوة. وقال ابن جريج: هو القرآن والإسلام ﴿ والله ذو الفضل العظيم ﴾.

قوله تعالى: ﴿ ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ﴾ قد ذكرنا الأقوال فى القنطار، وقال عطاء بن أبى رباح: هو ست آلاف دينار.

وهذا فى عبد الله بن سلام؛ أودعه رجل ألفين ومأتى أوقية من الذهب فأدى الأمانة(١) فيه.

﴿ ومنهم من إن تأمنه بدينار لايؤده إليك ﴾ هذا فى فنحاص بن عازوراء اليهودى؛ أودعه رجل دينارا فخان فيه.

﴿ إلا ما دمت عليه قائما ﴾ أى: لايؤده إليك إلا مادمت على رأسه قائما تطالبه. وقيل: أراد بالقيام: الإلحاح والمطالبة.

﴿ ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل ﴾ قالت اليهود: ليس علينا فى أخذ أموال العرب حرج، كأنهم استحلوا أموال الأميين: وهم العرب، محمد وأصحابه.

﴿ ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴾ ﴿ بلى ﴾ عليهم سبيل؛ ذكره جوابا لقولهم.

قالت النحاة: وهو وقف تام، ثم ابتدأ، فقال: ﴿ من أوفى بعهده واتقى ﴾ قال ابن عباس: واتقى الشرك ﴿ فإن الله يحب المتقين ﴾ الموحدين.

قوله تعالى: ﴿ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا ﴾ روى أبو وائل - وهو شقيق بن سلمة - عن ابن مسعود، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من حلف على يمين كاذبة؛ ليقتطع بها مال امرئ مسلم، لقى الله وهو عليه غضبان،

(١) فى «ك»: الثانية. وهو تحريف.

﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَٰئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ

وتلا هذه الآية قال: وكان الأشعث بن قيس حاضرا، فقال: فيّ نزلت الآية، وذكر قصة» وهذا حديث فى الصحيحين[1]، ورواه مسلم فى صحيحه برواية أخرى، وزاد فيه أنه: «قيل: يارسول الله، وإن كان فى شىء يسير؟ قال: وإن كان فى قضيب من أراك»[2].

وروى مسلم أيضا فى كتابه برواية ثالثة عن النبى ﷺ أنه قال: «ثلاثة لايكلمهم الله ولاينظر إليهم يوم القيامة، ولايزكيهم [ولهم عذاب أليم][3]: المنان بما أعطى والمسبل إزاره، والمنفق سلعته باليمين الكاذبة»[4].

فقوله: ﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا﴾ أى: شىء قليل من حطام الدنيا ﴿أولئك لاخلاق لهم فى الآخرة﴾ أى: لاحظ لهم فيها.

﴿ولايكلمهم الله﴾ أى: ولايكلمهم كما يكلم المؤمنين؛ وقد صح أنه جلّ جلاله - يكلم المؤمنين يوم القيامة من غير ترجمان[5]، وقيل: هو بمعنى: الغضب، كما يقال: أنا لا أكلم فلانا، إذا كان غضبانا عليه ﴿ولاينظر إليهم يوم القيامة﴾ يعنى: لاينظر إليهم بالرحمة.

﴿ولايزكيهم﴾ لايثنى عليهم بالجميل، ولايطهرهم من الذنوب ﴿ولهم عذاب أليم﴾.

(١) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ٤١ رقم ٢٣٥٦، ٢٣٥٧)، والحديث رقم ٢٣٥٦ أطرافه في: ٢٤١٦، ٢٥١٥، ٢٦٦٦، ٢٦٦٩، ٢٦٧٣، ٢٦٧٦، ٤٥٤٩، ٦٦٥٩، ٦٦٧٦، ٧١٨٣، ٧٤٤٥)، والحديث رقم ٢٣٥٧ أطرافه في: ٢٤١٧، ٢٥١٦، ٢٦٦٧، ٢٦٧٠، ٢٦٧٧، ٤٥٥٠، ٦٦٦٠، ٦٦٧٧، ٧١٨٤). ورواه مسلم (٢/ ٢٠٨ رقم ١٣٨).

(٢) رواه مسلم من حديث أبي أمامة - رضي الله عنه - (٢/ ٢٠٧ رقم ١٣٧).

(٣) من «ك».

(٤) رواه مسلم من حديث أبي ذر - رضي الله عنه - (٢/ ١٥٠ رقم ١٠٦).

(٥) متفق عليه من حديث عدى بن حاتم، رواه البخارى (٣/ ٣٣٠ رقم ١٤١٣ وانظر أطرافه فى ١٤١٧، ٣٥٩٥، ٦٠٢٣، ٦٥٣٩، ٦٥٤٠، ٦٥٦٣، ٧٤٤٣، ٧٥١٢) ومسلم (٧/ ١٤١ رقم ١٠١٦) ولفظ مسلم «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله، ليس بينه وبينه ترجمان...» الحديث.

الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ

قوله تعالى: ﴿وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب﴾ أى: يغيرون، ويحرفون الكتاب بألسنتهم. وقيل: يعدلون بألسنتهم عن الكتاب ﴿لتحسبوه﴾ لتظنوه ﴿من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾.

قوله تعالى: ﴿ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة﴾ سبب نزول الآية: «أن اليهود والنصارى اجتمعوا عند النبى ﷺ واختصموا فى إبراهيم، فقالت كل فرقة: هو منا، فقال ﷺ: كذبتم؛ فغضبوا، وقالوا: يامحمد، لاتريد منا إلا أن نتخذك ربا؛ فنزلت الآية»(١).

﴿ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب﴾ يعنى: القرآن ﴿والحكم﴾ الأحكام، والحكمة: السنة ﴿والنبوة﴾ المنزلة الرفيعة بالأنبياء.

﴿ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله﴾ أى: عبيدا لى من دون الله وقيل: أراد بالبشر: عيسى – صلوات الله عليه – لأنهم كانوا يدعون أن عيسى أمرهم أن يعبدوه، ويتخذوه ربا، فقال: ﴿ما كان لبشر﴾ يعنى: عيسى.

﴿أن يؤتيه الله الكتاب﴾ يعنى: الإنجيل ﴿والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب﴾.

قال سعيد بن جبير: الربانى: الفقيه العالم الذى يعمل بعلمه. وقال الضحاك: الربانى: العالم الحكيم. وفى الخبر: «كونوا علماء حلماء»(٢).

والربانى من طريق المعنى: هو أن يكون على دين الرب وعلى طريق الرب.

---

(١) سبق تخريجه عند قوله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم...﴾ الآية.

(٢) روى هذا عن ابن عباس، وابن مسعود موقوفًا عليهم. انظر الدر المنثور (٢/ ٥٢).

وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم

وقيل: هو من التربية، فالرباني هو الذى ربى[1] بصغار العلم حتى بلغ كباره، وروى: أن ابن عباس لما توفى، قام محمد بن الحنفية على قبره، وقال: اليوم مات ربانى هذه الأمة.

وقال مجاهد: الربانيون فوق الأحبار؛ فالأحبار: العلماء، والربانيون: الذين جمعوا مع العلم البصيرة بسياسة الناس.

﴿بما كنتم تعلمون الكتاب﴾ - بالتشديد - من تعليم القرآن، وبالتخفيف من العلم[2].

﴿وبما كنتم تدرسون﴾ تقرءون.

قوله تعالى: ﴿ولا يأمركم﴾ يقرأ بالرفع على الابتداء، أى: ولايأمركم الله، ويقرأ بنصب الراء على النسق[3]، أى: ولايأمركم ذلك البشر ﴿أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا﴾ فالنصارى: هم الذين اتخذوا النبيين أربابا، والصابئون: هم الذين اتخذوا الملائكة أربابا.

﴿أيامركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾ أى: لايأمركم بالكفر بعد الإسلام.

قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبين﴾ قرأ ابن مسعود: «وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب» ﴿لما آتيتكم من كتاب وحكمة﴾: هو أحد القولين فى معنى القراءة المعروفة، قال ابن عباس: معنى الآية: وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب مع النبيين. قال ابن عباس: لما استخرج الله الذرية من صلب آدم كالذر،

(١) في «ك»: ولي.

(٢) قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائى، وعاصم (تُعَلِّمُونَ) بضم التاء، وفتح العين وكسر اللام مشددة، وقرأ الباقون (تَعْلَمُون) بفتح التاء واللام وإسكان العين مخففًا.

انظر النشر (٢/ ٢٤٠).

(٣) قرأ ابن عامر، وعاصم، وحمز، وخلف، ويعقوب، بنصب الراء.

وقرأ الباقون بالرفع. انظر المصدر السابق.

بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا

والأنبياء كانوا فيهم كالمصابيح والسرج، أخذ الميثاق على النبيين أن يؤمنوا بمحمد ﷺ وأن يصدقوه، وينصروه إن أدركوه. فهذا معنى قوله: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة﴾، وقرأ حمزة «لِما آتيتكم» مخففا بكسر اللام، وقرأ غيره: «لَمَّا آتيتكم» بفتح اللام مشددا، والقراءة المعروفة: بفتح اللام مخففا(١)، ومعناه: للذى آتيتكم بمعنى الخبر.

وقيل: معناه: لئن آتيتكم بمعنى: الشرط، ﴿ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه﴾ يعنى: محمدا ﷺ.

﴿قال أأقررتم﴾ أى: أَقِروا ﴿وأخذتم على ذلكم إصرى﴾ أى: عهدى. والإصر: العهد الثقيل﴿قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾.

وقال الضحاك: إنما أخذ الميثاق على النبيين خاصة كما نطقت به الآية، فأخذ الميثاق على كل نبى أن يؤمن بالذى يأتى بعده من الأنبياء وينصره، فأخذ الميثاق على موسى - صلوات الله عليه وسلم - أن يؤمن بعيسى، وعلى عيسى أن يؤمن بمحمد ونحو ذلك.

ثم قال: ﴿فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون أفغير دين الله يبغون﴾ يطلبون، يقرأ بالياء والتاء(٢).

﴿وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها﴾ قال ابن عباس: لما خاطبهم بقوله: ﴿ألست بربكم﴾(٣) أسلم الكل، وقالوا: بلى، ولكن بعضهم قالوا: بلى،

(١) انظر النشر (٢ / ٢٤١).

(٢) قرأ أبو عمرو، ويعقوب، وحفص بالياء التحتية، وقرأ الباقون بالتاء الفوقية. انظر النشر (٢ / ٢٤١).

(٣) الأعراف: ١٧٢.

وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ

طوعا وبعضهم كرها. وقيل: أسلم من فى السموات طوعا، وأسلم من فى الأرض كرها وطوعا، وبعضهم طوعا، وبعضهم كرها؛ لخوف السيف ﴿وإليه ترجعون﴾.

قوله تعالى: ﴿قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط﴾ لما ذكر الملك والأديان، واضطراب الناس فيها، أمر رسوله أن يقول: ﴿آمنا بالله ..﴾ الآية، وقد ذكرنا معنى الأسباط وما قيل فيه ﴿وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾.

قوله تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين﴾ وحق لمن يبتغى غير دين الإسلام أن يصبح غدا من الخاسرين.

قوله تعالى: ﴿كيف يهدى الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات﴾ يعنى: لايهديهم الله، وهو مثل قول عبد الله بن قيس الرقيات[1]:

كَيْفَ نَوْمِى عَلَى الفِرَاشِ ... ولَمّا تشتمل السآم غارة شعواءُ؟

أى: لانوم لى على الفراش.

والآية نزلت فى الحارث بن أوس بن الصامت؛ فإنه ارتد عن الإسلام، ولحق بمكة، وأقام مدة، ثم أرسل إلى المسلمين فى أن يرجع إلى الإسلام؛ فنزلت الآية ﴿كيف يهدى الله قوما كفروا بعد إيمانهم﴾.

قال الزجاج: يعنى: أنهم يستحقون الضلالة، ولايستحقون الهداية ﴿والله لايهدى القوم الظالمين أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين﴾.

(١) فى «ك»: الرقبان. وهو خطأ.

وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ
أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا
مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا
كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ

فإن قال قائل: لم قال: ﴿والناس أجمعين﴾ فكذلك يتناول نفسه أيضا، فكيف يلعن على نفسه؟ قيل: أراد في القيامة يلعن بعضهم بعضا، ويلعنون أنفسهم. وقيل: إنهم يلعنون الظالمين والكافرين؛ فذلك لعنهم على أنفسهم؛ لأن من لعن الظالمين والكافرين، وهو ظالم وكافر فقد لعن نفسه.

﴿خالدين فيها لايخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم﴾ يعني بهذا: الحارث بن أوس؛ فإنه تاب وأسلم فقبلت توبته.

قوله - تعالى -: ﴿إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم﴾ هذا في قوم كانوا مع الحارث بن أوس وارتدوا، فلما رجع هو إلى الإسلام أمسكوا عن الإسلام أولئك القوم، وقالوا: نتربص الدهر بمحمد، فإن ساعده الزمان، ونفذ أمره نرجع إلى دينه؛ فنزلت الآية.

﴿إن الذين كفروا بعد إيمانهم﴾ أي: ارتدوا عن الإسلام بعد إيمانهم ﴿ثم ازدادوا كفرا﴾ بقولهم: إنا نتربص بمحمد ريب المنون ﴿لن تقبل توبتهم﴾ قال أبو العالية: لأنهم لم يكونوا محققين للتوبة، بل كانوا متربصين ﴿وأولئك هم الضالون﴾ وقيل: أراد به: الذين كفروا بعد إيمانهم بعيسى؛ ازدادوا كفرا بمحمد ﴿لن تقبل توبتهم﴾ عند الناس ﴿وأولئك هم الضالون﴾.

قوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به﴾ يعني: لو افتدى به، و«الواو» زائدة مقحمة، وقيل: تقدير الآية: فلن يقبل من أحدهم أن يتبرع بملء الأرض ذهبا، ولو افتدى به أيضا لايقبل ﴿أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين﴾.

قوله تعالى: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ قال ابن مسعود وعمرو بن ميمون

مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٩١﴾ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا

ومسروق بن الأجدع أبو عائشة: البر: الجنة هاهنا. وقيل: هو العمل الصالح. وقيل: هو الثواب، وفى الخبر: «عليكم بالصدق؛ فإنه يهدى إلى البر، والبر يهدى إلى الجنة، وإياكم والكذب؛ فإن الكذب يهدى إلى الفجور، والفجور يهدى إلى النار»(١).

﴿حتى تنفقوا مما تحبون﴾ قيل: أراد بالإنفاق: أداء الزكاة. وقيل: أداء جميع الصدقات. وقيل: كل إنفاق يبتغى به مرضات الله تعالى ينال به هذا البر.

وروى أنه لما نزلت هذه الآية قال أبو طلحة: «يارسول الله، إنى أرى الله يسألنا أموالنا، فأشهدك أنى جعلت حائط كذا لله تعالى فقال ﷺ: اقسمه بين الفقراء قرابتك، فقسمه بين أُبىّ وحسان»(٢).

وروى أن ابن عمر - رضى الله عنه - اشترى جارية كان قد هويها، فلما نظر إليها أعتقها، وزوجها رجلا، وتلا قوله تعالى ﴿لن تَنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾.

﴿وما تنفقوا من شىء فإن الله به عليم﴾ أى: يعلمه، أى: يجازى عليه.

قوله تعالى: ﴿كل الطعام كان حلا لبنى إسرائيل﴾ سبب نزول الآية: أن اليهود قالوا لرسول الله ﷺ: إنك تزعم أنك على ملة إبراهيم، وكان لايأكل لحوم الإبل وألبانها وأنت تأكلها، فلست على ملة إبراهيم؛. فنزلت الآية ﴿كل الطعام كان حلا لبنى إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة﴾ يعنى: ليس الأمر على ما قالوا من حرمة لحوم الإبل وألبانها على إبراهيم، بل كان (الكل)(٣)

---

(١) متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود، رواه البخارى (١٠/٥٢٣ رقم ٦٠٩٤) ومسلم (١٦/٢٤١ - ٢٤٣ رقم ٢٦٠٧).

(٢) متفق عليه من حديث أنس، رواه البخارى (٣/٣٨١رقم ١٤٦١، وأطرافه فى ٢٣١٨، ٢٧٥٢، ٢٧٥٨، ٢٧٦٩، ٤٥٥٤، ٤٥٥٥، ٥٦١١) ومسلم (٧/١١٦ - ١١٩ رقم ٩٩٨) مع اختلاف فى ألفاظه.

(٣) ليست فى «ك».

بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ

حلالا له ولبنى إسرائيل، وإنما حرمها يعقوب على نفسه قبل نزول التوراة، يعنى: أن حرمتها ليست فى التوراة، ولا فى شرع إبراهيم، وإنما هو شىء حرمه إسرائيل على نفسه، وسبب تحريمه ذلك على نفسه: أنه اشتكى عرق النسا، وكان له من ذلك زقاء - أى صياح - فقال: إن شفانى الله منه لأحرمن أحب الطعام إلىّ لحوم الإبل وألبانها، فشفاه الله؛ فحرمها على نفسه.

﴿قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾ طالبهم بالإتيان بالتوراة حجة على ما ادعوا فلم يأتوا بها؛ إذ لم يكن تحريمها فى التوراة، فعجزوا عن الإتيان بالتوراة وكان ذلك كالمعجزة للرسول عليهم.

قوله تعالى: ﴿فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون﴾ وقد ذكرنا معنى الافتراء والظلم.

قوله تعالى: ﴿قل صدق الله﴾ يعنى: فيما أخبر وأنزل ﴿فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا﴾ وإنما دعاهم إلى اتباع ملة إبراهيم؛ لأن فى اتباع ملته اتباعه، وفى اتباعه اتباع ملته، ﴿وما كان من المشركين﴾.

قوله تعالى: ﴿إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا﴾ روى أبو ذر: «أنه سأل رسول الله ﷺ أى المساجد وضع أولا؟ فقال: المسجد الحرام. (قلت)(١): ثم أى؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون عاما، ثم قال: أينما أدركتك الصلاة، فصلِّ؛ فإنه لك مسجد»(٢).

وروى خالد بن عرعرة عن على - رضى الله عنه - أنه قال: أراد به: أن أول بيت وضع للناس مباركا مع الرحمة والبركة، والآيات البينات للذى ببكة.

وقيل: أول ما خلق الله تعالى من الأرض موضع البيت، ثم منه خلق جميع الأرض،

---

(١) فى «ك»: فقلت.

(٢) متفق عليه، رواه البخارى (٦/ ٤٦٩ رقم ٣٣٦٦، وطرفه فى ٣٤٢٥)، ومسلم (٥/ ٣-٤ رقم ٥٢٠).

وأول ما خلق من الجبال جبل أبى قبيس.

وفى القصص: أن الله تعالى أمر الملائكة ببناء البيت قبل خلق آدم بألفى عام، وكانت الملائكة يحجونه، فلما حجه آدم، قالت الملائكة: بَرّ حَجُك، حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام. وأما بكة فالصحيح: أن بكة ومكة بمعنى واحد، وهو قول ابن عباس، ومثله: طين لازب ولازم، وسَمَّل رأسه وسَبَّل بمعنى واحد.

وقيل: (إنه)[1] موضع البيت، ومكة جميع القرية. وقيل: إنما سميت بكة؛ لأن الناس يتباكون فيها، أى: يزدحمون، ومنه قول الشاعر:

إِذا الشَّريبُ أَخَذَتْه أكّه فَخَلِّــه حتى يَبُكَّ بكّه

وقوله: ﴿مباركا وهدى للعالمين﴾ أى: وضع ذلك البيت ذا بركة وهدى للعالمين.

﴿فيه آيات بينات مقام إبراهيم﴾ قرىء: «فيه آية بينة» على الوحدان، وهى مقام إبراهيم، والمعروف: ﴿فيه آيات بينات مقام إبراهيم﴾.

من تلك الآيات: مقام إبراهيم: وهو الحَجَر الذى فيه أثر أصابع قدم إبراهيم، وكان قد بقى أثره فيه، فاندرس من كثرة المسح بالأيدى، وقيل مقام إبراهيم: جميع الحرم.

ومن الآيات فى البيت أيضا: أن الطير يطير فلا يعلو فوقه، كذا قيل، ومنها: أن الجارحة إذا قصدت صيدا، فإذا دخل الصيد الحرم كفت عنه، ومنها: أنه ما قصده جبار إلا قصمه الله – تعالى –، ومنها: أن المطر إذا أصاب الركن اليمانى؛ (كان الخصب باليمن، وإن أصاب جانب الشام)[2]؛ كان الخصب بالشام، وإن أصاب جميع الجوانب كان الخصب جميع الجوانب.

وسبب هذا أن اليهود قالوا: قبلتنا أولى من قبلتكم؛ فَبَيَّن الله تعالى للمسلمين شرف قبلتهم؛ فإنها خصت بأشياء ليست تلك لقبلتهم، وأن بيت المقدس قد حرق وهدم، وأما الكعبة فما قصدها جبار إلا قصمه الله تعالى. ﴿ومن دخله كان آمنا﴾ قال ابن عباس: هو (الجانى)[3] يدخله، فيصير آمنا عن القتل فيه، ولكنه لايؤاكل

(١) فى «ك»: إن بكة.
(٢) ليست فى «ك».
(٣) فى «ك»: الخائف.

عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ

ولايشارب، ولايباع ولايشارى حتى يخرج فيقتل.

وقال الحسن وقتادة وعامة المفسرين - وهو الأصح -: إنه أراد الأمن عن تخطف الكفار بالقتل والغارة. وقيل: أراد به: ومن دخله كان آمنا فى القيامة من العذاب.

قوله - تعالى -: ﴿ولله على الناس حج البيت﴾ قد ذكرنا معنى الحج.

﴿من استطاع إليه سبيلا﴾ روى الحسن مرسلا عن النبى ﷺ «أنه سئل عن الاستطاعة، فقال: الزاد والراحلة»،(١)، وروى ابن عمر «أنه ﷺ سئل أىّ الحاج أفضل(٢)؟ فقال: الشعث، التفل. فقيل: أى الحج أفضل؟ فقال: العج، والثج. قيل: ما السبيل؟ قال: الزاد والراحلة»(٣).

وقال مالك: الاستطاعة بقوة البدن، فمتى وجد الزاد، وقوى على المشى لزمه الحج، والأصح أن الاستطاعة: هى القدرة على ما يوصله إلى الحج، فمنها: الزاد، والراحلة، ومنها: أمن الطريق، ونفقة الأهل، ونحو ذلك.

﴿ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين﴾ الأصح: أنه أراد بالكفر: إنكار وجوب الحج، وقيل: «إنه لما نزل (قوله: ﴿ولله)(٤) على الناس حج البيت﴾ جمع رسول الله

---

(١) رواه ابن أبى شيبة فى مصنفه (٤ / ٩٠)، وابن جرير فى تفسيره (٤ / ١٢)، وسعيد بن منصور فى سننه (٣ / ١٠٧٦ رقم ٥١٨)، والدارقطنى فى سننه (٢ / ٢١٨)، والبيهقى (٤ / ٣٢٧).

(٢) ليست فى «الأصل»، ولا «ك».

(٣) رواه الترمذى (٣ / ١٧٧ رقم ٨١٣ مختصراً، و٥ / ٢٠٩-٢١٠ رقم ٢٩٩٨) بأتم مما هاهنا) وابن ماجة (٢ / ٩٦٧ رقم ٢٨٩٦)، والشافعى فى مسنده (١ / ٢٨٤) وابن أبى شيبة (٤ / ٩٠) والدارقطنى (٢ / ٢١٧)، والبيهقى (٤ / ٣٣٠). وقال الترمذى فى الموضع الأول: هذا حديث حسن، والعمل عليه عند أهل العلم: أن الرجل إذا ملك زادا وراحلة وجب عليه الحج.
وقال فى الموضع الثانى: هذا حديث لا نعرفه من حديث ابن عمر إلا من حديث إبراهيم بن يزيد الخوزى المكى، وقد تكلم بعض أهل الحديث فى إبراهيم بن يزيد من قبل حفظه.
وقال ابن جرير الطبرى فى تفسيره (٤ / ١٣): فأما الأخبار التى رويت عن رسول الله ﷺ في ذلك بأنه الزاد والراحلة، فإنها أخبار فى أسانيدها نظر، ولا يجوز الاحتجاج بمثلها فى الدين.

(٤) فى «ك»: قول الله.

﴿٩٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

ﷺ من جميع الأديان، وقال: إن الله كتب عليكم الحج أيها الناس فحجوا، فصدقه المؤمنون، وكذبه الكافرون؛ فنزل قوله: ﴿ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين﴾»(١).

قوله تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون﴾ أى: لايخفى عليه ما تعملون، ويجازيكم عليه.

قوله تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن﴾ أى: (لم تمنعون من آمن عن سبيل الله)(٢) بكتمان نعت محمد ﴿تبغونها عوجا﴾ أى: تطلبون الزيغ عن السبيل، والعدول عنها بتغيير صفة محمد ﷺ ﴿وأنتم شهداء﴾ يعنى: أنتم عالمون أنه حق؛ على ما ورد نعته وصفته ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين﴾ يعنى: يردونكم إلى اليهودية والنصرانية.

قوله تعالى: ﴿وكيف تكفرون﴾ قال الأخفش سعيد بن مسعدة: على أى حال تكفرون؟!، وقال غيره: لم تكفرون؟! ﴿وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله﴾.

فإن قال قائل: منعه إياهم عن الكفر؛ يكون الرسول فيهم، يوهم إباحة الكفر فى حال لايكون الرسول فيهم، قيل: ولايخلو حال من كون الرسول فيهم، فإنه اليوم وإن كان خارجا من بينهم، فشرعه قائم بينهم، فيكون كأنه فيهم.

﴿ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم﴾ أى: ومن يمتنع بالله، قيل: ومن يثق بالله، فقد أرشد إلى طريق مستقيم.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته﴾ قال ابن مسعود: هو أن

(١) أخرجه الطبرى فى تفسيره (٧/٤٩-٥٠)، وسعيد بن منصور (٣/١٠٧٤ رقم ٥١٥). وزاد السيوطى فعزاه فى الدر (٢/٦٣) لعبد بن حميد، وابن المنذر. كلهم عن الضحاك مرسلاً.

(٢) فى «ك»: لم تمنعون عن سبيل الله من آمن.

يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ

يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر. وقال قتادة: (الآية)[1] منسوخة بقوله: ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ [2] قال أهل المعانى: لايستقيم النسخ فيه، وقوله ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾[2] تفسير لهذه الآية؛ لأن من أطاع الله فى وقت وجوب الطاعة، وذكره فى وقت وجوب الذكر، وشكره فى موضع وجوب الشكر، فقد اتقى الله حق تقاته.

وهذا لم يصر منسوخا، وقوله: ﴿ فاتقوا الله ماستطعتم ﴾[2] موافق له؛ لأن التقوى إن كان فى موضع الأمر والوجوب، والأوامر والواجبات على قدر الاستطاعة، فتكون إحدى الآيتين موافقة للأخرى، فلا يستقيم فيه النسخ.

﴿ ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾، فإن قال قائل: كيف نهاهم عن الموت على الكفر، والموت لايدخل تحت الأمر والنهى؟! قيل: معناه: دوموا على الإسلام، حتى إذا وافاكم الموت ألفاكم على الإسلام، هذا كما يقول الرجل لغيره: لا أريتك تفعل كذا. معناه: لاتفعل كذا، حتى إذا رأيتك (لا)[3] أراك على فعله.

قوله تعالى: ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ﴾ قال ابن عباس: حبل الله: هو العهد. وقال قتادة (والسدى)[4]: حبل الله: القرآن. وفى الخبر «القرآن: حبل ممدود (طرف)[5] بيد الله وطرف بأيديكم»[6] وقيل: الحبل: الطريق، حبل الله: طريق الله، وأنشدوا فى ذكر الناقة قول الشاعر:

---

(١) فى الأصل و «ك»: الآباية، وهو خطأ. (٢) التغابن: ١٦.

(٣) ليست فى «ك». (٤) ليست فى «ك». (٥) فى «ك»: طرفه.

(٦) رواه ابن أبى شيبة (١٠/ ٤٨١ رقم ١٠٠٥٥)، وعبد بن حميد، كما فى المنتخب (ص١٧٥ رقم ٤٨٣)، والطبرانى فى الكبير (٢٢/ ١٨٨ رقم ٤٩١)، وابن حبان - الإحسان - (١/ ٣٢٩ - ٣٣٠ رقم ١٢٢) والبيهقى فى الشعب (٤/ ٥٠١ رقم ١٧٩٢) كلهم من حديث أبى شريح الخزاعى، وقال الهيثمى فى المجمع (١/ ١٩٧): رجاله رجال الصحيح. وقال البيهقى فى الشعب: ورواه الليث بن سعد، عن سعيد المقبرى، عن نافع بن جبير، عن النبى ﷺ مرسلا. قال البخارى هذا أصح. وانظر علل ابن أبى حاتم (٢/ ٥٦ رقم ١٦٥٣). وروى بنحوه عن على بن أبى طالب مرفوعًا نسبه الحافظ ابن حجر فى المطالب لإسحاق بن راهويه وقال: هذا إسناد صحيح - المطالب (٤/ ٦٥ رقم ٣٩٧٢) - وفى الباب عن جماعة من الصحابة.

حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن

وإذا أُجّوِزُها حِبَـــالَ قبيلةٍ نزلتْ من الأخُرْى إليكَ حُبالُهُا[(١)]

أى: طريقها. وأصل الحبل كل ما يوصلك إلى الشيء، فتفوز به، والعهد: حبل، والقرآن: حبل، (ومنه)[(٢)] الحبل المعروف؛ لأنه يوصل إلى المقصود.

﴿ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم﴾ سبب نزول الآية ما روى «أن رجلين: أحدهما من الأوس، والآخر من الخزرج تسابا، فدعا كل واحد منهما قبيلته؛ فثار الحيان، وضربوا بأيديهم إلى السيوف، وكاد يكون بينهم قتال، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج عليهم وهو على حمار، وقام بينهم؛ فنزلت الآية، وتلا عليهم، فبكوا، ومشى كل واحد إلى صاحبه وتعانقوا، واصطلحوا وكفوا عن القتال»[(٣)]، قال جابر: ما كان يوم أقبح أولا من ذلك اليوم، ولا أحسن آخرا من ذلك اليوم. فقوله: ﴿ولاتفرقوا﴾ الخطاب معهم ﴿واذكروا نعمة الله عليكم﴾ يعنى: بالإسلام وبعث الرسول وإنزال الكتاب.

﴿إذ كنتم أعداء﴾ لأن الأوس والخزرج كان بينهم قتال [دام][(٤)] مائة وعشرين سنة ﴿فألف بين قلوبكم﴾ يعنى: بالإسلام ﴿فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾ (أى: فى الدين)[(٥)].

﴿وكنتم على شفا حفرة﴾ أى: طرف حفرة ﴿من النار فأنقذكم منها﴾.

وقيل: نزلت الآية فى مشركى العرب، والأول [أصح وهو][(٦)] قول عكرمة. ﴿كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾ أى: ترشدون، وتسلكون طريق الحق.

(١) وقع البيت فى لسان العرب (مادة: حبل) كما يأتى:

وإذا تجـوِّزها حبـال قبيلـة أخذت من الأخرى إليك حبَالَها.

(٢) فى «ك»: فمنه.

(٣) رواه ابن جرير عن عكرمة مرسلا.

(٤) فى «الأصل»، و«ك»: دائم.

(٥) فى «ك»: يعنى بالدين.

(٦) ما بين المعكوفين تكرر بالأصل، وك.

مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ

قوله تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة﴾ أى: كونوا أمة، وكلمة «من» – فيه – للجنس، لا للتبعيض، وهو مثل قوله: ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾[1] والمراد به الاجتناب من جنس الأوثان كلها لا من بعض الأوثان، كذلك قوله: ﴿ولتكن منكم أمة﴾ أى: كونوا أمة ﴿يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ أى: وأنتم المفلحون.

قوله تعالى: ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا﴾ يعنى: اليهود والنصارى.

﴿من بعد ما جاءتهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه﴾ يعنى: وأولئك لهم عذاب عظيم يوم القيامة، ثم وصف ذلك اليوم، فقال: ﴿يوم تبيض وجوه﴾ يعنى: بالتوحيد ﴿وتسود وجوه﴾ بالشرك. وقيل: تبيض وجوه بالسنة، وتسود وجوه بالبدعة. وقيل: أراد به: فى الدنيا تبيض وجوه بالقناعة، وتسود وجوه بالطمع. والأول أصح، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة...﴾[2] الآية.

وفى رواية أبى أمامة عن النبى ﷺ «تسود وجوه الخوارج»[3]. ﴿فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم﴾ أى: يقال لهم: أكفرتم بعد إيمانكم؟! فإن قال قائل: كيف كفروا بعد الإيمان ولم يكونوا مؤمنين قط؟ قيل أراد به إيمان يوم الميثاق، وكفروا بعده.

(١) الحج: ٣٠.

(٢) عبس: ٣٨-٣٩.

(٣) رواه الترمذى (٥/ ٢١٠ رقم ٣٠٠٠) بطوله، وقال: حسن، وابن ماجه (١/ ٦٢ رقم ١٧٦)، وأحمد (٥/ ٢٦٢)، وعبد الرزاق فى مصنفه (١٠/ ١٥٢ رقم ١٨٦٦٣)، وابن أبى شيبة (١٥/ ٣٠٧ – ٣٠٨ رقم ١٩٧٣٨)، وابن أبى حاتم فى تفسير «آل عمران» (١/ ٤٦٥ رقم ١١٤٤)، والطبرانى فى الكبير (٨/ ٢٦٧ رقم ٨٠٣٣) وأعاده فى غير موضع من كتابه، كلهم من حديث أبى أمامة مرفوعا.

إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ

وقيل: أراد به: اليهود؛ آمنوا بما كان فى التوراة من نعت محمد، ثم كفروا، وغيروا. ﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾.

قوله تعالى: ﴿وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله﴾ أى: فى ثواب الله ﴿هم فيها خالدون﴾.

﴿تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين﴾ لأنه يعاقب من يعاقب عن استحقاق بالعدل ﴿ولله ما فى السموات وما فى الأرض وإلى الله ترجع الأمور﴾.

قوله تعالى: ﴿كنتم خير أمة﴾ فإن قال قائل: ما معنى قوله: ﴿كنتم خير أمة﴾ ومتى كانوا بتلك الصفة؟ قيل: أراد به: كنتم خير أمة فى اللوح المحفوظ. وقيل: أراد به صرتم خير أمة إذا آمنتم. وقيل: يقال لهم يوم القيامة: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾ فالمعروف: ما عرفه الشرع، والمنكر: ما أنكره الشرع. وفى الحديث: «لتأمرون بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو يوشك أن يعمكم الله بعقابه»(١)، وقال ﷺ: «أفضل الشهداء بعد شهداء أحد: رجل قام إلى إمام جائر، فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله عليه»(٢)

قوله: ﴿وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم﴾ وهذا لاشك فيه. ﴿منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون﴾ لأنه آمن بعضهم، وكفر أكثرهم.

(١) رواه أبو داود (٤/ ١٢١ - ١٢٢ رقم ٤٣٣٦، ٤٣٣٧)، والترمذى (٥/ ٢٣٥ رقم ٣٠٤٧)، وابن ماجة (٢/ ١٣٢٨ رقم ٤٠٠٦)، وأحمد (١/ ٣٩١) والطبرانى فى الكبير (١٠/ ١٤٥ - ١٤٦ رقم ١٠٢٦٤، ١٠٢٦٨)، والبيهقى فى الكبرى (١٠/ ٩٣) كلهم من حديث ابن مسعود، بعضهم اختصره، وبعضهم ذكره بطوله، وقد اختلف فى أسانيده انظر علل الدارقطنى (٥/ ٢٨٥ - ٢٨٨ رقم ٨٨٩) والسلسلة الضعيفة رقم (١١٠٤).

(٢) سبق تخريجه فى أول هذه السورة.

لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ

﴿لن يضروكم إلا أذى﴾ يعنى: لايضرونكم بأكثر من أذى وهو إضرار يسير، وأذى توقيعه باللسان.

﴿وإن يقاتلونكم يولوكم الأدبار ثم لاينصرون﴾ أى: يهزمون وتكون النصرة لكم عليهم.

قوله تعالى: ﴿ضربت عليهم الذلة﴾ يعنى: ذل الكفر: بالقتل، والسبى، والاغتنام ﴿أين ما ثقفوا﴾ أى: وجدوا.

﴿إلا بحبل من الله﴾ يعنى: عهد الذمة ﴿وحبل من الناس﴾ وهو عهد الأمان، يعنى: أنهم يقتلون، ويؤسرون، إلا أن تكون لهم ذمة أو أمان.

﴿وباءوا بغضب من الله﴾ رجعوا واحتملوا غضب الله، (وقيل: لزمهم غضب الله)[1] من قولهم تبوأ مكان كذا أى: لزمه ﴿وضربت عليهم المسكنة﴾ أى: ذل الكفر، بزى الفقر، وذلك على اليهود، حتى لايرى يهودى إلا على زى الفقر، وإن كان غنيا ﴿ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾.

﴿ليسوا سواء﴾ يعنى: (المؤمنين والكافرين)[2] ليسوا سواء، وهذا وقف تام، ثم ابتداء ﴿من أهل الكتاب أمة قائمة﴾ أى: عادلة، وقيل: قائمة: مستقيمة على الحق، وقيل: الأمة: الطريقة المستقيمة، وهى طريقة الحق، وتقديره: من أهل الكتاب ذو أمة قائمة، ومنه قول النابغة:

أَكْلَفْتَنِى ذنبَ امرئٍ وتركْتَهُ[3] وهلْ يأثَمَنْ ذو أمةٍ وهوَ طائعُ

(١) ليست فى «ك».
(٢) فى «ك»: الكافرين والمؤمنين.
(٣) كذا جاء الشطر من البيت فى «الأصل»، و«ك»، وفى لسان العرب (مادة: أمم):
حَلَفْتُ! فلم أترك لنفسك ريبةً

أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ

أى: ذو دين وطريقة. ﴿ يتلون آيات الله آناء الليل ﴾: ساعات الليل، واحدها: إِنًا، وأَنًا ﴿ وهم يسجدون ﴾ قال ابن مسعود: يعنى: يصلون صلاة العتمة، وقيل: أراد به الصلاة ما بين المغرب العشاء وهو فى آناء الليل.

﴿ يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين ﴾ وصفهم الله تعالى وشكرهم ﴿ وما يفعلوا من خير فلن يكفروه ﴾ أى يجازون عليه. والله تعالى إذا جازى العبد على صنيعه، فقد شكره ﴿ والله عليم بالمتقين ﴾.

قوله تعالى: ﴿ إن الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا ﴾ أى: لا تدفع أموالهم بالفدية، ولا أولادهم بالنصرة من عذاب الله؛ وذلك أن الإنسان يدفع عن نفسه بفداء المال، وتارة بالاستعانة بالأولاد ﴿ وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾.

(قوله)(١): ﴿ مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر ﴾ الصِرُّ فى الريح: البرد، وقول الشاعر:

أَوْقِدْ فإنَّ الليلَ ليلٌ قرٌّ والرِّيحُ يا واقدُ ريْحٌ صِرٌّ
عَسَى [ما](٢) نرى نارًا لمن يمرّ إِنْ جَلَبتْ ضيفًا فأنت حرٌّ

﴿ أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته ﴾ شبه إنفاقهم بزرع اجتاحته جائحة أو أصابته ريح باردة فأهلكته.

واختلفوا فى تلك النفقة: قال بعضهم: أراد به: إنفاق أبى سفيان يوم بدر وأحد على المشركين فى قتال المسلمين، وقيل: أراد به: إنفاق المرء الذى ينفق ماله رياء

---

(١) ليست فى «ك».

(٢) ليست فى الأصل.

أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَا أَنتُمْ أُوْلاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ

وسمعة، لايبتغى وجه الله ﴿وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون﴾.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم﴾ أى: خواص من غير أهل ملتكم، وبطانة الرجل: خاصته، والذين يستنبطون أمره، ومنه: البطانة فى الثوب؛ لأنه يلى البطن والباطن، وهذا فى النهى عن موالاة الكفار ﴿لايألونكم خبالا﴾ أى: يقصرون فى (أمركم)(١)، فيفسدون عليكم أمركم، والخبال: الفساد ﴿ودوا ما عنتم﴾ أى: يودون ما يشق عليكم، والعَنَت: المشقة، ومنه الأكمه العنوت وهى الشاقة الصعود، قال السدى: أراد به: أنهم يوَدُّون ردَّكم إلى الكفر والضلالة.

﴿قد بدت البغضاء من أفواههم﴾ يعنى: الوقيعة باللسان، ﴿وما تخفى صدورهم أكبر﴾ (يعنى: الذى فى صدورهم)(٢) من الغيظ أعظم من الوقيعة باللسان ﴿قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون﴾.

قوله تعالى: ﴿ها أنتم أولاء﴾ يعنى: أنتم ياهؤلاء، ﴿تحبونهم﴾ أى: تحبون إيمانهم، ﴿ولايحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا﴾ يعنى: باللسان.

﴿وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم﴾ وهو عبارة عن شدة الغيظ ﴿إن الله عليم بذات الصدور﴾.

قوله تعالى: ﴿إن تمسسكم حسنة﴾ أى: خصب ونصرة ﴿تسؤهم﴾ ﴿وإن تصبكم سيئة﴾ أى: قحط وبلاء ﴿يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا﴾ يعنى: على

(١) فى «ك»: أموركم.

(٢) ليست فى «ك».

كُلِّه وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ

الشدة والبلاء ﴿لايضركم كيدهم شيئا﴾ ويقرأ «لايَضِرْكُمْ» بكسر الضاد مخففا(١)، والمعنى واحد ﴿إن الله بما يعملون محيط﴾.

قوله تعالى: ﴿وإذ غدوت من أهلك﴾ يعنى: واذكر إذ غدوت، ومعناه: خرجت غدوة من أهلك)(٢)، أى: من بيت عائشة ﴿تبوئ المؤمنين﴾ أى: تنزل المؤمنين ﴿مقاعد للقتال﴾ يعنى: تنزلهم فى مواضع القتال ومراكزه، يقال: بوأ فلانا مكان كذا، إذا أنزله فيه، قال ابن عباس: كان النبى ﷺ يسمى لكل واحد من المسلمين مكانا من [القتال](٣)، ويقيمه».

وهذا كان فى حرب أحد، وهذه الآية إلى قريب من آخر السورة فى حرب أحد ﴿والله سميع عليم﴾ أى: سميع بما قاله المنافقون، عليم بما أضمروا؛ فيكون على وجه التهديد، وقيل: معناه: ﴿والله سميع﴾ بما قاله المؤمنون، عليم بما أضمروا؛ فيكون على وجه المدح.

قوله تعالى: ﴿إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا﴾ يعنى: أرادت، وقصدت، والهمُّ: القصد، وأما الطائفتان، فقد صح عن جابر أنه قال: أراد به: بنى سلمة، وبنى حارثة. والقصة فى ذلك: ما روى «أن رسول الله ﷺ شاور أصحابه فى الخروج إلى حرب أحد، فأشار بعضهم بالخروج، وبعضهم بالمكث بالمدينة، فاختار الخروج، وكان جيش المسلمين ألفا، فانخذل عبد الله بن أبى بن سلول بثلث الجيش فهمت هاتان

(١) قرأ ابن عامر، وأبو جعفر، وحمزة، والكسائى، وعاصم بضم الضاد، ورفع الراء وتشديدها، وقرأ الباقون بكسرالضاد، وجزم الراء المخففة.
انظر النشر (٢/ ٢٤٢).

(٢) فى «ك» خرجت من غدوة أهلك.

(٣) فى «الأصل»، و«ك»: القتل.

لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ
الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ

الطائفتان بنو سلمة وبنو حارثة أن يرجعوا(١) معهم، فثبتهما الله تعالى على المضى معه، فلم يرجعوا»(٢)، فهذا معنى قوله: ﴿إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا﴾ أى: أن تضعفا: وتجبنا ﴿والله وليهما﴾ أى: ناصرهما ومثبتهما على الحرب.

قال جابر: ماوددنا أن تفشلا، وقال الله: ﴿والله وليهما(٣) وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾.

قوله تعالى: ﴿ولقد نصركم الله ببدر﴾ يذكر عليهم منته بالنصرة يوم بدر، وهو موضع بين مكة والمدينة، وسمى بدرا باسم الموضع، وقيل: سمى بدرا باسم رجل، وقيل باسم بئر ﴿وأنتم أذلة﴾ أى: قليل العدد؛ لأنهم كانوا يوم بدر ثلثمائة وثلاثة عشر نفرا، قال على: ولم يكن فينا فارس إلا المقداد، وكان منهم سبعة وسبعون من المهاجرين والباقون من الأنصار، وكان صاحب راية المهاجرين أمير المؤمنين على - رضى الله عنه -، وصاحب راية الأنصار قيس بن سعد بن عبادة.

وكان لهم يومئذ قليل سلاح، فمنَّ الله عليهم بالنصرة لهم؛ مع قلة عددهم وعدتهم، ﴿فاتقوا الله لعلكم تشكرون﴾.

قوله تعالى: ﴿إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم﴾ قيل: أراد به: فى يوم بدر، وقيل: فى يوم أحد، قال ابن عباس: ما قاتلت الملائكة فى المعركة إلا يوم بدر.

أى: يكفيكم ﴿أن يمدكم ربكم﴾ الإمداد: هو إعانة الجيش بالجيش، ومنه: المدد ﴿بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين﴾.

قوله تعالى: ﴿بلى إن تصبروا﴾ يعنى: بلى وعدكم إنْ تصبروا على لقاء العدو، ﴿وتتقوا﴾ أى: وتحذروا مخالفة الرسول ﴿ويأتوكم من فورهم هذا﴾ قال ابن عباس والحسن وأكثر المفسرين: معناه: ويأتوكم من وجوههم هذا، وقيل: معناه: من غضبهم هذا؛ لأنهم إنما رجعوا للحرب يوم أحد من غضبهم ليوم بدر.

---

(١) فى «ك»: يرجعا.

(٢) رواه ابن جرير بطوله عن السدى مرسلا.

(٣) ليست فى «ك».

آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا

﴿ يمددكم ربكم بخمسة آلاف ﴾ لم يرد به خمسة آلاف سوى ما ذكر من ثلاثة آلاف؛ لأنهم أجمعوا على أن عدد الملائكة يومئذ خمسة آلاف، فكأنه جعل ما وعدهم من ثلاثة آلاف خمسة آلاف، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿ بالذى خلق الأرض فى يومين ﴾(1)، ثم قال بعده: ﴿ وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام ﴾(2) ولم يرد به أربعة أيام سوى ذلك اليومين؛ لأنه قال بعده: ﴿ فقضاهن سبع سموات فى يومين ﴾(3) وأجمعوا على أن خلق الكل كان فى ستة أيام لا فى ثمانية أيام، بل أراد به أربعة أيام مع ذلك اليومين كذا هذا.

﴿ من الملائكة مسومين ﴾ يقرأ بفتح الواو، والمراد به المُعَلَّمِينَ، ويقرأ: بكسر الواو(4) فيكون فعل التسويم: من الملائكة، والتسويم الإعلام بالعلامة، وهو من السومة، والسماء: وهو العلامة، واختلفوا فى علامة الملائكة يومئذ كيف كانت؟ قال عروة بن الزبير: كانت الملائكة على خيل بُلْقٍ عليهم عمائم صُفْر.

وقال الحسن: كانت عمائم بيض مرسلة خلف الظهور. وقال مجاهد: كانوا أعلموا من الصوف على أذناب الخيل ونواصيها؛ وذلك سنة فى خلق الشجعان، وقد قال ﷺ: « سوموا فإن الملائكة قد سومت ».(5)

قوله تعالى: ﴿ وما جعله الله إلا بشرى لكم ﴾ أى: بشارة لكم ﴿ ولتطمئن قلوبكم به ﴾ أى: بوعد النصرة ﴿ وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ﴾ يعنى: (لا)(6) تختلوا بالنصر عن الملائكة والجند، واعرفوا [أن](7) النصر من عند الله.

(1) فصلت: ٩.

(2) فصلت: ١٠

(3) فصلت: ١٢

(4) قرأ ابن كثير، وعاصم، ويعقوب، وأبو عمرو بكسر الواو، وقرأالباقون بفتحها.

(5) رواه ابن أبى شيبة فى مصنفه (١٢ / ٢٦١ رقم ١٢٧٦٨، ١٤ / ٣٥٨ رقم ١٨٥١٥)، وسعيد بن منصور فى سننه (٢٨٦١)، وابن جرير فى تفسيره (٤ / ٥٤) جميعهم عن عمير بن إسحاق مرسلا.

(6) ليست فى « ك ».

(7) ليست فى « الأصل » و لا « ك ».

﴿ليقطع طرفا من الذين كفروا﴾ أى: قطعة منهم، ومنه أطراف الإنسان؛ لأنها قطع النفس، ثم من حمل الآية على حرب بدر، فقد كان ذلك القطع منهم يوم بدر؛ فإنه قتل منهم سبعون وأسر سبعون؛ أكثرهم رؤساؤهم، ومن حمل الآية على حرب أحد، فقد قتل منهم ستة عشر فيهم أصحاب الرايات، فكانت النصرة للمسلمين مالم يخالفوا أمر رسول الله، فلما خالفوا أمره ذهبت النصرة عنهم.

قوله: ﴿أو يكبتهم﴾ قال أبو عبيدة: أى: يهلكهم، وقيل: معناه: يخزيهم، وهو أصح، وقيل: معناه: أو يصرعنهم، والكب والكبت: الصرع على الوجه، وفيه قول رابع: يكبتهم بمعنى: يكبدهم، وذلك أن يحزنهم حتى وصل الحزن إلى أكبادهم؛ والعرب تسمى الحزين: أسود الكبد من تأثير الحزن فيه [ومنه](١) قول الشاعر:

الأعداءُ والأَكْبادُ سودُ

﴿فينقلبوا خائبين﴾ أى: لايدركون ما أمَّلوا، يقال: رجع فلان من الغيبة بالخيبة، إذا لم يدرك أمله.

قوله تعالى: ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ روى الزهرى، عن سالم، عن أبيه عبد الله بن عمر: «أن رسول الله ﷺ كان يلعن فى القنوت قوما من المشركين مدة؛ فنزل قوله: ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ فترك اللعن فى القنوت»(٢)، وروى أنس «أنه ﷺ شُجَّ رأسه يوم أحد، وكُسرَت رباعيته، وأُدْمِيَ وجهه، وكان يأخذ الدم بكَفِّه ويقول: كيف يفلح قوم خضَّبوا وجه نبيِّهم؟! فنزل قوله: ﴿ليس لك من الأمر

(١) ليست فى «الأصل» ولا «ك».

(٢) رواه البخارى فى صحيحه (٧/ ٤٢٢ - ٤٢٣رقم ٤٠٦٩ وأطرافه فى ٤٠٧٠، ٤٥٥٩، ٧٣٤٦). والترمذى (٥/ ٢١٢ رقم ٣٠٠٤، ٣٠٠٥)، والنسائى (٢/ ٢٠٣ رقم ١٠٧٨) وفى الكبرى (٦/ ٣١٤ رقم ١١٠٧٥، ١١٠٧٦)، وأحمد (٢/ ٩٣، ١٠٤، ١١٨، ١٤٧)، وابن خزيمة فى صحيحه (١/ ٣١٥ رقم ٦٢٢، ٦٢٣) وابن حبان - الإحسان - (٥/ ٣٢٥ - ٣٢٧ رقم ١٩٨٧، ١٩٨٨)

مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ

شيء(١) ﴾»(٢) وقيل: أراد رسول الله ﷺ أن يدعوا عليهم بدعاء الاستئصال؛ فنزل قوله: ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ وذلك أنه تعالى علم أن فيهم من يسلم [أو يتوب](٣) ﴿أويتوب عليهم أو يعذبهم﴾ إنما نصبه على نصب قوله: ﴿ليقطع طرفا﴾ ومعناه: ليس لك من الأمر شيء؛ فإن تبتُ عليهم، أو عذَّبتُهم، فأمرك متابع لأمرى، أى: إن تبتُ عليهم، فبرحمتى، وإن عذَّبتُهم، فبظلمهم.

فإن قال قائل: أى اتصال لقوله: ﴿أو يتوب عليهم﴾ بقوله: ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾؟ قيل: معناه: ليس لك من الأمر شيء، حتى يتوب عليهم، أو إلى أن يتوب عليهم، ومثله قول امرئ القيس:

فقلتُ لهَا لاتَبْكِ عَينُكِ إنَّما ... نحاولُ مُلْكًا أو نموتَ فَنُعْذَرَا

أى: حتى نموت، فنعذرا، ويحتمل أنه على نسق قوله: ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ليس لك من الأمر شيء.

والأمر أمرى فى ذلك كله.

قوله تعالى: ﴿ولله ما فى السموات وما فى الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا لاتأكلوا الربا أضعافا مضاعفة﴾ قد ذكر الربا فى سورة البقرة، وأعاد ذكره هاهنا تأكيدا، والأضعاف المضاعفة: هو ما كانوا يفعلونه من تبعيد الأجل بزيادة الدين.

﴿واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ أى: كونوا على رجاء الفلاح، يعنى: من ترك الربا

(١) رواه مسلم فى صحيحه (١٢/ ٢٠٧رقم١٧٩١)، والبخارى تعليقا (٧/ ١٤٢٢)، والترمذى فى سننه (٥/ ٢١١-٢١٢ رقم ٣٠٠٢، ٣٠٠٣)، وقال: حسن صحيح، والنسائى فى الكبرى كتاب التفسير (٦/ ٣١٤ رقم ١١٠٧٥، ١١٠٧٦)، وابن ماجة (٢/ ١٣٣٦ رقم ٤٠٢٧).

(٢) فى «ك» زيادة مقحمة؛ وهى: «وذلك أنه تعالى علم أن فيهم ولعله انتقال نظر من الناسخ لما سيأتى.

(٣) من «ك».

وفيه الفلاح، وفى إعطاء الربا الهلاك.

وعن ابن مسعود - رضى الله (عنه)[1] -: «ما هلك قوم إلا وقد فشا فيهم الربا والزنا»، [و][2] عنه أيضا: «[كثير][3] الربا إلى قلة».

قوله تعالى: ﴿واتقوا النار التى أعدت للكافرين﴾ وهى معدة للكافرين؛ فإنها دار الخلود لهم ﴿وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون﴾ أى: كونوا على رجاء الرحمة.

قوله تعالى: ﴿وسارعوا إلى مغفرة﴾ أى: بادروا إلى مغفرة ﴿من ربكم﴾، قال ابن عباس: معناه: بادروا إلى التوبة التى هى سبب المغفرة. وقيل: أراد به: سؤال المغفرة. وفيه قول غريب أنه التكبيرة الأولى.

﴿وجنة عرضها السموات والأرض﴾ أى: سعتها كسعة السموات والأرض.

[وفى الخبر: «أن النبى ﷺ: سئل إذا كانت الجنة عرضها السموات والأرض][4] فأين النار؟ قال - عليه الصلاة والسلام: فإذا جاء الليل، فأين يذهب النهار؟ [وإذ][5] جاء النهار فأين يذهب الليل؟»[6] ومعناه - والله أعلم - أنه حيث يشاء الله.

فإن قيل: قد قال الله تعالى: ﴿وفى السماء رزقكم وما توعدون﴾[7]، وأراد بالذى وَعَدَنَا الجنة، فإذا كانت فى السماء، فكيف يكون عرضها السموات والأرض؟ قيل: إن باب الجنة فى السماء وعرضها السموات و الأرض كما أخبر.

(١) فى «ك». عنهما، وهو خطأ.

(٢) من «ك».

(٣) فى «الأصل وك»: كثر.

(٤) ليست فى «ك».

(٥) فى «ك»: فإذا، وهو خطأ.

(٦) رواه البزار - كما فى مختصر الزوائد (٢/ ٧٦رقم ١٤٥٢)، والحاكم فى المستدرك (١/ ٣٦) من حديث أبى هريرة مرفوعًا، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين وابن حبان فى صحيحه - الإحسان (١/ ٣٠٦ - ٣٠٧ رقم ١٠٣) وقال الهيثمى فى المجتمع (٦/ ٣٣٠): رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح.

(٧) الذاريات: ٢٢.

مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ

وقيل: أراد به فى القيامة، فإن الله يزيد فيها، فيصير عرضها السموات والأرض إذا (وصلت السموات والأرض)(١) بعضها ببعض، وأما طولها [فلا يعلمه](٢) إلا الله.

﴿أعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء﴾ أى: فى (اليسر والعسر)(٣) ﴿والكاظمين الغيظ﴾ كَظْمُ الغيظ: هو أن يمتلىء غيظا؛ فيمنع نفوذه، من قولهم: كَظَمَ البعيرُ بُجِرْتَه(٤) إذا ردها إلى جوفه، وفى الخبر: «من امتلأ غيظا، وكظمه خيَّره الله فى الحور العين»(٥).

﴿والعافين عن الناس﴾ قيل: عن المماليك سوء الأدب، وقيل: على العموم عن كافة الناس، ﴿والله يحب المحسنين﴾.

قوله تعالى: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم﴾ مادون الزنا من القبلة، والمعانقة، واللمس، والضم، ونحوه ﴿ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم﴾ سبب نزول الآية ما روى: أن رجلا بالمدينة - يقال له: نبهان - كان تمَّارا فجاءته امرأة تشترى منه التمر، فأعجبه جمالها فقَبَّلَها، فذكر الله، وندم واستغفر؛ فنزلت الآية.

﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله﴾ أى: ذكروا وعيد الله ﴿فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا﴾ الإصرار هو المقام على المعصية من غير توبة، فقوله: ﴿ولم يصروا﴾ أى: ولم يقيموا، ولم يمضوا ﴿على ما فعلوا وهم يعلمون﴾ أن الله لايتعاظمه العفو عن الذنب، وإن كثر

---

(١) فى «ك»: إذا وصلت السماء بعضها ببعض.

(٢) فى «الأصل»: فلا يعلم.

(٣) فى «ك»: العسر واليسر.

(٤) فى «الأصل»: يجدته، وفى «ك»: لجدته.

(٥) رواه أبو داود (٤/ ٢٤٨ رقم ٤٧٧٧)، والترمذى (٤/ ٥٦٥ - ٥٦٦ رقم ٢٤٩٣) وقال: حسن غريب، وابن ماجة (٢/ ١٤٠٠ رقم ٤١٨٦)، وأحمد (٣/ ٤٣٨، ٤٤٠)، والطبرانى فى الكبير (٢٠/ ١٨٨ - ١٨٩ رقم ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧) وفى الأوسط - كما فى مجمع البحرين (٤/ ١٥٩ - ١٦٠ رقم ٢٢٥٥)، وفى الصغير (٢/ ٢٥٠ رقم ١١١٢)، وأبو نعيم فى الحلية (٨/ ٤٧، ٥٥)، والبيهقى فى الكبرى (٨/ ١٦١) كلهم من حديث معاذ بن أنس بمعناه.

وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ

الذنب، وقد روى عن معبد بن صبيحة أنه قال: صليت خلف عثمان، فلما انصرف من صلاته قال: إن الله تعالى يقول: ﴿ولم يصروا على ما فعلوا﴾ وأنا قد صليت من غير طهارة ناسيا، وها أنا أتوضأ، فذهب (وتوضأ)[1] وأعاد الصلاة.

﴿أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين﴾ ذكر فى هذه الآية جزاء الذاكرين، والمستغفرين، وقد ورد فى الاستغفار أخبار: منها ما روى مرفوعا: «ما أصر من استغفر، وإن عاد فى اليوم سبعين مرة»[2].

وروى أسماء بن الحكم الفزارى عن علىّ أنه قال: إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثا، ينفعنى الله به ما شاء، وإذا سمعت من غيره (حلَّفته)[3] عليه، فإذا حلف صدقته وحدثنى أبو بكر - وهو صادق -: أن رسول الله ﷺ قال «ما من عبد يذنب ذنبا، فتوضأ، وصلى ركعتين واستغفر (الله)[4] إلا غفر الله له»[5].

واعلم أن الاستغفار تسهيل للأمر على هذه الأمة، فإن الذين قبلنا كان الواحد منهم إذا أذنب ذنبا يظهر على بابه (أن اقطع)[6] من نفسك عضو كذا، وكان لابد له منه، وقد أخرج الله - تعالى - هذه الأمة عن الذنوب بالاستغفار؛ كرامة لهم؛ وتيسيرا عليهم.

---

(١) فى «ك» القضاء، وهو تحريف.

(٢) رواه أبو داود (٢/٨٤ رقم ١٥١٤)، والترمذى (٥/٥٢١ رقم ٣٥٥٩) وقال: غريب؛ إنما نعرفه من حديث أبى نصيرة وليس إسناده بالقوى، والبزار فى مسنده (١/٢٠٥ رقم ٩٣)، وأبو يعلى فى مسنده (١/١٢٤-١٢٥ رقم ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩) والطبرى فى التفسير (٤/٦٤)، وابن أبى حاتم فى تفسير «آل عمران» (١/٥٥٤ - ٥٥٥) كلهم من حديث أبى بكر الصديق - رضى الله عنه -.

(٣) فى «ك»: فلقيه. وهو تحريف واضح. (٤) لفظ الجلالة ليس فى «ك».

(٥) رواه أبو داود (٢/٨٦ رقم ١٥٢١) والترمذى (٢/٢٥٧ - ٢٥٨ رقم ٤٠٦، ٥/٢١٢ - ٢١٣ رقم ٣٠٠٦) وقال: حسن والنسائى فى الكبرى (٦/١٠٩-١١٠ رقم ١٠٢٤٧، ١٠٢٥٠)، و(٦/٣١٥ رقم ١١٠٧٨)، وابن ماجة (١/٤٤٦ رقم ١٣٩٦) وأحمد (١/٢، ٨-٩، ٩، ١٠) وابن أبى شيبة (٢/٣٨٧-٣٨٨)، والطيالسى (ص٢ رقم١) والبزار (١/٦١-٦٤ رقم ٨-١١)، وأبو يعلى فى مسنده (١/١١ رقم ٢) و(١/٢٣-٢٦ رقم ١١ - ١٥) والطبرى فى التفسير (٤/٦٣)، وابن حبان (٢/٣٨٩ - ٣٩٠ رقم ٦٢٣).

(٦) فى «ك»: فإذا قطع.

تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى

وسئل ابن المعتز: إذا كان الله - تعالى - واسع المغفرة، وسعتْ رحمتُه كلَّ شيء فما يمنعُهُ أن يرحم الكافر؟ فقال: إنَّ رَحْمَتَه لا تَغْلبُ حكمته. قوله تعالى: ﴿ قد خلت من قبلكم سنن ﴾ قرأ ابن مسعود: «قد مضت»، وهو بمعنى خلت. السنة: هى الطريقة المتبعة فى الخير والشر.

وقد قال ﷺ فى المجوس: «سنوا بهم سنة أهل الكتاب»(١) وكانت شرا لهم.

وقال الشاعر:

وإنَّ الآلى بالطَّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ ... تَأَسَّوْا فَسَنُّوا لِلْكِرامِ التَأَسِّيَا

قال ابن عباس: سنن [الذين](٢) من قبلكم، وهى وقائع الله على الكفار. وقال غيره: هى الأعلام والآثار التى كانت. وحقيقة المعنى: أنها طرائق الله فى الكفار، وبقتلهم، وسَبْيِهم وتخريب ديارهم، ونحوه، قال الزجاج: ﴿ قد خلت من قبلكم(٣) سنن ﴾ أى: أهل سنن. ﴿ فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾.

قوله تعالى: ﴿ هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ﴾ قال الشعبى: بيان من العَمَى، و هدى من الضلالة، وموعظة من الجهل؛ فالبيان: هو إظهار معنى الكلام، والموعظة: هى الدعاء إلى الحق بالترغيب والترهيب.

قوله تعالى: ﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا ﴾ أى: ولا تضعفوا، ولا تجبنوا، ولا تحزنوا، ﴿ وأنتم الأعلون ﴾ أى: تكون لكم العاقبة والنُّصْرَة.

وقيل: إنما قال ﴿ وأنتم الأعلون ﴾؛ لأن المسلمين كانوا على الجبل، والمشركين فى

(١) رواه مالك فى الموطأ (١/ ٢٧٨)، والشافعى فى مسنده (ترتيب المسند ٢/ ١٣٠رقم ٤٣٠)، وعبد الرزاق فى مصنفه (٦/ ٦٨-٦٩ رقم ١٠٠٢٥)، وابن أبى شيبة (٣/ ٢٢٤)، و(١٢/ ٢٤٣)، وأبو عبيد فى الأموال (ص٤٠ رقم ٧٨)، وأبو يعلى (٢/ ١٦٨ رقم ٨٦٢)، والبزار (٣/ ٢٦٤ - ٢٦٥ رقم ١٠٥٦) والدارقطنى فى العلل (٤/ ٣٠٠ رقم ٥٧٨)، والبيهقى فى سننه (٩/ ١٨٩-١٩٠) كلهم من حديث عبد الرحمن بن عوف - رضى الله عنه - مرفوعا.

(٢) من «ك».

(٣) فى «ك»: قبلهم.

وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ

أسفل الجبل، وقوله: ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ أى: لاتهنوا إن كنتم مؤمنين؛ لأن الإيمان يزيد القوة فلا يُورث الوَهَن.

قوله - تعالى -: ﴿إن يمسسكم قرح﴾ تقرأ: بفتح القاف، وضمها(١)، وقال الفراء: القَرْحُ - بالفتح -: الجِرَاحة، والقُرْح: الألم، وقال الكسائى: هما عبارتان عن معنى واحد. والأكثرون على القول الأول، وقوله: ﴿إن يمسسكم قرح﴾ خطاب للمسلمين فيما مسَّهم يوم أحد ﴿فقد مس القوم قرح مثله﴾ أى: مسَّ الكفار يوم بدر(قَرْحَ)(٢) مثل ما مسَّكم يوم أحد.

﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾ فتارة تكون الدولة للمسلمين على الكفار، وتارة للكفار على المسلمين، قال الزجاج: الدولة تكون للمسلمين على الكفار، وقد كانت الدولة للكفار على المسلمين؛ لما خالفوا أمر الرسول، فإن لم يخالفوا أمره كانت الدولة للمسلمين أبدا؛ لقوله تعالى: ﴿وإن جندنا لهم الغالبون﴾(٣)؛ وقوله تعالى: ﴿فإن حزب الله هم الغالبون﴾(٤).

﴿وليعلم الله الذين آمنوا﴾ قرأ ابن مسعود: «وليبلى الله الذين آمنوا»، والقراءة المعروفة: ﴿وليعلم﴾، فإن قال قائل: ما معنى قوله: ﴿وليعلم الله الذين آمنوا﴾، وهو عالم بهم أبدا؟ قيل: معناه: وليعلم الصابرين على الجهاد فى مواطن الجهاد ليعاملهم معاملة من يبتليهم؛ فيعلمهم، والعلم بالجهاد فى مواطن الجهاد إنما يقع بعد وقوع الجهاد، وقيل: العلم الأول: علم الغيب، وقوله: ﴿وليعلم﴾ يعنى: علم المشاهدة، والوقوع والمجازاة على علم الوقوع لا على علم الغيب.

﴿ويتخذ منكم شهداء والله لايحب الظالمين﴾ يعنى: أنه ماجعل اليد للكفار يوم أحد لحبه إياهم؛ ولكن ليبتليكم، ويجعلكم شهداء.

(١) قرأ حمزة، والكسائى، وخلف، وأبو بكر بضم القاف، وقرأ الباقون بفتحها.

(٢) ليست فى «ك».

(٣) الصافات: ١٧٣

(٤) المائدة: ٥٦.

الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا

قوله تعالى: ﴿وليمحص الله الذين آمنوا﴾ وكل هذا على نسق قوله: ﴿ليقطع طرفا﴾(١) (وكذلك)(٢) قوله: ﴿وليعلم الله الذين آمنوا﴾ وأما التمحيص: قيل: هو [التخليص](٣) وهو قول الحسن، وقال مجاهد: هو بمعنى: الابتلاء، وحقيقة معنى التمحيص: التطهير من الذنوب، تقول العرب: محص عنا ذنوبنا أى: طهرنا من الذنوب.

﴿ويمحق الكافرين﴾ [معنى](٤) الآية: أنهم إن قتلوكم؛ فذلك تطهير لكم، وإن قتلتموهم فذلك محق لهم واستئصال.

قوله تعالى: ﴿أم حسبتم﴾ أى: [أحسبتم](٥) ﴿أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم﴾ أى: ولم يعلم الله الذين وقع منهم الجهاد، ﴿ويعلم الصابرين﴾.

قوله تعالى: ﴿ولقد كنتم تمنون الموت﴾ سبب نزول الآية أن الذين تخلفوا من حرب بدر من المسلمين قالوا لما انقضت حرب بدر: لو كان لنا يوم مثله فنقاتل ونقتل ونستشهد، فلما كان يوم أحد انهزموا، وهربوا؛ فنزلت الآية.

﴿ولقد كنتم تمنون الموت﴾ أى: سبب الموت وهو الجهاد؛ إذ لايجوز أن يتمنى الموت بقتل الكافر إياه ﴿من قبل أن تلقوه﴾ أى: تلقون سببه من الجهاد ﴿فقد رأيتموه وأنتم تنظرون﴾، فإن قيل: ما معنى قوله: ﴿وأنتم تنظرون﴾، وقد قال: ﴿فقد رأيتموه﴾؟ (قيل):(٦) يحتمل [أن تكون](٧) الرؤية بمعنى العلم؛ فقال:

(١) آل عمران: ١٢٧.
(٢) ليست فى «ك».
(٣) فى «الأصل وك»: التلخيص.
(٤) ليست فى «الأصل»، ولا «ك».
(٥) في «الأصل وك»: حسبتم.
(٦) ليست فى «ك».
(٧) ليست فى «الأصل»، ولا «ك».

مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ

﴿ وأنتم تنظرون ﴾ ليُعْلَم أن المراد بالرؤية هاهنا: التفكر، قاله الأخفش، وقيل: إنما قاله تأكيدا، وقيل: معناه: وأنتم تنظرون إلى محمد.

قوله تعالى: ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ﴾ سبب نزول الآية أن المسلمين يوم أحد لما وقعت الهزيمة عليهم، ووقع القتل فيهم؛ صاح الشيطان - عليه ما يستحق -: ألا إن محمدا [قد][(١)] قتل، فقال المسلمون: خذوا لنا الأمان من أبى سفيان، وقال من كان فى قلبه نفاق: ارجعوا إلى دينكم الأول، فإن محمدا قد قتل؛ فنزل قوله: ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ﴾ يعنى: هو على رسالته ونبوته مات أو قتل، فلمَ انقلبتم على أعقابكم؟! ﴿ ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ﴾ أى: إنما ضر نفسه، ﴿ وسيجزى الله الشاكرين ﴾.

وروى: أن [أنس بن النضر][(٢)] «لما سمع قول الشيطان: إن محمدا قتل، اخترط سيفه وتوجه إلى الكفار، وقال: إن قاتل محمد وقتل، ووصل إلى ما وصل، فأنا أقاتل حتى أقتل، وأصل إلى ما وصل إليه، فقاتل حتى قتل».

وقال كعب بن مالك: أنا أول من رأى رسول الله ﷺ يوم أحد بعد صياح الشيطان، عرفته بعينيه تحت المغفر، فقلت: هذا رسول الله ﷺ حى، فأشار إلىَّ أن اسكت»[(٣)].

---

(١) من «ك».

(٢) فى «الأصل وك»: النضر بن أنس. وهو خطأ، والصواب ما أثبتناه، وهو عم أنس بن مالك، انظر ترجمته فى الإصابة (١ / ٨٤).

(٣) ذكره ابن هشام فى سيرته (٣ / ٢٦): قال ابن إسحاق: ذكر لى ابن شهاب الزهرى، يعنى مرسلا.

مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ
مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ
يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي

قوله تعالى: ﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله﴾ تقديره: وما كانت نفس لتموت إلا بإذن الله بقضائه وقدره ﴿كتابا مؤجلا﴾ تقديره: كتب كتابا مؤجلا.

﴿ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها﴾فإن قيل: نحن نرى من يريد الدنيا، فلا يؤتى؟ قيل: معناه: لايمنع عنه ما قدر له من ثواب الدنيا بسبب كفره.

﴿ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها﴾ فإن قيل: وهل يؤتى ثواب الآخرة بمجرد الإرادة؟ قيل معناه: ومن يرد بالعمل، وهذا كما يقال: فلان يريد الجنة، أى: يعمل للجنة ﴿وسنجزى الشاكرين﴾ يعنى: المؤمنين، قال عليّ – رضى الله عنه –: أبو بكر إمام الشاكرين. أى: إمام المؤمنين، رضى الله عنه.

قوله تعالى: ﴿وكأين من نبى [قاتل][(١)] معه ربيون كثير﴾ أى: وكم من نبى قُتِلَ قال جرير:

وكأين بالأباطح من صديق ... يرانى إن أصبت هو المصابا

قال عكرمة: هذا وقف تام، ومعناه: كم نبى قُتِلَ ومعه أصحابه.

﴿فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله﴾ أى: ما جبنوا ﴿وما ضعفوا وما استكانوا﴾ أى: ما ذلوا، وما خضعوا، وقال الحسن: ما قتل نبى فى معركة قط، وإنما معنى الآية: وكأين من نبى قُتِلَ معه ربيون كثير، وأما القراءة الأخرى: «قاتل معه ربيون كثير» فمعناه ظاهر، وأما الربيون قال ابن مسعود: هم ألوف، وقيل: هم عشرة آلاف. قال الحسن: الربيون من العلماء مأخوذ من الرّب؛ لأنهم على دين الرب وطريقه.

قوله تعالى: ﴿والله يحب الصابرين وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا﴾ أى الصغائر ﴿وإسرافنا فى أمرنا﴾ أى الكبائر، ﴿وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين﴾.

(١) فى «الأصل وك»: قتل، وهى قراءة نافع، وابن كثير، ويعقوب، وأبو عمرو. انظر النشر (٢ / ٢٤٢).

أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا

قوله تعالى: ﴿فآتاهم الله ثواب الدنيا﴾ يعنى (النصرة)[1] والغنيمة.

﴿وحسن ثواب الآخرة﴾ قال ابن عباس: هو أن الله ينزل النبى وأصحابه فى قباب من در وياقوت حتى يفصل بين الخلق، وقيل: حسن ثواب الآخرة: أن يجازيهم على عملهم ويزيدهم من فضله ﴿والله يحب المحسنين﴾.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنو ا إن تطيعوا الذين كفروا﴾ يعنى: اليهود والنصارى ﴿يردوكم على أعقابكم﴾ يعنى: إلى اليهودية والنصرانية.

وقيل: أراد به المنافقين الذين قالوا يوم أحد: ارجعوا إلى دينكم الأول؛ فإن محمدا قد قتل، فهذا معنى قوله تعالى: ﴿يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين﴾ أى: مغبونين. ﴿بل الله مولاكم وهو خير الناصرين﴾.

قوله تعالى: ﴿سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب﴾ يعنى: الخوف، قال ﷺ: «نصرت بالرعب مسيرة شهر»[2] ﴿بما أشركوا بالله﴾ أى: بشركهم بالله ﴿ما لم ينزل به سلطانا﴾ أى: الذى لم يُنَزِّل به حجة، والسلطان: الحُجَّة، قال الله تعالى ﴿هلك عنى سلطانيه﴾[3] أى: حجتى.

﴿ومأواهم النار﴾ مكانهم النار ﴿وبئس مثوى الظالمين﴾ سبب نزول الآية: أن الهزيمة لما وقعت على المسلمين يوم أحد، ووقع القتل فيهم، تشاور المشركون فيما بينهم، وأجمعوا على أن يعودوا للقتال، فيستأصلوا محمدا وأصحابه فألقى الله تعالى الرعب فى قلوبهم، فمروا على وجوههم لايلوون على شىء حتى بلغوا مكة، فذلك قوله تعالى: ﴿سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب﴾.

---

(١) فى «ك»: النصر.

(٢) متفق عليه من حديث جابر، رواه البخارى فى صحيحه (١/٥١٩ رقم ٣٣٥)، ومسلم (٥/٥ رقم ٥٢١).

(٣) الحاقة: ٢٩

وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ

قوله تعالى: ﴿ولقد صدقكم الله وعده﴾ أي: وعده صدقكم بالظفر والنصرة؛ وقد كانت النصرة في الابتداء للمسلمين يوم أحد ﴿إذ تحسونهم بإذنه﴾ أي: تقتلونهم بقضاء الله وقدره، والحَسُّ: القتل، ومنه قول الشاعر:

تَحُسُّهُمُ السُّيوفُ كَمَا تَسَامَى لهيبُ النارِ في أَجَمِ الحَصِيدِ

﴿حتى إذا فشلتم﴾ أي: جَبُنتم، ﴿وتنازعتم في الأمر﴾ تقديره: حتى إذا فشلتم، تنازعتم في الأمر، و«الواو» زائدة قاله الفراء، وقيل: فيه تقديم وتأخير وتقديره: حتى إذا تنازعتم في الأمر، فشلتم ﴿وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون﴾ يعني: من الظفر والغنيمة.

﴿منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة﴾؛ لأنهم اختلفوا على ما سنذكر ﴿ثم صرفكم عنهم ليبتليكم﴾ أي: [كف][(١)] أيديكم عنهم؛ ليمتحنكم، وقيل: لينزل البلاء عليكم، ﴿ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين﴾، والقصة في ذلك: «أن رسول الله ﷺ رأى في منامه: أنه لبس درعا حصينة حين نزل المشركون بأحد؛ فأولها على المدينة، وشاور أصحابه في الخروج إلى أحد، فقالوا: إن هذه بلدة ما دخل علينا فيها أحد، ولا تبع حتى قدم وحتى يخرج إليهم، فلبس رسول الله درعين، ووضع المغفر على رأسه، وخرج؛ فندموا وعلموا أنه كان مراده أن يقيم، فقالوا: يارسول الله، (إنا)[(٢)] تبع لرأيك، وطلبوا منه أن يرجع إن شاء، فقال: ما كان لنبي إذا لبس لامته أن ينزعها حتى يقاتل، أو يحكم الله.

ومضى معه ألف نفر، فانخذل عبد الله بن أبي بن سلول [وأصحابه][(٣)] بثلث الجيش ثلثمائة نفر، وبقي سبعمائة، فلما وصل إلى أحد بعث قوما من الرماة، وأجلسهم على موضع من جبل يخاف منه الكمين، وأمر عليهم عبد الله بن جبير الأنصاري.

---

(١) في «الأصل وك»: كَيَّف.

(٢) ليست في «ك».

(٣) من «ك».

الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ

ثم ابتدأ القتال مع المشركين، فظفر عليهم، وقتل جماعة من رؤسائهم، وانهزموا، ولاح الظفر للمسلمين، وساروا فى أثرهم للغنيمة، فلما رآه الرماة، فقالوا: إن المشركين قد انهزموا، ولاح الظفر حتى نسير على أثرهم؛ ونغنم، فقال عبد الله بن جبير: لاتفارقوا هذا المكان؛ فإن رسول الله ﷺ أمركم أن تلزموا هذا المكان، فالزموه، فاختلفوا عليه، وذهب أكثرهم، وبقى عبد الله بن جبير مع نفر قليل من أصحابه.

فلما عرى موضع الكمين عن الرماة، خرج عليهم خالد بن الوليد من الكمين، وحمل عليهم بالقتل، فاستشهد عبد الله بن جبير، ومن بقى معه، وعاد المشركون للقتال، ووقع القتل فى المسلمين، وقتل منهم سبعون نفرا، وانهزم الباقون، وبقى مع رسول الله ﷺ نفر قليل،فذلك قوله ﴿ولقد صدقكم الله وعده﴾ أى: فى الابتداء بالظفر والنصرة ﴿إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر﴾ يعنى: أولئك الرماة الذين اختلفوا، ﴿وعصيتم﴾ يعنى: عصيتم الرسول، وخالفتم أمره ﴿من بعد ما أراكم﴾ يعنى: من بعد أن أراكم الله تعالى ﴿ما تحبون﴾ من الظفر ﴿منكم من يريد الدنيا﴾ هم الذين ذهبوا للغنيمة، ﴿ومنكم من يريد الآخرة﴾: الذين صبروا مع عبد الله بن جبير»(١).

قال ابن مسعود: ما علمنا أن أحدا منا يريد الدنيا حتى أنزل الله هذه الآية.

﴿ثم صرفكم عنهم ليبتليكم﴾ يعنى: فى الوقعة الثانية حين عاد المشركون، وهذا دليل لأهل السنة على: أن أفعال العباد مخلوقة؛ حيث نسب الله تعالى هزيمة المسلمين إلى نفسه مع وقوع الفعل منهم، فقال: ﴿ثم صرفكم عنهم﴾.

قوله تعالى: ﴿إذ تصعدون﴾ ويقرأ: بفتح التاء والعين(٢). فالإصعاد: هو المشى فى مستوٍ من الأرض، والصعود: المشى فى مرتفع من الأرض.

(١) أورده السيوطى فى الدر مطولا (٢/٧٥ - ٧٦) وعزاه لابن إسحاق وعبد بن حميد وابن جرير، وابن المنذر عن جمع، كل قد حدث ببعض الحديث عن يوم أحد وانظر ابن جرير (٤/ ٨١ - ٨٥).

(٢) هى قراءة أبى رجاء العطاردى، وأبى عبد الرحمن السلمى، والحسن، وقتادة بفتح التاء، والعين، يعنى تَصْعَدون الجبل. انظر تفسير القرطبى (٤/٢٣٩).

عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ

والخطاب مع المسلمين الذين انهزموا، بقوله: ﴿إذ تصعدون ولا تلوون على أحد﴾ أى: لاتعرجون، ولاتلتفتون إلى أحد، ثم منهم من قال: (أراد بالأحد)[١]: الرسول، ومنهم من قال: معناه: لاتلوون على أحد من الناس.

﴿والرسول يدعوكم فى أخراكم﴾ يعنى: فى آخر الجيش، وكان يدعوهم: «عباد الله، إلىّ إلىّ، أنا رسول الله، فلم يلتفتوا إليه، ومضوا»[٢].

﴿فأثابكم غما بغم﴾ أى: جازاكم، ثم اختلفوا، منهم من قال: الغم الأول: هو القتل، والهزيمة التى وقعت على المسلمين، والغم الثانى: هو الإرجاف من قول الشيطان: إن محمدا قد قتل. وقيل: [إن][٣] الغم الأول: هو القتل والهزيمة، والغم الثانى: هو فوات الظفر على العدو.

وقال الزجاج: معناه: أنهم غموا الرسول بمخالفة أمره؛ فجازاهم الله تعالى بذلك الغم غم القتل والهزيمة؛ وإنما سمَّاه ثوابًا؛ لأنه وضعه موضع الثواب، كما قال: ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾[٤] سمى العذاب: بشارة؛ لأنه وضعه موضع البشارة ﴿لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم﴾ من القتل والهزيمة، منعهم الله تعالى من الحزن على شىء ابتلاهم الله به، ووعد الثواب عليه ﴿و الله خبير بما تعملون﴾.

قوله تعالى: ﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة﴾ قيل: الأمن والأمنة[٥] بمعنى

---

(١) فى «ك»: أن الأحد.

(٢) رواه ابن أبى حاتم فى تفسيره (١/ ٦١٠رقم ١٦٦٣) عن الحسن مرسلا بنحوه، ورواه ابن جرير (٤/ ٨٧ - ٨٨) عن ابن عباس، وليس فيه «فلم يلتفتوا ومضوا». وعزاه السيوطى فى الدر (٢/ ٩٧) أيضا لابن المنذر عن ابن عباس. ورواه ابن جرير أيضا عن قتادة، وعطية العوفى، والسدى بنحو رواية ابن عباس.

(٣) من «ك».

(٤) آل عمران: ٢١، والتوبة: ٣٤، والإنشقاق: ٢٤.

(٥) وقع سقط كبير من الأصل مقداره (٤ ورقات) من هذا الموضع، واعتمدنا على النسخة «ك» فقط فى ضبط النص. وسنبينه على آخر السقط فى موضعه إن شاء الله تعالى.

﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ

واحد، وقيل: يكون مع (زوال سبب الخوف)[1]، فأما ها هنا فقال: ﴿أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم﴾ قيل: فيه تقديم وتأخير، وتقديره: نعاسا أمنة، وقيل: هو على نظمه مستقيم، ومعنى الآية: أن الله تعالى أراد تميز المؤمنين من المنافقين، فأوقع النعاس على المؤمنين أمنة لهم، حتى أَمِنُوا، ولم يوقع على المنافقين فبقوا على الخوف.

قال أبو طلحة: أوقع الله تعالى علينا النعاس ونحن تحت الحجر.

وقيل: أوقع النعاس عليهم حتى كان يُسْقِط السيوف من أيديهم، وكذلك عبد الرحمن بن عوف والزبير أخبرا عن ذلك النعاس، كما أخبر أبو طلحة.

وعن الزبير أنه قال: لما أوقع الله النعاس علينا، سمعنا معتب بن قشير يقول: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا، وكنت كأني في النوم أسمع، فذلك قوله: ﴿يغشى طائفة منكم﴾ يعني: المؤمنين ﴿وطائفة قد أهمتهم أنفسهم﴾ يعني: المنافقين ﴿يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء﴾ قال: ﴿قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك﴾.

ثم فسر ذلك فقال: ﴿يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم﴾.

أي: خرج الذين كتب عليهم القتل إلى مصارعهم للموت، وفي هذا دليل على أن الأجل في القتل والموت واحد، كما قال أهل السنة.

قوله تعالى: ﴿وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور﴾.

(١) في «ك»: سبب زوال الخوف، وما أثبتناه هو الصواب.

اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا

قوله تعالى: ﴿إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان﴾. يعنى: الذين انهزموا من المسلمين يوم أحد؛ فإنه لما وقعت الهزيمة على المسلمين انهزم أكثرهم، ولم يبق مع رسول الله ﷺ إلا أربعة عشر نفرا: سبعة من المهاجرين وسبعة من الأنصار، وقيل: ثلاثة عشر، ستة من المهاجرين وهم أبو بكر، وعمر، وعلى، وطلحة، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبى وقاص.

وفى الرواية الأولى: كان السابع الزبير، وكان طلحة أشد نكاية فى الكفار يومئذ.

وقيل: إن يوم أحد لطلحة، وقيل: إنه كان وقاية رسول الله ﷺ وكان قد ضُرِبَ على يده فشُلَّت وبقيت كذلك.

وأما سعد وهو راميه، وكان يرمى بين يديه، ويقول له الرسول: «ارم، فداك أبى وأمى»(١)

وأما الذين انهزموا، فقد لحق بعضهم بالمدينة منهم عثمان، ورجع بعضهم على الطريق منهم عمر؛ فذلك قوله: ﴿إنما استزلهم الشيطان﴾ أى: طلب زلتهم، يقال: استعجل فلانا، أى: طلب عجلته، ومعناه: أن الشيطان استزلهم حتى انهزموا.

وقوله ﴿ببعض ما كسبوا﴾ يعنى: من مخالفة الرسول ﴿ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم﴾ قال الزجاج: كان سبب انهزامهم: أن الشيطان وسوس إليهم: إن عليكم ذنوبا؛ فكرهوا القتل قبل أن يتوبوا من الذنوب؛ فذلك قوله: ﴿إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم﴾.

(١) متفق عليه من حديث سعد بن أبى وقاص، وعلى بن أبى طالب - رضى الله عنهما -. فرواه البخارى (٦/ ١١٠رقم ٢٩٠٥ وأطرافه فى ٤٠٥٨، ٤٠٥٩، ٦١٨٤)، ومسلم (١٥/ ٢٦١ - ٢٦٢ رقم، ٢٤١١) من حديث على.

ورواه البخارى (٧/ ١٠٤ رقم ٣٧٢٥، وأطرافه فى ٤٠٥٥، ٤٠٥٦، ٤٠٥٧)، ومسلم (١٥/ ٢٦٣ رقم ٢٤١٢) من حديث سعد بن أبى وقاص.

اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ

روى: «أن رجلا جاء إلى ابن عمر – وقيل: إلى ابن عباس، [و][(١)] الأصح إلى ابن عباس[(٢)]، وقال: أليس عثمان لم يشهد بدرا؟ قال: نعم. فقال: أليس لم يشهد بيعة الرضوان؟ قال: نعم، قال: أليس انهزم يوم أحد؟ قال: نعم.

فقال الرجل: الله أكبر.

فعرف ابن عباس أنه أراد النقص؛ فدعاه، قال: أما يوم بدر؛ فإن النبى ﷺ كان قد خلفه على ابنته، وكانت مريضة وقال له: لك أجر واحد ممن شهد، وسهم واحد ممن شهد، وهو بدرى بقول الرسول.

وأما بيعة الرضوان، فقد كان الرسول ﷺ بعث عثمان إلى مكة رسولا، ولو كان بينهم فى الوادى أعز منه لبعثه، ولما بايعهم ضرب رسول الله ﷺ بشماله على يمينه، وقال: هذه يد عثمان، وهذه يدى، أما انهزامه يوم أحد، فقد عفا الله عنه، ولاعيب فى شىء عفا الله عنه»[(٣)]

فصل

«وأما ما أصاب رسول الله ﷺ يوم أحد، فإنه كان قد هشمت البيضة التى كانت على رأسه، وأُدْمى وجهه، وكسر [ثنيته][(٤)]؛ فجاء إلى المدينة فكانت فاطمة تغسل وجهه، وعلى – رضى الله عنه – يأتى بالماء فى المجن، وكان يغلب الدم، حتى أحرقت حصيرا، فلما صار رمادا، جعلوه فى الجراحة فاستمسك الدم».[(٥)]

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا﴾ يعنى: المنافقين

(١) ليست فى «ك»، والسياق يقتضيها.

(٢) بل الصحيح أنه جاء إلى ابن عمر كما سيأتى تخريجه عند البخارى فى صحيحه.

(٣) رواه البخارى (٦/ ٢٧١ رقم ٣١٣٠)، والترمذى (٥/ ٥٨٧ – ٥٨٨ رقم ٣٧٠٦) وأحمد (٢/ ١٠١، ١٢٠)، والطيالسى (ص ٢٦٤ رقم ١٩٥٨) كلهم من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما.

(٤) فى «ك»: جبينه، وهو تصحيف.

(٥) متفق عليه من حديث سهل بن سعد، رواه البخارى فى صحيحه (١/ ٤٢٢ رقم ٢٤٣، وأطرافه فى ٢٩٠٣، ٢٩١١، ٤٠٧٥، ٥٧٢٢)، ومسلم (١٢/ ٢٠٥ – ٢٠٧ رقم ١٧٩٠).

اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ

﴿ وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا فى الأرض ﴾ أراد: إخوانهم فى النسب، لا فى الدين ﴿ ضربوا فى الأرض ﴾ أى: سافروا ﴿ أو كانوا غزى ﴾ جمع غاز ﴿ لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ﴾ وهذا قول المعتب بن قشير، وعبد الله بن أبى بن سلول، وجد بن قيس؛ ﴿ ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم والله يحيى ويميت والله بما تعملون بصير ﴾.

قوله تعالى: ﴿ ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم ﴾ أى: لئن خرجتم، فقتلتم، أو لم تخرجوا، فمتم ﴿ لمغفرة من الله ورحمة خيرٌ مما يجمعون ﴾ من الدنيا ويطلبون الحياة لأجله.

قوله تعالى: ﴿ ولئن مُتم أو قتُلتم لإلى الله تحشرون ﴾ يعنى: كيفما خرجتم من الدنيا، فحشركم إلى الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿ فبما رحمة من الله ﴾ أى: فبرحمة، و«ما» للصلة، ﴿ لنت لهم ﴾ وهذه صفة المؤمنين، وقد قال ﷺ: «المؤمنون هينون لينون، كالجمل الأنف، إن قيد انقاد، وإن أُنخَّ على صخرة استناخ» (١).

﴿ ولو كنت فظا ﴾ وهو الجافى ﴿ غليظ القلب ﴾ أى: قاسى القلب ﴿ لانفضوا ﴾ لتفرقوا ﴿ من حولك ﴾.

(١) رواه العقيلى فى الضعفاء (٢/ ٢٧٩) والقضاعى فى الشهاب (١/ ١١٤ - ١١٥ رقم ١٣٩) من حديث عبد الله بن عمر. وقد ساقه العقيلى فى ترجمة عبد الله بن عبد العزيز بن أبى رواد عن أبيه، وقال: أحاديثه عن أبيه مناكير غير محفوظة أ.هـ.

ورواه ابن المبارك فى الزهد (ص ١٣٠ رقم ٣٨٧) والقضاعى فى الشهاب (١/ رقم ١٤٠) عن مكحول مرسلا.

ورواه أحمد فى الزهد (٣٨٦ - ٣٨٧)، وأبو نعيم فى الحلية (٥/ ١٨٠) عن مكحول قوله.

وللحديث شاهد من حديث العرباض بن سارية، رواه ابن ماجة (١/ ١٦ رقم ٢٤٣)، وأحمد (٤/ ١٢٦) وغيرهما.

عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ

﴿فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر﴾ المشاورة هى استخراج الرأى، وكانت المشاورة جائزة للنبى ﷺ فى أمور الدنيا، فأما فى أمور الدين فعلى التفصيل إن كان فى شيئين يجوز كلاهما، جازت المشاورة، كما شاورهم فى أسارى بدر، حيث كان يجوز القتل والفداء.

والثانى: فى أمور ثبتت نصا، كالصوم والصلاة، لاتجوز فيها المشاورة.

الثالث: فى شيء لانص فيه، فهو بناء على أن اجتهاده هل كان سائغا أم لا؟ فإن ساغ اجتهاده، جازت مشاورته، وإلا فلا.

ولأى كان يشاور؟ قال الضحاك: ليقتدى به، وليستن بسنته، وهو قول سفيان الثورى، وقال قتادة: تطييبا لقلوبهم.

﴿فإذا عزمت فتوكل على الله﴾ أى: لا تتوكل على المشاورة، وإنما توكل على الله ﴿إن الله يحب المتوكلين﴾.

﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده﴾ الخذلان: الامتناع عن النصرة عند الحاجة ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾.

قوله تعالى: ﴿وما كان لنبى أن يغل﴾ يقرأ بقراءتين(١)، فمن قرأه: بفتح الياء وضم الغين، فمعناه: أن يخون.

قال ابن عباس: سبب نزول الآية: أنه يوم بدر فقدت قطيفة حمراء، فقال بعض أصحاب رسول الله ﷺ: الرسول أخذها؛ فنزل قوله: ﴿وما كان لنبى أن يغل﴾.

وقال محمد بن كعب القرظى: معناه: وما كان لنبى أن يكتم شيئا من الوحى، ويخون فيه.

وفيه قول ثالث: «أن النبى ﷺ كان قد بعث طلائع، فهمَّ ألا يعطيهم من الغنائم

---

(١) قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم بفتح الياء وضم الغين، وقرأ الباقون بضم الياء، وفتح الغين. انظر النشر (٢/٢٤٣).

﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ

شيئا؛ فنزل قوله: ﴿ وما كان لنبى أن يغل ﴾»(١) قال قتادة: أن يخان منه، أى: لاتخونوه، وقيل معناه: أن ينسب إلى الغلول، وقيل معناه: أن يلقى غلاً، وهذا غريب من معنى القراءة الأولى. والغُلُول: الخيانة، والغلّ: الحقد، والغَلَل: الماء الذى يجرى بين الشجر، ومنه قول الشاعر:

لَعِبَ [السُّيولُ](٢) به فأصبح ماؤه غَـلَلاً [يخلل](٣) فى أصول الخِـرْوَع

وفى الخبر: أن النبى ﷺ قال: «ثلاث لايغل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، ونصيحة ولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين؛ فإن دعوتهم تحيط من ورائهم»(٤).

﴿ ومن يغلل ﴾ أى: ومن يخن ﴿ يأت بما غل يوم القيامة ﴾ قيل: يأتى ما غل بعينه يوم القيامة، وذلك معنى قوله ﷺ فيما روى عنه: «لألقين أحدكم يوم القيامة، وعلى رقبته فرس له حمحمة قد غله، فيقول: يا محمد، يا محمد، فأقول: لا أغنى عنك من الله شيئًا، ألا قد بلغت، ولألقين أحدكم يأتى يوم القيامة، وعلى رقبته شاة لها ثُغاء، قد غلها، فيقول يا محمد، يا محمد، فأقول: لا أغنى عنك من الله شيئا، ألا قد بلغت، ولألقين أحدكم يوم القيامة وعلى رقتبه بعير له رغاءٌ، قد غله، فيقول: يامحمد، يامحمد، فأقول: لاأغنى عنك من الله شيئًا ألا قد بلغت»(٥).

---

(١) رواه ابن أبى شيبة فى مصنفه (١٢/٤١٣ رقم ١٥٠٧٨)، وابن جرير (٤/١٠٣) عن الضحاك مرسلا إلا أنه قرأ: «وما كان لنبى أن يغل».

(٢) فى «الأصل وك»: السيوف، وما أثبتناه من لسان العرب (مادة: غلل) وفيه أيضًا: يُقَطِّع فى أصول الخروع بدلاً من يُخلل.

(٣) كذا فى «الأصل وك» وفى لسان العرب.

(٤) رواه ابن ماجة (١/٨٤ رقم ٢٣٠)، وأحمد (٥/١٨٣)، والدارمى (١/٨٦ - ٨٧ رقم ٢٢٩)، وابن أبى عاصم فى السنة (٥/٤٥ رقم ٩٤)، والطبرانى فى الكبير (٥/١٤٣ رقم ٤٨٩٠)، و(١٥٤ - ١٥٥ رقم ٤٩٢٥) وابن حبان فى صحيحه (١/٢٧٠ رقم ٦٧)، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم (١/٣٨-٣٩) كلهم من حديث زيد بن ثابت.

قال ابن أبى عاصم: وفيه عن جبير بن مطعم، وابن مسعود، ومعاذ، وأنس.

(٥) متفق عليه من حديث أبى هريرة. رواه البخارى (٦/٢١٤ - ٢١٥ رقم ٣٠٧٣)، ومسلم (١٢/٢٩٩ - ٣٠٠ رقم ١٨٣١).

﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ

والقول الثانى: أنه أراد به: يأتى بإثم ما غل يوم القيامة، وفى الخبر: «أن رجلا كان على ثَقَلِ[1] رسول الله ﷺ، فاستشهد فقال الناس هو فى الجنة، فقال النبى ﷺ: هو فى النار؛ فَطُلِبَ، فإذا هو قد غلَّ عباءة من المغنم». [2]

﴿ثم توفَّى كل نفس ما كسبت﴾ أى: جزاء ما كسبت، فالجزاء مضمر فيه ﴿وهم لايظلمون﴾.

قوله تعالى: ﴿أفمن اتبع رضوان الله﴾ يعنى: ترك الغلول ﴿كمن باء بسخط من الله﴾ يعنى: بالغلول، وقيل معناه: أفمن اتبع رضوان الله بموافقة الرسول، كمن باء بسخط من الله بمخالفة الرسول ﴿ومأواه جهنم وبئس المصير﴾.

قوله تعالى: ﴿هم درجات عند الله﴾ قال مجاهد: لهم درجات عند الله، يعنى: المؤمنين، وقال غيره: تقديره: هم ذَوُوا درجات عند الله، يعنى: المؤمنين والمنافقين، فالمؤمنون ذَوُوا الدرجات الرفيعة، والمنافقون ذَوُوا الدرجات الخسيسة، ومثله قول الشاعر:

أَنُصْب للمنيِّة تعتريهم ... رجالى، أم هُمُو درَجُ السيول[3]

أى: ذووا درج السيول. ﴿والله بصير بما يعملون﴾

قوله - تعالى -: ﴿لقد منَّ الله على المؤمنين﴾ أى: أنعم، والمنة: النعمة، والمن: القطع؛ ومنه قوله - تعالى -: ﴿لهم أجر غير ممنون﴾[4] أى: غير مقطوع، وسُميت النعمة منة، لأنها مقطوعة عن المحن والشدائد.

وقوله تعالى: ﴿إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم﴾ قيل: هذا فى العرب خاصة؛

---

(١) قال ابن الأثير هو: متاع السفر. انظر النهاية (مادة: ثقل).

(٢) رواه البخارى فى صحيحه (٦/٢١٦ رقم ٣٠٧٤)، وابن ماجه (٢/٩٥٠ رقم ٢٨٤٩) وابن أبى شيبة (١٢/١٥٣٧٣)، وسعيد بن منصور فى سننه (٢/٣/ رقم ٢٧٢٠) جميعهم من حديث عبد الله بن عمرو، ووقع عند ابن أبى شيبة: عبد الله بن عمر، وهو تصحيف.

(٣) فصلت: ٨

(٤) كذا وقع البيت فى لسان العرب «مادة: درج» وعزاه ابن منظور لسيبويه. وفى «ك» وقع تحريف كثير فى البيت.

بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى

لأن الرسول بُعث من بنى إسماعيل إلى العرب، وقيل: هو على العموم فى حق الكافة؛ فإنه بعث بَشَرٌ مثلهم.

وموضع المنة فى بعثه من أنفسهم للعرب: أنه كان شرفا لهم، حيث بعث الرسول منهم، وأيضا فإن القرآن نزل بلسان العرب؛ إذ كان الرسول عربيا، وكان التعلم أسهل عليهم؛ لكونه أقرب إلى أفهامهم، فالمنة فى السهولة عليهم، ولأنه لما نشأ فيهم، وعرفوا صدقه وأمانته، وكان أميا مثلهم ما كان يحسن الخط، ولا يعلم شيئا، ولا سافر، ثم أتى بكتاب يخبر عن القرون الماضية وقصص الأولين، ووافق الكتب المنزلة قبله، كان أقرب إلى قلوبهم، فكان يسهل طريق الإيمان عليهم.

وقوله: ﴿ يتلو عليهم آياته ويزكيهم ﴾ أى: يشهد بتزكية سائر الأمم، ويجعلهم أزكياء، وقيل: يطهرهم من الذنوب ﴿ ويعلمهم الكتاب ﴾ يعنى: القرآن ﴿ والحكمة ﴾، قال ابن عباس: الفقه والشرائع، وقال غيره: الحكمة: السنة.

﴿ و إن كانوا من قبل لفى ضلال مبين ﴾ أى: ما كانوا من قبل إلا فى ضلال مبين.

قوله تعالى: ﴿ أو لما أصابتكم مصيبة ﴾ يعنى: يوم أحد ﴿ قد أصبتم مثليها ﴾ يعنى: يوم بدر: نزلت الآية فى تسلية المؤمنين، وذلك: أن يوم أحد قتل من المسلمين سبعون، وقد أصاب المسلمون منهم يوم بدر سبعين بالقتل، وسبعين بالأسر، فذلك مثليهم، فجعل الأسر مثل القتل؛ حيث جعل القتلى والأسرى يوم بدر مثلى قتلى أحد.

﴿ قلتم أنى هذا ﴾ من أين هذا؟ ﴿ قل هو من عند أنفسكم ﴾ أى: بمخالفة الرسول منكم». وعن عمر - رضى الله عنه - أنه قال فى تفسير قوله تعالى: ﴿ قل هو من عند أنفسكم ﴾ أى: باختياركم الفداء؛ وذلك أن النبى ﷺ خير المسلمين يوم [بدر] (١) فى الأسارى بين القتل والفداء، وقال لهم: «إن اخترتم الفداء أصيب

(١) سقطت من الناسخ.

الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ

منكم بعدتهم فى العام القابل، فاختاروا الفداء، وقالوا: نتقوى به على العدو، ويستشهد منا»[١] فذلك قوله: ﴿قل هو من عند أنفسكم﴾ أى: باختياركم، وهو قول على - رضى الله عنه - ﴿إن الله على كل شىء قدير﴾.

قوله تعالى: ﴿وما أصابكم يوم التقى الجمعان﴾ يعنى: يوم أحد ﴿فبإذن الله﴾ أى: بعلم الله، وروى «أنه ﷺ - لما نزل المشركون بأحد رأى فى منامه أن بقرا ينحر[٢]، فأوله على أن يستشهد بعض أصحابه. ورأى أن سيفه ذا الفقار انقصم فأوله على قتل حمزة، ورأى كأن كبشا أغبر قتل فأوله على قتل مبارز الكفار، فقتل يوم أحد مبارزهم عثمان بن طلحة العبدرى من بنى عبد الدار»[٣].

﴿وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا﴾ يعنى: علم المشاهدة، وإن كان علمهم علم الغيب.

﴿وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا﴾ قائل ذلك القول: عبد الله بن حرام أبو جابر، قال للمنافقين: قاتلوا فى سبيل الله، وإن لم تقاتلوا لأجل الدين، فادفعوا عن الأهل والحريم.

﴿قالو لو نعلم قتالا لاتبعناكم﴾ فرجعوا وهم يقولون: لاقتال، لا قتال؛ حتى يفشل المسلمون ﴿هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان﴾ يعنى: بعد رجوعهم ومقالتهم تلك؛ لأنهم كانوا من قبل من المؤمنين فى الظاهر؛ وإن كانوا منافقين فى الباطن، فلما فارقوا المؤمنين صاروا أقرب إلى الكفر منهم للإيمان.

---

(١) رواه الترمذى (٤/ ١١٤ - ١١٥ رقم ٥٦٧)، والنسائى فى الكبرى (٥/ ٢٠٠ رقم ٨٦٦٢) والطبرى فى التفسير (٤/ ١١٠)، والبزار فى مسنده (٢/ ١٧٦ رقم ٥٥١)، والدارقطنى فى العلل (٤/ ٣١-٣٣) كلهم من طريق عبيدة السلمانى عن على. ورواه ابن أبى شيبة (١٤/ ٣٦٨ رقم ١٨٥٣٣)، والطبرى (٤/ ١٨٠) عن عبيدة مرسلاً، وقال الدارقطنى فى العلل: والمرسل أشبه بالصواب.

(٢) هذا آخر موضع السقط الكبير الذى وقع فى النسخة «الأصل» والذى استدركناه من النسخة «ك».

(٣) متفق عليه من حديث أبى موسى الأشعرى بنحوه رواه البخارى (٦/ ٧٥ رقم ٣٦٢٢، وأطرافه فى ٣٩٨٧، ٤٠٨١، ٧٠٣٥، ٧٠٤١) ومسلم (١٥/ ٤٥ - ٤٦ رقم ٢٢٧٢)، وفى الباب عن ابن عباس وأنس وجابر.

يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾

﴿يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم والله أعلم بما يكتمون﴾.

قوله تعالى: ﴿الذين قالوا لإخوانهم﴾ يعنى: فى النسب لا فى الدين، وهم المنافقون، قالوا للمسلمين: لو قعدوا (كما قعدنا لما قتلوا)(١)، كما لم نقتل، فذلك قوله: ﴿الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين﴾ يعنى: إن قدرتم على دفع القتل، وتقدرون على دفع الموت، فادفعوا الموت عن أنفسكم. والدرء: الدفع، ومنه قول الشاعر:

أقولُ وَقَدْ دَرأتُ لها وَضِينِى ... أَهَـذا دينُكم أبداً ودَينِى(٢)؟

قوله تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا﴾ سبب نزول الآية: أن أصحاب رسول الله ﷺ لما استشهدوا يوم أحد، كان الناس يقولون: مات فلان؛ ومات فلان، فنزل قوله تعالى: ﴿ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم﴾ قيل معناه: يؤولون أحياء يوم القيامة. إلا أن هذا ضعيف؛ لأنه لايبقى لهم فيه تخصيص، والأصح: أنه على معنى ما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر تعلف من ثمار الجنة – وفى رواية: تأكل، وفى رواية: تسرح فى الجنة فترد مياهها – ثم تأوى إلى قناديل من ذهب معلقة من العرش» ورواه مسلم فى صحيحه، وزاد «إن الله تعالى اطلع عليهم اطلاعة، فيقول: تمنوا علىَّ، فيقولون: ماذا نتمنى وقد أعطيتنا هذا؟! فيقول: تمنوا على، فيقولون: وماذا نتمنى وقد أعطيتنا هذا؟! فيقول: تمنوا على، فيقولون: نتمنى أن نرد إلى الدنيا ونقتل فى سبيلك ثانيا» الحديث(٣).

---

(١) فى «ك»: كما قعدوا لقتلنا.

(٢) هكذا وقع البيت فى «الأصل وك».، وفى لسان العرب (مادة: وضن):

تقول إذا درأتُ وضينى ... أهذا دأبه أبداً ودينى؟

وعزاه للمثقب العبدى

(٣) تقدم تخريجه.

فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ

وفى رواية ثالثة: «أن النبى ﷺ رأى جابرا حزينا، وقتل أبوه عبد الله بن حرام يوم أحد، فقال: ما لى أراك حزينا، إن الله تعالى لم يكلم أحدا، إلا من وراء حجاب، وقد كلم أباك كفاحا، فقال: تمن على ..»(١) الحديث.

وروى: «أن شهداء أحد قالوا: من يبلغ نبينا وإخواننا ما وصلنا إليه؟ فقال الله تعالى: أنا أبلغهم - وفى رواية: أنا رسولكم - وأنزل هذه الآية»(٢).

﴿بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم﴾ قيل معناه: أنه يُدْفَع إليهم كتاب فيه أسماء إخوانهم الذين يستشهدون من بعدهم، فيستبشرون بهم.

وقوله: ﴿ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم﴾ وقُدِّرَ عليهم أن يلحقوا بهم. فيه قول آخر، أن الشهداء يقولون: ياليت إخواننا أُصيبوا مثل ما أُصِبْنَا؛ فيصلون إلى ما وصلنا؛ فذلك قوله: ﴿ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم﴾ أى: بأن لاخوف عليهم ﴿ولاهم يحزنون﴾.

﴿يستبشرون بنعمة من الله وفضل﴾ وقيل: أراد بالنعمة: قدر الكفاية، وبالفضل: مازاد على الكفاية، ومعناه: لايُضَيِّقُ عليهم، بل يوسِّع فى العطاء، وقيل: ذَكَرَ الفضلَ تأكيدا للنعمة، ﴿وأن الله لايضيع أجر المؤمنين﴾ قرأ ابن مسعود: «والله لايضيع أجر المؤمنين».

قوله تعالى: ﴿الذين استجابوا لله والرسول﴾ قيل: سبب نزول الآية: أن أبا سفيان

(١) رواه الترمذى (٥/٢١٤ - ٢١٥ رقم ٣٠١٠) وقال: حسن غريب، وابن ماجة (١/٦٨ رقم ١٩٠، و (٢/٩٣٦ رقم ٢٨٠٠)، وأحمد (٣/٢٦١) وابن أبى عاصم فى السنة (١/٢٦٧ رقم ٦٠٢) وابن خزيمة فى التوحيد (ص٣٧٩) والحميدى فى مسنده (٢/رقم ١٢٦٥)، وأبو يعلى (٤/٢٠٠٢)، والحاكم (٣/٢٠٤ - ٢٠٥) وصححه وتعقبه الذهبى بأن فيه المفضل بن صدقة، قال النسائى: متروك وابن حبان فى صحيحه (١٥/٤٩٠ - ٤٩١ رقم ٧٠٢٢، والبيهقى فى الدلائل (٣/٢٩٨) كلهم من حديث جابر، رضى الله عنه.

(٢) رواه أبو داود (٣/١٥ رقم ٢٥٢٠)، وابن جرير (٤/١١٣) من حديث ابن عباس مرفوعا مطولا.

ورواه ابن جرير أيضا عن قتادة، والربيع، والضحاك جميعهم مرسلا، وعن قيس بن مخرمة مرفوعا. وعزاه السيوطى فى الدر (٢/١٠٦) لابن المنذر، عن محمد بن قيس بن مخرمة مرسلا.

الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ

لما رجع إلى مكة يوم أحد، قال الكفار بعضهم لبعض فى الطريق: نرجع؛ فنستأصل محمدا وأصحابه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: من ينتدب إلى الخروج، فانتدب سبعون نفرا فيهم أبو بكر والزبير.

وقد قالت عائشة لعروة: إن أبويك من الذين استجابوا لله والرسول، وأرادت أن أبا بكر والزبير كانا فى السبعين، فخرجوا إلى حمراء الأسد [وهم][(١)] على ثمانية أميال من المدينة، فلما وصلوا (فإذا الله كان قد ألقى)[(٢)] الرعب فى قلوب المشركين، وكانوا مضوا إلى مكة»[(٣)].

وقال ابن عباس (قولا آخر)[(٤)]: أن أبا سفيان لما أراد أن يرجع يوم أحد، قال: موعدنا وموعدكم العام القابل ببدر، ثم لم يتفق له الخروج فى العام القابل، وخرج رسول الله ﷺ لموعده إلى بدر مع أصحابه، فأولئك الذين استجابوا لله والرسول»[(٥)].

﴿من بعد ما أصابهم القرح﴾ يعنى: الألم يوم أحد، ﴿للذين أحسنوا منهم﴾ باستجابة الرسول، ﴿واتقوا﴾ يعنى مخالفة الرسول ﴿أجر عظيم﴾.

قوله تعالى: ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم﴾ هذا قول نعيم بن مسعود الأشجعى، والقصة فى ذلك: «أن أبا سفيان لما لم يتفق له الخروج لموعده ببدر بعث بنعيم بن مسعود الأشجعى إلى المدينة، وقال له: ثبط

(١) كذا فى «ك»، وفى «الأصل»: وهو.

(٢) كذا فى «الأصل»، وفى «ك»: كان الله قد ألقى.

(٣) رواه البخارى بنحوه من حديث عائشة (٦ / ٤٣٢ رقم ٤٠٧٧)، وبدون ذكره: «فخرجوا إلى حمراء الأسد ... إلخ».
وروواه مسلم فى صحيحه (١٥ / ٢٧٢ رقم ٢٤١٨) مختصراً.

(٤) فى «ك»: قول آخر، وهو خطأ.

(٥) رواه النسائى فى الكبرى (٦ / ٣١٧ رقم ١١٠٨٣)، والطبرانى فى الكبير (١١ / ٢٤٧ رقم ١١٦٣٢) من طريق عكرمة، عن ابن عباس. قال الهيثمى فى المجمع (٦ / ١٢٤): رجاله رجال الصحيح غير محمد بن منصور وهو ثقة.
ورواه ابن جرير (٤ / ١٢٠)، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبى حاتم - كما فى الدر (٢ / ١١٥) - جميعهم عن مجاهد مرسلا.

فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ

أصحاب محمد عن الخروج؛ كيلا يظنوا أن بنا فشلا ولك عشر من الإبل، فجاء إليهم، وكان النبى ﷺ وصحابته يتهيئون للخروج، فقال لهم: تخرجون إليهم! قد خرجوا إليكم فى العام الماضى، وفعلوا بكم ما فعلوا فى بيوتكم، والله لو خرجتم إليهم لايعود أحد منكم، فقال ﷺ وأصحابه: حسبنا الله ونعم الوكيل، ولم يمتنعوا من الخروج»(١).

فقوله: ﴿الذين قال لهم الناس﴾ هو نعيم بن مسعود وحده، هذا قول عكرمة ومجاهد ومقاتل والكلبى، وقال ابن عباس: هو قول نفر قليل من عبد القيس، وقوله: ﴿فزادهم إيمانا﴾ منهم من قال معناه: زادهم إيمانا بتفويضهم، وقولهم: حسبنا الله ونعم الوكيل، وقيل معناه: زادهم يقينا بما وعدهم الله من النصر، ﴿وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾، قال ابن عباس: وهذا قول إبراهيم حين ألقى فى النار، فإنه قال: حسبنا الله ونعم الوكيل.

قوله تعالى: ﴿فانقلبوا بنعمة من الله وفضل﴾ معنى الآية: «أن النبى ﷺ وأصحابه خرجوا لموعد أبى سفيان إلى بدر، وهو مجمع سوق العرب، فلم يلقوا هنالك (أحدا)(٢) إذ لم يتفق (خروجهم)(٣)، فاتجروا هنالك، وربحوا، وانصرفوا»(٤) فذلك قوله: ﴿فانقلبوا بنعمة من الله وفضل﴾ فالنعمة: العافية، والفضل: ربح التجارة ﴿لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم﴾.

قوله تعالى: ﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه﴾ فالشيطان: كل عاتٍ متمرد من الجن والإنس، والمراد بالشيطان هاهنا: نعيم بن مسعود، وقيل: هو الشيطان

(١) رواه الطبرى (٤/ ١٢٠) بمعناه، عن ابن عباس. وانظر الدر المنثور (٢/ ١١٢ - ١١٦).

(٢) فى «ك»: أحد، وهو خطأ.

(٣) ليست فى «ك».

(٤) تقدم تخريجه فى الحديث الذى قبله.

يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلاَّ يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ

المعروف؛ فإنه وسوس إليهم: أن لاتخرجوا لذلك الوعد.

وقوله: ﴿ يخوف أولياءه ﴾ قال إبراهيم النخعى: تقديره: يخوفكم أولياءه أى: من أوليائه، وهم الكفار، وقال أهل المعانى: هو قول حسن.

وقال الفراء: معناه: يخوفكم بأوليائه، وكذا قرأ أُبيٌّ بن كعب. (ومثله)(١) قوله تعالى: ﴿ لينذر بأسا شديدا ﴾(٢) أى: ببأس شديد، وقال الشاعر:

أمرتُكَ الخيرَ فافعلْ ما أُمرت بهِ ... فقد تركتُكَ ذا مال وذا نسب

أى: أمرتك بالخير، فنزع الباء ﴿ فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾

قوله تعالى: ﴿ ولايحزنك ﴾ ويقرأ: «ولايُحزنك» بضم الياء(٣)، ومعناهما واحد.

﴿ الذين يسارعون فى الكفر ﴾ يعنى: قول الذين يسارعون فى الكفر.

﴿ إنهم لن يضروا الله شيئا ﴾ أى: لن ينقصوا الله شيئا ﴿ يريد الله ألا يجعل لهم حظا فى الآخرة ﴾ أى: نصيبا فى الآخرة ﴿ ولهم عذاب عظيم ﴾.

قوله تعالى: ﴿ إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان ﴾ أى: استبدلوا وكل شراء استبدال، وليس كل استبدال شراء ﴿ لن يضروا الله شيئا ﴾ أى: لن ينقصوا الله شيئا ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾.

قوله تعالى: ﴿ ولا يحسبن الذين كفروا ﴾ أى: لا يظنن، من الحسبان: الظن ﴿ أنما نملى لهم خير لأنفسهم ﴾ الإملاء: إطالة العُمُر، والإمهال: التأخير، ويقال لليل والنهار: ملوان.

---

(١) ليست فى «ك».

(٢) الكهف: ٢.

(٣) قرأ نافع بضم الياء، وكسر الزاى، وقرأ الباقون بفتح الياء، وضم الزاى، انظر النشر (٢ / ٢٤٤).

لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا

﴿إنما نملى لهم ليزدادوا إثما﴾ أى: إنما نطيل عمرهم ليزدادوا إثما. روى الأسود عن ابن مسعود: «ما من أحد إلا والموت خير له؛ برا كان أو فاجرا: أما البر، لقوله تعالى -: ﴿وما عند الله خير للأبرار﴾(١) وأما الفاجر؛ لقوله تعالى: ﴿إنما نملى لهم ليزدادوا إثما﴾؛ وذلك أنه إذا ازداد إثما اشتدت عقوبته» ﴿ولهم عذاب مهين﴾.

قوله تعالى: ﴿ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه﴾ يعنى: على اختلاط المنافقين بكم؛ فإنهم كانوا مختلطين بالمؤمنين ﴿حتى يميز الخبيث من الطيب﴾ قال مجاهد: حتى يميز الكافر من المؤمن، وقال قتادة: حتى يميز المنافق من المؤمن، ويُقرأ: حتى «يميّز» مشددا(٢) يقال: ماز يَميزُ، ومَيَّز يُميِّز، بمعنى واحد. وفى الحديث: «من ماز أذى من الطريق، فهو له صدقة» ﴿وما كان الله ليطلعكم على الغيب﴾ سبب نزوله: أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يارسول الله، أخبرنا بمن يموت على الإيمان، ومن يموت على الكفر؛ فنزل قوله: ﴿وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء﴾ يعنى: فيطلعه على الغيب بما شاء، وهذا كما قال فى آخر سورة الجن: ﴿فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول﴾(٣) ﴿فآمنوا بالله ورسوله وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم﴾.

قوله تعالى: ﴿ولاتحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم﴾ يعنى: هو يكون خيراً لهم ﴿بل هو شر لهم﴾ فى معنى الآية قولان: أحدهما: أنه فى اليهود، حيث كتموا نعت محمد، وبخلوا به؛ فعلى هذا معنى قوله: ﴿سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾ أى: إثم ما بخلوا به يوم القيامة، والقول الثانى: أن الآية فى

(١) آل عمران: ١٩٨.

(٢) قرأ يعقوب، وحمزة، والكسائى، وخلف بضم الياء الأولى، وتشديد الياء الأخرى وقرأ الباقون بالفتح، والتخفيف. انظر النشر (٢/٢٤٤).

(٣) الجن: ٢٦ - ٢٧.

به يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ

مانعي الزكاة، وقوله: ﴿سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾ على حقيقته، وهو معنى ما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من منع الزكاة جاء يوم القيامة، فيمثل له ماله شجاعا أقرع فيطوق فى رقبته، [فينهسه](١) من قرنه إلى قدميه ثم قرأ هذه الآية»(٢).

﴿ولله ميراث السموات والأرض﴾ فإن قال قائل: كيف يكون له ميراث السموات والأرض؟ قيل: العرب تسمى كل ما انتقل من أحد إلى غيره ميراثا بأى سبب كان، فلما خلصت السموات و الأرض لله تعالى بعد هلاك العباد، سماه ميراثا، كأنه انتقل منهم إليه ﴿والله بما تعملون خبير﴾.

قوله تعالى: ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء﴾ قيل: سبب نزول الآية: أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا﴾(٣) قالت اليهود: إن الله يستقرض منا أموالنا؛ فإذن هو فقير ونحن أغنياء وما قالوا ذلك عن اعتقاد، ولكن تمويها على المسلمين، وتشكيكا لهم فيما جاء به محمد رسول الله ﷺ، فنزل قوله: ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء﴾ وفيه قول آخر: أنه عليه [الصلاة و](٤) السلام لما استعان بيهود بنى قينقاع فى الحرب، قالوا: إن الله فقير إذن؛ حيث يستعين بنا فى نصرة دينه، ونحن أغنياء؛ فنزلت الآية.

﴿سنكتب ماقالوا﴾: هو الكتابة فى صحائف الأعمال، وقيل: معناه: نحصى ماقالوا نجازى عليه، ويقرأ: «سيُكتب ما قالوا» بضم الياء(٥). ﴿وقتلُهم الأنبياء﴾ بالرفع(٦) أى: ويكتب قتلهم الأنبياء ﴿بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق﴾ أى:

---

(١) فى «ك»: فينهشه بالشين المعجمة وكلاهما بمعنى واحد.

(٢) رواه البخارى فى صحيحه (٣/٣١٥رقم ١٤٠٣، ٤٥٦٥، ٤٦٥٩، ٦٩٥٧)، والنسائي (٥/٣٩ رقم ٢٤٨٤)، وأحمد (٢/٢٧٩، ٣١٦، ٣٥٥، ٣٧٩، ٤٨٩، ٥٣٠) وابن حبان فى صحيحه (٨/٥٠ رقم ٣٢٥٨) جميعهم من حديث أبى هريرة مرفوعا بنحوه.

وفى الباب عن ابن مسعود، وابن عمر، وغيرهم.

(٣) البقرة: ٢٤٥.

(٤) من «ك».

(٥) قرأ حمزة بالياء وضمها، وفتح التاء، وقرأ الباقون بالنون وفتحها، وضم التاء انظر النشر (٢/٢٤٥).

(٦) هى قراءة حمزة - برفع اللام - وقرأ الباقونْ بفتح اللام على النصب. انظر المصدر السابق.

وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ

بعذاب النار؛ لأن عذاب النار محرق.

﴿ ذلك بما قدمت أيديكم ﴾ يعنى: بما قدمتم، وذكر أيديكم تأكيدا.

﴿ وأن الله ليس بظلام للعبيد ﴾ يعنى: أنه يفعل ما يفعل بهم؛ مجازاة لهم على أعمالهم.

قوله تعالى: ﴿ الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار ﴾ الآية فى اليهود، قال السدى: كان الله تعالى عهد إلى اليهود: أن لايؤمنوا لرسول حتى يأتيهم بقربان تأكله النار سوى عيسى ومحمد ﷺ، فإنه أمرهم أن يؤمنوا بهما من غير هذه الشريطة.

وقال غيره: كانوا يتقربون بالقربان، ثم يأخذون أطايب لحمه، فيضعونها فى بيت، ثم يقوم نبيهم فى ذلك البيت يناجى ربه، فتأتى نار بيضاء لها حفيف من السماء، فتأكله، ويكون ذلك علامة قبول القربان.

﴿ قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات ﴾ أى: بالدلالات والمعجزات ﴿ وبالذى قلتم ﴾ يعنى: من الإتيان بقربان تأكله النار.

﴿ فلم قتلتموهم ﴾ أى: فلم كذبتموهم، وقتلتموهم ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ فى دعوتكم ذلك العهد.

قوله تعالى: ﴿ فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات ﴾ أى: بالدلالات والمعجزات ﴿ والزبر ﴾: جمع الزبور وهو كتاب فيه الحكمة، وبه سمى كتاب داود: زبورا، وفى مصحف أهل الشام «وبالزبر»(١).

فإن قال قائل: أى فرق بين الزبر والكتاب؟ وقد قال: ﴿ والزبر والكتاب المنير ﴾

(١) هى قراءة ابن عامر بزيادة باء بعد الواو انظر النشر (٢ / ٢٤٥).

نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا

قيل: الكتاب اسم لما كتب، وضُمَّ بعض الكلمات فيه إلى بعض من الكَتْب (وهو)[1] الضم، وأما الزبر: مأخوذ من الزَّبْرِ وهو الزجر، فالزبور: كتاب فيه مزاجر.

قوله تعالى: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ والذوق فى الموت مجاز، وحقيقة الذوق: هو الإحساس بالشيء؛ فلما كان يحسّ بالموت، سماه ذوقا مجازا، قال الشاعر:

من لم يمت عَبْطَةً يمت هَـــرَمًا ... الموت كأس وكل الناس ذائقها[2]

فإن قال قائل: لايخفى أن كل نفس تموت، فأيْش الفائدة فى قوله: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾؟ قيل: أراد به: التزهيد فى الدنيا، يعنى: أن النفوس إلى الفناء؛ فتزهّدوا فى الدنيا، ﴿وإنما توفون أجوركم يوم القيامة﴾.

﴿فمن زحزح عن النار﴾ أى: نجى، وبعد عن النار ﴿وأدخل الجنة فقد فاز﴾ أى: نجا ﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ لأنها تغرّ الإنسان، وهى إلى الانقطاع.

قوله تعالى: ﴿لتبلون﴾ أى: لتختبرن، وقيل: لتصابن ﴿فى أموالكم وأنفسكم﴾ فى أموالكم بالإنفاق، وأنفسكم بالجهاد، وقيل: فى أموالكم (وأنفسكم بالمصائب والأمراض، وقال بعض أصحاب الخواطر: فى أموالكم)[3] بالمنع عن الحق، وأنفسكم باتباع الهوى.

﴿ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا﴾ قال الزهرى: هذا فى كعب بن الأشرف، كان يهجو النبى ويُسمع المسلمين هجاه»، وقيل: هو قول اليهود: عزير ابن الله، وقول النصارى: المسيح ابن الله، وقيل: هو قول أولئك الذين قالوا: إن الله فقير.

---

(١) فى «ك»: إلى. وهو خطأ.

(٢) كذا وقع الشطر الثانى فى «الأصل، وك».

وفى لسان العرب (مادة: عبط): للموت كاس والمرء ذائقها.

وعزا البيت لأمية بن أبى الصلت. وفسر «عبطة»: أى: شابًا، وقيل شابًا صحيحًا.

(٣) ليست فى «ك».

فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

﴿ وإن تصبروا ﴾ يعنى: على الأذى ﴿ وتتقوا ﴾ يعنى: من مخالفة الرسول ﴿ فإن ذلك من عزم الأمور ﴾ أى: من حقائق الأمور، وشدائدها.

قوله تعالى: ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولاتكتمونه ﴾ قيل: أراد به: اليهود، أخذ الله ميثاقهم أن يبينوا نعت محمد للناس ولايكتمونه. وقيل: هو فى جميع العلماء، أخذ الله ميثاق العلماء: أن يبينوا العلم للناس ولايكتمونه، وفى الحديث: «من سئل عن علم، فكتمه، ألجم بلجام من نار»(١).

﴿ فنبذوه وراء ظهورهم ﴾ أى: تركوه وراء ظهورهم ﴿ واشتروا به ثمنا قليلا ﴾ يعنى: الرشاء ﴿ فبئس مايشترون ﴾.

قوله تعالى: ﴿ لاتحسبن الذين يفرحون بما أتوا ﴾ يعنى: اليهود، بما أوتوا أى: العلم والكتاب، ولم يقوموا بموجبه وما يقتضيه، وقيل: هو فى المنافقين يفرحون بما أتوا من التخلف عن رسول الله ﷺ(٢).

﴿ ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ﴾ (يعنى):(٣) بالأعذار الكاذبة، ﴿ فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ﴾ أى: بمنجاة من العذاب ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾.

وروى أن مروان بعث إلى عائشة: هلكنا إذن؛ فإنا نفرح بما نأتى، ونحب أن نحمد بما لم نفعل؛ والله تعالى يقول: ﴿ فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ﴾ فذكرت عائشة أن الآية فى اليهود.

---

(١) رواه أبو داود (٣/ ٣٢١ رقم ٣٦٥٨)، والترمذى (٥/ ٢٩ رقم ٢٦٤٩) وقال: حسن، و ابن ماجة (١/ ٩٦ رقم ٢٦١)، وأحمد (٢/ ٢٦٣، ٣٠٥، ٣٤٤، ٣٥٣، ٤٩٥)، والطيالسى (رقم ٢٥٣٤)، وابن أبى شيبة (٩/ ٥٥) وابن حبان فى صحيحه (١/ ٢٩٧ رقم ٩٥)، والحاكم فى مستدركه (١/ ١٠١) وصححه، جميعهم من حديث أبى هريرة مرفوعا.

وقال الزيلعى فى تخريجه للكشاف (١/ ٢٥٥ رقم ٢٦٨)، روى من حديث أبى هريرة وأنس، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وابن عباس، وابن مسعود، وطلق بن على، وابن عمر، وأبى سعيد الخدرى، وجابر، وعائشة.

(٢) من «ك».

(٣) فى «ك»: أى.

قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ

قوله تعالى: ﴿ولله ملك السموات والأرض والله على كل شيء قدير﴾ ذكر هذا ردا لقولهم: إن الله فقير ونحن أغنياء.

قوله تعالى: ﴿إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب﴾ يعنى: أن فيها دلالات على وحدانيته لذوى العقول.

قوله تعالى: ﴿الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم﴾ روى ابن مسعود وعمران بن الحصين أن النبى ﷺ قال: «صلّ قائما، فإن لم تستطع فقاعدا، فإن لم تستطع فعلى جنبك تومئ إيماء»(١) فهذا معنى الآية.

وقيل: معناه: الذين يوحدون الله على كل حال.

﴿ويتفكرون فى خلق السموات والأرض﴾ فيستدلون به على وحدانيته، وفى الحديث: «تفكروا فى الخلق، ولا تتفكروا فى الخالق»(٢).

﴿ربنا ما خلقت هذا باطلا﴾ أى: عبثا، وقيل: (باطلا)(٣) أى: بباطل.

﴿سبحانك﴾: هو للتنزيه عن كل سوء ﴿فقنا عذاب النار﴾ روى عن ابن عباس: أنه قال: «بت عند خالتى ميمونة، فنام رسول الله ﷺ وأهله على عرض الوسادة، وأنا

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه (٢/ ٦٨٠ - ٦٨١ رقم ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧)، وأبو داود (١/ ٢٥٠ رقم ٩٥٢) والترمذى (٢/ ٢٠٨ رقم ٣٧٢) وقال: حسن صحيح. وابن ماجة (١/ ٣٨٦ رقم ١٢٢٣)، وأحمد (٤/ ٤٢٦)، وابن خزيمة فى صحيحه (٢/ رقم ٩٧٩)، والحاكم (١/ ٣١٥) وصححه على شرط الشيخين، جميعهم من حديث عمران ابن حصين.

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط - مجمع البحرين (١/ ١٠٨ رقم ٧١) - وابن حبان فى المجروحين (٣/ ٨٣ - ٨٤)، وابن عدى فى الكامل (٧/ ٩٥)، وأبو الشيخ فى العظمة (صـ١٧ رقم ١) كلهم من حديث ابن عمر، وقال الهيثمى فى المجتمع (١/ ٨٤): وفيه الوازع بن نافع وهو متروك.
وفى الباب عن: عبد الله بن سلام، وابن عباس، وأبى ذر، وأبى هريرة، وعمرو بن مرة.
وقال السخاوى فى المقاصد (صـ٢٦١): وأسانيده ضعيفة لكن اجتماعها يكتسب قوة. وانظر السلسلة الصحيحة (١٧٧٨).

(٣) ليست فى «ك».

مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ

على طولها، ثم قام من الليل، وقرأ هذه الآيات العشر»(١) وفى رواية قال: «سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح، وقرأ هذه الآيات العشر إلى آخر السورة».

قوله تعالى: ﴿ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته﴾ أى: أهلكته. فإن قال قائل: ألستم تقولون: إن المؤمنين يدخلون النار، ولايخلدون فيها، فكيف يكون ذلك إهلاكا؟ قيل: قال قتادة: معنى الآية: إنك من تدخل النار للخلود فقد أخزيته أى: أهلكته، وقال الضحاك: معنى الآية ﴿إنك من تدخل النار فقد أخزيته﴾ أى: فضحته، وهتكت ستره؛ فعلى هذا يستوى فيه كل من دخل النار وإن لم يخلد فيها ﴿وما للظالمين من أنصار﴾.

﴿ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا﴾ أكثر المفسرين على أن المنادى: هو الرسول، وقيل: هو القرآن قاله محمد بن كعب القرظى. لأن كثيرا من الناس لم ير الرسول ولم يسمعه.

﴿ربنا فاغفر لنا ذنوبنا﴾ أى: كبائرنا ﴿وكفر عنا سيئاتنا﴾ أى: صغائرنا، وقيل: الذنوب: المعاصى، والسيئات: التقصير فى الطاعات.

﴿وتوفنا مع الأبرار﴾ البَرُّ المطيع، وفى الآثار: إن البَرَّ لا يؤذى الذر. يعنى: النمل الصغار الحمر.

﴿ربنا وآتنا ماعدتنا على رسلك﴾ أى: على ألسنة رسلك ﴿ولاتخزنا يوم القيامة﴾ أى: لاتفضحنا، ولاتهلكنا.

﴿إنك لاتخلف الميعاد﴾ وهو على سبيل المدح له؛ لأنا على القطع نعلم أنك لاتخلف الميعاد.

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس، رواه البخارى فى صحيحه (١/ ٣٤٤ - ٣٤٥ رقم ١٨٣ وأطرافه فى ١١٩٨٢، ٤٥٦٩. ٤٥٧٠، ٤٥٧١، ٤٥٧٢، ٧٤٥٢)، ومسلم (٦/ ٦٤ - ٧٦ رقم ٧٦٣).

﴿١٩٤﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ
بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ
عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ
حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ
مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا
الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ

قوله تعالى: ﴿فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى﴾ روى أن أم سلمة قالت لرسول الله ﷺ: إنى أرى الله لايذكر النساء فى القرآن، فنزل قوله: ﴿من ذكر أو أنثى﴾.

﴿بعضكم من بعض﴾ أى: كلكم كنفس واحدة، فلا أضيع عمل واحد منكم.

﴿فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا﴾ وقرأ حمزة والكسائى: «وقتلوا وقاتلوا»(١) ﴿لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله﴾ أى: جزاء من عند الله، ﴿والله عنده حسن الثواب﴾.

قوله تعالى: ﴿لايغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد﴾ يعنى: على مرادهم، فإن مصيرهم إلى النار ﴿متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد﴾ وفيه دليل على أن أقل القليل من الجنة خير من الدنيا، وفى الحديث: «لموضع سوط من الجنة خير من الدنيا وما فيها»(٢).

قوله تعالى: ﴿لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا من عند الله﴾ النُّزُل هو ما يعد للضيف من النعمة؛ فسمى الله تعالى ما

(١) وهى قراءة خلف أيضًا، وقرأ ابن كثير، وعامر بتشديد التاء من «قُتّلوا»، وقرأ الباقون بالتخفيف. انظر النشر (٢/٢٤٣، ٢٤٦).

(٢) رواه البخارى فى صحيحه (٦/١٠٠رقم ٢٨٩٢، وأطرافه فى ٢٧٩٤، ٣٢٥٠، ٦٤١٥)، والترمذى (٤/١٥٤ - ١٥٥ رقم ١٦٤٨) وقال: حسن صحيح، وابن ماجة (٢/١٤٤٨ رقم ٤٣٣٠)، وأحمد (٣/٤٣٣) و(٥/٣٣٠، ٣٣٧، ٣٣٩) جميعهم من حديث سهل بن سعد الساعدى، وفى الباب عن أنس، وأبى هريرة.

الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

أعده للمؤمنين من نعيم الجنة: نزلا من عند الله ﴿ وما عند الله خير للأبرار ﴾

قوله تعالى: ﴿ وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله ﴾ قيل: أراد النجاشى، وروى أنه لما مات قال النبى ﷺ لأصحابه: «صلوا على أخ لكم مات، وهو أصحمة النجاشى»(١) فقال المنافقون: انظروا يصلى على علج من النصارى ويدعو له؛ فنزلت الآية.

وقيل: هو فى عبد الله بن سلام، ومن أسلم معه؛ فذلك قوله: ﴿ لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله ﴾ أى: متواضعين لله ﴿ لايشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب ﴾.

قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا ﴾ يعنى: على الجهاد، ﴿ وصابروا ﴾ أى: مع الأعداء ﴿ ورابطوا ﴾ أى: فى الثغور بالملازمة، وقيل: اصبروا على دينكم، وصابروا مع الأعداء، ورابطوا بالمحافظة على الصلوات، وفى الحديث: قال رسول الله ﷺ: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به السيئات، ويرفع الله به الدرجات، قيل: بلى يارسول الله، قال: إسباغ الوضوء فى السَّبْرَات(٢)، ونقل الأقدام إلى الجماعات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم، الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط»(٣).

﴿ واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ أى: كونوا على رجاء الفلاح.

(١) متفق عليه بنحوه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى فى صحيحه (٣/١٣٩رقم ١٢٤٥، ١٣١٨، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٣٣، ٣٨٨٠، ٣٨٨١) ومسلم فى صحيحه (٧/ ٣٥ - ٣١/رقم٩٥١). وفى الباب عن أبى حذيفة بن أسيد ومجمع وعن جابر وعن عمران ابن حصين، ومجمع بن جارية، وراجع الإرواء (رقم ٧٢٧).

(٢) السبرات: جمع سبرة بسكون الباء، وهى شدة البرد. النهاية (٢/ ٣٣٣).

(٣) رواه مسلم فى صحيحه (٣/ ١٧٩ - ١٨٠ رقم ٢٥١)، والترمذى (١/ ٧٢-٧٤ رقم ٥١، ٥٢) وقال: حسن صحيح، والنسائى (١/ ٨٩-٩٠ رقم ١٤٣)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٧٧، ٣٠٣) جميعهم من حديث أبى هريرة مرفوعا.

تفسير سورة النساء

بسم الله الرحمن الرحيم

قال: اعلم أن هذه السورة تسمى: سورة النساء، وتسمى سورة الأحكام، وهى مدنية على قول أكثر المفسرين، إلا قوله تعالى: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾[1]؛ فإن هذه الآية نزلت بمكة فى مفاتيح الكعبة، وأورد النحاس أن السورة مكية.

وفى الحديث: «من قرأ سورة البقرة، وآل عمران[2]، والنساء فى ليلة؛ كتب من القانتين»[3]، وعن عمر - رضى الله عنه - قال: تعلموا سورة البقرة، والنساء، والمائدة، وسورة النور، والأحزاب؛ فإن فيهن الفرائض.

---

(١) النساء: ٥٨.

(٢) ليست فى «ك».

(٣) رواه أبو عبيد فى فضائل القرآن (١٦٨ رقم ٤٣٣)، وسعيد بن منصور فى سننه (التفسير ٣/ ١٠٢٣رقم ٤٨٥)، ومن طريقه البيهقى فى الشعب (٥/ ٣٥٩ - ٣٦٠رقم ٢٢٠١)، ولكن فيهما: «كان من الحكماء»، جميعهم من طريق سعيد بن جبير، عن عمر موقوفا. قال الحافظ ابن كثير فى تفسيره (١/ ٣٤): فيه انقطاع.

قوله - تعالى -: ﴿يا أيها الناس﴾ قال علقمة: كل ما نزل في القرآن: ﴿يا أيها الناس﴾ فإنما نزل بمكة، وكل ما ورد في القرآن: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ فإنما نزل بالمدينة.

وقوله: ﴿يا أيها﴾ «يا» للنداء، و«أي» للإشارة، و«ها» للتنبيه ﴿اتقوا ربكم﴾ وقرأ ابن مسعود: «اتقوا (الله)(١) ربكم».

بدأ من السورة بالوعظ والتحذير، فقال: ﴿اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾، وأراد بالنفس الواحدة آدم - صلوات الله عليه - وإنما قال: ﴿واحدة﴾ على التأنيث؛ لأجل اللفظ؛ لأن النفس مؤنثة، وهذا مثل قول الشاعر:

أبوك خليفة ولدته أخرى وأنت خليفة ذاك الكمال

وإنما قال: ولدته للفظ الخليفة، وإن كان معناه الذكر ﴿وخلق منها زوجها﴾ يعني: حواء، وسميت حواء؛ لأنها خلقت من حي، وفي القصص: أن الله تعالى خلق حواء من ضلع لآدم في جنبه الأيسر يسمى: «القصيراء» وفي الخبر المعروف «أن المرأة خلقت من ضلع أعوج، فإن أردت أن تقيمها كسرتها، وإن تركتها استمتعت بها على اعوجاج»(٢) وقيل: إن حواء خلقت من التراب.

وقوله: ﴿وخلق منها زوجها﴾ معناه: وخلق من جنسها زوجها، يعني: التراب، والأصح الأول. وفي الخبر: أن الله تعالى لما خلق آدم ألقى عليه النوم، ثم أخذ ضلعا من أضلاعه، وخلق منه حواء، فجلست بجنبه، فلما انتبه رآها جالسة بجنبه، وقيل: إنه لم يؤذه أخذ الضلع شيئا، ولو آذاه لما عطف رجل على امرأة أبداً.

وعن ابن عباس: أن الله تعالى خلق الرجل من التراب؛ فهمُّه في التراب، وخلق

(١) لفظ الجلالة ليس في «ك».

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة، رواه البخاري (٩/ ١٦٠ - ١٦١ رقم ٥١٨٤، وأطرافه في ٣٣٣١، ٥١٨٦)، ومسلم (١٠/ ٨٣ - ٨٤ رقم ١٤٦٨) بنحوه.

وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ

المرأة من الرجل، فهمُّها فى الرجل؛ فاحبسوا نساءكم.

﴿وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً﴾ ذكر هذا كله لبيان القدرة؛ وإظهار المنة ﴿واتقوا الله الذى تساءلون به﴾ أى: تسألون به، وذلك مثل قول الرجل: أسألك بالله، ونشدتك بالله، وقيل: معناه: واتقوا الله الذى تعاهدون به، وذلك أن تقول: عليك عهد الله، وعلى عهد الله، ونحو ذلك.

وأما قوله: ﴿والأرحام﴾ قرأ حمزة: «الأرحام» بكسر الميم(١) وتقديره: تساءلون به وبالأرحام، قال إبراهيم النخعى: تقول العرب: نشدتك بالله وبالرحم. وضعَّفوا هذه القراءة، والقراءة المعروفة: بنصب الميم، وتقديره: واتقوا الأرحام أن تقطعوها.

وفى الخبر: يقول الله - تعالى -: «أنا الرحمن، وخلقت الرحم، واشتققت لها اسما من اسمى، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته»(٢).

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى يعمر الكفار، ويكثر أموالهم، ولم ينظر إليهم منذ خلقهم؛ بغضا لهم، فقيل: مم ذاك يارسول الله؟ قال: بصلة الأرحام»(٣).

﴿إن الله كان عليكم رقيبا﴾ أى: حفيظا.

قوله تعالى: ﴿وآتوا اليتامى أموالهم﴾ أراد به: دفع المال إليهم بعد البلوغ،

(١) انظر النشر (٢/٢٤٧).

(٢) رواه البخارى فى الأدب المفرد (ص ٢٥ رقم ٥٣)، وأبو داود (٢/٣٣ رقم ١٦٩٤، ١٦٩٥)، والترمذى (٤/٢٧٨ رقم ١٩٠٧) وقال: صحيح، والإمام أحمد (١/١٩٤)، وابن حبان فى صحيحه (٢/١٨٦-١٨٧ رقم ٤٤٣)، والحاكم فى المستدرك (٤/١٥٧) جميعهم من حديث عبد الرحمن بن عوف مرفوعا.

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير (١٢/٨٥ - ٨٦ رقم ١٢٥٥٦)، والحاكم فى المستدرك (٤/١٦١) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا بنحوه.

وقال الحاكم: عمران الرملى من زهاد المسلمين وعبادهم [فإن] كان حفظ هذا الحديث، فإنه غريب صحيح.

وقال الهيثمى فى المجمع (٨/١٥٥): إسناده حسن.

وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا

وسماهم بعد البلوغ يتامى؛ لقرب عهدهم باليتم، وكانت قريش تسمى رسول الله ﷺ يتيم أبى طالب لذلك.

﴿ ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ﴾ وفى قراءة شاذة: «ولا تشتروا الخبيث بالطيب» فالخبيث: الحرام، والطيب الحلال، ومعنى الكلام: ولا تأكلوا أموال اليتامى حراما، وتَدَعُوا أموالَكم الحلالَ، وقال مجاهد: معناه: لاتستعجلوا أكل الحرام؛ فإن الحلال يأتيكم.

﴿ ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ﴾ قال الفرّاء: معناه: مع أموالكم، وقال غيره: «إلى» لاتكون بمعنى «مع»، وهى على حقيقتها، ومعناه: ولا تأكلوا أموالهم مضافة إلى أموالكم.

﴿ إنه كان حوبًا كبيرًا ﴾ فالحوب: الإثم، وفى الخبر: «أن أبا أيوب الأنصارى أراد أن يطلق امرأته أم أيوب، فقال النبى ﷺ: إن طلاق أم أيوب لحوب»(١)

قوله تعالى: ﴿ وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى ﴾ أى: ألا تعدلوا، يقال: أقسط، إذا عدل، وقسط، إذا جار، وفى معنى الآية قولان: أحدهما أورده البخارى فى الصحيح، وهو ماروى الزهرى عن عروة أنه سأل عائشة عن شأن هذه الآية، فقالت: يا ابن أختى، نزلت الآية فى يتيمة تكون فى حجر وليها، ويرغب فى مالها وجمالها، ولايقسط فى صداقها؛ فنهوا عن نكاحهن، وأمروا أن ينكحوا غيرهن»

فعلى هذا تقدير الآية: وإن خفتم ألا تقسطوا فى نكاح اليتامى؛ ﴿ فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ﴾.

وقال ابن عباس: قصر نكاح النساء على الأربع من أجل أموال اليتامى، فإن قيل:

(١) رواه الطبرانى فى الكبير (١٢/ ١٩٥-١٩٦ رقم ١٢٨٧٦) عن ابن عباس مرفوعاً، وقال الهيثمى فى المجمع (٩/ ٢٦٥): فيه يحيى بن عبد الحميد الحمانى، وهو ضعيف.

فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلاَّ تَعُولُوا ﴿٣﴾

وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴿٤﴾ وَلا تُؤْتُوا

كيف يعرف هذا، وكيف يلتئم بذاك هذا؟ قيل: معناه: أن الله تعالى لما شدد فى أموال اليتامى، تحرج المسلمون عنها غاية التحرج، وشرعوا فى نكاح النساء، واستهانوا به؛ فنزلت الآية، وأراد: إنكم كما تحرجتم عن أموال اليتامى؛ خوفا من الجور، فتحرجوا عن الزيادة على الأربع أيضا؛ خوفا من الجور والميل، فهذا معنى قوله: ﴿فانكحوا ماطاب لكم﴾ أى: ما حل لكم ﴿من النساء مثنى وثلاث ورباع﴾ أى: لاتجاوزوا الأربع.

وذهب بعض الناس إلى أن نكاح التسع جائز بظاهر هذه الآية؛ لأن الاثنين والثلاث والأربع يكون تسعا ليس بصحيح، بل فيه قولان: أحدهما: قال الزجاج: مثنى مثنى، ثلاث ثلاث، رباع رباع، يعنى: لكل الناس، وقيل: «الواو» بمعنى: «أو» يعنى: مثنى، أو ثلاث، أو رباع؛ ولأن – على التقدير الذى ذكروا – [عىٌّ](١) فى الكلام؛ لأن من أراد أن يذكر التسع فيقول: مثنى وثلاث ورباع، عد ذلك عيبا فى الكلام وقد قال: ﴿فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة﴾؛ لأنه أخف مؤنة ﴿أو ما ملكت أيمانكم﴾ لأن حقوق ملك اليمين أدنى من حقوق ملك النكاح، وهو معنى قوله: ﴿ذلك أدنى ألا تعولوا﴾ أى: ذلك أقرب أن لا تجوروا، يقال: عال، يعول إذا جار، وأعال يعيل إذا كثر عياله، قال الشاعر:

إنا اتبعنا الرسولَ واطَّرحوا   أمر الرسولِ وعَالُوا فى الموازينِ(٢)

أى: جاروا، وروى: أن أهل الكوفة عتبوا على عثمان فى شىء، فقال: لست بقسطاء، فلا أعول، أى لست بقسطاس؛ فلا أجور.

وقال الشافعى: معناه: ذلك أدنى ألا تكثر عيالكم. وحكى الأزهرى عن الكسائى

(١) فى «الأصل و ك»: عيًّا.

(٢) وقع البيت فى لسان العرب (مادة: عول) كما يأتى:

إنا تَبِعْنَا رسولَ اللهِ واطرَّحوا   قول الرسول وعالوا فى الموازين

السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلا تَأْكُلُوهَا

أنه حكى عن العرب: عال يعول: إذا كثر عياله، وهذا يؤيد قول الشافعى.

﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة﴾ الصدقة والصداق واحد ﴿نحلة﴾ أى: تَدَيُّنًا، وقال ابن عباس: معناه: فريضة، والخطاب مع الأزواج - على الأصح - وقيل: هو خطاب مع الأولياء، وكان أهل الجاهلية لايعطون المرأة صداقها، وإنما يأخذ الأولياء؛ فخاطب الأولياء بإعطاء المرأة صداقها نحلة، أى: هو عطية لها من الله.

﴿فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا﴾ أى: فإن أعْطَيْنَ عن طيب نفس من الصداق شيئًا. و«من» للتخيير هاهنا، لا للتبعيض؛ حتى يجوز للمرأة هبة كل الصداق، ﴿فكلوه هنيئًا مريئًا﴾ الهنيء: ما أكلت من غير تنغيص، والمريء: هو المحمود العاقبة؛ وذلك ألا يورث تخمة. وعن على - رضى الله عنه - أنه قال: إذا مرض أحدكم، فليستقرض من امرأته ثلاثة دراهم من صداقها، وليشترى بها عسلا، وليخلطه بماء السماء، ثم ليأكل؛ فإنه الشفاء المبارك والهنيء المريء.

قوله - تعالى -: ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم﴾ أكثر المفسرين على أن المراد بالسفهاء: الصبيان والنساء ها هنا، وقال الشعبى: المرأة أسفه من كل سفيه.

قال سعيد بن جبير: معنى الآية: أن لاتجعلوا المرأة قَيِّمَة البيت فى المعاش، بل كونوا أنتم قوامين على النساء فى المعاش، وقوله: ﴿التى جعل الله لكم قياما﴾ فالقيام والقَوَام واحد، يعنى: أموالكم التى جعلها الله قواما لمعاشكم، وقال الزجاج: تقديره: الأموال التى تقيمكم فتقومون به قياما ﴿وارزقوهم فيها واكسوهم﴾ قيل: معناه: وارزقوهم منها، وقيل كلمة فى حقيقتهما، ومعناه: اجعلوا وظائفهم من الرزق والكسوة فيها.

﴿وقولوا لهم قولاً معروفًا﴾ قيل: معناه: تعليم الدين والشرائع، وقيل: أراد به: وعد الجميل؛ وذلك أن تقول لهم: إن سافرت وربحت، أعطيكم كذا، وإن غزوت

إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ

فغنمت، أعطيكم كذا، فهذا هو القول المعروف.

قوله - تعالى -: ﴿وابتلوا اليتامى﴾ يعنى: واختبروا اليتامى، ثم منهم من قال: إنما نختبرهم بعد البلوغ، وسماهم يتامى؛ لقرب عهدهم باليتم، والصحيح أنه أراد به: الاختبار قبل البلوغ، ثم اختلفوا، فأما الفقهاء قالوا: يدفع إليه شيئا يسيرا، ويبعثه إلى السوق، حتى يستام السلعة، ثم إذا آل الأمر إلى العقد يعقد الولى، ومنهم من قال: يعقد الصبى، ويجوز ذلك فى الشىء اليسير؛ لأجل الاختبار.

وأما الذى قاله المفسرون: أنه يَدْفع إليه مالاً، ويجعل إليه نفقة البيت، ويختبره فيها، ﴿حتى إذا بلغوا النكاح﴾ أى: أَوَانَ الحلم ﴿فإن آنستم﴾ أى: أحسستم، ووجدتم ﴿منهم رشدا﴾ قال مجاهد: عقلا، وقال سفيان الثورى: عقلاً وإصلاحًا فى المال. ومذهب الشافعى: أن الرشد: هو الصلاح فى الدين، والإصلاح فى المال.

﴿فادفعوا إليهم أموالهم﴾ أمر الأولياء بدفع المال إليهم عند البلوغ والرشد. ﴿ولا تأكلوها إسرافا﴾ أى: لاتأكلوها مسرفين ﴿وبدارا أن يكبروا﴾ أى: لاتبادروا إلى أكل أموال اليتامى، خوفا من أن يكبروا؛ فيأخذوا أموالهم.

﴿ومن كان غنيا فليستعفف﴾ أى: فليستعفف بماله عن مال اليتيم ﴿ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف﴾ قال عمر - رضى الله عنه -: إذا كان الولى فقيرا، يأكل من مال اليتيم بقدر الحاجة، وقال أيضا: أنا فى هذا المال: كولى اليتيم، إن استغنيت استعففت، وإن احتجت أكلت. وإلى هذا ذهب قوم من العلماء، أن له أن يأكل بقدر ما يسد به الخلة، وقال بعضهم: عباءًا غليظا، وخبز الشعير، وقال الشعبى وجماعة: يأكل من مال اليتيم على سبيل القرض، وقال مجاهد: لايأكل أصلا، لا قرضا، ولا غير قرض، قال: والآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾،

وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾

إلا أن تكون تجارة عن تراض ﴾(١) وإلى هذا ذهب أكثر العلماء، وعليه الفتوى، أنه لايأكل أصلا، ومن قال: إنه يأكل، يقول: يأخذ بقدر أجرته على القيام، وقد روى أن رجلا (جاء)(٢) إلى ابن عباس، وقال: [إنَّ](٣) لى يتيما وله إبل، فماذا أصيب منها؟ فقال: أتلوط حوضها وتهنأ جرباها؟ قال: نعم، فقال ابن عباس: أصب من رسلها غير مضر بنسل، ولا ناهك فى حلب.

وفيه قول رابع: أن معنى قوله: ﴿ فليأكل بالمعروف ﴾ يعنى: يأكل الفقير من قوت نفسه بالمعروف، ولايستكثر منه حتى ينفد ماله؛ فيحتاج إلى مال اليتيم.

﴿ فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم ﴾ ندب إلى الإشهاد؛ كيلا يجحدوا.

﴿ وكفى بالله حسيبا ﴾ أى: شهيدا. قوله - تعالى -: ﴿ للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ﴾ سبب نزول الآية أن أوس بن ثابت الأنصارى مات وخلّف ثلاث بنات وامرأة - يقال لها: أم كجَّة - وابنى عم: عرفجة، وسويد، فجاء ابنا عمه وأخذا جميع المال، وكان أهل الجاهلية لايورثون النساء من الميت، ويقولون: لايرث أموالنا إلا من طاعن بالرماح، وضارب بالسيوف؛ فنزلت الآية، وهذه أول آية نزلت فى توريث النساء المال.

﴿ مما قلّ منه أو كثر نصيبا مفروضا ﴾ وقد بيَّن الأنصبة المفروضة فى آيات المواريث.

قوله تعالى: ﴿ وإذا حضر القسمة أولوا القربى و اليتامى والمساكين فارزقوهم منه ﴾ يعنى: قسمة التركة فى مواريث إذا حضرها من لايرث الميت من أقاربه، أو اليتامى، والمساكين ﴿ فارزقوهم منه ﴾ فأعطوهم شيئا ﴿ وقولوا لهم قولاً معروفًا ﴾ أى: قولوا لهم: بورك فيكم.

---

(١) النساء: ٢٩.

(٢) فى «ك»: أتى.

(٣) فى «الأصل»: إنى، وما أثبتناه من «ك».

وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٩﴾
إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ

ثم اختلفوا، فقال بعضهم: الآية منسوخة، فيجوز أن يعطوا، ويجوز أن لايعطوا، وقيل: هو على الندب، ويستحب أن يعطيهم شيئا، ومنهم من قال: إن قسموا العين والورق ونحوه يوضح لهم، وإن قسموا الدور والعقار، والعبيد، والثياب، ونحوها، يقول لهم: بورك فيكم.

قوله - تعالى -: ﴿ وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله ﴾ سبب نزول الآية: أن أصحاب رسول الله ﷺ كان الرجل منهم إذا حضره الموت، يأتون إليه، ويقولون له: انظر لنفسك أيها الرجل، وأوصى بمالك، وإن ورثتك لايغنون عنك من الله شيئا، وربما يحملونه على أن يوصى بجميع المال فنزلت الآية ﴿ وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ﴾ أى: إن تركوا من خلفهم ﴿ ذرية ضعافا ﴾ أى: أولادا صغارا ﴿ خافوا عليهم ﴾ أو على أولادهم؛ فليخافوا على أولاد الناس كما يخافون على أولادهم؛ فإن أولاد الميت أحق بماله من الأجانب، فهذا معنى قوله: ﴿ فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا ﴾ أى: عدلا.

قوله - تعالى -: ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما ﴾ نزلت الآية فى حنظلة ابن الشمردل، كان قد ولى يتيما، فأكل جميع ماله، وقيل: الآية نزلت ابتداءً فى حق الكافر ﴿ إنما يأكلون فى بطونهم نارا ﴾ لأنه لما كان أكلهم ذلك يؤدى إلى النار، سماهم آكلين للنار، وهذا كقول النبى ﷺ: «الذى يشرب فى آنية الذهب والفضة، إنما يجرجر فى بطنه نار جهنم». (١) وفى الحديث: «يخرج لهيب النار من جوفهم يوم القيامة». (٢) وفى رواية: «أن الملك يأتيهم، فيفتح أفواههم، ويلقمهم الجمر،

(١) متفق عليه من حديث أم سلمة، رواه البخارى (١٠/ ٩٨ رقم ٥٦٣٤)، ومسلم (١٤/ ٣٨ - ٣٩ رقم ٢٠٦٥).

(٢) رواه أبو يعلى فى مسنده (١٣/ ٤٣٤رقم ٧٤٤٠)، ومن طريقه ابن حبان فى صحيحه (١٢/ ٣٧٧ رقم ٥٥٦٦) وابن عدى فى الكامل (٣/ ١٨٧) حديث أبى برزة.
قال الهيثمى فى المجمع (٧/ ٥): رواه أبو يعلى والطبراني، وفيه زياد بن المنذر، وهو كذاب.

اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ

ويقول: هذا بأكلكم مال اليتيم»(١)

وقال ﷺ: «من أبكى يتيما، فحق على الله أن يبكى عينيه يوم القيامة».

﴿وسيصلون سعيرا﴾ أى: سيدخلون جهنم، وقيل: يعاينون سعيرا، والسعير: النار المستعرة، وهو اسم من أسماء جهنم.

قوله – تعالى –: ﴿يوصيكم الله فى أولادكم﴾ معناه: يفرض الله عليكم فى أولادكم، وذلك مثل قوله – تعالى –: ﴿ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به﴾(٢) أى: فرض عليكم ﴿للذكر مثل حظ الأنثيين﴾.

سبب نزول الآية: «أن سعد بن الربيع لما استشهد يوم أحد خلّف ابنتين وامرأة وأخا، فجاء الأخ وأخذ جميع المال، فجاءت المرأة تشكو إلى رسول الله ﷺ؛ فنزلت الآية». فدعا رسول الله ﷺ الأخ، وقال: اعط الابنتين الثلثين والمرأة الثُّمن، وخذ الباقى»(٣).

وقوله: ﴿للذكر مثل حظ الأنثيين﴾ يعنى: إذا خلّف ابنا وابنة، فالمال من ثلاثة أسهم: سهمان للإبن، وسهم للبنت ﴿فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك﴾ أكثر الصحابة والعلماء على أن للابنتين، والثلاث: الثلثين.

وقال ابن عباس: للابنتين النصف، وإنما الثلثان للثلاث وما زاد؛ تمسكا بظاهر الآية. والأول أصح.

(١) رواه ابن جرير (٤/١٨٤) من حديث أبى سعيد الخدرى مرفوعاً بنحوه.

(٢) الأنعام: ١٥١.

(٣) رواه أبو داود (٣/١٢١ رقم ٢٨٩٢)، والترمذى (٤/٣٠٦١ رقم ٢٠٩٢) وقال: حديث صحيح، وابن ماجه (٢/٩٠٨ – ٩٠٩ رقم ٢٧٢٠)، وأحمد (٣/٣٥٢)، والدارقطنى (٤/٧٨–٧٩)، والحاكم (٤/٣٣٣ – ٣٣٤) وصححه، جميعهم من حديث جابر به.

وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ وَلَكُمْ

ومعنى قوله: ﴿فإن كن نساء فوق اثنتين﴾ يعنى: كن نساء اثنتين فما فوقهما، وهذا كقوله: ﴿فاضربوا فوق الأعناق﴾(١) أى: فاضربوا الأعناق فما فوقها، وقيل: «فوق» فيه صلة، وتقديره: فإن كن نساء اثنتين، واسم الجمع ينطلق على الاثنين؛ لأن الجمع عبارة عن جمع الشيء، ويستوى فيه الاثنان والثلاث، ولأنا أجمعنا على أن الأختين ترثان الثلثين، وهما ابنتا أب الميت، فالابنتان لأَنْ يرثا الثلثين أولى، وهما ابنتاه للصلب.

﴿وإن كانت واحدة فلها النصف﴾ وفيه إجماع ﴿ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك وإن كان له ولد﴾ يعنى: للميت، ﴿فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث﴾ وهذا لاخلاف فيه.

﴿فإن كان له إخوة فلأمه السدس﴾ أكثر الصحابة والعلماء على أن الأخوين والثلاثة يردون الأم من الثلث إلى السدس.

وقال ابن عباس: الثلاثة يردون، فأما الأخوان فلايردان؛ لأنه ذكر بلفظ الجمع وأقله ثلاثة.

وقد بينا أن اسم الجمع ينطلق على اثنين والثلاثة.

وقرأ حمزة والكسائى: «فلإمه السدس» بكسر الهمزة، وهو لغة فى الأم، والمعروف بالضم(٢) ﴿من بعد وصية يوصى بها أو دين﴾ يقرأ بقرآتين «يوصِى» بكسر الصاد على معنى: يوصيها الموصى، ويقرأ: يوصَى» بفتح الصاد، على مالم يسم فاعله(٣).

(١) الأنفال: ١٢.

(٢) انظر النشر (٢/٢٤٨).

(٣) قرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو بكر: بفتح الصاد، وقرأ الباقون بكسرها. انظر المصدر السابق.

نصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا

وعن علي – رضي الله عنه – أنه قال: إنكم تقرءون الوصية قبل الدين، والدين قبل الوصية، يعني: في القضاء، ثم اختلفوا، منهم من قال: «أو» بمعنى «الواو» والمراد الجمع بينهما، وبيان أن الإرث مؤخر عنهما جميعا، ومنهم من قال «أو» على حقيقته، ومعناه: من بعد وصية، إن كانت وصية، أو دين إن كان دين، فالإرث مؤخر عن كل واحد منهما؛ من ذلك عرف تأخيره عنهما إذا اجتمعا بطريق الأولى.

وقوله: ﴿آباؤكم وأبناؤكم﴾ يعني: الذين يرثونكم آباؤكم وأبناؤكم ﴿لاتدرون أيهم أقرب لكم نفعا﴾ أي: لاتعلمون أيهم أنفع لكم في الدين والدنيا.

فمنهم من يظن أن الآباء تنفع فتكون الأبناء أنفع، ومنهم من يظن أن الأبناء أنفع، فتكون الآباء أنفع، وأنتم لاتعلمون، وأنا أعلم بمن هو أنفع لكم؛ وقد دبرت أمركم على ما فيه الحكمة والمصلحة، فخذوه، واتبعوه. وفي الأخبار «أن في الجنة يكون الأب على الدرجة العالية، والابن في الدرجة السافلة؛ فيسأل الأبن الله تعالى فيرفعه إلى درجة أبيه. ويكون الابن على الدرجة العالية، والأب في الدرجة السافلة، فيسأل الأب الله – تعالى – فيرفعه إلى درجة الابن»(١) فهذا معنى الآية لاتدرون أيهم أنفع لكم في الآخرة، وأرفع درجة، فتصلون إلى درجته.

﴿فريضة من الله﴾ يعني: ما قدر من المواريث ﴿إن الله كان عليما﴾ بأمر العباد ﴿حكيما﴾ بنصب الأحكام.

(١) رواه الطبراني في الكبير (١١ / ٢٤٠–٢٤١ رقم ١٢٢٤٨)، وفي الصغير (١ / ٣٨٢ رقم ٦٤٠) من حديث ابن عباس مرفوعًا ولفظه: «إذا دخل بالرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده، فيقال: إنهم لم يبلغوا درجتك وعملك، فيقول: يارب، قد عملت لي ولهم، فيؤمر بإلحاقهم به ... الحديث.

وقال الهيثمي في المجمع (٧ / ١١٧): وفيه محمد بن عبد الرحمن بن غزوان وهو ضعيف.

ورواه ابن جرير (٤ / ١٩٠)، وابن المنذر وابن أبي حاتم – كما في الدر (٢ / ١٤٠) – عن ابن عباس موقوفا مختصراً.

تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوٓا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِي الثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ

قوله تعالى: ﴿ ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ﴾ هذا فى ميراث الأزواج، وفيه إجماع ﴿ ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين ﴾ وهذا فى ميراث الزوجات، ولاخلاف فيه.

قوله تعالى: ﴿ وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة ﴾ يعنى: أو امرأة تورث كلالة، قال بعض العلماء: الكَلاَلَة لايُعْلَمُ معناها، وعن عمر - رضى الله عنه - قال: خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يبين لنا ثلاثة: الكلالة، والخلافة، والربا.

والصحيح أنها معلومة المعنى، ثم اختلفوا، قال ابن عباس فى رواية - وهى إحدى الروايتين عن عمر -: إن الكَلاَلَة اسم لميت لا ولد له، وورث الإخوة مع الأب.

وقال الحكم بن عتيبة: والكلالة: اسم لميت لا ولد له، وورث الإخوة مع الوالد، وهما قولان فى شواذ الخلاف، والصحيح فيه قولان:

أحدهما - قول لأهل المدينة والكوفة - أن الكلالة اسم لورثة ليس فيهم ولد ولا والد؛ مأخوذ من الإكليل، وهو الذى على جانبى الوجه، فالكلالة اسم لمن يحيط بجانبى الميت من الإخوة والأخوات، والأعمام، ونحوهم، ولم يكن أعلى ولا أسفل.

واستدلوا عليه بحديث جابر «كان مريضا؛ فدخل عليه رسول الله ﷺ يعوده، فقال: إنما يرثنى كلالة». [(١)] ولم يكن فى ورثته ولد ولا والد، وجعل الكلالة اسما للوارث، ويشهد لهذا ما قرئ فى الشواذ: «وإن كان رجل يورِّث كلالة» مشدداً بكسر الراء.

(١) متفق عليه، رواه البخارى (١٢/٢٦ رقم ٦٧٤٣ وأطرافه فى ١٩٤، ٤٥٧٧، ٥٦٥١، ٥٦٦٤، ٥٦٧٦، ٦٧٢٣، ٧٣٠٩)، ومسلم (١١/٧٨-٨١ رقم ١٦١٦).

غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ

وقال البصريون: وهو قول أبى بكر، وعلى، وابن مسعود، وزيد، وفى أصح الروايتين عن ابن عباس: أن الكلالة: اسم للميت الذى ليس له ولد ولا والد، وهو ظاهر الآية، وتشهد له القراءة الأخرى فى الشواذ: «وإن كان رجل يورِّث كلالة» مشدداً بفتح الراء. قال الشاعر:

وإن أَبَا المرء أحمى له(1) ومولى الكلالة لايغضب

فجعل الكلالة اسما للميت.

وفيه قول آخر: أن الكلالة اسم للتركة، قاله عطاء. وقوله: ﴿وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس﴾ أجمعوا على أن المراد بالأخ والأخت ها هنا أولاد الأم، وفرض لكل واحد منهم السدس ذكرا كان أو أنثى.

﴿فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث﴾ وفيه إجماع، أن فرضهم الثلث إذا تعددوا، وإن كثروا ﴿من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار﴾ يعنى: الموصى لايضر بالورثة بمجاوزة الثلث، ونحوه ﴿وصية من الله﴾ أى: فريضة من الله ﴿والله عليم حليم﴾ ﴿تلك حدود الله﴾ يعنى: ما ذكر من الفروض المحدودة، ﴿ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم﴾ ذكر ثواب من أطاعه، ولم يجاوز حدوده ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين﴾ ذكر عقاب من عصاه، وجاوز حدوده.

قوله - تعالى -: ﴿واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم﴾ اللاتى، والتى،

(1) وقع هذا الشطر من البيت فى الأصل كما يأتى:

وإن أبى المراء حمى له

وما أثبتناه من لسان العرب (مادة: كلل). وفسره بقوله: أراد أن أبا المرء أغضب له إذا ظلم، وموالى الكلالة وهم: الإخوة، والأعمام، وبنو الأعمام وسائر القرابات لايغضبون للمرء غَضَبَ الأب.

حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ

واللواتى: اسم لجماعة النساء، قال الشاعر:

هن اللواتى والتى واللاتى زعمن أنى قد كبرت لِداتى

ومثله: اللائى أيضًا، قال الشاعر:

من اللائى لم يحججن تبغين حسبة ولكن ليقتلن البرىء المغفلا

وقوله: ﴿يأتين الفاحشة﴾ أراد بالفاحشة هاهنا الزنا: ﴿فاستشهدوا عليهن أربعة منكم﴾ هو خطاب للحكام، يعنى: فاطلبوا عليهن أربعة من الشهود، وهذه الآية هى الحجة على أن شهود الزنا أربعة ﴿فإن شهدوا فأمسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا﴾ وكان هذا هو الحكم فى ابتداء الإسلام، وأن المرأة إذا زنت حبست فى البيت إلى أن تموت. ثم نسخ ذلك فى حق البكر بالجلد و التغريب، وفى حق الثيب بالجلد والرجم، وهو بيان السبيل المذكور فى الآية، والحجة عليه: حديث عبادة: «خذوا عنى خذوا عنى، قد جعل الله لهن سبيلا: البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة»(١).

ثم نسخ الجلد فى حق الثيب، واستقر أمرها على الرجم.

وقال بعض العلماء: الجلد مع الرجم باق على الحكم، والأول أصح.

وقال أبو حنيفة وأصحابه: التغريب أيضا منسوخ فى حق البكر، والخلاف مذكور فى الفقه.

واختلفوا فى أن ذلك الإمساك فى البيت كان على سبيل الحدّ أَمْ كان حبسا؛ ليظهر الحد؟ على قولين: أحدهما: أنه كان حدا، والثانى: أنه كان حبسا ليظهر الحد.

(١) رواه مسلم فى صحيحه (١١/ ٢٧٠ - ٢٧٣ رقم ١٦٩٠)، وأبو داود (٤/ ١١٤ رقم ٤٤١٥، ٤٤١٦)، والترمذى (٤/ ٣٢ رقم ١٤٣٤)، وقال: حسن صحيح، والنسائى فى الكبرى (٦/ ٣٢٠ رقم ١١٠٩٣)، وابن ماجه (٢/ ٨٥٢ رقم ٢٥٥٠) جميعهم عن عبادة مرفوعًا.

لَهُنَّ سَبِيلاً ﴿١٥﴾ وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا
رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ

قوله تعالى: ﴿ واللذان يأتيانها منكم فآذوهما ﴾ اختلفوا فى المراد من الآيتين، قال مجاهد: الآية الأولى فى النساء، وهذه الآية فى الرجال إذا زنوا.

وقال غيره: الأولى فى الثيب، وهذه الآية فى الأبكار.

وفيه قول ثالث: أن الآية الأولى فى المرأة إذا أتت المرأة سِحَقًا، والآية الثانية فى الرجل إذا أتى الرجل.

وقد قال ﷺ: «إذا أتى الرجل الرجل فهما زانيان، وإذا أتت المرأة المرأة فهما زانيتان»(١).

والمراد بالإيذاء فى هذه الآية: هو السب باللسان، وإسماع المكروه، والتعيير، والضرب بالنعال.

فإن قيل: ذكر الحبس فى الآية الأولى، والإيذاء فى الآية الثانية، فكيف وجه الجمع؟ قيل: أما على قول من قال: إن الآية الأولى فى صنف، والآية الثانية فى صنف آخر، يستقيم الكلام.

وقال بعضهم: أراد به: الجمع بين الإيذاء والحبس فى حق الزانى فيؤذى أولا، ثم

---

(١) الحديث شطره الأول: «إذا أتى الرجل الرجل فهما زانيان». رواه الآجرى فى ذم اللواط (٥١)، والبيهقى فى سننه (٨/٢٣٣) من حديث أبى موسى مرفوعًا، وقال البيهقى: هو منكر بهذا الإسناد.

وقال الحافظ فى التلخيص (٤/١٠٣): رواه البيهقى من حديث أبى موسى، وفيه محمد بن عبد الرحمن القشيرى، كذبه أبو حاتم. ورواه أبو الفتح الأزدى فى الضعفاء، والطبرانى من وجه آخر عن أبى موسى، وفيه بشر بن الفضل البجلى، وهو مجهول، وقد أخرجه أبو داود الطيالسى فى مسنده عنه.

وشطره الثانى جاء بلفظ: «سحاق النساء زنا بينهن» رواه أبو يعلى (١٣/٤٧٦رقم ٧٤٩١)، والطبرانى فى الكبير (٢٢/٦٣ رقم ١٥٣)، والآجرى فى ذم اللواط (ص٥٤)، وابن عدى فى الكامل (٥/١٧٤)، والخطيب فى التاريخ (٩/٢٩ - ٣٠) جميعهم من حديث واثلة، وزاد الخطيب أنسًا مع واثلة.

يحبس، والآية الثانية وإن كانت فى التلاوة متأخرة، فهى فى المعنى متقدمة، كأنه قال: واللذان يأتيان الفاحشة منكم فآذوهما وأمسكوهما فى البيت ﴿فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما﴾ أى: أعرضوا عن الإيذاء ﴿إن الله كان توابا رحيما﴾.

قوله - تعالى -: ﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة﴾ قال قتادة: أجمع أصحاب رسول الله ﷺ على أن من عصى الله فهو جاهل، وقيل: أراد به: الجهّال بكنه عقوبة الله، وقيل: الجهالة فى المعصية: أنه اختار اللذة الفانية على اللذة الباقية.

﴿ثم يتوبون من قريب﴾ يعنى: قبل الموت، قال الضحاك: كل ما بينك وبين الموت فهو قريب، وقيل: أراد به: التوبة قبل أن يعاين ملك الموت، وقيل: أراد به: ثم يتوبون قبل أن يغرغروا.

وفى الخبر: أن النبى قال: «من تاب قبل موته بسنة تاب الله عليه، ثم قال: إن السنة (لكثيرة)(١)، ثم قال: من تاب قبل موته بشهر تاب الله عليه، ثم قال: إن الشهر لكثير، ثم قال: من تاب قبل موته بجمعة، تاب الله عليه، ثم قال: إن الجمعة (لكثيرة)(١)، ثم قال: من تاب قبل موته بيوم، تاب الله عليه، ثم قال: إن اليوم لكثير، (من تاب قبل موته بنصف يوم تاب الله عليه، ثم قال: إن نصف اليوم لكثير)(٢) من تاب قبل موته بساعة تاب الله عليه، ثم قال: إن الساعة لكثيرة(١)، من تاب قبل أن يغرغر تاب الله عليه».(٣) رواه عبادة بن الصامت، فهذا معنى قوله: ﴿ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيماً﴾.

قوله - تعالى -: ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات﴾ قيل: أراد

---

(١) فى «ك»: لكثير.
(٢) ليس فى «ك».
(٣) رواه الطبرى (٤/ ٢٠٥) باختصار من حديث عبادة بن الصامت. وبنحوه رواه أحمد فى مسنده (٢/ ٢٠٦)، والطيالسى (ص٣٠١ رقم ٢٢٨٤)، والطبرى فى تفسيره (٤/ ٢٠٦)، والحاكم (٤/ ٢٥٨-٢٥٩) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.
وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٢٠٠): رواه أحمد، وفيه راوٍ لم يسم، وبقية رجاله ثقات. ورواه أحمد فى مسنده (٣/ ٤٢٥)، والحاكم (٤/ ٢٥٧-٢٥٨) عن نفر من الصحابة بنحوه مطولا. وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٢٠٠): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير عبد الرحمن، وهو ثقة.

اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ

بالسيئات: الشرك، وقال ابن عباس: هو النفاق، وقيل: كل المعاصى.

﴿حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن﴾ يعنى: حالة الموت، يتوب حين يساق، ووجه ذلك: مثل توبة فرعون حين أدركه الغرق، قال: آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل، يقول الله – تعالى –: ليس لهؤلاء توبة.

﴿ولا الذين يموتون وهم كفار﴾ يعنى: ولا الذين يموتون كفارا لهم توبة ﴿أولئك أعتدنا لهم﴾ أى: أعددنا لهم ﴿عذابا أليمًا﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا لايحل لكم أن ترثوا النساء كرها﴾ نزلت الآية فى الأنصار، كان الرجل منهم إذا مات أبوه؛ ورث امرأة أبيه، ثم إن شاء أمسكها لنفسه زوجة، وإن شاء زوجها من غيره، وأخذ صداقها، وإن شاء عضلها عن الأزواج، حتى تضجر [فتفدى][(١)] نفسها بمال، حتى مات أبو قيس بن الأسلت الأنصارى عن امرأته كبيشة بنت معن الأنصارى، فجاء [ابنه][(٢)] حصن وورث المرأة؛ فجاءت المرأة تشكو إلى النبى ﷺ فنزل قوله – تعالى –: ﴿لايحل لكم أن ترثوا النساء كرها﴾ ويقرأ: «كُرْها»[(٣)] بضم الكاف، فالكَرَه بالفتح: الإكراه، والكُرْه بالضم المشقة. ﴿ولاتعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن﴾ أى: تمنعوهن من الأزواج حتى يضجرن؛ فيفتدين ببعض مالهن، فيكون خطابا لأولياء الميت.

والصحيح أنه خطاب للأزواج، يعنى: إذا لم تكن الزوجة بموافقة، فلا تمسكها

(١) ليست فى «الأصل» ولا «ك».

(٢) فى «الأصل»: أبوه، وفى« ك »: أبو، وكلاهما خطأ، والصواب: ابنه، واسمه حصن، له ترجمة فى الإصابة (١/٣٣٥)، وذكر الحافظ أن الثعلبى ذكره فى تفسيره بنحو ما هنا، وكذا الواقدى، لكن بلا إسناد، وصوب أن اسمه قيس بن أبى قيس بن الأسلت، وترجم له فى الإصابة (٣/٢٥١ – ٢٥٢).

(٣) قرأ حمزة، والكسائى، وخلف بضم الكاف، وقرأ الباقون بفتحها. انظر النشر (٢/٢٤٨).

أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾

ضرارا؛ لتفتدى ببعض مالها ﴿إلا أن يأتين بفاحشة مبينة﴾ قال ابن عباس: هو النشوز، وقيل: هو الزنا، يعنى: إذا نشزت أو زنت، فحينئذ يحل أن يفاديها، ويأخذ مالها، وكان فى ابتداء الإسلام إذا زنت المرأة أخذ الزوج جميع صداقها منها ثم نسخ ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾ أى: الإجمال فى المبيت، والقول، والنفقة ﴿فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا﴾.

قوله - تعالى -: ﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج﴾ أراد بالزوج هاهنا: الزوجة، وهو اسم للرجل والمرأة ﴿وآتيتم إحداهن قنطارا﴾ يعنى: من الصداق، ﴿فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا﴾ أى: ظلما ﴿وإثما مبينا﴾.

﴿وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض﴾ أى: وصل بعضكم إلى بعض بالدخول، وحكى عن الزجاج: أنه الخلوة، والأول أصح.

﴿وأخذن منكم ميثاقا غليظا﴾ هو قول الولى: زوجتكها على أن تمسكها بمعروف، أو تسرحها بإحسان، وقيل: هو معنى ما روى: «اتقوا الله فى النساء؛ فإنهن عندكم عوان، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله»(١) فهذا هو الميثاق الغليظ.

قوله - تعالى -: ﴿ولاتنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء﴾ كان أهل الجاهلية ينكحون أزواج آبائهم؛ فورد الشرع بالنهى عنه ﴿إلا ما قد سلف﴾ يعنى: بعدما سلف، وقال المبّرد: ومعناه: لكن ما سلف فى الجاهلية؛ فهو مغفور.

﴿إنه كان فاحشةً ومقتًا﴾ قيل «كان»: فيه صلة، وتقديره: إنه فاحشة، وهذا كما

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه (٨/٢٥٢ رقم ١٢١٨)، وأبو داود (٢/١٨٢ - ١٨٧ رقم ١٩٠٥، ١٩٠٩)، وابن ماجة (٢/١٠٢٢ رقم ٣٠٧٤) من حديث جابر فى حجة الوداع.

يقول الشاعر:

فكيف إذا رأيت ديار قومى[1] وجـيـران لنا كـانوا كـرام

وقيل: «كان» فى موضعه، ومعناه: أنه كان فى الجاهلية يعدونه فاحشة ومقتا، وكانوا يسمون ولد امرأة الأب: مقيتا، والفاحشة: أقبح معصية، وأما المقت: قال أبو عبيدة هو المبغضة من الله، وقال ابن عباس: أراد به المقت من الملائكة ﴿وساء سبيلا﴾ أى: بئس المسلك.

قوله - تعالى -: ﴿حرمت عليكم أمهاتكم﴾ قال ابن عباس: حرم الله - تعالى - سبعا بالنسب، وسبعا بالمهر، وقال الفقهاء: سبعًا بالنسب، وسبعًا بالسبب.

أما السبع بالنسب: منهن الأمهات: وهى كل امرأة تنسب إليها بالولادة، سواء قربت أو بعدت، سواء كان بينك وبينها ذكر أو أنثى، أو لم يكن أحد، فالكل حرام.

قال: ﴿وبناتكم﴾ ومنها البنات: وهى كل امرأة تنسب إليكم بالولادة، سواء قربت أو سفلت، سواء كان بينك وبينها ذكر أو أنثى، أو لم يكن أحد، فالكل حرام.

قال ﴿وأخواتكم﴾ ومنها الأخوات: وهى كل امرأة تنسب إلى من تنسب إليه بالولادة، فالكل حرام. قال: ﴿وعماتكم﴾ ومنها العمات، والعمة: أخت كل ذكر تنسب إليه بالولادة، فالكل حرام، قرب أم بعد، قال: ﴿وخالاتكم﴾ ومنها الخالات، والخالة: أخت كل امرأة تنسب إليها بالولادة، قربت أم بعدت.

---

(١) وقع هذا الشطر من البيت فى لسان العرب (مادة: كون) كما يأتى.

فكيف إذا مررت بدار قومٍ

وفى (مادة: كنن):

فكيف ولو مررت بدارِ قومٍ

أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا

قال: ﴿ وبنات الأخ وبنات الأخت ﴾ ومنها بنات الأخ وبنات الأخت: وهى بنت كل من تنسب إلى من تنسب إليه، فهذه السبعة بالنسب.

وأما السبع بالسبب: فإحداهن مذكورة قبل هذه الآية فى قوله: ﴿ ولاتنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء ﴾، والثانية فى قوله: ﴿ وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم ﴾، والثالثة: ﴿ وأخواتكم من الرضاعة ﴾، ولا خلاف أن الأم والأخت من الرضاعة حرام على الرجل نكاحها، فأما ما عدا الأمهات والأخوات من الرضاعة حرام أيضا عند أكثر العلماء؛ لقوله ﷺ: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»(١).

قال داود، وأهل الظاهر: لايحرم ما عدا الأمهات والأخوات بالرضاع؛ تمسكا بظاهر القرآن.

قال ﴿ وأمهات نسائكم ﴾ الرابعة: أم الزوجة، تحرم على الإطلاق بنفس العقد على قول الأكثرين، وحكى خلاس عن على – رضى الله عنه – أنه قال: «لاتحرم أم الزوجة إلا بعد الدخول بالزوجة لقوله – تعالى –: ﴿ وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن ﴾ قال: فقوله: ﴿ من نسائكم اللاتى دخلتم بهن ﴾ ينصرف إليهما جميعًا. والأول أصح.

قال ابن عباس: أبهموا ما أبهمه الله، أى: أطلقوا ما أطلقه الله؛ ولأن قوله: ﴿ وأمهات نسائكم ﴾ مستقل بنفسه، معتد بحكمه، فيستغنى عن الإظهار؛ ولأن قوله: وأمهات نسائكم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن على هذا التقدير يكون عيًّا فى الكلام، فلا يليق بكلام الله – تعالى – الذى هو أفصح أنواع الكلام.

قال: ﴿ وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن ﴾.

(١) متفق عليه من حديث عائشة. رواه البخارى (٩/ ٤٣ رقم ٥٠٩٩)، ومسلم (١٠/ ٢٨ – ٢٩ رقم ١٤٤٢).

أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا

الخامسة: الربيبة؛ وهى ابنة الزوجة، وسميت ربيبة؛ لأن الزوج يربها فى حجره على الأغلب، فهى حرام بعد الدخول بالزوجة، وسواء كانت فى حجره، أو فى حجر غيره.

وقال داود: يختص التحريم بالتى فى حجره؛ لقوله: ﴿وربائبكم اللاتى فى حجوركم﴾. وهذا لايصح؛ لأن الكلام خرج على الأغلب.

﴿فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم﴾ يعنى: فى نكاحهن.

وقال: ﴿وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم﴾ السادسة: حليلة الابن، وهى حرام، وسميت حليلة؛ لأنها مع الابن يحلاّن فراشاً واحداً، وقيل: لأنها تحل إزار الابن، والابن يحل إزارها، وقيل: سميت حليلة؛ لأنها تحل له.

وقوله ﴿الذين من أصلابكم﴾ إنما قيد بالصلب، وإن كان حليلة ولد الولد حراما؛ ليبين أن حليلة ولد التبنى حلال. وقد تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش امرأة زيد بن حارثة، وكان قد تبنى زيدا، حتى قال عبد الله بن أبى بن سلول: انظروا إلى هذا الرجل، كيف وثب على امرأة ابنه وتزوجها: فقال الله تعالى: ﴿وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم﴾ بذلك السبب.

﴿وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف﴾ السابعة: الجمع بين الأختين بالنكاح، وكذلك بالوطء فى ملك اليمين، وقال أهل الظاهر: لايحرم الجمع بينه فى النكاح؛ لأن الآية فى التحريم بالنكاح، قال عثمان: حرمتها آية وأحلتها آي التحريم هذه؛ وآية التحليل قوله: ﴿إلا ما ملكت أيمانكم﴾(١) ﴿إلا ما قد أى: بعدما سلف وقد [بينا لك](٢) ﴿إن الله كان غفوراً رحيماً﴾.

قوله تعالى: ﴿والمحصنات من النساء﴾ أراد به: ذوات الأزواج ﴿إلا أيمانكم﴾ اختلفوا فيه، فقال على، وابن عباس: أراد به: إلا ما ملكت أ

(١) النساء: ٢٤.
(٢) فى «الأصل وك»: بيناك.

وَسَاءَ سَبِيلاً ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ
وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي
فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلائِلُ

سبايا أوطاس، وفيه نزلت الآية، قال أبو سعيد الخدرى: «لما سبا رسول الله ﷺ سبايا أوطاس، هرب الرجال؛ فتحرج المسلمون من وطء النساء بمكان الأزواج؛ فنزلت الآية، وأذن رسول الله ﷺ فى وطئهن»(١).

وقال ابن مسعود، وأبى بن كعب: إن قوله: ﴿إلا ما ملكت أيمانكم﴾ هو أن يبيع الجارية المزوجة، فتقع الفرقة بينها وبين زوجها، ويحل للمشترى وطأها، ويكون بيعها طلاقا لها.

وقيل: معنى الآية ﴿والمحصنات من النساء﴾ يعنى: ذوات الأزواج يحرم الاستمتاع بهن، ﴿إلا ما ملكت أيمانكم﴾ من مهرهن، فيحل الاستمتاع به، فكأنه
حرم الاستمتاع ببضعهن وأباح الاستمتاع بمهرهن.

﴿كتاب الله عليكم﴾ أى: فرض الله عليكم، ويقرأ: «كتب الله عليكم» أى:
ض الله عليكم ﴿وأحل لكم ما وراء ذلكم﴾ يعنى: أَحل الله لكم، ويقرأ: «أحل
» – بضم الألف – على نظم قوله: ﴿حرمت عليكم أمهاتكم﴾(٢).
أن تبتغوا بأموالكم﴾ قيل: الإحلال: بالابتغاء بالأموال، وفيه دليل على أن
لال البضع لايخلو عن عِوَض ﴿محصنين﴾ أى: متزوجين متعففين ﴿غير
ن﴾ غير زانين، مأخوذ من سفح الماء، وهو الصب، ومنه قول امرئ القيس:

شفائى عَبْرةٌ إن سفحتها(٣) فهل عندَ رسمٍ دارسٍ من مُعَوَّلِ

لم (١١/ ٥١ – ٥٤ رقم ١٤٥٦)، وأبو داود (٢/ ٢٤٧ رقم ٢١٥٥) والترمذى (٣/ ٤٣٨ رقم:
ال: حسن، والنسائى (٦/ ١١٠ رقم ٣٣٣٣)، وأحمد (٣/ ٧٢، ٨٤) والطبرى (٥/ ٢).
ر، وحمزة، والكسائى، وخلف، وحفص: بضم الهمزة وكسر الحاء، وقرأ الباقون بفتحهما. وانظر
(٢).
ر من البيت فى لسان العرب (مادة: عول، هلل) كما يأتى:
وإن شفائى عبرة مهراقة

أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ

أى: صببتها ﴿ فما استمتعتم به منهن ﴾ قيل: أراد به: فما استمتعتم به بالنكاح منهن، ﴿ فآتوهن أجورهن فريضة ﴾ أى: مهورهن، وقال ابن عباس: هو المتعة المعروفة.

وكانت المتعة حلالاً فى ابتداء الإسلام، وصورتها: أن يقول الرجل للمرأة: أجرتك - أو عقدت عليك - لأستمتع بك عشرة أيام بكذا، وكان هذا حلالا، ثم نسخ، وكان ابن عباس يفتى بإباحتها، والصحيح أنه منسوخ.

وروى على، والربيع عن سبرة، عن النبى ﷺ: «أنه نهى عن نكاح المتعة»[1]

وقال على لابن عباس: إنك رجل تائه نهى رسول الله ﷺ عن نكاح المتعة. وقيل: إن ابن عباس رجع عن إباحة المتعة، وتاب. وقال بعض السلف: لولا أن عمر نهى عن المتعة؛ مازنى أحد فى العالم.

﴿ ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ﴾ فمن حمل ما قبله على المتعة، قال: المراد بهذا: أن يزيد الرجل فى المهر، وتزيد المرأة فى الأجل، ومن حمل ذلك على الاستمتاع بالنكاح؛ فالمراد بقوله: ﴿ ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به ﴾ يعنى: من الإبراء، والاعتياض عن المهر ﴿ إن الله كان عليماً حكيماً ﴾.

قوله نعالى: ﴿ و من لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات ﴾ قال مجاهد: الطَوْل: السعة، والغنى.

وأصل الطَوْل الفضل، ومنه الطول؛ لفضل القامة، ويقال: لاطائل تحته؛ أى: لامعنى تحته.

(١) حديث على: متفق عليه، رواه البخارى فى صحيحه (٩/ ٧١ رقم ٥١١٥)، ومسلم (٩/ ٢٦٩ - ٢٧١ رقم ١٤٠٧).

وحديث سبرة الجهنى، رواه مسلم (٩/ ٢٦٢ - ٢٦٩ رقم ١٤٠٦)، وأبو داود (٢/ ٢٢٦ - ٢٢٧ رقم ٢٠٧٢، ٢٠٧٣)، والنسائى (٦/ ١٢٦ - ١٢٧ رقم ٣٣٦٨)، وابن ماجة (١/ ٦٣١ رقم ١٩٦٢).

فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ

ومعنى الآية: ومن لم يقدر على مهر الحرة المؤمنة؛ فليتزوج بالأمة المؤمنة، وفيه دليل على أن نكاح الأمة الكتابية باطل.

قال الشعبى: نكاح الأمة مع القدرة على مهر الحرة حرام، كالميتة والدم، وقال عطاء: الطَوْل الهوى، ومعنى الآية: ومن لم يستطع من هواه أن ينكح الحرة؛ بأن كان يهوى الأمة دون الحرة، فليتزوج بالأمة؛ فعلى هذا يجوز نكاح الأمة، وإن كان قادرا على مهر الحرة، والفتى: العبد، والفتاة الجارية، فمعنى قوله - تعالى -: ﴿من فتياتكم المؤمنات﴾ أى: من جواريكم.

﴿والله أعلم بإيمانكم﴾ أى: لاتتعرضوا للباطن فى الإيمان، وخذوا بالإيمان الظاهر؛ فإن الله أعلم بإيمانكم ﴿بعضكم من بعض﴾ أى: كلكم من نفس واحدة؛ فلا تستنكفوا من نكاح الإماء، وقيل: معناه بعضكم أخوة لبعض.

﴿فانكحوهن﴾ أى: الإماء ﴿بإذن أهلهن﴾ أى: بإذن مواليهن ﴿وآتوهن أجورهن﴾ أى: مهورهن ﴿بالمعروف محصنات﴾ يعنى: عفائف بالتزويج ﴿غير مسافحات﴾ أى: غير زانيات ﴿ولا متخذات أخدان﴾ فالمسافحة: هى أن تمكن منها كل أحدٍ، قال الحسن: المسافِحَة: هى امرأة كل من أوى إليها تبعته، و ذات الخدن: هى أن تختص بصديق، والعرب كانت تحرم الأولى وتستبيح الثانية.

قوله تعالى: ﴿فإذا أَحْصَنَّ﴾ قال ابن مسعود: فإذا أسلمن. وقال ابن عباس: فإذا تزوجن، ويقرأ فإذا «أُحْصِنَّ» بضم الألف، ومعناه: زوجن(١).

﴿فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب﴾ ومعنى الآية - على قول ابن عباس، وهو الأصح -: أن الإماء إذا تزوجن وصرن ثُيَّبًا ﴿فعليهن نصف

(١) قرأ حمزة، والكسائى، وخلف، وأبو بكر: بفتح الهمزة، والصاد، وقرأ الباقون بضم الهمزة، وكسر الصاد. انظر النشر (٢/٢٤٩).

الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ

ما على المحصنات ﴾ يعنى: الحرائر ﴿ من العذاب ﴾ أى: من عذاب الحد، وحدّ الحرائر: يكون بالجلد؛ ويكون بالرجم، والرجم لاينتصف؛ فكان المراد تنصيف الجلد. وذهب بعض العلماء إلى أن الأمة البكر إذا زنت، لاحد عليها؛ لظاهر هذه الآية، وهذا لايصح.

قال الزهرى: حد الأمة الثيب ثابت بهذه الآية، وحد الأمة البكر ثابت بالسنة، والسنة المعروفة فيه: قوله ﷺ: «إذا زنت أمة أحدكم فليجلدها»(١) ﴿ ذلك لمن خشى العنت منكم ﴾ العنت: الزنا، وقد يكون بمعنى المشقة، كما بيّنا ﴿ وأن تصبروا ﴾ يعنى: عن نكاح الإماء ﴿ خير لكم ﴾ كيلا يخلق الولد رقيقا ﴿ والله غفور رحيم ﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ يريد الله ليبين لكم ﴾ يعنى: أن يبين لكم، ومثله قول الشاعر:

أريدُ لأَنْسَى ذِكرَهَا فكأنما ... تَمَثَّل لى ليلى بكل سبيل

يعنى: أريد أن أنسى ذكرها.

قوله: ﴿ ليبين لكم ﴾ أى: يوضح لكم الأحكام ﴿ ويهديكم ﴾ أى: يرشدكم ﴿ سنن الذين من قبلكم ﴾ أى: طرائق الذين من قبلكم من النبيين، والصالحين، وقيل: من قوم موسى، وعيسى، الذين هدوا بالحق؛ وذلك أنه حرم عليهم ما حرم على المسلمين من المحارم المذكورات، وقيل: معناه: ويهديكم إلى(٢) الملة الحنيفية، ملة إبراهيم، ﴿ ويتوب عليكم ﴾ قال ابن عباس: بداء من الله، ومعناه: يوفقكم للتوبة، وقيل: يرشدكم إلى السبيل الذى يدعوكم إلى التوبة ﴿ والله عليم ﴾ بمصالح أمركم

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة وزيد بن خالد، رواه البخارى (١٢ / ١٦٨ رقم ٦٨٣٧ وأطرافه فى ٢١٥٣، ٢١٥٤، ٢٢٣٢، ٢٢٣٣، ٢٥٥٥، ٢٥٥٦، ٦٨٣٨)، ومسلم (١١ / ٣٠٣ رقم ١٧٠٤).

(٢) من «ك».

أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ

﴿ حكيم ﴾ فيما دبر .

قوله تعالى : ﴿ والله يريد أن يتوب عليكم ﴾ هو ما ذكرنا . ﴿ ويريد الذين يتبعون الشهوات ﴾ قال مجاهد : هم الزناة، وقيل : أراد به : اليهود، والنصارى، قال مقاتل بن حيان : اليهود خاصة؛ لأنهم استحلوا نكاح الأخت من الأب ﴿ أن تميلوا ميلا عظيما ﴾ الميل العظيم : هو أن يفعل فعلا لايخاف الله فيه، ولا يرقب الناس، وقيل : الميل العظيم باتباع الشهوات .

قوله - تعالى - : ﴿ يريد الله أن يخفف عنكم ﴾ أى : يسهل عليكم، وقد سهل هذا الدين؛ قال ﷺ : « بعثت بالسمحة السهلة الحنيفية »، وروى : « بالحنيفية السمحة السهلة »[1] وقال الله - تعالى - : ﴿ ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم ﴾[2] .

﴿ وخلق الإنسان ضعيفًا ﴾ قال طاوس، ومجاهد : وخلق ضعيفًا فى أمر النساء؛ لايصبر عنهن، وقال وكيع : يذهب عقله عندهن؛ فهو ضعيف، وقال الزجاج : يستميله هواه وشهوته .

قوله - تعالى - : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾ قال السدى : هو القمار، والربا، ونحوه، وقال غيره : كل العقود الباطلة ﴿ إلا أن تكون تجارة ﴾ يقرأ : بالضم والفتح، وقد ذكرنا وجه القراءتين فى سورة البقرة .

﴿ عن تراض منكم ﴾ أى : بطيبة نفس منكم ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم ﴾ أى : لايقتل بعضكم بعضًا، وقرأ الحسن : ﴿ ولاتقتلوا أنفسكم ﴾ - مشددا - على التكثير .

(١) رواه أحمد (٥ / ٢٦٦) عن أبى أمامة، والخطيب فى تاريخه (٧ / ٢٠٩) عن جابر بن عبد الله مرفوعاً .
ورواه أحمد (٦ / ١١٦) عن عائشة، وفيه « لتعلم يهودأن فى ديننا فسحة، إنى أرسلت بحنيفية سمحة » .
وقال السخاوى فى المقاصد (ص١٨٦) : وسنده حسن، وفى الباب عن أبى بن كعب، وأسعد بن عبد الله الخزاعى، وجابر، وابن عمر، وأبى هريرة وغيرهم .

(٢) الأعراف : ١٥٧ .

وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ

وقيل: معناه: ولاتقتلوا أنفسكم بأكل المال الباطل، وقيل: أراد به: قتل الرجل نفسه على الحقيقة ﴿إن الله كان بكم رحيما﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ومن يفعل ذلك﴾ يعنى: ما سبق من الحرام ﴿عدوانا وظلما﴾ فالعدوان: مجاوزة الحد، والظلم: وضع الشيء في غير موضعه.

﴿فسوف نصليه نارا﴾: ندخله نارا، يصلى بها ﴿وكان ذلك على الله يسيرا﴾ أى: هيّنا، وروى عن ابن عمر أنه قال: كنا نشهد لمن ارتكب الكبائر بالنار بهذه الآيات؛ حتى نزل قوله - تعالى -: ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾(١) فتوقفنا.

قوله - تعالى -: ﴿إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه﴾ سئل رسول الله ﷺ فقيل له: «أى الكبائر أكبر؟ فقال: أن تدعو لله ندا وهو خلقك، قيل: ثم أى؟ قال: أن تقتل ولدك مخافة أن يأكل معك، قيل: ثم أى؟ قال: أن تزنى بحليلة جارك، ثم قرأ ﴿والذين لايدعون مع الله إلها آخر ولايقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولايزنون﴾(٢)»(٣) وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أكبر الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، والفرار من الزحف، وكان متكئا فاستوى جالسا، وقال: وشهادة الزور، وشهادة الزور، فمازال يردده حتى قلنا: ليته سكت»(٤).

وقال ابن مسعود: الكبائر: ما ذكر الله - تعالى - فى هذه السورة إلى هذه الآية: ﴿إن تجتنبوا كبائر﴾.

(١) النساء: ٤٨، ١١٦.

(٢) الفرقان: ٦٨.

(٣) متفق عليه من حديث ابن مسعود، فرواه البخارى (١٢/١١٦ رقم ٦٨١١ وأطرافه فى ٤٧٦١، ٦٠٠١، ٦٨٦١، ٧٥٢٠، ٧٥٣٢)، ومسلم (٢/١٠٥ - ١٠٦ رقم ١٤١).

(٤) متفق عليه من حديث أبى بكرة، فرواه البخارى (١٠/٤١٩/ رقم ٥٩٧٦ وأطرافه فى ٢٦٥٤، ٦٢٧٣، ٦٢٧٤، ٦٩١٩) ومسلم (٢/١٠٨/ رقم ١٤٣) وليس عندهما «الفرار من الزحف».

وَخَلَقَ الإنسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ

وعن ابن مسعود أيضا أنه قال: الكبائر أربعة: الإشراك بالله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله.

وقال ابن عباس: الكبائر سبع: الإشراك بالله، وقتل النفس بغير نفس، وقذف المحصنة، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، و الفرار من الزحف، والتعرّب بعد الهجرة، يعنى: إلى دار الحرب.

وقال ابن عمر: الكبائر تسع فذكر هذه السبع وزاد شيئين أحدهما: السحر، والثانى: الإلحاد فى الحرم بالميل والظلم.

وسئل ابن عباس، فقيل له: الكبائر سبع؟ فقال: هى إلى السبعين أقرب منها إلى السبع، وقال المغيرة بن مقسم الضبى: شتم أبى بكر، وعمر من الكبائر.

والجملة أن الكبائر: كل جريمة أَوْعَدَ الله - تعالى - عليها النار، وقال أبو صالح: الكبيرة كل ما أوجب الحد؛ غير أنه لاكبيرة مع الاستغفار، ولاصغيرة مع الإصرار.

وقوله: ﴿ نكفر عنكم سيئاتكم ﴾ قال السدى: أراد بالسيئات: الصغائر ﴿ نكفر عنكم سيئاتكم ﴾ إن شئت؛ فالمشيئة مضمرة فيه، وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الجمعة إلى الجمعة، والصلوات الخمس، كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر»(١).

وروى أبو سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ قال: «ما من مسلم يصيبه وصب، أو نصب، إلا كفر عنه خطاياه حتى الشوكة يشاكها»(٢)

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه (٣/١٤٧ - ١٤٨ رقم ٢٣٣)، والترمذى (١/٤١٨/ رقم ٢١٤)، وأحمد (٢/٣٥٩) من حديث أبى هريرة.

وقال الترمذى حسن صحيح، وفى الباب عن جابر، وأنس، وحنظلة الأسدى.

(٢) متفق عليه من حديث أبى سعيد، وأبى هريرة، رواه البخارى (١٠/١٠٧/ رقم ٥٦٤١) ومسلم (١٦/١٩٦/ رقم ٢٥٧٣).

عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ

وقيل: باجتناب الكبائر، تقع الصغائر مكفرة، ومذهب أهل السنة: أن تكفير الصغائر معلقة بالمشيئة؛ فيجوز أن يعفو الله عن الكبائر، ويأخذ بالصغائر، ويجوز أن يجتنب الرجل الكبائر، فيؤخذ بالصغائر.

﴿وندخلكم مدخلا كريما﴾ وتقرأ: «مدخلا»(١) - بفتح الميم - فالمدخل: الجنة والمُدخل - بضم الميم -: الإدخال، يعنى: إدخالاً كريمًا.

قوله - تعالى -: ﴿ولاتتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض﴾ سبب نزول الآية: ماروى عن أم سلمة، قالت: يارسول الله: إن الرجال يغزون ولا نغزوا، ولهم ضعف مالنا من الميراث، فلو كنا رجالا غزونا كما غزوا، وأخذنا من الميراث مثل ما أخذوا؛ فنزل قوله: ﴿ولاتتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض﴾ وقيل: سبب نزول الآية: أن أهل الجاهلية كانوا لايُورِّثون النساء؛ فلما نزلت الآية بتوريث النساء، وجُعل للذكر مثل حظ الأنثيين، قالت النساء: لو كنا رجالا لأخذنا من الميراث مثل ما أخذوا، وقال الرجال: كما فضلنا عليكن فى الدنيا، نفضل عليكن فى الآخرة؛ فنزلت الآية.

قال الفراء: هذا نهى تأديب وتهذيب، وقال غيره: إنه نهى تحريم ﴿للرجال نصيب مما اكتسبوا﴾ يعنى: من الأجر ﴿وللنساء نصيب مما اكتسبن﴾ يعنى: من الأجر، ومعنى الآية: أن الرجال والنساء فى الأجر فى الآخرة سواء، وإن فُضِّلَ الرجال على النساء فى الدنيا، فالحسنة بعشر أمثالها يستوى فيها الرجل والمرأة، وقيل: معناه: للرجال نصيب مما اكتسبوا من أمر الجهاد، وللنساء نصيب مما اكتسبن من طاعة الأزواج، وحفظ الفروج، يعنى: إن كان للرجل فضل الجهاد، فللنساء فضل طاعة الأزواج، وحفظ الفروج.

(١) قرأ نافع، وأبو جعفر المدنيان: بفتح الميم، وقرأ الباقون بالضم. انظر النشر (٢ / ٢٤٩).

عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ

﴿واسألوا الله من فضله﴾ وفى هذا دليل على أن الحسد حرام، والحسد: هو أن يتمنى زوال النعمة عن صاحبه، ويتمناها لنفسه، والغبطة: هو أن يتمنى لنفسه مثل ما لصاحبه، فالحسد حرام، والغبطة لابأس بها، ثم اختلفوا فى معنى الفضل هاهنا، قال ابن عباس: واسألوا الله من فضله، أى: من رزقه.

وقال سعيد بن جبير: معناه: ﴿واسألوا الله من فضله﴾ أى: من عبادته، وقيل: هو سؤال التوفيق على الطاعة ﴿إن الله كان بكل شىء عليما﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ولكل جعلنا موالى﴾ ولكل من الرجال والنساء جعلنا ورثة، قال مجاهد: الموالى ها هنا: بنو الأعمام، وقال الشاعر:

مهلا بني عمنا مهلا موالينا ... لاتنشبوا بيننا ما كان مدفونا

وقيل: هم جميع الأقارب، ومعنى الآية: ولكل جعلنا موالى يعطون ﴿مما ترك الوالدان والأقربون﴾ ﴿والذين عاقدت[1] أيمانكم فآتوهم نصيبهم﴾ عاقدت، وعقدت، وحالفت بمعنى واحد، وهو من الحلف والعهد: وهو أن يقول الرجل لصاحبه: دمى دمك، ومالى مالك، وترثنى وأرثك، وكان فى الجاهلية يورّث بالحلف، وأقر عليه فى الإسلام، وكان للحليف السدس، ثم نسخ ذلك بقوله - تعالى -: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾[2] وقيل: هذا فى التوريث بالتبنى، وكان ثابتا، ثم نسخ ﴿إن الله كان على كل شىء شهيدا﴾.

قوله - تعالى -: ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض﴾ سبب نزول الآية: أن امرأة سعد بن الربيع جاءت إلى النبى ﷺ وقالت: «إن زوجى

(١) كذا بالأصل، و«ك» وقرأ حمزة، والكسائي، وعاصم «عقدت» بغير ألف، وقرأ الباقون بالألف. انظر النشر (٢/٢٤٩).

(٢) الأنفال: ٧٥.

عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ

لطمنى على وجهى، وهذا أثره، فقال ﷺ: اذهبى فاقتصى منه؛ فنزل قوله - تعالى -: ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله ﴾»[1] يعنى: بالتأديب.

قال الحسن: لما قال ﷺ لها: اذهبى فاقتصى منه؛ نزل قوله: ﴿ ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه ﴾[2] أى: لاتحكم قبل أن ينزل حكم الله.

والقَوَّام والقَيِّم بمعنى واحد، والقَوَّام أبلغ: وهو القائم بالمصالح والتدبير، قال الشاعر:

الله بينى وبين قيمها يفـر منـى وأتبـع

﴿ بما فضل الله بعضهم على بعض ﴾ يعنى: الرجال على النساء بالعقل، والعلم، والحلم. ﴿ وبما أنفقوا من أموالهم ﴾ يعنى: بإعطاء المهر، والنفقة.

﴿ فالصالحات قانتات ﴾ يعنى: مطيعات، وقيل: مصلِّيات ﴿ حافظات للغيب ﴾ أى: حافظات للفروج فى غيبة الأزواج ﴿ بما حفظ الله ﴾ يعنى: بما حفظهن الله من إيصاء[3] الأزواج بأداء حقهن من المهر والنفقة، وقيل: معناه: حافظات للغيب بحفظ الله، وقرأ أبو جعفر المدنى «بما حفظ الله» بفتح الهاء[4] يعنى: بما حفظ الله من طاعتهن وعبادتهن.

﴿ واللاتى تخافون نشوزهن ﴾ النشوز: هو الشقاق ﴿ فعظوهن ﴾ أى: بالتخويف من الله، والوعظ بالقول، ﴿ واهجروهن فى المضاجع ﴾ قال ابن عباس: ومعناه: ولّوهنّ ظهوركم فى المضاجع؛ وذلك بأن يوليها ظهره فى الفراش، ولا يكلمها، وقيل: معناه: أن يعتزل عنها فى فراش آخر.

---

(١) ذكره الواحدى فى أسباب النزول (ص١١١).

(٢) طه: ١١٤.

(٣) فى «الأصل، وك»: إيصال، آخره لام. والصواب ما أثبتناه، انظر تفسير البغوى (١/ ٤٢٢).

(٤) انظر المصدر السابق، والنشر (٢/ ٢٤٩).

لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا

﴿ واضربوهن ﴾ يعنى: ضربا غير مبرح، وذلك ضرب، ليس فيه جرح ولا كسر، قال عطاء: ضرب بالسواك ونحوه.

﴿ فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ﴾ يعنى: بالتعلل، والتجنى، وقيل: فلا تكلفوهن محبتكم؛ فإن القلب ليس بأيديهن ﴿ إن الله كان عليا كبيرا ﴾ أى: متعاليا عن أن يكلف العباد ما لايطيقونه، وفى الخبر: «لو جاز أن يسجد أحد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها؛ لما له عليها من الحقوق»(١).

وروى مرفوعا: «خير النساء من إذا دخلت عليها سرتك، وإن أمرتها أطاعتك وإن غبت عنها حفظتك»(٢).

﴿ وإن خفتم شقاق بينهما ﴾: هو النشوز، قال أبو عبيدة: أراد به: إن تيقنتم شقاق بينهما، فالخوف بمعنى: اليقين، ومنه قول الشاعر:

إذا مت فارمينى إلى جنب كرمة ... أخـاف إذا ما مت أن لا أذوقها(٣)

أى: أتيقن.

(١) رواه الترمذى (٣/ ٤٦٥/ رقم ١١٥٩) وقال: حسن غريب، وابن حبان فى صحيحه - الإحسان - (٩/ ٤٧٠/رقم ٤١٦٢)، والبيهقى (٧/ ٢٩١) كلهم من حديث أبى هريرة.
ورواه الحاكم (٤/ ١٧١-١٧٢) بإسناد آخر، وصححه، وتعقبه الذهبى في التخليص بقوله: بل سليمان هو اليمامى، ضعفوه. وفى الباب عن غير واحد من الصحابة.

(٢) رواه النسائى (٦/ ٦٨/رقم ٣٢٣١)، والطيالسى (ص٣٠٦/رقم ٢٣٢٥)، وأحمد فى مسنده (٢/ ٢٥١)، والحاكم (٢/ ١٦١) وصححه على شرط مسلم، كلهم من حديث أبى هريرة وروى هذا الحديث من حديث ابن عباس، وأبى أمامة، وعبد الله بن سلام، وغيرهم، انظر تخريج الكشاف للزيلعى (١/ ٣١٣ - ٣١٥).

(٣) هذا البيت ملفق، فالشطر الثانى منه هو الشطر الثانى من البيت الذى يليه. وصواب الأبيات كما يأتى:

إذا مت فادفنى إلى جنب كرمـة ... تروى عظامى بعد موتى عروقها
ولا تَدْفِنَـــنِّى بالفلاة فإننـى ... أخـاف إذا مامـت أن لا أذوقها

انظر لسان العرب (مادة: كرم، عرق)، وتفسير القرطبى (٢/ ٥٤).

فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ

وأنكر الزجاج ذلك عليه، وقال: إذا تيقن الشقاق، فلا معنى لبعث الحكمين، بل الخوف بمعنى الظن، يعنى: إن ظننتم شقاق بينهما ﴿فابعثوا حكما من أهله﴾ يعنى من أهل الزوج، ﴿وحكما من أهلها﴾ يعنى: من أهل الزوجة. ﴿إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا﴾ وهل يجوز للحكمين التفريق؟ فللسلف فيه قولان: أحدهما: أنه يجوز التفريق، كما يجوز الجمع من غير رضا الزوج، وروى عن على: أنه بعث الحكمين، فقال الزوج: أما الفرقة فلا، فقال على: لا حتى ترضى بكتاب الله تعالى؛ فعلى هذا معنى قوله: ﴿يوفق الله بينهما﴾ يعنى: يوفق الله بين الحكمين بما فيه الصلاح من الفرقة أو الجمع، والصحيح - وعليه الفتوى -: أنه لايجوز التفريق، وهو ظاهر الآية.

قوله - تعالى -: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا﴾ روى عن معاذ أنه قال: «كنت رديف رسول الله ﷺ، فقال لى: يامعاذ. فقلت: لبيك وسعديك. فقال: أتدرى ما حق الله على العباد؟ قلت: الله ورسوله أعلم. فقال: حق الله على العباد: أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئا، ثم قال: يامعاذ، قلت: لبيك وسعديك، قال: أتدرى ما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم. فقال: حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك أن يدخلهم الجنة، ولايعذبهم»(١).

﴿وبالوالدين إحسانا﴾ أى: وأحسنوا بالوالدين إحسانا، ومن الإحسان بالوالدين: لين الجانب، وألا يرفع صوته فوق صوتهما، ولا يجبه بالرد(٢)، ويكون لهما كالعبد الذليل لسيده ﴿وبذى القربى﴾ أى: أحسنوا بذى القربى ﴿واليتامى والمساكين

(١) متفق عليه، فرواه البخارى (١٣-٣٥٩ - ٣٦٠ رقم ٧٣٧٣) وأطرافه فى ٥٩٦٧، ٦٢٦٧، ٦٥٠٠) ومسلم (١/٣١٥ - ٣٢٠ رقم ٣٠).

(٢) جَبَهَ الرجل يجبهه جَبْهًا. أى: رده عن حاجته، واستقبله بما يكره. انظر لسان العرب (مادة: جبه).

أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا ﴿٣٦﴾ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ

والجار ذى القربى ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الجار الذى له قرابة. والثانى: أنه الجار الذى بقرب داره، وهو الملاصق، ﴿ والجار الجنب ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الجار الغريب الأجنبى، والثانى: أنه الجار الذى يبعد داره.

وقد ورد فى حق الجار أخبار، منها: ما روى عن النبى ﷺ أنه قال: «ما زال جبريل يوصينى بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه»(١) وقال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره»(٢)، وقال ﷺ لمناديه حتى نادى: «ألا إن الجيران أربعون دارا، ولم يؤمن بالله من آذى جاره»(٣).

وقالت عائشة لرسول الله ﷺ: «إن لى جارين، فإلى إيهما أهدى؟ فقال: إلى أقربهما بابا»(٤) فحق الجار القريب المسلم ثلاثة حقوق: حق القرابة، وحق الإسلام، وحق الجوار، وللجار الغريب المسلم حقان: حق الإسلام، وحق الجوار، وللجار الذمى حق واحد، وهو حق الجوار.

قوله - تعالى -: ﴿ والصاحب بالجنب ﴾ قال على، وابن مسعود: هى المرأة، وقال الحسن، ومجاهد، وقتادة، وجماعة: هو الرفيق فى السفر، ﴿ وابن السبيل ﴾ فيه

(١) متفق عليه من حديث عائشة، فرواه البخارى (١٠/٤٥٥/ رقم ٦٠١٤)، ومسلم (١٦/٢٦٩/ رقم ٢٦٢).

(٢) متفق عليه من حديث أبى هريرة، فرواه البخارى (١٠/٤٦٠/ رقم ٦٠١٨)، ومسلم (٢/٢٣ - ٢٦/ رقم ٤٧).

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير (١٩/٧٣/ رقم ١٤٣) عن كعب بن مالك مرفوعًا بنحوه. وقال الهيثمى فى المجمع (٨/١٧٢): وفيه يوسف بن السفر، وهو متروك. ورواه أبو داود فى المراسيل (ص٢٥٧/ رقم ٣٥٠) عن الزهرى مرسلا، ورواه أبو يعلى فى مسنده (١٠/ ٣٨٥ رقم ٥٩٨٢) عن أبى هريرة مرفوعًا بنحو شطره الأول وقال الهيثمى فى المجمع (٨/١٧١): رواه أبو يعلى عن شيخه محمد بن جامع العطار، وهو ضعيف.

(٤) رواه البخارى (١٠/٤٦١/ رقم ٦٠٢٠)، وأبو داود (٤/٣٣٩/ رقم ٥١٥٥)، وأحمد فى مسنده (٦/١٧٥)، والطيالسى فى مسنده (٢١٥ رقم ١٥٢٩)

رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾

قولان: أحدهما: أنه الملازم للطريق، قاله ابن عباس، وقال غيره: هو الضيف، وقال ﷺ «من كان يؤمن بالله واليوم والآخر فليكرم ضيفه»(١) وقال ﷺ «الضيافة ثلاثة أيام، فما زاد فهو صدقة»(٢).

﴿وما ملكت أيمانكم﴾ يعنى: أحسنوا إلى المماليك، وآخر ما حفظ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الصلاة، وما ملكت أيمانكم»(٣) أى: الزموا الصلاة، وحق ما ملكت أيمانكم.

﴿إن الله لايحب من كان مختالا فخورا﴾ المختال: المتكبر، والفخور: الذى يفخر بنفسه تكبرا، قال الشاعر:

وإن كنت سيدنا سُدْتَنَا وإن كنت للخَالِ فاذهب فَخَلْ

يعنى: إن كنت للخيلاء فاذهب فخل، فإن قيل: أى معنى لهذا بعد هذه الأحكام؟ قيل: لأن الآدمى قد يُقَصِّر فى أداء الحقوق تكبرا؛ فنهى عنه، وفى الخبر: «أن رجلا كان يتبختر فى حلة له، فخسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة»(٤).

قوله – تعالى –: ﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل﴾ قيل: هو عام فى كل

(١) تقدم تخريجه قبل حديثين تحت حديث: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره.

(٢) متفق عليه من حديث أبى شريح، فروراه البخارى (١٠ / ٤٦٠ /رقم٦٠١٩) ومسلم (٢ /٢٧/ رقم ٤٨)، و (١٢/ ٤٥ – ٤٧).

(٣) رواه أبو داود (٤ / ٣٣٩ – ٣٤٠ / رقم ٥١٥٦)، وابن ماجة (٢ / ٩٠١ / رقم ٦٩٨) وأحمد (١ / ٧٨) والبيهقى (٨ / ١١) كلهم من حديث على بن أبى طالب.

وروى من حديث أنس بن مالك، رواه ابن ماجة (٢ / ٩٠١ / رقم ٢٦٩٧) وأحمد (٣ / ١١٧)، وابن حبان فى صحيحه الإحسان (١٤ / ٥٧١ / رقم ٦٦٠٥)، والحاكم (٣ / ٥٧).

(٤) متفق عليه من حديث أبى هريرة، فرواه البخارى (١٠ / ٢٦٩ / رقم ٥٧٨٩)، ومسلم (١٤ / ٨٩ – ٩٠ / رقم ٢٠٨٨).

وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيماً ﴿٣٩﴾ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيماً ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ

بخيل فى العالم، وقيل أراد به: اليهود والنصارى بخلوا بنعت محمد، وأمروا سفلتهم بذلك، ﴿ ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وأعتدنا ﴾ أى: أعددنا ﴿ للكافرين عذابا مهينا ﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ﴾ قال إبراهيم النخعى: هم اليهود والنصارى، وقال غيره: هم المنافقون.

﴿ ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا ﴾ أى: فبئس القرين، قال الشاعر:

عن المرء لاتسأل وبصر قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى

قوله - تعالى -: ﴿ وماذا عليهم ﴾ أى: وأى شىء عليهم ﴿ لو آمنوا بالله ﴾ وهو مثل ما يحاسب الرجل نفسه، فينظر فيما له، وفيما عليه؛ يقول الله - تعالى - أى: شىء عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر ﴿ وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما ﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ إن الله لايظلم مثقال ذرة ﴾ قرأ ابن مسعود: « مثقال نملة » والذرة: هى النملة الحمراء، ﴿ وإن تك حسنة يضاعفها ﴾ وقرئ: « يضعفها »[١] وهما فى المعنى سواء. ﴿ ويؤت من لدنه أجرا عظيما ﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ﴾ معناه: فكيف الحال إذا جئنا من كل أمة بشهيد؟ وأراد بالشهيد من كل أمة نَبِيَّها، وشهيد هذه الأمة: نبينا ﷺ.

واختلفوا على أن شهادتهم على ماذا؟ منهم من قال: يشهدون على تبليغ الرسالة، ومنهم من قال: يشهدون على الأمة بالأعمال.

---

(١) قرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب: بتشديد العين مع حذف الألف، وقرأ الباقون بإثبات الألف، والتخفيف. انظر النشر (٢/ ٢٢٨).

إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الأَرْضُ وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا

واختلفوا فى أن النبى ﷺ هل يشهد على من لم يره؟ منهم من قال: إنما يشهد على من رآه، والصحيح: أنه يشهد على الكل، على من رأى، وعلى من لم ير.

وروى عن ابن مسعود: «أن النبى ﷺ قال لى: «اقرأ علىّ القرآن» فقلت: كيف أقرأ عليك القرآن، وعليك أنزل؟! فقال: أريد أن أسمعه من غيرى. قال ابن مسعود: فافتتحت سورة النساء، فلما بلغت قوله: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا﴾ غمزنى رسول الله ﷺ بيده، وقال: حسبك، فنظرت إليه، فإذا عيناه تذرفان»[١]، وفى رواية: «لما قرأت هذه الآية، قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم﴾[٢]»[٣] وفى رواية ثالثة: «هذا يارب فيمن رأيته، فكيف بمن لم أره؟»[٤] وأصل الحديث صحيح.

قوله تعالى: ﴿يومئذ﴾ يعنى: يوم القيامة ﴿يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض﴾ ويقرأ: «لو تَسَوَّى بهم الأرض»[٥] أى: تستوى، يعنى: يودون أن يصيروا ترابا، وهذا مثل قوله - تعالى -: ﴿ويقول الكافر ياليتى كنت ترابا﴾[٦]، وذلك حين تحشر البهائم ثم يقول الله - تعالى - لهم: كونوا ترابا، فيكونون ترابا؛ فيود الكفار هنالك أن يصيروا مثل البهائم ترابا، وقيل: يودون أن

---

(١) متفق عليه، فرواه البخارى (٨/٩٨-٩٩/رقم ٤٥٨٢) ومسلم (٨/١٢٤-١٢٦/رقم ٨٠٠).

(٢) المائدة: ١١٧.

(٣) رواه الطبرى (٥/٥٩) عن ابن مسعود.

(٤) عزاه السيوطى فى الدر (٢/٨٠) لابن أبى حاتم، والبغوى فى معجمه، والطبرانى بسند حسن، عن محمد ابن فضالة الأنصارى، وقال الهيثمى فى المجمع (٧/٧): رجاله ثقات.

(٥) قرأ حمزة، والكسائى، وخلف بفتح التاء، وتخفيف السين، وقرأ نافع وأبو جعفر، وابن عامر بفتح التاء وتشديد السين، وقرأ الباقون بضم التاء وتخفيف السين. انظر النشر (٢/٢٤٩).

(٦) النبأ: ٤٠.

تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً

تنخرق الأرض؛ فساخوا فيها وهلكوا، وتسوى بهم الأرض، أى: عليهم الأرض.

﴿ ولايكتمون الله حديثا ﴾ فإن قيل: قد أخبر هاهنا أنهم لايكتمون الله حديثا، وذكر فى موضع آخر قولهم: ﴿ والله ربنا ما كنا مشركين ﴾(١) فقد كتموا، فكيف وجه الجمع؟ قيل: قال الحسن البصرى: وهذا فى موطن وذاك فى موطن، آخر، وفى القيامة مواطن، وهذا جواب معروف أورده القتيبى فى مشكل القرآن. وقيل: معناه: يودون أن لايكتمون الله حديثا، وذلك أنهم يقولون: ﴿ والله ربنا ما كنا مشركين ﴾(١) ونحو ذلك، فيختم الله على أفواههم، ويُنطِق جوارحهم؛ فيودون أنهم لم يكتموا الله حديثا فهو راجع إلى قوله: ﴿ يود الذين كفروا ﴾ وقيل: معناه: لايقدرون أن يكتموا الله حديثا.

قوله - تعالى -: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى ﴾ يعنى: لاتقربوا موضع الصلاة، ﴿ وأنتم سكارى ﴾ فالأصح - وعليه أكثر المفسرين - أنه أراد به: السكر من الشراب، وهو قول ابن عباس.

وقال الضحاك(٢): أراد به: السكر من النوم.

والسكر من السَكَر فهو أشد، فالسكر يسد العقل والمعرفة، والصحيح أنه فى السكر من الشراب.

وسبب نزول الآية ما روى: أن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما، واتخذ شرابا، ودعا رهطا من أصحاب رسول الله ﷺ، فأكلوا، وشربوا حتى ثملوا، فدخل وقت المغرب، فقاموا إلى الصلاة، وقدّموا واحدا منهم، فقرأ سورة ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ وقرأ: أعبد ما تعبدون، وأنتم عابدون ما أعبد، قرأ هكذا إلى آخر السورة بطرح «لا»؛

(١) الأنعام: ٢٣.

(٢) فى «ك»: ابن عباس، وهو خطأ.

فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

فنزل قوله: ﴿لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون﴾» أى: حتى تميزوا، وتعرفوا ما تقولون.

فإن قيل: كيف خاطب السكارى، والسكران لايخاطب؟ قيل: أراد به لاتتعرضوا للسكر فى أوقات الصلاة، فكانوا يشربون بعد ذلك بعد صلاة الصبح، ويصحون عند الظهر، ويشربون بعد العشاء الآخرة، ويصحون عند الصبح.

﴿ولاجنبا إلا عابرى سبيل﴾ يعنى: ولاتقربوا المسجد موضع الصلاة جنبا، إلا عابرى سبيل، اختلفوا فيه: قال جماعة من التابعين - وهو قول الشافعى -: إنه أراد به عبور: الجنب فى المسجد من غير أن يجلس؛ فرخص فيه، وقال بعضهم إنه يتيمم للعبور، ثم يعبر إذا لم يكن له بد من العبور، والآية فى قوم من الأنصار كانت أبواب بيوتهم فى المسجد: فرخص لهم فى العبور بالتيمم، فهذا معنى قوله: ﴿ولا جنبا إلا عابرى سبيل حتى تغتسلوا﴾.

﴿وإن كنتم مرضى﴾ أراد به: المرضى من القروح والجروح، وفيه تفاصيل تذكر فى الفقه، ﴿أو على سفر﴾ وَحَدُّ السفر: مسيرة يوم وليلة، وقال أصحاب الرأى: مسيرة ثلاثة أيام ﴿أو جاء أحد منكم من الغائط﴾ قال الفراء: معناه: وجاء أحد منكم من الغائط؛ حتى يستقيم الكلام، و الغائط: اسم للمطمئن من الأرض؛ فلما جرت عادة العرب بإتيان الغائط للحدث؛ سمى الحدث غائطا باسم المكان.

﴿أو لمستم النساء﴾ ويقرأ: «أو لامستم النساء»(١) قال على، وابن عباس: أراد به الجماع، قال ابن عباس: إن الله حيى كريم، يكنى بالحسن عن القبيح؛ فكنى باللمس عن الجماع، وقال ابن مسعود، وابن عمر: هو اللمس باليد، وهو قول الشافعى، فمن قال بالأول قال: إن التيمم للجنب ثابت بنص الكتاب، ومن قال

---

(١) قرأ حمزة، والكسائى، وخلف بغير ألف، وقرأ الباقون بالألف. انظر النشر (٢ / ٢٥٠).

بأَعْدَائكُمْ وَكَفَىٰ باللَّه وَليًّا وَكَفَىٰ باللَّه نَصيراً ﴿٤٥﴾ منَ الَّذينَ هَادُوا يُحَرّفُونَ الْكَلمَ عَن مَّوَاضعه وَيَقُولُونَ سَمعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعنَا لَيًّا بأَلْسنَتهمْ وَطَعْنًا في الدّين وَلَوْ

بالثاني قال: إن التيمم للمحدث ثابت بالكتاب، وللجنب ثابت بالسنة.

وقال عمر، وابن مسعود: ليس للجنب أن يتيمم أصلا، وحملوا الآية على اللمس باليد، وتمسكوا بظاهر الآية.

والأصح أن اللمس والملامسة واحد، وقال بعضهم: من قرأ: ﴿أو لامستم﴾ ففيه دليل على انتقاض طهارة اللامس والملموس جميعا. ومن قرأ ﴿أو لمستم﴾ ففيه دلالة على انتقاض طهارة اللامس فحسب.

﴿فلم تجدوا ماء فتيمموا﴾ أى: اقصدوا، وتعمدوا، والتيمم: القصد، قال الشاعر:

تيممت قيسا وكم دونه   من الأرض من مَهْمَةٍ ذى شَزَنْ

﴿صعيدا﴾ قال أبو عبيدة: الصعيد: التراب، وهو قول الشافعى، وقال ابن الأعرابى: الصعيد: ما يصعد من وجه الأرض، وهو اختيار الزجاج، وقال الزجاج: لو ضرب يده على صخرة صماء حصل التيمم، وإن لم يعلق به شيء، واستدلوا بقوله: ﴿صعيدا زلقا﴾(١) وأراد به: وجه الأرض، والأول أصح؛ لأنه قال في آية أخرى: ﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه﴾(٢) يعنى: من الصعيد؛ فدل أنه التراب حتى يكون التيمم منه وقوله: ﴿طيبا﴾ أى: طاهرا، وقال بعضهم: حلالا ﴿فامسحوا بوجهكم وأيديكم إن الله كان عفوا غفورا﴾ فالعَفُوّ المسهِّل والغفور: الساتر.

قوله - تعالى -: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب﴾ فإن قال قائل: كيف يسمى اليهود والنصارى: «أهل الكتاب»، وهو اسم مدح، وهم يستحقون الذم؟

قيل: قال ذلك لإلزام الحجة، وقيل: سماهم بذلك على زعمهم أنهم أهل الكتاب.

(١) الكهف: ٤٠.   (٢) المائدة: ٥٦

أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿٤٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن

﴿ يشترون الضلالة ﴾ لأنهم لما استبدلوا الضلالة بالهدى، فكأنهم اشتروا الضلالة بالهدى، وكل مشتر مستبدل.

﴿ ويريدون أن تضلوا السبيل والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا ﴾ قال الزجاج: معناه: اكتفوا بالله وليا واكتفوا به نصيرا؛ لتكون «الباء» فى موضعها، وقال غيره: الباء صلة، وتقديره: وكفى الله وليا وكفى الله نصيرا.

قوله - تعالى -: ﴿ من الذين هادوا يحرفون ﴾ قيل تقديره: ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب من الذين هادوا يحرفون، وقيل معناه: من الذين هادوا فريق يحرفون ﴿ الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا ﴾ لأنهم لما سمعوا ولم يطيعوا، فكأنهم قالوا: سمعنا وعصينا.

﴿ واسمع غير مسمع ﴾ قال ابن عباس: كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: اسمع، ثم يقولون فى أنفسهم: لاسمعت، فهذا معناه، وقال الحسن: اسمع غير مسمع منك، يعنى: اسمع منا، ولا نسمع منك ﴿ وراعنا ﴾ كانوا يقولون ذلك، ويريدون به: النسبة إلى الرعونة، فذلك معنى قوله: ﴿ ليًا بألسنتهم وطعنا فى الدين ﴾؛ لأن قولهم: راعنا من المراعاة، فلما حرفوه إلى الرعونة، فذلك معنى قوله: ﴿ ليا بألسنتهم ﴾.

﴿ ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا ﴾ أى: انظر إلينا ﴿ لكان خيرا لهم وأقوم ﴾ أى: أعدل ﴿ ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا ﴾ فيه قولان: أحدهما فلا يؤمنون إلا إيمانا قليلا، لايستحقون به اسم الإيمان؛ وذلك أنهم يؤمنون بالله، والآخرة، وموسى، وقيل: معناه: فلا يؤمنون إلا نفر قليل منهم، وأراد به: عبد الله بن سلام، وقوما منهم أسلموا.

﴿ يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا ﴾ يعنى: من القرآن ﴿ مصدقا لما

نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً ﴿٤٧﴾ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ

معكم ﴾ من التوراة والإنجيل ﴿ من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها ﴾ الطمس: المحو، ومعناه: من قبل أن نطمس الوجه، ونرده إلى القفا، وقيل: معناه: نبات الشعر عليه، حتى يصير كالقردة، وقيل: يجعل عينيه على القفا ليمشى بقهقرى، وروى: أن عبد الله بن سلام لما سمع هذه الآية، جاء إلى النبى ﷺ ويده على وجهه، فأسلم، وقال: خفت أن يطمس وجهى قبل أن أصل إليك، وكذلك كعب الأحبار لما سمع هذه الآية أسلم فى زمن عمر رضى الله عنه .

فإن قال قائل: قد أوعد اليهود بالطمس إن لم يسلموا، ولم يطمس وجوههم، فكيف ذلك؟ قيل: هذا كان فى قوم معدودين أسلموا، وذلك: عبد الله بن سلام، وثعلبة بن سعيد، وأوس بن سعيد، والمحيريق، وجماعة، ولو لم يسلموا لطمسوا.

وقيل: أراد به: الطمس فى القيامة، قال مجاهد: أراد بقوله ﴿ نطمس وجوها ﴾ أى: نتركهم فى الضلالة؛ فيكون المراد طمس القلب ﴿ أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت ﴾ أى: نجعلهم قردة كما جعلنا أصحاب السبت قردة ﴿ وكان أمر الله مفعولا ﴾.

قوله – تعالى – :﴿ إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ﴾ قيل: هذه أرجى آية فى القرآن، قال ابن عمر: كنا نطلق القول فيمن ارتكب الكبائر بالخلود فى النار، حتى نزلت هذه الآية، فتوقفنا ﴿ ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما ﴾ أى: اختلق إثما عظيما، فإن قال قائل: قد قال الله – تعالى – : ﴿ إن الله لايغفر أن يشرك به ﴾ وقال فى موضع آخر: ﴿ إن الله يغفر الذنوب جميعا ﴾(١) فكيف وجه الجمع؟

قيل أراد به: يغفر الذنوب جميعا سوى الشرك.

(١) الزمر: ٥٣ .

إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا

وفى الخبر: «أنه ﷺ لما قرأ قوله – تعالى –: ﴿إن الله يغفر الذنوب جميعا﴾[1] فقال رجل: والشرك يارسول الله؟ فنزل قوله – تعالى –: ﴿إن الله لايغفر أن يشرك به﴾»[2].

قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم﴾ نزلت الآية فى رحبى بن عمرو، ومرحب بن زيد، جاءا إلى النبى ﷺ بأطفالهما، وقالا: هل على هؤلاء ذنب؟، فقال: لا. فقالا: نحن مثلهم؛ ما فعلنا بالليل يكفر عنا بالنهار، وما فعلنا بالنهار يكفر عنا بالليل، فنزل قوله: ﴿ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم﴾.

﴿بل الله يزكى من يشاء﴾» يطهر من يشاء.

﴿ولايظلمون فتيلا﴾ أى: لايُنْقَصُ من أجورهم شيء إن أسلموا، ولا من أوزارهم إن لم يسلموا. والفتيل والقطمير والنقير: ثلاثة أسامى مذكورة فى القرآن فالفتيل: اسم لما يكون فى شق النواة، والقطمير: اسم للقشرة التى تكون على النواة، والنقير: اسم للنقطة التى تكون على ظهر النواة، هذا قول ابن عباس، وقال غيره: الفتيل من الفتل، وهو اسم لما يحصل من الوسخ بين الإصبعين عند الفتل، قال الشاعر:

تجمع الجيش ذا الألوف وتغزو ... ثـم لا ترزأ العـدو فتيـــلا

قاله النابغة، وأنشده الأزهرى.

قوله – تعالى –: ﴿انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به﴾ أى: بالكذب ﴿إثما مبينا﴾.

﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت﴾ قال عمر – رضى الله عنه –: الجبت: السحر والطاغوت: الشيطان، وبه قال الشعبى، وقال

(١) الزمر: ٥٣.

(٢) رواه الطبري عن ابن عمر (٥/ ٨٠)، وعزاه السيوطي في الدر (٢/ ١٨٧) لابن أبي حاتم، وابن المنذر.

نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً ﴿٥١﴾ أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيراً ﴿٥٢﴾ ﴿أَمْ لَهُمْ

قتادة: الجبت: الشيطان والطاغوت: الكاهن، وعن ابن عباس - فى رواية الكلبى عنه أنه قال: هما اسما رجلين من اليهود، فالجبت: حيى بن أخطب والطاغوت: كعب بن الأشرف، وفى رواية أخرى عن ابن عباس: أن الجبت: الساحر بلغة الحبشة فعرب، وذكر عبد الله بن وهب، عن مالك بن أنس - رحمه الله - أنه قال: الطاغوت: كل ما يعبد من دون الله، وقرأ قوله - تعالى -: ﴿واجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها﴾(١) فقيل له: ما «الجبت»؟، فقال: سمعت أنه الكاهن.

﴿ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا﴾ هذا قول جماعة من اليهود وحضروا موسم الحج، فقال لهم المشركون: نحن أحسن طريقة أم محمد وأصحابه؟ فقالوا: أنتم. وهذا دليل على شدة معاندة اليهود؛ حيث فضلوا المشركين على المسلمين، مع علمهم أنهم لم يؤمنوا بشىء من الكتب، وأن المسلمين آمنوا بالكتب المتقدمة.

﴿أولئك الذين لعنهم الله﴾ هم اليهود ﴿ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا﴾. قوله تعالى: ﴿أم لهم نصيب من الملك فإذا لايؤتون الناس نقيرا﴾ فالنقير: اسم تلك النقطة على ظهر النواة، ومنها تنبت النخلة، وفى الآية قولان: أحدهما: أنه: استفهام بمعنى الإنكار والنفى، يعنى: ليس لهم نصيب من الملك؛ إذ لو كان الملك لهم، فإذا لايؤتون الناس نقيرا، وقد ذكرنا نزع الملك من اليهود، والقول الثانى: إنه بمعنى الإثبات، يعنى: لهم نصيب من الملك: وأراد بالملك المال، ثم هم إذا لايؤتون الناس نقيرا، وصفهم بشدة البخل، وهذا على طريق ضرب المثل؛ إذ من اليهود من يؤتى المال.

قوله - تعالى -: ﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله﴾ أى: بل يحسدون، واختلفوا فى الناس هاهنا، من المراد به؟ قال ابن عباس، والحسن،

(١) الزمر: ١٧.

نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لاَّ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ

ومجاهد، وجماعة: أراد به: محمدا ﷺ وحده، وقال قتادة: أراد به: العرب؛ حسدهم اليهود ببعث النبى منهم، وفيه قول ثالث: أراد به: محمداً وأصحابه، وقال أبو جعفر محمد بن على الباقر: نحن الناس؛ وذلك أنهم حسدوا، فإذا قلنا بالقول الأول: أنه محمد وحده؛ فاختلفوا فى الفضل المذكور فى الآية ما هو؟ قال بعضهم: هو النبوة حُسِدَ الرسول بها، وقال بعضهم: هو تحليل الزوجات فيما زاد على الأربع، حسده اليهود عليه؛ فقالوا: ما بال هذا الرجل همه فى النكاح، ينكح، وينكح. ﴿ فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة ﴾ أراد بآل إبراهيم: داود، وسليمان، والكتاب: هو الكتاب الذى أنزل عليهم، وأما الحكمة: قيل: هى النبوة، وقيل: هى السنة.

ومعنى الآية: أنهم إن حسدوا الرسول بما أوتى من الفضل، فليحسدوا آل إبراهيم؛ فإنهم قد أوتوا الكتاب والحكمة ﴿ وآتيناهم ملكا عظيما ﴾ اختلفوا فى الملك العظيم: فمن فسر الفضل بتحليل الزوجات، فسر الملك العظيم به أيضا، وقد كان لدواد تسع وتسعون امرأة، ولسليمان مائة امرأة، وقيل: كان لسليمان سبعمائة امرأة، وثلثمائة سرية، وقيل: أعطى - نبينا صلوات الله عليه - قوة سبعين شابا فى المباضعة(١)

وقيل: الملك العظيم: ملك سليمان، وقيل: المراد به: تأييدهم بالجنود من الملائكة.

قوله - تعالى -: ﴿ فمنهم من آمن به ﴾ يعنى: بالكتاب ﴿ ومنهم من صد عنه ﴾ أى: أعرض عنه، وقيل: معناه: فمنهم من آمن بمحمد، ومنهم من صد عنه ﴿ وكفى بجهنم سعيرا ﴾ والسعير: هى النار المسعرة.

(١) قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١ / ٤٥٠) تحت حديث أنس: «كنا نتحدث أنه أعطى قوة ثلاثين» أي: في الجماع.! ووقع في رواية الإسماعيلي من طريق أبو موسى، عن معاذ بن هشام «أربعين» بدل ثلاثين، وهي شاذة من هذا الوجه، لكن في مراسيل طاووس مثل ذلك، وزاد: «في الجماع». وفي صفة الجنة لأبي نعيم، من طريق مجاهد مثله، وزاد: من رجال أهل الجنة، ومن حديث عبد الله بن عمرو، ورفعه: «أعطيت قوة أربعين في البطش والجماع»... الخ.

﴿وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾

قوله - تعالى - : ﴿إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا﴾ أى نلقيهم فى النار، ويقال: صلى النار، إذا قرب منها، قال الشاعر يصف امرأة:

تجعل المسك واليَلَنْجُوجَ[1] والنَّـ ـدَّ صِـلاَءً لها على الكـانون

﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب﴾ قيل: قرئت هذه الآية عند عمر - رضى الله عنه - وكان عنده معاذ بن جبل، فقال: تبدل جلودهم فى كل ساعة سبعين مرة، قال عمر: كذا سمعت رسول الله ﷺ »[2].

وقال الحسن: فى كل يوم سبعين ألف مرة.

فإن قيل: إذا بدلت جلودهم، فكيف يعذب غير الجلد الذى كان فى الدنيا؟ قيل: إنما يعذب الشخص فى الجلد دون الجلد، وقيل: يعاد الجلد الأول فى كل مرة، إلا أنه[3] سماه جلدا غيره، ومثله جائز، تقول العرب: صغت من خاتمى خاتما غيره، وإن كان الثانى إعادة للأول، وفى الخبر: «أنَّ بُصْر جلد الكافر فى النار أربعون ذراعا - يعنى: غلظه -وضرسه مثل جبل أحد، وما بين منكبيه مسيرة ثلاثة آيام»[4].

(١) كذا في لسان العرب (مادة: خصر)، وفى «الأصل، وك»: والألوَّة.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط، كما في مجمع البحرين (٦/ ١٥ - ١٦/ رقم٣٣٠٧)، وابن عدي في الكامل (٧/ ٥٠) في ترجمة نافع السلمي مولى يوسف. كلاهما من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - وفيه: مائة مرة. وقال ابن عدي: وعامة ما يرويه غير محفوظ، والضعف على روايته بيّن. أي: نافع. وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٩): وفيه نافع مولى يوسف السلمي، وهو متروك وعزاه السيوطي في الدر (٢/ ١٩٢) لابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٣) ليست فى «الأصل»، ولا «ك».

(٤) رواه الترمذى (٤/ ٦٠٦ رقم ٢٥٧٧)، وقال: حسن صحيح غريب. وأحمد (٢/ ٣٣٤، ٥٣٧) وابن أبى عاصم فى السنة (١/ ٢٧١ رقم ٦١٠، ٦١١)، وابن حبان فى صحيحه (١٦/ ٥٣١ رقم ٧٤٨٦) والحاكم (٤/ ٥٩٥) وقال: صحيح على شرط الشيخين، والبيهقى فى البعث (٣١٠ رقم ٦٢١) من حديث أبى هريرة بنحوه، وأعله الدارقطنى فى العلل (١٠/ ١٥٠) بالوقف وأصل الحديث عند مسلم مختصراً (١٧/ ٢٧١ رقم ٢٧٥١) و(١٧/ ٢٧٢ رقم ٢٨٥٢).

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ

وفى الأخبار: «يكون عليه مائة جلد، بين كل جلدين لون من العذاب» ﴿إن الله كان عزيزا حكيما﴾ عزيزا: غالبا. حكيما: فيما دبر، قوله: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة﴾ وقد ذكرنا معنى الجميع، ﴿وندخلهم ظلاً ظليلا﴾ وهو الكَنُّ الذى يقى من الحر والبرد.

قوله - تعالى -: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ فيه ثلاثة أقاويل: أحدها: أن المراد منه: جميع الأمانات، وعن ابن مسعود - رضى الله عنه - أنه قال: يجاء بالذى خان فى الأمانة يوم القيامة، فيقال له: رد الأمانة. فيقول: ذهبت الدنيا أنىّ لى الأمانة، فتمثل له الأمانة فى النار، ويقال له: خذ الأمانة وردها، فيأتى ليأخذ الأمانة؛ فيهوى فى النار، ثم يعود ليأخذ فيهوى فيها أبدا.

وفى الخبر أنه ﷺ قال: «أدّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولاتخن من خانك»(١). وروى عن ابن عباس، عن النبى ﷺ أنه قال: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لاعهد له»(٢).

(١) رواه أبو داود (٣/ ٢٩٠/ رقم ٣٥٣٤، ٣٥٣٥) والترمذي (٣/ ٥٦٤/ رقم ١٢٦٤) وقال: حسن غريب، والحاكم (٢/ ٢٦٤) وصححه على شرط مسلم، والدارقطني (٣/ ٣٥/ رقم ١٤٢) كلهم من حديث أبي هريرة.
وقد روى من حديث أنس، وأُبيّ ابن كعب وغيرهم، انظر تلخيص الحبير (٣/ ٢٠٩ - ٢١٠/ رقم ١٤٥٤).
وقال ابن الجوزي في العلل (٢/ ٥٩٢): هذا الحديث من جميع طرقه لا يصح، ونقل عن أحمد أنه قال: هذا حديث باطل. وتعقبه الذهبي في تلخيص العلل (٢٠٧/ رقم ٥٨١) بتحقيقنا: بأن إسناد الترمذي جيد.

(٢) رواه أبو يعلى (٤/ ٣٤٣/ رقم ٢٤٥٨)، والطبراني في الكبير (١١/ ٢١٣ رقم ١١٥٣٢) وقال الهيثمى فى المجمع (١/ ١٧٧): وفيه حسين بن قيس الملقب بحنش، وهو متروك.
وله شاهد من حديث أنس، رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١١/ ١١) وأحمد في مسنده (٣/ ٣٥، ١٥٤، ٢١٠) وأبو يعلى (٥/ ٢٤٦ - ٢٤٧/ رقم ٢٨٦٣) وابن حبان في صحيحه - الإحسان - (١/ ٤٢٢ - ٤٢٣/ رقم ١٩٤)، والبيهقي (٦/ ٢٨٨) و(٩/ ٢٣١) وغيرهم.
وقال الهيثمي في المجمع (١/ ١٠١): رواه أحمد وأبو يعلى، والبزار، والطبراني في الأوسط، وفيه أبو هلال، وثقه ابن معين وغيره، وضعفه النسائي وغيره

أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ

والقول الثانى: أنه أراد به: تفويض الأمر إلى الولاة بالطاعة لهم، والقول الثالث - وهو قول عامة المفسرين -: أن المراد منه ردّ مفاتيح الكعبة.

وسبب نزول الآية ما روى: «أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة، أخذ مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة، وفتح الباب، ودخل الكعبة، فلما خرج، قال العباس: بأبى أنت وأمى يارسول الله، اجمع لى بين السدانة والسقاية فهمّ رسول الله ﷺ أن يدفع المفتاح إليه؛ فنزل قولهتعالى: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾، فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن طلحة، ودفع إليه المفتاح، وقال: خذوها يا بنى طلحة، خالدة تالدة، لاينزعها عنكم إلا ظالم»(١) وكان مع عثمان حياته، فلما توفى دفعه إلى أخيه شيبة، فهو فى بنى شيبة إلى قيام الساعة.

﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾ أى: بالقسط ﴿إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا﴾.

قوله - تعالى -: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾ اختلفوا فى أولى الأمر، قال ابن عباس، وجابر - وهو قول جماعة -: هم العلماء والفقهاء، وقال أبو هريرة: هم الولاة والسلاطين، وقيل: هم أمراء السرايا الذين بعثهم رسول الله ﷺ فى الحروب، وقد صح أنه عليه الصلاة والسلام قال: «من عصى أميرى فقد عصانى، ومن عصانى فقد عصى الله، ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى، ومن أطاعنى فقد أطاع الله»(٢).

(١) رواه الطبري في التفسير (٥/ ٩٢) عن ابن جريج، وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص١١٦ - ١١٧) عن مجاهد، وعزه السيوطي في الدر (٢/ ١٩٣) لابن مردويه من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس.

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة، فرواه البخاري (١٣/ ١١٩/ رقم ٧١٣٧)، ومسلم (١٢/ ٣٠٨ - ٣٠٩/ رقم ١٨٣٥).

فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴿٥٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ

وقال عكرمة: أراد به: أبا بكر وعمر.

﴿ فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول ﴾ التنازع: هو التشاجر، سمى تنازعا؛ لأن كل واحد من الخصمين ينزع بحجة وآية.

وقوله: ﴿ فردوه إلى الله ﴾ يعنى: إلى الكتاب، وإلى الرسول إن كان حيا، وإلى سنته إن كان ميتا.

والرد [إلى][(١)] الكتاب والسنة واجب، مادام فى الحادثة شىء من الكتاب والسنة، فإن لم يكن فالسبيل فيه الاجتهاد، وروى أن مسلمة بن عبد الملك قال لرجل: إنكم أمرتم أن تطيعونا، فقال الرجل: قد نزعها الله منكم؛ حيث قال: ﴿ فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول ﴾ وقد تنازعتم، فقال مسلمة: أين الله؟، فقال: الكتاب، وقال: أين الرسول؟ فقال: السنة.

وقيل: الرد إلى الله والرسول: أن يقول الرجل فيما لايدرى: الله ورسوله أعلم، وهذا قول حسن ﴿ إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ أى: أحسن مآل وعاقبة.

قوله - تعالى -: ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا ﴾.

فى الآية قولان: أحدهما: أنه فى جماعة من المنافقين منهم خلاس بن الصامت، كانت لهم خصومة مع جماعة من المسلمين، فقال المسلمون: نتحاكم إلى الرسول، وقال المنافقون: نتحاكم إلى الكهنة.

والقول الثانى - وهو الأصح: «أن رجلا من اليهود خاصم رجلا من المنافقين،

(١) في «الأصل» و«ك»: في.

أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ

فقال اليهودى: نتحاكم إلى أبى القاسم - إذ عرف أنه لايأخذ الرشوة على الحكم - فيحكم بالحق، وقال المنافق: نتحاكم إلى كعب بن الأشرف، فتحاكما إلى النبى ﷺ فحكم لليهودى، وكان الحكم له، فقال المنافق: لا أرضى بحكمه، نتحاكم إلى أبى بكر، فتحاكما إلى أبى بكر، فحكم لليهودى بمثل ما حكم رسول الله ﷺ فقال المنافق: لا أرضى بحكمه، نتحاكم إلى عمر، فتحاكما إلى عمر، فقال عمر: هل تحاكمتما إلى أحد؟ فقال اليهودى: نعم إلى أبى القاسم، وإلى أبى بكر، وقد حكما لى، وهو لايرضى، فقال عمر: مكانكما حتى أخرج إليكما، فدخل البيت، واشتمل على السيف، ثم خرج، وضرب عنق المنافق، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: أنت الفاروق»(١).

قوله - تعالى -: ﴿وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا﴾ هو ما ذكرنا، أن المنافقين دعوا إلى التحاكم إلى الرسول، فأعرضوا عنه، وتحاكموا إلى الطاغوت.

قوله - تعالى -: ﴿فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم﴾ قيل: هذا فى المنافقين الذين تحاكموا إلى الطاغوت، وقوله: ﴿أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم﴾ قيل: هو قتل عمر - رضى الله عنه - ذلك المنافق؛ فإنهم جاءوا يطلبون دمه، وقيل: هو فى جميع المنافقين، والمصيبة: كل مصيبة تصيبهم فى الدنيا والعقبى.

يقول الله - تعالى -: فكيف الحال إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ﴿ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا﴾ قيل: هو إحسان بعضهم إلى بعض، وقيل أرادوا بالإحسان: تقريب الأمر من الحق، لا القضاء على مُرِّ الحكم.

(١) أخرجه الواحدي في أسباب النزول (ص١٢٠) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. والبغوى فى تفسيره (١/٤٤٦) عن الشعبى قوله.

أَرِدْنَا إِلاَّ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾

وأما التوفيق: موافقة الحق، وقيل: هو التأليف والجمع بين الخصمين. ومعنى الآية: أن المنافقين يحلفون ما أردنا بالتحاكم إلى غيرك إلا إحسانا وتوفيقا.

وفى الآية قول آخر: أنها فى المنافقين، حلفوا فى المسجد الذى بنوا ضرارا - على ما هو مذكور فى سورة التوبة - ﴿ وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى ﴾(١).

قوله - تعالى -: ﴿ أولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم ﴾ خلاف ما على ألسنتهم ﴿ فأعرض عنهم وعظهم ﴾ فإن قال قائل: كيف يتصور الجمع بين الإعراض والوعظ وقد أمر الله تعالى بهما؟

قيل معناه: فأعرض عن عقوبتهم، وعظهم.

وقيل: معناه: فأعرض عن قبول عذرهم، وعظهم ﴿ وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا ﴾ القول البليغ: هو ما يُبَلِّغ الإنسان بلسانه كنه ما فى قلبه، وقيل: هو التخويف بالله - تعالى - وقيل: هو أن يقول: إن رجعتم إلى هذا، فأمركم القتل.

قوله - تعالى -: ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ﴾ قال أهل المعانى: قوله ﴿ إلا ليطاع ﴾ كلام كافٍ مفيد بنفسه، وقوله: ﴿ بإذن الله ﴾ كلام آخر ومعناه بعلم الله وقضاء الله يعنى: أن طاعته تقع بإذن الله.

﴿ ولو أنهم ﴾ يعنى: المنافقين ﴿ إذ ظلموا أنفسهم ﴾ يعنى: بالتحاكم إلى الطاغوت ﴿ جاءوك فاستغفروا الله ﴾ لأنهم ما جاءوا مستغفرين، وإنما جاءوا معتذرين بالأعذار الكاذبة.

قوله: ﴿ فاستغفروا الله ﴾ أى: سألوا مغفرة الله، ﴿ واستغفر لهم الرسول ﴾ أى: دعا لهم الرسول بالاستغفار ﴿ لوجدوا الله توابا رحيما ﴾.

---

(١) التوبة: ١٠٧.

فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم

قوله - تعالى -: ﴿فلا وربك لايؤمنون﴾ قوله: ﴿فلا﴾: رد لقول المنافقين وعذرهم، ثم ابتدأ بقوله: ﴿وربك لايؤمنون﴾ والمراد به: الإيمان الكامل، أى: لايكمل إيمانهم، ﴿حتى يحكموك فيما شجر بينهم﴾ أى: اختلف، والاشتجار: الاختلاف، ومنه الشجر لالتفاف أغصانه بعضها على بعض، قال الشاعر:

هم الحكام أرباب الندى وسراة الناس إذ الأمر شجر

أى: اختلف، ﴿ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت﴾ أى: ضيقا، ومنه الحَرَجَة، روى أن عمر - رضى الله عنه - قال لبعض العرب: ما الحَرَجَة عندكم؟ قال: هى شجرة ملتفة، لايصل الماء إليها.

ومن ذلك قوله - تعالى -: ﴿يجعل صدره ضيقا حرجا﴾(١) أى: يضيق مسلكه بحيث لاتصل إليه الهداية ﴿ويسلموا تسليما﴾ ومعنى الآية: لايكمل إيمانهم حتى يرضوا بحكمك، وينقادوا لك، قيل: هذه أبلغ آية فى كتاب الله - تعالى - فى الوعيد.

واختلفوا فى سبب نزول الآية، قال عطاء، ومجاهد: الآية فى المنافقين الذين تحاكموا إلى الطاغوت، وقال عبد الله بن الزبير، وعروة بن الزبير، وجماعة: «الآية نزلت فى رجل من الأنصار يقال له: حاطب بن أبى بلتعة - وكان من أهل بدر - خاصم الزبير بن العوام فى ماء أرض عند النبى ﷺ، فقال - عليه الصلاة السلام - للزبير: اسق أرضك الماء ثم أرسله إلى جارك، وكانت أرض الأنصارى دون أرضه؛ فقال الأنصارى: أن كان ابن عمتك، فَتَلَوَّنَ وجه النبى ﷺ، وقال للزبير: اسق أرضك، واحبس الماء حتى يبلغ الجدر» - وفى رواية - حتى يبلغ الكعبين ثم سرحه يمر»(٢)

(١) الأنعام: ١٢٥.

(٢) متفق عليه فرواه البخاري (٥/ ٤٢ - ٤٣/ رقم ٢٣٥٩ وأطرافه فى ٢٣٦٩، ٢٦٧٢، ٢٧١٢، ٧٤٤٦)، ومسلم (١٥/ ١٥٧/ رقم ٥٤١٦)، وليس فيهما ولا في السنن تسمية هذا الأنصاري، وإنما جاء هذا عن سعيد ابن المسيب مرسلا.

مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ

كأن النبي ﷺ ساهل في حق الزبير في ابتداء الأمر، فلما أغضبه الأنصارى استوعب جميع حقه، وكلا الحُكْمَين كان حقا، وفى الخبر: قال الزبير: «احسب أن قوله: ﴿فلا وربك لايؤمنون﴾ نزل فى هذا.

وروى أن اليهود لما بلغهم ذلك، قالوا: انظروا إلى أصحاب محمد كيف يخالفونه، وإن موسى عتب علينا، فَأُمِرْنَا بقتل أنفسنا، فقتلنا أنفسنا حتى بلغ القتلى سبعين ألفا.

قوله - تعالى -: ﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم﴾ معناه: لو كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم، أو اخرجوا من دياركم، بدل ما أمرناهم به من طاعة الرسول، والانقياد لحكمه ﴿ما فعلوه إلا قليل منهم﴾ قال ثابت بن قيس بن شماس: لو أمرنى رسول الله ﷺ بقتل نفسى لقتلت، وفى الخبر: أن ابن مسعود وعمار بن ياسر، وثابت بن قيس بن شماس، من ذلك القليل، وروى أن النبى ﷺ أشار إلى عبد الله بن رواحة، فقال له: «أنت من ذلك القليل»(١).

ويقرأ «إلا قليلا منهم»(٢) فمن قرأ بالرفع؛ فلأنه معطوف على قوله: ﴿ما فعلوه﴾ وذلك فى محل الرفع، وتقديره: ما فعلوه إلا نفر قليل منهم فعلوه. ومن قرأ بالنصب، فعلى الاستثناء.

﴿ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به﴾ يعنى: من طاعة الرسول، والرضا لحكمه ﴿لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا﴾ أى: تصديقا ﴿وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما﴾ هو الجنة ﴿ولهديناهم صراطا مستقيما﴾ قيل: هو القرآن، وقيل: الإسلام.

(١) عزاه السيوطي في الدر (٢/ ٢٠٠) لابن أبي حاتم، عن شريح بن عبيد.

(٢) وهى قراءة ابن عامر، وأهل الشام انظر النشر (٢/ ٢٥٠).

وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

قوله – تعالى –: ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم ﴾ سبب نزول الآية، ما روى: أن بعض أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يارسول الله، كيف يكون الحال فى الجنة، وأنت فى الدرجات العلى، ونحن أسفل منك، وكيف نراك؟ فنزلت الآية. وذكر النقاش فى تفسيره: أن ذلك القائل كان عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصارى.

وروى: أن رجلا قال: لرسول الله ﷺ: أنت أحب إلى من أهلى ومالى وولدى، وإذا غبت عنى يصيبنى شبه الجنون، حبا لك، فكيف حالى معك فى الجنة؟ فنزلت الآية» ﴿ فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين ﴾ قيل: ذلك بأن ينزل إليهم النبيون؛ حتى يروهم، لا أن يرفعوا إلى درجاتهم، وقيل: معناه: أنهم لايفوتهم رؤية النبيين ومجالستهم، وقوله: ﴿ والصديقين ﴾ يعنى: أصحاب رسول الله ﷺ، والصدِّيق المبالغ فى الصدق، ﴿ والشهداء ﴾ الذين استشهدوا يوم أحد.

واختلفوا فى(١) أنهم لم سموا شهداء؟ قال بعضهم: لأنهم قاموا بشهادة الحق حتى قتلوا، وقيل: لأن أرواحهم تشهد الجنة عقيب القتل، ﴿ والصالحين ﴾ الصالح: من استوت(٢) سريرته وعلانيته ﴿ وحسن أولئك رفيقا ﴾ الرفيق: الواحد، وهو بمعنى الجمع هاهنا ﴿ ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما ﴾.

قوله – تعالى –: ﴿ يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم ﴾ أى: عدتكم، والحذر: ما يتقى به من العدو، نحو العدة والسلاح، ﴿ فانفروا ثبات ﴾ جمع « ثُبَة » قال ابن عباس: « الثبة »: ما فوق العشرة، وقال أبو عمرو بن العلاء: « الثُبَة » النَفَر، ومعناه: انفروا جماعات، نفرا نفرا ﴿ أو انفروا جميعا ﴾.

وهذا دليل على أن الجهاد فرض على الكفاية، وقيل إن الآية صارت منسوخة؛

(١) ليست فى « الأصل »، ولا « ك ».

(٢) فى « الأصل، وك »: استوى.

خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ

لقوله – تعالى– : ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة﴾(١).

قوله – تعالى –: ﴿وإن منكم لمن ليبطئن﴾ أى: ليتأخرن، والبطء: التأخير.

وقيل: هذا فى عبد الله بن أبى بن سلول ﴿فإن أصابتكم مصيبة﴾ يعنى: بالقتل والجرح فى الجهاد ﴿قال قد أنعم الله على إذ لم أكن معهم شهيدا﴾ أى: حاضرا ﴿ولئن أصابكم فضل من الله﴾ أى: الغنيمة ﴿ليقولن﴾ – بنصب اللام – ويقرأ فى الشواذ: برفع اللام والمعنى واحد ﴿كأن لم تكن بينكم وبينه مودة﴾ قيل: فى الآية تقديم وتأخير، وتقديره: فإن أصابتكم مصيبة، قال: قد أنعم الله على؛ إذ لم أكن معهم شهيدا، كأن لم تكن بينكم وبينه مودة، أى: معاقدة ومعاهدة على الجهاد، وقيل: أراد به: مودة الصحبة. ثم ابتدأ ﴿ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن ياليتنى كنت معهم فأفوز فوزا عظيما﴾.

قوله – تعالى –: ﴿فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا﴾ أى: يبيعون ﴿بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما﴾ وهو معنى قوله فى سورة التوبة: ﴿فيقتلون ويقتلون﴾(٢).

قوله – تعالى –: ﴿وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله﴾ عتب على أصحاب رسول الله ﷺ بترك القتال ﴿والمستضعفين﴾ وهم الذين أسلموا بمكة وسكنوا بأعذار، وبعضهم منعوا من الهجرة، قال ابن عباس: كنت أنا وأمى من المستضعفين.

قال الأزهرى: معنى الآية: لاتقاتلون فى سبيل الله، وفى سبيل المستضعفين؛ بتخليصهم من أيدى المشركين ﴿من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية﴾ وهى مكة باتفاق المفسرين ﴿الظالم أهلها﴾ أى: المشرك أهلها ﴿واجعل لنا من لدنك وليا﴾ أى: من يلى أمرنا ﴿واجعل لنا من لدنك

(١) التوبة : ١٢٢.

(٢) التوبة : ١١١.

لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ

نصيرا﴾ أى: من يمنع العدو عنا؛ فاستجاب الله دعوتهم، حتى فتح رسول الله ﷺ مكة، وولّى عليها عتّاب بن أسيد، فكان ينصف المظلوم، وينتصف من الظالم.

قوله - تعالى -: ﴿الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت﴾ قد بينا معنى الطاغوت ﴿فقاتلوا أولياء الشيطان﴾ أى: الكفار ﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفا﴾ قيل كان ضعيفا بمعنى: أنه لايرد أحدا عن الإسلام والهداية، وقيل: أراد به أن كيده كان ضعيفًا يوم بدر، حين رأى الملائكة، وخاف أن يأخذوه، فهرب؛ فكيده ضعيف بأحد هذين المعنيين.

قوله - تعالى -: ﴿ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم﴾ قيل: هذا فى قوم أسلموا بمكة فآذاهم المشركون؛ «فقالوا: يارسول الله، ائذن لنا نقاتلهم، فقال لهم: ﴿كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾؛ فإنى لم أؤمر بالقتال، ثم لما هاجر إلى المدينة، فأمر بالقتال، فكرهوا القتال»(١) قيل: أولئك الذين أسلموا وقالوا ذلك، منهم: عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبى وقاص، وقدامة بن مظعون، والمقداد بن الأسود الكندى، وجماعة.

﴿فلما كتب عليهم القتال﴾ يعنى: بعد الهجرة ﴿إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية﴾ أى: يخشون الناس كخشيتهم من الله، أو أشد خشية، قال الحسن البصرى: ماكانوا يخشون أمر الله بالقتال، وإنما ذلك: خشية طبع البشرية.

﴿وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب﴾ أى: هلا أخرتنا إلى أجل قريب؛ فنموت بآجالنا، قيل: هذا قول المنافقين، وقيل: كان ذلك قول بعض

(١) رواه النسائي (٦/٣/ رقم ٣٠٨٦) والطبري في التفسير (٥/١٠٨)، والحاكم (٢/٦٦، ٣٠٧) وصححه على شرط البخاري، والواحدي في أسباب النزول (ص١٢٤). كلهم من حديث ابن عباس.

فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ

أصحاب رسول الله ﷺ: قالوا ذلك خوفا و(جبنًا)(١) لا اعتقاداً. وقال بعضهم: هو قول طلحة بن عبيد الله؛ قال ذلك خوفا ثم تاب عنه.

﴿قل متاع الدنيا قليل﴾ يعنى: أن ما تستمتعون به من الدنيا فهو قليل، وفى الخبر المعروف: «ما الدنيا فى الآخرة إلا كما يغمس أحدكم المخيط فى البحر، فلينظر بم يرجع؟!»(٢) ﴿والآخرة خير لمن اتقى ولاتظلمون فتيلا﴾ أى: لايُنقص من أجرهم شيء، ولا مقدار الفتيل.

قوله - تعالى -: ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة﴾ معناه: أينما كنتم يأتيكم الموت، وإن كنتم فى بروج مشيدة، والبروج: الحصون، قال السدى: وهى قصور بيض فى السماء، قوله: ﴿مشيدة﴾ قال ابن عباس - فى القول المعروف -: هى المعروفة المطولة، وقال عكرمة: المشيدة: المجصصة، والشيد: الجص. وقال بعضهم: المشيد: المجصص، والمشيدة: المرفوعة، وفيه قول آخر عن ابن عباس: أنه أراد: فى بروج من حديد.

﴿وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك﴾ فالحسنة: الخصب، والسيئة: الجدب، وقيل الحسنة: النصر، والظفر يوم بدر، والسيئة: الهزيمة والقتل يوم أحد، ومعنى الآية: أن المسلمين إذا أصابتهم حسنة، فقال الكفار: هذا من عند الله وإن تصبهم سيئة قالوا هذا من عندك أى: بشؤمك؛ وذلك أن النبى ﷺ لما قدم المدينة أصاب أهلها نوع سوء؛ فقالت اليهود: ما رأينا أشأم

(١) في «ك»: حنقا.

(٢) رواه مسلم فى صحيحه (١٧ / ٢٧٩-٢٨٠ رقم ٢٨٥٨)، والترمذى (٤ /٤٨٦ رقم ٢٣٢٣)، وابن ماجه (٢ /١٣٧٦ رقم ٤١٠٨)، وأحمد (٤ /٢٢٨ - ٢٢٩، ٢٣٠)، وابن المبارك فى زهده (ص ١٧٠ رقم ٤٩٦) والطبرانى فى الكبير (٢٠ /٣٠١-٣٠٢ رقم ٧١٣ - ٧١٧) وابن حبان فى صحيحه (١٠ /١٧٣ رقم ٤٣٣٠)، والحاكم (٣ /٥٩٢)، و(٤ /٣١٩) كلهم من حديث المستورد بن شداد - رضى الله عنه -.

وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ

من هذا الرجل؛ منذ دخل ديارنا، قد غلت أسعارنا، ونقصت ثمارنا؛ وذلك بلية للمسلمين، وهذا نحو ما قالوا لصالح - عليه السلام - ﴿ اطيرنا بك وبمن معك ﴾(١) وفى قصة موسى: ﴿ يطيروا بموسى ومن معه ﴾(٢) وفى سورة «يس»: ﴿ إنا تطيرنا بكم ﴾(٣).

﴿ قل كل من عند الله ﴾ أى: الخصب، والجدب، والنصر، والهزيمة، كل من عند الله، ﴿ فما لهؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا ﴾ أى: ما لهم لايعلمون حديثا. والحديث: القرآن ها هنا، أى: لايعلمون معانى القرآن.

قوله - تعالى -: ﴿ ما أصابك من حسنة فمن الله ﴾ يعنى: ما أصابك من خصب، فمن فضل الله، ﴿ وما أصابك من سيئة ﴾ أى: من جدب ﴿ فمن نفسك ﴾ أى: بذنبك.

والخطاب وإن كان مع الرسول، فالمراد به: الأمة؛ وذلك معنى قوله - تعالى -: ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ﴾(٤) قيل معناه: وما أصابك من حسنة أيها الإنسان فمن الله، وما أصابك من سيئة، فمن نفسك؛ فيكون الخطاب مع كل أحد من الناس، وقيل: معناه ﴿ ما أصابك من حسنة ﴾ أى: من النصر، والظفر فمن فضل الله ﴿ وما أصابك من سيئة ﴾ أى: من هزيمة، وقتل يوم أحد ﴿ فمن نفسك ﴾ أى: بذنب نفسك من مخالفة النبى ﷺ كما سبق.

فإن قيل: كيف وجه الجمع بين الآيتين، فإنه قد قال - فى الآية الأولى -: ﴿ قل كل من عند الله ﴾ قيل: معنى الآية الأولى: أن الخصب والجدب والنصر والهزيمة

(١) النمل: ٤٧.

(٢) الأعراف: ١٣١.

(٣) يس: ١٨.

(٤) الشورى: ٣٠.

إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا

كلها تقع من عند الله، ومعنى الآية الثانية ﴿وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ أى: ما أصابك من سيئة من الله؛ فبذنب نفسك؛ عقوبة لك.

واعلم أنه ليس فى الآية متعلق لأهل القدر أصلا؛ فإن الآية فيما يصيب الناس من النعم والمحن، لافى الطاعات والمعاصى؛ إذ لو كان المراد ما توهموا، لقال: ما أصبت من حسنة، فمن الله وما أصبت من سيئة؛ فلما قال: ما أصابك من حسنة وما أصابك من سيئة؛ دل أنه أراد: ما يصيب العباد من النعم والمحن، لا فى الطاعات والمعاصى، وحكى عبد الوهاب بن مجاهد، عن مجاهد، أن ابن عباس قرأ: «وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأنا كتبتها عليك» وكذا حكى عن ابن مسعود أنه قرأ كذلك، وهو معروف عن ابن عباس، وهو يؤيد قولنا: إن المراد: بذنب نفسك.

وفى الآية قول آخر: مضمر فيه، وتقديره: فمال هؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا؛ يقولون: ما أصابك من حسنة، فمن الله، وما أصابك من سيئة، فمن نفسك [فيكون](١) حكاية لقول الكفار ﴿وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا﴾.

قوله - تعالى -: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ روى: «أن النبى ﷺ قال: «من أطاعنى فقد أطاع الله - تعالى - ومن أحبنى فقد أحب الله، فقالت اليهود: إن هذا الرجل يريد أن نتخذه ربا وحنّانا، كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم؛ فأنزل الله - تعالى - هذه الآية على وفاق قول الرسول»(٢) ﴿ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا﴾ أى: كِلْ أمره إلىَّ.

قوله - تعالى -: ﴿ويقولون طاعة﴾ يعنى: المنافقين يقولون باللسان: مرنا، فإن أمرك طاعة ﴿فإذا برزوا﴾ أى: خرجوا ﴿من عندك بيت طائفة منهم غير الذى

(١) فى «الأصل وك»: فيقول.

(٢) قال الزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ٣٣٦): غريب جداً. وقال الحافظ فى تلخيص الكشاف: لم أجده.

أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾
أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ

تقول ﴾ قال أبو رزين: بَيَّتَ أى: ألف. وقال غيره: بيت، أى: بدل؛ والأصح أنه من التبييت، وهو فعل الشيء ليلا، يقال: هذا أمر بُيِّتَ ليلاً، قيل: أى: فعل بالليل، ويجوز أن يقال لما فعل بالنهار: تبييتا؛ لأن الفعل بالليل إنما سمى تبييتا؛ لأن الإنسان بالليل يكون أفرغ لتدبير أمره، فعلى هذا المعنى يجوز أن يقال لما فعل بالنهار: تبييتا، قال الشاعر:

بَيَّتوا أمــرهم بليــــل فلمـــا ... أصبحوا أصبحوا على(١) ضوضاء(٢)

ومعنى ﴿ بيت طائفة منهم غير الذى تقول ﴾ أى: خالفوا بالليل ما قالوا بالنهار ﴿ والله يكتب ما يبيتون ﴾ أى: يحصى ويحفظ؛ ليجازى عليه، وقيل: يأمر الكتبة حتى يكتبوا ﴿ فأعرض عنهم ﴾ قال الضحاك: معناه: لاتخبر بأسمائهم، وكان – عليه الصلاة والسلام – يعرف المنافقين، وما كان يخبر بأسمائهم ﴿ وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا ﴾ أى: اتخذه وكيلا.

قوله – تعالى –: ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ﴾ التدبر: النظر فى الأمر إلى آخره، وهو من دُبُر الشيء: آخره، وفى الخبر: «من أشراط الساعة: ولايأتون الصلاة إلا دُبُراً»(٣) أى: آخراً ومنه قوله ﷺ: «لاتَدَابروا»(٤) أى: لايولِّ بعضكم ظهره إلى بعض عدواة.

(١) ليست فى «ك».

(٢) وقع هذا البيت فى لسان العرب (مادة: ضوا)

أَجمعــوا أَمرهـم عِشــاءً فلمَّا ... أصبحوا أصبحت لهم ضوضاءُ

وعزاه ابن منظور للحارث بن حلِّزة.

(٣) لم أجده مرفوعاً بهذا اللفظ، وروى أبو داود، وابن ماجه وغيرهما أن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يقبل الله تعالى منهم صلاة – وذكر فيهم – والرجل لا يأتي الصلاة إلا دباراً» وروى عن ابن مسعود أنه قال: «ومن الناس من لا يأتي الصلاة إلا دبراً» انظر الزهد لأبي داود بتحقيقنا (رقم١٦١). وقال ابن الأثير في النهاية (٢/ ٩٧): ومنه الحديث: «لا يأتي الجمعة إلا دبراً».

(٤) متفق عليه من حديث أنس بن مالك، رواه البخاري (١٠/ ٥٠٧/ رقم ٦٠٧٦ وطرفه فى ٦٠٦٥)، ومسلم (١٦/ ١٧٤ – ١٧٥/ رقم ٢٥٥٩).

عند اللَّه وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ

فقوله ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ﴾ أى: أفلا يتفكرون فى القرآن ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾ قال ابن عباس: ليس فى القرآن تناقض ولا تفاوت؛ فهذا معنى الآية.

وقال الزجاج: ما أخبر عن الغيب فكله صدق، ليس بعضه صدقا، وبعضه كذبا، وقيل: معناه: أن كله بليغ صحيح، ليس فيه مرذول ولا فاسد.

قوله - تعالى -: ﴿ وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ﴾ يعنى: المنافقين إذا جاءهم أمر وخبر من أمر السرايا الذين بعثهم رسول الله ﷺ، فإن كان بالأمن والنصر، كتموا، وقصروا فى الأخبار، وإن كان بالخوف والهزيمة أذاعوا به، وزادوا.

وفى الآية إضمار، وتقديرها: وإذا جاءهم أمر من الأمن قصروا فى الإخبار به، وكتموا، [وإذا][(١)] جاءهم أمر من الخوف أذاعوا به ﴿ ولو روده إلى الرسول ﴾ قيل أراد بقوله: ﴿ ولو ردوه ﴾ يعنى: ضعفة المسلمين الذين سمعوا تلك الأخبار من المنافقين قالوا مثل قولهم؛ فقال الله - تعالى -: ﴿ ولو ردوه إلى الرسول ﴾ ويحتمل أن يكون المراد به فى الكلام المؤمنين والمنافقين، لو[(٢)] ردوه إلى الرسول.

﴿ وإلى أولى الأمر منهم ﴾ يعنى: إلى أمراء السرايا ﴿ لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴾ يعنى: لو طلبوا تلك الأخبار من عند أمراء السرايا، ووكلوا الإخبار بها إليهم؛ لعلمه الذين يحبون أن يعلموه على حقيقته كما هو، والاستنباط: هو استخراج العلم ومنه النبط، وهم قوم يستخرجون الماء، وقيل: أراد به العلماء، يعنى: ولو ردوه إلى الرسول، وإلى أولى الأمر منهم لعلم الذين يستنبطونه منهم ما ينبغى أن

---

(١) في «الأصل وك»: إذ.

(٢) في «الأصل و ك» أو، تحريف.

وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً ﴿٧٩﴾ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ

يكتم، ويعلمون ما ينبغى أن يفشى، يعنى: العلماء.

﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا﴾ فإن قال قائل: كيف استثنى القليل، ولولا فضله لاتبع الكل الشيطان؟ قيل: اختلفوا فيه، قال الفراء: هذا الاستثناء راجع إلى قوله: ﴿أذاعوا به﴾ إلا قليلا، وقوله: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان﴾، كلام تام، وقيل: هو راجع إلى قوله: ﴿لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ ثم قال: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان﴾ وقيل: هو على نظمه، ومعناه: ولولا ما تفضل الله عليكم به من البيان لما ينبغى أن يفعل وما ينبغى أن يجتنب ﴿لاتبعتم الشيطان إلا قليلا﴾.

وفيه قول رابع: أنه أراد بالقليل: قوما اهتدوا بالحق قبل بعث الرسول، وإنزال القرآن، وأقروا بالتوحيد، وذلك مثل: زيد بن عمرو بن نفيل، وورقة بن نوفل، وجماعة، وقد قال ﷺ فى زيد بن عمرو بن نفيل: «إنه يبعث أمة على حدة»[1].

قوله - تعالى -: ﴿فقاتل فى سبيل الله﴾ كذا يتصل بما سبق من قوله: ﴿وما لكم لا تقاتلون﴾ لما عاتبهم على ترك القتال، قال للرسول :إن لم يقاتل هؤلاء، فقاتل أنت وحدك ﴿لاتكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا﴾ يعنى: عذاب الذين كفروا، وعسى من الله واجب، والمراد به: تطميع المؤمنين، ﴿والله أشد بأسا﴾ أى: أشد عذابا ﴿وأشد تنكيلا﴾ التنكيل من النكل، وهو المنع، ومنه النَّكَال: وهو ما يفعل بالإنسان، فيمنع غيره عن فعله.

قوله - تعالى -: ﴿من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده (١/١٨٩ - ١٩٠)، والحاكم فى المستدرك (٣/٤٣٩ - ٤٤٠)، والطبرانى فى الكبير (١/١٥١ - ١٥٢/ رقم ٣٥٠)، والبيهقى فى الدلائل (١/٤٧٥ - ٤٧٦) كلهم من حديث سعيد ابن زيد بن عمرو، وقال الهيثمى فى المجمع (٩/ ٤٢٠): وفيه المسعودى، وقد اختلط، وبقية رجاله ثقات.

الَّذي تَقولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴿٨١﴾ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ

شفاعة سيئة يكن له كفل منها ﴾ قال ابن عباس: الشفاعة الحسنة: هى الإصلاح بين الناس، والشفاعة السيئة: هى المشى بالنميمة بين الناس، وقيل: هو فى كل الشفاعات، فالشفاعة الحسنة: هى أن يقول قولا حسنا؛ ينال به الخير، والشفاعة السيئة: هى أن يقول قولا قبيحا؛ يلحق به سوء.

قوله: ﴿ يكن له نصيب منها ﴾ أى: من أجرها، وقوله: ﴿ يكن له كفل منها ﴾ أى: من وزرها، والكفل: النصيب، قال الله - تعالى -: ﴿ يؤتكم(١) كفلين من رحمته ﴾(٢) أى: نصيبين.

واعلم أن الإنسان يؤجر على الشفاعة، وإن لم يُشَفَّع؛ لأن الله - تعالى - يقول: ﴿ من يشفع ﴾، ولم يقل: من يُشَفَّع، وقد روى أبو موسى الأشعرى عن رسول اللهﷺ أنه قال: «اشفعوا تؤجروا، ويقضى الله على لسان نبيه ماشاء»(٣).

واعلم أن الشفاعة مستحبة فى كل الحقوق إلا فى حدود الله - تعالى -؛ فإنه لايجوز فيها الشفاعة ليترك الحد، وقد قال ﷺ: «من شفع فى حد من حدود من الله - تعالى - فقد ضاد الله فى ملكه»(٤) أى: نازعه فى ملكه.

﴿ وكان الله على كل شىء مقيتا ﴾ قال ابن عباس: المقيت: المقتدر، قال الشاعر:

وذى ضغن كففتُ النفسَ عنه وكنت على مساءَته مُقيتَا

والقول الثانى عن ابن عباس: المقيت: الحافظ، وفى الخبر: «كفى بالمرء إثما أن

(١) في «ك»: يكن لكم، وهو خطأ.

(٢) الحديد: ٢٨.

(٣) متفق عليه، رواه البخاري (٣/ ٣٥١/ رقم ١٤٣٢)، ومسلم (١٦/ ١٧٢/ رقم ٢٦٢٧).

(٤) رواه أبو داود (٣/ ٣٠٥/ رقم ٣٥٩٧)، وأحمد (٢/ ٧٠) والحاكم (٢/ ٢٧) والطبرانى فى الكبير (١٢/ ٢٧٠ - ٢٧١ رقم ١٣٠٨٤)، والبيهقى (٦/ ٨٢) وصحح الحاكم إسناده.

أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿٨٣﴾ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ

يضيع من يقوته»(١) أى: من قوته، وفى رواية: «من يقيت» أى: من فى حفظه، وفيه قول ثالث: أن الله – تعالى – على كل حيوان مقيت، أى: يوصل القوت إليه؛ فهذا معنى قوله: ﴿وكان الله على كل شيء﴾ أى: حيوانٍ ﴿مقيتا﴾.

قوله – تعالى –: ﴿وإذا حييتم بتحية﴾ أكثر المفسرين على أن المراد بالتحية هاهنا: السلام، وأصل التحية: هو دعاء بالحياة، وهو فى الشريعة عبارة عن السلام، والسلام: دعاء السلامة، وقد تكون التحية بمعنى: الملك والبقاء، ومنه: التحيات لله، وقال الشاعر:

ولكل ما نال الفتى　　　قد نلته إلا التحيه

يعنى: إلا الملك، وعلى معنى السلام أنشدوا قول الشاعر:

إنا محيوك ياسلمى فحيينا　　　وإن سقيت كرام الناس فاسقينا

﴿فحيوا بأحسن منها أو ردوها﴾ أراد به: رد السلام بأحسن مما سلّم، أو ترد كما سلم، فإذا قال: السلام عليك، فالمستحب أن تقول: وعليك السلام ورحمة الله، وإذا قال: السلام عليك ورحمة الله، تقول: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، وهو الأحسن.

وفى الخبر: «أن رجلا جاء، فسلّم على النبى ﷺ، فقال: وعليكم السلام ورحمة الله، فدخل آخر وقال: السلام عليك ورحمة الله، فقال: وعليكم السلام ورحمة الله

(١) رواه أبو داود (٢/ ١٣٢/ رقم ١٦٩٢)، والنسائي في الكبرى (٥/ ٣٧٤/ رقم ٩١٧٦، ٩١٧٧)، والحميدي في مسنده (٢/ ٢٧٣/ رقم ٥٩٩)، وأحمد (٢/ ١٩٣، ١٩٥)، والطيالسي (ص٣٠١/ رقم ٢٢٨١)، وابن حبان – الإحسان – (١٠/ ٥١ – ٥٢/ رقم ٤٢٤٠)، والحاكم (٤/ ٥٠٠) وقال صحيح الإسناد، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٤٦٧)، وأبو نعيم في الحلية (٧/ ١٣٥) من حديث عبد الله بن عمرو.
ورواه مسلم (٧/ ١١٤/ رقم ٩٩٦) بلفظ «كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمن يملك قوتهم».

وبركاته، فدخل ثالث، وقال: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، فقال: وعليكم؛ فقيل له في ذلك، فقال - عليه السلام - إن الأول والثاني تركا من التحية شيئا؛ فأجبت بأحسن، وإن الثالث لم يترك من التحية شيئا فرددت عليه»[١].

واعلم أن السلام، سنة وردّ السلام فريضة، لكنه فرض على الكفاية، حتى إذا سُلِّم على جماعة فرد أحدهم؛ سقط الفرض عن الباقين، وكذلك السلام سنة على الكفاية، حتى إذا كانت جماعة، فسلّم أحدهم كفى في السنة.

وروى الحسن مرسلا عن النبي ﷺ أنه قال: «السلام سنة ورده فريضة»[٢].

وقال بعض المفسرين: أراد بالتحية: الهبات والهدايا، وقوله: ﴿فحيوا بأحسن منها﴾ أراد به: الثواب على الهدية، وهو سنة، «وكان - عليه السلام - يقبل الهدية، ويثيب عليها»[٣]، والأصح هو القول الأول.

﴿إن الله كان على شيء حسيبا﴾ أي: محاسبا، وقيل كافيا، ومنه قوله -تعالى-: ﴿جزاءً من ربك عطاءً حسابًا﴾[٤] أي: كافيا.

(١) رواه الطبري في التفسير (٥ / ١٢٠) والطبراني في الكبير (٦ / ٢٤٦ - ٢٤٧ / رقم ٦١١٤) من حديث سلمان الفارسي، وقال الهيثمي في المجمع (٨ / ٣٦١): وفيه هشام بن لاحق، قواه النسائي، وترك أحمد حديثه. وعزاه السيوطي في الدر (٢ / ٢٠٧) لأحمد في الزهد، وابن أبي حاتم وابن المنذر، وابن مردويه بسند حسن.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٥ / ١٢٠) عن الحسن مرسلاً. وعزاه في كنز العمال (٩ / ٢١٥ / رقم ٢٥٧١٧) للديلمي في الفردوس من حديث الحسن مرسلاً.
وفي مسند الفردوس (٢ / ٣٤٠ / رقم ٣٥٣٨) جعله من مسند علي.
وقال العجلوني في كشف الخفاء (١ / ٥٤٨ / رقم ١٤٧٦): رواه الديلمي بسند ضعيف عن علي. قلت: ولفظه: «السلام تطوع، والرد فريضة».

(٣) رواه البخاري (٥ / ٢٤٩)، وأبو داود (٣ / ٢٩٠ رقم ٣٥٣٦)، والترمذي (٤ / ٢٩٨ رقم ١٩٥٣)، وأحمد (٦ / ٩٠)، والبيهقي (٦ / ١٨٠)، والخطيب في تاريخه (٤ / ٢٢٣)، وابن عدي في الكامل (٢ / ٢٨١) كلهم من طريق عيسى بن يونس، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة.
ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه من طريق وكيع، عن هشام بن عروة من قوله.
وقال البخاري: لم يذكر وكيع، ومحاضر: عن هشام عن أبيه عن عائشة.

(٤) النبأ: ٣٦.

سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ

قوله – تعالى –: ﴿الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لاريب فيه﴾ «اللام» لام القسم، وتقديره: والله ليجمعنكم الله إلى يوم القيامة، واختلفوا: أنه فيم يجمعهم؟ قال بعضهم: يجمعهم فى الإهلاك والموت إلى القيامة، وقال بعضهم: يجمعهم فى القبور إلى القيامة.

واختلفوا: لِمَ سُمِّيت القيامة قيامة؟ قال بعضهم: لأن الناس يقومون فيها إلى رب العالمين، كما قال الله – تعالى –: ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾(١) وقيل: إن الناس يقومون فيها إلى الحساب. ﴿ومن أصدق من الله حديثا﴾ أى: قولا وخبرا.

قوله – تعالى –: ﴿فما لكم فى المنافقين فئتين﴾ اختلفوا فى سبب نزول الآية على ثلاثة أقوال: قال زيد بن ثابت: هذا فى الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ يوم أحد، فقال بعض الصحابة لرسول الله: اعف عنهم؛ فإنهم تكلموا بالإسلام. وقال بعضهم: اقتلهم؛ فإنهم منافقون؛ فنزلت الآية ﴿فما لكم فى المنافقين فئتين﴾»(٢) أى: مالكم افترقتم فيهم فرقتين؟ عتب عليهم بالاختلاف بينهم، وحكم بنفاقهم.

وقال مجاهد: الآية فى جماعة من أهل مكة هاجروا إلى المدينة، وأسلموا، ثم استأذنوا رسول الله ﷺ فى الرجوع إلى مكة، بعِلَّة أن لهم بها بضائع؛ فرجعوا، وارتدُّوا فقال بعض أصحابه: هم مسلمون؛ لأنهم تكلموا بالإسلام، وقال بعضهم: هم قد نافقوا؛ فنزل قوله تعالى: ﴿فما لكم فى المنافقين فئتين﴾ وحكى مجاهد هذا عن ابن عباس.

والقول الثالث – وهو الرواية الثانية عن ابن عباس –: أن الآية فى قوم من المشركين أسلموا بمكة، وكانوا يعاونون المشركين، ويظاهرونهم؛ فاختلف الصحابة فيهم

(١) المطففين: ٦.

(٢) متفق عليه من حديث زيد بن ثابت، فرواه البخاري (١٠/ ١٠٤ – ١٠٥/ رقم ٤٥٨٩) ومسلم (١٧/ ١٨٠/ رقم ٢٧٧٦).

الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً ﴿٨٨﴾

فرقتين؛ فنزل قوله – تعالى –: ﴿ فما لكم فى المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا ﴾ أركسهم وركسهم بمعنى واحد.

وقرأ ابن مسعود ﴿ والله ركَّسَهُم ﴾ قال الزجاج: معناه: نكسهم، وقال النضر بن شميل: معناه: أعادهم، يعنى: إلى الكفر بما كسبوا، ومنه: الركس؛ لأنه كان طعاما، فصار رجيعا.

﴿ أتريدون أن تهدوا من أضل الله ﴾ يعنى: أتريدون أن ترشدوا من أضله الله ﴿ ومن يضلل الله ﴾ يعنى: ومن يضلله ﴿ فلن تجد له سبيلا ﴾ أى: طريقا إلى الحق. قوله – تعالى –: ﴿ ودوا لو تكفرون كما كفروا ﴾ يعنى: الذين عادوا إلى الكفر ودوا أن تعودوا إلى الكفر ﴿ فتكونون سواء ﴾ يعنى: فى الكفر.

﴿ فلا تتخذوا منهم أولياء ﴾ منعهم من الموالاة معهم ﴿ حتى يهاجروا فى سبيل الله ﴾ أى: حتى يسلموا ﴿ فإن تولوا ﴾ يعنى: فى الكفر ﴿ فخذوهم ﴾ أى: فأسروهم، والأخذ هاهنا: الأسر، ويقال للأسير: أخيذ ﴿ واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيراً ﴾.

قوله – تعالى –: ﴿ إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق ﴾ قال أبو عبيدة: معناه إلا الذين ينتسبون إلى قوم، وأنشد فيه قول الشاعر:

إذا اتصلت قالت لبكر بن وائل ... وبكرٌ سبَاهَا[1] والأنوف رواغـم

يعنى: إذا انتسبت تلك القبيلة.

وأنكر أهل المعانى هذا على أبى عبيدة، وقالوا: هذا لايستقيم فى معنى هذا الاستثناء المنع من القتل، وما كان المنع لأجل النسبة، فإن النبى ﷺ كان يقاتل المشركين من قريش، وإن كانوا من نسبه، بل معنى قوله: ﴿ إلا الذين يصلون ﴾ أى:

(١) فى لسان العرب (مادة: وصل): سبتها.

وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾

يخالطون، ويتصلون بقوم كان بينهم وبين النبى ﷺ موادعة وعهد.

وذلك هلال بن عويمر الأسلمى، وقومه، وكان الله - تعالى - منع من قتل أولئك ممن اتصل بهم، وفى ذمامهم ﴿أو جاءوكم﴾ أو يصلون بقوم جاءوكم للمعاهدة والموادعة، ﴿حصرت صدورهم﴾ ضاقت، فضاقت صدورهم من القتال معكم، ومن معاونتكم على القتال مع قومهم؛ لأجل الرعب الذى ألقى الله - تعالى - فى قلوبهم، وقرأ الحسن - وهو قراءة يعقوب وسهل - «حَصِرةً صدورهم»[1] على الحال، أى: ضيقة صدورهم، قال المبرد: حصرت صدورهم على سبيل الدعاء، كقوله: ﴿قاتلهم الله﴾[2] كأن الله - تعالى - يقول: ﴿حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم﴾ على سبيل الدعاء.

﴿ولو شاء الله لسلطهم عليكم﴾ معنى هذا: أن الله - تعالى - هو الذى ألقى الرعب فى قلوبهم، وكفهم عن قتالكم، حتى جاءوا معاهدين، ولو شاء الله لسلطهم عليكم ﴿فلقاتلوكم﴾؛ فإذاً لاتقاتلوهم ومن اتصل بهم ﴿فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم﴾ يعنى: الصلح فانقادوا، واستسلموا ﴿فما جعل الله لكم عليهم سبيلا﴾ أى: طريقا عليهم بالقتل والقتال.

قوله - تعالى -: ﴿ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم﴾ قال ابن عباس: أراد به: أسد وغطفان، جاءوا إلى النبى ﷺ وأسلموا؛ فلما رجعوا إلى قومهم قالوا: إنا آمنا بالعقرب والخنفساء ورجعوا إلى الكفر.

وقال قتادة: أراد به: سراقة بن مالك بن جعشم، لما جاء إلى النبى ﷺ، وقال: أنا منكم، ثم رجع إلى قومه، فقال: أنا منكم.

(١) انظر النشر (٢ / ٢٥١).

(٢) التوبة: ٣٠، والمنافقون: ٤.

إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا

﴿يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم﴾ أى: يريدون أن يأمنوا منكم، ومن قومهم. ﴿كلما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها﴾ أى كلما دعوا إلى الشرك دخلوا فيه.

﴿فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم﴾ يعنى: القيادة والاستسلام ﴿ويكفوا أيديهم فخذوهم﴾ أى: فأسروهم ﴿واقتلوهم حيث ثقفتموهم﴾ وجدتموهم، ﴿وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا﴾ حجة بينة بالقتل والقتال.

قوله - تعالى -: ﴿وماكان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأً﴾ سبب نزول الآية: ماروى أن عياش بن أبى ربيعة قتل الحارث بن يزيد، وكان الحارث يؤذى عياشا فى الجاهلية، حتى أسلم عياش؛ فنذر أن يقتله متى ظفر به، فظفر بالحارث وقد أسلم الحارث، ولم يعلم هو بإسلامه؛ فنزلت الآية: ﴿وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا﴾ وهذا نهى عن قتل المؤمن على الإطلاق، وقوله: ﴿إلا خطأً﴾ استثناء منقطع، ومعناه: لكن إن وقع خطأ. وقال بعضهم: «إلا» بمعنى «ولا» يعنى: ولا خطأً، ولايعرف فى كلام العرب «إلا» بمعنى «ولا»؛ ولأنه يقتضى النهى عن قتل الخطأ، والخطأ لايدخل تحت النهى والأمر، والأول أصح، ثم ذكر حكم القتل الخطأ، فقال: ﴿ومن قتل مؤمنا خطأً فتحرير رقبة مؤمنة﴾ أى: فاعتقوا رقبة مؤمنة، ثم اختلف العلماء، فقال الحسن، والشعبى، والنخعى: أراد به: رقبة بالغة ولاتجزئ الرقبة الصغيرة، وإن كانت مؤمنة، وقال عطاء - وهو الذى أخذ به الفقهاء-: إنه تجزئ الصغيرة.

﴿ودية مسلمة إلى أهله﴾ يعنى: سلموا الدية إلى أهله، وظاهر الآية يقتضى أن تكون الدية فى قتل الخطأ فى مال القاتل، كالكفارة، لكن عرفنا بالسنة أن الكفارة فى مال القاتل والدية على العاقلة.

وقوله: ﴿إلا أن يصدقوا﴾ يعنى: أن يتصدقوا، وقرأ أبى بن كعب كذلك، ومعنى التصدق: العفو عن الدية ﴿فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة

إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ

مؤمنة﴾ أكثر المفسرين - وهو قول الحسن، وقتادة، ومجاهد، وجماعة -: أن المراد به: وإن كان من [نَسَبِ][1] قوم عدو لكم وهو مؤمن، ومعناه المؤمن يكون فى دار الإسلام، وقرابته فى دار الحرب، فيقتل خطأ، فالواجب بقتله الكفارة، ولا دية؛ لأنها إذا سلمت إلى قرابته يقووا بها على المسلمين، والأصح والذى عرفه الفقهاء أن المراد به: المؤمن الذى أسلم فى دار الحرب، فيقتله من لم يعلم إسلامه، فالواجب فيه الكفارة، دون الدية.

﴿وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ هذا فى أهل الذمة والمعاهدين ﴿فدية مسلمة إلى أهله﴾ يعنى: على القدر الذى اختلف فيه ﴿وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله﴾ يعنى: ليتوبوا إلى الله ﴿وكان الله عليما حكيما﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم﴾ نزلت الآية فى مقيس بن ضبابة الليثى، أسلم وأخوه هشام، ثم وجد أخاه مقتولا فى بنى النجار؛ فجاء إلى النبى ﷺ فى ذلك، فبعث معه رجلا فهريًّا إلى بنى النجار، وأمرهم أن يدفعوا إليه قاتل أخيه، أو يسلموا الدية، فجاءا إليهم، وبلغا الرسالة، فقالوا: سمعا وطاعة لرسول الله، والله ما نعرف القاتل، وساقوا الدية إليه مائة من الإبل؛ فلما رجعا أقبل مقيس وقتل الفهرى، واستاق الإبل، ولحق بمكة وارتد، وقال الشعر:

قتلتُ به فهرا وحملت عَقْلَه ... سَرَاةَ بنى النجار أربابَ فارع

فأدركت ثأرى واضطجعت موسرا[2] ... وكنت إلى الأوثان أول راجعِ

فنزلت الآية فيه، وهو الذى أمر النبى ﷺ بقتله؛ فجاء الجماعة الذين عينهم

(١) فى «الأصل وك»: سبب، وهو تصحيف.

(٢) كذا «بالأصل»، و«ك»، وفى لسان العرب (مادة: فرع): مُوَسَّداً، آخره دال.

وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَائِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ

للقتل يوم فتح مكة؛ فقتل وهو متعلق بأستار الكعبة فقوله: ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا﴾ فالقتل المتعمد عند أكثر العلماء: هو الذى يحصل بكل ما يقصد به القتل، وقال سعيد بن المسيب، وطاوس: القتل العمد لايكون إلا بالحديد ﴿فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه﴾ أى: طرده عن الرحمة ﴿وأعد له عذابا عظيما﴾ وقال ابن عباس: الآية مدنية لم ينسخها شىء؛ فكان يقول: ليس لقاتل المؤمن توبة، وسئل عن توبته؛ فقال: أنى تكون له التوبة، فقيل له: أليس قد قال الله - تعالى -: ﴿ولايقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولايزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا إلا من تاب﴾،(١) فقال ابن عباس: تلك آية مكية، وهذه آية مدنية لم تنسخ بشىء حتى قبض رسول الله ﷺ.

وقال زيد بن ثابت: الشديدة بعد الهينة بستة أشهر، يعنى بالهينة آية الفرقان، وبالشديدة هذه الآية.

وروى حميد، عن أنس، عن النبى ﷺ أنه قال: «أبى الله - تعالى - أن يكون لقاتل المؤمن توبة»(٢) وفى الخبر عن النبى ﷺ: «لقتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا»(٣).

والأصح، والذى عليه الأكثرون - وهو مذهب أهل السنة -: أن لقاتل المؤمن عمدا توبة، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وإنى لغفار لمن تاب وآمن﴾(٤) وقوله: ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾(٥) ولأن القتل العمد ليس بأشد من الكفر، ومن

(١) الفرقان: ٦٨ - ٧٠.

(٢) الحديث صححه الشيخ الألبانى كما فى الصحيحة رقم [٦٨٩] وعزاه للواحدى فى الوسيط والضياء فى المختارة، وغيرهما.

(٣) روى من حديث بريدة، والبراء، وعبد الله بن عمرو، انظر تلخيص الحبير بتحقيقنا (٤/٢٨/رقم١٨٦٩).

(٤) طه: ٨٢

(٥) النساء: ٤٨.

مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ

الكفر توبة؛ فمن القتل أولى، وأما الذى روى عن ابن عباس، فعلى سبيل التشديد والمبالغة فى الزجر عن القتل، وهو مثل ما روى عن سفيان بن عيينة أنه قال: إن لم يقتل يقال له: لاتوبة لك، منعاً له عن القتل، وإن قتل يقال له: لك توبة، حتى يتوب. وروى أن رجلا جاء إلى ابن عباس وسأله: هل لقاتل المؤمن توبة، قال: لا، فجاءه آخر، وسأله عن ذلك، فقال: نعم، له توبة، فقيل له فى ذلك، فقال: إن الأول لم يكن قتل؛ فمنعته عن القتل، وإن الثانى قتل؛ فأرشدته إلى التوبة.

واعلم أن لامتعلق فى هذه الآية لمن يقول بالتخليد فى النار لأهل الكبائر من المسلمين؛ لأنا إن نظرنا إلى سبب نزول الآية، فالآية نزلت فى قاتلٍ كافرٍ كما بينا، وقيل: إنه فيمن يَقْتُل مستحلا، والأولى أن نقول فيه ما قاله أبو صالح: إن معنى قوله: ﴿ فجزاؤه جهنم خالدا فيها ﴾ إن جازى، وبه نقول: إن الله تعالى إن جازاه ذلك خالدا، فهو جزاؤه، ولكنه ربما لايجازى، وقد وعد أن لايجازى ويغفر لمن يشاء، وهو لايخلف الميعاد، وحكى عن قريش بن أنس – رحمه الله – أنه قال: كنت فى مجلس فيه عمرو بن عبيد، فقال: لو قال الله لى يوم القيامة: لم قلت بتخليد القاتل المتعمد فى النار؟ فأقول له: أنت الذى قلت: ﴿ فجزاؤه جهنم خالدا فيها ﴾ قال قريش: وكنت أصغر القوم، فقلت له: أرأيت لو قال الله – تعالى – لك: ألست قلت ﴿ ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾(١) فمن أين علمت أنى لم أشأ مغفرة القاتل؟ فسكت ولم يستطع الجواب.

وحكى أن عمرو بن عبيد جاء إلى أبى عمرو بن العلاء – رحمه الله – وقال له: هل يخلف الله وعده؟ فقال: لا، فقال: أليس قد قال الله – تعالى – : ﴿ ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها ﴾ فأنا على هذا؛ لأنه لايخلف وعده، فقال أبو عمرو: ومن العجمة أُتيتَ يا أبا عثمان؛ إن العرب لاتعد الإخلاف فى الوعيد خلفا

(١) النساء: ٤٨، ١١٦.

فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

وذما، وإنما ذلك فى الخلف فى الوعد، وأنشد له قول القائل فيه:

وإني إذا أو عدته (و)(١)وعدته ... لمخلف إيعادى ومنجز موعدى

فقد تمدح بالخلف فى الوعيد، وقال آخر:

وإذا وعد السراء أنجز وعده ... وإن وعد الضراء فالعفو مانعه

فالله - تعالى - يجوز أن يخلف فى الوعيد، وإنما لايخلف الميعاد.

قوله - تعالى -: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله﴾ أى: سافرتم فى سبيل الله، يعنى: الغزو، ﴿فتبينوا﴾ ويقرأ: «فتثبتوا»(٢) ومعناهما: ترك العجلة.

وفى الخبر: «التأنى من الله، والعجلة من الشيطان»(٣) ﴿فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا﴾ يقرأ: «إليكم السلام» ويقرأ: «إليكم السلم»(٤)، فالسلام: هو التسليم المعهود، والسلم: المقادة والاستسلام، والسلم: الصلح، وقرأ أبو جعفر المدنى يزيد بن القعقاع: «لست مؤمنا»(٥) من الأمان ﴿تبتغون عرض الحياة الدنيا﴾ يعنى: تبتغون الدنيا، وفى الآثار: «الدنيا عرض حاضر، يأكل منها البر والفاجر، والآخرة وعد صادق، يقضى فيها ملك قادر»(٦).

(١) فى «ك»: أو.

(٢) وهى قراءة حمزة، والكسائى، وخلف. انظر النشر (٢/ ٢٥١).

(٣) رواه أبو يعلى (٧/ ٢٤٨ رقم ٤٢٥٦)، والبيهقى فى الكبرى (١٠/ ١٠٤)، من حديث أنس به.
وقال المنذرى فى الترغيب (٢/ ٢٥١)، والهيثمى فى المجمع (٨/ ٢٢): رجاله رجال الصحيح.

(٤) قرأ نافع، وأبو جعفر، وحمزة، وابن عامر، وخلف: بحذف الألف، وقرأ الباقون بإثباتها.

(٥) انظر المصدر السابق.

(٦) رواه الشافعى فى مسنده (٢/ ١٨٨ - ١٨٩/ رقم ٦٧٢) من طريق إبراهيم بن محمد قال أخبرنى عمرو «أن النبى ﷺ خطب ...» وعزاه فى كنز العمال رقم [٢/ ٤٣٦٠] للشافعى، والبيهقى فى المعرفة، عن عمرو مرسلاً. ورواه الطبرانى فى الكبير (٧/ ٢٨٨/ رقم ٧١٥٨)، وعنه أبو نعيم فى الحلية (١/ ٢٦٤ - ٢٦٥)، عن شداد بن أوس مرفوعاً.
وقال الهيثمى فى المجمع (٢/ ١٩٢): وفيه أ بو مهدى سعيد بن سنان وهو ضعيف جداً.

آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ

﴿فعند الله مغانم كثيرة﴾ أى: غنائم كثيرة. ﴿كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم﴾ أى: تفضل الله عليكم، وفيه قولان: قال سعيد بن جبير: معناه كذلك كنتم من قبل تكتمون الإيمان، فمن الله عليكم بالإظهار، وقال قتادة: معناه: كذلك كنتم من قبل ضلالا، فمن الله عليكم بالهداية ﴿فتبينوا﴾ إعادة تأكيد ﴿إن الله كان بما تعملون خبيرا﴾ وسبب نزول الآية ما روى: «أن النبى ﷺ بعث سرية، فلقوا رجلا يقال له: مرداس بن عمرو من فدك، له غنيمات، فانحاز بها إلى الجبل لما أحس بالسرية، ثم تقدم إليهم، فقال: السلام عليكم أنا مؤمن، فبادر إليه أسامة بن زيد وهو يقول: لا إله إلا الله، وقتله، وأخذ سلبه، والغنيمات التى له، فلما رجعوا إلى النبى ﷺ قال لأسامة: أقتلت رجلا يقول: لا إله إلا الله، فقال: إنه إنما أسلم متعوذا، وقال: إنما أسلم، ليحرز نفسه وماله، فقال - عليه الصلاة والسلام -: هلاَّ شققت عن قلبه؟ فقال أسامة: استغفر لى يارسول الله، فقال: كيف لك بلا إله إلا الله يوم القيامة؟ ، فقال: استغفر لى يارسول الله، فقال - عليه الصلاة السلام -: كيف بلا إله إلا الله يوم القيامة؟ هكذا حتى أعاده ثلاثا - فنزلت الآية فيه. ﴿ولاتقولوا لمن ألقى إليكم السلام﴾»(١) ولأن ذلك الرجل كان قد سلم عليهم، وأسلم لهم ﴿لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا﴾ يعنى: تبتغون بقتله غنيمات كانت له.

وفى رواية أن النبى ﷺ استغفر لأسامة، وأمره بإعتاق رقبة وكان أسامة من علية الصحابة، وعاش إلى زمان على - رضى الله عنه - فدعاه علىّ إلى المقاتلة معه فى الحروب، فقال لعلى: أنت أعز على من كل أحد، ولو قاتلت المسلمين مع أحد لقاتلت معك، ولكنى منذ سمعت رسول الله ﷺ قال لى: كيف بلا إله إلا الله يوم القيامة، امتنعت من القتال، فإن أعطيتنى سيفا يميز المسلم من الكافر حتى أقاتل فتركه على.

---

(١) هذه الحادثة ثابتة فى الصحيحين، رواها البخارى فى صحيحه (٧/ ٥٩٠ رقم ٤٢٦٩) ومسلم (٢/ ١٣١ - ١٣٢ رقم ٩٦) من حديث أسامة. وليس فيهما أن هذه الحادثة هى سبب نزول الآية.

كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ﴿٩٤﴾ لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى

وكان ممن اعتزل الفريقين هو وسعد بن أبى وقاص، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عمر رضى الله عنهم أجمعين.

وقيل: إن قَاتِلَ صاحبِ الغنيمات، كان المقداد بن عمرو الكندى – هو ابن الأسود(١) – هذا هو القول المعروف فى سبب نزول الآية، وفى الآية قول آخر: «أنها نزلت فى محلم بن جثامة الليثى، قتل رجلا وهو يقول: لا إله إلا الله، ثم جاء إلى النبى ﷺ، وقال: يارسول الله، استغفر لى، فقال: لاغفر الله لك، فقام يبكى، وانصرف، فلما مات دفن فى الأرض، فلفظته الأرض، ثم دفن فلفظته الأرض، ثم دفن فلفظته الأرض – هكذا ثلاثا – فأمر النبى ﷺ حتى ألقى عليه الحجارة، وقال: إن الأرض لتنطبق على من هو شر منه – يعنى من محلم –، ولكن الله – تعالى – أراد أن يريكم آية»(٢).

قوله – تعالى –: ﴿لايستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر﴾ اعلم أن الذى نزل فى الابتداء من هذه الآية قوله: «لايستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم» قال زيد بن ثابت: «كان النبى ﷺ يملى علىّ هذه الآية، وفخذه على فخذى، فدخل عبد الله بن أم مكتوم، وقال: يارسول الله، أنا رجل ضرير، ولو استطعت أن أقاتل لقاتلت معك؛ فتغشى رسول الله ﷺ الوحى؛ فثقل فخذه على فخذى حتى كاد يرضه؛ فلما سرى عنه، قال لى: اكتب ﴿غير أولى الضرر﴾»(٣) فنزل هذا القدر فى ابن أم مكتوم، وكان ضريرا من أولى الضرر، وقوله:

(١) رواه الطبرانى فى الكبير (١٢/ ٣٠/ رقم ١٢٣٧٩)، والبزار – مختصر الزوائد – (٢/ ٧٨/ رقم ١٤٥٨) كلاهما من حديث ابن عباس.

وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ١٢): وإسناده جيد.

(٢) رواه الطبرى فى تفسيره (٥/ ١٤٠) عن ابن عمر.

(٣) رواه البخارى (٨/ ١٠٨/رقم ٤٥٩٢)، وأبو داود (٣/ ١١/ رقم ٢٥٠٧)، والترمذى (٥/ ٢٢٦/رقم ٣٠٣٣)، والنسائى (٦/ ٩–١٠/ رقم ٣٠٩٩، ٣١٠٠). وأحمد (٥/ ١٨٤، ١٩١) وغيرهم.

الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ

﴿ غير أولى الضرر ﴾ يقرأ على وجوه: «غيرُ» - برفع الراء - وتقديره: لايستوى القاعدون الذين هم غير أولى الضرر، ويقرأ: بفتح الراء، على الاستثناء(١)، يعنى: إلا أولى الضرر، وقيل: هو نصب على الحال، يعنى: فى حال الصحة، وانتفاء الضرر، كأنه قال: لايستوى القاعدون من المؤمنين أصحاء، وهذا أشهر القراءتين، وكذلك قرأ النبى ﷺ «غيرِ أولى الضرر» - بكسر الراء يعنى -، من المؤمنين غير أولى الضرر، ﴿ فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ﴾ أراد بالقاعدين هاهنا: أولى الضرر، فضل المجاهدين عليهم بدرجة؛ لأن المجاهدين باشروا الجهاد مع النية، وأولو الضرر كانت لهم نية الجهاد، ولكن لم يباشروا؛ فنزلوا عنهم بدرجة ﴿ وكلا وعد الله الحسنى ﴾ يعنى: الجنة ﴿ وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما ﴾ وأراد بالقاعدين هنا: غير أولى الضرر، فضل الله المجاهدين عليهم أجرا عظيما ﴿ درجات منه ومغفرة ورحمة ﴾ قال ابن محيريز: هى سبعون درجة، ما بين كل درجتين حُضْرُ الفرس المُضَمَّر سبعين سنة، وفى الخبر: «فى الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين مابين السماء والأرض، أعدها الله للمجاهدين فى سبيله»(٢)، وقيل: أراد بالدرجات: الإسلام، والهجرة، والجهاد، والشهادة فى الجهاد، وفاز بتلك الدرجات المجاهدون ﴿ وكان الله غفورا رحيما ﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ﴾ قرأ عيسى بن عمر النحوى: «تتوفاهم» - بالتائين - والمعروف «توفاهم» وأصله: تتوفاهم، فادغمت إحدى التائين تخفيفا، على القراءة المشهورة، فإن قال قائل: لم قال: تتوفاهم الملائكة والمتوفى ملك واحد، كما قال: ﴿ قل يتوفاكم ملك الموت ﴾؟(٣) قيل: ذكره بلفظ

(١) قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، والكسائى، وخلف، بنصب الراء، وقرأ الباقون برفعها. انظر النشر (٢ / ٢٥١).

(٢) رواه البخارى (٦ / ١٤ / رقم ٢٧٩٠)، وأحمد (٢ / ٣٣٥ ٣٣٩)، والحاكم (١ / ٨٠)، وابن أبى عاصم فى الجهاد (٢ / ٥٤٤ رقم ٢١٢) وابن حبان - الاحسان - (١٠ / ٤٧١ - ٤٧٢)، والبيهقى فى الكبرى (٩ / ١٥ - ١٦). وأبو نعيم فى صفة الجنة (ص٧٩ رقم ٢٢٤).

(٣) السجدة: ١١

ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ

الجمع، والمراد به الواحد، ومثله شائع فى كلام العرب، وقيل: إن لملك الموت أعوانا، فلعله أراده مع أعوانه؛ فلذلك ذكر بلفظ الجمع.

قال عكرمة والضحاك: الآية فى قوم أسلموا بمكة قبل الهجرة، فلما هاجر النبى ﷺ إلى المدينة، تخلفوا عن الهجرة، فلما كان يوم بدر حملهم الكفار مع أنفسهم إلى بدر كرها، فقتلوا بين الكفار.

وقوله ﴿ظالمى أنفسهم﴾ يعنى: بالشرك؛ فإنهم قتلوا مشركين؛ إذ ماكان يقبل الإسلام بعد هجرة النبى ﷺ إلا بالهجرة، ثم أُبيح ذلك بقوله - عليه الصلاة السلام: «لاهجرة بعد الفتح»(١).

﴿قالوا فيم كنتم﴾ يعنى: الملائكة قالوا لأولئك الذين أسلموا ولم يهاجروا: ﴿فيم كنتم﴾ يعنى: فى أى الفريقين كنتم، فى المسلمين أم المشركين؟ وهذا سؤال توبيخ، لاسؤال استعلام ﴿قالوا كنا مستضعفين فى الأرض﴾ يعنى: كنا بمكة مستضعفين بين المشركين ﴿قالوا﴾ يعنى: الملائكة ﴿ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾ يعنى: إلى المدينة ﴿فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا﴾ حكم لهم بالنار؛ لأنهم ماتوا مشركين ﴿إلا المستضعفين﴾ وهم أصحاب الأعذار ﴿من الرجال والنساء والولدان﴾ منهم الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام، وعياش بن أبى ربيعة.

قال ابن عباس: كنت أنا وأمى من المستضعفين بمكة. وهم الذين دعا لهم النبى ﷺ فى القنوت، فقال: «اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام، وعياش بن أبى ربيعة والمستضعفين بمكة، واشدد وطأتك على مضر، هكذا كان يدعو لهم

(١) متفق عليه، فرواه البخارى (٤/ ٥٦/ رقم ١٨٣٤)، ومسلم (٩/ ١٧٥/ رقم ١٣٥٣) من حديث ابن عباس ورواه البخارى (٦/ ٢٢٠/ رقم ٣٠٨٠)، ومسلم (١٣/ ١٣/ رقم ١٨٦٤) من حديث عائشة.

وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا

شهرا، حتى نجوا، وقدموا؛ فترك ذلك الدعاء، فقيل له فى ذلك فقال: ألا ترونهم قد قدموا»(١).

﴿لايستطيعون حيلة﴾ يعنى: للخروج ﴿ولايهتدون سبيلا﴾ أى: طريقا إلى المدينة ﴿فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم﴾ «وعسى» من الله واجب؛ لأنه للإطماع، والله - تعالى - إذا أطمع عبدا أوجب له وأوصله إليه.

﴿وكان الله عفوا غفورا﴾ روى: أنه لما نزلت هذه الآية، كتب بها أصحاب رسول الله ﷺ إلى المستضعفين بمكة، وكان فيهم شيخ كبير يقال له: جندع بن ضمرة - ويقال له حبيب بن ضمرة - فقال: لست من المستضعفين، وأنا أعرف طريق المدينة، وقال لبنيه: احملونى إلى المدينة، فحملوه يأتون به، فلما بلغ التنعيم؛ أدركه الموت، فبلغ ذلك أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: لو وصل إلى المدينة، لأتم الله أجره؛ فنزل قوله - تعالى -: ﴿ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله﴾ يعنى: تم أجره.

وقوله: ﴿ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة﴾ المراغم: المهاجر، والمراغمة: المهَاجرة، قال أبو عمر بن العلاء: وإنما سميت المهاجرة مراغمة؛ لأنه من هاجر مراغم قومه وقرابته، وقال الشاعر:

كطود يلوذ(٢) بأركانه ... عزيز المراغم والمهرب

وقال ابن عباس: مراغما، أى: متحولا يتحول إليه، وقال مجاهد: مراغما، أى: متزحزحا، وقوله: ﴿وسعة﴾ قال ابن عباس: معناه: وسعة فى الرزق، قال قتادة:

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة، فرواه البخارى (٢/٣٣٩ رقم ٨٠٤، وأطرافه فى ٧٩٧، ١٠٠٦، ٢٩٣٣، ٣٣٨٦، ٤٥٦٠، ٤٥٩٨، ٦٢٠٠، ٦٣٩٣، ٦٩٤٠) ومسلم (٥/٢٤٧ - ٢٥٠ رقم ٦٧٥).

(٢) فى لسان العرب: يلاذ، مادة (رغم).

وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ

ومعناه: وسعة من الضلالة إلى الهدى.

﴿ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله﴾ قد ذكرنا أنه فيم نزل ﴿وكان الله غفورا رحيما﴾.

قوله - تعالى -: ﴿وإذا ضربتم فى الأرض﴾ أى: سافرتم ﴿فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا﴾.

قصر الصلاة فى السفر لاخلاف فى جوازه فى حال الخوف، وأما فى حال الأمن: قال سعد بن أبى وقاص: إنه لايجوز، وبه قال داود، وأهل الظاهر؛ تمسكًا بظاهر القرآن، وقال جمهور العلماء وهو قول أكثر الأمة -: إنه يجوز القصر فى حال الأمن؛ لما روى عن يعلى بن أمية أنه قال لعمر - رضى الله عنه -: «ما بالنا نقصر، وقد أمنا، والله - تعالى - يقول فى كتابه: ﴿أن تقصروا من الصلاة إن خفتم﴾ قال عمر: عجبت مما تعجبت أنت، فسألت النبى ﷺ، فقال: صدقة تصدق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته»(١) وروى «أن رسول الله ﷺ سافر من مكة إلى المدينة - لايخاف إلا الله - وقصر الصلاة»(٢) وكان - عليه السلام - يقصرالصلاة فى جميع أسفاره، ولم ينقل أنه أتم فى سفر ما؛ ولذلك قال الشافعى: القصر أولى؛ وإن جاز الإتمام.

وروى عن جابر، والحسن - وهو قول ابن عباس -: أن صلاة الحضر أربع ركعات، وصلاة السفر ركعتان، وصلاة الخوف ركعة، وروى عن ابن عباس أنه قال: «فرض الله - تعالى - الصلاة على لسان نبيه فى الحضر أربع ركعات، وفى السفر ركعتين، وفى

(١) رواه مسلم (٥/ ٢٧٣ - ٢٧٤/ رقم ٦٨٦)، وأبو داود (٢/ ٣/رقم ١١٩٩)، والترمذى (٥/ ٢٢٧/ رقم ٣٠٣٤)، والنسائى (٣/ ١١٦ - ١١٧/ رقم ١٤٣٣)، وابن ماجة (١/ ٣٣٩/ رقم ١٠٦٥) وأحمد (١/ ٢٥، ٣٦).

(٢) رواه الترمذى (٢/ ٤٣١/رقم ٤٥٧) وقال: حسن صحيح، والنسائي (٣/ ١١٧ - ١١٨/ رقم ١٤٣٦، ١٤٣٧) وأحمد (١/ ٢١٥) كلهم من حديث ابن عباس.

الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا

الخوف ركعة»(١) وأكثرالأمة على أن القصر فى الخوف ركعتان، مثل قصر السفر، ثم اختلفوا فى القصر على قولين :أنه إباحة، أم واجب، قال بعضهم :هو إباحة، وهو اختيار الشافعى، وهو أصح؛ لقوله عزّ ذكره: ﴿فليس عليكم جناح﴾ وهو مثل قوله: ﴿فلا جناح عليهما أن يتراجعا﴾(٢).

وقال بعضهم: هو واجب. والخلاف بين السلف مشهور فيه.

وقوله: ﴿إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا﴾ أى: يقتلكم، والفتنة بمعنى: القتل هاهنا، وقرأ أبى بن كعب: «أن تقصروا من الصلاة أن يفتنكم الذين كفروا» – من غير قوله: ﴿إن خفتم﴾ – ويروى عن أبى أيوب الأنصارى أنه قال: نزل قوله: ﴿فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة﴾ هذا القدر فحسب، ثم مضى حول، ولم ينزل شىء؛ فسئل رسول الله ﷺ عن صلاة الخوف، ثم نزل قوله: ﴿إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا﴾».

﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة﴾ فأشار إلى أنه راجع إلى صلاةالخوف، لا إلى صلاة السفر.

قوله – تعالى –: ﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة﴾ بَيَّنَ في هذه الآية كيفية صلاة الخوف، واعلم أن صلاة الخوف جائزة بعد رسول الله ﷺ على قول أكثر العلماء، وقال بعضهم: صلاة الخوف لاتجوز لأحد بعده، وهو قول أبى يوسف؛ تمسكا بظاهر الآية ، قوله :﴿وإذا كنت فيهم﴾ فشرط كونه فيهم، والأصح هو الأول. وقوله: ﴿وإذا كنتم فيهم﴾ ليس علي سبيل الشرط، وإنما خرج الكلام على وفق الحال، وقد ورد أن أصحاب رسول الله ﷺ صلوا بعده صلاة الخوف.

---

(١) رواه مسلم (٥/٢٧٥/ رقم ٦٨٧)، وأبو داود (٢/١٧/ رقم ١٢٤٧)، والنسائى (١/٢٢٦/رقم ٤٥٦)، وابن ماجة (١/٣٣٩/ رقم ١٠٦٨).

(٢) البقرة: ٢٣٠.

مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ

﴿ فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم ﴾ وسبب نزول الآية: ما روى أبو عياش الزرقى: «أن رسول الله ﷺ نزل بعسفان، وكان على خيل المشركين خالد بن الوليد، فصلى النبى ﷺ مع أصحابه صلاة الظهر، فقال المشركون: قد وجدنا منهم غرة إن قصدناهم، وحملنا عليهم، فقال بعضهم: ستأتيهم صلاة هى أحب إليهم من أولادهم، وأهاليهم - يعنون صلاة العصر - فنزل جبريل، وأخبره بمقالتهم، وأمر بصلاة الخوف»[1].

وقد روى عن رسول الله ﷺ صلاة الخوف بروايات شتى، وأخذ الشافعى برواية صالح بن خوات بن جبير عن أبيه عن النبى ﷺ: «أنه صلى صلاة الخوف، فجعل أصحابه فرقتين، وصلى بإحدى الطائفتين ركعة، فقاموا، وأتموا ركعتين، وذهبوا إلى وجه العدو، وجاءت الطائفة الثانية والنبى ﷺ ينتظرهم، فصلى بهم الركعة الثانية وانتظرهم جالسا حتى قاموا وأتموا ركعتين، ثم سلم بهم»[2] فهذا معنى قوله: ﴿ فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم ﴾.

واختلفوا فى أنهم متى يأخذون أسلحتهم؟ قال بعضهم: يأخذونه فى الصلاة؛ ليكونوا أهيب فى عين العدو؛ فعلى هذا يأخذون من السلاح ما لايمنعهم من الإتيان بأركان الصلاة، وقال آخرون: يأخذون السلاح إذا ذهبوا إلى وجه العدو.

﴿ فإذا سجدوا ﴾ يعنى: فإذا صلوا ﴿ فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم

(١) رواه أبو داود (٢/ ١١ - ١٢/ رقم ١٢٣٦)، والنسائي (٣/ ١٧٦ - ١٧٧/ رقم ١٥٤٩)، وأحمد (٤/ ٥٩ - ٦٠) وابن حبان - الإحسان (٧/ ١٢٨ - ١٢٩/ رقم ٢٨٧٦)، والحاكم في المستدركم (١/ ٣٣٧ - ٣٣٨) وصححه على شرط الشيخين، والبيهقي (٣/ ٢٥٤ - ٢٥٥)، والدارقطني وصححه (٢/ ٥٩ - ٦٠)، والواحدى فى أسباب النزول ص ١٣٣.

(٢) متفق عليه، فرواه البخاري (٧/ ٤٨٦/ رقم ٤١٢٩)، ومسلم (٦/ ١٨٣ رقم ٨٤٢). عن صالح عمن شهد مع رسول الله ﷺ غزوة ذات الرقاع،ب ورجح الحافظ فى الفتح (٧/ ٤٨٧) أنه عن صالح بن خوات عن أبيه خوات بن جبير

إن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا

يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ﴾ والحِذْر: ما يتقى به للحذر من العدو ﴿ ود الذين كفروا لو تغفلون ﴾ لو وجدوكم غافلين ﴿ عن أسلحتكم وأمتعتكم ﴾ يعنى: بالصلاة ﴿ فيميلون عليكم ميلة واحدة ﴾ أى: فيحملون عليكم حملة واحدة.

﴿ ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم ﴾ رخص لهم فى وضع السلاح فى حال المطر، والمرض؛ لأن السلاح يثقل حمله فى هاتين الحالتين. ﴿ وخذوا حذركم إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا ﴾.

قوله – تعالى –: ﴿ فإذا قضيتم الصلاة ﴾ يعنى: صلاة الخوف، ﴿ فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم ﴾ يعنى: الذكر بالتسبيح والتهليل، والتحميد، والتمجيد. ﴿ فإذا اطمأننتم ﴾ يعنى: فإذا سكنتم وأقمتم وأمنتم ﴿ فأقيموا الصلاة ﴾ يعنى على أركانها وهيئتها كما عرفتم ﴿ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ﴾ قال مجاهد: أى: فرضا مؤقتا يؤدى (فى)[1] أوقاته، وقال زيد بن أسلم: أراد به: فرضا مُنَجَّمًا يأتى نجم بعد نجم.

قوله – تعالى –: ﴿ ولاتهنوا فى ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون ﴾ سبب نزول الآية: «أن الكفار يوم أحد لما انهزموا، بعث النبى ﷺ طائفة من أصحابه على إثرهم، فشكوا ألم الجراحات؛ فنزلت الآية»[2] ﴿ ولا تهنوا فى ابتغاء القوم ﴾ أى: لاتضعفوا فى طلب القوم. ﴿ إن تكونوا تألمون ﴾ أى: توجعون وتشكون الألم، فإنهم يألمون، أى: يوجعون ويشكون الألم كما تألمون، قال الشاعر فى معناه:

قاتل القوم ياخزاع ولايدخلنكم

---

(١) في «ك»: إلى.

(٢) رواه بنحوه الطبري في التفسير (٥ / ١٦٩) عن عكرمة.

اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ وَكَانَ

من قتالهم، فشد القوم أمثالكم لهم شعر فى الرأس لاينشرون إن قتلوا(١)

﴿وترجون من الله ما لايرجون﴾ أى: وتأملون من الله ما لا يأملون، من الظفر فى الدنيا، والثواب فى الآخرة، وقال الفراء والكسائى: الرجاء بمعنى الخوف، وكل راج خائف؛ لأنه يخاف ألا يدرك المأمول، ومنه قوله تعالى: ﴿ما لكم لاترجون لله وقارا﴾(٢) وأجمعوا على أن معناه: لاتخافون لله عظمة، قال الشاعر:

لاتَرْتَجِى إذا تلاقى الزائدا أسبعة تلقى معا أم واحدا(٣)

﴿وكان الله عليما حكيما﴾

قوله – تعالى –: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق﴾ سبب نزول الآية: ما روى «أن طعمة بن أبيرق – من بنى ظفر بن الحارث – سرق درعا، فلما أتاهم به ألقاه فى دار يهودى، وقال: إنه سرق – وفى رواية: أودعه عند يهودى – فلما ظهر، قال: إن اليهودى سرقه؛ فجاء قومه إلى النبى ﷺ وهم بنو ظفر بن الحارث؛ ليدافعوا عنه، وهمّ النبى ﷺ بدفع السرقة عنه، وقطع يد اليهودى، وكان عند قومه أنه السارق؛ فنزل قوله: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق﴾»(٤) أى: لتحكم بالحق. ﴿لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾ أى: بما علمك ،وحكى عن ابن عباس أنه قال: إياك والرأى فإن

(١) كذا وقعت هذه الأبيات «بالأصل، وك». (٢) نوح: ١٣.

(٣) وقع هذا الرجز فى لسان العرب مادة: (رجا) كما يأتى:

لاترتجى حين تُلاقى الذائدَا أسبعةً لاقَتْ معًا أو واحدا

(٤) رواه الترمذي (٥/٢٢٨ – ٢٣٠/ رقم ٣٠٣٦)، وقال: هذا حديث غريب، لا نعلم أحداً أسنده غير محمد ابن سلمة الحراني، وروى يونس بن بكير، وغير واحد هذا الحديث، عن محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر ابن قتادة مرسل، لم يذكروا فيه عن أبيه، عن جده.

ورواه الحاكم (٤/٣٨٥ – ٣٨٨) وصححه على شرط مسلم، والطبري في التفسير (٥/١٦٩ – ١٧١) كلهم من حديث قتادة بن النعمان.

وزاد السيوطي في الدر (٢/ ٢٣٧) فعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴿١٠٤﴾ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيماً ﴿١٠٥﴾ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴿١٠٦﴾ وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً

الله - تعالى - يقول: ﴿ بما أراك الله ﴾ ولم يقل: بما رأيت، ﴿ ولا تكن للخائنين خصيما ﴾ يعنى: طعمة من الخائنين، فلا تكن مدافعا عنه ﴿ واستغفر الله ﴾ أمره بالاستغفار؛ لأنه كان قد هم أن يدافع عنه ﴿ إن الله كان غفورا رحيما ﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ﴾ أى: يخونون أنفسهم والاختيان: افتعال من الخيانة ﴿ إن الله لايحب ﴾ قال أهل التفسير: معناه: إن الله لايقرب ﴿ من كان خوّانا أثيما ﴾ الخوان: الخائن والأثيم: ذو الإثم.

قوله - تعالى -: ﴿ يستخفون من الناس ولايستخفون من الله وهو معهم ﴾ بشكوى بنى ظفر بن الحارث، معناه: يستترون من الناس، ولايستترون من الله، وهو معهم ﴿ إذ يبيتون ما لا يرضى من القول ﴾ قد بينا أن التبييت: تدبير الفعل ليلا؛ وذلك التبييت منهم أن قوم طعمة قالوا: ندفع أمره إلى النبى ﷺ؛ فإنه يسمع يمينه، وقوله؛ لأنه مسلم، ولايسمع من اليهودى؛ لأنه كافر، فلم يرض الله - تعالى - قولهم ﴿ وكان الله بما تعملون محيطا ﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ ها أنتم هؤلاء ﴾ يعنى: أنتم يا هؤلاء، قال الزجاج: معناه: ها أنتم الذين ﴿ جادلتهم عنهم فى الحياة الدنيا ﴾ أى: خاصمتم، وأصل الجدال: الجدل، وهو الفتل، ويقال: شخص أجدل، إذا كان وثيق الخلق، ويقال للصقر: أجدل؛ لأنه أقوى الطيور على الصيد.

﴿ فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا ﴾ يعنى: من الذى يتولى أمرهم، ويذب عنهم يوم القيامة؟

قوله - تعالى -: ﴿ ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما ﴾ عرض التوبة على طعمة وقومه فى هذه الآية، وأمرهم بالاستغفار.

﴿١٠٨﴾ هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن
يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا
رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن
يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ

قوله – تعالى –: ﴿ومن يكسب إثمًا فإنما يكسبه على نفسه﴾ سبب هذا أن قومه قالوا له: تب إلى الله، فحلف أنى ما سرقته، وإنما سرقه اليهودى؛ فذلك الذى يقول الله – تعالى – ومن كسبه الإثم ﴿وكان الله عليمًا حكيمًا﴾.

قوله – تعالى –: ﴿ومن يكسب خطيئة أو إثما﴾ هو سرقته التى ذكرنا، ﴿ثم يرم به بريئًا﴾ هو نسبته السرقة إلى اليهودى الذى كان بريئا عنها ﴿فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا﴾ فالبهتان: الكذب الذى يتحير منه الإنسان، وهو البهت، وأراد بالإثم المبين: اليمين الفاجرة.

قوله – تعالى –: ﴿ولولا فضل الله عليك ورحمته﴾ هذا خطاب للرسول ﷺ ﴿لهمت طائفة منهم أن يضلوك﴾ يعنى: قوم طعمة، هموا أن يُلَبِّسُوا عليك؛ لتدافع عنه ﴿وما يضلون إلا أنفسهم﴾ أى: يرجع وباله عليهم ﴿وما يضرونك من شىء﴾ يعنى: ضرره عائد عليهم، ولايضرك؛ لأنك معصوم ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة﴾ قيل: أراد به: وأنزل الله عليك الكتاب بالحكمة، وقيل: أراد بالكتاب: القرآن، وبالحكمة: السنة ﴿وعلمك ما لم تكن تعلم﴾ يعنى: من أحكام القرآن، وقيل: من علم الغيب، وقيل: علمك قدرك، ولم تكن تعلمه ﴿وكان فضل الله عليك عظيما﴾.

قوله – تعالى –: ﴿لاخير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة﴾. النجوى: السرائر فى التدبير، قال الزجاج: كل ما انفرد بتدبيره قوم يخوضون فيه؛ فهو نجوى: سرا كان أو علانية، وأراد ها هنا: نجوى قوم طعمة وتدبيرهم، وقيل: هو فى جميع الحوادث.

﴿إلا من أمر بصدقة﴾ قيل: أراد به إلا نجوى من أمر بصدقة، وقيل: هو استثناء منقطع، يعنى: لكن من أمر بصدقة ﴿أو معروف﴾ وهو كل ما عرفه الشرع ﴿أو

عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ

إصلاح بين الناس ﴾ وفي الخبر: «كل كلام ابن آدم عليه إلا ثلاثة: أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، أو ذكر الله»[(١)] وقيل لسفيان بن عيينة – حين روى هذا الحديث؛ فقالوا –: ما أشد هذا الحديث؟! فقال: اقرءوا قوله – تعالى –: ﴿ لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة ﴾ الآية.

وروى: أن رسول الله ﷺ قال لأبي أيوب الأنصاري: «ألا أدلك على صدقة هي خير لك من حمر النعم – أي: من الصدقة بحمر النعم؟ – قال: بلى يارسول الله، فقال ﷺ: أن تصلح بين الناس إذا تفاسدوا، وأن تقرب بينهم إذا تباعدوا»[(٢)].

﴿ ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً ﴾.

قوله – تعالى –: ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين ﴾ أراد به: طعمة، جادل النبي ﷺ، ثم لحق بمكة، وارتد حين ظهر عليه الحكم بالقطع.

قال سعيد بن جبير: إنه لما لحق بمكة سرق هنالك، فوجد في نقب يسرق؛ فقتل.

(١) رواه الترمذي (٤/ ٥٢٥ – ٥٢٦/ رقم ٣٩٧٤)، وقال حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن يزيد ابن خنيس، وابن ماجه (٢/ ١٣١٥/ رقم ١٩٧٤)، وأحمد في الزهد (ص٢٢–٢٣)، وأبو يعلى (١٣/ ٥٦ رقم ٧١٣٢)، والطبراني في الكبير (٢٣/ ٢٤٣ رقم ٤٨٤)، والحاكم (٢/ ٥١٢ – ٥١٣)، وأبو يعلى (١٣/ ٥٦/ رقم ٧١٣٢)، والطبراني في الكبير (٢٣/ ٢٤٣/ رقم ٤٨٤)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص١٢ – ١٣/ رقم٥) من حديث أم حبيبة.

(٢) رواه البزار – مختصر الزوائد – (٢/ ٢٢٢/ رقم ١٧٤١)، وقال: لا نعلمه يروى عن أنس إلا من هذا الوجه، ولا نعلم حدث به عن حميد إلا عبد الله بن عمر، ولا عنه إلا ابنه عبد الرحمن، وهو لين الحديث، حدث بأحاديث لم يتابع عليها.

قلت: ولفظه: «ألا أدلك على تجارة...».

وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٨٣): وفيه عبد الرحمن بن عبد الله العمري، وهو متروك.

مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ

وفى بعض القصص: أنه حين لحق بمكة نزل على الحجاج بن غلاط الأسلمى، فقام فى بعض الليل يسرق، فأحسوا به، فأخذوه، واجتمعوا عليه، و قالوا: إنه ضيف، وتركوه؛ فلحق بحرة بنى سليم، وكان يعبد الأصنام، ومات عليه؛ ففيه نزلت الآية ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين﴾ لأنه لما ارتد، فقد اتبع غير سبيل المؤمنين.

واستدل أهل العلم بهذه الآية على أن الإجماع حجة.

قوله: ﴿نوله ما تولى﴾ أى: نوله ما اختاره، وقيل: نَكِلْهُ إلى (من)(١) تولاه ﴿ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾.

قوله - تعالى -: ﴿إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ وقد ذكرنا معنى الآية فيما سبق ﴿ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا﴾ روى أبو عيسى الترمذى بإسناده عن على - رضى الله عنه - أنه قال: هذه أحب آية إلىّ فى القرآن.

قوله - تعالى -: ﴿إن يدعون من دونه﴾ أى: ما يدعون من دونه ﴿إلا إناثا﴾ قيل: معناه: الأوثان، وإنما سميت الأوثان إناثا؛ لأنهم كانوا يسمونها باسم الإناث، فيقولون: اللات، والعزى، ومناة، وكانوا يقولون لصنم كل قبيلة: أنثى بنى فلان، قال أبى بن كعب: كان مع كل صنم جنِّية من الشياطين، وقيل: معناه: الموات وإنما سمى الموات إناثا؛ لأن الإناث أرذل الجنسين، وأدونهما، فكذلك الموات أرذل من الحيوان، وكانت أصنامهم من الموات والجماد.

قال الضحاك: أراد به: الملائكة، وكانوا يقولون: الملائكة إناث، وكان بعضهم

(١) في «ك»: ما.

لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا

يعبدون الملائكة، ويصورون الأصنام على صور الملائكة، وقرأ ابن عباس: «إلا أُثُنا» جمع الأوثان، وقرئ في الشواذ أيضا «إلا أُنُثا» جمع الإناث؛ فيكون على جمع الجمع كالمُثُل. ﴿وإن يدعون إلا شيطانا مريدا﴾؛ لأنهم إذا عبدوا الأصنام، فقد أطاعوا الشيطان، وأراد به: إبليس، والمَريد العاتى المتمرد، وحقيقته: العارى من كل خير، ومنه الأمرد، ويقال: شجرة مرداء، إذا تساقطت أغصانها.

﴿لعنه الله﴾ أى: أبعده الله من الرحمة؛ معاقبة، ولذلك لايجوز لعن البهائم؛ لأنها لاتستوجب العقوبة، والطرد عن الرحمة. ﴿وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا﴾ أى: مقدارا معلوما، قيل فى التفسير: من كل ألف تسعمائة وتسعة و تسعون للشيطان وواحد لله. وأصل الفَرْض: الحزّ والقطع، ومنه فرض القوس: وهو الشق الذى يجعل فيه الوَتَر. ومنه فَرْض السواك: وهو الموضع الذى يجعل فيه الخيط، ومنه فُرْضة البحر: وهو المشرع الذى توقف إليه السفينة، والفرض: نوع من التمر يكون بعمان، قال الشاعر:

إذا أكلت سمكا وفرضًا ... ذهبت طولاً وذهبت عرضًا

قوله – تعالى –: ﴿ولأضلنهم﴾ أى: لأغوينهم، فإن قال قائل: كيف نسب إليه الإضلال، وليس إليه الضلالة؟ قلنا: معناه: التزيين والدعوة إلى الضلالة، وقد قال ﷺ: «بعثت داعيا، وليس إلى من الهداية شيء، وبعث الشيطان مزيِّنًا، وليس إليه من الضلالة شيء»(١). ﴿ولأمنينهم﴾ قيل: معناه: أمنينهم ركوب الأهواء، وقيل

(١) رواه العقيلي (٢/٨ – ٩) في ترجمة خالد بن عبد الرحمن أبي الهيثم وقال: ليس بمعروف بالنقل، وحديثه غير محفوظ، ولا يعرف له أصل.

ورواه ابن عدي في الكامل (٣/٣٩)، وابن حبان فى المجروحين (١/٢٧٧)، والدولابى فى الكنى (٢/١٥٧)، والسهمى فى تاريخ جرجان (ص٣٩٥)، وابن بطة فى الإبانة – كتاب القدر – (٢/١/٧١ رقم ١٢٨٣)، وابن الجوزى فى الموضوعات (١/٢٧٢–٢٧٣).

وقال الدارقطنى فى تعليقه على المجروحين (ص٨٨) عن خالد بن عبد الرحمن العبدى أبى الهيثم، رجل مجهول، لا أعلمه روى شيئا من الحديث غير هذا الحديث الباطل.

مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن

معناه: أمنينهم طول العمر فى النعيم؛ ليؤثروا الدنيا على الآخرة، وقال الزجاج: معناه: أمنيهم إدراك الآخرة مع ركوب المعاصى.

﴿ ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ﴾ أراد به: البحيرة التى تأتى فى سورة المائدة، والبَتْك: القطع، والمراد به: شق الآذان، ﴿ ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ﴾ قال ابن عباس - فى إحدى الروايتين، وهو قول مجاهد -: معناه: فليغيرن دين الله، أى: وضع الله فى الدين: بتحليل الحرام، وتحريم الحلال، ونحو ذلك، والرواية الثانية عن ابن عباس - وهو قول أنس، وعكرمة -: أراد به: إخصاء الأنعام، وكان أنس يكره إخصاء البهائم من أجل هذا، وكان يجيزه الحسن، وقال ابن مسعود: أراد به الوشم، ويحتمل أن يكون المراد به تغيير الأنساب؛ وذلك أن ينتقل من نسب إلى نسب، ويحتمل أن يكون المراد به: الخضاب بالسواد، وهو منهى عنه، وإنما الخضاب المباح بالحمرة، والصفرة ﴿ ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله ﴾ أى: يواليه باتباعه ﴿ فقد خسر خسرانا مبينا ﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ يعدهم ﴾ وعده قد يكون بالتخويف[1] كما قال الله - تعالى - ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ﴾[2] وقيل: إنه يتمثل فى صورة الآدمى، فيعد، ويمنى، وكان قد ظهر يوم بدر فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم وظهر فى اليوم الذى اجتمعت فيه قريش، وتشاوروا فى إخراج النبى ﷺ، فى صورة شيخ من نجد.

وقوله ﴿ ويمنيهم ﴾ قد ذكرنا، ومن ذلك تمنى الإنسان قضاء الشهوات.

واعلم أن الإنسان لا يؤاخذ بغلبة الشهوة، واشتهاء الشهوات؛ لأن ذلك شىء جُبِلَ عليه، ويؤاخذ بالتمنى، وذلك أن يتمنى خمراً ليشربه، أو امرأة؛ ليزنى بها، فذلك من المعصية، ويؤاخذ به ﴿ وما يعدهم الشيطان إلا غرورا ﴾ الغرور: إيهام الوصول إلى النفع من موضع الضر ﴿ أولئك مأواهم جهنم ولايجدون عنها محيصا ﴾ أى: معدلا .

(١) في «ك» بالتحريف خطأ.

(٢) البقرة: ٢٦٨.

تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً ﴿١٢٢﴾ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ

قوله - تعالى -: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا﴾ فإن قيل: ما الفائدة فى تكرار الوعد والوعيد فى القرآن؟ قيل: فائدته: التوكيد، قطعا من سواء التأويل، وقيل: إنما كرر الوعد على تفاصيل الإيمان، وكرر الوعيد على تفاصيل الكفر، ﴿ومن أصدق من الله قيلا﴾ أى: قولا.

قوله - تعالى -: ﴿ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب﴾ قال مسروق - هو أبو عائشة مسروق بن الأجدع الهمدانى -: أراد به: ليس بأمانيكم أيها المسلمون، ولا أمانى أهل الكتاب، وهم اليهود، والنصارى.

وقال مجاهد: أراد بقوله: ﴿ليس بأمانيكم﴾ مشركى العرب، ﴿ولا أمانى أهل الكتاب﴾ يعنى: اليهود، والنصارى، فعلى القول الأول معنى الآية: أن اليهود قالوا: نحن أولى؛ لأن ديننا أقدم وكتابنا أقدم.

وقالت النصارى: نحن أولى؛ لأنا على دين عيسى، وهو روح الله، وكلمته، وكان يحيى الموتى.

وقال المسلمون: نحن أولى؛ لأن نبينا خاتم النبيين، وكتابنا ناسخ للكتب، وقد آمنا بكتابكم، ولم تؤمنوا بكتابنا؛ قال الله - تعالى -: ﴿ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب﴾ يعنى: ليس الأمر بالأمانى، وإنما الأمر بالعمل الصالح، وقد قال ﷺ: «ليس الدين بالتمنى، ولا بالتحلى .. (١)» الخبر.

وأما على القول الثانى: معنى الآية: أن اليهود والنصارى قالوا: نحن أهل الجنة،

---

(١) رواه الديلمي في مسند الفردوس (٣/ ٤٥٠)، وابن النجار في الذيل (١٧/ ٤٨)، وابن عدي فى الكامل (٦/ ٢٨٨ - ٢٨٩) وحكم عليه الشيخ الألباني في الضعيفة رقم [١٠٩٨] بالوضع، وانظر كلام الشيخ محمد عمرو بن عبد اللطيف في كتابه «تبيض الصحيفة» (ص٩٩ - ١٠٢/رقم ٣٣)، وهو عندهم بلفظ: «ليس الإيمان...».

وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ

وذلك قول الله - تعالى -: ﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى﴾(١) وقال المشركون: لاجنة، ولا نار، ولا بعث؛ قال الله - تعالى -: ﴿ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب﴾ أى: ليس كما قال المشركون، ولا كما قال اليهود والنصارى.

﴿من يعمل سوءاً يجز به﴾ قال ابن عباس، وسعيد بن جبير، وقتاده، وجماعة المفسرين: إن الآية على العموم فى حق كل عامل. وقال الحسن: أراد به: أهل الشرك.

وفى حديث أبى هريرة: «أن هذه الآية لما نزلت، قالت الصحابة: أينا لم يعمل سوءاً؟! وشقت عليهم الآية، فرجعوا إلى رسول الله ﷺ فى ذلك، فقال: ما منكم من أحد تصيبه مصيبة، إلا كفر عنه، حتى الشوكة يشاكها، والنكبة ينكبها»(٢).

وروى: «أن أبا بكر دخل على رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «ألا أقرئك آية أنزلت علىّ؟ قال: بلى(٣) فقرأ: ﴿من يعمل سوءاً يجز به﴾ قال أبو بكر: فوجدت انقصاما فى ظهرى، فقال - عليه السلام -: مالك يا أبا بكر؟ فقلت: كيف النجاة بعد هذه الآية، هلكنا، وأينا لم يعمل سوءا؟! فقال ﷺ: أما أنت يا أبا بكر، والمؤمنون تجزون به فى الدنيا، فتلقون الله - تعالى - وما عليكم ذنب، وأما الكافرون يجمع عليهم، ثم يجزون به فى الآخرة»(٤) وفى رواية قال له - عليه السلام -:

(١) البقرة: ١١١.

(٢) رواه مسلم (١٦/١٩٦ - ١٩٧/ رقم ٢٥٧٤)، والترمذي (٥/٢٣١/ رقم ٣٠٣٨)، والنسائي في الكبرى (٦/٣٢٨/ رقم ١١١٢٢).

(٣) فى «الأصل وك»: نعم، وله وجه انظر مغنى اللبيت (٢/٣٤٦) وما أثبتناه من مصادر تخريج الحديث، وهو الأشهر.

(٤) رواه الترمذي (٥/٢٣١ - ٢٣٢/ رقم ٣٠٣٩)، وعبد بن حميد - المنتخب - (ص٣١/ رقم٧)، وقال الترمذي: هذا حديث غريب، وفي إسناده مقال، موسى بن عبيدة يضعف في الحديث، ضعفه يحيى بن سعيد، وأحمد بن حنبل، ابن سباع مجهول، وقد روى هذا الحديث من غير هذا الوجه عن أبي بكر، وليس له إسناد صحيح أيضا.

نَقِيراً ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ

«ألست تنصب؟ ألست تحزن؟ ألست تمرض؟ أليس تصيبك اللأواء؟ فذلك الذى تجزون به»(١) فهذا معنى قوله - تعالى -: ﴿من يعمل سوءا يجز به ولايجد له من دون الله وليا ولا نصيرا﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولايظلمون نقيرا﴾ أى: مقدرا النقير، وذلك أن الله - تعالى - لما أحال الخلق على العمل بَيَّنَ العمل فى هذه الآيات، وجزاء العمل.

قوله - تعالى -: ﴿ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله﴾ أى: أخلص عبادته لله، وقيل: توجه بعبادته إلى الله، والوجه يذكر بمعنى: الدين والعبادة، ومنه قول المصلى: وجهت وجهى، أى: دينى وهو الصلاة.

﴿وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا﴾ وإنما خص إبراهيم؛ لأنه كان مقبول الأمم أجمع، وقيل: لأنه ﷺ بُعِثَ على ملة إبراهيم، وزيد له أشياء.

﴿واتخذ الله إبراهيم خليلا﴾ يعنى: حبيبا، لاخلل فى حبه، والخلة: صفاوة المودة، فمعناه: أنه اتخذه حبيبا، وجعله صفيه، وخاص نفسه، كما يكون الحبيب مع الحبيب، قال الشاعر:

قد تخللت مسلك الروح منى وبذا سمى الخليل خليـــلا

وقيل: المحتاج من الخَلَّة، وهى الحاجة، يعنى: جعل حاجته إلى نفسه دون غيره، وقال الشاعر:

وإن أتاه خليل يوم مسألة فقال(٢) لاغائب مالى ولاحَرِمُ

(١) رواه أحمد (١/ ١١)، والطبري (٥/ ١٨٩)، وأبو يعلى (١/ ٩٧ - ٩٨/ رقم ٩٧ - ١٠١)، وهناد في زهده (١/ ٢٤٨/ رقم ٤٢٩)، وابن حبان - الإحسان - (٧/ ١٧٠ - ١٧١/ رقم ٢٩١٠)، والحاكم (٣/ ٧٤ - ٧٥) وصححه، والبيهقي (٣/ ٣٧٣).

(٢) فى لسان العرب (مادة: حرم): يقول، وانظر (مادة: خلل).

مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ وَإِنِ

يعنى: وإن أتاه محتاج، والأول أصح؛ لأن قوله ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلا﴾ يقتضى الخلة من الجانبين، ولايتصور الحاجة من الجانبين. وفى الخبر قال ﷺ: «إن الله اتخذنى خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا، ولو كنت متخذا خليلا، لاتخذت أبا بكر؛ ولكن ود وإخاء إيمان، وإن صاحبكم خليل الله»(١).

قوله - تعالى -: ﴿ولله ما فى السموات وما فى الأرض وكان الله بكل شىء محيطا﴾ المحيط: هو العالم بالشىء بجميع ما يتصور العلم به.

قوله - تعالى -: ﴿ويستفتونك فى النساء﴾ أى: يطلبون فتواك فى النساء، قيل: هذا فى أم كُجَّة وقد بينا قصتها، وأن أهل الجاهلية كانوا لايورثون النساء والصبيان.

﴿قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب﴾ قال الزجاج: يعنى: ويفتيكم كما يتلى عليكم فى الكتاب ﴿فى يتامى النساء﴾ هذا إضافة الشىء إلى نفسه؛ لأنه أراد باليتامى: النساء ﴿اللاتى لاتؤتونهن ما كتب لهن﴾ قال الحسن، وجماعة: أراد به: لا تؤتونهن حقهن من الميراث ﴿وترغبون أن تنكحوهن﴾ به، بمعنى: عن أن تنكحوهن لدمامتهن، وحملوا الآية على الميراث.

وقالت عائشة: أراد به: لا تؤتونهن ما كتب لهن من الصداق. وقوله: ﴿وترغبون أن تنكحوهن﴾ يعنى: فى أن تنكحوهن، ﴿والمستضعفين من الولدان﴾ يعنى:

(١) رواه الترمذى (٥/٥٦٧-٥٦٨ رقم ٣٦٥٩)، وقال حسن غريب، وأحمد (٣/٤٧٨)، والطبرانى فى الكبير (١٢/٣٢٨ رقم ٨٢٥)، والدولابى فى الكنى (١/٥٥-٥٦)، والبيهقى فى الدلائل (٧/١٧٥) كلهم من حديث أبى المعلى الأنصارى.

ورواه بنحوه مسلم في صحيحه (٦/١٨ - ١٩/ رقم ٥٣٢)، والنسائي في الكبرى (٦/٣٢٨/ رقم ١١١٢٣)، وأبو عوانة في صحيحه (١/٤٠١) كلهم من حديث جندب - رضي الله عنه -.

وأخرجه الواحدي في أسباب النزول (ص١٣٦) من طريق عبد الله بن زحر، عن علي بن يزيد، عن القاسم، وقد تقدم أن هذا الإسناد تالف.

امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَن

ويفتيكم فى المستضعفين من الولدان، وهم الصغار ﴿وأن تقوموا لليتامى بالقسط﴾ أى: بالعدل ﴿وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليما﴾.

قوله - تعالى -: ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا﴾ النشوز: هو الارتفاع، والمراد به، ارتفاع الزوج، والتكبر بنفسه على الزوجة، ومنه النشز. ﴿أو إعراضا﴾ يعنى: أو خافت إعراضا من الزوج ﴿فلا جناح عليهما أن يصلحا﴾ وقرئ: «أن يصالحا[1] بينهما صلحا» يعنى: بين الزوجين، واختلفوا فيمن نزلت الآية، قال بعضهم: نزلت فى امرأة رافع بن خديج؛ فإنها كبرت، وتزوج رافع عليها شابة وخافت أن يعرض عنها؛ فنزلت الآية.

وقوله: ﴿أن يصلحا بينهما صلحا﴾ يعنى: أن يترك شيئا من القسم، وترضى بأن يكون القسم للشابة أكثر، وقيل: هو الصلح عن المهر بالإبراء، ونحوه، والقول الثانى: أن الآية نزلت فى سودة بنت زمعة؛ أراد النبى ﷺ أن يطلقها؛ فقالت: لا تطلقنى، قد وهبت ليلتى لعائشة، فلا تطلقنى حتى[2] أحشر يوم القيامة فى زمرة نسائك[3].

﴿والصلح خير﴾ قيل: أراد به: الصلح خير من الفرقة، وقيل: أراد به: الصلح خير من النشوز، والإعراض ﴿وأحضرت الأنفس الشح﴾ والشح: البخل، وقيل: هو أقبح البخل، وحقيقته: الحرص على منع الخير، وأراد به: شح الزوجين على حقيهما ﴿وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً﴾.

---

(١) قرأ عاصم، وحمزة، والكسائى: يُصلِحا، بضم الياء، وإسكان الصاد وكسر اللام من غير ألف.
وقرأ الباقون: بفتح الياء، والصاد واللام، وتشديد الصاد، وألف بعدها: انظر النشر (٢ / ٣٥٢).

(٢) فى «الأصل»: فلما تطلقنى حتى، وفى «ك»: لأجل أن.

(٣) رواه الترمذي (٥ / ٢٣٢ / رقم ٣٠٤٠)، وقال: حسن غريب، والطبري في التفسير (٥ / ١٩٩)، وأبو داود الطيالسي (ص٣٤٩ / رقم ٢٦٨٣)، والطبراني في الكبير (١١ / ٢٨٤ / رقم ١١٧٤٦)، والبيهقي (٧ / ٢٩٧) كلهم من حديث ابن عباس.
وروي من حديث عائشة، رواه أبو داود (٢ / ٢٤٣ / رقم ٢١٣٥)، والحاكم (٢ / ١٨٢) وصحح إسناده.

تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

قوله – تعالى –: ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم﴾ قال عمر، وعلى، وابن عباس، أراد بالعدل: المحبة فى القلب ﴿فلا تميلوا كل الميل﴾ يعنى: إن ملتم فى المحبة، فلا تميلوا فى القَسْم، وقد قال ﷺ: «اللهم هذا قَسْمى فيما أملك، فلا تؤخذانى فيما لا أملك»(١) ﴿فتذروها كالمعلقة﴾ يعنى لا أيِّمًا ولا ذات بعل، وقيل: كالمحبوسة ﴿وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفورا رحيما﴾.

قوله – تعالى –: ﴿وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته﴾ يعنى: الزوجين إذا تفرقا، فالزوج يجد الزوجة، والزوجة تجد الزوج ﴿وكان الله واسعا حكيما﴾ أى: واسع الفضل والرحمة والقدرة.

قوله – تعالى –: ﴿ولله ما فى السموات وما فى الأرض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله﴾ هذه وصية الله العباد بالتقوى، ﴿وإن تكفروا فإن لله ما فى السموات وما فى الأرض وكان الله غنيا حميدا﴾.

﴿ولله ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلا﴾ فإن قيل: أى فائدة فى تكرار قوله: ﴿ولله ما فى السموات ومافى الأرض﴾ قيل: لكل واحد منها وجه:

أما الأول: فمعناه: ولله ما فى السموات وما فى الأرض، وهو يوصيكم بالتقوى، فاتقوه، واقبلوا وصيته.

---

(١) رواه أبو داود (٢/ ٢٤٢/ رقم ٢١٣٤)، والترمذي (٣/ ٤٤٦/ رقم ١١٤٠)، والنسائي (٧/ ٦٤/ رقم ٣٩٤٣)، وابن ماجه (١/ ٦٣٤/ رقم ١٩٧١)، وأحمد (٦/ ١٤٤)، والدارمي (٢/ ١٩٣/ ٢٢٠٧) والحاكم (٢/ ١٨٧) وصححه على شرط مسلم، وابن حبان – الإحسان (١٠/ ٥/ رقم ٤٢٠٥)، وابن أبي حاتم في العلل (١/ ٤٢٥/ رقم ١٢٧٩) وقال سمعت أبا زرعة يقول: لا أعلم أحداً تابع حماداً على هذا. قلت: روى ابن علية، عن أيوب، عن أبي قلابة، قال: «كان النبي ﷺ يقسم بين نسائه...» الحديث مرسل. وكذا قال النسائي: أرسله حماد بن زيد. ورجح الترمذي رواية حماد بن زيد المرسلة على رواية حماد بن سلمة المتصلة.

مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيداً ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيراً ﴿١٣٣﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ

وأما الثانى: يقول: فإن لله ما فى السموات وما فى الأرض، وكان الله غنيا حميدا؛ فاطلبوا منه ما تطلبون.

وأما الثالث يقول: ولله ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلا، أى: اتخذوه وكيلا ولا تتكلوا على غيره.

قوله - تعالى -: ﴿إن يشاء يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين﴾ روى: «أن النبى ﷺ كان يضرب بيده كتف سلمان، ويقرأ: ﴿ويأت بآخرين﴾ ويقول: سلمان وأصحابه»(١) ﴿وكان الله على ذلك قديرا﴾.

قوله - تعالى -: ﴿من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة﴾ أراد به: الكفار؛ فإنهم يعملون(٢) ابتغاء ثواب الدنيا، وطلبا لنعيمها، ولايطلبون ثواب الآخرة، ولايؤمنون بها؛ فقال الله - تعالى -: ﴿من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعًا بصيرا﴾.

قوله - تعالى -: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط﴾ القوَّام: مبالغة من القائم، والقسط: العدل، ومعناه: كونوا قائلين بالعدل ﴿شهداء لله﴾ لأنهم إذا شهدوا بالحق وقاموا بالعدل، كانوا شهداء لله ﴿ولو على أنفسكم﴾ فإن قيل: كيف يشهد على نفسه؟ قيل: شهادته على نفسه: هو الإقرار، وهو معنى ما روى عن ابن عباس: «قولوا الحق ولو على أنفسكم».

﴿أو الوالدين والأقربين﴾ أى: قولوا الحق، ولو على الوالدين والأقربين، قيل: نزلت الآية فى رجل كانت عنده شهادة على أبيه، فهم أن يمتنع عنها؛ فنزل قوله:

(١) أخرجه الطبرى فى التفسير (٥/٢٠٥) من حديث أبى هريرة، وقال الزيلعى فى تخريج الكشاف (١/٣٦٤/ رقم ٣٨٠): وفيه انقطاع؛ فإن الطبرى لم يسمع من شيخه.

(٢) فى «الأصل، وك»: يعلمون، وهو تصحيف.

الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا

﴿ أو الوالدين والأقربين ﴾، ﴿ إن يكن غنيا أو فقيرا ﴾ قال السدى: نزل ذلك فى رجلين اختصما إلى النبى ﷺ، أحدهما غنى، والآخر فقير، وكان ضلع النبى - عليه السلام - إلى الفقير، وكان عنده أن الفقير لايخاصم بالباطل، وكان الحق للغنى فى الباطن؛ فنزلت الآية ﴿ إن يكن غنيًا أو فقيرًا ﴾(١).

قال ابن عباس: معناه: لاتحابوا الغنى لغناه، ولاترحموا الفقير لفقره، وقال عطاء: لاتحيفوا على الفقير، ولا تعظموا الغنى؛ فهذا معنى الآية، وحقيقة المعنى: قوموا بالشهادة، سواء كان المشهود عليه غنيا أو فقيرا، وسواء كان المشهود له غنيا أو فقيرا، ولاتمتنعوا عن الشهادة للغنى لغناه، ولا عن الشهادة على الفقير لفقره.

وقوله: ﴿ إن يكن غنيا أو فقيرا ﴾: يعنى: إن يكن المشهود عليه غنيا، أو فقيرا ﴿ فالله أولى بهما ﴾ أى: كلوا أمرهما إلى الله، قال الحسن: معناه: فالله أعلم بهما. ﴿ فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ﴾ قيل: معناه: فلا تتبعوا الهوى بأن تعدلوا، أى: لتكونوا عادلين، كما يقال: لا تعص فَتُرضِى ربك، وقيل: معناه: لا تتبعوا الهوى لتميلوا من الحق إلى الباطل ﴿ وإن تلووا ﴾ وهى من اللَىّ قال الشاعر:

وكنت داينت به حسانا مخافة الإفلاس والليانا

وفى معناه قولان: أحدهما: أنه خطاب للحكام، ومعنى ﴿ وإن تلووا ﴾ أى: تميلوا إلى أحد الخصمين، أو تعرضوا عنه.

والثانى - وهو قول أكثر المفسرين - أنه خطاب للشهود، واللَىّ منهم: تحريف الشهادة» والإعراض: كتمان الشهادة والأول: قول ابن عباس، وأما القراءة الثانية: «وإن تَلُوْا(٢) » فيه قولان: أحدهما: أن أصله: «وإن تلووا» فإدخلت إحدى الواوين

---

(١) انظر أسباب النزول للواحدى (ص ١٣٨)

والضَّلْعُ: الميل. انظر لسان العرب (مادة: ضلع).

(٢) هى قراءة: ابن عامر، وحمزة، بضم اللام، وواو ساكنة بعدها انظر النشر (٢ / ٣٥٢).

﴿١٣٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا
﴿١٣٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ

في الأخرى تخفيفًا، والمعنى ما بينا، والثانى: أنه من الولاية، يعنى: وإن تلوا القيام بأداء الشهادة ﴿أو تعرضوا﴾ فتتركوا أداء الشهادة ﴿فإن الله كان بما تعملون خبيرا﴾.

قول - تعالى -: ﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله﴾ أكثر المفسرين على أنه فى المؤمنين، ومعناه: يا أيها الذين آمنوا آمنوا، أى: اثبتوا على الإيمان، كما يقال: قف حتى أرجع إليك - للرجل الواقف - أى: اثبت واقفا.

وقال مجاهد: هو خطاب للمنافقين، ومعناه: يا أيها الذين آمنوا باللسان آمنوا بالقلب، وقال الضحاك - وهو رواية الكلبى عن ابن عباس -: هو خطاب لأهل الكتاب، ومعناه: يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى آمنوا بمحمد ﴿والكتاب الذى نزل على رسوله﴾ يعنى: القرآن ﴿والكتاب الذى أنزل من قبل﴾ يعنى: الكُتب المنزلة من قبل القرآن.

﴿ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا﴾ أى: بعيدا عن الحق.

قوله - تعالى -: ﴿إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا﴾ قال قتادة: هذا فى اليهود، آمنوا بموسى، ثم كفروا به بعبادة العجل، ثم آمنوا بموسى بالتوبة، ثم كفروا بعيسى، ثم ازدادوا كفرا بمحمد، وقيل: هو فى جميع أهل الكتاب من اليهود والنصارى؛ آمنوا بنبيهم، ثم كفروا به، وآمنوا بكتابهم، ثم كفروا به ثم ازدادوا كفرًا بمحمد. وقال مجاهد: هو فى قوم مرتدين آمنوا، ثم ارتدوا، ثم آمنوا، ثم ارتدوا.

ومثل هذا هل تقبل توبته؟

قال على: لاتقبل توبته؛ فإنه إذا آمن، ثم كفر، ثم آمن، ثم كفر، فلو أراد أن يؤمن

وَلا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي

لايقبل منه، ويقتل؛ لقوله - تعالى -: ﴿لم يكن الله ليغفر لهم﴾.

وأكثر أهل العلم على أنه: تقبل توبته، ويحتمل أن تكون الآية فى المنافقين، وقوم من أهل الكتاب، كانوا يؤمنون باللسان، ثم يرجعون إلى الكفر، ثم يأتون، فيؤمنون، ثم يرجعون إلى الكفر.

﴿لم يكن الله ليغفر لهم﴾ فإن قيل: أيش معنى قوله - تعالى -: ﴿لم يكن الله ليغفر لهم﴾، ومعلوم أن الله لايغفر الكفر؟ قيل: أجاب النقاش فى تفسيره أن معناه: أن الكافر إذا أسلم، يغفر له كفره السابق، فهذا الذى أسلم، ثم كفر ثم أسلم، ثم كفر، لايغفر كفره السابق الذى كان يغفر لو ثبت على الإسلام ﴿ولا ليهديهم سبيلا﴾ أى: طريقا إلى الحق.

قوله - تعالى -: ﴿بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما﴾ فإن قيل: ما معنى البشارة بالعذاب الأليم؟ قيل: أصل البشارة: كل خبر تتغير به بشرة الوجه، سارًّا كان أم مكروها، لكنه فى الغالب إنما يستعمل فى الخبر السار، فإذا استعمل فى الخبر السيء كان على الأصل، وقيل: أراد به: ضع هذا موضع البشارة، كما تقول العرب: تحيتك السوط، وعقابك السيف.

يعنى: وضعت السوط مع التحية، قال الشاعر:

وخيل قد دلفت بها لخيل ... تحية بَيْنِهِم ضربٌ وجيعُ

قوله - تعالى -: ﴿الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾ هذا فى المنافقين، كانوا يوالون الكفار، ويظنون أن النصرة والغلبة لهم ﴿أيبتغون عندهم العزة﴾ يعنى: أيطلبون عندهم القوة والغلبة ﴿فإن العزة لله جميعا﴾ أى: القوة والغلبة كلها لله - تعالى -.

الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا

فإن قال قائل: قد نرى فى[1] بعض الأحوال الغلبة للكفار؛ فما معنى قوله: ﴿فإن العزة لله جميعا﴾؟ قيل: معناه: أن المقوى هو الله - تعالى - فى الأحوال كلها.

وقيل: معناه: الغلبة بالحجة لله جميعا[2].

قوله - تعالى -: ﴿وقد نزل عليكم فى الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره إنكم إذا مثلهم﴾.

هذا إشارة إلى ما أنزل فى سورة الأنعام ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم...﴾[3] الآية. نهَىَ عن القعود معهم، وما حكم القعود معهم؟ أما إذا قعد معهم... ورضى بما يخوضون فيه، فهو كافر مثلهم، وهو معنى قوله: ﴿إنكم إذا مثلهم﴾. وإن قعد، ولم يرض بما يخوضون فيه، فالأولى أن لا يقعد، ولكن لو قعد كارها، فلا يكفر، وهذا هو الحكم فى كل بدعة يخاض فيها، فلو تركوا الخوض فيه وخاضوا فى حديث غيره، فلا بأس بالقعود معهم وإن كره؛ لقوله ﴿حتى يخوضوا فى حديث غيره﴾ قال الحسن: وإن خاضوا فى حديث غيره لايجوز القعود معهم؛ لقوله فى سورة الأنعام: ﴿وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾[3] والأكثرون على أنه يجوز، وآية الأنعام مكية وهذه الآية مدنية، والمتأخر أولى.

﴿إن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا الذين يتربصون بكم﴾ يعنى: المنافقين ينتظرون أمركم ﴿فإن كان لكم فتح من الله﴾ يعنى: ظفر ﴿قالوا ألم نكن معكم﴾ يعنى: كنا معكم، فاجعلوا لنا نصيبًا من الغنيمة ﴿وإن كان للكافرين نصيب﴾ يعنى: وإن كانت القوة للكافرين ﴿قالوا ألم نستحوذ عليكم

(١) فى «الأصل وك»: عن.

(٢) فى «ك»: تعالى.

(٣) الأنعام: ٦٨.

أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴿١٤١﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿١٤٢﴾ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَىٰ

ونمنعكم من المؤمنين ﴾ الاستحواذ: الاستيلاء والغلبة ومنه قوله - تعالى -: ﴿ استحوذ عليهم الشيطان ﴾(١) قال المبرد: معنى هذا: قالوا: ألم نغلبكم على رأيكم، ونمنعكم من المؤمنين، والدخول في جملتهم، وتخذيل المؤمنين عنكم.

وقال غيره: معناه: ألم نستول عليكم بالنصرة لكم من جهة مراسلتنا إياكم بأخبار المؤمنين، وأمورهم، وتخذيلنا إياهم عنكم. ﴿ فالله يحكم بينكم يوم القيامة ﴾.

﴿ ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ﴾ قال على، وابن عباس: أراد به: فى القيامة، وقيل: هو سبيل الحجة، أى: لاتكون الحجة للكافرين على المؤمنين أبدا.

قوله - تعالى -: ﴿ إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ﴾ يخادعون الله، أى: يعاملون الله معاملة المخادعين حيث أظهروا الإيمان، وأبطنوا الكفر، وهو خادعهم، أى: يعاملهم معاملة المخادعين، وذلك على وجهين: أحدهما: أنه حكم بإيمانهم فى الظاهر، وكفرهم فى الباطن، كما فعلوا هم والثانى: أنه فى القيامة يعطيهم نورا، كما يعطى المؤمنين، ثم إذا كانوا على الصراط طُفئ نورهم، وذهب المؤمنون بنورهم، وهذا معنى قوله: ﴿ وهو خادعهم ﴾ وقيل: معناه: يخادعون رسول الله، وهو خادعهم، أى: يجازيهم على مخادعتهم الرسول، وسمى الثانى خداعا على الازدواج، كما قال: ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾(٢) وفى حديث عدى بن حاتم أن النبى ﷺ قال: «يؤتى بناس من الناس يوم القيامة إلى الجنة، حتى إذا دنوا منها، واستنشقوا رائحتها، ورأوا فيها من النعيم، يأمر الله - تعالى - بصرفهم عنها، فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون والآخرون بمثلها، فيقولون: يارب، لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا كان أهون علينا، فيقول الله - تعالى -: ذاك أردت لكم،

(١) المجادلة: ١٠٩.

(٢) الشورى: ٤٠.

هَؤُلاءِ وَلا إِلَىٰ هَؤُلاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً ﴿١٤٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ

وكنتم إذا خلوتم بارزتمونى بالعظائم، وإذا لقيتم الناس، لقيتموهم مخبتين، هبتم الناس ولم تهابونى، أجللتم الناس، ولم تجلّونى، تركتم للناس، ولم تتركوا لى؛ فاليوم أذيقكم العذاب، مع ما حُرمتم من الثواب»[(١)].

وقوله: ﴿وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى﴾ يعنى: متثاقلين، وهذا دأب المنافقين؛ لقلة الدواعى لهم، وأما المؤمنون ينشطون إلى القيام إلى الصلاة؛ لكثرة الدواعى لهم، ﴿يراءون الناس﴾ أى: يعملون ما يعملون، مراءة للناس، لا اتباعا لأمر الله.

واعلم أن الرياء لايوجب الكفر، وهو عيب عظيم، وأما النفاق كفر محض.

﴿ولا يذكرون الله إلا قليلا﴾ قال الحسن: لأنه لما لم يتقبل عملهم، كان قليلا ﴿مذبذبين بين ذلك﴾ أى: متذبذبين وكذلك قرأ أبى بن كعب، ومعناه: مضطربين متحيرين ﴿لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء﴾، يعنى: لا إلى الكفار بالتصريح بالشرك، ولا إلى المؤمنين باعتقاد الإيمان.

وروى ابن عمر عن النبى ﷺ أنه قال: «مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين ربيضين، إن جاءت إلى هذه، نطحتها، وإن جاءت إلى هذه نطحتها»[(٢)] ﴿ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا﴾ أى: ومن يضلله الله، فلن تجد له طريقا إلى الحق.

قوله - تعالى -: ﴿يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا الكافرين أولياء من دون

(١) رواه الطبرانى فى الكبير (١٧/٨٦/ رقم ١٩٩، ٢٠٠)، وفى الأوسط - مجمع البحرين - (٨/١٩٣ - ١٩٤/ رقم ٤٩٤٧) وابن حبان فى المجروحين (٣/١٥٥ - ١٥٦)، والبيهقى فى البعث (ص٣١٦/ رقم ٦٥٨)، وأبو نعيم فى الحلية (٤/١٢٤ - ١٢٥) وابن الجوزى فى الموضوعات (٣/١٦٢).

وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/٢٢٣): وفيه أبو جنادة وهو ضعيف.

(٢) رواه مسلم (١٧/١٨٧ رقم ٢٧٨٤)، والنسائى (٨/١٢٤/ رقم ٥٠٣٧)، وأحمد (٢/٣٢) والطبرى (٥/٢١٥) والطيالسى (ص٢٤٩)/ رقم ١٨٠٢) كلهم من حديث ابن عمر.

الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً ﴿١٤٥﴾ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً

المؤمنين ﴾ فى الآية نهى عن موالاة المؤمنين مع الكفار ﴿ أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا ﴾ السلطان: الحُجة، ومنه يقال: للأمير سلطان؛ لأنه ذو الحجة، ومعناه: أتريدون أن تجعلوا لله عليكم حجة بينة فى عذابكم، بحيث لايبقى لكم عذر عنده؟!.

قوله - تعالى -: ﴿ إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ﴾ ويقرأ: «فى الدرْك» بجزم الراء -(١) قال أبو عبيدة، والأخفش: النار دركات، والجنة درجات، قال أهل العلم: يجوز أن يكون فرعون وهامان أشد عذابا من المنافقين، وإن كان المنافقون فى الدرك الأسفل. قال ابن مسعود: الدرك الأسفل: تابوت من حديد مقفل عليهم، وقيل: تابوت من النار. قال أبو هريرة: والدرك الأسفل: بيت مطبق عليهم، تتوقد النار فيه من فوقهم، ومن تحتهم ﴿ ولن تجد لهم نصيرا ﴾ مانعا من العذاب.

قوله - تعالى -: ﴿ إلا الذين تابوا ﴾ أى: أسلموا ﴿ وأصلحوا ﴾ أى: داموا على التوبة ﴿ واعتصموا بالله ﴾ الاعتصام: هو الامتناع بالشيء مما يخاف، فالاعتصام بالله: هو الامتناع بطاعته من كل ما يخاف عاجلا، وآجلا ﴿ وأخلصوا دينهم لله ﴾ شَرَطَ الإخلاص بالقلب؛ لأن الآية فى المنافقين، والنفاق: كفر القلب، فزواله بالإخلاص ﴿ فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما ﴾، وإنما لم يقل: فأولئك هم المؤمنون، وسوف يؤتيهم الله أجرًا عظيماً؛ غيظا على المنافقين.

قوله - تعالى -: ﴿ مايفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم ﴾ هذا استفهام بمعنى التقرير، ومعناه: لايعذب الله [المؤمن](٢) الشاكر، وتقدير قوله: ﴿ إن شكرتم وآمنتم ﴾ أى: إن آمنتم وشكرتم، والشكر ضد الكفر، والكفر: ستر النعمة والشكر: إظهار النعمة ﴿ وكان الله شاكرًا عليمًا ﴾ الشكر من الله قبول العمل، ومعناه: وكان

---

(١) قرأ حمزة، والكسائى، وعاصم: بإسكان الراء، وقرأ الباقون بفتحها. انظر النشر (٢/٢٥٣).

(٢) فى «الأصل»: المؤمنين.

عَظِيماً ﴿١٤٦﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيماً ﴿١٤٧﴾ لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيماً ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ

الله قابلا للطاعات، عليما بالنيات.

قوله - تعالى -: ﴿ لايحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم ﴾ قال ابن عباس: معناه: إلا من ظلم، فيجوز له أن يجهر بالسوء بالإخبار عن ظلم الظالم، والدعاء عليه، قال الحسن: دعاؤه عليه: أن يقول: اللهم اعنى عليه، اللهم استخرج حقى منه.

وقيل: يجوز له أن يشتم، ولكن بمثل ما شُتِم، لايزيد عليه، بما لم يكن قذفا، وقد ورد فى الحديث: «السبتان بالسبة ربا» قال مجاهد: هو فى الضيف يأتى قوما، فلم يقروه، ولم يحسنوا ضيافته، يجوز له أن يجهر بالسوء لهم.

ويقرأ: «إلا من ظَلَم» بفتح الظاء واللام.

قال الزجاج: معناه: إلا من ظلم، فأجهر قوله بالسوء، وقيل: هو راجع إلى الآية المتقدمة، وتقديره: مايفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم إلا من ظلم وقيل: هو استثناء منقطع، يعنى: لايحب الله الجهر بالسوء من القول، لكن يجهر بالسوء من ظلم ﴿ وكان الله سميعا عليما ﴾ سميعا لأقوالكم: عليما بنياتكم.

قوله - تعالى -: ﴿ إن تبدوا خيرا أو تخفوه ﴾ معناه: إن تبدوا شيئا من الصدقات؛ ليقتدى بكم، أو تخفوه؛ مخافة الرياء ﴿ أو تعفوا عن سوء ﴾ تصابون به ﴿ فإن الله كان عفوا قديرا ﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ﴾ أراد به اليهود لما كفروا بمحمد ﷺ فكأنهم كفروا بالله ﴿ ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ﴾ يريدون أن يؤمنوا بالله، ويكفروا بالرسول ﴿ ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ﴾ يؤمنون بموسى، ويكفرون بعيسى، ومحمد ﴿ ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ﴾ أى: مذهباً يذهبون إليه.

تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ

﴿ أولئك هم الكافرون حقا ﴾ إنما حقق كفرهم، ليعلم أنهم كفار [مطلقًا](١) لئلا يظن ظان أنهم لما آمنوا بالله وبعض الرسل لايكون كفرهم مطلقا ﴿ وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا ﴾.

قوله – تعالى –: ﴿ والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم ﴾ إنما سماه أجرا مجازا؛ لأنه ذكره بإزاء العمل؛ لأن العمل يوجبه، وهذا نحو قوله – تعالى – فى قصة موسى: ﴿ إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا ﴾(٢) سماه أجرا على مقابلة العمل؛ لأن موسى عمل؛ ليؤجر عليه ﴿ وكان الله غفورا رحيما ﴾.

قوله – تعالى –: ﴿ يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء ﴾ هم اليهود، قالوا للنبى ﷺ لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا من السماء جملة، كما أنزلت التوراة على موسى جملة.

قال الحسن: ولم يكن ذلك سؤال انقياد، وإنما ذلك سؤال تحكم، واقتراح؛ فإنهم لو أنزل عليهم الكتاب جملة، كما سألوا؛ لم يؤمنوا، والله – تعالى – لاينزل الآيات على اقتراح العباد، وإنما ينزلها على مشيئته ﴿ فقد سألوا موسى أكبر من ذلك ﴾ أى: أعظم من ذلك ﴿ فقالوا أرنا الله جهرة ﴾ أى: عيانا، وذلك أن العرب كانت تعد العلم بالقلب رؤية؛ فقال: ﴿ جهرة ﴾ ليعلم أنه أراد العيان، وقال أبو عبيدة: معناه:

(١) فى «الأصل وك»: مطلق.

(٢) القصص: ٢٥.

السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا

فقالوا جهرة: أرنا الله ﴿فأخذتهم الصاعقة بظلمهم﴾، ﴿ثم اتخذوا العجل﴾ يعنى: إلها ﴿من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك﴾ فيه استدعاء للتوبة، ومعناه: أن أولئك الذين اجترموا [ذلك](١) الإجرام، عفونا عنهم؛ فتوبوا أنتم، حتى نعفو عنكم ﴿وآتينا موسى سلطانا مبينا﴾ حجة بينة من المعجزات.

قوله - تعالى -: ﴿ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم﴾ الطور: جبل الطور، وقيل: كل جبل ينبت شيئا، فهو طور، فإن لم ينبت، لايسمى طورا، والميثاق: العهد المؤكد باليمين.

﴿وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا﴾ قيل: إنهم سجدوا على أنصاف وجوههم، حتى دخلوا الباب، وفى القصة: أنهم قالوا: بهذا السجود رفع العذاب عنا، فلا نترك هذا السجود، وكانوا يسجدون بعد ذلك على أنصاف وجوههم.

﴿وقلنا لهم لاتعدوا فى السبت﴾ وقرأ نافع - برواية قالوا -: ﴿لاتعْدُّوا﴾ - بجزم العين، مشددة الدال وفى رواية ورش عنه ﴿لاتعَدُّوا﴾ - بفتح العين مشددة الدال(٢) ومعنى الكل: لايعتدوا فى السبت ﴿وأخذنا منهم ميثاقا غليظا﴾.

قوله - تعالى -: ﴿فبما نقضهم ميثاقهم﴾ و«ما» للصلة، وإنما تدخل فى الكلام؛ لتفخيمه، وتجزيله ﴿وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف﴾ قد ذكرنا كل هذا ﴿بل طبع الله عليها بكفرهم﴾ الطبع: الختم، وقال

(١) فى «الأصل وك»: تلك.

(٢) انظر النشر (٢/٢٥٣).

قَلِيلاً ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ

لزجاج: جعل قلوبهم، كالمطبوع لايفلح، ولايصلح أبدا، ولايدخلها خير؛ فلا يؤمنون إلا قليلا ﴿وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما﴾ أراد به: نسبتهم مريم إلى الزنا.

قوله تعالى: ﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم﴾.

قيل: إن الله - تعالى - ألقى شبه عيسى على الذى دلهم عليه؛ فقتلوه، وقيل: إنهم كانوا حبسوا عيسى فى بيت، وجعلوا عليه رقيبا، فألقى الله تعالى شبه عيسى على الرقيب؛ فقتلوه، وقيل: إنهم ما كانوا يعرفون عيسى بعينه، وكانوا يعرفونه باسمه، وكانوا يطلبونه؛ فقال لهم يهوذا - وهو واحد من أصحاب عيسى -: أعطونى شيئا، أدلكم على عيسى؛ فأعطوه ثلاثين درهما؛ فدلهم على غيره، فقتلوا ذلك الغير؛ فهذا قوله: ﴿ولكن شبه لهم﴾، ﴿وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه﴾ وذلك أن الرجل الذى قتلوه على ظن أنه عيسى، كان يشبهه بوجهه، ولايشبهه بجسده، فوقع فيهم الاختلاف، فقال بعضهم: الذى قتلناه كان عيسى، وقال بعضهم: لم يكن عيسى. وقيل: هو الاختلاف بين علمائهم، وأغتامهم(١)؛ فإن علماءهم كانوا يعلمون أنهم لم يصلبوا عيسى وكان عند جهالهم واغتامهم أنهم قتلوا عيسى، ﴿وما لهم به من علم﴾ يعنى: من حقيقة علم ﴿إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا﴾ قال ابن الأنبارى: قوله: ﴿وما قتلوه﴾ كلام تام، وقوله: ﴿يقينا﴾ راجع إلى ما بعد، وتقديره: «بل رفعه الله إليه يقينا، قال الفراء: معناه: وما قتلوا

(١) الغتمة: عجمة فى المنطق، ورجل اغتم: أى لايفصح شيئًا، انظر لسان العرب (مادة: غتم).

وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ

الذى ظنوا أنه عيسى يقينا أنه عيسى، وقيل: «الهاء» كناية عن عيسى، أى: وما قتلوا عيسى يقينا ﴿ بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما ﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ﴾ معناه: وإن من أهل الكتاب أحدا إلا ليؤمن به، وهو مثل قوله: ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾(١) أى: وإن منكم أحد.

واختلفوا فى قوله: ﴿ قبل موته ﴾ قال الحسن - وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس -: إنه كناية عن الكتابى، وقال: ما من كتابى من اليهود، إلا وهو يؤمن بعيسى قبل موته فى وقت اليأس، حين لاينفعه، حتى قيل لابن عباس: وإن مات حرقا أو غرقا أو هدما؟ قال: نعم.

وقال قتادة - وهو رواية أخرى عن ابن عباس -: إن «الهاء» كناية عن عيسى، يعنى: ما من كتابى إلا يؤمن بعيسى قبل موت عيسى، وذلك حين ينزل من السماء، وقال عكرمة: هذا فى محمد ﷺ ما من كتابى إلا ويؤمن به قبل الموت، وهذا قول ضعيف؛ لأنه لم يجر ذكر محمد فى الآية ﴿ ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا ﴾ يعنى: عيسى.

قوله تعالى: ﴿ فبظلم من الذين هادوا ﴾ يعنى: ما ذكر من إجرامهم ﴿ حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ﴾ هو ما ذكرنا فى سورة الأنعام ﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا

---

(١) مريم: ٧١.

بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ إِنَّا أَوْحَيْنَا

كل ذى ظفر. . . ﴾[١] الآية على ما سيأتى ﴿ وبصدهم عن سبيل الله كثيرا وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل ﴾ يعنى: الرشا ﴿ وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما ﴾ .

قوله – تعالى –: ﴿ لكن الراسخون فى العلم منهم ﴾ «لكن» للإضراب عن كلام، والدخول فى كلام آخر، ﴿ والراسخون ﴾: المبالغون فى العلم أولو البصائر فيه، وأراد به: الذين أسلموا من علماء اليهود: مثل عبد الله بن سلام، ويمين بن يمين، وأسد وأسيد ابنى كعب، وجماعة ﴿ والمؤمنون ﴾ أراد به: المهاجرين، والأنصار ﴿ يؤمنون بما أنزل إليك ﴾ يعنى: القرآن ﴿ وما أنزل من قبلك ﴾ يعنى: سائر الكتب المنزلة ﴿ والمقيمين الصلاة ﴾ فى هذا إشكال من حيث النحو، قيل: إن هذا ذكر لعائشة، وأبان بن عثمان، فادعيا الغلط على الكاتب، وقالا: ينبغى أن يكتب: «والمقيمون الصلاة» وليس هكذا؛ بل هو صحيح فى النحو، وهو نصب على المدح، وتقديره: واذكروا المقيمين الصلاة، أو أعنى: المقيمين الصلاة، وهم المؤتون الزكاة، ومثله قول الشاعر:

النازلين بكل معترك ... والطيبون [معاقد][٢] الأزر

أى: أعنى النازلين بكل معترك، وهم الطيبون معاقد الأزر؛ فيكون نصبا على المدح، وقيل تقديره: وما أنزل على المقيمين الصلاة، قوله: ﴿ والمؤتون الزكاة ﴾ رجوع إلى نسق الأول ﴿ والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما ﴾ .

---

(١) الأنعام: ١٤٦.

(٢) فى «الأصل وك»: مقاعد. وهو تصحيف.

إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ

قوله - تعالى -: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾ هذا بناء على ما [سبق](١) من قوله ﴿يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء﴾ يقول الله - تعالى -: قد جعلناك رسولا بالطريق الذى [قد](٢) جعلنا سائر الأنبياء رسلا، وهو الوحى، ﴿وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان﴾ ذكر عدة من الرسل الذين أوحى إليهم.

فإن قال قائل: لم قدم ذكر عيسى، وهو متأخر؟ قيل: «الواو» لاتوجب الترتيب، وإنما هى للجمع، وقيل: ذكره اهتماما بأمره، وكان أمر عيسى أهم ﴿وآتينا داود زبورا﴾ قرأ حمزة: «زُبورا» - بضم الزاى -(٣) فالزبور: فعول بمعنى المفعول، وهو الكتاب الذى أنزل الله - تعالى - على داود، فيه التحميد، والتمجيد، وثناء الله - تعالى -، والزبور: الكتابة، والزُّبْرَة قطعة الحديد، ويقال: ماله زَبْرٌ أى: ماله عقل، وأما الزبور: جمع الزِّبْرُ.

قوله - تعالى -: ﴿ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل﴾ وأرسلنا رسلا قد قصصناهم عليك من قبل ﴿ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما﴾ إنما كلمه بنفسه من غير واسطة، ولا وحى، وفيه دليل على من قال: إن الله خلق كلاما فى الشجرة؛ فسمعه موسى؛ وذلك لأنه قال: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾

(١) فى «الأصل» نسق.

(٢) من «ك».

(٣) وهى قراءة خلف أيضًا. انظر النشر (٢/٢٥٣).

تَكْلِيماً ﴿١٦٤﴾ رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ

قال الفراء، وثعلب: إن العرب تسمى ماتوصل إلى الإنسان: كلاما، بأى طريق وصل إليه، ولكن لاتحققه بالمصدر، فإذا حقق الكلام بالمصدر، لم تكن إلا حقيقة الكلام، وهذا كالإرادة، يقال: أراد فلان إرادة، فيكون حقيقة الإرادة، ولايقال: أراد الجدار أن يسقط إرادة، وإنما يقال: أراد الجدار، من غير ذكر المصدر؛ لأنه مجاز، فلما حقق الله كلامه موسى بالتكليم، عُرِفَ أنه حقيقة الكلام من غير واسطة، قال ثعلب: وهذا دليل من قول الفراء أنه ما كان يقول بخلق القرآن.

فإن قال قائل: بأى شىء عرف موسى أنه كلام الله؟ قيل: بتعريف الله -تعالى- إياه، وإنزال آية عرف موسى بتلك الآية أنه كلام الله - تعالى -، وهذا مذهب أهل السنة أنه سمع كلام الله حقيقة، بلا كيف، وقال وائل بن داود: معنى قوله: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ أى: مرارا، كلاما بعد كلام.

قوله تعالى: ﴿رسلا مبشرين ومنذرين﴾ أى: أرسلنا رسلا ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ وهذا دليل على أن الله - تعالى - لايعذب الخلق قبل بعثه الرسل، وهذا معنى قوله: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾(١) وقال - تعالى - ﴿ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى﴾(٢).

﴿وكان الله عزيزا﴾ أى: مقتدرا على معاونة الخلق ﴿حكيما﴾ ببعث الرسل. وفى حديث أبى الدرداء أنه قال: «سألت رسول الله ﷺ عن عدد الأنبياء فقال: مائة وأربعة وعشرون ألفا، فقلت: كم الرسل منهم؟ قال: ثلثمائة وخمسة عشر [جما غفيرا](٣)»(٤).

(١) الإسراء: ١٥. (٢) طه: ١٣٤. (٣) فى «الأصل، ك»: جم غفير، وهو خلاف الجادة.

(٤) المشهور أنه من حديث أبى ذر رضى الله عنه، فرواه ابن حبان فى المجروحين (٣/ ١٢٩ - ١٣٠)، وفى صحيحه - الإحسان (٢/ ٧٦ - ٧٩/ رقم ٣٦١)، والحاكم (٢/ ٥٩٧) وسكت عليه؛ فتعقبه الذهبى فقال: السعدى ليس بثقة. وأبو نعيم فى الحلية (١/ ١٦٦ - ١٦٨)، والبيهقى فى السنن (٩/ ٤)، وابن عدى فى الكامل (٧/ ٢٤٤) وقال ابن عدى: هذا حديث منكر. ورواه أحمد مختصراً (٥/ ١٧٨، ١٧٩).

وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ

قوله – تعالى – ﴿لكن الله يشهد بما أنزل إليك﴾ سبب نزول الآية: أن قوما من علماء اليهود حضروا عند النبى ﷺ، فقال لهم: «أنتم تعلمون أنى رسول الله؟ فقالوا: لانعلم ذلك؛ فنزل قوله: ﴿لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه﴾»(١) أى: مع علمه، كما يقال: جاءنى فلان بسيفه، أى: مع سيفه، وفيه دليل على أن لله علما، هو صفته، خلاف قول المعتزلة خذلهم الله.

﴿والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا﴾ فإن قيل: إذا شهد الله له بالرسالة، فأى حاجة إلى شهادة الملائكة؟ قيل: لأن الذين حضروا عند النبى ﷺ، كان عندهم أنهم علماء الأرض؛ فقالوا: نحن علماء الأرض، ونحن ننكر رسالتك، فقال الله تعالى: إن أنكره علماء الأرض، يشهد به علماء السماء، وهم الملائكة، على مقابلة زعمهم وظنهم؛ لا للحاجة إلى شهادتهم؛ فإنه قال: ﴿وكفى بالله شهيدا﴾

قوله – تعالى –: ﴿إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾ صدهم عن سبيل الله كان بكتمان نعت محمد ﴿قد ضلوا ضلالا بعيدا﴾ أى: هلكوا، والضلال: الهلاك.

قوله – تعالى –: ﴿إن الذين كفروا وظلموا﴾ فإن قال قائل: أى معنى لقوله: ﴿وظلموا﴾ وقد قال: ﴿كفروا﴾ وظلمهم كفرهم؟ قيل: معناه: كفروا بالله، وظلموا محمدا بكتمان نعته.

وقيل: ذكره تأكيدا ﴿لم يكن الله ليغفر لهم﴾ فى هذا إشارة إلى أن الله – تعالى – لو غفر للكافرين أجمع، كان يسع ذلك رحمته، لكنه قطع القول بأن لايغفر لهم،

---

(١) رواه الطبرى فى التفسير (٦ / ٢٢) عن ابن عباس، وعزاه السيوطى فى الدر (٢ / ٢٧٢) لابن إسحاق، وابن المنذر، والبيهقى فى الدلائل.

الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا

﴿ ولا ليهديهم طريقا ﴾ يعنى: الإسلام ﴿ إلا طريق جهنم ﴾ يعنى: اليهودية ﴿ خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا ﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم ﴾ تقديره: يكن الإيمان خيرا لكم ﴿ وإن تكفروا فإن لله ما فى السموات والأرض وكان الله عليما حكيما ﴾.

قوله تعالى: ﴿ يا أهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم ﴾ الغلو: مجاوزة الحد، والآية فى النصارى، قال الحسن: يجوز أن تكون فى اليهود والنصارى؛ فإنهم غلوا فى أمر عيسى، أما اليهود بالتقصير فى حقه، وأما النصارى بمجاوزة الحد فيه.

والغلو غير محمود فى الدين، روى ابن عباس عن النبى ﷺ أنه قال: «إياكم والغلو فى الدين؛ فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو».(١)

﴿ ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ﴾ وقد بينا أقوال العلماء فى كونه «كلمة» وجملته(٢) ثلاثة أقاويل: أحدها: أنه بكلمته، وهى قوله: كن، فكان، والثانى: أنه يهتدى به، كما يهتدى بكلمة الله، الثالث: كلمته: بشارته التى بشر بها فى الكتب «يكون عيسى» فهذا معنى قوله: ﴿ وكلمته ﴾ ﴿ ألقاها إلى مريم وروح منه ﴾ وفى تسميته «روحا» ثلاثة أقاويل:

(١) أخرجه النسائى (٥/٢٦٨/ رقم ٣٠٥٧)، وابن ماجة (٢/١٠٠٨/ رقم ٣٠٢٩)، وأحمد (١/٢١٥، ٣٤٧)، وأبو يعلى (٤/٣١٦، ٣٥٧/ رقم ٢٤٢٧) وابن خزيمة (٤/٢٧٤/ رقم ٢٨٦٧، ٢٨٦٨)، وابن حبان - الإحسان (٩/١٨٣ - ١٨٤/ رقم ٣٨٧١)، وابن الجارود (ص ١٩٣ - ١٩٤/ رقم ٤٧٣)، والحاكم (١/٤٦٦) وصححه على شرط الشيخين والطبرانى فى الكبير (١٢/١٥٦/ رقم ١٢٧٤٧) والبيقهى فى الكبرى (٥/١٢٧) وأبو نعيم فى الحلية (٢/٢٢٣).

(٢) فى «ك»: وجملتها.

بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ

أحدها: أنه كان له روح كسائر الأرواح، إلا أن الله - تعالى - أضافه إلى نفسه تشريفا.

والثاني: أنه تحيا به القلوب، كما تحيا الأبدان بالروح.

الثالث: أن الروح: هو النفخ الذى نفخ فى مريم جبريل بإذن الله؛ فسمى ذلك النفخ روحا.

﴿فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة﴾ وكانت النصارى يقولون بالثلاثة، كانوا يقولون: ابن، وآب، وروح القدس، وهذا معنى قوله - تعالى -: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾(١) وقوله: ﴿انتهوا خيرا لكم﴾ تقديره: يكن الانتهاء خيرا لكم.

﴿إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد﴾ واعلم أن الله - تعالى - كما لايجوز له أن يتخذ ولداً، لايجوز عليه التبنى؛ فإن التبنى إنما يكون حيث يكون به الولد، فإذا لم يتصور لله ولد لم يجز عليه التبنى ﴿له مافى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلا﴾.

قوله تعالى: ﴿لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله﴾ الاستنكاف: التكبر مع الأنفة، ومعناه: لن يأنف المسيح أن يكون عبدا ﴿ولا الملائكة المقربون﴾ واستدل بهذه الآية من ذهب إلى تفضيل الملائكة على البشر؛ لأن الله تعالى ارتقى من عيسى إلى الملائكة، وليس فى الآية مستدل، وإنما قال: ﴿ولا الملائكة المقربون﴾[لا](٢) لامتناع مكانهم ومقامهم على مقام البشر، وإنما قال ذلك على ما عند النصارى،

(١) المائدة: ٧٣.

(٢) ليست فى «الأصل، ولا ك»، والسياق يقتضيها.

فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ

ولعله كان عندهم أن الملائكة أفضل من البشر، فقال ذلك على ما فى زعمهم.

وقوله: ﴿ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا﴾ الفرق بين الاستنكاف والاستكبار: أن الاستنكاف هو التكبر مع الأنفة، والاستكبار: هو الغلو، والتكبر من غير أنفة.

﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله﴾ قيل: زيادة فضله: ما لاعين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

وقيل: هو الشفاعة، وفى الحديث: «يشفع الصالحون يوم القيامة لمن يعرفون». ﴿وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولايجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا﴾.

قوله - تعالى -: ﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم﴾ قيل: هو محمد ﷺ، على هذا أكثر المفسرين. وقيل: هو القرآن.

والبرهان فى اللغة: هو الحجة ﴿وأنزلنا إليكم نورا مبينا﴾ هو القرآن.

قوله تعالى: ﴿فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل﴾ يعنى الجنة ﴿ويهديهم إليه صراطا مستقيما﴾.

قوله - تعالى -: ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة﴾ روى عن البراء بن عازب أنه قال: آخر سورة أنزلت كاملة: سورة براءة، وآخر آية أنزلت هذه الآية.

فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ

وسبب نزول الآية ما روى: «أن النبى ﷺ دخل على جابر وهو مريض، وكان قد أغمى عليه، فدعا بماء وتوضأ، ثم رشه عليه، فأفاق، فقال جابر: يارسول الله، ماذا أصنع فى مالى، وإنما ترثنى كلالة؟ فنزلت الآية»[(١)]، وقد سبق الكلام فى الكلالة.

وتلك الآية فى توريث الإخوة والأخوات من الأم، وهذه الآية فى توريث الإخوة والأخوات من الأب والأم، ومن (الأب)[(٢)] ﴿إن امرؤ هلك ليس له ولد﴾ تقديره: ليس له ولد، ولا والد، وعلى هذا أكثر العلماء، أن الكلالة: هذا، وأن الأخوة والأخوات لايرثون مع الأب، إلا ما يحكى عن عمر - رضى الله عنه -: أنه ورثهم مع الأب، وقد سبق.

قوله - تعالى -: ﴿ليس له ولد﴾ أراد به: الذكر، وعلى هذا أكثر العلماء: أن الإخوة والأخوات إنما لايرثون مع الابن، ويرثون مع البنت، وحكى عن ابن عباس، وبه قال داود وأهل الظاهر -: أن الإخوة والأخوات لايرثون مع البنت، تمسكا بظاهر الآية، وقد بينا أن المراد به: الإبن، والآية فى نفى الفرض مع الولد وعندنا: إنما يرثون بالتعصيب، فإن الأخوات مع البنات عصبة.

قوله - تعالى -: ﴿وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأُنثيين يبين الله لكم أن تضلوا﴾.

قال الفراء: معناه: يبين الله لكم أن لاتضلوا، وهو قول أبى[(٣)] عبيدة، قال أبو عبيدة: وذكر الكسائى حديثا فى معناه؛ فأعجبه ذلك، وذلك ما روى عن النبى ﷺ أنه قال: «لايدعون أحدكم على ابنه أن يوافق قدرا»[(٤)] أى: أن لايوافق قدرا.

(١) تقدم تخريجه فى أول السورة تحت آية الكلالة.

(٢) فى «ك»: الأم.

(٣) فى «ك»: أبو، وهو خلاف الجادة.

(٤) رواه مسلم (١٨/١٨٦-١٨٧/رقم٣٠٠٩)، وأبو داود (٢/٨٨/رقم١٥٣٢) وابن حبان - (الاحسان- (١٣/٥١ - ٥٢/ رقم ٥٧٤٢) من حديث جابر.

الأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾

وقال البصريون: معناه: يبين الله لكم كراهية أن تضلوا ﴿والله بكل شيء عليم﴾.

والله أعلم، صدق الله وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ

تفسير سورة المائدة

القول فى تفسير سورة المائدة قال الشيخ الإمام - رضى الله عنه - سورة المائدة مدنية كلها إلا قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا﴾(١) فإنه نزل بعرفات على ما سنبين، وقال الحسن البصرى: كلها محكمة لم ينسخ منها شىء وقال الشعبى: لم ينسخ منها شىء. إلا قوله - تعالى -: ﴿يا أيها الذين آمنوا لاتحلوا شعائر الله﴾(٢) على ما سنبين.

وروى عن أبى ميسرة أنه قال: أنزل الله - تعالى - فى هذه السورة ثمانية عشر حكما لم ينزلها فى سائر القرآن.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾ قد ذكرنا أن كل ما فى القرآن من قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ فإنما نزل بالمدينة، وكل ما نزل من قوله: ﴿يا أيها الناس﴾ فإنما أنزل بمكة، وعن ابن مسعود أنه قال: إذا سمعت الله - تعالى - يقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ فارعه سمعك، فإنه خير تؤمر به أو سوء تنهى عنه.

وقوله: ﴿أوفوا بالعقود﴾ يقال: «أوفى» و «وفىّ» بمعنى واحد، وأما العقود: قال على بن أبى طلحة الوالبى، عن ابن عباس أنه قال: أراد بالعقود: ما أحل الله وحرم، وفرض وحدّ(٣).

وقال مجاهد :أراد بالعقود: العهود، وقيل الفرق بين العقد والعهد: أن العهد: هو الأمر بالشىء، يقال: عهدت إلى فلان كذا، أى: أمرته به، والعقد: هو الأمر مع الإستيثاق، ويدخل فى العقود النذور، وسائر العقود اللازمة يجب الوفاء بكل إلا

(١) المائدة: ٣.

(٢) المائدة: ٢.

(٣) فى «ك» وحده.

مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا

اليمين على شيء مباح، لايجب الوفاء به؛ للسنة، وهى ماروى عن رسوله الله ﷺ أنه قال: «من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها؛ فليكفر عن يمينه، وليأت الذى هو خير»(١).

قوله – تعالى –: ﴿أحلت لكم بهيمة الأنعام﴾ قال الحسن: أراد به الإبل، والبقر والغنم، وحكى قطرب عن يونس: هى الإبل، والبقر، والغنم، والخيل والبراذين، وروى الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس أنه قال: بهيمة الأنعام وهى: بقر الوحش، وحمر الوحش، وظباء الوحش، وسميت البهيمة بهيمة لاستبهام فيها، حيث لانطق لها يفهم، وبذلك سميت عجماء أيضا.

والمراد: ببهيمة الأنعام: هى الأنعام، لكن أضافه إلى نفسه، كما يقال: نفس الإنسان، وحق اليقين، ونحو ذلك، وروى قابوس بن أبى ظبيان عن ابن عباس أنه قال: بهيمة الأنعام: هى الأجنة ﴿إلا ما يتلى عليكم﴾ يعنى ما ذكر فى قوله: ﴿حرمت عليكم الميتة﴾(٢) ﴿غير محلى الصيد﴾ قيل هو نصب على الاستثناء، وقيل على الحال ويعنى «لامحلى الصيد» كما قال – تعالى –: ﴿غير ناظرين إناه﴾(٣) أى: لاناظرين إناه، ﴿وأنتم حرم﴾ فيه تحريم الصيد فى حال الإحرام ﴿إن الله يحكم ما يريد﴾.

قوله – تعالى –: ﴿يا أيها الذين آمنوا لاتحلوا شعائر الله﴾ قال أبو عبيدة: الشعائر الهدايا المشعرة، وهى المعلمة بالإشعار، وكانوا (ينخسون)(٤) شيئا فى سنام البعير حتى يتلطخ بالدم، فذلك إشعار الهدى، وهو سنة، وقال مجاهد: أراد بالشعائر

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه (١١/١٦٤ – ١٦٦/ رقم ١٦٥١) وأحمد (٤/٢٥٧)، والنسائى (٧/١١/رقم ٣٧٨٥ – ٣٧٨٧) وابن ماجة (١/٦٨١/ رقم ٢١٠٨) من حديث عدى بن حاتم رضى الله عنه. وروى من حديث أبى هريرة كما عند مسلم (١١/١٦٣ – ١٦٤/ رقم ١٦٥٠). وغيره.

(٢) المائدة: ٣.

(٣) الأحزاب: ٥٣

(٤) فى «ك» يتجنبون.

مشاعر الحرم من الصفا والمروة وغيرهما، والمراد به النهى عن القتل فى الحرم.

﴿ولا الشهر الحرام﴾ قال عكرمة: أراد به: ذا القعدة، وقال غيره: رجب، وقيل: هو عبارة عن جميع الأشهر الحرم، وقوله: ﴿ولا الهدى ولا القلائد﴾ فالهدى: جمع الهدية، والمراد به: إبل الهدى، وأما القلائد: هى الإبل المقلدة، وكانوا يقلدون إبل الهدى، وقال عطاء: أراد به: أصحاب القلائد، وكانت عادة أهل الحرم أن يقلدوا أنفسهم، وإبلهم بشىء من لحاء شجر الحرم إذا أرادوا الخروج؛ لكيلا يتعرض لهم؛ فنهى الشرع عن التعرض لهذه الأشياء.

﴿ولا آمّين البيت الحرام﴾ أى: ولاتتعرضوا للقاصدين إلى البيت الحرام، وسبب نزول هذا: ماروى: «أن الحطم بن ضبيعة جاء فى نفر إلى رسول الله ﷺ بالمدينة، فعرض عليهم الإسلام، فلم يقبلوا وتعللوا وانصرفوا؛ حتى قال - عليه السلام - فيه: لقد أقبل بوجه كافر وأدبر بقفا غادر.

فذهب واستاق سرح المدينة؛ فتبعوه فلم يدركوه وهو يستاق الإبل، ويرتجز ويقول:

قد لفها الليل بسواق حطم ليس براعى إبل و لا غنم

ولابجزار على ظهر وضم

فلما كان بعد فتح مكة، لقيه المسلمون فى الموسم حاجا، ومعه إبل مشعرة وقلائد؛ فقصدوه، ولقيه النبى ﷺ فأشار إلى أصحابه، وقال: دونكم الرجل؛ ليأخذوه؛ فنزلت الآية»(١) منعًا للتعرض له ولشعائره وقلائده، قال الشعبى: كان هذا

(١) ذكره الواحدى فى أسباب النزول (ص١٣٩ - ١٤٠) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما.
وأخرجه الطبرى فى التفسير (٦/٣٨-٣٩) عن السدى، و (٦/٣٩) عن عكرمة.
وعزاه السيوطى فى الدر (٢/٢٧٩) لابن المنذر عن عكرمة أيضاً.

فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا

كذلك، ثم نسخ بقوله: ﴿اقتلوا المشركين﴾(١).

وقوله: ﴿يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا﴾ قال ابن عمر: أراد به فضل التجارة، وقيل: هو الأجر ﴿وإذا حللتم فاصطادوا﴾ وهذا أمر إباحة؛ أباح للحالِّ الاصطياد.

﴿ولايجرمنكم شنآن قوم﴾ قال أبو عبيدة: جرم أى: كسب، ويقال: فلان جارم أهله، أى: كاسب أهله، و(أنشد)(٢)

ولقد طعنت أبا عيينة طعنة جَرَمَتْ فَزَارَةَ بعدها أن يغضبوا

أى: كسبت، وقرأ الأعمش: ﴿ولايُجرمنكم﴾ بضم الياء، وهو صحيح فى العربية، يقال: جرّم وأجرم، بمعنى واحد، وقيل: معناه: ولايحملنكم شنآن قوم، أى: عداوة قوم.

﴿أن صدوكم﴾ أى: لأن صدوكم، وقرأ أبو عمرو: «إن صدوكم» على الشرط ومعنى الآية: لايحملنكم عداوة قوم صدوكم ﴿عن المسجد الحرام أن تعتدوا﴾ عليهم.

﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ البر: الصدق، وقيل البر: الاجتناب عن كل منهى. وفيه قول آخر: أن البر الإسلام، والتقوى: السنة.

﴿ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ الإثم: الكفر، والعدوان: البدعة، وقيل: الإثم الكفر، والعدوان: الظلم ﴿واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾.

قوله - تعالى -: ﴿حرمت عليكم الميتة والدم﴾ فالميتة: هى الحيوان الميت، والدم: دم الحيوان يراق ويسفح فهو حرام، وكان أهل الجاهلية يجعلون الدم فى

(١) التوبة: ٥

(٢) فى «ك» وأنشدوا.

عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا

المباعر، ويسوونها ثم يأكلون؛ فجاء الشرع بتحريمه، وسئل ابن عباس عن الطحال، فقال: كلوه، فقيل: أليس بدم؟ قال: إن الله - تعالى - إنما حرم الدم المسفوح.

﴿ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به﴾ يعنى: سمى على ذبحه غير الله، وقيل: هو ما يذبح على الأصنام؛ فهذه الأربعة حرام، وقيل: إنها ما أُبيحت فى شرع ما، حتى قيل: إن آدم - صلوات الله عليه - نزل إلى الأرض ومعه تحريم هذه الأربعة.

﴿والمنخنقة﴾ هى الشاة التى تُخنق بحبل فتموت ﴿والموقوذة﴾ هى التى كانت يضربونها عند الصنم، حتى إذا ماتت أكلوها ﴿والمتردية﴾ التى تتردى من موضع عال فتموت.

﴿والنطيحة﴾ هى التى تنطحها أخرى فتموت ﴿وما أكل السبع﴾ ويقرأ بجزم الباء على التخفيف، ومعناه وما بقى مما أكل السبع ﴿إلا ما ذكيتم﴾ حرم هذه الأنواع، واستثنى المذكاة، وأصل التذكية: الإتمام، يقال: ذكيت النار، إذا أتممت إيقادها، ويقال: فلان ذَكِيٌّ، إذا كان تام الفهم، والزكاة فى الشرع معروفة.

﴿وما ذبح على النصب﴾ يعنى: على الأصنام، والنُصُب: نوع من الأصنام، والفرق بينها وبين الأصنام: أن الأصنام: هى المصورة المنقوشة، والنُصُب: لاتكون منقوشة، ولا مصورة، وقيل: كانت لهم أحجار منصوبة حول الكعبة، كانوا يعبدونها، ويتقربون إليها بالذبائح، ويلطخونها بالدماء؛ فحرمه الشرع.

﴿وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق﴾ الاستقسام: طلب النصيب والأزلام: الأقداح واحدها: «زَلَم» وقيل: «زُلَم» أيضا وهى سهام كانت عند سدنة الكعبة، وكان مكتوبا على واحد اخرج، وعلى آخر: لاتخرج، وعلى واحد: أمرنى ربى وعلى آخر: نهانى ربى، وكان فيها واحد غفل، ويسمى منتحا، ليس عليه شيء مكتوب،

بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ

وكان الرجل منهم إذا أراد سفرا يأتى سادن البيت حتى يجيل الأقداح؛ فإن خرج الغفل يجيله ثانيا، حتى يخرج آخر، فإن خرج الذى عليه: «اخرج» خرج إلى السفر، وإن خرج: «لاتخرج» لم يخرج؛ فنهى الشرع عنه، ومن ذلك الحكم بالنجوم وضرب الحصا والطيرة والكهانة، وكل ذلك منهى عنه، قال ﷺ: «من تطير أو تكهن أو تعرف؛ لم ينظر إلى الجنة يوم القيامة»(١) وقال الشعبى، وغيره: الأزلام للعرب، والكعاب للعجم.

وقوله: ﴿اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشونِ﴾ وذلك أن الكفار كانوا يطمعون فى عود المسلمين إلى دينهم، حتى فتحت مكة، وأظهر الله الإسلام؛ أيسوا من ذلك؛ فهذا معنى قوله: ﴿اليوم يئس الذين كفروا من دينكم﴾ أن يذهب، وترجعوا إلى دينهم.

قوله - تعالى -: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ نزل هذا بعرفات، ورسول الله ﷺ على ناقته العضباء؛ فبركت من ثقل الوحى(٢)، وروى «أن رجلا من اليهود قال لعمر رضى الله عنه: إنكم تقرءون آية لو علينا أنزلت، لاتخذنا ذلك اليوم عيدا، يعنى اليوم الذى أنزلت فيه، فقال عمر: أنا أعلم أنها أى يوم أنزلت، أنزلت يوم الجمعة عشية عرفة، وأشار به إلى أن ذلك اليوم لنا عيد»(٣).

---

(١) رواه تمام فى فوائده (٢/١٦٨/ رقم ١٤٤٤) وابن عساكر فى تاريخه (١٨/٩٨) واللفظ له، من حديث أبى الدرداء مرفوعاً.

ورواه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم (١/٥٤٥/ رقم ٩٠٣) وابن عساكر فى تاريخه (١٨/٩٨)، عن أبى الدرداء موقوفاً، وقال الدارقطنى فى العلل (٦/٢١٩): وهو المحفوظ.

(٢) أخرجه الطبرى فى التفسير (٦/٥١) من طريق السدى عن أسماء بنت عميس.

(٣) متفق عليه من حديث طارق بن شهاب رواه البخارى فى صحيحه (٨/١١٩/رقم ٤٦٠٦)، ومسلم (١٨/٢٠٢ - ٢٠٣ رقم ٣٠١٧).

ومعنى قوله: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ أى: فى الشرائع والأحكام؛ لأنها نزلت بعد استقرار الشرائع والأحكام، وقيل: لم ينزل بعد هذه الآية شىء من الأحكام حتى قيل: إن قوله: ﴿يستفتونك﴾(١) فى آية الكلالة، إنما نزل قبل هذه الآية، وقيل: بعدها.

واعلم أن الشرائع لم تنزل جملة، وإنما نزلت شيئا فشيئا، فإن فى الابتداء حين كان بمكة كان الواجب الإتيان بالشهادتين، والإيمان بالبعث، والجنة والنار، وركعتين غدوة، وركعتين عشية، وأن يكفو أيديهم عن القتال، ويصبروا على أذى المشركين، فلما كان ليلة المعراج – وهى قبل الهجرة بثمانية عشر شهرا – فرض الله عليه وعلى أمته خمسين صلاة، ثم ردت إلى خمس صلوات، كما عرف فى القصة، ثم لما هاجر إلى المدينة، فرض الله عليه الجهاد، والزكاة، ثم الصوم سنة الثالث من الهجرة، وفرض الحج سنة السابع من الهجرة، ثم فتح مكة، فلما حج حجة الوداع؛ أنزلت هذه الآية سنة عشر من الهجرة، ولم ينزل بعدها شىء من الأحكام كما بينا، وعاش بعد ذلك رسول الله ﷺ إحدى وثمانين ليلة، وتوفى فى اليوم الثانى من ربيع الأول، وقيل: توفى فى الثانى عشر من ربيع الأول، وهذا أصح.

وكانت هجرته فى الثانى عشر من ربيع الأول أيضا، واستكمل عشر سنين، وخرج من الدنيا ﷺ.

وفيه قول آخر: أن معنى قوله: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ أى: أمنتكم من العدو، وأظهرت دينكم، وأتممت عليكم نعتمى، ورضيت لكم الإسلام دينا، روت عائشة عن النبى ﷺ أنه قال: «يقول الله – تعالى – : إنى نظرت فى الأديان فارتضيت لكم الإسلام دينا؛ فأكرموه بالسخاء، وحسن الخلق ما صحبتموه، فإن

(١) النساء: ١٧٦.

اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا

البخيل بعيد من الله، بعيد من الناس، بعيد من الجنة، قريب من النار»[١].

﴿فمن اضطر فى مخمصة﴾ : المخمصة : خلاء الجوف عن الغذاء، وفى المثل : «البطنة بعدها الخمصة» ﴿غير متجانف لإثم﴾ أى : غير مائل إلى إثم، وهو مجاوزة الشبع فى أكل الميتة، أو يأكلها تلذذا ﴿فإن الله غفور رحيم﴾ .

قوله – تعالى – : ﴿يسألونك ماذا أحل لهم﴾ سبب نزول الآية : أن زيد بن الخيل الطائى، وعدى بن حاتم الطائى سألا رسول الله ﷺ وقالا : إنا نصطاد بالكلاب، فماذا يحل (منه)[٢] وما يحرم منه؟ فنزلت الآية[٣]، وقيل : سبب نزول الآية : أن النبى ﷺ

(١) لم نجده من حديث عائشة بهذا اللفظ، وإنما روى عن عائشة من أول قوله : والبخيل بعيد من الجنة . . .» الحديث . رواه ابن أبى حاتم فى العلل (٢/٢٨٣/رقم ٢٣٥٢)، وابن الجوزى فى الموضوعات (٢/١٨٠ – ١٨١) من طريقين عنها، وقال ابو حاتم : هذا حديث باطل، وسعيد ضعيف الحديث، أخاف أن يكون أدخل له، وعزاه السيوطى فى الدر (٦/٢١٨) للبيهقى، وضعفه .

وقد روى من حديث أبى هريرة، رواه الترمذى فى جامعه (٥/٣٠٢/رقم ١٩٦١) وقال : هذا حديث غريب لانعرفه من حديث يحيى بن سعيد عن الأعرج عن أ بى هريرة إلا من حديث سعيد بن محمد، وقد خولف سعيد بن محمد فى رواية هذا الحديث عن يحيى بن سعيد، إنما يروى عن يحيى بن سعيد، عن عائشة شيء مرسل .

ورواه ابن أبى حاتم فى العلل أيضاً (٢/٢٨٣ – ٢٨٤) رقم ٢٣٥٣)، وابن الجوزى فى الموضوعات (٢/١٨٠) وقال أبو حاتم هذا حديث منكر .

وأما الشطر الأول من الحديث فقد روى من حديث أبى سعيد الخدرى كما فى تاريخ أصبهان لأبى نعيم (١/١٤٨)، ومن حديث عمران بن حصين، كما عند الطبرانى فى الكبير (١٨/١٥٩/رقم ٣٤٧) والأوسط كما فى مجمع البحرين – (٣/٥٢ – ٥٣/ رقم ١٤١٥) .

وقال الهيثمى فى المجمع (٣/١٣٠) وفيه عمرو بن حصين العقيلى، وهو متروك، ومن طريق الطبرانى رواه أبو نعيم فى الحلية (٢/١٦٠) .

وروى من حديث جابر أيضاً كما فى الدر المنثور (٦/٢١٨) وعزاه للبيهقى وضعفه .

(٢) فى «ك» : منها .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر (٢/٢٨٥) لابن أبى حاتم عن سعيد بن جبير، وذكره الواحدى فى أسباب النزول (ص١٤٢) عن سعيد ورواه غير واحد عن عدى بن حاتم فقط انظر الدر المنثور .

عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ

لما أمر بقتل الكلاب، وقالوا يارسول الله: ماذا يحل لنا من هذه الأمة[1] التى أمرت بقتلها؟ فنزلت الآية[2]، والأول أصح.

﴿قل أحل لكم الطيبات﴾ فالطيبات: كل ما تستطيبه العرب، وتستلذه من غير أن يرد بتحريمه كتاب أو سنة ﴿وما علمتم من الجوارح﴾ أى: الكواسب، يقال: جرح، واجترح، إذا كسب، ومنه سميت اليد جارحة؛ لأنها كاسبة، قال الشاعر:

ذات حل حسن ميسمها　　　يذكر الجارح وما كان جرح

أى: ما كان كسب ﴿مكلبين﴾ وقرئ فى الشواذ «مكلبين» يقال: كلبه فهو مكلب، وأكلب فهو مكلب: إذا كثر كلابه، وهو مثل قولهم: أَمْشَى إذا كثرت ماشيته، قال الشاعر:

وكل فتى وإن أمشى وأَثْرى　　　[سيخلجه][3] عن الدنيا المنون

قال الأزهرى: ومعنى الكلام: وأحل لكم ما علمتم من الجوارح فى حال تكليبكم وتَضْرِيَتِكُم إياها على الصيد، واعلم أن حل الصيد لايختص بصيد الكلب على قول جمهور العلماء.

وقال طاووس: يختص به؛ تمسكا بقوله: ﴿مكلبين﴾ وهذا خلاف شاذ، ومعنى قوله: ﴿مكلبين﴾ أى: محرشين، ومغرين على الصيد، ويستوى فى ذلك كل الجوارح ﴿تعلمونهن مما علمكم الله﴾ تؤدبونهن مما أدبكم الله.

---

(١) فى «الأصل، وك»: الآية.

(٢) رواه الطبرى فى التفسير (٦/ ٥٧)، والحاكم فى مستدركه (٢/ ٣١١) وصحح إسناده، والبيهقى فى الكبرى (٩/ ٢٤٥) من حديث أبى رافع، وعزاه الهيثمى فى المجمع (٤/ ٤٥-٤٦) للطبرانى فى الكبير، وقال: فيه موسى بن عبيدة الربذى وهو ضعيف. وعزاه السيوطى فى الدر (٢/ ٢٨٥) للفريابى، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٣) فى «الأصل، وك»: سيخجله. وهو خطأ.

سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا

﴿فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه﴾ أباح صيد الجوارح إذا أمسكن على المالك، ولاخلاف فيه، فأما إذا أكل(١) من الصيد، هل يكون ممسكا على المالك، وهو يحل؟ فيه اختلاف بين الصحابة، قال سعد بن أبى وقاص، وسلمان الفارسى: إنه يحل، حتى قال سعد: كل ما أخذ كلبك، وإن بقيت منه جدية أى: قطعة، وهذا أحد قولى الشافعى - رضى الله عنه - وقال ابن عباس، وعدى بن حاتم: إنه لايحل، وهو القول الثانى للشافعى، وبه قال أكثر المفسرين، وأما الكلام فى التسمية سيأتى فى الأنعام ﴿واتقوا الله إن الله سريع الحساب﴾.

قوله - تعالى -: ﴿اليوم أحل لكم الطيبات﴾ ذكر اليوم هاهنا صلة، وقد بينا معنى الطيبات، وفيه قول آخر: أن الطيبات هن طاهرات، وكل طاهر حلال.

﴿وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم﴾ قال مجاهد، وإبراهيم النخعى: أراد به: ذبائح أهل الكتاب ﴿وطعامكم حل لهم﴾ فإن قال قائل: كيف أحل لهم طعامنا وشرع لهم ذلك وهم كفار، وليسوا من أهل الشرع؟ أجاب الزجاج فقال: معناه: حلال لكم أن تطعموهم؛ فيكون خطاب الحل مع المسلمين، قال غيره: وإنما قال ذلك لأنه ذكر عقيبه (حكم)(٢) النساء، ولم يذكر حل المسلمات لهم فكأنه قال: حلال لكم أن تطعموهم، حرام لكم أن تزوجوهم.

﴿والمحصنات من المؤمنات﴾ هذا راجع إلى النسق الأول، ومنقطع عن قوله: ﴿وطعامكم حل لهم﴾ ﴿والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ قال الحسن: أراد به: العفائف، وقال مجاهد: أراد به: الحرائر، وفيه إباحة الحرة الكتابية للمسلم وقضية تحريم الأمة الكتابية، وعليه أكثر العلماء، وهو قول علماء الكوفة مثل الشعبى والنخعى وسعيد بن جبير وجماعة. وهذا فى الكتابية الذمية؛ فأما الحرة الكتابية

(١) فى «ك»: أكلن.

(٢) فى «ك»: حِل.

الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥﴾ يَا

الحربية، فعلى قول أكثر العلماء تحل للمسلم، وقال ابن عباس: لاتحل، وقرئ ﴿المحصنات﴾ بكسر الصاد، وإحصان الكتابية أن تستعفف عن الزنا، وتغتسل [من](١) الجنابة ﴿إذا آتيتموهن أجورهن﴾ أى: مهورهن. ﴿محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان﴾.

﴿ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله﴾ قال مجاهد: أراد به: من يكفر بالله الذى يؤمَن به، وقال الكلبى: أراد به: ومن يكفر بكلمة الشهادة، وقال الربيع بن أنس: أراد به ومن يكفر بالقرآن، قال الزجاج: معنى قوله: ﴿ومن يكفر بالإيمان﴾ يعنى: بتحليل الحرام، وتحريم الحلال، أى: ومن يستحل الحرام، أو يحرم الحلال ﴿فقد حبط عمله﴾ وهذا أقرب إلى نظم الآية فى الإباحات، وتحليل المحرمات، وقوله ﴿فقد حبط عمله﴾ أى: بطل عمله ﴿وهو فى الآخرة من الخاسرين﴾.

قوله - تعالى -: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة﴾ يعنى: إذا أردتم القيام إلى الصلاة، وذلك مثل قوله: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله﴾(٢) أى: فإذا أردتَ القراءة. تقول: إذا اتَّجَرْتَ فاتَّجِر فى البُر، وإذا جالست، فجالس فلانا، أى: إذا أردت المجالسة.

وظاهر الآية يقتضى أنه يجب الوضوء عند كل قيام إلى الصلاة، ولكن بالسنة عرفنا جواز الجمع بين الصلوات بوضوء واحد، فإن رسول الله ﷺ جمع بين أربع صلوات يوم الخندق بوضوء واحد(٣) وجمع ﷺ بين خمس صلوات يوم فتح مكة

(١) في الأصل: عن.

(٢) النحل: ٩٨.

(٣) روى هذا من حيث أبي سعيد الخدري، رواه الشافعي في الأم (١/٨٦)، وأحمد في المسند ٣ (٦٧ - ٦٨)، وأبو يعلى في مسنده (٢/ ٤٧١/ رقم ١٢٩٦)، والبيهقي في الكبرى (١/٤٠٢).
وروى من حديث ابن مسعود، رواه الترمذي في جامعه (١/٣٣٧ رقم ١٧٩) ورواه النسائي (٢/١٧ - ١٨/ رقم ٦٦٢)، وأحمد (١/٣٧٥، ٤٢٢).
وروى من حديث جابر بن عبد الله أيضاً، انظر نصب الراية (٢/١٦٦).

بوضوء واحد[١]، وحكى عن على – رضى الله عنه – أنه قال: الوضوء لكل صلاة مكتوبة. وقيل: هو على الاستحباب. وقال زيد بن أسلم: تقدير الآية: إذا قمتم إلى الصلاة من المضاجع – يعنى: من النوم – فيكون إيجاب الوضوء بالحدث؛ لأن النوم حدث.

﴿فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق﴾ يعنى: مع المرافق، قال المبرد: إذا مُدّ الشيء إلى جنسه تدخل فيه الغاية، وإذا مُدَّ إلى خلاف جنسه، لاتدخل فيه الغاية، فقوله: ﴿إلى المرافق﴾ مُد إلى جنسه، فتدخل فيه الغاية. وأما قوله: ﴿ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾[٢] مُدّ إلى خلاف جنسه، فلا تدخل فيه الغاية. والمرفق سمى بذلك؛ لارتفاق الإنسان به بالاتكاء عليه.

﴿وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين﴾ قرأ نافع، وابن عامر، والكسائى، وحفص: بالنصب؛ فيكون تقديره: فاغسلوا وجوهكم وأيديكم وأرجلكم، وقرأ الباقون ﴿وأرجلِكم﴾ بالكسر[٣].

واختلف العلماء فى وجوب غسل الرجل، فأكثر العلماء – وعليه الإجماع اليوم – أن غسل الرجل و اجب، ويحكى عن على أنه قال: يجوز المسح على الرجل، وهو الواجب، وحكى خلاف عنه، قال الشعبى: نزل القرآن بغسلين ومسحين، وقال محمد بن جرير الطبرى: يتخير بين المسح والغسل؛ لاختلاف القراءة.

والأصح أنه يجب الغسل، وقد دلّت السنة عليه، فروى عن النبىﷺ أنه قال:

(١) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ٢٢٧/ رقم٢٧٧)، وأبو داود (١/ ٤٤/ رقم١٧٢)، والترمذي (١/ ٨٩/رقم ٦١) وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي (١/ ٨٦/ رقم١٣٣) وابن ماجة (١/ ٧٠/ رقم ٥١٠) من حديث بريدة. رضي الله عنه.

(٢) البقرة: ١٨٧.

(٣) وقرأ يعقوب بالنصب أيضًا. انظر النشر (٢/ ٢٥٤).

وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم

« ويل للأعقاب من النار »(١) وروى مرفوعا: « لايقبل الله - تعالى - صلاة أحدكم حتى يضع الطهور مواضعه؛ فيغسل وجهه، ثم يديه، ثم يمسح برأسه، ثم يغسل رجليه »(٢).

وقال ﷺ: « ما من رجل يتوضأ فيغسل وجهه إلا (خرجت)(٣) خطاياه التى نظر إليها بعينيه مع الماء أو مع آخر قطرة من الماء - إلى أن قال -: وإذا غسل رجليه، خرجت خطاياه التى مشت بها قدمه مع الماء، أو مع آخر قطرة من الماء »(٤)، وروى: « أنه ﷺ رأى رجلا توضأ، وبقى من رجله قدر ظفرة لم يصبه الماء؛ فقال: ارجع فأحسن الوضوء »(٥) وأمره بالرجوع دليل وجوب.

فأما قوله: ﴿ وأرجلكم إلى الكعبين ﴾ من قرأ بالنصب فهو ظاهر فى وجوب الغسل، وأما من قرأ بالخفض فتقديره: فامسحوا برءوسكم، واغسلوا أرجلكم. ويجوز أن يعطف الشيء على الشيء وإن كان يخالفه فى الفعل، قال الشاعر:

ورأيت زوجك فى الوغى ... متقلدا سيفا ورمحا

أى: متقلدا سيفا، ومتنكبا رمحا، وقال آخر:

علفتها تبنا وماء باردا

(١) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو، رواه البخاري (١/٣١٩/ رقم ١٦٣) ومسلم (٣/١٦٤ - ١٦٦/ رقم ٢٤١).

(٢) قال الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير (١/٩٧): لم أجده بهذا اللفظ، وقد سبق الرافعي إلى ذكره هكذا ابن السمعاني في « الاصطلام »، وقال النووي: إنه ضعيف غير معروف، وقال الدارمي في جمع الجوامع: ليس بمعروف ولا يصح.

(٣) في « ك »: خرت.

(٤) رواه مسلم (٣/١٦٧ - ١٦٩/ رقم ٢٤٤)، والترمذي (١/ ٦-٧/ رقم٢)، وأحمد في مسنده (٢/٣٠٣) وابن خزيمة في صحيحه (١/٥ رقم ٥)، وابن حبان فى صحيحه - الإحسان - (٣/٣١٥/رقم ١٠٤٠) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -.

(٥) رواه مسلم في صحيحه (٣/١٦٧/ رقم ٢٤٣)، وأحمد في مسنده (١/٢١) وابن ماجه (١/٢١٨/ رقم ٦٦٦) من حديث عمر - رضي الله عنه -.

وروى أيضاً من حديث أبي بكر، وأنس بن مالك وغيرهما، انظر نصب الراية (١/٣٥ - ٣٦).

مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾

أى: وسقيتها ماءً بارداً؛ فكذلك قوله - تعالى -: ﴿وامسحوا برءوسكم وأرجلكم﴾ أى: واغسلوا أرجلكم؛ إلا أنه خفض على الاتباع والمجاورة كما قالت العرب: «جحر ضب خرب»، ونحو ذلك.

وقال أبو زيد الأنصارى - وهو إمام اللغة - العرب قد تسمى الغسل الخفيف: مسحا، تقول العرب: تمسح ياهذا، يريدون به: اغتسل، فعطفه على المسح لاينفى الغسل؛ فيجوز أن يكون المراد بهذا المسح فى الرأس حقيقة المسح، وفى الرجل الغسل؛ ولأن غسل الرجل على الأغلب لايخلو عن مسح؛ [ولذلك](١) فساغ أن يسمى غسلها: مسحا، وقوله: ﴿إلى الكعبين﴾ يعنى: مع الكعبين، كما بينا فى المرافق، والكعبان: هما العظمان الناتئان على جانبى القدم.

﴿وإن كنتم جنبا فاطهروا﴾ أى: فاغتسلوا ﴿وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا﴾ وقد بينا الكلام فيه. ﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه﴾ وقوله: منه. دليل على أن الصعيد هو التراب؛ لتحقق المسح منه ﴿ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج﴾ أى: ضيق ﴿ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون﴾ قال محمد ابن كعب القرظى: أراد بإتمام النعمة: تكفير الخطايا بالوضوء على ما روينا، وهذا مثل قوله: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك﴾(٢) يعنى: بغفران الذنب، وفى الوضوء تكفير الخطايا التى ارتكبها فى الدنيا، ونور يوم القيامة قال ﷺ: «أمتى غرّ محجّلون من آثار الوضوء يوم القيامة؛ فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل»(٣).

(١) في «الأصل» و«ك»: وذلك.

(٢) الفتح: ٢.

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة، فرواه البخاري (١/ ٢٨٣/ رقم ١٣٦)، ومسلم (٣/ ١٧٠ - ١٧١/ رقم ٢٤٦).

وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا

قوله - تعالى -: ﴿واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به﴾ قال مجاهد: أراد به: الميثاق الذى أخذه الله - تعالى - على ذرية آدم قبل كون الخلق. وقال ابن عباس: أراد به: الميثاق الذى أخذه رسول الله ﷺ على كل من أسلم بالسمع والطاعة فى اليسر والعسر، والمنشط والمكره ﴿إذ قلتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور﴾ أى: [بما](١) فى الصدور.

قوله - تعالى -: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط﴾ أى: كونوا قوّامين بالعدل، قوّالين للصدق ﴿ولايجرمنكم﴾ أى: ولايحملنكم ﴿شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة﴾ قيل هذا فى موضع النصب، وفعل الوعد واقع عليه، ومثله قول الشاعر:

رأيت الصالحين لهم جزاء ... وجنات وعينا سلسبيلا

ومنهم من قال: ﴿لهم مغفرة﴾: ابتداء كلام، أى: لهم مغفرة موعودة، وموضع الرفع ﴿لهم مغفرة وأجر عظيم﴾، ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم﴾.

قوله - تعالى -: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم﴾ الهم: حديث النفس بالفعل، ويقال: أهم بالشىء واهتم به، إذا عنى به.

وفى سبب نزول الآية قولان: قال جابر: سببه «أن رسول الله ﷺ كان فى بعض الأسفار(٢)، فتفرق أصحابه فى العضاة فى منزل؛ فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة

(١) في «الأصل» و«ك»: كما.

(٢) في «ك»: أسفاره.

اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ

منها، وعلق سيفه بها، فجاء أعرابى، وسل سيفه، وقام على رأسه، وقال: من يمنعك منى؟ فقال: الله تعالى؛ فسقط سيفه وذهب، فنزلت الآية»(١).

وقال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وجماعة: نزلت الآية على سبب آخر، وذلك: «أن النبى ﷺ كان بينه وبين بنى قريظة عهد على أن يستعينوا به، وهو يستعين بهم على المشركين؛ فجاء يوما إليهم ليستعين بهم فى دية العامريين (ونزل)(٢) تحت حائط؛ فهموا أن يفتكوا به، فقال واحد منهم - يقال له عمرو بن حجاش -: أنا ألقى عليه حجرا؛ لتستريحوا منه؛ فنزل جبريل وأخبره بذلك»(٣) فهذا معنى قوله: ﴿إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ولقد أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا﴾ النقيب للقوم مثل الرئيس، وقال أبو عبيدة: النقيب: الكفيل، وقال غيره: هو الأمين، والنقيب فوق العريف، والمنكب عون العريف، وسمى نقيبا؛ للبحث والاستخراج الذى يكون منه.

(١) هذا الحديث ثابت في الصحيحين دون قوله: فنزلت الآية، فقد رواه البخاري (٦/ ١١٣/ رقم ٢٩١٠) ومسلم (١٥/ ٦٤/ رقم ٨٤٣).
وقد رواه الطبري في تفسيره (٦/ ٩٤) وزاد: وكان قتادة يذكر نحو هذا، وذكر أن قوماً من العرب أرادوا أن يفتكوا بالنبي ﷺ فأرسلوا هذا الأعرابي. وتأول: ﴿**اذكروا نعمة الله...**﴾ الآية.
وعزاه السيوطي في الدر (٢/ ٢٩٢) لعبد بن حميد، وابن المنذر، والبيهقي في الدلائل.

(٢) في «ك»: وجلس.

(٣) رواه الطبري في التفسير (٦/ ٩٤) وأبو نعيم في الدلائل - كما في الدر المنثور (٢/ ٢٩٢) عن ابن عباس بنحوه.
ورواه الطبري (٦/ ٩٣) عن مجاهد.
وفي كل الروايات: بنو النضير، وليس بني قريظة.

أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ

والقصة فى ذلك: أن موسى - صلوات الله عليه - جعل على قومه اثنى عشر نقيبا على كل سبط نقيبا، فروى أنه بعثهم إلى مدينة الجبارين ليتعرفوا ويستخبروا عن حالهم، فلما رجعوا، خوّفوا بنى إسرائيل من قتالهم، وقالوا: أنتم لا تقاومونهم، وخالفوا أمر موسى إلا (رجلان)[1] منهم، أحدهما: يوشع بن نون، والآخر: كالب بن يوقنا، وستأتى قصتهم مشروحة.

﴿ وقال الله ﴾ تعالى ﴿ إنى معكم ﴾ يعنى: بالنصر ﴿ لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلى وعزرتموهم ﴾ قال أبو عبيدة: معناه: عظمتوهم، وقال غيره: نصرتموهم، والتعزير: التأديب فى اللغة، وأصل التعزير: المنع؛ ولذلك سمى التأديب. تعزيرا؛ لأنه يمنع المؤدّب عن فعل ما أدب عليه وعن سعد بن أبى وقاص: أصبحت بنو أسد تعزرنى على الإسلام. أى: تؤدبنى.

﴿ وأقرضتم الله قرضا حسنا ﴾ وهو إخراج الزكاة، وقال زيد بن أسلم: معناه النفقة على الأهل، وعن بعض السلف أنه سمع رجلا يقول: ﴿ من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا ﴾[2] فقال: سبحان الله، والحمد لله ولا إله إلا الله، والله أكبر.

﴿ لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجرى من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك[منكم][3] فقد ضل سواء السبيل ﴾ أى: أخطأ طريق الحق.

قوله - تعالى -: ﴿ فبما نقضهم ﴾ « ما » صلة، أى: فبنقضهم ﴿ ميثاقهم لعناهم ﴾ أبعدناهم عن الرحمة ﴿ وجعلنا قلوبهم قاسية ﴾ أى: جافة غير لينة لاتدخلها الرحمة، وتقرأ: « قسية »[4] قيل: معناه: قاسية، فعيل بمعنى فاعل، وقيل: معناه: أن قلوبهم ليست بخالصة الإيمان؛ عاشوا بها بين الكفر والنفاق، ومنه « الدراهم القسيّة » وهى المغشوشة، قال الشاعر:

(١) في « ك »: رجلاً، وهو خطأ. (٢) البقرة: ٢٤٥.
(٣) ليست في « الأصل ». (٤) وهى قراءة حمزة، والكسائى، انظر النشر (٢ / ٢٥٤).

ذَلكَ منكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ

لها صواهل فى صم الخيل كما صاح القسية فى كف الصارف(١)

شبه صواهل الخيل فى صم الحجارة بصوت الدراهم فى كف الصيرفى ﴿يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ تحريفهم الكلم: هو تبديلهم نعت الرسول، وقيل المراد به: تحريفهم بسوء التأويل ﴿ونسوا حظا مما ذكروا به﴾ أى: ونسوا نصيبا مما ذكروا به، والحظ: النصيب.

﴿و لا تزال تطلع على خائنة منهم﴾ قيل الخائنة: الخيانة، فاعل بمعنى المصدر، مثل القائلة بمعنى القيلولة، هذا قول قتادة، وقال مجاهد: معناه: فرقة خائنة؛ لأن الآية فى اليهود؛ فيستقيم هذا التقدير ﴿ولا تزال تطلع﴾ على قوله: ﴿خائنة منهم﴾ ﴿إلا قليلا منهم﴾ يعنى: الذين أسلموا مثل: عبد الله بن سلام، وجماعة.

﴿فاعف عنهم واصفح﴾ أى: أعرض عنهم، ولاتتعرض لهم، وقيل: صار هذا منسوخا أيضا بقوله: ﴿قاتلوا الذين لايؤمنون بالله﴾(٢) فى سورة التوبة ﴿إن الله يحب المحسنين﴾.

قوله – تعالى –: ﴿ومن الذين قالوا إنا نصارى﴾ ومن اليهود، والصحيح أن الآية فى النصارى خاصة؛ لأنه قد تقدم ذكر اليهود، وقال الحسن البصرى – رحمه الله –: فى هذا دليل على أنهم نصارى بتسميتهم؛ لا بتسمية الله – تعالى – ﴿أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به﴾ هو كما بينا فى اليهود ﴿فأغرينا﴾ أى: أوقعنا ﴿بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة﴾ والإغراء: أصله الإلصاق، ومنه الغراء،

(١) كذا وقع البيت فى «الأصل، وك».

وفى لسان العرب (مادة: قسا»:

لهـا صواهـل فى صُمِّ السِّلامِ كمـا صاح القَسِيَّاتُ فى أيدى الصياريف

وعزا البيت لأبى زبيد.

(٢) التوبة: ٢٩.

﴿١٣﴾ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ
فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا
يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ
مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ

ومعناه: ألصقنا بهم العداوة حتى صاروا فرقا، وأحزابا، منهم اليعقوبية والملْكائية، والنسطورية. ﴿وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون﴾ .

قوله - تعالى -: ﴿يا أهل الكتاب﴾ والمراد به: أهل الكتابين: التوراة، والإنجيل، لكن ذكر الكتاب، وهو اسم الجنس، فينصرف إلى الفريقين ﴿قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما (كنتم)[1] تخفون من الكتاب﴾ يعني: اللَّذَيْنِ أخفوا من نعت محمد وآية الرجم، ونحو ذلك ﴿ويعفو عن كثير﴾ يعني: يعرض عن كثير مما أخفوا، فلا يتعرض له.

﴿قد جاءكم من الله نور﴾ قيل: هو الإسلام، (وسمى نور لأنه يهتدى به كما يهتدى بالنور، وقيل محمد ﷺ)[2] وسمى نورا لأنه يتبين به الأشياء، كما يتبين بالنور. ﴿وكتاب مبين﴾ هو القرآن.

قوله - تعالى -: ﴿يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام﴾ أى: يهدى به الله سبل السلام من اتبع رضوانه، قال السدى: السلام هو الله - تعالى - وسبل السلام: طريق الله - تعالى - وقال: السلام: هو السلامة، كاللذاذ واللذاذة بمعنى واحد، والمراد به: طرق السلامة.

﴿ويخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ يعني: من الكفر إلى (الإسلام)[3]، وسمى الكفر ظلمة؛ لأنه يتحير في الظلمة، [وسمى][4] الإسلام نورا لما بينا ﴿ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾ قيل: هو الإسلام، وقيل: [هو][5] القرآن.

قوله - تعالى -: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾ قيل: هذا قول اليعقوبية من النصارى، قالوا: إن المسيح إله، وقيل: إنهم لما قالوا: المسيح ابن

---

(١) ليست في «ك».
(٢) سقط من «ك».
(٣) في «ك» الإيمان.
(٤) ليست في «ك».
(٥) ليست في «الأصل».

اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

الله، وابن كل أحد يكون من جنسه، فكأنهم قالوا: المسيح هو الله.

﴿قل فمن يملك من الله شيئا﴾ أى: فمن يقدر أن يدفع أمر الله ﴿إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا﴾ ﴿ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير﴾ فيه إشارة إلى أن المستحق للألوهية من له ملك السموات، ومن له هذه القدرة فإياه فاعبدوا.

قوله - تعالى -: ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه﴾ يعنى: أن الله كالأب لنا فى الحنو، والعطف، ونحن كالأبناء فى القرب، والمنزلة، وقال إبراهيم النخعى - فى اليهود -: إنهم وجدوا فى التوراة: «يا أبناء أحبارى» فبدلوا، وقرءوا: «يا أبناء أبكارى» ؛ فمن ذلك قالوا: نحن أبناء الله، وأحباؤه، وأما فى النصارى فإنهم حكوا عن عيسى أنه قال: «أذهب إلى أبى و أبيكم»؛ فمن ذلك قالوا: نحن أبناء الله.

﴿قل فلم يعذبكم بذنوبكم﴾ يعنى: أن الأب لايعذب ابنه، والحبيب لايعذب حبيبه، أى: فلم يعذبكم الله بذنوبكم، وهو على زعمكم أبوكم وحبيبكم، ثم قال: ﴿بل أنتم بشر ممن خلق﴾ أى: آدميون من جملة الخلق ﴿يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير﴾.

قوله - تعالى -: ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل﴾ أى: على انقطاع من الرسل، واختلفوا فى زمان الفترة، قال أبو عثمان النهدى: زمان الفترة: بين عيسى ومحمد، وكان ستمائة سنة، وقيل خمسمائة سنة، وإنما سماه زمان الفترة؛ لأن الرسل كانوا بعد موسى تترى من غير انقطاع، ولم يكن بعد عيسى رسول سوى محمد ﷺ ﴿أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير﴾ قال الكوفيون: معناه: أن لاتقولوا: وقال البصريون معناه: كراهة أن تقولوا، وهو

قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ

كالقولين فى قوله: ﴿يبين الله لكم أن تضلوا﴾،(١) ﴿فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير﴾.

قوله - تعالى -: ﴿وإذ قال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء﴾ أى: منكم أنبياء ﴿وجعلكم ملوكا﴾ قال ابن عباس: يعنى أصحاب خدم وحشم، قال قتادة: لم يكن لمن قبلهم خدم وحشم، فلما كان لهم خدم كانوا ملوكا، قال مجاهد: معناه: لايدخل عليكم(٢) إلا بإذنكم، ومن لايدخل عليه إلا بإذنه فهو ملك، وروى أبو سعيد الخدرى عن النبىﷺ أنه قال: «من كان له فى بنى إسرائيل خادم، وامرأة، ودابة، كان ملكا»(٣) وروى أن رجلا جاء إلى عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: أنا من فقراء المهاجرين، فقال: ألك مسكن تأوى إليه؟ قال: نعم، فقال: ألك امرأة تسكن إليها؟ قال: نعم، فقال: أنت من الأغنياء. قال الرجل: ولى خادم يخدمنى، فقال: أنت من الملوك.

وقال السدى - فى المتقدمين - معناه: وجعلكم ملوكا تملكون أمر أنفسكم، وخلصكم من استعباد فرعون. وقال المؤرج: أراد به: وجعلكم أخيارا، والملوك: الأخيار بلغة هذيل وكنانة.

﴿وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين﴾ يعنى: من المن والسلوى، وانفجار الحجر وتظليل الغمام، ونحو ذلك.

---

(١) النساء: ١٧٦.

(٢) في «ك» بعد كلمة عليكم: لا يدخل عليه.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في التفسير كما في الدر (٢/ ٢٩٦).

وله شاهد مرسل عن زيد بن أسلم، رواه الطبري في التفسير (٦/ ١٠٨ - ١٠٩) وأبو داود في المراسيل (ص ١٨٠ - ١٨١/ رقم ٢٠٤).

وعزاه السيوطي في الدر (٢/ ٢٩٦) للزبير بن بكار في «الموفقيات».

اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ

قوله – تعالى –: ﴿ ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ﴾ قيل: هى دمشق، وفلسطين وبعض الأردن، وقال قتادة: هى[٢] جميع الشام، وقيل: هى بيت المقدس، وأرض الطور.

وقوله ﴿ كتب الله لكم ﴾ أى: وهب الله لكم، وقيل: فرض الله لكم أن تدخلوها ﴿ ولاترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين ﴾ قوله – تعالى –: ﴿ قالوا ياموسى إن فيها قوما جبارين ﴾ الجبار: هو كل عاتٍ يجبر الناس على مراده، والله – تعالى – جبار، يجبر الخلق على مراده، وذلك منه حق وله مدح، وأما الجبروت للخلق ذم، وأصل الجبار: المتعظم الممتنع عن الذل والقهر، ومنه يقال: نخلة جبارة إذا كانت طويلة ممتنعة على وصول الأيدى إليها، وسمى أولئك القوم جبارين؛ لطولهم، وامتناعهم بقوة أجسادهم، والقصة فى ذلك: أن هؤلاء كانوا فى مدينة «أريحا» بالشام، وكان فيها ألف قرية فى كل قرية، ألف بستان، وكان فيها العمالقة، وبقية من قوم عاد وهى مدينة الجبارين.

روى عكرمة عن ابن عباس: أن موسى صلوات الله عليه كان قد بعث أولئك النقباء، وهم اثنا عشر نقيبا إلى تلك المدينة؛ ليتعرفوا أحوالهم، فلما وصلوا إليها لقيهم رجل منهم؛ فأخذهم جملة فى كمه وأتى بهم إلى الملك، ونثرهم بين يديه، وقال هؤلاء الذين جاءوا ليقاتلونا؛ فقال الملك: ارجعوا وأخبروهم بما لقيتم، فرجعوا.

وفى بعض التفاسير: أنهم أخذوا عنقودا من العنب، وجعلوه على عمود بين رجلين حتى قدروا على حمله، وأخذوا رمانتين، وحملوهما على دابة كادت تعجز عن حملهما فلما رجعوا إلى بنى إسرائيل خوفوهم، وقالوا: إنكم لاتقاومونهم إلا رجلين منهم: يوشع بن نون وكالب بن يوقنا، وذكرهما فى الآية الأخرى، وأما الباقون من بنى إسرائيل خالفوا وامتنعوا من قتالهم، وقالوا: ياموسى إن فيها قوما جبارين ﴿ وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون ﴾.

وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ

قوله - تعالى -: ﴿قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما﴾ هما يوشع وكالب (قالا)(١): ﴿ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون﴾ وذلك باب كانوا عرفوا أنهم إذا دخلوا من ذلك الباب غلبوا، (ويقرأ)(٢) في الشواذ: «قال رجلان من الذين يُخَافون» - بضم الياء - فيكون معناه: رجلان من أولئك العمالقة، قيل: أسلم رجلان منهم، وقالا هذه المقالة ﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾.

قوله - تعالى -: ﴿قالوا ياموسى إنا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها﴾ وهذا معلوم ﴿فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون﴾ قال الحسن: كفروا بهذه المقالة، وقال غيره: بل فسقوا بمخالفة أمره، وتقدير قوله: ﴿فاذهب أنت وربك فقاتلا﴾ أي: فاذهب أنت، وليعنك ربك على القتال، وفيه قول آخر: أن معنى قوله: ﴿فاذهب أنت وربك﴾ أي: وكبيرك، وأرادوا أخاه الأكبر هارون، والعرب تسمى الكبير ربا، قال الله -تعالى- في قصة يوسف: ﴿إنه ربى أحسن مثواى﴾(٣) أي: كبيرى وأراد به «عزيز مصر» ويحتمل أنهم قالوا ذلك لموسى؛ جهلا وغباوة، ففسقوا به، وروى ابن مسعود عن النبي ﷺ «أنه لما خرج يوم بدر، قال له المقداد بن عمرو: لا نقول لك ماقالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون، ولكن نقول: سر أنت حيث شئت [فإنا](٤) معك سائرون»(٥) وروى: «أن الأنصار قالوا يارسول الله: لو ضربت بأكبادها إلى برك الغماد سرنا معك»(٦) يعني: بأكباد الإبل إلى برك الغماد، وهو موضع.

قوله - تعالى -: ﴿قال رب إنى لا أملك إلا نفسى وأخى﴾ معناه: لا أملك إلا

(١) ليست في «ك».
(٢) في «ك»: ويقال.
(٣) يوسف: ٢٣.
(٤) في «ك»: فإنك، وهو خطأ.
(٥) رواه البخاري في صحيحه (٨/١٢٢/ رقم ٤٦٠٩)، والنسائي في الكبرى (٦/٣٣٣/ رقم ١١١٤٠) والحاكم في المستدرك (٣/٢١).
(٦) أخرجه مسلم (١٢/١٧٤/رقم ١٧٧٩)، وأحمد في المسند (٣/٢١٩ - ٢٢٠)، وابن حبان - الإحسان - (١١/٢٤ - ٢٥/ رقم ٤٧٢٢) كلهم من حديث أنس.

وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾

نفسى، وأخى لايملك إلا نفسه، وقيل معناه: لاتطيعنى إلا نفسى، ولايطيعنى إلا أخى ﴿ فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ﴾ أى: فافصل بيننا، و(قيل)(١) معناه: فاقض بيننا وبين القوم الفاسقين.

قوله - تعالى -: ﴿ قال فإنها محرمة عليهم ﴾ قيل ها هنا تم الكلام، ومعناه: أن الأرض المقدسة محرمة عليهم أبدا، ولم يُرِدْ به: تحريم تعبد، وإنما أراد به: تحريم منع، فإنهم منعوا عنها، فلم يدخلوها أبداً، وإنما دخلها أولادهم، وقيل الآية متصلة بعضها بالبعض.

وإنما حرّمت عليهم أربعين سنة كما قال: ﴿ فإنها محرمة عليهم أربعين سنة ﴾

﴿ يتيهون فى الأرض ﴾ وقد أوقفهم الله - تعالى - فى التيه؛ عقوبة لهم على ما خالفوا، وقيل: إن أرض التيه التى تاه فيها بنو إسرائيل كانت: ستة فراسخ فى طول اثنى عشر فرسخا، وكان عدد التائهين فيها: ستمائة ألف، قاموا فيها، وكانوا كلما أمسوا من موضع للمسير، فإذا أصبحوا (أصبحوا)(٢) على ذلك الموضع، وكلما أصبحوا من موضع للمسير، فإذا أمسوا أمسوا على ذلك الموضع، وهكذا كل يوم إلى أن ماتوا فيها، وقيل: كان موسى وهارون فيهم، وإنما توفيا فى التيه، وقيل: لم يكونا فيهم، وإنما كان ذلك عقوبة عليهم، فلما ماتوا فى التيه ونشأ أولادهم، أقبل يوشع بن نون بأولادهم إلى الأرض المقدسة، وحارب العمالقة ونصره الله تعالى عليهم حتى فتح تلك المدينة، وكان يوم الجمعة وضاق النهار بهم فحبس الله - تعالى - الشمس ساعة حتى فتح المدينة ثم غربت الشمس من ليلة السبت، إذ ماكان يجوز لهم عمل فى السبت؛ فَفَزَّعَ الله قلوبهم يوم الجمعة؛ فهذا جملة الكلام فى قوله: ﴿ أربعين سنة يتيهون فى الأرض ﴾ ﴿ فلا تأس ﴾ أى فلا تحزن ﴿ على القوم الفاسقين ﴾.

(١) ليست في «ك».

(٢) تكررت فى «الأصل» مرتين، ولم تتكرر فى «ك».

قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ

قوله – تعالى – : ﴿ واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قربا قربانا ﴾ قال ابن عباس، وابن عمر، ومجاهد : أراد به ابنى آدم من صلبه هابيل، وقابيل، وقال الحسن : أراد به رجلين من بنى إسرائيل، والأصح هو الأول.

والقصة فى ذلك : قيل : إن حواء كانت تلد كل بطن غلاما وجارية، فولدت بطنا هابيل وأخته، وولدت بطنا قابيل وأخته، فأمر الله – تعالى – آدم أن يزوج أخت هابيل من قابيل، وأخت قابيل من هابيل، ولم يرض قابيل، (وقال)[1] : أنا أحق بأختى، وكانت أحسن من أخت هابيل، وفى بعض التفاسير : أن قابيل قال : أنا أحق بأختى؛ لأنى من نسل الجنة، وهابيل من نسل الأرض، وقيل : إن حواء علقت به فى الجنة؛ فمن ذلك قال : إنى من نسل الجنة، فأمرهما آدم أن يقربا قربانا، فكل من يقبل قربانه فهو أولى بتلك الأخت.

وكان هابيل صاحب غنم، وقابيل صاحب زرع، فعمد هابيل إلى كبش من أحسن غنمه، وعمد قابيل إلى أخبث زرعه، ووضعاه موضعا، فجاءت النار، وأكلت قربان هابيل، وكان ذلك علامة القبول يومئذ، ولم تأكل قربان قابيل؛ (فهذا)[2] معنى قوله : ﴿ إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ﴾ يعنى هابيل ﴿ ولم يتقبل من الآخر ﴾ يعنى : قابيل ﴿ قال لأقتلنك ﴾ حسده قابيل، وقصده ليقتله؛ فأجاب هابيل، وقال : ﴿ إنما يتقبل الله من المتقين ﴾ عن المعاصى، وعن أبى الدرداء أنه [قال][3] : « لأن أعلم [أن][4] الله – تعالى – قَبِل صلاةً من صلاتى أحبّ إلىّ من الدنيا وما فيها؛ لأنَّ الله – تعالى – يقول : ﴿ إنما يتقبل الله من المتقين ﴾ قال قتادة : المتقون : أهل لا إله إلا الله.

(١) ليست فى « ك ».

(٢) ليست فى « ك ».

(٣) ليست فى « الأصل » ولا فى « ك ».

(٤) من « ك ».

الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا
أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي

قوله - تعالى -: ﴿لئن بسطت إلىّ يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين﴾ قال الحسن، ومجاهد: كان [من شرع آدم أن](١): مَن قُصِدَ بالقتل؛ فواجب عليه الكفُّ عن الدفع، والصبرُ على الأذى، وكذا كان فى شرع نبينا ﷺ فى الابتداء، فأما قوله: ﴿ما أنا بباسط يدى إليك﴾ يعنى: بالدفع. وقيل: لم يكن ذلك شرعا، وإنما قال ذلك؛ استسلاما للقتل؛ وطلبا للأجر، وهذا جائز لكل من يقصد قتله، أن يستسلم وينقاد، وكذا فعل عثمان - رضى الله عنه - وهو أحد قولى الشافعى، وفيه قول ثالث: أن المراد به: لئن ابتدأت بقتلى ما أنا بمتدئ بقتلك، والصحيح [آخر](٢) القولين.

قوله - تعالى -: ﴿إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين﴾ قال ابن عباس، وابن مسعود: معناه: أن ترجع بإثم قتلى وإثم معاصيك التى سبقت، فإن قابيل كان رجل سوء، وقيل: كان كافرا، وقيل: هو أحد اللذين ذكرهما الله - تعالى - فى «حم السجدة»: ﴿وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس﴾(٣) فالذى من الجن إبليس، والذى من الإنس قابيل، وقال مجاهد: معنى قوله: ﴿أن تبوء بإثمى وإثمك﴾: أن ترجع بإثم قتلى، وإثم معصيتك التى لم يُتَقَبَّل لأجلها قربانك، أو إثم حسدك إياى، وهذا اختيار الزجاج، وقال ابن كيسان: إنما قال ذلك؛ على طريق التمثيل، يعنى: لو قتلت أنا كان علىّ الإثم، ولو قتلت أنت كان عليك الإثم، فأنا لا أقتل حتى تقتل أنت؛ فتبوء بالإثمين، فيكون كلا الإثمين عليك، فإن قال قائل: كيف قال: أريدأن تبوء بإثمى وإثمك، وإرادة القتل والمعصية لاتجوز؟ أجابوا عنه من وجوه: أحدها: قالوا: ليس ذلك بحقيقة إرادة، ولكنه لما علم أنه يقتله لامحالة، ووطن نفسه على الاستسلام؛ طلبا للثواب،

(١) تكررت فى «الأصل، وك».
(٢) فى «الأصل»، و «ك»: أَحَدُ، وهو خطأ.
(٣) فصلت: ٢٩.

وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ

فكأنه مريد لقتله مجازا وإن لم يكن مريدا حقيقة، وقيل معناه: إنى أريد أن تبوء بعقاب قتلى، وعقاب قتلك؛ فتكون إرادة على موافقة حكم الله - تعالى - فيه، ولاتكون إرادة للقتل بل لموجب القتل من الإثم والعقاب، وفيه قول ثالث: أن معناه: إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك؛ فكأنه كان يمنعه عن القتل، وأراد ترك القتل؛ كيلا يبوء بالإثم.

قوله - تعالى -: ﴿فطوعت له نفسه قتل أخيه﴾ قال مجاهد: فشجعت له نفسه، وقال قتادة: زينت له نفسه، وقيل: سهّلت، وانقادت له نفسه، ومنه يقال: ظبية أطاعت لها أصول الشجرة، أى: انقادت لأكلها.

﴿فقتله فأصبح من الخاسرين﴾ أى: خسر بقتله الدنيا والآخرة، أما الدنيا: لأنه أسخط والديه، وبقى بلا أخ، وأما الآخرة: لأنه أسخط ربه، واستوجب النار.

والقصة فى قتله إياه: أنه لما أراد قتله لم يعرف كيف يقتله، فجاء إبليس بحجر، وقال: اشدخ به رأسه، ففى رواية أنه رماه بذلك الحجر، وهو مستسلم له؛ فشدخ رأسه، وفى رواية أخرى: اغتاله فى النوم، وشدخ رأسه؛ فقتله، وشربت الأرض دمه فلما جاء إلى آدم، قال له: أين هابيل؟ فقال: أجعلتنى رقيبا عليه، ما أدرى! قال له آدم: إن الأرض تصرخ بدمه إلىّ، ثم لعن الأرض التى شربت دمه، فلا تشرب الأرض بعد ذلك دما إلى يوم القيامة، وبكى آدم عليه كثيرا، وأنشأ يقول:

تغيرت البلاد ومن عليها ... ووجه الأرض مغبر قبيح
تغير كل ذى لون وطعم ... وقلّ بشاشة الوجه المليح

وهذا أول قتل جرى فى بنى آدم، وفى الخبر «مَا مِن رجل يُقْتَلُ إلى يوم القيامة؛ إلا وعلى ابن آدم كفل منه؛ فإنه أول من سن القتل»(١).

(١) متفق عليه من حديث ابن مسعود، فرواه البخارى (٦ / ٤١٩ رقم ٣٣٣٥ وطرفاه فى ٦٨٦٧، ومسلم (١٦٧٧).

يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي
فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ

قوله - تعالى -: ﴿فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض﴾ فى القصص: أن قابيل لما (قتله رجع إليه)(١)، وأخذه، وجعله فى جراب وحمله على عاتقه أربعين يوما، وقال ابن عباس، سنة كاملة، قال مجاهد: مائة سنة حتى أنتن على عاتقه، وما كان يعرف مواراته: فبعث الله غرابين فاقتتلا، [فقتل](٢) أحدهما الآخر، ثم إن القاتل منهما بحث فى الأرض ليوارى الثانى، وقيل: كان مَلَكًا على صورة غراب ﴿يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه﴾ أى: جيفة أخيه، وقيل: عورة أخيه؛ لأنه كان قد سلبه ثيابه.

﴿قال ياويلتى﴾ وهذه كلمة دعاء الهلاك ﴿أعجزت أن أكون﴾ أضعفت أن أكون ﴿مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى فأصبح من النادمين﴾ فإن قال قائل: هل كان ندمه على القتل توبة منه؟

قيل: لم يكن ندم على القتل، وإنما معناه: أنه أصبح من النادمين على حمله على عاتقه، (والتطو اف)(٣) به؛ لما (لحقه)(٤) من التعب فيه، وقيل: إنما ندم لقلة النفع بقتله؛ فإنه أسخط والديه، وما نفع بقتله شيئا؛ فندم لذلك، لا أنه ندم على القتل، وفى القصة أنه لما قتله استوحش من الناس، وكان كلما لقى إنسانا ظن أنه يأتى ليقتله فهرب منه، وكان هكذا أبدا حتى قتله بعض أولاده.

قوله - تعالى -: ﴿من أجل ذلك﴾ أى: من خيانة ذلك ﴿كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فسادٍ فى الأرض﴾ قرأ الحسن: «أو فسادا فى الأرض» تقديره بغير نفس، وبغير أن عمل فسادا فى الأرض، والمعروف: أو فسادٍ فى الأرض، وتقديره: بغير نفس، وبغير فساد فى الأرض: من كفر، أو زنا، ونحوه،

(١) فى «ك»: قدم إليه رجع.

(٢) فى «الأصل» و «ك»: قتل.

(٣) فى «ك»: والتطوف.

(٤) فى «ك»: تحفه، وهو خطأ.

نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ

يوجب إباحة قتله على ما قال ﷺ: «لايحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث كفر بعد إيمان أو زنا بعد إحصان أو قتل نفس بغير نفس»(١).

﴿فكأنما قتل الناس جميعا﴾ قال ابن عباس: معناه: من قتل نفسا بغير نفس فقد أوبق نفسه كما إذا قتل الناس جميعا؛ (فقد أوبق نفسه)(٢) ﴿ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا﴾ أى: ومن امتنع عن قتل واحد من الناس؛ فيكون كأنه أحيا الناس جميعا، وقال قتادة: معناه من قتل نفسا فكأنما قتل الناس جميعا فى الإثم، ومن أحياها، أى: تعفف وامتنع عن قتلها، فكأنما أحيا الناس جميعا فى الثواب، وقيل: معناه: من قتل نفسا، فكأنما قتل الناس جميعا على معنى أن جميع الناس خصماؤه فيه، ومن أحياها، فكأنما أحيا الناس جميعا، على معنى أنهم يشكرونه، ويحمدونه على العفو، أو ترك القتل.

﴿ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك فى الأرض لمسرفون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض﴾.

قال ابن عباس: الآية فى قوم من المشركين، كان بينهم وبين النبى ﷺ عهد، فنقضوا العهد، وسعوا فى الأرض بالفساد، وقال أنس: «الآية فى رهط من عرينة، أتوا النبى ﷺ ووجوههم مصفرة، وبطونهم منتفخة؛ فبعثهم رسول الله ﷺ إلى إبل الصدقة؛ ليشربوا من أبوالها، وألبانها، ففعلوا فلما صَحُّوا، قتلوا الراعى، واستاقوا الذود؛ فبعث رسول الله ﷺ فى طلبهم، فأدركوهم، فأُتِى بهم إلى النبى ﷺ، فقتل بعضهم (وقطع)(٣) بعضهم من خلاف وسمل أعين بعضهم، وتركهم فى الحرة حتى

(١) متفق عليه من حديث ابن مسعود، فرواه البخارى (١٢/٢٠٩/ رقم ٦٨٧٨) ومسلم (١١/٢٢٦ - ٢٢٨/ رقم ١٦٧٦).

(٢) كذا فى «الأصل» و «ك»، ولعلها مكررة.

(٣) فى «ك»: وقتل، وهو خطأ.

تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ

ماتوا»(١) وفيهم نزلت الآية ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله﴾.

قيل: معناه يحاربون أولياء الله، وقيل: هو صحيح فى العربية، فإن من عصى غيره فقد حاربه، فهؤلاء إذا عصوا الله ورسوله، فكأنهم حاربوا الله ورسوله، ويدخل فى جملتهم كل العاصين، وقطاع الطريق، وغيرهم.

وقوله: ﴿أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم﴾ اختلفوا فيه، أنه على الترتيب، أم على التخيير؟ قال ابن عباس - فى رواية، وهو قول الحسن، وقتادة، وإبراهيم النخعى، ومجاهد -: إنها على التخيير، فيخير الإمام فى فعل هذه الأشياء.

القول الثانى: - وهو الرواية الثانية عن ابن عباس، وبه قال أبو مجلز لاحق بن حميد -: إنه على الترتيب، فإن قَتَلوا: قُتِّلوا وصلبوا، وإن أخذوا المال: قطعوا من خلاف، وإن جمعوا بين الأخذ والقتل: قطعوا، وقتلوا، إن أخافوا السبيل ولم يأخذوا المال ولم يقتلوا: ينفوا من الأرض.

ثم اختلفوا فى النفى، قال الزهرى: إن الإمام يطلبه فى كل بلد يؤخذ، وينفى عنه، وهكذا فى كل بلد يذكر به، يطلب؛ فينفى عنه، وهذا قول الشافعى.

وقال عمر بن عبد العزيز: إنه ينفى من جميع بلاد الإسلام، وقال أهل الكوفة: النفى من الأرض هو الحبس، والحبس نفى من الأرض، قال الشاعر يصف قوما محبوسين:

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها ... فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتى
إذا جاءنا السجان يوما لحاجة ... عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

﴿ذلك لهم خزى فى الدنيا﴾ أى: فضيحة، ونكال ﴿ولهم فى الآخرة عذاب عظيم﴾ ﴿إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم﴾ قال ابن عباس: معناه: إلا

(١) متفق عليه من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه فرواه البخارى (١/ ٤٠٠/ رقم ٢٣٣) ومسلم (١١/ ٢١٩ - ٢٢١/ رقم ١٦٧١).

غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا

الذين أسلموا؛ لأنه حمل الآية الأولى على المشركين، وقيل: هو على حقيقة التوبة، فإذا تاب قطاع الطريق قبل الظفر بهم؛ أمّنهم الإمام، وهذا محكى عن على بن أبى طالب - رضى الله عنه - فإنه أمّن [حارثة][1] بن بدر لما قطع الطريق، ثم تاب قبل قدرته عليه، وقيل: إنما تنفعه التوبة من حقوق الله - تعالى - فأما حق الآدمى: من القود، والمال فلا يسقط بالتوبة، وهذا قول الشافعى.

وقوله: ﴿من قبل أن تقدروا عليهم﴾ خطاب للأئمة، أى: من قبل الظفر بهم ﴿فاعلموا أن الله غفور رحيم﴾.

قوله - تعالى -: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة﴾ الوسيلة: القربة، وقيل: هو معنى ما ورد فى الخبر «الوسيلة: درجة فى الجنة ليس فوقها درجة»[2] وقال زيد بن أسلم: أراد به تحببوا إلى الله - تعالى - فالوسيلة بمعنى المحبة. ﴿وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿إن الذين كفروا لو أن لهم ما فى الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به﴾ أى: لو كانوا مفتدين به من عذاب يوم القيامة ﴿ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم﴾ وفى الخبر: «يقول الله - تعالى - للكافر يوم القيامة: لو كان لك ملء[3] الأرض ذهبا أكنت مفتديا به اليوم؟ فيقول بلى[4] يارب، فيقول الله - تعالى - سُئِلْتَ أهون من هذا»[5].

(١) فى «الأصل» و «ك»: حارث، وهو خطأ.

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده (٣/٨٣)، والطبرانى فى الأوسط - كما فى مجمع البحرين - (٢/٢٠ - ٢١ رقم ٦٤٠، ٦٤١) كلاهما من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه.

وقال الهيثمى فى المجمع (١/٣٣٤): وفيه ابن لهيعة، وفيه ضعف.

قلت: وإسنادى: الطبرانى ليس فيهما، وهما ضعيفان أيضا.

(٣) فى «ك»: مثل.

(٤) كذا فى «الأصل» و «ك». ولعل الصواب: نعم.

(٥) متفق عليه من حديث أنس، فرواه البخارى (١١/٤٠٨/ رقم ٦٥٣٨) ومسلم (١٧/٢١٥-٢١٦/ رقم ٢٨٠٥)

بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ

قوله - تعالى -: ﴿يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم﴾ فإن قيل: إذا لم يكونوا خارجين منها، كيف يريدون الخروج؟ قيل: يريدون ذلك جهلاً؛ ظنا أنهم يخرجون.

وقيل: يتمنون ذلك، فهى إرادة بمعنى التمنى، وليس بحقيقة الإرادة.

قوله - تعالى -: ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾ وفى مصحف ابن مسعود: فاقطعوا أيمانهما، وهو معنى القراءة المعروفة، فإن قال قائل: كيف قال ﴿أيديهما﴾ والمذكور اثنان، ولم يقل: يديهما؟ قيل: لم يرد به سارقا واحدا، أو سارقة واحدة، وإنما ذكر الجنس؛ فلذلك ذكر الأيدى. قال الفراء، والزجاج: كل ما يوحد فى الإنسان، فإذا ذكر منه اثنان يجمع؛ يقول الله - تعالى - ﴿فقد صغت قلوبكما﴾[1] وتقول العرب: مُلأت ظهورهما وبطونهما ضربا، ولكل واحد ظهر وبطن واحد، فكذلك اليمين للإنسان واحدة؛ فيجمع عند التثنية، فإن قيل: قد أمر هنا بقطع آلة السرقة، ولم يأمر فى الزنا بقطع آلة الزنا، فما الحكمة فيه؟ قيل: كلاهما ثبت شرعا، غير معقول المعنى. وقيل: الحكمة فيه: أن من قطع الذكر قطع النسل، وليس ذلك فى قطع اليد؛ أو لأن اليد إذا قطعت، وانزجر عن السرقة، تبقى له اليسار؛ عوضا عن اليمين، وأما الذكر إذا قطع، وحصل الانزجار، لايبقى له عوض عن الذكر [فلذلك][2] افترقا ﴿جزاء بما كسبا نكالا من الله﴾ النكال: كل عقوبة تمنع الإنسان عن فعل ما عوقب عليه ﴿والله عزيز حكيم﴾ ومعناه: مقتدر على معاقبة الخلق، ﴿حكيم﴾ فيما أوجب من العقوبة، وحكى عن الأصمعى أنه [قال][3]: قد كنت أقرأ هذه الآية وبجنبى أعرابى، فقرأت: نكالا من الله والله غفور رحيم؛ فقال الأعرابى: هذا كلام من؟ فقلت: كلام الله، فقال الأعرابى: ليس هذا من كلام الله.

(١) التحريم: ٤ (٢) فى «الأصل» و «ك»: فكذلك. (٣) ليست فى «الأصل» و «ك».

فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن

فتنبهت وقرأت ﴿ نكالا من الله والله عزيز حكيم ﴾ فقال الأعرابى : هذا كلام الله، ثم سألته عن ذلك، فقال: إن الله لايذكر العقوبة على العبد ثم يقول: « والله غفور رحيم »، وإنما يليق بذكر العقوبة: العزيز الحكيم.

قوله - تعالى -: ﴿ فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم ﴾ قال مجاهد: قطع السارق توبته، فإذا قطع، فقد حصلت التوبة، والصحيح: أن القطع للجزاء على الجناية، كما قال: ﴿ جزاء بما كسبا ﴾ فلابد من التوبة بعده، وتوبته: الندم على ما مضى، والعزم على تركه فى المستقبل.

قوله - تعالى -: ﴿ ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض ﴾ الخطاب مع الرسول ،والمراد به الجميع، وقيل (معناه)[1] : ألم تعلم أيها الإنسان؛ فيكون خطابا لكل واحد من الناس. ﴿ يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء ﴾ قال ابن عباس: يعذب من يشاء على الصغيرة، ويغفر لمن يشاء الكبيرة، وقال غيره: يعذب من يشاء: من مات مصرا، ويغفر لمن يشاء: من مات تائبا ﴿ والله على كل شيء قدير ﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ يا أيها الرسول لايحزنك الذين يسارعون فى الكفر ﴾ أى: لايحزنك مسارعتهم فى الكفر؛ فإن قيل: كيف لايحزنه كفرهم، والإنسان يحزن على كفر الغير ومعصيته؛ شفقة على الدين؟ قيل: معناه: لايحزنك فعل الذين يسارعون فى الكفر، على (معنى: أن)[2] فعلهم لايضرك.

﴿ من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ﴾ يعنى: المنافقين.

﴿ ومن الذين هادوا سماعون للكذب ﴾ يعنى: اليهود ﴿ سماعون للكذب ﴾ أى: وهم سماعون للكذب، أى: قائلون للكذب، كقول المصلى: سمع الله لمن حمده. أى: قبل الله لمن حمده. وقال الزجاج: معناه: سماعون لأجل الكذب؛ فإنهم كانوا

(١) فى «ك»: المراد به.
(٢) فى «ك»: أن معنى.

قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَن يُرِدِ

يسمعون من الرسول، ويخرجون، ويكذبون ﴿ سماعون لقوم آخرين لم يأتوك ﴾ أى: جواسيس لقوم آخرين لم يأتوك، وهم أهل خيبر، يصف المنافقين واليهود، وأما المنافقون: كانوا جواسيس اليهود، وأما اليهود: كانوا جواسيس لأهل خيبر، وسئل سفيان: هل فى القرآن للجاسوس ذكر؟

فقال: (بلى)(١) وقرأ هذه الآية.

﴿ يحرفون الكلم من بعد مواضعه ﴾ أى: من بعد ما وضعه الله مواضعه، وتحريفهم الكلم: هو كتمان آية الرجم.

﴿ ويقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ﴾.

سبب نزول الآية [هذه](٢): أن يهوديين زنيا من أشراف اليهود، فكرهوا رجمهما؛ فقالوا: نبعث إلى محمد نسأله، فإن أفتى بالجلد وتحميم الوجه، نأخذ به، وإن أفتى بغيره، لا نأخذ به، فهذا معنى قوله: ﴿ إن أوتيتم هذا ﴾ يعنى: ما توافقوا عليه من الجلد والتحميم ﴿ فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ﴾ أى: إن أفتى بالرجم فلا تأخذوا به، وقيل: «إن هذا كان فى يهود خيبر، فبعثوا إلى يهود المدينة حتى يسألوه، فسألوا رسول الله، فأفتى بالرجم» وتمام القصة: «أنه – عليه السلام – دعا ابن صوريا الأعور، وقال: أنشدك بالله الذى أنزل التوراة على موسى، ما حد الزنا فى كتابكم؟ فقال: أما إنك إذا أنشدتنى بالله، فحد الزنا فى كتابنا: الرجم، لكن كثر الزنا فى أشرافنا؛ فكنا إذا زنى الشريف منا تركناه، وإذا زنا الوضيع رجمناه، ثم اتفقنا على أمر يستوى فيه الشريف والوضيع، وهو الجلد والتحميم، فقال ﷺ: أنا أحق بإحياء سنة أماتوها، ودعا باليهوديين اللذين زنيا وأمر برجمهما»(٣) والحديث فى

(١) كذا «بالأصل، وك». ولعل الصواب: نعم.

(٢) فى «الأصل» و «ك»: هذا.

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه (١١ / ٢٩٨ – ٢٩٩ / رقم ١٧٠٠)، والنسائى فى الكبرى (٦ / ٣٣٤ – ٣٣٥ / رقم ١١١٤٤) وابن ماجة (٢ / ٨٥٥ / رقم ٢٥٥٨)، وأحمد فى المسند (٤ / ٢٨٦) كلهم من حديث البراء بن عازب.

اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ

صحيح مسلم.

وفى الآية قول آخر: أنها فى القتل، والقصة فى ذلك: أن بنى النضير كان لهم قتل على بنى قريظة، وكان القرظى إذا قتل يسأل محمدا؛ فإن أفتى بالدية يأخذ به، وإن أفتى بغيرها يحذره، فسألوه. فأفتى بالقود. فهذا معنى قوله: ﴿إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا﴾ والأول أصح ﴿ومن يرد الله فتنته﴾ قال السدى: ضلالته، وقال الحسن: عذابه ، وقال الزجاج: فضيحته ﴿فلن تملك له من الله شيئا﴾ أى: فلن تقدر على دفع أمر الله فيه.

﴿أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم﴾ وفيه دليل على من ينكر القدر ﴿لهم فى الدنيا خزى﴾ ويرجع هذا إلى المنافقين، واليهود، أما خزى المنافقين: أنه أظهر نفاقهم فى الدنيا، وأما خزى اليهود: أنه بيّن تحريفهم ﴿ولهم فى الآخرة عذاب عظيم﴾.

قوله – تعالى –: ﴿سماعون للكذب﴾ (ذكره)[1] ثانيا مبالغة وتأكيدا ﴿أكالون للسحت﴾ قال ابن مسعود: هو الرشوة، والسحت: الحرام، قال ﷺ: «كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به»[2] وأصل السحت: الاستئصال؛ فالحرام سحت؛ لأنه يستأصل البركة، قال الشاعر:

(١) فى «ك»: ذكرها.

(٢) رواه الترمذى (٢/٥١٢ – ٥١٤/ رقم ٦١٤ – ٦١٥) والطبرانى فى الكبير (١٩/١٤٥/ رقم ٣١٧)، وابن حبان – الإحسان – (١٢/٣٧٨ – ٣٧٩/ رقم ٥٥٦٧) من حديث كعب بن عجرة.

وقال الترمذى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، لا نعرفه إلا من حديث عبيد الله بن موسى، وأيوب بن عائذ الطائى يضعف، ويقال: كان يرى رأى الأرجاء، وسألت محمداً عن هذا الحديث فلم يعرفه إلا من حديث عبيد الله بن موسى واستغربه جداً.

وروى من حديث جابر، رواه أحمد فى مسنده (٣/٣٢١)، والدارمى (٢/٤٠٩ رقم ٢٧٢٦) وابن حبان – الإحسان – (٥/١٠٩/ رقم ١٧٢٣)، والحاكم فى مستدركه (٤/٤٢٢) وصحح إسناده.

وعزاه الهيثمى فى المجمع (٥/٢٥٠) لأحمد، والبزار، وقال: ورجالهما رجال الصحيح. و انظر تخريج الزيلعى للكشاف (١/٣٩٧ – ٤٠١/ رقم ٤١٥).

فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا

وعَضُّ زمانٍ يابن مروانَ لم يَدَعْ مـن المال إلا مسحتٌ أو مُجلّفُ

يعنى: إلا مال لابركة فيه، وأشياء قلائل ﴿فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم﴾ قال ابن عباس: هو منسوخ بقوله: ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله﴾(١) وبه قال مجاهد، وعكرمة. وقال الشعبى: والنخعى - وهو قول الحسن -: إنها ليست بمنسوخة. قال الحسن: ليس فى المائدة آية منسوخة، وقالوا: معنى قوله: ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله﴾(١) يعنى إن حكمت واخترت الحكم، وليس بأمر حتم هذا التخيير بين الحكم والإعراض فيما إذا تحاكم ذميان، فأما إذا تحاكم مسلم وذمى يجب الحكم.

وقيل: هذا التخيير فى الحكم بحقوق الله - تعالى - وأما فى حقوق الآدميين فلابد من الحكم.

﴿وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط﴾ أى: بالعدل ﴿إن الله يحب المقسطين﴾.

قوله - تعالى -: ﴿وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله﴾ هذا تعجيب للرسول، يعنى: كيف يتحاكمون إليك، وفى زعمهم أن عندهم التوراة وهى الحق، وأنك كاذب؟.

﴿ثم يتولون من بعد ذلك﴾ أى: لايرضون بحكمك ﴿وما أولئك بالمؤمنين﴾ أى: بمصدقين لك.

قوله - تعالى -: ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا﴾ أى: أسلموا لأمر الله، كما قال لإبراهيم: ﴿أسلم قال أسلمت لرب

(١) المائدة: ٤٩.

أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ

العالمين ﴾[١] أي: سلمت لأمر رب العالمين، وأراد به: النبيين الذين بعثوا بعد موسى؛ ليحكموا على حكم التوراة، وقوله: ﴿ للذين هادوا ﴾ فيه تقديم وتأخير، وتقديره: فيها هدى، ونور للذين هادوا، ثم قال: ﴿ يحكم بها النبيون الذين أسلموا والربانيون ﴾ وقيل: هو على موضعه، ومعناه: يحكم بها النبيون الذين أسلموا على الذين هادوا، وهو مثل قوله: ﴿ أولئك لهم اللعنة ﴾[٢] أي: عليهم اللعنة، وقال ﷺ لعائشة: «اشترطي لهم الولاء»[٣] أي: عليهم الولاء، كذا قال النحاس[٤]، وقيل: فيه حذف، كأنه قال: للذين هادوا على الذين هادوا؛ فحذف أحدهما؛ اختصارا ﴿ والربانيون ﴾ قال أبو رزين: هم العلماء الحكماء، وأصل الرباني: رب العلم، فزيد فيه الألف والنون؛ للمبالغة، وقيل: الربانيون من النصارى، والأحبار من اليهود، وقيل: كلاهما من اليهود، والربانيون فوق الأحبار. قال المبّرد: والأحبار: مأخوذ من التحبير، وهو التحسين، ومنه الحديث: «يخرج من النار رجل قد ذهب حبره وسبره»[٥] أي حسنه وجماله، وقيل: هو من التحبير بمعنى التأثير، ومنه الحَبْر، فسمى العالم: حبرا؛ لتأثير علمه فيه وفي غيره، كأنه العالم العامل، والحَبْرُ والحِبْرُ واحد، وجمعه الأحبار، قال الفراء: وأكثر ما سمعت: الحِبر – بكسر الحاء – وجمعه أحبار.

﴿ بما استحفظوا ﴾ أي: بما استودعوا ﴿ من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولاتشتروا بآياتي ثمنا قليلا ﴾.

(١) البقرة: ١٣١.

(٢) الرعد: ٢٥

(٣) متفق عليه، فرواه البخاري (٥/٢٢٥/رقم ٢٥٦٣، ومسلم (١٠/١٩٨/ رقم ١٥٠٤).

(٤) واعترض الحافظ ابن حجر في الفتح (٥/٢٢٦) على هذا التأويل وقال: وسياق الحديث يأبى ذلك، ونقل عن المزني أنه قال: لايصح، وعن النووي أنه قال: تأويل اللام بمعنى على هنا ضعيف.

(٥) ذكره أبو عبيد في الغريب (١/٢٢٠) وقال: وفي الحديث اختلاف، وبعضهم يرفعه، وبعضهم لايرفعه وكذلك ذكره ابن الأثير في غريب الحديث (١/٣٢٧)، وأعاده في (٢/٣٣٣).

وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾

﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ قال البراء بن عازب - وهو قول الحسن -: الآية فى المشركين. قال ابن عباس: الآية فى المسلمين، وأراد به كفر دون كفر، واعلم أن الخوارج يستدلون بهذه الآية، ويقولون: من لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر، وأهل السنة قالوا: لايكفر بترك الحكم، وللآية تأويلان: أحدهما معناه: ومن لم يحكم بما أنزل الله رداً وجحداً فأولئك هم الكافرون. والثانى معناه: ومن لم يحكم بكل ما أنزل الله فأولئك هم الكافرون، والكافر هو الذى يترك الحكم بكل ما أنزل الله دون المسلم.

قوله تعالى: ﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص ﴾ ويقرأ بقراءتين من قوله: ﴿ والعين بالعين ﴾ فيقرأ بالنصب إلى آخره، ويقرأ بالرفع(١).

شرع القصاص فى النفس والأطراف فى هذه الآية، وأشار إلى أنه كان حكم التوراة ﴿ فمن تصدق به ﴾ يعنى: بالعفو عن القصاص ﴿ فهو كفارة له ﴾ اختلفوا فى أن كناية الهاء راجعة إلى من؟ قال ابن مسعود، وعبد الله بن عمرو بن العاص: هو راجع إلى المجروح، يعنى: العفو، وقال ابن عباس: هو راجع إلى الجارح، كأنه جعل العفو كالاستيفاء منه؛ فيكون كفارة له كما لو اقتص منه ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ وقفينا على آثارهم ﴾ يعنى: أتبعنا على آثارهم، وأراد به: النبيين الذين أسلموا ﴿ بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة ﴾ يعنى: عيسى مصدقا بالتوراة.

---

(١) قرأ الكسائى بالرفع فى الخمسة، ووافقه فى «الجروح» خاصة ابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، وابن عامر. وقرأ الباقون بالنصب. انظر النشر (٢ / ٢٥٤).

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم

﴿وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا﴾ يعنى: الإنجيل ﴿لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين﴾.

قوله - تعالى -: ﴿وليحكم أهل الإنجيل﴾ يعنى: وقلنا: وليحكم أهل الإنجيل ﴿بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق﴾ يعنى: القرآن ﴿مصدقا لما بين يديه من الكتاب﴾ يعنى: سائر الكتب المنزلة قبله ﴿ومهيمنا عليه﴾ قال ابن عباس: أى: أمينا عليه. قال (المبرد)(١): أصله: مؤيمنا، فقلبت الهمزة هاء، كما يقال: أرقت الماء وهرقته. ومعناه: الأمين، وقيل: معناه: شاهدا عليه، وقال أبو عبيدة: أى: رقيبا وحافظا، والمعانى متقاربة، ومعنى الكل أن كل [كتاب](٢) يصدقه القرآن، ويشهد بصدقه، فهو كتاب الله، وما لا فلا. وقرأ مجاهد «ومُهَيمَنًا» بفتح الميم، يعنى: محمد مؤيمنا عليه، وفى الأثر أن عمر - رضى الله عنه - قال: إذا دعوت الله فهيمنوا أى أمِّنوا»، قال الشاعر:

ألا إن خير الناس بعد محمد مهيمنه تاليه فى العرف والنكر

أراد أبا بكر أمينه وحافظه، يتلوه فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ﴿فاحكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم عما جاءك من الحق﴾ أى: لاتعرض عما جاءك من الحق وتتبع أهواءهم.

﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾ فالشرعة: الطريق الواضح، وكذلك المنهاج. قال المبرد: الشرعة: ابتداء الطريق، والمنهاج: الطريق المستمر. واعلم أن الشرائع مختلفة، ولكل قوم شريعة، فلأهل التوراة شريعة، ولأهل الإنجيل شريعة، ولأهل الإسلام شريعة، وأما الدين فى الكل واحد، وهو التوحيد.

(١) فى «ك»: ابن عباس، وهو خطأ. (٢) فى «الأصل وك»: الكتاب.

بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا

﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم﴾ أى: ليختبركم. ﴿فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات﴾ فبادروا إلى الخيرات ﴿إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك﴾ قيل: سبب نزول الآية: «أن قوما من رؤساء اليهود جاءوا إلى النبى ﷺ وقالوا: يامحمد، لو آمنا بك آمن بك غيرنا، ولنا خصومات بين الناس؛ فاقض لنا عليهم؛ نؤمن بك، ويتبعنا غيرنا»(١)، ولم يكن قصدهم الإيمان به، وإنما قصدوا التلبيس، ودعوته إلى الحكم بالميل؛ فنزلت الآية.

﴿واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا﴾ فإن أعرضوا ﴿فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم﴾ وقيل: معناه: بكل ذنوبهم، فعبّر بالبعض عن الكل، وقيل: معناه: يصيبهم ببعض ذنوبهم فى الدنيا ﴿وإن كثيرا من الناس لفاسقون﴾.

وقوله: ﴿أفحكم الجاهلية يبغون﴾ يقرأ بالياء والتاء(٢) ومعناهما واحد يعنى أنهم إذا لم يرضوا بحكم الله، وأرادوا خلاف حكم الله، فقد طلبوا حكم الجاهلية، وقرأ الحسن، وقتادة والأعمش، والأعرج: أَفَحَكَمُ الجاهلية بمعنى: الحاكم. يبغون: يطلبون ﴿ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون﴾

قوله - تعالى -: ﴿يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض﴾ قيل: نزلت فى عبادة بن الصامت، وعبد الله بن أبى بن سلول

(١) رواه الطبرى فى التفسير (٦/ ١٧٧)، وعزاه السيوطى فى «الدر» (٢/ ٣١٩) لكل من ابن إسحاق، وابن أبى حاتم، والبيهقى فى الدلائل.

(٢) قرأ ابن عامر بالتاء الفوقية، وقرأ الباقون بالياء التحتية. انظر النشر (٢/ ٢٥٤).

يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ

اختصما، فقال عبادة: أنا أتبرأ من اليهود ولا أتولاهم، وقال عبد الله بن أبي: أنا أتولاهم ولا أتبرأ منهم؛ فإني أخشى الدوائر، فنزلت الآية وقيل: نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر بعثه النبي إلى بني قريظة حين حاصرهم، فاستشاروا في النزول، وقالوا: ماذا يصنع بنا إذا نزلنا؟ فأشار إليهم بالقتل، وجعل أصبعه على حلقه يعني: يقتلكم؛ متنصحا لهم، وقيل: نزلت في يوم أحد، فإنه لما انقضى حرب أحد، وأصاب المسلمين ما أصابهم، قال بعض أهل المدينة: نحن نتولى اليهود، وقال بعضهم: نتولى النصارى؛ فإنا نخشى أن لايتم أمر محمد، وأن يدور الأمر علينا؛ فنزلت الآية: ﴿لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لايهدى القوم الظالمين﴾.

قوله - تعالى -: ﴿فترى الذين في قلوبهم مرض﴾ أي: نفاق ﴿يسارعون فيهم﴾ يعني: في معونتهم وموالاتهم، وفيه حذف، كما قال الله - تعالى -: ﴿وَاسْأَلِ القرية﴾[(١)] أي: أهل القرية ﴿يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة﴾ قال ابن عباس: معناه: نخشى أن لايتم أمر محمد؛ فيدور الأمر علينا، وقال غيره: معناه: نخشى أن يكون قحط؛ فلا يتفضلوا علينا بالثمار؛ [إذ][(٢)] كانت اليهود أصحاب النخيل والثمار، والأول أصح.

﴿فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده﴾ قيل: أراد به فتح مكة. وقيل (هو فتح)[(٣)] قُرَى اليهود مثل خيبر، وفدك، وتيمًا ووادى القرى. ﴿أو أمر من عنده﴾ قيل: هو إتمام أمر محمد، وقيل: هو إجلاء بني النضير، وقيل: قتل بني قريظة، وقيل:

(١) يوسف: ٨٢

(٢) في «الأصل»: إذا، وفي «ك»: وإذا.

(٣) في «ك»: أراد به.

اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ

هو الإخبار بأسماء المنافقين؛ ليفتضحوا. ﴿فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين ويقول الذين آمنوا﴾ يعنى: [لليهود](١) حين انكشف حال المنافقين: ﴿أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين﴾.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه﴾ وقرأ أهل المدينة والشام: «من يرتدد»(٢) والمعنى واحد ﴿فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾ قال على، والحسن: نزل هذا فى أبى بكر وأصحابه. وكان الحسن يحلف على هذا، أنه نزل فى أبى بكر وأصحابه، وذلك أن النبى ﷺ لما خرج إلى رحمة الله ارتدت العرب، ولم يبق الإسلام إلا فى ثلاثة مساجد: مسجد مكة، ومسجد المدينة، ومسجد البحرين؛ فهمّ أبو بكر بالقتال، وكره الصحابة ذلك، وقالوا: إن بعضهم منع الزكاة، ولم يتركوا الصلاة، وقال أبو بكر: والله (لأقاتلن من)(٣) فرّق بين الصلاة والزكاة، وقيل: إنه سلّ سيفه، وخرج وحده، وقال: أقاتل وحدى، ثم وافقه الصحابة، قال ابن مسعود: كرهنا ذلك فى الابتداء، ثم حمدناه عليه فى الانتهاء، قال أبو بكر بن عياش: سمعت أبا حصين يقول: ما ولد مولود بعد النبيين أفضل من أبى بكر، لقد قام مقام نبى من الأنبياء، يعنى: فى قتال أهل الردة، وَرَدَّهم إلى الإسلام.

وروى عياض الأشعرى: «أن النبى ﷺ قرأ هذه الآية ﴿فسوف يأتى الله بقوم﴾ وأشار إلى أبى موسى الأشعرى، وقال: هذا وأصحابه»(٤) وكانوا من أهل اليمن،

(١) فى «الأصل»: اليهود. (٢) انظر النشر (٢/٢٥٥). (٣) فى «ك»: لأقاتلن بين من. وهو خطأ.

(٤) رواه ابن أبى شيبة فى مصنفه (١٢/١٢٣/ رقم ١٢٣١١)، والطبرى فى التفسير (٦/١٨٣)، والطبرانى فى الكبير (١٧/٣٧١/ رقم ١٠١٦)، والحاكم فى المستدرك (٢/٣١٢) وصححه على شرط مسلم.

وقال الهيثمى فى المجمع (٧/١٩): رواه الطبرانى، ورجاله رجال الصحيح.

وزاد السيوطى فى عزوه فى الدر (٢/٣٢١): لكل من عبد بن حميد، وابن سعد، وابن المنذر، والحكيم الترمذى، وابن أبى حاتم، وأبى الشيخ، وابن مردويه والبيهقى فى الدلائل.

أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى

ولأهل اليمن أمر عظيم فى الفتوح التى وقعت فى الإسلام، وقد صح عن النبى ﷺ أنه قال: «الإيمان يمان، والحكمة يمانية»(١) وقيل: أراد بالآية: قوما كان أكثرهم من أهل اليمن؛ فتحوا القادسية فى زمان عمر. والأول أصح ﴿أذلة على المؤمنين﴾ ليس من الذل، وإنما هو من الذلة، وهى اللين.

وقوله: ﴿أعزة على الكافرين﴾ ليس من العز وإنما هو من العزة؛ وهى: الشدة، يعنى: أن جانبهم ليّن على المؤمنين، شديد على الكافرين، وقرأ ابن مسعود: «أذلة على المؤمنين غلظاء على الكافرين» وهى معنى القراءة المعروفة.

﴿يجاهدون فى سبيل الله لايخافون لومة لائم﴾ يعنى: لايخافون فى الله لوم الناس، وروى ابن مسعود عن النبى ﷺ أنه قال: «من أراد الجنة لاشك، فلا يخاف فى الله لومة لائم»(٢) ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾.

قوله - تعالى -: ﴿إنما وليكم الله ورسوله﴾ هذا راجع إلى قوله: ﴿لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء﴾ لَمَّا منعهم من موالاة اليهود والنصارى، دعاهم إلى موالاة الله ورسوله.

﴿والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ يعنى: مصلون؛ إلا أنه خص الركوع تشريفا، وقيل: معناه: خاضعون، وقال السدى: - وهو رواية عن مجاهد - إن هذا أُنْزِلَ فى على بن أبى طالب، كان فى الركوع، ومسكين

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (٧/ ٧٠١ رقم ٤٣٨٨)، ومسلم (٢/ ٣٩ - ٤٢ رقم ٥٢).

(٢) هو جزء من حديث أخرجه الدارقطنى فى الأفراد، ومن طريقه رواه ابن الجوزى فى العلل المتناهية (٢/ ٨١٦)، وأوله: «انتهى الإيمان إلى الورع، من قنع بما رزقه الله دخل الجنة، ومن أراد الجنة بلاشك..».
ونقل ابن الجوزى قول الدارقطنى: تفرد به عنبسة عن المعلى، وتفرد به المعلى عن شقيق.
وقال ابن الجوزى: عنبسة والمعلى متروكان، وكذلك قال النسائى وغيره، وقال ابن حبان: كلاهما يروى الموضوعات، لاتجوز الاحتجاج بهما.

الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ

يطوف فى المسجد فنزع خاتمه، ودفع إليه، فهذا معنى قوله: ﴿ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ وعن أبى جعفر محمد بن على الباقر أنه قال: نزلت الآية فى المؤمنين، فقيل له: إن قوما يقولون: إن الآية نزلت فى على بن أبى طالب، فقال أبو جعفر: على من المؤمنين.

وقوله: ﴿إنما وليكم الله ورسوله﴾ أراد به: الولاية فى الدين، لا ولاية الإمارة والسلطنة، وهم فوق كل ولاية، قال أبو عبيدة: وكذلك معنى قوله ﷺ: «من كنت مولاه فعلى مولاه»(١) يعنى: من كنت وليا له، أعينه وأنصره، فعلى يعينه وينصره فى الدين.

قوله: ﴿ومن يتولّ الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾ أى: جند الله هم الغالبون، قوله - تعالى -: ﴿يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا﴾ هذا فى اليهود، كانوا إذا سمعوا المؤذن ضحكوا، وتغامزوا بينهم ﴿من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ يعنى: اليهود ﴿والكفار﴾: سائر الكفرة ﴿أولياء﴾ أى: لاتتخذوا هؤلاء أولياء. وقرأ الكسائى، وأبو عمرو: «والكفارِ» بكسر الراء،(٢) يعنى: ومن الكفار، وكذا فى حرف أبى بن كعب «ومن الكفار أولياء» ﴿واتقوا الله إن كنتم مؤمنين﴾.

﴿وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا﴾ هذا بيان لاتخاذهم الدين هزوا فى الآية الأولى ﴿ذلك بأنهم قوم لايعقلون﴾.

(١) هذا الحديث روى عن أكثر من عشرين صحابيا، وانظر تخريج الحافظ الزيلعى لأحاديث الكشاف (٢/٢٣٤ - ٢٤٤/ رقم ٦٨١).

(٢) وهى قراءة أبى عمرو، ويعقوب، انظر النشر (٢/٢٥٥).

هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ

و(فى)(١) الحكايات: أن واحدا من المنافقين يقال له: ضمرة، سمع المؤذن يؤذن، فقال: حرق الله الكاذب؛ فجاءه خادمه بسراج فى بعض تلك الليالى، فوقعت شرارة من السراج، ولم (يشعر)(٢) به، فاحترق هو وما فى البيت.

قوله - تعالى -: ﴿قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا﴾ أى: هل تكرهون منا ﴿إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون﴾ أى: هل تنقمون منا إلا بإيماننا وفسقكم، قال الشاعر:

ما نقموا من بنى أمية إلا ... أنهم (يحلمون)(٣) إن غضبوا
وأنهم سادة الملوك ... ولايصلح إلا عليهم العرب

أى: كرهوا من بنى أمية.

قوله - تعالى -: ﴿قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله﴾ أى: قل: [هل](٤) أخبركم بشر من ذلك ثوابا وعاقبة عند الله؟ ﴿من لعنه الله وغضب عليه﴾ يعنى: اليهود ﴿وجعل منهم القردة والخنازير﴾ قيل: جعل القردة من اليهود، والخنازير من النصارى، فالذين جعلهم قردة من اليهود: أصحاب السبت، والذين جعلهم خنازير من النصارى: أصحاب المائدة، وقيل: كلاهما من اليهود، فجعل شبانهم قردة وشيوخهم خنازير ﴿وَعَبد الطاغوت﴾(٥) أى: ومن عبد الطاغوت، يعنى من لعنه الله ومن عبد الطاغوت وقرأ حمزة: «وعُبد الطاغوتِ» بضم الباء فى عبد، وكسر التاء فى الطاغوت، والمعنى واحد، قال الشاعر:

أَبَنِى لُبَيْنَى إن أمكم ... أَمَةٌ وإنَّ وإنى أباكم عبُد

(١) ليست فى «ك». (٢) فى «ك»: يعلم. (٣) فى «ك»: يحكمون. وهو خطأ.
(٤) ليست فى «الأصل» ولا «ك».
(٥) انظر النشر (٢/ ٢٥٥).

فَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ
وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ
﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ
لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ

أى: كأعبد، وقيل: هذا خطأ من حمزة، والأول أصح، ويقرأ في الشواذ: «وعبّاد الطاغوت» ويقرأ: «وعبدة الطاغوت» وتقديره: وجعل منهم عباد الطاغوت، والكل في المعنى سواء.

﴿أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل﴾ أى: عن طريق الحق.

قوله - تعالى -: ﴿وإذا جاءوكم قالوا آمنا﴾ قيل: نزلت الآية فى قوم من اليهود، دخلوا على النبى ﷺ، وقالوا: إنا آمنا بك، وصدقناك فيما قلت، وهم يسرون الكفر؛ فنزلت الآية ﴿وإذا جاؤكم﴾ يعنى: أولئك قالوا: آمنا ﴿وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به﴾ يعنى: دخلوا كافرين، وخرجوا كافرين ﴿والله أعلم بما كانوا يكتمون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿وترى كثيرا منهم يسارعون فى الإثم والعدوان﴾ قيل: الإثم: المعاصى، والعدوان: الظلم، وقيل: الإثم: كتمان أمر محمد ﷺ وما كتموا من التوراة، والعدوان ما زادوا فى التوراة. ﴿وأكلهم السحت﴾ قد بينا معنى السحت، والسحت لغتان، وقيل: أراد به أكلهم الربا ﴿لبئس ما كانوا يعملون﴾.

قوله: ﴿لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت﴾ يعنى: هلاّ ينهاهم الربانيون، وقد ذكرنا معنى الربانيين، وقيل: هو منسوب إلى الرب، كالبحرانى منسوب إلى البحرين، والنجرانى منسوب إلى نجران ﴿لبئس ما كانوا يصنعون﴾ وفى حرف ابن مسعود: «يعملون» وكلاهما واحد.

قوله تعالى: ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة﴾ سبب هذا: أن اليهود كانوا فى خصب وسعة رزق قبل هجرة النبى ﷺ، فلما هاجر إلى المدينة، ضيق الله الرزق عليهم فقالت اليهود: يد الله، مغلولة: أى ممسكة لاينفق، كأنهم نسبوه إلى البخل،

وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَوْ أَنَّ

وقال الحسن: أرادوا به: يد الله مغلولة لايعذبنا [بها][1] ﴿غلت أيديهم﴾ يجيبهم الله تعالى؛ فيقول: أنا الجواد، وهم البخلاء، وأيديهم هى المغلولة الممسكة، قاله الزجاج، وقيل: معناه: أنهم يعذبون يوم القيامة.

﴿ولعنوا بما قالوا﴾ فمن لَعْنِهِم أنهم: مسخوا قردة وخنازير، ومن لعنهم: أنهم ضربت عليهم الذلة والجزية.

﴿بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾ يعنى: [يدا][2] الله مبسوطتان، يرزق وينفق على مشيئته كيف يشاء، قال أهل العلم: ليس فى هذا رد على اليهود فى إثباتهم اليد لله - تعالى - وإنما الرد عليهم فى نسبته إلى البخل، وأما اليد: صفة لله - تعالى - بلا كيف، وله يدان، وقد صح عن النبى ﷺ أنه قال: «كلتا يديه يمين».[3] والله أعلم بكيفية المراد.

﴿وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا﴾ على معنى أنه كلما نزلت آية كفروا بها، وازدادوا طغيانا وكفرا ﴿وألقينا بينهم العداوة والبغضاء﴾ قيل: بين فرق اليهود، وقيل: (بين)[4] اليهود والنصارى، وقوله: ﴿إلى يوم القيامة﴾ دليل على أن اليهودية والنصرانية تبقى إلى قريب من قيام الساعة ﴿كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله﴾ معنى هذا: كلما اجتمعوا ليفسدوا أمر محمد، شتت الله

(١) من «ك».

(٢) فى «الأصل» و «ك»: يد.

(٣) رواه مسلم (١٢/ ٢٩١/ رقم ١٨٢٧)، والنسائى (٨/ ٢٢١/رقم ٥٣٧٩)، وأحمد (٢/ ١٦٠)، كلهم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص. ولفظه: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور على يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين..» الحديث.

(٤) فى «ك»: بين فرق.

أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا

جمعهم، وبدد شملهم. ﴿ويسعون فى الأرض فسادا والله لايحب المفسدين﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ولو أن أهل الكتاب آمنوا﴾ بمحمد ﴿واتقوا﴾ يعنى: عن المعاصى ﴿لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل، وما أنزل إليهم من ربهم﴾ يعنى: ولو أنهم قاموا وعملوا بما فى التوراة، وما فى الإنجيل وما فى القرآن ﴿لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾ قيل: من فوقهم من مطر السماء، ومن تحت أرجلهم من نبات الأرض. وقيل: من فوقهم ومن تحت أرجلهم معناه: أنه يوسع عليهم الرزق، قال الزجاج، وهو نظير قول القائل: فلان فى الخير من الفَرْق إلى القدم، أى: وسع عليه الخير، وقيل: يحتمل أن يكون المراد بقوله (﴿من فوقهم﴾ من الأشجار ﴿ومن تحت أرجلهم﴾ من النبات، ويحتمل أن يكون المراد به)[1] ﴿من فوقهم﴾ من كسب آبائهم ﴿ومن تحت أرجلهم﴾ من كسب أبنائهم، وهذا نظير قوله - تعالى -: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾[2] ونظير قوله - تعالى -: ﴿وألّوِ استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا﴾[3] ﴿منهم أمة مقتصدة﴾ أى: عادلة ﴿وكثير منهم ساء ما يعملون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ قالت عائشة: «من قال: إن محمدا كتم شيئا من الوحى؛ فقد أعظم الفرية، ومن قال: إن محمدا رأى ربه ليلة المعراج؛ فقد أعظم الفرية؛ فإن الله - تعالى - يقول: ﴿لاتدركه الأبصار﴾[4]» والخبر فى الصحيح[5].

(١) سقط من «ك».
(٢) الأعراف: ٩٦.
(٣) الجن: ١٦
(٤) الأنعام: ١٠٣
(٥) متفق عليه، رواه البخارى (٨/ ١٢٤/ رقم ٤٦١٢)، ومسلم (٣/ ١١ - ١٤/ رقم ١٧٧).

أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ

﴿وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ فيه معنيان: أحدهما: معناه: إن لم تبلغ الجميع، وتركت واحدا، فما بلغت شيئا، يعني: جرمك في ترك التبليغ في واحد كجرمك في ترك الكل، وقيل: معناه: بلغ ما أنزل إليك أي: أظهر تبليغه، وهذا مثل قوله - تعالى -: ﴿فاصدع بما تؤمر﴾(١).

﴿وإن لم تفعل﴾ يعني: وإن لم تظهر تبليغه ﴿فما بلغت رسالته﴾ ﴿والله يعصمك من الناس﴾. قالت عائشة - رضي الله عنها -: «كان النبي ﷺ قبل نزول هذه الآية يأتيه قوم فيحرسونه؛ فلما نزلت هذه الآية؛ أخرج رأسه، وقال: انصرفوا، فإن الله يعصمني»(٢). قال محمد بن كعب القرظي: نزلت الآية في كافر سلّ سيفه، وهم (بقتل النبي ﷺ)(٣)،فسقط السيف من يده، وجعل يضرب رأسه على شجرة حتى [انتثر](٤) دماغه ﴿إن الله لايهدي القوم الكافرين﴾.

قوله - تعالى -: ﴿قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم﴾ أي: تعملوا بالكل ﴿وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا﴾ هو ما ذكرنا ﴿فلا تأس﴾ أي فلا تحزن ﴿على القوم الكافرين﴾.

قوله - تعالى -: ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى﴾ قال

(١) الحجر: ٩٤.

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٥/٢٣٤/ رقم ٣٠٤٦)، والحاكم في المستدرك (٢/٣١٣) وصحح إسناده، والبيهقي في الكبرى (٩/٨)، والطبري في التفسير (٦/١٩٩) والبغوي في تفسيره (٢/٥٢). وقال الترمذي: هذا حديث غريب، وروى بعضهم هذا الحديث عن الجريري، عن عبد الله بن شقيق، قال: «كان النبي ﷺ يحرس» ولم يذكروا فيه عائشة.

(٣) في «ك»: بقتله.

(٤) كذا في «ك» وتفسير الطبري (٦/١٩٩)، وفي الأصل: انتسر - بالسين المهملة -.

وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوا أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي

الكسائى، ونحاة الكوفة: تقديره: هم والصابئون. وقال سيبويه: فى الآية تقديم وتأخير، وتقديره: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن بالله واليوم والآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، والصابئون كذلك.

وقوله: ﴿من آمن بالله﴾ يعنى: الذين آمنوا باللسان، من آمن منهم بالقلب، وقيل: إن الذين آمنوا على حقيقة الإيمان.

وقوله: ﴿من آمن بالله﴾ أى: من ثبت على الإيمان بالله، وأما فى حق اليهود والنصارى والصابئين، فهو محمول على حقيقة الإيمان.

قوله - تعالى -: ﴿لقد أخذنا ميثاق بنى إسرائيل﴾ قد ذكرنا الميثاق ﴿وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لاتهوى أنفسهم فريقا كذبوا﴾ يعنى: عيسى ومحمد ﴿وفريقا يقتلون﴾ يعنى: زكريا ويحيى، وقوله: ﴿وحسبوا ألا تكون فتنة﴾ أى: عذاب ﴿فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم﴾ يعنى: عموا وصموا بعد موسى، ثم تاب الله عليهم؛ ببعث عيسى، ﴿ثم عموا وصموا كثير منهم﴾ بالكفر بمحمد ﴿والله بصير بما يعملون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾ قد ذكرنا معنى المسيح، قال النخعى: سمى مسيحا؛ لأنه كان يمسح الأرض، (وأما)(١) الدجال: يسمى مسيحا، وقد ورد الخبر بكونه مسيحا مطلقا؛ فإنه - عليه الصلاة والسلام - قال: «[يقبل](٢) المسيح من قبل المشرق وهمه المدينة». وورد فى الخبر: المسيح الدجال. وقال - عليه الصلاة والسلام -: «لايدخل رعب المسيح الدجال المدينة أبدا»(٣).

(١) فى «ك»: وإنما. (٢) فى «ك»: يقتل. وهو تصحيف.
(٣) رواه البخارى (٤/ ١١٣/ رقم ١٨٧٩)، وأحمد فى مسنده (٥/ ٤٣، ٤٧) من حديث أبى بكرة.

وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ
﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا
عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ
وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ

﴿وقال المسيح يابنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار﴾ روى أبو سفيان طلحة بن نافع عن جابر: «أن النبى ﷺ سئل ما الموجبتان؟ فقال: من وحد الله؛ لايشرك به شيئا؛ وجبت له الجنة، ومن أشرك بالله؛ وجبت له النار»(١) ﴿وما للظالمين من أنصار﴾.

قوله - تعالى -: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾ فيه حذف، أى: ثالث ثلاثة آلهة، ولابد من هذا التقدير؛ لأنه يجوز أن يقال: هو ثالث ثلاثة، كما قال: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾(٢)، وقوله: ﴿ثالث ثلاثة﴾ هو قولهم: أب، وابن، وروح القدس، وهذا قول اليعقوبية منهم، وقالوا: روح القدس لا هو ولا غيره، وكذلك الابن، والله مجموع الكل ﴿وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا﴾ أى: ليصيبن الذين ﴿كفروا منهم عذاب أليم﴾.

قوله - تعالى -: ﴿أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه﴾ أرشدهم إلى التوبة والإسلام ﴿والله غفور رحيم﴾.

قوله تعالى: ﴿ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله﴾ أى: مضت، وسميت الأيام الماضية خالية؛ لخلوها، ومعنى هذا: أنا أرسلنا عيسى كما أرسلنا غيره [وأعطيناه](٣) من المعجزات ما أعطينا غيره من الرسل ﴿وأمه صديقة﴾ والصديق: كثير الصدق، وهو للمبالغة، ومنه سمى أبو بكر [الصديق](٤) - رضى الله عنه -: صديقا، وقيل: سمى صديقا؛ لأنه قيل له: إن صاحبك يقول: أسرى بى إلى السماء. فقال: إن (هو قال)(٥) ذلك فقد صدق.

(١) رواه مسلم (٢/١٢٢ - ١٢٣/ رقم ١٥١)، وأحمد فى المسند (٣/٣٩١ - ٣٩٢).

(٢) المجادلة: ٧

(٣) فى الأصل: وأعطينا.

(٤) من «ك».

(٥) كذا فى «ك»، وفى الأصل: قال هو.

الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا

﴿كانا يأكلان الطعام﴾ أى: يتغذيان بالطعام، ومعناه: أن من يتغذى بالطعام لايكون إلها يعبد، وقال ابن قتيبة: هو كناية عن الحدث، يعنى: أنهما يأكلان، ويشربان، ويبولان، ويتغوطان، ومثل هذا لايكون إلها يعبد ﴿انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون﴾ قال ابن قتيبة: وهذا من ألطف البيان، وقوله: ﴿يؤفكون﴾ أى: يصرفون، ومنه سمى الكذب: إفكا؛ لأنه مصروف عن الحق.

قوله - تعالى -: ﴿قل أتعبدون من دون الله ما لايملك لكم ضرا ولا نفعا﴾ يعنى: عيسى ومثله. ﴿والله هو السميع العليم﴾.

قوله - تعالى -: ﴿قل يا أهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم غير الحق﴾ الغلو: مجاوزة الحد، وهو مذموم، وكذلك التقصير، ودين الله بين الغلو، والتقصير ﴿ولاتتبعوا أهواء قوم﴾ الأهواء: جمع الهوى، وهو مقصور، وأما الهواء الممدود: فهو الجو، والهوى: كل ما تدعو إليه شهوة النفس، لا الحجَّة ﴿قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل﴾. فإن قيل: ما معنى هذا التكرير، قال الزجاج: معنى قوله: ﴿وضلوا عن سواء السبيل﴾ يعنى: بالإضلال، والأول من الضلالة، وقيل: ضلوا من قبل الإضلال، وضلوا بعد الإضلال؛ فكأنهم ضلوا مرتين.

قوله - تعالى -: ﴿لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم﴾ فالذين لعنوا على لسان داود: هم أصحاب السبت، والذين لعنوا على لسان عيسى: أصحاب المائدة، وأولئك الذين جعلهم الله قردة، وهؤلاء الذين جعلهم الله خنازير ﴿ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾ التناهى: تفاعل من النهى، والمنكر: كل ما أنكره الشرع، وفى الخبر قال ﷺ: أول ما

مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ
﴿٧٨﴾ كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ
يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ
خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ
كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨١﴾ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ

دخل النقص فى بنى إسرائيل: أن الرجل منهم كان إذا نهى صاحبه عن منكر، كان لايمنعه بعد ذلك أن يكون جليسه، وأكيله، وشريبه، فضرب الله – تعالى – قلب بعضهم بالبعض، وعمهم بالعقاب، ثم قال ﷺ: والذى نفسى بيده، حتى تأخذوا على يد الظالم فتأطروه على الحق أطرا»[١] أى: تعطفوه.

قوله: ﴿ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا﴾ أى: يوالونهم ﴿لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء﴾ يعنى: الكفار ﴿ولكن كثيرا منهم فاسقون﴾ فإن قيل: لم سمّاهم فاسقين وهم كافرون؟ قيل: معناه: (خارجون)[٢] عن أمر الرب، والكفار خارجون عن كل أمره، وقيل: معناه: متمردون، أى: هم مع كفرهم متمردون.

قوله – تعالى –: ﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا﴾ يعنى: مشركى مكة، ﴿ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى﴾ قيل: إن الآية فى قوم من النصارى، (أربعين)[٣] نفرا: اثنان وثلاثون من الحبشة، وثمانية من رهبان الشام، جاءوا إلى النبى ﷺ، وأسلموا، وفيهم نزلت الآية لا فى النصارى الكفرة؛ لأنهم فى عداوة المسلمين مثل اليهود، وقيل: إن الذين أسلموا من الحبشة كان فيهم النجاشى؛ فقدم جعفر الطيار الحبشة، فدعاه النجاشى، فقرأ عليه

(١) تقدم تخريجه فى آل عمران.

(٢) كذا فى الأصل، وفى «ك»: خارجين.

(٣) كذا فى الأصل، وفى «ك»: أربعون.

أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ

سورة مريم، وعنده الأساقفة والرهبان؛ فبكوا حتى أخضلوا لحاهم، وأخذ النجاشي قذاة بيده، وقال: لم يَعْدُ عيسى ما قلت، ولا قدر هذا، وأسلموا.

وقيل: نزلت الآية في قوم من النصارى كانوا متمسكين بدين عيسى، لم يحرفوا، فآمنوا بمحمد.

وقيل: هو في كل النصارى، ومعناه: أنهم ألين عداوة من اليهود.

﴿ ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لايستكبرون ﴾ قال قطرب: القسيس العابد بلغة الروم، وهو التمام في اللغة، قال الشاعر:

يمسين من قس (الحديث)(١) غوافلا إلا جَعْبَر يات ولا [طهاملا](٢)

والرهبان جمع الراهب، وروى سلمان: «أن النبي ﷺ قرأ: «ذلك بأن منهم صديقين ورهبانا»(٣) وهذا في الغرائب.

قوله - تعالى -: ﴿ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ﴾ يعني: القرآن، فإن النبي ﷺ كان قد قرأ عليهم القرآن؛ فبكوا وأسلموا، فذلك معنى قوله: ﴿ ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ يعني: من أمة محمد؛ فإنهم الشاهدون على سائر الأمم.

قوله - تعالى -: ﴿ وما لنا لانؤمن بالله وما جاءنا من الحق ﴾ وذلك أن اليهود قالوا: لم آمنتم؟ فأجابوا: وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ﴿ ونطمع أن يدخلنا

(١) كذا «بالأصل، وك». وفي لسان العرب (مادة: قسس): الأذى.

(٢) من لسان العرب. وفي «الأصل وك»: هطاملا. والجعبريات: القصار، واحدتها جَعْبَرَة، والطهامل: الضخام القباح الخلقة، واحدتها. طَهْمَلَة. انظر لسان العرب.

(٣) رواه البخاري في تاريخه (٨/ ١٦)، والبزار - البحر الزخار (٦/ ٤٩٩/ رقم ٢٥٣٧) والطبراني في الكبير (٦/ ٢٦٦/ رقم ٦١٧٥).

وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٠): وفيه يحيى الحماني، ونصير بن زياد وكلاهما ضعيف. وزاد السيوطي في عزوه في الدر (٢/ ٣٣٤) لكل من أبي عبيد في فضائله، وعبد بن حميد، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول، وابن الأنباري في المصاحف، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ

ربنا مع القوم الصالحين ﴾ الطمع: هو تعلق النفس بالشيء مع قوة.

قوله - تعالى -: ﴿ فأثابهم الله بما قالوا جنات ﴾ أى: أعطاهم الله بما قالوا جنات ﴿ تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين ﴾.

فإن قيل: هذا أَوَّلَ قوله - تعالى -: ﴿ فأثابهم الله بما قالوا ﴾ على أن الإيمان قول فَرْدٌ.

قيل: قد ذكر فى الآية الأولى ﴿ مما عرفوا من الحق ﴾ فذكر المعرفة فى تلك الآية، والقول فى هذه الآية، ومجموعهما إيمان ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم ﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما أحل الله لكم ﴾ قال (ابن عباس)(١)، وعطاء [وسعد](٢)، وسعيد بن جبير، والسدى: سبب نزول الآية: «أن عليا، وابن مسعود، وعثمان بن مظعون، تشاوروا فى أن يترهبوا، ويلبسوا المسوح، ويقطعوا المذاكير، ويصوموا الدهر؛ فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: أما إنى أنام وأقوم، وأفطر وأصوم، وآكل وأشرب، وأنكح، فمن رغب عن سنتى فليس منى ونزلت الآية ﴿ لاتحرموا طيبات ما أحل الله لكم ﴾»(٣) وروى: أن عثمان بن مظعون قال: «يارسول الله، ائذن لى فى الرهبانية. فقال: رهبانية أمتى الجلوس فى المساجد. فقال: ائذن لى فى السياحة فى الأرض. فقال سياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله. فقال: ائذن لى فى الإخصاء. فقال: إخصاء أمتى الصوم»(٤). وقيل: سبب نزول الآية: «أن رجلا قال: يارسول الله، إنى أصيب اللحم؛ فأنتشر واشتهى النساء فحرمت اللحم على نفسى» فنزل قوله [تعالى](٥): ﴿ لاتحرموا طيبات ما أحل الله

(١) ليست فى «ك». (٢) ليست فى «الأصل».

(٣) رواه الطبرى فى التفسير (٧/ ٧، ٨، ٩) عن السدى، وابن عباس.

(٤) رواه ابن المبارك فى الزهد (ص٢٩٠/ رقم ٨٤٥) من طريق رشدين بن سعد قال: حدثنى ابن أنعم، وهما ضعيفان.

(٥) من «ك».

الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ

لكم ولاتعتدوا إن الله لايحب المعتدين ﴾ رواه عكرمة عن ابن عباس، والاعتداء: هو مجاوزة ماله إلى ماليس له ﴿ وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون ﴾ أكد ذلك النهى بهذا الأمر.

قوله - تعالى -: ﴿ لايؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ﴾ إنما عقب تلك الآية بهذه؛ لأن القوم الذين تشاوروا أن يترهبوا كانوا قد حلفوا؛ فبين حكم الأيمان، واللغو: هو المطرح الذى لايعبأ به، وعن عائشة: أن لغو اليمين: قول الإنسان: لا والله، وبلى والله، واختاره الشافعى، وقال ابن عباس، وأبو هريرة: لغو اليمين: هو أن يحلف على شيء على ظن أنه كذلك فإذا هو على خلافه، واختلف العلماء فى وجوب الكفارة فى يمين اللغو، قال إبراهيم النخعى: تجب فيها الكفارة، وقوله: ﴿ لايؤاخذكم ﴾ يعنى: فى القيامة. وسائر العلماء على أن لاكفارة فى يمين اللغو؛ لظاهر القرآن ﴿ ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ﴾ فيه ثلاث قراءات: ﴿ عَقَدْتُم ﴾ بالتخفيف قراءة الكسائى وحمزة وأبو بكر. و﴿ عَقَّدتم ﴾ بالتشديد قرأه أبو عمرو ومن بقى، غير ابن ذكوان، و ﴿ عاقدتم ﴾ قراءة ابن عامر برواية ابن ذكوان(١).

قال الكسائى: عَقَدتم، أى: أوجبتم، وقال أبو عمرو: عقَّدتم، أى: وكّدتم، واختلفوا فى هذا التوكيد، قال ابن جريج: سألت عطاء عن قوله: ﴿ عقدتم ﴾ أنه ماذا؟ فقال: هو قول القائل: والله الذى لا إله إلا هو؛ كأنه فسر التوكيد به، وروى نافع عن ابن عمر: أن توكيد اليمين بالتكرار، قال نافع: وكان ابن عمر إذا وكّد اليمين أعتق رقبة، وإذا لم يوكّد: أطعم المساكين فى كفارته. ﴿ فكفارته إطعام عشرة مساكين ﴾ على قول النخعى يرجع هذا إلى يمين اللغو، وعلى قول الباقين يرجع إلى اليمين المعقودة، وهى المقصودة، وعقد اليمين: هو القصد بالقلب، والذكر باللسان. ﴿ من أوسط ما تطعمون أهليكم ﴾ قال ابن عمر: الأوسط هو الخبز والزيت، أو الخبز

(١) وقرأ خلف كما قرأ الكسائى، وحمزة، وأبو بكر، انظر النشر (٢/٢٥٥).

إطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ

والتمر، وقال عبيدة السلماني: هو الخبز والسمن، وقال أبو رزين: (هو الخبز والخل وأما الأعلى)(١): هو الخبز واللحم، والأدنى: هو الخبز البحت، والكل مجزئ، والأوسط في القدر، قال زيد بن ثابت، وعائشة، وابن عمر - رضي الله عنهم - هو المُدّ، وبه قال الشافعي - رضي الله عنه - وذلك رطل وثلث، وقال عمر، وعلى - وهو رواية ابن عباس - أنه مُدَّان، نصف صاع، وبه قال العراقيون.

﴿أو كسوتهم﴾ قال عطاء، وطاووس: لكل مسكين ثوب، وقال مجاهد: ما ينطلق عليه اسم الكسوة، وقال إبراهيم: لكل مسكين ثوب جامع يصلح [لليل](٢) والنهار مثل الكساء، الملحفة ونحوهما. وقال ابن عمر: ثلاثة أثواب. وقيل: ثوبان، وهو قول الحسن، وابن سيرين، مثل إزار ورداء، أو إزار وعمامة. وقيل: ما يستر العورة، وتجزئ به الصلاة.

والصحيح: أن الواجب لكل مسكين ما يصلح به الكسوة في العرف ﴿أو تحرير رقبة﴾ هو عتق الرقبة، وفيه كلام في الفقه.

﴿فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام﴾ ظاهره: أنه يجوز متفرقا، وهو الأصح، وقرأ ابن مسعود، وأبي بن كعب: «ثلاثة أيام متتابعات» فعلى هذا يجب التتابع فيه، وبه قال مالك، والأوزاعي، وهوأحد قولي الشافعي ﴿ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم﴾ قيل: الحنث مضمر فيه، يعني: إذا حلفتم وحنثتم، ولا تجب الكفارة إلا بعد الحنث، وأما جواز التكفير قبل الحنث عرفنا بالسنة ﴿واحفظوا أيمانكم﴾ ظاهره للنهي عن الحنث، وقيل: أراد به حفظ اليمين لا أن يحلف، والأول أصح ﴿كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر﴾ أما الخمر فقد سبق الكلام فيه، وكذلك الميسر، قال الأصمعي: كان ميسرهم على الجزور، فكانوا يشترون جزورا وينحرونه، ويجعلونه على ثمانية وعشرين سهما، وقيل: على عشرة

(١) سقط من «ك».

(٢) في الأصل: الليل.

يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ

أسهم، ثم يقامرون عليه، فكل من خرج عليه قُدِّر نصيبه مجانا، ويكون الثمن على الباقين، وهكذا يقامرون على كل سهم منه، إلى أن يبقى واحد، فيكون كل الثمن عليه، ويفوز الآخرون بسهامهم مجانا. وسئل القاسم بن محمد عن النرد والشطرنج: أهو من الميسر؟ قال: كل ماصد عن ذكر الله، وعن الصلاة، فهو من الميسر، وقوله: ﴿والأنصاب والأزلام رجس﴾ أما الأنصاب والأزلام فقد بينا، وقوله: ﴿رجس﴾ أى: خبيث مستقذر، وفى الخبر: «أعوذ بالله من الرجس النجس»[1] ﴿من عمل الشيطان﴾ أى: من تزيين الشيطان ﴿فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر﴾ أما وقوع العداوة فى الخمر: أن [شاربيه][2] إذا سكروا عربدوا، وتشاجروا، (وتشاحجوا)[3].

وأما العداوة فى الميسر: قال قتادة: هو أنهم كانوا يقامرون على الأهل والمال، ثم إذا لم يبق له شيء، يجلس حزينا، مسلوبا، مغتاظا على قرنائه ﴿ويصدكم عن ذكر الله

(١) روى هذا الحديث عن غير واحد من الصحابة، فرواه ابن ماجة فى سننه (١/١٠٩/رقم ٢٩٩) والطبرانى فى الدعاء (٢/٩٦٥/ رقم ٣٦٦)، وفى الكبير (٨/٢١٠/ رقم ٧٨٤٩) من حديث أبى أمامة، وقال الحافظ ابن حجر فى نتائج الأفكار (١/٢٠٠): وورد هذا المتن من حديث أبى أمامة بمعنى الأمر، وهو أشهر ما فى الباب. ثم قال بعد أن سرده بإسناده، وعلى بن يزيد الألهانى ضعيف، وفي شيخه والراوى عنه مقال.
وروى من حديث ابن عمر، رواه الطبرانى فى الدعاء (٢/٩٦٥/ رقم ٣٦٧)، وقال الحافظ فى نتائج الأفكار (١/١٩٨): هذا حديث غريب، وحِبَّان - بكسر المهملة، وتشديد الموحدة - فيه ضعف، وكذا شيخه.
وروى من حديث أنس بن مالك، أخرجه ابن السنى فى عمل اليوم والليلة (ص١٧/ رقم ١٨)، والطبرانى فى الدعاء (٢/٩٦٤/ رقم ٣٦٥)، وقال الحافظ فى نتائج الأفكار: غريب من هذا الوجه.
وعن على وبريدة، رواه ابن عدى فى الكامل (٢/٣٨٧) وقال: وهذا الحديث قد جمع فيه صحابيين: عليا، وبريدة، وجميعاً غريبان فى هذا الباب، وما أظن رواهما غير حفص بن عمر هذا، وقال الحافظ ابن حجر: هذا حديث غريب.
ورواه أبو داود فى مراسيله (ص٧٢/ رقم٢) عن الحسن مرسلاً.
(٢) فى «الأصل»: شاربين.
(٣) أى: رفعوا أصواتهم، والشحاج: هو صوت البغل، وبعض أصوات الحمار، والغراب إذا أسن. أنظر لسان العرب (مادة: شحج).

وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ

وعن الصلاة﴾ يعنى: الشيطان يمنعكم بهما عن ذكر الله (وعن الصلاة)[1] ﴿فهل أنتم منتهون﴾ معناه: انتهوا، قال الفراء: سمعت بعض الأعراب يقول لغيره: هل أنت ساكت؟ (هل أنت ساكت)[2] ؟ يريد به: اسكت، وهذا كلام العرب العاربة.

وسبب نزول الآية: «أن عمر - رضى الله عنه - قال: اللهمّ بيّن لنا فى الخمر بيانا شافيا؛ فنزل (قوله)[3] فى سورة البقرة: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾[4] فدعا عمر، وقرأ عليه، فقال ثانيا: اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا؛ فنزل قوله فى سورة النساء: ﴿لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾[5] فقرأ عليه؛ فدعا ثالثا، وقال: اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا؛ فنزلت هذه الآية، فدعا وقرأ عليه؛ فلما بلغ قوله: ﴿فهل أنتم منتهون﴾ قال: انتهينا يارب»[6]، وقيل: سبب نزول الآية: «أن قدامة بن مظعون اتخذ دعوة، وشوى رأس بعير، ودعا سعد بن أبى وقاص، وجماعة، فأكلوا، وشربوا، فلما سكروا تفاخروا، فقام رجل من الأنصار إلى لحى البعير، وضرب به وجه سعد،

(١) ليست فى «ك».

(٢) هكذا تكررت فى «الأصل»، و «ك».

(٣) ليست فى «ك».

(٤) البقرة: ٢١٩.

(٥) النساء: ٤٣.

(٦) رواه أبو داود فى سننه (٤/٧٩-٨٠/رقم٣٦٧٠)، والترمذى (٥/٢٣٦-٢٣٧/رقم ٣٠٤٩) وقال: وقد روى عن إسرائيل هذا الحديث مرسل ثم ساقه وقال: وهذا أصح. والنسائى (٨/٢٨٦-٢٨٧/رقم٥٥٤٠)، وأحمد فى مسنده (١/٥٣)، والطبرى فى التفسير (٧/٢٢) وقال الحافظ ابن حجر فى الفتح (٨/١٢٩): وصححه على بن المدينى، والترمذى.

﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا

فضرب أنفه، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ؛ فنزلت هذه الآية»[1] [وقيل: نزلت][2] فى قبيلتين من الأنصار تخاصمتا فى حال السكر، وقد ورد فى الخمر أخبار منها: قوله ﷺ: «مدمن الخمر كعابد الوثن»[3] وقال ﷺ: «الخمر أم الخبائث، من شربها لم يقبل الله له صلاة أربعين يوما، من مات وفى بطنه شيء من الخمر؛ حرم الله عليه الجنة»[4].

قوله تعالى: ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا﴾ لما حرم الخمر، وأمر بالاجتناب عنها؛ ندبهم إلى طاعة الله والرسول، والتوقى ﴿فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين﴾.

قوله – تعالى –: ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا﴾ سبب نزول الآية هذه أن الصحابة قالوا لما ورد تحريم الخمر: يارسول الله كيف حال من مات منا وهو يشرب الخمر؟ فنزلت الآية. وقيل: إنهم قالوا: إن حمزة بن عبد المطلب،

(١) رواه مسلم فى صحيحه (١٥/ ٢٦٤ – ٢٦٧/ رقم ١٧٤٨) والبخارى فى الأدب المفرد (ص١٦/ رقم٢٤)، وأحمد فى المسند (١/ ١٧٨، ١٨١، ١٨٥ – ١٨٦)، وليس فيه تسمية قدامة بن مظعون، وإنما فيه: أن رجلاً من الأنصار... وعزاه السيوطى فى الدر (٢/ ٣٤٥ – ٣٤٦) لكل من ابن جرير الطبرى، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وأبى الشيخ، وابن مردويه، والنحاس فى الناسخ.

(٢) ليس فى الأصل، ولا فى «ك» والسياق يقتضيها، وانظر الدر المنثور (٢/ ٣٤٥ – ٣٤٦).

(٣) روى هذا الحديث من حديث ابن عباس، وأبى هريرة، وابن عمرو، وأنس، وجابر وعن غير واحد من الصحابة أيضاً، وانظر تخريج الكشاف للزيلعى (١/ ٤٢٠ – ٤٢١).

(٤) رواه الطبرانى فى الأوسط كما فى المجمع (٧/ ٩٥/ رقم ٤١٠٤) وقال الهيثمى فى المجمع (٥/ ٧٥) رواه الطبرانى فى الأوسط عن شيخه شباب بن صالح، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات، وفى بعضهم كلام لايضر وانظر السلسلة الصحيحة رقم [١٨٥٤].

وله طريق آخر رواه الطبرانى فى الأوسط (١/ ١٥٣/ رقم ١٣٨) وقال: لايروى عن ابن عمر، عن ابن عمرو إلا بهذا الإسناد، تفرد به الدراوردى. والحاكم فى مستدركه (٤/ ١٤٧) وصححه على شرط مسلم. وقال الهيثمى فى المجمع (٥/ ٧١): ورجاله رجال الصحيح خلا صالح بن داود التمار، وهو ثقة.

عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَّآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَّأَحْسَنُوا وَاللَّهُ

ومصعب بن عمير استشهدوا يوم أحد، وكانا يشربان الخمر، فكيف حالهما؟ فنزلت الآية وبيّن الله تعالى أنه لاجناح عليهم فيما طعموا فى حال الإباحة ﴿إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا﴾ (فى هذا مقدم معنى مؤخر أقوال)[1]: أحدها: أن معنى الأول: إذا ما اتقوا الشرك وآمنوا، أى: صدقوا، وعملوا الصالحات ﴿ثم اتقوا﴾ أى: داموا على ذلك التقوى ﴿وآمنوا﴾ أى ازدادوا إيمانا ﴿ثم اتقوا وأحسنوا﴾ أى: اتقوا بالإحسان فى كل محسن، وكل مطيع مُتقٍ.

والقول الثانى: أن التقوى الأول: اجتناب الشرك، والتقوى الثانى: اجتناب الكبائر والتقوى الثالث: اجتناب الصغائر، وهذان قولان معروفان فى الآية، وفى الآية قول ثالث: أنه أراد به: إذا ما اتقوا قبل تحريم الخمر، ثم اتقوا بعد تحريم الخمر، وقيل هذا لايصح؛ لأن قوله: ﴿إذا ما اتقوا﴾ إنما يصلح للمستقبل لا للماضى؛ فإن حرف «إذا» للمستقبل.

﴿والله يحب المحسنين﴾، روى أن قدامة بن مظعون شرب الخمر؛ فدعاه عمر ليحده، فقال: أليس يقول الله - تعالى -: ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا﴾ فقال: أخطأت التأويل، لقد قال: ﴿إذا ما اتقوا وآمنوا﴾ وأنت لم تتقِ النهى.

وروى: «أن النبى ﷺ قرأ هذه الآية، ثم قال ابن مسعود: وأَنّا من هؤلاء؟!»[2]

قوله - تعالى -: ﴿يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشىء من الصيد﴾ أى: ليختبرنكم الله بشىء من الصيد، وفائدة البلوى والاختبار: إظهار المطيع من العاصى، وإلا فلا حاجة له إلى البلوى، وسبب هذا: أن رسول الله ﷺ لما نزل بالحديبية مع

(١) كذا «بالأصل، وك».

(٢) رواه مسلم فى صحيحه (١٦/٢٠/رقم ٢٤٥٩)، والترمذى (٥/٢٣٨/رقم ٣٠٥٣)، والنسائى فى الكبرى (٦/٣٣٧/ رقم ١١١٥٣).

يُحبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ

أصحابه، وكانوا محرمين، كان يدنوا منهم الصيود والوحوش؛ فهمّوا بالأخذ؛ فنزلت الآية.

﴿ تناله أيديكم ﴾ يعنى: فى صغار الصيود ﴿ ورماحكم ﴾ يعنى: من كبار الوحوش، قال مجاهد ﴿ تناله أيديكم ﴾ يعنى: الفرخ والبيض ﴿ ورماحكم ﴾ يعنى: الصيود الكبار.

﴿ ليعلم الله من يخافه بالغيب ﴾ قيل: معناه: ليعلم الله من يخافه بالغيب، فيعامله معاملة من يطلب العلم للعمل؛ إظهارا للعدل، وقيل: معناه: ليرى من يخافه بالغيب، وقوله: ﴿ من يخافه بالغيب ﴾ هو أن يخاف الله وهو لايراه ﴿ فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد وأنتم حرم ﴾ سبب هذا أن رجلا يقال له: أبو اليسر، شدّ على حمار وحش؛ فقتله وهو محرم؛ فنزلت الآية ﴿ لاتقتلوا الصيد وأنتم حرم ﴾، والحُرُمْ: يكون من الإحرام، ويكون من دخول الحرم، يقال: أحرم، إذا عقد الإحرام، وأحرم إذا دخل الحرم، ويقال أيضا لمن أدرك الشهر الحرام: محرم.

﴿ ومن قتله منكم متعمدا ﴾ ذكر حالة العمد لبيان الكفارة، فاختلف العلماء، قال سعيد بن جبير: لاتجب كفارة الصيد فى قتل الخطأ، بل تختص بالعمد، وبه قال داود.

وسائر العلماء على أنها تجب فى الحالين، قال الزهرى: على المتعمد بالكتاب، وعلى المخطىء بالسنة.

﴿ فجزاء مثل ما قتل من النعم ﴾ قرأ الأعمش «فجزاؤه مثل ما قتل من النعم»، والمعروف فيه قراءتان «فجزاءُ مثلِ» على الإضافة، وقرأ بعضهم «فجزاءٌ مثلُ» بتنوين

النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ

الجزاء، ورفع اللام من المثل[١]، ومعنى الكل واحد، والمثلية معتبرة فى الجزاء؛ فيجب فيما قتل مثله من النعم شبها؛ فيجب فى النعامة: بدنة، وفى الأروى: بقرة، وفى الطير والضبع والحمامة: شاة، وفى الأرنب: عناق، وفى اليربوع: جفرة، وكل هذا مروى عن الصحابة.

﴿يحكم به ذوا عدل منكم﴾ وفيه دليل على جواز الاجتهاد فى الأحكام ﴿هديا بالغ الكعبة﴾ نصب على التمييز، قوله: ﴿بالغ الكعبة﴾ يقتضى أن يكون إعطاء الهدى فى الحرم، يفرّق على مساكين الحرم، وهو الواجب ﴿أو كفارة طعام مساكين﴾ وذلك أن يقوّم (المثل)[٢] من النعم بالدراهم، ويشترى بالدراهم طعام مساكين، وبه قال الشافعى، وقال أبو حنيفة يُقَوَّم بالصيد المقتول أبدا ﴿أو عدل ذلك صياما﴾ قرأ عاصم الجحدرى، وطلحة بن، مصرف: ﴿أو عدل ذلك﴾ بكسر العين، ثم قال بعضهم: لافرق بينهما، ومعناه: المثل، وفرّق الفراء بينهما، فقال: العدل - بالكسر -: المثل من جنسه، والعَدل: المثل من غير جنسه، وقد قيل: العدل - بالفتح -: هو المثل، والعِدل - بالكسر -: الحمل، والأول أصح، وصوم العدل: أن يصوم بدل كل مُدَّ يوما، وقيل: يومان، ثم هذا على التخيير أم على الترتيب؟

قال الشعبى، والنخعى - وهو رواية عن مجاهد -: إنه على الترتيب، وقال غيرهم - وبه قال ابن عباس -: إنه على التخيير؛ لأنه قال: ﴿أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما﴾ وكلمة «أو» للتخيير ﴿ليذوق وبال أمره﴾ أى: شدة أمره ﴿عفا الله عما سلف﴾ يعنى: فى الجاهلية ﴿ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام﴾.

واختلف العلماء فى العامد إلى قتل الصيد ثانيا، هل تجب عليه الكفارة ثانيا، أم

(١) قرأ حمزة، والكسائى، وأبو بكر، ويعقوب بالتنوين، ورفع اللام وقرأ الباقون بغير تنوين، وخفض اللام. انظر النشر (٢/ ٢٥٥).

(٢) فى «ك»: المثلى.

صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا

لا؟ قال ابن عباس: لاتجب، ويقال له. أسأت، وينتقم الله منك. وعامة العلماء على أنه تجب الكفارة ثانيا، وقوله: ﴿فينتقم الله منه﴾ يعنى: فى الآخرة.

قوله - تعالى -: ﴿أحل لكم صيد البحر وطعامه﴾ قال عمر، وعلى: صيد البحر ما صيد منه، وطعامه ما قذف، وهو رواية عن ابن عباس. وعنه رواية أخرى: أن طعامه ما نضب عنه الماء. وقال مجاهد: صيده: الطرى وطعامه: المالح، وهو مروى عن ابن عباس أيضا. ﴿متاعا لكم﴾ أى: منفعة لكم ﴿وللسيارة﴾ قال ابن عباس: متاعا لكم: خطاب مع أهل القرى، والسيارة أهل الأمصار، وقال مجاهد: السيارة: المسافرون.

﴿وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما﴾ حرم الاصطياد على المحرم، وقد ذكرنا ﴿واتقوا الله الذى إليه تحشرون﴾ واختلف العلماء فى صيد الحلال: هل يحل للمحرم، وأن يأكل منه؟ قال عمر، وعثمان: يحل. وبه أخذ أكثر الفقهاء، وقال على، وابن عباس: إنه لايحل، وبه قال جماعة من التابعين.

قوله - تعالى -: ﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام﴾ قال ثعلب أبو العباس أحمد ابن يحيى: إنما سميت كعبة؛ لتربيعها ﴿البيت الحرام﴾ وهو الكعبة، وفى الخبر: «إن الله - تعالى - حرم مكة منذ خلق السموات والأرض»[1] ﴿قياما للناس﴾ القيام والقوام واحد، قال الله - تعالى -: ﴿أموالكم التى جعل الله لكم قياما﴾[2] أى: قواما لمعايشكم، وقال الشاعر: يمدح النبى ﷺ.

ونشهد أنك عبد المليك   أتيت بشرع ودين قيم

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس، رواه البخارى (٤ / ٥٦ /رقم ١٨٣٤)، ومسلم (١٩ / ١٧٦ - ١٧٨ / رقم ١٣٥٣).

(٢) النساء: ٥

لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا

وأراد به: أن البيت الحرام قوام للناس لدينهم ومعايشهم، أما فى الدين؛ لأن به تقوم المناسك والحج، وأما فى المعايش؛ فلأن (أهل الحرم)[1] كانوا يأمنون أهل (الغارة)[2]، حتى كان يغير بعضهم على بعض، ثم لايتعرضون لأهل الحرم، ويقولون: هم أهل الله.

﴿والشهر الحرام﴾ أراد به: جنس الأشهر الحرم، وهى أربعة أشهر: ثلاثة سرد، وواحد فرد كما سبق، والمراد به: أنه جعل الشهر الحرام قواما للناس؛ يأمنون فيه القتال؛ فإنهم كانوا يكفون عن القتل والقتال فى الأشهر الحرم.

﴿والهدى والقلائد﴾ وقد بينا كيف يكون الهدى والقلائد، وكونه قواما للناس: أنهم كانوا يأمنون بتقليد الهدى، وكان أهل الحرم يتعيّشون بالهدى والقلائد.

﴿ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما فى السموات والأرض وأن الله بكل شىء عليم﴾ فإن قال قائل: أى اتصال لهذا بما سبق من الكلام فى الآية؟ قال المبرد أبو العباس محمد بن يزيد: معناه: أن ألهمتهم ذلك الاحترام، وأن لايتعرضوا لأهل الحرم؛ فكأنه بيّن فى الآية صنعه مع أهل الحرم، قال: ذلك لتعلموا أن كل ذلك بعلمى، وإلهامى إيّاهم.

وقال الزجاج: [قد سبق][3] فى هذه السورة من الله – تعالى – الإخبار عن الغيوب، والكشف عن الأسرار، مثل قوله: ﴿سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك﴾[4] ومثل إخباره بتحريفهم الكتب، ونحو ذلك؛ فقوله: ﴿ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض﴾ راجع إليه.

---

(١) ليست فى «ك».

(٢) فى «ك»: القادة.

(٣) تكررت فى «ك» مرتين.

(٤) المائدة: ٤١.

فِي الأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لاَّ

قوله - تعالى -: ﴿اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم﴾ وفى الخبر: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العذاب لم يطمع فى جنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة لم يقنط من جنته أحد»[1].

وقوله: ﴿ما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾ معلوم المعنى.

قوله - تعالى -: ﴿قل لايستوى الخبيث والطيب﴾ قال السدى: يعنى الكافر والمؤمن. وقال غيره: الخبيث: الحرام، والطيب: الحلال، وفى الخبر: «حلوان الكاهن خبيث ومهر البغى خبيث»[2] أى: حرام ﴿ولو أعجبك﴾ معناه: ولو سرك ﴿كثرة الخبيث﴾.

﴿فاتقوا الله يا أولى الألباب لعلكم تفلحون﴾ وفى المثل: حرام يأتى جزفا (والحلال)[3] يأتى قوتًا. وعن أبى هريرة أنه قال: «درهم من الحلال خير من مائة ألف [درهم][4] وقر من الحرام»[5].

قوله - تعالى -: ﴿يا أيها الذين آمنوا لاتسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾ سبب نزول الآية: أن الصحابة أكثروا السؤال على النبى ﷺ حتى غضب، وقام

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - فرواه البخارى (١١/٣٠٧/رقم ٦٤٦٩) ومسلم (١٨/١١٠/رقم ٢٧٥٥).

(٢) رواه مسلم فى صحيحه (١٠/٢٣٢/ رقم ١٥٦٨) وأبو داود (٣/٢٦٦/ رقم ٣٤٢١)، والترمذى (٣/٥٧٤/ رقم ١٢٧٥) من حديث رافع بن خديج ولفظه: «كسب الحجام خبيث، وثمن الكلب خبيث، ومهر البغى خبيث». وأما لفظة وحلوان الكاهن خبيث فقد رويت فى أحاديث أخرى.

(٣) فى ك: وحرام.

(٤) من «ك».

(٥) كذا فى «الأصل»، و «ك»، وقد أخرج ابن أبى حاتم هذا الأثر فى تفسيره عن أبى هريرة أنه قال: «لدرهم حلال أتصدق به أحب إلى من مائة ألف ومائة ألف حرام فإن شئتم فاقرؤا كتاب الله: ﴿قل لايستوى الخبيث والطيب﴾ انظر الدر المنثور (٢/٣٦٦).

يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا

خطيبا، وقال: «إنكم لاتسألونى عن شيء فى مقامى هذا إلا أنبأتكم به، فقال رجل: يارسول الله، من أبى؟ - وكان السائل عبد الله بن حذافة السهمى، وكان يقال فى نسبه شيء، فلما قال: من أبى؟- قال - عليه الصلاة والسلام -: أبوك حذافة، فقام آخر، وقال: من أبى؟ فنسبه إلى غير أبيه - كأنه كان من حرام - وسأله رجل، فقال: أين أكون غدا؟ فقال: فى النار، فقام آخر، وقال أين أكون غداً؟ فقال: فى الجنة؛ فبكوا، وقال عمر: استر علينا يارسول الله؛ فإنا حديث عهد بالجاهلية، وجثا على ركبتيه، وقال: رضينا بالله ربا، وبالإسلام دينا؛ ونزلت الآية»[١].

وروى أبو البخترى عن على - رضى الله عنه - أنه قال: «(لما)[٢] نزل قوله: ﴿ولله على الناس حج البيت﴾[٣] قام رجل، وقال: أفى كل عام يارسول الله؟ فقال: لا، ولو قلت: نعم لوجبت، ولم تطيقوه، ثم قال ﷺ: ذرونى ما تركتم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم عنه، فانتهوا، ونزلت الآية»[٤].

﴿وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم﴾ معناه: وإن صبرتم حتى ينزل القرآن؛ وجدتم فيه بيان ما تحتاجون إليه ﴿عفا الله عنها والله غفور حليم﴾.

﴿قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين﴾ قال بعضهم: أراد به أصحاب

(١) متفق عليه من حديث أنس، رواه البخارى (٨/ ١٣٠/ رقم ٤٦٢١)، ومسلم (٥/ ١٦٢ - ١٦٨/ رقم ٢٣٥٩).

(٢) فى «ك»: ما، وهو خطأ.

(٣) آل عمران: ٩٧

(٤) رواه الترمذى فى جامعه (٥/ ٢٣٩/ رقم ٣٠٥٥) وقال: حسن غريب، وابن ماجه (٢/ ٩٦٣/ رقم ٢٨٨٤)، وأحمد فى مسنده (١/ ١١٣)، والحاكم (٢/ ٢٩٣ - ٢٩٤) والبزار - البحر الزخار - (٣/ ١٢٦ - ١٢٧ رقم ٩١٣) وقال: وهذا حديث لايعلم يروى عن على إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد، وقد تقدم ذكرنا فى أبى البخترى أنه لم يسمع من على، وأبو يعلى فى مسنده (١/ ٣٩٦ رقم ٥١٧).

عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا

المائدة، وسألوا المائدة ثم كفروا، وقال بعضهم: أراد به: قوم صالح، سألوا الناقة، ثم كفروا بها، وقال بعضهم: أراد به الكفار فى الجاهلية، سألوا رسول الله أن يجعل الصفا ذهبا.

قوله – تعالى –: ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام﴾

قال سعيد بن جبير: كان سؤالهم الذى تقدم عن هذه الأوضاع، وهذه الآية لبيان ما سألوا ردا عليهم، وقال ابن عباس فى بيان هذه الأوضاع الأربعة، قال:

أما البحيرة: هى الناقة كانت إذا ولدت خمسة أبطن شقوا أذنها، وتركوها ولم يحملوا عليها، ولم يمنعوها الكلأ؛ وبذلك سميت بحيرة من البحر، وهو الشق، ثم نظروا إلى خامس ولدها، فإن كان ذكرا نحروه، وأكله الرجال دون النساء، وإن كانت أنثى تركوها كالأم، وإن كان ميتا، أكله الرجال والنساء؛ فهذا معنى البحيرة.

وأما السائبة: كان الرجل من أهل الجاهلية إذا مرض له مريض، أو غاب له قريب، يقول: إن ردّ الله غائبى، أو إن شفى الله مريضى؛ فناقتى هذه سائبة، ثم يسيبها، تذهب حيث تشاء، (أو)[1] يقول: إن كان كذا؛ فعبدى عتيق سائبة. يعنى: من غير ولاء، ولا ميراث؛ فهذا معنى السائبة.

وأما الوصيلة: فكانت فى الغنم، كانت الشاة إذا ولدت سبعة أبطن، نظروا إلى البطن السابع، فإن كان ذكرا ذبحوه وأكله الرجال دون النساء، وإن كانت أنثى تركوها، وإن كان ميتا أكله الرجال والنساء، وإن كان ذكرا وأنثى فى بطن واحد تركوهما، وقالوا: وصلت أخاها، فهذه هى الوصيلة.

وأما الحام: كان بعضهم إذا ولدت ناقته عشرة أبطن؛ تركوها ولم يركبوها، وقالوا: حمى ظهرها، وكذلك إذا ركب ولد ولدها؛ يقولون: حمى ظهرها وتركوها، وربما تركوها لآلهتهم على ما سيأتى فى سورة الأنعام؛ فهذا هو الحام، وهذه أوضاع وضعها أهل الجاهلية على آرائهم، فجاء الشرع برفعها، وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال:

(١) فى «ك»: ثم.

حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا

«رأيت النار؛ فرأيت فيها عمرو بن لحى يجر قصبه فى النار»[١] أى: أمعاءه، وكان أول من سيب السوائب ﴿ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لايعقلون﴾ ﴿وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول﴾ يعنى: إذا دعوا إلى الكتاب والسنة ﴿قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا﴾ يعنى: كفانا دين آبائنا ﴿أو لو كان آباؤهم لايعلمون شيئا ولايهتدون﴾.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم﴾ يعنى: تخليصها من النار ﴿لايضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ فإن قال قائل: كيف يقول: «عليكم أنفسكم» وقد أمرنا بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر؟ قيل: قال مجاهد، وسعيد بن جبير: الآية فى اليهود والنصارى، يعنى: عليكم أنفسكم، لايضركم من ضل من اليهود والنصارى إذا اهتديتم؛ فخذوا منهم الجزية، ولاتتعرضوا لهم، واتركوهم وما يزعمون؛ فإنه لايضركم.

(وعن أبى بكر الصديق - رضى الله عنه -: «أنه خطب وقال: إنكم تقرءون هذه الآية ﴿عليكم أنفسكم لايضركم)[٢] من ضل إذا اهتديتم﴾، وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا رأيتم الظالم فخذوا على يديه، أو يوشك أن [يعمكم][٣] الله (بعقاب)[٤]»[٥] وعن ابن مسعود أنه قال فى هذه الآية: «مروا بالمعروف، وانهوا عن

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة، فرواه البخارى (٨/١٣٢ - ١٣٣/ رقم ٤٦٢٣) ومسلم (١٧/٢٧٤ - ٢٧٥/ رقم ٢٨٥٦) ورواه البخارى من حديث عائشة. (٨/١٣٣/ رقم ٤٦٢٤).

(٢) سقط من «ك». (٣) فى «ك»: يعمه. وهو خطأ. (٤) فى «ك»: بعقابه.

(٥) رواه أبو داود (٤/١٢٢/ رقم ٤٣٣٨)، والترمذى (٥/٢٣٩ - ٢٤٠/ رقم ٣٠٥٧) وابن ماجة (٢/١٣٢٧/ رقم ٤٠٠٥)، وأحمد (١/٢،٥،٧،٩)، والطبرى فى التفسير (٧/٦٤)، والبيهقى فى الكبرى (١٠/٩١) وابن حبان فى صحيحه - الإحسان - (١/٥٣٩-٥٤٠/ رقم ٣٠٤ - ٣٠٥).

وقال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح، وقد رواه غير واحد عن إسماعيل بن أبى خالد نحو هذا الحديث مرفوعاً، وروى بعضهم عن إسماعيل، عن قيس، عن أبى بكر قوله، ولم يرفعه.

وقال الدارقطنى فى العلل (١/٢٥٣) بعد أن ذكر الاختلاف فى أسانيده: وجميع رواة هذا الحديث ثقات، ويشبه أن يكون قيس بن أبى حازم كان ينشط فى الرواية مرة فيسنده ومرة يجبن عنه فيقفه على أبى بكر.

يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ

المنكر؛ فإن قبل منكم؛ فذاك وإن ردّ عليكم أنفسكم»، [ويرد][1] هذا ما روى عن أبى أمية الشيبانى أنه قال: «سألت أبا ثعلبة الخشنى، فقلت: إن الله – تعالى – يقول: ﴿عليكم أنفسكم﴾ وقد أمرنا بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فقال: لقد سألت عنها خبيرا، سمعت رسول الله ﷺ – وقد سئل عن هذه الآية – يقول: مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر؛ فإذا رأيت شحا مطاعا، وهوى متبعا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذى رأى برأيه، فعليك بخويصة نفسك، ودع أمر العامة»[2] ﴿إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون﴾.

قوله – تعالى –: ﴿يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم﴾ سبب نزول الآية: «أن تميم الدارى وعدى (بن بداء)[3] ؟ خرجا إلى التجارة، وكانا نصرانيين، ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص، وكان مسلما؛ فمرض، وكتب ما معه من المتاع فى صحيفة، وألقاها بين المتاع، ثم أوصى إلى هذين النصرانيين أن يردا متاعه إلى مولاه إن مات هو، وكان بين المتاع جام [مخوّص][4] بالذهب منقوش به؛ فخانا فى ذلك الجام، وأدّيا سائر المتاع إلى أهله، فوجدوا تلك الصحيفة بين المتاع؛ فطلبوا الجام، فافتقدوه؛ فسألوا عديا، وتميما عن ذلك فأنكرا، وقالا: لا ندرى، وحلفا عليه، ثم إن ذلك الجام وجد عند رجل بالمدينة، فسئل الرجل عنه؛ فقال: إنما أعطانيه عدى وتميم؛ فاختصموا إلى النبى ﷺ؛ فأصرا على الإنكار، وحلفا عليه؛ فحلف عمرو بن العاص والمطلب بن أبى

---

(١) كذا فى «ك»، ووقع فى الأصل: ويؤيد. وهو خطأ.

(٢) رواه أبو داود (٤/١٢٣/رقم ٤٣٤١)، والترمذى (٥/٢٤٠/رقم ٣٠٥٨) وقال: حسن غريب، وابن ماجة (٢٠/١٣٣٠/رقم ٤٠١٤).

(٣) ليست فى «ك».

(٤) كذا فى «ك» بالخاء، وفى «الأصل» مجوص، بالجيم.

إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ

وداعة على أنهما قد خانا فى الجام، فأخذ الجام ثم إن تميما أسلم بعد ذلك؛ وأقر بتلك الخيانة»(١) فهذه قصة الآية وعليها نزلت الآية.

فقوله: ﴿ شهادة بينكم ﴾ يقرأ فى الشواذ «شهادةً بينكم» وقرأ الأعرج «شهادةٌ بينكم» بالرفع والتنوين، والمعروف «شهادة بينكم» ﴿إذا حضر أحدكم الموت﴾ أى: أسباب الموت ﴿حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم﴾ ذكر اثنان على الرفع؛ لأنه خبر الابتداء، ومعنى هذا الكلام: أن الشهادة فيما بينكم على الوصية عند الموت: اثنان ذوا عدل منكم.

﴿أو آخران من غيركم﴾ قال أبو موسى الأشعرى، وابن عباس، وهو قول شريح، والنخعى، وسعيد بن جبير، وجماعة -: إن معناه: من غير أهل ملتكم، يعنى: من أهل الذمة، وقال الحسن، والزهرى: معناه: من غير قبيلتكم.

﴿إن أنتم ضربتم فى الأرض﴾ أى: سافرتم ﴿فأصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلاة﴾ أكثر العلماء على أنه أراد به: صلاة العصر، (وقال الحسن: بعد صلاة الظهر، والأول أصح؛ وإنما خص به صلاة العصر؛ لأن وقت العصر) (٢) مُعَظَّم محترم عند (جميع)(٢) أهل الأديان، وكأن الناس بعد العصر يكون أجمع فى الأسواق والمساجد، والمراد به: حبس الحالفين بعد العصر.

(١) رواه الترمذى (٥/ ٢٤١/ رقم ٣٠٥٩)، والطبرى فى التفسير (٧/ ٧٥) وقال الترمذى: هذا حديث غريب، وليس إسناده بصحيح، وأبوالنضر الذى روى عنه محمد بن إسحاق هذا الحديث هو عندى محمد بن السائب الكلبي، يكنى أبا النضر، وقد تركه أهل الحديث، وهو صاحب التفسير، وسمعت محمد بن إسماعيل يقول: محمد بن السائب الكلبى يكنى أبا النضر، ولا نعرف لسالم أبى النضر المدنى رواية عن أبى صالح مولى أم هانئ، وقد روى عن ابن عباس شيء من هذا على الاختصار من غير هذا الوجه، وعزاه السيوطى فى الدر (٢/ ٣٧٤) لابن أبى حاتم، والنحاس فى ناسخه، وأبى الشيخ، وابن مردويه، وأبو نعيم فى المعرفة.

(٢) سقط من «ك».

بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الآثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا

﴿ فيقسمان بالله إن ارتبتم ﴾ يعنى: إن وقعت لكم ريبة فى قول الحالفين أو الشاهدين يحلفان أنا ﴿ لانشترى به ثمنا ولو كان ذا قربى ﴾ أى: لانقول إلا الصدق ولو كان على القريب ﴿ ولا نكتم شهادة الله إنا إذا لمن الآثمين ﴾ وإنما قال: شهادة الله؛ لأن الشهادة تكون بأمر الله ﴿ فإن عثر على أنهما استحقا إثما ﴾ يعنى: فإن اطلع، وأظهر خيانتهما ﴿ فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان ﴾ يقرأ هذا على ثلاثة أوجه: أحدها: « من الذين استُحِقَّ عليهم الأوليان ». وقرأ (حفص عن عاصم)[1] « من الذين استَحَق » بنصب التاء والحاء ﴿ عليهم الأوليان ﴾ وقرأ أبو بكر عن عاصم، وحمزة: « من الذين استحق » – بضم التاء وكسر الحاء – عليهم الأولين[2].

فأما معنى القراءة الأولى فقوله: ﴿ استُحِقَّ عليهم ﴾ يعنى: استحق فيهم، أو استحق منهم كقوله: ﴿ ولأصلبنكم فى جذوع النخل ﴾[3] أى: على جذوع النخل، يعنى: الذين وقعت الخيانة فى حقهم، وهم أولياء الميت، و ﴿ الأوليان ﴾ تثنية: الأولى، والأولى: هو الأقرب، ومعناه: إن عثر على خيانة الحالفين؛ يقوم الأوليان من أولياء الميت؛ فيحلفان، وأما قوله: ﴿ من الذين استحق عليهم ﴾ أى حق ووجب فيهم، ومعناه ومعنى القراءة الأولى سواء.

وأما القراءة الثالثة: ﴿ من الذين استحق عليهم الأولين ﴾ فهو بدل عن قوله: ﴿ من الذين ﴾ أو عن الاسم المضمر تحت قوله: ﴿ عليهم ﴾؛ فيكون المراد به أيضا أولياء الميت ويكون المعنى ما بينا.

---

(١) فى « ك »: عاصم عن حفص. وهو خطأ.

(٢) انظر النشر (٢ / ٢٥٦).

(٣) طه: ٧١.

لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا

ثم بين كيفية قسمهما؛ فقال: ﴿فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا إنا إذا لمن الظالمين﴾ ﴿ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها﴾ يعنى: ذلك أقرب وأحرى أن تؤدوا الشهادة على وجهها ﴿أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم﴾ يعنى: وإن يخافوا ردّ اليمين بعد يمينهم على المدعين؛ فلا يحلفوا على الكذب؛ خوفا من أن يرد اليمين عليهم، ويكون يمينهم أولى.

﴿واتقوا الله واسمعوا والله لايهدى القوم الفاسقين﴾ قال النخعى، وشريح: الآية منسوخة، وقوله: ﴿أو آخران من غيركم﴾ لقد كانت شهادة أهل الذمة مقبولة على الوصية ثم نسخ، وقد جوز بعضهم شهادة أهل الذمة فى الوصية؛ خاصة من لايرى نسخ الآية منهم، وقال الحسن: الآية محكمة، وقد حمل قوله: «أو آخران من غيركم» على غير قبيلتكم كما بينا.

قوله: ﴿يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لاعلم لنا﴾ فإن قال قائل: كيف يقولون: لاعلم لنا، وقد علموا ما أجابوا؟ قيل: إن جهنم تزفز زفرة تذهل (بها)[1] عقولهم؛ فيقولون من شدة الفزع: لاعلم لنا؛ ثم يرد الله - تعالى - عليهم عقولهم، فيخبرون بالجواب، وقيل: معناه: لاعلم لنا إلا العلم الذى أنت أعلم به منا، أو إلا ما علمتنا، وقيل: معناه: لاعلم لنا بوجه الحكمة فى سؤالك إيّانا عن أمر أنت أعلم به منا، وقيل: معناه: لاعلم بعاقبة أمرهم، وبما أحدثوا من بعد، وأن أمرهم على ماذا ختم، وعلى هذا دل شيئان: أحدهما: من الآية قوله ﴿إنك أنت علام الغيوب﴾، والثانى: ما روى صحيحا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يسلك بطائفة من أصحابى ذات الشمال - يعنى يوم القيامة - فأقول: يارب، أصحابى أصحابى، فيقول الله - تبارك وتعالى -: إنك لاتدرى ما أحدثوا بعدك، إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم. فأقول ما قال العبد الصالح: ﴿وكنت عليهم شهيداً ما دمت

---

(١) فى: «ك» فيها.

عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي

فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد ﴾(١)»(٢).

قوله - تعالى -: ﴿إذ قال الله ياعيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك﴾ أمره بشكر النعمة، ثم عد عليه نعمه؛ فقال: ﴿إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل﴾ وقد ذكرنا الكلام فيه.

﴿وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذنى﴾ وقد بينا فيما سبق كيفيته. ﴿وتبرئ الأكمه والأبرص بإذنى وإذ تخرج الموتى بإذنى وإذ كففت بنى إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين﴾.

قوله - تعالى -: ﴿وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى﴾ هذا الوحى بمعنى الإلهام، أو بمعنى الأمر، أى: ألهمتهم وأمرتهم، قال العجاج:

الحمد لله الذى استقلت به السماء فاطمأنت

(أوحى)(٣) لها القرار فاستَقَرَّت

أى: أمرها بالقرار

﴿قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون﴾ وقد ذكرنا معنى الحواريين.

---

(١) المائدة: ١١٧.

(٢) متفق عليه من حديث ابن عباس، فرواه البخارى (٨/ ١٣٥/ رقم ٤٦٢٥)، ومسلم (١٧/ ٢٨١ - ٢٨٢/ رقم ٢٨٦٠).

(٣) فى لسان العرب (مادة: وحى): وحَى. بدون ألف فى أولها.

وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾

قوله - تعالى - : ﴿إذ قال الحواريون ياعيسى ابن مريم هل يستطيع ربك﴾ وقرأ الكسائى: «هل تستطيع» - بالتاء - «ربَّك» بفتح الباء، وهذه قراءة على، ومعاذ وعائشة(١)، وكانت عائشة تحلف أن الحواريين أعرف بالله من أن يقولوا: هل يستطيع ربك.

ولقراءتهم معنيان: أحدهما: أن المراد به هل تسأل ربك، والثانى: هل تستدعى طاعة ربك بإجابته سؤالك إياه؟ وأما القراءة المعروفة ففى معناها أقوال:

أحدها معناه: هل يفعل ربك. وقال الفراء: يقول الرجل لغيره: هل تستطيع أن تفعل كذا، يريد به: هل تفعل كذا؟.

والثانى معناه: هل يطيع ربك استطاع بمعنى أطاع، كقولهم: استجاب، يعنى: أجاب، فيكون معناه: هل يطيعك ربك؛ بإجابة سؤالك، وفى الآثار: «من أطاع الله أطاعه الله» أى: يجيب دعاءه.

وقيل: إن الحواريين قالوا ذلك قبل استحكام المعرفة، وأراد به: القدرة، ولو استحكمت معرفتهم لم يقولوا ذلك، والصحيح أحد القولين الأولين، وهذا لأن الاستطاعة لاتنسب إلى الله غالبا؛ وإنما يوصف بالقدرة، وأما الاستطاعة تكون للعبد.

وقوله: ﴿أن ينزل علينا مائدة من السماء﴾ اعلم أن المائدة: اسم لما يكون عليه طعام؛ فإذا لم يكن عليه طعام لايسمى مائدة، واختلفوا فى اشتقاق المائدة: منهم من قال: هى من الميد، بمعنى الإعطاء، ومنه: قالوا لأمير المؤمنين: الممتاد، يعنى: الذى يُطلب عطاؤه؛ فعلى هذا سميت مائدة؛ لأنها تعطى من عليها الطعام.

وقيل: هو من [المَيَد](٢) بمعنى الحركة؛ فعلى هذا سميت مائدة؛ لأنها تتحرك بما

(١) انظر النشر (٢ / ٢٥٦).

(٢) فى «الأصل»، و «ك»: الميل. وهو خطأ.

قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ
﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا
وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن
يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا

عليها من الطعام.

﴿قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين﴾ نهاهم عن اقتراح الآيات بعد الإيمان، وقيل: أراد به أى: اكتفوا بطعام الأرض عن طعام السماء.

قوله - تعالى -: ﴿قالوا نريد أن نأكل منها﴾ يعنى: أكل تبرك لا أكل حاجة ﴿وتطمئن قلوبنا﴾ أى: يزداد إيمانها، وهو مثل قوله: ﴿ولكن ليطمئن قلبى﴾(1) ﴿ونعلم أن قد صدقتنا﴾ أى: نزداد إيمانا بصدقك، وفى بعض التفاسير: أن عيسى - صلوات الله عليه - كان قد أمرهم أن يصوموا ثلاثين يوما لما سألوه أن يسأل المائدة، قال لهم: صوموا ثلاثين يوما؛ فإذا أفطرتم لاتسألون الله شيئا إلا أعطاكم، ففعلوا ذلك، فلما أعطوا المائدة، عرفوا صدقه؛ فذلك معنى قوله: ﴿ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين﴾.

قوله - تعالى -: ﴿قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا﴾ قيل: إنه لما أراد سؤال المائدة اغتسل، وصلى ركعتين، فطأطأ رأسه، وغض بصره، وبكى، ثم قال: «اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا» والعيد: المراد به: يوم السرور لهم ﴿وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين﴾.

قوله - تعالى -: ﴿قال الله إنى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإنى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين﴾ أى: جنس عذاب لم أعذب به أحدا، وقيل: إن ذلك العذاب (أنه)(2) مسخهم خنازير على ما سنبين فى القصة.

ثم اختلفوا، قال الحسن، ومجاهد: إن المائدة لم تنزل أصلا، فإن الله - تعالى -

(1) البقرة: ٢٦٠.

(2) ليست فى «ك».

لما أوعد على كفرهم بعد نزول المائدة؛ خافوا أن يكفر بعضهم؛ فاستعفوا عن إنزال المائدة؛ فعلى هذا تقدير قوله: ﴿إنى منزلها عليكم﴾ يعنى: إن سألتم، إلا أنهم استعفوا فلم تنزل، والصحيح – والذى عليه الأكثرون – أنها منزلة؛ لأن الله تعالى لايعد شيئا ثم يخلف، وقد قال: ﴿إنى منزلها عليكم﴾.

والقصة فى ذلك: أن عيسى لما سأل المائدة؛ نزلت من السماء سفرة حمراء بين غمامتين كانوا يرونها، بسطت بين أيديهم، وكانت مغطاة، فقام عيسى إليها، ورفع عنها الغطاء، فإذا عليها سبعة أرغفة، وسبعة أحوات، وفى رواية: كان عليها خمسة أرغفة، وسمكة مشوية ليس فيها فلوس ولاشوك كما يكون فى سمك الأرض، وكان حولها من كل بقل إلا الكرات، وكان عند رأسها الملح وعند ذنبها الخل، وكان عليها خمس رمانات وتميرات، وقيل: كانت الأرغفة من خبز الأرز، وقال عطية: كانت عليها سمكة لها طعم جميع الأرض، وقيل: كان عليها ثمر من ثمار الجنة. وفى بعض الروايات أن عيسى سُئل: أهذا من طعام الجنة؟ فقال: لا من طعام الجنة، ولامن طعام الأرض، إنما هو طعام خلقه الله – تعالى – لكم. وفى القصة: أن هذه المائدة لما نزلت؛ دعا عيسى لها الفقراء، والزمنى، والمساكين، حتى يأكلوا، وكانت تنزل عليهم أربعين يوما، يأكل منها كل يوم أربعة آلاف، أو خمسة آلاف نفر، فكانوا يأكلون، ولاينقص منها شيء، ثم تصعد، ثم تنزل، هكذا كل يوم حتى خانوا فيها، فمسخوا قردة وخنازير، ورفعت المائدة. ثم اختلفوا فى تلك الخيانة، فروى عمار بن ياسر عن النبى ﷺ أنه قال: «أنزلت عليهم المائدة، وعليها الخبز واللحم، وأمروا أن لايدخروا منها للغد، فادّخروا وخانوا؛ فأصبحوا قردة وخنازير»(١) وفى رواية: «أصبحوا خنازير». وقيل: كانت خيانتهم أن اليهود قالوا لهم: إن عيسى سحركم بالمائدة، ولم يكن ثَمَّ مائدة؛ فَشَكُّوا فيه؛ فمسخوا خنازير، وقيل: كانت خيانتهم أن فى الابتداء كان يأكل منها الأغنياء والفقراء؛ فأمرهم الله – تعالى – أن يدعوا لها الفقراء دون

---

(١) روى هذا عن عمار مرفوعاً وموقوفاً، فرواه الترمذى (٥/ ٢٤٢ – ٢٤٣/ رقم ٣٠٦١)، والطبرى فى التفسير (٧/ ٨٧) مرفوعاً وعزاه السيوطى فى الدر (٢/ ٣٨١) لابن أبى حاتم، وابن الأنبارى فى كتاب الاضداد، وأبى الشيخ، وابن مردويه. وأخرجه الطبرى (٧/ ٨٧) عن عمار من قوله، وعزاه السيوطى فى الدر (٢/ ٣٨١) لابن أبى حاتم. وقال الترمذى: ولا نعلم للحديث المرفوع أصلاً.

عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ

الأغنياء؛ ابتلاهم؛ فأكل الأغنياء وخالفوا، فأصبحوا خنازير.

قوله – تعالى –: ﴿وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم﴾ اختلفوا فى أن هذا القول متى يكون؟ قال السدى: إنما قال الله – تعالى – ذلك حين رفعه إلى السماء؛ لأن قوله: «إذ للماضى، والصحيح أنه يكون فى القيامة، والقيامة وإن لم تكن بعد، ولكنها فى علم الله، فلما كانت كائنة لامحالة فهى كالكائنة؛ فصحّ قوله: ﴿وإذ قال الله﴾ وقيل: إذا بمعنى إذ ويجوزمثل ذلك قال الشاعر:

لم يجـــزه به الإلـــه إذ جـــزا[١] جنـات عدن فى السموات العـلا

يعنى: إذا جزى ﴿أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله﴾ قيل: هذا سؤال توبيخ والمراد به: قومه، وكانت الحكمة فى سؤاله عنه؛ حتى يسمع قومه إنكاره؛ لأنهم كانوا يدَّعون أن عيسى أمرهم (باتخاذه إلها)[٢]؛ فإن قال قائل: هم لم يتخذوا أمه إلها؛ فما معنى قوله: ﴿اتخذونى وأمى إلهين من دون الله﴾؟ قيل: إنه – جلّ وعز – لما أراد ذكر عيسى مع أمه، قال: إلهين، وهذا كما يقال عند ذكر أبى بكر وعمر معا: عمران، وقالوا: هذا سنه عمرين، ويقال للشمس والقمر: قمران، قال الفرزدق:

لنا قمراها والنجوم الطوالع

يعنى: الشمس والقمر، وقيل: إن عيسى كان بعضا لمريم، فلما اتخذوه إلها؛ فكأنهم اتخذوا أمه إلها؛ فقال: ﴿إلهين من دون الله﴾ ﴿قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته﴾ اشتغل أولابالثناء عليه والتنزيه، ونسبه إلى القدس والطهارة ﴿تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك﴾ قال

(١) وقع هذا الشطر من البيت فى تفسير القرطبى (٦ / ٣٧٥) كما يأتى: ثم جزاه الله عنى إذ جزى.

(٢) في «ك»: أن يتخذوه إلها.

مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ

الزجاج: نفس النبى: جملته وحقيقته، فمعناه: تعلم حقيقة أمرى، ولا أعلم حقيقة أمرك، وقيل: معناه: تعلم ما فى غيبى ولا أعلم ما فى غيبك، وعليه دلّ قوله: ﴿إنك أنت علاّم الغيوب﴾ وهو معنى الأول، ﴿ماقلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى﴾ أى: رفعتنى ﴿كنت أنت الرقيب عليهم﴾ وقد بينا معنى التوفى فيما سبق ﴿وأنت على كل شىء شهيد﴾.

قوله - تعالى -: ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ فإن قال قائل: كيف طلب المغفرة لهم، وهم كفار؟! وكيف قال: وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم، وهذا لايليق بسؤال المغفرة؟! قيل: أما الأول فمعنى قوله: وإن تغفر لهم، يعنى: بعدالإيمان، وهذا إنما يستقيم على قول السدى[١]؛ لأن الإيمان لاينفع فى القيامة، والصحيح آخر القولين، قال بعضهم: هذا فى فريقين منهم فقوله: ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك﴾ يعنى: من كفر منهم ﴿وإن تغفر لهم﴾ يعنى: من آمن منهم. وقال أهل المعانى من أرباب النحو: ليس هذا على وجه طلب المغفرة، وإنما هذا على تسليم الأمر إليه، وتفويضه إلى مراده؛ ألا تراه يقول: «فإنك أنت العزيز الحكيم» ولو كان على وجه طلب المغفرة لقال: «فإنك أنت الغفورالرحيم».

وأما السؤال الثانى: اعلم أن فى مصحف ابن مسعود: «وإن تغفر لهم فإنك أنت الغفورالرحيم» وكان ابن شنبوذ يقرأ كذلك زمانا ببغداد؛ فمنع عنه، وفيه قصة، (وقيل)[٢]: فيه تقديم وتأخير، وتقديرالآية: إن تغفر لهم فإنهم عبادك، وإن تعذبهم فإنك أنت العزيز الحكيم. وقيل: معناه: إن تغفر لهم لايُنْقَص من (عزك)[٣]

---

(١) أى أن هذا السؤال كان عند رفع الله عيسى إلى السماء وليس يوم القيامة كما تقدم.

(١) سقطت من «ك».

(٢) فى «ك»: عندك.

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾

شيء ولايخرج من حكمتك. ويدخل في حكمة الله - تعالى - وسعة رحمته أن يغفر للكفار، ولكنه أخبر أن لايغفر، وهو لايخلف خبره ومن قال: إنه على تسليم الأمر لا على وجه طلب المغفرة، استقام النظم على قوله، كما بينا.

قوله - تعالى -: ﴿قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم﴾ يقرأ: «يومُ» بالرفع على الإبتداء، ويقرأ: «يوم» بالنصب[1]، كأنه أراد في يوم؛ فحذف في ونصب يوم.

فإن قال قائل: كيف ينفع الصادقين صدقهم بالقيامة، وليست بدار النفع؟ قيل: معناه: ينفع الصادقين صدقهم في الدنيا لاصدقهم في القيامة، وقيل: نفعهم بالصدق في القيامة: أنهم لو كذبوا؛ نطقت جوارحهم فافتضحوا، فإذا صدقوا لم يفتضحوا ﴿لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم﴾.

﴿لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير﴾ والله أعلم بالصواب.

---

(١) قرأ نافع: بالنصب، وقرأ الباقون: بالرفع. انظر النشر (٢/٢٥٦).

تفسير سـورة الأنعـام

قال – رضى الله عنه – : اعلم أن سورة الأنعام مكيّة، روى يوسف بن مهران عن ابن عباس – رضى الله عنهما – أنه قال: سورة الأنعام نزلت جملة بمكة ليلا، معها سبعون ألف ملك يحدونها بالتسبيح. وقد روى هذا مرفوعا إلى النبى ﷺ، وفى تمام الخبر عن النبى ﷺ أنه قال: «من قرأها فى ليلة استغفر له السبعون ألف ملك أولئك ليله ونهاره إلى أن يصبح»[1]، وفى بعض الروايات: «أن تلك الملائكة كان لهم زجل بالتسبيح، وكانت الأرض ترتج، والنبى ﷺ يقول: سبحان ربى العظيم حتى نزلت»[2] وفى رواية الكلبى عن [أبى][3] صالح عن ابن عباس أنه قال: نزلت سورة الأنعام جملة بمكة إلا آيتين: قوله – تعالى –: ﴿قل تعالوا...﴾ الآية[4]. وقوله: ﴿ما قدروا الله حق قدره...﴾[5] الآية وفى بعض الروايات: «إلا ثلاث آيات: من قوله: ﴿قل تعالوا﴾[4] إلى آخر الآيات الثلاث، وعن عمر رضى الله عنه أنه قال: سورة الأنعام من نجائب القرآن، وعن على رضى الله عنه أنه قال: من قرأ سورة الأنعام فقد انتهى فى رضا ربه.

---

(١) عزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (١ / ٤٥٠ – ٤٥١) للثعلبي في تفسيره، عن ابن عباس، عن أبي بن كعب. ولفظه: «أنزلت علي سورة الأنعام جملة واحدة، يشيعها سبعون ألف ملك، لهم زجل بالتسبيح والتحميد، فمن قرأ الأنعام، صلى عليه، واستغفر له أولئك السبعون ألف ملك، بعدد كل آية من سورة الأنعام يوماً، وليلة».

وقال الحافظ ابن حجر في الكافي (١ / ٤٥١): وفيه أبو عصمة، وهو متهم بالكذب.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط، كما في مجمع البحرين (٦ / ١٢ رقم ٣٣١٧) والإسماعيلي في معجمه (٢ / ٧١١ – ٧١٢ رقم ١٨٧) كلاهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وقال الهيثمي في المجمع (٧ / ٢٣): رواه الطبراني عن شيخه محمد بن عبد الله بن عرس، عن أحمد بن محمد بن أبي بكر السالمي، ولم أعرفهما، وبقية رجاله ثقات.

وعزاه السيوطي في الدر (٣ / ٣) لأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في الشعب، والسلفي في الطيوريات.

(٣) في «الأصل»: ابن. وهو خطأ.

(٤) الأنعام: ١٥١.

(٥) الأنعام: ٩١.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

قوله - تعالى -: ﴿الحمد لله الذى خلق السموات والأرض﴾ حكى عن كعب الأحبار أنه قال: هذه الآية أول آية فى التوراة، وآخر آية فى التوراة: قوله - تعالى -: ﴿وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً﴾(١) الآية.

فقوله: ﴿الحمد لله﴾ معناه: احمدوا الله، ذكر الخبر بمعنى الأمر، وفائدته: الأمر بالحمد وتعليم الحمد؛ فإنه لو قال: احمدوا الله؛ دعت الحاجة إلى بيان كيفية الحمد، وقوله: ﴿الذى خلق السموات والأرض﴾ إنما خصهما بالذكر؛ لأنهما أعظم المخلوقات فيما يرى العباد؛ ولأن فيهما العبر والمنافع للعباد.

﴿وجعل الظلمات والنور﴾ والجعل: بمعنى الخلق، ثم اختلفوا، قال بعضهم: الظلمات: الليل، والنور: النهار، وقال بعضهم: أراد بالظلمات: الكفر، وبالنور: الإيمان، ويدخل فى الظلمات جميع الظلمات، حتى ظلمة القلب، وظلمة الشك، ونحو ذلك.

ويدخل فى النور جميع الأنوار، حتى نور القلب، ونور اليقين، ونحو ذلك، وقيل: أراد بالظلمات: الجهل، وبالنور: العلم، وقيل: أراد بالظلمات: المعصية، وبالنور: الطاعة.

وروى عن قتادة أنه قال: إن الله - تعالى - خلق السماء قبل الأرض، والليل قبل النهار، والجنة قبل النار، وقد قال غيره: خلق الأرض قبل السماء، وسيأتى.

﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾ قال الكسائى: عدل الشىء بالشىء: إذا ساواه به، ومنه العدل. ومعناه: يعدلون بالله غير الله، وقال مجاهد: معناه: ثم الذين كفروا بربهم يشركون، والمعنيان متقاربان؛ لأن من ساوى غير الله بالله؛ فقد أشرك. وقيل: قوله: ﴿ثم الذين كفروا﴾ معنى لطيف، وهو مثل قول القائل: أنعمت عليك كذا، وتفضلت عليك بكذا ثم لاتشكرنى، ثم تكفر بنعمتى.

---

(١) الإسراء: ١١١.

بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ

قوله – تعالى –: ﴿هو الذى خلقكم من طين﴾ هو ما بينا أن الله – تعالى – أمر ملك الموت حتى قبض قبضة من تراب؛ فخلق منها آدم – صلوات الله عليه – فهذا معنى قوله: ﴿هو الذى خلقكم من طين﴾ ﴿ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده﴾ قال ابن عباس: الأجل الأول: من الولادة إلى الموت، والأجل الثانى: من الموت إلى البعث وقال أيضا: لكل أحد أجلان: أجل إلى الموت، وأجل من الموت إلى البعث، فإن كان بَرًّا وصولا للرحم؛ زِيدَ له من أجل البعث فى أجل العمر، وإن كان غير ذلك، نقص من أجل العمر، وزيد ذلك فى أجل البعث.

وقيل: الأجل الأول: أجل الدنيا كما بيّنا، والأجل الثانى من ابتداء الآخرة، وذلك مسمى عند الله لايعلمه غيره ﴿ثم أنتم تمترون﴾ تشكون.

قوله – تعالى –: ﴿وهو الله فى السموات والأرض يعلم سركم وجهركم﴾ قال ابن الأنبارى: معناه: وهو الله المعبود فى السموات وفى الأرض، وقال غيره: تقديره: وهو الله يعلم سركم وجهركم فى السموات والأرض، وهو قول الزجاج ﴿ويعلم ما تكسبون﴾ الكسب: كل عمل يعمله الإنسان بكده؛ لجلب نفع، أو دفع ضر، ولذلك لايوصف فعل الله بالكسب؛ لأن فعله برىء عن جلب المنافع ودفع المضار.

قوله – تعالى –: ﴿وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين﴾ أراد بهذه الآية: انشقاق القمر؛ فإن الكفار سألوا رسول الله ﷺ أن يأتيهم بآية؛ فقال عليه [الصلاة و](١) السلام – ماذا تريدون؟ فاقترحوا انشقاق القمر،فأتاهم به، فكفروا وأعرضوا.

قوله – تعالى –: ﴿فقد كذبوا بالحق لما جاءهم﴾ يعنى: ما ذكرنا ﴿فسوف

(١) من «ك».

كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم

يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزءون﴾ معناه: فسوف يؤول إليه وبال ما كانوا به يستهزءون.

قوله - تعالى -: ﴿ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن﴾ قيل: ثمانون سنة، وقيل: ستون سنة، وقيل: أربعون سنة، وقيل: ثلاثون سنة،والقرن عند حفاظ الحديث: مائة سنة؛ فإنه روى عن النبيﷺ أنه قال لعبد [الله](١) بن (بسر)(٢) المازنى: «إنك تعيش قرنا»(٣)، فعاش مائة سنة، فاستدلوا به على أن القرن مائة سنة، وفى الأخبار: كان بين آدم ونوح: عشرة قرون، وبين نوح وإبراهيم: عشرة قرون، والقرن فى الحقيقة: هو أهل كل زمان، سواء بعث فيهم نبى أو لم يبعث؛ وعليه دلّ قوله ﷺ: «خير الناس قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»(٤) يعنى: ثم القرن الذين يلونهم.

---

(١) سقط من «الأصل».

(٢) فى «ك»: بشر، بالشين المعجمة، وهو تصحيف.

(٣) رواه البخارى فى تاريخه الصغير (١/٢١٦)، وأحمد فى مسنده (٤/١٨٩)، والحاكم فى مستدركه (٤/٥٠٠)، والبيهقى فى الدلائل (٦/٥٠٣)، والطبرى فى تاريخه (١/٤٣٥)، وأبو بكر الخلال فى السنة (٢/٤٨٦)، وابن عساكر فى تاريخه (٢٧/١٥٥) من طرق عن عبد الله بن بسر بنحوه.

وقال الهيثمى فى المجمع (٩/ ٤٠١ - ٤٠٨): رواه الطبرانى والبزار... ورجال أحد إسنادى البزار رجال الصحيح، غير الحسن بن أيوب الحضرمى وهو ثقة.

وقال عن إسنادى أحمد والطبرانى: ورجال أحمد رجال الصحيح غير الحسن بن أيوب، وهو ثقة، ورجال الطبرانى ثقات.

(٤) متفق عليه من حديث عمران بن حصين، وعبد الله بن مسعود.

أخرجه البخارى فى صحيحه (٥/٣٠٦/رقم ٢٦٥١ وأطرافه فى ٣٦٥٠، ٦٤٢٨، ٦٦٩٥).

ومسلم فى صحيحه (١٦/١٣١ - ١٣٣/ رقم ٢٥٣٥) من حديث عمران.

وأما حديث ابن مسعود فأخرجه البخارى فى صحيحه (٥/٣٠٦ رقم ٢٦٥٢) وأطرافه فى ٣٦٥١، ٦٤٢٩، ٦٦٥٨)، ومسلم فى صحيحه (١٦/١٢٧ - ١٢٩ رقم ٢٥٣٣).

مّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لا

وقوله: ﴿ مكناهم فى الأرض ما لم نمكن لكم ﴾ أى: أعطيناهم ما لم نعطكم.

﴿ وأرسلنا السماء عليهم مدرارا ﴾ أى: متتابعا، قال الشاعر:

وسقـــاك مـــن نـــوء الثريـــا مـــزقة عن الحلب وابلا مدرارا

أى: متتابعا، قال ابن عباس: معناه: وأرسلنا السماء عليهم مدرارا: أى: متتابعا فى أوقات الحاجات، ولم يرد به: التوالى على الدوم ﴿ وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين ﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ ولو أنزلنا عليك كتابا فى قرطاس ﴾ سبب هذا: أن عبد الله بن أبى أمية المخزومى أخا أم سلمة، قال لرسول الله ﷺ: لن نؤمن بك حتى تنزل علينا صحيفة من السماء جملة فنزل قوله: ﴿ ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس ﴾. والقرطاس: ما يكون مكتوبا، فإذا لم يكن مكتوبا سمى: طِرْسًا ﴿ فلمسوه بأيديهم ﴾ فإن قال قائل: لِمَ لم يقل: فرأوه بأعينهم؟ قيل: لأن اللمس أبلغ فى إيقاع العلم من الرؤية؛ لأن السحر يجرى على المرئى[1]، ولايجرى على الملموس؛ لأن الملموس يصير مرئيا، والمرئى لايصير ملموسا؛ فذكر اللمس ليكون أبلغ.

﴿ لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين ﴾ ومعناه: أنه لاينفع معهم شىء فإنا وإن أنزلنا عليهم ما اقترحوا قالوا إن هذا إلا سحر مبين.

قوله - تعالى -: ﴿ وقالوا لولا أنزل عليه ملك ﴾ وهذا قول عبد الله بن أبى أمية المخزومى (اقترح)[2] إنزال ملك ﴿ ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ﴾ قال مجاهد: معناه: لقامت القيامة، وقيل: معناه: لاستؤصلوا بالعذاب، وهذه سنة الله فى الكفار؛ أنهم

(١) زاد في «ك»: ولا يجرى على المرئي. ولعله من الناسخ.

(٢) في «ك»: اقتراح. وهو خطأ.

يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ

متى اقترحوا آية، فإذا أعطاهم الله ذلك؛ فكفروا بها، استأصلهم بالعذاب، كدأب قوم نوح، وعاد وثمود، وقوم لوط، وأمثالهم ﴿[ثم](١) لا ينظرون﴾ أى: ثم لايمهلون.

قوله - تعالى -: ﴿ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا﴾ أى: فى صورة رجل؛ لأن الرجل أأنس بالرجل، وأفهم منه، وقد جاء جبريل إلى النبى ﷺ فى صورة دحية الكلبى وجاء الملكان إلى داود فى صورة رجلين ﴿وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾ قال ابن عباس، والضحاك، وجماعة: معناه: خلطنا عليهم ما يخلطون، وفى معناه قولان: أحدهما: أنهم شبهوا على ضعفائهم فتشبه عليهم كما شبهوا، وينزل الملك فى صورة رجل (حى)(٢) يشتبه عليهم؛ فيقول بعضهم: هو ملك، ويقول بعضهم: ليس بملك، والقول الثانى: أن معناه: أضللناهم بإنزال الملك فى صورة رجل، كما ضلوا من قبل، أى: لو حسبوا أن يهتدوا بإنزال الملك، فإنزال الملك لايعجزنا من إضلالهم به.

قوله - تعالى -: ﴿ولقد استهزئ برسل من قبلك﴾ سبب هذا: «أن رسول الله ﷺ مرّ على الوليد بن المغيرة، وأمية بن خلف، وأبى جهل، فضحكوا هزواً به؛ فنزلت الآية تسلية له»(٣) ﴿فحاق بالذين﴾ أى: فنزل بالذين ﴿سخروا منهم ما كانوا﴾ أى: وَبَالُ ما كانوا ﴿به يستهزءون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿قل سيروا فى الأرض﴾ يحتمل هذا السير بالفكرة والعقول، ويحتمل السير بالأقدام ﴿ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ يعنى: ممن سبق من الأمم.

(١) ليست في «الأصل».

(٢) ليست في «ك».

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦) لابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن محمد بن إسحاق بلاغاً.

وَالأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي

قوله - تعالى -: ﴿قل لمن ما فى السموات والأرض قل لله﴾ أمر بالجواب عقيب السؤال؛ ليكون أبلغ فى التأثير، وآكد فى الحجة؛ لأن من سأل غيره عن شىء ثم عقبه بالجواب كان ذلك أبلغ تأثيرا ﴿كتب على نفسه الرحمة﴾ أى: (قضى)[1]، وقد صح برواية أبى هريرة: أنّ رسول الله ﷺ قال: «إن الله كتب كتابا قبل خلق السموات والأرض، فهو عنده فوق عرشه: سبقت رحمتى غضبى»[2].

﴿ليجمعنكم﴾ اللام لام القسم أى: والله ليجمعنكم. ﴿إلى يوم القيامة لاريب فيه﴾ أى: لاشك فيه ﴿الذين خسروا أنفسهم﴾ غبنوا أنفسهم ﴿فهم لايؤمنون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿وله ما سكن فى الليل والنهار﴾ وقيل: فيه حذف، وتقديره: وله ما سكن وما تحرك، وقيل: هو السكون خاصة، وإنما خصّ السكون؛ لأن النعمة فى السكون أكثر منها فى الحركة ﴿وهو السميع العليم﴾.

قوله - تعالى -: ﴿قل أغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والأرض﴾ الفاطر: الخالق، المنشئ للخلق، قال الأصمعى: ما كنت أعرف معنى الفاطر، حتى اختصم إلىّ أعرابيان فى بئر؛ فقال أحدهما: أنا فطرته، وقال الآخر: أنا فطرته؛ فعرفت أنه [إنشاء][3] الخلق ﴿وهو يطعم ولايطعم﴾ قرأ الأعمش: «وهو يُطعم ولا يَطْعَم» بفتح الياء، أى: يُؤكِل ولايَأْكُل، وأما القراءة المعروفة، فمعناه: وهو يَرزق ولايُرزق.

﴿قل إنى أمرت أن أكون أول من أسلم﴾ يعنى: من هذه الأُمَّة، والإسلام يعنى الاستسلام لأمر الله - تعالى - ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ وهو وإن كان معصوما

(١) فى «ك»: رضى.

(٢) متفق عليه، رواه البخارى (٦/ ٣٣١/ رقم ٣١٩٤ وأطرافه فى ٧٤٠٤، ٧٤١٢، ٧٤٥٣، ٧٥٥٣، ٧٥٥٤). ومسلم فى صحيحه (١٧/ ١٠٦/ رقم ٢٧٥١).

(٣) فى «الأصل»: الإنشاء.

أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ

عن الشرك، لكن الأمر (بالثبات)[1] على الإيمان، وترك الإشراك يجوز أن يكون متوجها عليه، وقيل: الخطاب معه، والمراد به: الأمة.

﴿قل إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم﴾ أى: عذاب القيامة ﴿من يصرف عنه﴾ يعنى: العذاب، وقرأ حمزة، والكسائى، وأبو بكر عن عاصم: بفتح الياء[2]، يعنى: من يَصْرِفِ اللهُ عنه العذاب ﴿يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين﴾.

قوله - تعالى -: ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو﴾ الضر: خلاف النفع ومعناه: إن يصبك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ﴿وإن يمسسك بخير فهو على كل شىء قدير﴾ وروى عن ابن عباس أنه قال: «كنت رديف النبى ﷺ، فقال: ألا أعلمك كلمات تنتفع بهن فى الدنيا والآخرة؟ قلت: (نعم)[3]؛ (فقال)[4]: احفظ الله يحفظك...» - الخبر إلى أن قال: «فلو اجتمع الخلق على أن ينفعوك بشىء لم يكتبه الله لك لم يقدروا عليه، ولو اجتمعوا على أن يمنعوك شيئا كتبه الله لك لم يقدروا عليه ...»[5] - الخبر.

---

(١) فى «ك»: البيان. وهو خطأ.

(٢) وهى قراءة خلف، ويعقوب أيضًا. انظر النشر (٢/٢٥٧).

(٣) كذا «بالأصل». وسقطت من «ك».

(٤) ليست فى «ك».

(٥) رواه أحمد فى مسنده (١/٢٩٣)، والترمذى فى جامعه (٤/٥٧٥ - ٥٧٦/ رقم ٢٥١٦)، وقال: حسن صحيح، وأبو يعلى فى مسنده (٤/٤٣٠/رقم ٢٥٥٦) كلهم من طريق حنش الصنعانى عن ابن عباس.
وقد روى من طرق أخرى عن ابن عباس، قال ابن رجب فى جامع العلوم (١/٤٦١): وأصح الطرق كلها طريق حنش الصنعانى التى خرجها الترمذى.

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ
أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ
أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لاَّ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ
مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا

قوله – تعالى –: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ القاهر: الغالب الذى لايغلب، وقيل: هو المنفرد بالتدبير، يجبر الخلق على مراده، وقوله: ﴿فوق عباده﴾ هو صفة الاستعلاء الذى لله – تعالى – الذى يعرفه أهل السنة ﴿وهو الحكيم الخبير﴾.

قوله – تعالى –: ﴿قل أى شىء أكبر شهادة﴾ سبب هذا: أن الكفار قالوا: يامحمد، من يشهد لك بالصدق؟ فنزلت الآية: ﴿قل أى شىء أكبر شهادة﴾ يعنى: من الله، واستدلوا بهذا على أن الله شيء. ﴿قل الله شهيد بينى وبينكم﴾ أى: يشهد لى بالحق، وعليكم بالباطل.

﴿وأوحى إلىّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ﴾ أى: ومن بلغه القرآن إلى قيام الساعة، وفى الخبر عن النبى ﷺ: «نضر الله وجه امرئ سمع منى مقالة، فوعاها، ثم بلغها؛ فربّ مبلّغ أوعى من سامع»(١) وقيل: معناه: لأنذركم به، يعنى: العرب، ومن بلغ، يعنى: العجم.

﴿أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل إنما هو إله واحد وإننى برىء مما تشركون﴾ أمره بالجواب عقيب السؤال لما بينا.

﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه﴾ قيل: أراد به: محمدا، وقيل: أراد به: القرآن يعرفونه ﴿كما يعرفون أبناءهم﴾.

(١) أخرجه الترمذى فى جامعه (٥/ ٣٣/رقم ٢٦٥٧) وقال حسن صحيح وابن ماجه فى سننه (١/ ٨٥/ رقم ٢٣٢)، أحمد فى مسنده (١/ ٤٣٧)، وابن حبان فى صحيحه – الإحسان – (١/ ٢٦٨/ رقم ٦٦) وأبو نعيم فى الحلية (٧/ ٣٣١)، والبيهقى فى الدلائل (٦/ ٥٤٠)، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم (١/ ٤٥) والخطيب فى الكفاية (ص١٧٣) كلهم من طريق سماك عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه به.

أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ

﴿الذين خسروا أنفسهم فهم لايؤمنون﴾ أى: غبنوا أنفسهم، وغبنهم: أنهم خسروا رأس المال، وفى الخبر: أن الله - تعالى - خلق لكل آدمى منازل فى الجنة، فإن كفر خسر تلك المنازل، وجعلها الله - تعالى - لمؤمن.

قوله - تعالى -: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا﴾ أى: قال عليه مالم يقله ﴿أو كذب بآياته﴾ يعنى: آيات القرآن ﴿إنه لايفلح الظالمون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ويوم نحشرهم جميعا﴾ أراد به: حشر القيامة ﴿ثم [نقول][(١)] للذين أشركوا أين شركاءكم الذين كنتم تزعمون﴾ يعنى أين الشركاء الذين كنتم تزعمون أنهم شركاء الله، والزعم قول الكذب، قال ابن عباس: الزعم الكذب فى كل موضع، وفى الآثار: «زعموا مطية الكذب»[(٢)].

قوله - تعالى -: ﴿ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾ قال قتادة: معناه: ثم لم تكن معذرتهم - وقال غيره: ثم لم يكن كلامهم - إلا أن قالوا.

قال الزجاج: فى قوله: ﴿ثم لم تكن فتنتهم﴾ معنى لطيف، وذلك مثل الرجل يفتن (بمحبوب)[(٣)] ثم تصيبه فى ذلك محنة؛ فيتبرأ من محبوبه؛ فيقال: لم تكن فتنته إلا هذا، كذلك الكفار لما فتنوا بمحبة الأصنام، ثم إذا رأوا العذاب يتبرءون منها.

يقول الله - تعالى -: ﴿ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين

(١) فى «الأصل»: يقول، وهى قراءة يعقوب. انظر النشر (٢ / ٢٥٧).

(٢) قال الزيلعى فى تخريج الكشاف (٤ / ٤١ / رقم ١٣٥٥): غريب بهذا اللفظ، والموجود فى الحديث: «بئس مطية الرجل زعموا». وقال الحافظ ابن حجر فى الكافى (٤ / ٤١): لم أجده مرفوعاً بهذا اللفظ.

(٣) ليست فى «ك».

﴿٢٣﴾ انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ

انظر كيف كذبوا على أنفسهم ﴾ كذبهم على أنفسهم: تبرئهم من الشرك ﴿ وضل ﴾ أى: ذهب ﴿ عنهم ما كانوا يفترون ﴾.

قوله – تعالى –: ﴿ ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة ﴾ هذا فى رؤساء المشركين، مثل: أبى سفيان بن حرب – حين كان مشركا – وأبى جهل بن هشام، وعتبة، وشيبة ابنى ربيعة، والوليد بن المغيرة، وغيرهم، كانوا يستمعون القرآن؛ فقالوا: لأبى سفيان: ما هذا؟ فقال: أرى فيه حقا وباطلا. فقال أبو جهل: حتى تفاخرنا واستوينا فى المجد، واستوت بنا الركب، تزعمون أن منكم نبيا يابنى عبد مناف، والله لانقر بهذا، وفى رواية: [للموت](١) أهون علينا من هذا.

﴿ وجعلنا على قلوبهم أكنة ﴾ هى جمع «الكنان» كالأعنة جمع العنان وهى الأغطية ﴿ أن يفقهوه ﴾ قال بعضهم: كراهة أن يفقهوه، وقال آخرون: أن لايفقهوه ﴿ وفى آذانهم وقرا ﴾ أى: وجعلنا فى آذانهم صمما، قال ابن عباس: والوقر: أصله الثقل؛ ومن ثقل الأذن جاء الصمم.

﴿ وإن يروا كل آية لايؤمنوا بها ﴾ هذا فى معجزات النبى، وما أراهم من الآيات.

يقول الله – تعالى –: وإن يروا جميع تلك الآيات لايؤمنوا بها، وقيل: إنهم اقترحوا آية؛ فنزل قوله: ﴿ وإن يروا كل آية لايؤمنوا بها ﴾ وهذا فى قوم مخصوصين، علم الله أنهم لايؤمنون.

﴿ حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين ﴾ مجادلتهم: أنهم قالوا للنضر بن الحارث بن كلدة، وكان قد نظر فى الكتب المنزلة،

(١) فى «الأصل» و«ك»: لا الموت.

﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْئَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ

وكان ممن يستمع القرآن؛ فقالوا له: ما تقول فى هذا؟ قال: إن هذا إلا أساطير الأولين، مثل أقاصيص رستم واسفنديار، وصحف الأولين، قال ثعلب: الأساطير: جمع الأسطورة، وهى المكتوبة.

قوله - تعالى -: ﴿ وهم ينهون عنه وينئون عنه ﴾ أى: ينهون الناس عن اتباع محمد، ويتباعدون عنه بأنفسهم، وقيل: معنى قوله ﴿ ينهون عنه ﴾ أى: يذبون عنه، ويمنعون الناس عن أذاه ﴿ وينئون عنه ﴾ أى: يتباعدون عن الإيمان به، وذلك مثل أبى طالب، كان يذب عنه حال حياته، قال ابن عباس: هو فى أبى طالب. حتى روى أنه اجتمع عليه رؤساء قريش، وقالوا له: اختر شابا من أصحابنا وجيها، واتخذه ابنا لك، وادفع إلينا محمدا؛ فقال أبو طالب: ما أنصفتمونى، أدفع إليكم ولدى ليقتل، وأُربِّى ولدكم؟!

وروى أنه قال لرسول الله ﷺ: «لولا أن قريشا تعيرنى لأقررت عينك بالإيمان»(١)، وكان يذب عنه إلى أن توفى، وروى: «أنه ﷺ قرأ عليه قوله - تعالى -: ﴿ وهم ينهون عنه وينئون عنه ﴾ فقال أبو طالب: أمَّا أن أدخل فى دينك فلا أدخل أبدا، ولكنى أذبّ عنك ما حييت»(٢)، وله فيه أبيات:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوسد فى التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... وأبشر بذاك وقر منك عيونا
ودعوتنى وعلمت أنك ناصحى ... وصدقتنى ولكنت ثم أمينا

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه (١/ ٢٩٨/ رقم ٢٥)، والترمذى فى جامعه (٥/ ٣١٨/ رقم ٣١٨٨)، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث يزيد بن كيسان.

والبيهقى فى دلائل النبوة (٢/ ٣٤٤ - ٣٤٥) كلهم من حديث يزيد بن كيسان، عن أبى حازم، عن أبى هريرة.

وعزاه السيوطى فى الدر (٥/ ١٤٥) لعبد بن حميد، وابن أبى حاتم، وابن مردويه.

(٢) انظر تفسير البغوى (٢/ ٩١).

تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ

ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبة ... لوجدتني سمحا بذاك مبينا

﴿وإن يهلكون إلا أنفسهم﴾ أي: لا يرجع وبال فعلهم إلا إليهم ﴿وما يشعرون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ولو ترى إذ وقفوا على النار﴾ أي: دخلوا النار، (وقيل: عرضوا على النار)(١)، والوقوف: الاطلاع على حقيقة الشيء ﴿فقالوا ياليتنا نرد﴾ إلى الدنيا ﴿ولا نكذب بآيات ربنا﴾ قال سيبويه: هو ابتداء كلام، يعني: لانكذب أبدا، رددنا أو لم نرد، وقال غيره: هو على نسقه، أي: ياليتنا نرد ولانكذب بآيات ربنا، أي: لانكفر بعد الرد إلى الدنيا ﴿ونكون من المؤمنين﴾ ويقرأ «ونكونَ» بنصب النون(٢)، وتقديره: ولنكون من المؤمنين.

قوله - تعالى -: ﴿بل بدا لهم﴾ قوله: «بل» بحتة، رد لما قالوا، وقوله: ﴿بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل﴾ أي: ظهر لهم ما أخفوا من قبل من تبرئهم عن الشرك بقولهم: والله ربنا ما كنا مشركين؛ وذلك أنهم إذا قالوا ذلك؛ يختم الله على أفواههم، وتنطق جوارحهم بشركهم؛ فيبدو لهم ما كانوا يخفون من قبل.

﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه﴾ أي: ولو ردّوا إلى الدنيا لعادوا إلى الكفر، والشرك بالله ﴿وإنهم لكاذبون﴾ يعني: في قولهم ﴿ياليتنا نرد لا نكذب بآيات ربنا﴾ وفي الأخبار: «أن الله تعالى يعتذر إلى آدم يوم القيامة بثلاث معاذير، أحدها هذا بقوله: إني لا أُدْخِل من ذريتك النار إلا من أعلم أني لو رددته إلى الدنيا سبعين

---

(١) تكررت في «ك».

(٢) هي قراءة حفص، وحمزة، ويعقوب، وابن عامر، وقرأ الباقون بالرفع. انظر النشر (٢ / ٢٥٧).

لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا

مرة لكفر (بى)[1]»[2].

قوله - تعالى -: ﴿وقالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين﴾ هذا فى إنكارهم البعث والقيامة، قوله - تعالى -: ﴿ولو ترى إذ وقفوا على ربهم﴾ أى: عرضوا على ربهم، ﴿قال أليس هذا بالحق﴾ وذلك حين تكشف [لهم][3] الغيوب والسرائر.

﴿قالوا بلى وربنا﴾ فيقرون بها، قال ابن عباس: هذا فى موقف، وقوله: ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾ فى موقف آخر، وفى القيامة مواقف، ففى موقف ينكرون، وفى موقف يقرون، ﴿قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله﴾ أى: خسروا أنفسهم بتكذيبهم بالمصير إلى الله؛ فاللقاء ها هنا بمعنى المصير إليه ﴿حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة﴾ أى: فجأة ﴿قالوا ياحسرتنا﴾ هذا على المبالغة، كقولهم: ياعجبا، وقول القائل: ياعجبا، أبلغ من قوله: أنا متعجب؛ فكذلك قوله: ﴿ياحسرتنا﴾ أبلغ من قوله: أنا متحسر، قال سيبويه: هذا على وجه النداء، كأنه يقول: أيتها الحسرة هذا أوانك وأيها العجب جاء أوانك.

﴿على ما فرطنا فيها﴾ أى: قصرنا فيها، أى: فى أمر القيامة ﴿وهم يحملون

(١) ليست فى «ك».

(٢) أخرجه الطبرانى فى الصغير (٢/٩٩ - ١٠٠/ رقم ٨٥٥) وقال: لا يروى هذا الحديث عن أبى هريرة إلا بهذا الإسناد، تفرد به عبد الأعلى.

وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/٣٥١): رواه الطبرانى فى الأوسط، وفيه الفضل بن عيسى الرقاشى، وهو كذاب. وليس هو فى الأوسط بل فى الصغير.

(٣) فى «الأصل» و«ك»: بهم.

حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ

أوزارهم على ظهورهم ﴾ الأوزار: الأثقال، واحدها: وزر، ومنه الوَزَر، وهو الجبل فى قوله - تعالى -: ﴿ كلا لا وزر ﴾(١) أى: لاجبل ولا ملاذ، وحملهم الأوزار بيانه فى الخبر، وهو ما روى عن النبى ﷺ أنه قال: «يحشر الناس يوم القيامة، فمن كان منهم برا تلقاه صورة حسنة طيبة الريح، فتقول: أما تعرفنى؟ أنا عملك الصالح، فاركبنى فقد طال ما ركبتك، ومن كان فاجرا تلقاه صورة قبيحة منتنة الريح، فتقول: أما تعرفنى؟ أنا عملك الخبيث، وقد طال ما ركبتنى فأنا اليوم أركبك»(٢). فهذا معنى قوله: ﴿ وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون ﴾.

﴿ وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون ﴾ وصف كلا الدارين فى هذه الآية.

قوله - تعالى -: ﴿ قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون فإنهم لايكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ﴾ سبب هذا: «أن رسول الله مرّ على أبى جهل، فقال: يامحمد، أنت صادق عندنا، وإنما نكذب بما جئت به»(٣) فهذا معنى الآية. وقيل: إنما نزل هذا تسلية للرسول، يقول الله - تعالى -: لاتحزن؛ فإنهم لايكذبونك، ويقرأ: «فإنهم لايَكْذِبُونَكَ» مخففا(٤)، والفرق بين التكذيب والإكذاب: أن التكذيب: هو أن يقول له: كذبت، والإكذاب: هو أن يجده كاذبا.

قوله تعالى: ﴿ ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا ﴾ فيه

(١) القيامة: ١١.

(٢) أخرجه الطبري (٧/ ١١٤) عن عمر بن قيس الملائي من قوله.
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ١٠) لابن أبي حاتم في تفسيره. ولم أجده مرفوعاً.
وروى الطبري (٧/ ١١٤) عن السدي بنحوه.

(٣) عزاه السيوطى فى الدر (٣/ ١١) لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه من حديث أبي ميسرة.
وفى الباب عن علي وغيره. انظر الدر المنثور.

(٤) هى قراءة نافع، والكسائى. انظر النشر (٢/ ٢٥٧).

نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ

حذف، وتقديره: ولقد كذبت رسل من قبلك وأوذيت، فصبروا على ما كذبوا وأوذوا ﴿حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله﴾ أى: لعِلْم الله وأحكامه ﴿ولقد جاءك من نبأ المرسلين﴾ أى: أخبار المرسلين.

قوله - تعالى -: ﴿وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغى نفقا فى الأرض﴾ النفق: السرب فى الأرض، ومنه: «النافقاء» وهو جحر اليربوع؛ ومنه: النفاق، لأن المنافق يدخل نفقين ﴿أو سلما فى السماء [فتأتيهم بآية][(١)]﴾ أى: درجا فى السماء فتأتيهم بآية، سبب هذا: أن الكفار كانوا يقترحون الآيات؛ وودّ النبى ﷺ أن (يعطيهم)[(٢)] الله ما اقترحوا من الآيات (طمعا)[(٣)] فى أن يرواالآيات؛ فيسلموا فنزل قوله: ﴿فإن استطعت أن تبتغى نفقا فى الأرض أو سلما فى السماء فتأتيهم بآية﴾ وتقديره: إن استطعت ذلك فافعل، وفيه حذف.

﴿ولو شاء الله لجمعهم على الهدى﴾ أى: بأن يريهم آية؛ فيضطرون إلى الإيمان بها، والصحيح: أن المراد به: ولو شاء الله لطبعهم وخلقهم على الإيمان؛ فهذا أقرب إلى قول أهل السنة؛ لأن إيمان الضرورة لاينفع، وإنما ينفع الإيمان بالغيب اختيارا ﴿فلا تكونن من الجاهلين﴾ أى: بهذا الحرف، وذلك قوله: ﴿ولو شاء الله لجمعهم على الهدى﴾.

قوله - تعالى -: ﴿إنما يستجيب الذين يسمعون﴾ هاهنا الوقف، ومعناه: إنما يستجيب الذين يسمعون سماع القبول ﴿والموتى يبعثهم الله﴾ يعنى: الكفار ﴿ثم

(١) من «ك».

(٢) فى «ك»: يأتيهم.

(٣) ليست فى «ك».

لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين ﴿٣٥﴾ إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون ﴿٣٦﴾ وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴿٣٧﴾ وما من دابة في الأرض ولا طائر

إليه يرجعون ﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ وقالوا لولا نُزِّل عليه آية من ربه قل إن الله قادر على أن ينزل آية ﴾ يعنى: أنه قادر على إنزال الآيات، وقد أنزل كثيرا من الآيات والمعجزات، ولكن لاينزل الآيات على اقتراح الكفار ﴿ ولكن أكثرهم لايعلمون ﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه ﴾ إنما قيد الطيران بالجناح تأكيدا ﴿ إلا أمم أمثالكم ﴾ أى: أصناف أمثالكم، وفى الخبر: «لولا أن الكلاب أمة؛ لأمرتكم بقتلها؛ فاقتلوا منها كل أسود بهيم، فإنه شيطان»(١)، ومعنى الآية: أنها أمثالكم فى الخلق، والموت، والبعث، يعنى: يخلقها كما يخلقكم، ويميتها كما يميتكم ويبعثها كما يبعثكم، وقيل: معنى قوله: ﴿ أمم أمثالكم ﴾ يعنى: فى العلم بالضار والنافع، والتوقى عن الهلاك، ومعرفة العدو.

﴿ ما فرطنا فى الكتاب من شىء ﴾ فإن قال قائل: نرى كثيرا من الأحكام ليست فى الكتاب، فما معنى قوله: ﴿ ما فرطنا فى الكتاب من شىء ﴾؟ قيل: ما من شىء إلا وأصله فى الكتاب، وقيل: ماقاله الرسول، فإنما قاله من الكتاب؛ لأنه ﷺ قد قال فى خبر معروف: «أوتيت القرآن ومثله»(٢) وقد قال الله - تعالى - ﴿ وما ينطق عن

(١) رواه أبو داود (٣/١٠٨ رقم ٢٨٤٥)، والترمذى (٤/٦٦ رقم ١٤٨٦)، والنسائى (٧/١٨٥ رقم ٤٢٨٠)، وابن ماجة (٢/١٠٦٩ رقم ٣٢٠٥)، وأحمد (٤/٨٥)، و(٥/٥٤، ٥٦)، والدارمى (٢/١٢٥ رقم ٢٠٠٨) وابن حبان - الإحسان - (١٢/ ٤٧١ - ٤٧٣) كلهم من حديث عبد الله بن مغفل - رضى الله عنه -.

وقال الترمذى: حسن صحيح، وفى الباب عن ابن عمر، وجابر، وأبى رافع، وأبى أيوب.

(٢) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٢٠٠/ ٤٦٠٤)، وأحمد في مسنده (٤/ ١٣٠/ ١٣١) والآجري في الشريعة (ص٥١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٣٣٢) وابن حبان في صحيحه - الإحسان - (١/ ١٨٩) من حديث المقدام بن معد يكرب.

يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ

لهوى إن هو إلا وحى يوحى ﴾(١) فكل ما ثبت بالسنة؛ فكأنه ثابت فى الكتاب، وقيل: [معناه](٢): مافرطنا فى الكتاب من شيء تقع الحاجة إليه.

﴿ ثم إلى ربهم يحشرون ﴾ ولاشك فى حشر البهائم والحيوانات يوم القيامة، حتى روى: أن الله - تعالى - يحشرها ويقتص للجماء من القرناء، وروى أبو ذر: «أن النبى ﷺ رأى شاتين تنتطحان؛ فقال: يا أباذر، أتدرى فيما تنتطحان؟ فقلت: لا. فقال: لكن الله يدرى، وسيقضى بينهما(٣) وأمثال هذا كثير»، وسبيل الناس أن يؤمنوا به، ويكلوا علمه إلى الله - تعالى - فإنه شيء لاتهتدى إليه العقول، وعلى هذه الآية حكاية: حُكِيَ أن بهلول المجنون رأى أبا يوسف القاضى فى الطريق؛ فسأله وقال: إن الله - تعالى - يقول: ﴿ وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ﴾ ثم يقول: ﴿ وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾(٤) فما نذير الكلاب؟ فتحير أبو يوسف عن الجواب، فأخذ بهلول حجرا من الأرض، وقال: هذا نذير الكلاب.

قوله - تعالى -: ﴿ والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم فى الظلمات ﴾ أى: صم عن سماع الحق، وبكم عن قول الحق ﴿ من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم ﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله ﴾ قيل: عذاب الله: هو

---

(١) النجم: ٣ - ٤.

(٢) ليست في «الأصل».

(٣) رواه أحمد في مسنده (٥/ ١٦٢) والطيالسي في مسنده (ص٦٥/ رقم ٤٨٠) والطبرى في تفسيره (٧/ ١٢٠)، وابن أبي الدنيا في الأهوال (٢/ ١٩٢/ رقم٣٦)، وابن أبي داود في البعث (ص٥٥/ رقم٣٦).
قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٥٥) بعد ذكر روايتين هذه الثانية منهما: رواه أحمد... ورجال الرواية الثانية رجال الصحيح، وفيها راوٍ لم يسم.

(٤) فاطر: ٢٤.

تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُم

الموت ﴿أو أتتكم الساعة﴾ يعنى: القيامة ﴿أغير الله تدعون إن كنتم صادقين﴾ هذا استفهام بمعنى التقرير، يعنى: لاتدعون إلا الله، وأراد به فى أحوال الضرورات؛ فإن الكفار فى حال الضرورات يدعون الله - تعالى - كما قال: ﴿وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين﴾(١).

قوله - تعالى -: ﴿بل إياه تدعون﴾ هذا تقرير لما استفهم منه فى الآية الأولى، يعنى: بل تدعون الله، ولاتدعون غيره ﴿فيكشف ما تدعون إليه إن شاء﴾ قيد إجابة الدعوة بالمشيئة ها هنا، وأطلقها فى قوله: ﴿ادعونى أستجب لكم﴾(٢).

قال أهل العلم: وذلك مقيد بالمشيئة أيضا؛ بدليل هذه الآية.

﴿وتنسون ما تشركون﴾ وذلك أنهم لما تركوا الأصنام فى حال الضرورات إلى دعاء الله؛ فكأنهم نسوا ما يشركون، وفى الآية مجاز، وتقدير قوله: ﴿فيكشف ما تدعون إليه﴾ أى: فيكشف ضر ما تدعون إليه.

وقوله - تعالى -: ﴿ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء﴾ البأساء: الجوع، والفقر، والضراء: المرض، والبلوى فى النفس والمال.

﴿لعلهم يتضرعون﴾ التضرع: السؤال بالتذلل، وحكى أبو عبيد عن الفراء: فلان يتضرع، ويتصدى [أى](٣) أنه سأل متذللاً وبتضرع.

قوله - تعالى -: ﴿فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا﴾ أى: فهلا تضرعوا ﴿إذ جاءهم بأسنا﴾؟ ﴿ولكن قست قلوبهم﴾ قال الزجاج معناه: بلغت قلوبهم فى

---

(١) لقمان: ٣٢.

(٢) غافر: ٦٠.

(٣) ليست في «الأصل» ولا «ك».

الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ

القساوة أنا أرسلنا إليهم الرسل،وأريناهم الآيات، وأخذناهم بالبأساء والضراء، فلم يتضرعوا، ولم يعودوا عما كانوا عليه ﴿وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون﴾ يعني: حتى مضوا على عملهم وكفرهم.

قوله – تعالى –: ﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء﴾ هذا فتح استدراج ومكر، وفي الآثار: «من فتح عليه باب نعمة، فلم ير أنه مكر به فلا رأى له، ومن أصابته شدة فلم ير أنه نظر له، فلا رأى له»(١) يعني: في الدين.

﴿حتى إذا فرحوا بما أوتوا﴾ هذا فرح بطر، وهو منهي عنه، وذلك مثل فرح قارون بما أصاب من الدنيا حتى قال له قومه: «لاتفرح إن الله لايحب الفرحين».

﴿أخذناهم بغتة﴾ أي: فجأة ﴿فإذا هم مبلسون﴾ قال ابن عباس: آيسون من كل خير، وقال أبو عبيدة: المبلس: النادم الحزين، وقال الفراء: هو الساكت المنقطع عن الحجة، وأنشدوا:

ياصاح هل تعرف رَسْمًا مُكْرَسَا قال نعم أعرفه وأَبْلَسَا

وقال آخر:

ملك إذا طاف الغفاة ببابه غبطوا وأنجى منهم المتبلس

قوله – تعالى –: ﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا﴾ الدابر: الأصل ها هنا؛ فيكون الدابر بمعنى: الآخر؛ ومنه قوله: ﷺ «من أشراط الساعة كذا وكذا، ولايأتون الصلاة إلا دبرا»(٢)، أي: آخرا ﴿والحمد لله رب العالمين﴾ حمد الله نفسه على إهلاكهم واستئصالهم، وفيه تعليمنا الحمد لله على هلاك الكفار.

قوله – تعالى –: ﴿قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم

(١)عزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ١٣) لابن أبي حاتم ، وأبى الشيخ عن الحسن قوله.

(٢) تقدم الكلام عليه في سورة النساء، آية رقم: ٨٢.

ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا

من إله غير الله يأتيكم به﴾ ذكر أشياء، ثم قال: ﴿يأتيكم به﴾ فاختلفوا؛ فقال (بعضهم)(١) معناه: يأتيكم بما (أخَذَ. و)(٢) قال آخرون: قوله: ﴿يأتيكم به﴾ يرجع إلى السمع خاصة، واندرج فيه الأبصار والقلوب. ومن هذا ذهب بعض العلماء إلى أن السمع أفضل من سائر الحواس؛ حيث خصه بالكناية، وقالوا: هو مثل قوله - تعالى -: ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾(٣) و«الهاء» راجعة إلى الله -تعالى - واندرج فيه الرسول ﴿انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون﴾ أى: يعرضون.

قوله - تعالى -: ﴿قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله﴾ حكى الفراء عن العرب أنهم يقولون: أرأيتك بمعنى أَخْبِرنى، [وأرأيتكما](٤) بمعنى أَخْبِرانى، وأرأيتكم يعنى: أَخْبِرونى وأرأيتكِ يمعنى: للمرأة بمعنى: أخبرينى، هكذا ﴿بغتة أو جهرة﴾ معناه: ليلا أو نهارا وقيل: معناه: فجأة أو عيانا ﴿هل يهلك إلا القوم الظالمون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين﴾ وقد بينا هذا ﴿فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ يعنى: يوم القيامة.

﴿والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب﴾ أى: يصيبهم عذاب النار ﴿بما كانوا يفسقون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿قل لا أقول لكم عندى خزائن الله﴾ أنزل هذا حين اقترحوا الآيات، وكانوا يقولون: لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتاباً من السماء، وسائر ما

(١) في «ك»: بعضكم.

(٢) في «ك»: أخذوا قال.

(٣) التوبة: ٦٢.

(٤) فى «الأصل»، و«ك»: ورأيتكما.

هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ

اقترحوا من الآيات؛ فنزل قوله: ﴿قل لا أقول لكم عندى خزائن الله﴾ فأعطيكم ما تريدون ﴿ولا أعلم الغيب﴾. والغيب. كل ما غاب عنك ويكون ماضيا، ويكون فى المستقبل، والماضى منه يجوز أن يعلمه الإنسان بخبر مخبر ونحوه. فأما المستقبل فلا يعلمه إلا الله، ورسول ارتضاه، كما قال فى سورة الجن(١)، وقوله: ﴿ولا أعلم الغيب﴾ فيه إضمار، أى: ولا أعلم الغيب إلا ما أعلمنيه الله ﴿ولا أقول لكم إنى ملك﴾ إنما أمره بذلك؛ لأن الملك يقدرعلى ما لايقدر عليه الآدمى، وقيل: لأن الملك يشاهد ما لايشاهده الآدمى، واسْتَدَلَّ بهذا من فَضَّلَ الملائكة على الآدميين، وليس فيه مستدل، ومعناه: ما بيّنا.

﴿إن أتبع إلا ما يوحى إلىّ قل هل يستوى الأعمى والبصير﴾ قال قتادة: الكافر والمؤمن، وقال مجاهد: الضال والمهتدى، وقيل: الجاهل والعالم ﴿أفلا تتفكرون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿وأنذر به﴾ أى: خوّف به ﴿الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم﴾ قيل: هم المسلمون، وقيل: كل من يؤمن بالبعث من المسلمين وأهل الكتاب.

﴿ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلهم يتقون﴾ فإن قيل: أليس يشفع الأنبياء والأولياء يوم القيامة، فما معنى قوله: ﴿ليس لهم من دونه ولى ولاشفيع﴾؟ قلنا: معناه: لاشفاعة إلا بإذنه، وهم إنما يشفعون [بإذنه، أو هذا ردٌّ لما زعموا أن الملائكة والأصنام يشفعون](٢) لنا.

قوله: ﴿ولاتطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى﴾ سبب نزول الآية: «أن المشركين بمكة أتوا رسول الله ﷺ، وقالوا: إنك تجالس الفقراء، وأرادوا به: بلالا،

(١) وهو قوله - تعالى -: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول ...﴾ الآية - الجن: ٢٦ - ٢٧.

(٢) سقط من «ك».

أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا

وصهيبا، وابن مسعود، وعمار بن ياسر، وخباب بن الأرت، ومهجع، ونحوهم من فقراء أهل الصفة، وقالوا: لو طردتهم آمنا بك؛ كأنهم استنكفوا الجلوس معهم فهَمَّ النبى ﷺ بذلك طمعا فى إيمانهم؛ فنزلت الآية»[1] . قال سعد بن أبى وقاص: «فىّ نزلت الآية وابن مسعود...»[2] وعدّ جماعة، وقال مجاهد: نزلت الآية فى بلال وجماعة، وفيه قول آخر: أن الآية نزلت بالمدينة، روى: « أن الأقرّع بن حابس التميمى، وعيينة بن حصن الفزارى أتيا رسول الله ﷺ، كانا من أكابر الكفار؛ فقالا: إنا نستنكف من الجلوس مع هؤلاء، فلو اتخذت لنا مجلسا منك، آمنا بك؛ فهمّ بذلك، طمعا فى إيمانهم؛ فنزلت الآية»[3] فعلى هذا تكون الآية من الآيات المبينة التى نزلت بالمدينة.

قوله: ﴿ولاتطرد الذين يدعون ربهم﴾ اختلفوا فى هذه الدعوة، قال ابن عباس: معناه: يصلون الصلوات الخمس، وقال إبراهيم النخعى: هو ذكر الله، وقال الضحاك: كل الطاعات.

(١) رواه أحمد في مسنده (١/ ٤٢٠)، والطبري في تفسيره (٧/ ١٢٧)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٢١٧/ رقم ١٠٥٢٠) من حديث ابن مسعود.
وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٤): رواه أحمد، والطبراني.... ورجال أحمد رجال الصحيح غير كردوس، وهو ثقة.

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه (١٥/ ٢٦٧ رقم ٢٤١٣)، وابن ماجة فى سننه (٢/ ٣٨٣ رقم ٤١٢٨) والطبرى فى تفسيره (٧/ ١٢٨)، والحاكم فى مستدركه (٣/ ٣١٩) وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ولم يتعقبه الذهبى، وقد أخرجه مسلم كما قدمنا.

(٣) رواه ابن ماجة فى سننه (٢/ ١٣٨٢/ رقم ٤١٢٧) وقال البوصيرى فى الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات. وابن جرير فى تفسيره (٧/ ١٢٧-١٢٨) والطبرانى فى الكبير (٤/ ٧٥ - ٧٦/ رقم ٣٦٩٣) وأبو نعيم فى الحلية (١/ ١٤٦ - ١٤٧).
وعزاه السيوطى فى الدر المنثور (٣/ ١٤) لابن أبى شيبة، وأبى يعلى، وابن المنذر، وابن أبى حاتم والبيهقى فى الدلائل وأبو الشيخ وابن مردويه.

مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ

وقوله: ﴿يريدون وجهه﴾ قال ابن عباس: أى: يريدون إياه بالطاعة، ويريدون خالص وجهه، والوجه صفة لله - تعالى - بلا كيف؛ وجه لا كالوجوه.

﴿فتطردهم فتكون من الظالمين﴾ يعنى: إن طردتهم، وقيل: فى الآية تقديم وتأخير، وتقديره: ولاتطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه فتكون من الظالمين، (ثم قال):[1] ﴿ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء﴾ قوله - تعالى -: ﴿وكذلك فتنا بعضهم ببعض﴾ هو فتنة الأغنياء بالفقراء، [والله - تعالى - يفتن الأغنياء بالفقراء][1]، ويفتن الفقراء بالأغنياء، والمراد هاهنا: فتنة أكابرهم بفقرائهم؛ حيث امتنعوا عن الإيمان بسببهم؛ وذلك كان فتنة لهم.

﴿ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا﴾ يقول الأغنياء: أهؤلاء الفقراء سبقونا بالإيمان، ثم يقول الله - تعالى -: ﴿أليس الله بأعلم بالشاكرين﴾ يعنى: أليس الله بأعلم من هو أهل للإسلام؛ فيدخل فى الإسلام؟!.

قوله - تعالى -: ﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا﴾ هم الفقراء الذين ذكرنا ﴿فقل سلام عليكم﴾ أمر رسوله ببدائتهم بالسلام، وقد ذكرنا معنى السلام فيما سبق، وقيل: معناه: [سلمكم][2] الله فى دينكم، وقيل: معناه السلامة لكم.

﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ أى قضى بالرحمة لكم ﴿أنه من عمل منكم سوءا بجهالة﴾ أى خطيئة، وقد بيّنا أن كل عاص جاهل ﴿ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم﴾ يقرأ: أنَّه، وفأنه، كلاهما بنصب الألف؛ فيكون بدلا عن قوله:

(١) سقط من «ك».

(٢) فى «الأصل، وك»: علمكم. وهو خطأ.

مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قُل لاَّ أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن

﴿ كتب ربكم على نفسه الرحمة ﴾ ويقرأ: كلاهما بكسر الألف على الابتداء، ويقرأ: الأول بالفتح والثانى بالكسر(١).

قوله - تعالى -: ﴿ وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين ﴾ يقرأ بثلاثة أوجه ولتستبين - بالتاء، سبيل: بنصب اللام. ومعناه: ولتستبين يامحمد سبيل المجرمين؛ فإن قيل: ألم يكن مستبينا له؟ قيل: معناه: لتزداد بيانا، وقال الزجاج: الخطاب مع الرسول، والمراد بالآية: الأمة.

ويقرأ وليستبين: بالياء والتاء سبيلُ: برفع اللام(٢)، وقالوا: لأن السبيل يذكر ويؤنث؛ قال الله - تعالى -: ﴿ قل هذه سبيلى ﴾(٣) ومعناه: وليظهر سبيل المجرمين؛ (فإن قيل: لم خصّ سبيل المجرمين؟)(٤) قيل: تقديره: ولتستبين سبيل المجرمين وسبيل المؤمنين؛ فحذف أحدهما اختصارا، والأصح أن تقديره: ولتستبين سبيل المجرمين عن سبيل المؤمنين.

قوله - تعالى -: ﴿ قل إنى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله ﴾ هو النهى عن الشرك ﴿ قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين ﴾ يعنى: إن اتبعت أهواءكم، قوله - تعالى -: ﴿ قل إنى على بينة من ربى ﴾ على بيان من ربى ﴿ وكذبتم به ﴾ أى: بما [جئت] به ﴿ ما عندى ما تستعجلون به ﴾ قيل: أراد به استعجالهم الآيات والمعجزات، وقيل: أراد به استعجالهم القيامة، قال الله - تعالى - ﴿ يستعجل بها الذين لايؤمنون بها ﴾(٥) وقيل: أراد به استعجال العذاب، قال الله -

(١) قرأ ابن عامر، وعاصم، ويعقوب بفتح الهمزة فيهما، ووافقهم نافع، وأبو جعفر فى الأولى، وقرأ الباقون بالكسر فيهما.

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) يوسف: ١٠٨.

(٤) سقط من «ك».

(٥) الشورى: ١٨.

رَبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا

تعالى -: «ويستعجلونك بالعذاب» وكانوا يقولون: ﴿إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾[1].

﴿إن الحكم إلا لله يقضى الحق وهو خير الفاصلين﴾ ويقرأ: يقص بالصاد[2]، واستدل بالكتابة فى المصاحف؛ فإن هذه الكلمة تكتب بغير الياء.

قوله تعالى: ﴿قل لو أن عندى ما تستعجلون به لقضى الأمر بينى وبينكم﴾ معناه: لقامت القيامة، وقيل: هو فى العذاب، ومعناه: لو كان العذاب بيدى لعجلته؛ حتى أتخلص منكم ﴿والله أعلم بالظالمين﴾.

قوله - تعالى -: ﴿وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو﴾ روى ابن عمر عن النبى ﷺ أنه قال: «مفاتيح الغيب خمسة»، وذكر (الخمس)[3] المذكورة فى قوله - تعالى -: ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾[4] ثم قرأ الآية[5]. ﴿ويعلم ما فى البر والبحر﴾ قال مجاهد: البحر: القرى والأمصار ها هنا، (والبر: المفاوز)[6]، يقال: هذا المصر بحر، وهذه القرية بحر؛ لاجتماعها وكثرة أهلها، وقيل: هو البر والبحر المعروف.

﴿وما تسقط من ورقة إلا يعلمها﴾ فإن قال قائل: لم خص [الورق][7] الساقط

---

(١) الأنفال: ٣٢.

(٢) قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وعاصم بالصاد المهملة، مشددة من القصص، وقرأ الباقون بإسكان القاف وكسر الضاد المعجمة من القضاء. انظر النشر (٢ / ٢٥٨).

(٣) فى «ك»: الخمسة.

(٤) لقمان: ٣٤.

(٥) رواه البخارى (٢ / ٦٠٩ رقم ١٠٣٩ وأطرافه فى: ٤٦٢٧، ٤٦٩٧، ٤٧٧٨، ٧٣٧٩)، وأحمد (٢ / ٢٤، ٥٢، ٥٨، ٨٥، ٨٦)، وابن حبان (١ / ٢٧٢ - ٢٧٣رقم ٧٠، ٧١).

(٦) فى «الأصل، وك»: والبر والمفاوز.

(٧) فى «الأصل، وك»: ورقة.

تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ

وهو يعلم الساقط والثابت؟ قيل: هذا معناه: أى: وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ساقطة وثابتة، قال جعفر بن محمد الصادق: أراد بالورقة الساقطة: السقط.

﴿ولا حبة فى ظلمات الأرض﴾ هو الحب المعروف، وقال جعفر الصادق: هو الولد ﴿ولا رطب ولايابس﴾ قيل: معناه: ولاحى ولا موات، وقيل: هو عبارة عن كل شيء ﴿إلا فى كتاب مبين﴾ يعنى: أن الكل مكتوب فى اللوح المحفوظ، وهو مثل قوله – تعالى –: ﴿وكل صغير وكبير مستطر﴾(١).

قوله – تعالى –: ﴿وهو الذى يتوفاكم بالليل﴾ أى: يقبض أرواحكم بالليل إذا نمتم، وهذا نظير قوله: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها﴾(٢). فإن قال قائل: أليس من نام فروحه معه؛ فما معنى هذا القبض؟ قيل: هو قبض النفس المميزة المتصرفة ﴿ويعلم ماجرحتم بالنهار﴾ أى: كسبتم بالنهار ﴿ثم يبعثكم فيه﴾ قال قتادة: البعث اليقظة هاهنا، أى: ثم يوقظكم فى النهار ﴿ليقضى أجل مسمى﴾ القضاء: هو فصل الحكم على التمام، ومعناه هاهنا: استيفاء أجل العمر على التمام.

﴿ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون﴾.

قوله – تعالى –: ﴿وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة﴾ أما معنى القاهر، وصفة الفوق، فقد ذكرنا؛ وأما إرسال الحفظة: هو إرسال الملائكة الحفاظ، وهو ماقال فى آية أخرى ﴿وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين﴾(٣) وقال: ﴿له معقبات

(١) القمر: ٥٣.

(٢) الزمر: ٤٢.

(٣) الانفطار: ١٠ – ١١.

(٤) الرعد: ١١.

(٥) فى «الأصل، وك»: يحفظون.

وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم

من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ﴾(٤) وحفظهم: أن [يحفظوا](٥) على العباد العمل والأجل والرزق ﴿ حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا ﴾ ويقرأ: «توفيه» بالياء(١) ﴿ وهم لايفرطون ﴾ أى: لايؤخرون.

فإن قيل: قد قال فى آية أخرى: ﴿ قل يتوفاكم ملك الموت ﴾(٢) وقال هاهنا: ﴿ توفته رسلنا ﴾ فكيف وجه الجمع؟ قيل: قال إبراهيم النخعى: لملك الموت أعوان من الملائكة، يتوفون عن أمره؛ فهو معنى قوله: ﴿ توفته رسلنا ﴾ ويكون ملك الموت هو المتوفى فى الحقيقة؛ لأنهم يصدرون عن أمره، ولذلك نُسبَ الفعل إليه فى تلك الآية، وقيل: معناه: ذكر الواحد بلفظ الجمع، والمراد به: ملك الموت، وفى القصص أن الله - تعالى - جعل الدنيا بين يديه كالمائدة الصغيرة؛ فيقبض من هاهنا ومن هاهنا؛ فإذا كثرت الأرواح يدعو الأرواح فتجيب له.

قوله - تعالى -: ﴿ ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ﴾ فإن قال قائل: الآية فى المؤمنين والكفار، فكيف قال: ﴿ مولاهم الحق ﴾ وقد قال فى آية أخرى: ﴿ وأن الكافرين لامولى لهم ﴾(٣)؟ قيل: المولى فى تلك الآية بمعنى: الناصر، ولاناصر للكفار، والمولى هاهنا بمعنى: المالك، والله مالك الكل، وقيل: أراد به رد المؤمنين إليه، ويدخل الكفار فيه تبعا.

﴿ ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين ﴾ أى: يحاسب الكل فى لحظة.

قوله تعالى: ﴿ قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر ﴾ يعنى: من شدائد البحر والبر، تقول العرب: يوم مظلم. إذا كان يوم شدة، ويسمونه أيضا: يوما ذا كوكب. كأنهم جعلوه كالليل لشدته، قال الشاعر:

(١) هى قراءة حمزة بألف ممالة بعد الفاء، وقرأ الباقون بتاء ساكنة بعد الفاء. انظر النشر (٢ / ٢٥٨).

(٢) السجدة: ١١.

(٣) محمد: ١١.

مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ

بني أسد هل تعلمون (بلاءنا)(١) إذا كان يوماً ذا كواكب أشهبا(٢)

وقال آخر:

فدا لبنى ذهل بن شيبان ناقتى إذا كان يوما ذا كواكب أشنعا

﴿تدعونه تضرعا وخفية﴾ أى: علانية وسرا، وقيل: معناه: أن يكون السر مع الجهر فى الدعاء بحيث يدعو باللسان وسره معه، ويقرأ «وخفية» بكسر الخاء(٣) ومعناهما واحد ﴿لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين﴾ والشكر: [هو](٤) معرفة النعمة مع القيام [بحقها](٥)، ولابد من هذين حتى يتحقق الشكر.

قوله - تعالى -: ﴿قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون﴾ الكرب: غاية الهم.

قوله - تعالى -: ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم﴾ قال ابن عباس، والحسن، وقتادة، وجماعة: نزلت الآية فى أهل الإيمان وأهل الصلاة. وقال غيرهم: نزلت فى المشركين، وقوله: ﴿عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم﴾ قال مجاهد، وسعيد بن جبير: عذابا من فوقكم: هو الرمى بالحجارة، كما كان فى قوم لوط. أو من تحت أرجلكم هو الخسف والرجفة.

وحكى عن ابن عباس أنه قال: عذابا من فوقكم: تسليط أئمة السوء، ومن تحت أرجلكم: تسليط الخدم السوء، وقيل: عذابا من فوقكم: الطوفان والغرق، ومن تحت

---

(١) فى «ك»: ثلاثا.

(٢) فى لسان العرب (مادة: ظلم) وتفسير القرطبى (٧/٨): إذا كان يوم ذو كواكب أشهبُ.

(٣) هى قراءة أبى بكر. انظر النشر (٢/٢٥٩).

(٤) فى «الأصل» و «ك»: هى.

(٥) فى «الأصل» و «ك»: لحقها.

أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ

أرجلكم: الريح، كما كان فى قوم عاد ﴿أو يلبسكم شيعا﴾ قال الزجاج: معناه: يخلطكم خلط اضطراب لا خلط اتفاق، وحقيقة المعنى: أنه يبث فيكم الأهواء المتفرقة؛ فتصيرون فرقا وأحزابا.

﴿ويذيق بعضكم بأس بعض﴾ هو وقوع القتل بينهم؛ وقد صح عن النبى ﷺ أنه لما نزلت هذه الآية، وسمع الأولين؛ قال: «أعوذ بوجهك؛ فلما سمع الآخرين؛ قال: هاتان أيسر»(١) وفى الخبر المعروف: «أنه لما نزلت هذه الآية؛ دعا لأمته وناجى طويلا؛ حتى نزل جبريل أن الله رفع الأولين، وأجاب دعوتك فيهما، ولم يجب فى الآخرين»(٢). فبثت الأهواء والقتال فى هذه الأمة، وقد سُلّ السيف من زمان عثمان، فلا يغمد إلى قيام الساعة، وقد روى أن الدعاء المعروف الذى كان يدعو به رسول الله ﷺ، دعا به حيث نزلت هذه الآية، وقال: «اللهم إنى أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك»(٣) أى: بقضاءك من قضاءك ﴿انظر كيف نصرف الآيات﴾ يعنى: مرة هكذا، ومرة هكذا ﴿لعلهم يفقهون﴾.

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه (٨/ ١٤١رقم ٤٦٢٨ وطرفاه فى: ٧٣١٣، ٧٤٠٦)، والترمذى (٥/ ٢٤٤/ رقم ٣٠٦٥) والنسائى فى الكبرى (٦/ ٢٤٠ - ٢٤١/ رقم ١١١٦٤، ١١١٦٥)، وأحمد فى مسنده (٣/ ٣٠٩) والطبرى فى التفسير (٧/ ١٤٣) كلهم من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه.

(٢) عزاه ابن كثير فى التفسير (٢/ ١٤٢) والسيوطى فى الدر المنثور (٣/ ١٩) لابن مردويه من حديث ابن عباس.
وأخرجه الطبرى فى تفسيره (٧/ ١٤٥) عن الحسن البصرى مرسلاً.

(٣) هذا الدعاء ثابت فى صحيح مسلم (٤/ ٢٧١/ رقم ٤٨٦) ومسند أحمد (٦/ ٥٨، ٢٠١) وعند أبى داود فى سننه (١/ ٢٣٢/ رقم ٨٧٩) وعند النسائى (١/ ١٠٢ - ١٠٣)، (٢/ ٢١٠) وابن حبان فى صحيحه (٥/ ٢٥٨ - ٢٥٩) وغيرهم من طرق عن عائشة «أنها فقدت النبى ﷺ ذات ليلة من الفراش فالتمسته، فإذا هو راكع أو ساجد، يدعو بهذا الدعاء» ولكن ليس فيه أنه ﷺ دعا بهذا الدعاء عند نزول هذه الآية. ولكن صح عنه ﷺ «أنه حين نزلت هذه الآية قال أعوذ بوجهك» كما فى صحيح البخارى (٨/ ١٤١/ رقم ٤٦٢٨) وقد خرجناه قبل حديثين.

الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا

قوله - تعالى -: ﴿وكذب به قومك وهو الحق﴾ يعنى: القرآن ﴿قل لست عليكم بوكيل﴾ أى: بمسلط؛ فألزمكم الإسلام شئتم أو أبيتم، قال ابن جريج: كان هذا فى الابتداء ثم نسخ بقوله: ﴿فاقتلوا المشركين﴾(١).

﴿لكل نبأ مستقر﴾ قال مجاهد: معناه: لكل خبر من أخبار القرآن حقيقة إما فى الدنيا، وإما فى الآخرة ﴿وسوف تعلمون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم﴾ أراد به: يخوضون فيها بالرد والاستهزاء، قال أبو جعفر بن محمد بن على الباقر: ويدخل فى هذا: الخوض فى كل الآيات لا على وفق الكتاب والسنة.

﴿فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾ يعنى: قوله: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم﴾ قالت الصحابة: إذًا كيف نقعد فى المسجد الحرام وكيف نطوف بالبيت، وهم يخوضون أبدا؟ فنزلت هذه الآية: ﴿وما على الذين يتقون من حسابهم من شىء﴾ يعنى: إذا لقوهم، ولم يخوضوا فيما يخوضون ﴿ولكن ذكرى لعلهم يتقون﴾ أمر [بتذكيرهم](٢) ومنعهم عن ذلك، وقيل: معناه: فى حال الذكر، وليس عليهم شىء فى حال ما يذكرونهم إذا لم يرضوا بما خاضوا فيه.

قوله - تعالى -: ﴿وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا﴾.

قال الفراء فى كتابه: عيد [أهل كل ملة](٣) يوم لهو ولعب إلا عيد المسلمين؛

(١) التوبة: ٥.

(٢) فى «الأصل، وك»: بذكرهم. والصواب ما أثبتناه.

(٣) كذا فى «ك»، وفى «الأصل»: كل أهل ملة.

وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لاَّ يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي

فإنه (يوم)[1] الصلاة وفعل الخير والتكبير.

﴿وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت﴾ قال مجاهد: أن تسلم للهلاك، وقال قتادة: أن تحبس، وقال الفراء: أن ترتهن، وقال الكسائى، والأخفش: أن تجزى. والصحيح هو الأول، يقال: فلان مستبسل إذا استسلم للهلاك، قال الشاعر:

وإبسالي بَنِيَّ بغير جرم [بعوه ولا بغير دم مراق][2]

وحقيقة المعنى: وذكر به، لأن لاتسلم نفس للهلاك بعملها ﴿ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع﴾ وقد ذكرنا ﴿وإن تعدل كل عدل﴾ هو الفدية ﴿لايؤخذ منها أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا﴾ هو ما ذكرنا ﴿لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿قل أندعوا من دون الله ما لاينفعنا ولا يضرنا﴾ فإن قيل: كيف لايضرهم وفى الأصنام ضرهم؟ قيل: معناه: لايجلب نفعا، ولايدفع ضرا، وقيل: معناه: ليس بيدهم شيء.

﴿ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله﴾ أى: مرتدين على أعقابنا بعد الهداية به والإسلام ﴿كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران﴾ أضلته الشياطين وغلبته حتى هوى، والحيران: المتردد بين شيئين لايدرى كيف يفعل.

---

(١) فى «ك»: عيد.

(٢) فى تفسير الطبرى (٧/ ١٥١) وتفسير القرطبى (٧/ ١٦): (بعوناه ولا بدمٍ مراق) وكذا فى لسان العرب (مادة: بسل) وعزا البيت لعوف بن الأحوص بن جعفر. وفيه: بدل كلمة: مراقٍ كلمة: قراضٍ.

الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ

﴿له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا﴾ ضرب مثلا للذى يرتد عن الإسلام برجل يكون فى الطريق مع رفقة؛ فيضل به الغول، ويدعوه أصحابه من أهل الرفقة إلى الطريق، فيبقى حيران، لايدرى أين يذهب. ﴿قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين﴾.

﴿وأن أقيموا الصلاة واتقوه﴾ أى: وأمرنا بإقامة الصلاة والتقوى ﴿وهو الذى إليه تحشرون﴾.

﴿وهو الذى خلق السموات والأرض بالحق﴾ أى: لإظهار الحق؛ لأنه جعل صنعه دليلا على وحدانيته ﴿ويوم يقول كن فيكون﴾ قيل: هو راجع إلى قوله: ﴿خلق السموات﴾ يعنى: وخلق يوم يقول، فإن قيل: كيف يصح هذا التقدير، والقيامة غير مخلوقة بعد؟ قيل: هى كائنة فى علم الله - تعالى - [فتكون][(١)] كالمخلوقة؛ إذ الخلق بمعنى: القضاء والتقدير، وهى مقضية مقدرة، وقيل: تقديره: واذكر يوم يقول: كن فيكون ﴿قوله الحق﴾.

﴿وله الملك يوم ينفخ فى الصور﴾ قرئ فى الشواذ: «يوم ينفخ فى الصوَر» وهى جمع الصورة، قال أبو عبيدة: الصور: هو الصُّوَر فى كل موضع، وقال ابن مسعود فى تفسير الآية: الصور: قرن ينفخ فيه، وهو معروف فى الأخبار. ﴿عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير﴾.

قوله تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر﴾ يقرأ «آزرُ» برفع الراء، وهو فى الشواذ، ومعناه: يا آزرُ، وكذلك فى حرف أُبى بن كعب: يا آزرُ، والمعروف «آزرَ» بنصب

(١) فى «الأصل» و «ك»: يكون.

لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ

الراء، وهو اسم أعجمى غير منصرف؛ فينصب فى موضع الخفض.

قال الفراء، والزجاج: اسم أبيه: تارخ، أجمع عليه النسابون، وآزر لقب له، قال الفراء: واللقب قد غلب على الاسم، وقيل: كان له اسمان: آزر، وتارخ، قال الحسن: اسمه: آزر لاغير، كما نص عليه فى الكتاب، وقال مجاهد: آزر: اسم صنم، وتقدير الآية: وإذ قال إبراهيم لأبيه: ﴿أتتخذ﴾ آزر إلها ﴿أصناما آلهة إنى أراك وقومك فى ضلال مبين﴾.

قوله - تعالى -: ﴿وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض﴾ الملكوت والملك واحد، وإنما أدخل التاء فيه للمبالغة، مثل: رهبوت ورحموت، واختلفوا فى معناه، منهم من قال: أراه أبواب السموات والأرض، ومنهم من قال: فرّج له السموات حتى رآها كلها وما فيها، وخرّق له الأرضين حتى رآها كلها، وقيل: رفعه إلى السماء حتى رأى السموات والأرض.

وفى الخبر: «أنه لما رفعه إلى السماء رأى فى الأرض رجلا على المعصية، فدعا الله حتى أهلكه، ثم رأى آخر، فدعا الله حتى أهلكه، ثم رأى ثالثا كذلك؛ فدعا الله حتى أهلكه فقال الله - تعالى -: أهبطوه، ثم أوحى الله -تعالى - إليه: مهلا يا إبراهيم؛ فإن عبادى منى على ثلاث خصال: إما أن يتوبوا فأغفر لهم، وإما أن يتركوا ولدا يدعو لهم فأغفر لهم، وإن لم يكن [لهم](١) فجهنم من ورائهم»(٢) ﴿وليكون من الموقنين﴾.

قوله - تعالى -: ﴿فلما جنّ عليه الليل رأى كوكبا﴾.

---

(١) من «ك».

(٢) عزاه السيوطى فى الدر (٣/٢٧) لابن مردويه من حديث على بن أبى طالب مرفوعاً. وعزاه لسعيد بن منصور، وابن أبى شيبة، وابن المنذر، وأبى الشيخ، عن سلمان موقوفاً.

رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ

وفى القصة: أن واحدا من الكهنة، قال لنمروذ: إن ملكك يهلك على (يدى)[1] ولد فى زمانك، فكان يقتل البنين ممن يولد فى زمانه؛ فلما أتت أم إبراهيم بإبراهيم، جاء به أبوه إلى سرب من الأرض شبه مغار، ووضعه فى موضع يقال له: كوثاء؛ فقيل: إنه كان فيه سبع سنين، وقيل: ثلاث عشرة سنة، وقيل سبع عشرة سنة، ثم إنه لما شبّ، قال لأمه: من ربى؟ فقالت له: اسكت، ثم جاءت وأخبرت أباه بما قال؛ فجاء أبوه؛ فقال له إبراهيم: من ربى؟ فقال: أمك، قال: ومن رب أمى؟ قال: أنا، قال: ومن ربك؟ قال: اسكت، وتركوه، ثم لما جن عليه الليل خرج من السرب، ولم يكن رأى شيئا قط، فرأى كوكبا، قيل: هو المشترى.

قال السدى: كان الكوكب: زهرة، وهى أضوأ كوكب فى السماء. ﴿قال هذا ربى﴾ قيل: إنه قال ذلك فى صغره حين لايعبأ بقوله، وقيل: إنما كان مستدلا به؛ فقال ذلك فى حال الاستدلال؛ فلم يضره هذا القول، وهذان القولان ضعيفان، وفيه ثلاثة أقوال معروفة: أحدها: قال قطرب: قوله: هذا ربى. على وجه الاستفهام، وتقديره أهذا ربى؟ ومثله قول الشاعر:

رَفَوْنى وقالوا ياخويلد (لم تُرَعْ)[2] ... فقلتُ وأنكرتُ الوجوهَ همُ همُ

وإنما قال: هم على طريق الاستفهام، وتقديره: أهم هم؟ وأما الزجاج وغيره لم يرضوا منه هذا، وقالوا: ليس فى كلام العرب «هذا» بمعنى الاستفهام.

وذكر الزجاج قولين آخرين فيه: أحدهما: قال: «هذا ربى» على زعم قومه، فإن قيل: هم كانوا يعبدون الكواكب، فكيف قاله على زعمهم؟ قيل: كان منهم أهل نجوم، وكانوا يرون أنه إلى الكواكب الأمور؛ وكأنهم يعبدون الكواكب.

والقول الثانى: أن القول مضمر فيه، وتقديره: يقولون: هذا ربى.

---

(١) فى «ك»: يد.

(٢) فى لسان العرب (مادة: روع): لاترع. وعزا البيت لأبى خراش.

هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن

﴿ فلما أفل قال لا أحب الآفلين ﴾ .

قوله – تعالى –: ﴿ فلما رأى القمر بازغا ﴾ أى: طالعا ﴿ قال هذا ربى ﴾ وكان ذلك فى ليلة قد تأخر طلوع القمر فيها قليلا ﴿ فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين ﴾ والأفول: الغروب.

قوله – تعالى –: ﴿ فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر ﴾ أى: أضوأ وأنور فإن قال قائل: لِمَ قال: هذا ربى ، والشمس مؤنثة، ولم يقل هذه؟ قيل: لأن ما ليس عليه علامة التأنيث يجوز أن يُذَكَّر، كما قال الشاعر:

فلا مزنة وقد دقت ودْقَها ولا أرض ذا بقل أبقالها[١]

ولم يقل [أبقلت][٢]، وإن كانت الأرض مؤنثة؛ إذ لم يكن عليها علامة التأنيث، وقيل: إن قوله: هذا ربى، يرجع إلى المعنى، وهو الضياء والنور ﴿ فلما أفلت قال ياقومى إنى برىء مما تشركون ﴾ .

قوله – تعالى –: ﴿ إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين ﴾ الحنيف: الثابت على الدين، المائل إليه بالكلية.

قوله – تعالى –: ﴿ وحاجه قومه قال أتحاجونى ﴾ (أى)[٣]: جادله قومه؛ قال: أتجادلونى ﴿ فى الله وقد هدان ﴾.

---

(١) كذا وقع البيت فى «الأصل، وك». وفى لسان العرب (مادة: ودق):

فلا مُزْنة وَدَقَتْ ودقها ولا أرضَ أبقل أبقالها

(٢) فى «الأصل، وك»: ذا بقلت.

(٣) ليست فى «ك».

يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم

﴿ولا أخاف ما تشركون به﴾ لأنهم كانوا يخوفونه بالأصنام، وكانوا يقولون: احذر الأصنام؛ فإنا نخاف عليك الخبل والجنون؛ فقال: ﴿ولا أخاف ما تشركون به إلاَّ أن يشاء ربى شيئا﴾ قوله: إلا أن يشاء ربى شيئا. ليس باستثناء عن الأول؛ إذ لايجوز أن يشأ الله أن يصيبه شيء من الأصنام، وما يشركون به، وإنما هذا استثناء منقطع، ومعناه: لكن إن شاء ربى أن يأخذنى بشيء، أو يعذبنى بجرمى؛ فله ذلك.

﴿وسع ربى كل شيء علما أفلا تتذكرون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله مالم ينزل به عليكم سلطانا﴾ الإشراك: هو الجمع بين الشيئين فى معنى؛ فالإشراك بالله: هو أن يجمع مع الله غير الله فيما لايجوز إلا لله، ومعنى الآية: وكيف أخاف الأصنام وما أشركتم، وأنتم أحق بالخوف منى حيث أشركتم بالله، ولا تخافون الله بشرككم أو فعلكم الذى لم ينزل به الله حجة وسلطانا؟ ﴿فأى الفريقين أحق بالأمن﴾ يعنى الموحِّد أو المشرك ﴿إن كنتم تعلمون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ اختلفوا فيه، قال بعضهم: هذا من قول الله - تعالى -، وقيل: هو من قول إبراهيم، ومعناه: الذين آمنوا، ولم يخلطوا إيمانهم بشرك، هذا هو قول أبى بكر، وعلى، وحذيفة، وسلمان أن المراد بالظلم الشرك، وقد صحّ برواية ابن مسعود: «أنه لما نزلت هذه الآية؛ شق ذلك على الصحابة، وقالوا: أينا لم يظلم نفسه؟! فقال ﷺ: ليس الأمر كما تظنون، إنما الظلم هاهنا بمعنى الشرك، وقرأ قوله تعالى: ﴿لاتشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾(١)»(٢). ومعنى الآية: الذين آمنوا بالله ولم يشركوا به ﴿أولئك لهم الأمن

(١) لقمان: ١٣.

(٢) متفق عليه، رواه البخارى فى الصحيح (١/١٠٩/رقم ٣٢)، وانظر أطرافه هناك، ومسلم فى صحيحه (٢/١٨٧ - ١٨٩/ رقم ١٢٤).

مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ
حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن
ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ
﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ

وهم مهتدون ﴾.

قوله – تعالى –: ﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه﴾ اختلفوا فيه، قال بعضهم: هى احتجاجه عليهم بقوله: ﴿فأى الفريقين أحق بالأمن﴾، وحجته فى ذلك أن الذى يعبد الله لايشرك به شيئا أحق بالأمن من الذى يعبد الله ويشرك به. وقيل: أراد به الحجاج الذى حاج به نمروذ، على ما سبق فى سورة البقرة.

﴿نرفع درجات من نشاء﴾ يعنى: (بالحجاج)[1]، والاستدلال، ويقرأ: «نرفع درجاتٍ» منونا[2]، وتقديره: نرفع من نشاء درجات ﴿إن ربك حكيم عليم﴾.

قوله – تعالى –: ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته﴾ اختلفوا فيه، قال بعضهم: أراد به: ذرية إبراهيم، والصحيح أنه أراد به: ومن ذرية نوح؛ لأنه عدّ فى الجملة يونس ولوطا، وهما من ذرية نوح لا من ذرية إبراهيم ﴿ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين﴾ وليس هذا على ترتيب الأزمان؛ إذ كان هؤلاء على أزمان مختلفة، بعضهم سابق على البعض، (فالواو لا)[3] تقتضى الترتيب وإنما هى للجمع.

قوله – تعالى –: ﴿وزكريا ويحيى وعيسى﴾ هذا دليل على أن عيسى من ذرية آدم، وإن كان انتماؤه إلى الأم؛ لأنه عدّه من ذرية نوح؛ فيكون آدم أباه من قبل الأم ﴿وإلياس كل من الصالحين﴾ قال ابن مسعود: إلياس هو إدريس، والصحيح أنه رجل آخر.

(١) فى «ك»: الاحتجاج.

(٢) هى قراءة: حمزة، والكسائى، وعاصم، ويعقوب، انظر النشر (٢ / ٢٦٠).

(٣) فى «ك»: قالوا لا. وهو خطأ.

وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ

قوله – تعالى –: ﴿وإسماعيل واليسع﴾ ويقرأ: «واللَّيْسع»[1] وهو اسم أعجمي مثل: زيد، ويزيد، ونحوه، وإنما وصل فيه الألف واللام نادرا، ومثله قول الشاعر:

وجدنا (الوليد بن اليزيد)[2] مباركا شديدا (بأعباء)[3] الخلافة كاهله

﴿ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين﴾.

قوله – تعالى –: ﴿ومن آبائهم﴾ «من» فيه للتبعيض؛ لأن آباء بعضهم كانوا مسلمين ومهتدين ﴿وذرياتهم﴾ أي: ومن ذرياتهم، وأراد به: ذرية بعضهم أيضا؛ لأن عيسى ويحيى لم يكن لهما ذرية، وكان في ذرية بعضهم من كان كافرا ﴿وإخوانهم واجتبيناهم﴾ أي: اصطفيناهم ﴿وهديناهم﴾ أرشدناهم ﴿إلى صراط مستقيم﴾.

قوله – تعالى –: ﴿ذلك هدى الله يهدى به من يشاء﴾ أي: يرشد به من يشاء من عباده ﴿ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون﴾ أي: لبطل عنهم، والحبوط: البطول وهذا مثل قوله – تعالى –: ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾[4].

﴿أولئك الذين أتيناهم الكتاب﴾ الكتاب: اسم الجنس، وأراد به: الكتب المنزلة عليهم ﴿والحكم﴾ يعني: العلم والفقه ﴿والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكّلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين﴾ يعني: أهل المدينة، ومن كان بها من المهاجرين والأنصار، وقال قتادة: فإن يكفر بها هؤلاء يعني: الكفار، فقد وكلنا بها قوما [يعني][5]

---

(١) هي قراءة حمزة، والكسائي، وخلف بتشديد اللام، وإسكان الياء. انظر النشر (٢ / ٢٦٠).

(٢) كذا في «الأصل وك»، وفي تفسير القرطبي (٧ / ٣٣): اليزيد بن الوليد.

(٣) في «ك»: باغيا.

(٤) الزمر: ٦٥.

(٥) من «ك».

وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾
أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ
لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ

الأنبياء الذين سبق ذكرهم، وقال أبو رجاء العطاردى: معناه: فإن يكفر بها أهل الأرض، فقد وكلنا بها أهل السماء، وهم الملائكة ﴿ليسوا بها بكافرين﴾.

قوله - تعالى -: ﴿أولئك الذين هدى الله﴾ أى: هداهم الله ﴿فبهداهم اقتده﴾ وهذه هاء الوقف، كما فى قوله: ﴿ماليه﴾(١) و﴿سلطانيه﴾(٢)، ونحو ذلك، ويقرأ «فبهديهم اقتده» بكسر الهاء، وتقديره: فبهديهم اقتد اقتداء، هكذا قيل: إن المصدر مقدّر فيه ﴿قل لا أسألكم عليه أجرا إن هو إلا ذكر للعالمين﴾ أى: تذكرة.

قوله - تعالى -: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ قال ابن عباس: ما عظّموا الله حق عظمته، وقال أبو عبيدة: ما عرفوا الله حق معرفته، وقال الخليل بن أحمد: ما وصفوا الله حق صفته، يقال: قدرت الشىء، وقدرته؛ إذا عرفت حقيقته.

﴿إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شىء﴾ قيل: هذا قول مالك بن الصّيف، كان حبر اليهود، فحاج النبى ﷺ، فجرى على لسانه فى المحاجة: ما أنزل الله على بشر من شىء، وكان ذلك بمكة؛ فنزلت الآية.

﴿قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس﴾ أى: أجبه يامحمد، وقل: من أنزل التوراة على موسى وأنتم تؤمنون به؟.

وفى القصة: أن اليهود سمعوا منه تلك المقالة؛ فعتبوا عليه، وقالوا: أليس أن الله قد أنزل التوراة على موسى؟ فَلِمَ قلت ما أنزل الله على بشر من شىء؟! فقال مالك بن الصّيف: أغضبنى محمد؛ فقلت ماقلت؛ فقالوا: وأنت إذا غضبت تقول على الله

---

(١) الحاقة: ٢٨.

(٢) الحاقة: ٢٩.

أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ

غير الحق؛ فنزعوه عن الحبرية، وأجلسوا مكانه كعب بن الأشرف.

﴿تجعلونه قراطيس تبدونها﴾ أى: تكتبون منها كتبا تبدونها ﴿وتخفون كثيرا﴾ أى: تخفون ما فيه نعت محمد، وتبدون منها ماليس فيه نعت محمد ﴿وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا (آباؤكم)[١]﴾ قيل: هو راجع إلى اليهود، وقيل: هو خطاب للصحابة.

قال الله - تعالى -: (يعنى: قل من أنزله)[٢] وهو راجع إلى ما تقدم ﴿قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون﴾ وكل من خاض فيما لاينتفع به فهو لاعب.

قوله - تعالى -: ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك﴾ يصف القرآن بالبركة: وأصل البركة الثبوت، ومنه بروك البعير إذا ثبت واستقر، ومنه قوله: ﴿تبارك الذى بيده الملك﴾[٣] أى: ثبت له ما يستحقه من التعظيم والجلال فيما لم يزل ولايزال.

﴿مصدق الذى بين يديه﴾ يعنى: من الكتب المنزلة قبله ﴿ولتنذر أم القرى﴾ يعنى: أهل أم القرى ﴿ومن حولها﴾ وأم القرى مكة: وسميت أم القرى؛ لأن سائر القرى [يقصدونها ويأتونها][٤]، وقيل: لأن الأرض دحيت من تحتها، (وقيل: لأنها)[٥] معظمة تقصد بالتعظيم، ومنه سميت الأم أما؛ لأنها تعظم، وقد قال ﷺ: «إن المدينة قرية تأكل سائر القرى»[٦] يعنى: أن أهل المدينة يقتحمون سائر القرى

(١) تكررت فى «ك».
(٢) ليست فى «ك».
(٣) الملك: ١.
(٤) فى «الأصل» و «ك»: يقصدونه ويأتونه.
(٥) تكررت فى «ك».
(٦) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (٤/ ١٠٤/ رقم ١٨٧١) ومسلم (٩/ ٢١٨ - ٢١٩/ رقم ١٣٨٢). ولفظه «أمرت بقرية تأكل القرى... »الحديث.

يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ

بالسيف.

﴿ والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون ﴾.

فإن قيل: اليهود والنصارى يؤمنون بالآخرة، ولايؤمنون به، فما معنى قوله «والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به»؟ قيل: أراد به المؤمنين؛ لأنهم الذين يؤمنون بالآخرة حقيقة، فأما الذين يؤمنون بالآخرة، ولايصدقون محمدا، وما جاء به؛ فكأنهم لم يؤمنوا بالآخرة على الحقيقة.

قوله - تعالى -: ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شيء ﴾ قال ابن عباس: «[نزل](١) هذا فى عبد الله بن سعد بن أبى سرح، وكان قد أسلم؛ فجعله النبى ﷺ كاتبا للوحى، وكان يملى عليه الوحى؛ فيكتب، فقيل: إنه كان يملى عليه: «إن الله سميع عليم»، فيكتب: «إن الله غفور رحيم» ويملى عليه: «إن الله غفور رحيم» فيكتب: «إن الله عليم حكيم» هكذا كان يبدل؛ فروى أنه لما نزل قوله - تعالى -: ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين... ﴾(٢) الآية فأملى النبى ﷺ ذلك؛ فلما رأى تفضيل خلق الله تعجب، وقال: تبارك الله أحسن الخالقين، فقال له النبى ﷺ: هكذا أنزل ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ فشك الرجل فى الوحى، وقال: أوحى إلىّ كما يوحى إليه، وارتد عن الإسلام»(٣) فقوله: ﴿ أو قال أوحى إلىّ ﴾ هو هذا.

وقيل: نزلت الآية فى مسيلمة الكذاب، والأسود العنسى، خرجا باليمن، وادعيا

(١) فى «الأصل»: نزلت.

(٢) المؤمنون: ١٢ - ١٣.

(٣) لم أجده من حديث ابن عباس، وإنما عزاه السيوطى فى الدر (٣/ ٣٣) لابن أبى حاتم عن السدى وأخرجه الطبرى فى تفسيره (٧/ ١٨١) عن عكرمة، والسدى أيضاً. وذكره الواحدى فى أسباب النزول (ص١٦٥) بلفظ المصنف ثم قال: وهذا قول ابن عباس فى رواية الكلبى.

وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ

النبوة، والوحى إليهما، وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «رأيت فى المنام سوارين من ذهب فى يدى، فنفخت فيهما، فطارا، فأولتهما على كذابين يخرجان بعدى»(١) مسيلمة الكذاب كان باليمامة، والأسود العنسى كان بصنعاء اليمن.

﴿ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله﴾ هذا فى النضر بن الحارث بن كلدة، ادعى معارضة القرآن، فروى أنه قال فى معارضة القرآن: والطاحنات طحنا، فالعاجنات عجنا، والخابزات خبزا فاللاقمات لقما.

﴿ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت﴾ يعنى: فى شدائد الموت، قال الشاعر:

الغمرات ثم تنجلينا ثمة تذهبن فلا تجينا

﴿والملائكة باسطوا أيديهم﴾ قيل: للعذاب، وقيل: لقبض الأرواح ﴿أخرجوا أنفسكم﴾ أى: أرواحكم، فإن قال قائل: الروح إنما تخرج كرها؛ فما معنى قوله: أخرجوا أنفسكم؟ قيل: إنما قال ذلك تغليظا عليهم، كمن يخرج من الدار كرها، ويقال له: اخرج.

﴿اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون﴾ الهُون: من الهوان، والهَون: من اللين والرفق، كما فى قوله: ﴿يمشون على الأرض هونا﴾(٢).

قوله – تعالى –: ﴿ولقد جئتمونا فرادى﴾ أى وحدانا فردا فردا ﴿كما خلقناكم أول مرة﴾ بلا أهل ولا مال ﴿وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم﴾ أى: ملكناكم، والخول: المماليك. ﴿وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء﴾

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة، أخرجه البخارى فى صحيحه (٦/٧٢٥/رقم٣٦٢١) وانظر أطرافه هناك ومسلم فى صحيحه (١٥/٤٩/رقم ٢٢٧٤).

(٢) الفرقان: ٦٣.

ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ

أراد به: مازعموا من أن الأصنام والملائكة شفعاؤنا عند الله ﴿لقد تقطع بينكم﴾ أى: وصلكم، وهو مثل قوله: ﴿وتقطعت بهم الأسباب﴾ أى: الموصلات، ويقرأ: «لقد تقطع بينَكم» - بفتح النون(١) - ومعناه: تقطع الأمر بينكم ﴿وضل عنكم ما كنتم تزعمون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿إن الله فالق الحب والنوى﴾ الفلق: الشق، ومعناه: أنه يشق الحبة؛ فيستخرج السنبلة من الحبة، ويشق النواة؛ فيستخرج النخلة من النواة، [ويدخل](٢) فى قوله: ﴿فالق الحب﴾ جميع البذور والحبوب، ويدخل فى قوله: ﴿والنوى﴾ نواة جميع الأشجار؛ مثل نواة المشمش، ونواة الخوخ، ونواة الغبيراء، ونحو ذلك، وقيل: فالق الحب والنوى بمعنى: خالق الحب والنوى.

﴿يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى﴾ وقد ذكرنا هذا واختلاف القراءة فيه، والفرق بين الميّت والميت ﴿ذلكم الله فأنى تؤفكون﴾ أى تصرفون.

قوله - تعالى -: ﴿فالق الإصباح﴾ معناه: أنه يستخرج الصبح من الليل، والإصباح: مصدر، وهو بمعنى: الصبح هاهنا، أى: فالق الصبح، وقرأ إبراهيم النخعى: «فلقَ الإصباح» وقرأ الحسن: «فالقَ الإصباح» - بنصب القاف - وهما فى الشواذ.

﴿وجعل الليل سكنا﴾ أى: يسكن فيه، ويقرأ: «وجعلَ الليلَ سكنا»(٣)، أى: جعل الله الليل سكنا ﴿والشمس والقمر حسبانا﴾ أى: بحساب معلوم، والحسبان: هو الحساب هاهنا بمعنى أنهما يدوران بحساب معلوم مقدر. وحكى منصور بن

(١) هى قراءة نافع، وأبى جعفر، والكسائى، وحفص. انظر النشر (٢/ ٢٦٠).

(٢) فى «ك»: ويخرج. وهو خطأ.

(٣) هى قراءة حمزة، والكسائى، وعاصم، انظر النشر (٢/ ٢٦٠).

سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾

المعتمر – وهو الثقة من رواة النخعى – عن إبراهيم النخعى أنه قال: يجوز أن يتعلم الإنسان من النجوم بقدر ما يعرف منازل القمر، وسير الكواكب لمعرفة القبلة وأوقات الصلاة ﴿ ذلك تقدير العزيز العليم ﴾.

قوله – تعالى –: ﴿ وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر ﴾ هذه إحدى فوائد النجوم، والله – تعالى – خلق النجوم لفوائد: منها تزيين السماء، كما قال – عز وعلا –: ﴿ وزينا السماء الدينا بمصابيح ﴾(١) ومنها رمى الشياطين بها كما قال: ﴿ وجعلناها رجوما للشياطين ﴾(٢) ومنها الاهتداء فى ظلمات البر والبحر كما قال هاهنا.

وحكى أبو الحسين بن فارس عن بعض التابعين أنه أراد بالنجوم هاهنا: الصحابة، يهتدى بهم فى ظلمات الشرك، وهذا مثل قوله ﷺ: «أصحابى [كالنجوم](٣) بأيهم اقتديتم اهتديتم»(٤)، ﴿ قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون ﴾.

قوله – تعالى –: ﴿ وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة ﴾ يعنى: آدم – صلوات الله عليه – ﴿ فمستقر ومستودع ﴾ قال عطاء، ومجاهد: أراد بالمستقر: أرحام الأمهات، وبالمستودع: أصلاب الآباء، وحكى ذلك عن ابن عباس أيضا، ويروى عن ابن عباس أنه قال – على عكسه –: المستقر: أصلاب الآباء، والمستودع: أرحام

(١) فصلت: ١٢.

(٢) الملك: ٥.

(٣) فى «ك»: مثل النجوم.

(٤) أخرجه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم وفضله (٢ / ٩٢٥ / رقم ١٧٦٠) وابن حزم فى الإحكام (٦ / ٨٢) من حديث جابر بن عبد الله. وقال ابن عبد البر: هذا إسناد لاتقوم به حجة. وانظر كلام الشيخ الألبانى – حفظه الله – عليه فى الضعيفة رقم (٥٨، ٦١) وحكم عليه بالوضع هناك، وانظر تخريج أحاديث المختصر للحافظ ابن حجر (١ / ١٤٥ – ١٤٨).

وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ

الأمهات، وعن ابن مسعود أنه قال: المستقر: أرحام الأمهات، والمستودع: القبور، وفيه قول ثالث: أن المراد بالمستقر الدنيا والمستودع: الآخرة، ويقرأ: «فمستقِر» بكسر القاف[1]، وتقديره: فمنكم مستقر، ومنه مستودع ﴿قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء، فأخرجنا منه خضرا﴾ هو الغصن الطرى ﴿نخرج منه حبا متراكبا﴾ أى: متراكما بعضه على بعض ﴿ومن النخل من طلعها قنوان دانية﴾ الطلع: ما يخرج من شجر النخل، والقنوان: العذوق، واحدها: قنو، والعذق: أصل الشجرة، والعذق: الكباسة، والعذق والقنو واحد، وقال الشاعر:

أثيث كقنوِ النخلةِ المتعثكلِ

وقال أيضا:

فأثت أعاليه (ودقت)[2] أصولــــه (يميل به قنو)[3] من البسر أحمرا

وأما «الدانية» قال البراء بن عازب: ﴿قنوان دانية﴾ أى: قريبة المتناول، وفيه حذف وتقديره: قنوان دانية وغير دانية أى: قريبة، المتناول وبعيدة المتناول، فحذف أحدهما اختصاراً؛ لسبقه إلى الأفهام، ومثله قوله: ﴿سرابيل تقيكم الحر﴾[4] وتقديره: تقيكم الحر والبرد، قوله: ﴿وجنات من أعناب﴾ يقرأ بكسر التاء، ورفعها ﴿والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه﴾ أى: مشتبها يشبه بعضه بعضا فى الورق، وغير متشابه فى الثمر والطعم، وهكذا يكون الزيتون مع الرمان، فإن ورق الزيتون يشبه ورق الرمان، وقيل: تكون أوراقه إلى أصل الشجرة كأوراق الرمان، ثم يخالف

(١) وهى قراءة ابن كثير، وأبو عمرو، وروح. انظر النشر (٢ / ٢٦٠).
(٢) فى تفسير الطبرى: وآدت.
(٣) فى تفسير الطبرى: ومال بقنوان.
(٤) النحل: ٨١.

مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ

الرمان في الطعم، فهذا معنى قوله: ﴿ مشتبها وغير متشابه ﴾، ﴿ انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه ﴾ أى: في نضجه، ومنه قول الحجاج حيث خطب، وقال: إني أرى رءوسا قد أينعت، وآن قطافها، وأنا والله صاحبها، وأرى دماء ترقرق بين اللحى والعمائم ﴿ إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون ﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ وجعلوا لله شركاء الجن ﴾ وذلك أنهم كانوا يقولون: إن الملائكة بنات الله من سروات الجن ﴿ وخلقهم ﴾ قيل: إن الآية راجعة إلى الجن، وقيل: راجعة إلى الكفار يعني: أنهم يقولون ذلك ﴿ وخلقهم ﴾ وقرأ يحيى بن يعمر: «وخلْقهم» بجزم اللام، وهو في الشواذ.

﴿ وخرقوا له بنين وبنات بغير علم ﴾ يقرأ مخففا ومشددا[1] والخرق: الاختلاق، والتخريق: التكثير منه، يعني: واختلقوا له بنين وبنات، وذلك مثل قول اليهود: عزير ابن الله، ومثل قول النصارى: المسيح ابن الله، ومثل قول بعضهم: الملائكة بنات الله ﴿ سبحانه وتعالى عما يصفون ﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ بديع السموات والأرض ﴾ أى: مبدع السموات والأرض، وهو الخالق لاعلى مثال سبق، ومنه المبتدعة، ولايكون الولد إلا من الصاحبة؛ فهذا معنى قوله: ﴿ أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء ﴾ وفيه أيضا دليل على أن لا ولد له؛ لأنه إذا كان خلق كل شيء؛ لم يصلح شيء أن يكون ولدا له؛ إذ المخلوق لايصلح ولدا للخالق؛ فإن ولد كل أحد يكون من جنسه ﴿ وهو بكل شيء عليم ﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء ﴾ أكدّ ما سبق

(١) قرأ نافع، وأبو جعفر بالتشديد، وقرأ الباقون بالتخفيف، انظر النشر (٢ / ٢٦١).

كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ

ذكره من نعت الوحدانية ﴿فاعبدوه﴾ أى: فأطيعوه ﴿وهو على كل شىء وكيل﴾ قيل: هو الكفيل بالأرزاق، وقيل: الوكيل هاهنا بمعنى: القائم بخلق كل شىء وتدبيره.

قوله - تعالى -: ﴿لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾ واستدل بهذه الآية من يعتقد نفى الرؤية، قالوا: لما (تمدح)(١) بأنه لاتدركه الأبصار؛ فمدحه يكون على الأبد فى الدنيا والآخرة. واعلم أن الرؤية حق على مذهب أهل السنة، وقد ورد به القرآن والسنة.

قال الله - تعالى -: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾(٢) وقال: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾(٣).

وقال: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه﴾(٤) ونحو هذا، وروى جرير بن عبد الله البجلى، وغيره بروايات صحيحة عن النبى ﷺ أنه قال: «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب، لاتضامون فى رؤيته»(٥) ويروون: «لاتضارون فى رؤيته».

فأما قوله - تعالى -: ﴿لاتدركه الأبصار﴾ فالإدراك غير الرؤية؛ لأَنَّ الإدراك: هو الوقوف على كُنه الشىء وحقيقته، والرؤية: هى المعاينة، وقد تكون الرؤية بلا إدراك، قال الله - تعالى - فى قصة موسى: ﴿فلما تراءا الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا﴾(٦) فنفى الإدراك مع إثبات الرؤية، وإذا كان الإدراك غير الرؤية، فالله - تعالى - يجوز أن يرى، ولكن لايدرك كنهه؛ إذ لا كُنْهَ له حتى يدرك؛ وهذا

(١) فى «ك»: مدح.

(٢) القيامة: ٢٣.

(٣) المطففين: ١٥.

(٤) الكهف: ١١٠

(٥) متفق عليه، رواه البخارى (٢/ ٤٠/رقم ٥٥٤) وانظر أطرافه هناك، ومسلم (٥/١٨٧ - ١٨٨/ رقم ٦٣٣).

(٦) الشعراء: ٦١ - ٦٢.

الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ

كما أنه يعلم ويعرف ولايحاط به، كما قال: ﴿ ولايحيطون به علما ﴾(١) فنفى الإحاطة مع ثبوت العلم، وقال ابن عباس - حكاه مقاتل عنه، والأول قول الزجاج -: معنى قوله: ﴿ لاتدركه الأبصار ﴾ يعنى: فى الدنيا، هو يرى الخلق، ولايراه الخلق فى الدنيا بدليل قوله - تعالى -: ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾(٢) فكما أثبتت الرؤية بتلك الآية فى الآخرة؛ دلّ أن المراد بهذه الآية الإدراك فى الدنيا؛ ليكون جمعا بين الآيتين ﴿ وهو اللطيف الخبير ﴾ اللطيف: موصل الشيء باللين والرفق، ويقال فى الدعاء: « ربّ الطف بى » أى: أوصل إلى بالرفق، وقيل: معناه: وهو اللطيف بأوليائه وعباده الخبير بهم.

قوله - تعالى -: ﴿ قد جاءكم بصائر من ربكم ﴾ البصائر: البينات ﴿ فمن أبصر فلنفسه ﴾ يعنى: نفع بصره له ﴿ ومن عمى فعليها ﴾ أى: وبال العمى عليها ﴿ وما أنا عليكم بحفيظ ﴾ أى: ما أمرت أن ألازمكم حتى تسلموا لامحالة، قيل: هذا كان فى الابتداء، ثم صار منسوخا بآية السيف.

قوله - تعالى -: ﴿ وكذلك نصرف الآيات ﴾ أى: نفصل الآيات، مرة هكذا، ومرة هكذا ﴿ وليقولوا درست ﴾ قيل: هذه « لام العاقبة » أى: عاقبة أمرهم أن يقولوا: درست، وهذا مثل قوله - تعالى -: ﴿ فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا ﴾(٣) ومعلوم أنهم لم يلتقطوه لهذا، ولكن أراد أن عاقبة أمره معهم أن كان عدوا لهم؛ فيسمون ذلك لام العاقبة، كذلك ها هنا، وقوله: ﴿ درست ﴾ يقرأ على وجوه: « دَرَسْتَ » أى: تعلمت من غيرك، وكانوا يقولون: إنه تعلم أخبار القرون الماضية من جبر، ويسار، وكانا عبدين سبيا من الروم، ويقرأ « دارست » أى تاليت وقاربت، وهو

---

(١) طه: ١١٠.

(٢) القيامة: ٢٢ - ٢٣ .

(٣) القصص: ٨.

وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ

من المدارسة بين اثنين يدرس أحدهما على الآخر، وقرأ ابن عامر «دَرَسَتْ» أى: تلك أخبار قد درست ومحيت، ويقرأ فى الشواذ «وليقولوا دُرِسَتْ» بمعنى: محيت، قرأه قتادة، وفى حرف أبى بن كعب وابن مسعود «وليقولوا دَرَسَ»(١) يعنى: درس محمد، وهو بمعنى: تعلّم، كما بيّنا ﴿ولنبينه لقوم يعلمون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿اتبع ما أوحى إليك من ربك﴾ يعنى: القرآن ﴿لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ولو شاء الله ما أشركوا﴾ وهذا دليل على القدرية ﴿وما جعلناك عليهم حفيظا﴾ قد بيّنا معناه ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾.

قوله: ﴿ولاتسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم﴾ ويقرأ: «عُدُوًّا بغير علم»(٢) ومعناهما واحد أى: اعتداءً بغير علم، وسبب نزول الآية: أن الكفار كانوا يقولون لرسول الله: ذرنا وآلهتنا؛ حتى نذرك وإلهك - وكان يذكر آلهتهم بالسوء - فنزلت الآية وروى: «أن قوما من كفار قريش من رؤسائهم جاءوا إلى أبى طالب، وقالوا: مر ابن أخيك يذرنا وآلهتنا حتى نذره وإلهه، فدعا رسول الله ﷺ، وقال: إن قومك جاءوا يطلبون منك النصفة، فقال: وماذا يريدون؟ فقال أبو طالب: يقولون: ذرنا وآلهتنا، ونذرك وإلهك؛ فقال رسول الله ﷺ: هل أنتم معطى كلمة إن أنتم قلتموها دانت لكم العرب، وأدّت إليكم العجم الجزية؟ فقالوا: وما [هى](٣)؟ قال: كلمة لا إله إلا الله. فنفروا، وقالوا: ﴿أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشىء

(١) انظر النشر (٢ / ٢٦١).

(٢) وهى قراءة يعقوب، انظر المصدر السابق.

(٣) كذا فى «ك»، وفى «الأصل»: ذلك.

زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا

عجاب ﴾(١)»(٢) فقوله: ﴿ ولاتسبوا الذين يدعون من دون الله ﴾ وإن كان ظاهره للنهى عن سب الأصنام، ولكن معناه: النهى عن سب الله - تعالى - حتى لاتسب آلهتهم؛ فيسبوا الله. وهذا مثل قوله ﷺ: «لايسب أحدكم والديه؟! قيل: يارسول الله، ومن يسب والديه؛ قال: يسب والدى غيره؛ فيسب والداه»(٣) ﴿ كذلك زيّنا لكل أمة عملهم ﴾ للمؤمنين إيمانهم وللكافرين كفرهم ﴿ ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون ﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ﴾ كانوا يطلبون الآيات، ويحلفون أنها لو جاءت آمنوا بها.

﴿ قل إنما الآيات عند الله ﴾ أى: الآيات (بيدى)(٤) الله، والله قادر على إنزالها.

﴿ وما يشعركم أنها إذا جاءت لايؤمنون ﴾ فقوله: «أنها» يقرأ على وجهين: بكسر الهمزة، وفتحها(٥)؛ فمن قرأ: «إنها» فعلى الإبتداء، واختلفوا فى معنى قوله: ﴿ وما يشعركم ﴾ أنه خطاب لمن؟ قال بعضهم: هو خطاب للكفار، ومعناه: وما يشعركم أيها الكفار أنها لو جاءت آمنتم؟ ثم ابتدأ، فقال: إنها إذا جاءت لايؤمنون.

وقيل: إنه خطاب للمؤمنين، ومعناه: وما يدريكم أنها لو جاءت آمنوا بها، إذ كان

---

(١) ص: ٥.

(٢) أخرجه الطبرى فى تفسيره (٧/ ٢٠٧ - ٢٠٨)، وذكره الواحدى فى أسباب النزول (ص١٦٦) عن السدى. وعزاه السيوطى فى الدر (٣/ ٤٢) لابن أبى حاتم فى تفسيره.

(٣) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو بنحوه. أخرجه البخارى (١٠/ ٤١٧/ رقم ٥٩٧٣) ومسلم (٢/ ١١٠/رقم ٩٠).

(٤) فى «ك»: بيد.

(٥) قرأ ابن كثير، ويعقوب، وأبو عمرو، وخلف بكسرها، وقرأ الباقون بفتحها، واختلف على أبى بكر فيها. انظر النشر (٢/ ٢٦١).

إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ

المؤمنون يسألون رسول الله ﷺ أن يدعو الله – تعالى – حتى يريهم آية؛ كي يؤمنوا، فقال: وما يشعركم أنها لو جاءت آمنوا بها؟ ثم ابتدأ، وقال: إنها إذا جاءت لايؤمنون، وهذا في قوم مخصوصين علم الله أنهم لايؤمنون.

وأما من قرأ «أنها» بفتح الهمزة؛ فاختلفوا في معناه، قال الكسائي: لاصلة هاهنا وتقديره: وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون، وقيل: «أنها» بمعنى: «لعلها» كما قال الشاعر:

أريني جوادا مات هزلا (فإنني)[1] أرى ما [ترين][2] أو بخيلا مخلدا

ومعناه: لعلي أرى ما تريني، كذلك هذا، ومعناه: وما يشعركم لعلها إذا جاءت لايؤمنون، وقيل: فيه حذف، وتقديره: وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون أو لايؤمنون.

قوله – تعالى –: ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم﴾ أي: نقلب أفئدتهم كيلا يدركوا، وأبصارهم؛ كيلا يبصروا؛ فلا يؤمنون ﴿كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون﴾.

قوله – تعالى –: ﴿ولو أننا نزّلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى﴾ نزلت الآية على ما اقترحوا من الآيات، فكانوا قد اقترحوا هذا كله، قالوا: لن نؤمن بك حتى تنزل علينا كتابا من السماء يحمله أربعون من الملائكة، وسألوا إحياء الموتى، وقالوا: ادع الله حتى يحشر قصيا – يعنون قصي بن كلاب – فإنه شيخ مبارك؛ حتى نشهد لك بالنبوة، فنزلت الآية ﴿ولو أننا نزّلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا﴾ قال مجاهد: القبل: جمع القبيل، ومعناه: فوجا فوجا، وقال غيره: قبلا

(١) في تفسير القرطبي (٧/ ٦٤): لأنني.

(٢) في «الأصل»، «ك»: تريني، وما أثبتناه من تفسير القرطبي.

وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ

أى: مقابلة، ويقرأ: «قِبَلاً» بكسر القاف وفتح الباء[١] أى: عيانا ﴿ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون﴾ وفى الآية دليل واضح على أهل القدر.

قوله - تعالى -: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا﴾ أى: أعداء، والعدو: اسم للواحد والجمع ﴿شياطين الإنس والجن﴾ وقرأ الأعمش: «شياطين الجن والإنس» والشيطان كل عات متمرد، سواء كان من الإنس أو من الجن، وروى أن النبى ﷺ قال لأبى ذر: «تعّوذ بالله من شياطين الإنس. قال أبو ذر: قلت: ومن الإنس شياطين؟ فقال - عليه السلام - نعم، وتلا هذه الآية»[٢].

وحكى عن مالك بن دينار أنه قال: خوفى من شيطان الإنس أكبر من خوفى من شيطان الجن؛ لأن الجنى يذهب إذا ذكرت الله، (والإنسى)[٣] يجرنى إلى المعاصى.

﴿يوحى بعضهم إلى بعض﴾ أى: يلقى بعضهم إلى بعض.

﴿زخرف القول غرورا﴾ زخرف القول: هو قول مزين لامعنى تحته، والغرور: القول الباطل ﴿ولو شاء ربك ما فعلوه﴾ أى: ما ألقت الشياطين الوسوسة فى القلوب. ﴿فذرهم وما يفترون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ولتصغى إليه أفئدة الذين لايؤمنون بالآخرة﴾ وهذا يرجع إلى ما سبق من قوله: ﴿زينا لكل أمة عملهم﴾ ﴿لتصغى إليه﴾ والهاء كناية عن زخرف القول؛ يعنى: لتميل إليه قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة، وقيل: اللام فيه لام العاقبة، كما بيّنا.

---

(١) هى قراءة: نافع، وأبى جعفر، وابن عامر. انظر النشر (٢ / ٢٦٢).

(٢) تقدم تخريجه فى أواخر سورة النساء، وهو حديث عدد الأنبياء والمرسلين.

(٣) فى «ك»: والجنى. وهو خطأ.

أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن

﴿ وليرضوه وليقترفوا ماهم مقترفون ﴾ قال الزجاج: أى: ليعملوا من الذنوب ما كانوا عاملين.

قوله – تعالى –: ﴿ أفغير الله أبتغى حكما ﴾ لأنهم كانوا يقولون للنبى ﷺ اجعل بيننا وبينك حكما؛ وأجابهم بقوله: أفغير الله ابتغى حكما؟!.

﴿ وهو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصلا ﴾ يعنى: خمسا خمسا، وعشرا عشرا وهذا مثل قوله – تعالى –: ﴿ وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ﴾[1] أى: فصلناه؛ لنُثَبِّت به فؤادك.

﴿ والذين آتيناهم الكتاب ﴾ يعنى: اليهود والنصارى ﴿ يعلمون أنه منزل من ربك بالحق ﴾ يعنى: القرآن ﴿ فلا تكونن من الممترين ﴾ ﴿ وتمت كلمة ربك ﴾ يعنى بالكلمة: أمره ونهيه، ووعده ووعيده، والأحكام والآيات. ﴿ صدقا وعدلا ﴾ صدقا فى الوعد والوعيد، وعدلا فى الأمر والنهى .

قال قتادة: صدقا فيما وعد، وعدلا فيما حكم ﴿ لامبدل لكلماته وهو السميع العليم ﴾.

قوله – تعالى –: ﴿ وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله ﴾ وذلك أن أكثر أهل الأرض كانوا على الضلالة، وقيل: أراد به: إن تطعهم فيما يجادلون من تحليل الميتة وأكلها ﴿ يضلوك عن سبيل الله ﴾ على ما سيأتى.

﴿ إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون ﴾ أى: يكذبون.

قوله – تعالى –: ﴿ إن ربك هو أعلم من يضلُّ عن سبيله ﴾ قيل: هذا فى عمرو

(١) الفرقان: ٣٢.

سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ
عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ
مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ
إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ

ابن لحى، وهو أول من غير دين إبراهيم ﴿ وهو أعلم بالمهتدين ﴾ .

قوله – تعالى – : ﴿ فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين ﴾ أى : كلوا ما ذبح على اسم الله ﴿ ومالكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه ﴾ وذلك أن المشركين كانوا يجادلون المسلمين، ويقولون : إنكم تأكلون مما تقتلون، ولاتأكلون مما قتله الله، وكانوا يدعونهم إلى أكل الميتة واستحلالها؛ فنزلت هذه الآيات » .

﴿ وقد فصّل لكم ما حرّم عليكم ﴾ هو تفصيل ما عد من المحرمات : من الميتة، والدم، ولحم الخنزير، ونحوه فى القرآن، وقرأ عطية : « وقد فَصَلَ لكم » مخففا؛ أى : ظهر لكم، وهو مثل ما يقرأ فى قوله : ﴿ أحكمت آياته ثم فصلت ﴾(١) مخففا ﴿ وقد فصل لكم ماحرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم بالمعتدين ﴾ .

قوله – تعالى – : ﴿ وذروا ظاهر الإثم وباطنه ﴾ قيل : ظاهر الإثم : هو الزنا علنا، وباطنه هو الزنا سرا، وكان أشراف العرب يتكرمون من الزنا علانية ويزنون سرا، (فالآية)(٢) فى النهى عنهما جميعا، قال قتادة : أراد به : النهى عن كل المعاصى سرا وجهرا، وفى الآية سوى هذا أقوال ثلاثة :

أحدها : أن ظاهر الإثم هو : نكاح المحارم، وباطنه : الزنا .

والثانى : أن ظاهر الإثم : كشف العورة، وباطنه : الزنا .

والثالث : أن ظاهر الإثم : هو الذى تقترفه الجوارح، وباطنه الذى يعقد القلب

(١) هود : ٢ .

(٢) فى « ك » : فى الآية .

﴿١١٩﴾ وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ
﴿١٢٠﴾ وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ
أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ

عليه، كالمصر على الذنب القاصد له.

﴿إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون﴾ أى: جزاء ماكانوا يقترفون، والإقتراف: اكتساب الذنب.

قوله ﴿ولاتأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾ قال ابن عباس: الآية فى الميتات، ومافى معناها من المنخنقة وغيرها، وقال عطاء: الآية فى الذبائح التى كانوا يذبحونها على اسم الأصنام لا على اسم الله - تعالى -.

وفيه قول ثالث: أن الآية: فى متروك التسمية كما يقتضيه الظاهر، ثم اختلف العلماء فى متروك التسمية، قال الشعبى، وابن سيرين: لاتحل، سواء ترك التسمية عامدا أو ناسيا، وقال عطاء، وسعيد بن جبير: إن ترك التسمية عامدا لاتحل، وإن تركها ناسيا تحل، والأول قول مالك، والصحيح أن الآية فى الميتات؛ لأنه قال: ﴿وإنه لفسق﴾ وإنما يفسق بأكل الميتة.

وقال: ﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم﴾ ومجادلتهم كانت فى أكل الميتة؛ فإنهم كانوا يقولون: إنكم تأكلون مما قتلتموه، ولا تأكلون مما قتله الله - تعالى - فنزلت الآية.

﴿وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾ يعنى: باستحلال الميتة، قال الزجاج: فى هذا دليل على أن استحلال الحرام، وتحريم الحلال يوجب الكفر، وفى الآثار: «أن ابن عباس سئل، فقيل له: إن المختار بن أبى عبيد يزعم أنه يوحى إليه، فقال ابن عباس: صدق؛ فإن الله - تعالى - يقول: ﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم﴾.

وفى الخبر أن النبى ﷺ قال: «يخرج من ثقيف رجلان: كذاب، ومبير مهلك»(١)

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه (١٦/١٥٠/رقم ٢٥٤٥)، والحميدى فى مسنده (١/١٥٦ - ١٥٧/ رقم ٣٢٦)، وأحمد فى مسنده (٦/٣٥٢)، والبيهقى فى الدلائل (٦/٤٨١، ٤٨٢)، وأبو نعيم فى الحلية (١/٣٢٤) كلهم من حديث أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها.
ورواه أحمد فى مسنده (٢/٢٦)، والترمذى (٤/٤٣٢ - ٤٣٣/ رقم ٢٢٢٠)، (٥/٦٨٦/رقم ٣٩٤٥) والبيهقى فى الدلائل (٦/٤٨٢) من حديث ابن عمر - رضى الله عنهما -.

وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا

فالكذاب: هو المختار، و المبير: هو الحجاج.

قوله - تعالى -: ﴿أو من كان ميتا فأحييناه﴾ قال مجاهد: معناه: من كان ضالا فهديناه ﴿وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس﴾ أى: نور الإسلام، يعيش به بين المسلمين ﴿كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها﴾ المثل صلة هاهنا، وتقديره: كمن هو فى ظلمات، أى: فى ظلمات الشرك لايخرج منها أبدا، قال الضحاك: هذا فى عمر وأبى جهل، وقال ابن عباس: فى عمار بن ياسر وأبى جهل، وقيل: هو فى حمزة وأبى جهل.

وفى الآية قول آخر: أن معناه: أو من كان ميتا بالجهل؛ فأحييناه بالعلم، وكل جاهل ميت، وكل عالم حى، قال الشاعر:

وفى الجهل قبل الموت موت لأهله … وأجسامهم قبل القبور قبور
وإن امرأ لم يحى بالعلم ميت … وليس له قبل النشور نشور

﴿كذلك زين للكافرين ماكانوا يعملون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها﴾ تقديره: جعلنا فى كل قرية مجرميها أكابر، ومعناه: إنا كما جعلنا مجرمى مكة أكابر، فكذلك جعلنا فى كل قرية مجرميها أكابر، وهذه سنة الله فى كل قرية، ومن سننه: أنه جعل ضعفاءهم أتباع الأنبياء، كما قال فى قصة نوح: ﴿واتبعك الأرذلون﴾(١) وروى: «أن هرقل سأل أبا سفيان بن حرب - حين قدم عليه - عن حال النبى ﷺ، فكان فيما سأله عنه أنه قال: من أتباعه ضعفاؤهم أم العلية؟ فقال أبو سفيان: بل ضعفاؤهم؛ فقال هرقل: هم أتباع الأنبياء»(٢) و فى الخبر قصة، وهو فى الصحيح.

(١) الشعراء: ١١١.
(٢) متفق عليه من حديث ابن عباس، أخرجه البخارى فى صحيحه (١/ ٤٢ - ٤٤/رقم ٧) وانظر أطرافه هناك. ومسلم فى صحيحه (١٢/ ١٤٧ - ١٥٧/ رقم ١٧٧٣).

فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ

﴿ ليمكروا فيها ﴾ وكان من مكر أهل مكة أنهم جعلوا على كل طريق من طرق مكة أربعة نفر؛ حتى يقولوا لكل من يقدم: [إياك](١) وهذا الرجل فإنه كاهن ساحر كذاب ﴿ وما يمكرون إلا بأنفسهم ﴾ أى: وباله يرجع إليهم ﴿ وما يشعرون ﴾.

قوله تعالى: ﴿ وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله ﴾ أى: لانؤمن حتى يوحى إلينا كما يوحى إليه، وينزل علينا جبريل كما ينزل عليه، حتى روى أن الوليد بن المغيرة قال: إن كان الله يريد أن يبعث نبيا فأنا أولى بالنبوة؛ لأنى أكثر مالا، وأقدم سنا، وكذا كان يقول أكابرهم ورؤساؤهم؛ فنزلت الآية.

قوله - تعالى -: ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ يعنى: الله أعلم من أهل النبوة، وأن محمدا أهل الرسالة، ولستم بأهل الرسالة.

﴿ سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله ﴾ فيه معنيان:

أحدهما: قال الفراء: معناه: صغار من عند الله، و «من» محذوف.

قال البصريون: «من» لاتحذف ومعناه: صغار ثابت دائم عند الله ﴿ وعذاب شديد بما كانوا يمكرون ﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ﴾.

أى: يفتح قلبه حتى يدخل الإسلام ﴿ ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا ﴾.

ويقرأ: حرجا - بفتح الراء -(٢) يعنى: ذا حرج، وأما بالكسر فللمبالغة فى الضيق، وعن عمر أنه قال: سألت أعرابيا: ما الحرجة عندكم؟ فقال: شجرة ملتفة لاتصل إليها راعية ولاسائمة، فعلى هذا معنى الآية.

(١) فى «الأصل»: إياه.

(٢) قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو بكر، بكسر الراء، وقرأ الباقون بفتحها. انظر النشر (٢ / ٢٦٢).

لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا

﴿يجعل صدره ضيقا حرجا﴾ بحيث لايصل إليه الإيمان، ولايدخله الإسلام ﴿كأنما يصعد فى السماء﴾ يقرأ على وجوه: «يصَّعَّد» بتشديدين، ومعناه يتصعد، وكذا يقرأ فى الشواذ، وقرئ: «يَصَّاعَد» بتشديد الصاد بمعنى يتصاعد، وقرئ: «يَصْعَد مخففا من الصعود(1)، ومعنى الكل واحد.

وفى معناه قولان: أحدهما: أن معناه: كأنما يكلف الصعود فلا يستطيعه، وأصل الصعود: المشقة، وهو قوله - تعالى - ﴿سأرهقه صعودا﴾(2) أى: عقبة شاقة، ومنه قول عمر - رضى الله عنه - : ما تصعدنى شيء كما تصعدتنى خطبة النكاح، أى: ماشق علىّ شيء كما (شقت)(3) علىّ خطبة النكاح.

والقول الثانى: معنى قوله: ﴿كأنما يصعد فى السماء﴾ نَبْوَة(4) من الحكمة، وفرارا من القرآن.

﴿كذلك يجعل الله الرجس على الذين لايؤمنون﴾ الرجس: هو النتن، والرجز: العذاب، وفى الخبر: «أن النبى ﷺ كان إذا دخل الخلاء يقول: اللهم إنى أعوذ بك من الرجس النجس الخبيث المخبث من الشيطان الرجيم»(5) وقيل: اللعنة فى الدنيا، والعذاب فى الآخرة.

قوله - تعالى -: ﴿وهذا صراط ربك مستقيما﴾ يعنى: الإسلام ﴿قد فصلنا الآيات

(1) انظر المصدر السابق.
(2) المدثر: ١٧.
(3) فى «ك»: شق.
(4) النَّبْوَة: الجفوة، انظر لسان العرب (مادة: نبا).
(5) روى من حديث ابن عمر، وأنس، وعلى وبريدة، فأما حديث ابن عمر فقد رواه ابن السنى فى اليوم والليلة (ص ١٩) والطبرانى فى الدعاء (٢/ ٩٦٥/رقم ٣٦٧). وضعف الحافظ بن حجر إسناده فى نتائج الأفكار (١/ ١٩٨).
وأما حديث أنس، فقد رواه ابن السنى أيضاً (ص ١٧)، والطبرانى فى الدعاء (٢/ ٩٦٤/ رقم ٣٦٥) وقال الحافظ فى نتائج الأفكار (١/ ١٩٩) مداره على إسماعيل بن مسلم المكى وهو ضعيف.
وأما حديث على وبريدة فقد أخرجه ابن عدى فى الكامل (٢/ ٣٨٧) فيما استنكره على حفص بن عمر الفرخ. وقد تقدم تخريجه فى سورة المائدة.

الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ لَهُمْ دَارُ السَّلامِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ

لقوم يذكرون ﴾.

﴿ لهم دار السلام عند ربهم ﴾ السلام: هو الله - تعالى - ودار السلام الجنة، قال الزجاج: أراد بالسلام: السلامة، أى: لهم دار السلامة من الآفات.

﴿ وهو وليهم بما كانوا يعملون ﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ ويوم نحشرهم جميعا ﴾ أما حشر الجن والإنس: حق يجب الإيمان به ﴿ يامعشر الجن قد استكثرتم من الإنس ﴾ يعنى: استكثرتم من الإنس بالإغواء والإضلال ﴿ وقال أولياؤهم من الإنس ﴾ يعنى: الكفار وأولياء الشياطين يقولون يوم القيامة: ﴿ ربنا استمتع بعضنا ببعض ﴾ يعنى: استمتع الجن بالإنس، والإنس بالجن، قيل: استمتاع الجن بالإنس: تزيينهم لهم، وتسهيلهم طريق الغواية عليهم.

وأما [استمتاع][(١)] الإنس بالجن: طاعتهم، والجملة أن استمتاع الجن: بالأمر واستمتاع الإنس: بالقبول، وقيل: معناه: أن الرجل من العرب كان إذا نزل بوادٍ يقول: أعوذ بسيّد هذا الوادى من سفهاء قومه، ثم يبيت آمنا من تخبيل الجن، وهذا استمتاع الإنس بالجن، وأما استمتاع الجن بالإنس: أن ذلك الجنى الذى تعوذ به الإنسى يقول لقومه: إن الإنس يتعوذون بنا؛ (فنحن سادات الجن والإنس)[(٢)]، وهذا مبين فى قوله - تعالى - فى سورة الجن ﴿ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا ﴾[(٣)] أى: نخوة وتكبرا.

﴿ وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا ﴾ يعنى: أجل القيامة.

﴿ قال النار مثواكم ﴾ يعنى: يقول الله: النار مثواكم ﴿ خالدين فيها إلا ما شاء

(١) فى «الأصل» و «ك»: الاستمتاع.
(٢) تكررت فى «ك».
(٣) الجن: ٦.

فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ

الله﴾ فإن قال قائل: أليس أن الكافرين خالدون فى النار بأجمعهم، فما هذا الاستثناء؟

الجواب: قال الفراء: هو مثل قوله: ﴿خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك﴾(١) يعنى: من الزيادة على مدة دوام السموات والأرض؛ فهذا هو المراد بهذه الآية أيضا، وقيل: الاستثناء فى العذاب يعنى: خالدين فى نوع من العذاب إلا ما شاء الله من سائر العذاب.

وقيل: هو استثناء مدة البعث والحساب، لايعذبون فى وقت البعث والحساب ﴿إن ربك حكيم عليم﴾.

قوله - تعالى -: ﴿وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا﴾ يعنى: يجعل بعضهم على إثر بعض فى القيامة إلى النار. وقيل: هذا فى الدنيا، ومعناه: نأخذ من الظالم بالظالم، وذلك بتسليط بعضهم على البعض ﴿بما كانوا [يكسبون](٢)﴾ أى: جزاء بما كانوا يعملون.

قوله - تعالى -: ﴿يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم﴾ فإن قال قائل: ومن الجن رسل، كما يكون من الإنس؟

الجواب: قال الضحاك: بلى من الثقلين رسل، كما نطق به الكتاب. وقال مجاهد: الرسل من الإنس، وأما الجن فمنهم النذر، كما قال الله - تعالى -: ﴿ولوا إلى قومهم منذرين﴾(٣) فعلى هذا للآية معنيان: أحدهما أن قوله: ﴿رسل منكم﴾ ينصرف إلى أحد الصنفين، وهو الإنس، ومثله قوله - تعالى -: ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾(٤) والمراد: أحد البحرين، المالح دون العذب.

(١) هود: ١٠٧، ١٠٨.
(٢) فى «الأصل» و«ك»: يعملون.
(٣) الأحقاف: ٢٩.
(٤) الرحمن: ٢٢.

آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ
بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ
﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا
أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَا

والثانى: أن الرسل من الصنفين، إلا أنه عبّر بالرسل عن النذر من الجن بطريق المعنى؛ لأن النذير فى معنى الرسول.

﴿يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا﴾ وذلك حين تنطق جوارحهم ﴿وغرتهم الحياة الدنيا﴾ هذا من قول الله - تعالى - اعترض فى - البين - ﴿وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين﴾.

قوله تعالى: ﴿ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون﴾ يعنى: ذلك من إرسال الرسل وإنزال الكتب؛ إنما كان لأن الله - تعالى - لايهلك قرية قبل بعث الرسول إليها، وإنذارها بالوحى؛ وذلك لأن الله - تعالى - أجرى سنته: أن لايأخذ أحدا بالذنب إلا بعد وجود الذنب، وإنما يكون مذنبا إذا أُمِر فلم يأتمر، ونهى فلم ينته، ودُعى فلم يجب.

قوله - تعالى -: ﴿ولكل درجات مما عملوا﴾ أى: درجات فى الجزاء مما عملوا ﴿وما ربك بغافل﴾ - أى: بساه - ﴿عما يعملون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿وربك الغنى ذو الرحمة إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء﴾ يعنى: إن يشأ يهلككم، ويستخلف [من][1] بعدكم من يشاء ﴿كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين﴾ بأن (أهلكهم)[2] وأنشأكم من بعدهم ﴿إن ما توعدون لآت﴾ أى: كل موعود كائن ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ أى: فائتين عنه.

(قوله تعالى)[3]: ﴿قل ياقوم اعملوا على مكانتكم﴾ يعنى: على تمكنكم،

(١) من «ك».
(٢) فى «ك»: أهلككم. وهو خطأ.
(٣) ليست فى «ك».

قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ

وقيل: على ما أنتم عليه، وهذا أمر تهديد، كقوله: ﴿اعملوا ما شئتم﴾[1] فكذلك قوله ﴿اعملوا على مكانتكم إنى عامل﴾.

﴿فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار﴾ أى: من يكون له الأمر فى العاقبة ﴿إنه لايفلح الظالمون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا﴾ وكانوا يُقَسِّمون الحرث، فيجعلون لله نصيبا، وللأصنام نصيبا، ويُقَسِّمون الأنعام، فيجعلون لله نصيبا، وللأصنام نصيبا، ثم ما جعلوا لله، صرفوه للفقراء والمساكين، وماجعلوا للأصنام أنفقوه على الأصنام، وعلى خدم الأصنام؛ فهذا معنى قوله: ﴿فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا﴾ فأما قوله: ﴿فما كان لشركائهم فلايصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم﴾ معنى هذا: أنهم كانوا إذا قسموا الحرث والأنعام كما وصفنا، فإذا سقط مما جعلوا لله من الحرث شىء فيما جعلوه للأصنام تركوه، وإذا سقط شىء من نصيب الأصنام، فيما جعلوه لله ردوه إلى نصيب الأصنام، وكان إذا هلك أو انتقص مما جعلوا لله من الأنعام شىء؛ لم يبالوا به، وكان إذا هلك أو انتقص من نصيب الأصنام، جبروه مما جعلوه لله، وقالوا: الله غنى،والصنم محتاج، وكانوا إذا أجدبوا وقحطوا؛ أكلوا مما جعلوه لله، ولم يأكلوا من نصيب الأصنام.

وقوله: ﴿ساء ما يحكمون﴾ أى: لم يأتهم فيه وحى، ولايقتضيه عقل؛ فإن القياس يقتضى التسوية - على زعمهم - بين الشريكين، لا ما حكموا به.

قوله - تعالى -: ﴿وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم﴾ يعنى: كما زين هذا لأولئك القوم، فقد زين لكثير من المشركين قتل أولادهم

(١) فصلت: ٤٠.

شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ
﴿١٣٧﴾ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لاَّ يَطْعَمُهَا إِلاَّ مَن نَّشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ
ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ
﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن

شركاؤهم من وأد البنات على ما سنبين ﴿ليردوهم﴾ ليهلكوهم. ﴿وليلبسوا عليهم دينهم﴾ أى: ليخلطوا عليهم دينهم؛ إذ كانوا على بقية من ملة إبراهيم فَلَبسُّوا عليهم دينهم بما ليس منه ﴿ولو شاء (الله)(١) ما فعلوه فذرهم وما يفترون﴾.

قوله – تعالى –: ﴿وقالوا هذه أنعام وحرث حجر﴾ أى: حرام ﴿لا (يطعمها) إلا من نشاء بزعمهم﴾ ثم بين (تحريمهم)(٢)؛ فقال ﴿لايطعمها إلا من نشاء﴾ يعنى: من خدم الأصنام، وقيل: هو تحريم البحيرة والسائبة على الإناث، ولا يطعمها إلا الذكور.

﴿وأنعام حرمت ظهورها﴾ هى الحوامى التى ذكرنا فى المائدة، كانوا يقولون: حمت ظهرها ﴿وأنعام لايذكرون اسم الله عليها﴾ قيل: ذبائح كانوا يذبحونها باسم الأصنام لا باسم الله – تعالى – وقيل معناه: أنهم لايركبون عليها لفعل الخير. قال أبو وائل شقيق بن سلمة: معناه: أنهم لايحجون عليها ولايركبونها لفعل الحج، إلا أنه جرت العادة بذكر اسم الله على فعل الخير، فعبّر بذكر اسم الله عن فعل الخير؛ فقال: ﴿وأنعام لايذكرون اسم الله عليها افتراء عليه﴾ يعنى: افتراء على الله ﴿سيجزيهم بما كانوا يفترون﴾ أى: جزاء ماكانوا (يكذبون)(٣).

قوله – تعالى –: ﴿وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا﴾ يعنى: الأجنة حلال لذكورنا، وقرأ الأعمش: «خالص لذكورنا» قال الكسائى: خالص وخالصة واحد، كما يقال: وعظ وموعظة، وله نظائر ﴿ومحرم على أزواجنا﴾ أى: على نسائنا أرادوا به ما سبق ذكره من أولاد البحيرة والوصيلة.

﴿وإن يكن ميتة﴾ يعنى: وإن يكن ما فى البطن ميتة ﴿فهم فيه شركاء﴾ يعنى:

(١) فى «ك»: ربك.
(٢) فى «ك»: تحريمها.
(٣) فى «ك»: يفترون.

مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ

الذكور والإناث، ويقرأ «وإن تكن ميتة»(1) ﴿فهم فيه شركاء﴾ ﴿سيجزيهم وصفهم﴾. أى: جزاء كذبهم ﴿إنه حكيم عليم﴾.

﴿قد خسر الذين قتلوا أولادهم﴾ أى: هلك وغبن الذين قتلوا أولادهم وذلك من وأد البنات، وكانوا فى الجاهلية يدفنون البنات حيّة، حتى كان الرجل منهم يقتل ولده، ويربى كلبه. وكان البعض يفعل ذلك دون البعض، وقيل: كان ذلك فى قبيلتين: ربيعة، ومضر، كانا يدفنان البنات وهن حيات، فأما بنو كنانة وسائرهم ماكانوا يفعلون ذلك.

﴿سفها بغير علم﴾ أى: جهلا لا عن بصيرة ﴿وحرّموا مارزقهم الله﴾ (وهو)(2) ما ذكرنا من تحريم أولاد البحيرة، والوصيلة ونحو ذلك (من)(3) الحوامى، حرموها تدينا ﴿افتراء على الله﴾ لأنهم كانوا يدعونه دينا من الله - تعالى - وقد كذبوا فى ذلك عليه ﴿قد ضلوا وما كانوا مهتدين﴾.

قوله - تعالى -: ﴿وهو الذى أنشأ جنات﴾ الجنات: البساتين ﴿معروشات﴾ أى: ذات عروش، والعرش: السقف، والكروم ذات سقوف ﴿وغير معروشات﴾ ومنها ما لا سقف له، وكذلك سائر الأشجار ﴿والنخل والزرع مختلفا أكله﴾ أى: ثمره.

﴿والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه﴾ أى: متشابها فى [المنظر](4)، يشبه أحدهما الآخر فى الورق، وغير متشابه فى الثمر والطعم، وقد بينا هذا، وقيل: هو

---

(1) وهى قراءة ابن عامر، وأبى جعفر. انظر النشر (2 / 265).

(2) فى «ك»: على.

(3) فى «ك»: و.

(4) فى «الأصل» و «ك»: النظر.

يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا

راجع إلى ما سبق ذكره من الكرم، والنخل، والأشجار، فإن بعضها يشبه بعضا فى الورق والثمر والطعم،ومنها ما يخالف بعضه بعضا.

﴿كلوا من ثمره إذا أثمر﴾ هذا أمر إباحة ﴿وآتوا حقه يوم حصاده﴾ والقطاف، ويقرأ: «حِصاده» بكسر الحاء[1]، قيل: الحَصاد والحِصاد واحد، كالجَزاء والجِزاء، والقَطاف والقِطاف، ثم اختلف العلماء فى هذا الحق ماهو؟ قال ابن عمر، وأبو الدرداء -وهو قول عطاء ومجاهد -: إن هذا الحق كان حقا فى المال سوى العشر المفروض، وأمر بإتيانه.

قال ابن عباس، وأنس - وهو قول الحسن فى إحدى الروايتين عنه -: إنه أراد به إيتاء العشر المفروض، وعن الحسن - فى رواية أخرى وهو قول النخعى، وسعيد بن جبير -: أن هذا حق كان يؤمر بإتيانه فى ابتداء الإسلام، ثم صار منسوخا بإيجاب العشر، والقول الأول أولى؛ لأن الآية مكية، والزكاة فرضت من بعد بالمدينة، فحمله على حق سوى الزكاة أولى[2].

﴿ولاتسرفوا﴾ أى: لاتنفقوا الأموال فى معصية الله، وكل من أنفق فى معصية فهو مسرف، وقيل: هو إعطاء الكل، وذلك أن يعمد الرجل إلى جميع زرعه ونخله فيعطى الكل، ويترك عياله عالة. وروى: «أن ثابت بن قيس بن شماس صرم خمسمائة نخلة كانت له، فأعطى الكل؛ فنزلت الآية ﴿ولاتسرفوا إنه لايحب المسرفين﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ومن الأنعام حمولة وفرشا﴾ أى: وأنشأ من الأنعام حمولة وفرشا، قال مجاهد: الحمولة: الإبل الكبار التى يحمل عليها، والفرش: الصغار، وقال الضحاك: الحمولة: الإبل والبقر، والفرش: [الغنم][3]، قال الشاعر:

---

(١) قرأ ابن عامر، ويعقوب، وأبو عمرو، وعاصم: بفتح الحاء، وقرأ الباقون بكسرها - انظر النشر (٢ / ٢٦٦).

(٢) وفى هذا الترجيح نظر، فتأمل.!

(٣) فى «الأصل، وك»: والغنم.

مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ

أَوْرَثَنى حَمْـولةً وفرشَـا أمسُّها فى كـلِّ يومٍ مسّا

أى: أمسحها فى كل يوم ﴿كلوا مما رزقكم الله ولاتتبعوا خطوات الشيطان﴾ أى: آثار الشيطان، وخطاياه، وهو تخطيه من الحلال إلى الحرام ﴿إنه لكم عدو مبين﴾.

﴿ثمانية أزواج﴾ إنما نصب ثمانية؛ لأن قوله ﴿ثمانية﴾ بدل عن قوله: ﴿حمولة وفرشا﴾، وقوله: ﴿ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين﴾ ﴿ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين﴾.

هذا فى الحقيقة أربعة أزواج، كل زوج اثنان، لأن العرب تسمى الواحد زوجا إذا كان لاينفك عن غيره، قال الله - تعالى -: ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين﴾[(١)].

﴿قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أمّا اشتملت عليه أرحام الأنثيين﴾ هذا فى تحريمهم الوصيلة والبحيرة ونحوها، والآية فى الاحتجاج عليهم، ومعنى هذا: أن الذى تدعون على الله من تحريمها إن كان بسبب الذكورة، فينبغى أن تحرم كل الذكور، وإن كان التحريم بسبب الأنوثة؛ فينبغى أن تحرم كل الإناث، وإن كان باشتمال الرحم عليه فينبغى أن يحرم كل ما اشتملت عليه الرحم، فأما تخصيص التحريم بالولد السابع والخامس فمن أين؟! ﴿نبؤنى بعلم﴾ أخبرونى بعلم (إن كان لكم به علم)[(٢)] ﴿إن كنتم صادقين﴾.

﴿ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أمّا اشتملت عليه أرحام الأنثيين﴾ هذا فى تحريمهم أولاد البحيرة من البطن الخامس، كما سبق، ووجه الاحتجاج عليهم ما بينا.

(١) الذاريات: ٤٩.

(٢) ليست فى «ك».

بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ

﴿أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا﴾ فمعناه: أنكم قلتم ذلك عن علم لكم؟ فأخبرونى به! أم نزل [عليكم](١) به وحى؟ أم أمركم الله به عيانا؟

﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم﴾ فبين الله يعنى: أنهم كاذبون به ﴿إن الله لايهدى القوم الظالمين﴾.

وفى الخبر: «أن عوف بن مالك الأشجعى جاء، وقال: يا محمد، أبحت ما حرمنا! وحرمت ماأبحنا - يعنى: الميتة - فقرأ عليه هذه الآيات؛ فعرف الحجة، وسكت عنه».

قوله تعالى: ﴿قل لا أجد فى ما أوحى إلىّ محرما﴾ سبب هذا أنهم قالوا: فما المحرم إذا؟ فنزل قوله: قل يامحمد: لا أجد فيما أوحى إلىّ محرما ﴿على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير﴾.

واختلف العلماء فى هذا؛ فذهبت عائشة، وابن عباس إلى أن التحريم مقصور على هذه الأشياء، وبه قال مالك، وقالوا: قوله: ﴿إلا أن يكون ميتة﴾ دخل فيه المنخنقة والموقوذة،وما عدّ فى سورة المائدة، ومالك يعد ما سواها مكروها ولايعده حراما، وجمهور العلماء على أن التحريم [يعدو](٢) هذه الأشياء؛ إلا أن البعض ثبت بالكتاب، والبعض بالسنة، والكل حرام. وقد ثبت: «أنه ﷺ نهى عن كل ذى ناب من السباع و[عن](٣) كل ذى مخلب من الطير»(٤) ﴿فإنه رجس﴾ أى: نتن ﴿أو فسقا أهل لغير الله به﴾ وهو المذبوح على اسم الصنم؛ سمى ذلك فسقا؛

(١) فى «الأصل»: عليه. وفى «ك»: علىّ.

(٢) فى «الأصل»: يعدوا. وفى «ك»: يعد.

(٣) من «ك».

(٤) رواه مسلم فى صحيحه (٣/١٢٣ - ١٢٤/ رقم ١٩٣٤)، وأبو داود فى سننه (٣/٣٥٥ - ٣٥٦/ رقم ٣٨٠٥)، وأحمد فى مسنده (١/٢٤٤)، والطيالسى (ص٣٥٩/رقم٢٧٤٥) كلهم من حديث ابن عباس.

وَلا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلا

للخروج عن أمر الله - تعالى -.

﴿فمن اضطر غير باغ ولاعاد فإن ربك غفور رحيم﴾ وقد ذكرنا هذا.

قوله - تعالى -: ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر﴾ يعنى: حرمنا على اليهود كل ذى ظفر، قيل: هو البعير والنعامة، ويدخل فيه الأوز والبط.

﴿ومن البقروالغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما﴾ أما تحريم الشحوم عليهم: كان ذلك عن الثروب وشحم الكليتين، وقد قال ﷺ «لعن الله اليهود حرّم عليهم الشحوم فجملوها وباعوها وأكلوا ثمنها»(١).

وقوله: ﴿إلا ما حملت ظهورهما﴾ أى: شحم ما حملت ظهورهما لم يحرم عليهم ﴿أو الحوايا﴾ تقديره: والحوايا، أى: شحم المباعر ﴿أو ما اختلط بعظم﴾ أى: وشحم ما اختلط بعظم، قيل: هو الإلية، وقيل: هو شحم الجنب، ثم اختلفوا، أن الكل هل يدخل فى الاستثناء؟ قال بعضهم: إنما يدخل فى الاستثناء شحم الظهور فحسب، فأما قوله: ﴿أو الحوايا أو ما اختلط بعظم﴾ راجع إلى التحريم، والصحيح: أن الكل يدخل فى الاستثناء، وهو ظاهرالآية. ﴿ذلك جزيناهم ببغيهم﴾ أى: [بظلمهم](٢) ﴿وإنا لصادقون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة﴾ فإن قيل: ما معنى هذا، وإنما يليق بتكذيبهم وعيد العذاب لا وعد الرحمة؟ قال ثعلب: هو الرحمة

(١) متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب، وجابر بن عبد الله فأما حديث عمر، فقد أخرجه البخارى (٤/٤٨٣/ رقم ٢٢٢٣) ومسلم (١١/١٠/ رقم ١٥٨٢).

وأما حديث جابر، فقد رواه البخارى (٤/٤٩٥/ رقم ٢٢٣٦) ومسلم (١١/٨ - ٩/ رقم ١٥٨١).

(٢) فى «الأصل»: ظلمهم.

يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

بتأخيرالعذاب عنهم، لابترك أصل العذاب، وهذا حسن، بدليل قوله: ﴿ولايرد بأسه عن القوم المجرمين﴾ يعنى: فى القيامة، إذا [جاء][1] وقته؛ فسئل ثعلب: أليس أن الله - تعالى - قد عذب الكفار فى الدنيا؟ فقال: هذا فى الكفار من قوم نبينا محمد ﷺ لم يعذبهم الله؛ ببركته فيهم، كما قال: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾[2] ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾[3].

قوله - تعالى -: ﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شىء كذلك كذّب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا﴾ استدل أهل القدر بهذه الآية؛ فإنهم لما قالوا: لو شاء الله ما أشركنا؛ كذبهم الله - تعالى - ورد قولهم فقال: ﴿كذلك كذب الذين من قبلهم﴾ قيل: معنى الآية: أنهم كانوا يقولون الحق إلا أنهم كانوا (يعدون)[4] ذلك عذرا لهم، ويجعلونه حجة لأنفسهم فى ترك الإيمان، فالرد عليهم كان فى هذا بدليل قوله - تعالى - بعده: ﴿قل فلله الحجة البالغة﴾ أى: الحجة بالأمر والنهى باقية له عليهم، وإن شاء أن يشركوا.

﴿فلو شاء لهداكم أجمعين﴾ ولو لم يحمل على هذا؛ لكان هذا مناقضة للأول، وقيل: إنهم كانوا يقولون: إن الله أمرنا بالشرك، كما قال فى الأعراف: ﴿وإذا فعلوا

---

(١) ليست فى «الأصل»، ولا «ك».

(٢) الأنفال: ٣٣.

(٣) الأنبياء: ١٠٧.

(٤) فى «ك»: يقدرون.

فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ﴾(١) وكأن قوله: ﴿ لو شاء الله ما أشركنا ﴾ أى: هو الذى أمرنا بالشرك؛ فالرد فى هذا لا فى حصول الشرك بمشيئته، فإنه حق وصدق، وبه يقول أهل السنة.

﴿ قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ﴾ أى: من كتاب، فتخرجوه لنا حتى يظهر ما تدعون على الله (من أمره بالشرك)(٢) ﴿ إن تتبعون إلا الظن ﴾ يعنى: أنكم تقولون ما تقولون ظنا لا عن بصيرة ﴿ وإن أنتم إلا تخرصون ﴾ أى: تكذبون ﴿ قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين ﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ قل هلم شهداءكم ﴾ أى: ائتوا بشهدائكم ﴿ الذين يشهدون أن الله حرم هذا ﴾ هذا راجع إلى ما تقدم من تحريمهم الأشياء على أنفسهم بغير أمر الله، وادعوا أنه من أمر الله.

﴿ فإن شهدوا فلا تشهد معهم ﴾ يعنى: فإن شهدوا كاذبين، فلا تشهد معهم ﴿ ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لايؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون ﴾ أى: يشركون.

قوله - تعالى -: ﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا ﴾ لأنهم سألوه أيش الذى حرم الله - تعالى - ؟ فنزل قوله - تعالى -: ﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ﴾ فإن قال قائل: الله - تعالى - ما حرم ترك الشرك بل أمر به، فما معنى قوله: ﴿ ألا تشركوا به شيئا ﴾؟.

فيه جوابان: أحدهما: أن قوله «لا» صلة، وتقديره: أن تشركوا؛ فعلى هذا استقام الكلام.

والثانى: أن قوله: ﴿ [تعالوا](١) أتل ما حرم ربكم ﴾ كلام تام. (ثم)(٢) قوله:

(١) الأعراف: ٢٨.

(٢) ليست فى «ك».

شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ

﴿عليكم ألا تشركوا﴾ ابتداء كلام. وإذا قدّر هكذا استقام الكلام أيضا، ثم قوله ﴿وبالوالدين إحسانا﴾ أى: وأحسنوا بالوالدين إحسانا.

﴿ولا تقتلوا أولادكم من إملاق﴾ قال المؤرج: الإملاق: الجوع بلغة حمير، والمعروف فى اللغة أن الإملاق: الفقر ﴿نحن نرزقكم وإياهم﴾ أى: رزق الكل علينا؛ فلا تقتلوهم خوف الجوع والفقر.

﴿ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾ هذا نهى عن أنواع الزنا سرا وعلنا، وكانت الزوانى فى الجاهلية على نحوين: كانت لبعضهم رايات على الأبواب، علما لمن أراد الزنا؛ كنّ يزنين علنا، وأخريات كن يزنين سرا. فهذا المراد بالفواحش ماظهر منها وما بطن.

﴿ولاتقتلواالنفس التى حرم الله إلا بالحق﴾ نهى عن القتل بالظلم، وأباح القتل بالحق، وهو مفسر فى قول النبى ﷺ: «لايحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان، أو زنا بعد إحصان، أو قتل نفس بغير نفس»(٣) ﴿ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ولاتقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن﴾ قد سبق الكلام على قربان مال اليتيم فى سورة النساء. ﴿حتى يبلغ أشده﴾ قال السدى: أشده ثلاثون سنة. وقال غيره: أوان الحلم. وقيل: هو استكمال القوة، وسيأتى شرحه فى موضع بعده.

﴿وأوفوا الكيل والميزان بالقسط﴾ أى: بالعدل ﴿لانكلف نفسا إلا وسعها﴾ أى:

(١) فى «ك»: تعالى.

(٢) ليست فى «ك».

(٣) تقدم تخريجه فى سورة المائدة.

وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى

طاقتها ﴿وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى﴾ أى: فاصدقوا، ولو كان على القريب ﴿وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه﴾ يقرأ: وأَنَّ - بالتشديد - فيكون راجعا إلى قوله: ﴿أتل ما حرم ربكم عليكم﴾ يعنى: وأتل عليكم: أنّ هذا صراطى، ويقرأ: وأَنْ - بالتخفيف - فيكون صلة(١)، وتقديره هذا صراطى مستقيما.

﴿فاتبعوه ولا تتبعوا السبل﴾ بمعنى: سائر الملل سوى ملة الإسلام وقيل: هو الأهواء والبدع ﴿فتفرق بكم عن سبيله﴾ أى: فَتُفَرِّق بكم عن سبيله.

﴿ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾ وقد صح برواية ابن مسعود عن النبى ﷺ: «أنه خط خطا، وخط حواليه خطوطا، ثم أشار إلى الخط الأوسط؛ فقال: وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه، ثم أشار إلى الخطوط حوله؛ فقال: لاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله»(٢).

قوله - تعالى -: ﴿ثم آتينا موسى الكتاب﴾ فإن قيل: كيف قال: ﴿ثم آتينا موسى الكتاب﴾ بعد ذكر محمد ﷺ، وموسى أوتى الكتاب قبله، وكلمة «ثم»

---

(١) قرأ حمزة، والكسائى، وخلف بكسر الهمزة، وقرأ الباقون بفتحها، إلا أن يعقوب ابن عامر خففا النون، وقرأ الباقون بالتشديد. انظر النشر (٢/٢٦٦).

(٢) رواه أحمد فى مسنده (١/٤٣٥، ٤٦٥)، والنسائى فى الكبرى (٦/٣٤٣/ رقم ١١١٧٤، ١١١٧٥) والطبرى فى التفسير (٨/٦٥)، وابن حبان فى صحيحه كما فى الإحسان (١/١٨١/ رقم ٧) والحاكم (٢/٣١٨) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الهيثمى فى المجمع (٧/٢٥): رواه أحمد والبزار، وفيه عاصم بن بهدلة، وهو ثقة وفيه ضعف. وزاد السيوطى فى عزوه فى الدر (٣/٦١) لكل من ابن أبى حاتم، وابن المنذر، وأبى الشيخ، وعبد بن حميد، وابن مردويه.

وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن

للتعقيب؟ قيل: معناه: ثم أخبركم أنا آتينا موسى الكتاب.

﴿تماما على الذى أحسن﴾ قيل: أراد بالذى أحسن: موسى، ومعناه: أنه كما أحسن بطاعة ربه واتباع أمره؛ أتممنا عليه النعمة والإحسان بإعطائه التوراة.

وقال الحسن: معناه تماما على المحسنين من قومه، وكان منهم محسن ومسيء، وهذا معنى قراءة ابن مسعود: تماما على الذين أحسنوا، وقرأ يحيى بن يعمر: «على الذى أحسنُ» أحسن، برفع النون، أى: على الذى هو أحسن.

﴿وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة﴾ هذا فى وصف التوراة ﴿لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿وهذا كتاب﴾ ثم وصف القرآن ﴿أنزلناه مبارك فاتبعوه﴾ وقد بينا معنى المبارك ﴿واتقوا لعلكم ترحمون﴾.

﴿أن تقولوا﴾ أى: كراهة أن تقولوا، على قول الكوفيين، وأما على قول البصريين: تقديره: أن لاتقولوا: ﴿إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا﴾ يعنى: اليهود والنصارى ﴿وإن كنا﴾ أى: وقد كنا ﴿عن دراستهم لغافلين﴾ ومعنى الآية: أنا إنما أنزلنا عليكم القرآن؛ لئلا تقولوا: إن الكتاب أنزل على من قبلنا بلغتهم ولسانهم فلم نعرف ما فيه، وغفلنا عن دراسته؛ فتمهدون بذلك عذرا لأنفسكم، وحجة على الله ﴿أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم﴾.

وقد كان جماعة من الكفار، قالوا ذلك: لو أنزل علينا ماأنزل على اليهود والنصارى كنا خيرا منهم وأهدى، يقول الله - تعالى -: ﴿فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة﴾ يعنى: قد جاءكم القرآن؛ فكذبتم به، ثم قال: ﴿فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها﴾ أى: أعرض عنها ﴿سنجزى الذين يصدفون﴾

رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا

أى: يعرضون ﴿عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون﴾ قوله - تعالى -: ﴿[هل ينظرون](١)﴾ أى: بعد تكذيبهم الرسل وإنكارهم القرآن. ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة﴾ قيل: بالعذاب، وقيل: بقبض الأرواح ﴿أو يأتى ربك﴾ يعنى: فى القيامة، كما قال فى سورة البقرة: ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام﴾(٢) وقد بينا هنالك ﴿أو يأتى بعض آيات ربك﴾ أجمع المفسرون على أنه أراد به طلوع الشمس من مغربها، إلا فى رواية: شاذة عن معاذ بن جبل أنه: خروج الدجال، وخروج يأجوج ومأجوج. وقد ثبت برواية ابن مسعود عن النبى ﷺ أنه قال فيه: «هى طلوع الشمس من مغربها»(٣) وكذلك رواه أبو سعيد الخدرى مرفوعا بلفظه(٤).

وقال ابن مسعود: إن الشمس والقمر يطلعان يومئذ أسودين، وروى صفوان بن عسال المرادى عن النبى ﷺ أنه قال: «إن للتوبة بابا قِبَلَ المغرب، عرضه سبعون ذراعا؛ فهو مفتوح إلى أن تطلع الشمس من مغربها، ثم يغلق فلا تقبل التوبة بعده»(١) فهذا معنى قوله تعالى: ﴿يوم يأتى بعض آيات ربك﴾. ﴿لاينفع نفسا

(١) سقط من «الأصل»، و«ك».

(٢) البقرة: ٢١٠.

(٣) لم أجده مرفوعاً. وأخرجه الطبرى (٨/ ٧٤، ٧٥) والطبرانى فى الكبير (٩/ ٢٠٩/ رقم٩٠١٩، ٩٠٢٠) عن ابن مسعود موقوفاً. وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ٢٥): رواه الطبرانى من طريقين أحدهما هذه، وفيها عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبى مريم، وهو ضعيف، والآخر مختصرة، ورجالها ثقات.
وعزاه السيوطى فى الدر (٣/ ٦٣) لابن أبى شيبة، وعبد بن حميد، وسعيد بن منصور.

(٤) رواه الترمذى فى جامعه (٥/ ٢٤٧/ رقم ٣٠٧١) وقال: هذا حديث حسن غريب، ورواه بعضهم ولم يرفعه، أحمد فى مسنده (٣/ ٣١) والطبرى فى التفسير (٨/ ٧١)، وأبو يعلى فى مسنده (٢/ ٥٠٥/ رقم ١٣٥٣).

إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ

إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا﴾ أى: لايقبل توبة كافر بالإيمان، ولاتوبة فاسق بالرجوع عن الفسق ﴿قل انتظروا إنا منتظرون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء﴾.

وروى أبو أمامة الباهلى صدى بن عجلان، عن النبى ﷺ قال: «هم الخوارج»(٢) قال مجاهد: هم أهل الأهواء والبدع، وقيل: هم أهل سائر الملل من اليهود، والنصارى، والمجوس، ونحوهم، وعن ابن مسعود أنه قال: «أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار»(٣) ويروى هذا مرفوعا(٤)، وقوله: ﴿لست منهم فى شىء﴾ أى: ليسوا منك، ولست منهم ﴿إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لايظلمون﴾ وهذا فضل من الله - تعالى - حيث يجازى الحسنة بعشر

(١) رواه الترمذى فى جامعه (٥/٥١٠ - ٥١١/رقم ٣٥٣٦) وقال: حسن صحيح، والنسائى فى الكبرى (٦/٣٤٤/ رقم ١١١٧٨)، وابن ماجة فى سننه (٢/١٣٥٣/ رقم ٤٠٧٠)، وأحمد (٤/٢٣٩، ٢٤١) والطيالسى (ص١٦٠ - ١٦١/رقم ١١٦٨) والطبرى فى التفسير (٨/٧٢)، وابن خزيمة فى صحيحه (١/٩٧/ رقم ١٩٣)، وابن حبان فى صحيحه - كما فى الإحسان - (٤/١٤٩ - ١٥١/ رقم ١٣٢٠).
وعزاه السيوطى فى الدر (٣/٦٤) لكل من: عبد بن حميد، سعيد بن منصور، وابن المنذر، وأبى الشيخ، وابن مردويه، والبيهقى، والطبرانى.

(٢) عزاه السيوطى فى الدر (٣/٦٩) لكل من: ابن أبى حاتم، والنحاس، وابن مردويه به، وقال ابن كثير فى تفسيره (٢/١٩٦): ولا يصح.

(٣) رواه بنحوه ابن أبى شيبة فى مصنفه (٨/١٦٢ - ١٦٣)، وهناد فى زهده (٤٩٧)، وأبو نعيم فى الحلية (١/١٣٨ - ١٣٩)، وانظر تعليقنا عليه فى زهد أبى داود السجستانى (ص١٦٢/ رقم١٧٠).

(٤) أخرجه مسلم فى صحيحه (٦/٢١٩ - ٢٢٣/ رقم ٨٦٧) ولفضيلة الشيخ الألبانى - حفظه الله - جزء يسير فى هذا الحديث، وهو حديث خطبة الحاجة.

إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ
إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ
اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ
ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ

أمثالها، والسيئة بمثلها، قال ابن عمر: هذا فى غير الصدقات من الحسنات، فأما الصدقات: تضاعف بسبعمائة ضعف، وقال أبو صالح: الحسنة: قول لا إله إلا الله، «وسئل رسول الله عن كلمة لا إله إلا الله أهى من الحسنات؟ فقال: هى أحسن الحسنات»(١).

قوله - تعالى -: ﴿قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم دينا قيما﴾ هو دين الإسلام أى: دينا مستقيما ﴿ملة إبراهيم﴾ نصب على الإغراء، أى: اتبع ملة إبراهيم ﴿حنيفا وما كان من المشركين﴾ ﴿قل إن صلاتى ونسكى﴾ أما الصلاة: معلومة، وأما النسك: العبادة، وقيل: أراد به: الذبيحة، وقوله: ﴿ومحياى ومماتى لله﴾ أى: طاعتى فى حياتى لله، وجزائى بعد مماتى من الله ﴿رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾ يعنى: من هذه الأمة.

قوله - تعالى -: ﴿قل أغير الله أبغى ربا﴾ لأنهم كانوا يقولون له: ارجع إلى ديننا فإن خفت الله فنحن نكفل لك العذاب؛ قاله كفار قريش؛ فنزل: ﴿قل أغير الله أبغى ربًّا وهو رب كل شىء﴾ ﴿ولاتكسب كل نفس إلا عليها ولاتزر وازرة وزر أخرى﴾ أى: ليس هذا بأمر تنفع فيه الكفالة، (ويقوم)(٢) أحد مقام أحد فيه. ﴿ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿وهو الذى جعلكم خلائف الأرض﴾ أى: يخلف بعضكم

(١) رواه أحمد فى مسنده (٥/ ١٦٩)، وأبو نعيم فى الحلية (٤/ ٢١٧) من حديث أبى ذر. وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٨٤): رواه أحمد، ورجاله ثقات، إلا أن شمر بن عطية حدث به عن أشياخه، عن أبى ذر، ولم يسم منهم أحدا.
ورواه ابن عبد البر فى التمهيد (٦/ ٥٥) من حديث أنس بنحوه.
قال ابن رجب فى جامع العلوم والحكم (١/ ٣٩٧): وخرج ابن عبد البر فى التمهيد بإسناد فيه نظر عن أنس .. فذكره.

(٢) فى «ك»: ويقدم.

الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾

بعضا ﴾ ﴿ ورفع بعضكم فوق بعض درجات ﴾ يعنى: فى الدنيا بالفقر والغنى، والمرض والصحة، ونحو هذا ﴿ ليبلوكم فيما آتاكم ﴾ أى: ليختبركم فيما أعطاكم.

﴿ إن ربك سريع العقاب ﴾ وكل ماهو آت فهو سريع ﴿ وإنه لغفور رحيم ﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ

سورة الأعراف

قال الشيخ الإمام - رضى الله عنه -: اعلم أن سورة الأعراف مكية إلا قوله - تعالى -: ﴿واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر﴾ إلى قوله - تعالى -: ﴿وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم﴾(١) فإن هذا القدر نزل بالمدينة، و(قد)(٢) روى «أن النبى ﷺ قرأ فى المغرب بطول الطولين»(٣) يعنى: سورة الأعراف، وإنما سميت طول الطولين؛ لأن أطول السور التى نزلت بمكة سورة الأنعام، وسورة الأعراف، والأعراف أطولهما.

قوله تعالى ﴿الٓمٓصٓ﴾ معناه: أنا الله أعلم وأفصل، وقيل: معناه: أنا الله الملك الصادق، وقال الشعبى: لكل كتاب سر، وسر القرآن: حروف التهجى فى فواتح السور.

﴿كتاب أنزل إليك﴾ قال الفرّاء: تقديره: هذا كتاب أنزل إليك ﴿فلا يكن فى صدرك حرج منه﴾ أى: شك، والخطاب للرسول، والأمة هم المراد.

والحرج بمكان الشك، قاله الفراء، وأنشدوا:

لولا حرج يغزوبى جئتك أغزوك ولا تغزونى

وقيل الحرج: هو الضيق، ومعناه: لايضيقن صدرك بالإبلاغ، وذلك أن النبى ﷺ

(١) الأعراف: ١٦٣ - ١٧٢.

(٢) ليست فى «ك».

(٣) رواه البخارى (٢/٢٨٧/ رقم ٨٧٤)، وأبو داود (١/٢١٥/ رقم ٨١٢)، والنسائى (٢/١٦٩/ رقم ٩٨٩، ٩٩٠) من حديث زيد بن ثابت.

لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا

لما بعث إلى الكفار، قال: «يارب إنى أخاف أن يثْلغُوا رأسى، ويجعلوه كالخبزة؛ فقال الله - تعالى - : لايكن فى صدرك ضيق من الإبلاغ؛ فإنى حافظك وناصرك»(١).

قوله: ﴿لتنذر به وذكرى للمؤمنين﴾ فيه تقديم وتأخير، وتقدير الآية: كتاب أنزل إليك؛ لتنذر به، وذكرى للمؤمنين فلا يكن فى صدرك حرج منه.

قوله - تعالى -: ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم﴾ يعنى: القرآن، وقيل: القرآن والسنة لأمر الله - تعالى - لأن الله - تعالى - يقول: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه﴾(٢) فالسنة وإن لم تكن (منزلة)(٣)، فهى كالمنزلة بحكم تلك الآية، قال الحسن فى هذه الآية: يا ابن آدم، أمرت باتباع القرآن، فما من آية إلا وعليك أن تعلم فيما نزلت، وماذا أريد بها، حتى تتبعه، وتعمل به.

﴿ولا تتبعوا من دونه أولياء﴾ يعنى: من عاند الحق، وخالفه، فلا تتبعوه، وإنما قال: ﴿من دونه أولياء﴾ لأن من اتخذ مذهبا، فكل من سلك طريقه واتبعه كان من أوليائه، فهذا معنى قوله: ﴿ولا تتبعوا من دونه أولياء﴾ وقال مالك بن دينار: ولا تبتغوا، يعنى: الطلب، والمعنى: ولا تبتغوا من دونه أولياء. ﴿قليلا ما تذكرون﴾، وقرأ ابن عامر: «يتذكرون»(٤) والمراد بهما واحد، أى: قليلا ما تتعظون.

قوله - تعالى -: ﴿وكم من قرية أهلكناها﴾ «كم» للتكثير، و«رُبَّ» للتقليل.

قال الشاعر:

كم عمة لك ياجرير وخالة ... فدعاء قد حلبت على عشارى

---

(١) رواه مسلم (١٧/٢٨٧ - ٢٩١/ رقم ٢٨٦٥)، والنسائى فى الكبرى (٥/٢٦ - ٢٧/ رقم ٨٠٧٠) وأحمد (٤/١٦٢).

(٢) الحشر: ٧.

(٣) فى «ك»: فى منزلته.

(٤) انظر النشر (٢/٢٦٧).

تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ
دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلاَّ أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ
وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ

قاله الفرزدق.

﴿ فجاءها بأسنا بياتا ﴾ أى: عذابنا بياتا ﴿ أو هم قائلون ﴾ وتقديره: ليلا وهم نائمون، أو نهارا وهم قائلون، من القيلولة.

قال الزجاج: «أو هم قائلون» أو لتصريف العذاب، يعنى: مرة بالليل، ومرة بالنهار كما بينا، فإن قال قائل: قد قال: ﴿ وكم من قرية أهلكناها ﴾ فما معنى قوله: ﴿ فجاءها بأسنا ﴾ وكيف يكون مجىء البأس بعد الإهلاك؟ قيل: معنى قوله: ﴿ أهلكناها ﴾ أى: حكمنا باهلاكها؛ فجاءها بأسنا، وقيل: قوله: ﴿ فجاءها بأسنا ﴾ هو بيان قوله: ﴿ أهلكناها ﴾، وقوله: ﴿ أهلكناها ﴾ هو قوله: ﴿ فجاءها بأسنا ﴾ وهذا مثل قول القائل: أعطيتنى فأحسنت إلىّ، لافرق بينه وبين قوله: أحسنت إلى ما أعطيتنى، وأحدهما بيان للآخر، كذلك هذا.

قوله - تعالى -: ﴿ فما كان دعواهم ﴾ أى: دعاؤهم، قال سيبويه: تقول اللهم اجعلنى فى دعوى المسلمين، أى: فى دعاء المسلمين فقوله: ﴿ فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين ﴾ معناه: لم يقدروا على رد العذاب حين جاءهم العذاب، وكان حاصل أمرهم أن اعترفوا بالخيانة حين لاينفع الاعتراف.

قوله - تعالى -: ﴿ فلنسألن الذين أرسل إليهم ﴾ هذا سؤال توبيخ، لاسؤال استعلام، يعنى: نسألهم عما عملوا فيما بلغهم ﴿ ولنسألن المرسلين ﴾ عن الإبلاغ ﴿ فلنقصن عليهم بعلم ﴾ أى: نخبرهم بما عملوا عن بصيرة وعلم.

﴿ وما كنا غائبين ﴾ فإنه - جلّ وعلا - مع كل أحد بالعلم والقدرة.

قوله - تعالى -: ﴿ والوزن يومئذ الحق ﴾ قال مجاهد: معناه: القضاء يومئذ بالحق والعدل، وأكثر المفسرين على أنه أراد به: الوزن بالميزان المعروف، وهو حق، وكيف

الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ

يوزن؟ اختلفوا، قال بعضهم: توزن صحائف الأعمال، وقيل: يوزن الأشخاص؛ وعليه دل قول عبيد بن عمير أنه قال: «يؤتى بالرجل العظيم الطويل، الأكول والشروب، يوم القيامة، فيوزن فلا يزن عند الله جناح بعوضة» وقد روى هذا مرفوعا(١).

وقيل: توزن الأعمال، فإن الأعمال الحسنة تأتى على صورة حسنة، والأعمال السيئة تأتى على صورة قبيحة؛ فذلك الذى يوزن، وفى الخبر «أن ذلك الميزان له كفتان، كل كفة بقدر ما بين المشرق والمغرب»(٢)، والميزان للكل واحد، وقيل لكل واحد ميزان. ﴿فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون﴾.

﴿ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم﴾ أى: غبنوا أنفسهم ﴿بما كانوا بآياتنا يظلمون﴾ قال الحسن: إنما ثقل ميزان من ثقل ميزانه باتباع الحق، وحُق لميزانٍ وُضع فيه الحق أن يثقل، وإنما خف ميزان من خف ميزانه باتباع الباطل، وحُق لميزانٍ لم يُوضَع فيه إلا الباطل أن يخف.

ويروى عن عائشة - رضى الله عنها - أنها قالت: «كان رسول الله ﷺ نائما ذات يوم، ورأسه فى حجرى، فبكيت، فقطرت دموعى على خده؛ فانتبه رسول الله ﷺ فقال: مالك؟ قلت: ذكرت القيامة وأهوالها، فهل يذكر أحد أحداً يومئذ؟ فقال ﷺ: أما فى ثلاثة مواطن فلا: عند الميزان حتى يعلم أيثقل ميزانه أم يخف، وعند تطاير الصحف حتى يعلم أن صحيفته توضع فى يمينه أو [فى](٣) شماله، وعلى

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة، فرواه البخارى (٨/٢٧٩/ رقم ٢٧٢٩)، ومسلم (١٧/١٨٨/رقم٢٧٨٥).

(٢) فيه أحاديث، منها حديث البطاقة، الذى رواه الترمذى (٥/٢٥ رقم ٢٦٣٩)، وقال: حسن غريب، وابن ماجة (٢/١٤٣٧/ رقم ٤٣٠٠)، وأحمد (٢/٢١٣)، وابن حبان - الإحسان (١/٤٦١ - ٤٦٢/ رقم ٢٢٥)، والحاكم (١/٥٢٩) وقال: صحيح الإسناد.

(٣) من «ك».

الصراط»(١).

قوله - تعالى -: ﴿ولقد مكناكم فى الأرض﴾ التمكين هاهنا بمعنى: التمليك ﴿وجعلنا لكم فيها معايش﴾ أى: أسباب تعيشون بها، وقيل: جعلنا لكم ما تصلون به إلى المعاش ﴿قليلا ما تشكرون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم﴾ قال ابن عباس: خلقناكم فى صلب آدم، ثم صورناكم فى أرحام الأمهات، وقال مجاهد: خلقناكم فى ظهر آدم، ثم صورناكم يوم الميثاق، حين أخرجهم كالذر، وقيل: هذا فى حق آدم - صلوات الله عليه - يعنى: خلقنا أصلكم آدم، ثم صورناه؛ فذكر بلفظ الجمع، والمراد به الواحد، وقال الأخفش - وهو أحد قولى قطرب -: إن ثم بمعنى الواو، أى: وصورناكم.

﴿ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ فإن قال قائل: الأمر بسجود الملائكة كان قبل خلق بنى آدم، فما معنى قوله: ﴿ثم قلنا للملائكة﴾ عقيب ذكر الخلق والتصوير؟

والجواب: أما على قول مجاهد، وقول من صرّفه إلى آدم، يستقيم الكلام.

وأما على قول ابن عباس، يرد هذا الإشكال، والجواب عنه من وجوه:

أحدها: أن المراد به: ثم أُخبِرُكُم أنَّا قلنا للملائكة: اسجدوا [لآدم](٢)، وقيل فيه: تقديم وتأخير، وتقديره: ولقد خلقناكم، ثم قلنا للملائكة: اسجدوا، ثم صورناكم،

(١) رواه أبو داود فى سننه (٤/ ٢٤٠ - ٢٤١/ رقم ٤٧٥٥)، وأحمد فى مسنده (٦/ ١٠١، ١١٠)، وابن المبارك فى الزهد (ص٤٧٩/ رقم ١٣٦١)، وابن أبى شيبة فى مصنفه (١٣/ ٢٥٠/رقم ١٦٢٥٣) والآجرى فى الشريعة (ص٣٨٤، ٣٨٥)، والحاكم (٤/ ٥٧٨) وقال: صحيح الإسناد على شرط الشيخين لولا إرسال فيه بين الحسن وعائشة على أنه قد صحت الروايات أن الحسن كان يدخل وهو صبى منزل عائشة - رضى الله عنها - وأم سلمة. قلت: وقد رواه الآجرى، وأحمد من طريق القاسم عن عائشة ولكن فيه ابن لهيعة. وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٣٦٢): رواه أحمد، وفيه ابن لهيعة، وهو ضعيف، وقد وثق، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٢) من «ك».

اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ

وقيل: «ثم» بمعنى «الواو» أى: وقلنا للملائكة: اسجدوا، والواو لاتوجب الترتيب، وهو قول الأخفش، وأحد قولى قطرب، ولم يرضوا منهم ذلك، فإن كلمة «ثم» لاترد بمعنى الواو، وهى للتعقيب.

﴿فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين﴾ وقد ذكرنا سجود الملائكة فى سورة البقرة، وأن سجودهم كان لآدم.

قوله - تعالى -: ﴿قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك﴾ «لا» زائدة، والمراد: ما منعك أن تسجد؟ وقد سبق نظائره.

﴿قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين﴾ فإن قيل: لم يكن هذا منه جوابا عما سئل عنه؟ قيل: تقديره قال: لم أسجد لأنى خير منه، وقيل: السؤال مقدر فيه، كأنه قيل له: أنت خير أم هو؟ فقال: أنا خير منه.

قال محمد بن جرير الطبرى: ظن الخبيث، ورأى أن النار خير من الطين، ولم يعلم أن الفضل لما جعل الله له الفضل، وقد فضّل الله الطين على النار، ولأن فى طبع النار طيشا، وخفة، وإحراقا، وفى الطين رزانة، وحلم، وتواضع، وأمانة، فيجوز أن يكون خيرا من النار، وقد قال ابن عباس: أول من قاس: إبليس، كما بينا.

وقوله - تعالى -: ﴿قال فاهبط منها﴾ أى: فاخرج منها، واختلفوا فى هذه الكناية، قيل: أراد به: فاهبط من الجنة، وقيل: أراد به: من الدرجة التى جعله الله عليها من قبل، وقيل: أراد به: من الأرض؛ فإن الله - تعالى - لما طرده؛ أخرجه من الأرض إلى جزائر البحر، وكان من قبل له ملك الأرض، حتى قيل: إنه لايدخل الأرض إلا خائفا، سارقا، على هيئة شيخ عليه أطمار ﴿فما يكون لك أن تتكبر فيها﴾ يعنى: بترك السجود ﴿فاخرج إنك من الصاغرين﴾ أى: الأذلة.

﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ

﴿ قال أنظرنى ﴾ أى: أمهلنى ﴿ إلى يوم يبعثون ﴾ سأل المهلة إلى القيامة، ﴿ قال إنك من المنظرين ﴾ فأنظره الله – تعالى – وهذا الإنظار إلى النفخة الأولى، كما قال فى موضع آخر مقيداً: ﴿ إلى يوم الوقت المعلوم ﴾[1] وأراد به: النفخة الأولى، فإن قيل: وهل يجوز أن يجيب الله دعوة الكافر؛ حيث أجاب دعوة اللعين؟ قيل: يجوز على طريق الاستدراج والمكر والإملاء لا على سبيل الكرامة.

﴿ قال فبما أغويتنى ﴾ قال ابن عباس: بما أضللتنى، وقيل: بما خيبتنى، فالإغواء بمعنى: الخيبة، قال الشاعر:

فمن يَلْقَ خيرا يحمد الناس أمرَهُ　　　ومنْ يغوَ لاَ يُعْدَمْ على الغَيِّ لائمَا

أى: ومن يخب لايعدم على الخيبة لائما، وقيل: معناه: بما دعوتنى إلى ما ضللت به ﴿ لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم ﴾ أى: على صراطك المستقيم، وهو صراط الدين.

قوله تعالى: ﴿ ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم ﴾

روى سفيان الثورى عن منصور عن الحكم بن عتيبة[2] أنه قال: ﴿ لآتينهم من بين أيديهم ﴾ يعنى: من قِبَل الدنيا بأن أزينها فى قلوبهم، فيغتروا بها ﴿ و من خلفهم ﴾ أى: من قِبل الآخرة، بأن أقول: لا بعث، ولا جنة، ولا نار ﴿ وعن أيمانهم ﴾ من قِبَل الحسنات ﴿ وعن شمائلهم ﴾ من قبل السيئات، وقال ابن عباس – فى رواية الوالبى عنه –: لآتينهم من بين أيديهم يعنى: من قبل الآخرة، ومن خلفهم (أى)[3] من قبل الدنيا، وعن أيمانهم: أشبه عليهم أمر الدنيا، وعن شمائلهم: أشهى لهم ارتكاب المعاصى، قال مجاهد: أراد به لآتينهم من كل الجوانب، قال قتادة: لم يقل الخبيث: من فوقهم؛ لأن الرحمة تنزل عليهم من فوقهم.

(١) الحجر: ٣٨، وص: ٨١.

(٢) فى «ك»: عيينة، وهو تصحيف.

(٣) فى «ك»: يعنى.

أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا

﴿ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾ أى: مؤمنين فإن قيل: بأيش علم الخبيث أنه لايجد أكثرهم شاكرين؟ قيل: قرأ من اللوح المحفوظ، وقيل: قال ذلك ظنا؛ فأصاب كما قال الله - تعالى -: ﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنه﴾(١).

قوله - تعالى -: ﴿قال اخرج منها مذءوما﴾ وقرأ الأعمش: «مذمومًا»، والمعروف: مذءوما من الذأم: وهو العيب، وقيل: معناه مقيتا من المقت.

﴿مدحورا﴾ أى: مطرودا ﴿لمن تبعك منهم لأملان جهنم منكم أجمعين﴾ اللام فيه للقسم، يعنى: أقسم لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين.

قوله - تعالى -: ﴿وياآدم اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ وقد بينا هذا ﴿فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾ وقد بينا على قول ابن عباس: أنها كانت شجرة السنبلة، وقيل: شجرة التين، وقال على بن أبى طالب: كانت شجرة الكافور، وقيل: كانت شجرة تأكل منها الملائكة تسمى: شجرة الخلد.

قوله - تعالى -: ﴿فوسوس لهما الشيطان﴾ الوسوسة: حديث يلقيه الشيطان فى قلب الإنسان، واختلفوا كيف وسوس لهما وهما فى الجنة، وهو فى الأرض؟

فقيل: وسوس لهما من الأرض؛ لأن الله - تعالى - أعطاه قوة بذلك حتى وسوس لهما بتلك القوة من الأرض إلى الجنة، وقيل: حين وسوس لهما كان فى السماء؛ فالتقيا على باب الجنة هو وآدم، فوسوس، وقيل: إن الحية خبأته فى [أنيابها](٢) وأدخلته الجنة، فوسوس من بين [أنيابها](٢)؛ فمسخت الحية، وأخرجت من الجنة.

﴿ليبدى لهما ما ورى عنهما من سوءاتهما﴾ اللام فيه لام العاقبة؛ فإنه لم

(١) سبأ: ٢٠.

(٢) فى «الأصل» «ك»: أنيابه.

وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ

يوسوس لهذا، لكن عاقبة أمرهم فى وسوسته أنه أبدى لهما ما ستر من عورتيهما.

﴿وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين﴾ وهذه كانت وسوسته، وقرأ يحيى بن أبى كثير والضحاك: «إلا أن تكونا مَلِكين» بكسر اللام، والمعروف: «مَلَكين» بفتح اللام، قال أبو عمرو بن العلاء: لم يكن فى الجنة مُلك لغير الله حتى يقول: ملكين من الملك، وكان فيها الملائكة، ومعناه: ما نهاكما الله عن أكل هذه الشجرة إلا أنكما إذا أكلتما صرتما ملكين أو تكونا من الخالدين.

﴿وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين﴾ وسوس لهما، وحلف عليه، وهو أول من حلف بالله كاذبا، فكل من حلف بالله كاذبا؛ فهو من أتباع إبليس، وفى الحديث:

«إن المؤمن يخدع بالله»(١) فلما حلف إبليس على ما وسوسه به؛ ظن آدم أنه لايحلف أحد بالله إلا صادقا؛ من سلامة قلبه، فاغتر به.

وفيه قول آخر: أن قوله: ﴿وقاسمهما﴾ من القسمة، كأن إبليس قال لهما: كُلا من هذه الشجرة، فما كان من خير فلكما، وما كان من شر وسوء فعلى.

وقوله: ﴿إنى لكما لمن الناصحين﴾ يعنى: المرشدين، المريدين للخير.

فإن قال قائل: قوله: ﴿ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين﴾ دليل على أن الملائكة أفضل من الآدميين، قيل: معناه - والله أعلم -: أنهما رأيا الملائكة فى أحسن صورة، وأرفع منزلة، وفى تسبيح دائم من غير تعب ولاشهوة؛ فتمنيا أن يصلا إلى تلك المنزلة لو أكلا من تلك الشجرة، ويتخلصا من التعب، ومن شهوة البشرية، وليس فى هذا دليل على أن الملك أفضل من الآدمى.

وقوله: ﴿فدلاهما بغرور﴾ أى: حطهما من منزلة الطاعة إلى حالة المعصية، قال

(١) روى هذا موقوفًا على ابن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما، رواه ابن سعد فى الطبقات (٤/ ١٢٥ - ١٢٦)، وأبو نعيم فى الحلية (١/ ٢٩٤).

فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالا

الشاعر:

ويوســف إذ دلاه أولاد علــة ... فأصبح فى قعر البريكة ثاويا

وأما الغرور: فهو إظهار النصح مع إبطان الغش.

قوله - تعالى -: ﴿فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما﴾ فى هذا دليل على أنهما لم يمتعا فى الأكل، قال ابن عباس: قيل: إن ازدردا؛ أخذتهما العقوبة، وكانت عقوبتهما أن تهافت عنهما لباسهما، وبدت عورتهما.

﴿وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾ قال ثعلب: جعلا يلصقان بعض الورق بالبعض، ويستران العورة به، ويقال: خصف النعل؛ إذا جعل طبقا على طبق، واختلفوا فى ذلك الورق، قال ابن عباس - وبه قال أكثر المفسرين -: إنه ورق التين والزيتون، وقيل: كان ورق الموز.

﴿وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة﴾ يعنى: عن الأكل منها ﴿وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين﴾ أى: بيّن العداوة، ويحكى عن أُبى بن كعب، ويذكر عن عطاء أيضا، أنهما قالا: لما بدت سوآتهما فى الجنة، هرب آدم فى الجنة؛ فتعلقت شجرة بشعره، وناداه الرب: أفرارا منى يا آدم؟ فقال: لا بل حياء منك يارب.

قوله - تعالى -: ﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ اعترف آدم بالذنب، وسأل المغفرة، وهذا هو الفرق بين معصيته ومعصية إبليس، أن إبليس عصى وأصرّ على المعصية، وآدم عصى وتاب عن المعصية، وأن إبليس كان متعمدا، وآدم كان ساهيا، واختلفوا فى أن آدم هل عرف عند الأكل أنه معصية؟ قال بعضهم: عرف ذلك، لكن الله غفر له، وتاب عليه، وقيل: دخل عليه شبهة من وسوسة إبليس، ولم يكن متعمدا؛ إذ كان معصوما نبيا.

قوله - تعالى -: ﴿قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو﴾ فإن قال قائل: ألم يكن

رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ

خاطب إبليس بالهبوط من قبل، فما معنى هذه الإعادة؟ قيل: إن هذا الثانى خطاب لآدم وحواء والحية، قاله أبو صالح، وإبليس خارج من الخطاب، وقيل: الخطاب للكل؛ لأنهم وإن افترقوا فى وقت الإخراج والإنزال، (لكن)(١) لما اجتمعوا فى الإنزال جمع بينهم فى الخطاب، والأول خاص لإبليس، والخطاب الثانى عام للكل.

﴿ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾ وفى القصص: أن آدم وقع بأرض الهند، وحواء بجدة، والحية بميسان، وإبليس بأيلة، وقيل: بمداد، وقيل: وقع إبليس بأرض البصرة، ثم خرج إلى أرض مصر وباض وفرّخ فيه.

وعن ابن عمر أنه قال: لما أخرج الله - تعالى - إبليس إلى الأرض، قال: يارب، أين مسكنى؟ قال: الحمامات؛ فقال: أين مجلسى؟ قال: الأسواق، فقال: وأيش مطعمى؟ قال: كل طعام لم يذكر عليه اسمى، فقال: وماذا شرابى؟ فقال: كل مسكر. قال: وما حبالتى؟ فقال: النساء، فقال: وما كتابتى؟ قال: الوشم، فقال: ومن رسلى؟ قال: الكهنة.

قوله - تعالى -: ﴿قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون﴾ يعنى: الأرض فيها حياتكم وموتكم، ومنها بعثكم.

قوله - تعالى -: ﴿يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم﴾ فإن قال قائل: كيف قال: أنزلنا. ولم ينزل اللباس من السماء؟ قيل: قد أنزل المطر، وكل نبات من المطر؛ فكأنه أنزله، وقيل: معناه: أن كل ما فى الأرض فهو من بركات السماء؛ فيكون كالمنزّل من السماء، وعلى هذا معنى قوله - تعالى -: ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد﴾(٢) وإنما يستخرج من الأرض، لكن نسبه إلى السماء، كذا هذا.

(١) فى «ك»: لكنهم.
(٢) الحديد: ٢٥.

وسبب نزول الآية: أنهم فى الجاهلية، كانوا يطوفون بالبيت عراة، ويقولون لانطوف فى (أثواب)[1] عصينا الله - تعالى - فيها، وكان الرجال يطوفون عراة بالنهار، والنساء بالليل؛ فنزلت الآية فى المنع عن ذلك. قال الزهرى: كانت العرب يطوفون كذلك عراة إلا الحمس، وهم قريش وأحلاف قريش، كانوا يطوفون فى ثيابهم، وسمّوا حمسا؛ بشدتهم فى دينهم، ومنه الحماسة لشدتها، وقال مجاهد: كانت النساء يطفن وعليهن رهاط، والرهط: قطعة من صوف لاتستر تمام العورة، وربما كانت من سيورة، وقال قتادة: كانت المرأة منهم تطوف تضع يدها على فرجها تستر بها عورتها، وتقول:

اليومَ يبدُو بعضُه أو كلُّه ... وما بدَا منْه فلا أُحلُّه

فقوله: ﴿قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم﴾ معناه: قد أنزلنا عليكم ما تسترون به عورتكم؛ فلا تطوفوا بالبيت عراة، وقوله: ﴿وريشا﴾ وقرئ: «ورياشا» منهم من فرّق بينهما.

قال مجاهد: الريش: المال، وقال الكسائى: الريش: اللباس.

وأما الرياش: قيل: هو المعاش، يقال: تريش فلان إذا وجد ما يعيش به، وقيل: الرياش: أثاث البيت، وقال أبو عبيدة: الريش والرياش واحد، وهو ما يبدو من اللباس، والشعرة وأنشد سيبويه:

وريشى منكم وهواى فيكم ... وإن كانت زيارتكم لماما

أى: قليلا، وقوله: ﴿ولباس التقوى﴾ يقرأ بالنصب، (يعنى)[2]: وأنزلنا عليكم لباس التقوى، ويقرأ: «ولباسُ التقوى» بالرفع[3]، يعنى: هو لباس التقوى.

(١) فى «ك»: ثياب.

(٢) فى «ك»: أى.

(٣) قرأ نافع، وابن عامر، والكسائى وأبو جعفر بنصب السين، وقرأ الباقون بالرفع. انظر النشر (٢/٢٦٨).

قال القتيبي: يعني: الثياب لباس التقوى؛ فإن من اتقى الله يطوف لابسًا لا عاريًا، وفي الحديث: «إن لباس التقوى هو الحياء»(١) لأنه يبعث على التقوى، وهو قول الحسن،

قال الشاعر:

إني كأني أرى من لاحياءَ له　　　ولا أمانة وسط الناس عُرْيانا

وقال عكرمة: الحياء والإيمان في قرن واحد، فإذا ذهب أحدهما؛ تبعه الآخر، وقال قتادة: لباس التقوى: هو الإيمان، وقال عثمان بن عفان: لباس التقوى: هو السمت الحسن، وقال عروة: هو خشية الله، وقيل: لباس التقوى ها هنا: لباس الصوف، والثوب (الخشن)(٢) الذي يلبسه أهل الورع، وقيل: هو العمل الصالح.

﴿ذلك خير﴾ قيل: «ذلك» صلة، وتقديره: ولباس التقوى خير، وهكذا قرأه الأعمش، وقيل: «ذلك» في موضعه، ومعناه: ذلك الذي ذكر من اللباس والريش، وكل ما ذكر خير ﴿ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿يابني آدم لايفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة﴾ أي: لايضلنكم الشيطان، كما فتن أبويكم فأخرجهما من الجنة.

﴿ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما﴾ هو ما ذكرنا من تهافت اللباس عند أكلهما من الشجرة، وفيه دليل على أنهما ما كانا يريان عورتهما من قبل؛ حيث قال: ليريهما سوءاتهما واختلفوا في ذلك اللباس الذي كان عليهما ما هو؟ قال ابن عباس: لباسهما كان من الظفر؛ كأن الله - تعالى - ألبسهما من جنس ظفرهما، وقال وهب بن منبه: كان لباسا من النور.

---

(١) روى عن معبد الجهني من قوله، رواه الطبري في التفسير (٨/ ١١٠)، وزاد السيوطي في الدر (٣/ ٨٣) فعزاه لعبد بن حميد، والحكيم الترمذي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

(٢) في «ك»: الحسن.

إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ

﴿إنه يراكم هو وقبيله﴾ أى: وجنوده ﴿من حيث لاترونهم﴾ يعنى: أن الشيطان وجنوده يرونكم، وأنتم لاترونهم ﴿إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لايؤمنون﴾ يعنى: أن الشياطين يوالون الكفار، وهذا قوله: ﴿أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا﴾(١).

قوله - تعالى -: ﴿وإذا فعلوا فاحشة﴾ قيل: الفاحشة ها هنا هى طوافهم عراة، وقيل: هى الشرك ﴿قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها﴾ ﴿قل﴾ يا محمد: ﴿إن الله لا يأمر بالفحشاء﴾ وهى كل فعل قبيح بلغ النهاية فى القبح ﴿أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿قل أمر ربى بالقسط﴾ أى: بالعدل والصدق ﴿وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها أن معناه: أقيموا الصلاة فى كل مسجد تدرككم فيه الصلاة، ولا تقولوا نؤخرها إلى مسجدنا، والثانى معناه: استقبلوا القبلة بوجوهكم فى كل صلاة، والثالث معناه: أخلصوا صلاتكم وعبادتكم لله - تعالى -.

﴿وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون﴾ يعنى: تعودون فرادى بلا أهل ولا مال، كما خلقكم فرادى بلا أهل ولا مال، وهذا معنى قوله - تعالى -: ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة﴾(٢) قال الزجاج: معناه: إن إعادتكم أحياء كخلقكم ابتداء، كلاهما علىّ هين، والصحيح أن المراد به: أنه كما خلقكم أشقياء وسعداء، ومؤمنين وكافرين، تعودون كذلك؛ وعليه دلّ قوله - تعالى -: ﴿فريقا

(١) مريم: ٨٣.

(٢) الأنعام: ٩٤.

وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ

هدى وفريقا حق عليهم الضلالة ﴾ أى: فريقا هداهم الله، وفريقا أضلهم الله [تعالى][1]؛ فوجبت عليهم الضلالة، وقد صح الحديث عن ابن مسعود - رضى الله عنه - أنه قال: «حدثنى الصادق المصدوق - يعنى رسول الله ﷺ -: أن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لايكون بينه وبين الجنة إلا ذراعا؛ فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار؛ فيدخل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار، حتى لايبقى بينه وبين النار إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة؛ فيدخل الجنة»[2].

﴿ إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون ﴾ وفى هذا دليل على أن المستبصر بالكفر الذى يحسب أنه على الحق مثل المعاند سواء.

قوله - تعالى -: ﴿ يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ﴾ هو فى الأمربالطواف والصلاة لابسا، وفى شواذ التفاسير: أنه المشط، ولبس النعل، وقيل: أراد به: السكينة، والوقار، وذلك معنى ما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا أتيتم الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون ولكن ائتوها وأنتم تمشون، وعليكم بالسكينة والوقار»[3].

﴿ وكلوا واشربوا ﴾ قال الفراء: إنما أمرهم بالأكل والشرب؛ لأنهم كانوا فى الجاهلية يتركون أكل اللحم والدسم فى وقت الموسم، كما يتركون اللباس عند الطواف ويقولون: نترك اللحم والدسم لله - تعالى -.

﴿ و لاتسرفوا ﴾ أى: بتحليل ما حرم الله، وبتحريم ما أحل الله، وكل مال أنفق

(١) من: «ك».

(٢) متفق عليه، فرواه البخارى (٦ / ٣٥٠ / رقم ٣٢٠٨)، ومسلم (١٦ / ٢٩٢ - ٢٩٤ / رقم ٢٦٤٣).

(٣) متفق عليه من حديث أبى هريرة، فرواه البخارى (٢ / ١٣٨ / رقم ٦٣٦)، ومسلم (٥ / ١٣٨ - ١٤٠ / رقم ٦٠٢).

لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾

فى معصية الله؛ فهو سرف،وأصل الإسراف: هو مجاوزة الحد بغلو أو تقصير ﴿إنه لايحب المسرفين﴾.

قوله – تعالى –: ﴿قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده﴾ يعنى: اللباس عند الطواف ﴿و الطيبات من الرزق﴾ يعنى: ما حرموا على أنفسهم من أكل اللحم فى أيام الموسم، مع سائر ما حرموا من البحيرة، والسائبة ونحوها. ﴿قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾ قال أكثر المفسرين – وهو قول الضحاك –: فيه حذف، وتقديره: هى للذين آمنوا وللمشركين فى الحياة الدنيا، خالصة للمؤمنين يوم القيامة. وقيل: معناه: خالصة يوم القيامة من التنغيص والغم، فإنها لهم فى الدنيا مع التنغيص والغم. ﴿كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون﴾.

قوله – تعالى –: ﴿قل إنما حرم ربى الفواحش ماظهر منها وما بطن﴾ قال قتادة: هى الزنا سرا وعلنا، وقال غيره: ما ظهر منها: نكاح المحارم، وما بطن: الزنا ﴿والإثم والبغى بغير الحق﴾ أما الإثم ففيه ثلاثة أقوال:

أحدها: قال الفراء: كل ما دون الحد، وقيل: هو كل المعاصى، وقيل: الإثم الخمر، وقد ورد ذلك فى الشعر:

شربت (الإثم) [1]حتى ضلّ عقلى كـذاك الإثم يذهب بالعقـول

وأما البغى، قيل: هو الاستطالة على الناس، وقيل هو الفساد، وقال ثعلب: هو أن يقع فى الناس بغير الحق ﴿وأن تشركوا بالله﴾ وتقديره: وحرم أن تشركوا بالله ﴿ما لم ينزل به سلطانا﴾ أى: حجة ﴿وأن تقولوا على الله مالاتعلمون﴾ لأنهم كانوا

(١) فى «ك»: الخمر.

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ

ينسبون كل ما ارتكبوا من الفواحش والإشراك إلى الله – تعالى – ويقولون: نفعله بأمر الله؛ فهذا قولهم على الله ما لايعلمون.

قوله – تعالى –: ﴿ ولكل أمة أجل ﴾ يعني: مدة العمر ﴿ فإذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون ﴾ فإن قيل: لم خصّ الساعة، وهم لايستأخرون دون الساعة، ولايستقدمون؟ قيل: إنما خصها لأنها أقل الأوقات المعلومة.

قوله – تعالى –: ﴿ يابنى آدم إما يأتينكم ﴾ فقوله: «إما» كلمتان: «إن» و «ما» فأدغمت إحداهما فى الأخرى، ومعناه: متى يأتكم، وإن يأتكم ﴿ رسل منكم ﴾ قيل: أراد به رسولنا خاصة، وقيل: كل الرسل ﴿ يقصون عليكم آياتى فمن اتقى وأصلح ﴾ أى: اتقى الشرك، وأصلح ما بينه وبين ربه ﴿ فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾.

قوله – تعالى –: ﴿ والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها ﴾ وإنما ذكر الاستكبار؛ لأن كل مكذب وكل كافر مستكبر، وإنما كذّب وكفر تكبراً، قال الله – تعالى – ﴿ إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ﴾[1] أى: استكبروا عن الإقرار بالوحدانية ﴿ أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾.

قوله – تعالى –: ﴿ فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته ﴾ وقد بينا هذا الإفتراء ﴿ أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب ﴾ فيه خمسة أقوال:

أحدها – وهو قول ابن عباس –: ينالهم ما قدر لهم من خير وشر.

والثانى: قول مجاهد: ينالهم ما وعدوا من خير وشر.

والثالث: قول سعيد بن جبير: ينالهم ما قضى لهم من الشقاوة والسعادة.

والرابع: قول محمد بن كعب القرظى: أراد به: الأجل والعمل والرزق.

(١) الصافات: ٣٥.

يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا

وفيه قول خامس معروف: ينالهم نصيبهم من العذاب المذكور فى الكتاب؛ فإنه ذكر فى الكتاب عذاب الفرق من الكفار مثل: المنافقين واليهود، و النصارى، والمشركين.

﴿حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم﴾ يعنى: ملك الموت وأعوانه ﴿يتوفونهم﴾ أى: يتوفون عدد آجالهم ﴿قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله﴾ يعنى: الرسل يقولون للكفار: أين الذين كنتم تدعون من دون الله من الأصنام؟ ﴿قالوا ضلوا عنا﴾ أى: ذهبوا وفاتوا عنا ﴿وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين﴾.

قوله - تعالى -: ﴿قال ادخلوا فى أمم﴾ يعنى: مع أمم، وهو مثل قول امرئ القيس:

وهل ينعمن من كان أقرب عهده ... ثلاثين شهـــرا فى ثلاثة أحـــوال

أى: مع ثلاثة أحوال، وقيل: معناه: ادخلوا بين أمم ﴿قد خلت﴾ أى: مضت ﴿من قبلكم من الجن والإنس فى النار﴾ وفيه دليل على أن الجن يموتون كالإنس؛ خلافا لقول الحسن، حيث قال: لايموتون.

﴿كلما دخلت أمة لعنت أختها﴾ قال الفراء: يعنى: أختها فى الدين لا فى النسب؛ يعنى: يلعن اليهود اليهود، والنصارى النصارى.

﴿حتى إذا ادَّاركوا﴾ أى: تداركوا وتتابعوا واجتمعوا ﴿فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم﴾ أراد به: أخرى كل أمة، وأولى كل أمة، وقيل: أراد به: آخرهم دخولا، وأولهم دخولا، وهم القادة مع الأتباع؛ فإن القادة يدخلون أولا.

فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ

﴿ربنا هؤلاء أضلونا﴾ يعنى: القادة أضلونا ﴿فآتهم عذابا ضعفا من النار﴾ أى: ضاعف لهم العذاب ﴿قال لكل ضعف ولكن لاتعلمون﴾ بالتاء فقوله ﴿ولكن لاتعلمون﴾ يعنى: أيها الناس لاتعلمون، أما من قرأ بالياء(١) فمعناه: لايعلم القادة ما للأتباع ولا الأتباع ما للقادة.

قوله - تعالى-: ﴿وقالت أولاهم﴾ يعنى: القادة ﴿لأخراهم﴾ يعنى: الأتباع ﴿فما كان لكم علينا من فضل﴾ قال السُّدى: معناه: أنكم كفرتم، كما كفرنا، وجحدتم كما جحدنا، فليس لكم علينا من فضل، وقيل: معناه: ماكان لكم علينا من فضل فى تخفيف العذاب ﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿إن الذين كفروا بآياتنا واستكبروا عنها لاتفتح لهم أبواب السماء﴾ اعلم أن أبواب السماء تفتح لثلاثة: للأعمال، والأدعية، والأرواح، وفى الخبر. «أن الملك يصعد بروح المؤمن، ولها ريح طيبة؛ فتفتح لها أبواب السماء، ويصعد بروح الكافر، ولها ريح منتنة؛ فتغلق لها أبواب السماء، ويؤمر بطرحها فى السجين فذلك قوله - تعالى -: ﴿كلا إن كتاب الأبرار لفى عليين﴾(٢)، ﴿كلا إن كتاب الفجار لفى سجين﴾(٣)»(٤) ومعنى الآية: أنه لاتفتح أبواب السماء لأعمال الكفار و أدعيتهم وأرواحهم.

(١) قرأ أبو بكر بالياء التحتية، وقرأ الباقون بالتاء الفوقية. انظر النشر (٢/ ٢٦٩).

(٢) المطففين: ١٨.

(٣) المطففين: ٧.

(٤) رواه أبو داود (٤/ ٢٣٩-٢٤٠/ رقم ٤٧٥٣، ٤٧٥٤)، وأحمد (٤/ ٢٨٧)، والطبرى فى التفسير (١٣/ ٢١٥)،. والحاكم (١/ ٣٧-٤٠) وصححه على شرط الشيخين جميعم من حديث البراء. وحسنه المنذرى فى الترغيب (٤/ ١٨٦) ونقل عن البيهقى أنه صحح إسناده.

﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ

وقيل: معناه: لاتفتح لهم أبواب الجنة، لكن عبر عنها بأبواب السماء؛ لأن أبواب الجنة فى السماء.

﴿ ولايدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط ﴾ وقرأ ابن عباس: «يلجُ الجُمَّل» برفع الجيم وتشديد الميم، وقرأ سعيد بن جبير: «حتى يلجُ الجمل» برفع الجيم مخففة الميم، وقرأ ابن سيرين: «فى سُم الخياط» برفع السين، والمعروف ﴿ حتى يلجَ الجَمَلُ فى سَمِّ الخِيَاط ﴾ وهو الجمل المعروف، وسئل ابن مسعود عن هذا الجمل فقال: هو زوج الناقة، كأنه استحمق السائل حين سأله عما لايخفى، ويحكى عن الحسن أنه قال: هو الأشطر الذى عليه جولقان أسودان، وأما الجمل الذى قرأه ابن مسعود: فهو قلس السفينة، وأما الجمل بالتخفيف، قيل: هو أيضا قلس السفينة، وقيل: هو حبل السفينة، وأما السُم والسَم واحد، وهو ثقبة المخيط، والمراد بالآية: تأكيد منع دخولهم الجنة، وذلك سائر فى كلام العرب، وهو مثل قولهم: لا أفعل كذا حتى يشيب الغراب، وحتى يبيض القار، وقال الشاعر:

إذا شاب الغرابُ أتيتُ أَهلى وصارَ القارَ كاللبنِ الحليبِ

والقار والقير: شىء أسود، يضرب به المثل، يقال: شىء كالقير والقار فى السواد ﴿ وكذلك نجزى المجرمين ﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ لهم من جهنم مهاد ﴾ أى: فرش ﴿ ومن فوقهم غواش ﴾ أى: لحف وهذا مثل قوله: ﴿ لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ﴾[1].

قال سيبويه - رحمه الله -: التنوين فى قوله ﴿ غواش ﴾ غير أصلى، وإنما هو بدل عن الياء، وأصله: «غواشى» ومثله كثير ﴿ وكذلك نجزى الظالمين ﴾.

﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لانكلف نفسا إلا وسعها ﴾ أى: طاقتها ﴿ أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾.

(١) الزمر: ١٦.

هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا

قوله – تعالى –: ﴿ونزعنا ما فى صدورهم من غل تجرى من تحتهم الأنهار﴾. الغل الغش والحقد، وعن على – رضى الله عنه – أنه قال: أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله – تعالى –: ﴿ونزعنا مافى صدورهم من غل﴾.

وروى مسلم فى الصحيح بإسناده عن أبى سعيد الخدرى – رضى الله عنه – عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا خلص المؤمنون عن الصراط حبسوا على قنطرة بين الجنة و النار، فيقتص بعضهم من بعض، حتى إذا نقوا وهذبوا، أذن لهم فى دخول الجنة؛ فوالذى نفسى بيده، لأحدهم أهدى إلى منزله فى الجنة منه إلى منزله فى الدنيا»(١). وفى بعض الأخبار: «أن على باب الجنة عينا يشرب منها أهل الجنة ويغتسلون؛ فيذهب الغل والحقد من قلوبهم، ثم يدخلون الجنة(٢)».

﴿وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله﴾ وفى هذا دليل على القدرية ﴿لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون﴾ تلك تأنيث ذلك، ومعنى الآية: كأنهم إذا رأوا الجنة من بعيد نودوا: أن تلكم الجنة، وقيل: هذا النداء يكون فى الجنة، فينادون: هذه الجنة التى أورثتموها، وفى الخبر: «أن لكل واحد منزلا فى الجنة ومنزلا فى النار، ثم يرث المؤمن من الكافر منزله فى الجنة، ويرث الكافر من المؤمن منزله فى النار»(٣).

(١) الحديث رواه البخارى فى صحيحه (٥/١١٥/رقم ٢٤٤٠) وانفرد به دون مسلم كما نص على ذلك الحافظ ابن حجر فى الفتح (٥/١٥١). ولم يعزه المزى فى تحفة الأشراف (٣/٤٣١/ رقم ٤٢٥٧) إلا للبخارى. والحديث فى مسند أحمد (٤/١٦٢).

(٢) رواه الطبرى فى التفسير (٨/١٣٣) عن السدى قوله.
وزاد السيوطى فى الدر (٣/٩٣) فعزاه لابن أبى حاتم، وأبى الشيخ بمعناه.

(٣) رواه ابن ماجة (٢/١٤٥٣/ رقم ٤٣٤١)، وقال البوصيرى فى الزوائد: هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين. والطبرى فى التفسير (١٨/٥)، والبيهقى فى البعث (ص١٠١/رقم ٢٦٦) من حديث أبى هريرة وزاد السيوطى فى عزوه فى الدر (٥/٧) لسعيد بن منصور، وابن أبى حاتم، وابن مردويه وابن المنذر.

بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ

قوله – تعالى –: ﴿ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ماوعد ربكم حقا﴾ وهذا قبل التطبيق على جهنم ﴿قالوا نعم﴾ وقد بينا أن جواب الاستفهام الذى فيه جحد: «بلى»، وجواب الاستفهام الذى ليس فيه تجحد: «نعم» ﴿فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين﴾.

﴿الذين يصدون عن سبيل الله﴾ أى: يعرضون عن الدين ﴿ويبغونها عوجا﴾ أى: يطلبون الدين بالزيغ، والعوج بمعنى الزيغ ها هنا ﴿وهم بالآخرة كافرون﴾.

﴿وبينهما حجاب﴾ وهو حجاب بين الجنة والنار. ﴿وعلى الأعراف رجال﴾ قيل: الأعراف: سور بين الجنة والنار، وذلك قوله: ﴿فضرب بينهم بسور﴾(١) وقيل: هو مكان مرتفع، والأول أصح، وعليه الأكثرون.

وأما الرجال الذين على الأعراف، اختلفوا فيهم، قال ابن مسعود، وحذيفة، وعطاء: هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، وقال أبو مجلز لاحق بن حميد: هم قوم من الملائكة فى صورة رجال من الإنس، وحكى مقاتل بن سليمان فى تفسيره عن النبى ﷺ أنه قال: «هم قوم غزوا بغير إذن آبائهم، فاستشهدوا، فبقوا على الأعراف تمنع شهادتهم دخولهم النار، ويمنع عصيانهم الآباء دخولهم الجنة»(٢).

---

(١) الحديد: ١٣.

(٢) رواه الطبرى (٨/ ١٣٩)، والخرائطى فى مساوئ الأخلاق (ص١٠٤/ رقم ٢٥١)، والبيهقى فى البعث (ص٨٣–٨٤/ رقم ١١٢) من حديث عبد الرحمن المزنى، وقال البيهقى: أبو معشر نجيح المزنى، ضعيف. وكذا قال الهيثمى فى المجمع (٧/ ٢٧) وعزاه للطبرانى.
وزاد السيوطى فى عزوه فى الدر (٣/ ٩٦) لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن منيع والحارث بن أسامة فى مسنديهما وابن الأنبارى فى كتاب الأضداد، وابن أبى حاتم، وأبى الشيخ، وابن مردويه.
وله شواهد من حديث أبى سعيد، وأبى هريرة، وابن عباس وغيرهم.

وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ

وقال الحسن: هم أهل الفضل من المؤمنين، جعلوا على الأعراف؛ فيطلعون على أهل الجنة والنار، يطالعون أحوال الفريقين ﴿يعرفون كلا بسيماهم﴾ أى: يعرفون أهل الجنة ببياض وجوههم، وأهل النار بسواد وجوههم.

﴿ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم﴾ فإذا رأوا أهل الجنة قالوا: سلام عليكم ﴿لم يدخلوها﴾ يعنى: أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة ﴿وهم يطمعون﴾ يعنى: فى دخول الجنة، قال الحسن: الذى جعل الطمع فى قلوبهم يوصلهم إلى ما يطمعون[1]. وقال حذيفة – رضى الله عنه –: لايخيّب الله أطماعهم.

قوله – تعالى –: ﴿وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين﴾ يعنى: إذا اطلعوا على أهل النار، وما هم فيه؛ استعاذوا بالله من النار.

قوله – تعالى –: ﴿ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم﴾ قيل: إنهم يرون الكفار؛ فيعرفونهم، مثل: الوليد بن المغيرة، وأبى جهل، وأبى لهب، ونحوهم فينادونهم ﴿قالوا ما أغنى عنكم جمعكم﴾ يعنى: ما نفعكم اجتماعكم وتظاهركم فى الدنيا ﴿وما كنتم تستكبرون﴾.

قوله – تعالى –: ﴿أهؤلاء الذين أقسمتم لاينالهم الله برحمة﴾ وذلك حين قالوا

(١) كذا! ومثله فى تفسير البغوى (٢ / ١٦٣)، وهذا الأثر عزاه السيوطى فى الدر (٣ / ٦٧) لعبد الرزاق وابن جرير، وابن المندر، وابن أبى حاتم، وأبى الشيخ، عن الحسن، ولفظه: «والله ما جعل ذلك الطمع في قلوبهم إلا لكرامة يريدها بهم.

وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ

للكفار ما قالوا، ثم ينظرون إلى أهل الجنة؛ فيرون خبابا، وعمارا، وبلالا، وصهيبا، ونحوهم، فيقول أصحاب الأعراف لأولئك الكفار: ﴿أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة﴾ يعنى: أهؤلاء الذين حلفتم أنهم لايدخلون الجنة، وقد دخلوا، يعنى: خبابا، وعمارا، ونحوهما.

ثم يقول الله - تعالى -: ﴿ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولا أنتم تحزنون﴾ وفيه قول آخر: أن أصحاب الأعراف إذا قالوا لأولئك الكفار ماقالوا؛ يقول الكفار لهم: إن دخلوا أولئك الجنة ونحن فى النار فأنتم لم تدخلوا الجنة بعد، فيعيرونهم على ذلك، ويحلفون أنهم (لا يدخلون)[1] الجنة؛ فيقول الله - تعالى - لأولئك الكفار: ﴿أهؤلاء الذين أقسمتم لاينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لاخوف عليكم﴾ يقوله لأصحاب الأعراف؛ فيدخلهم الجنة ﴿ولا أنتم تحزنون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله﴾ فى هذا دليل على أنهم كما يعذبون بالنار؛ فيكون عليهم عذاب الجوع والعطش مع عذاب النار؛ حتى يسألوا الطعام والشراب.

وفى الخبر: «أن الرجل من أهل النار يرى أخاه أو قرينه فى الجنة؛ فيقول له من النار: يا أخى أغثنى بشربة ماء فقد احترقت. فيقول: إن الله حرمه على الكافرين؛ فذلك قول الله - تعالى -: ﴿قالوا إن الله حرمهما على الكافرين﴾»[2] يعنى: الطعام والشراب، وهذا تحريم منع لاتحريم تعبد، واعلم أن لسقى الماء أجر عظيم، وفى الخبر عن النبى ﷺ أنه قال: «من سقى مؤمناً شربة ماء؛ بعّده الله من جهنم شوط فرس».

---

(١) فى «ك»: لم يدخلوا.

(٢) رواه الطبرى فى التفسير (٨/١٤٤) عن ابن عباس، قوله. وعزاه السيوطى فى الدر (٣/٩٨) لابن أبى شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وأبى الشيخ.

اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ

قوله - تعالى -: ﴿الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا﴾ معناه: أكلا وشربا، قاله عبد الله بن الحارث، وقيل: معناه: الذين كانت همتهم الدنيا، واشتغالهم بها؛ فهم الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا، وغرتهم الحياة الدنيا.

﴿فاليوم ننساهم﴾ أى: نتركهم ﴿كما نسوا لقاء يومهم هذا﴾ أى: كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا ﴿وما كانوا بآياتنا يجحدون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ولقد جئناهم بكتاب﴾ أى: أتيناهم بالقرآن ﴿فصلناه﴾ أى: بينا ما فيه من الحلال والحرام ﴿على علم﴾ أى: على علم بما يصلحهم، وقيل: معناه: على علم بالثواب والعقاب ﴿هدى﴾ أى: هاديا ﴿ورحمة﴾ أى: ذو رحمة ﴿لقوم يؤمنون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿هل ينظرون﴾ أى: هل ينتظرون ﴿إلا تأويله﴾ قال مجاهد: (معناه)[1] إلا جزاءه، وقال قتادة: إلا عاقبته، وحقيقة المعنى: أنهم هل ينتظرون إلا ما يؤول إليه أمرهم من مصير أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار ﴿يوم يأتى تأويله﴾ أى: جزاؤه، وما يؤول إليه أمرهم.

﴿يقول الذين نسوه﴾ أى: تركوه من قبل ﴿قد جاءت رسل ربنا بالحق﴾ اعترفوا به حين لاينفعهم الاعتراف ﴿فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد﴾ يعنى: إلى الدنيا ﴿فنعمل غير الذى كنا نعمل﴾ ﴿قد خسروا أنفسهم﴾ أى: نقصوا حق أنفسهم ﴿وضل عنهم﴾ أى: ذهب وفات عنهم ﴿ما كانوا يفترون﴾.

(١) فى «ك»: هل ينظرون.

قوله تعالى: ﴿إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام﴾.

قال مجاهد: هى من يوم الأحد إلى الجمعة، فإن قيل: كيف قال: فى ستة أيام، ولم تكن أيام حين خلق السموات والأرض؟ قيل: وما يدرينا أنها لم تكن، بل كانت؛ فإن الله - تعالى - أخبر، وقوله وخبره صدق، وقيل: يجوز أن يكون المراد به على تقدير ستة أيام، فإن قيل: وما الحكمة فى خلقها فى ستة أيام، وكان قادراً على خلقها فى طرفة عين؟ قيل: لأن خلقها على التأنى أدل على الحكمة، فخلقها على التأنى ليكون أدل على حكمته، ولطف تدبيره، وفيه أيضًا تعليم الناس، وتنبيه العباد على التأنى فى الأمور، وفى الخبر «التأنى من الله، و العجلة من الشيطان»(١).

﴿ثم استوى على العرش﴾ أوَّلَ المعتزلة الاستواء بالاستيلاء، وأنشدوا فيه:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

وأما أهل السنة فيتبرءون من هذا التأويل، ويقولون: إن الاستواء على العرش صفة لله - تعالى - بلا كيف، والإيمان به واجب، كذلك يحكى عن مالك بن أنس، وغيره من السلف، أنهم قالوا فى هذه الآية: الإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

﴿يغشى الليل النهار﴾ أى: يغطى الليل على النهار، وفيه حذف، وتقديره: يغشى الليل النهار، ويغشى النهار الليل؛ كما قال فى آية أخرى: ﴿يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل﴾(٢) ﴿يطلبه حثيثا﴾ أى: سريعا، وذلك أنه لما كان

---

(١) رواه أبو يعلى فى مسنده (٧/٢٤٨/رقم ٤٢٥٦) والبيهقى فى الكبرى (١٠/١٠٤) من حديث أنس، وقال الهيثمى فى المجمع (٨/٢٢): رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح. وكذا قال المنذرى فى الترغيب (٢/٢٥١). وعزاه الحافظ ابن حجر فى المطالب (٣/٣٥/ رقم ٢٨١٢) لابن أبى شيبة، وأحمد بن منيع، والحارث بن أسامة. وقال البوصيرى: رجاله ثقات.

ورواه الترمذى من حديث سهل بن سعد (٤/٣٢٢/ رقم ٢٠١٢) وقال: هذا حديث غريب، وقد تكلم بعض أهل الحديث فى عبد المهيمن بن عباس بن سهل، وضعفه من قبل حفظه.

(٢) الزمر: ٥.

وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ

يعقب أحدهما الآخر، ويخلفه على أثره فكأنه فى طلبه.

﴿ والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ﴾ أى: مذللات بما أريد منها ﴿ ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾ أى: تعالى بالوحدانية.

قوله - تعالى -: ﴿ ادعوا ربكم تضرعا وخفية ﴾ أى: ضارعين متذللين خاشعين، وخفية أى: سرا ﴿ إنه لايحب المعتدين ﴾ قال ابن جريج: الجهر بالدعاء عدوان، وفى الخبر عن النبى ﷺ أنه قال: «سيكون أقوام يعتدون فى الطهور والدعاء»[(١)] وروى: «أنه ﷺ رأى أقواما يصيحون بالدعاء، فقال لهم: أربعوا على أنفسكم، فإنكم لاتدعون [أصما][(٢)] ولا غائبا، وإنما تدعون سميعًا قريبًا، وهو معكم»[(٣)] بالعلم والقدرة وقيل: من الاعتداء فى الدعاء: أن يسأل لنفسه درجة ليس من أهلها؛ بأن يسأل درجة الأنبياء، وليس بنبىّ، ودرجة الشهداء، وليس بشهيد.

قوله - تعالى -: ﴿ ولاتفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها ﴾ أى: بعد إصلاح الأرض بالدين والشريعة، وقال الضحاك: من الفساد فى الأرض تغوير المياه، وقطع الأشجار المثمرة، وكسر الدراهم والدنانير.

﴿ وادعوه خوفا وطمعًا ﴾ أى: خوفامن الله وطمعًا لثوابه ﴿ إن رحمة الله قريب

(١) رواه أبو داود (١/ ٢٤/ رقم ٩٦)، وابن ماجة (٢/ ١٢٧١/ رقم ٣٨٦٤)، وأحمد فى مسنده (٤/ ٨٦، ٨٧) وابن أبى شيبة (١٠/ ٢٨٨)، وابن حبان - الإحسان (١٥/ ١٦٦-١٦٧/ رقم ٦٧٦٣، ٦٧٦٤) والحاكم (١/ ١٦٢، ٤٥٠) وصحح إسناده، وأعله الذهبى فى الموضع الأول بالإرسال. كلهم من حديث عبدالله بن مغفل.

وروى من حديث سعد بن أبى وقاص، رواه أبو داود (١/ ٧٧/ رقم ١٤٨٠)، وأحمد (١/ ١٧٢، ١٨٣)، وابن أبى شيبة (١٠/ ٢٨٨)، والطبرانى فى الدعاء (٢/ ٨٠٩ - ٨٠١/ رقم ٥٥، ٥٦) وفيه راو لم يسم.

(٢) فى «الأصل»، و«ك»: أصم.

(٣) متفق عليه من حديث أبى موسى، فرواه البخارى (١١/ ٥٠٩/ رقم ٦٦١٠)، ومسلم (١٧/ ٤١-٤٣/ رقم ٢٧٠٤).

الَّذي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِه حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

من المحسنين﴾ فإن قيل: القريب نعت المذكر، والرحمة مؤنثة، والله - تعالى - قال: قريب، ولم يقل: قريبة؛ قيل: قال الزجاج: الرحمة هاهنا بمعنى العفو والغفران، وقال الأخفش: هى بمعنى الإنعام؛ فيكون النعت راجعا إلى المعنى دون اللفظ، قال الفراء: إذا كان القرب فى النسب؛ فنعت المؤنث منه يكون على التأنيث، وأما القرب فى غير النسب؛ فالنعت منه يذكر ويؤنث، وأنشدوا فيه:

عشية لاعفراء منك قريبة ... فتدنو ولا عفراء منك بعيد

فذكر النعت مرة على التأنيث، ومرة على التذكير.

قوله - تعالى -: ﴿وهو الذى يرسل الرياح بشرا﴾ يقرأ: «بُشْرًا» من البشارة، ويقرأ: «نُشْرا» وهو جمع النشور، كالرسول والرسل، وذلك ريح طيبة، ويقرأ: «نَشْرا» بجزم الشين(١)، وهو جمع النشور أيضا كالرسول والرسل والكتاب والكتب.

﴿بين يدى رحمته﴾ يعنى: المطر ﴿حتى إذا أقلت﴾ أى: حملت ﴿سحابا ثقالا﴾ يعنى: بالماء ﴿سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون﴾ استدل بإحياء الأرض بعد موتها على إحياء الموتى، وفى ذلك دليل بيّن، وفى بعض الأخبار: «أن بين النفختين أربعين عاما فيرسل الله - تعالى - مطرا من السماء كمثل منى الرجال، فيدخل الأرض؛ فينبت منه الناس، ثم يحشرون بالنفخة الثانية»(٢).

(١) قرأ عاصم بالباء الموحدة وضمها وإسكان الشين، وقرأ ابن عامر بالنون وضمها وإسكان الشين، وقرأ حمزة، والكسائى، وخلف بالنون وفتحها وإسكان الشين، وقرأ الباقون بالنون وضمها، وضم الشين. انظر النشر (٢/٢٧٠).

(٢) متفق عليه من حديث أبى هريرة، فرواه البخارى (٨/٤١٤/ رقم ٤٨١٤)، ومسلم (١٨/١٢٢ - ١٢٣/ رقم ٢٩٥٥). وفيه: أربعون فقط، وسأل أبو هريرة عن الأربعين هل هى أربعون يومًا، أم شهرًا، أم عامًا؟ فقال: أبيت.

﴿٥٧﴾ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾

قوله – تعالى –: ﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه﴾ ﴿والذى خبث﴾ يعنى: الأرض السبخة ﴿لايخرج إلا نكدا﴾ أى: نزرا قليلا، قال الشاعر:

فأعط ما أعطيتهُ طيبا لاخيرَ فى المنكود والناكد

وهذا مثل ضربه الله – تعالى – للمؤمنين وللكافرين؛ فإن المؤمن يخرج ما يخرج من نفسه من الإيمان والخيرات سهلا سمحا، والكافر يخرج ما يخرج من الخيرات نزرا قليلا ﴿كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون﴾.

قوله – تعالى –: ﴿لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ ذكر فى هذه الآية قصة نوح وقومه، وسيأتى.

﴿قال الملأ من قومه إنا لنراك فى ضلال مبين، قال ياقوم ليس بى ضلالة ولكنى رسول من ربِّ العالمين﴾ علّم الله – تعالى – الناس بذكر قوله حسن الجواب، حيث قال: «ليس بى ضلالة» ولم يقل: أنتم الضلال، كما جرت عادتنا.

قوله – تعالى –: ﴿أبلغكم رسالات ربى وأنصح لكم﴾ النصح: هو أن يريد لغيره من الخير مثل ما يريد لنفسه، ومعناه: أرشدكم أنى أريد لنفسى ما أريد لكم ﴿وأعلم من الله مالاتعلمون﴾.

قوله – تعالى –: ﴿أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم﴾ العجب: هو تغيير النفس عند رؤية أمر خفى عليه باطنه ﴿ولتتقوا ولعلكم ترحمون فكذبوه فأنجيناه والذين معه فى الفلك﴾ أى: فى السفينة.

فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا

﴿وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا﴾ وستأتى القصة ﴿إنهم كانوا قوما عمين﴾ أى: عن الحق.

قوله - تعالى -: ﴿وإلى عاد﴾ أى: وأرسلنا إلى عاد ﴿أخاهم هودا﴾ قال الفراء: كان أخاهم فى النسب لا فى الدين، وقيل: أراد به: كان آدميا مثلهم ﴿قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون﴾.

﴿قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك فى سفاهة﴾ أى: فى حمق وجهالة ﴿وإنا لنظنك من الكاذبين قال ياقوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين﴾ وهو أيضا من حسن الجواب ﴿أبلغكم رسالات ربى وأنا لكم ناصح أمين﴾ وقد بيّنا معنى النصح.

قوله - تعالى -: ﴿أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء﴾ يعنى: فى الأرض ﴿من بعد قوم نوح﴾ أى: من بعد إهلاكهم.

﴿وزادكم فى الخلق بسطة﴾ وأراد به: البسطة فى الطول، قال محمد بن إسحاق ابن يسار[1] والسدى: كانت قامة الطويل من قوم عاد مائة ذراع، وقامة القصير منهم ستين ذراعا ﴿فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون﴾.

(١) فى «ك»: بشار، وهو تصحيف، وهو محمد بن إسحاق بن يسار أبو بكر، الإمام المعروف صاحب المغازى.

آلاءَ اللَّه لَعَلَّكُمْ تُفْلحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ

قوله – تعالى –: ﴿قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا﴾ يعنى: من الأصنام ﴿فأتنا بما تعدنا﴾ أى: من العذاب ﴿إن كنت من الصادقين﴾.

قوله – تعالى –: ﴿قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب﴾ الرجس والرجز: هو العذاب، والغضب: السخط ﴿أتجادلوننى فى أسماء﴾ أى: لأجل أسماء ﴿سميتموها أنتم وآباؤكم﴾ أى الأصنام نحتموها وسميتموها أنتم وآباؤكم ﴿ما أنزل الله بها من سلطان﴾ أى: برهان ﴿فانتظروا إنى معكم من المنتظرين﴾ ﴿فأنجيناه والذين معه﴾ هودا وقومه ﴿برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وماكانوا مؤمنين﴾ أى: قطعنا أصلهم، واستأصلناهم بالعذاب.

قوله – تعالى – ﴿وإلى ثمود أخاهم﴾ أى: وأرسلنا إلى ثمود أخاهم ﴿صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية﴾ سألوه أن يخرج من الصخرة ناقة، وأشاروا إلى صخرة صماء ملساء؛ فدعا صالح – عليه السلام – فتمخضت الصخرة كما تتمخض الحبلى، وأخرجت الناقة؛ فخرجت وألقت «سَقْبًا»(١) من ساعتها ﴿فذروها تأكل فى أرض الله﴾ قيل: كان لهم وادٍ يشربون منه فجعلوا يوما للناقة، ويوما لهم؛ فتشرب الناقة يومها جميع ماء الوادى، وتبدلهم بذلك لبنا ﴿ولاتمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم﴾.

---

(١) السقب: هو ولد الناقة انظر لسان العرب (مادة: سقب).

مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾

قوله – تعالى –: ﴿ واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوّأكم فى الأرض ﴾ أى: أنزلكم، قال الشاعر:

فبوّئت فى صميم معشرها فتـمَّ فى قومهـا مبوّؤهـا

﴿ تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا ﴾ كانوا فى الصيف يسكنون فى بيوت من الطين، وفى الشتاء يسكنون فى بيوت نحتوها فى الجبل، وقيل: إنما كانوا ينحتون البيوت فى الجبل؛ لأن بيوت الطين ما كانت تبقى مدة أعمارهم؛ لطول أعمارهم. ﴿ فاذكروا آلاء الله ﴾ أى نعم الله ﴿ ولاتعثوا فى الأرض مفسدين ﴾ العيث: أشد الفساد.

قوله – تعالى –: ﴿ قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم ﴾ يعنى: قال الكفار منهم للمؤمنين ﴿ أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه ﴾ وهذا استفهام أريد به الجحد؛ لأنهم كانوا يجحدون إرساله ﴿ قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا إنا بالذى آمنتم به كافرون فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم ﴾ العتو الغلو فى الباطل ﴿ وقالوا ياصالح ائتنا بما تعدنا ﴾ أى: من العذاب ﴿ إن كنت من المرسلين فأخذتهم الرجفة ﴾ الرجفة: زلزلة الأرض وحركتها، وكانوا قد أهلكوا بالصيحة والرجفة ﴿ فأصبحوا فى دارهم جاثمين ﴾ أى: خامدين ميتين، ومنه الرماد الجاثم، وقيل: جاثمين أى: خارّين على ركبهم ووجوههم، وقيل: إنهم احترقوا بالصاعقة حتى صاروا كالرماد الجاثم.

فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴿٧٩﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ

قوله – تعالى –: ﴿فتولى عنهم وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لاتحبون الناصحين﴾ فإن قال قائل: كيف خاطبهم وقد هلكوا؟ قيل: هو كما خاطب الرسول ﷺ الكفار القتلى يوم بدر حين ألقاهم فى القليب؛ جاء إلى رأس البئر، وقال: «ياعتبة، ياشيبة، ويا أبا جهل، قد وجدت ماوعدنى ربى حقا؛ فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا؟ فقال عمر: يارسول الله، كيف تخاطب قوما قد جيفوا؟ فقال ﷺ: ما أنتم بأسمع منهم؛ ولكنهم لايقدرون على الإجابة»(١) وقيل: إنما خاطبهم به؛ ليكون عبرة لمن خلفهم، وقيل: فى الآية تقديم وتأخير، وتقديرها: فتولى عنهم، فأخذتهم الرجفة، فأصبحوا فى دارهم جاثمين، وذلك أن الله – تعالى – ما كان ليعذب قوما ونبيهم بينهم.

وروى أبو الزبير عن جابر: «أن النبى ﷺ مرّ بمنازل ثمود فى أراضى تبوك، فقال لأصحابه: يا أيها الناس، لاتسألوا الله الآيات؛ فإن هؤلاء سألوا الناقة؛ فأخرجها الله لهم؛ فكانت ترد من هذا الفج، وتصدر من هذا الفج، فعقروها؛ فأنزل الله عليهم العذاب فلم ينج منهم أحد إلا رجل كان فى الحرم؛ فلما خرج أصابه ما أصابهم من العذاب وكان ذلك الرجل يكنى أبا رغال»(٢).

قوله – تعالى –: ﴿ولوطا إذ قال لقومه﴾ أى: وأرسلنا لوطا، واذكر لوطا إذ قال لقومه ﴿أتاتون الفاحشة﴾ الفاحشة: الفعلة القبيحة التى هى فى غاية القبح ﴿ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾ قال الضحاك عن ابن عباس: إن تلك الفعلة لم

(١) متفق عليه من حديث أنس عن أبى طلحة، رواه البخارى (٧/ ٣٥٠ – ٣٥١ / رقم ٣٩٧٦)، ومسلم (١٧/ ٣٠٠ / رقم ٢٨٧٥).

(٢) رواه أحمد (٣/ ٢٩٦)، والطبرى فى التفسير (٨/ ١٦٢)، والطبرانى فى الأوسط – مجمع البحرين – (٦/ ٣٦/ رقم ٣٣٣٩)، وابن حبان – الإحسان – (١٤/ ٧٧/ رقم ٦١٩٧)، والحاكم (٢/ ٣٤٠ – ٣٤١) وصحح إسناده.

وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ٤١): رواه الطبرانى فى الأوسط والبزار، وأحمد بنحوه، ورجال أحمد رجال الصحيح.

أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَىٰ

يفعلها أحد قبلهم ﴿إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء﴾ فسّر تلك الفاحشة ﴿بل أنتم قوم مسرفون﴾ أى: مجاوزون حد الأمر.

قوله – تعالى –: ﴿وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون﴾ معناه: يتنزهون عن أدبار الرجال، قال قتادة: ذموهم من غير ذم، وعابوهم من غير عيب.

قوله – تعالى –: ﴿فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين﴾ أى: من الباقين فى العذاب؛ يقال: غبر إذا بقى. وأنشدوا:

ولست يامعد فى الرجال ... أسائل هذا وذا ما الخبر
ولكننى مدده الأصفر بن قيس ... بما قد مضى وما غبر

وقيل معناه: من الغابرين عن النجاة.

قوله – تعالى –: ﴿وأمطرنا عليهم مطرا﴾ فى القصة: أن الله – تعالى – أرسل جبريل – صلوات الله عليه – حتى قلع مدينتهم، وقيل: كانت مدائن قلعها ورفعها إلى السماء ثم قلبها؛ وبذلك سمّوا مؤتفكة؛ لأنهم قلبوا وأفكوا، وأما الإمطار بالحجارة، كان على من شذ منهم فى الطرق، وقيل: بعدما قلبهم أمطر عليهم بالحجارة ﴿فانظر كيف كان عاقبة المجرمين﴾.

قوله – تعالى –: ﴿وإلى مدين﴾ أى: وأرسلنا إلى مدين، قيل: هو مدين بن إبراهيم الخليل – صلوات الله عليه – وكان أولئك من نسله، وقيل: ليس بذاك، وإنما هو اسم قبيلة.

مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ

وقوله : ﴿ أخاهم شعيبا ﴾ أى : فى النسب لا فى الدين ﴿ قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم ﴾ فإن قال قائل : ما معنى قوله ﴿ قد جاءتكم بينة من ربكم ﴾ ولم تكن لهم آية؟ قيل : بل كانت لهم آية؛ إلا أنها لم تذكر فى القرآن، وليست كل الآيات مذكورة فى القرآن ﴿ فأوفوا الكيل والميزان ﴾ وكانوا يعبدون الأصنام، ويبخسون فى الموازين ﴿ ولاتبخسوا الناس أشياءهم ﴾ أى : لاتنقصوهم من حقوقهم.

﴿ ولاتفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها ﴾ يعنى : إصلاحها ببعث الرسول والأمر بالعدل ﴿ ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين ﴾ يعنى : إن آمنتم فذلك خير لكم، وقيل : معناه : ما كنتم مؤمنين.

قوله - تعالى - : ﴿ ولاتقعدوا بكل صراط توعدون ﴾ أى : طريق، قال الشاعر :

حَشَوْنَا قومهم بالخيل حتى جعلناهم أذل من الصِّراطِ

يعنى : من الطريق.

﴿ توعدون وتصدون عن سبيل الله ﴾ قيل : إنهم كانوا يبعثون إلى الطرق من يهدد الناس، فكان الرجل إذا أراد الإيمان بشعيب وقصده يهددونه ويقولون : إن آمنت بشعيب نقتلك؛ فهذا معنى قوله : ﴿ توعدون ﴾ أى : تهددون. والإيعاد : التهديد، وأما الوعد فيذكر فى الخير والشر؛ إذا ذكر الخير والشر مقرونا به، فأما إذا أطلق فلا يذكر إلا فى الخير، أما فى الشر عند الإطلاق، يقال : أوعد.

﴿ وتصدون عن سبيل الله من آمن ﴾ أى : تمنعون عن الدين من قصد الإيمان ﴿ وتبغونها عوجا ﴾ أى : تطلبون الاعوجاج فى الدين، والعدول عن القصد؛ قاله الزجاج، وذكر الأزهرى فى التقريب : أنه يقال : فى الدين عوج، وفى العود عوج.

وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا

﴿واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم﴾ أى: فى العدد، وقيل معناه: إذ كنتم قليلا أى: بالمال؛ فكثركم بالغنى ﴿وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين﴾ أى: ممن كان قبلكم.

قوله - تعالى -: ﴿وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذى أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا﴾ وذلك أن بعضهم آمن، وبعضهم كفر ﴿فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين﴾.

قوله - تعالى -: ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن فى ملتنا﴾ قاله كفار قومه ﴿قال أو لو كنا كارهين﴾ يعنى: تفعلون هذا، وإن كنا كارهين ﴿قد افترينا على الله كذبا إن عدنا فى ملتكم بعد إذْ نجانا الله منها﴾ فإن قيل: كيف يصح لفظ العود من شعيب، ولم يكن على ملتهم قط؟ قيل معناه: إن صرنا فى ملتكم، وعاد بمعنى صار وكان، كما قال الشاعر:

لئن كانت الأيام أَحْسَنَّ مرة [إلىَّ][1] فقد عادت لهن ذنوب

أى: كانت لهن ذنوب.

وقوله: ﴿بعد إذ نجانا الله منها﴾ يعنى: من الدخول فى ملتهم ابتداء، وقيل المراد به: قوم شعيب ﴿وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا﴾ فإن قيل: وهل يشاء الله عودهم إلى الكفر؟ قيل: وما المانع منه؟ وإنما الآية على وفق قول أهل السنة، وكل ذلك جائز فى المشيئة، ويدل عليه قوله: ﴿وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق﴾ أى: اقض بالحق، فإن قيل: كيف طلب

(١) فى «الأصل»: أى.

عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩١﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ

القضاء من الله بالحق، وهو لايقضى إلا بالحق، قيل: ليس ذلك على طريق طلب القضاء الحق، وإنما هو على نعت قضائه بالحق؛ فإن صفة قضائه الحق، وهو مثل قوله - تعالى -: ﴿قال رب احكم بالحق﴾(١) فى سورة الأنبياء ﴿وأنت خير الفاتحين﴾.

قوله - تعالى -: ﴿وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا﴾ يعنى: فى دينهم ﴿إنكم إذا لخاسرون فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين﴾ وقد بيّنا هذا فى قصة ثمود.

قوله - تعالى -: ﴿الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها﴾ أى: كأن لم يقيموا فيها، يقال: غنيت بموضع كذا، أى أقمت، والمغانى: المنازل؛ قاله ثعلب، وقال الشاعر، وهو حاتم الطائى:

عنينا زمانا بالتصعلك والغنى ... وكلا سقاناه بكأسيهما الدهر

فما زادنا بأواً على ذى قرابة ... غنانا ولا أزرى بأحسابنا الفقر

وقال الأخفش: معنى قوله: ﴿كأن لم يغنوا فيها﴾ أى: كأن لم يتنعموا فيها ﴿الذين كذبوا شعيبا كانو ا هم الخاسرين فتولى عنهم وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فكيف آسى﴾ أى: أحزن ﴿على قوم كافرين﴾.

قوله - تعالى -: ﴿وما أرسلنا فى قرية من نبى إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء﴾.

قال ابن مسعود: البأساء: الفقر، والضراء: المرض؛ وهذا معنى قول من قال:

---

(١) الأنبياء: ١١٢.

أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ

البأساء في المال، والضراء في النفس، وقيل: البأساء: الجوع، والضراء: الفقر، وقيل: أخذنا أهلها بالبأساء يعني: بالحروب ﴿لعلهم يتضرعون﴾ أي: لكي (يتضرعوا)(١).

قوله - تعالى -: ﴿ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة﴾ قال مجاهد: السيئة: الشدة، والحسنة: الخصب ﴿حتى عفوا﴾ أي: حتى كثروا، ومنه قول النبي ﷺ: «قصوا الشوارب واعفوا اللحى»(٢) أي: كثّروا اللحى، وقيل: حتى عفوا: حتى سمنوا.

﴿وقالوا قد مسّ آباءنا الضراء والسراء﴾ أي: هذا كان عادة الدهر قديما لنا ولآبائنا؛ فلم ينتبهوا لما أصابهم من الشدة ﴿فأخذناهم بغتة﴾ أي: فجأة ﴿وهم لايشعرون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾ يعني: من السماء بالمطر، ومن الأرض بالنبات، وقيل: بركات السماء: إجابة الدعوات، وبركات الأرض: تسهيل الحاجات ﴿ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون﴾ يعني: أن يأتيهم عذابنا ليلاً ونهاراً

(١) في «ك»: يتضرعون.

(٢) متفق عليه من حديث ابن عمر، فرواه البخاري (١٠/٣٦٣/ رقم ٥٨٩٣)، ومسلم، (٣/١٨٧/ رقم ٢٥٩) بلفظ «احفوا الشوارب واعفوا اللحى».

ورواه مسلم (٣/١٨٨/ رقم ٢٦٠)، وأحمد (٢/٢٢٩) وغيرهما من حديث أبي هريرة بلفظ المصنف.

﴿٩٧﴾ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ
فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَ لَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ
أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ
الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا
مِن قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن
وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ

﴿وهم يلعبون﴾ وكل من اشتغل بما لايجزى عليه؛ فهو لاعب.

قوله - تعالى -: ﴿أفأمنوا مكر الله﴾ أى: عذاب الله، ومكر الله أخذه فجأة ﴿فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿أو لم يهد للذين يرثون الأرض﴾ يعنى: أو لم يتبين للذين يرثون الأرض من بعد هلاك قومها ﴿أن لو نشاء أصبناهم﴾ يعنى: أنا لو نشاء أخذناهم ﴿بذنوبهم﴾ ﴿ونطبع على قلوبهم فهم لايسمعون﴾ أى: نختم على قلوبهم حتى لايفقهوا ولايسمعوا.

قوله - تعالى -: ﴿تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل﴾ هذا فى قوم مخصوصين، علم الله أنهم لايؤمنون ﴿كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين﴾.

قوله - تعالى -: ﴿وما وجدنا لأكثرهم من عهد﴾ أى: من وفاء بالعهد، قال السدى: هو العهد يوم الميثاق، لم يوفوا به ﴿وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين﴾ أى: ما وجدنا أكثرهم إلا فاسقين، قيل: أراد بالفسق ها هنا الخروج عما يقتضيه دينهم من الوفاء بالعهد، وكان هذا من بعضهم دون بعض.

قوله - تعالى -: ﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فظلموا بها﴾ وقد بينا أن الظلم: وضع الشىء فى غير موضعه، وظلمهم: وضع الكفر موضع

فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ
مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن
رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ
الصَّادِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ
لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن

الإيمان ﴿ فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ﴾ .

قوله – تعالى –: ﴿ وقال موسى يا فرعون إنى رسول من رب العالمين حقيق على أن لا أقول ﴾ أى: حقيق بأن ألا أقول، وهكذا قرأ ابن مسعود، ومعناه: حريص بأن لا أقول على الله إلا الحق، وقرئ: « حقيق عليَّ »(١) أى: واجب عليَّ أن لا أقول على الله إلا الحق.

﴿ قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معى بنى إسرائيل ﴾ وذلك أنه أراد موسى أن يخرج بهم إلى الشام ﴿ قال ﴾ – يعنى: فرعون – ﴿ إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين ﴾ .

قوله – تعالى –: ﴿ فألقى عصاه ﴾ قيل: إن ملكا أعطاه تلك العصا، وللعصا قصة، ستأتى فى قصة شعيب فى سورة القصص إن شاء الله.

﴿ فإذا هى ثعبان مبين ﴾ الثعبان: الحية الذكر، وفى القصص: أن موسى – صلوات الله عليه – لما ألقى العصا، صارت ثعبانا عظيما، ملأ قصر فرعون، وقيل: كان بين شدْقيه ثمانون ذراعا، وقيل: إنه أخذ قصر فرعون بين نابيه؛ فهرب منه فرعون وأخذه البَطَنُ فى ذلك اليوم أربعمائة مرة.

قوله – تعالى –: ﴿ ونزع يده فإذا هى بيضاء للناظرين ﴾ قيل: إنه نزع يده من جيبه، وقيل: من تحت إبطه ﴿ فإذا هى بيضاء ﴾ لها شعاع كالشمس يتلألأ، وكان موسى آدم اللون.

قوله – تعالى –: ﴿ قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم ﴾ يعنى: موسى

---

(١) هى قراءة نافع، بتشديد الياء، وفتحها. انظر النشر (٢ / ٢٧٠).

يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن

﴿ يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون ﴾ أى: بماذا تشيرون؟ قاله فرعون لقومه، وقيل: إن هذا من قول الملأ، قالوا لفرعون وخاصته: ماذا تأمرون وقيل: إنهم قالوا ذلك لفرعون خاصة؛ لكن ذكروا بلفظ الجمع تفخيماً وتعظيماً.

قوله - تعالى -: ﴿ قالوا أرجه وأخاه ﴾ أى: أرجئه، والإرجاء: التأخير، يقال: أرجأت أمر كذا، أى أخرّت، ومنه المرجئة، سمّوا بذلك؛ لتأخيرهم العمل فى الإيمان، فإنهم زعموا أن العمل ليس من الإيمان، ويقرأ: «ارجُه» من غير همز، قيل معناه: التأخير أيضا، قال المبرد: معناه: اتركه يرجو، ومعنى الكل واحد؛ فإنهم أشاروا عليه بتأخير أمره، وترك التعرض له، وذكر النقاش فى تفسيره: أنهم أشاروا بتأخيره؛ لأنه لم يكن فيهم ولد عاهر، إذ لو كان فيهم ولد عاهر لأشاروا بالقتل.

﴿ وأرسل فى المدائن حاشرين ﴾ هى مدائن الصعيد، وهو فوق مصر ﴿ يأتوك بكل ساحر عليم ﴾ وفى القصة: أن فرعون أرسل أصحاب الشرط إلى تلك المدائن ليجمعوا السحرة و يأتوا بهم.

قوله - تعالى -: ﴿ وجاء السحرة فرعون ﴾ وفيه حذف، يعنى: فأرسل؛ فجاء السحرة، واختلفوا فى عددهم، قال ابن عباس: كانوا اثنى وسبعين رجلاً، وقال كعب الأحبار: كانوا (اثنى)[1] عشر ألفا، وقال محمد بن المنكدر: كانوا ثمانين ألفا. والمعروف أنهم كانوا سبعين ألفا.

﴿ قالوا إنَّ لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين قال نعم ﴾ لكم الأجر ﴿ وإنكم لمن المقربين ﴾ أى: لكم المنزلة الرفيعة مع الأجر.

(١) فى «ك»: اثنا وهو خلاف الجادة.

تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ

قوله – تعالى –: ﴿ قالوا ياموسى إما أن تلقى ﴾ يعنى: العصا ﴿ وإما أن نكون نحن الملقين ﴾ يعنى: عصيّنا ﴿ قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس ﴾ أى: صرفوا أعين الناس عن إدراك حقيقتها؛ فعلوا من التمويه والتخييل، وهذا هو السحر.

﴿ واسترهبوهم ﴾ أى: السحرة طلبوا رهبة الناس؛ فرهبوهم، و قال المبرد: السين فيه زائدة، ومعناه: أرهبوهم ﴿ وجاءوا بسحر عظيم ﴾.

قوله – تعالى –: ﴿ وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هى تَلَقَّفُ ما يأفكون ﴾ ويقرأ: « تَلْقَف ما يأفكون » مخففا(١)، ويقرأ فى الشواذ « تَلَقَّم » وقرأ سعيد بن جبير: « تلقم » مخففا، ومعنى الكل واحد. والتلقف: الأخذ بسرعة، ومعناه: تتلتقم ما يأفكون أى: ما يكذبون من التخاييل الكاذبة، وفى القصص: أن السحرة كانوا سبعين ألفا، مع كل واحد منهم عصا، فألقوا عصيهم؛ فإذا هى تتحرك كالحيات، ثم ألقى موسى عصاه؛ فصارت ثعبانا، وتلقف كل ذلك، وقصد الناس الذين حضروا؛ فوقع الزحام عليهم؛ فهلك خمسة وعشرون ألفا فى الزحام، ثم أخذه موسى؛ فصارت عصا كما كانت؛ فذلك قوله ﴿ فإذا هى تلقف ما يأفكون ﴾ قال الشاعر:

أنت عصا موسى التى لم تزل تلقف ما يأفكه الساحر

وقال آخر:

إذا جاء موسى وألقى العصا فقد بطل السحر والساحر

قوله – تعالى –: ﴿ فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون ﴾ قال الحسن، ومجاهد: معناه: ظهر الحق أى: ظهر عصا موسى على عصيِّهم، وقيل معناه: ظهرت نبوّة موسى على دعوى فرعون الربوبية ﴿ فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين ﴾ أى: ذليلين.

(١) هى قراءة حفص عن عاصم، وقرأ الباقون بتشديد القاف. انظر النشر (٢ / ٢٧١).

وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ
﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ
مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ
وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا
تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾
وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ

قوله - تعالى -: ﴿ وألقى السحرة ساجدين ﴾ واختلفوا فى سجدوهم، قال بعضهم: ألهمهم الله - تعالى - أن يسجدوا فسجدوا، وقيل: إن موسى وهارون سجدا شكرًا لله - تعالى - فوافقهم السحرة ﴿ قالوا آمنا برب العالمين ﴾ قيل: إن فرعون لما سمع ذلك منهم قال: آمنتم بى؟ فقالوا: ﴿ رب موسى وهارون ﴾ وقال فرعون: ﴿ آمنتم به قبل أن آذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه فى المدينة ﴾ قال السدى: كان موسى قد قال لرئيس السحرة: إن غلبتك غدا لتؤمنن بى؟ فقال: لآتينك بسحر أغلبك، وإن غلبتنى آمنت بك فهذا معنى قول فرعون: ﴿ إن هذا لمكر مكرتموه فى المدينة ﴾ أى: تدبير دبرتموه فى المدينة ﴿ لتخرجوا منها أهلها ﴾ أى: لتغلبو ا أهلها ﴿ فسوف تعلمون ﴾.

﴿ لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين ﴾ هددهم بهذه العقوبات، وهى معلومة ﴿ قالوا إنا إلى ربنا منقلبون ﴾ فهذا قالوه تسلية لقلو بهم.

﴿ وما تنقم منا ﴾ أى: وما تكره منا، وقيل معناه: وما تعيب علينا ﴿ إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ﴾ ﴿ ربنا أفرغ ﴾ أى: أنزل ﴿ علينا صبرا وتوفنا مسلمين ﴾.

قوله - تعالى -: ﴿ وقال الملأ من قوم فرعون ﴾ وإنما سموا ملأ لمعنيين: أحدهما: أنهم كانوا يملئون صدور الناس هيبة، وقيل: لأنهم كانوا مليئين بما فوض إليهم.

﴿ أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض ﴾ أرادوا بهذا الفساد: مخالفة أمر فرعون ﴿ ويذرك وآلهتك ﴾ وقرأ ابن عباس: «وإلاهتك» أى: عبادتك، وقيل: الإلاهة:

سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ

الشمس، وكان فرعون يعبد الشمس، قال الشاعر:

تروَّحنا من اللَّعْباء عَصْراً فأعْجَلْـنا الإلاهـة أن تؤُوبا(١)

أى: أعجلنا الشمس أن ترجع، والمعروف ﴿ويذرك وآلهتك﴾.

قال سليمان التيمى: وكان فرعون يعبد البقر(٢)، وقال السدى: كان قد اتخذ أصناما، وقال لقومه: هذه آلهتكم، وأنا إله الآلهة(٣)، وقال الحسن: كان قد علق على عنقه صليباً – وكان يعبده – فلذلك قالوا: «ويذرك وآلهتك» وهذا كان إغراء منهم لفرعون على موسى ﴿قال سنقتل أبناءهم ونستحيى نساءهم﴾ وكان من قبل يفعل ذلك ثم تركه، ثم عاد إليه ثانياً فقال: ﴿سنقتل أبناءهم ونستحيى نساءهم وإنا فوقهم قاهرون﴾.

قوله – تعالى –: ﴿قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يُورِثُها﴾ وفى الشواذ: «يورّثها» ﴿من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾ أى: فى النصر والظفر.

قوله – تعالى –: ﴿قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا﴾ فيه أقوال:

قال الحسن: كان الإيذاء بأخذ الجزية؛ كان فرعون يأخذ الجزية منهم قبل مجيء موسى وبعده، وقيل: هو من قتل الأبناء؛ كان يقتل أبناءهم، ويستحيى نساءهم قبل مجيء موسى؛ ثم عاد إليه، وذكر جويبر فى تفسيره: أن المراد به أن فرعون كان يسخّرهم ويستعملهم إلى نصف النهار، فلما جاء موسى استسخرهم كل النهار بلا أجر ولاشيء، وذكر الكلبى: أنهم كانوا يضربون له اللَّبِن بتبن فرعون قبل مجيء

---

(١) فى «ك»: يتوبا.

(٢) فى «ك» فرعون.

(٣) فى «ك» آلهتكم.

فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ
الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ
يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾
وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ

موسى، فلما جاء موسى أجبرهم على أن يضربوه بتبن من عندهم.

﴿قال عسى ربكم﴾ وهى كلمة التطميع ﴿أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الأرض فينظر كيف تعملون﴾ يعنى: حتى يجازيكم على ما يرى واقعا منكم لا على ما علم فى الغيب منكم.

قوله - تعالى -: ﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين﴾ أى: بالقحط والجدب.

تقول العرب جاءتنا سَنَة أى: سنة جدب؛ فأخذهم الله - تعالى - بالسنين ﴿ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون﴾ أى: يتعظون؛ وذلك أن الشدة ترقق القلوب وترغبها إلى الله - تعالى -.

قوله - تعالى -: ﴿فإذا جاءتهم الحسنة﴾ أى: الخِصْب ﴿قالوا لنا هذه﴾ أى: هذا كان عادة الدهر بنا ﴿وإن تصبهم سيئة﴾ أى: جدب ﴿يطيروا بموسى ومن معه﴾ أى: يقولون: هذا من شؤم موسى ومن معه ﴿ألا إنما طائرهم عند الله﴾ أى: الشؤم والبركة والخير والشر كله من الله - تعالى - وقيل معناه: الشؤم العظيم هو الذى لهم عند الله - تعالى - فى الآخرة، تقول العرب: طار لفلان سعد، وطار لفلان شؤم ﴿و لكن أكثرهم لايعلمون﴾.

قوله - تعالى -: ﴿وقالوا مهما﴾ أى: متى ما ﴿تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فأرسلنا عليهم الطوفان﴾ قال عطاء: أراد بالطوفان: الموت الذريع، وقيل: السيل العظيم، وفى القصة: أنهم مُطروا من السبت إلى السبت، حتى بلغ الماء تراقيهم، فكان الرجل إذا أراد أن يجلس غرق فى الماء؛ فاستغاثوا بموسى وقالوا: ادع الله حتى يمسك ونؤمن لك؛ فدعا الله - تعالى - فأمسك عنهم المطر، فأخرجت

الأرض تلك السنة نباتا كثيرا وأخصبت، فقالوا: هذا كان خيرا لنا، فلم يؤمنوا وكفروا به؛ فأرسل الله عليهم الجراد؛ فأكل زرعهم ونباتهم إلا قليلا؛ فاستغاثوا بموسى حتى يدعو الله – تعالى – فيدفع عنهم ذلك.

وفي أخبار عمر – رضي الله عنه –: أنه قلَّ الجراد في زمانه سنة، فبعث راكبًا قبل اليمن وراكبًا قبل الشام وراكبًا قبل العراق؛ ليطلبوا الجراد؛ فجاء راكب اليمن بكف من جراد، فقال عمر – رضي الله عنه – الله أكبر، إن لله – تعالى – ألف أمة: ستمائة في البر، و أربعمائة في البحر، وأول أمة تهلك الجراد، ثم تتبعهم سائر الأمم الباقين».

وفي الأخبار: أن مريم سألت [ربها][1]، وقالت: يارب أطعمني لحما بلا دم؛ فأطعمها الجراد. وفي الخبر «مكتوب على صدر كل جرادة جند الله الأعظم»[2].

رجعنا إلى القصة، فلما رفع عنهم الجراد لم يؤمنوا أيضا؛ فأرسل الله عليهم القُمَّل، قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: القمل صغار الجراد، وهي: الدَّبَى التي ليست لها أجنحة، وعن ابن عباس – في رواية أخرى – أن القمل: سُوس الحنطة. وقال أبو عبيدة: هو كبار القراد، وسمي القُرَاد الكبير: حَمْنَان أيضًا، وقيل: القُمَّل هو القمل، وقيل: هو الرعاف. فاستغاثوا بموسى، فدعا الله فرفع عنهم فلم يؤمنوا؛ فسلّط عليهم الضفادع.

وفي القصة: أن موسى جاء إلى شط البحر وأشار بعصاه إلى أدنى البحر وأقصاه، فخرجت الضفادع حتى امتلأت بيوتهم – وكانت قوافز – وكان الرجل منهم إذا فتح فاه ليتكلم تثب في فيه، وكل من نام منهم فإذا انتبه من النوم يرى على بدنه منها قدر ذراع، وكان إذا تكلم الرجل تقفز في فمه، ثم رفع عنهم فلم يؤمنوا؛ فجعل الله نيل مصر عليهم دمًا – وكان كل ذلك للقبط خاصة – وكان القبطي يأخذ من النيل الدم، وبنو إسرائيل يأخذون الماء، حتى كان الكوز الواحد يشرب القبطي منه دمًا عبيطًا[3]،

---

(١) في «الأصل وك»: ربه.

(٢) عزاه السيوطي في الدر (٣ / ١١٩) للحاكم في تاريخه، والبيهقي بسند فيه مجهول عن ابن عمر قال: «وقعت جرادة بين يدي رسول الله ﷺ فاحتملها، فإذا مكتوب في جناحها .. نحن جند الله العظيم...» وقال البيهقي: هذا حديث منكر.

(٣) عبيطا: هو الدم الطري – النهاية في غريب الحديث (٣ / ١٧٣)، وفي «ك» غبيطا، بالغين المعجمة، وهو تصحيف.

الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا

والإسرائيلى ماء؛ فذلك معنى قوله: ﴿ فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، آيات مفصلات ﴾ وتفصيلها أن كل عذاب منها يمتد أسبوعًا، وكان بين كل عذابين شهرٌ ﴿ فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ﴾.

قوله تعالى: ﴿ ولما وقع عليهم الرجز ﴾ قيل: أراد به ما سبق من العذاب، وقيل: هو عذاب الطاعون، قال سعيد بن جبير: مات منهم بالطاعون سبعون ألفا فى يوم واحد، والرجز والرجس: العذاب.

﴿ قالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك ﴾ يعنى: من إجابة دعوتك ﴿ لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى إسرائيل ﴾ فإنه أراد أن يخرج بهم إلى الشام ﴿ فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه ﴾ وذلك الغرق فى اليَمِّ ﴿ إذا هم ينكثون ﴾ أى: ينقضون العهد ﴿ فانتقمنا منهم فأغرقناهم فى اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ﴾ وللغرق قصة ستأتى فى موضعها إن شاء الله تعالى ﴿ وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها ﴾ قيل أراد بها أرض مصر والشام، وقيل: أراد بها الشام وحده، وقيل: أراد به الأردن وفلسطين، وقوله ﴿ باركنا فيها ﴾ أى: بالخصب والسعة.

﴿ وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا ﴾ وتلك الكلمة: وعده الذى وعدهم، وذلك فى قوله: ﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ﴾(١) فلما أورثهم تلك الأراضى وأنجزهم ذلك(٢)

---

(١) القصص: ٥.

(٢) فى «ك»: تلك.

صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ

الوعد؛ قال: تمت كلمة ربك، أى: تم وعده لهم، وإنما سماها: حسنى لأنها كانت على وفق ما يحبون ﴿ ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه ﴾ أى: أهلكنا ذلك عليهم ﴿ وما كانوا يعرشون ﴾ أى يبنون ويسقفون تجبراً وتكبراً.

قوله - تعالى -: ﴿ وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ﴾ أى: يلازمون عبادة تلك الأصنام، وهم قوم من العمالقة رآهم بنو إسرائيل عاكفين على أصنام لهم ﴿ قالوا ياموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ﴾ ولم يكن ذلك من بنى إسرائيل شكًّا فى وحدانية الله - تعالى - وإنما معناه: اجعل لنا شيئا نعظمه ونتقرب بتعظيمه إلى الله - تعالى - وظنوا أن ذلك لايضر الديانة، وكان ذلك من شدة جهلهم.

﴿ قال إنكم قوم تجهلون إن هؤلاء متبر ما هم فيه ﴾ أى: مُدمَّر ما هم فيه ﴿ وباطل ما كانوا يعملون ﴾.

﴿ قال ﴾ يعنى: موسى ﴿ أغير الله أبغيكم إلها ﴾ أى: أطلب لكم إلها تعظمونه غير الله ﴿ وهو فضلكم على العالمين ﴾ وفى الخبر المعروف: «أن رسول الله ﷺ لما رجع من حنين مرّ على شجرة يقال لها: ذات أنواط، وقد عكف حولها قوم من الأعراب يعظمونها، وقد علقوا عليها أسلحتهم، فقال أصحابه: يارسول الله، لو جعلت لنا ذاتَ أَنْواط كما لهم ذاتُ أَنْواط. فقال - عليه الصلاة والسلام - الله أكبر، هذا مثل ما قال قوم موسى لموسى: ﴿ اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ﴾»(١).

---

(١) رواه الترمذى (٤/ ٤١٢ -٤١٣/رقم ٢١٨٠)، وقال: حسن صحيح، والنسائى فى الكبرى (٦/ ٣٤٦/ رقم ١١١٨٥)، وأحمد (٥/ ٢١٨)، والطيالسى (ص١٩١/رقم ١٣٤٦)، والحميدى (٢/ ٣٧٥/ رقم ٨٤٨)، وعبد الرزاق (١١/ ٣٦٩/ رقم ٢٠٧٦٣)، وابن أبى شيبة (١٥/ ١٠١/ رقم ١٩٢٢٢)، وأبو يعلى (٣/ ٣٠/ رقم ١٤٤١)، وابن حبان - الإحسان - (١٥/ ٩٤/ رقم ٦٧٠٢) من حديث أبى واقد الليثى.

فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ

قوله - تعالى -: ﴿ وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ﴾ أى: يذيقونكم شر العذاب، وقد ذكرنا معنى هذا فى سورة البقرة.

﴿ يقتلون أبناءكم ﴾ يعنى: صغار أبناءكم ﴿ ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم ﴾ قيل معناه: فى تعذيبهم إياكم بلاء من ربكم عظيم، وقيل: فى إنجائنا إياكم ﴿ بلاء من ربكم عظيم ﴾ أى: نعمة.

قوله - تعالى -: ﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر ﴾ قال المفسرون: هى أيام ذى القعدة وعشر من ذى الحجة ﴿ فتم ميقات ربه أربعين ليلة ﴾ فإن قيل: ذِكْر الثلاثين و العشر يغنى عن ذكر الأربعين، فما معنى هذا التكرار؟ قيل: كرره تأكيداً، وقيل: فائدة قوله: ﴿ فتم ميقات ربه أربعين ليلة ﴾ قطع الأوهام عن الزيادة؛ لأنه لما وَقَّتَ الثلاثين أولاً، ثم زاد عليه عشراً، ربما يقع فى الأوهام زيادة أخرى، فذكره لقطع الأوهام عن الزيادة، وذكر الثلاثين فى الابتداء والعشر مفصلا: ليعلم أن الميقات كان كذلك مفصلا ثلاثين ذى القعدة وعشراً من ذى الحجة.

وفى القصة: أن الله تعالى أمر موسى أن يصوم ثلاثين يومًا ثم يأتى الطور ليكلمه؛ فصام ثلاثين يومًا ليلاً ونهاراً.

وفى بعض التفاسير: صام ثلاثين يومًا فتغيرت رائحة فمه، فأخذ ورق الخرنوب وتناوله؛ لتزول رائحة فمه، فأمره الله تعالى أن يصوم عشراً أخر؛ لتعود الرائحة، وتمام القصة فى الآية الثانية.

﴿ وقال موسى لأخيه هارون اخلفنى فى قومى ﴾ استخلفه على قومه ﴿ وأصلح ﴾ أى: ارفق ﴿ و لاتتبع سبيل المفسدين ﴾ أى: لاتتبع آراءهم وأهواءهم.

﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ

قوله تعالى: ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا﴾ يعنى الوقت الذى وقّت له على ما بيّنا ﴿وكلمه ربه﴾ وفى القصة: أن الله - تعالى - لما استحضره بجانب الطور [و][1]أنزل ظلمة على سبعة فراسخ، وطرد عنه الشيطان، ونحى عنه الملكين، وكلمه حتى أسمعه وأفهمه. وفى القصة: كان جبريل معه فلم يسمع ما كلمه ربه.

﴿قال ربّ أرنى أنظر إليك﴾ قال الزجاج: فيه حذف، وتقديره أرنى نفسك أنظر إليك. فإن قال قائل: كيف سأل الرؤية وقد علم أن الله عز وجل لايرى فى الدنيا؟ قال الحسن: هاج به الشوق؛ فسأل الرؤية. وقيل: سأل الرؤية ظنًا منه أنه يجوز أن يرى فى الدنيا.

﴿قال لن ترانى﴾ يستدل من ينفى الرؤية بهذه الكلمة، وليس لهم فيها مستدل؛ وذلك لأنه لم يقل: إنى لا أُرى؛ حتى يكون حجة لهم؛ ولأنه لم ينسبه إلى الجهل فى سؤال الرؤية، كما نسب إليه قومه بقولهم: «اجعل لنا إلها كما لهم آلهة» لما لم يجز ذلك، وأما معنى قوله ﴿لن ترانى﴾ يعنى: فى الحال أو فى الدنيا.

﴿ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى﴾ معناه: اجعل الجبل بينى وبينك؛ فإنه أقوى منك، فإن استقر مكانه فسوف ترانى؛ وفى هذا دليل على أنه يجوز أن يُرى؛ لأنه لم يعلّق الرؤية بما يستحيل وجوده؛ لأن استقرار الجبل مع تجليه له غير مستحيل، بأن يجعل له قوة الاستقرار مع التجلى.

﴿فلما تجلى ربه للجبل﴾ أن ظهر للجبل. قيل: إنه جعل للجبل بصراً وخلق فيه حياة، ثم تجلى له فتدكدك على نفسه. وروى حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس عن النبى ﷺ أنه قال: «إن الله - تعالى - تجلى للجبل بقدر أنملة الخنصر، ثم وضع ثابت إبهامه على أنملة خنصره، فقيل له: أتقول بهذا؟ فقال: يقول به أنس ورسول الله ﷺ، ولا

(١) من «ك».

مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَا مُوسَىٰ

أقول به أنا!: وضرب في صدر القائل»(١) وفي بعض الروايات «أنه تجلى للجبل بقدر جناح بعوضة أو أقل».

﴿جعله دكًا﴾ قال ابن عباس: صار ترابا. وقال الحسن وسفيان: ساخ في الأرض، وفي بعض التفاسير: أنه صار ستة أَجْبَل: ثلاثة بمكة: وذلك ثور وثبير وحراء، وثلاثة بالمدينة: رضوى وأحد وورقان، وقيل: انقلع الجبل من أصله، ووقع في البحر، فهو يذهب فيه إلى يوم القيامة.

وأما من حيث اللغة: قال الزجاج: معنى قوله: ﴿جعله دكًا﴾ أي: مدكوكًا مدقومًا(٢)، وقرأ حمزة والكسائي: «جعله دكاء» ممدودًا(٣)، يقال: أرض دكاء إذا كان فيها ناتئ ومواضع مرتفعة كالقلال، والدَّكَّاوات: الرواسي من الأرض، ومعناه: أنه جعله كالأرض المرتفعة، وخرج من كونه جبلا.

وقوله: ﴿وخرّ موسى صعقا﴾ قال قتادة: أي ميتًا، وكان قد مات تلك الساعة. وقال الحسن وابن عباس: خر مغشيًا عليه. وهذا أليق بالنظم؛ لأنه قال ﴿فلما أفاق قال سبحانك﴾ وهذا التنزيه. ﴿تبت إليك﴾ يعني: من سؤال الرؤية قبل الإذن ﴿وأنا أول المؤمنين﴾ يعني أنا أول المؤمنين بأن من يراك متجليا في الدنيا لايستقر مكانه، وقيل معناه: أنا أول المؤمنين بأنك لاترى في الدنيا.

(١) أخرجه الترمذي(٥/٢٤٨/رقم٣٠٧٤)،وأحمد (٣/١٢٥)،والطبري(٩/٣٧)، وابن أبي عاصم في السنة (ص ٢١٠/ رقم ٤٨٠)، وابن خزيمة في التوحيد (ص٧٥)، والحاكم (٢/٣٢٠ - ٣٢١) وقال: صحيح على شرط مسلم، وابن عدي في الكامل (٢/٢٦٠)، وابن الجوزي في الموضوعات (١/١٣٣) وقال: وهذا حديث لا يثبت. قال ابن عدي: كان ابن ابي العرجاء ربيب حماد بن سلمة، فكان يدس في كتبه هذه الأحاديث. ورواه ايضًا عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبو الشيخ، والبيهقي في كتاب الرؤية كما في الدار (٣/١٢٩). وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة. وقال الذهبي في تلخيص الموضوعات - بتحقيقنا - رقم (١٨): سنده قوي مع نكارته. وراجع كلام المعلمي - رحمه الله - في الفوائد المجموعة (ص ٤٤٦).

(٢) مدقومًا: أي مكسورًا، لسان العرب (١٢/٢٠٣).

(٣) وهي قراءة خلف أيضًا. انظر النشر (٢/٢٧١ - ٢٧٢).

إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾
وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ

قوله تعالى: ﴿ياموسى إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى﴾ فإن قال قائل: قد أعطى غيره الرسالات، فما معنى قوله: ﴿اصطفيتك على الناس برسالاتى﴾؟ قيل: لما لم يكن إعطاء الرسالة على العموم فى حق الناس، استقام قوله: ﴿اصطفيتك على الناس برسالاتى﴾ وإن شاركه فيها غيره، وهذا مثل قول الرجل: خصصتك بمشورتى، وإن شاور غيره، لكن لما لم تكن المشاورة على العموم؛ استقام الكلام. ﴿فخذ ماآتيتك وكن من الشاكرين﴾ لما أنعمت عليك من إعطاء الرسالة والكلام، وهذه الآية فى تسلية موسى - صلوات الله عليه - حيث سأل الرؤية فلم يحظ بها.

قوله تعالى: ﴿وكتبنا له فى الألواح﴾ وأراد به التوراة، وفى الخبر: «أن الله - تعالى - خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس شجرة طوبى بيده»[1].

واختلفوا فى تلك الألواح، قال الحسن: كانت الألواح من خشب، وقال مجاهد: كانت من زبرجد أخضر، وقال سعيد بن جبير: كانت من ياقوتة حمراء، وقال أبو العالية: كانت من برد. وقيل: نزلت الألواح والتوراة مكتوبة عليها كنقش الخاتم.

﴿من كل شىء موعظة﴾ أى: تذكرة، وحقيقة الموعظة: هى التذكير والتحذير مما يخاف عاقبته. ﴿وتفصيلا لكل شىء﴾ أى: بيانا للحلال والحرام وما أمروا به، وما نهو عنه ﴿فخذها بقوة﴾ أى: بجد واجتهاد، وقيل معناه: بقوة القلب.

﴿وأمر قومك يأخذوا بأحسنها﴾ قال قطرب: أى: بحسنها. واعلم أن الأحسن ما

(١) رواه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (ص٢٧/رقم ٤١)، والخرائطى فى مساوئ الأخلاق (ص١٦٢/رقم ٤٢٦)، وأبو الشيخ فى العظمة (ص ٣٧٢/ رقم ١٠٢٩) وأبو نعيم فى صفة الجنة (ص١١/ رقم ٢٣)، والبيهقى فى الأسماء والصفات (ص٤٠٣) عن عبد الله بن الحارث. وقال البيهقى: هذا مرسل.
وعزاه السيوطى بنحوه فى الدر (٣/ ١٣٢) لعبد بن حميد عن مغيث الشامى، وللطبرانى فى السنة عن ابن عمر. وعزاه فى (٣/ ١٣١) لابن أبى شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، عن حكيم بن جابر.

يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُوا

كان فيه من الفرائض المكتوبة والنوافل المندوب إليها فإنها الأحسن، وأما الحسن: ما كان مباحا، وقيل: معنى قوله: ﴿ يأخذوا بأحسنها ﴾ أى: بأحسن الأمرين فى كل شيء، كالعفو أحسن من الاقتصاص، والصبر أحسن من الانتصار ﴿ سأريكم دار الفاسقين ﴾ وقرأ قَسَامة بن زهير: « سأورِّثكم » من التوريث، فعلى هذا معناه: سأورثكم أرض مصر، وأما القراءة المعروفة « سأريكم » قال مجاهد وجماعة: سأريكم جهنم، وقيل: أرادبه مصارع الكفار. قال قتادة: دار الفاسقين أراد بها الشام؛ على معنى: أريكم فيها ما أهلكت من قرى الكفار قبلكم؛ لأن موسى خرج بهم إلى الشام.

قوله - تعالى -: ﴿ سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق ﴾ قال سفيان بن عيينة معناه: سأمنعهم فَهْمَ القرآن، قال الزجاج تقديره: سأصرفهم عن قبول آياتى، وأما التكبر: هو طلب الفضل من غير استحقاق.

﴿ وإن يروا كل آية لايؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلا ﴾ وقرأ أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المقرئ: « سبيل الرشاد » والمعروف: « سبيل الرُّشْد » ويقرأ أيضا: « سبيل الرَّشَد »(١) والرَّشَد والرُّشْد واحد، وهو الصلاح.

﴿ وإن يروا سبيل الغىّ يتخذوه سبيلا ﴾ يعنى: سبيل الضلالة ﴿ ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ﴾ لأنهم لما لم يتدبروا القرآن فكأنهم عنه غافلين ﴿ والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم ﴾ أى: بطلت أعمالهم ﴿ هل يجزون إلا ما كانوا يعملون ﴾.

قوله تعالى: ﴿ واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم ﴾ ويقرأ: « من حِلِيِّهم »(٢)

(١) قرأ حمزة، والكسائى، وخلف بفتح الراء والشين وقرأ الباقون بضم الراء، وإسكان الشين. انظر النشر (٢/ ٢٧٢).

(٢) انظر المصدر السابق.

يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ

﴿عجلا جسدا له خوار﴾ أى: جسد له خوار، ويقرأ فى الشواذ: «له جؤار» وهو بمعنى الخوار، وفى القصة: أن موسى - صلوات الله عليه - لما أراد الخروج إلى الطور قال لقومه: أرجع إليكم بعد ثلاثين يوما، فلما لم يرجع إليهم بعد الثلاثين ظنوا أنه مات، وكان السامرى فى بنى إسرائيل مطاعًا بينهم، وكان صائغا، فقال لهم: اجمعوا لى ما أخذتم من الحلىّ من آل فرعون أصنع لكم شيئًا، فدفعوا إليه ما أخذوا من الحلى فصاغ منه العجل، قال الحسن: كان السامرىّ قد رأى جبريل يوم غرق فرعون على فرس، فأخذ قبضة من أثر قدم فرسه.

قال عكرمة: أُلْقِىَ فى روعه أنه فى أى شىء ألقى تلك القبضة من التراب يحيا بها ذلك الشىء، وذلك أنه رأى مواضع قدم الفرس تخضر فى الحال وتنبت، فلما صاغ العجل أُلْقِى فى روعه أن يلقى تلك القبضة فى فمه فألقاها فى فم العجل فحيى، فصار لحما ودما من ذهب، وله خوار فإنه خار، ثم قال السامرىّ: ﴿هذا إلهكم وإله موسى فنسى﴾(1) على ما سيأتى فى قصته فى سورة طه، وقيل: إنه ما خار إلا مرة، وقيل كان يخور كثيراً، كما تخور البقرة، وكان كلما خار سجدوا له، وكلما سكت رفعوا رءوسهم.

وقال بعض المفسرين: لم تنبت فيه حياة أصلا، ولم يكن له خوار حقيقة، وإنما الذى سمعوا من الخوار كان بحيلة، والصحيح هو الأول. ثم اختلفوا فى عدد الذين عبدوا العجل، قال الحسن: كلهم عبدوه إلا هارون وحده، وقيل: - وهو الأصح -: عبده كلهم إلا هارون واثنا عشر ألف رجل منهم.

﴿ألم يروا أنه لايكلمهم ولايهديهم سبيلا﴾ وهذا دليل على أن الله متكلم لم يزل ولايزال؛ لأنه استدل بعدم الكلام من العجل على نفى الإلهية.

---

(1) طه: ٨٨.

وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي

﴿ ولايهديهم سبيلا ﴾ أى: طريقا ﴿ اتخذوه وكانوا ظالمين ﴾ بوضع الإلهية فى غير موضعها.

قوله تعالى: ﴿ ولما سقط فى أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا ﴾ قال الفراء: تقول العرب: سقط فلان فى يده إذا بقى نادما متحيرا على ما فاته، كأنه حصّل الندم فى يده ﴿ قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ﴾.

قوله تعالى: ﴿ ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا ﴾ قال أبو الدرداء: الأسف: شديد الغضب، وقيل: الأسف: أشد الحزن، وكأن موسى رجع نادمًا حزينًا يقول: ليتنى كنت فيهم فلم يقع لهم ما وقع.

﴿ قال بئسما خلفتمونى من بعدى ﴾ أى: (بئسما فعلتم خلفى)[1] ﴿ أعجلتم أمر ربكم ﴾ معناه: أسبقتم أمر ربكم، يعنى: بفعلكم الذى فعلتم من غير أمر ربكم، وقيل معناه: استعجلتم وعد ربكم.

﴿ وألقى الألواح ﴾ وكان حاملا لها، فألقاها على الأرض من شدة الغضب، وفى التفسير: أنه لما ألقاها رجع بعضها إلى السماء وبقى منها لوحان[2]، فرجع ما كان فيه أخبار الغيب، وبقى ما كان فيه الموعظة والأحكام من الحلال والحرام، وقيل: لما ألقى الألواح انكسر بعضها، فشدها موسى بالذهب ﴿ وأخذ برأس أخيه ﴾ يعنى: هارون، وفيه حذف، وتقديره: وأخذ بشعر رأس أخيه ﴿ يجره إليه قال ابن أم ﴾ يعنى هارون قال لموسى: ابن أمّ، ويقرأ بكسر الميم ونصبها[3]، فأما بكسر الميم معناه يا ابن أمى، قال الشاعر:

(١) فى «ك» بئسما خلفتم بعدى.

(٢) فى «ك» لوحات.

(٣) قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائى، وخلف، وأبو بكر بكسر الميم وقرأ الباقون بفتحها. انظر النشر (٢/٢٧٢).

وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾

يا ابْنَ أُمِّي وياشُقَيِّقَ نَفْسِي ... أنتَ خَلَّفتني لأمرٍ كَؤودِ

وأما بنصب الميم، فوجه النصب فيه أن قوله: «ابن أمّ» كلمتان، لكنهما ككلمة واحدة، مثل قولهم: «حضر موت» و «بعلبك» ركب أحد الاسمين فى الآخر، فبقى على النصب تبيينا.

﴿إن القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى﴾ وفى القصة: أن هارون كان لما مضى ميقات الثلاثين يقوم بينهم خطيباً، فيخطب كل يوم ويبكى، ويقول: أنشدكم بالله لاتعبدوا العجل، فإن موسى راجع غدا - إن شاء الله - فهكذا كان يفعل ثلاثة أيام، فلما لم يرجع بعد الثلاث قالوا: إنه قد مات، فخلوه، وأقبلوا على عبادة العجل، فهذا معنى قوله: ﴿إن القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى فلا تشمت بى الأعداء﴾ والشماتة فعل ما يُسَرُّ به العدو ﴿ولاتجعلنى مع القوم الظالمين﴾ أى: لاتجعلنى مع الكافرين ومن جملتهم.

قوله تعالى: ﴿قال ربّ اغْفِر لى ولأخى﴾ يعنى ما فعلت بأخى من أخذ شعره، وجره، وكان بريئا، قوله: ﴿ولأخى﴾ يعنى: ما وقع له من تقصيره إن قصر ﴿وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين﴾.

قوله تعالى: ﴿إن الذين اتخذوا العجل﴾ فيه حذف، وتقديره: اتخذوا العجل إلها ﴿سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا﴾ قيل: أراد بالذلة الجزية، وقيل: أرادبه قتل بعضهم بعضاً مع علمهم أنهم قد ضلوا ﴿وكذلك نجزى المفترين﴾ أى: كل مفتر على الله، ومن القول المعروف فى الآية عن سفيان بن عيينة أنه قال: هذا فى كل مبتدع إلى يوم القيامة.

وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ

قوله تعالى: ﴿والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها﴾ أى: من بعد التوبة ﴿لغفور رحيم﴾.

قوله تعالى: ﴿ولما سكت عن موسى الغضب﴾ وقرأ معاوية بن قُرَّة: «ولما سكن عن موسى الغضب» وفى مصحف ابن مسعود وأبى بن كعب: «ولما سيّر عن موسى الغضب» وفى مصحف حفصة: «وإنما أسكت عن موسى الغضب» ومعنى الكل واحد أى: سكن عن موسى الغضب. والسكوت والإسكات معروف، ويقال: رجلٌ سِكِّيتٌ إذا كان كثير السكوت.

﴿أخذ الألواح﴾ وذلك أنه كان ألقاها فأخذها ﴿وفى نسختها﴾ اختلفوا فيه، قال بعضهم: أراد بها الألواح؛ وذلك أنّ لها أصل نسخت منه، وهو اللوح المحفوظ، وقيل: إن موسى لما ألقى الألواح انكسرت، فنسخ منها نسخة أخرى، فذلك المراد به من قوله: ﴿وفى نسختها هدى ورحمة﴾ أى: هدى من الضلالة، ورحمة من العذاب ﴿للذين هم لربهم يرهبون﴾.

قوله تعالى: ﴿واختار موسى قومه﴾ فيه حذف، أى: من قومه ﴿سبعين رجلا لميقاتنا﴾ وفى هذا دليل على أن كلهم لم يعبدوا العجل - وهو الأصح - واختلفوا أنه لأى شىء اختارهم؟ قال بعضهم: إنما اختارهم ليعتذروا إلى الله من عبادة أولئك الذين عبدوا العجل، وقيل: إنما اختارهم ليسمعوا كلام الله؛ فإنهم سألوا ذلك موسى ﴿فلما أخذتهم الرجفة﴾ قال مجاهد: رجفت بهم الأرض؛ فماتوا، وقيل: وقعت رعدة وزلزلة فى أعضائهم، حتى كاد ينفصل بعضها من بعض، وقيل: إنما أهلكهم عقوبة على ما سألوا من رؤية الله جهرة.

رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ

﴿ قال ربّ لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى ﴾ وذلك أن موسى ظن أن الله – تعالى – إنما أهلكهم بعبادة أولئك القوم العجل، وخاف أن بنى إسرائيل يتهمونه، ويقولون: إن موسى قتلهم؛ قال: ﴿ ربّ لو شئت أهلكتهم من قبل ﴾ يعنى: عند عبادة العجل قبل أن آتى بهم ﴿ وإيّاى ﴾ بقتل القبطى الذى كان موسى قتله، وقيل: أراد به المشيئة الأزلية، كأنه فوّض إهلاكهم إلى مشيئته، أى: لو شئت فى الأزل أهلكتهم وإياى ومَنْ فى العالم، فلا اعتراض لأحد عليك.

﴿ أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ﴾ اختلفوا فيه أنه كيف قال: أتهلكنا بما فعل السفهاء منا، وكان يعلم أن الله – تعالى – لايهلك أحداً بذنب غيره؟ فقال بعضهم: هذا استفهام بمعنى الجحد، وهو قول ابن الأنبارى أى: لاتهلكنا بفعل السفهاء، وهذا مثل قول الرجل لصاحبه: أتجهل علىّ وأنا أحلم؟! أى: لا أحلم، ويقال فى المثل: أغدة كغدة البعير؟ وموت فى بيت السلوليّة؟(١) أى: لايكون هذا قط، وقال الشاعر:

أتنسى حين تَصقُل عارضَيها بعودِ بَشامة سُقِىَ البَشامُ(٢)

أى: لاتنسى، وقيل: هو استفهام بمعنى الإثبات، والمراد منه السؤال، كأنه يسأله أتهلكنا بما فعل السفهاء منا؟.

﴿ إن هى إلا فتنتك ﴾ أى: بَلِيَّتُكَ ﴿ تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ﴾.

قوله تعالى: ﴿ واكتب لنا ﴾ أى: أوجب لنا ﴿ فى هذه الدنيا حسنة ﴾ وهى

(١) انظر مجمع الأمثال للنيسابورى (٢/ ٥٧/ رقم ٢٦٦٧).

(٢) هو بيت شعر لجرير، وصدر البيت فى اللسان: أتذكر يوم تصقل .. انظر لسان العرب. ونقل عن التهذيب: أتذكر إذ تودعنا سليمى.

أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي

النعمة والعافية ﴿وفى الآخرة﴾ أى: وفى الآخرة حسنة، فحذف.

﴿إنا هدنا إليك﴾ أى: تبنا إليك، وقرأ أبو وجزة السعدى: «هدنا إليك» بكسر الهاء، أى: ملنا إليك ﴿قال عذابى أصيب به من أشاء﴾ وهذا على وفق قول أهل السنة؛ فإن لله - تعالى - أن يصيب بعذابه من يشاء من عباده أذنب أو لم يذنب، وصحّف بعض القدرية، فقرأ(١): «عذابى أصيب به من أساء» من الإساءة، وليس بشىء.

﴿ورحمتى وسعت كل شىء﴾ قال الحسن وقتادة: وسعت رحمته البَرَّ والفاجر فى الدنيا، وهى للمتقين يوم القيامة، وفى الآثار: الرحمة مسجّلة للبر والفاجر فى الدنيا.

﴿فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبى الأمى﴾ وهذه فضيلة عظيمة لهذه الأمة، وذلك أن موسى - صلوات الله عليه - سأل أن يكتب الرحمة له ولأمته، فكتبها لأمة محمد ﷺ وفى الأخبار: «أن موسى - صلوات الله عليه - قال: ياربّ، إنى أجد فى التوراة أمة يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويؤمنون بالله، فاجعلهم من أمتى، قال الله - تعالى -: تلك أمة أحمد. فقال: يارب إنى أجد فى التوراة أمة صدقاتهم فى بطونهم - يعنى: يأكلها فقراؤهم، وكانت صدقات قومه ومن قبلهم تأكلها النار - فاجعلهم من أمتى، فقال - تعالى -: تلك أمة أحمد. فقال: يارب، إنى أجد فى التوراة أمة هم آخر الناس خروجًا، وأوّل الناس فى الجنة دخولا، فاجعلهم من أمتى. فقال: تلك أمة أحمد. فقال: يارب، إنى أجد فى التوراة أمة أناجيلهم فى صدورهم، يراعون الشمس والأوقات لذكرك، فاجعلهم من أمتى. فقال: تلك أمة أحمد. فقال: يارب، إنى أجد

(١) فى «ك»: فقال.

التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا

فى التوراة أمة إذا هَمَّ أحدهم بحسنة كتبتها له حسنة، وإن عمل بها كتبتها له عشراً إلى سبعمائة ضعف، وإذا هَمَّ بسيئة لم تكتبها (عليه)(١)، فإن عمل بها كتبتها عليه واحدة، اجعلهم من أمتى، فقال: تلك أمة أحمد. فألقى الألواح، وقال: اللهم اجعلنى من أمة محمد»(٢). وهذا قول آخر، ذكر فى سبب إلقائه الألواح، والأول أظهر.

قوله تعالى: ﴿الذين يتبعون الرسول النبى الأمى﴾ هو محمد ﷺ وقد بينا معنى الأمى فيما سبق.

﴿الذى يجدونه مكتوبًا﴾ أى: موصوفًا ﴿عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات﴾ يعنى: ما حرّمه الكفار من السوائب والوصائل والبحائر والحوامى، ونحو ذلك ﴿ويحرم عليهم الخبائث﴾ وذلك مثل: الميتة والدم ولحم الخنزير ونحوه ﴿ويضع عنهم إصرهم﴾ الإصر: كل ما يثقل على الإنسان من قول أو فعل، والإصر: العهد الثقيل، وإصرهم: أن الله – تعالى – جعل توبتهم بقتلهم أنفسهم ﴿والأغلال التى كانت عليهم﴾ وذلك مثل ما كان عليهم من قرض موضع النجاسة عن الثوب بالمقراض، ولايجزئهم غسلها، وأنه كان لاتجوز صلاتهم إلا فى الكنائس، وأنه لايجوز لهم أخذ الدية عن القتيل بل كان يتعين القصاص، وكان يجب عليهم قطع الجوارح الخاطئة لايسعهم غير ذلك، فسمّاها أغلالا؛ لأنها كانت كالطوق فى عنقهم.

﴿فالذين آمنوا به﴾ أى: بمحمد ﷺ ﴿وعزّروه﴾ أى: عظموه ﴿ونصروه واتبعوا

(١) فى «الأصل وك»: عليها.

(٢) روى هذا ونحوه عن ابن عباس، وأبى هريرة، وقتادة، وكعب الأحبار، انظر الدرالمنثور (٣/١٣٣ – ١٣٦).

النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ

النور الذى أنزل معه ﴾ وهو القرآن ﴿ أولئك هم المفلحون ﴾.

قوله تعالى: ﴿ قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته ﴾ يعنى: محمداً ﷺ يؤمن بالله وبالقرآن ويقرأ: «وكلمته» قيل: هى القرآن أيضًا، وقال بعضهم: أراد بالكلمة: عيسى - صلوات الله عليه - ﴿ واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾.

قوله تعالى: ﴿ ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ﴾ روى الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس أنه قال: هؤلاء قوم بأقصى الشرق وراء الصين عند مطلع الشمس، كانوا على شريعة موسى - صلوات الله عليه - إلى أن بعث محمد ﷺ فلما بعث محمد آمنوا به، وكانوا على الحق من لدن موسى إلى زمان محمد عليهما السلام - وقيل: هم الذين أسلموا فى زمن النبى ﷺ من اليهود مثل (ابن)(١) صوريا، وابن سلام، ونحوهما، والأول أظهر.

وقوله: ﴿ وبه يعدلون ﴾ أى: يقومون بالحق والعدل.

قوله تعالى: ﴿ وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا أمما ﴾ أى: فرقناهم فرقًا، وقوله: ﴿ اثنتى عشرة ﴾ يقال فى اللغة: اثنتى عشرة بكسر الشين وبجزم الشين، والجائز فى القرآن بجزم الشين، فإن قيل: لِمَ لمْ يقل: اثنى(٢) عشر أسباطا على التذكير؟ قيل: إنما ذكره على التأنيث لأنه يرجع إلى الأمم.

(١) فى الأصل: أبى وهو خطأ.

(٢) فى «ك»: اثنا.

فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾

قالوا: وفى الآية تقديم وتأخير، وتقديرها: وقطعناهم أسباطا أمما اثنتى(١) عشرة، وقيل فيه حذف، وتقديره: وقطعناهم اثنتى عشرة فرقة أسباطا أمما، فيكون بدلا عن الفرقة، وقد بيّنا أن الأسباط فى بنى إسحاق كالقبائل فى بنى إسماعيل، وأنشدوا فى السبط:

عـلـىّ والثـلاثة مـن بنيـه ... هم الأسباط ليس بهم خَفَاءُ
فسبطٌ سِبْـطُ إيمـان وبر ... وسبـطٌ غَيَّبَتْهُ كـربلاءُ

أى: كرب وبلاء.

﴿وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر﴾ وقد بينا هذا فى سورة البقرة.

﴿فانبجست منه اثنتا عشرة عينا﴾ أى: انفجرت ﴿قد علم كل أناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ وقد سبق تفسيره فى سورة البقرة.

وقوله تعالى: ﴿وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطاياكم﴾ ويقرأ: «خطيئاتكم»(٢) وكلاهما واحد ﴿سنزيد المحسنين﴾ وقد بينا هذا أيضا فى سورة البقرة.

﴿فبدل الذين ظلموا﴾ وقد بينا معنى هذا التبديل ﴿منهم قولاً غير الذى قيل

(١) فى «ك»: اثنتا.

(٢) انظر النشر (٢/٢٧٢).

وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ

لهم فأرسلنا عليهم رجزا من السماء ﴾ أى عذابا من السماء ﴿ بما كانوا يظلمون ﴾.

قوله تعالى ﴿ واسألهم عن القرية ﴾ هذا سؤال توبيخ وتقريع لاسؤال استعلام، واختلفوا فى تلك القرية، قال ابن عباس: هى الأيلة. وقال الزهرى: هى طَبَرِيَّة الشام. وقيل: إنها مدين ﴿ التى كانت حاضرة البحر ﴾ أى: مجاورة البحر ﴿ إذ يعدون فى السبت ﴾ أى: يجاوزون أمر الله فى السبت، وكان الله - تعالى - حرّم عليهم أن يعملوا فى السبت عملا سوى العبادة.

﴿ إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ﴾ أى: ظاهرة، قاله ابن عباس، ومنه الشوارع لظهورها، وقيل: هو من الشروع، وهو الدخول، فيكون معناه أن تلك القرية كان بجنبها خليج البحر، فتدخله الحيتان يوم السبت ولاتدخله فى سائر الأيام. وفى القصة: أنها كانت تأتيهم مثل الكباش السمان البيض يوم السبت تشرع إلى أبوابهم، ثم لايرى شىء منها فى غير يوم السبت فذلك قوله: ﴿ ويوم لايسبتون لاتأتيهم ﴾ وقرأ الحسن: «لايُسْبِتون» بضم الياء، أى: لايدخلون فى السبت، والمعروف: «لايَسبتون» ومعناه: لايعظمون السبت، يقال: (أسبت)[1] إذا دخل السبت، وسبت إذا عظَّم السبت، يعنى: ويوم لايعظمون السبت ﴿ لاتأتيهم ﴾ وعلى قراءة الحسن: ويوم لايدخلون السبت لاتأتيهم، وكان ذلك ابتلاء من الله - تعالى - لهم كما قال: ﴿ كذلك نبلوهم ﴾ أى: نختبرهم ﴿ بما كانوا يفسقون ﴾.

قوله تعالى: ﴿ وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قومًا ﴾ وفى القصة: أنهم احتالوا بحيلة الاصطياد؛ فكانوا يضعون الحبال يوم الجمعة حتى تقع فيها الحيتان يوم السبت، ثم يأخذونها يوم الأحد، وقيل: إن الشيطان وسوس إليهم أن الله - تعالى -

---

(١) فى «الأصل وك»: السبت وهو خطأ، وانظر لسان العرب (مادة: سبت).

رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ

لم ينهاكم عن الاصطياد فى هذا اليوم وإنما نهاكم عن الأكل، فاصطادوا يوم السبت، ثم افترقوا على ثلاث فرق: فرقة اصطادت، وفرقة نهت وأمرت بالمعروف، وفرقة سكتت؛ فقالت الفرقتان للفرقة العاصية: لانساكنكم قرية عصيتم الله فيها؛ فاعتزلتا القرية وخرجوا، فلما أصبحوا جاءوا إلى باب القرية، فلم يفتحوا لهم الباب؛ فجاءوا بسلّم، فلما صعدوا بالسلم، رأوهم قد مسخوا قِرَدة، قال قتادة: كانت لهم أذناب يتعاوون.

فقوله: ﴿وإذ قالت أمة منهم﴾ هى الفرقة الساكتة، قالت للفرقة الناهية: ﴿لم تعظون قومًا﴾ يعنى: الفرقة العاصية ﴿الله مهلكهم أو معذبهم عذابًا شديدًا قالوا معذرة إلى ربكم﴾ أى: موعظتنا معذرة، وذلك أنَّا قد أمرنا بالأمر بالمعروف، فنأتهم هذا الأمر وإن لم يقبلوا؛ حتى يكون ذلك لنا عذرا عند الله - تعالى - ويقرأ «معذرةَ» بالنصب(١)، أى: نعتذر معذرة إلى ربكم ﴿ولعلهم يتقون﴾.

قوله تعالى: ﴿فلما نسوا ما ذكروا به﴾ أى: تركوا ما ذكروا به، قيل: كانوا يصطادون سبعة أيام، وقيل: كانوا قد اصطادوا يوما واحدا.

﴿أنجينا الذين ينهون عن السوء﴾ يعنى: الفرقة الناهية ﴿وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس﴾ يعنى: الفرقة العاصية، فأخذناهم بعذاب بئيس على وزن فعيل. وبئس على وزن فعل، وبئّس على وزن فعلل، والكل واحد، ومعناه: بعذاب شديد، قال ابن عباس: بعذاب لارحمة فيه.

﴿بما كانوا يفسقون﴾ قال ابن عباس: أدرى أن الفرقة العاصية قد هلكت، وأن الفرقة الناهية قد نجت، ولا أدرى ما حال الفرقة الساكتة.

قال عكرمة: مازلت أنزله - يعنى: من الآيات درجة درجة - وأبصّره - يعنى: ابن عباس - حتى قال: نجت الفرقة الساكتة، وكسانى بذلك حلّة. فإن عكرمة كان

(١) هى قراءة حفص، وقرأ الباقون بالرفع، انظر النشر (٢ / ٢٧٢).

كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ

يكلمه فى الآية، ويستدل بظاهرها؛ حتى ظهر الدليل لابن عباس على نجاة الفرقة الساكتة، ومن الدليل عليه فى ظاهر الآية أنه قال: ﴿فلما نسوا ما ذكروا به﴾ وتلك الفرقة لم ينسوا ذلك، والثانى أنه قال: ﴿أنجينا الذين ينهون عن السوء﴾ والفرقة الساكتة قد نهوا نهى تحذير بقولهم(١): لم تعظون قوما الله مهلكهم.

والثالث أنه قال: ﴿وأخذنا الذين ظلموا﴾ يعنى: بالاصطياد يوم السبت؛ وهم ما ظلموا بالاصطياد، قال الحسن البصرى: نجت الفرقتان، وهلكت واحدة.

وقوله تعالى: ﴿فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين﴾ وهذا أمر تكوين، وقوله: ﴿خاسئين﴾ أى: مبعدين.

قوله تعالى: ﴿وإذ تأذن ربك﴾ أى: أَعْلَم ربك، قال الشاعر:

تَأَذَّن إنَّ شَـرَّ النـاس حى ... يُنادَى من شِعارِهم يَسَارُ

وقال الزجاج: معناه: تألّى ربك وحلف ﴿ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب﴾ أى: يذيقهم سوء العذاب، وهو الجزية، وقيل: هو قتل بختنصر إياهم فإن قال قائل: كيف يبعث عليهم العذاب، وقد أهلكهم؟ قيل: أراد به على أبنائهم، ومن يأتى بعدهم ﴿إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم﴾.

قوله تعالى: ﴿وقطعناهم فى الأرض أمما﴾ أى: فرقناهم فرقًا، ومعناه: شتتنا أمر اليهود فلا يجتمعون على كلمة واحدة ﴿منهم الصالحون﴾ يعنى: الذين أسلموا منهم ﴿ومنهم دون ذلك﴾ يعنى الذين بقوا على الكفر.

﴿وَبَلَوْنَاهم﴾ أى: اختبرناهم ﴿بالحسنات والسيئات﴾ أى: بالخصْب والجدب والخير والشر ﴿لعلهم يرجعون﴾.

(١) فى «ك»: بقوله.

﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لاَّ يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾

قوله تعالى: ﴿ فخلف من بعدهم خلف ﴾ اعلم أن الخلف يقال في الذم والمدح جميعا، لكن عند الإطلاق الخلف للمدح، والخلْف للذم، قال الشاعر:

لنا القدم الأولَى إليْكَ وَخَلْفُنا لأولنا في طاعةِ اللـهِ تابـع

وهاهنا للذم، وأراد به أبناء الذين سبق ذكرهم من أصحاب السبت ﴿ ورثوا الكتاب ﴾ يعني: انتقل إليهم الكتاب ﴿ يأخذون عرض هذا الأدنى ﴾ أي: حطام الدنيا، وإنما سميت الدينا دنيا؛ لأنها أدنى إلى الخلق من الآخرة؛ ولذلك قال: ﴿ عرض هذا الأدنى ﴾.

﴿ ويقولون سيغفر لنا ﴾ وهذا اغترار منهم بالله - تعالى - وفي الحديث: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والفاجر من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله المغفرة» (١) ﴿ وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ﴾ قال مجاهد: وصفهم بالإصرار على الذنب، وقيل معناه: إنهم يأخذون أخْذاً بعد أخذ لايبالون من حلال كان أو من حرام، بل يأخذون من غير تفتيش.

﴿ ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله إلا الحق ﴾ أي: أخذ عليهم العهد ألا يقولوا على الله الباطل في التوراة ﴿ ودرسوا ما فيه ﴾ أي: علموا ذلك فيه بالدرس، قاله الضحاك، ودرس الكتاب: قراءته مرة بعد أخرى ﴿ والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون ﴾.

(١) رواه الترمذي (٤ / ٥٥٠ / رقم ٢٤٥٩)، وابن ماجة (٢ / ١٤٢٣ / رقم ٤٢٦٠)، وأحمد (٤ / ١٢٤)، والطبراني في الكبير (٧ / ٢٨٤ / رقم ٧١٤٣)، والحاكم (١ / ٥٧)، والبيهقي في الآداب (ص ٣٢٨) من حديث شداد بن أوس. وقال الترمذي: هذا حديث حسن. وقال الحاكم: صحيح على شرط البخاري؛ فتعقبه الذهبي في تلخيصه وقال: لا والله، وأبو بكر واهٍ.

وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ

قوله تعالى: ﴿ والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة ﴾ قيل: هذا فى أمة محمد ﷺ وقيل: هو فيمن أسلم من اليهود، يمسكون بالقرآن، وأقاموا الصلاة ﴿ إنا لانضيع أجر المصلحين ﴾.

قوله تعالى: ﴿ وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة ﴾ نتقنا أى: رفعنا الجبل فوقهم، وقد ذكر هذا فى سورة البقرة ﴿ وظنوا أنه واقع بهم ﴾ يعنى: وأيقنوا، والظن: اليقين، وقيل: غلب على ظنهم أنه واقع بهم ﴿ خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ﴾ وقد ذكرنا القصةفى سورة البقرة.

قوله تعالى: ﴿ وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ﴾ فى الآية نوع إشكال، وشرحها وتفسيرها فى الأخبار، روى مالك فى الموطأ بإسناده عن مسلم بن يسار الجهنى عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أنه سئل عن هذه الآية، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله - تعالى - مسح ظهر آدم، فاستخرج منه ذرية، وقال: هؤلاء فى الجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهر آدم فاستخرج ذرية، وقال: هؤلاء أهل النار، وبعمل أهل النار يعملون، فقيل: يارسول الله، ففيم العمل إذًا؟ فقال: إن الله - تعالى - إذا خلق للجنة أهلاً استعملهم بعمل أهل الجنة حتى يدخلهم الجنة، وإذا خلق للنار خلقًا استعملهم بعمل أهل النار حتى يدخلهم النار»(١) والمعروف والذى عليه جماعة المفسرين فى معنى الآية أن الله - تعالى -

(١) رواه مالك فى الموطأ (٢/٨٩٨)، وأبو داود (٤/٢٢٦-٢٢٧رقم٤٧٠٣، ٤٧٠٤)، والترمذى (٥/٢٤٨-٢٤٩/رقم٣٠٧٥)، وأحمد (١/٤٤-٤٥)، والطبرى (٩/١١٣)، وابن أبى عاصم (١/٨٧)، وابن حبان - الإحسان - (١٤/٣٧-٣٨/ رقم٦١٦٦)، والحاكم (١/٢٧) و (٢/٥٤٤ - ٥٤٥) وقال: صحيح على شرط الشيخين، وتعقبه الذهبى فى الموضع الأول وقال: فيه إرسال.

وقال الترمذى: هذا حديث حسن، ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر وقد ذكر بعضهم فى هذا الإسناد بين مسلم بن يسار، وعمر. رجلاً مجهولاً، وفيهما ضعف كما بين الترمذى والذهبى وغيرهما. ورجح الدارقطنى فى العلل (٢/٢٢٢) الرواية الموصولة.

أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ

مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فأخرج منه ذرية بيضاء كهيئة الذر يتحركون، ثم مسح صفحة ظهر آدم اليسرى فأخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر، فقال: يا آدم، هؤلاء ذريتك، ثم قال لهم: ﴿ألست بربكم﴾؟ قالوا: بلى، فقال للبيض: هؤلاء فى الجنة برحمتى ولا أبالى، وهم أصحاب اليمين، وقال للسود: هؤلاء فى النار ولا أبالى، وهم أصحاب الشمال، ثم أعادهم جميعًا فى صلبه، فأهل القبور محبوسون حتى يخرج أهل الميثاق كلهم من أصلاب الرجال وأرحام النساء.

قال الله تعالى فيمن نقض العهد: ﴿وما وجدنا لأكثرهم من عهد﴾(١) وروى أبو العالية عن أُبىّ بن كعب فى هذه الآية، قال: جمعهم الله جميعًا، فجعلهم أرواحًا ثم صوّرهم، ثم استنطقهم، فقال: ﴿ألست بربكم﴾؟ قالوا: بلى، شهدنا أنك ربنا وإلهنا، لارب لنا غيرك، قال الله - تعالى -: فأرسل إليكم رسلى، وأنزل عليكم كتبى، فلا تكذبوا رسلى، وصدقوا كلامى، فإنى سأنتقم ممن أشرك ولم يؤمن بى، فأخذ عهدهم وميثاقهم.

وفى بعض الأخبار: أن الله استخرج ذرية آدم، فنثرهم بين يدى آدم، ثم كلمهم قبلا - أى: عيانا - فقال: ﴿ألست بربكم﴾؟ قالوا: بلى. وقيل: جعل لهم عقولا يفهمون بها، وألسنة ينطقون بها، ثم خاطبهم وألهمهم الجواب.

وقال بعض المفسرين عن علماء السلف: إن الكل قالوا: بلى، لكن المؤمنين قالوا: بلى طوعًا، وقال الكافرون كرها، وهذا معنى قوله - تعالى -: ﴿وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها﴾(٢).

رجعنا إلى قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم﴾ فإن قال قائل: لما كان الاستخراج من ظهر آدم، فكيف قال: ﴿أخذ ربك من بنى آدم من

(١) الأعراف: ١٠٢.

(٢) آل عمران: ٨٣.

تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾

ظهورهم ﴾؟ قال بعض العلماء في جوابه: إن الله - تعالى - استخرجهم من صلب آدم على الترتيب الذى يخرجه من بنى آدم من ظهورهم إلى يوم القيامة، فلذلك قال: ﴿ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ﴾.

واعلم أن المعتزلة تأولوا هذه الآية، فقالوا: أراد به الأخذ من ظهور بنى آدم على الترتيب الذى مضت به السنة من لدن آدم إلى فناء العالم.

وقوله: ﴿ وأشهدهم على أنفسهم ﴾ يعنى كما نصب من دلائل العقول التى تدل على كونه ربًّا، ويلجئهم إلى الجواب بقولهم: بلى، وأنكروا الميثاق. وهذا تأويل باطل، وأما أهل السنة مقرون بيوم الميثاق، والآية على ما سبق ذكره.

﴿ وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ﴾ واختلفوا فى قوله: ﴿ شهدنا ﴾ قال بعضهم: هذا من قول الله والملائكة قالوا: شهدنا، وقيل: هو قول المخاطبين، قالوا: بلى شهدنا، وقيل: فيه حذف، وتقديره: أن الله تعالى قال للملائكة: اشهدوا، فقالوا: شهدنا.

وأما قوله تعالى: ﴿ أن تقولوا يوم القيامة ﴾ يقرأ بالياء والتاء[1]، فمن قرأ بالياء فتقدير الكلام: وأشهدهم على أنفسهم لئلا يقولوا يوم القيامة: إنا كنا عن هذا غافلين، ومن قرأ بالتاء فتقدير الكلام: أخاطبكم ألست بربكم؟ لئلا تقولوا يوم القيامة: إنا كنا عن هذا غافلين. فإن قال قائل: الحجة إنما تلزم فى الدنيا إذا رجعوا عن ذلك العهد الذى كان يوم الميثاق واحدٌ لايذكر ذلك الميثاق حتى يكون بالرجوع معانداً، فتلزمه الحجة، وقيل: إن الله - تعالى - قد أوضح الدلائل ونصبها على وحدانيته، وصدق قوله، وقد أخبر عن يوم الميثاق، وهو صادق فى الإخبار، فكل من نقض ذلك العهد كان معانداً ولزمته الحجة.

قوله تعالى: ﴿ أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل ﴾ يعنى: إنما أخذت ما أخذت

(١) قرأ أبو عمرو بالياء، وقرأ الباقون بالتاء انظر النشر (٢/٢٧٣).

من العهد والميثاق عليكم جميعا؛ لئلا تقولوا: ﴿إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم﴾ يعنى: أن الجناية من الآباء، وكنا أتباعًا لهم؛ فيجعلوا لأنفسهم حجة وعذراً عند الله، وفى هذا دليل على أن أولاد الكفار يكونون مع الكفار.

﴿أفتهلكنا بما فعل المبطلون﴾ أى: تأخذنا بجناية آبائنا المبطلين؟.

قوله تعالى: ﴿وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون﴾.

قوله تعالى: ﴿واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها﴾ قال ابن عباس وابن مسعود: فى بلعم بن باعور، ويقال: بلعام بن باعر، كان فى مدينة الجبارين، وكان معه الاسم الأعظم، فلما قصدهم موسى بجنده، قالوا لبلعم: إن موسى رجل فيه حدّة، فادع الله حتى يَرُدَّ عَنّا موسى، وقيل: إن ملكهم دعاه إلى نفسه وقال له ذلك، فقال بلعم: لو فعلت ذلك ذهب دينى ودنياى، فألحوا عليه حتى دعا الله - تعالى - فاستجيبت دعوته، وردّ عنهم موسى، وأوقعهم فى التِّيه، فلما وقعوا فى التيه، قال موسى: يارب بِمَ حبستنا فى التيه؟ قال: بدعاء بلعم. قال موسى: اللهم فكما استجبت دعوته فينا فاستجب دعوتى فيه، ثم دعا الله - تعالى - حتى ينزع عنه اسمه الأعظم والإيمان، ففعل، وقيل: نزع الله عنه الاسم الأعظم والإيمان، معاقبة له على ما دعا، ولم يكن ذلك بدعوة موسى؛ فهذا معنى قوله تعالى: ﴿فانسلخ منها﴾.

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: الآية فى أمية بن أبى الصلت الثقفى كان يطلب الدين قبل مبعث النبى ﷺ، وكان يطمع أن يكون نبيا، فلما بعث النبى ﷺ حسده وكفر به، وكان أمية صاحب حكمة وموعظة حسنة.

وقال الحسن: الآية فى منافقى اليهود. وقال مجاهد: الآية فى نبى من الأنبياء بعثه الله - تعالى - إلى قومه، فرشاه قومه. وهذا أضعف الأقوال؛ لأن الله تعالى يعصم أنبياءه عن مثل ذلك، وعن ابن عباس - فى رواية أخرى - أن الآية فى رجل من بنى إسرائيل كانت له ثلاث دعوات مستجابة أعطاه الله تعالى ذلك، وكانت له امرأة

مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ

دميمة؛ فقالت له: ادع الله أن يجعلنى من أجمل نساء العالم، فدعا الله تعالى فاستجاب دعوته؛ فتمردت واستعصت عليه؛ فدعا الله تعالى أن يجلعها كلبة؛ فَجُعِلَت، فقال له بنوها: ادع الله أن يردها، فدعا الله تعالى فعادت كما كانت، فذهبت فيها دعواته الثلاثة، والقولان الأولان أظهر.

وقوله: ﴿فأتبعه الشيطان﴾ أى: أدركه الشيطان، يقال: تبعه إذا سار فى أثره، واتبعه إذا أدركه ﴿فكان من الغاوين﴾ أى: من الضالين.

قوله تعالى: ﴿ولو شئنا لرفعناه بها﴾ أى لرفعنا درجته ومنزلته بتلك الآيات وأَمَتْناه قبل أن يكفر، وقيل معناه: لو شئنا [لحلنا](١) بينه وبين الكفر ﴿ولكنه أخلد إلى الأرض﴾ أى: مال إلى الدنيا ﴿واتبع هواه﴾ وهذه أشد آية فى حق العلماء، وقلما يخلوا عن أَحدِ هذين عالمٌ من الركون إلى الدنيا، ومتابعة الهوى.

﴿فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث﴾ ضرب له مثلا بأخس حيوان فى أخس الحال؛ فإنه ضرب له المثل بالكلب لاهثا، وحقيقة المعنى: أنك إن حملت على الكلب وطردته يلهث، وإن تتركه يلهث، فكذلك الكافر، إن وعظته وزجرته فهو ضال، وإن تركته فهو ضال، واللهث: إدلاع اللسان.

﴿ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ ضرب المثل ثم بيّن أنه مثل ذلك (الذى)(٢) سبق ذكره، وقيل: هذا كله ضرب مثل لكفار مكة؛ فإنهم كانوا يتمنون أن يكون منهم نبى، فلما بعث النبى ﷺ حسدوه وكفروا؛ فكانوا كفارا قبل بعثته وكفارا (بعد بعثته)(٣) ﴿فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾.

(١) فى «الأصل، ك»: دخلنا،وهو تصحيف.

(٢) فى «الأصل، ك»: الذين.

(٣) فى «ك»: ببعثته.

كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ

قوله تعالى ﴿ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ أى: بئس المثل مثلا القوم ﴿وأنفسهم كانوا يظلمون﴾.

﴿من يهد الله﴾ أى: من يهده الله ﴿فهو المهتد ومن يضلل﴾ أى: ومن يضلله الله ﴿فأولئك هم الخاسرون﴾ وهذا دليل على القدرية؛ حيث نسب الهداية والضلالة إلى فعله من غير سبب.

قوله تعالى: ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس﴾ أى: خلقنا لجهنم كثيرا، وهذا على وفق قول أهل السنة، وروت عائشة - رضى الله عنها - عن النبى ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى خلق الجنة، وخلق لها أهلا؛ خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم، وخلق النار، وخلق لها أهلا، خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم» وهذا فى الصحيح(١)، وفى رواية أخرى: «إن الله تعالى خلق الجنة وخلق لها أهلا بأسمائهم وأسماء آبائهم وأسماء قبائلهم، وخلق النار، وخلق لها أهلا بأسمائهم وأسماء آبائهم وأسماء قبائلهم - وهذا الحديث ليس فى الصحيح - لايزاد فيهم ولا ينقص»(٢) وقيل معنى قوله: ﴿ولقد ذرأنا لجهنم﴾ أى: ذرأناهم، وعاقبة أمرهم إلى جهنم، واللام لام العاقبة، وهذا مثل قول القائل:

يا أم سليم فلا تجـزعِنْ ... فللموت ما تلد الوالدَة

وقال آخر:

وللموت تغذوا الوالداتُ سخالها ... كـما لخراب الدهـر تبنى المسَاكـنُ

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه (١٦/ ٣٢٤ - ٣٢٥ /رقم٢٦٦٢)، وأبو داود (٤/ ٢٢٩ /رقم ٤٧١٣).

(٢) عزاه الهيثمى فى المجمع (٧/ ١٩٠) للطبرانى، عن عبد الله بن بسر بمعناه، وقال: فيه عبد الرحمن بن أيوب السكونى، روى حديثًا غير هذا فقال العقيلى لايتابع عليه، فضعفه الذهبى من عند نفسه، لكن فى إسناده بقية، وهو متكلم فيه بغير هذا الحديث أيضًا. وعزاه للطبرانى أيضًا من طريق ابن مجاهد عن أبيه عن ابن عمر، وقال: ولم أعرف ابن مجاهد، وبقية رجاله رجال الصحيح.

يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ

والأول أصح، وأقرب إلى مذهب أهل السنة، وقوله: ﴿لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها﴾ ومعناه: أنهم لما لم يفقهوا بقلوبهم ما انتفعوا به، ولم يبصروا بأعينهم، ولم يسمعوا بآذانهم؛ ما انتفعوا به؛ فكأنهم لايفقهون ولايبصرون ولايسمعون شيئًا، وهذا كما قال مسكين الدارى:

أعمى إذا ما جارتى برزت ... حتى توارى جارتى الخدر
أصم عما كان بينهما سمعى ... وما بالسمع من وقر

﴿أولئك كالأنعام﴾ يعنى: فى أن همتهم من الدنيا الأكل والتمتع بالشهوات ﴿بل هم أضل﴾ وذلك أن الأنعام تميز بين المضار والمنافع، وأولئك لايميزون ما يضرهم عما ينفعهم ﴿أولئك هم الغافلون﴾.

قوله تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ الأسماء الحسنى هى ما وردت فى الخبر، روى أبو هريرة عن النبى ﷺ أنه قال: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا – مائة غير واحد – من أحصاها دخل الجنة»(١)، وقوله: ﴿الحسنى﴾ يرجع إلى التسميات، وقوله ﴿فادعوه بها﴾ وذلك بأن يقول: ياعزيز، يارحمن، ونحو هذا، واعلم أن أسماء الله تعالى على التوقيف؛ فإنه يُسمى جوادًا ولايسمى سخيًا، وإن كان فى معنى الجواد، ويسمى رحيمًا ولايسمى رقيقًا، ويسمى عالمًا ولايسمى عاقلاً، وعلى هذا لايقال: ياخادع، يامكار، وإن ورد فى القرآن ﴿يخادعون الله وهو خادعهم﴾(٢) ﴿ويمكرون ويمكر الله﴾(٣) لكن لما لم يرد الشرع بتسميته به لم يجز ذلك له.

﴿وذروا الذين يلحدون فى أسمائه﴾ قال يعقوب بن السكيت صاحب الإصلاح:

---

(١) متفق عليه، فرواه البخارى (١١/٢١٨/ رقم ٦٤١٠)، ومسلم (١٧/٨٠٧/ رقم ٢٦٧٧).

(٢) النساء: ١٤٢.

(٣) الأنفال: ٣٠.

وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ

الإلحاد: هو الميل عن الحق، وإدخال ما ليس فى الدين، قيل: والإلحاد فى الأسماء هاهنا: كانوا يقولون فى مقابلة اسم الله: اللات، وفى مقابلة العزيز: العزى، ومناة فى مقابلة المنان، وقيل: هو تسميتهم الأصنام آلهة، وهذا أعظم الإلحاد فى الأسماء، فهذا معنى قوله: ﴿وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون﴾.

قوله تعالى: ﴿وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ روى قتادة مرسلا عن النبى ﷺ أنه قال: «هؤلاء من هذه الأمة، وقد كان فيمن قبلكم»(١) وأشار به إلى قوم موسى، كما قال تعالى: ﴿ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾(٢).

قوله تعالى: ﴿والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لايعلمون﴾ قال الأزهرى: الاستدراج: هو الأخذ قليلاً قليلاً، ومنه درج الكتاب، وقيل: الاستدراج من الله هو أن العبد كلما ازداد معصية زاده الله - تعالى - نعمة، وقيل: هو أن يكثر عليه النعم وينسيه الشكر، ثم يأخذه بغتة؛ فهذا هو الاستدراج من حيث لايعلمون.

قوله تعالى: ﴿وأملى لهم﴾ أى: أمهل لهم وأؤخر لهم ﴿إن كيدى متين﴾ أى: شديد.

قوله تعالى ﴿أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين﴾ سبب نزول هذه الآية ما روى: «أن النبى ﷺ ذات ليلة صعد الصفا، وهو ينادى طول الليل: يابنى فلان، يابنى فلان، إنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد، فلما أصبحوا قالوا: إن محمداً قد جنّ، يصيح طول الليل؛ فنزلت هذه الآية» ﴿أو لم يتفكروا﴾»(٣) يعنى: فى حال محمد أنه لايليق بحاله الجنون.

(١) رواه الطبرى فى التفسير (٩ / ٩٢)، وعزاه السيوطى أيضًا فى الدر (٣ / ١٦٢) لعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٢) الأعراف: ١٥٩.

(٣) رواه الطبرى (٩ / ٩٣) عن قتادة مرسلاً. وعزاه السيوطى أيضًا فى الدر (٣ / ١٦٢) لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وأبى الشيخ.

مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾

قوله تعالى: ﴿أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض﴾ يعنى: استدلوا بها على وحدانية الله تعالى ﴿وما خلق الله من شيء﴾ أى: أو لم ينظروا إلى ما خلق الله من شيء ﴿وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم﴾ يعنى: لعل قد اقترب أجلهم فيموتوا قبل أن يؤمنوا ﴿فبأى حديث بعده يؤمنون﴾ أى: بأى نبى بعد محمد، وبأى كتاب بعد كتاب محمد ﷺ يؤمنون.

قوله تعالى: ﴿من يضلل الله﴾ أى: من يضلله الله ﴿فلا هادى له ويذرهم فى طغيانهم يعمهون﴾ أى: فى غلوهم فى الباطل ﴿يعمهون﴾ يتحيرون ويترددون.

قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها﴾ أى: مثبتها، يقال: أرسى، أى: أثبت، ومعناه: يسألونك عن الساعة متى قيامها ﴿قل إنما علمها عند ربى لايجليها لوقتها﴾ لايظهرها لوقتها ﴿إلا هو﴾.

﴿ثقلت فى السموات والأرض﴾ أى: خفى علمها فى السموات والأرض، فكأنما ثقلت، وكل خفى ثقيل، ومعناه: ثقيل وَصْفُهَا على أهل السموات والأرض؛ بما يكون فيها من تكوير الشمس والقمر، وتكوير النجوم، وتسيير الجبال، وطيِّ السموات والأرض ، وقيل معناه: عظم وقوعها على أهل السموات والأرض.

﴿لاتأتيكم إلا بغتة﴾ أى: فجأة.

﴿يسألونك كأنك حفى عنها﴾ أى كأنك مسرور بسؤالهم عنها، يقال: تحفيت فلانا فى المسألة إذا سألته وأظهرت السرور فى سؤالك، فعلى هذا تقدير الآية:

قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ

يسألونك عنها كأنك حفى بسؤالهم، وقيل معناه: يسألونك كأنك حفى عنها أى: عالم بها، يقال: أحفيت فلانا، إذا ما بالغت فى المسألة عنه حتى علمت، فعلى هذا معنى الآية: كأنك حفى عنها، أى: كأنك بالغت فى السؤال عنها، حتى علمت ﴿قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾.

قوله تعالى: ﴿قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: معناه: ولو كنت أعلم الخصب من الجدب لأعددت من الخصب للجدب وما مسنى الجوع، قاله ابن عباس.

وقال ابن جريج: معناه: لو كنت أعلم متى أموت لاستكثرت من الخيرات والطاعات، وما مسنى السوء أى: ما بى جنون؛ لأنهم كانوا نسبوه إلى الجنون.

القول الثالث: معناه: ولو كنت أعلم متى الساعة لأخبرتكم بقيامها حتى تؤمنوا، وما مسنى السوء يعنى: بتكذيبكم ﴿إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾.

قوله تعالى: ﴿هو الذى خلقكم من نفس واحدة﴾ يعنى: آدم ﴿وجعل منها زوجها﴾ يعنى: حوّاء ﴿ليسكن إليها﴾ ﴿فلما تغشاها﴾ أى: وطئها، والغشيان أحسن كناية عن الوطء، يقال: تغشاها وتخللها، إذا وطئها.

﴿حملت حملا خفيفًا﴾ هو أول ما تحمل المرأة من النطفة ﴿فمرّت به﴾ وقرأ يحيى بن يعمر: «فَمَرَتْ به» خفيفا من المرْيَة أى: شكت، وقرئ فى الشواذ: «فَمَارَتْ به:» أى: تحركت به من المور، وقرأ ابن عباس: «فاستمرت به» وهو معنى القراءة المعروفة، ومعناه: فمرّت بالحمل حتى قامت وقعدت ودخلت وخرجت، وقيل: هو مقلوب، وتقديره: فمرّ الحمل بها حتى قامت وقعدت ﴿فلما أثقلت﴾ أى: حان

فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّا آتَاهُمَا

وقت الولادة ﴿ دعوا الله ربهما ﴾.

وفى القصة: أن إبليس جاء إلى حواء حين حبلت، وقال لها: أتدرين ما فى بطنك؟ قالت: لا. فقال: لعله بهيمة، وإنى أخشى أن تكون لها قرنان تشق بهما بطنك؛ فخافت حواء، وجلست حزينة، ثم عاد إليها اللعين، وقال: أتريدين أن أدعو الله تعالى حتى يجعله إنسانًا متكلمًا؟ قالت: نعم. قال: إنى قد وسوست إليكما مرة فأطيعانى حتى أدعو، فقالت: ماذا نصنع؟ قال اللعين: إذا ولدت تسميه عبد الحارث - وكان اسم إبليس من قبل الحارث - فذكرت ذلك لآدم، فتوافقا على ذلك، فلما ولدت سمياه عبد الحارث، وقيل: إنها ولدت مرة فسمياه عبد الله فمات، ثم ولدت ولدا آخر فسمياه عبد الله فمات، فجاء اللعين، وقال: أما علمتما أن الله تعالى لايدع عبده عندكما، فإذا ولدت ولداً فسمِّيه عبد الحارث، حتى يحيا، فلما ولدت الثالث سمياه عبد الحارث فعاش وحيا.

وفى الخبر: قال النبى ﷺ: «خدعهما إبليس مرتين: مرة فى الجنة، ومرة فى الأرض»[1] وأراد به هذا». قوله ﴿ فلما أثقلت دعوا الله ربهما ﴾ يعنى: آدم وحواء ﴿ لئن آتيتنا صالحا ﴾ أى: ولدا سوى الخلق، إذ كانا [يدعوان][2] أن يجعله الله إنسانًا مثلهما خوفًا من وسوسة إبليس ﴿ لنكونن من الشاكرين ﴾ ﴿ فلما آتاهما صالحا ﴾ أى: سوى الخلق ﴿ جعلا له شركاء فيما آتاهما ﴾ يعنى سمياه عبد الحارث، فإن قال قائل: كيف يقول: ﴿ جعلا له شركاء ﴾ وآدم كان نبيا معصوما عن الإشراك بالله؟

قيل: لم يكن هذا إشراكًا فى التوحيد، وإنما ذلك إشراك فى الاسم، وذلك لايقدح فى التوحيد، وهو مثل تسمية الرجل ولده عبد يغوث وعبد زيد وعبد عمرو، وقول الرجل لصاحبه: أنا عبدك، وعلى ذلك قول يوسف - صلوات الله عليه -: ﴿ إنه ربى أحسن مثواى ﴾[3] ومثل هذا لايقدح، وأما قوله: ﴿ فتعالى الله عما يشركون ﴾

(١) عزاه السيوطى فى الدر (٣/١٦٤- ١٦٥) لابن أبى حاتم عن ابن زيد.

(٢) فى «الأصل»: يدعوا.

(٣) يوسف: ٢٣.

صَالِحًا جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ

ابتداء كلام بعد الأول، وأراد به: إشراك أهل مكة، ولئن أراد به الإشراك الذى سبق استقام الكلام؛ لأنه كان الأولى ألا يفعل ما أتى به من الإشراك فى الاسم، وكان ذلك زلة منه؛ فلذلك قال: ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾ وفى الآية قول آخر: أن هذا فى جميع بنى آدم. قال عكرمة: وكأن الله يخاطب به كل واحد من الخلق بقوله: ﴿هو الذى خلقكم من نفس واحدة﴾ يعنى: خلق كل واحد من أبيه ﴿وجعل منها زوجها﴾ أى: جعل من جنسها زوجها ﴿ليسكن إليها﴾ يعنى: كل زوج إلى زوجته ﴿فلما تغشاها﴾ أى: وطئها ﴿حملت حملاً خفيفًا فمرت به﴾ وهذا قول حسن فى الآية.

وقيل: إنما عبر بآدم وحواء عن جميع أولادهما؛ لأنهما أصل الكل، والأول أشهر وأظهر، وهو قول ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير. وجماعة المفسرين كلهم قالوا: إن الآية فى آدم وحواء كما بينا.

قوله تعالى: ﴿أيشركون ما لايخلق شيئا وهم يخلقون﴾ يعنى: الأصنام لايخلقون شيئا بل هم مخلوقون ﴿ولايستطيعون لهم نصرا﴾ أى: منعًا ﴿ولا أنفسهم ينصرون﴾.

قوله تعالى: ﴿وإن تدعوهم إلى الهدى لايتبعوكم﴾ هذا فى قوم مخصوصين علم الله أنهم لايؤمنون ﴿سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون﴾ أى: سواء دعوتموهم أو لم تدعوهم لايؤمنون.

قوله تعالى: ﴿إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم﴾. فإن قال قائل: كيف تكون الأصنام عبادًا أمثالنا؟ قيل: قال مقاتل: أراد به الملائكة. والخطاب مع قوم كانوا

﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَسْتَطِيعُونَ

يعبدون الملائكة، وقيل: أراد به الشياطين. والخطاب مع قوم كانوا يعبدون الكهنة والشياطين، والصحيح أنه فى الأصنام، وهم عباد أمثال الناس فى العبادة، وعبادتهم التسبيح، وللجمادات تسبيح كما نطق به الكتاب. ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾(١) وقوله ﴿أمثالكم﴾ يعنى: أن الأصنام مذللون مسخرون لما أريد منهم مثلكم، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾(٢) ومعناه: أمثالكم فى شيء دون شيء كذلك هاهنا وقيل: إنما قال: ﴿أمثالكم﴾ لأنهم صوروها على صورة الأحياء، وطلبوا منها ما يطلب من الأحياء.

﴿فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين﴾ وهذا لبيان عجزهم، ثم أكده فقال: ﴿ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها﴾ وذلك أن قدرة المخلوقين إنما تكون بهذه الآلات والجوارح، وليست لهم تلك الآلات، بل أنتم أكبر قدرة منهم لوجود هذه الأشياء فيكم.

﴿قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون﴾ أى: فلا تمهلون.

قوله تعالى: ﴿إن وليِّيَ الله الذى نزل الكتاب﴾ يعنى: ناصرى ومعينى الله الذى نزل الكتاب، وقرئ فى الشواذ: «إن وَلِيَّ اللهِ» بكسر الهاء، ومعناه: جبريل ولى الله الذى نزل الكتاب أى: نزل بالكتاب ﴿وهو يتولى الصالحين﴾ يعنى: جبريل ولى الصالحين، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿فإن الله هو مولاه وجبريل﴾(٣).

قوله تعالى ﴿والذين تدعون من دونه لايستطيعون نصركم ولا أنفسهم

(١) الإسراء: ٤٤.

(٢) الأنعام: ٣٨.

(٣) التحريم: ٤.

نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ

ينصرون ﴾ وهذا لبيان عجزهم أيضاً ﴿ وإن تدعوهم إلى الهدى لايسمعوا ﴾ يعنى: الأصنام ﴿ وتراهم ينظرون إليك وهم لايبصرون ﴾ فإن قيل: كيف يتصور النظر من الأصنام؟ قال الكسائى: تقول العرب: دارى تنظر إلى دار فلان، إذا كانت مقابلة لها، فكذلك قوله: ﴿ وتراهم ينظرون إليك ﴾ يعنى: نظر المقابلة.

قوله تعالى: ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ روى: «أن جبريل – صلوات الله عليه – لما نزل بهذه الآية، قال: يارسول الله، أتيتك بمكارم الأخلاق، فروى أن النبى ﷺ سأل جبريل عن معنى هذه الآية، فقال له: حتى أسأل ربى، ثم رجع وقال: صل من قطعك، وأعط من حرمك واعف عن من ظلمك»(١).

ثم اختلفوا فى معنى هذا العفو، فقال عطاء: هو الفضل من أموال الناس. وكان فى الابتداء يجب التصدق بما فضل من الحاجات، ثم صار منسوخا بآية الزكاة، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو ﴾(٢) وقال ابن الزبير: العفو: ما تيسر من أخلاق الناس، أى: خذ الميسور من أخلاق الناس مثل: قبول الاعتذار، والعفو والمساهلة فى الأمور، وترك البحث عن الأشياء ونحو ذلك.

وقوله: ﴿ وأمر بالعرف ﴾ هو الأمر بالمعروف، وهو ما يعرفه الشرع.

وقوله: ﴿ وأعرض عن الجاهلين ﴾ يعنى: إذا سفه عليك الجاهل فلا تكافئه ولاتقابله بالسفه، وذلك مثل قوله: ﴿ وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ﴾(٣) وذلك

---

(١) رواه الطبرى فى التفسير (٩/١٠٥)، وابن أبى الدنيا فى مكارم الأخلاق (ص٢٤/رقم ٢٥) من طريق سفيان عن أُمَيّ الصيرفى به، ووقع فى الطبرى: أبى بالباء، وهو تحريف، وانظر الإكمال لابن ماكولا (٧/١٨٩).
ورواه ابن مردويه عن جابر، وعن قيس بن سعد بن عبادة كما فى تخريج الكشاف للزيلعى (١/٤٧٦-٤٧٧)، والدر المنثور (٣/١٦٦).

(٢) البقرة: ٢١٩.

(٣) الفرقان: ٦٣.

﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ
اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ
يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا

سلام المنازعة، قال: ﴿وإذا مروا باللغو مروا كراما﴾[1] يعنى: أكرموا أنفسهم عن الخوض فيه.

وروى أن عيينة بن حصن - وكان سيد غطفان - لما قدم المدينة قال للحر بن قيس: لك وجه عند أمير المؤمنين؛ فاستأذن لى عليه، فاستأذن له فدخل على عمر - رضى الله عنه - فقال له: إنك لاتقضى فينا بالحق، ولا تقسم فينا بالعدل، فغضب عمر وهَمَّ أن يؤدبه، فقال له الحر بن قيس: إن الله تعالى يقول: ﴿وأعرض عن الجاهلين﴾ وهذا من الجاهلين، فسكت عمر - رضى الله عنه -.

قوله تعالى ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ﴾ النزغ من الشيطان: الوسوسة ﴿فاستعذ بالله﴾ أى: استجر بالله ﴿إنه سميع عليم﴾.

قوله تعالى: ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طيف من الشيطان﴾ وتقرأ: «طائف»[2] ومعناهما واحد.

قال سعيد بن جبير: هو الغضب. وقال أبو عمرو بن العلاء: هو الوسوسة. وأصل الطيف: الجنون.

﴿تذكروا فإذا هم مبصرون﴾ وفى معناه قولان: أحدهما: أنهم إذا وسوسهم الشيطان بالمعصية ذكروا عقاب الله؛ فإذا هم كافون عن المعصية.

والقول الثانى معناه: ذكروا الله؛ فإذا هم يبصرون الحق عن الباطل.

قوله تعالى: ﴿وإخوانهم﴾ أى: أشباههم من الشياطين ﴿يمدونهم﴾ أى: يردونهم ﴿فى الغى﴾ فى الضلالة ﴿ثم لايقصرون﴾ أى: لايكفون.

---

(١) الفرقان: ٧٢.

(٢) قرأ يعقوب، وأبو عمرو، وابن كثير، والكسائى «طيف» بياء ساكنة بين الطاء، والفاء، من غير همزة ولا ألف. وقرأ الباقون بألف بعد الطاء، وهمزة مكسورة بعدها انظر النشر (٢ / ٢٧٥).

أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا

قوله تعالى: ﴿ وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها ﴾ كانوا يسألون النبى ﷺ الآيات (تعنتا)(١) ويستكثرون منها، فإذا لم يقرأ عليهم آية قالوا: لولا اجتبيتها، أى: هلا اختلقتها وقلتها من تلقاء نفسك. قال: ﴿ قل إنما أتبع ما يوحى إلىّ من ربى هذا بصائر من ربكم ﴾ يعنى: القرآن ﴿ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾.

قوله تعالى: ﴿ وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴾ قال الحسن، والزهرى، والنخعى: هذا فى القراءة فى الصلاة. وقال عطاء ومجاهد: هو فى الخطبة. ولم يرضوا من مجاهد هذا القول؛ لأن الآية مكية، والجمعة إنما وجبت بالمدينة، ولأن الاستماع فى جميع الخطبة واجب، ولايختص بالقراءة فى الخطبة. فالأول أصح.

وليس لمن يرى ترك القراءة خلف الإمام مستدل (فى الآية)(٢)؛ لأن القراءة خلف الإمام لاتنافى الاستماع؛ لأنه يتبع سكتات الإمام، ولأن الآية فيما وراء الفاتحة؛ بدليل حديث عبادة بن الصامت، عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا كنتم خلفى فلا تقرءوا إلا بأم القرآن»(٣).

وفى الآية: قول ثالث: أن المراد به النهى عن الكلام فى الصلاة. قاله أبو هريرة. وهذا قول حسن.

قوله تعالى ﴿ واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ﴾ قيل: هذا فى الدعاء أى: ادع الله بالتضرع والخيفة. وقيل: هو فى صلاة السر.

(١) فى «ك»: تعبثًا.

(٢) فى «ك»: بالآية.

(٣) رواه أبو داود (١/٢١٧-٢١٨/ رقم ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥)، والترمذى (٢/١١٦-١١٧/ رقم ٣١١) وحسنه، والنسائى (٢/١٤١/ رقم ٩٢٠)، وأحمد (٥/٣١٦)، والدارقطنى (١/٣١٨ - ٣٢٠) وحسن إسناده، والحاكم (١/٢٣٨ - ٢٣٩)، وابن خزيمة فى صحيحه (٣/٣٦ - ٣٧/ رقم ١٥٨١)، وابن حبان - الإحسان - (٥/٨٦/ رقم ١٧٨٥).

وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾ .

﴿ودون الجهر من القول﴾ أراد به: في صلاة الجهر لاتجهر جهرا شديدا ﴿بالغدو والأصال﴾ فالغدو: أوائل النهار، والآصال: أواخر النهار ﴿ولاتكن من الغافلين﴾ عن ذكر الله.

قوله تعالى: ﴿إن الذين عند ربك﴾ يعنى: الملائكة؛ ذكرهم بالتقريب والكرامة ﴿لايستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون﴾ يعنى: إن كان هؤلاء يستكبرون عن عبادة الله تعالى؛ فالذين عنده لايستكبرون عنها.

وقد ورد فى السجود أخبار منها: ما روى أبو هريرة - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا سجد ابن آدم؛ اعتزل الشيطان يبكى، ويقول: ياويلاه، أمر ابن آدم بالسجود فسجد؛ فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت؛ فلى النار»(١).

وفى حديث ربيعة بن كعب الأسلمى: «أنه أتى النبى ﷺ بوضوئه لحاجته فقال: سلنى. فقلت: أريد مرافقتك فى الجنة، فقال: أو غير ذلك؟ فقلت: هو ذاك، فقال: أعنى على نفسك بكثرة السجود» أخرجه مسلم فى الصحيح(٢).

وروى أبو فاطمة عن النبى ﷺ أنه قال: «ما من عبد يسجد لله سجدة؛ إلا رفعه الله بها درجة»(٣). والله أعلم.

(١) رواه مسلم (٢/ ٩٢/ رقم ٨١)، وابن ماجة (١/ ٣٣٤/ رقم ١٠٥٢)، وأحمد (٢/ ٤٤٣)، وابن خزيمة فى صحيحه (١/ ٢٧٦/ رقم ٥٤٩)، ومن طريقه ابن حبان - الإحسان - (٦/ ٤٦٥/ رقم ٧٥٩).

(٢) رواه مسلم (٤/ ٢٧٤/ رقم ٤٨٩)، وأبو داود (٢/ ٣٥/ رقم ١٣٢٠)، والنسائى (٢/ ٢٢٧ - ٢٢٨/ رقم ١١٣٨).

(٣) رواه ابن ماجة (١/ ٤٥٧/ رقم ١٤٢٢)، وأحمد (٣/ ٤٢٨):

وقال المنذرى فى الترغيب (١/ ٢٥٠): رواه ابن ماجة بإسناد جيد، ورواه أحمد مختصراً.

ويشهد له ما رواه مسلم (٤/ ٢٧٣ - ٢٧٤/ رقم ٤٨٨)، والترمذى (٢/ ٢٣٠ - ٢٣١) رقم ٣٨٩ - ٣٩٨)، والنسائى (٢/ ٢٢٨/ رقم ١١٣٩) وابن ماجة (١/ ٤٥٧/ رقم ١٤٢٣)، وغيرهم من حديث ثوبان، وأبى الدرداء بنحوه.

بِسْــــــــــــمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا

تفسير ســورة الأنفــال

قال الشيخ الإمام رضى الله عنه: سورة الأنفال مدنية إلا سبع آيات؛ وذلك من قوله: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا﴾[1] إلى آخر الآيات السبع؛ فإنها نزلت بمكة، وأكثرالسورة فى غزوة بدر.

قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الأنفال﴾ والسؤال سؤالان: سؤال استخبار، وسؤال طلب؛ فقوله: ﴿يسألونك عن الأنفال﴾ سؤال استخبار؛ فإنهم سألوه عن حكم الأنفال.

وقرأ ابن مسعود وسعد بن أبى وقاص: «يسألونك الأنفال» وهذا سؤال طلب. روى مصعب بن سعد، عن أبيه سعد بن أبى وقاص أنه قال: «سألت رسول الله ﷺ سيفا يوم بدر فقلت: نفِّلنيه يارسول الله، فنزل قوله: ﴿يسألونك عن الأنفال﴾»[2].

والأنفال: الغنائم. والنَّفَل فى اللغة: الزيادة، قال لبيد بن ربيعة العامرى شعراً:

إن تَقْوَى ربِّنا خيرُ نَفَلْ وبإذن اللـه رَيْثِى والعَجَلْ

ومنه صلاة النافلة؛ لأنها زيادة على الفريضة. فسميت الغنائم أنفالا؛ لأنها زيادة كرامة من الله تعالى لهذه الأمة على الخصوص.

وسبب نزول الآية ما روى «أن أصحاب النبى ﷺ افترقوا يوم بدر فرقتين: فرقة كانت تقاتل وتأسر، وفرقة تحرس رسول الله ﷺ، ثم تنازعوا، فقالت الفرقة المقاتلة:

---

(١) الأنفال: ٣٠.

(٢) رواه مسلم (١٢/ ٨١-٨٢/ رقم ١٧٤٨)، وأبو داود (٣/ ٧٧-٧٨/ رقم ٢٧٤٠)، والترمذى (٥/ ٢٥٠ - ٢٥١/ رقم ٣٠٧٩)، وأحمد (١/ ١٧٨، ١٨٥، ١٨٦).

الغنائم لنا؛ قاتلنا وأسرنا، وقال الآخرون: كنا ردءاً لكم، ونحرس رسول الله ﷺ، فالغنيمة بيننا؛ فنزل قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الأنفال﴾(١).

وفي رواية: «أن النبي ﷺ قال يومئذ: من قتل قتيلاً فله كذا، ومن أسر أسيراً فله كذا، فتسارع الشبان وقاتلوا وأسروا، وبقي الشيوخ مع الرسول - عليه السلام - يحرسونه ثم تنازعوا في الغنيمة، فقال الشبان: الغنيمة لنا؛ لأنا قاتلنا. وقال الشيوخ: كنا نحرس رسول الله ﷺ، وكنا ردْءاً لكم. وكان الذي تكلم من الشبان أبو اليسر والذي تكلم من الشيوخ سعد بن معاذ، فنزلت الآية، فقسم النبي ﷺ الأنفال بين الكل(٢).

وقوله: ﴿قل الأنفال لله والرسول﴾ واختلفوا فيه قال مجاهد، وعكرمة: الآية منسوخة بقول تعالى: ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول﴾(٣) فهذه الآية ردّت من الكل إلى الخمس، فكانت ناسخة للأولى.

وقيل: الآية غير منسوخة، ومعنى قوله: ﴿قل الأنفال لله والرسول﴾ أي: حكمها لله والرسول؛ فتكون موافقة لتلك الآية.

﴿فاتقوا الله و أصلحوا ذات بينكم﴾ قال: ثعلب: يعني: أصلحوا الحالة التي بينكم، ومعناه: الإصلاح بترك المنازعة وتسليم أمر الغنيمة إلى الله والرسول ﴿وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين﴾.

قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ قال ابن أبي نجيح:

(١) عزاه السيوطي في الدر (٣/ ١٧٤) لابن عساكر، عن الحجاج بن سهيل النصري، وقيل: إن له صحبة.

(٢) رواه أبو داود (٣/ ٧٧/ رقم٢٧٣٧، ٢٧٣٨، ٢٧٣٩)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٣٤٩/ رقم ١١١٩٧)، والطبري في التفسير (٩/ ١١٦)، والحاكم (٢/ ١٣١ - ١٣٢، ٣٢٦ - ٣٢٧) وصححه. وقال الذهبي في الموضع الأول: هو على شرط البخاري. والبيهقي (٦/ ٢٩١ - ٢٩٢)، وابن حبان - الإحسان - (١١/ ٤٩٠/ رقم٥٠٩٣) من حديث ابن عباس، وليس فيه تسمية القائلين.

(٣) الأنفال: ٤١.

وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ

أى: خافت وفرقت، قال الشاعر:

لعَمْرُكَ ما أدرى وإنى لأوجلُ ... علـى أيِّنا تغـدو المنيـة أوّلُ

﴿ وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ﴾ أى :يقينا وتصديقا؛ وذلك أنه كلما نزلت آية فآمنوا بها ازدادوا إيمانًا وتصديقًا، وهذا دليل لأهل السنة على أن الإيمان يزيد وينقص ﴿ وعلى ربهم يتوكلون ﴾ التوكل هو الاعتماد على الله والثقة به.

﴿ الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ﴾ إقامة الصلاة هى أداؤها فى أوقاتها بشرائطها وأركانها.

﴿ أولئك هم المؤمنون حقا ﴾ قال مقاتل: يعنى: إيمانًا لاشك فيه. وقيل: برَّأهم من الكفر والنفاق.

وفيه[١] دليل لأهل السنة على أنه لايجوز لكل أحد أن يصف نفسه بكونه مؤمنًا حقًا؛ لأن الله تعالى إنما وصف بذلك قومًا مخصوصين على أوصاف مخصوصة، وكل أحد لايتحقق فى نفسه وجود تلك الأوصاف.

﴿ لهم درجات عند ربهم ﴾ قال الربيع بن أنس: الدرجات سبعون درجة، ما بين كل درجتين حُضْرُ[٢] الفرس المضمر سبعين سنة ﴿ ومغفرة ورزق كريم ﴾ أى: كامل لانقص فيه.

قوله تعالى: ﴿ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ﴾ الأكثرون على أنه فى إخراجه من المدينة إلى بدر للقتال مع المشركين. وقيل: هو فى إخراجه من مكة إلى المدينة.

---

(١) فى «ك»: وهذا.

(٢) والحُضْرُ، والإحضار: ارتفاع الفرس فى عدوه. لسان العرب (مادة: حضر).

﴿٥﴾ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ

واختلفوا فى أن قوله: ﴿كما أخرجك﴾ إلى ماذا ترجع كاف التشبيه؟ قال المبرد: تقديره: الأنفال لله وللرسول وإن كرهوا، كما أخرجك ربك من بيتك وإن كرهوا. وقول الفراء قريب من هذا، وهكذا قول الزجاج؛ فإنهما قالا: تقديره: امض لأمر الله فى الأنفال وإن كرهوا كما مضيت لأمر الله عند إخراجك من بيتك وإن كرهوا.

وقيل: هو راجع إلى قوله تعالى: ﴿فاتقوا الله﴾ وتقديره: كما أخرجك ربك من بيتك بالحق فاتبعت أمره فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم. وقيل: هو راجع إلى قوله تعالى: ﴿لهم درجات عند ربهم﴾ وتقديره: وعد الدرجات حق كما أخرجك ربك من بيتك بالحق؛ فأنجز الوعد بالنصر والظفر. وقال أبو عبيدة: «ما» هاهنا بمعنى: «الذى» أى: كالذى أخرجك ربك.

﴿وإن فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك فى الحق بعد ما تبين﴾ وذلك أن أصحاب رسول الله ﷺ كرهوا خروجه إلى بدر، وجادلوا فيه، فقالوا: لانخرج؛ فإنا لم نستعد للقتال، وليس معنا أهبة الحرب.

وقوله: ﴿بعد ما تبين﴾ معناه: ماتبين لهم صدقه فى الوعد بما وعدهم مرة بعد أخرى فصدقهم فى وعده.

﴿كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون﴾ فيه تقديم وتأخير، وتقديره: وإن فريقًا من المؤمنين لكارهونه كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون، يجادلونك فى الحق بعد ما تبين.

قوله تعالى: ﴿وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم﴾ سبب هذا: ما روى أن أبا سفيان قدم على عير من قبل الشام فيها أموال قريش، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ وأصحابه بالمدينة، فخرجوا فى طلب العير، فبعث أبو سفيان رجلا إلى مكة يستنفرهم ويستغيث بهم، فخرج أبو جهل ورءوس المشركين فى سبعمائة وخمسين

وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ

رجلا، وكان المسلمون يومئذ ثلاثمائة وثلاثة عشر نفراً، ولم يكن لهم كثير سلاح، وكان معهم فَرَسَان فحسب، أحدهما للمقداد بن عمرو، والآخر لأبى مرثد الغنوى، وكان معهم ستة أدرع، وكان أكثرهم رجّالة، وبعضهم على الأبعرة، فوعدهم الله - تعالى - إحدى الطائفتين: إما العير (أو)(١) النفير، وكان أبو سفيان صاحب العير، وأبو جهل صاحب النفير، فالتقى الجمعان، ووقعوا فى القتال، وأخذ العير طريق الساحل وذهبوا، وكان المسلمون يودون أن يظفروا بالعير ويفوزوا بالمال من غير القتال» فهذا معنى قوله: ﴿وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم﴾ والشوكة: السلاح.

﴿ويريد الله أن يحق الحق بكلماته﴾ أى: يظهر الحق ويعلى كلمته ﴿ويقطع دابر الكافرين﴾ أى: أصل الكافرين.

﴿ليحق الحق ويبطل الباطل﴾ أى: يثبت الحق وينفى الباطل ﴿ولو كره المجرمون﴾.

قوله تعالى: ﴿إذ تستغيثون ربكم﴾ الاستغاثة: طلب الغوث ﴿فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين﴾ سبب هذا ماروى: «أنه لما التقى الجمعان ببدر استقبل النبى ﷺ القبلة ورفع يديه وقال: اللهم أنجزنى ما وعدتنى، اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد فى الأرض، وعلا به صوته فقال له أبو بكر: خفض من صوتك يارسول الله؛ فإن الله منجزك ماوعدك»(٢) فنزلت الآية واستجاب دعاءه، وأمدهم الله تعالى بالملائكة؛ فروى: «أنه نزل جبريل فى خمسمائة، وميكائيل فى خمسمائة، وكان على رءوسهم عمائم بيض قد أرخوا أطرافها بين أكتافهم، وهم على صور البشر

(١) فى «ك»: وإما.

(٢) رواه مسلم (١٢/ ١٢١ - ١٢٥/ رقم ١٧٦٣)، والترمذى (٥/ ٢٥١ - ٢٥٢/ رقم ٣٠٨١)، وأحمد (١/ ٣٠)، والطبرى فى التفسير (٩/ ١٨٩) من حديث عمر.

مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ

على خيل بُلْق»(١) فهذا معنى قوله: ﴿فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين﴾ يقال: ردفه وأردفه إذا (أتبعه)(٢)، قال الشاعر:

إذا الجـوزاء أردفت الثريا ظننت بآل فاطمة الظنونا

فمعنى قوله ﴿مردفين﴾ أى: متتابعين بعضهم فى إثر بعض. وهذا معنى القراءة الثانية بفتح الدال(٣). ومنهم من فرق بينهما وقال: مردفين أى: ممددين بعضهم لبعض. ومن قرأ بفتح الدال فمعناه: ممدّين من قبل الله.

قوله تعالى: ﴿وما جعله الله إلا بشرى﴾ أى: بشارة ﴿ولتطمئن به قلوبكم﴾ أى: تسكن به قلوبكم ﴿وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم﴾

قوله تعالى: ﴿إذ يغشيكم النعاس أمنة منه﴾ ويقرأ: «إذ يَغْشَاكم النعاس»(٤) وقرأ ابن محيصن: «أمْنة» ساكنة الميم فى الشواذ.

والقصة فى ذلك: أن الكفار يوم بدر نزلوا على الماء، ونزل المسلمون على غير ماء، فأجنب بعضهم وأحدثوا، فلم يجدوا ماء يتطهرون به، وكانوا فى رمل تسوخ فيه أرجلهم، فوسوس إليهم الشيطان: إنكم تزعمون أنكم على الحق وأولئك على الباطل وإذا هم على الماء، فلو كنتم على الحق لكنتم أنتم على الماء، وما بقيتم مجنبين محدثين، فوقع فيهم خوف شديد، فألقى الله تعالى عليهم النعاس حتى أمنوا، وأنشأ سحابة فتمطرت عليهم حتى سال الوادى وتطهروا واغتسلوا، وتلبدت الرمال حتى ثبتت عليها الأقدام. فهذا معنى قوله: ﴿إذ يغشيكم النعاس أمنة﴾.

(١) روى الشطر الأول منه الطبرى (٩/ ١٣٠)، والبيهقى فى الدلائل (٣/ ٧٨ - ٧٩)، وعزاه السيوطى فى الدر (٣/ ١٨٣) لابن المنذر، وابن مردويه.

(٢) فى «ك»: تبعه.

(٣) وهى قراءة نافع، وأبو جعفر، ويعقوب. انظر النشر (٢/ ٢٧٥ - ٢٧٦).

(٤) هى قراءة ابن كثير، وأبو عمرو. انظر النشر (٢/ ٢٧٦).

السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ

قال ابن مسعود: النعاس فى القتال من الله، وفى الصلاة من الشيطان.

﴿ وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ﴾ وهو ما ذكرنا ﴿ ويذهب عنكم رجز الشيطان ﴾ أى: وسوسة الشيطان ﴿ وليربط على قلوبكم ﴾ أى: يشدد قلوبكم وتثبت بإزالة الخوف ﴿ ويثبت به الأقدام ﴾ يعنى: على الرمل حين تلبد بالمطر.

﴿ إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم ﴾ أى: بالنصر والظفر ﴿ فثبتوا الذين آمنوا ﴾ وروى «أن الملك كان يمشى بين أيديهم وينادى: أيها المسلمون، أبشروا بالظفر والنصر»[1]. وقيل: كان يلهمهم الملك ذلك؛ وللملك إلهام.

﴿ سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق ﴾ أى: على الأعناق، وقيل: «فوق» فيه صلة، ومعناه: فاضربوا الأعناق، وقيل: هو على موضعه، ومعناه: فاضربوا على اليافوخ.

﴿ واضربوا منهم كل بنان ﴾ قيل: البنان: مفاصل الأطراف، وقيل: الأصابع، كأنه عبّر به عن الأيدى والأرجل.

قال ابن الأنبارى: ما كانت الملائكة تعلم كيف يقتل الآدميون، فعلّمهم الله.

وقيل: إن الملائكة لم يقاتلوا إلا فى غزوة بدر.

وعن ابن مسعود - رضى الله عنه -: أنه لما أراد أن يحز رأس أبى جهل - وكان قد علاه ليقتله - فقال له أبو جهل: كنا نسمع الصوت ولا نرى شخصاً، ونرى الضرب ولانرى الضارب، فمن هم؟ قال: هم الملائكة، فقال أبو جهل: أولئك غلبونا لا أنتم.

﴿ ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ﴾ أى: نازعوا الله ورسوله.

---

(١) رواه ابن مردويه، والبيهقى فى الدلائل بمعناه، عن أبى أسيد مالك بن ربيعة - رضى الله عنه - كما فى الدر (١٨٧/٣).

بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ

﴿ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار﴾ إنما قال ذلك مبالغة فى التعذيب والانتقام، والعرب تقول للعدو إذا أصابه المكروه: ذق. قال الله تعالى: ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾(١).

وروى أن أبا سفيان بن حرب لما مرّ بحمزة بن عبد المطلب وهو مطروح مقتول يوم أحد فقال له: ذق ياعُقَق، يعنى: ذق أيها العاق.

وفى القصة: أن المسلمين لما فرغوا من قتال بدر وانهزم الكفار قصدوا طلب العير وأن يتبعوهم - وكان العباس بن عبد المطلب فى وثاق المسلمين وأَسْرِهم - فقال لهم: ليس لكم إلى ذلك سبيل؛ فإن الله - تعالى - وعدكم إحدى الطائفتين، وقد ظفرتم بالجيش؛ فليس لكم العير، فسكتوا.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا﴾ أى: متزاحفين والتزاحف: التدانى من القتال، ومعناه: إذا تزاحفتم وتوافقتم ﴿فلا تولوهم الأدبار﴾ أى: لاتنهزموا؛ فإن المنهزم يولى دبره إذا انهزم ﴿ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال﴾ التحرف للقتال هو أن يرى الانهزام ويقصد به طلب الغرَّة والغيلة، وانتهاز الفرصة ﴿أو متحيزا إلى فئة﴾ أى: مائلا إلى فئة ﴿فقد باء بغضب من الله﴾ أى: رجع بغضب من الله ﴿ومأواه جهنم وبئس المصير﴾ واستدلت المعتزلة بإطلاق قوله: ﴿ومأواه جهنم﴾ فى وعيد الأبد، ولاحجة لهم فيه؛ لأن معنى الآية: ومأواه جهنم إلا أن تدركه الرحمة؛ بدليل سائر الآى المقيدة.

قال الحسن البصرى: الآية فى أهل بدرخاصّة، ما كان يجوز لهم الانهزام بحال؛ لأن النبى ﷺ كان معهم ولم يكن لهم فئة يتحيزون إليها، فأما فى حق غيرهم فالفرار من الزحف لايكون كبيرة؛ لأن المسلمين بعضهم فئة لبعض، فيكون الفارّ متحيزاً إلى فئة.

---

(١) الدخان: ٤٩.

فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ

وهذا مروى عن أبى سعيد الخدرى – من الصحابة – ويشهد لذلك: قول عمر – رضى الله عنه – أنه قال: لما أصاب المسلمين يوم الجسر ما أصابهم وصبروا حتى قتلوا، قال عمر: هلا رجعوا إلىّ. وكان إذا بعث جيشًا بعد ذلك يقول: أنا فئة لكل مسلم.

ويدل عليه ما روى عن ابن عمر – رضى الله عنهما – أنه قال: «غزونا غزو فحصنا حيصة، فقلنا: يارسول الله، نحن الفرّارون؟ فقال لا؛ بل أنتم العكّارون، وأنا فئتكم»(١).

وفى الآية قول آخر – وهو المذهب اليوم وعليه عامة الفقهاء – أنه إن كان الكفار أكثر من مثليهم جاز الفرار من الزحف؛ لقوله: ﴿الآن خفف الله عنكم﴾(٢) ولقوله: ﴿ولاتلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾(٣) ولو صبروا جاز، اللهم أن يعلموا قطعًا أنه لايمكنهم مقاومتهم، فحينئذ لايجوز الصبر؛ لأنه يكون إلقاء لنفسه فى التهلكة، وإن كان الكفار مثلى المسلمين أو دون المثلين لايجوز الفرار من الزحف إلا متحرفًا لقتال أو متحيزا إلى فئة – يعنى: إلى فئة قريبة من الجيش مثل السرايا – والفرار من الزحف إنما يكون كثيره من هذه الصورة.

قوله تعالى: ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم﴾ سبب هذا: أن المسلمين لما انصرفوا من قتال بدر، كان الواحد منهم يقول: أنا قتلت فلانا، ويقول الآخر: أنا قتلت فلانا؛ فلم يرض الله تعالى منهم ذلك، ونزلت الآية: ﴿فلم تقتلوهم﴾ يعنى: بقوتكم وعدتكم ﴿ولكن الله قتلهم﴾ (بنصره)(٤) إياكم ومعونته لكم. وقيل معناه: ولكن الله قتلهم بسوقهم إليكم حتى ظفرتم بهم.

---

(١) رواه أبو داود (٣/ ٤٦/ رقم ٢٦٤٧)، والترمذى (٤/ ١٨٦ – ١٨٧/ رقم ١٧١٦) وقال: حسن، لانعرفه إلا من حديث يزيد بن أبى زياد. والحميدى (٢/ ٣٠٢/ رقم ٦٨٧)، وأحمد (٢/ ٧٠، ١٠٠)، وسعيد بن منصور (٢/ ٢٤٩/ رقم ٤٥٣٩)، والبيهقى (٩/ ٧٨).

(٢) الأنفال: ٦٦.

(٣) البقرة: ١٩٥.

(٤) فى «ك»: بنصرته.

قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ

وقيل معناه: ولكن الله قتلهم ببعث الملائكة لكم مدداً، فقتلهم الله بالملائكة.

﴿ وما رميت إذْ رميت ولكن الله رمى ﴾ روى: «أن النبى ﷺ أخذ كفًا من الحصباء يوم بدر ورمى به إلى وجوه المشركين وقال: شاهت الوجوه. فلم يبق منهم أحد إلا وأصاب عينيه من ذلك، وشغل بعينيه»(١).

﴿ وما رميت إذ رميت ﴾ يريد به ذلك الرمى بالحصباء التى أصابت عيونهم؛ إذ ليس هذا فى قدرة البشر أن ترمى الحصباء إلى وجوه جيش بحيث لاتبقى عين إلا ويصيبها منها؛ ﴿ ولكن الله رمى ﴾ بقوته وقدرته. وقيل معناه: وما بلغت إذ رميت؛ ولكن الله بلّغ، وقيل معناه: وما رميت بالرعب فى قلوبهم.

﴿ وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنًا ﴾ أى: نعمة حسنة ينعم بها على المؤمنين، وذلك نعمة النصر والظفر، والشدة بلاء، والنعمة بلاء، والله تعالى يبتلى عبده تارة بالنعمة وتارة بالشدة ﴿ إن الله سميع عليم ﴾.

قوله تعالى: ﴿ ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين ﴾ يقرأ مخففًا ومشددًا(٢) ومعناه: مُضعِّف كيدَ الكافرين.

قوله: ﴿ إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ﴾ قال الضحاك: سبب هذا أن أبا جهل

---

(١) رواه الطبرى (٩ / ١٣٦) عن محمد بن كعب القرظى، ومحمد بن قيس، ورواه الطبرانى (٣ / ٢٠٣ /رقم ٣١٢٨) عن حكيم بن حزام، وقال الهيثمى فى المجمع (٦ / ٨٧): رواه الطبرانى، وإسناده حسن.
ويشهد له ما رواه أحمد فى المسند (١ / ٣٠٣، ٣٦٨)، وابن حبان – الإحسان – (١٤ / ٤٣٠ / رقم ٦٥٠٢)، والحاكم (٣ / ١٥٧) وصحح إسناده، والبيهقى فى الدلائل. ولكن ليس فيه أن ذلك كان يوم بدر، وإنما كان فى المسجد فقتل كل من أصابه من هذا الحصباء.

(٢) قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير وأبو عمرو «موهِّنٌ كيدَ» بتشديد الهاء، وبالتنوين، ونصب كيد. وقرأ حفص «مُوهِنُ كيدِ» بالتخفيف من غير تنوين، وخفض كيد. وقرأ الباقون بالتخفيف، وبالتنوين، نصب كيد. انظر النشر (٢ / ٢٧٦).

وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ
اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ
تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ
عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ
أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا

قال يوم بدر: اللهم انصر أحبّ الفئتين إليك وأكرمهم عليك. وفى رواية أخرى: اللهم أَقطَعُنا للرّحِم، وأفسدنا للجماعة، وأتانا بما لا نعرف؛ فاخزه اليوم، فأجابه الله تعالى بقوله: ﴿إِن تستفتحوا﴾ أى :إن تستنصروا فقد جاءكم النصر.

﴿وإن تنتهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعد﴾ أى: إن تعودوا إلى الدعاء نعد إلى الإجابة، وإن تعودوا إلى القتال نعد إلى النصر ﴿ولن تغنى عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين﴾.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله﴾ أمر الصحابة بطاعته وطاعة رسوله ﴿ولاتولوا عنه﴾ أى: لاتعرضوا عنه ﴿وأنتم تسمعون ولاتكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لايسمعون﴾ يعنى: أنهم لما لم ينتفعوا بما سمعوا فكأنهم لم يسمعوا، فلا تكونوا مثلهم.

قوله تعالى: ﴿إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لايعقلون﴾ سمى الكفار صمًّا بكمًا؛ لأنهم لما لم يسمعوا الحق، ولم ينطقوا بالحق، ولم يعقلوا الحق سماهم بذلك، وعدّهم من جملة الأنعام.

﴿ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم﴾ أى: لأسمعهم سماع التفهم والقبول لو علم أنهم يصلحون لذلك.

﴿ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون﴾ فإن قيل: كيف يستقيم قوله: ﴿لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا﴾؟ قيل معناه: لو علم فيهم خيرا لأسمعهم سماع التفهم، ولو

دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾

أسمعهم سماع الآذان لتولوا. وقيل معناه: ولو أسمعهم سماع التفهم لتولوا؛ لما سبق لهم من الشقاوة، وأنهم لايصلحون لذلك ولاخير فيهم. وقيل: معناه: أنهم كانوا يقولون للنبي ﷺ: أحيي لنا قصيّا؛ فإنه كان شيخا مباركا حتى نشهد لك بالنبوة فنؤمن بك، فقال الله تعالى: ﴿ولو أسمعهم﴾ كلام قُصَيٍّ ﴿لتولوا وهم معرضون﴾.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ قال السدي في قوله: ﴿لما يحييكم﴾: أراد به الإيمان. وسمي السدي بذلك؛ لأنه كان يجلس في سُدَّة مسجد الكوفة.

وقال قتادة: هو القرآن. وقال الفراء: هو الجهاد. وقال ابن قتيبة: هو الشهادة.

وروى أبو هريرة «أن النبي ﷺ دعا أبي بن كعب وهو في الصلاة، فأسرع القراءة وأتم الصلاة وأجابه، فقال النبي ﷺ: ما منعك أن تجيبني؟ فقال: كنت في الصلاة، فقال – عليه السلام –: أما سمعت قول الله تعالى: ﴿استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾؟ فقال: علمت، لا أعود»(١).

﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾ قال سعيد بن جبير وجماعة: يحول بين المؤمن والكفر وبين الكافر، والإيمان. قال الضحاك: يحول بين المؤمن والمعصية، وبين الكافر والطاعة.

وفيه قول ثالث: أن معناه: يحول بين المؤمن والخوف، وبين الكافر والأمن؛ وذلك أن الكفار كانوا آمنين، والمسلمين كانوا خائفين؛ فأبدل الله تعالى خوف هؤلاء بالأمن، وأمن هؤلاء بالخوف، وعبّر بالقلب؛ لأنه محل الخوف والأمن ﴿وأنه إليه تحشرون﴾.

---

(١) رواه الترمذي (٥/١٤٣/ رقم ٢٨٧٥) وقال: حسن صحيح، والنسائي (٢/١٣٩/رقم ٩١٤)، وفي الكبرى (٦/٣٥١/ رقم ١١٢٠٥)، وأحمد (٢/٤١٢ – ٤١٣)، والطبري (٩/١٤٢).

وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾
وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ
وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا
تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ

قوله تعالى: ﴿ واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ أكثر المفسرين على أن الآية فى أصحاب النبى ﷺ ومعناها: اتقوا عذابا يصيب الظالم وغير الظالم.

قال الزبير حين رأى ما رأى يوم الجمل: ما علمت أن هذه الآية نزلت فينا أصحاب رسول الله ﷺ حتى كان هذا اليوم. وقال ابن عباس فى معنى الآية: لاتُقِرّوا المنكر بينكم، ومروا بالمعروف؛ كى لايعمكم الله بعقاب، فيصيب الظالم وغير الظالم.

وقيل: أراد بالفتنة: تفريق الكلمة واختلاف الآراء، واتقوا فتنة تفريق الكلمة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة، فيكون العذاب مضمراً فيه ﴿ واعلموا أن الله شديد العقاب ﴾.

قوله تعالى: ﴿ واذكروا إذْ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس ﴾ قال وهب بن منبّه: يعنى: تتخطفكم فارس. وقال عكرمة: يتخطفكم كفارالعرب ﴿ فآواكم ﴾ يعنى: إلى المدينة ﴿ وأيدكم بنصره ﴾ أى: قواكم بنصره ﴿ ورزقكم من الطيبات ﴾ يعنى: الغنائم ﴿ لعلكم تشكرون ﴾.

قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم ﴾ ولاتخونوا أماناتكم ﴿ وأنتم تعلمون ﴾ قال الكلبى: نزلت الآية فى أبى لبابة بن عبد المنذر؛ فإن النبى ﷺ لما حاصر بنى قريظة بعثه إليهم – وكان منهم – فقالوا له: ماذا يفعل بنا لو نزلنا على حكمه؟ فوضع أصبعه على حلقه وأشار إليهم بالذبح – يعنى: يقتلكم – قال أبو لبابة: فما برحت قدماى حتى عرفت أنى خنت الله ورسوله، ونزلت الآية»(١).

(١) عزاه السيوطى فى الدر (٣/١٩٣) لعبد بن حميد.
ورواه الطبرى (٩/١٤٦) عن أبى قتادة، وعزاه السيوطى فى الدر (٣/١٩٣) لابن المنذر، وسعيد بن منصور، وابن أبى حاتم، وأبى الشيخ.
ورواه الطبرى (٩/١٤٦) أيضاً عن الزهرى.

وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ

وقيل: الآية فى جميع الأمانات، نهى العباد عن الخيانة فى الأمانات، وتدخل فى الأمانات الطاعات؛ فإن الطاعات أمانات عند العباد على معنى أنها بينهم وبين ربهم أدّوها أو لم يؤدُّوها.

قوله تعالى: ﴿واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم﴾ قيل: هذا أيضا فى أبى لُبابة، وكان فيهم أهله وأولاده وأمواله، فقال ما قال خوفا عليهم. وقيل: هو فى سائر الخلق. وفى الحديث: «الولد مجبنة مبخلة ومجهلة»(١).

وروى أن النبى ﷺ رأى الحسن والحسين فقال: «إنكم لتجبنونى وتبخلونى وتجهلونى، وإنكم لمن ريحان الله»(٢) وأشار إلى الحسن والحسين يعنى: توقعون الأباء فى الجبن والبخل والجهل. وقوله: «لمن ريحان الله» أى: من رزق الله.

قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا﴾ قال ابن عباس: أى: مخرجًا. وقال مجاهد: منجاة ﴿ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم﴾.

قوله تعالى: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك﴾ سبب نزول الآية أن المشركين اجتمعوا فى دار الندوة ليدبروا أمر رسول الله ﷺ، فدخل

(١) رواه أحمد (٤/١٧٢)، وابن أبى شيبة (١٢/٩٧/رقم ١٢٢٢٩)، والبيهقى (١٠/٢٠٢)، والحاكم (٣/١٦٤) وصححه على شرط مسلم، كلهم من طريق عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن سعيد بن أبى راشد، عن يعلى العامرى.

ورواه عبد الرزاق (١١/١٤٠ - ١٤١/ رقم ٢٠١٤٣) عن عبد الله بن عثمان خثيم مرسلاً.

(٢) رواه الترمذى (٤/٢٧٩ - ٢٨٠/ رقم ١٩١٠) وأحمد (٦/٤٠٩)، والحميدى (١/١٦٠/رقم ٣٣٤) عن خولة بنت حكيم. وفيه: «إنكم لتجبنون، وتبخلون، وتجهلون» بدون ياء.

وله شاهد عن الأشعث بن قيس، رواه أحمد (٥/٢١١)، والحاكم (٤/٢٣٩) وصححه على شرط الشيخين، ولفظه: «إنهم لمبخلة، مجبنة.

الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلاَّ

عليهم إبليس فى صورة شيخ، فقالوا له: ما الذى أدخلك علينا؟ قال: أنا شيخ من نجد، ولست من تهامة، وقد بلغنى اجتماعكم فى أمر هذا الرجل، وأنه لايعدمكم منى رأى، فقالوا: اتركوه، ثم تشاوروا، فقال عتبة: اربطوه على جمل وأخرجوه من بلدكم تكفكموه العرب، فقال إبليس: ليس هذا برأى، أما ترون حلاوة منطقه وأخذه القلوب، فلو فعلتم به ذلك يذهب فيستميل قلوب قوم ثم يغزوكم ويفرق جمعكم، فتركوا ذلك، فقال أبو البخترى بن هشام: نحبسه فى بيت ونتربص به ريب المنون، فقال إبليس: ليس هذا برأى، فإن له عشيرة وقومًا لايرضون به ويخرجونه، فتركوا ذلك، فقال أبو جهل: عندى رأى، هذه خمسة أحياء من قريش، نختار من كل حى شابًا قويًا ونضع فى يده سيفًا حادًا، ونأمرهم أن يضربوه دفعة واحدة حتى يتفرق دمه فى القبائل، ويعجز قومه عن القتال فيرضون بالدية، فقال إبليس: هذا هو الرأى، وتفرقوا عليه، فأخبره الله تعالى بمكرهم، ونزلت الآية، فروى أن النبى ﷺ بعث أبا بكر ليتفحّص عن حالهم، فلما جاء إليهم فإذا إبليس قد خرج من بينهم، فماشاه ساعه ثم لما أراد أن يفارقه قال له أبو بكر: أين تريد؟ فقال [له][1] اللعين: لى قوم بهذا الوادى، فعلم أبو بكر أنه إبليس، فقال الحمد لله الذى أخزاك وأظهر دينه، فاختفى منه؛ فقوله ﴿وإذْ يمكر بك الذين كفروا﴾ هو مكرهم ذلك، والمكر: التدبير ﴿ليثبتوك﴾ أى: ليحبسوك كما قال أبو البخترى ﴿أو يقتلوك﴾ كما قال أبو جهل ﴿أو يخرجوك﴾ كما قال عتبة.

﴿ويمكرون ويمكر الله﴾ والمكر من الله: التدبير بالحق، وقيل: هو الأخذ بغتة. قال الزجّاج معناه: يجازيهم جزاء المكر.

﴿والله خير الماكرين﴾ أى: خير المدبّرين.

قوله تعالى: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا﴾ هذا قول النضر بن الحارث بن كلدة، وكان قد خرج إلى الحيرة من أرض العراق

(١) من «ك».

أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ

واشترى أخبار رستم، واسفنديار، وأحاديث العجم، وجاء بها إلى مكة، وقال: لو شئت لقلت مثل القرآن؛ فذلك قوله: ﴿لو نشاء لقلنا مثل هذا﴾.

﴿إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ أى: أكاذيب الأوّلين؛ والأساطير: جمع الأسطورة، وهى المكتوبة. فإن قيل: إذا كان القرآن معجزاً كيف يستقيم قوله: ﴿لو نشاء لقلنا مثل هذا﴾ وهل يقول أحد: لو شئت قلبت الحجر ذهباً والعصا حية وهو عاجز عنه؟

قيل: إن القرآن مطمع ممتنع، فقد يتوهم صفوهم أنه يقول مثله، ويمتنع عليه ذلك فيخطئ ظنّه. وقيل: إنه توهّم بجهله أنه يمكنه الإتيان بمثله وكان عاجزاً.

قوله تعالى: ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ أكثر المفسرين على أن هذا قول النضر بن الحارث، وفى الصحيح برواية أنس أن هذا قول أبى جهل عليه اللعنة.

وهذا يدل على شدة بصيرتهم فى الكفر، وأنه لم تكن لهم شبهة وريبة فى كذب الرسول؛ لأن العاقل لايسأل العذاب بمثل هذا متردد فى أمره؛ وهذا دليل على أن العارف ليست بضرورته.

وحكى عن معاوية أنه قال لرجل من أهل اليمن: ما أجهل قومك حيث قالوا: ربنا باعد بين أسفارنا، فقال الرجل: وأجهل من قومى قومك؛ حيث قالوا: إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم.

قوله تعالى: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾ يعنى: أهل مكة ﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ وفى معناه أقوال:

أحدها: أن هذا فى قوم من المسلمين بقوا بمكة بعد هجرة الرسول ﷺ، وما كان الله ليعذبهم وفيهم من يستغفر.

اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ

وقيل: فى قوم علم الله تعالى أنهم يؤمنون ويستغفرون من أهل مكة، وذلك مثل: أبى سفيان، وصفوان بن أميّة، وعكرمة بن أبى جهل، وسهيل بن عمرو، وحكيم بن حزام، ونحوهم، فلما كان فى علم الله تعالى أنهم لأصحابه يسلمون ويستغفرون؛ عدّهم مستغفرين فى الحال.

وقيل معناه: وماكان الله معذبهم وفى أصلابهم من يستغفر؛ إذ كان لبعضهم أولاد قد أسلموا.

وقيل: إنما قال: ﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ دعوة لهم إلى الإسلام والاستغفار، كالرجل يقول: لا أعاقبك وأنت تطيعنى، أى: أطعنى حتى لا أعاقبك.

وفى الخبر: «أن النبى ﷺ قال: أنزل الله علىّ أمانين لأمتى: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان معذبهم وهم يستغفرون﴾ فإذا مُضِيتُ تركت لهم الاستغفار إلى يوم القيامة». وهو فى جامع أبى عيسى بطريق أبى موسى الأشعرى(١).

وعن ابن مسعود - رضى الله عنه - أنه قال: من قال فى كل يوم: أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه، ثلاث مرات، غفر له ذنوبه وإن كان فارًّا من الزحف.

واستدل بهذا الأثر من عدّ الفرار من الزحف من جملة الكبائر.

قوله تعالى: ﴿وما لهم ألا يعذبهم الله﴾ فإن قال قائل: كيف التلفيق بين هذا وبين قوله: ﴿وما كان الله [ليعذبهم](٢)﴾؟ قيل: أراد بالأول: عذاب الاستئصال، وبهذا: عذاب السيف. وقيل: أراد بالأول: عذاب الدنيا، وبالثانى: عذاب الآخرة.

---

(١) رواه الترمذى (٥/٢٥٢رقم ٣٠٨٢)، وتمام الرازى فى فوائده (١/٢٢١/رقم ٥٢٩) وقال الترمذى: هذا حديث غريب؛ وإسماعيل بن مهاجر يضعف فى الحديث.

ورواه الحاكم (١/٥٤٢) فأوقفه على أبى موسى.

(٢) فى «الأصل وك»: معذبهم.

الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ

وقيل: المراد به أولئك الذين ترك تعذيبهم؛ لكون النبى ﷺ بينهم، ومعناه: ومالهم ألا يعذبهم الله بعد خروجك من بينهم.

﴿وهم يصدون عن المسجد الحرام﴾ أى: يمنعون عنه ﴿وما كانوا أولياءه﴾ وذلك أنهم كانوا يدَّعون: إنا أولياء البيت ﴿إن أولياؤه إلا المتقون﴾ يعنى: المؤمنين ﴿ولكن أكثرهم لايعلمون﴾.

قوله تعالى: ﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية﴾ قال ابن عمر(١)، وابن عباس - رضى الله عنهم - والحسن المكاء: الصفير، والتصدية: التصفيق. والمكاء فى اللغة: اسم طائر له صفير فكأنه قال: إلاّ صوت مكاء، وقال مجاهد: والمكاء أن يجعل أصابعه فى شدقيه، والتصدية: الصفير؛ فجعلهما شيئًا واحداً. وقال سعيد بن جبير: التصدية: هى صدهم المؤمنين عن المسجد الحرام. والأول أصح، قال الشاعر:

وحَلِيل غانيةٍ تركتُ مُجَدَّلاً تمكو فَرِيصَتُه كَشِدْقِ الأعلَم

أى: تصفر فريصته كشدق الأعلم.

والقصة فى ذلك: أن أربعة من بنى عبد الدار كانوا إذا صلى النبى ﷺ فى المسجد الحرام وقف اثنان عن يمينه، واثنان عن يساره، فيصفر اللذان عن يمينه ويصفق اللذان عن يساره حتى يخلطوا عليه القراءة(٢).

قال ابن الأنبارى: إنما سماه صلاة؛ لأنهم أمروا بالصلاة فى المسجد، فلما وضعوا ذلك موضع الصلاة سماه صلاة ﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾.

قوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون﴾ فيه قولان:

(١) فى «ك»: عمر.

(٢) أخرجه الطستى بمعناه عن ابن عباس، كما فى الدر (٣/١٩٩).

الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ

أحدهما: أن الآية فى المطْعِمين يوم بدر، وهم اثنا عشر نفراً من رءوس المشركين: أبو جهل بن هشام، والحارث بن هشام، وأبى بن خلف، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، ومنبه ونبيه ابنا الحجاج، وأبو البخترى بن هشام، وحكيم بن حزام، والنضر بن الحارث، وزمعة بن الأسود، والعباس بن عبد المطلب؛ لأن كل واحد منهم كان كل يوم ينحر عشرة أبعرة ويطعم الجيش.

والقول الثانى: أن هذا فى أبى سفيان بن حرب استأجر ثلاثة آلاف رجل من الأحابيش يوم أحد لقتال النبى – عليه السلام – فنزل قوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله ثم تكون حسرة عليهم يوم القيامة ثم يغلبون﴾.

قال الحسن: أشد الناس حسرة يوم القيامة من يرى ماله فى ميزان غيره ﴿والذين كفروا إلى جهنم يحشرون﴾.

قوله تعالى: ﴿ليميز الله الخبيث من الطيب﴾ أى: ليفرق الله الخبيث من الطيب؛ الخبيث: ما أنفق من الحرام، والطيب: ما أنفق من الحلال. وقيل: الخبيث ما أنفق فى المعصية، والطيب ما أنفق فى الطاعة.

﴿ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعًا﴾ أى: يجمعه جميعًا؛ يقال: سحاب مركوم إذا كان بعضه على بعض ﴿فيجعله فى جهنم أولئك هم الخاسرون﴾.

وعن عبادة بن الصامت – رضى الله عنه – قال: إن الله تعالى يجمع الدنيا يوم القيامة، فيأخذ ماله ويطرح الباقى فى النار. ولأى معنى يطرحه فى النار؟ قيل: ليضيق المكان على الكفار، وقيل: لتكون الحسرة أشد عليهم إذا نظروا إليها.

قوله تعالى: ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾ قال يحيى بن

الأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ

معاذ الرازى - رحمه الله - إيمان لم يعجز عن هدم كفر قبله فمتى يعجز عن هدم ذنب بعده!

﴿ وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين ﴾ قيل: سنة الأولين: أن يصل عذاب الدنيا بعقوبة الآخرة.

قوله تعالى: ﴿ وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ﴾ أى: لايكون شرك ﴿ ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما تعملون بصير وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير ﴾ فالمولى: القيم بالأمور، والنصير: الناصر.

قوله تعالى: ﴿ واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ﴾ الآية.

اختلف العلماء فى الغنيمة والفىء؛ فأحد القولين: أنهما سواء، وهو المال المأخوذ من الكفار على وجه القهر.

والقول الثانى - وهو الأصح -: أنهما مختلفان، والفرق بينهما: أن الغنيمة: هى المال المأخوذ من الكفار على وجه العنوة بإيجاف الخيل والركاب، والفىء: هو المال المأخوذ من غير إيجاف خيل ولا ركاب.

وهذا القول منقول عن سفيان الثورى، والشافعى - رضى الله عنهما - وغيرهما.

﴿ فأن لله ﴾ أكثر المفسرين على أن قوله: ﴿ لله ﴾ افتتاح كلام، وليس لله سهم منفرد؛ بل سهم الله وسهم الرسول واحد.

وفيه قول آخر: أن لله سهماً يصرف إلى الكعبة. وقد روى أن الحسن بن محمد بن الحنفية سئل عن هذه الآية فقال: قوله: ﴿ فأن لله خمسه ﴾ افتتاح كلام، لله الدنيا والآخرة. وعن أبى العالية الرياحى قال: «كان رسول الله ﷺ يقسم الغنيمة على

خمسة أسهم، فيفرز الخمس منه، ثم يأخذ منه قبضة فيجعله للكعبة، ثم يقسم الباقي على ما ذكر الله »(١).

وأما قوله: ﴿ وللرسول ﴾ أكثر المفسرين على أن للرسول سهمًا مفردًا. وقال بعضهم: ليس للرسول سهم أصلا؛ وإنما هو افتتاح كلام، ومعنى ذكر الرسول أن التدبير إليه.

ثم اختلفوا على القول الأول أن ذلك السهم بعد موته لمن يكون؟

قال قتادة: هو للخليفة بعده. وقال بعضهم: يرد إلى الأسهم الأربعة. وأما مذهب الشافعي: أن ذلك السهم يصرف إلى المصالح.

وفيه قول رابع: أنه يصرف إلى الكراع والسلاح في سبيل الله. وهذا مروى عن إبراهيم النخعي وغيره.

وأما قوله: ﴿ ولذي القربى ﴾ اختلفوا في هذا على ثلاثة أقاويل:

فمذهب الشافعي: أن لهم سهمًا مفردًا بعد رسول الله ﷺ إلى قيام الساعة، يشترك فيه أغنياؤهم وفقراؤهم على ماهو المعروف. وهذا قول أحمد وغيره.

وقال مالك: الأمر فيه إلى الإمام إن شاء أعطاهم، وإن شاء لم يعطهم، وكذلك في الباقي، وإنما ذُكِرُوا لجواز الصرف إليهم لا للاستحقاق.

والقول الثاني: وهو مذهب أبي حنيفة - رضي الله عنه -: أن سهم ذوي القربى يرد إلى الباقين، وليس لهم سهم مفرد، فيقسم على ثلاثة أسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل. ويروون هذا عن الخلفاء الأربعة أنهم قسموا على هذا الوجه، والله أعلم بالصواب.

ثم اختلفوا في ذوي القربى من هم؟ قال مجاهد. هم بنو هاشم خاصة؛ وروى عن ابن عباس أنه قال: جميع قريش. وحكى عنه أنه سئل عن سهم ذوي القربى فقال: نزعم أنه لنا، ويأبى قومنا ذلك علينا.

---

(١) رواه أبو داود في المراسيل (ص ٢٧٥/ رقم ٣٧٤)، والطبري في التفسير (١٠/ ٤)، وعزاه السيوطي في الدر (٣/ ٢٠١) لابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

والقول الثالث: أن ذوى القربى هم بنو هاشم وبنو المطلب، وهذا قول الشافعى - رحمه الله - وقد دل عليه الخبر المروى بطريق جبير بن مطعم - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ: «قسم سهم ذوى القربى بين بنى هاشم وبنى المطلب، فمشيت أنا وعثمان إلى رسول الله ﷺ وقلنا: يارسول الله، إنا لاننكر فضيلة بنى هاشم لمكانك الذى وضعك الله فيهم؛ ولكننا وإخواننا بنى المطلب فى القرابة منك سواء، وقد أعطيتهم وحرمتنا، فقال: أنا وبنى المطلب شىء واحد - وشبك بين أصابعه - وإنهم لم يفارقونا فى الجاهلية والإسلام»(١).

وأما قوله تعالى: ﴿ واليتامى ﴾ فاليتامى لهم سهم مفرد بالإنفاق، واليتيم الذى يستحق السهم هو الذى لا أبٌ له فيكون صغيراً فقيراً.

وقوله: ﴿ والمساكين ﴾ فالمساكين هم أهل الحاجة، وسيرد الفرق بين المسكين والفقير فى سورة براءة.

وأما قوله: ﴿ وابن السبيل ﴾ فهو المنقطع الذى بَعُدَ عن ماله.

وقوله: ﴿ إن كنتم آمنتم بالله ﴾ معناه: واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول، على ما ذكر، إن كنتم آمنتم بالله. وقيل معناه: يأ مران فيه بما يريدان فاقبلوا إن كنتم آمنتم بالله.

قوله تعالى: ﴿ وما أنزلنا ﴾ يعنى: إن كنتم آمنتم بالله وبما أنزلنا ﴿ على عبدنا ﴾.

وفيه قول آخر: أن هذا راجع إلى قوله تعالى: ﴿ وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ﴾ إن كنتم آمنتم بالله وبما أنزلنا على عبدنا ﴿ يوم الفرقان ﴾ يوم بدر، فرق الله تعالى فيه بين الحق والباطل ﴿ يوم التقى الجمعان ﴾ معناه: التقى حزب الله وحزب الشيطان

---

(١) رواه البخارى (٦/ ٢٨١/ رقم ٣١٤٠)، و أبو داود (٣/ ١٤٥ - ١٤٦/ رقم ٢٩٧٨ - ٢٩٨٠)، والنسائى (٧/ ١٣٠ - ١٣١)/رقم ٤١٣٧)، وابن ماجة (٢/ ٩٦١/ رقم ٢٨٨١)، وأحمد (٤/ ٨١، ٨٣، ٨٥)، والبيهقى فى الكبرى (٦/ ٣٤١).

الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ

﴿والله على كل شيء قدير﴾.

وروى عن الشعبى أنه قال: يوم الفرقان يوم السابع عشر من رمضان أخبر الله تعالى بتمام قدرته.

قوله تعالى: ﴿إذ أنتم بالعدوة الدنيا﴾ الآية، العدوة: شفير الوادى؛ والغدوة والعدوة واحد، وقوله ﴿الدنيا﴾ يعنى: الأدنى من المدينة؛ فهى تأنيث الأدنى ﴿وهم بالعدوة القصوى﴾ يعنى: الأقصى من مكة؛ وهى تأنيث الأقصى ﴿والركب أسفل منكم﴾ قالوا معناه: والركب بمنزل أسفل منكم. والركب: هو العير الذى كان عليه أبو سفيان، وكانوا بساحل البحر على ثلاثة أميال من بدر ﴿ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد﴾ معناه: ولو تواعدتم الاتفاق والاجتماع للقتال لاختلفتم لِقِلَّتكُم وكثرتهم ﴿فى الميعاد ولكن﴾ الله جمع من غير ميعاد ﴿ليقضى الله أمرا كان مفعولا﴾.

قوله تعالى: ﴿ليهلك من هلك عن بينة﴾ الآية فيها قولان:

أحدهما - وهو الأظهر -: أن الهلاك هو الكفر، والحياة هى الإيمان، ومعناه: ليكفر من كفر عن حجة بيّنة فيما له وعليه ﴿ويحيا من حى﴾ يعنى: ويؤمن من آمن على مثل ذلك.

والقول الثانى: أن الهلاك هو الموت، والحياة هى العيش، ومعناه: ليموت من يموت عن حجة بينة، ويعيش من يعيش على مثل ذلك.

﴿وإن الله لسميع عليم﴾ سميع لأقوالكم، عليم بأموركم.

قوله تعالى: ﴿إذ يريكهم الله فى منامك قليلا﴾ الآية فيها قولان:

أظهر القولين: أن المنام حقيقة النوم؛ فرآهم رسول الله ﷺ فى نومه أقل مما كانوا

يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

في العدد[1].

والقول الثاني وهو قول الحسن البصرى: أن قوله تعالى: ﴿ فى منامك ﴾ أى: فى عينك قليلا؛ وسمى العين مناماً؛ لأنها موضع النوم.

﴿ ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ﴾ لجبنتم ﴿ ولتنازعتم فى الأمر ﴾ يعنى: فى الإحجام والإقدام ﴿ ولكن الله سلم ﴾ أى: سلمكم من الفشل والجبن ﴿ إنه عليم بذات الصدور ﴾.

وقد صح عن النبى ﷺ أنه كان يستعيذ بالله من الجبن[2].

قوله تعالى: ﴿ وإذ يريكموهم إذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم ليقضى الله أمراً كان مفعولا وإلى الله ترجع الأمور ﴾ معنى الآية: أن الله تعالى قلّل المشركين فى أعين المؤمنين؛ ليقدموا ولايجبنوا، وقلّل المؤمنين فى أعين الكفار؛ لئلا يهربوا.

وروى عن عبد الله بن مسعود أنه قال: قلت يوم بدر لبعض من كان بجنبى: تراهم سبعين رجلا، فقال: أراهم مائة، ثم إنا أسرنا منهم فقلنا لهم: كم كنتم؟ فقالوا: كنا ألفا ﴿ ليقضى الله ﴾ يعنى: ليقضى الله من إعلاء الإسلام وإذلال الشرك و نصرة المؤمنين وقتل المشركين.

قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة ﴾ الآية، الفئة: الجماعة.

---

(١) رواه الطبرى فى التفسير (١٠ / ١٠) عن مجاهد، وعزاه السيوطى فى الدر (٣ / ٢٠٥) لعبد الرزاق، وابن المنذر، وابن أبى حاتم.

(٢) متفق عليه من حديث أنس، رواه البخارى (٦ / ٤٣ /رقم ٢٨٢٣)، ومسلم (١٨ / ٤٦ - ٤٨ /رقم ٢٧٠٦). وفى الباب من حديث سعد بن أبى وقاص وغيره.

إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ

قوله: ﴿ فاثبتوا واذكروا الله كثيراً ﴾ ومعنى ذكر الله: هو الدعاء بالنصرة والظفر ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ وكونوا على رجاء الفلاح.

قوله تعالى: ﴿ وأطيعوا الله ورسوله ﴾ الآية، وقوله: ﴿ ولاتنازعوا فتفشلوا ﴾ معناه: ولاتختلفوا فتضعفوا ﴿ وتذهب ريحكم ﴾ معناه: جدّكم وجهدكم.

وقال قتادة: الريح هاهنا: ريح النصرة. وقد صح عن النبى ﷺ أنه قال: «نصرت بالصَّبا، وأهلكت عاد بالدَّبور»(١).

والقول الثالث، قول الأخفش وغيره: وتذهب ريحكم أى: دولتكم ﴿ واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾ معلوم التفسير.

وفى الآية فضيلة عظيمة لأهل الصبر؛ فإن الله تعالى قال: ﴿ إن الله مع الصابرين ﴾ قال الشاعر:

إنِّى رأيتُ فى الأيام تجربة ... للصبر عاقبة محمودة الأثرِ

قوله تعالى: ﴿ ولاتكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ﴾ الآية، البطر: الطغيان فى النعمة وترك الشكر، والرياء: إظهار الجميل وإبطان القبيح.

والآية نزلت فى المشركين حين أقبلوا إلى بدر، فقال تعالى للمؤمنين: ﴿ ولاتكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ﴾.

﴿ ويصدون عن سبيل الله ﴾ معناه: يمنعون عن سبيل الحق ﴿ والله بما يعملون محيط ﴾ روى عن النبى ﷺ أنه قال حين أقبل المشركون: «اللهم هذه قريش أقبلت

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس، رواه البخارى (٦/ ٣٤٦ - ٣٤٧/ رقم ٣٢٠٥)، ومسلم (٦/ ٢٨٠ - ٢٨١/ رقم ٩٠٠).

مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ

بفخرها وخيلائها تحادك وتحاد رسولك»(١) الخبر إلى آخره.

قوله تعالى: ﴿وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لاغالب لكم اليوم من الناس﴾ الآية. روى أن إبليس - عليه مايستحق - تمثل فى صورة سراقة بن مالك و قال للمشركين: ﴿وإنى جار لكم﴾ معناه: مجير لكم من بنى كنانة، فلا يصيبكم منهم سوء، ثم جعل يحرضهم على القتال ﴿فلما تراءت الفئتان﴾ أى: تلاقت الفئتان، المؤمنون والمشركون ﴿نكص على عقبيه﴾ رجع القهقرى على عقبيه ﴿وقال إنى برىء منكم﴾ فى القصة: أنه كان آخذاً بيد الحارث بن هشام أخى أبى جهل، فلما رأى الملائكة ينزلون من السماء يقدمهم جبريل - عليه السلام - نزع يده من يد الحارث وهرب، فقال له الحارث: أفراراً من غير قتال؟ وجعل يمسكه، فدفع فى صدره وقال: ﴿إنى أرى ما لاترون﴾ وهرب ﴿إنى أخاف الله﴾.

فإن قال قائل: كيف قال إنى أخاف الله وقد ترك السجود لآدم وهو لم يخف الله؟ الجواب فيه قولان:

أحدهما: أنه قال هذا كذبًا، والقول الثانى: أنه خاف أن يؤخذ فيفتضح بين الإنس. ومنهم من قال: خاف أنه قد حضر أجله ﴿والله شديد العقاب﴾.

قوله تعالى: ﴿إذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم﴾ هؤلاء قوم كانوا أسلموا بمكة ولم يهاجروا، فكان فى قلوبهم بعض الريب، فخرجوا مع المشركين وقالوا: إن نرى مع محمد قوة انتقلنا إليه، فلما رأوا قلة المؤمنين وضعف شوكتهم قالوا هذا القول، فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿إذ يقول المنافقون...﴾ الآية.

قوله تعالى: ﴿ومن يتوكل على الله﴾ ومن يثق بالله ﴿فإن الله عزيز حكيم﴾ قد

(١) رواه البيهقى فى الدلائل (٣/ ٣٥، ١١٠)، والطبرى فى التفسير (٩/ ١٣٦).

غَرَّ هؤُلاءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى
الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَلِكَ
بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَلِكَ
بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

بينا معنى العزيز الحكيم من قبل.

قوله تعالى: ﴿ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن هذا عند الموت، وقوله: ﴿يضربون وجوههم وأدبارهم﴾ يضربون وجوههم بأسواط النار، وأدبارهم سوقًا إلى العذاب.

والقول الثاني: أن التوفى هاهنا هو القتل، ومعناه: قتل الملائكة المشركين ببدر، وقوله ﴿يضربون وجوههم وأدبارهم﴾ معناه: يضربونهم بالسيف إذا أقبلوا. وقوله ﴿وأدبارهم﴾ ويضربونهم بالسيف إذا أدبروا، ويقولون: ﴿وذوقوا عذاب الحريق﴾.

روى عن الحسن البصرى أنه قال: مع الملائكة مقامع من حديد يضربون بها الكفار، فتلتهب النار فى جراحاتهم؛ فهذا معنى قوله: ﴿وذوقوا عذاب الحريق﴾.

قوله تعالى: ﴿ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ ومعناه ظاهر.

قوله تعالى: ﴿كدأب آل فرعون﴾ الآية، الدأب هاهنا بمعنى العادة، ومعناه: عادتهم فى الكفر كعادة آل فرعون ﴿والذين من قبلهم كفروا بآيات الله﴾ الآية، ومعنى الآية ظاهر.

قوله تعالى: ﴿ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم﴾ الآية، فيه قولان:

أحدهما: معناه: ﴿لم يكن مغيرا نعمة﴾ يعنى: لم يكن مبدلا النعمة بالبلية

﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ
وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ
لا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ

﴿ حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ يعنى: حتى يتركوا الشكر، ويؤتوا الكفران.

والقول الثانى: أن هذا فى أهل مكة؛ فإن الرسول ﷺ كان نعمة أنعمها الله تعالى عليهم، فكفروا بهذه النعمة، فغيرها الله تعالى، ومعناه: أنه نقلها إلى أهل المدينة ﴿ وأن الله سميع عليم ﴾ معلومان.

قوله تعالى: ﴿ كدأب آل فرعون ﴾ ومعناه: ما بينا، وإعادة الذكر للتأكيد، ويجوز أن هذا كان فى قوم آخرين سوى الأولين.

قوله تعالى: ﴿ والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم ﴾ يعنى: نهلك هؤلاء كما أهلكنا أولئك.

قوله تعالى: ﴿ وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين ﴾ يعنى: الأولين والآخرين.

قوله تعالى: ﴿إن شر الدواب عند الله الذين كفروا﴾ الآية. هذه الآية مثل قوله تعالى: ﴿ أولئك كالأنعام بل هم أضل ﴾(١) سماهم الله تعالى دوابّ وأنعامًا؛ لقلة انتفاعهم بعقولهم وألبابهم وأسماعهم وأبصارهم ﴿ فهم لايؤمنون ﴾ معناه ظاهر.

قوله تعالى: ﴿ الذين عاهدت منهم ﴾ هذه الآية نزلت فى قوم من المشركين عاهدوا مع رسول الله ﷺ ثم نقضوا العهد، فقال الله تعالى: ﴿ الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة ﴾ يعنى: كلما عاهدوا نقضوا ﴿ وهم لايتقون ﴾ معناه: لايتقون نقض العهد.

قوله تعالى: ﴿ فإما تثقفنهم فى الحرب ﴾ معناه: فإما تصادفنهم فى الحرب ﴿ فشرد بهم من خلفهم ﴾ قال سعيد بن جبير: أنذر بهم من خلفهم، قال الشاعر:

أطوِّفُ فى الأباطح كلَّ يومٍ … مخافةَ أن يشرِّدَ بى حكيمُ

(١) الأعراف: ١٧٩.

﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ

قوله تعالى: ﴿لعلهم يذكرون﴾ يعنى: يتذكرون.

ومعنى الآية: أى نكّل بهؤلاء الذين جاءوا لحربك أو نقضوا عهدك تنكيلا يفرق بينهم من خلفهم من جماعاتهم.

فقوله تعالى: ﴿وإما تخافن من قوم خيانة﴾ الآية، معنى المخافة هاهنا: هو الإحساس بالخيانة ﴿فانبذ إليهم على سواء﴾ يعنى: فانبذ العهد إليهم ﴿على سواء﴾ يعنى: على حالة تستوى أنت وهم فى العلم به.

والمراد من الآية: ألا تقاتلهم قبل نبذ العهد، وقبل علمهم بالنبذ حتى لاتنسب إلى نقض العهد، وهذه الآية تعدّ من فصيح القرآن.

قوله تعالى: ﴿إن الله لايحب الخائنين﴾ والمعنى معلوم.

قوله تعالى ﴿ولايحسبن الذين كفروا سبقوا﴾ الآية فى القوم الذين انهزموا يوم بدر من المشركين، قوله: ﴿سبقوا﴾ يعنى: فاتوا.

قوله ﴿إنهم لايعجزون﴾ يعنى: لايفوتونى. وقرأ ابن محيصن: «لايُعَجِّزون» والصحيح القراءة الأولى. وقد قرئت الآية بقراءتين: «أنهم» و«إنهم»[(١)] فقوله: «إنهم» على طريق الابتداء، وقوله: «أنهم» يعنى: لأنهم لايفوتون. ومعنى الفوات منقول عن أبى عبيدة، وعن الحسن البصرى أنه قال: ﴿لايعجزون﴾ معناه: إن فاتهم عذاب الدنيا لايفوتهم من عذاب الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل﴾ الآية، الإعداد: اتخاذ الشيء لوقت الحاجة، وقوله: ﴿من قوة﴾ فيه أقوال:

---

(١) قرأ ابن عامر بفتح الهمزة، وقرأ الباقون بكسرها. انظر النشر (٢/ ٢٧٧).

تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا

أحدها: ماروى عقبة بن عامر: «أن النبى ﷺ قرأ هذه الآية على المنبر ثم قال: ألا إن القوة الرمى، ألا إن القوة الرمى». أورده مسلم فى «الصحيح»(١).

والقول الثانى: وهو أن القوة: ذكور الخيل، والرباط: إناثها. هذا قول عكرمة.

وروى عن خالد بن الوليد أنه كان لايركب فى القتال إلا الإناث؛ لقلة صهيلها.

وعن أبى محيريز قال: كانوا يستحبون ركوب ذكور الخيل عند الصفوف، وركوب إناث الخيل عند الثبات والغارات.

والقول الثالث: أن القوة: هى جميع الأسلحة. وقد قيل: إن القوة: الحصون؛ و الحصون: الخيول، قال الشاعر:

ولقد علِمْتُ على تجنبى الرَّدَى ... أن الحصونَ الخيل لامدَرُ القرى

وقوله: ﴿ترهبون به﴾ معناه: تخيفون به ﴿عدو الله وعدوكم﴾ أى: أعداء الله وأعداءكم واحد بمعنى الجمع. وقوله: ﴿وآخرين من دونهم﴾ أى: ترهبون به آخرين من دونهم، واختلفوا فى معناه:

روى عن مجاهد أنه قال: هم بنو قريظة. وفيه قول آخر: أنهم المنافقون.

وفيه قول ثالث: أنهم الجن. وعن السدى أنه قال: أهل فارس.

وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «لن يخبل الجن آدميًا فى داره فرس عتيق»(٢). أورده النقاش فى تفسيره.

---

(١) رواه مسلم (١٣/ ٩٥/ رقم ١٩١٧)، وأبو داود (٣/ ١٣/ رقم ٢٥١٤)، والترمذى (٥/ ٢٥٢/ رقم ٣٠٨٣)، وأحمد (٤/ ١٥٧).

(٢) قال الهيثمى فى المجمع (٧/ ٣٠): رواه الطبرانى، وفيه مجاهيل. وعزاه الحافظ ابن حجر فى المطالب (٣/ ٣٣٥ - ٣٣٦) لمسدد فى مسنده. ورواه ابن عدى فى الكامل (٣/ ٣٦٠) ونقل تضعيف راويه سعيد بن سنان عن الأئمة، وقال: وعامة ما يرويه وخاصة عن أبى الزاهرية غير محفوظ.

وعزاه السيوطى فى الدر (٣/ ٢١٥) لابن سعد، والحارث بن أبى أسامة، وأبى يعلى، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وابن قانع فى معجمه، والطبرانى، وأبى الشيخ، وابن منده، والرويانى، وابن مردويه، وابن عساكر من طريق يزيد بن عبد الله بن عريب عن أبيه عن جده.

مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ

وفى الآية قول رابع: روى عن معاذ بن جبل أنه قال: ﴿وآخرين من دونهم﴾ يعنى: الشياطين.

وقوله: ﴿لاتعلمونهم الله يعلمهم﴾ ظاهر.

قوله: ﴿وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لاتظلمون﴾ أى: لاينقص أجوركم.

قوله تعالى: ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها﴾ السَّلم والسِّلم والسُّلم: الصلح؛ ومعناه: وإن مالوا إلى الصلح فمل إليه.

وروى عن الحسن وقتادة أنهما قالا: هذه الآية منسوخة بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿وتوكل على الله﴾ معناه: ثق بالله ﴿إنه هو السميع العليم﴾.

قوله تعالى: ﴿وإن يريدوا أن يخدعوك﴾ الخداع: أن يظهر خلاف ما يبطن.

قوله: ﴿فإن حسبك الله﴾ يعنى: فإن كافيك هو ﴿هو الذى أيدك بنصره﴾ هو الذى قواك بنصره ﴿وبالمؤمنين﴾ أى: قواك بالمؤمنين ﴿وألف بين قلوبهم﴾ أكثر المفسرين أن هذا فى الأوس والخزرج؛ وقد كانت بينهم إحن وَترات فى الجاهلية، وكان القتال بينهم قائماً مائة سنة، فألف الله بين قلوبهم بالنبى ﷺ. قال الزجاج: كان الرجل منهم يُلطم اللطمة فكان يقاتل بقوته إلى أن يَستَقيدَ منها، فألف الله بين قلوبهم بالإسلام، حتى صار الرجل يقاتل أخاه وقريبه على الإسلام.

وعن ابن مسعود – رضى الله عنه – أنه قال: نزلت الآية فى المتحابين فى الله.

وفى الأخبار عن النبى ﷺ أنه قال: «المؤمن مألفة، ولاخير فيمن لايؤلف ولا

جَميعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن

يألف »[١].

وعن خالد بن معدان أنه قال: إن لله مَلكًا في السماء؛ نصفه من ثلج ونصفه من نار، وتسبيحه: اللهم كما ألفت بين الثلج والنار فألف بين قلوب عبادك الصالحين.

قوله ﴿لو أنفقت ما فى الأرض جميعًا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم﴾ أى منيع فى ملكه، حكيم فى خلقه.

قوله تعالى: ﴿يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾ روى عن ابن عباس برواية الوالبى أنه قال: أسلم تسعة وثلاثون رجلاً وثلاث و عشرون امرأة، ثم أسلم عمر رضى الله عنه تمام الأربعين، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وفى الآية قولان: أحدهما: ﴿يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك﴾ أى: يكفيك الله ويكفى من اتبعك من المؤمنين، فتكون «من» فى موضع النصب.

والقول الثانى: ﴿حسبك الله﴾ وحسبك تُبَّاعك من المؤمنين؛ فتكون «من» فى موضع الرفع، قال الشاعر:

إذا كانت الهَيْجاءُ وانشَقَّتِ العَصَا فحسبُكَ والضحاكَ سيفٌ مهندُ

وهذا استشهاد للقول الأول.

وقرأ الشعبى: «حسبكَ الله ومن اتبعك من المؤمنين» ومعناه قريب من الأول.

قوله تعالى: ﴿يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال﴾ قرئ فى الشاذ: «حرص

(١) رواه أحمد (٥/٣٣٥)، والطبرانى فى الكبير (٦/١٣١/رقم ٥٧٤٤)، والخطيب فى تاريخه (١١/٣٧٦) من حديث سهل بن سعد. وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/٢٧٦): رواه أحمد، والطبرانى، وإسناده جيد. وذكره فى (٨/٩٠) وقال: رواه أحمد، وفيه مصعب بن ثابت، وثقه ابن حبان وغيره، وضعفه ابن معين وغيره، وبقية رجاله ثقات.

وانظر كلام الشيخ الألبانى عليه فى الصحيحة رقم [٤٢٥].

يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ

المؤمنين» بالصاد غير معجمة، والمعروف بالضاد معجمة؛ والتحريض: هو الحث على المبادرة إلى الشيء.

قوله تعالى: ﴿إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا﴾ هذا خبر بمعنى الأمر، وكان الله تعالى أمر المؤمنين ألاّ يفر الواحد منهم عن عشرة، ولاتفر المائة منهم عن ألف. فإن قال قائل: أيش معنى ﴿بأنهم قوم لايفقهون﴾ وأى اتصال لهذا بمعنى الآية؟

جوابه: معناه: أنهم يقاتلون على جهالة لا على حسبة وبصيرة، وأنتم تقاتلون على بصيرة وحسبة، فلا يثبتون إذا ثبتم، ثم إن المسلمين سألوا الله التخفيف، فأنزل الله تعالى الآية الأخرى، وأمر ألا يفر الواحد من اثنين، والمائة من المائتين.

فإن قال قائل: الله تعالى قال: ﴿يغلبوا مائتين﴾ ونحن رأينا القتال على هذا العدد بلا غلبة، فكيف يستقيم معنى الآية، والخُلْف فى خبر الله لايجوز؟

قلنا: إن معنى قوله: ﴿يغلبوا﴾ أى: يقاتلوا؛ كأنه أمرهم بالقتال على رجاء الظفر والنصرة من الله تعالى.

وأما قوله: ﴿الآن خفف الله عنكم﴾ هذه الآية ناسخة للآية الأولى، وقرأ أبو جعفر يزيد بن القعقاع: «وعلم أن فيكم ضعفاء» والمعروف: «ضَعْفًا» و«ضُعفا» ومعناهما واحد(١).

﴿فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله و الله مع الصابرين﴾ وباقى الآية معناه معلوم.

(١) قرأ عاصم، وحمزة، وخلف بفتح الضاد، وقرأ الباقون بضمها، وقرأ أبو جعفر بفتح العين، والمد، والهمز وقرأ الباقون بإسكان العين منونًا من غير مد، ولا همز. انظر النشر (٢/ ٢٧٧).

الصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَوْلا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا

قوله تعالى: ﴿ما كان لنبى أن يكون له أسرى﴾ قرئ: «أسرى، وأسارى»(١). قال أهل اللغة: أسرى جمع أسير، وأسارى جمع الجمع. وحكى الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء أنه قال: الأسرى هم المأخوذون من غير شد، والأسارى هم الذين أخذوا وشدوا. والأصح عند أهل اللغة أنه لافرق بينهما، قاله الأزهرى.

وقوله تعالى: ﴿حتى يثخن فى الأرض﴾ الإثخان: القتل، وقيل: المبالغة فى التنكيل.

﴿تريدون عرض الدنيا﴾ بالإفداء.

قوله تعالى: ﴿والله يريد الآخرة﴾ معناه: يرغبكم فى الآخرة، وقوله: ﴿والله عزيز حكيم﴾ قد ذكرنا معنى العزيز الحكيم.

واعلم أن الآية نزلت فى أسارى بدر؛ فإنه روى: «أن النبى ﷺ قتل سبعين يوم بدر، وأسر سبعين من المشركين، ثم إنه استشار أصحابه فى الأسارى، فقال أبو بكر - رضى الله عنه -: هؤلاء قومك وأسرتك وأهلك، استبقهم لعل الله أن يهديهم بك، وخذ منهم الفداء؛ فيكون معونة للمسلمين. وقال عمر: هؤلاء آذوك وأخرجوك وكفروا بما جئت به فاضرب أعناقهم. فمال الرسول إلى قول أبى بكر وأحبّ ما ذكره»(٢).

وروى «أنه قال لأبى بكر: مثلك مثل إبراهيم حين قال: ﴿فمن تبعنى فإنه منى ومن عصانى فإنك غفور رحيم﴾(٣) وقال لعمر: مثلك مثل نوح حين قال: ﴿رب لاتذر على الأرض من الكافرين ديّارا﴾(٤)»(٥) ثم قال لأصحابه: لايخلين أحد منكم

(١) انظر النشر (٢/٢٧٧).

(٢) رواه مسلم (١٢/١٢١ - ١٢٥/ رقم ١٧٦٣)، والترمذى (٥/٢٥١ - ٢٥٢/ رقم ٣٠٨١)، وأحمد (١/٣٠)، والطبرى (٩/١٨٩) من حديث عمر.

(٣) إبراهيم: ٣٦. (٤) نوح: ٢٦.

(٥) عزاه السيوطى فى الدر (٣/٢١٨) لابن مردويه عن أبى هريرة.

أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

عن أسير إلا بفداء أو بضرب عنقه ففادوا وكان الفداء لكل أسير أربعين أوقية، الأوقية أربعون درهمًا، فأنزل الله تعالى هذه الآية إلى آخرها.

قوله تعالى: ﴿لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾ روى عن النبي ﷺ برواية أبي هريرة أنه قال: «لم تحل الغنائم لأحد سود الرءوس قبلكم؛ كانت نار تنزل من السماء فتأكلها. قال أبو هريرة: فلما كان يوم بدر ووقعوا فيما وقعوا من الغنائم فادوا الأسارى قبل أن ينزل الوحي بالجواز، أنزل الله تعالى: ﴿لولا كتاب من الله سبق لمسكم﴾ الآية»(١). وفي معنى الآية أقوال:

أحدها: لولا كتاب من الله سبق في تحليل الغنائم لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم. هذا قول سعيد بن جبير وجماعة.

والثاني: لولا كتاب من الله سبق من مغفرته لأهل بدر ما صنعوا؛ لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم، هذا قول الحسن البصري.

والثالث: لولا كتاب من الله سبق أنهم لم يُقَدِّم إليكم ألا تأخذوا؛ لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم؛ فإنه لايعذب من غير تقدمة.

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «أُرِيتُ عذابكم دون هذه الشجرة، وأشار إلى شجرة قريبة منه»(٢). وروى أنه قال لعمر: «لو نزل العذاب ما نجا أحد سواك»(٣). وروى أنه قال له: «كاد يصيبنا».(٤)

---

(١) رواه الترمذي (٥/٢٥٣ - ٢٥٤/ رقم ٣٠٨٥) وقال: حسن صحيح غريب، والنسائي في الكبرى (٦/٣٥٢/ رقم ١١٢٠٩)، وأحمد (٢/٢٥٢)، والطبري (١٠/٣٢)، والبيهقي (٦/٢٩٠ - ٢٩١)، وابن حبان - الإحسان - (١١/١٣٤/ رقم ٤٨٠٦).

(٢) تقدم برواية مسلم والترمذي وأحمد له قبل حديثين.

(٣) عزاه السيوطي في الدر (٣/٢٢٠) لابن المنذر، وأبي الشيخ، وابن مردويه، من طريق نافع عن ابن عمر.

(٤) رواه الحاكم (٢/٣٢٩) عن ابن عمر، وصحح إسناده، وقال الذهبي: على شرط مسلم، وأبو نعيم في الحلية (١/٤٣) ولفظه: «كاد أن يصيبنا بلاء في خلافك». وذكره الواحدي في أسباب النزول.

﴿٦٩﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا

وروى أنه لما نزلت الآية الأولى كف أصحاب رسول الله ﷺ أيديهم عما أخذوا من الفداء، فأنزل الله تعالى هذه الآية إلى آخرها.

قوله تعالى: ﴿يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الأسرى﴾ نزلت هذه الآية فى العباس بن عبد المطلب؛ فإنه أسر يوم بدر، وكانت معه عشرون أوقية من الذهب فأخذت منه، ثم قال له النبى ﷺ: «افد نفسك وابنى أخيك - يعنى عقيلاً ونوفلاً - فقال: مالى شىء، وقد أخذتم ما كان معى، قال: أين المال الذى دفعتَه إلى أم الفضل وقلت: إن أصبت فى هذا الوجه فلعبد الله كذا، وللفضل كذا، ولِقُثَم كذا؟ فقال: والله ما كان معنا أحد، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله و أنك رسول الله؛ ثم إنه فادى نفسه وابنى أخيه، فأنزل الله تعالى هذه الآية إلى آخرها»(١).

قوله تعالى: ﴿إن يعلم الله فى قلوبكم خيراً﴾ معناه: إن يعلم فى قلوبكم إيمانا.

قوله تعالى: ﴿يؤتكم خيرا مما أخذ منكم﴾ قال العباس: فقد آتانى الله خيراً مما أخذ منى، وكان له عشرون عبداً يَتَّجر كل عبد فى عشرين ألف درهم.

وقوله: ﴿ويغفر لكم والله غفور رحيم﴾ قال العباس: وأنا أرجو من الله المغفرة.

قوله تعالى: ﴿وإن يريدوا خيانتك﴾ الخيانة: ضد الأمانة؛ ومعناه: إن أرادوا أن يكفروا بك ﴿فقد خانوا الله من قبل﴾ أى: قد كفروا بالله من قبل.

قوله: ﴿فأمكن منهم﴾ يعنى: مكَّن منهم ﴿والله عليم حكيم﴾.

قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله﴾ الآية، الهجرة: هى الخروج من الوطن إلى غيره، وقد كانت فرضا فى ابتداء

(١) رواه الحاكم (٣/ ٣٢٤) عن عائشة، وقال: صحيح على شرط مسلم، ورواه البيهقى فى الدلائل (٣/ ١٤٢ - ١٤٣).

بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾

الإسلام، فلما كان يوم فتح مكة قال النبى ﷺ: «لاهجرة بعد اليوم»(١).

وروى عن الحسن البصرى أنه قال: الهجرة قائمة إلى قيام الساعة، فعلى أهل البوادى إذا أسلموا أن يهاجروا إلى الأمصار.

قوله: ﴿والذين آووا ونصروا﴾ هؤلاء أهل المدينة؛ ومعنى الإيواء: ضمّهم المهاجرين إلى أنفسهم فى الأموال والمساكن.

قوله: ﴿أولئك بعضهم أولياء بعض﴾ فيه قولان:

أحدهما: أولئك أعوان بعض.

والقول الثانى معناه: يرث بعضهم من بعض.

قوله تعالى: ﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا﴾ قطع الموالاة بين المسلمين وبينهم حتى يهاجروا، وكان المهاجر لايرث من الأعرابى، ولا الأعرابى من المهاجر، ثم قال: ﴿وإن استنصروكم فى الدين فعليكم النصر﴾ يعنى: وإن استنصروكم الذين لم يهاجروا فعليكم النصر، ثم استثنى وقال: ﴿إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ أى: موادعة، فلا تنصروهم عليهم. قوله: ﴿والله بما تعملون بصير﴾ معناه ظاهر.

قوله تعالى: ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض﴾ يعنى: أن بعضهم أعوان بعض.

والقول الثانى: إن بعضهم يرث من البعض.

وقوله ﴿إلا تفعلوه﴾ يعنى: إن لم تقبلوا هذا الحكم ﴿تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير﴾ الفتنة فى الأرض: قوة الكفر، والفساد الكبير: ضعف الإيمان.

(١) الحديث متفق عليه، وقد تقدم تخريجه.

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنكُمْ وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾

قوله تعالى: ﴿والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا﴾ (الآية)[1]، فإن قيل: أى معنى فى هذا التكرار؟

قلنا: المهاجرون كانوا على طبقات، وكان بعضهم أهل الهجرة الأولى، وهم الذين هاجروا قبل الحديبية، وبعضهم أهل الهجرة الثانية، وهم الذين هاجروا بعد الحديبية قبل فتح مكة، وكان بعضهم ذا هجرتين، وهما الهجرة إلى الحبشة والهجرة إلى المدينة؛ فالمراد من الآية الأولى الهجرة الأولى، والمراد من الثانية الهجرة الثانية.

قوله تعالى: ﴿أولئك هم المؤمنون حقا﴾ يعنى: لامرية ولاريب فى إيمانهم.

قوله: ﴿لهم مغفرة ورزق كريم﴾ روى فى الرزق الكريم أن المراد منه: رزق الجنة لايصير بخوى؛ بل يصير رشحا له ريح المسك.

قوله تعالى: ﴿والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم﴾ الآية، أراد به: فأولئك معكم، فأنتم منهم وهم منكم.

قوله تعالى: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله﴾ أكثر المفسرين على أن هذه الآية ناسخة لما سبق من إثبات الميراث بالهجرة، فنقل الميراث من الهجرة إلى الميراث بالقرابة.

قوله تعالى: ﴿فى كتاب الله﴾ أى: فى حكم الله.

قوله: ﴿إن الله بكل شىء عليم﴾ قال أهل العلم: ليس المراد من أولى الأرحام الأقرباء الذين ليس لهم عصوبة ولافرض؛ وإنما المراد من أولى الأرحام [أهل العصابات][2] ثم ميراث الأقرباء مذكور فى موضع آخر، وهو آية الميراث، والله أعلم.

(١) ليست فى «ك».

(٢) ليست فى «الأصل، ولا ك».

تفسير سورة التوبة

اعلم أن هذه السورة مدنية، وقد صح عن النبى ﷺ برواية البراء بن عازب: «أنها آخر سورة أنزلت كاملة»(١) ولها أسماء كثيرة.

وروى عن ابن عباس أنه سئل عن هذه السورة، فقال: هى الفاضحة؛ مازال ينزل قوله [تعالى](٢): ومنهم، ومنهم، حتى ظننا أنه لايترك منا أحدا. وقال حذيفة بن اليمان: هى سورة العذاب.

ومن المعروف أنها تسمى سورة البُحوث، ومن أسمائها: المبعثرة، ومن أسمائها: المنيرة، ومن أسمائها: الحافرة، لأنها حفرت عن قلوب المنافقين. وروى النقاش عن ابن عمر أنها تسمى المقشقشة. وعن عمران بن حدير أنه قال: قرأت هذه السورة على أعرابى، فقال: هذه السورة أظنها آخر ما أنزلت، فقلت له: ولِمَ؟ فقال: أرى عهودا تنبذ، وعقودا تنقض.

وعن سعيد بن جبير: أن هذه السورة كانت تعدل سورة البقرة فى الطول.

وأما الكلام فى حذف التسمية: روى عن ابن عباس أنه قال: «قلت لعثمان – رضى الله عنه –: ما بالكم عمدتم إلى سورة التوبة وهى من المئين، وإلى سورة الأنفال وهى من المثانى، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا سطر ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾؟ فقال: «كان إذا أنزل على رسول الله ﷺ الشىء من القرآن دعا بعض من يكتب، فيقول له: ضعه فى سورة كذا، ضعه فى سورة كذا، وكانت الأنفال من أول ما أنزلت بالمدينة، والتوبة من آخر ما أنزلت، وكان قصّتيهما شبيهة بعضها ببعض، وخرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يبيّن لنا شيئا فظننا أنهما سورة واحدة؛ فلذلك قرنا بينهما ولم نكتب ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾.

(١) تقدم تخريجه فى أواخر سورة البقرة.

(٢) من «ك».

بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَانٌ

وهذا خبر فى «الصحيح» أورده مسلم(١)، وروى أن الصحابة اختلفوا، فقال بعضهم: هما سورتان، وقال بعضهم: هما سورة واحدة؛ فاتفقوا أن يفصلوا ببياض بين السورتين، ولايكتبوا: «بسم الله الرحمن الرحيم».

والقول الثالث: ما حكى عن سفيان بن عيينة من المتقدمين، والمبّرد من المتأخرين: أن السورة سورة نقض العهد والبراءة من المشركين؛ والتسمية أمان وافتتاح خير؛ فلهذا لم يكتبوا «بسم الله الرحمن الرحيم».

قوله تعالى: ﴿برآءة من الله ورسوله﴾ قوله: ﴿براءة﴾ هذه براءة، والبراءة: نقض العصمة، ومعنى الآية: تبرؤ من الله ورسوله.

﴿إلى الذين عاهدتم من المشركين﴾ وقال بعضهم: برئ الله ورسوله من المشركين.

قوله تعالى: ﴿فسيحوا فى الأرض﴾ معناه: أقبلوا وأدبروا واذهبوا وجيئوا ﴿أربعة أشهر﴾ اختلفوا فى الأشهر الأربعة:

قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة: ابتداؤه من يوم النحر، وآخره العاشر من شهر ربيع الآخر. وقال الزهرى: هو شوال، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم.

والقول الأول هو الصواب.

قوله تعالى: ﴿واعلموا أنكم غير معجزى الله﴾ أى: غير فائتى الله، ومعناه: أنه

---

(١) قلت: ليس هو فى الصحيح، ولم يورده مسلم فى صحيحه، وإنما رواه أبو داود (١/٢٠٨ - ٢٠٩/ رقم ٧٨٦، ٧٨٧)، والترمذى (٥/٢٧٢ - ٢٧٣/ رقم ٣٠٨٦) وقال: حسن صحيح، والنسائى فى الكبرى (٥/١٠/رقم ٨٠٠٧)، وأحمد فى المسند (١/٥٧، ٦٩)، والحاكم (٢/٢٢١) وقال: صحيح على شرط الشيخين و (٢/٣٣٠)، وقال: صحيح الإسناد، وابن حبان - الإحسان - (١/٢٣٠ - ٢٣١/ رقم ٤٣)، والبيهقى فى الكبرى (٢/٤٢). وذهب الشيخ أحمد شاكر - رحمه الله - (٢/٣٢٩ - ٣٣١) إلى الحكم على هذا الحديث بانه موضوع لا أصل له. وانظر كلامه.

وإن أجّلكم هذه المدة فلا يعجز عن عذابكم ،كما يعجز من يفوته الشىء ﴿ وأن الله مخزى الكافرين ﴾ أى : مذل الكافرين.

وسبب نزول الآية : « أنه كان بين رسول الله ﷺ وبين المشركين عهود ومدد، فلما غزا غزوة تبوك أرجف المنافقون بالنبى ﷺ ، فجعل المشركون ينقضون العهود– وقيل : إن هذا كان قبل غزوة تبوك – فلما كانت سنة تسع من الهجرة بعث أبا بكر– رضى الله عنه – للحج بالناس، وبعث عليّا– رضى الله عنه – ليقرأ على الناس هذه الآيات من أول هذه السورة. ويروى أنه بعث أبا بكر أولا ، ثم إنه بعث عليّا فى إثره، وقال : « لايبلغ هذه الآيات إلا رجل منى »(١) يعنى : من رهطى فكان أبو بكر أميرا على الموسم، وكان علىّ ينادى فى الناس بهذه الآيات .

وروى أن عليّا سئل : بم بعثك رسول الله ﷺ ؟ فقال : بعثنى بأربعة أشياء : أولها : من كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فمدته إلى أربعة أشهر، والثانى : لايحجّن بعد هذا العام مشرك، والثالث : لايطوفن بالبيت عريان، والرابع : لايدخل الجنة إلا نفس مسلمة »(٢).

فإن قال قائل : كيف بعث أبا بكر بهذه الآيات ثم عزله و بعث عليا، وقال : « لايبلغ عنى إلا رجل منى »، فإن كان لايبلغ هذا إلا رجل من رهطه، فكذلك سائر الأشياء؟

والجواب عنه : ذكر العلماء أن رسول الله ﷺ لم يعزل أبا بكر عن الموسم ،وكان هو الأمير، وإنما بعث عليّا لينادى بهذه الآيات؛ لأن العرب كانوا تعارفوا أنه لايعقد على القوم إلا سيدهم، ولاينقض إلا سيدهم أو رجل من أهله، فبعث عليا على ماتعارفوا؛ ليزيح العلل بالكلية، فلا تبقى لهم علة، فكان المعنى هذا، والله أعلم.

---

(١) رواه أحمد فى المسند (١ /٣) عن أبى بكر، وصحح الشيخ أحمد شاكر إسناده فى تحقيق المسند (١ /١٥٦) وروى عن أنس، رواه الترمذى (٥ /٢٥٦ / رقم ٣٠٩٠)، وقال : حسن غريب، والنسائى فى الكبرى (٥ /١٢٨ / رقم ٨٤٦٠). ورواه ابن حبان – الإحسان – (١٥/ ١٦ – ١٧/ رقم ٦٦٤٤) على الشك فى الصحابى هل هو أبو هريرة أم أبو سعيد ؟ وروى عن على، رواه عبد الله بن أحمد فى زوائد المسند (١ /١٥١)، وقال الهيثمى فى المجمع (٧ /٣٢) : وفيه محمد بن جابر السحيمى، وهو ضعيف وقد وثق. وروى عن غير واحد من الصحابة.

(٢) رواه الترمذى (٥ /٢٥٧ /رقم ٣٠٩٢) وحسنه، وأحمد (١ /٧٩) وصححه الشيخ شاكر فى تحقيق المسند (٢ /٣٢).

مّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ

قوله تعالى: ﴿ وأذان من الله ورسوله ﴾ معناه: إعلام من الله ورسوله، قال الحارث بن حلزة:

آذنتنا بينهما أسماء ... رب ثاوٍ يملُّ منه الثواء

معناه: أعلمتنا.

قوله تعالى: ﴿ إلى الناس يوم الحج الأكبر ﴾ اختلفوا فى يوم الحج الأكبر على أقوال:

روى يحيى بن (الجزار)[1] أن عليّا - رضى الله عنه - خرج يوم العيد على دابة، فأخذ رجل بلجام دابته، وقال: ما يوم الحج الأكبر؟ فقال: هو اليوم الذى أنت فيه، خلّ عنها.

وروى مثل هذا عن ابن عمر، والمغيرة بن شعبة، وعبد الله بن أبى أوفى.

والقول الثانى: قول ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: هو يوم عرفة. وهو قول مجاهد والشعبى والنخعى وجماعة.

وقال ابن سيرين - وهو القول الثالث -: يوم الحج الأكبر هو اليوم الذى حج فيه رسول الله ﷺ، اتفق فيه حج أهل الملل كلها.

والصحيح هو أحد القولين الأولين.

واختلفوا فى الحج الأكبر:

فأحد القولين: أن الحج الأكبر هو القران، والحج الأصغر هو الإفراد.

والقول الثانى: أن الحج الأكبر: هو الحج، والأصغر هو العمرة.

قوله: ﴿ أن الله برىء من المشركين ورسوله فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم ﴾ معناه: ورسوله برىء

(١) فى «ك»: الجوزاء وهو سبق قلم. وهو العَرَنِى الكوفى من رجال التهذيب.

كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ

أيضا. ﴿إلا الذين عاهدتم من المشركين﴾ وقع الاستثناء على قوم من بنى ضمرة أمر الله رسوله أن يتم إليهم عهدهم إلى مدتهم، وكان قد بقى من مدتهم تسعة أشهر؛ والسبب فى الإتمام: أنهم لم ينقضوا العهد، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ثم لم ينقصوكم شيئا﴾، وقرأ عطاء بن يسار: «ثم لم ينقضوكم شيئا» بالضاد المعجمة.

قوله تعالى: ﴿ولم يظاهروا عليكم أحدا﴾ ومعناه: ولم يعاونوا عليكم أحدا ﴿فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين﴾ يعنى: المتقين عن نقض العهد. وروى عن الحسن البصرى - رحمه الله - أنه قال: المتقى: من يدع مالا بأس به حذرا مما به بأس.

قوله تعالى: ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين﴾ روى فى التفاسير «أن النبى ﷺ أجّل المشركين الذين كان بينهم وبين النبى ﷺ عهد أربعة أشهر، وأجّل الذين لم يكن بين رسول الله ﷺ وبينهم عهد باقى ذى الحجة والمحرم وهو خمسون ليلة»(١)، فهذا معنى الآية.

فإن قيل: قال تعالى: ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم﴾ وما ذكرتم بعض الأشهر الحرم.

قلنا: هذا القدر كان متصلا بما مضى؛ فأطلق عليه اسم الجميع، ومعناه: هو مضى المدة المعروفة التى تقع بعد انسلاخ الأشهر الحرم.

قوله تعالى: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ معناه معلوم.

قوله ﴿وخذوهم﴾ ظاهر. أى: خذوهم أسرا؛ والعرب تسمى الأسير أخيذاً، وفى المثل: أكذب من أخيذ.

قوله تعالى: ﴿واحصروهم﴾ يعنى: واحبسوهم، يعنى: حولوا بينهم وبين

(١) عزاه السيوطى فى الدر (٣/٢٢٨) لابن المنذر، وابن أبى حاتم.

وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا

المسجد الحرام، هذا هو معنى الحبس هاهنا.

وقوله: ﴿ واقعدوا لهم كل مرصد ﴾ قال أبو عبيدة: المراصد: الطرق. يعني اقعدوا لهم بطرق مكة حتى لايصلوا إلى المسجد الحرام قال الشاعر:

ولقد علمت [ولا أخالك ناسيًا](١) أن المنيـــة للفتـــى بالمرصـــد

قوله: ﴿ فإن تابوا ﴾ يعني: آمنوا ﴿ وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ﴾ يعني: خلّوا سبيلهم ليصلوا إلى المسجد الحرام ﴿ إن الله غفور رحيم ﴾ معلوم.

قوله تعالى: ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره ﴾ الاستجارة: طلب الأمان. ومعنى الآية: وإن أحد من المشركين طلب منك الأمان فأجره، أى: أمنه ﴿ حتى يسمع كلام الله ﴾ يعني: فيما له وعليه من العقاب والثواب والوعد والوعيد ﴿ ثم أبلغه مأمنه ﴾ يعني: الموضع الذى يأمن فيه ﴿ ذلك بأنهم قوم لايعلمون ﴾ ومعناه: أنهم يحتاجون إلى أن يسمعوا كلام الله تعالى لجهلهم.

قوله تعالى: ﴿ كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله ﴾ قال الفراء: كلمة «كيف» هاهنا كلمة استفهام بمعنى الجحد، ومعناه: لايكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله، يعني: ولا عند رسوله.

قوله تعالى: ﴿ إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام ﴾ هؤلاء قوم من بنى ضمرة على ما ذكرنا.

قوله تعالى: ﴿ فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ﴾ يعني: إذا وفوا بعهدكم وفوا

(١) فى «الأصل، وك»: ولا أخاك سواه وما أثبته من تفسير القرطبى، وعزاه لعامر بن الطفيل.

اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا

بعهدهم ﴿إن الله يحب المتقين﴾ قيل معناه: إن الله يحب المؤمنين، وقيل: يحب المتقين نقض العهد.

قوله تعالى: ﴿كيف وإن يظهروا عليكم لايرقبوا فيكم إلا ولا ذمة﴾ يعنى: كيف يكون لهم عهد وإن يظهروا عليكم لايرقبوا فيكم إلاً ولا ذمة؟ اختلفت الأقوال فى «إلاً»:

روى عن مجاهد أن «إلا» هو الله تعالى. وفى الشاذ قرئ: «لايرقبوا فيكم إيلا ولا ذمة»، وإيل: هو الله.

وروى عن أبى بكر – رضى الله عنه – أنه قال فى كلمات مسيلمة الكذاب – لعنه الله – حين سمع أنه يقول: ياضفدع نقى نقى، كم تنقين، لا الماء تكدّرين ولا الشراب تمنعين. فقال أبو بكر: إن هذا كلام لم يخرج من إلٍّ يعنى: من الله.

والقول الثانى قول أبى عبيدة: الإل هو العهد، والذمة: التذم.

والثالث: قول الضحاك – وهو أولى الأقاويل وأحسنها – قال: إن الإل هو القرابة، والذمة: العهد، قال حسان بن ثابت:

لعمـرك إن إلّك مـن قريش ... كإلِّ السّقْبِ من رَألِ النَّعَامِ

قوله تعالى: ﴿يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم﴾ يعنى: يعدون الوفاء بالقول، وتأبى قلوبهم إلا الغدر ﴿وأكثرهم فاسقون﴾ فإن قال قائل: هذا فى المشركين وهم كلهم فاسقون، فكيف قال: ﴿وأكثرهم﴾؟

قلنا: الفسق ها هنا: نقض العهد، وكان فى المشركين من وفى بعهده؛ فلهذا قال ﴿وأكثرهم فاسقون﴾.

قوله تعالى: ﴿اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا﴾ الآية. قال الحسن البصرى: الدنيا

يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ

بحذافيرها ثمن قليل. ومعنى الآية: أنهم اختاروا الدنيا على رضا الله وعلى الإيمان بآيات الله ﴿ فصدوا عن سبيله ﴾ يعنى: منعوا الناس عن سبيله ﴿ إنهم ساء ما كانوا يعملون ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ لايرقبون فى مؤمن إلاً ولا ذمة ﴾ المراقبة: الحفظ، والإلّ والذمة قد ذكرنا معناهما ﴿ وأولئك هم المعتدون ﴾ المجاوزون للحدود.

وقوله تعالى: ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم ﴾ هذا فى العهد الذى كان بين رسول الله ﷺ وبين قريش، فنقضوا العهد، وكان نقضهم: أنهم عاونوا بنى بكر على خزاعة، وكانت بنو بكر حلفاء قريش، وخزاعة حلفاء النبى ﷺ، فجاء رجل من خزاعة إلى النبى ﷺ بالمدينة، وأنشده:

لاهــم إنى ناشــد محمـــدا … حلـــف أبيـــنا وأبيـه الأتلدا

وإن قريشا نقضوك الموعدا … وبيّـتونا بالوثـير هـجـــــدا

وقتلـــونا ركعـــا وسجـــدا

فى أبيات كثيرة، فقال رسول الله ﷺ: «لانُصِرتُ إن لم أَنْصُركم(١)».

(١) رواه الطبرانى فى الصغير (٢/ ١٦٧ - ١٦٩/ رقم ٩٦٨)، وفى الكبير (٢٣/ ٤٣٣ - ٤٣٥/ رقم ١٠٥٢) عن ميمونة أم المؤمنين - رضى الله عنها - وقال فى الصغير: لم يروه عن جعفر إلا محمد بن نضلة، تفرد به يحيى ابن سليمان، ولايروى عن ميمونة إلا بهذا الإسناد.
وقال الهيثمى فى المجمع (٦/ ١٦٧): تفرد به يحيى بن نضلة، وهو ضعيف.
ورواه البيهقى فى الدلائل (٥/ ٥ - ٧) عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة. ورواه الواقدى فى المغازى عن ابن عباس، انظر تخريج الكشاف للزيلعى (٢/ ٥٥ - ٥٦).

إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ

وروى أنه رأى سحابة تبرق، فقال رسول الله ﷺ: «إن هذه السحابة لتستهل بنصر خزاعة»[١]، وكان هذا ابتداء القصد لفتح مكة.

قوله تعالى: ﴿وطعنوا فى دينكم﴾ هذا دليل على أن الذمى إذا طعن فى دين الإسلام ظاهرا لايبقى له عهد، ويجوز قتله.

قوله: ﴿فقاتلوا أئمة الكفر﴾ يعنى: رءوس الكفر، ورءوس الكفر هم: أبو سفيان، وسهيل بن عمرو، وأمية بن صفوان، وعكرمة بن أبى جهل ﴿إنهم لا أيمان لهم﴾ يعنى: لاعهود لهم. وقرأ الحسن البصرى: «إنهم لا إيمان لهم» وهو اختيار ابن عامر[٢]، ويجوز أن تكون الأيمان هاهنا بمعنى الإيمان، تقول العرب: أمنته إيمانا، فذكر المصدر وأراد به الاسم ﴿لعلهم ينتهون﴾.

قوله تعالى: ﴿ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم﴾ معناه معلوم.

قوله ﴿وهموا بإخراج الرسول﴾ معلوم ﴿وهم بدءوكم أول مرة﴾ أراد به أنهم بدءوا بالقتال فى حرب بدر. قال أبو جهل - لعنه الله -: لانرجع حتى نستأصل محمدا وأصحابه ﴿أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين﴾ معناه: ظاهر.

قوله تعالى: ﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم﴾ معنى الآية ظاهر.

وقوله: ﴿ويشف صدور قوم مؤمنين﴾ يعنى: خزاعة.

﴿ويذهب غيظ قلوبهم﴾ أى: خزاعة ﴿ويتوب الله على من يشاء والله عليم

(١) هو فى الحديث الذى قبله.

(٢) انظر النشر (٢/ ٢٧٨).

صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ

حكيم ﴾ روى عن النبى ﷺ أنه قال يوم فتح مكة: «ارفعوا السيف إلا خزاعة عن بنى بكر إلى العصر»(١).

قوله تعالى: ﴿ أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ﴾ الآية، قال أهل التفسير: لما أمر الله تعالى نبيّه بالقتال ظهر المنافقون، فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿ أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ﴾ والمراد من العلم ها هنا: العلم الذى يقع الجزاء عليه، وهو العلم بعد الوجود لاعلم الغيب الذى لايقع الجزاء عليه ﴿ ولما يعلم الله ﴾ يعنى: ولم يعلم الله ﴿ ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة ﴾ قال الفراء: الوليجة: البطانة، وهو خاصة الإنسان الذى يفشى سره إليه، فصار معنى الآية ﴿ ولما يعلم الله ﴾ ولم يعلم الله الذين جاهدوا منكم، ولم يعلم الذين امتنعوا أن يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة ﴿ والله خبير بما تعملون ﴾ ظاهر.

قوله تعالى: ﴿ ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله ﴾ معنى الآية: نفى أهلية عمارة المسجد الحرام عن المشركين.

قوله ﴿ شاهدين على أنفسهم بالكفر ﴾ و«شاهدين» نصب على الحال، وأما شهادتهم على أنفسهم بالكفر: هى سجودهم للأصنام، وقولهم فى التلبية: لبيك اللهم لبيك، لاشريك لك، إلا شريكا هو لك تملكه وما ملكك.

---

(١) رواه أحمد فى مسنده (٢/١٧٩، ٢٠٧، ٢١٣)، وابن أبى شيبة (١٤/٤٨٧/ رقم ١٨٧٥٠)، وأبو عبيد فى الأموال (ص ١٤٥/رقم ٣٠٠) من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده. وقصر الهيثمى فى المجمع (٦/١٨٠ - ١٨١) فعزاه للطبرانى فقط، وقال: ورجاله ثقات. وصحح إسناده الشيخ شاكر فى تحقيقه للمسند (١٠/١٥٨/رقم ٦٦٨١).

حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ

وفيه قول آخر: أن معنى قوله: ﴿ شاهدين على أنفسهم بالكفر ﴾ هو أنك تقول لليهودى: ما أنت؟ فيقول: يهودى، وتقول للنصرانى: ما أنت؟ فيقول: نصرانى، وكذلك المجوسى والمشرك.

قوله تعالى: ﴿ أولئك حبطت أعمالهم وفى النار هم خالدون ﴾ الحبوط: هو البطلان، وخالدون: دائمون.

قوله تعالى: ﴿إنما يعمر مساجد الله﴾ سبب نزول الآية: أن العباس - رضى الله عنه - لما أسر يوم بدر عيّره أصحاب رسول الله ﷺ بترك الإسلام والهجرة، فقال: نحن عمار المسجد الحرام وسقاة الحجيج.

وفى رواية: أنه لما أسلم قال للمسلمين: لئن سبقتمونا بالإسلام فقد كنا نعمر المسجد الحرام، ونسقى الحجيج، فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله﴾ معناه: لم يترك الإيمان بالله من خشية أحد ﴿ فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ وعسى من الله واجب. فإن قال قائل: أتقولون: إن كل مَن عمر مسجدا يكون هكذا على ما قال الله تعالى؟

قلنا: معنى الآية - والله أعلم -: أن من كان بهذه الأوصاف كان أهل عمارة المسجد الحرام، ولايعمر المسجد الحرام إلا من استجمع هذه الأوصاف، وعمارة المسجد الحرام بذكر الله، والرغبة إليه، والدعاء، والصلاة وغيره.

قوله تعالى: ﴿ أجعلتم سقاية الحاج و عمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لايستوون عند الله ﴾ أكثر المفسرين على أن هذه الآية نزلت فى على والعباس - رضى الله عنهما - وكان الذى عيّر العباس بترك الإسلام

والهجرة هو على - رضى الله عنه - فقال العباس: نحن عمار المسجد الحرام، وسقاة الحجيج، فقال الله تعالى ﴿أجعلتم سقاية الحاج﴾ ومعناه: أجعلتم أهل سقاة الحاج وأهل عمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله. وقرئ: «أجعلتم سُقَاة الحاج وعَمَرة المسجد الحرام»(١) وعلى هذه القراءة لايحتاج إلى تقدير الأهل ﴿لايستوون عند الله﴾ معناه: لايستوى من عبد الله وهو مؤمن، ومن عمر المسجد وهو مشرك ﴿والله لايهدى القوم الظالمين﴾ وقد وردت أخبار فى الترغيب فى عمارة المساجد:

روى أبو سعيد الخدرى - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال: «من رأيتموه يعتاد المساجد؛ فاشهدوا له بالإيمان، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله﴾»(٢).

وروى أبو هريرة - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال: «من غدا أو راح إلى المسجد أعد الله له نزلا كلما غدا أو راح»(٣).

وروى جابر - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال: «المسجد سوق من أسواق الجنة، من دخله كان ضيف الله، قراه: المغفرة، وتحيته: الكرامة؛ فإذا دخلتم فارتعوا. قيل: يارسول الله، وما الرتاع؟ قال: الابتهال إلى الله والرغبة»(٤).

وقد صح عن النبى ﷺ أنه قال: «من بنى لله مسجدا بنى الله له مثله فى الجنة»(٥).

---

(١) انظر النشر (٢ / ٢٧٨).

(٢) رواه الترمذى (٥٠ / ١٤ / رقم ٢٦١٧) وقال: غريب حسن، و(٥ / ٢٥٨ / رقم ٣٠٩٣) وقال: حسن غريب، وابن ماجة (١ / ٢٦٣ / رقم ٨٠٢)، وأحمد (٣ / ٦٨، ٧٦)، والدارمى (١ / ٣٠٢ / رقم ١٢٢٣)، وابن خزيمة (٢ / ٣٧٩ / رقم ١٥٠٢)، وابن حبان (٥ / ٦ / رقم١٧٢١)، والحاكم (١ / ٢١٢ - ٢١٣) وقال: هذه ترجمة للمصريين لم يختلفوا فى صحتها، وصدق رواتها، وتعقبه الذهبى فقال: دراج صاحب مناكير.
ورواه (٢ / ٣٣٢) وقال: صحيح الإسناد، وكلهم رووه من طريق دراج، عن أبى الهيثم، عن أبى سعيد.
ورواه البيهقى (٣ / ٦٦).

(٣) متفق عليه. رواه البخارى (٢ / ١٧٣ رقم ٦٦٢)، ومسلم (٥ / ٢٣٨ - ٢٣٩ رقم ٦٦٩).

(٤) رواه الخطيب فى تاريخه (٩ / ٢٠٨) عن جابر بنحوه، وعزاه فى الكنز (٧ / ٥٨١ / رقم ٢٠٣٤٨) للحرقى فى فوائده، والحاكم فى تاريخه، والخطيب.

(٥) متفق عليه من حديث جابر، رواه البخارى (١ / ٦٤٨ / رقم ٤٥٠)، ومسلم (٥ / ٢٠ / رقم ٥٣٣).

وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ

وفى رواية عائشة – رضى الله عنها – أن النبى ﷺ قال «من بنى مسجدا ولو كمفحص قطاة؛ بنى الله له بيتا فى الجنة»(١).

قوله تعالى: ﴿الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله﴾ فإن قال قائل: كيف يستقيم قوله: ﴿أعظم درجة عند الله﴾ وليس للمشركين درجة أصلا؟ الجواب من وجهين:

أحدهما: أعظم درجة من درجتهم على تقديرهم فى أنفسهم؛ وهذا مثل قوله تعالى: ﴿أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا﴾(٢) ومعناه: على تقديرهم فى أنفسهم.

والثانى: أن هؤلاء الصنف من المؤمنين أعظم درجة عند الله من غيرهم.

ثم قال تعالى: ﴿وأولئك هم الفائزون﴾ الفائز: الذى ظفر بأمنيته.

ثم قال تعالى: ﴿يبشرهم ربهم برحمة﴾ الآية. والبشارة: خبر سار صدق؛ يسمى بشارة لأنه تتغير به بشرة الوجه.

---

(١) رواه أبو عبيد فى غريب الحديث (٢/٥٦٦/ رقم ٢٩٦) بإسناده عن عائشة.

وروى من حديث أبى ذر، رواه ابن أبى شيبة (١/٣٠٩ – ٣١٠)، والطيالسى وأوقفه (ص٦٢/رقم ٤٦١)، والبزار (١/٢٠٩/ ٢١٠)، والطحاوى فى مشكل الآثار (١/٤٨٥)، والطبرانى فى الصغير (٢/٢٤٦/رقم ١١٠٥)، وابن حبان (٤/٤٩٠/رقم ١٦١٠) والقضاعى فى مسند الشهاب (١/٢٩١/ رقم ٤٧٩)، والبيهقى (٢/٤٣٧)، وأبو نعيم فى الحلية (٤/٤٩٠/رقم ١٦١٠).

وقال الهيثمى فى المجمع (٢/١٠): رواه البزار والطبرانى فى الصغير، ورجاله ثقات. وروى من حديث جابر أيضًا، رواه ابن ماجة (١/٢٤٤/رقم ٧٣٨) وقال البوصيرى: إسناده صحيح، ورجاله ثقات.

وابن خزيمة فى صحيحه (٢/٢٦٩/رقم ١٢٩٢) وقال المنذرى فى الترغيب (١/١٩٤): بإسناد صحيح.

(٢) الفرقان: ٢٤.

وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ

قوله ﴿ برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم ﴾ النعيم هو العيش اللذيذ، والمقيم: الدائم، وهو من لايظعن أبدا ﴿ خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم ﴾ معناه ظاهر.

قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء ﴾ الآية. نزلت الآية فى قوم أسلموا بمكة، فلما هاجر المسلمون لم يهاجروا. قال ابن عباس: كان الرجل إذا أراد أن يهاجر تعلّق به أهله وولده، وقالوا: أتضيعنا وتتركنا، فيقيم شفقة عليهم؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿ إن استحبوا الكفر على الإيمان ﴾ معناه: أى: اختاروا الكفرعلى الإيمان.

قوله: ﴿ ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون ﴾ وكان فى ذلك الوقت لايقبل الإيمان إلا من مهاجر؛ فهذا معنى قوله تعالى: ﴿ فأولئك هم الظالمون ﴾.

قوله تعالى: ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم ﴾ روى أن الآية الأولى لما نزلت قال أولئك الذين أسلموا ولم يهاجروا: إن نحن هاجرنا ضاعت أموالنا وخربت دورنا، وقطعنا أرحامنا؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿ وعشيرتكم ﴾ قرئت بقراءتين: «عشيرتكم» و «عشيراتكم»[(١)] والأصح: «عشيرتكم» فإن جمع العشيرة هو عشائر، والعشيرات قالوا: ضعيف فى اللغة.

قوله تعالى: ﴿ وأموال اقترفتموها ﴾ أى: اكتسبتموها، ومثله قوله تعالى: ﴿ ومن

---

(١) قرأ أبو بكر بالألف على الجمع، وقرأ الباقون بغير ألف انظر النشر (٢ / ٢٧٨ - ٢٧٩).

تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ

يقترف حسنة ﴾(١) يعنى: يكتسب.

قوله: ﴿ وتجارة تخشون كسادها ﴾ معناه ظاهر.

وروى عن عبد الله بن المبارك أنه قال فى قوله: ﴿ وتجارة تخشون كسادها ﴾ قال: هى الأخوات والبنات إذا لم يوجد لهن خاطب. حكاه النقاش فى تفسيره.

قوله: ﴿ ومساكن ترضونها ﴾ يعنى: تستطيبونها.

قوله: ﴿ أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا ﴾ معناه: فانتظروا.

قوله ﴿ حتى يأتى الله بأمره ﴾ أكثر المفسرين على أن المراد منه: فتح مكة، وهذا أمر تهديد وليس بأمر حتم ولا ندب ولا إباحة.

قوله: ﴿ والله لايهدى القوم الفاسقين ﴾ معناه ظاهر.

قوله تعالى: ﴿ لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم ﴾ الآية. حنين واد بين مكة والطائف ﴿ إذ أعجبتكم كثرتكم ﴾ روى أن النبى ﷺ كان فى اثنى عشر ألفا، والمشركون أربعة آلاف، عليهم مالك بن عوف النصرى(٢)، فقال رجل من الأنصار يقال له: سلمة بن سلامة وقش: لن نغلب اليوم عن قلة، فلم يرض الله تعالى قوله، ووكلهم إلى أنفسهم، فحمل المشركون حملة انهزم المسلمون كلهم سوى نفر يسير بقوا مع رسول الله ﷺ فيهم العباس بن عبد المطلب، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب»(٣).

وذكر البخارى فى «الصحيح» برواية البراء بن عازب: «أن أبا سفيان بن الحارث

(١) الشورى: ٢٣.

(٢) فى «ك»: النضرى، بالضاد المعجمة، وهو تصحيف، وصوابه بالصاد المهملة، كذا ضبطه ابن ماكولا فى الإكمال (١/ ٣٩٠). (٣) رواه الطبرى فى التفسير بمعناه (١٠/ ٧٠) عن قتادة، و(١٠/ ٧١) عن السدى.

فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ

كان آخذا برأس بغلة النبى ﷺ يوم حنين، والنبى ﷺ يقول: أنا النبى لاكذب، أنا ابن عبد الله بن عبد المطلب»، ثم إن العباس – رضى الله عنه – نادى المسلمين بأمر رسول الله – وكان رجلا صيتا – فجعل ينادى يا أصحاب سورة البقرة، يا أنصار الله وأنصار رسول الله، يا أصحاب الشجرة، هذا رسول الله، فرجعوا وقاتلوا ووقعت الهزيمة على الكفار... القصة إلى آخرها»[1] فهذا معنى قوله: ﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا﴾ يعنى: أن الظفر ليس بالكثرة، بل بنصرة الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وضاقت عليكم الأرض بما رحبت﴾ قال الفراء: الباء ها هنا بمعنى «فى» معناه: فى رحبها وسعتها. وقيل المعنى: برحبها وسعتها.

قوله تعالى: ﴿ثم وليتم مدبرين﴾ أى: متفرقين، أى: منهزمين.

قوله تعالى: ﴿ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾ الآية. السكينة: الرحمة. وقيل: السكينة: الأمنة؛ وهى فعيلة من السكون، وهاهنا هى بمعنى النصر، قال الشاعر:

لله قبر بالبسيطة غالها　　ماذا أجن سكينة ووقارا[2]

قوله تعالى: ﴿وأنزل جنودا لم تروها﴾ يعنى: الملائكة، ونزلت لا للقتال، ولكن لتجبين الكفار وتشجيع المسلمين؛ فإن المروى أن الملائكة لم تقاتل إلا فى يوم بدر.

(١) رواه البخارى (٦/ ٨١/ رقم ٢٨٦٤)، ومسلم (١٢/ ١٦٥ – ١٧٠/ رقم ١٧٧٦) بدون ذكر نداء العباس، وأما قصة النداء فرواها مسلم (١٢/ ١٦٠ – ١٦٥/ رقم ١٧٧٥) عن العباس.

(٢) كذا «بالأصل، وك» والبيت لأبى عريف الكليبى، أورده ابن منظور فى لسان العرب (مادة: سكن) ولفظه:

لله قبر غالهـا ماذا يجـ　　ـن لقد أجَنَّ سكينةً ووقارًا

﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ

قوله تعالى: ﴿وعذب الذين كفروا﴾ يعني: بالقتل والأسر، ﴿وذلك جزاء الكافرين﴾ معناه ظاهر.

قوله تعالى: ﴿ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم﴾ معناه ظاهر وهذا فى الذين كفوا عن القتل.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس﴾ معنى قوله ﴿نجس﴾ قذر، فإذا ضم إلى غيره قيل: رِجْسٌ نِجْسٌ، وإذا أفرد قيل: نَجَسٌ.

روى عن عمر بن عبد العزيز أنه قال: نجاستهم كنجاسة الكلب والخنزير.

وعن الحسن البصرى قال: إذا صافح مسلم كافرا يجب عليه غسل يده.

والصحيح أن المراد من الآية: أنه يجب الاجتناب منهم كما يجب الاجتناب من النجاسات. وقيل: إن معنى قوله ﴿نجس﴾: أنهم يجنبون فلا يغتسلون، ويحدثون فلا يتوضئون.

قوله تعالى: ﴿فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا﴾ هذا خبر بمعنى أمر، ومعناه: لاتخلوهم أن يدخلوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا.

ومذهب المدنيين: أن المسجد الحرام هو جميع الحرم، ولايترك كافر يدخله، وإن كان معاهدا أو عبدا، وهذا قول عمر بن عبد العزيز وجماعة.

ومذهب الكوفيين: أنه يجوز أن يدخله المعاهد والعبد، وهذا مروى عن جابر.

وقوله: ﴿وإن خفتم عيلة﴾ يعنى: فقرا. وفى مصحف عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه -: «وإن خفتم عائلة» يعنى: أمرا شاقا، يقال: عالنى الأمر، أى: شق علىّ.

وسبب نزول الآية: أن أهل مكة إنما كانت معايشهم من التجارات والأرباح، فلما أمر الله تعالى المسلمين أن لايخلوا الكفار أن يدخلوا المسجد الحرام، قالوا: فكيف

خفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ

أمر معايشنا؟ وخافوا الفقر وضيق العيش، فقال الله تعالى لهم: ﴿وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء﴾ فروى أنه أسلم أهل جُرَش - بالجيم معجمة - وصنعاء، وسائر نواحى اليمن، وجلبوا المِيرَة الكثيرة إلى أهل مكة، ووسع الله عليهم ﴿إن الله عليم حكيم﴾ ومعناه ظاهر.

قوله تعالى: ﴿قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولايحرمون ما حرم الله ورسوله﴾ فإن قال قائل: إن أهل الكتابين يؤمنون بالله واليوم الآخر، فكيف معنى الآية؟

الجواب من وجهين:

أحدهما: أنهم لايؤمنون بالله واليوم الآخر كإيمان المؤمنين؛ فإنهم قالوا: عزير ابن الله، وقالوا: المسيح ابن الله، وقالت اليهود: لا أكل ولاشرب فى الجنة.

والجواب الثانى: أن كفرهم ككفر من لايؤمن بالله واليوم الآخر فى عظم الجرم.

قوله تعالى: ﴿ولايدينون دين الحق﴾ قال أبو عبيدة: ولايطيعون الله كطاعة أهل الحق.

قوله: ﴿من الذين أوتوا الكتاب حتى يطعوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ قال قتادة: «عن يد»: عن قهر وذل. وقال غيره: «عن يد» أى: يعطى بيده. وفيه قول ثالث: «عن يد» أى: عن إقرار بإنعام أهل الإسلام عليهم ﴿وهم صاغرون﴾ روى عن سلمان الفارسى - رضى الله عنه - قال: معناه: وهم مذمومون. وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - أنه قال: يؤخذ ويوجأ فى عنقه، فهذا معنى الصغار. وقال غيره: يؤخذ منه وهو قائم، والآخذ جالس. وقيل: إنه يلبّب ويجر إلى موضع الإعطاء بعنف. وعند الشافعى - رضى الله عنه - معنى الصغار: هو جريان أحكام الإسلام

صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ

عليهم. وهذا معنى حسن.

قوله تعالى: ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله﴾ هذا فى قوم بأعيانهم كانوا بالمدينة أفناهم السيف، منهم: سلام بن مِشْكم، ومالك بن (الضيف)[1]، وفنحاص اليهودى، وأما الآن فلا يقول منهم أحد هذا. ويقال: إن القائلين لهذه المقالة قوم من سلفهم ومتقدميهم.

وكان السبب فى ذلك أن اليهود لما بدّلوا وخالفوا شريعة التوراة نسخ الله تعالى التوراة من صدورهم، فخرج عزير يسيح فى الأرض يطلب العلم، فلقيه جبريل - عليه السلام - فعلمه التوراة. وروى أنه نزل نور فدخل جوفه فقرأ التوراة عن ظهر قلبه، فرجع وأملى التوراة على اليهود، فقال جماعة منهم هذه المقالة يعنى: عزير ابن الله.

﴿وقالت النصارى المسيح ابن الله﴾ هم على ذلك الآن.

قوله: ﴿ذلك قولهم بأفواههم﴾ فإن قال قائل: الإنسان لايقول قولا إلا بفمه، فكيف يكون معنى هذا الكلام؟

الجواب: أن معناه: أنهم قالوا هذا القول بلا حجة ولا بيان ولابرهان، وإنما كان مجرد قول بلا أصل.

قوله تعالى: ﴿يضاهئون﴾ قرئ بقراءتين، و﴿يضاهئون﴾ يعنى: يشابهون، والمضاهاة: المشابهة والمماثلة، تقول العرب: امرأة ضهياء إذا كانت لاتحيض، فهى تشبه الرجال.

قوله تعالى: ﴿قول الذين كفروا من قبل﴾ فيه معنيان:

أحدهما: قول الذين أشركوا من قبل؛ فإن المشركين كانوا يقولون: مناة واللات والعزى بنات الله.

(١) فى «ك»: الصيف.

ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا

والقول الثانى: أن النصارى قالوا فى المسيح ماقالت اليهود فى عزير، فهذا معنى قوله: ﴿يضاهئون قول الذين كفروا من قبل﴾.

﴿قاتلهم الله﴾. قال أبو عبيدة: لعنهم الله، وقيل: قتلهم الله، كما تقول العرب: عافاه الله، أى: أعفاه الله.

وفيه قول ثالث: أن هذه كلمة تعجب، قال الشاعر:

فيا قاتل الله ليلى كيف تعجبنى وأخـــبر الناس أنى لا أباليـــــها

وليس المعنى تحقيق المقاتلة؛ ولكنه كلمة تعجب.

قوله تعالى: ﴿أنى يؤفكون﴾ معناه: أنى يصرفون، يقال: أرض مأفوكة إذا صرف عنها المطر، وقول مأفوك إذا كان مصروفا عن الحق.

قوله تعالى ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله﴾ يقال: الأحبار من اليهود، والرهبان من النصارى، وقد بيّنا فيها أقوالا من قبل. فإن قال قائل: إنهم لم يعبدوا الأحبار والرهبان، فأيش معنى قوله ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله﴾؟

قلنا: معناه: أنهم استحلوا ما أحلّوا، وحرموا ما حرموا؛ فهذا معنى عباداتهم لهم. وقد صح هذا المعنى برواية عدى بن حاتم، عن النبى ﷺ(١).

---

(١) رواه الترمذى (٥/٢٥٩ - ٢٦٠/ رقم ٣٠٩٥)، والطبرى (١٠/٨٠-٨١)، والطبرانى فى الكبير (١٧/٩٢/ رقم ٢١٨-٢١٩)، والسهمى فى تاريخ جرجان (ص٥٤١/رقم١١٦٢).

وقال الترمذى: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب، وغطيف بن أعين ليس بمعروف فى الحديث. وعزاه السيوطى فى الدر (٣/٢٥٠) لابن سعد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وأبى الشيخ، وابن مردويه، والبيهقى.

وقد روى هذا المعنى من حديث حذيفة، وابن عباس رضى الله عنهما.

إلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي

قوله: ﴿ والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾ معناه ظاهر.

قوله تعالى: ﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ﴾ معناه: يريدون أن يخمدوا نور الله، والمراد من النور: القرآن، وقيل: هو محمد ﷺ.

وقوله: ﴿ بأفواههم ﴾ معناه: بتكذيبهم.

قوله: ﴿ ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ قال المفسرون: هذا عند نزول عيسى ابن مريم – عليه السلام – لايبقى فى الأرض أحد إلا أسلم.

وفى قوله: ﴿ ليظهره على الدين كله ﴾ قول آخر: وهو أنه الإظهار بالحجة؛ فدين الإسلام ظاهر على كل الأديان بالدليل والحجة.

قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ﴾ الآية، وقد بينا معنى الأحبار والرهبان من قبل وقوله: ﴿ ليأكلون أموال الناس بالباطل ﴾ قال أهل التفسير: إن المراد منه أخذ الرشاء فى الأحكام والمآكل التى كانت لعلمائهم على سفلتهم ﴿ ويصدون عن سبيل الله ﴾ معناه: أنهم يمنعون الناس عن الإسلام، وقوله: ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها فى سبيل الله ﴾ الكنز هو المال المجموع، قال الشاعر:

سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾

لادرَّ دَرِّى إن أطعمتُ نازلهم(١) قِرْفَ الحَتِىِّ وعندى البُرُّ مكنوزُ

والحَتِىِّ قالوا: هو المُقْل.

واختلف أهل العلم فى مَنْ نزلت هذه الآية، قال بعضهم: نزلت فى أهل الكتاب، والأكثرون أنها نزلت فى الكل.

واختلفوا فى الكنز، روى عن ابن عمر، وجماعة: أن الكنز كل مال لم تؤدّ زكاته، وأما الذى أديت زكاته فليس بكنز، وإن كان مدفونا. وعن على - رضى الله عنه - أنه قال: أربعة آلاف درهم نفقة وما فوقها كنز. وقال بعضهم: ما فضل عن الحاجة فهو كنز.

وقوله: ﴿ ولاينفقونها فى سبيل الله ﴾ فإن سأل سائل وقال: إنه تقدم ذكر الذهب والفضة جميعا، فكيف قال: ولاينفقونها، ولم يقل: ولاينفقونهما؟

الجواب عنه من وجهين:

أحدهما: أن المعنى: ولاينفقون الكنوز فى سبيل الله.

والثانى: أن معنى الآية: يكنزون الذهب ولاينفقونه، ويكنزون الفضة ولاينفقونها، فاكتفى بأحدهما عن الآخر، قال الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأى مختلف

معناه: نحن بما عندنا راضون، وأنت بما عندك راض. وفى مثل هذا قول الشاعر:

إن شرخَ الشباب والشعرَ الأسـ ـودَ مالم يعاضَ كان جُنُونَا

يعنى: مالم يعاضيا.

قوله: ﴿ فبشرهم بعذاب أليم ﴾ معناه: ضع هذا الوعيد موضع البشارة، وإلا فالوعيد لايكون بشارة حقيقة.

---

(١) كذا «بالأصل، وك» وفى لسان العرب (مادة: كنز): نازلَكُم. وفى تفسير القرطبى: جائعهم.

يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾

قوله تعالى: ﴿يوم يحمى عليها فى نار جهنم﴾ أى: يوقد عليها حتى تصير نارا.

قوله تعالى: ﴿فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم﴾ قال أهل التفسير: لايوضع درهم مكان درهم، ولادينار مكان دينار؛ ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم فى موضعه. وفى حديث أبى أمامة الباهلى (رضى عنه): «أن رجلا من أهل الصفة مات وترك دينارا، فقال النبى ﷺ: كيّة. ومات آخر وترك دينارين فقال ﷺ: كيتان[(١)]». [(٢)]

وقد صح عن النبى ﷺ أنه قال: «يجعل الذهب والفضة صفائح، فيكوى بها فى كل يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»[(٣)].

وروى ثوبان: «أن الله تعالى لما أنزل هذه الآية شق على المسلمين مشقة شديدة فقالوا: يارسول الله، أى المال نتخذ، وقد أنزل فى المال ما أنزل؟! فقال ﷺ: ليتخذ أحدكم قلبا شاكرا، ولسانا ذاكرا، وزوجة تعينه على دينه»[(٤)].

---

(١) فى «ك»: كيتين.

(٢) رواه أحمد (٥/ ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٨)، والطبرى (١٠/ ٨٤)، والطبرانى فى الكبير (٨/ ١٢٦/ رقم ٧٥٧٣، ٧٥٧٤). وقال الهيثمى فى المجمع (٣/ ١٢٥): رواه الطبرانى فى الكبير، وبعض طرقه رجاله رجال الصحيح غير شهر بن حوشب، وهو ثقة وفيه كلام. وقال فى (١٠/ ٢٤٣): رواه أحمد بأسانيد بعضها رجال الصحيح غير شهر بن حوشب وقد وثق.

(٣) رواه مسلم (٧/ ٨٩-٩٧ رقم ٩٨٧)، وأبو داود (٢/ ١٢٤-١٢٥/ رقم ١٦٥٨، ١٦٥٩)، والنسائى (٥/ ١٢-١٤رقم٢٤٤٢)، وأحمد (٢/ ٢٦٢) من حديث أبى هريرة.

(٤) رواه الترمذى (٥/ ٢٥٩/رقم ٣٠٩٤) وقال: هذا حديث حسن، سألت محمد بن إسماعيل فقلت له: سالم ابن أبى الجعد سمع من ثوبان؟ فقال: لا. وابن ماجة (١/ ٥٩٦/ رقم ١٨٥٦)، وأحمد (٥/ ٢٨٢)، والطبرى (١٠/ ٨٤)، والطبرانى فى الصغير (٢/ ١٢١-١٢٢/ رقم ٨٩٠)، والواحدى فى أسباب النزول (ص١٨٤) وقال الزيلعى فى تخريج الكشاف (٢/ ٧١): الحاصل أنه حديث ضعيف لما فيه من الاضطراب.

إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً

وفى الأخبار - أيضا - عن النبى ﷺ: «أن الكنز يتبعه حتى يلقمه يده فيقضمها، ثم يتبع سائر جسده»(١).

وقد روى عن عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - أنه قال: الآية منسوخة بآية الزكاة. وقال سائر العلماء: ليست بمنسوخة. وعن أبى بكر الورّاق - رحمه الله - أنه قال: إنما ذكر الجبهة والجنب والظهر؛ لأن الغنى إذا رأى الفقير قبض جبهته، وزوى ما بين عينيه، وولاّه ظهره، وأعرض عنه كشحه.

قوله تعالى: ﴿هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾ وعيد وتهديد.

قوله تعالى: ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله﴾ قال أهل التفسير: معنى الآية: هو أن الشهور التى تعبّد بها المسلمون فى صيامهم وحجّهم وأعيادهم وسائر أمورهم ،هى الشهور بالأهلة، وقد كان أهل الجاهلية يحسبون السنة بالشهور الشمسية، ويجعلون السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما وربع يوم. وأما فى الشريعة فالسنة ما بيّنا، ولهذا يكون الصوم تارة فى الشتاء وتارة فى الصيف.

قوله: ﴿فى كتاب الله﴾ أى: فى حكم الله، وقيل: فى اللوح المحفوظ. ﴿يوم خلق السموات والأرض﴾ ظاهر المعنى.

قوله: ﴿منها أربعة حرم﴾ هى: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب. واحد فَرْد وثلاثة سَرْدٌ.

---

(١) رواه ابن خزيمة فى صحيحه (٤ / ١١ / رقم ٢٢٥٥)، والطبرانى فى الكبير (٢ / ٩١ / رقم١٤٠٧)، والبزار (١ / ٣٧٠ - ٣٧١ / رقم ٦٠٥ المختصر) وحسن إسناده، وابن حبان فى صحيحه - الإحسان - (٨ / ٤٩ / رقم٣٢٥٧)، والحاكم (١ / ٣٨٨-٣٨٩) وقال: صحيح على شرط مسلم، وقال الذهبى: على شرطهما. وأبو نعيم فى الحلية (١ / ١٨١) من حديث ثوبان.

وقال الهيثمى فى المجمع (٣ / ٦٧): رواه البزار، وقال: إسناده حسن. قلت ورجاله ثقات، ورواه الطبرانى فى الكبير.

كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ

وقد صح عن النبى ﷺ برواية أبى بكرة أنه قال: «ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض، السَّنَةُ اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم...» الخبر(١).

قوله: ﴿ذلك الدين القيم﴾ أى: ذلك الحساب الصحيح.

قوله: ﴿فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾ اختلفوا فى هذا على قولين:

أحدهما: أن قوله: ﴿فلا تظلموا فيهن﴾ ينصرف إلى الأشهر الأربعة.

والثانى أنه منصرف إلى جميع أشهر السنة، وهذا محكى عن ابن عباس.

وأما الظلم فى هذا الموضع: فهو ترك الطاعة وفعل المعصية.

وقوله: ﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة﴾ أى: قاتلوا جميع المشركين كافة كما قاتلوا جميعكم.

قوله: ﴿واعلموا أن الله مع المتقين﴾ من الظلم بالنصرة والظفر.

قوله تعالى: ﴿إنما النسىء زيادة فى الكفر﴾ قرئ بغير الهمز، والمشهور بالهمزة. قال أهل العربية: وهو الأصح، والنسىء: هو التأخير، يقال: نسأ الله فى أجلك أى: أخر.

وسبب نزول الآية: أن أهل الجاهلية كانوا يجعلون المحرّم مرة حلالا ومرة حراما، فإذا أحلّوا المحرّم أبدلوا الصفر بالتحريم، وكان السبب فى ذلك أن عامة معايشهم كانت بالغارات والقتال والسيوف، فكان يشق عليهم أن يكفوا عن القتال ثلاثة أشهر متوالية، وكان الذى يتولى التحليل والتحريم رجل من بنى كنانة يقال له: أبو ثمامة، ورثه عن آبائه، وكان يقوم على ناقة ويقول: أيها الناس، أنا لا أعاب ولا أحاب ولايرد قضاء قضيته، أما إنى قد أحللت المحرم وحرّمت الصفر العام، قال رجل منهم: ألسنا الناسئين على معد شهور الحلّ يجعلها حراما. فهذا هو معنى النسىء المذكور فى الآية.

(١) تقدم تخريجه فى سورة البقرة.

يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا
مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم

وقوله تعالى: ﴿زيادة فى الكفر﴾ معناه: زيادة كفر على كفرهم.

قوله تعالى: ﴿يُضَل به الذين كفروا﴾ أى: يضل الله به الذين كفروا، وقرئ «يضل به الذين كفروا» على مالم يسمّ فاعله، وقرئ «يَضِل به الذين كفروا» وهو الأشهر(١)، وهو ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿يحلونه عاما ويحرمونه عاما﴾ قد ذكرنا المعنى. قوله: ﴿ليواطئوا﴾ ليوافقوا، والمواطأة: الموافقة، ومعناه: ليوافقوا ﴿عدة ما حرم الله﴾ يعنى: عدد ما حرّم الله ﴿فيحلوا ما حرم الله﴾ فيقولوا: أربعة وأربعة. قوله: ﴿زين لهم سوء أعمالهم والله لايهدى القوم الكافرين﴾ ظاهر المعنى.

وفى الآية قول آخر: وهو أن النسيء: تأخير الحج كل عام شهرا. قالوا: وحج أبو بكر سنة تسع فى ذى القعدة، وحج رسول الله ﷺ سنة عشر فى ذى الحجة، وهو معنى قوله ﷺ: «ألا إن الزمان قد استدار كهيئته»(٢) الخبر الذى ذكرنا.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض﴾ نزلت الآية فى غزوة تبوك، وكانت الغزوة فى حارَّة القَيْظ حين أينعت الثمار وطابت الظلال فشق على المسلمين مشقة شديدة وتخلف بعضهم بالعذر، وتخلف بعضهم بلا عذر، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقوله: ﴿اثاقلتم إلى الأرض﴾ أى: تثاقلتم؛ وحقيقة المعنى: قعدتم عن الغزو وكرهتم الخروج.

---

(١) قرأ حمزة، والكسائى، وخلف، وحفص بضم الياء، وفتح الضاد، وقرأ يعقوب بضم الياء وكسر الضاد، وقرأ الباقون بفتح الياء، وكسر الضاد. انظر النشر (٢ / ٢٧٩).

(٢) تقدم فى سورة البقرة كما بينا.

بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ

وقوله: ﴿إلى الأرض﴾ أى: إلى الدنيا، وسمّى الدنيا أرضا؛ لأنها فى الأرض.

قوله: ﴿أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة﴾ أى: بنعيم الدنيا من نعيم الآخرة.

قوله ﴿فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل﴾. روى عن سعيد بن جبير أنه قال: جميع الدنيا جمعة من جمع الآخرة. وقد صح عن النبى ﷺ أنه قال: «ما الدنيا فى الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه فى اليم فلينظر بما يرجع»(١).

قوله تعالى: ﴿إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما﴾ هذا تهديد ووعيد لمن ترك النفر فى سبيل الله، والنفر ضد الهدوء والسكون.

قوله: ﴿ويستبدل قوما غيركم ولاتضروه شيئا﴾ معناه: إن ضرّه راجع إليكم لا إليه ﴿والله على كل شىء قدير﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله﴾ معناه: إن لم تنصروه فقد نصره الله ﴿إذ أخرجه الذين كفروا﴾ قد بيّنا قصة إخراجهم فى قوله تعالى: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا﴾(٢) الآية. قوله: ﴿ثانى اثنين﴾ معناه: أحد اثنين، تقول العرب: خامس خمسة أى: أحد الخمسة، ورابع أربعة أى: أحد الأربعة.

قال المفسرون: عاتب الله جميع الناس بترك نصرة الرسول ﷺ سوى أبى بكر - رضى الله عنه - وقيل: نصرته عن خلقى إلا عن أبى بكر - رضى الله عنه - فإنه قد نصره.

قوله تعالى: ﴿إذ هما فى الغار﴾ الغار: ثقب فى الجبل، وهذا الجبل هو جبل ثَوْر، جبل قريب من مكة.

---

(١) رواه مسلم (١٧/ ٢٧٩-٢٨٠/ رقم٢٨٥٨)، والترمذى (٤/ ٤٨٦/ رقم ٢٣٢٣) وقال: حسن صحيح، وابن ماجة (٢/ ١٣٧٦/ رقم ٤١٠٨)، وأحمد (٤/ ٢٢٨ - ٢٢٩)، عن المستورد بن شداد.

(٢) الأنفال: ٣٠.

قوله: ﴿إذ يقول لصاحبه﴾ أى: لأبى بكر - رضى الله عنه - باتفاق أهل العلم.

وروى أن النبى ﷺ قال: «أبو بكر صاحبى فى الغار، وصاحبى على الحوض»(١).

وعن الحسين بن الفضل البجلى أنه قال: من قال: إن أبا بكر ليس بصاحب رسول الله ﷺ فهو كافر، لإنكاره نصّ القرآن، وفى سائر الصحابة إذا أنكر يكون مبتدعا ولا يكون كافرا.

قوله: ﴿لاتحزن إن الله معنا﴾ روى «أن النبى ﷺ لما خرج مع أبى بكر - رضى الله عنه - أمر عليا حتى اضطجع على فراشه، وذكر له أنه لايصيبه سوء، وخرج مع أبى بكر قبل الغار، وجاء المشركون يقصدون النبى ﷺ فقام على - رضى الله عنه - من مضجعه فقالوا له: أين صاحبك؟ قال: لا أدرى، فخرجوا فى طلبه يقتفون أثره حتى وصلوا إلى الغار، فلما أحسّ أبو بكر - رضى الله عنه - بهم خاف خوفا شديدا، وقال: يارسول الله، إن أُقْتَل يهلك واحد، وإن تقتل تهلك هذه الأمة، فقال له النبى ﷺ: لاتحزن إن الله معنا». وقد ثبت أن النبى ﷺ قال له: «يا أبا بكر! ما ظنك باثنين الله ثالثهما»(٢). وفى القصة: أن الله تعالى أنبت ثُمامة على فمّ الغار، وهى شجرة صغيرة، وألهم حمامة حتى فرّخت، وألهم عنكبوتا حتى نسجت.

قوله تعالى: ﴿فأنزل الله سكينته عليه﴾ فيه قولان: أحدهما: على النبى ﷺ. وهو اختيار الزجاج.

والآخر: أنه على أبى بكر، وهو قول الأكثرين؛ لأن السكينة هاهنا ما يسكن به

---

(١) رواه ابن عساكر فى تاريخه (٣٠/٨٩) من طريق ابن شاهين والدارقطنى عن ابن عمر (٣٠/٨٩-٩٠) من طريق ابن شاهين عن ابن عباس. وعزاه السيوطى فى الدر (٣/٢٦١) لابن شاهين، والدارقطنى، وابن مردويه، وابن عساكر، عن ابن عمر. وأشار محقق تاريخ ابن عساكر إلى أنه وقع فى أحد النسخ (وهى النسخة اليوسفية) رواية لابن عساكر لهذا الحديث عن أبى هريرة، وساق إسنادها.

(٢) متفق عليه من حديث أبى بكر، رواه البخارى (٧/٣٠٢/ رقم ٣٩٢٢)، ومسلم (١٥/٢١٤/ رقم ٢٣٨١).

بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ

القلب؛ وأبو بكر - رضى الله عنه - كان هو الخائف والحزين دون رسول الله ﷺ.

وفى الآية قول ثالث: أن السكينة نزلت عليهما؛ ونقل فى مصحف حفصة - رضى الله عنها - «فأنزل الله سكينته عليهما وأيدهما(١) بجنود لم تروها» قوله: ﴿وأيده بجنود لم تروها﴾ الجنود ها هنا: الملائكة، نزلوا فألقوا الرعب فى قلوب الكفار حتى رجعوا. قوله: ﴿وجعل كلمة الذين كفروا السفلى﴾ كلمتهم: الشرك؛ وهى السفلى إلى يوم القيامة ﴿وكلمة الله هى العليا﴾ يعنى: لا إله إلا الله؛ وهى العليا إلى يوم القيامة. قوله: ﴿والله عزيز حكيم﴾ قد بيّنا معنى العزيز الحكيم.

قوله تعالى: ﴿انفروا خفافا وثقالا﴾ يقال: إن هذه الآية أول آية أنزلت من سورة التوبة.

قوله: ﴿خفافا وثقالا﴾ فيه أقوال: روى عن ابن عباس وقتادة أنهما قالا: نشاطا وغير نشاط. قال الأزهرى: النشاط جمع النشيط.

والقول الثانى: قول الحسن البصرى: انفروا فى اليسر والعسر. وهذا قول حسن. وعن الحكم بن عتيبة(٢): مشاغيل وغير مشاغيل. وعن أبى طلحة صاحب النبى ﷺ:

شيوخا وشبابا. وفيه قول خامس: رجالة وركبانا. ﴿وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله.... ﴾ إلى آخر الآية، معناه ظاهر، وقيل: إن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿وماكان المؤمنون لينفروا كافة﴾(٣) الآية، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك﴾ أى: لو كانت غنيمة قريبة المتناول ﴿وسفرا قاصدا﴾ أى: سفرا قصيرا سهلا [قريبا](٤) ﴿لاتبعوك﴾ أى:

(١) فى «ك»: وأيده.

(٢) فى «ك»: عيينة، وهو خطأ.

(٣) التوبة: ١٢٢.

(٤) من «ك».

وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لا يَسْتَئْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَئْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ

لخرجوا معك ﴿ ولكن بعدت عليهم الشقة ﴾ أى : بعد عليهم السفر، والشقة فى اللغة : هى الغاية التى يقصد إليها .

قوله ﴿ وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم ﴾ هذا فى المنافقين .

قوله تعالى : ﴿ يهلكون أنفسهم ﴾ يعنى : باليمين الكاذبة . قوله : ﴿ والله يعلم إنهم لكاذبون ﴾ ظاهر المعنى .

قوله تعالى : ﴿ عفا الله عنك لم أذنت لهم ﴾ روى عن عمرو بن ميمون الأودى أنه قال : فعل رسول الله ﷺ شيئين بغير إذن من الله : فداء أسارى بدر، وأذن للمتخلفين فى غزوة تبوك، فعاتبه الله تعالى فيهما جميعا . وفى تقديم قوله تعالى : ﴿ عفا الله عنك ﴾ معنى لطيف فى حفظ قلب النبى ﷺ .

قوله : ﴿ حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ﴾ ظاهر المعنى .

قوله تعالى : ﴿ لايستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ معناه : لايستأذنك فى التخلف .

قوله ﴿ أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ﴾ الآية، معلوم، ثم قال : ﴿ إنما يستأذنك الذين لايؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم ﴾ أى : شكت قلوبهم ﴿ فهم فى ريبهم يترددون ﴾ يتحيرون .

ثم قال : ﴿ ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ﴾ يعنى : لو قصدوا الخروج لأعدوا له

اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَد

عدة أى :أهبة السفر من الزاد والراحلة و غيرهما ﴿ ولكن كره الله انبعاثهم ﴾ معناه: خروجهم ﴿ فثبطهم ﴾ معناه: فكسلهم وكفهم عن الخروج ﴿ وقيل اقعدوا مع القاعدين ﴾ قال مقاتل بن سليمان: وحياً إلى قلوبهم. وقال غيره: قال بعضهم لبعض: اقعدوا مع القاعدين.

قوله تعالى: ﴿ لو خرجوا فيكم مازادوكم إلا خبالا ﴾ هذه الآية نزلت فى شأن المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، ومعنى قوله: ﴿ خبالا ﴾ أى: فسادا وشرّا، ومعنى الفساد: هو إيقاع الجبن والفشل بين المؤمنين.

وقوله ﴿ ولأوضعوا خلالكم ﴾ الإيضاع: هو سرعة السير. قال الراجز شعر(١):

ياليتنى فيها جذع ... أَخبُّ فيـــها وأَضَعْ

قال الزجاج: معنى الآية: أسرعوا فيما يخل بكم. وقال غيره: أسرعوا بينكم بإيقاع البغضاء والعدواة بالنميمة، ونقل الحديث من بعض إلى بعض، وعلى هذا قوله: ﴿ خلالكم ﴾: وسطكم ﴿ يبغونكم الفتنة ﴾ يطلبون لكم الفتنة، وفى الفتنة معنيان:

أحدهما: أنها الشرك، والآخر: أنها تفريق الكلمة.

﴿ وفيكم سماعون لهم ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن فيكم جواسيس لهم ينقلون الحديث إليهم، وسئل ابن عيينة: هل فى القرآن ذكر للجواسيس؟ قال: نعم. وذكر هذه الآية.

والقول الثانى: ﴿ وفيكم سماعون لهم ﴾ قائلون لهم أى: يقبل ما يقولون، ومنه ما ورد فى الصلاة: «سمع الله لمن حمده» قَبِلَ الله لمن حمده. وعن أبى عبيدة: وفيكم سماعون لهم: مطيعون لهم. والمعنى قريب من القول الثانى.

(١) كذا «بالأصل، وك»، وفى لسان العرب (مادة: وضع) عزاه لدريد بن الصمة فى يوم هوازن. وزاد فيه.

ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلا تَفْتِنِّي أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا

﴿والله عليم بالظالمين﴾ معناه معلوم. فإن قال قائل: قد قال فى أول الآية: ﴿مازادوكم إلا خبالا﴾ وكان النبى ﷺ وأصحابه فى خبال حتى يزيدوا؟

الجواب: إن معنى الآية: مازادوكم قوة؛ بل طلبوا لكم الخبال.

قوله تعالى: ﴿لقد ابتغوا الفتنة من قبل﴾ الآية، الابتغاء: الطلب، والفتنة: إيقاع الاختلاف المؤدى إلى تفريق الكلمة. وقوله ﴿وقلبوا لك الأمور﴾ ومعناه: صرفوا لك الأمور وأرادوها ظهرا لبطن وبطنا لظهر، وحقيقة المعنى: أنهم طلبوا بكل حيلة إفساد أمرك ﴿حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون﴾ معناه معلوم.

قوله تعالى: ﴿ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى﴾ أكثر المفسرين أن هذه الآية نزلت فى رجل من المنافقين يقال له: الجدّ بن قيس قال له رسول الله ﷺ: «هل لك فى جلاد بنى الأصفر - يعنى الروم - لعلك تصيب منهم سرارى. قاله رسول الله ﷺ حثّا له على الخروج، فقال: يارسول الله، ائذن لى - يعنى: فى التخلف - ولا تفتنى - يعنى: بنساء الروم - قال: قومى علموا أنى بالنساء مغرم، يعنى: معجّب»(١).

وهذا أحد القولين فى قوله: ﴿ولاتفتنى﴾.

والقول الثانى: إن معناه: لاتؤثمنى، قاله قتادة، ومعناه: لاتسمنى للخروج، والخروج عسير علىّ فأتخلف فأقع فى الإثم.

---

(١) رواه الطبرى (١٠/١٠٤) من طرق عن ابن عباس، ومجاهد، والزهرى، ويزيد بن رومان وغيره. وحديث ابن عباس رواه الطبرانى فى الكبير (٢/٢٧٥/ رقم ٢١٥٤)، و(١٢/١٢٢/رقم ١٢٦٥٤)، وقال الهيثمى فى المجمع (٧/٣٣): رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط، وفيه يحيى الحمانى، وهو ضعيف. وقال عن الطريق الآخر: رواه الطبرانى، وفيه أبو شيبة إبراهيم بن عثمان، وهو ضعيف.

وعزاه السيوطى فى الدر (٣/٢٦٨) لابن المنذر، والطبرانى، وابن مردويه، وأبى نعيم فى المعرفة.

أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ

قوله: ﴿ألا فى الفتنة سقطوا﴾ فيه معنيان:

أحدهما: ألا فى جهنم سقطوا، والآخر: ألا فى الشرك سقطوا.

﴿وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ محدقة(١) بالكافرين.

قوله تعالى: ﴿إن تصبك حسنة تسؤهم﴾ الحسنة هاهنا هى النعمة التى تطيب بها نفس الإنسان، وتلذ عيشه. وفى غير هذا الموضع الحسنة بمعنى الطاعة..

﴿وإن تصبك مصيبة﴾ المصيبة ها هنا هى البلية فى القتال بإصابة الكافرين من المسلمين، يقال: إن الحسنة المذكورة كانت يوم بدر، والمصيبة المذكورة كانت يوم أحد.

وقوله: ﴿يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل﴾ يعنى: حذرنا من قبل، ومعناه: احترزنا من الوقوع فى المصيبة ﴿ويتولوا وهم فرحون﴾ معناه معلوم.

قوله تعالى: ﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا﴾ أمر الله تعالى المؤمنين بأن يجيبوهم بهذا.

وقوله: ﴿إلا ما كتب الله لنا﴾ أى: علينا، وقيل: معناه: ما أخبر الله لنا ﴿هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ وهو حافظنا وناصرنا وعليه يعتمد المؤمنون، وفى الخبر المعروف برواية أبى الدرداء أن النبى ﷺ قال: «لايبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه»(٢).

قوله تعالى: ﴿قل هل تربصون بنا﴾ هل تنتظرون بنا ﴿إلا إحدى الحسنيين﴾

---

(١) حدق به الشيء، وأحدق: أى استدار، وكل شيء استدار بشيء وأحاط به، فقد أحدق به. انظر اللسان (مادة حدق).

(٢) رواه أحمد فى المسند (٦/ ٤٤١ - ٤٤٢)، وابن عساكر فى تاريخه (١٤/ ٤٢)، وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ٢٠٠): رواه أحمد، والطبرانى، ورجاله ثقات. ورواه البزار فى مسنده، وحسن إسناده كما فى مختصر الزوائد (١/ ٧٦/ رقم ٢٤) وقال الحافظ: إسناده حسن.

وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلا يَأْتُونَ

تثنية الحسنى: الحسنيان، أحدهما: الظفر، والأخرى: الشهادة.

وروى أبو هريرة عن النبى ﷺ أنه قال: «ضمن الله لمن خرج فى سبيله إيمانا واحتسابا أن يدخله الجنة، أو يرجعه إلى منزله الذى خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة»(١).

وقوله: ﴿ونحن نتربص بكم﴾ أى: ننتظر بكم ﴿أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا﴾ العذاب من عنده هو القارعة تنزل من السماء، والعذاب بأيدى المؤمنين هو العذاب بالسيف ﴿فتربصوا إنا معكم متربصون﴾ فانتظروا إنا معكم منتظرون.

قوله تعالى: ﴿قل أنفقوا طوعا أو كرها﴾ هذا أمر بمعنى الشرط، ومعناه: إن أنفقتم طوعا أو كرها ﴿لن يتقبل منكم إنكم كنتم قوما فاسقين﴾ لأنكم كنتم قوما فاسقين، والفسق هاهنا هو الكفر.

قوله تعالى: ﴿وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله﴾ معناه: أن المانع من قبول نفقاتهم كفرهم بالله وبرسوله.

وقوله: ﴿ولايأتون الصلاة إلا وهم كسالى﴾ أى: متثاقلين. فإن قيل: كيف ذكر الكسل فى الصلاة ولا صلاة أصلا؟

قلنا: الذم واقع على الكفر الذى يبعث على الكسل؛ فإن الكفر مكسل والإيمان منشط، ويقال: أصل كل كفر الكسل، وفى المثل: الكسل أحلى من العسل ﴿ولاينفقون إلا وهم كارهون﴾ معلوم المعنى. وحقيقة المعنى فى الكل: أنهم لايصلون ولاينفقون إلا خوفا، فأمّا تقربا إلى الله فلا.

---

(١) متفق عليه، رواه البخارى (٦/ ٩/ رقم ٢٧٨٧)، ومسلم (١٣/ ٣٠ – ٣٤/ رقم ١٨٧٦).

الصَّلاةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلا يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ

قوله تعالى: ﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم﴾ الإعجاب بالشيء هو السرور به.

وقوله: ﴿إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا﴾ فيه سؤال، وهو أنه يقال: كيف يكون التعذيب بالمال والولد وهم يتنعمون بالأموال والأولاد؟

الجواب من وجوه:

أحدها: أن فى الآية تقديما وتأخيرا، كأنه تعالى قال: فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم فى الحياة الدنيا، إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الآخرة.

والقول الثانى: أن التعذيب بالمصائب الواقعة فى المال والولد.

الثالث: أن معنى التعذيب هو التعب فى الجمع، وشغل القلب بالحفظ، وكراهة الإنفاق مع الإنفاق، وتحليفه عند من لايحمده، وقدومه على من لايعدله.

وقوله ﴿وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾ تخرج أنفسهم وهم كافرون.

وفى الآية رد على القدرية، وهو ظاهر.

قوله تعالى: ﴿ويحلفون بالله إنهم لمنكم﴾ يعنى: من جملتكم ﴿وما هم منكم﴾ يعنى: ليسوا من جملتكم ﴿ولكنهم قوم يفرقون﴾ أى: يخافون.

وفى الحكايات: أن بعض الملحدين رئى يصلى صلاة حسنة، فسئل عن ذلك فقال: عادة أهل البلد، وصيانة المال والولد.

قوله تعالى: ﴿لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا﴾ قال قتادة: والملجأ: الحصون، والمغارات: الغيران، والمدخل: الأسراب. وهذا قول حسن. فمعنى الآية: لو يجدون مخلصا منكم ومهربا لفارقوكم، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿لولوا إليه وهم يجمحون﴾ يعنى: يسرعون، يقال: فرس جموح إذا لم يكن ردّه عن وجهه بشىء.

﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَئًا أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾
وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ
يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا
اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾

قال الشاعر:

لقـــد جمحت جمـــاحا فى دمـائهم   حتى رأيت ذوى الأشراف قد خمـدوا

وروى عن أنس أنه قرأ: «وهم يجمرون» و المعنى قريب فى الأول.

قوله تعالى: ﴿ومنهم من يلمزك فى الصدقات﴾ يعنى: يعيبك فى إعطاء الصدقات، ويقال: الهُمَزة واللُّمَزة بمعنى واحد، ويقال: اللمزة الذى يعيب الناس بقوله، والهمزة: الذى يشير بطرفه [هزاء][(١)].

سبب نزول الآية: «أن ذا الخُوَيصِرة التميمى – واسمه: حرقوش بن زهير – أتى رسول الله ﷺ وهو يُقسم، فقال: يارسول الله، اعدل، فقال: فمن يعدل إن لم أعدل. ثم قال: يخرج من ضئضئ هذا أقوام تحقرون صلاتكم عند صلاتهم، وصيامكم عند صيامهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»[(٢)] الخبر، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون﴾ هذا فى ثعلبة بن حاطب وأصحابه، كانوا يرضون إن أعطوا كثيرا، وإن أعطوا القليل سخطوا وعابوا.

قوله تعالى: ﴿ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله﴾ كافينا الله ﴿سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون﴾ يعنى: لو رضوا بما فعلت

---

(١) فى «ك»: هزوا.

(٢) متفق عليه من حديث أبى سعيد، رواه البخارى (٦/ ٤٣٣ – ٤٣٤/ رقم ٣٣٤٤)، ومسلم (٧/ ٢٢٦ – ٢٣٣/ رقم ١٠٦٤).

ورغبوا فى الزيادة كان خيرا لهم من سخطهم وعيبهم.

قوله تعالى: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾ الآية، الفقير فى اللغة: هو المحتاج الذى كسرت الحاجة فقار ظهره، والمسكين: الذى ضعفت نفسه عن الحركة فى طلب القوة فسكنت، وأما الكلام ففى الفقير والمسكين نفى الآية أقوال كثيرة.

أحدها: روى عن ابن عباس والحسن ومجاهد والزهرى أنهم قالوا: الفقير: الذى لايسأل، وقال بعضهم على خلاف ذلك.

والثانى: قول قتادة، وهو أن الفقير الذى به زمانة ولاشىء له، والمسكين: الذى لاشىء له وليس به زمانة، وقال بعضهم على ماقاله قتادة.

والثالث: أن الفقراء هم المهاجرون، والمساكين هم الأعراب، وهذا قول إبراهيم النخعى.

والرابع: أن الفقراء هم المسلمون المحتاجون، والمساكين هم أهل الحاجة من أهل الذمة.

وفيه قول خامس: أن الفقير والمسكين واحد. واختلفوا أيهما أحوج، فمذهب الشافعى - رحمه الله - أن الفقير أحوج من المسكين، واستدل بقوله تعالى: ﴿أما السفينة فكانت لمساكين﴾(١) فسماهم مساكين مع أن لهم سفينة. وزعم الأصمعى وجماعة من أهل اللغة أن المسكين أحوج من الفقير، وأنشدوا:

أما الفقير الذى كانت حلوبته وفق العيال فلم تترك له [سَبَدُ](٢)

قال يونس النحوى: قلت لأعرابى: أفقير أنت؟ قال: بل مسكين - يعنى: أدون من الفقير.

(١) الكهف: ٧٩.

(٢) فى «الأصل» و «ك»: سبل، والسَّبَد: هو الوبر أو الشعر. انظر لسان العرب (٣/٢٠٢) وتفسير القرطبى (١٦٨/٨).

وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾

قوله تعالى: ﴿ والعاملين عليها ﴾ يعنى: السعاة، ولهم سهم من الصدقات معلوم.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص: أن لهم بقدر أجر المثل.

وقوله: ﴿ والمؤلفة قلوبهم ﴾ قال أهل العلم: المؤلفة قلوبهم صنفان: مسلمون، ومشركون، وكل صنف على صنفين: أما المسلمون قوم كان إيمانهم ضعيفا مثل: أبى سفيان بن حرب، وعيينة بن حصن الفزارى، والأقرع بن حابس، وعباس بن مرداس وأمثالهم، كان رسول الله ﷺ يعطيهم ليتألفوا على الإيمان فيقوى إيمانهم، وصنف كان إيمانهم قويّا مثل: عدى بن حاتم، والزبرقان بن بدر وغيرهما، كان يعطيهم ليتألف عشيرتهم(١).

وأما المشركون فصنفان: صنف كان يدفعهم ليدفع أذاهم عن المسلمين، مثل عامر ابن الطفيل وغيره، وصنف كان يعطيهم ليؤمنوا ويميلوا إليه مثل صفوان بن أمية بن خلف، ومالك بن عوف النصرى(٢) وغيرهما.

واختلفوا أن سهم المؤلفة قلوبهم هل بقى بعد النبى ﷺ؟

قال الشعبى وجماعة: قد سقط. وهو قول أكثر أهل العلم. وقال الزهرى: هو باق.

وقد حكى عن الشافعى كلا القولين، والصحيح هو الأول.

وقوله: ﴿ وفى الرقاب ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنهم المكاتبون. وهذا قول الشافعى وأبى حنيفة وغيرهما.

وقال مالك: يشترى بذلك السهم رقاب فيعتقون. الصحيح هو الأول.

قوله: ﴿ والغارمين ﴾ قال مجاهد: هؤلاء قوم أحرقت النار دورهم، وأذهب السيل أموالهم فادّانوا لنفقاتهم. وقال غيره: هو كل من لحقه غرم بسبب لا معصية فيه.

(١) تقدم فى حديث أبى سعيد الخدرى السابق، وانظر مسلم (٧/٢١٨-٢٢٠/رقم١٠٦٠).

(٢) في «ك»: النضرى، بالضاد المعجمة، وهو تصحيف، وقد سبق التنبيه عليه.

وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ

وقوله: ﴿وفى سبيل الله﴾ هؤلاء الغزاة والحجّاج، وقوله: ﴿فى سبيل الله﴾: فى طاعة الله ﴿وابن السبيل﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه الذى قطع عليه الطريق فبقى فقيرا لامال له. والذى عليه الفقهاء أنه الذى بعد عن ماله؛ فيصرف إليه سهم من الصدقات وإن صار غنيًا فى بلده.

وحكى ابن الأنبارى قولا ثالثا: أن ابن السبيل هو الضيف.

قوله تعالى: ﴿فريضة من الله﴾ أى: افترض الله ذلك فريضة ﴿والله عليم حكيم﴾ عليم بما يصلح خلقه، حكيم فيما دبّره.

قوله تعالى: ﴿ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن﴾ الأذن هاهنا: هو من يسمع كل ما قيل له. قال الشاعر:

أيها القلب تعلل بددَنْ   إن هَمِّى فى سَماعٍ وأَذَنْ

وسبب نزول الآية: أن المنافقين قالوا: قولوا ما تريدون ثم أنكروا واحلفوا؛ فإن محمدا أُذُنُ يسمع كل ما قيل له ويقبله.

﴿قل أذن خير لكم﴾ يعنى: هذه الخلة خير لكم، فكأنه قال: مستمع خيرٍ خيرٌ لكم، ومستمع شرّ شرٌّ لكم ﴿يؤمن بالله﴾ يصدق بالله ﴿ويؤمن للمؤمنين﴾ ويصدق المؤمنين ﴿ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم﴾ معناه ظاهر. وقرئ: «أذن خير لكم» أى: أصلح لكم.

قوله تعالى: ﴿يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين﴾ معناه ظاهر.

وقوله: ﴿إن كانوا مؤمنين﴾ قيل: يعنى: ماكانوا مؤمنين.

﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ
الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ
قُلِ اسْتَهْزِءُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا

قوله تعالى: ﴿ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله﴾ يحادد الله: يعني: من يكون فى حدّ وجانب من الله ورسوله ﴿فإن له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزى العظيم﴾ الفضيحة العظيمة والنكال العظيم.

قوله تعالى: ﴿يحذر المنافقون﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه خبر بمعنى الأمر، ومعناه: ليحذر المنافقون.

والآخر: أنه بمعنى الإخبار عنهم؛ إذ كانوا يستهزئون ويخافون الفضيحة بنزول القرآن فى شأنهم.

قوله تعالى: ﴿أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم﴾ وقد بيّنا أن هذه السورة تسمى المبعثرة والفاضحة؛ فهذه الآية تشير إلى ما قدمنا.

وقد روى عن عبد الله بن عباس قال: أنزل الله تعالى ذكر سبعين رجلا من المنافقين بأسمائهم وأسماء آبائهم وعشائرهم، ثم نسخ ذكر الأسماء رحمة ورأفة على المؤمنين؛ لأن أولادهم كانوا مؤمنين، فنسخ ذلك لئلا يعيّر بعضهم بعضا.

قوله تعالى: ﴿قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون﴾ معناه ظاهر.

قوله تعالى: ﴿ ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب﴾.

سبب نزول الآية: «أن النبى ﷺ كان يسير فى غزوة تبوك وقدّامه ثلاثة من المنافقين، اثنان يستهزئان، والثالث يضحك»(١) وقيل: إن استهزاءهم: أنهم كانوا يقولون: إن محمدا يزعم أنه يغلب الروم ويفتح مدائنهم، ما أبعده عن ذلك(٢). وقيل: إنهم كانوا يقولون: إن محمدا يزعم أنه نزل القرآن فى شأن أصحابنا المقيمين

(١) عزاه السيوطى فى الدر (٣/ ٢٧٦) لعبد الرزاق، وابن المنذر، وأبى الشيخ، عن الكلبى بنحوه.
(٢) عزاه فى الدر (٣/ ٢٧٥) لابن أبى حاتم، وابن المنذر، وأبى الشيخ، عن قتادة بنحوه.

نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

بالمدينة، وإنما هو قوله وكلامه. فهذا معنى الآية؛ فإنه روى أن النبى ﷺ أرسل إليهم: ماذا كنتم تقولون؟ فقالوا: إنا كنا نخوض فيما يخوض فيه الركب، فقال الله تعالى: ﴿قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون﴾.

وروى عن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - أنه قال: «رأيت عبد الله بن أبى ابن سلول يشتد قدّام النبى ﷺ والحجارة تنكبه وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب؛ ورسول الله ﷺ يقول: ﴿أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون﴾»(١).

قوله تعالى: ﴿لاتعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ فإن قال قائل: قد كفرتم بعد إيمانكم وهم لم يكونوا مؤمنين.

الجواب عنه: أن معناه: أظهرتم الكفر بعد إظهاركم الإيمان.

وقوله تعالى: ﴿إن نعف عن طائفة منكم﴾ قرئ: «نعف» ومعناهما واحد، والطائفة ها هنا رجل واحد كان يسمى مَخْشِىّ بن حُمَيِّر، وكان هو الذى يضحك ولايخوض معهم، وروى أنه جانبهم فقال: ﴿إن نعف عن طائفة منكم﴾ يعنى: هذا الواحد ﴿نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين﴾ معناه معلوم.

قوله تعالى: ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض﴾ الآية، قوله: ﴿بعضهم من بعض﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن بعضهم على دين البعض.

(١) رواه الواحدى فى أسباب النزول (ص١٨٨)، والعقيلى فى الضعفاء (١/ ٩٤) من طريق إسماعيل بن داود المهرجانى، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر، وعزاه السيوطى فى الدر (٣/ ٢٧٥) لابن المنذر، وابن أبى حاتم، وأبى الشيخ، وابن مردويه، والخطيب فى «رواة مالك». وقال العقيلى: ليس له أصل من حديث مالك. وزاد الحافظ فى اللسان (١/ ٤٣٠): وإنما يعرف من رواية هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن ابن عمر. قلت: وهى عند الطبرى فى التفسير (١٠/ ١١٩).

والآخر: أن أمرهم واحد، وهذا كالرجل يقول لغيره: أنا منك، يعنى: أمرى وأمرك واحد.

﴿يأمرون بالمنكر﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن المنكر: هو الشرك، والمعروف: هو الإيمان بالله.

وعن أبى العالية الرياحى أنه قال: كل ما ذكر من المنكر فى القرآن فهو عبادة الأوثان والشرك بالله.

والقول الثانى: أن المنكر: هو معصية الله تعالى، والمعروف: هو طاعة الله.

وقوله تعالى: ﴿وينهون عن المعروف﴾ القول المعروف أن معنى قوله: ﴿ويقبضون أيديهم﴾ يمسكون عن الإنفاق فى سبيل الله.

والقول الثانى: يقبضون أيديهم أى: عن الجهاد فى سبيل الله.

وقال بعض المتأخرين: يعنى: لايبسطونها للدعاء والرغبة إلى الله.

قوله تعالى: ﴿نسوا الله فنسيهم﴾ أى: تركوا أمر الله فتركهم من رحمته. وروى عن قتادة أنه قال: نُسوا من الخير ولم ينسوا من الشر.

قوله تعالى: ﴿إن المنافقين هم الفاسقون﴾ يعنى: هم الخارجون عن طاعة الله.

وقد صح عن النبى ﷺ أنه قال: «علامة المنافق ثلاثة: إذا قال كذب، وإذا ائتمن خان، وإذا وعد (خلف)[(١)]»[(٢)]. وفى بعض الروايات: «إذا عاهد غدر»[(٣)]. وفى بعض الأخبار: «لايأتون الصلاة إلا دبرا ولايقرءون القرآن إلا هجرا»[(٤)]. وفى بعض الروايات عن ابن عباس: أن عدد المنافقين من الرجال فى زمان رسول الله ﷺ كان ثلثمائة، وعدد النساء مائة وسبعون.

(١) فى «ك»: أخلف.

(٢) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (١/١١١/رقم٣٣)، ومسلم (٢/٦٢-٦٣/رقم٥٩).

(٣) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو، رواه البخارى (١/١١١/رقم٣٤)، ومسلم (٢/٦١-٦٢/رقم٥٨).

(٤) تقدم الكلام عليه فى سورة الأنعام تحت الآية رقم: ٤٥.

وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ

قوله تعالى: ﴿وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها﴾ معلوم. وقوله: ﴿هى حسبهم﴾ أى: كافيتهم ﴿ولعنهم الله﴾ أى :أبعدهم الله من رحمته ﴿ولهم عذاب مقيم﴾ أى: دائم.

قوله تعالى: ﴿كالذين من قبلكم﴾ معناه: أنتم يامعشر المنافقين كالذين من قبلكم. قوله: ﴿كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم﴾ الخلاق: النصيب، وقيل: الحظ الوافر. ومعنى الآية: استمتعوا باتباعهم الشهوات ﴿كما استمتعتم بخلاقكم﴾ باتباعكم الشهوات، وقيل: معنى الآية: رضوا بنصيبهم من الدنيا عن نصيبهم من الآخرة. وقوله تعالى: ﴿وخضتم كالذى خاضوا﴾ يعنى: لعبوا واستهزءوا كما فعلتم. قوله تعالى: ﴿أولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون﴾ معناه: كما حبطت أعمالهم وخسروا كذلك حبطت أعمالكم وخسرتم. وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «لتتبعن سنن من قبلكم حتى لو دخل أحدهم فى جحر ضبّ ليدخلنه أحدكم»(١). وعن عمر - رضى الله عنه - قال: ما أشبه الليلة بالبارحة فى الدنيا والآخرة(٢).

قوله تعالى: ﴿ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم﴾ أى: خبر الذين من قبلهم ﴿قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين﴾ ومدين اسم قرية شعيب. قوله: ﴿والمؤتفكات﴾ هى: قريات لوط؛ سميت مؤتفكة؛ لأن الله تعالى قلبها بهم. قوله:

(١) متفق عليه من حديث أبى سعيد الخدرى، رواه البخارى (٦/ ٥٧١/ رقم ٣٤٥٦)، ومسلم (١٦/ ٣٣٥ - ٣٣٦/رقم ٢٦٦٩).

(٢) عزاه السيوطى فى الدر (٣/ ٢٧٦) لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وأبى الشيخ عن عبد الله بن عباس، وليس عمر.

وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي

﴿ أتتهم رسلهم بالبينات ﴾ بالحجج ﴿ فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ معناه: مانقص الله حظهم؛ ولكن نقصوا هم حظهم، وضرّوا بأنفسهم.

قوله تعالى: ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ﴾ هذه الولاية هي ولاية الدين واتفاق الكلمة. ويقال في تفسير الآية: المهاجرون والأنصار بعضهم أولياء بعض، والطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف بعضهم أولياء بعض.

قوله تعالى: ﴿ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ﴾ إلى آخر الآية معناه معلوم. وقوله: ﴿ ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ﴾ قال عطاء بن أبي رباح: هو اتباع الكتاب والسنة. وقوله: ﴿ إن الله كان عزيزا حكيما ﴾ أي: عزيز في نصره، حكيم في تدبيره.

قوله تعالى: ﴿ وعد الله المؤمنين و المؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ﴾ الجنات: البساتين ﴿ تجرى من تحتها الأنهار ﴾ هذه الأنهار هي الأنهار التي ذكر الله تعالى في سورة محمد ﷺ.

قوله: ﴿ ومساكن طيبة ﴾ روى عن عبد الله بن عباس أنه قال: ﴿ ومساكن طيبة ﴾ هي قصر من لؤلؤ فيها سبعون داراً من الزبرجد، في كل دار سبعون بيتا من الياقوت، في كل بيت سبعون سريرا، على كل سرير سبعون فراشا من كل لون، على كل فراش زوجة من الحور العين. وفي الآثار - أيضا - أن قوله: ﴿ في جنات عدن ﴾ قال: إن جنة عدن هي مأوى الأنبياء والصديقين والشهداء، وسائر الجنان حواليها. وقيل: إن جنة عدن في السماء السابعة لايدخلها إلا نبي أو صديق أو إمام عَدْل أو رجل محكم في نفسه. ومعنى قوله «محكم في نفسه» يعني: خُيّر بين الكفر والقتل فاختار

جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ

القتل. وأما جنة المأوى فهى فى السماء الدنيا. وقوله: ﴿عدن﴾ أى: موضع الإقامة، يقال: عَدَن بالمكان إذا أقام به، قال الشاعر:

فإن تستضيفوا إلى حلمه ... تضيفوا إلى راجح قد عدن

وقوله تعالى: ﴿ورضوان من الله أكبر﴾ معناه: رضا الله أكبر من هذه التحف. وروى أبو سعيد الخدرى أن النبى ﷺ قال: «إن الله تعالى يقول: يا أهل الجنة. فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير فى يديك، فيقول: هل رضيتم عنى؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا أفضل ما تعطى أحدا من خلقك؟! فيقول: وأنا أعطيكم أفضل من ذلك، فيقولون: وما أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحل – أى: أنزل – عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم أبدا». خرجه البخارى ومسلم فى كتابيهما(١).

قوله ﴿ذلك هو الفوز العظيم﴾ معناه ظاهر.

﴿يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم﴾ قال أهل التفسير: معناه: جاهد الكفار بالسيف، والمنافقين باللسان. وروى عن عبد الله بن مسعود أنه قال: لاتلق المنافق إلا بوجه مكفهر. وروى عنه أنه قال: يجاهد بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه. وقوله تعالى: ﴿واغلظ عليهم﴾ الغلظة ها هنا: هو الانتهار الشديد. قوله: ﴿ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾ معناه ظاهر.

قوله تعالى: ﴿يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر﴾ الآية نزلت فى المنافقين أيضًا. واختلف القول فى كلمة الكفر.

قال بعضهم: كلمة الكفر: هى سب محمد ﷺ. وقال بعضهم: كلمة الكفر: هى قول الجلاس بن سويد؛ فإنه قال: لئن كان ما يقول محمد حق فنحن شرّ من الحمير.

---

(١) رواه البخارى (١٣/ ٤٩٦/ رقم ٧٥١٨)، ومسلم (٦/ ٥٧١/ رقم ٢٨٢٩).

وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا

وفيه قول ثالث: أن كلمة الكفر هى قولهم: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، وعنوا بالأعز: عبد الله بن أبى بن سلول، وقالوا: نتوجه بالتاج خلافا على محمد.

وقوله تعالى: ﴿وكفروا بعد إسلامهم﴾ معناه: وأظهروا الكفر بعد إظهارهم الإسلام.

وقوله تعالى: ﴿وهموا بما لم ينالوا﴾ يعنى: قصدوا ما لم يدركوه؛ فإنه روى أن اثنى عشر نفرًا من المنافقين اجتمعوا فى غزوة تبوك ليغتالوا النبى ﷺ. وروى أنهم قصدوا أن يوقعوه من العقبة فى الوادى، فدفع الله شرهم عن النبى ﷺ(١)؛ فهذا معنى قوله: ﴿وهموا بما لم ينالوا﴾. وقوله تعالى: ﴿وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله﴾ نقموا أى: كرهوا، قال الشاعر فى مدح بنى أمية شعراً:

ما نقموا من بنى أمية ... إلا أنهم (يحلمون)(٢) إن غضبوا

وأنهم سادة الملوك ... ولايصلح إلا عليهم العرب

وقوله تعالى: ﴿إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله﴾ يعنى: بالغنائم. وروى: «أن الجلاس بن سُويد كان تحمل بحمالة فأدّاها عنه رسول الله ﷺ»(٣). وروى أن عبد الله بن أبى بن سلول كانت له دية على قوم فأمر النبى ﷺ أن يوفر عليه(٤). فهذا كله معنى قوله تعالى: ﴿إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله﴾.

قوله تعالى: ﴿فإن يتوبوا يك خيرا لهم﴾ روى أنه لما نزلت هذه الآية قال الجلاس بن سويد: إنى أرى الله يعرض علىّ التوبة، وإنى قد تبت إلى الله مما كنت فيه؛ فروى

(١) رواه أحمد فى مسنده (٥/٤٥٣-٤٥٤) عن أبى الطفيل، والبيهقى فى الدلائل (٥/٢٦٠-٢٦١) عن حذيفة.

(٢) فى «ك»: يحكمون.

(٣) رواه الطبرى (١٠/١٢٩) عن عروة بن الزبير، وعزاه السيوطى فى الدر (٣/٢٨٠) لعبد الرزاق، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وأبى الشيخ.

(٤) رواه الطبرى فى التفسير (١٠/١٢٩) عن قتادة.، وعزاه السيوطى فى الدر (٣/٢٨٢) لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبى حاتم.

وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا

أنه صحّ إيمانه واستشهد يوم اليمامة.

قوله تعالى: ﴿وإن يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما فى الدنيا والآخرة وما لهم فى الأرض من ولى ولا نصير﴾ إلى آخر الآية، معناه ظاهر.

ويقال فى قوله تعالى: ﴿وما نقموا إلا أن أغناهم الله﴾ يعنى: ليست لهم كراهة ولا نقمة، وهذا مثل قول الشاعر:

ولاعيب فينا غير أن سيوفنا   بهن فلول من قراع الكتائب

يعنى: لاعيب فينا أصلا.

قوله تعالى: ﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين﴾ أى: لنتصدقن، وأدغمت التاء فى الصاد وشددت، أى: لنصَّدقن فى وجوه الخير من الجهاد وغيره، ولنكونن من الصالحين. قيل: مثل عثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف وغيرهما فى البذل والعطاء.

فى الآية قولان: أحدهما: أنها نزلت فى رجل من الأنصار كان له مال غائب، فقال: إن ردّ الله علىّ مالى لأفعلن كذا وكذا، فرد الله عليه ماله فلم يفعل شيئا، فأنزل الله تعالى فيه هذه الآية.

والقول الثانى: أنها نزلت فى ثعلبة بن حاطب. روى أبو أمامة الباهلى: «أن ثعلبة ابن حاطب جاء إلى النبى ﷺ وقال: يارسول الله، ادع الله أن يرزقنى مالا، فقال: قليل يكفيك خير من كثير لاتقوم بحقه فقال: يارسول الله، ادع الله أن يرزقنى مالا، فقال: أما ترضى أن تكون مثل رسول الله، فوالله لو أردت أن تسير معى ا لجبال ذهبا وفضة لسارت، فقال: يارسول الله، ادع الله أن يرزقنى مالا، فوالله لأؤدين إلى كل ذى حق حقه، فدعا رسول الله ﷺ وقال: اللهم ارزق ثعلبة مالا، قال: فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت بها أزقة المدينة، فخرج بها إلى الصحراء

بِهِ وَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ

وجعل يحضر الصلوات الخمس، ثم نمت حتى ضاقت بها مراعى المدينة، فقال: فبعد بها وجعل لايحضر إلا الجمعة، ثم ترك حضور الصلوات والجمعة جميعا. قال: فبعث رسول الله ﷺ مصدقه ليأخذ الزكاة، فمر عليه وطالبه بالزكاة، فقال: ما أرى هذا إلا أخت الجزية، اذهب حتى تعود إليّ، فلما عاد إليه لم يعط شيئا، وقال: حتى ألقى رسول الله ﷺ، فرجع المصدق وأخبر النبى ﷺ بأمره، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فروى أنه ذكر له أنه نزلت فيه هذه الآية فحضر المدينة وقال: يارسول الله، خذ منى الزكاة، فأبى أن يأخذ، فلما توفى رسول الله ﷺ جاء إلى أبى بكر وطلب أن يأخذ منه الزكاة، فقال: ما أخذ رسول الله؛ فلا آخذ أنا، وهكذا فى زمان عمر وزمان عثمان، وتوفى فى زمان عثمان»(١).

وقوله تعالى: ﴿فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم﴾ فيه معنيان:

أحدهما: فعاقبهم نفاقا فى قلوبهم، يقال: أعقبه وعاقبه بمعنى واحد.

والمعنى الثانى: أخلفهم نفاقا فى قلوبهم.

﴿إلى يوم يلقونه﴾ يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾.

ثم قال: ﴿ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم﴾ يعنى: ما أضمروا فى قلوبهم

(١) رواه الطبرى (١٠/ ١٣٠ - ١٣١)، والطبرانى فى الكبير (٨/ ٢١٨-٢١٩/رقم ٧٨٧٣)، والبيهقى فى الدلائل (٥/ ٢٨٩-٢٩٢)، والبغوى فى تفسيره (٢/ ٣١٢-٣١٣)، والواحدى فى أسباب النزول (ص١٨٩-١٩١)، وابن عبد البر فى الاستيعاب (١/ ٢٠١) بهامش الإصابة، وابن الأثير فى أسد الغابة (١/ ٢٨٣-٢٨٤) وغيرهم، وانظر الدر المنثور (٣/ ٢٨٢)، وتخريج الكشاف للزيلعى (٢/ ٨٥-٨٦).

وقال البيهقى: هذا حديث مشهور فيما بين أهل التفسير، وإنما يروى موصولاً بأسانيد ضعاف. وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ٣٥): رواه الطبرانى، وفيه على بن يزيد الألهانى، وهو متروك. وقال الحافظ فى تلخيص تخريج الكشاف (٢/ ٨٦): وهذا إسناد ضعيف جداً، وقال الذهبى فى تجريد أسماء الصحابة (١/ ٦٦): منكر بمرة.

وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن

وما تناجوا به بينهم ﴿وأن الله علام الغيوب﴾ معناه ظاهر.

قوله تعالى: ﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات﴾ يلمزون: يعيبون.

وسبب نزول الآية: «أن النبى ﷺ حث الناس على الصدقة، فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف دينار - وكان ذلك نصف ماله - وجاء عاصم بن عدى بثلثمائة وسق من تمر - والوسق حمل بعير - وجاء أبو عقيل - رجل من الأنصار - بصاع من تمر، وقال: كان لى صاعان من تمر فجئت بأحدهما، فقال المنافقون: أما عبد الرحمن ابن عوف وعاصم بن عدى: فأعطيا ما أعطيا رياء، وأما أبو عقيل: فما كان أغنى الله من صاع أبى عقيل، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية»(١). ﴿والمطّوعين﴾ المتطوعين من المؤمنين، هو عبد الرحمن بن عوف، وعاصم بن عدى ﴿والذين لايجدون إلا جهدهم﴾ هو أبو عقيل. والجهد: الطاقة ﴿فيسخرون منهم﴾ يستهزئون منهم ﴿سخر الله منهم﴾ جازاهم جزاء السخرية ﴿ولهم عذاب أليم﴾.

قوله سبحانه وتعالى: ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾ الآية. أراد به إثبات اليأس عن طمع المغفرة لهم.

وروى عن الحسن البصرى أنه روى عن النبى ﷺ مرسلا أنه ﷺ قال: «والله لأزيدن على السبعين»(٢) فأنزل الله عز وجل: ﴿سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم﴾(٣) وذكر عدد السبعين للمبالغة فى إثبات اليأس ﴿إن الله لايهدى القوم الفاسقين﴾ معناه معلوم.

(١) متفق عليه من حديث أبى مسعود، فرواه البخارى (٣/٣٣٢/ رقم ١٤١٥)، ومسلم (٧/١٤٦-١٤٧/ رقم ١٠١٨).

(٢) رواه الطبرى فى التفسير (١٠/١٣٨) عن ابن عباس، وعن عروة، ومجاهد، والشعبى، وقتادة بنحوه، وانظر الدر (٣/٢٨٦). ولم أجده عن الحسن.

(٣) المنافقون: ٦.

يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾
فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا
يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن

قوله تعالى: ﴿فرح المخلفون﴾ الفرح: لذّة فى القلب بنيل المشتهى، والغم: ضيق فى القلب بفوات المشتهى. وأما المخلفون فهم الذين قعدوا عن الغزو، وتركوا الخروج مع رسول الله ﷺ. والمخلّف: المتروك. وقوله: ﴿بمقعدهم﴾ يعنى: بقعودهم. وقوله: ﴿خلاف رسول الله﴾ فيه معنيان: أحدهما: مخالفة لرسول الله ﷺ. والثانى: بمقعدهم خلاف رسول الله أى: بعد رسول الله، قاله أبو عبيدة ﴿وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله﴾ المجاهدة بالمال: هى الإنفاق، والمجاهدة بالنفس: هى مباشرة القتال، وقوله: ﴿وكرهوا﴾ يعنى: لم يحبوا ﴿وقالوا لاتنفروا فى الحر﴾ الحر: هو وهج الشمس، والبرد ضده. ﴿قل نار جهنم أشد حرا﴾ يعنى: أشد وهجا ﴿لو كانوا يفقهون﴾ قرأ ابن مسعود: «لو كانوا يعلمون». والمعنى واحد.

قوله تعالى: ﴿فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا﴾ الضحك: حالة تكون فى الإنسان من التعجب والفرح، والبكاء حالة تعترى الإنسان من الهم وضيق القلب مع جريان الدمع على الخدّ، ويقال: إن الضحك فى بنى آدم كالصهيل فى الخيل.

وفى الآية قولان: أحدهما: أن معنى قوله: ﴿فليضحكوا قليلا﴾ أى: فى الدنيا ﴿وليبكوا كثيرا﴾ فى الآخرة ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾ قاله أبو رزين، والحسن وجماعة.

والقول الثانى: أن هذا أمر بمعنى الخبر، فكأنه قال: يضحكون قليلا، ويبكون كثيرا، يعنى: فى الآخرة.

فإن قال قائل: كيف قال: يضحكون قليلا وهم لايضحكون أصلا فى الآخرة؟

الجواب: قلنا: معنى قوله: يضحكون قليلا يعنى: لايضحكون أصلا، وهذا مثل

رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا

قوله تعالى: ﴿فقليلا ما يؤمنون﴾(١) أى: لايؤمنون شيئا.

وروى عن الحسن البصرى أنه قال: إن أهل النار ليبكون لايرقأ لهم دمع حتى إن السفن لو أجريت فى دموعهم جرت.

قوله تعالى: ﴿فإن رجعك الله إلى طائفة منهم﴾ يعنى: لو ردّك الله إلى طائفة منهم ﴿فاستأذنوك للخروج﴾ ليخرجوا معك فى القتال ﴿فقل لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوا﴾ قال أهل التفسير: العدو ها هنا: أهل الكتاب؛ فإنه لم يكن بقى بجزيرة العرب مشرك فى ذلك الوقت. قوله: ﴿إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين﴾ والخالفون هاهنا هم النساء والصبيان، وقيل: هم أهل الزمانة والضعف.

قوله تعالى: ﴿ولاتصل على أحد منهم مات أبدا﴾ الآية. نزلت الآية فى شأن عبد الله بن أبى بن سلول؛ فإنه روى: «أنه لما حضره الموت جاء ابنه إلى رسول الله ﷺ برسالته يطلب منه قميصه ليكفنه فيه، فأعطاه رسول الله ﷺ قميصه. وفى بعض الروايات: أنه أعطاه قميصه الذى فوق قميصه وهو الأعلى، فرد وطلب قميصه الذى يلى جلده، فلما توفى قدم ليصلى عليه رسول الله ﷺ بطلب ابنه ذلك ووصيته، فلما تقدم رسول الله ﷺ ليصلى عليه أخذ عمر بثوبه وقال: يارسول الله، أتصلى على هذا المنافق؟ فقال رسول الله ﷺ: إن ربى خيرنى. وقرأ قوله تعالى: ﴿استغفر لهم أو لاتستغفر لهم﴾(٢) وقد اخترت أن أصلى عليه قال: فصلى عليه، فأنزل الله تعالى قوله ﴿ولاتصل على أحد منهم مات أبدا﴾»(٣).

وفى رواية أنس: «أن النبى ﷺ لما وقف ليصلى عليه أخذ جبريل - عليه السلام

---

(١) البقرة: ٨٨. (٢) التوبة: ٨٠.

(٣) متفق عليه من حديث ابن عمر، رواه البخارى (٣/١٦٥/رقم١٢٦٩)، ومسلم (١٧/١٧٨/رقم٢٧٧٤).

وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ

- بطرف ثوبه ومنعه من الصلاة، فترك الصلاة »(١).

والرواية الأولى هى فى « الصحيحين ».

وقوله: ﴿ ولاتقم على قبره ﴾ وفى رواية: « أن النبى ﷺ كان إذا صلى على ميت وقف على قبره ودعا »(٢) فمنعه الله تعالى عن ذلك فى حق المنافقين.

فإن قيل: كيف يجوز أن يصلى النبى ﷺ على المنافق وهو يعلم أنه كافر بالله؟

الجواب عنه: أنه رأى ذلك مصلحة؛ وقد قيل حين صلى عليه: « إن صلاتى عليه لاتغنى عنه من عذاب الله شيئا ».

وفى بعض الروايات: « أن عبد الله بن أبىّ بن سلول لما طلب منه قميصه ليتبرك به ويكفن فيه، أسلم ألف رجل من قومه لم يكونوا أسلموا من قبل لمَا رأوا من تبركه بالنبى ﷺ. [﴿ إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ﴾](٣) وباقى الآية معلوم.

قوله تعالى: ﴿ ولاتعجبك أموالهم وأولادهم ﴾ قد بيّنا معناها فيما سبق؛ فإن قيل: أيش معنى التكرار؟

وفى هذه الآية الجواب من وجهين: أحدهما: أنه للتأكيد.

والثانى: أن الآيتين نزلتا فى طائفتين من المنافقين دون طائفة واحدة.

---

(١) رواه الطبرى فى التفسير (١٠ / ١٤٢)، وأبو يعلى فى مسنده (٧ / ١٤٤-١٤٥ / رقم ٤١١٢)، وقال الهيثمى فى المجمع (٣ / ٤٥): رواه أبو يعلى، وفيه يزيد الرقاشى، وفيه كلام وقد وثقه. وقال الحافظ ابن حجر فى المطالب (٣ / ٣٣٩) بعد أن عزاه لأبى يعلى: هذا حديث ضعيف، وقد خالف يزيد فيه - مع ضعفه - ما ثبت فى الصحيحين من حديث ابن عمر، أنه صلى عليه، وأن الآية نزلت بعد ذلك.

(٢) روى أبو داود (٣ / ٢١٥ / رقم ٣٢٢١)، والبيهقى (٤ / ٥٦) من حديث عثمان: « أن النبى ﷺ كان إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: استغفروا لأخيكم... ».

(٣) من « ك ». وقوله: باقى الآية معلوم، ليس فى « ك ».

وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ

قوله تعالى: ﴿وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله﴾ معنى الآية ظاهر.

وقوله: ﴿استأذنك أولوا الطول منهم﴾ الطول: هو السعة والغنا بإجماع المفسرين، وقيل: إنه إنما سميت السعة طولا؛ لأن الإنسان يتطاول بها الناس.

وقوله: ﴿وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين﴾ يعنى: مع القاعدين عن الجهاد.

ثم قال: ﴿رضوا بأن يكونوا مع الخوالف﴾ قال قتادة: الخوالف: هم النساء. وقال غيره: هم أدنياء الناس وسفلتهم، يقال: فلان خالفه قومه إذا كان دونهم. قوله: ﴿وطبع الله على قلوبهم فهم لايفقهون﴾ طبع: ختم، ويقال: الطبائع نكت سوداء تقع على القلب، يعرف بها المَلَك المنافق من المؤمن.

قوله تعالى: ﴿لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم﴾ معناه معلوم.

وقوله: ﴿وأولئك لهم الخيرات﴾ فيه أقوال:

أحدها: أن الخيرات: هى الغنائم، والآخر: أن الخيرات: هى الحور فى الجنة، وواحدتها: خيرة؛ قال الله تعالى: ﴿فيهن خيرات حسان﴾(١) يعنى: الحور.

والقول الثالث: أن الخيرات لايعلم معناها إلا الله. حكى هذا عن ابن عباس، ومثل هذا: قوله تعالى: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين﴾(٢).

﴿وأولئك هم المفلحون﴾ قد بينا المعنى.

(١) الرحمن: ٧٠.

(٢) السجدة: ١٧.

فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا

ثم قال: ﴿أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم﴾ ومعناها ظاهر.

قوله تعالى: ﴿وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم﴾ قرئ بقراءتين «المعذّرون» و «والمُعْذِرون»؛ وفى المعذرين قولان: أحدهما: أن المعذرين هم المعتذرون، أدغمت التاء فى الذال.

والقول الثانى: أن المعذرين:هم المقصرون، والتعذير فى اللغة: هو التقصير. وأمّا المعذّرون: فهم الذين بالغوا فى العُذر، يقال فى المثل: لقد أعذر من أنذر. يعنى: بالغ فى إظهار العذر من قدّم فى النذارة، قال لبيد شعراً:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ... ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

يعنى: بالغ فى العذر.

واعلم أن هذه الآية نزلت فى المنافقين، وقد اعتذروا ولم يكن لهم عذر. وأما الأعراب: هم الذين يسكنون البادية، والعربى: اسم لمن له نسب من العرب.

وقوله: ﴿وقعد الذين كذبوا الله ورسوله﴾ هذا فى المنافقين؛ ومعنى ﴿كذبوا الله ورسوله﴾ يعنى: لم يأتوا بعذر صادق، ثم قال: ﴿سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾ ومعناه معلوم.

قوله تعالى: ﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى﴾ اختلفوا فى الضعفاء، قال بعضهم: هم المجانين، والضعف: نقصان عقولهم. وقال بعضهم: هم الصبيان. وقال بعضهم: هم النسوان. وأما المرضى: فمعلوم. وقوله: ﴿ولا على الذين لايجدون ما ينفقون حرج﴾ الذين لايجدون: هم الفقراء، والحرج: الضيق. وقوله: ﴿إذا نصحوا

لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا
مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ
حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ
رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾

لله ورسوله ﴾ يعنى: أخلصوا العمل لله ولرسوله، وإخلاص العمل لله بالعبادة، وللرسول بالمتابعة. قوله تعالى: ﴿ ما على المحسنين من سبيل ﴾ معناه: ليس على من أحسن بالإخلاص سبيل، والسبيل: هو العقوبة ﴿ والله غفور رحيم ﴾. وروى عن ابن عباس أنه قرأ: « والله لأهل الإساءة غفور رحيم ».

قوله تعالى: ﴿ ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم ﴾ معناه: لاسبيل على الأولين ولا على هؤلاء، قال محمد بن إسحاق: نزلت الآية فى سبعة نفر، منهم عبد الله بن المغفل المزنى، والعرباض بن سارية، وأبو (ليلى)[1] عبد الرحمن بن كعب، سموا البكائين. وروى عن الحسن البصرى أنه قال هذا فى أبى موسى الأشعرى وأصحابه.

واختلف القول فى قوله: ﴿ لتحملهم ﴾ أحد القولين – وهو المعروف – : أنهم طلبوا الإبل ليركبوها. والقول الثانى: أنهم طلبوا النعال. هذا قول الحسن بن صالح.

وقوله: ﴿ قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون ﴾ معناه ظاهر. وفى بعض الأخبار: أن النبى ﷺ قال: « لايزال أحدكم راكبا مادام متنعلا »[2].

ثم قال ﴿ إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف ﴾ الخوالف: النساء والصبيان؛ يقال: خالف وخوالف، كما يقال: فارس وفوارس، وهالك وهوالك. ﴿ وطبع الله على قلوبهم فهم لايعلمون ﴾ ظاهر المعنى.

(١) ليست فى «ك». والصواب إثباتها.

(٢) رواه مسلم (١٤ / ١٠٣ / رقم٢٠٩٦)، وأبو داود (٤ / ٦٩ / ٤١٣٣)، وأحمد (٣ / ٣٣٧)، وابن حبان – الإحسان – (١٢ / ٢٧٢، ٢٧٣ / رقم ٥٤٥٧، ٥٤٥٨).

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لاَّ تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ

قوله تعالى: ﴿يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم﴾ روى أن المنافقين الذين تخلفوا كانوا بضعة وثمانين نفرا، فلما رجع رسول الله ﷺ من غزوة تبوك جاءوا يعتذرون، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية ﴿قل لاتعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم﴾ يعنى: فيما سلف ﴿وسيرى الله عملكم ورسوله﴾ يعنى: فى المستأنف ﴿ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾.

ثم قال فى شأنهم: ﴿سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم﴾ الانقلاب: هو الرجوع إلى المكان الذى خرجوا منه ﴿فأعرضوا عنهم إنهم رجس﴾ الرجس: هو النتن والقذر ﴿ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون﴾ فإن قيل: كيف قال فى الآية: ﴿سيحلفون بالله لكم إذا انقبلتم إليهم لتعرضوا عنهم﴾ إذا كان المؤمنون مقبلين عليهم حتى يقول: ﴿لتعرضوا عنهم﴾؟

والجواب عنه: ذكر الأزهرى فى كتابه «التقريب» معنى الآية: سيحلفون بالله لكم لإعراضكم عنهم لتقبلوا عليهم؛ فأعرضوا عنهم.

ثم قال: ﴿يحلفون لكم لترضوا عنهم﴾ الرضا ضد الكراهة ﴿فإن ترضوا عنهم فإن الله لايرضى عن القوم الفاسقين﴾.

وفى القصة: «أن أباخيثمة رجل من أصحاب رسول الله ﷺ كان قد تخلف، وكانت له امرأتان، فذهب إليهما وقد هيأت كل واحدة منهما طعاما، وبرّدت شرابا وبسطت له فى الظل، فنظر إلى ذلك وقال: رسول الله فى الضِّح والذبح، وأبو خيثمة فى الظل! ماهذا بِنِصْفٍ، ثم ركب ناقته واتبع رسول الله، فأدرك النبى ﷺ وقد نزل

﴿٩٦﴾ الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِه وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ

بتبوك، فقال الناس: يارسول الله، هذا راكب قد أقبل، فقال رسول الله ﷺ: كن أبا خيثمة فقال الناس: هو أبو خيثمة»(١).

قوله تعالى: ﴿الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله﴾ معنى أجدر: أخلق وأحرى أن لايعلموا حدود ما أنزل الله ﴿على رسوله﴾ وهذا لبعدهم من سماع القرآن ومعرفة السنن. وفي بعض الأخبار: «أهل الكفور هم أهل القبور»(٢). وفي آثار التابعين عن إبراهيم النخعي: أن أعرابيا جلس عند زيد بن صوحان - وكانت شماله أصيبت يوم نهاوند في حرب العجم - فجعل يكلمه ويذكر له العلم، فقال له الأعرابي: إنه ليؤنسني علمك وتريبني يدك، فقال له زيد: وما يريبك مني وإنها الشمال؟ فقال الأعرابي: إني ما أدري الشمال تقطع أم اليمين؟ فقال زيد بن صوحان: صدق الله تعالى: ﴿الأعراب أشد كفرا ونفاقا﴾.

وزيد بن صوحان من كبار التابعين، وهو الذي ذكر رسول الله ﷺ في شأنه أن يده تسبقه إلى الجنة(٣). ﴿والله سميع عليم﴾.

قوله تعالى: ﴿ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما﴾ المغرم: التزام ما لايلزم، قال الشاعر:

فمالك مسلوب العدا كأنما ترى ... هجــر ليــلى مغرما أنت غارمه

قوله: ﴿ويتربص بكم الدوائر﴾ أي: ينتظر بكم الدوائر، والدوائر: جمع الدائرة،

---

(١) هو ضمن حديث كعب بن مالك، وهو متفق عليه، رواه البخاري (٧/٧١٧-٧١٩/رقم٤٤١٨)، ومسلم (١٧/١٣٦-١٥١/رقم٢٧٦٩)، وهو حديث طويل جدا، وسيأتي.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص١٧٠/رقم٥٧٩) من حديث ثوبان بنحوه، وانظر اللآلىء (١/٤٧٨-٤٨١)، وتنزيه الشريعة (٢/٥٣).

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده (١/٣٩٥/ رقم ٥١١)، والبيهقي في الدلائل (٦/٤١٦)، وابن عدي في الكامل (٧/١٢٣)، والخطيب في تاريخه (٨/٤٤٠)، وابن عساكر في تاريخه (١٩/٤٣٤-٤٣٥)، وقال الهيثمي في المجمع: (٩/٤٠١): رواه أبو يعلى، وفيه من لم أعرفهم.

الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ

والدائرة: انتقال المحبوب إلى المكروه، وقيل: الدوائر: صروف الدهر.

ثم قال: ﴿عليهم دائرة السوء﴾ وقرئ: «دائرة السُّوء»(١) ومعناه: أن المكروه العظيم ما يلحقهم. وقوله: ﴿والله سميع عليم﴾.

قوله تعالى: ﴿ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ معناه معلوم ﴿ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول﴾ القربات جمع القربة، والصلوات جمع الصلاة؛ ومعنى القربات: أنه يطلب القربة إلى الله تعالى، ومعنى الصلوات: أنه يطلب الدعاء من رسول الله.

واعلم أن الصلاة من الله الرحمة، ومن المؤمنين الدعاء، ومن الملائكة الاستغفار، قال الأعشى:

تقول بنتي وقد قربت مرتحلا … يارب جنب أبى الأوصاب والوجعا

عليك مثل الذى صليت فاغتمضى … عينا فإن لجنب المرء مضطجعا

ثم قال: ﴿ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله فى رحمته﴾ أى: فى جنته ﴿إن الله غفور رحيم﴾ معلوم.

قوله تعالى: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار﴾ هذه الآية فى السابقين الأولين، وفيهم أقوال:

أحدها: قول سعيد بن المسيب وابن سيرين وجماعة، أنهم قالوا: هم الذين صلوا إلى القبلتين.

---

(١) هى قراءة ابن كثير، وأبو عمرو، بضم السين. انظر النشر (٢ / ٢٨٠).

وقال عطاء: هم أهل بدر.

وقال الشعبى: هم أهل بيعة الرضوان، وبيعة الرضوان كانت بالحديبية.

والقول الرابع: السابقون الأولون من المهاجرين: هم الذين أسلموا قبل الهجرة، والسابقون: الأولون من الأنصار: هم الذين بايعوا مع رسول الله ليلة العقبة.

وروى عن عمر - رضى الله عنه - أنه قرأ: «والأنصارُ» بالرفع(١). وفى هذه القراءة السابقون الأولون من المهاجرين خاصة. والمعروف «والأنصار» ومعناه: ومن الأنصار: والمهاجرين هم الذين هاجروا من أوطانهم وقدموا المدينة مع رسول الله ﷺ، والأنصار هم أهل المدينة الذين أنزلوا رسول الله والمهاجرين فى دورهم.

وأما قوله: ﴿والذين اتبعوهم بإحسان﴾ فيه قولان: أحدهما: أنهم بقية المهاجرين والأنصار سوى السابقين الأولين منهم.

والقول الثانى: أنهم المؤمنون إلى قيام الساعة.

وعن أبى صخر حميد بن زياد قال: أتيت محمد بن كعب القرظى فقلت له: ما قولك فى أصحاب رسول الله ﷺ؟ فقال: جميع أصحاب رسول الله ﷺ فى الجنة، مسيئهم ومحسنهم، فقلت له: من أين تقول هذا؟ فقال: اقرأ قوله تعالى: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار﴾ إلى أن قال: ﴿رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات﴾ ثم قال: شرط للتابعين شريطة، وهو قوله: ﴿اتبعوهم بإحسان﴾ ومعناه: أنهم اتبعوهم فى أفعالهم الحسنة دون السيئة. قال أبو صخر: وكأنى لم أقرأ هذه الآية قط.

وفى الخبر المعروف برواية أبى سعيد الخدرى أن النبى ﷺ قال: «لاتسبوا أصحابى؛ فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم ملء الأرض ذهبا لم يدرك مد أحدهم

(١) وهى قراءة يعقوب. انظر النشر (٢ / ٢٨٠).

لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا

ولانصيفه»(١).

قوله: ﴿ رضى الله عنهم ورضوا عنه ﴾ أى: رضى الله عنهم بطاعتهم ﴿ ورضوا عنه ﴾ بثوابه، وباقى الآية معلوم ﴿ وأعد لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك هوالفوز العظيم ﴾.

قوله تعالى: ﴿ وممن حولكم من الأعراب منافقون ﴾ قال أهل التفسير: هم مُزَينة وجُهَينة وأَشْجع وغِفَار وأَسْلَم ﴿ ومن أهل المدينة ﴾ قوم من الأوس والخزرج ﴿ مردوا على النفاق ﴾ قال الفراء: مرنوا على النفاق. وقال ثعلب: استمروا على النفاق. وفى الآية تقديم وتأخير، كأنه قال: وممن حولكم من الأعراب منافقون مردوا على النفاق ومن أهل المدينة، هكذا قاله أهل المعانى ﴿ لاتعلمهم نحن نعلمهم ﴾ هذا دليل على أن الرسول ﷺ لم يعلم جميع المنافقين.

وقوله تعالى: ﴿ سنعذبهم مرتين ﴾ فيه أقوال:

أحدها(٢): أنها الفضيحة فى الدنيا، و العذاب فى الآخرة.

وفى الخبر «أن النبى ﷺ قام خطيبا على المنبر، وقال: اخرج يافلان، فإنك منافق، اخرج يافلان، فإنك منافق»(٤) هكذا حتى أخرجهم جميعا من المسجد.

---

(١) متفق عليه، فرواه البخارى (٧/ ٢٥/ رقم٣٦٧٣)، ومسلم (١٦/ ١٣٩–١٤٠/ ٢٥٤١).

(٢) فى «ك»: أحدهما.

(٣) رواه الطبرى فى التفسير (١١/ ٨)، والطبرانى فى الأوسط، كما فى مجمع البحرين (٦/ ٣٣/ رقم٣٣٣٤) من حديث ابن عباس. وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ٣٧): رواه الطبرانى فى الأوسط، وفيه الحسين بن عمرو العنقزى، وهو ضعيف وزاد السيوطى فى الدر (٣/ ٢٩٣ – ٢٩٤) فعزاه لابن أبى حاتم، وأبى الشيخ، وابن مردويه.

والقول الثانى : قول مجاهد، وهو الخوف فى الدنيا، والعذاب فى الآخرة.

والقول الثالث : أن العذاب الأول : هو القتل، والعذاب الثانى : هو عذاب القبر.

والرابع : قال ابن قتيبة : العذاب الأول : هو السبى، والعذاب الثانى : هو القتل.

﴿ ثم يردون إلى عذاب عظيم ﴾ يعنى : إلى جهنم.

قوله تعالى : ﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم ﴾ الآية نزلت فى قوم من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله ﷺ بغير عذر، فيهم أبو لبابة بن عبد المنذر وغيره، فلما قفل رسول الله ﷺ من الغزو، وقرب من المدينة جاءوا فربطوا أنفسهم بسوارى المسجد وقالوا : لانحل أنفسنا حتى يتوب الله علينا، فدخل رسول الله ﷺ المسجد، وكان من عادته أنه كان إذا خرج إلى سفر صلى ركعتين فى المسجد، ثم يخرج، وإذا رجع بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين، ثم يدخل منزله، فلما دخل المسجد ورأى هؤلاء النفر قد ربطوا أنفسهم بالسوارى سأل وقال : «ما شأنهم؟ فقيل : إنهم حلفوا ألا يحلوا أنفسهم حتى يتوب الله عليهم، فقال رسول الله ﷺ :وإنى أحلف أن لا أحلهم حتى يقضى الله فيهم بأمره، فأنزل الله تعالى هذه الآية»(١).

وقوله تعالى : ﴿ خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ﴾ العمل السيء هو التخلف عن الغزو بلا إشكال، وأما العمل الصالح ففيه معنيان :

أحدهما : ندامتهم وربطهم أنفسهم بالسوارى.

والثانى : العمل الصالح : هو غزواتهم مع رسول الله ﷺ من قبل.

وفى الأخبار، عن سمرة بن جندب أن النبى ﷺ قال : «أتانى الليلة آتيان فانطلقا بى إلى مدينة مبنية لبنة من الذهب ولبنة من الفضة، فتلقانى رجال شَطْرُ خلقهم كأحسن ما أنت راءٍ، وشَطْرُ خلقهم كأقبح ما أنت راءٍ، فقيل لهم : قعوا فى ذلك

(١) رواه الطبرى (١١ / ١٠)، والبيهقى فى الدلائل (٥ / ٢٧١-٢٧٢) عن ابن عباس، وزاد السيوطى فى الدر (٣ / ٢٩٤) فعزاه لابن المنذر، وابن أبى حاتم، وابن مردويه.

رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾

النهر، فوقعوا فى النهر، فخرجوا وقد ذهب عنهم السوء، فسألت عن أولئك القوم، فقيل لى: أما المدينة فهى الجنة، [وهذاك](١) منزلك، وهؤلاء القوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا؛ فتجاوز الله عنهم»(٢).

وأما قوله تعالى: ﴿عسى الله أن يتوب عليهم﴾ قال الحسن البصرى وغيره: عسى من الله واجب. فلما نزلت هذه الآية أمر رسول الله ﷺ أن يحل أولئك القوم من السوارى.

وروى عن أبى عثمان النهدى أنه قال: أرجى آية فى القرآن هذه الآية.

﴿إن الله غفور رحيم﴾.

قوله تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾ قال أهل التفسير: لما تاب الله على أولئك القوم جاءوا بأموالهم إلى النبى ﷺ وقالوا: خذها صدقة لله، فأبى أن يأخذها، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿خذ من أموالهم﴾. وقوله: ﴿تطهرهم﴾ أى: من الذنوب. وقوله: ﴿وتزكيهم بها﴾ أى: وترفعهم بها من منازل المنافقين إلى منازل المخلصين ﴿وصل عليهم﴾ وادع لهم ﴿إن صلاتك سكن لهم﴾ أى: دعاؤك سكن لهم، أى: سكون لهم، أى: دعاؤك سكن لهم وطمأنينة وتثبيت.

وقد قال بعض أهل العلم: إنه يجب على الإمام أن يدعو للذى جاء بالصدقة. وقال بعضهم: يستحب، ولايجب. وقال بعضهم: يجب فى الفرض ويستحب فى النفل. وقال بعضهم: يجب على الإمام أن يدعو للمعطى، ويستحب للفقير أن يدعو. ومنهم من قال: إن التمس المعطى أن يدعو له يجب؛ وإلا فلا يجب.

(١) فى الأصل: وهاذاك، وفى «ك»: وهذا.

(٢) رواه البخارى (٨/١٩٢/رقم ٤٦٧٤)، والنسائى فى الكبرى (٦/٣٥٨/ رقم ١١٢٢٦)، وأحمد (٥/٨-٩).

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾

وقد ثبت الخبر برواية عبد الله بن أبى أوفى قال: «كان الرجل إذا جاء بصدقته إلى النبى ﷺ دعا له؛ فجاء أبى بصدقته فقال النبى ﷺ: اللهم صل على آل أبى أوفى»(١).

﴿والله سميع عليم﴾ معناه معلوم.

قوله تعالى: ﴿ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده﴾ هذا ظاهر. وقوله: ﴿ويأخذ الصدقات﴾ معناه: يقبل الصدقات. وقال بعض أهل المعانى قوله: ﴿ألم يعلموا﴾ هو بمعنى الأمر؛ كأنه قال: اعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده.

وفى الخبر المشهور المعروف عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «والذى نفسى بيده، ما من عبد يتصدق بصدقة من كسب طيب - ولايقبل الله إلا طيبا - إلا أخذها الله بيمينه فَيُربيها كما يُربى أحدكم فَلُوَّه، حتى إن اللقمة تجىء يوم القيامة مثل أُحُد، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات﴾»(٢). والخبر صحيح.

وروى عن ابن مسعود أنه قال: إن الصدقة تقع فى يد الله قبل أن تقع فى يد الفقير. وروى فى بعض الروايات مرفوعا إلى النبى ﷺ.(٣)

قوله: ﴿وأن الله هو التواب الرحيم﴾ معلوم المعنى.

قوله تعالى: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ فى الآية

(١) متفق عليه، رواه البخارى (٣/٤٢٣/١٤٩٧)، ومسلم (٧/٢٥٨-٢٥٩/رقم١٠٧٨).

(٢) متفق عليه، رواه البخارى (٣/٣٢٦/رقم١٤١٠)، ومسلم (٧/١٣٧-١٣٩/رقم١٠١٤) دون ذكر أن النبى ﷺ قرأ الآية، ورواه الطبرى (١١/١٥) وغيره، وذكروا فيه أنه قرأ الآية. انظر الدر المنثور (٣/٢٩٨).

(٣) روى من حديث أبى هريرة، وابن عباس، عزاه السيوطى فى الدر (٣/٢٩٨) لابن المنذر، وابن أبى حاتم، وأبى الشيخ، وابن مردويه، عن أبى هريرة بنحوه، وعزاه للدارقطنى فى الأفراد عن ابن عباس بنحوه أيضًا.

وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ

معنى التهديد. فإن قال قائل: ما معنى رؤية الرسول والمؤمنين؟

قلنا: رؤية الرسول: هى بإعلام الله إياه عملهم، ورؤية المؤمنين: بإيقاع المحبة فى قلوبهم لأهل الصلاح، وإيقاع البغضة فى قلوبهم لأهل الفساد.

وفى بعض الأخبار: «لو عمل المؤمن فى صخرة ليس لها باب [لأظهره](1) الله إذا عمله»(2).

قوله تعالى: ﴿وستردون إلى عالم الغيب والشهادة....﴾ الآية، معناه معلوم.

قوله تعالى: ﴿وآخرون مرجون لأمر الله﴾ الإرجاء: التأخير، ومعناه: مؤخرون لأمر الله، وأمر الله تعالى هنا: حكم الله.

والآية نزلت فى كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع؛ وهؤلاء الثلاثة الذين تأتى قصتهم من بعد.

وقوله ﴿إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم﴾ معناه معلوم.

قوله تعالى: ﴿والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا﴾ نزلت الآية فى قوم من المنافقين منهم: وديعة بن ثابت، وثعلبة بن حاطب، (وجارية بن يزيد)(3)، وابنه

---

(1) كلمة غير واضحة فى «الأصل، ك» ورسمها: لردآه. والمثبت من مصادر التخريج. وانظر لسان العرب (مادة: ردى).

(2) رواه أحمد (٣/ ٢٨)، وأبو يعلى (٢/ ٥١٢/رقم١٣٧٨)، وابن حبان - الإحسان - (١٢/ ٤٩١-٤٩٢/رقم٥٦٧٨)، والحاكم (٤/ ٣١٤) وصحح إسناده. كلهم من حديث أبى سعيد الخدرى. وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٢٢٨): رواه أحمد، وأبو يعلى، وإسنادهما حسن. وزاد السيوطى فى الدر (٣/ ٢٩٨) فعزاه للبيهقى فى الشعب، وابن أبى الدنيا فى الإخلاص، وللضياء فى المختارة.

(3) في «ك»: حارثة بن يزيد، ومثله فى تفسير ابن كثير (٢/ ٣٨٨) إلا أنه سمى أباه: عامراً، وفى الدر المنثور (٣/ ٢٩٩، ٣٠٠): جارية بن عامر وهو الصواب.

وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى

مجمع بن جارية، وحزام بن مالك، وأبو حبيبة بن الأزعر، وعباد بن حنيث، ورجل يقال له: يخرج(١) إلى تمام اثنى عشر نفرا، بنوا هذا المسجد بقصد ما ذكره الله فى كتابه، وهو قوله: ﴿ضرارا﴾ يعنى: مضارة بالرسول ﴿وكفرا﴾ بالله ﴿وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله﴾ والإرصاد: الإعداد، والذى حارب الله ورسوله هاهنا هو أبو عامر الراهب، وكان ممن يطلب الدين فى الابتداء، ثم تنصر وتحزب الأحزاب على رسول الله ﷺ، ثم لحق بقيصر يستنجده على رسول الله ﷺ وأصحابه، فهؤلاء بنوا هذا المسجد وقالوا: نبنى هذا المسجد فنخلوا بأمرنا، ونتحدث بما نريد، وننتظر رجوع أبى عامر الراهب. وكان هذا المسجد بنى قريبا من مسجد قباء. وقوله: ﴿من قبل﴾ راجع إلى أبى عامر ﴿وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى﴾ معناه: إلا الرفق بالمسلمين ﴿والله يشهد إنهم لكاذبون﴾ معناه معلوم.

ثم قال: ﴿لاتقم فيه أبدا﴾ روى أنهم طلبوا من النبى ﷺ أن يأتى فيصلى فيه، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿لاتقم فيه أبدا﴾ معناه: لاتصل فيه أبدا ﴿لمسجد أسس على التقوى﴾ اختلفوا فى هذا المسجد؛ قال ابن عمر، وزيد بن ثابت، وأبو سعيد الخدرى: هو مسجد النبى ﷺ بالمدينة. وروى أبو سعيد الخدرى: «أن رجلين تماريا فى المسجد الذى أسس على التقوى، فسألا رسول الله ﷺ فقال - عليه السلام -: هو مسجدى هذا». وأورده أبو عيسى الترمذى فى «جامعه»(٢).

---

(١) ومثله فى تفسير ابن كثير، وفى الدر: يخدج.

(٢) الترمذى (٥/ ٢٦١ - ٢٦٢/رقم٣٠٩٩)، وقال: حسن صحيح. والحديث فى صحيح مسلم (٩/ ٢٣٩-٢٤٠/رقم١٣٩٨)، والنسائى (٢/ ٣٦/رقم٦٩٧) بمعناه عن أبى سعيد أيضًا، وفيه أنه هو الذى سأل النبى ﷺ.

التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ

والقول الثانى: أنه مسجد قباء. هذا قول سعيد بن جبير، وقتادة، وجماعة من التابعين.

والقول الثالث: أنه جميع مساجد المدينة والأولى هو القول الأول.

وقوله: ﴿أسس على التقوى﴾ أى: ليتقى فيه من الشرك. وقوله: ﴿من أول يوم﴾ معناه: من ابتداء أيام الإسلام ﴿أحق أن تقوم فيه﴾ أى: أولى أن تقوم فيه، أى: تصلى فيه، قوله تعالى: ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين﴾ معناه معلوم.

وقد روى أن النبى ﷺ قال لأهل قباء: «إن الله تعالى قد أحسن الثناء عليكم، فماذا تعملون؟ فقالوا: نتوضأ من الحدث ونغتسل من الجنابة. فقال - عليه السلام -: فهل شىء غير هذا؟ فقالوا: إن أحدنا إذا استنجى أحب أن يتبع أثر الاستنجاء بالماء، فقال عليه السلام: هو ذاك، فعليكم به»(١).

ثم قال: ﴿أفمن أَسَّسَ﴾ وقرئ: «أفمن أُسِّسَ»(٢) ﴿بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير﴾ أى: على طلب التقوى وطلب الرضا من الله خير ﴿أم من أسس بنيانه على

---

(١) رواه ابن ماجة (١/١٢٧/رقم٣٥٥)، والدارقطنى فى سننه (١/٦٢) وقال: عتبة بن أبى حكيم ليس بالقوى، والحاكم (١/١٥٥) وقال: حديث كبير صحيح فى كتاب الطهارة. والبيهقى فى الكبرى (١/١٠٥)، وابن الجارود فى المنتقى (ص٢٩-٣٠/رقم٤٠)، كلهم من طريق طلحة بن نافع، قال حدثنى أبو أيوب، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك. وانظر نصب الراية (١/٢١٩).

(٢) هى قراءة نافع، وابن عامر. انظر النشر (٢/٢٨١).

بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ

شفا جرف﴾ الشفا: هو الحرف والحد، والجُرُفْ: هو ما تجرّف من السيل، أى: تقطع من السيل، فصار لرخاوته لايثبت عليه بناء. قوله: ﴿هارٍ﴾ معناه: هائر، والهائر: الساقط ﴿فانهار به فى نار جهنم والله لايهدى القوم الظالمين﴾ معناه معلوم.

واعلم أن المراد من الآية: هو التمثيل والتشبيه فى قلة الثبات والقرار وسوء العاقبة. واختلفوا فى الذى كانت عاقبة مسجد الضرار؛ فالأكثرون على أن النبى ﷺ دعا مالك بن الدخشم، وعاصم بن عدى، وأمرهما أن يهدما ذلك المسجد ويحرقاه ففعلا ذلك.

والقول الآخر: أن ذلك المسجد انهار بنفسه من غير أن يمسه أحد. وفى بعض التفاسير أنه خسف به. وروى أنه لما خسف به سطع منه دخان فى السماء، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿لايزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم﴾ يعنى: شكًّا واضطرابا فى قلوبهم. وقال السدى: حزازة فى قلوبهم. وقوله: ﴿إلا أن تقطع قلوبهم﴾ فيه قولان:

أحدهما: حتى يموتوا. وقرئ فى الشاذ: «إلى أن تقطع قلوبهم»(١).

والقول الثانى: حتى يتوبوا، فجعل الندامة فى القلب بمنزلة تقطع فى القلب.

﴿والله عليم حكيم﴾ عليم بخلقه، حكيم فى تدبيره.

قوله تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ معنى الآية: أن الله تعالى أمر (المسلمين)(٢) بأن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله، وجعل لهم الجنة ثوابا عليه، فجعل هذا بمنزلة الشراء والبيع.

قوله: ﴿يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا﴾ معناه: أن ثواب الجنة وعد حق. ثم قال: ﴿فى التوراة والإنجيل والقرآن﴾ وهذا دليل على أن أهل

(١) انظر المصدر السابق.

(٢) في «ك»: المؤمنين.

حكيمٌ ﴿١١٠﴾ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

الملل كلهم أمروا بالجهاد وجعل ثوابهم الجنة، وقد بيّنا معنى التوراة والإنجيل والقرآن.

وقوله: ﴿ومن أوفى بعهده من الله﴾ معناه معلوم ﴿فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به﴾ معناه: فافرحوا ببيعكم الذى بايعتم به ﴿وذلك هو الفوز العظيم﴾.

روى فى الأخبار أن هذه الآية. لما نزلت قال أصحاب رسول الله ﷺ: ربح البيع، لا نُقيل ولا نستقيل. وعن عمر - رضى الله عنه - قال: إن الله بايعك وجعل الصفقتين لك. وعن بعض التابعين أنه قال: ثامن فأغلى فى الثمن، وبايع فأغلى فى العوض. وعن الحسن البصرى أنه قال: إن الله تعالى أعطاك الدنيا فاشتر الجنة ببعضها من الله.

قوله تعالى: ﴿التائبون العابدون﴾ الآية التائبون: هم الذين تابوا من الشرك. وقيل: هم الذين تابوا من جميع المعاصى. والعابدون: هم الذين عبدوا الله بالتوحيد، وقيل: بسائر الطاعات. و ﴿الحامدون﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنهم [هم][(١)] الذين يحمدون الله على كل حال فى السراء والضراء.

والقول الثانى: أنهم الذين يحمدون الله على الإسلام.

وقوله: ﴿السائحون﴾ فيه أقوال:

(أحدها)[(٢)]: أنهم الصائمون. هكذا روى عن ابن مسعود، وابن عباس. وفى بعض الأخبار أن النبى ﷺ قال: «سياحة أمتى: الصيام»[(٣)]. (وقال)[(٤)] سفيان بن عيينة: سمّى الصائم سائحا؛ لأنه ترك المطعم والمشرب والمنكح.

والقول الثانى: أن السائحين: هم المجاهدون فى سبيل الله. وفى بعض الأخبار أن

(١) من «ك».
(٢) فى «ك»: أحدهم.
(٣) تقدم.
(٤) فى «ك»: وعن.

﴿١١١﴾ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا

النبى ﷺ قال: «سياحة أمتي: الجهاد»(١).

والقول الثالث: أن السائحين: هم طلبة العلم، روى عن بعض التابعين.

وقوله ﴿الراكعون الساجدون﴾ يعنى: المصلين. وقوله: ﴿الآمرون بالمعروف﴾ أى: الآمرون بالإيمان ﴿والناهون عن المنكر﴾ يعنى: عن الشرك. وقوله: ﴿والحافظون لحدود الله﴾ معناه: القائمون بأوامر الله ﴿وبشر المؤمنين﴾ معناه معلوم.

قوله تعالى: ﴿ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾ اختلفوا فى سبب نزول هذه الآية على ثلاثة أقوال:

الأول: ما رواه سعيد بن المسيب، عن أبيه: «أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبى ﷺ وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية، فقال له النبى ﷺ: أى عمِّ! قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله. فقال له أبو جهل وعبد الله بن [أبى](٢) أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب؟! فما زالا يكلمانه حتى كان آخر كلمة قالها: على ملة عبد المطلب، فقال النبى ﷺ: لأستغفرن لك مالم أُنه عنه؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ماكان للنبى....﴾ إلى آخر الآية»(٣).

والثانى: روى مسروق، عن عبد الله بن مسعود: «أن النبى ﷺ خرج إلى المقابر فاتبعناه، فأتى قبرا وقعد عنده، وناجاه طويلا، ثم بكى وبكينا لبكائه، فقلنا له: يارسول الله من صاحب هذا القبر؟ فقال: هذه أمى آمنة بنت وهب، استأذنت ربى

(١) رواه أبو داود (٣/٥/رقم ٢٤٨٦)، والطبرانى فى الكبير (٨/١٨٣/رقم٧٧٦٠)، والحاكم (٢/٧٣) وقال: صحيح الإسناد، والبيهقى فى الكبرى (٩/١٦١) من حديث أبى أمامة.

(٢) سقطت من «الأصل، ك» والصواب اثباتها، والحديث متفق عليه لما سيأتى.

(٣) متفق عليه، فرواه البخارى (٨/١٩٢/رقم٤٦٧٥)، ومسلم (١/٢٩٥-٢٩٨/رقم٢٤).

تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ

في زيارتها فأذن لي، ثم استأذنته في أن أستغفر لها فلم يأذن لي، قال: فأخذني عليها الشفقة ما يأخذ الولد للوالدة فبكيت، وأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ما كان للنبي... ﴾ إلى آخر الآية»(١).

والقول الثالث: روى عن علي - رضي الله عنه -: «أنه سمع رجلا يستغفر لأبويه وهما مشركان، فقال له عليّ: أتستغفر للمشركين؟ فقال ذلك الرجل: قد استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك، فأتى النبي ﷺ وأخبره بذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية إلى آخرها»(٢).

قوله تعالى: ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه﴾ وفي هذه الآية قولان:

أحدهما: أن إبراهيم - عليه السلام - قال لأبيه: لأستغفرن لك، قال هذا رجاء أن ينقله الله تعالى من الكفر إلى الإسلام ببركة دعائه واستغفاره.

والقول الثاني: أن أبا إبراهيم وعد إبراهيم وقال: لأسلمن، فاستغفر لي، فاستغفر له إبراهيم لهذا المعنى.

﴿فلما تبين له أنه عدو لله﴾ بموته على الكفر ﴿تبرأ منه﴾ فإن قال قائل: كيف يجوز أن يستغفر إبراهيم للمشرك؟

(١) رواه الحاكم (٢/٣٣٦) والبيهقي في الدلائل (١/١٨٩)، والواحدي في أسباب النزول (ص١٩٨-١٩٩)، وقال الحاكم: صحيح على شرطهما؛ وتعقبه الذهبي فقال: أيوب بن هانئ ضعفه ابن معين. ورواه ابن ماجه مختصراً (١/٥٠١/رقم١٥٧١). والحديث رواه مسلم في صحيحه بنحوه (٧/٦٤-٦٥/رقم٩٧٦) والحاكم (١/٣٧٥-٣٧٦) وابن ماجه مختصراً أيضاً (١/٥٠١/رقم١٥٧٢) من حديث أبي هريرة. وانظر تلخيص الحبير (٢/٢٧٢).

(٢) رواه الترمذي (٥/٢٦٢-٢٦٣/رقم ٣١٠١) وحسنه، والنسائي (٤/٩١/رقم ٢٠٣٦)، وأحمد (١/٩٩)، والطبري في التفسير (١١/٣٢)، وأبو يعلى في مسنده (١/٢٨٠رقم٣٣٥)، والحاكم (٢/٣٣٥) وصحح إسناده.

فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾

الجواب عنه : قال بعض أهل المعانى : يحتمل أن أبا إبراهيم كان أظهر الإسلام وهو يبطن الكفر، فاستغفر له إبراهيم لإظهاره الإسلام ﴿ فلما تبين له أنه عدو لله ﴾ مصرّ على الكفر فى الباطن ﴿ تبرأ منه ﴾ هكذا قاله بعض أهل المعانى .

والذى عليه عامة المفسرين ما بيّنا من قبل .

وقد قرأ الحسن البصرى : « إلا عن موعدة وعدها إياه » وهذا صريح فى أن الوعد كان من إبراهيم، والدليل على أن إبراهيم استغفر له وهو مشرك : أن الله تعالى قال فى سورة الممتحنة : ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه .. ﴾ إلى أن قال : ﴿ إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك ﴾(١) فقد صرح أن إبراهيم ليس بقدوة فى هذا الاستغفار؛ وإنما استغفر له وهو مشرك لمكان الوعد؛ رجاء أن يسلم .

وقوله : ﴿ إن إبراهيم لأواه حليم ﴾ اختلفوا فى « الأوّاه » على أقاويل .

روى عن عبد الله بن مسعود . وعبد الله بن عباس : أن الأواه : هو الدعَّاء . وعن ابن مسعود فى رواية أخرى : أنه الرحيم، وعن ابن عباس فى رواية أخرى : أنه المؤمن التواب، وعن مجاهد أنه الفقيه، وعن كعب الأحبار : أنه الذى يتأوه من الذنوب، فيقول : أوه أوه . وروى أبو ذر « أن رجلا كان يطوف ويقول : أوه أوه، فقلت للنبى ﷺ : إن هذا الرجل ليؤذينا، فقال : لاتقل هذا؛ فإنه أوّاه »(٢) . قال الشاعر :

إذا ما قمتُ أَرْحَلُها بليل ... تأَوَّهُ آهةَ الرجـلِ الحــزينِ

وعن سعيد بن جبير قال الأوّاه : المسبّح . وقيل : إنه الموقف . وقيل : إنه الموقن .

وأما الحليم : فهو : الصفوح عن الذنوب .

قوله تعالى : ﴿ وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم ﴾ معناه : ما كان الله ليحكم بالضلالة بترك الأوامر ﴿ حتى يبين لهم ما يتقون ﴾ فيتركوا .

(١) الممتحنة : ٤ .

(٢) رواه الطبرى (١١ / ٣٧) بمعناه، وعزاه السيوطى فى الدر (٣ / ٣٠٨) لابن أبى حاتم، وابن مردويه .

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ

وعن أبى عمرو بن العلاء قال: معناه: حتى يحتج عليهم بالأمر.

سبب نزول الآية: أن قوما كانوا أتوا النبى ﷺ فأسلموا، ولم تكن الخمر حرّمت ولا القبلة صرفت، فرجعوا إلى قومهم وهم على ذلك، ثم حرّمت الخمر (و)[1] صرفت القبلة ولم يكن لهم علم بذلك، فلما قدموا بعد ذلك للمدينة وجدوا الخمر قد حرمت والقبلة قد صرفت، فقالوا للنبى ﷺ: قد كنت على دين ونحن على (غيره)[2] فنحن ضلال؟ فأنزل الله ﴿وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون﴾.

وفى الآية قول آخر؛ وهو: أن الآية فى الاستغفار للمشركين؛ فإن جماعة من الصحابة كانوا استغفروا لآبائهم ولم يعلموا أن ذلك لايجوز، فلما أنزل النهى عنه خافوا على أنفسهم خوفا شديدا؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿إن الله بكل شىء عليم﴾، وكذا الآية التى تليها معلوم المعنى إلى آخرها.

قوله تعالى: ﴿لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار﴾ معنى قوله: ﴿لقد تاب الله﴾ لقد تجاوز الله. وقيل: لقد صفح الله. وقوله ﴿الذين اتبعوه فى ساعة العسرة﴾ معناه: فى وقت العسرة، وكانت غزوة تبوك تسمى غزوة العسرة، وكذلك ذلك الجيش يسمى جيش العسرة؛ والعسرة: الشدة، وكانت عليهم عسرة فى الظَّهْر و الزاد والماء، فروى أن الاثنين والثلاثة فما زاد كانوا يعتقبون البعير الواحد. وروى أنهم كانوا فنى زادهم حتى كان الرجلان يقتسمان التمرة بينهما. هكذا حكى عن

(١) فى «ك»: ثم.

(٢) في «ك» دين.

اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ

ابن عباس. وروى: «أنهم عطشوا عطشا شديدا حتى نحروا الإبل وعصروا كرشها وشربوا ما فيها، ثم إن النبى ﷺ استسقى الله تعالى فسقوا. هكذا رواه عمر – رضى الله عنه – فهذا هو معنى العسرة.

وقوله: ﴿من بعد ما كاد يزيغ﴾ قرئ: «تزيغ ويزيغ»(١) فقوله: «تزيغ» منصرف إلى القلوب، وقوله: يزيغ منصرف إلى الفعل؛ كأنه قال: يزيغ الفعل ﴿قلوب فريق منهم﴾.

وأما الزيغ فى اللغة: هو الميل، وليس المراد من الميل هنا هو الميل عن الدين، إنما المراد من الميل هو الميل عن متابعة رسول الله ﷺ ونصرته فى الغزو، واختيار التخلف من شدة العسرة.

﴿ثم تاب عليهم﴾ فإن قال قائل: ما هذا التكرار، فقد قال فى أول الآية: ﴿لقد تاب الله على النبى﴾؟.

الجواب عنه: أنه ذكر التوبة فى أول الآية قبل ذكر الذنب – وهو محض [تفضل](٢) من الله، فلما ذكر الذنب أعاد ذكر التوبة، والمراد منه: القبول.

﴿إنه بهم رءوف رحيم﴾ معلوم المعنى.

قوله تعالى: ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾ قرأ عكرمة بن عمار: «وعلى الثلاثة الذين خَلَفوا» مخفف، وفى بعض القراءات: «وعلى الثلاثة الذين خالفوا».

واعلم أن هؤلاء الثلاثة هم الذين أنزل الله فى شأنهم قوله تعالى: ﴿وآخرون مرجون لأمر الله﴾(٣) وأما أسماؤهم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن

(١) قرأ حمزة، وحفص بالياء، وقرأ الباقون بالتاء. انظر النشر (٢ / ٢٨١).

(٢) من «ك».

(٣) التوبة: ١٠٦.

بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ

الربيع، وكانوا مؤمنين مخلصين تخلفوا بغير عذر، فلما قدم النبى ﷺ المدينة قافلا من غزوة تبوك، حضروا وأقروا عنده بالذنب، وأنه لم يكن لهم عذر، فأخّر أمرهم ولم يستغفر لهم، ونهى المسلمين عن مخالطتهم ومكالمتهم.

وفى الآية قصة طويلة مذكورة فى «الصحيحين»(١)؛ فروى أنهم مكثوا على ذلك أربعين ليلة، ثم إن رسول الله ﷺ أمرهم أن يعتزلوا نساءهم إلى تتمة خمسين ليلة، وكانوا يسلّمون على أصحاب رسول الله ﷺ فلا يردّون عليهم السلام. قال كعب بن مالك: فكنت أدخل المسجد وأصلى وأنظر هل ينظر إلىّ رسول الله ﷺ فكنت إذا نظرت إليه صرف عنى بصره، قال: فاقتحمت يوما على أبى قتادة حائطه - وكان ابن عمى - فسلمت عليه فلم يردّ علىّ الجواب، فقلت له: يا ابن عمى، أتعلم أنى أحب الله ورسوله؟ فسكت عنى، فرددت الكلام ثلاثاً، فقال فى الثالثة: الله ورسوله أعلم، قال: فبكيت بكاء شديدا وخرجت، قال: فلما كان تتمة خمسين ليلة من يوم نهى رسول الله ﷺ عن كلامنا، كنت على ظهر بيتى وقد صليت الصبح، وأنا كما ذكر الله تعالى: ﴿ حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ﴾ أى: برحبها وسعتها ﴿ وضاقت عليهم أنفسهم ﴾ أى: من جفوة القوم وغلظة رسول الله ﷺ عليهم، إذ سمعت مناديا ينادى على ذروة سَلْع - والسَّلْع: الجبل -: أبشر يا كعب بن مالك، قال: فخررت لله ساجدا، وجاء البشير فأعطيته ثوبىّ ولبست ثوبين غيرهما، وأتيت رسول الله ﷺ وجلست بين يديه ووجهه يستنير كاستنارة القمر، فقال: أبشر ياكعب بن مالك بخير يوم مرّ عليك منذ أسلمت فقلت: يارسول الله، أمن عندك أم من عند الله؟ فقال: لا، بل من عند الله وقرأ علىّ الآية، فقلت: يارسول الله، إن من توبتى أن أخلع من (جميع)(٢) مالى صدقة لله ولرسوله، فقال: أمسك عليك بعض مالك؛ فهو خير لك» القصة إلى آخرها.

---

(١) تقدم من حديث كعب بن مالك الطويل.

(٢) ليست فى «ك».

وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ

وقوله تعالى: ﴿وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه﴾ معناه: وظنوا: تيقنوا أن لامفزع ولا منجا من الله إلا إليه. وقوله تعالى: ﴿ثم تاب عليهم ليتوبوا﴾ يعنى: ليستقيموا على التوبة ويثبتوا عليها، فإن توبتهم قد سبقت ﴿إن الله هو التواب الرحيم﴾ معلوم المعنى.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ قال الضحاك: مع محمد وأصحابه.

وروى عن بعضهم أنه قال: مع الصادقين أى: مع أبى بكر وعمر. وعن بعضهم: مع الخلفاء الأربعة. وقال بعضهم: إن الصادقين هاهنا الثلاثة الذين سبق ذكرهم؛ فإنهم صدقوا النبى ﷺ بالاعتراف بالذنب، ولم يعتذروا بالأعذار الكاذبة مثل المنافقين. فروى عن كعب بن مالك قال: ما أبلانى الله ببلاء أعظم عندى من صدقى رسول الله ﷺ؛ فإنه من شكرى عليها أن لاأكذب أبدا. وروى عن عبد الله بن مسعود أنه قال: لايصلح الكذب فى جدّ ولا هزل، وقرأ هذه الآية. ويقال: إن فى قراءته: «وكونوا من الصادقين».

قوله تعالى: ﴿ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله﴾ الآية، معناها: هو النهى عن التخلف. وقوله: ﴿ولايرغبوا بأنفسهم عن نفسه﴾ معناه: ما كان لهم أن يختاروا الخفض والدَّعة، ويتركوا رسول الله ﷺ فى شدة السفر ومقساة التعب. ثم قال: ﴿ذلك بأنهم لايصيبهم ظمأ﴾ الظمأ: العطش ﴿ولا نصب﴾ النصب: التعب ﴿ولا مخمصة﴾ وهى المجاعة ﴿فى سبيل الله﴾ فى الجهاد. وقوله: ﴿ولايطئون موطئا﴾ يعنى: لايضعن قدما ﴿يغيظ الكفار﴾ أى: يغضبهم ﴿ولاينالون من عدو نيلا﴾ يعنى: : لايصيبون منهم شيئا فى نفس أو مال ﴿إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لايضيع أجر المحسنين﴾ معلوم المعنى.

عَن نَّفْسه ذَلكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً وَلا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ

ثم قال: ﴿ولاينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة﴾ يعنى: قليلا ولا كثيرا، قيل فى التفسير: حتى التمرة ﴿ ولايقطعون واديا﴾ أى: لايعبرون واديا مقبلين ومدبرين ﴿إلا كتب لهم﴾ أى: أثيبوا على ذلك ﴿ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون﴾ معناه معلوم

قوله تعالى: ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة﴾ الآية، وفيها قولان:

أحدهما: «أن النبى ﷺ كان يبعث بالسرايا بعد غزوة تبوك، فكان الناس يخرجون جميعهم لعظم ما أصابهم من التعيير والملامة فى التخلف، فأنزل الله تعالى هذه الآية»(١). قال قتادة: هذا فى السرايا، فأما إذا خرج الرسول ﷺ بنفسه فعليهم أن يخرجوا جميعا معه.

والقول الثانى: أن النبى ﷺ كما دعا على مضر، وقال: «اللهم اجعل سنيهم كسنى يوسف، قال: فأصابهم قحط شديد وجدب، فجعلت القبيلة تقبل إلى المدينة بأجمعهم ويقولون: أسلمنا، فكانوا يضيقون على أهل المدينة منازلهم ويلوثون الطرقات، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فردهم رسول الله ﷺ إلى قبائلهم»(٢). وقوله: ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة﴾ معناه: هلاّ نفر من كل فرقة منهم طائفة، فعلى الأول معنى الآية: هو النهى عن ترك رسول الله ﷺ وحده. وقوله: ﴿ليتفقهوا فى الدين﴾ يعنى: ليحضروا نزول القرآن وبيان السنن ﴿ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم﴾ معناه: ليعلّموا السرية إذا رجعوا إليهم ما نزل من القرآن والسنن.

وعلى القول الثانى معنى الآية: ما كان لأهل القبائل أن ينفروا جميعا إلى المدينة

(١) ذكره الواحدى فى أسباب النزول (ص١٩٩) من رواية الكلبى عن ابن عباس.

(٢) رواه الطبرى (١١/ ٥٠) عن ابن عباس، وعزاه السيوطى فى الدر (٣/ ٣١٧) لابن أبى حاتم أيضًا.

لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾

ويتركوا مواضعهم؛ ولكن لينفر من كل فرقة طائفة أى: من كل قبيلة طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم وليعلموا قومهم إذا رجعوا إليهم ﴿لعلهم يحذرون﴾.

وأما الطائفة: فهو اسم لثلاثة فما زاد، وقد ورد فى القرآن ذكر الطائفة، والمراد منه: الواحد، وقد ذكرناه فى قوله تعالى: ﴿إن نعف عن طائفة منهم﴾[(١)] من قبل.

واستدل أهل الأصول بهذه على وجوب قبول خبر الواحد، والمسألة فى الأصول (كبيرة)[(٢)].

وأما الفقه فهو فى اللغة: عبارة عن الفهم، وفى الشرع: عبارة عن علم مخصوص وهو علم الأحكام.

وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين»[(٣)]. وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «الناس معادن، فخيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا»[(٤)]. وفى بعض الأخبار: «أفضل العبادة: الفقه، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد»[(٥)]. وعن الشافعى - رضى الله عنه - أنه قال: طلب

(١) التوبة: ٦٦. (٢) فى «ك»: كثيرة.

(٣) متفق عليه من حديث معاوية بن أبى سفيان، رواه البخارى (١/١٩٧/رقم٧١)، ومسلم (٧/١٧٩-١٨٠/رقم١٠٣٧)، وقد تقدم.

(٤) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (٦/٦٠٨/رقم٣٤٩٣،٣٤٩٤)، ومسلم (١٥/١١٧-١١٨/رقم٢٥٢٦).

(٥) رواه الطبرانى فى الصغير (٢/٢٥١/رقم ١١١٤)، والأوسط كما فى مجمع البحرين (١/١٩٢/رقم ١٩٥) عن ابن عمر وقال الهيثمى فى المجمع (١/١٢٥): رواه الطبرانى فى الثلاثة، وفيه محمد بن أبى ليلى، ضعفوه لسوء حفظه. وقال العراقى فى تخريج الإحياء (١/٧): عند الطبرانى من حديث ابن عمر بسند ضعيف. قلت: والشطر الثانى منه رواه البخارى فى تاريخه الكبير (٣/٣٠٨)، والترمذى (٥/٤٦-٤٧/رقم٢٦٨١)، وابن ماجة (١/٨١/رقم٢٢٢) والخطيب فى الفقيه والمتفقه (١/٢٤)، والآجرى فى أخلاق العلماء (ص٢٤-٢٥) وابن عبد البر فى جامع بيان العلم (١/١٢٥) وابن الجوزى فى العلل (١/١٣٤) من حديث ابن عباس. وروى أيضاً من حديث أبى هريرة وغيره، انظر جامع بيان العلم.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي

العلم أفضل من صلاة النافلة.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار﴾ يعنى: يقربون منكم. وعن عمر: هم الديلم، وعن غيره: هم الروم ﴿وليجدوا فيكم غلظة﴾ قال ابن عباس: شجاعة. وقال الحسن: صبرا على الحرب ﴿واعلموا أن الله مع المتقين﴾ ظاهر.

قوله تعالى: ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا﴾ هذا فى المنافقين الذين كانوا يقولون هذا القول استهزاء، فقال الله تعالى: ﴿فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون﴾ وهم يفرحون.

ثم قال: ﴿وأما الذين فى قلوبهم مرض﴾ أى: شك ونفاق ﴿فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾ أى: كفر إلى كفرهم. فإن قال قائل: كيف يزيد إنزال السورة لهم كفرا؟

الجواب: أنهم كانوا يكفرون بكل سورة أنزلها الله تعالى، فلما كفروا عند إنزال السورة نسب كفرهم إليها، وهذا كما تقول العرب: كفى بالسلامة داء؛ لأن الداء يكون عند طول السلامة، قال الشاعر:

أرى بصرى قد رابنى بعد صحة ... وحسبك داء أن تصح وتسلما

وقوله تعالى: ﴿أو لايرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين﴾ معناه: يبتلون فى كل عام بالأمراض والشدائد، وقيل: بالجهاد مع الأعداء ﴿ثم لايتوبون﴾ لايرجعون إلى الله ﴿ولاهم يذكرون﴾ ولاهم يتعظون.

قوله تعالى: ﴿وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض﴾ الآية، كان المنافقون إذا نزلت السورة أو شىء من القرآن يومئ بعضهم إلى بعض، ويخافون مع ذلك أن

كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لا يَتُوبُونَ وَلا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ

يراهم المؤمنون، فهذا معنى قوله: ﴿هل يراكم من أحد﴾ ثم قال: ﴿ثم انصرفوا﴾ فيه معنيان: أحدهما: انصرفوا عن مواضعهم، والآخر: انصرفوا عن الإيمان، أي: لم يؤمنوا ولم يقبلوا.

وقوله: ﴿صرف الله قلوبهم﴾ قال أبو إسحاق الزجّاج: أضلهم الله مجازاة على كفرهم ﴿بأنهم قوم لا يفقهون﴾ معلوم المعنى.

قوله تعالى: ﴿لقد جاءكم رسول من أَنْفُسِكُم﴾ قرئ في الشاذ: من أَنْفَسِكُم، ويقال: إن هذه القراءة قراءة فاطمة - رضي الله عنها - قال يعقوب الحضرمي: طلبت هذا الحرف خمسين سنة فلم أجد له راويا. ومعنى هذا: أشرفكم وأفضلكم.

والقراءة المعروفة: ﴿من أَنْفُسِكُم﴾ قال قتادة: ومعناه: إنَّ نَسَبَهُ معروف بينكم.

والقول الثاني: حكى عن جعفر بن محمد - رضي الله عنه - أنه قال: ﴿من أنفسكم﴾ معناه: أنه لم يولد إلا من نكاح صحيح إلى زمان آدم.

والقول الثالث: حكى عن ابن عباس أنه قال: معناه: أنه ليس بطن من بطون العرب إلا وقد ولدت النبي ﷺ.

والقول الرابع: أن معنى هذا هو معنى قوله تعالى: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم﴾(١) وإذا كان الرسول بشرا مثل القوم؛ فيكون أقرب للألفة وأدنى لفهم الحجة.

وقوله: ﴿عزيز عليه ما عنتم﴾ أي: شديد عليه عنتكم، والعنت: هو المكروه ولقاء الشدة، كأنه قال: شديد عليه ما يضركم ويهلككم، وهو الكفر الذي أنتم عليه.

وقوله تعالى: ﴿حريص عليكم﴾ الحرص: شدة طلب الشيء، ومعناه: حريص

(١) الكهف: ١١٠

عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

على إيمانكم ﴿ بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾ عطوف رفيق.

وقد أعطاه الله تعالى فى هذه الآية اسمين من أسمائه، وهو فى نهاية الكرامة.

قوله تعالى: ﴿ فإن تولوا ﴾ معناه: فإن أعرضوا عن الإيمان أو عنك ﴿ فقل حسبى الله ﴾ كافىَّ الله أى: يكفينى الله ﴿ لا إله إلا هو عليه توكلت ﴾ عليه اعتمدت وبه وثقت ﴿ وهو رب العرش العظيم ﴾ قرأ ابن محيصن: «ربُّ العرش العظيمُ» بالرفع، فرجع إلى الله تعالى، والقراءة المعروفة بالكسر، وهو يرجع إلى العرش. وعن بعض التابعين: لايعرف أحد قدر العرش سوى الله تعالى. وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ أنه قال: «العرش من ياقوتة حمراء»[1]. وعن وهب بن منبه: أن الله تعالى خلق العرش من نوره. وعن كعب الأحبار: أن السموات فى العرش كقنديل معلق من السماء. وعن مجاهد: أن السموات فى العرش كحلقة. وحكى عن أبىّ بن كعب أنه قال فى هاتين الآيتين: هما أحدث الآيات بالله عهدا. فعلى قوله: هاتان الآيتان آخر ما أنزل من القرآن. وهو رواية أيضًا عن ابن عباس وقد ذكرنا غير هذا برواية البراء بن عازب، والله أعلم بالصواب.

(١) رواه أبو الشيخ فى العظمة (ص٩٦ – ٩٧ رقم ٢٤٩) عن الشعبى مرسلاً. ورواه أيضًا فى (ص٨٥/رقم ٢١٧) عن سعد الطائى من قوله.

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا

تفسير سورة يونس

وهى مكية إلا ثلاث آيات، وهو قوله تعالى: ﴿فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك﴾(١) إلى آخر الآيات الثلاث.

وحكى عن محمد بن سيرين أنه قال: هذه السورة كانت بعد السورة السابقة.

قوله تعالى: ﴿الٓر﴾ روى أبو الضحى عن ابن عباس قال: ﴿الٓر﴾ أنا الله أرى. وروى عن عكرمة، عن ابن عباس قال: الر، وحم، ونون هو تمام اسم الرحمن.

وفى الحروف المهجيَّات أقوال ذكرناها فى أول سورة البقرة.

وقوله: ﴿تلك آيات الكتاب﴾ قال أبو عبيدة: معناه: هذه آيات الكتاب. قال الشاعر:

تلكَ خَيْلى منه وتلكَ ركابى   هنّ صفرٌ أولادها كالزبيب

وقال الزجاج: معنى الآية: وهو أن الآيات التى أنزلتها عليك من قبل ﴿تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ والكتاب: هو القرآن، والحكيم: هو المُحْكَم، على قول أكثر المفسرين، فعيل بمعنى مُفْعَل، مثل قوله: ﴿هذا ما لدى عتيد﴾(٢) أى: مُعْتَد. وقال بعضهم: الحكيم على وضعه، وسمى القرآن حكيما؛ لأنه كالناطق بالحكمة.

قوله تعالى: ﴿أكان للناس عجبا﴾ العجب: حالة تعترى الإنسان من رؤية شىء على خلاف العادة.

وسبب نزول هذه الآية: أن الله تعالى لما بعث محمدا ﷺ قال المشركون: أما وجد

(١) يونس: ٩٤.

(٢) ق: ٢٣.

أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾

الله نبيًا سوى يتيم أبى طالب، فأنزل الله تعالى هذه الآية وهى قوله: ﴿أكان للناس عجبا﴾ ومعناه: أعجب الناس، يعنى: المشركين[1] ﴿أن أوحينا إلى رجل منهم﴾ والرجل ها هنا: النبى ﷺ، وقوله: ﴿منهم﴾ قالوا: معناه: إنه رجل يعرفونه باسمه ونسبه، لايكتب، ولايشعر، ولايتكهن، ولايكذب.

وقوله: ﴿أن أنذر الناس﴾ الإنذار: هو الإعلام مع التخويف. وقوله: ﴿وبشر الذين آمنوا﴾ قد بيّنا معنى البشارة. وقوله: ﴿أن لهم قدم صدق عند ربهم﴾ فيه أربعة أقوال:

القول الأول - وهذا قول الأكثرين - أن القدم الصدق: هو الأعمال الصالحة، يقال: لفلان قدم فى الشجاعة، وقدم فى العلم، ويقال: فلان وضع قدمه فى كذا، إذا شرع فيه بعمله.

والقول الثانى: أن القدم الصدق: هو الثواب.

والقول الثالث: حكى عن ابن عباس أنه قال: القدم الصدق: هو السعادة فى الذكر الأول.

والقول الرابع: أن المراد منه: هو الرسول ﷺ، وقدم صدق: شفيع صدق، قاله مقاتل بن حيان.

قوله تعالى: ﴿قال الكافرون إن هذا لساحر مبين﴾ وقرئ بقراءتين: «لساحر مبين»، و«إن هذا لسحر مبين»[2]؛ فالساحر ينصرف إلى الرسول، والسحر ينصرف إلى القرآن.

(١) فى «ك»: المشركون، وهو خلاف الجادة.

(٢) قرأ حمزة، والكسائى، وخلف، وابن كثير وعاصم. بألف بعد السين وكسر الحاء، وقرأ الباقون بكسر السين وإسكان الحاء من غير ألف. انظر النشر (٢/ ٢٥٦).

إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

قوله تعالى: ﴿إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام﴾ فى الأيام قولان:

أحدهما: أنها كأيام الآخرة، كل يوم ألف سنة. والآخر: أنها كأيام الدنيا.

قوله: ﴿ثم استوى على العرش﴾ قد بيّنا مذهب أهل السنة فى الاستواء؛ وهو أنه نؤمن به ونكل علمه إلى الله تعالى من غير تأويل ولا تفسير.

وأما المعتزلة: فإنهم أولوا الاستواء بالاستيلاء، وهو باطل عند أهل العربية.

حكى عن أحمد بن أبى داود - وكان من رؤساء المعتزلة - أنه قال لابن الأعرابى: أتعرف العرب الاستواء بمعنى الاستيلاء؟ فقال: لا. ويحكى أن هذه المسألة جرت فى مجلس المأمون، فقال بشر المريسى: الاستواء بمعنى الاستيلاء، فقال له أبو السمراء - وهو رجل من أهل اللغة - أخطأت ياشيخ؛ فإن العرب لاتعرف الاستيلاء إلا بعد عجز سابق.

قوله تعالى: ﴿يدبر الأمر﴾ قال مجاهد: يقضى الأمر ﴿ما من شفيع إلا من بعد إذنه﴾ معناه: أن الشفعاء لايشفعون إلابإذنه، وهذا ردّ على النضر بن الحارث، فإنه كان يقول: إذا كان يوم القيامة يشفعنى اللات و العزى. قوله تعالى ﴿ذلكم الله ربكم﴾ يعنى: ذلك الذى فعله هذا ربكم ﴿فاعبدوه أفلا تذكرون﴾ أفلا تتعظون.

قوله تعالى: ﴿إليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا﴾ نصب وعد الله حقا يعنى: وعد الله وعداً حقاً ﴿إنه يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ معناه معلوم ﴿ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط﴾ قال ابن عباس: بالعدل ﴿والذين كفروا لهم شراب من حميم﴾ الحميم هو الماء الذى انتهى حره. وفى القصص: أن النار أوقدت عليه منذ يوم خلقها إلى أن يدخل الكفار [فى][1] النار. قوله: ﴿وعذاب أليم بما كانوا

(١) من «ك».

الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ

يكفرون ﴾ أى: عذاب موجع بكفرهم.

قوله تعالى: ﴿ هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا ﴾ الآية، الشمس والقمر جسمان نيّران، أحدهما أضوأ من الآخر، وقوله: ﴿ جعل الشمس ضياء ﴾ أى: ذات ضياء ﴿ والقمر نورا ﴾ أى: ذا نور. وقوله: ﴿ وقدره منازل ﴾ منهم من قال: هذا ينصرف إلى القمر خاصة، ومنهم من قال: ينصرف إليهما، إلا أنه اكتفى بذكر أحدهما عن الآخر.

ومنازل القمر ثمانية وعشرون منزلا، أساميها معلومة عند العرب، تكون أربعة عشر منها ظاهرة أبدا، وأربعة عشر منها غائبة أبدا، وكلما طلع واحد غاب واحد، والقمر ينزل كل ليلة منزلا منها.

وقوله تعالى: ﴿ لتعلموا عدد السنين والحساب ﴾ يعنى: قدره منازل لتعلموا عدد السنين وحساب الشهور والأيام. وقوله: ﴿ ما خلق الله ذلك إلا بالحق ﴾ أى: للحق.

قوله: ﴿ يفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ معلوم المعنى.

قوله تعالى: ﴿ إن فى اختلاف الليل والنهار ﴾ معناه معلوم إلى آخر الآية، وقد ذكرنا من قبل.

قوله تعالى: ﴿ إن الذين لايرجون لقاءنا ﴾ قوله: «لايرجون» فيه قولان:

أحدهما: لايخافون، والآخر: لايطمعون.

وقوله: ﴿ لقاءنا ﴾ قد بينا من قبل. وقوله تعالى: ﴿ ورضوا بالحياة الدنيا ﴾ قال قتادة: لها يطلبون وبها يفرحون. وقوله تعالى: ﴿ واطمأنوا بها ﴾ سكنوا إليها. قوله تعالى: ﴿ والذين هم عن آياتنا غافلون ﴾ الغفلة سهو يعترى القلب يصرفه عن وجد

﴿٧﴾ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَوْ

العلم.

ثم قال: ﴿أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون﴾ معناه معلوم.

قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم﴾ قال مجاهد: هذا هو معنى قوله تعالى: ﴿نورا يمشى به﴾(١). وقال غيره: يهديهم ربهم: يرشدهم ربهم بإيمانهم إلى الجنة ﴿تجرى من تحتهم الأنهار﴾ أى: من تحت الأشجار. قوله: ﴿فى جنات النعيم﴾.

ثم قال: ﴿دعواهم فيها﴾ معناه: دعاؤهم فيها ﴿سبحانك اللهم﴾ هذا كلمة تنزيه وتبرئة الرب عن السوء. وفى الأخبار: «أن قوله: ﴿سبحانك اللهم﴾ علامة بين أهل الجنة والخدم، وإذا أرادوا الطعام قالوا: سبحانك اللهم، فيدخل الخدم بالموائد، كل مائدة ميل فى ميل، قوائمها من اللؤلؤ، على كل مائدة سبعون ألف صحفة، فى كل صحفة لون من الطعام لايشبه بعضه بعضا، ثم تجيء الطير كأمثال البخت، قوائمها لون، وأجنحتها لون، وبطونها وظهورها لون، فيقع بين أيدى أهل الجنة فيأكلون منها مايشاءون، ثم تطير كما كانت»(٢).

وقوله تعالى: ﴿وتحيتهم فيها سلام﴾ يعنى: تحية بعضهم بعضا يكون بالسلام، ويقال معناه: إن تحية الملائكة لهم بالسلام، ويقال: إن تحية الله لهم بالسلام.

قوله تعالى: ﴿وآخر دعواهم﴾ معناه: وآخر قولهم: ﴿أن الحمد لله رب العالمين﴾ فيكون ابتداء أمرهم بالتسبيح، وانتهاء أمرهم بالحمد والشكر.

---

(١) الأنعام: ١٢٢.

(٢) أخرجه ابن مردويه فى التفسير من حديث أبى بن كعب مرفوعًا كما فى الدر (٣/٣٢٦) ولفظه: «إذا قالوا سبحانك اللهم أتاهم ما اشتهوا من الجنة من ربهم». ورواه بنحوه أبو نعيم فى صفة الجنة (ص١٠٤-١٠٥/رقم ٢٧٨) من طريق أيوب بن سويد عن سفيان قوله. وأيوب تالف.

يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١) وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ

قوله تعالى: ﴿ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير﴾ قال ابن عباس: هذا فى قول الرجل يقول عند الغضب لأهله وولده: لعنكم الله، لابارك الله فيكم، ومعناه: ولو يعجل الله للناس الشر - يعنى: المكروه - استعجالهم بالخير أى: كما يحبّون استعجالهم بالخير ﴿لقضى إليهم أجلهم﴾ فهلكوا جميعا وماتوا. وقوله: ﴿فنذر الذين لايرجون لقاءنا﴾ أى: لايخافون لقاءنا ﴿فى طغيانهم﴾ أى: فى ضلالتهم. قوله ﴿يعمهون﴾ يترددون، وقيل: يتمادون، وقد ثبت الخبر عن النبى ﷺ أنه قال: «اللهم إنى بشر أغضب كما يغضب البشر، فأيما [رجلٍ][1] سببته أو لعنته فاجعلها له طهرة ورحمة»[2]. وفى الباب روايات كثيرة كلها صحيحة.

قوله تعالى: ﴿وإذا مس الإنسان الضر﴾ أى: المكروه ﴿دعانا لجنبه أو قاعدا أوقائما﴾ قال أهل التفسير: هذا يحتمل معنيين:

أحدهما: إذا مس الإنسان الضر لجنبه أو قاعدا أو قائما دعانا.

والآخر: يحتمل إذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما، يعنى: على هذه الأحوال كلها.

قوله تعالى: ﴿فلما كشفنا عنه ضره مر﴾ فيه معنيان:

أحدهما: مرّ طاغيا كما كان من قبل، والآخر: استمر على ما كان من قبل. قال بعضهم فى هذا المعنى:

كأن الفتى لم يعر يوما إذا اكتسى ... ولم تكُ صعلوكـــا إذا مـــا تمولا

قوله تعالى: ﴿كأن لم يدعنا إلى ضر مسه﴾ معناه: كأن لم يطلب منا كشف ضرّ مسه. قوله ﴿كذلك زيّن للمسرفين﴾ قال ابن جريج: كذلك زيّن للمسرفين ﴿ما

(١) من «ك»، وفى الأصل: رجلا.

(٢) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (١١ / ١٧٥ رقم ٦٣٦١)، ومسلم (١٦ / ٢٣٠ - ٢٣١ رقم ٢٦٠١)، ورواه مسلم عن جابر (١٦ / ٢٣١ رقم ٢٦٠٢)، وعن عائشة (١٦ / ٢٢٧ - ٢٢٨ رقم ٢٦٠٠)، وعن أنس (١٦ / ٢٣٢ - ٢٣٣ رقم ٢٦٠٣).

قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن

كانوا يعملون ﴾ من الدعاء عند البلاء، وترك الشكر عند الرخاء. وفيه معنى آخر: وهو أنه كما زين لكم أعمالكم، كذلك زين للمسرفين الذين كانوا من قبلكم أعمالهم.

قوله تعالى: ﴿ ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لماظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات ﴾ معناه معلوم. وقوله: ﴿ وما كانوا ليؤمنوا ﴾ قال الزجاج: هذا فى قوم علم الله أنهم لايؤمنون. وقال ابن الأنبارى: منعهم الله من الإيمان جزاء على كفرهم. قوله: ﴿ كذلك نجزى القوم المجرمين ﴾ وهذا دليل على أن قول ابن الأنبارى أصح.

قوله تعالى: ﴿ ثم جعلناكم خلائف فى الأرض من بعدهم ﴾ يعنى: خلفاء فى الأرض من بعدهم ﴿ لننظر كيف تعملون ﴾ ومعناه: ليختبركم فينظر كيف تعملون.

روى عن عمر - رضى الله عنه - أنه قال: يا ابن أم عمر، لقد استخلفت، فانظر كيف تعمل.

وروى أنه قال فى موعظته: أيها المؤمنون، إن الله استخلفكم لينظر كيف تعملون، فأروا الله أعمالكم الحسنة، وكفوا عن الأعمال القبيحة.

قوله تعالى: ﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لايرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله ﴾ روى فى التفاسير أن المشركين قالوا للنبى ﷺ: يامحمد، إن كنت تريد أن نؤمن لك فأت بقرآن ليس فيه سب آلهتنا، وليس فيه ذكر البعث والنشور، وإن لم ينزله الله هكذا، فقله من عند نفسك، فأنزل الله تعالى هذه الآية. فإن قال قائل: أيش الفرق بين قوله: ﴿ ائت بقرآن غير هذا ﴾ [وقوله](1): ﴿ أو بدله ﴾ أليس معناهما واحد؟

---

(1) زيادة يتطلبها السياق.

بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن

الجواب: أن معناهما مختلف، وقوله: ﴿ائت بقرآن غير هذا﴾ يجوز أن يأتى بغيره معه، وقوله: ﴿أو بدله﴾ لايكون إلا أن يترك هذا ويأتى بغيره.

قوله تعالى: ﴿قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى إن أتبع إلا ما يوحى إلىّ إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم﴾ معلوم المعنى، وكأنه قال: لم أقل هذا من تلقاء نفسى حتى أقول غيره من تلقاء نفسى.

ثم قال: ﴿قل لو شاء الله ما تلوته عليكم﴾ يعنى: لو شاء الله ما أنزل القرآن علىَّ، ﴿ولا أدراكم به﴾ أى: ولا أعلمكم الله به ﴿فقد لبثت فيكم عمرا من قبله﴾ العُمْر والعُمُر بمعنى واحد، قال الشاعر:

بانَ الشبابُ وأخلفَ العُمْرُ(1) وتنكــرَ الإخــوانُ والدَّهــْرُ

وقدر العمر الذى لبث فيهم من قبله: هو أربعون سنة باتفاق أهل العلم؛ فإن النبى ﷺ بعث إليهم وهو ابن أربعين سنة، ولبث بمكة ثلاث عشرة سنة، وبالمدينة عشرا، وتوفى وهو ابن ثلاث وستين سنة. وفى رواية عن أنس «أن النبى ﷺ مكث بمكة عشراً، وبالمدينة عشراً وتوفاه الله على رأس ستين سنة. والرواية الأولى أظهر وأشهر.

قوله: ﴿أفلا تعقلون﴾ معناه: أفلا تفقهون.

قوله تعالى: ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته إنه لايفلح المجرمون﴾ معلوم المعنى.

قوله تعالى: ﴿ويعبدون من دون الله ما لايضرهم ولا ينفعهم﴾ فإن قال قائل:

(1) فى لسان العرب (مادة: عمر): لحم من اللثة سائل بن كل سنّين وقال ابن الأثير: وقد يضم، وعزا البيت لابن أحمر. وفيه أيضاً: وتبدل الإخوان بدل وتنكر.

افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ النَّاسُ

كيف قال: ﴿ولايضرهم﴾ ولاشك أنه ضرّهم؟

الجواب عنه معناه: لايضرهم إن تركوا عبادته، ولاينفعهم إن عبدوه. وقوله: ﴿ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ فإن قال قائل: كيف قالوا: هولاء شفعاؤنا عند الله وهم لايؤمنون بالبعث؟

الجواب: أنهم كانوا يقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله فى مصالح معايشنا فى الدنيا.

وقوله تعالى: ﴿قل أتنبئون الله﴾ أى: أتخبرون الله؟ ﴿بما لايعلم فى السموات ولا فى الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ معلوم المعنى.

وحقيقة الآية: الردّ أو الإنكار عليهم.

قوله تعالى: ﴿وما كان الناس إلا أمة واحدة﴾ فيه قولان:

أحدهما: قول مجاهد وهو: أن الناس كانوا على الإسلام فى زمان آدم إلى أن قتل أحد ابنيه الآخر ﴿فاختلفوا﴾.

والقول الثانى: أن العرب كانوا على دين إبراهيم حتى اختلفوا. ومن المعروف أن أول من غيّر دين إبراهيم من العرب هو عمرو بن لحى. وثبت أن النبى ﷺ قال: «رأيت [عمرو](١) بن لحى يجر قصبه فى النار»(٢).

ويقال فى الآية: إن المراد من «الأمة» أهل سفينة نوح عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ يعنى: فى التأجيل والإمهال ﴿لقضى بينهم فيما فيه يختلفون﴾ أى: لحكم بينهم فيما فيه يختلفون.

(١) فى الأصل: «عمر» وهو سبق قلم.

(٢) متفق عليه من حديث أبى هريرة، وقد تقدم فى سورة المائدة.

إلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ
الْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ

قوله تعالى: ﴿ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه﴾ فإن قال قائل: أليس الرسول قد أتى بالآيات على زعمكم؟

الجواب عنه: بلى، ومعنى الآية: هلاَّ أنزل عليه آية من ربه على ما نقترحه.

﴿فقل إنما الغيب لله﴾ يعني: علم الغيب لله، إن شاء أتى بالآية التي تسألونها وإن شاء لم يأت ﴿فانتظروا إني معكم من المنتظرين﴾ يعني: انتظروا الغيب إني معكم من المنتظرين.

قوله تعالى: ﴿وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم﴾ الذوق: تناول ماله طعم بفمه ليجد طعمه، فأما الرحمة هاهنا فيها قولان:

أحدهما: أنها العافية، والآخر: أنها الخصب والنعمة.

والضراء فيها قولان:

أحدهما: أنها الشدة، والآخر: أنها الجدب والقحط.

﴿مستهم﴾ أي: أصابتهم. وقوله تعالى: ﴿إذا لهم مكر في آياتنا﴾ المكر: صرف الشيء عن وجهه بطريق الحيلة. قال مجاهد: ﴿إذا لهم مكر في آياتنا﴾ أي: تكذيب واستهزاء.

وقوله تعالى: ﴿قل الله أسرع مكرا﴾ يعني: أشد أخذا. ويقال: معناه: إن ما يأتي من العذاب من قبله أسرع في إهلاككم مما يأتي منكم في دفع الحق وتكذيبه. وقوله: ﴿إن رسلنا يكتبون ما تمكرون﴾ معناه معلوم.

قوله تعالى: ﴿هو الذي يسيركم في البر والبحر﴾ قرئت بقراءتين: «يسيركم» و«يَنْشُركم»(١)، والمعروف: «يسيركم» ومعناه: تسهيل طريق السير عليكم في البر والبحر. وأما من قرأ: «ينشركم» معناه: يبثكم. وروى عن الضحاك أنه قال: البحر هو الأمصار، والبَرَّ هو البوادي. وقوله تعالى: ﴿حتى إذا كنتم في الفلك﴾ قال أهل

(١) وهي قراءة أبي جعفر، وابن عامر. انظر النشر (٢ / ٢٨٢).

اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ

اللغة: الفلك تؤنث وتذكر. قال الله تعالى: ﴿فى الفلك المشحون﴾ وقال هاهنا: ﴿وجرين بهم﴾ وقالوا أيضا: إن الفلك يكون بمعنى الواحد وبمعنى الجمع. وقوله: ﴿بريح طيبة﴾ أى: هينة لينة.

وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «الريح من روح الله، فسألوا الله من خيرها، وتعوذوا بالله من شرها»(١).

فإن قال قائل: كيف قال: ﴿حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم﴾ فهذا تغيير الكلام عن وجهه؟

والجواب عنه: أن العرب تقيم المعاينة مقام المخاطبة، والمخاطبة مقام المعاينة، قال الشاعر:

وشَطَّتْ مَزَارَ العاشقين فأصبحت ... عَسِيرًا علىَّ طِلابُك ابنة مَخْرَمِ(٢)

ومنهم من قال: معنى الآية: حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة يامحمد. وقوله: ﴿وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف﴾ وهى الشديدة المهلكة، قال الشاعر:

فى فيلق شهباء ملمومـة ... تعصف بالحاسر والدارع

وقوله: ﴿وجاءهم الموج من كل مكان﴾ الموج: ما يظهر على البحر من الريح.

---

(١) رواه البخارى فى الأدب المفرد (ص٢١١-٢١٢)، وأبو داود (٤/٣٢٦/رقم٥٠٩٧)، والنسائى فى الكبرى (٦/٢٣٠، ٢٣١/رقم ١٠٧٦٥،١٠٧٦٦،١٠٧٦٧)، وابن ماجة (٢/١٢٤٨/رقم٣٧٢٧)، وأحمد(٢/٢٥٠،٤٣٦، ٤٣٧)، وابن أبى شيبة (١٠/٢١٧)، وابن حبان - الإحسان - (٣/٢٨٧/رقم١٠٠٧)، والحاكم (٤/٢٨٥) وصححه على شرط الشيخين، كلهم من حديث أبى هريرة.

(٢) كذا فى الأصل، وفى لسان العرب (مادة شطط):
عَسِرًا علىَّ طلابُها ابنةُ مخرم.
وقال محققه: وهو فى معلقة عنترة:
حَلَّتْ بأرضِ الزائرين فأصبحت ... عسِرًا علىَّ طِلابك ابنة مخـرم

﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾

وقوله: ﴿وظنوا﴾ وتيقنوا ﴿أنهم أحيط بهم﴾ يقال لمن كان فى بلاء وشدة: إنه قد أحيط به. وقوله: ﴿دعوا الله مخلصين له الدين﴾ معناه: أنهم أخلصوا فى الدعاء، ولم يدعوا أحدا سوى الله. وقوله: ﴿لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين﴾ معناه معلوم.

ثم قال تعالى: ﴿فلما أنجاهم إذا هم يبغون فى الأرض بغير الحق﴾ البغى: هو قصد الاستعلاء على الغير بالظلم، والبغى ها هنا بمعنى الفساد، ويقال: بغى الجرح إذا أدّى إلى الفساد، وبغت المرأة إذا فجرت.

وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «لايؤخر الله صاحب بغى»(١) أى: لايمهله. وفى الأخبار - أيضًا -: «البغى مصراعة»(٢).

ثم قال: ﴿يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم﴾ أى: وبال بغيكم عليكم. قوله ﴿متاعَ الحياة الدنيا﴾ وقرئ: «متاعُ الحياة الدنيا»(٣)؛ فمن قرأ بالرفع معناه: هو متاع الحياة الدنيا، ومن قرأ بالنصب معناه: يمتعون متاع الحياة الدنيا. وعن الأعمش قال: المتاع: زاد الراكب. وقال أهل المعانى: حقيقة معنى الآية: أن البغى متاع الحياة الدنيا.

---

(١) رواه ابن أبى حاتم فى التفسير كما فى الدر (٣/٣٢٩) عن زيد بن أسلم مرفوعًا، ولفظه: «لايؤخر الله عقوبة البغى» ورواه البخارى فى الأدب (ص١٢/رقم٢٩)، وأبو داود فى سننه (٤/٢٧٦/رقم٤٩٠٢)، والترمذى (٤/٥٧٣/رقم٢٥١١)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجة (٢/١٤٠٨/رقم٤٢١١)، وأحمد (٥/٣٦، ٣٨) وابن المبارك فى الزهد (ص٢٥٢/رقم٧٢٥) وابن حبان - الإحسان - (٢/٢٠٠، ٢٠١/رقم٤٥٥، ٤٥٦)، والحاكم (٢/٣٥٦)، (٤/١٦٢-١٦٣) عن أبى بكرة، عن النبى ﷺ قال: «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة فى الدنيا - مع ما يدخر له فى الآخرة - من البغى، وقطيعة الرحم».

(٢) ذكر ابن أبى الدنيا فى «ذم البغى» (ص٧٩/رقم٢٦) وهو أن دهقانًا قال لأسد بن عبد الله القسرى البجلى، أخو خالد بن عبد الله وهو أمير على خرسان: «يا أسد، إن البغى يصرع أهله، والبغى مصرعه وخيم...» إلخ.

(٣) قرأ حفص بنصب العين، وقرأ الباقون برفعها. انظر النشر (٢/٢٨٣).

فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا

قوله تعالى: ﴿ ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون ﴾ أى: نخبركم بما كنتم تعملون.

قوله تعالى: ﴿ إنما مثل الحياة الدنيا ﴾ معناه: إنما صفة الحياة الدنيا ﴿ كماء أنزلناه من السماء ﴾ أى: من السحاب ﴿ فاختلط به نبات الأرض ﴾ يعنى: اختلط المطر بالنبات، والنبات بالمطر ﴿ مما يأكل الناس والأنعام ﴾ ظاهر المعنى، وقوله: ﴿ حتى إذا أخذت الأرض زخرفها ﴾ الزخرف: كمال الحسن، والذهب زخرف؛ لكماله فى الحسن، ومعنى الزخرف هاهنا: البهجة والنضرة. وقوله: ﴿ وازينت ﴾ أى: تزينت، وقالوا معناه: أنبتت وأثمرت وأينعت.

وقوله: ﴿ وظن أهلها أنهم قادرون عليها ﴾ معناه: وظن أهلها أنهم قادرون على جذاذها وقطافها وحصادها. وقوله: ﴿ أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً ﴾ أى: عذابنا ليلاً أو نهاراً. وقوله: ﴿ فجعلناها حصيدا ﴾ الحصيد: المحصود، والمعنى ها هنا: هو الاستئصال بالعذاب. وقوله: ﴿ كأن لم تغن بالأمس ﴾ قال مجاهد: معناه: كأن لم تعمر بالأمس. وقال غيره: كأن لم يكن قائماً بالأمس، يقال: غنى فلان بالمكان إذا قام فيه، والمغانى هى المنازل، قال لبيد:

ولقد سئمت من الحياة وطولها ... وسؤال هذا الناس كيف لبيد

وغنيتُ سَبْتًا قبل مَجْرَى دَاحِسٍ ... لو كان للنفسِ اللَّجُوجِ خلودُ

ومعنى غنيت: أقمت، والسبت: الدهر هاهنا.

قال قتادة: معنى الآية: هو أن المتشبث بالدنيا يأتيه أمر الله وعذابه أغفل ما يكون وأعجبه بها.

وقوله ﴿ كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون ﴾ ظاهر المعنى.

أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ

قوله تعالى ﴿ والله يدعو إلى دار السلام ﴾ فى الأخبار أن النبى ﷺ قال: «ما من يوم تطلع فيه الشمس إلا وبجنبتيها ملكان يسمعان الخلائق إلا الثقلين: ألا هلموا إلى ربكم، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ والله يدعو إلى دار السلام ﴾»(١). وفى الآثار - أيضا -: «أنه ما من يوم ولا ليل إلا وينادى مناد: يا طالب الخير هلم، ويا طالب الشر أقصر(٢).

وأما دار السلام: فالدار هى الجنة، وفى السلام قولان:

أحدهما: أنه هو الله. والآخر: أن السلام بمعنى السلامة؛ كأنه قال: يدعو إلى دار السلام من الآفات.

وروى أبو جعفر محمد بن على الباقر، عن جابر بن عبد الله الأنصارى - رضى الله عنهما - أن النبى ﷺ قال: «رأيت فى منامى كأن على رأسى جبريل، وكأن

---

(١) رواه الطبري (١١/ ٧٣)، وأحمد (٥/ ١٩٧)، وابن حبان (٨/ ١٢١/ رقم ٣٣٢٩)، والحاكم (٢/ ٤٤٥) وصحح إسناده، والطبراني في الأوسط - كما في مجمع البحرين (٨/ ٢٣٨ - ٢٣٩/ رقم ٥٠٣٥) عن أبي الدرداء.

وعزاه السيوطي في الدر (٣/ ٣٣٠) لابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في الشعب. وقال الهيثمي في المجمع (٣/ ١٢٥): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. وأعاده في (١٠/ ٢٥٨) وزاد في عزوه للطبراني في الكبير والأوسط، وقال: ورجال أحمد وبعض رجال الطبراني في الكبير رجال الصحيح.

(٢) روى أبو سعيد الخدري بنحوه عن النبي ﷺ وفيه زيادات، رواه البزار كما في مختصر الزوائد (٢/ ٤٦٩/ رقم ٢٢٣١) وقال: لا نعلم رواه إلا خارجة، وهو صالح. والحاكم (٤/ ٥٥٩) وقال: تفرد به خارجة بن مصعب عن زيد بن أسلم، وقال الذهبي في تلخيصه: خارجة ضعيف.

وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٣٤): روى ابن ماجة طرفًا منه، وفيه خارجة بن مصعب الخرساني، وهو ضعيف جداً، وقال يحيى بن يحيى: مستقيم الحديث، وبقية رجاله ثقات.

وله شاهد عن ابن مسعود مرفوعًا، عزاه الحافظ ابن حجر في المطالب (١/ ٢٥٩/ رقم٨٨٤) لأبي يعلى في مسنده.

كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾

على رجلى ميكائيل، فقال أحدهما لصاحبه: اضرب له مثلا، فقال الآخر: مثلك يا محمد مثل مَلك بنى داراً ثم بنى فى دارٍ بيتًا، ثم وضع فى البيت مأدبةً، ثم دعا إليها الناس، فمنهم التارك ومنهم المجيب، فالملك: هو الله تعالى، والدار: هو الإسلام، والبيت: الجنة، والداعى: أنت، فمن أجاب دخل الجنة، ومن دخل الجنة أكل منها»(١).

وقوله: ﴿ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ الصراط المستقيم: هو الإسلام، وفيه أقوال أخر، ذكرناها من قبل.

قوله تعالى: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ الإحسان هاهنا: الإسلام، والإحسان: هو قول لا إله إلا الله. واختلفوا فى الحسنى وزيادة، فرُوى عن أبى بكر الصديق وأبى موسى الأشعرى، وابن عباس، وحذيفة، وقتادة، وجماعة من التابعين أنهم قالوا: الحسنى: هى الجنة، والزيادة: هى النظر إلى الله عز وعلا. وروى أبو القاسم بن بنت منيع، عن هدبة بن خالد، عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى، عن صهيب - رضى الله عنهم - أن النبى ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله - تعالى -: يا أهل الجنة، إن لكم عندى موعدا وأنا منجزكموه، فقالوا: وما ذلك؟ ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تُثقل موازيننا؟ ألم تُدخلنا الجنة وتُخلصنا من النار؟ قال: فيتجلى لهم فينظرون إلى وجهه، فما أُعْطُوا شيئا هو أحب (إليهم)(٢) من النظر إليه، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾».

(١) أخرجه الحاكم (٢/٢٣٨ - ٢٣٩) وقال: صحيح الإسناد، ومن طريقه البيهقي في الدلائل (١/ ٣٧٠) والحديث رواه البخاري في صحيحه (١٣/ ٢٦٣/رقم ٧٢٨١) من طريق سعيد بن مينا عن جابر: ورواه الترمذي (٥/ ١٣٤/ رقم ٢٨٦٠)، والطبري في التفسير (١١/ ٧٣) من طريق سعيد بن أبي هلال عن جابر. وفي الباب عن ابن مسعود.

(٢) في «ك»: لهم.

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ

قال الإمام أبو المظفر: أخبرنا بهذا الحديث أبو الحسين أحمد بن محمد بن النقور – بالتخفيف – ببغداد قال: أخبرنا أبو القاسم بن حبابة قال: أخبرنا أبو القاسم بن بنت منيع ... الخبر خرجه مسلم فى «الصحيح»[(١)].

وفى الآية أقوال آخر.

ورُوىَ عن على – رضى الله عنه – أنه قال: الزيادة: غرفة من اللؤلؤ لها أربعة آلاف باب.

ورُوىَ عن الحسن البصرى أنه قال: الحسنى: هى المثل من الثواب، والزيادة: هى الزيادة على المثل إلى سبعمائة ضعف. وقال مجاهد: الحسنى: هى المثل، والزيادة: رضوان الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة﴾ القتر: سواد الوجه، وأصل (القتَار)[(٢)]: هو الدخان.

قوله: ﴿ولا ذلة﴾ أى: هوان.

قوله: ﴿أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ معناه ظاهر.

قوله تعالى ﴿والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها﴾ الآية، هذا هو معنى قوله تعالى ﴿ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها﴾[(٣)]. وقوله: ﴿[و][(٤)] ترهقهم ذلة﴾ أى: تغشاهم ذلة، أى: ذل. ﴿ما لهم من الله من عاصم﴾ أى: مانع. وقوله: ﴿كأنما أغشيت وجوههم قطعا﴾ قرئت بقراءتين: «قِطَعًا» و«قِطْعًا»[(٥)]، فالقِطَع –

(١) قرأ ابن كثير، ويعقوب، والكسائى بإسكان الطاء وقرأ الباقون بفتحها. انظر النشر (٢/٢٨٣).

(٢) أخرجه مسلم (٣/٢١ – ٢٢/ رقم ١٨١)، والترمذي (٥/٢٦٧/ رقم ٣١٠٥)، والنسائي في الكبرى (٦/٣٦١/ رقم ١١٢٣٤) وابن ماجه (١/٦٧/ رقم ١٨٧).

(٣) في «ك»: القتر.

(٤) الأنعام: ١٦٠.

(٥) من «ك».

وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ

بتحريك الطاء - جمع القطعة، والقِطْع - بسكون الطاء - واحد.

فإن قيل: كيف لم يقل: « قطعًا من الليل مظلمة »؟

قلنا: تقدير الآية: قِطعًا من الليل فى حال ظلمته، هكذا قاله أهل اللغة.

﴿ أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ ظاهر.

قوله تعالى: ﴿ ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم ﴾ الآية. معنى الآية: ثم نقول للذين أشركوا: الزموا أنتم وشركاؤكم مكانكم.

قوله: ﴿ فزيلنا بينهم ﴾ معناه: ميزنا بينهم يعنى: فرقنا بين المشركين والأصنام؛ وهو من قوله: زلت، لا من قوله: ذلت ﴿ وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون ﴾ الشركاء: هى الأصنام التى جعلوها شركاء لله تعالى على زعمهم. وقوله: ﴿ ما كنتم إيانا تعبدون ﴾ معناه: كنتم إيانا تعبدون بطلبنا ودعوتنا.

قوله تعالى: ﴿ فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين ﴾ معلوم المعنى.

قوله تعالى: ﴿ هنالك تبلو ﴾ الآية، قرئت بقراءتين: « تتلو » و« تبلو »[1] فقوله: « تبلو » قال مجاهد: تختبر، معناه: تجده وتقف عليه، وقوله « تتلو » قال الأخفش: يقرأ، فيكون فى معنى قوله: ﴿ يخرج له يوم القيامة ﴾ إلى قوله: ﴿ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾[2].

---

(١) قرأ حمزة، والكسائى، وخلف بتاءين من التلاوة. وقرأ الباقون بتاء، وباء من البلوى. انظر النشر (٢ / ٢٨٣).
(٢) الإسراء: ١٣ - ١٤.

شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ

والقول الثانى: أن معنى «تتلو»: تتبع، قال الشاعر:

أرى المُرِيبَ يتبع المُرِيبَا كما رأيت الذيب يتلوا الذيبا

قوله تعالى: ﴿كل نفس ما أسلفت﴾ أى: ما قدمت. قوله تعالى: ﴿وردوا إلى الله مولاهم الحق﴾ فإن قال قائل: قد قال فى موضع آخر: ﴿وأن الكافرين لا مولى لهم﴾(١) وقال هاهنا: ﴿وردوا إلى الله مولاهم الحق﴾ فكيف وجه الآيتين؟.

الجواب عنه: أن المولى هناك بمعنى الناصر والحافظ، والمولى هاهنا بمعنى المالك، فلم يكن بين الآيتين اختلاف.

وقوله [تعالى](٢) ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ أى: فات عنهم ما كانوا يكذبون.

قوله تعالى: ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض﴾ الرزق من السماء بالمطر، ومن الأرض بالنبات. وقوله: ﴿أم من يملك السمع والأبصار﴾ معناه: ومن أعطاكم الأسماع والأبصار. وقوله ﴿ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى﴾ معناه: ومن يخرج النطفة من الحى، والحى من النطفة، والسنبلة من الحب، والحب من السنبلة، والبيض من الطير والطير من البيض، والشجر من النواة، والنواة من الشجر، والمؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن.

وقوله ﴿ومن يدبر الأمر﴾ ومن يقضى الأمر. وقوله: ﴿فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾ معناه: أفلا تتقون الشرك مع هذا الإقرار.

قوله تعالى: ﴿فذلكم الله ربكم الحق﴾ معناه: فذلكم الذى صفته هذا هو ربكم الحق. وقوله: ﴿فماذا بعد الحق إلا الضلال﴾ معناه: فماذا بعد الحق إلا الباطل.

(١) محمد: ١١.

(٢) من «ك».

وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾

ورُوِىَ عن حرملة أنه قال: سألت (مالك بن أنس)[1] عن الغناء، فقرأ هذه الآية: ﴿ فماذا بعد الحق إلا الضلال ﴾

وروى عن القاسم بن محمد من التابعين نحواً من هذا فى هذا المعنى. وقوله ﴿ فأنى تصرفون ﴾ أى: كيف يُعدل بكم عن وجه الحق؟.

قوله تعالى: ﴿ كذلك حقت ﴾ أى: وجبت ﴿ كلمة ربك ﴾ أى: حكمة ربك ﴿ على الذين فسقوا ﴾ أى: كفروا ﴿ أنهم لا يؤمنون ﴾ قال أهل التفسير: هذا فى أقوام بأعيانهم علم الله أنهم لا يؤمنون.

قوله تعالى: ﴿ قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده ﴾ معناه: ينشئ الخلق ثم يعيده. وقوله: ﴿ قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده ﴾ معناه: ينشئ الخلق ثم يعيده، ومعنى الإعادة: هى الإحياء للبعث يوم القيامة. وقوله ﴿ فأنى تؤفكون ﴾ معناه: فكيف تصرفون؟.

قوله تعالى: ﴿ قل هل من شركائكم من يهدى إلى الحق قل الله يهدى للحق ﴾ معناه ظاهر. وقوله: ﴿ أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى إلا أن يهدى ﴾ قرئت بقراءات كثيرة قال أهل العربية: أصحها: «أمن لا يَهْدى» أو «يَهِدِّى»[2] على وجه الإدغام؛ لأن معناه: يهتدى. ثم قال: ﴿ إلا أن يُهدى ﴾ فإن قيل: كيف قال: ﴿ إلا أن يُهدى ﴾ والأصنام لا يتصور فيها أن تُهدى ولا أن تهتدى؟

الجواب من وجهين:

أحدهما: أن معنى الهداية هاهنا هى النقل، يعنى: لا ينتقل من مكان إلى مكان إلا أن ينقل.

(١) في «ك»: أنس بن مالك، وهو قلب.

(٢) انظر النشر (٢/٢٨٣).

كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّي إِلاَّ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِن

والوجه الثانى : أن هذا مذكور على وجه المجاز ؛ فإن المشركين كانوا يعتقدون فى الأصنام أنها تسمع وتعقل وتهدى، فذكر ذلك فى الأصنام على وفق ما يعتقدون، وجعلها بمنزلة من يعقل فى هذا الخطاب، وأثبت عجزها عن الهداية. وقوله : ﴿ فما لكم كيف تحكمون ﴾ معناه ظاهر.

قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وما يتبع أكثرهم إلا ظنا ﴾ الآية، الظن : حالة بين الشك واليقين. وقوله : ﴿ وإن الظن لا يغنى من الحق شيئا ﴾ معناه : إن الظن لا يقوم مقام الحق بحال. وقوله : ﴿ إن الله عليم بما يفعلون ﴾ معناه ظاهر.

قوله تعالى : ﴿ وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ﴾ الآية، وفيه وجهان من المعنى :

أحدهما : وما كان هذا القرآن افتراء من دون الله.

والوجه الثانى : وما ينبغى لمثل هذا القرآن أن يفترى من دون الله لقوله تعالى : ﴿ وما كان لنبى أن يغل ﴾(١) معناه : وما ينبغى لمثل النبى أن يغل.

وقوله : ﴿ ولكن تصديق الذى بين يديه ﴾ فيه قولان :

أحدهما : تصديق الذى بين يديه من التوراة والإنجيل.

والثانى : تصديق الشيء الذى القرآن بين يديه من القيامة والبعث.

وقوله : ﴿ وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ﴾ التفصيل : التبيين،

(١) آل عمران : ١٦١.

رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُم مَّن لاَّ يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ

ومعنى باقى الآية معلوم.

قوله تعالى: ﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله﴾ معنى الآية: هو الاحتجاج على الكفار بمعجزة القرآن؛ فإنهم كانوا يقولون: إن محمداً قد افتراه، فقال لهم: إن كان افتراه وأتى به من عند نفسه فأتوا أنتم بمثله.

فإن قيل: قال: ﴿فأتوا بسورة مثله﴾ فللقرآن مثل يؤتى بسورة منه؟

الجواب: أن معناه: فأتوا بسورة من مِثْله فى البلاغة والنظم وصحة المعنى. وقيل: إن معناه: فأتوا بسورة مثل سورة القرآن.

وقوله: ﴿وادعوا من استطعتم من دون الله﴾ معناه: واستعينوا بمن استطعتم من دون الله ﴿إن كنتم صادقين﴾.

قوله: ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه﴾ الإحاطة بعلم الشىء هى: المعرفة به من جميع وجوهه، ومعنى الآية: بل كذبوا بالقرآن ولم يحيطوا بعلمه، يعنى: لم يعلموه.

وقوله: ﴿ولما يأتهم تأويله﴾ أى: ولم يأتهم تأويله، ومعناه: ولم يعلموا ما يؤول إليه عاقبة أمرهم. ثم قال تعالى: ﴿كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين﴾ معناه: ومنهم من يؤمن به – بالقرآن – كأصحاب النبى ﷺ من المهاجرين والأنصار، ومنهم من لا يؤمن به كأبى جهل ومن (تابعه)[1]، ومنهم من قال: ومنهم من يؤمن

(١) في «ك»: تبعه.

أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ

به سراً وعلانية كالمؤمنين المخلصين، ومنهم من لا يؤمن به سرّاً كالمنافقين.

﴿ وربك أعلم بالمفسدين ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى : ﴿ وإن كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم ﴾ الآية، معناه : لى عملى وجزاؤه ولكم عملكم وجزاؤه. قوله : ﴿ أنتم بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون ﴾ هذا مثل قوله : ﴿ لكم دينكم ولى دين ﴾(١) ومثل قوله تعالى : ﴿ لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ﴾(٢).

قوله تعالى : ﴿ ومنهم من يستمعون إليك ﴾ الآية، الاستماع : طلب السمع، وقد كانوا يطلبون سماع القرآن للرد والتكذيب به، لا للتفهم والإيمان به. وقوله : ﴿ أفأنت تسمع الصم ﴾ الصمم : آفة تمنع من السماع، والمراد من الصمم هاهنا : صمم القلب؛ فإنهم لما لم يسمعوا القرآن للإيمان به وقبوله كأنهم لم يسمعوا، وجعلهم بمنزلة الصم، والصم : جمع الأصم. وقال الزجاج : قد كانوا يسمعون حقيقة؛ ولكن لشدة بغضهم وعداوتهم للنبى ﷺ لم يستمعوا ليفهموا، فجعلهم كأن لم يسمعوا. قوله : ﴿ ولو كانوا لا يعقلون ﴾ معناه : ولو كانوا جهّالاً.

قوله تعالى : ﴿ ومنهم من ينظر إليك ﴾ النظر : طلب الرؤية بتقليب البصر، وأما نظر القلب : هو طلب العلم بالفكرة. وقوله : ﴿ أفأنت تهدى العمى ﴾ جعلهم بمنزلة العمى؛ لأنهم لم ينظروا لطلب الحق، والمراد من العمى هاهنا : عمى القلب. ومنهم من قال : جعلهم بمنزلة العمى كما جعلهم بمنزلة الصم حيث لم ينتفعوا لا بأسماعهم ولا بأبصارهم.

وذكر ابن الأنبارى حاكيا عن ابن قتيبة أنه استدل بهذه الآية على أن السمع أفضل

---

(١) الكافرون : ٦.

(٢) البقرة : ١٣٩، القصص : ٥٥، الشورى : ١٥.

كَانُوا لا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ

من البصر، فإن الله تعالى قال فى الصمم: ﴿لو كانوا لا يعقلون﴾ ، وقال فى العمى: ﴿ولو كانوا لا يبصرون﴾.

قال ابن الأنبارى: وهذا غلط؛ لأن المراد من الآية عمى القلب لا عمى العين، وكذلك صمم القلب لا صمم الأذن؛ فعلى هذا لا يقع التفضيل.

قال ابن الأنبارى: ولأن حاسة البصر أفضل من حاسة السمع، ألا ترى أن الجمال فيها أكثر، والنقصان بفوتها أعظم، وسماها الرسول ﷺ كريمتى الإنسان؛ فإنه قال: «يقول الله تعالى: من أخذت كريمتيه فصبر واحتسب، لم يكن له جزاء إلا الجنة»(١).

وإذا كان الرجل أعمى فإنه لا يبصر إقباله من إدباره، ولا طريق غيِّه من طريق رشده، ويكون أسيرا فى نفسه، (ويتعطل)(٢) عليه منافع عامّة جوارحه.

قوله تعالى: ﴿إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار﴾ معنى الآية: تقريب وقت مماتهم من وقت بعثهم، وهذا كقوله تعالى: ﴿كأن لم يلبثوا إلا ساعة من نهار﴾(٣) . وقوله: ﴿يتعارفون بينهم﴾ يعنى: يعرف بعضهم بعضا. وفى بعض

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه (١٠/ ١٢٠/ رقم ٥٦٥٣)، والترمذى (٤/ ٥٢١/ رقم ٢٤٠٠)، وأحمد (٣/ ٢٨٣)، والبيهقى فى الكبرى (٣/ ٣٧٥) من حديث أنس بن مالك.

وفى الباب عن ابن عباس، وأبى هريرة، والعرباض بن سارية، وأبى سعيد الخدرى، وعائشة بنت قدامة، وأبى أمامة.

(٢) فى «ك»: وتبطل.

(٣) كذا فى «الأصل، وك»، ولعله يشير للآية التى فى سورة الأحقاف: ٣٥ ﴿كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار﴾ الآية.

كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلا نَفْعًا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلا

الآثار: أن الإنسان يوم القيامة يعرف مَن بجنبه، ولا يكلمه هيبة وخشية. وقوله: ﴿قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين﴾ الخسران هاهنا: خسران النفس، ولا شيء أعظم من خسران النفس. وفي بعض الآثار: يا ابن آدم، أنت في دار التجارة فاربح فيها نفسك.

قوله تعالى: ﴿وإما نرينك بعض الذى نعدهم﴾ قال مجاهد: بعض الذى نعدهم هو: القتل يوم بدر. وقال غيره: معنى الآية: إما نعذبهم فى حياتك ﴿أو نتوفينك﴾ قبل تعذيبهم ﴿فإلينا مرجعهم﴾ ومرجعهم إلينا. وقوله: ﴿ثم الله شهيد على ما يفعلون﴾ ظاهر المعنى، و«ثم» هاهنا بمعنى الواو.

وقوله تعالى: ﴿ولكل أمة رسول﴾ الأمة: هى الجماعة إذا كانوا على منهج واحد ومقصد واحد. والرسول: كل من حمل رسالة ليؤديها على الحق. وقوله تعالى: ﴿فإذا جاء رسولهم﴾ قال مجاهد: فإذا جاء رسولهم شاهدا عليهم يوم القيامة ﴿قضى بينهم بالقسط﴾ أى: بالعدل ﴿وهم لا يظلمون﴾ يعنى: لا ينقص من حقهم.

وفى الآية معنى آخر: وهو أن معنى قوله: ﴿فإذا جاء رسولهم﴾ يعنى: إذا جاء رسولهم بالإعذار والإنذار قضى بينهم بالقسط أى: بالحق، ومعناه: أنه قبل مجيء الرسل لا يتوجه ثواب ولا عقاب.

قوله تعالى: ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ يعنى: وعد الساعة.

ثم قال تعالى: ﴿قل لا أملك لنفسى ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله﴾ الآية. الملك: قوة يتصرف بها فى الشيء، وقوله: ﴿ضرا ولا نفعا﴾ يعنى: دفع ضر ولا جلب نفع لم يقدره الله تعالى. وقوله: ﴿لكل أمة أجل﴾ الأجل: مدة مضروبة لحلول أمرٍ.

يَسْتَئْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ آلآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ

وقوله: ﴿إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتا أو نهاراً﴾ والبيات: ما يحصل ليلا.

وقوله: ﴿ماذا يستجعل منه المجرمون﴾ معناه: ماذا يستعجل من الله المجرمون؟ وقيل: ماذا يستعجل من العذاب المجرمون؟ وحقيقة المعنى: أنهم كانوا يستعجلون العذاب، مثل قول النضر بن الحارث، فإنه قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك، فأمطر علينا حجارة من السماء، أو ائتنا بعذاب أليم، فقال الله تعالى فى هذه الآية: ﴿ماذا يستعجل منه المجرمون﴾ يعنى: وأيش يعلم المجرمون ماذا يستعجلون ويطلبون؟ كالرجل يقول لغيره: ماذا جنيت على نفسك؟ إذا فعل فعلاً قبيحًا.

قوله تعالى: ﴿أثم إذا ما وقع آمنتم به﴾ قيل فى التفسير: معنى قوله: ﴿أثم﴾: هنالك إذا ما وقع - أى: العذاب ﴿آمنتم به﴾ يعنى: آمنتم بالله؟ من وَقَعَ العذاب؟ أى: نزل. ثم قال: ﴿الآن﴾ وفيه حذف ومعناه: الآن آمنتم به ﴿وقد كنتم به تستعجلون﴾ تكذيبًا واستهزاء.

قوله تعالى: ﴿ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ويستنبئونك أحق هو﴾ معناه: ويستخبرونك أحق هو؟ والحق ضد الباطل، ويقال: الحق ما قام عليه الدليل. وقوله: ﴿قل إى وربى﴾ معناه: قل نعم وربى ﴿إنه لحق وما أنتم بمعجزين﴾ معناه: وما أنتم بفائتين من العذاب؛ لأن من عجز عن الشيء فقد فاته.

قوله تعالى: ﴿ولو أن لكل نفس ظلمت ما فى الأرض لافتدت به﴾ الافتداء

لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ لافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَلا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا

هاهنا: بذل ما ينجو به عن العذاب. وقوله: ﴿وأسروا الندامة لما رأوا العذاب﴾ فيه قولان:

أحدهما: قول أبى عبيدة، وهو: أن معناه: وأظهروا الندامة.

والقول الثانى: وأسروا الرؤساء منهم الندامة من الضعفاء خوفا من مذامتهم وتعييرهم.

وقوله: ﴿وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون﴾ قد بيّنا المعنى.

قوله تعالى: ﴿ألا إن لله ما فى السموات والأرض﴾ فإن قال قائل: أليس أن عندكم السموات سبع، والأرضون سبع، فكيف ذكر السموات بلفظ الجمع والأرض بلفظ (الوحدان)[1]؟

الجواب: أن الواحد هاهنا بمعنى الجمع، والعرب قد تذكر الواحد بلفظ الجمع، والجمع بلفظ الواحد، وقيل: إن الأرضين وإن كانت سبعا ولكن لما لم تظهر سوى هذه الواحدة وكانت الباقون مخفية، ذكر بلفظ الوحدان.

وقوله: ﴿ألا إن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿هو يحيى ويميت وإليه ترجعون﴾ معلوم المعنى.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم﴾ الآية، الموعظة: قول على طريق العلم يؤدى إلى صلاح العباد. وقوله: ﴿وشفاء لما فى الصدور﴾ الشفاء هاهنا هو الدواء لذى الجهل. وقال أهل العلم: لا داء أعظم من الجهل، ولا دواء أعز من دواء الجهل، ولا طبيب أقل من طبيب الجهل، ولا شفاء أبعد من شفاء الجهل.

(١) فى «ك»: الواحد.

النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلالاً قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ

وأما قوله ﴿لما فى الصدور﴾ الصدر موضع القلب، وهو أعز موضع فى الإنسان؛ لجوار القلب. وقوله: ﴿وهدى﴾ يعنى: وهدى من الضلالة. وقوله: ﴿ورحمة للمؤمنين﴾ الرحمة: هى النعمة على المحتاج، فإنه لو أهدى ملك إلى ملك شيئا لا يقال: قد رحمه، وإن كان هذا نعمة على الحقيقة؛ لأنه لم يضعها فى محتاج.

قوله تعالى: ﴿قل بفضل الله وبرحمته﴾ قال الحسن البصرى: فضل الله: القرآن، ورحمته: الإسلام. وعن بعضهم: فضل الله: الإسلام، ورحمته: القرآن. وعن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - قال: فضل الله: القرآن، ورحمته: أن جعلنا من أهله. وهذا مروى أيضا عن عكرمة.

وقوله: ﴿فبذلك فليفرحوا﴾ وقرأ الحسن: «فبذلك فلتفرحوا» معناه: فبذلك فلتعجبوا.

وقوله: ﴿هو خير مما يجمعون﴾ أى: مما يجمع الكفار من الدراهم والدنانير.

قوله تعالى: ﴿قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا﴾ قال أهل التفسير: معنى هذا هى السوائب والحوامى التى جعلها أهل الشرك حراما عليهم، وقد ذكرنا هذا فى تفسير سورة الأنعام، وما أحلوا من ذلك وما حرموا فى تفسير قوله: ﴿وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا﴾(١) فإن قيل: كيف يستقيم هذا المعنى، وقد قال فى آخر الآية: ﴿قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون﴾؟

وليس المراد من الآية الاستفهام؛ وإنما المراد منها الرد والإنكار عليهم.

قوله تعالى: ﴿وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة﴾ قالوا: معناه:

(١) الأنعام: ١٣٩.

﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي

وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة، أيلقاهم الخير أم يلقاهم الشر؟ وحقيقة المعنى: أن الشر يلقاهم؛ لأنه الذى يليق بافترائهم.

وقوله: ﴿إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ فى التفاسير: من ألف واحد شاكر.

قوله تعالى: ﴿وما تكون فى شأن﴾ الشأن: اسم مبهم، وهو مثل قول القائل لغيره: ما حملك وما بالك؟ وما شأنك؟ وقوله: ﴿فى شأن﴾ يعنى: فى شأن من الشؤون.

وقوله: ﴿وما تتلو منه من قرآن﴾ فإن قيل: [أيش معنى](١) قوله: ﴿وما تتلو منه﴾ ولم يسبق ذكر القرآن؟

الجواب عنه من وجهين:

أحدهما أن معناه: وما تتلو من الشأن، من قرآن، والآخر: أنه راجع إلى القرآن أيضا، فأبطن فى قوله: ﴿منه﴾ وأظهر فى قوله ﴿من قرآن﴾ تفخيما له.

وقوله: ﴿ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً﴾ الشهود هاهنا: جمع شاهد.

وقوله: ﴿إذ تفيضون فيه﴾ قال ابن الأنبارى: إذ تندفعون فيه، والإفاضة هى الدفع بالكثرة. وقوله: ﴿وما يعزب عن ربك﴾ معناه: وما يغيب عن ربك ﴿من مثقال ذرة﴾ من وزن ذرة؛ والذرة: هى النملة الصغيرة، وقيل: الذرة: ما يظهر فى شعاع الشمس. والأول هو المعروف.

(١) فى «الأصل، وك»: أليس معه. وهو تحريف.

وقوله: ﴿فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك﴾ يعنى: أصغر من الذرة. ﴿ولا أكبر﴾ معناه: ولا أكبر من الذرة إلى ما لا يعلم قدره إلا الله تعالى. وقوله: ﴿إلا فى كتاب مبين﴾ معناه: إلا هو مبيَّن فى الكتاب، يعنى: اللوح المحفوظ.

وفى الأخبار المشهورة: «أن الله تعالى لما خلق القلم قال: اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة»(١). وقد ثبت برواية عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبى ﷺ قال: «إن الله قدر المقادير قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة». خرجه مسلم فى «صحيحه»(٢).

قوله تعالى: ﴿ألا إن أولياء الله﴾ اختلفوا فى أولياء الله على أقوال:

أحدها: أنهم الذين آمنوا وكانوا يتقون، والآخر: أنهم الذين يرضون بالقضاء، ويشكرون عند الرخاء، ويصبرون على البلاء، والثالث: هم المتحابون فى الله تعالى.

وقد روى عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال: «إن من عباد الله عباداً ليسوا بأنبياء، يغبطهم النبيون والشهداء لمكانهم عند الله. فقال رجل: يا رسول الله، ومن هم؟ فقال رسول الله ﷺ: قوم تحابوا بروح الله من غير أرحام يصلونها، ولا أموال يتعاطونها، وإن على وجوههم لنوراً، وإنهم على منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس، ثم قرأ: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم﴾». ذكره أبو داود فى «سننه»(٣) قريباً من هذا.

---

(١) رواه أبو داود (٤/٢٢٥ - ٢٢٦/ رقم ٤٧٠٠)، والترمذي (٤/٣٩٨/ رقم ٢١٥٥)، وأحمد (٥/٣١٧)، وابن أبي عاصم في السنة (ص٤٨ - ٥٠/ رقم ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٧) من حديث عبادة الصامت.
وروى من حديث ابن عباس، رواه أبو يعلى في مسنده (٤/٢١٧/ رقم ٢٣٢٩)، والطبري (٢٩/١٤)، وابن أبي عاصم في السنة (ص٥٠/رقم ١٠٨)، والطبراني في الكبير (١٢/٦٨ - ٦٩/ رقم ١٢٥٠٠)، والبيهقي في الكبرى (٩/٣)، وفي الأسماء والصفات (ص٣٧٨).
وقال الهيثمي في المجمع (٧/١٩٣): ورجاله ثقات، وعزاه للبزار أيضاً، وقال: رجاله ثقات.

(٢) مسلم في صحيحه (١٦/ ٣١٠ - ٣١١/ رقم ٢٦٥٣)، والترمذي (٤/ ٢٩٨ - ٢٩٩/ رقم ٢١٥٦)، وأحمد (٢/١٦٩)، وابن حبان - الإحسان - (١٤/٥/رقم ٦١٣٨).

(٣) أبو داود في سننه (٣/٢٨٨/ رقم ٣٥٢٧)، والطبري في التفسير (١١/٩٢)، وأبو نعيم في الحلية (١/٥).

أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ

والرابع : هو أن أولياء الله من إذا رؤوا [ذُكِرَ](١) الله.

وفى بعض الأخبار المرفوعة إلى النبى ﷺ : « سئل من أولياء الله؟ فقال : الذين إذا رؤوا [ذُكِرَ] (١) الله ». وفى رواية : « الذين [يذكر](٢) الله برؤيتهم »(٣).

وقوله : ﴿ لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ الخوف : انزعاج فى النفس من توقع مكروه، والحزن : هَمٌّ يقع فى القلب لنوع عارض.

قوله تعالى : ﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ ظاهر المعنى.

ثم قال تعالى : ﴿ لهم البشرى ﴾ اختلفوا فى هذه البشرى على أقوال :

الأول : روى (أبو الدرداء)(٤) - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ أنه قال : « هى الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو تُرى له »(٥).

ورواه -أيضا- عبادة بن الصامت أبو الوليد - رضى الله عنه - (٦).

وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال : « الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءاً من

---

(١) فى « الأصل، وك » : ذكروا . وهو خطأ.

(٢) فى « الأصل، وك » : يذكرون . وهو خطأ أيضًا.

(٣) رواه النسائى فى الكبرى (٦ / ٣٦٢ / رقم ١١٢٣٥)، وابن صاعد فى زوائده على زهد ابن المبارك (١ / ٧٢ / رقم ٢١٨)، والطبرانى فى الكبير (١٢ / ١٣ / رقم ١٢٣٢٥)، والبزار (٢ / ٣٩٤ - ٣٩٥ / رقم ٢٠٨٣)، وأبو نعيم فى تاريخ أصبهان (١ / ٢٣١) عن ابن عباس، وله شواهد انظر الدر المنثور (٣ / ٣٣٥ - ٣٣٦).

(٤) فى « ك » : أبو داود، وهو خطأ.

(٥) رواه الترمذي (٤ / ٤٦٢ - ٤٦٣ / رقم ٢٢٧٣)، و(٥ / ٢٦٧ / رقم ٣١٠٦) وحسنه، وأحمد (٦ / ٤٤٥، ٤٥٢)، والطبري (١١ / ٩٣، ٩٤ - ٩٥) والحاكم (٤ / ٣٩١).

(٦) رواه الترمذي (٤ / ٤٦٣ / رقم ٢٢٧٥) وحسنه، وابن ماجه (٢ / ١٢٨٣ / رقم ٣٨٩٨)، وأحمد (٥ / ٣١٥)، والحاكم (٢ / ٣٤٠) وقال : صحيح الإسناد، و(٤ / ٣٩١) وقال صحيح على شرط الشيخين، والطبري (١١ / ٩٣، ٩٤).

الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ

النبوة »[1].

والقول الثانى : روى أبو ذر - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ : « إن البشرى فى الحياة الدنيا : هو الثناء الحسن، وفى الآخرة : الجنة »[2].

والثالث : البشرى : هى نزول ملائكة الرحمة بالبشارة من الله تعالى عند الموت.

والرابع : البشرى : هى علم المؤمن بمكانه من الجنة قبل أن يموت. قاله قوم من التابعين.

وقوله تعالى : ﴿ لا تبديل لكلمات الله ﴾ معناه : لا خُلف لوعد الله. وقوله : ﴿ ذلك هو الفوز العظيم ﴾ أى : النجاة العظيمة.

قوله تعالى : ﴿ ولا يحزنك قولهم ﴾ وقف تام. ثم قال : ﴿ إن العزة لله جميعا ﴾ يعنى : إن الغلبة لله جميعا ﴿ هو السميع العليم ﴾ معلوم المعنى.

قوله تعالى : ﴿ ألا إن لله من فى السموات ومن فى الأرض ﴾ معناه معلوم.

وقوله : ﴿ وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ﴾ معناه : وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء على الحقيقة؛ لأنه ليس لله شريك. وقيل : معناه : وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء علماً ويقينا؛ بل يتبعون على الظن كما قال : ﴿ إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون ﴾ ومعنى قوله : ﴿ يخرصون ﴾ : يكذبون؛ لقوله : ﴿ قتل الخراصون ﴾[3] أى : الكذابون.

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة، رواه البخاري (١٢ / ٣٩٠ / رقم ٦٩٨٨)، ومسلم (١٥ / ٣٣ - ٣٤ / رقم ٢٢٦٤) وروى من حديث أبي سعيد أيضاً.

(٢) رواه مسلم (١٦ / ٢٩٠ - ٢٩١ / رقم ٢٤٤٢)، وأحمد (٥ / ١٥٦) بنحوه.

(٣) الذاريات : ١٠ .

الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا
إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ
﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا

قوله تعالى: ﴿هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه﴾ معناه معلوم. قوله: ﴿والنهار مبصراً﴾ أى: مبصراً فيه. وقيل: معناه: والنهار ذا إبصار، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿فى عيشة راضية﴾(١) يعنى: ذات رضا. وقوله: ﴿إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه﴾ فإن قال قائل: أيش الفرق بين اتخاذ الولد واتخاذ الخليل؟

الجواب عنه: أن حقيقة الخلة مقصورة على الله تعالى؛ لأن الخلة: تصفية الود، وهذا يجوز على الله تعالى. وأما حقيقة الولد: لا يجوز على الله تعالى؛ فاتخاذه لا يجوز، ولأنه إنما يتخذ الولد ليرثه مُلكه أو ليسَّر به، أو ليعينه على أمرٍ، أو ليخلفه فى أموره، والله تعالى منزه عن هذا كله، ولا يجوز عليه، فلم يجز اتخاذ الولد له.

وقوله تعالى: ﴿هو الغنى﴾ إشارة إلى ما قلنا من عدم الحاجة. وقوله: ﴿له ما فى السموات وما فى الأرض إن عندكم من سلطان بهذا﴾ أى: من حجة بهذا؟.

وقوله: ﴿أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون﴾ أى: لا ينجون.

وقوله ﴿متاع فى الدنيا﴾ معناه: إن الذين يفترون على الله حاصلهم متاع فى الدنيا.

وقوله: ﴿ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون﴾ معناه معلوم.

(١) الحاقة: ٢١.

مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنظِرُونِ

قوله تعالى: ﴿ واتل عليهم نبأ نوح ﴾ معناه: واتل عليهم خبر نوح ﴿ إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى ﴾ معناه: إن كان ثقل عليكم مقامى أى: طول مكثى فيكم وتذكيرى ﴿ بآيات الله ﴾ وتحذيرى إياكم بآيات الله ﴿ فعلى الله توكلت ﴾ قالوا هذا اعتراض فى الكلام وفى المعنى. قوله: ﴿ فأجمعوا أمركم ﴾ هو متصل بما سبق كأنه قال: إن كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله فأجمعوا أمركم. وفى الشاذ: « فاجْمَعوا أمركم » قرأه عاصم الجحدرى.

قوله: ﴿ فاجمعوا ﴾ قال الفراء: فاعزموا على أمركم وادعوا ﴿ شركاءكم ﴾ وقال الزجاج: فاجمعوا أمركم مع شركائكم، إلا أنه لما ترك كلمة « مع » فانتصب، قال الشاعر:

يا ليت شعرى والمُنَى لا تنفع حتى أرى امرى وأمرى مجمع(١)

أى: معزم عليه. وقوله: ﴿ ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ﴾أى: ملتبسًا، ومنه الغمام، والغمّ. وقوله تعالى: ﴿ ثم اقضوا إلىَّ ﴾ قرئ فى الشاذ: « ثم أفضوا إلىَّ » بالفاء، والمعروف بالقاف. قال مجاهد معناه: ثم اعلموا ما فى أنفسكم. وقيل معناه: توجهوا إلىَّ بالقتل والمكروه، وهذا على طريق التعجيز، فإنه قال هذه المقالة وعجزوا عن إيصال مكروه إليه، فهذا كان (نوع)(٢) معجزة له، ومنهم من قال: قوله: ﴿ اقضوا إلىَّ ﴾ أى: ثم اقضوا ما أنتم قاضون، واعملوا ما أنتم عاملون، وهذا مثل قول السحرة: ﴿ فاقض ما أنت قاض ﴾(٣)، معناه: فاعمل ما أنت عامل. وحقيقة

---

(١) كذا « بالأصل، وك » وجاء الشطر الأخير من البيت فى لسان العرب (مادة: جمع) كما يلى:

هل أغدُوَنْ يومًا وأمرى مُجْمَعُ

(٢) ليست فى « ك ».

(٣) طه: ٧٢.

﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلاً إِلَىٰ قَوْمِهِمْ
فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ

القضاء: هو إحكام الأمر والفراغ عنه، ومنه يقال للرجل إذا مات: قد قضى فلان، أى: فرغ من أمره.

قوله تعالى: ﴿ولا تنظرون﴾ أى: لا تمهلون.

قوله تعالى: ﴿فإن توليتم فما سألتكم من أجر﴾ معناه: فإن أعرضتم فما سألتكم من ثواب على تبليغ الرسالة. قوله: ﴿إن أجرى إلا على الله﴾ أى: إنْ ثوابى إلا على الله ﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ أى: من الموحدين. ومنهم من قال: معنى قوله: ﴿من المسلمين﴾ أى: من المستسلمين لأمر الله.

قوله تعالى: ﴿فكذبوه فنجيناه ومن معه فى الفلك﴾ قال أهل التفسير: كان معه فى الفلك ثمانون رجلاً، وكان أول من حمله: الذرة، وآخر من حمله: الحمار، وتعلق الشيطان بذَنَب الحمار، وجعل يقول: نوح للحمار، ادخل فلا يدخل حتى قال: ادخل يا شيطان فدخل وإبليس معه.

وقوله تعالى: ﴿وجعلناهم خلائف﴾ أى: وجعلنا الذين معه فى الفلك خلفاء القوم الذين أغرقناهم فى دورهم ومساكنهم ومنازلهم. وقوله تعالى: ﴿وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين﴾ الغرق: هلاك بالماء والغامر. ويقال: إن مدة الإغراق كانت أربعين يومًا،وكان من وقت إرسال الماء من السماء إلى أن (نضب)[1] الماء ستة أشهر وعدّة أيام.

وقوله تعالى: ﴿ثم بعثنا من بعده رسلاً إلى قومهم فجاءوهم بالبينات﴾ يعنى: من بعد نوح رسلا إلى قومهم ﴿فجاءهم بالبينات﴾ أى: بالدلالات الواضحات ﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل﴾ أى: فما كانوا ليؤمنوا بما كذب به قوم نوح من

(١) نضب الماء: إذا ذهب في الأرض، أو غار وبعد.

الْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ

قبل ﴿كذلك يطبع الله على قلوب المعتدين﴾ يعنى: يختم على قلوب المعتدين.

قوله تعالى: ﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون إلى فرعون وملئه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين﴾ معناه ظاهر. والآية التى تليها كذا معلوم المعنى.

قوله تعالى: ﴿قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا﴾ معناه: لتصرفنا. وقال قتادة: لتلفتنا: لِتَلْوِينا، وقاله ثعلب من المتأخرين. وقوله: ﴿وتكون لكما الكبرياء فى الأرض﴾ قال مجاهد: الكبرياء: الملك؛ وإنما سُمِّىَ الملك الكبرياء؛ لأنه أكبر ما يطلب فى الدنيا. وقيل: معنى الكبرياء: هو العظمة. وقيل: معناه: الغلبة.

قوله: ﴿وما نحن لكما بمؤمنين﴾ أى: بمصدقين.

قوله تعالى: ﴿وقال فرعون ائتونى بكل ساحر عليم﴾ فى القصص: أنه جمع سبعين ألف ساحر.

وقوله: ﴿فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون﴾ أى: اطرحوا ما أنتم طارحون.

وقوله: ﴿فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر﴾ وقد بيّنا معنى السحر من قبل. ﴿إن الله سيبطله﴾ أى: سيذهبه ﴿إن الله لا يصلح عمل المفسدين﴾ معناه معلوم. وفى القصص أنهم كانوا سبعين ألفا، مع كل واحد منهم حبل وعصًا، فألقوا تلك الحبال والعصى، فجعلت تخيل فى أعين الناس كأنها ثعابين وحيات.

اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ
﴿٨٢﴾ فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ
فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم
بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ

وقوله تعالى: ﴿ويحق الله الحق بكلماته﴾ معناه: يعلى الله الحق بآياته ﴿ولو كره المجرمون﴾.

قوله تعالى ﴿فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه﴾ معناه: فما آمن لموسى إلا قليل فى قومه، واختلفوا فى الذرية هاهنا، قال بعضهم: إنهم قوم كانت آباؤهم فى القبط وأمهاتهم من بنى إسرائيل. وقال بعضهم: إنهم قوم نجوا من قتل فرعون، فإن فرعون لما أمر بقتل أبناء بنى إسرائيل كانت المرأة من بنى إسرائيل إذا وُلد لها ابنٌ سلمته إلى امرأة قبطيّة، وتقول: وهبته لك خوفا عليه من القتل، فنشأ أولئك الأولاد عند القبط، وأسلموا فى ذلك اليوم، يعنى: يوم السحرة الذين غلبوا. وقوله: ﴿على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم﴾ قال بعض أهل المعانى: فى الآية حذف؛ كأنه قال: على خوف من آل فرعون وملئهم، وهذا مثل (قوله)(١): ﴿واسأل القرية﴾(٢) أى: أهل القرية.

ومنهم من قال: لما ذكر فرعون دخل قومه معه كالرجل يقول: قدم الخليفة أو الأمير بكذا كذا، فضاقت المنازل على الناس، معناه: قدم الخليفة ومن معه.

ثم قال: ﴿أن يفتنهم﴾ معناه: أن يعذبهم. وقوله: ﴿وإن فرعون لعالٍ فى الأرض﴾ أى: لطاغٍ فى الأرض ﴿وإنه لمن المسرفين﴾ معلوم.

قوله تعالى: ﴿وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين﴾ التوكل: هو الثقة بالله والاعتماد عليه فى الأمور. وقوله: ﴿إن كنتم

(١) فى «ك»: قولهم.

(٢) يوسف: ٨٢.

الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن
تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾
وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن

مسلمين﴾ أى: إذا كنتم مسلمين.

قوله تعالى: ﴿فقالوا على الله توكلنا﴾ أى: على الله اعتمدنا. وقوله: ﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين﴾ فيه قولان:

أحدهما: لا تهلكنا بأيدى الظالمين فيفتتنوا أو يظنوا أنا لم نكن على الحق، قاله أبو مجلز.

والثانى: لا تعذبنا بعذاب من عندك فيظنوا أنهم خير منا، فيصير ذلك فتنة لهم.

وقوله تعالى: ﴿ونجنا برحمتك من القوم الكافرين﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا﴾ معنى قوله: ﴿تبوءا﴾ اتخذا.

قال الشاعر:

نحن بنو عدنان ليس شك ... تبوأ المجد بنا والملك

وقوله ﴿لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة﴾ ذكر أهل التفسير أن فرعون أمر بتخريب كنائس بنى إسرائيل وبيعهم لما جاء موسى ودعاه إلى الله، فأمرهم الله تعالى أن يأمرا بنى إسرائيل أن يتخذوا فى بيوتهم المساجد، فهذا معنى قوله: ﴿واجعلوا بيوتكم قبلة﴾ يعنى: مسجداً.

وحُكى عن ابن عباس أنه قال: أمرهم الله تعالى أن يتوجهوا إلى الكعبة. ومنهم من قال: إنهم خافوا من إظهار الصلاة، فأمرهم الله تعالى أن يقيموا الصلاة فى البيوت. وقوله تعالى: ﴿وبشر المؤمنين﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه﴾ الآية. قوله: ﴿زينة

سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

وأموالاً فى الحياة الدنيا﴾ قيل فى التفسير: إنه كان من فسطاط مصر إلى العريش إلى قريب من الحبشة معادن الذهب والفضة والياقوت والزبرجد، فهذا معنى قوله: ﴿زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك﴾ قال أهل التفسير: هذه «اللام» لام الصيرورة، ويقال: هى لام العاقبة، وهذا كما قال الشاعر:

وللموت ما تلد الوالدة

فلما كانت عاقبة أمرهم الضلال والكفر قال: ليضلوا عن سبيلك ﴿ربنا اطمس على أموالهم﴾ الطمس: تغيير صورة الشىء، وقيل: هو الإمحاء، ودُروس الأثر. قال قتادة: صارت أموالهم وحروثهم وزروعهم وجواهرهم حجارة كلها. وفى بعض الروايات: إن عبيدهم وإماءهم صاروا حجارة.

وقوله: ﴿واشدد على قلوبهم﴾ قال مجاهد: بالضلالة. وقال السدى: أمتهم على الكفر.

وقوله: ﴿فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم﴾ قيل: هذا بمعنى الدعاء (كأنه)(١) قال: فلا آمنوا حتى يروا العذاب الأليم. وقيل: معناه معنى الخبر.

قوله تعالى: ﴿قال قد أجيبت دعوتكما﴾ فى القصص: أنه كان بين دعاء موسى وإجابته أربعون سنة، وكذلك كان بين دعاء يعقوب وإجابته أربعون سنة. فإن قال قائل: إن الداعى كان موسى، وقال: ﴿قد أجيبت دعوتكما﴾.

الجواب المروى: أن موسى كان يدعو وهارون يؤمن، والتأمين: دعاء؛ فإن معنى التأمين: اللهم استجب.

قوله: ﴿فاستقيما﴾ يعنى: على الطاعة والدين. قوله: ﴿ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون﴾ معلوم المعنى.

(١) فى «ك»: فكأنه.

وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ آلْآنَ وَقَدْ

قوله تعالى: ﴿وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر﴾ الآية، معناه: عبرنا ببنى إسرائيل البحر. وقوله: ﴿فأتبعهم فرعون وجنوده﴾ قال الأصمعى: يقال: اتّبعه إذا سار فى أثره، وأَتْبَعه إذا أدركه ولحقه. وقوله: ﴿بغيا وعدوا﴾ ظلما واعتداء، قرئ: «عَدْوًا» و«عُدُوًّا» والمعنى واحد.

وقوله: ﴿حتى إذا أدركه الغرق﴾ يعنى: حتى إذا غمره الماء وقرُب هلاكه ﴿قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل﴾ ومعناه: آمنت بالإله الذى آمنت به بنو إسرائيل ﴿وأنا من المسلمين﴾.

وقوله: ﴿آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين﴾ فى القصص: أن جبريل كان واقفا حين قال هذا القول، فقال له: آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين، وقال له هذا القول بأمر الله تعالى، آلآن وقد عصيت.

وروى يوسف بن مهران، عن ابن عباس - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ «أن جبريل - عليه السلام - قال: يا محمد، لو رأيتنى وأنا آخذ من حال البحر، وأدسه فى فم فرعون خشية أن تدركه الرحمة»(١). وفى رواية أخرى: «أن جبريل قال: يا محمد، ما أبغضت أحداً من خلق الله مثل ما أبغضت فرعون لما قال لقومه: ما علمت لكم من إله غيرى، فلما قال ما قال حين غرق فجعلت أدس الطين فى فمه لئلا يقول

(١) رواه الترمذى (٥/٢٨٦/رقم ٣١٠٧) وحسنه، وأحمد (١/٢٤٥، ٣٠٩)، والطبرى (١١/١١٢)، والحاكم (٤/٢٤٩)، والخطيب فى تاريخه (٥/٢٧٦). وفى إسناده على بن زيد بن جدعان وروى من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس، رواه الترمذى (٥/٢٦٨/ رقم ٣٠٨) وقال: حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وأحمد (١/ ٢٤٠، ٣٤٠)، والطيالسى (ص٣٤١/ رقم ٢٦١٨)، والطبرى (١١/١١٢)، والحاكم (٢/٣٤٠)، (٤/٢٤٩) وصححه على شرط الشيخين، وقال فى الموضع الأول: إلا [أن] أكثر أصحاب شعبة أوقفوه على ابن عباس. وابن حبان - الإحسان - (١٤/ ٩٧ - ٩٨/ رقم ٦٢١٥)، والخطيب فى تاريخه (٥/٢٧٦)، وأخرجه ابن مردويه عن أبى صالح عن ابن عباس، كما فى الدر المنثور (٣/٣٤٢)، وروى من حديث أبى هريرة، وابن عمر، وأبى أمامة كما فى الدر (٣/٣٤٢).

عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ

لا إله إلا الله »(١) » . وفى رواية : « لئلا يثنى مخافة أن يغفر الله له » .

قال أبو عيسى : والحديث صحيح فى الجملة .

وقوله تعالى : ﴿ فاليوم ننجيك ببدنك ﴾ فى البر، قرئ : « ننحيك ببدنك » بالحاء [من التنحية](٢) ، والمعروف بالجيم أى : نلقيك على نَجْوة من الأرض . والنجوة : المكان المرتفع . فى القصص : أن فرعون لما غرق قالت بنو إسرائيل : هو أجلّ من أن يغرق ، فلم يصدقوا موسى أنه قد غرق ، فأمر الله تعالى الماء حتى ألقاه على وجهه؛ وهذا معنى قوله : ﴿ ننجيك ببدنك ﴾ وقوله : ﴿ ببدنك ﴾ فيه قولان :

أحدهما : بدرعك ، وكان له درع مشهور من اللؤلؤ مرصع من الجواهر ، فرأوه فى درعه فصدقوا .

والقول الثانى : ببدنك يعنى : بجسد لا روح فيه .

قوله : ﴿ لتكون لمن خلفك آية ﴾ أى : عبرة . وقوله : ﴿ وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ﴾ ظاهر المعنى .

وقوله تعالى : ﴿ ولقد بوأنا بنى إسرائيل مبوأ صدق ﴾ أى : أنزلنا بنى إسرائيل مبوأ صدق أى : أنزلنا بنى إسرائيل منازل صدق . وقيل : إن تلك المنازل هى مصر . وقيل : إنها الشام . وقوله : ﴿ مبوأ صدق ﴾ يعنى : بصدقهم وإيمانهم . وقوله : ﴿ ورزقناهم من الطيبات ﴾ معلوم . وقوله : ﴿ فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ﴾ يعنى : التوراة ، فإنهم اختلفوا بعد نزول التوراة وذهاب موسى اختلافا شديداً . ثم قال : ﴿ إن ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ ظاهر المعنى .

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط ، كما فى مجمع البحرين (٦ / ٣٤ / رقم ٣٣٣٦) من حديث أبى هريرة بنحوه .

(٢) فى « الأصل » : بالتجية ، وفى « ك » : بالتحتية ، والتصويب من تفسير القرطبى (٨ / ٣٧٩) ، وفيه : وقرأ اليزيدى وابن السَّمَيْفَع : « ننحيك » بالحاء من التنحية ، وحكاها علقمة عن ابن مسعود .

وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ

قوله تعالى: ﴿فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك﴾ فى الآية سؤال معروف، وهو: أنه قال: ﴿فإن كنت فى شك﴾ كيف يجوز أن يكون الرسول فى الشك حتى يقول له: فإن كنت فى شك؟.

الجواب من وجوه: أحدها: أن الخطاب معه والمراد منه قومه، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿يا أيها النبى إذا طلقتم النساء﴾(١) وأمثالها كثيرة.

وقال بعضهم: تقديره: فإن كنت فى شك أيها الشاك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك.

والوجه الثانى: أن معنى الآية: ما كنت فى شك.

وقوله: ﴿فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك﴾ زيادة تثبيت؛ والذين يقرءون الكتاب: هم الذين أسلموا من اليهود، مثل عبد الله بن سلام، وابن يامين وغيرهما.

والوجه الثالث: هذا على عادة كلام العربى، فإن الرجل يقول لابنه: افعل كذا إن كنت ابنى، ولا يكون هذا على الشك، وكذا يقول لغلامه: أطعمنى إن كنت عبدى، ولا يكون على الشك.

وقوله: ﴿فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك﴾ فقال: مُرهم ﴿فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين﴾ من الشاكين، ومعناه: دُمْ على اليقين الذى أنت عليه.

الوجه الأول اختيار الزجاج وغيره من أهل المعانى.

وقوله تعالى: ﴿ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله﴾ إلى آخر الآية ظاهر

---

(١) الطلاق: ١.

مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ

المعنى.

قوله تعالى: ﴿إن الذين حقت عليهم كلمة ربك﴾ معناه: وجب عليهم عذاب ربك.

ويقال: معنى الكلمة: هو قوله تعالى: «هؤلاء فى الجنة ولا أبالى، وهؤلاء فى النار ولا أبالى» كما رُوىَ فى الأخبار(١).

وقوله: ﴿لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم﴾ يعنى: الإيمان عند البأس.

قوله تعالى: ﴿فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس﴾ معناه: فلم تكن قرية آمنت– أى: أهل قرية آمنت – فنفعهم إيمانهم إلا قوم يونس، وهذا الإيمان هو عند نزول العذاب. والمنقول فى القصص: أن يونس – صلوات الله عليه – أنذر قومه بالعذاب وخرج من بينهم، فلما رأوا العذاب شبه النيران فى السماء خرجوا من بلدهم إلى الصحراء، وفرقوا بين الأولاد والأمهات والبهائم والأجنّة، وضجوا إلى الله تعالى ضجة واحدة، فكشف الله عنهم العذاب بعد أن رأوه عيانًا، ولم يفعل هذا بأحد غيرهم، فهذا معنى قوله تعالى: ﴿إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين﴾ أى: إلى أجل معلوم.

وفى بعض التفاسير : أن الدعاء الذى دعا به قوم يونس هو: يا حى حين لا حى، يا حى يا محيى الموتى، يا حى لا إله إلا أنت.

(١) رواه أحمد في المسند (٤/ ١٨٦)، وابن حبان – الإحسان – (٢/ ٥٠/ رقم ٣٣٨)، والحاكم (١/ ٣١) وصححه، وابن سعد في الطبقات (١/ ٣٠)، و(٧/ ٤١٧) عن عبد الرحمن بن قتادة السلمي. وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ١٨٩): رواه أحمد، ورجاله ثقات. وله شواهد كثيرة. انظر الصحيحة رقم [٤٦ –٥٠].

الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ

واختلف القول فى أنهم هل رأوا العذاب عيانا أو رأوا دليل العذاب؟ فالأكثرون على أنهم رأوا العذاب عيانا. قال قتادة: تدنى عليهم العذاب حتى صار بينهم وبين العذاب قدر ميل. وقال بعضهم: رأوا دليل العذاب، ولم يروا عين العذاب.

والقول الأول أصح؛ بدليل قوله: ﴿ كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ﴾ والكشف إنما يكون بعد وقوع العذاب أو قرب العذاب. فإن قال قائل: كيف قبل إيمانهم عند المعاينة، ولم يقبل إيمان غيرهم، وقد قال فى موضع آخر: ﴿ يؤمنون بالغيب ﴾(١) دلّ أن الإيمان المقبول هو الإيمان بالغيب؟

الجواب: أن قوم يونس استثنوا من هذا الأصل بنصّ القرآن، والله تعالى يفعل ما يشاء ولا سؤال عليه فيما يفعل. وزعم الخليل وسيبويه: أن الاستثناء هاهنا منقطع، ومعنى الآية: لكن قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا.

وعن على - رضى الله عنه - قال: الحذر لا يرد القدر، والدعاء يرد القدر؛ فإن الله تعالى كشف العذاب عن قوم يونس بالدعاء. وعن على - أيضًا- أنه قال: كان كشف العذاب يوم عاشوراء.

وقيل فى تقدير ابتداء الآية: (فهلّا)(٢) كانت قرية آمنت حين ينفعها إيمانها؛ لكن قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم العذاب، ومعنى قرية: أهل قرية. وقيل: اسم تلك القرية كان نينوى، من بلاد الجزيرة.

قوله تعالى: ﴿ ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا ﴾ فى الآية ردٌّ على القدرية؛ فإنه تعالى أخبر أنه لم يشأ إيمان جميع الناس، وعندهم أنه شاء إيمان جميع الناس. وقوله: ﴿ أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ هذا تسلية للنبى

(١) البقرة: ٣.

(٢) فى «ك»: فهل.

الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلاَّ مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا

ﷺ أنى لو أردت لأكرهتهم على الإيمان، ولم أُرِد، فلا تُرِد أنت -أيضا- أن تكرههم على الإيمان.

قوله تعالى: ﴿وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله﴾ قال عطاء: إلا بتوفيق الله. وقال غيره: إلا بعلم الله. وقيل: إلا بإطلاق الله ذلك بدفع الموانع، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله﴾(١) منهم من قال: «بإذن الله» أى: بقضائه وتقديره وحكمه، والمعانى كلها صحيحة. وقوله تعالى: ﴿ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون﴾ قال الفراء: الرجس بمعنى الرجز، والرجز هو العذاب. وقال ابن عباس - رضى الله عنهما - إن الرجس هو السخط. وقيل: إنه الإثم. وقيل: إنه الهلاك. وأما قوله: ﴿على الذين لا يعقلون﴾ معناه: لا يؤمنون. وقيل: معنى قوله: ﴿لا يعقلون﴾ أى: لا يعقلون عن الله أمره ونهيه.

قوله: ﴿قل انظروا ماذا فى السموات والأرض﴾ معناه: قل انظروا ماذا فى السموات والأرض من الدلائل والعبر والحجج. وقوله: ﴿وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون﴾ هذا فى قوم بأعيانهم علم الله تعالى أنهم لا يؤمنون وإن نظروا فى الآيات.

قوله تعالى: ﴿فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم﴾ الانتظار هو الثبات لتوقع أمرٍ. وقوله: ﴿إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم﴾ يعنى: مثل أيام الهلاك فى الذين خلوا من قبلهم من الأمم المكذبة. قوله: ﴿قل فانتظروا إنى معكم من المنتظرين﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا﴾ قوله: «ننجى» مستقبل بمعنى

(١) آل عمران: ١٤٥.

عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ
تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلا تَدْعُ مِن دُونِ

الماضى، ومعناه: أنجينا رسلنا والذين آمنوا. قوله ﴿ كذلك حقا علينا ننجى المؤمنين ﴾ يعنى: محمداً وأصحابه.

قوله تعالى: ﴿ قل يا أيها الناس إن كنتم فى شك من دينى ﴾ فإن قال قائل: كيف قال: إن كنتم فى شك من دينى، وهم كانوا يعتقدون بطلان ما جاء به على بصيرة؟

الجواب : أنه قد كان فيهم قوم شاكون، فالمراد من الآية أولئك القوم.

والثانى: أنهم لما رأوا الآيات اضطربوا وشكوا فى أمرهم وأمر النبى ﷺ.

قوله: ﴿ فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم ﴾ ظاهر المعنى. فإن قال قائل: ما معنى قوله: ﴿إن كنتم فى شك من دينى فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ﴾ وهو لا يعبد الذين من دون الله شكوا أو لم يشكوا؟ وما معنى قوله: ﴿ ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم ﴾ ولأى شيء خص الوفاة بالذكر؟

الجواب: أما الأول معناه: إن كنتم فى شك فلست فى شك، ولا أعبد إلا الله على يقين وبصيرة. وأما ذكر الوفاة فى قوله: «يتوفاكم» بمعنى التهديد، فإن العذاب يقع على الكافر حتى تدركه الوفاة.

﴿ وأمرت أن أكون من المؤمنين ﴾ أى: من المخلصين.

قوله تعالى: ﴿ وأن أقم وجهك للدين حنيفا ﴾ معناه: وأمرت أن أستقيم لله على الدين مخلصاً. ويقال معناه: واستقم على الدين الذى أمرت به بوجهك. قوله تعالى: ﴿ حنيفا ﴾ قد بينا من قبل، ويقال: إن الآية فى التوجه إلى القبلة، وهى الكعبة؛ وهى فى معنى قوله تعالى: ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾[1]. وقوله: ﴿ ولا تكونن من المشركين ﴾ ظاهر المعنى.

(١) البقرة: ١٤٤.

اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ
بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا
يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ

قوله تعالى: ﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك﴾ الدعاء يكون بمعنيين:

أحدهما: بمعنى النداء، كقولك: يا زيد، ويا عمرو، والآخر: بمعنى الطلب.

وقوله: ﴿ما لا ينفعك ولا يضرك﴾ معناه: لا ينفعك إن دعوته، ولا يضرك إن تركت دعاءه. وقوله: ﴿فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين﴾ يعنى: ممن وضع الدعاء فى غير موضعه.

قوله تعالى: ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو﴾ معناه: إن يصبك الله بضر، والضر: هو الخوف والمرض والجوع ونحوه.

وقوله: ﴿فلا كاشف له إلا هو﴾ أى: لا كاشف لذلك الضر إلا الله.

وقوله: ﴿وإن يردك بخير﴾ أى: يصبك بخير، والخير: هو الخصب والسعة والعافية ونحوه.

وقوله: ﴿فلا راد لفضله﴾ أى: لا مانع لفضله.

قوله: ﴿يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم﴾ الحق هاهنا: هو ما ينجو به الإنسان، وضده: الباطل، وهو الذى يهلك به الإنسان. وقيل: معناه: الإسلام. وقيل: معناه: القرآن. وقوله: ﴿فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه﴾ (يعنى)[1]: يحتاط لنفسه. ﴿ومن ضل فإنما يضل عليها﴾ يعنى: من كفر وترك الإيمان؛ فإنما وباله وضلاله عليه.

قوله: ﴿وما أنا عليكم بوكيل﴾ أى: بمسلّط، ومعناه: أنكم تُسألون عن

---

(١) فى «ك»: أى.

إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

أعمالكم ولا أُسأل أنا عن أعمالكم، كما يُسأل من وكل بالشيء.

قوله تعالى: ﴿ واتبع ما يُوحى إليك ﴾ الوحى: إلقاء الشيء فى قلب الإنسان على الخفية. وقوله: ﴿ واصبر ﴾ الصبر: تجرع المرارة بالامتناع عن الشيء المشتهى لتوقع المحبوب فى العاقبة، ومما يعين الإنسان على الصبر علمه بحقيقة الأمر، وما ينال من الثواب، والثقة بموعود الله تعالى. وقوله: ﴿ حتى يحكم الله ﴾ أى: حتى يقضى الله ﴿ وهو خير الحاكمين ﴾ أى: خير القاضين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الٓر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ

تفسير سـورة هـود

سورة هود مكية، إلا قوله تعالى: ﴿وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل﴾[1] إلى آخر الآية؛ فإنها مدنية.

قوله تعالى: ﴿الر﴾ معناه : أنا الله أرى. وقوله: ﴿كتاب﴾ أى: هذا كتاب. وقوله: ﴿أحكمت آياته﴾ فيه أقوال:

قال قتادة: معناه: أحكمها الله فليس فيها اختلاف ولا تناقض.

والثانى: أن معنى قوله: ﴿أحكمت آياته﴾ يعنى: هى محكمة غير منسوخة.

والثالث: ﴿أحكمت آياته﴾ يعنى: بالأمر والنهى، والحلال والحرام.

وقوله: ﴿ثم فصلت﴾ فيه أقوال: أحدها: ثم فصلت بالوعد والوعيد. وقال مجاهد: فُصِّلت أى: فسِّرت وبينت. والثالث: ثم فصلت أى: أنزلها الله شيئًا فشيئًا. وقيل: أحكمت آياته للمعتبرين، ثم فصلت أحكامه للمتقين.

وقيل : أحكمت آياته للقلوب، ثم فصِّلت أحكامه على الأبدان.

وقرئ فى الشاذ: « ثم فصِلت » ومعناه : أنها جاءت.

﴿من لدن حكيم خبير﴾ أى: من عند حكيم خبير.

قوله تعالى: ﴿ألا تعبدوا إلا الله﴾ فيه قولان:

أحدهما: بأن لا تعبدوا إلا الله.

والقول الثانى: أمركم أن لا تعبدوا إلا الله.

وقوله: ﴿إننى لكم منه نذير وبشير﴾ معناه: نذير للعاصين، وبشير للمطيعين.

---

(١) هود: ١١٤.

إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا

قوله تعالى: ﴿وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه﴾ قال أهل المعانى: إنما قدم المغفرة على التوبة؛ لأنها هى المطلوبة بالتوبة.

وفى بعض الأخبار: «ما أصرّ من استغفر وإن عاد سبعين مرة»(١). وفى بعض الأخبار: «لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار»(٢).

وفى الآية قول آخر: أن معنى قوله: ﴿وأن استغفروا ربكم﴾ يعنى: فى الماضى ﴿ثم توبوا إليه﴾ يعنى: فى المستأنف.

قوله: ﴿يمتعكم متاعًا حسنًا﴾ معناه: يعيشكم عيشًا حسنًا. وقيل: يعمركم عمرًا حسنًا. وأما العيش الحسن: قال بعضهم: هو الرضا بالميسور، والصبر على (المقدّر)(٣). وقيل: العيش الحسن: هو طيب النفس وسعة الرزق. ويقال: العيش الحسن: هو الكفاية بالحلال. وقوله: ﴿إلى أجل مسمى﴾ أى: إلى حين الموت. وقوله: ﴿ويؤت كل ذى فضل فضله﴾ فيه قولان:

---

(١) رواه أبو داود (٢/٨٤/رقم ١٥١٤)، والترمذى (٥/٥٢١/رقم٣٥٥٩) وقال: غريب، إنما نعرفه من حديث أبى نصيرة وليس إسناده بالقوى. وأبو يعلى (١/١٢٤ - ١٢٥/رقم ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩)، والبزار فى مسنده (١/٢٥٠/رقم ٩٣)، والمروزى فى مسند أبى بكر (ص١٥٥ - ١٥٦/رقم ١٢١، ١٢٢)، والبيهقى فى الكبرى (١٠/١٨٨)، والبغوى فى التفسير (١/٣٥٣). وقال البزار: هذا الحديث لانحفظه عن النبى ﷺ إلا عن أبى بكر بهذا الطريق، وعثمان بن واقد مشهور، حدث عنه أبو معاوية وأبو يحيى الحماني وغيرهما، وأبو نصيرة ومولى أبى بكر فلا يعرفان، ولكن لما كان هذا الحديث لايعرف إلا من هذا الوجه لم نجد بدًا من كتابته وتبيين علته.

(٢) روى من حديث ابن عباس، رواه القضاعى فى الشهاب (٢/٤٤-٤٥/رقم ٨٥٣)، والديلمى فى الفردوس (٥/١٩٩/رقم ٧٩٤٤)، وعزاه السخاوى فى المقاصد (ص٧٢٥ - ٧٢٦) لأبى الشيخ ومن طريقه الديلمى، وضعف إسناده.

ومن حديث عائشة، عزاه السخاوى فى المقاصد (ص٧٢٦) لإسحاق بن بشر فى المبتدأ، ومن طريقه رواه ابن عساكر فى تاريخه (٦/٢٩٤) قال السخاوى: وإسحاق حديثه منكر.

وفى الباب عن أنس، وأبى هريرة أيضاً.

(٣) فى «ك»: المقدور.

إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ

أحدهما: أن معناه يؤت كل ذى عمل حسن فى الدنيا ثوابه فى الآخرة.

والقول الثانى: أن قوله: ﴿يؤت كل ذى فضل فضله﴾ يعنى: من عمل لله تعالى وفقه الله تعالى فيما يستقبل على طاعته ويهديه إليها.

ورُوىَ عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أنه قال: كل ما يحتسب الإنسان فيه من قول أو عمل هو داخل فيها، حتى الكلمة الواحدة يقولها.

قوله: ﴿وإن تولوا﴾ أى: فإن أعرضوا. قوله: ﴿فإنى أخاف عليكم عذاب يوم كبير﴾ أى: يوم القيامة.

ثم قال الله تعالى: ﴿إلى الله مرجعكم وهو على كل شىء قدير﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى ﴿ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه﴾ الآية، قال عبد الله بن شداد: كان الرجل الكافر يمرُّ بالنبى ﷺ فيثنى صدره، ويستغشى بثوبه بُغضًا للنبىﷺ حتى لا يراه النبى ﷺ ولا يرى هو النبى ﷺ. وعن بعضهم: أن الرجل من الكفار كان يدخل بيته ويرخى ستره، ويتغشى بثوبه ويحنى ظهره ويقول: هل يعلم الله ما فى قلبى؟ وعن أبى رزين قريبًا من القول الأول، فأنزل الله تعالى هذه الآية. ومعنى قوله: ﴿يثنون صدورهم﴾ أى: يعطفون ويطوون، ومنه ثنى الثوب، قال الشاعر فى التغشى:

أرعى النجوم ولم أؤمر برعيتها وتارةً أتغشَّى فضل أطمار

وقوله: ﴿ليستخفوا منه﴾ أى: ليستخفوا من الله تعالى. وقيل: ليستخفوا من النبى ﷺ. وفى الشاذ أن ابن عباس - رضى الله عنهما - قرأ: «ألا إنهم يثنونى صدورهم» على وزن يفعوعل، وكما يقال: يحلولى.

﴿ألا حين يستغشون ثيابهم﴾ يعنى: يتغشون بثيابهم. قوله تعالى: ﴿يعلم ما

لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ

يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور﴾ قال الأزهرى وغيره: معنى الآية من أولها إلى آخرها: إن الذين أضمروا عداوة النبى ﷺ لا يخفى علينا حالهم. وفى بعض التفاسير: أن رجلاً كان يبطن عداوة النبى ﷺ وكان يختلف إليه ويظهر المحبة له، فأنزل الله تعالى فيه هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها﴾ الآية. الدابة: كل ما يدب على الأرض من الحيوانات. وقوله: ﴿إلا على الله رزقها﴾ أى: إن الله يسبب ويسهل رزقها.

قال أهل المعانى: هذا على المشيئة؛ لأنه قد يرزق وقد لا يرزق. وقوله: ﴿ويعلم مستقرها ومستودعها﴾ فى الآية أقوال:

روى مقسم عن ابن عباس أنه قال: المستقر: هو المكان الذى يأوى إليه، والمستودع: هو المكان الذى يدفن فيه.

وعن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - أنه قال: المستقر: هو أرحام الأمهات، والمستودع: هو الموضع الذى يدفن فيه.

وقال بعضهم: المستقر: هو الذى يستقر عليه عمله، والمستودع: هو الذى يصير إليه أمره فى العاقبة.

ويقال: المستقر: أرحام الأمهات، والمستودع: هو أصلاب الآباء. وهذا مروى عن ابن عباس أيضاً.

وقوله: ﴿كلٌّ فى كتاب مبين﴾ فى اللوح المحفوظ.

قوله تعالى: ﴿وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام﴾ قد بيّنا من قبل.

عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ

وقوله: ﴿وكان عرشه على الماء﴾ قال ابن عباس: كان العرش على الماء، والماء على متن الريح، أي: صلب الريح. وروى يزيد بن هارون، عن حماد بن سلمة، عن وكيع ابن حدس، عن أبي رزين العقيلي أنه قال: «يا رسول الله، أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء، وكان عرشه على الماء»(١). قال يزيد بن هارون: معنى قوله: «في عماء» أي: ليس معه غيره. أورده أبو عيسى في كتابه على هذا الوجه.

قوله: ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ معناه: ليختبركم أيكم أعمل بطاعة الله تعالى، وأسرع إلى طلب مرضات الله، وأورع عن محارم الله، ومعناه: الابتلاء من الله وقد بيّنا من قبل.

وقوله: ﴿ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين﴾ أي: إلا خدع ظاهر.

قوله تعالى: ﴿ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة﴾ معناه: إلى أجل معدودة. قوله: ﴿ليقولن ما يحبسه﴾ معناه: ليقولن الذين كفروا: أيُّ شيء يحبسه؟ يعني: العذاب. وقوله: ﴿ألا يوم يأتيهم ليس مصروفًا عنهم﴾ معناه: ألا يوم يأتيهم العذاب لا يكون العذاب مصروفًا عنهم.

وقوله ﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ معناه: ونزل بهم جزاء استهزائهم.

قوله تعالى: ﴿ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة﴾ الرحمة هاهنا: هي سعة الرزق.

(١) رواه الترمذي (٥/٢٦٩/رقم٣١٠٩) وحسنه، وابن ماجة (١/٦٤-٦٥ رقم ١٨٢)، وأحمد (٤/١١، ١٢)، والطيالسي (ص١٤٧/رقم١٠٩٣)، والطبري (١٢/٤)، والطبراني في الكبير (١٩/٢٠٧/رقم٤٦٨)، وابن حبان في صحيحه - الإحسان - (١٤/٨-٩/رقم٦١٤١).

﴿٨﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ
نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلاَّ الَّذِينَ
صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا
يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ

وقوله: ﴿ثم نزعناها منه﴾ يعنى: أخذناها منه. قوله: ﴿إنه ليئوس كفور﴾ أى: قنوط من رحمة الله تعالى، كفور بنعمة الله.

قوله تعالى: ﴿ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عنى﴾ يعنى: يقول الإنسان: ذهب السيئات عنى باستحقاقى لذلك، ولا يراه من الله تعالى. وقوله: ﴿إنه لفرح فخور﴾ الفرح: لذة فى القلب بنيل المشتهى، والفخر: هو التطاول على الناس بتعديد المناقب، وهو منهى عنه فى القرآن فى مواضع كثيرة.

وقوله: ﴿إلا الذين صبروا﴾ قال الفرّاء والزجّاج: هذا استثناء منقطع، ومعناه: ولكن الذين صبروا ﴿وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير﴾ معناه ظاهر.

قوله تعالى: ﴿فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك﴾ قال أهل التفسير: سبب نزول الآية: أن الكفار لما قالوا: يا محمد، ائت بقرآن غير هذا أو بدِّلْه، يعنون: ائت بقرآن ليس فيه سب آلهتنا - على ما ذكرنا فى سورة يونس - هَمَّ النبى ﷺ أن يدع سبّ آلهتهم ظاهراً، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿فلعلك تارك بعض ما يُوحى إليك﴾ يعنى: سبّ الآلهة ظاهراً ﴿وضائق به صدرك﴾ يعنى: ولعلك يضيق صدرك ﴿أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك﴾ أى: هلاّ أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك. وقوله: ﴿إنما أنت نذير﴾ معناه: إن عليك الإنذار والإبلاغ، وليس عليك أن تأتى بالآيات التى يقترحونها.

وقوله ﴿والله على كل شىء وكيل﴾ أى: حافظ.

قوله تعالى: ﴿أم يقولون افتراه﴾ معناه: بل يقولون: افتراه، وافتراه: اختلقه ﴿قل

نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا

فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ﴾ ومعنى مثله: أى: مثله فى البلاغة.

قال على بن عيسى النحوى: البلاغة على ثلاث مراتب: المرتبة العليا: معجزة، والوسطى والأدنى ممكنة. والقرآن فى المرتبة العليا من البلاغة.

فإن قيل: قد قال فى سورة يونس: ﴿ فأتوا بسورة مثله ﴾(١) وقد عجزوا عن أن يأتوا بسورة، فكيف يصح أن يقول لهم ﴿ فأتوا بعشر سور مثله ﴾،وما هذا إلا كرجل يقول لغيره: أعطنى درهمًا، فيعجز عنه فيقول: أعطنى عشرة دراهم، وأيضًا فإنه قال: ﴿ مفتريات ﴾ وهل يجوز أن يأمر الله تعالى أن يأتوا بالافتراء؟

الجواب عنه: منهم من قال: إن سورة هود نزلت أولاً وإن كانت فى الترتيب آخرًا، وأنكر المبرد هذا، وقال: لا ، بل نزلت سورة يونس أولاً. وأجاب عن السؤال وقال: معنى قوله: ﴿ فأتوا بسورة مثله ﴾(١) فى سورة يونس يعنى مثله فى الخبر عن الغيب والأحكام. والوعد والوعيد، فعجزوا، فقال لهم فى سورة هود: إن عجزتم عن الإتيان بسورة مثل القرآن فى أخباره وأحكامه ووعده ووعيده، فأتوا بعشر سور مثله مفتريات يعنى: مختلقات من غير خبر عن غيب ولا حكم ولا وعد ولا وعيد، وإنما هى مجرد البلاغة. وهذا جواب صحيح.

وأما السؤال الثانى فالجواب: قلنا: الله سبحانه وتعالى لم يأمرهم بالافتراء، وإنما تحدَّى، ومعناه: أنَّ إصراركم فى تكذيب محمد وزعمكم أنه افترى القرآن يوجب عليكم أن تأتوا بمثله افتراء، ليظهر كذب محمد كما زعمتموه، فلما عجزتم دل أنه صادق.

وقوله: ﴿ وادعوا من استطعتم من دون الله ﴾ معناه: واستعينوا بمن استطعتم من دون الله ﴿ إن كنتم صادقين ﴾.

(١) يونس: ٣٨.

لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُوْلَئِكَ

قوله تعالى: ﴿فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله﴾ يجوز أن يكون قوله: ﴿فاعلموا﴾ خطاب للمؤمنين، ويجوز أن يكون خطابًا للمشركين. وقوله ﴿بعلم الله﴾ بمعنى أنزله وفيه علمه، وهذا ردّ على المعتزلة حيث قالوا: لا علم لله. وقوله: ﴿وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون﴾ يعني: فاعلموا أن لا إله إلا هو، فهل أنتم مسلمون؟ أي: مخلصون.

قوله تعالى: ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفّ إليهم أعمالهم فيها﴾ قال الضحاك: نزلت الآية في المشركين. وقال مجاهد وجماعة: نزلت الآية في كل من عَمِل عملاً وأراد به غير الله. وقوله: ﴿نوف إليهم أعمالهم فيها﴾ يعني: نجازيهم على أعمالهم في الدنيا، وذلك بسعة الرزق ودفع المكاره وما أشبه ذلك. وقوله: ﴿وهم فيها لا يبخسون﴾ فيها أي: في الدنيا، لا يبخسون يعني: لا ينقص حظهم.

ثم قال: ﴿أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها﴾ وبطل ما صنعوا فيها. وقوله: ﴿وباطل ما كانوا يعملون﴾ أي: ومَا حِقٌّ ما كانوا يعملون.

قوله تعالى: ﴿أفمن كان على بينةٍ من ربه﴾ في الآية حذف، ومعناه: أفمن كان على بينة من ربه كمن يُريد الحياة الدنيا وزينتها. وعامة أهل التفسير على أن المراد به النبي ﷺ، وقيل: إن المراد منه: النبي ﷺ وكل مؤمن في العالم. والأول هو الصحيح.

وقوله: ﴿على بينة من ربه﴾ أي: على بيان من ربه. وقوله ﴿ويتلوه شاهد منه﴾ فيه أقوال:

الأول: عليه أكثر أهل التفسير: أن المراد منه: جبريل - عليه السلام - وهذا قول

ابن عباس، ومجاهد، ومنصور بن المعتمر تلميذ النخعى، والنخعى، وغيرهم.

والقول الثانى: أن قوله: ﴿ويتلوه شاهد منه﴾ يعنى: لسان محمد ﷺ. حُكِىَ هذا عن الحسن البصرى، ورواه بعضهم عن [الحسين](1) بن على رضى الله عنهما.

والثالث: أن قوله ﴿ويتلوه شاهد منه﴾ هو على - رضى الله عنه - رُوِىَ عن على - رضى الله عنه - أنه قال: ما من قرشى إلا ونزلت فيه آية من القرآن، فقيل له: وهل نزل فيك شيء؟ فقال: ﴿ويتلوه شاهد منه﴾.

والرابع: ﴿ويتلوه شاهد منه﴾ ملك من الملائكة نزل يحفظه ويسدده ويشهد له. وقيل: إن قوله: ﴿شاهد منه﴾ هو الإنجيل، ومعناه: يتبعه مصدقًا له، يعنى: وهو مصدقه. وقوله: ﴿ومن قبله كتاب موسى إمامًا﴾ أراد به: التوراة، وقوله ﴿إماما ورحمة﴾ يعنى: كانت التوراة إماما ورحمة لمن اتبعها، وهى مصدقة للقرآن، شاهدة للنبى ﷺ. وقوله: ﴿أولئك يؤمنون به﴾ قال بعضهم: أراد به المهاجرين والأنصار. وقال بعضهم: أراد به الذين أسلموا من أهل الكتاب. وقوله: ﴿ومن يكفر به﴾ يعنى: بالرسول ﴿من الأحزاب﴾ وهم تحزبوا على النبى ﷺ أى: تفرقوا من قبائلهم واجتمعوا عليه من قريش وغيرهم. وفى بعض التفاسير: أنهم بنو أمية وبنو المغيرة وبنو أبى طلحة بن عبد العزى، والمراد هو: الكفار منهم دون المسلمين.

والقول الثانى فى الآية: أن الأحزاب أهل الملل كلها. روى أبو موسى الأشعرى - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال: «ما من أحد يسمع بى فلا يؤمن إلا أدخله الله النار»(2). قال سعيد بن جبير: طلبت مصداق هذا من القرآن فوجدته فى قوله تعالى ﴿ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده﴾.

---

(1) فى «ك»: الحسن، والصواب الحسين؛ كما عند ابن جرير، وابن أبى حاتم، وغيرهما راجع الدر المنثور (٣/٣٥٢).

(2) رواه النسائى فى الكبرى (٦/٣٦٣-٣٦٤/رقم١١٢٤١)، وأحمد (٤/٣٩٦، ٣٩٨)، والطبرى فى التفسير (١٢/١٣). وقال الهيثمى فى المجمع (٨/٢٦٥): رواه الطبرانى واللفظ له، وأحمد بنحوه فى الروايتين، ورجال أحمد رجال الصحيح، والبزار مختصراً. وروى من حديث أبى هريرة كما عند مسلم (٢/٢٤٥/رقم ١٥٣)، ومن حديث ابن عباس كما عند الحاكم (٢/٣٤٢).

يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ

وقوله: ﴿فلا تك فى مرية منه﴾ يعنى: فلا تك فى شك منه. وقيل معناه: فلا تك فى شىء منه أيها الشاك. قوله: ﴿إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته﴾ معناه: لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذبًا. ثم قال: ﴿أولئك يعرضون على ربهم﴾ العرض: هو إظهار الشىء ليُرى ويُوقف على حاله، ومنه قولهم: عرض السلطان الجند. وقوله: ﴿ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم﴾ اختلف القول فى الأشهاد، رُوىَ عن ابن عباس أنه قال: هم الأنبياء والمرسلون. وقال مجاهد: هم الملائكة. وقال بعضهم: الخلائق كلهم. وقوله: ﴿هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين﴾ ظاهر المعنى.

وروى ابن عمر - رضى الله عنهما - أن النبى ﷺ قال: «يُدنى المؤمنَ ربُّه يوم القيامة حتى يضع كَنَفَه عليه، فيقرره بذنوبه ويقول: هل تعرف كذا؟ فيقول: أعرف. هل تعرف كذا؟ فيقول: أعرف. فيسأله ما سأله، ثم يقول: سترته عليك فى الدنيا، وأنا أغفره لك اليوم، ثم يعطى كتابه بيمينه، وأما الكفار فيُنادى على رءوس الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم، ألا لعنة الله على الظالمين».

وهذا الحديث هو حديث النجوى، اتفقوا على صحته عن النبى ﷺ (١).

قوله تعالى: ﴿الذين يصدون عن سبيل الله﴾ معناه: الذين يمنعون عن دين الله.

وقوله: ﴿ويبغونها عوجًا﴾ يعنى: ويطلبون الاعوجاج فى دين الله. وقوله ﴿وهم

(١) رواه البخارى (٨/ ٢٠٤-٢٠٥/رقم٤٦٨٥)، ومسلم (١٧/ ١٣٥/رقم٢٧٦٨).

﴿١٩﴾ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَئِكَ

بالآخرة هم كافرون﴾ قال ثعلب: تكرير «هم» على طريق التأكيد لدخول الآخرة بينهما.

قوله تعالى: ﴿أولئك لم يكونوا معجزين فى الأرض﴾ معناه: أولئك لم يكونوا فائتين، وقيل: أولئك لم يكونوا هاربين من عذابنا؛ فإن من هرب عن الشىء وقع العجز عنه. وقوله: ﴿وما كان لهم من دون الله من أولياء﴾ يعنى: من ناصرين وحافظين عن عذابنا. وقوله: ﴿يضاعف لهم العذاب﴾ فإن قيل: ما معنى تضعيف العذاب وقد قال فى موضع آخر: ﴿ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها﴾؟(١)

الجواب من وجهين:

أحدهما: أن مضاعفة العذاب بمضاعفة الجرم.

والآخر: أن الآية فى رؤساء أهل الشرك، وتضعيف العذاب عليهم بتضليل الاتباع ودعائهم إياهم إلى شركهم.

وقوله: ﴿ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون﴾ قال ابن عباس: حال الله بينهم وبين الإيمان. وذكر الفراء عن بعض أهل المعانى: أن معنى الآية: يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلا يستمعون.

وسائر النحاة أنكروا تقدير «الباء» هاهنا. والاستطاعة: قوة تنطاع بها الجوارح للعمل.

وفى الآية قول ثالث: وهو أنهم لما لم يسمعوا استماع (التفهم)(٢) والانتفاع به، ولم يبصروا بصر الحقيقة؛ جعلهم كمن لا يستطيع السمع والبصر.

قوله تعالى: ﴿أولئك الذين خسروا أنفسهم﴾ معناه: غبنوا أنفسهم. وقيل: إن

(١) الأنعام: ١٦٠.

(٢) فى «ك» الفهم.

الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَىٰ وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ

أعظم الخسران، خسران النفس، وأعظم الربح: ربح النفس. وقوله: ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ يعني: فات عنهم ما كانوا يزعمون من شفاعة الملائكة والأصنام.

قوله تعالى: ﴿لا جرم﴾ فيه قولان:

أحدهما: لا جرم يعني: حقًا ﴿أنهم فى الآخرة هم الأخسرون﴾

والقول الثاني :أن قوله: ﴿لا﴾ ردٌّ لما قالوا، وقوله: ﴿جرم﴾ ابتداء كلام، وجرم بمعنى: كسب، قال الشاعر:

ولقد طعنتُ أبا عيينةَ طعنةً جَرَمَتْ فزارةُ بعدها أن يغضَبُوا

يعني: كسبتهم الغضب. وقال آخر:

نصبنا رأسه فى رأس جذع بما جرمت يداه وما اعتدينا.

فمعنى الآية: جرم أى: كسب لهم كفرهم التباب والخسران.

قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم﴾ قال مجاهد: يعنى: خشعوا. وقال بعضهم: اطمأنوا. ورُوىَ عن ابن عباس: خافوا. وقوله: ﴿إلى ربهم﴾ أى: لربهم، مثل قوله تعالى ﴿بأن ربك أوحى لها﴾(١) أى: إليها، فكذلك هاهنا: إلى ربهم.

وقوله: ﴿أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع﴾ الآية، الفريقان هاهنا: فريق الكفار، وفريق المؤمنين. وقوله: ﴿كالأعمى والأصم﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن «الواو» صلة، ومعناه: كالأعمى الأصم، كما يقول القائل: رأيت العاقل والظريف أى: رأيت العاقل الظريف.

(١) الزلزلة: ٥.

يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾
أَن لاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا
مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا

والقول الثاني: أن «الواو» لتعميم التشبيه، ومعناه: حال الكافر كحال الأعمى، وحاله كحال الأصم، وحاله كحال الأعمى والأصم.

وقوله: ﴿والبصير والسميع﴾ الكلام فيه مثل هذا، والمراد منه: حالة المؤمن. وقوله ﴿هل يستويان مثلا﴾ رُوِىَ أن الكفار لما سمعوا هذا قالوا: لا يستويان، فأنزل الله تعالى: ﴿أفلا تذكرون﴾ يعنى: أفلا تتعظون؟!

قوله: ﴿ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه إنى لكم نذير مبين﴾ قرئ بقراءتين؛ بالنصب والخفض؛ فمعنى النصب: بأنى لكم نذير مبين.

قوله تعالى: ﴿ألا تعبدوا إلا الله﴾ معناه: آمُركم ألا تعبدوا إلا الله، والعبادة: التوحيد، وإنما بدأ بالتوحيد لأنه من أهم الأمور.

وقوله: ﴿إنى أخاف عليكم عذاب يوم أليم﴾ أى: مؤلم، والمؤلم: المُوجع.

قوله تعالى: ﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه﴾ الملأ هم الأشراف والرؤساء. وقوله: ﴿ما نراك إلا بشرًا مثلنا﴾ ظاهر المعنى. وقوله: ﴿وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادى الرأى﴾ والأراذل: جمع الرَّذْل، والرذل: الخسيس الدُّون. وقيل: الأراذل: الأسافل، والرذل: السفلة، وفى السفلة أقوال كثيرة لأهل العلم.

قال مالك بن أنس: السفلة: هو الذى يسب أصحاب النبى ﷺ. ورُوِىَ عن الحسن بن زياد اللؤلؤى أنه قال: السفلة: الذى لا دين له.

وعن الأصمعى أنه قال: السفلة: الذى لا يبالى ما قال وما قيل له.

وعن ابن المبارك قال: هم الذين يتقلسون ويأتون أبواب القضاة يطلبون الشهادات. وروى ثعلب عن ابن الأعرابى قال: السفلة: هو الذى يأكل بدينه، وسفلة السفلة هو

نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُم مُّلاقُوا

الذى يسوى دنيا غيره بدينه. وفى بعض الآثار: أشقى الأشقياء من باع دينه بدنيا غيره. وقيل: إن السفلة هم أصحاب الصناعات الدنيّة مثل: الكناسين، والدباغين، والسماكين، والحجامين، والحاكة، وغيرهم. ورُوىَ أن بعض العلماء ببغداد سئل عن امرأة قالت لزوجها: يا سَفِلَة، فقال: إن كنت سَفِلَة فأنت طالق، فقال له ذلك العالم: ما صناعتك؟ فقال: سماك، فقال: سفلة والله سفلةٌ.

ورُوىَ عن على - رضى الله عنه - أنه قال: هم الذين إذا اجتمعوا غلبوا، وإذا تفرقوا لم يعرفوا.

وقوله: ﴿ بادى الرأى ﴾ قرئ بقراءتين: بالهمز، وترك الهمز فأما بالهمز فمعناه: أول الرأى؛ كأنهم قالوا: إنهم اتبعوك فى أول الرأى ولم يتفكروا ولو تفكروا، لم يتبعوك. وأما بادى الرأى بترك الهمز فمعناه: ظاهر الرأى. قال الزجاج: يعنى: اتبعوك ظاهرًا لا باطنًا.

وقوله: ﴿ وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربى ﴾ يعنى: على بيان من ربى. وقوله: ﴿ وآتانى رحمة من عنده ﴾ الرحمة هاهنا هى النبوة والهدى. قوله ﴿ فَعَمِيَت عليكم ﴾ أى: فخفيت عليكم؛ لأن من عمى عن الشىء فقد خفى ذلك الشىء عليه. وقرئ: «فَعُمِّيَتْ عليكم» معناه: فأخفيت عليكم. وقوله: ﴿ أنلزمكموها ﴾ معناه: أنلزمكم الدعوة ﴿ وأنتم لها كارهون ﴾ قال قتادة: لو قدر الأنبياء أن يلزموا قومهم لألزموا [قومهم][1]؛ ولكن لم يقدروا.

قوله تعالى: ﴿ ويا قوم لا أسألكم عليه مالاً إن أجرى إلا على الله ﴾ معناه: ما

(١) من «ك».

رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ

ثوابى إلا على الله. وقوله: ﴿وما أنا بطارد الذين آمنوا﴾ فيه دليل أنهم طلبوا منه أن يطرد المؤمنين. وقوله: ﴿إنهم ملاقوا ربهم﴾ يعنى: إنهم صائرون إلى ربهم فيجزى من طردهم. وقوله: ﴿ولكنى أراكم قومًا تجهلون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ويا قوم من ينصرنى من الله إن طردتهم﴾ معناه: من يمنعنى من عذاب الله إن طردتهم ﴿أفلا تذكرون﴾ أى: أفلا تتعظون؟.

قوله تعالى: ﴿ولا أقول لكم عندى خزائن الله﴾ معناه: ليس عندى خزائن الله فآتى ما تطلبون. وقوله: ﴿ولا أعلم الغيب﴾ يعنى: لا أعلم الغيب فأخبركم بما تريدون. وقوله: ﴿ولا أقول إنى ملك﴾ هذا جواب لقولهم: ﴿ما نراك إلا بشرًا مثلنا﴾. وقوله: ﴿ولا أقول للذين تزدرى أعينكم﴾ تزدرى أى: تحتقر وتستخس، هذا جواب لقولهم: ﴿وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادى الرأى﴾.

وقوله ﴿لن يؤتيهم الله خيرًا﴾ أى: لن يؤتيهم أجرًا ﴿الله أعلم بما فى أنفسهم﴾. [يعنى: فى صدورهم، فى أن يأتيهم الله خيرًا](١)

وقوله: ﴿إنى إذًا لمن الظالمين﴾ يعنى: إنى إذًا لمن الظالمين لو قلت هذا أو طردتهم.

قوله تعالى: ﴿قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا﴾ رُوىَ عن ابن عباس أنه قرأ: «فأكثرت جَدالنا» بالفتح؛ والمجادلة خصومة على وجه المبالغة، وأصل الجدل: هو الفتل، والعرب تسمى الصقر: الأجدل؛ لشدته فى الجوارح.

والفرق بين الحجاج والمجادلة: أن المطلوب من الحجاج ظهور الحق فى المطلوب، ومن المجادلة هو رجوع الخصم إلى قوله.

(١) من «ك».

الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ
نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ
﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾

والفرق بين المراء والمجادلة: أن المراء مذموم؛ لأنه خصومة بعد ظهور الحق، والجدال غير مذموم، اللهم إلا أن يُبالغ فيه من غير قصد طلب الحق.

وقوله تعالى: ﴿فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين﴾ هذا دليل على أنه كان وعدهم العذاب إن لم يؤمنوا.

قوله تعالى: ﴿قال إنما يأتيكم به الله إن شاء﴾ يعنى: بالعذاب. وقوله: ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ أى: بفائتين ولا هاربين.

قوله تعالى: ﴿ولا ينفعكم نصحى﴾ والنصح: إخلاص العمل عن الفساد. وقيل: إنه بيان موضع الغى ليُجْتَنب، وبيان موضع الرُّشد ليُطلَبَ. وقوله: ﴿إن أردت أن أنصح لكم﴾ أراد موافقة لأمر الله. وقوله: ﴿إن كان الله يريد أن يغويكم﴾ أكثر المفسرين على أن معناه: يضلكم. وقيل: يخلق الغى فى قلوبكم، والغى ضد الرشد. وذكر محمد بن جرير الطبرى أن معنى قوله: ﴿يغويكم﴾: يهلككم. ولم يرض ابن الأنبارى هذا من حيث اللغة، وقال: لا يستقيم فى اللغة أن يذكر الإغواء بمعنى الإهلاك. وقال بعضهم: يخيبكم من رحمته.

وقوله: ﴿هو ربكم وإليه ترجعون﴾ ظاهر المعنى، وفى الآية ردٌّ على القدرية.

قوله تعالى: ﴿أم يقولون افتراه﴾ بل يقولون: افتراه أى: اختلقه. وقوله: ﴿قل إن افتريته فعلىَّ إجرامى﴾ قرئ فى الشاذ: «فعلىَّ أَجرامى» بالفتح، والأجرام: جمع الجُرُم، والإجرام: هو كسب الذنب، ومعنى الآية: فعلىَّ وبال ذنبى وجرمى. وقوله: ﴿وأنا برىء مما تجرمون﴾ يعنى: أنا برىء مما تكتسبون من الذنب.

قوله تعالى: ﴿وأُوحى إلى نوح﴾ روى الضحاك عن ابن عباس: أن قوم نوح كانوا يضربون نوحًا حتى [يسقط][(١)]، فيلقونه فى لبدٍ ويلقونه فى بيته ويظنون أنه قد

(١) فى «الأصل»: سقط.

وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾

مات، فيخرج فى اليوم الثانى ويدعوهم إلى الله؛ فرُوىَ أن شيخًا جاء يتوكأ على عصا ومعه ابنه فقال: يا بُنىَّ لا يغُرنك هذا الشيخ المجنون، فقال: يا أبة، أمكنى من العصا، فدفع إليه العصا، فضرب نوحًا على رأسه وشجَّه شجةً منكرة حتى سالت الدماء منه، وهو يدعوهم إلى الإيمان، فأنزل الله تعالى: ﴿ أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ﴾ فحينئذ استجار بالدعاء وقال: ﴿ رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديّاراً ﴾[1]. وقوله: ﴿ فلا تبتئس بما كانوا يفعلون ﴾ قال مجاهد وقتادة: فلا تحزن. قال أهل اللغة: الابتئاس: حزن مع استكانة، قال الشاعر:

ما يَقسِمُ اللهُ فاقبل غيرَ مبتئسٍ ... منــه واقعد كريمًا ناعم البــالى

قوله تعالى: ﴿ واصنع الفلك بأعيننا ﴾ عن ابن عباس قال: بمرأى منا.

وعن الضحاك: بمنظر منا. وقيل: برؤيتنا وحفظنا. وفى القصة: أن جبريل - عليه السلام - أتى نوحا - عليه السلام - فقال: إن ربك يأمرك أن تصنع الفلك. قال: كيف أصنع ولست بنجار؟! فقال: إن ربك يقول: اصنع الفلك فأنت بعينى. فأخذ القدوم وجعل يصنع الفلك فلا يخطئ موضعاً.

وقوله: ﴿ ووحينا ﴾ أى: وأمرنا. وقوله: ﴿ ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا إنهم مغرقون ﴾ فيه قولان:

أحدهما: ولا تخاطبنى فى إمهال الكفار، فإنى قد حكمت بإغراقهم.

والثانى: لا تخاطبنى فى ابنك؛ فإنه هالك مع القوم.

قوله تعالى: ﴿ ويصنع الفلك ﴾ رُوى عن زيد بن أسلم أنه قال: مكث نوح مائة سنة يغرس الأشجار ويقطع، ومكث مائة سنة يعمل الفلك. وعن كعب الأحبار أنه قال: إن نوحًا عمل السفينة فى ثلاثين سنة. ورُوىَ عن سلمان الفارسى: أن نوحًا

(١) نوح: ٢٦.

وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ

عمل السفينة فى أربعمائة سنة. ذكر فى بعض التفاسير، والمعروف الأول.

وقوله: ﴿ وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه ﴾ قال أهل التفسير: كانوا إذا مروا عليه قالوا: إنَّ هذا الذى كان يزعم أنه نبى قد صار نجاراً.

ورُوىَ أنهم كانوا يقولون له: يا نوح، ما تصنع؟ فيقول: أصنع بيتا يمشى على الماء، فيضحكون ويتعجبون منه.

وفى بعض التفاسير عن ابن عباس: أنهم لم يكونوا رأوا بحراً قط ولا سفينةً، وإنما البحار الآن من بقايا الطوفان.

وقوله: ﴿ قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون ﴾ فإن قيل: كيف يجوز أن يسخر نبى من الأنبياء من قومه؟

الجواب: إن هذا على وجه ازدواج الكلام، ومعناه: إن تستجهلونى فإنى أستجهلكم إذا نزل العذاب. وقيل معناه: إن تسخروا منى فسترون عاقبة سخريتكم.

قوله تعالى ﴿ فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ﴾ هذا متصل بقوله: ﴿ فسوف تعلمون ﴾ ومعناه: فسوف تعلمون أينا ﴿ يأتيه عذاب يخزيه ﴾ وقيل: فسوف تعلمون الذى يأتيه عذاب يخزيه، هذا ومعنى قوله: «يخزيه»: يهلكه، وقيل: يذله. وقوله: ﴿ ويحل عليه عذاب مقيم ﴾ معناه: ينزل عليه عذاب دائم، وهو الغرق.

قوله تعالى: ﴿ حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور ﴾ اختلفوا فى التنور على أقوال: الأكثرون على أنه تنور الخابزة، هذا قول ابن عباس، ومجاهد، وجماعة.

وعن عكرمة قال: هو وجه الأرض. وحُكىَ هذا عن ابن عباس أيضًا. وقالوا: كأن الله تعالى جعل بينه وبين نوح علامةً، وقال: إذا رأيت الماء قد فار على وجه الأرض فاركب السفينة.

مُقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ

والقول الثالث: ما رُوىَ عن على - رضى الله عنه - أنه قال: «وفار التنور» يعنى: انفجر الصبح؛ وهو من قولهم: نوّر الصبح تنويراً. وقال بعضهم: التنور هاهنا: تنور من حجارة كانت حواء تخبز فيه فورثه نوح، وقال الله تعالى لنوح: إذا فار الماء من آخر موضع فى دارك فهو العلامة، واسم التنور اسم وافقت العربية فيه العجمية.

واختلفوا فى موضع التنور:

رُوىَ عن على - رضى الله عنه - أنه قال: كان بالكوفة، وأشار إلى باب كندة للمسجد، ومثله عن الشعبى أن التنور فار من ناحية الجانب الأيمن من مسجد الكوفة. وحكى أن رجلاً جاء إلى على - رضى الله عنه - وقال: يا أمير المؤمنين، إنى اشتريت راحلة وأعددت زاداً لأذهب وأصلى فى مسجد بيت المقدس، فقال: بع راحلتك، وكُلْ زادك، وصلِّ فى هذا المسجد - يعنى: مسجد الكوفة -؛ فإنه صلى فيه سبعون نبيّاً، ومنه فار التنور.

وقال بعضهم: كان التنور بالشام. وقال بعضهم: كان بأرض الهند.

وقال بعضهم: التنور عين بالجزيرة تسمى عين الوردة.

وقوله: ﴿قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين﴾ «فيها» ينصرف إلى الفلك، واختلفوا فى قدر الفلك:

رُوىَ عن الحسن البصرى أنه قال: كان طول السفينة ألفا ومائتين ذراع، وعرضها ستمائة ذراع. والمعروف أن طولها كان ثلثمائة ذراع، وعرضها كان (خمسين)[1] ذراعاً، وارتفاعها إلى السماء كان ثلاثين ذراعًا، وقد قيل غير هذا، والله أعلم.

قال قتادة: وكان بابها فى عرضها. قالوا: وكانت ثلاث طبقات: الطبقة العليا للطير، والطبقة السفلى للسباع والوحش، والوسطى للنساء والرجال، والحاجز بين النساء والرجال جسد آدم؛ فإنه كان حمله مع نفسه فى السفينة.

(١) فى «ك»: خمسون، وهو خلاف الجادة.

إلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ

وقوله: ﴿من كل زوجين اثنين﴾ الزوج كل واحد لا يستغنى عن مثله، يقال: زوج خف، وزوج نعلٍ، والمراد من الزوجين هاهنا: الذكر والأنثى، ومعناه: من كل ذكر وأنثى اثنين.

وفي القصة: أن نوحًا - عليه السلام - قال: يارب، كيف أحمل من كل زوجين اثنين؟ فحشر الله تعالى السباع والطير إليه، فجعل يضرب بيديه في كل جنس، فيقع الذكر في يده اليمنى والأنثى في يده اليسرى فيحملها في السفينة. وذكر وهب بن منبّه أن الناس شكوا الفأر إلى نوح في السفينة، فأمره الله تعالى أن يمسح جبهة الأسد، فخرج من منخريه سنّوران فأكلا الفأر، وشكوا إليه أيضا كثرة العذرة فأمره أن يمسح على مؤخر الفيل، فخرج منه خنزيران فأكلا العذرة.

وقوله تعالى: ﴿وأهلك﴾ معناه: واحمل أهلك ﴿إلا من سبق عليه القول﴾ يعنى: ابنه وامرأته. وقوله: ﴿ومن آمن﴾ معناه: وأحمل من آمن.

وقوله: ﴿وما آمن معه إلا قليل﴾ اختلفوا في عددهم، رُوِىَ عن ابن عباس أنه قال: كانوا ثمانين نفراً. وعن بعضهم: كانوا اثنين وسبعين نفراً. وعن الأعمش قال: كانوا سبعة نفرٍ: ثلاثة بنين لنوح وهم: سام، وحام، ويافث وثلاث كنائنهم - يعنى: نساؤهم- ، ونوح. وقال قتادة: كانوا ثمانية نفرٍ.

قوله تعالى: ﴿وقال اركبوا فيها بسم الله مَجْريها ومَرْسيها﴾ بفتح الميمين، وقرأ أبو رجاء العطاردى: «مُجْرِيها ومُرْسِيها»[1] بالرفع.

أما معنى قوله: ﴿مجريها ومرسيها﴾ يعنى: بسم الله إجراؤها وإرساؤها، ومعنى مَجرّيها ومَرسيها بالنصب يعنى: بسم الله جريها ورسوها. وقال بعضهم: كان إذا قال نوح: بسم الله وأراد الجرى جرت، وإذا قال: بسم الله وأراد الرسو رست.

وأما مدة لبث نوح في السفينة: قالوا: استقلت السفينة على وجه الماء لعشر خلون من رجب، وجرت مائة وخمسين يومًا، وأرست لعشر خلون من ذى الحجة، وهبطوا

(١) قرأ حمزة، والكسائى وخلف، وحفص بفتح الميم وقرأ الباقون بضم الميم. انظر النشر (٢/٢٨٨ - ٢٨٩).

مَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ
نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ
جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ

يوم عاشوراء إلى الأرض، فصام ذلك اليوم وأمر القوم بصومه.

وفى القصص: أن السفينة طافت جميع الدنيا، وحين وصلت إلى الكعبة طافت بها أسبوعًا، وكانت الكعبة قد رُفعت وبقى الموضع.

وقوله: ﴿إن ربى لغفور رحيم﴾ معناه ظاهر.

قوله تعالى: ﴿وهى تجرى بهم فى موج كالجبال﴾ معنى الموج: قطعة من البحر ترتفع عند شدة الريح.

وقوله: ﴿ونادى نوح ابنه وكان فى معزل﴾ قيل: فى معزل من السفينة، وقيل: فى معزل من قومه.

وقوله: ﴿يا بنى اركب معنا﴾ قرئ بقراءتين: «يا بُنَىَّ» و«يا بُنَىً»(١)، ومعناهما واحد. وقوله: ﴿ولا تكن مع الكافرين﴾ أى: من الكافرين، معناه ظاهر.

واختلفوا فى أنه هل كان ابنه من صلبه أو لا؟

فرُوىَ عن ابن عباس - رضى الله عنهما - وعكرمة، وسعيد بن جبير، والضحاك، وجماعة أنهم قالوا: كان ابنه من صلبه. قال ابن عباس رضى الله عنهما: ما بغت امرأة نبى قط. وكان عكرمة يحلف أنه كان ابن نوح لصُلبه. وأما الحسن ومجاهد: فإنهما قالا: كان ابن امرأته، ولم يكن ابنه، واستدلا بقوله سبحانه وتعالى ﴿فلا تسألن ما ليس لك به علم﴾(٢)، قالا: كان يظن أنه ابنه ولم يكن ابنه. والأول هو الأصح. وقيل: إن اسمه كان كنعان. وقيل: إن اسمه كان «يام».

قوله تعالى: ﴿قال سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء﴾ يعنى: ألتجئ إلى الجبل يمنعنى من الغرق. فـ﴿قال﴾ له نوح: ﴿لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم﴾

(١) انظر النشر (٢/٢٨٩).
(٢) هود: ٤٦.

فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ

ففيه قولان:

أحدهما: أن العاصم بمعنى المعصوم، ومعناه: لا معصوم اليوم من أمر الله إلا من رحم.

والقول الثاني: لا عاصم اليوم من أمر الله إلا الله.

قوله تعالى: ﴿إلا من رحم﴾ هو الله تعالى. وقوله ﴿وحال بينهما الموج فكان من المغرقين﴾ أى: صار من المغرقين.

وفى القصة: أن الماء علا على رءوس الجبال بقدر أربعين ذراعًا. وقيل: دونه، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وقيل يا أرض ابلعى ماءك﴾ معناه: اشربى ماءك، ويقال: ابلعى أى: غَيِّبى ماءك فى جوفك. وقوله: ﴿ويا سماء أقلعى﴾ أى: أمسكى. وقوله: ﴿وغيض الماء وقضى الأمر﴾ معناه: ونقص الماء ونضب. وقوله: ﴿وقضى الأمر﴾ أى: فرغ من الأمر، وهو هلاك القوم. وقوله: ﴿واستوت على الجودىِّ﴾ معناه: واستقرت على الجودى، قيل: إنه جبل بناحية آمد. وقال الفراء: جبل بناحية نصيبين. وقوله: ﴿وقيل بعداً للقوم الظالمين﴾ أى: هلاكا للقوم الظالمين.

وفى مصحف ابن مسعود - رضى الله عنه -: «وغيض الماء واستوت على الجودى وقضى الأمر».

ورُوِىَ أن نوحًا - صلوات الله عليه - بعث بالغراب ليأتيه بخبر الأرض، فوقع على جيفة ولم يرجع، فبعث بالحمامة فجاءت بورق زيتونة فى منقارها ولطخت رجليها بالطين؛ ليعلم نوح أن الماء قد نضب، فأعطيت الطوق [وخضاب][(١)] الرجلين من ذلك الوقت.

وهذه الآية تُعدُّ من فصيحات القرآن، وحُكِىَ أنها قرئت عند أعرابى فقال: هذا

(١) فى «الأصل، وك»: وخطاب..

إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ

كلام قادر.

قوله سبحانه وتعالى: ﴿ونادى نوح ربه فقال رب إن ابنى من أهلى وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين﴾ يعنى: أنت وعدتنى أن تنجى أهلى وأنت أحكم الحاكمين يعنى: وأنت أحكم الحاكمين بالعدل.

قال الله تعالى: ﴿يا نوح إنه ليس من أهلك﴾ معناه: ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم. وعلى قول الحسن، ومجاهد يعنى: ليس بابنك.

وقوله: ﴿إنه عمل غير صالح﴾ معناه: إنه ذو عمل غير صالح.

والقول الثانى: أن سؤالك إياى إنجاءه؛ عمل غير صالح.

وفى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه - «إنه عَمِلَ غَيْرَ صالح».

﴿فلا تسألن ماليس لك به علم﴾ وهذا يؤيد المعنى الثانى. وقرئ: «إنه عمِل غيرَ صالح»(١) ومعناه: إن ابنك عَمِل غيرَ صالح.

وقوله تعالى: ﴿فلا تسألن ما ليس لك به علم﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن نوحًا كان يظن أنه مسلم وهو يبطن الكفر من أبيه، فهذا معنى قوله: ﴿لا تسألن ما ليس لك به علم﴾

والثانى: معناه: أنه ليس بابنٍ لك على ما ذكرنا.

وقوله: ﴿إنى أعظك أن تكون من الجاهلين﴾ معناه: إنى أحذرك أن تكون من الآثمين، وذنب المؤمن جهل، وذنب الكافر كفر.

والقول الثانى: ﴿إنى أعظك أن تكون من الجاهلين﴾ - يعنى: أن تدعو بهلاك الكفار ثم تطلب نجاة كافر.

---

(١) انظر النشر (٢/٢٨٩).

الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا

قوله تعالى: ﴿قال﴾ أى: قال نوح: ﴿رب إنى أعوذ بك أن أسألك﴾ ...(١) غير أنى أمتنع بك أن أسألك ﴿ما ليس لى به علم﴾ ومعناه: سؤال العصمة.

وقوله: ﴿وإلا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿قيل يانوح اهبط بسلام منا﴾ معناه: انزل بسلامةٍ لك من قبلنا.

وقوله: ﴿وبركات عليك﴾ البركة: ثبوت الخير، ومنه بروك البعير. وقيل: إن البركة ها هنا هو أن الله سبحانه وتعالى جعله آدم الأصغر، فأهلك سائر من معه من غير نسل، وجعل النسل من ذريته إلى قيام الساعة. وقوله: ﴿وعلى أمم ممن معك﴾ معناه: على ذرية أمم ممن معك. قال محمد بن كعب القرظى: دخل فيه كل مؤمن إلى قيام الساعة كان فى صلب نوح. وقوله ﴿وأمم سنمتعهم﴾ ابتداء كلام، ومعناه: وأمم سنمتعهم وهم الكفار. وقوله ﴿ثم يمسهم منا عذاب أليم﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك﴾ أى: نلقيها إليك. قوله: ﴿ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا﴾ يعنى: من قبل إنزال القرآن. قوله: ﴿فاصبر إن العاقبة للمتقين﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿وإلى عاد أخاهم هوداً﴾ عادٌ قوم كانوا بالأحقاف، وهى رمال بين اليمن والشام. وقيل: إنهم كانوا بنفس اليمن، وكانوا أعطوا زيادة فى الجسم والقوة على سائر الخلق. وقوله: ﴿أخاهم﴾ يعنى: أخاهم فى النسب لا فى الدين، ومعنى الآية: وأرسلنا إلى عاد أخاهم هوداً.

(١) كلمة غير مقروءة فى الأصلين.

قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِن أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ

قوله: ﴿قال ياقوم اعبدوا الله﴾ أى: وحِّدوا الله. قوله: ﴿مالكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون﴾ والافتراء: الكذب، وكان كذبهم على الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿يا قوم لا أسألكم عليه أجراً﴾ أى: ثوابًا؛ يعنى: لا أسألكم على الإبلاغ أجرًا. وقوله: ﴿إن أجرى إلا على الذى فطرنى﴾ معناه: إنْ ثوابى إلا على الذى فطرنى، أى: خلقنى ﴿أفلا تعقلون﴾ ظاهر [المعنى](1).

قوله تعالى: ﴿ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه﴾ قدم الاستغفار على التوبة لما بيّنّا من المعنى. وقوله: ﴿يرسل السماء عليكم مدراراً﴾ معناه: يرسل السماء عليكم مدرارًا بالمطر مرةً بعد أخرى فى أوقات الحاجة، والمدرار على طريق المبالغة، يقال: امرأة معطار مذكار. وقوله: ﴿ويزدكم قوة إلى قوتكم﴾ رُوىَ أن الله تعالى حبس عنهم المطر ثلاث سنين، وأعقم أرحام الأمهات فلم يلدن، فمعنى قوله: ﴿يزدكم قوة إلى قوتكم﴾ يعنى: يرسل عليكم المطر فتزدادون مالاً، ونعيد أرحام الأمهات إلى ما كان فيلدن فتزدادون قوة بالأموال والأولاد. وقيل: «ويزدكم قوة إلى قوتكم» أى: شدة إلى شدتكم. وقيل: يزدكم قوة فى دينكم إلى قوتكم فى أبدانكم. وقوله: ﴿ولا تتولوا مجرمين﴾ أى: ولا تعرضوا.

قوله تعالى: ﴿قالوا ياهود ما جئتنا ببينة﴾ أى: بحجة واضحة. وقوله: ﴿وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك﴾ أى: بسبب قولك: ﴿وما نحن لك بمؤمنين﴾ أى: بمصدقين.

قوله تعالى: ﴿إن نقول إلا اعتراك﴾ معناه: إلا أصابك، قال الشاعر:

أَتَيْتُكَ عَارِيًا خلقًا ثيابى ... على خوفٍ تَظُنُّ بِى الظنونا

(1) من «ك».

﴿٥٣﴾ إن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ
مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى
اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن

والعارى ها هنا هو السائل؛ سمى عاريًا لأنه يطلب الإصابة.

وقوله: ﴿بعض آلهتنا بسوء﴾ أى: بلمم وخبل، كأنهم قالوا: إنك سببت آلهتنا فانتقموا منك بالتخبيل واللمم. وقوله: ﴿قال إنى أشهد الله واشهدوا أنى برىء مما تشركون من دونه﴾ فإن قيل: كيف قال للمشركين: ﴿واشهدوا﴾ ولا شهادة لهم؟ قلنا: هذا مذكور على طريق المبالغة فى الحجة، لا على طريق إثبات الشهادة لهم.

وقوله: ﴿فكيدونى جميعًا ثم لاتنظرون﴾ الكيد: احتيالٌ بِشَرٍّ. وهذا القول معجزة لهود - صلوات الله عليه - فإنه أمرهم أن يحتالوا بكل حيلة لإيصال مكروهٍ إليه، ومنعهم الله تعالى عن ذلك فلم يقدروا عليه، وهذا مثل قول نوح فى سورة يونس: ﴿فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لايكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلىَّ ولا تنظرون﴾(١) وقد بيّنّا تفسيره.

قوله تعالى: ﴿إنى توكلت على الله ربى وربكم﴾ معناه: اعتمدت على الله ربى وربكم. وقوله: ﴿ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها﴾ معناه: ما من دابة إلا وهى فى قبضته وتنالها قدرته، وخصّ الناصية بالذكر؛ لأن الإذلال والإقماء فى أخذ الناصية.

وقوله: ﴿إن ربى على صراط مستقيم﴾ فيه أقوال:

أحدها: أن معناه: إن ربى يَعمل بالعدل، وإن كان قادراً على كل شىء، فلا يعمل إلا بالإحسان والعدل.

والثانى: ﴿إن ربى على صراط مستقيم﴾ معناه: إن دين ربى على صراط مستقيم.

والثالث: قوله ﴿إن ربى على صراط مستقيم﴾ هو فى معنى قوله: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾(٢) يعنى: إنه على طريق الخَلْقِ أجمع.

(١) يونس: ٧١.
(٢) الفجر: ١٤.

تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا

قوله تعالى: ﴿فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم﴾ معناه: فإن أعرضوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم. قوله: ﴿ويستخلف ربى قوماً غيركم﴾ معناه: إن أعرضتم يهلككم ويستخلف قوماً غيركم هم أطوع لله منكم. وقوله ﴿ولا تضرونه شيئا﴾ يعنى: ولا تنقصونه شيئًا. وقوله: ﴿إن ربى على كل شيء حفيظ﴾ أى: حافظ لأمور خلقه على ما دبّر وقدَّر.

قوله تعالى ﴿ولما جاء أمرنا نجينا هوداً والذين آمنوا معه﴾ الآية. قوله: ﴿أمرنا﴾ أى: عذابنا، ﴿نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا﴾ أى: بما هديناهم وبيّناهم طريق الهُدى حتى آمنوا. وقوله: ﴿ونجيناهم من عذاب غليظ﴾ العذاب الغليظ: هو العذاب الذى أهلك به عاداً وقومه وهو الريح العقيم، فكانت الريح تدخل فى مناخرهم وأفواههم، وتخرج من أدبارهم فتقطعهم تقطيعاً أى: قطعة قطعة.

وقوله تعالى: ﴿وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم﴾ معناه: أنكروا آيات ربهم. وقوله: ﴿وعصوا رسله﴾ أى: بالتكذيب. وقوله: ﴿واتبعوا أمر كل جبار عنيد﴾ قيل: الجبار هو الذى يقتل على الغضب، والعنيد هو المعاند. قال الشاعر:

إنى لشيخ لا أطيقُ العُنَّـــدَا ولا أطيق البكرات الشـــردا

قوله تعالى: ﴿وأتبعوا فى هذه الدنيا لعنة﴾ اللعنة: هى الإبعاد عن الرحمة. قال أهل العلم: ولايجوز لعن البهائم؛ لأنها غير مستحقة للبُعد من رحمة الله. وقد ثبت «أن رجلاً لعن بعيره فى سفر فأمره النبى ﷺ أن ينزل عنه ويخليه وقال: لايصحبنا ملعون»(١). وهذا على طريق الزجر والردع للاعن. وقوله: ﴿ويوم القيامة ألا إن عاداً

(١) رواه أبو يعلى فى مسنده (٦/ ٣٠٥ - ٣٠٦/ رقم٣٦٢٢)، والطبرانى فى الأوسط، كما فى مجمع البحرين (٥/ ٣٢٢/ رقم٣١٤٨) من حديث أنس. =

كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا

كفروا ربهم ﴾ أى: كفروا بربهم. وقوله: ﴿ ألا بعداً لعاد قوم هود ﴾ معناه: ألا سحقًا وخزيًا وهلاكًا لعادٍ قوم هود.

قوله تعالى: ﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحا ﴾ معناه: وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحًا، وقوله: ﴿ أخاهم ﴾ على ما قدمنا، وثمود قوم كانوا بحجر بين الحجاز والشام.

وقوله: ﴿ قال ياقوم اعبدوا الله ﴾ أى: وحّدوا الله ﴿ ما لكم من إله غيره ﴾ أى: ما لكم من معبود غيره.

وقوله: ﴿ هو أنشأكم من الأرض ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنشأكم فى الأرض، والآخر وهو: أنه أنشأكم من الأرض؛ لأنه خلقهم من آدم، وخلق آدم من الأرض.

وقوله ﴿ واستعمركم فيها ﴾ [فيه][1] قولان:

أحدهما: أطال عمركم فيها وكان الواحد منهم يعيش من ثلثمائة سنة إلى ألف سنة، وهكذا قوم عاد.

والقول الثانى: جعلكم عُمَّاراً فيها، ببناء المساكن وغرس الأشجار. ذكره الفراء والزجاج.

وقوله: ﴿ فاستغفروه ثم توبوا إليه ﴾ قد بينا المعنى. وقوله: ﴿ إن ربى قريب

= وقال الهيثمى فى المجمع (٨/ ٨٠): ورجاله رجال الصحيح. ورواه أحمد (٢/ ٤٢٨) عن أبى هريرة، وقال الهيثمى فى المجمع (٨/ ٨٠): ورجاله رجال الصحيح.

ورواه مسلم (١٦/ ٢٢٢ - ٢٢٣/ رقم٢٥٩٥)، وأبو داود (٣/ ٢٦/ رقم ٢٥٦١) من حديث عمران بن حصين ولكن فيه: أن الذى لعن الناقة امرأة.

وكذا عند مسلم (١٦/ ٢٢٣-٢٢٤/ رقم٢٥٩٦). وعند أحمد (٦/ ٧٢،٢٥٧-٢٥٨) من حديث عائشة أنها هى التى لعنت الناقة.

(١) زيادة يتطلبها السياق.

إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا

مجيب ﴾ قريب من المؤمنين، مجيب لدعائهم.

قوله تعالى: ﴿ قالوا ياصالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا ﴾ أى: قد كنا نرجوا فيك الخير، والآن قد يئسنا من خيرك وفلاحك. وقوله: ﴿ أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا ﴾ ظاهر المعنى. وقوله: ﴿ وإننا لفى شكٍّ ﴾ لفى ريب ﴿ مما تدعونا إليه مريب ﴾ أى: مرتاب. وهذا على طريق التأكيد.

قوله تعالى: ﴿ قال ياقوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربى ﴾ أى: على حجة من ربى. وقوله تعالى: ﴿ وآتانى منه رحمة ﴾ الرحمة هاهنا: بمعنى النبوة.

وقوله: ﴿ فمن ينصرنى من الله إن عصيته ﴾ أى: فمن يمنع منى عذاب الله إن عصيته.

وقوله: ﴿ فما تزيدوننى غير تخسير ﴾ فيه قولان:

أحدهما: إن اتبعتكم ما كنت إلا كمن يزداد خساراً وهلاكًا.

والقول الثانى: فما تزيدوننى غير تخسير لكم، وحقيقته: أنى أطلب منكم الرشد، وأنتم تعطوننى الخسار والهلاك، يعنى: لأنفسكم.

هذا كله جواب عن سؤال من سأل فى هذه الآية: كيف قال ﴿ فما تزيدوننى غير تخسير ﴾ ولم يك صالح فى خسار؟

وقوله تعالى: ﴿ ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية ﴾ روى أن قومه طلبوا منه أن يخرج ناقة عشراء من هذه الصخرة الصماء، وأشاروا إلى صخرة أمامهم، قال: فدعا صالح ربه فتمخضت الصخرة وسُمع لها أنين كأنين الناقة، ثم خرجت منها ناقة كأعظم ما

تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ
ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ
مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ

يكون من النوق، وولدت فى الحال ولداً مثالها، فهذا معنى قوله: ﴿هذه ناقة الله لكم آية﴾.

وقوله: ﴿فذروها تأكل فى أرض الله﴾ أى: فدعوها تأكل فى أرض الله. وقوله: ﴿ولا تمسوها بسوء﴾ أى: بإهلاك. وقوله ﴿فيأخذكم عذاب قريب﴾ معناه: قريب من إهلاك الناقة.

قوله تعالى: ﴿فعقروها﴾ العقر ها هنا: جراحة تؤدى إلى الهلاك.

وقوله ﴿فقال تمتعوا فى داركم﴾ معناه: عيشوا فى داركم، والدار بمعنى الديار.

وقوله: ﴿ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب﴾ فرُوِىَ أنه قال لهم: يأتيكم العذاب بعد ثلاثة أيام، فتصبحون اليوم الأول ووجوهكم مصفرة، ثم تصبحون اليوم الثانى ووجوهكم محمرة، ثم تصبحون اليوم الثالث ووجوهكم مسودة؛ فكان كما قال، وأتاهم العذاب اليوم الرابع.

قوله تعالى: ﴿فلما جاء أمرنا نجينا صالحًا والذين آمنوا معه برحمة منا﴾ فى بعض التفاسير: أنه آمن معه أربعة آلاف نفر. وقوله: ﴿ومن خزى يومئذ﴾ معناه: ومن هلاك يومئذ. وقوله: ﴿إن ربك هو القوى العزيز﴾ قد بيَّنَّا معنى القوى والعزيز من قبل.

قوله تعالى: ﴿وأخذ الذين ظلموا الصيحة﴾ المعروف أنه صاح بهم جبريل صيحة واحدة فهلكوا عن آخرهم، وقال بعضهم: خلق الله تعالى صياحًا فى جوف بعض الحيوانات فأهلكهم، فإن قيل: الصيحة مؤنثة، وقد قال: ﴿وأخذ الذين ظلموا الصيحة﴾؟

والجواب عنه: أن الصيحة ها هنا بمعنى الصياح، وهو جائز فى اللغة.

فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَن

وقوله: ﴿ فأصبحوا فى ديارهم جاثمين ﴾ أى: ميتين. ويقال: إنهم سقطوا على وجوههم موتى عن آخرهم، ومنه جثم الطائر. ومنه الخبر المروى: « نهى عن المجثمة »(١).

وقوله تعالى: ﴿ كأن لم يغنوا فيها ﴾ معناه: كأن لم يقيموا فيها منعمين مسرورين.

وقوله: ﴿ ألا إن ثمودا كفروا ربهم ﴾ أى: بربهم. وقوله: ﴿ ألا بعدا لثمود ﴾ معناه كما قدمنا من قبل.

قوله تعالى: ﴿ ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى ﴾ قال السدى: كانوا اثنى عشر مَلَكًا. وقال غيره: كانوا تسعة من الأملاك.

ويقال: إنهم ثلاثة: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل. وقيل: جاءوا على صورة البشر.

وفى القصة: أن إبراهيم – صلوات الله عليه – كان لايأكل إلا مع الضيف، ومكث خمس عشرة ليلة ولم يأته ضيف، ثم جاءه هؤلاء الملائكة. وقوله: ﴿ بالبشرى ﴾ فيه قولان:

أحدهما: بالبشرى بإسحاق، والآخر: بالبشرى بإهلاك قوم لوط.

وقوله: ﴿ قالوا سلامًا ﴾ معناه: قالوا سلمنا سلامًا ﴿ قال سلام ﴾ قرئ بقراءتين: إحداهما: « سلام » وهو المعروف، والآخر: « سِلْمٌ » قراءه حمزة والكسائى(٢). أما قوله: ﴿ سلام ﴾ معناه: جوابى سلام، أو قولى سلام. أما قوله: « سِلْمٌ » قيل: إن السلم والسلام بمعنى واحد، كالحِلّ، والحلال، والحرم والحرام. ويقال: إن « السلم » بمعنى

(١) رواه الترمذى (٤/ ٢٣٨/رقم ١٨٢٥)، وقال: حسن صحيح، والنسائى (٧/ ٢٤٠/رقم ٤٤٤٨)، وأحمد (١/ ٢٢٦، ٢٤١)، والحاكم (٢/ ٣٢) وصححه على شرط البخارى، كلهم من حديث ابن عباس، وقد روى عن غير واحد من الصحابة، انظر تخريج الكشاف للزيلعى (١/ ٤٦٦ – ٤٦٩).

(٢) انظر النشر (٢/ ٢٩٠).

جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن

الصُّلح، فمعناه: أنا أطلب السلامة منكم.

وقوله: ﴿فما لبث أن جاء بعجل حنيذ﴾ فهذا دليل على أن الضيف ينبغى أن يُعجل له [بشيء](١) يأكله، وهو سنة إبراهيم - صلوات الله عليه - وقوله: ﴿أن جاء بعجل حنيذ﴾ العجل: ولد البقرة، والحنيذ: هو المحنوذ، وهو المشوى على الحجارة المحماة يُخَدُّ له فى الأرض خَدًّا فيشوى فيه. ورُوِىَ أنه كان سمينًا يسيل دسمًا.

قوله تعالى: ﴿فلما رأى أيديهم لاتصل إليه﴾ أى: لما رآهم لايأكلون؛ فإن الملائكة لا تأكل. قوله: ﴿نكرهم﴾ أى: أنكرهم، قال الشاعر:

فأنْكَرَتْنِى وما كان الذى نَكِرَتْ ... من الحوادث إلا الشَّيْبَ والصَّلَعا

وقوله: ﴿وأوجس منهم خيفة﴾ كان إبراهيم - صلوات الله عليه - نازلا على طرف من الناس، فلما دخل عليه هؤلاء القوم ولم يأكلوا خاف أنهم جاءوا لبلية وقصد مكروه، وعادة العرب أن القوم إذا أكلوا من الطعام أمنوا منهم، وإذا لم يأكلوا استشعروا خوفا، فهذا معنى قوله: ﴿وأوجس منهم خيفة﴾ وقوله: ﴿وأوجس﴾ أى: فأضمر منهم خوفا. وقوله: ﴿قالوا لاتخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط﴾ معناه: إنا ملائكة أرسلنا ربنا إلى قوم لوط.

وقوله: ﴿وامرأته قائمة﴾ فى مصحف ابن مسعود: «وامرأته قائمة وهو قاعد» وهى سارة بنت هاران، فيقال: إن سارة كانت تخدمهم وإبراهيم يتحدث معهم. ويقال: إن سارة كانت قائمة وراء الستر.

قوله: ﴿فضحكت﴾ الأكثرون على أن الضحك هاهنا هو الضحك المعروف، وقال مجاهد وعكرمة: فضحكت، أى: حاضت. يقال: ضحكت الأرنب، إذا حاضت.

(١) فى «الأصل»: شىء.

وأما الضحك المعروف فاختلف القول فى أنها لِمَ ضحكت؟

فالأكثرون على أنها ضحكت سروراً بما زال من الخوف عنها وعن إبراهيم. وقيل: ببشارة إسحاق. وعلى هذا القول: الآية على التقديم والتأخير، فكأنه قال: وامرأته قائمة فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب فضحكت.

والقول الثالث: ضحكت تعجبا من غفلة قوم لوط، وقد نزلت الملائكة بعذابهم.

وقوله ﴿ فبشرناها بإسحاق ﴾ ظاهر المعنى. وقوله ﴿ ومن وراء إسحاق يعقوب ﴾ أى: من بعد إسحاق يعقوب. قال أبو عبيدة: الوراء: ولد الولد.

وقوله ﴿ يعقوب ﴾ قرئ بقراءتين: «يعقوبُ» و«يعقوبَ» بالرفع والنصب[1] أما الرفع معناه: ويحدث يعقوب من بعد إسحاق. وأما النصب فمعناه: بشرناها بإسحاق وبشرناها بيعقوب. وأنشد الشاعر فى الوراء:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة   وليس وراء الله للمرء مذهب

وهذا شعر الأعشى.

قوله تعالى: ﴿ قالت ياويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخًا ﴾ قالوا: أصل قوله: ﴿ ياويلتى ﴾: ياويلتى؛ إلا أن ها هنا أبدل الألف عن الياء. ومعنى قوله: ﴿ ياويلتى ﴾ هاهنا: ياعجبًا؛ وهذه كلمة يقولها الإنسان عند رؤية ما يتعجب منه، وليس على حقيقة الدعاء بالويل.

وقوله تعالى: ﴿ أألد وأنا عجوز ﴾ اختلفوا فى سن إبراهيم وسارة فى ذلك الوقت.

قال محمد بن إسحاق: كان سن إبراهيم مائة وعشرين سنة، وسن سارة تسعين سنة. وقال بعضهم: كان سن إبراهيم مائة سنة، وسن سارة تسعة وتسعين سنة. وقيل غير هذا، والله أعلم.

---

(١) قرأ ابن عامر، وحمزة، وحفص بالنصب، وقرأ الباقون بالرفع.

لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ

قوله تعالى ﴿وهذا بعلى﴾ يعنى: هذا زوجى ﴿شيخا﴾ نصب على القطع، وقيل: على الحال.

وفى قراءة ابن مسعود: «وهذا بعلى شيخ» على الخبر. قوله تعالى ﴿إن هذا لشىء عجيب﴾. يعنى: إن هذا لشىء مستعجب بخلاف العادة.

قوله: ﴿قالوا أتعجبين من أمر الله﴾ معناه: لا تعجبى من أمر الله؛ فإن الله إذا أراد شيئًا كان.

وقوله تعالى: ﴿رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت﴾ فيه معنيان:

أحدهما: أن هذا على معنى الدعاء من الملائكة.

والآخر: أنه على معنى الخبر، و﴿رحمة الله﴾ أى: نعمة الله ﴿وبركاته﴾ والبركات: جمع البركة، والبركة: ثبوت الخير. وقيل: وبركاته: سعاداته.

وقوله: ﴿عليكم أهل البيت﴾ هذا دليل على أن الأزواج يجوز أن يسمين أهل البيت.

وزعمت الشيعة فى قوله تعالى: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت﴾(١) أن الأزواج لايدخلن فى هذا. وهذه الآية دليل على أنهن يدخلن فيها.

قوله: ﴿إنه حميد مجيد﴾ الحميد: هو المحمود فى أفعاله، والمجيد: هو الكريم، وأصل المجد هو الرفعة والشرف.

قوله تعالى: ﴿فلما ذهب عن إبراهيم الروع﴾ قال قتادة: الروع: الفزع؛ وأما الرُّوع بالرفع هو النفس، ومنه قوله ﷺ: «ألقى روح القدس فى رُوعى: (أن لن)(٢) تموت

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) فى «ك»: ألا.

لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ

نفسٌ حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب»(١). وقوله: ﴿وجاءته البشرى﴾ قيل: إن البشرى بإسحاق ويعقوب. وقيل: إنها بإهلاك قوم لوط. وقوله: ﴿يجادلنا﴾ معناه: جعل إبراهيم يجادلنا، والمجادلة هاهنا كما قال فى سورة الذاريات والحجر: ﴿قال فما خطبكم أيها المرسلون﴾(٢) فإن قيل: كيف يجوز أن يجادل إبراهيم ربه فى شيء قضاه وأمر به؟

الجواب: أن هذه المجادلة كانت مع الملائكة لا مع الرب، وإنما قال: ﴿يجادلنا﴾ على توسع الكلام. وفى التفسير: أن مجادلته كانت أنه قال للملائكة: أرأيتم لو كان فى مدائن قوم لوط خمسون(٣) من المؤمنين أتهلكونهم؟ قالوا: لا. قال: أفرأيتم إن كان فيهم أربعون أتهلكونهم؟ قالوا: لا، فما زال ينقص عشرة عشرة حتى بلغ خمسة نفر وكان عند إبراهيم أن امرأة لوط مؤمنة. وكانت هى الخامسة، ولم يعلم أنها كافرة، فما بلغ عدد المؤمنين خمسة ﴿فى قوم لوط﴾.

وقوله تعالى ﴿إن إبراهيم لحليم أواه منيب﴾ قد بيّنّا من قبل. ورُوِىَ عن بكر بن عبد الله المزنى قال: المنيب هو الذى يكون قلبه مع الله تعالى. وحقيقة الإنابة: هى الرجوع، يقال: ناب وآب وأناب، إذا رجع.

قوله تعالى ﴿يا إبراهيم أعرض عن هذا﴾ معنى الآية: أن الملائكة قالوا: يا إبراهيم أعرض عن المجادلة.

قوله: ﴿إنه قد جاء أمر ربك﴾ أى: قضاء ربك وحكم ربك. وقوله: ﴿وإنهم

(١) رواه ابن ماجة (٢/٧٢٥/رقم ٢١٤٤)، والحاكم (٢/٤)، وابن حبان - الإحسان - (٨/٣٢/رقم ٣٢٣٩)، وأبو نعيم فى الحلية (٣/١٥٦-١٥٧)، و(٧/١٥٨)، والبيهقى (٥/٢٦٤-٢٦٥)، والقضاعى فى مسند الشهاب (٢/١٨٦/رقم١١٥٢) من حديث جابر بن عبد الله. رواه الحاكم من طريق ابن المنكدر عنه، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ومن طريق أبى الزبير عنه، وقال: صحيح على شرط مسلم. وفى الباب عن أبى أمامة، وابن مسعود، وحذيفة.

(٢) الحجر: ٥٧، الذاريات: ٣١.

(٣) فى «ك»: خمسين.

أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا

آتيهم عذاب غير مردود ﴾ أى: غير مصروف عنهم.

قوله: ﴿ ولما جاءت رسلنا لوطاً ﴾ هؤلاء الرسل هم الذين كانوا عند إبراهيم جاءوا لوطاً على صورة غلمان مردٍ، حسنٌ وجوههم، نظيف ثيابهم، طيب [روائحهم](١).

وفى القصة: أنهم لقوا لوطًا وهو يحتطب واستضافوه، فحمل الحطب وتبعه الملائكة، فمر معهم على جماعة من قومه فغمزوا فيما بينهم، فقال لوط لهم: إن قومى شر خلق الله، ثم إنه مرَّ معهم على قوم آخرين منهم، فغمزوا - أيضًا - فيما بينهم، فقال لوط - ثانيًا - : إن قومى شر خلق الله تعالى، ثم إنه مر معهم على قوم آخرين، فتغامزوا فيما بينهم - أيضا - فقال لوط - ثالثا -: إن قومى شر خلق الله، وكان الله تعالى قال لجبريل: لا تهلكهم حتى يشهد لوط عليهم ثلاث مرات، فكان كلما قال لوط هذا القول قال جبريل للملائكة الذين معه: اشهدوا.

وقوله: ﴿ سىء بهم ﴾ معناه: ساءه مجيئهم. وقوله: ﴿ وضاق بهم ذرعًا ﴾ يقال: ضاق ذرع فلان بكذا إذا وقع فى مكروه لا يُطيق الخلاص عنه.

ومعنى الآية هاهنا: أنه ضاق ذرعاً فى حفظهم ومنع القول منهم.

قوله تعالى ﴿ وقال هذا يوم عصيب ﴾ أى: شديد، قال الشاعر:

فإنك إن لم تُرضِ بكر بن وائل　　　يكن لك يومٌ بالعـراقِ عصيبُ

أى: شديد. وقال آخر:

يوم عصيب يَعْصِبُ الأبطالاً　　　عَصْـبَ القَوِىِّ السَّلَم الطِّوَالا

قوله تعالى: ﴿ وجاءه قومه يهرعون إليه ﴾ الآية، يهرعون إليه معناه: يسرعون ويهرولون؛ وقد بيَّنَّا أن لوطا قد مر معهم بَهْم. وفى رواية أخرى: أن الملائكة جاءوا إلى بيت لوط - عليه السلام - وكان لوط فى داره، فذهبت امرأته السوء الكافرة إلى قومه وأخبرتهم مجىء هؤلاء فلما سمعوا جاءوا لقصد الفاحشة.

---

(١) فى «الأصل، وك» أواحهم.

يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا

وقوله: ﴿ومن قبل كانوا يعملون السيئات﴾ يعنى: الفواحش؛ وهى: إتيان الرجال.

وقوله: ﴿قال يا قوم هؤلاء بناتى هن أطهر لكم﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه عرض عليهم بنات نفسه تزويجًا ونكاحًا؛ فإن قال قائل: كيف يجوز للمشرك أن يتزوج بمسلمة؟

والجواب: أن ذلك كان جائزا فى شريعتهم. ومنهم من قال: عرض عليهم بشرط الإسلام.

والقول الثانى - وهو قول مجاهد، وسعيد بن جبير، وغيرهما -: أنه عرض عليهم نساءهم، وسماهن بنات نفسه؛ لأن النبىَّ للأُمَّةِ بمنزلة الأب؛ وفى قراءة أُبىٍّ بن كعب:

«النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أبٌ لهم». ومنهم من قال: إنما قال هذا على طريق الدفع، لا على طريق التحقيق، ولم يرضوا هذا القول؛ لأنه كان معصومًا من الكذب. وقوله: ﴿هن أطهر لكم﴾ معناه: أحل لكم.

قوله: ﴿فاتقوا الله ولا تخزون فى ضيفى﴾ معناه: خافوا الله ولا تفضحونى فى أضيافى. ﴿أليس منكم رجل رشيد﴾ معناه: أليس منكم رجل يأمر بالمعروف ويدفع القوم عن أضيافى. ورُوىَ عن عكرمة أنه قال: معنى قوله: ﴿أليس منكم رجل رشيد﴾ معناه: أليس فيكم رجل يقول: لا إله إلا الله.

قوله: ﴿قالوا لقد علمت مالنا فى بناتك من حق﴾ فيه معنيان:

أحدهما: ما لنا فى بناتك من حق، أى: حاجة وشهوة.

والثانى: مالنا فى بناتك من حق، أى: من نكاح. وقوله ﴿وإنك لتعلم ما نريد﴾ معناه: إنا نريد أدبار الرجال.

نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ

قوله تعالى: ﴿ قال لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد ﴾ القوة هاهنا: هى القوة فى البدن، أو القوة بالأتباع. والركن الشديد: المنعة بالعشيرة.

وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «رحم الله أخى لوطًا؛ لقد كان يأوى إلى ركن شديد»(١) أى: إلى الله. رواه أبو هريرة.

وعن أبى هريرة أنه قال: ما بعث الله بعد ذلك نبيًا إلا فى منعةٍ من قومه.

قوله تعالى: ﴿ قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك ﴾. رُوِىَ أنهم جاءوا وكسروا باب لوط وقصدوا الدخول. وفى رواية أخرى: أنهم كانوا ينازعون مع لوط على الباب، فقال جبريل: يا لوط، افتح الباب ودعهم يدخلوا، فلما دخلوا ضرب بجناحه وجوههم فعموا كلهم، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم ﴾(٢) فقالوا: يا لوط، لقد جئتنا بقوم سحرة، سترى ما تلقى منا غدا، وكانوا جاءوا مساءً. وقوله: ﴿ لن يصلوا إليك ﴾ معناه معلوم. وقوله: ﴿ فأسر بأهلك بقطع من الليل ﴾ قُرِئَ: «فَسِرْ»(٣) من السُّرى، و«فَأَسْرِ» من الإسراء؛ والسُّرى: هو السير بالليل. وقال الشاعر:

عند الصباح يحمدُ القومُ السُّرَى ... وتَنْجلِى عنى غيابات الكَرى

وقوله: ﴿ أسرِ ﴾ من الإسراء، والمعنيان واحد. وقوله: ﴿ بقطع من الليل ﴾ أى: بآخر الليل. وقيل: إنه السحر الأول. قال الشاعر:

ونائحةٍ تنوح بقِطْع ليلٍ ... على ميتٍ بقارعةِ الصعيدِ

(١) متفق عليه، فرواه البخارى (٦/ ٤٧٣/ رقم٣٣٧٢)، ومسلم (١٥/ ١٧٩/ رقم١٥٢، ١٥٣).

(٢) القمر: ٣٧.

(٣) كذا «بالأصل، وك» والصواب: فَاسْرِ، وهى قراءة نافع، وأبى جعفر، وابن كثير، بوصل الهمزة، وقرأ الباقون بقطعها انظر النشر (٢/ ٢٩٠).

مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ

وقوله تعالى: ﴿ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتُك﴾ بالرفع، وقرئ: «إلا امرأتَك» بالنصب[1]؛ فقوله بالنصب معناه: فأسر بأهلك إلا امرأتك. ومن قرأ بالرفع معناه: ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك؛ فإنها تلتفت؛ فرُوِىَ أنها لما سمعت الهدة فى هلاك القوم التفتت وراءها فأصابها حجر فماتت، وقد كان الله أمر لوطاً وأهله أن لا يلتفتوا. وقوله: ﴿إنه مصيبها ما أصابهم﴾ ظاهر المعنى. قوله: ﴿إن موعدهم الصبح﴾ رُوِىَ أن لوطاً - عليه السلام - لما سمع هذا من جبريل قال: يا جبريل، أريد أن تهلكهم الآن فقال له مجيباً: ﴿أليس الصبح بقريب﴾؟

قوله تعالى: ﴿فلما جاء أمرنا﴾ أى: عذابنا. وقوله: ﴿جعلنا عاليها سافلها﴾ رُوِىَ أن جبريل جعل جناحه تحت مدائن لوط، وهى خمس مدائن، وفيها أربعمائة ألف، وقيل: فيها أربعة آلاف ألفٍ - ثم رفع المدائن حتى قربت من السماء وسمع أهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب، ورُوِىَ أنه لم يُكفأ لهم إناء ولا انتبه لهم نائمٌ، ثم قلبها وأتبعهم الله تعالى بالحجارة، هذا معنى قوله تعالى: ﴿جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل﴾.

وقوله: ﴿من سجيل﴾ قال ابن عباس: سنك وكل؛ وكلمة سجيل فارسيةٌ معربةٌ.

وقيل: إنه كان طينا مطبوخاً كالآجر.

والقول الثانى: أن السجيل هو السماء الدنيا.

والقول الثالث: أن السجيل هو السِّجِّين؛ أبدلت النون باللام. وقيل: إن السجيل: مأخوذ من السَجْلِ؛ وهو سَجل الدلو. قال الشاعر:

وأنا الأخَضــر مــن يعـرفنى ... أخضــر الجلدة من بيت العرب

---

(١) قرأ ابن كثير، وأبو عمرو برفع التاء، وقرأ الباقون بنصبها. انظر النشر (٢ / ٢٩٠).

مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ

من يساجلنى يساجل ماجداً   يملأ الدَّلْوَ إلى عَقْدِ الكَرَب (١)

ومعنى السجيل فى الآية : هو الإرسال، يعنى : إرسال الحجارة .

وقوله : ﴿ منضود ﴾ معناه : يتبع بعضها بعضًا .

وقوله : ﴿ مسومة ﴾ أى : معلّمة . وفى القصة : أنه كان عليها خطوط حُمر فى سواد .

والقول الثانى : « مسوّمة » أى : عليها أسماء القوم . وعن الحسن البصرى : أنه كان عليها شبه الخواتيم .

قوله : ﴿ عند ربك ﴾ ظاهر المعنى .

وقوله : ﴿ وما هى من الظالمين ببعيد ﴾ يعنى : من ظالمى أهل مكة ببعيد .

وقد رُوىَ فى بعض الآثار : أن على رأس كل ظالم حجراً معلقًا فى السماء ينتظر أمر الله تعالى . وهذا من الغرائب، والله أعلم .

وفى بعض القصص : أنه كان منهم رجل فى الحرم، فبقى الحجر معلقًا فى السماء أربعين يوماً حتى خرج الرجل [وأصابه الحجر](٢) . ورُوىَ أن الحجر اتبع شُرّادهم ومسافريهم أين كانوا فى البلاد حتى هلكوا .

وأورد بعضهم أن الله تعالى أهلك مدائن لوط سوى زعر، فإنه أبقاها للوطٍ وأهله .

قوله تعالى : ﴿ وإلى مدين أخاهم شعيبا ﴾ قد بيّنّا أن الأخوّة هاهنا هى الأخوّة فى النسب لا فى الدين . وقال بعضهم : إنه لم يكن بين شعيب وأهل مدين أخوة فى النسب – أيضًا – وكان غريبًا فيهم، وإنما أراد بالأخوّة المجانسة فى البشرية . والصحيح هو الأول .

---

(١) البيتان للفضل بن عباس بن عتبة بن أبى لهب . لسان العرب (١١ / ٣٢٦) .

(٢) فى « الأصل » : وأصابته الحجارة .

اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا

وقوله: ﴿قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ ظاهر المعنى. وقوله: ﴿ولا تنقصوا المكيال والميزان﴾ معناه: ولا تبخسوا المكيال والميزان. وكانوا مع شركهم يطففون فى المكيال والميزان. ورُوىَ عن عبد الله بن عمر أنه كان إذا مرّ بالسوق قال: أيها الباعة، أوفوا الكيل وأوفوا الوزن، وقد سمعتم ما فعل الله بقوم شعيب.

وعن ابن عباس قريبٌ من هذا.

وقوله: ﴿إنى أراكم بخير﴾ قال مجاهد: أى: بخصب وسعة.

وقوله: ﴿وإنى أخاف عليكم عذاب يوم محيط﴾ أى: محيط بكم فيهلككم.

قوله تعالى: ﴿ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط﴾ أى: بالعدل.

وقيل: بتقويم لسان الميزان. وقوله: ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ أى: لا تنقصوا الناس أشياءهم. وقوله: ﴿ولا تعثوا فى الأرض مفسدين﴾.

قوله تعالى: ﴿بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾ معناه: ما أبقى الله لكم من الحلال خير مما تأخذون بالبخس فى المكيال والميزان. وقيل: بقية الله: طاعة الله.

وقوله: ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ أى: إن كنتم مؤمنين أنّ ما عندكم من رزق الله تعالى وعطائه.

قوله: ﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾ قيل معناه: لم أؤمر بقتالكم. وقيل: ما أنا عليكم بحفيظ أى: بوكيل.

قوله تعالى: ﴿قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك﴾ فيه قولان:

أحدهما: أدينك يأمرك؟، والثانى: أقرآنك يأمرك أن نترك ﴿ما يعبد آباؤنا أو أن

يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ

نفعل فى أموالنا ما نشاء ﴾ يعنى: من النقصان والزيادة. وقيل: من قرض الدراهم والدنانير، وكان قد نهاهم عن ذلك، وزعم أنه محرم عليهم.

وقوله: ﴿ إنك لأنت الحليم الرشيد ﴾ فيه قولان:

أحدهما: إنك لأنت الحليم الرشيد فى زعمك؛ قالوا ذلك استهزاء.

والثانى معناه: إنك لأنت السفيه الأحمق.

وقوله تعالى: ﴿ قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربى ﴾ معناه: على بيانٍ من ربى.

وقوله: ﴿ ورزقنى منه رزقا حسنا ﴾ معناه: رزقًا حلالاً. وفى القصة: أن شعيبًا كان كثير المال. وقيل: الرزق الحسن هاهنا: هو النبوة.

وقوله تعالى: ﴿ وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ﴾ معناه: ما أريد أن آمركم بشىء وأعمل خلافه.

وقوله: ﴿ إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿ وما توفيقى إلا بالله ﴾ دليل على أن الطاعة لا يُؤتى بها إلا بتوفيق الله، والتوفيق من الله: هو التسهيل والتيسير والمعونة.

قوله تعالى: ﴿ عليه توكلت ﴾ أى: عليه اعتمدت.

وقوله: ﴿ وإليه أنيب ﴾ معناه: إليه أرجع.

قوله: ﴿ ويا قوم لا يجرمنكم شقاقى ﴾ معناه: لا يكسبنكم ولا يحملنكم شقاقى أى: خلافى على فعل ﴿ أن يصيبكم ﴾ فيصيبكم ﴿ مثل ما أصاب قوم نوح ﴾ من

هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا

الغرق ﴿أو قوم هود﴾ من الريح ﴿أو قوم صالح﴾ من الصيحة الصعقة. وقوله ﴿وما قوم لوط منكم ببعيد﴾ قيل: إنهم كانوا جيران قوم لوط فى الديار، وكانت مدائنهم قريبًا بعضها من بعض.

قوله تعالى: ﴿واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه﴾ قد بينا المعنى. وقوله: ﴿إن ربى رحيم ودود﴾ فى الودود معنيان:

أحدهما : أن الودود هو المحب لعباده.

والثانى : أن الودود بمعنى المودود أى: يحبّه العباد لفضله وإحسانه.

وفى الخبر المعروف أن النبى ﷺ قال: «أحبوا الله بما يغذوكم به من نعمه، وأحبونى بحبّ الله، وأحبّوا أهل بيتى لحبى»(١).

وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ قال: «كان شعيب خطيب الأنبياء»(٢).

قوله تعالى: ﴿قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرًا مما تقول﴾ معناه: ما نفهم كثيرًا مما تقول. وقوله: ﴿وإنا لنراك فينا ضعيفًا﴾ فى الضعيف أقوال، أكثر المفسرين أن الضعيف هاهنا: هو ضرير بالبصر. ويقال : إنه لغة حِمْير.

والقول الثانى: أن الضعيف هو الضعيف فى البدن.

والثالث : أنه قليل الأتباع.

(١) رواه البخارى فى التاريخ الكبير (١/١٨٣)، والترمذى (٥/٦٢٢/رقم٣٧٨٩)، وقال: حسن غريب، إنما نعرفه من هذا الوجه، والحاكم (٣/١٤٩-١٥٠) وصحح إسناده، والطبرانى فى الكبير (١٠/٢٨١/رقم١٠٦٦٤)، وأبو نعيم فى الحلية (٣/٢١١)، والخطيب فى تاريخه (٤/١٦٠)، وابن الجوزى فى العلل المتناهية (١/٢٦٧) كلهم من حديث ابن عباس.

(٢) رواه الحاكم فى المستدرك (٢/٥٦٨) عن ابن إسحاق معضلا ، ونسبه السيوطى فى الدر (٣ / ١١١) إلى إسحاق بن بشر، وابن عساكر عن ابن عباس مرفوعًا. وذكره ابن كثير فى البداية والنهاية (١/١٨٥) من طريق إسحاق بن بشر.

وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ

وقوله: ﴿ولولا رهطك لرجمناك﴾ أى: ولولا عشيرتك لرجمناك، والرجم أقبح القتلات. وقوله: ﴿وما أنت علينا بعزيز﴾ يعنى: ما أنت عندنا بعزيز، وإنما نتركك لمكان رهطك.

قوله تعالى: ﴿قال يا قوم أرهطى أعز عليكم من الله﴾ معناه: أمكان رهطى عندكم أهيبُ وأمنع من الله تعالى؟ وحقيقة المعنى: أنكم تركتم قتلى بمكان رهطى فأولى أن تحفظونى فى الله تعالى.

وقوله: ﴿واتخذتموه وراءكم ظهريا﴾ معناه: وألقيتم أمر الله تعالى وراء ظهوركم. يقال: فلان جعل كذا منه ظهريا أى: ألقاه وراء ظهره.

وقوله: ﴿إن ربى بما تعملون محيط﴾ ظاهر المعنى.

وذكر الأزهرى فى تقدير الآية ومعناها قال: إنكم تزعمون أنكم تتركون قتلى لكرامة رهطى، فأولى أن تكرموا أمر الله وتتبعوه؛ وحقيقة المعنى: هو الإنكار على من اتقى الناس ولم يتق الله. قال: وقوله: ﴿واتخذتموه وراءكم ظهريا﴾ تقول العرب: فلان جعل كذا بظهر إذا تركه ولم يلتفت إليه. قال الشاعر:

تميم بن قيس لا تكُونَنَّ حاجَتِي بظهر فلا يعيا عليَّ جَوَابُها

قوله تعالى: ﴿ويا قوم اعملوا على مكانتكم﴾ قيل: المكانة: هى الحالة التى يتمكن فيها المرءُ من الفعل.

ومعنى الآية: اعملوا على تمكنكم ومنزلتكم ﴿إنى عامل﴾ على تمكنى ومنزلتى ﴿سوف تعلمون﴾ من ينجو ومن يهلك.

والآية فيها تهديد ووعيد شديد، وليس فى القرآن ﴿سوف تعلمون﴾ إلا فى هذه الآية.

مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ

وقوله تعالى: ﴿من يأتيه عذاب يخزيه﴾ يذله ويفضحه ﴿ومن هو كاذب﴾ فيه حذف، وتقدير الآية: سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه، ومن هو كاذب يَخْزَى أيضًا.

وقوله: ﴿وارتقبوا إنى معكم رقيب﴾ يعنى: انتظروا إنى معكم منتظرٌ.

قوله تعالى: ﴿ولما جاء أمرنا﴾ معناه: لما جاء وقت عذابنا ﴿نجينا شعيبًا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة﴾ والصيحة: الهلاك، تقول العرب: صاح فلان فى مال فلان أى: أهلكه، قال امرؤ القيس:

فدع عنكَ نهبا صِيحَ فى حَجَرَاتِه ... ولكنْ حديثًا ما حديثُ الرَّواحِلِ

رُوِىَ أن عليا - رضى الله عنه - تمثل بهذا البيت فى بعض أموره.

ويقال: إن الصيحة هاهنا صيحة جبريل - عليه السلام - صاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم، فهذا معنى قوله: ﴿فأصبحوا فى ديارهم جاثمين﴾ أى: ميتين خامدين، لا يتحركون.

قوله: ﴿كأن لم يغنوا فيها﴾ معناه: كأن لم يكونوا يقيمون فيها منعّمين مسرورين.

وقوله: ﴿ألا بعدًا لمدين كما بعدت ثمود﴾ معناه: ألا خيبةً وهلاكًا لمدين كما خابت وهلكت ثمود.

قوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين﴾ معناه: بآياتنا التسع، وسلطان مبين أى: حُجَّة بينة، وكل سلطان ذُكر فى القرآن فهو بمعنى الحُجَّة. وقيل:

فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ
الْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا

ن السلطان مأخوذ من السليط، وهو الزيت الذى يُستضاء به.

قوله: ﴿إلى فرعون وملئه﴾ وملأه معلوم. قوله: ﴿فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد﴾ معناه: اتبعوا أمر فرعون فى اتخاذه إلها وترك الإيمان بموسى ﴿وما أمر فرعون برشيد﴾ أى: بمُرشد إلى خير وصلاح.

قوله تعالى: ﴿يقدم قومه يوم القيامة﴾ معناه: يتقدم قومه يوم القيامة ﴿فأوردهم النار﴾ فأدخلهم النار. ﴿وبئس الورد المورود﴾ معناه: بئس الداخل وبئس المدخل.

وفى بعض المسانيد: عن أبى بردة، عن أبى موسى الأشعرى – رضى الله عنه – أن النبى ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة جمع الله الخلائق فى صعيد واحد، ثم يرفع لكل قوم آلهتهم التى كانوا يعبدونها من دون الله، فيوردونهم النار، ويبقى المؤمنون، فيقول الله عز وعلا لهم: ماذا تنتظرون؟ فيقولون: ننتظر ربّاً كنا نعبده بالغيب، فيقول لهم: هل تعرفونه؟ فيقولون: إن شاء عرفنا نفسه. قال: فيتجلى لهم، فيخرون له سجداً، فيقول الله سبحانه وتعالى: يا أهل التوحيد، ارفعوا رءوسكم؛ فقد أوجبت لكم الجنة، وجعلت مكان كل واحد منكم يهوديّاً أو نصرانيًا»(١).

وقوله تعالى: ﴿وأتبعوا فى هذه لعنة﴾ معناه: فى الدنيا لعنة بعذاب التفريق ﴿ويوم القيامة﴾ لعنة بعذاب النار. وقوله: ﴿بئس الرفد المرفود﴾ يعنى: بئست اللعنة بعد اللعنة. وقال أبو عبيدة: أى: بئس العون (المعان)(٢)، ومعناه هاهنا: أن اللعنة جعلت لهم فى موضع المعونة. وقيل: بئس العطاء المُعْطَى.

قوله تعالى: ﴿ذلك من أنباءالقرى نقصه عليك﴾ معناه: من أخبار القرى نقصه

(١) رواه ابن أبى عاصم فى السنة (١/ ٢٨٠–٢٨١/رقم٦٣٠)، والآجرى فى الشريعة (ص٢٦٢–٢٦٣) وأحمد (٤/٤٠٧–٤٠٨)، وابن خزيمة فى التوحيد (ص٢٣٦).
(٢) فى «ك»: المعاون.

ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن
شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ
وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ
يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ

عليك ﴿منها قائم وحصيد﴾ أى: منها معمور وخراب. وقيل معناه: منها قائم أى: بقيت الحيطان، وسقطت السقوف. ومنها حصيد: أى: انمحى أثره.

قوله تعالى: ﴿وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم﴾ قد بيناه من قبل. وقوله: ﴿فما أغنت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شىء لما جاء أمر ربك﴾ يعنى: بالعذاب. وقوله: ﴿وما زادوهم غير تتبيب﴾ أى: غير تخسير. وقيل: غير تدمير.

قوله تعالى: ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة﴾ وجه التشبيه أن أخذه هؤلاء فى حال الظلم والشرك كأخذه أهل القرى حين كانوا فى مثل حالهم من الظلم والشرك. وقوله: ﴿إن أخذه أليم شديد﴾ ظاهر المعنى.

وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «إن الله يمهل الظالم -أو يملى الظالم - حتى إذا أخذه لم يفلته» ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة﴾. والخبر فى «الصحيحين» برواية أبى موسى الأشعرى(١).

قوله تعالى: ﴿إن فى ذلك لآية﴾ معناه: لعبرةً ﴿لمن خاف عذاب الآخرة﴾ ظاهر المعنى ﴿ذلك يوم مجموع له الناس﴾ يعنى :يوم القيامة يجمع الله فيه الأولين والآخرين ﴿وذلك يوم مشهود﴾ يعنى: يشهده جميع الخلق. وقيل: أهل السماء وأهل الأرض.

قوله تعالى: ﴿وما نؤخره إلا لأجل معدود﴾ يعنى: إلا لوقت معلوم عند الله لا

(١) رواه البخارى (٨/٢٠٥/رقم٤٦٨٦)، ومسلم (١٦/٢٠٦/رقم٢٥٨٣).

عند الناس.

ورُوىَ عن ابن عباس – رضى الله عنهما – أنه قال: مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، لا يدرى أحدكم ما مضى منها وكم بقى.

وقوله: ﴿يوم يأت﴾ وقرئ: «يوم يأتى» بالياء. وحكى الخليل وسيبويه أن العرب تقول: لا أدرِ، أى: لا أدرى. وذكر الفراء أن العرب تجتزئ بالكسرة عن الياء بعدها. وقوله: ﴿لا تكلم نفس إلا بإذنه﴾ فى الآية سؤال معروف وهو: أن الله تعالى قد قال فى (موضع)[1] آخر: ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾[2] وقال هاهنا: ﴿لا تكلم نفس إلا بإذنه﴾ فكيف وجه التوفيق بينهما؟

الجواب: قد ذكرنا أن فى القيامة مواقف؛ ففى موقف يتكلمون ويتساءلون، وفى موضع يسكتون ولا يتكلمون، وفى موقف يختم على أفواههم وتتكلم جوارحهم، وقيل غير هذا، وقد بينا.

وقوله: ﴿فمنهم شقى وسعيد﴾ الشقاوة: قوة أسباب البلاء، والسعادة: قوة أسباب النعمة. ومعنى الآية هاهنا عند أهل السنة: فمنهم شقى سبقت له الشقاوة، ومنهم سعيد سبقت له السعادة.

وفى الأخبار المسندة: أن عبد الرحمن بن عوف لما حضرته الوفاة أغمى عليه، فلما أفاق قال: أتانى ملكان فظّان غليظان وجرّانى وقالا: تعال نحاكمك إلى العزيز الأمين، قال: فلقيهما ملك وقال: أين تريدان به؟ قالا: نحاكمه إلى العزيز الأمين، فقال لهما: خليا عنه، فإنه ممن سبقت له السعادة فى الذكر الأول.

---

(١) فى «ك»: مواضع.

(٢) الصافات: ٢٧.

فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾

وقد صحّ عن النبى ﷺ أنه قال فى خبر ملك الأرحام: «إنه إذا كتب أجله وعمله ورزقه يقول: يارب، أشقى أم سعيد؟ فيقول الله تعالى، ويكتب الملك». خرجه مسلم(١).

وروى ابن عمر عن عمر - رضى الله عنهما - «أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿ فمنهم شقى وسعيد ﴾ قال عمر: يا رسول الله: فيم العمل؟ أنعمل فى أمرٍ قد فرغ منه وجرت به الأقلام، أو فى أمرٍ لم يفرغ منه؟ فقال: بل فى أمر قد فرغ منه وجرت به الأقلام يا عمر، ولكن كل ميسر لما خلق له». أورده أبو عيسى فى جامعه(٢).

وقال بعضهم: إن السعادة والشقاوة هاهنا فى الرزق والحرمان. وقال بعضهم: الشقاوة: بالعمل السيء، والسعادة: بالعمل الحسن. والمأثور الصحيح هو الأول.

قوله تعالى: ﴿ فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق ﴾ هذه الآية تُعَدُّ من مشكلات القرآن، وقد أكثر العلماء فيها الأقوال، ونذكر ما يعتمد عليه:

أما الزفير: قيل: إنه صوت فى الحلق، والشهيق: صوت فى الجوف. ويقال: إن الزفير: أول نهاق الحمير، والشهيق: آخر نهاق الحمير.

وقوله: ﴿ خالدين فيها ما دامت السموات والأرض ﴾ أما بالمعنى المأثور: روى الضحاك، عن ابن عباس: أن الآية نزلت فى قوم من المؤمنين يدخلهم الله تعالى النار، ثم يخرجهم منها إلى الجنة، ويسمّون الجهنميين. وقد ثبت برواية جابر أن النبى ﷺ

---

(١) مسلم (١٦/ ٢٩٢ - ٢٩٤ رقم ٢٦٤٣)، وهو عند البخارى أيضًا (٦/ ٥٩ رقم ٣٢٠٨) كلاهما من حديث ابن مسعود.

(٢) رواه الترمذى (٥/ ٢٧٠ رقم ٣١١١)، وقال: حسن غريب من هذا الوجه، والطبرى (١٢/ ٧٠)، وابن أبى عاصم فى السنة (١/ ٧٤ رقم ١٧٠)، (١/ ٨٠ رقم ١٨١)، وعزاه السيوطى فى الدر (٣/ ٣٧٩) لأبى يعلى، وابن أبى حاتم، وابن المنذر، وأبى الشيخ، وابن مردويه.

خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ
﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ

قال: «يخرج الله قوماً من النار قد صاروا (حمماً)[1] فيدخلهم الجنة»[2].

وفى الباب أخبار كثيرة.

فعلى هذا القول معنى الآية: فأما الذين شقوا: هؤلاء الذين أدخلهم النار ﴿لهم فيها زفير وشهيق﴾ ظاهر المعنى ﴿خالدين فيها﴾ مقيمين فيها ﴿ما دامت السموات والأرض﴾ عبّر بهذا عن طول المكث.

وقوله: ﴿إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد﴾ الاستثناء وقع على ما بعد الإخراج من النار بشفاعة الأنبياء والمؤمنين.

وأما قوله: ﴿وأما الذين سعدوا ففى الجنة﴾ أراد به المؤمنين الذين أدخلهم الجنة من غير أن يدخلوا فى النار. وقوله: ﴿خالدين فيها ما دامت السموات والأرض﴾ أى: مقيمين فيها ما دامت السموات والأرض، كنى بهذا عن طول المكث، والعرب تقول مثل هذا وتريد به الأبد، فإنهم يقولون: لا آتيك ما دامت السموات والأرض يعنى: لا آتيك أبدا، ولا آتيك ما كان لله فى البحر قطرة يعنى: لا آتيك أبداً. فخرج هذا الكلام على مخرج كلام العرب. وقوله: ﴿إلا ما شاء ربك﴾ الاستثناء وقع على المدة التى كانوا فى النار قبل إدخالهم الجنة.

وفى الآية قولان آخران معروفان سوى هذا عند أهل المعانى:

أحدهما: أن معنى قوله: ﴿خالدين فيها ما دامت السموات والأرض﴾ هو على ظاهره، أى: مدة بقاء السموات والأرض. وقوله: ﴿إلا ما شاء ربك﴾ معناه: سوى ما شاء ربك من الزيادة على مدة بقائهما. وحكى الفراء عن العرب أنهم يقولون: لك علىَّ ألفٌ إلاَّ الألفين يعنى: سوى الألفين الذين تقدما.

(١) فى «ك»: فحماً.

(٢) متفق عليه، رواه البخارى (١١/٤٢٤/رقم٦٥٥٨)، ومسلم (٣/٥٨-٦٤/رقم١٩١).

مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا

والقول الثانى : أن معنى قوله : ﴿ خالدين فيها ما دامت السموات والأرض ﴾ أى : ما دام سموات الجنة وأرضها . وقوله : ﴿ إلا ما شاء ربك ﴾ الاستثناء واقف على زمان الوقوف فى القيامة ومدة المكث فى القبر .

وقيل فى الاستثناء قول ثالث وهو : أنه قال : ﴿ إلا ما شاء ربك ﴾ معناه : ولو شاء لقطع التخليد عليهم، ولكن لا يشاء، وهو مثل قوله تعالى : ﴿ وما [يكون](١) لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا ﴾(٢) ولكن لا يشاء الله(٣) . وقوله : ﴿ إن ربك فعال لما يريد ﴾ يعنى : لا يمتنع عليه شىء، وقال فى الآية الثانية : ﴿ عطاء غير مجذوذ ﴾ غير مقطوع .

وفى بعض التفاسير عن أبى هريرة أنه قال : يأتى على جهنم زمان لا يبقى فيها أحد . وعن الحسن البصرى قريباً من هذا .

ومعنى هذا عند أهل السنة – إن ثبت – أن المراد منه الموضع الذى فيه المؤمنون من النار، ثم يخرجون عنه فلا يبقى فيها أحد، وأما مواضع الكفار فهى ممتلئة بهم أبد الأبد على ما نطق به الكتاب والسنة، نعوذ بالله من النار .

قوله تعالى : ﴿ فلا تك فى مرية ﴾ فى شك ﴿ مما يعبد هؤلاء ﴾ يقال : إن الخطاب معه والمراد منه الأمة . وقوله : ﴿ ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل ﴾ ظاهر المعنى . وقوله : ﴿ وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص ﴾ قال ابن عباس معناه : لموفوهم نصيبهم من الخير والشر بلا نقصان .

---

(١) فى « الأصل، وك : كان .

(٢) الأعراف : ٨٩ .

(٣) فى الكلام إضمار، وكان يجب إتمام الكلام لإيضاحه، ولقد قال المصنف – رحمه الله تعالى – عند تفسير هذه الآية فى سورة الأعراف : فإن قيل : وهل يشاء الله عودهم إلى الكفر؟ قيل : وما المانع منه، وإنما الآية على وفق قول أهل السنة، وكل ذلك جائز فى المشيئة .. إلى آخر كلامه .

مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلاًّ لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه﴾ المراد من الآية: تسلية النبى ﷺ، كأنه قال: إن اختلفوا عليك ولم يؤمنوا بك فقد اختلفوا على موسى ولم يؤمنوا به. وقوله: ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ يعنى: لولا ما سبق من حكم الله بتأخير العذاب إلى يوم القيامة. وقوله: ﴿لقضى بينهم﴾ أى: لعذبوا فى الحال وأهلكوا. وقوله: ﴿وإنهم لفى شك منه مريب﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿وإن كلا﴾ قرئ: «وإنْ» «وإنَّ» - بالتخفيف والتشديد(١) -، أما «إنْ» و«إنَّ» قالوا: هما بمعنى واحد، قال الشاعر:

(ووجه)(٢) حسن النحر　　　كأنْ ثدييه حقان

معناه: كأنّ ثدييه حقان

وقوله: ﴿لمَاَ﴾ بالتخفيف قيل: «لما» بمعنى «لمن»، ويقال: إن اللام للقسم، كأن الله تعالى قال: وإن كلا لمن والله ليوفينهم ربك أعمالهم. وأما قوله: «لمّا» بالتشديد قيل: معنى «لمّا» بالتشديد هو معناها بالتخفيف. ذكره المازنى.

وقال الأزهرى: أصح المعانى أن «لمّا» بمعنى «إلا» أى: وإلا ليوفينهم ربك أعمالهم ﴿إنه بما يعملون خبير﴾ ظاهر المعنى.

وقوله تعالى: ﴿فاستقم كما أمرت﴾ معنى الاستقامة: هو المداومة على مُوجب الأمر والنهى. وقد رُوىَ عن النبى ﷺ برواية أبى مسلم الخولانى، عن عمر بن الخطاب- والصحيح عن أبى ذر- أنه قال ﷺ: «لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا، وصمتم حتى تكونوا كالحنائر(٣) - ومعناه: كالأوتاد- ثم كان الاثنان أحب إليكم

(١) قرأ نافع، وابن كثير، وأبو بكر بإسكان النون مخففة، وقرأ الباقون بتشديدها. انظر النشر (٢/ ٢٩٠ - ٢٩١).

(٢) كذا «بالأصل، وك»، ولعل الصواب: وصدر. والله أعلم.

(٣) الحنائر: جمع حنيرة، وهى القوس بلا وتر. النهاية (١/ ٤٥٠).

من الواحد لم تبلغوا حد الاستقامة»(١) . روى هذا الخبر جماعة من الزهاد؛ رواه حاتم الأصم، عن شقيق، عن إبراهيم بن أدهم، عن مالك بن دينار، عن أبى مسلم بهذا الإسناد.

وفى الخبر المعروف: أن النبى ﷺ قال: «استقيموا ولن تحصوا، ولن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن»(٢) . وعن عمر - رضى الله عنه - أنه قال: الاستقامة: أن تستقيم على الأمر والنهى، ولا تروغ روغان الثعالب. وهذا أثر مشهور.

وقد رُوىَ غير هذا فى الاستقامة، يذكر فى موضعها.

وفى الخبر المعروف أيضًا : أن النبى ﷺ قال: «شيبتنى هود»(٣) وفيه معنيان:

أحدهما: قال هذا لكثرة ما ذكر الله تعالى فى هذه السورة من إهلاك القرون الماضية (و)(٤) الأمم السالفة.

والمعنى الثانى: أنه قال؛ لقوله تعالى ﴿فاستقم كما أمرت﴾.

وقوله: ﴿ومن تاب معك﴾ معناه: ومن أسلم معك. وقوله: ﴿ولا تطغوا﴾ فيه معنيان:

(١) رواه الديلمى فى مسند الفردوس (٣/ ٣٧٠/رقم٥١٢٤)، وابن عساكر فى تاريخه (٢٣/ ١٣٢) وقال: مالك بن دينار لم يسمع من أبى مسلم.
وفى إسناده محمد بن فارس البلخى، ترجمه الذهبى فى الميزان (٤ / ١) وقال: لايعرف؛ وقد أتى بخبر باطل مسلسل بالزهاد. وأورده ابن عراق فى تنزيه الشريعة (٢ / ٣١١) ونقل كلام الذهبى.

(٢) رواه ابن ماجة (١ / ١٠١-١٠٢ / رقم٢٧٧)، وأحمد (٥/ ٢٧٦-٢٧٧، ٢٨٠)، والطيالسى (ص١٣٤ / رقم٩٩٦)، والدارمى (١ / ١٧٤-١٧٥ / رقم٦٥٥،٦٥٦)، والطبرانى فى الكبير (٢ / ١٠١ / رقم١٤٤٤)، وفى الصغير (٢ / ١٩١ / رقم١٠١١)، والحاكم (١ / ١٣٠) وصححه على شرط الشيخين، وابن حبان (٣ / ٣١١ / رقم١٠٣٧)، والبيهقى فى الكبرى (١ /٤٥٧)، والخطيب فى تاريخه (١ /٢٩٣) من طرق عن ثوبان. وفى الباب عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وأبى أمامة.

(٣) رواه الترمذى (٥ /٣٧٦ / رقم٣٢٩٧)، وأبو يعلى (١ / ١٠٢ / رقم ١٠٧)، والحاكم (٢ / ٣٤٣) و(٢ / ٤٧٦) وصححه على شرط البخارى، وأبو نعيم فى الحلية (٤ / ٣٥٠). وقد أعله ابن أبى حاتم فى العلل (٢ / ١١٠ / رقم١٨٢٦)، والدارقطنى فى العلل (١ /١٩٣-٢١١).

(٤) فى «ك» : فى.

وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾

أحدهما: ولا تطغوا فى الاستقامة يعنى: لا تزيدوا على ما أَمرتُ ونهيتُ، فتحرموا ما أحل الله، وتكلفوا أنفسكم ما لم يشرعه الله ولم يفعله الرسول وأصحابه.

والمعنى الثانى: الطغيان هو البطر لزيادة النعمة. وقيل: الطغيان والبغى بمعنى واحد.

﴿إنه بما تعملون بصير﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار﴾ الركون: هو المحبة والمودة والميل بالقلب. وعن أبى العالية الرياحى قال: هو الرضا بأعمالهم. وعن السدى قال: هو المداهنة معهم. وعن عكرمة قال: هو طاعتهم. وقوله: ﴿فتمسكم النار﴾ أى: فتصيبكم النار.

وقوله: ﴿وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿وأقم الصلاة طرفى النهار﴾ قال الحسن البصرى: طرفى النهار: الصبح والعصر، ﴿وزلفا من الليل﴾: المغرب والعشاء.

وقال مجاهد: طرفى النهار: الصبح والظهر والعصر، وزلفا من الليل: المغرب والعشاء.

وعلى هذا القول: الآية جامعة للصلوات الخمس. وعن بعضهم: طرفا النهار: الصبح والمغرب، وزلفا من الليل: العتمة.

ومعنى قوله: ﴿زلفا من الليل﴾: ساعات الليل. وقيل: ساعة من الليل. وقرأ مجاهد: «وزُلْفَى من الليل» وقرأ ابن محيصن: «وَزُلْفًا من الليل» . والمعروف: زُلفَاَ من الليل. قال الشاعر:

طيّ الليالى زُلفًا فزلفا   سماوةَ الهلال حتى احْقَوْقَفَا

وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴿١١٤﴾

وسبب نزول الآية: ما روى عن عبد الله بن مسعود – رضى الله عنه – «أن رجلاً أتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، إنى دخلت بستانا فأصبت امرأة، فنلت منها ما ينال الرجل من امرأته، إلا أنى لم أجامعها، وها أنا ذا بين يديك فاصنع ما شئت، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وأقم الصلاة﴾ إلى أن قال: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾. قال معاذ بن جبل: يا رسول الله– وفى رواية قال: جاء رجل من القوم فقال: يا رسول الله – هذا له خاصة أو للمسلمين عامة؟ فقال رسول الله ﷺ: بل للمسلمين عامة»(١).

وروى أبو أمامة الباهلى: «أن رجلا أتى رسول الله وقال: يا رسول الله: إنى أصبت حدا فأقمه علىَّ، فقال: هل شهدت معنا هذه الصلاة وقد تطهرت؟ فقال: نعم. قال عليه السلام: اذهب فقد غفر الله لك ما أصبت»(٢). وروت عائشة – رضى الله عنها – أن النبى ﷺ قال: «لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه خمس مرات فى اليوم، هل يُبْقِى من درنه شيئًا؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا»(٣). وهذا خبر صحيح.

وفى تكفير الخطايا بالصلوات الخمس خبر عثمان – رضى الله عنه – وذكر فيه: «أن كل صلاة تكفر ما بينها وبين الصلاة الأخرى»(٤). وعن سلمان – رضى الله عنه

(١) متفق عليه، رواه البخارى (٨/٢٠٦/رقم٤٦٨٧)، ومسلم (١٧/١٢٤–١٢٦/رقم٢٧٦٣).

(٢) رواه مسلم (١٧/١٢٧–١٢٨/رقم٢٧٦٥)، وأبو داود (٤/١٣٥/رقم٤٣٨١)، والنسائى فى الكبرى (٤/٣١٥/رقم ٧٣١٣–٧٣١٦).

(٣) الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة، رواه البخارى (٢/١٤–١٥/رقم٥٢٨)، ومسلم (٥/٢٣٧–٢٣٨/رقم٦٦٧). وفى الباب عن أب سعيد وعثمان.

(٤) متفق عليه، رواه البخارى (١/٣١٤/رقم١٦٠)، ومسلم (٣/١٣٨–١٤٠/رقم٢٢٧).

وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾

- أنه كان قاعداً فى ظل شجرة فأخذ منها غصنًا يابسًا وهزّه فتحاتَّ عنه الورق، ثم قال: هل تدرون لم فعلت هذا؟ قالوا: لا. فقال: من تطهر وصلى الصلوات الخمس تحاتت عنه الذنوب كما تحات هذا الورق من هذا الغصن. وعن أبى اليسر- رجل من الأنصار- «أن امرأة أتت إليه تطلب تمراً تشتريه، فقال: فى الدكان تمر أجود مما ترينه، قال: فدخلت الدكان فقبلها والتزمها، وأصاب منها ما يصيب الرجل من امرأته إلا أنه لم يجامعها، ثم جاء إلى النبى - عليه السلام - وذكر له ذلك، وقال: افعل بى ما شئت، فسكت النبى ﷺ ساعة، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ وأقم الصلاة طرفى النهار ﴾ إلى أن قال: ﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾[1].

ورُوىَ عن معاذ أنه قال: يا رسول الله، أوصنى، فقال: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن[2]».

فهذه الأخبار كلها دالة على معنى الآية.

وفى بعض التفاسير: أن رجلا جلس إلى سعيد بن المسيب، فسمعه ابن المسيب يقول: اللهم وفقنى للباقيات الصالحات، فقال له سعيد: وما الباقيات الصالحات؟ قال: الصلوات الخمس، فقال سعيد: لا، إنما الباقيات الصالحات: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، وإنما الصلوات الخمس هى الحسنات.

وقوله: ﴿ ذلك ذكرى للذاكرين ﴾ يعنى: ذلك عظة للمتعظين.

---

(١) رواه الترمذى (٥/٢٧٢-٢٧٣/رقم٣١١٥) وقال: حسن صحيح، والنسائى فى الكبرى (٦/٣٦٦/رقم ١١٢٤٨)، والطبرى (١٢/٨٢)، والبزار (٦/٢٧١/رقم ٢٣٠٠)، والطبرانى فى الكبير (١٩/١٦٥/رقم ٣٧١)، والهيثم بن كليب فى مسنده (٣/٤٠٦/١٥٣٠).

(٢) رواه الترمذى (٤/٣١٣/رقم١٩٨٧)، وأحمد (٥/٢٢٨، ٢٣٦)، والطبرانى فى الكبير (٢٠/١٤٤، ١٤٥/رقم٢٩٥-٢٩٨)، وفى الصغير (٢/٣٢٠/رقم٥٣٠)، والهيثم بن كليب (٣/٢٦٦)، وأبو نعيم فى الحلية (٤/٣٧٨). وانظر كلام الدارقطنى عليه فى العلل (٦/٧٢/رقم ٩٨٧).

فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾

قوله تعالى: ﴿واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ ظاهر المعنى، حث على الصبر على هذه الصلوات، فإن الله لا يضيع أجر المحسنين.

قوله: ﴿فلولا كان من القرون من قبلكم﴾ الآية، قوله: «فلولا» معناه: فهلا، وقيل: فلم لا، والآية للتوبيخ والتعجيب. وقوله: ﴿أولوا بقية﴾ قيل: أولوا طاعة. وقيل: أولوا تمييز. وقيل: أولوا بقية من خير. ويقال: فلان على بقية من الخير إذا كان على طاعة، أو مسكة من عقل، أو على خصلة محمودة. وقوله: ﴿ينهون عن الفساد فى الأرض﴾ يعنى: يقومون بالنهى عن الفساد. وقوله: ﴿إلا قليلا﴾ هذا استثناء منقطع، ومعناه: لكن قليلاً ممن أنجينا من القرون (نهوا)(١) عن الفساد.

وقوله: ﴿ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه﴾ المترف: هو المتنعم. وقيل: هو المعود بالسعة واللذة. وقيل: المترف: هو الذى أبطره الغنى والنعمة.

فمعنى الآية: واتبع الذين ظلموا ما عُوِّدُوا من ركوب الشهوات واللذات.

﴿وكانوا مجرمين﴾ ظاهر.

قوله تعالى: ﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾ فى الآية قولان:

أحدهما: أنه لا يهلكهم بمجرد الشرك إذا تعاطوا الإنصاف فيما بينهم، ولم يظلم بعضهم بعضاً.

والثانى: هو أن الله لا يظلم أهل قرية فيهلكهم بلا جناية. والأول أشهر.

قوله تعالى: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة﴾ أى: ولو شاء ربك لجعل

(١) فى «ك»: ينهون.

إلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي

الناس على دين واحد.

وقوله: ﴿ولا يزالون مختلفين﴾ المراد منه: أهل الباطل كاليهود والنصارى والمجوس وأهل الشرك، وكذلك من خالف السنة من أهل القبلة.

وقوله: ﴿إلا من رحم ربك﴾ أى: لكن من رحم ربك، وهم أهل الحق لا يختلفون. وقوله: ﴿ولذلك خلقهم﴾ فيه أقوال:

أحدها: ما رُوِىَ عن مجاهد أنه قال: وللرحمة خلقهم. وهو مروى عن ابن عباس. وقال الحسن البصرى: وللاختلاف خلقهم. وهو أيضًا مروى عن ابن عباس، وعن الحسن البصرى فى رواية أخرى: خلق أهل الجنة للجنة، وخلق أهل النار للنار، وخلق أهل الشقاء للشقاء، وخلق أهل السعادة للسعادة.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: إن الذى أختاره فى معنى الآية: أنه خلق فريقًا للرحمة وفريقًا للعذاب. قال: وعليه أهل السنة.

وذكر بعضهم: أن مقصود الآية هو أن أهل الباطل مختلفون، وأهل الحق متفقون، وخلق أهل الباطل للاختلاف، وخلق أهل الحق للاتفاق.

قال النحاس: وهذا أبين الأقوال وأسرحها.

واستدل أبو عبيد على ما زعم من المعنى بقوله تعالى: ﴿وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ قال: ومعناه: وتم حكم ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين.

وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال - حاكيًا عن الله محاجة الجنة والنار، فقال للجنة: «أنت رحمتى أرحم بك من شئت من عبادى، وقال للنار: أنت عذابى أعذب بك من شئت، ولكل واحدة منكما ملؤها(١)».

---

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (١٣/٤٤٣-٤٤٤/رقم٧٤٤٩)، ومسلم (١٧/٢٦٤-٢٦٦/رقم٢٨٤٦).

هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ
إِنَّا عَامِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ
يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

وقوله تعالى: ﴿وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك﴾ معناه: وكل الذى تحتاج إليه من أنباء الرسل نَقُصُّها عليك؛ لنثبت بها فؤادك. فإن قيل: قد كان فؤاده ثابتا فأيش معنى قوله: ﴿لنثبت به فؤادك﴾؟(١).

قلنا معناه: لتزداد ثباتا، وهذا مثل قوله تعالى فى قصة إبراهيم: ﴿ولكن ليطمئن قلبى﴾(٢).

وقوله: ﴿وجاءك فى هذه الحق﴾ الأكثرون أن معناه: وجاءك فى هذه السورة الحق. وقال بعضهم: وجاءك فى هذه الدنيا الحق.

فإن قيل: أى فائدة فى تخصيص هذه السورة وقد جاءه الحق فى كل سورة؟

قلنا: فائدته: تشريف السورة، وتشريفها بالتخصيص لا يدل على أنه لم يأته الحق فى غيرها، ألا ترى أن الإنسان يقول: فلان فى الحق إذا حضره الموت، وإن كان فى الحق قبله وبعده.

قوله: ﴿وموعظة﴾ معناه: وجاءتك موعظة ﴿وذكرى للمؤمنين﴾ أى: وتذكير للمؤمنين.

قوله تعالى: ﴿وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون﴾ معنى الآية: هو التهديد والوعيد على ما بيّنّا من قبل.

وقوله: ﴿وانتظروا إنا منتظرون﴾ فى معنى الآية.

قوله تعالى: ﴿ولله غيب السموات والأرض﴾ أى: ولله علم ما غاب فى السموات والأرض.

وقوله: ﴿وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه﴾ معناه: إليه يرجع أمر العباد فيجازيهم على الخير والشر ﴿وما ربك بغافل عما تعملون﴾ يعنى: أنه لا يغيب عنه شىء من أعمال العباد وإن صغر، والله أعلم.

---

(١) الفرقان: ٣٢ (٢) البقرة: ٢٦٠.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة يوسف

وهى مكية باتفاق القراء، وفى الأخبار: أن الله تعالى أنزل ما أنزل من القرآن فقرأه المسلمون مدة، ثم قالوا: يارسول الله، لوقصصت علينا؛ فأنزل الله تعالى هذه السورة، وفيها: ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾[1] ثم قالوا بعد ذلك: لوحدثتنا يارسول الله، فأنزل ﴿الله نزل أحسن الحديث﴾[2]، ثم قالوا: (لو ذكرتنا)[3] يارسول الله، فأنزل الله تعالى: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾[4] كل ذلك يحيلهم على القرآن.

وعن خالد بن معدان أنه قال: سورة يوسف وسورة مريم يتفكه (بهما)[5] أهل الجنة فى الجنة.

وروى أبو هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم - عليهم السلام - ولولبثت فى السجن مالبث يوسف ثم دعيت إلى مادعى إليه لأجبت»[6] - وعنى ﷺ حين دعاه الملك من السجن. والخبر صحيح.

(١) يوسف: ٣.

(٢) الزمر: ٢٣

(٣) فى «ك»: ذكرنا.

(٤) الحديد: ١٦.

(٥) فى «ك»: بهم.

(٦) هما حديثان، الأول منه حتى قوله: ولو لبثت ..» رواه الترمذى (٥/ ٢٧٣ - ٢٧٤ رقم ٣١١٦) وحسنه وأحمد (٢/ ٣٣٢،٤١٦)، وابن حبان - الإحسان - (١٣/ ٩٢/رقم ٥٧٧٦)، والحاكم (٢/ ٥٧٠ - ٥٧١ وصححه على شرط مسلم. والحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة أيضًا بمعناه، رواه البخارى (٦/ ٤٤٦ رقم ٣٣٥٣)، ومسلم (١٥/ ١٩٤/رقم ٢٣٧٨)، وأما الشطر الثانى منه من أول قوله: ولو لبثت فى السجن .. إلخ. فهو متفق عليه من حديث أبى هريرة أيضًا، رواه البخارى (٦/ ٤٨١ - ٤٨٢ رقم٣٣٨٧)، ومسلم (١٥/ ١٧٩ رقم ١٥٢).

الـر تلْكَ آيَاتُ الْكتَاب الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ

قوله تعالى: ﴿ الـر ﴾ معناه: أنا الله أرى؛ وقد بيَّنا من قبل سوى هذا من المعنى في معنى [الحروف][1] المقطعة، فلا نعيد .

وقوله: ﴿ تلك آيات الكتاب المبين ﴾ يعنى: هذه الآيات التى أنزلتها عليك هى تلك الآيات التى وعدت إنزالها فى التوراة والإنجيل . وقوله: ﴿ المبين ﴾ معناه: البين حلاله وحرامه . وقيل: البين رشده وغيه .

قوله تعالى: ﴿ إنا أنزلناه قرآنا عربيا ﴾ أكثر المفسرين على أن المراد منه: إنا أنزلنا القرآن عربيا . وفى مسانيد ابن عباس رضى الله عنهما، عن النبى ﷺ أنه قال: « أحبوا العرب لثلاث: لأنى عربى، والقرآن عربى، وكلام أهل الجنة بالعربية »[2] . وقوله ﴿ لعلكم تعقلون ﴾ أى: تفهمون .

قوله تعالى: ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص ﴾ قال أهل التفسير: معناه: نحن نبين لك أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية أحسن البيان؛ والقاص: هو الذى يأتى بالخبر على وجهه . وقيل: إن المراد من الآية قصة يوسف خاصة؛ سماها أحسن القصص لزيادة التشريف .(وقيل)[3] : أعجب القصص . وقيل: أحكم القصص . والأول هو القول المشهور . وحُكىَ عن ابن عطاء أنه قال: لايسمع سورة يوسف محزون إلا استروح إليها .

---

(١) فى « الأصل وك »: حروف .

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير (١١ / ١٨٥ رقم١١٤٤١)، وفى الأوسط كما فى مجمع البحرين (٧ / ٣٦ رقم٣٩٩٠) والعقيلى فى الضعفاء (٣ / ٣٤٨) وقال: منكر لا أصل له . والحاكم (٤ / ٨٧) وصححه، فتعقبه الذهبى فى التلخيص وقال: يحيى ضعفه أحمد وغيره، وهو من رواية العلاء بن عمرو الحنفى، وليس بعمدة، وأما أبو الفضل فمتهم، وأظن الحديث موضوعًا . ورواه تمام الرازى فى الفوائد (١ / ٦١ / رقم ١٣٤)، وابن الجوزى فى الموضوعات (٢ / ٤١) وقال أبو حاتم، كما فى العلل لابنه (٢ / ٣٧٦): هذا حديث كذب .

(٣) ليست فى « ك » .

﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ

وقوله: ﴿ بما أوحينا إليك هذا القرآن ﴾ معناه: بوحينا إليك هذا القرآن. وقوله: ﴿ وإن كنت من قبله لمن الغافلين ﴾ أى: لمن الساهين عن هذه القصة وغيرها.

قوله تعالى: ﴿ إذ قال يوسف لأبيه ﴾ معناه: اذكر إذ قال يوسف لأبيه: ﴿ ياأبت ﴾ قرئ بقراءتين: «يا أبتَ» و «يا أبتِ» بالكسر والفتح؛ أما بالكسر فالأصل: «يا أبتى» ثم حذف الياء واجتزئَ بالكسرة. وأما بالفتح: فالأصل: «يا أبتا» ثم أسقط الألف واكتفى بالنصب. قال الأعشى:

فيا أبتا لاتزل عندنا فإنا نخاف بأن نُخْترم

وقوله: ﴿ إنى رأيت أحد عشر كوكبًا ﴾ فى القصة: أن يوسف كان له اثنتا عشرة سنة حين رأى هذه الرؤيا. وقد قيل غير ذلك، والله أعلم. ورُوِىَ (أنه رأى هذه)(١) الرؤيا ليلة الجمعة ليلة القدر. وقوله: ﴿ أحد عشر كوكبا ﴾ يعنى: أحد عشر نجما من نجوم السماء، وكان المراد منها إخوته، وكانوا أحد عشر رجلا، يستضاء بهم كما يستضاء بالكواكب. وقوله ﴿ والشمس والقمر ﴾ تأويل الشمس: أبوه، وتأويل القمر: أمه. هكذا قال قتادة وغيره. وقال بعضهم: كانت أمه فى الموتى، وهذه خالته راحيل. وقال ابن جريج: القمر: أبوه، والشمس: أمه؛ لأن الشمس مؤنثة، والقمر مذكر. وقوله: ﴿ رأيتهم لى ساجدين ﴾ قال بعضهم: عندى ساجدين لله. والأصح: أنهم سجدوا له تحية وكرامة. فإن قال قائل: (قد قال)(٢): ﴿ ساجدين ﴾ ولم يقل «ساجدات» وحق العربية فى النجوم أن يقال: «ساجدات».

الجواب: أن الله تعالى لما أخبر عنهم بفعل مَن يعقل وهو السجود ألحقهم بمن يعقل فى إعراب الكلام فقال: ساجدين، ولم يقل: «ساجدات» بهذا.

(١) فى «ك»: أن هذه.

(٢) ليست فى «ك».

الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا

وقوله تعالى: ﴿قال يابنى لاتقصص رؤياك على إخوتك﴾ قال أهل التفسير: إن رؤيا الأنبياء وحى، فعلم يعقوب أن الإخوة لو سمعوا (بهذه)(١) الرؤيا عرفوا أنها حق فيحسدونه (فأمره بالكتمان)(٢) لهذا المعنى. وقوله: ﴿فيكيدوا لك كيدا﴾ معناه: فيحتالوا لك حيلة. ﴿إن الشيطان للإنسان عدو مبين﴾ ومعناه: إن الشيطان يزين لهم ذلك ويحملهم عليه لعداوته. للعداوة القديمة.

قوله تعالى ﴿وكذلك يجتبيك ربك﴾ معناه: وكما رفع منزلتك وأراك هذه الرؤيا فكذلك يجتبيك أى: يصطفيك ربك. ﴿ويعلمك من تأويل الأحاديث﴾ تأويل [ماتؤول إليه عاقبة أمره](٣). وأكثر المفسرين على أن المراد من هذا علم التعبير وماتؤول إليه الرؤيا، قالوا: وكان يوسف أعلم الناس بالرؤيا وأعبرهم لها. وقوله: ﴿ويتم نعمته عليك﴾ يعنى: يجعلك نبيا، وذلك تمام النعمة على الأنبياء ﴿وعلى آل يعقوب﴾ وعلى أولاد يعقوب؛ فإن أولاد يعقوب كلهم كانوا أنبياء. وقوله: ﴿كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق﴾ يعنى: كما جعلهما نبيين من قبل كذلك يجعلك نبيا.

وقوله: ﴿إن ربك عليم حكيم﴾ ظاهر المعنى.

وقد قيل: إن المراد من تمام النعمة على إبراهيم: هو إنجاؤه من النار، والمراد من تمام النعمة على إسحاق: هو إنجاؤه من الذبح. وهذا قول مشهور. وذكر الحسن البصرى أنه كان بين هذه الرؤيا وبين هذا القول وبين تحقيقها، ثمانون سنة. وذكر عبد الله بن شداد أنه كان بينهما أربعون سنة. وهذا أشهر القولين.

(١) فى «ك»: هذه.

(٢) فى «الأصل»: بأمره فالكتمان. وهو خطأ.

(٣) في «ك»: ما يؤول إليه وعاقبة أمره.

لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ اقْتُلُوا

قوله تعالى: ﴿لقد كان فى يوسف وإخوته آيات للسائلين﴾ وفى بعض المصاحف: «عبرة للسائلين»، والآيات: جمع الآية؛ والآية: هى الدلالة على أمر عظيم. وفى معنى الآية قولان:

أحدهما: أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن قصة يوسف - عليه [الصلاة](١) السلام - وفى بعض الروايات (أنهم سألوه)(٢) عن سبب انتقال ولد يعقوب من كنعان إلى مصر، فذكر لهم قصة يوسف فوجدوها موافقة لما فى التوراة؛ فهذا معنى قوله: ﴿آيات للسائلين﴾ أى: دلالة على نبوة الرسول ﷺ .

والقول الثانى: أن (معنى) قوله: ﴿آيات للسائلين﴾ يعنى: أنها عبر للمعتبرين فإنها تشتمل على ذكر حسد إخوة يوسف له ومآل إليه أمرهم فى الحسد، وتشتمل على ذكر رؤياه وما حقق الله منها، وتشتمل على ما صبر يوسف عن قضاء الشهوة، وعلى العبودية فى السجن، وما آل إليه أمره من الملك، وتشتمل أيضاً على ذكر حزن يعقوب وما آل إليه أمره من الوصول إلى المراد، وذهاب الحزن عنه، وغير هذا مما يذكر فى السورة؛ فهذه عبر للمعتبرين .

قوله: ﴿إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا﴾ الآية، كان يوسف وأخوه بنيامين من أم واحدة، وكان يعقوب شديد الحب ليوسف، وكان إخوة يوسف يرون منه من الميل إليه مالا [يرونه](٣) لأنفسهم، فقالوا هذه المقالة . وقوله: ﴿ونحن عصبة﴾ قال الفراء: العصبة هى: العشرة فما زادت. (قال القتيبى)(٤) ومن العشرة إلى الأربعين. وقال غيرهما: «ونحن عصبة» أى: جماعة يتعصب بعضنا لبعض. وقوله: ﴿إن أبانا لفى ضلال مبين﴾ معناه: إن أبانا لفى خطأ ظاهر. فإن قال قائل: كيف وصفوا رسولا من رسل الله مثل يعقوب بالضلالة؟

الجواب عنه: ليس (المعنى)(٥) من الضلال هاهنا هو الضلال فى الدين، ولو

---

(١) من «ك».
(٢) فى «ك»: أنه سألوا.
(٣) من «ك»، وفى «الأصل»: يرونهم.
(٤) فى «ك»: العينى، وهو خطأ.
(٥) فى «ك»: المراد.

﴿يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ۝٩﴾

أرادوه صاروا كفاراً؛ وإنما المراد من الضلال هاهنا: هو الخطأ (فى تدبير)[1] أمر الدنيا، وعنوا بذلك: أنَّا أولى بالمحبة فى تدبير أمر الدنيا؛ لأنا أنفع له وأكبر من يوسف، ونصلح له أمر معايشه، ونرعى له مواشيه؛ فهو مخطئ من هذا الوجه.

قوله تعالى: ﴿اقتلوا يوسف﴾ القتل: تخريب البنية على وجه لايصح معها وجود الحياة.

وقوله: ﴿أو اطرحوه أرضًا﴾ أى: اطرحوه فى أرض تأكله السباع، وقيل: اطرحوه إلى أرض يبعد عن أبيه ويبعد أبوه عنه. وقوله: ﴿يخل لكم وجه أبيكم﴾ يعنى: يخلص لكم وجه أبيكم. وقوله: ﴿وتكونوا من بعده قوما صالحين﴾ يعنى: توبوا بعد أن فعلتم هذا، ودوموا على الصلاح يعف الله عنكم.

واستدل أهل السنة بهذه الآية على أن توبة القاتل عمداً مقبولة؛ فإن الله تعالى ذكر عزم القتل [منهم][2] وذكر التوبة، ولم ينكر عليهم التوبة بعد القتل؛ دل أنها مقبولة.

قال ابن إسحاق - يعنى: محمد بن إسحاق -: وقد اشتمل فعلهم على جرائم، منها: قطيعة الرحم، وعقوق (الوالد)[3]، وقلة الرأفة بالصغير الطريح الذى لاذنب له، والغدر بالأمانة، وترك العهد بالحفظ، والكذب الذى عزموا عليه مع أبيهم يعقوب عليه الصلاة والسلام، ثم عفا الله عنهم مع هذا كله؛ لئلا ييأس أحد من رحمته. وقال بعض أهل العلم: إنهم عزموا على قتله؛ ولكن الله تعالى حبسهم عن قتله رأفة ورحمة بهم، ولومضوا على قتله لهلكوا أجمعين.

قوله تعالى: ﴿قال قائل منهم﴾ الأكثرون على أن هذا كان يهوذا، وكان أكبرهم

(١) فى «ك»: وتدبير. وهو خطأ.

(٢) فى «الأصل و ك»: عنهم.

(٣) فى «ك»: الوالدين.

قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ

فى العقل لا أكبرهم فى السن. هذا قول ابن عباس، قال: وكان ابن خالة يوسف. وقال قتادة: هو روبيل.

وقال سفيان بن عيينة: هو شمعون. وأصح الأقوال هو الأول.

وقوله: ﴿لاتقتلوا يوسف﴾ أشار عليهم أن لاترتكبوا هذه الكبيرة العظيمة. وقوله ﴿وألقوه فى غيابة الجب﴾ يعنى: أسفل الجب، والغيابة: كل موضع ستر عنك الشئ (وغيبه)[1]. قال الشاعر:

بَنِىَّ إذا ما غيبتنى غيابتى فسيروا بسيرى فى العشيرة والأهل

وعنى بالغيابة: القبر؛ لأنه يغيب الميت ويستره. والجب: هو البئر التى لم تطو لأنه قطع قطعًا ولم تطو بعد، والجب: هو القطع.

قوله: ﴿يلتقطه بعض السيارة﴾ أى: يجده بعض السيارة، والالتقاط: هو أخذ الشئ من حيث لايحتسبه، والسيارة: هم المسافرون. قوله: ﴿إن كنتم فاعلين﴾ يعنى: إن عزمتم على فعلكم.

واختلف أهل العلم أنهم كانوا بالغين أو لم يكونوا بالغين حين عزموا على هذا وفعلوا؟

فالأكثرون أنهم كانوا رجالا بالغين، إلا أنهم لم يكونوا أنبياء بعدُ، والدليل عليه: أنهم قالوا: وتكونوا من بعده قومًا صالحين؛ وهذا إنما يستقيم بعد البلوغ ويدل (عليه)[2] أنهم قالوا: يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين، والصغير لاذنب له، دل أنهم كانوا رجالا.

ومنهم من قال: كانوا صغاراً. وهذا القول غير مرضى. واستدل من قال بهذا القول

---

(١) فى «ك»: وغيب.

(٢) فى «ك»: عليهم.

فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ

بأنهم قالوا: «أرسله معنا غدا نرتع ونلعب»، واللعب فعل الصغار لا فعل الكبار.

وأجابوا عن هذا: أنهم لم يذكروا لعبا حراما، وإنما عنوا لعبا مباحا.

وحُكِيَ عن أبي عمرو بن العلاء أنه سئل عن قوله: ﴿نلعب﴾ فقيل له: كيف قالوا: «نلعب» وقد كانوا أنبياء؟ فقال: هذا قبل أن نبأهم الله تعالى.

قوله تعالى ﴿قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف﴾ بدءوا أولا (بالإنكار)[1] عليه في ترك إرساله معهم وحفظه مع نفسه من بينهم، كأنهم قالوا له: إنك لاترسله معنا أتخافنا عليه؟!

قوله: ﴿وإنا له لناصحون﴾ النصح هاهنا: هو القيام بمُصْلِحِهِ، وقيل: إنه البر والعطف، ومعناه: إنا عاطفون عليه، بارون به، قائمون بمصلحته.

قوله تعالى: ﴿أرسله معنا غدا نرتع ونلعب وإنا له لحافظون﴾ قوله: ﴿نرتع﴾ الرتع: هو الاتساع في الملاذ في طلب وجوهها يمينًا وشمالًا. وقيل معنى الآية: نأكل ونشرب وننشط ونلهو. وقرئ: «يرتع ويلعب» بالياء، وهو في معنى الأول، إلا أنه ينصرف إلى يوسف خاصة، وقرئ: «يرتعي» وهو يفتعل من الرعي، ومعناه: إنه يرعى الماشية كما نرعى. وقوله: ﴿وإنا له لحافظون﴾.

قوله تعالى: ﴿قال إني ليحزنني أن تذهبوا به﴾ معناه: إني ليغمني أن تذهبوا به؛ والحزن هاهنا: ألم القلب بفراق المحبوب. وقوله: ﴿وأخاف أن يأكله الذئب﴾ في القصة: أن يعقوب صلوات الله عليه كان رأى في المنام كأن ذئبًا شد على يوسف - وكان يخاف من ذلك - فقال ما قال بذلك الخوف. وقد قال بعضهم: إنه أراد بالذئب إياهم. وليس هذا بشيء؛ لأنه لوخافهم عليه لم يدفعه إليهم، وماكان يجوز له ذلك، ولأنه معنى متكلف مستكره، فلايجوز أن يصار إليه. وقوله: ﴿وأنتم عنه غافلون﴾

(١) في «ك»: في الإنكار.

أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ

أى: ساهون.

قوله تعالى: ﴿قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة﴾ أى: جماعة يتقوى بعضنا ببعض. وقوله: ﴿إنا إذا لخاسرون﴾ يعنى: إنا إذا لعاجزون.

قوله تعالى: ﴿فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابة الجب﴾ الإجماع: هو العزم على الشىء، والواو هاهنا مقحمة(١)، والمعنى: فلما ذهبوا به أجمعوا أن يجعلوه فى غيابة الجب. قال الشاعر:

أجمعوا أمرهم بليل فلما ... أصبحوا أصبحوا علىّ لصوصًا(٢)

وقوله ﴿[وأجمعوا](٣) أن يجعلوه فى غيابة الجب﴾ معناه: بأن يلقوه فى غيابة الجب. وذكر وهب بن منبه، وغيره أنهم لما أخذوا يوسف أخذوه بغاية الإكرام وجعلوا يحملونه إلى أن أصحروا به، فلما أصحروا به ألقوه وجعلوا يضربونه وهو يستغيث حتى كادوا يقتلونه، ثم إن يهوذا منعهم منه. وذكروا أنه كان من أبناء [اثنتى عشرة](٤) سنة. هذا هو المعروف.

وفى بعض الروايات: أنه كان ابن ست سنين. وفى بعض الروايات: أنه كان ابن سبع عشرة سنة. وهذا معروف أيضا.

ثم أنهم أجمعوا (على أن)(٥) يطرحوه فى البئر، فجاءوا إلى بئر على غير الطريق واسع الأسفل، ضيق الرأس، فطرحوه فيها، فرُوِىَ أنه كان يتعلق بجوانب البئر، فشدوا

(١) وفى هذا القول نظر.

(٢) البيت للحارث بن حلذة وفيه:

أجمعوا أمرهم عشاء فلما ... أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء

(٣) من «ك».

(٤) فى «الأصل وك»: اثنى عشر.

(٥) فى «ك»: أنهم.

لِتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا

يديه ثم ألقوه. وفى بعض الروايات: (أنهم)[1] جعلوه فى دلو وأرسلوه فى البئر، فلما بلغ الماء فإذا صخرة فقام عليها. ورُوِىَ أنهم قالوا له: اقعد فى ذلك الطاق من البئر، فإذا جاء من يستقى فتعلق بالدلو حتى تخرج.

قال محمد بن مسلم الطائفى: لما صار يوسف فى البئر دعا الله تعالى فقال: ياشاهدا غير غائب، وياغالبا غير مغلوب، ويا قريبا غير بعيد، اجعل لى مما أنا فيه فرجا ومخرجا.

ثم اختلفت الرواية أنه كم بات فى البئر؟ فالأكثرون: أنه بات فيها ثلاث ليالى والقول الآخر: أنه بات فيها ليلة.

وقوله تعالى: ﴿وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا﴾ [قول][2] أكثر أهل التفسير على أن هذا الوحى إلى يوسف، وبعث الله جبريل يؤنسه ويبشره بالخروج ويخبره: أنه ينبئهم بما فعلوا ويجازيهم عليه وهم لايعرفون أنه يوسف، وسيأتى بعد هذه القصة. وقيل: ﴿وهم لايشعرون﴾ أنه أوحى إليه.

وفى الآية قول آخر: وهو أن الوحى هاهنا هو الإلهام؛ وهو مثل قوله تعالى: ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه﴾[3] وأما إتيان جبريل كان بعد هذا.

قوله تعالى: ﴿ وجاءوا أباهم عشاء يبكون﴾ قال أهل المعانى: جاءوا فى ظلمة العشاء ليكونوا أجرأ على الاعتذار بالكذب؛ فرُوِىَ أن يعقوب سمع صياحهم وعويلهم فخرج وقال: مالكم؟ هل أصاب الذئب من غنمكم شيئًا؟ قالوا: لا؛ وإنما الذئب أكل يوسف. وقرأ الحسن: «عُشاء يبكون»، ومعناه: قد غشيت أبصارهم من البكاء.

وقوله: ﴿قالوا ياأبانا إنا ذهبنا نستبق﴾ أى: ننتضل وننظر لمن السبق. وقيل:

---

(١) فى «ك»: أنه.

(٢) من «ك».

(٣) القصص: ٧.

نستبق على أقدامنا . وقد ثبت أن النبى ﷺ سابق عائشة رضى الله عنها مرتين، فسبقته عائشة فى المرة الأولى، وسبقها النبى ﷺ فى المرة الثانية، فقال لها : « هذه بتلك »[1] .

وقوله : ﴿ وتركنا يوسف عند متاعنا ﴾ يعنى : عند ثيابنا وأقمشتنا ﴿ فأكله الذئب ومأأنت بمؤمن لنا ﴾ يعنى : بمصدق لنا ﴿ ولوكنا صادقين ﴾ يعنى : وإن كنا صادقين .

فإن قال قائل : كيف يجوز أن يقولوا لنبى الله : أنت لا تصدق الصادق؟!

الجواب معناه : أنا لو كنا صادقين عندك كنت تتهمنا فى هذا الأمر بشدة حبك له وميلك إليه، فكيف وقد خفتنا فى الابتداء واتهمتنا فى حقه؟!

وفيه معنى آخر : وهو أن معنى قوله : ﴿ وما أنت بمؤمن لنا ﴾ : أنك لاتصدقنا لأنه لادليل لنا على صدقنا، وإن كنا صادقين عند الله .

قوله تعالى : ﴿ وجاءوا على قميصه بدم كذب ﴾ هذا دليل على أنهم نزعوا قميصه عنه حين ألقوه فى البئر، فروى أنه قال لهم : دعوا لى قميصى أتستر به، فقالوا له : ادع الشمس والقمر والكواكب تسترك ــ يعنون : مارأى من الرؤيا .

وقوله : ﴿ بدم كذب ﴾ وقيل : بدم يعنى : بدم ذى كذب . وقيل : مكذوب فيه . وعن الحسن البصرى أنه قرأ : « بدم كدب » بالدال غير المعجمة وهو الدم المتغير .

وفى القصة : أنهم لطخوا القميص بالدم ولم يشقوه، فقال يعقوب صلوات الله عليه : كيف أكله الذئب ولم يشق قميصه؟! ماعهدت الذئب حليما . حكى عن الحسن البصرى .

---

(١) رواه أبو داود (٣ / ٣٩ــ٣٠ رقم ٢٥٧٨)، والنسائى فى الكبرى (٥ / ٣٠٣ - ٣٠٥ رقم ٨٩٤٢) وابن ماجة (١ / ٦٣٦ رقم ١٩٧٩)، وأحمد (٦ / ٣٩)، والحميدى (١ / ١٢٨ رقم ٢٦١)، والطبرانى فى الكبير (٢٣ / ٤٦-٤٧ رقم ١٢٣ ــ ١٢٥) وابن حبان ــ الإحسان ــ (١٠ / ٥٤٥ رقم ٤٦٩١)، والبيهقى فى الكبرى (١٠ / ١٧-١٨). وقال البوصيرى فى زوائد ابن ماجة : إسناده صحيح على شرط البخارى .

جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ

ورُوِىَ أن بعضهم قالوا: قتله اللصوص، فاختلفوا على يعقوب فاتهمهم به و ﴿ قال بل سولت لكم أنفسكم ﴾ يعنى: كذبتم، بل زينت لكم أنفسكم ﴿ أمرًا ﴾ والتسويل: التزيين، وقوله: ﴿ فصبر جميل ﴾ معناه: فأمرى صبر جميل. وقيل: فصبر جميلٌ أختاره. والصبر الجميل: هو الذى لاشكوى فيه ولاجزع. وقوله: ﴿ والله المستعان على ماتصفون ﴾ معناه: والله المستعان على الصبر على ماتكذبون.

وفى القصة: أنهم ذهبوا وجاءوا بذئب وقالوا: هذا الذى أكل ولدك، فقال له يعقوب: ياذئب! أكلت ولدى وثمرة فؤادى؟ فأنطقه الله تعالى وقال: بالله مارأيت وجه ابنك قط، فقال: فكيف وقعت بأرض كنعان؟ فقال: جئت لصلة قرابة. أورده النقاش فى تفسيره، والله أعلم.

واختلفوا فى موضع البئر الذى أُدلى فيها يوسف؛ قال قتادة: هى بئر بيت المقدس. وقيل: إنها بئر بأرض الأردن، وقال مقاتل: بئر معروفة، كانت بين منزل يعقوب وبينها ثلاثة فراسخ، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿ وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه ﴾ السيارة: هم القوم المسافرون، سُمُّوا سيارة لأنهم يسيرون فى الأرض. وقوله: ﴿ فأرسلوا واردهم ﴾ والوارد: هو الذى يقدم القوم ليستقى الماء من البئر. قال الأصمعى: تقول العرب: أدليت الدلو إذا أرسلتها فى البئر، ودليتها إذا نزعتها من البئر. وقوله ﴿ قال (يابشراى)(١) هذا غلام ﴾ فيه قولان: أحدهما - وهو أظهر القولين -: أن معنى قوله: ﴿ يابشراى ﴾ أى: أبشروا، هذا غلام. ذكره الفراء والزجاج.

والقول الثانى: أنه نادى صاحبه - وكان اسمه بشرى - فقال: يابشراى، هذا غلام أى: يافلان، هذا غلام. ذكره الأعمش والسدى.

---

(١) فى «ك»: يا بشرى.

وفى القصة: أن البئر كانت على غير الطريق، ولكن القوم ضلوا الطريق حتى وقعوا عليها، فلما جاء الوارد وأرسل الدلو لطلب الماء، تعلق به يوسف، نزعوا على ظن أنه الماء. وروى ابن مجاهد، عن أبيه أن جدران البئر كانت تبكى على يوسف حتى أخرج منها. وفى القصة أيضا أن صاحب السيارة كان مالك بن دعرٍ، رجل من خزاعة. وقوله: ﴿وأسروه بضاعة﴾ معناه: أن الوارد ومن كان معه أسروه بضاعة عن أهل الرفقة، مخافة أن يطلبوا المشاركة فيه .

وقوله: ﴿بضاعة﴾ معناه: أنهم قالوا: نقول للقوم: إن أهل الماء استبضعونا هذا الغلام. والبضاعة: هى القطعة من المال، والبضع: هو القطع. ومنه قوله ﷺ فى فاطمة رضى الله عنها: «إنها بضْعة منى»[1] أى: قطعة منى. وهذا خبر ثابت .

وقوله: ﴿والله عليم بما يعملون﴾ ظاهر .

قوله تعالى: ﴿وشروه بثمن بخس دراهم معدودة﴾ أكثر أهل التفسير على أن الذين باعوه إخوته، وهو قول ابن عباس وعامة المتقدمين. وقوله «شروه» هو بمعنى: باعوه .

قال الشاعر:

وشريت بُردًا ليتنى ... من بعد بُردٍ كنتُ هامَة

وفى القصة: أن القوم لما استخرجوا يوسف من البئر جاء إخوته وقالوا: هذا غلام أبق منَّا وهددوا يوسف حتى لم يعرف (حاله)[2] وأقر ماقالوه ثم إنهم باعوه منهم .

والقول الثانى فى الآية: أن الذين باعوا يوسف هم الذين استخرجوه من البئر. والصحيح هو الأول .

وقوله: ﴿بثمن بخس﴾ البخس فى اللغة: هو النقص، ومعنى البخس هاهنا: هو الحرام؛ سمى الحرام بخسًا لأنه مبخوس البركة. هذا قول الشعبى وغيره. وقال بعضهم: ﴿بثمن بخس﴾ أى: ذى ظلم. وعن ابن مسعود، وابن عباس أنهما قالا:

(١) متفق عليه من حديث المسور بن مخرمة، فرواه البخارى (٩/ ٢٣٨ رقم ٥٢٣٠)، ومسلم (١٦/ ٣ - ١٦/ ٣-٦ رقم ٢٤٤٩).

(٢) فى «ك»: حالوه.

بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ

بثمن بخس: زيوف. وقيل: بثمن بخس أى: قليلا .

اختلفوا، كم كان الثمن؟ قال مجاهد: كان [اثنين وعشرين][1] درهمًا، والإخوة أحد عشر رجلا، فاقتسموا وأخذ كل واحد درهمين سوى يهوذا فإنه لم يأخذ شيئًا. وعن ابن عباس قال: باعوه بعشرين درهمًا. وقيل: [باعوه][2] بأربعين .

قوله ﴿ دراهم معدودة ﴾ يعنى: أنهم عدوها عدًّا ولم يزنوها وزنا لقلتها. وقال: إنهم كانوا لايزنون مادون الأوقية وهو أربعون درهما .

وقوله: ﴿ وكانوا فيه من الزاهدين ﴾ يعنى: (أنهم)[3] لم يكن لهم رغبة فى يوسف؛ لأنهم لم يعرفوا كرامته على الله. وقيل: إنهم كانوا فى الثمن من الزاهدين على معنى أنه لم يكن قصدهم الثمن؛ إنما قصدهم تبعيد يوسف عن أبيه .

وقوله تعالى: ﴿ وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته أكرمى مثواه ﴾ فى القصص: أن مالك بن دعر قدم به مصر وعرضه على البيع فاشتراه قطيفير صاحب أمر الملك وخازنه، وقيل: قنطور، وكان يسمى العزيز ولم يك أحد بمصر يسُمى باسمه كرامة وتشريفًا، فروى أنه اشتراه بعشرين ديناراً ونعلين وحُلة. وذكر وهب بن منبه أنه لما عرض على البيع تزايد الناس فى ثمنه حتى بلغ ثمنه: وزنه ذهبًا ووزنه فضة ووزنه مسكا ووزنه حريرًا، وكان وزنه أربعمائة رطل ومائتا (مَنٍّ)[4]». قال وهب: وكان ابن ثلاث عشرة سنة فى ذلك الوقت. وقد بيَّنَّا أن على قول بعضهم: كان ابن سبع عشرة سنة. قال كعب وغيره: كان من أحسن الناس وجها، كان على صورة آدم حين خلقه

(١) فى «الأصل و ك». اثنان وعشرون، وهو خطأ.

(٢) فى «الأصل»: باعوا.

(٣) فى «الأصل»: أنه.

(٤) والمن: كيل أو ميزان، أو رطلان. انظر القاموس المحيط (٤ / ٢٨٨).

عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن

الله تعالى قبل أن يواقع المعصية. وفى بعض الآثار: «أن يوسف أُعطىَ شطر الحسن»(١). وهو غريب، وقيل: إنه انتزع إلى جدته سارة، وكانت سارة أُعطيت سدس الحُسن.

وقوله: ﴿لامرأته﴾ قيل: كان اسمها :راغيل. وقيل: كان اسمها: زليخة.

وقوله: ﴿أكرمى مثواه﴾ معناه: أكرميه فى المطعم والملبس والمقام. والمثوى فى اللغة: موضع الإقامة، ويقال: ثوى بالمكان إذا أقام.

وقوله ﴿عسى أن ينفعنا﴾ يعنى :نبيع بالربح إن أردنا البيع، أو ينفعنا بالخدمة إن لم نبعه. وقوله ﴿أو نتخذه ولدا﴾ يعنى: أو نعتقه ونتبناه. وقد ثبت عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه برواية أبى إسحاق، عن أبى الأحوص، عنه أنه قال: أفرس الناس ثلاثة: العزيز فى يوسف حين قال لامرأته: «أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا» وابنة شعيب فى موسى – عليه السلام – حيث قالت: «ياأبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين» [وأبو بكر فى عمر رضى الله عنهما](٢) حيث استخلفه.

وقوله: ﴿وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض﴾ معناه: كما خلصناه من الهلاك ونجيناه من ظلمة البئر كذلك مكناه فى الأرض؛ والأرض هاهنا: أرض مصر، وقوله: (﴿مكناه﴾)(٣) أى (بالتهليل)(٤) وبسط اليد ورفع المنزلة إلى أن بلغ مابلغ.

وقوله: ﴿ولنعلمه من تأويل الأحاديث﴾ قد بينا من قبل. وقوله: ﴿والله غالب على أمره﴾ فيه قولان؛ أحدهما: أن الله غالب على أمره لايمنعه منه مانع، ولايرده عما يريد راد.

---

(١) هو فى صحيح مسلم فى حديث الإسراء (٢/ ٢٧٨ رقم ١٦٢) ومسند أحمد (٣/ ٢٨٦) من حديث أنس به. ورواه الطبرى (١٢/ ١٢٢ – ١٢٣)، والحاكم (٢/ ٥٧٠) وصححه على شرط مسلم، وابن أبى حاتم، وابن مردويه كما فى الدر المنثور (٤/ ١٨) من حديث أنس أيضًا بلفظ: «أعطى يوسف وأمه شطر الحسن».

(٢) من «ك». وفى «الأصل»: وأبو بكر رضى الله عنه فى عمر.

(٣) فى «الأصل»: مكناه.

(٤) كذا «بالأصل وك». ولعل الصواب: بالتمليك، فرسمهما قريب.

تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن

والقول الثانى: والله غالب على أمر يوسف بالتدبير والحياطة حتى يبلغه منتهى علمه فيه. وقوله: ﴿ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾ ظاهر.

قوله تعالى: ﴿ولما بلغ أشده﴾ الأكثرون على أن الأشد: ثلاث وثلاثون سنة وإليها تنتهى، يعنى: قوة الشباب. وقيل: ثلاثون سنة. وقيل: من تمام [ثمانى عشرة](١) سنة إلى أربعين. وسئل مالك عن الأشد، فقال: هو الحلم.

وقوله ﴿آتيناه حكما وعلما﴾ أى: فقها وعقلا. وقيل: الحكم: النبوة، والعلم: هو الفقه فى الدين. والفرق بين الحكيم والعالم: أن العالم هو الذى يعلم الأشياء، والحكيم: هو الذى يعلم بما يوُجبه العلم. وقيل: هو الذى يمنع نفسه عما يجهله ويسفهه، ومنه حكمة الدابة؛ لأنها تمنع الدابة عن الفساد. قال الشاعر:

أبنى حنيفة أحكموا سفهاءكم ... إنى أخاف عليكم أن أغضبا

يعنى: امنعوا سفهاءكم

وقوله: ﴿وكذلك نجزى المحسنين﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه﴾ معنى المراودة: طلب الفعل، والمراد هاهنا: هو الدعاء إلى الفاحشة. وقوله: ﴿وغلقت الأبواب﴾ يعنى: أطبقت الأبواب واستوثقت منها، ويقال: إنها غلقت سبعة أبواب. وقوله: ﴿وقالت هيت لك﴾ معناه: هلم، وعلى هذا أكثر المفسرين. وقيل: معناه: تعال أنا لك. وقرئ: «هيت لك» أى: تهيأت لك. وأنكر الكسائى هذه القراءة. قال الشاعر فى قوله هَيت:

أبلغ أمير المؤمنـــــــــ ... ـــين أخا العراق إذا أتينا

أن العـــراق وأهلـــــه ... عنــق إليـك فهيت هيتا

(١) من «ك»، وفى «الأصل»: ثمانية عشر.

نَفْسه وَغَلَّقَت الأَبْوَاب وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّه إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِه وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّه

وقوله: ﴿قال معاذ الله﴾ معناه: قال: أعوذ بالله أى: أعتصم به إنه ربى.

[و](١) الأكثرون أنه أراد به العزيز؛ ومعناه: إنه سيدى. وقوله: ﴿إنه ربى أحسن مثواى﴾ أى: أكرم مثواى. وقوله: ﴿إنه لايفلح الظالمون﴾ أنه لايسعد الزناة ولا العصاة.

قوله تعالى: ﴿ولقد همت به وهم بها﴾ [الآية](٢)، الهم: هو المقاربة من الفعل من غير دخول فيه. وقوله: ﴿ولقد همت به﴾ همها: هو عزمها على المعصية والزنا، وأما هم يوسف: فاعلم أنه قد ثبت عن عبد الله بن عباس أنه سُئل عن قوله ﴿وهم بها﴾ قال: جلس منها مجلس الخاتن وحل هميانه. رواه ابن أبى مليكة، وعطاء وغيرهما. وعن مجاهد أنه قال: حلَّ سراويله وجعل يعالج ثيابه. وهذا قول أكثر المتقدمين؛ منهم: سعيد بن جبير، والحسن البصرى، والضحاك وغيرهم.

[و](١) قال أبو عبيد القاسم بن سلام: وقد أنكر قوم هذا القول؛ والقول ماقاله متقدمو هذه الأمة وهم كانوا أعلم بالله أن يقولوا فى الأنبياء من غير علم. وكذلك قال ابن الأنبارى، وزعم بعض المتأخرين أن الهمَّ (كان منها)(٣): هو العزيمة على المعصية، وأما الهم منه: كان خاطر القلب وشدة المحبة بالشهوة.

وفى القصة: أن المرأة قالت له: ما أحسن عينيك، فقال: هى أول ماتسيل من وجهى فى قبرى، فقالت: ماأحسن شعرك، فقال: هو أول ماينشر فى قبرى، فقالت: إن فراش الحرير مبسوط فقم فاقض حاجتى، فقال: إذا يذهب نصيبى من الجنة، فقالت: إن الجُنينة عَطِشة فقم فاسقها، فقال: إن المفتاح بيد غيرى، قال: فجاء

---

(١) من «ك».

(٢) ليست في «ك».

(٣) فى «ك»: منها كان.

الشيطان ودخل بينهما وأخذ يحنكه وحنكها حتى همت به وهم بها، ثم إن الله تعالى تدارك عبده ونبيه بالبرهان الذى ذكره. وقال قطرب: معنى قوله: ﴿ وهم بها ﴾أى: وهم بها لولا أن رأى برهان ربه[١].

وأنكر سائر النحاة عليه هذا القول، وقالوا: إن العرب لاتؤخر لولا عن الفعل، وإنما كلام العرب هو التقديم فحسب، فإنهم يقولون: لولا كذا لفعلت كذا، ولايقولون، فعلت كذا لولا كذا . وقال بعضهم: «وهم بها» أى: بضربها ودفعها عن نفسه، وهو تأويل بعيد. وقال بعض أهل التفسير: يحتمل أن ذلك القدر الذى فعله يوسف من الهم كان فى تلك الشريعة من الصغائر يجوز على الأنبياء. قال الحسن البصرى: إن الله تعالى لم يذكر ذنوب الأنبياء فى القرآن ليعيرهم بها؛ ولكن ذكرها ليبين موقع النعمة عليهم بالعفو، ولئلا ييأس أحد من رحمته. وقيل: إنه ابتلاهم بالذنوب ليتفرد بالطهارة والعزة، ويلقاه جميع الخلق يوم القيامة على انكسار المعصية. وقوله: ﴿ لولا أن رأى برهان ربه ﴾ أكثر أهل التفسير: أنه رأى يعقوب صلوات الله عليه [صكه][٢] فى صدره وهو يقول له: أتعمَل عمل السفهاء وأنت فى ديوان الأنبياء؟!

وروى ليث، عن ابن عباس أنه قعد منها مقعد الرجل من امرأته فرأى كفًّا بلا معصم ولاعضد مكتوب عليها: ﴿ وإن عليكم لحافظين كرامًا كاتبين ﴾[٣] ففزع وهرب، ثم إنه عاد، فظهر ذلك الكف مكتوبًا عليها: ﴿ ولاتقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا ﴾[٤] ففزع وهرب، ثم إنه عاد فرأى ذلك الكف أيضًا مكتوبًا عليها: ﴿ واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ﴾[٥] ففزع وهرب، ثم إنه عاد؛ فقال الله لجبريل: أدرك عبدى قبل أن يُواقع الخطيئة، فجاء ومسحه بجناحه حتى خرجت شهوته من أنامله .

(١) يعنى على التقديم والتأخير، أى: لولا أن رأى برهان ربه؛ لهم بها.
(٢) فى «الأصل»: صك.
(٣) الانفطار: ١٠ - ١١.
(٤) الإسراء: ٣٢.
(٥) البقرة: ٢٨١.

كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ

وقال جعفر بن محمد الصادق: معنى البرهان: أنه كان في البيت صنم فقامت المرأة وسترته بثوب، فقال لها يوسف: لم فعلت هذا؟ فقالت: استحييت منه أن يراني وأنا أواقع المعصية، فقال يوسف: أنا أحق أن أستحي من ربي، وهرب.

وقال محمد بن كعب القرظي: البرهان: هو أن الله تعالى أخطر بقلب يوسف حرمة الزنا، وشدة العقوبة عليه، فهرب وترك. وأورد النقاش أنه لما قرب منها رأى شعرة بيضاء في أنفها فعافها وتركها. وهذا قول بعيد؛ والأصح من هذه الأقوال: الأول.

وقد رُوي أن يعقوب صلوات الله عليه لما تمثل له صك في صدره وقال: يا يوسف أنت قبل أن تزني كالطير في جو السماء [ولاتطاق][(١)]، فإذا زنيت فأنت كالطير يسقط ويموت، وأنت قبل أن تزني كالثور لايُطاق، فإذا زنيت صرت كالثور يهلك فيدخل النمل في (أصول)[(٢)] قرنه.

وقوله: ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء﴾ السوء: هو الثناء القبيح، والفحشاء: هو مواقعة الزنا. فإن قيل: هذا دليل على أنه لم يهم بالزنا ولم يقصده، قلنا: لا، هذا بعد الهم. فإن قيل: أليس قد قال في أثناء السورة: ﴿ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب﴾؟ [(٣)] قلنا: قد ثبت عن النبي ﷺ: «أن يوسف لما قال هذا، قال له جبريل: ولاحين هممت؟ فقال: وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء»[(٤)].

قوله: ﴿إنه من عبادنا المخلصين﴾ قرئ: «المخلَصين» و«المخلِصين» ومعنى المخلِص: هو الذي يخلص الطاعة لله، ومعنى المخلَص: هو الذي أخلصه الله واختاره.

(١) في الأصل: لايطاق.

(٢) في «ك»: أول.

(٣) يوسف: ٥٢.

(٤) رواه البيهقي في الزهد الكبير (ص ١٥٠ /رقم ٣١٥) من حديث أنس، وعزاه السيوطي في الدر (٤ / ٢٦) للحاكم في التاريخ، وابن مردويه والديلمي، عن أنس. وقد روى من غير وجه، انظر الدر المنثور.

وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ

قوله تعالى: ﴿[واستبقا][(١)] الباب﴾ رُوِيَ أن يوسف بادر الباب ليفتح ويخرج، والمرأة بادرت الباب لتمسك الباب فلا يخرج يوسف، فسبق يوسف وأدركته المرأة وأخذت بثوبه وشقته من دبر؛ وهذا معنى قوله: ﴿وقدت قميصه من دبر﴾ أى: شقت. وقوله: ﴿وألفيا سيدها لدا الباب﴾ يعنى: وجدا زوج المرأة عند الباب فبادرت المرأة ﴿قالت ماجزاء من أراد بأهلك سوءاً﴾ ثم خافت عليه أن يقتل فقالت: ﴿إلا أن يسجن أو عذاب أليم﴾ ضرب بالسياط، فلما سمع يوسف مقالتها ﴿قال هى راودتنى عن نفسى﴾ يعنى: هى طلبت منى الفاحشة. وقوله: ﴿وشهد شاهد من أهلها﴾ فيه قولان: أحدهما: أن الشاهد كان صبيا فى المهد قال هذا القول، وهذا قول أبى هريرة وسعيد بن جبير والضحاك، وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس. قال أبو هريرة: «تكلم ثلاثة من الصبيان فى المهد: عيسى ابن مريم صلوات الله عليه (وصاحب)[(٢)] جريج وشاهد يوسف». والقول الثانى: أن الشاهد كان رجلا حكيماً من قرابات المرأة وكان قائماً مع زوجها فسمع الجلبة من وراء الباب ورأى شق القميص فقال القول وهو قوله تعالى: ﴿إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين. . .﴾ الآية.

وقوله: ﴿فلما رأى قميصه قد من دبر﴾ عرف أن الذنب لها ﴿قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم﴾ وفى القصة: أنه كان قليل الحميّة والغيرة، ثم قال ليوسف: ﴿يوسف أعرض عن هذا﴾ يعنى: لاتذكر هذا حتى يشيع، ثم قال للمرأة: ﴿واستغفرى لذنبك﴾ توبى إلى الله تعالى ﴿إنك كنت من الخاطئين﴾ ظاهر المعنى.

(١) فى «الأصل وك»: واستبق.

(٢) فى «ك»: ومبرئ.

كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا

قوله تعالى: ﴿وقال نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه﴾ المدينة هاهنا: مدينة مصر، وقيل: إنها مدينة عين شمس.

وأما النسوة قالوا: هن خمس نسوة: امرأة حاجب الملك، وامرأة صاحب الدوابِّ، وامرأة صاحب الطعام، وامرأة صاحب الشراب، وامرأة صاحب السجن. وقال بعضهم: هن نسوة من أشراف نسوة مصر.

وقوله: ﴿امرأة العزيز﴾ قيل العزيز: هو الممتنع بقدرته عن أن يضام فى أمره. وقوله: ﴿تراود فتاها عن نفسه﴾ فتاها هاهنا بمعنى: عبدها، والمعنى: أنها تطلب من عبدها [أن](١) يرتكب الفاحشة. وقوله ﴿قد شغفها حبا﴾ رُوِىَ عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أنه قال: «شغفها حبا» أى: غلبها. ورُوِىَ عنه أيضًا أنه قال: «شغفها حبا» أى: دخل الحب فى شغاف قلبها، وشغاف القلب: داخل القلب. وقيل: شغاف القلب: جلدة القلب؛ كأن الحب خرق الجلدة وأصاب القلب وغلب عليه. وقيل: شغاف القلب: [سويداء](٢) القلب. وقيل: حبة القلب. قال الشاعر:

ولا [وجد](٣) إلا دون وجدٍ وجدته ... أصاب شغاف القلب فالقلب مشغف

قرئ فى الشاذ: (شعفها)(٤) حبًا» ومعناه: ذهب الحب بها كل مذهب، ومنه: شعف الجبال أى: رءوسها.

وقوله: ﴿إنا لنراها فى ضلال مبين﴾ أى: فى خطأ ظاهر. ويقال: فى ضلال مبين يعنى: أنها تركت مايكون عليه أمثالها من الستر والعفاف.

(١) فى «الأصل» و«ك»: أنه.

(٢) فى «الأصل وك»: سويد.

(٣) فى «الأصل»: وجل، باللام.

(٤) فى «ك»: شقفها. وهو خطأ.

لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ

قوله: ﴿فلما سمعت بمكرهن﴾ أي: بتدبيرهن. وقد رُوِىَ أنها أفشت إليهن سرها واستكتمتهن فأفشين ذلك؛ فلهذا سماه مكرًا. وقوله: ﴿وأرسلت إليهن﴾ أي: دعتهن. وقوله: ﴿وأعتدت لهن متكئًا﴾ قال ابن عباس ومجاهد: المتكأ يتكئون على الوسائد. وقد رُوِىَ عن النبى ﷺ أنه قال: «أما أنا فلا آكل متكئا»[(١)] وهذا مما اختاره الله تعالى له من التواضع، وأما الجبارون والعظماء فقد اعتادوا الأكل متكئين. وقيل: «وأعتدت لهن متكئا» أي: طعامًا وشرابًا واتكاء.

وقرئ فى الشاذ: «وأعتدت لهن متكا» والمتك: هو الأترج. ذكره ابن عباس ومجاهد. وقيل: إنه البزماورد. أورده الضحاك. وقيل: هو كل مايحز بالسكين. وفى القصة: أنها دعت أربعين امرأة من أشراف [نساء][(٢)] مصر وزينت بيتا بألوان الفواكه والوسائد وفرشت البسط. وقوله: ﴿وآتت كل واحدة منهن سكينًا﴾ أي: وأعطت كل واحدة منهن سكينا؛ وقد كانوا يأكلون اللحم جزًّا بالسكين؛ والسنة هو النهش.

وقوله: ﴿وقالت اخرج عليهن﴾ أمرت يوسف بأن يخرج عليهن فخرج وقد أخذن السكاكين ليقطعن المأكول. وقوله: ﴿فلما رأينه أكبرنه﴾ فيه قولان: أحدهما: أعظمنه. والآخر: حضن. قال الشاعر:

نأتى النساء لدى[(٣)] أطهارهن ولا

نأتى النساء إذا أكبرن إكبارا

يعنى: إذا حضن. والأولى هو الأول. وأنكر أبو عبيدة أن يكون «أكبرن» بمعنى:

---

(١) رواه البخارى (٩/ ٤٥١ رقم ٥٣٩٨، ٥٣٩٩)، وأبو داود (٣/ ٣٤٨ رقم ٣٧٦٩)، والترمذى (٤/ ٢٤٠ رقم ١٨٣٠)، وابن ماجة (٢/ ١٠٨٦ رقم ٣٢٦٢)، وأحمد (٤/ ٣٠٨، ٣٠٩) كلهم من حديث أبى جحيفة.

(٢) فى «الأصل»: النساء.

(٣) فى «الأصل»: لدى، وفى لسان العرب (٥/ ١٢٦) وتفسير الطبرى (١٢/ ١٢٢): على.

وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ

حضن .

وقوله ﴿ وقطعن أيديهن ﴾ الأكثرون على أن هذا خدش وجرحٌ بلا إبانة . وقال بعضهم : إنهن قطعن أيديهن على (تحقيق)[١] قطع اليد جملة . والأول أصح . يقال : قطع فلان يده إذا خدشها وجرحها .

وفى القصة : أنهن بهتن وذهبت عقولهن [و][٢] قطعن أيديهن ولم يعلمن بذلك حتى سالت الدماء منهن وقوله : ﴿ وقلن حاش الله ﴾ وقرئ : « حاشا لله » ومعناه : [معاذ][٣] الله أن يكون ﴿ ما هذا بشراً ﴾ ومعناه : بشرًا مثل سائر البشر . وقرئ : « ماهذا مشتريا » أى : بعبد مشترى . وقوله : ﴿ إن هذا إلا ملك كريم ﴾ يعنى : ملك كريم على ربه . وقد روى أنس، عن النبى ﷺ أنه قال : « أُعطى يوسف شطر الحُسن »[٤] . وعن ابن إسحاق - صاحب المعانى - قال : ذهب يوسف وأُمُّه بثلثى الحُسن .

وروى أبو سعيد الخدرى، عن النبى ﷺ فى قصة المعراج « أنه رأى يوسف فى السماء الثالثة، قال : فرأيت وجهه كالقمر ليلة البدر »[٥] . ورُوِىَ أنه كان إذا مشى فى سكك مصر رُئِىَ لوجهه ضوء على الجدران . ورُوِى أنه لما ملك، وكان إذا دخلت عليه امرأة غطى وجهه لئلا تفتتن به .

قوله تعالى : ﴿ قالت فذلكن الذى لمتننى فيه ﴾ الملامة هو الوصف بالقبيح على وجه التحقير، ومعنى قولها « فذلكن الذى لمتننى فيه » أن هذا هو الذى لمتننى فيه،

---

(١) فى « ك » : التحقيق .

(٢) ليست فى « الأصل ولا « ك » .

(٣) فى « الأصل » : معاذا .

(٤) تقدم قريبًا .

(٥) رواه الحاكم (٢ / ٥٧١)، والبيهقى فى الدلائل (٢ / ٣٩٣) من طريق أبى هارون العبدى، عن أبى سعيد .

وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ

ثم صرحت بما فعلت (وقالت)[1] : ﴿ولقد راودته عن نفسه﴾ وإنما صرحت بذلك لأنها علمت أنه لاملامة عليها منهن بعد ذلك وقد أصابهن ماأصابهن من رؤيته. وقوله تعالى: ﴿فاستعصم﴾ أى: امتنع. وقوله: ﴿ولئن لم يفعل ماآمره ليسجنن﴾ يعنى: ليعاقبن بالحبس. وقوله: ﴿وليكونًا من الصاغرين﴾ أى: (ليكونن)[2] من المستحقرين والمستذلين. وعن وهب بن منبه: أن أولئك النسوة عشقنه وماتت جماعة منهن من عشقه.

قوله تعالى: ﴿قال رب السِّجن أحب إلىَّ﴾ وقرئ فى الشاذ: «رب السَّجن» وهو الحبس، والسِّجن موضع الحبس ﴿مما يدعوننى إليه﴾ يقال: لولم يقل هذا لم يبتل بالسجن. وفى بعض الأخبار: «البلاء موكل بالمنطق»، والأولى بالمرء أن يسأل الله العافية.

وقوله: ﴿مما يدعوننى إليه﴾ فيه قولان: أحدهما: أن الدعاء كان منها خاصة؛ لكنه أضاف إلى جميع النسوة خروجًا من التصريح إلى التعريض.

والقول الثانى: أنهن جميعا دعينه إلى أنفسهن.

وقوله: ﴿وإلا تصرف عنى كيدهن﴾ معناه: وإلا تصرف عنى شرهن ﴿أصب إليهن﴾ أى: أمل إليهن. قال الشاعر:

حتى متى تصبو ورأسك أشمط ... أظننت أن الموت باسمك يغلط

وقوله: ﴿وأكن من الجاهلين﴾ هذا دليل على أن المؤمن إذا ارتكب ذنبا يرتكب عن جهالة، وقيل معناه: وأكن من المذمومين كما يذم الإنسان بفعل مايقدم عليه جاهلًا.

(١) ليست فى «ك».

(٢) فى «ك»: ليكوناً.

إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ

قوله تعالى: ﴿ فاستجاب له ربه ﴾ أى: أجاب له ربه. وقوله: ﴿ فصرف عنه كيدهن ﴾ أى: شرهن ﴿ إنه هو السميع العليم ﴾ ظاهر المعنى.

قوله: ﴿ ثم بدا لهم ﴾ أى: ظهر لهم. وقوله: ﴿ من بعد مارأوا الآيات ﴾ هاهنا شق القميص، وكلام الطفل، وجز النساء أيديهن بالسكاكين، وذهاب عقولهن بما رأين من جماله. وقوله: ﴿ ليسجننه حتى حين ﴾ أى: ليحبسنه إلى مدة. قال عطاء: إلى حين: إلى أن تنقطع مقالة الناس.

قوله تعالى: ﴿ ودخل معه السجن فتيان ﴾ فى القصة: أن المرأة قالت لزوجها: قد فضحنى هذا الغلام العبرانى (فى الناس)(١)، فإما أن تأذن [لى](٢) أخرج وأعتذر من الناس، وإما أن تحبسه، فحبسه، ولما حبس حَبَس الملك بعد ذلك رجلين من خاصته؛ أحدهما: صاحب طعامه، والآخر: صاحب شرابه، ويقال: كان يسمى أحدهما: سرهم، والآخر: شرهم. وكان سبب حبسهما: أن الملك اتهم صاحب الطعام [أنه](٣): قصد سمه، وظن أيضاً أن صاحب الشراب مالأه على ذلك؛ وكان الملك هو الوليد بن مروان العمليقى، وقيل غير هذا الاسم.

وقوله: ﴿ قال أحدهما إنى أرانى أعصر خمراً ﴾ ورُوى أن يوسف - عليه السلام - لما دخل السجن جعل يدعو إلى الله وينشر علمه، فرأى هذين الرجلين وهما مهمومان فسألهما عن شأنهما فذكرا أنهما صاحبا الملك، وأن الملك حبسهما، وقد رأيا رؤيا وقد غمهما ذلك، فقال لهما: قصا على مارأيتما، فقصا عليه رؤياهما؛ وهذا معنى قوله: ﴿ قال أحدهما إنى أرانى أعصر خمراً ﴾. وفى القصة: أنه قال: رأيت حبلة عليها ثلاثة عناقيد فجنيتهن وعصرتهن خمراً وسقيت منه الملك.

(١) ليست فى «ك».
(٢) من «ك».
(٣) فى «الأصل»: أى.

رأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ

وقوله: ﴿أعصر خمرا﴾ العصر: هو الاعتماد باليد على مافيه مائية ليحلب عنه الماء. وقوله ﴿خمراً﴾: قيل: عنبا، قيل: هذا بلغة عمان، قال المعتمر: لقيت أعرابيا معه سلة فيها [عنب](١) فقلت: مامعك؟ قال: الخمر. وقال الشاعر:

ينازعنى به ندمان صدق ... (شواء)(٢) الطير والعنب الحقينا

وأراد بالعنب: الخمر. ويقال: معنى قوله: ﴿أعصر خمراً﴾ أى: عنب خمر. ويقال: معنى قوله: ﴿أعصر خمراً﴾ أى: عنبا؛ سماه خمرا باسم مايؤول إليه؛ تقول العرب: فلان يعصر الدبس ويطبخ الآجر يعنى: يعصر العنب للدبس، ويطبخ اللبن للآجر، قال الشاعر:

الحمد لله الجليل المنان ... صار الثريد فى رءوس العيدان

وقوله: ﴿وقال الآخر إنى أرانى أحمل فوق رأسى خبزاً تأكل الطير منه﴾ رُوىَ أن الآخر قال: إنى أرانى كأنى أحمل ثلاث سلال من الخبز على رأسى وسباع الطير ينهش منه.

وقوله: ﴿نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين﴾ قال: كان يوسف عليه السلام إذا مرض فى السجن مريض عاده وقام عليه، وإذا افتقر إنسان جمع له شيئا، وإذا رأى مظلوما نصره، وإذا رأى حزيناً سلاه، وكان مع هذا يقوم الليل كله بالصلاة.

والقول الثانى: ﴿إنا نراك من المحسنين﴾ يعنى: من المحسنين لعبارة الرؤيا، والإحسان بمعنى العلم؛ يقال: فلان يحسن كذا، أى: يعلمه.

قوله تعالى: ﴿قال لايأتيكما طعام﴾ الآية، بدأ يوسف - صلوات الله عليه - قبل تعبير الرؤيا بإظهار المعجزة والدعاء إلى توحيد الله؛ فقوله: ﴿لايأتيكما طعام ترزقانه

(١) فى «الأصل»: عنبة.

(٢) فى «ك»: سوى.

إِقَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى

لا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لاتدعوان بطعام من منازلكما إلا نبأتكما بقدره ولونه وطعمه والوقت الذى يصل إليكما فيه قبل أن يصل إليكما؛ وهذه المعجزة مثل معجزة عيسى - عليه السلام - وقوله: ﴿ وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ﴾[1].

والقول الثانى: أنه كان من رسم الملك إذا أراد أن يقتل إنسانًا يبعث إليه بطعام معروف عندهم، وإذا أراد أن يكرم إنسانًا بعث إليه بطعام معروف عندهم؛ فهذا معنى قوله: ﴿ لايأتيكما طعام ترزقانه ﴾ .

والقول الثالث: لايأتيكما طعام ترزقانه فى المنام إلا نبأتكما بتأويله فى اليقظة، فقالوا: من أين لك ذلك، أتتكهن أم تتنجم؟ فقال: لا؛ ولكن مما علمنى ربى. فهذا معنى قوله ﴿ ذلكما مما علمنى ربى. وقوله: ﴿ إنى تركت ملة قوم لايؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون ﴾ ظاهر .

ثم قال: ﴿ واتبعت ملة آبائى إبراهيم وإسحاق ويعقوب ﴾ أظهر أنه نبى وأنه من ولد الأنبياء. وقوله: ﴿ ماكان لنا أن نشرك بالله من شىء ﴾ معناه: أن الله قد عصمنا من الإشراك به. وقوله: ﴿ ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ﴾ يعنى به: ماأقام من الدليل وبين من الهُدى. وقوله: ﴿ ولكن أكثر الناس لايشكرون ﴾ ظاهر المعنى.

ثم زاد فى الدلالة على التوحيد فقال: ﴿ ياصاحبى السجن أأرباب متفرقون ﴾ وسماهما: صاحبىْ السجن؛ لأنهما كانا فى السجن، وقوله ﴿ أأرباب متفرقون ﴾ أى: أَمْلاَك متباينون هذا [من][2] ذهب، وهذا من فضة ،وهذا من نحاس، وهذا من خشب، وقيل: هذا أعلى، وهذا أوسط، وهذا أدنى، وقوله: ﴿ خير أم الله الواحد القهار ﴾ الواحد الغالب على كل شىء، والمراد: نفى الخيرية منهم أصلا، وقد ذكرنا

(١) آل عمران: ٤٩.

(٢) فى «الأصل وك»: ومن

النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ

من قبل ثم زاد وقال: ﴿ماتعبدون من دونه﴾ أى: من دون الله ﴿إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم﴾ يعنى: هذه الأصنام أسماء مجردة خالية عن المعنى. وقوله: ﴿ماأنزل الله بها من سلطان﴾ أى: حجة ﴿إن الحكم إلا لله﴾ ما الحكم إلا الله ﴿أمر ألا تعبدوا إلا إياه﴾ ظاهر المعنى. قوله: ﴿ذلك الدين القيم﴾ أى: الطريق المستقيم ﴿ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾ ظاهر المعنى .

وفى القصة: أن صاحب السجن لما سمع منه ما سمع، ورأى منه مارأى أحبه حبًّا شديداً وجعله على أهل السجن، وكذلك أهل السجن أحبوه حتى كان الرجل يُخلى من السجن فيعود إليه، فرُوىَ أن صاحب السجن قال له: أنا أحبك فقال: أنشدك الله أن تحبنى - يعنى: أن لاتحبنى- فإن من أحبنى يوقعنى فى البلاء، أحبتنى عمتى فوقعت فى بلاء، وأحبنى والدى فألقيت فى الجب، وأحبتنى امرأة العزيز فحبست. ورُوىَ أن صاحبى الملك قالا له هذه المقالة فأجابهما بهذا.

قوله: ﴿ياصاحبى السجن أما أحدكما فيسقى ربه خمراً﴾ رُوى أنه قال لصاحب الشراب: أما تأويل رؤياك: فإنك تدعى بعد ثلاثة أيام وترد إلى منزلتك من الملك.

وقوله: ﴿وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه﴾ قال: وأما أنت ياصاحب الطعام فتدعى بعد ثلاثة أيام وتصلب وتأكل الطير من رأسك؛ فرُوىَ أنهما جميعا قالا: كذبنا مارأينا شيئا، فقال: ﴿قضى الأمر الذى فيه تستفتيان﴾ يعنى: فُرغ من الأمر وماقلت كائن؛ رأيتما أو لم ترياه. وقال أبو مجلز: الذى قال له: أنا لم أر شيئا هو صاحب الطعام خاصة. وقد رُوى أنهما قد رأيا ماقالا حقيقة. قوله: ﴿قضى الأمر﴾ تتميم الكلام .

فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ

قوله تعالى: ﴿وقال للذى ظن أنه ناج منهما﴾ معناه: أنه (أيقن)[1] أنه ناج منهما ﴿اذكرنى عند ربك﴾ أى: عند سيدك، فرُوى أنه قال له: قل للملك: إن فى السجن رجلا مظلومًا قد طال حبسه. وقوله: ﴿فأنساه الشيطان ذكر ربه﴾ الأكثرون: معناه: فأنسى يوسفَ الشيطانُ ذكرَ ربه حتى استغاث بمخلوق مثله، وهذا قول ابن عباس وغيره.

والقول الثانى: أن الشيطان أنسى الرجل الذى خُلى من السجن ذكر يوسف لسيده.

وقوله: ﴿فلبث فى السجن بضع سنين﴾ الأكثرون: على أن بضع سنين هاهنا: سبع سنين، وقد كان لبث منْ قبل خمس سنين؛ فمكث فيه [اثنتى عشرة][2] سنة. وقال الأخفش: البضع: من الواحد إلى العشرة، وقيل: من ثلاث إلى التسع؛ فرُوىَ: أن الله تعالى بعث جبريل إليه، فقال له: قل يايوسف من حببك إلى أبيك؟ فقال: أنت يارب، فقال: من خلصك من الجب؟ قال :أنت يارب، قال: من صرف عنك السوء والفحشاء؟ قال: أنت يارب، قال: فما استحييت منى أن استعنت بمخلوق؟! وعزتى لأطيلن مكثك فى السجن. ورُوىَ أنه قال: يارب بحق آبائى اغفر لى ذنبى، فجاء جبريل وقال له: وأى حق لآبائك علىّ؟! أما جدك إبراهيم: فقد جعلت النار عليه بردًا وسلامًا، وأما إسحاق: ففديته بكبش عظيم، وأما أبوك يعقوب: (فأعطيته)[3] اثنى عشر ابنا وأخذت منهم واحدًا، فما زال يبكى حتى ابيضت عيناه وجعل يشكونى، فقال يوسف: إلهى، بمنك القديم وفضلك العظيم وأياديك الكثيرة اغفر لى ذنبى، فغفر له. ورُوىَ عن الحسن البصرى أنه قال: دخل جبريل على

(١) فى «ك»: ألقى.

(٢) فى «الأصل و ك»: اثنا عشر، والصواب ماأثبتناه.

(٣) فى «ك»: فقد أعطيته.

﴿٤٢﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوا

يوسف عليهما السلام فى السجن، فقال له: يوسف، يا أخ المنذرين ماتعمل بين المذنبين؟ فقال [له][١] جبريل: ياطيب ابن الطيبين يقول لك ربك: أما (استحييت)[٢] منى أن استعنت بمخلوق مثلك؟! وعزتى لأطيلن حبسك، فقال له يوسف عليه السلام: أهو راض عنى؟ فقال: نعم. فقال: إذا لا أبالى. ورُوىَ أنه قال لجبريل: مابلغ حزن أبى يعقوب؟ فقال: حزن سبعين ثكلى، فقال: وكيف أجره؟ فقال: أجر مائة شهيد.

قوله تعالى: ﴿وقال الملك إنى أرى سبع بقرات سمان [يأكلهن سبع عجاف][٣]﴾ الملك هاهنا: ملك مصر، والملك هو القادر الواسع المقدور فيما يرجع إلى السياسة والتدبير. وقوله: ﴿إنى أرى﴾ معناه: إنى أرى فى المنام. وقوله: ﴿بقرات﴾: البقر: حيوان معروف يصلح للكراب، ومنه (المثل)[٤]: الكراب على البقر؛ لأنه أقوم به.

وقوله: ﴿سمان﴾ معلوم المعنى.

ورُوىَ أن الملك رأى سبع بقرات سمان خرجن من البحر كأسمن مايكون من البقر، ثم خرج عقيبه سبع بقرات عجاف فى غاية الهزال والعجف، ثم إن العجاف ابتلعت السمان وأكلتها حتى لم يتبين على العجاف منها شىء، ثم رأى [﴿وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات﴾ أى:][٥] سبع سنبلات يابسة الْتَوَتْ على الخضر حتى غلبت عليها فلم يبق من خضرتها شىء. وقوله: ﴿ياأيها الملأ أفتونى فى رؤياى إن كنتم للرؤيا تعبرون﴾ الرؤيا (هو)[٦] مايتخيله الإنسان فى المنام، وقد بينا أن النبى ﷺ قال فى الرؤيا الصادقة: «تلك عاجل بشرى المؤمن»[٧] ورُوى عن النبى ﷺ أنه قال:

(١) من «ك».
(٢) فى «ك»: استقنت.
(٣) ليست فى الأصل.
(٤) فى «ك»: الملك، وهو خطأ، وذكر ابن منظور هذا المثل فى لسان العرب (١/ ٧١٥) مادة: كرب.
(٥) فى الأصل: ثم رأى سبع سنبلات خضر، ورأى.
(٦) ليست فى: «ك».
(٧) تقدم فى سورة يونس.

أَضْغَاثُ أَحْلامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلامِ بِعَالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ

«إذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب»(١) وله معنيان: أحدهما: أن تقارب الزمان هو استواء الليل والنهار؛ والطباع عند استواء الليل والنهار أصح؛ فالرؤيا أصدق. والمعنى الثانى: أن تقارب الزمان هو تقارب الساعة. وقد رُوِىَ فى بدء وحى النبى ﷺ: «أنه كان إذا رأى الرؤيا جاءت مثل فلق الصبح»(٢).

وقوله: ﴿إن كنتم للرؤيا تعبرون﴾ يقال: عبرت الرؤيا: إذا فسرتها، والتعبير هو التفسير هاهنا.

قوله تعالى ﴿قالوا أضغاث أحلام﴾ الضغث: كل ماقبض عليه من الأخلاط من الحشيش وغيره. ومعنى الآية: رُوِىَ عن قتادة أنه قال: أضغاث أحلام أى: أخلاط أحلام. وعن مجاهد قال: أهاويل أحلام، وقيل: أباطيل أحلام. وقوله: ﴿ومانحن بتأويل الأحلام بعالمين﴾ (ومعناه)(٣): ومانحن بتأويل الأحلام (التى)(٤) وصفتها هذه بعالمين.

قوله: ﴿وقال الذى نجا منهما وادَّكر بعد أمة﴾ أى: مدة، [و](٥) فى القصة: أن الملك جمع السحرة والكهنة والمعبرين وقص عليهم رؤياه، فلما عجزوا عن تعبيرها اهتم همًّا شديداً، فتذكر الغلام الساقى حال يوسف عليه السلام وقد كان فجئ بقوله، فجثى بين يدى الملك وقال: إن فى السجن رجلًا محبوسًا وهو يعبر الرؤيا، وذكر قصته؛ فهذا معنى قوله: ﴿وقال الذى نجا منهما وادَّكر بعد أمة﴾ والأمة هاهنا بمعنى الحين؛ وقد بينا أنه حبس سبع سنين بعد ماعبر رؤيا صاحب الملك. وعن وهب

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة، فرواه البخارى (١٢/ ٤٢٢/رقم ٧٠١٧)، ومسلم (١٥/ ٢٩ - ٣٣ رقم ٢٢٦٣).

(٢) متفق عليه من حديث عائشة، رواه البخارى (١/ ٣٠ رقم٣)، ومسلم (٢/ ٢٥٩-٢٦٨ رقم ١٦٠).

(٣) ليست فى «ك».

(٤) فى «ك»: الذى.

(٥) من «ك».

بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا

بن منبه قال: مكث يوسف فى السجن سبع سنين، ومكث أيوب فى البلاء سبع سنين. وقُرئ فى الشاذ: «وادكر بعد أَمَه» بالهاء؛ ومعناه: بعد نسيان. وقوله: ﴿أنا أنبئكم بتأويله﴾ معناه: أنا آتيكم بتأويله ﴿فأرسلون﴾ يعنى: أرسلنى أيها الملك إليه.

وقوله: ﴿يوسف أيها الصديق﴾ فى الآية اختصار، ومعناه: أن الملك أرسله إلى يوسف، وهو قال: يوسف أيها الصديق، والصديق: (الكثير للصدق)[1]. وقوله: ﴿أفتنا﴾ معناه: أجبنا ﴿فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات﴾ هذا ذكر تقصيص الرجل رؤيا الملك على يوسف.

وقوله: ﴿لعلى أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون﴾ فيه قولان: أحدهما: لعلى أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون تأويل الرؤيا. والثانى [معناه][2]: لعلى أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون منزلتك ودرجتك فى العلم.

قوله تعالى: ﴿قال تزرعون سبع سنين دأبًا﴾ هذا خبر بمعنى الأمر؛ ومعناه: ازرعوا سبع سنين، يعنى: على عادتكم؛ والدأب: العادة. وقوله ﴿فما حصدتم﴾ الحصاد معلوم. وقوله: ﴿فذروه فى سنبله﴾ أمرهم أن يتركوا الحنطة فى السنابل ليكون أبقى على الزمان. وقوله: ﴿إلا قليلا مما تأكلون﴾ يعنى: مما تدرسون وتأكلون؛ فكأنه أمرهم أن يحفظوا الأكثر ويأكلوا بقدر الحاجة.

وقوله: ﴿ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن﴾ سمى السنين المجدبة شدادًا لشدتها على الناس. وقوله: ﴿يأكلن ماقدمتم لهن﴾ معناه: (يفنين)[3] ويهلكن

(١) كذا فى «الأصل».

(٢) من «ك».

(٣) فى «ك»: يفتتن.

مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي

ماقدمتم لهن، وهذا على طريق التوسع والمجاز؛ فإن السنين لاتأكل شيئا، وإن القوم في السنين يأكلون. وقوله: ﴿إلا قليلا مما تحصنون﴾ يعنى: تحرزون؛ ومعناه: تحرزون للبذر.

وقوله: ﴿ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس﴾ الغياث هاهنا: هو الخصب والسعة. وقوله ﴿وفيه يعصرون﴾ قرئ بقراءتين: «يعصرون» و«تُعْصَرُون» ومعناه: يعصرون الزيت من الزيتون، ومن العنب العصير، ومن السمسم الدُّهن. هذا قول ابن عباس ومجاهد.

وقيل: يعصرون: ينجون. قال الشاعر:

وصادياً يستغيث غير مغاثٍ ... ولقد كان عصرة المنجود

ولقد كان عصرة المنجود يعنى: المنجاة. وقيل: يعصرون: ينزل عليهم المطر من السحاب، قال الله تعالى ﴿وأنزلنا من المعصرات ماء ثَجَاجًا﴾(١).

قوله تعالى ﴿وقال الملك ائتونى به﴾ فى الآية اختصار أيضًا فإن الرجل رجع إلى الملك وقص عليه تأويل الرؤيا ثم قال الملك: ائتونى به. وقوله: ﴿فلما جاءه الرسول﴾ قال: ﴿ارجع إلى ربك﴾ إلى سيدك ﴿فاسأله مابال النسوة اللاتى﴾ أى: ماحال النسوة اللآتى ﴿قطعن أيديهن﴾ على مابينا من قبل، ولم يصرح بذكر امرأة العزيز أدبًا واحترامًا. وقوله: ﴿إن ربى بكيدهن عليم﴾ أى: بحيلهن ومكرهن عليم.

واعلم أنه قد صح عن النبى ﷺ أنه قال: «لو لبثت في السجن مثل مالبث يوسف ثم جاءنى الداعى لأجبت»(٢) وفى بعض الروايات أن النبى ﷺ قال: «رحم الله أخى يوسف؛ لقد كان ذا حلم وأناة، ولو كنت مكانه ثم دعيت لبادرت»(٣).

---

(١) النبأ: ١٤.

(٢) متفق عليه من حديث أبى هريرة وقد تقدم فى أول السورة.

(٣) رواه الطبرى فى التفسير (١٢/ ١٣٩)، وابن مردويه – كما فى الدر المنثور (٤/ ٢٥) – عن أبى هريرة.

قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي

فإن قيل: أيش قصد يوسف عليه السلام من رد الرسول وذكر النسوة، وقد مضى على ذلك الزمان الطويل؟

الجواب: المراد أنه أن لاينظر إليه الملك بعين التهمة ويصير إليه وقد زال الشكوك عن أمره فقال ماقال هذا .

قوله (تعالى) ﴿قال ماخطبكن إذ راودتن يوسف﴾ رُوىَ أن الملك بعث إلى النسوة وفيهن امرأة العزيز فدعا بهن وقال لهن هذه المقالة، وقوله: ﴿ماخطبكن﴾ أى: ما (حالكن)[1] ؟ وقيل: ما أمركن؟ وقوله: ﴿إذ راودتن يوسف عن نفسه﴾ خاطبهن بهذه المقالة، والمراد: امرأة العزيز خاصة، وقيل: إن امرأة العزيز راودته عن نفسه وسائر النسوة أمرنه بالطاعة لها؛ فلهذا قال: إذ راودتن يوسف عن نفسه. وقوله: ﴿قلن حاش لله﴾ معاذ الله ﴿ماعلمنا عليه من سوء﴾ يعنى: ماعلمنا عليه من تهمة ولاخيانة . وقوله : ﴿قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه﴾ وفى القصة: أن النسوة لما أخبرن ببراءة يوسف عما قرن به أقبلن على امرأة العزيز يقررنها. ورُوىَ أنها خافت أن يُقبلن عليها ويشهدن عليها فأقرت وقالت: الآن حصحص الحق. معناه: تبين الحق. وقيل: معناه: الآن ظهر الأمر بعد الانكتام. قال الشاعر :

ألا مبلغ عنى خِداشًا بأنه كذوب إذا ماحصحص الحق ظالم

﴿أنا راودته عن نفسه﴾ ظاهر المعنى.

قوله: ﴿وإنه لمن الصادقين﴾ قوله تعالى: ﴿ذلك ليعلم﴾ اختلفوا على أن هذا قول من؟ الأكثرون أنه قول يوسف؛ ومعناه: ذلك ليعلم العزيز ﴿أنى لم أخنه بالغيب

(١) فى «ك»: بالكن.

كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ

وأن الله لايهدى كيد الخائنين﴾ ومعناه: إنه لايُوضح ولايرشد كيد الخائنين. فإن قال قائل: كيف دخل قول يوسف فى وسط هذا الكلام، وإنما المذكور كلام جرى بين الملك والنسوة؟!

قلنا: اعتراض كلام آخر بين كلام. جائز على لغة العرب؛ قال الله تعالى فى قصة سليمان حكاية عن بلقيس: ﴿قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون﴾(١) كلام الله تعالى اعترض فى الوسط ومنهم من قال: وفى [الآية](٢) تقدير من التقديم والتأخير، معناه: ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن إن ربى بكيدهن عليم؛ ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب وأن الله لايهدى كيد الخائنين، ثم يرتب على هذا فى المعنى قوله: ﴿ماخطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه﴾.

قوله تعالى: ﴿وما أبرئ نفسى﴾ الآية. رُوِىَ: «أن جبريل عليه السلام قال ليوسف حين قال: ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب. [فقال له](٣): ولا حين هممت»(٤). ورُوِىَ أنه قال: حين حللت التكة. فقال يوسف: (وما أبرئ نفسى)(٥) ﴿إن النفس لأمارة بالسوء﴾ يعنى: إن النفس كثيرة الأمر بالسوء؛ السوء هاهنا هو المعصية. وقوله: ﴿إلا مارحم ربى﴾ قيل: إلا من رحم ربى، وفيه معنيان؛ أحدهما: أنه أشار إلى حالة العصمة عند رؤية البرهان. والقول الثانى: إلا من رحم ربى: هم الملائكة؛ فإن الله تعالى لم يركب فيهم الشهوة وخلقهم على العصمة من الهَم وغيره.

(١) النمل: ٣٤.
(٢) ليست فى «ك».
(٣) فى «الأصل»: فقاله.
(٤) تقدم قبل عدة أحاديث.
(٥) ليست فى «ك».

لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ

وقوله: ﴿إن ربى غفور رحيم﴾ ظاهر.

قوله تعالى: ﴿وقال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى﴾ معناه: أجعله خاصًا لنفسى لايشركنى فيه أحد ﴿فلما كلمه﴾ فى الآية اختصار أيضًا فرُوِىَ أنه ذهب الرسول ودعاه فقام واغتسل ولبس ثيابا (نضافا)(١) وجاء إلى الملك. وقوله: ﴿فلما كلمه﴾ فى القصة أن الملك طلب منه أن يعيد تعبير الرؤيا ليسمع منه شفاهاً، فقص عليه، فهذا معنى قوله: ﴿فلما كلمه﴾ وقيل: إن الملك كان يعلم سبعين لغة من لغات الناس فكلم يوسف بتلك اللغات فأجابه يوسف بها كلها وزاد (لسان)(٢) العبرية والعربية ولم يكن الملك يعلم ذلك، فقال: ﴿إنك اليوم لدينا مكين أمين﴾ والمكانة: هى الجاه والحشمة والدرجة الرفيعة، وقوله: ﴿أمين﴾ أى: صادق.

قوله تعالى: ﴿قال اجعلنى على خزائن الأرض﴾ اختلفوا أن يوسف عليه السلام لم طلب هذا؟ قال (بعضهم)(٢): إنما طلب ذلك لأنه عرف أن ذلك؛ وصله إلى وصول أهله إليه من أبيه وإخوته وغيرهم، ومنهم من قال: إنما طلب ذلك لأنه عَرف أنه أقوم الناس بالقيام بمصالح الناس فى السنين الشداد، فطلب لهذا المعنى.

وقوله: ﴿اجعلنى على خزائن الأرض﴾ الأرض هاهنا: أرض مصر، والخزائن: هى خزائن الطعام والأموال. وقال ربيع بن أنس: «اجعلنى على خزائن الأرض» أى: على خراج مصر ودخلها.

﴿إنى حفيظ عليم﴾ أى: حفيظ للخزائن، عليم بوجوه مصالحها. وفى بعض التفاسير: «إنى حفيظ عليم» أى: كاتب حاسب. فإن قيل: هل يجوز أن يتولى المسلم من يد كافر عملا؟

قلنا: قد قالوا: إنه إذا علم أن الكافر يخليه والعمل بالحق يجوز أن يتولى. وقد

---

(١) كذا فى «الأصل و ك».

(٢) ليست فى «ك».

رُوى أن ملك مصر لم يكن طاغيا ظالما، وإنما كان رجلا عفيفا فى دينه، وإنما الطاغى الظالم كان فرعون موسى. وفى القصة: أن الملك مكث سنة لايولِّيه ثم وَلاه. وفى بعض الغرائب من الأخبار برواية أنس عن النبى ﷺ: «أن يوسف لو لم يطلب يولِّيه فى الحال، ولكنه لما طلب أخر الملك سنة»(١). فإن قال قائل: أيجوز للإنسان أن يزكى نفسه وقد قال يوسف عليه السلام: «إنى حفيظ عليم»؟

قلنا: يجوز إذا كان فى ذلك مصلحة عامة. وقيل: إنه يجوز (إذا عُرف أنه)(٢) لايلحقه بذلك آفة وأَمن العُجب على نفسه. وعن بعض الأئمة: لايضر المدح من عرف نفسه. وقد قال عليه السلام: «أنا سيد ولد آدم ولافخر»(٣) والخبر بطوله.

قوله تعالى: ﴿وكذلك مكنا﴾ رُوِىَ أن الملك ولاه ماطلب بعد سنة وتَوَّجَهُ بتاج مُرصع بجواهر وأجلسه على سرير الذهب واعتزل الأمر كله، وفوض إليه، ودانت له الملوك وُسمِّى بالعزيز. وفى القصة أيضا: أن امرأة العزيز مات زوجُها فزوجها الملك من يوسف - عليه السلام - وولدت له ولدين. وفى بعض الروايات: أنها وقفت على طريق يوسف عليه السلام ونادت: سبحان من جعل الملوك عبيداً بمعصيتهم، وجعل العبيد ملوكًا بطاعتهم.

قوله تعالى: ﴿[مكنا](٤)﴾ ومعناه: ملكنا وبسطنا ﴿ليوسف فى الأرض﴾ يعنى: أرض مصر ﴿يتبوأ منها حيث يشاء﴾ أى: ينزل منها حيث يشاء ﴿نصيب

(١) عزاه الزيلعى فى تخريج الكشاف (٢/١٧٣) للثعلبى من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس، ومن طريقه الواحدى فى تفسيره الوسيط، وقال الحافظ ابن حجر فى تلخيصه: وهذا إسناد ساقط.

(٢) فى «ك»: أنه إذا عرف.

(٣) رواه الحاكم (٢/٦٠٤ - ٦٠٥) من حديث جابر وقال: صحيح الإسناد، وتعقبه الذهبى فى تلخيصه وقال: لا والله! القاسم متروك تالف، وعبيد ضعفه غير واحد، ومشاه أبو حاتم.
قلت: وروى من حديث أنس، وأبى سعيد الخدرى، وعبد الله بن عمرو وواثلة وغيرهم. انظر تخريج الكشاف للزيلعى (٢/١٦٨ -١٧٢). وهوجزء من حديث الشفاعة فى الصحيحين بلفظ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيام ولا فخر...».

(٤) فى «الأصل وك»: مكناه.

الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ

برحمتنا ﴾ معناه : (نصيب بنعمتنا)(١) ﴿ من نشاء ولانضيع أجر المحسنين ﴾ ظاهر المعنى .

قوله : ﴿ ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا ﴾ معناه : ثواب الآخرة خير للذين آمنوا . وقوله : ﴿ وكانوا يتقون ﴾ ظاهر المعنى .

قوله تعالى : ﴿ وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه ﴾ قال أصحاب الأخبار : لما نصب الملك يوسف – عليه السلام – للقيام بالأمر، وتدبير مال مصر دبر فى جمع الطعام أحسن التدبير بنى الحصون والبيوت الكبيرة، وجمع فيها طعامًا للسنين المجدبة، وأنفق منها بالمعروف حتى مضت السنون المخصبة ودخلت سنون القحط، فرُوِىَ أنه كان دبر فى [طعام](٢) الملك وحاشيته مرةً واحدة وهو نصف النهار، فكلما دخلت سنة القحط كان أول من أخذه الجوع هو الملك فنادى بنصف الليل : يايوسف، الجوع، الجوع . وفى بعض الأخبار أنه كان يقدر لكل اثنين طعام اثنين وكان يقدم جميعه بين يدى الواحد فلا يأكل إلا نصفه، فلما دخلت سنة القحط (قدم طعام اثنين بين يدى واحد فقدّم فأكل جميعه وطلب زيادة فعرف يوسف عليه السلام أنه دخلت سنة القحط)(٣)، والله أعلم . قالوا : ودخلت السنة الأولى بهول وشدة لم يعهد الناس مثله، وكان كلما جاءت سنة أخرى كانت أهول وأشد، فلما كانت السنة الثانية وصل القحط إلى كنعان – وهو منزل يعقوب وأولاده – فاحتاجوا إلى الطعام حاجة شديدة فدعا بنيه وقال لهم : بلغنى أن بمصر ملكًا صالحًا يبيع الطعام فتجهزوا واذهبوا إليه لتشتروا منه الطعام، قال : فأرسلهم وهم عشرة نفر وحبس [ابنه بنيامين](٤) عنده فقدموا مصر، فهذا معنى قوله : ﴿ وجاء إخوة يوسف ﴾ . وقوله : ﴿ فعرفهم ﴾

(١) ليست فى « ك » .
(٢) فى « الأصل » : الطعام .
(٣) سقط من « ك » .
(٤) فى « الأصل » : ابن يامين .

فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ

قال ابن عباس ومجاهد: عرفهم بأول ما نظر إليهم، وقال الحسن: لم يعرفهم حتى تعرفوا إليه. ومعنى الآية: فعرفهم بالتعريف؛ والمعرفة: تبين الشىء بما لو شوهد لميز بينه وبين غيره. وقوله: ﴿وهم له منكرون﴾ يعنى: أنهم لم يعرفوه؛ والإنكار إبطال المعرفة بالقول، فإن قال قائل، كيف عرفهم ولم [يعرفوه](١) وهم إخوة؟!

والجواب من وجوه: قال عطاء بن أبى رباح: كان عليه تاج الملك وكان قاعدا على سرير الملك فلم يعرفوه. وذكر الكلبى أنه كان على زى ملوك مصر والأعاجم.

والقول الثانى: أنه كلمهم من وراء ستر فلم يعرفوه لهذا وعرفهم؛ لأنه أبصرهم ولم يعرفوه؛ لأنهم لم يبصروه، وهذا أضعف الأقوال.

والقول الثالث: أنهم كانوا تركوه صغيراً، وكان بين أن باعوه وبين أن دخلوا عليه أربعون سنة فلم يعرفوه لهذا. وهذا قول حسن. وأما هو فكان تركهم رجالًا.

والقول الرابع: أن يوسف كان يتوقع قدومهم عليه فلما [جاءوا](٢) عرفهم، وأما الاخوة ما ظنوا أنه يصل إلى ما وصل إليه [فأنكروه](٣) لهذا.

قوله ﴿ولما جهزهم بجهازهم﴾ الآية، الجهاز: هو فاخر المتاع الذى ينقل من بلد إلى بلد؛ ومعنى التجهيز ها هنا: هو أنه باع منهم الطعام وسلمه إليهم وسهل لهم الرجوع إلى بلدهم.

وقوله: ﴿قال ائتونى بأخ لكم من أبيكم﴾ فى القصة: أنهم لما دخلوا عليه خلا بهم فى البيت وقال: إنى استربت بحالكم فأخبرونى من أنتم؟ فقالوا: نحن بنو رجل صديق، فقال: ومن هو؟ قالوا: يعقوب، فاستخبرهم عن حاله، فذكروا أنه كان له اثنا

(١) فى «الأصل وك»: يعرفوهم.

(٢) فى «الأصل وك»: جاء.

(٣) فى «الأصل وك»: فأنكروا.

تَأْتُونِي بِهِ فَلا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلا تَقْرَبُونِ (٦٠) قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ (٦١) وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا

عشر ابنًا وأنه هلك واحد منهم فى البرية، (وحبس)(١) واحدًا وهو أخوه لأمه ليستأنس به، فقال: أنا مستريب بكم، فإن كنتم صادقين فاحملوا ذلك الأخ معكم لتزول الريبة عن حالكم. وقيل: إنه قال لهم لما قصت القصة عليه، قصتى مثل قصتكم أيها القوم وقد فقدت أخًا لى من أمى وأنا شديد الحزن عليه وقد نغص فراقه علىَّ ملكى فأحب أن تحملوه إلىَّ لأشكو إليه حزنى ويشكو إلىَّ حزنه، فبهذا الطريق قال: ائتونى بأخ لكم من أبيكم.

وفى بعض (التفاسير)(٢): أنهم ذكروا إيثار يعقوب بنيامين) و(أخاه)(٣) فى المحبة فأحب أن يرى بنيامين لينظر هل هو موضع الإيثار؟.

وقوله: ﴿ألا ترون أنى أوفى الكيل﴾ يعنى: أتم الكيل ولا أبخسه. وقوله: ﴿وأنا خير المنزلين﴾ قال مجاهد: أنا خير المضيفين، وكان قد أحسن ضيافتهم.

قوله تعالى: ﴿فإن لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى﴾ قال الحسن: إن لم تأتونى به فلا طعام لكم عندى إن جئتم. وقوله: ﴿ولاتقربون﴾ أى: لاتقربوا بلادى ولا دارى.

قوله تعالى: ﴿قالوا سنراود عنه أباه﴾ معناه: سنطلب إلى أبيه أن يرسله معنا. وقوله: ﴿وإنا لفاعلون﴾ أى: مجتهدون.

قوله: ﴿وقال لفتيته﴾ قرئ بقراءتين: «لفتيانه» و «لفتيته» والفتى: هو الشباب الكامل فى القوة، والفتية والفتيان ها هنا: الغلمان. وقوله: ﴿اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم﴾ يقال: إن بضاعتهم كانت دراهم حملوها لشراء الطعام. وعن بعضهم: أن بضاعتهم كانت ثمانية جرب من سَويق المقل. والأصح هو الأول. وقوله: ﴿فى رحالهم﴾ الرحل ها هنا: وعاء المتاع. وقيل: فى جواليقهم. وقوله: ﴿لعلهم يعرفونها

(١) فى «ك»: وجلس.

(٢) فى «ك»: الطريق.

(٣) فى «ك»: أخوه.

انقلبوا إلىٰ أهلهم لعلهم يرجعون ﴿٦٢﴾ فلما رجعوا إلىٰ أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وإنا له لحافظون ﴿٦٣﴾ قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم علىٰ أخيه من قبل فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين ﴿٦٤﴾

إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون ﴾ فيه قولان: أحدهما: لعلهم يعرفون كرامتهم علينا، وإحساننا إليهم فيحملهم ذلك على الرجوع.

والقول الثانى: لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم - يعنى: البضاعة - فيرجعون لرد البضاعة نفيا للغلط. واختلف القول فى أنه لِمَ رد بضاعتهم عليهم؟

فأحد الأقوال: ما بينا، وهو أن يكون ذلك حثًّا لهم على الرجوع. والثانى: أنه عرف أن الدراهم كانت قليلة عندهم فرد الدراهم عليهم ليكون عونًا لهم على شراء الطعام. والثالث: أنه استحيا أن يعطى أباه وإخوته بالثمن مع شدة حاجتهم وسعة الأمر عليه.

قوله تعالى: ﴿ فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل ﴾ إن لم نحمل أخانا معنا. والثانى: أنه كان أعطى باسم كل واحد منهم وقرًا، ولم يعط باسم بنيامين شيئا، وقال: احملوه لأعطى باسمه؛ فهذا معنى قوله :﴿ منع منا الكيل ﴾ أى: منع منا الكيل لبنيامين؛ والمَعنىُّ بالكيل هو الطعام؛ لأنه يُكال. وقوله: ﴿ فأرسل معنا أخانا نكتل ﴾ أى: نكيل الطعام، وقيل: نكتل له. وقوله: ﴿ وإنا له لحافظون ﴾ ظاهر.

قوله تعالى: ﴿ قال هل ءآمنكم عليه ﴾ الآية، معنى هذا: كيف آمنكم عليه وقد فعلتم بيوسف ما فعلتم. وقوله: ﴿ فالله خير حافظا ﴾ قرئ: « حِفظا » و « حافظا » ومعناه: حفظ الله خير من حفظكم، وحافظ الله خير من حافظكم.

قوله: ﴿ وهو أرحم الراحمين ﴾ ظاهر.

قوله تعالى: ﴿ ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم رُدّت إليهم ﴾ يعنى: ما حملوا من الدراهم ﴿ قالوا يا أبانا ما نبغى ﴾ فيه قولان: أحدهما: أى شىء نطلب؟ على طريق الاستفهام؛ قاله قتادة. وحقيقته: أنهم ذكروا ليعقوب عليه السلام إحسان الملك

وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ

إليهم وإكرامه إياهم ، [وحثوه](١) بذلك على إرسال بنيامين، فلما فتحوا المتاع ووجدوا البضاعة قالوا: أى شيء نطلب بالكلام، هذا هو العيان فى الإحسان والإكرام.

والقول الثانى : أن « ما » ها هنا للنفى ؛ ومعناه : لانطلب منك مالا لنشرى به الطعام ﴿ هذه بضاعتنا ردت إلينا ﴾ هذا المال قد رُدَّ إلينا فنحمله ونشترى به الطعام . والقول الأول أصح .

وقوله : ﴿ ونمير أهلنا ﴾ يقال : مار أهله إذا حمل لهم الطعام من بلد إلى بلد ؛ والميرة : هو الطعام المحمول . وقوله : ﴿ ونحفظ أخانا ﴾ يعنى : مما تخاف عليه . وقوله : ﴿ ونزداد كيل بعير ﴾ قال مجاهد : البعير ها هنا : هو الحمار ، قال : ؛ هو لغة ، وكانوا أصحاب حُمر ولم يكن لهم إبل . والأصح أنه البعير المعروف . وقوله : ﴿ ونزداد ﴾ إنما قالوا هذا لأنه كان يُعطى حمل بعير باسم كل رجل ولايزيد ؛ فهذا معنى قوله : ﴿ ونزداد كيل بعير ﴾ . قوله : ﴿ ذلك كيل يسير ﴾ فيه معنيان : أحدهما : ذلك كيل قليل ؛ يعنى : ما حملناه قليل لايكفينا وأهلنا ، فأرسل معنا أخانا [نكتل](٢) ليكثر ما نحمله من الطعام . والمعنى الثانى : ذلك كيل يسير أى : هين على من يكتاله .

قوله تعالى : ﴿ قال لن أرسله معكم ﴾ فى القصة : أن الإخوة جهدوا أشد الجهد وضاق الأمر على يعقوب وقومه فى الطعام فلم يجد بُداً من إرسال [بنيامين](٣) معهم فقال : ﴿ لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله ﴾ الموثق : هو العهد المؤكد بالقسم ، وقيل : المؤكد بإشهاد الله على نفسه . وقوله : ﴿ لتأتننى به إلا أن يحاط بكم ﴾ فيه قولان ، أحدهما : إلا أن تهلكوا جميعا . والآخر : إلا أن يأتيكم أمر من السماء ليس لكم به قوة .

---

(١) فى « الأصل وك » : حسنوه.

(٢) ليست فى « الأصل » .

(٣) فى « ك » : ابنه يامين.

بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن

وقوله: ﴿فلمّا آتوه موثقهم﴾ يعني: أعطوه ﴿قال الله﴾ تعالى ﴿على ما نقول وكيل﴾ قال يعقوب: الله على ما نقول وكيل؛ والوكيل هو القائم بالتدبير، وقيل: وكيل أي: شاهد، [وقيل: شهيد، أي: شاهد] وقيل: حفيظ.

قوله تعالى: ﴿وقال يا بنى لاتدخلوا من باب واحد﴾ أكثر المفسرين [على][(١)] أنه خاف العين: لأنه كانوا أُعطوا جمالا وقوة وامتداد قامة، هذا قول ابن عباس وغيره من المفسرين؛ والعين حق. وقد رُوِى عن النبى ﷺ أنه كان يعوّذ الحسن والحسين فيقول: «أعيذكما بكلمات الله [التامة][(٢)] من كل شيطان [و][(١)] هامة، ومن كل عين لامّة»[(٣)].

وفى الباب أخبار كثيرة، وفى بعض الآثار. «العين حق، تدخل الجمل القدر والرجل القبر»[(٤)].

وفى الآية قول آخر: وهو أنه خاف عليهم ملك مصر إذا رأى قوتهم واجتماعهم أن يحبسهم أو يقتلهم. وحُكِىَ عن إبراهيم النخعى أنه قال: كان يرجو يعقوب أن يروا يوسف ويجدوه فقال: ﴿وادخلوا من أبواب متفرقة﴾ لعلكم (تجدون)[(٥)] يوسف [أو][(٦)] تلقونه. والصحيح هو الأول.

وقوله: ﴿وما أغنى عنكم من الله من شيء﴾ معناه: إن كان الله قضى فيكم [قضاء][(٧)] فيصيبكم [قضاؤه][(٨)] مجتمعين كنتم أو متفرقين؛ ومعنى «أغنى»

---

(١) من «ك». (٢) فى «الأصل»: التامات، وما أثبتناه من «ك».

(٣) رواه البخارى (٦/ ٤٧٠ رقم٣٣٧١)، وأبو داود (٤/ ٢٣٥ رقم٤٧٣٧)، والترمذى (٤/ ٣٤٦-٣٤٧ رقم٢٠٦٠)، وابن ماجة (٢/ ١١٦٤ رقم٣٥٢٥)، وأحمد (١/ ٢٣٦، ٢٧٠) كلهم من حديث ابن عباس.

(٤) رواه ابن عدى فى الكامل (٥/ ١٨٥)، (٦/ ٤٠٧-٤٠٨)، وأبو نعيم فى الحلية (٧/ ٩٠)، والخطيب (٩/ ٢٤٤) عن جابر، وقال ابن عدى: ولم يحدث عن محمد بن المنكدر من حديث الثورى عنه إلا معاوية، وقال أبو نعيم: غريب من حديث الثورى، تفرد به معاوية. وقال الذهبى فى الميزان (٢/ ٢٧٥): منكر. والشطر الأول منه متفق عليه من حديث أبى هريرة. وانظر المقاصد الحسنة (ص٤٧٠).

(٥) فى «ك»: تجدوا. (٦) فى «الأصل»: و. (٧) ليست فى «ك». (٨) ليست فى «الأصل».

شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا

أى: أدفع. وفى الخبر: الحذر لايرد القدر. وقوله: ﴿إن الحكم إلا لله﴾ هذا تفويض يعقوب عليه السلام أموره إلى الله؛ والحكم: هو الفصل بين الخصوم بموجب العلم من البشر، ومن الله صنع بموجب الحكمة ﴿عليه توكلت﴾ يعنى: به وثقت وعليه اعتمدت

﴿وعليه فليتوكل المتوكلون﴾ معناه: وبه يثق الواثقون.

قوله تعالى: ﴿ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم﴾ يعنى: من الأبواب المتفرقة قيل: إن المدينة مدينة الفرما(١)، و(كانت)(٢) لها أربعة أبواب، كانت مدينة العريش. وقوله ﴿ما كان يغنى عنهم من الله من شىء﴾ معناه: ما كان يدفع عنهم من الله من شىء، وهذا الحق تحقيق لما ذكره يعقوب من قوله: ﴿وما أغنى عنكم من الله من شىء﴾. وقوله: ﴿إلا حاجة فى نفس يعقوب قضاها﴾ يعنى: إلا مراداً ليعقوب عليه السلام ذكره وجرى الأمر على ذلك. وقوله: ﴿وإنه لذو علم لما علمناه﴾ قال أهل التفسير: معناه: وأنه كان يعمل ما يعمل عن علم، لا عن جهل. ومنهم من قال: وإنه لذو علم بسبب تعليمنا إياه ﴿ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾ لأنهم لم يسلكوا طريق العلم.

قوله: ﴿ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه﴾ آوى إليه: ضم إليه، ومعناه: أنزله مع نفسه. وفى القصة: أنه أنزل كل أخوين من أم بيتاً، فبقى بنيامين وحده فقال: انزل معى، وكان كل أخوين من أم على حدة. وقوله: ﴿قال إنى أنا أخوك﴾

---

(١) انظر معجم البلدان (٤ / ٢٩٠).

(٢) فى «ك»: كان.

كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ

فيه قولان: أحدهما: أنه أسرّ إليه أنه أخوه. والآخر: أنه قال: أنا لك مكان أخيك الهالك. ذكره وهب وغيره. وقوله: ﴿فلا تبتئس بما كانوا يعملون﴾ معناه: فلا تحزن بما عملوا مع أخيك، فإنى لك بدل أخيك، فرُوِىَ أنه قال له بنيامين: ومن يجد أخًا مثلك أيها الملك؛ ولكنك لست من يعقوب؛ فحينئذ ذكر أنه أخوه حقيقة.

قوله تعالى: ﴿فلما جهزهم بجهازهم﴾ قد ذكرنا. وقوله: ﴿جعل السقاية﴾ السقاية: هى الإناء الذى يشرب به. واختلفوا أنها من أيش كانت؟ قال ابن عباس: كانت من زبرجد. وقال مجاهد: كانت من فضة مُرصَّعة بالجوهر، وقيل: كان من ذهب. وعن بعضهم: أنه كان (إناء)(١) مستطيلا شبه المكوك وله رأسان وفى وسطه مقبض، فكان يكال من أحد الرأسين ويشرب من (الرأس)(٢) الآخر، وكان لايكال إلا به لعِزَّة الطعام، وكان يسمع لها صوت: قد كيل فىَّ كذا.

وقوله: ﴿فى رحل أخيه﴾ أى: فى وعاء أخيه بين طعامه. وقوله: ﴿ثم أذن مؤذن﴾ رُوِىَ أنه تركهم حتى ذهبوا منزلا، وقيل: حتى أصحروا وخرجوا من العمارة، ثم بعث من خلفهم من استوقفهم وقال: ﴿أيتها العير إنكم لسارقون﴾ والعير: هم أصحاب الحمير. وقيل: قد يذكر ويراد به الإبل. فإن قال قائل: كيف استجاز يوسف أن ينسبهم إلى السرقة ولم يسرقوا؟

الجواب عنه من وجوه: أحدها معناه: إنكم لسارقو يوسف من أبيه، وعملتم كما يعمل السراق. والثانى: أن الرجل قال من غير أمر يوسف، فإنه حين فقد الصاع ظن أنهم سرقوا. والثالث: أن هذه هفوة من يوسف عليه السلام. وقد قالوا: إنه عُيِّرَ ثلاث عيرات: الأولى: حين هم بامرأة العزيز إلى أن رأى البرهان، والثانى حين قال للساقى: اذكرنى عند ربك، والثالث: هذا؛ وهو أنه نسب إخوته إلى السرقة.

والقول الأول أجود الأقاويل، ويقال: إنه كان واضَعَ مع بنيامين، وقال ما قال بالمواضعة،(٣) والله أعلم.

---

(١) ليست فى «ك».

(٢) فى «الأصل وك»: أحد الرأس.

(٣) المواضعة: الاتفاق، وتواضع القوم على الشىء: اتفقوا عليه. انظر لسان العرب (٨/٣٩٧) مادة: وضع.

﴿٧١﴾ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾
قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا فَمَا

قوله: ﴿قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون﴾ رُوِىَ أنهم وقفوا وقالوا للقوم: ماذا تطلبون؟

قوله: ﴿قالوا نفقد صواع الملك﴾ قرأ يحيى بن يعمر: «صَوغ الملك» بالغين المعجمة [و][1] الصوغ من الذهب أو الفضة، والصواع يذكر ويؤنث، [و][1] الصواع: هو السقاية التى ذكرها فى الآية الأولى. وقيل: إنه كان يكون بين يدى الملك، فإذا احتيج إليه أخذ.

وقوله: ﴿ولمن جاء به حمل بعير﴾ يعنى: ولمن رده حمل بعير من الطعام.

وقوله: ﴿وأنا به زعيم﴾ أى: كفيل، والزعيم والكفيل والضمين بمعنى واحد، ويسمى الرئيس زعيماً؛ لأنه كفل أمور القوم زعيم يقوم بمصالحهم ويتكلم عنهم. فإن قيل: أتجوز الكفالة بالمجهول عندكم وهذه كفالة بالمجهول؟ قلنا: لاتجوز، ويحتَمل أن حمل البعير كان معلوماً قدره عندهم. والثانى: أن هذه جعالة ولم تكن كفالة، وعندنا تجوز مثل هذه الجعالة.

قوله تعالى: ﴿قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الأرض﴾ يعنى: والله ما جئنا لنفسد فى الأرض أى: لنسرق فى ملك مصر ﴿وما كنا سارقين﴾ فى بلادنا فنسرق فى بلادكم. فإن قال قائل: كيف قالوا: لقد علمتم وكان (من جوابهم)[2] أن يقولوا: نحن لانعلم؟ (قلنا)[3]: إنما قالوا ذلك؛ لأنهم كانوا جماعة لهم قوة وشدة ولم يكونوا يظلمون أحداً من الطريق ولايتركون دوابهم تدخل فى حرث أحد، ورُوِىَ أنهم دخلوا مصر حين دخلوا وقد جعلوا الأكِمة على رءوس دوابهم لئلا تفسد شيئاً.

وجواب آخر: أنهم إنما قالوا هذا لأنهم ردوا البضاعة المحمولة فى رحالهم قالوا: فلو

(١) فى «الأصل»: وهو.
(٢) هكذا فى «الأصل وك»، والأولى أن يقال: حرى بهم.
(٣) فى «ك»: قالوا: إنما قلنا. ولعله خطأ من الناسخ.

جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن

كنا سارقين مارددنا البضاعة؛ لأن من يطلب شيئًا ليسرقه لايخلى شيئًا وقع فى يده.

فإن قيل: كيف جاز فى العربية أن يقول القائل: (تالله، ولايجوز أن يقول: تالرحمن وتالرحيم)(١)؟ قلنا: لأن التاء بدل البدل؛ فإن الأصل فى القسم حرف الباء ثم أبدلت الواو بالتاء فلما كانت بدل البدل ضعفت عن التصرف واقتصرت على الاسم الذى هو الأصل فى القسم عادة ولسانا وهو «الله».

قوله تعالى: ﴿ قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين ﴾ معناه: فما جزاء السارق إن كنتم كاذبين بقولكم إنا لم نسرق؟

قوله: ﴿ قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه ﴾ استعباد السارق من وُجد فى رحله (فهذا)(٢) الجزاء جزاؤه؛ فيكون الثانى تأكيداً للأول. وفى الأول حذف على عادة كلام العرب، والقول الثانى: قالوا: جزاؤه من وجد فى رحله فالسارق جزاؤه؛ فهو كناية عن السارق، ومعنى جعله جزاء: أنه يُستَرَقُّ ويُستعبد. واعلم أنه كان من سُنَّة يعقوب: أن من سرق شيئا استُرِقَّ سنة، وكان حكم ملك مصر أن يضرب ويغرَّم ضعفى قيمته، [فمراد](٣) يوسف أن يحبس أخاه عنده فردَّ الحكم فى السرقة إليهم فذكروا من حكم السرقة بما عرفوه فى شريعة يعقوب عليه السلام، فأخذ يوسف عليه السلام بذلك وحصل مراده من حبس أخيه.

وقوله: ﴿ كذلك نجزى الظالمين ﴾ يعنى: أن إخوة يوسف قالوا: كذلك نجزى السُّراق عندنا.

قوله تعالى: ﴿ فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه ﴾ رُوِىَ أن المؤذن فتش عن أوعيتهم، ورُوِىَ أنه ردَّ جماعتهم إلى يوسف - عليه السلام -

(١) فى «ك»: بالله، ولايجوز أن يقول: بالرحمن، وبالرحيم. كلهم بالباء، وهو خطأ.
(٢) فى «ك»: فهو.
(٣) فى «الأصل وك»: فما راد.

وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ قَالُوا إِن يَسْرِقْ

فأمر بتفتيش أوعيتهم بين يديه. وفى القصة: أن ذلك الرجل كان كلما فتش وعاء ولم يجد الصاع استغفر الله وأظهر التوبة فلما بقى رحل بنيامين قال: ما أظن أن هذا أخذ شيئا قالوا: والله لانتركك حتى تفتش وعاءه فتطيب أنفسنا ونفسك، ففتش وعاءه واستخرج الصاع فبقوا منكسرين مستحيين ونكسوا رءوسهم خجلا وقالوا لبنيامين: ما هذا يا ابن راحيل؟! فقال: والله ما سرقت، فقالوا: كيف وقد وجد الصاع فى رحلك؟! فقال: وضع الصاع فى رحلى من وضع البضاعة فى رحالكم. قال: وأخذوا بنيامين رقيقًا عبداً. وفى القصة: أن ذلك الرجل أخذ برقبته ورده إلى يوسف كما يرد السُّرَّاق. وقوله: ﴿ كذلك كدنا ليوسف ﴾ معناه: دبرنا ليوسف، وقيل: صنعنا ليوسف. وقال ابن الأنبارى: أردنا ليوسف؛ وأنشد قول الشاعر

كادت وكدت وذاك خير إرادة　　　لو عاد من لهو الصبابة ما مضى

فإن قيل: ما معنى قوله: ﴿ كذلك ﴾ وأيش هذه الكاف، والكاف للتشبيه؟ الجواب عنه: أن هذا منصرف إلى قول يعقوب فى أول السورة: ﴿ فيكيدوا لك كيداً ﴾(١) وكان كيدهم: أنهم أخذوه من أبيه بحيلة وألقوه فى الجُبِّ فقال الله تعالى: كما كادوا فى أمر يوسف: ﴿ كدنا ليوسف ﴾ فى أمرهم؛ والكيد من الخلق هو: الحيلة، ومن الله: التدبير بالحق. وقوله: ﴿ ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك ﴾ معناه: ما كان يوسف ليجازى أخاه فى حكم الملك، وقيل: فى عادة الملك. قال الشاعر:

أقول وقد درأتُ لها وضينى　　　أهــذا دينــه أبداً ودينى

و «ما» ها هنا للنفى. وقوله: ﴿ إلا أن يشاء الله ﴾ معناه: إلا بمشيئة الله يعنى: فعل ما فعل بمشيئة الله تعالى. وقوله: ﴿ نرفع درجات من نشاء ﴾ قال هذا فى هذا الموضع؛ لأنه رفع درجة يوسف على درجتهم فى العلم والملك و العقل وغيره. وقيل:

(١) يوسف: ٥

فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا

نرفع درجات من نشاء بالتوفيق والعصمة. وقوله: ﴿وفوق كل ذى علم عليم﴾ قال ابن عباس: وفوق كل عالم عالم إلى أن ينتهى العلم إلى الله. وقرأ ابن مسعود: «وفوق كل عالم عليم».

قوله تعالى: ﴿قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل﴾ أرادوا بأخيه من قبل: يوسف - عليه السلام - واختلف القول فى أنه أيش سرق؟

قال سعيد بن جبير وقتادة: كان عند جده إلى أمه صورة تعبد فأخذها سرًّا وألقاها لئلا تُعبَدَ. والقول الثانى: أنه كان يأخذ الطعام من مائدة أبيه سرا فيعطيه المساكين.

والقول الثالث: أنه كان عند عمته تربيه، فأراد يعقوب أن ينتزعه منها فشدت عمته تحت ثيابه منطقة، وادعت أنه سرقها لتحبسه عند نفسها ويُترَكَ عندها؛ فإنها كرهت أن يؤخذ منها وكانت أحبته حبًّا شديداً، ذكره ابن إسحاق.

وقوله: ﴿فأسرها يوسف فى نفسه﴾ فإن قال قائل: إلى أين يرجع قوله: ﴿فأسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم﴾؟ قلنا: ليس لهذا مذكور سابق، ومعناه: أسر الكلمة فى نفسه، وتلك الكلمة أنه قال: ﴿أنتم شر مكانا﴾، ولم يصرح بهذا القول. وقوله: ﴿شر مكانا﴾ يعنى: شر صنيعًا. وحقيقة معناه: أنه لم يكن من يوسف سرقة صحيحة، وقد كانت منكم سرقة صحيحة؛ وهو سرقتكم يوسف من أبيه.

وقوله: ﴿والله أعلم بما تصفون﴾ يعنى: والله أعلم أن أخاه قد سرق أو لم يسرق.

قوله تعالى: ﴿قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخًا كبيرًا﴾ فى القصة: أنهم غضبوا غضبًا شديداً لهذه الحالة، وكان يهوذا إذا غضب لم يقم لغضبه شىء، وإذا صاح [فكل][1] امرأة حامل سمعت صياحه ألقت ولدها، وكان مع هذا إذا مسَّه أحد من

(١) فى «الأصل»: فكلما، وفى «ك»: ألقت الحامل حملها إذا سمعت صياحه.

فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ

ولد يعقوب [سكن](١) غضبه، وقيل: إن هذا كان صفة شمعون من أولاد يعقوب؛ فرُوِىَ أنه قال لإخوته: كم يكون من عدد الأسواق بمصر؟ فقالوا: عشرة أسواق، فقال: اكفونى أنتم الأسواق وأنا أكفكم الملك، أو قال: اكفونى أنتم الملك وأنا أكفكم الأسواق، قال: فدخلوا على يوسف فقال له يهوذا: أتردن علينا أخانا أو لأصيحن صيحة تلقى كل حامل ولدها فى هذه البلدة، وكان عند يوسف ابن له صغير قائم عنده فقال: اذهب وخذ بيد ذلك الرجل وائتنى به، فذهب وأخذ بيده فسكن غضبه، فقال لإخوته: والله إن ها هنا بذرًا من بذر يعقوب، فقال له الابن الصغير: ومَن يعقوب وأنا لا أدرى يعقوب ولا ولده؟. ورُوِىَ أنه غضب ثانيًا فقام إليه يوسف وركضه برجله وأخذ بتلابيبه فوقع على الأرض وقال: معشر العبرانيين تظنون أن لا أحد أشد منكم، ذكر هذا كله السدى وغيره، فلما صار أمرهم إلى هذا خضعوا وذلوا وقالوا: ﴿ يأيها العزيز إن له أبًاشيخًا كبيرًا ﴾.

والعز: منع الضيم أو الضير بسعة السُلطان والقدرة، والعزيز: هو المنيع بما حَصَل له من واسع المقدور.

قوله: ﴿ إن له أبًا شيخًا كبيرًا فخذ أحدنا مكانه ﴾ معناه: خذ أحدنا بدله، ونصب شيخًا على نعت قوله: ﴿ أبًا ﴾

وقوله: ﴿ إنا نراك من المحسنين ﴾ يعنى: إنا نراك من المحسنين إلينا، وإحسانه إليهم بتوفية الكيل، وحسن الضيافة، ورد البضاعة، وغيره.

قوله تعالى: ﴿ قال معاذ اللّه ﴾ أعتصم بالله ﴿ أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون ﴾ معلوم المعنى، ومعناه: أن نأخذ البرىء بدل الجانى، فإن أخذنا فإنا ظالمون.

قوله تعالى: ﴿ فلما استيأسوا منه ﴾ فى القصة: أنه لما استخرج الصاع وعاد الإخوة إليه دعا بالصاع ونقره بقضيب فى يده فطن الصاع.

(١) فى «الأصل»: فسكن.

كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ

فقال: ياقوم إن هذا الصاع ليخبرنى بخبر، قالوا: ومايخبرك أيها الملك؟ فقال: إنه يخبرنى أنكم كنتم (اثنى)(١) عشر إخوة وأنكم أخذتم أخًا لكم من أبيكم وألقيتموه فى الجبّ وبعتموه من بعد، قال: فجعل ينظر بعضهم إلى بعض فقام بنيامين وسجد له، وقال: صَدَق صاعك (أيها الملك)(٢)، سله: أحى أخى أو لا؟، فنقر الصاع ثانيًا وطن فقال: إنه يقول: هو حى، وستراه. فقال: سله من سرق الصاع؟ فقال: هو غضبان - يعنى الصاع - ويقول: كيف تسألنى وقد رأيت فى يد من كنت؟! أورده النقاش وأبو الحسين بن فارس وغيرهما، والله أعلم.

ومعنى قوله: ﴿فلما استيأسوا منه﴾ أى: تيأسوا منه، وقال أبو عبيدة: استيأسوا: استيقنوا أن الأخ لا يرد إليهم، وأنشد:

أقول لهم بالشِّعب إذ يأسروننى ... ألـم تيأسـوا أنى ابن فارس زهدم

يعنى: ألم تعلموا. وقوله ﴿خلصوا نجيا﴾ يعنى: انفردوا يتناجون، ويتشاورون فى أمر أخيهم، ومعنى ﴿خلصوا﴾: أنه لم يكن معهم غيرهم. تقول العرب: قوم نجى. قال الشاعر:

حتى إذا ماالقوم كانـوا أنجيـة ... واختلطت أحوالهم كالأرشية

وقوله: ﴿قال كبيرهم﴾ قال ابن عباس: هو يهوذا ولم يكن أكبرهم فى السن، ولكن كان فى العقل أكبرهم، وقال مجاهد: هو شمعون وكانت له الرئاسة على إخوته، وقال قتادة: هو الروبيل وكان أكبرهم فى السن.

وقوله: ﴿ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقًا من اللّه﴾ قد بينا معنى الموثق. وقوله: ﴿ومن قبل ما فرطتم فى يوسف﴾ يعنى: قصرتم وتركتم عهد أبيكم.

---

(١) فى «ك»: اثنا.

(٢) ليست فى «ك».

الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا
إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ
الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ

وقوله: ﴿فلن أبرح الأرض﴾ يعنى: لن أبرح أرض مصر ﴿حتى يأذن لى أبى﴾ يعنى: يدعونى أبى ﴿أويحكم الله لى﴾ أى: يرد أخى إلىَّ، وقيل: يحكم اللّه لى بالسيف فأقاتلهم وأسترد أخى ﴿وهو خير الحاكمين﴾ يعنى: وهو خير الفاصلين.

قوله تعالى: ﴿ارجعوا إلى أبيكم﴾ الآية: امضوا إلى أبيكم ﴿فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق﴾ وحكى عن ابن عباس أنه قرأ: «إن ابنك سُرِّق» وفيه معنيان: أحدهما: اتهم بالسرقة. والآخر: علم منه السرقة. وقوله: ﴿وما شهدنا إلابما علمنا﴾ يعنى: إلا بما رأينا فإنا رأينا إخراج الصاع من متاعه. وقوله: ﴿وماكنا للغيب حافظين﴾ فيه قولان: أحدهما: ماكنا لليله ونهاره وذهابه ومجيئه حافظين، وإنما كنا نعلم من حاله مادام عندنا، والقول الثانى يعنى: أنا لوعلمنا أنه سيسرق ماحملناه مع أنفسنا فنحن لم نعلم هذا الغيب .

قوله تعالى: ﴿واسأل القرية التى كنا فيها﴾ يعنى: أهل القرية التى كنا فيها. ﴿والعير التى أقبلنا فيها﴾ يعنى: وأهل العير التى أقبلنا فيها، أى: كنا فيها.

وقوله: ﴿وإنالصادقون﴾ ظاهر. فإن قال قائل: كيف استجاز يوسف - عليه السلام - أن يعمل كل هذا بأبيه ولم يخبره بمكانه ولم يرسل إليه أحدًا، ثم حبس أخاه عنده وقد عرف شدة وجده عليه ، وهذا أعظم من كل عقوق، وفيه قطع الرحم وقلة الشفقة؟ الجواب عنه: قد أكثر الناس فى هذا، والصحيح أنه عمل ماعمل بأمر الله تعالى، وأمره الله تعالى بذلك ليزيد فى بلاء يعقوب ويضاعف له الأجر، ويرفع درجته [فيلحقه][1] فى الدرجة بابائه الماضين. وقيل: إنه لم يظهر نفسه للإخوة؛ لأنه لم يأمن عليهم أن يدبروا، فى ذلك تدبيرًا ويكتموا عن أبيهم، والصحيح هو الأول .

قوله تعالى: ﴿قال بل سولت لكم أنفسكم أمرًا﴾ فى الآية اختصار؛ لأنهم رجعوا

(١) فى «الأصل»: فيلحقه له.

جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾

وذكروا لأبيهم بما علمهم كبيرهم، ثم إن يعقوب قال ماقال، ومعنى التسويل هاهنا: أن زينت لكم أنفسكم حمل أخيكم إلى مصر لتطلبوا نفعًا عاجلا.

قوله تعالى: ﴿فصبر جميل﴾ أى: فصبرى صبر جميل. والصبر: حبس النفس عما تنازع إليه النفس وقد بينا معنى الجميل. وقوله: ﴿عسى الله أن يأتينى بهم جميعًا﴾ يعنى: يوسف وأخاه بنيامين ويهوذا. وفى القصة: أن ملك الموت - عليه السلام - زار يعقوب فقال له: أيها الملك الطيب ريحه، الحسن صورته هل قبضت روح ولدى فى الأرواح؟ فقال: لا. فسكن يعقوب على ذلك، وعلم أنه حى وطمع فى رؤيته. وقوله: ﴿إنه هو العليم الحكيم﴾ معناه: العليم بمكانهم، الحكيم فى تدبيرهم.

قوله تعالى: ﴿وتولى عنهم وقال ياأسفى على يوسف﴾ الآية. روى أن بنامين لما حبسه يوسف اشتد الأمر على يعقوب غاية الشدة وبلغ الحزن [به نهايته](١)، ولم يملك بعد ذلك الصبر، فجزع، فهذا معنى قوله: ﴿وتولى عنهم﴾ أى: أعرض عنهم ﴿وقال يا أسفى﴾ وروى أنس بن مالك - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ: «أن بعض إخوان يعقوب زاره فقال له: يايعقوب، ما الذى أعمى عينيك وقوس ظهرك؟ فقال: أعمى عينى كثرة البكاء على يوسف، وقوس ظهرى شدة الحزن على بنيامين، فبعث الله تعالى إليه جبريل - عليه السلام - وقال: يايعقوب أتشكونى إلى خلقى؟! فبعد ذلك دخل بيته ورد بابه، و﴿قال إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله﴾»(٢) ومعنى

(١) فى «الأصل وك»: بنهايته.

(٢) رواه الطبرانى فى الصغير (٢/١٠٣-١٠٤ رقم٨٥٧)، وفى الأوسط - كما فى مجمع البحرين (٧/٣٧-٣٨ رقم٣٣٤١)، وابن أبى الدنيا فى الفرج بعد الشدة (ص٢٨-٢٩ رقم٨٩)، والحاكم فى المستدرك (٢/٣٤٨). وقال الهيثمى فى المجمع (٧/٤٣): رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط. عن شيخه محمد بن أحمد الباهلى البصرى وهو ضعيف جدا. وقال ابن كثير فى التفسير (٢/٢٨٨): وهذا حديث غريب فيه نكارة.

قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَا بَنِيَّ

قوله: ﴿ يا أسفى ﴾ ياحزن على يوسف، والأسف: شدة الحزن. وقوله: ﴿ وابيضت عيناه من الحزن ﴾ يعنى: غلب البياض على الحدقة وذهبت الرؤية. ونسبه إلى الحزن؛ لأنه كان يبكى لشدة الحزن، وعمى لشدة البكاء. وقوله: ﴿ فهو كظيم ﴾ أى: ممسك على حزنه لايبثه ولايذكره للناس .فهذا بعد أن نهاه الله عن ذلك على مابينا.

قوله تعالى: ﴿ قالوا تا لله تفتأ تذكر يوسف ﴾ يعنى: لاتزال تذكر يوسف، و« لا » محذوفة، وقوله: ﴿ حتى تكون حرضًا ﴾ قال ثعلب - أحمد بن يحيى - الحرض: كل شىء لاينتفع به، قال مجاهد: الحرض مادون الموت، وقال الفراء: الحرض هو الذى فسد جسمه وعقله، وقال أبو عبيدة: الحرض هو الذى أذابه الحزن. وقيل: هو المدنف البال، والأقوال متقاربة.

وعن أنس بن مالك أنه قرأ: « حتى تكون حُرْضًا » والحرض: الأشنان، ومعناه: حتى تصير كعود [الأشنان](١)، وقوله: ﴿ أو تكون من الهالكين ﴾ أى: من الميتين .

قوله تعالى: ﴿ قال إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله وأعلم من الله مالاتعلمون ﴾ قد بينا الخبر [الوارد](٢) فى هذا برواية أنس. والبث: الهم، ﴿ وحزنى إلى الله ﴾، وروى أنه قال: يارب، أما ترحمنى، قد أخذت منى كذا وكذا - وجعل يعدد - رُدَّ إلى ريحانتى (فأشمها شمة ثم افعل)(٣) بى ما أردت ولا أبالى، فأوحى الله - تعالى - إليه: أن اسكن وفرغ روعك فسأردهما إليك. وفى الآثار المسندة عن الحسن البصرى أنه قال: بكى يعقوب ثمانين سنة وماجف له دمع، ولم يكن على وجه الأرض أحد أكرم على الله منه. قوله: ﴿ وأعلم من الله ما لاتعلمون ﴾ يعنى: أعلم من حياة يوسف مالا تعلمون، وقيل: أعلم من تحقيق رؤيا يوسف مالا تعلمون، فإن قال قائل:

(١) فى« ك »: الإنسان. وهو خطأ.

(٢) فى «الأصل وك»: الواردة.

(٣) فى«ك»: ثم أشمها شمة فافعل.

كيف بكى يعقوب كل هذا البكاء وحزن هذا الحزن، وهل أصيب إلا بفقد ولد واحد، أفما كان عليه أن يسلم الأمر إلى الله تعالى ويصبر؟ الجواب عنه: أنه امتحن فى هذا بما لم يمتحن به غيره، ولم يسأل عن يوسف مع طول الزمان، وكان [ابتلاؤه](١) فيه أنه لم يعلم حياته فيرجو رؤيته، ولم يعلم موته فيسأل عنه، وكان يوسف من بين سائر الإخوة خصَّ بالجمال الكامل (والعقل)(٢) وحسن الخلق وسائر مايميل القلب إليه. وروى عن الحسن البصرى أنه مات أخوه فبكى عليه بكاء شديداً فسئل عن ذلك؟ فقال: سبحان من لم يجعل الحزن عاراً على أهله، وقرأ قوله تعالى: ﴿إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله﴾. وروى حبيب بن أبى ثابت قال: لماكبر يعقوب وطال عليه الحزن سقط حاجباه على عينيه من الكبر فكان يرفعهما بخرقة، فدخل عليه بعض جيرانه وقال: ماالذى بلغ بك مابلغ ولم تبلغ سن أبيك بعد؟ قال: طول الزمان وكثرة [الأحزان](٣)، فبعث الله إليه جبريل - عليه السلام - وقال: يايعقوب، شكوتنى إلى خلقى؟! فقال: خطيئة فاغفرها لى يارب. فغفرها الله له، وكان بعد ذلك إذا سئل عن حاله قال: «إنما أشكو بثى وحزنى إلى اللّه» وعن وهب بن منبه: أن الله تعالى أوحى إلى يعقوب - عليه السلام - فقال: أتدرى لم عاقبتك وفرقت بينك وبين ولدك؟ قال: يارب لا، فقال: لأنك ذبحت شاة وشويتها وقترت على جارك وأكلت ولم تطعمه؛ وقد روى أنس، عن النبى ﷺ قريبا من هذا أورده الحاكم أبو عبد الله. وفى خبر أنس: «أن اللّه تعالى قال ليعقوب: اتخذ طعاماً وادع إليه المساكين، ففعل وكان بعد ذلك إذا تغد أمر من ينادى: من أراد الغداء فليأت يعقوب، وإذا أفطر أمر من ينادى: من أراد أن يفطر فليأت يعقوب، فكان يتغدى معه القوم الكثير، ويتعشى معه القوم الكثير من المساكين»(٤).

وفى القصة: أن سبب ابتلاء يعقوب أنه ذبح عجلا بين يدى أمها وهى تخور. وعن عبدالله بن يزيد وابن أبى فروة: أن يعقوب - عليه السلام - كتب كتاباً إلى

(١) فى «الأصل وك»: ابتلى.

(٢) فى «ك»: فى العقل.

(٣) فى «الأصل»: الإخوان. وهو خطأ.

(٤) هو جزء من الحديث السابق.

اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا

يوسف حين حبس بنيامين: بسم الله الرحمن الرحيم من يعقوب إسرائيل اللّه بن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله إلى ملك مصر أما بعد: فإنا أهل بيت (وُكل)[١] بنا البلاء، أما جدى إبراهيم فشدت يداه ورجلاه وألقى فى النار فجعلها الله عليه برداً وسلاماً؛ وأما أبى إسحاق فشدت يداه ورجلاه ووضع السكين على حلقه ففداه الله بكبش، وأما أنا فابتليت بفراق أحب أولادى إليَّ وكنت أتسلى بأخيه من أمه وقد حبسته وزعمت أنه سرق، والله ما أنا بسارق ولم ألد سارقًا فإن رددته إليَّ وإلادعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك. فلما بلغ (إليه الكتاب)[٢] بكى بكاءً شديداً وأظهر نفسه على مايَرِد.

قوله تعالى: ﴿يابنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف﴾ التحسس: طلب الشىء بالحاسة، ومعناه: اطلبو وابحثوا عن خبر يوسف وأخيه .

وقوله: ﴿ولا تيأسوا من رَوْح اللّه﴾ فى الشاذ قرئ «:من رُوح الله» (وعن أبى بن كعب أنه قرأ: «من رحمة الله» والروح مأخوذ من الريح، وهو فى الحقيقة ما يستراح به. وقيل: من روح الله)[٣] أى: من فرج الله، قاله أبو عمرو بن العلاء، وقيل: من رحمة الله، وقيل: من فضل اللّه.

وقوله: ﴿إنه لاييأس من روح اللّه إلا القوم الكافرون﴾ ظاهر المعنى .

قوله تعالى: ﴿(فلما دخلوا عليه)[٣] قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر﴾ يعنى: الجوع والحاجة. وقوله: ﴿وجئنا ببضاعة مزجاة﴾ قال ابن عباس: كانت دراهمهم زيوفًا فى هذه الكرة، ولم تك تنفق فى الطعام فهذا معنى المزجاة، وعن مجاهد وقتادة: مزجاة: قليلة يسيرة، وقال مقاتل: كانت بضاعتهم حبة الخضراء، وعن الكلبى قال: كانت بضاعتهم الحبال وخلق الغرائر، وقيل: كانت سويق المقل.

(١) فى «ك»: وكنا.
(٢) فى «ك»: الكتاب إليه.
(٣) سقط من «ك».

وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ

وقال (كعب)(١) : كانت عشرة دنانير. وقيل : كان متاع الأعراب من الصوف والأقط وغيره. وقوله : ﴿ فأوف لنا الكيل ﴾ معناه : أتم كما كنت تتم كل مرة. وقوله : ﴿ وتصدق علينا ﴾ أى : بما بين النافق والكاسد. وقيل : تصدق علينا بالتجوّز. قال الشاعر:

تصدق علينا يا ابن عفان واحتسب   وَأَمِّرْ علينا الأشعرى لياليا

يعنون : أبا موسى الأشعرى، وقيل : وتصدق علينا بإطلاق أخينا، وعن مجاهد قال : يكره أن يقول الرجل : اللهم تصدق على؛ لأن الصدقة إنما تكون ممن يبتغى الثواب. فإن قال قائل : كيف قالوا : وتصدق علينا، والصدقة لاتحل للأنبياء؟ الجواب : أن سفيان ابن عُيينة قال : قد كانت حلالا لهم، ولأنا بينا أن المراد منه التجوز والمحاباة، وهذا جائز بالاتفاق. وقوله : ﴿ إن الله يجزى المتصدقين ﴾ لم يقولوا : يجزيك؛ لأنهم لم يثقوا بإيمانه، فقالوا : إن الله يجزى المتصدقين على الإطلاق لهذا.

قوله تعالى : ﴿ قال هل علمتم مافعلتم بيوسف وأخيه ﴾ روى أنهم [لما] قالوا هذا وسمعه يوسف أدركته الرقة، فقال لهم هذا القول : هل [علمتم](٢) مافعلتم أى : ماصنعتم بيوسف وأخيه، والذى فعلوا بأخيه هو التفريق بينهما ولم يذكر مافعلوا بيعقوب دفعًا لحشمته وتعظيمًا له. وقوله : ﴿ إذ أنتم جاهلون ﴾ معناه : إذ أنتم آثمون عاصون، وعن ابن عباس قال : إذ أنتم صبيان، وعن الحسن قال : إذ أنتم شبان ومعكم جهل الشبان، وفى القصة : أنه لما قال هذا القول تبسم فرأوا ثناياه منظومًا كاللؤلؤ فعرفوه وقالوا : ﴿ أئنك لأنت يوسف ﴾ وقال بعضهم : قالوا هذا على التوهم ولم يكونوا تيقنوا بعد حتى قال لهم : أنا يوسف. وقوله : ﴿ أنا يوسف وهذا أخى ﴾

(١) فى « ك » : مقاتل.

(٢) ليست فى « الأصل و ك ».

مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ

حكى الضحاك أن فى قراءة ابن مسعود :« وهذا أخى بينى وبينه قربى » . وقوله : ﴿ قد منَّ اللهَ علينا ﴾ أى : أنعم الله علينا ﴿ إنه من يتق ويصبر فإن الله لايضيع أجر المحسنين ﴾ معناه : من يتق عن المعاصى ويصبر على الطاعات والمصائب . وعن إبراهيم النخعى قال : من يتق الزنا ويصبر على العزوبة .

قوله تعالى : ﴿ قالوا تالله لقد آثرك الله علينا ﴾ يعنى : فضلك اللّه علينا ﴿ وإن كنا لخاطئين ﴾ وماكنا إلا خاطئين، وقيل : وقد كنا خاطئين، والفرق بين خطأ وأخطأ أن خطأ : خطأ إذا تعمد ، وأخطأ : خطأ إذا كان غير متعمد .

قوله تعالى : ﴿ قال لاتثريب عليكم اليوم ﴾ التثريب هو التَّعْيير ذكره ثعلب وغيره، وقيل : لاتثريب عليكم اليوم أى :لاعقوبة عليكم اليوم بعد اعترافكم بالذنب، قال الشاعر :

فعفوت عنكم عفو غير مثرب ... وتركتكم لعقاب يومٍ سرمد

وقوله :﴿ اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ﴾ ظاهر المعنى .

قوله تعالى : ﴿ اذهبوا بقميصى هذا ﴾ روى أن الله تعالى لما جعل النار على إبراهيم بردًا وسلامًا أنزل عليه قميصًا من حرير الجنة فأعطاه إبراهيم إسحاق، وأعطاه إسحاق يعقوب فجعله يعقوب فى (قصبة)(١) وشد رأسها وعلقها فى عنق يوسف - عليه السلام - وكان يكون فى عنقه، فلما كان هذا الوقت بعث الله جبريل - عليه السلام - أن افتح القصبة : وابعث إليه بالقميص فإنه لا يمسه مبتلى إلا عوفى، ولا سقيم إلا صح وبرأ، فبعث بذلك القميص إلى يعقوب، فهذا معنى قوله تعالى : ﴿ اذهبوا بقميصى هذا ﴾ وفى القصة أن يهوذا قال : أنا أذهب بالقميص إليه فإنى

---

(١) فى « ك » : قصته . وهو خطأ .

أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلا أَن تُفَنِّدُونِ

ذهبت بالقميص ملطخًا بالدم إليه، فأعطاه وخرج حافيًا [حاسرًا][1] يعدو ومعه سبعة أرغفة فلم يستوفها حتى بلغ كنعان، وقيل: إنه بعث على يد غيره، [وقال][2]: ﴿فألقوه على وجه أبى يأت بصيراً﴾ قال الفراء: يرجع بصيراً، وقال غيره: يعد بصيراً؛ قال الحسن: لم يعلم أنه يعود بصيراً إلا بعد أن أعلمه الله ذلك.

وقوله: ﴿وأتونى بأهلكم أجمعين﴾ أى: جيئونى بأهلكم أجمعين.

قوله تعالى: ﴿ولما فصلت العير﴾ يعنى: انفصلت من مصر وخرجت. قوله: ﴿قال أبوهم إنى لأجد﴾ فى القصة: أن ريح الصبا استأذنت من ربها أن تأتى بريح يوسف إلى يعقوب – عليهما السلام – فهى التى جاءت بريح يوسف، والصبا: ريح تأتى من قبل المشرق إذا هبت على الأبدان لينتها ونعمتها وطيبتها، وهيجت الأشواق إلى الأحباب والحنين إلى الأوطان، قال الشاعر:

أيا جَبَلىْ نعمان بالله خليا ... سبيل الصَّبا يَخْلُصْ إلى نسيمها
فإن الصبا ريح إذا ما تنسمت ... على قلب محزون تجلت همومها

وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «**نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور**»[3] وروى أن القميص لما نشر هاجت منه ريح الجنة [فشمها][4] يعقوب – عليه السلام– فعلم أنها جاءت من قبل قميص يوسف؛ لأنه لم يكن فى الأرض شىء من الجنة سواه.

وقوله: ﴿لولا أن تفندون﴾ معناه: لولا أن تضعفوا رأى، وقيل: لولا أن تسفهونى، وقيل: لولا أن تنسبونى إلى الخوف والجهل.

قال الشاعر:

---

(١) فى «الأصل وك»: خاسراً.

(٢) فى «الأصل وك»: وقالوا.

(٣) تقدم فى تفسير سورة الأعراف.

(٤) فى «الأصل»: فسمعها، وفى«ك»: فسمع.

﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ

يا صاحبيَّ دعا الملامة واقصرا ... طال الهوى وأطلتما التفنيدا

قوله تعالى: ﴿قالوا تالله إنك لفى ضلالك القديم﴾ هذا قول بنى بنيه، فإن بنيه كانوا بمصر، ومعناه: تالله إنك لفى خطئك القديم، والخطأ: هو الذهاب عن طريق الصواب؛ فإنه كان عندهم أن يوسف قد مات، وكانوا يرون يعقوب قد لهج بذكره فإنه كان يخرج من بيته فيلقاه الرجل ومعه شيء يحمله فيقول: ضعه واسمع منى حديثى، وكان يلقاه الخادم والجارية فيقول معه مثل هذا القول، وكانوا يظنون به خرفا وخطأً عظيمًا، فهذا معنى قولهم: إنك لفى ضلالك القديم، وقيل: إنك لفى [شقائك](١) القديم، والشقاء هاهنا بمعنى التعب، وقيل: فى غفلتك القديمة، وقيل: فى محبتك القديمة؛ قال الحسن البصرى: فكان هذا عقوقًا (عظيما)(٢) منهم.

قوله تعالى: ﴿فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه﴾ ومعناه: ألقى القميص على وجهه. وقوله: ﴿فارتد بصيراً﴾ أى: عاد بصيرا ورجع بصيراً، فروى أنه عادت قوته فى الحال، وذهبت [الغشاوة](٣) وزال البياض الذى كان بعينه، وفتح عينيه كأحسن ما يكون، و ﴿قال﴾ لبنيه وبنى بنيه: ﴿ألم أقل لكم إنى أعلم من الله ما لا تعلمون﴾ وهذا دليل على أنه قد كان قال لهم: إنَّ يوسف حى، وإنى أرجو رؤيته. (وقيل)(٢): ﴿إنى أعلم من الله ما لا تعلمون﴾ يعنى: من تحقيق رؤيا يوسف ما لا تعلمون، وفى بعض الأخبار أنه قال للبشير: ليس عندى شيء أعطيك ولكن هون الله عليك سكرات الموت. وروى أنه لما جاءه خبر يوسف قال للبشير: على أى دين تركت يوسف؟ قال: على دين الإسلام، قال: الآن تمت النعمة.

قوله تعالى: ﴿قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين﴾ هذا دليل على أنهم عملوا ما عملوا وكانوا بالغين.

(١) فى «الأصل»: شقاء.

(٢) ليست فى «ك».

(٣) فى «الأصل»: الحناوة.

لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ

قوله تعالى: ﴿قال سوف أستغفر لكم ربى﴾ روى عن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - وجماعة من التابعين أنهم قالوا: أخر الدعاء إلى السحر وهو الوقت الذى يقول الله تعالى: هل من داع (فيستجاب)(١) له؟ هل من سائل فيعطى سؤله»؟ (الخبر)(٢) «هل من مستغفر فيغفر له؟(٣)» والقول الثانى: أنه أخر إلى ليلة الجمعة حكى هذا عن ابن عباس، وقد روى فى بعض الأخبار مرفوعًا إلى النبى ﷺ(٤). وعن عطاء بن ميسرة الخراسانى قال: الحاجة إلى الشباب أسرع إجابة من الحاجة إلى الشيوخ، فإن يوسف - عليه السلام - قال: لاتثريب عليكم اليوم، يغفر الله لكم ولم يؤخر، وحين طلبوا من يعقوب سَوَّفَ وأخَّر. وفى القصة: أن يعقوب كان يصلى من الليل ويقوم يوسف خلفه ويقوم بنوه خلف يوسف ويستغفرون لهم هكذا عشرين سنة إلى أن نزل الوحى بمغفرتهم، وقوله: ﴿إنه هو الغفور الرحيم﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى ﴿فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه﴾ روى أن يوسف بعث بمائتى راحلة وجهاز كثير ليأتوا بيعقوب وقومه، قال مسروق: كانوا ثلاثة وتسعين من بين رجل وامرأة، وروى: اثنان وسبعين وهو الأشهر. قال أهل الأخبار: ولما خرج موسى ببنى إسرائيل من مصر كان قد (بلغ)(٥) عددهم ستمائة ألف مقاتل وسبعين ألفًا، والذرية ألف ألف وسبعمائة ألف وكذا فى القصة أنهم جاءوا فلما قربوا من مصر

(١) فى «ك»: فأستجيب.

(٢) فى «ك»: الخير.

(٣) هو حديث النزول المشهور، وهو متفق عليه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه، رواه البخارى فى صحيحه (٣/٣٥-٣٦ رقم ١١٤٥)، ومسلم (٦/٥٣ - ٥٧ رقم ٧٥٨).

(٤) رواه الطبرى فى التفسير (١٣/٤٢)، وأبى الشيخ كما فى الدر المنثور (٤/٤٠) عن ابن عباس مرفوعًا. وهو فى حديث ابن عباس فى حفظ القرءان الذى فى جامع الترمذى.

(٥) فى «الأصل»: بلغهم.

﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ

خرج يوسف ليلقاهم مع الجند، وروى أنه حمل الملك الأكبر مع نفسه، فلما وصلوا إلى يعقوب قالوا ليعقوب: هذا ابنك قد جاء، قال: فأراد يوسف أن يبدأه بالسلام، فقال جبريل: لا حتى يبدأ يعقوب بالسلام، فقال (يعقوب:)[1] السلام عليك يامذهب الأحزان، وقد روى أنهما نزلا وتعانقا، وفى بعض القصص أنهما مشيا فتقدمه يوسف بخطوة، فجاء جبريل وقال له: أتتقدم على أبيك لا أخرج من ذريتك نبيا أبدا، وفى بعض القصص: أن يوسف كان فى أربعة آلاف من الجند، وقد قيل غيره. وقوله: ﴿آوى إليه أبويه﴾ أى: ضم إليه أبويه، والأكثرون أن أبويه أى: أباه وخالته، وقال الحسن البصرى: هو أبوه وأمه وقد كانت حية، وفى بعض التفاسير: أن الله تعالى بعث أمه وأحياها حتى جاءت مع يعقوب إلى مصر، والله أعلم.

وقوله: ﴿وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين﴾ اختلفوا فى [معنى][2] المشيئة هاهنا، قال بعضهم: ادخلوا آمنين من الجواز ﴿إن شاء الله﴾، وقد كانوا لايدخلون قبل ذلك لمصر إلا بجواز[3]، وقيل: فى الآية تقديم وتأخير ومعناه: سوف أستغفر لكم ربى إن شاء الله وقال: ادخلوا مصر آمنين.

قوله تعالى: ﴿ورفع أبويه على العرش﴾ الرفع: هو النقل إلى العلو، وضده الوضع، والعرش: سرير الملك، وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «اهتز العرش لموت سعد بن معاذ» قيل: أراد به سريره (الذى حمل عليه وليس بشيء؛ لأن الكلام خرج على وصف التكريم، ولا كرامة فى اهتزاز سريره الذى حمل عليه)[1]، وفى بعض الروايات: «اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ»[4] فالعرش فى هذا الخبر هو العرش المعروف واهتزازه استبشاره لإقبال روح سعد بن معاذ. ويجوز أن يكون المراد

---

(١) ليست فى «ك». (٢) فى «الأصل»: المعنى.

(٣) فى «ك»: الجواز.

(٤) متفق عليه من حديث جابر بن عبد الله، رواه البخارى (٧/١٥٤/رقم٣٨٠٣)، ومسلم (١٦/٣٢-٣٣/رقم٢٤٦٦). وعند البخارى الاختلاف فى لفظ الحديث المذكور هنا.

بذكر العرش أهل العرش من الملائكة، والله أعلم.

وقوله: ﴿وخروا له سجداً﴾ معناه: وقعوا له ساجدين، واختلفوا في هذه السجدة فالأكثرون أنهم سجدوا له، [و](١) كانت السجدة سجدة المحبة لا سجدة العبادة، وهو مثل سجود الملائكة لآدم - عليه السلام - قال أهل العلم: وكان ذلك جائز في الأمم السالفة، ثم إن الله تعالى نسخ ذلك فى هذه الشريعة وأبدل بالسلام، وقال بعضهم: إنهم سجدوا لله لا ليوسف، وإنما خروا له سجداً؛ لأنه كان قدامهم فحصل سجودهم إليه كما يسجد إلى المحراب والجدار، والصحيح هو الأول، هكذا قاله أهل العلم، والدليل عليه أنه كان فى رؤياه: ﴿إنى رأيت أحد عشر كوكبا و الشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين﴾(٢)، فالشمس والقمر أبواه، وأحد عشر كوكبًا هم إخوته.

فإن قال قائل: كيف جاز السجود لغير الله؟ وإذا جاز السجود لغير الله فلم لاتجوز العبادة لغير الله؟ والجواب: أن العبادة نهاية التعظيم، ونهاية التعظيم لاتجوز إلا لله؛ وأما السجود: نوع تذلل وخضوع بوضع الخد على الأرض وهو دون العبادة، فلم يمتنع جوازه للبشر كالانحناء.

وقال بعضهم: ﴿وخروا له سجداً﴾ السجود ها هنا هو الانحناء وعبر عنه بالسجود، وأما حقيقة السجود فلم تكن. وأولى الأقاويل هو الأول والله أعلم.

قوله: ﴿وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل﴾ [تفسير](٣) رؤياى من قبل ﴿قد جعلها ربى حقا﴾ أى: صدقًا ﴿وقد أحسن بى﴾ أى: أنعم علىَّ ﴿إذ أخرجنى من السجن﴾ فإن قال قائل: كيف لم يقل: إذ أخرجنى من الجب، وكانت المحنة عليه والبلية فى الجب أكثر منها فى السجن؟ الجواب عنه: أنه أعرض عن ذكر

(١) ليست فى «الأصل وك».

(٢) يوسف: ٤.

(٣) فى الأصل وك»: وتفسير.

أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ

الجب تكرمًا لأن[1] لايخجل الإخوة عنه، وكان قد قال: ﴿لاتثريب عليكم اليوم﴾[2] وفى إعادته تثريب وملامة، ولأن النعمة عليه فى الإخراج من السجن كانت أكثر؛ لأنه أخرج من الجب وجُعل عبداً، وأخرج من السجن وجُعل ملكًا. قوله: ﴿وجاء بكم من البدو﴾ البدو: بسيط من الأرض يسكنه أهل الماشية بماشيتهم، وقد كان يعقوب وأولاده أهل مواشى وعمد، والعمد: الخيام، فلهذا قال: وجاء بكم من البدو. وقوله: ﴿من بعد أن نزغ الشيطان﴾ معناه: من بعد أن أفسد الشيطان ﴿بينى وبين إخوتى﴾ بالحسد. وقوله: ﴿إن ربى لطيف لما يشاء﴾ اللطيف هو: الرفيق، ويقال معنى الآية: إن ربى لطيف (بمن)[3] يشاء. وحقيقة اللطيف هو الذى يوصل الإحسان إلى غيره برفق. وقوله: ﴿إنه هو العليم الحكيم﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿رب قد آتيتنى من الملك﴾ الملك هو: اتساع المقدور لمن له السياسة و التدبير، وأدخل كلمة «من» وهى للتبعيض؛ لأنه كان من يد ملك مصر، وقيل: «من» للتجنيس ها هنا، قال محمد بن على الباقر: ملك يوسف اثنتين وسبعين سنة. وقال غيره: ثمانين سنة. وقوله: ﴿وعلمتنى من تأويل الأحاديث﴾ يعنى: علم الرؤيا. وقوله ﴿فاطر السموات والأرض﴾ معناه: يا فاطر السموات والأرض. وقوله: ﴿أنت ولى فى الدنيا والآخرة﴾ يعنى: أنت تلى أمرى فى الدنيا والآخرة. وقوله: ﴿توفنى مسلمًا﴾ معناه: ثبتنى على الإسلام عند الوفاة.

قال قتادة: ولم يسأل نبى من الأنبياء الموت سوى يوسف عليه السلام، وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «لايتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ولكن ليقل: اللهم

(١) فى «ك»: لأنه.

(٢) يوسف: ٩٢.

(٣) في «ك»: لما.

أحينى ما دامت الحياة خيراً لى، وتوفنى إذا كانت الوفاة خيراً لى »(١) وفى القصة: أن يوسف لما جُمع له شمله وأوصل الله إليه أبويه وأهله اشتاق إلى ربه فقال هذا القول. وقد قال الحسن البصرى: عاش بعد هذا سنين كثيرة. وقال غيره: لما قال هذا القول لم يمض عليه أسبوع حتى توفى. وأما خبر وفاة يعقوب - صلوات الله عليه - فقد قال أصحاب الأخبار: إن يعقوب عاش عند يوسف أربعًا وعشرين سنة بأغبط حال وأهنأ عيش ثم أدركته الوفاة فدعا بنيه وقال: يا بنى، ﴿ما تعبدون من بعدى﴾(٢) الآية، وقد ذكرنا فى سورة البقرة، وأوصى يوسف - عليه السلام - أن يحمله إلى الأرض المقدسة ويدفنه بجنب أبيه إسحاق ففعل ذلك. وقالوا: عاش يعقوب مائة وسبعًا وأربعين سنة، وأما يوسف فإنه عاش بعد أبيه سنتين، وقيل: أكثر من ذلك، والله أعلم، وتوفى وهو ابن مائة وعشرين سنة فدفنوه فى نيل مصر: (لأن أهل مصر تشاحنوا عليه وطلب أهل كل محلة أن يُدفن فى محلتهم رجاء بركته، ثم اتفقوا أن يدفن فى نيل مصر)(٣) ليجرى الماء عليه وتصل بركته إليهم كلهم. وعن عكرمة: أنه دفن فى [الجانب](٤) الأيمن من النيل فأخصب ذلك الجانب وأجدب الجانب الآخر فاتفقوا على أن جعلوه فى تابوت من حديد - وقيل: من رخام - ودفنوه فى وسط النيل، وقدروا ذلك بسلسلة عندهم فأخصب الجانبان، وكان يوسف أوصى إخوته أنهم إذا خرجوا من مصر أخرجوه مع أنفسهم، فلما كان زمن موسى أخرجه موسى مع نفسه إلى الأرض المقدسة ودفنه بقرب آبائه؛ وفى القصص أن عجوزاً دلتهم على قبر يوسف وأن تلك العجوز سألت موسى مرافقته فى الجنة به حتى دلت، فنزل الوحى على موسى بأن يعطيها ذلك.

وروى الكلبى، عن أبى صالح، عن ابن عباس: أن الله تعالى لما جمع بين يعقوب ويوسف قال له يوسف: يا أبتاه حزنت علىَّ حتى انحنى ظهرك، وبكيت علىَّ حتى

(١) متفق عليه من حديث أنس، رواه البخارى (١١/ ١٥٤ / رقم ٦٣٥١)، ومسلم (١٧/ ١٢ - ١٣/ رقم٢٦٨٠).
(٢) البقرة: ١٣٣ .
(٣) سقط من «ك».
(٤) فى «الأصل، وك»: جانب.

نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾

عمى بصرك، أما علمت أنا كنا نلتقى يوم القيامة؟ فقال: يابنى، خشيت أن يسلب دينك فلا نلتقى يوم القيامة. وقوله: ﴿وألحقنى بالصالحين﴾ يعنى: من آبائى وهم: إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب.

قوله تعالى: ﴿ذلك من أنباء الغيب﴾ يعنى: من أخبار الغيب.

قوله: ﴿نوحيه إليك﴾ أى: نلقيه إليك بالوحى. وقوله: ﴿وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون﴾ هذا منصرف إلى إخوة يوسف ومكرهم حين أخذوه من أبيه، وفائدة الآية: أنك إنما علمت هذا بتعليمنا إياك ووحينا إليك.

وقوله تعالى: ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾ روى أن قريشًا واليهود سألوا النبى عن قصة يوسف، فلما أخبرهم بها على ما كان يوافق التوراة، ولم يكن فى نفسه قارئًا طمع أن يسلموا فلم يسلموا؛ فحزن لذلك فقال الله تعالى: ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾ معناه: وما أكثر الناس بمؤمنين وإن حرصت على إيمانهم.

قوله تعالى: ﴿وما تسألهم عليه﴾ أى: على التبليغ ﴿من أجر﴾ أى: من جُعل وقوله: ﴿إن هو إلا ذكر للعالمين﴾ أى: عظة للعالمين.

قوله - تعالى -: ﴿وكأين من آية﴾ معناه: وكم من آية. وقوله: ﴿فى السموات﴾ السموات: سقوف الأرض بعضها على بعض طبقا طبقا ﴿والأرض﴾ هى موضع سكنى الآدميين، وأما الآيات فى السموات (كما)[1] بينا من قبل، وذلك من شمسها وقمرها ونجومها ودوران الفلك بها، واستوائها من غير عمدٍ وغير ذلك، وقد زعم بعض أهل العلم أنه يجوز للإنسان أن يتعلم علم النجوم بقدر ما يعرف به

(١) في «ك»: ما.

وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ

من آيات السماء، وأما آيات الأرض معلومة أيضا [وهى](١) : شجرها ونباتها وجميع ما فيها وما يخرج منها. وقوله: ﴿يمرون عليها وهم عنها معرضون﴾ معناه: أنهم يعرضون عنها مع مشاهدتها ولايستدلون بها على وحدانية الله.

قوله تعالى: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ فإن قيل: كيف يجوز اجتماع الإيمان مع الشرك فى الواحد؟ الجواب من وجوه: أحدها: أن معناه ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله﴾ أى: وما يُقر أكثرهم بالله إلا وهم مشركون بقلوبهم وضمائرهم.

والثانى: أن مشركى مكة كانوا إذا قيل لهم: من خلقكم؟ قالوا: الله، وإذا قيل لهم: من يرزقكم؟ قالوا: الله، وإذا قيل لهم: من خلق السموات والأرض؟ قالوا: الله ثم مع ذلك يعبدون الأصنام، وبعضهم يقول: إن الملائكة بنات الله، وبعضهم يقول: الأصنام شفعاؤنا عند الله، فالقول الأول: هو الإيمان، [وليس](٢) المراد من الإيمان هو حقيقة الإيمان الذى يصير به الإنسان مؤمنًا، وإنما المراد ما بينا.

والقول الثالث: أن معنى شركهم هو شركهم فى التلبية، فإنهم كانوا يقولون: لبيك اللهم لبيك، لاشريك لك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك.

قوله تعالى: ﴿أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله﴾ قيل: قطعة من عذاب الله، وقيل: عقوبة محللة من عذاب الله. وقوله: ﴿أو تأتيهم الساعة بغتة﴾ أى: فجأة، والبغتة: وقوع الشىء من غير توقع سابق. قال الشاعر:

ولكنهم باتوا ولـم أدر بغتـة وأفظع شىء حين يفجؤك البغت

وقوله: ﴿وهم لايشعرون﴾ أى: لايعلمون.

(١) في «الأصل وك»: وهو. (٢) ليست فى «الأصل» ولا «ك».

اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ

قوله تعالى: ﴿قل هذه سبيلى أدعو إلى الله﴾ أى: طريقى، والسبيل يذكر ويؤنث، قال الشاعر:

تمنى رجال أن أموت وإن أمت　　　فتلك سبيل لست فيها بأوحد

وقوله: ﴿على بصيرة﴾ أى: على (يقين)(١)، والبصيرة هى المعرفة التى يُميز بها بين الحق والباطل. وقوله: ﴿أنا ومن اتبعنى﴾ معناه: أدعو إلى الله أنا، ومن اتبعنى يدعون أيضا إلى الله، وقال بعضهم: تم الكلام عند قوله ﴿أدعو إلى الله﴾ ثم استأنف وقال: ﴿على بصيرة أنا ومن اتبعنى﴾. وقوله: ﴿وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾ يعنى أقول: سبحان الله، وما أنا من المشركين.

قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحى إليهم من أهل القرى﴾ قال الحسن البصرى: لم يبعث الله نبيا من بدو، وإنما بعث الله الأنبياء من الأمصار والقرى. وقال أيضا: لم يبعث الله نبيا من الجن ولا من النساء، وقيل: لم يبعث الله نبيا من البادية لغلظهم وجفائهم، وأما أهل الأمصار فهم [أحن](٢) قلوبا وأذكى وأفطن فى الأمور؛ فلهذا بعث الله الأنبياء منهم. وقوله: ﴿أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿ولدار الآخرة﴾ معناه: والحال فى الدار الآخرة، وللإنسان حالان: الحال الأولى، والحال الآخرة، وقيل: «ولدار الآخرة» هذا إضافة الشىء إلى نفسه كقولهم: ﴿خير للذين اتقوا﴾ يوم الخميس، ويوم الجمعة، قال الشاعر:

أتمدح فَقْعَسًا وتذم عبسًا؟!　　　ألا لله أمك من هجين!!

ولو فَزَّت عليك ديار عبس　　　عرفت الذل عرفان اليقين

(١) فى «ك»: على تيقن.

(٢) فى «الأصل و ك»: أحد.

قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ

أضاف العرفان إلى اليقين: وقوله: ﴿ أفلا تعقلون ﴾ أفلا تفقهون.

قوله تعالى: ﴿ حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا ﴾ قرئ بقراءتين بالتشديد والتخفيف، قرأ أهل الكوفة بالتخفيف، والآية مشكلة إذا قرئت بالتخفيف؛ لأن القائل يقول: كيف ظن الرسل أنهم قد كُذبوُا، ولايجوز هذا على الأنبياء. وكانت عائشة تنكر هذه القراءة، وتقول: إنما هو «كُذِّبوا» بالتشديد، يعني: أن الرسل ظنوا أن من آمن بهم كذبوهم لشدة المحنة والبلاء عليهم، وتطاول المدة بهم، هذا رواه الزهري عن عروة عن عائشة. وعن قتادة: أن الظن ها هنا بمعنى اليقين، ومعناه: وأيقن الرسل أن القوم كذبوهم تكذيبا لايرجى بعده إيمانهم، وهو تأكيد لقوله: ﴿ حتى إذا استيأس الرسل ﴾ لأن معناه: حتى إذا استيأس الرسل من إيمان قومهم، أي: أيسوا، وأما القراءة بالتخفيف هذه قراءة صحيحة، وهي منقولة عن علي وعن عبد الله بن مسعود وابن عباس وكثير من الصحابة.

وفي معناه قولان: أحدهما: ما روى عن ابن عباس أنه قال: ضعفت قلوب الرسل - وقد كانوا بشراً - بتطاول الزمان وكثرة الإمهال، وقد قال الله تعالى في موضع آخر: ﴿ وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ﴾[1] وقوله: ﴿ متى نصر الله ﴾[1]: استبطاء، أو قالوا هذا من ضعف البشرية.

والقول الثاني - وهو الصحيح - وهو منقول أيضًا عن ابن عباس أن معنى الآية: وظن من آمن بالرسل، أن الرسل قد كذبوا بالتخفيف، أو ظن القوم الذين بعث إليهم أن الرسل قد كذبوا بالتخفيف، وقرأ مجاهد: «وظنوا أنهم قد كَذَبوا» ومعناه كما ذكرنا في القول الثاني: أن ظن القوم أن الرسل قد كذبوا.

وقوله: ﴿ [جاءهم][2] نصرنا ﴾ ظاهر المعنى. وقوله: ﴿ فنجى من نشاء ﴾ المشيئة واقعة على المؤمنين. وقوله: ﴿ ولايرد بأسنا ﴾ أي: عذابنا ﴿ عن القوم المجرمين ﴾ أي:

(١) البقرة: ٢١٤.

(٢) في «الأصل»: وجاءهم.

كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾.

عن القوم الكفار. قوله - تعالى -: ﴿لقد كان فى قصصهم عبرة﴾ أى: دلالة وآية.

قوله: ﴿لأولى الألباب﴾ أى: لأولى العقول.

وقوله: ﴿ما كان حديثًا يفترى﴾ أى: [يختلق](١) يعنى: قصة يوسف.

وقوله: ﴿ولكن تصديق الذى بين يديه﴾ يعنى: من التوراة والإنجيل.

وقوله: ﴿وتفصيل كل شىء﴾ يعنى: من الحلال والحرام، والأمر والنهى، والوعد والوعيد. وقوله: ﴿وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ (معناه: بيان ونعمة لقوم يؤمنون)(٢). والله أعلم بالصواب.

(١) في «الأصل و ك»: يختلط.

(٢) ليست فى «ك».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ

سورة الرعد

تفسير سورة الرعد، وهى مكية إلا آيتين: قوله تعالى: ﴿ولايزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة﴾(١) وقوله تعالى: ﴿ويقول الذين كفروا لست مرسلا﴾(٢) الآية، فإنهما مدنيتان.

قوله تعالى: ﴿المر﴾ قالوا: معناه أنا الله أعلم وأرى، وقيل: إن الألف من الله، واللام من جبريل، والميم من محمد، والراء من إرسال الله إياه - يعنى محمداً ﷺ - وقد بينا من قبل غير هذا.

وقوله: ﴿تلك آيات الكتاب﴾ قد بينا فى سورة يوسف. وقوله: ﴿والذى أنزل إليك من ربك الحق﴾ الإنزال هو النقل من العلو إلى الأسفل، ومعنى الآية أن ما أهبط الله به جبريل عليك هو الحق، والحق ضد الباطل، وقيل: وضع الشيء فى موضعه على ما توجبه الحكمة. وقوله: ﴿ولكن أكثر الناس لايؤمنون﴾ يعنى من اليهود والنصارى والمشركين.

قوله تعالى: ﴿الله الذى رفع السموات بغير عمد﴾ العمد: جسم مستطيل يمنع المرتفع من الميلان، وفى معنى قوله: ﴿بغير عمد﴾ قولان: أحدهما، وهو الأصح: أن معناه: رفع السموات بغير عمد ﴿ترونها﴾ كذلك.

وقد قال أهل المعانى: لو كان للسموات عمد لرأيناها؛ لأن عمد الجسم الغليظ يكون بالجسم الغليظ، فلابد أن تُرى، وهذا قول مجاهد وقتادة وأكثر المفسرين.

وروى عن ابن عباس أنه قال: معنى الآية رفع السموات بغير عمد ترونها.

(١) الرعد: ٣١.

(٢) الرعد: ٤٣.

الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي

وقوله: ﴿ ترونها ﴾ راجع إلى العمد، كأنه قال: لها عمد لاترونها، وزعم أن لها عمداً على جبل قاف، وأن السماء عليها مثل القبة، وجبل قاف محيط بالدنيا، وهو من زبرجدة خضراء، والصحيح ما بينا.

وقوله: ﴿ ثم استوى على العرش ﴾ قد بينا المعنى. وقوله: ﴿ وسخر الشمس والقمر ﴾ معناه: ذلَّل الشمس والقمر فهما مذللان مقهوران يجريان على ما يريد الله. وقوله: ﴿ كل يجرى لأجل مسمى ﴾ أى: لمدة مضروبة. وقوله: ﴿ يدبر الأمر ﴾ التدبير من الله تعالى فعل الأشياء على ما يوجب الحكمة. وقوله: ﴿ يفصل الآيات ﴾ معناه يبين الدلالات. وقوله: ﴿ لعلكم بلقاء ربكم توقنون ﴾ تؤمنون.

قوله تعالى: ﴿ وهو الذى مد الأرض ﴾ الآية قد كانت الأرض مدرة مدوَّرة، فبسطها الله تعالى ومدها. وقوله: ﴿ وجعل فيها رواسى ﴾ أى: جبالا ثوابت.

وقوله: ﴿ وأنهاراً ﴾ الأنهار: مجارى الماء الواسعة. وقوله: ﴿ ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين ﴾ أى: صنفين اثنين أحمر وأصفر وحلو وحامض، وقيل: إن قوله ﴿ اثنين ﴾ تأكيد لقوله: ﴿ زوجين ﴾.

وقوله: ﴿ يغشى الليل النهار ﴾ معناه: يلبس النهار بظلمة الليل، ويلبس ظلمة الليل بضوء النهار. وقوله: ﴿ إن فى ذلك لآيات ﴾ لدلالات ﴿ لقوم يتفكرون ﴾ التفكر تصرف القلب فى طلب معانى الأشياء.

قوله تعالى: ﴿ وفى الأرض قطع متجاورات ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن فيه حذفًا؛ فكأنه قال: «وفى الأرض قطع متجاورات وغير متجاورات، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿ وسرابيل تقيكم الحر ﴾(١) يعنى: وسرابيل تقيكم الحر والبرد.

(١) النحل: ٨١.

الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

والقول الثانى: أنه ليس فى الآية حذف، وهو صحيح المعنى، وفى المتجاورات قولان: أحدهما: أن معناه أنها متجاورة فى الظاهر مختلفة فى المعنى، هذه سبخة وهذه عذبة، وهذه قليلة الريع، وهذه كثيرة الريع، وهذه مزرعة، وهذه مغرسة، وهذه لامزرعة ولامغرسة.

والقول الثانى: أن معناه: هذه عامرة، وهذه غامرة، وهذه صحارى وبرارى، وهذه جبال وأودية، فعلى هذا إذا قدرنا فى الآية متجاورات وغير متجاورات، فالمتجاورات هى الأرض العامرة المتصل بعضها ببعض، وغير المتجاوارات هى الأرض الخربة التى فيها الأودية والدكادك.

وقوله: ﴿وجنات من أعناب﴾ يعنى: بساتين من أعناب. وقوله: ﴿وزرع ونخيل﴾ معلوم المعنى. وقوله: ﴿صنوان وغير صنوان﴾ قرئ: «صُنوان» بالضم: والمعروف «صِنوان» بالكسر، وفى الآثار المسندة عن البراء بن عازب - رضى الله عنه - أنه قال: الصنوان هو النخل المجتمع، وغير الصنوان هو المتفرق، والمعروف فى اللغة أن الصنوان هى النخلات أصلها واحد، وغير صنوان هى النخلة الواحدة بأصلها.

وقوله: ﴿يسقى بماء واحد﴾ الماء جسم رقيق مائع يُشرب، به حياة كل نامٍ، قال الله تعالى: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حى﴾(١) وفى الآية رد على أصحاب الطبيعة، فإن الماء واحد، والهواء واحد، والتراب واحد، والحرارة واحدة، والثمار مختلفة فى اللون والطعم، وقلة الريع وكثرة الريع، والطبيعة واحدة يستحيل أن توجب شيئين مختلفين؛ فدل هذا أن الجميع من الله تعالى.

فى جامع أبى عيسى الترمذى برواية أبى هريرة عن النبى ﷺ فى قوله: ﴿ونفضل

(١) الأنبياء: ٣٠.

وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾

بعضها على بعض فى الأكل ﴾ قال: « هذا حلو وهذا حامض، وهذا دقل وهذا فارسى ».

وقوله: ﴿ إن فى ذلك لآيات ﴾ يعنى: الدلالات ﴿ لقوم يعقلون ﴾ يفهمون. وأنشدوا فى الصنوان:

العلـم والحلـم خُلتَا كـرم   للمـرء زين إذا همـا اجتمعـا

صنـوان لايستتم حسنهمـا   إلا بجمـــع ذا وذاك معـا

وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «عم الرجل صنو أبيه»(١). معناه: أنه وأبوه من أصل واحد.

قوله تعالى: ﴿ وإن تعجب فعجب قولهم ﴾ العجب: تغير النفس برؤية المستبعد فى العادات، والخطاب للرسول ﷺ ومعناه: أنك تعجب؛ فعجب من إنكارهم النشأة الآخرة مع إقرارهم ابتداء الخلق من الله، وقد تقرر فى القلوب أن الإعادة أهون من الابتداء؛ فهذا موضع التعجب. وفى الأمثال: لاخير فيمن لايتعجب من العجب، وأرذل منه من يتعجب من غير عجب.

وقوله: ﴿ أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد ﴾ هذا هو المعنى فى إنكارهم البعث.

وقوله: ﴿ أولئك الذين كفروا بربهم ﴾ جحدوا بربهم.

وقوله: ﴿ وأولئك الأغلال فى أعناقهم ﴾ الغل طوق تجمع به اليد إلى العنق وهذه الأغلال من نار. وقوله: ﴿ وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة ﴾ الاستعجال طلب تعجيل الأمر قبل مجىء (وقته)(٢)، وقد كان الله تعالى أخَّر عقوبة الاصطلام عن المشركين

(١) رواه مسلم (٧/ ٧٩/ رقم٩٨٣)، وأبو داود (٢/ ١١٥/ رقم ١٦٢٣، وأحمد (٢/ ٣٢٢) وأصل الحديث بدون هذه اللفظة فى البخارى (٣/ ٣٨٨)، والنسائي (٥/ ٣٣ رقم ٢٤٦٤) كلهم من حديث أبى هريرة.

(٢) فى «ك»: وحيه وهو خطأ.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ

كرامة للنبى ﷺ. والسيئة هاهنا هى العقوبة، والحسنة: العافية، ومعناه: أنهم يطلبون العقوبة بدلا من العافية، وقد دلَّ على هذا قوله تعالى: ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء﴾(١) وقوله تعالى: ﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾(٢).

وقوله: ﴿وقد خلت من قبلهم المثلات﴾ روى عن مجاهد أنه قال: المثلات الأمثال، والأكثرون أن المثلات العقوبات، وقرأ الأعمش: «المَثلات» بفتح الميم وكسر التاء، وحكى عنه أنه قرأ: «المُثْلات» بضم الميم وتسكين)(٣) الثاء، والمعانى متقاربة.

وقوله: ﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم﴾ معناه: لذو تجاوز عن الناس على ظلمهم ﴿وإن ربك لشديد العقاب﴾ وفى بعض المسانيد عن سعيد بن المسيب «أن النبى ﷺ قال لما نزلت هذه الآية: لولا فضل الله وتجاوزه ما هنىء أحد العيش، ولولا وعيده وعقوبته لاتكل كل أحد»(٤).

قوله تعالى: ﴿ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه﴾ معناه: لولا أنزل عليه آية مما نقترحها، وإلا فالآيات قد كانت نازلة عليه.

وقوله: ﴿إنما أنت منذر﴾ مخوف أو مبلغ للوحى بالإنذار.

وقوله: ﴿ولكل قوم هاد﴾ فيه أقوال، الأكثرون أن معناه: ولكل قوم نبى يدعوهم إلى الله، والقول الثانى: ولكل قوم هادٍ، يعنى: محمداً ﷺ وقيل: الهادى هو الله.

قوله تعالى: ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى﴾ معناه: الله يعلم ما تحمل كل أنثى

(١) الأنفال: ٣٢.
(٢) المعارج: ١.
(٣) فى «ك»: وسكون.
(٤) غراه الزيلعى في تخريج الكشاف (٢/ ١٨٣) لابن أبى حاتم فى تفسيره، والثعلبى فى تفسيره، والواحدى فى تفسيره الوسيط.

الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ

من ذكر أو أنثى، أو سوى الخلق أو غير سويه، أو واحد أو اثنين أو أكثر.

قوله: ﴿وما تغيض الأرحام وما تزداد﴾ الغيض هو النقصان، هكذا قال مجاهد وغيره، وفي بعض الأخبار أن النبي ﷺ قال: «إذا كان المطر قيظًا، والولد غيظًا، وغاض الكرام غيضا، وفاض اللئام فيضا»(١) الخبر.

وفي غيض الأرحام وزيادتها ثلاثة أقوال: الأول: أنه النقصان عن سبعة أشهر، والزيادة على تسعة أشهر، والثاني أنه: النقصان بإسقاط السقط، والزيادة بتمام الخلق، والثالث: أنه النقصان بالحيض على الحمل، والزيادة بعدم الحيض على الحمل؛ فإن الولد ينتقص إذا اهراقت المرأة الدم على الحمل وتتم إذا لم تهرق. وعن مكحول أنه قال: دم الحيض غذاء الولد في الرحم.

وقوله: ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾ أي: بتقدير.

وقوله تعالى: ﴿عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال﴾ يعني: المتعال عما يقوله المشركون.

قوله تعالى: ﴿سواء منكم من أسر القول ومن جهر به﴾ الآية معناه: يستوى في علم الله المسر بالقول والجاهر به.

وقوله: ﴿ومن هو مستخف بالليل﴾ أي: مستتر بظلمة الليل وقوله: ﴿وسارب بالنهار﴾ أي: ظاهر ذاهب بالنهار، والسرب: الطريق، تقول العرب: خلِّ له سربه أي:

(١) رواه الطبراني في الأوسط كما في مجمع البحرين (٧/ ٢٩٥/ رقم٤٤٨٠) من حديث عائشة مرفوعاً، وتمامه: «ويجترئ الصغير على الكبير، واللئيم على الكريم».
وقال الطبراني: لا يروى عن عائشة إلا بهذا الإسناد، تفرد به مؤمل.
وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٣٢٨): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه جماعة لم أعرفهم. و وروى هذا الكلام من حديث حذيفة بن اليمان في أثناء حديث طويل رواه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٥٨ - ٣٥٩) وقال: غريب من حديث عبد الله بن عبيد بن عمير، لم يروه فيما أعلم إلا فرج بن فضالة.

﴿١٠﴾ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ

طريقه، وزعم بعض أهل المعاني أن قوله: ﴿ومن هو مستخف بالليل﴾ أي: ظاهر بالليل، يقال: خفيت إذا ظهرت، وأخفيت إذا كتمت، قال الشاعر:

خفاهن من أنفاقهن كأنما … خفاهنَّ وَدْقٌ من سحابٍ مركب

وقوله: ﴿وسارب بالنهار﴾ أي مستكن بالنهار، يقال: أسرب الوحش إذا استكن، والقول الأول هو الأصح.

قوله تعالى: ﴿له معقبات من بين يديه ومن خلفه﴾ الآية، في الآية أقوال، أظهرها: أن المعقبات: الملائكة، والمعقبات المتداينات، يعني: يذهب بعضها ويأتي البعض في عقبها، وقد صح برواية أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: إن لله ملائكة يتعاقبون بينكم، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر فيعرج الذين باتوا فيكم؛ فيقول الله لهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون، وتركناهم وهم يصلون»(١).

القول الثاني هو ما روي عن عكرمة قال: الآية في الأمراء وحرسهم.

والقول الثالث: ما روي عن ابن جريج أنه قال: الآية في الذي يقعد عن اليمين والشمال يكتب، وذلك في قوله تعالى: ﴿إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد﴾(٢).

وقوله: ﴿يحفظونه من أمر الله﴾ الأكثرون على أن قوله: ﴿من أمر الله﴾ ومعناه: أنهم يحفظونه بإذن الله، فإذا جاء القدر خلوا بينه وبينه، وفي بعض الآثار: «أن الله تعالى يوكل ملائكة بالنائم يحفظونه من الحي والهوام فإذا قصده شيء، قالوا: وراءك وراءك إلا شيئًا قدر أن يصيبه.

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٦/ ٣٥٣/ رقم ٣٢٢٣)، ومسلم (٥/ ١٨٦ رقم ٦٣٢).

(٢) ق: ١٧.

حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ

وروى عمرو بن أبى جندب: كنا عند سعيد بن قيس الهمدانى، فجاء عليٌّ يتوكأ على عنزة له، فقلنا له: يا أمير المؤمنين، أما تخاف أن يغتالك أحد؟ فقال: إن الله تعالى قد وُكِّل بابن آدم ملائكة يحفظونه، فإذا جاء القدر خلوا بينه وبينه.

وفى قوله: ﴿من أمر الله﴾ قول آخر، وهو أنه على المعنى التقديم والتأخير، وكأن الله تعالى قال: له معقبات من أمره يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وقيل: من أمر الله: مما أمر الله به من الحفظ عنه. وعن ابن عباس أنه قرأ: «له معقبات من بين يديه ورقباء من خلفه». وقرئ فى الشاذ: «له معاقيب من بين يديه ومن خلفه».

وقوله: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم﴾ معناه: لا يغير شيئًا بقوم من النعمة ﴿حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ بالمعصية.

وقوله: ﴿وإذا أراد الله بقوم سوءًا﴾ فى الآية رد على القدرية صريحا، ومعناه: بلاء وعذابا ﴿فلا مرد له﴾ أى: لا راد له. ﴿وما لهم من دونه من وال﴾ أى: من ولى يمنعهم وينصرهم، قال الشاعر:

ما فى السماء سوى الرحمن من وال

قوله تعالى: ﴿هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا﴾ البرق: نور مضىء شبه عمود من نار من اتقاد السحاب، والتفسير المعروف عن السلف أن البرق مخاريق بأيدى الملائكة من نار يسوقون بها السحاب إلى حيث شاء الله تعالى.

وقوله ﴿خوفا وطمعا﴾ فيه أقوال: أحدها أن الخوف من الصاعقة، والطمع فى نفع المطر.

والثانى: أن الخوف للمسافر، فإن عادة المسافر أن يتأذى بالمطر، والطمع للمقيم، لأن المقيم يرجو الخصب بالمطر.

والثالث: أن الخوف من المطر فى غير إبانه، وفى غير مكانه، والطمع إذا كان فى إبانه ومكانه من البلدان [فمنهم][1] إذا مطروا قحطوا، مثل مصرَ وغيره، وإذا لم يمطروا أخصبوا.

وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ «أن الله تعالى يقول: لو أن عبادى أطاعونى أسقيتهم المطر بالليل، وأطلعت عليهم الشمس بالنهار، ولم أسمعهم صوت الرعد»[2].

وقوله: ﴿وينشىء السحاب الثقال﴾ يعنى: الثقال بالماء، وعن على رضى الله عنه أنه قال: السحاب غربال السماء. وعن ابن عباس أنه قال: إن الله تعالى خلق السحاب كل سبع سنين مرة.

وقوله: ﴿ويسبح الرعد بحمده﴾ أكثر المفسرين أن الرعد ملك، والمسموع من الصوت تسبيحه، وهذا مروى عن النبى ﷺ حين سأله اليهود عن الرعد، وذكر فيه أن الصوت هو زجره للسحاب[3]، وقد حكى هذا عن ابن عباس وعلى ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن. وعن قتادة قال: هذا عبد لله تعالى سامع مطيع.

---

(١) فى «الأصل وك»: أنهم.

(٢) رواه أحمد (٢/٣٥٩)، والطيالسى (ص٣٣٧/ رقم ٢٥٨٦)، والحاكم (٢/٣٤٩) وقال: صحيح الإسناد. وتعقبه الذهبى بقوله: بل صدقة واهٍ: والبيهقى فى الزهد (ص٢٨١ رقم ٧١٩)، كلهم عن أبى هريرة، وقال الهيثمى فى المجمع (٢/٢١٤): ومداره على صدقة بن موسى الدقيقى، ضعفه ابن معين وغيره، وقال مسلم بن إبراهيم: حدثنا صدقة الدقيقى وكان صدوقًا.

وذكر البيهقى له طريقاً آخر عن أبى سعيد (ص٢٨٠ - ٢٨١ رقم ٧١٨) وأشار إلى تخطئتها.

ورواه ابن الجوزى فى العلل (٢/٩٧١) من طريق الدارقطنى عن أبى سعيد وقال: الحديث غير ثابت.

(٣) رواه الترمذى (٥/٢٧٤/ رقم ٣١١٧) وقال: حسن غريب، والنسائى فى الكبرى (٥/٣٣٦ - ٣٣٧ رقم ٩٠٧٢)، وأحمد (١/٢٧٤)، وأبو الشيخ فى العظمة (ص ٢٦٥ رقم ٧٦٩) عن ابن عباس مرفوعًا.

وعزاه السيوطى فى الدر (٤/٥٨) لابن المنذر، وابن أبى حاتم؛ وابن مردويه، وأبى نعيم فى الدلائل، والضياء فى المختارة.

وفى الآثار : أن الإنسان إذا سمع الرعد ينبغى أن يقول : سبحان من سبحت له . روى هذا عن ابن الزبير وغيره، وعن عبد الله بن عباس قال : من قال إذا سمع صوت الرعد : سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شىء قدير؛ فإن أصابته صاعقة فعلىَّ ديته .

وعن محمد بن على الباقر قال : الصاعقة تصيب المسلم وغير المسلم ولاتصيب الذاكر .

وفى الرعد قول آخر، وهو أنه صوت اصطكاك الأجرام العلوية . والصحيح هو الأول، وقيل أيضاً : إن الرعد نطق السحاب، والبرق ضحكه .

وقوله ﴿ والملائكة من خيفته ﴾ يعنى : وتسبح الملائكة من خيفته . وعن ابن عباس أن لله تعالى ملائكة يبكون من خشيته من يوم خلقهم، وملائكة فى الركوع، وملائكة فى السجود، وملائكة فى التسبيح لايشغلهم عن ذلك شىء .

وقوله : ﴿ ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء ﴾ الصاعقة : هى العذاب المهلك، وهى تنزل من البرق فى بعض الأحوال فتحرق ما تصيبه، والآية نزلت فى شأن أربد بن ربيعة حين جاء إلى النبى ﷺ فقال : مم ربك؟ أمن در أو ياقوت أو من ذهب [أو من فضة](١)؟ فنزلت صاعقة من السماء فأحرقته، ورثاه أخوه لبيد بن ربيعة، فقال :

أخشى على أربَد الحتوف ولا … أرهب نَوْءَ السماك والأسد

فجّعنى البرق والصواعق بالفا … رس يوم الكريهة النجد

ويقال : إنه جاء مع عامر بن طفيل، وقصد الفتك بالنبى ﷺ فجفت يده على قائمة السيف، فلما خرج من عند رسول الله ﷺ أصابته صاعقة فى يوم صحو قائظ، فأما عامر فأصابته غُدة، ومات فى بيت سلولية، وجعل يقول : أغدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية .

وروى « أن يهوديا أتى النبى ﷺ وسأله : ممَّ ربك؟ فنزلت صاعقة وأحرقته » .

---

(١) من « ك » :

اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي

وقوله: ﴿وهم يجادلون فى الله﴾ يعنى: يخاصمون ويقولون فى الله ما لايعلمون وقيل: وهم يجادلون فى الله: يكذبون بعظمة الله.

وقوله: ﴿وهو شديد المحال﴾ قال ابن عباس: شديد الحول، ومنه قوله: لا حول ولا قوة إلا بالله، وقيل: شديد المحال شديد الانتقام. وعن على - رضى الله عنه - شديد الأخذ. وقيل: شديد الإهلاك. وقيل: شديد المكر. وقال الشاعر:

فرع نبع يهتَزُّ فى غصن المجـ ... ـد عزيز الندى شديد المحال

وقرئ فى الشاذ: «شديد المَحال» بنصب الميم.

قوله تعالى: ﴿له دعوة الحق﴾ هى شهادة أن لا إله إلا الله، هذا روى عن ابن عباس وغيره، وقيل: دعوة الحق هو الدعاء بالإخلاص، والدعاء بالإخلاص لايكون إلا لله، ألا ترى أن الله تعالى قال: ﴿[فادعوا](١) الله مخلصين له الدين﴾(٢).

قوله: ﴿والذين يدعون من دونه﴾ يعنى: الأصنام ﴿لايستجيبون لهم بشىء﴾ يعنى: لايجيبون لهم شيئًا. وقوله: ﴿إلا كباسط كفيه إلى الماء﴾. فيه قولان: أحدهما: أنه كالقابض على الماء، ومن قبض على الماء لم يبق فى يده شىء. قال الشاعر:

فأصبحت (فيما)(٣) كان بينى وبينها ... من الودّ مثل القابض الماء باليد

والقول الثانى - وهو المعروف - أن قوله: ﴿كباسط كفيه إلى الماء﴾ يعنى: كالعطشان المشير بكفه إلى الماء، وبينه وبين الماء مسافة لايصل إليه؛ فهو يشير بكفه ويدعو بلسانه، ولايصل إليه؛ فكذلك من يدع الأصنام بدفع أو نفع لايصل إلى شىء بدعائه. وقوله: ﴿ليبلغ فاه﴾ يعنى: ليناله فاه ﴿وما هو ببالغه﴾ وما هو بنائله.

---

(١) في «الأصل وك»: ادعوا.

(٢) غافر: ١٤.

(٣) فى «ك»: ما.

ضَلالٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴿١٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ

وقوله: ﴿وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال﴾ يعنى: إلا فى خطأ وبطلان.

قوله تعالى: ﴿ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها﴾ يعنى: يسجد من فى السموات طوعًا، ويسجد من فى الأرض بعضهم طوعا وبعضهم كرها. والسجود هو الخضوع بالتذلل، وقيل: إن سجود الأشياء [هو][(1)] تذللها وتسخيرها لما أريد له وسخر له. وقوله: ﴿وظلالهم﴾ قالوا: ظل الكافر يسجد طوعا، والكافر يسجد كرها، وظل المؤمن يسجد طوعا، وكذا المؤمن يسجد طوعا، هذا هو القول المنقول عن السلف. وقيل: إن سجود الظل هو تسخيره وتذليله لما أريد له. وقيل: إن معنى قوله: ﴿وظلالهم﴾ أشخاصهم ﴿بالغدو والآصال﴾ بالبكر والعشايا.

قوله تعالى: ﴿قل من رب السموات والأرض﴾ معناه: قل يامحمد: من رب السموات والأرض؟ ثم أمره بالإجابة، وقال: ﴿قل الله﴾ وروى أنه إنما قال هذا للمشركين، عطفوا عليه، وقالوا: أجب أنت، فأمره الله، وقال: ﴿قل الله﴾ وإنما صحت هذه الإجابة معهم؛ لأنهم كانوا يقرون أن الله خالقهم وخالق السموات والأرض.

وقوله: ﴿قل أفاتخذتم من دونه أولياء﴾ معناه: أنكم مع إقراركم أن الله خالقكم وخالق السموات والأرض اتخذتم من دونه أولياء يعنى: الأصنام. ﴿لايملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا﴾ يعنى: أنهم عجزة، فإذا لم يملكوا لأنفسهم نفعا ولا ضرا، فكيف يملكون لكم؟.

وقوله: ﴿قل هل يستوى الأعمى والبصير﴾ ضرب مثلا للمؤمن والكافر والإيمان والكفر؛ فقال: ﴿قل هل يستوى الأعمى والبصير﴾؟ ﴿أم هل تستوى الظلمات

(1) من «ك». وفي «الأصل»: هي.

وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ

والنور﴾ أى: كما لايستوى الأعمى والبصير والظلمات والنور؛ فكذلك لايستوى المؤمن والكافر والإيمان والكفر.

وقوله: ﴿أم جعلوا لله شركاء﴾ يعنى: أَجعلوا لله شركاء ﴿خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم﴾ أى: اشتبه ما خلقوه بما خلقه الله، ومعنى الآية: أنهم كما عرفوا أن الأصنام لاتخلق كخلق الله؛ فلا ينبغى أن تعبد كعبادة الله.

وقوله: ﴿قل الله خالق كل شيء﴾ ظاهر المعنى. وقوله ﴿وهو الواحد القهار﴾ الواحد: هو الشيء الذى لاينقسم، وقد يكون شيئين لاينقسم فى معنى، ويسمى واحد، مثل قولهم: دينار واحد؛ لأنه لاينقسم فى الدينارية. والقهار: الغالب الذى لايغلبه شيء، وفى بعض الأخبار: «سبحان من تعزز بقدرته وقهر عباده بالموت».

قوله تعالى: ﴿أنزل من السماء ماء﴾ هذا مثل ضربه الله فى القرآن، وضرب الأودية مثلاً للقلوب، فقوله: ﴿أنزل من السماء ماء﴾ أى: مطرا ﴿فسالت أودية بقدرها﴾ قرئ: «بقدرها»، قرأها أبو الأشهب العقيلى، والمعنى: بقدرها من الصغر والكبر، وكذلك القلوب تحمل القرآن بقدرها من الضيق والسعة.

وقوله: ﴿فاحتمل السيل زبدا رابيا﴾ الزبد: هو الخبث الذى يظهر على وجه الماء، وكذلك على وجه القِدْر، وكذلك على فم البعير. وقوله: ﴿رابيا﴾ أى: طافيا عاليا تم المثل الأول ها هنا. ثم ذكر مثلا ثانيا، وهو قوله تعالى ﴿ومما يوقدون عليه فى النار﴾ ومن الذى توقدون عليه، الإيقاد: جعل النار تحت الشيء ليذوب.

وقوله: ﴿ابتغاء حلية﴾ معناه: لطلب الحلية، والذى أُوقد عليه ها هنا هو الذهب والفضة؛ لأن الحلية تطلب منهما. وقوله: ﴿أو متاع﴾ معناه: أو طلب متاع، وذلك من الصفر والنحاس وغيره يوقد عليها، والمتاع: هو الأوانى المتخذة من هذه الأشياء.

الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ أُوْلَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ

وقوله: ﴿ زبد مثله ﴾ أى: زبد مثل زبد الماء ﴿ كذلك يضرب الله الحق والباطل ﴾ أى: كذلك يبين الله الحق والباطل بضرب المثل، ثم قال: ﴿ فأما الزبد فيذهب جفاء ﴾ يعنى ضائعا باطلا، يقال: أجفأتْ القدْرُ، إذا زبدت من جوانبها، وذهب الزبد. وذكر أبو زيد اللغوى أن رؤبة بن العجاج قرأ: « فأما الزبد فيذهب جُفَالا » والمعنى قريب من الأول.

وقوله: ﴿ وأما ما ينفع الناس فيمكث ﴾ يعنى: الماء والذهب والفضة والحديد والرصاص والصفر والنحاس. قوله: ﴿ فيمكث فى الأرض ﴾ أى: يبقى ولايذهب.

وقوله: ﴿ كذلك يضرب الله الأمثال ﴾ جعل هذا مثلا للحق والباطل فى القلوب، يعنى: أن الباطل كالزبد يذهب ويضيع ويهلك، والحق كالماء وكهذه الأشياء يمكث ويبقى فى القلوب، وقال بعضهم: هذا تسلية للمؤمنين، يعنى أن أمر المشركين كذلك الزبد، يُرى فى الصورة شيئا ثابتا وليس له حقيقة. وأمر المؤمنين كالماء المستقر فى مكانه، فله الثبات والبقاء، يقال: للباطل جولة، و للحق دولة.

قوله تعالى: ﴿ للذين استجابوا لربهم الحسنى ﴾ الآية، قد بينا أن الاستجابة والإجابة بمعنى واحد. وقوله: ﴿ الحسنى ﴾ الأكثرون أنها الجنة، وقيل: هو الرزق والعافية فى الدنيا والنعيم فى الآخرة، والحسنى فُعْلى من الحسن.

وقوله: ﴿ والذين لم يستجيبوا له ﴾ أى: لم يجيبوا له. وقوله: ﴿ لو أن لهم ما فى الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به ﴾ يعنى: لبذلوا ذلك افتداء من النار.

وقوله: ﴿ أولئك لهم سوء الحساب ﴾ رُوى عن إبراهيم النخعى أنه قال لفرقد: يافريقد، أتدرى ما سوء الحساب؟ هو أن يحاسب على جميع الذنوب ولايغفر منها شيئا. وقد صح عن النبى ﷺ برواية عائشة - رضى الله عنها -: « من نوقش الحساب

جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٨﴾ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً

عُذّب »[١] وفي رواية « هلك »[٢] وقيل: إن سوء الحساب هو أن لايقبل حسنة، ولايعفو عن سيئة. وقوله: ﴿ومأواهم جهنم﴾ أى: مستقرهم جهنم.

وقوله: ﴿وبئس المهاد﴾ أى: بئس ما مهدوا لأنفسهم أى: بئس ما مهد لهم.

قوله تعالى: ﴿أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى﴾ نزلت الآية فى حمزة بن عبد المطلب وأبى جهل بن هشام، فالأول حمزة والثانى أبو جهل، وقيل: فى عمار بن ياسر وأبى جهل.

وقوله: ﴿إنما يتذكر أولو الألباب﴾ أى: يتعظ أولو الألباب، ومعنى الآية: أن من يبصر الحق ويتبعه، ومن لايبصر الحق ولايتبعه لايستويان أبدا.

قوله تعالى: ﴿الذين يوفون بعهد الله﴾ ظاهر المعنى، وقيل: عهد الله تعالى ما أخذه الله تعالى من العهد على ذرية آدم حين أخذهم من صلبه.

وقوله: ﴿ولاينقضون الميثاق﴾ هو تحقيق الوفاء السابق.

وقوله: ﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل﴾ يعنى: يؤمنون بجميع الأنبياء، وقيل: يصلون الرحم ولايقطعونه.

وقوله: ﴿ويخشون ربهم﴾ أى: يخافون ربهم ﴿ويخافون سوء الحساب﴾ أى: يرهبون سوء الحساب، وسوء الحساب قد بيّنا.

وقوله: ﴿والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم﴾ يعنى: صبروا على أمر الله [طلبًا لرضا][٣] ربهم، وقيل: صبروا على الفقر، وعلى المصائب والبلايا، وقيل: صبروا عن

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري (١١ / ٤٠٧ رقم ٦٥٣٦)، ومسلم (١٧ / ٣٠٢ - ٣٠٣ رقم ٢٨٧٦).

(٢) متفق عليه أيضًا، رواه البخاري (١ / ٤٠٧ / رقم ١٠٣)، ومسلم (١٧ / ٣٠٣ رقم ٢٨٧٦).

(٣) فى « الأصل وك »: طلب رضا.

وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾

المعاصي وقيل: صبروا عن شهوات الدنيا ولذاتها.

وقوله: ﴿ويدرءون بالحسنة السيئة﴾ يعني: يدفعون السيئة بالحسنة، وهو معنى قوله: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾(١) ومعنى قوله عليه السلام: «إذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها». وفي الآية قول آخر وهو أن السيئة: الذنب. والحسنة: التوبة. ومعناه: يدفعون الذنب بالتوبة وفي الخبر: «ما من شيء أدرك لشيء من توبة حديثة لذنب قديم».

قوله: ﴿أولئك لهم عقبى الدار﴾ أي: الجنة، ومعناه: لهم عاقبة دار الثواب. قوله: ﴿جنات عدن يدخلونها﴾ أي: بساتين [للإقامة](٢).

وقوله: ﴿يدخلونها﴾ معناه معلوم. وقوله: ﴿ومن صلح من آبائهم﴾ أي: ويدخلها من صلح من آبائهم ﴿وأزواجهم وذرياتهم﴾ وفي الخبر: أن المؤمن يدخل الجنة، فيرى ذريته فيها، فيقول: متى دخلتم فيها؟ فيقولون: نحن منذ قديم ننتظرك، والله أعلم.

وقوله: ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب﴾ يعني: من أبواب الجنة، وقيل: من أبواب القصور. وقوله: ﴿سلام عليكم﴾ يعني: يسلمون عليهم سلاما، وقيل: يقولون: قد سلمكم الله من الآفات التي كنتم تخافونه منها، وفي الآثار أنهم - يعني: الملائكة - يأتون بالتحف والهدايا من الله تعالى بقدر كل يوم من أيام الدنيا [ثلاث](٣) عشرة مرة. وقوله: ﴿بما صبرتم﴾ قد بينا. وقوله: ﴿فنعم عقبى الدار﴾ أي: نعم عاقبة الدار.

---

(١) هود: ١١٤.

(٢) في «الأصل وك»: إقامة.

(٣) في «الأصل وك»: ثلاثة.

سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ

قوله تعالى: ﴿والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه﴾ ظاهر، وهذا وارد فى الكفار. وقوله تعالى: ﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل﴾ يعنى: يؤمنون ببعض الأنبياء، ويكفرون بالبعض، وقيل: يقطعون الرحم.

وقوله: ﴿ويفسدون فى الأرض﴾ يعنى: يعملون فيها بالمعاصى. وقوله: ﴿أولئك لهم اللعنة﴾ أى: البعد من رحمة الله. وقوله: ﴿ولهم سوء الدار﴾ أى: سوء المنقلب لأن المنقلب: منقلب الناس إلى الدار.

قوله: ﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ يعنى: يوسع على من يشاء، ويضيق على من يشاء. وقوله: ﴿وفرحوا بالحياة الدنيا﴾ الفرح: لذة فى القلب بنيل المشتهى، وهذا دليل على أن الفرح بالدنيا حرام منهى عنه.

قوله: ﴿وما الحياة الدنيا فى الآخرة إلا متاع﴾ يعنى: إلا قليل، ويقال: كمتاع الراكب، وقد صح عن النبى ﷺ أنه قال: «ما الدنيا فى الآخرة إلا كما يجعل أحدكم أصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع»(١).

وقوله تعالى: ﴿ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه﴾ يعنون الآية المقترحة؛ فإن قال قائل: لم لايجوز أن يجيبهم إلى الآية المقترحة، ولعلها تكون سببا لإيمانهم؟ والجواب: أن الآية المقترحة لانهاية لها، وإن وجب فى المصلحة أن يجيب واحدا، وجب أن يجيب آخر، إلى ما يتناهى.

وقوله: ﴿قل إن الله يضل من يشاء﴾ ظاهر المعنى. وقوله: ﴿ويهدى إليه من أناب﴾ معناه: ويهدى إليه من يشاء بالإنابة، وفى الآية رد على القدرية، والله الهادى إلى الصواب بمنه.

---

(١) تقدم في تفسير سورة التوبة.

اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ

وقوله تعالى: ﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ﴾ أى: تسكن قلوبهم بذكر الله، وقيل: تستأنس قلوبهم بذكر الله، والسكون باليقين، والاضطراب بالشك، قال الله تعالى فى شأن المشركين: ﴿ إذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة ﴾(١) أى: اضطربت، وقال فى المؤمنين ﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ﴾.

وقوله: ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ معناه: ألا بذكر الله تسكن القلوب، وطمأنينة القلب بزوال الشك منه واستقرار اليقين فيه، فإن قال قائل: أليس الله تعالى قال: ﴿ وجلت قلوبهم ﴾(٢) فكيف توجل وتطمئن فى حالة واحدة؟ والجواب: أن الوجل بذكر الوعيد والعقاب، والطمأنينة بذكر الوعد والثواب، فكأنها توجل إذا ذكر عدل الله وشدة حسابه، وتطمئن إذا ذكر فضل الله وكرمه.

قوله تعالى: ﴿ الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ معناه: وعملوا الطاعات. وقوله: ﴿ طوبى لهم ﴾ فيه أقوال: روى عن أبى هريرة وأبى أمامة وأبى الدرداء وعن ابن عباس برواية الكلبى أنهم قالوا: طوبى شجرة فى الجنة تظلل الجنان كلها.

وفى بعض الأخبار أن أصلها فى منزل النبى ﷺ وقصره، وفى كل قصر من قصور الجنة غصن منها، وعليها من جميع أنواع الثمر، وتقع عليها طيور كالبخت إذا رآها المؤمن واشتهى منها سقطت بين يديه، فيأكل منها ما شاء ثم تطير، وفى بعض الأخبار: أن رجلا لو ركب حُقًّا أو جذعًا، وجعل يطوف بأصلها لقتله الهرم، ولم يبلغ إلى الموضع الذى ابتدأ منه.

والقول الثانى: أن طوبى اسم الجنة، قال مجاهد: هى اسم الجنة بالحبشية. وعن عكرمة: طوبى لهم أى نعماء لهم، وعن إبراهيم النخعى: أى خير وكرامة لهم، وعن

(١) الزمر: ٤٥.

(٢) الأنفال: ٤، الحج: ٣٥.

مئاب ﴿٢٩﴾ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾

الضحاك: طوبى لهم أى: غبطة لهم. والأقوال متقاربة فى المعنى، قال الزجاج: طوبى فعلى من الطيب، ومعناها: العيش الطيب لهم.

وقوله: ﴿وحسن مآب﴾ أى: حسن منقلب.

قوله تعالى: ﴿كذلك أرسلناك فى أمة﴾ الآية. معنى كاف التشبيه ها هنا: إنا كما أرسلنا الأنبياء إلى سائر الأمم؛ كذلك أرسلناك إلى هذه الأمة.

قوله: ﴿قد خلت من قبلها أمم﴾ أى: قد مضت من قبلها أمم. قوله: ﴿لتتلوا عليهم الذى أوحينا إليك﴾ أى. لتقرأ عليهم الذى أوحينا إليك.

وقوله: ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾ فيه قولان: أحدهما: قال ابن جريج: الآية مدنية فى قصة الحديبية فإن سهيل بن عمرو لما جاء واتفقوا على أن يكتبوا كتاب الصلح، كتب على رضى الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم، فقالوا: لانعرف الرحمن، اكتب كما نكتب نحن: باسمك اللهم ... القصة، فهذا معنى قوله: ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾.

والقول الثانى - وهو المعروف - أن الآية مكية، وسبب نزولها أن أبا جهل سمع النبى ﷺ وهو فى الحِجْر يدعو ويقول: «يا الله، يا رحمن». فرجع إلى المشركين، وقال: إن محمداً يدعو إلهين يدعو الله، ويدعو آخر يسمى الرحمن ولا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأنزل أيضا قوله تعالى: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾(١).

وقوله: ﴿ قل هو ربى﴾ يعنى قل: الرحمن ربى ﴿لا إله إلا هو عليه توكلت﴾ عليه اعتمدت وبه وثقت ﴿وإليه متاب﴾ يعنى: وإليه التوبة، والتوبة هى الندم على ما سلف من الجرائم مع الإقلاع عنها فى المستقبل.

---

(١) الإسراء: ١١٠.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ الأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا

قوله تعالى: ﴿ولو أن قرآنا سيرت به الجبال﴾ روى أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: سل ربك أن يُسير هذه الجبال التى بمكة فتتسع أرضنا ونتخذ فيها المزارع، وسل ربك أن يقرب إلينا الشام، فإن إليه متاجرنا وقد أبعد عنا، وقالوا أيضا: سل ربك أن يخرج لنا الأنهار ويشق العيون فى الأرض لنغرس الأشجار، ونتخذ البساتين، وسل ربك أن يبعث لنا جماعة من الموتى فنسألهم عن أمرك، وأحى لنا قصيا؛ فإنه كان شيخًا مباركًا حتى نسأله عن أمرك. وفى بعض الروايات أنهم قالوا: سل ربك بالقرآن الذى أنزل عليك أن يفعل هذا فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ولو أن قرآنا سيرت به الجبال﴾ معناه: ولو قضيت أن أسير الجبال بكتاب أو أقطع الأرض به أو أحيى به الموتى لفعلت بهذا القرآن.

فإن قيل: هذا الجواب الذى تقولون غير مذكور فى القرآن، وهذا زيادة؟

الجواب عنه، أن الجواب محذوف، والعرب تفعل مثل هذا، قال الشاعر:

فلو أنها نفس تموت سوية ... ولكنها نفس تساقط أنفسا

ومعناه: ولو أنها نفس واحدة لتسليت بها، ولكنها أنفس كثيرة. وذكر الفراء أن الجواب هو: ﴿ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى﴾ لم يؤمنوا؛ لما سبق فى علمنا من تركهم الإيمان.

معناه: أنا لو فعلنا بالقرآن الذى أنزل إليك ما سألوا، لم يؤمنوا أيضا. وقوله: ﴿بل لله الأمر جميعا﴾ معناه: بل لله الأمر جميعا فى هذه الأشياء؛ إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها.

وقوله: ﴿أفلم ييئس الذين آمنوا﴾ أكثر أهل المعانى على أن معناه: أفلم يعلم الذين آمنوا، وفى قراءة ابن عباس هكذا: «أفلم يتبين للذين آمنوا» وقد ورد هذا اللفظ بمعنى العلم فى لغة العرب، قال الشاعر:

تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ

أقول لهم بالشعب إذ يأسروننى ... ألـم تيئسوا أنى ابن فارس زهـدم

وقال آخر:

ألم ييئس الأبطـال أنى أنـا ابنـه ... وإن كنت عن أرض العشيرة نائيا

وأنكر الكسائى أن يكون هذا بمعنى العلم، وقال: إن العرب لاتعرف اليأس بمعنى العلم، قال: وإنما معنى الآية: أن أصحاب رسول الله ﷺ لما سمعوا هذا من المشركين طمعوا فى أن يفعل الله ما سألوا ويؤمنوا؛ فأنزل الله هذه الآية: ﴿أفلم ييئس الذين آمنوا﴾ يعنى: من الصحابة من إيمان هؤلاء القوم، وكل من علم شيئا فقد يئس عن خلافه وضده، وبعضهم قال معناه: أفلم يعلم الذين آمنوا من حال هؤلاء الكفار علما يوجب يأسهم عن إيمانهم، وقوله: ﴿أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة﴾ أى نازلة وبلية،وقيل: إن القارعة ها هنا: سرايا رسول الله ﷺ ﴿أو تحل قريبا من دارهم﴾ يعنى: أو تحل السرية قريبا من دارهم، وقيل: أو تنزل أنت قريبا من دارهم.

﴿حتى يأتى وعد الله﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه يوم القيامة، والقول الثانى: أنه يوم بدر.

وقوله: ﴿إن الله لايخلف الميعاد﴾ ظاهر المعنى.

قوله: ﴿ولقد استهزئ برسل من قبلك﴾ الاستهزاء: طلب الهزء، وقد كان الكفار يسألون هذه الأشياء على طريق الاستهزاء، فأنزل الله تعالى هذه الآية تسليةً للنبى ﷺ، معناه: ولقد استهزئ برسل من قبلك يعنى: كما استهزءوا بك، فقد استهزئ برسل من قبلك. ﴿فأمليت للذين كفروا﴾ معناه: فأمهلت وأطلت المدة لهم، ومنه المَلَوان وهو الليل والنهار. وقوله: ﴿ثم أخذتهم فكيف كان عقاب﴾ معناه: ثم أخذتهم فى الدنيا بالقتل، وفى الآخرة بالنار فكيف كان [عقابى][1] لهم.

---

(١) فى «الأصل وك»: عقاب.

كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ
سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي الأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا
مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ

قوله تعالى: ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾ أكثر المفسرين أن قوله: ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾ هو الله، والله تعالى لايجوز أن يسمى قائما على الإطلاق؛ لأن الشرع لم يرد به، ولأن القائم هو المنتصب، ويجوز أن يوصف بالقيام على التقييد، وهو أنه قائم على كل نفس بما كسبت، ومعنى قوله: ﴿قائم على كل نفس﴾: أنه المتولى لأحوالها وأعمالها وأرزاقها، وغير ذلك، وكذلك هو المتولى للمجازاة بكسب الخير والشر.

وقال بعضهم: معنى قوله: ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾ أى: عالم بكسب كل نفس، قال الشاعر:

فلولا رجال من قريش أعزة ... سرقتم ثياب البيت والله قائم

أى: عالم. وقوله: ﴿أفمن﴾ معناه: أفمن كان هكذا كمن ليس بهذا الوصف. وقوله: ﴿وجعلوا لله شركاء﴾ أى: وصفوا لله شركاء، وقوله: ﴿قل سموهم﴾ معناه: قل صفوهم بالصفات التى هى مستحقة لها، ثم انظروا هل هى أهل أن تعبد أو لا؟

قوله: ﴿أم تنبئونه بما لايعلم فى الأرض﴾ معناه: أم أنتم تنبئون الله بما لايعلم.

يعنى: تذكرون له شريكا وإلها آخر، وهو لايعلمه.

وقوله: ﴿أم بظاهر من القول﴾ يعنى أم تتعلقون بظاهر من القول لامعنى له، شبه المتجاهل الذى لايطلب حقيقة الأمر، وقيل: بظاهر من القول بباطل من القول: قال الشاعر:

وعيّرنى الواشون أنى أحبها ... وتلك شكاةٌ ظاهرٌ عنك عارها

أى: زائل، وحكى أن عبد الله بن الزبير أنشد هذا حين قيل له: يا ابن ذات النطاقين، وقصد القائل تعييره وذمه؛ فقال عبد الله بن الزبير:

وتلك شكاة ظاهر عنك عارها.

قوله: ﴿بل زُيّن للذين كفروا مكرهم﴾ أى: كفرهم. وقوله: ﴿وصدوا عن السبيل﴾ وقرئ: «وصُدوا» برفع الصاد، أى: فُعِل بهم ذلك. وقوله: ﴿وَصَدُّوا﴾

الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الأَحْزَابِ مَن

معناه: فعلوا هم ذلك، وقوله: ﴿ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿لهم عذاب فى الحياة الدنيا﴾ قد بينا العذاب فى الدنيا.

﴿ولعذاب الآخرة أشق﴾ يعنى: أشد. وقوله: ﴿وما لهم من الله من واق﴾ أى: من يقى.

وقوله: ﴿مثل الجنة التى وعد المتقون﴾ قرئ فى الشاذ: «أمثال الجنة التى وعد المتقون» [و] المعروف: ﴿مثل الجنة﴾ وفيه قولان: أحدهما: صفة الجنة التى وعد المتقون، والقول الثانى: مثل الجنة التى وعد المتقون جنة ﴿تجرى من تحتها الأنهار أكلها دائم﴾ أى: لاينقطع ثمرها ونعيمها.

فإن قال قائل: قد قال ها هنا: ﴿أكلها دائم﴾ وقال فى موضع آخر: ﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا﴾(١) فكيف التوفيق بين الآيتين؟

الجواب: أن الدوام بمعنى عدم الانقطاع، فإذا لم ينقطع ورزقوا بكرة وعشيًّا، فهو دائم. وقوله: ﴿وظلها﴾ هذا فى معنى قوله تعالى: ﴿وظل ممدود﴾(٢).

وفى الأخبار: «أن ظل شجرة واحدة فى الجنة يسير الراكب فيها مائة عام لايقطعه(٣)». وقوله تعالى: ﴿تلك عقبى الذين اتقوا﴾ معناه: تلك عاقبة الذين اتقوا. وقوله: ﴿وعقبى الكافرين النار﴾ أى: عاقبة الكافرين النار.

---

(١) مريم: ٦٢.

(٢) الواقعة: ٣٠.

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة، رواه البخاري (٦/٣٦٨ رقم ٣٢٥٢)، ومسلم (٧/ ٢٤٤ رقم ٢٨٢٦)، وروى من حديث سهل بن سعد، وأبي سعيد الخدري.

يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَئَابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ

قوله تعالى: ﴿ والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ﴾ الآية. روى أن [اليهود](١) الذين أسلموا كانوا يستقلون ذكر الرحمن فى القرآن مع كثرة ذكره فى التوراة، فلما كرر الله ذكر الرحمن فى القرآن فرحوا فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ والذين آتيناهم الكتاب يفرحون... ﴾ الآية.

وقوله: ﴿ ومن الأحزاب من ينكر بعضه ﴾ الأحزاب: هم الذين تحزبوا على النبى ﷺ. وقوله: ﴿ من ينكر بعضه ﴾ يعنى: ذكر الرحمن؛ لأنهم كانوا لاينكرون ذكر الله، وقوله: ﴿ قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعو وإليه مآب ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ وكذلك أنزلناه حكما عربيا ﴾ فيه قولان: أحدهما: قرآنًا عربيًا؛ لأن فيه الأحكام، والآخر نبيا عربيا؛لأن النبى ﷺ كان منهم، والقرآن نزل بلغتهم.

وقوله: ﴿ ولئن اتبعت أهواءهم ﴾ الهوى: ميل الطبع لشهوة النفس. وأكثره مذموم. قوله: ﴿ بعد ما جاءك من العلم ﴾ يعنى: من القرآن ﴿ مالك من الله من ولى ولا واق ﴾ يعنى: من ناصر ولا حافظ.

قوله تعالى: ﴿ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك ﴾ الآية، روى أن اليهود ذموا النبى ﷺ باستكثاره من النساء، وقالوا: هذا الرجل ليس له همة إلا فى النساء، فأنزل الله تعالى هذه الآية: وقيل: إن المشركين قالوا هذا؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿ ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية ﴾ ويقال: إنه كان لداود مائة امرأة، وقد صح الخبر فيه عن النبى ﷺ، ودل عليه الكتاب. وكان لسليمان [ألف](٢) امرأة

(١) فى «الأصل وك»: يهود.

(٢) فى «الأصل، وك»: مائة.

لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ

في الصحيح، ثلثمائة امرأة، وسبعمائة سرية؛ فهذا معنى قوله: ﴿وجعلنا لهم أزواجا وذرية﴾ وكذلك عامة الأنبياء تزوجوا وولد لهم.

وقوله: ﴿وما كان لرسول أن يأتى بآية إلا بإذن الله﴾ أى: إلا بأمر الله ﴿لكل أجل كتاب﴾ معناه: لكل أجل أجله الشرع كتاب أثبت فيه. وقيل: هذا على التقديم والتأخير، ومعناه: لكل كتاب أجل ومدة، ومعناه الكتب المنزلة وقيل: لكل أجل كتاب، أى: لكل قضاء قضاه الله تعالى وقت يقع فيه، وكتاب أثبت فيه.

قوله تعالى: ﴿يمحوا الله ما يشاء ويثبت﴾ فيه أقوال: روى عن ابن عباس أنه يمحو الله ما يشاء من الشريعة، أى: ينسخ. ويثبت ما يشاء، فلا ينسخ. وحكى عنه أيضا برواية سعيد بن جبير قال: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾ إلا الشقاوة والسعادة والحياة والموت، وعن عمر وعبد الله بن مسعود - رضى الله عنهم - أنهما قالا: يمحو الشقاوة والسعادة أيضا، ويمحو الأجل والرزق، ويثبت مايشاء. وكان عمر يقول: اللهم إن كنت كتبتنى شقيا فامحه واكتبنى ما تشاء سعيدا، فإنك قلت: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾. وفى بعض الآثار أن الرجل يكون قد بقى له من عمره ثلاثون سنة فيقطع رحمه، فيرد إلى ثلاثة أيام، والرجل يكون قد بقى له من عمره ثلاثة أيام فيصل رحمه فيمد إلى ثلاثين سنة. وقد ورد خبر يؤيد قول ابن عباس فى أنه لايمحى الشقاوة والسعادة والأجل والرزق، روى حذيفة بن أسيد عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا وقعت النطفة فى الرحم، ومضى عليها خمس وأربعون ليلة، قال الملك: يا رب، أذكر أم أنثى؟ فيقضى الله، ويكتب الملك، فيقول: يارب، أشقى أم سعيد؟ فيقضى الله تعالى، ويكتب الملك، فيقول: يارب ما الأجل؟ وما الرزق؟ فيقضى الله تعالى ويكتب الملك ثم لايزاد فيه ولاينقص. ذكره مسلم فى الصحيح(١).

(١) مسلم (١٦/ ٢٩٧ - ٢٩٩ رقم ٢٦٤٥)، ورواه أحمد (٤/ ٦-٧)، والحميدي (٢/ ٣٦٤ رقم ٨٢٦)، والآجري في الشريعة (ص١٨٢ - ١٨٣)، وابن أبي عاصم في السنة (ص٧٩، ٨٠ رقم ١٧٩، ١٨٠)، والطبراني في الكبير (٣/ ٧٤- ١٧٥ رقم ٣٠٣٦)، و(٣/ ١٧٧- ١٧٨ رقم ٣٠٤٣).

وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ

وفى الآية قول آخر، وهو قول الحسن: ﴿يمحو الله ما يشاء﴾ أى: يمحو من حضر أجله ويثبت ما يشاء من لم يحضر أجله، وفى الآية قول رابع: أن المراد منه أن الحفظة يكتبون جميع أعمال بنى آدم، فيمحو الله منها ما يشاء، وهو ما لاثواب عليه ولا عقاب، ويثبت ما يشاء وهو الذى يستحق عليه الثواب والعقاب، وقيل: ﴿يمحو الله ما يشاء﴾ أى: يمحو ما يشاء لمن عصاه فختم أمره بالطاعة، ويثبت بالمعصية لمن أطاع، وختم أمره بالمعصية. والمنقول عن السلف هى الأقوال التى ذكرناها قبل هذا القول.

وقوله: ﴿وعنده أم الكتاب﴾ معناه: وعنده أصل الكتاب، وأصل الكتاب: هو اللوح المحفوظ. وفى بعض الأخبار «أن الله تعالى ينظر فى الكتاب الذى عنده لثلاث ساعات يبقين من الليل؛ فيمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء، ويبدل ما يشاء ويقرر ما يشاء»(١).

وقوله تعالى: ﴿وإما نرينك بعض الذى نعدهم﴾ الآية. بعض الذين نعدهم، أى: قبل وفاتك ﴿أو نتوفينك﴾ وقبل أن نريك ذلك ﴿فإنما عليك البلاغ﴾ أى: التبليغ ﴿وعلينا الحساب﴾ يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿أو لم يروا أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها﴾ أكثر المفسرين على أن المراد من هذا هو فتح ديار الشرك، وسمى ذلك نقصانا؛ لأنه إذا زاد فى دار الإسلام فقدنقص من دار الشرك، وهذا قول ابن عباس وقتادة وجماعة. وعن ابن عباس – فى رواية أخرى – قال: هو موت الأخيار والعلماء. وحكى ذلك عن مجاهد. وقيل: ننقصها من أطرافها بخرابها، والساعة تقوم وكل الأرض خربة، ويقال فى منثور

(١) رواه الطبرى (١٣/ ١١٤)، والبزار – كما فى مختصر زوائده –(٢/ ٤٣٠ رقم ٢١٥٠)، و (٢/ ٤٦٢ رقم٢٢١٨) وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ١٥٨): رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط، والبزار بنحوه، وفيه زيادة بن محمد الأنصارى وهو منكر الحديث: وأعاده فى (١٠/ ٤١٥).

يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾.

الكلام: الأشراف على الأطراف ليقرب منهم الأضياف. وقوله: ﴿والله يحكم لامعقب لحكمه﴾ أي: لاراد ولاناقص لحكمه ﴿وهو سريع الحساب﴾ معلوم.

قوله تعالى: ﴿وقد مكر الذين من قبلهم﴾ المكر: إيصال المكروه إلى الإنسان من حيث لايشعر. قوله: ﴿فلله المكر جميعا﴾ أي عند الله جزاء مكرهم جميعا. وقيل: إن الله خالق مكرهم جميعا. وقوله: ﴿يعلم ما تكسب كل نفس﴾ ظاهر المعنى ﴿وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار﴾ لمن عاقبة الدار، والآية تهديد ووعيد. وقوله: ﴿ويقول الذين كفروا لست مرسلا﴾ ظاهر المعنى. وقوله: ﴿قل كفى بالله شهيدا﴾ أي: شاهدا ﴿بيني وبينكم﴾.

وقوله: ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾ قال قتادة: هو عبد الله بن سلام، وقيل: عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وتميم الداري، وعلى هذا جماعة من التابعين، وأنكر الشعبي وعكرمة وجماعة هذا القول، وقالوا: السورة مكية، وعبد الله بن سلام أسلم بالمدينة، وأيضا فإن الله تعالى كيف يستشهد بمخلوق، وإنما المراد منه هو الله تعالى. وقد قرأ ابن عباس: «ومِنْ عِنْدِهُ عِلْمُ الكتاب» وهذا يبين أن المراد [منه](١) هو الله تعالى.

وعنى عبد الله بن سلام نفسه، قال: أنا المراد بالآية.

وعن الحسن ومجاهد أن المراد هو الله.

وسعيد بن جبير قال: هو جبريل - عليه السلام - والصحيح أحد القولين الأولين، والله أعلم.

(١) من «ك».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ

تفسير ســـورة إبراهيـــم

وهى مكية إلا قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا﴾[1] إلى قوله: ﴿فإن مصيركم إلى النار﴾[2] والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿آلر﴾ معناه: أنا الله أرى، وقيل معناه: أنا الله الرحمن.

وقوله: ﴿كتاب أنزلناه إليك﴾ معناه: هذا كتاب أنزلناه إليك.

وقوله: ﴿لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾ معناه: من الضلالة إلى الهدى، ومن الكفر إلى الإيمان ومن الغواية إلى الرشد، وقيل: من البدعة إلى السنة.

والظلمة اسوداد الجو بما يمنع من البصر، والنور: بياض شعاعى يحصل به الإبصار. قوله: ﴿بإذن ربهم﴾ أى: بأمر ربهم، وقيل: بعلم ربهم.

وقوله: ﴿إلى صراط العزيز الحميد﴾ الصراط هو الدين، والعزيز الحميد هو الله تعالى. ومعنى العزيز: الغالب، ومعنى الحميد: هو المستحق للحمد فى أفعاله؛ لأنه إما متفضل أو عادل.

وقوله: ﴿الله الذى﴾ قرئ بالرفع والخفض، فمن قرأ بالخفض فهو مسبوق على قوله: ﴿العزيز الحميد﴾، ومن رفع فعلى تقدير هو الله.

وقوله: ﴿له ما فى السموات وما فى الأرض﴾ يعنى: له ملك السموات والأرض. وقوله: ﴿وويل للكافرين﴾ الويل: وادٍ فى جهنم، وقيل: إنه دعاء الهلاك. ﴿من

(١) إبراهيم: ٢٨.

(٢) إبراهيم: ٣٠.

عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ

عذاب شديد ﴾ أى: عذاب عظيم.

قوله: ﴿ الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ﴾ معناه: الذين يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة، ومعنى الإيثار: هو طلب الدنيا من غير نظر للآخرة، وذلك بأن يأخذ من حيث يجد، ولايبالى أنه حرام أو حلال. وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «يأتى على الناس زمان لايبالى المرء أخذ الدنيا بحلال أو بحرام»(١).

وقوله: ﴿ ويصدون عن سبيل الله ﴾ يعنى: يمتنعون عن قبول دين الله، ويمنعون الناس عن قبوله. ﴿ ويبغونها عوجًا ﴾ العوج فى الدين، والعوج فى الرمح والحائط، ومعنى الآية: ويطلبون دين الله زيغًا، وقيل: ويطلبون سبيل الله جائرين عن القصد، وقيل: يطلبون لمحمد الهلاك، ويقال: إن الكناية راجعة إلى الدنيا، ومعناه: يطلبون الدنيا على طريق الميل عن الحق، وذلك هو بجهة الحرام على ما قلناه.

وقوله: ﴿ أولئك فى ضلال بعيد ﴾ أى: فى خطأ طويل.

قوله تعالى: ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ﴾ والحكمة فى هذا: هو أنه إذا أرسله بلسان قومه عقلوا قوله، وفهموا عنه، فإن قال قائل: إن الله تعالى بعث النبى ﷺ إلى كل الخلق على ما قال: «بعثت إلى الأحمر والأسود»(٢) ولم يُبعث بلسان كل الخلق؟.

والجواب عنه: أن سائر الخلق تبع العرب فى الدعوة، وقد بعث بلسانهم ثم إنه بعث بالرسل إلى الأطراف يدعونهم إلى الله، وتُرْجِمَ لهم قوله ﷺ.

(١) رواه البخارى (٤ / ٣٤٧ رقم ٢٠٥٩)، والنسائى (٧/ ٢٤٣ رقم ٤٤٥٤)، وأحمد (٢ / ٤٥٢) وابن حبان فى صحيحه – الإحسان – (١٥ / ١٢٠ رقم٦٧٢٦)، والبيهقى فى الكبرى (٥ / ٢٦٤)، وفى الدلائل (٦ / ٥٣٥) كلهم من حديث أبى هريرة بنحوه.

(٢) رواه مسلم (٥ / ٥ /رقم٥٢١) من حديث جابر، ورواه البخارى أيضًا (١ /٥١٩رقم٣٣٥) بلفظ: «وبعثت إلى الناس عامة». وفى الباب عن غير واحد من الصحابة.

لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي

وقوله: ﴿ليبين لهم﴾ معناه ما بيَّنا. وقوله: ﴿فيضل الله من يشاء و يهدى من يشاء﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور﴾ يعنى: من الكفر إلى الإيمان.

وقوله: ﴿وذكرهم بأيام الله﴾ روى عن أُبىٍّ بن كعب أنه قال: معناه: بنعم الله. وفى بعض المسانيد نقل هذا مرفوعًا إلى النبى ﷺ (١). والقول الثانى: بأيام الله أى: بنقم الله. وقال بعضهم: بوقائع الله، يعنى: بما أوقع بالأمم الماضية، يقال: فلان عارف بأيام العرب، أى: بوقائعهم.

وقوله: ﴿إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ الصبار: كثير الصبر، والصبر: حبس النفس عما تنازع إليه النفس، وقد روى عن الشعبى أنه قال: الصبر نصف الإيمان، والشكر نصفه، واليقين هو الإيمان كله. والشكور: هو الكثير الشكر.

وقوله تعالى: ﴿وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم﴾ الآية أى: منة الله عليكم.

قوله: ﴿إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب﴾ قد بينا فى سورة البقرة.

وقوله تعالى: ﴿ويذبحون أبناءكم﴾ قال فى موضع بغير الواو، وقال ها هنا بالواو، وذكر الواو يقتضى أنه سبق الذبح عذاب آخر، وترك ذكر الواو يقتضى أن

(١) هو فى حديث موسى والخضر الطويل المتفق عليه، ولكن هذه اللفظة انفرد بها مسلم (١٥/ ٢٠٥ رقم ٢٣٨٠)، والنسائى فى الكبرى (٦/ ٣٧١ رقم١١٢٦٠)، و (٦/ ٣٨٧ - ٣٨٩ رقم ١١٣٠٧).

ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ

العذاب هو الذبح.

وقوله: ﴿ويستحيون نساءكم﴾ يعنى: يتركون قتل النساء، وفى الخبر: «اقتلوا شيوخ المشركين، واستحيوا شرخهم»(١). ﴿وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾ قيل: إن البلاء هو المحنة، وقيل: إن البلاء هو النعمة، وموضع النعمة فى الإنجاء من البلاء، وقيل معناه: اختبار من الله عظيم.

وقوله تعالى: ﴿وإذ تأذن ربكم﴾ أى: أعلم ربكم، والتأذين: الإعلام، والأذين والمؤذن هو المعلم، قال الشاعر:

ولم (تشعر)(٢) بضوء الصبح حتى ... سمعنا فى مساجدنا الأذينا

وقوله: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ الشكر هو الاعتراف بالنعمة على وجه الخضوع للمنعم. وقد حكى عن داود ﷺ أنه قال: يارب، كيف أشكرك ولم أؤد شكرك إلا بنعمة جديدة علىّ. فقال: ياداود، الآن شكرتنى.

وروى أن النبى ﷺ قال له رجل: أوصنى يارسول الله، فقال: «عليك بالشكر فإنه زيادة»(٣). ومعنى الآية: لئن شكرتمونى بالتوحيد لأزيدنكم نعمة الآخرة على نعمة الدنيا. وقيل: لئن شكرتم بالطاعة لأزيدنكم فى الثواب.

وقوله: ﴿ولئن كفرتم﴾ جحدتم. ﴿إن عذابى لشديد﴾ لعظيم.

قوله تعالى: ﴿وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن فى الأرض جميعًا فإن الله لغنى حميد﴾ أى: غنى عن خلقه، حميد فى فعله.

قوله تعالى: ﴿ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم﴾ أى: خبر الذين من قبلكم.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) فى «ك»: يشعر.

(٣) أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب الشكر (ص١٥٠/رقم١٦٥) بإسناده عن سفيان، قال: حدثنى رجل من أسناننا، أن النبى ﷺ أوصى رجلا بثلاث...» فذكره.

بَعْدِهِمْ لا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا

﴿ قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لايعلمهم إلا الله ﴾ روى عن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - أنه قرأ هذه الآية، ثم قال: كذب النسابون، ونقل بعضهم هذا مرفوعا إلى النبى ﷺ ». (١) وعن عبد الله بن عباس أنه قال: بين إبراهيم وبين عدنان جد الرسول ثلاثون قرنا لايعلمهم إلا الله. وعن عروة بن الزبير قال: وما وراء عدنان إلى إبراهيم - عليه السلام - لايعلمهم إلا الله، وعن مالك بن أنس أنه كره أن ينسب الإنسان نفسه أبًا أبا إلى آدم، وكذلك فى حق الرسول ﷺ كان يكره؛ لأنه لايعلم أولئك الآباء أحد إلا الله.

وقوله: ﴿ جاءتهم رسلهم بالبينات ﴾ أى: بالدلالات الواضحات. وقوله: ﴿ فردوا أيديهم فى أفواههم ﴾ روى عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن مسعود قال: عضوا أيديهم غيظاً، قال الشاعر:

لو أن سلمى أبصرت التخددى ... ورقة فى عظم ساقى ويدى

وبعد أهلى وجفاء عودى ... عضت من الوجد أطراف اليد

وقال آخر:

قد أفنى أنامله غيظه ... فأمسى يعض على الوظيفا

والقول الثانى فى الآية: أن الأنبياء لما قالوا: نحن رسل الله، وضع الكفار أيديهم على أفواههم أن اسكتوا، نقله الكلبى وغيره.

والقول الثالث: أن معنى الآية أنهم كذبوا الرسل فى أقوالهم، يقال: رددت قول فلان فى فيه إذا كذبته.

والقول الرابع: أن الأيدى هاهنا هى النعم، ومعناه: ردوا ما لو قبلوا كانت آيادى ونعماً.

---

(١) رواه ابن سعد فى الطبقات (١/ ٤٧)، وابن عساكر (٣/ ٥١-٥٢ رقم ٥٦٢).
وقال الشيخ الألبانى في الضعيفة (٢/ ١٤٤ رقم ١١١): موضوع.

كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّىٰ قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ

وقوله: ﴿في أفواههم﴾ يعني: بأفواههم، ومعناه: بألسنتهم تكذيبًا. وأشرق الأقاويل هو القول الأول، والقول الثالث محكي عن ابن عباس.

وقوله: ﴿وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به﴾ أي: جحدنا بما أرسلتم به.

وقوله: ﴿وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب﴾ أي: مرتاب، والشك هو التردد بين طرفي نقيض.

قوله تعالى: ﴿قالت رسلهم أفي الله شك﴾ معناه: ليس في الله شك، وهذا استفهام بمعنى نفي ما اعتقدوه. وقوله: ﴿فاطر السموات والأرض﴾ خالق السموات والأرض. وقوله: ﴿يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم﴾ قال أبو عبيدة: «من» صلة، ومعناه: ليغفر لكم ذنوبكم.

وقوله: ﴿ويؤخركم إلى أجل مسمى﴾ إلى حين استيفاء آجالكم. وقوله: ﴿قالوا إن أنتم إلا بشرٌ مثلنا تريدون أن تصدونا﴾ أي: تمنعونا. ﴿عما كان يعبد آباؤنا﴾ ظاهر المعنى. وقوله: ﴿فأتونا بسلطان مبين﴾ أي: بحجة [ومعجزة][1] بينة، والسلطان ها هنا: هو البرهان الذي يرد المخالف إلى الحق.

قوله تعالى: ﴿قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم﴾ أي: ما نحن إلا بشر مثلكم. ﴿ولكن الله يمن على من يشاء من عباده﴾ يعني: ينعم على من يشاء من عباده بالنبوة، وقيل: بالتوفيق والهداية.

وقوله: ﴿وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان﴾ أي: بحجة ومعجزة. ﴿إلا بإذن الله﴾

---

(١) من «ك».

﴿١١﴾ وما لنا ألاَّ نتوكَّل على اللَّه وقدْ هدانا سبُلنا ولنصبرنَّ علىٰ ما آذيتمونا وعلى اللَّه
فليتوكَّل المُتوكِّلون ﴿١٢﴾ وقال الَّذين كفرُوا لرُسُلهمْ لنُخْرجنَّكُم مِّنْ أرضنا أوْ لتعُودُنَّ
في ملَّتنا فأوْحىٰ إليْهمْ ربُّهُمْ لنُهْلكنَّ الظَّالمين ﴿١٣﴾ ولنُسْكننَّكُمُ الأَرْض من بعْدهمْ ذلك
لمنْ خاف مقامي وخاف وعيد ﴿١٤﴾ واسْتفْتحُوا وخاب كُلُّ جبَّارٍ عنيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن

أى: بأمر الله. ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿وما لنا ألا نتوكل على الله﴾ معناه: وأى شيء لنا فى ألا نتوكل على الله؛ وقد عرفنا أنه لاينال شيء بجهد إلا بعد أن يقضيه الله تعالى ويقدره. وقوله: ﴿وقد هدانا سبلنا﴾ أى: أرشدنا إلى سبل الحق.

وقوله: ﴿ولنصبرن على ما آذيتمونا﴾ والآية تعليم المؤمنين وإرشادُهم إلى الصبر على أذى مخالفى الحق. قوله: ﴿وعلى الله فليتوكل المتوكلون﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن فى ملتنا﴾ قد بينا هذا فى سورة الأعراف، وهو فى قوله تعالى: ﴿أو لتعودن فى ملتنا﴾.(١)

وقوله: ﴿فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين﴾ أى: المشركين.

وقوله: ﴿ولنسكننكم الأرض من بعدهم﴾ يعنى: نجعل ديارهم موضع سكناكم، وهذا فى معنى قوله تعالى: ﴿وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم﴾(٢).

وقوله: ﴿ذلك لمن خاف مقامى﴾ الفرق بين المَقَام والمُقَام: أن المَقَام موضع الإقامة، والمُقَام فعل الإقامة. فإن قيل: كيف يكون لله مَقَام، وقد قال: ﴿ذلك لمن خاف مقامى﴾؟ قلنا: أجمع أهل التفسير أن معناه: ذلك لمن خاف مقامه بين يدى، وهو مثل قوله تعالى: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾(٣).

وقوله: ﴿وخاف وعيد﴾ أى: عقابى.

قوله تعالى: ﴿واستفتحوا﴾ معناه: واستنصروا، وفى الخبر: «أن النبى ﷺ يستفتح بصعاليك المهاجرين»(٤) أى: يستنصر من الله بحقهم.

---

(١) الأعراف: ٨٨.

(٢) إبراهيم: ٤٥.

(٣) الرحمن: ٤٦.

(٤) تقدم فى سورة البقرة، وهو مرسل.

وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن

وقوله: ﴿وخاب كل جبار عنيد﴾ وخاب أى: خسر، وقيل: و هلك كل جبار. والجبار هو الذى لايرى فوقه أحد، والجبرية طلب العلو بما لاغاية وراءه، وهو وصف لايصح إلا لله، وأما فى وصف الخلق فهو مذموم، وقيل: الجبار هو الذى يجبر الخلق على مراده. وأما العنيد: هو المعاند للحق.

قوله تعالى: ﴿من ورائه جهنم﴾ الأكثرون معناه: من أمامه جهنم. قال الشاعر:

ومن ورائك يوم أنت بالغـه   لا حاضر معجز عنه ولاباد

يعنى: من أمامك، وقال أبو عبيدة: قوله: ﴿من ورائه جهنم﴾ يعنى: من بعده جهنم. وقوله: ﴿ويسقى من ماء صديد﴾ معناه: من ماء هو صديد. والصديد ما يسيل من الكفار من القيح والدم، والأصل فى الصديد هو الماء الذى يخرج من الجرح مختلطا بالدم والقيح، وقيل: من ماء صديد أى: من ماء كالصديد.

وقوله: ﴿يتجرعه﴾ أى: يشربه جرعة جرعة من مرارته وشدته. وفى الحديث أن النبى ﷺ قال: «إذا أدناه من وجهه شوى وجهه وسقطت فروة رأسه، وإذا شربه تقطعت أمعاؤه، وخرجت الأمعاء من دبره»(١).

وقوله: ﴿ولايكاد يسيغه﴾ يعنى: لايسيغه، وقيل معناه: يكاد لايسيغه، ويسيغه؛ ليغلى فى جوفه. وقوله: ﴿ويأتيه الموت من كل مكان﴾ قال إبراهيم التيمى: من كل شعرة من جسده، وقيل: يأتيه الموت من قدامه ومن خلفه، ومن فوقه ومن تحته، وعن يمينه وعن شماله.

وقوله: ﴿وما هو بميت﴾ يعنى: عليه شدة الموت ولايموت، وهو فى معنى قوله

---

(١) رواه الترمذى (٤/٦٠٨/رقم ٢٥٨٣) وقال: غريب، وهكذا قال محمد بن إسماعيل، عن عبيد الله بن بسر، ولا نعرف عبيد الله بن بسر إلا فى هذا الحديث. ورواه النسائي فى الكبرى (٦/٣٧١-٣٧٢ رقم ١١٢٦٣)، وأحمد (٥/٢٦٥)، والطبرى فى التفسير (١٣/١٣١)، والطبرانى فى الكبير (٨/١٠٦ رقم٧٤٦٠)، والحاكم (٢/٣٥١، ٣٦٨ - ٣٦٩) وصححه على شرط مسلم، والبيهقى فى البعث (ص٢٩٢ - ٢٩٣ رقم٦٠٢)، وأبو نعيم فى الحلية (٨/١٨٢) كلهم من حديث أبى أمامة رضى الله عنه.

كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ

تعالى: ﴿لايموت فيها ولايحيى﴾(١). وقوله: ﴿ومن ورائه عذاب غليظ﴾ أى: شديد، والعذاب الغليظ هو الخلود فى النار.

قوله تعالى: ﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم﴾ وموضع المثل فى قوله: ﴿كرماد اشتدت به الريح﴾ يعنى: ذهبت الريح المشتدة به.

وقوله: ﴿فى يوم عاصف﴾ فيه معنيان:

أحدهما: أنه وصف اليوم بالعاصف؛ لأن فيه العصوف، كما يقال: يوم حار ويوم بارد، أى: فيه الحر والبرد، قال الشاعر:

يومين غيمين ويومًا شمسا

والمعنى الثانى: فى يوم عاصف أى: فى يوم عاصف الريح، قال الشاعر:

ويضحك عرفان الدروع جلودنا إذا جاء يوم مظلم الشمس (كاسف)(٢)

أى: كاسف(٢) الشمس.

وقوله: ﴿لايقدرون مما كسبوا على شىء﴾ لأن أعمالهم قد ذهبت وبطلت كالرماد الذى ذهبت به الريح العاصف.

وقوله: ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾ الخطأ الطويل.

قوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق﴾ معنى خلق السموات والأرض بالحق: ما نصب فيها من الدلائل على وحدانيته وسائر صفاته.

وقوله: ﴿إن يشأ يذهبكم﴾ يعنى: إن يشأ يهلككم. ﴿ويأت بخلق جديد﴾ أى: بقوم آخرين، وهو فى معنى قوله تعالى: ﴿وإن تتولوا يستبدل قومًا غيركم﴾(٣)

---

(١) الأعلى: ١٣.

(٢) فى «ك»: كاشف.

(٣) محمد: ٣٨.

وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ

قيل فى التفسير: قوما أطوع لله منكم. وقوله: ﴿وما ذلك على الله بعزيز﴾ أى: شديد؛ وذلك لأن الأشياء كلها سهلة هينة فى القدرة، ولايصعب على الله شىء من الأشياء وإن جل وعظم.

قوله تعالى: ﴿وبرزوا لله جميعًا﴾ أى: خرجوا من قبورهم إلى الله جميعا.

وقوله: ﴿فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعًا﴾ معنى الذين استكبروا: يعنى تكبروا على الناس، وتكبروا عن الإيمان، وهم القادة والرؤساء.

وقوله: ﴿إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون﴾ كنا لكم تبعًا، أى: أتباعًا ﴿فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شىء﴾ أى: دافعون عنا من عذاب الله من شىء. وقوله: ﴿قالوا لو هدانا الله لهديناكم﴾ معناه: لو هدانا الله لدعوناكم إلى الهدى، فلما أضلنا دعوناكم إلى الضلالة.

وقوله: ﴿سواء علينا أجزعنا أم صبرنا﴾ فى الآثار أنهم يقولون: قد جزع أقوام فى الدنيا؛ فنجوا فنحن نجزع لننجوا، فيجزعون مدة مديدة فلا يرون نجاة، فيقولون: قد صبر أقوام فى الدنيا، فنحن نصبر لننجوا، فيصبرون مده مديدة، فلايرون نجاة فيقولون بعد ذلك: سواء علينا أجزعنا أم صبرنا.

قوله: ﴿مالنا من محيص﴾ أى: منجى ومخلص، ويقال: يجزعون مائة سنة، ويصبرون مائة سنة، ويقال: فلان وقع فى حيص بيص، وحاص وباص إذا وقع فى أمر لامخلص عنه.

قوله تعالى: ﴿وقال الشيطان لما قضى الأمر﴾ قوله: ﴿لما قضى الأمر﴾ دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار. وفى بعض الآثار: «أنه يوضع لإبليس منبر من نار فيصعد عليه ويخطبهم»(١) وذلك حين يتعلقون به، ويقولون: أنت فعلت بنا هذا.

---

(١) رواه الطبرى فى تفسيره (١٣/ ١٣٤) عن الحسن قوله. وزاد السيوطى فى الدر (٤/ ٨٥) فعزاه لابن أبى حاتم، وابن المنذر.

الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا

وقوله: ﴿إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم﴾ ووعد الحق هو الذى يقع الوفاء [به][1]. وقوله: ﴿ووعدتكم فأخلفتكم﴾ هو ما لايقع به الوفاء، وقيل: إنه يقول لهم: قلت لكم لابعث ولا جنة ولا نار، وغير ذلك.

وقوله: ﴿وما كان لى عليكم من سلطان﴾ معناه: أنى لم آتكم بحجة فيما دعوتكم إليه. وقوله: ﴿إلا أن دعوتكم﴾ هذا استثناء منقطع، ومعناه: ولكن دعوتكم أى: زينت لكم. قوله: ﴿فاستجبتم لى﴾ أى: أجبتم لى. وقوله: ﴿فلا تلومونى ولوموا أنفسكم﴾ يعنى: لاتعودوا باللائمة على، وعودوا باللائمة على أنفسكم.

وقوله: ﴿ما أنا بمصرخكم وما أنتم بِمُصْرِخِىِّ﴾ معناه: ما أنا بمعينكم وما أنتم بمعينى، وقيل [معناه][2]: ما أنا بمنجيكم وما أنتم بمنجى، وقرأ حمزة: «وما أنتم بِمُصْرِخِيِّ﴾ بكسر الياء[3]، وأهل النحو لايرضون هذه القراءة، وذكر الفراء شعرًا يدل على قراءة حمزة. قيل: إنه لغة بنى يربوع. والشعر:

قال لهــا هل أنت ياباغِىِّ   قالت له ما أنت بالمرضى

وقوله: ﴿إنى كفرت بما أشركتمونِ من قبل﴾ فيه قولان: أحدهما: إنى كفرت بجعلكم إياى شريكًا فى عبادة الله وطاعته، والقول الثانى: إنى كفرت قبل أن أشركتمونى فى عبادته، يعنى: كفرت قبل كفركم.

وقوله: ﴿إن الظالمين لهم عذاب أليم﴾ أى: وجيع.

---

(١) المثبت يقتضيه السياق؛ لأن الفعل «وفَّى» يتعدى بحرف الجر، وقد جاء على الصواب بعد ذلك.

(٢) من «ك».

(٣) النشر فى القراءات العشر (٢/ ٢٩٨ - ٢٩٩).

الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً

قوله تعالى: ﴿وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار﴾ قد بينا. ﴿خالدين فيها﴾ مقيمين فيها أبداً. ﴿بإذن ربهم﴾ بأمر ربهم.

قوله: ﴿تحيتهم فيها سلام﴾ وفى المُحَيِّى بالسلام ثلاثة أقوال:

أحدها: أن المحيى بالسلام هو الله تعالى، والآخر: هم الملائكة، والثالث: أن المحيى بالسلام بعضهم على بعض.

قوله تعالى: ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة﴾ المَثَلُ قول سائر لتشبه شيء بشيء فى المعنى. وقوله: ﴿كلمة طيبة﴾ أجمع المفسرون على أن الكلمة الطيبة ها هنا: لا إله إلا الله.

وقوله: ﴿كشجرة طيبة﴾ أكثر أهل التفسير على أن الشجرة الطيبة هاهنا: هى النخلة، وقد بينت برواية ابن عمر عن النبى ﷺ أنه قال لأصحابه: «أخبرونى عن شجرة هى مثل المؤمن؟ فوقعت الصحابة فى شجر البوادى. قال ابن عمر: ووقع فى نفسى أنها النخلة، ثم إنَّ النبى ﷺ قال: هى النخلة. قال ابن عمر: فذكرت لأبى أنه كان وقع فى نفسى كذا، فقال: لو كنت قلته كان أحب إلىّ من حمر النعم»(١).

وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ أنه قال: «أكرموا النخلة فإنها عمتكم»(٢).

ومعناه: أنها خلقت من فضل طينة آدم.

(١) متفق عليه، رواه البخارى (١/٢٢٧ رقم١٣١)، ومسلم (١٧/٢٢٤-٢٢٧ رقم ٢٨١١).

(٢) رواه أبو يعلى فى مسنده (١/٣٥٣ رقم٤٥٥)، وابن حبان فى المجروحين (٣/٤٤-٤٥)، والعقيلى فى الضعفاء (٤/٢٥٦)، وابن عدى فى الكامل (٦/٤٣١-٤٣٢) وقال: وهذا الحديث عن الأوزاعى منكر، وعروة بن رويم، عن على ليس بالمتصل، ومسرور بن سعيد غير معروف، لم أسمع بذكره إلا فى هذا الحديث، ورواه أبو نعيم فى الحلية (٦/١٣٣) وقال: غريب من حديث الأوزاعى عن عروة، تفرد به مسرور بن سعيد. كلهم من حديث على بن أبى طالب - رضى الله عنه - وأخرجه ابن الجوزى فى الموضوعات (١/١٨٣-١٨٤).

كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ

والقول الثانى: أن الشجرة الطيبة شجرة فى الجنة، وقد حكى هذا عن ابن عباس، وقيل: إنَّ الشجرة الطيبة شجرة جوز الهندى.

وقوله: ﴿ أصلها ثابت ﴾ أى: ثابت فى الأرض. وقوله: ﴿ وفرعها فى السماء ﴾ أى: أعلاها فى السماء.

وقوله: ﴿ تؤتى أكلها كل حين ﴾ الحين فى اللغة هو الوقت، وفى معنى الحين أقوال: قال ابن عباس: ستة أشهر؛ لأنها من حين ضرابها إلى حين إطلاعها، وقال مجاهد: الحين ها هنا هو سنة كاملة؛ لأن النخلة تثمر كل سنة.

وعن سعيد بن المسيب قال: أربعة أشهر لأنها من حين ظهورها إلى حين إدراكها، وقال بعضهم: شهران؛ لأنه من حين يؤكل إلى حين يصرم.

والقول الخامس: أنه غدوة وعشية؛ لأن ثمر النخلة يؤكل منها أبداً، إما رطباً، وإما تمراً وإما بسراً.

وقوله: ﴿ بإذن ربها ﴾ أى: بأمر ربها. وقوله: ﴿ ويضرب الله الأمثال للناس ﴾ موضع المثل أن الإيمان ثابت فى القلب، والعمل صاعد إلى السماء، كالنخلة ثابت أصلها فى الأرض، وفروعها مرتفعة إلى السماء، موضع المثل فى قوله: ﴿ تؤتى أكلها كل حين ﴾ لأن فائدة الإيمان وبركته لاتنقطع أبداً، بل تصل إلى المؤمن فى كل وقت، كما أن نفع النخلة وبركتها تصل إلى حاجتها فى كل وقت.

واستدل بعضهم على أن النخلة تشبه الآدمى؛ لأنها محتاجة إلى اللقاح، كالآدمى لايولد له حتى يلقح. قوله: ﴿ لعلهم يتذكرون ﴾ أى: يتعظون.

قوله تعالى: ﴿ ومثل كلمة خبيثة ﴾ الكلمة الخبيثة هى الشرك. وقوله: ﴿ كشجرة خبيثة ﴾ اختلفوا فيها، قال أنس بن مالك: هى الحنظلة، وعن ابن عباس قال: هى الثوم، وقيل: إنها الكشوثا[1]، وهى العشقة[2].

(١) هو نبت يتعلق بالأغصان ولا عرف له فى الأرض. (ترتيب القاموس: ٤ / ٥٣).

(٢) والعشقة: شجرة تخضر ثم تدق وتصغر. (لسان العرب: مادة عشق).

﴿خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾

وقوله: ﴿اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار﴾ أى: اقتلعت من فوق الأرض. وقوله: ﴿ما لها من قرار﴾ أى: مالها من ثبات، وحقيقة المعنى أنه ليس لها أصل ثابت فى الأرض، ولا فرع يصعد إلى السماء، وموضع المثل معلوم.

قوله تعالى: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت﴾ القول الثابت: كلمة التوحيد وهى لا إلا إلا الله، وقال: ﴿يثبت الله﴾ لأنه هو المثبت للإيمان فى قلوب المؤمنين.

وقوله: ﴿فى الحياة الدنيا﴾ يعنى: قبل الموت. وقوله ﴿[و] فى الآخرة﴾ أى: فى القبر، وعليه أكثر أهل التفسير، وقد ثبت ذلك عن النبى ﷺ برواية البراء بن عازب(١)، وهو قول عبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، وجماعة من الصحابة.

واعلم أن سؤال القبر ثابت فى السنة، والإيمان به واجب، وقد وردت فيه الأخبار الكثيرة، روى أبو سعيد الخدرى: «أن النبى ﷺ كان فى جنازة، فذكر لأصحابه أنه يدخل على الرجل فى قبره ملكان ويسألانه، فيقولان: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ قال: فأما المؤمن فيقول: ربى الله، ودينى الإسلام، ونبى محمد ﷺ. فيفتح له باب إلى النار، فيقال له: هذا كان مكانك لو قلت غير هذا، ثم يفتح له باب إلى الجنة، ويفسح له فى قبره مدّ البصر. وأما الكافر فيقول الملكان له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: لا أدرى، فيقولان: لادريت ولا تليت، ثم يفتح له باب إلى الجنة، فيقولان: هذا مكانك لو أجبت، ثم يفتح له باب إلى النار، ويضيق عليه القبر حتى تختلف أضلاعه، ويضربانه بمطرقة من نار فيصيح صيحة يسمعها كل الخلائق إلا الثقلين»(٢).

(١) متفق عليه، رواه البخارى (٣/ ٢٧٤رقم١٣٦٩)، ومسلم (١٧/ ٢٩٧رقم ٢٨٧١).

(٢) رواه أحمد فى مسنده (٣/ ٤٢٣)، وابن أبى عاصم فى السنة (ص٤٠٣ - ٤٠٥ رقم ٨٦٥) والطبرى فى التفسير (١٣/ ١٤٢). وعزاه السيوطى فى الدر (٤/ ٩٠) لابن أبى الدنيا فى ذكر الموت، والبزار، وابن مردويه، والبيهقى فى عذاب القبر، وقال: بسند صحيح. وقال الهيثمى فى المجمع (٣/ ٥٠): رواه أحمد والبزار، ورجال أحمد رجال الصحيح.

وفى بعض الأخبار: «أن النبى ﷺ قال: لو نجا أحد من عذاب القبر لنجا سعد بن معاذ، ولقد ضمه القبر ضمة أو ضمتين»(١) وروى أن النبى ﷺ قال لعمر: «كيف بك إذا أتاك ملكان...» الخبر. فقال: يارسول الله، ومعى عقلى؟ قال: نعم. قال: أكفيهما إذاً»(٢).

وقيل: إن عذاب القبر ثلاثة أثلاث: ثلث من ترك الاستنزاه من البول، وثلث من الغيبة، وثلث من المشى بالنميمة. والله أعلم.

وفى الآية قول آخر: أن الحياة الدنيا هى القبر، وفى الآخرة هى القيامة، والقول الأول أصح.

وقوله: ﴿ويضل الله الظالمين﴾ معناه: أنه لايهدى المشركين إلى هذا الجواب، ولايلقنهم إياه. وقوله: ﴿ويفعل الله ما يشاء﴾ من التوفيق والخذلان والتثبيت وترك التثبيت.

قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً﴾ الآية [فيها](٣) ثلاثة

---

(١) رواه أحمد فى المسند (٦/ ٥٥،٩٨)، والبغوى فى الجعديات [١٦٠١]، والطحاوى فى المشكل [٢٧٤]، [٢٧٥]، وابن حبان فى صحيحه – الإحسان (٧/ ٣٧٩ رقم٣١١٢) من طريق نافع عن صفيه عن عائشة، وبعضهم قال: عن نافع عن امرأة ابن عمر عن عائشة. ورواه أحمد فى السنة (ص٢٤٦ رقم١٣٣٧) والطحاوى فى المشكل رقم [٢٧٣] من طريق آخر عن نافع عن عائشة. وقال الهيثمى فى المجمع (٣/ ٤٩) رواه أحمد عن نافع عن عائشة، وعن نافع عن إنسان عن عائشة، وكلا الطريقين رجالهما رجال الصحيح. ولهذا الحديث شاهد من حديث ابن عمر، ومن حديث ابن عباس.

(٢) رواه ابن أبى داود فى البعث والنشور (ص٢١/ رقم٧)، والبيهقى فى الاعتقاد (ص٢٢٢-٢٢٣) من حديث عمر بن الخطاب، وعزاه السيوطى فى الدر (٤/ ٩٣) للحاكم فى التاريخ، والبيهقى فى عذاب القبر. وعزاه الحافظ ابن رجب فى أهوال القبور (ص١٤-١٥) للخلال فى كتاب السنة من حديث عمر أيضاً، وقال: فى إسناده ضعف، ثم قال: وخرجه الإسماعيلى من وجه آخر فيه ضعف أيضاً عن عمر، ثم قال: وقد روى حديث عمر هذا من وجوه آخر مرسلة.

قلت: رواه الآجرى فى الشريعة (ص٣٦٦-٣٦٧) عن عطاء مرسلاً. ورواه البيهقى فى عذاب القبر عن ابن عباس – كما فى الدر المنثور (٤/ ٩٢) وعزاه السيوطى فى الدر أيضاً (٤/ ٩٣) لابن أبى الدنيا عن أبى هريرة مختصراً.

(٣) فى «الأصل وك»: فيه.

الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ

أقوال: أحدها: أنهم كفار قريش، والآخر: أنهم قادة المشركين ببدر، قاله ابن عباس، والثالث: روى عن على - رضى الله عنه - أنه سئل عن هذه الآية فقال: هم الأفجران بنو المغيرة وبنو أمية: فأما بنو المغيرة فقُتلوا يوم بدر، وأما بنو أمية فمتعوا إلى حين.

وقوله: ﴿وأحلوا قومهم دار البوار﴾ أى: دار الهلاك، وهى جهنم قال الشاعر:

إن لقيمـــا وإن قتـــلا وإن لقمان حيث باروا[١]

يعنى: هلكوا. وقوله: ﴿جهنم يصلونها [وبئس][٢] القرار﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿وجعلوا لله أندادا﴾ أى: شركاء وأمثالا، قال حسان بن ثابت شعرا:

أتهجـــوه ولست له بنـد فشركما لخـير كما الفـداء

واعلم أن الله ليس له ضد ولا ند. أما الند الذى هو المثل فمعلوم، وأما الضد فلأن فيه معنى من المثلية، والله ليس له مثل بوجه ما.

وقوله: ﴿ليضلوا عن سبيله﴾ إنما نسب إليهم الضلالة، لأنهم سبب فى (الضلال)[٣]، وهذا كما يقول القائل: فتنتنى الدنيا؛ نسب الفتنة إلى الدنيا، لأنها سبب فى الفتنة. وقوله: ﴿ليضلوا عن سبيله﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار﴾ قال ابن عباس: لو أن كافراً كان فى أشد بؤس وضر لايهدأ ليلا ولا نهاراً، كان ذلك نعيماً فى جنب ما يصير إليه فى الآخرة، ولو أن مؤمناً كان فى أنعم عيش، كان ذلك بؤساً فى جنب ما يصير إليه فى الآخرة.

وقوله: ﴿فإن مصيركم إلى النار﴾ أى: مرجعكم إلى النار.

---

(١) كذا!.

(٢) فى «الأصل و ك»: فبئس.

(٣) فى «ك»: الضلالة.

﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٣١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ

وقوله تعالى: ﴿قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة﴾ هذا خبر بمعنى الأمر، أى: أقيموا الصلاة. وقوله: ﴿وينفقوا مما رزقناهم سرًّا وعلانية﴾ يعنى: جهراً وغير جهر. وقيل: نفلا سراً، وفرضًا جهراً.

وقوله: ﴿من قبل أن يأتى يوم لابيع فيه﴾ قال أبو عبيدة: يعنى لا فداء فيه ﴿ولا خلال﴾ أى: لا مخالة ولا صداقة، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾(١).

قوله تعالى: ﴿الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقا لكم﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره﴾ أى: بعلمه وإذنه.

وقوله: ﴿وسخر لكم الأنهار﴾ أى: ذلل لكم الأنهار تجرونها حيث شئتم.

وقوله: ﴿وسخر لكم الشمس والقمر دائبين﴾ وذلك لكم، وتسخير الشمس والقمر هو جريانهما على وتيرة واحدة فيما يعود إلى مصالح العباد.

وقوله: ﴿دائبين﴾ معناه: أنهما لايفتران ولايقفان، والدأب فى الشىء هو الجرى على عادة واحدة.

وقوله: ﴿وسخر لكم الليل والنهار﴾ ظاهر المعنى. وقوله: ﴿وآتاكم من كل ما سألتموه﴾ قرئ بقراءتين، المعروف: ﴿من كلِّ ما سألتموه﴾، ويقرأ: «من كلٍّ ما سألتموه» بالتشديد والتنوين، فالقول المعروف معناه: يعنى من كل الذى سألتموه.

فإن قال قائل: نحن نسأله أشياء ولايعطينا؟ والجواب: أن جنسه يُعطى الآدميين

(١) الزخرف: ٦٧.

﴿٣٣﴾ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ

وإن لم يعطه على التعيين؛ فاستقام الكلام على هذا، وقيل معناه: من كل ما سألتموه، ولم تسألوه. وأما القراءة الثانية، فمعنى «ما» هو النفى، ومعناه: أعطاكم أشياء لم تسألوها، فإن الله تعالى أعطانا الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم والرياح، وما أشبه ذلك ولم نسأله شيئا منها.

وقوله: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها﴾ قال أبو العالية: معناه: لاتطيقوا عدها، وقيل: لاتطيقون شكرها.

وقوله: ﴿إن الإنسان لظلوم كفار﴾ يعنى: ظالم لنفسه كافر بربه، ويقال: إن هذه الآية نزلت فى أبى جهل خاصة، ويقال: إنها نزلت فى جنس الكفار، ويجوز أن يذكر الإنسان ويراد به جنس الناس، قال الله تعالى: ﴿والعصر إن الإنسان لفى خسر﴾(١) وقيل: [الظالم](٢) هو الذى يشكر غير من أنعم عليه، والكافر هو الذى يجحد منعمه.

قوله: ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا﴾ أجمعوا أن البلد هو مكة، وقوله: ﴿آمنا﴾ أى: ذا أمن.

وقوله: ﴿واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام﴾ معناه: بعدنى وبنىَّ من عبادة الأصنام، فإن قال قائل: قد كان إبراهيم معصوما عن عبادة الأصنام، فكيف يستقيم سؤاله لنفسه، وقد عبد كثير من بنيه الأصنام، فأين الإجابة؟

الجواب: أما فى حق إبراهيم، فالدعاء لزيادة العصمة والتثبيت، وأما فى حق البنين فيقال: إن الدعاء لبنيه من الصلب، ولم يعبد أحد منهم الصنم، وقيل: إن دعاءه لمن كان مؤمنًا من بنيه.

(١) العصر: ١ - ٢.

(٢) فى «الأصل وك»: الظلم.

﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا
لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ

وقوله: ﴿ربِّ إنهن أضللن كثيراً من الناس﴾ نسب الضلالة إليهن لما بينا من المعنى. وقوله: ﴿فمن تبعنى فإنه منى﴾ أى: من أهل دينى.

وقوله: ﴿ومن عصانى فإنك غفور رحيم﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه قال هذا قبل أن يعلمه الله أنه لايغفر الشرك.

والآخر: أن المراد من العصيان هو ما دون الشرك.

قوله تعالى: ﴿ربنا إنى أسكنت﴾ يعنى: أنزلت. قوله تعالى: ﴿من ذريتى﴾ الذرية ها هنا إسماعيل عليه السلام وأمه هاجر.

وفى القصة: أنه حمل هاجر وإسماعيل وهو طفل يرضع، وكانوا ثلاثتهم على البراق، فجاء بهم إلى موضع البيت، وهى مدرة حمراء، فقال له جبريل: ها هنا أُمرت. فأنزل إسماعيل وأمه فى موضع الحجر، ومضى راجعًا إلى الشام، فنادته هاجر: ياخليل الله، إلى من تكلنا؟ قال: إلى الله تعالى. قالت: قد قبلنا ذلك، والقصة فى هذا معروفة.

وقوله: ﴿بواد غير ذى زرع﴾ قال هذا لأن مكة بين جبلين، وهى واد.

وقوله: ﴿عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة﴾ سماه محرَّمًا؛ لأنه يحرم عنده ما لايحرم عند غيره.

وقوله: ﴿فاجعل أفئدة من الناس﴾ الأفئدة جمع الفؤاد، قال ابن عباس: لو قال «أفئدة الناس» لزاحمتكم [فارس][1] والروم، وفى رواية: الترك والديلم، وفى رواية عن غيره: لحجت اليهود والنصارى والمجوس.

وقوله: ﴿تهوى إليهم﴾ أى: تحن إليهم، قال السدى معناه: أَمِلْ قلوبهم إلى هذا

(١) فى «الأصل»: الفارس.

يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ

لموضع؛ فإن الإنسان يميل مع قلبه حيث مال.

وقوله: ﴿وارزقهم من الثمرات﴾ فى بعض الأخبار: أن الله تعالى قلع قرية من الشام بأشجارها وأرضها فوضعها بمكان الطائف. وقوله: ﴿لعلهم يشكرون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ربنا إنك تعلم ما نخفى وما نعلن وما يخفى على الله من شىء فى الأرض ولا فى السماء﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحاق﴾. فى القصة: أن إسماعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة، وإسحاق ولد له بعد ذلك بثلاث عشرة سنة. ويقال: إن إسماعيل ولد له بعد أن بلغ سنه مائة [وسبع](1) عشرة سنة. وقوله: ﴿إن ربى لسميع الدعاء﴾ ظاهر المعنى.

قوله: ﴿ربِّ اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى﴾ يعنى: ممن يقيم الصلاة بحدودها وأركانها، ويحافظ عليها. قوله: ﴿ومن ذريتى﴾ معناه: واجعل من ذريتى من يقيمون الصلاة. قوله: ﴿ربنا وتقبل دعاء﴾ أى: واستجب دعائى.

قوله: ﴿ربنا اغفر لى ولوالدى﴾ قرأ سعيد بن جبير: ﴿ولوالدِىَّ﴾، وقرأ إبراهيم النخعى ويحيى بن يعمر: «ولوالدتى»، والمعروف: ﴿ولوالدى﴾.

فإن قال قائل: كيف استغفر لوالديه ولم يكونا آمنا؟

والجواب عنه: قد قيل: إن أمه قد أسلمت، وأما الوالد فإنما استغفر له قبل أن يتبين له أنه مقيم على الشرك، وقد بينا هذا من قبل، وقيل: ولوالدى آدم وحواء، وقيل: نوح وأم إبراهيم.

---

(1) فى «الأصل وك»: مائة وسبعة عشر سنة، وهو خطأ، والصواب: مائة وسبع عشرة سنة.

﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي

وفى تفسير الدمياطى: أن قوله: ﴿ولوالدى﴾ أى: لولدى، قال ابن فارس: ويجوز هذا فى اللغة، وهو أن يذكر الوالد بمعنى المولود، كما يقال: ماء دافق أى: مدفوق. وقوله: ﴿وللمؤمنين﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿يوم يقوم الحساب﴾ أى: يوم يحاسب الله الخلق.

قوله تعالى: ﴿ولاتحسبن الله غافلًا عما يعمل الظالمون﴾ الآية. الغفلة معنى يمنع الإنسان من الوقوف على حقيقة الأمور. وروى عن ابن عباس أنه قال: هذه الآية تعزية للمظلوم وتسلية له، وتهديد للظالم.

وقوله: ﴿إنما يؤخرهم﴾ معناه: إنما يمهلهم. وقوله: ﴿ليوم تشخص فيه الأبصار﴾ يعنى: من الدهش والحيرة وشدة الأمر، ومعنى تشخص أى: ترتفع وتزول عن أماكنها.

وقوله: ﴿مهطعين﴾ الأكثرون أنّ معناه مسرعين، وقال أبو العباس أحمد بن يحيى الثعلب: الإهطاع هو النظر فى (الذل والخضوع)(١). وقيل: مهطعين أى: مديمى النظر لايطرفون. ومعنى الإسراع الذى ذكرنا هو أنهم لايلتفتون يمينًا ولاشمالا، ولايعرفون مواطن أقدامهم، وليس لهم همة ولانظر إلى ما يساقون إليه.

وقوله: ﴿مقنعى رءوسهم﴾ يقال: أقنع رأسه أى: رفعه، وأقنع رأسه إذ خفضه، فإن كان المراد هو الرفع فمعناه: أن أبصارهم إلى السماء ينظرون ماذا يرد عليهم من الله تعالى، وإن حمل الإقناع على خفض الرأس فمعناه: مطرقون ناكسون، قال الشاعر:

نغض رأسى نحوه وأقنعا ... كأنما يطلب شيئا أطمعا

وقال المؤرج: رفعوا رءوسهم حتى كادوا يضعونها على أكتافهم.

(١) كذا، والأليق للسياق: فى ذل وخضوع. وانظر لسان العرب (مادة: هطع).

رءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ

وقوله: ﴿ لايرتد إليهم طرفهم ﴾ يعنى: لايرجع إليهم طرفهم، فكأنه ذهلهم ما بين أيديهم فلا ينظرون لشىء سواه.

وقوله: ﴿ وأفئدتهم هواءٌ ﴾ قال أبو عبيدة: متخرقة لاتعى شيئًا، وقال قتادة: خرجت قلوبهم عن صدورهم حتى بلغت الحناجر من شدة ذلك اليوم وهوله فهذا معنى قوله: ﴿ وبلغت القلوب الحناجر ﴾(١)، فعلى هذا قوله: ﴿ وأفئدتهم هواء ﴾ أى: خالية، ومنه سمى الجو هواء لخلوه، وقيل: خالية عن العقول؛ فكأنها ذهبت من الفزع والخوف.

وقال سعيد بن جبير: « وأفئدتهم هواء » أى: مترددة لاتستقر فى مكان، وقيل: هواء أى: متخربة من الجبن والفزع. قال حسان بن ثابت:

ألا أبلغ أبا سفيان عنى فأنت مجوّف نخب هواء

حقيقة المعنى من الآية أن القلوب زائلة عن أماكنها، والأبصار شاخصة من هول ذلك اليوم.

وقوله: ﴿ وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب ﴾ يعنى: خوّف الناس.

قوله: ﴿ فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب ﴾ معناه: أمهلنا.

وقوله: ﴿ إلى أجل قريب ﴾ هذا سؤال الرجعة، كأنهم سألوا ردهم إلى الدنيا.

وقوله: ﴿ نجب دعوتك ونتبع الرسل ﴾ ظاهر المعنى. وقوله: ﴿ أو لم تكونوا أقسمتم ﴾ أى حلفتم فى الدنيا. وقوله: ﴿ من قبل ما لكم من زوال ﴾ يعنى: ليس لكم بعث ولا جزاء ولا حساب.

وقوله: ﴿ وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم ﴾ أى: ظلموا أنفسهم

(١) الأحزاب: ١٠.

وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ

فأهلكناهم. وقوله: ﴿وتبين لكم كيف فعلنا بهم﴾ يعنى: عرفتم عقوبتنا إياهم.

وقوله: ﴿وضربنا لكم الأمثال﴾ أى: الأشباه، ومعناه: بينا أن مثلكم كمثلهم.

قوله تعالى: ﴿وقد مكروا مكرهم﴾ أى: كادوا كيدهم.

وقوله: ﴿وعند الله مكرهم﴾ أى: عند الله جزاء مكرهم.

وقوله: ﴿وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال﴾ قرئ بقراءتين: «لِتَزول» و«لَتَزُول»[(١)] قرأه الكسائى وحده بنصب اللام.

أما قوله: ﴿لِتزول﴾ - بكسر اللام وعليه الأكثرون - معناه: وما كان مكرهم لتزول منه الجبال، يعنى: أن مكرهم لايزيل أمر محمد ﷺ الذى هو ثابت كثبوت الجبال.

وقيل: إن معنى الآية بيان ضعف كيدهم ومكرهم، وأنه لايبلغ هذا المبلغ، وأما قوله: «وإن كان مكرهم لَتزُول» بنصب اللام الأول ورفع الثانى معناه: أن مكرهم لو بلغ فى العظم بمحمد يزيل الجبال لم يقدروا على إزالة أمر محمد ﷺ. وقرأ عمر وابن مسعود وابن عباس وجماعة: «وإن كاد مكرهم لتزول منه الجبال». وعن أبى بن كعب أنه قرأ: «ولولا كلمة الله لزال بمكرهم الجبال».

وعن على رضى الله عنه فى معنى الآية: وهو أنها نزلت فى نمروذ حين قال: لأصعدن السماء، واتخذ النسور وجوّعها ثم اتخذ تابوتًا، ونصب خشبات فى أطرافها، وجعل على رءوسها اللحم، ثم ربط قوائم النسور على الخشبات وخلاها، فاستعلت النسور، وقد جلس نمروذ فى التابوت مع حاجبه، وقيل: مع غلام له، وللتابوت بابان: باب من أعلى، وباب من أسفل، وقال: فلما صعدت النسور فى السماء، ومضى على ذلك يوم، قال لغلامه: افتح الباب السفلى، فإذا الأرض

(١) النشر فى القراءات العشر (٢ / ٣٠٠).

إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ

كاللجة، فقال: افتح الباب الأعلى فإذا السماء كما هى، ثم مرّ [يوم] (١) آخر، فقال: افتح الباب الأسفل ففتح فإذا الأرض كالدخان، فقال: افتح الباب الأعلى ففتح فإذا السماء كما هى، فأمر غلامه حتى يصوّب رءوس النسور والخشبات، فجاء التابوت إلى جانب الأرض وله هدة عظيمة، فخافت الجبال أنه جاء من السماء أمر، وكادت تزول عن أماكنها (٢)، فهذا معنى قوله: ﴿وإن كان مكرهم لَتزولُ﴾ - بنصب اللام الأولى ورفع الثانى -﴿منه الجبال﴾.

وفى الآية قول آخر - وهو قول قتادة - أن معناها: وإن كان شركهم لتزول منه الجبال، وهو معنى قوله تعالى ﴿تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً أن دعوا للرحمن ولداً﴾. (٣)

قوله تعالى: ﴿فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله﴾ قيل: هذا من المقلوب ومعناه: مخلف رسله وعده. قوله: ﴿إن الله عزيز ذو انتقام﴾ قد بينا المعنى.

قوله تعالى: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا﴾ قال ابن مسعود: تبدل هذه الأرض بأرض بيضاء كالفضة لم يسفك عليها دم، ولم يعمل فيها بخطيئة، وأما السماء تبدل بسماء من ذهب.

والقول الثانى: قاله أبو جعفر محمد بن على الباقر ومحمد بن كعب: أنه تبدل الأرض بأرض من خبزة يأكلون منها، وقرأ أبو جعفر: ﴿وما جعلناهم جسداً لايأكلون الطعام﴾(٤) والقول المعروف فى الآية أن تبديل الأرض هو تغييرها من هيئة إلى هيئة، كالرجل يقول لغيره: تبدلت بعدى، أى: تغيرت هيئتك وحالك. وتغيير الأرض بتسيير جبالها، وطم أنهارها، وتسوية أوديتها، وقلع أشجارها وجعلها قاعاً

(١) فى «الأصل وك»: يوماً بالنصب، وهو خلاف الجادة.

(٢) وهذه من الغرائب التى نقلت عن بنى إسرائيل.

(٣) مريم: ٩٠ - ٩١.

(٤) الأنبياء: ٨.

صفصفًا لا ترى فيها عوجًا ولا أمتًا، وأما تبديل السموات بتغيير حالها، وذلك بتكوير شمسها وقمرها، وانتثار نجومها، وكونها مرة كالدهان، وهو الأديم الأحمر، ومرة كالمهل، وقيل: إن معنى التبديل هو أنه يجعل السموات جنانًا والأرضين نيرانًا، وقد صح عن النبي ﷺ برواية مسروق عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: «يارسول الله، قوله تعالى: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض﴾ أين يكون الناس حينئذ؟ فقال عليه السلام: على الصراط»(١) وإذا ثبت هذا فالأولى هو هذا القول.

أخبرنا بهذا الحديث أبو على الحسن بن عبد الرحمن الشافعي، قال أبو الحسين بن فارس، قال أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ، قال: حدثنا جدى محمد بن عبد الله، قال: نا سفيان بن عيينة، عن داود بن أبى هند، عن الشعبى، عن مسروق، عن عائشة عن النبى ﷺ ... الخبر.

وقوله: ﴿وبروزا لله الواحد القهار﴾ معناه: وخرجّوا من قبورهم لله الواحد القهار يحكم فيهم بما أراد.

قوله: ﴿وترى المجرمين يومئذ مقرنين فى الأصفاد﴾ يقال: صفده إذا قيده، وأصفده إذا أعطاه، قال الأعشى:

تضيفته يومًا فأكرم مقعدى ... وأصفدنى على الزمانة قائدًا

أصفدنى أى: أعطانى. وقوله: ﴿مقرنين﴾ أى: مجعولين بعضهم مع بعض فى السلاسل والأقياد، وقيل: إنه يقرن كل كافر مع شيطان فى كل سلسلة وقيد، ذكره الكلبى، ويقال: تجمع رجلاه إلى عنقه ويغل، فهو معنى قوله: ﴿مقرنين فى الأصفاد﴾.

(١) رواه مسلم فى صحيحه (١٧ / ١٩٦ رقم٢٧٩١)، والترمذى (٥ / ٢٩٦ رقم٣١٢١)، وابن ماجة (٢ / ١٤٣٠ رقم ٤٢٧٩)، وأحمد(٦ / ٣٥)، والدارمى (٢ / ٤٢٣- ٤٢٤ رقم ٢٨٠٩)، والحاكم فى المستدرك (٢ / ٣٥٢)، وابن حبان فى صحيحه - الإحسان - (١٦ / ٣٨٧ رقم ٧٣٨).

﴿قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ۞٥٠ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۞٥١ هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ۞٥٢﴾

وقوله: ﴿سرابيلهم من قطران﴾ أى: قميصهم من قطران، والقطران ما تهنأ به الإبل، وقرأ ابن عباس وعكرمة: «من قطرٍ آن» أى: من صُفر مذاب، (قال)[١]: انتهى حره. وقيل: من نحاس مذاب قد انتهى حره. قال أهل المعانى: وإنما ذكر أن قميصهم من قطران؛ لأن النار إليه أسرع اشتعالا.

وقوله: ﴿وتغشى وجوههم النار﴾ معناه: وتعلو وجوههم النار، وقيل: تصلى.

وقوله: ﴿ليجزى الله كل نفسٍ بما كسبت﴾ يعنى: ما كسبت من خير وشر.

وقوله: ﴿إن الله سريع الحساب﴾ معناه: سريع المجازاة، وحقيقة الحساب إحصاء ما عمله الإنسان من خير أو شر ليجازى عليه.

قوله تعالى: ﴿هذا بلاغ للناس﴾ يعنى: هذا القرآن، وهذا الذى أنزلته عليك بلاغ للناس، أى: فيه تبليغ للناس. قوله: ﴿ولينذروا به﴾ أى: [و][٢] ليخوفوا به.

وقوله: ﴿وليعلموا أنما هو إله واحد﴾ أى: ليستدلوا بهذه الآيات على وحدانية الله تعالى.

وقوله: ﴿وليذكر أولو الألباب﴾ معناه: وليتعظ أولو الألباب -أى أولو العقول-، وفى بعض التفاسير: أن هذه الآية نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه. والله أعلم.

---

(١) كذا فى «الأصل وك»: ولعلها: قد، كما فى العبارة التى تليها.

(٢) من «ك».

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ

تفسير سورة الحجر

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿ الٓر ﴾ معناه: أنا الله أرى، وقيل: « الٓر »، و« حم » و « ن » هو الرحمن. ﴿ تلك آيات الكتاب ﴾ معناه: هذه آيات الكتاب.

﴿ وقرآن مبين ﴾ معناه: أنه يبين الحلال من الحرام، والحق من الباطل، فإن قال قائل: القرآن هو الكتاب، والكتاب هو القرآن، فأيش فائدة الجمع بينهما؟

الجواب: أن كل واحد منهما يفيد معنى لايفيده الآخر، فإن الكتاب هو ما يكتب، والقرآن هو ما يجمع بعضه إلى بعض، وقيل: إن المراد من الكتاب هو التوراة والإنجيل، والقرآن هو الذى أنزله الله تعالى على محمد ﷺ.

قوله تعالى: ﴿ ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ﴾ اعلم أن كم للتكثير، وربّ للتقليل، ويقال: ربَّما بالتشديد، وربما بالتخفيف، وربتما بالتاء بمعنى واحد. قال الشاعر:

ماوىَّ يا ربتما غارةٍ　　　شعواءَ كاللذعة بالميسم(١)

وقد فصل بعضهم بين ربَّ وَرُبَما، قال: رُبَّ تدخل على الاسم، وَرُبَما على الفعل، فقال: رُبَّ رجل جاءنى، ويقال: رُبَما جاءنى.

واختلف القول فى الحال الذى يتمنى الكفار هذا، -والوُدّ هو التمنى- [فالقول](٢) الأول: أنه فى حال المعاينة، وهذا قول الضحاك.

والقول الثانى: أنه يوم القيامة، والقول الثالث - وهو الأشهر -: أنه حين يخرج

(١) نسبه ابن منظور لابن الأعرابى. انظر لسان العرب (١/ ٤٠٩).
(٢) فى « الأصل وك »: بالقول.

الله المؤمنين من النار. وفى الأخبار المسندة برواية أبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ قال: «يدخل الله قومًا - من أهل القبلة النار مع الكفار فيمكثون فيها ما شاء الله؛ فيقول الكفار لهم: أنتم مسلمون، فيقولون: نعم، فيقول الكفار: ما أغنى عنكم إسلامكم شيئًا، وأنتم معنا فى النار، فيقولون: نحن أذنبنا ذنوبا فأخذنا بها، فيسمع الله تعالى ذلك كله، فيقول: أخرجوا من النار من كان مسلمًا - وفى رواية: من قال لا إله إلا الله - فيخرجون، فحينئذ يتمنى الكفار لو كانوا مسلمين»(١). وفى بعض الروايات: «أن الكفار إذا قالوا للمسلمين هذه المقالة؛ يغضب الله تعالى لقولهم، فيقول: أخرجوا...، على ما بينا.

فإن قال قائل: إذا كانت ربما للتقليل، فكيف يقلُّ تمنيهم هذا، ونحن نعلم حقيقة أن كلهم يتمنون هذا، وأنّ هذا التمنى منهم يكثر؟

والجواب: أن العرب قد تذكر هذا اللفظ وتريد به التكثير، يقول القائل لغيره: ربما تندم على هذا الفعل، وهو يعلم أنه يكثر منه الندم عليه، ويكون المعنى: إنك لو ندمت قليلا لكان القليل من الندامة يكفيك للاجتناب عنه، فكيف الكثير؟!.

والجواب الثانى: أن شغلهم بالعذاب لايفرغهم للندامة، وفى بعض الآحايين ربما يقع لهم هذا الندم، ويخطر ببالهم.

قوله تعالى: ﴿ذرهم يأكلوا ويتمتعوا﴾ الآية. هذا تهديد ووعيد، والأكل معلوم، وأما التمتع هو التلذذ بطلبه حالا بعد حال (كالتعرّب)(٢) هو طلبه حالا بعد حال. قوله: ﴿ويلههم الأمل﴾ أى: يشغلهم الأمل عن الآخرة.

---

(١) رواه الطبرى فى التفسير (١٤/٣)، وابن أبى عاصم (٢/ ٣٩١ - ٣٩٢ رقم ٨٤٣) وقال الشيخ الألبانى: صحيح. والحاكم (٢/ ٢٤٢) وصحح إسناده، والبيهقى فى البعث والنشور (ص٦٧ - ٦٨ رقم٨٥). وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ٤٨): رواه الطبرانى، وفيه خالد بن نافع الأشعرى، قال أبو داود: متروك؛ قال الذهبى: هذا تجاوز فى الحد، فلا يستحق الترك؛ فقد حدث عنه أحمد بن حنبل، وغيره. وبقية رجاله ثقات. وعزاه السيوطى فى الدر (٤/ ١٠٤) لابن أبى حاتم، وابن مردويه أيضًا.

(٢) كذا، و فى «ك»: كالتقرب.

إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ

قوله: ﴿فسوف يعلمون﴾ تهديد آخر، وقد قال بعض أهل العلم: «ذرهم» تهديد. وقوله: ﴿فسوف يعلمون﴾ تهديد آخر، فمتى يهنأ العيش بين تهديدين؟.

قوله تعالى: ﴿وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم﴾ أى: أجل مضروب لايتقدم عليه ولايتأخر عنه. وقوله: ﴿ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون﴾ معناه: أن العذاب المضروب لايتقدم على وقته، ولايتأخر عن وقته، وقيل: هذا فى الموت أنه لايتقدم ولايتأخر عن وقته.

قوله تعالى: ﴿وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون﴾ الذكر هو القرآن. وقوله: ﴿إنك لمجنون﴾ خطابهم مع النبى ﷺ.

وقوله: ﴿يا أيها الذى نزل عليه الذكر﴾ إنما قالوه على طريق الاستهزاء؛ لأنهم لو قالوا ذلك على طريق التحقيق لآمنوا به.

قوله تعالى: ﴿لوما تأتينا بالملائكة﴾ أى: هلاّ تأتينا بالملائكة، قال الشاعر:

تعدون (قعر)(١) النيِّب أفضل مجدكم بنى (طوطبرى)(١) لولا الكمِيُّ المقنعّا

أى: هلا تعدون الكمىّ المقنعا.

وقوله: ﴿إن كنت من الصادقين﴾ معناه: أنك نبى.

قوله تعالى: ﴿ما ننزل الملائكة إلا بالحق﴾ الحق الذى تنزل به الملائكة هو الوحى، وقبض [أرواح](٢) العباد، وإهلاك الكفار، وكتبة الأعمال، وما أشبه ذلك.

وقوله: ﴿وما كانوا إذًا منظرين﴾ أى: مؤخرين، وقد كان الكفار يطلبون إنزال

(١) كذا فى «الأصل وك» وفى تفسير القرطبى (١٠ / ٤١): عقر، ضوطرى.

(٢) فى الأصل وك»: الأرواح.

وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لا

الملائكة عيانا، فأجابهم الله تعالى بهذا، ومعناه: أنهم لو نزلوا عيانًا زال الإمهال عن الكفار وعذبوا فى الحال.

قوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر﴾ يعنى: القرآن ﴿وإنا له لحافظون﴾ فيه قولان: أحدهما: أنا نحفظ محمداً، والآخر: أنا نحفظ القرآن، وهو الأليق بظاهر اللفظ، ومعنى حفظ القرآن أنه يمنع من الزيادة فيه أو النقصان عنه، قال الله تعالى ﴿لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾[1] والباطل هو إبليس، ومعناه: أن إبليس لايقدر أن يزيد فيه ماليس منه، ولا أن ينقص عنه ما هو منه.

قوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا من قبلك فى شيع الأولين﴾ الشيعة: هم القوم المجتمعة المتفقة كلمتهم، ومعناه هاهنا: فى أمم الأولين.

وقوله: ﴿وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون﴾ هذا تسلية للنبى ﷺ، ومعناه: أنهم كما استهزءوا بك فقد استهزئ بالأنبياء من قبلك.

وقوله تعالى: ﴿كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين﴾ قال الحسن: كذلك نسلك الشرك فى قلوب المجرمين، ونسلك، أى: ندخل، وقال مجاهد: نسلك التكذيب، ومعنى كاف التشبيه، أى: كما فعلنا بالكفار من قبل هؤلاء، كذلك نفعل بهؤلاء الكفار. وقد قال بعضهم: إن معنى قوله: ﴿كذلك نسلكه﴾ أى: نسلك القرآن، ومعناه: أنه لما أعطاهم ما يفهمون به القرآن، فكأنه سلك القرآن فى قلوبهم. والمنقول عن السلف هو القول الأول، وهو ردٌّ على القدرية صريحًا.

وقوله: ﴿لايؤمنون به﴾ يعنى بالنبى ﷺ والقرآن. ﴿وقد خلت سنة الأولين﴾ أى: مضت سنة الأولين، وسنة الأولين: هوالإهلاك عند تكذيب الأنبياء.

---

(١) فصلت: ٤٢.

يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلاَّ مَنِ

قوله تعالى: ﴿ولو فتحنا عليهم بابا من السماء﴾ ظاهر المعنى. وقوله: ﴿فظلوا فيه يعرجون﴾ يقال: ظل يفعل كذا إذا فعله نهاراً، وبات يفعل كذا إذا فعله ليلا.

وقوله: ﴿يعرجون﴾ يصعدون، يقال: عَرَجَ يَعْرُج إذا صعد، وعَرِجَ يَعْرَجُ إذا صار أعرج، واختلف القول فى المعنى بقوله: ﴿فظلوا﴾ الأكثرون على أنهم الملائكة، والقول الآخر أنهم المشركون. وقوله: ﴿لقالوا إنما سكرت أبصارنا﴾ قرئ بقراءتين «سُكِّرَتْ» «سُكِرَتْ» مخفف، فمعنى التخفيف أى: سحرت، ومعنى التشديد أى: سدت وأخذت، وقيل: عميت، قال عمرو بن العلاء: هو مأخوذ من السُكر، يعنى: كما أن السُكْر يغطى على عقولنا، كذلك هذا غُطى على أبصارنا. وقوله: ﴿بل نحن قوم مسحورون﴾ أى: مخدوعون، وقيل معناه: عمل فينا السحر.

قوله تعالى: ﴿ولقد جعلنا فى السماء بروجًا﴾ البروج: هى النجوم الكبار، وهو مأخوذ من الظهور، يقال: تبرجت المرأة إذا ظهرت. ويقال: إنها المنازل، ويقال: إنها البروج الإثنا عشر، ويقال: إنها السبع السيارة، وعن عطية العوفى: أنها قصور فى السماء عليها الحرس. قوله: ﴿وزيناها للناظرين﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿وحفظناها من كل شيطان رجيم﴾ ذكر الكلبى أن السموات لم تكن محفوظة من الشياطين قبل عيسى، فلما بعث عيسى - عليه السلام - حفظت ثلاثة من السموات، فلما بعث محمد ﷺ حفظت السموات كلها. وقوله: ﴿رجيم﴾ أى: مرجوم، وقيل: أى: ملعون، وقيل: شَتِيم.

وقوله تعالى: ﴿إلا من استرق السمع﴾ فى الأخبار: أن الشياطين يركب بعضهم بعضًا إلى السماء الدنيا، ويسترقون السمع من الملائكة؛ فترجمهم الكواكب فتقتل

البعض وتخبل البعض»[1] .واختلف القول فى أنهم متى يسترقون السمع؟ فأحد القولين :أنهم يسترقون السمع من الملائكة فى السماء، والقول الآخر: أنهم يسترقون السمع من الملائكة في الهواء. وأما معرفة ملائكة السماء بالأمر فباستخبارهم ملائكة أهل السماء الثانية، هكذا يستخبر أهل كل سماء من أهل السماء [التى][2] فوقهم، حتى يصلوا إلى حملة العرش فيخبرون بما قضاه الله تعالى من الأمر، ويرجع الخبر من سماء إلى سماء حتى يصل إلى السماء الدنيا، ثم الشياطين يسترقون على ما قلنا من قبل.

وقوله: ﴿ فأتبعه شهاب مبين ﴾ الشهاب هو الشعلة من النار، فإن قال قائل: نحن لانرى ناراً، وإنما نرى نوراً أو نجماً ينقض.

والجواب: أنه يحتمل أنه ينقض نورًا، فإذا وصل إليه صار ناراً، أو يحتمل أنه يرى من بعد المكان أنه نجم وهو نار، وقيل: إن النجم ينقض فيرمى الشيطان ثم يعود إلى مكانه. واعلم أن هذا لم يكن ظاهراً فى زمن الأنبياء قبل الرسول ﷺ، ولم يذكره شاعر من العرب قبل زمان النبى ﷺ، وإنما روى هذا فى ابتداء أمر النبى ﷺ، وكان ذلك أساسًا لنبوته ﷺ، وإنما ذكر الشعراء ذلك فى زمانه ﷺ، قال الشاعر:

كأنه كوكب فى إثر عفرية ... مسوَّمٌ فى سواد الليل منقضب

قوله تعالى: ﴿ والأرض مددناها ﴾ معناه: بسطناها، ويقال: إنها مسيرة خمسمائة سنة فى مثلها، دحيت من تحت الكعبة.

وقوله: ﴿ وألقينا فيها رواسى ﴾ أى: جبالا ثوابت، وقد كانت الأرض تميل إلى أن أرساها الله بالجبال.

---

(١) رواه البخارى (٨/ ٢٣١ رقم٤٧٠١)، والترمذى (٥/ ٣٣٧ رقم٣٢٢٣)، وابن ماجة (١/ ٦٩-٧٠ رقم١٩٤) من حديث أبى هريرة.

(٢) فى «الأصل وك»: الذى

مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا

وقوله: ﴿ وأنبتنا فيها من كل شيء موزون ﴾ أى: معلوم، ويقال: من كل شيء موزون معناه: من الحديد والرصاص والنحاس والذهب والفضة وكل ما يوزن.

وقوله: ﴿ وجعلنا لكم فيها معايش ﴾ قيل: إنها المطاعم والمشارب والملابس، وقيل: إنها ما يعيش به المرء فى الدنيا، قال جرير شعراً:

تطـالبنى معيشـة آل زيد ومن لى (بالمرقق والصناب) (١)

الضباب من الآجار، وغير ذلك من (اللوامخ) (٢).﴿ ومن لستم له برازقين ﴾ معناه: جعلنا فيها معايش لكم، وجعلنا فيها من لستم (فيها)(٣) برازقين، وهى الدواب والطيور والوحوش. وفى الآية قول آخر: وهو أنا جعلنا لكم فيها معايش، وجعلنا لكم أيضاً الدواب والطيور والأنعام، وكفيناكم رزقها، فإن قال قائل: قد قال: «ومن لستم له برازقين»، و«مَنْ» إنما تقال فيمن يعقل لافيمن لايعقل؟.

والجواب عنه: أن العبيد والمماليك قد دخلوا فى هؤلاء، والعرب إذا جمعت بين من يعقل وبين من لايعقل غلّبت من يعقل.

قوله تعالى: ﴿ وإن من شيء إلا عندنا خزائنه ﴾ يعنى: مفاتيح خزائنه ،وقيل: إنها نفس الخزائن، ومعنى الخزائن أنه إذا قال: كن كان.

قوله: ﴿ وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴾ أى: إلا بقدر معلوم فى وقت معلوم، ويقال: إنه لاتنزل قطرة من السماء إلا ومعها ملك يسوقها حيث يريد الله، والله أعلم.

---

(١) والبيت أورده ابن منظور فى اللسان (١ / ٥٣١)، وفيه: ومن لى بالصلائق والصناب. وفسر ابن منظور الصناب بأنه صباغ يتخذ من الخردل والزبيب.

(٢) كذا فى «الأصل وك»، ولعله: اللوامج، وهو مايتعلل به قبل الغداء، (ترتيب القاموس: مادة اللمج).

(٣) فى «ك»: له.

مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ

قوله تعالى: ﴿ وأرسلنا الرياح لواقح ﴾ قال أبو عبيدة: ملاقح واحدتها ملقحة، وقال غيره: هي لواقح واحدها لاقح، ومعنى اللاقح أنها تحمل الماء، ومعنى الملقح أنها تمر على السحاب والأرض فتلقحه، وإلقاح السحاب هو أن يلقى إلى السحاب ما يحمل به الماء، وقيل: إنها تلقح الأشجار أيضا.

وقال ابن مسعود: إن الريح تحمل الماء فتجريه السحاب؛ فتدر السحاب، كما تدر اللقحة، وعن عبيد بن عمير أنه قال: تجيء الريح المبشرة فتقم الأرض قمًّا، ثم تجيء الريح المنشأة فتنشئ السحاب نشئًا، ثم تجيء الريح المؤلفة فتؤلف السحاب بعضه إلى بعض، ثم تجيء الريح اللاقحة فتلقح السحاب.(١) (وفي) (٢): أن لقح الرياح؛ الجنوب.

وفي بعض الآثار: «ما هبت ريح الجنوب إلا وأنبعت عينا غرقة غَدقة»، وأما الريح العقيم هي التي لاتلقح وتأتي بالعذاب.

وقوله: ﴿ وأنزلنا من السماء ماءً فأسقيناكموه ﴾ يعني: أعطينا لكم بها سقيًا، يقال: أسقى فلانا إذا جعل له سقيًا، وسقى فلانا إذا أعطاه ما يشرب.

وقوله: ﴿ وما أنتم له بخازنين ﴾ يعني: أنه في خزائننا، وليس في خزائنكم، وقيل: وما أنتم له بمانعين ولا دافعين (أي: أردتموه)(٣).

قوله تعالى: ﴿ وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون ﴾ ظاهر المعنى. وقوله: والوارث في صفات الله أنه الباقي بعد هلاك الخلق أجمعين، وقيل معناه: أن مصير

(١) الأثر رواه ابن جرير (١٤ / ١٥)، وفيه: فتلقح الجر، ثم تلا الآية.

(٢) كذا في «الأصل وك». ولعلها: وقيل.

(٣) كذا في «الأصل وك»: وفي سياق الكلام خطأ أو سقط، ومعنى الآية ولستم بخازني الماء الذي أنزلناه من السماء فأسقيناكموه، فتمنعوه من أسقيه؛ لأن ذلك بيدي وإليّ، فأسقيه من أشاء وأمنعه من أشاء. (تفسير ابن جرير ١٤ / ١٦).

الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ

الخلق إليه.

قوله تعالى: ﴿ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين﴾ قال الشعبى: معناه: ولقد علمنا الأولين منكم والآخرين، ويقال معناه: علمنا المتقدمين منكم بالطاعة، والمتأخرين منكم بالمعصية، وقيل: علمنا من خلقنا منكم ومن سنَخْلُقُهُ من بعد. وعن الربيع بن أنس «أن النبى ﷺ حضّ الناس على الجماعة فتقدم بعضهم، وتأخر البعض لكثرة الجمع؛ فأنزل الله تعالى: ﴿ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين﴾»(١).

ويقال معناه: ولقد علمنا المستقدمين منكم فى حق القتال، وعلمنا المستأخرين عنه. وفى الآية خبر مسند برواية أبى الجوزاء عن ابن عباس: «أن امرأة كانت تحضر الجماعة، وهى من أحسن النساء وجهًا، فكان قوم يتقدمون لئلا يرونها، وقوم يتأخرون. فإذا ركعوا نظروا إليها من تحت آباطهم؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية». أورده أبو عيسى الترمذى فى جامعه(٢).

قوله تعالى: ﴿وإن ربك هو يحشرهم﴾ يعنى: يحشرهم إلى القيامة. وقوله: ﴿إنه حكيم عليم﴾ أى: حكيم فى تدبيره، عليم بخلقه

قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإٍ مسنون﴾ الصلصال هو

---

(١) ذكره الواحدى فى أسباب النزول (ص٢٠٧).

(٢) جامع الترمذى (٥/ ٢٧٦ - ٢٧٧ رقم٣١٢٢)، ورواه النسائى (٢/ ١١٨ رقم٨٧٠) وابن ماجة (١/ ٣٣٢/ رقم١٠٤٦)، والطبرى (١٤/ ١٨) والطبرانى فى الكبير (١٢/ ١٧١ رقم ١٢٧٩١)، والحاكم (٢/ ٣٥٣) وقال صحيح الإسناد، وابن حبان - الإحسان - (٢/ ١٢٦ رقم٤٠١). والبيهقى فى الكبرى (٣/ ٩٨) وقال الترمذى: وروى جعفر بن سليمان هذا الحديث عن عمرو بن مالك، عن أبى الجوزاء نحوه ولم يذكر فيه عن ابن عباس، وهذا أشبه أن يكون أصح من حديث نوح. وقال ابن كثير فى تفسيره (٢/ ٢٥٠): وهذا الحديث فيه نكارة شديدة .. ثم قال: فالظاهر أنه من كلام أبى الجوزاء فقط.

﴿٢٦﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ

الطين اليابس الذى إذا حرِّك صلصل أى: صوّت، قال الشاعر:

وقاع ترى الصلصال فيه ودونه　　　بقـــاع تلال بالعـــرى والمناكـــب

ويقال: الصلصال المنتن، يقال: صَلَّ اللحم إذا أنتن، وذكر الكلبى عن ابن عباس: أن الصلصال هو الطين الرطب، ويقال: إذا جرى الماء على الأرض الطينة، ثم انحسر الماء وتشققت الأرض حتى يُرى مثل الخزف، فهو صلصال.

وقوله: ﴿من حمإٍ مسنون﴾ الحمأ: الحمأة، وهى الطين الأسود، والمسنون: المتغير المنتن، كذلك قاله مجاهد. وقال بعضهم: المسنون المصبوب، وهذا يشبه القول الذى بيّنا أن الصلصال هو الطين الرطب، وفى الآثار: أن الحسن كان يسن الماء على وجهه سنا، أى: يصب.

وفى الآية قول ثالث: وهو أن المسنون هو المصبوب على قالب وصورة، وفى بعض (التفاسير)(١): أن الله تعالى خَمَّر طينة آدم، وتركه حتى صار متغيراً أسود منتناً، ثم خلق آدم منها.

قوله: ﴿والجآن خلقناه من قبل من نار السموم﴾ يُقال: الجآن هو إبليس، ويُقال: الجآن أبو الجن، كما أن آدم أبو البشر، وأما إبليس هو أبو الشياطين، وفى الجن مؤمنون وكافرون، ويحيون ويموتون.

وأما الشياطين فليس فيهم مسلم، ويموتون إذا مات إبليس، وذكر وهب بن منبه: أن من الجن من يولد لهم، ويأكلون ويشربون بمنزلة الآدميين، ومن الجن من هم بمنزلة الريح لايتوالدون، ولايأكلون، ولايشربون، والله أعلم.

وقوله: ﴿من نار السموم﴾ أى: من الريح الحارة، والسموم: ريح حارة تدخل فى مسام الإنسان فتقتله، و يقال: إن السموم بالنهار والحرور بالليل، ويقال: إن السموم

(٢) فى «ك»: الآثار.

بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ

بالليل والنهار جميعًا، وقيل: نار السموم لهيب النار.

وفى بعض الآثار عن عبد الله بن مسعود: أن هذا السموم الذى نراه جزء من سبعين جزءاً من سموم جهنم. ويقال: من نار السموم أى: من نار جهنم.

قوله تعالى: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من صلصال من حمإٍ مسنون﴾ قد ذكرنا. قوله تعالى: ﴿فإذا سويته﴾ أى: صورته. وقوله: ﴿ونفخت فيه من روحى﴾ الروح: جسم لطيف يحيا به الإنسان، [وأضافها](١) إلى نفسه تشريفًا وتكريمًا.

وقوله: ﴿فقعوا له ساجدين﴾ أى: اسقطوا له ساجدين.

قوله تعالى: ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون﴾ فى بعض التفاسير: أنه قال لجماعة من الملائكة: اسجدوا لآدم فلم يفعلوا؛ فجاءت نارٌ وأحرقتهم جميعًا(٢)، ثم قال لجماعة آخرين: اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس.

وقوله: ﴿كلهم أجمعون﴾ فيه سؤال معروف، وهو أنه يُقال: لما قال ﴿فسجد الملائكة﴾؟ فأيش فائدة قوله: ﴿كلهم أجمعون﴾؟.

والجواب: أن الخليل وسيبويه زعما أن هذا تأكيد بعد تأكيد، (وذكر)(٣) المبرد أن قوله: ﴿فسجد الملائكة﴾ كان من المحتمل أن بعضهم سجد؛ فذكر كلهم ليزيل هذا الإشكال، ثم كان يحتمل أنهم سجدوا فى أوقات مختلفة؛ فذكر أجمعون ليزيل الالتباس.

وقوله: ﴿إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين﴾ ظاهر المعنى. قوله تعالى:

(١) فى «الأصل، وك»: أضاف.

(٢) وهذا باطل بنص الكتاب والسنة والإجماع، فالملائكة خلق من خلق الله يفعلون ما يؤمرون.

(٣) فى «ك»: وزعم.

السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾

﴿قال يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين﴾ معناه: لِمَ لَمْ تسجد وقد أمرتك؟ قوله: ﴿قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأٍ مسنون﴾ معناه: أنى أفضل منه؛ لأنه طينى، وأنا نارى، والنار تأكل الطين.

وفى بعض الآثار: «أن الله تعالى خلق الملائكة من نور العزة، وخلق الجآن من النار، وخلق آدم من التراب»(١).

فإن قال: إذا كان عندكم أن إبليس من الملائكة، وقد خلقوا من النور، فكيف قال إبليس خلقتنى من نار؟

والجواب عنه: أن إبليس كان من قبيلة من الملائكة خلقوا من النار، وقد ذكرنا فى سورة البقرة.

قوله: ﴿قال فاخرج منها فإنك رجيم وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين﴾ ظاهر المعنى، ويقال: إن إبليس ملعون السماء والأرض، وإن أهل السماء يلعنونه، كما أن أهل الأرض يلعنونه.

قوله تعالى: ﴿قال رب فأنظرنى إلى يوم يبعثون﴾ أى: فأمهلنى إلى يوم البعث، وأراد الملعون ألا يموت؛ فأجابه الله تعالى وقال: ﴿إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم﴾ أى: الوقت الذى يموت فيه الخلائق، ويقال: إن مدة موت إبليس أربعون سنة، وهو ما بين النفختين. وقال أهل المعانى: إن إبليس لما سأل الإمهال لم تكن إجابة الله إياه كرامةً له، بل كانت زيادة له فى شقائه وبلائه.

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه (١٨/١٦٧رقم٢٩٩٦)، وأحمد فى مسنده (٦/١٥٣، ١٦٨)، وابن حبان - الإحسان - (١٤/٢٥ - ٢٦رقم٦١٥٥)، والبيهقى فى الأسماء والصفات (ص ٣٨٥ - ٣٨٦) من حديث عائشة بنحوه.

قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ

قوله تعالى: ﴿قال رب بما أغويتنى﴾ الأكثرون على أن معناه: بما أضللتنى، وقيل: بما خيبتنى من رحمتك، وقيل: بما أهلكتنى، ويقال: بما نسبتنى إلى الغواية، وهو تأويل باطل عند أهل السنة.

وقوله: ﴿لأزينّن لهم فى الأرض﴾ معناه: لأزينن لهم حب الدنيا والغواية. وقوله: ﴿ولأغوينهم أجمعين﴾ أى: لأضلنهم أجمعين، والمراد من إغواء إبليس تسببه إلى الغواية.

قوله تعالى: ﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾ والمخلصين: ظاهر المعنى، وقد بينا من قبل.

قوله تعالى: ﴿قال هذا صراط علىّ مستقيم﴾ أكثر أهل المعانى على أن الآية للتهديد والوعيد، كالرجل يقول لغيره: طريقك علىّ، مسيرك إلىّ، أى: لا تفلت منى. وهذا فى معنى قوله تعالى: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾[1] أى: على طريق الخلق.

والقول الثانى فى الآية: أن معنى قوله: ﴿هذا صراط علىّ﴾ أى: إلىّ.

وقوله ﴿مستقيم﴾ أى: بأمرى وإرادتى.

والقول الثالث: صراط على مستقيم أى: علىَّ استقامته بالبيان والبرهان والتوفيق والهداية، وقرأ الحسن وابن سيرين: «هذا صراطٌ عَلِيٌّ مستقيم» أى: رفيع، وعبّروا عنه: رفيع من أن ينال، مستقيم من أن يمال، وقال الشاعر فى الصراط بمعنى الطريق:

أمير المؤمنين على صـراط ... إذا اعـوج المـوارد مستقيم

قوله تعالى: ﴿إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾ هذا تحقيق لقوله تعالى فيما سبق: ﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾.

---

(١) الفجر: ١٤.

الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴿٤٦﴾

قوله تعالى: ﴿وإن جهنم لموعدهم أجمعين﴾ يعنى: موعد إبليس ومن تبعه للخلود فيها.

قوله تعالى: ﴿لها سبعة أبواب﴾ روى عن على - رضى الله عنه - أنه قال: سبعة أبواب بعضها فوق بعض، وقال ابن جريج: النار سبعة دركات: أولاها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية.

وقوله: ﴿لكل باب منهم جزء مقسوم﴾ أى: لكل دركة قوم يسكنونها بقدر ذنوبهم. وفى بعض الآثار: أن فى الدركة الأولى [المسلمين](١) - يعنى: الذين أُدخلوا النار بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها - وفى الثانية النصارى، وفى الثالثة اليهود، وفى الرابعة [الصابئين](١)، وفى الخامسة المجوس، وفى السادسة أهل الشرك، وفى السابعة [المنافقين](١).

قوله تعالى: ﴿إن المتقين فى جنات وعيون﴾ أى: فى بساتين وأنهار.

قوله: ﴿ادخلوها بسلام أمنين﴾ يعنى: يقال لهم: ادخلوها بسلام آمنين، والسلام هو السلامة، والأمن من الموت والخروج.

قوله تعالى: ﴿ونزعنا ما فى صدورهم من غل﴾ فى الأخبار المسندة عن النبى ﷺ قال: «يُحبس المؤمنون على قنطرة بين النار والجنة فيقتص لبعضهم من بعض، حتى إذا هذبوا ونقوا، وخرج الغل من قلوبهم، أمر بهم إلى الجنة»(٢). وأما الغل فقد قيل: إنه الشحناء والعداوة، وقيل: إنه الحقد والحسد والخيانة، قال الشاعر:

جزى الله عنا جمرة ابنة نوفل　　　جزاء مُغِلّ بالأمانة كاذب

---

(١) وردت هذه الكلمات الثلاث بالرفع فى «الأصل وك»، والصواب بالنصب على أنها اسم لأنَّ.

(٢) تقدم فى تفسير سورة الأعراف، وهو فى صحيح البخارى وغيره.

وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ

أى: خائن. وفى بعض الآثار: أن أهل الجنة يصلون إلى باب الجنة والغل فى صدورهم، فإذا دخلوا يذهب الغل كله عن صدورهم. ومن المعروف عن على - رضى الله عنه - أنه قال: إنى أرجو أن أكون وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى: ﴿ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين﴾.

وقوله: ﴿على سرر متقابلين﴾ أى: لاينظر بعضهم إلى قفا بعض، وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ: «أن المؤمن فى الجنة إذا وَدَّ أن يلقاه أخاه المؤمن سار سرير كل واحد منهما إلى صاحبه، ويلتقيان ويتحدثان، ثم ينصرف كل واحد منهما إلى منزله»[(١)].

قوله تعالى: ﴿لايمسهم فيها نصب﴾ أى: تعب. قوله: ﴿وما هم منها بمخرجين﴾ هذا أنص آية فى القرآن على الخلود؛ هكذا قال أهل العلم.

قوله تعالى: ﴿نبئ عبادى أنّى أنا الغفور الرحيم﴾ روى أن النبى ﷺ خرج على الصحابة، وهم يضحكون، فقال لهم: «أتضحكون، وبين أيديكم النار؛ فجاء جبريل بهذه الآية وقال: يقول لك ربك: يا محمد، لم تقنط عبادى؟»[(٢)].

(١) رواه البزار - كما فى مختصر الزوائد - (٢/ ٤٨٦ - ٤٨٧رقم٢٢٧٠)، وابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (ص٧٦رقم٢٣٩)، وابن أبى حاتم فى العلل (٢/ ٢٢٠) عن أبيه قوله: من حديث أنس، والعقيلى فى الضعفاء (٢/ ١٠٣). ونقل ابن أبى حاتم فى العلل (٢/ ٢٢٠) عن أبيه قوله: هذا حديث منكر، وسعيد مجهول. وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٤٢٤): ورجاله رجال الصحيح غير سعيد بن دينار والربيع بن صبيح، وهما ضعيفان، وقد وثقا.

(٢) رواه البزار فى مسنده (٦/ ١٧٤رقم٢٢١٦) والطبرانى فى الكبير (١٣/ ١٠٤ رقم ٢٤٨) من حديث عبدالله بن الزبير، وقال البزار: وهذا الحديث لانعلم أحداً يرويه بهذا اللفظ عن النبى ﷺ إلا ابن الزبير، ولا نعلم له إلا هذا الطريق، ولا نعلم أن مصعب بن ثابت سمع من ابن الزبير. وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ٤٩): رواه الطبرانى، وفيه موسى بن عبيدة، ضعيف. وعزاه السيوطى فى الدر (٤/ ١١٤) لابن مردويه أيضًا. ورواه الطبرى فى تفسيره (١٤/ ٢٧) عن رجل من الصحابة.

الْعَذَابُ الأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ

وقوله: ﴿أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الأليم﴾ ظاهر المعنى. وروى أبو هريرة عن النبى ﷺ أنه قال: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من الرحمة ما تورع عن ذنب، ولو يعلم الكافر ما عند الله من العقوبة لنخع نفسه». وأورد مسلم فى صحيحه ما هو قريب من هذا(١).

قوله تعالى: ﴿ونبئهم عن ضيف إبراهيم﴾ قيل معناه: عن أضياف إبراهيم، وقد بينا عدد الملائكة الذين كانوا أضيافه. وقوله: ﴿إذ دخلوا عليه فقالوا سلامًا﴾ أى: سلموا سلامًا.

وقوله: ﴿قال إنا منكم وجلون﴾ وسبب وجل إبراهيم منهم؛ أنه قَرَّب إليهم الطعام فلم يأكلوه، وقد كانوا إذا لم يأكل الضيف استرابوا به. ﴿قالوا لاتوجل﴾ أى: لاتخف، قال الشاعر:

لعمرك لا أدرى وإنى لأوجل ... على أينا تعدو المنية أول

وقوله: ﴿إنا نبشرك بغلام عليم﴾ معناه: غلام فى صغره، عليم فى كبره، وهو إسحاق. وقوله تعالى: ﴿قال أبشرتمونى﴾ الأصل: أبشرتموننى؛ فأسقط إحدى النونين واكتفى بالكسرة. وقوله: ﴿على أن مسنى الكبر﴾ يعنى: على حال الكبر، وهذا على طريق التعجب، وكذلك قوله: ﴿فبم تبشرون﴾ على طريق التعجب، وليس على طريق الشك والإنكار.

قوله تعالى: ﴿قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين﴾ الحق: وضع الشىء فى موضعه على ما تدعو إليه الحكمة، والقنوط هو اليأس، ومعنى الحق ها هنا هو الصدق.

---

(١) متفق عليه بنحوه، رواه البخارى (١١/ ٣٠٧رقم٦٤٦٩)، ومسلم (١٧/ ١١٠رقم٢٧٥٥)، وقد تقدم.

﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ
﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلاَّ آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾
إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ
قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا

قوله تعالى: ﴿قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون﴾ يعنى: إلا الكافرون، والقنوط من رحمة الله كبيرة من الكبائر كالأمن من مكر الله.

قوله تعالى: ﴿قال فما خطبكم أيها المرسلون﴾ قد ذكرنا معناه فى سورة هود. قوله تعالى: ﴿قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين﴾ أراد به قوم لوط. وقوله: ﴿إلا آل لوط﴾ المراد منه لوط وبناته ومن آمن به، وقد ذكرنا. وقوله: ﴿إنا لمنجوهم أجمعين﴾ هذا استثناء من الاستثناء، فالاستثناء الأول من المهلكين، والثانى من المنجين، فبقى المستثنى بالاستثناء الثانى فى المهلكين وهو امرأته، وهذا مثل ما يقول الرجل لك: على عشرة إلا أربعة إلا ثلاثة، فالمستثنى بالاستثناء الثانى (بقى)[1] فى المقر به بالإقرار الأول، فيصير كأنه استثنى درهمًا، ويجب تسعة دراهم.

وقوله: ﴿قدرنا﴾ أى: حكمنا. وقوله: ﴿إنها لمن الغابرين﴾ أى: من الباقين فى العذاب، قال الشاعر:

لاتكسع الشول بأغبارها   إنك لاتدرى مــن النــاتج

أى: ببقاياها، وفى الأحاديث: «يذهب أهل العلم وتبقى غبرات فى أوعية سوء» أى: بقايا.

قوله تعالى: ﴿فلما جاء آل لوط المرسلون﴾ ظاهر المعنى. قوله تعالى: ﴿قال إنكم قوم منكرون﴾ لأنه لم يعرفهم. قوله تعالى: ﴿قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون﴾ أى: يشكون، وفى القصة: أن لوطًا كان يتوعدهم بالعذاب، فلا يصدقونه فهو فى معنى قوله: ﴿بما كانوا فيه يمترون﴾.

(١) فى «ك»: نفى.

لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن

وقوله: ﴿وآتيناك بالحق وإنا لصادقون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿فأسر بأهلك﴾ سرى وأسرى بمعنى واحد. وقوله: ﴿بقطع من الليل﴾ أى: بقطعة من الليل. وقوله: ﴿واتبع أدبارهم﴾ هذا دليل على أن الله تعالى أمره أن يقدم أهله، ثم يمضى فى إثرهم.

وقوله: ﴿ولايلتفت منكم أحد﴾ أمرهم بترك الإلتفات حتى لايرتاعوا من العذاب إذا نزل بقومهم، وقيل: إن الله تعالى جعل ذلك علامة لمن ينجو من آل لوط، فإن المرأة التفتت لما سمعت الهدَّة فهلكت.

وقوله: ﴿وامضوا حيث تؤمرون﴾ يقال: أمروا أن يمضوا إلى «زغر»، وهى بلدة بالشام، وقيل: إلى أرض الأردن وفلسطين.

قوله تعالى: ﴿وقضينا إليه ذلك الأمر﴾ قد ذكرنا أن القضاء بمعنى الفراغ ومعناه: أنا حكمنا وأبرمنا الأمر الذى أمرناه فى قوم لوط. وقوله: ﴿أن دابر هؤلاء﴾ أى: أصل هؤلاء، وقيل: آخر هؤلاء ﴿مقطوع مصبحين﴾ يعنى: حين يدخلون فى الصبح.

قوله تعالى: ﴿وجاء أهل المدينة يستبشرون﴾ يعنى: يبشر بعضهم بعضًا لما يرجون من ارتكاب الفاحشة.

قوله تعالى: ﴿قال إن هؤلاء ضيفى فلا تفضحون﴾ الفضيحة: فعل يُفعل بالمرء يلزمه به العار (والأنفة)(١) ﴿فاتقوا الله ولا تخزون﴾ فالخزى بمعنى الفضيحة.

قوله تعالى: ﴿قالوا أو لم ننهك عن العالمين﴾ معناه: أو لم ننهك أن تضيف

(١) كذا!.

كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ

أحداً، وقيل: أو لم ننهك عن العالمين، يعنى: إدخال الغرباء فى المدينة، فإنك إن أدخلتهم (نركب منهم)[1] الفاحشة. ﴿قال هؤلاء بناتى إن كنتم فاعلين﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿لعمرك إنهم لفى سكرتهم يعمهون﴾ قال ابن عباس: وعيشك، وقيل: وحياتك. وعن ابن عباس أنه قال: ما خلق الله خلقًا أكرم عليه من محمد ﷺ، فإن الله تعالى لم يقسم بحياة أحد إلا بحياة محمد ﷺ. وقوله: ﴿لفى سكرتهم يعمهون﴾ أى: فى ضلالتهم يترددون.

قوله تعالى: ﴿فأخذتهم الصيحة مشرقين﴾ يقال: أشرقت الشمس إذا طلعت، فإن قيل: قد قال قبل هذا: ﴿مصبحين﴾[2]، وقال هاهنا: ﴿مشرقين﴾ فكيف وجه الجمع؟

الجواب من وجهين: أحدهما: أن ابتداء العذاب كان من الصبح، وتمامه عند الإشراق.

والجواب الثانى: أن الإشراق هاهنا بمعنى الإصباح، وهو جائز فى كلام العرب.

وقوله: ﴿فجعلنا عاليها سافلها﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿إن فى ذلك لآيات للمتوسمين﴾ أى: للناظرين المعتبرين.

وقيل للمتفرسين، وهم الذين يعلمون[3] الناس [بسيماهم][4] على ما يريهم الله منها.

---

(١) كذا! ولعل الصواب: نرتكب معهم.

(٢) الحجر: ٦٦.

(٣) فى «ك»: يعرفون.

(٤) فى «الأصل»: بسماتهم. والمثبت من «ك».

لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ

وقد روى عن النبى ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» رواه عطية عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ، ذكره أبو عيسى الترمذى فى جامعه[1].

وروى ثابت عن أنس عن النبى ﷺ أنه قال: «من أمتى قوم يعلمون الناس بالتوسم»[2].

وقوله: ﴿وإنها لبسبيل مقيم﴾ أى: بطريق واضح لايخفى ولايندرس، وسماه مقيماً لثبوت الآيات فيه، وقد كانوا يمرون عليها عند مضّيهم إلى الشام ورجوعهم. وقوله: ﴿إن فى ذلك لآية للمؤمنين﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين﴾ قال أهل المعانى: «إن» للتأكيد، وكذا اللام فى قوله ﴿لظالمين﴾ ومعنى الآية: وقد كان أصحاب الأيكة ظالمين. والأيكة هى الغَيْضَةُ، وقيل: هى الشجر الملتف، وقال قتادة: كان شجرهم دَوْماً، وقال بعضهم: كانت أشجارهم مثمرة يأكلون منها رطباً بالصيف ويابساً بالشتاء، وقد قال فى موضع آخر: ﴿ليكة﴾[3] فيه قولان: أحدهما: أن الأيكة وليكة بمعنى واحد.

والآخر: أن الأيكة اسم البلاد، وليكة اسم القرية، قال أهل التفسير: وكان رسولهم شعيب النبى ﷺ، وبعث إلى أهل مدين وإلى أهل الأيكة، فأما أهل مدين

---

(١) جامع الترمذى (٥/٢٧٨-٢٧٩رقم٣١٢٧) وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وقد روى عن بعض أهل العلم. ورواه الطبرى فى التفسير (١٤/٤٦)، والخطيب فى تاريخه (٣/١٩١) وقال: وهو غريب من حديث عطية العوفى عن أبى سعيد، لانعلم رواه عنه غير عمرو بن قيس الملائى، وتفرد به محمد بن كثير عن عمرو؛ وهو وهم، والصواب ما رواه سفيان، عن عمرو بن قيس الملائى، قال: كان يقال: «اتقوا فراسة المؤمن...» ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات (٣/١٤٦).

(٢) رواه الطبرى فى التفسير (١٤/٤٦)، والبزار - كما فى مختصر زوائده - (٢/٥٠٦ رقم ٢٣٠٢)، والطبرانى فى الأوسط - كما فى مجمع البحرين - (٨/٢٢٢رقم٥٠٠٤)، والقضاعى فى مسند الشهاب (٢/١١٦-١١٧رقم١٠٠٥،١٠٠٦). وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/٢٧١): رواه البزار، والطبرانى فى الأوسط، وإسناده حسن. وحسّن إسناده أيضاً السخاوى فى المقاصد (ص٦٠).

(٣) الشعراء: ١٧٦.

أَصْحَابُ الأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم

أهلكوا بالصيحة، وأما أهل الأيكة فأهلكوا بعذاب [الظلة](١).

وفى القصة: أنه أصابهم حر شديد فى منازلهم، ومنع الله تعالى الريح عنهم، وشدّد الحر عليهم، وكانوا كذلك أياما، ثم اضطرم عليهم الوادى نارا فهلكوا أجمعين. ويقال: إنهم هلكوا غمًّا؛ وهذا معنى قوله: ﴿ فانتقمنا منهم ﴾.

وقوله: ﴿ وإنهما لبإمام مبين ﴾ أى: بطريق واضح، وسمى الطريق إمامًا؛ لأنه يؤتم به ويتبع، والكناية فى قوله: ﴿ وإنهما ﴾ تنصرف إلى قرية قوم لوط وقرية أصحاب الأيكة، وهذه البلاد بين الحجاز والشام، وقد كانت قريش يمرون عليها فى أسفارهم.

قوله تعالى: ﴿ ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين ﴾ «الحجر»: ديار ثمود. وقوله: ﴿ المرسلين ﴾ المراد به صالح - عليه السلام - وقوله: ﴿ و آتيناهم آياتنا ﴾ قال ابن عباس: الآيات فى الناقة: خروجها من الصخرة، وكبرها وقرب ولادتها وغزارة لبنها، فقد كانوا يحلبونها ما يكفيهم يومًا. وقوله: ﴿ فكانوا عنها معرضين ﴾ ظاهر المعنى.

قوله: ﴿ وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين ﴾ أى: آمنين من الوقوع عليهم، وقيل: (عليهم)(٢) آمنين من الخراب، وقيل: آمنين من العذاب.

وقوله: ﴿ فأخذتهم الصيحة مصبحين ﴾ أى: حين دخلوا فى الصبح.

وقوله: ﴿ فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ﴾ أى: ما دفع عنهم ما كانوا يكسبون.

---

(١) فى «الأصل وك»: الظلمة، وهو خطأ. وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة ﴾ الشعراء: ١٨٩، وانظر الدر (٤ / ١١٦).

(٢) كذا فى «الأصل وك»، والأولى حذفها، وأراها كررت من الناسخ بالتى قبلها، والله أعلم.

مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا

قوله تعالى: ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ أى: لإظهار الحق، ووجه اتصال هذا بما قبله فى المعنى أنهم لما كذبوا بالحق أهلكناهم؛ لأنا ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق، وقيل: معنى الحق هو جزاء المحسن بإحسانه، وجزاء المسيىء بإساءته.

قوله تعالى: ﴿وإن الساعة لآتية﴾ أى: فيظهر الجزاء بالإحسان و الإساءة.

وقوله: ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ أى: أعرض عنهم من غير جزع ولا شكوى.

قال ابن عباس: هذا قبل نزول آية السيف، ثم نسخ بآية السيف. وقوله: ﴿إن ربك هو الخلاّق العليم﴾ يعنى: الخالق العليم بخلقه.

قوله تعالى: ﴿ولقد آتيناك سبعًا من المثانى والقرآن العظيم﴾ اختلف القول فى هذا، فروى عن عمر وعلى وعبد الله بن مسعود - فى إحدى الروايتين - ومجاهد وقتادة أنهم قالوا: هى فاتحة الكتاب، وقد ثبت هذا عن النبى ﷺ برواية آدم بن أبى إياس عن ابن أبى ذئب عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «الحمد لله: أم الكتاب، والسبع المثانى، والقرآن العظيم».

قال الشيخ الإمام الأجل شيخ الإسلام أبو المظفر: أخبرناه المكى بن عبد الرزاق الكشميهنى قال: أنا جدى أبو الهيثم محمد بن المكى، قال: أنا الفربرى، قال: أنا محمد بن إسماعيل البخارى عن آدم بن أبى إياس...» الخبر(١).

وقد اختلفوا فى بسم الله الرحمن الرحيم، فقال على وابن عباس: إنها الآية السابعة، وقال أبو هريرة ومجاهد وقتادة: إنها ليست بآية منها، والآية السابعة قوله: ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾(٢).

وروى أبى بن كعب أن النبى ﷺ قال: «أُنزلت على سورةٌ؛ ما أنزلت فى التوراة

(١) رواه البخارى فى صحيحه (٨/ ٢٣٢ رقم ٤٧٠٤).

(٢) الفاتحة: ٧.

والإنجيل مثلها، وهى أم القرآن، والسبع المثانى، والقرآن العظيم الذى أعطيته» ذكره أبو عيسى الترمذى فى جامعه(١).

والقول الثانى فى الآية: أن السبع المثانى هى السبع (الطُّوَلُ)(٢) وواحدة الطُّوَل طُولَى، وهى البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس وهذا هو المنقول، وهو قول عبد الله بن عباس - فى رواية سعيد بن جبير - وهو قول الحسن البصرى وجماعة من التابعين.

وفى الآية قول ثالث: وهو أن السبع المثانى: الأمر، والنهى، والبشارة، والنذارة، وضرب الأمثال، وتعداد النعم، وأنباء القرون السالفة.

وأما معنى المثانى: فإذا حملنا الآية على الفاتحة، فمعناه: أنها تثنى فى كل ركعة، وقيل: لأن فيها الثناء على الله تعالى، فهنا تكون «من» للتجنيس لا للتبعيض، فهذا مثل قوله تعالى: ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾(٣) وذكر بعضهم أن معنى الآية: ولقد آتيناك سبعًا من القرآن الذى هو مثانى، وسمى القرآن مثانى؛ لأنه تثنى [فيه](٤) الأحكام والقصص والأمثال والعبر؛ فتكون على هذا «من» للتبعيض، وأما على القول الذى قلنا أن سبع المثانى هى السبع (الطُّوَلُ)(٥) فإنما سماها مثانى؛ لأنه يثنى فيها الأخبار و الأمثال والعبر والقصص.

وأما قوله: ﴿والقرآن العظيم﴾ المراد منه سائر القرآن سوى الفاتحة، وفى هذا شرف عظيم للفاتحة؛ لأنه خصها بالذكر والإمتنان عليه بها، ثم ذكر سائر القرآن، وعلى القول الثانى: القرآن العظيم هو السبع (الطُّوَل)(٥) وغيرها، وخص السبع

(١) جامع الترمذى (٥/١٤٣ رقم ٢٨٧٥) وقال: حسن صحيح. ورواه النسائى (٢/١٣٩رقم٩١٤)، وفى الكبرى (٦/٣٥١ رقم١١٢٠٥)، وأحمد فى مسنده (٢/٤١٢-٤١٣)، وعبد الله فى زوائد المسند (٥/١١٤)، وابن خزيمة فى صحيحه (١/٢٥٢ رقم٥٠٠،٥٠١) وابن حبان - الإحسان - (٣/٥٣ رقم٧٧٥)، والحاكم (١/٥٥٧) وصححه على شرط مسلم.

(٢) فى «ك»: الطوال.

(٣) الحج: ٣٠.

(٤) فى «الأصل وك»: فيها.

(٥) فى «ك»: الطوال.

(الطُّوَل)(١) بالذكر تشريفا لها، قال الشاعر:

نشدتكم بمنزل الفرقان أم الكتاب السبع من المثانى

(ثنتين)(٢) من آى من القرآن

قوله تعالى: ﴿لاتمدّن عينيك إلا ما متعنا به أزواجًا منهم﴾ وجه اتصال هذا بما قبله أنه لما منَّ عليه بالقرآن، نهاه عن الرغبة فى الدنيا والنظر إلى زينتها، ومزاحمة أهلها عليها، وروى أبو عبيد أن سفيان بن عيينة قال فى معنى قوله ﷺ: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن»(٣) أى: لم يستغن بالقرآن، ثم تأول هذه الآية ﴿ولقد آتيناك سبعًا من المثانى والقرآن العظيم، لاتمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجًا منهم﴾ على هذا.

وفى الخبر عن النبى ﷺ أنه قال: «من أوتى القرآن فظن أن أحداً أعطى أفضل مما أعطى فقد صغّر عظيماً وعظّم صغيراً»(٤).

وقوله: ﴿أزواجًا منهم﴾ معناه: أصنافًا منهم، وهم اليهود والنصارى وسائر المشركين، وقيل: إنهم الأغنياء.

وقوله: ﴿ولاتحزن عليهم﴾ يعنى: لاتغتم على ما فاتك من مشاركتهم فى الدنيا،

(١) فى «ك»: الطوال.

(٢) فى «ك»: ثنتان.

(٣) رواه البخارى (١٣/ ٥١٠ رقم٧٥٢٧) من حديث أبى هريرة. ورواه أبو داود (٢/ ٧٤ رقم١٤٦٩)، وأحمد (١/ ١٧٥)، وابن حبان - الإحسان - (١/ ٣٢٧ رقم١٢٠)، والحاكم (١/ ٥٦٩) من حديث سعد بن أبى وقاص، وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

(٤) رواه ابن عدى فى الكامل (٢/ ٣٧٨) فى ترجمة حمزة بن أبى حمزة النصيبى، من حديث ابن مسعود، وروى له حديثا آخر مع هذا ثم قال: وهذان الحديثان عن زيد بن رفيع، ليس يرويهما غير حمزة هذا، ولحمزة أحاديث صالحة، وكل مايرويه أو عامته مناكير موضوعة، والبلاء منه ليس ممن يروى عنه، ولا ممن يروى هو عنهم. وروى من حديث عبد الله بن عمرو، رواه إسحاق بن راهويه ومن طريقه رواه الطبرانى فى معجمه، كما فى تخريج الكشاف للزيلعى (٢/ ٢١٧ - ٢١٨).

تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَا

وفى بعض التفاسير عن أبى رافع: «أن رسول الله ﷺ أتاه ضيف فلم يك عنده ما يقدمه إليه؛ فبعث إلى يهودى يستقرض منه طعاما إلى هلال رجب، فقال اليهودى: والله لا أعطينه إلا برهن، فقال رسول الله ﷺ: أنا أمين الله فى السماء والأرض، ولو باعنى أو أسلفنى لقضيته ثم بعث بدرعه فرهنها منه؛ فأنزل الله تعالى: ﴿لاتمدن عينيك إلى ما متعنا به﴾(١)

وقوله: ﴿ واخفض جناحك للمؤمنين﴾ أى: ألن جانبك للمؤمنين.

وقوله تعالى: ﴿وقل إنى أنا النذير المبين﴾ للحق(٢).

قوله تعالى: ﴿كما أنزلنا على المقتسمين﴾ فإن قال قائل: ما معنى الكاف هاهنا، وهى للتشبيه؟ والجواب عنه: أن معناه أنذركم عذابا ينزل بكم، كما أنزلنا على المقتسمين من العذاب، ويقال: إن الكاف صلة، ومعناه: وقل إنى أنا النذير المبين ما أنزلنا على المقتسمين.

وأما معنى المقتسمين فيه أقوال: أحدها: أنهم اليهود والنصارى، ومعنى الاقتسام منهم أنهم آمنوا ببعض الكتب وكفروا بالبعض، وهذا قول ابن عباس.

والقول الثانى: أنهم قريش، ومعنى الاقتسام أنهم فرقوا القول فى رسول الله ﷺ فقال بعضهم: هو كاهن، وقال بعضهم: هو ساحر، وبعضهم: هو شاعر.

والقول الثالث: ذكر الفراء أن أهل مكة بعثوا بقوم فى طرق الواردين إلى مكة أيام الموسم حتى يقولوا لمن لقيهم من الواردين إلى مكة: لاتقربوا محمداً، وكانوا يسألونهم عن حاله؛ فيقول بعضهم: هو كاهن، ويقول بعضهم: هو مجنون، ويقول

---

(١) رواه الطبرى (١٦ / ١٦٩)، والطبرانى فى الكبير (١ / ٣٣١ رقم٩٨٩) والواحدى فى أسباب النزول (ص٢٢٩). وقال الهيثمى فى المجمع (٤ / ١٢٩): رواه الطبرانى فى الكبير، والبزار، وفيه موسى بن عبيدة الربذى، وهو متروك.

(٢) كذا فى «الأصل وك»، ولعلها: للخلق.

بعضهم: هو ساحر، وبعضهم يقول: هو شاعر، ومعنى الاقتسام: أنهم اقتسموا طرق مكة، وهذا قول معروف ذكره مجاهد وقتادة وغيرهما.

وقوله: ﴿الذين جعلوا القرآن عضين﴾ قال أبو عبيدة: عضين مأخوذ من الإعضاء، (وزعم)[1] الفراء: أنه من العضاة. وقال الكسائي: يجوز أن يكون منهما، ومعنى الآية أنهم جعلوا القرآن أبعاضاً وأجزاءً، فقال بعضهم: إنه أساطير الأولين، وقال بعضهم: إنه كهانة، وما أشبه هذا.

وفي الآية قول آخر: وهو أن معنى قوله: ﴿عضين﴾ يعني: سموه سحراً، والعضة هي السحر، فتكون العضة والعضين بمعنى واحد، مثل عزة وعزين، قال الشاعر:

وليس دين الله بالمعضى

أي: بالمتفرق.

قوله تعالى: ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾ روى أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «هو قول لا إله إلا الله»[2]، وعن أبي العالية الرياحي قال: إن جميع (الخلق)[3] يسألون عن شيئين: عن التوحيد، وعن إجابة المرسلين. وقيل: إن معنى قوله: ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾ يعني: جميع الأعمال التي يعملونها الداخلة تحت التكليف.

قوله تعالى: [﴿فاصدع بما تؤمر﴾][4] قال القتيبي معناه: اظهر بما تؤمر، وأَبِنْ

---

(١) في «ك»: وذكر.

(٢) رواه الترمذي (٥/٢٧٨ رقم٣١٢٦)، والطبري (١٤/٤٦)، والطبراني في الدعاء (٣/١٤٩٣-١٤٩٤/رقم ١٤٩١، ١٤٩٢، ١٤٩٣). وقال الترمذي: هذا حديث غريب، إنما نعرفه من حديث ليث بن أبي سليم، وقد روى عبد الله بن أدريس، عن ليث بن أبي سليم، عن بشر، عن أنس نحوه، ولم يرفعه.

(٣) في «ك»: الخلائق.

(٤) ليس في «الأصل وك».

أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾

غير مراقب لأحد، وقد كان رسول الله ﷺ مختفيًا إلى [أن](١) أنزل الله تعالى هذه الآية، وأمره بالظهور، وقال بعضهم: معنى قوله: ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ أى: أفرق بالقرآن بين الحق والباطل، وذكر مجاهد أن معنى قوله: ﴿فاصدع﴾ أى: اجهر بالقرآن، وقد كان يقرأ (مُسِرًّا)(٢) خوفًا من المشركين؛ فأمره الله تعالى بالجهر وألا يبالى بهم.

والصدع فى اللغة مأخوذ من الظهور، ومنه الصديع اسم للصبح، قال الشاعر:

كأنهن ربابة وكأنه ... يَسَرٌ يفيض على القداح ويصدع

قوله تعالى: ﴿وأعرض عن المشركين﴾ أى: عن جوابهم؛ لأن السفيه لايسافه معه إلا سفيه.

قوله تعالى: ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ قال ابن عباس: المستهزئون خمسة نفر: وهم الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن عبد يغوث، والأسود بن المطلب، وعدى بن قيس، وقد ضم بعضهم إلى هؤلاء الحارث بن الطلاطلة، والحارث بن غيطلة، والمروى عن ابن عباس ما بينا، فروى: «أن جبريل كان واقفًا مع النبى ﷺ فمرَّ بهما هؤلاء القوم رجلا رجلا، وكان جبريل يقول للنبى ﷺ: ما قولك فى هذا

(١) من «ك».

(٢) فى «ك»: سرًا.

الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ

لرجل؟ فيقول النبى ﷺ: بئس عبد الله هذا، فيقول جبريل: كفيناكه فهلكوا، أما الوليد بن المغيرة فمرّ بسهم فتعلق بردائه فذهب يجلس فقطع أكحله فنزف فمات، وأما العاص بن وائل فمرّ على شوكة فخدشت ساقه، فتساقط من ذلك لحمه ومات، وأما الأسود بن عبد يغوث فضُرِب بغصن من شوك على وجهه فسالت حدقتاه ومات، وجعل يقول: استجيبت فىّ دعوة محمد، وأما عدى بن قيس، والأسود بن المطلب، فإن أحدهما قام من الليل فلسعته حية فمات، وأما الآخر فأصابه عطش، فمازال يشرب حتى انشقّ بطنه وهلك»(١)؛ فهذا هو معنى كفاية المستهزئين.

قوله تعالى: ﴿الذين يجعلون مع الله إلهًا آخر﴾ وصفهم بالشرك وعبادة الأوثان. وقوله: ﴿فسوف يعلمون﴾ تهديد ووعيد.

قوله تعالى: ﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون﴾ فهذا تسلية [للنبى](٢) ﷺ، قد روى فى بعض التفاسير: أن الله تعالى لما أنزل فى القرآن سورة العنكبوت وسورة النمل وسورة الذباب وسورة النحل، وكانوا يجتمعون ويقولون

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط - كما فى مجمع البحرين - (٦/ ٤٦-٤٧رقم٣٣٥٤)، والبيهقى فى الدلائل (٢/ ٣١٦-٣١٨)، وأبو القاسم الأصبهانى فى الدلائل (٢/ ٥٥٤-٥٥٨رقم٥٨)، وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ٥٠): رواه الطبرانى فى الأوسط، وفيه محمد بن الحكيم النيسابورى، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

(٢) فى «الأصل»: النبى. والمثبت من «ك».

﴿ الْيَقِينُ (٩٩) ﴾

استهزاء: يقول هذا إلى سورة النمل، ويقول هذا إلى سورة الذباب، ويقول هذا إلى سورة العنكبوت، ويقول هذا إلى سورة النحل، وما أشبه ذلك؛ فأنزل الله تعالى ﴿ ولقد نعلم أنه يضيق صدرك بما يقولون ﴾ وهذا هو الاستهزاء المذكور فى الآية المتقدمة.

وقوله: ﴿ فسبح بحمد ربك ﴾ والتسبيح: هو الثناء على الله بالتبرئة والتنزيه من العيوب، وقيل: فصلِّ بأمر ربك، وفى رواية عائشة – رضى الله عنها –: «أن النبى ﷺ كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة»(١). وقوله: ﴿ وكن من الساجدين ﴾ أى: من المصلين. قوله تعالى: ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ أى: الموت.

فإن قال قائل: أما كان يكفى قوله: ﴿ واعبد ربك ﴾ فما فائدة قوله: ﴿ حتى يأتيك اليقين ﴾؟.

قلنا: لو اقتصر على قوله: ﴿ واعبد ربك ﴾ لكان إذا عبد مرة خرج عن موجب الأمر، فقال: ﴿ حتى يأتيك اليقين ﴾ ليدوم عليها إلى أن يموت، وهذه الآية فى معنى الآية التى ذكرها من بعد، وهى فى مريم، وهى قوله تعالى: ﴿ وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا ﴾(٢).

---

(١) رواه أبو داود (٢/ ٣٥رقم١٣١٩)، وأحمد (٥/ ٣٨٨)، والطبرى (١/ ٢٠٥)، والخطيب فى تاريخه (٦/ ٢٧٤) كلهم من حديث حذيفة. ولم أجده من حديث عائشة.

(٢) مريم: ٣١.

وفى الأخبار المسندة برواية جبير بن نفير عن النبى ﷺ أنه قال: «ما أمرنى الله بجمع المال، وأن أكون من التاجرين، ولكن أمرنى بالصلاة، وأن أكون من الساجدين، وأن أعبد ربى حتى يأتينى اليقين»(١).

(١) رواه أبو نعيم فى الحلية (٢ / ١٣١) من طريق جبير بن نفير عن أبى مسلم الخولانى عن النبى ﷺ مرسلا، وعزاه السيوطى فى الدر (٤ / ١٢٢) لسعيد بن منصور، وابن المنذر، والحاكم فى تاريخه، وابن مردويه، والديلمى، عن أبى مسلم الخولانى مرسلا. وأخرجه ابن عدى فى الكامل (٥ / ٢٥٧)، ومن طريقه أخرجه السهمى فى تاريخ جرجان (ص٣٤٢) من حديث ابن مسعود مرفوعًا. وعزاه السيوطى (٤ / ١٢٢) لابن مردويه أيضًا. ورواه ابن عدى أيضًا (٣ / ٦٩) من حديث أبى الدرداء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ

تفسير ســورة النحــل

وهى مكية سوى ثلاث آيات من آخرها، وهى قوله تعالى: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾(١) إلى آخر السورة، وقيل: إن قوله: ﴿ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد فتنوا﴾(٢) الآية مدنية أيضًا، وهذه السورة تسمى سورة النعم، وقيل: سورة الآلاء.

قوله تعالى: ﴿أتى أمر الله﴾ أى: دنا وقرب، كالرجل يقول لغيره: أتاك الخبر، أو أتاك الغوث إذا دنى منه، ويقال: إن معناه سيأتى أمر الله، وهذا مثل ما يقول القائل: إذا أكرمتنى أكرمتك أى: أكرمك. واختلفوا فى معنى قوله: ﴿أمر الله﴾ فالأكثرون على أن المراد منه عقوبته وعذابه للمكذبين الجاحدين.

والقول الثانى: أن المراد من أمر الله هو الفرائض والأحكام، ذكره الضحاك، وهذا قول ضعيف. وزعم الكلبى وغيره أن المراد منه القيامة.

وقوله: ﴿فلا تستعجلوه﴾ الاستعجال طلب الشىء قبل حينه، ومعناه: لاتطلبوه قبل وقته، وروى عن أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - أنه قال: لما نزل قوله: ﴿أتى أمر الله﴾ رفع الكفار رءوسهم، وظنوا أنها قد أتت حقيقة، فلما قال: ﴿فلا تستعجلوه﴾ خفضوا رءوسهم. وفى بعض الأخبار: «أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿أتى أمر الله﴾ قام رسول الله ﷺ فزعًا، فقال جبريل: فلا تستعجلوه»(٣)، قد ذكره مقاتل فى تفسيره.

وقوله: ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ معناه: تعاظم بالأوصاف الحميدة عما يصفه به (المشركون)(٤). قوله تعالى: ﴿ينزل الملائكة بالروح من أمره﴾ روى

(١) النحل: ١٢٦.
(٢) النحل: ١١٠
(٣) عزاه السيوطى فى الدر (٤ / ١٢٣) لابن مردويه، عن ابن عباس.
(٤) فى «ك»: المشركين، وهو خطأ.

مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ

مجاهد عن ابن عباس: أن الروح خلق من خلق الله تعالى على صور بنى آدم، وليسوا بالملائكة، لاينزل الله ملكًا إلا ومعه روح، والقول الثانى: أن الروح هو الوحى؛ لأنه تقع به حياة القلوب، كالروح تقع بها حياة الأبدان، وقيل: إنها النبوة، وقيل: إنها الرحمة.

وقوله: ﴿على من يشاء من عباده﴾ يعنى: من النبيين والمرسلين.

وقوله: ﴿أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون﴾ معناه: مُرُوهم بقول لا إله إلا الله منذرين ومخوفين لهم بالعذاب؛ يقولوا أو لم يقولوا. فقوله: ﴿فاتقون﴾ أى: فخافون.

قوله تعالى: ﴿خلق السموات والأرض بالحق﴾ أى: لإظهار الحق. وقوله تعالى: ﴿تعالى عما يشركون﴾ أى: ارتفع عما يشركون.

قوله تعالى: ﴿خلق الإنسان من نطفة﴾ يقال: إنه نزلت هذه الآية فى أُبىّ بن خلف، والصحيح أنها عامة فى الكل. وقوله: ﴿من نطفة فإذا هو خصيم مبين﴾ أى: مخاصم مفصح عما فى ضميره بالخصومة، والخصومة: قد تكون حسنة، وقد تكون قبيحة؛ فالحسن منها ما كان لإظهار الحق، والقبيح ما كان لدفع الحق، ومعنى الآية بيان القدرة، و هى أن الله تعالى خلق النطفة من كائن بهذه الحالة، وقيل: إن المراد من الآية بيان النعمة، وقيل: إن المراد من الآية كشف قبيح ما فعلوا من جحدهم نعمة الله مع ظهورها عليهم.

قوله تعالى: ﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفءٌ﴾ الدفء هو الحر المعتدل الذى يكون فى بدن الإنسان من الدِّثار. وأما معنى الآية: قال ابن عباس: الدفء هو اللباس، وقال قتادة: ما يستدفأ به من الأصواف والأوبار، وما أشبه ذلك.

وقال بعضهم: الدفء هو النسل، وذكر الآمدى أن هذا من كلام العرب.

فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ

وقوله: ﴿ومنافع﴾ المنافع هى الركوب والنتاج، وسائر ما ينتفع به. وقوله: ﴿ومنها تأكلون﴾ هو التناول من لحمها ولبنها.

قوله تعالى: ﴿ولكم فيها جمال﴾ أى: زينة، قال السدى: الجمال: أنها إذا خرجت ورُئِيَتْ قيل: هذه إبل فلان.

وإنما خصّ [بقوله](١): ﴿حين تريحون وحين تسرحون﴾ الرواح فى الأنعام هو إذا جاءت من مراعيها إلى أفنية مُلاكها عشيا، والسراح هو إذا خرجت من الأفنية إلى المراعى بكرة؛ فإن قال قائل: لِم قدم الرواح، والسراح هو المقدم؟ قلنا: لأن المالك يكون أعجب بها إذا راحت؛ ولأن المنافع منها إنما تؤخذ بعد الرواح.

وقوله: ﴿وتحمل أثقالكم﴾ الثقل: هو المتاع الذى يثقل حمله. وقوله: ﴿إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بِشِقِّ الأنفس﴾ أى: بجهد الأنفس ومشقتها، وقرئ: «بِشَقِّ الأنفس». واختلفوا فى البلد المذكور، قال بعضهم: هى مكة، وقال بعضهم: أى بلد كان فى العالم، فإن قال قائل: أى مشقة فى أن يركب دابة وطية ويسير عليها من بلد إلى بلد مع الزاد التام وأمن الطريق؟

والجواب: أن السفر لايخلو عن مشقة فى الجملة، والثانى: أن معنى الآية لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس، لولا هذه الدواب.

وقوله: ﴿إن ربكم لرءُوفٌ رحيم﴾ ظاهر المعنى. قوله تعالى: ﴿والخيل والبغال والحمير﴾ الآية حكى أنّ أبا عمرو بن العلاء سئل: لم سميت الخيل خيلا؟ فلم يذكر شيئًا، وكان ثمّ أعرابى حاضرا، فقال: سميت الخيل خيلا لاختيالها.

وقوله: ﴿لتركبوها﴾ زعم بعضهم أن ركوب الحمر الغرّة الحسان أبلغ فى الزينة من الخيل والبغال؛ لأن الله تعالى قال: ﴿لتركبوها وزينة﴾ عقيب ذكر الحمر، وهذا

(١) فى «الأصل وك»: وقوله: والمثبت يقضتيه السياق.

لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

كقوله تعالى: ﴿ قالوا ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها ﴾[1] دلَّ أن البصل أرذل من هذه الأشياء حيث ذكر قوله: ﴿ أتستبدلون الذى هو أدنى ﴾[1] عقيب ذكر البصل، وقيل: شرُّ الحمر الأسود القصير.

والأولى أن يقال: إن الجمال فى الخيل أكثر للحسن والعيان؛ ولأن الله تعالى بدأ بها بالذكر.

وقيل لخالد بن صفوان: مالك لاتركب الحمر؟ قال: هى بطيئة الغوث كثيرة الروث، إذا سار أبطأ وإذا وقف أدلى. ورُؤى مرة على حمار؛ فسئل عن ذلك فقال: أدب عليه دبيبًا، وألقى عليه حبيبا، ويمنعنى أن أكون جبارًا عنيدًا.

وقد ثبت أن رسول الله ﷺ ركب الفرس[2] والبغل[3] والحمار[4]. وفى الآثار: أن الأنبياء من بنى إسرائيل كانوا يركبون الأُتُنَ. وعن ابن عباس أنه كره لحم الخيل؛ قال: لأن الله تعالى قال: ﴿ لتركبوها وزينة ﴾. وقد ثبت برواية جابر أن النبى ﷺ أذن فى لحوم الخيل»[5]، وثبت أيضًا عن أسماء بنت أبى بكر الصديق أنها قالت: «أكلنا لحم فرس على عهد رسول الله ﷺ»[6] فالأولى هو الإباحة، وعليه أكثر أهل العلم.

وقوله: ﴿ ويخلق ما لاتعلمون ﴾ قيل معناه: ويخلق ما لايخطر ببال أحد،

---

(١) البقرة: ٦١.

(٢) أما ركوبه الفرس، فمتفق عليه من حديث أنس، رواه البخارى (٥ / ٢٨٤ – ٢٨٥رقم ٢٦٢٧)، ومسلم (١٥ / ٩٧–٩٨رقم٢٣٠٧).

(٣) وركوبه البغل متفق عليه أيضًا من حديث البراء فى غزوة حنين، رواه البخارى (٦ / ٨١ رقم ٢٨٦٤) ومسلم (١٢ / ١٦٥–١٧٠رقم١٧٧٦).

(٤) وأما ركوبه الحمار فمتفق عليه أيضًا من حديث معاذ فى حق الله على العباد، رواه البخارى (٣ / ٣٥٩ – ٣٦٠رقم٧٣٧٣)، ومسلم (١ / ٣١٥ – ٣٢٠رقم٣٠).

(٥) متفق عليه، رواه البخارى (٩ / ٥٦٥رقم٥٥٢٠)، ومسلم (١٣ / ١٤٠–١٤١رقم١٩٤١).

(٦) متفق عليه، رواه البخارى (٩ / ٥٦٥ رقم٥٥١٩)، ومسلم (١٣ / ١٤٢ رقم ١٩٤٢).

وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ

والإنسان قَلَّ ما يخلو في يوم وليلة أن يرى شيئًا من خلق الله تعالى لم يره من قبل. وروى ابن السدى عن أبيه أن معنى قوله: ﴿ويخلق ما لاتعلمون﴾ أى: السوس فى النبات والحبوب. وفى بعض التفاسير: أن النبى ﷺ قال فى هذه الآية: «إن لله تعالى أرضا بيضاء خلقها، ومسافتها قدر مسيرة الشمس ثلاثين ليلة، وقد ملأها من خلق لم يعصوا الله طرفة عين؛ فقيل له: أهم من بنى آدم؟

فقال: إنهم لايعلمون أن الله تعالى خلق آدم، فقيل له: فكيف لايفتنهم إبليس؟

قال: إنهم لايعلمون أن لله فى خلقه إبليس»(١) وهذا خبر غريب، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وعلى الله قصد السبيل﴾ قيل معناه: وعلى الله بيان الهدى من الضلالة، وقيل: بيان الحق بالآيات والبراهين، وهذا بحكم الوعد، ويقال: وعلى الله قصد السبيل أى: على الله الحكم بالعدل بين الخلق.

وقوله: ﴿ومنها جائر﴾ معناه: ومن السبيل جائر، وقرأ على وابن مسعود: «ومنكم جائر». أى: عادل عن الحق، قال الشاعر:

لما خلطت دماؤنا بدمائهم ... وقف الثقال بها (وجار)(٢) العادل

الثقال: البطر.

وقوله: ﴿ولو شاء لهداكم أجمعين﴾ ظاهر المعنى، وفيه رد على القدرية.

قوله تعالى: ﴿هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب﴾ أى: لكم منه ما تشربون.

وقوله: ﴿ومنه شجر فيه تسيمون﴾ أى: تسيمون المواشى فيها، والإسامة هى

(١) رواه بنحوه أبو الشيخ فى العظمة (ص٣٢٤ - ٣٢٥ رقم ٩٥٧)، وفى إسناده مسلمة بن على الخشنى، وهو متروك.

(٢) فى «ك»: وصار.

وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا

تخلية المواشى للرعى.

وقوله تعالى: ﴿ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾ الآية. ظاهر المعنى.

وقوله تعالى: ﴿وسخر لكم الليل والنهار﴾ أى: ذلل لكم الليل والنهار، وقيل: سخر ضوء الشمس بالنهار ونور القمر بالليل.

وقوله: ﴿والنجوم مسخرات بأمره﴾ أى: مذللات بأمره. وقوله: ﴿إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ ظاهر المعنى.

﴿وما ذرأ لكم فى الأرض﴾ أى: ما خلق لكم فى الأرض. وقوله: ﴿مختلفا **ألوانه**﴾ أى: صورته وهيئته. وقوله: ﴿إن فى ذلك لآية لقوم يذكرون﴾ أى: يعتبرون.

قوله تعالى: ﴿وهو الذى سخر البحر﴾ أى: ذلل البحر ﴿لتأكلوا منه لحمًا طريًا﴾ أى: السمك. وقوله: ﴿وتستخرجوا منه حلية تلبسونها﴾ يعنى: دُرًّا تتخذون منه لباسًا للتحلى.

وقوله: ﴿وترى الفلك مواخر فيه﴾ قال الحسن البصرى: مواقر - أى مملوءة - ويقال: مواخر أى: مقبلة مدبرة بريح واحدة، والمخر هو الشق، والسفينة تمخر الماء أى: تشقه، وفى الخبر أن النبى ﷺ قال: «إذا أراد أحدكم البول فليتمخر الريح»(١) أى:

(١) عزاه الحافظ فى تلخيص الحبير (١/ ١٨٩) لأبى عبيد فى غريبه، عن واصل مولى أبى عيينة قال: كان يقال به. وروى ابن أبى حاتم فى العلل (١/ ٣٦-٣٧ رقم٧٥) عن سراقة بن مالك، رفعه «إذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ... واستمخروا الريح ...» ونقل عن أبيه أنه قال: إنما يروونه موقوفًا، وأسنده عبد الرزاق بأخره.

وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ
رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ
يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا
تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ

لينظر موضع هبوبها فليستدبرها، والمخر: صوت هبوب الريح عند شدتها.

وقوله: ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ يعني: للتجارة. وقوله: ﴿ولعلكم تشكرون﴾ يعني: إذا رأيتم صنع الله فيما سخر لكم، وروى أن عمر - رضى الله عنه - كتب إلى عمرو بن العاص يسأله عن البحر؛ فقال: خلق عظيم يركبه خلق ضعيف، دود على عود، ليس إلا السماء والماء، إن مال غرق، وإن نجا برق، أى: دهش وتحير.

قوله تعالى: ﴿وألقى فى الأرض رواسى﴾ أى: جبالا ثوابت، وفى الآثار: أن الله تعالى لما خلق الأرض كانت تكفأ؛ فقالت الملائكة: إن هذه غير مقرة على ظهرها أحد؛ فأصبحوا وقد خلق الجبال فاستقرت وثبتت.

وقوله: ﴿أن تميد بكم﴾ أى: أن تميل بكم. وقوله: ﴿وأنهاراً وسبلا﴾ يعنى: طرائق. وقوله: ﴿لعلكم تهتدون﴾ أى: لعلكم تهتدون بالطريق والجبال.

وقوله: ﴿وعلامات﴾ أى: ودلالات، وقيل: إن هذه العلامات هى الجبال. وقوله: ﴿وبالنجم هم يهتدون﴾ قال الفراء: بالجُدّى والفرقدين، وقيل: وبالنجوم هم يهتدون، وعن قتادة قال: خلق الله النجوم لثلاثة أشياء: لزينة السماء الدنيا، ولرجم الشياطين، وليهتدى بها فى البحر والبر، فمن طلب منها علماً غير هذا فقد أخطأ، وهذه الأشياء الثلاثة مذكورة فى القرآن.

قوله تعالى: ﴿أفمن يخلق كمن لايخلق﴾ قيل: أفمن ينعم كمن لاينعم. وقوله: ﴿أفلا تذكرون﴾ أى: أفلا تعتبرون.

قوله تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها﴾ أى: تطيقوا عدها، وقيل: لاتطيقوا شكرها. وقوله: ﴿إن الله لغفور رحيم﴾ ظاهر المعنى.

يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ

قوله تعالى: ﴿والله يعلم ما تسرون وما تعلنون والذين يدعون من دون الله لايخلقون شيئًا﴾ أراد به الأصنام. وقوله: ﴿وهم يخلقون﴾ معناه: أن المخلوق لايكون إلها.

قوله تعالى: ﴿أموات غير أحياء﴾ فإن قيل: الصنم كيف يكون ميتًا ولم يكن حيا قط؟ الجواب: أن معناه: أنها كالأموات فى أنها لاتعقل.

وقوله: ﴿غير أحياء﴾ تأكيد للأول. وقوله: ﴿وما يشعرون أيان يبعثون﴾ أى: متى يبعثون؟ فإن قيل: هل للأصنام بعث؟ والجواب: أنه قد ذكر فى بعض التفاسير: أن الأصنام تبعث، وتجعل فيها الحياة، وتتبرأ من عابديها، وقد دلَّ على هذا القرآن فى مواضع، وقيل فى معنى الآية: وما تشعر الأصنام متى يبعث الكفار؟ وفى الآية قول ثالث: وهو أن معناها: وما يشعر الكفار متى يبعثون؟.

قوله تعالى: ﴿إلهكم إله واحد فالذين لايؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة﴾ أى: جاحدة، وهذا دليل على أن العبرة بجحد القلب وإنكاره.

وقوله: ﴿وهم مستكبرون﴾ أى: متكبرون، ويقال: إنه لاينكر الدين إلا متكبر .

قال الله تعالى: ﴿إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون﴾(١) وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «لايدخل الجنة أحد فى قلبه ذرة من كبر»(٢).

قوله تعالى: ﴿لاجرم﴾ معناه: حقًا ﴿أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه

(١) الصافات: ٣٥.

(٢) رواه مسلم (٢/١١٨ - ١١٩ رقم ٩١)، وأبو داود (٤/٥٩ رقم ٤٠٩١)، والترمذى (٤/٣١٧ - ٣١٨ رقم ١٩٩٨، ١٩٩٩) وقال: حسن صحيح - وزاد فى الموضع الثانى: غريب - وابن ماجة (٢/١٣٩٧ رقم ٤١٧٣)، وأحمد (١/٤١٢ و ٤١٦ و ٤٥١) وابن حبان (١/٤٦٠ رقم ٢٢٤)، والحاكم (١/٢٦) جميعهم من حديث ابن مسعود مرفوعًا بنحوه.

وقال الترمذى: وفى الباب عن أبى هريرة وابن عباس وسلمة بن الأكوع وأبى سعيد.

وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾

لايحب المستكبرين ﴾ أى: المتكبرين.

قوله تعالى: ﴿ وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم ﴾ معناه: وإذا قيل للكفار الذين تقدم ذكرهم: «ماذا أنزل ربكم»؟ ما الذى أنزل ربكم؟

وقوله: ﴿ قالوا أساطير الأولين ﴾ يعنى: أكاذيب الأولين، والأساطير واحدها أسطورة، وقيل: أقاصيص الأولين.

وقوله: ﴿ وليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ﴾ الأوزار هى الذنوب.

وقوله: ﴿ كاملة ﴾ إنما ذكر الكمال؛ لأن البلايا والمحن التى تلحقهم فى الدنيا لاتكفر عنهم شيئًا، وكذلك ما يفعلونه بنية الحسنات.

وقوله: ﴿ ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ﴾ ومن ذنوب الذين يضلونهم، وهم الأتباع.

فإن قال قائل: كيف يحملون أوزار الأتباع، والله تعالى يقول: ﴿ ولاتزر وازرة وزر أخرى ﴾(١)؟ والجواب عنه: يحملوا ذنوبهم بحكم الإغواء والدعاء إلى الضلال؛ فإنه روى عن النبى ﷺ أنه قال: «أيما داع دعا إلى الهدى (فاتبع)(٢)؛ فله أجره وأجر من عمل به إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شىء، وأيما داع دعا إلى ضلالة فاتبع فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أوزارهم شىء»(٣).

---

(١) الأنعام: ١٦٤، الإسراء: ١٥، فاطر: ١٨، الزمر: ٧.

(٢) ليست فى «ك».

(٣) رواه الطبرى فى تفسيره (١٤/ ٦٦) عن الربيع بن أنس مرسلاً، وعزاه السيوطى فى الدر (٤/ ١٣٠) لابن أبى حاتم أيضًا. وروى بنحوه من حديث أبى هريرة؛ رواه مسلم فى صحيحه (١٦/ ٣٤٧ رقم٢٦٧٤)، والترمذى (٥/ ٤٢ رقم ٢٦٧٤)، وابن ماجة (١/ ٧٥/رقم٢٠٦)، وأحمد (٢/ ٣٩٧).

وقوله: ﴿بغير علم﴾ معناه: أنهم رجعوا إلى محض التقليد من غير دليل، ومنهم من قال معناه: أنهم دعوهم إلى الضلال من غير حجة. وقوله: ﴿ألا ساء ما يزرون﴾ معناه: ألا بئس ما يحملون من الذنوب.

قوله تعالى: ﴿قد مكر الذين من قبلهم﴾ معناه: قد أشرك الذين من قبلهم، وقيل: المكر هو التدبير الفاسد.

وقوله: ﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد﴾ وهذا مذكور على طريق التمثيل، يعني: قلع الله مكرهم من أصله، وردّ وبال مكرهم وضرره عليهم، وإلا فليس ثم بنيان ولا أساس ولا سقف.

والقول الثاني في الآية: أن الآية نزلت في نمروذ بن كنعان لما بنى الصرح ليصعد إلى السماء، وفي القصة: أنه بنى قصراً طوله في السماء فرسخان، وقيل: كان خمسة آلاف ذراع وزيادة شيء، وعرضه ثلاثة الاف ذراع؛ فبعث الله جبريل - عليه السلام - فرمى برأسه في البحر، ثم خرّب الباقي؛ فسقط عليهم وهم تحته، فهذا معنى قوله: ﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم﴾ وهذا محكى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - .

فإن قيل: قال: ﴿فخر عليهم السقف من فوقهم﴾ فأيش معنى قوله: ﴿من فوقهم﴾ وقد فهم المعنى بقوله: ﴿فخرّ عليهم السقف﴾؟ والجواب: أن ذلك مذكور على طريق التأكيد مثل قوله تعالى: ﴿يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم﴾(١)، ومثل قوله: ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم﴾(٢).

جواب آخر ذكره ابن الأنباري وغيره: أن العرب تقول: خرّ على فلان بيوته، إذا سقطت، وإن لم يكن تحتها، فإذا قالت: خرّ على فلان بيته من فوقه يفهم أنه كان

---

(١) آل عمران: ١٦٧.

(٢) البقرة: ٧٩.

وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِي الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ

تحته. وقوله: ﴿وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ معناه: من الجهة التى كانوا آمنين منها. قوله تعالى: ﴿ثم يوم القيامة يخزيهم﴾ يعنى: يذلهم ويهينهم فيها. وقوله: ﴿ويقول أين شركاءى الذين كنتم تشاقون فيهم﴾ أى: تعادون المؤمنين فيهم.

فإن قيل: أين شركائى؟ وليس لله شريك، فكيف معنى الآية؟ والجواب أن معناها: أين شكائى فى زعمكم؟! ومنهم من قال: أين الذين كنتم تدعونهم شركاء؟!

وقوله: ﴿قال الذين أوتوا العلم﴾ يعنى: المؤمنين.

وقوله: ﴿إن الخزى اليوم والسوء على الكافرين﴾ معناه: أن العذاب اليوم والهوان على الكافرين.

قوله تعالى: ﴿الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم﴾ قال أهل التفسير: هذه نزلت فى قوم أسلموا بمكة، فلما هاجر النبى ﷺ لم يهاجروا، ثم إن المشركين لما هاجروا إلى بدر أخرجوهم مع أنفسهم، فلما رأوا النبى ﷺ وقلة من معه ظنوا أنهم يهلكوا على أيدى المشركين، فمكثوا مع الكفار فقتلوا يومئذ فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية: ﴿الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم﴾ معناه: فى حال ظلمهم أنفسهم بتركهم المهاجرة مع النبى ﷺ وخروجهم مع الكفار.

قوله: ﴿فألقوا السلم﴾ أى: استسلموا وانقادوا لملك الموت.

وقوله: ﴿ما كنا نعمل من سوء﴾ أى: ما كنا مشركين. وقوله: ﴿بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون﴾ معناه: أن الله عليم بأنكم عملتم عمل الكفار - وعمل الكفار هو ترك المهاجرة والخروج مع المشركين - وقد كان فى ابتداء الإسلام لا يقبل

اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي

الإسلام إلا مع الهجرة، فهؤلاء أسلموا ولم يهاجروا، فلم يقبل إسلامهم.

وقوله: ﴿فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها﴾ أى: مقيمين دائمين فيها، وهاهنا إضمار، وهو أنه يقال لهم: ادخلوا أبواب جهنم. وقوله: ﴿فلبئس مثوى المتكبرين﴾ يعنى: منزل الكافرين.

قوله تعالى: ﴿وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم﴾ فإن قيل: قد قال من قبل: ﴿وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطيرُ الأولين﴾(١) بالرفع وقال هاهنا: ﴿ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً﴾ بالنصب، فكيف وجه الآيتين؟

والجواب: أن معنى قوله: ﴿أساطيرُ الأولين﴾ أى: المنزل أساطيرُ الأولين، وقوله: ﴿قالوا خيراً﴾ معناه: أنزل ربنا خيراً. وقوله: ﴿للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة﴾ إحسانهم هو قول: لا إله إلا الله، وقوله: ﴿حسنة﴾ اختلف القول فيها:

قال ابن عباس: هى تضعيف الأجر إلى العشر فما زاد، وقال الضحاك: الحسنة هو النصر والفتح، وقال مجاهد: هو الرزق الحسن، وقال غيره: ما فتح الله على المسلمين من البلدان، وأفاء عليهم من الغنائم.

وقوله: ﴿ولدار الآخرة خير﴾ معناه: ولحال دار الآخرة خير.

وقوله: ﴿ولنعم دار المتقين﴾ أكثر المفسرين على أن المراد [منها](٢) الجنة، وروى عن الحسن البصرى أنه قال: هى الدنيا، والدنيا دار المتقين، ومنها يتزود إلى الآخرة، [و] فيها يُطلب رضا الله تعالى، وروى عن عمر - رضى الله عنه - أنه كان إذا فرق العطايا بين المهاجرين والأنصار قال: هذا لكم فى الدنيا وما ادخر الله لكم فى الآخرة.

---

(١) النحل: ٢٤.

(٢) فى «الأصل وك»: منه.

من تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ

قوله تعالى: ﴿جنات عدن يدخلونها تجرى من تحتها الأنهار لهم فيها مايشاءون كذلك يجزى الله المتقين﴾ ظاهر.

قوله تعالى: ﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين﴾ يعنى: طاهرين زاكين من الشرك، وقيل: معناه: أن وفاتهم تقع طيبة سهلة.

قوله: ﴿يقولون سلام عليكم﴾ يقال: إن المراد منه تسليم الملائكة، يبلغون سلام الله إليهم، وفى الأخبار: «أنهم يقولون لكل واحد منهم: السلام عليك يا ولى الله». (١) وعن ابن عباس - رضى الله عنهما -: أن الميت المؤمن يزف إلى الله كما تزف العروس. وقوله: ﴿ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾ يعنى: يقال لهم: ادخلوا الجنة بإيمانكم وطاعتكم.

قوله تعالى: ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة﴾ معناه: هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة بالموت؟ ﴿أو يأتى أمر ربك﴾ القيامة.

وفى بعض الآثار: أن أعوان ملك الموت ستة أملاك: ثلاثة يقبضون أرواح المؤمنين، وثلاثة يقبضون أرواح الكفار، وقيل: هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة بالعذاب والقتل للكفار، أو يأتى أمر ربك؟ يعنى: الموت. وقوله: ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾ يعنى: كذلك كفر الذين من قبلهم. وقوله: ﴿وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿فأصابهم سيئات ما عملوا﴾ معناه: فأصابهم وبال السيئات التى

(١) رواه الطبرى (١٤ / ٧٠) عن محمد بن كعب القرظى. وعزاه السيوطى فى الدر (٤ / ١٣١) لمالك، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وأبى الشيخ، فى العظمة، وأبى القاسم بن منده فى كتاب الأموال، والبيهقى فى الشعب.

يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا

عملوا، وقيل: جزاء السيئات التى عملوا. وقوله: ﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ معناه: نزل بهم، وأحاط بهم ما كانوا به يستهزئون.

قوله تعالى: ﴿وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء﴾.

ومعنى التحريم المذكور فى الآية هو ما حرموا من البحيرة والوصيلة والسائبة والحام، وقد احتجت القدرية بهذه الآية، ووجه احتجاجهم أن المشركين قالوا: لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا، [﴿ولاحرمنا من دونه من شيء﴾][(١)] ثم إن الله تعالى قال فى آخر الآية: ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾ رداً وإنكاراً عليهم، فدل على أن الله تعالى لا يشاء الكفر، وأنهم فعلوا ما فعلوا بغير مشيئة الله.

والجواب عنه: ذكر الزجاج وغيره أنهم قالوا هذا القول على طريق الاستهزاء لا على طريق التحقيق، ولو قالوا على طريق التحقيق لكان قولهم موافقًا لقول المؤمنين، وهذا مثل قوله تعالى فى قصة شعيب: ﴿إنك لأنت الحليم الرشيد﴾[(٢)] فإنهم قالوا هذا على طريق الاستهزاء لا على طريق التحقيق، وكذلك قوله تعالى فى سورة يس: ﴿وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه﴾[(٣)] وهذا إنما قالوه على طريق الاستهزاء؛ لأنه فى نفسه قول حق يوافق قول المؤمنين، كذلك هاهنا قالوا ما قالوا على طريق الاستهزاء؛ فلهذا أنكر الله تعالى عليهم، وردَّ قولهم، والدليل على أن المراد من هذا ما ذكر من بعد وسنبين.

وقوله: ﴿فهل على الرسل إلا البلاغ المبين﴾ يعنى: ليس إليهم الهداية والإضلال، وإنما عليهم التبليغ.

---

(١) من «ك».

(٢) هود: ٨٧.

(٣) يس: ٤٧.

الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ

قوله تعالى: ﴿ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدو الله واجتنبوا الطاغوت﴾ أى: وحدوا الله واجتنبوا الأصنام. وقوله: ﴿فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة﴾ معناه: فمنهم من هداه الله للإيمان، ومنهم من وجبت عليه الضلالة، وتركه فى الكفر بالقضاء السابق، فهذه الآية تبين أن من آمن بمشيئة الله، وأن من كفر، كفر بمشيئة الله.

وقوله: ﴿فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ معناه: مآل أمر المكذبين ومرجعهم.

قوله تعالى: ﴿إن تحرص على هداهم﴾ الحرص: طلب الشيء بالجد والاجتهاد: وقوله: ﴿فإن الله لا يهدى من يضل﴾ قُرأ بقرائتين: قرأ أهل الكوفة: «لا يَهدى من يُضل» بفتح الياء الأولى وضم الثانية، وقرأ الباقون: «لا يهدى من يضل» بضم اليائين، أما القراءة الأولى فمعناه: لا يهدى الله من أضله، وأما القراءة الثانية فمعناه: فإن من يضله الله لا يُهدى، وقيل: لا يقدر أحد على هدايته، قالوا: وهذا أولى القراءتين. وقوله: ﴿وما لهم من ناصرين﴾ أى: مانعين من العذاب.

قوله تعالى: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ جهد اليمين هو أن يحلف بالله الذى لا إله غيره. وقوله: ﴿لا يبعث الله من يموت﴾ هذا دليل على أنهم كانوا مستبصرين فى كفرهم.

وقوله: ﴿بلى وعداً عليه حقًّا﴾ معناه: ليس الأمر كما قالوا، ولكن الله يبعثهم، ثم قال: ﴿وعداً عليه حقا﴾ أى: واجبًا.

وقوله: ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ يعنى: أن وعد الله حق؛ فإنه إنما يعلمه

حقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ

المؤمنون دون الكفار.

قوله تعالى: ﴿ليبين لهم الذى يختلفون فيه﴾ يعنى: ليظهر لهم الحق فيما يختلفون فيه. وقوله: ﴿وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين﴾ يعنى: فى الدنيا.

قوله تعالى: ﴿إنما قولنا لشىء إذا أردناه﴾ فإن قيل: قد قلتم بأن المعدوم ليس بشىء، وقد جعل الله هاهنا المعدوم شيئًا حيث قال: ﴿إنما قولنا لشىء إذا أردناه﴾ ومعناه: أردنا تكوينه.

والجواب: أن الأشياء التى قدر الله كونها هى فى علم الله كالكائنة (القائمة)[1]؛ فاستقام قوله: ﴿إنما قولنا لشىء إذا أردناه﴾ وقيل: إن هذا على طريق المجاز، ومعناه: إنما يكون شيئًا إذا أردنا تكوينه.

وقوله: ﴿أن نقول له﴾ معناه: أن نقول لأجله: ﴿كن فيكون﴾ أى: كن فكان، وقرئ بقرائتين. «فيكون» بالنصب، «ويكونُ» بالرفع .

أما بالرفع معناه: فهو يكون، وأما بالنصب فهو منسوق على قوله: ﴿أن نقول﴾ وذلك يقتضى النصب.

قوله تعالى: ﴿والذين هاجروا فى الله من بعد ماظلموا﴾ قال أهل التفسير: نزلت الآية فى عمار، وبلال، وصهيب بن سنان، وخباب بن الأرت، وسالم مولى أبى حذيفة. وقوله: ﴿من بعد ما ظلموا﴾ يعنى: من بعد ماعذبوا وأوذوا .

وقوله: ﴿لنبوئنهم فى الدنيا حسنة﴾ قال ابن عباس والشعبى والحسن: هى المدينة، ويقال: هى قدم الصدق، وقيل: التوفيق والهداية .

(١) فى «ك»: التامة.

أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ

وقوله: ﴿ ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ﴾ أى: أعظم لو كانوا يعلمون. وقوله: ﴿ لوكانوا يعلمون ﴾ منصرف إلى المشركين دون هؤلاء النفر، فإنهم كانوا يعلمون أن أجر الآخرة أكبر .

وقوله: ﴿ الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ﴾ ظاهر المعنى، وهى نازلة فى هؤلاء الخمسة. قوله تعالى: ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم ﴾ معناه: إلا رجالا من البشر نوحى إليهم، فإن المشركين كانوا ينكرون إرسال الآدميين، ويطلبون إرسال الملائكة على ماذكر الله تعالى ذلك فى غير موضع. وقوله: ﴿ فاسألوا أهل الذكر ﴾ يعنى: مؤمنى أهل الكتاب، وقيل: حملة أهل الكتابين، فإنهم كانوا لاينكرون هذا. وقوله: ﴿ إن كنتم لاتعلمون ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ بالبينات والزبر ﴾ اختلفوا فى أن قوله: ﴿ بالبينات والزبر ﴾ إلى ماذا يرجع؟ .

قال بعضهم معناه: وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا بالبينات والزبر، ومنهم من قال معناه: وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم بالبينات والزبر. ثم قال: ﴿ فا سألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون ﴾.

قوله: ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم ﴾. وقد كان الرسول ﷺ مبينا للوحى، وقد قال أهل العلم: إن بيان الكتاب فى السنة. وقوله: ﴿ ولعلهم يتفكرون ﴾ يعنى: يتدبرون ويعتبرون .

قوله سبحانه وتعالى: ﴿ أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض ﴾ « مكروا السيئات » يعنى: فعلوا السيئات، وذلك جحدهم التوحيد وعبادتهم غير الله، وعملهم بالمعاصى، وقد قالوا: إن المكر فى هذا الموضوع هو السعى بالفساد، وما قلناه أفسد الفساد.

الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ

وقوله: ﴿أن يخسف الله بهم الأرض﴾ الخسف معلوم المعنى، وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «بينما رجل يتبختر فى حلة له فخسف به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة»(١).

وحكى النقاش عن بعض أهل العلم مسنداً: أن قومًا تدافعوا الإمامة بعد ما أقيمت الصلاة فخسف الله بهم الأرض.

وفى بعض المسانيد عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «يفتح للناس معدن، ويبدو من الذهب أمثال البخت؛ فيميل الناس إليه فيخسف الله بهم وبالمعدن، فهم يتجلجلون فيها إلى يوم القيامة»(٢).

وقوله: ﴿أو يأتيهم العذاب من حيث لايشعرون﴾ أى: لايعلمون. قوله تعالى: ﴿أو يأخذهم فى تقلبهم﴾ قال ابن جريج: فى إقبالهم وإدبارهم، وقيل: فى ليلهم ونهارهم، وقيل: فى أسفارهم. وقوله: ﴿فماهم بمعجزين﴾ أى: بفائتين .

قوله تعالى: ﴿أو يأخذهم على تخوف﴾ قال ابن عباس: على تنقص، ومعنى التنقص فى هذا الموضع أنه يأخذهم الأول فالأول حتى يهلكهم .

والقول الثانى: أن معنى التخوف هو أن يأخذ قومًا ولا يأخذ آخرين، وتخوفهم بأخذ هؤلاء، قول الحسن والضحاك .

والقول الثالث: حكى عن الليث بن سعد أنه قال: سمعت أنه على عجل .

---

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة، وقد تقدم.

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وقد روى مسلم فى صحيحه (١٨ / ٢٦-٢٧ رقم ٢٨٩٤) حديثا قريبا منه عن أبى هريرة وليس فيه ذكر الخسف، ولفظه: «لاتقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب، يقتتل الناس عليه، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون، ويقول كل رجل منهم: لعلى أكون أنا الذى أنجو».

فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ

وقوله: ﴿فإن ربكم لرءوف رحيم﴾ رحمته للكفار هى إمهالهم فى العذاب .

قوله تعالى: ﴿أو لم يروا إلى ماخلق الله من شىء يتفيأ ظلاله﴾ يتحول ظلاله، وأما الفرق بين الفىء والظل: فيقال: إن الظل بالغداة، والفىء بالعشى، ويقال: إن معناهما واحد .

وقوله: ﴿عن اليمين﴾ أى: عن الأيمان؛ لأنه قد قال عقيبه: ﴿والشمائل﴾ والظل دائر من جوانب الإنسان، فمرة يكون عن يمينه، ومرة يكون عن شماله، ومرة يكون قدامه، ومرة يكون خلفه .

وقوله: ﴿سجداً لله﴾ أكثر السلف أن السجود ها هنا: هو الطاعة لله، وأن كل الأشياء ساجدة لله مطيعة من حيوان وجماد، وهذا محكى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن البصرى، قال الحسن: يا ابن آدم، ظلك يسجد لله تعالى، وأنت لا تسجد، فبئس ما صنعت .

وذكر أبو عيسى الترمذى فى جامعه برواية ابن عمر عن عمر - رضى الله عنهما - أن النبى ﷺ قال: أربع بعد الزوال قبل الظهر يعدلن مثلهن من السحر، وما من شىء إلا ويسجد لله فى تلك الساعة، ثم تلا[1] قوله تعالى: ﴿أو لم يروا إلى ماخلق الله من شىء يتفيأ ظلاله﴾ الآية[2].

قال الضحاك: المراد من سجود الظلال سجود الأشخاص، وذكر بعضهم أن معنى قوله: ﴿سجداً لله﴾ أى: خاضعة ذليلة خادمة فيما أريدلها بأصل الخلقة، والأشياء

---

(١) فى «ك»: قرأ.

(٢) رواه الترمذى (٥/٢٧٩ رقم ٣١٢٨) وقال: غريب لانعرفه إلا من حديث على بن عاصم، وعبد بن حميد فى مسنده - كما فى المنتخب منه ص٣٨ رقم ٢٤، وأبو الشيخ فى العظمة ص٤٥٢ رقم ١٢٣٥، ١٢٣٦، والخطيب فى تاريخه (١/٢٥٣).

وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلائِكَةُ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ وَقَالَ اللَّهُ

كلها مجبولة على ما أريد لها فى أصل الخلقة.

وذكر بعضهم: أنه إنما أضاف السجود إلى هذه الأشياء؛ لأنها تدعوا إلى السجود، فكأنها فى أنفسها ساجدة، والأصح هو القول الأول ثم الثانى.

وقوله: ﴿وهم داخرون﴾ أى: صاغرون.

قوله تعالى: ﴿ولله يسجد مافى السموات ومافى الأرض من دآبة﴾ المراد من الدابة ها هنا قالوا: هى الحيوان؛ لأن الحيوان من شأنه الدبيب، ويقال: ولله يسجد مافى السموات من الملائكة، ومافى الأرض من دابة.

فإن قال قائل: كيف يستقيم هذا المعنى، وقد قال بعده: ﴿والملائكة﴾؟

والجواب من وجهين: أحدهما: أنه خصهم بالذكر تشريفًا لهم.

والآخر: أن المراد من الملائكة المذكورين أخيرًا هم ملائكة الله فى الأرض، يعبدون الله تعالى ويسبحونه. وقوله: ﴿وهم لايستكبرن﴾ الاستكبار: طلب الكبر بترك الإذعان للحق.

قوله تعالى: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ قال بعضهم معناه: يخافون عذاب ربهم من فوقهم، والقول الثانى- وهو الأصح - أن هذه صفة العلو [التى][1] تفرد الله بها، وهو كما وصف به نفسه من غير تكييف.

وقوله: ﴿ويفعلون مايؤمرون﴾ يعنى: أن الملائكة لايعصونه.

قوله تعالى: ﴿وقال الله لاتتخذوا إلهين اثنين﴾ فإن قال قائل: أيش معنى قوله: ﴿اثنين﴾ وقد قال: ﴿إلهين﴾؟

الجواب من وجهين: أحدهما: على طريق التأكيد، وهو مثل قوله تعالى: ﴿فصيام

(١) فى «الأصل وك»: الذى.

لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا

ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا أرجعتم تلك عشرة كاملة﴾(١).

والجواب الثانى : أن الآية على التقديم والتأخير، ومعناها: وقال الله: لاتتخذوا الهين اثنين، إنما هو إله واحد. ﴿فإياى فارهبون﴾ يعنى: فخافون .

قوله تعالى: ﴿وله مافى السموات والأرض﴾ معلوم المعنى. وقوله: ﴿وله الدين واصباً﴾ أى: دائماً، هكذا قاله ابن عباس، والدين بمعنى الطاعة.

وحقيقة المعنى أن [طاعة](٢) غير الله تنقطع وتزول، وطاعة الله لاتزول ولاتنقطع، وقيل: واصباً أى: خالصًا، والوصب فى اللغة هو التعب، فيقال على هذا: أن معنى الآية أن الطاعات كلها لله، وإن كان فيها الوصب والتعب.

وقوله: ﴿أفغير الله تتقون﴾ أى: تخافون، وهذا استفهام على طريق الإنكار.

قوله تعالى: ﴿ومابكم من نعمة فمن الله﴾ معناه: ومايكن لكم من نعمة فمن الله، وفى بعض المسانيد برواية ابن عمر عن النبى ﷺ أنه قال: «ما مس عبداً نعمة فعلم أنها من الله إلا وقد [شكر](٣) الله، وإن لم يحمده»(٤) .

وقوله: ﴿ثم إذا مسكم الضر﴾ قيل: القحط، وقيل: المرض. وقوله: ﴿فإليه تجأرون﴾ الجؤار هو الصوت على وجه الاستغاثة، ومنه جؤار البقر، ومعنى الآية أنكم تدعون الله مستغيثين. قال الشاعر:

(١) البقرة: ١٩٦.

(٢) فى «الأصل وك»: الطاعة.

(٣) فى «الأصل وك»: شكره. والمثبت يقتضيه السياق.

(٤) رواه ابن أبى الدنيا فى الشكر (ص ٨٧ رقم٤٧)، والحاكم (١/ ٥١٤)، كلاهما من حديث عائشة مرفوعًا بنحوه، وقال الحاكم: لا أعلم فى إسناده أحداً ذكر بجرح، ولم يخرجاه. وتعقبه الذهبى فى تلخيصه بقوله: بل قال ابن عدى: محمد بن جامع العطار لايتابع على أحاديثه. وعزاه السيوطى فى الدر (١/ ١٦٠) للخرائطى فى كتاب الشكر، والبيهقى فى شعب الإيمان.

مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ

يراوح في صلوات المليــك فطوراً سجوداً وطوراً جؤارا

قوله تعالى: ﴿ثم إذا كشف الضرعنكم﴾ يعنى: مايضركم. وقوله: ﴿إذا فريق منكم بربهم يشركون﴾ أى: يكفرون.

قوله تعالى: ﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ معناه: أن حاصل أمرهم هو كفرهم بما آتيناهم من النعمة، وهذه اللام وأمثالها تسمى لام العاقبة، وقيل: إن النعمة هى الآيات التى أراها خلقه على وحدانيته.

وقوله: ﴿فتمتعوا﴾ أى: عيشوا المدة التى ضرب لكم فى طلب اللذة ﴿فسوف تعلمون﴾ عاقبة أمركم.

قوله تعالى: ﴿ويجعلون لما لايعلمون نصيبًا مما رزقناهم﴾ معناه: ويجعلون للأصنام نصيبًا مما رزقناهم، وهو معنى قوله تعالى: ﴿فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا﴾.(١) وقوله: ﴿لايعلمون﴾ يعنى: لايعلمون أنها تضرهم ولاتنفعهم.

وقوله: ﴿تالله لتسألن عما كنتم تفترون﴾ معناه: والله لتسألن، والسؤال سؤال إلزام الحجة، لاسؤال الاستعلام والاستفهام .

قوله تعالى: ﴿ويجعلون لله البنات﴾ هذا معنى قولهم: إن الملائكة بنات الله. وقوله: ﴿سبحانه﴾ هو بيان تنزيهه عن قولهم .

وقوله: ﴿ولهم مايشتهون﴾ أى: البنين، فإنهم كانوا يقولون له البنات، ولنا البنون. وقوله: ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى﴾ كان أهل الجاهلية يودون الذكور من الأولاد، ويكرهون الإناث، ويقولون: إنهن لا يقاتلن، ولا يركبن الخيل، وكان الرجل منهم إذا دنت ولادة امرأته توارى من نادى قومه، فإن بشر بالابن ظهر، ويهنئه القوم،

(١) الأنعام: ١٣٦.

سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا

وإن بُشّر بالأنثى تغير واستخفى وربما يئدها؛ فهذا معنى قوله: ﴿يتوارى من القوم من سوء ما بشر به﴾ يعني: من كراهة ما بشر به.

وأما قوله: ﴿ظل وجهه مسوداً وهو كظيم﴾ معناه: تغير وجهه من الغم، تقول العرب: اسودّ وجه فلان، إذا تغير بما أصابه من الغم.

وقوله: ﴿وهو كظيم﴾ أى: ممتلئ حزنًا، وقال ابن عباس: حزين، وقال غيره: امتلأ حزنًا، فهو يكظمه، أى: يمسكه ولا يظهره.

وأما قوله: ﴿أيمسكه على هون﴾ قرأ الجحدرى: «على هوان»، وقال الكسائى: الهون والهوان بمعنى واحد، وقالت الخنساء شعراً:

نهين النفوس ووهن النفوس ... ليوم الكريهة أبقى لها

وقرأ عيسى بن عمر: «أم يدُسُّها فى التراب» ويلزمه على هذه القراءة أن يقرأ: «أَيَمْسِكُهَا»، وأما على القراءة المعروفة فإنها تنصرف إلى لفظة «ما»، وما بمعنى الذى.

وقوله: ﴿أم يدسه فى التراب﴾ أى: يدفنه حيًّا، وعن قتادة قال: ربّ أنثى خير لأهلها من غلام، وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ أنه قال: «ما وضعت امرأة بنتا إلا وضع الملك يده على رأسها وقال: ضعيفة خرجت من ضعيفة، المنفق عليها معان إلى يوم القيامة»(١).

(١) رواه الطبرانى فى الصغير (١/ ٦١ رقم ٧٠)، ومن طريق الخطيب فى المهروانيات (ص١٧٤ رقم ١٣٦) عن نبيط بن شريط مرفوعًا به وقال الخطيب: غريب، وقال الهيثمى فى المجمع (٨/ ١٥٩): رواه الطبرانى فى الصغير وفيه جماعة لم أعرفهم، وقال أيضًا عن نفس الإسناد فى المجمع (١/ ١٥١): رواه الطبرانى فى الصغير وشيخه أحمد بن إسحاق بن إبراهيم بن نبيط كذبه صاحب الميزان وبقية إسناده لم أر من ذكر أحداً فيهم إلا الصحابى.
وعن أنس بن مالك رواه الطبرانى فى الأوسط كما فى مجمع البحرين (٥/ ١٧٥ رقم ٢٨٧٢)، وقال الهيثمى فى المجمع (٨/ ١٥٩): رواه الطبرانى فى الأوسط عن شيخه لكن لم ينسبه عن عبد الله بن سليمان المصرى ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات. =

سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن

وقوله: ﴿ألا ساء ما يحكمون﴾ أى: بئس ما يحكمون، وحكمهم: وأد البنات وترك البنين.

قوله تعالى: ﴿للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء﴾ أى: صفة السوء، وقيل: عاقبة السوء. وقوله: ﴿ولله المثل الأعلى﴾ أى: الصفة العليا، وذلك مثل قولهم: عالم وقادر ورازق وحى، وغير هذا.

وقال مجاهد: «ولله المثل الأعلى» شهادة أن لا إله إلا الله، فإن قيل: قد قال فى موضع آخر: ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾(١) وقال هاهنا: ﴿ولله المثل الأعلى﴾ فكيف وجه الجمع؟ والجواب أن معنى قوله: ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾ أى: الأمثال التى هى الأشباه فإن الله تعالى لا شبه له، وأما قوله: ﴿ولله المثل الأعلى﴾ أى: الصفة العليا، وهذا جائز لكل أحد أن يقوله، بل واجب. وقوله: ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم﴾ أى: بكفرهم. وقوله: ﴿ما ترك عليها من دابة﴾ روى عن عبد الله بن مسعود أنه قال: إن الجُعَلَ فى جحره يعذب بذنب بنى آدم، وعن أبى هريرة أنه سمع رجلا يقول: إن الظالم لا يضر إلا نفسه، فقال له: بئسما قلت، إن الحُبَارَى(٢) تموت هزلا من ظلم الظالم.

وقال بعض أهل المعانى معنى الآية: لو أخذ الظالمين فأهلك الآباء انقطع النسل، ولم يوجد الأبناء فيهلك من فى الأرض.

= ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات (٢/٢٧٥) من طريق أبى سعيد النقاش بسنده عن على. وقال: هذا حديث موضوع، قال النقاش: وضعه منصور بن الموفق. وقال ابن الجوزى: وفى الإسناد يمان بن عدى شهد أحمد أنه يضع. وانظر اللآلىء المصنوعة (٢/١٧٦)، وتنزيه الشريعة (٢/٢٠١).

(١) النحل: ٧٤.

(٢) وهو طائر طويل العنق من الفصيلة الحبارية.

يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾
وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ
وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ

وقوله: ﴿ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى﴾ يعنى: إلى يوم القيامة. وقوله: ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ويجعلون لله ما يكرهون﴾ يعنى: البنات. وقوله: ﴿وتصف ألسنتهم الكذب﴾ معنى الكذب المذكور هو قولهم: ﴿أن لهم الحسنى﴾.

وفى الحسنى قولان: أحدهما: أنها البنون، والآخر: أنها الجنة. وقوله: ﴿لا جرم أن لهم النار﴾ «لا» رد لقولهم. وقوله: ﴿جرم﴾ أى: حقًّا، وقيل: لا محالة أن لهم النار، وقيل: لابد، وقد بينا أن جرم بمعنى كسب، وذكرنا عليه الاستشهاد.

وقوله: ﴿وأنهم مُفْرَطُونَ﴾ أكثر القراء قرأوا بفتح الراء، وقرأ نافع: «مُفْرِطُونَ» بالكسر، وقرأ أبو جعفر المدنى: «مُفَرِّطُونَ» بتشديد الراء.

واختلف القول فى معنى قوله: ﴿مفرَطون﴾ بفتح الراء، قال سعيد بن جبير ومجاهد: منسيون، وعنهما: متروكون، وقيل: مضيعون، وعن الحسن البصرى: مقدِّمون إلى النار، ومنه الفارط، وهو الذى يتقدم إلى الماء، قال الشاعر:

استعجلونا فكانوا من صحابتنا ... كما تقدم فُراطٌ لوراد

وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «أنا فرطكم على الحوض»(١) أى: متقدمكم، واختار الكسائى وأبو عبيدة والفراء معنى قول مجاهد.

وأما قوله: «مفرِطون» بكسر الراء، هو من الإفراط، يعنى: مبالغون فى الإساءة، وأما قوله: «مفرِّطون» هو من التفريط، يعنى: أنهم مقصرون.

قوله تعالى: ﴿تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك﴾ يعنى: والله لقد أرسلنا إلى أمم

(١) متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله، رواه البخارى (١١ / ٤٧٣ رقم٦٥٨٩)، ومسلم (١٥ / ٧٧-٧٨ رقم٢٢٨٩).

فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً

من قبلك. وقوله: ﴿فزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ يعنى: كفرهم وجحودهم. وقوله: ﴿فهو وليهم اليوم﴾ سماه وليًّا لهم لطاعتهم إياه. وقوله: ﴿ولهم عذاب أليم﴾ أى: مؤلم.

قوله: ﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه﴾ الفرق بين التبيين والتمييز، أن فى التبيين طلب العلم، وليس فى التمييز طلب العلم، فإن الرجل يميز بين الجيد والردئ (مع علمه)[1] بهما.

وقوله: ﴿اختلفوا فيه﴾ أى: فى الكتاب. وقوله: ﴿وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ معناه: أن الكتاب هدى ورحمة للمؤمنين، وقيل: إن الرسول هدى ورحمة للمؤمنين.

قوله تعالى: ﴿والله أنزل من السماء ماءً﴾ أى: المطر. وقوله: ﴿فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ أى: بالنبات. وقوله: ﴿إن فى ذلك لآية لقوم يسمعون﴾ يعنى: يسمعون سماع التفهم.

قوله تعالى: ﴿وإن لكم فى الأنعام لعبرة نسقيكم﴾ قرئ بالنصب والرفع، أما بالنصب فمعلوم المعنى، وأما بالرفع فهو أن يجعل لكم سقيًا، قال الشاعر فى الفرق بينهما:

سقى قومى بنى مجد وأسقى ... نميرًا والقبائل من هلال

قوله: ﴿مما فى بطونه﴾ فإن قيل: كيف لم يقل: مما فى بطونها، والأنعام جمع؟ والجواب عنه: أن معناه: مما فى بطون كل واحد منها أو كل نوع منها، والعرب قد تحذف مثل هذا، قال الشاعر:

ألا ياسهيل فالقطيخ قد فسد ... وطاب ألبان اللقاح فبرد

---

(٢) فى «ك»: بعلمه.

﴿نُسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾

أى: بردت.

وقوله: ﴿من بين فرث ودم﴾ الفرث هو ما يحصل فى الكرش من الثقل، ويقال: إن العلف الذى تأكله الدابة يتغير فى الكرش فيتحول لبنًا وفرثًا ودمًا فأعلاه دم، وأوسطه لبن، وأسفله فرث، ثم يميز الله تعالى بينهما، فيجرى كل واحد منها فى مجراه على حدة، (فيجعل)(١) اللبن فى الضرع، ويجعل الدم فى العروق، ويبقى الفرث فى الكرش، فهذا معنى قوله: ﴿من بين فرث ودم﴾.

وقوله: ﴿لبنًا خالصًا﴾ أى: ليس عليه لون الدم ولا رائحة الفرث. وقوله: ﴿سائغًا﴾ السائغ: ما يجرى فى الحلق على السهولة، وفى بعض الأخبار: ما غص أحد بلبن؛ لقوله: ﴿سائغًا﴾. وقوله: ﴿للشاربين﴾ ظاهر المعنى.

قوله: ﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرًا﴾ اختلفوا فى السكر، فالمروى عن ابن عباس: أن السكر ما حرم من الثمر، والرزق الحسن ما حلَّ من الثمر، وعن مجاهد وقتادة وإبراهيم النخعى والشعبى: أن الآية منسوخة، وهذا قبل تحريم الخمر ثم حرمت.

وروى عن الشعبى أنه قال: السكر هو النبيذ، والرزق الحسن هو التمر والزبيب، وهذا قول من يبيح (النبيذ)(٢)، وأما على قول ابن عباس فالمراد من الآية هو الإخبار عنهم، لا الإحلال لهم، وأولى الأقاويل أن قوله: ﴿تتخذون منه سكرًا﴾ منسوخ.

وفى بعض المسانيد أن النبى ﷺ قال: «لكم من العنب خمسة حلال: العصير، والزبيب، والخل، والرّب، وأن تأكلوه عنبًا»(٣) والله أعلم بصحته. وقال الشاعر فى

(١) فى «ك»: فيجرى.

(٢) فى «ك»: البسر.

(٣) رواه العقيلى فى الضعفاء (١/٩٣)، والخطيب فى تاريخه (١/٢٨٢) من حديث أبى هريرة، وقال العقيلى: إسماعيل بن مسلم اليشكرى لايعرف بنقل الحديث، وحديثه منكر غير محفوظ.

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا

السكر:

بئس الضجيع وبئس الشرب شربهم إذا جرى فيهم المُزَّاء والسَّكَر

أى: المسكر. وقوله: ﴿إن فى ذلك لآية لقوم يعقلون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾ الآية، وأوحى ربك أى: ألهم ربك، والوحى فى اللغة هو إعلام الشيء فى السترة، وقد يكون ذلك بالكتابة، وقد يكون بالإشارة وقد يكون بالإلهام، وقد يكون بالكلام الخفى، وقال بعضهم معنى قوله: ﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾ أى: جعل فى غرائزها ذلك، وقيل: أوحى بمعنى سخَّر، وذلل، وأصح الأقاويل هو الأول. وقوله: ﴿إلى النحل﴾ والنحل: ذباب العسل، وفى رواية ابن عمر عن النبى ﷺ أنه قال: «كل الذباب فى النار إلا النحل»(١) والخبر غريب.

وقوله: ﴿أن اتخذى من الجبال بيوتًا ومن الشجر﴾ أى: خلايا، وهى الأمكنة التى يضع النحل فيها العسل، ويقال: إنما يضع العسل فى أجواف الأشجار، وقد يضع على أغصان الأشجار، وقوله: ﴿ومما يعرشون﴾ يعنى: يبنون، وقد جرت عادة أهلها أنهم يبنون لها الأماكن فهى تأوى إليها بتسخير الله إياها لذلك.

قوله تعالى: ﴿ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك﴾ أى: طرق ربك، قال مجاهد: هى تسلك سبلها لا يتوعر عليها مكان.

(١) رواه عبد الرازق فى مصنفه (٤/ ٤٥١ رقم٨٤١٧)، والطبرانى فى الكبير (١٢/ ٣٨٩ رقم١٣٤٣٦)، وأعاده فى رقم (١٣٤٦٧، ١٣٤٦٨، ١٣٥٤٣، ١٣٥٤٤)، ورواه فى الأوسط - كما فى مجمع البحرين (٣/ ٣٠١ - ٣٠٢/ رقم١٨٥٣)، والبزار - كما فى مختصر زوائده - (٢/ ٤٧٥ رقم٢٢٤٣)، وعزاه الحافظ فى المطالب العالية (٢/ ٢٩٦ رقم٢٢٨٧، ٢٢٨٨) لأبى يعلى. وقال الهيثمى فى المجمع (٤/ ٤٤): رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير بأسانيد رجال بعضها ثقات كلهم، ورواه البزار باختصار. وفى الباب عن أبى هريرة، وابن مسعود، وابن عباس، وأنس.

يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ

وقوله: ﴿ ذُلُلا ﴾ يحتمل وجهين:

يحتمل أنه راجع إلى الطرق، يقال: سبيل ذلول، وسبل ذُلل، إذا كانت سهلة المسلك، ويحتمل أنه ينصرف إلى النحل، ومعناه: أنها مطيعة منقادة لما خلقت له، ويقال: إن للنحل يعسوبًا - وهو سيد النحل - إذا وقفت وقفت، وإذا سارت سارت، ويقال: «ذللا» يعنى لأربابها؛ فإنه قد جرت العادة أن أربابها ينقلونها من مكان إلى مكان، فهى مسخرة لذلك.

وقوله: ﴿ يخرج من بطونها ﴾. فإن قال قائل: إنما يخرج من أفواهها لا من بطونها؟، والجواب عنه أنه إنما ذكر بطونها لأن الاستحالة تقع فى بطونها؛ ولأنه يخرج من بطونها إلى أفواهها، ثم تسيل من أفواهها كهيئة الريق، وروى أن على بن أبى طالب - رضى الله عنه - مرّ على عبد الرحمن بن عتّاب بن أسيد، وهو مقتول يوم الجمل؛ فقال: هذا يعسوب قريش شفيت نفسى، وقتلت قومى، أشكو إلى الله عجرى وبجرى، أى: همومى وأحزانى.

وقوله: ﴿ شراب مختلف ألوانه ﴾ يعنى: أحمر، وأصفر، وأبيض. وقوله: ﴿ فيه شفاء للناس ﴾ لا يشكل على أحد أن فى العسل شفاء لبعض الأمراض، وقد يجعل فى المعجونات وكثير من الأدوية، وروى عن ابن عباس أنه قال: فيه شفاء للناس، أى: فى القرآن، والأظهر فى الآية هو القول الأول.

وروى أبو سعيد الخدرى: «أن رجلا أتى النبى ﷺ وذكر أن أخاه اشتكى بطنه فقال: اسقه عسلاً، فسقاه، فزاد الوجع، فعاد وذكر له؛ فقال: اسقه عسلا، فسقاه، فازداد وجعا، فعاد وذكر له ذلك؛ فقال: اسقه عسلاً، فسقاه فبرأ، فعاد وذكر ذلك للنبى ﷺ فقال: صدق الله، وكذب بطن أخيك»(١).

وعن على - رضى الله عنه - أنه قال: من اشتكى شيئًا فليأخذ من امرأته أربعة

(١) متفق عليه، رواه البخارى (١٠/١٤٦ رقم ٥٦٨٤)، ومسلم (١٤/٢٩٢ - ٢٩٣ رقم٢٢١٧).

﴿٦٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا

دراهم من مهرها وليشتر بها عسلا، وليخلطه بماء المطر وليشربه؛ فإن فيه شفاء.

وكان ابن عمر إذا أصابه وجع طلى على موضع الوجع بالعسل حتى الدمل: وعن أبى حرة أنه كان يكتحل بالعسل. وقوله: ﴿إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾ أى: يتدبرون.

قوله تعالى: ﴿والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد إلى أرذل العمر﴾ يعنى: الهرم، وعن على – رضى الله عنه – أنه قال: إنه خمس وسبعون سنة، وقيل: ثمانون سنة، حكاه قطرب. وقيل: تسعون سنة، وعن عكرمة قال: من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر، ومعناه: أنه لا يذهب عقله ولا يخرف، وقيل: إن الرد إلى أرذل العمر للكافرين؛ فإن الله تعالى قال: ﴿ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا﴾(١)

وقوله: ﴿لكيلا يعلم بعد علم شيئًا﴾ يعنى: ينتقص علمه وعقله، وهذا دليل على أنه قد يذكر الشيء، ويراد به الأغلب، فإنه إذا رُدَّ إلى أرذل العمر لا يذهب جميع علمه إذاً، وإنما يذهب أكثر علمه. وقوله: ﴿إن الله عليم قدير﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق﴾ معناه: بسط لهذا وضيق على هذا، وأكثر لهذا وقلل.

وقوله: ﴿فما الذين فضلوا برادِّى رزقهم على ما ملكت أيمانهم﴾ فى الآية رد على المشركين فى اتخاذهم الأصنام آلهة مع الله، ومعنى الآية: أن الأحرار المالكين منكم لا تسخو أنفسهم بدفع أموالهم إلى عبيدهم ليشاركوهم فى الملك، فيكونوا وهم سواء؛ فإذا لم ترضوا هذا لأنفسكم ؛ فأولى أن تنزهوا ربكم عنه، ونظير هذا ما ذكر فى سورة الروم: ﴿ضرب لكم مثلاً من أنفسكم﴾ إلى قوله: ﴿فأنتم فيه سواء﴾(٢).

---

(١) التين: ٥ – ٦.

(٢) الروم: ٢٨.

بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا

وقوله: ﴿أفبنعمة الله يجحدون﴾ يعنى: بأن أنعم عليكم جحدتموه، واتخذتم غيره إلها معه.

قوله تعالى: ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أن هذا فى آدم - عليه السلام فإن الله تعالى خلق حواء من بعض أضلاعه.

والقول الثانى : خلق من أنفسكم أزواجًا أى: من جنسكم أزواجًا.

وقوله: ﴿وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة﴾ فى الحفدة أقوال: روى عن عبد الله بن مسعود أنه قال: هم الأختان، وعنه أيضًا أنه قال: هم الأصهار، ومعنى الآية على هذا القول: وجعل لكم من أزواجكم بنين وبنات تزوجونهم؛ فيحصل لكم بسببهم الأختان والأصهار.

وعن ابن عباس - رضى الله عنه - ومجاهد وغيرهما أنهم قالوا: الخدم، وعن الحسن البصرى قال: الأعوان، وقيل: [أولاد][1] الأولاد، وقيل: بنو المرأة من غيره.

والحفد فى اللغة: هو الإسراع فى العمل، وفى دعاء القنوت: وإليك نسعى ونحفد أى: نسرع، وقال الشاعر:

حفد الولائد حولهن وأسلمت … بأكفهن أزمة الأجمال

وقيل: إن البنين هم الكبار، والحفدة هم الصغار، ويقال: فى الآية تقديم وتأخير، ومعناه: وجعل لكم حفدة ومن أزواجكم بنين. وقوله: ﴿ورزقكم من الطيبات﴾ يعنى: من النعم الحلال.

وقوله: ﴿أفبالباطل يؤمنون﴾ وهذا على طريق الإنكار. وقوله: ﴿وبنعمة الله هم

(١) فى «الأصل»: الأولاد، والمثبت من «ك».

يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئًا وَلا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَّمْلُوكًا لاَّ يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن

يكفرون ﴾ يعنى: بالإسلام هم يكفرون، وقيل: بمحمدهم يكفرون.

وقوله تعالى: ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقًا من السموات والأرض شيئًا ولا يستطيعون ﴾ المراد من الآية ذكر عجز الأصنام عن إيصال نفع أو دفع ضر. وقوله: ﴿ فلا تضربوا لله الأمثال ﴾ أى: الأشباه، ومعناه: فلا تجعلوا لله شبهًا. ولا مثلا؛ فإنه لا شبه له، ولا مثل له. وقوله: ﴿ إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ ضرب الله مثلا عبداً مملوكًا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقًا حسنًا فهو ينفق منه سرًا وجهرًا ﴾ قال مجاهد والضحاك: ضرب المثل لنفسه وللصنم الذى عبد من دونه، فقوله: ﴿ عبداً مملوكًا ﴾ أراد به الصنم. وقوله: ﴿ ومن رزقناه منا رزقًا حسنًا ﴾ ضرب مثلا لنفسه على معنى أنه الجواد الرازق الذى يعطى من حيث يعلمه العبد ومن حيث لا يعلمه.

وقال قتادة - وهو القول الثانى - هو ضرب مثلا للكافر والمؤمن، فقوله: ﴿ عبداً مملوكًا ﴾ أراد به الكافر، وقوله: ﴿ ومن رزقناه منا رزقًا حسنًا ﴾ أراد به المؤمن، وقيل: إن القول الأول أليق بظاهر الآية؛ لأنه إنما سبق ذكر الأصنام، (وتأخر ذكر الأصنام)(١).

ومن نصر القول الثانى استدل على صحته بقوله: ﴿ عبداً مملوكًا ﴾ والصنم لا يسمى عبداً، وفى بعض الروايات عن ابن عباس أن الآية فى رجلين بأعيانهما: أما الذى رزقه الله رزقًا حسنًا، فهو ينفق منه سرًّا وجهرًا، هو عمرو بن هشام، وأما [العبد](٢) المملوك فهو هو مولاه أبو الجواب، وكان يأمره بالإيمان ويمتنع، أورده

(١) كذا فى «الأصل وك» والأولى حذفها.

(٢) فى «الأصل»: عبد المملوك هو، وفى «ك» عبدا مملوكا هو.

رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ

النحاس فى تفسيره بإسناده.

وقوله: ﴿هل يستوون﴾ فإن قال قائل: كيف قال: ﴿هل يستوون﴾، وإنما ضرب المثل لاثنين؟ والجواب عنه: أن المراد منه الجنس لا واحد بعينه. وقوله: ﴿الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ ظاهر المعنى. أى: حمد نفسه على علمه وجهلهم، وقيل: معناه: قل الحمد لله على ما أوضح من الدليل. وبين من الحق بل أكثرهم لا يعلمون، ويقال: الحمد لى فإنى أنا المستحق للحمد لا ما يشركون بى، بل أكثرهم لا يعلمون أنى أنا المستحق للحمد.

قوله تعالى: ﴿وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم﴾ الأبكم: هو الذى لا ينطق، ولا يعقل، ولا يفهم. وقوله: ﴿لا يقدر على شيء﴾ أى: لا يقدر على النطق.

وقوله: ﴿وهو كل على مولاه﴾ أى: ثقل على مولاه. وقوله: ﴿أينما يوجهه لا يأت بخير﴾ يعنى: أينما يبعثه لا يهتدى إلى خير. وقوله: ﴿هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل﴾ عنى به نفسه، والله تعالى يأمر بالعدل، ويفعل العدل.

وقوله: ﴿وهو على صراط مستقيم﴾ أى: على طريق قويم، والمراد من الآية: ضرب مثلا آخر لنفسه وللأصنام، فالأول هو الصنم، والمراد من قوله: ﴿ومن يأمر بالعدل﴾ هو الله تعالى. وقوله: ﴿على صراط مستقيم﴾ لأن الله تعالى على طريق الحق، وليس عنه معدل.

وفى الآية قول آخر: وهو ما روى عن ابن عباس أنه قال: الآية فى رجلين بأعيانهما: أما الأول: فهو أسيد بن أبى العيض. وقوله: ﴿ومن يأمر بالعدل﴾ هو عثمان بن عفان، وكان عثمان يأمره بالإسلام فلا يُسلم.

قوله تعالى: ﴿ولله غيب السموات والأرض﴾ يعنى: علم غيب السموات

مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾

والأرض. وقوله: ﴿وما أمر الساعة إلا كلمح البصر﴾ معناه: أنه إذا قال له: كن فيكون.

وقوله: ﴿أو هو أقرب﴾ يعنى: أدنى من لمح البصر، فإن قيل: كيف قال: ﴿أو هو أقرب﴾، و«أو» للشك ولا يجوز على الله هذا؟

والجواب من وجهين: أحدهما: أن قوله: ﴿أو هو أقرب﴾ يعنى: بل هو أقرب قال الشاعر:

بدت مثل قرن الشمس فى رونق الضحى وبهجته أو أنت فى العين أملح

يعنى: بل أنت فى العين أملح.

والجواب الثانى : أن المراد منه: أو هو أقرب فى علمكم. وقوله: ﴿إن الله على كل شىء قدير﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئًا﴾ يعنى: لا تعلمون شيئًا مما علمتم الآن.

وقوله: ﴿وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾ أى: الأسماع والأبصار والأفئدة، وهى جمع الفؤاد. وقوله: ﴿لعلكم تشكرون﴾ أى: نعمتى عليكم.

قوله تعالى: ﴿ألم يروا إلى الطير مسخرات فى جو السماء﴾ أى: مذللات فى كبد السماء، وعن كعب الأحبار أن الطير يرتفع اثنى عشر ميلا ولا يرتفع فوق هذا. وفوق الجو السُّكَاك وفوق السكاك السماء.

وقوله: ﴿ما يمسكهن إلا الله﴾ يعنى: فى حال طيرانهن وقبضهن وبسطهن.

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ

وقوله: ﴿إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ أى: لعبراً.

قوله تعالى: ﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكنًا﴾ أى: مواضع تسكنون فيها. وقوله: ﴿وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتًا﴾ يعنى: الفساطيط والخيم والقباب من الأدم.

وقوله: ﴿تستخفونها﴾ يعنى: يخف عليكم حملها. وقوله: ﴿يوم ظعنكم﴾ يعنى: يوم سفركم. وقوله: ﴿ويوم إقامتكم﴾ أى: حال إقامتكم.

وقوله: ﴿ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها﴾ الأصواف للغنم، والأوبار للإبل، والأشعار للمعز. وقوله: ﴿أثاثا﴾ الأثاث: متاع البيت، وهو ما يتأثث به أى: ينتفع به، قال الشاعر:

أهاجتك الظعائن يوم بانوا على الزى الجميل من الأثاث

وقيل: الأثاث اللباس. وقوله: ﴿ومتاعًا إلى حين﴾ أى: متعة إلى حين آجالكم. قوله تعالى: ﴿والله جعل لكم مما خلق ظلالا﴾ أى: ما يظلكم من الشمس من الأشجار والحيطان والسقوف والجبال وأشباه ذلك.

وقوله: ﴿وجعل لكم من الجبال أكنانًا﴾ أى: الغيران والأسراب، والأكنان جمع الكِن. وقوله: ﴿وجعل لكم سرابيل﴾ أى: قُمُصًا، وقد تكون من الصوف، وقد تكون من القطن، وقد تكون من الكتان.

وقوله: ﴿تقيكم الحر﴾ هاهنا حذف، ومعناه: تقيكم الحر والبرد. قال الشاعر:

ولا أدرى إذا يممت أرضا أريد الخير أيهما يلينى

قال النحاس: أريد الخير وأتقى الشر؛ لأن كل من يريد الخير فيتقى الشر، وقوله: أيهما يلينى أى: الخير والشر.

وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾

وقوله: ﴿وسرابيل تقيكم بأسكم﴾ أى: الدروع، والبأس هو ما يقع به البأس، وهو السلاح. وقوله: ﴿كذلك يتم نعمته عليكم﴾ يعنى: منته عليكم. وقوله: ﴿لعلكم تُسْلِمُون﴾ أى: تؤمنون، وعن ابن عباس أنه قرأ: «لعلكم تَسْلَمون» والقراءة غريبة.

فإن قيل: كيف ذكر هذه النعم من الجبال والظلال والسرابيل والقُمُص والأوبار والأصواف، ولله تعالى نعم كثيرة فوق هذا لم يذكرها؟ فما معنى تخصيص هذه النعم وترك ما فوقها؟

والجواب عنه: أن العرب كانوا أصحاب أنعام، وكانوا أهل جبال، وكانت بلادهم حارة؛ فذكر من النعم ما يليق بحالهم، وكانت هذه النعم عندهم فوق كل نعمة؛ فخصها بالذكر لهذا المعنى، وعن قتادة: أن هذه السورة تسمى سورة النعم.

قوله تعالى: ﴿فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين﴾ هذه تسلية للنبى ﷺ ومعناه: أنهم إن أعرضوا فلا يلحقك فى ذلك عتب ولا سمة تقصير؛ فإنما عليك البلاغ وقد بلغت.

قوله تعالى: ﴿يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها﴾ قال السدى: هو محمد ﷺ، وعلى هذا جماعة من أهل التفسير، ويقال: إن معناه الإسلام. وروى عن ابن عباس أن معنى الآية: أنه كان إذا قيل لهم: من أعطاكم هذه النعم؟ فيقولون: الله، فإذا قيل لهم: فوحدوه؛ فيقولون: أعطينا بشفاعة آلهتنا.

وعن قتادة: أنهم يقرون أن النعم من الله، ثم إذا قيل لهم: تصدقوا، وامتثلوا فيها أمر الله تعالى، قالوا: ورثناها من آبائنا.

وعن عون بن عبد الله قال: إنكار النعمة هو أن يقول: لولا كذا لأصبت كذا، ولولا فلان لأصابنى كذا. وعن الحسن البصرى قال: النعم ستة: محمد ﷺ،

وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ

والقرآن، والإسلام، والعافية، والستر، والاستغناء عن الناس.

وقوله: ﴿وأكثرهم الكافرون﴾ يعنى: وكلهم الكافرون؛ لأن الآية فى الكفار.

قوله تعالى: ﴿ويوم نبعث من كل أمة شهيداً﴾ هذا فى معنى قوله تعالى: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدًا﴾(١).

وقوله: ﴿ثم لا يؤذن للذين كفروا﴾ يعنى: فى الاعتذار، وقيل: فى الكلام أصلا. وقوله: ﴿ولا هم يستعتبون﴾ يعنى: لا يردون إلى الدنيا ليتوبوا، وحقيقة المعنى فى الاستعتاب: هو التعريض لطلب الرضا، وهذا الباب منسد على الكفار فى الآخرة.

قوله تعالى: ﴿وإذا رأى الذين ظلموا العذاب﴾ يعنى: جهنم. وقوله: ﴿فلا يخفف عنهم﴾ أى: لا يسهل عليهم. وقوله: ﴿ولا هم ينظرون﴾ أى: لا يمهلون. قوله تعالى: ﴿وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم﴾ هذا فى الوقت الذى يبعث الله الأصنام ويحضرها، فإذا رآها الكفار ﴿قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك﴾.

وقوله: ﴿فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون﴾ فيه قولان:

الأظهر أن هذا قول الأصنام يقولون للمشركين: إنكم لكاذبون، يعنى: فى أنا دعوناكم إلى عبادتنا، أو فى قولكم: إن هؤلاء آلهة، أو فى قولكم: إنا نستحق العبادة.

والقول الثانى: أن الملائكة يقولون: إنكم لكاذبون.

قوله تعالى: ﴿وألقوا إلى الله يومئذ السلم﴾ أى: استسلم العابد والمعبود لله

(١) النساء: ٤١

﴿٨٧﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا
يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ
هَؤُلاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ إِنَّ

تعالى. وقوله: ﴿وضلّ عنهم ما كانوا يفترون﴾ أى: بطل عنهم ما كانوا يكذبون، وحقيقة المعنى: أنه فات عنهم ما زعموه؛ فإنه كان فرية وكذبًا.

قوله تعالى: ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾ يعنى: منعوا الناس من طريق الحق. وقوله: ﴿زدناهم عذابًا فوق العذاب﴾ روى مسروق عن عبد الله بن مسعود أنه قال: عقارب كالبغال، وفى رواية أخرى عنه: أفاعى كالفيلة، وعقارب كالنخيل الطوال، وعن أبى الزاهرية قال: [ما](١) من عذاب يعرفه الناس، أو لا يعرفونه إلا ويعذب الله به أهل النار. وروى أنهم يهربون من النار، فيخرجون إلى زمهرير فى جهنم، هو أشد عليهم من النار؛ فيعودون إلى النار مستغيثين بها، وقوله: ﴿بما كانوا يفسدون﴾ أى: [يشركون](٢).

وقوله تعالى: ﴿ويوم نبعث فى كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء﴾ قد بينا المعنى.

وقوله: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانًا لكل شىء﴾ أى: بيانًا للثواب والعقاب، والحلال والحرام. وعن الأوزاعى قال: تبيانًا بالسنة.

وقوله: ﴿وهدى﴾ أى: من الضلالة. وقوله: ﴿ورحمة﴾ أى: عطفًا على من أنزل عليهم. وقوله: ﴿وبشرى﴾ أى: بشارة ﴿للمسلمين﴾.

قوله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ فى الآية أقوال: أحدها: أن العدل هو شهادة أن لا إله إلا الله، وهذا مروى عن ابن عباس وغيره ،وقيل: إنه التوحيد، وهو فى معنى الأول.

(١) ليس فى «الأصل» ولا «ك».

(٢) فى «الأصل و ك»: يشكرون، وهو خطأ.

والقول الثانى: أنه الإنصاف وترك [الجور][1]، وعن محمد بن كعب القرظى أنه دعاه عمر بن عبد العزيز حين ولى الخلافة، فقال له: صف لى العدل، فقال: كن للصغير أبًا، وللكبير ابنًا، ولمثلك أخًا، وعاقب الناس على قدر ذنوبهم، وإياك أن تضرب أحداً (بغضبك)[2]. والقول الثالث: وهو أن العدل هو أن تستوى سريرة المرء وعلانيته.

وقوله تعالى: ﴿ والإحسان ﴾ أن تكون سريرة المرء أفضل من علانيته عند الله، وقوله: ﴿ والإحسان ﴾ فيه أقوال:

أحدها: أن الإحسان هو العفو، والآخر: هو أداء الفرائض والثالث: (أنه)[3] أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، والرابع: أنه التفضل، وقيل: الإحسان أن تكون سريرة المرء أفضل من علانيته.

وقوله: ﴿ وإيتاء ذى القربى ﴾ أى: صلة ذوى الأرحام، وقيل: إنه يدخل فى هذا جميع بنى آدم؛ لأن بينه وبين الكل وصلة بآدم - صلوات الله عليه - وأدنى ما يقع فى الصلة ترك الأذى، وأن يحب له ما يحبه لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه.

وقوله: ﴿ وينهى عن الفحشاء ﴾ الفحشاء: كل ما استقبح من الذنوب، وقيل: إنه الزنا، وقيل: إنه البخل، وقيل الفحشاء: أن تكون علانية المرء أفظع من سريرته.

وقوله: ﴿ والمنكر ﴾ يعنى: كل ما يكون منكرًا فى الدين، وقيل: إنه الشرك، فإنه أعظم المناكير.

وقوله: ﴿ والبغى ﴾ يقال: إنه الظلم والاستطالة على الناس، وقيل: إنه الكبر، وقيل: إنه الغيبة، وعن قتادة قال: جمع الله تعالى كل ما يحب، وكل ما يكره فى هذه الآية.

---

(١) فى « الأصل وك »: الحول.

(٢) فى « ك »: يغضبك، وهو الأشبه.

(٣) فى « ك »: هو.

يَعظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي

وفى بعض المسانيد: أن شتيراً جاء إلى مسروق، فقال له: إما أن تحدثنى عن عبدالله فأصدقك، أو أحدثك عن عبد الله فتصدقنى، فقال: حدث أنت، فقال: سمعت عبد الله يقول: أجمع آية فى القرآن للخير والشر قوله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ فقال له مسروق: صدقت.

ويقال: إن العدل زكاة الولاية، والعفو زكاة القدرة، والإحسان زكاة النعمة، والكَتْبُ إلى الإخوان زكاة الجاه؛ يعنى: كتب الوسيلة.

وقوله تعالى: ﴿يعظكم لعلكم تذكرون﴾ يعنى: تعتبرون.

قوله تعالى: ﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم﴾ الآية، قال: العهد هاهنا هو اليمين، وعن جابر بن زيد والشعبى أنهما قالا: العهد يمين، وكفارته كفارة اليمين.

وعن عمر قال: الوعد من العهد، ومثله عن ابن عباس.

وقوله: ﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها﴾ أى: بعد إحكامها ﴿وقد جعلتم الله عليكم كفيلا﴾أى: شهيداً، وقيل: توثقتم باسمه كما يتوثق بالكفيل. وقوله: ﴿إن الله يعلم ما تفعلون﴾ وعيد وتهديد.

قوله تعالى: ﴿ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها﴾ هذه امرأة كانت تسمى ريطة بنت سعد، وكانت بها وسوسة؛ فكانت تجلس بجانب الحجر، وتغزل طول نهارها بمغزل كبير، فإذا كان العشى نقضته.

وقيل: كانت تأمر جواريها بنقضه، فشبه الله من نقض العهد بها، ومعناه: أنها لم تكف عن العمل ،ولا حين عملت كفت عن النقض، فكذلك أنتم لا كففتم عن العهد، ولا حين عهدتم وفيتم.

وقوله: ﴿من بعد قوة﴾ أى: بعد إحكام. وقوله: ﴿أنكاثًا﴾ أى: إنقاضًا وقطعًا.

نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ

وقوله: ﴿ تتخذون أيمانكم دخلا بينكم ﴾ أى: غشا وخديعة.

والدَخل: ما تدخل فى الشىء للفساد، ويقال: إن (الدَّغَل)[1] هو أن يظهر الوفاء، ويبطن النقض، وكذلك الدخل.

وقوله: ﴿ أن تكون أمة هى أربى ﴾ أى: أكثر، وأما معناه: فروى عن مجاهد أنه قال: كانوا يعاهدون مع قوم، فإذا رأوا أقوامًا أعز منهم وأكثر، نقضوا عهد الأولين، وعاهدوا مع الآخرين؛ فعلى هذا قوله: ﴿ أن تكون أمة هى أربى من أمة ﴾ يعنى: طلبتم العز بنقض العهد بأن كانت أمة أكثر من أمة.

وفى الآية قول آخر: وهى نزلت فى قوم عاهدوا مع النبى ﷺ ثم نقضوا العهد معه، وعاهدوا مع قوم من الكفار؛ فظنوا أن قوتهم أكثر، لأن عددهم أكثر ،ويقال: إن الآية نزلت فى المؤمنين،نهاهم الله تعالى عن نقض العهد؛ فكأنه تعالى قال: إذا عاهدتم مع قوم لمخافة، فإذا أمنتم فلا تنقضوا، ليكون جانبكم أقوى وأكثر.

وقوله: ﴿ إنما يبلوكم الله به ﴾ يعنى: بالكثرة والقلة، وقيل: يبلوكم الله به يعنى: بالأمر بالوفاء بالعهد. وقوله: ﴿ وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ﴾ أى: على دين واحد، وهو الإسلام. وقوله: ﴿ ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء ﴾ والآية صريحة فى الرد على القدرية.

وقوله: ﴿ ولتسألن عما كنتم تعملون ﴾ يعنى: يوم القيامة، وحقيقة المعنى أنى لا أُسأل عما أفعل من الإضلال والهداية، وأنتم تسألون عما تعملون من الخير والشر.

وقوله تعالى: ﴿ ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم ﴾ أى: سبب فساد بينكم، وقد

(١) فى «ك»: الدخل.

تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ
بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً
إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ
وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ

بينا معنى الدخل.

وقوله: ﴿فتزل قدم بعد ثبوتها﴾ يعنى: تزل عن الإسلام بعد ثبوتها على الإسلام، قال:

النحو صعب وطويل سلمه إذا ارتقى فيه الذى لا يعلمه

زلت به إلى الحضيض قدمه

وقوله: ﴿وتذوقوا السوء﴾ بالعذاب. وقوله: ﴿بما صددتم عن سبيل الله﴾ يعنى: سهلتم طريق نقض العهد على الناس بنقضكم العهد. وقوله: ﴿ولكم عذاب عظيم﴾ أى: كبير.

قوله تعالى: ﴿ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا﴾ يعنى: شيئًا يسيرًا من عرض الدنيا. وقوله: ﴿إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ما عندكم ينفد﴾ يعنى: أن الدنيا وما فيها تفنى. وقوله: ﴿وما عند الله باق﴾ يعنى: الآخرة، وعلى العاقل أن يؤثر ما يبقى، وفى بعض الآثار: للدنيا بنون، وللآخرة بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا.

وقوله: ﴿ولنجزين الذين صبروا أجرهم﴾ يعنى: صبروا عن الدنيا. وقوله: ﴿أجرهم﴾ أى: ثوابهم وجزاءهم. وقوله: ﴿بأحسن ما كانوا يعملون﴾ أى: بأحسن الذى كانوا يعملون.

قوله تعالى: ﴿من عمل صالحًا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة﴾ اختلفوا فى الحياة الطيبة على أقاويل:

أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾

روى عن ابن عباس أنه قال: الحياة الطيبة هى الرزق الحلال. وعن مجاهد وعكرمة: أنها القناعة، وفى بعض دعاء النبى ﷺ: «اللهم قنعنى بما رزقتنى»(١) وفى منثور الكلام: القناعة ملك خفى.

والقول الثالث: روى عن الحسن البصرى قال: الحياة الطيبة فى الجنة، قال الحسن: وليس فى الدنيا حياة طيبة، وعنه أنه قال: الدنيا كلها بلاء، فما كان فيها من خير فهو ربح، وروى أنه سمع رجلا يقول لآخر: لا أراك الله مكروهًا أبدًا، فقال له: دعوت الله له بالموت، فإن الدنيا لاتخلو عن المكروه .

وعن سعيد بن جبير قال: الحياة الطيبة رزق يوم بيوم، وقيل: إنه حلاوة العبادة وأكل الحلال، ويقال: إنها عيش الإنسان فى بلده مع الكفاية والعافية، وقيل: مطلق الكفاية والعافية .

وقوله: ﴿ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون﴾ قد بينا المعنى .

قوله تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن﴾ روى عن أبى هريرة أنه قال: فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم بعد القراءة؛ لأن الله تعالى قال: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله﴾ وحكى بعضهم عن مالك مثل هذا .

والأصح أن الاستعاذة قبل القراءة، وقد روى ذلك بروايات كثيرة عن النبى ﷺ وقد روى عن النبى ﷺ برواية أبى المتوكل الناجى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ أنه قال له: «إذا افتتحت القراءة فقل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»(٢). وثبت

(١) رواه الحاكم فى مستدركه (١/٥١٠، ٢/٣٥٦-٣٥٧) وقال: صحيح الإسناد، وابن السنى فى القناعة (ص٤٤-٤٥ رقم١١،١٢،١٣)، وابن أبى حاتم فى العلل (٢/١٨٥ رقم٢٠٥٢)، والسهمى فى تاريخ جرجان (ص٩١)، والبيهقى فى الآداب (٣١٢ رقم ٩٤٣). واختلف على عطاء بن السائب، فرواه مرة عن يحيى بن عمارة عن سعيد بن جبير، وأخرى عن سعيد بن جبير مباشرة، ولم يذكر يحيى بن عمارة. وقال ابن أبى حاتم: قلت لأبى: أيهما أصح؟ قال: ما يدرينا مرة قال كذا، ومرة قال كذا.

(٢) لم أجده بهذا اللفظ، وحديث أبى المتوكل الناجى عن أبى سعيد هو حكاية عن فعله ﷺ وهو الآتى.

﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾

أن النبى ﷺ قال: «اللهم إنى أعوذ بك من الشيطان من همزه ونفثه»(١).

وأما معنى الآية: إذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا﴾ (٢) يعنى: إذا أردتم القيام إلى الصلاة، وفى بعض الآثار: أنه لاشئ أشد على إبليس من الاستعاذة، والاستعاذه بالله هى الاعتصام بالله .

وقوله: ﴿من الشيطان الرجيم﴾ أى: الشيطان المرجوم .

وقوله تعالى: ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا﴾ أى: ليس له ولاية على الذين آمنوا. وقوله: ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ يقال معناه: أنه لايقدر على إيقاعهم فى ذنب ليس لهم منه توبة، وقيل: إنه لايقدر على إدخالهم فى الشرك وإغوائهم .

قوله تعالى: ﴿إنما سلطانه على الذين يتولونه﴾ يعنى: الذين يدخلون فى ولايته ويتبعونه .

وقوله: ﴿والذين هم به مشركون﴾ قال بعضهم: برب العالمين مشركون، وقال ثعلب: والذين هم به مشركون أى: لأجله مشركون أى: لأجل إبليس، وهذا معنى صحيح؛ لأن من يشرك بإبليس يكون مؤمنًا بالله، فالمعنى هذا .

قوله تعالى: ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية﴾ قال أهل التفسير: كان النبى ﷺ إذا نزلت عليه آية شدة، ثم نسخت، وأنزلت عليه آية لين، قال المشركون: انظروا إلى

(١) رواه أبو داود (١/٢٠٦ رقم٧٧٥)، والترمذى (٢/ ٩ - ١٠ رقم ٢٤٢)، وأحمد (٣/ ٥٠)، وابن أبى شيبة (١/ ٢٣٢)، والدارمى (١/ ٣١٠ رقم١٢٣٩)، والدارقطنى (١/٢٩٨-٢٩٩) والبيهقى (٢/٣٤-٣٥). وقال أبو داود: هذا الحديث يقولون: هو عن على بن على، عن الحسن مرسلا، والوهم من جعفر. وقال الترمذى: قد تكلم فى إسناد حديث أبى سعيد؛ كان يحيى بن سعيد يتكلم فى على بن على الرفاعى، وقال أحمد: لايصح هذا الحديث.

(٢) المائدة: ٦.

قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ

هذا الرجل يبدل كلام الله من قبل نفسه، وكانوا يقولون على طريق الاستهزاء: وتبدل الشيء بالشيء؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية﴾ » أى: وضعنا آية مكان آية .

وقوله: ﴿والله أعلم بما ينزل﴾ يعنى: والله أعلم بمنفعة العباد فيما ينزل .

وقوله: ﴿قالوا إنما أنت مفتر﴾أى: مختلق. وقوله: ﴿بل أكثرهم لايعلمون﴾ يعنى: كلهم لايعلمون أنى أنا المنزل لجميع الآيات الناسخ والمنسوخ .

قوله تعالى: ﴿قل نزله روح القدس﴾ أى: جبريل. وقوله: ﴿من ربك بالحق﴾ أى: بالصدق وقوله: ﴿ليثبت الذين آمنوا﴾ أى: ليثبت قلوب الذين آمنوا .

وقوله: ﴿وهدى وبشرى للمسلمين﴾ قد بينا المعنى .

قوله: ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر﴾ الآية، اختلفت الأقاويل فى معنى قوله: ﴿بشر﴾ روى عن ابن عباس أنه قال: هو غلام لعامر بن الحضرمى، وكان يقرأ الكتب، وكان المشركون يزعمون أن رسول الله ﷺ يتعلم منه، وقال مجاهد: هو غلام لحويطب، وقال غيره: كان اسمه جبر، ومنهم من قال: غلامان من عين التمر يسمى أحدهما: جبر ،والآخر: يسار، وكانا يقرآن الكتب بلسانهما، وقال بعضهم: كان اسمه: أبو (فُكَيْهة)(١) ، وقيل: كان اسمه: عايش، قالوا: كان النبى ﷺ يجلس إليهما، ويدعوهما، إلى الإسلام ،فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقوله: ﴿لسان الذى يلحدون إليه﴾ قرئ: « يُلْحِدُون إليه » و« يَلْحَدُون »، والإلحاد: الميل، والملحد هو الذى مال عن الحق إلى التعطيل؛ فقوله: ﴿يُلْحِدُون إليه﴾ أى: يميلون إليه.

وقوله: ﴿يَلْحَدُون إليه﴾ أى: يميلون القول إليه، وقال ابن قتيبة: يومئون إليه،

(١) فى « ك »: فليكة.

بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٠٥﴾

وقوله: ﴿ أعجمى ﴾ الأعجمى: هو الذى لايفصح بالعربية .

وقوله: ﴿ وهذا لسان عربى مبين ﴾ أى: كلام عربى مبين، ومعنى الآية: أنه كيف يأخذ منهم، وهم لايفصحون بالعربية؟ وقد روى أن ذلك الرجل الذى كانوا يشيرون إليه أسلم، وحسن إسلامه .

قوله تعالى: ﴿ إن الذين لايؤمنون بآيات الله لايهديهم الله ﴾ يعنى: لايرشدهم الله إلى الحق، وقد قال فى موضع آخر: ﴿ ومن يؤمن بالله يهد قلبه ﴾(١).

وقوله: ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾ أى: مؤلم .

قوله تعالى: ﴿ إنما يفترى الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكذبون ﴾ فإن قال قائل: قد قال: ﴿ إنما يفترى الكذب ﴾ فأيش معنى قوله: ﴿ وأولئك هم الكاذبون ﴾؟

والجواب عنه: أن قوله: ﴿ إنما يفترى الكذب ﴾ هذا إخبار عن فعل الكذب، وقوله: ﴿ وأولئك هم الكاذبون ﴾ نعت لازم، ومعناه: أن هذا صفتهم ونعتهم، وهذا كالرجل يقول لغيره: كذبت، وأنت كاذب أى: كذبت فى هذا القول، ومن صفتك الكذب . وفى بعض المسانيد عن يعلى بن الأشدق عن عبد الله بن جراد أنه قال: « قلت يارسول الله: المؤمن يزنى؟ قال: قد يكون ذلك، فقلت: المؤمن يسرق؟ قال: قد يكون ذلك، فقلت المؤمن يكذب؟ فقال: لا، وقرأ قوله تعالى: ﴿ إنما يفترى الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله ﴾ »(٢) وعن أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - أنه قال

(١) التغابن: ١١ .

(٢) رواه الخرائطى فى مساوئ الأخلاق (ص٦٣ رقم١٣١)، وعزاه السيوطى فى الدر (٤ / ١٤٦) لابن عساكر فى تاريخه أيضًا . ورواه الخطيب فى تاريخه (٦ / ٢٧٢) من طريق يعلى بن الأشدق عن عبد الله بن جراد قال: قال أبو الدرداء: « يارسول الله، هل يكذب المؤمن؟ قال: لايؤمن بالله واليوم الآخر من إذا حدث كذب » .

مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ

: الكذب مجانب للإيمان .

قوله تعالى : ﴿ من كفر بالله من بعد إيمانه ﴾ نزلت الآية فى عمار بن ياسر - رضى الله عنه - أخذه المشركون، وأكرهوه على سب النبى ﷺ فطاوعهم فى بعض القول، ثم جاء إلى النبى ﷺ، فقال له النبى ﷺ : « ماوراءك؟ فقال : شر يارسول الله، لم يتركنى الكفار حتى نلت منك، وذكرت آلهتهم بخير، فقال : وكيف وجدت قلبك؟ فقال : مطمئنا بالإيمان؛ فقال : إن عادوا فعد؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية »[1] وتقدير الآية : من كفر بالله من بعد إيمانه فعليهم غضب من الله ولهم عذاب أليم إلا من أكره، وقلبه مطمئن بالإيمان ﴿ ولكن من شرح بالكفر صدراً ﴾ فحكمه ما بينا . وقوله : ﴿ شرح ﴾ أى : فتح قلبه لقبول الكفر.

قوله تعالى : ﴿ ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ﴾ يعنى : آثروا الحياة الدنيا على الآخرة . واعلم أن المؤمن يجوز أن يطلب الدنيا، ويطلب الآخرة، ولكن لايؤثر الدنيا على الآخرة إلا الكافر. وقوله : ﴿ وأن الله لايهدى القوم الكافرين ﴾ لايرشد القوم الكافرين.

قوله تعالى : ﴿ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون ﴾ أى : عما يراد بهم .

قوله تعالى : ﴿ لاجرم أنهم فى الآخرة هم الخاسرون ﴾ أى : حقا أنهم فى الآخرة هم المغبونون .

(١) رواه الطبرى (١٤ / ١٢٢)، وابن سعد (٣ / ١٨٩)، والحاكم (٢ / ٣٥٧) وصححه على شرط الشيخين، وأبو نعيم فى الحلية (١ / ١٤٠)، والبيهقى فى الكبرى (٨ / ٢٠٨ - ٢٠٩) . من طريق محمد بن عمار بن ياسر، عن أبيه .

الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ

قوله تعالى: ﴿ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد فُتِنُوا﴾ نزلت الآية فى قوم كانوا بقوا بمكة من المسلمين، وعذبهم المشركون حتى ذكروا كلمة الكفر بلسانهم، منهم عمار وخباب وصهيب وغيرهم .

وقوله: ﴿من بعد مافتنوا﴾ أى: عُذِّبوا حتى وقعوا فى الفتنة ،ثم إنهم بعد ذلك هاجروا، ولحقوا بالنبى ﷺ . وقوله: ﴿ثم جاهدوا وصبروا﴾ يعنى: على الجهاد والإيمان.

وقوله: ﴿إن ربك من بعدها لغفور رحيم﴾ أى: من بعد فعلتهم التى فعلوها من إعطاء الكفار بعض ما أرادوا منهم .

فإن قال قائل: إذا كان ذلك رخصة، فلا يحتاج إلى المغفرة والرحمة؟ والجواب : أنه يحتمل أنهم فعلوا مافعلوا ذلك قبل نزول الرخصة .

قوله تعالى: ﴿يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها﴾ . فإن قيل: كيف قال: تجادل، وقد سبق ذكر كل، ولفظ كل مذكر؟

والجواب عنه: أنه أعاد كلمة كل على المؤنث؛ فلهذا المعنى أنث، وهذا كما يقال: كل امرأة قائمة ،وما أشبه هذا .

وقوله: ﴿تجادل عن نفسها﴾ أى: تخاصم عن نفسها، ومجادلتهم هى قولهم: والله ربنا ماكنا مشركين، وقولهم: ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك، وما أشبه هذا من الأقوال التى ذكرت فى القرآن .

وقيل: تجادل عن نفسها: تدفع عن نفسها. وروى عن كعب الأحبار أنه قال: تزفر جهنم يوم القيامة زفرة ،فلا يبقى ملك مقرَّب، ولانبى مرسل إلاخرَّ وجثى على ركبتيه، ويقول: نفسى نفسى حتى إبراهيم خليل الرحمن فيقول: ربّى لا أريد إلا نجاة نفسى، قال كعب: وهو فى كتاب الله تعالى ﴿يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها﴾.

نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا

وروى أنه قال هذا بين يدى عمر - رضى الله عنه - وقد كان عمر قال له: حدثنا، ذكّرنا. وقوله: ﴿وتوفى كل نفس ما عملت وهم لايظلمون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة﴾ الآية .أكثر أهل التفسير: أن القرية ها هنا هى مكة-وقوله: ﴿يأتيها رزقها رغداً من كل مكان﴾ هو معنى قوله تعالى: ﴿وارزقهم من الثمرات﴾(١).

وقوله: ﴿فكفرت بأنعم الله﴾ الأنعم: جمع النعمة. وقوله: ﴿فأذاقها الله لباس الجوع والخوف﴾ ذكر الذوق، لأن المراد من لباس الجوع والخوف التعذيب، ويستقيم أن يُقال فى التعذيب: ذق، كما قال تعالى: ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾(٢).

والمعنى: أن العذاب يتجدد إدراكه كل ساعة كالذوق.

روى أن الله تعالى سلط عليهم القحط سبع سنين حتى أكلوا (الطعام)(٣) المحترقة والعلهز، وهو الوبر بالدم، حتى كان ينظر أحدهم إلى السماء فيرى كشبه الدخان من الجوع»(٤).

﴿والخوف﴾ هو الخوف من القتل، ومن سرايا النبى ﷺ.

والمراد من القرية :أهل القرية، وهو مثل قوله تعالى: ﴿واسأل القرية﴾(٥) وكذلك قوله: ﴿آمنة﴾ أى: آمن أهلها، وكذلك مطمئنة.

وفى الآية قول آخر: وهو أنه كل بلد من بلدان الكفار.

---

(١) إبراهيم: ٣٧.
(٢) الدخان: ٤٩.
(٣) كذا فى« الأصل،وك »، وأظنها « العظام»، وهو موافق لما جاء فى صحيح البخارى وغيره: أنهم أكلوا العظام والميتة، والله أعلم.
(٤) متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود، رواه البخارى (٢/ ٥٧٢ رقم ١٠٠٧وأطرافه: ١٠٢٠، ٤٦٩٣، ٤٧٦٧، ٤٧٧٤، ٤٨٠٩، ٤٨٢٠-٤٨٢٥)، ومسلم (١٧/ ٢٠٥ - ٢٠٧ رقم: ٢٧٩٨).
(٥) يوسف: ٨٢.

يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾
فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا
حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا
عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا

وفى الآية قول ثالث: وهو أنها المدينة، وكفران أهلها بأنعم الله هو ما فعلوا بعد النبى ﷺ من قتل عثمان ،وما يعقبه من الأمور، وهو قول ضعيف. وأما ذكر اللباس فى الآية، فلأن من جاع لحقه من الهزال والشحوب والتغير مايزيد ظاهره عما كان من قبل؛ فجعل ذلك كاللباس لجلوده .

وقوله: ﴿بما كانوا يصنعون﴾ أى: يكفرون .

قوله تعالى: ﴿ولقد جاءهم رسول منهم﴾ أى: محمد ﷺ، وقوله: ﴿منهم﴾ أى: نسبهم، وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ابن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

وقوله: ﴿فكذبوه﴾ أى: كفروا به. وقوله: ﴿فأخذهم العذاب وهم ظالمون﴾ أى: كافرون. قوله تعالى: ﴿فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيباً واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون﴾ قد بينا المعنى.

قوله تعالى: ﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن أضطر غير باغ ولا عاد﴾ معنى قوله: ﴿باغ﴾ أى: طالب بذلك ليتقوى على المعصية ﴿ولاعاد﴾ أى: لايتعدى القدر الذى جوّز له من التناول، وهذا دليل على أن العاصى فى السفر لايترخص بهذه الرخصة .

وقوله: ﴿فإن الله غفور رحيم﴾ ظاهر المعنى.

قوله: ﴿ولاتقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب﴾ يعنى: لوصف ألسنتكم الكذب. وقوله: ﴿هذا حلال وهذا حرام﴾ المراد منه: ماذكروه فى البحيرة والسائبة

حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾
مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ
وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ
بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ

والوصيلة والحام، وقد كانوا يحلونها لقوم، ويحرمونها على قوم. وقوله: ﴿لتفتروا على الله الكذب﴾ أى: لتختلقوا على الله الكذب. وقوله: ﴿إن الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون﴾ أى: لايفوزون.

قوله تعالى: ﴿متاع قليل ولهم عذاب أليم﴾ أى: عيشهم فى الدنيا متاع قليل، ﴿ولهم عذاب أليم﴾ أى: وجيع.

قوله تعالى: ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا ماقصصنا عليك من قبل﴾ معناه: ماذكره فى سورة الأنعام، وهو قوله تعالى: ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر﴾(١). وقوله: ﴿وما ظلمناهم﴾ أى: مانقصنا من حقهم ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ أى: هم الذين نقصوا من حقوقهم.

قوله تعالى: ﴿ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة﴾ قال أهل العلم: وكل من عمل بمعصية، فهو من داعى الجهالة. وقوله: ﴿ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا﴾ شرط الصلاح هاهنا، ومعناه: الاستقامة على التوبة. وقوله: ﴿إن ربك من بعدها لغفور رحيم﴾ أى: من بعد الفعلة التى تابوا عنها.

قوله تعالى: ﴿إن إبرهيم كان أمة﴾ فى الأمة أقوال، أحسن الأقاويل ما حكاه مسروق عن ابن مسعود أنه المعلم للخير، وهو الذى يقتدى به ويؤتم؛ وروى أن عبد الله بن مسعود قال بعد موت معاذ بن جبل: كان معاذ بن جبل أمة، وأراد به هذا المعنى.

القول الثانى: كان أمة، أى: إمام هدى، والقول الثالث: كان أمة أى: كان مؤمنا

(١) الأنعام: ١٤٦.

إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ
وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ
الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا

بالله، وجميع الناس كافرون. وقوله: ﴿قانتًا لله﴾ قال ابن مسعود: مطيعا لله، وقال غيره: قائمًا بأوامر الله، وقيل: دائما على العبادة.

وقوله: ﴿حنيفًا﴾ أى: مخلصًا، وقيل: مستقيما على الدين .

قوله: ﴿ولم يك من المشركين﴾ أى: ممن يعبد الأصنام، وقال بعض أهل المعانى :كان يرى العطاء والمنع من الله .

قوله: ﴿شاكرًا لأنعمه﴾ أى: لنعمه. وقوله: ﴿اجتباه وهداه﴾ أى: اختاره وأرشده. وقوله: ﴿إلى صراط مستقيم﴾ أى: إلى دين الحق .

قوله: ﴿وأتيناه فى الدنيا حسنة﴾ قيل: هى النبوة، وقيل: لسان الصدق، وقيل: التنويه لذكره بطاعته لربه، وقيل: قبول كل أهل الملل له، وقيل: ضيافته ودعاء الناس له إلى يوم القيامة. وقوله: ﴿وإنه فى الآخرة لمن الصالحين﴾ ظاهر المعنى .

قوله تعالى: ﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفًا﴾ هذا دليل على أنه يجوز للفاضل أن يتبع المفضول. وقوله: ﴿وماكان من المشركين﴾ ظاهر المعنى .

وقد قال بعض أهل الأصول: إن النبى ﷺ كان مأمورًا بشريعة إبراهيم إلا مانسخ فى شريعته بدليل هذه الآية، وقد قيل غير هذا، والصحيح أنه كان مأمورًا باتباع شريعته فى بعض الأشياء، وصار ذلك شريعة له .

قوله تعالى: ﴿إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه﴾ معناه: إنما جعل السبت لعنة على الذين اختلفوا فيه. وقوله: ﴿اختلفوا فيه﴾ أى: خالفوا فيه، وقال

كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾

بعضهم: اختلفوا فيه أى: حرَّم بعضهم، وأحلَّ بعضهم يعنى: السبت.

وقال مجاهد: كان الله تعالى أمرهم بالجمعة فأبوا، وطلبوا السبت فشدد عليهم فيه، وكذلك النصارى أمروا بالجمعة فأبوا، وطلبوا الأحد، وأعطى الله تعالى الجمعة لهذه الأمة فقبلوا، وبورك لهم فيها، وفى الباب خبر صحيح قد بيناه من قبل (١).

قوله: ﴿وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ ظاهر المعنى. قوله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك﴾ إلى دين ربك. وقوله: ﴿بالحكمة﴾ أى: بالقرآن، وقيل: الحكمة معرفة الأشياء على مراتبها فى الحسن والقبح، وقيل: الدعاء بالحكمة هو الرد عن القبيح إلى الحسن بشرط العلم.

وقوله: ﴿والموعظة الحسنة﴾ الموعظة هى الدعاء إلى الله بالترغيب والترهيب، وقيل: الموعظة الحسنة هى القول اللين الرقيق من غير غلظة ولاتعنيف.

وقوله: ﴿وجادلهم بالتى هى أحسن﴾ أى: مع الإعراض عن أذاهم لك والصبر على مكروههم، وقد نسخ هذا بآية السيف.

وقوله: ﴿إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به﴾ أكثر أهل التفسير أن هذه الآية نزلت فيما فعله المشركون بحمزة وأصحابه؛ فإنه يروى: «أن النبى - ﷺ - مرَّ عليه، وقد بقر بطنه، وأُخذ كبده، وقطعت مذاكيره وجعلت فى فيه؛ فرأى أمرًا فظيعًا؛ فقال: لئن قدرت عليهم لأمثلن بسبعين منهم، وروى أن الصحابة قالوا قريبًا

(١) تقدم تخريجه.

وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

من هذا القول فأنزل الله تعالى هذه الآية »(١).

وقد قال زيد بن أسلم والضحاك: إن الآية مكية، وليست فى حمزة وأصحابه، والأصح هو الأول .

وقوله: ﴿ ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾ يعنى: لئن عفوتم ﴿ لهو خير للصابرين ﴾ أى: خير للعافين، وقد تحقق هذا العفو فى حق وحشى قاتل حمزة بعدما أسلم، وكذلك هذا فى كل المشركين الذين أسلموا .

قوله تعالى: ﴿ واصبر وماصبرك إلا بالله ﴾ أى: بمعونة الله. وقوله: ﴿ ولاتحزن عليهم ﴾ أى: لاتحزن على أفعالهم وإبائهم للإسلام .

وقوله: ﴿ ولاتك فى ضَيْقٍ مما يمكرون ﴾ قرئ: « فى ضِيق »، ومعنى القراءتين: لايضيقن صدرك ﴿ مما يمكرون ﴾ أى: يشركون، وقيل: مما فعلوا من الأفاعيل .

قوله تعالى: ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ يعنى: اتقو المناهى ﴿ والذين هم محسنون ﴾ بأداء الفرائض، [وقوله](٢): ﴿ مع ﴾ بالحفظ والنصرة والمعونة، والله أعلم .

(١) رواه البزار – كما فى مختصر زوائده – (٢ / ٣١رقم١٣٧٥)، والطبرانى فى الكبير (٣ / ١٤٣رقم٢٩٧٣)، والحاكم (٣ / ١٩٧)، والبيهقى فى الدلائل (٣ / ٢٨٨)، والواحدى فى أسباب النزول (ص٢١٤) من حديث أبى هريرة. وقال الهيثمى فى المجمع (٦ / ١٢٢): رواه البزار، والطبرانى، وفيه صالح بن بشير المرى، وهو ضعيف.
وله شاهد من حديث ابن عباس، رواه البيهقى فى الدلائل (٣ / ٢٨٨)، والواحدى فى أسباب النزول (ص٢١٤)، وعزاه السيوطى فى الدر (٤ / ١٥٠) لابن المنذر، والطبرانى، وابن مردويه.

(٢) فى «الأصل وك»: وقولهم، والصواب ما أثبتناه.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة بنى إسرائيل

وهى مكية إلا خمس آيات، سنذكرها فى مواضعها.

وروى عن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - قال: سورة بنى إسرائيل والكهف ومريم وطه من تلادى، وهن من العتاق الأول.

قوله تعالى: ﴿سبحان الذى أسرى بعبده﴾ سبحان: تنزيه الله من كل سوء، وحقيقته تعظيم الله بوصف المبالغة، ووصفه بالبراءة من كل نقص.

وكلمة سبحان؛ كلمة ممتنعة لايجوز أن يوصف بها غير الله؛ لأن المبالغة فى التعظيم لا تليق لغير الله، ولاتنصرف حسب ماينصرف كثير من المصادر؛ لأنه لما لم يستقم الوصف به لغير الله، ولم تنصرف جهاته لزم أيضاً منهاجاً واحداً فى الصرف.

وأما التسبيح فى القرآن على وجوه: قد ورد بمعنى الصلاة، قال الله تعالى: ﴿فلولا أنه كان من المسبحين﴾(١) أى: من المصلين.

وورد بمعنى الاستثناء، قال الله تعالى: ﴿قال أوسطهم ألم أقل لكم لولاتسبحون﴾(٢) أى: تستثنون.

وورد بمعنى التنزيه. وهو قوله تعالى: ﴿سبحان الذى أسرى بعبده﴾، وورد فى الخبر بمعنى النور، وهو فى الخبر الذى قال ﷺ: «لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره»(٣) أى: نور وجهه، وقد ورد فى الخبر عن النبى ﷺ «أنه فسر سبحان الله

---

(١) الصافات: ١٤٣. (٢) ن: ٢٨.

(٣) رواه مسلم فى صحيحه (٣/١٦-١٧رقم١٧٩)، وابن ماجة (١/٧٠ - ٧١ رقم ١٩٥، ١٩٦)، وأحمد (٤/٤٠١، ٤٠٥) من حديث أبى موسى.

بتنزيه الله من كل سوء » . (١)

وقوله : ﴿ أسرى بعبده ﴾ يقال : أسرى به إذا سيره ليلا، وكذا سرى به . قال الشاعر :

وليلة ذات ندى سريت ... ولم يلتنى عن سراها ليت

وقوله : ﴿ بعبده ﴾ أى : بمحمد ﷺ ، وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال : « إن الله اتخذنى عبدا قبل أن يتخذنى رسولاً » .

وقوله : ﴿ ليلاً ﴾ ذكر ليلا ؛ لينبه أنه كان فى طائفة منه .

وقرأ ابن مسعود : « أسرى بعبده من الليل » . وقوله : ﴿ من المسجد الحرام ﴾ اختلفوا فى الموضع الذى أسرى منه برسول الله ﷺ ؛ فأحد القولين : أنه من المسجد الحرام، وعليه يدل ظاهر الآية .

وعن محمد بن على الباقر : أن النبى ﷺ قال : « كنت نائمًا فى الحجر، فأتانى جبريل – عليه السلام – وحركنى حركة لطيفة، وقال : يا محمد، قم وافدا إلى ربك » .

والقول الثانى : أنه أسرى به من بيت أم هانئ بنت أبى طالب، وهذا فى رواية أبى صالح عن ابن عباس .

---

(١) رواه البزار (٢ / ٤٠٣–٤٠٤ رقم ٢٠٩٩)، والحاكم (١ / ٥٠٢) والطبرانى فى الدعاء (٣ / ١٥٩١ – ١٥٩٢ رقم ١٧٥١، ١٧٥٢)، والدارقطنى فى العلل (٤ / ٢٠٨ – ٢٠٩ رقم ٥١٤) والبيهقى فى الأسماء والصفات (ص٣٧)، وابن حبان فى المجروحين (٢ / ٦٠) من حديث طلحة بن عبيد الله . وقال الحاكم : صحيح الإسناد فتعقبه الذهبى بقوله : بل لم يصح ؛ فإن طلحة – هو ابن يحيى – منكر الحديث، قاله البخارى، وحفص واهى الحديث، وعبد الرحمن، قال أبو حاتم منكر الحديث . وقد روى هذا الحديث مرسلاً، وقال الدارقطنى فى العلل : وهو أصح .

واختلف القول فى الوقت الذى أسرى به؛ قال مقاتل: كان قبل الهجرة بسنة، ويقال: إنه كان فى رجب، ويقال: فى رمضان. وقال بعضهم أسرى به وهو ابن إحدى وخمسين سنة وتسعة أشهر وثمانية وعشرين يوماً، والله أعلم .

وقوله: ﴿إلى المسجد الأقصى﴾ يعنى: إلى مسجد بيت المقدس، وسماه الأقصى لبعده من المسجد الحرام .

وقوله: ﴿الذى باركنا حوله﴾ يعنى: بالماء والشجر، وقيل: باركنا حوله؛ لأنه (مواضع)[1] الأنبياء ومهبط الملائكة.

قوله: ﴿لنريه من آياتنا﴾ أى: من عجائب قدرتنا، وقد رأى هناك الأنبياء، ورأى آثارهم.

وقوله: ﴿إنه هو السميع البصير﴾ - ذكر السميع هاهنا لينبه على أنه المجيب لدعائه، وذكر البصير لينبه على أنه كان الحافظ له فى ظلمة الليل.

وأما الكلام فى الإسراء فاختلف القول على أنه أسرى بجسمه وروحه أم بروحه؟ فالأكثرون على أنه أسرى بجسمه وروحه جميعاً. وعن عائشة - رضى عنها الله - أنها قالت: ما فقد جسم رسول الله ﷺ وإنما أسرى بروحه؟

وقد تواترت الأخبار الصحيحة على مايوافق القول الأول، وأتمها حديث أنس عن مالك بن صعصعة ،عن النبى ﷺ، وفيه: أنه أسرى به إلى بيت المقدس ثم منه إلى السماء، واستفتح جبريل السماء الدنيا، فقيل له: ومن معك؟ فقال: محمد عليه السلام.

فقالوا: أو بعث؟ قال: نعم .

---

(١) فى «ك»: موضع.

قالوا : مرحبًا به، فنعم المجيء جاء، وهكذا فى كل سماء، وذكر فيه : أنه رأى فى السماء الدنيا آدم – عليه السلام – وفى السماء الثانية ابنى الخالة عيسى ويحيى، وفى السماء الثالثة يوسف، وفى السماء الرابعة إدريس عليه السلام، وفى السماء الخامسة هارون، وفى السماء السادسة موسى، وفى السماء السابعة إبراهيم، وفيه أنه قال : «رفعت إلى سدرة المنتهى، فإذا أوراقها كآذان الفيلة، وإذا نبقها كقلال هجر، ورأيت أربعة أنهار يخرج من أصلها نهران باطنان ونهران ظاهران؛ فأما الباطنان فى الجنة، وأما الظاهران : فالنيل والفرات، وذكر فيه أن الله تعالى فرض عليه خمسين صلاة.. القصة بطولها إلى أن ردت إلى الخمس[١].

وقد روى شبهًا بهذه القصة جماعة من الصحابة منهم : ابن عباس، وأبو موسى الأشعرى، وحذيفة بن اليمان، وأبو هريرة، وغيرهم .

وروى معمر عن قتادة عن أنس عن النبى ﷺ «أن جبريل عليه السلام جاء بالبراق مسرجًا ملجمًا، فأراد الرسول أن يركبها فاستعصت عليه، فقال لها جبريل : والله ماركبك أحد أكرم على الله منه فارفض به عرقًا». ذكره أبو عيسى فى جامعه[٢] .

وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال : «أتيت بدابة دون البغلة وفوق الحمار، خطوها عند منتهى بصرها»[٣]. وثبت أيضا عن النبى ﷺ أنه قال : «رأيت موسى ليلة أسرى بى، كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى ربعة أحمر، كأنه خرج من ديماس، ورأيت

---

(١) متفق عليه، رواه البخارى (٦/٣٤٨ – ٣٥٠ رقم٣٢٠٧ وأطرافه فى ٣٣٩٣، ٣٤٣٠، ٣٨٨٧)، ومسلم (٢/٢٩٠ – ٢٩٣ رقم١٦٤).

(٢) جامع الترمذى (٥/٢٨١ رقم٣١٣١)، وقال : حسن غريب، لانعرفه إلا من حديث عبد الرزاق . ورواه أحمد (٣/١٦٤)، وعبد بن حميد – كما فى المنتخب (ص٣٥٧ رقم١٨٥). والطبرى فى تفسيره (١٥/١٥)، وابن الأعرابى فى معجمه (٢/١٨١ رقم ٨٩٤) والبيهقى فى الدلائل (٢/٣٦٢ – ٣٦٣) وأبو نعيم فى الحلية (٩/٢٢٨)، والخطيب فى التاريخ (٣/٤٣٦).

(٣) هو جزء من حديث مالك بن صعصعة السابق.

إبراهيم وصاحبكم أشبه الناس به ﷺ »(١).

وفى هذا الخبر أنه قال: « أتيت بإناءين فى أحدهما لبن، وفى الآخر خمر، فأخذت اللبن وشربته، فقال جبريل: أصبت الفطرة، أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك »(١)

وفى القصة: أنه لما أصبح تحدث الناس بمسراه، [ففتن](٢) كثير من الناس، وارتد جماعة ممن آمن به وصدق، وجاء المشركون إلى أبى بكر – رضى الله عنه – وقالوا له: ألا ترى إلى صاحبك يحدث أنه أسرى به إلى بيت المقدس ورجع من ليلته، ونحن نضرب أكباد الإبل شهرا حتى نصل إليه! فقال أبو بكر: إن كان قال ذلك فقد صدق، فقالوا له: أتصدق بمثل هذا؟! قال: نعم، وأكثر منه، فأنا أصدقه أنه يأتيه خبر السماء فى غدوة أو روحة .

وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: « كنت قائمًا فى الحجر، فرفع لى بيت المقدس (فجعلت أنعته)(٣) لهم »(٤) وهذا حين سألوه عن وصفه .

وفى القصة: أن المشركين سألوه عن ركب لهم فى الطريق فقال: قد بلغ موضع كذا، ويقدمه جمل أورق، قالوا: ومتى يصل؟ قال: مع طلوع الشمس، فخرج بعضهم يرتقبون العير، وبعضهم يرتقبون طلوع الشمس، فقال أولئك: هذا العير قد أقبل، وقال هؤلاء: هذه الشمس قد طلعت .

---

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة رواه البخارى (٦ / ٤٩٣ – ٤٩٤ رقم ٣٣٩٤، وأطرافه فى ٣٤٣٧، ٤٧٠٩، ٥٥٧٦، ٥٦٠٣)، ومسلم (٢ / ٣٠٠ – ٣٠٢ رقم ١٦٨) .

(٢) فى « الأصل وك »: فتن .

(٣) فى « ك »: فصرت أنعت .

(٤) متفق عليه عن جابر بنحوه، فرواه البخارى (٧ / ٢٣٦ رقم ٣٨٨٦ وطرفه فى ٤٧١٠)، ومسلم (١ / ٣٠٧ رقم ١٧٠).

وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلاَّ تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلاً ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ

وروى أنه ﷺ قال: «مررت بإناء مغطى وهو ملآن ماء فشربت بعضه وتركته»(١) فسئل الركب عن ذلك فأخبروا بصورته .

قوله تعالى: ﴿ وآتينا موسى الكتاب ﴾ الآية يعنى: أعطينا موسى الكتاب، وهو التوراة .

وقوله: ﴿ وجعلناه هدى لبنى إسرائيل ﴾ أى: يهتدى به بنو إسرائيل. وقوله: ﴿ ألا تتخذوا ﴾ قرئ بقراءتين: بالتاء، والياء، فمن قرأ بالتاء فمعناه: وآتينا موسى الكتاب آمرين ألاتتخذوا، ومن قرأ بالياء فمعناه: وعهدنا إليهم ألا يتخذوا. قوله: ﴿ من دونى وكيلا ﴾ أى: شريكًا، وقيل معناه: أمرناهم أن لايتوكلوا على غيرى، ولايتخذوا أربابا دونى .

قوله تعالى: ﴿ ذرية من حملنا مع نوح ﴾ معناه: ياذرية من حملنا مع نوح، وقرأ مجاهد بنصب الذال. وعن زيد بن ثابت فى بعض الروايات: «ذِرِّيَّةَ من حملنا مع نوح» بكسر الذال. وإنما قال: ﴿ ذرية من حملنا مع نوح ﴾ لأن الخلق الآن من أولاد نوح على مابينا من قبل .

وقوله: ﴿ من حملنا ﴾ أى: فى السفينة .

وقوله: ﴿ إنه كان عبداً شكوراً ﴾ سمى نوحًا لكثرة نوحه على نفسه، وقيل: كان اسمه عبد الغفار. ذكره النقاش فى تفسيره.

وأما شكره: فروى أنه كان إذا أكل قال: الحمد الله، وإذا شرب قال: الحمد الله،

(١) ذكره البغوى فى تفسيره (٣/٩٦ - ٩٧) بدون إسناد، وبنحوه عن أم هانيء رواه أبو يعلى فى معجمه ص٦٣ - ٦٧ رقم ١٠، ورواه الطبرانى فى معجمه الكبير (٢٣/٤٣٢ - ٤٣٤ رقم ١٠٥٩) عنها بإسناد آخر، قال الهيثمى فى المجمع (١/٨١): رواه الطبرانى فى الكبير وفيه عبد الأعلى بن أبى المساور متروك كذاب.

وإذا لبس قال: الحمد الله، وفى بعض الروايات: أنه إذا دخل قال: الحمد الله، وإذا خرج قال: الحمد الله، وكذا فى القيام والقعود .

وروى أنه لم يخط خطوة إلا ذكر الله تعالى، فقال: ﴿إنه كان عبداً شكوراً﴾ أى: كثير الشكر .

قوله تعالى: ﴿وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب﴾ الآية. القضاء: فصل الأمر بالأحكام، ومعنى قضينا هاهنا أى: أوحينا، وأعلمنا .

وقيل معناه: وقضينا على بنى إسرائيل فى الكتاب .

وقوله: ﴿لتفسدن فى الأرض مرتين﴾ أى لتعصن فى الأرض مرتين. وقوله: ﴿ولتعلن﴾ أى: لتتعظمن وتبغن وتتكبرن .

وقوله: ﴿علواً كبيراً﴾ أى: كبرا عظيما .

قوله تعالى: ﴿فإذا جاء وعد أولاهما﴾ يعنى: أولى المرتين. وفى القصة: أن فسادهم فى المرة الأولى وكان بقتل إشعيا النبى – عليه السلام – وارتكابهم المعاصى، ورفضهم ما أمروا به. وفى بعض التفاسير: أنهم عبدوا الأوثان.

والأرض المذكورة: أرض الشام، وأرض بيت المقدس. وقوله: ﴿بعثنا عليكم عباداً لنا﴾ هذا البعث هو مثل قوله تعالى: ﴿أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين﴾(١) فيجوز أن تكون بمعنى التسليط، ويجوز أن تكون بمعنى التخلية بينهم وبين القوم، [واختلفت](٢) الأقاويل فى أنهم مَنْ كانوا؟

قال ابن عباس: هم جالوت وقومه، وقال سعيد بن المسيب: بخت نصر الفارسى،

---

(١) مريم: ٨٣.

(٢) فى «الأصل، وك»: اختلف.

شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ

وقال غيره: سنحاريب الملك، وقال بعضهم: العمالقة. وأظهر الأقاويل أنه بخت نصر، وروى عن مجاهد أنه قال: ملك الأرض أربعة: مؤمنان، وكافران؛ أما المؤمنان: فسليمان، وذو القرنين - عليهما السلام - وأما الكافران: فنمروذ، وبخت نصر.

قال الشيخ الإمام الأجل: أخبرنا بهذا أبو على الشافعى بمكة قال: أخبرنا أبو الحسن بن فراس قال: أنا أبو جعفر محمد بن إبراهيم الديبلى وقال: أنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومى قال: أنا [سفيان](١) بن عيينة عن داود بن شابور عن مجاهد.

وقوله: ﴿أولى بأس شديد﴾ أى: أولى قوة شديدة.

وقوله: ﴿فجاسوا خلال الديار﴾ والجوس: طلب الشيء بالاستقصاء.

قال الزجاج: طلبوا خلال الديار هل بقى أحد فيقتل؟ وخلال الديار وسط الديار.

وقوله: ﴿وكان وعداً مفعولا﴾ أى: وعداً لابد منه. قال الشاعر:

فى الجوس جسنا إليك الليل بالمطى

قوله تعالى: ﴿ثم رددنا لكم الكرّة عليهم﴾ أى: الدولة عليهم، وفى القصة: أن هذا التخريب كان بعد ملك سليمان، وأن بخت نصر قتل المقاتلة، وسبى الذرية، وخرب بيت المقدس، وألقى الجيف فى مسجده، وكان من موت عزير النبى مائة سنة فى هذا التخريب، وما قص الله من أمره فى سورة البقرة، ثم إن الله تعالى رد الدولة إلى بنى إسرائيل حتى عمروا ماخرب.

وفى بعض القصص: أن الله تعالى أرسل ملكا إليهم حتى رد العمارات، واستنقذ

(١) فى «الأصل وك»: نصر، وهو تحريف، والصواب ما أثبتناه، وهذا إسناد دائر للمصنف لتفسير ابن عيينة وانظر ترجمة الديبلى فى الأنساب (٢/ ٥٢٣ - ٥٢٤)، وابن فراس (٤/ ١٤٣ - مادة: العبقسى).

أَسأْتُم فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً ﴿٧﴾

الأسارى، وعاد البلد أفضل مما كان. فهذا معنى قوله: ﴿ثم رددنا لكم الكرّة عليهم﴾ وفى تعذيب بخت نصر ومسخه قصة طويلة ليس هذا موضعه .

وقوله: ﴿وأمددناكم بأموال وبنين﴾ ظاهر المعنى. وقوله: ﴿وجعلناكم أكثر نفيراً﴾ أى: أكثر عدداً .

قال الشاعر :

وأكرم بقحطان من معشر وحمير أكـرم بقوم نفيراً

قوله تعالى: ﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم﴾ يعنى: جلبتم النفع إليها .

وقوله: ﴿وإن أسأتم فلها﴾ أى: فعليها .

وقوله: ﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ يعنى: وعد الكرة الآخرة. وقوله: ﴿ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة﴾ قرئ هكذا، وقرئ: «ليسوء وجوهكم» مقصور، وعن على - رضى الله عنه -: «لنسوء وجوهكم» بالنون، وهو اختيار الكسائى، وفى الشاذ: «لَنسوء وجوهكم» بفتح اللام. أما قوله: ﴿ليسوء وجوهكم﴾ بالياء يعنى: أولئك القوم يسوءوا وجوهكم: وقوله: ﴿لَيسوءوا وجوهكم﴾ أى: لَيسوء الوعد وجوهكم .

وقوله: «لنسوء» بالنون ظاهر المعنى، وسوء الوجه بإدخال الغم والحزن .

وقوله: ﴿وليتبروا ما علو تتبيراً﴾ أى: ليخربوا، ويدمروا ما علوا عليه - أى: ما ظهروا - تخريباً .

قال الشاعر :

وما الناس إلا عاملان فعامل يتبر ما يبنى وآخـر رافـع

وفى القصة: أن فسادهم الثانى كان بقتل يحيى بن زكريا - عليهما السلام -

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ

وكان سبب قتله، أن بغية من بغايا بنى إسرائيل طلبت من الملك أن يقتله فقتله، فلما قتله، ووقع دمه على الأرض، جعل يغلى فلا يسكن بشيء، وسلط الله عليهم عدوهم.

فقيل: إن العدو فى الكرة الثانية كان بخت نصر، وفى الأولى جالوت. وقيل: إن العدو فى المرة الثانية كان ملكًا من الروم، جاء وخرب بيت المقدس، وقتل المقاتلة، وسبى الذرية.

فروى أنه استصعب عليه فتح المدينة، فقالت عجوز: أيها الملك، أتريد أن تفتح هذه المدينة؟ فقال: نعم، فقالت: قل اللهم إنى أستفتحك هذه المدينة بدم يحيى بن زكريا، فقال هذا القول، فتساقطت حيطان المدينة؛ فدخل بالسيف يقتل، ووصل إلى المكان الذى يغلى فيه دم يحيى. فقال: لأقتلن عليه الناس حتى يسكن الدم؛ فقتل عليه أربعين ألفًا فلم يسكن، فقتل خمسين ألفًا فلم يسكن، فقتل ستين ألفًا فلم يسكن، فقال: والله لا أزال أقتل عليه حتى يسكن، فاستكمل سبعين ألفًا فسكن، وقيل: ثمانين ألفًا.

وقوله تعالى: ﴿عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا﴾ قال مجاهد: عسى من الله واجب.

وقوله: ﴿أن يرحمكم﴾ أى: يرد الدولة إليكم بعد زوالها. وفى القصة: أن الله تعالى رد إليهم الدولة، وعمَّر بيت المقدس بعد ما خرب، [و](١) عاد ملكم على ما كان.

وقوله: ﴿وإن عدتم عدنا﴾ معناه: وإن عدتم إلى المعصية عدنا إلى الانتقام. فروى عن إبراهيم النخعى أنه قال: عادوا إلى المعصية، فانتقم الله منهم بالعرب، فهم مقهورون مستذلون إلى يوم القيامة، وقيل: بمحمد ﷺ. والقولان متقاربان فى المعنى.

(١) ليست فى «الأصل» ولا «ك».

وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ

وقوله: ﴿ وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً ﴾ قال مجاهد: محبساً، وقيل: حصيراً أى: حاصراً، فعيل بمعنى فاعل، قاله ابن قتيبة.

والحصر هو الحبس، والسجن يسمى حصيراً فى اللغة.

قوله تعالى: ﴿ إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ﴾ فيه قولان: أحدهما: للكلمة التى هى أقوم، وأقوم أى: أعدل، والكلمة هى شهادة أن لا إله إلا الله.

والقول الثانى: قاله الزجاج ﴿ يهدى للتى هى أقوم ﴾ أى: للحال التى هى أقوم، والحال التى هى أقوم: توحيد الله، واتباع رسله، وطواعيته فى أوامره.

وقوله: ﴿ ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ﴾ يعنى: القرآن يبشر الذين يعملون الصالحات.

وقوله: ﴿ أن لهم أجراً كبيراً ﴾ أى: عظيماً.

وقوله: ﴿ وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴾ معناه: ويبشر الذين لا يؤمنون بالآخرة أَنَّا ﴿ أعتدنا لهم عذابًا أليمًا ﴾ أى: أعددنا. والبشارة هاهنا بمعنى الخبر؛ لأن العرب لا تضع البشارة إلا فى موضع السرور.

وحقيقة المعنى أى: ضع هذا الخبر لهم موضع البشارة.

قوله تعالى: ﴿ ويدعو الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا ﴾ دعاء الإنسان بالشر هو أن يدعو على نفسه وأهله وولده حالة الغضب، فيقول: اللهم أهلكهم، اللهم العنهم، وربما يقول لنفسه هذه المقالة.

وقوله: ﴿ دعاءه بالخير ﴾ أى: كدعائه بالخير، ويقال: إن هذه الآية نزلت فى النضر ابن الحارث فإنه قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم

الإنسان عجولا ﴿١١﴾

فاستجاب الله له، وضربت عنقه صبراً يوم بدر.

وروى عن النبي ﷺ أنه قال: «اللهم إني بشر، أغضب كما يغضب البشر، وأيما مسلم لعنته، أو سببته فاجعلها له صلاة ورحمة»(١).

وفى بعض الأخبار: «أتى النبى ﷺ بأسير فسلمه إلى سودة بنت زمعة لتحفظه، وكان الأسير أتى مشدوداً فجعل جميع الليل يئن، فقامت سودة، وأرخت من وثاقه؛ فهرب الأسير، فلما دخل رسول الله ﷺ قال لها: أين الأسير؟ فذكرت له ذلك فقال: قطع الله يدك، وبعث خلف الأسير من رده، فأخرجت سودة يدها؛ ليجيء من يقطعها بدعاء النبى ﷺ؛ فدخل عليها النبى ﷺ، ورآها على تلك الحالة، فسألها: ممن هذا؟ فقالت: لدعائك يا رسول الله؛ فقال رسول الله ﷺ: «اللهم إني بشر أغضب كما يغضب البشر..»(٢) الخبر.

وقوله: ﴿وكان الإنسان عجولا﴾ يعنى: أنه يعجل بدعاء الشر، والله لا يعجل بالإجابة.

وفى الآية قول وهو أن هذا فى آدم صلوات الله عليه، وفى القصة: أن الله تعالى أدخل الروح فى رأسه، فجعل ينظر إلى نفسه كيف يخلق! فلما بلغ الروح وسطه أراد أن يقوم فلم يقدر، فقال الله تعالى: «وخلق الإنسان عجولا».

هذا محكى عن قتادة وغيره، وعن سلمان الفارسى أن الله خلق آدم فى آخر ساعة

---

(١) متفق عليه، وقد تقدم فى سورة يونس.

(٢) قال الحافظ الزيلعى فى تخريج الكشاف (٢ / ٢٦٠): غريب من حديث سودة، وقال الحافظ ابن حجر فى تلخيص تخريج الكشاف: لم أجده من هذه الجهة. قلت: وقد روى مثل هذه القصة ولكن لعائشة – رضي الله عنها – كما فى المسند لأحمد (٦ / ٥٢)، والسنن الكبرى للبيهقى (٩ / ٨٩)، ولحفصة بنت عمر – رضى الله عنهما – كما فى المسند (٣ / ١٤١)، وقال الهيثمى فى المجمع (٨ / ٢٧٠): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهارَ آيتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ

من يوم الجمعة، فجعل الروح تجرى فى جسده، ويحيى آدم فنظر إلى الشمس، وهى تغرب، فقال: يا رب، قبل الليل – أى أتم خلقى قبل الليل – فقال الله تعالى: «وخلق الإنسان عجولا».

وفى أصل الآية قول آخر؛ وهو أن معنى قوله: ﴿ويدعو الإنسان بالشر﴾ أى: يدعو بفعل المعصية كما يدعو بفعل الطاعة. قال الشاعر:

عسى فارج الهم عن يوسف ... يسخر لى ربة المحمل

والصحيح ما قدمنا من قبل.

قوله: ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين﴾ أى: علامتين دالتين على أن لهما إلها واحداً.

وقيل: علامتين على الليل والنهار، والمراد من الليل والنهار: هو الشمس والقمر.

وقوله: ﴿فمحونا آية الليل﴾ روى عن على وابن عباس أنهما قالا: المحو هو السواد الذى فى القمر.

وفى بعض الآثار أن ابن الكواء قام إلى علىٍّ فسأله عن هذا فقال: أعمى – أراد عمى القلب – يسأل عن عمياء! ثم قال: هو السواد الذى فى القمر، وقيل: إن معنى قوله: ﴿فمحونا آية الليل﴾ أى: جعلنا الليل بحيث لا يبصر فيه كما [لا](١) يبصر الكتاب إذا محى.

وقال قتادة وجماعة من المفسرين، وهو محكى أيضًا عن ابن عباس قالوا: إن الله تعالى خلق الشمس والقمر مضيئين نيرين كل واحد منهما مثل الآخر فى الضياء، فلم يكن يعرف الليل من النهار، والنهار من الليل، فأمر جبريل حتى مسح بجناحه

(١) من «ك».

وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ

وجه القمر.

قال مقاتل: انتقص مما كان تسعة وستون جزءًا، وبقى جزء واحد.

وقوله: ﴿وجعلنا آية النهار مبصرة﴾ أى: مضيئة نيرة، وقيل: ذات أبصار أى: يبصر بها.

وقوله: ﴿لتبتغوا فضلا من ربكم﴾ بالنهار.

وقوله: ﴿ولتعلموا عدد السنين والحساب﴾ أى: عدد السنين وحساب الشهور والأيام.

وقوله: ﴿وكل شيء فصلناه تفصيلا﴾ أى: بيناه تبيينًا.

قوله تعالى: ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه﴾ روى عطاء عن ابن عباس قال معناه: ما قدر له من خير وشر.

وعن مجاهد: عمله من خير وشر، وعن الضحاك: أجله ورزقه وسعادته وشقاوته. وعن أبى عبيدة قال: حظه. وقيل: كتابه.

وعن مجاهد فى رواية أخرى: ورقة (متعلقة)[1] فى عنقه مكتوب فيها شقى أو سعيد. والأقوال متقاربة، وإنما سمى طائرًا أى: ما طار له من خير أو شر، وهذا على جهة التمثيل والتشبيه، ومن ذلك السوانح والبوارح، فالسانح: هو الذى يطير من قبل اليمين، فيتبرك به الإنسان، والبارح: هو الذى يطير من قبل الشمال، فيتشاءم به الإنسان. قال الشاعر:

تطير غدائر الإشراك شفعًا ... ووترا والزعامة للغـــلام

وقوله: ﴿ونخرج له يوم القيامة﴾ وقرئ: «ويُخْرِج له» بالياء أى: الطائر يخرج له،

---

(١) فى «ك»: معلقة.

كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا

وقرئ: «ويُخْرَج له يوم القيامة كتاب» على ما لم يسم فاعله، وقرئ «ويَخْرُج» بفتح الياء يعني: عمله يخرج ﴿كتابًا﴾ يوم القيامة، كأنه يتحول العمل كتابًا في القيامة.

وقوله: ﴿يَلْقَاهُ﴾ قرأ الحسن: «يُلقاه» بضم الياء من التلقية، وهذا في الشاذ.

وقوله: ﴿منشوراً﴾ في الآثار أن الله تعالى يأمر الملكين بطي الصحيفة، إذا تم عمر العبد، فلا ينشر إلى يوم القيامة، وهذا في معنى قوله تعالى: ﴿وإذا الصحف نشرت﴾(١).

قوله: ﴿اقرأ كتابك﴾ فيه إضمار، وهو أنه يقال له: اقرأ كتابك. قال قتادة: يقرأ كل إنسان سواء كان قارئا في الدنيا، أو لم يكن قارئًا.

وقوله: ﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا﴾ أي: شاهداً قال الحسن: عدل معك من جعلك حسيب نفسك.

وقال بعضهم: يقال له هذا كتاب كان لسانك قلمه، وريقك مداده، وجوارحك قرطاسه، وكتب المملي على كاتبيك، فاقرأ ما أمليت، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه﴾ أي: نفع اهتدائه له.

وقوله: ﴿ومن ضل فإنما يضل عليها﴾ أي: وبال ضلالته عليه.

وقوله: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ يقال: نزلت هذه الآية في الوليد بن المغيرة، فإنه قال لمن أسلم: ارجعوا إلى دينكم القديم، فإني أحمل أوزاركم؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية، ومعناه: أنه لا يؤاخذ أحد بذنب أحد، وقيل: ليس لأحد أن يذنب، فيقول: فلان قد أذنب فأنا أتبعه، فإني لا آخذ أحدا بذنب أحد.

وقوله: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ هذا دليل على أن ما وجب وجب

(١) التكوير: ١٠.

أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾

بالسمع لا بالعقل، فإن الله تعالى نص أنه لا يعذب أحدا حتى يبعث الرسول.

وفى بعض المسانيد عن أبى هريرة أنه قال: إن الله تعالى يبعث يوم القيامة أهل الفترة و[المعتوه][(١)] والأصم والأبكم والأخرس والشيوخ الذين لم يدركوا الإسلام (فيؤجج)[(٢)] لهم نارا، فيقول: ادخلوها، فيقولون: كيف ندخلها، ولم تبعث إلينا رسولا؟! ولو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاما، فيرسل الله إليهم رسولا، فيطيعه من علم الله أنه يطيعه، ويعصيه من علم الله أنه يعصيه، فيفصل بينهم على ذلك.

قوله تعالى: ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية﴾ أى: أهل قرية، وقرئ ﴿أمرنا مترفيها﴾ والمعروف هذا، وقرئ: «آمرنا» - بالمد -، مترفيها» وهذا محكى عن علىّ، وقرئ «أَمَّرْنَا» بالقصر والتشديد، وقرئ: «أمِرنا - بكسر الميم - مترفيها» وهذا محكى عن ابن عباس.

أما قوله: ﴿أمرنا﴾ فيه قولان: أحدهما: معناه أمرناهم بالطاعة ففسقوا وعصوا.

وهكذا روى عن ابن عباس وجماعة من التابعين منهم ابن جريج وغيره.

والقول الثانى: أمرنا أى: أكثرنا، يقال: أمر القوم: إذا كثروا، قال الشاعر :

إن يغبطوا يهبطوا وإن أمروا   يوما يصيروا للهلْك والنكد

وأنكر الكسائى أن يكون أمرنا بمعنى أكثرنا، وقال: هو آمرنا بمعنى أكثرنا، وهذا هو اللغة الغالبة.

وأما أبو عبيدة فقال: تقول العرب: أمرنا بمعنى أكثرنا، وإنما احتجنا إلى هذا التأويل؛ لأن الله تعالى لا يأمر بالمعاصى.

وهذا باتفاق الأمة وفى الآية سؤال معروف، وهو أنه يقال: كيف يأمر مترفيها بالفسق، والله تعالى يقول: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾[(٣)]، ويقول: ﴿إن الله

(١) فى «الأصل وك»: المعتوهة.   (٢) فى «ك»: متؤجج.   (٣) النحل: ٩٠.

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾

لا يأمر بالفحشاء ﴾(١)؟ والجواب ما سبق.

وفى الآية قول ثالث وهو أنه معنى قوله: ﴿ أمرنا مترفيها ﴾ أى: بعثنا، وفى قراءة أبى بن كعب: «وإذا أردنا أن نهلك قرية بعثنا مترفيها»، وأما قوله: «أمّرنا» بالتشديد أى: سلطنا.

وقيل: أَمَّرنا أى: جعلناهم أمراء، فيجوز أن يكون بعثنا على هذا المعنى.

وأما «أمِرنا» - بكسر - الميم فقد ذكروا أنه ضعيف فى اللغة.

وقوله: ﴿ مترفيها ﴾ أى: منعميها، والمترف: الملك المنعم، أورده ثعلب.

وقوله: ﴿ ففسقوا فيها ﴾ أى: عصوا فيها. ﴿ فحق عليها القول ﴾ أى: وجب عليها العذاب.

وقوله: ﴿ فدمرناها تدميراً ﴾ أى: أهلكناها إهلاكا.

قوله تعالى: ﴿ وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح ﴾. اختلفوا فى القرن، فقال بعضهم: القرن مائة وعشرون سنة، وقال بعضهم: مائة سنة، وقال بعضهم: ثمانون سنة، وقال بعضهم: أربعون سنة، والمراد من القرون أهل القرون.

وقوله: ﴿ وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ من كان يريد العاجلة ﴾ أى: الدنيا، وهذا وصف الكفار؛ لأنهم الذين يريدون الدنيا، ولا يريدون الآخرة، والآية فى قوم أرادوا العاجلة فحسب.

وقوله: ﴿ عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ﴾ يعنى: لمن نريد إهلاكه.

وقوله: ﴿ ثم جعلنا له جهنم يصلاها ﴾ أى: يدخلها، وقيل: يقاسى حرها.

وقوله: ﴿ مذموما مدحوراً ﴾ والمذموم من الذم، والمدحور هو المطرود والمبعد من

(١) الأعراف: ٢٨.

كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً ﴿٢٠﴾ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً ﴿٢١﴾

رحمة الله، يقال: (دحره)(١) عن كذا أى: أبعده.

قوله تعالى: ﴿ ومن أراد الآخرة ﴾ أى: طلب الآخرة ﴿ وسعى لها سعيها وهو مؤمن ﴾ أى: عمل لها عملها، وهو مؤمن.

وقوله: ﴿ فأولئك كان سعيهم مشكوراً ﴾ أى: مقبولا.

ويقال: إن الشكر من الله هو قبول الحسنات، والتجاوز عن السيئات، وقيل معنى الآية: أنه وضع أعمالهم الموضع الذى يشكر عليها.

قوله تعالى: ﴿ كلا نمد هؤلاء وهؤلاء ﴾ يعنى: المؤمنين والكفار.

وقوله: ﴿ من عطاء ربك ﴾ أى: من رزق ربك.

وقوله: ﴿ وما كان عطاء ربك محظوراً ﴾ أى: ممنوعًا.

وأجمع أهل التفسير أن معنى عطاء ربك فى هذه السورة هو الدنيا، فإن الآخرة للمتقين، وليس للكفار فيها نصيب.

وفى بعض المسانيد عن النبى ﷺ أنه قال: «إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله تعالى يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطى الدين إلا من يحب»(٢).

قوله تعالى: ﴿ انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض ﴾ يعنى: الدنيا، ومعنى

ا

(١) فى «ك»: طرده.

(٢) رواه أحمد (١/ ٣٨٧)، والحاكم (١/ ٣٣ - ٣٤) و(٢/ ٤٤٧) وصحح إسناده، والشاشى فى مسنده (٢/ ٣٠٠ - ٣٠١)، وأبو نعيم فى الحلية (٥/ ٣٥)، وابن عدى فى الكامل (٣/ ٣١١)، والبيهقى فى الشعب (١/ ٦٠٧)، وابن الجوزى فى العلل (٢/ ٨٣٧) من طرق عن مرة عن عبد الله مرفوعًا.

وروى موقوفًا، رواه ابن المبارك فى الزهد (ص٣٩٩)، وابن أبى شيبة فى مصنفه (٨/ ١٦١-١٦٦)، والطبرانى فى الكبير (٩/ ٢٠٣)، وأبو داود فى الزهد (ص١٤٩/ رقم ١٥٧)، وأبو نعيم فى الحلية (٤/ ١٦٥) من طرق عن زبيد عن مرة عن عبد الله موقوفًا. وأخرجه الدارقطنى فى العلل (٥/ ٢٦٩) وقال بعد أن ذكر طرقه مرفوعًا وموقوفاً: والصحيح موقوف.

لتفضيل هو التقتير والتوسيع، والتقليل والتكثير، والقبض والبسط، وقد روى فى بعض الآثار أن الله تعالى عرض ذرية آدم على آدم فرأى فيهم تفاوتا شديداً! فقال: رب هلا سويت بين خلقك؟ فقال: يا آدم، أردت أن أشكر.

وقوله: ﴿وللآخرة أكبر درجات﴾ قد بينا أن الدرجة ما بين السماء والأرض.

وفى بعض المسانيد عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال: «الجنة مائة درجة؛ ما بين كل درجتين خمسمائة سنة»(١).

وقوله: ﴿وأكبر تفضيلا﴾ أى: أعظم تفضيلا.

وفى الأخبار أن النبى ﷺ قال: «إن المؤمنين يدخلون الجنة بإيمانهم؛ ويقتسمون الدرجات بأعمالهم».

قوله تعالى: ﴿لا تجعل مع الله إلها آخر﴾ فيه قولان: أحدهما: أن الخطاب مع الرسول، والمراد فيه الأمة، وقد بينا نظير هذا من قبل.

والقول الآخر: لا تجعل أيها الإنسان مع الله إلهًا آخر، وهذا الخطاب مع كل أحد.

وقيل: إن المراد منه النبى على ما هو الظاهر، وهو وإن كان معصومًا، فلم يسقط عنه الخطاب بالاحتراز والمباعدة عن الكفر.

وقوله: ﴿فتقعد مذموماً مخذولا﴾ أى: مذمومًا من غير حمد، ومخذولا من غير نصر.

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط - كما فى مجمع البحرين - (٨ / ١٥٠رقم٤٨٧١)، وأبو بكر بن أبى داود فى البعث والنشور (ص٧٠ / رقم٦٢)، وأبو الشيخ فى العظمة (ص٢٠٥-٢٠٦ / رقم٥٧٧)، وأبو نعيم فى صفة الجنة (ص٨٠-٨١ / رقم٢٢٨) وقال الهيثمى فى المجمع (١٠ / ٤٢٢): رواه الترمذى غير قوله: خمسمائة عام، ورواه الطبرانى فى الأوسط، وفيه يحيى بن عبد الحميد الحمانى، وهو ضعيف. وذكره الدارقطنى فى العلل (١١ / ١٠٣ رقم ٢١٤٨ وذكر الخلاف فى إسناده وقال: رواه مالك بن مغول عن ابن حجادة عن عطاء من قوله وهو أصح.

وقيل: مخذولا أى: متروكًا من العصمة، والله تعالى إذا ترك العبد فقد أهلكه.

ومعنى قوله: ﴿ فتقعد ﴾ أى: فتكون مأفوكًا، وتبقى مخذولاً.

قوله تعالى: ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ﴾ قرأ عبد الله بن مسعود: « ووصى ربك ألا تعبدوا إلا إياه »، وقال الضحاك: كان فى الأصل « ووصى » إلا أنه اتصل الواو بالصاد فى الكتابة فقرئ: « وقضى ». والمعروف هو قوله: ﴿ وقضى ﴾. وعليه اتفاق القراء؛ ومعناه: وأمر ربك؛ وحقيقة القضاء هو إحكام الشىء وإمضاؤه على وجه الفراغ منه، ومنه قولهم: قضى القاضى بين الخصمين، ومنه قوله تعالى: ﴿ ثم اقضوا إلى ولا تنظرون ﴾(١) أى: أفرغوا ما فى أنفسكم وامضوه، فعلى هذا معنى قوله: ﴿ وقضى ربك ﴾ أى: حكم عليهم ربك حكم تعبد.

ومعنى الفراغ هاهنا: هو إتمام التعبد. وفى بعض التفاسير: أن رجلا أتى الحسن البصرى وقال: إنى طلقت امرأتى ثلاثا، فقال: عصيت ربك، وبانت منك امرأتك، فقال الرجل: كذلك كان قضاء الله؟ فقال الحسن: كذبت، ما قضى الله. أى: ما أمر الله، وكان الحسن فصيحًا فلم يفهم الناس قوله؛ فذكروا أنه ينكر القدر.

وفى بعض الروايات أنه قيل له: إن بنى أمية يقتلون الناس، ويقولون: كذا قضاء الله، فقال الحسن: كذب أعداء الله؛ ومعناه ما بينا.

وقيل: إنه أنكر جعلهم ذلك علة لقتلهم، ذكره ابن قتيبة فى المعارف.

وقوله: ﴿ ألا تعبدوا إلا إياه ﴾ يعنى: أن توحدوه ولا تشركوا به. وقوله: ﴿ وبالوالدين إحسانًا ﴾ أى: أمر أن تحسنوا بالوالدين إحسانًا.

وقد ثبت عن النبى ﷺ برواية ابن مسعود، أنه سأل رسول الله ﷺ فقال: « أى الذنوب أعظم؟ فقال: الإشراك بالله. قال: ثم أى؟ قال: عقوق الوالدين »(٢).

---

(١) يونس: ٧١.

(٢) متفق عليه، رواه البخارى (٨/ ١٣رقم٤٤٧٧)، ومسلم (٢/ ١٠٥-١٠٦ رقم٨٦).

كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴿٢٣﴾

وقوله: ﴿إما يبلغان﴾ وقرئ: «إما يبلغن عندك الكبر» فقوله: ﴿يبلغان﴾ ينصرف إليهما؛ فعلى هذا قوله: ﴿أحدهما أو كلاهما﴾ على وجه الاستئناف.

وقوله: ﴿يبلغن﴾ ينصرف إلى أحدهما، فقوله: ﴿أو كلاهما﴾ على البدل منه.

وقوله: ﴿فلا تقل لهما أف﴾ قرئ: «أفٍّ» بكسر الفاء، و«أفَ» بفتح الفاء، و«أفٍّ» بكسر الفاء والتنوين. قالوا: وفيه ست لغات: أفًّا وأفٌّ وأفٍّ الثلاثة بالتنوين، وأُفَّ وأفُّ وأفِّ بغير التنوين.

قال الأصمعي: الأف وسخ الأذن، والتُّفُّ وسخ الأظفار، وقيل: الأف وسخ الأظفار، والتف الشيء الحقير، وحقيقته أنه كلمة تقال عند الضجر من الشيء واستثقاله، وقيل: الأف بأدنى ما يتبرم به، فمعنى الآية: لا يتبرم بهما، ولا يستثقل معالجة أذاهما. وذكر مجاهد أنه عند الحدث وذكر البول وصاحبه أنه لا يستثقل معالجتهما فى ذلك، كما لم يستثقلا معالجته.

وقوله: ﴿ولا تنهرهما﴾ الانتهار من النهر، [و] هو الزجر بالإغلاظ والصياح.

وقوله: ﴿وقل لهما قولا كريما﴾ أى: قولا لينًا.

وعن محمد بن على الباقر قال: شر الآباء من يحمله البر على الإفراط، وشر الأبناء من يحمله التقصير على العقوق.

وعن علي - رضي الله عنه - قال: لو علم الله شيئا أبلغ فى الزجر من قوله: ﴿أف﴾، لنهى عن ذلك، ثم قال عليٌّ: ليعمل البار ما شاء فلن يدخل النار، وليعمل العاق ما يشاء فلن يدخل الجنة.

وفى الأخبار، عن النبى ﷺ أنه قال: «البر يزيد فى العمر»(١). وذكر مسلم فى

(١) رواه ابن ماجة (١/٣٥ رقم ٩٠)، وأحمد (٥/٢٧٧، ٢٨٢)، وابن أبى شيبة فى مصنفه (١٠/٤٤١ - ٤٤٢)، والطبرانى فى الكبير (٢/١٠٠ رقم ١٤٤٢)، والحاكم (١/٤٩٣) وقال: صحيح الإسناد، وابن حبان - الإحسان - (٣/١٥٣ رقم ٨٧٢)، وأبو نعيم فى أخبار أصبهان (٢/٦٠) كلهم من حديث ثوبان رضى الله عنه.

﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾

الصحيح برواية سهيل عن أبيه عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «رغم أنفه. رغم أنفه، رغم أنفه! فقيل: من يا رسول الله؟ قال: من أدرك أبويه على الكبر أو أحدهما فلم يدخل الجنة»(١).

وروى عامر بن ربيعة أن رجلا أتى النبى ﷺ فقال: «إن أبوىَّ قد توفيا، فهل بقى شىء أبرهما به؟ فقال: نعم، إنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما، والاستغفار لهما، والصدقة عنهما»(٢).

قوله تعالى: ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾ معناه: وألن جانبك لهما.

وعن عائشة - رضى الله عنها - أطعهما ما أمراك. والخفض هو التواضع، وجناح الذل: ترك الاستعلاء. مأخوذ من استعلاء الطائر [بجناحيه](٣).

وقوله: ﴿من الرحمة﴾ أى: من الشفقة والعطف.

وقرأ عاصم الجحدرى ويحيى بن دثار: «واحفض لهما جناح الذِّل» - بكسر الذال - فالذُل - بضم الذال - من التذلل، أى: كن لهما كالذليل المقهور، والذِّل - بكسر الذال - من الانقياد والطاعة.

وعن سعيد بن المسيب قال: كن بين يديهما كالعبد المذنب بين يدى السيد الفظ الغليظ.

---

(١) مسلم فى صحيحه (١٦/١٦٣-١٦٤/رقم٢٥٥١)، ورواه البخارى فى الأدب المفرد (ص١٥رقم٢١). وأحمد (٢/٣٤٦)

(٢) رواه البخارى فى الأدب المفرد (ص٢٠/رقم٣٥)، أبو داود (٤/٣٣٦/رقم٥١٤٢)، وابن ماجة (٢/١٢٠٨-١٢٠٩/رقم٣٦٦٤)، وأحمد (٣/٤٩٧، ٤٩٨) وابن حبان - الإحسان - (٢/١٦٢/رقم٤١٨)، والبيهقى فى الكبرى (٤/٢٨) كلهم من حديث أبى أسيد مالك بن ربيعة رضى الله عنه. وانظر السلسلة الضعيفة رقم (٥٩٧).

(٣) فى «الأصل»: بجناحه.

﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾﴾

وقوله: ﴿وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾ أي: كما رحماني بتربيتي صغيراً.

قوله تعالى: ﴿ربكم أعلم بما فى نفوسكم﴾ أى: بما فى قلوبكم. وقوله: ﴿إن تكونوا صالحين﴾ أى: مطيعين.

وقوله: ﴿فإنه كان للأوابين غفوراً﴾ ووجه اتصال الآية بما قبلها، هو أن الله تعالى قال: ﴿ربكم أعلم بما فى نفوسكم﴾ من العقوق والبر، فإن بدرت من بارٍ بدرة من العقوق، فإن الله كان للأوابين غفوراً يعنى: [للتوابين](١) غفوراً.

وفى الأواب أقوال كثيرة، روى عن ابن عباس أنه قال: هو الذى يرجع من الشر إلى الخير، وعن سعيد بن المسيب: هو الذى كلما أذنب تاب وإن كثر، وعن عبيد بن عمير: هو الذى لا يقوم من مجلس حتى يستغفر الله من ذنوبه، وقيل: إن الأواب هو المسبح، قال الله تعالى: ﴿يا جبال أوبى معه﴾(٢) وعن محمد بن المنكدر قال: الأواب الذى يصلى بين المغرب والعشاء، وتسمى الصلاة فى ذلك الوقت صلاة الأوابين، وعن عون العقيلى قال: الأواب هو الذى يصلى الضحى، وعن السدى قال: هو الذى يذنب سرًّا ويتوب سرًّا.

وأصل الأواب: هو الراجع، قال الشاعر:

يومان يوم مقامات وتفدية ... ويوم سير على الأعداء تأويب

قوله تعالى: ﴿وآت ذا القربى حقه﴾ الأكثرون على أن ذا القربى هاهنا قرابة الإنسان، ومعنى الآية: الأمر بصلة ذوى الأرحام.

وعن على بن الحسين قال: ذا القربى هاهنا قرابة الرسول. وقوله: ﴿والمسكين﴾

(١) فى «الأصل، وك»: التوابين.

(٢) سبأ: ١٠.

إنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾

أى: السائل الطواف.

وقوله: ﴿وابن السبيل﴾ قيل: المنقطع به، وقيل: الضيف. وقوله: ﴿ولا تبذر تبذيراً﴾ أى: لا تسرف إسرافًا.

والتبذير: هو الإنفاق فى غير طاعة الله تعالى. وعن عثمان بن الأسود قال: كنت أطوف مع مجاهد بالبيت فقال: لو أنفق عشرة آلاف درهم فى طاعة الله ما كان مسرفًا، ولو أنفق درهما واحدا فى معصية الله، كان من المسرفين.

قوله تعالى: ﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين﴾ أى: أشباه الشياطين، وقيل: سماهم إخوان الشياطين؛ لأنهم اتبعوا ما سوَّل لهم الشياطين، [وقيل][1] لمن اتبع إنسانًا فى شىء هو أخوه.

وقوله: ﴿وكان الشيطان لربه كفوراً﴾ أى: بربه كافراً.

قوله تعالى: ﴿وإما تعرضن عنهم﴾ الإعراض صرف الوجه عن الشىء(....)[2] أو إلى من هو أولى منه، أو لإذلال من يصرف عنه الوجه.

وقوله: ﴿ابتغاء رحمة من ربك﴾ أى: طلب رزق من ربك.

وقوله: ﴿ترجوها﴾ الرجاء: تعليق النفس بمن تطلب منه الخير. وعن على رضى الله عنه قال: لا ترجون إلا ربك، ولا تخافن إلا من ربك.

---

(١) فى «الأصل وك»: وقوله.

(٢) فى «الأصل، وك» كلمة، رسمها: قلى.

وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾

وقوله: ﴿فقل لهم قولا ميسورا﴾ اليسر: ضد العسر، والميسور هاهنا هو العدة فى قول أكثر المفسرين. وهو أن يقول: يأتينا شىء فنعطيه. وعن سفيان الثورى قال: عدة النبى ﷺ دين، وقيل: القول الميسور هو أن تقول: يرزقنا الله وإياك، أو يقول: بارك الله فيك.

واعلم أن الآية خطاب مع النبى ﷺ، وقد كان هؤلاء القوم يسألونه، وكان يكره الرد وليس عنده شىء يعطى، فجعل يمسك من القول، فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿فقل لهم قولا ميسوراً﴾.

قوله تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك﴾ الآية. روى ابن مسعود: «أن امرأة بعثت غلاماً إلى رسول الله ﷺ تسأله شيئًا، فقال النبى ﷺ: ليس عندى شىء، فرجع الغلام وذكر لها؛ فردت الغلام وقالت: سله قميصه الذى هو لابسه، فسأله فأعطاه ذلك، وبقى فى البيت بلا قميص، فأنزل الله تعالى هذه الآية»(١).

وقوله: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك﴾ أى: لا تبخل، والكلام على وجه التمثيل فجعل البخيل الممسك كمن يده مغلولة إلى عنقه.

وقوله: ﴿ولا تبسطها كل البسط﴾ أى: لا تسرف فى الإعطاء.

وقوله: ﴿فتقعد ملومًا محسوراً﴾ والملوم: هو الذى أتى بما يلوم به نفسه ويلومه غيره، والمحسور هو المنقطع به الذى قد ذهب ماله، وبقى ذا حسرة، يقال: دابة حسير إذا أعيت من السير فقامت بالراكب. فمعنى الآية لا تحمل على نفسك كل الحمل فى الإعطاء، فتصير بمنزلة من بلغت به النهاية فى التعب والإعياء.

قال قتادة: محسوراً أى: نادمًا.

وأنشدوا فى الدابة الحسير:

(١) رواه الواحدى فى أسباب النزول (ص٢١٧).

إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾

له ديك حسرى فأما عظامها فبيض وأما جلدها فصليب

قوله تعالى: ﴿إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيراً بصيراً﴾ ظاهر المعنى، وقد بينا معنى البسط والقدر من قبل.

قوله تعالى: ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق﴾ أى: خشية الفقر، وقد كانوا يئدون البنات خشية الفقر.

وقوله: ﴿نحن نرزقهم وإياكم﴾ أى: نحن المعطى للرزق لا أنتم.

وقوله: ﴿إن قتلهم كان خطأ كبيراً﴾ المعروف: «خِطْأً» بالكسر والقصر. وقرأ ابن كثير «خِطَاءً كبيرًا» بالكسر والمد، وقرأ ابن عامر: «خَطَأً» بفتح الخاء والطاء والقصر، وقرئ: «خَطَآءً» بالفتح والمد، فأما قوله: «خِطْأً» بالكسر والقصر أى: إثمًا كبيراً. وأما قوله: «خِطَأً» بالكسر والمد، وقال الأزهرى: أهل اللغة لا يعرفون هذا! ولعله لغة.

وأما قوله: «خَطاء» بالفتح والقصر مصدر مثل قوله: أخطا، والفرق بين الخِطْأ والخَطَأ كلاهما بالقصر أن الخِطأ - بالكسر - ما يتعمد بالفعل وآثم فاعله. والخَطأ - بالفتح - ما لم يتعمد. وأنشدوا:

عبادك يخطئون وأنت رب كريم لا يليق بك الذموم

قوله تعالى: ﴿ولا تقربوا الزنا﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿إنه كان فاحشة﴾ الفاحشة: فعل قبيح على أقبح الوجوه.

وقوله: ﴿وساء سبيلا﴾ أى: ساء طريقا، ومعناه بئس السلك هذا الفعل.

وفى بعض الأخبار برواية على - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ أنه قال: «فى الزنا

وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾

ست خصال: (ثلاث)(١) فى الدنيا، (وثلاث)(١) فى الآخرة؛ أما الثلاث فى الدنيا: يذهب نور الوجه، ويورث الفقر، وينقص العمر، وأما الثلاث فى الآخرة: فغضب الرب، وسوء الحساب، ودخول النار »(٢).

وقوله تعالى: ﴿ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق﴾ قد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: « لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الكفر بعد الإيمان، والثيب الزانى، والقاتل نفسا بغير حق »(٣).

فقوله: ﴿إلا بالحق﴾ فالقتل بالحق أن يقع بأحد هذه الأشياء الثلاثة.

وقوله: ﴿ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً﴾ أى: سلطان القود، هكذا قاله قتادة وغيره. وعن الضحاك أن السلطان هاهنا هو تخيير ولى القتيل بين أن يقتل أو يعفو، أو يأخذ الدية.

وأصل السلطان هو الحجة، فلما ثبت هذا لولى القتيل بحجة ظاهرة سماه سلطاناً، وقيل: معنى الآية أن الولى يقتل؛ فإن لم يكن ولى، قتله السلطان.

وقوله: ﴿فلا يسرف فى القتل﴾ أكثر المفسرين على أن السرف فى القتل أن يقتل غير القاتل، وقيل: إن السرف فى القتل أن يُمثِّل بالمقتول، وعن سعيد بن جبير قال: السرف فى القتل أن يطلب قتل الجماعة بالواحد، وقد كانت الجاهلية لا يرضون بقتل القاتل وحده؛ إذا كان المقتول شريفاً ويطلبون قتل القاتل وجماعة معه من أقربائه وقومه.

(١) فى « ك »: ثلاثة.

(٢) عزاه الزيلعى فى تخريج الكشاف (٢ / ٤١٧ - ٤١٨) للواحدى فى تفسيره الوسيط. وقال الحافظ فى مختصره: رواه الواحدى فى الوسيط عالياً من طريق أبى الدنيا الأشج، عن على مرفوعاً، والأشج ادعى أنه سمع من على بعد الثلاثمائة، فسمع منه أبو بكر المفيد وغيره، وأخباره معروفة. وروى من حديث أنس، وحذيفة انظر الضعيفة رقم (١٤١، ١٤٢).

(٣) تقدم تخريجه.

وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴿٣٤﴾

وقرئ: «فلا تسرف» «بالتاء» على خطاب ولى القتيل، وأما «بالياء» على المغايبة.

وفى الآية قول آخر وهو أن معنى قوله: ﴿فلا يسرف فى القتل﴾ بالياء أى: القاتل الأول المتعدى.

وقوله: ﴿إنه كان منصوراً﴾ على هذا يعنى أن القاتل الأول لو تعدى فولى القتيل منصور من قبلى، وقد قال أهل المعانى: أن معنى قوله: ﴿إنه كان منصوراً﴾ معناه أى: القتيل منصور فى الدنيا والآخرة؛ أما النصرة فى الدنيا ففى إيجاب القود له. وأما النصرة فى الآخرة فبتكفير خطاياه، وبإيجاب الثأر لقاتله، وقيل: إنه كان منصوراً؛ أى: ولى القتيل.

وقرأ أبى بن كعب: «فلا تسرفوا فى القتل إن ولى القتيل كان منصوراً».

قوله تعالى: ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن﴾ معناه: إلا بالعفة التى هى أحسن. واختلفوا فى معناه على أقاويل: أحدها: أن القربان بالأحسن هو حفظ الأصول، وتثمير الفروع، والآخر: أن القربان بالأحسن هو التجارة فى ماله، وهذا قريب من الأول، والقول الثالث: أن القربان بالأحسن هو أن لا يخالط مال اليتيم بمال نفسه.

فروى سعيد بن جبير، عن ابن عباس: أنه لما نزلت هذه الآية ميز الأوصياء طعامهم من طعام اليتامى، وشرابهم من شراب اليتامى، وكانوا يمسكون طعام اليتيم حتى يأكل[1] أو يفسد، فأنزل الله تعالى: ﴿وإن تخالطوهم فإخوانكم﴾[2]

وعن مجاهد أنه قال: القربان بالأحسن أن يستقرض من مال اليتيم إذا احتاج إليه، فإذا استغنى رد.

---

(١) كذا، ولعله: يأكله.

(٢) البقرة: ٢٢٠.

وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴿٣٥﴾

وقال سعيد بن المسيب: لا يقرب ماله أصلا، ولا يشرب الماء من ماله.

وذهب بعض العلماء منهم أبو يوسف إلى أن قوله تعالى: ﴿ومن كان غنيًا فليستعفف ومن كان فقيرًا فليأكل بالمعروف﴾[١] منسوخ بقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم﴾[٢]. وقد ذكرنا في هذا المعنى من قبل ما هو أكثر من هذا.

وقوله: ﴿حتى يبلغ أشده﴾ الأكثرون على أن الأشد هو الحلم، ومنهم من قال: (ثمان)[٣] عشرة سنة، ومنهم من قال: ثلاث وثلاثون سنة، وهذا وقت منتهى القوة وتمام العقل بالحنكة والتجارب.

وقوله: ﴿وأوفوا بالعهد﴾ قال قتادة: العهد: كل ما أمر الله تعالى به ونهى عنه.

وقوله: ﴿إن العهد كان مسئولا﴾ فيه أقوال: أحدها: أنه كان مظلومًا، وهو قول السدى.

والآخر: كان مسئولا عنه، وهو أحسن الأقاويل، والثالث: أن العهد يسأل عن صاحب العهد. فيقال له: فيم نقضت، كالموءودة تسأل فيم قتلت؟.

وفى معنى العهد قول آخر: وهو أنه كل ما يلتزمه الإنسان على نفسه.

قوله تعالى: ﴿وأوفوا الكيل إذا كلتم﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿وزنوا بالقسطاس المستقيم﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه القبان، والآخر: أنه كل ميزان يكون. ذكره الزجاج.

واختلفوا أن القسطاس رومى أو عربى؟ قال مجاهد: هو رومى معرب، وقال غيره:

(١) النساء: ٦.

(٢) النساء: ٢٩.

(٣) فى «ك»: ثمانية.

وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ

هو عربى مأخوذ من القسط، والقسط هو العدل، فعلى هذا معنى الآية وزنوا بالعدل المستقيم.

وقوله: ﴿ذلك خيرٌ﴾ يعنى: ذلك خير لكم فى الدنيا بحسن الذكر. ﴿وأحسن تأويلا﴾ وأحسن عاقبة فى الآخرة.

قوله تعالى: ﴿ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم﴾ قالوا: معناه ولا تقل ما ليس لك به علم، وقرئ: «ولا تَقُفُ ما ليس لك به علم» برفع القاف؛ معناه ما ذكرنا، ومنهم من قال: معنى قوله: ﴿ولا تقف﴾ أى: لا ترم بالظن ما ليس لك به علم. وأصل القيافة اتباع الأثر، يقال: قفوت فلانًا، إذا [اتبعت](١) أثره. وحقيقة المعنى: ولا تتبع لسانك ما ليس لك به علم فيتكلم بالحدس والظن.

وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفوا أُمِّنَا، ولا ننتفى من أبينا»(٢).

وفى بعض الأخبار أن النبى ﷺ قال: «من تقوف ما ليس له به علم حبس فى ردغة الخبال حتى يخرج مما قال»(٣).

وقوله: ﴿إن السمع والبصر والفؤاد﴾ روى عن قتادة أنه قال: لا تقل سمعت ولم تسمع، ولا رأيت ولم ترَ، ولا علمت ولم تعلم. واختلف القول فى سؤال السمع والبصر والفؤاد؛ ففى أحد القولين: يسأل المرء عن سمعه وبصره وفؤاده.

---

(١) فى «الأصل»: اتبع.

(٢) رواه ابن ماجة (٢/ ٨٧١ رقم٢٦١٢)، وأحمد (٥/ ٢١١، ٢١٢)، وابن سعد (١/ ٢٠)، والطبرانى فى الكبير (١/ ٢٣٥-٢٣٦ رقم٦٤٥)، (٢/ ٢٨٥-٢٨٦ رقم ٢١٩٠، ٢١٩١) والبيهقى فى دلائل النبوة (١/ ١٧٣-١٧٤)، من حديث الأشعث بن قيس، وقال البوصيرى فى مصباح الزجاجة: إسناد صحيح، رجاله ثقات. ورواه عبد الرزاق فى جامع معمر (١١/ ٧٤-٧٥ رقم١٩٩٥٢) من طريق الزهرى مرسلا.

(٣) رواه أحمد فى مسنده (٢/ ٨٢) من حديث ابن عمر رضى الله عنه. وانظر كلام الشيخ شاكر فى تحقيقه (٧/ ٢٥٤ - ٢٥٨رقم٥٥٤٤).

كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴿٣٦﴾ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ مِمَّا

والقول الثانى: أن السمع والبصر والفؤاد يسأل عما فعله المرء. فإن قيل: قد قال: ﴿ كل أولئك كان عنه مسئولا ﴾، وأولئك لا يقال إلا للعقلاء؟ والجواب: قلنا: يجوز أن يقال لغير العقلاء. قال جرير:

ذم المنازل بعد منزلة اللِّوَى والعيش بعـد أولئك الأيام

قوله تعالى: ﴿ ولا تمش فى الأرض مرحًا ﴾ المرح هو الفرح بالباطل، ويقال: هو الأشر والبطر، ويقال: هو البأو والعظمة، وقيل: الخيلاء.

وقوله: ﴿ إنك لن تخرق الأرض ﴾ أى: لن تثقب الأرض، وقيل: لن تقطع الأرض بالسير.

وقوله: ﴿ ولن تبلغ الجبال طولا ﴾ أى: لايقدر أن يتطاول الجبال، وفى المعنى وجهان: أحدهما: أن الإنسان إذا مشى مختالا، فمرة يمشى على عقبيه، ومرة يمشى على صدور قدميه. فقال: لن تثقب الأرض إن مشيت على عقبيك، ولن تبلغ الجبال طولا إن مشيت على صدور قدميك.

والوجه الثانى: أن من أراد أن يخرق الأرض أو يطاول الجبال لا يحصل على شىء، فكذلك من مشى مختالا لا يحصل باختياله على شىء.

وقوله: ﴿ كل ذلك كان سيئةً عند ربك مكروهًا ﴾ قرى: « سَيِّئُهُ » وقوله: « سيئة » بالتنوين أى: كل ما نهيت عنه فى هذه الآيات فهى سيئة مكروهة عند ربك، ومن قرأ « سَيِّئُهُ » بالرفع فمعناه على التبعيض؛ لأنه قد تقدم بعض ما ليس بسيئة مثل قوله: ﴿ وآت ذا القربى حقه ﴾(١)، وكذلك قوله: ﴿ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما ﴾(٢) وغير ذلك. فمعناه أن ما تقدم فى هذه الآيات من السيئة مكروهة عند ربك.

---

(١) الإسراء: ٢٦.

(٢) الإسراء: ٢٤.

أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا
﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا
﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ

قوله تعالى: ﴿ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة﴾ كل ما أمر الله به ونهاه فهى حكمة.

وقوله: ﴿ولا تجعل مع الله إلهًا آخر﴾ قد بينا هذا من قبل، وهو أن الخطاب معه، والمراد منه الأمة.

وقوله: ﴿فتلقى فى جهنم ملومًا مدحوراً﴾ أى: مطروداً.

قوله تعالى: ﴿أفأصفاكم ربكم﴾ معناه: أفجعل لكم الصفوة، وجعل لنفسه ما ليس بصفوة؟ وهذا على طريق الإنكار فإنهم كانوا يقولون: الملائكة بنات الله.

وقوله: ﴿بالبنين واتخذ من الملائكة إناثًا﴾ هذا معناه.

وقوله: ﴿إنكم لتقولون قولا عظيماً﴾ أى: فظيعًا كبيراً.

قوله تعالى: ﴿ولقد صرفنا فى هذا القرآن﴾ فيه قولان: أحدهما: تكرير الأمر والنهى والمواعظ والقصص، والآخر: تبيين القول بجميع جهاته.

وقوله: ﴿ليذكروا﴾ معناه: ليتعظوا.

وقوله: ﴿وما يزيدهم إلا نفوراً﴾ أى: ما يزيدهم التبيين إلا نفوراً. وقيل: تصريف القول فى الأمر والنهى.

قوله تعالى: ﴿قل لو كان معه﴾ أى: مع الله ﴿آلهة﴾.

وقوله: ﴿كما يقولون إذًا لابتغوا إلى ذى العرش سبيلا﴾ فيه قولان: أحدهما: إذا لطلبوا إلى ذى العرش سبيلا بالتقرب إليه، والآخر: وهو الأصح إذا لابتغوا إلى ذى العرش سبيلا بالمفازة والمغالبة وطلب الملك، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾(١).

---

(١) الأنبياء: ٢٣.

آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ

قوله تعالى: ﴿ سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن ﴾ قد بينا من قبل.

وقوله: ﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ﴾ قال عكرمة: وإن من شيء حي إلا يسبح بحمده وعن عكرمة أيضا قال: الشجرة تسبحه.

وعن مجاهد قال: كل الأشياء تسبح لله حيًّا كان أو جماداً، وتسبيحها (بسبحان الله وبحمده)[1].

وعن أبي صالح أنه سمع صرير باب فقال: هو تسبيحه.

وعن علي - رضي الله عنه - أنه قال: لا تضربوا الدواب على رءوسها فإنها تسبح الله، وعن ابن عباس: إن تسبيح هذه الأشياء: يا حليم، يا غفور.

وروى منصور بن المعتمر أبو غياث عن إبراهيم النخعي قال: «وإن من شيء جمادٍ أو حيٍّ إلا يسبح بحمده حتى صرير الباب ونقيض السقف.

واعلم أن لله في الجماد علما لا يعلمه غيره، ولا يقف عليه غيره، فينبغي أن يوكل علمه إليه.

وقال بعض أهل المعاني: تسبيح السماوات والأرض والجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء، هو ما دلت بلطيف تركيبها وعجيب هيئاتها على خالقها، فيصير ذلك بمنزلة التسبيح منها.

والمنقول عن السلف ما قلنا من قبل، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿ ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ أي: لا تعلمون تسبيحهم.

وعن الحسن البصري أن موضع هذه الآية في التوراة ألف آية كان الله تعالى قال:

(١) في «ك»: يسبحن الله ويحمدنه.

بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا ﴿٤٤﴾ وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا ﴿٤٥﴾ وجعلنا على قلوبهم أكنة أن

سبح لى كذا، وسبح لى كذا، وسبح لى كذا، وعلى القول الأخير قوله: ﴿ ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ أى: لا تستدلون بمشاهدة هذه الأشياء على تعظيم الله. وهذا ليس بمعتمد، والصحيح ما بينا.

وقوله: ﴿ إنه كان حليمًا غفورًا ﴾ قد بينا معنى الحليم والغفور.

وقوله تعالى: ﴿ وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابًا مستورًا ﴾ روى فى الأخبار أنه لما نزلت سورة ﴿ تبت يدا أبى لهب ﴾(١) جاءته امرأته أم جميل، ومعها فهر، وقصدت النبى ﷺ وهى تقول: مذممًا أبينا، ودينه قلينا، وأمره عصينا، وكان النبى ﷺ جالسًا مع أبى بكر فى الحجر، فقال أبو بكر للنبى ﷺ: هذه المرأة قد جاءت، فقال النبى ﷺ: إنها لا ترانى؛ وقرأ هذه الآية؛ فجاءت المرأة، وقالت: يا أبا بكر، أين صاحبك؟ فقد بلغنى أنه هجانى، وهجا أبا لهب، وقد علمت قريش أنى بنت سيدها. فلم يقل أبو بكر شيئًا، ورجعت وهى تقول: قد كنت جئت بهذا الحجر؛ لأرضخ رأسه». روته عائشة رضى الله عنها(٢).

ومنهم من قال: كان النبى ﷺ يصلى ويقرأ القرآن، وكان المشركون يقصدونه بالأذى، فكانوا يجيئون ولا يرونه.

وقوله: ﴿ حجابًا مستورًا ﴾ فيه قولان: أحدهما: حجابا ساترا، والآخر: مستورا به. وقيل: إن الحجاب الذى جعله الله هو الأكنة التى خلقها على قلوبهم.

قوله تعالى: ﴿ وجعلنا على قلوبهم أكنة ﴾ أى: أغطية، وحكى بعض السلف أنه

---

(١) المسد: ١.

(٢) بل هو مروى عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما، رواه الحميدى (١/ ١٥٣ - ١٥٥ رقم٣٢٣)، وأبو يعلى فى مسنده (١/ ٥٣-٥٤ رقم٥٣)، والحاكم (٢/ ٣٦١) وصحح إسناده، والبيهقى فى الدلائل (٢/ ١٩٦). وقد روى بنحوه أيضًا من حديث ابن عباس: رواه أبو يعلى فى مسنده (١/ ٣٣ - ٣٤/ رقم٢٥)، (٤/ ٢٤٦ رقم٢٣٥٨)، والبزار - كما فى مختصر الزوائد (٢/ ١٢١ - ١٢٢ رقم ١٥٣٩) وابن حبان - الإحسان - (١٤/ ٤٤٠ رقم٦٥١١).

يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ

سمع رجلا يقرأ: ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذا جاءهم الهدى﴾(١) فقال: الأكنة.

وقوله: ﴿أن يفقهوه﴾ معناه: كراهة أن يفقهوه، وقيل: لئلا يفقهوه.

وقوله: ﴿وفى آذانهم وقراً﴾ أى: ثقلا، ومعناه: لئلا يسمعوه. وفى الآية رد على القدرية صريحاً.

وقوله: ﴿وإذا ذكرت ربك فى القرآن وحده﴾ هو قوله: لا إله إلا الله.

وقوله: ﴿ولوا على أدبارهم نفوراً﴾ أى: نافرين.

ومثل هذا قوله تعالى: ﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾(٢)

قوله تعالى: ﴿نحن أعلم بما يستمعون به﴾ قال أهل التفسير: «به» صلة، ومعناه نحن أعلم بما يستمعون، أى: يطلبون سماعه، وهو فى معنى قوله تعالى: ﴿وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى﴾ أى: ذووا نجوى. وفى القصة: أن النبى ﷺ كان يقرأ، والمشركون قد اجتمعوا، وكانوا يتناجون فيما بينهم، فيقول هذا: كاهن، ويقول هذا: ساحر، ويقول هذا: شاعر، ويقول هذا: مجنون؛ ويريدون به الرسول.

وقوله: ﴿إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً﴾ قال مجاهد: مخدوعاً، وقال أبو عبيدة: رجلا له سَحْر، وهو الرئة، يعنى: أنه بشر. قال الشاعر(٣):

أرانا موضعين (لحتم)(٤) غيب ... ونسحر بالطعام وبالشراب

(١) الكهف: ٥٥.
(٢) الزمر: ٤٥.
(٣) هو امرؤ القيس، كما فى لسان العرب (٤/ ٣٤٩).
(٤) فى اللسان: لأمر.

إن تَتَّبِعُونَ إلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾

أى: نعلل ونخدع، وهو على تأويل الخدع، وهو الأصح.

وقيل: مسحورا أى: مصروفًا عن الحق.

وقوله تعالى: ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال﴾ أى: الأشباه.

وقوله: ﴿فضلوا فلا يستطيعون سبيلا﴾ أى: وصولا إلى طريق الحق.

قوله تعالى: ﴿وقالوا أءذا كنا عظامًا ورفاتًا﴾ قال الفراء: رفاتاً، أى: ترابًا، وقال غيره: رفاتًا: أى: حطامًا. يعنى: إذا تحطمنا.

وقوله: ﴿أءنا لمبعوثون خلقًا جديداً﴾ قالوا ذلك على طريق الإنكار.

قوله تعالى: ﴿قل كونوا حجارة أو حديداً﴾ فإن قيل: كيف يأمرهم بأن يكونوا حجارة أو حديداً، وهم لا يقدرون عليه قطعًا؟ والجواب: أن هذا أمر تعجيز، وليس بأمر إلزام، ومعنى الآية أى: استشعروا فى قلوبكم أنكم حجارة أو (حديدٌ)(١)، فلو كنتم كذلك لم تفوتونى، وقيل معناه: لو كنتم خلقتم من الحجارة والحديد بدل اللحم والعظم لمتم ثم بعثتم. قاله أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى.

قوله تعالى: ﴿أو خلقًا مما يكبر فى صدوركم﴾ قال ابن عباس، وابن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص: هو الموت. ومعناه: لو كنتم الموت بعينه لأدرككم الموت.

وقد ثبت الخبر عن النبى ﷺ أنه قال: «يجاء بالموت يوم القيامة على هيئة كبش أغبر، فيوقف بين الجنة والنار؛ فيعرفه كلهم، فيذبح، فيقال: يا أهل الجنة، خلود لكم ولا موت، ويا أهل النار، خلود ولا موت»(٢).

(١) فى «ك»: حديداً، وهو خطأ.

(٢) متفق عليه من حديث أبى سعيد الخدرى، فرواه البخارى (٨/ ٢٨٢/رقم٤٧٣٠)، ومسلم (١٧/ ٢٦٩-٢٧٠/رقم٢٨٤٩).

أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾

وعن مجاهد أن معنى قوله: ﴿أو خلقًا مما يكبر فى صدوركم﴾ هو السماوات والأرض والجبال. أى: لو كنتم كذلك لمتم وبعثتم.

وقال قتادة: هو كل ما يعظم فى عين الإنسان وصدره. وعن الكلبى قال: هو القيامة.

وقوله: ﴿فسيقولون من يعيدنا﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿قل الذى فطركم أول مرة﴾ أى: أنشأكم أول مرة، ومن قدر على الإنشاء فهو على الإعادة أقدر.

وقوله: ﴿فسينغضون إليك رءوسهم﴾ أى: يحركون إليك رءوسهم، وهذا على طريق الاستهزاء.

وقوله: ﴿ويقولون متى هو﴾ أى: متى الساعة؟ وهذا أيضًا قالوه استهزاء.

وقوله: ﴿قل عسى أن يكون قريبًا﴾ معناه: أنه قريب، "وعسى" من الله واجب على ما بينا.

قوله تعالى: ﴿يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده﴾ أى: حامدين له. فإن قيل: كيف يصح هذا؟ والخطاب مع الكفار؛ والكافر كيف يبعث حامداً لربه؟

والجواب من وجهين: أحدهما: أنه خطاب للمؤمنين، وقد انقطع خطاب الكفار إلى هذه الآية.

والقول الثاني: أن الخطاب مع الكفار، ومعنى قوله: ﴿فتستجيبون بحمده﴾ أى: مقرين أنه خالقكم وباعثكم.

وقوله: ﴿وتظنون إن لبثتم إلا قليلاً﴾ هذا فى جنب مدة القيامة (والخلود)[1] فلو مكث الإنسان فى قبره الألوف من السنين، يعد ذلك قليلا فى جنب ما يصل إليه من

(١) فى «ك»: وخلوده.

وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ

الخلود.

وعن قتادة قال: إنهم يستحقرون مدة الدنيا فى جنب القيامة.

وعن سعيد بن أبى عروبة قال: يقومون فيقولون: سبحانك اللهم وبحمدك. والأولى أن يكون هذا فى المؤمنين.

وقال الكلبى: إن الله تعالى يرفع العذاب عن الكفار بين النفختين، وهو أربعون سنة، فإذا حشروا وقد استراحوا تلك المدة قالوا: ما لبثنا إلا قليلا.

قوله تعالى: ﴿وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن﴾ فى الآية قولان: الأشهر والأظهر أن قوله: ﴿يقولوا التى هى أحسن﴾ أى: الكفار، وهذا قبل نزول آية السيف.

قال أهل التفسير: كان المشركون يؤذون المؤمنين، وكان المؤمنون يستأذنون رسول الله ﷺ فى القتال فينهاهم عن ذلك، ويأمرهم بالإحسان فى القول، والإحسان فى القول هو قولهم للكفار: يهديكم الله. وفى بعض الروايات: أن عمر شتمه بعض الكفار، فأراد أن يقاتله، فأمره رسول الله ﷺ بالصفح والعفو.

والقول الثانى فى الآية: أن المراد به المؤمنون، وأراد به: أن يقولوا ويفعلوا التى هى أحسن. أى: الخلة التى هى أحسن.

وقيل: المراد منه الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر.

وقوله: ﴿إن الشيطان ينزغ بينهم﴾ أى: يفسد بإيقاع العداوة. وقوله: ﴿إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً﴾ أى: عدوا ظاهر العداوة.

قوله تعالى: ﴿ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم وإن يشأ يعذبكم﴾ قال: يرحمكم بالتوفيق والهداية، ويعذبكم بالإضلال، وقيل: يرحمكم بالإنجاء من النار، أو يعذبكم بالإيقاع فيه. وقوله: ﴿وما أرسلناك عليهم وكيلا﴾ أى: كفيلا. قال الشاعر:

[ذكرت][1] أبا أروى فبت كأننى ... برد الأمور الماضيات وكيل

(١) فى «الأصل»: ذكرتم.

عَلَيْهِمْ وَكِيلاً ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً ﴿٥٥﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً ﴿٥٦﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ

أى: كفيل.

ومنهم من قال معناه: لم يسلطك عليهم بمنعهم من الكفر.

قوله تعالى: ﴿وربك أعلم بمن فى السموات والأرض﴾ أى: وربك العالم بمن فى السموات والأرض، وهو العالم بأحوالهم وأفعالهم ومقاصدهم.

وقوله: ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض﴾ معناه: أنه اتخذ بعضهم خليلا، وكلَّم بعضهم، وسخَّر الجن والإنس والطير والريح لبعضهم، وأحيا الموتى لبعضهم، فهذا معنى التفضيل.

وقوله: ﴿وآتينا داود زبوراً﴾ قالوا: الزبور كتاب يشتمل على مائة وخمسين سورة، كلها تحميد وتمجيد وثناء على الله، ليس فيها أمر ولا نهى ولا حلال ولاحرام. ومعنى الآية: أنكم لما لم تنكروا تفضيل سائر النبيين وأعطائهم الكتب، فلا تنكروا فضل النبى ﷺ وأعطائه القرآن. فيجوز أن يكون هذا الخطاب مع أهل الكتاب، ويجوز أن يكون مع قوم كانوا مقرين بهذا من مشركى العرب. والزبور مأخوذ من الزبر؛ والزبر هو الكتابة.

وقوله تعالى: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه﴾ روى أن المشركين لما قحطوا حتى أكلوا الكلاب والجيف استغاثوا بالنبى ﷺ، ليدعو لهم؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿قل ادعو الذين زعمتم﴾ أنهم آلهة ﴿من دونه﴾ أى: من دون الله.

وقوله: ﴿فلا يملكون كشف الضر عنكم﴾ أى: كشف الجوع والقحط عنكم.

وقوله: ﴿ولا تحويلا﴾ أى: لايملكون نقل الحال، وتحويلا من السقم إلى الصحة، ومن الجدب إلى الخصب، ومن العسر إلى اليسر.

قوله تعالى: ﴿أولئك الذين يدعون﴾ قرأ ابن مسعود: «أولئك الذين تدعون»

أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ

وعنه أنه قال: كان قوم من المشركين يعبدون قوما من الجن، فأسلم الجنيون الذين كانوا يُعْبَدُون، وبقى هؤلاء على شركهم؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية. معناه: إن الذين كنتم تدعونهم وتعبدونهم ﴿ يبتغون ﴾ أى: يطلبون ﴿ إلى ربهم الوسيلة ﴾ والوسيلة هى الدرجة الرفيعة فى الجنة، وقيل: الوسيلة كل ما يتوسل به إلى الله تعالى أى: يتقرب .

وقوله: ﴿ أيهم أقرب ﴾ معناه: ينظرون أيهم أدنى وسيلة، وقيل: أيهم أقرب إلى الله فيتوسلون به، وقيل: الآية فى عزير والمسيح وغيرهما، وقيل: الآية فى الملائكة؛ فإن المشركين كانوا يعبدون الملائكة، والملائكة عبيد يطلبون إلى الله الوسيلة، وهذا فى نفر من المشركين دون جميعهم .

وقوله: ﴿ ويرجون رحمته ويخافون عذابه ﴾ يعنى: الجنيين الذين أسلموا والملائكة، أو عزيراً والمسيح .

وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ: لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا »(١) .

وقوله: ﴿ إن عذاب ربك كان محذوراً ﴾ أى: يطلب منه الحذر. قوله تعالى: ﴿ وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة ﴾ معناه: وما من قرية إلا نحن مهلكوها فإهلاك المؤمنين بالإماتة، وإهلاك الكفار بالاستئصال والعذاب، وقيل قوله: ﴿ مهلكوها ﴾ هذا فى حق المؤمنين بالإماتة .

قوله: ﴿ أو معذبوها عذاباً شديداً ﴾ فى حق الكفار .

(١) أورده ابن عراق فى تنزيه الشريعة (٢ / ٤٠٢) مع ستة أحاديث أخر ثم قال: قال ابن تيمية فى السبعة: إنها موضوعة. وقال العجلونى فى كشف الخفا (٢ / ٢٣٤): قال فى اللآلىء: هذا مأثور عن بعض السلف، وهو كلام صحيح. وقال فى المقاصد، وتبعه فى الدرر: لا أصل له فى المرفوع... وقال الزركشى: لا أصل له. وانظر المقاصد الحسنة (ص٥٥٥رقم٩٠٩).

مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾

وذكر النقاش فى تفسيره بإسناده عن مقاتل بن سليمان قال: وجدت فى كتاب ضحاك بن مزاحم – وهو الكتاب المخزون – وقد ذكر فيه مايهلك الله به أهل كل بلدة، أما مكة فيهلكها الحبشان، وأما المدينة فالجوع، وأما البصرة فالفرق، وأما الكوفة فعدو [سلطه](١) الله عليهم، وأما الشام ومصر فويل لها من عدوها، وقيل: تخربها الرياح، وأما أصفهان وفارس وكرمان فبالظلمات والصواعق، وكذلك ذكر فى أرمينية وأذربيجان، وأما الرى، فيغلب عليهم عدوهم من الديلم، وأما الهمذان فيهلكهم عدو لهم فلا همذان بعده، وأما النيسابور فالرعود والبروق والريح، وأما مرو فيغلب عليه الرمل(٢) وبهما العلماء الكثير، وأما هراة فيمطرون حيات فتأكلهم، وأما سجستان فتهلك بالريح، وأما بلخ فيغلب عليه الماء فتهلك، وأما بخارى فيغلب عليهم الترك، وأما سمرقند وفرغانة والشاش وإسبيجاب وخوارزم فيغلب عليهم بنو قنطورا بن كركرى فيهلكون عن آخرهم، والخبر غريب جداً . وفى بعض الروايات: «ويل لأهل بغداد يخسف بهم» والأثر غريب .

وفى بعض المسانيد عن عبد الله بن مسعود أنه قال: لايهلك الله قوما حتى يظهر فيهم الزنا والربا .

وقوله: ﴿كان ذلك فى الكتب مسطوراً﴾ أى: مكتوبًا، ومعنى الكتاب: هو اللوح المحفوظ .

وفى الأخبار المشهورة عن النبى ﷺ أنه قال: «أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب، فقال: وما أكتب؟ قال: اكتب ماهو كائن إلى يوم القيامة(٣)» .

يقال: سطر إذا كتب .

(١) فى «الأصل» و «ك»: سلطها.

(٢) كذا، ولعلها البرمك.

(٣) تقدم تخريجه.

وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا

قوله تعالى: ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون﴾ الآية. فإن قال قائل: كيف يجوز ألا يرسل الله الآيات لأن الأولين كذبوا بها؟ وماوجه الإمتناع عن إرسال الآيات بتكذيب الأولين؟ والسؤال معروف، وهو مشكل. والجواب من وجهين: أحدهما: أن «إلا» محذوف، ومثله قول الشاعر:

وكل أخ مفـــــارقه أخوه لعمرو أبيك إلا الفرقدان

ومعناه: وما منعنا من إرسال الآيات وإن كذب بها الأولون، يعنى: أن تكذيب الأولين لايمنعنا من إرسال الآيات .

والجواب الثانى - وهو المعروف - وما منعنا أن نرسل بالآيات التى اقترحها الكفار، فإنهم قالوا للنبى ﷺ: اجعل لنا الصفا ذهبًا، أو بعد عنا هذه الجبال لنزرع الأراضى .

وقوله: ﴿إلا أن كذب بها الأولون﴾ معنى الاستثناء فى إهلاك الأولين حين كذبوا بالآيات المقترحة، وقد حكمنا أن هذه الأمة ممهلة فى العذاب، قال الله تعالى: ﴿بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر﴾(١) وتلخيص الجواب: أن الأولين اقترحوا الآيات فلما أعطوا كذبوها فأهلكوا، فلو أعطينا هؤلاء الآيات المقترحة وكذبوا بها عاجلناهم بالعذاب، وقد حكمنا بإمهالهم، والدليل على صحة هذا الجواب أنه قال: ﴿وآتينا ثمود الناقة مبصرة﴾ أى: آية نيرة مضيئة، أو آية يبصر بها الحق، وقوله: ﴿فظلموا بها﴾ أى: كذبوا بها، فعوجلوا بالعقوبة. فهذا هو المراد، وإن كان غير مذكور .

وقوله: ﴿وما نرسل بالآيات إلا تخويفًا﴾ أى: تحذيرًا .

قوله تعالى: ﴿وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس﴾ قال مجاهد أى هم فى قبضته. قال الحسن: حال بينهم وبين أن يقتلوك أو يكيدوك بغير القتل. فهذا معنى الإحاطة.

---

(١) القمر: ٤٦.

الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾

وقوله: ﴿ وماجعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس ﴾ الأكثرون أن هذه الرؤيا هى ليلة المعراج، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والحسن، وسعيد بن جبير، والضحاك، وغيرهم.

فإن قال قائل: ليلة المعراج كانت رؤية عين لارؤيا نوم؟ والجواب: أنه قد صح عن عبدالله بن عباس أنه قال فى هذه الآية: هى رؤيا عين، أسرى بالنبى ﷺ تلك الليلة.

﴿ والشجرة الملعونة ﴾ هى شجرة الزقوم.

قال الشيخ الإمام الأجل أبو المظفر منصور بن محمد السمعانى: أخبرنا أبو على الشافعى بمكة قال: أنا أبو الحسن بن فراس، قال: أنا أبو جعفر الديبلى، قال: أنا سعيد ابن عبد الرحمن المخزومى عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس، ذكره البخارى فى صحيحه(١).

وأما ذكر الرؤيا بمعنى الرؤية هاهنا يجوز؛ لأنهما أُخِذا من معنى واحد. ومنهم من قال: كان له معراجان: معراج رؤية، ومعراج رؤيا.

وأما معنى الفتنة على هذا القول: أن قومًا من الذين آمنوا ارتدوا حين سمعوا عن النبى ﷺ هذا، وفى أصل الآية قول آخر: (وهو)(٢) أن الرؤيا المذكورة فى الآية هى «أن النبى ﷺ رأى فى النوم أنه قد دخل مكة، فاستعجل، وسار إلى مكة عام الحديبية محرما بالعمرة، وذكر الصحابة أنه رأى هذه الرؤيا، فلما صد عن مكة حتى احتاج إلى الرجوع افتتن بذلك قوم(٣).

---

(١) رواه البخارى (٨/ ٢٥٠ رقم ٤٧١٦)، والترمذى (٥/ ٢٨٢ رقم ٣١٣٤)، والنسائى فى الكبرى (٦/ ٣٨٠-٣٨١ رقم ١١٢٩١، ١١٢٩٢).

(٢) فى «ك»: وهى.

(٣) رواه الطبرى (١٥/ ٧٧)، وعزاه السيوطى فى الدر (٤/ ٢١١) لابن مردويه أيضًا، كلاهما عن ابن عباس.

وفى الخبر المشهور، أن عمر قال لأبى بكر: أليس قد رأى أنه يدخل مكة؟ فقال له أبو بكر: هل قال: إنه يدخل العام؟ قال: لا. قال: سيدخلها.. الخبر إلى آخره .

والقول الثالث فى الآية: ماحكاه الدمياطى فى تفسيره عن ابن عباس قال: «رأى النبى ﷺ فى منامه كأن أولاد الحكم بن أبى العاص ينزون على منبره نزو القرود - وفى رواية (يتداولون منبره تداول الكرة)(١) - فساءه ذلك، فدعا أبا بكر وعمر وأخبرهما بذلك، ثم سمع أن الحكم بن أبى العاص يحكى الرؤيا، فلم يتهم أبا بكر، واتهم عمر فدعاه، وقال له: لم أفشيت سرى؟ فقال: والله ماذكرته لأحد؟ فقال رسول الله ﷺ، كيف والحكم يحكى هذا للناس؟! فقال عمر: نجتمع ثانيًا حتى أخبرك من أفشاه. قال: فجاء هو وأبو بكر، وقعدا مع الرسول فى ذلك الموضع، وجعلوا يذكرون هذا، ثم إن عمر خرج مبادرًا، فإذا هو بالحكم يستمع، فذكر ذلك للنبى ﷺ، فطرده رسول الله ﷺ من المدينة، ولم يأوه أبو بكر ولا عمر، ومازال طريداً إلى زمن عثمان» القصة إلى آخرها. هذا هو الرؤيا التى ذكر فى الآية.

وقد روى «أن النبى ﷺ ماروى مستجمعًا [ضاحكًا](٢) منذ رأى هذه الرؤيا إلى أن مات(٣).

وأما الشجرة الملعونة فالأكثرون أنها شجرة الزقوم، فإن قيل: أين لعنها فى القرآن؟ والجواب: أن المراد من الشجرة الملعونة، أى: الملعون آكلها. وقال الزجاج: العرب تقول لكل طعام كريه: طعام ملعون. فعلى هذا تقدير الآية: ﴿وما جعلنا الرؤيا التى

(١) كذا، وفى الحديث يتعاورون منبره تعاور الكلاب، وهو الصحيح.

(٢) ليست في «الأصل ولاك».

(٣) رواه أبو يعلى فى مسنده (١١/٣٤٨رقم٦٤٦١)، والحاكم (٤/٤٨٠)، وصححه على شرط الشيخين - وليس هو كذلك - والبيهقى فى الدلائل (٦/٥١١) من حديث أبى هريرة، وقال الهيثمى فى المجمع (٥/٢٤٦ - ٢٤٧): رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح غير مصعب بن عبد الله بن الزبير، وهو ثقة. وقال البوصيري: رواه أبو يعلى ورواته ثقات (مختصر الاتحاف ٥/٥٠٥ رقم ٨٤٧٩).

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾

أريناك ﴾، وكذلك ماجعلنا الشجرة الملعونة ﴿ فى القرآن ﴾ إلافتنة للناس .

وأما الفتنة فى شجرة الزقوم من وجهين: أحدهما: أن أبا جهل قال: إن النار تأكل الشجر، وأن محمداً يزعم أن النار تنبت الشجرة. والوجه الثانى: أن عبد الله بن الزبعرى قال: ياقوم، إن محمداً يخوفنا بالزقوم، وما نعرف الزقوم إلا الزبد والتمر، فقال أبو جهل: ياجارية، هلمى فزقمينا .

والقول الثانى: فى شجرة الزقوم أنها[1] شجرة الكشوثا التى تلتوى على الشجر فتجففه. والقول الثالث: أن الشجرة الملعونة فى القرآن أولاد الحكم بن أبى العاص، وهو مروان وبنوه .

ذكره سعيد بن المسيب، وأنكر جماعة من أهل التفسير هذا القول، والله أعلم.

وقوله: ﴿ ونخوفهم ﴾ أى: نحذرهم ﴿ فما يزيدهم ﴾ أى: مايزيدهم التخويف﴿ إلا طغيانًا كبيرًا ﴾ أى: تمردًا وعتوًا عظيمًا.

قوله تعالى: ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ قد ذكرنا معنى السجود فى سورة البقرة، واختلاف الناس فيه. وقوله: ﴿ فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طينًا ﴾ معناه: لمن خلقته طينًا. وقوله: ﴿ طينًا ﴾ نصب على الحال أى: فى حال طينته، وفى الآية حذف، ومعناه: أأسجد لمن خلقته من طين، وخلقتنى من نار، وللنار فضل على الطين، فإن النار تأكل الطين. ولم يعلم الخبيث أن الجواهر كلها من جنس واحد؛ والفضل لما فضله الله تعالى. وفى الطين من المنافع مايقادم منافع النار، أويرقى عليها، وللطين من كرم الطبع ماليس للنار .

(١) فى «ك»: هى.

قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿٦٢﴾

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن الله بعث إبليس حتى أخذ من الأرض قبضة من التراب، وكان فيها المالح والعذب فخلق منها آدم، فمن خلقه من العذب كان سعيداً وان كان من أبوين كافرين، ومن خلقه من المالح كان شقيًّا، وإن كان من صلب (بنى آدم)(١) .

قال ابن عباس فقوله: ﴿أأسجد لمن خلقت طينًا﴾ أى: أأخضع لمن خلقته من طين، وأنا جئت به؟.

قوله تعالى: ﴿قال أرأيتك هذا الذى﴾ قوله: «أرأيت» أى: أخبرنى، والكاف لتأكيد المخاطبة. وقوله تعالى: ﴿هذا الذى كرمت علىَّ﴾ أى: كرمته علىّ وفضلته .

وقوله: ﴿لئن أخرتن﴾ أى: أمهلتنى ﴿إلى يوم القيامة﴾ فطمع الخبيث أن يُنْظَر إلى يوم القيامة، وينجو من الموت، فأبى الله تعالى ذلك عليه، على ما قال فى سورة الحجر: ﴿فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم﴾(٢).

وقوله: ﴿لأحتنكن ذريته﴾ قالوا: لأستأصلنهم؛ يقال: احتنك الجراد الزرع إذا استأصله. ومنهم من قال: هو مأخوذ من حنك الدابة إذا شد فى حنكها الأسفل حبلا (رسنا)(٣) يسوقها به .

ومعناه: لأسوقنهم إلى المعاصى سوقًا، ولأميلنهم إليه ميلا، وقيل: لأستولين عليهم بالإغواء، وقيل: لأضلنهم .

وقوله: ﴿ذريته﴾ أولاده ﴿إلاقليلا﴾ والقليل هم الذين قال الله تعالى: ﴿إن عبادى ليس لك عليهم سلطان﴾(٤) فإن قيل: كيف عرف إبليس أن

(١) كذا!

(٢) الحجر: ٣٧ – ٣٨.

(٣) فى «ك»: شديداً.

(٤) الحجر: ٤٢ .

قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ

أكثر ذرية آدم يتبعونه؟ قلنا: الجواب من وجهين: أنه لما رأى انقياد آدم لوسوسته طمع في ذريته.

والثاني: أنه رأى ذلك في اللوح مكتوبا، وعرف كما عرف الملائكة حين قالوا: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾[1]

قوله تعالى: ﴿قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاءً موفوراً﴾ أي: موفرًا ومعنى موفرًا أي: مكملاً. وقال الشاعر:

ومن يجعل المعروف من دون عرضه   يفسره ومن لايتق الشتم يشتم

قوله تعالى: ﴿واستفزز﴾ قال الأزهري معناه: وادعوهم دعاءً تستفزهم إلى إجابتك، أي: فتستخفهم.

وقيل: استفزز بهم أي: أسرع بهم، وقيل: احملهم على الإغواء. وقوله: ﴿من استطعت منهم﴾ بينا معنى الاستطاعة، وأنشد الشاعر في معنى الاستفزاز:

فقلت لها هي فلاتستفزي   ذوات العيون والبيان المحصب(٢)

وقوله: ﴿بصوتك﴾ قال مجاهد: الغناء واللهو، وقال الحسن: الدف والمزمار، وقيل: كل صوت يدعو إلى غير طاعة الله، وقيل: كل كلام يتكلم به في غير ذات الله.

وقوله: ﴿وأجلب عليهم﴾ أي: اجمع عليهم مكائدك وحيلك، يقال: جلب على العدو إذا جمع عليهم الجيش. وفي المثل: «إذا لم تغلب فأجلب» وقيل معناه: أجمع عليهم جيشك وجندك.

وقوله: ﴿بخيلك ورجلك﴾ كل راكب في معصية فهو من خيل إبليس، وكل ماشي في معصيته فهو في رجل إبليس. والخيل: الراكب، والرَجِل: المشاة، وفي الخبر:

(١) البقرة: ٣٠.

(٢) كذا.

وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا ﴿٦٤﴾

« يا خيل الله، اركبى » .

وقوله : ﴿ وشاركهم فى الأموال ﴾ كل كسب من حرام، وكل ما أنفق [فى](١) معصية الله، فهو الذى شارك فيه إبليس، وقيل : مازين لهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام .

وقوله : ﴿ والأولاد ﴾ فيه أقوال : قال ابن عباس : الموءودة .

قال مجاهد : أولاد الزنا، وقال غيره : هو تهويدهم وتنصيرهم وتمجيسهم .

وعن ابن عباس فى رواية أخرى هو : تسميتهم الأولاد : عبد العزى، وعبد الدار، وعبد مناف، وما أشبه ذلك .

وفى بعض المسانيد عن ابن عباس أن رجلاً أتاه، وقال : إن امرأتى استيقظت، وكأن فى فرجها شعلة نار، قال : ذاك من وطئ الجن . قال : فمن أولادهم؟ قال : هؤلاء المخنثون .

وعن جعفر بن محمد : إن الشيطان يقعد على ذكر الرجل؛ فإذا لم يسم الله أصاب امرأته معه، وأنزل فى فرجها كما ينزل الرجل . وروى قريبًا من هذا عن مجاهد . وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ قال : « إن فيكم مغربين . قيل : وَمَنْ المغربون؟ قال : الذين شارك فيهم الجن »(٢) .

وقوله : ﴿ وعدهم ﴾ أى : قل لهم : لاجنة ولانار، وقيل : قل لهم : أن لابعث .

وقوله : ﴿ ومايعدهم الشيطان إلاغرورًا ﴾ الغرور : تزيين الباطل بما يظن أنه حق . وفى بعض التفاسير برواية أنس عن النبى ﷺ : « أن إبليس قال : يارب، لعنتنى، وأخرجتنى من الجنة لأجل آدم؛ فسلطنى عليه وعلى ذريته، فقال الله تعالى : أنت مسلط، فقال : إنى لاأستطيعه إلابك فزدنى، فقال : ﴿ واستفزز من استطعت منهم ﴾

(١) فى « الأصل، وك » : من .

(٢) عزاه فى الكنز (١٦ / ٣٥٤ رقم ٤٤٩٠٠) للحكيم الترمذى عن عائشة .

إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً ﴿٦٥﴾

إلى آخر الآية. فقال آدم: يارب، أنت سلطت إبليس عليّ وعلى ذريتى، وإنى لا أستطيعه إلابك فمالى، فقال: لايولد لك ولد إلا وكلت به من يحفظونه، فقال: زدنى، فقال: الحسنة بعشر أمثالها، والسيئة بمثلها، فقال: زدنى. فقال: التوبة معروضة مادام الروح فى الجسد، فقال: زدنى، فقال: ﴿ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم...﴾(١) الآية»(٢). وفى هذا الخبر «أن إبليس قال: يارب، بعثت أنبياء، وأنزلت كتبًا، فما قرآنى؟ قال: الشعر. قال: فما كتابى؟ قال: الوشم. قال: فما طعامى؟ قال: كل طعام مالم يذكر عليه اسم الله. قال: فما شرابى؟ قال: كل مسكر. قال: فماحبائلى؟ قال: النساء. قال: فما آذانى؟ قال: المزمار. قال: فما بيتى؟ قال: الحمام. قال: فما منتصبى؟ قال: السوق»(٣). والخبر غريب جداً، والله أعلم.

فإن قال قائل: كيف يأمر الله تعالى بهذه الأشياء، وهو يقول: ﴿إن الله لا يأمر بالفحشاء﴾(٤) والجواب: أن هذا أمر تهديد ووعيد، وهو مثل قوله تعالى: ﴿اعملوا ماشئتم﴾(٥) وكالرجل يقول لغيره: افعل ماشئت فسترى، ومثل هذا يكثر.

قوله تعالى: ﴿إن عبادى ليس لك عليهم سلطان﴾ قد بينا، وقد قيل إنَّ معناه: ليس لك عليهم سلطان فى أن تحملهم على ذنب لا أقبل توبتهم منه.

وقوله: ﴿وكفى بربك وكيلا﴾ أى: حافظًا، أو من يوكل إليه الأمر.

(١) الزمر: ٥٣.

(٢) الشطر الأول منه، عزاه السيوطى فى الدر (٤/ ٢١٢) لابن مردويه مقتصراً على قول إبليس. ورواه ابن أبى حاتم، وابن المنذر - كما فى الدر المنثور (٥/ ٣٦٥)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٥٩ - ٦٠). عن عبيد بن عمير، بطوله.

(٣) رواه ابن أبى الدنيا فى مكائد الشيطان (ص٦٣رقم٤٣)، والطبرانى فى الكبير (٨/ ٢٠٧رقم٧٨٣٧) من حديث أبى أمامة، وقال الهيثمى فى المجمع (٨/ ١٢٢). رواه الطبرانى، وفيه على بن يزيد الألهانى - وهو ضعيف - وفى الباب عن ابن عباس رضى الله عنه.

(٤) الأعراف: ٢٨.

(٥) فصلت: ٤٠.

رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ

قوله تعالى: ﴿ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر﴾ أى: يسوق ويسير، قال الشاعر:

يأيها الراكب المزجى مطيته　　　سائل بنى أسد ماهذه الصوت

وقوله: ﴿لكم الفلك فى البحر﴾ أى: السفينة فى البحر.

﴿ولتبتغوا من فضله﴾ أى: لتطلبوا من رزقه.

وقوله: ﴿إنه كان بكم رحيمًا﴾ ظاهر.

قوله تعالى: ﴿وإذا مسكم الضر فى البحر﴾ أى: الشدة فى البحر، وإنما خص البحر بالذكر؛ لأن اليأس عند وقوع الشدة فيه أغلب.

وقوله: ﴿ضل من تدعون إلا إياه﴾ أى: بطل وسقط.

وقوله: ﴿من تدعون﴾ أى: من تدعونه ﴿إلا إياه﴾ أى: إلا الله، وهذا فى معنى قوله تعالى: ﴿وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين﴾(١).

وقوله: ﴿فلما نجاكم إلى البر أعرضتم﴾ يعنى: عن الإخلاص والالتجاء إلى الله.

وقوله: ﴿وكان الإنسان كفورًا﴾ أى: كافرا.

قوله تعالى: ﴿أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر﴾ الخسف بالشىء: هو تغييبه فى الأرض، وقيل: هو ابتلاع الأرض إياه.

وقوله ﴿جانب البر﴾ أى: طرفًا من البر.

وقوله: ﴿أو يرسل عليكم حاصبًا﴾ أى: ريحًا ذات حصباء، والحصباء الحجارة. معناه: ريحا ترمى بالحجارة.

(١) لقمان: ٣٢.

حَاصِبًا ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ

وقال بعض أهل اللغة الحاصب : البرد، وقال بعضهم الحاصب : الثلج. قال الفرزدق :

مستقبلين شمال الريح بطردهم ذو حاصب كنديف [القطن][(١)] منثور

وقوله : ﴿ثم لاتجدوا لكم وكيلا﴾ أى : من تكلون أمركم إليه فينجيكم؟.

قوله تعالى : ﴿أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى﴾ أى : فى البحر كرة أخرى. وقوله : ﴿فيرسل عليكم قاصفًا من الريح﴾ القاصف : هو الريح التى تكسر كل شئ وصلت إليه .

وقوله : ﴿فيغرقكم بما كفرتم﴾ أى : بكفركم .

وقوله : ﴿ثم لاتجدوا لكم علينا به تبيعًا﴾ أى : ثائرًا، وهو طالب الثأر، هكذا قاله الفراء، وقيل : من يتبعنا بالإنكار .

قوله تعالى : ﴿ولقد كرمنا بنى آدم﴾ فيه أقوال : روى عن ابن عباس أنه قال : هو أكلهم باليد، وسائر الحيوانات يأكلون بأفواههم، وقيل : إمتداد القامة وانتصابها، والدواب منكبة على وجوهها، وقيل : بالعقل والتمييز، وقيل : بأن سخر جميع الأشياء لهم، وقيل : بأن جعل فيهم خير أمة أخرجت للناس، وقيل : بالخط والقلم .

وقوله : ﴿وحملناهم فى البر والبحر﴾ أى : حملناهم فى البر على الدواب، وفى البحر على السفن .

وقوله : ﴿ورزقناهم من الطيبات﴾ التى رزقها الله تعالى بنى آدم فى الدنيا معلومة، وقيل : الحلال، وقيل[(٢)].

---

(١) فى «الأصل» : القطر.

(٢) كذا. ولعلها : وقوله، وأنه قد سقط القول.

عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ

﴿وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾ قال أبو النضر محمد بن السائب الكلبى: على كل الخلق سوى طائفة من الملائكة منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، وفى تفضيل البشر على الملائكة أو الملائكة على البشر كلام كثير ليس هذا موضعه. وظاهر الآية أنه فضلهم على كثير من خلقه لاعلى الكل، ويجوز أن يذكر الأكثر، ويراد به الكل، والأولى أن يقال: إن البشر أفضل من الملائكة على تفصيل معلوم، وهو أن عوام المؤمنين الأتقياء أفضل من عوام الملائكة، وخواص المؤمنين أفضل من خواص الملائكة. وقد قال الله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾(١) والبرية كل من خلق اللهُ على العموم.

وقوله تعالى: ﴿يوم ندعو كل أناس بإمامهم﴾ فيه أقوال: أحدها: بنبيهم، والآخر: بكتابهم، والثالث: بأعمالهم، وعن ابن عباس: إمام هدى وإمام ضلالة، وعن سعيد بن المسيب: كل قوم يجتمعون إلى رئيسهم فى الخير والشر. وفى الخبر: ينادى يوم القيامة: قوموا يامتبعى موسى، يامتبعى عيسى، يامتبعى محمد، يامتبعى شيطان، يامتبعى كذا وكذا.

وفى جامع [أبى](٢) عيسى الترمذى فى هذه الآية: «أن النبى ﷺ قال: يعطى المؤمن كتابه بيمينه، ويمد فى جسمه ستون ذراعا، ويبيض وجهه، ويوضع على رأسه تاج من لؤلؤ، فيقبل إلى أصحابه، ويقول لهم: أبشروا؛ فلكل رجل منكم مثل هذا. وأما الكافر فيعطى كتابه بشماله، ويمد فى جسمه ستون ذراعًا، ويسود وجهه، ويوضع على رأسه تاج من نار، فيقبل (إلى)(٣) أصحابه ويقول لهم: أبشروا؛ فلكل رجل منكم مثل هذا»(٤).

(١) البينة: ٧.

(٢) فى «الأصل، وك»: أبو، والصواب ما أثبتناه.

(٣) فى «ك»: على.

(٤) رواه الترمذى (٥/ ٢٨٢ - ٢٨٣رقم٣١٣٦) وقال: حسن غريب، وابن حبان - الإحسان - (١٦/ ٣٤٦ رقم٧٣٤٩)، والحاكم (٢/ ٢٤٢-٢٤٣) وصححه على شرط مسلم، كلهم من حديث أبى هريرة. وزاد السيوطى فعزاه فى الدر (٤/ ٢١٤) للبزار، وابن أبى حاتم، وابن مردويه.

فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ

وقوله تعالى: ﴿ فمن أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم ﴾ والكتاب: هو صحيفة الحسنات والسيئات .

وقوله: ﴿ ولايظلمون فتيلا ﴾ أى: لاينقص من حقهم بقدر الفتيل.

والفتيل: هو الذى فى شق النواة، وقيل: مافتل بين الأصابع .

قوله تعالى: ﴿ ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا ﴾ ليس العمى ها هنا هو عمى البصر؛ لأن الناس يحشرون بأتم خلق مصححة الأجساد لخلود الأبد. وفى الخبر عن النبى ﷺ قال: «تحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلا بهمًا»(١) وقوله: بهمًا: أى: مصححة الأجساد للخلود. فعلى هذا معنى قوله: ﴿ ومن كان فى هذه أعمى ﴾ أى: أعمى القلب عن رؤية [الحق](٢) ﴿ فهو فى الآخرة أعمى ﴾ أى: أشد عمى.

وقيل معناه: من كان فى هذه الدنيا بعيدا عن الحق، فهو فى الآخرة أبعد، وقيل: من كان فى هذه الدنيا أعمى من الاعتبار، فهو فى الآخرة أعمى عن الاعتذار .

وقوله: ﴿ وأضل سبيلا ﴾ أى: أخطأ طريقا .

قولة تعالى: ﴿ وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك ﴾ معناه: ليصرفونك عن الذى أوحينا إليك. وسبب نزول الآية أن المشركين قالوا للنبى ﷺ: اطرد هؤلاء الفقراء عنك حتى نجلس معك ونسلم؛ فَهَمَّ أن يفعل ثم يدعوهم من بعد، فأنزل الله تعالى هذه الآية. وعن سعيد بن جبير ومجاهد أنهما قالا: طلبوا من النبى ﷺ أن يمس آلهتهم حتى يسلموا ويتبعوه، فقال النبى ﷺ فى نفسه: وما علىّ أن أفعل ذلك إذا علم الله منى أنى كاره له، وكان ذلك خاطر قلب، ولم يكن عزما - فأنزل

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة، فرواه البخارى (١١/ ٣٧٩/ رقم٦٥١٩)، ومسلم (١٧/ ١٩١/ رقم٢٧٨٧).

(٢) فى «الأصل، وك»: الخلق، خطأ.

الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً ﴿٧٣﴾ وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً ﴿٧٤﴾

الله تعالى هذه الآية»[١] والقول الثالث: أن أهل الطائف لما جاءوا إلى النبى ﷺ ليسلموا، وكان استصعب عليه أمرهم، وحاصرهم بضع عشرة ليلة، ولم يفتح، فلما جاءوا قالوا للنبى ﷺ: نسلم بشرط أن لانركع، وأن تمتعنا باللات سنة من غير أن نعبدها، وذكروا غير هذا، فقال: «أما ترك الركوع فلا خير فى دين لا ركوع فيه، وأما اللات فلا أترك وثنًا بين المسلمين؛ فراجعوه فى أمر اللات، وقالوا: لتتحدث العرب زيادة كرامتنا عليك، فسكت النبى ﷺ، فطمع القوم عند سكوته، فأنزل الله تعالى هذه الآية»[٢] وهذا قول معروف.

وقوله: ﴿لتفترى علينا غيره﴾ أى: تقول علينا غير ما أنزلناه عليك. وقوله: ﴿وإذًا لاتخذوك خليلا﴾ أى: صاحبًا وودیداً.

قوله تعالى: ﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئًا قليلا﴾ معنى كاد أى: قرب، وكدت أى: قربت من الفعل.

وقوله: ﴿شيئًا قليلا﴾ فى موضع المصدر كأنه قال: لقد كدت تركن إليهم ركونًا. فإن قيل[٣]: النبى ﷺ كان معصومًا من الشرك والكبائر، فكيف يجوز أن يقرب مما طلبوه منه؛ والذى طلبوه منه كفر؟

الجواب من وجهين: أحدهما: أنا نعتقد أن الرسول معصوم من الشرك والكبائر، ونحمل على أن ما وجد منه كان هما من غير عزم، وقد قال النبى ﷺ: «إن الله تعالى وضع عن أمتى ماحدثت به نفسها مالم تتكلم به أو تعمل»[٣] وفى الجملة الله

(١) رواه الطبرى (١٥/ ٨٨) عن سعيد، وعزاه السيوطى فى الدر (٤/ ٢١٤) لابن أبى حاتم أيضًا، ورواه الطبرى (١٥/ ٨٨) عن مجاهد مختصرًا.

(٢) رواه الطبرى (١٥/ ٨٨) عن ابن عباس مختصرًا، وعزاه الزيلعى فى تخريج الكشاف (٢/ ٢٨٠) للثعلبى بدون إسناد عن ابن عباس.

(٣) متفق عليه من حديث أبى هريرة رواه البخارى (٥/ ١٩٠رقم٢٥٢٨)، ومسلم (٢/ ١٩٣رقم١٢٧).

إذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

أعلم برسوله من غيره، وقد قال قتادة: لما وقع هذا كان رسول الله ﷺ يقول بعد ذلك: «اللهم، لاتكلنى إلى نفسى طرفة عين»(١).

والجواب الثانى: وهو أنه قال: ﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن﴾ وقد ثبته ولم يركن، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ إلى أن قال: ﴿إلا قليلا﴾(٢) وقد تفضل الله، ورحم، ولم يتبعوا الشيطان.

قوله تعالى: ﴿وإذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات﴾ قال ابن عباس: ضعف عذاب الحياة، وضعف عذاب الممات.

وقيل: ضعف عذاب الدنيا، وضعف عذاب الآخرة، وقيل: إن الضعف بمعنى العذاب، فكأنه قال: لأذقناك عذاب الحياة وعذاب الممات، وإنما سمى العذاب ضعفًا لتضاعف الألم فيه.

فإن قيل: لم يضاعف العذاب له؟ قلنا: لعلو مرتبته كما يضاعف الثواب له عند الطاعة. وقد قال الله تعالى: ﴿يانساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين﴾(٣) والمعنى مابينا.

وقوله: ﴿ثم لاتجد لك علينا نصيرًا﴾ أى: لاتجد من يمنعنا من عذابك.

قوله تعالى: ﴿وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها﴾ الاستفزاز: هو الإزعاج بسرعة. واختلفوا فى معنى هذه الآية، فقال بعضهم: إنها نزلت بالمدينة، وسبب نزولها أن يهود قريظة والنضير وبنى قينقاع أتوا النبى ﷺ، وقالوا: يا أبا القاسم، قد علمت أن بلاد الأنبياء هى الشام وهى الأرض المقدسة، ومتى سمعت

---

(١) رواه الطبرى (١٥/ ٨٩) عن قتادة، وهذا الدعاء مشهور عن النبى ﷺ من حديث أبى بكرة، رواه البخارى فى الأدب المفرد (رقم٧٠١)، وأبو داود (٤/ ٣٢٤رقم٥٠٩٠)، والنسائى فى الكبرى (٦/ ١٦٧رقم١٠٤٨٧)، وأحمد (٥/ ٤٢)، وابن أبى شيبة (١/ ١٩٦)، وابن حبان (٣/ ٢٥٠رقم٩٧٠).

(٢) النساء: ٨٣.

(٣) الأحزاب: ٣٠.

وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً (٧٦) سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً (٧٧)

بنبى من تهامة؟! فاخرج معنا إلى الشام نؤمن بك وننصرك؛ فَهَمَّ النبى ﷺ بالخروج معهم، وضرب بقبته على ثلاثة أميال من المدينة ليخرج؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية، والأرض ها هنا هى المدينة، وهذا قول معروف.

وعن قتادة قال: الآية مكية، ومعنى الأرض: أرض مكة، وكان المشركون قد هموا أن يخرجوه منها أو يقتلوه، فأمره الله تعالى بالهجرة، وأن يخرج بنفسه.

وقيل: الأرض جميع الأرض، والإخراج منها هو القتل.

وقوله: ﴿وإذا لايلبثون خلفك﴾ وقرئ: «خلافك» ومعناه: بعدك ﴿إلا قليلاً﴾ ومعنى القليل على القول الثانى: مابين خروج رسول الله ﷺ إلى أن قتلوا ببدر، وعلى القول الأول مدة الحياة.

قوله تعالى: ﴿سُنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا﴾ الآية. [إنتصبت][(١)] السنة؛ لأن معناه: [هذه][(٢)] السنة كسنة من قد أرسلنا، ثم حذفت الكاف فانتصبت السنة، ومعنى سنة الله هو استئصال القوم بالهلاك إذا أخرجوا الرسول أو قتلوه.

وقوله: ﴿ولا تجد لسنتنا تحويلا﴾ أى: تبديلاً، وقيل: لعادتنا، ومعناه: ما أجرى الله تعالى من العادة فى خلقه.

قوله تعالى: ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس﴾ اختلفوا فى الدلوك: قال ابن [مسعود][(٣)]: هو الغروب، وقال ابن عباس: هو الزوال، وقد حكى عنهما كلا القولين، وكذلك اختلف التابعون فى هذا. وأصل الدلوك من الميل، والشمس تميل إذا زالت أو غربت، وقيل: من الدلك، والإنسان عند الزوال يدلك عينيه لشدة **ضوء**

(١) فى «الأصل وك»: انتصب.

(٢) فى «الأصل»، «ك»: هذا.

(٣) فى «الأصل وك»: ابن مسطور وهو تصحيف، والصواب ما أثبتناه. انظر تفسير القرطبى (١٠/٣٠٣)، والدر المنثور (٤/٢١٥).

أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾

الشمس، ويدلك عينيه عند الغروب، فتبين الشمس لمعرفة جرمها . قال الشاعر :

مصابيح ليست باللواتى تقودها　　　نجوم ولا بالآفـــلات الدوالك

تقول العرب : طريق دوالك إذا كانت ذات شعب . وأولى القولين أن يحمل على الزوال لكثرة القائلين به، فإن أكثر التابعين حملوه عليه، ولأنا إذا حملنا عليه تناولت الآية جميع الصلوات الخمس، فإن قوله : ﴿ لدلوك الشمس ﴾ يتناول الظهر والعصر.

وقوله : ﴿ إلى غسق الليل ﴾ يتناول المغرب والعشاء .

وغسق الليل : ظهور ظلمته، وقيل : اجتماع سواده .

وقوله : ﴿ وقرآن الفجر ﴾ أى : صلاة الفجر، واستدل العلماء بهذا على وجوب القراءة فى الصلاة حيث سمى الصلاة قرآنا . وقوله : ﴿ إن قرآن الفجر كان مشهوداً ﴾ أى : تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار . ومعنى تشهده : تحضره . وقد صح برواية الأعمش رحمه الله عن أبى صالح عن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن النبى ﷺ قال فى هذه الآية : «إن قرآن الفجر – صلاة الفجر – تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار»(١) . وقيل معنى قوله : ﴿ مشهوداً ﴾ أى : أمر الناس بشهودها ليصلوها جماعة . والصحيح هو القول الأول .

قوله تعالى : ﴿ ومن الليل فتهجد به ﴾ يقال : تهجد إذا قام بعد النوم للصلاة، وهجد إذا نام . قال الأزهرى : التهجد : إلقاء الهجور، وهو النوم، وعن علقمة والأسود وغيرهما : أنه لايكون التهجد إلا بعد النوم .

وقوله : ﴿ نافلة لك ﴾ أى : زيادة لك، قيل : هى زيادة لكل أحد فما معنى

(١) رواه الترمذى (٥ / ٢٨٢ رقم٣٣٥) وقال : حسن صحيح، والنسائى فى الكبرى (٦ / ٣٨١ رقم١١٢٩٣)، وابن ماجة (١ / ٢٢٠ رقم٦٧٠)، وأحمد فى المسند (٢ / ٤٧٤)، والطبرى فى التفسير (١٥ / ٩٤)، والحاكم (١ / ٢١١) وقال : صحيح على شرط الشيخين.

﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾

تخصيص النبى ﷺ بذلك؟ قلنا: لأنه هى تكفير(١) الذنوب لغيره وزيادة له، لأن ذنوبه مغفورة، وقيل: نافلة لك أى: فريضة عليك، وقد كان عليه القيام بالليل فريضة، وقيل: نافلة لك أى: فضيلة لك، وخص بالذكر، ليكون له السبق فى هذه الفضيلة؛ وليقتدى الناس به فيها .

وقوله: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقامًا محموداً﴾ أجمع المفسرون أن هذا مقام الشفاعة، وقد ثبت هذا عن النبى ﷺ . وفى رواية أبى هريرة أن النبى ﷺ قرأ قوله: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودا﴾ قال: «هو المقام الذى أشفع فيه لأمتى»(٢) وروى أنه عليه الصلاة والسلام قال: «أنا سيد الأنبياء إذا بعثوا، وأنا وافدهم إذا تكلموا، وأنا مبشرهم إذا أبلسوا، وأنا إمامهم إذا سجدوا؛ أقول فيسمع، وأشفع فأشفع، وأسأل فأعطى»(٣).

وعن مجاهد أنه قال: يجلسه على العرش، وعن غيره: يقعده على الكرسى بين يديه، وقال بعضهم: يقيمه عن يمين العرش.

وعن حذيفة أنه قال: يجمع الله الناس يوم القيامة فى صعيد واحد يسمعهم الداعى، وينفذهم البصر، وهم حفاة عراة قيام، لايسمع منهم حس، فيقول الله تعالى: يامحمد، فيقول: لبيك وسعديك والخير فى يديك، والمهتدى من هديت، تباركت وتعاليت، لاملجأ ولامنجا منك إلا إليك، وأنا عبدك بين يديك. قال: فهذا

---

(١) كذا.

(٢) رواه الترمذى (٥ / ٢٨٢رقم٣١٣٧) وحسنه، وأحمد (٢ / ٤٤١، ٥٢٨)، والطبرى (١٥ / ٩٨)، والبيهقى فى الدلائل (٥ / ٤٨٤). وفى الباب عن غير واحد من أصحاب النبى ﷺ . انظر تخريج الكشاف للزيلعى (٢ / ٢٨٢ - ٢٨٥رقم٧٢١).

(٣) رواه الترمذى (٥ / ٥٤٦رقم٣٦١٠)، وقال: حسن غريب، والبيهقى فى الدلائل (٥ / ٤٨٤) من حديث أنس بنحوه. وعزاه فى كنز العمال (١١ / ٤٣٥رقم٣٢٠٤٣) لابن النجار عن أم كرز، قريبًا من هذا اللفظ.

وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾

هو المقام المحمود.

وعن بعضهم أن المقام المحمود: هو لواء الحمد الذى يعطى النبى ﷺ وقد ثبت عن النبى ﷺ، أنه قال: «شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى»(١). وقال: «إن لكل نبى دعوة مستجابة، وإنى ادخرت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة»(٢). وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «لا أزال أشفع حتى يسلم إلى صكاك بأسماء قوم وجبت لهم النار، وحتى يقول مالك خازن النار: ماتركت للنار فى أمتك من نقمة». والأخبار فى الشفاعة كثيرة، وأول من أنكرها عمرو بن عبيد، وهو ضال مبتدع بإجماع أهل السنة.

قوله تعالى: ﴿وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق﴾ فيه أقوال، أحدها: أدخلنى المدينة مدخل صدق، وأخرج من مكة مخرج صدق، وذكر الصدق لمدح الإخراج، كقوله: ﴿وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق﴾(٣) فالصدق لمدح القدم، وكذلك قوله: ﴿فى مقعد صدق﴾(٤) لمدح المقعد. وإنما مدح لما يؤول إليه الخروج والدخول من النصر والعز ودولة الدين.

والقول الثانى: أخرجنى من مكة، وأدخلنى مكة، قاله الضحاك. والقول الثالث: أدخلنى فى الدين، وأخرجنى من الدنيا، والقول الرابع: أدخلنى فى الرسالة، وأخرجنى من الدنيا، وقد قمت بما وجب على من حقها. والقول الخامس: أخرجنى يعنى من المناهى وأدخلنى يعنى فى الأوامر.

والمشهور هو القولان الأولان. والمخرج بمعنى الإخراج، والمدخل بمعنى الإدخال.

(١) تقدم فى تفسير سورة البقرة.

(٢) رواه مسلم (٣/ ٩١-٩٢رقم١٩٩) والترمذى (٥/ ٥٤١-٥٤٢رقم٣٦٠٢)، وابن ماجة (٢/ ١٤٤٠رقم٤٣٠٧)، وأحمد (٢/ ٤٢٦).

(٣) يونس: ٢.

(٤) القمر: ٥٥

وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾

وقوله: ﴿ واجعل لى من لدنك سلطانًا نصيراً ﴾ قال مجاهد: حجة بينة، وقال غيره: ملكًا عزيزًا، والملك العزيز: هو المؤيد بالقدرة والحجة .

قوله تعالى: ﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل ﴾ قال قتادة: الحق: القرآن، والباطل: الشيطان. وقيل: الحق: عبادة الله، والباطل: عبادة الأصنام. وقد ثبت برواية ابن مسعود: «أن النبى ﷺ دخل مكة، وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنمًا، فجعل يطعنها ويقول: جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا» ذكره البخارى فى الصحيح، قال الشيخ الإمام الأجل الزاهد أبو المظفر منصور بن محمد السمعانى: أخبرنا به المكى بن عبد الرزاق الكشميهنى قال: أنا جدى أبو الهيثم قال: أخبرنا محمد بن يوسف الفربرى قال: أخبرنا البخارى قال: أخبرنا على بن [المدينى](١) قال: أنا سفيان بن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن أبى معمر، عن عبد الله بن مسعود الخبر»(٢).

وفى بعض التفاسير: أن النبى ﷺ كان يشير بيده إلى الصنم فيستلقى الصنم من غير أن يمسه.

وقوله: ﴿ إن الباطل كان زهوقًا ﴾ أى: ذاهبا. يقال: زهقت نفسه إذا خرجت .

قوله تعالى: ﴿ وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة ﴾ الآية قيل: إن « مِنْ» ها هنا للتجنيس لا للتبعيض. ومعناه: وننزل القرآن الذى منه الشفاء، وقيل: وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة أى: ما كله شفاء فيكون المراد من البعض هو الكل، كما قال الشاعر:

أو يعتلق بعض النفوس حمامها

---

(١) فى «الأصل وك»: المدنى، سبق قلم.

(٢) متفق عليه، رواه البخارى (٥/ ١٤٥رقم٢٤٧٨)، ورواه مسلم (١٢/ ١٨٦رقم١٧٨١).

وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴿٨٣﴾

أى: كل النفوس، الحمام: هو الموت.

وأما المراد من الشفاء هو الشفاء من الجهل بالعلم، ومن الضلالة بالهدى، ومن الشك باليقين، وقيل: المراد من الشفاء هو الشفاء من المرض بالتبرك به، وقيل: إن معنى الشفاء هو ظهور دليل الرسالة منه بالإعجاز وعجيب النظم والتأليف.

وقوله: ﴿ورحمة للمؤمنين﴾ أى: هو بركة وبيان وهدى للمؤمنين.

وقوله: ﴿ولا يزيد الظالمين إلا خساراً﴾ معنى زيادة الخسار فى القرآن للظالمين: ما كان يتجدد منهم بالتكذيب عند نزوله آية آية، فذلك زيادة الخسار والكفر.

قوله تعالى: ﴿وإذا أنعمنا على الإنسان﴾ أى: بالصحة، وسعة الرزق، وطيب الحياة، وما أشبه ذلك.

وقوله: ﴿أعرض﴾ أى: تولى. وقوله: ﴿ونأى بجانبه﴾ أى: تباعد بجانبه. وقرئ «وناء بجانبه» وهذا يقرب معناه من الأول. ومعنى الآية: هو ظهور التضرع والإخلاص فى الدعاء والالتجاء إلى الله عند المحنة والشدة، وترك ذلك عند النعمة والصحة. ومعنى التباعد: هو ترك التقرب إلى الله، وما كان يظهره من ذلك عند الضر والشدة.

وقوله: ﴿وإذا مسه الشر كان يؤسًا﴾ أى: آيسًا. ومعناه أنه يتضرع ويدعو عند الضر والشدة، فإذا أخرت الإجابة يئس، ولا ينبغى للمؤمن أن ييئس من إجابة الله، وإن تأخرت الإجابة مدة طويلة.

وعن بعض التابعين أنه قال: إنى أدعو الله بدعوة منذ عشرين سنة ولم يجبنى إليها وما آيست منها. قيل: وما تلك الدعوة؟ قال: ترك ما لا يعنينى.

قوله تعالى: ﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾ أى: على جديلته وطبيعته، ومعناه: ما يشاكل خلقه. وصحف بعضهم كل يعمل على جديلته – وهو تصحيف قريب من المعنى – والتصحيف فى التفسير.

قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلاً ﴿٨٤﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ

وقوله: ﴿فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا﴾ أى: أوضح طريقًا، وأبين مسلكًا.

قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن الروح﴾ الآية. روى علقمة عن عبدالله بن مسعود قال: «كنت مع رسول الله ﷺ فى حرث، وهو متوكئ على عسيب فجاءه قوم من اليهود، وسألوه عن الروح فوقف رسول الله ﷺ ينظر إلى السماء فعرفت أنه يوحى إليه، وتنحيت عنه، ثم قال: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلاقليلا﴾ وهذا خبر صحيح»(١).

وعن ابن عباس برواية عطاء «أن قريشًا اجتمعت وقالوا: إن محمدا نشأ فينا بالأمانة والصدق، وما أتهمناه بكذب، وقد ادعى ماادعى، فابعثوا بنفر إلى اليهود، واسألوهم عنه، فبعثوا بقوم إلى المدينة؛ ليسألوا يهود المدينة عنه، فذهبوا وسألوهم، فقالوا: سلوه عن ثلاثة أشياء: إن أجاب عن اثنين، ولم يجب عن الثالث، فهو نبى، وإن أجاب عن الثلاث، أو لم يجب عن شئ من الثلاثة فليس بنبى، سلوه عن ذى القرنين، وعن فتية فقدوا فى الزمن الأول، وعن الروح، - وأرادوا بالذى لايجيب عنه الروح - فرجعوا وسألوا النبى ﷺ عن ذلك، وقد اجتمعت قريش فقال: سأجيبكم غداً. ولم يقل: إن شاء الله، فتلبث الوحى أربعين يومًا لما أراد الله تعالى، ثم إنه نزل بعد أربعين يوما قوله تعالى: ﴿ولاتقولن لشىء إنى فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله﴾(٢) ونزل الوحى بقصة (أصحاب)(٣) الكهف وقصة ذى القرنين، ونزل بالروح قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى﴾.

واختلفوا فى الروح على أقاويل: فروى عن ابن عباس أنه جبريل عليه السلام. وقد قال فى موضع آخر ﴿نزل به الروح الأمين﴾(٤). وعنه أنه قال: خلق فى السماء من

(١) متفق عليه، رواه البخارى (١/ ٢٧٠رقم١٢٥)، ومسلم (١٧/ ٩٩-٢٠١رقم٢٧٩٤).

(٢) الكهف: ٢٣ - ٢٤.

(٣) فى «ك»: أهل.

(٤) الشعراء: ١٩٣.

الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي

جنس بنى آدم لهم أيدى وأرجل ليسوا من الملائكة.. وذكره أبو صالح أيضًا، وروى عن على - رضى الله عنه - أنه قال: الروح ملك ذو[1] سبعون ألف وجه، لكل وجه سبعون ألف لسان - وفى رواية سبعون لسانا يسبح الله بألسنته كلها.

وعن الحسن البصرى: إن الروح ها هنا: هو القرآن. وقيل: إنه عيسى عليه السلام. ومعناه أنه ليس كما قال اليهود ولا كما قال النصارى، ولكنه روح الله وكلمته تكون بأمره.

وأصح الأقاويل: أن الروح ها هنا هو الروح الذى يحيا به الإنسان، وعليه أكثر المفسرين.

واختلفوا فيه: منهم من قال: هو الدم؛ ألا ترى أن الإنسان إذا مات لم يغب منه إلا الدم، ومنهم من قال: هو تنفس الإنسان من الهواء؛ ألا ترى أن المخنوق يموت لاحتباس النفس عليه، ومنهم من قال: إنه عرض، وقال بعضهم: جسم لطيف يشبه الريح، يجرى فى تجاويف الإنسان. واستدل من قال إنه جسم [إن][2] الله تعالى قال: ﴿بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله﴾[3] وإنما يتصور رزق الأجسام لارزق الأعراض وتدل عليه أن النبى ﷺ قال: «أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر تعلف من ثمر الجنة أو تأكل[4]».

وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بأربعة آلاف سنة»[5] وهذا كله دليل على أن الروح جسم وليس بعرض، وهذا أولى القولين.

(١) فى «ك»: له.
(٢) فى «الأصل وك»: فإن.
(٣) آل عمران: ١٦٩ - ١٧٠.
(٤) تقدم تخريجه قبل ذلك.
(٥) عزاه العجلونى فى كشف الخفا (١/٢٦٦) لابن عباس موقوفًا، وقال: لم يثبت عنه، بل هو باطل عنه، قاله ابن حجر المكى. وأما المرفوع فرواه أبو عبد الله بن منده من حديث عمرو بن عنبسة عن النبى ﷺ كما فى كتاب الروح لابن القيم (ص١٦٠) بلفظ: «إن الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألفى عام». وقال ابن القيم فى (ص١٧٢): فلا يصح إسناده؛ ففيه عتبة بن السكن، قال الدارقطنى: متروك، وأرطاة بن المنذر، قال ابن عدى: بعض أحاديثه غلط. وله شاهد آخر عن على، رواه ابن الجوزى فى الموضوعات (١/٤٠١) من طريق الأزدى؛ وقال: هذا حديث موضوع؛ قال: الأزدى عبد الله بن أيوب، وأبوه كذا بان. لاتحل الرواية عنهما.

وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿٨٥﴾

وذكر بعض أهل المعانى : أن الروح معنى اجتمع فيه النور والطيب والعلم والعلو والبقاء، ألاترى أنه إذا كان موجوداً رأت العين وسمعت الأذن، فإذا ذهب الروح فات السمع والبصر، وإذا كان موجوداً فالإنسان طيب فإذا خرج أنتن وإذا كان موجودا فيوجد فى الإنسان العلم بالأشياء، فإذا فات صار جاهلا، وكذلك توجد فيه الحياة فإذا فات صار الإنسان ميتاً، ويوجد فيه العلو واللطافة فات تسفل وكنف.

وأولى الأقاويل فى الروح أن يوكل علمه إلى الله .

ويقال: هو معنى يحيا به الإنسان لايعلمه إلا الله. وذكر القرآن أن الله تعالى لم يخبر أحداً بمعنى الروح، ولا يعلمه غيره. وعن عبدالله بن بريدة أنه قال: إن الله تعالى لم يُطلع على معنى الروح ملكًا مقربًا، ولا نبيًّا مرسلا، وخرج رسول الله ﷺ من الدنيا، ولم يعلم معنى الروح، والله أعلم .

وقوله: ﴿ قل الروح من أمر ربى ﴾ معناه: من علم ربى، وقد قال بعضهم: إن رسول الله ﷺ علم معنى الروح إلا أنه لم يخبرهم به؛ لأن ترك إخبارهم به كان علماً على نبوته. وأيضًا لم يخبرهم به؛ لئلا يكون إخباره ذريعة إلى سؤالهم عما لايعنيهم.

وقوله: ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ يعنى: فى جنب علم الله، ويقال: إن هذا خطاب لليهود على معنى أنه قال للنبى: قل لليهود .

وقيل: إنه خطاب للرسول. وقد روى أن اليهود قالوا: قد أوتينا التوراة، وفيها العلم الكثير؛ فأنزل الله تعالى: ﴿ قل لوكان البحر مداداً لكلمات ربى ﴾ الآية[١] معناه: أن ماأوتيتم من العلم الذى فى التوراة قليل فى جنب علم الله[٢] .

---

(١) الكهف: ١١٠.

(٢) سقط باقى تفسير سورة الإسراء وتفسير سورة الكهف من نسختى «الأصل: وك» جميعًا.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ كهيعص ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾

(تفسير)[١] سورة مريم مكية

(و)[٢] قد روينا عن ابن مسعود - رضى الله عنه - أنه قال: «سورة بنى إسرائيل والكهف ومريم وطه من تلادى، وفى رواية: من العتاق الأول».

وقوله تعالى: ﴿كهيعص﴾. روى عن عليّ - رضى الله عنه - أنه قال: هذا اسم من أسماء الله تعالى، وحكى عنه أنه قال: (يا الله[٣] ياعين صاد)، اغفر لى. وعن الحسن وقتادة: اسم من أسماء السورة. وأما ابن عباس فالمروى عنه: أن كل حرف مأخوذ من اسم، فالكاف مأخوذ من الكافى، ومنهم من قال: من كبير، ومنهم من قال: من كريم، وأما الهاء قال ابن عباس: مأخوذ من الهادى، وأما الياء مأخوذ من حليم، ومنهم من قال: من يمين، ومنهم من قال: من أمين، وقال بعضهم: الياء من ياء النداء، وأما العين فقال ابن عباس: من عليم، وعن غيره: من عزيز. وأما الصادق، قال ابن عباس: من الصادم. وقد بَيَّنَّا قبل هذا أقوالا فى الحروف المهجاة[٤] فى أوائل السور.

وقوله: ﴿ذكر رحمة ربك عبده زكريا﴾ يعنى: هذا ذكر رحمة ربك عبده زكريا، وقال بعضهم: فى الآية تقديم وتأخير؛ يعنى: هذا ذكر ربك عبده زكريا بالرحمة.

وقوله: ﴿إذ نادى ربه نداءً خفيًا﴾ أى: دعا ربه دعاءً خفيًا. وفى بعض الأخبار: «خير الدعاء الخفى، وخير الرزق مايكفى»[٥]. وفى بعض الأخبار أيضًا: «دعوة السِّر

---

(١) من «ك»، وفيها تأخير البسملة عن ذكر السورة.
(٢) ليست فى «ك».
(٣) فى «ك»: يا كهيعص اغفرلى.
(٤) وفى «ك»: المهاجاة.
(٥) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (١/ ١٧٢، ١٨٠، ١٨٧)، وابن أبى شيبة (١٠/ ٣٧٥)، وأبو يعلى (٢/ ٨٢رقم٧٣١)، والطبرانى فى الدعاء (٣/ ١٦٤٠رقم١٨٨٣)، وابن حبان فى صحيحه (٣/ ٩١رقم ٨٠٩)، وأبو عوانة فى صحيحه كما فى الترغيب للمنذرى (٢/ ٥٣٧) جميعهم من حديث سعد بن أبى وقاص مرفوعًا. وقال الهيثمى فى المجمع: رواه أحمد وأبو يعلى، وفيه محمد بن عبد الرحمن بن لبيبة، وثقه ابن حبان وقال: روى عن سعد ابن أبى وقاص. قلت: وضعفه ابن معين، وبقية رجالهما رجال الصحيح.

قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾
وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾

تفضل دعوة العلانية بسبعين درجة »[1].

فإن قيل: لم أَخْفَى؟ والجواب من وجوه: أحدها: أنه أفضل، والآخر: لأنه استحيا من الناس أن يدعو جهراً، فيقولون: انظروا إلى هذا الشيخ يسأل على كِبَرِه الولد!. ويقال: إنه أخفى، لأنه دعا في جوف الليل، وهو ساجد.

قوله تعالى: ﴿ قال رب إنى وهن العظم منى ﴾ يعنى: رق وضعف من الكبر. قال قتادة: اشتكى سقوط الأضراس.

قوله: ﴿ واشتعل الرأس شيباً ﴾ أى: شعر الرأس. والعرب تقول إذا كثر الشيب فى الرأس: اشتعل رأسه، وهذا أحسن استعارة، لأنه يشتعل فيه كاشتعال النار فى الحطب.

وقوله: ﴿ ولم أكن بدعائك رب شقيًا ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنك عودتنى الإجابة، ولم تخيبنى، والآخر: ولم أكن بدعائك لى شقيًا يعنى: لما دعوتنى إلى الإيمان آمنت، ولم أَشْقَ بترك الإيمان.

وقوله: ﴿ وإنى خِفْتُ الموالى من ورائى ﴾ قال أبو صالح: المراد منه الكلالة. وعن أبى عبيدة: بنو العم.

وقوله: ﴿ ورائى ﴾ أى: بعدى، وقال أبو عبيدة: ورائى أى: أمامى. والقول الأول أصح.

وفى الشاذ: «وإنى خَفَّتْ الموالى من ورائى» أى: قَلَّت.

وقوله: ﴿ وكانت امرأتى عاقراً ﴾. العاقر: هى التى لاتلد.

وقوله: ﴿ فهب لى من لدنك وليًا ﴾. وقوله: ﴿ يرثنى ﴾ أى: ولداً يرثنى. فإن

---

(١) رواه ابن عدى فى الكامل (٦ / ٣٩٩)، والبيهقى فى الشعب - كما فى المغنى للعراقى - عن عائشة مرفوعاً بنحوه، قال العراقى فى المغنى: تفرد به معاوية بن يحيى الصدفى، وهو ضعيف، ونسبه أيضًا لابن أبى الدنيا فى الإخلاص من حديث عائشة مرفوعًا بنحوه أيضًا، وقال: إسناده ضعيف وعن ابن عمر عند البيهقى فى الشعب، وقال: تفرد به بقية عن عبد الملك بن مهران. (المغنى مع الإحياء ٣ / ٢٥٤، ٢٧٣).

يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾

قيل: كيف يخاف نبى الله أن يرثه بنو العم والعصبة؟ وأيش معنى هذا الخوف؟! وعن قتادة قال: أى شئ كان على نبى الله زكريا أن يرثه غير ولده؟.

والجواب: أنه اختلف الأقوال فى الإرث: فعن ابن عباس: أنه أراد به إرث المال، وهو قول جماعة، وعنه أيضًا أن المراد منه: إرث العلم، وهو قول الحسن البصرى، وفيه قول ثالث: أنه ميراث الحبُورة، فإنه كان رأس الأحبار .

قال الزجاج: والأولى أن يحمل على ميراث غير المال؛ لأنه يبعد أن يشفق زكرياء عليه السلام - وهو نبى من الأنبياء - أن يرثه بنو عمه وعصبته مالا، وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «كان زكريا نجارًا»(١). قال الشيخ الإمام الأجل: أخبرنا به أبو الحسن(٢) أحمد بن محمد بن النقور، قال أبو القاسم بن حبابة، قال عبدالله بن محمد بن عبد العزيز البغوى، قال هدبة بن خالد، عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أبى رافع عن أبى هريرة عن النبى ﷺ ... الخبر. خرجه مسلم فى الصحيح، ولم يخرجه البخارى؛ لأنه لايروى عن حماد بن سلمة.

والمراد من الخوف أنه أراد أن يكون وارثه فى النبوة والحبورة ولده، وقد قال النبى ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع [عمله](٣) إلا من ثلاثة.. وقال فيها: ولد صالح يدعو له»(٤).

وقوله: ﴿ويرث من آل يعقوب﴾ قيل: النبوة، وقيل: الملك؛ لأن زكريا كان من بيت الملك.

وقوله: ﴿واجعله رب رضيا﴾ أى: مرضيًا.

---

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده (٢/٢٩٦،٤٠٥)، ومسلم (١٥/١٩٦رقم٢٣٧٩)، وابن ماجة (٢/٧٢٧رقم٢١٥٠)، وابن حبان (١١/٥٤٢ رقم٥١٤٢)، والحاكم (٢/٥٩٠) وقال: صحيح على شرط مسلم، جميعهم من حديث أبى هريرة مرفوعًا.

(٢) كذا فى النسختين، وفى تذكرة الحفاظ ص(١١٦٤) والسير (١٨/٣٧٢): أبو الحسين .

(٣) من «ك».

(٤) رواه ومسلم (١١/١٢٢ رقم١٦٣١)، وأبو داود (٣/١١٧ رقم٢٨٨٠) والترمذى (٣/٦٦٠رقم١٣٧٦)، وقال: حسن صحيح. ، والنسائى (٦/٢٥١ رقم٣٦٥١)، ورواه الإمام أحمد فى مسنده (٢/٣٧٢)، وابن حبان فى صحيحه (٧/٢٨٦ رقم٣٠١٦).

يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ

قوله تعالى: ﴿يازكريا إنا نبشرك بغلام﴾ معناه: قلنا: زكريا إنا نبشرك.

وقوله: ﴿بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا﴾ يعنى: من تسمى باسمه. فإن قيل: وأى فضيلة له فى هذا؟ قلنا: فضيلة التخصيص، وقيل: فضيلة تسمية الله إياه بهذا الاسم. وفى الآية قول آخر: وهو أن قوله: ﴿لم نجعل له من قبل سميا﴾ أى: شبهًا ومثلا؛ فإنه لم يذنب، ولم يهم بذنب، وما من أحد إلا وقد أذنب أو هم بذنب. وقد روى هذا عن النبى ﷺ فى خبرٍ مسندٍ أنه قال: «ما من أحد يأتى الله[(١)] يوم القيامة إلا وقد أذنب أو هم بذنب غير يحيى بن زكريا، ثم أخذ عوداً صغيراً من الأرض وقال: ما كان له إلا مثل هذا»[(٢)] والخبر غريب.

---

(١) لفظ الجلالة غير موجود فى «ك».

(٢) روى هذا الحديث مرفوعًا وموقوفًا: فروى من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعًا: رواه ابن إسحاق عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب به، أخرجه ابن جرير فى تفسيره (٣/ ١٧٤)، والحاكم (٢/ ٣٧٣) وقال: صحيح، وابن أبى حاتم فى العلل (٢/ ١٤٠ رقم ١٩١٣). وقال فى المجمع (٨/ ٢١٢): رواه البزار، ورجاله ثقات. وقال ابن كثير فى تفسيره (١/ ٣٦١): غريب جداً. وقال أبو حاتم. لايرفعون هذا الحديث. قلت: وخالف ابن إسحاق يحيى بن سعيد القطان، وأبو خالد الأحمر، فروياه عن يحيى بن سعيد الأنصارى عن ابن المسيب عن عبد الله بن عمرو موقوفًا. أخرجه أحمد فى الزهد (ص٩٠)، وابن أبى شيبة فى مصنفه (١٣/ ٣٥٤رقم١٦٥٦٧)، ورواه ابن جرير فى تفسيره (٣/ ١٧٤) عن أحمد بن الوليد القرشى، عن عمر بن جعفر، عن شعبة، عن يحيى بن سعيد عن ابن العاص - إما عبد الله وإما أبوه - قوله. وعزاه السيوطى فى الدر (٢/ ٢٤ - ٢٥) لابن أبى حاتم وابن عساكر، وقال: وهو أقوى إسناداً من المرفوع. وقال ابن كثير (١/ ٣٦١): الموقوف أصح إسناداً من المرفوع. وروى ابن جرير فى تفسيره أيضًا بإسنادين له عن ابن المسيب قوله بنحوه. وروى من حديث أبى هريرة مرفوعًا: رواه ابن عدى فى الكامل (٢/ ٢٣٤)، والطبرانى فى الأوسط (٦/ ٢١٢ رقم٣٦٠٦ مجمع البحرين)، وابن أبى حاتم فى العلل (٢/ ١١٣-١١٤رقم١٨٣٥)، من طريق حجاج بن سليمان الرعينى، عن الليث بن سعد، عن محمد بن عجلان، عن القعقاع بن حكيم، عن أبى صالح، عن أبى هريرة مرفوعًا. واستنكره أبو حاتم فقال: لم يكن هذا الحديث عند أحد غير الحجاج، ولم يكن فى كتاب الليث. وحجاج هذا هو شيخ معروف. وذكره ابن عدى من منكرات الحجاج، وقال عن حجاج: يحدث عن الليث وابن لهيعة أحاديث منكرة. وروى من حديث ابن عباس: رواه الإمام أحمد فى مسنده (١/ ٢٥٤)، والبزار (مختصر الزوائد ٢/ ٢٧٠-٢٧١ رقم١٨٥٠) مطولا، والحاكم (٢/ ٥٩١)، والطبرانى (١٢/ ٢١٨ رقم ١٢٩٣٨) من طريق على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس مرفوعًا: «ما من آدمى إلا وقد أخطأ أو =

يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ

وقيل فى منع الشبهة: أنه لم تلد عاقر من النساء مثله.

قوله تعالى: ﴿قال رب أنَّى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيًا﴾ أى: يأسًا[1] وجفوفًا، كأنه شكى نحولة العظم والفحل.

وقرأ ابن مسعود[2]: «عسيا» بالسين، والمعنى واحد.

وقيل: كيف سأل الله الولد فلما أجيب قال: ﴿أنى يكون لى غلام﴾؟

والجواب عنه من وجهين: أحدهما: أنه كان قال حال الشباب، ثم إنه أجيب فى حال الكبر. وهذا قول ضعيف.

القول الثانى: أن معناه: أنى يكون لى غلام؟ يعنى: كيف يكون لى غلام؟ أفتردنى إلى حال الشباب أو تهب لى الغلام وأنا شيخ؟ وقيل: إنه سأل الولد مطلقًا لا من هذه المرأة، فقال: كيف يكون لى الغلام[3]؟ أمن هذه المرأة أو من غيرها؟

قوله تعالى: ﴿قال كذلك قال ربك هو على هين﴾ أى: يسير.

وقوله: ﴿وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿قال رب اجعل لى آية﴾ أى: دلالة. فإن قيل: لم سأل الآية؟ أما صَدَّق الله تعالى حتى يسأل الآية؟. والجواب: أن فى القصة: أن الشيطان تمثل له، وقال: إن الذى يجيبك ليس هو الله، وإنما هو شيطان يستهزئ بك، فحينئذ سأل الله

= بخطيئة أو عملها إلا أن يكون يحيى بن زكريا لم يهم بخطيئة ولم يعملها»، وقال الذهبى: إسناده جيد، ولعله يقصد الإسناد المرسل عن الحسن لا حديث ابن عباس، ففيه على بن زيد بن جدعان. وقال الحافظ ابن كثير فى البداية (١/٥٢١): على بن زيد بن جدعان تكلم فيه غير واحد من الأئمة، وهو منكر الحديث، ثم قال: وقد رواه ابن خزيمة والدارقطنى... عن على بن زيد به مطولا، ثم قال ابن خزيمة: وليس على شرطنا.

(١) كذا فى «ك» وهى مطموسة فى «الأصل»، ولعل الصواب: يَبَسًا.

(٢) كذا فى النسختين، والمشهور عن ابن عباس فليراجع.

(٣) فى «ك»: غلام.

آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَا يَحْيَىٰ

الآية، وقد سأل الآية ليكون زيادة فى سكون القلب.

وقوله: ﴿قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا﴾ أى: متتابعات، وقيل: فيه تقديم وتأخير، ومعناه: ألا يتكلم[1] الناس سويا يعنى: وأنت سوى لا آفة بك ثلاث ليال.

وفى القصة: أنه لم يقدر أن يتكلم مع الناس، وكان إذا أراد التسبيح وذكر الله يطلق لسانه.

قوله تعالى: ﴿فخرج على قومه من المحراب﴾ قد بينا معنى المحراب.

وقوله: ﴿فأوحى إليهم﴾ أى: أومأ إليهم ﴿أن سبحوا بكرة وعشياً﴾

وروى أنه كان يدور على الأحبار كل يوم بكرة وعشيا، ويأمرهم بالعبادة والصلاة، فلما كان فى هذه الأيام جعل يشير، ويقال: إنه كتب حتى قرءوا منه.

وقال بعض أهل العلم: إن أخذ لسانه عن الكلام كان عقوبة عليه لما سأل الله تعالى عن[2] الآية بعد أن سمع وعد الله إياه، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿يا يحيى﴾ قيل: يحيى مأخوذ من قوله: (يا)[3]حىّ». وحكى النقاش فى تفسيره: أن «سارة» كان اسمها «يسارة»، فسماها جبريل «سارة»، فقالت: لم نقصت من اسمى حرفا؟ فقال: هو لولد لك يأتى من بعدك، وكان اسم يحيى: «حىّ» فى اللوح المحفوظ على معنى أنه حىّ من كبيرَيْن أَيسا من الولد، ثم زيد فيه الياء فصار «يحيى». وفى الآية حذف، ومعناه: وهبنا له الولد ثم قلنا: يايحيى.

(١) هكذا صورتها فى النسختين، ولعلها: تكلم.

(٢) كذا فى «الأصل وك».

(٣) لفظ النداء غير موجود فى «ك».

خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾
وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ

وقوله: ﴿ خذ الكتاب بقوة ﴾ أى: بجدّ واجتهاد.

وقوله: ﴿ وآتيناه الحكم صبيًا ﴾ أى النبوة. هذا قول أكثر المفسرين، وقال قتادة: أعطى النبوة وهو ابن ثلاث سنين. وقيل: المراد من الحكم هو العلم، فقرأ التوراة، وهو صغير. وعن بعض السلف قال: من قرأ القرآن قبل أن يبلغ، فهو ممن أوتى الحكم صبيًا. وفى الآية قول ثالث رواه أبو وائل: وهو أن يحيى قيل له وهو صغير: تعال نلعب، فقال: ما لِلُّعْب[1] خلقتُ». فهو معنى قوله تعالى: ﴿وآتيناه الحكم صبيًا﴾.

قوله تعالى: ﴿ وحنانًا من لدنا ﴾ أى: رحمة من عندنا، قال الشاعر:

أبا مُنْذِرٍ (أفنيت فاستبق بعضَنا)[2] حَنَانَيْك بعضُ الشرِّ أهونُ من بعض

هو مأخوذ من التحنن وهو التعطف.

وقوله: «وزكاة» أى: طهارة وتوفيقًا، وقيل: إخلاصًا.

وقوله: ﴿ وكان تقيًا ﴾. وصفه بالتقوى؛ لأنه لم يذنب، ولم يهم بذنب.

وقوله: ﴿ وبرًا بوالديه ﴾ أى: عطوفًا.

وقوله: ﴿ ولم يكن جبارًا عصيًا ﴾ الجبار هو الذى يقتل على[3]

وقوله تعالى: ﴿ وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا ﴾ خص هذه الأحوال بهذه الأشياء، لأن هذه الأحوال أوحش شىء فإنه عند الولادة يخرج من بطن

---

(١) هكذا ضبطت فى «الأصل»؛ بكسر اللام الأولى، وضم المشددة الثانية، وسكون المهملة.

(٢) ما بين القوسين مطموس فى «الأصل»، ومكانه بياض فى «ك» والمثبت من تفسير القرطبى.

(٣) ها هنا طمس فى الأصل، وكذا سقط من «ك»، وجاء من قول المصنف فى تفسير قوله: ﴿إن تريد إلا أن تكون جبارًا فى الأرض﴾ من سورة القصص، قال: أى تقتل على الغضب، وكل من قتل على الغضب فهو جبار، وقيل: «من قتل نفسين بغير حق، فهو من جبابرة الأرض»، فالذى هنا من ذلك.

وسيأتى نحوه بعد قليل عند تفسير قوله تعالى: ﴿ولم يجعلنى جبارًا شقيا﴾ من هذه السورة.

حَيًّا ﴿١٥﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ
مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ

الأم على وحشة شديدة، ويموت على وحشة شديدة، ويبعث على وحشة شديدة. ومعنى السلام هو: الأمان فى هذه المواضع.

قوله تعالى: ﴿ واذكر فى الكتاب مريم إذا انتبذت من أهلها ﴾ أى: تنحت واعتزلت. وقوله: ﴿ من أهلها ﴾ أى: من قومها.

وقوله: ﴿ مكانًا شرقيًا ﴾ أى: من جانب المشرق، ويقال: كان يومًا شاتيًا شديد البرد، فذهبت إلى مشرقه تُفَلِّى رأسها. وروى أنها كانت طهرت من الحيض فذهبت لتغتسل.

قوله تعالى: ﴿ فاتخذت من دونهم حجابًا ﴾ اختلف القول فى هذا الحجاب: أحد الأقوال: أنه وراء جدار، وقيل: وراء جبل، والقول الثالث: وراء ستر. وروى أنها كانت تجردت لتغتسل.

وقوله: ﴿ فأرسلنا إليها روحنا ﴾ الأكثرون على أنه جبريل عليه السلام، وفيه قول آخر: أن المراد من الروح عيسى عليه السلام، جاء فى صورة بشر، وحملت به، والصحيح هو القول الأول.

قوله تعالى: ﴿ فتمثل لها بشرًا سويًّا ﴾ فى القصة: أنه جبريل جاء فى صورة غلام أمرد وضئ الوجه، (له) [(١)] جعد قطط.

قوله تعالى: ﴿ قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا ﴾ يعنى: استجير بالرحمن منك إن كنت تقيًّا. فإن قيل: إنما يستعاذ بالرحمن من الشخص إذا كان فاجرًا، فأما إذا كان متقيا لايكون محل الاستعاذة منه؛ لأنه متقى لايقدم على الفجور، والجواب عنه: أن هذا كقول القائل: إن كنت مؤمنا فلا تظلمنى، يعنى أنه ينبغى أن

(١) غير موجودة فى «ك».

بِالرَّحْمَنِ منكَ إن كُنتَ تَقيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ ربِّك لأَهَبَ لَك غُلامًا زَكيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِك قَالَ رَبُّك هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ

يكون إيمانك مانعًا من الظلم. كذلك ها هنا معناه: ينبغى أن يكون تقواك مانعًا من الفجور وقيل: إنها شكت فى حاله، فقالت ما قالت على الشك، والقول الثالث: إن كنت متقيا يعنى: ما كنت متقيا جئت دخلت علىّ فى هذه الحالة، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿قل إن كان للرحمن ولد﴾(١) أى: ما كان للرحمن ولد. وعن بعض السلف أنه قال: إن كنت متقيا علمت أن التقى ذو نهيّة أى: ذو عقل؟ فلهذا قالت: إن كنت تقيا.

قوله تعالى: ﴿قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك﴾. وقرئ: «ليهب لك» فقوله: ﴿لأهب﴾ أضاف إلى نفسه، لأنه أرسل بالموهوب على يده، وقوله: «ليهب» أى: ليهب الله لك. وقوله: ﴿غلامًا زكيًّا﴾ أى: طاهرًا صالحًا.

قوله: ﴿قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر﴾ أى: زوج. ﴿ولم أك بغيا﴾ أى: زانية ومعناه: إن الولد يكون من نكاح أو سفاح، وليس ها هنا واحد منهما.

قوله تعالى: ﴿قال كذلك قال ربك هو على هيّن﴾ أى: يسير.

وقوله: ﴿ولنجعله آية للناس﴾ أى: علامة للناس ودلالة

قوله: ﴿ورحمة منا﴾ أى: ونعمة منا.

وقوله: ﴿وكان أمرًا مقضيًا﴾ أى: محكومًا [محتمًا](٢) لايرد ولايبدل.

قوله تعالى: ﴿فحملته﴾ فى القصة: أن جبريل عليه السلام نفخ فى جيب درعها، وفى رواية: فى كم قميصها، وفى رواية: فى فَيْهَا، فحملت بعيسى فى الحال، وأخذ يتحرك فى البطن.

(١) الزخرف: ٨١.

(٢) فى «الأصل وك»: محترما.

مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ

وقوله: ﴿ فانتبذت ﴾ أى: فتنحت وتباعدت ﴿به مكانًا قصيًّا ﴾ أى: شاسعًا بعيداً.

قال ابن عباس: كان الحمل والولادة فى ساعة واحدة.

وقال غيره: حملت به ثمانية أشهر، وولدت لها، ولايعيش ولد فى العالم يولد لثمانية أشهر، وكان هذا معجزة لعيسى.

وفى القصة عن مريم أنها قالت: كنت إذا خلوت جعل عيسى يحدثنى، وأنا أحدثه وهو فى بطنى، وإذا كنت مع الناس، وتكلمت معهم أخذ يسبح واسمع تسبيحه.

قوله تعالى: ﴿ فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة ﴾ وقال أهل اللغة: جاءها وأجاءها بمعنى واحد، كما يقال: أذهبته وذهبت به. قال مجاهد: فأجاءها أى: فألجأها. وفى حرف ابن مسعود: «فأداها[1] المخاض إلى جذع النخلة». وفى بعض القراءة: «فَاجَأَهَا» من المفاجئة، قال الشاعر:

وجـارٍ سار معتمـــداً عليكم فاجـاءته المخافـــة والرجــــاء

والمخاض: وجع الولادة. فإن قال قائل: لم التجأت إلى جذع النخلة؟ والجواب عنه: لتستظل بها، والأصح أنها التجأت إلى النخلة، لتستند إليها، أو لتتمسك بها، فتستعين بذلك على وجع الولادة. والدليل على أن هذا القول أصح، أو أنه من المشهور أن النخلة كانت يابسة لا رأس لها، وقيل: كانت نخرة مجوفة، ومثل هذا لايستظل بها والصحيح هو القول الثانى. وعن السدى أنه قال: كانت النخلة يابسة، فلما هزت النخلة حييت، وأورقت وأطلعت ثم صار الطلع بلحًا، ثم زهواً ثم أرطبت، وتساقطت عليها.

وقوله تعالى: ﴿ قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيًّا منسيًّا ﴾

(١) وفى «ك» تحتمل أن تكون: فأتاها.

نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ

النسى فى اللغة: كل ما (إذا)[١] ألقى لم يذكر ونسى؛ لحقارته وخساسته. وقوله: ﴿نسيًّا﴾ أى: متروكًا. وعن ابن عباس قال: معناه: ياليتنى لم أخلق، ولم أك شيئًا. وعن قتادة: لم أعرف ولم أذكر. وعن مجاهد قال: دم حيضة ملقاة.

فإن قيل: لم تمنت الموت؟. والجواب: أنها تمنت الموت استحياءً من قومها. ويقال: إنها تمنت الموت، لأنها علمت أن الناس يكفرون بسبب ابنها وبسببها، فتمنت الموت حتى لايعصى اللهُ بسببها وبسبب ابنها.

قوله تعالى: ﴿فناداها من تحتها﴾ قرئ: «من» بالفتح والكسر، فأما من قرأ بالفتح فحمل الآية على أن المنادى كان جبريل. وهذا قول ابن عباس وقتادة وجماعة، وأما من قرأ بالكسر فحمل على أن المنادى هو عيسى. وهذا قول الحسن ومجاهد، وأظهر القولين أن المنادى هو جبريل، ويجوز أن تحمل القراءتان على ذلك.

وفى القصة: أن مريم كانت على أكمة، فكان جبريل وراء الأكمة تحتها.

وقوله: ﴿ألا تحزنى﴾. ألا تغتمى بالولادة من غير زوج وبالوحدة.

وقوله: ﴿قد جعل ربك تحتك سريًّا﴾ أكثر المفسرين أن السرى هاهنا هو: النهر، ويسمى سريًّا؛ لأنه يسرى فيه الماء، وقال إبراهيم النخعى: هو نهر صغير.

وفى القصة: أنه كان هناك نهر يابس فأجرى الله تعالى فيه الماء، والدليل على صحة هذا القول أن الله تعالى قال فى الآية الأخرى: ﴿فكلى واشربى﴾ أى: كلى من الرطب، واشربى من النهر، وقال الشاعر فى السرى بمعنى النهر:

سَهّل الخليفه ماجد ذى نائل ... مثـل[٢] السـرى عُـدّة الأنهـار

وفى السرى قول آخر، وهو أنه بمعنى: الشريف، والمراد به. عيسى. قال بعض المتأخرين:

(١) غير موجودة فى «ك».

(٢) وفى «ك»: مثله.

مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِ

إن الســرى إذا ســرى بنفســه وابن السرى إذا سرى أسراهما

قوله تعالى: ﴿ وهزى إليك بجذع النخلة ﴾ قد بينا هذا من قبل، وذكرنا أنها هزت وأورقت وأثمرت.

وقوله: ﴿ تساقط عليك رطبًا ﴾ أى: تتساقط، فأدغمت احدى التاءين فى الأخرى.

والجَنِىّ: هو الذى بلغ الغاية، وجاء أوان اجتنائه.

قال الكلبى: رطبًا بغباره. وعن ابن المسيب بن دارم قال: كان بَرْنِيًا، وهى أشبع التمر. وعن محمد بن كعب قال: كان عجوة.

قوله تعالى: ﴿ فكلى واشربى ﴾ أى: كلى من الرطب، واشربى من النهر.

وقوله: ﴿ وقرى عينًا ﴾ أى: طيبى نفسًا. ومنه قولهم: أقرّ الله عينك، وقيل: [أن](٣) العين إذا بكت من السرور بالدمع يكون باردًا، وإذا بكت من الحزن يكون حارًا، فمن هذا: أقر الله عينك، وأسخن الله عينه.

وقوله: ﴿ فإما ترين ﴾ معناه: فإما تَرَيْنَ، وذكر النون للتأكيد.

وقوله: ﴿ من البشر أحدًا ﴾ معلوم المعنى.

وقوله: ﴿ فقولى إنى نذرت للرحمن صومًا ﴾ قرئ فى الشاذ: «صمتًا». والمعروف: «صومًا» ومعناه هو: صمت، ويقال: إنها صامت عن الكلام والطعام جميعًا، وقيل: كان الرجل من بنى إسرائيل إذا اجتهد فى العبادة صام عن الكلام والطعام جميعًا.

والنذر عقدٌ على البر لو تم أمر.

وقوله: ﴿ فلن أكلم اليوم إنسيا ﴾ أى: أحدًا. فإن قيل: هى تكلمت بهذا، فكيف تكون صائمة عن الكلام؟

قلنا: أُذن لها فى هذا القدر من الكلام.

(١) فى «الأصل»: بأن.

قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ

قوله تعالى: ﴿ فأتت به قومها تحمله ﴾ فى القصة أنها ولدت ثم (حملته)[1] فى الحين إلى قومها، وفى بعض الروايات: أنها حملته إلى قومها بعد أربعين يومًا من ولادتها.

وقوله: ﴿ قالوا يامريم لقد جئت شيئًا فريًا ﴾ قال مجاهد: عظيمًا منكرًا، وقال أبو عبيدة: عجبًا. وقيل: مختلقًا مفتعلا. وقد روى أنها لما أتت بعيسى إلى قومها وأهل بيتها حزنوا حزنًا شديداً – وكانوا أهل بيت صالحين – وظنوا بها الظنون.

قوله تعالى: ﴿ يا أخت هارون ﴾ يا شبيهة هارون. قال قتادة: وكان هارون رجلا عابداً فى بنى إسرائيل، وليس هو هارون أخو موسى، فشبهوها به على معنى أنا ظننا وحسبنا (أنك فى)[2] الصلاح مثل هارون، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿ إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ﴾[3] أى: أشباه الشياطين.

وعن كعب: أن هارون كان من أعبد بنى إسرائيل وأمثلهم، قال: ولما توفى صلى على جنازته أربعون ألفًا، كلهم يسمون هارون سوى سائر الناس، وكانوا يسمون أولادهم باسمه لحبهم إياه.

وروى المغيرة بن شعبة «أن النبى ﷺ لما (بعثه)[4] إلى نجران قال له نصارى نجران: إنكم تقرءون: يا أخت هارون! بين مريم وهارون كذا وكذا من السنين، فلم يدر المغيرة كيف يجيب، فلما رجع إلى النبى ﷺ ذكر ذلك له، فقال: ألا قلت لهم: كانوا يسمّون باسم أنبيائهم وصالحيهم». رواه مسلم فى صحيحه[5].

وفى الآية قول آخر: وهو أن المراد بهارون: أخو موسى، وهذا كما يقول القائل:

(١) فى «ك»: خلقه!

(٢) فى «ك»: أن تكون.

(٣) الإسراء: ٢٧.

(٤) فى «ك»: بعث.

(٥) رواه مسلم فى صحيحه (١٤/١٦٥رقم٢١٣٥)، والترمذى (٥/٢٩٥ رقم٣١٥٥) وقال: صحيح غريب لانعرفه إلا من حديث ابن إدريس، والنسائى فى الكبرى (٦/٣٩٣رقم١١٣١٥).

سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا

أخا تميم، أو يا أخا ثعلب، إذا كان من أولاده، وقد كانت مريم من أولاد هارون. والقول الثالث: أن هارون كان رجلا فاسقًا فى بنى إسرائيل عظيم الفسق، فشبهوها به.

وفى الآية قول رابع: أن هارون كان أخا مريم لأبيها، فعلى هذا المراد من الأخوة فى النسب.

وقوله: ﴿ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيًّا﴾ أى: زانية. ومعناه: كيف جئت مفسدة زانية من أبوين صالحين؟.

قوله تعالى: ﴿فأشارت إليه﴾ معناه: فأشارت إليه أى: كلموه. قال ابن مسعود: لما لم يكن لها حجة أشارت إليه؛ لتبرئ ساحتها، ويكون كلامه حجة (لها)[1].

وفى القصة: أنها لما أشارت إليه غضب القوم، وقالوا: مع ما فعلت تهزئين وتسخرين بنا.

وقوله تعالى: ﴿قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيًّا﴾ فإن قيل: أيش معنى قوله: ﴿كان فى المهد صبيا﴾، وما من رجل من العالم إلا كان فى المهد صبيا؟! والجواب عنه: قال أبو عبيدة: كان صِلَةٌ، ومعنى الآية: كيف نكلم صبيا فى المهد؟[2]. وقال الزجاج: هذا على طريق الشرط، أى: من هو صبى فى المهد كيف نكلمه؟.

ومعنى «كان»: هو، أو معنى «كان»: صار، وهذا اختيار [ابن][3] الأنبارى.

قوله تعالى: ﴿قال إنى عبد الله﴾ فى التفسير: أن مريم لما أشارت إليه فكان يرتضع من ثديها فترك الثدى، وأقبل على (القوم، واتكأ على)[4] يساره، وجعل يشير بيمينه، وقال هذا القول.

وقوله: ﴿إنى عبدالله﴾ أقر بالعبودية أولا؛ لئلا يتخذ إلهًا.

---

(١) كلمة لها غير موجودة فى «ك».

(٢) فى «ك»: كيف نكلم فى المهد صبيا فى المهد؟.

(٣) من «ك».

(٤) ما بين القوسين غير موجود فى «ك».

﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ
وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا

وقوله: ﴿آتانى الكتاب﴾. أى: الإنجيل. والأكثرون على أنه أوتى الإنجيل وهو صغير طفل؛ إلا أنهم قالوا: كان يعقل عقل الرجال. هذا قول الحسن وغيره من السلف، وعن الحسن أنه قال: جعل نبيا، وآوتى الإنجيل، وهو فى بطن أمه.

وقال بعضهم: ﴿آتانى الكتاب﴾ أى: سيؤتينى الكتاب، ويجعلنى[1] نبيًا إذا صرت رجلا. والصحيح هو الأول. وقال بعضهم: كان فى ذلك الوقت على وصف آدم فى العقل والعلم دون القامة والجُثة.

وعن سعيد بن جبير قال: أسلمته أمه إلى المعلم، فقال المعلم: قل: بسم. فقال: الله.

فقال: قل: الرحمن. قال: الرحيم. فجعل كلما ذكر أسمًا ذكر هو الذى يليه، فقال المعلم: هذا أعلم منى، ثم جعل يخبر الصبيان بما خبأت أمهاتهم فى البيوت، فجعل الصبيان يرجعون إلى بيوتهم ويأخذونها، فضجت الأمهات من ذلك.

فقوله: ﴿وجعلنى مباركاً﴾[2] أى: نفاعًا معلمًا للخير، وقال الضحاك: قضاءً للحوائج.

وقال الثورى: آمرًا بالمعروف وناهيا عن المنكر.

وقوله: ﴿أينما كنت﴾ أى: حيث كنت.

وقوله: ﴿وأوصانى بالصلاة والزكاة﴾ أى: أمرنى بالصلاة والزكاة. فإن قيل: لم يكن لعيسى مال، فكيف يؤمر بالزكاة؟ والجواب: أن معناه أمرنى بالزكاة لوكان لى مال، وقيل: أمرنى بالزكاة أى: بالطهارة من الذنوب، ويقال: بالاستكثار من الخير.

وقوله: ﴿مادمت حيًّا﴾ أى: ماحييت.

قوله تعالى: ﴿وبرا بوالدتى﴾ أى: رءوفًا عطوفًا بوالدتى.

(١) فى «ك»: جعلنى.

(٢) فى «ك»: ﴿وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا﴾.

﴿٣٢﴾ وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾

وقوله: ﴿ولم يجعلنى جباراً شقيًا﴾ الجبار: المتكبر، والشقى هو الذى يعصى الله، ويقال: الجبار هو الذى يقتل، ويضرب على الغضب، وهذا قول معروف، ويقال: الجبار هو الذى يظلم الناس، والشقى هو الذى يذنب، ولايتوب من الذنب .

قوله تعالى: ﴿والسلام على يوم ولدت﴾ معناه: التحية والحفظ من الله لى يوم ولدت ﴿ويوم أموت ويوم أبعث حيا﴾ وقال بعضهم: السلام بمعنى السلامة عند الولادة، هو السلامة من طعن الشيطان وهمزه، والسلامة عند الموت هو من الشرك، فإن أكثر الشرك يكون عند الموت، والسلامة يوم القيامة من الأهوال .

وقيل: السلامة عند الموت من ضغطة القبر، وقيل: سلامة عند الموت بالوصول إلى السعادة .

قوله تعالى: ﴿ذلك عيسى ابن مريم﴾ يعنى: هذا عيسى ابن مريم ﴿قول الحق الذى فيه يمترون﴾. يعنى: هذا القول هو القول الحق، وقوله ﴿الذى فيه يمترون﴾ أى: يختلفون .

قوله تعالى: ﴿ما كان لله أن يتخذ من ولد﴾ معناه: مايصلح لله، وماينبغى أن يتخذ من ولد. فإن قيل: هلا قال ولداً؟ قلنا: قال من ولد للمبالغة؛ فإن الرجل قد يقول: ما اتخذ فلان فرساً يريد العدد، وإن كان قد اتخذ واحداً. فإذا قال: ما اتخذ فلان من فرس، يكون ذلك نفيا للواحد والعدد. وقد بينا أن الولد يكون من جنس الوالد، والله لاجنس له .

وقوله سبحانه: ﴿إذا قضى أمراً﴾ قد بينا معنى القضاء.

وقوله: ﴿فإنما يقول له كن فيكون﴾ قد ذكرنا أيضًا.

وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ

قوله تعالى: ﴿وإن الله ربى وربكم﴾. أكثر المفسرين أن[1] هذا بناء على قول عيسى عليه السلام، ومعناه: قال إنى عبدالله... إلى آخره، وقال: إنَّ الله ربى وربكم، وأما أَنَّ بالفتح معناه: وأخبر بأن الله ربى وربكم، وقيل تقديره: ولأن الله ربى وربكم، فاعبده، والعامل قوله: ﴿فاعبدوه﴾.

وقوله: ﴿فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿فاختلف الأحزاب من بينهم﴾ قال قتادة وابن جريج وغيرهما: لما رفع عيسى عليه السلام إلى السماء، اختار بنو إسرائيل أربعة من رءوسهم، وسألوهم عن عيسى، فاختلفوا، فقال أحدهم[2]: كان هو الله نزل من السماء، وصار فى بطن مريم، وأحيا وأمات، ثم صعد إلى السماء. فقال الآخرون: كذبت، وهذا قول اليعقوبية من النصارى.

وقال الثانى: كان هو ابن الله، فقال الآخران: كذبت. وهذا قول النسطورية من النصارى.

وقال الثالث: كان ثالث ثلاثة: الله ومريم وعيسى، فعيسى أحد الأقانيم الثلاثة، وهذا قول الملكانية من النصارى، قال الرابع: كذبت. ثم إن الرابع قال: هو عبدالله ورسوله، وتبع كلٌّ واحد جماعة فاقتتلوا، وظهر على المسلمين، وبقى الأقوال الثلاثة من النصارى. فهذا معنى قوله تعالى: ﴿فاختلف الأحزاب من بينهم﴾.

وقوله: ﴿فويل للذين كفروا﴾. قد بينا معنى الويل.

وقوله: ﴿من مشهد يوم عظيم﴾ يعنى: يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿أسمع بهم وأبصر﴾ يعنى: ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة. وإنما

(١) فى «ك»: على أن.

(٢) فى «ك»: بعضهم.

وصفهم بهذا؛ لأنه تعالى كان وصفهم بالبكم والعمي والصمم فى الدنيا، فأخبر أنهم يسمعون ويبصرون فى الآخرة، مالم يسمعوا ويبصروا فى الدنيا. ويقال: وصفهم بشدة السمع والبصر فى الآخرة بحصول الإدراك بغير رؤية ولافكر.

وقوله: ﴿يوم يأتوننا﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين﴾ أى: خطأ بين.

ويقال قوله: ﴿أسمع بهم وأبصر﴾ تهديد ووعيد ومعناه: أنهم يسمعون ماتصدع قلوبهم، ويرون مايهلكهم.

وقوله تعالى: ﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾ معناه: يوم الندامة، ويقال: كل الناس يندمون يوم القيامة؛ أما المسئ فيندم هلا أحسن، وأما المحسن فيندم هلا ازداد (حسنًا)(١). وأما قول أكثر المفسرين فى الآية: هذه الحسرة حيث يذبح الموت على الصراط، وقد صح الخبر برواية أبى هريرة، وأبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ، أنه قال:

«اذا أدخل الله أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار ينادى منادٍ: ياأهل الجنة، فيشرفون وينظرون، وينادى: ياأهل النار، فيشرفون وينظرون؛ فيؤتى بالموت على صورة كبش أملح، فيقال لهم: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعرفه، هذا هو الموت فيذبح». وفى رواية أبى هريرة: «يذبح على الصراط» ثم يقال: يا أهل الجنة خلود (ولاموت)(٢)، ويا أهل النار، خلود فلاموت». وفى بعض الروايات: «لومات أهل الجنة لماتوا فرحًا، ولومات أهل النار لماتوا حزنا، ثم قرأ النبى ﷺ: ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر﴾.. الآية»(٣).

(١) فى «ك»: حسناته.

(٢) فى «ك»: فلا موت.

(٣) حديث أبى سعيد الخدرى متفق عليه بنحوه، رواه البخارى (٨/ ٢٨٢ رقم٤٧٣٠)، ومسلم (١٧/ ٢٦٩-٢٧٠ رقم٢٨٤٩). وحديث أبى هريرة رواه البخارى (١١/ ٤١٤/رقم: ٦٥٤٥)، وابن ماجة (٢/ ١٤٤٧ رقم٤٣٢٧) وقال البوصيرى: إسناده صحيح، وأحمد (٢/ ٢٦١، ٣٤٤، ٣٧٨)، وابن حبان (١٦/رقم٧٤٥٠) بنحوه، وبعضهم مختصراً.

وقوله: «لو مات أهل ... حزنًا» عند الترمذى من رواية أبى سعيد: وقال: حسن صحيح.

وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي

وقوله: ﴿قضى الأمر﴾ أى: فرغ من الأمر.

وقوله: ﴿وهم فى غفلة﴾ معناه: وهم فى غفلة فى الدنيا عما يعمل بهم فى الآخرة.

وقوله: ﴿وهم لايؤمنون﴾ أى: لايصدقون.

قوله تعالى: ﴿إنا نحن نرث الأرض ومن عليها﴾ الآية. معناه: إنا نميت سكان الأرض، ونهلكهم، فتكون الأرض ومن عليها لنا وفى حكمنا. ومعنى الإرث: هو أنه لايبقى لأحد ملك ولاسبب سوى الله.

قوله: ﴿وإلينا يرجعون﴾ أى: يردُّون.

قوله تعالى: ﴿واذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صديقًا﴾ الصديق هو: الكثير الصدق، القائم عليه. ويقال: من صدَّق اللهَ فى وحدانيته، وصدق أنبياءه ورسله، وصدق بالبعث، وقام بالأوامر فعمل بها؛ فهو صديق.

وقوله: ﴿نبيا﴾ النبى هو: العالى فى الرتبة بإرسال الله إياه، وإقامة الدليل على صدقه.

قوله تعالى: ﴿إذ قال لأبيه يا أبت﴾ معناه: يا أبى، فأقيمت التاء مقام ياء الإضافة.

وقوله: ﴿لم تعبد ما لايسمع ولايبصر ولا يغنى عنك شيئًا﴾ أى: لايسمع إن دعوته، ولايبصر إن أتيته ﴿ولا يغنى عنك شيئا﴾ لايدفع عنك، ومعناه: لايغيثك إن استغثت به.

قوله تعالى: ﴿يا أبت إنى قد جاءنى ما لم يأتك﴾ أى: من العلم والمعرفة بالله مالم يأتك.

أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا
﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ
أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَامٌ

﴿ فاتبعنى أهدك ﴾ أرشدك ﴿ صراطًا سويًّا ﴾ مستقيمًا .

قوله تعالى : ﴿ يا أبت لاتعبد الشيطان ﴾ معناه : لاتطع الشيطان فيما يزين لك من الكفر والشرك .

وقوله : ﴿ إن الشيطان كان للرحمن عصيًّا ﴾ أى : عاصيًا .

قوله تعالى : ﴿ يا أبت إنى أخاف ﴾ الخوف ها هنا بمعنى : العلم، ومعناه : إنى أعلم أنه ﴿ يمسك عذاب من الرحمن ﴾ إن أقمت على الكفر .

﴿ فتكون للشيطان وليا ﴾ يعنى : يلزمك ولايةً أى : موالاة الشيطان وتكون مثله . وقيل : فَتُوكَل إلى الشيطان، ويخذلك الله .

قوله تعالى : ﴿ قال أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم ﴾

فى القصة : أن أبا إبراهيم كان ينحت الصنم ويعبده، وكان يعطى الأصنام بنيه يبيعونها، فكان إذا أعطى إبراهيم صنمًا يبيعه، فيقول إبراهيم : من يشترى منى مايضره ولاينفعه؟! فيرجع وما باع، ويرجع سائر البنين وقد باعوا .

وقوله : ﴿ قال أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم ﴾ يقال : رغب عن الشئ إذا تركه، ورغب (فى الشئ إذا طلبه)[1] .

وقوله : ﴿ لئن لم تنته ﴾ يعنى : عن عملك . ﴿ لأرجمنك ﴾ . قال الحسن البصرى : لأقتلنك بالحجارة، وقال غيره : لأشتمنك، ولأبعدنك عن نفسى بالشتم والقبح من القول »، وهذا أعرف القولين . وقوله : ﴿ واهجرنى مليّا ﴾ قال الحسن : زمانا طويلا . وقال عكرمة : دهرًا .

---

(١) ما بين القوسين ساقط من « ك » .

عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ

قال مهلهل شعراً:

فتصدعت صم الجبال لموته　　　وبكت عليه المرملات مليًّا

ومنه: الملوان هو الليل والنهار. ويقال: مليًّا أى: سليمًا سويًّا من عقوبتى وإيذائى، وحكى هذا عن ابن عباس، ومنه: فلان مَلِى بأمر كذا، إذا كان كاملا فيه.

قوله تعالى: ﴿قال سلام عليك﴾.

قال بعضهم: هذا سلام هجران ومفارقة. وقال بعضهم: هو سلام بر ولطف، وهو جواب حليم لسفيه، قال الله تعالى: ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾[1].

ويقال: معنى قوله: ﴿سلامًا﴾ أى: سلامة لك منى؛ لأنه لم يكن أمر بقتاله.

وقوله: ﴿سأستغفر لك ربى﴾. فيه قولان: أحدهما: سأستغفر لك ربى إن آمنت، والقول الثانى: سأسأل الله لك التوبة التى توجب المغفرة، وقد كانت توبته هى الإيمان. وقوله: ﴿إنه كان بى حفيًّا﴾ أى: عوّدنى الإجابة لدعائى. وقيل: محبا.

قول تعالى: ﴿وأعتزلكم﴾ [هذا الأعتزال][2] هو: تركهم فى مهاجرته إلى الشام على ما قال فى موضع آخر: ﴿وقال إنى مهاجر إلى ربى﴾[3].

وقوله: ﴿وماتدعون من دون الله﴾ أى: تعبدون من دون الله.

وقوله: ﴿وأدعو ربى﴾ أى: وأعبد ربى.

وقوله: ﴿عسى ألا أكون بدعاء ربى شقيا﴾ عسى من الله واجب، والدعاء بمعنى العبادة، والشقاوة: الخيبة من الرحمة.

قوله تعالى: ﴿فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق﴾

---

(١) الفرقان: ٦٣.

(٢) فى «الأصل»: هذا هو الاعتزال هو. والمثبت من «ك».

(٣) العنكبوت: ٢٦.

اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا

﴿ ويعقوب ﴾ هو ابن إسحاق(١) .

ومعناه : أنا أعطيناه أولادًا كرامًا بررة عوض الذين(٢) كان يدعوهم إلى عبادة الله فلم يجيبوا .

وقوله : ﴿ وكلا جعلنا نبيًّا ﴾ يعنى : إسحاق ويعقوب .

﴿ ووهبنا لهم من رحمتنا ﴾ يعنى : أنعمنا عليهم، وأعطيناهم من كرامتنا ونعمنا .

وقوله : ﴿ وجعلنا لهم لسان صدق عليا ﴾ أى : ثناءً حسنًا إلى يوم القيامة، وقد بينا أن كل أهل الأديان يتولون : إبراهيم، فهو الثناء الحسن إلى يوم القيامة .

قوله تعالى : ﴿ واذكر فى الكتاب موسى إنه كان مخلصًا ﴾ وقرئ : « مخلَصًا » « مخلِصًا » بالفتح والكسر، فبالكسر أى : موَحِداً لله وبالفتح أى : مختاراً من الله تعالى . وقيل : مُخْلَصًا أى : خالصًا، وهو مثل قوله تعالى : ﴿ ورجلا سلمًا لرجل ﴾(٣) أى : خالصًا لرجل .

وقوله : ﴿ وكان رسولا نبيا ﴾ . قيل : الرسول والنبى واحد، وقد فرق بينهما، وقد بينا من قبل .

قوله تعالى : ﴿ وناديناه من جانب الطور الأيمن ﴾ الطور : جبل بين مصر ومدين، ويقال : اسمه الزَّبِيْرُ .

وقوله : ﴿ الأيمن ﴾ وقيل : يمين الجبل، وقيل : يمين موسى، والأصح يمين موسى؛ لأن الجبل ليس له يمين ولاشمال .

---

(١) فى (ك) : هو إسحاق وهو ابن إسحاق كذا .

(٢) فى « ك » : الدنيا كذا! .

(٣) الزمر : ٢٩ .

﴿٥١﴾ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا

وقوله: ﴿وقربناه نجيا﴾ قال ابن عباس: أدناه حتى سمع صرير القلم، وقيل: صريف القلم. وفي رواية: رفعه على الحجب.

ويقال: قربناه نجيا أى: كلمناه، والتقريب ها هنا هو التكلم، وأما النجى فهو المناجى، وكأن معناه على هذا القول: أن الله يكلمة، وهو يكلم الله .

قوله تعالى: ﴿ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا﴾ قال أهل التفسير: إنما سمى نبوة هارون هبةً لموسى؛ لأن موسى كان قال: ﴿واجعل لى وزيراً من أهلى. هارون أخى﴾(١) .

قوله تعالى: ﴿واذكر فى الكتاب إسماعيل﴾. الأكثرون أن هذا: إسماعيل بن إبراهيم أبو النبى ﷺ، وقال بعضهم: هو إسماعيل بن حزقيل، نبى آخر؛ فإن إسماعيل بن إبراهيم توفى قبل إبراهيم. والصحيح هو القول الأول، وقد كان بعث إلى جرهم [وهى](٢) قبيلة، وأما وفاته قبل إبراهيم لاتعرف.

وقوله: ﴿إنه كان صادق الوعد﴾ قال سفيان: لم يعد الله شيئًا من نفسه إلا وفّى به، ومن المعروف أنه وعد إنسانًا شيئًا فأنتظره ثلاثة أيام فى مكان واحد، فسمى صادق الوعد، ويقال: انتظره حولا .

وعن سفيان الثورى أنه قال: إن للكذب أطرافًا، وأعظم الكذب إخلاف المواعيد، واتهام الأبرياء.

وفى بعض الأخبار: «أن النبى ﷺ بايع رجلاً قبل الوحى، فقال له ذلك الرجل: مكانك يامحمد، حتى أرجع إليك، وذهب ونسى، ثم مرَّ بذلك المكان بعد ثلاثة أيام، فوجد النبى ﷺ جالساً، فقال له النبى ﷺ: أتعبتنى أيها الرجل، أنا أنتظرك

(١) طه: ٢٩ - ٣٠.

(٢) فى «الأصل»: وهو.

﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ

منذ ثلاث »[1] .

وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه جعل اخلاف الوعد ثلث[2] النفاق[3].

وعن زيد بن أرقم، أن من وعد إنسانًا ومن نيته أن يفى به، ثم لم يتفق الوفاء، فإنه لايدخل فى هذا الوعيد.

وروى[قباث][4] بن أشيم أن النبى ﷺ قال: « العدة عطية ». هو خبر غريب[5].

وقوله: ﴿ وكان رسولاً نبيًا ﴾ قد بينا.

قوله: ﴿ وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة ﴾ قرأ ابن مسعود: « وكان يأمر قومه[6] بالصلاة » .

وقال أهل التفسير: إن معنى قوله: ﴿ وكان يأمر أهله ﴾ أى: أمته، وإن أمة كل نبى أهلوه.

وقوله: ﴿ وكان عند ربه مرضيا ﴾ أى: مختارا ومعناه: رضيه الله لنبوته ورسالته .

---

(١) رواه أبو داود (٤ / ٢٩٩ / رقم: ٤٩٩٦)، وابن سعد (٧ / ٤٢)، وابن حبان فى المجروحين (٢ / ١٤٥)، والبيهقى فى السنن (١٠ / ١٩٨)، وابن الجوزى فى العلل (٢ / ٧٢٦) وقال: لايصح، جميعهم من حديث عبد الله بن أبى الحمساء.

(٢) فى « ك »: ثلاث النفاق، وهو خطأ.

(٣) قد تقدم.

(٤) فى « الأصل، وك »: قباثة، والصواب ما أثبتناه، كما فى الإصابة (٣ / ٣٢١) وغيره.

(٥) رواه الطبرانى فى الأوسط (مجمع البحرين ٤ / ١٢٤ - ١٢٥رقم٢٢٠٠) وقال: لايروى عن قباث إلا بهذا الإسناد تفرد به أصبغ. وقال الهيثمى (٤ / ١٦٩-١٧٠ المجمع): فيه أصبغ بن عبد العزيز الليثى قال أبو حاتم: مجهول، وقال العراقى فى المغنى (٢ / ١٧٤): رواه الطبرانى فى الأوسط بسند ضعيف. وروى من حديث ابن مسعود عند القضاعى فى مسند الشهاب (١ / ٣٩ - ٤٠رقم٦)، وأبو نعيم فى الحلية (٨ / ٢٥٩)، وابن أبى حاتم فى العلل (٢ / ٤٣٧ رقم ٢٨١٤) وقال أبو حاتم: باطل. وروى عن الحسن مرسلا كما فى المطالب لابن حجر (١ / ٢٦٥)، والمغنى للعراقى (٣ / ١١٥).

(٦) فى « ك »: أهله.

إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ

قوله تعالى: ﴿ واذكر في الكتاب إدريس ﴾. قيل: إدريس هو أبو جد نوح[(١)]. يسمى إدريس لكثرة درسه الكتب.

وقال محمد بن إسحاق: هو أول من خط بالقلم، وأول من لبس الثياب، وكان من قبله يلبسون الجلود، وأول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار.

قوله: ﴿ إنه كان صديقا نبيا ﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿ ورفعناه مكانًا عليا ﴾ قد ثبت برواية أنس أن النبي ﷺ قال: «رأيت إدريس ليلة المعراج في السماء الرابعة».[(٢)] فهو قوله تعالى: ﴿ ورفعناه مكانا عليا ﴾ في الجنة يعني: رفعه.

وقيل: هي الرفعة بعلو المرتبة. واختلف القول في أنه في السماء الرابعة حي أم ميت: أحد القولين: أنه حيّ.

قال قوم من أهل العلم: أربعة من الأنبياء في الأحياء، اثنان في السماء، واثنان في الأرض، أما اللذان في السماء: فإدريس، وعيسى، وأما اللذان في الأرض: فالخضر، وإلياس.

والقول الثاني: إن إدريس ميت. قال كعب الأحبار: كان لإدريس صديق من الملائكة، فقال له: إني أحب أن أعرف متى أموت؛ لأزداد من العمل، فهل لك أن تسأل ملك الموت؟ فقال: أسأله وأنت تسمع، ثم رفعه تحت جناحه إلى السماء، وجاء إلى ملك الموت، فقال: هل تعرف أن إدريس متى يموت؟ فقال: حتى أنظر، ثم

(١) في «ك»: هو جد أبو نوح.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٢٧٤ - ٢٨٠ رقم ٢٥٩)، وأحمد في مسنده (٣/ ١٤٨ - ١٤٩) كلاهما مطولا من حديث ثابت عن أنس. ورواه الترمذي في سننه (٥/ ٢٩٦/ رقم ٣١٥٧) وقال: حسن. وابن المنذر، وابن مردويه - كما في الدر (٤/ ٣٠١) - من حديث قتادة عن أنس به. وقد تقدم من حديث مالك بن صعصعة، وهو في الصحيحين، في أول سورة الإسراء.

عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ فَخَلَفَ مِنْ

استخرج كتابًا، ونظر فيه، فقال: بقى من عمره ست ساعات - وفى رواية لحظة - وقبض روحه ثمة، فهو معنى قوله: ﴿ورفعناه مكانا عليا﴾ وهذا قول معروف.

قوله: ﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم﴾ والمراد من ذرية آدم: إدريس.

وقوله: ﴿وممن حملنا مع نوح﴾. أى: ومن ذرية من حملنا مع نوح، والمراد منه: إبراهيم؛ لأنه كان من ولد سام بن نوح.

وقوله: ﴿ومن ذرية إبراهيم﴾ المراد منه: إسماعيل وإسحاق ويعقوب.

وقوله تعالى: ﴿وإسرائيل﴾. أى: من ذرية إسرائيل، والمراد منه: موسى وداود وسليمان ويوسف وعيسى، وكل أنبياء بنى إسرائيل.

وقوله: ﴿وممن هدينا واجتبينا﴾ هذا يرجع إلى الأولين، ومعناه: أنا هديناهم، واختبرناهم، وهؤلاء ذريتهم.

وقوله: ﴿إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً﴾ أى: سقطوا، وقيل: وقعوا بوجوههم ساجدين، والسُّجد جمع ساجد.

وقوله: ﴿وبكيا﴾ أى: باكين.

وروى أن النبى ﷺ مر على رجل، وهو ساجد يدعو، فقال: «هذا السجود وأين البكاء»؟! (١).

قوله تعالى: ﴿فخلف من بعدهم خلف﴾ الخَلْف: الردئ من القوم. والخَلَف

---

(١) لم أقف عليه مرفوعًا، وإنما عزاه السيوطى فى الدر (٤ / ٣٠٤) لابن أبى الدنيا فى الرقة والبكاء، وابن جرير - (١٦ / ٧٣ - ٧٤) - وابن أبى حاتم، والبيهقى فى الشعب عن عمر بن الخطاب أنه قرأ سورة مريم فسجد، ثم قال: هذا السجود، فأين البكى؟!

بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾

الصالح فى القوم. والخَلف هو الذى يخلف غيره، وذكر الفراء والزجاج أنه يجوز أن يستعمل أحدهما مكان الآخر.

وقوله: ﴿أضاعوا الصلاة﴾. فيه قولان: أحدهما: أخروها عن وقتها، والآخر: تركوها أصلا. وعن ابن شوذب: هو التأخير عن الوقت، ولو تركوها أصلا لكفروا.

وقال عمر بن عبد العزيز: هو شربهم الخمر، وتركهم الصلاة.

وقال مجاهد: هؤلاء قوم يظهرون فى آخر الزمان ينزوا بعضهم على بعض فى الأسواق والأزقة، وقيل: هم الزناة. ويقال: أضاعوا الصلاة باتباع الشهوات.

وقوله: ﴿فسوف يلقون غيًّا﴾ قيل: الغى واد فى جهنم، وقيل: غيًّا: هلاكًا، وقيل: غيًّا: جزاء غيهم. شعر:

ومـن يلـق خيـراً يحمـد الناس أمره ... ومن يغو لايعدم على الغي[1] لائما

قوله تعالى: ﴿إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة ولايظلمون شيئًا﴾. أى: لاينقصون شيئًا.

قوله: ﴿جنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب﴾ معناه: جنات إقامة، يقال: عدن بالمكان إذا أقام.

وقوله: ﴿التى وعد الرحمن عباده بالغيب﴾ أى: بالمغيب.

وقوله: ﴿إنه كان وعده مأتيا﴾. مفعول فى الإتيان، وكل ماأتيته فقد أتاك، والعرب لاتفرق بين أن يقول القائل: أتيت على خمسين سنة أو يقول: أتت علىّ خمسون سنة، وكذلك لاتفرق بين أن يقول القائل: وصل الخير إلىّ، وبين أن يقول:

---

(١) فى (ك): «على الناس»

وصل إلىّ الخير.

ويقال معنى قوله: («آتيا» أى: «مأتيا»)[1] مفعول بمعنى الفاعل.

قوله تعالى: ﴿لايسمعون فيها لغوا إلاسلامًا﴾.

اللغو: هو الفاسد من الكلام، وما لامعنى له، وقيل: هو الهذر من القول، وقيل: القبيح منه، وقيل: هو الحلف الكاذبة.

وقوله: ﴿إلا سلامًا﴾. معناه: لكن يسمعون سلامًا. فإن قيل: أيجوز استثناء السلام من اللغو؛ وهو ليس من جنسه؟ قلنا: هو استثناء منقطع كما بينا. وذكر الأزهرى أن تقديره: لايسمعون فيها لغواً، لايسمعون إلا سلامًا. وأما السلام فهو تسليم بعضهم على بعض، وقيل: تسليم الله عليهم. ويقال: هو قول يَسْلمون منه. والسلام اسم لكلام جامع للخيرات، ومنهم من قال: هو اسم لكلام يتصل به السلامة[2].

وقوله: ﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا﴾ فإن قيل: مامعنى قوله: ﴿بكرة وعشيًا﴾، وليس فى الجنة ليل ولانهار؟! والجواب عنه أن معناه: بكرة وعشيا أى: على مقادير البكر والعشايا.

ويقال: إنه يعرف وقت النهار برفع الحجب وفتح الأبواب، ووقت الليل بإسبال الحجب وغلق الأبواب.

والقول الثانى: أن معنى قوله: ﴿بكرة وعشيا﴾ أى: لهم فيها رفاهة العيش؛ الرزق الواسع من غير تضييق ولاتقتير.

وكان الحسن البصرى إذا قرأ هذه الآية قال: لقد علمت العرب أن أرفه العيش هو الرزق بالبكرة والعشية، ولايعرفون من الرفاهية فوق هذا.

(١) كذا فى النسختين، والظاهر العكس: مأتيا أى آتيا».

(٢) فى «ك»: هو لكل كلام يتصل به السلامة.

نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا

قوله تعالى: ﴿تلك الجنة التى نورث من عبادنا﴾ فيه قولان: أحدهما: يُعطى وينول، والقول الآخر: أنه ما من أحدٍ من الكفار إلا وله منزل فى الجنة وأهل لو أسلم، فإذا لم يسلم ورثه المؤمنون.

وقوله: ﴿من كان تقيا﴾ قيل: مُخْلصًا.

قوله تعالى: ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك﴾. قد ثبت برواية عمر(١) بن ذر، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أن جبريل، أبطأ على النبى ﷺ، فلما نزل، قال: «ياجبريل لو زرتنا أكثر مما تزورنا، فقال جبريل: وما نتنزل إلا بأمر ربك»(٢).

وفى بعض الروايات أن النبى ﷺ قال له: «ياجبريل، قد كنتُ مشتاقًا إليك، (فقال: يامحمد، وأنا والله قد كنت مشتاقًا إليك)(٣)، ولكن ما نتنزل إلا بأمر ربك»(٤).

وروى أنه أبطأ [اثنتا عشرة](٥) ليلة، وروى أكثر من هذا، والله أعلم.

وقوله: ﴿له مابين أيدينا وما خلفنا﴾. يعنى: له عِلْمُ مابين أيدينا وما خلفنا. وفى الآية أقوال:

أحدها: مابين أيدينا يعنى: الآخرة، وماخلفنا: مامضى من الدنيا، وما بين ذلك: من الساعة إلى النفخة.

والقول الثانى: مابين أيدينا: ما قابلناه وواجهناه، وما خلفنا: مااستدبرناه وجاوزناه

(١) فى «ك»: عمرو، وهو خطأ.

(٢) رواه البخارى (٦/٣٥٢ رقم٣٢١٨، ٤٧٣١، ٧٤٥٥)، والترمذى (٥/٢٩٦رقم٣١٥٨)، والنسائى فى الكبرى (٦/٣٩٤/ رقم١١٣١٩).

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ك».

(٤) رواه ابن جرير عن قتادة مرسلا بنحوه (١٦/٧٨)، ورواه عبد بن حميد، وابن أبى حاتم عن عكرمة مرسلا بنحوه (الدر ٤/٣٠٦).

(٥) فى «الأصل، وك»: اثنا عشر، والصواب ما أثبتناه.

وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ

(بين)[١] الوقت ومابين ذلك، الحال.

والقول الثالث: ما بين أيدينا: الأرض، وما خلفنا: السموات، وما بين ذلك: الهواء.

والقول الرابع: مابين أيدينا: بعد أن نموت، وماخلفنا: قبل أن نخلق، ومابين ذلك. مدة الحياة.

وقوله: ﴿وماكان ربك نسيا﴾. أى: مانسيك ربك، ومعنى نسيك أى: تركك.

قوله تعالى: ﴿رب السموات والأرض ومابينهما﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿فاعبده﴾ أى: وحِّده.

وقوله: ﴿واصطبر لعبادته﴾ أى: اصبر على عبادته.

وقوله: ﴿هل تعلم له سميا﴾ قال ابن عباس: هل تعلم أحداً يسمى «الرحمن» غير الله؟ وقيل: يسمى «الله» غير الله، وقال قتادة: هل تعلم له سميا؟ أى: مثلا، وقال بعضهم: سميا أى: ولداً.

قوله تعالى: ﴿ويقول الإنسان أإذا مامت﴾ قالوا: نزلت الآية فى أبىٍّ بن خلف.

وقوله: ﴿لسوف أخرج حيًّا﴾ أى: أسوف أخرج حيًّا؟

قوله تعالى: ﴿أولا يذكر﴾ قرأ أبى بن كعب: «أولا يتذكر الإنسان» ومعناه: أولا يتفكر، ولاينظر ﴿الإنسان﴾.

وقوله: ﴿أنا خلقناه من قبل ولم [يك][٢] شيئًا﴾. ومعناه: أنا لما قدرنا على إنشاء خلقهم، فنحن على الإعادة أقدر.

(١) كذا، ولعلها: من.

(٢) من «ك»، وفى «الأصل»: يكن.

وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا

قوله تعالى: ﴿ فوربك لنحشرنهم والشياطين ﴾. في الخبر: أنه يحشر كل كافر مسلسلا مع شيطان.

وقوله: ﴿ ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيًا ﴾ أي: جاثين على الركب. قال السدي: قاعين على الركب من ضيق المكان، «وحول جهنم» هو عين جهنم.

قوله تعالى: ﴿ ثم لننزعن من كل شيعة ﴾ أي: لنستخرجن ونأخذن من كل شيعة، أي: من كل أمة وأهل دين من الكفار.

وقوله: ﴿ أيهم أشد على الرحمن عتيا ﴾ أي: الأعتى فالأعتى، ومعنى الآية: أنا نقدم في إدخال النار من هو أكثر جرمًا، وأشد أمرًا، وقال أهل اللغة: وقوله: ﴿ عتيا ﴾ أي: افتراءً بلغة تميم. ويقال: هؤلاء هم قادة الكفر ورؤساؤه، وفي بعض الآثار: أنهم يحضرون جميعا حول جهنم مسلسلين مغلولين، ثم يقدم الأكفر فالأكفر.

قوله تعالى: ﴿ ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا ﴾ أي: أحق دخولا. ويقال: الذين هم أشد عتوا أولى بها صليا، فهذا تقدير الآية.

قوله تعالى: ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ معناه: وما منكم إلا واردها. واختلفوا فيما ينصرف إليه قوله: ﴿ واردها ﴾ قال ابن عباس: هي النار، قال: والورود هو الدخول، وقال: يدخلها البر والفاجر، ثم ينجو البر، ويبقى الفاجر. وروى سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار قال: تمارا ابن عباس ونافع بن الأزرق(١) في الورود، فقال ابن عباس: هو الدخول، وتلا قوله تعالى: ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ﴾(٢) ثم قال: يا نافع، أنا وأنت داخلها، وأرجو أن ينجيني الله منها، ولا

(١) في «ميزان الاعتدال»: نافع بن الأزرق الحروري من رءوس الخوارج ذكره الجوزجاني في كتاب الضعفاء. وزاد الحافظ ابن حجر في اللسان: وإليه تنسب طائفة الأزارقة.

(٢) الأنبياء: ٩٨.

ينجيك منها، لأنك كذَّبت به.

قال الشيخ الإمام الأجل أبو المظفر السمعانى: أخبرنا أبو على الشافعى بمكة، قال: أخبرنا أبو الحسن بن [فراس](١) قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد المقرئ قال: حدثنا جدى محمد بن عبد الله بن يزيد، عن سفيان(٢).

وروى قرة عن ابن مسعود أن الناس يردون النار، ويصدر المؤمنون عنها بأعمالهم، فأولهم كلمح البصر، ثم كالريح ثم كحضر الفرس، ثم كشد الرجل، ثم كالماشى.

وعن ابن ميسرة أنه كان يدخل داره فيبكى، فيقال له: ما يبكيك؟ فيقول: الله تعالى أنبانا أنا نرد النار، ولم ينبئنا(٣) أنا صادرون عنها.

وعن الحسن البصرى أنه قال: «حق لابن آدم أن يبكى... وذكر نحواً من هذا».

والقول الثانى: أن المراد من الآية هم الكفار. هذا قول عكرمة وسعيد بن جبير. وقرئ فى الشاذ: «وإن منهم إلا واردها». وعلى هذا كثير من أهل العلم، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها﴾(٤).

والقول الثالث: أن المراد من الورود هو الحضور والرؤية دون الدخول. وهذا قول الحسن وقتادة، وقد يذكر الورود بمعنى الحضور، قال الله تعالى: ﴿ولما ورد ماء مدين﴾(٥) أى: حضر. وقال زهير شعراً:

ولما وردن الماء زرقًا جمامه ... تركن عِصِىَّ الحاضرِ المُتَخيِّم

---

(١) فى «الأصل، وك»: فارس، وهو أبو الحسن أحمد بن إبراهيم بن فراس المكى العبقسى يروى عن أبى محمد المقرئ وعنه أبو على الشافعى، كما فى ترجمته من الأنساب (٤/ ١٤٣)، وهذا السند من الأسانيد الدائرة للمصنف فى تفسيره.

(٢) زاد فى «الأصل، وك»: الآية، ولا معنى لها هنا.

(٣) فى «ك»: «ولم يبين لنا».

(٤) الأنبياء: (١٠١ - ١٠٢).

(٥) القصص: ٢٣.

والقول الرابع، وروى عن ابن مسعود قال: وإن منكم إلا واردها: القيامة. وقد استحسنوا هذا القول لتقدم ذكر القيامة.

والقول الخامس: أنه الصراط.

وفى الآية قول سادس: روى عن مجاهد أنه قال: ورود النار هو الحُمى فى الدنيا.

وفى بعض المسانيد عن النبى ﷺ أنه عاد رجلا من وعك - أى: الحمى - به، فقال: «يقول الله تعالى: هى نارى(١) أسلطها على من شئت من المؤمنين، ليكون حظه من نار جهنم»(٢).

وفى بعض الآخبار: «الحمى (كى)(٣) من جهنم، وهى حظ المؤمن من النار»(٤).

وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «الحمى من فيح جهنم، فأبردوها بالماء»(٥).

وأولى الأقاويل هو القول الأول، وقد صح عن النبى ﷺ أنه قال: «من قدم من الولد لم يلج النار، إلا تحلة القسم»(٦).

وفى بعض الأخبار: «أنها تستعر على الكفار، وتخمد تحت أقدام المؤمنين»(٧).

روى خالد بن معدان عن النبى ﷺ أنه قال: «يدخل الله قوماً من المؤمنين الجنة،

---

(١) فى «ك»: هى النار.

(٢) رواه الترمذى فى سننه (٤/ ٣٥٩/رقم٢٠٨٨)، وابن ماجه (٢/ ١١٤٩/رقم٣٤٧٠)، والحاكم (١/ ٣٤٥) وصححه جميعهم من حديث أبى هريرة. وضعفه الحافظ ابن حجر فى تلخيصه لتخريج أحاديث الكشاف للزيلعى.

(٣) ليس فى «ك».

(٤) ورد فى هذا الباب أحاديث عن عائشة، وأنس، وأبى ريحانة، وأبى أمامة، وعثمان، وابن مسعود، وسعد بن معاذ. وقال الحافظ بعدما أورد هذه الأحاديث فى تلخيصه لتخريج أحاديث الكشاف: وكلها ضعيفة. انظر تخريج أحاديث الكشاف للزيلعى (٢/ ٣٣٤ - ٣٣٦ رقم٧٧٣).

(٥) متفق عليه من حديث عائشة، وابن عمر، ورافع بن خديج: رواه البخارى (رقم: ٣٢٦٣، ٥٧٢٥، ٣٢٦٤، ٥٧٢٣، ٣٢٦٢، ٥٧٢٦)، ومسلم (١٤/ ٢٨١ - ٢٨٦، رقم: ٢٢٠٩، ٢٢١٢).

(٦) متفق عليه من حديث أبى هريرة: رواه البخارى (٣/ ١٤١/رقم١٢٥١، وطرفه: ٦٦٥٦)، ومسلم (١٦/ ٢٧٧ - ٢٧٨/ رقم ٢٦٣٢).

(٧) هو فى معنى ما بعده.

كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾
وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا
وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ

فيقولون: ألم تعدنا ربنا أن ندخل النار؟ فقال لهم: قد وردتموها وهى خامدة»[1].

وقوله: ﴿كان على ربك حتمًا مقضيًا﴾ أى: لازمًا يصيب به.

قوله تعالى: ﴿ثم ننجى الذين اتقوا﴾ استدل بهذا من قال: إن الورود هو الدخول؛ لأن التنجية إنما تكون بعد الدخول. وقال أيضًا: ﴿ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ وهذا دليل على أن الكل قد دخلوها، وأما من قال: إن الورود هو الحضور قال: يجوز أن تذكر التنجية لأجل الإشراف على الهلاك.

قوله تعالى: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات﴾ معناه: واضحات.

وقوله: ﴿قال الذين كفروا للذين آمنوا أى الفريقين خير مقامًا﴾ أى: مكانًا.

وقوله: ﴿وأحسن نديا﴾ قال ثعلب: مجلسًا، قال الكسائى: الندى والنادى بمعنى واحد، ومنه دار الندوة؛ لأنهم كانوا يجتمعون فيها.

وسبب نزول الآية: أن المشركين كانوا يقولون لفقراء المؤمنين: نحن أعز مجلسًا، وأحسن مكانًا، وأكثر مالا؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية. والمقام: موضع الإقامة، والمقام: فعل الإقامة. قال الشاعر:

ومقام حسن فرقته … بحسامى ولسانى وجدل
لو يكون الفيل أو فياله … زل عن مثل مقامى ورحل

قوله تعالى: ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا﴾ وقرئ: «وَرِيًّا» بغير همز، وفى الشاذ: «وَزِيًّا» بالزاء، حكى هذا عن سعيد بن جبير. أما قوله

(١) عزاه فى الدر (٤/٣٠٨ - ٣٠٩) إلى ابن أبى شيبة، وهناد، وعبد بن حميد، والحكيم الترمذى، وابن الأنبارى فى المصاحف عن خالد بن معدان قوله.

فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا

﴿ ورئيا ﴾ بالهمز هو المنظرة، وأما بغير الهمز هو من النعمة. وأما الزى هو الهيأة. وعن الحسن البصرى قال: [وأحسن رئيا][(١)] هو حسن الصورة. وقيل: الرى من الارتواء، والمتنعم يظهر فيه ارتواء النعمة، والفقير يظهر عليه ذبول البؤس والفقر.

قوله تعالى: ﴿ قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا ﴾ هذا أمر بمعنى الخبر، ومعناه: أن الله تعالى يتركهم فى الكفر ،ويمهلهم فيه.

وقوله: ﴿ حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة ﴾ العذاب: هو القتل والأسر فى الدنيا، والساعة: القيامة. ومعناه: لو نصر عليهم المؤمنون فى الدنيا فقتلوا وأسروا، أو جاءتهم الساعة، فأدخلوا النار ﴿ فسيعلمون ﴾ عند ذلك ﴿ من هو شر مكانًا ﴾ أى: منزلا ﴿ وأضعف جنداً ﴾ أى: ناصراً.

وقوله: ﴿ وأضعف جنداً ﴾ يرجع إلى الدنيا، وقوله: ﴿ شر مكانًا ﴾ يرجع إلى الآخرة.

﴿ ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ﴾ يعنى: يقينًا على يقينهم، ورشداً على رشدهم.

وقوله: ﴿ والباقيات الصالحات ﴾ قيل: إنها الصلوات الخمس، وقيل: هى الأذكار التى قلناها، وقد بينا.

وقوله: ﴿ خير عند ربك ثوابا ﴾ أى: جزاءً ﴿ وخير مردًّا ﴾ أى: مرجعا. ونقل الكلبى عن ابن عباس [أن][(٢)] زيادة الهدى هو الإيمان بالناسخ والمنسوخ.

قوله تعالى: ﴿ أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولداً ﴾ سبب نزول الآية ما روى مسروق عن خباب [بن][(٣)] الأرت قال: « كنت قَيْنًا وحداداً بمكة، فعملت للعاص بن وائل السهمى، فاجتمعت لى عليه دراهم، فجئته أتقاضاه[(٤)]، فقال: لا

---

(١) فى «الأصل»: وزيا.
(٢) فى «الأصل، وك»: أنه.
(٣) سقط لفظ «بن» من «الأصل، وك».
(٤) فى (ك): «لأتقاضاه».

وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلاَّ

أقضيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: لا أكفر حتى تموت ثم تبعث. فقال العاص: أو مبعوث أنا؟! فقلت: نعم. قال: فإذا بعثت فيكون لى هناك مال وولد، فأقضيك حقك؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية(١).

قال الشيخ الإمام رضى الله عنه: أخبرنا بهذا المكى بن عبد الرزاق، قال: أخبرنا جدّى أبو الليث، قال الفربرى، قال: ثنا البخارى، قال: ثنا الحميدى، عن سفيان، عن الأعمش، عن أبى الضحى، عن مسروق .. . الحديث.

وقوله: ﴿ أطلع الغيب ﴾ أى: اللوح المحفوظ، وقيل: علم الغيب، فعلم أن له مالا وولداً بعلم الغيب؟.

وقوله: ﴿ أم اتخذ عند الرحمن عهداً ﴾ قال سفيان: عملا صالحًا، وقال غيره: لا إله إلا الله.

وروى الأسود بن يزيد، عن عبد الله بن مسعود، أنه قال: إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى: «من كان له عندى عهد (فليقم)(٢). فقيل: يا أبا عبد الرحمن، وما ذلك العهد؟ فعلمنا، فقال: قال ﷺ: «أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عهداً؟ قالوا: وكيف؟ قال: يقول: اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة، إنى أتخذ عندك عهداً فى الحياة الدنيا، وإنك إن تكلنى إلى نفسى تقربنى من الشر، وتباعدنى من الخير، وإنى لا أثق إلا برحمتك، فاحفظ عهدى تؤديه إلىَّ يوم القيامة، إنك لا تخلف الميعاد»(٣).

---

(١) متفق عليه، رواه البخارى (٥/٣٧٢ رقم ٢٠٩١ وأطرافه فى: ٢٢٧٥، ٢٤٢٥، ٤٧٣٢، ٤٧٣٣، ٤٧٣٤)، ومسلم (١٧/٢٠١ - ٢٠٢، رقم: ٢٧٩٥).

(٢) ليست فى «ك».

(٣) قال الحافظ الزيلعى فى تخريج الكشاف (٢/٣٣٩-٣٤٠): غريب مرفوعًا، ولم أجده إلا موقوفًا، رواه الحاكم فى مستدركه، والطبرانى فى معجمه، وابن أبى شيبة فى مصنفه فى كتاب الدعاء، وأبو نعيم فى الحلية ... قال الحاكم: صحيح الإسناد.

سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ

قوله تعالى: ﴿ كلا سنكتب ما يقول ﴾ قوله: ﴿ كلا ﴾ يعنى: ليس الأمر على ما زعم العاص بن وائل، ثم قال: ﴿ سنكتب ما يقول ﴾ أى: يأمر الملائكة حتى يكتبوا.

وقوله: ﴿ ونمد له من العذاب مداً ﴾ أى: نطيل مدة عذابه.

وقوله: ﴿ ونرثه ما يقول ﴾ قرأ ابن مسعود: «ونرثه ما عنده» فإن قيل: القول كيف يورث والمعروف ﴿ ونرثه ما يقول ﴾؟! والجواب عنه قال ثعلب: معناه: ونرثه ما زعم أن له مالا وولداً، أى: لا يعطيه، ويعطى غيره، فيكون الإرث راجعاً إلى ما تحت القول، لا إلى نفس القول.

ويجوز أن يكون معنى قوله: ﴿ ونرثه ما يقول ﴾ أى: ونرثه ما عنده، على ما قرأ ابن مسعود.

وفى الآية قول ثالث: وهو أن معنى قوله: ﴿ ونرثه ما يقول ﴾ أى: نحفظ ما يقول حتى يجاز به.

وقوله: ﴿ ويأتينا فرداً ﴾ أى: فرداً(١) لا أنصار له، ولا أعوان، وقيل: هو فى معنى قوله: ﴿ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة ﴾(٢) الآية وحقيقته: أنه يأتينا ولا مال له ولا ولد.

قوله تعالى: ﴿ واتخذوا من دون الله آلهة ﴾ يعنى: آلهة يعبدونها.

وقوله: ﴿ ليكونوا لهم عزًّا ﴾ أى: منعة، ومعنى المنعة: أنهم يمتنعون بها من العذاب.

قوله تعالى: ﴿ كلا ﴾ أى: ليس الأمر كما زعموا.

وقوله: ﴿ سيكفرون بعبادتهم ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن الأصنام والملائكة

(١) فى النسختين: أى فرداً لا فرداً لا أنصار له... كذا.

(٢) الأنعام: ٩٤.

عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾

يجحدون عبادتهم، والقول الآخر: أن المشركين ينكرون عبادة الأصنام والملائكة.

فإن قيل: ما عرف فى المشركين أحد كان يعبد الملائكة؟ قلنا: ليس كذلك، فإنه كان بطن من العرب يُسَمَّوْن: بنى المليح، كانوا يعبدون الملائكة.

وقوله: ﴿ويكونون عليهم ضداً﴾ أى: بلاءً. وقيل: أعداءً.

قوله تعالى: ﴿ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين﴾ فإن قيل: أتقولون: إن الشياطين مرسلون، والله قال: ﴿وسلام على المرسلين﴾(١) فإذا كانوا مرسلين وجب أن يدخلوا فى جملتهم؟ والجواب عنه: أنه ليس معنى الإرسال هاهنا هو الإرسال الذى يوجد فى الأنبياء، ولكن معنى الإرسال هاهنا أحد الشيئين: إما التخلية بينهم وبين الكفار، وإما التسليط على الكفار.

وقوله: ﴿تؤزهم أزاً﴾ قال ابن عباس: تزعجهم إزعاجًا، كأنه يحركهم ويحثهم ويقول: اقدموا على الكفر. والهز والأز: هو التحريك، وفى الخبر: «أن النبى ﷺ كان يصلى، وبجوفه أزيز كأزيز المرجل»(٢) أى: حركة.

قوله تعالى: ﴿فلا تعجل عليهم﴾ يعنى: لا تعجل بطلب عقوبتهم.

وقوله: ﴿إنما نعد لهم عداً﴾ قال الكلبى: هو عَدُّ الأيام. وقال غيره: عَدُّ الساعات. وعن الحسن: عَدُّ الأنفاس. وقيل لبعض الصالحين: إنما أيامك أنفاس معدودة، فقال: من صحة العدد أخاف.

وروى الأصمعى عن أبيه أنه قال: رأيت رجلا على باب البصرة أيام الطاعون يعد

---

(١) الصافات: ١٨١.

(٢) رواه النسائى (٣/١٣رقم ١٢١٤) وأبو داود (١/٢٣٨ رقم٩٠٤)، والترمذى فى الشمائل (ص٢٥٥ رقم ٣٠٥)، وأحمد فى مسنده (٤/٢٥، ٢٦)، وقال الألبانى فى مختصر الشمائل (١٦٩): وإسناده صحيح، وصححه جمع كما بينته فى صحيح أبى داود (٨٣٩).

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لا

الموتى، وقدامه كوز، كلما مُرّ عليه بميت، يلقى فيه حصى. فعَد في اليوم الأول ثمانين ألفا، وفى اليوم الثانى مائة وعشرين ألفا. قال: فمررنا عليه بجنازة، ثم عدنا، فإذا عند الكوز غيره. قلنا له: أين ذهب الرجل؟ قال: وقع فى الكوز.

قوله تعالى: ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً﴾ الحشر: جمع الأقوام من كل (صقع)[1] فى موضع واحد.

وقوله: ﴿وفداً﴾ معناه: ركباناً، وعن على - رضى الله عنه - أنه قرأ هذه الآية، وقال: يؤتون بنوق من نوق الجنة عليها أرحلة من الذهب، ولها أزمة من الزبرجد، فيركبون عليها حتى يقرعوا باب الجنة. وفى بعض الأخبار عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «يحشر الأنبياء على دواب فى الجنة، وأحشر على البراق، ويحشر الحسن والحسين على العضباء والقصواء، ويحشر بلال على ناقة من نوق الجنة فيؤذن، فإذا بلغ قوله: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، شهد بها جميع الخلق، قُبل ممن قَبل، ورُدّ على من رُدّ»[2].

وقيل: ﴿وفداً﴾ أى: مكرمين. وفى الآية قول ثالث: وهو ما روى فى الأخبار عن النبى ﷺ: «أن المؤمن إذا بعث يؤتى بعمله على أحسن صورة، فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح طالما ركبتك فاركبنى اليوم. وأما الكافر يؤتى بعمله على أقبح صورة، فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا عملك الخبيث، قال: طالما ركبتنى، وأنا أركبك اليوم»[3].

وقوله: ﴿ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً﴾ أى: مشاةً. وقيل: عطاشاً.

(١) يعنى من كل ناحية من الأرض.

(٢) رواه الخطيب فى تاريخه (٣/ ١٤٠ - ١٤١)، ومن طريقه ابن الجوزى فى الموضوعات (٣/ ٢٤٦) وقال: موضوع. وفى مختصر الموضوعات للذهبى قال: إسناده مظلم، وما أدرى من وضعه، تعلق فيه ابن الجوزى على كاتب الليث. (تنزيه الشريعة ٢/ ٣٨١). وله شاهد من حديث سويد بن عمير، رواه العقيلى فى الضعفاء (٣/ ٦٤-٦٥)، وابن الجوزى فى الموضوعات (٣/ ٢٤٤ - ٢٤٥) من طريقه، وقال: موضوع لا أصل له.

(٣) تقدم فى تفسير سورة الأنعام وهو قول السدى.

يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا
﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ
الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾

قوله تعالى: ﴿لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً﴾ قال بعض أهل التفسير: هذا راجع إلى الملائكة. وقال بعضهم: هو راجع إلى المؤمنين.

وقوله: ﴿إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا﴾ يعنى: لا يشفعون إلا لمن اتخذ عند الرحمن عهداً، فالعهد هو «لا إله إلا الله». ويقال: لا يشفع إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً يعنى: لا يشفع إلا مؤمن.

وقوله تعالى: ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدًّا﴾ أى: منكرًا عظيماً، (والإد)[1] والاتخاذ إعداد الشيء لأمر فى العاقبة.

قوله تعالى: ﴿تكاد السموات يتفطرن منه﴾ الانفطار: الانشقاق، وتكاد أى: تقرب، وفى التفسير: أن الكافرين لما قالوا: اتخذ الله ولداً غضبت السموات والأرض، وتسعرت جهنم، فطلب الجميع أن ينتقموا من القائلين بهذا القول، فهذا معنى الآية.

وقوله: ﴿وتنشق الأرض﴾ أى: تخسف بهم، أما الانفطار فى السماء فمعناه على هذ :ا أن [تسقط][2] عليهم.

وقوله: ﴿وتخر الجبال هدّا﴾ أى: تنكسر انكساراً، ومعناه على ما ذكرنا أى: تنطبق عليهم.

وقوله: ﴿أن دعوا للرحمن ولداً﴾ أى: حين دعوا للرحمن ولداً.

وقوله: ﴿وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولداً﴾ قد بينا.

---

(١) هكذا فى النسختين، والمعنى مستقيم بدون لفظ «والإدّ».

(٢) فى «الأصل، وك»: سقط.

إن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ

وقوله: ﴿إن كل من فى السموات والأرض﴾ أى: ما كل من فى السموات والأرض.

وقوله: ﴿إلا آت الرحمن عبداً﴾

وقد أجمع أهل العلم أن البنوة مع العبودية لا يجتمعان، ومن اشترى ابنه يعتق عليه؛ لأنه لا يصلح أن يكون ابناً وعبداً.

قوله تعالى: ﴿لقد أحصاهم وعدهم عداً﴾ أى: يعلمهم، وعلم عددهم.

وقوله: ﴿وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً﴾ أى: محبة. قال مجاهد: يحبهم الله، ويحببهم إلى المؤمنين. وقيل: يحب بعضهم بعضاً. وفى بعض الآثار: أن الله تعالى جعل مع الإيمان المحبّة [والشفقة](١) والألفة».

وقد ثبت عن النبى ﷺ برواية أبى هريرة أنه قال: «إذا أحب الله عبداً ينادى جبريل، فيقول: أنا أحب فلاناً فأحبه، فينادى فى أهل السماء: إن الله يحب فلانًا فأحبوه، ثم يوضع له المحبة فى الأرض – وفى رواية «القبول» – وإذا أبغض عبداً ينادى جبريل فيقول: أنا أبغض فلانا فأبغضه، فينادى فى أهل السماء: إن الله يبغض فلانًا فأبغضوه، ثم يوضع له البغض فى الأرض»(٢). خرجه مسلم فى الصحيح.

وحكى الضحاك عن ابن عباس: أن الآية نزلت فى على بن أبى طالب رضى الله عنه، والمراد منه: مودة أهل الإيمان له.

---

(١) فى «الأصل»: الشقة، وفى «ك»: المشعة وأظن أن الصواب: الشفقة، والله تعالى أعلم.

(٢) متفق عليه، رواه البخارى (٦/ ٣٥٠ رقم ٣٢٠٩ وأطرافه فى: ٦٠٤٠، ٧٤٨٥) مقتصراً على شطره الأول، ورواه مسلم (١٦/ ٢٨٢ – ٢٨٣، رقم: ٢٦٣٧)، والترمذى (٥/ ٢٩٧ – ٢٩٨ رقم ٣١٦١)، وأحمد (٢/ ٣٤١، ٢٦٧) بتمامه.

لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾

وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال لعلى: «لا يحبك إلا مؤمن تقى، ولا يبغضك إلا منافق شقى»(١). خرجه مسلم فى الصحيح.

قوله تعالى: ﴿فإنما يسرناه بلسانك﴾ يعنى: سهّلنا القرآن بلسانك.

وقوله: ﴿لتبشر به المتقين وتنذر به قومًا لدًّا﴾ اللد جمع الألد، والألد: المخاصم بالباطل. وقال أبو عبيدة: هو الذى لا ينقاد للحق ولا يقبله. وقال الحسن البصرى: لُدًّا أى: صُمّاً عن الحق. وقيل: الألد هاهنا هو الظالم. قال الشاعر:

أبيت نجياً للهموم كأننى ... أخاصم أقواماً ذوى جدل لُدّاً.

قوله تعالى: ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحدٍ﴾ معناه: هل ترى منهم من أحد؟.

وقوله: ﴿أو تسمع لهم ركزًا﴾ أى: صوتًا. قال أهل اللغة: الركز: الصوت الخفى. قال الحسن: بادوا جميعا، فلم يبق منهم عين ولا أثر.

(١) رواه مسلم (٢/ ٨٥ رقم٧٨)، والترمذى (٥/ ٦٠١ رقم٣٧٣٦) وقال: حسن صحيح. والنسائى (٨/ ١١٦ رقم: ٥٠١٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة طه

وهى مكية

وفى بعض الغرائب من الأخبار برواية أبى هريرة، أن النبى ﷺ قال: «إن الله تعالى قرأ سورة طه ويس قبل أن يخلق آدم بألفى عام، فقالت الملائكة: طوبى لأمّة نزلت عليهم هذا، وطوبى لقلوب حملت هذه، وطوبى لألسن تكلمت بهذا»(١).

قوله تعالى: ﴿ طه ﴾ روى عن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - أن رجلا قرأ عليه: «طه» - بالإمالة - فقال: اقرأ ﴿ طه ﴾، فقال الرجل: أليس معناه طِئ الأرض بقدميك؟ فقال: «هكذا أقرأنيه رسول الله ﷺ»(٢).

واختلفت الأقاويل فى معنى طه، فروى عن ابن عباس أنه قال: هو بالسريانية: يا رجل. ونقل الكلبى: أنه يا إنسان بلغة عك. قال الشاعر:

إن السفاهة طه من خليقتكم ... لا قـدس الله أرواح الملاعـين

وقال آخر:

هتفت بطه فى القتال فلم يجب ... فخفت عليه أن يكون مـواليا

---

(١) رواه الدارمى (٢/٥٤٧ - ٥٤٨ رقم ٣٤١٤)، وابن أبى عاصم فى السنن (١/٢٦٩ رقم ٦٠٧)، وابن خزيمة فى التوحيد ص١٦٦، والطبرانى فى الأوسط - كما فى مجمع البحرين (٦/٥٤ رقم ٣٣٦٤)، والعقيلى فى الضعفاء (١/٦٦)، وابن عدى فى الكامل (١/٢١٦)، وابن حبان فى المجروحين (١/١٠٨)، وأبو نعيم فى تاريخ أصبهان (٢/١٤١)، والبيهقى فى الشعب (٥/٣٨٤ - ٣٨٥ رقم ٢٢٢٥)، وتمام الرازى فى الفوائد (١/١٣٢ - ١٣٣ رقم ٣٠٣ - ٣٠٥) وابن الجوزى فى الموضوعات (١/ ١٠٩ - ١١٠) واستنكر ابن عدى هذا الحديث فى ترجمة إبراهيم بن مهاجر وقال: لم أجد له حديثًا أنكر من هذا، وقال ابن حبان: متن موضوع، وقال ابن كثير فى تفسيره (٣/١٤١): هذا حديث غريب وفيه نكارة وإبراهيم بن مهاجر وشيخه تكلم فيهما.

(٢) رواه الحاكم فى المستدرك (٢/٢٤٥) وقال: صحيح، وعزاه فى الدر (٤/٣١٧): لابن مردويه والحاكم.

ويقال: إن طه اسم للسورة، وقيل: إنه قسم أقسم الله به.

ومن المعروف أن معناه: طِئ الأرض بقدميك، وهذا منقول عن ابن عباس أيضا، وسببه أن النبى ﷺ اجتهد فى العبادة حتى جعل يراوح بين الرِّجلين، فيقوم على واحد، ويرفع واحداً، فأنزل الله تعالى هذه الآية(١). ونقل بعضهم: أنه قام بمفرد قدم(٢).

ومنهم من قال: إن الطاء من الطهارة، والهاء من الهداية، فالطاء: إشارة إلى طهارة قلبه من غير الله، والهاء: إشارة إلى اهتداء قلبه إلى الله.

وقوله: ﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ أى: لتتعب وتنصب، وروى أنه لما اجتهد فى العبادة، قال المشركون: يا محمد، ما أنزل القرآن إلا لشقاوتك، فأنزل الله تعالى هذه الآية(٣). ومعناه: اجتهد، ولا كل(٤) هذا التعب حتى تنسب إلى الشقاوة.

وقوله: ﴿إلا تذكرة لمن يخشى﴾ معناه: لكن تذكرة، أى: تذكيراً ووعظًا لمن يخشى، والخشية والخوف بمعنى واحد، وفرق بعضهم بينهما، فقال: الخشية ما لا يعرف سببه، والخوف ما يعرف سببه، وهو ضعيف.

وذكر الأزهرى أن تقدير الآية: ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ما أنزلنا إلا تذكرة لمن

(١) رواه ابن مردويه كما فى الدر المنثور (٤/٣١٧) عن ابن عباس.

(٢) رواه البزار من حديث يزيد بن بلال عن على (٣/١٣٦رقم٩٢٦)، وقال: أحاديث يزيد عن على لانعلم لها طرقًا إلا من حديث كيسان أبى عمر. وقال الحافظ فى مختصره (٢/٩٤رقم:١٤٨٢): وهما ضعيفان. قلت: وتساهل السيوطى فى الدر (٤/٣١٧) وقال: أخرج البزار بسند حسن عن على فذكره، وأخرجه ابن مردويه عن على مرفوعًا مطولاً، وعن مجاهد به مرسلاً. كما فى الدر (٤/٣١٧).

(٣) رواه ابن جرير فى تفسيره (١٦/١٠٢) عن ابن عباس، وعزاه السيوطى فى الدر (٤/٣١٧) لابن مردويه وابن جرير.

(٤) كذا في «الأصل، وك»، ولعل الصواب: ولا تتعب كل هذا التعب...

مِّمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا

يخشى.

وقوله: ﴿تنزيلا﴾ أى: منزل تنزيلا من الله (الذى)(١) ﴿خلق الأرض والسموات العلى﴾ والعلى: جمع العُليا.

وقوله: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ اعلم أن مخارج الاستواء فى اللغة كثيرة: وقد يكون بمعنى العلو، وقد يكون بمعنى الاستقرار، وقد يكون بمعنى الاستيلاء - على بُعْدٍ - وقد يكون بمعنى الإقبال.

والمذهب عند أهل السنة أنه يؤمن به ولا يكيف، وقد [رووا](٢) عن جعفر بن عبد الله، وبشر الخفاف قالا: كنا عند مالك، فأتاه رجل وسأله عن قوله: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ كيف استوى؟ فأطرق مالك مليًّا، وعلاه الرُّحَضاء، ثم قال: الكيف غير معقول، والاستواء مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أظنك إلا ضالا، ثم أمر به فأخرج.

ونقل أهل الحديث عن سفيان الثورى، والأوزاعى، والليث بن سعد، وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن المبارك أنهم قالوا فى الآيات المتشابهة: أمروها كما جاءت.

وقال بعضهم: تأويله الإيمان به، وأما تأويل الاستواء بالاستقبال، فهو تأويل المعتزلة.

وذكر الزجاج، والنحاس، وجماعة [من](٣) النحاة من أهل السنة: أنه لا يُسمى الاستواء استيلاء فى اللغة إلا إذا غلب غيره عليه، وهذا لا يجوز على الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما﴾ أى: علم ما فى السموات، وما فى الأرض، وما بينهما.

(١) فى «ك»: ممن.

(٢) هذه الكلمة صورتها، «الأصل»: «ردّوا»، وهى غير واضحة فى «ك»، وما أثبته هو الأقرب إلى الصواب.

(٣) زيادة من «ك».

وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾

وقوله: ﴿ وما تحت الثرى ﴾ فيه أقوال: أحدها: أن الثرى هى الأرض السابعة، والآخر: أن الثرى هو التراب المبتل، وهذا معروف فى اللغة.

وحكى سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن الأرضين على ظهر الحوت، والحوت على البحر، والبحر على الصخرة، والصخرة على قرن ثور، والثور على الثرى، وما تحت الثرى لا يعلمه إلا الله.

قوله تعالى: ﴿ وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى ﴾ معناه: إن جهرت أو أسررت فلا يغيب عن علمه. واختلف الأقوال فى قوله: ﴿ وأخفى ﴾ فروى عن ابن عباس أنه قال: «السِّرُّ» ما تحدث به غيرك، «وأخفى» ما تحدث به نفسك. وفى الآية تقدير، ومعناه :وأخفى منه، أى: من السِّر.

والقول الثانى: أن «السِّر» ما تحدث به نفسك، «وأخفى» ما يلقيه الله تعالى فى قلبك من بَعْدُ ولم تحدث به نفسك.

والقول الثالث : أن السِّر هو العزيمة، وأخفى هو دون العزيمة، كأنه ما يخطر على القلب، ولم تعزم عليه.

والقول الرابع : يعلم السِّر وأخفى، أى: والخفىّ. قال الشاعر:

تمنى رجال أن أموت وإن أمت فتلك سبيل لست فيها بأوحد

أى: بالواحد.

والقول الخامس : يعلم السر وأخفى، أى: أخفى سرَّه من عباده، وهذا قول ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿ الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى ﴾ قيل: فيه إضمار، ومعناه: فادعوا الله بها. وقال: الحسنى للأسماء هو جمع، والحسنى صفة الواحد، وذلك لأن

وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿٩﴾ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾

هذه تتناول الأسماء لأنها جمع، كما تتناول الواحدة من المؤنثات، يقال: هذه أسماء؛ فلذلك صح أن يقال: حسنى، ولم يقل: حسان، وهكذا قوله تعالى: ﴿مآرب أخرى﴾(١) ولم يقل :آخر.

قوله تعالى: ﴿وهل أتاك حديث موسى﴾ معناه: وقد أتاك حديث موسى، وهو استفهام بمعنى التقرير.

وقوله: ﴿إذ رأى ناراً﴾ في القصة: أن موسى عليه السلام كان رجلا غيوراً، فكان يصحب الرفقة بالليل، ويتنحى عنهم بالنهار؛ لئلا ترى امرأته، فأخطأ مرة الطريق - لما كان في علم الله تعالى - فكان ليلاً مظلما، فرأى ناراً من بعيد ﴿فقال لأهله امكثوا﴾ أي: أقيموا.

وقوله: ﴿إني آنست ناراً﴾ أي: أبصرت ناراً.

وقوله تعالى: ﴿لعلي آتيكم منها بقبس﴾ القبس: كل ما في رأسه نار من شعلة أو فتيلة.

وقوله: ﴿أو أجد على النار هدى﴾ أو أجد عند النار من يهديني، ويدلني على الطريق، فروى أنه لما توجه إلى النار رأى شجرة خضراء، أطافت به النار، والنار كأضوء(٢) ما يكون، والشجرة كأخضر(٢) ما يكون، فلا ضوء النار يغير خضرة الشجرة، ولا خضرة الشجرة تغير ضوء النار.

ويقال: إن الشجرة كانت شجرة العنَّاب، ويقال: شجرة من عوسج، وقيل: من العليق.

وفي القصة: أن موسى أخذ شيئًا من الحشيش اليابس، ودنا من الشجرة، فكان كلما دنا من الشجرة نأت منه النار، وإذا نأى هو دنت النار، فبقي واقفا متحيراً،

(١) طه: ١٨.

(٢) في «ك» بدون الكاف.

فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ

فنودى: يا موسى.

قوله تعالى: ﴿فلما أتاها نودى يا موسى﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿إنى أنا ربك﴾ روى أن موسى لما سمع قوله: ﴿يا موسى﴾ قال: من الذى يكلمنى؟ قال: ﴿إنى أنا ربك﴾.

فإن قيل: بم عرف كلام الله عز وعلا؟ قلنا: سمع كلاما لا يشبه كلام المخلوقين، وروى أنه سمع من جميع جوانبه.

وقوله: ﴿فاخلع نعليك﴾ اختلف القول أنه لم أمره بخلع نعليه؟ وروى عن على - رضى الله عنه - أنه قال: كانتا من جلد حمار ميت، وهذا قول كعب.

والقول الثانى: أنه أمره بخلع نعليه: ليباشر الوادى بقدميه، وهذا قول مجاهد. وقد جرت عادة المسلمين أنهم يخلعون نعالهم إذا بلغوا المسجد الحرام للحج، ويطوفون حفاةً.

وقوله: ﴿إنك بالوادى المقدس﴾ أى: المطهر، قال الشاعر:

وأنت وصول للأقارب مدرة تراءى من الآفات إنى مقدس(١)

أى: مطهر.

وقيل: معنى المقدس، أى: المبارك فيه.

وقوله: ﴿طوى﴾ عامة المفسرين أنه اسم الوادى، وقيل: طوى أى: قدس مرتين

قوله تعالى: ﴿وأنا اخترتك﴾ أى: اصطفيتك.

وقوله: ﴿فاستمع لما يوحى﴾ أى: لما يوحى إليك.

قوله تعالى: ﴿إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى﴾ أى: لا أحد يستحق العبادة سواى.

(١) كذا.

وقوله: ﴿وأقم الصلاة لذكرى﴾ فيه أقوال: أحدها: لتذكرنى فيها. والآخر: تذكرنى، وهو قوله: الله أكبر. والثالث: أقم الصلاة لذكرى أى: صَلّ إذا ذكرت الصلاة، وهذا قول معروف. روى حماد بن سلمة، عن قتادة، عن أنس، أن النبى - ﷺ - قال: «من نسى صلاة فليصلها إذا ذكرها؛ فإن ذلك وقتها، وقرأ قوله تعالى: ﴿وأقم الصلاة لذكرى﴾»(١)

قال الشيخ الإمام: أخبرنا بهذا الحديث أبو الحسين بن النقور، قال: أخبرنا أبو القاسم بن حبابة، قال: حدثنا ابن بنت منيع، قال: حدثنا هدبة، عن حماد بن سلمة.. الحديث. خرجه مسلم فى الصحيح عن هدبة.

قوله تعالى: ﴿إن الساعة آتية أكاد أخفيها﴾ فى الآية أقوال، وهى مشكلة.

روى عن عبد الله بن مسعود، وأبى بن كعب أنهما قرآ: «أكاد أخفيها من نفسى». وبعضهم نقل: «فكيف أظهرها لكم» فهذا هو أحد الأقوال فى معنى الآية.

فإن قال قائل: كيف يستقيم قوله «أكاد أخفيها من نفسى»؟ قلنا: هذا على عادة العرب، والعرب إذا بالغت فى الإخبار عن إخفاء الشيء، قالت: كتمته حتى من نفسى. والقول الثانى: أن قوله: ﴿أكاد﴾ أى: أريد، ومعناه: إن الساعة آتية أريد أخفيها. وهذا قول الأخفش. والقول الثالث: أن قوله: ﴿أكاد﴾ صِلة، ومعناه: إن الساعة آتية أخفيها. والقول الرابع: إن الساعة آتية أكاد، ومعنى أكاد: تقريب الورود والإتيان، كما قال ضبائى البرجمىّ (٢):

هممت ولم أفعل وكدت وليتنى ... تركت على عثمان تبكى حلائله

فقوله: كدت لتقريب الفعل، ثم استأنف قوله: ﴿أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى﴾ أى: تأتيكم بغتة، لتجزى كل نفس بما عملت من خير وشر، هذا اختيار

(١) متفق عليه من حديث قتادة به، رواه البخارى (٢/ ٨٤ رقم٥٩٧)، ومسلم (٥/ ٢٦٩ - ٢٧٠ رقم ٦٨٤).

(٢) في النسختين: الرحمن، وهو تصحيف.

فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لاَّ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾

ابن الأنبارى.

والقول الخامس: ﴿أكاد أخفيها﴾ أى: أظهرها، وقرئ: «أَخفيها» بفتح الألف. ومعنى الإظهار فى هذه القراءة أظهر فى اللغة. قال الشاعر:

فإن تدفنوا الداء لم نخفه　　　وإن تأذنوا بحرب لا نقعد

ومعنى لا نخفه: لم نظهره.

قوله تعالى: ﴿فلا يصدنك عنها﴾ أى: فلا يمنعنك عن التصديق بها. ﴿من لايؤمن بها﴾ أى: من لايصدق بها.

وقوله: ﴿واتبع هواه فتردى﴾ أى: تهلك.

قوله تعالى: ﴿وماتلك بيمينك ياموسى﴾ هذا سؤال تقرير، وليس بسؤال استفهام، والحكمة فيه تثبيته وتوثيقه على أنها عصا، حتى إذا قلبها الله حيَّة، يعلم أنها معجزة عظيمة(١). وهذا قول على عادة العرب أيضًا؛ يقول الرجل لغيره: هل تعرف هذا؟ وهو لايشك أنه يعرفه، ويريد به أن ينضم إقراره بلسانه إلى معرفته بقلبه.

قوله تعالى: ﴿قال هى عصاى أتوكأ عليها﴾ أى: أعتمد عليها.

وقوله: ﴿وأهش بها على غنمى﴾ أى: أخبط بها (ورق الشجر؛ لترعاه غنمى، وقرأ عكرمة: «وأهس بها)(٢) على غنمى» بالسين غير المعجمة، والفرق بين الهش والهس؛ أن الهش هوخبط الشجر، وإلقاء الورق عنه، والهس زجر الغنم.

وقوله: ﴿ولى فيها مآرب أخرى﴾ أى: حاجات أخر، ومن تلك الحاجات؛ قال

(١) فى «الأصل» معجز عظيم. والمثبت من «ك».

(٢) مابين القوسين ساقط من «ك» وهو فى صورة لحق فى «الأصل».

قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ

أهل المعانى: كان يقتل بها الحيات، ويحارب بها السباع، ويحمل بها الزاد والنفقة، ويصل الحبل إذا استقى من البئر، ويستظل بها إذا قعد، وعن الضحاك: كانت تضئ له باليل بمنزلة السراج، وقال وهب: كانت العصا من آس الجنة، وطولها اثنا عشر ذراعًا، ولها شعبتان، وعليها محجن. وعن سعيد بن جبير، قال: كان اسم العصا ماشاء. وأنشدوا فى الهش:

أهش بالعصا على أغنامى   من ناعم الأراك والبشام

قول تعالى: ﴿قال ألقها ياموسى﴾ أى: انبذها.

وقوله: ﴿فألقاها﴾ أى: نبذها.

وقوله: ﴿فإذا هى حية تسعى﴾ أى: تجئ وتذهب، وذكر محمد بن إسحاق أن موسى عليه السلام نظر فإذا العصا صارت حية من أعظم مايكون من الحيات، وصارت شعبتاها شدقين، والمحجن صار عرفًا يهتز كالبتارك وعيناها تتقدان(١) كالنار، وهى تمر بالحجر كالجمل البارك فتبتلعه، ولها أنياب تقصف الشجر، فرأى موسى أمرًا عظيمًا فهرب، ثم تذكر أمر ربه، فوقف مستحيا.

قوله تعالى: ﴿قال خذها ولاتخف﴾ لما هرب موسى، قال الله تعالى له: ﴿أقبل ولاتخف﴾(٢)، فلما أقبل، قال: ﴿خذها﴾.

وفى القصة: أنه كان على موسى مدرعة من صوف، قد خلَّلها بعيدان، فلما قال الله له: ﴿خذها﴾، لفّ طرف كُم المدرعة على يده، فأمره الله أن يكشف يده، فكشف يده، ووضعها فى شدق الحية، فإذا هى عصا كما كانت، وإذا يده فى شعبتها.

وذكر بعضهم: أنه لما لفّ كم المدرعة على يده، قال له ملك: أرأيت لو أذن الله لمن تحذره، أكانت تغنى عنك مدرعتك؟ فقال أنا ضعيف، خلقت من ضعف.

(١) فى «الأصل»: تتقدران.

(٢) القصص: ٣١.

سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ

وقوله: ﴿ سنعيدها سيرتها الأولى ﴾. إلى هيئتها الأولى، وإنما انتصب؛ لأن معناه: إلى هيئتها الأولى، فحذف إلى فانتصب.

قوله تعالى: ﴿ واضمم يدك إلى جناحك ﴾. فيه قولان: أحدهما: إلى جنبك، والآخر: إلى عضدك. والجناح هو العضد إلى أصل الإبط، قال الشاعر:

خفضت لهم مني جناح مودةٍ … على كتف عطفاه أهلُ ومرحبُ

وقوله: ﴿ تخرج بيضاء من غير سوء ﴾ أي: نيرة مشرقة من غير مكروه وعيب، السوء ها هنا بمعنى البرص .

وقال قتادة: كانت اليد لها نور ساطع كضوء الشمس والقمر، تضئ بالليل والنهار.

وقوله: ﴿آية أخرى ﴾ أي: دلالة أخرى .

وقوله: ﴿ لنريك من آياتنا الكبرى ﴾. أي: الكبيرة . قال ابن عباس: أكبر الآيتين يده؛ فكان إذا أخرجها من تحت عضده، رأوا لها شعاعًا وضياء تحار الأعين فيها، فإذا ردها إلى إبطه، وأخرجها عادت إلى ما كانت.

وقوله: ﴿ اذهب إلى فرعون إنه طغى ﴾ أي: جاوز الحد فى العصيان والتمرد، ويقال: كان اسمه: وليد(١) بن مصعب، وكان أغنى الفراعنة الذين كانوا بمصر.

قوله تعالى: ﴿قال رب اشرح لى صدرى ﴾ أي: وسعه للحق، وكان موسى يخاف من فرعون خوفًا شديداً؛ لشدة شوكته، وكثرة جنده، فضاق قلبه لما بُعث إلى فرعون من الخوف؛ فسأل الله تعالى أن يوسع قلبه للحق؛ فيعلم أنه لايقدر أحد أن يعمل به شيئًا إلا بإذن الله، أو يناله بمكروه إلا بمشيئته.

وقوله: ﴿ ويسرلى أمرى ﴾ أي: سهل عليَّ الأمر الذى بعثتنى له.

---

(١) فى «ك»: الوليد.

رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾
يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي
﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ

قوله: ﴿واحلل عقدة من لسانى﴾ قال أهل التفسير: كانت على لسان موسى عقدة من أخذه الجمر[1]، ووضعه إياه فى فمه، وسببه أن أمرأة فرعون جاءت بموسى إلى فرعون، فوضعته فى حجره، فأخذ بلحية فرعون، وفى رواية: لطم وجه فرعون لطمة، فغضب فرعون، وقال: هذا هو عدوى، وأراد أن يقتله، فقالت امرأة فرعون: إنه صبى، لايعقل ولايميز، وهو لايميز بين الجوهر والجمر، فدعى له بطبق من جمر، وطبق من جوهر، فأخذ الجمر، ووضعه فى فيه، فاحترق لسانه، وصارت عليه عقدة. وذكر بعضهم: أنه أراد أن يأخذ الجوهر، فصرف جبريل يده إلى الجمر.

وقوله: ﴿يفقهوا قولى﴾ أى: يفهموا قولى.

﴿واجعل لى وزيراً من أهلى﴾ الوزير من يؤازرك على الشئ، أى: يعينك، ويتحمل عنك بعض ثقله، ووزير الأمير من يتحمل عنه بعض ماعليه.

وقوله: ﴿هارون أخى﴾ كان هارون أكبر منه بأربع سنين، فكان أفصح منه لساناً، وأجمل منه وجها، وأوسم وأبيض، وكان موسى أدم، أقنى جعداً.

وقوله: ﴿اشدد به أزرى﴾ أى: قوّ به ظهرى، ويقال: إنه لم يكن أحد على أخيه أسعد ولأخيه أنفع من موسى لهارون.

وقوله: ﴿وأشركه فى أمرى﴾ أى: النبوة وأداء الرسالة.

وقوله: ﴿كى نسبحك كثيراً﴾ أى: نصلى لك كثيرا.

﴿ونذكرك كثيراً﴾ نتعاون على ذكرك.

﴿إنك كنت بنا بصيراً﴾ أى: خبيراً عليمًا.

(١) فى «ك»: الجمرة.

كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي

قوله تعالى: ﴿قال قد أوتيت سؤلك ياموسى﴾ أى: أعطيت جميع ماسألت.

وقوله: ﴿ولقد مننا عليك مرة أخرى﴾ أى: أنعمنا عليك مرة أخرى سوى هذه المرة.

قوله تعالى: ﴿إذ أوحينا إلى أمك مايوحى﴾ ذكر نعمه وعددها عليه؛ ليعرفها، ويزيد فى شكره.

وقوله: ﴿إذ أوحينا إلى أمك مايوحى﴾ أى: ألهمنا أمك مايوحى، أى: مايلهم.

قوله تعالى: ﴿أن اقذفيه﴾ أى: ألهمناها أن اقذفيه.

قوله تعالى: ﴿فى التابوت﴾ هو شئ يتخذ من الخشب.

وقوله: ﴿فاقذفيه فى اليم﴾ اليمّ: هو البحر، ويقال: إن اليمّ ها هنا هو النيل، والعرب تسمى الماء الكثير بحراً.

روى أن المسلمين لما وصلوا إلى دجلة يوم فتحوا المدائن، فقالوا: كيف نفعل، وهذا البحر بيننا وبينهم؟ ثم إنهم ارتطموا دجلة بخيولهم، وخاضوا القصة إلى آخرها.

وقوله: ﴿فليلقه اليم بالساحل﴾ فى القصة: أن الماء ألقاه إلى مشرعة دار فرعون، وروى أنها ألقته فى النيل، وألقاه النيل فى البحر، ثم إن البحر ألقاه بالساحل.

وقوله: ﴿وألقيت عليك محبة منى﴾ قال عكرمة: لم يره أحد إلا أحبه، وقال قتادة: ملاحة فى عينيه تأخذ (بالقلوب)(١).

وقوله: ﴿ولتصنع على عينى﴾ أى: تربى وتغذى على نظر منى، وهو مثل قوله

(١) فى «ك»: فى القلوب.

﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا

تعالى: ﴿واصنع الفلك بأعيننا﴾(١) فإن قيل: مامن أحد فى العالم إلا وهو يربى ويغذى بمرأى من الله ونظر منه، فأى معنى لتخصيص موسى؟ والجواب: أن الله تعالى فعل فى اللطف فى تربية موسى مالم يفعل فى تربية غيره، فالتخصيص إشارة إلى ذلك اللطف.

وقوله: ﴿إذ تمشى أختك﴾ سنذكر هذا فى سورة القصص، إن شاء الله تعالى .

وقوله: ﴿فتقول هل أدلكم على من يكفله﴾ يعنى: على امرأة ترضعه، وتضمه إليها.

وقوله: ﴿فرجعناك إلى أمك﴾ أى: فرددناك(٢).

وقوله: ﴿إلى أمك كى تقر عينها﴾ قد بينا معنى قرة العين، وهو إشارة إلى فرحها وسرورها بوجوده .

وقوله: ﴿ولاتحزن﴾ أى: يذهب عنها الحزن.

وقوله: ﴿وقتلت نفسًا﴾ أى: القبطى، وسنذكره من بعد إن شاء الله تعالى.

وقوله: ﴿فنجيناك من الغم﴾ أى: من القتل، وقيل: من غم التابوت، وغم البحر.

وقوله: ﴿وفتناك فتونًا﴾ أى: ابتليناك مرة بعد مرة، وقيل: بلاءً بعد بلاء، ويقال: أخلصناك إخلاصًا. من المشهور المعروف أن سعيد بن جبير، سأل عبد الله بن عباس عن قوله: ﴿وفتناك فتونًا﴾ فقال: تغدو على غداً، فلما جاءه من الغد، أخذ معه فى قصة موسى من أولها، وجعل يعد عليه شيئا فشيئا من ولادته فى سَنَة قتل الأبناء، ومن إلقائه فى الماء، وجعله فى التابوت، ووقوعه فى يد فرعون، ولطمه وجهه، وأخذه

(١) هود: ٣٧.

(٢) فى «ك»: فردناك بدال واحدة.

فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾

الجمرة، ثم من قتله القبطى، ثم فراره إلى مدين... إلى أخر القصة على مايرد، وجعل يقول كلما ذكر شيئا من هذا: ذلك (من)(١) الفتون ياابن جبير، حتى عَد عليه الجميع.

وقوله: ﴿ فلبثت سنين فى أهل مدين ﴾ يعنى: تراعى الأغنام.

وقوله: ﴿ ثم جئت على قدر ياموسى ﴾ أى: على قدر النبوة والرسالة. قال ابن عباس: ولم يبعث الله نبيًا إلا على رأس أربعين سنة، وجاء موسى ربه، وهو ابن أربعين سنة؛ فنبأه الله وأرسله، فهذا معنى قوله: ﴿ ثم جئت على قدر ياموسى ﴾. وقيل معناه: جئت على موعد ياموسى، ولم يكن هذا الموعد مع موسى، وإنما كان موعداً فى تقدير الله تعالى. ويقال: وافيت فى الوقت الذى قدرت أى: توافى فيه، قال الشاعر:

نال الخلافة إذ كانت له قـدرا ... كمثل موسى الذى وافى على قدر

وقوله: ﴿ واصطنعتك لنفسى ﴾ قال الزجاج معناه: اخترتك لأمرى، وجعلتك القائم بحجتى، والمخاطب بينى وبين خلقى، كأنى الذى أقمت عليهم الحجة وخاطبتهم، وقال بعضهم معناه: استكفيتك طلب كفاية أمرٍ من خاص أمرى، وصنيعة الإنسان خاصته وتربيته إذا أعده لأمر من مهم أمره.

وقوله: ﴿ اذهب أنت وأخوك بآياتى ﴾ أى: بدلائلى.

وقوله: ﴿ ولاتنيا فى ذكرى ﴾. أى: ولاتضعفا فى ذكرى، وقرأ ابن مسعود: «ولاتهنا فى ذكرى».

وقوله: ﴿ اذهبا إلى فرعون إنه طغى ﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿ فقولا له قولا ليِّنًا ﴾. معناه: دارياه [بالرفق](٢)، وارفقا معه، ويقال

(١) ليست فى «ك».

(٢) من «ك».

معناه: كنياه. واختلفوا في كنيته: منهم من قال: كنيته أبو الوليد، ومنهم من قال: أبومُرّة ومنهم من قال: أبو العباس، والله أعلم.

وقوله: ﴿لعله يتذكر أويخشى﴾. أي: يتعظ ويخاف. فإن قيل قوله ﴿لعله﴾ تطميع، فكيف يطمعهما في إسلامه، وقد قدر أنه لايسلم؟ قلنا معناه: اذهبا على رجائكما وطمعكما، وقضاء الله وراء أمركما، وقال بعضهم: قد تذكر وخاف، إلا أنه حين لم تنفعه التذكرة والخوف، وقد بينا في سورة يونس.

وفي قوله: ﴿فقولا له قولا لينا﴾ كلمات معروفة؛ قال بعضهم: هذا رفقك بمن يقول: أنا الإله، فكيف رفقك بمن يقول: أنت الإله، وهذا رفقك بالكفار، فكيف رفقك بالأبرار؟ وهذا رفقك بمن جحدك، فكيف رفقك بمن وحّدك. وهذه تحببك إلى من تعاديه، فكيف إلى من تواليه وتناديه؟.

قوله تعالى: ﴿قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى﴾ يعني: أن يبادر ويعجل(١) بعقوبتنا قبل أن نريه الآيات. وحكى عن سعيد بن جبير أنه قال: كان موسى يخاف من فرعون خوفًا شديداً، وكان إذا دخل عليه، يقول: اللهم إني أعوذ بك من شره، وأدرأك في نحره، فحوّل الله تعالى ذلك الخوف إلى فرعون؛ فكان إذا رأى موسى بال في ثيابه كما يبول الحمار.

وفي بعض المسانيد برواية ابن مسعود، عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا دخل أحدكم على سلطان يخاف تغطرسه، فليقل: اللهم إني أعوذ بك من شره، وشر أحزابه؛ أن يفرط أحدٌ منهم عليّ أو يطغى، عز جارك، وجل ثناؤك، ولا إله غيرك»(٢).

---

(١) في «ك»: ويعاجل.

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١٠/ ١٥ - ١٦ رقم ٩٧٩٥) وفي الدعاء (٢/رقم ١٠٥٦، ١٠٥٧) عن عبد الله بن مسعود بنحوه مرفوعًا. ورواه البخاري في الأدب (رقم ٧٠٧)، وابن أبي شيبة (١٠/رقم٩٢٢٥) عن عبد الله بن مسعود موقوفًا بنحوه، وقال الدارقطني في العلل (٥ .رقم٦٩١): والموقوف هو المحفوظ.

يطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا

وقوله تعالى: ﴿قال لاتخافا إننى معكما أسمع وأرى﴾ أى: أسمع دعاءكما فأجيب، وأرى أمركما مع فرعون فأدفعه عنكما.

قوله تعالى: ﴿فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بنى اسرائيل﴾ أى: خلهم، وأطلقهم من أعمالك، وقد بينا أنه كان يكلفهم الأعمال الشاقة، وقد ضرب عليهم الضرائب.

وقوله: ﴿ولاتعذبهم﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿قد جئناك بآية من ربك﴾ بدلالة من ربك.

وقوله: ﴿والسلام على من اتبع الهدى﴾. ليس المراد منه تحية فرعون، وإنما المراد منه أن من اتبع الهدى فقد سلم من عذاب الله، ومنهم من قال: معناه: (من)(١) أَسْلَمَ سَلِمَ.

وفى بعض الآثار عن السدى: أن موسى عليه السلام قال لفرعون: «آمن بالله، ولك شباب لاتهرم فيه، وملك لاينزع منك، ولذة فى المطعم والمشرب والمَنكح إلى أن تموت، ثم إذا مُت دخلت الجنة، فأعجبه هذا الكلام، وكان لايقطع أمرًا دون هامان، فقال: حتى أنظر فى ذلك؛ فلما دخل عليه هامان، قال له: ألم تر أن هذا الرجل الذى أتانا قال كذا وكذا، وكان قبل ذلك يسمّيه الساحر، فلم يسمه الساحر فى ذلك اليوم، فقال له هامان: كنت أظن أن لك رأيا وعقلا! تريد أن تصير مربوبًا بعد أن كنت ربًّا، وعبداً بعد أن كنت معبوداً، فغلبه عن رأيه، فأبى على موسى ماأراد منه.

قوله تعالى: ﴿إنا قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى﴾. أى: كذب بآيات الله، وتولى عن طاعة الله.

---

(١) ليست فى «ك».

يَا مُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴿قَالَ فَمَا بَالُ
الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ الَّذِي

قوله تعالى: ﴿قال فمن ربكما ياموسى﴾ ظاهر المعنى.

وقوله تعالى: ﴿قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى﴾ قال الحسن: أعطى كل شئ مايصلحه، ثم هداه إليه. وقال مجاهد: معناه أعطى كل شىء صورة، ثم هداه إلى منافعه من المطعم والمشرب والمنكح.

وفيه قول ثالث: وهو أنه أعطى كل حيوان زوجه، ثم هداه إلى مأتاه(١)، وكل ذكر يهتدى كيف يأتى الأنثى. وروى عن أبى سابط أنه قال: أبهمت البهائم إلا عن أربع: تعرف خالقها، وتطلب رزقها، وتدفع عن نفسها، وتعرف كيف يأتى (أنثاه)(٢).

قوله تعالى: ﴿قال فما بال القرون الأولى﴾ معناه: فما حال القرون الأولى، وأراد به ماحالهم فيما دعوتنى إليه؟

وقيل: لما دعاه موسى إلى الإقرار بالبعث سأل وقال: ماحال القرون الأولى فى البعث؟ ويقال: إنه انصرف إلى هذا الكلام تعنتًا، وعدولا عن الجواب.

قوله تعالى: ﴿قال علمها عند ربى﴾ أى: علم القرون الأولى عند ربى.

[قوله: ﴿فى كتاب﴾ قال الكلبى: هو اللوح المحفوظ](٣).

وقوله: ﴿لايضل ربى﴾ أى: لايخطئ ربى، وقال ثعلب: لايذهب عليه موضعه، وقيل: لايغيب عن ربى، وقرأ الحسن: «لايُضل ربى» برفع الياء، من الإضلال، ويقال: لايضل ربى: لايغفل عنه ربى.

وقوله: ﴿ولاينسى﴾ أى: لايتركه، فينتقم من الكافر، ويجازى المؤمن، ويقال:

(١) هكذا فى «الأصل» وفى «ك»: ما أتاه.

(٢) فى «ك»: اتياه هو تصحيف.

(٣) ما بين القوسين ساقط من ك.

جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٥٧﴾

هو النسيان حقيقة. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي: «ولا يُنسى» على مالم يسم فاعله.

قوله تعالى: ﴿الذى جعل لكم الأرض مهاداً﴾ وقرئ: «مهداً» إلى هذا الموضع انتهى كلام فرعون مع موسى وجوابه إياه. وقوله: ﴿الذى جعل لكم الأرض مهداً﴾ ابتداء كلام من الله، ومعناه: مستقرا.

وقوله: ﴿وسلك لكم فيها سبلا﴾ أى: سهَّل ووطَّأ لكم فيها طرقًا.

وقوله: ﴿وأنزل من السماء ماءً﴾ أى: المطر.

وقوله: ﴿فأخرجنا به أزواجًا﴾ أى: أصنافًا: الأحمر، والأصفر، والأخضر.

وقوله: ﴿من نبات شتى﴾ أى: من نبات متفرقة.

وقوله: ﴿كلوا وارعوا أنعامكم﴾ أى: كلوا، وأسيموا أنعامكم ترعى.

وقوله: ﴿إن فى ذلك لآيات لأولى النهى﴾ قال ثعلب: لأولى العقول، وقيل: للذين ينتهى إلى رأيهم، وقيل: للذين يتناهون عن المعاصى وينزجرون عنها بعقولهم.

قوله تعالى: ﴿منها خلقناكم﴾ أى: من الأرض.

وقوله: ﴿وفيها نعيدكم﴾ أى: عند الموت.

وقوله: ﴿ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ أى: عند الحشر. فإن قيل: فى الابتداء لم نخرج عن الأرض، فكيف قال: ﴿تارة أخرى﴾؟. قلنا معناه: ومنها نخلقكم تارة أخرى، فيصح المعنى على هذا.

قوله تعالى: ﴿ولقد أريناه آياتنا كلها﴾ هى الآيات التسع التى أُعْطِيها موسى عليه السلام.

وقوله: ﴿فكذب وأبى﴾ أى: كذب بالتوحيد، وأبى عن الإيمان.

قوله تعالى: ﴿قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك ياموسى﴾ معناه: لتأخذ رمنَّا أرضنا؛ فيكون لك الملك والسلطان، وتخرج من تشاء، وتدخل من تشاء.

فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لاَّ نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنتَ مَكَانًا سُوًى
﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ
كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ

قوله: ﴿فلنأتينك بسحر مثله﴾ يعنى: مثل سحرك.

وقوله: ﴿فاجعل بيننا وبينك موعداً﴾ أى: موعداً للاجتماع.

وقوله: ﴿لانخلفه نحن ولا أنت﴾ أى: لانتخلف نحن ولا أنت.

وقوله: ﴿مكانًا سوى﴾ قرئ بالرفع، وقرئ بالكسر. ومعناه: مكانًا عدلا، وقيل: منصفاً ويقال: فى مكان مستوى لايغيب عن أحد فيها ما يفعل بعضنا ببعض.

قال ابن فارس: وهذا قول الحسن، ويقال: مكانًا سوى أى: يستوى فى المسافة إليه.

قوله تعالى: ﴿قال موعدكم يوم الزينة﴾ قال ابن عباس: يوم الزينة يوم عيد لهم؛ كانوا يجتمعون له، ويقال: يوم الفيروز. وعن عطاء: أنه كره الزينة للأعياد؛ قال: هو من عمل الكفار.

وقوله: ﴿وأن يحشر الناس ضحى﴾ أى: فى صدر النهار، وقد جرت العادة أن الأعياد تكون فى أول النهار، وكذلك اجتماع الناس فى الأمور أكثر ما يكون فى أول النهار.

وقوله تعالى: ﴿فتولى فرعون﴾ معناه: فأعرض، وقيل: ولى الأمر فرعون.

وقوله: ﴿فجمع كيده﴾ أى: مكره وحيلته.

وقوله: ﴿ثم أتى﴾ أى: ثم أتى بالموعد.

قوله تعالى: ﴿قال لهم موسى ويلكم لاتفتروا على الله كذبًا﴾ قال الضحاك، عن ابن عباس: جمع فرعون سبعين ألفًا من السحرة، وذكر مقاتل: خمس عشرة ألفًا، وذكر بعضهم: نيفًا وسبعين رجلا، وهو قول معروف.

وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنْ

وقوله: ﴿ ويلكم لاتفتروا على كذبًا ﴾ أى: لاتختلقوا على الله كذبًا، معناه: لاتكذبوا على الله.

وقوله: ﴿ فَيَسحتكم بعذاب ﴾ بنصب الياء، وقرئ: «فَيُسحتكم» برفع الياء، ومعناه: الاستئصال أى: يستأصلكم بالعذاب، قال الفرزدق شعراً:

وعَضّ زمانٍ يا بن مروان لم يدع ... من المال إلا مسحتا أو مَجُلَّفُ(١)

وفرق بعضهم بين الرفع والفتح؛ فقال: هو بالنصب أن لايبقى شئ، وبالرفع أن يبقى بقية، والأصح أن لافرق. وقيل: فيسحتكم، أى: (شهد) لكم(٢).

وقوله: ﴿ وقد خاب من افترى ﴾ أى: خسر وهلك(٣) من افترى.

قوله تعالى: ﴿ فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى ﴾ قال قتادة: هذا ينصرف إلى السحرة، وإسرارهم النجوى أنهم قالوا: إن كان ما يأتى به موسى سحراً، فسنغلبه، وإن غلبنا فله أمرٌ، وروى أنهم قالوا: إن غلبنا اتبعناه.

قوله تعالى: ﴿ قالوا إن هذان لساحران ﴾ اعلم أن هذه الآية مشكلة فى العربية، وفيها ثلاث قراءات:

قرأ أبو عمرو: «إِنَّ هَذَيْنِ لسَاحِرَانِ»، وقرأ حفص: «إِنْ هَذَانِ لِسَاحِرَانِ»، وقرأ الباقون: «إِنَّ هَذَانِ لساحِران».

أما قراءة أبي عمرو: فهى المستقيمة على ظاهر العربية، وزعم أبو عمرو أَنَّ «هذان» غلط من الكاتب فى المصحف.

(١) فى «ك»: مستحيلا ومحلف. وهو تحريف.

(٢) كذا، وفى «ك»: يشهد، ولم أقف على هذا المعنى فى لسان العرب - مادة: سحت - وأظنه تحريفًا، ولعله: يفشركم، والله أعلم.

(٣) فى «ك» خاب وخسر.

وعن عثمان – رضى الله عنه – أنه قال: أرى فى المصحف لحنًا، (تستقيمه)[1] العرب بألسنتها. ومثله عن عائشة – رضى الله عنها –.

وأما قراءة حفص: فهى مستقيمة أيضًا على العربية؛ لأن إنْ مخففة يكون ما بعدها مرفوعا، ومعناه: ما هذان إلا ساحران.

وأما قراءة الأكثرين – وهى الأصح – قال الزجاج: لانرضى قراءة أبىِ عمرو فى هذه الآية؛ لأنها خلاف المصحف، وأما وجه قوله: ﴿إِنَّ هذان﴾ فله وجوه فى العربية: أما القدماء من النحويين فإنهم قالوا: «هو على تقدير: إنه هذان، فحذف الهاء، ومثله كثير فى العربية، والوجه الثانى: أن هذا لغة كنانة و خثعم (وزبيد)[2]، وقال الكسائى: لغة بلحارث بن كعب من كنانة، وأنشد الكسائى شعرًا:

تزود منى بين أذناه ضربة ... دعته إلى هذه التراب عقيم

وأنشد غيره:

إن أباها وأبا أباها قد ... بلغا فى المجد غايتاها

وأنشدوا أيضًا:

أى قلوص راكب تراها ... طاروا علاهن فطر علاها

أى: عليهن.

قال الكسائى: على هذه اللغة يقولون: أتانى الزيدان، ورأيت الزيدان، ومررت بالزيدان، ولايتركون ألف التثنية فى شىء منها.

وأما الوجه الثالث، هو أصح الوجوه، فإن القرآن لايحمل على اللغة البعيدة؛ وهو أن معنى قوله: ﴿إِنَّ هذان﴾ أى: نعم هذان، قال الشاعر:

بكر العواذل فى الصبا ... ح يلمننى وألومهن

ويقلن شيب قد علاك ... وقد كبرت فقلت إنه

(١) فى تفسير القرطبى (١١ / ٢١٦): ستقيمه.

(٢) فى «ك» رويناه، وهو تحريف.

هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا

أى: نعم

وروى أن أعرابيا أتى عبد الله بن الزبير يطمع شيئًا، فلم (يحصل)[1] له طمعه، فقال الأعرابى: لعن الله ناقة حملتنى إليك، فقال ابن الزبير: إِن، وصاحبها، أى: نعم. وفى قراءة أبىِ بن كعب: «إِن ذان إِلا ساحران»، وهى شاذة.

وقوله: ﴿يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿ويذهبا بطريقتكم المثلى﴾ أى: بالطريقة المستقيمة التى أنتم عليها، وكانوا يظنون أنهم على دين مستقيم، والمثلى تأنيث الأمثل. وأما ابن عباس قال: بطريقتكم المثلى أى: الرجال الأشراف.

وقال قتادة: أراد به بنى[2] إسرائيل، وكانوا أهل يَسار (وعزّة)[3].

فقالوا[4]: يريدان أن يذهبا بهؤلاء. والعرب تقول: هؤلاء طريقة القوم أى: أشرافهم.

ومنهم من قال: معناه أهل طريقتكم المثلى.

وقوله: ﴿فَأَجمعوا كيدكم﴾ وقرئ بالوصل: «فاجمعوا». أما قوله: ﴿فأجمعوا﴾ بالقطع فمعناه: العزيمة والإِحكام. قال الأزهرى: تقديره: اعزموا كلكم على كيده مجتمعين له، ولاتختلفوا فيختل أمركم. وأما قوله: «فاجمعوا» بالوصل، معناه: جيئوا بكل كيد لكم؛ لتعارضوا موسى.

وقوله: ﴿ثم ائتوا صفًا﴾ قال أبو عبيدة: مُصْطَفين، وقال غيره: الصف هو

(١) فى «ك»: يصح.

(٢) فى «ك»: بنو إسرائيل.

(٣) فى «ك»: وعدة.

(٤) فى «ك»: فقال.

وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾

[المصلى](١)، ومعناه: ثم ائتوا المكان الموعود.

وقوله: ﴿وقد أفلح اليوم من استعلى﴾ أى: سعد وفاز من كانت له الغلبة فى اليوم.

قوله تعالى: ﴿قالوا ياموسى إما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقى﴾ معناه: اختر، إما أن تلقى أنت أولا، أو نلقى نحن أولا.

قوله تعالى: ﴿قال بل ألقوا﴾ يعنى: ابتدءوا أنتم بالإلقاء. فإن قال قائل: إلقاؤهم كان كفراً وسحراً، فهل يجوز أن يأمرهم موسى بالإلقاء الذى هو سحر وكفر؟ الجواب عنه من وجهين: أحدهما: أن هذا أمر بمعنى الخبر، ومعناه: إن كان إلقاؤكم عندكم(٢) حجة فألقوا، والثانى: أنه أمرهم بالإلقاء على قصد إبطال سحرهم بما يلقى من عصاه، وهذا جائز.

وقوله: ﴿فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ وقرئ بالياء والتاء «تخيل»، فمن قرأ بالتاء، فهو راجع إلى العصى والحبال، فأنثت لأنها جمع، وأما بالياء فينصرف إلى الإلقاء. وفى القصة: أنهم لما ألقوا الحبال والعصى رأى موسى والقوم كأن الأرض امتلأت حيّات، وهى تسعى أى: تذهب وتجئ. واعلم أن التخايل ما لا أصل له(٣). ويقال: إنهم أخذوا بأعين الناس، فظنوا وحسبوا أنها حيات، وقيل: إن حبالهم وعصيهم أخذت ميلا من هذا الجانب، وميلا من ذلك الجانب.

قوله تعالى: ﴿فأوجس فى نفسه خيفة موسى﴾ أى: وجد فى نفسه خيفة، واختلفوا فى هذا الخوف على قولين:

(١) فى «الأصل وك»: المصفى، والصواب ما أثبتناه، انظر تفسير القرطبى (٦/ ١٣٧).

(٢) فى (ك): «عندى».

(٣) من «ك»، وفى «الأصل»: لها.

قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ

أحدهما: أنه خوف البشرية، والآخر: خاف على القوم أن يلتبس عليهم الأمر، فلا يؤمنوا، ويقال: خاف على قومه أن يشكوا، فيرجعوا عن الإيمان.

قوله تعالى: ﴿قلنا لاتخف إنك أنت الأعلى﴾ أى: الغلبة والظفر لك.

قوله تعالى: ﴿وألق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا﴾ أى: تلتقم وتبتلع.

وفى القصة: أنها فتحت فاها، فابتلعت كل ما كان يمر من العصى والحبال، وفرعون يضحك ويظن أنه سحر، ثم قصدت قبة فرعون، وكان طولها فى الهواء [أربعين](١) ذراعًا، ففتحت فاها على قدر ثمانين ذراعًا، وأرادت أن تلتقم القبة، فنادى فرعون: ياموسى، بحق التربية، قال: فجاء فأخذها، فعادت عصا على ما كانت.

وقوله: ﴿إنما صنعوا كيد سحر﴾ قرئ «ساحر»، وقرئ «سحر»، فقوله: ﴿كيد ساحر﴾ أى: حيلة ساحر.

وقوله: ﴿كيد سحر﴾ أى: حيلة من سحر.

وقوله: ﴿ولايفلح الساحر حيث أتى﴾ فى التفسير أن معناه: أين وجد قتل.

وفى بعض المسانيد عن جندب بن عبد الله، أن النبى ﷺ قال: «إذا أخذتم الساحر فاقتلوه، وقرأ قوله تعالى: ﴿ولايفلح الساحر حيث أتى﴾»(٢).

تعالى: ﴿فألقى السحرة سجداً﴾ قد بينا من قبل.

وقوله: ﴿قالوا آمنا برب هارون وموسى﴾ أى: بإله هارون وموسى، وقدم هارون على موسى على وفق رءوس الآى.

---

(١) فى «الأصل، وك»: أربعون، وهو خلاف الجادة..

(٢) رواه ابن أبى حاتم، وابن مردويه كما فى الدر (٤/٣٣٣). وقال الحافظ ابن كثير (٣/١٥٨) بعد إيراده برواية ابن أبى حاتم: وقد روى أصله موقوفًا ومرفوعًا.

هَرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ

قوله تعالى: ﴿قال آمنتم له قبل أن آذن لكم﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿إنه لكبيركم الذى علمكم السحر﴾ أى: معلمكم الذى علمكم السحر. وحكى الكسائى أن العرب تقول: رجعت من عند كبيرى أى: معلمى.

وقوله: ﴿فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿ولأصلبنكم فى جذوع النخل﴾ معناه: على جذوع النخل، وذكر كلمة فى؛ لأن المصلوب يصلب مستطيلا على الجذع؛ فالجذع يشتمل عليه.

وقوله: ﴿ولتعلمن أينا أشد عذابًا وأبقى﴾ أى: أنا أقوى أو رب موسى؟ وذكر الكلبى: أن فرعون قطع أيديهم وأرجلهم وصلبهم، وذكر غيره: أنه لم يقدر عليهم، واستدل بقوله تعالى: ﴿لايصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون﴾(١).

قوله تعالى: ﴿قالوا لن نؤثرك﴾ أى: لن نختارك. ﴿على ما جاءنا من البينات﴾ أى: الدلالات؛ وكان استدلالهم أنهم قالوا: إن كان هذا سحر، فأين حبالنا وعصينا؟ وقيل: من البينات أى: اليقين والعلم.

وقوله: ﴿والذى فطرنا﴾. فيه قولان: أحدهما: (وقوله)(٢) ولن نؤثرك على الذى فطرنا، والآخر: أنه قسم.

وقوله: ﴿فاقض ما أنت قاض﴾ أى: فاصنع ما أنت صانع.

وقوله: ﴿إنما تقضى هذه الحياة الدنيا﴾ أى: أمرك وسلطانك فى هذه الحياة الدنيا، وسيزول عن قريب.

---

(١) القصص: ٣٥.

(٢) كذا فى النسختين، وحذفها أولى.

قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا

وقوله: ﴿إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا﴾ أى: ذنوبنا.

وقوله: ﴿وما أكرهتنا عليه من السحر﴾ فإن قيل: كيف يستقيم هذا وقد جاءوا مختارين، وحلفوا بعزة فرعون أن لهم الغلبة على ما ذكر فى موضع آخر؟ والجواب عنه: أنه روى عن الحسن البصرى أنه قال: كان فرعون يجبر قومًا على تعلم السحر؛ لكيلا يذهب أصله، وكان قد أكرههم فى الابتداء على تعلمه، فأرادوا بذلك.

وقوله: ﴿والله خير وأبقى﴾ قال محمد بن كعب معناه: والله خير ثوابًا إن أطيع، وأبقى عقابًا إن عصى. يقال: إن أمر السلطان إكراه؛ فلهذا قالوا: وما أكرهتنا عليه من السحر، لما سجدوا أراهم الله تعالى مواضعهم فى الجنة، وما أعدَّ لهم من الثواب والكرامة، فلما رفعوا رءوسهم وقد [رأوا][(١)] قالوا ما قالوا.

وعن عكرمة: أصبحوا وهم سحرة، وأمسوا وهم شهداء.

وروى أن الحسن كان إذا بلغ إلى هذه الآية قال: عجبًا لقوم كافرين سحرة من أشد الناس كفرًا، رسخ الإيمان فى قلوبهم حين قالوا ما قالوا، ولم يبالوا بعذاب فرعون، وترى الرجل من هؤلاء يصحب الإيمان ستين سنة، ثم يبيعه بثمن يسير.

وفى القصة: أن امرأة فرعون كانت تستخبر فى ذلك اليوم لمن الغلبة، فلما أخبرت أن الغلبة كانت لموسى، أظهرت الإيمان لله، فذكر ذلك لفرعون، فبعث قومًا، وقال: انظروا إلى أعظم صخرة، فإن أصرت على قولها، فألقوا عليها الصخرة، فأراها الله تعالى موضعها من الجنة، وقبض روحها، فجاءوا وألقوا الصخرة على جسد ميت.

قوله تعالى: ﴿إنه من يأت ربه مجرمًا﴾ قال بعضهم: هذا من قول السحرة، وقال بعضهم: هو ابتداء كلام من الله تعالى. قوله: ﴿مجرمًا﴾ أى: مشركًا.

وقوله: ﴿فإن له نار جهنم لايموت فيها ولايحيى﴾ أى: لايحيا حياة ينتفع بها،

(١) من «ك»، وفى «الأصل» روا.

وَلا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾
جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾
وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لاَّ

ولايموت فيستريح، ويقال: إن أرواحهم تكون معلقة بحناجرهم، لاتخرج فيموتون، ولا تستقر فى موضعها فيحيون، قال الشاعر:

ألا مَنْ لنفس تموت فينقضى شقاها ولاتحيا حياة لها طعم

قوله تعالى: ﴿ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات﴾ أى: أدى الفرائض. قال الحسن: من أدى الفرائض فقد استكمل الإيمان، ومن لم يؤدِ الفرائض فلم(١) يستكمل الإيمان.

وقوله: ﴿فأولئك لهم الدرجات العلى﴾ جمع العليا، والعليا تأنيث الأعلى.

قوله تعالى: ﴿جنات عدن﴾ قد بينا هذا من قبل، وفى بعض التفاسير عن عمر - رضى الله عنه - قال: جنة(٢) عدن قصر له عشرة آلاف باب، لا يعلم سعتها إلا الله. ويقال: نهر فى الجنة على حافتيه قصور الجنان.

وقوله: ﴿تجرى من تحتها الأنهار﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿خالدين فيها﴾ أى: مقيمين فيها.

وقوله: ﴿وذلك جزاء من تزكى﴾ أى: تطهير من الذنوب، وقيل: جزاء من قال: لا إله إلا الله.

قوله تعالى: ﴿ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادى﴾ أى: سر بهم ليلا.

وقوله: ﴿فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا﴾ أى: ذا يبس، وقيل: يابسًا، أى: لاندوة فيه، ولا بلل.

---

(١) فى «ك»: «لم».

(٢) فى «ك»: جنات.

تَخَافُ دَرَكًا وَلا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا

وقوله تعالى: ﴿لاتخاف دركا ولاتخشى﴾ روى أنهم لما بلغوا البحر قالوا: ياموسى، هذا البحر أمامنا، وفرعون وجنده وراءنا، فقال الله تعالى: ﴿لاتخاف دركًا ولاتخشى﴾. أي: لاتخاف أن يدركك فرعون من ورائك، ولاتخشى أن يغرقك البحر أمامك، وقرأ حمزة: «ولاتخف» على الأمر.

قوله تعالى: ﴿فأتبعهم فرعون بجنوده﴾ قرئ: «فأتبعهم»، وقرئ: «فاتّبعهم» أما قوله: ﴿فأَتْبَعَهُم﴾ أى: بعث فى إثرهم جنوده.

وقوله: ﴿فاتّبعهم﴾ أى: اتبعهم بجنده .

وقوله: ﴿فغشيهم من اليم ماغشيهم﴾ معناه: غشيهم من البحر ما غرقهم، ويقال: غشيهم من اليم ماغشى قوم موسى فنجا قوم موسى، وغرقوا هم، ويقال: غشيهم من اليم ماأهلكهم .

وقوله: ﴿وأضل فرعون قومه وماهدى﴾ أى: وما أرشد، وهو جواب لقول فرعون: ﴿وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾.(١)

وقوله تعالى: ﴿يابنى إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم﴾ أى: من أعدائكم، ويقال: أراد به فرعون وحده.

وقوله: ﴿وواعدناكم جانب الطور الأيمن﴾ فى التفسير: أن الله تعالى وعد موسى أن يؤتيه كتابًا من عنده، وهو التوراة، فهو معنى قوله تعالى: ﴿وواعدناكم جانب الطور الأيمن﴾ أى: لإعطاء الكتاب .

وقوله: ﴿ونزلنا عليكم المن والسلوى﴾ قد بيناه فى سورة البقرة. وقوله: ﴿كلوا من طيبات مارزقناكم﴾ أى: من حلال مارزقناكم.

---

(١) غافر: ٢٩.

مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ

وقوله: ﴿ولاتطغوا فيه﴾. أى: لاتكفروا النعمة، ويقال: لاتخلطوا الحرام بالحلال، وعن ابن عباس: لاتدخروا ثم لاتدخروا فتدود(١)، ولولا ماصاموا لم يَتَودَّ طعام(٢).

وقوله: ﴿فيحل عليكم غضبى﴾ قرئ بالكسر والرفع، أما بالكسر فيجب، وأما بالرفع فينزل.

وقوله: ﴿ومن يحلُل عليه غضبى﴾ أى: ينزل عليه، وقرئ: «ومن يحلِل» أى: يجب.

وقوله: ﴿فقد هوى﴾ أى: هلك، وعن شُفى بن ماتع الأصبحى قال: هوى وادٍ فى جهنم يهوى فيه أربعين خريفًا، ومعنى الآية أى: وقع فيه.

قوله تعالى: ﴿وإنى لغفار لمن تاب﴾ أى: من الشرك. ﴿وآمن﴾ أى: آمن بالله.

وقوله: ﴿وعمل صالحًا﴾ أى: أدى الفرائض.

وقوله: ﴿ثم اهتدى﴾ فيه أقوال: قال ابن عباس: لم يشك فى إيمانه وعن قتادة قال: مات على الإيمان. وعن سعيد بن جبير: لزم السنة والجماعة. وقال بعضهم: أخلص، وقال بعضهم: عمل (بعمله)(٣) وعن ثابت البنانى قال: تولى أهل البيت.

قوله تعالى: ﴿وما أعجلك عن قومك ياموسى﴾ فى القصة: أنه لما جاء مع السبعين الميعاد تعجل بنفسه، وخلف السبعين وراءه، فقال الله تعالى له: ﴿وما أعجلك عن قومك ياموسى﴾ أى شئ حملك على العجلة؟

وقوله: ﴿قال هم أولاء على أثرى﴾ أى: يأتونى خلفى.

وقوله: ﴿وعجلت إليك رب لترضى﴾ أى: لتزداد رضًا، وعن بعض السلف: أنه

(١) كذا وفى بعض المصادر: فيتدود.

(٢) كذا وفى بعض المصادر: ولولا ذلك ما تدود طعام أبدًا.

(٣) كذا فى النسختين، والصواب. عمل بعلمه.

لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا

تعجل شوقا.

قوله تعالى: ﴿قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك﴾ أى: أوقعناهم فى الفتنة.

قوله: ﴿وأضلهم السامرى﴾ أى: ضلوا بسببه، وقد بينا طرفًا من هذه القصة فى سورة الأعراف. وحكى عن وهب بإسناده عن راشد بن سعد أن الله تعالى لما قال له هذا القول قال: يارب، من صاغ العجل؟ قال: السامرى، قال: فمن أحياه وأظهر منه الخوار؟ قال: أنا، قال: فأنت أضللتهم يارب، فقال الله تعالى له: يا (رأس)[1] النبيين، أنا رأيت ذلك فى قلوبهم فسهلته عليهم[2].

وقوله: ﴿فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفًا﴾ أى: شديد الحزن لما أصاب قومه من الفتنة.

قوله تعالى: ﴿قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدًا حسنًا﴾ معناه: ماوعد من إنزال الكتاب، ومن التنجية من فرعون وقومه، وغير هذا مما وعد وحقق.

وقوله: ﴿أفطال عليكم العهد﴾ كان موسى وعد أن يعود بعد أربعين يومًا، فلما مضت عشرون يومًا، عدوا النهار عشرين، والليل عشرين، وقالوا قد مضى الوعد.

وقوله: ﴿أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم﴾. أى: أردتم أن تفعلوا فعلا يجب عليكم الغضب من ربكم.

وقوله: ﴿فأخلفتم موعدى﴾ (أو)[3] وعدى.

(١) فى «ك»: رئيس.

(٢) هذا الخبر، وعلى فرض صحة إسناده إلى راشد بن سعيد، فهو مما أخذ عن كتب بنى إسرائيل التى لانصدقها، خاصة فى مثل هذا الخبر.

(٣) كذا، وأظن الصواب: أى.

قوله تعالى: ﴿قالوا ما أخلفنا موعدك بِمَلْكِنَا﴾.

قرئ: «بملكنا»، وقرئ: «بمُلْكِنَا»؛ فقوله: «بِمِلْكِنَا» أى: بطاقتنا، وقوله: «بِمُلْكِنَا» أى: بسلطاننا. وكذلك «بِمَلْكِنَا» بفتح الميم. وأحسن ماقيل فى هذا هو أن المرء إذا وقع فى البلية والفتنة لم يملك نفسه. وقد ثبت عن النبى ﷺ فى بعض دعواته: «اللهم إذا أردت بقوم فتنة فاقبضنى إليك غير مفتون»(١).

وقوله: ﴿ولكنا (حَمَلْنا)(٢)﴾ وقرئ: «حمِّلنا». فى القصة: أنهم استعاروا حُلِى نساء القبط، ثم لم يردوا حتى خرجوا إلى جانب البحر، فهو معنى قوله: ﴿حملنا أوزاراً من زينة القوم﴾. أى: من حُلى القوم، والأوزار: الأثقال، وسمى الحلى أوزاراً، لأنهم كانوا أخذوها على وجه العارية، ولم يردوها، فكانت بجهة الخيانة .

ويقال: إن الله تعالى لما أغرقهم نبذ البحر حليهم، فأخذها، ولم تكن الغنيمة حلالا لهم فى ذلك الزمان، فسماها أوزاراً لهذا المعنى، وقال الشاعر فى الأوزار:

وأعددت للحرب أوزارهـا ... رماحـا طوالا وخيلا ذكورا

وقوله تعالى: ﴿فقذفناها﴾ (روى أن)(٣) هارون - عليه السلام - أمر أن يحفر حفرة، ثم أمرهم أن يلقوا تلك الحلى فيها، وأضرم عليها ناراً، وفى قول أخر: أن السامرى أمرهم بذلك، فهو معنى قوله: ﴿فقذفناها﴾.

وقوله: ﴿فكذلك ألقى السامرى﴾ يعنى: ألقى السامرىّ أيضًا ماعنده من الحلى.

(١) هو جزء من آخر حديث اختصام الملأ الأعلى، وقد رواه الإمام أحمد فى مسنده (٥/ ٢٤٣)، والترمذى (٥/ ٣٤٣-٣٤٤رقم٣٢٣٥)، وقال: حسن صحيح سألت محمد بن إسماعيل - يعنى البخارى - عن هذا الحديث فقال: هذا حديث حسن صحيح.

قلت: وقد ذكر الدارقطنى هذا الحديث فى علله (٦/ ٥٤ - ٥٧ رقم٩٧٣) وأورد له طرقًا كثيرة ثم قال: ليس فيها صحيح، وكلها مضطربة.

(٢) هكذا ضبطت فى «الأصل» وفى ك: حُمِّلنَا.

(٣) فى «ك»: وكان.

السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلا يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا ﴿٨٩﴾

وقوله: ﴿ فأخرج لهم عجلا جسداً له خوار ﴾ في القصة: أن النار لما أخلصت الذهب والفضة جاء السامرى، وألقى فيه قبضة من التراب، أخذها من تحت حافر فرس جبريل - عليه السلام - وقال: كونى عجلاً له خوار، فصار عجلاً يخور.

وقوله: ﴿ جسداً ﴾ قيل: جسداً لارأس له، وقيل: جسداً لايضر ولاينفع، وقال الخليل: العرب تسمى كل مالا يأكل ولايشرب جسداً، وكان العجل لايأكل ولايشرب ويصيح، والقول الأول أضعف الأقوال، واختلفوا فى الخوار: فالأكثرون أنه صوت عجل حى، وهو قول ابن عباس، والحسن، وقتادة وجماعة، وقال مجاهد: هو صوت حفيف الريح، كانت تدخل فى جوفه وتخرج، وهو قول ضعيف.

وقوله: ﴿ فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسى ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن هذا إلهكم وإله موسى، تركه موسى هاهنا، وذهب يطلبه.

والثانى: معناه: فنسى السامرى الإيمان بالله ، أى: ترك. وقيل: فنسى موسى أن يذكر لكم أن هذا هو الإله.

وقوله: ﴿ أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ﴾ فى بعض التفاسير: أن العجل خار خوارا واحداً، ولم يعد، فهو معنى قوله: ﴿ ألا يرجع إليهم قولا ﴾ وقال بعضهم: لايجيبهم إذا دعوه.

وقوله: ﴿ ولايملك لهم ضراً ولا نفعًا ﴾ ظاهر المعنى.

فإن قيل: السامرى كان كافراً، وهذا الذى ظهر على يده معجزة، فكيف يجوز أن تظهر المعجزة على يد كافر؟ والجواب: أن ذلك كان لفتنة بنى اسرائيل وابتلائهم.

وعند أهل السنة هذا جائز، ولانقول: هو معجزة، ولكنه محنة وفتنة.

وفى بعض الآثار: أن هارون مرّ على السامرى، وهو يصوغ العجل، فقال له:

وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي
وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ
يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَا

ماهذا؟ فقال: هو [شئ][(١)] ينفع ولايضر فادع لى. فقال هارون: اللهم أعطه على مافى نفسه، فألقى التراب فى فم العجل، وقال: كن عجلا يخور، فكان كذلك بدعوة هارون.

وقد قال أهل العلم: إنه ليس من عجل من ذهب يخور بشبهة تقع فى أنه إله ومعبود[(٢)].

قوله تعالى: ﴿ولقد قال لهم هارون من قبل ياقوم إنما فتنتم به﴾ أى: ابتليتم به.

﴿وإن ربكم الرحمن﴾ أى: معبودكم الرحمن، لاما اتخذتموه معبوداً.

وقوله: ﴿فاتبعونى﴾ أى: اتبعونى فى عبادة الله. ﴿وأطيعوا أمرى﴾ فى ترك عبادة العجل.

قوله تعالى: ﴿قالوا لن نبرح عليه عاكفين﴾ أى: لن نزل مقيمين على عبادته ﴿حتى يرجع إلينا موسى﴾.

قوله تعالى: ﴿قال ياهارون﴾ فيه تقدير، وهو أن موسى رجع، وقال: ياهارون.

وقوله: ﴿ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن﴾ لا زائدة، ومعناه: أن تتبعنى.

وقوله: ﴿أفعصيت أمرى﴾ أى: خالفت أمرى. فإن قال قائل: هل تقولون إن هارون خالف موسى فيما طلب منه، وأنه داهن عبدة العجل، ولم يشدد فى منعهم عنها؟ والجواب: أن موسى لم يطلب من هارون إلا أن يخلفه فى قومه، وأن يرفق بهم، فرأى هارون أن لايقاتلهم، وأن الإمساك عن قتالهم أصلح، ورأى موسى أن يقاتلهم، ورأى أن القتال أصلح، فهذا رأى مجتهد خالف رأى مجتهد، ولا عيب فيه، وإنما

---

(١) صورتها فى «الأصل وك» كأنها «سر» والصواب ما أثبتناه.

(٢) كذا.

بْنَؤُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾

عاتبه موسى فى تركه القتال، يعنى: لوكنت أنا مكانك كنت أقاتلهم، فهلا فعلت مثل ذلك.

قوله تعالى: ﴿قال يابن أمَّ﴾. قرئ: «يا بن أمَّ» بالنصب و«يابن أمِّ» بالكسر، وقد بينا هذا من قبل.

وقوله: ﴿لاتأخذ بلحيتى ولا برأسى﴾ قال ابن عباس: أخذ رأسه بيمينه، وأخذ لحيته بيساره، ويقال: إن المراد من الرأس شعر الرأس، ويقال: أراد بالرأس الأذن، فإن قال قائل: هذا تهاون بنبى من أنبياء الله، فتكون كبيرة من الكبائر، فكيف وجه فعل هذا من موسى؟ والجواب عنه: أنه يحتمل أنه لم يكن مثل هذا الفعل تهاونًا فى عادتهم، فكان الأخذ باللحية شبه الأخذ بالكف عندهم، وقال بعضهم: أنه أخذ بلحيته كما يأخذ الإنسان بلحية نفسه عند الغضب فجعله كنفسه، وقد روى أن عمر - رضى الله عنه - كان إذا غضب جعل يفتل شاربه، وأولى الأجوبة أن هذا فعل الإنسان بمثله وشكله عند الغضب، فتكون صغيرة لاكبيرة، والصغائر جائزة على الأنبياء، وإنما ذكر هارون «الأم»، ولم يذكر «الأب»؛ ليرققه على نفسه.

وقوله: ﴿إنى خشيت أن تقول فرقت بين بنى إسرائيل﴾ هذا بيان مارأى من الرأى، يعنى: خشيت أن تقول: جعلتهم أحزاباً، فحزب عبدوا العجل، وحزب قاتلوا، وحزب أمسكوا عن القتال، والتبس عليهم أنه هل يجوز القتال أو لا؟، وحزب أنكروا لِمَ يَقَاتِلُون؟ فكل هذا التفرق كان جائزًا لو قاتل هارون.

وقوله: ﴿ولم ترقب قولى﴾ أى: لم تحفظ قولى، وهذا منصرف إلى قوله: ﴿واخلفنى فى قومى وأصلح﴾[1] (وقد بينا أن معنى قوله: ﴿وأصلح﴾[1])[2] أى: ارفق، فرأى أن الرفق أن يكف يده.

(١) الأعراف: ١٤٢.

(٢) ما بين القوسين سقطه «ك».

قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي

قوله تعالى: ﴿قال فما خطبك ياسامرى﴾ قال أهل التفسير: لما اعتذر هارون بما اعتذر به أقبل موسى على السامرى، فقال: ﴿ماخطبك ياسامرى﴾ والخطب هو: الجليل من الأمر، ومعنى الآية :ماهذا الأمر العظيم الذى جئت به؟

وقوله: ﴿قال بصرت بما لم يبصروا به﴾ رأيت بما لم يروا، ويقال: فطنت بمالم يفطنوا به .

وقوله: ﴿فقبضت قبضة من أثر الرسول﴾ المعروف: بالضاد المعجمة، وقرأ الحسن البصرى: «فقبصت» بالصاد غير المعجمة، والفرق بينهما أن القبض: هو الأخذ بملء الكف، والقبص هو الأخذ بأطراف الأصابع.

وقوله: ﴿من أثر الرسول﴾ يعنى: من تراب حافر فرس جبريل، فإن قال قائل: كيف عرف هذا؟ وكيف رأى جبريل من بين سائر الناس؟ والجواب عنه من وجهين: أحدهما: أن أمه لما ولدته فى السنة التى كان يقتل فيها الأنبياء، وضعته فى كهف حذراً عليه، فبعث اللهُ جبريل ليربيه ويغذيه لما قضى الله على يده من الفتنة، فلما رآه عرفه وأخذ التراب، والوجه الثانى: أن جبريل كان على فرس حصان أبلق، وكان ذلك الفرس تسمى فرس الحياة، وكان كلما وضع (الفرس)[1] حافره على موضع اخضر ما تحت حافره، فعرف أنه فرس الحياة، وكان سمع بذكره، وأن الذى عليه جبريل، فأخذ القبضة.

وقوله: ﴿فنبذتها﴾ أى: ألقيتها فى فم العجل، وقد قال بعضهم: إنما خار العجل لهذا؛ وهو أن التراب كان مأخوذاً من تحت فرس الحياة.

وقوله: ﴿وكذلك سولت لى نفسى﴾ أى: زينت لى نفسى.

قوله تعالى: ﴿قال فاذهب فإن لك فى الحياة أن تقول لامساس﴾ أى: لا أمسّ لا

(١) فى «ك»: ذلك الفرس.

الْحَيَاة أَن تَقُولَ لا مسَاس وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْه عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَالِدِينَ

أمسَّ، وفى القصة: أن موسى دعا عليه فصار يهيم مع الوحش، وروى أنه كان إذا مس أحدًا أو مسه أحد حُمَّا جميعا، قال الشاعر:

تميم كرهط السامرى وقولـه ... ألا لا يريد السامرى مِسـاسا

وقال سعيد بن جبير: كان السامرى رجلا من أهل كرمان، ويقال: من باجرما، والأكثرون أنه كان من بنى إسرائيل من رهط يقال لهم: السامرى.

وقوله: ﴿وإن لك موعداً لن تُخْلَفَهُ﴾ أى: لن تكذبه، ومعناه: أن الله يكافئك على فعلك ولا تفوته، وقرئ: «لن تخلفه» بكسر اللام أى: توافى يوم القيامة لميعاد العذاب ولاتخلف.

وقوله: ﴿وانظر إلى إلهك الذى ظلت عليه عاكفًا﴾ أى: ظللت عليه مقيماً.

وقوله: ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾ وقرئ: «لَنُحْرِقَنَّهُ» من الإحراق، وهما فى المعنى واحد، وهو التحريق بالنار، وعن على وابن عباس – رضى الله عنهما – أنهما قرآ: «لَنَحْرُقَنَّهُ» وهى قراءة أبى جعفر، ومعناه: لنبردنه بالمبرد، وفى قراءة أبى بن كعب: «لنذبحنه ثم لنحرقنه».

وقوله: ﴿ثم لننسفنه فى اليم نسفًا﴾ يعنى: لنذرينه فى البحر تذرية.

قوله تعالى: ﴿إنما إلهكم الله الذى لا إله إلا هو وسع كل شىء علماً﴾ أى: وسع علمه كل شىء، وقالوا هذا من فصيح القرآن.

قوله تعالى: ﴿كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق﴾ أى: من أخبار من تقدم.

وقوله: ﴿وقد آتيناك من لدنا ذكرا﴾ الذكر هاهنا هو: القرآن.

قوله تعالى: ﴿من أعرض عنه﴾ أى: عن القرآن.

وقوله: ﴿فإنه يحمل يوم القيامة وزرا﴾ أى: ثقلا، ومعناه: إثمًا يثقله.

فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلاً ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ
يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ

وقوله: ﴿خالدين فيها﴾ أى: مقيمين فى عذاب الوزر.

وقوله: ﴿وساء لهم يوم القيامة حملا﴾ أى: بئس الوزر حملهم يوم القيامة.

وقوله تعالى: ﴿يوم ينفح فى الصور﴾ وقرأ أبو عمرو: «ويوم نَنْفُخُ فى الصور»(١) واستدل بما عطف عليه من قوله: ﴿ونحشر المجرمين﴾ وقرأ الباقون: ﴿يوم يُنفخ فى الصور﴾ وهذا هو الأولى، وقد بينا معنى الصور من قبل.

وقوله تعالى: ﴿ونحشر المجرمين يومئذ زرقا﴾ قال الحسن وقتادة وجماعة: عميا. فإن قال قائل: كيف يستقيم هذا، وقد قال الله تعالى: ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة﴾(٢) والله تعالى إنما خلقهم بصرا؛ والجواب: أنه حكى عن ابن عباس أن فى القيامة تارات وحالات فيحشرون بصرا ثم يعمون. والقول الثانى فى قوله: ﴿زرقا﴾: أنه خضرة العين، فيحشر الكفار زرق الأعين سود الوجوه، والقول الثالث: عُطاشًا، ومعناه: وقد تغيرت أعينهم من شدة العطش، والقول الرابع: ﴿زرقا﴾ أى: شاخصة أبصارهم من عظم الخوف، قال الشاعر:

لقد زَرِقت عيناك يابن مُكَعْبَرٍ ... كذا كل ضَبِّىٍّ من اللؤم أزرق

والقول الخامس: ﴿زرقا﴾ أى: أحد البصر؛ لأن الأزرق يكون أحد بصرا.

وقوله: ﴿يتخافتون بينهم﴾ أى: يتساررون(٣)، ويتكلمون خفية.

وقوله: ﴿إن لبثتم إلا عشراً﴾ أى: ما لبثتم إلا عشراً، وقد قال بعضهم: هذا فى «القبر»، وقال بعضهم: فى الدنيا، فإن قال قائل: هذا كذب صريح، وقد لبثوا فى الدنيا والقبر سنين كثيرة!، والجواب عنه: أن من شدة هول القيامة يظنون أنهم ما

(١) أى: بصيغة التكلم.

(٢) الأنعام: ٩٤.

(٣) فى «ك» كأنها: يتشاورون.

إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْسًا

لبثوا إلا هذا القدر، وقال بعضهم: إن الله تعالى يرفع العذاب عنهم بين النفختين فيستريحون، فقولهم: ﴿إن لبثتم إلا عشراً﴾ راجع إلى هذا.

قوله تعالى: ﴿نحن أعلم بما يقولون﴾ معناه: أنى عالم بقولهم وإن خافتوا.

وقوله: ﴿إذ يقول أمثلهم طريقة﴾ تقول العرب: فلان أمثل قومه أى: أعدل قومه، ومعنى الآية هاهنا: أعقلهم وخيرهم[١] طريقة فى نفسه.

وقوله: ﴿إن لبثتم إلا يوماً﴾ أى: ما لبثتم إلا يوماً.

قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن الجبال﴾ قال الحسن البصرى: سأل المشركون رسول الله ﷺ ما يفعل الله بهذه الجبال يوم القيامة؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقوله: ﴿فقل ينسفها ربى نسفًا﴾ النسف هو القلع من الأصل، ومعنى النسف فى الآية: هو تسيير الجبال أو جعلها هباءً جعلها رملا سائلا.

وقوله: ﴿فيذرها قاعًا صفصفًا﴾ أى: يذر أماكن الجبال قاعًا صفصفا، والقاع هو المكان الواسع المستوى، والصفصف هو الأملس الذى لانبات فيه.

وقوله: ﴿لاترى فيها عوجًا ولا أمتًا﴾ أى: حدبًا ونبكًا، ومعناه: انخفاضًا وارتفاعًا.

قوله تعالى: ﴿يومئذ يتبعون الداعى﴾ قال أهل التفسير: الداعى ها هنا هو إسرافيل يضع الصور فى فيه، ويقول: أيتها العظام البالية، والجلود المتمزقة، واللحوم المتفرقة، هلموا إلى عرض الرحمن، أو لفظ هذا معناه.

وقوله: ﴿لاعوج له﴾ أى: لايزيغون يمينًا ولاشمالا، وقيل: لايمكنهم ألا يتبعوه.

وقوله: ﴿وخشعت الأصوات للرحمن﴾ أى: سكنت وخضعت، وقال قتادة:

(١) فى «ك»: غيرهم بالغين المعجمة.

﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ

ذلت. قال الشاعر:

(فما)[(١)] أتى خبر الزبير تصدعت ... سور المدينة والجبال الخشع

وقوله: ﴿فلا تسمع إلا همساً﴾ الهمس هو الصوت الخفى، ويقال: صوت وطء الأقدام كهمس الإبل، قال الشاعر:

فباتوا يذبحون وبات يسرى ... بصير بالدجى هارٍ[(٢)] هموس

قوله تعالى: ﴿يومئذ لاتنفع الشفاعة﴾ أى: لاتنفع الشفاعة لأحد.

وقوله: ﴿إلا من أذن له الرحمن﴾ أى: إلا لمن أذن الرحمن فى الشفاعة له.

وقوله: ﴿ورضى له قولا﴾ أى: قول لا إله إلا الله، وهو القول المرضى عند الله.

قوله تعالى: ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ أى: يعلم ما بين أيديهم من الآخرة، وما خلفهم من الأعمال، ويقال: يعلم ما بين أيديهم أى: (لم يخلقهم وهو يريد أن يخلقهم)[(٣)].

وقوله: ﴿وما خلفهم﴾ أى: الذين خلفهم من قبلهم فخلفوهم.

وقوله: ﴿ولايحيطون به علماً﴾ أى: لايحيطون بالله علماً، والله يحيط بالأشياء، ولايحاط به؛ لأن الإحاطة بالشىء هى العلم بالشىء من كل جهة يجوز أن يعلم، والله تعالى لايقدر قدره، ولايبلغ كنه عظمته، وأما سائر الأشياء فإن الله يعلم كل شىء بكل جهة يجوز أن تعلم.

قوله تعالى: ﴿وعنت الوجوه للحى القيوم﴾ أى: ذلت الوجوه، وقال طلق بن أبى حبيب: خرت الوجوه للسجود.

وقوله: ﴿للحى القيوم﴾ هو الدائم الذى لم يزل، والقيوم هو القائم بتدبير الخلق،

(١) كذا، ولعل الصواب: لما أو فلما.

(٢) فى «ك»: ها هموس.

(٣) كذا.

وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن

والقائم على كل نفس بما كسبت.

وقوله: ﴿وقد خاب من حمل ظلمًا﴾ أى: هلك من حمل شركًا، وحمل الشرك هو نفس الإشراك.

قوله تعالى: ﴿ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿فلا يخاف ظلمًا ولا هضمًا﴾ قوله: ﴿ظلمًا﴾ أى: يحمل عليه ذنب غيره. ﴿ولاهضمًا﴾ أى: لايخاف أن ينقص من حقه، وقيل: ظلمًا أى: لايقبل طاعته، و ﴿هضمًا﴾ أى: ينقص من ثوابه.

قوله تعالى: ﴿وكذلك أنزلناه قرآنًا عربيًّا﴾ أى: بلسان العرب.

وقوله: ﴿وصرفنا فيه من الوعيد﴾ أى: صرفنا القول فيه بذكر الوعيد. قال قتادة: هو ذكر وقائع الله فى الأمم الخالية.

وقوله: ﴿لعلهم يتقون﴾ أى: يتقون الشرك والمعاصى.

وقوله: ﴿أو يحدث لهم ذكرًا﴾ أى: يحدث لهم القرآن اعتبارًا؛ فيعتبرون به، وقال بعضهم: يحدث لهم الوعيد ذكر العذاب؛ فينزجرون عن المعاصى. وقال بعضهم: أو يحدث لهم ذكرًا أى: شرفًا لإيمانهم به.

قوله تعالى: ﴿فتعالى الله الملك الحق﴾ ارتفع الملك الحق ذو الحق.

وقوله: ﴿ولاتعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه﴾ فيه أقوال: المشهور ما ذكره ابن عباس وغيره، أن النبى ﷺ كان إذا نزل عليه جبريل بالقرآن، تلا أول الآية قبل أن يفرغ جبريل من الإبلاغ مخافة التفلت منه والنسيان؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية»[١] ومعناها: لاتعجل بقراءة القرآن قبل أن يفرغ جبريل من الإبلاغ. والقول

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس مرفوعًا بنحوه. رواه البخارى (١/ ٣٩ رقم ٥ وأطرافه فى ٤٩٢٧، ٤٩٢٨، ٤٩٢٩، ٥٠٤٤، ٧٥٢٤)، ومسلم (٤/ ٢١٨-٢٢٠رقم٤٤٨) إلا أنهما ذكرا الآية التى فى سورة القيامة: ١٦، وهى قوله تعالى: ﴿لاتحرك به لسانك لتعجل به..﴾.

قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ

الثاني: معناها: ولاتطلب الإنزال من الله تعالى، واصبر حتى يأتيك جبريل بما ينزله الله تعالى. والقول الثالث: معناها: ولا تبين للناس ما لم يصل إليك تأويله، ومعناه: ولاتبين من قبل نفسك. والقول الأول هو المعروف.

وقوله: ﴿وقل رب زدنى علمًا﴾ أى: علمًا إلى ما علمت، فكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية قال: اللهم زدنى إيمانًا ويقينًا. وعن مالك بن أنس قال: من شأن ابن آدم ألا يعلم كل شيء، ومن شأن ابن آدم أن يعلم ثم ينسى، ومن شأن ابن آدم أن يطلب من الله علمًا إلى علمه.

قوله تعالى: ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل﴾ العهد ها هنا هو الأمر.

وقوله: ﴿فنسى﴾ معناه: فترك، وعن ابن عباس: أن الإنسان سمى إنسانًا؛ لأنه ينسى.

وقوله: ﴿ولم نجد له عزمًا﴾ معناه: صبرًا، وقيل: حزمًا، وقال عطية: حفظًا لما أمر به والعزم هو توطين النفس على الفعل.

وعن الحسن البصرى قال: لو قوبل عقل آدم بعقل جميع ولده لرجحهم، وقد قال الله تعالى: ﴿ولم نجد له عزمًا﴾. وعن أبى أمامة الباهلى قال: لو وزن حلم آدم بحلم جميع ولده لرجح حلمه، وقد قال الله تعالى: ﴿ولم نجد له عزمًا﴾ فإن قيل: أتقولون أن آدم – عليه السلام – كان ناسيا لأمر الله تعالى حين أكل من الشجرة؟ قلنا: يجوز أنه نسى، ومنهم من قال: نسى عقوبة الله تعالى، وظن أنه نهى تنزيه، لانهى تحريم، ومنهم من قال: ظن أنه إنما نهى عن شجرة بعينها، ولم ينه عن جنس الشجرة.

قوله تعالى: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى﴾ ظاهر المعنى.

أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَىٰ

وقوله: ﴿فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾ أى: تتعب وتنصب. وقال السدى: بالحرث والحصد والطحن والخبز. وعن سعيد بن جبير: أن الله تعالى أنزل عليه ثوراً أحمراً، فجعل يحرث، ويرشح العرق عن جبينه، فذلك شقاؤه. وروى عن سعيد أنه قال: جعل آدم يسوق الثور، وقد تعب، وعرق، فقال: ياحواء، هذا من قبلك، فبقى ذلك فى ولده إلى يوم القيامة، فيقولون عند الحراثة: حَوْحَوْ. ذكره ابن فارس فى تفسيره.

قال أبو الحسين بن فارس فى تفسيره. وعليه الخبر المعروف برواية أبى هريرة - رضى الله عنه -، عن النبى ﷺ قال: «لقى آدمَ موسى - صلوات الله عليهما - فقال: يا آدم، أنت الذى أشقيتنا، وأخرجتنا من الجنة، فقال له آدم: ياموسى، أتلومنى على أمر قدره الله علىَّ قبل أن أخلق.. الخبر بطوله. إلى أن قال ﷺ: فحج آدم موسى ثلاثًا»(١). وفى بعض الحديث: أن الله تعالى لما أهبط آدم إلى الأرض قال: «لأطعمنك حتى يعرق جبينك، ويتعب بدنك، فهو معنى قوله: ﴿فتشقى﴾. فإن قال قائل: كيف لم يقل: فتشقيا، وقد قال من قبل: ﴿فلا يخرجنكما﴾؟

والجواب من وجهين: أحدهما: أن معناه: فتشقيا، ولكنه اكتفى بذكر أحدهما عن الآخر، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿عن اليمين وعن الشمال قعيد﴾(٢) أى: قعيدان.

والآخر: أنه قال: ﴿فتشقى﴾؛ لأنه هو الكاد والساعى على المرأة، فالتعب عليه.

قوله تعالى: ﴿إن لك ألا تجوع فيها ولاتعرى﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿وأنك لاتظمأ فيها ولا تضحى﴾. أى: لاتعطش، ولا يصيبك أذى

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (٨/٢٨٨ رقم٤٧٣٦ وطرفه ٤٧٣٨))، ومسلم (١٦/٣٠٦ - ٣١٠ رقم: ٢٦٥٢).
(٢) ق: ١٧.

﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١١٩﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾

الشمس. فإن قيل: ليست في الجنة شمس، فكيف يستقيم هذا الكلام؟ والجواب: أنه مستقيم؛ لأن أهل الجنة في ظل ممدود، فلا يصيبهم أذى الشمس مثل ما يصيبهم في الدنيا، وقيل معناه: لايصيبك حرٌّ يؤذيك، ولاتضحى: لا تعرق، والعرب تقول: أضحى فلان إذا بدر للشمس. وفي بعض الآثار: اضح لمن أخدمت له. وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي أبو الخطاب - وولد ليلة مات عمر - رضي الله عنه -:

رَأَتْ رجلا أمَّا إذا الشمسُ عَارضَتْ فَيَضْحَى وأمَّـا بالعَشِيِّ فَيَخْصَرُ

قوله تعالى: ﴿فوسوس إليه الشيطان قال ياآدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لايبلى﴾ أي: لايخلَق ولايفنى، وقد بينا معنى [شجرة](١) الخلد من قبل.

قوله تعالى: ﴿فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما﴾ أي: عوراتهما. وقال بعض أهل المعاني: بدت عورتهما لهما دون غيرهما؛ لأن الله تعالى قال: ﴿فبدت لهما سوءاتهما﴾.

وقوله: ﴿وطفقا يخصفان﴾ أي: طلبا. يقال: طفق يفعل كذا، إذا جعل يفعله.

وقوله: ﴿يخصفان﴾ أي: يلصقان الورق بالورق للباسهما.

وقوله: ﴿عليهما من ورق الجنة﴾ أي: للباسهما .

وقوله: ﴿وعصى آدم ربه﴾ قال ابن قتيبة: يجوز أن يقال: عصى آدم، ولكن لايقال: آدم عاصٍ؛ لأنه إنما يقال: عاصٍ إذا اعتاد فعل المعصية؛ وهذا كالرجل يخيط ثوبه، يقال: خاط ثوبه، ولايقال: خياط إلا إذا اعتاد الخياطة.

وأما قوله: ﴿فغوى﴾ معناه: ضل وخاب، والضلال هاهنا بمعنى: أخطأ طريق الحق، والخيبة: فوات ماطمع فيه من الخلود.

(١) في «الأصل»: الشجرة، والمثبت من «ك».

ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا

وقال ابن الأعرابى: غوى أى: فسد عيشه، وصار من العز إلى الذل، ومن الراحة إلى التعب.

قولة تعالى: ﴿ ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ﴾ أى: اختاره ربه وتاب عليه، أى: قبل توبته. وهدى أى: أرشده إلى الإنابة.

قوله تعالى: ﴿ قال اهبطا منها جميعًا بعضكم لبعض عدو ﴾ وقد بينا من قبل.

وقوله: ﴿ فإما يأتينكم منى هدى ﴾ أى: بيان.

وقوله: ﴿ فمن اتبع هداى فلا يضل ولايشقى ﴾ أى: لايضل فى الدنيا، ولايشقى فى الآخرة. وعن الشعبى أنه قال: أجار الله تعالى من تبع القرآن، وعمل بما فيه أن يضل أو يشقى، ثم تلا هذه الآيه.

قوله تعالى: ﴿ ومن أعرض عن ذكرى ﴾ أى: عن وَحْيى.

وقوله: ﴿ فإن له معيشة ضنكًا ﴾ فيه أقوال:

روى عن ابن مسعود وأبى هريرة وأبى سعيد الخدرى أنهم قالوا: عذاب القبر. قال أبو سعيد الخدرى - رضى الله عنه -: يضغط حتى تختلف أضلاعه. وفى بعض المسانيد هذا عن النبى ﷺ، ولفظه: «يلتئم عليه القبر، حتى تختلف أضلاعه، ولايزال كذلك حتى يبعث». قاله ﷺ فى هذه الآية[1].

والقول الثانى: قال الضحاك: هو أكل الحرام، وقال بعضهم: هو أن يكسب دون مايكفيه، والضنك هو الضيق، وقال الحسن: معيشة ضنكًا: عذاب جهنم، وقال

---

(١) رواه الحاكم (٢/ ٣٨١) وقال: صحيح على شرط مسلم، وعزاه السيوطى فى الدر (٤/ ٣٤١) لعبد الرزاق وسعيد بن منصور ومسدد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه والبيهقى فى عذاب القبر، عن أبى سعيد الخدرى مرفوعًا. ورواه ابن جرير (١٦/ ١٦٤ - ١٦٥) عن أبى سعيد موقوفًا. وقال الحافظ ابن كثير فى تفسيره (٣/ ١٦٩) بعد ما أورده من طريق ابن أبى حاتم: والموقوف أصح. ورواه البزار من حديث أبى هريرة مرفوعًا، وقال الحافظ ابن كثير فى تفسيره ٣/ ١٦٩: وإسناده جيد.

وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا
﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي
مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ

بعضهم: هو الضريع، والزقوم (فى النار)[1].

وقوله: ﴿ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ فقال: أعمى عن الحجة، ويقال: أعمى العين، وقد بينا أنه روى عن ابن عباس أنه قال: يحشرهم بصيراً[2] ثم يعمى، وقيل: أعمى عن الحق، وقيل: أعمى عن كل شئ إلا عن عذاب جهنم .

قوله تعالى: ﴿قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيراً﴾ معناه: ولم حشرتنى أعمى عن الحجة، وقد كنت بصيراً بالحجة؟ وقيل: أعمى العين، وقد كنت بصير العين .

قوله تعالى: ﴿قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها﴾ . أى: تركتها.

وقوله: ﴿وكذلك اليوم تنسى﴾ أى: تترك . قال قتادة: نسوا من الخير، ولم ينسوا من العذاب .

قوله تعالى: ﴿وكذلك نجزى من أسرف﴾ أى: من أشرك .

وقوله تعالى: ﴿ولم يؤمن بآيات ربه﴾ ظاهر المعنى .

وقوله: ﴿ولعذاب الآخرة أشد وأبقى﴾ . أى: أعظم وأدوم .

قوله تعالى: ﴿أفلم يهد لهم﴾ وقرئ: «نهد» بالنون، فقوله : ﴿يهد﴾ بالياء أى: يهدى القرآن، ومعنى نهدى: نبيّن، وقوله: «نهدى» أى: نبين نحن، وصلته باللام دليل على أنه بمعنى التبين .

وقوله: ﴿كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم﴾ قال أهل التفسير:

---

(١) سقط من «ك».

(٢) فى «ك»: بصرا.

كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُوْلِي النُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ

هذا الخطاب لقريش، وقد كانوا يسافرون إلى الشام، فيرون ديار المهلكين من أصحاب الحجر وثمود وقريات لوط.

وقوله: ﴿إن فى ذلك لآيات﴾ أى: لدلالات وعبراً.

وقوله: ﴿لأولى النهى﴾ أى: لأولى العقول، يقال: فلان ذو نهية أى: ذو عقل.

قوله تعالى: ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ فيه تقديم وتأخير، ومعناه: ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى ﴿لكان لزامًا﴾ أى: العذاب لزامًا، والكلمة هى الحكم بتأخير العذاب، والأجل المسمى هو وعد القيامة، قال الله تعالى: ﴿بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر﴾(١)

وقوله تعالى: ﴿لزامًا﴾ أى: العذاب لايفارقهم .

قوله تعالى: ﴿فاصبر على مايقولون وسبح بحمد ربك﴾ أى: صَلِّ بأمر ربك.

وقوله: ﴿قبل طلوع الشمس﴾ هو الفجر. ﴿وقبل غروبها﴾ هو العصر ﴿ومن آناء الليل﴾ المغرب والعشاء. والآناء جمع إِنْى،والإِنْى: الساعة.

وقوله: ﴿وأطراف النهار﴾ هو الظهر. فإن قيل: كيف سمى أطراف النهار؟ قلنا: لأنه طرف النصف الأول انتهاء، وطرف النصف الثانى ابتداء، وهذا قول قتادة وأكثر المفسرين . وقال بعضهم: أطراف النهار: ساعات النهار للتطوع، وعلى هذا قوله: قبل غروب الشمس دخل فيه الظهر والعصر، وقال بعضهم: أطراف النهار المراد منه الصبح والعصر، وهو مذكور لتأكيد ماسبق. وقد ثبت برواية جرير بن عبد الله البجلى قال: «كنا جلوسًا مع النبى ﷺ، فنظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: «إنكم سترون ربكم مثل هذا، وأشار إلى القمر، لاتضامون فى رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة

(١) القمر: ٤٦.

وَأَطْرَافَ النَّهارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ

قبل غروب الشمس، وقبل طلوعها فافعلوا، ثم قرأ هذه الآية: ﴿فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها﴾». قال الشيخ الإمام: أخبرنا بهذا المكى بن عبد الرزاق، قال: أخبرنا جدى أبو الهيثم، قال: حدثنا الفربرى، قال: نا البخارى رضى الله عنه، قال: نا اسحاق بن إبراهيم، عن جرير بن عبد الحميد الضبى، عن إسماعيل بن أبى خالد، عن قيس بن أبى حازم عن جرير ..... الحديث(١).

قوله: ﴿لعلك ترضى﴾ أى: لعلك ترضى ثوابه، وقرئ: «لعلك تُرضَى» على مالم يسم فاعله، أى: تُعطَى ثوابه .

قوله تعالى: ﴿ولاتمدن عينيك إلى مامتعنا به أزواجاً منهم﴾ روى عن أبى رافع «أن النبى ﷺ نزل به ضيف، ولم يكن عنده شئ، فبعث إلى يهودى يستقرض منه طعامًا، فأبى إلا برهن، فرهن منه درعه وحزن منه، فأنزل الله تعالى هذه الآية»(٢).

وقوله: ﴿أزواجًا منهم﴾ أى: رجالا، وقيل: أضيافًا منهم .

وقوله: ﴿زهرة الحياة الدينا﴾. (زينة الحياة الدنيا، وقيل: زهرة الحياة الدنيا)(٣) بهجتها وحسنها، وماتروق الناظر منهما .

وقوله: ﴿لنفتنهم فيه﴾ أى: نوقعهم فى الفتنة بسببه .

وقوله: ﴿ورزق ربك خير وأبقى﴾ أى: خير لك فى الآخرة ، وأبقى بركة فى الدنيا.

وروى عن أبى بن كعب أنه قال: من لم يتعز بعز الله تعالى تقطعت نفسه حسرات، ومن يتبع بصره مافى أيدى الناس يطل حزنه، ومن ظن ان نعمة الله تعالى

(١) متفق عليه. رواه البخارى (٢/ ٤٠ رقم ٥٥٤، وأطرافه فى،٥٧٣، ٤٨٥١، ٤٧٣٤، ٤٧٣٥، ٤٧٣٦)، ومسلم (٥/ ١٨٧ – ١٨٨، رقم: ٦٣٣).

(٢) تقدم تخريجه فى تفسير فى سورة الحجر: ٨٨.

(٣) ساقط من «ك».

وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا لَوْلا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ

في مطعمه ومشربه وملبسه، فقد قل عمله وحضر عذابه.

وعن يزيد بن ميسرة، أنه قال: كانوا يسمون الدنيا: خنزيرة، ولو علموا اسماً أسوء منه لسموها به، فكانت إذا أقبلت على أحدهم، قال: إليك ياخنزيرة.

قوله تعالى: ﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها﴾ فى قوله: ﴿أهلك﴾ قولان: أحدهما: أهل دينك، والآخر: قرابتك وقومك.

وفى بعض المسانيد عن سلمان الفارسى رضى الله عنه أن النبى ﷺ كان إذا أصاب أهله خير أمرهم بالصلاة، وتلا هذه الآية ﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها﴾ (١)

وقوله: ﴿لانسألك رزقًا﴾ أي: لانسألك أن ترزق أحدا من خلقى، ولا أن ترزق نفسك، وقيل: ثوابًا.

وقوله: ﴿نحن نرزقك﴾. أى: نوصل إليك رزقك، وقيل: ننشئك.

وقوله: ﴿والعاقبة للتقوى﴾ أى: (لأهل) (٢) التقوى.

قوله تعالى: ﴿وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه﴾ أى: الآية المُقترحَة، فإنه كان قد أتاهم بآيات كثيرة.

وقوله: ﴿أو لم تأتهم بينة مافى الصحف الأولى﴾ أى: بيان مافى الصحف الأولى من أنباء الأمم، فإنهم اقترحوا الآيات، فأعطوا ولم يؤمنوا، فأهلكهم الله تعالى، ولو أعطينا هؤلاء أيضًا، ولم يؤمنوا ألحقنا إهلاكهم.

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط – كما فى مجمع البحرين (٦/ ٥٤ – ٥٥ رقم ٣٣٦٦) – وأبو نعيم فى الحلية (٨/ ١٧٦) من حديث عبد الله بن سلام مرفوعا به. وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ٧٠): رواه الطبرانى فى الأوسط ورجاله ثقات. وعزاه السيوطى فى الدر (٤/ ٣٤٤) لأبى عبيد وسعيد بن منصور وابن المنذر والبيهقى فى ا لشعب بسند صحيح عن عبد الله بن سلام، ولم أجده عن سلمان.

(٢) فى «ك»: أهل.

مّن قَبْله لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

قوله تعالى: ﴿ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله﴾ أى: من قبل إرسال الرسل وإنزال القرآن .

قوله: ﴿لقالوا لولا أرسلت إلينا رسولا﴾ أى: لقالوا يوم القيامة .

وقوله: ﴿فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى﴾ أى: نذل فى الدنيا، ونخزى فى الآخرة. والذل: الهوان، والخزى: الافتضاح.

قوله تعالى: ﴿قل كل متربص﴾ روى أن المشركين قالوا: نتربص بمحمد حوادث الدهر، فإذا مات تخلصنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿قل كل متربص﴾ أى: منتظر.

وقوله: ﴿فتربصوا﴾ أى: فانتظروا.

وقوله: ﴿فستعلمون من أصحاب الصراط السوى﴾ فى الشاذ: «من أصحاب الصراط السُّوى» على وزن فُعْلَى، والمعروف: «السوى». ومعنى الصراط السوى: الدين القويم .

وقوله ﴿ومن اهتدى﴾ أى: من هدى ورشد، والمهتدون نحن أم أنتم؟

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم

تفسير سورة الأنبياء

وهى مكية، قال ابن مسعود: سورة بنى اسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء من العتاق الأول، وهنَّ من تلادى.

قوله تعالى: ﴿ اقترب للناس حسابهم ﴾ قوله: ﴿ اقترب ﴾: افتعل، من القرب. وقوله: ﴿ للناس حسابهم ﴾ أى: وقت حسابهم، وقيل: عذابهم، وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «من نوقش فى الحساب عذب»(١). والآية فى المشركين دون المؤمنين، وهذا قوله بعضهم. وإنما سمى الساعة قريبة؛ لأنها كائنة لامحالة، وكل ماهو كائن لامحالة فهو قريب، وأيضاً فإن مابقى من الدنيا فى جنب مامضى (قليل)(٢)، فسمى الساعة قريبة؛ على هذا المعنى، وقد روى أنه لما نزلت هذه الآية ارتدع المشركون عن بعض ماهم عليه، ثم لما لم يروا للقيامة أثراً انهمكوا فيما كانوا، وهكذا روى أيضاً فى قوله تعالى: ﴿ أتى أمر الله ﴾(٣)، والله أعلم.

وقوله: ﴿ وهم فى غفلة معرضون ﴾ أى: هم غافلون معرضون، وقيل: فى اشتغال بالباطل عن الحق، ويقال: وهم فى غفلة عما يُرادُ بهم وأريدوا به.

قوله تعالى: ﴿ مايأتيهم من ذكر من ربهم محدث ﴾ استدل المعتزلة بهذا على أن القرآن مخلوق، وقالوا: كل محدث مخلوق، والجواب عنه: أن معنى قوله: ﴿ محدث ﴾ أى: محدث تنزيله، ذكره الأزهرى وغيره، ويقال: أنزل فى زمان بعد زمان، قال الحسن البصرى: كلما جدد لهم ذكراً استمروا على جهلهم، وذكر النقاش فى تفسيره: أن الذكر المحدث هاهنا ماذكره النبى ﷺ، وبيَّنه من السنن والمواعظ

---

(١) تقدم تخريجه فى سورة الرعد.

(٢) فى «ك»: قريب.

(٣) النحل: ١.

مُّحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ

والدلائل سوى مافى القرآن، وأضافه إلى الرب؛ لأنه قاله بأمر الرب تعالى.

وقوله: ﴿إلا استمعوه وهم يلعبون﴾ أى: استمعوه لاعبين

قوله تعالى: ﴿لاهية قلوبهم﴾ أى: غافلة، وقيل: مشتغلة بالباطل عن الحق. قال امرؤ القيس:

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع ... فألهيتها عن ذى تمائم محول

أى: شغلتها.

وقوله ﴿وأسروا النجوى﴾ فيه قولان: أحدهما: وأخفوا النجوى، والآخر: وأظهروا النجوى، والعرب تقول: أسرَّ إذا أخفى، وأسر إذا أظهر، وقال بعض أهل اللغة: أسر إذا أخفى بالسين غير المعجمة، وأشر إذا أظهر بالشين المعجمة. قال الشاعر:

ولما رأى الحجاج جرد سيفه ... (أسر)(١) الحرورى الذى كان أضمرا

وقوله: ﴿الذين ظلموا﴾ أى: أشركوا.

وقوله: ﴿هل هذا إلا بشر مثلكم﴾ أنكروا إرسال البشر، وطلبوا إرسال الملائكة.

وقوله: ﴿أفتاتون السحر﴾ أى: تحضرون السحر وتقبلونه.

وقوله: ﴿وأنتم تبصرون﴾ أى: تعلمون أنه سحر.

قوله تعالى: ﴿قال ربى يعلم القول فى السماء والأرض﴾ يعنى: القول يسرُ به، ويجهر به فى السماء والأرض.

وقوله: ﴿وهو السميع العليم﴾ ظاهر المعنى.

---

(١) فى «ك»: أشر.

وَالأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا

قوله تعالى: ﴿بل قالوا أضغاث أحلام﴾ أى: تهاويل أحلام، ويقال: أخلاط أحلام، ويقال: ما لا تأويل له ولا تفسير.

قال الشاعر:

أحاديث [طسم](١) أو سراب بقيعة ترقرق للسارى وأضغاث حالم

وقوله: ﴿بل افتراه﴾ أى: اختلقه.

وقوله: ﴿بل هو شاعر﴾ أى: مثل أمية بن الصلت ومن أشبه، والمراد من الآية: بيان تناقضهم فى قولهم، وأنهم غير مستقرين على شىء واحد.

وقوله: ﴿فليأتنا بآية كما أرسل الأولون﴾ بالآيات، وطلبوا(٢) آية مثل الناقة أو عصا موسى، ويد موسى، وماأشبه ذلك، وقد كان الله تعالى بين الآيات سوى ماطلبوا.

قوله تعالى: ﴿ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها﴾ معناه: ما آمنت(٣) قبلهم من أهل قرية طلبوا آية فأعطوا، أى: أعطيناهم الآية، ولم يؤمنوا. وقوله: ﴿أهلكناها﴾ أى: حكمنا بهلاكها.

وقوله: ﴿أفهم يؤمنون﴾ معناه: كما لم يؤمن أولئك، فلا يؤمن هؤلاء.

قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحى إليهم﴾ يعنى: أنَّا لم نرسل الملائكة قبلك إلى الأولين، فنرسل ملكًا إلى قومك .

وقوله: ﴿فاسألوا أهل الذكر﴾ الأكثرون على أن المراد بأهل الذكر مؤمنو أهل

(١) فى «الأصل وك»: فليتم، والمثبت من تفسير القرطبى (١١ / ٢٧٠).

(٢) فى «ك»: فطلبوا.

(٣) فى «ك»: مالبثت.

جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لاَّ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحَسُّوا

الكتاب، وعن على - رضى الله عنه - أنهم علماء هذه الأمة.

وقوله: ﴿إن كنتم لاتعلمون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿وما جعلناهم جسداً﴾ أى: ذوى أجساد.

وقوله: ﴿لايأكلون الطعام﴾ معلوم. وقوله: ﴿وماكانوا خالدين﴾ أى: فى الدنيا، وهذا رد لقولهم: ﴿وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام...﴾(١) الآية.

قوله تعالى: ﴿ثم صدقناهم الوعد﴾ معناه: صدقناهم الوعد فى العقاب والثواب.

وقوله: ﴿فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين﴾ أى: أنجينا المؤمنين، وأهلكنا المكذبين، وكل مكذب مشرك مسرف على نفسه، والسرف: مجاوزة الحد.

وقوله تعالى: ﴿لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم﴾ فيه أقوال: أحدها: ذكركم أى: حديثكم، وقيل ذكركم أى: ذكركم ماتحتاجون إليه من دينكم، وقال مجاهد: ذكركم أى: شرفكم، وهو شرف لمن يؤمن به، لا لمن يكفر به.

وقوله: ﴿أفلا تعقلون﴾ أى: أفلا تعتبرون.

قوله تعالى: ﴿وكم قصمنا﴾ القصم: الكسر، والفصم - بالفاء - الصدع، وفى الخبر: «يرفع أهل الدرجات العلا إلى غرفة من دُرٍّ ليس فيها قصم ولافصم».

وقوله: ﴿من قرية كانت ظالمة﴾ أى: ظلم أهلها.

وقوله: ﴿وأنشأنا بعدها قوماً آخرين﴾ أى: فريقًا آخرين.

وقوله تعالى: ﴿فلما أحسوا بأسنا﴾ أى: (وجدوا عذابنا)(٢)، وقيل: وصل إليهم

---

(١) الفرقان: ٧.

(٢) فى «ك»: «وجدوا بأسنا أى عذابنا.

بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ

عذابنا.

وقوله: ﴿إذا هم منها يركضون﴾ أى: يهربون ركضًا، يقال: ركض الدابة إذا أسرع في سيرها.

قوله تعالى: ﴿لاتركضوا﴾ أى: لاتهربوا.

وقوله: ﴿وارجعوا إلى ماأترفتم فيه﴾ أى: نُعمتم فيه، والمترف: المنعم، وقيل: إلى دنياكم ﴿ومساكنكم﴾ التى نعمتم فيها. قال أكثر أهل التفسير: هذه الآيات نزلت فى أهل مدينة كفروا، فسلط الله عليهم بعض الجبابرة – وقيل: كان بختنصر – فلما أصابهم عذاب السيف هربوا، فقال لهم الملائكة، والسيوف قد أخذتهم: لا تهربوا، وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم. ﴿لعكم تسألون﴾ من دنياكم، فتعطون من شئتم، وتمنعون من شئتم، قالوا هذا لهم استهزاء، وقد قيل: هذا فى أهل مدينة أصابهم عذاب من السماء، فخرجوا هاربين، وقال لهم الملائكة هذا القول، ويقال فى قوله: ﴿لعلكم تُسألون﴾ أى: تسألون لم تركتم ما يصلح دينكم وأمر آخرتكم، واشتغلتم بما يوجب العذاب عليكم؟ ويقال: لعلكم تسألون عما عاينتم من العذاب، قالت الملائكة هذا توبيخًا لهم.

قوله تعالى: ﴿قالوا ياويلنا إنا كنا ظالمين﴾ الويل: دعاء الهلاك.

وقوله: ﴿ظالمين﴾ أى: ظالمين لأنفسنا.

قوله تعالى: ﴿فما زالت تلك دعواهم﴾ أى: دعاؤهم وقولهم.

وقوله: ﴿حتى جعلناهم حصيداً خامدين﴾ الحصيد: هو المستأصل.

وقوله: ﴿خامدين﴾ أى: ميتين، ومعنى الآية: جعلناهم كأن لم يكونوا.

قوله سبحانه وتعالى: ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين﴾ أى:

جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لاَّتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ

للّعب.

قوله تعالى: ﴿لو أردنا أن نتخذ لهواً﴾ اختلفوا فى اللهو ها هنا على قولين: أحدهما: أن اللهو هو المرأة، والآخر: أن اللهو هو الولد، وهو فى المرأة أظهر؛ فإن الوطء يسمى لهواً فى اللغة، و المرأة محل الوطء، قال الشاعر:

ألا زَعمتْ بَسْبَاسَة اليوم أننى ... كبرتُ وألا يحسن اللهو أمثالى

وعن بعضهم: أن اللهو هو الغناء، وهو ضعيف فى هذا الموضع.

وقوله: ﴿لاتخذناه من لدنا﴾ أى: لاتخذناه من عندنا لا من عندكم، ويقال: اتخذناه بحيث لاترون.

وقوله: ﴿إن كنا فاعلين﴾ أى: ما كنا فاعلين، ويقال: إن كنا فاعلين، ولم نفعله؛ لأنه لايليق بنا.

قوله سبحانه وتعالى: ﴿بل نقذف بالحق على الباطل﴾ الحق ها هنا: قول الله تعالى: «إنه لا ولد له» والباطل قولهم: إن الله اتخذ ولداً، ويقال: إن الحق هو القرآن، والباطل هو الشيطان.

وقوله: ﴿نقذف﴾ أى: نلقى.

وقوله: ﴿فيدمغه﴾ أى: يزيله، يقال: دمغت فلانًا إذا كسرت دماغه وقتلته.

وقوله: ﴿فإذا هو زاهق﴾ أى: ذاهب، وهذا من حيث بيان الدليل والحجة، لا من حيث إزالة الكفر أصلا، فإن الكفر والباطل فى العالم كثير.

وقوله: ﴿ولكم الويل مما تصفون﴾ قال قتادة: مما تكذبون، وقال الحسن: هو لكل واصف كذبا إلى يوم القيامة.

وَمَنْ عِندَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ

قوله تعالى: ﴿وله من فى السموات والأرض﴾ أى: من فى السموات والأرض عبيداً وملكا.

وقوله: ﴿ومن عنده﴾ أى: الملائكة.

وقوله: ﴿لايستكبرون عن عبادته﴾. أى: لايتعظمون عن عبادته، وذكر ابن فارس فى تفسيره فى خبر: أن الله تعالى لما استوى على عرشه، سجد ملك فلا يرفع رأسه من السجود إلى يوم القيامة، فإذا رفع رأسه يوم القيامة قال: سبحانك، ما عبدتك حق عبادتك غير أنى لم أشرك بك، ولم أتخذ لك نداً.

وقوله: ﴿ولايستحسرون﴾ أى: لايَعْيَوْنَ، يقال: دابة حسيرة إذا كانت عيية، قال كعب الأحبار: التسبيح لهم كالتنفس لبنى آدم.

قوله تعالى: ﴿يسبحون الليل والنهار لايفترون﴾ يعنى: يسبحون دائماً، لايضعفون ولايفنون، واعلم أنه ليس عند الملائكة ليل ولا نهار؛ وإنما المراد بذكر الليل والنهار ها هنا: هو الدوام على التسبيح.

قوله تعالى: ﴿أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون﴾ معنى قوله: ﴿من الأرض﴾ أى: من الخشب والحجارة، (وقد كانت عامة أصنام المشركين من الخشب والحجارة) [1]، وهما من الأرض.

وقوله: ﴿هم يُنْشِرون﴾ أى: يحيون، ولا يستحق الإلهية إلا من يقدر على الإحياء والإيجاد من العدم؛ لأنه الإنعام بأبلغ وجوه النعم، وهذا لايليق بوصف البشر وكل محدث. وأنشدوا للأعشى فى الانتشار:

لو أسندت ميتا إلى نحرها ... عاش ولم ينقل إلى قابر
حتى يقول الناس مما رأوا ... أيا عجبا للميت الناشر

(١) ما بين القوسين ساقط من «ك».

لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ

وقرئ: «يَنْشرون» بفتح الياء أى: يحيون أبداً، ومعنى الآية هو الإنكار على متخذ الأصنام آلهة، وبيان أنه لايليق بها الإلهية.

قوله تعالى: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ قال أكثر أهل التفسير: «إلا» ها هنا بمعنى «غير»، قال الشاعر:

وكـل أخ مفـارقه أخـوهُ لعمرو أبيك إلا الفرقدان

يعنى: غير الفرقدين، وهذا على ما اعتقدوا من دوام السماء والأرض.

وقال بعضهم: ﴿إلا الله﴾ «إلا» بمعنى «الواو» ها هنا، ومعناه: لو كان فيهما آلهة والله (أيضًا)(١) لفسدتا، ومعنى الفساد فى السماء والأرض إذا كان الإله اثنين، هو فساد التدبير وعدم انتظام الأمور بوقوع المنازعة والمضادة، وهو أيضًا معنى قوله تعالى: ﴿ولعلا بعضهم على بعض﴾.(٢)

وقوله: ﴿فسبحان الله رب العرش عما يصفون﴾ نزَّه نفسه عما يصفه به المشركون من الشريك والولد.

قوله تعالى: ﴿لايسأل عما يفعل وهم (يسألون)(٣)﴾ يعنى: لايسأل عما يحكم على خلقه، والخلق يسألون عن (أفعالهم وأعمالهم)(٤)، وقيل: لايسأل عما يفعل؛ لأنه كله حكمة وصواب، وهم يسألون عما يفعلون لجواز الخطأ عليهم، وقيل: معنى لايسأل عما يفعل: لايقال له: لِمَ؟، ولماذا؟ بخلاف الخلق، وفى الآية رد على القدرية، وقطع شبهتهم بالكلية.

وقد روى أبو الأسود الدؤلى أن عمران بن حصين قال له: أرأيت ما يسعى فيه الناس ويكدحون، أهو أمر قضى عليهم أو شىء يستأنفونه؟ فقلت: لا، بل أمر قضى عليهم، قال: أفلا يكون ظلمًا؟ قلت: سبحان الله ﴿لايسأل عما يفعل وهم

(١) ليست فى «ك».
(٢) المؤمنون: ٩١.
(٣) فى (ك): يساءلون.
(٤) فى «ك»: عن أحوالهم وأفعالهم.

﴿٢٣﴾ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي

يسألون ﴾ فقال لي: أصبت يا أبا الأسود، وقد أجزت عقلك، ثم روى عمران أن رجلا من جهينة - أو مزينة - أتى النبي ﷺ قال له: عما يفعل الناس أو يكدحون فيه، أهو شيء قضي عليهم؟ أم شيء يستأنفونه؟ فقال النبي ﷺ: «هو شيء قضي عليهم، فقال ذلك الرجل: يا رسول الله، أفلا يكون ظلما؟ قال: لا، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ لايسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾»(١) قال الشيخ: وقد ذكرنا هذا الخبر في كتاب «مسند القدر».

قوله تعالى: ﴿ أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم ﴾ أي: حجتكم.

وقوله: ﴿ هذا ذكر من معي ﴾ أي: ذكر من معي (بما)(٢) أمروا من الحلال والحرام.

وقوله: ﴿ وذكر من قبلي ﴾ أي: من يحيى منهم بالطاعة وهلك بالمعصية، وعن ابن عباس قال: ذكر من معي فهو القرآن، وذكر من قبلي هو التوراة والإنجيل، ومعناه: راجعوا القرآن والتوراة والإنجيل وسائر الكتب، هل تجدون فيها أن الله اتخذ ولداً؟

وقوله: ﴿ بل أكثرهم لايعلمون الحق فهم معرضون ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ أي: وحدون.

قوله تعالى: ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولداً ﴾ قال قتادة: قال طائفة من المشركين: إن الله تعالى صاهر الجن، فالملائكة بناته.

---

(١) رواه مسلم بنحوه (١٦/٣٠٤ - ٣٠٥ رقم ٢٦٥٠). وأحمد (٤/٤٣٨)، وابن جرير (٣٠/١٣٥)، والطبراني في الكبير (١٨/٢٢٣ - ٢٢٤ رقم ٥٥٧)، وابن أبي عاصم في السنة (١/٧٦ - ٧٧ رقم ١٧٤)، وابن بطه في الإبانة (٢/١/٣٢٥ - ٣٢٦).

(٢) في «ك»: لما.

إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي

وقوله: ﴿ سبحانه ﴾ نزه نفسه عما قالوا.

وقوله: ﴿ بل عباد مكرمون ﴾ أى: عبيد مكرمون.

قوله تعالى: ﴿ لايسبقونه بالقول ﴾ هذا ثناء من الله على الملائكة، ومعنى قوله: ﴿ لايسبقونه بالقول ﴾ أنهم لايقولون قولا بخلافه، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله ﴾(١) أى: لاتقولوا قولا بخلاف الكتاب والسنة، وقد ثبت برواية عائشة - رضى الله عنها - عن النبى ﷺ أنه قال: «من أحدث فى ديننا ما ليس منه فهو رَد».(٢) والإحداث فى الدين أن يقول بخلاف الكتاب والسنة.

وقوله: ﴿ وهم بأمره يعملون ﴾ معناه: أنهم لايخالفونه، لا قولا، ولا عملا، ويقال معناه: إذا أمر بأمر أطاعوا، فإذا قال لهم: افعلوا قالوا: طاعة.

قوله تعالى: ﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾ أى: ما قدموا وأخروا، وقيل: ما بين أيديهم هو الآخرة، وما خلفهم أعمالهم.

وقوله: ﴿ ولايشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ معناه: إلا لمن قال: لا إله إلا الله، ويقال: إلا لمن رضى الله عنه عمله.

وقوله: ﴿ وهم من خشيته مشفقون ﴾ أى: من عذابه.

قوله تعالى: ﴿ ومن يقل منهم إنى إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين ﴾. فإن قيل: هل قال أحد من الملائكة إنى إله من دونه؟ (قلنا)(٣) معناه: لو

(١) الحجرات: ١.

(٢) متفق عليه من حديث عائشة. رواه البخارى (٥/ ٣٥٥، رقم ٢٦٩٧)، ومسلم (١٢/ ٢٣ - ٢٤ رقم ١٧١٨).

(٣) فى «ك»: قالوا.

إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ

قالوا، ولم يقولوا، والجواب المعروف: أن المراد منه إبليس لعنه الله؛ فإنه دعا الناس إلى طاعته، فهو معنى قوله: ﴿ومن يقل منهم إنى إله﴾ وهذا دليل على أن من دعا إنسانًا إلى طاعته فى معصية الخالق فكأنه قال: اعبدنى أو اتخذنى إلهًا.

قوله تعالى: ﴿أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقًا ففتقناهما﴾ فإن قال قائل: قد قال: أو لم ير الكفار، [و](١) لم يروا شيئًا من هذا ولا المسلمون! والجواب عنه: أن معناه أو لم يعلموا بإخبارك إياهم، وقيل: أو لم يخبروا. وأما الرتق فى اللغة هو السد، والفتق هو الشق، قال الشاعر:

يهون عليهم إذا يغضبو ... ن سخط العداة وإرغامها

ورتق الفتوق وفتق الرتو ... ق ونقض الأمور وإبرامها

وأما معنى الآية: قال ابن عباس: قوله: ﴿كانتا رتقًا﴾ أى: كان السماء والأرض ملتصقين، ففتقناهما بالهواء، وقال غيره: معناه: كان السماء شيئًا واحدًا، ففتقناها، وجعلناها سبع سموات، وكانت الأرض شيئًا واحدًا ففتقناها، وجعلناها سبع أرضين، والقول الثالث قاله مجاهد: فتقنا السماء بالمطر، والأرض بالنبات.

وقوله: ﴿وجعلنا من الماء كل شىء حى﴾ فإن قال قائل: قد خلق بعض ما هو حى من غير الماء، فكيف يستقيم قوله: ﴿وجعلنا من الماء كل شىء حى﴾؟ وأيضًا فإن الإنسان قد يموت بالماء، والشجر والنبات قد يهلك بالماء؟ والجواب من وجهين: أحدهما: أن الماء ها هنا هو النطفة، والحى هو الآدمى، ومعناه: كل شىء حى من الآدمى. والجواب الثانى: أن هذا على وجه التكثير، وأكثر الأحياء فى الأرض إنما هو مخلوق من الماء أو بقاؤه بالماء، فاستقام معنى الآية من هذا الوجه.

---

(١) حرف الواو ساقط من «الأصل».

﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلاً لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ
﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ
اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾

وقوله: ﴿ أفلا يؤمنون ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ وجعلنا فى الأرض رواسى ﴾ أى: جبالا ثوابت، وقيل: ثقالا، قال الشاعر:

رسا أصله تحت الثرى وسمائه   إلى النجم فرع لاينال طويل

وقوله: ﴿ أن تميد بهم ﴾. أى: كراهة أن تميد بهم، والميد: الحركة.

وقوله: ﴿ وجعلنا فيها فجاجا سبلا ﴾ الفج هو الواسع بين الجبلين.

وقوله: ﴿ سبلا ﴾ أى: طرقًا مسلوكة.

وقوله: ﴿ لعلهم يهتدون ﴾ أى: يهتدون إلى الحق.

قوله تعالى: ﴿ وجعلنا السماء سقفًا محفوظًا ﴾ أى: محفوظًا من وقوعه على الأرض، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ﴾(١) ويقال معناه: محفوظا عن الشياطين بالشهب.

وقوله: ﴿ وهم عن آياتها معرضون ﴾ آياتها: شمسها وقمرها ونجومها وارتفاعها واستمساكها بغير عمد، وغير ذلك.

قوله تعالى: ﴿ وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر ﴾ المعروف عن ابن عباس برواية عكرمة أنه قال: إن الله تعالى خلق الليل قبل النهار، وقرأ قوله تعالى: ﴿ أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقًا ﴾ أى: كانتا مظلمة بالرتق ففتقتا بالضياء.

وقوله: ﴿ والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون ﴾ أى: يجرون، ويقال يدور

---

(١) فاطر: ٤١.

وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ

بهم[1] فلك دون السماء، ويقال: يدور بهم السماء، والله أعلم؛ وإنما ذكر ﴿ يسبحون ﴾ ولم يقل: يسبح على ما يقال لما لا يعقل؛ لأنه ذكر عنهم ما يذكر من العقلاء، وهو الجرى والسبح، فذكر على ما يعقل.

قوله تعالى: ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ﴾ كانوا يقولون: نتربص بمحمد ريب المنون، فقال تعالى: ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ﴾ يعنى: أن الموت طريق معهود مسلوك لابد منه لكل حى.

وقوله: ﴿ أفإن مت فهم الخالدون ﴾ معناه: أفهم الخالدون إن مت؟ وقد روى «أن النبى ﷺ لما توفى دخل أبو بكر - رضى الله عنه - ووضع فمه بين عينيه ويده على جانب رأسه، وقال: يارسول الله، طبت حيًا وميتًا، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون ﴾ وقد كان عمر يقول: إنه لم يمت، فلما تلا أبو بكر هذه الآية، فكأن الناس لم يسمعوا هذه الآية إلا ذلك الوقت، وأعرضوا عن عمر (وقوله)[2]، وعلموا أنه قد مات ﷺ»[3].

قوله تعالى: ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ قد بينا من قبل.

وقوله: ﴿ ونبلوكم بالشر والخير ﴾ أى: بالرخاء والشدة، والصحة والسقم، وبالإشقاء والإسعاد، وغير ذلك مما يختلف على الإنسان، وقيل: بالشر والخير أى: بما يحبون ويكرهون، ويقال: الشر غلبة الهوى على الإنسان، والخير العصمة من المعاصى، قاله سهل بن عبد الله.

(١) فى «ك»: يدورهم فلك.

(٢) سقطت من «ك».

(٣) رواه البخارى فى صحيحه (٣/١٣٦ - ١٣٧ رقم ١٢٤١، ١٢٤٢ وأطرافه فى: ٣٦٦٧، ٣٦٦٨، ٣٦٦٩، ٣٦٧٠، ٤٤٥٢، ٤٤٥٣، ٤٤٥٤، ٤٤٥٥، ٤٤٥٧، ٥٧١٠، ٥٧١١) من حديث عائشة وابن عباس كل ببعضه، وفيه قراءة الآية التى فى سورة آل عمران: ﴿ وما محمد إلا رسول .... ﴾ الآية. ورواه مسلم مختصراً من حديث عائشة (رقم ٩٤٢). وعزاه السيوطى فى الدر (٤/٣٤٩) لابن أبى شيبة عن ابن عمر بنحو رواية المصنف.

وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ الْإِنسَانُ

وقوله: ﴿فتنة﴾ أى: محنة وخبرة.

وقوله: ﴿وإلينا ترجعون﴾ أى: تردون.

قوله تعالى: ﴿وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا﴾ أى: ما يتخذونك إلا هزوا.

وقوله: ﴿أهذا الذى يذكر آلهتكم﴾ أى: يعيب آلهتكم، يقال: فلان يذكر فلانًا أى: يعيبه، وفلان يذكر الله أى: يعظمه ويجله.

وقوله: ﴿وهم بذكر الرحمن هم كافرون﴾ قال هذا؛ لأنهم كانوا يقولون: لانعرف الرحمن إلا مسيلمة، وهم» الثانية صلة.

قوله تعالى: ﴿خلق الإنسان من عجل﴾ فيه أقوال: أحدها: سرعة وتعجيل، والإنسان هو آدم - صلوات الله عليه - وقد خلقه الله تعالى من غير ترتيب خلق سائر الآدميين من النطفة، والعلقة، والمضغة، وغيره، وهذا قول حسن. والقول الثانى: من عجل أى: عجولا، ويجوز أن يكون المراد من الإنسان جميع بنى آدم، وأما ابن عباس فإنه قال: هو آدم لما نفخ الله فيه الروح وبلغ صدره، أراد أن يقوم، فهو عجلته. وذكر الكلبى: أنه لما نفخ فيه الروح نظر إلى الشمس فإذا هى تغرب، فقال: اللهم أتم خلقى قبل أن تغرب الشمس، فهو عجلته. والقول الثالث: خلق الإنسان والعجلة منه، وقيل: والعجلة فيه، وهذا على طريق المبالغة، والعرب تقول للشرير: خلقت من الشر، وكذلك تقول: خلق فلان من الخير إذا ذكر على طريق المبالغة.

والقول الرابع: قوله: ﴿خلق الإنسان من عجل﴾ أى: من طين. قال الشاعر:

والنَّبْع[1] فى الصخرة الصماء منبته ... والنخل ينبت بين الماء والعجل

أى: الطين.

---

(١) النَّبْعُ شجر يتخذ منه القسيُّ.

مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلا عَن ظُهُورِهِمْ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾

وقوله: ﴿سأريكم آياتى فلا تستعجلون﴾ هذا فى المشركين، فإنهم كانوا يستعجلون القيامة على ما قال الله تعالى فى موضع آخر: ﴿يستعجل بها الذين لايؤمنون بها﴾(١) وقال بعضهم: ﴿سأريكم آياتى﴾ أى: مواعدى. وقوله: ﴿فلا تستعجلون﴾ أى: لاتطلبوا العذاب منى قبل وقته، وإنما نزلت هذه الآية؛ لأن النضر ابن الحارث كان قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم.

قوله تعالى: ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿لو يعلم الذين كفروا حين لايكفون﴾ أى: لايدفعون.

وقوله: ﴿عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿ولا هم ينصرون﴾. أى: لايمنعون من العذاب، وفى الآية جواب محذوف ومعناه: لعلموا صدق وعدنا.

وقوله: ﴿لو يعلم﴾ فى ابتداء الآية معناه: لو يرى.

قوله تعالى: ﴿بل تأتيهم بغتة﴾ أى: القيامة فجأة.

وقوله: ﴿فتبهتهم﴾. أى: تحيرهم، يقال: فلان مبهوت أى: متحير، وهو معنى قوله تعالى: ﴿فبهت الذى كفر﴾(٢).

وقوله: ﴿فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون﴾ أى: يمهلون.

قوله تعالى: ﴿ولقد استهزئ برسل من قبلك﴾ ظاهر المعنى.

---

(١) الشورى: ١٨.

(٢) البقرة: ٢٥٨.

وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا

وقوله: ﴿فحاق بالذين سخروا منهم﴾ أى: نزل بالذين سخروا منهم. ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ أى: جزاء استهزائهم.

وقوله تعالى: ﴿قل من يكلؤكم﴾ أى: يحفظكم. قال الشاعر:

إن سُلَيْمَى فالله يكلؤها ... ضنت بشىء ما كان يرزؤها

وقوله: ﴿بالليل والنهار من الرحمن﴾ أى: من عذاب الرحمن، والله تعالى يحفظ العباد من عذاب نفسه.

وقوله: ﴿بل هم عن ذكر ربهم معرضون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا﴾ أى: تمنع العذاب عنهم من دوننا.

وقوله: ﴿فلا يستطيعون نصر أنفسهم﴾ أى: منع أنفسهم.

وقوله: ﴿ولاهم منا يصحبون﴾ أى: يجارون، يقال: أجارك الله أى: حفظك، وتقول العرب: صحبك الله أى: حفظك ونصرك، وقد قيل: يصحبون أى: ينصرون.

قوله تعالى: ﴿بل متعنا هؤلاء وآباءهم﴾ أى: أملينا(١) وأمهلنا، ويقال: متعنا أى: أعطيناهم النعمة .

وقوله: ﴿حتى طال عليهم العمر﴾ أى: امتدَّ بهم الزمان .

وقوله: ﴿أفلا يرون أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها﴾ الأكثرون: أن هذا هو ظهور النبى ﷺ، وفتحه ديار الشرك أرضًا أرضًا وبلدةً بلدةً، والدليل على صحة هذا

(١) فى (ك): ابتلينا.

أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ

التأويل أنه قال: ﴿أفهم الغالبون﴾ أى: ليست الغلبة لهم؛ إنما الغلبة لى ولرسولى، وعن ابن جريج قال: ماينقص من سائر الأرضين يزاد فى الشام، وماينقص من الشام يزاد فى أرض فلسطين، وبها المحشر. وقال عكرمة: لو نقص من الأرض ماوجد أحد مكانا يقعد فيه، ولكن المراد من الآية ذهاب خيارها وعلماؤها، ويقال: هو موت أهلها، وقيل: خرابها.

قوله تعالى: ﴿قل إنما أنذركم بالوحى﴾ أى: بالقرآن.

وقوله: ﴿ولايَسْمَعُ الصم الدعاء﴾ وقرئ: «لايُسْمَعُ الصم الدعاء»، وقرأ عبد الرحمن المقرئ: «لا تُسْمِعُ الصم الدعاء»، وأما المعروف فهو ظاهر المعنى، والصم هم الكفار، وسماهم صمًّا، لأنهم لم يسمعوا ماينفعهم.

وقوله: ﴿إذا ما ينذرون﴾ أى: يخوفون بالوحى.

قوله تعالى: ﴿ولئن مستهم نفحة﴾ النفحة هى: الدفعة[1] اليسيرة، تقول العرب: نفح فلان بالسيف على هذا المعنى، وهى بخلاف ....[2] والنفحة لابد فيها من خروج الريح من الخوف، ومعنى ﴿ولئن مستهم نفحة﴾ أى: طرف من عذاب ربك، وقيل: أدنى شيء من عذاب ربك.

وقوله: ﴿ليقولن ياويلنا إناكنا ظالمين﴾ معناه: ياهلاكنا، إنا كنا مشركين، كأنهم أقروا على أنفسهم باستحقاق العقوبة.

قوله تعالى: ﴿ونضع الموازين القسط﴾ معناه: ذوات[3] القسط، والقسط: العدل، وفى المشهورفى الأخبار: أن الميزان له لسان وكفتان، وفى بعض المأثور: أن دواد - عليه السلام - قال: يارب، أرنى الميزان الذى يوزن به أعمال العباد، فأراه إياه،

(١) فى «ك»: «الدفقة».

(٢) كلمة غير مقروءة فى النسختين.

(٣) فى «ك»: ذو.

وكل كفة منه مثل مابين المشرق والمغرب، فقال: يارب، ومن يملأ هذا من الحسنات؟ فقال: باداود، إذا رضيت عن عبدى ملأته بكسرة أو تمرة، والله أعلم.

وأما كيفية الوزن فقد قال بعضهم إنه يوزن الحسنات والسيئات، وقيل: يوزن خواتيم الأعمال، وقال بعضهم: الميزان علامة يعرف بها مقادير استحقاق الثواب والعقاب، والصحيح هو الميزان حقيقة، فإن قيل: قد قال فى موضع آخر: ﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنًا ﴾[1] فكيف التوفيق بين الآيتين؟ والجواب عنه: أن معنى قوله: ﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنًا ﴾[1] أى: لايستقيم وزنهم على الحق، فإن ميزانهم شائل ناقص خفيف ، ويقال: ﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنًا ﴾[1] أى: ثوابًا، قال بعض الخوارج فى ضربة ابن ملجم لعلى رضى الله عنه :-

ياضربة من تقى ما أراد بها ... إلا ليدرك من ذى العرش رضوانا

إنى لأذكر يوما فأحسبه ... أوفى البرية عند الله ميزانا

أى: ثوابًا، ونحن نبرأ من معنى هذا الشعر ومن قائله .

وقوله تعالى: ﴿ فلا تظلم نفس شيئًا ﴾ أى: [لا][2] يزاد فى سيئاته، ولاينقص من حسناته.

وقوله: ﴿ وإن كان مثقال حبة من خردل ﴾ أى: زنة حبة خردل .

وقوله: ﴿ أتينا بها ﴾ أى: أحضرناها؛ لنجازى عليها .

وقرئ فى الشاذ: «آتينا بها» بمد الألف، من الإيتاء أى: جازينا بها أو أعطينا بها .

وقوله: ﴿ وكفى بنا حاسبين ﴾ أى: محاسبين، وقيل: حافظين عالمين، وقيل: محصين .

---

(١) الكهف: ١٠٥.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ

قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه التوراة، والآخر: أنه البرهان الذى فرق به بين حق موسى وباطل فرعون .

وقوله: ﴿وضياء﴾ وقرئ بغير الواو، فأما بالواو فهو صفة آخرى للتوراة، إذا حملنا الفرقان على التوراة، وإن حملناه على البرهان، فمعناه: أعطيناه البرهان، وأعطيناه التوراة التى هى ضياء، فأما بغير الواو فمعنى الفرقان على هذا ليس إلا التوراة، وقوله: ﴿وضياء﴾ صفة لها.

وقوله: ﴿وذكرا للمتقين﴾ أى: تذكيراً للمتقين .

قوله تعالى: ﴿الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ إنما قال: ﴿بالغيب﴾؛ لأن المؤمنين يخشونه ولايرونه، فأما هو يراهم وليسوا بغيب عنه. وقوله: ﴿وهم من الساعة مشفقون﴾ أى: خائفون .

قوله تعالى: ﴿وهذا ذكر مبارك أنزلناه﴾ قد بينا معنى المبارك، وقيل: يتبرك به أى: يطلب منه الخير .

وقوله: ﴿أفأنتم له منكرون﴾ مذكور على وجة التوبيخ والذم لإنكارهم .

قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل﴾ فى الرشد قولان: أحدهما: أنه الهداية، والآخر: أنه النبوة.

وقوله: ﴿من قبل﴾ فيه قولان: أحدهما: من قبل البلوغ،وهو حين خرج من السرب، وهو صغير، ونظر إلى النجوم والشمس والقمر فاستدل، كما ذكرنا فى سورة الأنعام، والقول الثانى: من قبل أى: من قبل موسى وهارون .

وقوله: ﴿وكنا به عالمين﴾ أى: عارفين .

لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللاَّعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا

قوله تعالى: ﴿إذ قال لأبيه وقومه ماهذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون﴾ أى: الأصنام التى أنتم عليها مقيمون للعبادة.

قوله تعالى: ﴿قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين﴾ معناه: وجدناهم كذلك فاتبعناهم.

قوله تعالى: ﴿قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين﴾ أى: فى خطأ بين، والبين الواضح، والمبين الموضح.

قوله تعالى: ﴿قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين﴾ أى: بالصدق والجد، أم أنت من الهازئين؟.

قوله تعالى: ﴿قال بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن﴾ أى: خلقهن.

وقوله: ﴿وأنا على ذلكم من الشاهدين﴾ أى: على أنه الإله الذى لايستحق العبادة غيره، وأن الأصنام ليست بآلهة، وقيل: وأنا من الشاهدين على أنه خالق السموات والأرض.

قوله تعالى: ﴿وتالله لأكيدن أصنامكم﴾ الكيد: إيصال ضر بالغير بضرب من التدبير، وقيل: الكيد شبه المحاربة،

وفى مغازى الرسول ﷺ غزا موضع كذا، فلم يلق كيداً، أى: حرباً.

وقوله: ﴿بعد أن تولوا مدبرين﴾ أى: بعد أن تدبروا منطلقين إلى عيدكم، فإن قيل: كيف يتصور كيد الأصنام، وهى لاتعقل؟ قلنا: سنبين وجه كيده لها.

قوله: ﴿فجعلهم جذاذاً﴾ قرئ: «جُذَاذًا» و «جِذَاذًا» وفى الشاذ «جذَّاذا»، فقوله: «جُذاذا» بالرفع هو مثل الحطام والرفات، وقوله: «جِذاذا» بالكسر فهو جمع

إلاَّ كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ

الجذيذ، مثل الخفيف والخفاف، ومعناه: أنه قطعها وكسرها، أى: جعلها قطعة قطعة، وكسرة كسرةً.

وفى القصة: أنهم لما مروا إلى عيدهم قالوا له: ألا تخرج معنا؟ فقال: لا، إنى سقيم، ومعناه: ما برد بعد، ثم قال فى نفسه: تالله لأكيدن أصنامكم، فسمعه رجل منهم، ومروا ولم يبق فى البلد أحد، فجاء إلى بيت أصنامهم، ومعه فأس، وكان فى البيت اثنان وسبعون صنماً، بعضها من حجر، وبعضها من فضة، وبعضها من ذهب، وغير ذلك، والصنم الكبير من الذهب، وهو مكلل بالجوهر، وعيناه ياقوتتان تتقدان، وهو على هيئة عظيمة، فأخذ الفأس، وكسر الكل إلا الكبير، فإنه تركه وعلق الفأس فى عنقه، وقيل: ربطه بيده، فهذا هو كيد الأصنام، ومعناه: [أنه][1] كادهم على ما يعتقدون فيهم، فهذا معنى قوله: ﴿فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم﴾، وأنشدوا فى الجذاذ شعراً:

جذذ الأصنام فى محرابها ذاك فى الله العلى المقتدر

وقوله: ﴿لعلهم إليه يرجعون﴾ فيه قولان: أحدهما: لعلهم عنده يرجعون من الشرك أى: عند هذا الفعل، والقول الثانى: لعلهم إلى الكبير يرجعون، ومعناه: أنهم إذا رأوا أمثال الصنم الكبير مقطعة مكسرة، وعرفوا أنه مثلهم، ولم يكن عندهم دفع، عرفوا أنه لادفع عنده أيضًا، وأما قول من قال: إن معنى الآية: ﴿لعلهم إليه يرجعون﴾: أن الكبير هو الذى فعل بهم ذلك حمية وأنفة، فهو قول باطل؛ لأنه لا يدخل فى عقل أحد أن الصنم الكبير يكسر الأصنام الصغيرة، وإنما علق الفأس فى عنق الكبير تعييراً لهم وتبكيتًا، وقيل: على طريق الزام الحجة، فإن اعتقادهم يوجب هذا، وهو أن الكبير لايرضى بالأصنام الصغار معه لوكانوا يعقلون.

قوله تعالى: ﴿قالوا من فعل هذا بآلهتنا﴾ فيه تقدير، وهو أنهم رجعوا ودخلوا على الأصنام، فلما رأوها قالوا كذلك.

(١) فى «الأصل، وك»: أنهم.

﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ

وقوله: ﴿إنه لمن الظالمين﴾ أى: من المجرمين.

قوله تعالى: ﴿قالوا سمعنا فتى﴾ أى: شابًا ﴿يذكرهم﴾ أى: يعيبهم، وفى القصة: أن ذلك الرجل الذى سمع منه ذِكْر كيد الأصنام قال هذا.

وقوله: ﴿يقال له إبراهيم﴾ معلوم.

قوله تعالى: ﴿قالوا فأتوا به على أعين الناس﴾ فى القصة: أن الملك - وهو نمروذ - قال هذا القول، ومعناه: جيئوا به على مشهد الناس.

وقوله: ﴿لعلهم يشهدون﴾ فيه قولان: أحدهما: أنهم يشهدون عذابه إذا عذبناه، والقول الآخر: لعلهم يشهدون أى: يسمعون قول الرجل أنه قال كذا فى الأصنام، قال السدى: كره الملك أن يعاقبه بغير بينة.

قوله تعالى: ﴿قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا ياإبراهيم﴾ طلبوا منه الإقرار والاعتراف بما فعل.

قوله تعالى: ﴿قال بل فعله كبيرهم هذا﴾ اعلم أنه قد ثبت عن النبى ﷺ برواية أبى الزناد، عن الأعرج، عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «إبراهيم كذب ثلاث كذبات» - وفى رواية: «فى الله» - قوله: ﴿بل فعله كبيرهم﴾، وقوله: ﴿إنى سقيم﴾(١)، وقوله لسارة: هذه أختى». قال الشيخ الإمام: أخبرنا بهذا الحديث أبو على الشافعى قال أبو الحسن بن [فراس](٢)، قال: نا أبو جعفر الديبلى، قال: نا سعيد بن عبدالرحمن المخزومى، قال: نا سفيان بن عيينة، عن أبى الزناد.. الحديث(٣).

---

(١) الصافات: ٨٩.

(٢) فى «الأصل و ك»: فارس، وهو خطأ، وقد سبق التنبيه عليه.

(٣) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (٤/ ٤٧٩ رقم ٢٢١٧ ،وأطرافه فى: ٢٦٣٥، ٣٣٥٧، ٣٣٥٨، ٥٠٨٤، ٦٩٥٠)، ومسلم (١٥/ ١٨٠ - ١٨٢ رقم ٢٣٧١).

كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن

قال أهل المعانى: قال إبراهيم ماقال بإذن الله تعالى لقصد الصلاح، وهو مثل ما أذن ليوسف أن يقول للإخوة: «أيتها العير إنكم لسارقون، وقال بعضهم: هو قول يخالف لفظه معناه، ولكل تأويل، أما قوله: ﴿بل فعله كبيرهم﴾ أى: على زعمكم واعتقادكم، وهو على وجه إلزام الحجة، كما بينا على تحقيق الخبر، وقال بعضهم معناه: بل فعله كبيرهم هذا ﴿فسألوهم إن كانوا ينطقون﴾، قاله على سبيل الشرط، قال النحاس: وفى هذا التأويل بُعْدٌ، وهو مخالف للأخبار الثابتة، وأما قوله: ﴿إنى سقيم﴾(١) أى: سأسقم وقيل معناه: سقيم أى: مغتم بضلالتكم، فكأنه سقيم القلب بذلك، وأماقوله لسارة: هذه أختى أى: أختى فى الدين، والأولى ماذكرناه من المعنى الأول، وهو قول أهل السنة، وهو أن الله تعالى أذن له فيه.

قوله تعالى: ﴿فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون﴾ معناه: رجعوا إلى فكرهم وعقولهم فقالوا: إنكم أنتم الظالمون يعنى: بعبادتكم مالايدفع عن نفسه شيئًا.

قوله تعالى: ﴿ثم نكسوا على رءوسهم﴾ قال أهل التفسير: أجرى الله تعالى حقا على لسانهم فى القول الأول، ثم أدركتهم الشقاوة، فهو معنى قوله: ﴿ثم نكسوا على رءوسهم﴾ ومعناه: رجعوا إلى شركهم، ويقال: نكس المريض إذا رجع إلى حاله الأول، وقيل: نكسوا على رءوسهم أى: رجعوا، ومعناه: إلى الاحتجاج عن الأصنام.

وقوله: ﴿لقد علمت ماهؤلاء ينطقون﴾ ومعناه: فكيف نسألهم؟.

قوله تعالى: ﴿قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئًا ولايضركم﴾ معناه: لاينفعكم إن عبدتموه، ولايضركم إن تركتم عبادته.

وقوله: ﴿أف لكم﴾ أى: نتنًا وقذرًا لكم. وقوله: ﴿ولما تعبدون من دون الله﴾

---

(١) الصافات: ٨٩.

دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾

أى: الأصنام.

وقوله: ﴿أفلا تعقلون﴾ أى: أليس لكم عقل تعرفون هذا؟.

قوله تعالى: ﴿قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم﴾ التحريق هو التقطيع بالنار، واختلفوا أن القائل لقوله: ﴿حرقوه﴾ من كان؟ فعن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال: هو رجل من أكراد فارس، وقال غيره: هو نمروذ الجبار، وعن بعضهم: أنه رجل يقال له: (هيرون)[1] خسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة.

وقوله: ﴿وانصروا آلهتكم﴾ قال الأزهرى معناه: عظموا آلهتكم بإحراقه، وقيل: وادفعوا عن آلهتكم.

وقوله: ﴿إن كنتم فاعلين﴾ يعنى: إن كنتم ناصرين لها أى: للآلهة.

قوله تعالى: ﴿قلنا يانار كونى بردًا وسلامًا﴾ فى القصة: أنهم بنوا أتونًا بقرية من قرى كوثى، وجمعوا الأحطاب مدة. وعن السدى قال: كان الرجل منهم يمرض فيوصى بشراء الحطب وإلقائه فيه، والمرأة تغزل فتشترى الحطب بغزلها فتلقيه فيه، ثم أوقدوا عليها سبعة أيام، ثم ألقوا فيها إبراهيم. وروى أنهم لم يعلموا كيف يلقونه فيها؟ فجاء إبليس - عليه مايستحق - وعلمهم عمل المنجنيق، فوضعوه فيه، وطرحوه فى النار.

وعن بكر بن عبدالله المزنى قال: لما طرح إبراهيم فى النار ضجت الخليقة، وقالت: يارب، إن خليلك يلقى فى النار، فقال الله تعالى: إنه خليلى، ليس لى خليل غيره، وأنا إلهه، ليس له إله غيرى، فإن استغاث بكم فأغيثوه، فلم يستغث بأحد. ومن المعروف أنه قال حين ألقى فى النار: حسبى الله ونعم الوكيل. وروى أنه قال: سبحانك لا إله إلا أنت رب العالمين، ولك الحمد لاشريك لك. وعن كعب الأحبار

(١) فى «ك»: هارون.

وقتادة أنهما قالا: جعل كل شيء يطفيء عنه النار إلا الوزغة، فإنه جعل ينفخ في النار، فأمر الرسول بقتله.

وفي بعض الأخبار عن النبي ﷺ: «من قتل وزغًا فكأنما قتل كافرًا»(١).

وقوله: ﴿قلنا يانار كوني بردًا﴾ أي: ذات برد، قال أهل المعاني: يحتمل أنه خلق بردًا في النار بدل الحر، ويحتمل أنه أحال بين النار وبين إبراهيم.

وقوله: ﴿وسلامًا﴾ (روى)(٢) عن علي - رضي الله عنه - أنه قال: لولم يقل: ﴿وسلامًا﴾ لقتله البرد ومثله عن كعب.

وعن قتادة قال: لم تحرق منه إلا وثاقه.

ومن المعروف في الآثار: أنه لم ينتفع في ذلك اليوم بنار في العالم.

وقوله: ﴿على إبراهيم﴾ لو لم يقل: ﴿على إبراهيم﴾ بقيت ذات برد أبدًا، وفي القصة: أنهم لما طرحوه في النار، وجعلها الله عليه بردًا وسلامًا، قال نمروذ وأصحابه: إنه قد سحر النار، فقال أبو لوط - وكان كافرًا - اطرحوا فيه رجلا آخر وجربوه، فطرحوا فيها رجلا آخر فأكلته النار في الحال.

وفي بعض الغرائب من المسانيد عن النبي ﷺ: «أنه لما طرح إبراهيم في النار بعث الله جبريل إليه، وبعث معه بطنفسة من طنافس الجنة، وقميص من قمص الجنة، فأقعده على الطنفسة، وألبسه القميص وقعد معه يحدثه».(٣) وروى: «أنهم نظروا فإذا هو في روضة تهتز»(٤).

---

(١) رواه أحمد (١/ ٣٩٥، ٤٢١) والطيالسي (ص٤٢ رقم ٣١٥)، وأبو يعلى (٩/ ٢٢١ رقم ٥٣٢٠)، والبزار (٥/ ٣٢٤ رقم ١٨٤٧)، (٥/ ٣٥٣ رقم ١٩٨٥)، والطبراني في الكبير (١٠/ ١٠٦ رقم ١٠١١٠)، وابن حبان في المجروحين (٣/ ١٥٠)، والخطيب في تاريخه (٢/ ٢٣٤) عن ابن مسعود مرفوعًا، ورواه الطبراني في الكبير (٩/ ٣٥١ رقم ٩٧٤٥، ٩٧٤٦) عن ابن مسعود موقوفًا، وذكره الدارقطني في العلل (٥/ ٧٤ - ٧٥ رقم ٧٢٠) وقال: والموقوف أشبه بالصواب.

(٢) في «الأصل، وك»: ماروى.

(٣) رواه ابن عساكر في تاريخه (٦/ ١٨٨ رقم ١٤٥٩، ١٤٦٠) من حديث أنس مرفوعًا بطوله.

(٤) هو جزء من الحديث السابق.

وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا

وقوله: ﴿وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين﴾ فمعنى الأخسرين هاهنا: أنهم خسروا السعى والنفقة، ولم يحصل لهم مرادهم، وقال بعضهم: معناه: أن الله تعالى أرسل على نمروذ وقومه البعوض، فأكلت لحومهم، وشربت دماءهم، ودخلت بعوضة فى رأس نمروذ حتى أهلكته، ذكره مقاتل وغيره.

قوله تعالى: ﴿ونجيناه ولوطًا إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين﴾ يعنى: الشام، وبركتها كثرة مياهها وأشجارها، وعموم الخصب بها، حتى يعيش فيها الفقير والغنى بعيش طيب، ويقال: بركتها كثرة الأنبياء بها، وفى الآية قول آخر: هو أن المراد من الأرض التى بارك فيها هى مكة، وقيل: مصر، والأصح هو الأول؛ لأنه مشهور أنه خرج وامرأته - يعنى: إبراهيم - إلى حران، ثم من حران إلى الشام، وأما لوط فإنه ابن أخى إبراهيم، وكان خرج معه.

قوله تعالى: ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة﴾ قال ابن عباس: النافلة هو يعقوب، وأما إسحاق فليس بنافلة؛ لأن الله تعالى أعطاه إسحاق بدعائه، وإنما زاد يعقوب على مادعا، والنافلة هى الزيادة، وقال مجاهد: كلاهما نافلة، والأصح هو الأول.

وقوله: ﴿وكلا جعلنا صالحين﴾ ظاهر المعنى.

وقوله تعالى: ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا﴾ يعنى: يرشدون بأمرنا.

وقوله: ﴿وأوحينا إليهم فعل الخيرات﴾ معناه: العمل بالشرائع.

وقوله: ﴿وإقام الصلاة﴾ أى: المحافظة عليها.

﴿وإيتاء الزكاة﴾ معناه: وإعطاء الزكاة.

وقوله: ﴿وكانوا لنا عابدين﴾ أى: موحدين.

عَابِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ

قوله تعالى: ﴿ولوطا آتيناه حكمًا وعلمًا﴾

وقوله: ﴿ونجيناه من القرية التى كانت تعمل الخبائث﴾ القرية: هى سدوم، وأما الخبائث قيل: إتيانهم الذكور، ويقال هو: [التضارط](١) فى الأندية.

وقوله: ﴿إنهم كانوا قوم سوء فاسقين﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿وأدخلناه فى رحمتنا إنه من الصالحين﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ونوحًا إذ نادى من قبل﴾ نداؤه هو قوله: ﴿أنى مغلوب فانتصر﴾(٢)، (وقيل هو قوله:)(٣) ﴿رب لاتذر على الأرض من الكافرين ديارًا﴾(٤)

وقوله: ﴿فاستجبنا له﴾ أى: أجبناه.

وقوله: ﴿فنجيناه وقومه من الكرب العظيم﴾ فى القصة: أنه كان أطول الأنبياء عمرًا، وأشد الأنبياء بلاء، وروى أنه كان يضرب فى اليوم سبعين مرة.

وقوله: ﴿من الكرب العظيم﴾ أى: من الغرق، وقيل: من الغم والضيق.

قوله تعالى: ﴿ونصرناه من القوم الذين كذابوا بآياتنا﴾ أى: منعناه وحفظناه.

﴿إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث﴾ اختلف القول فى الحرث:

---

(١) من «ك»، وفى «الأصل»: التظارط.

(٢) القمر: ١٠.

(٣) فى «ك»: وقوله.

(٤) نوح: ٢٦.

يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا

قال ابن عباس: كان كَرْمًا قد بدت عناقيده، وقال قتادة: كان زرعًا، وأما القصة فيه: فروى أنه كان رجلان لأحدهما حرث وللآخر غنم، فدخل الغنم فى حرث صاحبه ليلا، فأكلت وأفسدت، حتى لم يبق شىء - وهو معنى قوله: ﴿إذ نفشت فيه غنم القوم﴾ والنفش هو الرعى ليلا، والهمل هو الرعى نهارًا - فلما أصبحا جاء صاحب الحرث يخاصم صاحب الغنم عند داود، فقال داود: خذ برقبة الأغنام فهى لك بدل حرثك، وكان سليمان ثَمَّ فقال: يا نبى الله، أو غير ذلك؟ هذا قول ابن مسعود، أن سليمان ثمه.

وقال غيره: أنهما خرجا فمرا على سليمان، وذكرا له حكم داود، فقال: قد كان هاهنا حكم هو أرفق بالرجلين، فذكر ذلك لأبيه داود، فدعاه وسأله بحق الأبوة، فقال: تسلم الغنم إلى صاحب الحرث، ينتفع بألبانها وسمونها وأصوافها، وتسلم الحرث إلى صاحب الغنم يقوم عليه، حتى إذا عاد إلى ما كان عليه ليلة نفشت فيه الغنم سلمت الحرث إلى صاحبه؛ فهذا معنى قوله تعالى: ﴿ففهمناها سليمان﴾ وأخذ داود بذلك.

وأما قوله: ﴿وكنا لحكمهم شاهدين﴾ أى: لم يغب عنا حكمهما جميعًا، وكان بعلمنا ومرامنا.

قوله تعالى: ﴿ففهمناها سليمان﴾ قد بينا المعنى.

واختلف العلماء أن داود حكم ما حكم بالاجتهاد أو بالوحى؟ وكذلك سليمان، فقال بعضهم: إنهما فعلا بالاجتهاد، وقالوا: يجوز الاجتهاد للأنبياء؛ ليدركوا ثواب المجتهدين، إلا أن داود أخطأ، وسليمان أصاب، والخطأ يجوز على الأنبياء إلا أنهم لايقرون عليه، واختلفوا [فى](1) أنه هل يجوز على نبينا الخطأ فى الحكم كما يجوز على سائر الأنبياء؟ قال أبو على بن أبى هريرة: لايجوز؛ لأن شريعته ناسخة، وليس

(1) المثبت من «ك».

بعده نبى، وقال غيره: يجوز كما يجوز على سائر الأنبياء. وقد روى «أن امرأة أتت النبى ﷺ وقالت: إن زوجى توفى فأين أعتد؟ فقال لها: اعتدى أين شئت، فلما ولت دعاها وقال: سبحان الله امكثى فى بيتك حتى يبلغ الكتاب»(١) والخبر غريب.

وروى أن رجلا أتى النبى ﷺ وقال: يارسول الله ﷺ، أرأيت إن قُتلت صابراً محتسباً، هل يحجزنى من الجنة شىء؟ قال: لا، ثم دعاه وقال: «إلا الدَّيْن، سارَّنى به جبريل»(٢) وهو خبر معروف، والخبران يدلان على أنه يجوز أن يخطئ، إلا أنه لايقرر عليه.

والقول الثانى فى أصل الحكومة: هو أن داود وسليمان - عليهما السلام - حكما بالوحى، إلا أن ما حكم به داود كان منسوخاً، والذى حكم به سليمان كان ناسخاً، وقال هؤلاء القوم: لايجوز للنبى أن يجتهد فى الحوادث؛ لأنه مستغن بالوحى عن الاجتهاد، وقد قال الله تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى﴾(٣)، والأول هو الأصح.

وأما حكم هذه المسألة فى شريعتنا: فاعلم أن ما أفسدت الماشية بالليل عندنا مضمون على صاحبها، وما أفسدت بالنهار فلا ضمان، والحجة فيه ما روى الزهرى، عن حرام بن محيصة عن أبيه: «أن ناقة البراء بن عازب دخلت حرث قوم فأفسدته، فارتفعوا إلى النبى ﷺ فقضى بأن حفظ الماشية على أربابها ليلا، وأن حفظ الحرث على أربابها نهاراً»(٤) وهذا أحسن حكم يكون؛ لأن العادة جرت أن المواشى تحفظ

(١) رواه أبو داود (٢/ ٢٩١ رقم ٢٣٠٠)، والترمذى (٣/ ٥٠٨ رقم ١٢٠٤) وقال: حسن صحيح، والنسائى (٦/ ٣٧٠ رقم ٣٥٢٨، ٣٢٥٩، ٣٥٣٠)، وابن ماجة (١/ ٦٥٤ رقم ٢٠٣١)، وأحمد (٦/ ٣٧٠)، ومالك فى الموطأ (٢/ ٥٩١)، والشافعى (٢/ ٥٣ - ٥٤ ترتيب المسند)، وابن حبان (١٠/ ١٢٨ - ١٣٠ رقم ٤٢٩٢، ٤٢٩٣)، والحاكم (٢/ ٢٠٨) وقال: صحيح، والبيهقى (٧/ ٤٣٤، ٤٣٥) من حديث الفريعة بنت مالك بنحوه.

(٢) رواه مسلم فى صحيحه (١٣/ ٤٣ - ٤٤ رقم ١٨٨٥)، والنسائى (٦/ ٣٥٣٤ رقم ٣١٥٦، ٣١٥٧، ٣١٥٨)، والإمام أحمد فى مسنده (٥/ ٢٩٧، ٣٠٨)، ومالك فى موطأه (٢/ ٤٦١)، والبيهقى (٩/ ٢٥) من حديث أبى قتادة.

(٣) النجم: ٢ - ٣.

(١) رواه أبو داود (٣/ ٢٩٨ رقم ٣٥٧٠)، والنسائى فى الكبرى (٣/ ٤١١ رقم ٥٧٨٤)، وابن ماجة (٢/ ٧٨١ رقم ٢٣٣٢)، وأحمد فى مسنده (٥/ ٤٣٥، ٤٣٦)، ومالك فى الموطأ (٢/ ٧٤٧ - ٧٤٨)، والشافعى =

بالليل، وتسيب بالنهار، وأما الحروث والزروع تحفظ بالنهار، ويتعذر حفظها بالليل.

قال الشيخ الإمام: أخبرنا بهذا الحديث القاضي الإمام الوالد، قال: نا أبو سهل عبدالصمد بن عبد الرحمن البزار، قال: أبو بكر محمد بن زكريا العذافري، قال: أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الدبري قال: [حدثنا][(١)] عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري.... الخبر.

وقوله: ﴿وكلا آتينا حكماً وعلماً﴾ وقد بينا.

فإن قيل: قد كان داود حكم بما حكم به، والحادثة إذا جرى فيها حكم الحاكم لايجوز أن تنقض بغيره، فكيف وجه هذا؟ والجواب: يحتمل أنه كان طولب بالحكم، ولم يحكم بعد، إلا أنه ذكر وجه الحكم، وقال بعضهم: إنه كان حكم بالاجتهاد، فلما قال سليمان ما قال، نزل الوحي أن الحكم ما قال.

وقوله: ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير﴾ قيل: تسبيحها صلاتها، وقيل: تسبيحها هو الثناء على الله بالطهارة والتقديس، وقد روى أن الجبال كانت تجاوب داود بالتسبيح، وروى أنه كان إذا قرأ سمَّعه الله تسبيح الجبال والطير؛ لينشط في التسبيح، ويشتاق إليه.

وقوله: ﴿وكنا فاعلين﴾. أي: قادرين على ما نريد، وقيل معناه: فعلنا ما فعلنا بالتدبير الصحيح.

قوله تعالى: ﴿وعلمناه صنعة لبوس لكم﴾ اللبوس ها هنا هو الدرع، وفي اللغة: اللبوس ما يلبس، قال قتادة: لم يسرد الدرع، ولم يحلقه أحد قبل داود، وكان قبله

= (٢/ ١٠٧)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٠/ ٨٢ رقم ١٨٧٣٧)، والدارقطني (٣/ ١٥٦)، وابن حبان (١٣/ ٣٥٤ - ٣٥٥ رقم ٦٠٠٨)، والحاكم (٢/ ٤٧ - ٤٨) وقال: صحيح الإسناد على خلاف فيه بين معمر والأوزاعي، والبيهقي في سننه (٨/ ٣٤١) جميعهم من حديث البراء بن عازب، إلا أنه اختلف فيه عن الزهري. وانظر تلخيص الخبير (٤/ ١٦٢ - ١٦٣ رقم ٢١٥٥)، والدارقطني والبيهقي في سننهما.

(١) من «ك».

﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾
وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ
﴿٨١﴾ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾

يتخذ الدرع من صفائح، فلما عمل هو الدرع جمع الخفة والحصانة.

وقوله: ﴿لتحصنكم من بأسكم﴾ أى: من بأس عدوكم.

وقوله: ﴿لتحصنكم﴾ قرئ بقراءات: بالياء والتاء، والنون، أما الياء فمعناه: ليحصنكم اللبوس، وقيل: ليحصّنكم الله، وأما التاء فمعناه: لتحصنكم الصنعة، وأما بالنون ينصرف إلى الله.

وقوله: ﴿فهل أنتم شاكرون﴾ يعنى: ياداود وأهل بيته، هل أنتم شاكرون؟.

قوله تعالى: ﴿ولسليمان الريح عاصفة﴾ الريح العاصفة[(١)] هى التى يشتد هبوبها، فإن قيل: قد قال فى موضع آخر: ﴿رخاء حيث أصاب﴾[(٢)] والرخاء: اللين؟ والجواب عنه: أنه كان إذا أراد أن تشتد اشتدت، وإذا أراد أن تلين لانت.

وقوله: ﴿تجرى بأمره إلى الأرض التى باركنا فيها﴾ فى القصة: أنه كان يسير من الشام إلى اصطخر تحمله الريح غدوة، ويسير من اصطخر إلى الشام تحمله الريح عشية.

وقوله: ﴿وكنا بكل شىء عالمين﴾ يعنى: أنه ما غاب عنا شىء من الأشياء.

قوله تعالى: ﴿ومن الشياطين من يغوصون له﴾ الغوص هو النزول فى قعر البحر، فكان الشياطين يفعلون ذلك لسليمان؛ لاستخراج الدر والجواهر.

وقوله: ﴿ويعملون عملا دون ذلك﴾ أى: سوى الغوص، وهو معنى: ﴿يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل...﴾[(٣)] الآية.

وقوله: ﴿وكنا لهم حافظين﴾.

---

(١) فى «ك»: العاصف.
(٢) ص: ٣٦.
(٣) سبأ: ١٣.

وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾

قال الفراء والزجاج معنى ذلك: أنا حفظنا الشياطين من أن يفسدوا ما عملوا. وفى القصة: أن سليمان كان إذا بعث شيطانًا مع إنسان ليعمل له عملا قال له: إذا فرغ من عمله قبل الليل، أشغله بعمل آخر؛ لئلا يفسد ما عمل، وكان من عادة الشيطان أنه إذا فرغ من العمل، ولم يشغل بعمل آخر يخرب ما عمل، ويفسده، فهذا معنى قوله تعالى: ﴿وكنا لهم حافظين﴾ على ما ذكرنا من الفراء والزجاج، وروى عن ابن عباس أيضًا.

قوله تعالى: ﴿وأيوب إذ نادى ربه﴾ أى: دعا ربه.

وقوله: ﴿أنى مسنى الضر﴾ أى: البلاء والشدة، وقيل: الجهد.

وقوله: ﴿وأنت أرحم الراحمين﴾ أى: أرحم من يرحم.

واعلم أن قصة أيوب طويلة، وذكر فى التفسير منها، وكذا نذكر بعضها، فروى عن الحسن البصرى: أن الله تعالى أعطى أيوب مالا وولدًا، ثم أهلك ماله وولده. وذكر وهب بن منبه وغيره: أنه كان ذلك لتسليط إبليس على ماله وولده، قال الحسن: فلما بلغه هلاك ماله وولده، حمد الله حمدًا كثيرًا وقال: اللهم إنه كان يشغلنى مالى وولدى عن عبادتك، والآن قد فرغ لك سمعى وبصرى وقلبى وليلى ونهارى. قال وهب: ثم ابتلاه الله تعالى فى جسمه، وكان إبليس يحسده فى كثرة عبادته وكثرة ثناء أهل السماء عليه فقال: يارب، لو ابتليته لقصر(١) فى عبادتك، فقال الله تعالى له: سلطتك على جسمه سوى قلبه ولسانه وعقله - هذا قول وهب وغيره، والله أعلم - ثم ظهر البلاء فى جسم أيوب، واشتد به البلاء غاية الشدة حتى قرح جميع جسده وتدود، واجتنبه(٢) جميع قومه، وألقى على مزبلة من مزابل بنى إسرائيل، ولم يقربه أحد غير امرأته كانت تتصدق الناس وتطعمه، واختلفوا فى مدة بلائه: فقال ابن عباس: سبع حجج، وقال وهب: ثلاثة أحوال.

(١) فى «ك»: نقص.

(٢) فى «ك»: واجتنب.

وأما قوله: ﴿أنى مسنى الضر﴾ ففى القصة: أنه لم يدع الله تعالى بكشف الضر فى تلك المدة الطويلة إلى أن بلغ وقت الكشف ثم دعا، واختلفوا فى سبب دعائه: قال الحسن: كان سبب ذلك أن جماعة من أصدقائه رأوا به ذلك البلاء الشديد فقالوا: لو كانت عبادتك التى كنت تفعل لله تعالى خالصاً ما أصابك هذا البلاء. قال حبيب بن أبى ثابت: لم يدع الله تعالى بالكشف حتى ظهرت ثلاثة أشياء أكره ما يكون: أما الأول: فقدم عليه صديقان له من الشام حين بلغهما خبره، فجاءا إليه، ولم يبق منه إلا عيناه، ورأيا أمراً عظيماً، فقالا له: لو كان لك عند الله منزلة ما أصابك هذا، والثانى: أن المرأة طلبت طعاماً فلم تجد شيئًا تطعمه، فباعت ذؤابتها، وحملت إليه طعاماً، وذكرت له ذلك، والثالث: أن إبليس اللعين لما رأى صبره جزع جزعًا شديداً، فاتخذ تابوتاً وجعل فيه أدوية، وقعد على طريق امرأته يداوى الناس، فمرت عليه امرأته، فلما رأت ذلك قالت: أيها الرجل، إن عندى مريضاً أفتداويه؟ قال: نعم، وأشفيه، قالت: ما تريد؟ قال: لا أريد شيئًا إلا أن يقول حين أشفيه: أنت شفيتنى، فذهبت وذكرت ذلك لأيوب - عليه السلام - فقال: هو إبليس قد خدَعَك، والله لئن شفانى الله لأضربنك مائة جلدة.

وروى أن إبليس جاء إلى أيوب ووسوس إليه، أن امرأته زنت، وأنه قُطعت ذؤابتها لذلك، فحينئذٍ عيل صبره لهذه الأشياء فدعا وقال: ﴿أنى مسنى الضر﴾.

فإن قال قائل: أليس أن الله تعالى سماه صابراً، وقد ترك الصبر حين دعا؟ قلنا: لا، لم يترك الصبر، فإن ترك الصبر بإظهار الشكوى إلى الخلق، فأما بإظهارها إلى الله تعالى فلا يكون تركًا للصبر.

وعن سفيان بن عيينة أنه قال: إذا أظهر الشكوى إلى الخلق، وهو راض بقضاء الله، فإنه لا يكون تاركًا للصبر أيضًا.

وقد روى عن النبى ﷺ «أن جبريل دخل عليه فى مرض الموت فقال: كيف تجد نفسك؟ فقال: ياجبريل، أجدنى مغموماً، أجدنى مكروباً». (١)

(١) رواه البيهقى فى الدلائل (٧/ ٢١٠ - ٢١١، ٢٦٧ - ٢٦٨) عن محمد بن على، وعن على بن الحسن كلاهما مرسلا. وروى بنحوه فى حديث طويل فى موت النبى ﷺ من حديث جابر وابن عباس. رواه الطبرانى فى الكبير (٣/ ٥٨ - ٦٤رقم٢٦٧٦)، وأبو نعيم فى الحلية (٤/ ٧٣ - ٧٩)، وابن الجوزى فى الموضوعات (١/ ٢٩٥ - ٣٠١) وقال: حديث موضوع محال، وقال الهيثمى (٩/ ٣٤ المجمع): رواه الطبرانى، وفيه عبدالمنعم بن إدريس، وهو كذاب وضاع.

وروى أنه قال لعائشة - صلوات الله (عليه) -[1] : «بل أنا وارأساه» الخبر بطوله[2].

وفى القصة: أن الدودتين كانتا [تقتتلان][3] على جسده، فكان يفرق بينهما، ويقول لهما: كلا من رزق الله.

قوله تعالى: ﴿فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر﴾ روى أن الله تعالى أنبع له عيناً، وأمره أن يغتسل فيها فاغتسل فيها، وخرج كأصح ما يكون.

وقوله: ﴿وآتيناه أهله ومثلهم معهم﴾ قال ابن مسعود وابن عباس والحسن: رد إليه أهله وأولاده بأعيانهم، وهذا هو القول المعروف، وظاهر القرآن يدل عليه، وهو أيضاً مروى برواية جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس، عن النبى ﷺ، وذكر فى هذا الخبر: أن الله تعالى رد المرأة شبابها، فولدت له ستة وعشرين ولداً بعد ذلك، وفى هذا الخبر أيضاً: أن الله تعالى بعث إليه ملكًا وقال: إن ربك يقرئك السلام بصبرك، فاخرج إلى ضياع أندرك، فخرج إليه، فأرسل الله عليه جراداً من ذهب، قال: فطارت واحدة فاتبعها وردها إلى أندره، فقال له الملك: أما يكفيك ما فى أندرك حتى تتبع الخارج؟ فقال: هذه بركة من بركات ربى، لا أشبع من بركته.

قال الشيخ الإمام: أخبرنى بهذا أبو على بن بندار بإسناده عن إسماعيل بن أبى زياد، عن جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس.

وروى سفيان بن عيينة، عن عمرو، عن طاوس: أن الله تعالى أمطر على أيوب

(١) فى «الأصل» عليهما والمثبت من «ك».

(٢) رواه البخارى فى صحيحه (١٠/ ١٢٨ رقم ٥٦٦٦ ،وطرفه فى: ٧٢١٧)، والنسائى فى الكبرى (٤/ ٢٥٢ - ٢٥٣ رقم ٧٠٧٩، ٧٠٨٠، ٧٠٨١) وابن ماجة (١/ ٤٧٠رقم ١٤٦٥)، وأحمد (٦/ ٢٢٨)، والدارمى (١/ ٥١ رقم ٨٠)، والدارقطنى (٢/ ٧٤)، وابن حبان (١٤/ ٥٥١ رقم ٦٥٨٦)، والبيهقى (٣/ ٣٩٦) وفى الدلائل (٧/ ١٦٨ - ١٦٩)، وأبو نعيم فى الحلية (٢/ ١٨٥).

(٣) من «ك»، وفى «الأصل»: تقتلان.

رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ

جراداً من ذهب، فجعل يقبضه فى ثوبه ويجمع ذلك، فقيل له: ألا تشبع؟ فقال: إنه من فضل ربى، ولا أشبع من فضله. قال الشيخ الإمام: أنا بهذا أبو على الشافعى قال: أنا ابن فراس قال: أنا الديبلى قال: أنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومى قال: أنا سفيان، عن عمرو... الأثر.

وفى الآية قول آخر: وهو أن معنى قوله: ﴿وآتيناه أهله﴾ أى: ثواب أهله ﴿ومثلهم معهم﴾ أى: مثل ذلك كأنه ضوعف له الثواب، وعن عكرمة قال: «خُيِّر أيوب بين أن يرد عليه أهله بأعيانهم، وبين أن يعطى مثل أهله وأولاده، فاختار أن يردوا بأعيانهم ومثلهم معهم فأعطى ذلك.

وقوله: ﴿رحمة من عندنا﴾ أى: نعمة من عندنا.

وقوله: ﴿وذكرى للعابدين﴾ أى: وعظًا واعتباراً للعابدين.

قوله تعالى: ﴿وإسماعيل وإدريس وذا الكفل﴾ أما إسماعيل وإدريس فقد ذكرنا، وأما ذو الكفل قال ابن عباس: كان فى بنى إسرائيل نبى، وكان مع ذلك ملكًا، فلما حضرته الوفاة جمع بنى إسرائيل فقال: من يكفل لى أن يقوم الليل لايفتر، وأن يصوم النهار ولايفطر، وأن يقضى بالحق ولا يغضب؟ فقام شاب وقال: أنا أكفل ذلك، فجعله خليفته، وقُبض ذلك النبى، وقام بما كفل به فسمى ذا الكفل. قال ابن عباس فيما روى عنه فى هذه القصة: إن إبليس اللعين لما رأى ذلك حسده، فجاء فى هيئة شيخ ضعيف نصف النهار، وكان ذو الكفل يقيل ساعة فى نهاره، فدخل عليه وقال: إن لى غريما، وهو يمطلنى فأحب أن تقوم معى، وتستوفى حقى منه، وذكر كلامًا كثيراً، فقام وخرج معه، فلما خرج معه ساعة اعتذر إليه وقال: إن صاحبى قد هرب، فرجع ذو الكفل، وقد ذهب وقت القائلة، ففعل هكذا ثلاثة أيام، ولم يره يغضب فى شىء من ذلك، وقد ذهب نومه فى الأيام الثلاث، فقال إبليس له عند ذلك: أنا إبليس، وقد حسدتك ولم أقدر عليك، وقد وفيت بما قلت. هذا هو القول المعروف.

الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ

وفى الآية قول آخر: وهو أن ذا الكفل رجل كفل أن يصلى كل ليلة مائة ركعة إلى أن يقبضه الله، فوفى بذلك فسمى ذا الكفل، واختلف القول أنه كان نبيًّا أو لم يكن نبيًّا، قال بعضهم: كان نبيًّا، وقال بعضهم: كان عبداً صالحًا، ولم يكن نبيًّا.

وقوله: ﴿ كل من الصابرين ﴾ أى: على طاعتنا

قوله تعالى: ﴿ وأدخلناهم فى رحمتنا ﴾. قال بعض أهل المعانى: إن قوله: ﴿ وأدخلناهم فى رحمتنا ﴾ أبلغ من قوله: ورحمناهم؛ لأن قوله: ﴿ وأدخلناهم فى رحمتنا ﴾ يقتضى أنهم غُمِرُوا بالرحمة، وقوله: ورحمناهم يقتضى أنه أصابهم رحمته.

وقوله: ﴿ إنهم من الصالحين ﴾ ظاهر المعنى، والصلاح اسم يجمع جميع خصال الخير.

وقوله تعالى: ﴿ وذا النون إذ ذهب مغاضباً ﴾ النون: السمكة. قال الشاعر:

ياحبذا القصر نعم القصر والوادى — وحبذا أهله من حاضر بادى

ترقى قراقيره والوحش راتعة — والضب والنون والملاح والحادى

وقوله: ﴿ إذ ذهب مغاضبًا ﴾. قال الشعبى، وعروة بن الزبير، وسعيد بن جبير: أى: مغاضبا لربه، وأما ابن عباس قال: أراد به مغاضبا لقومه، والقول الثالث: مغاضبًا للملك الذى كان فى زمانه.

وأما القول الأول فقد كرهه كثير من العلماء؛ لأن من غضب ربه فقد ارتكب كبيرة عظيمة، وذكر بعضهم: أن معنى غاضب ربه أى: أمر ربه، وسبب ذلك أنه وعد قومه أن العذاب يأتيكم يوم كذا، وخرج من بينهم، فلما كان ذلك اليوم، ورأى قوم يونس العذاب، خرجوا وضجوا إلى الله تعالى على ما ذكرنا فى سورة يونس، فرد الله عنهم العذاب، فلما بلغ يونس أن العذاب لم ينزل على قومه غضب، فما كان غضبه، لا كراهة بحكم الله، ولكن كراهة أن يسمى كذابا، فهذا معنى هذا القول.

مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ

وأما قول ابن عباس وهو المختار فإنه خرج مغاضبًا لقومه حين لم يؤمنوا، وهو حسن صحيح لا اعتراض عليه.

وأما قول من قال: إنه غاضب الملك، فروى عطية العوفى عن ابن عباس أنه كان فى بنى إسرائيل ملك، وكان مع ذلك نبيًّا يوحى إليه، وكان قد غزا بنى إسرائيل قوم، فدعا الملك يونس، وأرسله إلى أولئك القوم، فقال يونس: أمرك الله بهذا أو سمانى لك؟ قال: لا، ولكن أرسلك، فغضب وخرج من بينهم متوجهًا إلى البحر.

وقوله: ﴿فظن أن لن نقدر عليه﴾ وقرأ ابن عباس: «فظن أن لن نُقَدِّرَ عليه»، وهو شاذ، وقرأ ابن عامر: «فظن أن لن نَقْدرَ عليه». واعلم أن فى الآية سؤالا معروفًا يعد من مشكلات القرآن، وهو أنه قال: ﴿فظن أن لن نقدر عليه﴾ فكيف يظن هذا بالله، ومن ظن هذا بالله فقد كفر؟ والجواب عنه: أن للآية وجهين: أحدهما: أن معنى قوله: ﴿فظن أن لن نقدر عليه﴾ أى: لن نقدر عليه بمعنى الحكم والقضاء، يقال: قدر وقدر بمعنى واحد، إلا أنه يقال: قَدَر يَقْدِرُ، وقدَّر يُقدِّر، قال الشاعر:

فليس عشيات اللوى برواجـــع	**لنا أبداً مـــا أبرم السلم النضـــر**
ولا عائداً ذاك الزمـان الذى مضى	**تباركت ما تقدرِ يقع ولك الشكر**

يعنى: يقدره.

ومن هذا قوله ﷺ: «فإن غم عليكم فاقدروا له»[(١)] أى: قدروا له، وهو خبر صحيح.

والوجه الثانى من الجواب: وهو [أن][(٢)] معنى قوله: ﴿فظن أن لن نقدر عليه﴾ أى: لن نضيق عليه، ومن هذا قوله تعالى: ﴿وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه﴾[(٣)]

(١) هو جزء من حديث متفق عليه من حديث ابن عمر، رواه البخارى (٤/١٣٥رقم ١٩٠٠ وطرفاه فى: ١٩٠٦، ١٩٠٧)، ومسلم (١٧/٢٦٤ - ٢٧١ رقم ١٠٨٠).

(٢) فى «الأصل، وك»: الذى.

(٣) الفجر: ١٦.

فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾

أي: ضيق، واعلم أن معنى التضييق والتقدير عليه هو الحبس في بطن الحوت.

قال أهل العلم: ولم يكن يونس من أولى العزم من الرسل، وكان ضيق الصدر، فلما وضع عليه أعباء النبوة تفسخ تحتها كما يتفسخ الربع، وهذا القول مأثور عن السلف.

وقوله: ﴿فنادى فى الظلمات﴾ فى القصة: أنه لما ذهب ركب السفينة، وفى السفينة قوم كثير، فجاء حوت وحبس السفينة، وخشى القوم على أنفسهم الهلاك، وتنبه يونس أنه هو المراد فقال: ألقونى تنجوا، فامتنعوا عن ذلك، ثم إنهم استهموا فخرج السهم عليه مرات، فألقوه فالتقمه الحوت، ومرت السفينة، قال سالم بن أبى الجعد: والتقم الحوت حوتٌ آخر.

وأما قوله: ﴿فنادى فى الظلمات﴾ أى: ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت، وفى القصة: أن الحوت مرَّ به إلى الأرض السابعة، وسمع من تسبيح الأرضين والأحجار ودواب البحار أمرًا عظيمًا، فنادى فى الظلمات: ﴿أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين﴾ قال ابن عباس: مكث فيه أربعين يومًا، وعن غيره: ثلاثة أيام، وروى أنه لما دعا بهذه الدعوة سمعت الملائكة صوته، فقالوا: يارب صوت معروف من مكان مجهول، فقال الله تعالى: هو عبدى يونس جعلت بطن الحوت سجنا له فدعواْ.

وقوله تعالى: ﴿فاستجبنا له﴾ يعنى: أجبناه.

وقوله: ﴿ونجيناه من الغم﴾ أى: من غم البحر وضيق المكان.

وقوله: ﴿وكذلك نُنْجى المؤمنين﴾ وقرئ: «نُجِّىْ المؤمنين»، والأولى أن يقرأ بنونين، قال الزجاج: بنون واحد لحن، وهو من [الخطأ][1] روى عاصم عنه.

---

(١) فى «الأصل»: خطأ.

وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا

وروى عن [سعد بن أبى][1] وقاص - رضى الله عنه - أنه قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «كلمة أعرفها لايقولها أحد فى كرب إلا فرج عنه، وهى كلمة أخى يونس: لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين»[2] . وفى القصة: أن الحوت ألقاه فى ساحل البحر: وأنبت الله له شجرة من يقطين، وقصة ذلك تأتى من بعد فى سورة: «والصافات»، فإن قيل: قوله: ﴿وكذلك ننجى المؤمنين﴾ هو مكتوب فى المصحف بنون واحدة فكيف جعلتم أصح القراءتين بنونين؟ والجواب عنه: أنه إنما كتب بنون واحد؛ لأن النون الأولى متحركة، والنون الثانية ساكنة، فخفيت الساكنة فى جنب المتحركة، فحذفت، وقد ذكر الفراء وجها لقراءة عاصم، وهو أن معناه: نجى النجاء المؤمنين فخفض المؤمنين على إضمار المصدر.

قوله تعالى: ﴿وزكريا إذ نادى ربه﴾ أى: دعا ربه.

وقوله: ﴿رب لاتذرنى فرداً﴾ أى: وحيداً، ومعناه: هو ما ذكرنا من دعاء الولد.

وقوله: ﴿وأنت خير الوراثين﴾.

قوله تعالى: ﴿فاستجبنا له﴾ أى: فأجبناه.

وأما قوله: ﴿ووهبنا له يحيى﴾ سمى يحيى، لأن رحمها حى بالولد.

وقوله: ﴿وأصلحنا له زوجه﴾ فيه قولان: أحدهما - وهو المعروف - أنه كان عقيماً فجعله ولوداً، والآخر: ما روى عن عطاء أنه قال: معنى الإصلاح أنه كان فى لسان امرأته طول، وفى خلقها سوء فأصلحها.

وقوله: ﴿إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات﴾ ينصرف إلى جميع الأنبياء الذين ذكرهم.

---

(١) فى النسختين: سعيد بن وقاص، وهو خطأ.

(٢) رواه الترمذى فى سننه (٥/٤٩٥رقم٣٥٠٥)، والنسائى فى الكبرى (٦/١٦٨ رقم ١٠٤٩١، ١٠٤٩٢)، وأحمد فى مسنده (١/١٧٠) مطولا، وابن أبى الدنيا فى الفرج بعد الشدة (ص٢٥ - ٢٦)، وأبو يعلى (٢/١١٠ - ١١١رقم: ٧٧٢)، والبزار (٣/رقم١١٦٣)، والحاكم (١/٥٠٥) وقال صحيح والضياء فى العدة للكرب والشدة (ص ٥١ رقم ٢٠) بنحوه.

لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم

وقوله: ﴿يسارعون﴾ أى: يبادرون.

وقوله: ﴿ويدعوننا رغبًا ورهبًا﴾ أى: رغبا فى الطاعات، ورهبًا من المعاصى، (وقيل: رغبا فى الجنة، ورهبًا من النار).(١) وقال خصيف: رغبًا ببطون الأكف، ورهبًا بظهورها.

وقوله: ﴿وكانوا لنا خاشعين﴾ أى: متواضعين، وعن ابن عباس قال: هو أن يضع يمينه على شماله فى الصلاة، يومئ ببصره إلى موضع السجود، وقال مجاهد: الخشوع هو الخوف اللازم فى القلب، وعن الحسن قال: ذُللا لأمر الله تعالى.

﴿والتى أحصنت﴾ أى: عفت ﴿فرجها﴾، وقيل: منعت من الحرام.

وقوله: ﴿فنفخنا فيها من روحنا﴾ الأكثرون أن هذا جيب الدرع على ما بينا، وفيه قول آخر: أنه نفخ رحمها، وخلق الله المسيح فى بطنها، وذكر روحنا تخصيصًا وكرامة للمسيح عليه السلام.

وقوله: ﴿وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾

أى: دلالة للعالمين، فإن قيل: هما كانا آيتين، فهلا قال آيتين؟ والجواب: إنما قال: آية؛ لأن الآية فيهما كانت واحدة، وهى أنها أتت به من غير فحل، قال أهل العلم: وفيها آيات: أحدها: (أنه لم (تعتن)(٢) قبلها أنثى للتحرز)(٣)، والآخر: إتيانها بعيسى من غير أب، والثالث: مجيىء رزقها من عند الله من غير سبب من مخلوق، ويقال: إنها لم تقبل ثدى أحد سوى أمها.

قوله تعالى: ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة﴾ أى: ملتكم ودينكم ملة واحدة،

(١) ساقط من «ك».

(٢) هكذا صورتها فى «الأصل»،وفى «ك»: تعتد!

(٣) كذا ولعله أراد أنها أول امرأة قبلت فى النذر فى المتعبد، وانظر القرطبى (١١/٣٣٨).

بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ
وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ

والأمة فى أصل اللغة: اسم للجماعة، وسمى الدين أمة؛ لأنه يبعث على الاجتماع.

وقوله: ﴿وأنا ربكم فاعبدون﴾ أى: وحدونى، وحقيقة معنى الآية: أن الملة التى دعوتكم إليها هى ملة الأنبياء قبلكم، إذ دين الكل واحد، وهذا فى التوحيد، فأما الشرائع يجوز اختلافها، ويقال: معنى الآية: أنكم خلق واحد وكونوا على دين واحد.

قوله تعالى: ﴿وتقطعوا أمرهم بينهم﴾ أى: دعوت الخلق إلى دين واحد فتفرقوا، ويقال: صاروا قطعا متفرقين.

وقوله: ﴿كل إلينا راجعون﴾ أى: من تفرق، ومن لم يتفرق.

قوله تعالى: ﴿فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه﴾ أى: لاجحود لسعيه، وقيل: لايخيب سعيه بل يجازى عليه.

وقوله: ﴿وإنا له كاتبون﴾ أى: حافظون، ويقال: إن معنى الشكر من الله هو المجازاة.

قوله تعالى: ﴿وحرام على قرية﴾ وقرئ: «وحرم» قال ابن عباس معنى قوله ﴿حرام﴾ أى: واجب، قال الشاعر:

وإن حراما لا أرى الدهر باكيا
على (شجوة)[1] إلا بكيت على (عمرو)[2]

أى: واجبا، فمعنى الآية على هذا: أنه واجب على قرية أهلكناها أنهم لايرجعون إلى الدنيا، فإن قيل: كيف يوجب عليهم أن لايرجعوا وليسوا بمحل الإيجاب ولا الإباحة [ولا][3] غيره؟.

(١) فى «ك» شجرة.
(٢) فى تفسير القرطبى: صخر (١١/ ٣٤٠).
(٣) فى «الأصل، وك»: فلا.

والجواب: أن هذا على توسع الكلام، ومعناه: أنا نمنعهم من الرجوع، والتحريم فى اللغة هو المنع.

والقول الثانى: أن «لا» صلة، قاله أبو عبيد، فمعناه: حرام على قرية أهلكناها أى: يرجعون، وقال الزجاج: قوله: ﴿وحرام على قرية﴾ معناه: وحرام على أهل قرية ﴿أهلكناها﴾، أى: حكمنا بهلاكها أن يتقبل أعمالهم؛ لـ ﴿أنهم لا يرجعون﴾ أى: لايتولون[١]، قال والدليل على هذا المعنى أنه قد قال فى الآية التى قبلها: ﴿ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه﴾ أى: يتقبل عمله، ثم ذكر عقبه هذه الآية، وبين أن الكافر لايتقبل عمله.

قوله تعالى: ﴿حتى إذا فتحت﴾ قرئ بالتخفيف والتشديد، ومعنى التشديد على الجمع، ومعنى التخفيف على الوحدان.

وقوله: ﴿يأجوج ومأجوج﴾ قد بينا، والفتح للسد الذى بيننا وبينهم، ويقال: إن الخلق عشرة أجزاء، تسعة أجزاء كلهم يأجوج ومأجوج، وجزء واحد هم سائر الخلق، ويقال: إن جزءاً من ألف جزء سائر الخلق، والباقى هم يأجوج ومأجوج.

قوله: ﴿وهم من كل حدب ينسلون﴾ الحدب: المكان المرتفع، فمعناه: يسرعون النزول من الآكام، وهو مكان مرتفع من القلاع، ونسلان الذئب: سرعة مشيه، قال الشاعر:

نسلان[٢] الذنب أمسى باديا[٣] ... برد الليل عليه فينسل

وقيل: من كل حدب أى: من كل جانب، فإن قيل: ما معنى ﴿حتى﴾ فى أول الآية؟ وأين جوابه؟ والجواب عنه: قال بعضهم: معناه: حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون اقترب الوعد الحق، والواو مقحمة، قال امرؤ القيس:

---

(١) كذا، وفى «ك»: يقولون.

(٢) كذا. وفى لسان العرب (١١/٤٤٦، ٦٦١ مادة: عسل، نسل): عسلان. ونسبه للبيد.

(٣) فى لسان العرب: قاربا.

شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا

فلما أجزنا ساحة الحي وانتحـى | بنا بطن خبت ذى حقاف عقنقل

والواو فى قوله: وانتحى مقحمة.

والثاني: أن معنى قوله: ﴿حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون﴾ قالوا ﴿ياويلنا﴾ ويقال: ظهر لهم صدق ما قلناه، وفى بعض الغرائب من الأخبار برواية ابن مسعود: «أن النبى ﷺ ليلة أسرى به اجتمع مع إبراهيم وموسى وعيسى - صلوات الله عليهم - فذكروا أمر الساعة، فبدءوا بإبراهيم وسألوه عنها، فقال: لا علم لى بها، ثم ذكروا لموسى فقال: لا علم لى بها، ثم ذكروا لعيسى فقال عيسى: إن الله تعالى عهد إلىّ أنها دون وحيها ولايعلم وحيها، إلا الله، ثم قال عيسى: إن الله يهبطنى إلى الأرض فأقتل الدجال»[1].

ورد الخبر «أن يأجوج ومأجوج قد خرجوا فيغلبون على الأرض، ثم إن المسلمين يجأرون إلى الله، فيرسل الله النَّغَفَ فى رقابهم فيهلكون، وقد تنتن الأرض؛ فيرسل الله طيراً كأعناق البَخْتِ، فتأخذهم وتلقيهم فى البحر».[2]

وعن أبى سعيد الخدرى قال: إن الناس يحجون ويعتمرون بعد خروج يأجوج ومأجوج وهلاكهم.

قوله تعالى: ﴿واقترب الوعد الحق﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿فإذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا﴾ أى: منزعجة.

---

(١) رواه ابن ماجة (٢/١٣٦٥ - ١٣٦٦ رقم ٤٠٨١)، وأحمد فى مسنده (١/٣٧٥)، وأبو يعلى (٩/١٩٦ - ١٩٧ رقم ٥٢٩٤، وابن جرير (١٧/٧٢ مختصراً) والشاشى (٢/٢٧١ - ٢٧٣ رقم ٨٤٥، ٨٤٦). والحاكم (٢/٣٨٤) وقال: صحيح.

(٢) رواه مسلم فى صحيحه (١٨/٨٥ - ٩٤ رقم ٢١٣٧)، والترمذى (٤/٤٤٢ - ٤٤٥ رقم ٢٢٤٠) وقال: حسن صحيح غريب، وابن ماجة (٢/١٣٥٦ - ١٣٥٩ رقم ٤٠٧٥)، وأحمد (٤/١٨١ - ١٨٢) جميعهم من حديث النواس بن سمعان.

﴿وردوها وكل فيها خالدون ﴿٩٩﴾ لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون ﴿١٠٠﴾﴾

وقوله: ﴿ياويلنا قد كنا فى غفلة من هذا بل كنا ظالمين﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾ قرأ على - رضى الله عنه - «حَطَب جهنم»، وقرأ الجحدرى: «حَصْب جهنم»، وفى الشاذ أيضًا: «حَضَب جهنم» بالضاد المعجمة متحركة، وأما المعروفة ﴿حَصَبُ جهنم﴾ وهو ما يرمى به فى النار، وأما قوله: ﴿وما تعبدون من دون الله﴾، «روى أن النبى ﷺ لما قرأ هذه الآية على الكفار، قال عبد الله بن الزبعرى: خصمتُ محمدا ورب الكعبة، ثم قال: يامحمد، أتزعم أن ما يعبد من دون الله يدخلون النار؟ قال: نعم - والورود ها هنا: الدخول - قال عبد الله بن الزبعرى: فعيسى وعزير والملائكة يعبدون من دون الله، أفهم معنا فى النار؟ فأنزل الله تعالى: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾(١)، وأنزل الله أيضًا فى عبد الله بن الزبعرى: ﴿ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون﴾(٢)»(٣) يعنى: أنهم قالوا ما قالوا خصومة ومجادلة بالباطل، وإلا قد عرفوا أن المراد هم الأصنام.

وزعم قطرب وجماعة من النحويين أن الآية ما تناولت إلا الأصنام من حيث العربية؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وما تعبدون من **دون الله**﴾ وهذا يقال فيما لايعقل، فأما فيمن يعقل فيقال: ومن تعبدون من دون الله.

قوله تعالى: ﴿لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها﴾ أى: ما دخلوها.

وقوله: ﴿وكل فيها خالدون﴾ أى: مقيمون.

---

(١) الأنبياء: ١٠١.

(٢) الزخرف: ٥٨.

(٣) رواه الإمام أحمد (١/٣١٧ - ٣١٨)، وابن جرير (١٧ / ٧٧)، والطبرانى (١٢/ ١٥٣ - ١٥٤رقم ١٢٧٣٩ ، ١٢٧٤٠)، والحاكم (٢/٣٨٥) وقال: صحيح، والواحدى فى أسباب النزول (ص٢٣٠) جميعهم من حديث ابن عباس بطوله وبعضهم مختصراً. وقال الهيثمى فى المجمع (٧/١٠٧): رواه أحمد والطبرانى وفيه عاصم بن بهدلة، وثقه أحمد وغيره، وهو سيء الحفظ، وبقية رجاله رجال الصحيح.

إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ
فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا
يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا

قوله تعالى: ﴿لهم فيها زفير﴾ قد بينا معنى الزفير.

وقوله: ﴿وهم فيها لايسمعون﴾

قال ابن مسعود: يجعلون فى توابيت من نار، وقال بعضهم: والتوابيت فى توابيت، فلا يسمعون ولايبصرون شيئًا، ويظن كل واحد أنه لا يعذب غيره؛ لئلا يكون له تسلى الأسوة، وهذا الخبر ليس من قول ابن مسعود.

قوله تعالى: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾ قد بينا.

ويقال: سبقت لهم منا السعادة، ويقال: وجبت لهم الجنة.

قوله: ﴿أولئك عنها مبعدون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿لايسمعون حسيسها﴾ أى: حسها.

وقوله: ﴿وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون﴾ أى: مقيمون.

قوله تعالى: ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر﴾ قال سعيد بن جبير: الفزع الأكبر هو أن تطبق جهنم، وذلك بعد أن يخرج الله منها من يريد أن يخرجه، ويقال: الفزع الأكبر هو ذبح الموت، فيقال لهؤلاء: خلود ولا موت، ولهؤلاء: خلود ولا موت، وقيل: الفزع الأكبر: الأمر بالجر إلى النار.

وقوله: ﴿وتتلقاهم الملائكة﴾ أى: تستقبلهم الملائكة.

وقوله: ﴿هذا يومكم الذى كنتم توعدون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب﴾ وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «يطوى الله السماء، ويأخذ الأرض بيمينه فيقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟»(١).

(١) متفق عليه من رواية أبى هريرة مرفوعًا. رواه البخارى (١١/ ٣٧٩ رقم ٦٥١٩)، ومسلم (١٧/ ١٩١ رقم ٢٧٨٧). وتقدم فى سورة الإسراء.

وقوله: ﴿كطى السجل للكتب﴾ روى عن ابن إسحاق أن السجل كاتب للنبى ﷺ، وهو قول غريب. والقول الثانى: أن السجل ملك، والقول الثالث - وهو أصح الأقوال - أن السجل هو الصحيفة.

وقوله: ﴿للكتب﴾ أى: لأجل ما كتب، فمعناه: كطى الصحيفة لأجل المكتوب.

وقوله: ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾ أى: قدرتنا على إعادة الخلق كقدرتنا على إنشائه.

وقوله: ﴿إنا كنا فاعلين﴾ أى: قادرين عليه، وقد ورد فى هذه الآية خبر صحيح وهو ما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال: «يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا»، وفى رواية: «إنكم تحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلا» ثم قرأ: ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾، وأول من يكسى إبراهيم - عليه السلام - ويجاء بقوم من أمتى فيؤمر بهم إلى النار، فأقول: يارب، أصحابى، فيقول: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد﴾(١) وفى رواية «أقول: سحقًا لأهل النار». قال الشيخ الإمام: أنا بهذا الحديث المكى بن عبد الرزاق، قال: أنا جدى أبو الهيثم، قال الفربرى قال البخارى، قال محمد بن كثير، عن سفيان الثورى، عن المغيرة بن النعمان، عن سعيد بن جبير ... الخبر(٢)

قوله تعالى: ﴿ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر﴾ قال عامر بن شراحيل الشعبى أبو عمرو: الزبور زبور داود، والذكر هو التوراة، وقال سعيد بن جبير: الزبور

(١) المائدة: ١١٧.

(٢) متفق عليه. رواه البخارى فى صحيحه ٦/ ٤٤٥ رقم ٣٣٤٩ وأطرافه فى: ٣٤٤٧، ٤٦٢٥، ٤٦٢٦، ٤٧٤٠، ٦٥٢٤، ٦٥٢٦)، ومسلم (١٧/ ٢٨١ - ٢٨٢ رقم ٢٨٦٠).

الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾

هو التوراة والإنجيل، والذكر هو اللوح المحفوظ، ومعناه: من بعد ما كتب ذكره فى اللوح المحفوظ.

وقوله: ﴿أن الأرض يرثها عبادى الصالحون﴾ قال ابن عباس: والأرض أرض الجنة. وعنه أيضًا: أن الأرض هى أراضى الكفار، يفتحها الله للمسلمين، ويجعلها لهم، وقيل: إن الأرض هى الأرض المقدسة.

قوله تعالى: ﴿إن فى هذا لبلاغًا﴾ يجوز أن يكون قوله: ﴿فى هذا﴾ أى: فى القرآن، ويجوز أن يكون معناه: فى هذه السورة، وقوله: ﴿لبلاغًا﴾ أى: سببًا يبلغهم إلى رضا الله، وقيل: بلاغًا أى: كفاية.

وقوله: ﴿لقوم عابدين﴾ قيل: عالمين، وقيل: مطيعين.

قوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ من المشهور المعروف عن النبى ﷺ أنه قال: «إنما أنا رحمة مهداة»(١) أى: هدية من الله، ثم اختلفوا فى العالمين على قولين: فأحد القولين: أنهم المسلمون، فهو رحمة للمسلمين، والقول الثانى: أنهم جميع الخلق، وهذا القول أشهر، وأما معنى رحمته للكافرين فهو تأخير العذاب عنهم، وقيل: هو رفع عذاب الاستئصال عنهم، وأما رحمته للمؤمنين فمعلومة.

(١) رواه الترمذى فى العلل الكبير (٣/ ٨٢٠ رقم ٤١٦) والطبرانى فى الصغير (١/ ١٦٨ رقم ٢٦٤) والأوسط كما فى مجمع البحرين (٦/ ١٣٢ رقم ٣٤٩٣)، وابن عدى فى الكامل (٤/ ٢٣١)، والحاكم فى المستدرك (١/ ٣٥) وقال: صحيح على شرطهما فقد احتجا جميعًا بمالك بن سعير والتفرد من الثقات مقبولة، والرامهرمزى فى أمثال الحديث (ص ٤٣ - ٤٤ رقم ١٣) والبيهقى فى الدلائل (١/ ١٥٨)، والقضاعى فى مسند الشهاب (٢/ ١٨٩ - ١٩٠ رقم ١١٦٠، ١١٦١) من حديث أبى صالح عن أبى هريرة مرفوعًا.

ورواه ابن سعد فى الطبقات (١/ ١٥١)، وابن أبى شيبة (١١/ ٥٠٤ رقم ١١٨٣١) والدارمى (١/ ٢١ رقم ١٥) وابن الأعرابى فى معجمه (٢/ ٣٠٤ رقم ١٠٨٨) والبيهقى فى الدلائل (١/ ١٥٧) عن أبى صالح مرسلاً وقال الترمذى فى علله: سألت محمدًا - يعنى البخارى - عن هذا الحديث فقال: يروون هذا عن أبى صالح عن النبى ﷺ مرسلاً، وذكر الدارقطنى فى العلل (١٠/ ١٠٥ - ١٠٦ رقم ١٨٩٧) الاختلاف فى وصله وإرساله وصوب المرسل.

قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ

قوله تعالى: ﴿قل إنما يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون﴾ أى: أسلموا.

قوله: ﴿فإن تولوا فقل آذنتكم على سواء﴾ أى: لتستووا فى الإيمان به، وأوضح الأقوال ما ذكره ابن قتيبة، وهو أن معناه: آذنتكم على وجه، نستوى نحن وأنتم فى العلم به.

وقوله: ﴿وإن أدرى أقريب أم بعيد﴾ يعنى: ما أدرى أقريب أم بعيد ﴿ما توعدون﴾؟.

قوله تعالى: ﴿إنه يعلم الجهر من القول ...﴾ الآية. ظاهر المعنى

قوله تعالى: ﴿وإن أدرى لعله فتنة لكم﴾ اختلفوا فى أن الهاء إلى ماذا ترجع فى ﴿لعله﴾ على قولين: أحدهما: أنه يرجع إلى قوله: ﴿وإن أدرى أقريب أم بعيد ما توعدون﴾ يعنى: إن هذا الذى أقول لعله فتنة لكم، والقول الثانى: أنه يرجع إلى ما ذكرنا من تأخير العذاب عنهم، وقوله: ﴿فتنة﴾ أى: محنة واختبار.

وقوله: ﴿ومتاع إلى حين﴾ أى: إلى القيامة، وقيل: إلى الموت.

قوله تعالى: ﴿قل رب احكم بالحق﴾ وقرأ حفص عن عاصم: «قال رب احكم بالحق» على الخبر، والأول هو المختار؛ ولأن سواد المصحف متبع لايجوز خلافه، فإن قيل: قوله: ﴿قل رب احكم بالحق﴾ كيف يجوز هذا الدعاء، والله لايحكم إلا بالحق؟ والجواب عنه: قلنا روى عن قتادة أنه قال: كان الأنبياء قبل محمد ﷺ يقولون: ربنا افصل بيننا وبين قومنا بالحق، فأمر الله رسوله أن يقول: رب احكم بالحق، واختلفوا فى معناه، قال بعضهم :رب احكم بالحق أى: عجل الحكم بالحق،

وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

وقال أبو عبيد[1]: رب احكم بحكمك الحق، والله يحكم بالحق طلب أو لم يطلب، ومعنى الطلب هو ظهور الرغبة من الطالب فى حكمه بالحق، وهذا الأخير ليس من قول أبى عبيدة، وقال بعضهم: ﴿رب احكم بالحق﴾ تعبد من الله، والله يحكم بالحق سئل أو لم يسأل، أورده النحاس .

وقوله: ﴿وربنا الرحمن المستعان على ماتصفون﴾ أى: تكذبون . ومثله قوله تعالى: ﴿سيجزيهم وصفهم﴾[2] أى: سيجزيهم جزاء كذبهم، ويقال: على ماتصفون أى: تُكذِّبون .

(١) كذا، وفى القرطبى (١١ / ٣٥١): أبو عبيدة، وسيأتى بعد قليل: أبو عبيدة.

(٢) الأنعام: ١٣٩ .

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ

تفسير سورة الحج

قال ابن عباس فى أظهر الروايتين: هى مكية إلا قوله تعالى: ﴿هذان خصمان اختصموا فى ربهم﴾(١) وآيتين بعد هذه الآية، وقوله تعالى: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ..﴾(٢) الآية، وعن ابن عباس فى رواية أخرى: أن هذه السورة مدنية إلا آيات فيها نزلت بمكة .

قوله تعالى: ﴿ياأيها الناس اتقوا ربكم﴾ أى: احذروا عن عقوبته بطاعته، ويقال: اتقوا ربكم أى: اتقوا جميع المناهى، وفيها الشرك وغيره .

وقوله: ﴿إن زلزلة الساعة﴾ الزلزلة شدة الحركة على حال هائلة، واختلف القول فى هذه الزلزلة، فذكر علقمة والشعبى: أنها قبل يوم القيامة، وذكر ابن عباس والحسن وقتادة والسدى وغيرهم: أنها عند قيام الساعة، وهذا القول أصح القولين لما نذكره من الخبر من بعد .

وقوله: ﴿شىء عظيم﴾ أى: أمر عظيم .

قوله تعالى: ﴿يوم ترونها﴾ يعنى: الساعة .

وقوله: ﴿تذهل﴾ أى: تغفل وتشتغل، وفيه تسهو وتنسى، قال الشاعر فى الذهول :

أطالت بك الأيام حتى نسيتها   كأنك عن يوم القيامة ذاهل

وقال عبدالله بن رواحة بين يدى النبى ﷺ :

---

(١) الحج: ١٩.

(٢) الحج: ٣٩.

مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾

ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

وقوله: ﴿كل مرضعة عما أرضعت﴾ يعنى: كل أم عن ولدها.

وقوله: ﴿وتضع كل ذات حمل حملها﴾. فإن قال قائل: كيف تضع المرأة حملها يوم القيامة؟ الجواب: قلنا: أما على قولنا إن الزلزلة قبل قيام الساعة، فمعنى وضع الحمل على ظاهره، وإن قلنا إن الزلزلة عند قيام الساعة، فالجواب من وجهين: أحدهما: أن المراد من الآية النساء اللواتى متن وهن حبالى، والوجه الثانى، وهو الأصح: أن هذا على وجه تعظيم الأمر وذكر شدة الهول، لا على حقيقة وضع الحمل، والعرب تقول: أصابنا أمر يشيب فيه الوليد، وهذا على طريق عظم الأمر وشدته، وقد قال الله تعالى: ﴿يوما يجعل الولدان شيبا﴾(١) والمراد مابينا.

وقوله: ﴿وترى الناس سكارى وماهم بسكارى﴾ وقرى: «سكرى» بغير الألف، والمعنى واحد، والذى عليه أهل التفسير: أن المراد من الآية سكرى من الفزع والخوف، وليسوا سكارى من الشراب، وقالوا أيضاً: فى صورة السكارى، وليسوا بسكارى، والقول الأول أحسن؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ولكن عذاب الله شديد﴾.

وفى الآية خبر صحيح أورده البخارى وغيره، وهو مارواه الأعمش، عن أبى صالح، عن أبى سعيد الخدرى أن النبى ﷺ قرأها بين الآيتين ثم قال: «إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى لآدم: قم ياآدم، فابعث من ذريتك بعث النار فيقول آدم: لبيك وسعديك، والخير فى يديك، ومابعث النار؟ فيقول الله تعالى: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار، [وواحد](٢) إلى الجنة، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: وأينا ذلك الواحد؟ فقال النبى ﷺ: «سددوا وقاربوا وأبشروا، فإن معكم خليقتين ماكانتا مع قوم إلاكثرتاه: يأجوج ومأجوج وكفرة الجن والإنس من قبلكم»، وفى رواية

(١) المزمل: ١٧.

(٢) فى «الأصل»: وواحدة.

وَمَنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾

قال: «تسعمائة وتسعة وتسعين من يأجوج ومأجوج، وواحد منكم، ثم قال: «إنى لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، فكبرنا، ثم قال: إنى أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة، فكبرنا، ثم قال: إنى أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة ما أنتم فى ذلك اليوم بين الناس إلا كالشعرة البيضاء فى الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء فى الثور الأبيض» وفى رواية: «ما أنتم فى الناس إلا كالشامة فى جنب البعير، وكالرقمة فى ذراع الدابة». قال الشيخ الإمام: أخبرنا بهذا الحديث المكى بن عبد الرزاق، قال: أخبرنا جدى أبو الهيثم، قال الفربرى، قال البخارى: قال عمر بن حفص بن غياث قال: أخبرنا أبى، عن الأعمش ... الخبر (١).

قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم﴾ الأكثرون على أن الآية نزلت فى النضر بن الحارث، وكان ينكر البعث ويجادل فيه، وعن سهل بن عبدالله فى هذه الآية قال: هو من يجادل فى آيات الله بالهوى، وعن غيره قال: هو الذى يرد النص بالقياس.

وقوله: ﴿ويتبع كل شيطان مريد﴾ المريد المتمرد، والمتمرد هو المستمر فى الشر، يقال: حائط ممرد أى: مطول، وقيل: المريد هو العارى عن الخير، يقال صبى أمرد إذا كان عاريا خده من الشَعر.

وقوله: ﴿كتب عليه﴾ أى: على الشيطان.

وقوله: ﴿أنه من تولاه فأنه يضله﴾ أى: كتب على الشيطان أن يضل من تولاه.

وقوله: ﴿ويهديه إلى عذاب السعير﴾ أى: إلى عذاب جهنم.

---

(١) متفق عليه. رواه البخارى (٦/رقم ٣٣٤٨ وأطرافه فى: ٤٧٤١، ٦٥٣٠، ٧٤٨٣) ومسلم (٣/١٢١ - ١٢٣ رقم ٢٢٢).

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ

قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث﴾ ذكر الله تعالى فى هذه الآية الدلالة على منكرى البعث، والخطاب للمشركين.

وقوله: ﴿إن كنتم فى ريب من البعث﴾ أى: فى شك من البعث.

وقوله: ﴿فإنا خلقناكم من تراب﴾ ذكر التراب هاهنا؛ لأن آدم خلق من تراب، وهو الأصل.

وقوله: ﴿ثم من نطفة﴾ النطفة هى الماء النازل من الصلب.

وقوله: ﴿ثم من علقة﴾ العلقة هى الدم المتجمد، وقيل: المنعقد.

وقوله: ﴿ثم من مضغة﴾ المضغة هى قطعة لحم كأنها مضغت.

وقوله: ﴿مخلقة وغير مخلقة﴾. قال ابن عباس ﴿مخلقة﴾ تام الخلق ﴿وغير مخلقة﴾ ناقص الخلق، والقول الثانى: أن المخلقة هو الولد الذى تأتى به المرأة لوقته، وغير المخلقة هو السقط، وفى هذا الموضع أخبار: منها ماروى علقمة عن ابن مسعود أنه إذا استقرت النطفة فى الرحم أخذها الملك بيده فيقول: أى رب، مخلقة أو غير مخلقة ؟ فإن قال: غير مخلقة قذفها الرحم دماً، ولم تخلق منها نسمة، وإن قال: مخلقة، قال الملك: أشقى أو سعيد؟ أذكر أو أنثى؟ مارزقه؟ ماعمله؟ مأجله؟ وأين الموضع الذى يقبض فيه؟ فيقول الله تعالى له: اذهب إلى أم الكتاب ففيه كل ذلك، فيذهب إلى أم الكتاب فيجد فيه أنه شقى أو سعيد، ذكر أو أنثى، فيكتب ذلك، فيسعى الرجل فى عمله، ويأكل رزقه، ويمضى فى أجله حتى يتوفاه الله تعالى فى المكان الذى قدر أين يقبض فيه.

وقد ورد خبران صحيحان عن النبى ﷺ فى هذا، أحدهما: ماروى الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود قال: أخبرنى الصادق المصدوق أبو القاسم ﷺ: أن خلق أحدكم يجمع فى رحم أمه أربعين يوما نطفة، ثم أربعين يوما علقة،

لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ

ثم أربعين يوما مضغة، ثم يؤمر الملك بأربع كلمات؛ فيكتب رزقة، وعمله، وأجله، وشقى أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح». (١) والخبر متفق على صحته.

والخبر الثانى: هو ماروى سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن أبى الطفيل قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: الشقى من شقى فى بطن أمه، والسعيد من وعظ بغيره. قال أبو الطفيل: فقلت ثكلتنى! أنشقى ولم نعمل؟ فأتيت حذيفة بن أسيد، فذكرت له قول ابن مسعود، فقال: ألا أخبرك بأعجب من هذا، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا مكثت النطفة فى رحم الأم أربعين يوما - أوخمسة وأربعين - جاء الملك فيقول: يارب، أذكر أو أنثى؟ فيقول الرب، ويكتب الملك، فيقول: أشقى أو سعيد؟ فيقول الرب، ويكتب الملك، فيقول: مارزقه، ماعمله، مأجله، مأثره، مامصيبته؟ فيقضى الله ماشاء، ويكتب الملك، ثم يطوى(٢) الصحيفة، فلا يزاد ولاينقص إلى يوم القيامة»(٣)» قال الشيخ الإمام أخبرنا بهذا الحديث أبو على الشافعى بمكة حرسها الله تعالى، قال: أبو الحسن بن [فراس](٤) قال: أخبرنا أبو جعفر الديبلى قال سعيد بن عبد الرحمن المخزومى، قال سفيان ... الخبر. أخرجه مسلم فى الصحيح.

وأنشدوا فى المخلقة:

أفى غير المخلقة البكاء فأين العزم ويحكم والحياء

وقوله: ﴿لنبين لكم﴾ أى: نبين لكم أمر الخلق فى الابتداء؛ لتستدلوا (بقدرة

(١) متفق عليه، وقد تقدم.

(٢) فى «ك»: يكتب.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) فى «الأصل وك»: فارس، وهو خطأ، وقد تقدم التنبيه على ذلك.

وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا

الله)[١] فى الابتداء على قدرته على الإعادة .

وقوله : ﴿ ونقر فى الأرحام مانشاء ﴾ أى : نثبت فى الأرحام مانشاء ﴿ إلى أجل مسمى ﴾ أى : إلى وقت الولادة .

وقوله : ﴿ ثم نخرجكم طفلا ﴾ أى : أطفالا ، واحد بمعنى الجمع .

وقوله : ﴿ ثم لتبلغوا أشدكم ﴾ قد بينا معنى الأشد .

وقوله : ﴿ ومنكم من يُتوفى ﴾ وحكى أبو حاتم أن فى قراءة بعضهم : « ومنكم من يتوفى » بفتح الياء ، ومعناه يستوفى أجله ، والمعروف ﴿ يُتوفى ﴾ بالرفع يعنى : يتوفى قبل بلوغ الكبر .

وقوله : ﴿ ومنكم من يرد إلى أرذل العمر ﴾ أى : إلى أخس العمر ، والمراد منه حالة الخرف والهرم ، قال عكرمة : من قرأ القرآن لم يخرِّف .

وقوله : ﴿ لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ﴾ أى : لايعقل من بعد عقله شيئًا .

وقوله : ﴿ وترى الأرض هامدة ﴾ وهذا ذكر دليل آخر على إحياء الموت .

وقوله : ﴿ هامدة ﴾ أى : جافة يابسة لانبات فيها ، وقال قتادة : (هامدة)[٢] غبراء منهشمة ، وقيل : هامدة : دارسة ، قال الشاعر :

قالت قتيلة مالجسمك شاحبا ... وأرى ثيابك باليات هُمَّدا

وقال آخر :

رمى الحدثان نسوة آل حرب ... بنازلة همدن لها همودا

فرد شعورهن السود بيضا ... ورد وجوههن البيض سودا

(١) فى « ك » : بخلق الله.

(٢) لفظة هامدة ساقطةمن « ك » .

وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

وقوله: ﴿فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت﴾ أى: تحركت، قال الشاعر:

تثنى إذا قامت وتهتز إن مشت

كما اهتز غصن البان فى (ورق)(١) خضر

وقوله: ﴿وربت﴾ أى: انتفخت للنبات، وقيل: فى الآية تقديم وتأخير، ومعناه: وربت واهتزت، ويقال اهتزت أى: النبات، وربت أى: ارتفع، وإنما أنث لذكر الأرض، وقرأ أبو جعفر: «وربأت» بالهمز، وهو فى معنى الأول .

وقوله: ﴿وأنبتت من كل زوج بهيج﴾ أى: صنف حسن، فهذا أيضًا دليل على إعادة الخلق، وفى بعض ماينقل عن السلف: إذا رأيتم الربيع فاذكروا والنشور.

وقوله: ﴿ذلك بأن الله هو الحق﴾ يعنى: هذا الذى ذكرته لكم [دليل](٢) بأن الله هو الحق .

وقوله: ﴿وأنه يحيى الموتى﴾ يعنى: هو دليل على أنه يحيى الموتى.

وقوله: ﴿وأنه على كل شىء قدير﴾ أى: لماقدر على ابتداء الخلق، وعلى إحياء الأرض الميتة، فاعلم أنه على كل شئ قدير، وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ: «من جاء يوم القيامة (بثلاث)(٣) لم يصد وجهه عن الجنة شىء، من علم أن الله وحده لاشريك له، وأن الساعة آتية لاريب فيها، وأن الله يبعث من فى القبور»(٤).

---

(١) فى «ك»: رق.

(٢) فى «الأصل ،وك»: وحد، وما أثبتناه يقتضيه السياق.

(٣) فى «ك»: بثلاثة.

(٤) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وقد روى عن معاذ بن جبل قوله: «من علم أن الله عز وجل حق، وأن الساعة آتية لاريب فيها، وأن الله يبعث من فى القبور دخل الجنة» رواه عبد الله بن أحمد فى زوائده على الزهد (ص١٨٠)، وعبد بن حميد - كما فى الدر (٤/ ٣٧٩)، وابن أبى حاتم، كما فى تفسير ابن كثير (٣/ ٢٠٨).

﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ
مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن
سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَلِكَ بِمَا
قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ

وقوله: ﴿وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولاهدى﴾ أى: ولاحجة.

وقوله: ﴿ولاكتاب منير﴾ أى: ولاكتاب له نور، وفى بعض الأخبار: أن النبى ﷺ قال: «إن على الباطل ظلمة، وإن على الحق نوراً».

وعن بعضهم قال: ما عز ذو باطل، وإن طلع من جيبه القمر، وما ذل ذو حق، وإن أصفق العالم.

واعلم أن الآية نزلت فى النضر بن الحارث بن كلدة، ومجادلته إنكاره البعث وضربه لذلك الأمثال .

وقوله: ﴿ثانى عطفه﴾ أى: لاوى عنقه، وقال ابن جريج: يعرض عن الحق تكبرا.

وقوله: ﴿ليضل عن سبيل الله﴾ أى: ليضل الناس عن دين الله.

وقوله: ﴿له فى الدنيا خزى﴾ أى: هوان، وقد قتل النضر يوم بدر صبراً، ولم يقتل صبراً غيره وغير عقبة بن أبى معيط.

وقوله: ﴿ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق﴾ أى: المحرق

وقوله: ﴿ذلك بما قدمت يداك ...﴾ الآية، ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ قال مجاهد: على شك، وقال الزجاج: على حرف أى: الطريقة فى الدين، لايدخل فيها دخول متمكن، ولايدخل بكليته فيه، ويقال: ومن الناس من يعبد الله على حرف أى: على ضعف، كالقائم على حرف الشيء يكون قدمه ضعيفا غير مستقر، ومنهم من قال: على

فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُ وَمَا لا يَنفَعُهُ ذَلِكَ

حرف أي: على جهة، ثم فسر الجهة فقال: ﴿فإن أصابه خير اطمأن به﴾ أي: ثبت على الإيمان، ورضى به، وسكن إليه.

وقوله: ﴿وإن أصابته فتنة﴾ أي: محنة وبلية.

وقوله: ﴿انقلب على وجهه﴾ أي: رجع على عقبه وارتد.

وقوله: ﴿خسر الدنيا والآخرة﴾ الخسران في الدنيا فوات مأمل وطلب، والخسران في الآخرة هو الخلود في النار، ويقال: الخسران في الدنيا هو القتل على الكفر، والخسران في الآخرة مابينا، وقرأ مجاهد: «خاسر الدنيا والآخرة».

وقوله: ﴿ذلك هو الخسران المبين﴾ أي: البين.

قال أهل التفسير: نزلت الآية في قوم من المشركين كان يؤمن أحدهم، فإن كثر ماله، وصح جسمه، ونتجت فرسه، قال: هذا دين حسن، وقد أصبت فيه خيراً، وسكن إليه، وإن أصابه مرض أو مات ولده، أو قل ماله، قال: ما أصابني من هذا الدين إلا شر فيرجع.

وفي بعض الأخبار: «أن رجلا من اليهود أسلم فعمي بصره، وهلك ماله، ومات ولده، فأتى النبي ﷺ وقال: يارسول الله، أقلني، فقال: إن الإسلام لايقال، فقال: منذ دخلت في هذا الدين لم أصب إلا شراً؛ أصابني كذا وكذا، فقال النبي ﷺ: «إن الإسلام ليسبك الرجل، كما تسبك النار خبث الذهب والفضة والحديد». (١) والخبر غريب.

قوله تعالى: ﴿يدعو من دون الله ما لايضره وما لاينفعه﴾ أي: لايضر إن لم

---

(١) رواه العقيلي في الضعفاء (٣/ ٣٦٨) من طريق عنبسة، عن أبي الزبير، عن جابر به، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وعنبسة ضعيف جدا. ورواه ابن مردويه من طريق عطية العوفي عن أبي سعيد - كما في الدر (٤/ ٣٨٠) وتخريج الكشاف وهامشه (٢/ ٣٧٩)، وقال الحافظ ابن حجر: وإسناده ضعيف.

هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾

يعبده، ولاينفعه إن عبده.

وقوله تعالى: ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾ أى: الضلال المستمر.

قوله تعالى: ﴿يدعو لمن ضره أقرب من نفعه﴾ هذه الآية من مشكلات القرآن، وفيها أسئلة: أولها قال: قالوا فى الآية الأولى: ﴿ما لايضره﴾ وقال ها هنا: ﴿لمن ضره﴾.

(فكيف وجه التوفيق؟ الجواب عنه: أن معنى قوله: ﴿يدعو لمن ضره﴾)[1].

أى: لمن ضر عبادته، وقوله فى الآية الأولى: ﴿ما لايضره﴾ أى: (لايضر)[2] إن ترك عبادته على ما بينا.

السؤال الثانى: قالوا: قال فى هذه الآية: ﴿أقرب من نفعه﴾ والجواب: أن هذا على عادة العرب، وهم يقولون مثل هذا اللفظ، ويريدون أنه لانفع له أصلا، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿ذلك رجع بعيد﴾[3] أى: لا رجع أصلا.

السؤال الثالث: وهو المشكل أنه قال: ﴿لمن ضره﴾ فأيش هذا الكلام؟ الجواب: أنه اختلف أهل النحو فى هذا، فأكثر النحويين ذهبوا إلى أن هذا على التقديم والتأخير ومعناه: يدعو من بضره أقرب من نفعه، وأما المبرد أنكر هذا وقال: لايجوز هذا فى اللغة، والجواب عن السؤال على هذا: قال بعضهم: معنى ﴿يدعو﴾: يقول.

قال الشاعر:

يدعون [عنترا][4] (والسيوف)[5] كأنها أشطان بئر فى لبان الأدهم

يعنى: يقولون. فعلى هذا معنى الآية: يدعو أى: يقول لمن ضره أقرب من نفعه:

(١) ساقط من «ك».
(٢) فى «ك»: لايضره.
(٣) ق: ٣.
(٤) من تفسير القرطبى،وفى« الأصل، وك »: عنترا، وهو خلاف الجادة.
(٥) فى تفسير القرطبى، والرماح.

إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ

هو إله أو مولى، ومنهم من قال: يدعو لمن ضره يعنى: إلى الذى ضره أقرب من نفعه، ومنهم من قال معناه: ذلك هو الضلال البعيد يدعو أى: فى حال دعائه ثم استأنف فقال: ﴿لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير﴾، ومنهم من قال: ذلك هو الضلال البعيد يدعو يعنى: الذى هو الضلال البعيد يدعو، وذلك بمعنى «الذى»، ثم استأنف قوله: ﴿لمن ضره أقرب من نفعه﴾ اختاره الزجاج. وقال ابن فارس حين حكى أكثر هذه الأقاويل: ونكل الآية إلى عالمها.

وقوله: ﴿لبئس المولى﴾ أى: الناصر، وقيل: المعبود.

وقوله: ﴿ولبئس العشير﴾ أى: المخالط والصاحب، والعرب تسمى الزوج: عشيرا؛ لأجل المخالطة.

قال النبى ﷺ: «إنكن تكثرن اللعن وتكفرن العشير»(١) أى: الزوج.

قوله تعالى: ﴿إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات...﴾ الآية إلى آخرها ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿من كان يظن أن لن ينصره الله﴾ قال ابن عباس: معناه من كان يظن أن لن ينصر الله محمدا.

وروى عنه أنه قال: لما دعا رسول الله ﷺ أسداً وغطفان إلى الإسلام - وكان بينهم وبين أهل الكتاب حلف - فقالوا: لايمكننا أن نسلم ونقطع الحلف؛ لأن محمداً ربما لايظهر ولايغلب؛ فينقطع الحلف بيننا وبين أهل الكتاب فلا يميروننا، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

والقول الثانى: من كان يظن أن لن ينصره الله، أى: لن يرزقه الله، وهذا فيمن

(١) متفق عليه من حديث أبى سعيد الخدرى رواه البخارى (١/٤٨٣ رقم ٣٠٤ وأطرافه: ١٤٦٢، ١٩٥١، ٢٦٥٨)، ومسلم (٢/٩٠رقم ٨٠) ورواه مسلم من حديث ابن عمر وأبى هريرة (٢/٨٧،٩١).

بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ

أساء الظن بربه، وخاف أن لايرزقه.

قال أبو عبيدة: تقول العرب: أرض منصورة أى: ممطورة، وعن بعض الأعراب أنه سأل وقال: انصرنى ينصرك الله أى: أعطنى أعطاك الله.

وقوله: ﴿فى الدنيا والآخرة﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿فليمدد بسبب إلى السماء﴾ المراد من السماء: سماء بيته فى قول جميع المفسرين، وهو السقف.

والسبب: الحبل، ومعناه: فليمدد حبلا من سقف بيته ﴿ثم ليقطع﴾ أى: ليختنق به.

وقوله: ﴿فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ﴾ أى: هل له حيلة فيما يغيظه ليدفع عن نفسه؟ ويقال: ثم لينظر هل ينفعه مافعله؟.

قال أهل المعانى: وهو مثل قول القائل: إن لم ترض بكذا فمت غيظاً.

قوله تعالى: ﴿وكذلك أنزلناه آيات بينات...﴾ الآية. ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا﴾ قد بينا هذا فى سورة البقرة.

وقوله: ﴿إن الله يفصل بينهم يوم القيامة﴾ فإن قيل: مامعنى إعادة «إن» فى آخر الآية، وقد ذكرها فى أول الآية؟ والجواب: أن العرب تقول مثل هذا للتأكيد. قال الشاعر:

إن الخليفة إن الله سربله ... سربال ملك به ترجى الخواتم

وقوله: ﴿إن الله على كل شيء شهيد﴾ أى: شاهد.

قوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض﴾ الآية، قال الزجاج: السجود هاهنا بمعنى الطاعة أى: يطيعه، واستحسنوا هذا القول؛ لأنه موافق للكتاب، وهو قوله تعالى: ﴿ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين﴾(١) وأيضا

(١) فصلت: ١١.

اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾

فإن من اعتقاد أهل السنة أن الحيوان والموات مطيع كله لله تعالى، وقال بعضهم: إن سجود الحجارة هو بظهور أثر الصنع فيه، على معنى أنه يحمل على السجود والخضوع لمن تأمله وتدبر فيه، وهذا قول فاسد، والصحيح ماقدمنا، والدليل عليه أن الله تعالى وصف الحجارة بالخشية، فقال: ﴿ وإن منها لما يهبط من خشية الله ﴾[(١)] ولايستقيم حمل الخشية على ظهور أثر القدرة فيه، وأيضا فإن الله تعالى قال: ﴿ ياجبال أوبى معه ﴾[(٢)] أى: سبحى معه، ولوكان المراد ظهور أثر الصنع لم يكن لقوله: ﴿ مع داود ﴾[(٣)] معنى؛ لأن داود وغيره فى رؤية أثر الصنع سواء، وأيضًا فإن الله تعالى قال: ﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ﴾[(٤)] أى: يطيع الله بتسبيحه ﴿ ولكن لاتفقهون تسبيحهم ﴾[(٤)] ولو كان المراد بالتسبيح ظهور أثر الصنع فيه لم يستقم قوله: ﴿ ولكن لاتفقهون تسبيحهم ﴾[(٤)] ذكر هذه الدلائل أبو إسحاق الزجاج إبراهيم بن السرى، وأثنى عليه ابن فارس فقال: ذب عن الدين ونصر السنة.

وقوله: ﴿ والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب ﴾ أى: هذه الأشياء (كلها تسبح الله تعالى)[(٥)]

وقوله: ﴿ وكثير من الناس ﴾ أى: المسلمون .

وقوله: ﴿ وكثير حق عليه العذاب ﴾ هم الكافرون، وإنما حق عليهم العذاب هاهنا بترك السجود، ومعنى الآية: وكثير من الناس أَبَوْا السجود فحق عليهم العذاب.

وقوله: ﴿ ومن يهن الله فما له من مكرم ﴾ أى: ومن يشقى الله فما له من مسعد، وقال بعضهم: ومن يهن الله: ومن يذله الله، فما له من إكرام أى: لا يكرمه أحد.

---

(١) البقرة: ٧٤. (٢) سبأ: ١٠.

(٣) الأنبياء: ٧٩. (٤) الإسراء: ٤٤. (٥) ساقط من «ك».

هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن

وقوله: ﴿إن الله يفعل ما يشاء﴾ أى: يكرم ويهين، ويشقى ويسعد، بمشيئته وإرادته، وهو اعتقاد أهل السنة.

قوله تعالى: ﴿هذان خصمان اختصموا فى ربهم﴾ فى الآية أقوال: أحدها: أنها نزلت فى أهل الكتاب (والمسلمين، قال أهل الكتاب)[1]: ديننا خير من دينكم، ونحن أحق بالله منكم؛ لأن نبينا وكتابنا أقدم، وقال المسلمون: نحن أولى بالله منكم، وديننا خير من دينكم؛ لأن كتابنا قاضٍ على الكتب؛ ولأن نبينا خاتم النبين، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وهذا قول قتادة وجماعة.

والثانى: ما روى عن محمد بن سيرين أنه قال: نزلت الآية فى الذين بارزوا يوم بدر من المسلمين والمشركين، فالمسلمون هم: حمزة، وعلى، وعبيدة بن الحارث، والمشركون هم: شيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، فالآية نزلت فى هؤلاء الستة، وكان أبو ذر يقسم بالله أن الآية نزلت فى هؤلاء، ذكره البخارى فى الصحيح.

والقول الثالث : أن الآية نزلت فى جملة المسلمين والمشركين.

والقول الرابع: أنها نزلت فى الجنة والنار اختصمتا، فقالت الجنة: خلقنى الله؛ ليرحم بى، وقالت النار: خلقنى الله؛ لينتقم بى، وهذا قول عكرمة، والمعروف القولان الأولان. قال ابن عباس: ذكر الله تعالى ستة أجناس فى قوله: ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا...﴾ الآية وجعل خمسة فى النار وواحدا للجنة فقوله: ﴿هذان خصمان﴾ ينصرف إليهم، فالمؤمنون خصم، وسائر الخمسة خصم.

وقوله: ﴿اختصموا فى ربهم﴾ أى: جادلوا فى ربهم.

وقوله: ﴿فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار﴾ أى: نحاس مذاب، ويقال:

(١) ساقط فى «ك».

فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَامِعُ
مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ

سمى النار التى يعذبون بها لباسا؛ لأنها تحيط بهم كإحاطة اللباس، وقال بعضهم: يلبس أهل النار مقطعات من النار، وهذا أولى الأقاويل.

وقوله: ﴿يصب من فوق رءوسهم الحميم﴾ وهو الماء الذى انتهت حرارته، وفى التفسير: أن قطرة منه لو وضعت على جبال الدنيا لأذابتها.

وقوله: ﴿يصهر به﴾ أى: يذاب به، وفى الأخبار: أنه يثقب رأس الكافر، ويصب على دماغه الحميم، فيصل إلى جوفه، فتسليه جميع ما فى جوفه.

وقوله: ﴿والجلود﴾ أى: ويذيب الجلود وينضجها.

وقوله: ﴿ولهم مقامع من حديد﴾ المقمعة هى المرزبة من حديد، ويقال: هى الحرز من حديد، وقيل: إن مقمعة منها لو وضعت فى الدنيا، واجتمع الإنس والجن عليها لم يقلوها.

وقوله: ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم﴾ أى: رَجَوْا، وفى التفسير: أن النار تجيش بهم، فترفعهم إلى أعلاها، فيريدون الخروج، فيضربهم الزبانية بالمقامع من الحديد، فيهوون فيها سبعين خريفا.

وقوله: ﴿وذوقوا عذاب الحريق﴾ أى: تقول لهم الملائكة: ذوقوا عذاب الحريق.

قوله تعالى: ﴿إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿يحلون فيها من أساور من ذهب﴾ الأساور جمع السوار.

وقوله: ﴿من ذهب﴾ معلوم المعنى.

وقوله: ﴿ولؤلؤ﴾ (١) أى: ومن لؤلؤ.

(١) فى «ك»: ولؤلؤا.

الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

وقرئ: «لؤلؤًا» أى: يحلون لؤلؤًا.

وقوله: ﴿ولباسهم فيها حرير﴾ أى: من الديباج، وروى شعبة عن خليفة بن كعب، عن ابن الزبير قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: قال رسول الله ﷺ: «من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة، (ومن لم يلبسه فى الآخرة)[١]، لا يدخل الجنة؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ولباسهم فيها حرير﴾»[٢].

وفى بعض الأخبار: «ولو دخل الجنة لم يلبسه فى الجنة».[٣]

وقوله: ﴿وهدوا إلى الطيب من القول﴾ قال ابن عباس: هو شهادة أن لا إله إلا الله، ويقال هو: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وقيل: هو قول أهل الجنة: ﴿الحمد لله الذى صدقنا وعده﴾[٤] وعن قطرب: أنه القرآن، ويقال: هو الأمر بالمعروف، وقيل: هو القول الذى يثنى به الخلق، ويثيب عليه الخالق.

وقوله: ﴿وهدوا إلى صراط الحميد﴾ أى: صراط الله، وصراط الله هو الإسلام، ويقال: إلى المنازل الرفيعة.

قوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله﴾ (تقدير الآية: إن الكافرين والصادين عن سبيل الله، وقال بعضهم معناه: إن الذين كفروا فيما تقدم

---

(١) ساقط من «ك».

(٢) متفق عليه إلا قوله: «ومن لم يلبسه فى الآخرة...» فهو مدرج من كلام ابن الزبير لايصح مرفوعًا. رواه البخارى (١٠/ ٢٩٦ رقم ٥٨٣٤)، ومسلم (١٤/ ٥٧ - ٦٦ رقم ٢٠٦٩). وأما قوله: «ومن لم يلبسه فى الآخرة فهو من قول ابن الزبير كما عند النسائى فى الكبرى (٦/ ٤١١ رقم ١١٣٤٣)، والإسماعيلى، كما فى الفتح للحافظ ابن حجر (١٠/ ٣٠١).

(٣) رواه الإمام أحمد فى مسنده (٣/ ٢٣)، والطيالسى (رقم ٢٢١٧)، وابن حبان فى صحيحه (١٢/ رقم ٥٤٣٧)، والحاكم (٤/ ١٩١) وقال: صحيح.

(٤) الزمر: ٧٤.

﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾

ويصدون عن سبيل الله)[١] فى الحال.

وقوله: ﴿والمسجد الحرام﴾ أى: يصدون عن المسجد الحرام.

وقوله: ﴿الذى جعلناه للناس﴾ أى: جعلناه للناس قبلة لصلاتهم، ومنسكا لحجهم.

وقوله: ﴿سواءٌ العاكف فيه والبادى﴾ وقرئ: «سواءً العاكف فيه والباد» بالنصب والتنوين، فقوله: ﴿سواءٌ﴾ بالرفع معلوم المعنى، وقوله: ﴿سواءً﴾ بالنصب أى: سويتهم سواءً، وقوله: ﴿العاكف فيه والبادى﴾ المقيم فيه، والجائى.

واختلفوا أن المراد من هذا هو جميع الحرم أو المسجد الحرام؟ فأحد القولين: أن المراد منه هو مسجد الحرام، وهذا قول الحسن وجماعة، ومعنى التسوية هو التسوية فى تعظيم الكعبة، وفضل فيه[٢]، وفضل الطواف وسائر العبادات وثوابها، والقول الثانى: أن المراد من الآية جميع الحرم، ومعنى التسوية: أن المقيم بمكة والجائى من مكة سواء فى النزول، فكل من وجد مكانا فارغًا ينزل، إلا أنه لا يزعج أحدا، وهذا قول مجاهد وعمر بن عبد العزيز وعطاء وجماعة من التابعين، وكان عمر - رضى الله عنه - ينهى الناس أن يغلقوا أبوابهم فى زمان الموسم، وفى رواية: منعهم أن يتخذوا الأبواب فاتخذ رجل بابًا فضربه بالدرة، وفى الخبر: أن دور مكة كانت تدعى السوائب، من شاء سكن، ومن استغنى أسكن، وعلى هذا القول لا يجوز بيع دور مكة وإجارتها، وعلى القول الأول يجوز.

وقوله: ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم﴾ (فيه قولان: أحدهما: أن الباء زائدة، ومعناه: ومن يرد فيه إلحادا بظلم)[١] قال الشاعر:

[نحن بنى جعدة أصحاب الفلـج نضرب بالسيف ونرجو بالفرج][٣]

---

(١) ساقط من «ك».

(٢) كذا.

(٣) من تفسير القرطبى، وفى «الأصل، وك»:

إن بنى جهدة أضحت بالفلج نضرب بالسيف ونرجو بالفرج

وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ

أى: تدعو الفرح، وهذا قول الفراء ونحاة الكوفة، وأما المبرد أنكر أن تكون الباء زائدة وقال معنى الآية: من يكون إرادته فيه بأن يلحد بظلم، قال الشاعر:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما ... تمثل لى ليلى بكل سبيل[1]

ومعناه: أراد فى أن أنسى.

وقوله: ﴿نذقه من عذاب أليم﴾ أى: يوصل إليه العذاب الأليم، وأما الإلحاد فهو الميل، يقال: لحد وألحد بمعنى واحد، ومنهم من قال: أُلحد إذا جادل، ولحد إذا عدل عن الحق، وأما معنى الإلحاد هاهنا، قال بعضهم: هو الشرك، وقال بعضهم: هو كل سيئة حتى شتم الرجل غلامه، وقال عطاء: الإلحاد فى الحرم هو أن يدخل غير محرم، أو يرتكب محظور الحرم بأن يقتل صيدا، أو يقلع شجرة. فإن قال قائل: أيش معنى تخصيص الحرم بهذا كله؛ وكل من عمل سيئة، وإن كان خارج الحرم استحق العقوبة؟. والجواب: ما روى عن ابن مسعود أنه قال: من هم بخطيئة فى غير الحرم لم تكتب عليه، ومن هم بخطيئة فى الحرم كتب عليه، وعنه أنه قال: وإن كان بعدن أبين، ومعناه: أنه وإن كان بعيدا من الحرم فإذا هم بخطيئة فى الحرم أخذ به، وهذا معنى الإرادة المذكورة فى الآية.

قوله تعالى: ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت﴾ أى: بينا وأعلمنا، وإنما ذكر ﴿مكان البيت﴾؛ لأن الكعبة رفعت إلى السماء من الطوفان، ثم إن الله تعالى لما أمر إبراهيم ببناء البيت، بعث ريحًا خجوجًا فكنس موضع البيت حتى أبدى عن موضع البناء. وفى رواية أخرى: أن الله تعالى بعث سحابة بقدر البيت فيها رأس تكلم فقال: يا إبراهيم، ابنِ بقدرى، فهذا معنى قوله: ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت﴾.

وقوله: ﴿ألا تشرك بى شيئاً﴾ يعنى: وقلنا له: لا تشرك بى شيئًا.

(١) فى «ك»: سبيلى.

وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ

وقوله: ﴿وطهر بيتى للطائفين﴾ أى: الطائفين بالبيت.

وقوله: ﴿والقائمين﴾ أى: المقيمين. ﴿والركع السجود﴾ أى: المصلين.

وقوله: ﴿وطهر بيتى﴾ أى: ابن بيتى طاهرا.

قوله تعالى: ﴿وأذن فى الناس بالحج﴾ وقرأ ابن أبى إسحاق: «بالحِج» بخفض الحاء، وكذلك فى جميع القرآن، وفى القصة: أن إبراهيم - عليه السلام - صعد المقام، فارتفع المقام حتى صار كأطول جبل فى الدنيا، وفى رواية: صعد أبا قبيس ثم نادى: يا أيها الناس، إن الله تعالى كتب عليكم الحج فأجيبوا ربكم، فأجابه كل من يحج من أرحام الأمهات وأصلاب الآباء، قال ابن عباس: وأول من أجابه أهل اليمن، فهم أكثر الناس حجا، فالناس يأتون ويقولون: لبيك اللهم لبيك، فهو إجابة إبراهيم، وروى أن إبراهيم - صلوات الله عليه - لما أمره الله تعالى بدعاء الناس قال: يارب، كيف يبلغهم صوتى؟ قال: عليك الدعاء وعلى التبليغ.

وقوله: ﴿يأتوك رجالا﴾ أى: رجالة، وهم المشاة، وفى بعض الأخبار: أن آدم - صلوات الله عليه - حج أربعين حجة ماشيا.

وقوله: ﴿وعلى كل ضامر﴾ أى: وعلى كل بعير ضامر، والضامر هو المهزول، قال ابن عباس: ما أتأسف على شىء، تأسفى أنى لم أحج ماشيا؛ لأن الله تعالى قدم المشاة على الركبان.

وقوله: ﴿يأتين من كل فج عميق﴾ أى: من كل طريق بعيد.

وقوله: ﴿ليشهدوا منافع لهم﴾ قال أبو جعفر محمد بن على: هى المغفرة، وقال غيره: منافع لهم أى: التجارة، والقول الأول أحسن، ويقال: منافع الدنيا والآخرة.

وقوله: ﴿ويذكروا اسم الله عليه فى أيام معلومات﴾ قال ابن عباس: الأيام

عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾

المعلومات هى العشر، وقال على وابن عمر: هى يوم النحر وثلاثة أيام بعده.

وقوله: ﴿على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ أى: إذا ذبحوها.

وقوله: ﴿فكلوا منها﴾ هذا أمر إباحة، وليس بأمر إيجاب، وقال بعضهم: هو أمر (ندب)[1]، ويستحب أن يأكل منها.

وقوله: ﴿وأطعموا البائس الفقير﴾ البائس هو الذى اشتد بؤسه، والبؤس: العدم، وقيل: البائس هو الذى به زمانة، والفقر معلوم المعنى.

قوله تعالى: ﴿ثم ليقضوا تفثهم﴾ التفث هاهنا هو حلق الرأس، وقلم الظفر ونتف الإبط وإزالة الوسخ، وقيل: إن التفث هاهنا رمى الجمار، وقال الزجاج: ولا يعرف التفث ومعناه إلا من القرآن، فأما قطرب حكاه عن أهل اللغة بمعنى الوسخ.

وقوله: ﴿وليوفوا نذورهم﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الوفاء بما نذره على ظاهره، والقول الآخر: أن معناه الخروج عما وجب عليه نذرا ولم ينذر، والعرب تقول لكل من خرج عن الواجب عليه: وفَّى بنذره.

وقوله: ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ هذا الطواف هو طواف الإفاضة، وعليه أكثر أهل التفسير.

وقوله: ﴿بالبيت العتيق﴾ فى العتيق قولان: أحدهما: أن الله تعالى أعتقه عن أيدى الجبابرة، فلم يتسلط عليه جبار، والثانى: ﴿العتيق﴾ أى: القديم، وهو قول الحسن، وفى العتيق قول ثالث: وهو أن معنى ﴿العتيق﴾ أن الله تعالى أعتقه عن الغرق أيام الطوفان، وهذا قول معتمد يدل عليه قوله تعالى: ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت﴾[2] فلما قال: ﴿مكان البيت﴾ دل أن البيت رُفِعَ أيام الطوفان.

---

(١) فى «ك»: مندوب.

(٢) الحج: ٢٦

﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ذلك ومن يعظم حرمات الله﴾ قال مجاهد: حرمات الله الحج والعمرة، وقال عطاء: حرمات الله ما نهى عنه، والحرمة كل ما نهى عن انتهاكها، قال زيد بن أسلم: حرمات الله ها هنا خمسة: البيت الحرام، والبلد الحرام، والشهر الحرام، والمسجد الحرام، والإحرام، وقال بعضهم: تعظيم حرمات الله أن يفعل الطاعة، ويأمر بها، ويترك المعصية، وينهى عنها.

وقوله: ﴿فهو خير له عند ربه﴾. معناه: أن تعظيم الحرمات خير له عند الله فى الآخرة.

وقوله: ﴿وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم﴾ ما يتلى عليكم هو قول الله تعالى فى سورة المائدة: ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير...﴾(١) الآية.

وقوله: ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ «مِنْ» هاهنا للتجنيس، ومعناه: اجتنبوا الأوثان التى هى رجس، ويقال: إن الرجس والرجز هو العذاب، ومعنى قوله: ﴿فاجتنبوا الرجس﴾ أى: اجتنبوا سبب العذاب.

وقوله: ﴿واجتنبوا قول الزور﴾ أى: الكذب، قال عبد الله بن مسعود: أشهد لقد عدلت شهادة الزور بالشرك، وتلا هذه الآية: ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور﴾.

وروى هذا اللفظ مرفوعًا إلى النبى ﷺ(٢).

---

(١) المائدة: ٣.

(٢) رواه أبو داود (٣/ ٣٠٤ - ٣٠٥ رقم ٣٥٩٩)، والترمذى (٤/ ٤٧٥ رقم ٢٣٠٠)، وابن ماجة (٢/ ٧٩٤ رقم ٢٣٧٢)، وأحمد (٤/ ٣٢١، ٣٢٢)، وابن أبى شيبة فى مصنفه (٧/ ٢٥٨)، والطبرى فى تفسيره (١٧/ ١١٢) جميعهم من حديث خريم بن فاتك. وقال ابن القطان: لايصح، لأنه من رواية زياد العصفرى، وهو مجهول، عن حبيب بن النعمان الأسدى، ولايعرف بغير هذا، ولايعرف حاله. تخريج الكشاف (٢/ ٣٨٣ - ٣٨٤)، وقال الحافظ فى التلخيص (٤/ ٣٤٩): وإسناده مجهول. ورواه الترمذى (٤/ ٤٧٤ رقم ٢٢٩٩)، وأحمد (٤/ ١٧٨)، والطبرى (١٧/ ١١٢) من حديث أيمن بن خريم، وقال الترمذى: غريب، إنما نعرفه من حديث سفيان بن زياد، واختلفوا فى رواية الحديث عن سفيان بن زياد، ولا نعرف لأيمن بن خريم سماعا من النبى ﷺ.

حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى

وفى الآية قول آخر: وهو أن قول الزور هو الشرك، والقول الثالث: أن قول الزور هو تلبيتهم: لبيك اللهم لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك.

وقوله: ﴿حنفاء لله غير مشركين به﴾. قال أهل التفسير: كانت قريش يقولون: من حج واحتنف وضحى، فهو حنيف، فقال الله تعالى: ﴿حنفاء لله غير مشركين به﴾ يعنى أن (الحنيفة) [1] إنما يتم بترك الشرك، ومن أشرك لا يكون حنيفا، وقد بينا معنى الحنيف من قبل.

وقوله: ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء﴾ أى: سقط من السماء، وفى بعض الأخبار عن بعض الصحابة أنه قال: «بايعت رسول الله ﷺ أن لا أخر إلا مسلما» [2] أى: لا أسقط ميتا إلا مسلما.

وقوله: ﴿فتخطفه الطير﴾ أى: تسلبه الطير وتذهب به.

وقوله: ﴿أو تهوى به الريح فى مكان سحيق﴾. أى: تسقط به الريح فى مكان بعيد، ومعنى الآية: أن من أشرك فقد هلك، وبعد عن الحق بعدا لا يصل إليه بحال ما دام مشركًا.

قوله تعالى: ﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله﴾ فى الشعائر قولان: قال ابن عباس: هى البُدن، وتعظيمها استسمانها واستحسانها، وعن عطاء: أن شعائر الله هى الجمار، وعن [زيد] [3] بن أسلم قال: شعائر الله: الصفا والمروة، والركن، والبيت،

(١) فى «ك»: الحنيفية.

(٢) رواه النسائى فى الصغرى (٢/ ٢٠٥ رقم ١٠٨٤)، وأحمد فى مسنده (٣/ ٤٠٢)، والطحاوى فى المشكل (١/ ٧٩)، والطبرانى فى الكبير (٣/ ١٩٥ رقم ٣١٠٦) عن حكيم بن حزام مرفوعا: «بايعت رسول الله ﷺ على ألا أخر إلا قائما». قال ابن الأثير فى النهاية (٢/ ٢١): ومعنى الحديث: لا أموت إلا متمسكا بالإسلام، وانظر شرح مشكل الآثار (١/ ٧٩-٨١).

(٣) فى «الأصل»: يزيد، وهو خطأ.

الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا

وعرفة، والمشعر الحرام، والجمار، وقال بعضهم: شعائر الله: معالم دينه.

وقوله: ﴿فإنها من تقوى القلوب﴾ أى: هذه الفعلة، وهى التعظيم من تقوى القلوب.

وقوله: ﴿لكم فيها منافع﴾ قال عروة بن الزبير: يعنى المنافع من البدن قبل النحر، وذلك ركوبها والشرب من لبنها، وغير ذلك، وقال مجاهد: المنافع التى فيها قبل أن يسمى للهدى، فإذا سميت للهدى فلا ينتفع بها، وهذا قول ابن عباس وطائفة من الصحابة، والقول الأول اختاره الشافعى - رحمة الله عليه - استدلوا (على صحة القول)[1] الأول بما روى: أن النبى ﷺ رأى رجلا يسوق بدنة، فسأله عنها فقال: إنها بدنة، فقال: اركبها ويلك[2].

وقوله: ﴿إلى أجل مسمى﴾ على القول الأول: الأجل المسمى هو النحر، وعلى القول الثانى: الأجل المسمى تسميتها بدنة، وأما إذا حملنا الشعائر على غير البدن فقوله: ﴿لكم فيها [منافع][3]﴾ ينصرف إلى ما ذكر الله تعالى من الثواب فى تعظيم الشعائر التى ذكرناها.

وقوله: ﴿ثم محلها إلى البيت العتيق﴾ المحل هاهنا هو وقت النحر ومكانه.

وقوله: ﴿إلى البيت العتيق﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا﴾ قال ابن عباس: عيدا، وقال غيره:

---

(١) فى النسختين على الصحة قول الأول.

(٢) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (٣/٦٢٦ رقم ١٦٨٩ وأطرافه فى: ١٧٠٦، ٢٧٥٥، ٦١٦٠)، ومسلم (٩/١٠٦ - ١٠٨ رقم ١٣٢٢). ومن حديث أنس بنحوه، رواه البخارى (٣/٦٢٦ رقم ١٦٩٠ وأطرافه فى: ٢٧٥٤، ٦١٥٩)، ومسلم (٩/١٠٨ - ١٠٩ رقم ١٣٢٣).

(٣) فى «الأصل، وك»: خير.

لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن

مذبحا، ويقال: متعبدا.

وقوله: ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ يعنى: ليذكروا اسم الله تعالى على نحر ما رزقهم الله من بهيمة الأنعام.

وقوله: ﴿فإلهكم إله واحد﴾ يعنى: سموا على الذبائح اسم الله تعالى وحده، فإن إلهكم إله واحد.

وقوله: ﴿فله أسلموا﴾ أى: فله أخلصوا.

وقوله: ﴿وبشر المخبتين﴾ فيه أقوال: أحدها: أنه بمعنى المتواضعين، وقال إبراهيم النخعى: بمعنى المخلصين، وقال غيره: بمعنى الصالحين، ويقال: بمعنى المسلمين، وعن عمرو بن أوس قال: هم الذين لا يظلمون، وإذا ظُلموا لم ينتصروا، وذكر الكلبى أن المخبتين هم الرقيقة قلوبهم، والخبت هو المكان المطمئن من الأرض، قال امرؤ القيس شعرا:

فلما أجزنا ساحة الحى وانتحى ... بنا بطن خبت ذى خفاف عقنقل

وقوله: ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ أى: خافت قلوبهم.

وقوله: ﴿والصابرين على ما أصابهم﴾ أى: وبشر الصابرين على ما أصابهم.

وقوله: ﴿والمقيمى الصلاة﴾ أى: المقيمين للصلاة.

وقوله: ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله﴾ البدن جمع البدنة، وسميت البدنة لضخامتها، والبعير والبقر يسمى: بدنة، فأما الغنم لا تسمى بدنة.

وقوله: ﴿جعلناها لكم من شعائر الله﴾ قد بينا، ومعناه: من أعلام دين الله، وسمى البدن شعائر؛ لأنها تشعر، وإشعارها هو أن تطعن فى سنامها على ما هو

شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ

المعروف فى الفقه، وفى الآثار: أن عمر - رضى الله عنه - حج آخر حجة فى آخر سنة، فكان يرمى جمرة العقبة، فأصابت جمرة صلعته فسال الدم منها، فقال رجل: أشعر أمير المؤمنين فلما رجع إلى المدينة قتل.

وقوله: ﴿لكم فيها خير﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿فاذكروا اسم الله عليها صواف﴾ وعن ابن مسعود أنه قرأ: «صوافى»، وعن الحسن البصرى أنه قرأ: «صوافن»، والمعروف ﴿صواف﴾ ومعناه: مصطفة، وأما «صوافى» معناه: خالصة، وأما «صوافن» فهو أن يقام على ثلاث قوائم، ويعقل يده اليسرى، وهذا هو الصفون. قال الشاعر:

ألف الصفون فما يزال كأنه ... مما يقوم على الثلاث كسير

وقوله: ﴿فإذا وجبت جنوبها﴾ أى: سقطت على جنوبها.

وقوله: ﴿فكلوا منها﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿وأطعموا القانع والمعتر﴾ المعروف أن القانع هو السائل، والمعتر هو الذى يتعرض ولا يسأل، قال مالك: أحسن ما سمعت فى هذا أن القانع هو المعتر والمعتر، الرائى، قال الشاعر:

على مكثريهم حق من يعتريهم ... وعند المقلين السماحة والبذل

ويقال: القانع هو الذى يقنع بما أعطى، والمعروف هو القول الأول أن القانع هو السائل، ويقال: المسكين الطواف.

وقوله: ﴿كذلك سخرناها لكم﴾ أى: ذللناها لكم.

وقوله: ﴿لعلكم تشكرون﴾ ظاهرالمعنى.

قوله تعالى: ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها﴾ روى أن المشركين كانوا إذا

اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ

ذبحوا، أنضحوا بالدم حول البيت، فأراد المسلمون أن يفعلوا مثل ذلك، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم﴾، ومعناه: لا يصل الدم واللحم إلى الله تعالى؛ وإنما تصل التقوى، وقيل: لا تصل الدماء واللحوم إلا بالتقوى، ويقال: لا يرضى إلا بالتقوى.

وقوله: ﴿كذلك سخرها لكم﴾ أى: ذللناها لكم.

وقوله: ﴿لتكبروا الله على ما هداكم﴾ معناه: لتعظموا الله على ما هداكم.

وقوله: ﴿وبشر المحسنين﴾ قد بينا معنى المحسنين من قبل.

قوله تعالى: ﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا﴾ وقرئ: «يدفع»، والمدافعة عنهم بحفظهم ونصرتهم، ويقال: يدافع الكفار عن الذين آمنوا، ويقال: يدافع المؤمنين وساوس الشيطان وهواجس النفوس، ويقال: يدافع عن الجهال بالعلماء، وعن العصاة بالمطيعين.

وقوله: ﴿إن الله لا يحب كل خوان كفور﴾ الخوان هو كثير الخيانة، والكفور هو الذى كفر النعمة.

قوله تعالى: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا﴾ قال أهل التفسير: هذه أول آية نزلت فى إباحة القتال، وقد رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وقرىء: «أَذن للذين يقاتلون» بنصب الألف والتاء، وإنما ذكر «أُذن» و«أَذن» بالرفع والنصب؛ «لأن المسلمين قبل الهجرة كانوا قد استأذنوا من النبى ﷺ أن يقاتلوا الكفار فلم يأذن لهم، فلما هاجروا إلى المدينة أنزل الله تعالى آيات القتال»[1].

(١) رواه الترمذى (٥/ ٣٠٤ رقم ٣١٧١) وقال: حسن، والنسائى فى الكبرى (٦/ ٤١١ رقم ١١٣٤٥)، والإمام أحمد فى مسنده (١/ ٢١٦)، والطبرى (١٧/ ١٢٣)، والحاكم (٢/ ٦٦) وصححه، والبيهقى فى الدلائل (٢/ ٢٩٤) جميعهم من حديث ابن عباس بنحوه.

لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ

﴿ظلموا﴾ أى: لأنهم ظلموا

وقوله: ﴿وإن الله على نصرهم لقدير﴾ أى: قادر.

قوله تعالى: ﴿الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق﴾ أى: ظلما.

وقوله: ﴿إلا أن يقولوا ربنا الله﴾ قال سيبويه: هذا استثناء منقطع، ومعناه: لكن أخرجوا؛ لأنهم قالوا: ربنا الله، وقال بعضهم: لكن أخرجوا لتوحيدهم.

وقوله: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض﴾ القول المعروف أن الدفع هاهنا هو دفع المجاهدين عن الدين، وعن سائر المسلمين، وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: عمن لا يصلى بالمصلى، وعمن لا يجاهد بالمجاهد، وعمن لا يعلم بمن يعلم.

وروى عن على - رضى الله عنه - قال: هذا هو الدفع عن التابعين بأصحاب رسول الله ﷺ، وقال بعضهم: هو الدفع عن الحقوق بالشهود، وعن قطرب - واسمه محمد بن الحسين - قال: هو الدفع عن النفوس بالقصاص.

وقوله: ﴿لهدمت صوامع وبيع﴾ أى: صوامع الرهبان، وبيع النصارى، ﴿وصلوات﴾ اليهود أى: مواضع صلاتهم، وقرئ: «وصُلُوات» برفع الصاد واللام قراءة عاصم الجحدرى، وعن الضحاك أنه قرأ: «وصُلواث».

وقوله: ﴿ومساجد﴾ أى: مساجد المؤمنين، وقال بعضهم: الصوامع للنصارى، والبيع لليهود، والصلوات هى المساجد فى الطرق للمسافرين من المؤمنين، وأما المساجد هى المساجد فى الأمصار.

وقال بعضهم: الصوامع للصابئين، والبيع للنصارى، والصلوات لليهود، فإن قال قائل: هذه المواضع التى للكفار ينبغى أن تهدم، فكيف قال: لهدمت؟ والجواب عنه: أن معنى الآية: لولا دفع الله لهدمت هذه المواضع فى زمان كل نبى؛ فهدمت الصوامع فى زمن موسى، والبيع فى زمن عيسى، والصلوات فى زمن داود وغيره، والمساجد

اللَّه كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ

في زمن محمد ﷺ.

وقوله: ﴿يذكر فيها اسم الله كثيرا﴾ معلوم المعنى.

وقوله: ﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿الذين إن مكناهم فى الأرض﴾ هذه الآية تنصرف إلى قوله: ﴿ولينصرن الله من ينصره﴾.

وقوله: ﴿أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾ الآية نازلة فى هذه الأمة، وروى عن ابن عباس أنه قال: الآية نزلت فى طلقاء من بنى هاشم، وهذا قول غريب.

وقوله: ﴿ولله عاقبة الأمور﴾ أى: عواقب الأمور.

قوله تعالى: ﴿وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح﴾ أنزل الله تعالى هذه الآية فى تعزية النبى ﷺ وتسليته، فكأنه قال: إن كذبوك قومك ﴿فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى﴾ يعنى: أن هؤلاء الأنبياء قد كذبوا أيضاً.

وقوله: ﴿فأمليت للكافرين﴾ أى: أمهلت للكافرين، والإمهال من الله هوالاستدراج والمكر.

وقوله: ﴿ثم أخذتهم فكيف كان نكير﴾ أى: إنكارى، وإنكاره بالعقوبة.

قوله: ﴿فكأين من قرية أهلكناها﴾ أى: فكم من قرية أهلكناها.

﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾

وقوله: ﴿وهى ظالمة﴾ أى: أهلها ظالمون.

وقوله: ﴿فهى خاوية على عروشها﴾ أى: ساقطة على سقوفها، والخاوية فى اللغة هى الخالية، وذكر الخاوية هاهنا؛ لأن الدور إذا سقطت خلت عن أهلها.

وقوله: ﴿وبئر معطلة﴾. وقوله: ﴿وقصر مشيد﴾ أى: وكم من قصر مشيد ذهب أهلوه، وهلكوا. وفى المشيد قولان: أحدهما: أن المشيد هو المطول، والآخر: أن المشيد هى المبنى بالشيد، والشيد هو الجص، قال الشاعر:

شاده مرمرًا وجلله كلـ ـسا فللطير فى ذراه وكور

وقال بعضهم: إن البئر المعطلة والقصر المشيد باليمن، أما القصر على قلة جبل، وأما البئر فى سفحه، وكان لكل واحد منهما قوم فى نعمة عظيمة، فكفروا فأهلكهم الله تعالى، وبقى البئر والقصر خاليتين عن الكل، وحكى أن سليمان بن داود - صلوات الله عليهما - كان إذا مر بخربة قال: أيتها الخربة، أين ذهب أهلوك؟.

وعن أبى بكر - رضى الله عنه - أنه قال فى خطبته: أين الذين بنوا المدائن ورفعوها؟ وأين الذين بنوا القصر وشيدوها؟ وأين الذين جمعوا الأموال؟ ثم يقرأ ﴿هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزًا﴾(١) فإن قال قائل: أيش فائدة ذكر البئر المعطلة والقصر المشيد، وفى العالم من هذا كثير، فلا يكون لذكر هذا فائدة؟ والجواب عنه: أنه قد جرت عادة العرب بذكر الديار للاعتبار، وقد ذكروا مثل هذا كثيرًا فى أشعارهم، فكذلك هاهنا ذكر الله تعالى القصور الخالية والديار [المعطلة](٢)؛ ليعتبر المعتبرون بذلك.

قال الأسود بن يعفر:

ماذا أومل بعد آل محرق تركوا منازلهم وبعد إياد

(١) مريم: ٩٨.

(٢) فى النسختين: المغلطة؟!

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ

أهل الخورنق والسرير وبارق — والقصر ذى الشرفات من سداد
نزلوا بأنقرة يسيل عليهم — ماء الفرات يجئ من أطواد
وأرى النعيم وكل ما يلهى به — يوما يصير إلى بلى ونفاد

قوله تعالى: ﴿أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها﴾ أى: يعلمون بها، ويقال: إن العقل علم غريزى، واستدل من قال: إن محله القلب بهذه الآية.

وقوله: ﴿أو آذان يسمعون بها﴾ يعنى: ما يذكر لهم من أخبار القرون الماضية فيعتبروا بها.

وقوله: ﴿فإنها لا تعمى الأبصار﴾ وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «ألا إن العمى عمى القلب»(١).

وقال بعضهم: عينان فى الوجه وعينان فى القلب؛ فالعينان فى الوجه للنظر، والعينان فى القلب للاعتبار، وعن قتادة أنه قال: البصر الظاهر بلغة ومنفعة، وأما بصر القلب فهو البصر النافع.

وقوله: ﴿ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور﴾ معناه: أن العمى الضار هو عمى القلوب، وأما عمى البصر فليس بضار فى أمر الدين، ومن المعروف فى كلام الناس: ليس الأعمى من عمى بصره، وإنما الأعمى من عميت بصيرته.

وحكى عن ابن عباس [أنه](٢) دخل على معاوية بعدما عمى، وكان أبوه قد عمى

(١) رواه الديلمى فى الفردوس (٣/رقم ٥٢٢٧) من حديث عبد الله بن جراد مرفوعًا: «ليس الأعمى من يعمى بصره، ولكن الأعمى من تعمى بصيرته» وعزاه السيوطى فى الدر (٤/ ٤٠٠) للحكيم الترمذى فى نوادر الأصول، وأبى نصر السجزى فى الإبانة، والبيهقى فى الشعب. وقال الألبانى فى ضعيف الجامع (٥/ ٥٧): ضعيف جداً.

(٢) زيادة ليست فى «الأصل» ولا «ك»، ويقتضيها السياق.

وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا

فى آخر عمره، وكذلك جده عبد المطلب، فقال له معاوية: ما لكم يا بنى هاشم، تصابون فى أبصاركم؟ فقال له ابن عباس: وما لكم يا بنى أمية، تصابون فى بصائركم.

وقوله: ﴿تعمى القلوب التى فى الصدور﴾ هاهنا على طريق التأكيد مثل قوله تعالى: ﴿يقولون بأفواههم﴾(١) ومثل قول القائل: نظرت بعينى ومشيت بقدمى.

قوله تعالى: ﴿ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده﴾ نزلت الآية فى النضر بن الحارث حين قال: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء...﴾(٢) الآية.

وقوله: ﴿ولن يخلف الله وعده﴾ أى: وعد العذاب.

وقوله: ﴿وإن يوما عند ربك كألف سنة﴾ فيه قولان: أحدهما: وإن يوما من الأيام التى خلق فيها الدنيا كألف سنة، والقول الثانى: أن معناه: وإن يوما من أيام عذابهم كألف سنة ﴿مما تعدون﴾ والقول الثانى هو الأولى؛ لأنه قد سبق ذكر العذاب.

قوله تعالى: ﴿وكأين من قرية أمليت لها﴾ أى: أمهلت لها.

وقوله: ﴿وهى ظالمة﴾ يعنى: أهلها ظالمون.

وقوله: ﴿ثم أخذتها وإلى المصير﴾ أى: المرجع.

قوله تعالى: ﴿قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين﴾ أى: منذر مرشد.

وقوله: ﴿فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم﴾ الرزق الكريم هو الذى لا ينقطع أبدا، وقيل: هو الجنة.

وقوله: ﴿والذين سعوا فى آياتنا معاجزين﴾ أى: معاندين مشاقين، وقرئ: «معجزين» أى: مثبطين الناس عن اتباع النبى ﷺ، ويقال: ظانين أنهم يعجزوننا بزعمهم أن لا بعث، ولا جنة، ولا نار، ومعنى يعجزوننا أى: يفوتون منا.

وقوله: ﴿أولئك أصحاب الجحيم﴾ أى: النار، والجحيم عبارة عن معظم النار.

(١) آل عمران: ١٦٧.
(٢) الأنفال: ٣٢.

لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي

وقوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى﴾ وقرأ ابن عباس: «ولا محدث» قال الشيخ الإمام - رضى الله عنه - أخبرنا بهذا أبو على الشافعى قال: أخبرنا أبو الحسن بن [فراس](١) قال: أخبرنا أبو محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ، عن جده محمد، عن سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس أنه قرأ هكذا.

فقوله: «ولا محدث» يعنى: ملهم، كأن الله حدثه فى قلبه، ومن المعروف أن النبى ﷺ قال: «قد كان فى الأمم السابقة محدثون، فإن يكن فى أمتى منهم أحد، فهو عمر»(٢).

وأما الكلام فى الرسول والنبى، فقال بعضهم: هما سواء، وفرَّق بعضهم بينهما فقال: الرسول هو الذى يأتيه جبريل - عليه السلام - بالوحى، والنبى هو الذى يأتيه الوحى فى المنام، أو يلهم إلهاما، ومنهم من قال: الرسول الذى له شريعة يحفظها، والنبى هو الذى بعث على شريعة غيره فيحفظها، وقد قالوا: كل رسول نبى، وليس كل نبى برسول.

وقوله: ﴿إلا إذا تمنى﴾ الأكثرون على أن معناه: إذا قرأ: ﴿ألقى الشيطان فى أمنيته﴾ أى: فى قراءته، قال الشاعر فى عثمان:

تمنى كتاب الله أول ليلة ... وآخرها لاقى حمام المقادر

أى: تلا، وقال بعضهم: تمنى هو حديث النفس، والقصة فى الآية: هو ما روى عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وسعيد بن جبير، والزهرى، والضحاك، وغيرهم أن

(١) فى «الأصل و ك»: فارس، وهو خطأ، وقد سبق التنبيه عليه.

(٢) رواه البخارى (٧/٥٢ رقم ٢٦٩٨) من حديث أبى هريرة مرفوعًا، ورواه مسلم (١٥/٢٣٦ - ٢٣٧ رقم ٢٣٩٨)، والترمذى (٥/٥٨١ رقم ٢٦٩٣) وقال: صحيح، وأحمد (٦/٥٥) جميعهم من حديث عائشة مرفوعًا.

النبى ﷺ قرأ سورة «والنجم» فى صلاته، وعنده المسلمون والمشركون، ويقال: قرأ فى الصلاة، فلما بلغ قوله تعالى: ﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾(١) ألقى الشيطان على لسانه: «تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى» ومر فى السورة حتى سجد فى آخرها، ففرح المشركون وسروا، وقالوا: قد ذكر آلهتنا بخير، ولا نريد إلا هذا، وسجدوا معه. قال ابن مسعود: ولم يسجد الوليد بن المغيرة، ورفع ترابًا إلى جبهته، وقال: سجدت - وكان شيخًا كبيرًا - قال: فجاء جبريل - عليه السلام - وقال: اقرأ علىّ سورة «والنجم» فقرأ، وألقى الشيطان على لسانه هكذا، فقال: هذا لم آت به، وأخرجه من قراءته، فحزن رسول الله ﷺ حزنًا شديدًا، فأنزل الله تعالى هذه الآية عليه: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته﴾(٢)

فإن قال قائل: كيف يجوز هذا على النبى ﷺ، وقد كان معصومًا من الغلط فى أصل الدين؟ وقال الله تعالى: ﴿إن عبادى ليس لك عليهم سلطان﴾(٣)، وقال الله تعالى: ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾(٤) أى: إبليس؟

والجواب عنه: اختلفوا فى الجواب عن هذا، قال بعضهم: إن هذا ألقاه بعض المنافقين فى قراءته، وكان المنافق هو القارئ، فظن المشركون أن الرسول ﷺ قرأ، وسمى ذلك المنافق شيطانا؛ لأن كل كافر متمرد بمنزلة الشيطان، وهذا جواب ضعيف.

---

(١) النجم: ١٩ - ٢٠.

(٢) انظر تخريج هذه القصة فى تخريج الكشاف للزيلعى (٢/٣٩١-٣٩٥)، ونصب المجانيق للألبانى، ودلائل التحقيق لعلى بن حسن بن عبد الحميد. قال ابن خزيمة: هذا من وضع الزنادقة، وصنف فيه كتابًا، وقال البيهقى: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، ثم أخذ يتكلم فى أن رواة هذه القصة مطعون فيهم. وقال الحافظ ابن كثير فى تفسيره [٣/٢٢٩]: قد ذكر كثير من المفسرين ههنا قصة الغرانيق .. ولكنها من طرق كلها مرسلة ولم أرها مسندة من وجه صحيح، والله أعلم..

(٣) الحجر: ٤٢.

(٤) فصلت: ٤٢.

الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾

ومنهم من قال: إن الرسول لم يقرأ، ولكن الشيطان ذكر هذا بين قراءة النبى ﷺ، وسمع المشركون ذلك، وظنوا أن الرسول ﷺ قرأ، وهذا اختيار الأزهرى وغيره.

وقال بعضهم: إن الرسول ﷺ أغفأ إغفاءة ونَعس، فجرى على لسانه هذا، ولم يكن به خبر بإلقاء الشيطان، وهذا قول قتادة، وأما الأكثرون من السلف ذهبوا إلى أن هذا شيء جرى على لسان الرسول ﷺ بإلقاء الشيطان من غير أن يعتقد، وذلك محنة وفتنة من الله (وعادة)[1]، والله تعالى يمتحن عباده بما شاء، ويفتنهم بما يريد، وليس عليه اعتراض لأحد وقالوا: إن هذا وإن كان غلطا عظيماً، فالغلط يجوز على الأنبياء، إلا أنهم لا يقرون عليه.

وعن بعضهم: أن شيطاناً يقال له: الأبيض عمل هذا العمل، وفى بعض الروايات: أنه تصور بصورة جبريل، وأدخل فى قراءته هذا، والله أعلم[2].

وقوله: ﴿فينسخ الله ما يلقى الشيطان﴾ أى: يزيل الله ما يلقى الشيطان.

وقوله: ﴿ثم يحكم الله آياته﴾ أى: يثبت الله آياته.

وقوله: ﴿والله عليم حكيم﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض﴾ أى: محنة وبلية.

وقوله: ﴿والقاسية قلوبهم﴾ أى: الجافة قلوبهم عن قبول الحق.

وقوله: ﴿وإن الظالمين لفى شقاق بعيد﴾ أى: فى ضلال طويل، وقيل: مستمر، وهو الأحسن.

---

(١) كذا.

(٢) قلت: بل القصة باطلة وموضوعة كما نص على ذلك الأئمة الجهابذة من أهل النقد، فلا حاجة لنا فى التكلف فى الرد على مثل هذا الزيف، والله المستعان.

وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ

قوله تعالى: ﴿وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك﴾ يعنى: ما أثبته ولم ينسخه.

وقوله: ﴿فيؤمنوا به﴾ (أى: يعتقدون به من قبل الله تعالى)(١).

وقوله: ﴿فتخبت له قلوبهم﴾ أى: تسكن إليه قلوبهم.

وقوله: ﴿وإن الله لهادى الذين آمنوا إلى صراط مستقيم﴾ أى: إلى طريق قويم، وهو الإسلام.

قوله تعالى: ﴿ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه﴾ أى: فى شك منه.

وقوله: ﴿حتى تأتيهم الساعة بغتة﴾ قيل: هى الموت، وقيل: هى القيامة.

وقوله: ﴿أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾ فيه قولان: أحدهما: أن اليوم العقيم هو يوم القيامة، والقول الثانى: أن اليوم العقيم هو يوم بدر، وعليه الأكثرون، وعن أبى ابن كعب أنه قال: أربع آيات فى يوم بدر: أحدها: هو قوله: ﴿عذاب يوم عقيم﴾، والآخر: قوله تعالى: ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى﴾(٢)، والثالث: قوله تعالى: ﴿فسوف يكون لزاما﴾(٣)، والرابع: قوله تعالى: ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر﴾(٤)». فالقتل يوم بدر هو العذاب الأدنى، وأما العقيم فى اللغة هو المنع، يقال: رجل عقيم، وامرأة عقيم إذا منعا من الولد، وريح عقيم إذا لم تمطر، ويوم عقيم إذا لم يكن فيه خير ولا بركة، (فيوم بدر يوم عقيم؛ لأنه لم يكن فيه خير ولا بركة)(١) للكفار.

قال الشاعر:

---

(١) ساقط من «ك».

(٢) الدخان: ١٦.

(٣) الفرقان: ٧٧.

(٤) السجدة: ٢١.

حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ
بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ
قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم
مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ

عقم النساء فلا يلدن شبيهه إن النســاء بمثله لعقيــــم

قوله تعالى: ﴿الملك يومئذ لله يحكم بينهم﴾ أى: يقضى بينهم.

وقوله: ﴿فالذين آمنوا وعملوا الصالحات فى جنات النعيم﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين﴾ أى: مُذِلٍّ مُخْزٍ.

قوله تعالى: ﴿والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا﴾ الرزق الحسن هو الذى لاينقطع أبدًا، وذلك رزق الجنة.

وقوله: ﴿وإن الله لهو خير الرازقين﴾ أى: أفضل الرازقين.

وقوله: ﴿ليدخلنهم مدخلا يرضونه﴾. وقرئ: «مَدخلا» بفتح الميم، والمُدخل بالرفع من الإدخال، والمدَخل بالفتح الموضع

وقوله: ﴿وإن الله لعليم حليم﴾ أى: عليم بأعمال العباد، حليم عنهم.

قوله تعالى: ﴿ذلك ومن عاقب بمثل ماعوقب به﴾ روى أن قوما من المسلمين لقوا قوما من المشركين فى آخر المحرم، وقد بقيت ليلتان منه، فتصد المشركون المسلمين فقال لهم المسلمون: كفوا، فإن هذا شهر حرام، فلم يكفوا؛ فقاتلهم المسلمون على وجه الدفع، وظفروا، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

ويقال: إن قوما من المشركين قتلوا قوما من المسلمين، فظفر بهم النبى ﷺ

بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ

وقتلهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية. وإنما سمى الفعل الأول عقوبة، وإن كان فى الحقيقة اسم العقوبة يقع على مايكون جزاء للجناية على ازدواج الكلام؛ لأنه ذكره فى مقابلة العقوبة، وهذا كقوله تعالى: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾(١)

وقوله تعالى: ﴿ثم بغى عليه﴾ البغى هاهنا مافعله المشركون بالمسلمين من الظلم والإخراج من الديار وأخذ الأموال.

وقوله: ﴿لينصرنه الله﴾ ظاهر المعنى .

وقوله: ﴿إن الله لعفو غفور﴾ أى: ذو تجاوز وعفو عن المسلمين.

قوله تعالى: ﴿ذلك بأن الله يولج الليل فى النهار....﴾ الآية. ظاهر المعنى .

وقوله: ﴿ذلك بأن الله هو الحق﴾ أى: ذو الحق.

وقوله: ﴿وأن ما يدعون من دونه هو الباطل﴾ يعنى: ليس بحق.

وقوله: ﴿وأن الله هو العلى الكبير﴾ أى: المتعالى المتعظم، ويقال: إن العلى هاهنا ينصرف إلى الدين أى: دينه يعلو الأديان، والكبير صفته تبارك وتعالى، ويقال: الحق اسم من اسماء الله تعالى، ذكره يحيى بن سلام، وأما الباطل فيقال: إنه إبليس، ويقال: إنه الأوثان.

قوله: ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة﴾ أى: ذات خُضرة، كما يقال: مسبعة ومبقلة أى: أرض ذات بقل وذات مسبع.

قال عكرمة: الآية نزلت فى مكة خاصة، فإن المطر هناك يقع بالليل، وتخضر

---

(١) الشورى: ٤٠.

وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ

الأرض بالنهار، وعن الخليل قال: «ألم تر» تنبيه ثم ابتداء، وقال: ينزل الله المطر فتصبح الأرضين مخضرة، فلهذا رفع تصبح.

وقوله: ﴿إن الله لطيف خبير﴾ أى: لطيف باستخراج النبات من الأرض وبرزق العباد، خبير بما فى قلوبهم أى: بما يعرض فى قلوبهم عند نقصان الرزق أو عدمه، وقيل: عند جدوبة الأرض.

قوله: ﴿له ما فى السموات وما فى الأرض وإن الله لهو الغنى الحميد﴾ أى: الغنى عن أعمال الخلق، المحمود فى أفعاله .

قوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله سخر لكم مافى الأرض والفلك تجرى فى البحر بأمره﴾ أى: وسخر الفلك تجرى فى البحر بأمره، ويقال: مافى الأرض هى الدواب التى تركب فى البر، وأما الفلك هو الذى يركب فى البحر .

وقوله: ﴿ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه﴾ فى بعض الآثار: أنه إذا أظهرت الصلبان فى الأرض، وضربت بالنواقيس، ارتجت السماء والأرض، وكادت السماء أن تقع، فيرسل الله (ملائكة)[1] فيمسكون بأطراف السماء والأرض، ويقرءون سورة الإخلاص حتى تسكن، وأما المعروف فى معنى الآية أن الله يمسك السماء بغير عمد، على ماذكرنا من قبل .

وقوله: ﴿إن الله بالناس لرءوف رحيم﴾ قد بيناه.

قوله تعالى: ﴿وهو الذى أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم﴾ الإحياء الأول هو الإنشاء، والإحياء الثانى هو البعث من القبور .

وقوله: ﴿إن الإنسان لكفور﴾ أى: لكفور (لنعمة الله)[2].

(١) فى «ك»: الملائكة.
(٢) فى «ك»: لنعم الله.

إِنَّ الإِنسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلا يُنَازِعُنَّكَ فِي الأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ

قوله تعالى: ﴿لكل أمة جعلنا منسَكًا﴾ بفتح السين، وقرئ: «منسِكا» بكسرها، فالمنسِك بالكسر موضع النسك، كالمجلس موضع الجلوس، وأما المنسَك بالفتح هو على المصدر للنسك، قال الفراء: المنسَك بالفتح موضع العبادة، والمناسك مواضع أركان الحج، ويقال: المنسك: المذبح، وعن ابن عباس: منسكًا أى: عيدًا، وقيل: منسكًا أى: شريعة وملة.

وقوله: ﴿هم ناسكوه﴾ أى: عاملون بها .

وقوله: ﴿فلا ينازعنك فى الأمر﴾ منازعتهم أنهم قالوا: أتأكلون مما قتلتموه، ولاتأكلون مماقتله الله؟

وقال الزجاج: معنى قوله: ﴿فلا ينازعنك فى الأمر﴾ أى: فلاتنازعهم، قال: وهذا مستقيم فى كل مالا يكون إلا بين اثنين، يجوز أن يقال: لايخاصمنك فلان أى: لاتخاصمه، ولا يجوز أن يقال: لايضربنك فلان بمعنى لاتضربه؛ لأن الضرب إنما يكون من الواحد، وإنما قال الزجاج هذا؛ لأن قوله: ﴿فلاينازعنك﴾ إخبار، وقد نازعوه، ولايجوز الخلاف فى خبر الله تعالى، فذكر أن المعنى :فلاتنازعهم؛ ليكون أمرًا لاخبرًا، وقرئ: «فلا ينزعنك فى الأمر» أى: لايغلبنك.

وقوله: ﴿وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم﴾ أى: دين مستقيم .

قوله تعالى: ﴿وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون الله يحكم بينكم...﴾ الآية ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والأرض﴾ معنى قوله: ﴿ألم تعلم﴾ أى: قد علمت.

وقوله: ﴿إن ذلك فى كتاب﴾ هو اللوح المحفوظ.

﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ وَمَا
لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ
كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن
ذَٰلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ

وقوله: ﴿إن ذلك على الله يسير﴾ أى: هين.

قوله تعالى: ﴿ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا﴾ أى: حجة

وقوله: ﴿وما ليس لهم به علم﴾ يعنى: أنهم فعلوا مافعلوا عن جهل لا عن علم.

وقوله: ﴿ومالظالمين من نصير﴾ أى: مانع من العذاب.

قوله تعالى: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر﴾ أى: الإنكار.

وقوله: ﴿يكادون (يسطون)[1]﴾ أى: يقعون.

وقوله: ﴿بالذين يتلون عليهم آياتنا﴾ يعنى: المؤمنين، وقيل: يتناولون بالشتم والمكروه.

وقوله: ﴿قل أفأنبئكم بشر من ذلكم﴾ أى: بشر عليكم وأكره لكم.

وقوله: ﴿النار﴾ كأنهم سألوا ما ذلك ؟ فقال: أجب، وقل: النار.

وقوله: ﴿وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير﴾ أى: بئس المرجع.

قوله: ﴿يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له﴾ فإن قال قائل: أين المثل؟ قلنا معناه: ضرب لى مثل أى: شبه لى مثل، على معنى أن المشركين اتخذوا الأصنام معى آلهة ﴿فاستمعوا له﴾ أى: استمعوا خبر الأصنام وحالها، ثم قال: ﴿إن الذين تدعون من دون الله﴾ الأصنام.

وقوله: ﴿لن يخلقوا ذبابًا ولو اجتمعوا له﴾ ذكر الذباب لخسته ومهانته وضعفه،

(١) فى «ك»: يصطفون.

فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ

وعن بعض السلف قال: خلق الله تعالى الذباب ليذل؛ به الجبابرة، وهو حيوان مستأنس ممتنع؛ لأنه يستأنس بك فيقع عليك، ثم إذا أردت أن تأخذه امتنع منه.

وقوله: ﴿وإن يسلبهم الذباب شيئًا لايستنقذوه منه﴾ قال ابن عباس: كانوا يطلون الأصنام بالزعفران، فإذا جف جاء الذباب واستلب منه شيئا، فأخبر الله تعالى أن الأصنام لايستنقذون من الذباب ما استلبه، وعن السدى: أنهم كانوا يأتون بالطعام، ويضعون بين يدى الأصنام، فيجئ الذباب ويقعن عليه، ويأكلن منه، فهو معنى قوله تعالى: ﴿وإن يسلبهم الذباب شيئًا لايستنقذوه منه﴾.

وقوله: ﴿ضعف الطالب والمطلوب﴾ (الطالب الذباب، والمطلوب الصنم، ويقال: الطالب الصنم، والمطلوب)[1] الذباب

وقيل: ﴿ضعف الطالب والمطلوب﴾ أى: العابد والمعبود.

وقوله: ﴿ماقدروا الله حق قدره﴾ أى: ماعظموا الله حق عظمته، ويقال: ماعرفوا الله حق معرفته، وقيل: ماوصفوا الله حق صفته، وعن ابن عباس: أن اليهود قالوا: إن الله خلق السموات والأرض فى ستة أيام، واستراح يوم السبت، فأنزل الله تعالى: ﴿ماقدروا الله حق قدره﴾.

وقوله: ﴿إن الله لقوى عزيز﴾ أى: قوى على مايريد، عزيز أى: منيع فى ملكه.

قوله تعالى: ﴿الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس﴾ أما من الملائكة فهم: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، وغيرهم، وأما من الناس فهم: آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، وغيرهم صلوات الله عليهم.

وقوله: ﴿إن الله سميع بصير﴾ سميع لأقوال العباد، بصير بهم.

قوله تعالى: ﴿يعلم مابين أيديهم وماخلفهم﴾ قد بينا هذا من قبل، ويقال:

---

(١) ساقط من «ك».

إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ

مابين أيديهم: ماقدموا من العمل، وماخلفهم: ما أخروها فلم يعملوها.

وقوله: ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾ تصير الأمور.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا﴾ والركوع والسجود معلومان، ولاتقبل صلاة إلا بهما سوى صلاة الجنازة.

وقوله: ﴿واعبدوا ربكم﴾ أى: وحدوا ربكم، ويقال: أخلصوا فى ركوعكم وسجودكم.

وقوله: ﴿وافعلوا الخير﴾ أى: صلة الأرحام ومكارم الأخلاق وسائر وجوه البر.

وقوله: ﴿لعلكم تفلحون﴾ (وتفوزون)(١).

وفى هذه الآية سجدة للتلاوة منقولة عن جماعة من الصحابة، وروى مشرح بن هاعان، عن عقبة بن عامر أن النبى ﷺ قال: «فى الحج سجدتان، من لم يسجدهما فلا يقرأها»، وفى رواية: «من لم يسجدهما فلم يقرأها»(٢).

قوله تعالى: ﴿وجاهدوا فى الله حق جهاده﴾ اعلم أن الجهاد يكون بالنفس، وبالقلب، وبالمال؛ فأما الجهاد بالنفس فهو فعل الطاعات واختيار الأشق من الأمور، وأما الجهاد بالقلب فهو دفع الخواطر الردية، وأما الجهاد بالمال فهو البذل (والإيثار)(٣).

وقوله: ﴿حق جهاده﴾ قال بعضهم: «هو أن يطيع الله (ولا يعصيه)(٤)»، ويذكره

(١) ليس فى «ك».

(٢) رواه أبو داود (٢/ ٥٨ رقم ١٤٠٢)، الترمذى (٢/ ٤٧٠ رقم ٥٧٨)، وأحمد (٤/ ١٥١، ١٥٥)، والدارقطنى (١/ ٤٨٠)، والطبرانى (١٧/ ٣٠٧ رقم ٨٤٦، ٨٤٧)، والحاكم (١/ ٢٢١)، والبيهقى (٢/ ٣١٧)، وقال الترمذى: هذا حديث ليس إسناده بذاك القوى، وأعله الحافظ فى التلخيص (٢/ ١٨) بتفرد ابن لهيعة مع ضعفه.

(٣) فى «ك»: بالإيثار.

(٤) فى «ك»: فلا يعصاه.

فلاينساه، ويشكره فلا يكفره، وقال بعضهم: حق جهاده: هو أن لايَخِل بفرض ما.

وعن بعض أهل التحقيق قال: حق جهاده هو أن لايترك جهاد نفسه طرفة عين. وفى بعض الغرائب من الأخبار: أن النبى ﷺ لما رجع من غزوة تبوك قال: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»[1] وعنى بالجهاد الأصغر هو الجهاد مع الكفار، وبالجهاد الأكبر الجهاد مع النفس، وأنشد بعضهم:

يارب إن جهادى غير منقطع … وكل أرضك لى ثغر وطرسوس

وقوله: ﴿هو اجتباكم﴾ أى: اختاركم.

وقوله: ﴿وماجعل عليكم فى الدين من حرج﴾ (فإن قال قائل: فى الدين حرج كثير بلا إشكال فما معنى قوله: ﴿وماجعل عليكم فى الدين من حرج﴾)[2]؟ قلنا: فيه أقول: أحدها: أن الحرج هو الضيق، ومعنى الآية هاهنا: أنه لاضيق فى الدين بحيث لاخلاص عنه، فمعناه: أن المذنب وإن وقع فى ضيق من معصيته، فقد جعل الله له خلاصا بالتوبة، وكذلك إذا حنث فى يمينه جعل الله له الخلاص بالكفارة، والقول الثانى: أن معنى الآية أن الله تعالى لم يكلف نفسا فوق وسعها، وقد ذكرنا هذا من قبل، والقول الثالث: أن المراد من الآية أنه إذا كان مريضا فلم يقدر على الصلاة قائمًا صلى قاعدا، فإن لم يقدر على الصلاة قاعدا صلى بالإيماء، ويفطر إذا شق عليه الصوم بسفر أو مرض أو هرم، وكذلك سائر وجوه الرخص.

وقوله: ﴿ملة أبيكم إبراهيم﴾ فيه قولان: أحدهما: أن الآية خطاب مع العرب، وقد كان إبراهيم أبًا لهم، والقول الثانى: أن الآية خطاب مع جميع المسلمين، وجعل

---

(١) رواه البيهقى فى الزهد (ص١٦٥ رقم ٣٧٣)، والخطيب فى تاريخه (١٣/٥٢٣-٥٢٤) عن جابر مرفوعًا: «قدمتم خير مقدم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر. قيل: وما الجهاد الأكبر؟ قال: مجاهدة العبد هواه»، وقال البيهقى: إسناده فيه ضعف، وقال الحافظ ابن حجر: هو من رواية عيسى بن إبراهيم، عن يحيى بن يعلى، عن ليث بن أبى سليم، والثلاثة ضعفاء. تلخيصه لتخريج الكشاف (٢/٣٩٦ بهامشه).

(٢) ساقط من «ك».

الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ

إبراهيم أباهم على معنى وجوب احترامه، وحفظ حقه كما يجب احترام الأب وحفظ حقه، وإنما نصب ملة على معنى: ابتغوا ملة إبراهيم.

وقوله: ﴿هو سماكم المسلمين﴾ فيه قولان: أحدهما: أن الله سماكم المسلمين ﴿من قبل﴾ أو فى التوراة والإنجيل.

وقوله: ﴿وفى هذا﴾ أى: فى القرآن، والقول الثانى: أن إبراهيم سماكم المسلمين، والدليل على هذا القول أن الله تعالى قال خبرا عن إبراهيم: ﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك...﴾(١) الآية.

وقوله: ﴿ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس﴾ ذكرنا هذا فى سورة البقرة والنساء، وفى الخبر: «أن الله تعالى أعطى هذه الأمة ثلاثا مثل ماأعطى الأنبياء: كان يقال للنبى: اذهب فلاحرج عليك، وقال الله تعالى لهذه الأمة: ﴿وما جعل عليكم فى الدين من حرج﴾، وكان يقال للنبى: أنت شاهداً على أمتك، فقال الله تعالى لهذه الأمة: ﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾(٢)، وكان يقال للنبى: سل تعطه، فقال الله تعالى لهذه الأمة: ﴿ادعونى أستجب لكم﴾»(٣)(٤).

وقوله: ﴿فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ ظاهر المعنى، وروى ابن مسعود عن النبى ﷺ أنه قال: «لاتقبل الصلاة إلا بالزكاة»(٥).

وقوله: ﴿واعتصموا بالله﴾ أى: تمسكوا بدين الله، ويقال معناه: ادعوا الله

---

(١) البقرة: ١٢٨. (٢) البقرة: ١٤٣. (٣) غافر: ٦٠.

(٤) عزاه السيوطى فى الدر (١/ ١٥٢) للفريابى، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن أبى حاتم عن كعب قوله.

(٥) لم أقف عليه من حديث ابن مسعود، إنما رواه أبو نعيم فى الحلية (٩/ ٢٥٠) عن أنس مرفوعًا: «لايقبل الله صلاة رجل لايؤدى الزكاة حتى يجمعهما؛ فإن الله تعالى قد جمعهما فلا تفرقوا بينهما»، وعزاه فى الكنز (١٥٧٨٨) للحلية فقط.

وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

ليثبتكم على دينه، وفيه قول ثالث: أن الاعتصام بالله هو التمسك بالكتاب والسنة، وعن الزهرى أنه قال: الاعتصام بالسنة نجاة.

وقوله: ﴿هو مولاكم﴾ أى: حافظكم ﴿فنعم المولى﴾ أى: الحافظ ﴿ونعم النصير﴾ أى: الناصر.

بسم الله الرحمن الرحيم

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾

تفسير سورة المؤمنين

وهى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ روى عبدالرزاق، عن يونس بن سليم، عن الزهرى، عن عروة، عن عبد الرحمن بن عبد القارى، عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال: « كان إذا نزل الوحى على رسول الله ﷺ سمع عند وجهه دوى كدوى النحل، فأنزل عليه مرة فمكثنا ساعة، فلما سرى عنه، استقبل القبلة وقال: اللهم أكرمنا ولاتهنا، وأعطنا ولاتحرمنا، وارضنا وارض عنا، وآثرنا ولاتؤثر علينا، ثم قال: لقد أنزل علىَّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة، وقرأ: ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ إلى آخر العشر» . قال الشيخ الإمام: أخبرنا بهذا الحديث عبد الرحمن بن عبيد الله بن أحمد قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن سراج قال: أخبرنا محمد بن محمد بن محبوب قال: أخبرنا مخمد بن عيسى بن سورة أخبرنا عبد بن حميد عن عبدالرزاق. الحديث(١).

وقوله: ﴿ قد أفلح ﴾ أى: فقد سعد وفاز وظفر، وقال بعضهم: نال البقاء الدائم والبركة. قال الشاعر:

نحل بلاداً كلها حُل قبلنا ... ونرجوا الصلاح بعد عاد وحميرا

---

(١) رواه الترمذى فى سننه (٥/٣٠٥ رقم٣١٧٣)، والنسائى فى الكبرى (١/٤٥٠ رقم ١٤٣٩) وقال: منكر، والإمام أحمد فى مسنده (١/٣٤)، وعبد الرزاق فى مصنفه (٣/٣٨٣ - ٣٨٤ رقم ٦٠٣٨)، وعبد بن حميد (رقم ١٥)، والبزار (١/٤٢٧ رقم ٣٠١)، وابن عدى فى الكامل (٧/١٧٥)، والعقيلى فى الضعفاء (٤/٤٦٠ - ٤٦١) كلاهما فى ترجمة يونس بن سليم، وقال العقيلى: لايتابع على حديثه ولايعرف إلا به=

الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾

وقرئ: « قد أُفْلح المؤمنون » أى: اصيروا إلى مافيه الصلاح.

وقال لبيد شعراً.

فاعقلى إن كنت (مما تعقلى)(١)   ولقد أُفلح من كان عقل

وقال غيره:

لو كان حى مدرك الفلاح   أدركه ملاعب الرماح

قال ابن عباس: نالوا ماإياه طلبوا، ونجوا مماعنه هربوا.

وقوله: ﴿المؤمنون﴾ المصدقون.

وقوله: ﴿الذين هم فى صلاتهم خاشعون﴾ أى: خاضعون خائفون، يقال: الخشوع خوف القلب، وحقيقته هو الإقبال فى الصلاة على معبوده، والتذلل بين يديه، ويقال: هو جمع الهمة،ودفع العوارض عن الصلاة، وتدبر مايجرى على لسانه من القراءة والتسبيح والتهليل والتكبير، وعن علىٍّ - رضى الله عنه - قال: الخشوع أن لايلتفت عن يمينه ولا عن شماله فى الصلاة.

وعن أبى هريرة قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يرفعون أبصارهم إلى السماء فى الصلاة، فلما نزل قوله تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون﴾ رموا بأبصارهم إلى مواضع السجود، وعن إبراهيم النخعى قال: هو السكن فى الصلاة.

= والحاكم فى مستدركه (١/ ٥٣٥، ٢/ ٣٩٢) وقال: صحيح. وتعقبه الذهبى فى الموضع الثانى بقوله: قلت: سئل عبد الرزاق عن شيخه ذا فقال: أظنه لا شىء. ورواه ابن أبى حاتم فى العلل ٢/ ٨١ رقم ١٧٣٦)، ونقل عن أبيه قوله: روى عبد الرزاق هذا الحديث مرة أخرى فقال: عن يونس بن سليم ،عن يزيد، ويونس بن سليم لا أعرفه، ولايعرف هذا الحديث من حديث الزهرى.

(١) كذا.

وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ

وقوله: ﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾ قال ابن عباس: يعنى الشك، وقال الحسن: المعاصى كلها. ذكر الزجاج أن اللغو هو كل كلام باطل مطرح، ويقال: إن اللغو هاهنا هو معارضة الكفار بالسب والشتم، وهذا قول حسن؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وإذا مروا باللغو مروا كراما﴾(١) أى: إذا سمعوا الكلام القبيح أكرموا أنفسهم عن الدخول فيه .

قوله تعالى: ﴿والذين هم للزكاة فاعلون﴾ أى: مُؤَدُّون

قال الشعبى: هى زكاة الفطر، وقال بعضهم: الزكاة هاهنا هى العمل الصالح فكأنه قال: والذين هم للعمل الصالح فاعلون .

قولة تعالى: ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ حفظ الفرج هو التعفف عن الحرام.

وقوله: ﴿إلا على أزواجهم﴾ يقال: إن الآية فى الرجال بدليل أن الله تعالى قال: ﴿أو ماملكت أيمانهم﴾ والمرأة لايجوز لها أن تستمتع بملك يمينها، وقيل: إن أول الآية فى الرجال والنساء جميعًا، وقوله: ﴿أو ماملكت أيمانهم﴾ إلى الرجال دون النساء ﴿فإنهم غير ملومين﴾ أى: غير معاتبين، فإن قيل: إذا أصاب امرأته فى حال الحيض أو النفاس وما أشبهه، وكذلك الجارية فقد أتى حرامًا، وإن كان قد حفظ فرجه عن غير زوجته وملك يمينه ويكون ملومًا؟ والجواب عنه: أن تقدير الآية فى هذا: والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم على وجه يجوز فى الشرع فإنهم غير ملومين، وكذلك الجواب عن قول من استدل بهذه الآية فى جواز إتيان المرأة فى غير مأتاها أوالجارية .

وقوله تعالى: ﴿فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾ (أى: سوى ذلك،

---

(١) الفرقان: ٧٢.

﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ

وابتغى أى: طلب، وقوله: ﴿فأولئك هم العادون﴾)[١] أى: الظالمون المتجاوزون عن الحلال إلى الحرام، واستدل العلماء بهذه الآية على أن الاستمناء باليد حرام، وعن ابن عباس سُئل عنه فقال: هو نائك نفسه، وعن ابن جريج أنه قال: سألت عطاء عنه فقال: هو مكروه، فقلت أفيه حَد؟ فقال: ماسمعت. وعن سالم بن عبد الله بن عمر أنه سئل عن هذا الفعل فقال: «أف أف! سمعت أن قوماً يحشرون وأيديهم حبالى، فأظن أنهم هؤلاء. وعن سعيد بن جبير قال: عذب الله أمة من الأمم كانوا يعبثون بمذاكيرهم. وكرهه مالك والشافعى، وحكى أبو عاصم النَبيل عن أبى حنيفة أنه كرهه، فإن جعل بين يديه وبين ذكره حريرة قال: لا بأس به، وذكر النقاش فى تفسيره عن عمر بن الخطاب أنه قال: أولئك أقوام لاخلاق لهم.

وقوله تعالى: ﴿والذين هم لآماناتهم وعهدهم راعون﴾ يقال: رعى كذا إذا قام بالمصلحة فيه، ومنه قوله ﷺ: «وكلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته»[٢]، ويقال للوالى: هو راع؛ لأنه يقوم بمصلحة الرعية، ومعنى قوله: ﴿راعون﴾ هاهنا أداء الأمانة والوفاء بالعهد .

قولة تعالى: ﴿والذين هم على صلاتهم يحافظون﴾ قد بينا معنى المحافظة، وعن ابن مسعود أنه سئل عن المحافظة فقال: حفظ الوقت، فقيل له: فمن تركها أصلا؟ قال: ذلك الكفر. وأعاد ذكر الصلاة هاهنا؛ ليبين أن المحافظة واجبة كما أن الخشوع واجب.

قولة تعالى: ﴿أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس﴾ روى الأعمش، عن أبى صالح، عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «مامن أحد إلا وله منزل فى الجنة ومنزل فى النار، فإذا دخل النار ورث أهل الجنة منزله».[٣]

---

(١) ساقط من «ك».

(٢) متفق عليه من حديث ابن عمر، وقد تقدم.

(٣) تقدم فى تفسير سورة الأعراف.

وعن مجاهد قال: إذا دخل الجنة هدم منزله فى النار، وعنه أنه قال: إن الله غرس جنة عدن بيده ثم قال: ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ وأغلق عليها، فلا يدخلها إلا من شاء الله، ويفتح بابها فى كل سحر، وكانوا يرون أن نسيم السحر منه.

وفى بعض المسانيد: عن ابن عباس عن النبى ﷺ: «إن الله خلق جنة عدن، وخلق فيها مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر، ثم قال لها: تكلمى فقالت: ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ أنا محرمة على كل بخيل ومرائى». (١)

وفى رواية: «أن الله تعالى قال: ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ ثم قال: وعزتى لايجاورنى فيك بخيل» (٢)

وفى بعض المسانيد أيضاً عن النبى ﷺ قال: «إن الله تعالى خلق آدم بيده، وغرس جنة عدن بيده، وكتب التوراة بيده، ثم قال لجنة عدن وعزتى لايسكنك بخيل ولاديوث» (٣)

وفى بعض التفاسير: أن النبى ﷺ قال: «أن الله تعالى خلق الفردوس وجعل لها

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير (١١/١٨٤رقم١٤٣٩) وفى الأوسط (٨/١٤٧ رقم ٤٨٦٢ مجمع البحرين)، وقال: لم يروه عن ابن جريج إلا بقية تفرد به هشام، وأبو نعيم فى صفة الجنة (ص ١٩ رقم ١٦)، وتمام الرازى فى فوائده (١/١٠٩ رقم ٢٥٨) جميعهم من حديث ابن عباس به إلى نهاية الآية. ورواه تمام فى فوائده بتمامه (١/١٠٩ رقم ٢٥٩). وعزاه فى الكنز لابن عساكر (١/٥٥)، وقال ابن كثير فى التفسير بعد إيراده رواية الطبرانى (٣/٢٣٧): بقية عن الحجازيين ضعيف، وله شاهد من حديث أنس رواه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (١٨ رقم ٢٠) بطوله، وابن عدى (٥/١٨٣)، والحاكم (٢/٣٩٢) وصححه، وأبو نعيم فى صفة الجنة (٩ رقم ١٧)، والخطيب فى تاريخه (١٠/١١٨)، جميعهم من حديث أنس مختصراً، وتعقب الذهبى الحاكم فقال: بل ضعيف، وقال فى الميزان (٣/١٣٧: باطل.

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير (١٢/١٤٧ رقم ١٢٧٢٣)، وفى الأوسط (٨/١٤٦ - ١٤٧ رقم ٤٨٦١) وقال: لم يروه عن السدى إلا حماد بن عيسى تفرد به منجاب. وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/٤٠٠): رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير، وأحد إسنادى الطبرانى جيد.

(٣) رواه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (٢٧ رقم٤١)، والخرائطى فى مساوئ الأخلاق (١٦٢رقم ٤٢٦، ٤٢٧)، والبيهقى فى الأسماء والصفات (ص٤٠٣) جميعهم من حديث عبد الله بن الحارث مرفوعاً بتمامه. وقال البيهقى: مرسل. ورواه أبو الشيخ فى العظمة (٣٥٢ رقم ١٠٢٩)، وأبو نعيم فى صفة الجنة (١١ رقم ٢٣) مختصراً. وتقدم فى تفسير سورة الأعراف: ١٤٥.

الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا
الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا

لبنة من ذهب ولبنة من فضة (وحبالها)[١] المسك الأذفر »،[٢] والأخبار كلها غرائب.
﴿ هم فيها خالدون ﴾ أى: مقيمون لايظعنون أبداً.

قوله تعالى: ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ﴾ قال أهل اللغة: السلالة صفوة الماء المسلول من الصلب، وقوله: ﴿ من طين ﴾ الطين هاهنا هو آدم، وعليه الأكثرون، والمراد من الإنسان ولده، ومنهم من قال: المراد من الإنسان هو آدم. وقوله: ﴿ من سلالة ﴾ أى: سل من كل تربة، وقال الكلبى: السلالة هاهنا هو الطين الذى إذا قبض عليه الإنسان خرج الماء من جانبى يده، وعن مجاهد قال: هو منى بنى آدم. قال الشاعر:

وهـل هنـد إلا مهـرة عربيـة ... [سـليلة] أفـراس تجللـها بغـل
فإن نتجت مهرا [فلله درهـا ... وإن ولدت بغـلا فجاء به البغل][٣]

وقوله: ﴿ ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ﴾ أى: فى مكان استقر فيه، وعن مجاهد قال: مامن نطفة إلا ويذر عليها من التربة التى خلق منها.

وقوله: ﴿ ثم خلقنا النطفة علقة ﴾ العلقة هى القطعة من الدم.

(١) كذا! وعند الترمذى وغيره: وملاطها المسك الأذفر كما سيأتى فى مواضع تخريجه، والله أعلم.

(٢) رواه الترمذى فى سننه (٤ / ٥٨٠ رقم ٢٥٢٦) وقال: ليس إسناده بذاك القوى، وليس بمتصل، وأحمد فى مسنده (٢ / ٣٠٤ - ٣٠٥)، والطيالسى (٣٣٧ رقم ٢٥٨٣)، جميعهم من حديث أبى هريرة مرفوعًا بطوله، ورواه الإمام أحمد فى مسنده (٢ / ٤٤٥)، والدارمى (٢ / ٤٢٩ رقم ٢٨٢١)، وابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (رقم ٤ ، ٥)، وأبو نعيم فى صفة الجنة (٥٢ رقم ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨) عن أبى هريرة بنحوه مرفوعًا. وفى الباب عن ابن عمر كما فى صفة الجنة لابن أبى الدنيا (رقم ١٢)، وأبو نعيم (رقم ١٣٩)، وعن أبى سعيد الخدرى، رواه البزار (٢ / ٤٨٠ رقم ٢٢٥٤) مختصراً، والطبرانى فى الأوسط (٨ / ١٤٦ رقم ٤٨٦٠ مجمع البحرين)، وأبو نعيم فى صفة الجنة (رقم ١٤٠). وقال الهيثمى (١٠ / ٤٠٠ المجمع): رواه البزار مرفوعًا وموقوفًا، والطبرانى فى الأوسط، ورجال الموقوف رجال الصحيح، وأبو سعيد لايقول هذا إلا بتوقف.

(٣) فى « الأصل، وك »: فلله درها وإن بقراف فمن قبل الفحل، والتصويب من المحاسن والأضداد للجاحظ (١ / ٨٤)، والأغانى (١٨ / ١٢٩)، ولسان العرب: مادة سلل.

النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ

وقوله: ﴿ فخلقنا العلقة مضغة ﴾ المضغة هى القطعة من اللحم.

وقوله: ﴿ فخلقنا المضغة عظما ﴾ وقرئ: «عظامًا»، والمعنى واحد. قال الشاعر:

فى حلقهم عظم وقد شجينا

أى: فى حلوقهم عظام.

ويقال: إن بين كل خلقين أربعين يومًا.

وقوله: ﴿ فكسونا العظام لحما ﴾ أى: ألبسنا.

وقوله: ﴿ ثم أنشأناه خلقا آخر ﴾ الأكثرون أن المراد منه نفخ الروح فيه، وقال الضحاك: استواء الشباب، وعن قتادة قال: نبت الأسنان، وعن الحسن: ذكرًا أو أنثى. وفى بعض التفاسير أن الله ينفخ فيه الروح بعد أربعة أشهر وعشرًا من يوم وقعت النطفة فى الرحم، ولهذا تقدرت عدة الوفاة بهذا القدر من الزمان.

وقوله: ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ روى أن عمر - رضى الله عنه - لماسمع هذه الآية (قال: فتبارك الله أحسن الخالقين فقال النبى ﷺ: «هكذا أنزل»[1]. فإن قيل: هذه الآية)[2] تدل على أنا نخلق أفعالنا؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ ،فذكر الخالقين على وجه الجمع؟ الجواب أن معناه: أحسن المقدرين، وقد ورد الخلق بمعنى التقدير، قال الشاعر:

ولأنت تفرى ماخلقت وبعض　　　القوم يخلق ثم لايفرى

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط، وابن مردويه عن ابن عباس، عن عمر به بنحوه. كما فى تخريج الكشاف للزيلعى (٢/٤٠١)، والدر (٥/٩). ورواه الطيالسى فى مسنده (١/٩- ١٠ رقم ٤١)، وابن أبى حاتم فى تفسيره- كما فى تخريج الكشاف (٢/٤٠٠) - والواحدى فى أسباب النزول (٢٣٤ - ٢٣٥) من طريق الطيالسى، عن أنس، عن عمر: وافقت ربى فى أربع .. منها هذا بنحوه.

(٢) ساقط من «ك».

﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا
عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ
ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ

[أى]:(١) يُقدِّر

ويقال: إن معناه: يصنعون وأصنع، وأنا أحسن الصانعين

قوله تعالى: ﴿ثم إنكم بعد ذلك لميتون﴾ قال بعضهم: الميِّت والميْت (واحد، وقال بعضهم: الميْت هو الذى قدمات، والميِّت هو الذى يموت فى المستقبل، ومثله المائت، وهذا كما قالوا: سيد وسائد هو الذى يسود فى المستقبل .

قوله تعالى: ﴿ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾ البعث هو الإطلاق فكأنهم حبسوا مدة ثم أطلقوا .

قوله: ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق﴾ الطرائق هاهنا هى السموات، وفى تسميتها طرائق وجهان: أحدهما: أنها سميت طرائق؛ لأن بعضها فوق بعض، يقال: طارقت النعل إذا جعلت بعضها فوق بعض

والوجه الثانى: أنها سميت طرائق؛ لأنها طرائق الملائكة.

وقوله: ﴿وما كنا عن الخلق غافلين﴾ أى: نحن حافظون لهم، يقال: حفظنا السماء أن تقع عليهم، ويقال: ما تركناهم سدى بغير أمر ولانهى .

قوله تعالى: ﴿وأنزلنا من السماء ماءً بقدر﴾ فى الخبر: «أن الله تعالى أنزل أربعة أنهار من الجنة: سيحان، وجيحان، ودجلة، والفرات»(٢).

وروى أنه أنزل خمسة أنهار من عين فى الجنة، وذكر مع الأربعة التى ذكرناها نيل مصر، وفى هذا الخبر أن الله أودعها الجبال ثم أجراها لمنفعة العباد، وفى هذا الخبر أيضا: «أنه إذا كان خروج يأجوج ومأجوج رفع الله القرآن والكعبة والركن والمقام وتابوت موسى والأنهار الخمسة فلا يبقى شىء من خير الدنيا والآخرة فهو قوله تعالى:

(١) فى «الأصل، وك»: أن.

(٢) تقدم تخريجه.

كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴿٢٠﴾

﴿ وإنا على ذهاب به لقادرون ﴾ »[1].

قوله تعالى: ﴿ فأنشانا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون ﴾ ظاهر المعنى، وخص النخيل والأعناب بالذكر؛ لأنهما كانتا أكثر فواكه العرب.

قوله تعالى: ﴿ وشجرة تخرج من طور سيناء ﴾، معناه: وأنشأنا شجرة تخرج من طور سيناء، وهى شجرة الزيتون، وإنما خصها بالذكر؛ لأنها لا تحتاج إلى معاهد، فالمنة فيها أكثر؛ ولأنها مأكول (ومستصبح)[2] بها، وقوله: ﴿ سيناء ﴾ بالحبشية هو الحسن، وأما المروى عن ابن عباس معنيان: أحدهما: أن المراد من سيناء هو البركة ومعناه: جبل البركة، والآخر: أن معناه الشجر، يعنى الجبل المشجر، أورده الكلبى.

وقوله: ﴿ تَنْبُتُ بالدهن ﴾. وقرئ « تُنْبِتُ » واختلفوا فى هذا: منهم من قال: أنبت ونبت بمعنى واحد، قال الشاعر:

رأيت ذوى الحاجات حول بيوتهم قطينا لهـم حتى إذا أنبـت البقـل

يعنى: حتى إذا نبت البقل، فالمعنى على هذا تنبت بالدهن أى: ومعها الدهن، أو فيها الدهن، وقال أبو عبيدة: الباء زائدة، فالمعنى على هذا: تنبت ثمر الدهن.

وأما من فرق بين تَنْبُتُ وتُنْبِتُ، فقال معناه: تُنبت ثمرها بالدهن، وتَنبت ثمر الدهن.

وأنشدوا فى زيادة الباء شعراً:

---

(١) رواه ابن حبان فى المجروحين (٣/ ٣٢ - ٣٣)، وابن عدى فى الكامل (٦/ ٣١٥) ،وقال: غير محفوظ بل هو منكر المتن، والخطيب فى تاريخه (١/ ٥٧ - ٥٨) من حديث مسلمة بن على، عن مقاتل، عن عكرمة، عن ابن عباس مرفوعًا بطوله.

(٢) فى « ك »: يستصبح.

وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ

سود المحاجر لا يقرأن بالسور

أي: لا يقرأن السور.

وقوله: ﴿ وصبغ للآكلين ﴾. وقرئ: « وصباغ للآكلين »، وهو في الشاذ، مثل لبس ولباس، ومعناه: (وإدام)(١) للآكلين، فإن الخبز إذا غمس فيه أي: في الزيت انصبغ به بمعنى تلون، والإدام كل ما يؤكل مع الخبز عادة، سواء انصبغ به الخبز أو لم ينصبغ، روى عن النبي ﷺ أنه أخذ لقمة وتمرة، وقال: « هذه إدام هذه »(٢).

وعنه ﷺ أنه قال: « سيد إدام أهل الجنة اللحم »(٣).

قوله تعالى: ﴿ وإن لكم في الأنعام لعبرة ﴾ يعني الآية (٤): تعتبرون بها.

وقوله: ﴿ نسقيكم مما في بطونها ﴾ أي: اللبن.

وقوله: ﴿ ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون ﴾ يعني: من لحومها ﴿ وعليها وعلى الفلك تحملون ﴾ ظاهر المعنى.

(١) في « ك »: أدم.

(٢) رواه أبو داود في سننه (٣ / ٢٢٥ رقم ٣٢٥٩)، والبخاري في تاريخه (٨ / ٣٧١ - ٣٧٢)، والترمذي في شمائله (١٦٠ رقم ١٧٤) ، والبيهقي في سننه (١٠ / ٦٣)، وتمام في فوائده (١ / ١٩٥ - ١٩٦ رقم ٤٥٤) جميعهم من حديث يوسف بن عبد الله بن سلام مرفوعا بنحوه.

ورواه أبو يعلى (١٣ / ٤٨١ - ٤٨٢ رقم ٧٤٩٤) من طريق عبد الله بن سلام، وقال الهيثمي: وفيه يحيى بن العلاء، وهو ضعيف (٥ / ٤٣ المجمع)، وقد ضعفه الشيخ ناصر في مختصر الشمائل (رقم ١٥٦).

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٦ / ٧٣ رقم ٤٠٦٥ - مجمع البحرين)، وتمام في فوائده (١ / ١٢٩ رقم ٢٩٨). كلاهما من حديث بريدة مرفوعًا بطوله. وقال الهيثمي في المجمع (٥ / ٣٨ - ٣٩): رواه الطبراني في الأوسط وفيه سعيد بن عتبة القطان، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات، وفي بعضهم كلام لايضر. ورواه تمام موقوفًا عن بريدة أيضًا. وفي الباب عن أبي الدرداء، وعلي، وصهيب، وربيعة بن كعب ،وغيرهم. وانظر المقاصد الحسنة (٣٩٣ - ٣٩٤) ، وتنزيه الشريعة (٢ / ٢٤٨).

(٤)في « ك »: الآية.

فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَنزَلَ مَلائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ

قوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله﴾ أى: وحدوا الله.

﴿ما لكم من إله غيره﴾ أى: معبود سواه. وقوله: ﴿أفلا تتقون﴾ معناه: أفلا تخافون عقوبته إذا عبدتم غيره.

قوله تعالى: ﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم﴾ قد ذكرنا معنى الملأ، وذكرنا إنكارهم إرسال البشر.

وقوله: ﴿يريد أن يتفضل عليكم﴾ يتفضل أى: يظهر الفضل، ولا فضل له، كما يقال: فلان يتحلم أى: يظهر الحلم، ولا حلم له، ويتظرف أى: يظهر الظرافة، ولا ظرافة له.

وقوله: ﴿ولو شاء الله لأنزل ملائكة﴾ يعنى: بإبلاغ الوحى، وقوله: ﴿ما سمعنا بهذا فى آبائنا الأولين﴾. أى: بإرسال بشر رسولا، وقيل: بدعوة مثل دعوته.

قوله تعالى: ﴿إن هو إلا رجل به جنة﴾ أى: جنون.

وقوله: ﴿فتربصوا به حتى حين﴾ قال ابن عباس: إلى وقت ما، ويقال: إلى أن يموت.

قوله تعالى: ﴿قال رب انصرنى بما كذبون﴾ يعنى: أهلكهم نصرة لى جزاء تكذيبهم.

قوله تعالى: ﴿فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا﴾. قد بينا من قبل، ويقال: غرس الشجر أربعين سنة، وجففه أربعين سنة.

وقوله: ﴿فإذا جاء أمرنا وفار التنور﴾ المراد من الأمر هاهنا: وقت إغراقهم، والتنور تنور الخابزة، وقد بينا غير هذا.

وقوله: ﴿فاسلك فيها من كل زوجين اثنين﴾ قال ابن عباس معناه: من كل صنف

بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ
إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾
فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي

اثنين اثنين.

وقوله: ﴿وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم﴾ أى: سبق عليه الحكم بإهلاكه، وهو ابن نوح. قال الحسن: كانوا سبعة وثامنهم نوح، وقيل: ستة وسابعهم نوح.

وقوله: ﴿ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا إنهم مغرقون﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك﴾ أى: استقررت وجلست، وقد يكون الاستواء بمعنى الارتفاع، قال الخليل: دخلنا على أبى ربيعة الأعرابى، (فقال لنا: استووا)(١) أى: ارتفعوا. وقوله: ﴿فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين﴾ أى: الكافرين، وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ أنه قال: «مثل أهل بيتى كمثل سفينة نوح من ركبها سلم، ومن لم يركبها (هلك)(٢)»(٣).

قوله تعالى: ﴿وقل رب أنزلنى مُنْزَلا مباركا﴾ وقرئ: «مَنْزِلا»، فالمنزل موضع النزول، والمُنْزَل بمعنى الإنزال، وفى موضع النزول قولان: أحدهما: أنه السفينة بعد الركوب، والآخر: أنه الأرض بعد النزول من السفينة، والبركة بعد النزول هو كثرة النسل من أولاده الثلاثة، والبركة قبل النزول هو النجاة. وفى بعض أخبار النبى ﷺ: «من نزل منزلا فقال: رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين، كان ضمانا على الله أن يحفظه من كل شىء يهوله، وإن توفى فى ذلك المنزل دخل الجنة». ذكره ابن فارس

(١) فى «ك»: فقال: استووا لنا.

(٢) فى «ك»: ندم.

(٣) روى من حديث أبى ذر، وابن عباس، وابن الزبير، وأبى سعيد، وأنس، وأبى الطفيل جميعهم مرفوعًا بنحوه، ورواه بعضهم مطولا وبعضهم مختصرًا.

(أ) حديث أبى ذر: رواه الفسوى فى المعرفة (١/ ٥٣٨)، والطبرانى فى الكبير (٣/ ٤٥ - ٤٦ رقم ٢٦٣٦، ٢٦٣٧)، وفى الأوسط (٦/ ٣٣٢ رقم ٣٧٩٣، ٣٧٩٤، ٣٧٩٥)، وفى الصغير (١/ ٢٤٠ رقم ٣٩١)، =

ذَلكَ لآيَات وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا من بَعْدهمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الْمَلأُ

في تفسيره برواية أبي هريرة، والخبر غريب.

قوله تعالى: ﴿إن في ذلك لآيات وإن كنا لمبتلين﴾ قال ابن عباس: مبتلين من أطاع ومن عصى، وعن غيره قال معناه: ما من أمة إلا ونحن قد ابتليناها.

قوله: ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين﴾ (أي: قوماً آخرين)[(١)].

قوله تعالى: ﴿فأرسلنا فيهم رسولا منهم﴾ في التفسير: أن القرن هم قوم هود، وهم عاد، والرسول هو هود، ويقال: قوم صالح وصالح، والأول أصح وأظهر.

وقوله: ﴿أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون﴾ قد ذكرنا.

= والبزار (٢/٣٣٣ - ٣٣٤ رقم ١٩٦٦ - مختصر الزوائد)، وابن عدي في الكامل (٢/٣٠٦، ٤/١٩٨)، والحاكم في المستدرك (٢/٣٤٣)، (٣/١٥٠ - ١٥١) وصححه، وتعقبه الذهبي بأن في إسناده مفضل، وهو واه، وأبو الشيخ في الأمثال (٣٣٣)، والقضاعي في الشهاب (٢/٢٧٣ - ٢٧٤ رقم ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥). وقال الهيثمي في المجمع (٩/١٧١): في إسناد البزار الحسن بن أبي جعفر، وفي إسناد الطبراني عبدالله بن داهر، وهما متروكان، واستنكره الذهبي في الميزان في ترجمة مفضل بن صالح (٤/١٦٧).

(ب) حديث ابن عباس: رواه الطبراني في الكبير (٣/٤٦ رقم ٢٦٣٨)، (١٢/٣٤ رقم ١٢٣٨٨)، والبزار (٢/٣٣٤ رقم ١٩٦٧ - المختصر)، وابن عدي (٢/٣٠٦)، وأبو نعيم في الحلية (٤/٣٠٦)، والقضاعي في مسند الشهاب (٢/٢٧٣ رقم ١٣٤٢). وقال البزار: لانعلم رواه إلا الحسن - يعني ابن أبي جعفر - وليس بالقوي، وكان من العباد. وقال الهيثمي في المجمع (٩/١٧١): رواه البزار والطبراني، وفيه الحسن بن أبي جعفر، وهو متروك.

(ج) حديث ابن الزبير: رواه البزار (٢/٣٣٣ رقم ١٩٦٥)، وقال الهيثمي: رواه البزار، وفيه ابن لهيعة، وهو لين.

(ء) حديث أبي سعيد الخدري: رواه الطبراني في الأوسط (٦/٣٣٣ - ٣٣٤ رقم ٣٧٩٦ - مجمع البحرين)، وفي الصغير (٢/٨٤ - ٨٥ رقم ٨٢٥)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الصغير والأوسط، وفيه جماعة لم أعرفهم.

(هـ) حديث أنس: رواه الخطيب في تاريخه من طريق أبان بن أبي عياش عنه (١٢/٩١).

(و) حديث أبي الطفيل: رواه الدولابي في الكنى (١/٧٦).

(١) ساقط من «ك».

مِن قَوْمِه الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم

قوله تعالى: ﴿ وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة ﴾. أى: بالمصير إلى الآخرة.

وقوله: ﴿ وأترفناهم فى الحياة الدنيا ﴾ أى: وأغنياهم فى الحياة الدنيا، ويقال: وسعنا عليهم المعيشة فى الحياة الدنيا حتى أترفوا، والإتراف هو التنعم بملاذ العيش. قال القتيبى: والترفة كالتحفة.

وقوله: ﴿ ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ﴾ يعنى: منه.

قوله تعالى: ﴿ ولئن أطعتم بشرا مثلكم ﴾ أى: من لحم ودم مثلكم.

وقوله: ﴿ إنكم إذا لخاسرون ﴾ أى: المغبونون، ويقال: تاركون طريقة العقلاء، فتكونون بمنزلة من خسر عقله.

قوله تعالى: ﴿ أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابًا وعظامًا أنكم مخرجون ﴾

تحصيل المعنى: أيعدكم أنكم إذا متم وقبرتم ثم خرجتم من قبوركم، وفى قراءة ابن مسعود: «أيعدكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون» وأما على القراءة المعروفة فنصب الأول بتقدير الباء أى: بأنكم، وأما إنكم الثانية للتأكيد، قال الزجاج: ونظير هذا فى القرآن قوله تعالى: ﴿ ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فإن له نار جهنم ﴾(١).

قوله تعالى: ﴿ هيهات هيهات لما توعدون ﴾ قال ابن عباس معناه: بعيد بعيد ما توعدون أى: لا يكون ذلك أبدا، هيهات وأيهات بمعنى واحد، قال الشاعر:

أيهات أيهات العقيق وأهله   أيهات خلٌ بالعقيق نواصله

(١) التوبة: ٦٣.

مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ
وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ
بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ
﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ

قوله تعالى: ﴿إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا﴾ فإن قيل: كيف يستقيم قوله: ﴿ونحيا﴾ ولم يكونوا مقرين بالبعث؟ والجواب من وجوه: أحدها: أنه على التقديم والتأخير يعنى: نحيا ونموت، والآخر: يموت الآباء، ويحيا الأبناء، والثالث: يموت قوم، ويحيا قوم.

قوله: ﴿وما نحن بمبعوثين﴾ أى: بمنشرين.

وقوله: ﴿إن هو إلا رجل افترى على الله كذبًا وما نحن له بمؤمنين﴾ أى: بمصدقين.

قوله تعالى: ﴿قال رب انصرنى بما كذبون﴾ قد بينا

قوله: ﴿قال عما قليل ليصبحن نادمين﴾ أى: ليصبحون نادمين، ومعنى يصبحون: يصيرون.

قوله تعالى: ﴿فأخذتهم الصيحة بالحق﴾ فى القصة: أن جبريل-عليه السلام- صاح بهم صيحة فتصدعت قلوبهم.

ويقال: إن المراد من الصيحة الهلاك. قال امرؤ القيس:

فدع عنك نهيًا صيح فى حجراته ... ولكن حديث ما حديث الرواحل

وتمثل بهذا البيت على رضى الله عنه فى بعض حروبه.

وقوله: ﴿بالحق﴾ أى: بالعدل، ويقال: بما استحقوا.

وقوله: ﴿فجعلناهم غثاءً﴾. الغثاء: ما يبس من الشجر والحشيش ،وعلا فوق السيل، ويقال: الغثاء هو الزبد، فالزبد لا ينتفع به، ويذهب باطلا، فشبههم بعد الهلاك به.

وقوله: ﴿فبعدا للقوم الظالمين﴾ أى: هلاكا للقوم الظالمين.

أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ

قوله: ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين﴾ أى: قوما آخرين.

قوله: ﴿ما تسبق من أمة أجلها﴾ أى: وقت هلاكهم.

وقوله: ﴿وما يستأخرون﴾ أى: يتأخرون عن وقت هلاكها.

قوله تعالى: ﴿ثم أرسلنا رسلنا تترى﴾ وقرئ: «تترًى» بالتنوين، والمعنى: متواترين بعضهم على إثر بعض، ويقال: بين كل نبيين قطعة من الزمان، والأصل فى ﴿تترى﴾ وَتْرى إلا أن الواو قلبت تاء، فكأنه قال: بعثنا الرسل وترًا وترًا.

وقوله: ﴿كلما جاء أمة رسولها كذبوه﴾ أى: جحدوه وأنكروه.

وقوله: ﴿فأتبعنا بعضهم بعضًا﴾ أى: فى الهلاك.

وقوله: ﴿وجعلناهم أحاديث﴾ أى: سمرًا وقصصًا، قال بعضهم شعرا:

فكن حديثا حسنا ذكره   فإنما الناس أحاديث

وقوله: ﴿فبعدا لقوم لا يؤمنون﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين﴾ أى: بحجة بينة، وهى الآيات التسع.

قوله تعالى: ﴿إلى فرعون وملئه فاستكبروا وكانوا قوما عالين﴾ أى: طالبين للعلو بغير الحق، والاستكبار طلب التكبر، ويقال: ﴿عالين﴾ قاهرين (لمن)[1] تحتهم بالظلم.

وقوله تعالى: ﴿فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا﴾ أى: لموسى وهارون. وقوله: ﴿وقومهما لنا عابدون﴾ قال أبو عبيدة: تقول العرب لكل من أطاع إنسانا قد عبده.

(١) فى «ك»: من.

مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ
لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾
وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا
إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾

وفي بعض التفاسير: أن القبط كانوا يعبدون فرعون، وفرعون كان يعبد الصنم.

قوله تعالى: ﴿فكذبوهما فكانوا من المهلكين﴾ أى: بالغرق.

قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون﴾ أى: التوراة.

قوله: ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿وآويناهما إلى ربوة﴾ وقرئ: «رُبْوَة»، وقرأ أبو الأشهب العقيلي: «رَبَاوَة». وأما الربوة فيها أقوال: عن أبي هريرة قال: هي رملة فلسطين، وروى هذا مرفوعًا إلى النبي(١) ﷺ.

وقال سعيد بن المسيب: هي غوطة دمشق، (ويقال: أنزه المواضع في الدنيا [أربعة](٢) مواضع: غوطة دمشق)(٣) في الشام، والإيلة بالعراق، وشعب بوان بفارس، وسعد سمرقند، وعن كعب قال: ﴿ربوة﴾ هي بيت المقدس، وعن وهب بن منبه قال: هي مصر، وفي اللغة: الربوة هو المكان المرتفع.

وقوله: ﴿ذات قرار﴾ أى: أرض مستوية يستقرون فيها، وقيل: مستوية مرتفعة منبسطة.

وقوله: ﴿ومعين﴾ أى: ذات ماء جارٍ، ويقال: ذات عيون تجرى فيها، يقال: (عانت)(٣) البِرْكَةُ إذا جرى فيها الماء، وأنشدوا في المعين شعرًا:

إن الذين غدوا بلبك غادروا وسلا بعينك لا يزال معينا

قوله تعالى: ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحًا﴾ قال مجاهد

(١) عزاه السيوطي في الدر (٥/ ١١) لابن مردويه.

(٢) في «الأصل»: أربع، وهو خطأ.

(٣) ساقط من «ك».

يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾

وقتادة والسدى وجماعة: إن المراد من قوله: ﴿يا أيها الرسل﴾ هو محمد ﷺ، والعرب تذكر الجمع، وتريد به الواحد، فإنهم يقولون للرجل: أيها القوم، كف عنا أذاك ومنهم من قال: إن المراد منه جميع الرسل. وقال بعضهم المراد: عيسى -عليه السلام- كأنه قال: وقلنا لعيسى: يا أيها الرسل، وقد روى أبو هريرة أن النبى ﷺ قال: «يا أيها الناس، إن الله لا يقبل إلا الطيب، وإن الله تعالى أمر المسلمين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحًا﴾ وقال للمؤمنين: ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات من رزقناكم واشكروا لله﴾(١) ثم ذكر الرجل أشعث أغبر يمد يده إلى السماء، فيقول: يارب، مطعمه حرام، وملبسه حرام، وغذى بالحرام، فأنى يستجاب له»(٢)؟!.

وفى القصة :أن عيسى كان يأكل من غزل أمه، والأكل هو أخذ الشيء بالفم؛ ليوصله إلى البطن بالمضغ، وأما قوله: ﴿من الطيبات﴾ أى: من الحلال. وقوله: ﴿واعملوا صالحا﴾ الصلاح هو الاستقامة على ما توجبه الشريعة.

وقوله: ﴿إنى بما تعملون عليم﴾ هذا حث على فعل الطاعة، يعنى: اعملوا الصالحات، فإنى مجازيكم على عملكم.

قوله تعالى: ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة﴾ أى: دينكم دين واحد، وقيل: شريعتكم شريعة واحدة، ويقال: أمرتكم بما أمرت به من قبلكم من الأنبياء والمرسلين، فأمركم واحد.

وقوله: ﴿وأنا ربكم فاتقون﴾ فاحذرونى.

قوله تعالى: ﴿فتقطعوا أمرهم بينهم﴾ أى: تفرقوا هودا ونصارى وصابئين ومجوسًا. ﴿زبرا﴾ أى: قطعًا. قال مجاهد: ﴿زبرًا﴾ كتبًا أى :جعلوا كتبهم قطعا ومعناه: آمنوا بالبعض ،وكفروا بالبعض، وحرفوا البعض، ولم يحرفوا البعض.

وقوله: ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾ أى: مسرورون.

(١) البقرة: ١٧٢.

(٢) تقدم تخريجه.

وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾

ويعنى أن كل فريق مسروررون بما عندهم : فأهل الإيمان مسروررون بالإيمان وبمتابعة النبى ﷺ، والكفار مسروررون بكفرهم وبمخالفة النبى ﷺ.

قوله تعالى: ﴿فذرهم فى غمرتهم﴾ أى: فى ضلالتهم، وقيل: فى عمايتهم.

وقوله: ﴿حتى حين﴾ معناه: إلى أن يموتوا، والآية للتهديد.

قوله تعالى: ﴿أيحسبون أنما نمدهم به من مال﴾ الآية. معناه: أيحسبون أن الذى نجعله مددا لهم من المال والبنين ﴿نسارع لهم فى الخيرات﴾ أى: نعجل لهم فى الخيرات، ونقدمها ثوابًا لهم رضًا بأعمالهم، وحقيقة المعنى أى: ليس الأمر على ما يظنون أن المال والبنين خير لهم، بل هو استدراج لهم، ومكر بهم، فهو معنى قوله تعالى: ﴿بل لا يشعرون﴾.

قوله تعالى: ﴿إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون﴾ .الخشية: انزعاج النفس لما يتوقع من المضرة، والإشفاق هاهنا هو الخوف من العذاب، فمعنى الآية: أن المؤمنين من خشية ربهم لا يأمنون عذابه. قال الحسن البصرى: المؤمن جمع إحسانًا وخشية، والمنافق إساءة وأمنا.

قوله: ﴿والذين هم بآيات ربهم يؤمنون﴾ أى: يصدقون.

قوله تعالى: ﴿والذين هم بربهم لا يشركون﴾ معلوم المعنى.

قوله تعالى: ﴿والذين يؤتون ما آتوا﴾ روى عن النبى ﷺ أنه قرأ: «والذين يأتون ما أَتوا به»، وهو قراءة عائشة- رضى الله عنها[1].

(وقوله: ﴿يؤتون ما آتوا﴾ أى: يعطون ما أعطوا. وقوله: «يأتون ما آتوا» أى:

(١) رواه سعيد بن منصور، وابن مردويه عن عائشة مرفوعًا، كما فى الدر (٥/١٣)، وعزاه أيضا لأحمد، والبخارى فى تاريخه، وعبدبن حميد، وابن المنذر، وابن أشته، وابن الأنبارى معا فى المصاحف، والدارقطنى فى الأفراد، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن عبيد بن عمير أنه سأل عائشة عن هذه الآية .. الحديث.

إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ

يفعلون ما فعلوا)(١).

وقوله: ﴿ وقلوبهم وجلة ﴾ أى: خائفة.

وقوله: ﴿ أنهم إلى ربهم راجعون ﴾. أى: لأنهم إلى ربهم راجعون، ومعناه: خافوا لأنهم علموا أن رجوعهم إلى ربهم، وروى عبد الرحمن بن سعيد بن وهب عن عائشة - رضى الله عنها - أنها قالت للنبى ﷺ: يا رسول الله، قول الله تعالى: ﴿ والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ﴾ أهم الذين يسرقون، ويشربون الخمر، وقلوبهم وجلة؟ قال: لا يا ابنة الصديق، بل هم الذين (يصلون، ويصومون،)(٢) ويتصدقون، وقلوبهم وجلة أنها لا تقبل منهم » وفى رواية: « ويخشون أن لا تقبل منهم »(٣). قال الشيخ الإمام: أخبرنا بهذا الحديث أبو على الشافعى قال: أبو الحسن ابن [فراس]:(٤) أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله المقرئ، أخبرنا جدى محمد، عن سفيان بن عيينة، أخبرنا مالك بن مغول، عن عبدالرحمن بن سعيد بن وهب.. الخبر. وقال الحسن البصرى: عملوا والله بالطاعات، واجتهدوا فيها، وخافوا أن ترد عليهم. هذا هو القول المعروف فى الآية،

(١) ساقط من « ك ».

(٢) فى « ك »: يصومون ويصلون.

(٣) رواه الترمذى (٥ / ٣٠٦ - ٣٠٧ رقم ٣١٧٥)، وابن ماجه (٢ / ١٤٠٤ رقم ٤١٩٨)، وأحمد (٦ / ٢٠٥)، والحميدى (١ / ١٣٢ - ١٣٣ رقم ٢٧٥)، وابن جرير (١٨ / ٢٦)، والحاكم (٢ / ٣٩٣ - ٣٩٤) وصححه، ومن طريقه البيهقى فى الشعب، وأعله ابن عساكر فى الأطراف بأن عبد الرحمن بن سعيد لم يدرك عائشة، كما فى تخريج الكشاف للزيلعى (٢ / ٤٠٢ - ٤٠٣)، ورواه ابن جرير (١٨ / ٢٦) من طريق ليث بن أبى سليم وهشيم، عن العوام بن حوشب، وليث، عن مغيث، عن رجل من أهل مكة كلاهما عن عائشة به بنحوه، ورواه الواحدى فى تفسيره عن ليث، عن عمرة، عن عائشة - تخريج الكشاف. وقال الترمذى: روى هذا الحديث عن عبد الرحمن بن سعيد، عن أبى حازم، عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ نحو هذا. قلت: رواه ابن جرير بإسناده عن عبد الرحمن بن سعيد، عن أبى حازم، عن أبى هريرة أن عائشة قالت... فذكر نحوه.

(٤) فى « الأصل، وك »: فارس، وهو خطأ، والصواب ما أثبتناه، وقد تقدم التنبيه عليه.

أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ
﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ

والقول الثاني: أن المراد من الآية أنهم عملوا بالمعاصي، وخافوا من الله.

قوله تعالى: ﴿أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون﴾ أى: إليها سابقون.

قال الشاعر:

تجانف عن جو اليمامة ناقتي … وما قصدت من أهلها لسوائكا

أى: إلى سوائكا. ويقال: «لها سابقون» أى: من أجلها سابقون، يقول الإنسان لغيره: قصدت هذه البلدة لك أى: لأجلك، وعن ابن عباس أنه قال: ﴿وهم لها سابقون﴾ أى: سبقت لهم السعادة من الله.

قوله تعالى: ﴿ولا نكلف نفسًا إلا وسعها﴾ قد بينا المعنى، ويقال: لم نكلف المريض الصلاة قائمًا، ولا الفقير الزكاة والحج، ولا المسافر الصوم، وأشباه هذا.

وقوله: ﴿ولدينا كتاب ينطق بالحق﴾ أى: عندنا كتاب ينطق بالحق، وهو اللوح المحفوظ، واستدل بعضهم بهذه الآية أن من كتب إلى إنسان كتابًا فقد كلمه.

وقوله: ﴿ينطق بالحق﴾ أى: يخبر بالصدق.

وقوله: ﴿وهم لا يظلمون﴾ أى: لا ينقص حقهم.

قوله تعالى: ﴿بل قلوبهم فى غمرة من هذا﴾ أى: فى غطاء، يقال: فلان غمره الماء، أى: غطاه.

وقوله: ﴿ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون﴾ (فيه قولان: أن للكفار أعمالا خبيثة محكومة عليهم سوى ماعملوا ﴿هم لها عاملون﴾)(١) هذا قول مجاهد وجماعة، وقال قتادة: الآية تنصرف إلى أصحاب الطاعات، ومعناه: أن المؤمنين لهم أعمال سوى ما عملوا من الخير ﴿هم لها عاملون﴾، والقول الأول أظهر.

(١) ساقط من (ك).

﴿٦٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ ﴿٦٤﴾ لا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾

قوله تعالى: ﴿حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب﴾ قد بينا معنى المترف.

وقوله: ﴿بالعذاب﴾ وهو السيف يوم بدر، ويقال: هو القحط الذى أصابهم بدعاء النبى ﷺ (١).

وقوله: ﴿إذا هم يجأرون﴾ أى: يصيحون ويستغيثون.

قوله تعالى: ﴿لا تجأروا اليوم﴾ لا تصيحوا اليوم، والجؤار هو رفع الصوت.

وقوله: ﴿إنكم منا لا تنصرون﴾ أى: ليس أحد يمنعنا من عذابكم، وقيل: ﴿لا تنصرون﴾ لا ترزقون، يقال: أرض منصورة أى: ممطورة.

قوله تعالى: ﴿قد كانت آياتى تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون﴾ أى: ترجعون قهقرى على أعقابكم، ويقال: أقبحُ المشى هو الرجوع على عقبيه قهقرى.

قوله تعالى: ﴿مستكبرين به﴾ اختلف القول فى قوله، فأظهر الأقاويل: أن المراد منه الحرم، ويقال: البيت أى: متعظمين بالبيت الحرام ،وتعظيمهم أنهم كانوا يقولون: نحن أهل الله وجيران بيته، وكان سائر العرب فى خوف ،وهم فى أمن، هذا قول ابن عباس ومجاهد وجماعة، والقول الثانى: ﴿مستكبرين به﴾ أى: بالقرآن، على معنى أنهم استكبروا فلم يؤمنوا به، والقول الثالث: أنه الرسول ﷺ على المعنى الذى ذكرنا فى القرآن.

وقوله: ﴿سامرًا﴾ وقرئ فى الشاذ: «سُمَّارا»، والسامر والسمار فى اللغة بمعنى واحد. والآية فى أنهم كانوا يقعدون بالليل حول البيت يسمرون. قال الثورى: السمر ظل القمر تقول العرب: لا أكلمك السمر والقمر، أى: الليل والنهار.

وقوله: ﴿تهجرون﴾ أى: تعرضون عن النبى ﷺ والإيمان به والقرآن والإيمان،

(١) متفق عليه، وقد تقدم.

أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم

وقيل: ﴿تهجرون﴾ أى: تهذون. وقرئ: «تُهْجِرون» من الهجر فى الكلام وهو القبيح، وفى الروايات: أنهم كانوا يقعدون عند البيت فى ظل القمر ويسبون النبى ﷺ.

قوله تعالى: ﴿أفلم يدبروا القول﴾ يعنى: ما جاءهم من القول، وهو القرآن.

وقوله: ﴿أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين﴾ (يعنى: أيظنون أنه جاءهم ما لم يأت من قبلهم، ومعناه: أنا بعثنا إليهم رسولا كما بعثنا إلى الأولين)(١).

قوله تعالى: ﴿أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون﴾. يعنى: أنهم عرفوه صغيرًا وكبيرًا، وعرفوا نسبه، وعرفوا وفاءه بالعهد، وأداءه للأمانات، وصدقه فى الأقوال، وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، على ما ذكرنا من قبل.

قوله تعالى: ﴿أم يقولون به جنة﴾ أى: جنون.

وقوله: ﴿بل جاءهم بالحق﴾ أى: بالصدق. وقوله: ﴿وأكثرهم للحق كارهون﴾ أى: ساخطون.

قوله تعالى: ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم﴾ أى: لو اتبع ما نزل من القرآن أهواءهم.

﴿لفسدت السموات والأرض ومن فيهن﴾ وإنما قال هذا؛ لأنهم كانوا يودون أن ينزل الله تعالى ذكر أصنامهم على ما يعتقدونها، ولأنه هو فى معنى قوله تعالى: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾(٢) وفى قراءة ابن مسعود: «لفسدت السموات والأرض ومن فيهن ومن خلق».

والقول الثانى فى الآية: أن المراد من ﴿الحق﴾ هو الله تعالى، ومعناه: لو اتبع (الله)(٣) أهواءهم لسمى لنفسه شريكًا وولدًا، ولفسدت السموات والأرض ومن

(١) ساقط من «ك».

(٢) الأنبياء: ٢٢.

(٣) فى «ك»: الحق.

بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ﴿٧٤﴾

فيهن.

وقوله: ﴿بل أتيناهم بذكرهم﴾ أى: بما يذكرهم، ويقال: بشرفهم، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾(١) أى: شرف لك ولقومك.

وقوله: ﴿فهم عن ذكرهم معرضون﴾ أى: عن شرفهم وعما يذكرهم معرضون.

قوله تعالى: ﴿أم تسألهم خرجًا﴾ وقرئ: («خراجًا»)(٢)، وكلاهما بمعنى الجُعل والأجر، وعن أبى عمرو بن العلاء قال: الخراج فى الأرض، والخرج فى الرقاب.

وقوله: ﴿فخراج ربك﴾ أى: ثوابه (﴿خير﴾ أى: أجر ربك)(٣) خير.

وقوله: ﴿وهو خير الرازقين﴾ أى: المعطين.

قوله تعالى: ﴿وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم﴾ أى: إلى دين الحق.

قوله تعالى: ﴿وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون﴾. أى: عن طريق الحق لعادلون.

قوله تعالى: ﴿ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر﴾ روى أن النبى ﷺ دعا على قريش فقال: «اللهم اجعل عليهم سنين كسنى يوسف؛ فأصابهم الجدب والقحط حتى أكلوا العلهز، وهو الدم بالوبر، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ولو

(١) الزخرف: ٤٤.

(٢) فى «ك»: «ومخرجا» وهو تصحيف.

(٣) ساقط من «ك».

وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾

رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر﴾ »(١) أى: الجوع والقحط.

وقوله: ﴿للجوا فى طغيانهم يعمهون﴾ أى: مضوا فى طغيانهم يعمهون، ولم ينزعوا عنه.

قوله تعالى: ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه السيف يوم بدر، والآخر: أنه الجوع والقحط، وروى «أن النبى ﷺ لما دعا على قومه قدم أبوسفيان عليه، فقال: يا محمد، ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين؟ قال: نعم، فقال له: قتلت الآباء بالسيف ،وأهلكت الأبناء بالجوع، فادع لنا يكشف عنا هذا القحط، فدعا فكشف عنهم»(٢) .

وقوله: ﴿فما استكانوا لربهم وما يتضرعون﴾ أى: ما خضعوا وما ذلوا لربهم، والاستكانة طلب السكون.

وقوله: ﴿وما يتضرعون﴾ أى: لم يتضرعوا إلى ربهم، بل مضوا إلى عتوهم وتمردهم.

---

(١) رواه النسائى فى الكبرى (٦/ ٤١٣ رقم ١١٣٥٢)، والطبرى (١٨/ ٣٤)، وابن حبان فى صحيحه (٣/ ٢٤٧ رقم ٩٦٧)، والطبرانى (١١/ ٣٧٠ رقم ١٢٠٣٨)، والحاكم (٢/ ٢٩٤) وصححه، والبيهقى فى الدلائل (٢/ ٩٠ – ٩١)، والواحدى فى أسباب النزول (٢٣٥)، وابن أبى حاتم – كما فى تفسير ابن كثير (٣/ ٢٥١ – ٢٥٢) عن ابن عباس قال: جاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد أنشدك الله والرحم فقد أكلنا العلهز – يعنى الوبر والدم – فأنزل الله تعالى: ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون﴾. وأما دعاؤه ﷺ عليهم فثابت فى الصحيحين «اللهم أعنى عليهم بسبع كسبع يوسف» وقد تقدم.

(٢) رواه ابن جرير (١٨/ ٣٤ – ٣٥)، والبيهقى فى الدلائل (٤/ ٨١)، والواحدى فى أسباب النزول (٢٣٥). وعزاه السيوطى أيضا فى الدر (٥/ ١٥) لأبى نعيم فى المعرفة كلهم من حديث ابن عباس.

حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا

قوله تعالى: ﴿حتى إذا فتحنا عليهم بابًا ذا عذاب شديد﴾ يقال: بالموت، ويقال: بقيام الساعة.

وقوله: ﴿إذا هم فيه مبلسون﴾. أى: متحيرون آيسون، وعن السدى قال: ﴿حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد﴾ هو فتح مكة. ويقال: العذاب الشديد هو الأمراض والشدائد، وعن مجاهد قال: هو القتل يوم بدر.

قوله تعالى: ﴿وهو الذى أنشأ لكم السمع﴾ أى: الأسماع لتسمعوا، وهذا واحد بمعنى الجمع. وقوله: ﴿والأبصار﴾ أى: لتبصروا. وقوله: ﴿والأفئدة﴾ لتعقلوا. وقوله: ﴿قليلا ما تشكرون﴾ أى: لم تشكروا هذه النعم.

قوله تعالى: ﴿وهو الذى ذرأكم فى الأرض وإليه تحشرون﴾ أى: خلقكم وأنشركم وكثركم فى الأرض. وقوله: ﴿وإليه تحشرون﴾ أى: تبعثون.

قوله تعالى: ﴿وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار﴾ أى: تدبير الليل والنهار فى الزيادة والنقصان، ويقال: ومنه اختلاف الليل والنهار.

وقوله ﴿أفلا تعقلون﴾. معناه: أفلا تعقلون الآيات التى وضعتها فيها.

قوله تعالى: ﴿بل قالوا مثل ما قال الأولون﴾ معناه: كذبوا كما كذب الأولون.

قوله تعالى: ﴿قالوا أئذا متنا وكنا ترابًا وعظامًا أئنا لمبعوثون﴾ أى: محشورون، وقالوا ذلك على طريق الإنكار والتعجب.

قوله تعالى: ﴿لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ أى: أكاذيب الأولين، ويقال: أسمار الأولين وأقاصيصهم، وقيل: ما سطره الأولون فى

وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ

كتبهم، ولا حقيقة له.

قوله تعالى: ﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿سيقولون لله﴾ يعني: هو ملك لله وملكه.

وقوله: ﴿أفلا تذكرون﴾ أي: تتعظون.

قوله تعالى: ﴿قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم﴾ أي: السرير الضخم.

قوله تعالى: ﴿سيقولون لله﴾ وقرئ: «سيقولون الله».

أما قوله تعالى: «سيقولون الله» هذا راجع إلى اللفظ، فالمعنى كالرجل يقول لغيره: من مالك هذا الدار؟ فيقول: زيد.

وأما قوله: ﴿سيقولون لله﴾ يرجع إلى المعنى دون اللفظ، كما يقول القائل لغيره: من مالك هذه الدار؟ فيقول: هي لزيد.

وقوله: ﴿قل أفلا تتقون﴾ أي: أفلا تحذرون.

قوله تعالى: ﴿قل من بيده ملكوت كل شيء﴾. أي: مالك كل شيء، والتاء للمبالغة، وكذلك فعلوت تذكر للمبالغة مثل قولهم: جبروت ورهبوت، من كلامهم: رهبوت خير من رحموت، ومعناه: أن ترهب خير من أن ترحم.

وقوله: ﴿وهو يجير ولا يجار عليه﴾ أن يؤمن على كل الناس، ولا يؤمن عليه أحد، ومعناه: أن من أَمنَّهَ الله لا يقدر عليه أحد، ومن لم يؤمنه الله لم يؤمنه أحد، وقيل: من أراد الله عذابه لا يقدر أحد على منع العذاب عنه، ومن أراد أن يعذب غيره من الخلق قدر الله على منعه منه. وقوله: ﴿إن كنتم تعلمون﴾ ظاهر المعنى.

وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ

قوله تعالى: ﴿سيقولون لله قل فأنى تسحرون﴾ أى: تخدعون، وقيل: تصرفون عن الحق، قال الحسن: معناه: أين ذهبت (عقولكم)؟[1]، وقال أبو عبيدة: ﴿فأنى تسحرون﴾ أى: تعمهون.

قوله تعالى: ﴿بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون﴾ أى: بالصدق، إنهم لكاذبون فيما يدعون لله من الشريك والولد.

قوله تعالى: ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله﴾ أى: من شريك. وقوله: ﴿إذاً لذهب كل إله بما خلق﴾ أى: تفرد بما خلقه ،فلم يرض أن يضاف خلقه ونعمته إلى غيره. وقوله: ﴿ولعلا بعضهم على بعض﴾. أى: طلب بعضهم الغلبة على البعض ،كما يفعل ملوك الدنيا فيما بينهم ،ثم نزه نفسه فقال: ﴿سبحان الله عما يصفون﴾.

قوله تعالى: ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ أى: السر والعلانية.

وقوله: ﴿فتعالى عما يشركون﴾ أى: تعظم عما يشركون، ومعناه: أنه أعظم أن يوصف بهذا الوصف.

قوله تعالى: ﴿قل رب إما ترينى ما يوعدون﴾ يعنى: إن أريتنى ما وعدتهم من العذاب ﴿رب فلا تجعلنى فى القوم الظالمين﴾ أى: اجعلنى خارجًا منهم، ولا تعذبنى معهم، هكذا ذكره الزجاج. قال أهل التفسير: وهذا دليل على أنه يجوز للعبد أن يسأل الله تعالى ما هو كائن لا محالة.

قوله تعالى: ﴿وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون﴾ أى: ما نعدهم من العذاب.

(١) في «ك»: عقولهم.

﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ
لَقَادِرُونَ ﴿٩٥﴾ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل
رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾
حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾

قوله تعالى: ﴿ادفع بالتى هى أحسن السيئة﴾ أكثر أهل التفسير أن المراد منه هو الدفع بالصبر، واحتمال الأذى، والكف عن المقاتلة، وهذا قبل آية السيف، وعن جماعة من التابعين أنهم قالوا: هو أن يسلم على من يؤذيه، فالدفع هو بالسلام عليه، وعن الضحاك ،عن ابن عباس قال: هو دفع الشرك بلا إله إلا الله ،وعن بعضهم: هو دفع المنكر بالموعظة.

قوله تعالى: ﴿نحن أعلم بما يصفون﴾ أى: بوصفهم وكذبهم.

قوله تعالى: ﴿وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين﴾ وساوسهم، والهمز فى اللغة مأخوذ من الدفع، ودفع الشياطين غيره إلى المعصية يكون بوسوسته، فعرف أن الهمزات هى الوساوس، وقيل: همز الشيطان إغراؤه على المعصية.

وقوله: ﴿وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ أى: يحضروا أمرى، وإنما ذكر الحضور؛ لأنه يغريه على المعصية، ويوسوسه إذا حضر.

قوله تعالى: ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت﴾ أى: حضر أحدهم الموت. وقوله: ﴿قال رب ارجعون﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه خطاب للملائكة، وهم الملائكة الذين يحضرون بقبض الروح، وهذا قول ضعيف؛ لأنه قد قال: ﴿رب﴾.

وأما القول الثانى - وهذا المعروف - أن الخطاب مع الله، وكأن الكافر يسأل ربه عند الموت أن يرده إلى الدنيا، فإن قيل: كيف يستقيم هذا، وقد قال: ﴿ارجعون﴾، والواحد لا يخاطب بخطاب الجمع، ولا يستقيم أن يقول القائل: اللهم اغفروا لى؟ والجواب عنه :أنه إنما ذكر بلفظ الجمع على طريق التفخيم والتعظيم، فإن الله تعالى أخبر عن نفسه بلفظ الجمع فقال: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾(١) ومثل هذا كثير فى القرآن ، فذكر قوله: ﴿ارجعون﴾ على موافقة هذا كما يخاطب الجمع،

(١) الحجر: ٩.

لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ

وعن الخليل أنه سئل عن هذه الآية – وكان شديد التوقى فى كلام القرآن – وقال: ﴿رب ارجعون﴾ معناه: اجعلنى مزجوعًا.

وقوله تعالى: ﴿لعلى أعمل صالحًا فيما تركت﴾ أى: أقول لا إله إلا الله، وقيل: هو العمل بالطاعة، قال قتادة: طلب الرجوع ليعمل صالحًا، لا ليجمع الدنيا، ويقضى الشهوات، فرحم الله امرءًا عمل فيما يتمناه الكافر إذا رأى العذاب.

قوله تعالى: ﴿كلا إنها كلمة هو قائلها﴾ يعنى: سؤال الرجعة، وقد قال أهل العلم من السلف: لا يسأل الرجعة عبد له عند الله ذرة من خير؛ لأنه إذا كان له خير عند الله فهو يحب القدوم عليه، واتفقوا أن سؤال الرجعة يكون للكافر لا للمؤمن.

وقوله: ﴿ومن وراءهم برزخ﴾ أى: حاجز، وهو القبر.

وقوله: ﴿إلى يوم يبعثون﴾ فالبرزخ هو ما بين الموت إلى البعث، ويقال: ما بين الدنيا والآخرة.

قوله تعالى: ﴿فإذا نفخ فى الصور﴾ حكى عن الحسن البصرى أنه قال: أى: فى الصور. وهذا قول ضعيف، والصحيح أن الصور قرن ينفخ فيه إسرافيل، ومن المشهور أن النبى ﷺ قال: «كيف أنعم، وقد التقم صاحب القرن القرن، وحنى جبهته، وأصغى بأذنه متى يؤمر فينفخ»(١).

فمن العلماء من يقول: ينفخ ثلاث نفخات: نفخة للصعق، ونفخة للموت،

(١) رواه الترمذى (٤/٥٣٦ رقم ٢٤٣١)، (٥/٣٤٧ – ٣٤٨ رقم ٣٢٤٣) وقال: حسن، وابن ماجه (٢/رقم ٤٢٧٣) بمعناه، والإمام أحمد فى مسنده (٣/٧،٧٣)، وابن المبارك فى الزهد (٥٥٧ رقم ١٥٩٧)، وابن أبى الدنيا فى الأهوال (٨٢ رقم ٥٠)، والحميدى (٢/٣٣٢ – ٣٣٣ رقم ٧٥٤)، وأبو يعلى (٢/٣٣٩ – ٤٤٠ رقم ١٠٨٤)، وابن حبان فى صحيحه (٣/١٠٥ رقم ٨٢٣)، والحاكم فى مستدركه (٤/٥٥٩)، وأبو نعيم فى الحلية (٥/١٠٥) من حديث أبى سعيد الخدرى بنحوه مرفوعًا. وفى الباب عن ابن عباس، وزيد بن أرقم، وأنس بن مالك، وجابر، والبراء، وراجع السلسلة الصحيحة للشيخ ناصر حفظه الله رقم ١٠٧٩.

فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾

ونفخة للبعث. والأكثرون أنه ينفخ نفختين: نفخة للموت، ونفخة للبعث، والصعق هو الموت، ويكون بين النفختين أربعون سنة.

قوله تعالى: ﴿فلا أنساب بينهم يؤمئذٍ﴾ أى: لا أنساب يتفاخرون ويتواصلون بها، وأما أصل الأنساب فباقية.

وأما قوله عليه الصلاة والسلام: «كل سبب ونسب ينقطع إلا سببى ونسبى»(1) أى: لا ينفع سبب ولا نسب يوم القيامة إلا سببى ونسبى، ويقال: سببه القرآن، ونسبه الإيمان.

وقوله: ﴿ولا يتساءلون﴾ أى: لا يسأل بعضهم بعضا سؤال تواصل، فإن قيل: أليس أن الله تعالى قال: ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾(2)؟

الجواب: ما روى عن ابن عباس أنه قال: يوم القيامة مواطن وتارات، ففى موطن يشتد عليهم الخوف (فتذهل)(3) عقولهم، فلا يتساءلون، وفى موضع يفيقون إفاقة فيتساءلون.

قوله تعالى: ﴿فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون﴾ أى: الفائزون والناجون.

قوله تعالى: ﴿ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم﴾ أى: غبنوا

(١) رواه الطبرانى فى الكبير (٣/٤٤ – ٤٥ رقم ٢٦٣٣ – ٢٦٣٥)، وابن سعد فى الطبقات (٧/٣٣٨ – ٣٣٩ ترجمة أم كلثوم)، والحاكم (٣/١٤٢) وقال: صحيح، وتعقبه الذهبى بقوله: منطقع، والبيهقى (٧/٦٣ – ٦٤، ١١٣)، والخطيب فى التاريخ (٦ / ١٨٢)، وأبو نعيم فى الحلية (٣/١٤٢)، والبزار والضياء فى المختارة والهيثم بن كليب فى مسنده – كما فى تفسير ابن كثير (٣/٥٦) – جميعهم من حديث عمر بن الخطاب مرفوعًا وفيه قصة نكاحه بأم كلثوم بنت على، وانظر طرق الحديث فى الصحيحة (٢٠٣٦).

وفى الباب عن ابن عباس، والمسور بن مخرمة، وعبد الله بن عمر، وراجع السلسلة الصحيحة أيضا.

(٢) الصافات: ٥٠.

(٣) فى «ك»: وتذهب.

فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾

أنفسهم بهلاك (الآية)(١). وقوله: ﴿فى جهنم خالدون﴾ أى: مقيمون.

قوله تعالى: ﴿تلفح وجوههم النار﴾. اللفح أكبر من النفح، ومعناه: يصيب وجوههم حر النار، وقيل: تحرق وجوههم النار وتنضجها.

وقوله: ﴿وهم فيها كالحون﴾ الكالح فى اللغة: هو العابس، وأما المروى فى التفسير: هو الذى تقلصت شفتاه ،وظهرت أسنانه.

وعن ابن مسعود أنه قال: كالرأس النضيج قد بدت أسنانه ،وتقلصت شفتاه. وذكر أبو عيسى الترمذى فى جامعه برواية أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال فى هذه الآية: «هو أن تتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى شفته السفلى حتى تضرب سرته»(٢). وفى بعض التفاسير: وتخرج أسنانه عن شفتيه [أربعين](٣) ذراعا.

وعن بعض التابعين من الخائفين :أنه مر على شواء، فرأى رءوس الغنم وقد أبرزت، فلما نظر إليها غشى عليه ،كأنه يذكر هذه الآية .

وقوله تعالى: ﴿ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون﴾ أى: تجحدون وتنكرون.

وقوله: ﴿قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا﴾ وقرئ: «شقاوتنا» وهما بمعنى واحد، والمراد منه: إنما أدخلنا النار بما غلب علينا من حكمك وقضائك بشقاوتنا. وقوله:

(١) كذا صورتها فى «الأصل، وك».

(٢) رواه الترمذى (٥/ ٣٠٧ رقم ٣١٧٦) وقال: حسن صحيح غريب، وأحمد (٣/ ٨٨)، وأبو يعلى (٢/ ٥١٦ رقم ١٣٦٧)، والحاكم (٢/ ٣٩٥) وصححه، والبيهقى فى البعث (٢٧٥ رقم ٥٥٨)، وأبو نعيم فى الحلية (٨/ ١٨٢) جميعهم من طريق دراج، عن أبى الهيثم، عن أبى سعيد. وعزاه السيوطى أيضا فى الدرر (٥/ ١٨) لعبد بن حميد، وابن أبى الدنيا فى صفة النار، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وابن مردويه.

(٣) فى «الأصل، وك»: أربعون، وهو خطأ.

قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا
ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي
يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا

﴿ وكنا قوما ضالين ﴾ أى: عن الحق.

قوله تعالى: ﴿ ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون ﴾ فيتركهم مقدار عمر الدنيا، وفى رواية: مثلى عمر الدنيا.

ثم يقول: ﴿ [قال][1] اخسئوا فيها ولاتكلمون ﴾ قال: فينقطع رجاؤهم حينئذٍ، ولايسمع بعد ذلك منهم إلا الزفير والشهيق، وأما قوله: ﴿ اخسئوا ﴾ أى: ابعدوا، وهو مثل قولهم: خسأت الكلب أى: أبعدته.

قوله تعالى: ﴿ إنه كان فريق من عبادى يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين ﴾. قال أهل التفسير: هذا فى بلال وسلمان وعمار وصهيب والفقراء من أصحاب الرسول الله ﷺ.

وقوله: ﴿ فاتخذتموهم سِخريا ﴾ وقرى: «سُخريا» فقوله: ﴿ سِخريا ﴾ من الاستهزاء، وقوله: «سُخريا» من التسخير.

وقوله: ﴿ حتى أنسوكم ذكرى ﴾ أى: اشتغلتم بالاستهزاء والسخرية عليهم، وتركتم ذكرى، وكان الواجب عليكم أن تذكرونى بدل استهزائكم بهم.

وقوله: ﴿ وكنتم منهم تضحكون ﴾ وفى الآية دليل على أن الاستهزاء بالناس كبيرة، وهو موعود عليه، وعن جعفر بن محمد -رضى الله عنه- قال: من ضحك ضحكة مج مجة من العلم لايعود إليه أبداً.

قوله تعالى: ﴿ إنى جزيتهم اليوم بماصبروا أنهم هم الفائزون ﴾ أى: بصبرهم ﴿ أنهم هم الفائزون ﴾ أى: الناجون.

(١) من «ك».

حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا
أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا
أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ
﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾

قوله تعالى: ﴿قال كم لبثتم فى الأرض عدد سنين﴾. يعنى: قال الله تعالى للكفار: ﴿كم لبثتم فى الأرض عدد سنين﴾ (أى: فى الدنيا، ويقال: فى القبور، وقرئ: «قل كم لبثتم فى الأرض عدد سنين»)[١] ومعناه: قل يا أيها الكافر.

قوله تعالى: ﴿قالوا لبثنا يومًا أو بعض يوم﴾ إنما ذكروا يومًا أوبعض يوم؛ لأنهم نسوا عدد مالبثوا من هول مايلقاهم يوم القيامة، فإن قال قائل: هذه الآية تدل على أن عذاب القبر ليس بثابت للكفار؛ لأنه لوكان ثابتًا لم يقولوا: لبثنا يومًا أو بعض يوم؟ والجواب عنه من وجهين: أحدهما: أنه ذهب عن قلوبهم عذاب القبر من هول مايلقاهم يوم القيامة، والثانى: أن الله تعالى يرفع العذاب عن أهل القبور بين النفختين، فينسون عذاب القبر، ويستريحون، وإنما يقولون لبثنا يومًا أو بعض يوم لهذا.

وقوله: ﴿فاسأل العادين﴾ أى: الملائكة الذين يعرفون عدد مالبثوا.

قوله تعالى: ﴿قال إن لبثتم إلا قليلا﴾ يعنى: مالبثتم إلا قليلا ﴿لو أنكم كنتم تعلمون﴾ أى: لو تعلمون عدد مالبثتم، وإنما ذكر قليلا؛ لأن الواحد من أهل الدنيا وإن لبث فى الدنيا سنين كثيرة، فإنه يكون قليلا فى جنب ما يلبث فى الآخرة.

قوله تعالى: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا﴾ أى: لتلعبوا أوتعبثوا، وقد سمى الله تعالى جميع الدنيا لعبًا ولهوًا فقال: ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو﴾[٢] فالآية تدل على أن الآدمى لم يخلق لطلب الدنيا والاشتغال بها، وإنما خلق ليعبد الله ويقوم بأوامره، وعن بعضهم قال: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا﴾ هو فى معنى قوله

---

(١) ساقط من «ك».

(٢) الحديد: ٢٠.

فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ

تعالى: ﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدى ﴾[1] ومعناه: أنه لايهمل أمره وقال بعضهم: خلق (لهلاك)[2] الأبد أو لملك الأبد.

وقوله: ﴿ وأنكم إلينا لاترجعون ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم ﴾ أى: المرتفع، وقيل: الحسن، وقد بينا معنى ﴿ تعالى ﴾ من قبل.

قوله تعالى: ﴿ ومن يدع مع الله إلهًا آخر لابرهان له به ﴾ أى: لابينة ولاحجة له به، قال أهل العلم: لاحجة لأحد فى دعوى الشرك، وإنما الحجة عليهم.

وقوله: ﴿ فإنما حسابه عند ربه ﴾ هذا فى معنى قوله تعالى: ﴿ ثم إن علينا حسابهم ﴾[3]، وروى «أن أعرابيا أتى النبى ﷺ وقال: ومن يحاسبنا يوم القيامة؟ قال: الله. قال: نجونا ورب الكعبة، إن الكريم إذا قدر غفر»[4] والخبر غريب.

وقوله: ﴿ إنه لايفلح الكافرون ﴾ أى: لايسعد ولايفوز.

قوله تعالى: ﴿ وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين ﴾

﴿ اغفر ﴾ استر ﴿ وارحم ﴾ اعطف، والغفور: الستور، والرحيم هو العطوف.

---

(١) القيامة: ٣٦.

(٢) فى «الأصل وك»: لهلك.

(٣) الغاشية: ٢٦.

(٤) رواه البيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة مرفوعًا. وذكر السخاوى فى المقاصد (٥٠٤ - ٥٠٥) عن البيهقى أن محمد بن كريا الغلابى تفرد به، وهو متروك ،ويشبه أن يكون موضوعًا ،ولكنه مشهور - يعنى عن الزهاد ونحوهم - وأنا أبرأ من عهدته أهـ. ورواه ابن أبى الدنيا فى حسن الظن (ص ٣٩ رقم ٢٥) عن الحسن مرسلا بنحوه.

اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾

قوله : ﴿ وأنت خير الراحمين ﴾ . أى : خير من رحم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا

تفسير سـورة النـور

وهى مدنية، وروى الحاكم أبو عبد الله الحافظ فيما خرجه من الزيادة على الصحيحين برواية شعيب بن إسحق، عن الزهرى، عن عروة، عن عائشة - رضى الله عنها - أن النبى ﷺ قال فى النساء: «لاتسكنوهن الغرف، ولاتعلموهن الكتابة، وعلموهن الغزل وسورة النور»(١)

قوله تعالى: ﴿ سورةٌ أنزلناها ﴾ وقراءة الأعرج ومجاهد «سورةً أنزلناها»، والسورة: مجموع آيات مما أنزل الله تعالى معلوم الابتداء والانتهاء، وإنما رفع سورة؛ لأن معناها: هذه سورة، وقوله: «سورةً» بالنصب فتقديره أنزلنا سورةً .

وقوله: ﴿ وفرضناها ﴾ قرئ بالتشديد والتخفيف، أما بالتخفيف ففى معناه وجهان: أحدهما: ألزمناكم العمل بما فرض فيها، والآخر: فرضناها أى: قدرنا مافيها من الحدود، والفرض هو التقدير، ومنه قوله تعالى: ﴿ فنصف مافرضتم ﴾(٢) أى: ماقدرتم، وأما بالتشديد ففى معناه وجهان:

أحدهما: فرضنا فرائضها، وشدد لما فيها من الكثرة .

والوجة الثانى: فرضناها أى: بيناها وفصلناها .

قال مجاهد: هو الأمر بالحلال والنهى عن الحرام.

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط (٤/١٥ رقم ٢٠١٨ مجمع البحرين)، وابن حبان فى المجروحين (٢/٣٠٢ ترجمة محمد بن إبراهيم الشامى، وقال: يضع الحديث)، والحاكم (٢/٣٩٦) وقال: صحيح، وتعقبه الذهبى بقوله: بل موضوع، وآفته عبد الوهاب. قال أبو حاتم: كذاب. والخطيب فى تاريخه (١٤/٢٢٤). وقال الهيثمى فى المجمع (٤/٩٦): رواه الطبرانى فى الأوسط، وفيه محمد بن إبراهيم الشامى، قال الدارقطنى: كذاب.

(٢) البقرة: ٢٣٧.

وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ

وقوله: ﴿ وأنزلنا فيها آيات بينات ﴾ أى: دلالات واضحات.

وقوله: ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ أى: تتعظون.

قوله تعالى: ﴿ الزانية والزانى ﴾ قال أهل العلم: إنما بدأ بالمرأة، لأن رقة القلب عليهن أكثر، فبدأ بهن لئلا يترك إقامة الحد عليها، ويكون أمرها لهم، ومنهم من قال: لأن الشهوة فيهن أكثر، والزنا نتيجة الشهوة، وبدأ فى حد السرقة بالرجل؛ لأن القوة والجراءة فى الرجال أكثر، والسرقة نتيجة القوة والجراءة، وهذا قول حسن.

وقوله: ﴿ فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾ الجلد: ضرب الجلد، يقال: جلدته إذا ضربت جلده، وبطنته إذا ضربت بطنه، وظهرته إذا ضربت ظهره، وفى الآية قولان: أحدهما: أن الأية عامة فى الأبكار والثيب، فتجلد الثيب مع الرجم. روى عن على - رضى الله عنه - «أنه جلد شراحة الهمدانية يوم الخميس مائة، ورجمها يوم الجمعة، وقال: جلدتها بكتاب الله، ورجمتها بسنة رسول الله ﷺ»(١)

وأما قول عامة العلماء فهو: أن الآية مخصوصة للأبكار، وأن الثيب يرجم ولايجلد، واتفق أهل العلم أن هذه الآية ناسخة؛ لأن المذكورة فى الإمساك فى سورة النساء.

وقد روى عن عبادة بن الصامت - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ نزل عليه الوحى ونحن عنده، وكان إذا نزل عليه الوحى تغير وجهه، وصرفنا أبصارنا عنه، فلما سرى عنه قال: «لتأخذوا عنى فقلنا: نعم يارسول الله، فقال: قد جعل الله لهن سبيلا، الثيب بالثيب الرجم، والبكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام»(٢).

(١) رواه البخارى فى صحيحه مختصراً (١٢/ ١١٩ رقم ٦٨١٢)، ورواه بتمامه النسائى فى الكبرى (٤/ ٢٦٩ رقم ٧١٤٠، ٧١٤١)، وأحمد فى مسنده (١/ ٩٣، ١٠٧، ١١٦، ١٢١، ١٤٠، ١٤١، ١٤٣، ١٥٣)، والحاكم (٤/ ٣٦٥)، والبيهقى (٨/ ٢٢٠).

(٢) تقدم فى سورة النساء.

وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾

وذكر النقاش أن فى حرف أبى بن كعب فى سورة الأحزاب، «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم».

وكان عمر - رضى الله عنه - قد هم أن يكتب هذا على حاشية المصحف ثم ترك لئلا يلحق بالقرآن ماليس منه.

وقوله: ﴿ولاتأخذكم بهما رأفة فى دين الله﴾ وقرئ: «رافة» بغير همز، وقرئ فى الشاذ: «رآفة» يعنى: رحمة. واعلم أن الرحمة والرأفة معنى فى القلب لاينهى عنه؛ لأنه يوجد فى القلب من غير اختيار إنسان، وإنما معنى الآية: استعمال الرحمة فى (تعطيل[1] الحد) وتخفيفه.

وروى عن عبد الله بن عمر أنه ضرب أمة له الحد، وكانت قد زنت، فجعل يضرب رجلها وظهرها، فقال له سالم ابنه: ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله﴾ فقال: يابنى، إن الله لم يأمرنى بقتلها، ولابضرب رأسها، وقد ضربت فأوجعت. وقد قال أهل العلم: يجتهد فى جلدة الزانى مالا يجتهد فى جلدة شارب الخمر لنص الكتاب.

(وقوله: ﴿فى دين الله﴾ أى: فى حكم الله)[2].

وقوله: ﴿إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ ظاهر المعنى.

وحقيقة معناه: أن المؤمن لاتأخذه رحمة ورقة إذا جاء أمر الرب.

وقوله: ﴿وليشهد عذابها طائفة من المؤمنين﴾ قال ابن عباس: واحد فما فوقه. وعن عطاء: رجل إلى ألف رجل. وعن سعيد بن جبير وعكرمة: رجلان. وعن الزهرى وقتادة: ثلاثة نفر. وقال مالك: أربعة نفر، وهو قول الشافعى وجماعة من أهل العلم.

قوله تعالى: ﴿الزانى لاينكح إلا زانية أو مشركة﴾ فى الآية أقوال: أحدهما: أن

(١) فى «ك» «طلب الحد» وهو تحريف.

(٢) ساقط من «ك».

الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ

الآية نزلت فى امرأة تسمى أم مهزول، وكانت بغية، وإذا تزوجت برجل شرطت عليه أن تنفق عليه، فأراد رجل من أصحاب رسول الله ﷺ أن يتزوج بها، فسأل النبى [ﷺ](١)، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿الزانى لاينكح إلا زانية﴾ ويقال: إن اسم المرأة كان عناق(٢). وهذا قول عبد الله بن عمرو بن العاص.

والقول الثانى: قال مجاهد وقتادة وغيرهما: «كان بالمدينة بغايا على أبوابهن رايات يعرفن بها، وكن مخاصيب الرجال، فلما هاجر أصحاب رسول الله ﷺ إلى المدينة أراد ناس من فقراء المهاجرين أن يتزوجوا بهن لينفقن عليهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

والقول الثالث: روى عن الحسن البصرى أنه قال: معنى الآية: «الزانى المجلود لاينكح إلا زانية مجلودة، والزانية المجلودة لاينكحها إلا زان مجلود وفى بعض المسانيد:(٣) روى هذا القول عن النبى ﷺ بطريق أبى هريرة.

---

(١) من «ك».

(٢) رواه الترمذى (٥/ ٣٠٧ - ٣٠٨ رقم ٣١٧٧) وقال: حسن غريب، وأبو داود (٢/ ٢٢٠ - ٢٢١ رقم ٢٠٥١)، والنسائى (٦/ ٥٤ رقم ٣٢٢٨)، وابن جرير (١٨/ ٥٦)، والحاكم (٢/ ١٦٦) وصححه، والبيهقى (٧/ ١٥٣) عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده بنحوه، وفيه: أن اسم المرأة عناق. ورواه النسائى فى الكبرى (٦/ ٤١٥ رقم ١١٣٥٩)، وأحمد (٢/ ١٥٩، ٢٢٥)، وابن جرير (١٨/ ٥٩)، والحاكم (٢/ ١٩٣ - ١٩٤) وصححه، والبيهقى (٧/ ١٥٣) من رواية القاسم بن محمد، عن عبد الله بن عمرو بنحوه، وفيه تسمية المرأة: أم مهزول. وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ٧٧): رواه أحمد والطبرانى فى الكبير والأوسط بنحوه، ورجال أحمد ثقات.

(٣) رواه أبو داود (٢/ ٢٢١ رقم ٢٠٥٢)، وأحمد (٢/ ٣٢٤)، وابن عدى فى الكامل (٢/ ٤١٠)، والحاكم (٢/ ١٦٦) وصححه، وتمام الرازى فى فوائده (١/ ٢٨٦ - ٢٨٧ رقم ٧١٢) جميعهم عن أبى هريرة مرفوعًا بنحوه. وعزاه السيوطى فى الدر (٥/ ٢٢) لابن المنذر، وابن أبى حاتم وابن مردويه أيضا.

والقول الرابع: روى عن على بن أبى طلحة الوالبى، عن ابن عباس أن معنى الآية: الزانى لا يزنى إلا بزانية، ومعنى النكاح [هو الوطء][(١)] ، قال الزجاج: وهذا القول ضعيف؛ لأنه لم يرد فى القرآن ذكر النكاح بمعنى الوطء .

والقول الخامس - وهو أحسن الأقاويل - قول سعيد بن المسيب: أن الآية منسوخة، وقد كان فى حكم الإسلام لايجوز أن يتزوج الزانى بالمزنى بها. قال عبدالله بن مسعود. إذا تزوج الزانى بالزانية فهما زانيان أبدا. قال سعيد بن المسيب: ثم نسخ هذا بقوله تعالى: ﴿وأنكحوا الأيامى منكم﴾[(٢)] والزانية أيم، فيجوز التزوج بها للزانى وغيره، والدليل على أن الحكم الآن هذا، ماروى عن أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - أنه كان جالسا فى المسجد وعنده عمر، فجاء رجل وقد دهش، وكان به لوث، فقال أبو بكر: قد جاء هذا لأمر، سله ياعمر، فقال له عمر: ماشأنك؟ فذكر أنه جاءه ضيف، وأن الضيف زنى بابنته، فقال له عمر: قبحك الله، ودق على صدره، وقال: هلا سترت على ابنتك، ثم دعا بالرجل والمرأة، فأمر أبو بكر - رضى الله عنه - أن يجلد الجلد، (ثم زوج المرأة من الرجل)[(٣)] وذكر أبو عبيد - رحمه الله - أنه يكره للرجل أن يتزوج بالفاجرة، وإن فجرت امرأته استحب له طلاقها، قال: وأما الخبر الذى روى عن النبى ﷺ «أن رجلا أتاه وقال: إن امرأتى لاتَردُّ يَدَ لامسٍ، فقال: طلقها فقال: إنى أحبها. قال: استمتع بها[(٤)] . قال أبو [عبيد][(٥)] هذا الخبر نقل

(١) ساقط من «ك». (٢) النور: ٣٢. (٣) فى (ك): «ثم زوج الرجل من المرأة».

(٤) رواه أبو داود (٢/ ٢٢٠ رقم ٢٠٤٩)، والنسائى (٧/ ٦٧ - ٦٨ رقم ٣٢٢٩، ٧/ ١٦٩ - ١٧٠ رقم ٣٤٦٤، ٣٤٦٥)، وفى الكبرى (٣/ ٣٧٠ رقم ٥٦٥٩) وقال: ليس بثابت، وفى موضع آخر: هذا خطأ، والصواب مرسل، وابن أبى شيبة (٤/ ١٨٣ - ١٨٤)، والبيهقى (٧/ ١٥٤ - ١٥٥)، والضياء فى المختارة - كما فى اللآلىء (٢/ ١٧٢) جميعهم من حديث ابن عباس مرفوعًا بنحوه. ورواه البيهقى فى السنن (٧/ ١٥٥)، وابن الجوزى فى الموضوعات من طريق الخلال (٢/ ٢٧٢)، وأورده ابن أبى حاتم فى العلل (١/ ٤٣٣ رقم ١٣٠٤)، ورواه الطبرانى والبزار والخرائطى فى اعتلال القلوب - كما فى اللآلىء - من حديث جابر مرفوعًا بنحوه، وقال الإمام أحمد ، فيما حكاه عنه الخلال: ليس له أصل، ولا يثبت عن النبى ﷺ - ابن الجوزى فى الموضوعات، واللآلىء - وصححه الحافظ بطرق كما فى اللآلىء، وفي تفسير ابن كثير (٣/ ٢٦٤) قال الإمام أحمد: حديث منكر ورجح أبو حاتم فى رواية جابر رواية الثورى عن عبد الكريم، عن أبى الزبير، عن هشام مولى بنى هاشم، عن النبى ﷺ، وقد أخرجها البيهقى فى سننه، وأخرجها أيضا الشافعى فى الأم، وابن سعد وابن منده فى المعرفة كما فى اللآلىء.

(٥) فى «الأصل وك»: عبد ، والصواب. أبو عبيد ، فالكلام مازال له.

ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ

بروايتين كل واحد منهما مرسل، فليس يثبت هذا عن النبى ﷺ ولئن يثبت فيحتمل أن قوله: «إن امرأتى لاتردُّ يد لامس» تنفق ماوقع بيدها وتعطى، وكأنه شكا منها الخرق وتضييع ماله، وليس المراد هو أنها تزنى، فإنه لايجوز أن يذكر ذلك عند النبى ﷺ، ثم يأمره بإمساكها.

وقوله: ﴿وحرم ذلك على المؤمنين﴾ ظاهر المعنى، وقد بينا أن ذلك منسوخ .

قوله تعالى: ﴿والذين يرمون المحصنات﴾ والمحصنات هن اللواتى أحصنَّ أنفسهن.

وقوله: ﴿ثم لم يأتوا بأربعة شهداء﴾ أى: على زناهن، والمراد من الرمى المذكور فى الآية هو القذف بالزنا .

وقوله: ﴿فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾ أى: اضربوهم ثمانين سوطا.

وقوله: ﴿ولاتقبلوا لهم شهادة أبداً﴾ اختلف السلف فى هذا، فروى عن شريح والحسن وإبراهيم النخعى وجماعة أنهم قالوا: شهادة القاذف لاتقبل أبدا إذا حُد وإن تاب، وهذا قول أهل العراق .

وقال عمر بن عبد العريز والزهرى وسعيد بن المسيب والشعبى وجماعة: أنه إذا تاب قبلت شهادته، وهذا قول أهل الحجاز.

وقال الشعبى: يقبل الله توبته، ولاتقبلون شهادته؟! وحكى سعيد بن المسبب أن عمر قال لأبى بكرة: تب تقبل شهادتك، فلم يتب، والمسألة معروفة .

وقوله: ﴿وأولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا﴾ فمن قال: إن شهادة القاذف

الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾

تقبل بعد التوبة ذهب إلى أن قوله: ﴿إلا الذين تابوا﴾ ينصرف إلى الكل سوى الحد، وعن الشعبى: أن الحد يسقط أيضا بالتوبة، وأما من ذهب إلى أن شهادة القاذف لاتقبل بعد التوبة قال: إن قوله: ﴿إلا الذين تابوا﴾ ينصرف إلى قوله: ﴿وأولئك هم الفاسقون﴾ فإن قيل: إذا قبلتم شهادة القاذف بعد التوبة، فما معنى قوله تعالى: ﴿أبدا﴾؟ والجواب عنه: قال الزجاج فى كتابه: أبد كل إنسان مدته على مايليق بقصته، فإذا قيل: لاتقبل شهادة الكافر أبدا يراد به مادام كافرا، وإذا قيل: لاتقبل شهادة القاذف أبداً يراد به ما دام قاذفا، وأما توبة القاذف فبإكذابه نفسه، ويقال: بندامته على ما وجد منه .

قوله: ﴿وأصلحوا﴾ أى: استقاموا على التوبة .

وقوله: ﴿فإن الله غفور رحيم﴾ قد بينا من قبل .

قوله : ﴿والذين يرمون أزواجهم﴾ . يعنى: يقذفون نساءهم بالزنا.

وقوله: ﴿ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم﴾ أى: غير أنفسهم.

وقوله: ﴿فشهادة أحدهم أربعُ﴾ بالرفع، وقرئ بالنصب «أربعَ»، فأما بالرفع فتقديره: فشهادة أحدهم التى تدرأ الحد أربعُ، فيكون رفعا على خبر الابتداء، وأما بالنصب فتقديره: فشهادة أحدهم أن يشهد أربعَ.

وقوله: ﴿شهادات بالله إنه لمن الصادقين﴾ يعنى: فيما رميتها به من الزنا.

قوله تعالى: ﴿والخامسة أنّ لعنة الله عليه﴾ وقرئ: «أنْ لعنة الله عليه» بسكون

وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾

النون، ومعناه: أنه لعنة الله عليه، وأنشد سيبويه شعرا:

فى فتية كسيوف الهند قدعلموا

أن هـالك كـل من يخفى وينتعـل

يعنى: أنه هالك.

وقوله: ﴿إن كان من الكاذبين﴾ يعنى: فيما رماها به من الزنا.

قوله تعالى: ﴿ويدرأ عنها العذاب﴾ فى العذاب قولان: أحدهما: أنه الحد، والآخر: أنه الحبس، وتأويل الحد أظهر؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾[1] أى: الحد.

وقوله: ﴿أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين﴾ يعنى: فيما رماها به من الزنا.

قوله تعالى: ﴿والخامسة أَنَّ غَضَبَ الله عليها إن كان من الصادقين﴾ وقرئ: «أنْ غَضَبُ الله عليها»، وقرئ: «أن غَضِبَ اللهُ عليها» بكسر الضاد[2] فقوله: ﴿أَنْ غَضِبَ اللهُ عليها﴾ هذا فعل، وقوله: ﴿أَنَّ غَضَبَ الله عليها﴾ اسم، وقوله: ﴿أن

(١) النور: ٢٢.

(٢) قرأ نافع ويعقوب بإسكان النون مخففة، والباقون بتشديدها، واختص نافع بكسر الضاد وفتح الباء من «غضب» ورفع لفظ الجلالة بعده، واختص يعقوب برفع الباء من «غضب»، وقرأ الباقون بنصب «غضب».
انظر النشر فى القراءات العشر (٢ / ٣٣٠ - ٣٣١).

غَضَبُ الله ﴾ هو (فعل)[1] أيضًا، يعنى : أنه غضب الله .

وقوله : ﴿ إن كان من الصادقين ﴾ أى : فيما رماها به من الزنا، وسبب نزول الآية، ماروى ابن عباس « أن هلال بن أمية قذف امرأته بشريك بن سحماء عند النبى ﷺ عليه وسلم، فقال له النبى ﷺ : البينة، (وإلا)[2] فحدٌ فى ظهرك فقال هلال : يارسول الله، والذى بعثك بالحق إنى لصادق، وسينزل الله ما يبرئ ظهرى من الحد، فنزلت هذه الأية، فدعا رسول الله ﷺ هلالا وامرأته، ولاعن بينهما، فبدأ هلال، والتعن أربع مرات، فلما بلغ الخامسة قال له النبى ﷺ : أمسك فإنها موجبة . فقال هلال إن الله يعلم أنى صادق وشهد بالخامسة، ثم قامت المرأة فالتعنت أربع مرات، فلما بلغت الخامسة قال لها النبى ﷺ : أمسكى فإنها موجبة . قال ابن عباس : فتلكت تلكؤًا ساعة، حتى ظننا أنها سترجع ثم قالت : لا أفضح قومى اليوم، وشهدت بالخامسة، فقال النبى ﷺ : « إن جاءت بالولد أكحلَ العينين سَابغَ الأَلْيَتَيْنِ خَدلَجَ الساقين، فهو لشريك بن سحماء، فجاءت به على هذا النعت، فقال النبى ﷺ : « لولا الأيمان لكان لى ولها شأن » .[3] والخبر صحيح .

وعن عبد الله بن مسعود – رضى الله عنه – أنه قال : « كنا جلوسا فى المسجد ليلة جمعة، ومعنا رجل فخرج منا ودخل بيته، فوجد مع امرأته رجلاً، فجاء إلى النبى ﷺ ، وشكا إليه فقال : عليك بالشهود فقال : وأنى لى بالشهود؟ فقال : قد حرت فى هذا الأمر، فإن الرجل إن قتل قتلتموه، وإن تكلم حددتموه، وإن سكت سكت على

---

(١) كذا!.

(٢) فى « ك » : أو.

(٣) رواه البخارى فى صحيحه (٨ / ٣٠٣ – ٣٠٤ رقم ٤٧٤٧ ،وطرفاه فى : ٢٦٧١، ٥٣٠٧، والترمذى (٥ / ٣٠٩ – ٣١٠ رقم ٣١٧٩) وقال : حسن غريب، وأبو داود (٢ / ٢٧٦ رقم ٢٢٥٤)، وابن ماجه (١ / ٦٦٨ رقم ٢٠٦٧) من حديث ابن عباس بنحوه مطولا وبعضهم مختصرًا.

وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ

غيظ، اللهم فاحكم، فأنزل الله تعالى هذه الآيات»[١]. وفى رواية ثالثة: أنه لما أنزل الله تعالى: ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربع شهداء ... الآية﴾ قال [سعد][٢] بن عبادة: يارسول الله، أرأيت أنى وجدت لكاعًا (يتفخذ)[٣] رجل، فلا أهيجه ولا أحركه حتى آتى بأربعة شهداء؟ فإلى أن آتى بالشهداء قد قضى الرجل حاجته، فقال النبى ﷺ: «انظروا يامعشر الأنصار مايقول سيدكم»، فقالوا: يارسول الله، إنه لرجل غيور، وإنه ماتزوج امرأة قط إلا عذراء، وماطلق امرأة فأحب أحد منا أن يتزوجها، فقال سعد: إنى أعلم أن ما أنزل الله حق، ولكنى تعجبت، فأنزل الله تعالى آية اللعان»[٤] على مابينا .

وفى الباب أخبار كثيرة، وفيه حديث عاصم بن عدى [وعويمر][٥] العجلانى وغيرهما، وذلك مذكور فى كتب الحديث .

قوله تعالى: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم﴾

جواب الآية محذوف، ومثله قول الرجل إذا شتمه إنسان: أيها الرجل لولا كذا أى: لولا كذا لشتمتك، فعلى هذا معنى قوله تعالى: ﴿ولولا فضل الله عليكم

(١) رواه مسلم (١٠/ ١٧٩ - ١٨٠ رقم ١٤٩٥)، وأبو داود (٢/ ٢٧٥ - ٢٧٦ رقم ٢٢٥٣)، وابن ماجه (١/ ٦٦٩ رقم ٢٠٦٨)، وأحمد (١/ ٤٤٨).

(٢) فى «الأصل»: سعيد، والصواب: سعد كما سيأتى فى تخريج حديثه.

(٣) هكذا فى النسختين، ولعل الصواب: يتفخذها.

(٤) رواه أحمد (١/ ٢٣٨ - ٢٣٩)، والطيالسى (٣١٩ - ٣٢٠ رقم ١٢٦٠)، وابن جرير (١٨/ ٦٥ - ٦٦)، وأبو يعلى (٥/ ١٢٤ - ١٢٧ رقم ٢٧٤٠)، والبيهقى (٧/ ٣٩٤ - ٣٩٥)، والواحدى فى أسباب النزول (٢٣٧ - ٢٣٨) جميعهم من حديث ابن عباس به مطولا. وقال الهيثمى فى المجمع (٥/ ١٥): حديث ابن عباس فى الصحيح باختصار، ورواه أبو يعلى وأحمد.. ومداره على عباد بن منصور، وهو ضعيف. ونسبه السيوطى فى الدر (٥/ ٢٤) لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وابن مردويه.

(٥) فى «الأصل»: عويم، والصواب عويمر. وحديث عاصم وعويمر متفق عليه من رواية سهل بن سعد، رواه البخارى (٩/ ٣٥٥ رقم ٥٣٠٨)، ومسلم (١٠/ ١٦٨ - ١٧٤ رقم ١٤٩٢).

ورحمته﴾ لنال الكاذب منكما العذاب في الحال، ومنهم من قال: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ بتأخير العذاب وإمهاله لعجل عذابه .

قوله تعالى: ﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم﴾ هذه الآيات في قصة عائشة - رضي الله عنها - وكان سبب نزولها مارواه الزهرى، عن عروة وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة[١] كلهم عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا خرج إلى سفر أقرع بين نسائه، فخرج إلى غزوة غزاها، وأقرع بين نسائه، فخرجت قرعتى» وفي رواية: أن الغزوة كانت غزوة مريسيع، وفي رواية أخرى: أن الغزوة كانت غزوة بني المصطلق، وقالت: فلما رجعنا قبل المدينة عرس رسول الله ﷺ ليلة، ثم إنهم آذنوا بالرحيل، فخرجت لحاجتى فلما قضيت شأني رجعت فالتمست صدرى، فوجدت عقداً لي من جزع ظفار[٢] سقط، فرجعت، وجاء القوم الذين يرحلون هَوْدَجي، ووضعوا الهَوْدَجَ على البعير، وظنوا أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خِفافًا، فإنما يأكلن العُلْقَة من الطعام، فرجعت وقد مر الجيش، فلا داع ولا مجيب، وكان صفوان بن المُعطَّل السُّلَمي كان تأخر عن الجيش، وفي رواية: أنه كان يعتاد التأخر، حتى إن كان سقط من أحد شيء، أو ترك إنسان شيئًا يأخذه، ويرده عليه، فجاء ورائي، فاسترجع، وماكلمني بكلمة وقد استدلت[٣] جلبابي، فأناخ بعيره ووطأه لي حتى ركبته، وجاء يقودني حتى لحقنا بالجيش ، وقد نزلوا موغرين في حر الظهيرة، قالت: فلما وصلنا إلى الجيش تكلم الناس، وهلك من هلك»[٤] الخبر بطوله .

قال الشيخ الأمام: أخبرنا بهذا الحديث المكى بن عبد الرزاق الكشميهني، أخبرنا

(١) في «الأصل وك»: «وعبد الله بن عبد الله بن عيينة والصحيح ما أثبتناه.

(٢) في «ك»: أظفار.

(٣) في «ك»: أسدلت.

(٤) متفق عليه من حديث عائشة بطوله رواه البخاري (٥/ ٢٩٤ رقم ٢٦٣٧، وأطرافه ٢٦٦١، ٢٨٧٩، ٤٠٢٥، ٤١٤١، ٤٦٩٠، ٦٦٦٢، ٧٣٦٩، ٧٥٠٠، ٧٥٤٥)، ومسلم (١٧/ ١٥٥ - ١٧١ رقم ٢٧٧٠).

جدى أبو الهيثم بن محمد بن يوسف الفربرى [أخبرنا](١) محمد بن إسماعيل البخارى أخبرنا أبو الربيع الزهرانى عن فليح بن سليمان، عن الزهرى... الخبر.

ويروى أنه.. تلبث الوحى [سبعة](٢) وثلاثين يومًا.

وفى هذا الخبر أن عائشة اشتكت واستأذنت رسول الله ﷺ، ورجعت إلى بيت أبيها، وكان رسول الله ﷺ يدخل قبل رجوعها إلى بيت أبيها، وهى مشتكية، فيقول: «كيف تيكم؟» ثم لما رجعت إلى بيت أبيها عرفت الخبر من قبل أم مسطح فازدادت وبقا، وجعلت تبكى، ولا يرقأ لها دمع، حتى كاد البكاء يصدع قلبها، وذكرت ذلك لأمها، فقالت لها أمها: هونى عليك فقلَّما تكون امرأة وضيئة عند رجل، ولها ضرائر إلا تكلموا فيها.

وفى هذا الخبر أن النبى ﷺ دعا عليا وأسامة بن زيد، واستشارهما، فأما علىٌّ فقال: يارسول الله، إن فى النساء كثرة، وأما أسامة فقال: لاأعلم منها إلا خيرا، وسل الجارية – يعنى: بريرة – فسأل بريرة فقالت: لا أعلم منها إلا أنها جارية حديثة السن تعجن، فتدخل الداجن فتأكل عجينها.

وفى هذا الخبر أن النبى ﷺ جاء إلى بيت أبى بكر – رضى الله عنه – بعد أن مضت المدة التى ذكرناها، فقال: «ياعائشة، إن كنت ألممت بذنب فتوبى إلى الله، فإن الله يقبل التوبة» قالت: فقلص دمعى حتى ماأجد منه قطرة، ثم قلت: إن قلت أنى فعلت، والله يعلم أنى مافعلت ليصدقننى، وإن قلت: لم أفعل، والله يعلم أنى لم أفعل ليكذبننى، وماأعرف مثلى ومثلكم إلا ماقال أبو يوسف، ونسيت اسمه ﴿فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون﴾(٣) ثم تنحيت، فأخذ رسول الله [ﷺ](٤) الوحى، قالت: وكنت أحقر فى نفسى أن أظن أن الله يُنْزِل فى قرآنا يتلى،

---

(١) سقط من الناسخ.

(٢) فى «الأصل، وك»: سبعا، والصواب ما أثبتناه.

(٣) يوسف: ١٨.

(٤) من «ك».

لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾

ولكنى كنت أظن أنه يرى رؤيا، فلما تغشاه الوحى لم أفزع لما علمت أنى بريئة، والله يعلم ذلك».

وفى بعض الروايات: أن أبوى كادت نفسهما تخرج خوفًا، فلما سرى عن رسول الله ﷺ قال: «أبشرى ياعائشة قد أنزل الله تعالى براءتك، وتلا الآيات: ﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم﴾ فقال لى أبى: قومى إلى رسول الله، وقالت أمى: قومى إلى رسول الله، فقلت: لاأقوم ولاأحمد إلا الله، فإن الله تعالى أنزل براءتى».

قوله تعالى: ﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم﴾ الإفك هو أشد الكذب، وإنما سمى إفكا لأنه مصروف عن الحق. وقوله: ﴿عصبة منكم﴾ هؤلاء العصبة هم: عبدالله بن أبى بن سلول، ومسطح بن أثاثة ابن خالة أبى بكر، وحسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش زوجة طلحة بن عبدالله أخت زينب، ونفر آخرون، والعصبة العشرة فما فوقها.

وقوله: ﴿لاتحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم﴾ هذا خطاب لعائشة وصفوان بن معطل فإنهم قذفوهما جميعا، وقال بعضهم: هو خطاب لعائشة ولأبويها والنبى وصفوان، ومعنى الآية: لاتحسبوه شرا لكم، يعنى: هذا الإفك هو خير لكم لأجل الثواب، وما ادخر الله لهم من ذلك .

وقوله: ﴿لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم﴾ أى: من الإثم بقدر ما اكتسب.

وقوله: ﴿والذى تولى كِبْرَهُ﴾. وقرئ: «كبره»، وقرأ الأعرج: «كُبْرَه». فقوله: ﴿كِبْرَه﴾ أى: إثمه. وقوله: «كُبره». أى: معظمه، قال الشاعر :

لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ

تنام عن كبر شأنها فإذا ... قامت [رويدًا](١) تكاد تنغرف

وأما الذى تولى كبره فالأكثرون أنه عبدالله بن أبى بن سلول، وأما العذاب العظيم فهو النار فى الآخرة.

وقد روى مسروق أن حسان بن ثابت استأذن على عائشة فأذنت له، فقال مسروق: أتاذنين له، وقد قال ما قال، فقالت: قد أصابه العذاب العظيم، وكان قد عمى، وقد تاب حسان من تلك المقالة ومدح عائشة فقال:

حَصَانٌ رَزَانٌ ماتُزَنّ بريبةٍ ... وتُصبح غرْثَى من لُحُوم الغَوافِل

[فإن كان ما بلغت أنى قلته](٢) ... فلا رفعت سوطى إلىّ أناملى

وعن أبى عمرو بن العلاء أنه أنكر الكُبر وقال: إنما الكُبر فى الولاء والنسب. وقد ذكر غيره أن كل واحد منهما صحيح، وقد بينا.

قوله تعالى: ﴿لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا﴾ أى: بمن هو مثل أنفسهم، وهو مثل قول النبى ﷺ: «المؤمنون كنفس واحدة»(٣)، وقد قال الله تعالى: ﴿ولاتقتلوا أنفسكم﴾(٤) أى: لايقتل بعضكم بعضا، ويقال: إن معنى ظن هاهنا أيقن.

وقوله: ﴿وقالوا هذا إفك مبين﴾ أى: كذب ظاهر.

(١) من «لسان العرب» مادة: غرف، والبيت لقيس بن الخطيم.

(٢) فى «الأصل، وك»: فإن كنت قد قلت الذى قد بلغتم. والمثبت من تفسير القرطبى (١٢/ ٢٠٠).

(٣) متفق عليه من حديث النعمان بن بشير ولكن لفظه: «المؤمنون كرجل واحد». رواه البخارى (١٠/ ٤٥٢ رقم ٦٠١١) ومسلم (١٦/ ٢١٠ رقم ٢٥٨٦) واللفظ له.

(٤) النساء: ٢٩.

لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾

قوله: ﴿لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء﴾ أى: على مازعموا.

وقوله: ﴿فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون﴾ فإن قال قائل: كيف يصيرون عند الله كاذبين إذا لم يأتوا بالشهداء، (ومن كان كاذبا فهو كاذبٌ عند الله سواء أتى بالشهداء)،[1] أو لم يات بهم؟ الجواب: قلنا: قال بعضهم: ﴿عند الله﴾ أى: فى حكم الله، وقال بعضهم: ﴿عند الله هم الكاذبون﴾ أى: كذبوهم بما أمركم الله، والجواب الثالث: أن هذا فى حق عائشة - رضى الله عنها - فمعناه: أولئك هم الكاذبون فى غيبى وعلمى.

قوله تعالى: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم﴾ أفضتم أى: خضتم، وقوله: ﴿عذاب عظيم﴾ أى: عذاب لانقطاع له، هكذا قاله ابن عباس، وفسر بهذا لأن الله تعالى قد ذكر أنه أصاب الذى تولى كبره عذاب عظيم، وكذلك العذاب العظيم هو فى الدنيا، وقد أصابه، فإنه قد جُلدَ وحُد، وأما العذاب الذى لا انقطاع له لم يصبه فى الدنيا، وإنما يصيبه فى الآخرة.

وروت عمرة عن عائشة: «أن النبى ﷺ لما نزلت هذه الآيات حَدَّ أربعة نفر: عبدالله بن أبى، وحسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش»[2].

قوله تعالى: ﴿إذا تلقونه بألسنتكم﴾ أى: يلقيه بعضكم، ويرويه بعضكم عن بعض، وعن عائشة أنها قرأت: «إذ تلقونه بألسنتكم الكذب» ويقال: هو الإسراع فى

(١) ساقط من «ك»، وهو فى صورة لحق فى الأصل.

(٢) رواه وأبو داود (٤ / ١٦٢ رقم ٤٤٧٤)، الترمذي (٥ / ٣١٤ رقم ٣١٨١) وقال: حسن غريب، والنسائى فى الكبرى (٤ / ٣٢٥ رقم ٧٣٥١)، وابن ماجه (٢ / ٨٥٧ رقم ٢٥٦٧)، وأحمد (٦ / ٣٥)، والطبرانى (٢٣ / ١٦٣ رقم ٢٦٣) من حديث عمرة به، وفيه أنه حد رجلين وامرأة، وبعث إلى حسان ومسطح وحمنة فضربوا ضربًا وجيعًا ووجئ فى رقابهم. وانظر الدر (٥ / ٣١ - ٣٢).

يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا

الكذب .

وقوله: ﴿وتقولون بأفواهكم ماليس لكم به علم وتحسبونه هينا﴾ أى: خفيفا.

﴿وهو عند الله عظيم﴾ أى: كبير.

قوله تعالى: ﴿ولولا إذ سمعتموه﴾ ومعناه: هلا إذ سمعتموه .

﴿قلتم مايكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم﴾ البهتان هو الكذب على المكابرة، يقال: بهته إذا أخبرته بكذبه، وفى بعض الأخبار: أن أم أيوب الأنصارى قالت لأبى أيوب: أما بلغك كذا، وهو مانسب إلى عائشة؟ فقال أبو أيوب: ماكان لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم، قال هذا قبل أن تنزل الآية، ثم نزلت الآية على وفق قوله .

قوله: ﴿يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا﴾ قال مجاهد: ينهاكم الله أن تعودا لمثله أبدا.

﴿إن كنتم مؤمنين ويبين لكم الآيات﴾ أى: الدلالات.

﴿والله عليم حكيم﴾ عليم بخلقه، حكيم فى فعله.

قوله تعالى: ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة﴾ يعنى: أن تذيع وتشتهر .

﴿فى الذين آمنوا﴾ أى: عائشة وصفوان وآل أبى بكر، وكانت إشاعتهم أن بعضهم كان يلقى بعضا فيقول له: أمابلغك كذا وكذا من خبر عائشة .

وقوله: ﴿لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة﴾ العذاب فى الدنيا هو الحد، والعذاب فى الآخرة هو النار .

وقوله: ﴿والله يعلم وأنتم لاتعلمون﴾ يعنى: براءة عائشة وأنه خلقها طيبة طاهرة

تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ

من الفواحش .

قوله تعالى: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رءوف رحيم﴾ محذوف الجواب، وجوابه: لنالكم العذاب الشديد فى الحال .

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لاتتبعوا خطوات الشيطان﴾ أى: خطايا الشيطان، وقيل: آثاره، ويقال: تخطيه(١) من الحلال إلى الحرام، ومن الطاعة إلى المعصية.

وقوله: ﴿ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء﴾ أى: القبائح من الأفعال.

﴿والمنكر﴾ أى: كل مايكرهه الله .

وقوله: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبدا﴾ أى: ماصلح منكم من أحد أبدا .

﴿ولكن الله يزكى من يشاء﴾ أى: يصلح من يشاء. قال الشاعر:

إنما نحن كشئ فاسد　　　فإذا أصلحه الله صلح

وقوله: ﴿والله سميع عليم﴾ ظاهر المعنى.

وقوله تعالى: ﴿ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة﴾ هو مأخوذ من الأليَّة، والأليَّة اليمين. قال الشاعر:

قليل الألايا حافظ ليمينه　　　وإن بدرت منه الألية برت

نزلت الآية فى شأن أبى بكر ومسطح، وكان ابن خالة أبى بكر وفى نفقته، وهو

(١) فى «ك»: كأنها: الخطة.

أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ

رجل من أهل بدر من المهاجرين الأولين، فلما ذكر فى عائشة ماذكر أنزل الله تعالى براءتها من السماء، حلف أبو بكر ألا ينفق عليه، وكان مسكينا لاشيء له، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقرئ: «ولايتأل» (قرأه أبو جعفر)(١) ، فالأكثرون أن معنى قوله: ﴿ولايأتل﴾ مابينا، ومنهم من قال معناه: لايقصر من قول القائل: لا آلو فى أمركم كذا أى: لا أقصر، وقوله: ﴿أولو الفضل منكم والسعة﴾ أى: الغنى والسعة.

وقوله: ﴿أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين﴾ هو مسطح، فإنه كان قريب أبى بكر، وكان مسكينا ومن المهاجرين، فإن قال قائل: كيف ذكر الواحد بلفظ الجمع؟ قلنا: يجوز مثل هذا فى اللغة، ويجوز أنه أراده وأراد غيره .

وقوله: ﴿وليعفوا وليصفحوا﴾ أى: ليعفوا عن أفعالهم، وليصفحوا عن أقوالهم.

وقوله: ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ هذا خطاب لأبى بكر - رضى الله عنه - وروى أنه لما نزلت هذه الآية، وقرئت عليه قال: بلى والله نحب أن يغفر لنا.

وقوله: ﴿والله غفور رحيم﴾ أى: ستور صفوح.

قوله تعالى: ﴿إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات﴾ أى: الغافلات عن الفواحش، والغافلة عن الفاحشة أن لايقع فى قلبها فعل الفاحشة، وكانت عائشة -رضى الله عنها - هكذا .

---

(١) فى «ك»: قراءة أبى.

عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ

وقوله: ﴿لعنوا فى الدينا والآخرة﴾ روى عن خصيف قال: قلت لمجاهد: من قذف مؤمنة لعنه الله فى الدنيا والآخرة؟ فقال: ذاك لعائشة. ويقال: هذا فى جميع أزواج النبى ﷺ.

وقوله: ﴿ولهم عذاب عظيم﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم﴾ شهادة الألسنة يوم القيامة بنطقها من غير اختيار الإنسان .

وقوله: ﴿وأيديهم وأرجلهم﴾ يقال: تختم الأفواه ثم تتكلم الأيدى والأرجل.

﴿بما كانوا يعملون﴾ ظاهر.

قوله تعالى: ﴿يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق﴾ أى: حسابهم العدل.

وقوله: ﴿ويعلمون أن الله هو الحق المبين﴾ أى: العادل المظهر لعدله .

قوله تعالى: ﴿الخبيثات للخبيثين﴾ فى الآية قولان معروفان: أحدهما: الخبيثات من الكلام للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من الكلام، والطيبون والطيبات هكذا.

والقول الثانى: الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء، وهكذا الطيبات والطيبون، والخبيث من الرجال عبد الله بن أبى بن سلول ودُونه، والخبيثات من النساء أهل بيته، ويقال: كلامه فى عائشة، والطيبات هى عائشة من النساء وأمثالها، والطيبون النبى ﷺ وقومه.

واعلم أن عائشة - رضى الله عنها - كانت تفتخر بأشياء منها: «أن جبريل - عليه

وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

السلام – أتى بصورتها فى سرقة (من)[1] حرير أى: قطعة، وقال: هذه زوجك، (وذلك)[2] بعد وفاة خديجة، ويقال: أتى بصورتها فى كفه، ومنها أن النبى ﷺ لم يتزوج بعذراء إلا بها، ومنها أن النبى ﷺ قبض ورأسه فى حجرها، ودفن فى بيتها، ومنها أنه نزل براءتها من السماء، ومنها أنها بنت خليفة رسول الله ﷺ، وأنها صديقة»[3]. وكان مسروق إذا روى عن عائشة يقول: حدثتنى الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله ﷺ المبرأة من السماء.

وقوله: ﴿أولئك مبرءون مما يقولون﴾ أى: مطهرون بما يقولون.

وقوله: ﴿لهم مغفرة ورزق كريم﴾ المغفرة هو العفو عن الذنوب، والرزق الكريم هو الجنة.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا﴾.

قرأ ابن عباس: «حتى تستأذنوا» قال: تستأنسوا غلط من الكاتب، والمعروف تستأنسوا[4]، وفيه ثلاثة أقوال: أشهرها: «تستأذنوا» فالاستئناس بمعنى الاستئذان، والقول الثانى: هو «التنحنح» قاله مجاهد، والقول الثالث: «حتى تستأنسوا» هو التعرف والاستعلام حتى يؤذن له أو لا يؤذن.

(١) ليست فى «ك».

(٢) فى «ك»: وهذا.

(٣) رواه الحاكم (٤ / ١٠) بنحوه وصححه، ورواه ابن سعد بنحوه، وفيه زيادة أيضا كما فى الدر (٥ / ٣٥). والحديث له شواهد فى الصحيحين من أحاديث متفرقة.

(٤) وكتب فى أصل «ك» تستأذنوا بدل! وكتب في حاشية الأصل (تستأذنوا بدل).

﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ

وقوله: ﴿وتسلموا على أهلها﴾.

السنة إذا بلغ الإنسان باب دار يقول: أدخل؟ وقال بعضهم: إذا وقع العين على العين يقدم السلام، وإذا لم تقع العين على العين قدم الاستئذان.

وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع»(١) فروى أن أبا موسى الأشعرى أتى باب عمر، واستأذن ثلاثا فلم يؤذن له فرجع، فقال عمر: أليس قد سمعت صوت عبد الله بن قيس؟ قالوا: استأذن ثلاثا ورجع، فدعاه وقال: لم رجعت؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول كذا، فقال: لتأتينى بمن يشهد لك، وإلا لأعلونّك بالدرة، فجاء أُبىّ بن كعب وذكر له ذلك، فجاء وشهد له، وقيل: غيره شهد له.(٢).

قال الحسن: الأول إعلام، والثانى (مؤامرة)(٣)، والثالث استئذان بالرجوع. وعن قتادة قال: إذا لم يؤذن له لا يقعد على الباب، فإن للناس حاجات. وقال بعضهم: إن كان طريقا يجوز أن يقف ويقعد، وإن كان فناء بيته لا يقعد إلا بإذنه. قالوا: وإن كان الباب مردودا فلا ينظر إلى الدار من شق الباب، وإن كان الباب مفتوحا فلا بأس أن ينظر؛ لأنه لما فتح الباب فقد أذن.

(١) متفق عليه من حديث أبى سعيد، رواه البخارى (١٠/٢٨-٢٩ رقم ٦٢٤٥)، ومسلم (١٤/١٨٥-١٩٠ رقم٢١٥٣).

(٢) فى إحدى روايات مسلم أنه أبو سعيد الخدرى.

(٣) كذا، ومثله فى تفسير البغوى (٣/٣٣٧)، وقد أخرج عبد بن حميد، وابن أبى حاتم، والبيهقى عن قتادة نحوه وفيه: وكان يقال الاستئذان ثلاث .. أما الأولى فيسمع الحى، وأما الثانية فيأخذوا حذرهم، وأما الثالثة فإن شاء أذنوا وإن شاءوا ردوه. (الدر ٥/٤٣).

ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ

وقوله تعالى: ﴿فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم﴾ أى: لا تدخلوها بغير إذن المالك.

وقوله: ﴿وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم﴾ يعنى: إذا كان فى البيت قوم وقالوا: ارجع، فليرجع، والسنة أن لا يتغير أذن أو رد لأنه ربما يكون للقوم معاذير، وكان ابن عباس – رضى الله عنه – يأتى باب الأنصارى لطلب الحديث، فيقعد على الباب حتى يخرج ولا يستأذن، فيخرج ذلك الرجل ويقول: يا ابن عم رسول الله، لو أخبرتنى؟ فيقول: هكذا أمرنا أن نطلب العلم.

وقوله: ﴿هو أزكى لكم﴾ يعنى: هو أصلح لكم.

وقوله: ﴿والله بما تعملون عليم﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة﴾

فيه أقوال: أحدها: أنها المنازل فى طريق المسافرين، والقول الثانى: أنها حوانيت التجار، والقول الثالث: أنها المنازل الخربة، والقول الرابع: أنها الخانات والمنازل فى الطرق، فهو الدخول فيها والنزول، وأما فى حوانيت التجار فالمنفعة هو البيع والشراء، وأما فى الخرابات فالبول والغائط.

وقوله: ﴿والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾ ظاهر المعنى.

وروى عن شعيب بن الحبحاب قال: كان أبو العالية يأتينى وأنا فى دكانتى، فيستأذن ثم يدخل، فأقول له: إنما هو الحانوت، فيقول لى: الإنسان يخلو فى حانوته بحسابه ودراهمه، وأما الاستئذان على المحارم فإن كانوا فى دار منفردة يستأذن، وإن كانوا فى دار واحدة فإذادخل عليها يتنحنح، ويتحرك أدنى حركة، وقيل لقتادة: لا

﴿٢٩﴾ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾

أستأذن على أمي؟ فقال: أتحب أن ترى عورتها؟ قال: لا، قال: استأذن. وعن إبراهيم النخعي أنه قال: ليس على حوانيت السوق إذن. وعن ابن سيرين أنه كان إذا جاء إلى حانوت السوق يقول: السلام عليكم أدخل؟ ثم يلج. وعن أبي موسى الأشعري وحذيفة أنه يستأذن على ذوات المحارم، ومثله عن الحسن البصري.

قوله تعالى: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ الآية. مِنْ صلة ومعناه: يغضوا أبصارهم، حكى هذا عن سعيد بن جبير،وقال بعضهم: مِنْ هاهنا للتبعيض، وإنما ذكر من هاهنا؛ لأن غض البصر إنما يجب عن الحرام، ولا يجب عن الحلال.

وقوله: ﴿ويحفظوا فروجهم﴾ هذا أمر بالتعفف. قال أبو العالية: حفظ الفرج في كل القرآن بمعنى الامتناع من الحرام، وأما هاهنا فإنه بمعنى الستر.

وقد روى عن النبي ﷺ أنه قال لعلي - رضي الله عنه - «إن لك في الجنة كنزا، وإنك ذو قرنيها، فلا تتبع النظرة النظرة؛ فإن الأولى لك، والثانية عليك»(١) رواه علي نفسه، وعن بعض السلف قال: إن النظر يزرع الشهوة في القلب، ورب شهوة أورثت حزنا طويلا. وعن خالد بن أبي عمران أنه قال: إن الرجل لينظر نظرة فينغل قلبه، كما ينغل الأديم، فيفسد قلبه حتى لا ينتفع به.

وروى أبو أمامة عن النبي ﷺ أنه قال: «من نظر إلى محاسن امرأة وغض بصره

(١) رواه الإمام أحمد (١/١٥٩)، وابن أبي شيبة (١٢/٦٤ رقم ١٢١٣٢)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٣/١٤ - ١٥)، والحاكم (٣/١٢٣) وصححه. وفي الباب عن بريدة مرفوعًا: «يا علي، لاتتبع النظرة .. الحديث». رواه أبو داود (٢/٢٤٦ رقم ٢١٤٩)، والترمذي (٥/٩٤ رقم ٢٧٧٧) وقال: حسن غريب، وأحمد (٥/٣٥٣، ٣٥٧)، والبزار (٢/٢٨٠ - ٢٨١ رقم ٧٠١)، والطحاوي (٣/١٥)، والحاكم (٢/١٩٤) وصححه، والبيهقي (٧/٩٠).

وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا

عنها أعطاه الله عبادة يجد حلاوتها »(1).

وقوله: ﴿ ذلك أزكى لهم ﴾ أى: أطهر لهم.

وقوله: ﴿ إن الله خبير بما يصنعون ﴾ أى: عليم بما يصنعون.

قوله تعالى: ﴿ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ﴾

وروى أن ابن أم مكتوم أقبل إلى النبى ﷺ وعنده أم سلمة وميمونة فقال لهما رسول الله ﷺ: « احتجبا. فقالتا: إنه أعمى، فقال: أعمياوان أنتما(2) »(3).

وقوله: ﴿ ولا يبدين زينتهن ﴾ الزينة: كل ما تتزين [به](4) المرأة من الحلى والثياب.

وقوله: ﴿ إلا ما ظهر منها ﴾ اختلف القول فى هذا: قال ابن مسعود: هى الثياب وهذا اختيار أبى عبيد.

والقول الثانى: ما روى عن ابن عباس أنه قال: الكحل. وحكى الكلبى عنه أنه قال: الكحل والخاتم والخضاب، وعنه أنه قال: الوجه والكفان. واعلم أن المراد بالزينة

(1) رواه أحمد (٥/٢٦٤)، والطبرانى (٨/٢٠٨ - ٢٠٩ رقم ٧٨٤٢)، وابن عدى فى الكامل (٥/١٥٢ ترجمة عمرو بن زياد) من حديث عبيد الله بن زحر، عن على بن يزيد الألهانى، عن القاسم، عن أبى أمامة به بنحوه، وقال الهيثمى فى المجمع (٨/٦٦): رواه أحمد والطبرانى ... وفيه على بن يزيد الألهانى، وهو متروك. وعزاه السيوطى فى الدر (٥/٤٥) للحكيم الترمذى فى نوادر الأصول، وابن مردويه، والبيهقى فى الشعب.

(2) فى « ك »: أعمى، وأنتما.

(3) رواه أبو داود (٤/٦٣ - ٦٤ رقم ٤١١٢)، والترمذى (٥/٩٤ رقم ٢٧٧٨)، وقال: حسن صحيح، والنسائى فى الكبرى (٥/٣٩٣ - ٣٩٤ رقم ٩٢٤١، ٩٢٤٢)، وأحمد فى مسنده (٦/٢٩٦)، وأبو يعلى (١٢/٣٥٣ رقم ٦٩٢٢)، وابن حبان فى صحيحه (١٢/٣٨٧ - ٣٩٠ رقم ٥٥٧٥، ٥٥٧٦)، والبيهقى (٧/٩١ - ٩٢). وقال الحافظ فى الفتح (٩/٢٤٨): إسناده قوى.

(4) فى « الأصل »: بها.

وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي

موضع الزينة هاهنا فعلى هذا يجوز النظر إلى وجه المرأة وكفيها من غير شهوة، وإن خاف الشهوة غض البصر، واعلم أن الزينة زينتان: زينة باطنة، وزينة ظاهرة، فالزينة الظاهرة هى الكحل والفَتَخَة والخضاب إذا كان فى الكف، وأما الخضاب فى القدم فهو الزينة الباطنة، وأما السوار فى اليد، فعن عائشة أنه من الزينة الظاهرة، والأصح أنه من الزينة الباطنة، وهو قول أكثر أهل العلم، وأما الدملج [والمخنقة](١) والقلادة، وما أشبه ذلك فهو من الزينة الباطنة، فما كان من الزينة الظاهرة يجوز للأجنبى النظر إليه من غير شهوة، وما كان من الزينة الباطنة لا يجوز للأجنبى النظر إليها، وأما الزوج ينظر ويتلذذ، وأما المحارم ينظرون من غير تلذذ.

وقوله: ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ يعنى: بمقانعهن على جيوبهن، وكان النساء فى ذلك الوقت يسدلن خمرهن من ورائهن فتبدوا صدورهن ونحورهن، فأمر الله تعالى أن يضربن بالمقانع على جيوبهن؛ لئلا تظهر صدورهن ولا نحورهن، وروت(٢) صفية بنت شيبة عن عائشة - رضى الله عنها - أنه لما نزلت هذه الآية عمد نساء الأنصار إلى حجور مناطقهن، فقطعن منها قطعة، وتخمرن، فأصبحن وكأن على رؤسهن الغربان.

وقوله: ﴿ولايبدين زينتهن﴾ المراد من هذه الزينة الباطنة.

وقوله: ﴿إلا لبعولتهن﴾ أى: أزواجهن.

وقوله: ﴿أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهم أو بنى إخوانهم أو بنى أخواتهن﴾. فيجوز لهؤلاء أن ينظروا إلى الزينة الباطنة، إلا أنهم لا ينظرون إلى ما بين السرة إلى (الركبة)(٣)، ويحل للزوج النظر إليه، وأما نفس الفرج

(١) وهى قلادة توضع فى موضع الخنق من الرقبة. انظر لسان العرب (مادة: خنق).

(٢) فى «الأصل»: روى.

(٣) فى «ك»: والركبة.

فيه وجهان على ما عرف فى الفقه، وقد ورد عن عائشة ما يدل على أنه يكره النظر إلى الفرج، وقيل: إنه يورث العمى.

وقوله: ﴿أو نسائهن﴾. فيه قولان: أحدهما: أن المراد بهن النساء المسلمات، فعلى هذا لا يجوز للمسلمة أن تبدى محاسنها عند اليهودية ولا النصرانية.

والقول الثانى: أن قوله: ﴿نسائهن﴾ عام فى جميع النساء، فيجوز للمرأة أن تنظر إلى المرأة إلا ما بين السرة إلى الركبة.

وقوله: ﴿أو ما ملكت أيمانهن﴾. اختلف القول فى هذا، فروى عن عائشة وأم سلمة أنهما قالت: المراد منه العبيد، فيجوز للعبد أن ينظر إلى مولاته ما ينظر ذو الرحم المحرم من غير شهوة، وهذا إذا كان العبد عفيفًا، والقول الثانى قول سعيد بن المسيب وجماعة من التابعين أنهم قالوا: لا يجوز للعبد أن ينظر إلى مولاته إلا ما ينظر الأجنبى إلى الأجنبى، فعلى هذا تحمل الآية على الإماء، والقول الأول أظهر فى معنى الآية، لأنه قد سبق قوله: ﴿أو نسائهن﴾ فدخل فيه الحرائر والإماء، وفى الآية قول ثالث: وهو أنه يجوز [أن ينظر](١) العبد إلى مولاته ما يظهر عند البذلة والمهنة، مثل الساعدين والقدمين والعنق ولا ينظر إلى ما سوى ذلك، وإنما جاز ذلك؛ لأنه يشق ستر هذا مع العبيد، وأما مع الأجانب لا يشق، وعن أم سلمة – رضى الله عنها – أنها كاتبت عبدا لها يقال له نبهان، فكانت لا تحتجب عنه، ثم قالت له يوماً: يا نبهان، ما بقى من كتابتك، فقال ألفا درهم، فقالت: أدِّها إلى محمد بن عبد الله بن أبى أمية(٢) والسلام عليك، وأرسلت حجابها.

وقوله: ﴿أو التابعين غير أولى الإربة﴾ اختلف القول فيه: قال مجاهد: هو

(١) من «ك».

(٢) فى «ك»: محمد بن عبد الله بن أمية.

الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ

الصغير، وقال عكرمة: هو العنين، وقال بعضهم: هو الشيخ الهرم، وعن بعضهم: أنه المجبوب، ومن المعروف فى التفاسير: أنهم الذين يتبعون الرجال، وليس لهم همة إلا بطونهم، ولا يعرفون أمر النساء، ويقال: إنه المخنث الذى ليس له حاجة إلى النساء، وعن عائشة - رضى الله عنها - أن مخنثا يقال له: هيت كان يدخل على أزواج النبى ﷺ قالت: وكنا نظن أنه من غير أولى الإربة، يعنى: أنه لا يعرف أمر[1] النساء شيئا فوصف يومًا امرأة فقال: إنها تقبل بأربع، وتدبر بثمان، فسمع النبى ﷺ ذلك، فقال: «ما ظننت أنه يعرف هذا، وأمر بإخراجه»[2].

وأما الإربة هى الحاجة، مأخوذ من الإرب، ومن هذا حديث عائشة - رضى الله عنها - «أن النبى ﷺ كان يقبل وهو صائم، وكان أملككم لإربه»[3] ومن قال: لا، فقد أخطأ.

وقوله: ﴿أو الطفل الذين لم يظهروا﴾ أى: الأطفال الذين لم يظهروا ،واحد بمعنى الجمع.

وقوله: ﴿لم يظهروا على عورات النساء﴾ أى: لم يطيقوا أمر النساء، ويقال: «لم يظهروا على عورات النساء» أى: لم يعرفوا العورة من غير العورة فلم يميزوا، وقيل: لم يبلغوا حد الشهوة.

---

(١) كذا فى النسختين، ولعل الصواب: لايعرف من أمر..

(٢) رواه مسلم (١٤/ ٢٣٤ رقم ٢١٨١)، وأبو داود (٤/ ٦٢ - ٦٣ رقم ٤١٠٧، ٤١٠٨، ٤١٠٩، ٤١١٠)، والنسائى فى الكبرى (٥/ ٣٩٥) رقم ٩٢٤٦، ٩٢٤٧)،. من حديث عائشة بنحوه.
والحديث متفق عليه بنحوه من حديث أم سلمة، رواه البخارى (٦/ ٦٣٩ رقم ٤٣٢٤وطرفاه ٥٢٣٥، ٥٨٨٧)، ومسلم (١٤/ ٢٣٣ رقم ٢١٨٠).

(٣) رواه مسلم (٧/ ٣٠٤ - ٣٠٩ رقم ١١٠٦)، وابن ماجه (١/ ٥٣٨ رقم ١٦٨٤)، وأحمد (٦/ ٤٤)، وعبد الرزاق فى مصنفه (٤/ ١٨٣، ١٨٨، رقم ٨٤٠٨، ٨٤٣١)، وابن حبان (٨/ ٣١٣ رقم ٣٥٤٣)، والبيهقى (٤/ ٢٣٣) من حديث عائشة.

وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ

وقوله: ﴿ ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ﴾ روى أن المرأة كانت تمر على الرجال، وفى رجلها الخلخال، وكانت تضرب برجلها؛ لتسمعهم صوت خلخالها، فنهين عن ذلك، فإن قال قائل: أيش فى ضرب الخلخال ما يوجب النهى؟ والجواب عنه: أن فيه استدعاء الميل وتحريك الشهوة.

وقوله: ﴿ وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن المراد منه التوبة من الصغائر؛ لأنه لم جميع المؤمنين، وإنما الصغائر توجد من جميع المؤمنين، فأما الكبائر فلا، ومنهم من قال: لا بل الآية عامة فى الصغائر والكبائر، والتوبة هى الندم على [ما](١) سلف، والإقلاع فى الحال، والعزيمة على ترك العود، وهذا هو معنى النصوح المقرون بالتوبة المذكور فى غير هذا الموضع، وذكر بعضهم أن الله تعالى أمر المشركين بنفس التوبة مطلقا فقال: ﴿ قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ﴾(٢)، وأمر اليهود والنصارى بالتوبة والإصلاح والبيان؛ وهو بيان صفة النبى ﷺ فقال تعالى: ﴿ إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا ﴾(٣)، وأمر المنافقين بالتوبة والإصلاح والاعتصام والإخلاص فقال: ﴿ إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله ﴾(٤)، وقد بينا معنى ذلك من قبل، وأمر جميع المؤمنين بالتوبة فى هذه الآية، ولابد لكل إنسان أن يتوب إما من صغيرة أو كبيرة، وقد ثبت برواية الأغر المزنى أن النبى ﷺ قال: «أيها الناس، توبوا إلى الله فإنى أتوب كل يوم مائة مرة»(٥) خرجه مسلم فى الصحيح.

---

(١) من «ك».

(٢) الأنفال: ٣٨.

(٣) البقرة: ١٦٠.

(٤) النساء: ١٤٦.

(٥) رواه مسلم فى صحيحه (١٧/ ٣٨ - ٣٩ رقم ٢٧٠٢)، والبخارى فى الأدب (ص ١٨٢)، والنسائى فى عمل اليوم والليلة من السنن الكبرى (٦/ ١١٦ - ١١٧ رقم ١٠٢٧٨، ١٠٢٧٩، ١٠٢٨٠، ١٠٢٨١)، وأحمد فى مسنده (٤/ ٢٦٠)، وابن أبى شيبة (١٠/ ٢٩٨)، وابن حبان فى صحيحه (٣/ ٢٠٩ رقم ٩٢٩).

وقوله: ﴿لعلكم تفلحون﴾ أى: تسعدون وتفوزون.

قوله تعالى: ﴿وأنكحوا الأيامى منكم﴾. أى: زوجوا الأيامى منكم، والأَيِّمُ اسم لكل امرأة لا زوج لها ثيبا كانت أو بكرا، قال الشاعر:

فإن تَنْكِحى أنكِحْ وإن تَتَأَيَّمى ... مدى الدهر ما لم تنكحى أتأَيَّمُ

وقد ذهب داود وأصحاب الظاهر أن النكاح واجب واستدلوا بهذه الآية، وأما عندنا هو مباح فى وقت، سنة فى وقت، مباح إذا كانت نفسه لا تتوق إلى النساء، سنة إذا تاقت نفسه إلى النساء، وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «من أحب فطرتى فليستن بسنتى، ومن سنتى النكاح»(١).

وثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فليصم، فإن الصوم له وجاء»(٢).

وعن بعض السلف أنه قال: من غلبت عليه الشهوة وعنده مال فليتزوج، وإن لم يكن عنده مال فليدم النظر إلى السماء، فإن شهوته تذهب.

وقوله: ﴿والصالحين من عبادكم وإمائكم﴾.

قرئ فى الشاذ: «من عبيدكم وإمائكم» زوجوا الأيامى من الحرائر، وزوجوا الصالحين من العبيد والإماء، والمراد من العباد: العبيد.

وقوله: ﴿إن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله﴾ روى عن عمر أنه قال: عجبت

---

(١) رواه ابن عدى فى الكامل (٧/٨٧) من حديث أبى هريرة. ورواه عبد الرزاق (٦/١٦٩ رقم ١٠٣٧٨)، وسعيد بن منصور (٣/١/١٦١ رقم ٤٨٧)، وأبو يعلى (٥/١٣٣ رقم ٢٧٤٨)، والبيهقى (٧/٧٨) من حديث عبيد بن سعد عن النبى ﷺ مرسلا.

(٢) متفق عليه من حديث ابن مسعود، رواه البخارى (٤/١٤٢ رقم ١٩٠٥ وطرفاه ٥٠٦٥، ٥٠٦٦)، ومسلم (٩/٢٤٥ - ٢٤٩ رقم ٩٩٦).

وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ

لمن يطلب الغنى بغير النكاح، والله تعالى يقول: ﴿إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾. وعن بعضهم: أن الله تعالى وعد الغنى بالنكاح، ووعد الغنى بالتفرق، فقال فى النكاح: ﴿يغنهم الله من فضله﴾ أى: من الله، وقال فى الفراق: ﴿وإن يتفرقا يغنى الله كلا من سعته﴾(١) ويقال: إن الغنى هاهنا هو الغنى بالقناعة، وقيل: باجتماع الرزقين، وقيل فى قوله: ﴿ووجدك عائلا فأغنى﴾(٢) أى: بمال خديجة.

وقوله: ﴿والله واسع عليم﴾ أى: واسع الغنى، عليم بأحوال العباد، وعن الحسن ابن على - رضى الله عنهما - أنه كان ينكح ويطلق كثيرا، ويقول: إنما أبتغى الغنى من النكاح والطلاق، ويتلو هاتين الآيتين، وقد ذكر بعضهم: أن الأيم كما ينطلق على المرأة ينطلق على الرجل، يقال: رجل أيم إذا لم يكن له زوجة، وامرأة أيم إذا لم يكن لها زوج، والشعر الذى أنشدنا دليل عليه، وفى الخبر: «أن النبى ﷺ نهى عن الأيمة» أى: العزبة.

وعن القاسم بن محمد أنه قال: أمرنا بقتل الأيم أى: الحية. وقال بعضهم: ﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين﴾ أى: بالصالحين. وقوله: ﴿من عبادكم﴾ أى: من رجالكم ، ثم أمر من بعد بتزويج الإماء، والقول الأول الذى سبق أظهر.

قوله: ﴿وليستعفف الذين لا يجدون نكاحًا﴾ أى: ليطلب العفة الذين لا يجدون ما لا ينكحون به.

وقوله: ﴿حتى يغنيهم الله من فضله﴾ فيه معنيان: أحدهما: أن يجدوا مالا يقدرون به على النكاح، والآخر: أن يوفقهم الله للصبر عن النكاح، وعن عكرمة أنه قال: إذا رأى الرجل امرأة واشتهاها فإن كان له امرأة فليصبها، وإن لم يكن له امرأة فلينظر فى ملكوت السموات والأرض.

(١) النساء: ١٣٠.

(٢) الضحى: ٨.

فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا

وقوله: ﴿ والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم ﴾ أى: يطلبون الكتابة[1] مما ملكت أيمانكم، أى: من العبيد والإماء، والكتابة هى أن يعقد مع عبده عقدا على مال بشرط أنه إذا أدى عتق، وسبب نزول هذه الآية: أنه كان لحويطب بن عبد العزى غلام، وطلب منه أن يكاتبه، فأبى فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقوله: ﴿ فكاتبوهم ﴾ أكثر أهل العلم على أنه أمر ندب لا حتم، وذهب جماعة إلى أنه أمر حتم إذا كان للعبد مال يؤدى، فروى (أبو محمد بن سيرين):[2] كان عبداً لأنس بن مالك، وطلب من أنس أن يكاتبه، فأبى فذكر ذلك سيرين لعمر، فقال لأنس: كاتبه، فأبى، فعلاه الدرة حتى كاتبه. وعن ابن جريج قال: قلت لعطاء: أيجب على المولى أن يكاتب عبده إذا طلب؟ قال: نعم، ومثله عن الضحاك قالا: وهذا إذا كان عند (العقد)[3] مال، فإن لم يكن عنده مال لم يجب ، وروى أن عبداً لسلمان[4] قال له: كاتبنى، قال: عندك مال؟ قال: لا، قال: أتريد أن تطعمنى أوساخ الناس؟ ولم يكاتبه.

وقوله: ﴿ إن علمتم فيهم خيراً ﴾ أى: مالاً، قاله ابن عباس ، ومثله قوله: ﴿ وإنه لحب الخير لشديد ﴾[5] أى: لحب المال. قال الشاعر

ماذا ترجى النفوس من طلب الـــ ـــخير وحب الحياة كاربها

أى: المال، وقال الحسن البصرى: ﴿ إن علمتم فيهم خيراً ﴾ أى: دينا

(١) فى « ك »: الكتاب.

(٢) كذا، وهو سيرين أبو عمرة مولى أنس، كما فى الجرح والتعديل (٢ / ١ / ٣٢٢)، وهو والد محمد، وأنس وغيرهم، ولعله كناه بأبى محمد لشهرة ابنه، ولكن « بن » مقحمة وسيأتى اسمه بعد قليل على الصواب.

(٣) كذا، والأشبه: العبد.

(٤) فى « ك »: « وحكى عن عبد لسلمان ».

(٥) العاديات: ٨.

وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

وأمانـةً، وقـال النخعـى: وفـاءً وصدقـًا، وعـن بعضـهـم: قدرةً على كسب المال.

وقال الزجاج: لوأراد بالخير المال لقال: إن علمتم لهم خيرا، فلما قال: ﴿ فيهم خيرا ﴾ دل أنه أراد به الوفاء والصدق.

وقوله: ﴿ وآتوهم من مال الله الذى آتاكم ﴾ فيه أقوال: روى عبدالله بن بريدة عن أبيه أنه قال: هو حث الناس على معونة الكاتبين. فعلى هذا تتناول الآية المولى وغير المولى.

والقول الثانى: أن المراد منه سهم الرقاب، وقد جعل الله تعالى للمكاتبين سهما فى الصدقات، والقول الثالث: هو أن قوله: ﴿ وآتوهم ﴾ خطاب للموالى خاصة.

وقوله: ﴿ من مال الله الذى آتاكم ﴾ هو بدل الكتابة، روى هذا عن عثمان وعلى والزبير، ثم اختلفوا فقال بعضهم: يعينه بمال الكتابة، وقال بعضهم: يحط عنه من مال الكتابة، وعن على - رضى الله عنه - أنه يحط عنه الربع، وعن ابن عباس: أنه يحط عنه الثلث، وعن بعضهم: أنه يحط شيئًا من غير تحديد، وهذا قول الشافعى، واختلفوا أنه على طريق الندب أم على طريق الإيجاب؟ فعند بعض الصحابة الذى ذكرنا أنه ندب، وعند بعضهم: أنه واجب، والوجوب أظهر.

وقوله: ﴿ ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ﴾ يعنى: على الزنا. نزلت الآية فى عبدالله بن أبى بن سلول وقوم من المنافقين، كانوا يكرهون إماءهم على الزنا طلبا للأجعال، فروى أن عبدالله بن أبى بن سلول كان له أمة يقال لها: مثلة، فأمرها بالزنا فجاءت ببرد، ثم أمرها بالزنا فأبت، وأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقوله: ﴿ إن أردن تحصنا ﴾ أى: تعففا، فإن قيل: الآية تقتضى أنها إذا لم ترد التحصن يجوز إكراهها على الزنا؟ والجواب من وجهين: أحدهما: أنه إنما ذكر قوله: ﴿ إن أردن تحصنًا ﴾ لأن الإكراه إنما يوجد فى هذه الحالة، فإذا لم ترد التحصن بغت بالطوع.

وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلاً مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ اللَّهُ نُورُ

والجواب الثاني: أن قوله: ﴿إن أردن تحصنًا﴾ منصرف إلى الآية السابقة، وهو قوله: ﴿وأنكحوا الآيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم﴾ إن أردن تحصنًا.

وقوله: ﴿لتبتغوا عرض الحياة الدنيا﴾ أي: لتطلبوا من أموال الدنيا، وفي بعض الآثار: الدنيا عرض حاضر، يأكل منها البر والفاجر، والآخرة وعد صادق، يحكم فيها ملك قادر، فكونوا من أبناء الآخرة، ولاتكونوا من أبناء الدنيا»(١).

وقوله: ﴿ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم﴾ أي: لهن، وهكذا روى في قراءة ابن عباس: «فإن الله من بعد إكراههن لهن غفور رحيم».

قوله تعالى: ﴿ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات﴾ أي: للحلال والحرام، وقوله: ﴿مبينات﴾ أي: واضحات لا لبس فيها.

وقوله: ﴿ومثلا من الذين خلوا من قبلكم﴾ معناه: تشبيها لحالكم بحالهم، حتى لاتفعلوا مثل ما فعلوا، فيصيبكم مثل ما أصابهم.

وقوله: ﴿وموعظة للمتقين﴾ أي: تذكيرا وتخويفًا.

قوله تعالى: ﴿الله نور السموات والأرض﴾ قال ابن عباس: هادي أهل السموات والأرض، (وعنه أنه قال: ضياء السموات والأرض)(٢) وعن قتادة وغيره: منوِّر السموات والأرض. فيقال: نوَّر السموات بالملائكة، والأرض بالأنبياء. ويقال: نور السموات بالنجوم والشمس والقمر، ونور الأرض بالنبات والزهر.

وقوله تعالى: ﴿مثل نوره﴾ قرأ أبي بن كعب: «مثل نور المؤمن»، وعن ابن مسعود أنه قرأ: «مثل نوره في قلب المؤمن» (ومن المعروف ﴿مثل نوره﴾ وفيه أقوال:

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) ساقط من «ك».

السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ

أحدها: أن معناه: مثل نور الله فى قلب المؤمن)[1] وهو النور الذى يهتدى به، وهذا فى معنى قوله تعالى: ﴿فهو على نور من ربه﴾[2]، والقول الثانى: ﴿مثل نوره﴾ أى: نور قلب المؤمن بالإيمان، والقول الثالث: أنه نور محمد ﷺ، ومنهم من أوَّل على القرآن.

وقوله: ﴿كمشكاة﴾ المشكاة هى الكوة التى ليس له منفذ، ومنهم من قال: المشكاة هى الحديدة التى يعلق بها القنديل، وهى السلسلة، وقيل: الموضع الذى توضع فيه الفتيلة، وهو كالأنبوب. والأول أظهر الأقاويل وأولى، ومعنى المشكاة هاهنا: الصدر، قاله أبى بن كعب. وقوله: ﴿فيها مصباح﴾ أى: شعلة نار.

وقوله: ﴿المصباح فى زجاجة﴾ الزجاجة شىء معلوم، وهو جوهر له ضياء، فإن قيل: لم خص الزجاجة بالذكر؟ قلنا: قال أُبى بن كعب: المشكاة الصدر، والزجاجة القلب، والمصباح الإيمان، فإنما ذكر الزجاجة؛ لأن المصباح فيها أضواء، وقال بعضهم: ذكر الزجاجة؛ لأنها إذا انكسرت لاينتفع منها بشىء، كذلك القلب إذا فسد لاينتفع منه بشىء .

وقوله: ﴿الزجاجة كأنها كوكب درى﴾ شبه الزجاجة بالكوكب، قال بعضهم: هذا الكوكب هو الزهرة فإنها أضوء كوكب فى السماء، وقال بعضهم: الكواكب الخمسة زحل ومشترى والمريخ وعطارد وزهرة، فإن قيل: لِمَ لَمْ يشبه بالشمس والقمر؟ قلنا: لأن الشمس والقمر يلحقهما الكسوف، والنجوم لايلحقها الكسوف، وأما قوله: ﴿كوكب دُرِّى﴾ منسوب إلى الدر، ونسبه إلى الدر لصفائه ولونه، وقرئ: «دِرىء» بكسر الدال والهمز والمد، وفيه قولان: أحدهما: أنه مأخوذ من الدراء،

---

(١) ساقط من «ك».

(٢) الزمر: ٢٢.

يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ

والدراء هو الدفع، والكوكب يدفع الشياطين عن السماء، فإن قيل: لم شبه به فى حالة الدفع؟ قلنا: لأنه فى تلك الحالة يكون أصفى، والقول الثانى: «دِرىء». أى طالع، يقال: درأ علينا فلان أى: طلع وظهر، وقال الأزهرى: وهذا قول حسن، وقرئ: «دُرىء» برفع الدال مهموزا، قرأه حمزة وأبو بكر، وأهل النحو يخطؤنه فى هذه القراءة، وقالوا: لايوجد فعيل فى اللغة، والشاذ: «دَرى» بفتح الدال .

وقوله: ﴿يوقد﴾ أى: الزجاجة، ومعناه: نار الزجاجة، فحذف النار، وقرئ: «يوقد» بالياء أى: المصباح، وقرئ: «توقد» أى: تتوقد، وفى الشاذ: «يُوقِد» أى: يوقد الله تعالى .

وقوله: ﴿من شجرة مباركة﴾ أى: من زيت شجرة مباركة، والشجرة المباركة هاهنا هى الزيتون، وفيها من الخير ماليس فى سائر الأشجار، فإنه دهن وإدام وفاكهة تؤكل ويستصبح به، وبفضله يغسل به الثياب وهى شجرة تورق من رأسها إلى أسفلها، واستخراج الدهن منه لايحتاج إلى عصار كغيره، بل يستخرجه من شاء من غير عسر، وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «ائتدموا بالزيت، وادهنوا منه، فإنه من شجرة مباركة»(١) رواه معمر، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر الخبر.

وقوله: ﴿لاشرقية ولاغربية﴾ قال الحسن: ليس هذا من أشجار الدنيا، ولو كانت

---

(١) رواه الترمذى (٤/ ٢٥١ رقم ٨٥١) وفى الشمائل (١٤٠ رقم ١٥٠)، وابن ماجه (٢/ ١١٠٣ رقم ٣٣١٩) وعبد بن حميد (٣٣ رقم ١٣)، والحاكم (٤/ ١٢٢) وصححه على شرط الشيخين، وأقره المنذرى فى الترغيب (٣/ ١٣٢)، وقال الترمذى فى الشمائل: كان عبد الرزاق يضطرب فى هذا الحديث، فربما أسنده، وربما أرسله، وقال أبو حاتم فى علل الحديث لابنه (٢/ ١٦ رقم ١٥٢٠): حدث عبد الرزاق به عن زيد بن أسلم، عن أبيه، مرسلا دهراً، ثم قال بعد: زيد بن أسلم عن أبيه أحسبه عن عمر عن النبى ﷺ، ثم لم يمت حتى جعله عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر عن النبى ﷺ بلا شك. وقال ابن معين فى التاريخ (١/ ٢٧٨ رقم ٥٩٥): الموصول ليس بشىء، إنما هو عن زيد مرسلا. وفى الباب عن أبى أسيد، وأبى هريرة، وابن عباس. وانظر الترغيب (٣/ ١٣١ - ١٣٢)، والسلسلة الصحيحة (٣٧٩).

يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾

من أشجار الدنيا لكانت شرقية أو غربية، وقال غيره: بل هو وصف الزيتون – وهو الاصح – وفيه أقوال: أحدها أن معناه: لاشرقية أى: ليست مما تشرق عليها الشمس، ولاتغرب عليها الشمس، فتكون لاشرقية ولا غربية.

وقوله: ﴿ ولاغربية ﴾ أى: ليست مما تغرب عليها الشمس ولاتشرق عليها الشمس، فتكون لا غربية ولا شرقية(١) فمعنى الآية. أنها ليست بخالصة للشرق، ولاخالصة للغرب،بل هى شرقية غربية، يعنى: بين الشرق والغرب، لاخالصا للشرق، ولاخالصا للغرب، والشمس مشرقة عليها فى جميع أوقاتها، وإذا كان كذلك فيكون زيتها أضوأ قالوا: وهذا كما يقال: فلان ليس بأسود ولاأبيض أى ليس بأسود خالص ولا أبيض خالص أى: قد اجتمع فيه البياض والسواد، ويقال: هذا الرمان ليس بحلو ولاحامض أى: اجتمع فيه الحلاوة والحموضة ولم يخلص لواحد منهما، وهذا قول الفراء والزجاج وأكثر أهل المعانى، وزعم ابن قتيبة أن معنى قوله: ﴿ لاشرقية ولاغربية ﴾ أى: ليست فى مضحاة، ولا فى مقناة(٢)، ومعناه: ليست فى مضحاة فتكون الشمس عليها أبدا، ولافى الظل فتكون فى الظل أبداً، والقول الثالث: أنها شجرة بين الأشجار لاهى بارزة للشمس عند شروقها، ولاهى بارزة عند غروبها.

وقوله: ﴿ يكاد زيتها يضىء ﴾ أى: من صفائه ولونه.

وقوله: ﴿ ولو لم تمسسه نار ﴾ أى: وإن لم تمسسه نار.

وقوله: ﴿ نور على نور ﴾ أى: نور المصباح على نور الزجاجة.

وقوله: ﴿ يهدى الله لنوره من يشاء ﴾ أى: نور البصيرة والعقيدة .

وقوله: ﴿ ويضرب الله الأمثال للناس ﴾ أى: يبين الله الأمثال للناس.

(١) فى النسختين فتكون غربية لا شرقية. والصواب ما أثْبِتَ.

(٢) المقناة هى الظليل الذى لايصيبه الشمس.

وقوله: ﴿والله بكل شيء عليم﴾ معلوم.

واعلم أنه اختلف القول فى معنى التمثيل: منهم من قال: التمثيل وقع للنور الذى فى قلب المؤمن، ومنهم من قال: التمثيل وقع لنور محمد ﷺ، ومنهم من قال: التمثيل وقع لنور القرآن، وأما إذا قلنا: إن التمثيل وقع للنور الذى فى قلب المؤمن فهو ظاهر المعنى كما بينا.

وقوله: ﴿يكاد زيتها يضىء﴾ أى: يكاد قلب المؤمن يعرف الحق قبل أن يبين له لموافقته إياه.

وقوله: ﴿نور على نور﴾ أى: نور العمل على نور الاعتقاد، وعن أبى بن كعب أنه قال: المؤمن بين خمسة أنوار: وقوله نور، وعمله نور، ومدخله نور، ومخرجه نور، ومصيره إلى النور. وعن غيره أنه قال: المؤمن بين أربعة أحوال: إن أعطى شكر، وإن ابتلى صبر، وإن قال صدق، وإن حكم عدل. وإذا قلنا: التمثيل وقع لنور محمد ﷺ، فالمشكاة صدره، والزجاجة قلبه، والمصباح هو نور النبوة.

وقوله: ﴿توقد من شجرة مباركة﴾ الشجرة المباركة هو إبراهيم - صلوات الله عليه - وذكر زيتونة، لأنها أبرك الأشجار على مابينا؛ ولأن إبراهيم نزل الشام، وفى زيتون الشام من البركة ماليس لغيره من البلاد.

وقوله: ﴿لاشرقية ولاغربية﴾ معناه: أن إبراهيم لم يكن يصلى إلى المشرق ولا إلى المغرب، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ماكان إبراهيم يهوديا ولانصرانيًا﴾(١) واليهود يصلون إلى المغرب، والنصارى إلى المشرق. وقوله: ﴿يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار﴾ معناه: لو لم يكن إبراهيم نبيا لألحقه الله بالعمل الصالح بالأنبياء فى درجاتهم، ويقال معناه: أن محمداً لو لم تأته معجزة لدلت أحواله على صدقه وعلى نبوته. وقوله: ﴿نور على نور﴾ أى: نور محمد على نور إبراهيم، وقوله: ﴿يهدى

(١) آل عمران: ٦٧.

فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ

الله لنوره من يشاء ﴾ يعني: يهدى الله للإيمان بمحمد من يشاء، وهذا كله معنى مارواه الضحاك عن ابن عباس، وفى الآيه كلام كثير ذكره أصحاب الخواطر لايشتغل به، وهذان القولان هما المعروفان.

قوله تعالى: ﴿ فى بيوت أذن الله أن ترفع ﴾ معناه: توقد فى بيوت، ويقال: المصابيح فى بيوت، والبيوت هاهنا هى المساجد. وقوله: ﴿ أذن الله أن ترفع ﴾ فيه أقوال: قال مجاهد: تبنى، وقال الحسن: تعظم. يعنى: أنه لايذكر فيها الخنا من القول، وعن بعضهم: تطهر.

وقوله: ﴿ ويذكر فيها اسمه ﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿ يُسبَّح ﴾ وقرئ: «يسبِّح» بكسر الباء، فقوله بكسر الباء أى: يسبح رجال، وقوله: «يُسبَّح» على مالم يسم فاعله، ومعنى يسبح: يصلى.

وقوله: ﴿ بالغدو والآصال ﴾ أى: بالبكر والعشايا. قال الشاعر:

وقفت فيهـا أصيـلا لا أسائلهـا　　　أعيت جوابا وما بالربع من أحد

وإنما خص البكرة والعصر؛ لأن صلاة الغداة وصلاة العصر أول مافرض على المسلمين، وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - أنه قال: صلاة الضحى فى القرآن، ولا يغوص عليها الأغواص، ثم قرأ هذه الآية وهو قوله: (﴿ بالغدو والآصال ﴾ وزعم أن المراد بالتسبيح بالغدو وهو صلاة الضحى، والمعروف مابينا، وهو أن المراد منه صلاة الصبح وصلاة العصر)(١).

قوله تعالى: ﴿ رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله ﴾ وعن عبيد بن عمير أنه

(١) ساقط من «ك».

يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ

قال: يضع الله يوم القيامة منابر من نور، ويقول: أين الذين لم تلههم تجارة ولابيع عن ذكر الله؟ فيقومون فيجلسهم عليها.

وقال الفراء: التجارة مابيع من الجلب، والبيع مابعت على يدك .

وقوله: ﴿ وإقام الصلاة ﴾ فإن قيل: إذا حملتم ذكر الله على الصلوات الخمس فما معنى قوله: ﴿ وإقام الصلاة ﴾؟ قلنا: معناه حفظ المواقيت، ومن لم يحفظ المواقيت فلم يقم الصلاة. وقوله: ﴿ وإقام الصلاة ﴾ أى: وإقامة الصلاة، فحذفت الهاء بحكم الإضافة. قال الشاعر:

إن الخليط أجدوا البين فانجردوا وأخلفوك عدى الأمر الذى وعدوا

أى: عدة الأمور .

وقوله: ﴿ وإيتاء الزكاة ﴾ منهم من قال: هى الزكاة المفروضة، ومنهم من قال: الأعمال الصالحة .

وقوله: ﴿ يخافون يومًا تتقلب فيه القلوب والأبصار ﴾ أى: تتقلب القلوب عما كانت عليه فى الدنيا من الشك والكفر، وتنفتح فيه الأبصار من الأغطية، ويقال: يتقلب القلب [بين الخوف](١) والرجاء، فإنه يخاف الهلاك، ويطمع النجاة، وأما تقلب البصر حتى من أين يؤتى كتابه؛ من شماله أو من يمينه، وقال: تتقلب القلوب فى الجوف، وترتفع إلى الحنجرة فلا تزول ولاتخرج، وأما تقلب البصر شخوصه من هول الأمر وشدته .

وقوله: ﴿ ليجزيهم الله أحسن ماعملوا ﴾ يعنى: ليجزيهم بما عملوا من الأعمال الحسنة.

(١) فى «الأصل، ك»: من الحتوف، وما أثبتناه يقتضيه السياق.

بقيعة يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن

وقوله: ﴿ ويزيدهم من فضله ﴾ أى: زيادة على مايستحقون .

وقوله: ﴿ والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ قد بينا .

قوله تعالى: ﴿ والذين كفروا أعمالهم ﴾ اعلم أن الله تعالى لما ذكر المثل فى حق المؤمنين أعقبه بالمثل فى حق الكفار .

وقوله: ﴿ كسراب ﴾ السراب: ما يرى نصف النهار شبه الماء الجارى على الأرض، وأكثر مايراه العطشان. قال الفراء: السراب ما لزم الأرض، والآل ماارتفع من الأرض، وهو شعاع بين السماء والأرض شبه الملاة، يُرى فيه الصغير كبيرا، والقصير طويلا .

وقال غيره: السراب نصف النهار، والآل بالغدوات، والرقراق بالعشايا، قال الشاعر:

فلما كففنا الحرب كانت عهودهم   كلمع سراب بالفلا متألق

وقوله: ﴿ بقيعة ﴾ القاع: هو الأرض المنبسطة .

وقوله: ﴿ إذا جاءه لم يجده شيئا ﴾ أى: لم يجده شيئًا مما أمل وحسب .

وقوله: ﴿ ووجد الله عنده ﴾ أى: عند علمه، ومعناه: أنه لقى الله فى الآخرة .

﴿ فوفاه حسابه ﴾ أى: جزاء عمله، قال الشاعر:

فولى مدبرا هوى حثيثا   وأيقن أنه لاقى الحسابا

وقوله: ﴿ والله سريع الحساب ﴾ ظاهر المعنى .

واعلم أن فى نزول الآية قولان: أحدهما: أنها نزلت فى شيبة بن ربيعة - وكان يطلب الدين قبل أن يبعث النبى ﷺ - فكان يلبس الصوف، ويأكل الشعير، ثم لما بعث النبى ﷺ كفر به .

والقول الثانى: أن الآية نزلت فى جميع الكفار، والمراد من الآية: تشبيه أعمالهم بالسراب، وأعمالهم هى ما اعتقدوها خيرا، من الحج وصلة الأرحام، وحسن الجوار،

فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ

وقرى الضيف، والوفاء بالعهد، وما أشبه ذلك، فذكر الله تعالى أن هذه الأعمال كسراب حين لم يصدر عن مؤمن، فهو يرجو منها الخير والثواب، وإذا وصل إليها أخلفه ظنه، ولم يحصل على شيء.

قوله تعالى: ﴿أو كظلمات فى بحر لجى﴾ قال أهل المعانى: المراد من الآية أنَّك إن شبهت أعمالهم لما يوجد، فهو كما بينا من السراب بالقيعة، وإن شبهت أعمالهم لما يرى، فهو كالظمات فى البحر اللجى، والبحر اللجى هو العميق الذى بعد عمقه، وفى الخبر: أن النبى ﷺ قال: «من ركب البحر حين يلج، فقد برئت منه الذمة»(١)

معناه: حين يتوسط البحر فيصير إلى أعمق موضع، وأما الظلمات: فهى ظلمة البحر، وظلمة الليل، وظلمة السحاب، وظلمة الموج أيضاً.

وقوله: ﴿يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب﴾ هذا هو الظلمات التى ذكرناها.

وقوله: ﴿ظلمات بعضها فوق بعض﴾ معناه: ظلمة الموج على ظلمة البحر، وظلمة السحاب على ظلمة الموج .

وقوله: ﴿إذا أخرج يده لم يكد يراها﴾ أى: لم يرها، وقيل: لم يقارب رؤيتها، ويقال: يكد هاهنا صلة. قال الشاعر:

وماكادت إذا رفعت سناها ... ليبصر ضوءها إلا البصير

وقوله: ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾. قال ابن عباس معناه: من لم

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده (٥ / ٧٩) عن أبى عمران الجونى، عن بعض أصحاب محمد ﷺ، وقال الهيثمى فى المجمع (٨ / ١٠٢): رواه أحمد عن شيخه إبراهيم بن القاسم، ولم أعرفه. ورواه أيضا (٥ / ٢٧١) عن أبى عمران، عن زهير بن عبد الله، عن بعض الصحابة. ورواه أيضا (٥ / ٧٩) عن أبى عمران، عن زهير بن عبد الله، عن رجل أن نبى الله ﷺ .. الحديث، وقال الهيثمى: رواه أحمد مرفوعا وموقوفا، وكلاهما رجاله رجال الصحيح.

وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ

يجعل الله له دينا فماله من دين» ويقال معناه: من لم يهده الله فلا يهده أحد.

وقوله: ﴿ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات والأرض﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿والطير صافات﴾ أى: صفات أجنحتهن.

وقوله: ﴿كل قد علم صلاته وتسبيحه﴾ قال مجاهد: الصلاة للآدميين، والتسبيح لسائر الخلق، ويقال: إن ضرب الأجنحة صلاة الطير، وصوته تسبيحه .

وقوله: ﴿والله عليم بما يفعلون﴾ ظاهر المعنى. وكذلك قوله: ﴿ولله ملك السموات والأرض وإلى الله المصير﴾

قوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله يزجى سحابا﴾ أى: يسوق سحابًا . قال الشاعر:

إنى أتيتك من أرضى ومن وطنى … أزجى حُشاشةَ نفس مابهـا رمق

وقوله: ﴿ثم يؤلف بينه﴾ أى: يجمع بينه.

وقوله: ﴿ثم يجعله ركاما﴾ أى: متراكما بعضه على بعض

وقوله: ﴿فترى الودق يخرج من خلاله﴾ أى: المطر يخرج من خلاله، والخلال جمع الخلل كالجبال جمع الجبل، قال الشاعر فى الودق:

فلا مزنة ودقت ودقها … ولا أرض أبقل إبقالهـا

وقوله: ﴿وينزل من السماء من جبال فيها من برد﴾ روى عن ابن عباس أنه قال: فى السماء جبال من بَرَد فينزل منها البَرْد.

قال ابن عباس: وإنما خاطب القوم بما يعرفون، وإلا ماالثلج أكثر من البرد، والعرب ما رأوا الثلج قط. وعن ابن عباس أنه قال: الثلج شيء أبيض ينزل من السماء مارأيته قط. وقال غيره: قوله: ﴿وينزل من السماء من جبال﴾ أى: مقدار الجبال فى الكثرة، ويقال: فلان له جبال مال، شبه بالجبال للكثرة.

وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُوْلِي الأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾

وقوله: ﴿من﴾ صلة معناه: ينزل من السماء جبالا ﴿من برد﴾.

وقوله: ﴿فيصيب به من يشاء﴾ يعنى: بالبرد من يشاء. ﴿ويصرفه عن من يشاء﴾.

وقوله: ﴿يكاد سنا برقه﴾ أى: ضوء برقه، وقد ذكرنا شعراً فى هذا.

وقوله: ﴿يذهب بالأبصار﴾ يعنى: من شدة الضوء.

وقوله: ﴿يقلب الله الليل والنهار﴾ أى: يصرف الليل والنهار، وتقليب الليل والنهار اختلافهما، وهو معنى قوله تعالى: ﴿يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل﴾(١) وقد صح عن النبى ﷺ برواية سعيد بن المسيب، عن أبى هريرة أنه ﷺ قال: «يقول الله تعالى يؤذينى ابن آدم يسب الدهر، وإنما أنا الدهر، بيدى الليل والنهار (و)(٢) أقلبهما»(٣).

قال رضى الله عنه: أخبرنا بذلك المكى بن عبدالرزاق، قال: أخبرنا جدى أبو الهيثم الفربرى، أخبرنا البخارى، أخبرنا الحميدى، عن سفيان بن عيينة، عن الزهرى، عن سعيد بن المسيب الخبر.

ويقال: يقلب الله الليل والنهار أى: يدبر أمر الليل والنهار.

وقوله: ﴿إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار﴾ أى: آية وعظة لأولى الأبصار فى القلوب، وزعم أهل النحو أن الله تعالى ذكر «من» ثلاث مرات فى الآية الأولى، ولكل واحد منها معنى، فقوله: ﴿من السماء﴾ لابتداء الغاية، وقوله: ﴿من جبال﴾ للتبعيض، وقوله: ﴿من برد﴾ للتجنيس، وقد قال بعضهم فى الآية الثانية: إن معنى التقليب هو أنه يذهب بالليل ويأتى بالنهار، ويذهب بالنهار ويأتى بالليل.

---

(١) الزمر: ٥.

(٢) فى «ك» بدون واو.

(٣) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (٨/ ٤٣٧ رقم ٤٨٢٦ وطرفاه ٦١٨١، ٧٤٩١)، ومسلم (١٥/ ٣ - ٥ رقم ٢٢٤٦).

وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ

قوله تعالى: ﴿والله خلق كل دآبة من ماء﴾ فإن قال قائل: كيف يستقيم قوله: ﴿خلق كل دابة من ماء﴾ وقد خلق كثيراً من الحيوانات من غير الماء كالجن والملائكة؟ والجواب عنه: أن الله تعالى خلق جميع الحيوانات من الماء، وزعم أهل التفسير أن الله تعالى خلق ماءً ثم جعله ناراً، فخلق منها الجن، ثم جعله ريحا، فخلق منها الملائكة، ثم جعله طينا، فخلق منه بنى آدم .

وقوله: ﴿فمنهم من يمشى على بطنه﴾ يعنى: مثل الحيات والحيتان وما أشبههما، فإن قيل: كيف يتصور المشى على البطن؟ والجواب: أن المراد منه السير ، والسير عام فى القوائم وعلى البطن، وقال بعضهم: المشى صحيح فى المشى على البطن، يقال: مشى أمر كذا .

وقوله: ﴿ومنهم من يمشى على رجلين﴾ يعنى: مثل بنى آدم والطير، فإن قيل: أيسمى الطير دابة؟ قلنا: بلى؛ لأن كل مايدب على الأرض فهو دابة.

وقوله: ﴿ومنهم من يمشى على أربع﴾ يعنى: البهائم، فإن قيل: قد نرى مايمشى على أكثر من الأربع، قلنا: قد ذكر السدى أن فى قراءة أبى بن كعب: «ومنهم من يمشى على أكثر من الأربع(١)» فيكون تفسير للقراءة المعروفة، ويصير كأن الله تعالى قال: ﴿ومنهم من يمشى على أربع﴾ وعلى أكثر من الأربع(١)، وأما على القراءة المعروفة فإنما لم يزد على الأربع؛ لأن القوائم وإن زادت فاعتماد الحيوان على جهاته الأربعة، فكأنها تمشى على أربعة، ويقال: إنها وإن مشيت على أكثر من الأربع(١) فهى فى الصورة كأنها تمشى على أربع، فإن قيل: قال: ﴿ومنهم من يمشى﴾ وكلمة «من» لمن يعقل ليس لمالا يعقل، والجواب عنه: أنه إنما ذكر بكلمة «من» لأن الكلام إذا جمع من يعقل، ومن لايعقل غلب من يعقل على ما لايعقل .

(١) فى «ك»: أربع.

يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا

وقوله: ﴿يخلق الله مايشاء﴾ يعنى: يخلق الله مايشاء سوى ماذكر.

وقوله: ﴿والله على كل شىء قدير﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿لقد أنزلنا آيات مبينات﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ أى: دين الحق، وهو الصراط المستقيم.

قوله تعالى: ﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا﴾ ذكر النقاش أن هذه الآية نزلت فى رجل من المنافقين يسمى بشرا ورجل من اليهود، كانت بينهما خصومة، فقال اليهودى: نتحاكم إلى محمد ﷺ، وقال المنافق: نتحاكم إلى كعب بن الأشرف، فأنزل الله تعالى فى هذا المنافق وأشباهه هذه الآية، وأورد أبو بكر الفارسى فى «أحكام القرآن» أن النبى ﷺ لما هاجر إلى المدينة، ترك الأنصار له وللمهاجرين كل أرض لايصل إليها الماء، فأعطى رسول الله ﷺ عثمان وعليا من ذلك، فباع على نصيبه من عثمان، فوجد عثمان الأرض كلها أحجار لايمكن أن تزرع، فطلب من على الثمن الذى أعطاه، فقال على: وما علمى بالأحجار، ولو وجدت كنزا هل كان لى منه شىء؟ فأراد أن يتحاكما إلى النبى ﷺ، فقال الحكم بن أبى العاص لعثمان: لاتحاكمه إلى محمد، فإنه يقضى لابن عمه، فأنزل الله تعالى هذه الآية فى الحكم بن أبى العاص.

وقوله: ﴿ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك﴾ أى: من بعد ما قالوا آمنا بالله وبالرسول

وقوله: ﴿وما أولئك بالمؤمنين﴾ أى: بالمصدقين.

قوله تعالى: ﴿وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم﴾ الحكم فصل الخصومة بما توجبه الشريعة.

دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا

قوله: ﴿إذا فريق منهم معرضون﴾ أى: عن الحق، وقيل: عن الإجابة، والآية تدل على أن القاضى إذا دعا إنسانا ليحكم بينه وبين خصمه، وجبت عليه الإجابة .

قوله تعالى: ﴿وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين﴾ أى: مسارعين منقادين خاضعين.

وقوله: ﴿أفى قلوبهم مرض﴾ استفهام بمعنى التوبيخ والذم، ومعناه: علة تمنع من قبول الحق.

وقوله: ﴿أم ارتابوا﴾ أى: شكوا.

وقوله: ﴿أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله﴾ الحيف هو الميل بغير حق، ويجوز أن يعبر به عن الظلم .

وقوله: ﴿بل أولئك هم الظالمون﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم﴾.

هذا ليس على طريق الخبر، ولكنه تعليم أدب من الشرع، على معنى أن المؤمنين كذا ينبغى أن يكونوا .

وقوله: ﴿أن يقولوا سمعنا وأطعنا﴾ أى: سمعنا الدعاء، وأطعنا بالأجابة.

وقوله: ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ أى: الفائزون .

قوله تعالى: ﴿ومن يطع الله ورسوله﴾ أى: من يطع الله فيما أمر، ويطع رسوله فيما سن.

وقوله: ﴿ويخش الله﴾ أى: فيما مضى.

وقوله: ﴿ويتقه﴾ أى: يحذره فيما يستقبل.

وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لاَّ تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾

وقوله: ﴿فأولئك هم الفائزون﴾ أى: الناجون.

قوله تعالى: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ جهد اليمين هو أن يحلف بالله، قال أهل العلم: ولاحلف فوق الحلف بالله.

وقوله: ﴿لئن أمرتهم ليخرجن﴾ أى: لئن أمرتهم بالخروج إلى الجهاد ليخرجن.

وقوله: ﴿قل لاتقسموا﴾ أى: لاتحلفوا.

وقوله: ﴿طاعة معروفة﴾ فيه أقوال: أحدها: ليكن منكم طاعة معروفة، والآخر: طاعة معروفة أمثل من يمين بالقول لايوافقها الاعتقاد، والثالث: هذه طاعة معروفة منكم أن تحلفوا كاذبين، وأن تقولوا مالا تفعلون، ومعناه: هذا أمر معروف منكم.

وقوله: ﴿إن الله خبير بما تعملون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا﴾ أى: فإن تتولوا، وقيل: فإن يتولوا، بصرف خطابه المواجهة إلى المغايبة.

وقوله: ﴿فإنما عليه ماحمل﴾ أى: على الرسول ماحمل من التبليغ.

﴿وعليكم ماحملتم﴾ من الإجابة أى: إن أجبتم فلكم الثواب، وإن أبيتم فعليكم العقاب.

وقوله: ﴿وإن تطيعوه﴾ يعنى الرسول ﷺ ﴿تهتدوا﴾.

وقوله: ﴿وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ أى: التبليغ البين.

قوله تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات﴾ قال أبو العالية الرياحى: بعث الله محمداً ﷺ، فمكث هو وأصحابه بمكة عشر سنين، وأمروا

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ

بالصبر على أذى الكفار، فكانوا يصبحون خائفين ويمسون خائفين، ثم إنه هاجر إلى المدينة، وأمروا بالقتال وهم على خوفهم، فكان لايفارق أحد منهم سلاحه، فقال رجل من المسلمين: أما نأمن يومًا من الدهر؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية، وذكر بعض أهل التفسير: أن أصحاب رسول الله ﷺ تمنوا أن يظهروا على مكة، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم﴾ قال قتادة: كما استخلف داود وسليمان وغيرهما من الأنبياء الذين ملكوا.

واستدل أهل العلم بهذه الآية على صحة خلافة الخلفاء الراشدين وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلى - رضى الله عنهم - ومن المشهور المعروف برواية حماد بن سلمة، عن سعيد بن جمهان، عن سفينة أن النبى ﷺ قال: «الخلافة بعدى ثلاثون سنة»(١).

قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث أبو الحسين بن النقور ببغداد، أخبرنا أبو القاسم بن حبابة، أخبرنا ابن بنت منيع عبدالله بن محمد بن عبد العزيز البغوى، عن هدبة [بن](٢) خالد، عن حماد بن سلمة... الخبر. خرجه مسلم فى الصحيح(٣).

وقوله: ﴿وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم﴾ أى: ليظهرن دينهم على جميع الأديان، قال أهل العلم: يعنى: فارس والروم ومن أشبههم، وفى بعض الغرائب من الأخبار: أن النبى ﷺ قال: «مامن بيت مدر ولاوبر فى الأرض إلا ويدخله الله

(١) رواه أبو داود (٤/ ٢١١ رقم ٤٦٤٦، ٤٦٤٧)، والترمذى (٤/ ٤٣٦ رقم ٢٢٢٦) وحسنه، والنسائى فى الكبرى (٥/ ٤٧ رقم ٨١٥٥)، وأحمد فى مسنده (٥/ ٢٢٠، ٢٢١)، والطيالسى (١٥١ رقم ١١٠٧)، وابن حبان (١٥/ ٣٤ - ٣٥ رقم ٦٦٥٧)، والطبرانى فى الكبير (٧/ ٨٣-٨٤ رقم ٦٤٤٢، ٦٤٤٣، ٦٤٤٤)، والحاكم (٣/ ٧١، ١٤٥) وقال: وقد أسندت هذه الروايات بإسناد صحيح مرفوعًا إلى النبى ﷺ، وابن أبى عاصم فى السنة (٢/ ٥٤٨-٥٤٩ رقم ١١٨١، ١١٨٥)، والبيهقى فى الدلائل (٦/ ٣٤١، ٣٤٢). وفى الباب عن حذيفة وأبى بكرة.

(٢) فى «الأصل، وك»: بنت، خطأ، وهدبة من رجال التهذيب.

(٣) كذا قال، وهو سبق قلم منه - رحمه الله تعالى-، وقد سبق تخريج الحديث، ولم يعزه المزى فى التحفة له.

وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا

الإسلام كرها»(١).

وقوله: ﴿ارتضى لهم﴾ اختار لهم.

وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال لعدى بن حاتم: «ليظهرن الله هذا الدين، حتى تخرج الظعينة من الحيرة تؤم بيت الله، لاتخاف إلا الله والذئب على غنمها»(٢). قال عدى ابن حاتم: فقلت فى نفسى: فأين اللصوص؟ قال عدى: ولقد رأيت ما قاله رسول الله ﷺ.

وقوله: ﴿وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا﴾ .هذا هو الذى قلناه، وقد روى أن أصحاب رسول الله ﷺ حين كانوا بمكة لم يكونوا يصلون إلا مختفين، وكان الواحد منهم يحفظ صاحبه حتى يصلى، وصاحبه يحفظه حتى يصلى، ثم إنهم لما هاجروا أمنوا وعبدوا الله جهرا، وما زال يزداد الأمن إلى زماننا هذا .... الحديث .

وقوله: ﴿يعبدوننى لايشركون بى شيئا﴾ يعنى: يعبدوننى آمنين ولايشركون.

وقوله: ﴿ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ أكثر أهل التفسير على أنه ليس الكفر هاهنا هو الكفر بالله، وإنما المراد به كفران النعمة بترك الطاعة، فلهذا قال: ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ ومنهم من قال: هو الكفر بالله، والأصح هو الأول .

قوله تعالى: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون﴾

---

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده (٤/١٠٣)، والطبرانى فى الكبير (٢/٥٨ رقم ١٢٨٠)، والحاكم (٤/٤٣٠ - ٤٣١) وصححه على شرط الشيخين، وابن منده فى الإيمان (٢/٩٨٢ رقم ١٠٨٥) من حديث تميم الدارى. وقال الهيثمى فى المجمع (٦/١٧): رواه أحمد والطبرانى، ورجال أحمد رجال الصحيح. وفى الباب عن المقداد بن الأسود، رواه أحمد (٦/٤)، والطبرانى (٢٠/٢٥٤-٢٥٥ رقم ٦٠١)، وابن حبان (١٥/٩١-٩٢ رقم ٦٦٩٩، ٦٧٠١)، والحاكم (٤/٤٣٠) وصححه، والبيهقى (٩/١٨١). وقال الهيثمى: ورجال الطبرانى رجال الصحيح.

(٢) رواه البخارى (٣/٣٣٠ رقم ١٤١٣ وأطرافه ١٤١٧، ٣٥٩٥، ٦٠٢٣، ٦٥٣٩، ٦٥٤٠، ٦٥٦٣، ٧٤٤٣، ٧٥١٢)، وأحمد (٤/٢٥٧، ٣٧٧ - ٣٧٨)، وابن حبان فى صحيحه (١٥، ٧١ - ٧٣ رقم ٦٦٧٩)، والحاكم (٤/٥١٨ - ٥١٩) وصححه على شرط الشيخين، والبيهقى فى الدلائل (٥/٣٤٢، ٣٤٣).

يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ

أى: افعلوا ماتفعلوا على رجاء الرحمة.

قوله تعالى: ﴿لاتحسبن الذين كفروا معجزين فى الأرض﴾ معناه: لاتظنن الذين كفروا يفوتون عنا فوات من نعجز عنه، وحقيقة المعنى: أنا لانعجز عن أحدهم، (وليس معهم مايقولون به غنى، فيكونوا بمنزلة من عجزوا غيرهم عنهم)[١].

وقوله: ﴿ومأواهم النار ولبئس المصير﴾ أى: ولبئس المرجع.

قوله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم﴾ فيه أقوال: قال مجاهد: الذين ملكت أيمانكم هم العبيد، وعن بعضهم: أنهم الإماء، روى هذا عن ابن عمر، والأصح أنه فى العبيد والإماء.

قوله: ﴿والذين لم يبلغو الحلم منكم﴾ ليس هؤلاء هم الذين لم يظهروا على عورات النساء، فإن الذين لم يظهروا على عورات النساء لاحشمة لأحد منهم؛ لأنا بينا أنهم الذين لايميزون، ولكن هؤلاء هم الذين ميزوا، وعرفوا أمر النساء، ولكن لم يبلغوا.

قوله: ﴿ثلاث مرات﴾ أى: استأذنوا ثلاث مرات.

وقوله: ﴿من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء﴾ خص هذه الأوقات الثلاثة بالأمر بالاستئذان؛ لأنها أوقات ينكشف فيها الناس ويبدوا منهم مالا يحبون أن يراه أحد، فإن قبل الفجر ينتبهون من النوم فينكشفون، وعند الظهيرة يلقون ثيابهم ليقيلوا، وبعد العشاء (الأخير)[٢] ينكشفون للنوم، فأمر الله تعالى بالاستئذان فى هذه الأوقات الثلاثة لهذا المعنى، والمراد من الآية: استئذان الخدم والصبيان، فأما غيرهم يستأذنون فى جميع الأحوال،

(١) كذا ا.

(٢) فى «ك»: الآخرة.

منكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ

وعن ابن عباس قال: لم يكن للقوم ستور ولا[حجاب](١)، وكان الخدم والولائد يدخلون عليهم، فيرون منهم مالايحبون أن يرى منهم، فأمر الله تعالى بالاستئذان، ثم إن الله تعالى بسط رزقه، واتخذ الناس ستورا و[حجاباً](١)، فرأوا أن ذلك قد أغنى من الاستئذان، قال الشعبى وسعيد بن جبير: هذه الآية غير منسوخة لكن تهاون الناس. وحكى عطاء عن ابن عباس أنه قال: ثلاث آيات من القرآن لايعمل الناس بها، وذكر هذه الآية وذكر قوله تعالى: ﴿إن أكرمكم عندالله أتقاكم﴾(٢) فلا يزال الناس يقولون: أنا ابن فلان، وأكرم من فلان، وأحسن من فلان، قال عطاء: ونسيت الثالثة.

وقوله: ﴿ثلاث عورات لكم﴾ قرئ برفع الثاء ونصبه، فقوله: ﴿ثلاث﴾ بالرفع، أى: هى ثلاث عورات لكم، وقوله: ﴿ثلاثَ عورات لكم﴾ بالنصب بدل من قوله: «ثلاثَ مرات» فيكون نصبا على البدل.

وقوله: ﴿ليس عليكم ولاعليهم جناح﴾ أى: إثم فى ترك الاستئذان فيما سوى هذه الأوقات الثلاثة .

وقوله: ﴿بعدهن﴾ إشارة إلى هذا المعنى.

وقوله: ﴿طوافون عليكم بعضكم على بعض﴾ ابتداء أى: هؤلاء الخدم والولائد طوافون عليكم، يطوفون عليكم ليخدموكم، ومن هذا قوله ﷺ فى الهرة: «إنها من الطوافين عليكم والطوافات»(٣) .

(١) من «ك»،ومثله فى تفسير البغوى (٣ / ٣٥٦)، وفى الأصل: مجال، وحجالا.

(٢) الحجرات:١٣ .

(٣) رواه أبو داود (١ / ١٩ - ٢٠ رقم ٧٥)، والترمذى (١ / ١٥٣ - ١٥٤ رقم ٩٢) وقال حسن صحيح،والنسائى (١ / ٥٥ رقم ٦٨) و (١ / ١٧٨ رقم ٣٤٠)، وابن ماجه (١ / ١٣١ رقم ٣٦٧) وأحمد(٥ / ٢٩٦، ٣٠٣، ٣٠٩)، ومالك فى الموطأ (١ / ٣٣)، وابن خزيمة (١ / ٥٥ رقم ١٠٤)، وابن حبان (٤ / ١١٤ - ١١٥ رقم ١٢٩٩)، والحاكم (١ / ١٦٠) وقال: صحيح وهو مماصححه مالك واحتج به فى الموطأ، وغيرهم عن أبى قتادة به.

طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ

وقوله: ﴿ بعضكم على بعض ﴾ أى: يطوف بعضكم على بعض.

وقوله: ﴿ كذلك يبين الله لكم الآيات ﴾ أى: الدلالات، وقيل: الأحكام.

وقوله: ﴿ والله عليم حكيم ﴾ أى: عليم بأمور خلقه، حكيم فيما دبر لهم.

وقوله تعالى: ﴿ وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا ﴾ قوله: ﴿ الحلم ﴾ أى: الاحتلام، وقوله: ﴿ فليستأذنوا ﴾ (كما استأذن الرجال البالغون، ويقال)[1]: ﴿ كما استأذن الذين من قبلهم ﴾ يعنى: كما استأذن الذين من قبلهم، (مع إبراهيم وموسى وعيسى)[1].

وقوله: ﴿ كذلك يبين الله لكم آياته ﴾ أى: أحكامه.

وقوله: ﴿ والله عليم حكيم ﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿ والقواعد من النساء ﴾. القواعد جمع قاعد، يقال: امرأة قاعد إذا قعدت عن الأزواج، إذا قعدت عن الحيض بالكبر، وأما القاعدة فهى الجالسة.

وقوله: ﴿ اللاتى لا يرجون نكاحا ﴾ يعنى: لا يردن نكاحًا، وقيل: لا يردن الرجال لكبرهن، وقيل: قعدن عن التصرف بالكبر، وإنما قيل: امرأة قاعدة إذا كبرت؛ لأنها تكثر القعود، قاله ابن قتيبة.

وعن ربيعة الرأى[2] قال: هن العجائز اللواتى إذا رآهن الرجال استقذروهن، فأما من كان فيها بقية من جمال، وهى محل الشهوة، فلا تدخل فى هذه الآية.

وقوله: ﴿ فليس عليهن جناح ﴾ أى: إثم.

وقوله: ﴿ أن يضعن ثيابهن ﴾ فى قراءة ابن مسعود: «أن يضعن من ثيابهن»، قال ا

---

(١) ساقط من «ك».

(٢) فى «ك»: وعن أبى عبيدة الرأى، وهو خطأ.

بن مسعود: وثيابهن هاهنا الرداء والجلباب. وعن ابن عباس قال: الجلباب، وأما الخمار لا يجوز لها أن تضعه، وأما الثوب الذى يكون فوق الخمار يجوز أن تضعه.

وفى بعض الأخبار: أن للزوج ما تحت الدرع، ولذى المحرم ما فوق الدرع، ولغير المحرم ما فوق الدرع والرداء والجلباب والخمار.

وقوله: ﴿غير متبرجات بزينة﴾ أى: لا يردن بإلقاء الرداء والجلباب إظهار زينتهن ومحاسنهن، وأصل التبرج من الظهور، قال الله تعالى: ﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾(١) أى: لا تنكشفن تكشف الجاهلية الأولى، وفى التفسير: أن المرأة إذا مشت بين يدى الرجال، فقد تبرجت تبرج الجاهلية الأولى.

وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء»(٢) رواه أسامة.

وقيل لبعض الحكماء: ما أحن السباع؟ قال: المرأة. وعن بعضهم أنه قال لآخر: لم يدخل باب دارى شرٌّ قط، قال: من أين تدخل امرأتك؟.[وعن](٣) بعضهم أنه رأى امرأة مصلوبة، فقال: لو أن كل شجرة تثمر مثل هذه، لنجى الناس من شر كبير.

وقوله: ﴿وأن يستعففن﴾ يعنى: ألا يلقين الرداء والجلباب خير لهن، وعن عاصم الأحول قال: كنا ندخل على حفصة، وهى متجلببة متردية متقنعة، فقلنا لها: يا أم المؤمنين، ألست من القواعد؟ فقرأت قوله تعالى: ﴿وأن يستعففن خير لهن﴾.

وقوله: ﴿والله سميع عليم﴾ ظاهر المعنى.

قولع تعالى: ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) متفق عليه، رواه البخارى (٩/ ٤١ رقم ٥٠٩٦)، ومسلم (١٧/ ١٨٦ رقم: ٢٧٤٠).

(٣) ليست فى «الأصل» ولا «ك»، ويقتضيها السياق.

بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِنْ

حرج ﴾ اختلف القول فى هذه الآية، قال الحسن البصرى: الآية نزلت فى رخصة هؤلاء للتخلف عن الجهاد، والذى ذكره بعده من الأكل عطف رخصة على رخصة. وعن ابن عباس قال: نزلت الآية فى رخصة الأكل من أولها إلى آخرها، وسبب ذلك أن الناس كانوا يتحرجون من الأكل مع العميان والعرج والمرضى، ويقولون: إن الأعمى لا يستوفى الأكل، والأعرج من الجلوس، والمريض يضعف عن التناول، وكان هؤلاء أيضا يتحرجون من الأكل مع الأصحاء، فيقول الأعمى: لا آكل مع بصير، فربما آكل أكثر مما يأكل، والأعرج يقول: ربما آخذ مكان نفسين، والمريض يقول: يتقذرنى الناس، فأنزل الله تعالى هذه الآية ورفع الحرج.

والقول الثالث: أن الناس كانوا يخرجون إلى الغزو، ويخلفون هؤلاء فى بيوتهم، فكانوا يتحرجون من الأكل، فأنزل الله تعالى هذه الآية ورفع الحرج، وهذا قول عائشة، والقول الرابع: أن هؤلاء كانوا يدخلون على الرجل لطلب الطعام فلا يجدون شيئا، فيذهب ذلك الرجل إلى بيت آخر، ويحملهم مع نفسه ليصيبوا من طعام ذلك الرجل، وهذا قول مجاهد، وعن عبد الكريم الجزرى قال: المراد من الآية هو الأعمى الذى معه قائد، فيحمل معه قائده ليأكل معه، وكذلك الأعرج والمريض يحملان إنسانا مع أنفسهما.

وقوله: ﴿ ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم ﴾ أى: ولا حرج على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم، وفى معناه قولان: أحدهما: أنه بيوت الأولاد، روى عن النبى ﷺ أنه قال: «أنت ومالك لأبيك»(١).

(١) رواه أبو داود (٣/ ٢٨٩ رقم ٣٥٣٠)، وابن ماجه(٢/ ٧٦٩)، وأحمد (٢/ ١٧٩، ٢٠٤، ٢١٤)، وابن الجارود فى المنتقى (رقم ٩٩٥)، والبيهقى (٧/ ٤٨٠) من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا. وفى الباب عن أبى بكر، وعمر، وعائشة، وجابر، وابن مسعود، وابن عمر، وسمرة. وانظر نصب الراية (٣/ ٣٣٧ - ٣٣٩)، وتلخيص الحبير (٣/ ٣٨٣ - ٣٨٤ رقم ١٦٧٠).

بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ

والقول الثاني: أن المراد بيوت الأزواج، ويقال: بيت كل إنسان في نفسه، والأولاد أظهر.

وقوله: ﴿أو بيوت آبائكم...﴾ الآية إلى آخرها ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿أو ما ملكتم مفاتحه﴾ قال ابن عباس: هذا وكيل الرجل وقيمه في ضيعتهوغنمه، يأكل من الثمر، ويشرب من اللبن، ولا يحمل(١) ولا يدخر، والقول الثاني: أن المراد من الآية بيوت العبيد، والمفاتح: الخزائن، قال الله تعالى: ﴿وعنده مفاتح الغيب﴾(٢) أي: خزائن الغيب.

وقوله: ﴿أو صديقكم﴾ الصديق هو الذي صدقك في المودة، ويقال: الصديق هو الذي ظاهره مثل ظاهرك، وباطنه مثل باطنك، والصديق هاهنا واحد بمعنى الجمع.

قال الشاعر:

[دعون](٣)الهوى [ثم ارتمين](٤)قلوبنا بأسهم أعداء وهن صديق

وعن بعضهم: أن الله تعالى رفع أمر الصديق على أمر الأبوين، قال الله تعالى حكاية عن أمر جهنم: ﴿فمالنا من شافعين ولا صديق حميم﴾(٥)، وعن جعفر بن محمد الصادق أنه قال: مثل صديقك مثل نفسك. وعن الحسن وقتادة قالا: كانوا يستحبون أن يدخلوا دور إخوانهم فيتناولون من غير استئذان، وكان يقع ذلك بطيب من نفوسهم، ومودة في قلوبهم. وعن ابن عمر قال: وما كان أحدنا بأحق بدرهمه وديناره عن صاحبه. وعن بعضهم :أنه ذكر صديقا له فقال: أيأخذ من كيسك

(١) في «ك»: ويحمل.

(٢) الأنعام: ٥٩.

(٣) في« الأصل، وك»: دعونا، والمثبت من طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي.

(٤) في« الأصل، وك»: وارتمينا، والمثبت من المصدر السابق.

(٥) الشعراء: ١٠٠ - ١٠١.

خَالاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا

ودراهمك ما تحب فلا تكرهه؟ قال: لا، قال: ليس لك هو بصديق.

وقوله: ﴿ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعًا أو أشتاتا﴾ روى أن الله تعالى لمَّا أنزل قوله: ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض﴾ توقى الناس غاية التوقى، وقالوا: لا نأكل مع أحد حتى لا نأكل باطلا، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وروى أن الآية نزلت فى مالك بن زيد مع الحارث بن عمرو، وكان الحارث خلف مالك بن زيد فى داره، وخرج غازيا، وأباح له الأكل، فلم يأكل شيئا. ومن المعروف فى التفسير: أن الآية نزلت فى بنى بكر من كنانة، وكان لا يأكل أحد منهم وحده حتى يجد ضيفا يأكل معه، وإذا لم يجد وأجهده الجوع نصب خشبة ولف عليها ثوبا وأكل عندها؛ ليظن الناس أنه إنسانٌ يأكل معه، وروى أن واحداً منهم نزل بلقاحه واديا، فجاع فحلب لقحة منها، ونادى فى الوادى: من كان هاهنا فليحضر ليأكل، وكان فى الوادى رجل فاختفى ولم يجب، وأجهده الجوع، فجلس يأكل وحده، فخرج الرجل، وقال له: يا رضيع، أتأكل وحدك، فأخذ الرجل سيفه وعدى عليه وقتله مخافة أن ينشر فى الناس ذلك الفعل منه، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأباح للقوم أن يأكلوا منفردين وجماعة، فإن قيل: ما قولكم فى هذه الآية، وإذا دخل بيت واحد ممن سبق ذكره، هل يجوز له أن يأكل بغير إذنه؟ والجواب عنه: قال أبو بكر الفارسى: إن كان سبق منه إذن على الإجمال – وإن لم يكن على التعيين– فإنه يجوز له أن يأكل، وفى غير هؤلاء لا يجوز إلا أن يعين. وقال بعضهم: إذا كان الطعام مبذولا غير محرز، جاز له أن يأكل وإن كان محرزًا فى حرز لا يجوز له أن يأكل، وأما حمل الزاد ومباذلة الغير فهو حرام ما لم يؤذن على التعيين، وقد قيل: إذا كان يسيراً فلا بأس به للعبيد والخدم.

وقوله: ﴿فإذا دخلتم بيوتًا فسلموا على أنفسكم﴾ أى: ليسلم بعضكم على بعض، وهذا كقوله: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾(١) أى: ولا يقتل بعضكم بعضًا،

---

(١) النساء: ٢٩.

أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

ويقال معنى الآية: إذا دخل بيته يسلم على أهله، وهى سنة قد هجرت، قال قتادة «أهلك أحق أن تسلم عليهم. وكان الأوزاعى إذا دخل بيته ونسى السلام خرج ثم رجع وسلم. وأما إذا دخل بيتا خاليا، فيقول: السلام علينا من ربنا، وإذا دخل مسجداً ليس فيه أحد يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، وقد بينا أن السنة إفشاء السلام على من تعرف ومن لا تعرف، وكان ابن عمر يسلم على النسوان كما يسلم على الرجال، وقالوا: إن كانت عجوزا فلا بأس به، وإن كانت شابة فلا يسلم.

وقوله: ﴿تحية من عند الله مباركة طيبة﴾ أى: حسنة جميلة، قاله ابن عباس، ويقال: ذكر البركة والطيب هاهنا لما فيه من الثواب، ومن أهدى سلاما إلى إنسان، فهى هدية خفيفة المحمل، طيبة الريح، مباركة العاقبة.

وقوله: ﴿كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه﴾. هذا تعليم أدب من آداب الإسلام، والأمر الجامع كل ما يجمعوا(١) المسلمين ،وقد قيل: إنه الجهاد، ويقال: هو الجمعة والعيدان، ويقال: كل طاعة يجتمع عليها المسلمون مع الإمام.

وفى الأخبار: «أن الرجل من المسلمين كان إذا كان مع النبى ﷺ فى أمر ،وأراد الاستئذان لحاجة له، قام وأشار إلى النبى ﷺ كأنه يستأذن ،فيشير إليه النبى ﷺ أذنت لك»(٢) . وقد قالوا: إنما يحتاج إلى الاستئذان إذا لم يكن هناك سبب يمنعه من المقام، فأما إذا عرض سبب يمنعه من المقام مثل امرأة تكون فى المسجد فتحيض، أو رجل يجنب، أو عرض له مرض وما أشبه، فلا يحتاج إلى الاستئذان.

---

(١) كذا!!

(٢) نسبه السيوطى فى الدر (٥/٦٦) بمعناه لسعيد بن منصور عن عمرو بن قيس.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم

وقوله: ﴿إن الذين يستأذنوك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله﴾ روى أن عمر استأذن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك أن يرجع إلى أهله فقال: «ارجع فلست بمنافق ولا مرتاب» يعرضه بالمنافقين، وقيل: إن هذه الآية ناسخة لقوله تعالى في سورة التوبة: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾.(١)

وقوله: ﴿فإذا استأذنوك لبعض شأنهم﴾ أى: أمرهم.

وقوله: ﴿فأذن لمن شئت منهم﴾ معناه: إن شئت فأذن، وإن شئت فلا تأذن.

﴿واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم﴾ أى: ادع لهم إذا طلبوا الدعاء منك.

قوله تعالى: ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا﴾ أى: لا تقولوا: يا محمد، يا أبا القاسم، يا ابن عبد الله، ولكن قولوا: يا أيها الرسول، يا أيها النبى، يا رسول الله، وادعوه على التفخيم والتعظيم.

وقوله: ﴿قد يعلم الله الذين يتسللون﴾ التسلل هو الخروج على خفية، وكان المنافقون يفعلون هكذا، وكان يشق عليهم حضور المسجد والمكث فيه، وسماع خطبة النبى ﷺ، فكان [يسير](٢) بعضهم ببعض ويخرج من المسجد.

وقوله ﴿لواذا﴾ أى: يلوذ بعضهم ببعض، وقيل: (رحلا)(٣).

وقوله: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾ أى: أَمْرَهُ.

وقوله: ﴿أن تصيبهم فتنة﴾ معناه: لئلا تصيبهم فتنة أى: بلية.

وقوله: ﴿أو يصيبهم عذاب أليم﴾ يقال: العذاب الأليم فى الدنيا، ويقال: فى الآخرة.

---

(١) التوبة: ٤٣.
(٢) فى «ك»: يشير.
(٣) كذا!.

بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾

قوله تعالى: ﴿ألا إن لله ما فى السموات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه﴾ أى: يعلم، و« قد » صلة.

وقوله: ﴿ويوم يرجعون إليه﴾ يعنى: فى الآخرة.

وقوله: ﴿فينبئهم بما عملوا﴾ أى: يخبرهم الله بما عملوا.

وقوله: ﴿والله بكل شىء عليم﴾ أى: عالم.

بسم الله الرحمن الرحيم

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً ﴿٢﴾

تفسير سورة الفرقان

وهى مكية، قال الضحاك: هى مدنية.

قوله سبحانه وتعالى: ﴿تبارك الذى نزل الفرقان على عبده﴾ وقرأ عبد الله بن الزبير: «على عباده» على الجمع. قوله: ﴿تبارك﴾ تفاعل من البركة، وقيل: تبارك أى: جل بما لم يزل ولا يزال، وقال الحسن: تبارك صفة من صفات الله تعالى؛ لأن كل بركة تجئ منه، وقال غيره: لأنه يتبرك باسمه، وأما البركة فهى الخير والزيادة، وقيل: فعل كل طاعة من العباد بركة، والبروك هو الثبوت، ويقال: فلان مبارك أى: ينزل الخير حيث ينزل.

وقوله: ﴿الذى نزل الفرقان﴾ أى: القرآن، وسمى القرآن فرقانا لمعنيين: أحدهما: لأنه يفرق بين الحق والباطل، والآخر: أن فيه بيان الحلال والحرام.

وقوله تعالى: ﴿على عبده﴾ أى: محمد ﷺ.

وقوله: ﴿ليكون للعالمين نذيرا﴾ أى: الجن والإنس، قال أهل العلم: ولم يبعث نبى إلى جميع ا لعالمين غير نوح ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

قوله تعالى: ﴿الذى له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا﴾ يعنى: كما قاله النصارى.

وقوله: ﴿ولم يكن له شريك فى الملك﴾ أى: كما قاله عبدة الأصنام وغيرهم.

وقوله: ﴿وخلق كل شىء﴾ أى: مما يصلح أن يكون مخلوقا.

قوله: ﴿فقدره تقديرا﴾ أى: سواه تسوية على ما يصلح للأمر الذى أريد له، ويقال: بَّين مقادير الأشياء ومنافعها، ومقدار لبثها ووقت فنائها.

وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً

قوله تعالى: ﴿واتخذوا من دون الله آلهة﴾ يعنى: الأصنام.

وقوله: ﴿لا يخلقون شيئًا وهم يخلقون﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا﴾ أى: دفع ضر وجلب نفع، وهذا يقع فى الأصنام التى عبدها المشركون.

وقوله: ﴿ولا يملكون موتا ولا حياة﴾ أى: إماتة (ولا إحياء).(١)

وقوله: ﴿ولا نشوراً﴾ أى: بعثًا بعد الموت.

قوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه﴾ أى: كذب اختلقه.

وقوله: ﴿وأعانه عليه قوم آخرون﴾ يعنى: جبر، ويسار، وعَدّاس، و[أبو](٢) فكيهة، وهؤلاء عبيد كانوا بمكة من أهل الكتاب، وكانوا يجلسون إلى النبى ﷺ يسمعون منه، فزعم المشركون أن محمدا ﷺ يأخذ منهم.

وقوله: ﴿فقد جاءوا ظلما وزورا﴾ أى: بظلمٍ وزورٍ، فلما حذف الباء انتصب.

قوله تعالى: ﴿وقالوا أساطير الأولين﴾ قال ابن عباس: كان النضر بن الحارث من شياطين أهل الشرك، وكان قد قدم الحيرة، وقرأ أخبار ملوك الفرس، (وكان يقول للمشركين: (إن الدين يقول)(٣) محمد أساطير الأولين، وأنا أحدثكم بمثله، يعنى من أحاديث الفرس)(٤) وحديث رستم واسفنديار، فالآية نزلت فيه وفيمن قال بقوله، مثل: عبد الله بن أبى أمية المخزومى وغيره.

(١) فى «ك»: أو إحياء.

(٢) سقط من «الأصل، وك»، والصواب إثباته، وقد سبق التنبيه عليه.

(٣) كذا، ولعلها: إن الذى يقوله....

(٤) ساقط من «ك».

وَأَصِيلاً ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا

وقوله: ﴿اكتتبها﴾ أى: طلب أن تكتب له؛ لأنه ﷺ كان لا يكتب.

وقوله: ﴿فهى تملى عليه﴾ أى: تقرأ عليه، إذ كان لا يكتب حتى تملى عليه ليكتب.

وقوله: ﴿بكرة وأصيلا﴾ أى: غدوة وعشيا.

﴿قل أنزله الذى يعلم السر﴾ أى: الغيب فى السموات والأرض ﴿إنه كان غفورا رحيما﴾ أى: متجاوزًا محسنًا.

قوله تعالى: ﴿وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق﴾ قالوا هذا على طريق الإنكار، وزعموا أنه إذا كان مثلهم يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق، فلا يجوز أن يمتاز عنهم بالنبوة، وكانوا يقولون: أنت لست بملَك ولا ملِك؛ فلست بملَك لأنك تأكل الطعام، ولست بملِك لأنك تتسوق وتتبذل، والملوك لا يتسوقون ولا يتبذلون، وهذا الذى قالوه كله فاسد؛ وذلك لأن أكله الطعام لا ينافى النبوة، ولا مشيه فى الأسواق، فإن أكله الطعام يدل على أنه آدمى محتاج، ومشيه فى الأسواق يدل على أنه متواضع غير متكبر، وأما اختصاصه بفضلة النبوة من بين الناس فجائز؛ لأن الله تعالى لم يسو بين الناس، بل فاضل بينهم.

وقوله: ﴿لولا أنزل إليه ملك﴾ قالوا هذا لأنهم زعموا أن الرسول إن لم يكن مَلَكًا، فينبغى أن يكون له شريك من الملائكة، هذا أيضًا فاسد؛ لأنه مجرد تحكم، ويجوز أن يتفرد الآدمى بالنبوة ولا يكون معه ملك، ولأن يكون النبى آدميا أولى من أن يكون ملكا؛ ليفهموا عنه، ويستأنسوا به.

وقوله: ﴿فيكون معه نذيرا﴾ أى: شريكا.

وقوله: ﴿أو يلقى إليه كنز﴾ يعنى: ينزل عليه كنز من السماء، أو يظهر له كنز

﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً
مَّسْحُوراً ﴿٨﴾ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً ﴿٩﴾ تَبَارَكَ الَّذِي
إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِّن ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُوراً ﴿١٠﴾ بَلْ

فى الأرض.

وقوله: ﴿أو تكون له جنة يأكل منها﴾ قالوا: هلا جعل الله لك بستانا تعيش به، أو كنزا يدفعه إليك، : فتستغنى به عن التعيش والتكسب والتبذل فى الأمور، وهذا أيضا فاسد؛ لأن كسبه وتعيشه لم يكن منافيا نبوته.

وقوله: ﴿وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا﴾ أى: مخدوعا، وقيل مصروفا عن الحق، وقيل: معللا بالطعام والشراب.

قوله تعالى: ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال﴾ أى: شبهوا لك الأشباه، والأشباه التى ذكروها، قولهم: إنه مخدوع، وقولهم: إنه محتاج متروك فى الدنيا، وقولهم: إنه ناقص فى التدبير والقيام بأمره.

وقوله: ﴿فضلوا﴾ أى: أخطئوا [و] يقال: تناقضوا، فإنهم كانوا يقولون مرة: هو مفترٍ أى: قاله من قبل نفسه، ومرة يقولون: إنه تعلمه من غيره.

وقوله: ﴿فلا يستطيعون سبيلا﴾ أى: طريق الحق، وقيل: طاعة الله.

وقوله تعالى: ﴿تبارك الذى إن شاء جعل لك خيراً من ذلك﴾ أى: خيرا مما طلبوه لك.

وقوله: ﴿جنات تجرى من تحتها الأنهار﴾ أى: بساتين تجرى من تحت أشجارها الأنهار.

وقوله: ﴿ويجعل لك قصورا﴾ أى: بيوتا مشيدة، والعرب تسمى كل بيت مشيد

قصرا، وروى حبيب بن أبى ثابت عن خيثمة «أن الله تعالى عرض مفاتيح خزائن الأرض على محمد ﷺ فلم يخترها»(١)، وفى بعض الأخبار: «عرض على بطحاء مكة ذهبا فاخترت أن أكون عبداً نبياً»(٢).

قوله تعالى: ﴿بل كذبوا بالساعة﴾ أى: بالقيامة.

وقوله: ﴿وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا﴾ أى: نارا مستعرة، والمستعرة المتوقدة.

قوله تعالى: ﴿إذا رأتهم من مكان بعيد﴾ الآية. روى عن النبى ﷺ أنه قال: «من تقول على ما لم أقل فإنه يوم القيامة بين عينى جهنم، فقيل له: ولجهنم عينان؟ قال: نعم، وقرأ قوله تعالى: ﴿إذا رأتهم من مكان بعيد﴾»(٣).

وقال بعضهم: إذا رأتهم أى: رأت زبانيتها إياهم.

(١) عزاه السيوطى فى الدر (٥/ ٦٩) للفريابى، وابن أبى شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن مردويه، وابن المنذر، وابن أبى حاتم عن خيثمة بطوله.

(٢) رواه أبو يعلى (٨/ ٣١٨ رقم ٤٩٢٠)، والبغوى فى شرح السنة (١٣/ ٢٤٧ رقم ٣٦٨٣) من حديث عائشة بنحوه مطولا. وقال الهيثمى فى المجمع (٩/ ٢٢): رواه أبو يعلى، وإسناده حسن. وروى من حديث أبى أمامة مرفوعًا: «عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبًا... الحديث بطوله». رواه الترمذى (٤/ ٤٩٧ رقم ٢٣٤٧) وحسنه، وأحمد (٥/ ٢٥٤)، والطبرانى (٨/ ٢٠٦ - ٢٠٧ رقم ٧٨٣٤)، وأبو نعيم فى الحلية (٨/ ١٣٣). وفى الباب عن زيد بن ثابت، وابن عمر، وابن عباس، وانظر الحلية (٧/ ٢٦٢)، والمجمع (٢٢ - ٢٤).

(٣) روى من حديث أبى أمامة مرفوعًا بنحوه، رواه الطبرانى فى الكبير (٨/ ١٣١ - ١٣٢ رقم ٧٥٩٩)، ومن طريقه ابن الجوزى فى الموضوعات (١/ ٩٥)، وقال: لايصح، وعزاه الشيخ ناصر فى السلسلة الضعيفة (رقم ٩٩٤) لأبى نعيم فى المستخرج على صحيح مسلم (١/ ٩/ ١)، وقال أبو نعيم: هذا حديث لا أصل له فيما أعلم، والحمل فيه على محمد بن الفضل بن عطية لاتفاق أكثر الناس على إسقاط حديثه. ورواه الطبرى فى تفسيره (١٨/ ١٤٠)، والخطيب فى الكفاية (٣٠٢ - ٣٠٣)، وابن أبى حاتم - تفسير ابن كثير (٣/ ٣١٠) - عن خالد بن دريك عن رجل من الصحابة بنحوه مرفوعا. وعزاه السيوطى فى الدر لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم (الدر ٥/ ٧٠)، وقال الشيخ ناصر حفظه الله تعالى: موضوع.

تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَا تَدْعُوا

وقوله: ﴿سمعوا لها تغيظا﴾ فإن قيل: كيف يسمع التغيظ، إنما يعلم التغيظ؟ والجواب عنه: قلنا معناه: سمعوا غليان التغيظ، (وقبله)(١): سمعوا لها زفيراً [أى](٢): علموا لها تغيظا، قال الشاعر:

رأيت زوجك فى الوغى متقلدا سيفا ورمحا

أى: متقلدا سيفا وحاملا رمحًا، وقال آخر:

علفتها تبنًا وماء باردا

أى: علفتها تبنًا وسقيتها ماءً باردًا. وقد ذكرنا معنى الزفير، وعن عبيد بن عمير أنه قال: تزفر جهنم يوم القيامة زفرة، فلا يبقى ملك ولا نبى مرسل إلا خر بوجهه، حتى إن إبراهيم يجثو على ركبتيه، ويقول: نفسى نفسى، ولا أريد غيرها.

وقوله: ﴿من مكان بعيد﴾ قيل فى بعض التفاسير: من مسيرة مائة سنة.

قوله تعالى: ﴿وإذا ألقوا منها مكانا ضيقًا مقرنين﴾ يقال: تضيق الزُّج فى الرمح.

وقوله: ﴿مقرنين﴾ أى: مصفدين، وقيل: مغللين، كأنه غلل أيديهم إلى أعناقهم، وقرنوا مع الشياطين، وقد بينا أن كل كافر يقرن مع شيطان فى سلسلة.

وقوله: ﴿دعوا هنالك ثبورا﴾ أى: هلاكًا، وهو قولهم: واهلاكاه، وفى بعض الأخبار: أن أول من يكسى حلة من نار إبليس، فيسحبها إلى جهنم، ويتبعه ذريته.

وقوله: ﴿لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا﴾ أى: ليس هذا موضع دعاء واحد بالهلاك، بل هو موضع أدعية كثيرة، قال الشاعر:

إذ أجارى الشيطان فى سنن الغـ ـى ومن مال ميله مثبور

أى: هالك.

قوله: ﴿قل أذلك خير أم جنة الخلد التى وعد المتقون﴾ فإن قيل: ليس فى: جهنم

(١) فى «ك»: وقيل.

(٢) من «ك».

الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا

خيرٌ، أصلا، فكيف يستقيم قوله: ﴿أذلك خير أم جنة الخلد﴾؟ والجواب عنه: قلنا: العرب قد تذكر مثل هذا ،وإن لم يكن فى أحدهما خير أصلا، يقال: الرجوع إلى الحق خير من التمادى فى الباطل، وقال الأزهرى: إنما ذكر لفظ «الخير» هاهنا لاستواء المكانين فى المنزل، على معنى أنهما منزلان ينزل فيهما الخلق، فاستقام أن يقال: هذا المنزل خير من ذلك المنزل لوجود الاستواء فى صفةٍ.

وقوله: ﴿كانت لهم جزاء ومصيرا﴾ أى: مجازاة ومرجعا.

قوله تعالى: ﴿لهم فيها ما يشاءون خالدين﴾ أى: مقيمين.

وقوله: ﴿كان على ربك وعدا مسئولا﴾ أى: مطلوبًا، وهو طلب المؤمنين فى قوله: ﴿ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك﴾(١) أى: على ألسنة رسلك، ويقال: الطلب من الملائكة للمؤمنين، وذلك فى قوله تعالى: ﴿ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم﴾(٢) الآية .

وقوله تعالى: ﴿ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله﴾ أى: الملائكة، وقيل: عيسى وعزيرًا عليهما السلام.

وقوله: ﴿فيقول﴾ أى: يقول الله: ﴿أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل﴾ أى: هم أخطأوا الطريق.

قوله تعالى: ﴿قالوا سبحانك ما كان ينبغى لنا أن نتخذ من دونك من أولياء﴾ أى: ما كان لنا أن نأمرهم بعبادتنا ونحن نعبدك، ويقال: من اتخذ عدو غيره وليًا فقد اتخذ من دونه وليًا.

---

(١) آل عمران: ١٩٤.

(٢) غافر: ٨.

السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ

وقوله: ﴿ولكن متعتهم وآباءهم﴾ أى: بكثرة الأموال والأولاد، ويقال: بطول العمر، ويقال: بنيل المراد.

وقوله: ﴿حتى نسوا الذكر﴾ أى: نسوا ذكرك وغفلوا عنك، ويقال: تركوا الحق الذى أنزلت. وقوله: ﴿وكانوا قوما بورا﴾ أى: هلكى، يقال: رجل بائر أى: هالك، وسلعة بائرة أى: كاسدة، وفى الخبر: «أن النبى ﷺ كان يتعوذ من بوار[الأيِّم]»(١)،(٢)

قال الشاعر- وهو ابن الزبعرى -:

يا رسول المليك إن لسانى ... راتق مافَتَقْتُ إذ أنا بُورُ

أى: هالك

قوله تعالى: ﴿فقد كذبوكم بما تقولون﴾ هذا خطاب مع المشركين، فإنهم كانوا يزعمون أن الملائكة وعيسى وعزيرا دعوهم إلى عبادتهم.

وقوله: ﴿فما تستطيعون صرفا ولا نصرا﴾ أى: صرف العذاب عن أنفسهم، وقيل: صرفك عن الحق.

وقوله: ﴿ولا نصرا﴾ أى: لا يتسطيعون منع العذاب عن أنفسهم.

وقوله: ﴿ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا﴾ أى: عظيماً.

قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق﴾. فى الآية جواب عن قولهم: ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى

(١) فى «الأصل وك»: الإثم، وهو سبق قلم، والحديث أخرجه الطبراني فى الثلاثة كما سيأتى، وانظر النهاية فى غريب الحديث (١/ ١٦١).

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير (١١/ ٣٢٣ رقم ١١٨٨٢)، وفى الأوسط (٨/ ٥٩ رقم ٤٧٠٦ مجمع البحرين)، والصغير (٢/ ٢١٦ رقم ١٠٥٢) عن ابن عباس بنحوه مرفوعًا. وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ١٤٦): فيه عباد بن زكريا الصريمى، ولم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح.

صَرْفًا وَلا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ

الأسواق؟ وهذا فى معنى قوله تعالى: ﴿قل ما كنت بدعا من الرسل﴾[1] إن أنا [إلا] رسول مثل سائر الرسل، فإذا جاز أن يكون سائر الرسل آدميين، فيجوز أن أكون آدميا رسولا.

وقوله: ﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة﴾. فيه قولان: أحدهما: أن معنى ﴿فتنة﴾ للفقير، فيقول الفقير: مالى لم أكن غنيا مثله؟ والصحيح فتنة للمريض، فيقول: مالى لم أكن صحيحًا؟ ومثل الشريف فتنة للوضيع، فيقول: مالى لم أكن شريفا مثله؟.

والقول الثانى: أن الآية نزلت فى رءوس المشركين مع فقراء المؤمنين، وفقراء المؤمنين مثل: عمار، وابن مسعود، وبلال، وصهيب، وخباب، وسلمان، وغيرهم، وكان المشرك إذا أراد أن يسلم، فكر فى نفسه، فيقول: هذا دين سبقنى إليه هؤلاء الأرذال، فلا أكون تبعا لهم، فيمتنع من الإسلام.

وقوله: ﴿أتصبرون﴾ أى: فاصبروا.

وفى الخبر أن النبى ﷺ قال: «فإن فى الصبر على ما تكره خيرًا كثيرا»[2]، وهو خبر طويل.

ويقال إن معنى الآية: أتصبرون أو لا تصبرون؟ وعن بعضهم أنه رأى بعض الأغنياء وقد مر عليه فى موكبه، فوقف وقرأ قوله تعالى: ﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون﴾ ثم قال: بلى نصبر ربنا، بلى نصبر ربنا، بلى نصبر ربنا، ثلاث مرات. وأورد بعضهم هذه الحكاية للمزنى مع الربيع بن سليمان المرادى، وعن داود الطائى أنه

(١) الأحقاف: ٩.

(٢) رواه الإمام أحمد فى مسنده (١ / ٣٠٧ - ٣٠٨)، والحاكم فى مستدركه (٣ / ٥٤١)، وأبو نعيم فى الحلية (١ / ٣١٤)، والبيهقى فى الأسماء والصفات (ص٩٧) من حديث ابن عباس مرفوعاً بطوله. وقد أعل الذهبى إسناد الحاكم فقال: القداح قال أبو حاتم: متروك، وابن خراش مختلف فيه، وعبد الملك بن عمير لم يسمع من ابن عباس فيما أرى. روى من حديث سهل ابن سعد، رواه ابن أبى الدنيا فى الفرج بعد الشدة (٢٧ - ٣٠ رقم ٧).

بَصِيراً ﴿٢٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيراً ﴿٢١﴾

مر عليه حميد الطوسى فى موكبه، وداود فى أطمار له، فقال لنفسه(١) : أتطلبين دنيا سبقك بها حميد؟. وروى أن رجلا مر على الحسن البصرى، وهو فى هيئة حسنة، وسيادة عظيمة من الدنيا، فسأل من هذا؟ فقيل: هذا صراط الحجاج، فقال: هذا الذى أخذ الدنيا بحقها.

وقوله: ﴿وكان ربك بصيرا﴾ أى: بصيرا بأعمالكم.

قوله تعالى: ﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا﴾ أى: لا يخافون لقاءنا، قال الفراء: والرجاء بمعنى الخوف لغة تهامية، ومنه قوله تعالى: ﴿ما لكم لا ترجون لله وقارا﴾(٢) أى: لا تخافون لله عظمة. قال الشاعر:

لا ترتجى حين تلاقى الذائدا أسبعة لاقت معا أم واحدا

أى: لا تخاف.

وقوله: ﴿لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا﴾ (معناه: هلا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا)(٣).

وقوله: ﴿لقد استكبروا فى أنفسهم﴾ أى: تعظموا فى أنفسهم، واستكبارهم هو أنهم امتنعوا عن الإيمان، وطلبوا آية لم تطلبها أمة قبلهم.

وقوله: ﴿وعتوا عتوا كبيرا﴾. أى: علو علوا عظيما، والعتو هو المجاوزة فى الظلم إلى أبلغ حده، وعتوهم هاهنا طلبهم رؤية الله حتى يؤمنوا.

قوله تعالى: ﴿يوم يرون الملائكة﴾ ويوم رؤية الملائكة هو يوم القيامة.

(١) فى «ك»: فى نفسه.

(٢) نوح: ١٣.

(٣) ساقط من «ك».

يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ لا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً

وقوله: ﴿لا بشرى يؤمئذ للمجرمين﴾ إنما قال هذا؛ لأن الملائكة يبشرون المؤمنين يوم القيامة، فيطلب ظنا منهم أنهم كانوا على الحق، فيقولون: لا بشرى لكم هكذا قال عطية، وقال بعضهم: معنى الآية: أنه لا بشرى للمجرمين حين توجد البشرى للمؤمنين.

وقوله: ﴿ويقولون حجرا محجورا﴾ أى: حراما محرماً، قال ابن عباس: حرام محرم الجنة على من لم يقل لا إله إلا الله، قال الشاعر:

حنت إلى النخلة القصوى فقلت لها … حجر حرام ألا إلى تلك الدهاريس

ويقال معنى الآية: يحرم دخول الجنة على الكافر حين يطلق دخولها للمؤمنين.

قوله تعالى: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل﴾. أى: عمدنا إلى ما عملوا من عمل.

وقوله: ﴿فجعلناه هباءً منثورا﴾ قال على - رضى الله عنه -: الهباء المنثور هو ما يرى فى الكوة إذا وقع شعاع الشمس فيها. وقال غيره: الهباء المنثور هو ما يسطع من سنابك الخيل عند شدة السير.

وعن يعلى بن عبيد قال: هو الرماد، وفرَّق بعضهم بين الهباء المنثور وبين الهباء المنبث، فقال: الهباء المنثور ما يرى فى الكوة، والهباء المنبث ما يطيره الريح من سنابك الخيل.

قوله تعالى: ﴿أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا﴾ فإن قيل: كيف يكون فى الجنة مقيل، وفى النار مقيل وليسا بموضع النوم؟ والجواب عنه: قال الأزهرى: المقيل موضع الاستراحة نام أو لم ينم، وفى المأثور عن عبد الله بن مسعودأنه قال: لا ينتصف يوم القيامة حتى يقيل أهل الجنة فى الجنة، وأهل النار فى النار. فذكر القيلولة لأن نصف النهار وقت القيلولة، ومعناه: النزول هاهنا، وهو أنه ينزل كلا الفريقين فى منازلهم، وقد روى أن الله تعالى يقصر اليوم على المؤمنين حتى يرده كأنه من صلاة إلى صلاة.

﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنزِيلاً ﴿٢٥﴾ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾

قوله تعالى: ﴿ ويوم تشقق السماء بالغمام ﴾ قال قتادة: على الغمام، يقال: جاء فلان بدابته أى: على دابته.

والأكثرون على أن السماء تنشق على غمام أبيض ينزل فيه الملائكة، وروى أن السماء الدنيا تنشق، فينزل من الخلق عنها أكثر من عدد الجن والإنس، ثم تنشق السماء الثانية، فينزل من الخلق عنها أكثر من خلق سماء الدنيا ومن الجن والإنس، وهكذا فى السماء الثالثة، والرابعة إلى السابعة، ثم ينزل الكَروبيون(١)، ثم ينزل حملة العرش، وقد بينا من قبل قوله: ﴿ فهل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة ﴾(٢).

وقوله: ﴿ ونزل الملائكة تنزيلا ﴾ أى: وأنزل الملائكة تنزيلا.

قوله تعالى: ﴿ الملك يومئذ الحق للرحمن ﴾ معناه: الملك الحق يومئذ للرحمن.

﴿ وكان يوما على الكافرين عسيرا ﴾ أى: شديدا، ومن شدته أن الله يطول عليهم ذلك اليوم كما يقصره على المؤمنين على ما بينا.

وفى بعض الأخبار: أن جهنم تفور يوم القيامة، فيتبدد الناس ويتفرقون، فكلما وصلوا إلى قطر من الأقطار، وجدوا سبعة من صفوف الملائكة أدخلوا أجنحتهم بعضهم فى بعض، ثم قرأ: ﴿ وكان يوما على الكافرين عسيرا ﴾.

قوله: ﴿ ويوم يعض الظالم على يديه ﴾. الظالم هاهنا هو عقبة بن أبى معيط بإجماع أهل التفسير، وسبب نزول الآية: «أن عقبة بن أبى معيط كان قد هم بالإسلام، وروى أنه اتخذ دعوة ودعا النبى ﷺ، فقال: لا آكل حتى تشهد أن لا إله إلا الله، وأنى رسول الله»، فشهد عقبة، وكان عقبة صديقا لأمية بن خلف، فقال له

(١) الكَروبيون: سادة الملائكة، منهم جبرئيل وميكائيل وإسرافيل، وهم المقربون، والكرب القرب.

(٢) البقرة: ٢١٠.

وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً

أمية: أصبوت يا عقبة؟ وجهى من وجهك حرام إن لم ترجع، فقال: إنما قلت ما قلت ليأكل من طعامى، وأنا على دينى الأول. وروى أنه قال: لا أكلمك أبدا حتى تجئ فَتَتْفُل فى وجه محمد، فجاء ففعل[1]، وروى أن التفلة رجعت إلى وجهه - لعنه الله - (وفى رواية قال ﷺ: «لو كنت خارج الحرم لضربت عنقك» فضحك الكافر، وأسر يوم بدر)[2] أورد النقاش ذلك، ففيه نزلت هذه الآية[3].

وقوله: ﴿يعض الظالم على يديه﴾ أى: يأكل يديه ندما، وفى بعض التفاسير: أنه يأكل يديه حتى يبلغ مرفقيه، ثم تنبت ثم يأكل، ثم تنبت هكذا.

فقوله: ﴿يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا﴾ أى: أخذت طريقه.

وقوله: ﴿يا ويلتى ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا﴾. أى: أمية بن خلف، وقيل: الشيطان، والأول هوالمعروف.

قوله تعالى: ﴿لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى﴾ أى: عن الهدى بعد إذ جاءنى، وقيل: عن القرآن.

وقوله: ﴿وكان الشيطان للإنسان خذولا﴾. أى: تاركا، ومن المعروف فى المغازى أن عقبة بن أبى معيط أسر يوم بدر، فقتله النبى صبرا، فقال: أأقتل من بين هؤلاء يا محمد؟ قال: نعم، قال من للصبية؟ قال: النار»[4]. واختلفوا فى قاتله، فقال بعضهم: تولى قتله على - رضى الله عنه - وقال بعضهم: عاصم بن أبى الأفلح حمى الدبر، ولم يقتل من الأُسَراء يوم بدر غير عقبة والنضر بن الحارث.

(١) فى «ك»: فتفل.
(٢) ليست فى: «ك»، وهو على صورة لحق بالأصل.

(٣) رواه ابن مردويه، وأبو نعيم فى الدلائل - وقال السيوطى: بسند صحيح - من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس بنحوه مطولا. ورواه أبو نعيم من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس بنحوه أيضًا، وانظر الدر (٥/٧٤ - ٧٥).

(٤) هو قطعة من الحديث السابق، وانظر السيرة لابن هشام (٢/٢٠٣ - ٢٠٤).

﴿٢٩﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ
نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ

قوله تعالى: ﴿وقال الرسول يارب إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا﴾ أى: متروكا، ويقال: جعلوه بمنزلة الهجر أى: الهذيان.

قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلنا﴾ هذه الآية أنزلت تعزية للنبى ﷺ وتسلية له.

وقوله: ﴿لكل نبى عدوا من المجرمين﴾ أى: أعداء من المجرمين، وعن ابن عباس فى رواية: أنه أبو جهل خاصة، وهو أبو الحكم عمرو بن هشام بن المغيرة عليه لعنة الله.

وقوله: ﴿وكفى بربك هاديا ونصيرا﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة﴾ أى: كما أنزل التوراة والإنجيل على موسى وعيسى.

وقوله: ﴿كذلك لنثبت به فؤادك﴾ أى: أنزلناه مفرقا كالذى أنزلنا لنثبت به فؤادك أى: لنقوى به فؤادك(١)، وقيل: لتزداد بصيرة فى فؤادك، كأنه كلما نزل جبريل بالوحى ازداد هو بصيرة وقوة، وقد أنزل الله تعالى القرآن فى ثلاث وعشرين سنة، فحين أكمل الله تعالى ما أراد إنزاله عليه من الوحى أدركته الوفاة.

وقوله: ﴿ورتلناه ترتيلا﴾. أى: فصلناه تفصيلا، وقيل: بيناه تبيينا.

والقراءة على الترتيل سنة، ويكره أن يقرأ كحدو الشعر ونثر الدَّقَل.

قوله تعالى: ﴿ولا يأتونك بمثل﴾ أى: بمعنى يدفعون ما أنت عليه وبعثناك به، إلا جئناك بالحق أى: جئناك بما يدفعه ويبطله، فسمى ما يوردون من الشُّبَه مثلا، وسمى ما يدفع الشبه حقا أعطاه إياه.

وقوله: ﴿وأحسن تفسيراً﴾ التفسير تفعيل من الفَسْرِ، والفَسْرُ: كشف ما قد غطى.

(١) فى «ك»: أى لنقوى قلبك.

الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴿٣٢﴾ وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً ﴿٣٣﴾ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا

قوله تعالى: ﴿الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم﴾ فى الأخبار: أن الناس يحشرون ثلاثة أصناف: صنف ركبانًا، وصنف مشاة، وصنف على وجوههم»[1].

وقد ثبت الخبر عن النبى ﷺ برواية شيبان، عن قتادة، عن أنس أن رسول الله ﷺ قيل له: كيف يحشر الناس على وجوههم؟ فقال: «إن الذى أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم»[2].

قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا المكى بن عبد الرزاق، أخبرنا جدى، أخبرنا الفربرى، أخبرنا البخارى، أخبرنا عبد الله بن محمد المسندى، عن يونس بن محمد، عن شيبان ... الخبر.

وقوله: ﴿أولئك شر مكانًا﴾ أى: شر مكانةً ومنزلةً.

وقوله: ﴿وأضل سبيلا﴾ أى: أخطأ طريقًا.

قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا﴾ أى: ناصراً ومعينًا.

قوله تعالى: ﴿فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ وهم القبط.

وقوله: ﴿فدمرناهم تدميرا﴾ أى: أهلكناهم إهلاكًا.

(١) رواه الترمذى (٥/ ٢٨٥ – ٢٨٦ رقم ٣١٤٣) وحسنه، والنسائى فى الكبرى (٦/ ٤٣٩ رقم ١١٤٣١)، والإمام أحمد فى مسنده (٥/ ٣، ٥)، والطبرى (٢٤/ ٦٨–٦٩)، والحاكم (٢/ ٤٤٠، ٤/ ٥٦، ٥٦٥) وصححه عن بهز بن حكيم.

وفى الباب عن أبى هريرة – رواه الترمذى (٥/ ٢٨٥ رقم ٣١٤٢) وحسنه، وأحمد (٢/ ٣٥٤، ٣٦٣) وغيرهما – وأبى ذر، رواه النسائى (٤/ ١١٦ – ١١٧ رقم ٢٠٨٦)، وابن أبى شيبة (١٣/ ٢٤٧ رقم ١٦٢٤٣) وغيرهما.

(٢) متفق عليه من حديث قتادة عن أنس، رواه البخارى (٨/ ٣٥٠ رقم ٤٧٦٠ وطرفه ٦٥٢٣)، ومسلم (١٧/ ٢١٧ رقم ٢٨٠٦).

وَأَضَلُّ سَبِيلاً ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَرُونَ وَزِيراً ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيراً ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَاباً أَلِيماً ﴿٣٧﴾ وَعَاداً وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُوناً

قوله تعالى: ﴿وقوم نوح لما كذبوا الرسل﴾ أى: الرسول، جمع بمعنى الواحد، ويقال: من كذب رسولا واحداً فقد كذب جميع الرسل؛ فلهذا قال: ﴿كذبوا الرسل﴾.

وقوله: ﴿أغرقناهم وجعلناهم للناس آية﴾. نزل الماء من السماء أربعين يومًا، ونبع من الأرض أربعين يومًا، حتى صارت الدنيا كلها بحراً.

وقوله: ﴿وأعتدنا للظالمين عذابًا أليمًا﴾ أى: مؤلما.

قوله تعالى: ﴿وعاداً وثمود﴾ أى: وأهلكنا عاداً وثمود.

وقوله: ﴿وأصحاب الرس﴾. الأكثرون على أن الرس بئر، فروى أنه لما جاءهم نبيهم جعلوه فى البئر، وألقوا عليه ما أهلكه.

وقال الكلبى: بعث الله إليهم نبيًّا فطبخوه وأكلوه.

وعن ابن عباس فى بعض الروايات: أن أصحاب الرس هم قوم حبيب النجار، ألقوه فى البئر حتى هلك، وهو بأنطاكية.

وقوله: ﴿وقرونًا بين ذلك كثيراً﴾ قد بينا معنى القرون من قبل، وروى عن الربيع ابن خثيم(١) أنه مرض، فقيل له: ألا ندعوا لك طبيبًا؟ فقال: أنظرونى، ثم تفكر فى نفسه، ثم قال: قال الله تعالى: ﴿وعاداً وثمود وأصحاب الرس وقرونًا بين ذلك كثيراً﴾ قد كان فيهم مرضى وأطباء، فما بقى المداوى ولا المداوى، ولا المريض ولا الطبيب، ولا أريد أن تدعوا لى طبيبًا.

قوله تعالى: ﴿وكلاً ضربنا له الأمثال﴾ أى: الأشباه.

﴿وكلاً تبرنا تتبيراً﴾ أى: دمرنا تدميرا، وقيل: أهلكنا إهلاكًا.

قوله تعالى: ﴿ولقد أتوا على القرية التى أمطرت مطر السوء﴾ يقال: هؤلاء قريات

(١) «فى الأصل»: خثيمى بإثبات الياء آخر الحروف، والصواب حذفها.

بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيراً ﴿٣٨﴾ وَكُلاًّ ضَرَبْنَا لَهُ الأَمْثَالَ وَكُلاًّ تَبَّرْنَا تَتْبِيراً ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لا يَرْجُونَ نُشُوراً ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُواً أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴿٤٣﴾

لوط، ويقال: كان الحجر ينزل على قدر قامة الإنسان فيقع عليه، فيدمغه ويهلكه.

وقوله: ﴿أفلم يكونوا يرونها﴾ ذكر هذا لأن مدائن لوط كانت على طريقهم عند ممرهم إلى الشام ورجوعهم منها.

وقوله: ﴿بل كانوا لا يرجون نشوراً﴾ أى: لا يخافون نشوراً، ويقال: يرجون على حقيقته أى: لا يرجون المصير إلى الله تعالى.

﴿وإذا رأوك إن يتخذونك﴾ أى: ما يتخذونك ﴿إلا هزوا﴾.

وقوله: ﴿أهذا الذى بعث الله رسولا﴾ قالوا هذا على طريق الاستهزاء.

قوله: ﴿إن كاد ليضلنا عن آلهتنا﴾ أى: قد قارب أن يضلنا عن آلهتنا.

قال الشاعر:

هممت ولم أفعل وكدت وليتنى — تركت على عثمان تبكى حلائله

وقوله: ﴿**لولا أن صبرنا عليها**﴾ أى: لو لم نصبر عليها لأضلنا عنها.

وقوله: ﴿فسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا﴾ أى: أخطأ سبيلاً.

قوله تعالى: ﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ قال أهل التفسير: كان من اتخاذهم أهواءهم آلهتهم أن الواحد منهم كان يعبد الحجر، فإذا رأى حجراً أحسن منه طرح الأول، وأخذ الثانى وعبده.

وقوله: ﴿أفأنت تكون عليه وكيلا﴾. أى: حافظا، وقيل: كفيلاً.

وفى بعض الآثار: ما من معبود فى السماء والأرض أعظم من الهوى، وعن بعضهم قال: هو الطاغوت الأكبر.

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴿٤٤﴾
أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً ﴿٤٥﴾

قوله تعالى: ﴿أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون﴾. أى: أتحسب.

وقوله: ﴿إن هم إلا كالأنعام﴾. أى: ما هم إلا كالأنعام، جعلهم كالأنعام؛ لأنهم لم يدركوا طريق الحق، ولم ينتفعوا بما ميزهم الله به عن البهائم من عقولهم وأسماعهم وأبصارهم.

وقوله: ﴿بل هم أضل سبيلا﴾ أى: أخطأ طريقًا، وجعل الكفار أضل من الأنعام؛ لأن الأنعام تسجد وتسبح لله تعالى، والكفار لا يسجدون ولا يسبحون؛ ولأن البهائم لم يعرفوا، ولم يكونوا أعطوا آلة المعرفة. وأما الكفار لم يعرفوا وقد أعطوا آلة المعرفة، فهم أضل؛ ولأن البهائم لم تفسد ما لها من المعارف؛ فإن الله تعالى أعطاها قدرًا من المعارف وهم يستعملونها، وأما الكفار فقد أفسدوا ما لهم من المعارف، فهم أضل وأقل من البهائم.

قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى ربك﴾ منهم من قال: هذا على التقديم والتأخير، ومعناه: ألم تر إلى الظل كيف مده ربك؟ وقيل: هو على ظاهره، ومعنى الرؤية هو العلم، قال الشاعر:

أريني جوادًا مات هزلا لعلني ... أرى ما ترين أو بخيلا مخلدا

واختلفوا فى هذا الظل، فالأكثرون على أنه الظل من وقت طلوع الصبح إلى وقت طلوع الشمس، والقول الثانى: أنه من وقت غروب الشمس إلى وقت طلوعها. والظل هو ظل الأرض يقبل عند غروب الشمس، ويدبر عند طلوعها.

وقوله: ﴿ولو شاء لجعله ساكنًا﴾ أى: دائمًا.

وقوله: ﴿ثم جعلنا الشمس عليه دليلا﴾ أى: ثم جعلنا الشمس دليلا على الظل، فإن الظل يعرف بالشمس، والنور يعرف بالظلمة، والليل بالنهار، وكذلك كل الأشياء تعرف بأضدادها.

ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا

وقيل: جعلنا الشمس عليه دليلا أى: تتلوه وتتبعه فتنسخه.

وقوله: ﴿ ثم قبضناه إلينا قبضًا يسيرًا ﴾

القبض: جمع المنبسط من الشيء، ومعناه: أن الظل يعم الأرض مثل طلوع الشمس، فإذا طلعت الشمس قبض الظل بالشمس جزءاً فجزءاً، فيقال: وقت قبض الظل عند الاستواء، حتى لا يبقى ظل فى العالم إلا على موضع لا تكون الشمس مستوية عليه.

وقوله: ﴿ يسيرًا ﴾ أى: هينًا. وقال مجاهد: خفيا، وهو أصح القولين.

قوله تعالى: ﴿ وهو الذى جعل لكم الليل لباسًا ﴾ أى: يلبسكم بظلمة الليل عند غشيانه، فكأن الليل لباس الناس، ومنهم من قال: هو فى معنى قوله تعالى: ﴿ هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه ﴾(١) وموضع السكن كاللباس للإنسان.

وقوله: ﴿ والنوم سباتاً ﴾ أى: راحة، والسَّبْتُ: القطع، والنائم مَسَبُوتٌ؛ لأنه انقطع عمله مع بقاء الروح فيه.

وقوله: ﴿ وجعل النهار نشوراً ﴾ أى: زمانًا ينشرون فيه.

قوله تعالى: ﴿ وهو الذى أرسل الرياح بشراً ﴾ وقرئ: «نُشُرًا» بضم النون والشين، وقرئ بالباء المضمومة، فقوله: «نَشرًا» بنصب(٢) النون أى: لإنشار النبات، وإنشار النبات إحياؤه، وأما «نُشُرًا» بضم النون جمع «نشر»(٣) كالرسل جمع رسول، وأما ﴿ بُشرًا ﴾ بالباء من البشارة، وقد ذكرنا الكلام فى الرياح.

---

(١) يونس: ٦٧.

(٢) فى «ك»: بضم.

(٣) هكذا بالأصل وك، والصواب أن نُشُرًا جمع نَشُور مثل رسول ورُسُل، كمال قال المصنف نفسه.

بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾

وروى عن النبى ﷺ أنه كان يقول إذا هبت الريح: «اللهم اجعلها رياحًا، ولا تجعلها ريحًا»(١).

قالوا: وإنما ذكر هكذا ﷺ؛ لأن البشارة فى ثلاث من الرياح: الصَّبا، والشمال، والجنوب، وأما الدبور فليس فيها بشارة؛ لأنها الريح العقيم. وعن مجاهد قال: إن الريح له جناحان وذنب. وعن ابن عباس أنه قال: الريح والماء جند الله الأعظم.

وقوله: ﴿بين يدى رحمته﴾ أى: المطر.

وقوله: ﴿وأنزلنا من السماء ماءً طهوراً﴾ قال ثعلب: الطهور هو الطاهر فى نفسه المطهر لغيره، فالماء طهور؛ لأنه يطهر الناس من الأحداث، ويطهر الأرض من الجدوبة والقحط.

وقوله تعالى: ﴿لنحيى به بلدة ميتًا﴾ أى: بلداً ميتًا، وإحياؤه بإنبات النبات، وإخراج الأشجار والثمار.

﴿ونسقيه مما خلقنا أنعامًا وأناسى كثيراً﴾ أى: نسقى بالماء أنعامًا وأناسى كثيراً. والأناسى جمع إنسى وقيل: جمع إنسان، وكان أصله أناسين، مثل بستان وبساتين، ثم حذفت النون، وشددت الياء.

ومعنى الآية: أنا نسقى بالماء(٢) الحيوان وغير الحيوان، ننمى به كل مايقبل النماء.

(١) رواه الطبرانى (١١/٢١٣-٢١٤ رقم ١١٥٣٣)، وابن عدى فى الكامل (٢/٣٥٣)، وأبو يعلى (٤/٣٤١ رقم ٢٤٥٦) كلهم من طريق حنش عن عكرمة، عن ابن عباس مرفوعًا. وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/١٣٩): رواه الطبرانى، وفيه حسين بن قيس الملقب بحنش، وهو متروك، وقد وثقه حصين بن نمير، وبقية رجاله رجال الصحيح. ورواه الشافعى فى الأم (١/٢٥٣) فقال: أخبرنى من لا أتهم عن العلاء بن راشد عن عكرمة به. وقال الحافظ ابن حجر: وهذا المبهم هو إبراهيم بن أبى يحيى، وهو ضعيف. (تخريج الكشاف ٣/٥٩ الهامش).

(٢) فى «ك»: نسقى الماء الحيوان.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾

قوله تعالى: ﴿ ولقد صرفناه بينهم ﴾ أكثر أهل التفسير على أن الهاء راجعة إلى المطر، ومعنى التصريف(١) أنه يسقى أرضًا ويمنع أرضًا.

قال ابن عباس: «ما عام(٢) بأمطر من عام(٢)، ولكن الله يقسمه بين عباده على مايشاء. ومثله عن ابن مسعود.

وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «مامن ساعة تمضى إلا والسحاب يمطر فيها، إلا أن الله تعالى يصرفه عن قوم، ويعطيه قومًا»(٣) والخبر غريب.

وقوله: ﴿ ليذكروا ﴾ أى: ليتذكروا، ويقال: إن الهاء فى قوله: ﴿ صرفناه ﴾ تنصرف إلى الفرقان المذكور فى أول السورة، وهو قول بعيد.

وقوله: ﴿ فأبى أكثر الناس إلا كفورًا ﴾ أى: كفرانًا، وكفرانهم هو أنهم إذا أمطروا، يقولون: مطرنا بنوء كذا، وهو فى معنى قوله تعالى فى سورة الواقعة: ﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾(٤). وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال يومًا، وقد مطروا فى ليلته: «يقول الله تعالى: أصبح الناس فريقين، مؤمن بى وكافر بالكوكب، ومؤمن بالكوكب وكافر بى، فمن قال: مطرنا برحمة الله تعالى وفضله، فهو مؤمن بى كافر بالكوكب، ومن قال: مطرنا بنوء كذا، فهو كافر بى مؤمن بالكوكب»(٥).

(١) فى «ك»: التصرف.
(٢) فى «ك»: عالم.
(٣) رواه العقيلى فى الضعفاء (٣/٢٢٨)، والبيهقى (٣/٣٦٣)، وابن مردويه - كما فى تخريج الكشاف (٢/٤٦٤)، وأبو نعيم - كما فى الكنز (٣/٢١٦) - من حديث ابن مسعود بنحوه مرفوعًا.
ورواه ابن جرير (١٩/١٥)، والعقيلى، والبيهقى عن ابن مسعود موقوفًا، وقال العقيلى: والموقوف أولى، وقال البيهقى: الصحيح موقوف. وروى عن ابن عباس بنحوه موقوفًا، رواه الطبرى فى تفسيره، والحاكم فى مستدركه (٢/٤٠٣) وصححه، والبيهقى فى سننه. ورواه الشافعى عن المطلب بن حنطب مرفوعًا بنحوه، كما فى الأم (١/٢٥٤)، ومعرفة السنن (٣/١١١).
(٤) الواقعة: ٨٢.
(٥) متفق عليه من حديث زيد بن خالد، رواه البخارى (٢/٣٨٨ رقم ٨٤٦ وأطرافه ١٠٣٨، ٤١٤٧، ٧٥٠٣)، ومسلم (٢/٧٩ - ٨٠ رقم ٧١).

وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ

قوله تعالى: ﴿ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيراً﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿فلا تطع الكافرين﴾ أى: فيما يدعونك إليه.

وقوله: ﴿ وجاهدهم به جهاداً كبيراً﴾ أى: بالحق، وقيل: بالقرآن.

وقوله: ﴿كبيراً﴾ معناه: شديداً.

قوله تعالى: ﴿وهو الذى مرج البحرين﴾ أى: خلط البحرين، وقيل: أرسل البحرين.

وأما البحران فيقال: إنه بحر فارس والروم، ويقال: بحر السماء والأرض، ويقال: البحران هو الملح والعذب .

وقوله: ﴿هذا عذب فرات﴾ العذب يسمى كل ماء عذب فراتًا، ويسمى كل ماء ملح بحراً.

وقوله: ﴿وهذا ملح أجاج﴾ أى: شديد الملوحة، وقيل: مُر.

وقوله: ﴿وجعل بينهما برزخًا﴾ يقال: باليبس بين البحرين، وقيل: بالهواء بين بحر السماء وبحر الأرض، وقيل: بالقدرة بين الملح والعذب، فلا يختلط الملح بالعذب، ولا العذب بالملح، وهذا فى موضع مخصوص بخليج مصر، والبرزخ هو الحاجز.

وقوله: ﴿وحجرًا محجوراً﴾ أى: مانعًا ممنوعًا، قال الشاعر:

فرب ذى سرادق محجور سرت إليه من أعالى السور

قوله تعالى: ﴿وهو الذى خلق من الماء بشراً فجعلة نسبًا وصهراً﴾

النسب نسبة من قرابة، والصهر خلطة من غير النسب، وقد ذكرنا أن الله تعالى حرم سبعًا بالنسب ، وسبعًا بالسبب، وعددناها فى سورة النساء، ويقال: النسب مايوجب الحرمة، والصهر مالا يوجب الحرمة .

قَدِيراً ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُهُمْ وَلا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيراً ﴿٥٥﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴿٥٦﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلاَّ مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً ﴿٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ

وقوله: ﴿وكان ربك قديراً﴾ أى: قادراً.

قوله تعالى: ﴿ويعبدون من دون الله مالاينفعهم ولايضرهم﴾ قد ذكرنا.

وقوله: ﴿وكان الكافر على ربه ظهيراً﴾ أى: عونا للشيطان على المعاصى، ويقال: ظهيراً أى: هيناً كما يقول الرجل: جعلتنى[1] بظهر أى: جعلتنى هينا. قال الشاعر:

تميم بن [زيد][2] لاتكونن حاجتي … بظهر فلا يعيا عليَّ جوابُها

قوله تعالى: ﴿وماأرسلناك إلا مبشراً ونذيراً﴾ أى: مبشراً ومنذراً.

وقوله: ﴿قل ماأسألكم عليه من أجر﴾ أى: من جُعْل.

وقوله: ﴿إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا﴾ معناه: لكن من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً سلك طريق الإيمان، وأخذ به.

قوله تعالى: ﴿وتوكل على الحيّ الذى لايموت﴾ الحى الذى لايموت هو الله تعالى.

وقوله: ﴿وسبح بحمده﴾ أى: صَلِّ بأمره.

وقوله: ﴿وكفى به بذنوب عباده خبيراً﴾ أى: كفى بالله بذنوب عباده عالماً، وهذا على طريق التهديد والوعيد.

قوله تعالى: ﴿الذى خلق السموات والأرض ومابينهما فى ستة أيام﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿ثم استوى على العرش الرحمن﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿فاسأل به خبيراً﴾ يقال معناه: فاسأل عنه خبيراً أى: عالمًا، وهو الله تعالى.

قال الشاعر:

(١) فى «ك»: حدثنى.

(٢) فى لسان العرب (٤/٥٢٢): قيس.

أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي

هلاَّ سألت الخيل يابنة مالك   إن كنت سائلة بمالم تعلمى

أى: عما لم يعلم.

ويقال: فاسأل سؤالك إياه للخبير يعنى: سلنى ولا تسأل غيرى، ويقال: إن الخطاب للرسول، والمراد منه الأمة، فإنه كان عالما بهذا، ومصدقا به.

وحقيقة المعنى: أنك أيها الإنسان لا ترجع فى طلب العلم بهذا إلى غيرى، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن﴾.

قال أهل التفسير: إنما قالوا هذا؛ لأنهم كانوا لا يعرفون اسم الرحمن فى كلامهم، فسألوا عن «الرحمن» لهذا.

وروى أن رسول الله ﷺ لما دعاهم إلى «الرحمن»، ويقال: إن أبا جهل قال له: يا محمد، من يعلمك القرآن؟ فأنزل الله تعالى: ﴿الرحمن علم القرآن﴾(١) قال أبو جهل وغيره: لا نعرف الرحمن إلا مسيلمة باليمامة، وكان يسمى: رحمان اليمامة.

وقوله: ﴿أنسجد لما تأمرنا﴾ يعنى: الرحمن الذى تأمرنا بالسجود له.

وقوله: ﴿وزادهم نفوراً﴾ أى: تباعداً.

قوله: ﴿تبارك الذى جعل فى السماء بروجًا﴾ هى النجوم العظام، وقيل: هى البروج الاثنا عشر.

وقوله: ﴿وجعل فيها سراجا﴾ أى: الشمس، وقرئ: «سُرُجًا» على الجمع، وعلى هذه القراءة قد دخل القمر فى السرج، إلا أنه خصه بالذكر لنوع فضيلة له، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿فيها فاكهة ونخل ورمان﴾(٢)

---

(١) الرحمن: ١ – ٢

(٢) الرحمن: ٦٨.

السَّماءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا

وقوله: ﴿منيراً﴾ أى: مضيئًا.

قوله: ﴿وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة﴾ فيه قولان: أحدهما: مختلفين، هذا أسود وهذا أبيض. والثانى: خلفة أى: يخلف أحدهما صاحبه. ويقال: ما فات من الذكر بالليل، فالنهار يخلفه فيه، وما فات من الذكر بالنهار، فالليل يخلفه فيه. قال قتادة: وكذلك فى الصلاة، والقول الثالث: خلفة أى: يزداد فى هذا ما ينقص من الآخر، ويزداد فى الآخر ما ينقص من هذا، وأنشد الشاعر فى الخلفة:

بها العين والآرام يمشين خلفة ... واطلاؤها ينهضن من كل مجثم

فعلى هذا خلفة أى: كل واحد منهما خلف صاحبه.

وقوله: ﴿لمن أراد أن يذكر﴾ أى: يتذكر.

﴿أو أراد شكوراً﴾ أى: شكرًا.

ومعناه: من أراد ذكرًا أو شكرًا، فالليل والنهار زمانا الذكر والشكر.

وقوله تعالى: ﴿وعباد الرحمن﴾. فإن قال قائل: كل الناس عباد الرحمن، مؤمنهم وكافرهم؟ قلنا: إن هذا كما يقول القائل: ابنى فلان، ويخص بذلك الواحد من بنيه، وكذلك يقول: صديقى فلان، ويخص بذلك الواحد من أصدقائه، ومعناه: أن من يكون ابنى ينبغى أن يكون كفلان، ومن يكون صديقى ينبغى أن يكون كفلان.

وقوله: ﴿الذين يمشون على الأرض هونًا﴾. أى: بالسكينة والوقار. قال الحسن: علماء حُكماء، لا يجهلون إذا جهل عليهم. وقال ثعلب: هونًا رفقًا.

وعن بعضهم: متواضعين لا يتكبرون.

وقوله: ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا﴾ قال الضحاك: إذا أوذوا صفحوا، وقال بعضهم: قالوا قولا يسلمون منه، وعن بعضهم: قالوا سلامًا أى: متاركة لا خير

وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾

ولا شر، وليس المراد من السلام هو السلام المعروف، وإنما معناه ما بينا.

والآية مكية، وكان المسلمون قد أمروا قبل الهجرة بالصفح والإعراض، وألا يقابلوا أذى المشركين بالمجازاة، ثم نسخ حين هاجروا بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿والذين يبيتون لربهم﴾ يقال: بات فلان سواء نام أو لم ينم.

قال الشاعر:

فبتنا قيامًا عند رأس جوادنا يزاولنا عن نفسه ونزاوله

قوله: ﴿سجدًا وقيامًا﴾.

أي: سجدًا على وجوههم، وقيامًا على أرجلهم.

وعن ابن عباس أنه قال: من صلى بعد العشاء الآخرة ركعتين أو أكثر من ذلك، فهو من الذين يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا.

قوله تعالى: ﴿والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم﴾ أي: اعدل عنا عذاب جهنم.

وقوله: ﴿إن عذابها كان غرامًا﴾.

أي: ملحًا دائما، وقال أبو عبيدة: هلاكًا، ويقال: فلان مغرم بالنساء أي: لا صبر له عنهن، ومنه الغريم لأنه يلازم. وقيل: غرامًا أي: شديدًا، قال الأعشى:

إن يعاقب يكن غرامًا وإن يعـ ـطِ جزيلا فإنه لا يبالى

وعن محمد بن كعب القرظى قال: طالب الله الكفار بثمن النعمة، فلما عجزوا غرمهم النعمة فبقوا فى النار.

وعن الحسن قال: كل غريم يفارق غريمه غير جهنم، فإنها لا تفارق غرماءها أبدًا.

إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾

قوله تعالى: ﴿إنها ساءت مستقرا ومقاما﴾ أى: بئس موضع القرار، وموضع المقام جهنم، وقد بينا الفرق بين المَقام والمُقام.

قوله تعالى: ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا﴾ قال أبو عبد الرحمن الحلى: كل إنفاق فى غير طاعة الله فهو إسراف، وكل منع عن طاعة الله فهو إقتار.

وعن إبراهيم النخعى قال: لم يسرفوا أى: لم يجاوزوا الحد فى الإنفاق، وذلك بالإكثار فى النفقة على وجه التبذير.

وقوله: ﴿ولم يقتروا﴾ أى: لم يقلوا فى الإنفاق حتى يعروا أو يجيعوا من يجب عليهم الإنفاق عليهم.

وقال بعضهم: لم يسرفوا أى: لم ينفقوا فى غير الحق، ولم يقتروا أى: لم يمنعوا من الحق، وهذا القول قريب من القول الأول.

قال النضر بن شميل: وكان بين ذلك قواما: حسنة بين سيئتين، وحكى ثعلب أن عبد الملك بن مروان قال لعمر بن عبد العزيز - وكان قد زوج ابنته فاطمة منه -: كيف نفقتك يا عمر؟ فقال: حسنة بين سيئتين.

وعن وهب بن منبه أنه قال: إذا أخذت بواحد من طرفى العود مال، فإذا أخذت بوسطه اعتدل.

وقوله: ﴿قواما﴾. أى: عدلا، وهو معنى ما قلناه، والقَوام بالفتح من الاستقامة، والقِوام بالكسر مايقيم الأمر به، كأنه ملاكه.

قوله تعالى: ﴿والذين لايدعون مع الله إلها آخر﴾ معلوم المعنى.

وقوله: ﴿ولايقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق﴾. الحق هو ماثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «لايحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث ....»(١) وقد بينا.

(١) متفق عليه، وقد تقدم تخريجه غير مرة.

وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾

وقوله: ﴿ ولايزنون ﴾ الزنا فعل معلوم، وأما اللواط: هل هو زنا أو ليس بزنا؟ فالأمر فيه على ماعرف فى الفقه، وكذلك إتيان البهيمة[١] .

وقد ثبت برواية عمرو بن شرحبيل، عن عبدالله بن مسعود أنه قال: قلت: يارسول الله، أى الذنب أعظم؟ فقال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك. قلت: يارسول الله، ثم أى؟ قال: أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك. قلت: ثم أى يارسول الله؟ قال: أن تزنى بحليلة جارك، ثم قرأ قوله: ﴿ والذين لايدعون مع الله إلها آخر ﴾ .. الآية»[٢].

قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث أبو العباس الأزهرى، [أخبرنا أبو الحسين][٣] أحمد بن محمد الخفاف، أخبرنا أبو العباس السراج، أخبرنا إسحاق الحنظلى، أخبرنا جرير، عن منصور، عن أبى وائل، عن عمرو بن شرحبيل.. الخبر .

وذكر الكلبى: «أن وحشيًا أرسل إلى النبى ﷺ يطلب منه توبة لنفسه، فبعث إليه بهذه الآية، فقال وحشى: إنى قد أشركت، وقتلت وزنيت، ولا أدرى كيف توبتى؟ فأريد آية أوسع من هذه، فأنزل الله تعالى: ﴿ إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ﴾[٤] فبعث بالآية إلى وحشى، فقال: لاأدرى، أأدخل فى المشيئة أولا؟ أريد آية أوسع من هذه الأية، فأنزل الله تعالى ﴿ يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ﴾[٥] فبعث إليه بالآية، فأسلم»[٦].

---

(١) فى «ك»: البهائم.

(٢) متفق عليه، وقد تقدم غير مرة.

(٣) فى «الأصل وك»: أبو العباس الأزهرى أبو الحسن أحمد .. والصواب ما أثبتناه، وهو أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن عمر النيسابورى الخفاف، يروى عن السراج وغيره كما فى ترجمته من السير (١٦ / ٤٨١)، والأنساب (مادة الخفاف).

(٤) النساء: ٤٨، ١١٦.

(٥) الزمر: ٥٣

(٦) رواه الطبرانى فى الكبير (١١ / ١٩٧ رقم ١١٤٨٠)، وابن مردويه، والبيهقى فى الشعب – كما فى الدر (٥ / ٣٦٣) من حديث ابن عباس مرفوعا بنحوه. وقال السيوطى فى الدر: إسناده لين. وقال الهيثمى فى المجمع (٧ / ١٠٤،١٠ / ٢١٨): رواه الطبرانى، وفيه أبين بن سفيان، وهو ضعيف.

إلاَّ مَن تَابَ

قال أهل العلم[١] : وهذا مستبعد جداً؛ لأن هذه الآية مكية، ووحشى إنما أسلم بعد غزوة حنين والطائف فى آخر عهد النبى ﷺ، وكل هذه الآيات إنما نزلت (من اسلامه عدة)[٢].

وفى بعض التفاسير: أن هذه الآية نزلت بمكة إلى قوله: ﴿إلا من تاب﴾ ومكث الناس سنتين، ثم نزل قوله تعالى: ﴿إلا من تاب﴾. إلى آخر الآية بعد ذلك .

وعن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أن قوله: ﴿إلا من تاب﴾ ينصرف إلى الشرك والزنا، فأما قتل النفس فقد أنزل الله تعالى فيه: ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمداً . .﴾ الآية[٣] قال ابن عباس: وهذه الآية مدنية، وقوله: ﴿إلا من تاب﴾ مكية، فالحكم فى القتل على هذه الآية، ولاتوبة لقاتل النفس.

وأما عند غيره من أهل العلم: فالتوبة من الكل مقبولة، وقد بينا هذا من قبل، وظاهر هذه الآية وهو قوله: ﴿إلا من تاب﴾ يدل على هذا؛ لأنه قد سبق قتل النفس.

وقوله: ﴿ومن يفعل ذلك يلق أثامًا﴾ أى: جزاء الإثم، ويقال: أثامًا واد فى جنهم، قال الشاعر :

جزى الله ابن عروة حيث أمسى　　　عقوقا والعقوق له أثام

أى: جزاء الأثم. وقال أخر:

لقيت المهالك فى حربنا　　　وبعد المهالك تلقى أثاما

قوله تعالى: ﴿يضاعف له العذاب يوم القيامة﴾ أى: يستدام له العذاب، ويقال: يضاعف الله العذاب، يجمع عليه عذاب الكبائر التى ارتكبها .

(١) فى « ك »: أهل التفسير.
(٢) كذا.
(٣) النساء: ٩٣.

وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ

وقوله: ﴿ ويخلد فيه مهانًا ﴾ أى: يخلد فيه وقد أصاب الهوان والذلة، وقرئ: «يضاعفُ» و«يخلدُ» بالرفع، ورفعه بالاستئناف، وقرئ: يضاعفْ» و«يخلدْ» بالجزم، وجزمه على جواب الشرط .

قوله: ﴿ إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحًا ﴾ معناه: إلا من ندم وآمن بربه، وعمل عملا صالحًا فى المستقبل.

وقوله: ﴿ فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ﴾ قال الحسن البصرى ومجاهد وجماعة: هذا فى الدنيا. ومعناه: تبديل الكفر بالإيمان، والشرك بالإخلاص، والمعصية بالطاعة.

وقال سعيد بن المسبب وجماعة: هذا فى الآخرة، والله تعالى يبدل سيئات التائب بالحسنات فى صحيفته.

وقد ورد فى القول الثانى خبر صحيح عن النبى ﷺ، رواه وكيع، عن الأعمش، عن المعرور بن سويد، عن أبى ذر، أن النبى ﷺ قال: «يؤتى بالمؤمن يوم القيامة فيعرض عليه صغار ذنوبه، ويخبأ عنه كبارها، فيسأل ويعترف، وهو مشفق من الكبائر، فيقول الله تعالى: أعطوه مكان كل سيئة حسنة، فيقول: يارب، إن لى ذنوبًا ولا أراها هاهنا؟ فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه»[1] أخرجه مسلم فى صحيحه .

وعن أبى هريرة أنه قال: يعطى المؤمن صحيفته يوم القيامة فيقرأ بعضها، وإذا هى سيئات، فإذا وصل إلى الحسنات ينظر نظرة فيما قبلها، فإذا هى كلها صارت حسنات.

وقد أنكر جماعة من المتقدمين أن تنقلب السيئة حسنة؛ منهم الحسن البصرى وغيره، وإذا ثبت الخبر عن النبى ﷺ لم يبق لأحد كلام .

---

(١) رواه مسلم (٣/٥٧-٥٨ رقم ١٩٠)، والترمذى (٤/٦١٤ رقم ٢٥٩٦) وقال: حسن صحيح، ووكيع فى الزهد (٢/٦٥١)، ومن طريقه أحمد فى مسنده (٥/٥٧).

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَاباً ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾

وقد قال بعضهم: إن الله يمحو بالندم جميع السيئات، ثم يثبت مكان كل سيئة حسنة.

وقوله: ﴿وكان الله غفوراً رحيما﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿ومن تاب وعمل صالحا﴾ قال بعض أهل العلم: هذا فى التوبة عن غير ماسبق ذكره، وأما التوبة المذكورة فى الآية الأولى، فهى عما سبق ذكره من الكبائر.

وقال بعضهم: هذه الآية واردة أيضًا فى التوبة عن جميع السيئات، ومعناها على وجهين: أحدهما: أن معنى الآية: ومن أرد التوبة وعزم عليها فليتب لوجه الله تعالى، ولا ينبغى أن يريد غيره، كالرجل يقول: من اتجر فليتجر فى البر، ومن ناظر فليناظر فى الفقه، فيكون قوله: ﴿فإنه يتوب إلى الله متابًا﴾ على هذا القول خبرا بمعنى الأمر، أى: تب إلى الله توبة، والوجه الثانى: أن معنى الآية: من تاب فليعلم أن توبته إلى الله ومصيره إليه وثوابه منه، كالرجل يقول لغيره: إذا كلمت الأمير فاعلم أنه أمير، وإذا كلمت أباك فاعلم أنه أبوك.

قوله: ﴿والذين لايشهدون الزور﴾ أى: الشرك، ومعناه: لايشهدون شهادة الشرك، ويقال: الكذب. وعن محمد بن الحنفيه: الغناء، [و] هو قول مجاهد.

(وعن بعضهم)(١): الغناء رقية الزنا. وقال بعض أهل السلف: الغناء ينبت النفاق فى القلب. وقيل: لايشهدون الزور أى: أعياد الكفار، وقيل: النوح.

وقوله: ﴿وإذا مروا باللغو مروا كراما﴾ أى: مروا معرضين كما يمر الكرام، وقيل: أكرموا أنفسهم عن الدخول فيه. قال الحسن: اللغو هو المعاصى كلها.

وقال عمرو بن قيس: مجلس الخنا. واللغو فى اللغة كل ماهو باطل، ولايفيد فائدة.

(١) سقط من «ك».

وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾

قوله تعالى: ﴿والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صمًا وعميانًا﴾.

قال القتيبى معناه: لم يتغافلوا عنها كأنهم صم لم يسمعوها، وكأنهم عمى لم يروها. وقال بعضهم معناه: لم يسقطوا عليها صما وعميانا، بل سمعوا وأبصروا.

قوله تعالى: ﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين﴾ أى: أولادًا، بررة أتقياء، وقرة العين تذكر عند السرور، وسُخْنَة العين عند الحزن، ويقال: دمع العين عند السرور بارد، وعند الحزن حار. وذكر الأزهرى أبو منصور: أن معنى قرة العين أن يصادف قلبه مايرضاه قلبه، فتقر عينه عن النظر إلى غيره، يعنى: لاتنظر إلى غيره.

وعن محمد بن كعب القرظى قال: ليس شىء أقر لعين المؤمن من أن يرى أهله وولده أتقياء بررة.

وقوله: ﴿واجعلنا للمتقين إمامًا﴾ قال الحسن: نقتدى بالمتقين، ويقتدى بنا المتقون.

واستدل بعضهم بهذا على أنه لابأس بطلب الإمامة فى الدين، ويندب إليه.

وقال بعضهم: لايطلب للرئاسة، ولكن يطلب للدين، ثم حينئذ يقتدى به المتقون، فيصير إمامًا لهم على ماقال الله تعالى.

قوله: ﴿أولئك يجزون الغرفة بما صبروا﴾ قال عطاء، عن ابن عباس: الغرفة من الدر والزبرجد والياقوت. ويقال: هى أعلى منازل الجنة.

وقوله: ﴿بما صبروا﴾ عن الشهوات، وقيل: صبروا عن الدنيا، وقيل: صبروا على الطاعة.

وقوله: ﴿ويلقون فيها﴾ وقرئ: «وَيَلْقَوْنَ» مخففًا، والمعنى واحد.

وقوله: ﴿تحية﴾ أى: مُلْكاً، وقيل: بقاءً [دائمًا](1).

(1) سقط من «ك».

خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

وقوله: ﴿وسلامًا﴾ أى: يسلم بعضهم على بعض، وقال عطاء عن ابن عباس: يسلم الله عليهم. وقيل: سلامة من الآفات.

قوله تعالى: ﴿خالدين فيها حسنت مستقرًا ومقامًا﴾ أى: مكانًا يستقرون فيه.

وقوله: ﴿ومقاماً﴾ أى: يقيمون إقامة. قوله تعالى: ﴿قل مايعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم﴾ أحسن الأقاويل فيه أن معناه: مايصنع بكم ربى لولا دعاؤكم أى: لولا دعاؤه إياكم إلى التوحيد، وهى فى معنى قوله تعالى: ﴿مايفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم﴾(١). وقال القتيبى معناه: مايعبأ بعذابكم ربى لولا دعاؤكم أى: لولا إيمانكم، يعنى: إذا آمنتم لايعذبكم. وقال بعضهم: أى قدر لكم عند ربى لولا أنه دعاكم إلى الإيمان فتؤمنون، فالآن يظهر لكم قدر وخطر.

وقوله: ﴿فقد كذبتم﴾ قرأ ابن عباس: «فقد كذب الكافرون»، وأما المعروف: ﴿فقد كذبتم﴾ أى: كذبتم أيها الكافرون، ومعناه: قد دعوتكم إلى الإيمان فلم تؤمنوا.

وقوله: ﴿فسوف يكون لزامًا﴾ وعيد معناه: سوف يكون العذاب لزامًا. قال ابن مسعود: معنى اللزام وهو يوم بدر. وقال بعضهم: اللزام: الموت.

قال الشاعر:

(تولى عند حاجتنا أنيس ... ولم أجزع من الموت اللزام)(٢)

وقرئ فى الشاذ: «لزاما» بفتح اللام، وهو فى معنى الأول.

---

(١) النساء: ١٤٧.

(٢) كذا!.

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ

تفسير سورة الشعراء

وهى مكية إلا أربع آيات فى آخر السورة

قوله تعالى: ﴿طسم﴾ قال قتادة: اسم من أسماء القرآن. وقال مجاهد: اسم السورة.

وعن بعضهم: أن الطاء من الطول، والسين من السناء، والميم من الملك. وقال بعضهم: الطاء شجرة طوبى، والسين سدرة المنتهى، والميم محمد ﷺ. ويقال: الطاء من اسمه الطاهر، والسين من اسمه السلام، والميم من اسمه المجيد.

وقوله: ﴿تلك ايات الكتاب المبين﴾ قد بينا من قبل.

قوله تعالى: ﴿لعلك باخع نفسك﴾ أى: قاتل نفسك، وقيل: مهلك نفسك حزنا.

وقوله تعالى: ﴿ألايكونوا مؤمنين﴾ يعنى: إن لم يؤمنوا.

قوله: ﴿إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية﴾ قال ابن جريج معناه: نريهم أمرًا من أمرنا، فلا يعص أحد، وقيل: إن نشأ ننزل من السماء آية فاضطروا إلى الإيمان.

وقوله: ﴿فظلت أعناقهم لها خاضعين﴾ فيه أقوال: أحدها: خاضعين بمعنى خاضعة، والقول الثانى: أن المراد من أعناق أشرافُ الناس وكبراؤهم، فعلى هذا معنى الآية: فظل كبراؤهم وأشرافهم للآية خاضعين، والقول الثالث: أنه ذكر الأعناق، والمراد منه أصحاب الأعناق، فانصرف قوله: ﴿خاضعين﴾ إلى المضمر فى الكلام.

قال الشاعر:

رأت مرَّ السنين أخَذْنَ منِّى ... كما أخذ السِّرارُ من الهلالِ

﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلاَّ كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ
كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا
فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ

فرجع قوله: أخذن إلى السنين، لا إلى قوله: مرّ السنين.

قوله تعالى: ﴿وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث﴾ أى: محدث إنزاله إلى النبى ﷺ، وقد بينا هذا من قبل.

وقوله: ﴿إلا كانوا عنه معرضين﴾ أى: عن الإيمان.

قوله نعالى: ﴿فقد كذبوا فسيأتيهم﴾ أى: سوف يأتيهم.

وقوله: ﴿أنباء ماكانوا به يستهزءون﴾ أى: عاقبة ماكانوا به يستهزءون، أى: عاقبة ماكانوا يستهزءون، وهذا يدل على أن كل مكذب مستهزئ.

قوله تعالى: ﴿أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم﴾ أى: من كل صنف حسن، والزوج مثل: الحامض والحلو، والأبيض والأسود، وما أشبهه.

وقال الشعبى: الخلق نبات الأرض، فمن دخل الجنة فهو كريم، ومن دخل النار فهو لئيم، والعرب تقول: نخلة كريمة إذا طاب ثمرها، ورجل كريم إذا حسن فعله.

قوله تعالى: ﴿إن فى ذلك لآية وماكان أكثرهم مؤمنين﴾ أى: مصدقين.

وقوله: ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ قد بينا من قبل.

قوله تعالى: ﴿وإذ نادى ربك موسى﴾ أى: من جانب الطور الأيمن، على ما ورد به القرآن، وقال ابن جبير: من السماء.

وقوله: ﴿أن ائت القوم الظالمين﴾ أى: الكافرين.

وقوله: ﴿قوم فرعون ألايتقون﴾ معناه: ألايخافون.

قوله تعالى: ﴿قال رب إنى أخاف أن يكذبون ويضيقُ صدرى﴾ وقرئ: «ويضيقَ صدرى» بنصب القاف أى: أخاف أن يضيق صدرى.

﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلاَّ فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾

وقوله: ﴿ولاينطلق لسانى﴾ قال هذا للعقدة التى كانت على لسانه.

وقوله: ﴿فأرسل إلى هارون﴾ معناه: فأرسل إلى هارون مع إرسالى.

وقوله: ﴿ولهم على ذنب﴾ أى: دعوى ذنب، وذلك الذنب هو قتله القبطى.

وقوله: ﴿فأخاف أن يقتلون﴾ بذلك الرجل وفى القصة: أن فرعون كان يطلبه طول هذه المدة ليقتله بالقبطى. قوله تعالى: ﴿كلا﴾ أى: لاتخف.

وقوله تعالى: ﴿فاذهبا بآياتنا﴾ قد بينا تفسير الآيات من قبل.

وقوله: ﴿إنا معكم مستمعون﴾ ذكر بلفظ الجمع، والمراد منه اثنان، وقيل: إنا معكما ومع بنى إسرائيل نسمع مايجيبكم فرعون، وأما قوله: ﴿مستمعون﴾ قد بينا مثل هذا فيما سبق، وذكرنا أنه قد ذكر نفسه بلفظ الجماعة فى مواضع على طريق التفخيم والتعظيم.

وقوله تعالى: ﴿فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين﴾ فإن قيل: كيف لم يقل: إنا رسولا رب العالمين؟ والجواب: أن معنى الرسول هاهنا هو الرسالة.

قال الشاعر:

لقد كذب الواشون ما فُهت عندهم ... بسوء ولا أرسلتُهم برسول

أى: برسالة، فعلى هذا معنى الآية: فقولا إنا ذو رسالة رب العالمين، ويقال: إن قوله: ﴿رسول رب العالمين﴾ رسولا رب العالمين، واحد بمعنى الاثنين.

وقوله: ﴿أن أرسل معنا بنى إسرائيل﴾ أى: أرسلهم معنا إلى الشام، وكان قد استعبدهم، واستسخرهم فى أنواع الأعمال، وقد بينا.

وقوله: ﴿قال ألم نربك فينا وليدا﴾ فى الآية حذف؛ وهو أنه ذهب وجاء إلى

أَنْ أَرْسِلْ معنا بني إِسْرَائيل ﴿١٧﴾ قال أَلَمْ نُربِّكَ فينا وليدًا ولَبِثْتَ فينا من عُمُرِك سنين ﴿١٨﴾ وفعلْت فعْلتك الَّتي فعلْت وأَنت من الْكَافرين ﴿١٩﴾ قال فعلْتُها إِذًا

فرعون، ودعاه إلى الله، فأجابه بهذا، وفى القصة: أن موسى رجع إلى مصر وعليه جبة صوف، وفى يده عصاه، والمكتل معلق برأس العصا فيه زاده، فروى أنه جاء ودخل دار نفسه، وطلب هارون، وقال له: إن الله أرسلنى إلى فرعون، وأرسلك أيضًا إليه حتى ندعو فرعون إلى الله تعالى.

فخرجت أمهما وصاحت، وقالت: إن فرعون يطلبك ليقتلك، فلو ذهبتما إليه قتلكما، فلم يلتفت موسى إلى قولها، وذهبا إلى باب فرعون ليلا، ودقا الباب، ففزع البوابون، وقالوا : من بالباب؟ وروى أنه اطلع البواب عليهما، فقال لهما: من أنتما؟ فقال موسى: أنا رسول رب العالمين، فذهب البواب إلى فرعون، وقال: إن مجنونًا بالباب يزعم أنه رسول رب العالمين، فترك حتى أصبح ثم دعاه. وفى بعض القصص: أنهما مكثا سنة لا يصلان إليه، ثم وصلا.

وقوله: ﴿قال ألم نربك فينا وليدا﴾ فى القصة :أن موسى لما دخل عليه، ونظر إليه فرعون عرفه، فقال: ألم نربك فينا وليدًا أى: صغيرًا.

وقوله: ﴿ولبثت فينا من عمرك سنين﴾ أى: ثمان عشرة سنة، وقال بعضهم: ثلاثين سنة.

وقوله: ﴿وفعلت فعلتك التى فعلت﴾ أى: قتلت الرجل، وهو الذى كان وكزه فقتله، وقرئ فى الشاذ: «فِعلتك» بكسر الفاء. وقوله: ﴿وأنت من الكافرين﴾ أى: الكافرين لنعمتى، قال الشاعر:

والكفر (مخبثة)(١) لنفس المنعم

قوله تعالى: ﴿قال فعلتها إذًا﴾ أى: فعلت ما فعلت حينئذ ﴿وأنا من الضالين﴾ أى: من الجاهلين. وقيل: من الناسين.

قوله تعالى ﴿ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما﴾ أى: النبوة والعُلم.

(١) فى «ك»: مخيفة.

وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾

وقوله: ﴿وجعلنى من المرسلين﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿وتلك نعمة تمنها عليّ أن عبدت بنى إسرائيل﴾ فيه أقوال، أحدها: أن ألف الاستفهام محذوفة، ومعناه: أو تلك نعمة تمنها عليّ؟ قال الشاعر:

تروح من الحى أم تبتكر ... وماذا يضيرك لو تنتظر

أى: أتروح من الحى أم تبتكر.

والقول الثانى معناه: وتلك نعمة أى: التربية نعمة تمنها على أن تعتد بها على، وقوله: ﴿أن عبدت بنى إسرائيل﴾ أى: استعبدت بنى إسرائيل، وعاملتهم من المعاملات القبيحة.

والقول الثالث: وتلك نعمة تمنها على بالتربية، وقوله: ﴿أن عبدت بنى إسرائيل﴾ يعنى: باستعبادك بنى إسرائيل ربيتنى وكفلتنى، ومعناه: لولا أنك استعبدت بنى إسرائيل ما وقعت إليك، (وما)[1] ربيتنى؛ فإنه قد كان لى من يربينى، وحقيقة المعنى دفع منّته.

قوله تعالى: ﴿قال فرعون وما رب العالمين﴾ وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ: أن جبريل -عليه السلام- قال: «كنت واقفًا عند ربى حين قال فرعون هذا، فنشرت جناحى وتهيأت لعذابه إذا أمرنى الرب، فقال: يا جبريل، إنما يعجل من يخاف الفوت»[2]. والخبر غريب.

واعلم أن سؤال المائية[3] - ولا يجوز على الله - وإنما هذا من أوصاف المخلوقين؛ والدليل عليه أن موسى لم يجب جواب سؤال المائية، فلم يقل: ربى لونه كذا، وهو

(١) فى «ك»: ولا

(٢) رواه الديلمى فى الفردوس (٣ / ١٨٨) عن سلمان بنحوه.

(٣) أى: استعمال «ما» فى السؤال.

قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ

من كذا، وريحه كذا، ولكن أجاب بذكر أفعاله الدالة عليه، فقال: ﴿رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين﴾.

واعلم أن سؤال المائية سؤال عن جنس الشيء، والله تعالى منزه عن الجنسية، ويقال: إن جواب موسى عن معنى السؤال، لا عن عين السؤال؛ كان معنى السؤال: ومن رب العالمين؟ قال: رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين.

ومعنى قوله: ﴿إن كنتم موقنين﴾ هاهنا أنكم كما توقنون الأشياء التى [تعاينونها](١)، فأيقنوا أن إله الخلق هو الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿قال لمن حوله ألا تستمعون﴾ يعنى: لا تستمعون، وقال فرعون هذا على استبعاد جواب موسى- عليه السلام - وقد كان أولئك القوم يعتقدون أن آلهتهم ملوكهم، فزاد موسى- عليه السلام - فى البيان فقال: ﴿ربكم ورب آبائكم الأولين﴾.

قوله تعالى: ﴿قال إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون﴾ وقد كان عندهم أن من لا يعتقد ما يعتقدون فليس بعاقل، فزاد موسى فى البيان فقال: ﴿رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون﴾ فأجاب فرعون، وقال: ﴿لئن اتخذت إلها غيرى لأجعلنك من المسجونين﴾.

وفى القصة: أن سجنه كان أشد من القتل، فإنه كان يحبس الرجل وحده فى موضع لا يسمع شيئا ولا يبصر شيئا، ويهوى فى الأرض، فأجاب موسى، وقال: ﴿أو لو جئتكم بشىء مبين﴾ أى: تحبسنى وإن جئتك بشىء مبين أى: بآية بينة. قوله تعالى: ﴿قال فأت به إن كنت من الصادقين فألقى عصاه فإذا هى ثعبان مبين﴾ والثعبان الذكر من الحيات العظيم منها، فإن قيل: أليس قد قال فى موضع آخر:

(١) فى «الأصل» بدون النون الثانية، والمثبت من «ك».

وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ

﴿ كأنها جان ﴾(١) والجان الحية الصغيرة؟ والجواب عنه: أن معنى الجان أنها كالحية الصغيرة فى اهتزازها وصفة حركتها، وهى فى نفسها حية عظيمة.

وذكر السدى وغيره: أن العصا صارت حية صفراء سعراء كأعظم ما يكون من الحيات.

وفى القصة: أنها ارتفعت من الأرض بقدر ميل، فغرت(٢) فاها، وقامت على ذنبها، وجعلت تتملظ فى وجه فرعون.

وروى أنها أخذت قبة فرعون بين نابها، وصاح فرعون، وقال: يا موسى، أنشدك بالذى أرسلك.

وقوله: ﴿ مبين ﴾ أى: يبين الثعبان أنه حجة عظيمة.

قوله تعالى: ﴿ ونزع يده فإذا هى بيضاء للناظرين ﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿ قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم ﴾ أى: عالم حاذق.

قوله: ﴿ يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره ﴾ فإن قال قائل: إنما أراد موسى أن يخرج بنى إسرائيل [لا](٣) أن يخرج فرعون وقومه، والجواب عنه: أنهم كانوا قد اتخذوا بنى إسرائيل عبيدا وخَوَلا، فلما أراد موسى إخراج بنى إسرائيل، فكأنه أراد إخراجهم.

وقوله: ﴿ فماذا تأمرون ﴾ أى: ماذا تشيرون. قوله تعالى ﴿ أرجه وأخاه ﴾ أى: أخر أمره وأمر أخيه، ومعناه: لا يتم فصل الأمر حتى تظهر لك الحجة عليه.

وقوله: ﴿ وابعث فى المدائن حاشرين ﴾ قد بينا.

---

(١) النمل: ١٠. (٢) فى «ك»: ففتحت.

(٣) فى «الأصل وك»: ألا، وهو سبق قلم.

لِلنَّاظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ
أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ
﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾
وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ
﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾

وقوله: ﴿يأتوك بكل سحار عليم﴾ أي: ساحر حاذق، وفي القصة: أنه كان يجري الرزق للسحرة، وقد جمع من السحرة ستة آلاف ساحر، وقيل: اثني عشر ألفا.

وقوله: ﴿فجمع السحرة لميقات يوم معلوم﴾ وهو يوم الزينة على ما بينا من قبل.

وقوله: ﴿وقيل للناس هل أنتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين﴾ معلوم المعنى.

قوله تعالى: ﴿فلماء جاء السحرة﴾ يعني لموسى. ﴿قالوا لفرعون أئن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين﴾.

قوله: ﴿قال نعم وإنكم إذاً لمن المقربين﴾ أي: في المنزلة، وفي القصة أن موسى قال لكبير السحرة: أتؤمن بي إن غلبتكم؟ قال له كبير السحرة: إن كنت ساحرا فلأغلبنك، وإن غلبتني لأؤمنن بك.

قوله تعالى: ﴿قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون﴾

وقوله: ﴿فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون﴾ أي: بعز فرعون وملكه ﴿إنا لنحن الغالبون﴾.

وقوله: ﴿فألقى موسى عصاه﴾ في القصة: أن جميع الأرض ميلا في ميل صارت حيات وأفاعي في رؤية الناس، فلما ألقى موسى العصا صارت ثعبانًا، وجعلت تعظم على قدر حبالهم وعصيهم، ثم جعل يلتقط ويلتقم (واحداً واحداً)[1] حتى أكل الكل، ثم إن موسى أخذ بذنبه فصار عصا كما كان، فتحيرت السحرة عند ذلك،

(١) في «ك»: واحداً بعد واحد.

قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾
فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ
عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا آمَنَّا
بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ

فقالوا: إن كان هذا سحر فأين ذهبت عصينا وحبالنا؟! وتيقنوا أن الذى جاء به موسى أمر من عند الله، فوقعوا سجداً وآمنوا، فهو قوله تعالى: ﴿فألقى السحرة ساجدين﴾.

وقوله: ﴿فألقى السحرة ساجدين﴾ يجوز أن يكون معناه: وقعوا ساجدين، ويجوز أن يكون معناه: ألقاهم الحق الذى رأوه (ساجدين.

قوله تعالى: ﴿قالوا آمنا برب العالمين﴾ فى القصة: أنهم)[1] لما قالوا هكذا، قال فرعون: أنا رب العالمين، فقال السحرة: ﴿رب موسى وهارون﴾.

وقوله: ﴿قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذى علمكم السحر فلسوف تعلمون﴾ يعنى: سوف تعلمون عاقبة أمركم.

وقوله: ﴿لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين﴾ قد بينا معناه.

قوله تعالى: ﴿قالوا لا ضير﴾ أى: لا ضرر ولا مكروه.

قال الشاعر:

وإنَّك لا يضُورك بعد حوْلٍ ... أظبيٌ كان أُمَّك أم حمارُ

وقوله: ﴿إنا إلى ربنا منقلبون﴾ أى: راجعون.

قوله تعالى: ﴿إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا﴾ أى: ذنوبنا

﴿أن كنا أول المؤمنين﴾ قال الفراء: أول المؤمنين من أهل زماننا، وقال الزجاج: هذا ضعيف؛ لأن بنى إسرائيل كانوا قد آمنوا بموسى قبلهم، وإنما معناه: أن كنا أول المؤمنين عند ظهور هذه الحجة، ويجوز أن يكون معناه: أن كنا أول المؤمنين من قوم فرعون.

---

(١) ساقط من «ك»

لكبيركُمُ الَّذي علَّمكُمُ السّحر فلسوف تعلمون لأُقطّعنَّ أيديكُم وأَرْجُلكُم من خلافٍ ولأُصلِّبنَّكُمْ أجْمعين ﴿٤٩﴾ قالوا لا ضير إنَّا إلىٰ ربّنا مُنقلبُون ﴿٥٠﴾ إنَّا نَطْمعُ أن يغفر لنا ربُّنا خطايانا أن كُنَّا أوَّل الْمُؤْمنين ﴿٥١﴾ وأوْحيْنا إلىٰ مُوسىٰ أنْ أسْر بعبادي

قوله تعالى: ﴿وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادى﴾ ذكر «أسر»؛ لأنهم ساروا ليلا.

وقوله: ﴿إنكم متبعون﴾ يعنى: يتبعكم فرعون وقومه، وعن عمرو بن ميمون قال: لما بلغ فرعون أن موسى وقومه قد ساروا، قال لقومه: إذا صاح الديك فاركبوا، فلم يصح ديك فى تلك الليلة، حتى بعُد موسى وقومه، فلما أصبح دعا بشاة، وأمر بذبحها، ثم قال: لا تسلخ هذه الشاة إلا وقد اجتمع خمسمائة ألف مقاتل، قال: فلم يفرغ السلاخ عن السلخ إلا وقد كان اجتمع خمسمائة ألف مقاتل عدداً.

وذكر غيره: أن الملائكة دخلوا بيوت القبط وقتلوا أبكارهم، فاشتغلوا صبيحة ذلك اليوم بدفن الأبكار.

قوله تعالى: ﴿فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين﴾ يعنى: أرسل الشُّرَطَ المدائن حتى حشروا الناس. وفى التفاسير: أنه كان ألف مدينة واثنا عشر ألف قرية.

وقوله: ﴿إن هؤلاء لشرذمة قليلون﴾ أى: لجماعة قليلة، وأنشدوا فى الشرذمة:

جاء الشتاء وقميصى أخْلاقْ شراذم يضحك منى النواق

وأنشدوا فى قوله: ﴿قليلون﴾:

فرد قواصى الأحيــاء منهــم فقد رجعوا كحى واحدينا

أى: كحى واحد.

وعن عبد الله بن مسعود: أن موسى كان فى ستمائة ألف وسبعين ألفاً، فسماهم فرعون شرذمة لكثرة قومه.

وروى أن هامان كان على مقدمته فى ألف ألف، وروى أن فرعون كان فى سبعة آلاف ألف وروى أنه كان بين يديه مائة ألف ناشب ومائة ألف أصحاب الحراب، ومائة

إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴿٥٦﴾

ألف أصحاب الأعمدة.

وقوله: ﴿ وإنهم لنا لغائظون ﴾ يعني: أنهم غاظونا وأغضبونا، وكان غيظه منهم بخروجهم من غير أمره، واستعارتهم الحلي من قومه ومضيهم بها.

وقوله: ﴿ وإنا لجميع حاذرون ﴾ وقرئ: «حَذِرون» فالحَذِر هو المتيقظ، والحاذر المستعد.

قال الشاعر:

(وكتب عليّه احذر الموت وحـده فلم يبق حـاذر)[1]

وقرأ ابن أبي عامر: «وإنا لجميع حادرون» بالدال غير المعجمة. ويقال: بعير حادر إذا كان ممتلئًا من اللحم، عظيم الجثة، وقيل: ﴿ إنا لجميع حاذرون ﴾ أي: مُؤدون[2]، ومعنى مؤدّون أي: معناه الأداة والسلاح.

قوله تعالى: ﴿ فأخرجناهم من جنات وعيون ﴾ في القصة: أن البساتين كانت ممتدة على حافتي النيل من أعلاه إلى آخره، وعن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: سيد الأنهار هو النيل، فإذا أجراه الله تعالى أمده من جميع الأنهار، وفجر له ينابيع الأرض، فإذا تم إجراؤه رجع كل ماء إلى عنصره.

وقوله: ﴿ وكنوز ﴾ أي: كنوز الأموال، وفي بعض القصص: أنه كان لفرعون ثمانمائة ألف غلام، كل غلام على فرس من عتيق، في عنق كل فرس طوق من ذهب.

وقوله: ﴿ ومقام كريم ﴾ أي: منازل حسان، وقد قيل: إن المقام الكريم هو المنابر، وكان بمصر ألف منبر في ذلك الوقت، وقيل: ﴿ ومقام كريم ﴾ أي: مجلس الأشراف، وذكر بعضهم: أنه كان إذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلاثمائة كرسي من ذهب يجلس عليها الأشراف، عليهم أقبية الديباج مخوصة بالذهب.

وقوله: ﴿ كذلك وأورثناها بني إسرائيل ﴾. روي أن بني إسرائيل عادوا إلى مصر

(١) كذا!.

(٢) في «ك»: بالراء بعد الميم.

فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾

وأقاموا فيها، فهو معنى قوله: ﴿وأورثناها بنى إسرائيل﴾.

وقوله: ﴿فأتبعوهم مشرقين﴾ أى: عند شروق الشمس، وشروقها طلوعها، وروى أبو بردة [عن](١) أبى موسى الأشعرى «أن النبى ﷺ نزل على أعرابى فى سفر، فأحسن الأعرابى ضيافته، فلما ارتحل من عنده، قال للأعرابى: لو أتيتنا أكرمناك، فجاءه الأعرابى بعد ذلك، فقال له النبى ﷺ: ما حاجتك؟ فقال: ناقة برحلها وأخرى أحتلبها، فأمر له النبى ﷺ بذلك، ثم قال: أيعجز أحدكم أن يكون كعجوز بنى إسرائيل؟ فسئل عن ذلك، فقال: لما خرج موسى ببنى إسرائيل من مصر ضلوا الطريق، وفى بعض الأخبار: أن القمر خسف، والشمس كسفت، ووقع الناس فى ظلمة عظيمة، وتحير موسى، فقال له علماء بنى إسرائيل: إن يوسف -عليه السلام- أوصى أن بنى إسرائيل إذا خرجوا من مصر فلينقلوا عظامه معهم، فعلم موسى أنهم ضلوا الطريق لذلك، فقال لهم: ومن يعرف موضع عظامه؟ فقالوا: لا يعرفه سوى عجوز من بنى إسرائيل، فدعا بالعجوز وسألها عن موضع العظام، فقالت: لا حتى تقضى حاجتى، فقال: ما حاجتك؟ قالت: حاجتى أن أكون معك فى الجنة أى: فى درجتك، فكره موسى ذلك، فنزل الوحى أن أعطها ذلك، فأعطاها، ثم إنها دلت على قبر يوسف، فحمل موسى عظام يوسف وانجلت الظلمة»(٢).

---

(١) فى «الأصل»: بن، سبق قلم، والمثبت من «ك»، وسيأتى فى تخريجه أنه من حديث أبى موسى.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه (٢/ ٥٠٠ - ٥٠١ رقم ٧٢٣)، وأبو يعلى (١٣ / ٢٣٦ - ٢٣٧ رقم ٧٢٥٤).
والحاكم (٢ / ٤٠٤ - ٤٠٥) وصححه على شرط الشيخين، وابن أبى حاتم (٣ / ٣٣٥ تفسير ابن كثير) من حديث أبى موسى بنحوه مرفوعا. وعزاه السيوطى في الدر (٥ / ٩٦) لعبد بن حميد والفريابى وابن أبى حاتم والحاكم.
وقال ابن كثير: غريب جدا، والأقرب أنه موقوف، وقال الحافظ العراقى فى المغنى (٣/ ١١٥ - ١١٦): وفيه نظر. وقال الهيثمى فى المجمع (١٠ / ١٧٣ - ١٧٤) رجال أبى يعلى رجال الصحيح. وله شاهد من حديث على رواه الطبرانى فى الأوسط (٦ / ١٩٦ - ١٩٧ رقم ٣٥٨٠ - مجمع البحرين)، (٨ / ٧ رقم ٤٦١٧) وقال الطبرانى: لا يروى عن على إلا بهذا الإسناد، تفرد به يعقوب، وقال الهيثمى فى المجمع (٩ / ١٦): رواه الطبرانى فى الأوسط، وفيه محمد بن كثير الكوفى، وهو ضعيف، وقال أيضا (١٠ / ١٧٤): رواه الطبرانى في الأوسط، وفيه من لم أعرفهم.

كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾

قوله تعالى: ﴿فلما تراءى الجمعان﴾ أى: التقى الجمعان، ومعنى التلاقى هو أنه رأى هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء.

وقوله: ﴿قال أصحاب موسى إنا لَمُدَّرَكُون﴾ بالتشديد، والمعنى ما بينا.

قوله تعالى: ﴿قال كلا﴾ أى: ارتدعوا عن هذا القول ولا تقولوه، فإنهم لا يدركونكم.

وقوله: ﴿إن معى ربى سيهدين﴾ معناه: إن معى ربى بالحفظ والنصرة.

وقوله: ﴿سيهدين﴾ أى: يدلنى على طريق النجاة، والهداية هى الدلالة على طريق النجاة.

قوله تعالى: ﴿فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر﴾ فى القصة: أن مؤمن آل فرعون كان قدام بنى إسرائيل، فقال لموسى: يا نبى الله، أين أمرك ربك؟ فقال: أمامك. قال: يا نبى الله، أمامى البحر؟!! قال موسى: والله ما كَذبتُ ولا كَذبتَ. وروى أن يوشع بن نون قال لموسى: يا نبى الله، أين أمرك ربك؟ قال: البحر. قال: أَقْتَحِمْهُ؟ قال: نعم، فاقتحم البحر ومر، فلما جاء بنو إسرائيل واقتحموا انغمسوا فى البحر، وأوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر. وروى أن موسى اقتحم البحر فرده التيار، فقال للبحر: انفرق، فلم ينفرق، فأمر الله تعالى أن يضربه بالعصا فضربه للمرة الأولى، فَأَطَّ البحر، ثم ضربه الثانية فأط، ثم ضربه الثالثة فانفرق، وهو معنى قوله تعالى: ﴿فانفلق﴾.

وقوله: ﴿فكان كل فرق﴾ أى: فلق، والفرق والفلق واحد.

وقوله: ﴿كالطود العظيم﴾ أى: الجبل العظيم، قال الشاعر:

حلوا بأبقرة تسيل عليهم ... ماء الفرات يجئ من أطواد

والرواية أن ماء البحر (تراكب)(١) بعضه على بعض حتى صار كالجبل، وظهر اثنا عشر طريقًا، وضربتها الريح حتى جفت، ومر كل سبط فى طريق، فقالوا: لا نرى

(١) فى «ك»: تراكم وكلاهما بمعنى واحد.

قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِي رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ ﴿٦٤﴾

إخواننا، ولعل إخواننا قد غرقوا، فضرب الله لهم كوىً - جمع كَوَّة - على الماء حتى نظر بعضهم إلى بعض، وجعلوا يتحدثون.

قوله تعالى: ﴿وأزلفنا ثم الآخرين﴾ أزلفنا أى: قربنا، قال الشاعر:

فكلُّ يوم مضى أو ليلةٍ سلفتْ فيها النفوس إلى الآجال تزْدلفُ

وقال آخر:

طى الليالى زلفا فزلفا سماوة الهلال حتى احقوقفا.

وقال أبو عبيدة: أزلفنا أى: جمعنا، ومنه ليلة المزدلفة أى: ليلة الجمع، وقرأ أُبيُّ بن كعب: «وأزلفناهم الآخرين» أى: أوقعناهم فى موقع زلف، وفى القصة: أن جبريل كان بين بنى إسرائيل وبين فرعون وقومه، وكان يسوق بنى إسرائيل، فيقولون: ما رأينا سائقا أحسن سياقة من هذا الرجل، وكان يزع قوم فرعون، فكانوا يقولون: مارأينا وازعًا أحسن زعة من هذا. وعن الحسن البصرى قال: لابد للناس من وزعة أى: سلطان يكفهم حصان.

وقد بينا أن جبريل كان على فرس أنثى وَدِيق وفرعون على حصان، فدخل جبريل عليه السلام البحر، وأتبعه فرعون لا يملك نفسه، فلما دخل جميعهم البحر، وأراد أولهم أن يخرج، وكان بين طرفى البحر [أربعة](١) فراسخ، وهذا هو بحر القلزم، طرف من بحر فارس، فلما اجتمعوا فى البحر جميعًا، ودخل آخرهم، وأراد أولهم أن يخرج، أطبق البحر عليهم.

وعن سعيد بن جبير: أن البحر كان ساكنًا قبل ذلك، فلما ضربه موسى بالعصا اضطرب، فجعل يمد ويجزر.

قوله تعالى: ﴿وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين﴾ ظاهر المعنى،

(١) فى «الأصل، وك»: أربع.

وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾

والإغراق إهلاك بغمر الماء.

قوله تعالى: ﴿إن في ذلك لآية﴾ أي: لعبرة.

وقوله: ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ أي: بمصدقين، والمراد به قوم فرعون، وروى أنه لم يؤمن [من] [(١)] قوم فرعون إلا [أسية][(٢)] امرأته [وحزقيل][(٣)]، وماشطة بنت فرعون، والعجوز التي دلت على عظام يوسف.

وقوله تعالى: ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ العزيز هو القادر الذي لا يمكنه معازته أي: مغالبته، والله تعالى عزيز، وهو في وصف عزته رحيم.

قوله تعالى: ﴿واتل عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون﴾ معناه: أي شيء تعبدون؟!.

قوله تعالى: ﴿قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين﴾ أي: فنقيم على عبادتها، يقال: ظل فلان يفعل كذا أي: أقام عليه يفعله بالنهار.

وقوله تعالى: ﴿قال هل يسمعونكم﴾ معناه: هل يسمعون صوتكم ودعاءكم؟ وقرئ في الشاذ: «هل يُسمعونكم» برفع الياء.

وقوله: ﴿أو ينفعونكم﴾ أي: بالرزق.

وقوله: ﴿أو يضرون﴾ أي: يضرونكم إن تركتم عبادتها.

قوله تعالى: ﴿قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون﴾ معناه: أنها لا تسمع أقوالنا، ولا تجلب إلينا نفعا، ولا تدفع عنا ضرا، لكن اقتدينا بآبائنا، واستدل أهل العلم بهذا على أن التقليد لا يجوز.

قوله: ﴿قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآبائكم الأقدمون﴾ أي: الأولون.

وقوله: ﴿فإنهم عدو لي﴾ أي: أعداء لي.

(١) لفظه «من» ساقطة من النسختين.

(٢) في «الأصل»: آيسية، والمثبت من «ك».

(٣) في «الأصل»: خربيل، والمثبت من «ك».

ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وما كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وإِنَّ
رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ واتْلُ عليْهِمْ نَبأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لأَبِيه وقَوْمه
مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نعْبُدُ أَصْنَامًا فنظَلُّ لها عاكفين ﴿٧١﴾ قال هلْ يسْمعُونكُمْ إِذْ
تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ ينفعُونكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بلْ وجدْنَا آباءنَا كَذَلكَ يفْعلُون
﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُم
عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ والَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي

قوله: ﴿إلا رب العالمين﴾ اختلف القول فيه، فأحد القولين: أنهم كانوا يعبدون الأصنام مع الله تعالى، فقال إبراهيم: كل من تعبدون أعداء لى إلا رب العالمين، والقول الثانى: أن هذا استثناء منقطع، كأنه قال: فإنهم عدو لى، لكن رب العالمين وليى، فإن قيل: كيف تكون الأصنام أعداء له وهى جمادات، والعداوة لا توجد إلا من حى عاقل؟

والجواب عنه: قالوا: إن هذا من المقلوب ومعناه: فإنى عدو لهم، ويجوز أن يكون معناه: فإنهم عدو لى أى: لا أتولاهم، ولا أطلب من جهتهم نفعا، كما لا يتولى العدو، ولا يطلب من جهته النفع.

قوله تعالى: ﴿الذى خلقنى فهو يهدين﴾ أى: يرشدنى إلى طريق النجاة.

وقوله: ﴿والذى هو يطعمنى ويسقين﴾ أى: يغدى[1] لى بالطعام والشراب، وحقيقة المعنى: أن طعامى وشرابى من جهته، ورزقى من قبله، وقد قال بعض أصحاب الخواطر: يطعمنى طعام المودة، ويسقينى بكأس المحبة، وقيل: يطعمنى ذوق الإيمان، ويسقينى بقبول الطاعة.

وقوله: ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾ ذكر إبراهيم -عليه السلام- هذا؛ لأنهم كانوا يرون المرض من الأغذية، والشفاء من الأدوية، وقوله: ﴿وإذا مرضت﴾ هو استعمال أدب، وإلا فالممرض والشافى هو الله تعالى بإجماع أهل الدين، وقال بعض أصحاب الخواطر: وإذا مرضت بالخوف؛ يشفينى بالرجاء، وقيل: إذا مرضت بالطمع؛ يشفينى بالقناعة.

(١) فى «ك»: يغذينى.

وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي
أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ
﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾

وقوله: ﴿والذى يميتنى﴾ يعنى: يميتنى فى الدنيا، [و][(١)] يحيينى فى الآخرة. وقال بعض أصحاب الخواطر: يميتنى برؤية الخلق، ويحيينى بشهادة الحق، وقيل: يميتنى بالمعصية ويحيينى بالطاعة.

وقوله: ﴿والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين﴾ أى: أرجو أن يغفر لى خطاياى، وخطاياه ما ذكرنا من كذباته الثلاث، واعلم أن الأنبياء معصومون من الكبائر، فأما الخطايا والصغائر تجوز عليهم.

وقوله: ﴿يوم الدين﴾ أى: يوم الحساب، وذكر مسلم فى الصحيح برواية عائشة «أنها قالت: يا رسول الله، إن عبد الله بن جدعان كان يقرى الضيف، ويحمل الكَل، وذكرت أشياء من أعمال الخير،أهو فى الجنة أم فى النار؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «هو فى النار، إنه لم يقل يوما: رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين»[(٢)].

قوله تعالى: ﴿رب هب لى حكما﴾ أى: العلم والفهم، وقيل: إصابة الحق.

وقوله: ﴿وألحقنى بالصالحين﴾ أى: من الأنبياء والمرسلين.

وقوله: ﴿واجعل لى لسان صدق فى الآخرين﴾ أى: ثناءً حسنا إلى قيام الساعة، ويقال: إن المراد منه تولى جميع أهل الأديان له، وقبول كل الناس إياه، ويقال: إن معناه: اجعل فى ذريتى من يقوم بالحق إلى قيام الساعة.

وقوله: ﴿واجعلنى من ورثة جنة النعيم﴾ أى: ممن تعطيه جنة النعيم.

---

(١) فى «ك»: ثم.

(٢) رواه مسلم فى صحيحه (٣ / ١٠٧ - ١٠٨ رقم ٢١٤)، والإمام أحمد فى مسنده (٦ / ٩٣، ١٠٢)، وأبو عوانة (١ / ١٠٠)، وابن حبان (٢ / ٣٩ - ٤٠ رقم ٣٣٠)، والحاكم (٢ / ٤٠٥) وصححه، وأبو نعيم فى الحلية (٣ / ٢٧٨) من حديث عائشة به.

وَاغْفِرْ لأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ

وقوله: ﴿واغفر لأبى إنه كان من الضالين﴾ قال أهل العلم: هذا قبل أن يتبرأ منه، ويستيقن أنه عدو لله، على ما ذكرنا فى سورة التوبة، وقال بعضهم: واغفر لأبى أى: جنايته على، كأنه أسقط حقه وعفا عنه.

وعن الحسن البصرى: أن إبراهيم - عليه السلام - يتعلق بأبيه يوم القيامة، ويقول: اللهم اغفر له، وأنجز لى ما وعدتنى، فيحول الله صورة أبيه إلى صورة ذبح، هو ضبيع قبيح، فإذا رآه إبراهيم تركه، وقال: ليس هذا بأبى.

وقوله: ﴿ولا تخزنى يوم يبعثون﴾ أى: لا تفضحنى، وذلك بأن لا يغفر خطيئته، وكل من لم يغفر له الله فقد أخزاه.

وقوله: ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ قال أكثر أهل العلم: سليم من الشرك، فإن الآدمى لا يخلو من ذنب، وقيل: مخلص، وقيل: ناصح، وقيل: قلب فيه لا إله إلا الله.

وقوله: ﴿وأزلفت الجنة للمتقين﴾ أى: قربت، وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك»(١).

وقوله: ﴿وبرزت الجحيم﴾ أى: أظهرت الجحيم.

﴿للغاوين﴾ أى: للكافرين، والغاوى من وقع فى خيبة لا رجاء فيها.

قوله تعالى: ﴿وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم﴾ أى: يمنعون العذاب عنكم.

---

(١) رواه البخارى (١١ / ٣٢٨ رقم ٦٤٨٨)، والإمام أحمد (١ / ٣٨٧، ٤١٣، ٤٤٢)، وابن حبان (٢ / ٤٣٦ رقم ٦٦١)، والبيهقى (٣ / ٣٦٨) كلهم من حديث ابن مسعود.

أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا

وقوله: ﴿ أو ينتصرون ﴾ أى: يمتنعون.

وقوله: ﴿ فكبكبوا فيها هم ﴾ قال القتيبى: طرح بعضهم على بعض. وقيل: دُهْوِرُوا، وَدُهْدِهُوا، وَدُهِّدُوا، وقيل: نُكِّسُوا فيها، ويقال: كان فى الأصل كببوا، فأدخلت الكاف فيه فصار كبكبوا.

وقوله: ﴿ هم والغاوون ﴾ أى: الشياطين معهم، ويقال: من اتبعوهم فى الشرك.

وقوله: ﴿ وجنود إبليس أجمعون ﴾ أى: ذريته.

قوله تعالى: ﴿ قالوا وهم فيها يختصمون ﴾ أى: يجادل بعضهم بعضا.

وقوله: ﴿ تالله إن كنا لفى ضلال مبين ﴾ أى: فى خطأ بين.

وقوله: ﴿ إذ نسويكم برب العالمين ﴾ هذا قولهم للأصنام ومعناه: نعدلكم برب العالمين.

وقوله: ﴿ وما أضلنا إلا المجرمون ﴾ أى: القادة، ويقال: إبليس وابن آدم الكافر، وهو قابيل.

وقوله: ﴿ فما لنا من شافعين ﴾ فى الأخبار: أن المؤمنين يشفعون للمذنبين، وكذلك الملائكة والأنبياء.

وقوله: ﴿ ولا صديق حميم ﴾ أى: صديق خاص، وقيل: صديق قريب، وسمى حميمًا؛ لأنه يَحُمُّ لك ويغضب لأجلك، وعن الحسن البصرى قال: استكثروا من الأصدقاء المؤمنين، فإن لهم شفاعة يوم القيامة. والصديق هو الصادق فى المودة على شرط الدين، وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ برواية جابر: «أن المؤمن يدخل الجنة ويقول: أين صديقى فلان؟ فيقال: هو فى النار بذنبه، فيشفع له فيخرجه الله من النار

كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ

بشفاعته ».

وقوله: ﴿فلو أن لنا كرة﴾ أى: رجعة.

وقوله: ﴿فنكون من المؤمنين﴾ وإذا كنا مؤمنين فيكون لنا شفعاء أيضا كما للمؤمنين شفعاء.

وقوله: ﴿إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ قد بينا معنى الكل.

قوله تعالى: ﴿كذبت قوم نوح المرسلين﴾ قال ابن عباس: نوح أول رسول أرسل الله تعالى وهذا محمول على أنه أول رسول أرسله الله تعالى بعد آدم صلوات الله عليه - وهو صاحب شريعة، وإنما ذكر المرسلين؛ لأن من كذب رسولا فقد كذب جميع الرسل.

وقوله: ﴿إذ قال لهم أخوهم نوح﴾ يعنى: أنه أخوهم فى النسب.

وقوله: ﴿ألا تتقون﴾ أى: ألا تتقوا الله.

وقوله: ﴿إنى لكم رسول أمين﴾ أى: أمين فيما بينكم وبين الله تعالى، وفى بعض التفاسير: أن نوحا كان يسمى الأمين قبل أن يبعثه الله.

وقوله: ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ أى: اتقوا الله بترك الشرك، وأطيعون فيما آمركم [به](١).

وقوله: ﴿وما أسألكم عليه من أجر﴾ أى: من جُعْلٍ.

وقوله: ﴿إن أجرى إلا على رب العالمين﴾ أى: ثوابى، قال أهل العلم: ولا يجوز

(١) من « ك ».

﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا
عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا
بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ
الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي
وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا

للنبى أن يأخذ جعلا على النبوة؛ لأنه يؤدى إلى تنفير الناس عن قبول الإيمان، ويجوز أن يأخذ الهدية؛ لأنه لا يؤدى إلى التنفير.

وقوله: ﴿ فاتقوا الله وأطيعون ﴾ أعاده تأكيداً. قوله تعالى: ﴿ قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون ﴾ فى التفسير: أنهم الحاكة، والحجامون، والأساكفة ومن أشبههم، وقيل: إنهم أسافل الناس.

قوله تعالى: ﴿ وما علمى بما كانوا يعملون ﴾ قال الزجاج: الصناعات لا تؤثر فى الديانات، ومعنى قول نوح أنه لا علم لى بصناعتهم، وإنما أُمرت أن أدعوهم إلى الله، فمن أجاب قبلته فهذا معنى قوله: ﴿ إن حسابهم إلا على ربى لو تشعرون وما أنا بطارد المؤمنين إن أنا إلا نذير مبين ﴾.

وقوله ﴿ إن حسابهم ﴾ أى: أعمالهم ﴿ إلا على ربى لو تشعرون ﴾ أى: لو تعلمون.

قوله تعالى: ﴿ قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين ﴾ أى: المقتولين بالحجارة ، وقال السدى وغيره: من المشتومين.

قوله تعالى: ﴿ قال رب إن قومى كذبون فافتح بينى وبينهم فتحاً ﴾.

أى: اقض بينى وبينهم بقضائك .تقول العرب: أحاكمك إلى الفتاح أى: إلى القاضى، قال الشاعر:

(ألا أبلغ بنى حكم رسولا   بأنى عن فتاحتهم غنى)(١)

---

(١) كذا، والبيت للأسعر الجحفى كما فى لسان العرب مادة: فتح، وفيه:

ألا من مبلغ عمرا رسولا   فإنى عن فتاحتكم غنى

بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ
الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾
إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ
أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ

وقوله: ﴿ونجنى ومن معى من المؤمنين﴾ قد بينا عدد من كان معه من المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿فأنجيناه ومن معه فى الفلك المشحون﴾ أى: الموفر المملوء، وقد بينا صفة الفلك ومن كان فيه.

وقوله: ﴿ثم أغرقنا بعد الباقين﴾ أى: بعد إنجائه أغرقنا الباقين أى: من بقى من قومه.

وقوله: ﴿إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ ظاهر المعنى إلى قوله: ﴿كذبت عاد المرسلين﴾.

وقوله: ﴿إذ قال لهم أخوهم هود﴾ أى: أخوهم فى النسب.

وقوله: ﴿ألا تتقون﴾ قد بينا إلى قوله :﴿إن أجرى إلا على رب العالمين﴾.

قوله تعالى: ﴿أتبنون بكل ريع﴾ فى الريع قولان: أحدهما: أنه المكان المرتفع، والآخر: أنه الطريق الواسع بين الجبلين.

وقوله: ﴿آية﴾ أى: علامة، وقيل: بنيانًا.

وفى القصة: أنهم كانوا يبنون على المواضع المرتفعة ليظهروا قوتهم ويتفاخروا به عن الناس، وعن مجاهد: أن معنى الآية: برج الحمام، وفى القصة: أن قوم فرعون كانوا يلعبون بالحمام، وكذلك قوم عاد.

وقوله: ﴿تعبثون﴾ أى: تلعبون.

قوله تعالى: ﴿وتتخذون مصانع﴾ المصانع: جمع مصنعة؛ وهى الحوض وموضع الماء، ويقال: المصانع هاهنا هى الحصون المشيدة، قال الشاعر:

لَعَلَّكُمْ تخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وإذا بطَشْتُم بطَشْتُمْ جبَّارين ﴿١٣٠﴾ فاتَّقُوا اللَّه وأطيعُون ﴿١٣١﴾
واتَّقُوا الَّذي أَمَدَّكُم بمَا تَعْلَمُون ﴿١٣٢﴾ أمدَّكُم بأنْعامٍ وبنين ﴿١٣٣﴾ وجنَّاتٍ وعُيُونٍ
﴿١٣٤﴾ إنِّي أَخَافُ علَيْكُمْ عذابَ يوْمٍ عظيمٍ ﴿١٣٥﴾ قالُوا سواءٌ علَيْنا أوعظْتَ أمْ لمْ تكُن
مِّنَ الْوَاعظِينَ ﴿١٣٦﴾ إنْ هذا إلاَّ خُلُقُ الأَوَّلين ﴿١٣٧﴾ وما نحْنُ بمُعذَّبين ﴿١٣٨﴾ فكذَّبوه

تركْنَا (ديارَهُم)(١) منهم قفارًا وهدَّمنا المصانع والبُرُوجا

وقوله: ﴿لعلكم تخلدون﴾ أى: كأنكم تخلدون، وقرئ في الشاذ: «كأنكم خالدون»، ويقال: طامعين في الخلود.

قوله تعالى: وإذا بطشتم جبارين البطش هو العسف (بالقتل)(٢) بالسيف والضرب بالسوط، والجبار هو العاتى على غيره بعظم سلطانه، وهو في وصف الله مدح، وفي وصف الخلق ذم، ويقال: الجبار من يقتل على الغضب.

وقوله: ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ قد بينا.

قوله: ﴿واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين﴾ هذا تفسير ما ذكره أولا من قوله: ﴿أمدكم بما تعلمون﴾.

وقوله: ﴿وجنات وعيون﴾ أى: بساتين وأنهار.

وقوله: ﴿إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ أى: شديد.

قوله تعالى: ﴿قالوا سواء علينا﴾ أى: مستوٍ عندنا.

﴿أوعظت أم لم تكن من الواعظين﴾ الوعظ كلام يلين القلب بذكر الأمر والنهى والوعد والوعيد.

وقوله: ﴿إنْ هذا﴾ أى: ما هذا.

﴿إلا خَلْقُ الأولين﴾ أى: اختلاق الأولين وكذبهم.

---

(١) كذا، والذى يقتضيه الوزن: دُورهُم، والبيت من الوافد.

(٢) سقط من «ك».

فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ
﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي
لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ
إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾

وقرى: «إن هذا إلا خُلُقُ الأولين» بضم الخاء واللام أى: عادتهم ودأبهم، ويقال معناه: أمرنا كأمر الأولين؛ نعيش ونموت.

وقوله: ﴿وما نحن بمعذبين﴾ قالوا هذا إنكاراً لما وعدهم هود من العذاب.

وقوله: ﴿فكذبوه فأهلكناهم﴾ ظاهر المعنى إلى قوله: ﴿إن أجرى إلا على رب العالمين﴾.

قوله تعالى: ﴿أتتركون فيما هاهنا آمنين﴾ يعنى: فى الدنيا آمنين من العذاب.

وقوله: ﴿فى جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم﴾ قال الأزهرى: الهضيم هو الداخل بعضه فى بعض من النضج والنعامة، ويقال: هو اللين الرطب، ويقال: هو الرخو الذى إذا مسه الإنسان تفتت، وقيل: هو المذنَّب، وهو الذى نضج بعضه من قبل الذنب، ويقال هضيم أى: الهاضم كأنه يهضم الطعام.

وكان الحسن البصرى يقول فى وعظه: ابن آدم، تأكل كذا وكذا ثم تقول: يا جارية، هاتى الهاضوم، إنه يهضم دينك لا طعامك.

قوله تعالى: ﴿وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين﴾ أى: حاذقين، ويقال: معجبين بما نلتم، وقرئ: «فرهين» أى: فرحين، وقيل: شرهين، قال الشاعر:

لا أستكين إذا ما أزمة أزمت ... ولن ترانى بخير فاره الطلب

ويقال: الفاره والفره بمعنى واحد.

وقوله: ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ إلى قوله: ﴿لا يصلحون﴾ ظاهر المعنى، والمراد منه: لا تتبعوا قادتكم فى الشرك.

وزُرُوعٍ ونخْلٍ طلْعُها هضيمٌ ﴿١٤٨﴾ وتنْحتُون من الْجبال بُيُوتًا فارهين ﴿١٤٩﴾ فاتّقُوا اللّه وأطيعُون ﴿١٥٠﴾ ولا تُطيعُوا أمْر الْمُسْرفين ﴿١٥١﴾ الّذين يُفْسدُون في الأرْض ولا يُصْلحُون ﴿١٥٢﴾ قالُوا إنّما أنت من الْمُسحّرين ﴿١٥٣﴾ما أنت إلاّ بشرٌ مّثْلُنا فأْت بآية إن كُنت من الصّادقين ﴿١٥٤﴾ قال هذه ناقةٌ لّها شرْبٌ ولكُمْ شرْبُ يوْمٍ مّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ ولا تمسُّوها بسُوءٍ فيأْخُذكُمْ عذابُ يوْمٍ عظيمٍ ﴿١٥٦﴾ فعقرُوها فأصْبحُوا نادمين ﴿١٥٧﴾

قوله تعالى: ﴿قالوا إنما أنت من المسحرين﴾ أى: سحرت مرة بعد مرة، ويقال: ﴿من المسحرين﴾ أى: من البشر وهو الذى له سحر وهو الرئة، ويقال: فلان مسحر أى: معلل بالطعام والشراب، قال الشاعر:

أرانا موضعين لحتم غيب ونُسْحر بالطّعام (والشّراب)(١)

وقال آخر:

فإن تسألينا فيم نحن فإنّنا عصافيرُ من هذا الأنام الُمسحّر

أى: المعلل بالطعام والشراب.

قوله تعالى: ﴿ما أنت إلا بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين﴾ قد ذكرنا أنهم طلبوا ناقة حمراء عشراء، تخرج من صخرة وتلد سقيا فى الحال.

قوله تعالى: ﴿قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم﴾ فى القصة: أن الناقة كانت تشرب ماء البئر يوما فى أول النهار، وتسقيهم لبنا فى آخر النهار، وكان عظم الناقة [ميلا](٢) فى ميل، وكانت إذا شربت تؤثر أضلاع جنبها فى الجبل.

وقوله: ﴿ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿فعقروها فأصبحوا نادمين﴾ وسنبين من عقرها فى سورة النمل إن شاء الله تعالى.

وقوله: ﴿فأخذهم العذاب﴾ ظاهر إلى قوله تعالى: ﴿إن أجرى إلا على رب

(١) فى «ك»: وبالشراب.

(٢) فى «الأصل، وك»: ميل.

فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلاَّ عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا

العالمين ﴾ فى قصة لوط صلوات الله عليه.

قوله تعالى: ﴿ أتأتون الذكران من العالمين ﴾ فى القصة: أنهم كانوا يعملون هذا العمل القبيح مع النساء قبل الرجال أربعين سنة ثم عدلوا إلى الرجال.

وقوله: ﴿ وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم ﴾ قرأ ابن مسعود: « ما أصلح لكم ربكم من أزواجكم » وفى التفسير: أن ما خلق لكم ربكم من أزواجكم معناه: القُبل وهو فرج النساء.

قوله: ﴿ بل أنتم قوم عادون ﴾ أى: ظالمون مجاوزون الحد.

قوله: ﴿ قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين ﴾ أى: من القرية.

وقوله تعالى: ﴿ قال إنى لعملكم من القالين ﴾ أى: من المبغضين، وقال بعضهم:

(بقيت مالى وانحرفت عن المعالى ولقيت أضيافى بوجه قالى)(١)

قال الصاحب ترجمة لقول الأشتر النخعى: بقيت، وقرئ: وانحرفت عن العلا، ولقيت أضيافى بوجه عبوس أى: لم أشن على أبى هند غارة لم تخل يوما من نهاب نفوس.

قوله تعالى: ﴿ رب نجنى وأهلى مما يعملون ﴾ أى: من العمل الخبيث.

قوله تعالى: ﴿ فنجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزا فى الغابرين ﴾ فيه قولان:

---

(١) كذا!.

الآخرين ﴿١٧٢﴾ وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين ﴿١٧٣﴾ إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ﴿١٧٤﴾ وإن ربك لهو العزيز الرحيم ﴿١٧٥﴾ كذب أصحاب الأيكة المرسلين ﴿١٧٦﴾ إذ قال لهم شعيب ألا تتقون ﴿١٧٧﴾ إني لكم رسول أمين ﴿١٧٨﴾ فاتقوا الله وأطيعون ﴿١٧٩﴾ وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين

أحدهما: أنها كانت عجوزا غابرا، على معنى أن الزمان مضى عليها وهرمت. والقول الثاني: أن الغابرين بمعنى الباقين يعنى: أن العجوز من أهل لوط بقيت فى العذاب ولم تنج.

قوله تعالى: ﴿ثم دمرنا الآخرين﴾ أى: أهلكنا الآخرين.

وقوله: ﴿وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين﴾ قد بينا أن الله تعالى أمطر عليهم الحجارة بعد إهلاكهم.

وقوله: ﴿إن فى ذلك لآية﴾ ظاهر المعنى إلى قوله: ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾.

قوله تعالى: ﴿كذب أصحاب الأيكة المرسلين﴾ وقرئ: «ليكة المرسلين» بفتح الهاء؛ فمن قرأ: «ليكة» جعلها اسم بلد، وهو لا ينصرف، ومن قرأ: «الأيكة» فصرفه؛ لأن ما لا ينصرف إذا أدخل عليه الألف واللام انصرف.

والأيكة: الغيضة، ويقال: الشجر الملتف، وفى القصة: أن شجرهم كان هو الدوم، ويقال: شجر المقل.

قوله تعالى: ﴿إذ قال لهم شعيب ألا تتقون﴾ ولم يذكر أخوهم هاهنا؛ لأنه لم يكن أخًا لهم، لا فى النسب ولا فى الدين.

وقوله: ﴿إنى لكم رسول أمين﴾ قد بينا إلى قوله: ﴿إن أجرى إلا على رب العالمين﴾

قوله تعالى: ﴿أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين﴾ أى: الناقصين لحقوق الناس، وقال يزيد بن ميسرة: كل ذنب يرجو له المغفرة إلا لحقوق الناس، فالرجاء فيه أقل. وقد بينا فى سورة هود أن قوم شعيب كانوا يخسرون فى المكاييل، والمراد من

﴿١٨٠﴾ أوْفُوا الْكَيْلَ ولا تكُونُوا من الْمُخْسرين ﴿١٨١﴾ وزنُوا بالْقسْطاس المُستقيم
﴿١٨٢﴾ ولا تبْخسُوا النَّاس أشْياءهُمْ ولا تعْثوْا في الأرْض مُفْسدين ﴿١٨٣﴾ واتَّقُوا الَّذي
خلقكُمْ والْجبلَّةَ الأوَّلين ﴿١٨٤﴾ قالُوا إنَّما أنتَ من الْمُسحَّرين ﴿١٨٥﴾ وما أنت إلاَّ بشرٌ
مّثْلُنا وإن نَّظُنُّك لمنَ الْكاذبين ﴿١٨٦﴾ فأسْقطْ عليْنا كسفًا مّن السَّماء إن كُنت من
الصَّادقين ﴿١٨٧﴾ قال ربِّي أعْلمُ بما تعْملُون ﴿١٨٨﴾ فكذَّبُوهُ فأخذهُمْ عذابُ يوْم الظُّلَّة إنَّهُ

قوله تعالى: ﴿ وزنوا بالقسطاس المستقيم ﴾ قال الحسن: القسطاس القبان. وقيل: كل ميزان يكون، ويقال: هو العدل.

قوله تعالى: ﴿ ولا تبخسوا الناس أشياءهم ﴾ يعنى: لا تنقصوا الناس حقوقهم.

وقوله: ﴿ ولا تعثوا فى الأرض مفسدين ﴾ أى: لا تبالغوا فى الأرض بالفساد.

قوله تعالى: ﴿ واتقوا الذى خلقكم والجبلة الأولين ﴾ أى: خلقكم وخلق الجبلة الأولين، والجبلة: الخليقة، قال الشاعر:

والموتُ أعظمُ حادث ... فيما يمرُّ على الجبلّه

ويقال: الجُبُلة بضم الجيم والباء، وفى لغة بغير الهاء.

قوله تعالى: ﴿ قالوا إنما أنت من المسحرين ﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿ وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ فأسقط علينا كسفا من السماء إن كنت من الصادقين ﴾ وقرئ: «كسَفا» بفتح السين، فأما قوله: «كسْفا» بسكون السين أى: جانبا من السماء، وأما قوله: كسَفا أى: قطعًا، ومعناه: قطعة. قال السدى: عذابا من السماء.

قوله تعالى: ﴿ قال ربى أعلم بما تعملون ﴾ يعنى: هو عالم بأعمالكم، فإن أراد أن يبقيكم، وإن أراد أن يهلككم[1] أهلككم.

قوله تعالى: ﴿ فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة ﴾ فى القصة: أنه أخذهم حر عظيم، فدخلوا الأسراب تحت الأرض، فدخل الحر فى الأسراب وأخذ بأنفاسهم

(١) فى «الأصل»: يهلكهم، والمثبت من «ك».

كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٧﴾

فخرجوا إلى الصحراء، فجاءت سحابة حمراء، فاجتمعوا تحتها مستغيثين ليستظلوا بها، فأمطرت السحابة عليهم ناراً، فاضطرم الوادى عليهم، فكان أشد عذاب يوجد فى الدنيا.

وقوله: ﴿إن فى ذلك لآية﴾ قد بينا إلى آخر الآيتين.

قوله تعالى: ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين﴾ أى: القرآن.

وقوله: ﴿نَزَّل به الروح الأمين﴾ وقرئ: «نَزَل به الروح الأمين» بدون التشديد، والروح الأمين هو جبريل -عليه السلام- وسمى [جبريل][1] أمينا؛ لأنه أمين الله على وحيه، وفى بعض الآثار: أنه يرفع سبعين ألف حجاب، ويدخل بغير استئذان، فهو معنى الأمين.

وقوله: ﴿على قلبك﴾ ذكر القلب هاهنا؛ لأنه كان إذا قرئ عليه وعاه قلبه.

وقوله: ﴿لتكون من المنذرين﴾ أى: المخوفين.

وقوله: ﴿بلسان عربى مبين﴾ قال ابن عباس: بلسان قُريش، وعن بعضهم: بلسان جرهم، ومنهم أخذ إسماعيل - عليه السلام - العربية.

وقوله: ﴿وإنه لفى زبر الأولين﴾ فيه قولان: أحدهما: أن ذكر محمد ﷺ فى زبر الأولين أى: فى كتب الأولين.

والقول الآخر: ذكر إنزال القرآن فى (زبر)[2] الأولين، وقد قالوا: إن كليهما مراد.

قوله تعالى: ﴿أو لم يكن لهم آية﴾ قرئ: آية بالنصب والرفع، فمن قرأ بالنصب جعل آية خبر يكن، ومعناه: أو لم يكن لهم علم علماء بنى إسرائيل آية أى: علامة، ومن قرأ بالرفع فجعل آية اسم يكن، وأما خبره فقوله: ﴿أن يعلمه﴾ وأما

---

(١) فى «الأصل»: جبريلاً، وهو خطأ، والمثبت من «ك».

(٢) فى «ك»: كتب.

وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾
كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ
﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾
أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾

علماء بنى إسرائيل فى هذا الموضع فهم خمسة نفر: عبد الله بن سلام، وابن يامين، وثعلبة، وأسد، وأسيد. وفى مصحف ابن مسعود: «أو ليس لهم آية أن يعلمه علماء بنى إسرائيل».

وقوله: ﴿ولو نزلناه على بعض الأعجمين﴾ الفرق بين العجمى والأعجمى، أن العجمى هو الذى ينسب إلى العجم وإن كان فصيحًا، والأعجمى هو الذى لا يفصح بالعربية وإن كان عربيًا، وقال عبد الله بن مطيع فى قوله: ﴿على بعض الأعجمين﴾ قال: على دابتى، ومعناه: أن الدابة لو تكلمت لما آمنوا، وأكثر المفسرين على أن المراد منه بعض العجم أى: نزل عليه القرآن بغير العربية.

وقوله: ﴿فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين﴾ أى: لم يؤمنوا.

قوله تعالى: ﴿كذلك سلكناه﴾ قال الحسن ومجاهد: أدخلنا الشرك فى قلوبهم. ويقال: أدخلنا التكذيب فى قلوبهم.

وقوله: ﴿لا يؤمنون به﴾ أى: بالقرآن.

وقوله: ﴿حتى يروا العذاب الأليم﴾ أى: عند نزول البأس.

وقوله: ﴿فيأتيهم بغتة﴾ أى: فجأة.

وقوله: ﴿وهم لا يشعرون﴾ أى: لا يعلمون.

وقوله: ﴿فيقولوا هل نحن منظرون﴾ أى: مؤخرون.

قوله تعالى: ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾ روى أنه لما نزلت هذه الآيات قالوا: متى هذا العذاب؟ أو آتنا بهذا العذاب، فأنزل الله تعالى: ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾.

أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾

وقوله تعالى: ﴿أفرأيت إن متعناهم سنين﴾ قال عكرمة: عمر الدنيا: وعن شريك ابن عبد الله النخعى قال: هو أربعون سنة. وأكثر المفسرين على أنه ليس فيه تقدير، ولكن المراد منه سنين كثيرة، والامتاع هو العيش بما يلذ ويشتهى.

وقوله: ﴿ثم جاءهم ما كانوا يوعدون﴾ أى: من العذاب.

وقوله: ﴿ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾ أى: دفع عيشهم وتمتعهم بالدنيا من العذاب عنهم.

قوله تعالى: ﴿وما أهلكنا من قرية إلا ولها منذرون﴾ هذا فى معنى قوله تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾(١)

وقوله: ﴿ذكرى﴾ أى: بعثنا(المنذرين)(٢) تذكرة لهم.

وقوله: ﴿وما كنا ظالمين﴾ معلوم المعنى.

قوله تعالى: ﴿وما تنزلت به الشياطين﴾ كان المشركون يقولون: إن شيطانا ينزل على محمد فيلقنه القرآن، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقوله: ﴿وما ينبغى لهم﴾ أى: ولا يصلح لهم أن ينزلوا بالقرآن ؛ لأنهم ليسوا بأهل ذلك.

وقوله: ﴿وما يستطيعون﴾ أى: لا يستطيعون إنزال الوحى.

وقوله: ﴿إنهم عن السمع لمعزولون﴾ أى: [لمحجوبون](٣)، فإنهم حجبوا من

---

(١) الإسراء: ١٥

(٢) فى «ك»: المرسلين.

(٣) فى« الأصل»: محجوبون، والمثبت من«ك».

فَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾

السماء ومُنعوا بالشهب على ما ذكرنا من قبل.

قوله تعالى: ﴿ فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين ﴾ روى أن المشركين قالوا له: ارجع إلى دين آبائك، فإن أردت المال جمعنا لك المال، وإن أردت الرئاسة قلدناك الرئاسة علينا، فأنزل الله تعالى: ﴿ فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين ﴾ أى: فى النار.

وقوله تعالى: ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ روى الزهرى عن سعيد بن المسيب [وأبى][1] سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبى هريرة أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ قال النبى ﷺ: «يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم من الله تعالى، لا أغنى عنكم من الله شيئا، يا بنى عبد مناف لا أغنى عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب، لا أغنى عنك من الله شيئا، يا صفية بنت عبد المطلب، لا أغنى عنك من الله شيئا، يا فاطمة بنت محمد، سلينى من مالى ما شئت، لا أغنى عنك من الله شيئا»[2]. قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا المكى بن عبدالرزاق، أخبرنا جدى، أخبرنا الفربرى، أخبرنا البخارى، أخبرنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهرى... الخبر.

وروى سعيد بن جبير، عن ابن عباس: أنه لما نزلت هذه الآية صعد رسول الله ﷺ الصفا ثم قال: يا صباحاه فاجتمع عنده قريش، فقالوا له: مالك؟ فقال: أرأيتم لو قلت: إن العدو مصبحكم أو ممسيكم، أكنتم تصدقوننى؟ قالوا: نعم، قال: إنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد، قال أبو لهب: تبا لك، ألهذا دعوتنا؟ فأنزل الله تعالى:

(١) فى «الأصل وك»: ابن، والصواب ماأثبتناه.

(٢) متفق عليه، رواه البخارى (٦ / ٦٣٧ رقم ٣٥٢٧)، ومسلم (٣ / ٩٧ - ٩٨ رقم ٢٠٤).

وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾

﴿ تبت يدا أبى لهب وتب ﴾»[١][٢]. والخبر فى الصحيحين.

وفى بعض الأخبار: أن النبى ﷺ قال لعلى رضى الله عنه: «اجمع لى بنى عبد مناف، فجمعهم على فخذ شاة وقعب من لبن، فلما أكلوا وشربوا، قال لهم رسول الله ﷺ ما قال، ودعاهم إلى الله، فقام أبو لهب وقال ما ذكرنا وخرجوا[٣]»[٤].

وفى تفسير النقاش: أن النبى ﷺ خص بنى هاشم وبنى عبد المطلب بالدعاء، وقال: «أنتم خاصتى»

وقوله: ﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾ أى: ألن جانبك وحسن خلقك.

وقوله: ﴿ فإن عصوك فقل إنى برئ مما تعملون ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ وتوكل على العزيز الرحيم ﴾ وفى مصحف المدنيين والشاميين «فتوكل» بالفاء، والفاء فيها بمعنى الجزاء، ومعنى ذلك: أنهم إذا عصوا فقابل عصيانهم بالتوكل علىَّ.

قوله: ﴿ الذى يراك حين تقوم ﴾ أى: تقوم لدعائهم، وقراءة القرآن عليهم، ويقال: تقوم من نومك للصلاة، وقيل: إذا صلَّيت وحدك .

---

(١) المسند : ١

(٢) متفق عليه، رواه البخارى (٦ / ٦٣٧ رقم ٣٥٢٥ و طرفه ٥٣٢٦)، ومسلم (٣ / ١٠١ - ١٠٣ رقم ٢٠٨).

(٣) فى «ك» : وخرجوا على ذلك.

(٤) رواه الطبرى فى تفسيره (١٩ / ٧٤ - ٧٥)، والبزار فى مسنده (٢ / ١٠٥ - ١٠٧ رقم ٤٥٦)، والطحاوى فى شرح معانى الآثار (٣ / ٢٨٤ - ٢٨٥، ٤ / ٣٨٧)، وأبو نعيم فى الدلائل (٣٦٣ - ٣٦٥) عن على مرفوعا بنحوه، وبعضهم مختصرا، وبعضهم بطوله.

وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾

وقوله: ﴿ وتقلبك فى الساجدين ﴾[أى:](١) إذا صليت جماعة، وعن ابن عباس معناه قال: أخرجه من صلب نبى إلى صلب نبى إلى صلب نبى هكذا إلى أن جعله نبيا، فهذا معنى التقلب. والساجدون هم الأنبياء - صلوات الله عليهم - وعن مجاهد قال: معنى قوله: ﴿ وتقلبك فى الساجدين ﴾ هو تقلب الطرف، وقد كان يرى من خلفه ماكان يرى من قدامه.

وقوله: ﴿ إنه هو السميع العليم ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ﴾ أى: هل أخبركم، وهى جواب لقولهم: إن شيطانا ينزل عليه.

وقوله: ﴿ تنزل على كل أفاك أثيم ﴾ أى: تتنزل، والأفاك هو الشديد الكذب، والأثيم هو الذى يأتى بما يأثم به ويقبح فعله .

قوله تعالى: ﴿ يلقون السمع ﴾ قال أهل التفسير: المراد منه الكهنة، ومعنى ﴿ يلقون السمع ﴾ أى: يستمعون إلى الشياطين.

وقوله: ﴿ وأكثرهم كاذبون ﴾ أى: كلهم، وروى عن عائشة - رضى الله عنها- أنها قالت: قلت يارسول الله، إن الكهان يخبرون بأشياء وتكون حقًا؟! قال: «تلك الخطفة يخطفها الجنى، فيلقيها فى سمع الكاهن، فيكذب معها مائة كذبة»(٢).

وقد ذكرنا أنهم يسترقون من الملائكة، ويعلوا بعضهم بعضًا ثم يُرمون بالشهب.

---

(١) سقط من «الأصل».

(٢) متفق عليه من حديث عائشة، رواه البخارى (٦/ ٣٥٠ - ٣٥١ رقم ٣٢١٠ وأطرافه ٣٢٨٨، ٥٧٦٢، ٦٢١٣، ٧٥٦١)، ومسلم (١٤/ ٣٢٢-٣٢٤ رقم ٢٢٢٨).

وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾

وفى الخبر المشهور المعروف: أن النبى ﷺ قال: «من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقولون[1]، فقد كفر بما أنزل على محمد»[2].

قوله تعالى: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ قال أهل التفسير: المرادُ من الشعراء هم الشعراء الذين كانوا يهجون المسلمين من الكفار، ويسبون النبى ﷺ، وهم مثل: عبد الله بن الزبعرى، وأبى عزة الجمحى، وأبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وهبيرة بن وهب، ومن أشبههم.

وقوله تعالى: ﴿يتبعهم الغاوون﴾ فيه أقوال: قال ابن عباس: هم الرواة. وروى الضحاك عنه: أن المراد من الآية هو الشاعران يتهاجيان فيتبع هذا قوم، ويتبع ذاك قوم.

وعن مجاهد: الغاوون هم الشياطين، وعن بعضهم: هم السفهاء من الناس.

وفى الأخبار: أن النبى ﷺ قال: «من مشى سبعة أقدام إلى شاعر فهو من الغاوين» والخبر غريب .

قوله تعالى: ﴿ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون﴾ أى: فى كل مرة يفتنون، وذكر الوادى على طريق التمثيل، يقال: أنا فى واد، وأنت فى وادٍ، وعن قتادة قال: فى كل واد يهيمون: أن يمدحون بالباطل ويذمون بالباطل. قال بعضهم: إن الشاعر يمدح بالصلة، ويهجو بالحمية، ويتشبب بالنساء، ويثير خاطره العشيق، وقال بعضهم: فى

(١) كذا!.

(٢) رواه الترمذى (١/ ٢٤٢-٢٤٣رقم ١٣٥)، وابن ماجه (١/ ٢٠٩ رقم٦٣٩)، والإمام أحمد فى مسنده (٢/ ٤٠٨) - ثلاثتهم مطولا- ورواه الإمام أحمد (٢/ ٤٢٩)، والحاكم (١/ ٨) وصححه على شرطهما. والبيهقى فى السنن (٨/ ١٣٥)، وأبو نعيم فى الحلية (٨/ ٢٤٦) من حديث أبى هريرة مرفوعا به.

إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

كل وادٍ يهيمون أى: على حرف من حروف الهجاء يصوغون القوافى، والهائم هو الذى ترك القصد فى الأشياء؛ يقال: هام فلان على وجهه إذا لم يكن له مقصد صحيح يقصده ويذهب إليه .

قوله: ﴿ وأنهم يقولون مالايفعلون ﴾ أى: يكذبون فى شعرهم، ويقولون: فعلنا كذا وكذا ولم يفعلوا، وفى بعض الآثار: أن أبا محجن الثقفى قال شعرا وأقر فيه بشرب الخمر، فأراد عمر أن يحدَّه، فقال علىٌّ - رضى الله عنه - إن كتاب الله يدرأ عنه الحد، وقرأ هذه الآية: ﴿ وأنهم يقولون مالايفعلون ﴾ فترك عمر حده.

وقوله: ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ قال أهل التفسير: هؤلاء شعراء المسلمين الذين كانوا يجتنبون شعراء الجاهلية ويهجونهم، ويذبون عن النبى ﷺ وأصحابه، وينافحون عنهم، وهم مثل: حسان بن ثابت، وعبدالله بن رواحة، وكعب ابن مالك، ومن أشبههم.

وروى عبدالرحمن بن كعب بن مالك، عن أبيه أنه قال: يا رسول الله، ماتقول فى الشعر؟ فقال: «إن المسلم ليجاهد بيده ولسانه، والذى نفسى بيده لكأنما ترمونهم بالنبال»(١).

وروى شعبة، عن عدى بن ثابت، عن البراء بن عازب أن النبى ﷺ قال لحسان بن ثابت: «أهجهم - أو هاجمهم - وروح القدس معك»(٢). ذكره البخارى فى

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده (٣/٤٥٦)، (٦/٣٨٧)، والبخارى فى تاريخه (٥/ ٣٠٤ - ٣٠٥)، وعبد الرزاق فى مصنفه (١١/٢٦٣ رقم ٢٠٥٠٠)، والطبرانى فى الكبير (١٩/ ٧٥-٧٦رقم١٥١)، وابن حبان فى صحيحه (١١/٥-٦ رقم ٤٧٠٧)، والقضاعى فى مسند الشهاب (٢/١٣٥ رقم ١٠٤٧)، والبيهقى (١٠/٢٣٩) جميعهم من حديث كعب بنحوه مرفوعا. وقال الهيثمى فى المجمع (٨/١٢٦): رواه أحمد بأسانيد، ورجال أحدهما رجال الصحيح.

(٢) متفق عليه، رواه البخارى فى صحيحه (٦/٣٥١) رقم ٣٢١٣، ٤١٢٣، ٤١٢٤، ٦١٥٣)، ومسلم (١٥/٦٨رقم٢٤٨٦).

الصحيح. قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا المكى بن عبد الرزاق، حدثنى جدى،أخبرنا الفربرى، أخبرنا البخارى، أخبرنا حفص بن عمر عن شعبة... الخبر.

وعن عائشة - رضى الله عنها - أنها قالت: الشعر كلام، فمنه الحسن ومنه القبيح، فخذ الحسن ودع القبيح.

وروى أُبيٌّ بن كعب عن النبى ﷺ أنه قال: «إن من الشعر لحكمة»(١).

وعن بعضهم قال: الشعر أدنى درجات الرفيع، وأرفع درجات الدنىء.

وعن الشعبى أنه قال «كان أبو بكر رضى الله عنه- يقول الشعر، وكان عمر- رضى الله عنه - يقول الشعر، وكان علىٌّ - رضى الله عنه - أشعر الثلاثة. وفى بعض التفاسير: أن قوله: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ هم أبو بكر وعمر - رضى الله عنهم - وهو قول غريب.

وعن عبد الله بن مسعود أنه قال: إذا رأيت الشيخ ينشد الشعر فى المسجد، فاقرع رأسه بالعصا.

وأما عبد الله بن عباس كان ينشد الشعر فى المسجد ويستنشد، فروى أنه دعا عمر بن أبى ربيعة المخزومى واستنشده القصيدة التى أنشدها، فى أوله.

أمن آل نعمى أنت غادٍ فمبكر غداة غدٍ أو رائح فمهجِّرُ

فأنشده ابن أبى ربيعة القصيدة إلى آخرها، وهى قريب من سبعين بيتًا، ثم إن ابن عباس أعاد القصيدة جميعها، وكان حفظها لمرة واحدة ثم قال: مارأيت أروى من عمر، ولا أعلم من على. هذه الحكاية أوردها المبرد فى مشكل القرآن.

قوله: ﴿ وذكروا الله كثيرا﴾ ظاهر المعنى.

---

(١) رواه البخارى (١٠/٥٥٣ رقم ٦١٤٥)، وأبو داود (٤/٣٠٣ رقم ٥٠١٠)، وابن ماجه (٢/رقم٣٧٥٥)، وأحمد (٥/١٢٥)، وعبد الله فى زوائده على المسند (٥/١٢٦)، والطيالسى (٧٦رقم ٥٥٦، ٥٥٧). وعبد الرزاق فى مصنفه (١١/٢٦٣ رقم ٢٠٤٩٩)، وابن أبى شيبة (٨/٦٩١)، والبيهقى (١٠/٢٣٧).

وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

وقوله: ﴿ وانتصروا من بعد ماظلموا ﴾ يعنى: بجواب الكفار عن أشعارهم التى هجوا بها المسلمين، قال حسان بن ثابت:

هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله فى ذاك الجزاءُ

فإن أبى ووالدتى وعرضـــى لعرض محمد منكم وِقاءُ

وقوله: ﴿ وسيعلم الذين ظلموا ﴾ أى: الكفار الذين هجوا المسلمين.

وقوله: ﴿ أى منقلب ينقلبون ﴾ أى: أى مرجع يرجعون، وقرئ فى الشاذ: «أى مُنْفَلَتٍ يَنْفلتُونَ .بالفاء من الإنفلات والوقوع فى الشيء وقد ذكر أبو بكر الصديق - رضى الله هنه - هذه الآية فى وصية لعمر - رضى الله عنه - حين استخلفه، فروى أنه قال لعثمان - رضى الله عنه - أكتب: هذا ماعهد أبو بكر عند آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة، حين يؤمن الفاجر ويصدق الكاذب، إنى أستخلف عليكم عمربن الخطاب، فإن بر وصدق فذلك ظنى به، وإن غيَّر وبدل فالخير أردت، ولا يعلم الغيب إلا الله، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون.

بسم الله الرحمن الرحيم

طسٓ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ
يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا

تفسير سورة النمل

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿طسٓ﴾ قد بينا معناه فى السورة المتقدمة .

وقوله: ﴿تلك آيات القرآن﴾ أى: هذه آيات القرآن .

﴿وكتاب﴾ أى: وآيات كتاب مبين، وأما اشتقاق القرآن والكتاب قد بينا، قال أهل المعانى: أظهر الآيات بالقراءة تارة، وبالكتبة تارة أخرى، فالآيات مظهرة بكونها كتابًا، وبكونها قرآنًا.

قوله تعالى: ﴿هدى وبشرى للمؤمنين﴾ أى: هدى من الضلالة، وبشرى بالثواب وهو الجنة، ويقال: الآيات هادية مبشرة .

وقوله: ﴿للمؤمنين﴾ أى: للمصدقين .

قوله تعالى: ﴿الذين يقيمون الصلاة﴾ إقامة الصلاة أداؤها بفرائضها وسننها، وقيل: إقامة الصلاة حفظ مواقيتها.

وقوله: ﴿ويؤتون الزكاة﴾ أى: ويعطون الزكاة، والزكاة هى زكاة المال، وقيل: زكاة الفطر.

وقوله: ﴿وهم بالآخرة هم يوقنون﴾ أى: يصدقون .

قوله تعالى: ﴿إن الذين لايؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم﴾ الأكثرون على أنها أعمال المعصية، وقيل: أعمال الطاعات وذلك بإقامة الدليل على حسنها .

وقوله: ﴿فهم يعمهون﴾ أى: يتحيرون ويترددون، ويقال: يعمون.

يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم

قوله تعالى: ﴿أولئك الذين لهم سوء العذاب﴾ أى: أشده

وقوله: ﴿وهم فى الآخرة هم الأخسرون﴾ أى: حظًا ونصيبًا.

قوله تعالى: ﴿وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم﴾ أى: تؤتى القرآن، وقيل: تأخذ(١) القرآن، وقيل: تلقن.

وقوله: ﴿من لدن حليم عليم﴾ أى: من عنده.

قوله تعالى: ﴿إذا قال موسى لأهله إنى آنست نارًا﴾ أى: أبصرت نارًا، ومنه الإنس سموا إنسًا؛ لأنهم مرئيون مبصرون، وفى القصة: أن موسى كان أخطأ الطريق، وذكر بعضهم أن موسى- عليه السلام- كان يرعى أغنامه على شفير الوادى، فرأت الأغنام النار ففزعت، وتفرقت ولم يكن موسى رءاها، فصاح موسى بالأغنام حتى اجتمعت ثم تفرقت ثانيا، فصاح بها حتى اجتمعت ثم تفرقت ثالثًا، فنظر موسى فرأى النار فذهب موسى- عليه السلام- فى طلبها.

قوله تعالى: ﴿سآتيكم منها بخبر﴾ أى: بخبر عن الطريق.

وقوله: ﴿أو آتيكم بشهاب قبس﴾ قرئ بالتنوين، وقرئ على الإضافة: «بشهاب قبس» والشهاب والقبس معناهما متقاربان، فالعود إذا كان فى أحد طرفيه نار، وليس فى الطرف الآخر نار سمى: شهابا، ويسمى: قبسًا، وقال بعضهم: الشهاب هو شىء ذو نور مثل العمود، والعرب تسمى كل أبيض ذى نور: شهابًا، والقبس هو القطعة من النار، قال الشاعر:

فى كفِّه صَعْدَةٌ مثقفة (لها)(٢) سنانٌ كشُعلة القَبَس

وأما قراءة التنوين فقد جعل القبس نعتًا للشهاب، وأما قراءة الإضافة هو إضافة اا

(١) فى «ك»: تؤخذ!. (٢) فى تفسير ابن جرير الطبرى (١٩ / ٨٣)، والقرطبى (١٤ / ١٥٧): فيها.

بشهاب قبس لعلكم تصطلون ﴿٧﴾ فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن

لشئ إلى نفسه، مثل قوله تعالى: ﴿ولدار الآخرة﴾[1] ومثل قولهم: يوم الجمعة، وماأشبه ذلك.

وقوله: ﴿لعلكم تصطلون﴾ فيه دليل على أنهم كانوا شاتين، وأنه أصابه البرد، والعرب تقول: هلم إلى الصلّى والقرى.

قوله تعالى: ﴿فلما جاءها نودى أن بورك من فى النار﴾ قال أهل التفسير: لم يكن ما رآه ناراً، بل كان نوراً، وإنما سماه ناراً؛ لأن النار لاتخلو من النور؛ ولأنه كان فى ظن موسى أنه نار.

وقوله: ﴿من فى النار﴾ فيه أقوال: أكثر المفسرين على أنه نور الرب، وهو قول ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير وغيرهم، وذكر أبو بكر الهذلى عن الحسن البصرى أنه الله تعالى، وذكر الفراء أن من فى النار هم الملائكة، ومن حولها الملائكة أيضاً (على القول الأول، ومن حولها الملائكة أيضاً)[2].

وفى الآية قول رابع: وهو أن من فى النار موسى، فإن قيل: لم يكن موسى فى النار. قلنا: قد كان قريباً من النار، والعرب تسمى من قرب من الشيء فى الشيء يقولون: إذا بلغت ذات عرق فأنت فى مكة، قالوا هذا لأجل القرب من مكة، وموسى قد كان قرب من النار فجعله كأنه فى النار.

وفى الآية قول خامس: وهو أن «من» بمعنى «ما» ومعنى الآية: أن بوركت النار وماحولها، وذكر بعضهم، أن فى قراءة أبى: «بوركت النار ومن حولها» والعرب تقول: بارك الله، وبارك الله عليك، وبورك فيك بمعنى واحد.

وقوله: ﴿وسبحان الله رب العالمين﴾ نزه الله نفسه، وهو المنزه عن كل سوء

(١) يوسف: ١٠٩، النحل: ٣٠.

(٢) ساقط من «ك».

حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي

وعيب.

قوله تعالى: ﴿ياموسى إنه أنا الله العزيز الحكيم﴾ أى: إنى أنا الله العزيز الحكيم. قال الفراء: الهاء عماد فى هذا الموضع.

قوله تعالى: ﴿وألق عصاك فلما رءاها تهتز﴾ أى: تتحرك.

وقوله: ﴿كأنها جآن﴾ الجآن هى الحية الصغيرة التى يكثر اضطرا بها، وقد بينا التوفيق بين هذه الآية وبين قوله: ﴿فإذا هى ثعبان مبين﴾[1]

وقوله: ﴿ولى مدبرا﴾ أى: هرب، ويقال: رجع إلى الطريق التى جاء منها.

وقوله: ﴿ولم يعقب﴾ أى: لم يلتفت.

وقوله: ﴿ياموسى لاتخف﴾ (فى بعض التفاسير: أن موسى لما فزع وهرب قال الله تعالى له: ﴿أقبل﴾ فلم يرجع، فقال: ﴿لاتخف﴾)[2] إنك من الآمنين﴾ فلم يرجع، فقال: ﴿سنعيدها سيرتها الأولى﴾[3] فلم يرجع حتى جعلها عصا كما كانت، ثم رجع وأخذها، والله أعلم.

قوله: ﴿إنى لايخاف لدى المرسلون﴾ يعنى: إذا أمنتهم، وقيل: لايخافون من عقوبتى، فإنى لاأعاقبهم.

فإن قيل: أليس أن جميع الأنبياء خافوا الله، وقد كان النبى ﷺ يخشى الله، وقد قال ﷺ: «أنا أخشاكم»[4]؟ والجواب عنه: أن الخوف الذى هو شرط الإيمان لايجوز

(١) الأعراف: ١٠٧، الشعراء: ٣٢. (٢) ساقط من «ك».

(٣) طه: ٢١.

(٤) هو قطعة من حديث رواه البخارى من حديث أنس مرفوعا: «والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له». (٩/ ٥-٦/رقم:٥٠٦٣)، ورواه مسلم (٧/ ٣١٠ رقم :١١٠٨)، وابن حبان (٨/ ٣١٠-٣١١رقم: ٣٥٥٨)، والبيهقى (٤/ ٢٣٤) من حديث عمر بن أبى سلمة مرفوعا وفيه: والله إنى لأتقاكم لله وأخشاكم له». وفى الباب عن عائشة رواه البخارى ومسلم وغيرهما.

لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ

أن يخلو أحد منه، فأما هذا الخوف من العقوبة على الكفر والكبائر، والله تعالى قد عصم الأنبياء من الكفر والكبائر .

وقوله : ﴿إلا من ظلم﴾ فيه أقوال : أحدها : ولامن ظلم ﴿ثم بدل حسنا بعد سوء﴾ أى : تاب وندم، وهذا القول ضعيف عند أهل النحو، والقول الثانى : أن معنى الآية : إنى لايخاف لدى المرسلون وإنما يخاف غير المرسلين، إلا من ظلم ثم بدل حسنًا بعد سوء فإنه لايخاف، والقول الثالث : أن الاستثناء ها هنا منقطع، ومعناه : لكن من ظلم فخاف فإن بدل حسنًا بعد سوء فإنه لايخاف . وفى بعض التفاسير : أن المراد بقوله : ﴿إلا من ظلم﴾ هو موسى بقتله القبطى، وأما تبديله الحسن بعد السوء توبته وندامته، وذلك فى قوله تعالى : ﴿قال رب إنى ظلمت نفسى﴾(١) .

قوله تعالى : ﴿وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء﴾ قد بينا، وفى القصة : أنها كانت تلألأ مثل البرق .

وقوله : ﴿فى تسع آيات﴾ أى : مع تسع آيات، وقيل : من تسع آيات، قال امرؤ القيس :

[وهل](٢) ينعمن من كان آخر عهده   [ثلاثين](٣) شهرًا فى ثلاثة أحوال

أى : من ثلاثة أحوال

وقوله : ﴿إلى فرعون وقومه إنهم كانو قوما فاسقين﴾ أى : خارجين من الطاعة .

---

(١) القصص : ١٦ .

(٢) فى « الأصل، و ك » : وهذا، والتصويب من تفسير القرطبى (١٣ / ١٦٢) .

(٣) فى « الأصل، وك » : ثلاثون، والمثبت من تفسير القرطبى .

فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

قوله تعالى: ﴿فلما جاءتهم آياتنا مبصرة﴾ أى: بينة واضحة.

وقوله: ﴿قالوا هذا سحر مبين﴾ أى: سحر ظاهر.

قوله تعالى: ﴿وجحدوا بها﴾ أى: جحدوها، والباء صلة، وقيل: جحدوا بالدلالة التى ظهرت منهما.

وقوله: ﴿واستيقنتها أنفسهم﴾ يعنى: وقد علموا أنها من قبل الله تعالى.

وقوله: ﴿ظلما وعلوا﴾ أى: شركا وتكبرا.

وقوله: ﴿فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا داود وسليمان علما﴾ أى: علم القضاء وعلم منطق الطير ومنطق الدواب، وعن بعضهم: علم الكيمياء، وهو قول شاذ.

وقوله: ﴿وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿وورث سليمان داود﴾ قال أهل التفسير: ليس المراد منه وراثة المال، وإنما المراد منه إرث الملك والنبوة، وكان داود ملكًا نبيًا، [وكذلك](١) سليمان ملكا نبيا، وأعطى سليمان ماأعطى داود من الملك، وزيد له تسخير الريح، ولم يكن هذا لأبيه، وكذلك تسخير الشياطين. قال الكلبى: كان لداود تسعة عشر ولدا ذكرا، وورث ملكه ونبوته سليمان من بينهم.

وفى بعض المسانيد: عن أبى هريرة أن الله تعالى أمر داود أن يسأل سليمان عن عشر مسائل، فإن أجاب فهو خليفته. وروى أن الله تعالى بعث إلى داود

(١) فى «ك»: وكذا.

فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ

بصحيفة مختومة فيها جواب المسائل فجمع داود الأحبار والرهبان، وأحضر سليمان وسأله عن المسائل، وكانت المسائل العشر أن داود سأل سليمان - صلوات الله عليهما - فقال: ما أقرب الأشياء؟ وما أبعد الأشياء؟ وما آنس الأشياء؟ وما أوحش الأشياء؟ وما الشيئان القائمان؟ وما الشيئان المختلفان؟ وما الشيئان المتباغضان؟ [وما الذى إذا استعمل فى أول الشىء حمد فى آخره؟](١) وما الذى إذا أستعمل فى أول الشىء ذم فى آخره؟ فقال: أما أقرب الأشياء فالآخرة، وأما أبعد الأشياء فالذى فاتك من الدنيا، وأما آنس الأشياء فجسد فيه روحه، وأما أوحش الأشياء فجسد لاروح فيه، وأما الشيئان القائمان فالسماء والأرض، وأما الشيئان المختلفان فالليل والنهار، وأما الشيئان المتباغضان فالحياة والموت، وأما الذى إذا استعمل فى أول الشىء حمد فى آخره، فالحلم عند الغضب، وأما الذى إذا استعمل فى أول الشىء ذم فى آخره فالحدة عند الغضب، فلما أجاب سليمان بهذه الأجوبة، فك الختم عن الصحيفة التى بعثها الله تعالى، فإذا الأجوبة على وفق ماقال سليمان صلوات الله عليه وسلم.

وفى هذا الخبر: أن سليمان لما أجاب بهذه الأجوبة سألته الأحبار عن مسألة أخرىٰ فقالوا: ما الشىء الذى إذا صلح صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله؟ فقال: هو القلب. فقالت الأحبار له: حق لك الخلافة ياسليمان، فحينئذٍ استخلفه داود عليه السلام.

فإن قيل: إذا كان داود استخلفه، فكيف يستقيم قوله تعالى: ﴿وورث سليمان داود﴾؟ قلنا: المراد من الإرث هاهنا هو قيامه مقام داود فى الملك والنبوة والعلم، وليس المراد من الإرث الذى يعلم فى الأموال، وهذا مثل قولهم: العلماء ورثة الأنبياء، والمراد منه مابينا.

---

(١) ساقط من «ك».

عَلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ

وقوله: ﴿وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير﴾ سمى صوته منطقًا لحصول الفهم بمعناه، كما يفهم معنى كلام الناس، إلا أن صوت الطير على صيغة واحدة، وأصوات الناس على صيغ مختلفة، ويحتمل أن ذلك فى زمان سليمان خاصة معجزة له أنه جعل لأصواتهم معانى مفهومة كما يفهم الناس بعضهم من بعض.

وقد روى نافع، عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال: «الديك الأبيض صديقى، وصديق صديقى وعدو عدوى، فقيل: يارسول الله، وماذا يقول؟ قال: يقول اذكروا الله ياغافلين»(١). وهذا خبر غريب.

وفى بعض المسانيد: أن جماعة من اليهود أتوا عبدالله بن عباس، فقالوا له: إنا سائلوك عن أشياء فإن أجبتنا أسلمنا، فقال: سلوا(٢) تفقهًا، ولاتسألوا تعنتًا، فقالوا: ماذا يقول القَس فى صفيره؟ والديك فى صقيعه؟ والضفدع فى نقيقه؟ والحمار فى نهيقه؟ والفرس فى صهيله؟ وماذا يقول الزرزور أو الدراج؟ فقال: أما القس يقول: اللهم العن مبغضى محمد وآل محمد، وأما الديك يقول: اذكروا الله ياغافلين، وأما الضفدع يقول: سبحان المعبود فى لجج البحار، وأما الحمار فيقول: اللهم العن العشارين، وأما الفرس إذا حمحم عند التقاء الصفين فإنه يقول: سبوح قدوس رب الملائكة والروح، وأما الزرزور فإنه يقول: اللهم أسألك قوت يوم بيوم يارزاق، وأما

---

(١) عزاه السخاوى فى المقاصد الحسنة (ص٣٥٢) للواحدى فى تفسيره من طريق داود بن طلحة، عن على بن الخليل، عن موسى بن إبراهيم، عن الليث، عن نافع به. وفى ذكر الديك الأبيض أحاديث، وقد أفرد الحافظ أبو نعيم أخبار الديك فى جزء، وكذا السيوطى وسماه: «الوديك فى أخبار الديك». وانظر الموضوعات لابن الجوزى (٢ / ٣ - ٦)، والمقاصد الحسنة للسخاوى (٣٥١ - ٣٥٣)، وكشف الخفاء للعجلونى (١ / ٤٩٧ - ٤٩٨)، ونقل الأخير عن ابن القيم فى الأجوبة الطرابلسية بعد سرده جملة من أحاديث الديك قوله: وبالجملة فكل أحاديث الديك كذبا إلا حديثاً واحداً: إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله .... الحديث.

قال العجلونى: ورأيت أيضا فى سفر السعادة لصاحب القاموس أنه قال: لم يثبت فى فضائل الديك الأبيض شيء. قال: والحديث المسلسل المشهور فيه: الديك الأبيض صديقى. باطل وموضوع.

(٢) كلمة «سلوا» تكررت فى «الأصل».

وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾

الدراج فيقول: الرحمن على العرش استوى، قال: فأسلم اليهود.

وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال فى الحمار: «إذا نهق فإنه قد رأى شيطانا»(١).

وقوله: ﴿وأوتينا من كل شىء﴾ أى: من كل شىء يؤتى الأنبياء والملوك، وقيل: إنه قال هذا على طريق الكثرة والمبالغة، مثل قول القائل: كلمت كل أحد فى حاجتك.

وقوله: ﴿إن هذا لهو الفضل المبين﴾ أى: الزيادة الظاهرة على جميع الخلق.

قوله تعالى: ﴿وحشر لسليمان جنوده﴾ قال محمد بن كعب القرظى: كان معسكره مائة فرسخ: خمسة وعشرون فرسخا للإنس، وخمسة وعشرون فرسخا للجن، وخمسة وعشرون فرسخا للوحوش، وخمسة وعشرون فرسخا للطيور.

وعن سعيد بن جبير: كان يوضع لسليمان ستمائة ألف كرسى، يجلس الإنس فيما يليه، ثم يليهن الجن، ثم تظلهم الطير، ثم تقلهم الريح. قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث أبو على الشافعى، أخبرنا أبو الحسن بن فراس، أخبرنا الديبلى، أخبرنا سعيد بن عبدالرحمن المخزومى، أخبرنا سفيان بن عيينة، عن ابن سلام، عن سعيد بن جبير ... الأثر.

وقوله: ﴿فهم يوزعون﴾ أى: يساقون، وقيل: يجمعون، والقول المعروف: يُكفَّون، ومعناه: يكف أولهم حتى يلحق آخرهم، قال الشاعر:

على حين عاتبتُ المشيب على الصبا … فقلت ألمَّا أصحُ والشَّيْبُ وازعُ

وعن الحسن البصرى قال: لابد للناس من وزعة. قال هذا حين ولى القضاء، وازدحم عليه الناس.

وعن عثمان قال: مايزع السلطان أكثر مما يَزعُ القرآن. ومعناه: ما يمتنع الناس منه خوفا من السلطان أكثر مما يمتنع الناس منه خوفًا من القرآن.

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (٦/ ٤٠٣ رقم ٣٣٠٣)، ومسلم (١٧/ ٧٢ رقم ٢٧٢٩).

حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ

وعن بعضهم فى الفرق بين عمر وعثمان: أن عمر أساء الظن فشدد فى الأمر فصلحت رعيته، وعثمان أحسن الظن فساهل الأمر ففسدت رعيته.

وفى القصة: أنه كان على كل صنف من الإنس والجن والطير والدواب لسليمان صلوات الله عليه، وَزَعَةٌ.

قوله تعالى: ﴿حتى إذا أتوا على واد النمل﴾ يقال: هو واد بالشام، وقال كعب: واد بالطائف. وقال بعضهم: واد كان سكنه الجن، وأولئك النمل مراكبهم وهى كالذئاب. وقيل: كالبخاتى، والمشهور أنه النمل الصغير، وسميت نملا لتنملها أى: لكثرة حركتها.

وعن عدى بن حاتم أنه كان يفت الخبز للنمل. قال رضى الله عنه: أخبرنا به أبو على الشافعى بذلك الإسناد، والذى بينا عن سفيان بن عيينة، عن مسعود، عن رجل، عن عدى بن حاتم.

وقوله: ﴿قالت نملة﴾ يحتمل أن الله تعالى خلق للنمل فى ذلك الوقت كلامًا مفهومًا، والنمل عند العرب من الحُكْل، والحكل مالا صوت له، قال الشاعر:

(عِلْمَ سليمانَ الحُكْلِ)(١)

وقوله: ﴿يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم﴾ ولم يقل: ادخلى، وحق اللغة أن يقول: ادخلى، وإنما يقال: ادخلوا لبنى آدم، لكنهم لما تكلموا بمثل كلام الآدميين خوطبوا مثل خطاب الآدميين.

وقوله: ﴿لايحطمنكم﴾ أى: لايكسرنكم كسر الهلاك. ﴿سليمان وجنوده﴾ (وقيل: لايطئانكم، فإن قال قائل: كيف يستقيم هذا، وإنما الريح كانت تحمل سليمان

(١) نسبه ابن منظور لرؤبة، وفيه (لسان العرب: مادة حكل):

لو أننى أعطيت علم الحكل — علم سليمان كلام النمل

لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا

وجنوده)(١)؟ فإنه روى أن سليمان وجنوده كانوا يجتمعون على بساط، والريح تحمل البساط؛ والجواب: يحتمل أنه كان فيهم مشاة، وكانت الأرض تطوى لهم، ويحتمل أن هذا كان قبل تسخير الريح لسليمان والله أعلم. فإن قيل: لم يكن النمل من الطير، وهو كان تعلم منطق الطير؟ والجواب عنه: قال الشعبى: كانت نملا لها أجنحة فيكون طيراً.

وقوله: ﴿وهم لايشعرون﴾ قال أهل التفسير: علم النمل أن سليمان ملك ليس له جبرية وظلم، ومعنى الآية: أنكم لولم تدخلوا المساكن وطئوكم، ولم يشعروا بكم، ولو عرفوا لم يطئوا، وفى القصة [أيضاً](٢): أن سليمان لمابلغ وادى النمل حبس جنده حتى دخل النمل بيوتهم، وفى القصة أيضاً: أن سليمان سمع كلام النمل على ثلاثة أميال، وكان الله تعالى أمر الريح أن تأتيه بكل خبر وكل كلام، وفى الآية دليل على أن النمل يكره قتلها، وعن الحسن البصرى أنه قال فى قوله: ﴿إن الأبرار لفى نعيم﴾(٣) قال: هم الذين لايؤذون الذّر، وهو صغار النمل. فإن قيل: كيف يصح أن يثبت للنمل مثل هذا العلم؟ والجواب عنه: يجوز أن يخلق الله تعالى فيه هذا النوع من الفهم والعلم، ويقال: إنه أسرع جسّة إدراكًا، وهو إذا أخذ الحبة من الحنطة قطعها بنصفين لئلا تنبت، وإذا أخذ الكزبرة قطعها أربع قطع؛ لأن الكزبرة إذا قطعت قطعتين تنبت، فإذا قطعت أربع قطع لم تنبت.

قوله تعالى: ﴿فتبسم ضاحكا من قولها﴾ قال الزجاج: ضحك الأنبياء التبسم.

وقوله: ﴿ضاحكًا﴾ أى: متبسما، ويقال: كان أوله التبسم وآخره الضحك، فإن قيل: لِمَ ضحك؟ والجواب من وجهين: أحدهما: فرحًا بثناء النملة عليه، والآخر: سمع عجباً، ومن سمع عجباً يضحك، وربما يغلب فى ذلك.

(١) ساقط من «ك».
(٢) زيادة من «ك».
(٣) الإنفطار: ١٣، والمطففين: ٢٢.

وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا

وقوله: ﴿وقال رب أوزعنى﴾ أى: ألهمنى.

وقوله: ﴿أن أشكر نعمتك التى أنعمت على﴾ يقال: الشكر انفتاح القلب لرؤية المنة، ويقال: هو الثناء على الله تعالى بإنعامه.

قوله: ﴿وعلى والدى﴾ أى: أباه داود وأمه آيسا.

وقوله: ﴿وأن أعمل صالحا ترضاه﴾ أى: من طاعتك.

وقوله: ﴿وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين﴾ أى: مع عبادكِ الصالحين الجنة.

قوله تعالى: ﴿وتفقد الطير﴾ التفقد هو طلب ماقد فُقد.

وقوله: ﴿ما لى لا أرى الهدهد﴾ الهدهد طير معروف، فإن قيل: لم طلبه؟ والجواب من وجهين: أحدهما: أن الطير كانت تظل سليمان وجنده من الشمس، فنظر فرأى موضع الهدهد خاليًا تصيبه الشمس منه، فطلب لهذا، والثانى: ماروى عن ابن عباس أن الهدهد كان يعرف موضع الماء فى الأرض، وكان يبصر الماء فيها كما يبصر فى الزجاجة، وكان يذكر قدر قرب الماء وبعده، فاحتاج سليمان إلى الماء فى مسيره، فطلب الهدهد لذلك. فروى أن نافع بن الأزرق كان عند ابن عباس وهو يذكر هذا فقال: ياوصاف انظر ماتقول، فإن الصبى منا يضع الفخ ويحثو عليه التراب، فيجئ الهدهد فيقع فى الفخ. فقال له ابن عباس: إن القدر يحول دون البصر، وروى أنه قال: إذا جاء القضاء والقدر ذهب اللب والبصر.

وقوله: ﴿أم كان من الغائبين﴾ يعنى: أكان من الغائبين؟ والميم فيه صلة، كأنه أعرض عن الكلام الأول، وذكر هذا على طريق الاستفهام، ويقال: إنه لما قال: ﴿مالى لا أرى الهدهد﴾ دخله شك، فقال: أحاضر هو أم غائب؟.

لِي لا أرى الْهُدْهُد أمْ كان من الْغائبين ﴿٢٠﴾ لأُعذّبنّهُ عذابًا شديدًا أوْ لأذْبحنّهُ أوْ ليأْتينّي بسُلْطانٍ مُبينٍ ﴿٢١﴾ فمكث غيْر بعيدٍ فقال أحطتُ بما لمْ تُحطْ به وجئْتُك

قوله تعالى: ﴿لأعذبنه عذابًا شديدًا﴾ فيه أقوال: أحدها - وهو الأشهر - أنه نتف ريشه وإلقاؤه فى الشمس فيأكله النمل، ويقال: هو حبسه مع الضد، ويقال: إخراجه من جنسه إلى غير جنسه، فهو العذاب الشديد.

وقوله: ﴿أو لأذبحنه﴾ معلوم المعنى.

وقوله: ﴿أو ليأتينى بسلطان مبين﴾ أى: بعذر ظاهر، ويقال: بحجة بينة، وفى القصة: أن أمير الطير كان هو الكركر، فسأله سليمان عن الهدهد أنه حاضر أم غائب؟.

قوله تعالى: ﴿فمكث غير بعيد﴾ أى: غير طويل.

وقوله: ﴿فقال أحطت بمالم تحط به﴾ فيه حذف، ومعناه: أن الهدهد جاء وسأله سليمان - عليه السلام - عن غيبته فقال: ﴿أحطت بما لم تحط به﴾.

وفى القصة: أن الهدهد قال لما أُخبر بمقالة سليمان: ﴿لأعذبنه عذابًا شديدًا أو لأذبحنه﴾ قال الهدهد: هل استثنى نبى الله؟ قالوا: نعم، قد قال: ﴿أو ليأتينى بسلطان مبين﴾ قال: فنجوت إذًا.

فإن قال قائل: التعذيب إنما يكون بعد التكليف، والهدهد لم يكن مكلفًا، وإذا لم يكن مكلفًا لم يكن عاصيا بالغيبة، وإذا لم يكن عاصيا لايستحق العذاب؟ والجواب عنه: يحتمل أن الطير أعطاها الله تعالى فى ذلك الوقت مايعقلون به الأمر، فصح نهيهم عن الغيبة والإخلال بمركز الخدمة، فإذا غبن استحققن العذاب.

وأما قوله: ﴿أحطت بمالم تحط به﴾ الإحاطة هو العلم بالشىء من جميع جهاته.

وقوله: ﴿وجئتك من سبإٍ﴾ وقرئ: «سبأَ» بغير صرف، فمن صرف سبأ صرفه على أنه اسم رجل، وفى بعض التفاسير: عن النبى ﷺ أنه سئل عن سبأ فقال: «هو

مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ

رجل ولد عشرة من البنين تيامن منهم ستة وتشاءم منهم أربعة، فأما الذى تيامنوا فهم كندة، والأشعر، والأزد، وحمير، ومذحج، وأنمار، وأما الذين تشاءموا فهم: لخم، وجذام، وعاملة، وغسان»(١)

ومن لم يصرفه جعله اسمًا للبقعة، واعلم أن العرب قد صرفت سبأ مرة ولم تصرفه مرة، قال الشاعر فى صرف سبأ:

الواردون وتيم فى ذُرَى سبأٍ ... قد عَضَّ أعناقَهُمْ جلدُ الجواميسِ

وقال آخر فى ترك صرفه:

من سَبَأَ الحاضرين مَأرِب إذ ... يَبْنُونَ من دون سَيْله العَرِمَا

وقوله: ﴿بنبأ يقين﴾ أى: بخبر حق.

قوله تعالى: ﴿إنى وجدت امرأة تملكهم﴾ هذه المرأة هى بلقيس بنت شراحيل. قال مجاهد: ولدها أربعون ملكًا، آخرهم أبوها. وعن قتادة قال: كان أحد أبويها من الجن. وعن الحسن البصرى قال: ولوا أمرهم علجة يضطرب ثدياها.

وقد ثبت عنه ﷺ برواية أبى بكرة حين بلغه أن العجم ولوا عليهم بنت كسرى،

(١) رواه الترمذى (٥/٣٣٦-٣٣٧ رقم ٣٢٢٢) وقال: حسن غريب، وأبو داود (٤/٣٤ رقم ٣٩٨٨)، والبخارى فى تاريخه (٧/١٢٦-١٢٧)، والطبرانى (١٨/٣٢٣-٣٢٦ رقم ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٨)، والحاكم (٢/٤٢٤)، وعزاه ابن كثير فى تفسيره (٣/٥٣٠-٥٣١) للإمام أحمد وعبد بن حميد وقال: إسناده حسن، جميعهم من حديث فروة بن مسيك مرفوعًا به. وقال ابن عبد البر فى الاستيعاب (ترجمة فروة): حديثه فى سبأ حديث حسن. وله شاهد عن ابن عباس مرفوعًا، رواه أحمد فى مسنده (١/٣١٦)، والطبرانى فى الكبير (١٢/٢٤٠ رقم ١٢٩٩٢)، والحاكم (٢/٤٢٣) وصححه، وحسن الحافظ ابن كثير إسناد المسند فى تفسيره، وفى الباب عن يزيد بن حصين السلمى، وانظر المجمع للهيثمى (٧/٩٧)، وتفسير ابن كثير (٣/٥٣١)..

وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ

فقال: «لايفلح قوم ولوا أمرهم امرأة».(١)

وعن خالد بن صفوان فى ذم اليمن: هم من بين دابغ جلد، وسايس قرد، وحائك بُرْد، ملكتهم امرأة، ودل عليهم هدهد وغرقتهم فأرة.

واعلم أن أهل اليمن ممدوحون على لسان النبى ﷺ، وإنما الذم الذى ذكرنا لأهل الشرك منهم.

وقوله: ﴿وأوتيت من كل شىء﴾ أى: من كل شىء يؤتى مثلها.

وقوله: ﴿ولها عرش عظيم﴾ أى: سرير ضخم، وفى القصة: أنه كان طول السرير [ثمانين](٢) ذراعًا فى عرض ثمانين، وقيل: أقل من ذلك، والله أعلم.

قالوا: وكان مكللا بالجواهر واليواقيت والزبرجد، وما أشبه ذلك.

وقوله: ﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل﴾ أى: عن سبيل الإسلام.

وقوله: ﴿فهم لايهتدون﴾ أى: الطريق الحق.

قوله تعالى: ﴿ألاّ يسجدوا لله﴾ وقرئ: «ألَايسجدوا» مخففا، فأما من قرأ: ﴿ألاّ﴾ مشددا فمعناه: فصدهم عن السبيل ألاّ يسجدوا يعنى: لئلا يسجدوا، وقيل معناه: وزين لهم الشيطان أعمالهم ألاّ يسجدوا، وعلى هذه القراءة لاسجود عند تلاوته، هكذا ذكره أهل التفسير، وأما قراءة التخفيف فمعنى قوله: «ألايسجدوا»

(١) رواه البخارى (٧/٧٣٢ رقم ٤٤٢٥، ٧٠٩٩)، والترمذى (٤/٤٥٧ رقم ٢٢٦٢) وقال: حسن صحيح، والنسائى (٨/٢٢٧ رقم ٥٣٨٨)، وأحمد (٥/٣٨، ٤٣، ٤٧، ٥١)، والطيالسى (ص١١٨ رقم ٨٧٨)، وابن حبان (١٠/٣٧٥ رقم ٤٥١٦)، والحاكم (٣/١١٨-١١٩، ٤/٢٩١)، والبيهقى (٣/٩٠، ١٠/١١٧ - ١١٨) جميعهم من حديث أبى بكرة به.

(٢) فى «الأصل، وك»: ثمانون، وهو خلاف الجادة.

﴿٢٤﴾ أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ

أى: ألا ياهؤلاء اسجدوا.

ألا يسلمي يادار ميَّ على البلَى ... ولا زالُ منهلاً بجرْعائك القطْرُ

ومعناه: ألا يا اسلمي يادار. وقال آخر:

ألا يسلمي ياهند هند بني ... بدر وإن كان حيانا غدا آخر الدهر

ومعناه: ألا يا اسلمي هند، ويحتمل أن يكون هذا من قول الهدهد، ويحتمل أن يكون من قول الله تعالى ابتداءً. قال أهل التفسير: وعلى هذه القراءة يُسن السجدة؛ لأنه أمر بالسجود وقال بعضهم: على القراءة الأولى يسجد أيضًا مخالفة للمشركين.

وقوله: ﴿الله الذى يخرج الخبء﴾ أى: ماغاب فى السموات والأرض، والذى غاب فى السماء هو المطر، والذى غاب فى الأرض هو النبات، وقيل: [كل][(١)] ماغاب .

وقوله: ﴿ويعلم ماتخفون وماتعلنون﴾ ظاهر المعنى .

قوله تعالى: ﴿الله لاإله إلا هو رب العرش العظيم﴾ ذكر العرش هاهنا؛ لأنه أخبر أنه كان لها عرش عظيم، وفائدة الذكر [أن] عرشها صغير حقير فى جنب عرش الله تعالى .

قوله تعالى: ﴿قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين﴾ فيه دليل على أن الملوك يجب عليهم التثبت فيما يخبرون.

وقوله: ﴿أم كنت من الكاذبين﴾ أى: أم أنت من الكاذبين .

قوله تعالى: ﴿اذهب بكتابى هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم﴾

(١) فى «الأصل، وك»: كان، وهو خطأ.

فانظرْ ماذا يرْجعُون ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يا أَيُّها الْملأُ إِنّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ

قالوا: فيه تقديم وتأخير ومعناه: ألقه إليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تولَّ عنهم، وقيل معناه: تول عنهم أى: تنح عنهم ثم أنظر ماذا يرجعون. قال بعضهم: علم الهدهد أدب الدخول على الملوك يعنى: إذا دخل الداخل(١) على الملك ينبغى أن لايقف، بل يذهب فى الحال ثم يرجع ويطلب الجواب.

قوله تعالى: ﴿قالت يا أيها الملأ﴾ فى الآية حذف، وهو أن الهدهد ذهب وحمل الكتاب، وفى القصة: أنه دخل عليها من جهة الكوة، وكانت هى فى خلوة مستلقية على سريرها، فطرح الكتاب على صدرها، وقيل: كانت نائمة فوضعه بجنبها، ويقال: ذهب بالكتاب وطرحه على حجرها، فى ملأ من الناس، وأما الملأ فهم أشراف القوم وكبراؤهم. ويقال: كان لها ثلاثمائة وثلاثة عشر قائدا، كل قائد على اثنى عشر ألفا، ويقال: كان لها اثنا عشر ألف قائد، كل قائد على ألف رجل.

وقوله: ﴿إنى ألقى إلى كتاب كريم﴾ أى: حسن، ويقال: مختوم. وفى الأخبار عن النبى ﷺ برواية ابن عباس: «من كرامة الكتاب ختمه»(٢)، والقول الثالث: كتاب كريم أى: كريم كاتبه ومرسله.

قولة تعالى: ﴿إنه من سليمان﴾ فى التفسير: أن سليمان كان قد كتب: من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس بنت شراحيل ﴿(٣)بسم الله الرحمن الرحيم

(١) فى «ك»: يعنى أدب الداخل على الملك.

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط (٥/٣٢٨ رقم ٣١٦٠ مجمع البحرين)، والقضاعى فى مسنده (١/٥٨رقم٣٩)، وقال الهيثمى فى المجمع (٨/١٠٢): رواه الطبرانى فى الأوسط، وفيه محمد بن مروان السدى الصغير، وهو متروك. وعزاه الزيلعى فى تخريج الكشاف (٣/١٦) للثعلبى فى تفسيره، والواحدى فى تفسيره الوسيط.

(٣) فى «ك»: وإنه بسم الله الرحمن الرحيم.

وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾

ألاتعلوا على وأتونى مسلمين﴾ .

قال أهل العلم: وهذا الكتاب أوجز مايكون من الكتب، فإنه جمع العنوان والكتاب والمقصود فى سطرين، وكتب الأنبياء على غاية الإيجاز .

وعن الشعبى: «كان رسول الله ﷺ يكتب أولا باسمك اللهم، فلما أنزل الله تعالى قوله: ﴿بسم الله مجريها ومرساها﴾[١] كتب بسم الله، فلما أنزل الله تعالى: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾[٢] كتب بسم الله الرحمن، فلما أنزل الله تعالى فى سورة النمل: ﴿إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم﴾ كتب بسم الله الرحمن الرحيم»[٣].

قال عاصم: قلت للشعبى: رأيت كتابًا للنبى ﷺ فى ابتدئه بسم الله الرحمن،[٤] فقال: ذلك هو الكتاب الثالث.

وعن بريدة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال له: «إنى أعلم آية أنزلت على لم تنزل على نبى بعد سليمان بن داود، والله لاأخرج من المسجد حتى أخبرك بها. قال: فقام وأخرج إحدى رجليه من المسجد، فقلت فى نفسى: إنه قد حلف، فالتفت إلىّ، وقال لى: بم تفتتح صلاتك - يعنى قراءتك -؟ قلت: بسم الله الرحمن

---

(١) هود: ٤١ .

(٢) الإسراء: ١١٠ .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر (٥/ ١٢٦) لعبد الرزاق، وابن سعد، وابن أبى شيبة، وابن المنذر، وابن أبى حاتم .

(٤) فى «ك» زاد الرحيم، والصواب ما فى «الأصل» .

أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُوْلُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ

لرحيم قال: هي هي، ثم خرج»(١).

قوله تعالى: ﴿ألا تعلوا علي﴾ أي: لاتتعظموا على، وقيل: لاتتكبروا على، ومعناه: لاتمتنعوا وتتركوا الإجابة، فإن الامتناع وترك الإجابة من العلو والتكبر.

وقوله: ﴿وأتونى مسلمين﴾ فيه قولان: أحدهما: هو من الإسلام، والآخر: من الاستسلام. قوله تعالى: ﴿قالت يا أيها الملأ أفتونى فى أمرى﴾ قالت هذا على طريق الاستشارة؛ لأنها علمت أن ملك سليمان أعظم من ملكها، وقوله: ﴿أفتونى فى أمرى﴾. أى: أجيبونى فى أمرى.

وقوله: ﴿ماكنت قاطعة أمرًا﴾ أى: قاضية ومبرمة أمرًا ﴿حتى تشهدون﴾ أى: تحضرون، وقرأ ابن مسعود: «ما كنت قاضية أمرًا».

قوله تعالى: ﴿قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد﴾ أخبروا بكثرتهم وشجاعتهم.

وقوله: ﴿والأمر إليك﴾ ثم ردوا الأمر إليها لتقاتل أو تترك القتال، فهو معنى قوله: ﴿فانظرى ماذا تأمرين﴾.

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط (٢ / ١١٣-١١٤ / رقم ٨٠٤ مجمع البحرين)، والدارقطنى فى سننه (١ / ٣١٠)، وابن أبى حاتم فى تفسيره (تفسير ابن كثير ٣ / ٣٦١ - ٣٦٢)، والبيهقى فى سننه (١٠ / ٦٢) وضعفه، وأبو نعيم فى تاريخ أصبهان (٢ / ١٨٧) جميعهم من حديث بريدة به بنحوه.
قال الحافظ ابن كثير فى تفسيره بعد إيراده رواية ابن أبى حاتم: هذا حديث غريب، وإسناده ضعيف. وقال الهيثمى فى المجمع (٧ / ٩٠): رواه الطبرانى فى الأوسط، وفيه عبد الكريم أبو أمية، وهو ضعيف، وفيه من لم أعرفهم. وقال السيوطى فى الدر (١١ / ١٢): أخرج ابن أبى حاتم والطبرانى والدارقطنى والبيهقى فى سننه بسند ضعيف عن بريدة، فذكره.

وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ

قوله تعالى: ﴿قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها﴾ أى: خربوها.

وقوله: ﴿وجعلوا أعزة أهلها أذلة﴾ الأعزة هم القوم الذين يمتنعون من قبول الذل بقوتهم وقدرتهم، فجعلهم أذلة فى هذا الموضع إنما هو بالاستعباد والاستسخار.

وقوله: ﴿وكذلك يفعلون﴾ أكثر المفسرين على أن هذا من قول الله تعالى على طريق التصديق لها، لا على طريق الحكاية عنها.

قوله تعالى: ﴿وإنى مرسلة إليهم بهدية﴾ الهدية هى العطية على طريق المثامنة، والهدايا بين الإخوان مستحبة، وقد روى عن النبى ﷺ: «تهادوا تحابوا»[1].

وقد ثبت عن النبى ﷺ: «كان يقبل الهدية، ويرد الصدقة»[2].

وروى عنه ﷺ أنه قال: «هدايا الأمراء غلول»[3].

وروى أن رجلا أهدى إلى عمر - رضى الله عنه - رجل جزور، وكان بينه وبين

(١) رواه البخارى فى الأدب المفرد (ص١٧٤)، وأحمد فى مسنده (٢/ ٤٠٥)، والدولابى فى الكنى (١/ ١٥٠، ٢/ ٧)، وابن عدى فى الكامل (٤/ ١٠٤)، والبيهقى (٦/ ١٦٩)، وتمام الرازى فى فوائده (٢/ ٢٢٠ رقم ١٥٧٧) من حديث أبى هريرة مرفوعًا.
وقال الحافظ فى التلخيص (٣/ ١٥٢ - ١٥٣): إسناده حسن. وفى الباب أحاديث عن ابن عمر وابن عمرو، وعائشة، وغيرهم. وانظر نصب الراية (٤/ ١٢٠ - ١٢١)، وتلخيص الحبير (٣/ ١٥٢ - ١٥٣)، وإرواء الغليل (٦/ ٤٤-٤٧).

(٢) رواه الإمام أحمد فى مسنده (٢/ ٣٥٩)، وابن عدى فى الكامل (٣/ ٤٠٣) عن أبى هريرة به. ومثله عن عبد الله بن بسر رواه الإمام أحمد فى مسنده (٤/ ١٨٩)، والطبرانى فى الكبير، كما فى المجمع للهيثمى (٤/ ١٥٠) وقال: وفيه هاشم بن سعيد، وثقه ابن حبان، وضعفه غيره.
وعن سلمان رواه الإمام أحمد (٥/ ٤٣٧)، وقال الهيثمى (٣/ ٩٣): ورجاله رجال الصحيح. وفى قبوله ﷺ الهدية أحاديث فى الصحيحين وغيرهما، وكذلك فى رده الصدقة، والله أعلم.

(٣) رواه أحمد فى مسنده (٥/ ٤٢٤)، وابن عدى فى الكامل (١/ ٣٠٠)، ومن طريقه البيهقى فى سننه (١٠/ ١٣٨) من حديث أبى حميد الساعدى به، ولفظ أحمد: «هدايا العمال غلول». وقال الحافظ فى التلخيص (٤/ ٣٤٨): وإسناده ضعيف.
وفى الباب عن أبى هريرة، وجابر، وأنس، وابن عباس. وانظر تخريج الكشاف للزيلعى (١/ ٢٣٦- ٢٣٧)، وتلخيص الحبير (٤/ ٣٤٨-٣٤٩)، وإرواء الغليل (٨/ ٢٤٦-٢٥٠).

إِبِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم

نسان خصومة، فلما ارتفعا إليه قال: يا أمير المؤمنين، افصل بيني وبينه كما يفصل من الجزور رجله، فقال: أنت ذاك، ثم إنه رد عليه رجل الجزور، وقضى عليه.

وقوله: ﴿ فناظرة بم يرجع المرسلون ﴾ روى أنها قالت: إن كان سليمان ملكًا فأرضيه بالمال، وإن كان نبيا فلا يرضى بالمال.

وأما الهدية التي بعثتها إلى سليمان، فعن ابن عباس أنه قال: كانت مائة وصيف ومائة وصيفة.

وعن مجاهد أنه قال: مائتا غلام ومائتا جارية.

وكان بعضهم يشبه البعض في الصورة والصوت والهيئة، وقالت للرسول: قل له: ليميز بين الغلمان [والجواري](١).

وعن سعيد بن جبير أنه قال: أهدت إليه لبنة من ذهب ملفوفة في الديباج. وروى أنها أهدت إليه من الحرير والكافور والمسك والطيب شيئًا كثيراً.

وفي القصة: أنها بعثت إليه بخرزتين، أحدهما لا ثقب لها، والأخرى لها ثقب معوج، وطلبت أن يدخل الخيط في الثقب المعوج من غير علاج إنس ولاجن، وأن يثقب الخرزة الأخرى من غير علاج إنس ولاجن، وبعثت إليه بقدح، وطلبت منه أن يملأه من ماء لم ينزل من السماء ولانبع من الأرض.

قوله تعالى: ﴿ فلما جاء سليمان قال أتمدونن بمال ﴾ الإمداد إلحاق الثواني بالأوائل، وقيل: أنْ يلحق الثاني بالأول، والثالث بالثاني، والرابع بالثالث إلى أن ينتهي.

وقوله: ﴿ فما آتاني الله خير مما آتاكم ﴾ ما أعطاني الله من النبوة والملك والمال أفضل مما آتاكم.

(١) في «الأصل وك»: والجوار بدون الياء، والصواب إثباتها.

بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾

وقوله: ﴿ بل أنتم بهديتكم تفرحون ﴾ معناه: أن بعضكم يفرح بالإهداء إلى بعض، فأما أنا فلا أفرح بهداياكم.

وفى القصة: أن المرأة كانت قالت للرسل: إن كان سليمان ملكًا فلا يجلسكم، وإن كان نبيا فيجلسكم، فروى أن (الرسول)[١] لما جاءوا وقربوا من سليمان، جاء جبريل عليه السلام وأخبره بمجيئهم وما معهم، فأمر سليمان بلبنات من ذهب وفضة، حتى جعلت تحت أرجل الدواب، وجعلت الدواب تروث وتبول عليها، فلما رأى الرسل ذلك استحقروا ماعندهم.

وفى القصة: أنهم لما دخلوا قاموا قيامًا، فقال لهم سليمان عليه السلام: إن الله تعالى رفع السماء وبسط الأرض، فمن شاء جلس ومن شاء قام.

وروى أنه أمرهم بالجلوس ودعا بالغلمان والجوارى بأن يتوضئوا، فمن صب الماء على بطن ساعده قال: هى جارية، ومن صب الماء على ظهر ساعده قال: هو غلام.

وروى أنه جعل من بدأ بالمرفق فى الغسل غلامًا، ومن بدأ بالزند فى الغسل جارية، وروى أنه جعل من أغرف الأناء غلامًا، ومن صب على يده جارية.

ودعا بالخرزتين فجاءت دودة تكون فى الرطبة، وقيل: فى الصفصاف، فقالت: أنا أدخل الخيط فى هذا الثقب على أن يكون رزقى فى الصفصاف، فجعل لها ذلك، فربط الخيط عليها. وقيل: أخذت الخيط بفيها ودخلت فى الثقب [فخرجت][٢] من الجانب الآخر. وأما الخرزة الأخرى فجاءت دودة تكون فى الفواكه، وثقبت الخرزة على أن يكون رزقها فى الفواكه، فجعل لها ذلك، ثم دعا بالقدح وأمر بإجراء الخيل، وملأ القدح من عرقها، ثم رد الهدايا على الرسل حتى ردوها على المرأة.

---

(١) كذا، والأشبه أن يقال: الرسل.

(٢) فى «ك»: ودخلت.

ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لاَّ قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ
﴿٣٧﴾ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ
عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾

قال أهل العلم: وقد كان الأنبياء لايقبلون هدايا المشركين.

قوله تعالى: ﴿ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها﴾ أى: لاطاقة لهم بها.

وقوله: ﴿ولنخرجنهم منها أذلة﴾ أى: من بلادهم، وقوله: ﴿وهم صاغرون﴾ أى: نخرجهم على وجه الذلة والصغار، وذلك يكون بالأسر والاستعباد، وما أشبه ذلك.

قوله تعالى: ﴿قال يأيها الملأ﴾ أكثر المفسرين على أن سليمان قال هذا بعد أن أرجع الرسول ورد الهدايا، فإن قال قائل: لما رد الهدايا كيف طلب عرشها وسريرها؟ والجواب عنه من وجوه: أحدها: أنه أحب أن يكون ذلك السريرله، وكان قد وصف.

والوجه الثانى: أنه أحب أن يراه فإنه كان قيل له: إنه من ذهب وقوائمه من جوهر وهو مكلل باللؤلؤ.

والوجه الثالث: أنه أراد أن يُريها معجزة عظيمة، فإنه روى أنها جعلت ذلك العرش فى سبعة أبيات بعضها داخل فى البعض، وغلقت الأبواب واستوثقت منها، فأراد أن يريها عرشها عنده حتى إذا رأت هذه المعجزة العظيمة آمنت.

وقوله: ﴿أيكم يأتينى بعرشها﴾ قد بينا. وقوله: ﴿قبل أن يأتونى مسلمين﴾ أى: مستسلمين، وقيل: هو من الإسلام. وفى القصة: أن بلقيس أقبلت فى جنودها إلى سليمان - عليه السلام - طلبا للصلح ودخولا فى طاعته.

قوله تعالى: ﴿قال عفْريتٌ من الجن﴾ قرئ فى الشاذ: «قال عفْريةٌ من الجن» والعفريت والعفريت(١) هو الشديد القوى، وفى بعض التفاسير: أنه كان صخر الجنى. وروى أنه كان بمنزله جبل، وكان يضع قدمه عند منتهى طرفه.

وقوله: ﴿أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك﴾ يعنى: قبل أن تقوم من مجلسك

(١) فى «ك» مرة واحدة.

قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ

لذى جلسته للقضاء بين الناس، وقد كان مجلسه غدوة إلى قريب من نصف النهار، وفى القصة: أن المرأة كانت قد وصلت إلى قريب من فرسخ، فلما سمع سليمان ذلك قال فى طلب العرش.

وقوله: ﴿ وإنى عليه لقوى أمين ﴾ على حمل العرش، أمين على ما عليه من الجواهر.

قوله تعالى: ﴿ قال الذى عنده علم من الكتاب ﴾ روى أن هذا العفريت لما قال هكذا قال سليمان: أريد أسرع من ذلك، فحينئذ قال الذى عنده علم من الكتاب: ﴿ أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ﴾.

واختلف القول فى الذى كان عنده علم من الكتاب، فأشهر الأقاويل: أنه آصف ابن برخيا بن سمعيا، وكان رجلا صدِّيقًا فى بنى إسرائيل، وكان يعلم اسم الله الأعظم.

والقول الثانى: أنه الخضر، ذكره ابن لهيعة، والقول الثالث: أنه ملك من الملائكة، أورده ابن بحر، والقول الرابع: أنه سليمان عليه السلام، وهذا قول معروف، والأصح هو القول الأول.

واختلف القول فى أنه بماذا دعا الله؟ فقال بعضهم: إنه قال: يا إلهى وإله الخلق إلهًا واحدًا، لا إله إلا أنت، ائت به، وروى أنه قال: ياحى ياقيوم، وروى أنه قال: ياذا الجلال والإكرام، والله أعلم.

وقوله: ﴿ قبل أن يرتد إليك طرفك ﴾ فيه أقوال: أحدها: أن يرفع بصره إلى السماء، فقبل أن يرده إلى الأرض يرى العرش عنده، وقال بعضهم: هو أن يطرف طرفة، وقال بعضهم: هو أن ينظر إلى رجل يأتى، فقبل أن يصل إليه ذلك الرجل، يكون قد وصل العرش إليه، وقال بعضهم: هو أن ينظر إلى رجل يذهب، فقبل أن

فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ

يرتد طرفه من ذلك الذاهب، يكون قد وصل إليه. وفى القصة: أنه لما دعا الله خرق الله الأرض عند عرشها، فساخ العرش فى الأرض، وظهر عند سرير سليمان، وكانت المسافة مقدار شهرين، وقال بعضهم: إن الله تعالى أعدم ذلك العرش، وأوجد مثله على هيئته عند سليمان، والقول الأول أولى.

وقوله: ﴿فلما رآه مستقرا عنده﴾ قال السدى: جزع سليمان حين رأى ذلك، وكان جزعه أنه كيف قدر ذلك الرجل على مالم يقدر هو عليه؟ ثم إنه رجع إلى نفسه، فقال: ﴿هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر﴾.

وقوله: ﴿ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربى غنى كريم﴾ أى: غنى عن شكره، كريم فى قبول شكره وإثابته عليه.

قوله تعالى: ﴿قال نكروا لها عرشها﴾ معناه: غيروا لها عرشها. وقوله: ﴿ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لايهتدون﴾ فى التفسير: أن الجن كانوا قالوا لسليمان عليه السلام: إن فى عقلها شيئًا، وقالوا له أيضًا: إن قدمها كحافر الحمار، وعلى ساقها شعر كثير. وإنما غيَّر عرشها ليعرف بذلك عقلها، وروى أنه جعل أعلاه أسفله، وأسفله أعلاه، وروى أنه جعل مكان الجوهر الأحمر أخضر، ومكان الأخضر أحمر، وروى أنه زاد فيه ونقص منه.

وقوله تعالى: ﴿ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لايهتدون﴾ يعنى: أتعرف عرشها أم لاتعرف؟

قوله تعالى: ﴿فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو﴾ لم تقل: لا خوفًا من الكذب، ولم تقل: نعم خوفًا من الكذب، ولكنها قالت: كأنه هو. وقال مقاتل: شبَّهوا عليها فشبهت عليهم، وقد كانت عرفته. وروى أنه إنما أشبه عليها؛ لأنها كانت خلفت العرش فى بيوتها، فرأته أمامها عند سليمان، فاشتبه عليها الأمر، وقالت

كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ

ماقالت.

وقوله: ﴿ وأوتينا العلم من قبلها ﴾ هذا من قول سليمان أى: علمنا حالها وأمرها وحال عرشها قبل أن تعلم. قوله: ﴿ وكنا مسلمين ﴾ أى: مسلمين لله طائعين له.

قوله تعالى: ﴿ وصدها ماكانت تعبد من دون الله ﴾ (أى: صدها عن عبادة الله ماكانت تعبد من دون الله).(١)

وقوله: ﴿ إنها كانت من قوم كافرين ﴾ ظاهر المعنى.

وقد كانت عربية من ملوك اليمن. وقال بعضهم: قوله: ﴿ إنها كانت من قوم كافرين ﴾ قال هذا؛ لأنها كانت من قوم مجوس يعبدون الشمس. وعن بعضهم: قال معنى قوله: ﴿ وصدها ماكانت تعبد من دون الله ﴾ أى: صدها عن عبادة الله نقصان عقلها، بل ما كانت تعبد من دون الله؛ لأن الجن كانوا قالوا لسليمان: إن فى عقلها [شيئًا](٢).

قوله تعالى: ﴿ قيل لها ادخلى الصرح ﴾ الصرح فى أصل اللغة هو المكان المرتفع، ذكره أبو عبيد فى غريب المصنف وغيره.

وأما الصرح هاهنا ففيه أقوال: قال مجاهد: هو بركة من الماء ألبس قوارير.

وقال الزجاج: الصرح والصرحة والساحة والباحة بمعنى واحد، وهو الصحن. وعن بعضهم: أن الصرح هو القصر، وقيل: هو البيت. وفى القصة: أن الجن قالوا لسليمان: إن مؤخر رجلها كحافر الحمار، وهى هلباء شعراء، وكانوا خشوا أن يتزوجها سليمان فتطلعه على أسرار الجن، وكانت أمها جنية، فأراد سليمان - عليه السلام - أن يرى رجلها، فأمر باتخاذ بركة عظيمة، وجعل فيها من الحيتان والضفادع

(١) ساقط من «ك».

(٢) فى «الأصل، وك»: شيء، وهو خلاف الجادة.

لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾

وما أشبهها شيئًا كثيرًا، ثم أمر أن يلبس الماء غشاء من قوارير. وفي بعض الروايات: أنه اتّخذ صحنًا من قوارير، وجعل تحته تماثيل من الحيتان والضفادع، وكان الواحد إذا رآه ظنه ماء. وروى أن سليمان - عليه السلام - أمر بسريره حتى وضع في وسط الصرح، ثم دعاها إلى مجلسه، فلما وصلت إلى الصرح ونظرت ظنت أنه ماء، فكشفت عن ساقيها لتدخل في الماء، فصاح سليمان: ﴿إنه صرح ممرد من قوارير﴾ ورأى ساقيها، وكان عليه شعر كثير.

وذكر بعضهم: أنه رأى قدمًا لطيفًا وساقًا حسنًا وعليه شعر.

فإن قال قائل: لم طلب سليمان هذه الرؤية؟ والجواب عنه من وجهين: أحدهما: أنه أراد أن يعرف صدق الجن وكذبهم، والآخر: أنه أراد أن يتزوج بها، فقصد أن ينظر إلى ساقيها، وقد كانوا قالوا: إن عليه شعراً.

وقد ذكر أهل التفسير: أن سليمان - عليه السلام - قال للشياطين: ماالذى يُذهب الشعر؟ فاتخذوا النورة، وهو أول من اتخذ الحمام والنورة.

[وقوله: ﴿فلما رأته حسبته لجّة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح](1) ممرد﴾.

أى: مملس، وقيل: الممرد هو الواسع طولا وعرضًا، قال الشاعر:

غدوت صباحًا باكرا فوجدتهم قبيل الضحا والبابلى الممرد

وقوله: ﴿[من قوارير](1). قالت رب إنى ظلمت نفسى﴾ أى: بالشرك، ويقال: إنها لما بلغت الصرح وظنته لجة، وهو ماء له عمق، قالت فى نفسها: إن سليمان يريد أن يغرقنى، وقد كان القتال أهون من هذا.

وقوله: ﴿ظلمت نفسى﴾ يعنى، بذاك الظن.

وقوله: ﴿وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾ ظاهر المعنى. وكل من أسلم

(1) من «ك».

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ

بنبى فهو مع ذلك النبى فى الإسلام بالله. وقد ذكر بعضهم: أنه تزوج بها. وروى أن عبدالله بن عتبة سئل عن ذلك، فقال: انتهى إلى قوله: ﴿وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾ يعنى: أنه لاعلم وراء ذلك.

وأما مدة ملك سليمان: اختلفوا فيه، فروى أن الملك وصل إليه وهو ابن ثلاث [عشرة][1] سنة، ومات وهو ابن ثلاث وخمسين، وفى بعض الروايات عن أبى جعفر بن محمد بن على: أنه ملك سبعمائة سنة، وهذه رواية غريبة.

قوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحًا أن اعبدوا الله﴾ أى: وحدوا الله.

وقوله: ﴿فإذا هم فريقان يختصمون﴾ أى: مؤمن وكافر، وعن قتادة: مصدق ومكذب.

قوله تعالى: ﴿قال ياقوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة﴾ أى: بالعذاب قبل الرحمة، وقد كانوا قالوا لصالح: إن كنت صادقًا فأتنا بالعذاب.

وقوله: ﴿لولا تستغفرون الله﴾ أى: هلا تستغفرون الله، والاستغفار هاهنا بمعنى التوبة.

قوله: ﴿لعلكم ترحمون﴾ ظاهر [المعنى][2].

قوله تعالى: ﴿قالوا اطيرنا بك وبمن معك﴾ أى: تشاءمنا بك وبمن معك، وفى سبب قولهم هذا قولان: أحدهما: أنهم قالوا ذلك؛ لتفرق كلمتهم، والقول الثانى: أنهم قالوا ذلك؛ لأنهم أصابهم الجدب والقحط، فقالوا لصالح: هذا من شؤمك.

واعلم أن الطيرة منهى عنها، وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ: «لاعدوى

---

(١) فى «الأصل»: عشر، والمثبت من «ك»، وهو الصواب.
(٢) من «ك».

ولاطيرة »(١) .

وعنه ﷺ : « أنه كان يحب الفأل ويكره الطيرة »(٢) .

وفى بعض المسانيد عن النبى ﷺ قال : « لاينج ابن آدم من ثلاث : من الظن، والحسد، والطيرة، فإذا ظننت فلاتحقق، وإذا حسدت فلا تبغ، وإذا تطيرت فامضه »(٣) .

وفى بعض الأخبار : « لاينجو من الطيرة أحد، ويذهبها التوكل على الله » .

وقد كان أهل الجاهلية يتطيرون، وكان الرجل منهم إذا خرج لحاجة فطار طائر، أو لقى شيئًا، أو سمع كلامًا يتطير بذاك، إما فى الامتناع من ذلك الفعل، أو فى الدخول فى ذلك الفعل، وقد قال بعض الشعراء شعراً :

لعمرك ما تدرى الطوارق بالحصى ... ولازاجرات الطير ما الله صانع

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة به، رواه البخارى (١٠ / ١٦٧ رقم ١٧٠٧، ٥٧١٧ وأطرافه ٥٧٧٠، ٥٧٧٣، ٥٧٧٥)، ومسلم (١٤ / ٣٠٦ - ٣٠٨ رقم ٢٢٢٠) .

ومن حديث أنس به وزاد : « ..ويعجبنى الفأل » . رواه البخارى (١٠ / ٢٥٤ رقم ٥٧٧٦)، ومسلم (١٤ / ٣١٤ - ٣١٥ رقم ٢٢٢٣) .

(٢) رواه ابن ماجه (٢ / ١١٧٠ رقم ٣٥٣٦)، وأحمد (٢ / ٣٣٢)، وابن حبان فى صحيحه (١٣ / ٤٩٠ رقم ٦١٢١) من حديث أبى هريرة به . وقال فى الزوائد : إسناده صحيح، ورجاله ثقات . وفى الباب عن أنس - وقد تقدم - وعائشة . وانظر التلخيص (٢ / ٢٠٥) .

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير (٣ / ٢٢٨ رقم ٣٢٢٧)، وأبو الشيخ فى التوبيخ (رقم ١٥٢، ١٣٧) عن حارثة بن النعمان مرفوعًا بنحوه .

وفى الباب عن أبى هريرة مرفوعا بنحوه، رواه ابن أبى الدنيا فى ذم الحسد، كما عند العراقى فى المغنى (٣ / ١٦٢) وقال : وفيه يعقوب بن محمد الزهرى، وموسى بن يعقوب الزمعى، ضعفهما الجمهور .

وروى عن إسماعيل بن أمية مرسلا كما فى التمهيد (٦ / ١٢٥)، والفتح (١٠ / ٤٩٨)، وعن عبد الرحمن ابن معاوية مرسلا، رواه ابن أبى الدنيا، وقال العراقى : وهو مرسل ضعيف .

قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾

وقال الخليل بن أحمد فى النجوم:

أبلغوا عنى المنجم أنى ... كافر بالذى قضته الكواكب

عالم أن مايكون وما كان ... حتم من المهيمن واجب

وقوله: ﴿قال طائركم عند الله﴾ أى: مايصيبكم من الخير والشر من الله، ويسمى ذلك طائراً؛ لسرعة نزوله بالإنسان، فإنه لاشىء أسرع نزولا من قضاء محتوم، وقيل: ﴿طائركم عند الله﴾ أى: عملكم عند الله، وسمى ذلك طائراً، لسرعة صعوده إلى السماء.

وقوله: ﴿بل أنتم قوم تفتنون﴾ أى: تبتلون وتختبرون، وقيل: تعذبون.

قوله تعالى: ﴿وكان فى المدينة تسعة رهط﴾ هؤلاء التسعة هم الذين اتفقوا على عقر الناقة، وكان رأسهم فى ذلك قدار بن سالف وهو الذى تولى عقرها .

وقوله: ﴿يفسدون فى الأرض ولايصلحون﴾ قال سعيد بن المسيب: بكسر الدراهم والدنانير. وعن قتادة: بتتبع عورات الناس. وقيل: بالمعاصى وفعل المناكير.

قوله تعالى: ﴿قالوا تقاسموا بالله﴾ أى: احلفوا بالله.

وقوله: ﴿لنبيتنه﴾ أى: لنقتلته بياتا أى: ليلاً، قالوا ذلك لصالح.

وقوله: ﴿وأهله﴾ أى: وقومه الذين أسلموا معه.

وقوله: ﴿ثم لنقولن لوليه ماشهدنا مهلك أهله﴾ وقرئ: «مهلك» بنصب الميم: فيجوز أن يكون بمعنى الإهلاك، ويجوز أن المراد منه موضع الهلاك.

وقوله: ﴿وإنا لصادقون﴾ أى: ننكر قتل صالح، وقالوا ذلك؛ لأنهم خافوا من عشيرته .

وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن

قوله تعالى: ﴿ومكروا مكرًا ومكرنا مكرًا﴾ أى: دبروا تدبيرًا ودبرنا تدبيرًا، فروى أن الله تعالى بعث بالملائكة حتى شدخوا رءوسهم بالأحجار. وقال الضحاك: كان صالح يدخل كهفًا فى الجبل يعبد الله، فدبروا أن يدخلوا إليه ويقتلوه غيلة، فذهبوا وجعلوا يترصدون ذلك، فأهوت حجارة من أعلى الجبل، فهربوا ودخلوا، فوقع الحجر على باب الغار وأطبق عليهم، فهذا معنى قوله: ﴿ومكرنا مكرًا﴾.

وقوله: ﴿وهم لايشعرون﴾ أى: لايعلمون كيف مكرنا بهم.

قوله تعالى: ﴿فانظر كيف كان عاقبة مكرهم﴾ أى: ما آل اليه مكرهم.

وقوله: ﴿أنا دمرناهم وقومهم أجمعين﴾ أى: أهلكناهم وقومهم أجمعين.

قوله تعالى: ﴿فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا﴾ أى: خالية بما كفروا.

وقوله: ﴿إن فى ذلك لآية لقوم يعلمون﴾ أى: يعلمون تدبيرنا ومكرنا بالكفار.

وقوله تعالى: ﴿وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ قد بينا. وفى القصة: أن قوم صالح لما أهلكهم الله تعالى جاء صالح إلى مكة وتوفى بها، وكذلك هود عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون﴾ أى: تعلمون أنها فاحشة. وقيل معنى قوله: ﴿وأنتم تبصرون﴾ أى: يراها بعضكم من بعض فلاتستترون عنها.

وقوله: ﴿أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون﴾ قد بينا.

دُون النّسَاء بَلْ أَنتُم قَوْمٌ تجهَلُون ﴿٥٥﴾ فمَا كَانَ جَواب قَومه إلاَّ أن قَالُوا أخرِجُوا آلَ لُوط مِّن قَرْيَتكُم إنَّهم أُنَاسٌ يَتطَهَّرُون ﴿٥٦﴾ فأَنجيْنَاه وأَهْلَه إلاَّ امرَأتَه قدَّرنَاها مِنَ الْغَابِرين ﴿٥٧﴾ وأَمطَرْنَا علَيْهم مَّطرًا فسَاء مَطر الْمُنذَرين ﴿٥٨﴾ قُلِ الْحَمْدُ للَّه وَسَلامٌ علَىٰ عبَاده الَّذين اصْطَفَىٰ آللَّهُ خيرٌ أَمَّا يُشرِكُون ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَق السَّموات وَالأَرْضَ وأَنزل لَكُم مِّنَ السَّمَاء ماءً فأَنْبَتْنَا به حدَائق ذات بهْجة مَّا كَان لكُمْ أن

قوله تعالى: ﴿فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين﴾ أى: جعلناها من الباقين فى العذاب.

قوله تعالى: ﴿فأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين﴾ فى القصة: أن قوم لوط خسف بهم، وتتبع الحجر الشذاذ منهم فأهلكهم.

وقوله: ﴿فساء مطر المنذرين﴾ أى: بئس مطر المنذرين، والمنذرون هم الذين خوفوا بالهلاك.

قوله تعالى: ﴿قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى﴾ قوله: ﴿عباده الذين اصطفى﴾. فيه أقوال: روى عن ابن عباس أنه قال: هم أصحاب رسول الله ﷺ، وعنه أيضا أنه قال: هم أمة محمد ﷺ، وعنه أيضا أنه قال: كل المؤمنين من السابقين والخالفين.

وقوله: ﴿آلله خير أما يشركون﴾ أى: عبادة الله خير أم عبادة ما يشركون؟ فإن قيل: ليس فى عبادة غير الله خير أصلا، فكيف يستقيم معنى الآية؟ والجواب: أنهم كانوا يعتقدون أن فى ذلك خيرا، فخرجت الآية على ذلك. وقال بعضهم: كانوا يعتقدون أن الأصنام آلهة، ولولا اعتقادهم لم يستقم قوله: ﴿آلله خيرٌ أما يشركون﴾. وقد حكى سيبويه أن العرب تقول: أيها الرجل، الشقاوة خير أم السعادة؟ وهو يعلم أن لا خير في الشقاوة، وأن كل الخير فى السعادة.
وقال حسان بن ثابت:

أتهجوه ولست له بندٍّ ... فشركما لخيركما الفداء

وقال بعضهم: آلله خير أما يشركون معناه: الخير فى هذا أم فى هذا الذى تشركون به مع الله؟ ويجوز أن يكون معناه: ثواب الله خير أم ثواب ما تشركون به؟.

قوله: ﴿أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماءً﴾ معناه: الخير

تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ

فيما تقولون وتدعون من الآلهة، أم فيمن خلق السموات والأرض؟ أى: أنشأهما

وقوله: ﴿ وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ﴾ كل بستان محوط عليه فهو حديقة. وقوله: ﴿ ذات بهجة ﴾ أى: ذات منظر حسن، وقيل: البهجة ما يبتهج به.

وقوله: ﴿ ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ﴾ أى: ما ينبغى لكم أن تفعلوا ذلك؛ لأنكم لا تقدرون عليه.

وقوله: ﴿ أإله مع الله ﴾ استفهام بمعنى الإنكار أى: لا إله مع الله.

وقوله: ﴿ بل هم قوم يعدلون ﴾ أى: عن الحق، وقيل: يشركون معه غيره، ويجعلونه عدلا له أى: مثلا.

قوله تعالى: ﴿ أمن جعل الأرض قراراً ﴾ أى: موضعا يستقرون عليه.

وقوله: ﴿ وجعل خلالها أنهاراً ﴾ أى: خلال الأرض.

وقوله: ﴿ وجعل لها رواسى ﴾ أى: جبالا ثوابت.

وقوله: ﴿ وجعل بين البحرين حاجزاً ﴾ اختلف القول فى البحرين، (منهم من قال: بحر السماء والأرض)[1] ،ومنهم من قال: بحر فارس والروم، ومنهم من قال: البحر المالح والعذب. وقوله: ﴿ حاجزاً ﴾ قد بينا معنى الحاجز، ويقال: يكف الملح عن العذب، والعذب عن المالح بقدرته، وهذا دليل على أنه يجوز أن يكف النار عن الإحراق، والسيف عن القطع.

وقوله: ﴿ أإله مع الله ﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿ بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ أى: لا يعلمون مالهم وعليهم.

قوله تعالى: ﴿ أمن يجيب المضطر إذا دعاه ﴾ إنما ذكر المضطر، وإن كان يجيب

(١) ساقط من «ك».

لا يعلمون ﴿٦١﴾ أمَّن يُجيب الْمُضْطَرَّ إذا دعاه ويَكْشِفُ السُّوء ويجعلُكُمْ خُلَفَاء الأَرْضِ أإلَهٌ مَّعَ اللَّه قليلاً مَّا تذكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ومن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بين يدي رحْمته أإلَهٌ مَّعَ اللَّه تعالى اللَّهُ عمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أمَّن يبدأُ الْخلق ثُمَّ يُعيده ومن يرزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أإلَهٌ مَّعَ اللَّه قُلْ

دعاء المضطر وغير المضطر؛ لأن رغبة المضطر أقوى، ودعاءَهُ أخضع.

وقوله: ﴿ويكشف السوء﴾ أى: الضر.

وقوله: ﴿ويجعلكم خلفاء الأرض﴾ أى: يجعل بعضكم خلفاء بعض، وقيل: يجعل أولادكم خلفاءكم، وقال بعضهم معناه: يجعلكم خلفاء الجن فى الأرض.

وقوله: ﴿أإله مع الله قليلا ما تذكرون﴾ وقرئ: «يذكرون» فقوله: ﴿تذكرون﴾، على المخاطبة. وقوله: «يذكرون» على المغايبة.

قوله تعالى: ﴿أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر﴾ أى: يرشدكم.

وقوله: ﴿ومن يرسل الرياح بشرًا بين يدى رحمته﴾ أى مبشرة، قرئ: «نُشُرًا» أى: ناشرة.

وقوله: ﴿بين يدى رحمته﴾ أى: المطر. وقوله: ﴿أإله مع الله تعالى الله عما يشركون﴾ أى: تقدس وارتفع عما يشركون.

قوله تعالى: ﴿أمن يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ فقوله: ﴿ثم يعيده﴾ أى: يعيدهم أحياء بعد موتهم.

وقوله: ﴿ومن يرزقكم من السماء والأرض﴾ معناه: من السماء بالمطر، ومن الأرض بالنبات.

وقوله: ﴿أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ أى: مع الله إلهًا آخر؟.

قوله تعالى: ﴿قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون

هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾

أيان يبعثون ﴾ أى: متى يبعثون؟.

قوله تعالى: ﴿ بل ادارك ﴾ وقرئ: «بل أَدْرَك»، فمنهم من قال: معناهما واحد، ومنهم من قال: «ادّارك» أى: تتابع وتلاحق، وقوله: «أدْرك» أى: فصل ولحق، وأما معنى الآية: قال السدى: أى صاروا علماء فى الآخرة بما لم يعلموا فى الدنيا، وهو فى معنى قوله تعالى: ﴿ أسمع بهم وأبصر ﴾[1] وعن (ابن) سعيد الضرير قال: «بل أدْرَك» أى: علموا فى الآخرة أن الذى كانوا يوعدون حق. وهذا قريب من الأول، وأنشدوا (للأخطل)[2]:

وادرك علمى فى سواءة أنهـــــا تقيم على الأوتار والمشرب الكدر

أى: أحاط علمى بها أنها هكذا. وذكر على بن عيسى : أن معنى بل هاهنا هو: لو أدركوا فى الدنيا ما أدركوا فى الآخرة لم يشكوا. وقال الفراء: قوله: ﴿ بل أدرك علمهم فى الآخرة ﴾ أى: غاب علمهم وسقط فى الدنيا، على معنى أنهم لم يعلموا. وعن ابن عباس أنه قرأ: «بلى أدَّارك» على طريق الاستفهام: أى لم يتدارك، وهذا يؤيد قول الفراء.

وقوله: ﴿ بل هم فى شك منها ﴾ أى: هم فى شك منها اليوم.

وقوله: ﴿ بل هم منها عمون ﴾ أى: لا يهتدون إليها، ويقال: بل الأولى بمعنى لو على ما بينا، وبل الثانية فى معنى أم، وبل الثالثة على حقيقتها. وذكر بعض أهل العلم أن قوله: ﴿ بل ادارك علمهم ﴾ أى: تدارك ظنهم فى الآخرة (وتتابع)[3] بالقول بالظن والحدس.

وقوله: ﴿ بل هم منها عمون ﴾ أى: هم جهلة بالآخرة.

---

(١) مريم: ٣٨. (٢) كذا! (٣) سقط من «ك».

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا
نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ
فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا
يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰ أَن

قوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿لقد وعدنا ...﴾ إلى آخر الآية قد سبق.

قوله: ﴿قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين﴾ أى: من قوم صالح، وقوم لوط، وأصحاب الحجر، وغيرهم.

قوله تعالى: ﴿ولا تحزن عليهم ولا تكن فى ضيق﴾ أى: لا يضيق قلبك مما يمكرون، ومكرهم وحيلتهم بالباطل.

وقوله تعالى: ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ أى: القيامة.

وقوله: ﴿قل عسى أن يكون ردف لكم﴾ وردفكم بمعنى واحد، ويقال: ردف لكم، وردفكم أى: دنا لكم. قال أبو عبيدة: جاء بعدكم، وقال القتيبى: تبعكم، ومنه رِدْف المرأة الرجل، قال الشاعر:

عاد السواد بياضًا فى مَفارقه   لا مَرحبًا ببياض الشَّيب إذ رَدفا

وقوله: ﴿بعض الذى تستعجلون﴾ يقال: هو القتل يوم بدر، ويقال: إنه عذاب الآخرة.

قوله تعالى: ﴿إن ربك لذو فضل على الناس﴾ أى: أفضال على الناس، وفى بعض الأخبار: أن النبى ﷺ قال: «يحشر الخلق يوم القيامة فيؤتى بقوم فيقال لهم: لم عبدتم ربكم؟ فيقولون: يا رب، وعدتنا بالجنة فعبدناك طمعًا فيها وشوقًا إليها، فيدخلهم الجنة، ثم يؤتى بقوم فيقال لهم: لم عبدتم ربكم؟ فيقولون: يا رب، خوفتنا من النار فعبدناك خوفا منها، فينجيهم الله من النار ويدخلهم الجنة، ثم يؤتى بقوم فيقال لهم: لم عبدتم ربكم؟ فيقولون محبة لك، فيتجلى لهم الرب تعالى فينظرون إليه، فذلك قولَه: (﴿وإن ربك لذو فضل على الناس﴾. والخبر غريب جداً.

يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ
وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ
﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ
يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ
لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ

وقوله: ﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ أى: نعم الله.

قوله تعالى)[1]: ﴿وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم﴾ أى: تخفى صدورهم.

وقوله: ﴿وما يعلنون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿وما من غائبة فى السماء والأرض﴾ أى: جملة غائبة من جميع الغائبات، وقيل: وما من خبر غائب.

وقوله: ﴿إلا فى كتاب مبين﴾ هو: اللوح المحفوظ.

قوله تعالى: ﴿إن هذا القرآن يقص على بنى إسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون﴾ أى: يبين لبنى إسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون.

قوله تعالى: ﴿وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الرسول، والآخر: أنه القرآن.

قوله تعالى: ﴿وإن ربك يقضى بينهم بحكمه﴾ أى: يفصل بينهم بحكمه الحق.

وقوله: ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ أى: المنيع فى ملكه، العليم بأمر خلقه.

قوله تعالى: ﴿فتوكل على الله﴾ أى: ثق بالله. ﴿إنك على الحق المبين﴾ أى: الحق البيّن.

قوله تعالى: ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ المراد من الموتى هاهنا: هم الكفار، وهو مثل قوله تعالى: ﴿أموات غير أحياء﴾[2] فسماهم موتى؛ لأنهم ميتوا القلب؛ ولأنهم لما لم ينتفعوا صاروا كالموتى.

---

(١) ساقط من «ك».
(٢) النحل: ٢١.

عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلاَّ

وأنشد بعضهم:

لقد أسمعت لو ناديت حيا ... ولكن لا حياة لمن (أنادى)[1]

وقوله: ﴿ولا تُسمع الصم الدعاء﴾ وقرئ: «لا يَسْمَعَ الصم الدعاء» فقوله: ﴿لا تُسمع﴾ على مخاطبة النبى ﷺ، وقوله: «لا يسمع الصم الدعاء» على الخبر.

وقوله: ﴿إذا ولوا مدبرين﴾ أى: معرضين، فإن قيل: إذا كانوا صما، فما معنى قوله: ﴿إذا ولوا مدبرين﴾ فإذا كانوا صمًا فهم لا يسمعون، سواء ولوا مدبرين أو لم يولوا؟ قلنا: الأصم إذا كان حاضرا فقد يسمع إذا شدد فى الصوت، وقد يعلم بنوع إشارة؛ فإذا ولى مدبرا لم يسمع أصلا، ويجوز أن يكون ذكره على طريق التأكيد والمبالغة.

قوله تعالى: ﴿وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا﴾ أى: جاء قاصدا للإيمان بآياتنا، وقيل: لا تسمع إلا المؤمنين.

وقوله: ﴿فهم مسلمون﴾ أى: لله.

قوله تعالى: ﴿وإذا وقع القول عليهم﴾ أى: حق العذاب عليهم، وقال قتادة: إذا غضب الله عليهم. وعن ابن عمر: إذا لم يأمروا بمعروف، ولم ينهوا عن منكر.

وقوله: ﴿أخرجنا لهم دابة من الأرض﴾ روى عن على بن أبى طالب- رضى الله عنه -أنه قال: ليست بدابة لها ذنب، ولكن لها لحية. كأنه يشير إلى أنه رجل وليست بدابة، والأكثرون على أنها دابة، (وهى)[2] تخرج فى آخر الزمان.

ويقال: إن أول أشراط الساعة طلوع الشمس من مغربها وخروج دابة الأرض.

وقال ابن عباس: لها زغب وريش وأربع قوائم.

(١) فى «ك»: تنادى.

(٢) فى «ك»: وأنها.

مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ

وعن ابن الزبير قال: هى دابة رأسها رأس ثور، وعينها عين خنزير، وأذنها أذن فيل، وقرنها قرن إبل، وعنقها عنق نعامة، وصدرها صدر أسد، وجلدها جلد نمر، وخاصرتها خاصرة هر، وقوائمها قوائم بعير، بين كل مفصلين منها اثنا عشر ذراعًا.

وقال ابن مسعود: تخرج من الصفا تجرى كجرى الفرس ثلاثة أيام لا يخرج إلا ثلثها، ويبلغ رأسها السماء.

وفى بعض المسانيد: عن النبى ﷺ أنه قال: («بئس الشعب شعب جياد، قيل: ولم يا رسول الله؟ قال)[١]: تخرج منه الدابة، وتصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين»[٢].

وعن حذيفة بن أسيد قال: تخرج الدابة ثلاثا، تخرج الخرجة الأولى ببعض الأودية، ثم تكمن، ثم تخرج فى قبائل العرب، ثم تخرج فى جوف، وأشار إلى أنها تخرج فى المسجد الحرام.

وعن عبد الله بن عباس أنه صعد الصفا وقرع بعصاه الحجر وقال: إن الدابة لتسمع قرع عصاى هذه. وروى قريبًا من هذا عن عبد الله بن عمرو.

وقد روى حماد بن سلمة، عن على[٣] بن زيد، عن خالد بن أوس، عن أبى هريرة

(١) ساقط من «ك».

(٢) رواه البخارى فى تاريخه الصغير (٢/١٣٦)، والعقيلى فى الضعفاء (٢/٦١)، وابن حبان فى المجروحين (١/٢٩٦-٢٩٧)، وابن عدى فى الكامل (٣/١٧٣، ٧/١١١-١١٢)، والطبرانى فى الأوسط (مجمع البحرين ٧/٣٠٢ رقم ٤٤٩١) من طريق رباح بن عبيد الله العمرى عن سهيل عن أبيه عن أبى هريرة مرفوعا به. وقال البخارى: ولا يتابع عليه - يعنى رباح - قال أحمد: منكر الحديث. وقال ابن عدى: رباح ذكر هذا الحديث وأنكر عليه. وقال الهيثمى (٨/١٠): فيه رباح بن عبيد الله ،وهو ضعيف.

(٣) فى «ك»: عدى.

أن النبى ﷺ قال: « تخرج الدابة ومعها عصا موسى وخاتم سليمان، فتجلو وجه المؤمن، وتحطم وجه الكافر، حتى إن القوم يجتمعون على الخوان فتقول: هذا لهذا يا كافر، وتقول: هذا لهذا يا مؤمن »(١) . قال الشيخ الإمام رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الخبر أبو عبد الله عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد، أخبرنا أبو العباس بن سراج، أخبرنا أبو العباس بن محبوب، أخبرنا أبو عيسى الترمذى، أخبرنا عبد بن حميد، عن روح بن عبادة، عن حماد بن سلمة، الحديث.

وفى التفسير: أن دابة الأرض تسم وجه المؤمن بنكتة بيضاء، فيبيض بها وجهه، وتسم وجه الكافر بنكتة سوداء، فيسود بها وجهه. وعن عبد الله بن مسعود أنه قرأ قوله تعالى: ﴿ وإذا وقع القول عليهم ﴾ ثم قال: طوفوا بالبيت قبل أن يرفع، واقرءوا القرآن قبل أن يرفع، وقولوا لا إله إلا الله قبل أن تنسى، ثم ذكر أنه يأتى زمان ينسى الناس فيه قول لا إله إلا الله، وتقع الناس فى أشعار الجاهلية.

وقوله: ﴿ تُكَلِّمُهُم ﴾ وقرأ ابن عباس وسعيد بن جبير وعاصم الجحدرى: « تَكْلِمُهُم » أى: تجرحهم، والكلم هو الجراحة، ويقال: تَسِمُهم، قال الشاعر:

(فى الكلم مطرقا يكذب عن إعرابه بنقص الكلم إذا الكلم التام)(٢)

والقراءة المعروفة: ﴿ تُكلمهم ﴾ وقال بعض أهل العلم: ظهور الآية منها كلام، ونطق على وجه المجاز لا أنها تتكلم، والأصح أنها تتكلم، واختلف القول أنها بماذا تتكلم؟ فأحد القولين: أن كلامها أن هذا مؤمن وهذا كافر، والقول الآخر: أنها تتكلم بما قال الله تعالى: ﴿ أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ﴾.

وقرئ: « أن » و« إن » بنصب الألف وكسره، فمن قرأ « أن » بنصب الألف فمعناه: بأن، ومن قرأ: « إن » فعلى الاستئناف، وقرأ أبى بن كعب: « دابة تنبئهم »، وفى بعض

(١) رواه الترمذى (٥ / ٣١٧-٣١٨رقم٣١٨٧) وقال حسن غريب، وابن ماجه (٢ / ١٣٥١-١٣٥٢ رقم ٤٠٦٦)، وأحمد فى مسنده (٢ / ٢٩٥)، والطيالسى (٣٣٤ رقم ٢٥٦٤)، والطبرى (٢٠ / ١١). وقال الترمذى: وقد روى هذا عن أبى هريرة عن النبى ﷺ من غير هذا الوجه فى دابة الأرض، وفيه عن أبى أمامة وحذيفة بن أسيد.

(٢) كذا!.

تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا

القراءة: «تحدثهم» وفى قراءة ابن مسعود: «تكلمهم بأن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون».

قوله تعالى: ﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجاً﴾ له من كل قرن فوجا. وقوله: ﴿ممن يكذب بآياتنا﴾. أى: من المكذبين، وليس «من» هاهنا للتعبيض؛ لأن جميع المكذبين يحشرون.

وقوله: ﴿فهم يوزعون﴾ أى: يساقون إلى النار، فإن قيل: وغير المكذبين أيضا يحشرون؟ قلنا: الحشر الذى يساق فيه إلى النار إنما يكون للمكذبين.

قوله تعالى: ﴿حتى إذا جاءوا قال أكذبتم بآياتى ولم تحيطوا بها علماً﴾ أى: جاهلين بالأمر، وقيل: بعاقبة التكذيب.

وقوله: ﴿أمَّاذا كنتم تعملون﴾ استفهام على طريق الإنكار.

قوله تعالى: ﴿ووقع القول عليهم بما ظلموا﴾ أى: وجب العذاب عليهم بما أشركوا.

وقوله: ﴿فهم لا ينطقون﴾ قال قتادة: كيف ينطقون ولا حجة لهم؟

قوله تعالى: ﴿ألم يرو أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿والنهار مبصرا﴾ أى: ذا إبصار، قال الشاعر:

كلينى لهم [يا أميمة][(١)] ناصب

أى: ذا نصب، وقيل: مبصراً أى: تبصر فيه، كما يقال: ليل نائم أى: ينام فيه قال الشاعر:

(١) فى «الأصل وك»: يابنية، والمثبت من لسان العرب (مادة: نصب)، ونسبه للنابغة الذبيانى.

بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لا يَنطِقُونَ
﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن

تقول سليمى لا تعرض بلغة ... وليلك عن ليل الصعاليك نائم

أى: تنام فيه.

وقوله: ﴿إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ويوم ينفخ فى الصور﴾ قد بينا. وقوله: ﴿ففزع من فى السموات ومن فى الأرض﴾ أى: فصعق من فى السموات ومن فى الأرض، وإنما ذكر الفزع يؤد بهم إلى الصعقة، ويقال: ينفخ إسرافيل -عليه السلام- ثلاث نفخات: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة القيام لرب العالمين، وقد ذكر أن الحسن البصرى قال: الصُّور هو الصور، وأوّل بعضهم كلامه، وقال: إن الأرواح تجعل فى [القرن][1] ثم ينفخ فيه، فتذهب الأرواح إلى الأجساد، وتحيا الأجساد.

وقوله: ﴿إلا من شاء الله﴾ فيه قولان: أحدهما: أن المراد من ذلك جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت صلوات الله عليهم، والقول الآخر: أن المراد منه الشهداء. وفى بعض الآثار: الشهداء ثنية الله أى: الذين استثناهم الله تعالى، وإنما صح الاستثناء فيهم؛ لأنهم أحياء كما قال الله تعالى. وفى بعض الأخبار: «هم أحياء متقلدوا السيوف يدورون حول العرش.

وقوله: ﴿وكل آتوه داخرين﴾ أى: صاغرين، وقرئ: «وكل أَتوهُ» على الماضى، والمعنى متقارب.

قوله تعالى: ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة﴾ أى: واقفة.

وقوله: ﴿وهى تمر مر السحاب﴾ أى: تسير سير السحاب، وهذا كما أن سير السحاب لا يرى لعظمه، كذلك سير الجبال يوم القيامة لا يرى لكثرتها، قال الشاعر:

(١) من «ك»، وفى الأصل: القرنان، كذا!.

شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴿٨٩﴾

بأَرْعن مثل الطَّود تحسبُ أنهم ... وُقوفٌ لحاجٍ والرِّكابُ تُهملجُ

أى : تتهملج .

وقوله : ﴿ صنع الله الذى أتقن كل شىء ﴾ أى : أحكم كل شىء .

وقوله : ﴿ إنه خبير بما تفعلون ﴾ أى : بما تصنعون .

قوله تعالى : ﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها ﴾ أى : له منها خير(١)، وقال بعضهم : له خير يصل إليه منها، ومنهم من قال : خير منها أى : أنفع منها، وأما الحسنة ففى قول عامة المفسرين هى قول لا إله إلا الله، وقيل : هى كل طاعة، وعن أبى ذر أنه سئل وقيل له : قول لا إله إلا الله حسنة؟ فقال : هى أحسن الحسنات .

وقوله : ﴿ وهم من فزع يومئذ آمنون ﴾ قد بينا معنى الفزع من قبل، وقرئ : « فزعِ يومئذ » على الإضافة، وقرئ : « فزعٍ يومئذ » على التنوين، قال أبو على الفارسى : « فزعٍ يومئذ » على التنوين، يدل على التكثير، و : « فزعِ يومئذ » على الإضافة لا يدل على التكثير .

قوله تعالى : ﴿ ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار ﴾ .وقوله : ﴿ هل تجزون إلا ما كانوا يعملون ﴾ ظاهر المعنى .

وقال بعضهم فى قوله : ﴿ خير منها ﴾ : إنما قال هذا؛ لأن جزاء الحسنات مضاعف أى : أن يبلغ العشر وزيادة فقوله : ﴿ خير منها ﴾ أى :أكثر منها .

قوله تعالى : ﴿ إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها ﴾ وقرأ ابن مسعود وابن عباس : « التى حرمها » فقوله : ﴿ التى حرمها ﴾ ينصرف إلى البلدة، (وقوله : ﴿ الذى ﴾ ينصرف إلى الله، وهو المعروف، وأما التحريم فهو تحريم الصيد، وكان ما ذكرناه من قبل)(٢) .

---

(١) فى الأصل : « له خير منها خير » لكن ضرب على « خير » الأولى وأثبتها فى « ك » . (٢) ساقط من « ك » .

وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

وقوله: ﴿وله كل شيء﴾ أى: ولله كل شيء. وقوله: ﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ .أى: من المسلمين لله.

قوله تعالى: ﴿وأن أتلو القرآن﴾ أى: وأمرت أن أتلو القرآن، قال أهل العلم: نتلوا ونعمل به، وعن الحسن البصرى قال: أمر الناس أن يعملوا بالقرآن، فاتخذوا تلاوته عملا.

وقوله: ﴿فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه﴾ أى: نفع اهتدائه راجع إليه.

وقوله: ﴿ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين﴾ أى: المخوفين.

قوله تعالى: ﴿وقل الحمد لله﴾ هو خطاب للنبى ﷺ وسائر المؤمنين.

وقوله: ﴿سيريكم آياته﴾ أى: دلالاته.

وقوله: ﴿فتعرفونها﴾ أى: تعرفون الدلالات.

وقوله: ﴿وما ربك بغافل عما تعملون﴾ ظاهر المعنى.

وقد ورد خبر فى الآية المتقدمة، وهو قوله تعالى: ﴿من جاء بالحسنة﴾، فإن أكثر المفسرين على أن المراد من الحسنة الإيمان، ومن السيئة الشرك، وقد روى صفوان بن عسال المرادى، أن النبى ﷺ قال: «يأتى الإيمان والشرك يوم القيامة (فيجثوان بين يدى الرحمن، ويطلب كل واحد منهما أهله)[1]، فيقول الله تعالى للإيمان: انطلق بأهلك إلى الجنة، ويقول الله تعالى للشرك: انطلق بأهلك إلى النار، وتلا قوله تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها﴾ الآية»[2]. والخبر غريب، والله أعلم.

(١) ساقط من «ك».

(٢) رواه أبو أحمد الحاكم فى الكنى، كما فى الدر (٥/ ١٢٩).

بسم الله الرحمن الرحيم

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ

تفسير سورة القصص

وهى مكية إلا قوله تعالى: ﴿ الذين آتيناهم الكتاب ﴾[١] إلى قوله تعالى: ﴿ لا نبتغى الجاهلين ﴾[٢].

وفى هذه السورة آية ليست بمكية ولا مدنية، وهى قوله تعالى: ﴿ إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد ﴾[٣] نزلت هذه الآية بين مكة والمدينة، ورسول الله ﷺ بالجحفة، وهو منزل من المنازل، وذلك حين هاجر النبى ﷺ من مكة إلى المدينة.

قوله تعالى: ﴿ طسٓمٓ ﴾ قال قتادة: اسم من أسماء القرآن، وعن الحسن أنه قال: هو اسم من أسماء السورة، وعن ابن عباس فى رواية قال: هو اسم الله الأعظم، وقد بينا غير هذا.

وقوله: ﴿ تلك آيات الكتاب المبين ﴾ يقال: بان وأبان بمعنى واحد، وكذلك قولهم: بينت الشىء وأبينته. وقال الزجاج: المبين للحلال من الحرام، والحق من الباطل.

قوله تعالى: ﴿ نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق ﴾ أى: بالصدق.

وقوله: ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ أى: يصدقون، والنبأ اسم للخبر.

قوله تعالى: ﴿ إن فرعون علا فى الأرض ﴾ أى: تكبر وتجبر، ويقال: طغى وقهر، والأرض هى أرض مصر. ﴿ وجعل أهلها شيعا ﴾ أى: فرقا.

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ يستضعف طائفة منهم ﴾ المراد من الطائفة: بنو

(١) القصص: ٥٢. (٢) القصص: ٥٥. (٣) القصص: ٥٨.

يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى

إسرائيل، وتفسير الاستضعاف: ما يذكر من بعد، وهو قوله تعالى: ﴿يُذَبِّحُ أبناءهم ويستحيى نساءهم﴾ وقرئ فى الشاذ: «يَذْبَحُ أبناءهم» بغير التشديد، وسمى هذا استضعافا؛ لأنهم عجزوا وضعفوا عن دفع هذا عن أنفسهم، وذكر وهب بن منبه وغيره: أن فرعون رأى فى منامه كأن ناراً خرجت من جانب الشام حتى أحاطت بمصر، وأحرقت القبط، وتركت بنى إسرائيل، فلما أصبح دعا الكهنة، وأخبرهم برؤياه، فقالوا: يخرج رجل من بنى إسرائيل يكون هلاكك وهلاك القبط على يده. وبعضهم روى أنهم قالوا: يولد مولود؛ فحينئذٍ أمر فرعون بذبح الذكور من أولاد بنى إسرائيل واستبقاء إناثهم. قال الزجاج: وهذا من حمقه؛ لأنه إن كانت الكهنة صادقين فما يغنى القتل، وإن كانوا كاذبين فلا معنى للقتل أيضًا. قال وهب: فلما فعلوا ذلك فى ولدان بنى إسرائيل، وتسارع الموت إلى شيوخهم، فاجتمع الأشراف من القبط إلى فرعون، وقالوا له: إنك تقتل أولاد بنى إسرائيل، وقد تسارع الموت إلى شيوخهم، فعن قريب لا يبقى منهم [أحد](١)، وترجع الأعمال إلينا، وقد كانوا يستعملون بنى إسرائيل فى الأعمال الشاقة.

قال السدى فى قوله: ﴿وجعل أهلها شيعا﴾ كانوا جعلوا بنى إسرائيل فرقًا، ففرقة يبنون، وفرقة يحرثون ويزرعون، وفرقة يغرسون، وفرقة يرعون الدواب، إلى مثل هذا من الأعمال، ومن لم يمكنه أن يعمل عملا كان يؤخذ منه الجزية، فلما سمع فرعون قولهم أمر أن يقتلوا الأولاد سنة ولا يقتلوا سنة، فولد هارون - عليه السلام - فى السنة التى لا يقتل فيها الأولاد، وولد موسى فى السنة التى يقتل فيها الأولاد.

وقوله: ﴿إنه كان من المفسدين﴾ أى: فى الأرض.

قوله تعالى: ﴿ونريد أن نمنَّ﴾ أى: ننعم.

---

(١) زيادة يتطلبها السياق وليست فى «الأصل و ك».

الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ

وقوله: ﴿على الذين استضعفوا فى الأرض﴾ أى: بنى إسرائيل.

وقوله: ﴿ونجعلهم أئمة﴾ أى: ولاة.

وقوله: ﴿ونجعلهم الوارثين﴾ أى: الوارثين لملك فرعون والقبط، وقد روى أن فرعون لما أغرقه الله، رجع بنو إسرائيل إلى مصر، واستعبدوا من بقى من القبط.

قوله تعالى: ﴿ونمكِّن لهم فى الأرض﴾ أى: نجعل لهم مصر مكانا يستقرون فيه.

وقوله: ﴿ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾ الحذر هو التوقى من الضرر.

قوله تعالى: ﴿وأوحينا إلى أم موسى﴾ فى القصة: أن أم موسى لما حبلت بموسى لم يظهر عليها الحمل كما يظهر على النساء، وولدت ولم يعلم بولادتها أحد، وجعلت ترضعه فى خفية، ثم إنها خشيت أن يطلع عليه الناس ويذبح، فألقى الله تعالى فى قلبها ما ذكره فى هذه الآية.

والوحى هو الإعلام فى خفية، فأكثر المفسرين على أن معنى قوله: ﴿وأوحينا إلى أم موسى﴾ هو إلهامها، وألقى هذا المعنى فى قلبها، وقال بعضهم : رأت ذلك رؤيا، [وقال][(١)] بعضهم: هو الوحى حقيقة، وأتاها الملك بهذا من الله، إلا أنها لم تكن نبية.

وقوله: ﴿أن أرضعيه﴾ اختلف القول فى مدة الرضاع، منهم من قال: ثمانية أشهر، ومنهم من قال: أربعة أشهر، ومنهم من قال: ثلاثة أشهر.

وقوله: ﴿فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم﴾ الخوف عليه هو الخوف من الذبح.

(١) فى «الأصل»: ويقال.

وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ

وقوله: ﴿ فألقيه فى اليم ﴾ اليم: البحر، والمراد منه هاهنا على قول جميع المفسرين هو النيل، قال ابن عباس: دعت بنجار واتخذت تابوتا، فذهب ذلك النجار وأخبر فرعون، وجاء بالأعوان، فطمس الله على عينه حتى لم يهتد إلى شيء، فعاهد مع الله إن رد عليه بصره ليصرفنَّ الأعوان عنه، فرد الله بصره عليه، فصرف الأعوان، ثم إنه آمن بموسى - عليه السلام - من بعد، وهو مؤمن آل فرعون، واسمه حزقيل.

وقوله: ﴿ ولا تخافى ولا تحزنى ﴾ أى: لا تخافى عليه من الغرق، وقيل: من الضيعة، وقوله: ﴿ ولا تحزنى ﴾ أى: ولا تحزنى على فراقه.

وقوله: ﴿ إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين ﴾ ظاهر المعنى، وقد اشتملت الآية على أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين، أما الأمران: فقوله: ﴿ أن أرضعيه ﴾، وقوله: ﴿ فألقيه فى اليم ﴾، وأما النهيان: فقوله: ﴿ ولا تخافى ولا تحزنى ﴾، وأما الخبران: فقوله: ﴿ وأوحينا إلى أم موسى ﴾ وكذلك قوله: ﴿ فإذا خفت عليه ﴾ وأما البشارتان: فقوله تعالى: ﴿ إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين ﴾، الآية تعد من فصيح القرآن.

قوله تعالى: ﴿ فالتقطه آل فرعون ﴾ الالتقاط هو وجود الشيء من غير طلب. وفى القصة: أن أم موسى وضعت موسى فى التابوت، وجاءت به وألقته فى النيل، فمر به الماء إلى جانب دار فرعون، وقد كانت الجوارى خرجن لاستقاء الماء، فرد الماء التابوت فى المشرعة التى يستقون منها، ويقال: تعلق التابوت بالشجر التى كانت ثَمَّ، وموسى هو بالعبرية موشى، و«مو» هو الماء، و«شى» هو الشجر، وسمى موشى؛ لأنه وجد بين الماء والشجر، فأخذت الجوارى التابوت، وذهبن به إلى امرأة فرعون، وهى آسية بنت مزاحم، ويقال: إنها كانت من بنى إسرائيل، وكان فرعون نكح منهم هذه المرأة.

وقوله: ﴿ ليكون لهم عدواً وحزنا ﴾ (هذه اللام لام العاقبة، وقيل: لام الصيرورة، فإنهم ما التقطوه ليكون لهم عدوا وحزنا)[1]، ولكن صار أمرهم إلى هذا، فذكر

(١) ساقط من «ك».

وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ

اللام على معنى الصيرورة، وهذا كقول الشاعر:

أموالنا لذوى الميراث نجمعها ودورنا لخراب الدهـر نبنيها

وقوله: ﴿إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين﴾ أى: تاركين طريق الحق.

قوله تعالى: ﴿وقالت امرأة فرعون قرة عين لى ولك﴾ فى الخبر: أن امرأة فرعون حملت الصبى إلى فرعون، وقالت: قرة عين لى ولك، فقال فرعون: قرة عين لك، فأما لى فلا. وفى هذا الخبر أن النبى ﷺ قال: «لو قال فرعون قرة عين لى، لهداه الله تعالى كما هدى امرأته»[١] والخبر غريب.

وفى بعض التفاسير: أن فرعون قصد قتله، وقال: لعله من الأعداء، فاستوهبته امرأته فوهبه لها.

وقوله: ﴿لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً﴾ روى أن آسية لم يكن لها ولد، وقيل: كان يموت أولادها، فقالت: أو نتخذه ولداً لهذا.

وقوله: ﴿وهم لا يشعرون﴾ أى: لا يعلمون حقيقة الأمر.

قوله تعالى: ﴿وأصبح﴾ قيل: وأصبح أى: صار، ويقال: هو على حقيقته، واستعماله فى هذا الموضع على طريق المجاز، ومعناه: أصبحت أم موسى وفؤادها فارغا، واختلف القول فى قوله ﴿فارغا﴾ الأكثرون على أن المراد به فارغا من كل شيء إلا من ذكر موسى والوجد عليه، هذا قول ابن مسعود وابن عباس ومجاهد

---

(١) عزاه فى كنز العمال إلى إسحاق بن بشر فى المبتدأ، وابن عساكر عن ابن عباس. وهو جزء من حديث الفتون الطويل، رواه النسائى فى الكبرى (٦/ ٣٩٦-٤٠٦ رقم ١١٣٢٦)، وأبو يعلى فى مسنده (٥/ ١٠-٢٩ رقم ٢٦١٨)، والطبرى فى تفسيره (١٦/ ١٢٥)، وابن أبى عمر العدنى، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وابن مردوية كما فى الدر (٤/ ٣٢٥) جميعهم من حديث ابن عباس به. وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ٦٩): رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح، غير أصبغ بن زيد والقاسم بن أيوب، وهما ثقتان.

فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن

وقتادة والضحاك وغيرهم.

والقول الثاني: أن قوله: ﴿فارغا﴾ أي: فارغًا من الحزن عليه لعلمها بصدق وعد الله تعالى، وهذا قول أبي عبيدة، وأنكر القتيبي وغيره هذا القول، وقالوا: كيف يصح هذا والله تعالى يقول: ﴿إن كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها﴾؟ والقول الثالث: «فارغًا» أي: ناسيا للوحي الذى أنزل عليها، والعهد الذى أخذ عليها بألا تحزنى من شدة البلية عليه، وهذا معنى قول الحسن، وقرئ فى الشاذ: «فَزِعًا»، وقد بينا أن معنى قوله: ﴿فأصبح﴾ أي: صار، وأنشدوا فى هذا شعرا :

مضى الخلفاء بالأمر الرشيد وأصبحت المذمة للوليد

وقوله: ﴿إن كادت لتبدى به﴾ قال ابن عباس: كادت تقول: يا إبناه.

وقوله: ﴿لولا أن ربطنا على قلبها﴾ أي: بالصبر، وقيل: بالإيمان بالوعد، وقيل: بالعصمة.

وقوله: ﴿لتكون من المؤمنين﴾ أي: من المصدقين، وقوله تعالى: ﴿وقالت لأخته قصيه﴾ فى القصة: أن اسم [أخته](١) كانت مريم، وقوله: ﴿قصيه﴾ أي: اتبعى أثره، ومنه القصص؛ لأنها رواية يتبع بعضها بعضًا.

وقوله: ﴿فبصرت به عن جنب﴾ أي: [عن بعد](٢)، وقيل: عن جانب، وفى القصة: أنها كانت تمشى جانبًا، وتنظر مختلسة وترى الناس أنها لا تنظر.

وقوله: ﴿وهم لا يشعرون﴾ أي: لا يشعرون أن هلاكهم على يد موسى، وقيل: وهم لا يعلمون أن الصبى موسى، وأن طالبه أمه وأخته، وأنشدوا قول الشاعر عن جنب بمعنى بعد :

---

(١) فى «الأصل»: أختها، والمثبت من «ك».

(٢) فى «الأصل، وك»: بعدت، وما أثبته يقتضيه السياق، ومثله فى تفسير البغوى (٣/٤٣٧).

قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

فلا تسألنى نائلا عن جنابة　　فإن امرؤ وسط القباب غريب

قوله تعالى: ﴿وحرمنا عليه المراضع من قبل﴾ أى: منعناه من قبول الرضاع، وليس المراد من التحريم هو التحريم الشرعى؛ وإنما المراد من التحريم هو المنع، قال امرؤ القيس شعرا:

جالت لتصرعنى فقلت لها اقصرى　　إنى امرؤٌ صرْعى عليك حرامُ

أى: ممتنع، وفى القصة: أن موسى مكث ثمان ليال لا يقبل ثديًا، ويصيح وهم فى طلب مرضعة له.

وقوله: ﴿فقالت هل أدلكم﴾ يعنى: قالت أخت موسى: هل أدلكم ﴿على أهل بيت يكفلونه لكم﴾؟.

وقوله: ﴿وهم له ناصحون﴾ أى: عليه مشفقون، والنصح ضد الغش، وقيل: النصح تصفية العمل من شوائب الفساد، ومنه قوله ﷺ: «ألا إن الدين النصيحة. قيل: لمن؟ قال: لله ولرسوله وكتابه والمؤمنين»(١) والخبر ثابت، رواه تميم الدارى.

وفى القصة: أن قوم فرعون استرابوا بقول أخت موسى فقالوا: [إنك](٢) تعرفينه، وإلا فما معنى نصحك له؟ فألهمها الله تعالى حتى قالت: قلت هذا رغبة فى سرور الملك واتصالنا به، وروى أن أم موسى لما أُتى بها، ووجد موسى ريحها، (نزا)(٣) إلى ثديها فجعل يمصه حتى امتلأ جنباه ريًا، وقال السدى: كانوا يعطونها كل يوم دينارًا.

(١) رواه مسلم (٢/ ٤٨ - ٤٩ رقم ٥٥)، والنسائى (٧/ ١٥٦-١٥٧رقم٤١٩٧،٤١٩٨)، وأحمد (٤/ ١٠٢)، والحميدى (٢/ ٣٦٩ رقم ٨٣٧) وأبو عوانة (١/ ٣٦-٣٧) وابن حبان فى صحيحه (١٠/ ٤٣٥-٤٣٦رقم ٤٥٧٥).

(٢) فى «الأصل»: إنكم، والمثبت من «ك».

(٣) فى «ك»: ترأى.

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ

وقوله: ﴿فرددناه إلى أمه كى تقر عينها﴾ أى: تقر عينها برد موسى إليها ﴿ولا تحزن﴾ أى: ولئلا تحزن.

وقوله: ﴿ولتعلم أن وعد الله حق﴾ لأنه كان قد وعدها أنه يرده إليها.

وقوله: ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أى: لا يعلمون أن وعد الله حق.

قوله تعالى: ﴿ولما بلغ أشده﴾ قال ابن عباس: الأشد: ثلاثون سنة، وعن سفيان الثورى: أربع وثلاثون سنة، وقيل: ثلاث وثلاثون سنة، وقيل: خمس وعشرون سنة، وقيل: عشرون سنة، وقيل: [ثمانى عشرة](1) سنة.

وقوله: ﴿واستوى﴾ قال ابن عباس: أربعون سنة، وعن غيره: ﴿استوى﴾ أى: انتهى شبابه.

وقوله: ﴿آتيناه حكمًا وعلمًا﴾ أى: الفقه والعقل والعلم.

وقوله: ﴿وكذلك نجزى المحسنين﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ودخل المدينة﴾ فى التفسير: أن المدينة كانت مدينة عين شمس، وقيل: مدينة منف، وعن السدى قال: كان موسى يركب من مراكب فرعون، ويلبس من ملابسه، وكان يسمى ابن فرعون، فركب فرعون مرة فى حشمه إلى بعض المدائن، وكان موسى غائبا فرجع وقد ركب فرعون، فركب فى أثره، فوصل إلى المدينة وقت القائلة، وقد اشتغل الناس بالقيلولة، فهو معنى قوله: ﴿ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها﴾ أى: غفلوا عن ذكر موسى.

وقوله: ﴿فوجد فيها رجلين يقتتلان﴾ فى القصة: أنه وجد قبطيا يسخر إسرائيليا فى حمل الحطب إلى مطبخ فرعون، وقوله: ﴿يقتتلان﴾ أى: يختصمان ويتنازعان، وقوله: ﴿هذا من شيعته وهذا من عدوه﴾ أى: الإسرائيلى من شيعته، والقبطى من

(١) فى «الأصل. وك»: ثمانية عشر. والمثبت هو الصواب.

عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ

عدوه، وكانت بنو إسرائيل قد عزوا بمكان موسى؛ لأنهم كانوا يعلمون أنه منهم، ويقال: ﴿ هذا من شيعته وهذا من عدوه ﴾ أى: هذا مؤمن وهذا كافر.

وقوله: ﴿ فاستغاثه الذى من شيعته ﴾ الاستغاثة: طلب المعونة، وقوله ﴿ فوكزه موسى ﴾ قرأ (ابن مسعود)(١): «فَلَكَزَهُ موسى» واللكز والوكز (واحد، وهو الضرب بجُمْع الكف، وقيل الوكز هو الضرب فى الصدر، واللكز)(٢) هو الضرب فى الظهر. وفى بعض التفاسير: (أن موسى)(٢) عقد ثلاثا وثمانين وضربه ضربة به فى صدره، وكان شديد البطش، فقتل الرجل، فهو معنى قوله: ﴿ فقضى عليه ﴾ أى: قتله، يقال: قضى فلان أى: مات. فإن قيل: كيف يجوز هذا على موسى؟ قلنا: هو لم يقصد القتل، وإنما وقع القتل خطأً، وكان قصده استنقاذ الإسرائيلى من ظلمه.

وقوله: ﴿ قال هذا من عمل الشيطان ﴾ أى: من تزيينه، وقوله: ﴿ إنه عدو مضل مبين ﴾ أى: مضل بين الضلالة، قوله تعالى: ﴿ قال رب إنى ظلمت نفسى ﴾ يعنى: بقتل القبطى من غير أمره ﴿ فاغفر لى ﴾ أى: فاغفر لى بما عملت.

وقوله: ﴿ فغفر له إنه هو الغفور الرحيم ﴾ أى: غفر الله له، إن الله غفور رحيم.

قوله تعالى: ﴿ قال رب بما أنعمت علىَّ ﴾ مننت على بالمغفرة.

وقوله: ﴿ فلن أكون ظهيراً للمجرمين ﴾ أى: معاونًا للمجرمين، وفى بعض التفاسير: أن قوله: ﴿ فلن أكون ظهيراً للمجرمين ﴾ كانت زلة من موسى حين لم يقرن به مشيئة الله أو الاستغاثة من الله، وقلما يقول الإنسان هذا القول، ويطلق هذا الإطلاق إلا ابتلى، فابتلى موسى فى اليوم الثانى ما ذكره الله تعالى، وهو قوله تعالى:

(١) فى «ك»: ابن عباس. وقد كانت هكذا فى «الأصل»، لكنه ضبب عليها تضبيبا خفيفا، وكتب مكانها: ابن مسعود.

(٢) ساقط من «ك».

﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ

﴿ فأصبح فى المدينة خائفًا يترقب ﴾ . قال سعيد بن جبير : يلتفت ويقال : ينتظر الطلب ، وفى القصة : أن موسى حين قتل ذلك الرجل لم يره أحد ، ودفن الرجل فى الرمل . وروى أن قومه وجدوه قتيلا ، فجاءوا إلى فرعون وذكروا له ذلك . فقال : اطلبوا قاتله لأقيده به ، فجعلوا يطلبونه وموسى يخاف .

وقوله : ﴿ فإذا الذى استنصره بالأمس يستصرخه ﴾ أى : يستغيث به ويصيح به من بعد ، وكان ذلك الإسرائيلى سخره قبطى آخر ، فبصر بموسى فطلب منه المعونة .

وقوله : ﴿ قال له موسى إنك لغوى مبين ﴾ الأكثرون أن هذا قاله موسى للإسرائيلى ، فإنه كان أغواه أمس أى : أوقعه فى الغواية ، فمعنى قوله : ﴿ غوى ﴾ : موقع فى الغواية .

وقوله : ﴿ مبين ﴾ أى : بين ، ويقال : إن هذا قاله للقبطى ، والأصح هو الأول .

قوله تعالى : ﴿ فلما أن أراد أن يبطش بالذى هو عدو لهما ﴾ فى التفسير : أن موسى أدركته الرقة والرحمة للإسرائيلى ، فقصد أن يبطش بالقبطى ، فظن الإسرائيلى أنه يريد أن يبطش به ؛ لأنه كان قال له : « إنك لغوى مبين » .

وقوله : ﴿ قال ياموسى أتريد أن تقتلنى ﴾ يعنى : قال الإسرائيلى : ﴿ كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد ﴾ أى : ماتريد ﴿ إلا أن تكون جبارا فى الأرض ﴾ ، أى : تقتل على الغضب ، وكل من قتل على الغضب فهو جبار ، ويقال : من قتل نفسين بغير حق فهو من جبابرة الأرض .

وقوله : ﴿ وما تريد أن تكون من المصلحين ﴾ أى : الرافقين بالناس ، وفى القصة : أن الإسرائيلى لما قال هذا وسمعه القبطى ، عرف أن الذى قُتلَ بالأمس إنما قتله موسى ، فمرَّ إلى فرعون وذكر له ذلك ، فبعث فى طلب موسى ليقتله به .

قوله تعالى : ﴿ وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى ﴾ يقال : كان اسمه شمعون ، ويقال : شمعان ، وقيل : هو (حزقيل)(١) مؤمن [من](٢) آل فرعون .

---

(١) فى « الأصل » : خربيل .

(٢) من « ك » .

أن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلحين ﴿١٩﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن

وقوله: ﴿قال ياموسى إن الملأ يأتمرون بك﴾ أى: يتشاورون فى قتلك، وقيل: يأمر بعضهم بعضاً بقتلك، وقيل: إن فرعون قال: أين وجدتموه فاقتلوه.

وقوله: ﴿فاخرج إنى لك من الناصحين﴾ أى: من الناصحين لك فى الأمر بالخروج، والنصح للإنسان هو الإشارة عليه بمايصلح أمره، وقد كان السلف يطلب هذا بعضهم من بعض. قال أبو بكر - رضى الله عنه - حين خطب: إن أحسنت فأعينونى، وإن زغت فقومونى. وروى أن رجلا قال لعمر: اتق الله ياعمر، فأنكر عليه بعضهم، فقال عمر: دعه، فما نزال بخير ماقيل لنا هذا. وعن بعضهم أنه قيل له: أتريد أن تنصح؟ قال: أما سرا فنعم، وأما جهرا فلا.

قوله: ﴿فخرج منها خائفا يترقب﴾ أى: ينتظر الطلب، وفى القصة: أن فرعون بعث لطلبه حين أخْبِر بهربه، وقال: اركبوا ثنيات الطريق، فإنه لايعرف كيف الطريق.

وروى أنه خرج متوجها لايدرى أين يذهب، فبعث الله تعالى ملكا(١) حتى هداه إلى الطريق، وفى بعض التفاسير: أنه خرج حافيا يعدو ثمان ليال ليس معه زاد، قال ابن عباس: وهو أول ابتلاء من الله لموسى يسقط خف قدمه، وجعل يأكل البقل حتى كان يرى خضرته فى بطنه.

وقوله: ﴿قال رب نجنى من القوم الظالمين﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ولما توجه تلقاء مدين﴾ أى: قبل مدين.

وقوله: ﴿قال عسى ربى أن يهدينى﴾ أى: يرشدنى ربِّى ﴿سواء السبيل﴾ أى: وسط الطريق، ووسط الطريق هو السبيل الذى يوصل إلى المقصود، ومدين اسم رجل نسبت البلدة إليه، قال الشاعر فى المدائن :

(١) فى «الأصل»: ملكا جبريل ثم ضبب على «جبريل»، ،فى «ك»: جبريل فقط.

يهديني سواء السبيل ﴿٢٢﴾ ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ

رهبان مدين لو ر أوك تنزلوا   والعصم من شعف العقول الفادر

وقال أهل المعانى: التوجه إلى جهة من الجهات.

وقوله: ﴿تلقاء مدين﴾ قال أبو عبيدة: نحو مدين.

وقوله: ﴿عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل﴾ قال مجاهد: طريق مدين.

قوله تعالى: ﴿ولما ورد ماء مدين﴾ يعنى: لما ورد موسى ماء مدين، وهو بئر كانوا يسقون منها أغنامهم ومواشيهم.

وقوله: ﴿وجد عليه أمةً من الناس يسقون﴾ أى: جماعة

وقولة: ﴿ووجد من دونهم امرأتين﴾ أى: سوى الجماعة امرأتين، وقيل: بعيدا من الجماعة امرأتين.

وقوله: ﴿تذودان﴾ أى: تحبسان وتكفان أغنامهما من مخالطة أغنام الناس.

وقال قتادة: تزودان أى: تكفان الناس عن أغنامهما، قال الشاعر:

فقد سلبتْ عصاك بنو تميم   فلا أدرى بأى عصا تذُود

وأنشد قطرب شعراً:

أبيت على باب القوافى كأنما   أذُودُ بها سربًا من الوحش نُزّعًا

وقوله: ﴿ماخطبكما﴾ أى: قال موسى للمرأتين: ماخطبكما؟ أى: ماشأنكما؟ والخطب: الأمر المهم، وإنما سأل موسى هذا عنهما؛ لأنهما لاتسقيان الغنم مع الناس.

وقوله: ﴿قالتا لانسقى﴾ يعنى: لانسقى غنمنا، وقوله: ﴿حتى يَصْدُرَ الرعاء﴾ (وقرئ: «حتى يُصْدِرَ الرعاء» فقوله: ﴿حتى يصْدُرَ الرعاء﴾ أى: يرجع الرعاء بأغنامهم، وقوله: ﴿حتى يُصْدِر الرعاء﴾)(١). أى: يُصْدِر الرعاء أغنامهم، قال

(١) ساقط من «ك».

كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا

قتادة: كانتا تسقيان أغنامهما ماتفضل من مياه القوم. وقال بعضهم: لم تسقيا أغنامهما كراهة مزاحمة الرجال.

وقوله: ﴿وأبونا شيخ كبير﴾ لايقدر على سقى الغنم، كأنهما جعلتا ذلك عذراً لهما، وقيل: إنما قالتا ذلك استعطافا لقلب موسى حتى يسقيهما، قال ابن عباس: وصل موسى - أى: ماء مدين - وخضرة البقل يرى فى أمعائه من الهزال.

وقوله: ﴿فسقى لهما﴾ فى القصة: أن القوم رجعوا بأغنامهم، وغطوا رأس البئر بحجر، لايرفعه إلا عشرة نفر، فجاء موسى ورفع الحجر وحده، وسقى غنم المرأتين. ويقال: إنه نزع ذنوبا ودعا فيه بالبركة، فروى منه جميع الغنم. وذكر ابن اسحاق: أن موسى زاحم القوم وأخرهم، ونحاهم عن رأس البئر وسقى غنم المرأتين.

وقوله: ﴿ثم تولى إلى الظل﴾ يقال: كان ظل شجرة، ويقال: كان ظل حائط بلا سقف.

وقوله: ﴿فقال رب إنى لما أنزلت إلى من خير فقير﴾ أجمع المفسرون على أنه طلب من الله الطعام لجوعه، قال ابن عباس فلقة خبز، أو قبضة تمر. وقال سعيد بن جبير: لم يكن على وجه الأرض أكرم منه، وكان محتاجا إلى شق تمرة. وقال مجاهد: طلب الخبز. وفى بعض الآثار: أن الله تعالى أخرج للخبز بركات السموات والأرض. وعن بعضهم: لولا الخبز ماعبد الله. والعرب تسمى الخبز جابراً، قال بعضهم شعراً:

لاتلومونى ولوموا جابراً — فجابر كلفنى الهواجرا

يعنى: العمل بالهاجرة.

قوله تعالى: ﴿فجاءته إحدهما﴾ فى الآية حذف، وهو أن المرأتين رجعتا إلى أبيهما، وأكثر أهل التفسير أن أباهما كان هو: شعيب النبى - عليه السلام - وقال الحسن البصرى: هو رجل ممن آمن بشعيب، وقال بعضهم: هو ابن أخى شعيب، فلما

سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ

رجعتا إلى أبيهما بسرعة أنكر رجوعهما، فذكرتا له قصة الرجل، فبعث إحداهما في طلبه .

وقوله: ﴿ تمشي على استحياء ﴾ روى عمرو بن ميمون، عن عمر أنه قال: ليست بِسَلْفعٍ من النساء، ولاخراجة ولا ولاجة، ولكن وضعت كمها على وجهها استحياء .

وقوله: ﴿ قالت إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ماسقيت لنا ﴾ أى: ليطعمك ويثيبك أجر ماسقيت لنا أى: عوض ماسقيت لنا. قال أبو حازم سلمة بن دينار: لما سمع موسى هذا أراد ألا يذهب ولكن كان جائعًا، فلم يجد بداً من الذهاب، فمشت المرأة ومشى موسى خلفها، فجعلت الريح تضرب ثوبها، وتصف عجيزتها، فكره موسى ذلك، فقال: يا أمة الله، امشى خلفى وصفى لى الطريق، ففعلت كذلك، فلما وصل موسى إلى دار شعيب، فإذا العشاء تهيأ، فقال: ياشاب، اجلس، فَكُلْ، فقال: معاذ الله، إنا أهل بيت لانطلب على عمل من أعمال الآخرة عوضا من الدنيا، فقال له شعيب: إن هذا عادتى وعادات آبائى، نقرى الضيف ونطعم الطعام، فجلس وأكل. هذا كله قول أبى حازم.

وقوله: ﴿ فلما جاءه وقص عليه القصص ﴾ يعنى: مالقى من فرعون وأمره من أوله إلى آخره.

وقوله: ﴿ لاتخف نجوت من القوم الظالمين ﴾ إنما قال هذا؛ لأنه لم يكن لفرعون سلطان على مدين، والظالمين: فرعون وقومه .

قوله تعالى: ﴿ قالت إحداهما ياأبت استأجره ﴾ أى: استأجره لرعى الغنم. وفى القصة: أن شعيبًا قال لابنته: وما علمك بقوته وأمانته؟ فقالت: أما قوته فلأنه حمل حجرًا لا يحمله إلا عشرة من الرجال، وأما أمانته فإنه قال لى: امش خلفى لئلا تصف

أَنْ أُنكحك إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْن عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِن عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي

الريح بدنك، ويقال: القوى فيما يلى، والأمين فيما يستودع.

قوله تعالى: ﴿إنى أريد أن أنكحك إحدى ابنتى هاتين﴾ أكثر أهل التفسير: أنه زوجه الصغرى منهما، واسمها صفوراء، وهى التى ذهبت لطلب موسى.

وقوله: ﴿على أن تأجرنى﴾ أى: تكون أجيرى، وقيل: على أن تثيبنى. ﴿ثمانى حجج﴾ أى: ثمان سنين.

قوله: ﴿فإن اتممت عشراً فمن عندك﴾ يعنى: هو تبرع من عندك.

وقوله: ﴿وما أريد أن أشق عليك﴾ أى: ماألزمك تمام العشرة إلا أن تتبرع.

وقوله: ﴿ستجدنى إن شاء الله من الصالحين﴾ أى: الرافقين بك، وهو مثل قوله تعالى: ﴿قال اخلفنى فى قومى وأصلح﴾(١) أى: ارفق.

قوله تعالى: ﴿قال ذلك بينى وبينك﴾ أى: هذا الشرط بينى وبينك. ﴿أيما الأجلين قضيت﴾ أى: أى الأجلين قضيت، و«ما» صلة.

وقوله: ﴿فلا عدوان على﴾ أى: لا أطلب بالزيادة، وقوله: ﴿والله على ما نقول وكيل﴾ أى: شاهد، وقيل: حفيظ. وقدروى عن النبى ﷺ أنه قال: «أَجر موسى نفسه بطعمة بطنه وعفة فرجه»(٢). وفى بعض الأخبار: أن النبى ﷺ سئل: أى

(١) الأعراف: ١٤٢.

(٢) رواه ابن ماجة (٢/٨١٧ رقم ٢٤٤٤)، والطبرانى فى الكبير (١٧/١٣٥ رقم ٣٣٣)، وابن أبى حاتم (٣/٣٨٥ تفسير ابن كثير) من حديث عتبة بن المنذر السلمى مرفوعا به. قال الحافظ ابن كثير بعد ما ساقه من رواية ابن ماجه: وهذا الحديث من هذا الوجه ضعيف؛ لأن مسلمة بن على الخشنى ضعيف الرواية عند الأئمة، ولكن قد روى من وجه آخر، وفيه نظر أيضا، ثم ساقه من رواية ابن أبى حاتم. وعزاه السيوطى فى الدر (٥/١٣٧) للبزار، وابن المنذر، وابن مردوية، بالإضافة لما سبق.

وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ فَلَمَّا قَضَىٰ

الأجلين وَفَّى موسى؟ قال: «أكملهما وأتمهما»(١).

وروى شداد بن أوس عن النبي ﷺ: «أن شعيبًا بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره، (ثم بكى حتى عمي، فرد الله عليه بصره)(٢)، ثم بكى حتى عميُ، فقال الله تعالى: لم تبك ياشعيب؟ أخوفًا من النار أو طمعًا في الجنة؟ فقال: لايارب، ولكن أحبك - وقال بعضهم: شوقًا إلى لقائك - قال: ياشعيب، ولذلك أخدمتك موسى كليمي»(٣) والخبر غريب.

وأما قصة العصا: إن شعيبًا قال لابنته: أعطي موسى عصًا ليتقوى بها على رعي الغنم، وكان عنده عصا أودعها ملك منه، فدخلت بنت شعيب، ووقعت هذا العصا بيدها وخرجت بها، فقال شعيب: ردي هذه العصا، وخذي عصًا أخرى، فردتها، وأرادت أن تأخذ عصًا أخرى فوقعت بيدها هذه العصا، هكذا ثلاث مرات، فسلم

(١) رواه البزار - كما في مختصر الزوائد (٢/ ٩٩ رقم ١٤٩)، والحاكم (٢/ ٤٠٧) من حديث ابن عباس مرفوعاً به. ورواه الحميدي (١/ ٢٤٥-٢٤٦ رقم ٥٣٥)، وأبو يعلى (٤/ ٢٩٧ رقم ٤٠٨)، والطبري (٢٠/ ٤٤)، والحاكم (٢/ ٤٠٧-٤٠٨) - وصححه، وتعقبه الذهبي بأن حفص واه، وابن أبي حاتم، كما في تفسير ابن كثير (٣/ ٣٨٦) من حديث ابن عباس أيضًا مرفوعًا، وفيه أن السائل هو النبي ﷺ - وأن جبريل - عليه السلام - هو المجيب. ورواه البخاري في صحيحه موقوفاً عن ابن عباس (٥/ ٣٤٢رقم٢٦٨٤)، ومثله الطبري (٢٠/ ٤٣، ٤٤) وفي الباب أحاديث عن عتبة بن المنذر، وأبي ذر، وجابر، وغيرهم، وانظر الدر (٥/ ١٣٨)، وابن كثير (٣/ ٣٨٦-٣٨٧)، والبزار (٢/ ٩٨-١٠٠ مختصر الزوائد).

(٢) ساقط من «ك».

(٣) رواه الخطيب في تاريخه (٦/ ٣١٥ ترجمة إسماعيل بن علي الواعظ)، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخه (٩/ ١٩ رقم ٢٢٧٧ ترجمة إسماعيل)، وابن الجوزي في العلل (١/ ٦٠ رقم ٤٦)، والواحدي - كما عند ابن عساكر، والبداية لابن كثير (١/ ٢٧٩) - جميعهم من حديث شداد به. وقد قال الخطيب: قدم علينا بغداد حاجا - يعني إسماعيل الواعظ - وسمعت منه بها حديثا واحدا مسندًا منكرًا... ثم ذكره. وقال ابن الجوزي: لا أصل له. وقال الذهبي في ترجمة إسماعيل (١/ ٢٣٩ رقم ٩٢٠): هذا حديث باطل لا أصل له. وقال ابن كثير: غريب جدا.

مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا

شعيب العصا إلى موسى، وخرج موسى بالعصا، ثم إن الشيخ ندم فذهب فى أثره، وطلب منه إن يرد العصا إليه، وأبى موسى، فقالا: نتحاكم إلى أول من يلقانا، فلقيهما ملك فى صورة رجل، (فحكم بأن يطرح)(١) العصا، فمن أطاق حملها فهى له، فطرح موسى العصا، فجاء شعيب ليأخذها فلم يطق حملها، وجاء موسى فأخذها وذهب بالعصا. أورد هذا وهب وابن إسحاق وغيرهما .

قوله تعالى: ﴿فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله﴾ فى القصة: أن موسى لما أتم الأجل وسلم شعيب ابنته إليه، قال موسى للمرأة: اطلبى من أبيك ليجعل بعض الغنم لنا، فطلبت من أبيها ذلك، فقال شعيب: كل ماولدت هذا العام على غير شيتها، وقيل: كلما ولدت بلقاء فهى لكما، فجاء موسى إلى الماء الذى تشرب منه الغنم، ووضع العصا فى الماء، وروى أنه كلما شربت شاة من الغنم فجعل يضرب جنبها بالعصا، فولدت ذلك العام كلها على غير شيتها، وقال: ولدت بلقاء، ثم إن موسى - عليه السلام - استأذن من شعيب ليرجع إلى مصر، يزور والدته وأخاه، فأذن له، فسار بأهله إلى جانب مصر.

وقوله: ﴿آنس من جانب الطور ناراً﴾ روى أن موسى كان رجلا غيوراً، وكان يصحب الرفقة بالليل، ويفارقهم بالنهار، فلما كانت الليلة التى أراد الله كرامته فيها، أخطأ الطريق؛ لأن الظلمة اشتدت واشتد البرد، وانقطع عن الرفقة فجعل يقدح الزند فلا يورى، ثم إنه أبصر ناراً من قبل الطور، وكان نوراً ولم تكن ناراً، فهو معنى قوله تعالى: ﴿آنس من جانب الطور ناراً﴾ أى: أبصر .

وقوله: ﴿قال لأهله امكثوا إنى آنست ناراً﴾ أى: أبصرت ناراً.

---

(١) فى «ك»: فأمرهما بأن يطرحا العصا.

لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ

قوله تعالى: ﴿لعلى آتيكم منها بخبر﴾ أى: بخبر عن الطريق؛ لأنه قد أخطأ الطريق، وقوله: ﴿أو جذوة من النار﴾ أى: قطعة من النار، وقيل: عود فى رأسه نار.

وقوله: ﴿لعلكم تصطلون﴾ أى: (تصطلون)(١) بها فتذهب عنكم البرد، ويقال: أحسن من الصَّلَّى فى الشتاء.

قوله تعالى: ﴿فلما أتاها نودى من شاطىء الوادى الأيمن﴾ أى: يمين موسى، والشاطىء هو الجانب.

وقوله: ﴿فى البقعة المباركة﴾ سمى البقعة المباركة؛ لأن الله تعالى كلم موسى فيها، فإن قيل: فَلِمَ لَمْ يسم الشجرة مباركة وقد قال: ﴿من الشجرة﴾؟ قلنا: لأنه إذا ذكرت البركة فى البقعة، فقد ذكرت فى الشجرة، فذكر البقعة؛ لأنها أعم.

وقوله: ﴿من الشجرة﴾ قالوا: كانت شجرة العوسج هى أول شجرة غرست فى الأرض، وقيل: شجرة العليق.

وقوله: ﴿أن ياموسى إنى أنا الله رب العالمين﴾ أى: رب الجن والإنس والملائكة والخلائق أجمعين.

وقوله: ﴿من الشجرة﴾ قال الزجاج والنحاس وغيرهما: كلم الله موسى من الشجرة بلاكيف. وعن الضحاك: من نحو الشجرة. وعند المعتزلة: أن الله تعالى خلق كلامًا فى الشجرة، فسمع موسى ذلك الكلام، وهذا عندنا باطل، وذلك لأن الله تعالى هو الذى كلم موسى على ماورد به النص، وإذا كان على هذا الوجه الذى قالوا فيكون الله خالقًا لامكلمًا؛ لأنه يقال: خلق فهو خالق، ولايقال: خلق فهو مكلم.

وفى القصة: أن موسى لما رأى النار، ترك أهله وولده، وتوجه نحو النار، فبقى أهله

(١) فى «ك»: تستدفئون.

﴿٣٠﴾ وأنْ ألْقِ عصاك فلمَّا رآها تهتزُّ كأنَّها جانٌّ ولَّى مُدبرًا ولم يعقّبْ يا موسىٰ أقْبلْ
ولا تخفْ إنَّك من الآمنين ﴿٣١﴾ اسلُكْ يدكَ في جيبك تخرُجْ بيضاء من غيْر سُوءٍ

فى ذلك المكان ثلاثين سنة، حتى مر بها راع فرآها حزينة باكية، فردها إلى أبيها، ذكره النقاش فى تفسيره .

وقوله : ﴿ إنى أنا الله رب العالمين ﴾ قد بيَّنا من قبل، قوله تعالى : ﴿ وأن ألق عصاك ﴾ وفى القصة : أن العصا كان من آس الجنة، وقعت إلى آدم، ثم من آدم إلى نوح، ثم من نوح إلى إبراهيم، ثم من إبراهيم إلى شعيب، وكان لايأخذها غير نبى إلا أكلته، وكان مكتوبا عليها بالسريانية أنا الأول أنا الآخر أنا الحى الذى لا أموت أبدا .

وقوله : ﴿ فلما رآها تهتز ﴾ أى : تتحرك ﴿ كأنها جآن ﴾ الجآن : الحية الصغيرة، والثعبان : الحية العظيمة .

وقد ذكرنا التوفيق بين الآيتين، وقد قال بعضهم : كان فى ابتداء الأمر حية صغيرة، ثم صارت تعظم حتى صارت ثعبانا .

وقوله : ﴿ ولى مدبراً ﴾ أى : من الخوف، فإن قيل : لم خاف موسى وهو فى مثل ذلك المقام؟ قلنا : لأنه رأى شيئا بخلاف العادة، ومن رأى شيئًا بخلاف العادة فخاف عُذر، وقد روى أنها لما صارت حية ابتعلت ماحولها من الصخور والأشجار، وسمع موسى لأسنانها صريفا عظيما، فهرب .

وقوله : ﴿ ولم يعقب ﴾ أى : لم يلتفت، وقوله : ﴿ ياموسى أقبل ولاتخف إنك من الآمنين ﴾ ظاهر المعنى .

قوله تعالى : ﴿ اسلك يدك فى جيبك ﴾ أى : أدخل يدك فى جيبك، وفى القصة : أنه كانت عليه مدرعة مصرية من صوف .

وقوله : ﴿ تخرج بيضاء من غير سوء ﴾ يقال : خرجت ولها شعاع كضوء الشمس .

وقوله : ﴿ واضمم إليك جناحك من الرَّهْب ﴾ حكى عطاء عن ابن عباس أن

وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾

معناه: ضع يدك على صدرك. والجناح: اليد، قال: ومامن خائف بعد موسى إلا إذا وضع يده على صدره زال خوفه. وذكر الفراء في كتابه: أن الجناح هاهنا هو العصا، ومعناه: اضمم إليك عصاك. ومن المعروف أن الجناح هو العضد، وقيل: جميع اليد، وقيل: ماتحت الإبط، والخائف إذا ضم إليه يده خف خوفه. وعن أبي عمرو بن العلاء أن الرهب هو الكم به، فيكون معنى الآية على هذا: واضمم إليك عصاك ويدك التى فى كمك فقد جعلناهما آيتين لك، ويقرأ: «من الرُهب» وقيل: الرُّهب والرَهب بمعنى واحد كالرُشد والرَشد، والمعنى الظاهر فيه أنه الخوف.

وقوله: ﴿ فذانك برهانان من ربك ﴾ أى: آيتان وحجتان من ربك.

وقوله: ﴿ إلى فرعون وملئه ﴾ يعنى: وأتباعه.

وقوله: ﴿ إنهم كانوا قوما فا سقين ﴾ أى: خارجين عن الطاعة.

وقوله تعالى: ﴿ قال رب إنى قتلت منهم نفسًا فأخاف أن يقتلون ﴾ يعنى: القبطى.

وقوله: ﴿ وأخى هارون هو أفصح منى لسانًا ﴾ قال أهل التفسير: كان فى لسان موسى عقدة من الوقت الذى أخذ بلحية فرعون، وأخذ الجمرة بعد ذلك وألقاه فى فيه على ماذكرنا من قبل.

وقوله: ﴿ فأرسله معى ردءًا ﴾ أى: عونًا. ﴿ يصدقنى ﴾ أى: مصدقًا لى، وقرئ: «يصدْقنى» بسكون القاف أى: إن كذبونى هو يصدقنى .

وقوله: ﴿ إنى أخاف أن يكذبون ﴾ يعنى: فرعون وقومه.

قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ

قوله تعالى: ﴿قال سنشد عضدك بأخيك﴾ وهذا على طريق التمثيل؛ لأن قوة اليد بالعضد. وفي الكلام المنقول من العرب أن رجلا قيل له: مات أبوك، قال: ملكت نفسي، قيل له: مات ولدك، قال: تفرغ قلبي، قيل: ماتت زوجتك، قال: تجدد فراشي، قيل: مات أخوك، قال: وانفصام ظهراه، وقال الشاعر:

أخـاك أخـاك إن مـن لا أخـا له ... كسـاع إلى الهيجـا بغير سـلاح

وإن ابن عم المرء فاعلم جنـاحه ... وهل ينهض البازى بغير جناح؟!

وقدم الله الأخ على سائر الأقارب في قوله تعالى: ﴿يوم يفر المرء من أخيه﴾[1] لأن الإنسان إلى أخيه أميل، وبه آنس، وإليه أسكن.

وقوله: ﴿ونجعل لكما سلطانًا﴾ أى: حجة.

وقوله: ﴿فلا يصلون إليكما بآياتنا﴾ أى: لايصلون إليكما لمكان آياتنا، ويقال: فى الآية تقديم وتأخير، وتقديره: ونجعل لكما سلطانا بآياتنا فلايصلون إليكما.

وقوله: ﴿أنتما ومن اتبعكما الغالبون﴾ الغالبون لفرعون وقومه.

وقوله تعالى: ﴿فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات﴾ أى: واضحات.

وقوله: ﴿قالوا ماهذا إلا سحر مفترى﴾ أى: مختلق.

وقوله: ﴿ماسمعنا بهذا فى آبائنا الأولين﴾ أى: الذين مضوا.

وقوله تعالى: ﴿وقال موسى ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده﴾ يعنى: أعلم

(١) عبس: ٣٤.

عنده وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ

بمن جاء بالهدى، فأنا الذى جئت بالهدى من عنده.

وقوله: ﴿ ومن تكون له عاقبة الدار ﴾ أى: وأعلم بمن تكون له عاقبة الدار، وهى الجنة.

وقوله: ﴿ إنه لايفلح الظالمون ﴾ أى: لايسعد من أشرك بالله.

قوله تعالى: ﴿ وقال فرعون ياأيها الملأ ماعلمت لكم من إله غيرى ﴾ يقال: إنه كان بين قوله هذا وبين قوله: ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾[1] أربعون سنة.

وقوله: ﴿ فأوقد لى ياهامان على الطين ﴾ أى: اطبخ لى الطين حتى يصير آجراً، ويقال: إنه أول من اتخذ الآجر.

وقوله: ﴿ فاجعل لى صرحًا ﴾ أى: قصراً عاليًا، وقيل: منارة.

وقوله تعالى: ﴿ لعلى أطلع إلى إله موسى ﴾ أى: أناله وأصيبه.

وفى القصة: أن طول الصرح كان شيئًا كبيراً. ذكر فى بعض التفاسير: أن صرح فرعون كان طوله خمسة آلاف ذراع وخمسين ذراعًا، وعرضه ثلاثة آلاف ذراع ونيف.

وكان فرعون لايقدر أن يقوم على أعلاه؛ مخافة أن تنسفه الريح، وذكر السدى أن فرعون علا ذلك الصرح، ورمى بنشابه إلى السماء، فرجعت إليه متلطخة بالدم، فقال: قد قتلت إله موسى.

وقوله: ﴿ وإنى لأظنه من الكاذبين ﴾ أى: لأظنه من الكاذبين فى زعمه أن للأرض والخلق إلهًا غيرى .

---

(١) النازعات: ٢٤.

وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ

قوله تعالى: ﴿واستكبر هو وجنوده فى الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لايرجعون﴾ أى: لاينقلبون.

قوله تعالى: ﴿فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم﴾ أى: طرحناهم فى البحر.

وقوله: ﴿فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾ يعنى: فرعون وقومه.

قوله تعالى: ﴿وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار﴾ أى: قادة.

وقوله: ﴿ويوم القيامة لاينصرون﴾ أى: لايمنعون من العذاب.

وقوله تعالى: ﴿وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة﴾ أى: أتبعنا العذاب فى الدنيا لعنة.

وقوله: ﴿ويوم القيامة هم من المقبوحين﴾ أى: المعذبين، ويقال: من المشوهين أى: بسواد الوجه وزرقة العين.

قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ أى: التوراة، وقوله: ﴿من بعد ماأهلكنا القرون الأولى﴾ وهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب وغيرهم.

وقوله: ﴿بصائر للناس﴾ أى: دلالات للآخرين.

وقوله: ﴿وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون﴾ أى: يتعظون بالدلالات.

قوله تعالى: ﴿وماكنت بجانب الغربى﴾ أى: ماكنت بناحية[1] الجبل ممايلى الغرب، وقوله: ﴿إذ قضينا إلى موسى الأمر﴾ أى: أحكمنا مع موسى الأمر، وذلك بإرساله إلى فرعون وقومه.

(١) فى «ك»: بجانب.

﴿٤٣﴾ وما كُنت بجانب الغَرْبيّ إذْ قضَيْنا إلىٰ مُوسى الأمْر وما كُنت من الشَّاهدين ﴿٤٤﴾ ولَكنَّا أنشأْنا قُرُونًا فتطاول عليْهمُ الْعُمُرُ وما كُنت ثاويًا في أهْل مدْين تتْلو عليْهم آياتنَا ولَكنَّا كُنَّا مُرْسلين ﴿٤٥﴾ وما كُنت بجانب الطُّور إذْ نادينا ولكن رّحْمة مّن رّبّك

وقوله: ﴿وماكنت من الشاهدين﴾ أى: الحاضرين ذلك المقام، ومعنى هذا: أنك لم تكن شاهدا ولا حاضرا ذلك المقام، وهذا العلم لك من قبلنا.

قوله تعالى: ﴿ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر﴾ روى عن أبى سعيد الخدرى أنه قال: ماأهلك الله تعالى أمة من الأمم بعد إنزاله التوراة على موسى غير القرية التى اعتدت فى السبت، فمسخوا[1]، يعنى: أهل القرية.

وقوله: ﴿وماكنت ثاويا﴾ أى: مقيماً ﴿فى أهل مدين﴾.

وقوله: ﴿تتلوا عليهم آياتنا﴾ وقال هذا لأن شعيباً كان يتلو عليهم آيات الله. وقيل: هذا كان موسى، والأول أظهر، وقوله: ﴿ولكنا كنا مرسلين﴾ أى: نحن الذين أرسلناهم.

قوله تعالى: ﴿وماكنت بجانب الطور إذ نادينا﴾ روى عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أنه قال فى معنى هذه الآية: إن الله تعالى قال: يا أمة محمد، أعطيتكم قبل أن تسألونى، وأجبتكم قبل أن تدعونى، وغفرت لكم قبل أن تستغفرونى. فهذا هو معنى النداء، ونقل بعضهم هذا مسنداً إلى النبى ﷺ[2].

وقال مقاتل بن حيان: معنى قوله: ﴿نادينا﴾ هو أنه قال لهذه الأمة، وهم فى

---

(١) فى ك: «فمسخوا قردة.

(٢) عزاه فى الدر (٥ / ١٤١) لابن مردويه من حديث أبى هريرة مرفوعا، وقد رواه النسائى فى الكبرى (٦ / ٤٢٤ رقم: ١١٣٨٢)، والطبرى فى تفسيره (٢٠ / ٥١)، والحاكم (٢ / ٤٨) وصححه على شرط مسلم. وابن أبى حاتم - كما فى تفسير ابن كثير (٣ / ٣٩١) - وغيرهم عن أبى هريرة بنحوه موقوفا. وفى الباب عن حذيفة. وعمرو بن عبسة كلاهما مرفوعا، وانظر الدر (٥ / ١٤١).

لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوَ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا

أصلاب آبائهم: آمنوا بمحمد إذا بعثته.

وفى القصة: أن موسى لما سمع هذا من الله تعالى، قال: يارب، إنما جئت لوفادة أمة محمد.

وقوله: ﴿ولكن رحمة من ربك﴾ قد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى كتب كتابًا قبل أن يخلق آدم بألفى عام، وهو عنده فوق عرشه: سبقت رحمتى غضبى»(١).

وقوله تعالى: ﴿لتنذر قومًا ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين﴾ معنى الآية: أنهم لولا قولهم هذا، واحتجاجهم بترك إرسال الرسل، وإلا لعاجلناهم بالعقوبة، ومنهم من قال: فى الآية تقديم وتأخير، وتقدير الآية: ولولا أنهم يقولون: لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك، ونكون من المؤمنين، لأصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم، والمصيبة: العقوبة.

قوله تعالى: ﴿فلما جاءهم الحق من عندنا﴾ فى الحق قولان: أحدهما: أنه محمد، والآخر: أنه القرآن.

---

(١) متفق عليه دون قوله: «بألفى عام» وقد تقدم. ورواه ابن مردويه وأبو نعيم فى الدلائل وأبو نصر السجزى فى الإبانة والديلمى عن عمرو بن عبسة مرفوعًا بنحوه مطولا. وأخرجه الحلى فى الديباج عن سهل بن سعد مثله. قاله السيوطى فى الدر (٥/١٤١).

أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ

وقوله: ﴿ قالوا ﴾ يعنى: قال المشركون ﴿ لولا أوتى ﴾ أى: هلا أوتى ﴿ مثل ما أوتى موسى ﴾ أى: من العصا، واليد البيضاء.

وقوله: ﴿ أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل ﴾ يعنى: أن المشركين كفروا بموسى.

وقوله: ﴿ قالوا ساحران تظاهرا ﴾ يعنى: موسى ومحمداً، وقال مجاهد: موسى وهارون. وقرئ: «سِحْرانِ تظاهرا» واختلف القول فى السحرين، أحد القولين: أنهما التوراة والقرآن، والآخر: التوراة والإنجيل.

وقوله: ﴿ تظاهرا ﴾ أى: تعاونا، وهذا فى الساحرين حقيقة، وفى السحرين على طريق التوسع، وقوله: ﴿ قالوا إنا بكل كافرون ﴾ أى: جاحدون.

وقوله تعالى: ﴿ قل فائتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما ﴾ يعنى: من التوراة والقرآن.

وقوله: ﴿ أتبعه ﴾ يعنى: اتبع(الكتاب)[١] الذى جئتم به من عند الله.

وقوله: ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ معناه: أن الحق معكم.

قوله تعالى: ﴿ فإن لم يستجيبوا لك ﴾ أى: لم يأتوا بما طلبت، وقوله: ﴿ فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ﴾ واتفق أهل المعرفة أن الهوى مُرْدٍ مُهْلك.

وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «إن أخوف ماأخاف عليكم شحًا مطاعًا، وهوى متبعاً، وإعجاب كل ذى رأى برأيه»[٢].

---

(١) فى «ك»: القرآن.

(٢) رواه أبو نصر السجزى فى الإبانة عن أنس مرفوعًا به، كما فى كنز العمال (١٦/ ٤٣٨٦٣). ورواه البزار (١/ ٩٨)، والعقيلى (٣/ ٤٤٧)، والدولابى فى الكنى (١/ ١٥١)، وأبو نعيم فى الحلية (٢/ ٣٤٣) عن أنس مرفوعًا: «ثلاث مهلكات .. الحديث». وقال العقيلى: قد روى عن أنس من غير هذا الوجه، وعن غير أنس بأسانيد فيها لين. وقال المنذرى فى الترغيب (١/ ١٦٢): وهو مروى عن جماعة من الصحابة، وأسانيده وإن كان لايسلم منها مقال، فهو بمجموعها حسن إن شاء الله تعالى.

قلت: وفى الباب أحاديث عن ابن عباس، وأبى هريرة، وعبد الله بن أبى أوفى، وعبد الله بن عمر. وانظر السلسلة الصحيحة للألبانى (١٨٠٢) وروى عن عمر موقوفًا: «إن أخوف ما أتخوف عليكم أن تهلكوا فى ثلاث...» رواه ابن أبى شيبة فى المصنف (١٥/ ١٧١)، وأبو داود فى الزهد (١٠١ - ١٠٢ رقم ٩٢).

فاعْلَمْ أنَّما يتَّبِعُونَ أهْواءَهُمْ ومَنْ أضَلُّ ممَّن اتَّبع هواهُ بغيْر هُدًى مِّن الله إنَّ الله لا يهْدي القَوْمَ الظَّالمين ﴿٥٠﴾ ۞ ولقدْ وصَّلْنا لهُمُ القَوْل لعلَّهُمْ يتذكَّرُون ﴿٥١﴾ الَّذين آتيْناهُم الْكتاب من قبْله هُم به يُؤْمنُون ﴿٥٢﴾ وإذا يُتْلىٰ عليْهمْ قالُوا آمنَّا به إنَّهُ الْحقُّ من رَّبنا إنَّا

وقوله: ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله﴾ أى: بغير بيان من الله. وفى الآية دلالة علىٰ أنه يجوز أن يكون الهوى موافقا للحق، وإن كان نادرا. وروى أن بعض المشايخ سئل عن هوى وافق حقا، فقال: هو الزبد بالنرسيان، والنرسيان نوع من التمر بالبصرة أجود ما يكون.

وقوله: ﴿إن الله لايهدى القوم الظالمين﴾ أى: المشركين، وفى الآية دليل على أن النبى ﷺ طلب منهم أن يأتوا بكتاب مثل كتابه، وتحداهم بذلك مرارا، ولم يأتوا به، ولو قدروا لأتوا به، ولو ببذل النفوس والأموال، ولو أتوا به لعرف ذلك، وسارت به الركبان.

قوله: ﴿ولقد وصلنا لهم القول﴾ أى: ذكرنا لهم إهلاك الأمم الماضية، فاتصل بعضهم ببعض من الكفر، واتصل عذاب بعضهم ببعض .

وقوله تعالى: ﴿لعلهم يتذكرون﴾ أى: [يتعظون][(١)].

قوله تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله﴾ قال سعيد بن جبير: هؤلاء قوم من مؤمنى الحبشة، آمنوا بالنبى ﷺ، وقدموا المدينة، وجاهدوا معه.

وعن [ابن][(٢)] عباس قال: نزلت الآية فى ثمانين من أهل الكتاب، أربعون من نجران، واثنان وثلاثون من الحبشة، وثمانية من الشام.

وقال بعضهم: نزلت الآية فى قوم كانوا يطلبون الدين قبل النبى ﷺ، فلما بعث آمنوا به، وقالوا: كان فيهم عبدالله بن سلام، وسلمان، والجارود العبدرى وغيرهم .

وقوله: ﴿هم به يؤمنون﴾ بالكتاب، وقيل: بمحمد .

قوله تعالى: ﴿وإذا يتلى عليهم﴾ يعنى: القرآن ﴿قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا

(١) فى النسختين: لا يتعظون.

(٢) سقطت من «الأصل، وك»، والصواب اثباتها، وانظر تفسير البغوى (٣ / ٤٤٩).

كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا

كنا من قبله مسلمين﴾ أى: موحدين.

قوله تعالى: ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا﴾ يعنى: أجر الإيمان بالكتاب الأول، وأجر الإيمان بالكتاب الثانى.

وقد ثبت برواية أبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ أنه قال: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل آمن بالكتاب الأول، والثانى عبد أدى حق الله وحق مواليه، ورجل له جارية فأدبها وأحسن تأديبها، وعلمها وأحسن تعليمها، ثم أعتقها وتزوجها»[(١)].

وفى التفسير: أن أهل الكتاب الذين آمنوا فاخروا أصحاب النبى ﷺ بهذه الآية، وقالوا: إن الله تعالى يؤتى أجرنا مرتين، ويؤتيكم الأجر مرة، فأنزل الله تعالى: ﴿يأيها الذين أمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته﴾[(٢)] الآية.

وقوله: ﴿بما صبروا﴾ أى: صبروا على الحق، ولم يزيغوا عنه، وقوله: ﴿ويدرءون بالحسنة السيئة﴾ أى: بقول لا إله إلا الله الشرك، ويقال: بالمعروف المنكر، وبالخير الشر، ويقال: وبالحلم جهل الجاهل.

وقوله: ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ أى: ينفقون فى طاعة الله.

وروى أن القوم الذين آمنوا من الحبشة لما قدموا المدينة، وجاهدوا، واستئذنوا من النبى ﷺ أن يرجعوا إلى الحبشة، ويحملوا أموالهم، فأذن لهم، فذهبوا وحملوا الأموال، وأنفقوا[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه﴾ أى: الكلام الباطل، وقيل: إن

(١) متفق عليه، وقد تقدم.

(٢) الحديد: ٢٨.

(٣) عزاه السيوطى فى الدر (٥ / ١٤٥) لابن أبى حاتم عن سعيد بن جبير مرسلا.

وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ

المشركين كانوا يسبون مؤمنى أهل الكتاب، ويقولون: تبًّا لكم، تركتم دينكم واتبعتم غلاماً منا. فهو معنى اللغو المذكور فى الآية.

وقوله: ﴿وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم﴾ أى: لنا ديننا، ولكم دينكم، وقيل: لكم سفهكم، ولنا حلمنا.

وقوله: ﴿سلام عليكم﴾ ليس المراد من السلام هاهنا هو التحية، ولكن هذا السلام هو سلام المتاركة، ويقال معناه: سلمتم من معارضتنا لكم بالجهل والسفه.

وعن بعض السلف أنه كان يُسَبُّ فيقول: سلام سلام، وعن بعضهم: أى قالوا قولا يسلمون منه.

وقوله: ﴿لانبتغى الجاهلين﴾ أى: لاندخل فى جهل الجاهلين.

قوله تعالى: ﴿إنك لاتهدى من أحببت﴾ أكثر أهل التفسير أن الآية فى أبى طالب، وقد صح برواية أبى هريرة عن النبى ﷺ أن أبا طالب لما حضره الموت، دخل النبى ﷺ وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية وغيرهما، فقال رسول الله ﷺ: «ياعم، قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله، فقال له أبو جهل وعبدالله بن [أبى] أمية: أزغت(١) عن ملة الأشياخ؟ فما زال رسول الله ﷺ يقول ذلك، وهم يقولون، حتى كان كلمة قالها(٢): أنا على ملة الأشياخ»(٣). والمعنى بالأشياخ: عبد المطلب، وهاشم، وعبد مناف. وهذا الخبر فى الصحيحين(٤)، [وروى](٥) مسلم فى صحيحه: أن النبى ﷺ دخل على أبى طالب وقد حضره الموت، فقال: «يا عم، اشهد أن لا إله إلا الله؛ أشفع لك يوم القيامة». فقال: لولا أن

---

(١) فى «ك»: أزلت.

(٢) كذا فى النسختين، ولعل الصواب: حتى كان آخر كلمة.

(٣) رواه مسلم (١/ ٢٩٨ رقم ٤١)، والترمذى (٥/ ٣١٨ رقم ٣١٨٨) وقال: حسن غريب، وأحمد (٢/ ٤٣٤، ٤٤١)، والطبرى (٢٠/ ٥٨ - ٥٩) من حديث أبى هريرة بنحوه.

(٤) كذا قال، وهو مما انفرد به مسلم، وإنما اتفقا عليه من حديث المسيب بن حزن به مرفوعًا، رواه البخارى (٨/ ١٩٢ رقم ٤٦٧٥)، ومسلم (١/ ٢٩٥ - ٢٩٨ رقم ٢٤)، وانظر التحفة (١٠/ ٩٤ رقم ١٣٤٤٢).

(٥) من «ك»: وفى «الأصل»: وذكر.

اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ

تعيرنى نساء قريش، فيقلن: جزع عند الموت، لأقررت بها عينك». وفى رواية: «لولا أن تعيرك نساء قريش، ويكون سُبَّة عليك، لأقررت بها عينك». والأول فى الصحيح، فأنزل الله تعالى: ﴿إنك لا تهدى من أحببت﴾ أى: من أحببت أن يهتدى، وقيل: من أحببته لقرابته ﴿ولكن الله يهدى من يشاء﴾ أى: يهدى لدينه من يشاء.

وعن [سعيد بن أبى راشد](١): أن هرقل بعث رسولا من تنوخ إلى رسول الله ﷺ: فجاء إليه وهو بتبوك يحمل كتاب هرقل، فقال له النبى ﷺ: «يا أخا تنوخ، أسلم. فقال: إنى رسول ملك جئت من عنده؛ فأكره أن أرجع إليه بخلاف ما جئت، فضحك النبى ﷺ، وقرأ قوله تعالى: ﴿إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء﴾»(٢).

وقوله: ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ وهو أعلم بمن قدر له الهداية.

وقوله تعالى: ﴿وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا﴾ الاختطاف هو الاستلاب بسرعة. ويقال: إن القائل لهذا القول هو الحارث بن نوفل بن عبد مناف، قال للنبى ﷺ: إنا نعلم أن ما جئت به حق، ولكنا إن أسلمنا معك لم نطق العرب؛ فإنا أكلة رأس، ويقصدنا العرب من كل ناحية، فلا نطيقهم.

وقوله: ﴿أو لم نمكن لهم حرما أمنا﴾ أى: ذا أمن، ومن المعروف أنه يأمن فيه الظباء من الذئاب، والحمام من الحدأة.

---

(١) فى «الأصل وك»: ربيع بن أبى رشد، وهو تحريف، وانظر ترجمة سعيد بن أبى راشد فى تاريخ دمشق (٢١/٥٧-٥٩) وتهذيب الكمال (١٠/٤٢٦).

(٢) كذا ذكره المصنف عن سعيد بن أبى راشد مرسلا، وقد رواه الإمام أحمد فى مسنده (٣/٤٤١ - ٤٤٢)، وعبد الله فى زوائده (٤/٧٥)، وابن عساكر فى تاريخه (٢/٤٠-٤١ رقم ٤٣٩) جميعهم عن سعيد بن أبى راشد عن التنوخى به بطوله.

أكْثرهُمْ لا يعْلمُون ﴿٥٧﴾ وكمْ أهْلكْنا من قرْيةٍ بطرتْ معيشتها فتلْك مساكنُهمْ لمْ تُسْكن مّنْ بعْدهمْ إلاّ قليلاً وكُنّا نحْنُ الْوارثين ﴿٥٨﴾ وما كان ربُّك مُهْلك الْقُرىٰ حتّىٰ يبْعث في أُمّها رسُولاً يتْلُو عليْهمْ آياتنا وما كُنّا مُهْلكي الْقُرىٰ إلاّ وأهْلُها ظالمُون ﴿٥٩﴾

وقوله: ﴿يجبى إليه ثمرات كل شيء﴾ أى: يجمع إليه ثمرات كل شيء؛ يقال: جبيت الماء فى الحوض أى: جمعته.

وقوله: ﴿رزقا من لدنا﴾ أى: رزقناهم رزقا من لدنا.

وقوله: ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أى: ما أقوله حق. ومعنى الآية: أنا مع كفركم أمناكم فى الحرم، فكيف نخوفكم إذا أسلمتم؟.

وقال مجاهد: وجد عند المقام كتاب فيه: أنا الله ذو بكة، صغتها يوم خلقت الشمس والقمر، وحرمتها يوم خلقت السموات والأرض، حففتها بسبعة أملاك حنفاء، يأتيها رزقها من ثلاثة سبل، مبارك لها فى اللحم والماء، أول من يحلها أهلها.

وقد بينا من قبل، أن الرجل كان من أهل الحرم يخرج فلا يتعرض له، ويقال: هؤلاء أهل الله.

قوله تعالى: ﴿وكم أهلكنا من قرية﴾ أى: من أهل قرية ﴿بطرت معيشتها﴾ أى: بطرت فى معيشتها. وقال الفراء: أبطرتها معيشتها.

وقوله ﴿فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا﴾ أى: خربنا أكثرها. ويقال: معنى القليل هاهنا أن المسافر ينزل مسكنا خرابا، فيمكث فيه يوما أو بعض يوم.

وقوله: ﴿وكنا نحن الوارثين﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا﴾ أى: مكة، ويقال: فى أمها رسولا أى: فى أكثرها من سائر الدنيا رسولا.

وقوله: ﴿يتلو عليهم آياتنا﴾ معلوم المعنى.

وقوله: ﴿وما كنا مهلكى القرى إلا وأهلها ظالمون﴾ أى: لم نهلك أهل قرية إلا بعد أن أذنبوا.

وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا

قوله تعالى: ﴿وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا﴾ المتاع على معنيين: أحد المعنيين: هو المتعة، والمعنى الآخر: ما يتأثث به.

وقوله: ﴿وزينتها﴾ أى: وزينة الدنيا.

وقوله: ﴿وما عند الله خير وأبقى أفلا يعقلون﴾ أى: أفلا ينظرون، ليعقلوا أن الباقى خير من الفانى.

قوله تعالى: ﴿أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه﴾ قال السدى: هذا ورد فى حمزة وأبى جهل، وقال غيره: فى النبى ﷺ وأبى جهل.

وقوله: ﴿فهو لاقيه﴾ أى: ملاقيه وصائر إليه، والوعد الحسن هو الجنة.

وقوله: ﴿كمن متعناه متاع الحياة الدنيا﴾ أى: متعناه متاع الحياة الدنيا، ثم مرجعه إلى النار؛ فهو معنى قوله: ﴿ثم هو يوم القيامة من المحضرين﴾ أى: من المحضرين النار.

وقوله تعالى: ﴿ويوم يناديهم فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون﴾ يعنى: أين شركائى الذين كنتم تزعمون أنهم شركائى؟.

قوله تعالى: ﴿قال الذين حق عليهم القول﴾ أى: وجبت عليهم كلمة العذاب.

وقوله: ﴿ربنا هؤلاء الذين أغوينا﴾ أى: دعوناهم إلى الغى.

وقوله: ﴿أغويناهم كما غوينا﴾ أى: أضللناهم كما ضللنا.

وقوله: ﴿تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون﴾ يعنى: أنهم لم يعبدونا، ولكن دعوناهم فأجابوا.

إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ
وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ
﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ
صَالِحًا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ

قوله تعالى: ﴿وقيل ادعوا شركاءكم﴾ يعني قيل للكفار: ادعوا شركاءكم أي: الأصنام، ومعنى قوله: ﴿شركاءكم﴾ أي: شركائي في زعمكم.

وقوله: ﴿فدعوهم فلم يستجيبوا لهم﴾ أي: لم يجيبوا لهم.

وقوله ﴿ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون﴾ معناه: لو أنهم كانوا يهتدون ما رأوا العذاب.

وقوله تعالى: ﴿ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين﴾ أي: ينادي الكفار.

وقوله: ﴿فعميت عليهم الأنباء يومئذ﴾ أي: الحجج؛ فكأنهم لما لم يجدوا حجة فقد عجزوا عنها.

وقوله: ﴿فهم لا يتساءلون﴾ قد بينا أن هذا في بعض المواطن، ويقال: لا يتساءلون سؤال التواصل والعطف، ويقال: لا يسأل بعضهم بعضا أي: لا يحمل غيره ذنبه؛ لأنه لا يجد.

وقوله: ﴿فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين﴾ أي: من السعداء الناجحين، وفي بعض التفاسير: أن عسى واجب في جميع القرآن، إلا في قوله: ﴿عسى ربه إن طلقكن﴾(١).

قوله تعالى: ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾ أي: يخلق ما يشاء من الخلق، ويختار من يشاء للنبوة. ويقال: إن هذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة حيث قال: لولا أنزل القرآن على رجل من القريتين عظيم، فأراد به الوليد بن المغيرة نفسه وعروة بن مسعود الثقفي، والقريتين: مكة والطائف، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

---

(١) التحريم: ٥

الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ

قوله: ﴿ما كان لهم الخيرة﴾ يعني: أن الاختيار إليه، وليس لهم اختيار على الله، وقيل: إن الآية نزلت في ذبائحهم للأصنام، وكانوا يجعلون الأسمن للأصنام، ويجعلون ما هو شر لله.

وقوله: ﴿سبحان الله وتعالى عما يشركون﴾ نزه نفسه عما ينسبه إليه المشركون.

قوله تعالى: ﴿وربك يعلم ما تكن صدورهم﴾ أي: ما تخفي صدورهم ﴿وما يعلنون﴾ أي: يظهرون.

قوله تعالى: ﴿وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة﴾ أي: في الدنيا والآخرة. ويقال: في الأولى والآخرة أي: في الأرض والسماء.

وقوله: ﴿وله الحكم﴾ أي: فصل القضاء بين العبيد.

وقوله: ﴿وإليه ترجعون﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة﴾ أي: دائما.

وقوله: ﴿من إله غير الله يأتيكم بضياء﴾ أي: بنهار.

وقوله: ﴿أفلا تسمعون﴾ أي: أفلا تعقلون، ويقال: أفلا تسمعون سمع تفهم.

قوله تعالى: ﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا﴾ أي: دائما، وقوله: ﴿من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون﴾ معناه: أفلا تعلمون، فإن قال قائل: ما وجه مصلحة الليل في الدنيا، وليس في الجنة ليل؟ والجواب عنه أن الدنيا لا تخلو عن تعب التكاليف والتكليفات، فلابد له من وقت يفضي فيه إلى الراحة (من التعب وأما الجنة فهو موضع التصرف في الملاذ، وليس فيها تعب أصلا،

اللَّه يَأْتيكُم بِضيَاءٍ أَفَلا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ
يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِ
جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ
يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا
هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ إِنَّ قَارُونَ كَانَ

فلا يحتاج إلى وقت يفضى فيه إلى الراحة)(١) أصلا.

قوله تعالى: ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه﴾ أى: لتسكنوا فى الليل، وقوله ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ أى: بالنهار.

وقوله: ﴿ولعلكم تشكرون﴾ أى: تشكرون نعم الله.

قوله تعالى: ﴿ويوم يناديهم فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون﴾ قد بينا المعنى، ويجوز أن يوجد نداء بعد نداءٍ لزيادة التقريع والتوبيخ.

قوله تعالى: ﴿ونزعنا من كل أمة شهيدا﴾ أى: استخرجنا من كل أمة شاهدا يشهد عليهم، والأظهر أن الشهيد على كل أمة نبيهم.

وقوله: ﴿فقلنا هاتوا برهانكم﴾ أى: حجتكم وبينتكم.

وقوله: ﴿فعلموا أن الحق لله﴾ أى: عجزوا عن إظهار الحجة، وعلموا أن الحق لله.

وقوله: ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ أى: ضل عنهم يوم القيامة ما كانوا يفترون فى الدنيا، ومعنى ضل: فات وذهب.

قوله تعالى: ﴿إن قارون﴾ قال قتادة وابن جريج: كان ابن عم موسى لحًّا. وقال محمد بن إسحاق: كان ابن أخى موسى غير هارون.

وقوله: ﴿فبغى عليهم﴾ قال الضحاك: أى: بالشرك. وقال شهر بن حوشب: بغى عليهم: زاد فى ثيابه شبرا على ثياب الناس. وقال بعضهم: بغى عليهم بالتكبر

(١) ساقط من «ك».

من قَوْمِ مُوسَىٰ فبغَىٰ عليهِمْ وآتيناهُ من الْكُنُوز ما إنَّ مفاتحهُ لتَنُوءُ بالْعُصْبة أُوْلي الْقُوة إذْ

والعلو. ومن المعروف فى التفاسير: أن قارون كان أقرأ رجل من بنى إسرائيل للتوراة، وكان حسن الصوت، ثم إنه نافق؛ فروى أنه قال لموسى: أنت أخذت النبوة، وهارون أخذ المذبح والحبورة، فأيش لى؟

وفى القصة: أنه أعطى امرأة بغيا من بنى إسرائيل ألفى درهم، وطلب منها أن تأتى نادى بنى إسرائيل، وموسى فيهم، فتدعى عليه أنه زنا بها، ومنهم من قال: تدعى عليه أنه دعاها إلى نفسه، فجاءت وادعت عليه ذلك. وروى أنها خافت، وأخبرت أن قارون أعطاها مالا لتدعى ذلك. وفى الرواية الأولى: أنها لما ادعت على موسى ذلك تغير موسى تغيرا شديدا، وقال لها: بالذى أنزل التوراة وفلق البحر اصدقى، فحينئذ خافت، وذكرت الأمر على وجهه، فدعا الله تعالى موسى على قارون، فسلطه الله تعالى عليه، وجعل الأرض طوعا له على ما سنذكره.

وقوله: ﴿وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه﴾ فيه قولان: أحدهما: خزائنه، وهو مثل قوله تعالى: ﴿وعنده مفاتح الغيب﴾(١) أى: خزائن الغيب، والثانى: أن المفاتح هو مقاليد الخزائن. وعن بعضهم: أن كل مفتاح كان على قدر(٢) أصبع، وكان يحملها ستون بغلة، وقيل: أربعون بغلة، ويقال: أربعون رجلا، وقوله: ﴿لتنوء﴾ أى: تثقل العصبة. قال أبو عبيدة: هذا من المقلوب، وتقديره: ما إن العصبة لتنوء بها. يقال: ناء فلان بكذا أى: نهض به مثقلا، ويقال معناه: لتنوء بالعصبة.

وأما العصبة ففيها أقاويل: أحدها: أنهم سبعون رجلا، والآخر: أربعون رجلا، وقال بعضهم: من العشرة إلى الأربعين، وقال بعضهم: ستة أو سبعة، وقال بعضهم: عشرة؛ لأن إخوة يوسف قالوا: ونحن عصبة، وقد كانوا عشرة. والعصبة فى اللغة هم القوم الذين يتعصب بعضهم ببعض.

وقوله: ﴿بالعصبة أولى القوة﴾ أى: أولى الشدة.

(١) الأنعام: ٥٩

(٢) فى «ك»: مقدار.

قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي أَوَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ

وقوله: ﴿إذ قال له قومه لا تفرح﴾ أى: لا تبطر ولا تأشر، والفرح هاهنا هو السرور بغير حق.

وقوله: ﴿إن الله لا يحب الفرحين﴾ ظاهر.

قوله: ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة﴾ قال الحسن البصرى: بطلب الحلال. وقال السدى: بالصدقة وصلة الرحم. وعن بعضهم قال: بالتقرب إلى الله بكل وجوه التقرب.

وقوله: ﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ أى: طلب الآخرة بالذى تعمل فى الدنيا، ومعناه: اعمل فى الدنيا لآخرتك، وقال بعضهم: ولا تنس نصيبك من الدنيا أى: بالاستغناء بما أحل الله عما حرم الله. وفى بعض أدعية الصالحين: اللهم أغننى بحلالك عن حرامك، وبفضلك عمن سواك.

وقوله: ﴿وأحسن كما أحسن الله إليك﴾ أى: وأحسن بطاعة الله كما أحسن الله إليك بنعمه، ويقال: وأحسن بطلب الحلال كما أحسن الله إليك بالحلال.

وقوله: ﴿ولا تبغ الفساد فى الأرض﴾ أى: بالمعصية، وكل من عصى الله فقد طلب الفساد فى الأرض.

وقوله: ﴿إن الله لا يحب المفسدين﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿قال إنما أوتيته على علم عندى﴾ فيه أقوال: أحدها: إن الله تعالى أعطانى هذا المال لفضل علمه عندى، والقول الثانى: أنه علم الكيمياء.

أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا

وفى تفسير النقاش: أن موسى - عليه السلام - علم يوشع بن نون ثلث الكيمياء، وعلم قارون ثلث الكيمياء، وعلم هارون ثلث الكيمياء؛ فكثر بذلك ماله. والقول الثالث: على علم عندى بوجوه المكاسبوالتصرفات.

وعن عطاء بن أبى رباح أن قارون وجد كنزًا ليوسف، فكان ماله من هذا الوجه.

وقوله: ﴿أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا﴾ أى: للمال.

وقوله: ﴿ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾ أى: يوم القيامة، فإن قال قائل: قد قال تعالى: ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين﴾(١) وأمثال هذا من الآيات، وهاهنا قال: ﴿ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾ فكيف وجه التوفيق بين الآيتين؟ والجواب إنا بينا أن فى القيامة مواقف؛ ففى موقف يسألون، وفى موقف لا يُسألون، ويقال: لا يسألون سؤال استعلام، وإنما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ، ويقال: لا يسألون سؤال من له عذر فى الجواب، وإنما يسألون على معنى إظهار قبائحهم ليفتضحوا على رءوس الجمع.

وعن قتادة قال: الكافر لا يحاسب، بل يؤمر به إلى النار من غير حساب ولا سؤال. وقال بعضهم: ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون؛ لأنهم يعرفون بسيماهم، قال الله تعالى، ﴿يعرف المجرمون بسيماهم﴾(٢).

قوله تعالى: ﴿فخرج على قومه فى زينته﴾ الزينة بهجة الدنيا ونضارتها، وعن إبراهيم النخعى قال: خرج قارون وقومه فى ثياب حمر وصفر. وعن مقاتل قال: خرج على بغلة شهباء، عليها سرج من ذهب، وللسرج مثبرة من أُرْجُوُ، ومعه أربعة آلاف من الخيل عليها الفرسان، قد تزينوا بالأرجوانات، ومعه ثلثمائة جارية بيض على

(١) الحجر: ٩٢

(٢) الرحمن: ٤١.

مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ

البغال الشهب، عليهن من الحلي.

وعن بعضهم قال: خرج مع سبعين ألفًا، عليهم المعصفرات.

وفي بعض المسانيد عن النبي ﷺ قال: «أربعة أشياء من خصال قوم قارون: جر نعال السيوف، ولبس الخفاف المتلونة، والثياب الأرجوان، وكان أحدهم لا ينظر إلى وجه خادمه تكبرًا»(١).

وعن عطاء قال: كان موسى يقص لبني إسرائيل ويعظهم، فخرج قارون ومعه أربعة آلاف على البغال في الأرجوانات، ومر على موسى، فالتفت بنو إسرائيل إليه، وشغلوا عن موسى، فشق ذلك على موسى، فأرسل إليه: لم فعلت ذلك؟ فقال: فضلت بالنبوة، وفضلت بالمال، وإن شئت دعوت ودعوت. ثم إن موسى دعا الله تعالى على قارون، فجعل الأرض في طاعته.

وقوله: ﴿قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم﴾ أي: نصيب عظيم من الدنيا.

قوله تعالى: ﴿وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير﴾ أي: ثواب الله في الآخرة ﴿خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها﴾ أي: ولا يؤتى العمل الصالح إلا الصابرون، وقيل: لا يؤتى هذه الكلمة، والكلمة قوله: ﴿ويلكم ثواب الله خير لمن أمن وعمل صالحًا ولا يلقاها إلا الصابرون﴾.

ويقال: الصابرون هم الذين صبروا عما أوتي أعداء الله من زينة، ولم يتأسفوا عليها، ولا تمنوها.

---

(١) ذكره الديلمي في الفردوس (١ / ٣٧٥ رقم ١٥١١) عن أبي هريرة، وذكره الذهبي في الميزان (٣ / ٤٣-٤٤) من منكرات عثمان بن عبد الرحمن القرشي، عن علي بن عروة، عن المقبري، عن أبي هريرة.

قوله تعالى: ﴿ فخسفنا به وبداره الأرض ﴾ وفى بعض التفاسير: أن قارون قال لموسى: سلمنا لك النبوة، فما بال الحبورة ولهارون؟! وإذا كان لك النبوة، ولهارون الحبورة فمالى؟ فقال موسى: إنى لم أعطه الحبورة، ولكن الله تعالى أعطاه الحبورة، فقال: لا أصدقك على ذلك حتى ترينى آية، فأمر موسى حتى جمعوا عصيهم، وقال: من اخضرت عصاه فالحبورة له، فاخضرت عصا هارون، وجعلت تهتز من بين العصى، فقال قارون: هذا من سحرك، وليس هذا بأول سحر أتيت به، فحينئذ دعا الله موسى على قارون.

وروى أنه لما واضع المرأة البغى حتى ادعت على موسى أنه زنا بها، أو دعاها إلى الفاحشة، غضب موسى ودعا الله تعالى. وفى بعض القصص: أنه كان مع قارون قوم كثير من بنى لاوى، فجاء موسى إليهم، وقال: إن الله بعثنى إلى قارون كما بعثنى إلى فرعون، فمن أرادنى فليعتزله، فاعتزل منه جميع قومه إلا [رجلين](١) بقيا معه من بنى أعمامه، ثم إن موسى خاطب الأرض، وقال: خذيهم، فأخذت الأرض بأقدامهم، ثم قال: خذيهم، فأخذت إلى ركبهم، ثم قال: خذيهم، فأخذت إلى حقوهم، ثم قال: خذيهم، فأخذت إلى أعناقهم.

وفى التفسير: أن قارون فى كل ذلك يستغيث بموسى وينشده والرحم، ويقول: ارحمنى، ثم قال: خذيهم، فأطبقت الأرض عليهم.

قال قتادة: فهم يذهبون فى الأرض كل يوم قامة إلى يوم القيامة.

وعن ابن عباس أن الله تعالى قال لموسى: ما أقسى قلبك؛ استغاث بك عبدى، فلم تغثه، ولو استغاث بى مرة لأغثته.

وفى بعض الآثار: لا أجعل الأرض بعدك طوعا لأحد.

وذكر أبو الحسين بن فارس فى تفسيره: أن الأرض لما أخذت قارون إلى عنقه نزع موسى نعليه، وضرب بهما وجهه، وقال: اذهبوا بنى لاوى، وأطبقت بهم الأرض.

(١) فى «الأصل، وك»: رجلان، والمثبت هو الصواب.

فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَن

وذكر أيضًا أن يونس بن متى لقيه فى ظلمات الأرض حين يطوف به الحوت، فقال له قارون: يا يونس، تب إلى الله تجد الله تعالى فى أول قدم ترجع إليه، فقال له يونس: فأنت لم لا تتوب؟ فقال: جعلت توبتى إلى ابن عمى.

وقوله: ﴿وبداره الأرض﴾ روى أن بنى إسرائيل قالوا: إنما أهلك موسى قارون ليأخذ أمواله، وكانت أراضى دوره من فضة، وأثاث الحيطان من ذهب، فأمر موسى الأرض حتى أحضرت دوره، ثم أمرها حتى خسفت بها، فانقطع الكلام.

وقوله: ﴿فما كان له من فئة﴾ أى: من جماعة ﴿ينصرونه﴾ أى: يمنعونه ﴿من دون الله﴾.

وقوله: ﴿وما كان من المنتصرين﴾ أى: من الممتنعين، ومعناه: لم يكن يمنع نفسه، ولا يمنعه أحد من عذاب الله.

قوله تعالى: ﴿وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس﴾ يعنى: أن يكونوا مكانه(١)، وفى منزلته.

وقوله: ﴿يقولون ويكأن الله﴾ وقوله: ﴿ويكأن﴾ فيه أقوال: قال الفراء: ويكأن عند العرب تقرير، ومعناه: ألم تر أنه؛ وحكى الفراء أن أعرابية قالت لزوجها: أين ابنك؟ فقال لها: ويكأنه وراء البيت، ومعناه: أما ترينه وراء البيت.

وقال بعضهم ويكأنه: معنى «ويك» أى: ويلك، وحذفت اللام، وقوله: «أنه» كلمة تندّم، كأن القوم لما رأوا تلك الحالة تندموا على ما تمنوا، ثم قالوا: كأن الله يبسط الرزقَ لمن يشاء أى: أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أى: يوسع ويضيق. وأنشدوا فيما قلنا من المعانى:

سالتانِ الطلاق أن رأتانِى قل مالى قد جئتمانى بنُكْرِ

(١) فى «ك»: فى مكانه.

مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ

وى كـأن مـن يكـن له نشـب يُحبـ ـبْ ومن يفتقر يعش عيش ضر

وأنشدوا أيضا قول عنترة في أن ويك بمعنى ويلك:

ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمهـا قول الفوارس ويْك عنتر أقدمِ

ومن المعروف فى التفاسير عن العلماء المتقدمين: ويكأن الله: ألم تر أن الله، وحكى مثل هذا عن أبى عبيدة.

وقوله: ﴿لولا أن منّ الله علينا لخسف بنا﴾ أى: لولا أن أنعم الله علينا لخسف بنا مثل ما خسف بقارون.

وقوله: ﴿ويكأنه لا يفلح الكافرون﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض﴾ أى: استبكارًا، وأصل التكبر هو الشرك بالله، قال الله تعالى: ﴿إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون﴾(١) ومن التكبر الاستطالة على الناس واستحقارهم، والتهاون بهم، ويقال إرادة العلو هو ترك التواضع.

وقيل: ﴿لا يريدون علوا فى الأرض﴾ معناه: لا يجزعون من ذلها، ولا ينافسون فى عزها.

وقوله: ﴿ولا فسادًا﴾ أى: العمل بالمعاصى، وقال عكرمة: هو أخذ مال الناس بغير حق.

وقوله: ﴿والعاقبة للمتقين﴾ أى: الجنة للمتقين، وقيل: العاقبة الحسنة للمتقين، وروى زاذان عن على - رضى الله عنه - أنه كان يمشى ويدور فى الأسواق، يعين الضعيف، وينصر المظلوم، ويمر بالبقال والبياع فيفتح عليه القرآن، ويقرأ: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض..﴾ الآية.

وعنه أيضًا أنه قال: من أعجبه شِسْعُ نعله على شِسْعُ أخيه، فهو ممن يريد العلو فى

(١) الصافات: ٣٥.

فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ

الأرض.

قوله تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها﴾ ظاهر المعنى.

﴿ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات﴾ أى: المعاصى ﴿إلا ما كانوا يعملون﴾ وعن عبد الله بن عبيد بن عمير أنه قال: (ما أحسن الحسنات عقيب السيئات، وما أقبح السيئات عقيب الحسنات، وأحسن الحسنات الحسنات عقيب الحسنات، وأقبح السيئات السيئات عقيب السيئات)[(١)].

ومن المعروف عن النبى ﷺ أنه أوصى معاذاً - رضى الله عنه - فقال: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»[(٢)].

قوله تعالى: ﴿إن الذى فرض عليك القرآن﴾ ويقال: فرض عليك أى: أوجب عليك العمل به.

وقوله ﴿لرادك إلى معاد﴾ الأكثرون على أن المراد منه: إلى مكة، وقالوا: هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ وهو بالجحفة، والجحفة منزل من المنازل بين مكة والمدينة.

فالآية ليست بمكية ولا مدنية، وفى بعض التفاسير: «أن النبى ﷺ لما هاجر من مكة إلى المدينة سار فى غير الطريق خوفاً من الطلب، ثم إنه لما أمن عاد إلى الطريق، فوصل إلى الجحفة، ورأى الطريق الشارع إلى مكة فاشتاق إليها، فجاء جبريل عليه السلام فقال: إن ربك يقول: وتشتاق إلى مكة وتحن إليها؟ قال: نعم، إنها أرضى ومولدى، فقال: إن ربك يقول: ﴿إن الذى فرض عليكم القرآن لرادك إلى معاد﴾ يعنى: رادك إلى مكة ظاهراً على أهلها»[(٣)].

---

(١) ساقط من «ك».
(٢) تقدم تخريجه فى تفسير سورة هود.
(٣) رواه ابن أبى حاتم عن الضحاك مرسلا مختصراً، وأخرج البخارى فى صحيحه (٨/٣٦٩ رقم ٤٧٧٣) وغيره عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿لرادك إلى معاد﴾ قال: إلى مكة.

هُوَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ

وفى الآية قول آخر، وهو أن معنى قوله: ﴿لرادك إلى معاد﴾ أى: إلى يوم القيامة، ويقال: إلى الجنة.

وروى عن على - رضى الله عنه - كان يمدح جابر بن عبد الله ويذكره بالخير، فسئل عن ذلك، فقال: إنه يحشر معى. قوله تعالى: ﴿إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾

وقوله: ﴿قل ربى أعلم من جاء بالهدى﴾ يعنى: يعلم من جاء بالهدى، وأنا الذى جئت بالهدى.

وقوله: ﴿ومن هو فى ضلال مبين﴾ أى: ويعلم من هو فى ضلال مبين أى: الكفار.

قوله تعالى: ﴿وما كنت ترجو﴾ أى: تأمل ﴿أن يلقى إليك الكتاب﴾ أى: يوحى إليك القرآن.

وقوله: ﴿إلا رحمة من ربك﴾ هذا استثناء منقطع، ومعناه: لكن ربك رحمك فأعطاك القرآن.

وقوله: ﴿فلا تكونن ظهيراً﴾ أى: معيناً ﴿للكافرين﴾.

قوله تعالى: ﴿ولا يصدنك عن آيات الله﴾ يعنى: لا يمنعنك الكفار عن اتباع سبيل الله، وقال بعضهم معناه: اشدد على الكفار، واغلظ عليهم، ولا تتساهل حتى يطمعوا فى صدك عن سبيل الله.

وقوله: ﴿بعد إذ أنزلت إليك﴾ أى: بعد إذ أنزلت إليك الآيات المبينة للسبيل.

وقوله: ﴿وادع إلى ربك﴾ أى: إلى دين ربك.

وقوله: ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ أى: اثبت على التوحيد.

قوله تعالى: ﴿ولا تدع مع الله إلهًا آخر لا إله إلا هو﴾ أى: لا إله غيره.

هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

وقوله: ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ قال سفيان الثوري: إلا ما أريد به وجهه ورضاه من العمل.

ويقال: ﴿ إلا وجهه ﴾ أي: إلا هو.

وعن سفيان بن عيينة قال: كل ما وصف الله به نفسه في الكتاب فتفسيره قراءته، لا تفسير له غيره. وقد ذكر الله تعالى (الوجه في أحد عشر موضعًا من القرآن، قد بينا أنه صفة من صفات الله، يؤمن به على ما ذكره الله تعالى)(١).

وأنشدوا في الوجه بمعنى التوجه وطلب رضاه قول الشاعر:

استغفرُ اللهَ ذنبًا لستُ مُحْصِيَه   ربِّ العبادِ إليه الوجهُ والعملُ

أي: التوجه.

وقوله: ﴿ وله الحكم ﴾ أي: فصل القضاء.

وحكمه أن يبعث قومًا إلى الجنة، وقومًا إلى النار، ومن حكمه أيضًا أن يبيض وجوه قوم، ويسود وجوه قوم، ويثقل موازين قوم، ويخفف موازين قوم، وأمثال هذا، وهذا في الآخرة، وأما في الدنيا فتنفيذ القضايا والأحكام على ما علم وأراد.

وقوله: ﴿ وإليه ترجعون ﴾ يعني: في الآخرة(٢).

(١) ساقط من «ك».

(٢) في «ك»: تم الجزء الثاني من تفسير السمعاني، يليه الجزء الثالث وأوله سورة العنكبوت.

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا

تفسير سورة العنكبوت

وهي مكية في قول عطاء والحسن، ومدنية في أحد قولي ابن عباس، وعنه في رواية أخرى أنها مكية، فبعضها نزل بالمدينة وبعضها نزل بمكة، وعن الشعبي أنها مكية إلا عشر آيات من أولها مدنية.

وعن علي أنه قال: نزلت بين مكة والمدينة. وهذه رواية غريبة.

قوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾ قد بينا معناه.

وقوله: ﴿أحسب الناس﴾ الحسبان والظن قريبان، وهو تغليب أحد النقيضين على الآخر، والشك وقف بين نقيضين، والعلم قطع بوجود أحدهما.

وقوله: ﴿أن يتركوا أن يقولوا آمنا﴾ معناه: أظنوا أن يقنع منهم بأن يقولوا آمنا، وقوله: ﴿وهم لا يفتنون﴾ أي: لا يبتلون. قال مجاهد: لا يبتلون في أموالهم وأنفسهم. ويقال معناه: لا يؤمرون ولا ينهون، وابتلاء الله عباده بالأمر والنهي.

وقال بعضهم: إن الله تعالى أمر الناس أولا بمجرد الإيمان، ثم إنه فرض عليهم الصلاة والزكاة وسائر الشرائع فشق عليهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وعن الشعبي وغيره أنه قال: لما هاجر أصحاب رسول الله ﷺ بقي قوم بمكة ممن آمنوا ولم يهاجروا؛ فكتب (إليهم)[1] من هاجر أن الله تعالى لا يقبل إيمانكم حتى تهاجروا، فهاجروا، فتبعهم قوم من المشركين وآذوهم، (فقتل من)[2] قتل، وتخلص، من تخلص فأنزل الله تعالى هذه الآية. وعن بعضهم: أن الآية نزلت في عياش بن أبي ربيعة، وكان قد هاجر إلى المدينة، فجاء أخواه لأمه أبو جهل والحارث ابنا هشام، وقالا له: إن أمنا قد عاهدت إن لم ترجع لا تأكل ولا تشرب، ولا يأويها سقف بيت؛ وإن محمدا يأمر بالبر، فارجع معنا فرجع معهما، فلما كان في بعض الطريق غدراه وأوثقاه وحملاه إلى

(١) في «ك»: عليهم.

(٢) في «ك»: ومثل بمن.

الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ

مكة، وجلده كل واحد منهما مائة سوط، ثم لما وصل إلى أمه جعلت تضربه بالسياط حتى رجع عن دينه، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقد حسن إسلامه بعد ذلك.

ومن المشهور الثابت: «أن النبى ﷺ كان يدعو فى القنوت فيقول: «اللهم، انج سلمة بن هشام وعياش بن أبى ربيعة والوليد بن الوليد والمستضعفين بمكة، واشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسنين يوسف. فدعا (هكذا)[1] شهرا ثم ترك، فقيل له فى ذلك، فقال: ألا تراهم قد قدموا»[2].

قوله تعالى: ﴿ولقد فتنا الذين من قبلهم﴾ أى: ابتلينا الذين من قبلهم، يعنى الأنبياء والمؤمنين، ويقال: ابتلينا بنى إسرائيل بفرعون، وكذلك ابتلينا كل نبى بعدو له. وقد ثبت أن النبى ﷺ قال: حين شكا إليه أصحابه ما يلقون من الكفار: «إنكم تعجلون، وقد كان فيمن قبلكم ينشر بالمناشير فما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمنَّ الله أمره»[3].

وقوله: ﴿[فليعلمن][4] الله الذين صدقوا﴾ يعنى: نبتليهم ابتلاء من يستعلم حالهم، ويقال: وليعلمن الله الذين صدقوا أى: علم الشىء واقعا، وهو الذى يجازى عليه، وقيل: فليعلمن الله الذين صدقوا أى: فليظهرن الله الصادقين من الكاذبين.

وقوله: ﴿[وليعلمن][5] الكاذبين﴾ قد ذكرنا.

قوله تعالى: ﴿أم حسب الذين يعملون السيئات﴾ والسيئة: كل خصلة تسوء عاقبتها، والحسنة: كل خصلة تسر عاقبتها.

---

(١) فى «ك»: عليهم. (٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه البخارى فى صحيحه (٦/٧١٦ رقم ٣٦١٢ وطرفاه ٣٨٥٢، ٦٩٤٣)، وأبو داود (٣/٤٧ رقم ٢٦٤٩)، وأحمد (٥/١٠٩، ١١٠، ١١١) من حديث خباب مرفوعًا بنحوه، وبعضهم بأطول منه.

(٤) فى «الأصل»: وليعلمن.

(٥) فى «الأصل»: ويعلمن، وفى «ك»: ويعلم.

يَعْمَلُونَ السَّيِّئَات أَن يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ

وقوله: ﴿أن يسبقونا﴾ أن يفوتونا، ومن سبق شيئا فقد فاته، وقوله: ﴿ساء ما يحكمون﴾ أى: بئس الحكم حكمهم.

قوله تعالى: ﴿من كان يرجو لقاء الله﴾ قال الزجاج: يخشى لقاء الله. وقال غيره: يأمل لقاء الله، وقيل: لقاء الله هو لقاء جزائه، ويقال: لقاء الله هو الرجوع إليه يوم القيامة.

وقوله: ﴿فإن أجل الله لآت﴾ معناه: إن وعد الله لآت، والأجل هو الوعد المضروب، ومعنى الآية: أن من يخشى أو يأمل فليستعد. وقد روى مكحول: «أن النبى ﷺ قال لما نزلت هذه الآية لعلى وفاطمة: يا على، ويا فاطمة، قد أنزل الله تعالى قوله: ﴿من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت﴾ فاستعدوا». والخبر غريب.

وقوله: ﴿وهو السميع العليم﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه﴾ الجهاد هو الصبر على الشدة، ثم قد يكون الصبر على الشدة فى الحرب على ما أمر به الشرع، وقد يكون الصبر على الشدة فى مخالفة النفس بأى معنى كان.

وقوله: ﴿فإنما يجاهد لنفسه﴾ أى: منفعة ذلك راجعة إليه.

وقوله: ﴿إن الله لغنى عن العالمين﴾ أى: لا يعود إليه ضر ولا نفع فى طاعة ولا معصية.

قوله تعالى: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم﴾ التكفير إذهاب السيئة بالحسنة، وهو معنى قوله تعالى: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾[1]

(١) هود: ١١٤.

أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

والإحباط هو إذهاب الحسنة بالسيئة.

وقوله: ﴿ولنجزينهم أحسن الذى كانوا يعملون﴾ هذا هو معنى قوله تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾(١) ومعناه: ويعطيهم أكثر مما عملوا وأحسن.

قوله تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسنا﴾ معناه: يفعل حسنا، وقرئ: «إحساناً» أى: يحسن إحسانًا.

وقوله: ﴿وإن جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما﴾ أى: فلا تطعهما فى معصيتى، ومن المعروف عن النبى ﷺ أنه قال: «لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق»(٢).

وقوله: ﴿ما ليس لك به علم﴾ إنما قال هذا؛ لأن الشرك كله عن جهل، فإن العالم لا يشرك بالله.

وقوله: ﴿إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾ ظاهر المعنى.

أكثر المفسرين (أن)(٣) الآية نزلت فى سعد بن أبى وقاص، وهو سعد بن مالك أبو إسحاق الزهرى، وأمه حمنة من بنى أمية. فروى أنه لما أسلم - وقد كان من السابقين

---

(١) الأنعام: ١٦٠

(٢) رواه عبد الرزاق فى مصنفه (٢/ ٣٨٣ رقم ٣٧٨٨)، ومن طريقه أحمد فى مسنده (١/ ٤٠٩) من حديث ابن مسعود. ورواه أحمد فى مسنده (١/ ١٢٩)، وعبد الله فى زوائده (١/ ١٣١) من حديث على، ورواه أحمد فى مسنده (٤/ ٤٣٢، ٥/ ٦٦)، والطيالسى (١١٥ رقم ٨٥٦)، والطبرانى فى الكبير (١٨/ رقم ٣٦٧، ٣٨١، ٤٠٧، ٤٣٧، ٤٣٨، ٥٧٠، ٥٧١)، والحاكم (٣/ ٤٤٣) وصححه من حديث عمران بن حصين. وقال الهيثمى فى المجمع (٥/ ٢٢٩): رواه أحمد... ورجال أحمد رجال الصحيح.

(٣) فى «ك»: على أن.

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا

الأولين فى الإسلام - فكان بارا بأمه، فلما سمعت أمه بذلك دعته، وقالت له: ما هذا الدين الذى أحدثته؟ والله لا آكل ولا أشرب حتى ترجع عن دينك أو أموت، فتعير بذلك أبد الدهر، ثم إنها مكثت يوما وليلة لم تأكل، فجهدت جهداً شديدا، ثم مكثت يوما وليلة أخرى لم تأكل ولم تشرب، فجاء سعد إليها، وقال: يا أماه، لو كان لك مائة نفس فخرجت، لم أرجع عن دينى، فلما أيست منه أكلت وشربت، وأنزل الله تعالى هذه الآية، وأمره بالبر بوالديه، ونهاه أن يشرك طاعة لهما. وقيل: الآية عامة.

قوله تعالى: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين﴾ أى: فى زمرة الصالحين.

قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله﴾ أى: جزع من عذاب الناس كما [يجزع](١) من عذاب الله.

وقوله: ﴿ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم﴾ الآية فى القوم الذين تخلفوا بمكة ممن أسلموا، فلما آذاهم المشركون لم يصبروا، وأعطوهم ما طلبوا.

وقوله: ﴿نصر من ربك﴾ أى: فتح من ربك ودولة للمؤمنين.

وقوله: ﴿ليقولن إنا كنا معكم﴾ يعنى: كنا مسلمين، وإنما أكرهنا حتى قلنا ما قلنا.

وقوله: ﴿أو ليس الله بأعلم بما فى صدور العالمين﴾ أى: يعلم ما فى صدورهم، فيميز صدقهم من كذبهم.

قوله تعالى: ﴿وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين﴾ قد بينا، ويقال:

---

(١) فى «الأصل وك»: جزع.

وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ

آمنوا أى: وفوا بما عهدوا، وحققوا أقوالهم بأفعالهم، وأما المنافقون خالفوا أقوالهم بأفعالهم.

قوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا﴾ روى أن أبا سفيان وذويه قالوا للذين أسلموا: اتبعوا سبيلنا أى: الطريق الذى نحن عليه.

وقوله: ﴿ولنحمل خطاياكم﴾ أى: ونحن نحمل خطاياكم إن خفتم من عقوبته، فنحن كفلا بكم، ونتحمل عنكم العقوبة.

وقوله: ﴿وما هم بحاملين من خطاياهم من شىء إنهم لكاذبون﴾ يعنى: فى ضمان تحمل الخطايا.

قوله تعالى: ﴿وليحملن أثقالهم﴾ أى: أوزارهم، والأوزار: الذنوب.

وقوله: ﴿وأثقالا مع أثقالهم﴾ أى: أوزاراً مع أوزارهم.

فإن قيل: كيف يستقيم هذا، والله تعالى قال فى آية أخرى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾(١) ؟ والجواب عنه: أن معنى قوله: ﴿وأثقالا مع أثقالهم﴾ أى: إثم دعائهم إلى ترك الإيمان، ويقال: إن الأشراف فيهم [يحملون](٢) ذنوب الأتباع؛ لأنهم سنوا لهم الضلالة ودعوهم إليها. وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «من دعا إلى ضلالة فاتبع عليها، فعليه وزر من اتَّبعه من غير أن يَنْقص من أوزارهم شىء»(٣).

وروى أبو أمامة الباهلى عن النبى ﷺ أنه قال: «يؤتى بعبد يوم القيامة وقد ظلم هذا، وشتم هذا، وأخذ مال هذا، فتؤخذ حسناته ويعطون، فيقال: يا رب، قد بقى

(١) الأنعام: ١٦٤، الإسراء: ١٥، فاطر: ١٨، الزمر: ٧.

(٢) فى «ك»: يتحملون.

(٣) رواه مسلم وغيره، وقد تقدم تخريجه.

فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَاهُ

عليه سيئات، ولم تبق له حسنات، فيقول الله تعالى: احملوا ذنوبهم عليه، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ وليحملن أثقالهم ﴾»(١) الآية.

وقوله تعالى: ﴿ وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون ﴾ أى: يكذبون.

قوله تعالى: ﴿ ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه ﴾ روى أنس أن النبى ﷺ قال: «إن نوحًا أول نبى بعث إلى أهل الأرض»(٢).

وقوله: ﴿ فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا ﴾ روى عن ابن عباس أنه قال: بعث نوح وهو ابن أربعين سنة، ومكث بعد خروجه من السفينة ستين سنة، [وتوفاه](٣) الله تعالى وهو ابن ألف وخمسين سنة، وفى رواية: أن عمر نوح كان ألف وأربعمائة [وخمسين](٤)[سنة](٥)، بعث وهو ابن مائتى وخمسين سنة، وقد قيل غير هذا، والله أعلم.

وروى أن ملك الموت لما جاء إلى نوح ليقبض روحه قال: يا أطول الأنبياء عمرا، كيف وجدت الدنيا؟ وكان له دار لها بابان، فدخل من أحدهما وخرج من الآخر، وقال: هكذا وجدت.

(١) رواه ابن أبى حاتم عن أبى أمامة مرفوعا مطولا (تفسير ابن كثير ٣/٤٠٦)، وله شاهد من حديث أبى هريرة مرفوعا: «أتدرون من المفلس... الحديث»، رواه مسلم (١٦/ ٢٠٤ رقم ٢٥٨١)، والترمذى (٤/٥٢٩ - ٥٣٠ رقم ٢٤١٨) وقال: حسن صحيح، وغيرهما.

(٢) رواه ابن أبى حاتم، وأبو الشيخ، وابن عساكر عن أنس - كما فى الدر (٣/١٠٢) - وعزاه الشيخ ناصر، حفظه الله - فى سلسلته الصحيحة (رقم ١٢٨٩) للديلمى فى مسند الفردوس (١/ ١/ ٩)، وابن عساكر، وضعف إسناده، ثم ذكر له شاهدا عن أبى هريرة مرفوعًا فى حديث الشفاعة الطويل: «يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض». رواه مسلم، والترمذى، وقال: حسن صحيح.

(٣) فى «الأصل»: فتوفاه.

(٤) فى «الأصل، وك»: وخمسون، وهو خلاف الجادة.

(٥) من «ك».

وروى أنه كان له بيت من شعر، وكان [يقال](١) له : لو بنيت بيتًا من طين، فكان يقول : أموت غداً، أو أموت بعد غد . فخرج من الدنيا على ذلك، ولم يبن بيتا . فإن قيل : قوله : ﴿ فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا ﴾ أيش فائدة الاستثناء فى هذه الآية؟ .

وهلا قال : فلبث فيهم تسعمائة وخمسين عامًا؟ والجواب عنه : أن فائدة الاستثناء هو التأكيد ؛ فإن العرب إذا قالت : جاءنى إخوتك، يجوز أن تريد به جميع الإخوة، ويجوز أن تريد به الأكثر، فإذا قال : جاءنى إخوتك إلا زيداً فتعلم قطعا أنه جاء كل الإخوة إلا زيدا، فقد أفاد الاستثناء التأكيد من هذا الوجه، وقد قال بعضهم : قد كان الله تعالى جعل عمر نوح ألف سنة، فاستوهب بعض بنيه منه خمسين عاما فوهبها له، ثم لما بلغ الأجل طلب تمام الألف فلم يعط، فذكر الله تعالى بلفظ الاستثناء ليدل على أن النقص كان من قبله، وهذا قول غريب .

وقوله : ﴿ فأخذهم الطوفان ﴾ الطوفان : كل شيء كثير يطيف بالجماعة مثل : غرق، أو موت، أو غير ذلك . قال الراجز :

أفناهم طوفان موت جارف

وقوله : ﴿ وهم ظالمون ﴾ أى : مشركون .

قوله تعالى : ﴿ فأنجيناه وأصحاب السفينة ﴾ قد بينا عدد من كان فى السفينة .

وقوله : ﴿ وجعلناها آية للعالمين ﴾ أى : جعلنا عقوبتنا إياهم بالغرق آية للعالمين، ويقال : جعلنا السفينة آية للعالمين، فإنها كانت ملقاة على الجودى مدة (مديدة)(٢) .

قوله تعالى : ﴿ وإبراهيم ﴾ معناه : وأرسلنا إبراهيم ﴿ إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ﴾ أى : أطيعوا الله واحذروا معصيته .

---

(١) فى « الأصل » : يقول .

(٢) فى « الأصل، وك » : جازف .

وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ

وقوله: ﴿ ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ أى: عبادة الله وتقواه خير لكم إن كنتم تعلمون، وقد قيل: إن قوله: ﴿ اعبدوا الله ﴾ أى: وحدوا الله، وكل عبادة فى القرآن بمعنى التوحيد.

قوله تعالى: ﴿ إنما تعبدون من دون الله أوثانا ﴾ أى: أصناما.

وقوله: ﴿ وتخلقون إفكا ﴾ أى: وتصنعون كذبا، وقال قتادة: تخلقون إفكا؛ أى: أصناما. وسمى الأصنام إفكا لأنهم سموها آلهة. فإن قيل: قد قال: ﴿ وتخلقون ﴾ وقال فى موضع آخر: ﴿ هل من خالق غير الله ﴾[1] أى: لا خالق غير الله، فكيف وجه التوفيق بين الآيتين؟ والجواب عنه: أن الخلق بمعنى التقدير هاهنا، قال الشاعر:

ولأنت تفرى ما خلقت   وبعض القوم يخلق ثم لا يفرى.

ويقال: وتخلقون إفكا أى: تنحتون الأصنام بأيديكم وتعبدونها. وحكى أن بنى حنيفة اتخذوا صنما من الحَيْس - وهو التمر مع السمن - ثم إنه أصابتهم مجاعة فأكلوه، قال الشاعر:

أكلت حنيفة ربها   زمن التفحم والمجاعة
لم يحذروا من ربهم   سوء العواقب والتباعة

قوله تعالى: ﴿ إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقًا فابتغوا عند الله الرزق ﴾ أى: فاطلبوا عند الله الرزق.

وقوله: ﴿ واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم ﴾ وهم مثل، عاد، وثمود،

(١) فاطر: ٣.

﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ

وقوم لوط، وغيرهم.

وقوله: ﴿وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ معناه: إلا الإبلاغ الواضح.

قوله تعالى: ﴿أو لم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده﴾ فإن قيل: أيش معنى قوله: ﴿أو لم يروا﴾ وهم لم يروا إعادة الخلق؟ والجواب عنه: أن قوله: ﴿أو لم يروا كيف يبدئ الله الخلق﴾ قد تم الكلام، وقد كانوا يقرون بهذا، (وقوله)[1]: ﴿ثم يعيده﴾ ابتداء كلام. ومنهم من قال: أو لم يروا كيف يبدئ الله الخلق بإنشاء النهار، ثم يعيد بإدخال الليل وإعادة النهار بعده. حكوه عن الربيع بن أنس. ومنهم من قال: أو لم يروا كيف يبدئ الله الخلق بالإحياء ثم يعيدهم بالإماتة وجعلهم ترابا كما كانوا.

وقوله: ﴿إن ذلك على الله يسير﴾ أى: هين.

قوله تعالى: ﴿قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾ أى: خلق الخَلْق.

وقوله: ﴿ثم الله ينشئ النشأة الآخرة﴾ وقرئ: «النشاءة الآخرة»، وهما بمعنى واحد كقولهم: رأفة ورآفة.

وقوله: ﴿إن الله على كل شىء قدير﴾ أى: على النشأة الأولى والنشأة الآخرة.

قوله تعالى: ﴿يعذب من يشاء ويرحم من يشاء﴾ ظاهر المعنى.

وعن بعضهم: يعذب من يشاء بالحرص، ويرحم من يشاء بالقناعة. وقيل: يعذب من يشاء بسوء الخلق، ويرحم من يشاء بحسن الخلق، ويقال: يعذب من يشاء ببغض الناس له، ويرحم من يشاء بمحبة الناس له.

---

(١) فى «ك»: وقولهم.

تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُوْلَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ

ويقال: يعذب من يشاء بقبول البدعة، ويرحم من يشاء بملازمة السنة.

وقوله: ﴿وإليه تقلبون﴾ أى: تردون.

قوله تعالى: ﴿وما أنتم بمعجزين فى الأرض ولا فى السماء﴾ (أى: بمعجز الله عن عذابكم، ومعناه: أنكم لا تفوتونه كما يفوت عن الإنسان ما يعجز، فإن قيل: قد قال: ﴿ولا فى السماء﴾ والخطاب مع الآدميين، وليسوا فى السماء، فكيف يستقيم هذا الكلام؟ والجواب من وجهين: أحدهما: وما أنتم بمعجزين فى الأرض، ولا فى السماء[1] معجز. قال الفراء: وهذا من غامض العربية. قال حسان بن ثابت شعرا:

ومن يهجو رسول الله منكم ... ويمدحُه وينصرُه سواءُ

أى: ومن يمدحه وينصره منكم سواء، والجواب الثانى: أن معنى قوله: ﴿ولا فى السماء﴾ أى: لو كنتم فى السماء لم تعجزوه أيضا كالرجل يقول: ما أنت هاهنا بمعجزى ولا بالبصرة أى: ولو كنت بالبصرة لم تعجزنى أيضا.

وقوله: ﴿وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير﴾ أى: من وال ولا مانع.

قوله تعالى: ﴿والذين كفروا بآيات الله ولقائه﴾ قال قتادة: ذم الله أقواما هانوا عليه، فقال: ﴿أولئك يئسوا من رحمتى وأولئك لهم عذاب أليم﴾ أى: موجع مؤلم.

قوله تعالى: ﴿فما كان جواب قومه إلا أن قالوا﴾ اعلم أن الآيات التى تقدمت معترضة من قصة إبراهيم ودعائه قومه إلى الله وجوابهم له، وتلك الآيات فى النبى ﷺ وحجاجه مع المشركين، ثم وقع العود فى هذه الآية إلى جواب قوم إبراهيم له.

(١) سقط من «ك».

النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ

وقوله: ﴿إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من النار﴾ قال مجاهد: حرقت النار وثاقه ولم تحرقه.

وقوله: ﴿إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ أى: يصدقون.

قوله تعالى: ﴿وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثانا﴾ أى: أصناما، وقوله: ﴿مودة بينكم﴾ أى: هى مودة (بينكم)[1]، أو تلك مودة بينكم فى الحياة الدنيا، ومعناه: أن تواخيكم وتوادكم فى الدنيا خاصة، وينقطع إذا جاءت الآخرة، وقيل: إن كل خلة تنقطع يوم القيامة إلا خلة المتقين. وقرئ: «مودةَ بينكم» بالنصب بإيقاع الفعل عليه أى: اتخذتموها للمودة، وقرئ على غير هذا، والمعانى متقاربة.

وقوله: ﴿ثم يوم القيامة يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضكم بعضا﴾ ومعنى الجمع: هو وقوع التبرؤ بين القادة والاتباع.

وقوله: ﴿ومأواكم النار وما لكم من ناصرين﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿فآمن له لوط﴾ وقد تقام اللام مقام الباء.

وقوله ﴿وقال إنى مهاجر إلى ربى﴾ أى: متوجه إلى ربى أطلب رضاه. وقد بينا أن هجرته كانت من كوثى إلى الشام، وكوثى قرية من سواد الكوفة. وفى القصة: أنه ﷺ هاجر بعد أن مضت [خمس][2] وسبعون سنة من عمره؛، وهاجر معه لوط وسارة.

وقوله: ﴿إنه هو العزيز الحكيم﴾ أى: الغالب فى أمره ﴿الحكيم﴾ فى تدبيره.

(١) ليست فى «ك».

(٢) فى «الأصل، وك»: خمسة.

وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا ائْتِنَا

قوله تعالى: ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب﴾ يقال: إن الله تعالى لم يبعث نبيا بعد إبراهيم إلا من نسله، فإن قيل: كيف لم يذكر إسماعيل، وذكر إسحاق ويعقوب، وقد كان إسماعيل نبيا مثل إسحاق؟ قلنا: قد دخل إسماعيل فى قوله: ﴿وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب﴾ وأيضا فإن الله تعالى يذكر البعض، ويترك البعض اختصارا وإيجازا، وإن كان المعنى فى الكل واحد .

وقوله: ﴿وآتيناه أجره فى الدنيا﴾ أى: الثناء الحسن.

وقال قتادة: هو قبول كل أهل الأديان له ورضاهم به. وقال السدى: هو الولد الصالح. وقيل: هو أنه أُرِىَ مكانه فى الجنة، وقيل: إنه جعل الأنبياء من أولاده.

وقوله: ﴿وإنه فى الآخرة لمن الصالحين﴾ أى: فى زمرة الصالحين .

قوله تعالى: ﴿ولوطا إذا قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾ فى التفسير: أنه لم ينزُ ذكر على ذكر قبل قوم لوط، قوله تعالى: ﴿أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل﴾ أى: لتأتون الرجال بالفاحشة، وتقطعون السبيل: فيه قولان: أحدهما: تقطعون سبيل النسل بإيثار الرجال على النساء.

والقول الثانى: وتقطعون السبيل أى: الطريق، وكانوا يأخذون الغرباء والمسافرين ويرتكبون منهم الفاحشة.

وقوله: ﴿وتأتون فى ناديكم المنكر﴾ النادى هو المجلس، وأما المنكر الذى أتوا به ففيه أقوال: أحدها: هو ارتكاب الفاحشة من الرجال فى مجالسهم، قاله مجاهد.

وعن عائشة قالت: كانوا يتضارطون فيما بينهم. وعن عبد الله بن سلام: كان بعضهم يبزق على بعض. وفى بعض الأخبار مسندا إلى النبى ﷺ: «أنهم كانوا

بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ

يجلسون على الطريق، ويخذفون الناس ويسخرون منهم»(١).

وعن بعضهم هو الصفير والرمي بالجلاهق، واللعب بالحمام، وبالشرك في الطريق، وحل الإزار.

وقوله: ﴿فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين﴾ أي: فيما تقوله

قوله: ﴿قال رب انصرني على القوم المفسدين﴾ وفسادهم كما بينا.

قوله تعالى: ﴿ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى﴾ قد بينا معنى البشرى في سورة هود.

وقوله: ﴿إنا مهلكوا أهل هذه القرى﴾ أي: سدوم، وفي القصة: أنهم كانوا يجلسون وبين يدي كل واحد منهم قعب فيه حصى فإذا مر بهم إنسان خذفه كل واحد منهم بحصاة، فمن أصابه كان أولى به، فكان يأخذ مامعه وينكحه ويغرمه ثلاثة دراهم، ولهم قاض يقضي بذلك.

وقوله: ﴿إن أهلها كانوا ظالمين﴾ قد بينا ظلمهم.

قوله تعالى: ﴿قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها﴾ أي: قالت الملائكة نحن أعلم بمن فيها.

وقوله: ﴿لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين﴾ أي: الباقين في العذاب.

(١) رواه الترمذي (٥/ ٣١٩ رقم ٣١٩٠) وحسنه، وأحمد في مسنده (٦/ ٣٤١، ٤٢٤)، والطبراني في الكبير (٢٤/ ٤١١-٤١٢ رقم ١٠٠٠ - ١٠٠٢)، والطبري (٢٠/ ٩٣)، والحاكم (٢/ ٤٠٩) وصححه على شرط مسلم، والبغوي في التفسير (٣/ ٤٦٦) وغيرهم من حديث أم هانئ مرفوعا به. وانظر الدر (٥/ ١٥٧).

كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لا تَخَفْ وَلا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلاَّ امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً

قوله تعالى: ﴿ولما أن جاءت رسلنا لوطًا سيء بهم﴾ أى: سيء بالملائكة، ومعناه: أنه ساءه(١) مجيء الملائكة أضيافًا لما علم من خبث قومه.

وقوله: ﴿وضاق بهم ذرعًا﴾ أى: ضاق ذرعًا بمجيئهم. يقال: ضاق فلان ذرعا بكذا إذا كرهه .

وقوله: ﴿قالوا لاتخف ولا تحزن﴾ لاتخف من قومك علينا، ولاتحزن بإهلاكنا إياهم .

وقوله: ﴿إنا منجوك وأهلك إلا امراتك كانت من الغابرين﴾ أى: الباقين فى العذاب.

قوله تعالى: ﴿إنا منزلون على أهل هذه القرية﴾ أى: سدوم.

وقوله: ﴿رجزًا من السماء﴾ أى: عذابا من السماء.

وقوله: ﴿بما كان يفسقون﴾ أى: يعصون.

قوله: ﴿ولقد تركنا منها آية بينة﴾ أى: من قريات قوم لوط.

قال قتادة: الآية البينة (هى [الأحجار](٢) التى أهلكوا بها، وقد كان قد بقى بعضها حتى أدركته أوائل هذه الأمة. وقال مجاهد: الآية البينة)(٣): ظهور الماء الأسود من قراهم.

وقوله: ﴿لقوم يعقلون﴾ أى: يتدبرون الآيات تدبر ذوى العقول.

---

(١) فى «ك»: سابرة.

(٢) فى «الأصل»: أحجار.

(٣) سقط من «ك».

لَقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُم

قوله تعالى: ﴿ وإلى مدين أخاهم شعيبًا ﴾ معناه: وأرسلنا إلى مدين أخاهم شعيبا.

وقوله: ﴿ فقال ياقوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ﴾ أى: واخشوا اليوم الآخر، ويقال: الرجاء على حقيقته، وهو الأمل.

وقوله: ﴿ ولاتعثوا فى الأرض مفسدين ﴾ أى: لا تفسدوا فى الأرض. [والعيث][(1)] أشد الفساد.

وقوله تعالى: ﴿ فكذبوه فأخذتهم الرجفة ﴾ الرجفة: زعزعة تؤدى إلى الهلاك.

وقوله: ﴿ فأصبحوا فى ديارهم جاثمين ﴾ أى: ميتين، وقيل: خامدين.

قوله تعالى: ﴿ وعادًا وثموذَ ﴾ أى: وأهلكنا عادًا وثمودَ.

وقوله: ﴿ وقد تبين لكم من مساكنهم ﴾ أى: المنازل التى سكنوها.

وقوله: ﴿ وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل ﴾ أى: صدهم عن سبيل الحق.

وقوله: ﴿ وكانوا مستبصرين ﴾ أى: ارتكبوا ما ارتكبوا وقد علموا أن عاقبة أمرهم بوار.

قوله تعالى: ﴿ وقارون وفرعون وهامان ﴾ أى: وأهلكنا قارون وفرعون وهامان. وفى تفسير النقاش: أن فرعون كان يبيع البطيخ فى ابتداء أمره، وهامان كان طيانا.

(1) انظر اللسان (مادة عيث، وعثا).

مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ

وقوله: ﴿ولقد جاءهم موسى بالبينات﴾ أى: بالدلالات.

قوله: ﴿فاستكبروا فى الأرض وماكانوا سابقين﴾ أى: فائتين عن عذابنا، كالسابق على الشيء فيكون قد فاته.

قوله تعالى: ﴿فكلا أخذنا بذنبه﴾ أى: أخذنا كل هؤلاء بذنبهم.

وقوله: ﴿فمنهم من أرسلنا عليه حاصبًا﴾ الحاصب هى الريح التى تحمل الحصباء، والحصباء: الحصى (الصغار)(١)، والذين أهلكوا بالحصباء قوم لوط.

وقوله: ﴿ومنهم من أخذته الصيحة﴾ يعنى: قوم صالح، وهم ثمود.

وقوله: ﴿ومنهم من خسفنا به الأرض﴾ أى: قارون.

وقوله: ﴿ومنهم من أغرقنا﴾ أى: قوم نوح وقوم فرعون.

وقوله: ﴿[وما](٢) كان الله ليظلمهم﴾ أى: ماظلمهم الله (ولكن هم الذين ظلموا أنفسهم)(٣).

قوله تعالى: ﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله﴾ المثل: كلام سائر يتضمن تشبيه حال الآخر بالأول.

وقوله: ﴿أولياء﴾ أى: الأصنام.

وقوله: ﴿كمثل العنكبوت﴾ العنكبوت: دابة [أعطاها](٤) الله تعالى آلة تنسج

---

(١) فى «ك»: الصغير.

(٢) فى «الأصل و ك»: فما.

(٣) كذا «بالأصل»، وفى «ك»: جعلها تتمة الآية: ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾.

(٤) فى «الأصل و ك»: أعطاه.

كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ

بها بيتا تأوى إليه، (وبيته)[١] فى غاية الضعف والوهاء، وإنما مثل عبادة الأصنام ببيت العنكبوت؛ لأن بيت العنكبوت لايقى حرا ولابردا، وكذلك عبادة الأصنام لاتجلب نفعا، ولا تدفع ضرا .

وفى بعض الأخبار: أن النبى ﷺ أنه قال: «العنكبوت شيطان مسخ فاقتلوه»[٢] والخبر غريب .

وعن علي - رضى الله عنه - أنه أمر ألايترك نسيج العنكبوت فى البيت، وقال: تركه يورث الفقر. وقد بينا أن الله تعالى جعل العنكبوت جند النبى ﷺ فى الغار .

وقوله: ﴿وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾ أى: لو كانوا يعلمون أن عبادة الأصنام لاتغنى شيئا، كما علموا أن بيت العنكبوت لايدفع شيئا .

قوله تعالى: ﴿إن الله يعلم مايدعون من دونه من شىء﴾ أى: يعلم مايدعون من دونه من الأصنام وغيرها .

وقوله: ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ أى: العزيز بالانتقام من أعدائه، الحكيم فى تدبير خلقه .

قولى تعالى: ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس﴾ أى: الأشباه التى يقع بها التمثيل .

وقوله: ﴿وما يعقلها إلا العالمون﴾ (أى: العالمون بمعانى كلامى، وعن بعض السلف قال: يستحب أن يقف عند كل مثل فى القرآن، فإن الله تعالى يقول: ﴿ومايعقلها إلا العالمون﴾[٣].

---

(١) فى «ك»: وتبثه.

(٢) رواه ابن عدى فى الكامل (٦/٣١٦) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعا به، وقال ابن الجوزى فى الموضوعات (١/١٨٩): هذا حديث موضوع. ورواه أبو داود فى المراسيل (رقم ٥٠٠، ٥٠٤) عن يزيد بن مرثد مرسلا.

(٣) سقط من «ك».

وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ

قوله تعالى: ﴿خلق الله السموات والأرض بالحق﴾ أى: بالحكمة.

وقوله: ﴿إن فى ذلك (لآية)(١) للمؤمنين﴾ أى: لعبرة للمؤمنين.

قوله تعالى: ﴿اتل مأوحى إليك من الكتاب﴾ أى: القرآن.

وقوله: ﴿وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ الفحشاء كل قبيح من الأفعال، والمنكر كلماينكره الشرع، (فإن قيل: كيف قال: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ وقد رأينا من يصلى ولاينتهى عن الفحشاء والمنكر؟ قلنا: روى عن حماد بن سلمة أنه قال: تنهى عن الفحشاء والمنكر مادام فى الصلاة، وعن غيره: تنهى عن الفحشاء والمنكر)(٢) فيها وبعدها. ومعنى النهى على هذا القول أنه يقرأ القرآن والقراءة، تنهاه عن الفحشاء والمنكر.

وعن ابن مسعود - رضى الله عنه - أنه قال: لاصلاة لمن لم يطع الصلاة. وفى هذا اللفظ إشارة إلى مابينا.

وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ أنه قال: «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً»(٣).

---

(١) فى «ك» لآيات.

(٢) سقط من «ك».

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير (١١/ ٥٤ رقم ١١٠٢٥)، والقضاعى فى الشهاب (١/ ٣٠٥-٣٠٦ رقم ٥٠٩)، وابن أبى حاتم - تفسير ابن كثير (٣/ ٤١٤) - من حديث ابن عباس مرفوعاً. قال العراقى: رواه الطبرانى وابن مردويه بإسناد لين. المغنى عن حمل الأسفار (١/ ١٣٤)، وعزاه الزيلعى (٣/ ٤٤) للدارقطنى فى غرائب مالك من حديث ابن عمر مرفوعاً به، ونقل عن الدارقطنى قوله: هذا باطل لا أصل له، ومحمد بن الحسن المصرى مجهول. وروى من حديث عمران بن حصين، رواه ابن أبى حاتم - تفسير ابن كثير (٣/ ٤١٤) - عن عمران بن حصين مرفوعا به، وفيه: «فلا صلاة له». وروى موقوفا عن ابن مسعود، وابن عباس، والحسن، وقتادة، والأعمش وغيرهم، وصحح الحافظ ابن كثير فى تفسيره هذه الموقوفات فقال: والأصح فى هذا كله الموقوفات على ابن مسعود ... تفسير ابن كثير (٣/ ٤١٤ - ٤١٥)، وانظر السلسلة الضعيفة (١/ ١٤-١٧ رقم: ٢).

﴿٤٥﴾ وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا

وعن الحسن وقتادة أنهما قالا: من صلى ولم ينته عن الفحشاء والمنكر، فصلاته وبال عليه.

وقوله: ﴿ولذكر الله أكبر﴾ فيه قولان: أحدهما: ولذكر الله أفضل من كل الطاعات، وروى عن ثابت البناني أن رجلا أعتق أربع رقاب، وجعل آخر يذكر الله بالتسبيح والتحميد والتهليل، ثم سئل عن ذلك جماعة من أهل العلم، فقالوا: ذكر الله تعالى أفضل؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ولذكر الله أكبر﴾.

والقول الثانى أن معناه: ولذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه، وهذا قول ابن عباس، وروى أن رجلا قال لابن عباس: إن فلانا (يقول)[1] فى قوله: ﴿ولذكر الله أكبر﴾: إن معناه: إذا ذكره وانتهى عن معاصيه، فقال: هذا كلام حسن. وليس بمعنى الآية؛ وإنما معنى الآية ماذكرنا عنه، وهو قوله: ولذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه. ومنهم من قال: ولذكر الله فى الثواب أكبر من ذكركم فى الطاعة.

وقوله: ﴿والله يعلم ماتصنعون﴾ أى: تفعلون.

قوله تعالى: ﴿ولاتجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن﴾ فيه قولان: أحدهما: ولاتجادلوا أهل الكتاب الذين قبلوا الجزية إلا بالتى هى أحسن، وقوله: ﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾ المراد بهم على هذا القول أهل الحرب.

والقول الثانى: ﴿ولاتجادلوا أهل الكتاب﴾ يعنى: المؤمنين منهم، ومعنى النهى عن المجادلة معهم بعد إيمانهم، هو أنهم كانوا يخبرون عن أشياء فى كتبهم لم يعلمها المؤمنون، [فنهى][2] عن مجادلتهم فيها، فلعلها صحيحة.

وقوله: ﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾ هم الذين لم يؤمنوا. وعن قتادة قال: الآية

(١) فى «ك»: يقرأ.

(٢) فى «الأصل»: فهى.

بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلاءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ

منسوخة بآية السيف .

وقوله : ﴿ وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم ﴾ (روى عن النبى هم ﷺ أنه قال : « إذا أخبركم أهل الكتاب بشيء لم تعرفوه فلا تصدقوهم ولاتكذبوهم، ولكن قولوا ﴿ آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم)[١] وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون » ﴾ »[٢] .

قوله تعالى : ﴿ وكذلك أنزلنا إليك الكتاب ﴾ أى : كما بعثناك بالحق أنزلنا إليك الكتاب .

وقوله : ﴿ فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ﴾ أى : يصدقون به، وقوله : ﴿ ومن هؤلاء من يؤمن به ﴾ أى : ومن المشركين من يصدق به، فقوله : ﴿ هؤلاء ﴾ إشارة إلى المشركين الذين كانوا بمكة .

قوله تعالى : ﴿ ومايجحد بآياتنا إلا الكافرون ﴾ ظاهر المعنى .

قوله تعالى : ﴿ وماكنت تتلو من قبله من كتاب ﴾ أى : من قبل بعثنا إياك، وإنزال القرآن عليك .

وقوله : ﴿ ولاتخطه بيمينك ﴾ أى : لم تكن تقرأ ولاتكتب .

وقوله : ﴿ إذًا لارتاب المبطلون ﴾ أى : إذًا لشك الكافرون لو قرأت وكتبت، أما أهل الشرك وكانوا يزعمون أنه قرأ من كتب الأولين وانتسخ منها، وأما أهل الكتاب فقد

---

(١) سقط من « ك » .

(٢) رواه البخارى (٨ / ٢٠ رقم ٤٤٨٥ وطرافاه فى : ٧٣٦٢، ٧٥٤٢)، والنسائى فى الكبرى (٦ / ٤٢٦ / رقم ١١٣٨٧)، وابن جرير (٢١ / ٤) من حديث أبى هريرة مرفوعا بنحوه. وعزاه السيوطى فى الدر (٥ / ١٦٠) لابن أبى حاتم، وابن مردويه، والبيهقى فى الشعب أيضا .

إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللَّهِ

كان من نعته فى كتبهم أنه أمى لايقرأ ولايكتب؛ فلو قرأ وكتب وقع لهم الشك.

وعن الشعبى قال: لم يخرج النبى ﷺ من الدنيا حتى كتب وقرأ. وهو قول ضعيف لايعتمد عليه، [وأظن][1] أنه لايصح عن الشعبى هذا؛ لأنه كان عالما كبيرا.

قوله تعالى: ﴿بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم﴾ أى: القرآن آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم، ويقال معناه: أن محمداً ﷺ ذو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم. وقد صح عن النبى ﷺ أنه قال: «(إن الله تعالى)[2] قال لى: بعثتك لأبتليك وأبتلى بك، وأنزلت عليك كتابا لايغسله الماء، تقرأه نائما ويقظانا»[3] وهو إشارة إلى مابينا أن القرآن فى صدور المؤمنين لاينسخه ولايغسله شىء.

وقوله: ﴿ومايجحد بآياتنا إلا الظالمون﴾ أى: الكافرون.

قوله: ﴿وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه﴾ يعنى: مثل ماأنزل على عيسى من المائدة، وأعطى صالح من الناقة، وموسى من اليد والعصا ﴿قل إنما الآيات عند الله﴾ يعنى: إن الآيات عند الله يعطيها بمشيئته وإرادته.

وقوله: ﴿وإنما أنا نذير مبين﴾ قد بينا. واعلم أن الله تعالى قد أعطى رسوله محمداً ﷺ المعجزات الكثيرة، ولكنه لم يعطه على ما اقترحوا، وقد كانوا يطلبون أن تكون الآيات على وفق اقتراحاتهم.

---

(١) فى «الأصل وك»: ولا أظن.

(٢) فى «ك»: إن النبى ﷺ.

(٣) رواه مسلم (١٧/ ٢٨٧-٢٩١ رقم ٢٨٦٥)، والنسائى فى الكبرى (٥/ ٢٦-٢٧ رقم ٨٠٧٠)، وأحمد فى المسند (٤/ ١٦٢) من حديث عياض بن حمار، وقد تقدم أيضا فى تفسير سورة الأعراف.

وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾

قوله تعالى: ﴿أولم يكفهم﴾ الكفاية: بلوغ (غاية)[1] تنافى الحاجة.

وقوله: ﴿أنا أنزلنا عليك الكتاب﴾ أى: القرآن.

وقوله: ﴿يتلى عليهم﴾ أى: يقرأ عليهم.

وقوله: ﴿إن فى ذلك لرحمة﴾ أى: لنعمة لمن آمن به.

وقوله: ﴿وذكرى﴾ أى: موعظة وتذكيرا، وقد بينا وجه الإعجاز فى القرآن من حيث النظم والمعنى والإخبار عن الغيوب وغيره.

قوله تعالى: ﴿قل كفى بالله بينى وبينكم شهيدا﴾ الشهادة: خبر عن مشاهدة يبنى عليه حكم شرعى، والله تعالى شهيد على أفعال المؤمنين والكفار جميعا.

وقوله ﴿يعلم مافى السموات والأرض﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿والذين آمنوا بالباطل﴾ أى: بغير الله. وقد ثبت أن النبى ﷺ قال: «أصدق كلمة قالت العرب قول لبيد:

ألا كل شيء ماخلا الله باطل وكل نعيم لامحالة زائل

ثم قال: إلا نعيم الجنة»[2].

واعلم أن الإيمان إذا أطلق يراد به الإيمان بالله، وإذا قيد يجوز أن يقال: آمن بإبليس، وآمن بالطاغوت، وما أشبه ذلك، وهذا كما إذا قيل: فلان قائم، وأطلق يراد

(١) فى «ك»: حاجة.

(٢) متفق عليه رواه البخارى (٧/١٨٣ رقم ٣٨٤١ وطرفاه ٦١٤٧، ٦٤٨٩)، ومسلم (١٥/١٩-٢٠ رقم ٢٢٥٦)، وأحمد (٢/٣٩١، ٣٩٣، ٤٤٤، ٤٤٨، ٤٥٨، ٤٧٠، ٤٨٠، ٤٨١) جميعهم من حديث أبى هريرة مرفوعا به، وليس عندهم عجز البيت وما بعده، وهو قوله: وكل نعيم لا محالة زائل ثم قال: إلا نعيم الجنة.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ

به المتصف، فإذا قيل: يجوز أن يقال: قائم بالتدبير قائم بالملك. وقال يحيى بن سلام: الباطل هاهنا: إبليس.

وقوله: ﴿وكفروا بالله﴾ أي: جحدوا بالله.

وقوله: ﴿وأولئك هم الخاسرون﴾ الخاسرون: من خسر رأس المال، فالكفار لما فعلوا فعلا عرضوا أنفسهم للهلاك سماهم الله خاسرين.

قوله تعالى: ﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ قد بينا أن النضر بن الحارث قال: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة(١) من السماء﴾(٢) الآية فهذا هو الاستعجال بالعذاب.

وقوله: ﴿ولولا أجل مسمى﴾ أي: وعد القيامة، وقيل: النفخة في الصور ويقال: الوقت الذي عُيِّن لعذابهم.

وقوله: ﴿لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة﴾ أي: فجأة ﴿وهم لايشعرون﴾ أي: لايعلمون بمجيئها. وفي رواية أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إن الرجل ليرفع لقمته فلا يضعها في فيه حتى تقوم الساعة»(٣).

وقوله تعالى: ﴿يستعجلونك بالعذاب﴾ يقال: المراد به هو المراد بالآية الأولى، أعاده للتأكيد، وقيل: إن هذه الآية نزلت على قوم من جهال هذه الأمة، والقول الأول أولى.

وقوله: ﴿وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ أي: جامعة لعذابهم، ويقال معناه: لابد أن يدخلوها.

قوله تعالى: ﴿يوم يغشاهم العذاب من فوقهم﴾ يعني: يصيبهم العذاب من

(١) ليست في «الأصل»، و «ك».

(٢) الأنفال: ٣٢.

(٣) متفق عليه، رواه البخاري (١١ / ٣٦٠ رقم ٦٥٠٦ وطرفه في: ٧١٢١)، ومسلم (١٨ / ١٢١-١٢٢ رقم ٢٩٥٤).

يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ

فوقهم ومن تحت أرجلهم، وهو مثل قوله تعالى فى آيه أخرى: ﴿ لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ﴾(١)

وقوله: ﴿ ويقول ذوقوا ماكنتم تعملون ﴾ قد بينا معنى الذوق من قبل.

وقوله: ﴿ ماكنتم تعملون ﴾ أى: جزاء بماكنتم تعملون.

قوله تعالى: ﴿ ياعبادى الذين آمنوا إن أرضى واسعة ﴾ قال إبراهيم النخعى فى هذه الآية: كانوا إذا ظهرت المعصية بأرض خرجوا منها. وعن سعيد بن جبير وعطاء أنهما قالا: إذا أمرت بالمعصية فى (بلدة)(٢) فأخرج منها (وفى رواية: «إذا ظهرت المعصية فى بلدة فأخرج منها)(٣).

وذكر أهل العلم أنه إذا لم يمكنه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر خرج أيضًا، والآية نزلت فى قوم تخلفوا عن الهجرة بمكة، وقالوا: نخشى إن هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية، ولم يعذرهم فى ترك الخروج، وفى الآية قول آخر: وهو أن معنى قوله: ﴿ إن أرضى واسعة ﴾ أى: رزقى واسع، ذكره مطرف ابن عبد الله ابن الشخير.

وقوله: ﴿ فإياى فاعبدون ﴾ أى: وحدونى وأطيعونى.

قوله: ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ معناه: أن تخلفهم (عن)(٤) الهجرة لاينجيهم من الموت، وقد روى جعفر بن محمد عن أبيه عن على رضى الله عنه «أن النبى ﷺ

(١) الزمر: ١٦.

(٢) فى «ك»: بلد.

(٣) ليست فى «ك».

(٤) فى «ك»: فى.

إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ

لماتوفى سمعوا حس شخص ولم يروه، وقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ الآية، إن فى الله عزاء من كل مصيبة، وخلفا من كل هالك، ودرجًا من كل فائت، ألا بالله فثقوا، وإياه فارجوا، والمصاب من حرم الثواب».

وقوله: ﴿ثم إلينا ترجعون﴾ أى: تردون .

قوله تعالى: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا﴾ أى: لنسكننهم من الجنة غرفا، أى: علالى، وروى أبو مالك الأشعرى - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال: «إن لله غرفا فى الجنة، يرى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها، قيل: لمن هى يارسول الله ﷺ؟ قال: لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وصلى بالليل والناس نيام»(١) .

وقرئ: «لنثوينهم» والثوى هو الإقامة، والتبوؤ هو النزول فى الموضع الذى يسكن فيه، وفى أخبار الجاهلية: أن المهلهل لما قتل ابن الحارث بن عباد فى حرب بكر وتغلب قال: تبوء بِشِسْعِ نعل كليب .

ومن المعروف عن الحسين أنه قال للحسن فى قتل أبى ملجم: لاتجعله ثوى بأبينا أى: لاننزله منزلة أبينا .

وقوله: ﴿تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين﴾ أى: العاملين بالطاعة.

قوله تعالى ﴿[الذين](٢) صبروا وعلى ربهم يتوكلون﴾ أى: صبروا على

---

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده (٥/ ٣٤٣)، وعبد الرزاق (١١/ ٤١٨ - ٤١٩ رقم ٢٠٨٨٣)، والطبرانى (٣/ ٣٠١ رقم ٣٤٦٦، ٣٤٦٧)، وابن حبان (٢/ ٢٦٢ رقم ٥٠٩)، والبيهقى فى سننه (٤/ ٣٠٠)، وفى الباب عن على بن أبى طالب، وعبد الله بن عمرو بن العاص.

(٢) من «ك».

﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

الشدائد، وقوله: ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ أى: يعتمدون.

قوله تعالى: ﴿وكأين من دابة﴾ أى: وكم من حيوان يدب على الأرض.

وقوله: ﴿لاتحمل رزقها﴾ أى: لاتحمل رزقها معها، وقيل: لاتدخر رزقها للغد. وعن أبى سعيد الخدرى - والمعروف أنه عن سفيان الثورى -: «ليس من الحيوان مايدخر شيئا للغد سوى ابن آدم والفأرة والنملة والعقعق. وذكر النقاش فى تفسيره: أن المراد من قوله: ﴿وكأين من دابة لاتحمل رزقها﴾ أى: محمد ﷺ: وكان لايدخر شيئا للغد، وقد ثبت برواية أنس: «أن النبى ﷺ كان لايدخر شيئا لغد».(١)

قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث أبو منصور بكر بن محمد بن حميد النيسابورى ببغداد من لفظه، أخبرنا أبو الحسين الخفاف، أخبرنا أبو العباس السراج، عن قتيبة، عن جعفر بن سليمان الضبعى، عن ثابت، عن أنس... الخبر.

وفى بعض الأخبار برواية ابن عمر أنه قال: «دخلت مع رسول الله ﷺ يلتقط التمر ويأكله، فكدت لا آكله، فقال لى: ألا تأكله يا ابن عمر؟ فقلت: لا أشتهيه. فقال: لكنى اشتهيه، وهذا صبح رابع أربعة أيام ولم أذق طعاما، ولو طلبت من الله لأعطانى مثل ملك كسرى وقيصر، ثم قال: كيف بك يا ابن عمر إذا بقيت فى قوم يدخرون الرزق لسنتهم، ويضعف اليقين؟! قال: فلم نبرح من ذلك الموضع حتى أنزل الله تعالى: ﴿وكأين من دابة لاتحمل رزقها﴾.»(٢) والخبر غريب.

---

(١) رواه الترمذى فى سننه (٤/ ٥٠١ رقم ٢٣٦٢) وقال: غريب، وقد روى هذا الحديث مرسلا عن جعفر بن سليمان عن ثابت مرسلا. ورواه فى الشمائل (٢٨٠ رقم ٣٣٧)، وابن عدى فى الكامل (٢/ ٥٧٢)، وابن حبان فى صحيحه (١٤/ ٤٧٠ رقم ٦٣٥٦)، وأبو الشيخ فى أخلاق النبى (٢٧٩)، والبيهقى فى الدلائل (١/ ٣٤٦)، والخطيب فى تاريخه٧ / ٩٨، وابن عساكر فى تاريخه (١٠/ ٣٨٦-٣٧٨)، وصححه الألبانى فى مختصر الشمائل (١٨٥ رقم ٣٠٤).

(٢) رواه الواحدى فى أسباب النزول (ص٢٥٨) ورواه عبد بن حميد، وابن أبى حاتم، وابن مردويه، والبيهقى، وابن عساكر بسند ضعيف، قاله السيوطى فى الدر (٥/ ١٦٢). وذكره ابن كثير فى تفسيره من رواية ابن أبى حاتم (٣/ ٤٢٠) وقال: حديث غريب، وأبو العطوف الجزرى ضعيف. ونقل العراقى عن البيهقى قوله: هذا إسناد مجهول، والجراح بن منهال ضعيف (المغنى ٤/ ١٥٨).

﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ

وقوله: ﴿ الله يرزقها وإياكم ﴾ يعنى: يرزق تلك الدابة وإياكم.

وقوله: ﴿ وهو السميع العليم ﴾ ظاهر المعنى، ومن المشهور عن النبى ﷺ قال: «لو توكلتم على الله حق توكله، لرزقتم كما ترزق الطير، تغدو خماصا، وتروح بطانا»(١).

ومن المعروف أيضًا أنه عليه السلام قال: «إن روح القدس نفث فى روعى، أن لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب»(٢).

قوله تعالى: ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ﴾ أى: وذلل الشمس والقمر.

وقوله: ﴿ ليقولن الله فأنى يؤفكون ﴾ أى: يصرفون عن الحق.

قوله تعالى: ﴿ الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ﴾ أى: يوسع على من يشاء، ويضيق على من يشاء.

وقوله: ﴿ إن الله بكل شىء عليم ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله ﴾ يعنى: على أن الفاعل لهذه الأشياء هو الله.

---

(١) رواه الترمذى (٤/٤٩٥ رقم ٢٣٤٤) وقال: حسن صحيح، والنسائى فى الكبرى فى كتاب الرقائق - تحفة الأشراف (٨/٧٩ رقم ١٠٥٨٦) - وابن ماجة (٢/١٣٩٤ رقم ٤١٦٤)، وأحمد فى مسنده (١/٣٠، ٥٢)، وابن المبارك فى الزهد (١٩٦ - ١٩٧ رقم ٥٥٩)، وابن حبان فى صحيحه (٢/٥٠٩ رقم ٧٣٠)، والحاكم (٤/٣١٨) وصححه، والقضاعى فى مسند الشهاب (٢/٣١٩ رقم ١٤٤٤، ١٤٤٥)، وأبو نعيم فى الحلية (١٠/٦٩) جميعهم من حديث عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - مرفوعا بنحوه.

(٢) تقدم تخريجه فى سورة هود.

قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ

وقوله: ﴿بل أكثرهم لايعقلون﴾ أى: لايعلمون أن الفاعل لهذه الأشياء هو الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وماهذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب﴾ اللهو هو الاستمتاع بلذات الدنيا، وسمى لهوا؛ لأنها فانية بخلاف لذات الآخرة.

وقوله: ﴿ولعب﴾ أى: وعبث، ويقال: إنما سمى ذلك لهوا ولعبا؛ لأنه إنما يستعمل بها من لايتفكر فى العواقب.

وقوله: ﴿وإن الدار الآخرة لهى الحيوان﴾ أى: لهى الحياة الدائمة. وقال أهل اللغة: الحيوان والحياة بمعنى واحد، يحكى هذا عن أبى عبيدة وأُبَىّ. ومعنى الآية: أن فى الآخرة الحياة الدائمة.

وقوله: ﴿لو كانوا يعلمون﴾ أى: لوكانوا يعلمون أن الدنيا تفنى، والآخرة تبقى.

قوله تعالى: ﴿فإذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين﴾ أى: دعوا الله وتركوا دعاء الأصنام، وحكى عن عكرمة قال: لو كانوا يركبون البحر ويحملون أصنامهم معهم، فإذا هاجت البحر وخافوا الغرق، طرحوا أصنامهم فى البحر، وقالوا: يارب، يارب.

وقوله: ﴿فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾ أى: عادوا إلى ماكانوا عليه.

وقوله: ﴿ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون﴾ على طريق التهديد.

وقوله: ﴿أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا﴾ أى: ذا أمن، وقوله: ﴿ويتخطف الناس من حولهم﴾ الاختطاف هو الاستلاب بسرعة، وقد بينا هذا المعنى من قبل.

حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ .

وقوله: ﴿ أفبالباطل يؤمنون ﴾ يعنى: أفغير الله يؤمنون؟ وهو لفظ استفهام بمعنى الإنكار .

وقوله: ﴿ وبنعمة الله يكفرون ﴾ أى: يجحدون .

قوله تعالى: ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ﴾ أى: كذب على الله، وادعى أنه أنزل مالم ينزله .

وقوله: ﴿ أو كذب بالحق لما جاءه ﴾ يعنى: القرآن، وقيل: محمداً ﷺ .

وقوله: ﴿ أليس فى جهنم مثوى للكافرين ﴾ أى: مقام ومستقر للكافرين .

قوله تعالى: ﴿ والذين جاهدوا فينا ﴾ روى عن الحسن أنه قال: أفضل الجهاد مخالفة الهوى. ويقال: الجهاد هاهنا هو العمل بماعلمه، وعن سفيان الثورى أنه قال لإبراهيم بن أدهم: ألا تأتينا فتتعلم منا؟ فقال: إنى سمعت حديثين فإذا فرغت منهما تعلمت الثالث، ثم روى بإسناد أن النبى ﷺ قال: «من زهد فى الدنيا نور الله قلبه».

ويقال: المجاهدة: هو الصبر على الطاعات واجتناب المعاصى، ويقال: قتال الكفار، ويقال: تحقيق الإخلاص فى الأعمال، وهو حقيقة قوله تعالى: ﴿ فينا ﴾ .

وقوله: ﴿ لنهدينهم سبلنا ﴾ لنزيدنهم هدى، ويقال: لنرشدهم إلى (الطرق)(١) المستقيمة، والطرق المستقيمة هى التى توصل إلى رضى الله تعالى. وعن ابن المبارك أنه قال: قال لى سفيان بن عيينة: إذا اختلف الناس فعليك بما قاله لأهل الجهاد والثغور، فإن الله تعالى قال: ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ .

وقوله: ﴿ وإن الله لمع المحسنين ﴾ أى: بالنصرة والمعونة .

---

(١) فى «ك»: الطريق.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي

تفسير سورة الروم

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾ قد بينا، والأصح أن معناه هاهنا هو القسم.

وقوله: ﴿غلبت الروم﴾ أى: قد غلبت الروم، فوقع القسم على هذا، وقد تحذف قد عند أهل اللغة فى الكلام، قال الشاعر[1]:

أكلفتنى ذنب امرئ وتركته ... كذى العُرِّ [يكوى][2] غيره وهو راتع

أى: لقد كلفتنى.

وقوله: ﴿فى أدنى الأرض﴾ الأدنى بمعنى الأقرب، ومعناه: الأدنى إلى أرض فارس من أرض الروم، قاله مجاهد. هى الجزيرة، وهى بلاد بين دجلة والفرات تسمى الجزيرة منها حران، ورحبة مالك بن طوق، والرقة، والرهى، وغير ذلك .

وقوله: ﴿وهم من بعد غلبهم سيغلبون﴾ معناه: أن الروم من بعد غلبة فارس عليهم سيغلبون. فإن قيل: قال: ﴿من بعد غلبهم﴾ وهم غُلبُوا ولم يَغْلبوا؟ والجواب عنه: ذكر غلبتهم، والمراد منه غلبة غيرهم عليهم، وإنما أضاف الغلبة إليهم لاتصال تلك الغلبة بهم، واتصال الغلبة بهم وقوع الغلبة عليهم، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿ويطعمون الطعام على حبه﴾[3] والطعام لايكون صاحب الحب، وإنما الإنسان هو صاحب الحب، ولكن أضافة إلى الطعام لاتصال الحب به، وكذلك قوله تعالى: ﴿ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد﴾[4] والمقام للعبد إلا أنه [أضافه][5] إلى الله؛

(١) نسبه ابن منظور للنابغة فى لسان العرب (٤/٥٥٥ مادة: عرر).

(٢) فى «الأصل، وك»: يكون، والمثبت من لسان العرب.

(٣) الإنسان: ٨. (٤) إبراهيم: ١٤. (٥) فى «الأصل و ك»: أضاف، والمثبت أنسب للسياق.

بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ

لأنه يقوم بين يدى الله، فيتصل بالله من هذا الوجه.

وقوله: ﴿في بضع سنين﴾ فى البضع قولان: أحدهما: من الواحد إلى العشر، والقول الثانى: من الثلاث إلى السبع.

وكذلك اختلف القول فى النَّيِّفِ، فمنهم من قال: من الواحد إلى الثلاث، ومنهم من قال: من الواحد إلى العاشر.

وأما سبب نزول الآية فروى سعيد بن جبير، عن ابن عباس: «أنه كان بين فارس والروم قتال قائم، فكان المشركون يودُّون أن تغلب فارسُ الروم، والمسلمون يودُّون أن تغلب الرومُ فارسَ؛ لأنهم كانوا أهل الكتاب، قال: فغلب فارسُ الرومَ مرة، فشمت المشركون بالمسلمين، وقالوا: إنا سنغلبكم كما غلبت فارسُ الرومَ، فجاء المسلمون إلى النبى ﷺ وذكروا له ذلك، فقال: أما إن الروم سيغلبون فارس. فقال أصحاب النبى ﷺ :متى ذلك؟ فقال: إلى بضع سنين، وأنزل الله تعالى هذه الآية.

قال: فجاء أبو بكر إلى أبى بن خلف، وذكرله ذلك، فقال: والله لاتغلب الروم فارس أبدا، ثم قال لأبى بكر: أُخَاطِرك؟ قال: نعم فَخَاطَره على قلائص من الإبل[1]. واختلفوا فى عدد القلائص منهم من قال: كان ستا، وقيل: كان سبعا. وقيل: غير ذلك، ووضعا المدة إلى خمس سنين.

قال قتادة: وكان ذلك فى وقت لم يكن حُرِّم القمار بعد.

فجاء أبو بكر إلى النبى ﷺ، وذكر له ذلك، فقال له النبى ﷺ: يا أبا بكر، زد

(١) رواه الترمذى (٥/ ٣٢٠ - ٣٢١ /رقم: ٣١٩٣) وقال: حسن صحيح غريب، والنسائى فى الكبرى (٦/ ٤٢٦ رقم ١١٣٨٩)، وأحمد (١/ ٢٧٦، ٣٠٤)، والطبرى (٢١/ ١٢)، والطبرانى (١٢/ ٢٩/ رقم: ١٢٣٧٧)، والحاكم (٢/ ٤١٠) وصححه على شرط الشيخين، والبيهقى فى الدلائل (٢/ ٣٣٠ - ٣٣١) عن ابن عباس بنحوه مرفوعًا، وعزاه السيوطى فى الدر (٥/ ١٦٣) لابن أبى حاتم، وابن مردويه، والضياء فى المختارة. وله شواهد موصولة ومرسلة، وانظر الدر (٥/ ١٦٣-١٦٥).

مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا

في الخَطَر، وأبعد في الأجل» فزاد في عدد القلائص، وجعل المدة إلى سبع سنين»(١).

ثم إن الروم ظهرت على فارس، واسترجعوا ديار الجزيرة والشام وغير ذلك من فارس، وكان فارس قد استولوا على الكل، وأخذوا صليبهم الأعظم، فاستردوا هذه الديار، واستردوا صليبهم، وهزموا فارس.

واختلفوا في وقت ذلك، منهم من قال: كان يوم بدر، ومنهم من قال: كان عام الحديبية.

وفي بعض التفاسير: أن أبا بكر لما قصد الهجرة جاء إلى أبي بن خلف، وطلب منه كفيلا بالقلائص، فكفل بها ابنه عبدالرحمن بن أبي بكر ،ثم لما خرج أبي بن خلف إلى أحُد طلب عبدالرحمن منه كفيلا، فكفل بالقلائص ابنه، ثم إنه لما ظهرت الروم على فارس أخذ أبو بكر القلائص.

وفي بعض الروايات: أن المدة كانت إلى خمس سنين لازيادة، ومضت الخمس ولم تغلب الروم على فارس، وأخذ أبي بن خلف القلائص، ثم بعد ذلك ظهرت الروم على فارس.

وهذه الآية من معجزات النبي ﷺ؛ لأنه أخبر عن غيب لايعلمه إلا الله، وكان الأمر على ما أخبر.

وقوله: ﴿لله الأمر من قبل ومن بعد﴾ أي: من قبل غلبهم، ومن بعد غلبهم.

وقوله: ﴿ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله﴾ أي: ينصر الله أهل الكتاب على غير أهل الكتاب، وإنما فرحوا بذلك لصدق وعد الله تعالى؛ ولأنهم قالوا: كما نصر الله أهل الكتاب على غير أهل الكتاب، كذلك ينصرنا عليكم.

وقوله: ﴿ينصر من يشاء﴾ أي: من يشاء من عباده.

وقوله: ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ أي: الغالب على أمره، المنعم على عباده.

(١) تقدم في الذي قبله.

يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ

قوله تعالى: ﴿وعد الله لايخلف الله وعده﴾ أى: هذه النصرة من وعد الله، ولايخلف الله وعده ﴿ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾ أن وعد الله حق.

قوله تعالى: ﴿يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا﴾ قال ابن عباس: أمر معايشهم ومعالجهم فى الدنيا يعنى: متى يزرعون ومتى يحصدون، ومتى يغرسون، ومتى يبنون. وقال الضحاك: بنيان الدور، وغرس الأشجار، وتشقيق الأنهار، وعمل التجارات. وروى عن الحسن البصرى - رضى الله عنه - قال: إن أحدهم لينقد الدراهم بطرف ظفره، ويذكر وزنه فلا يخطئ، وهو لايحسن أن يصلى.

وقوله: ﴿وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ فهم الأول ابتداء، وهم الثانى ابتداء آخر، ومعناه: أنهم غافلون ساهون عن الآخرة.

قوله تعالى: ﴿أو لم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ أى: للعدل، ويقال: لإقامة الحق، وقيل: للحق. وقد روى فى بعض الأخبار: «أن النبى ﷺ مر على قوم وهم يتفكرون، فقال: تفكروا فى خلق الله، ولا تتفكروا فى الله»(١). وهذا خبر غريب.

وقوله: ﴿وأجل مسمى﴾ أى: ومدة مسماه، واختلفوا فى المدة المسماه، فقال بعضهم: هى الساعة، وقال بعضهم: هو الوقت الذى قدر هلاكهم فيه.

وقوله: ﴿وإن كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون﴾ أى: جاحدون، ولقاء ربهم هو البعث يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ يعنى: الأمم الذين مضوا.

(١) تقدم تخريجه فى تفسير سورة آل عمران.

كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ

وقوله: ﴿ كانوا أشد منهم قوة ﴾ أى: أكثر منهم قوة.

وقوله: ﴿ وأثاروا الأرض ﴾ أى: حرثوا الأرض.

وقوله: ﴿ وعمروها أكثر مما عمروها ﴾ أى: عمروا الأرض أكثر مما عمرها أهل مكة، فإنما قال ذلك؛ لأنه لم يكن لأهل مكة حرث.

وقوله: ﴿ وجاءتهم رسلهم بالبينات ﴾ أى: بالدلالات.

وقوله: ﴿ فما كان الله ليظلمهم ﴾ أى: لينقص حقوقهم، ولكنهم نقصوا وبخسوا حقوقهم.

[وقوله تعالى: ﴿ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾](١).

قوله تعالى: ﴿ ثم كان عاقبة الذين أساءوا ﴾ أى: كفروا، وقوله: ﴿ السوأى ﴾ هى جهنم، ونعوذ بالله، وقرأ الأعمش: «ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوءُ». وقيل: السوأى: قبح العاقبة.

ومنه قوله ﷺ: «سَوآءُ ولود خير من حسناءَ عقيمٍ»(٢). يعنى: قبيحة ولود خير من حسناء عقيم.

---

(١) من «ك».

(٢) رواه الطبراني فى الكبير (١٩/٤١٦ رقم ١٠٠٤)، وابن حبان فى المجروحين (٢/٢١١)، والعقيلى فى الضعفاء (٣/٢٥٣)، وتمام الرازى فى الفوائد (٢/١٧٦ رقم ١٤٦٣، ١٤٦٤)، ومن طريقه ابن عساكر فى تاريخه (١٤/٥٠ رقم ٣٣٧٥) من طريق بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده مرفوعا: «سوداء ولود خير من حسناء لا تلد». قال ابن حبان: منكر لا أصل له من حديث بهز، وقال العقيلى: غير محفوظ، ويروى بإسناد أصلح من هذا. وقال العراقى فى المغنى (٢/٢٤): رواه ابن حبان... ولايصح.

وله شاهد من حديث أم سلمة، رواه أبو نعيم فى تاريخ أصبهان (١/١٤٤).

﴿١٠﴾ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ
الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾
وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي

وقوله: ﴿أن كذبوا بآيات الله﴾ أى: لأن كذبوا بآيات الله.

وقوله: ﴿وكانوا بها يستهزئون﴾ أى: بآيات الله يستهزئون.

قوله تعالى: ﴿الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون﴾ ظاهر المعنى، وقد بينا.

قوله تعالى: ﴿ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون﴾ أى: ييأس المجرمون، ويقال: (يسكتون)(١) وتنقطع حجتهم، قال الشاعر:

يا صاحِ هل تعرف رسمًا مُكْرَسًا ... قال نعم أعرفه وأَبْلَسا

وقال مجاهد: يبلس المجرمون: يفتضحون. وقيل: يتحيرون.

وقوله: ﴿ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء﴾ أى: الأصنام التى اتخذوها شركاء لله.

وقوله: ﴿وكانوا بشركائهم كافرين﴾ أى: كفروا بالأصنام، وتبرءوا منها يوم القيامة، ومعنى كانوا: صاروا.

قوله: ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون﴾ يعنى: يتميز أهل الجنة من أهل النار، وقيل معناه: أنه يفرق بين أهل المعصية و[أهل](٢) الطاعة؛ فيعاقب أهل المعاصى، وينعم على المطيعين، وعن قتادة قال: هو افتراق لا اجتماع بعده.

قوله تعالى: ﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون﴾ الروضة: هي البستان الذى هو فى غاية النضارة والحسن.

قال الطائى:

(١) فى «ك»: يسكنون.

(٢) من «ك».

روْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ فَأُوْلَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ

(إنما البشر روضة فإذا كان [ربوة][(١)] فروضة وغدير)[(٢)]

قوله: ﴿ يحبرون ﴾ أى: يكَّرمون وينعَّمون، ومنه ثوب الْخَبَرة لحسنة، وعن يحيى ابن كثير قال: يحبرون: هو السماع فى الجنة. وذكر ابن قتيبة معنى قوله: ﴿ يحبرون ﴾ أى: يسرون.

قوله تعالى: ﴿ وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة ﴾ أى: البعث يوم القيامة.

وقوله: ﴿ فأولئك فى العذاب محضرون ﴾ أى: معذبون.

قوله: ﴿ فسبحان الله ﴾ بينا أن سبحان الله: تنزيه الله، وتبرئته عن كل سوء.

وعن على - رضى الله عنه - أنه قال: هو اسم ممتنع لا ينتحله مخلوق.

وقوله: ﴿ سبحان الله ﴾ أى: سبحوا الله، وعن ابن عباس قال: كل سبحة فى القرآن فهى فى معنى الصلاة.

وفى بعض الأخبار: «أن النبى ﷺ سئل عن أفضل الكلام فقال: سبحان الله وبحمده»[(٣)].

وقد ثبت برواية أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان فى الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»[(٤)]. وهذا آخر خبر ذكره البخارى فى الصحيح. قال رضى الله عنه: حدثنا

---

(١) غير واضح فى «الأصل».

(٢) كذا!!.

(٣) رواه مسلم فى صحيحه (١٧/ ٧٥ رقم ٢٧٣١)، والترمذى (٥/ ٥٣٧ - ٥٣٨ رقم ٣٥٩٣) وقال: حسن صحيح، وأحمد فى مسنده (٥/ ١٦١) عن أبى ذر مرفوعا به.

(٤) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (١١/ ٢١٠ رقم ٦٤٠٦ وطرفاه ٦٦٨٢، ٧٥٦٣)، ومسلم (١٧/ ٣١ رقم ٢٦٩٤).

بهذا الحديث من لفظها كريمة بنت أحمد بمكة، قالت: أخبرنا أبو الهيثم، أخبرنا الفربرى، أخبرنا البخارى بإسناده عن أبى هريرة.. الخبر.

وفى بعض الآثار: «أن سبحان الله وبحمده صلاة أهل السموات وصلاة الخلق كلهم»(١).

وقوله: ﴿حين تمسون﴾ أى: تدخلون فى المساء.

وقوله: ﴿وحين تصبحون﴾ أى: تدخلون فى الصباح.

وقوله: ﴿وله الحمد فى السموات والأرض﴾ قال الضحاك: الحمد لله رداء الرحمن.

وقد ثبت عن النبى ﷺ برواية على - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ لما رفع رأسه من الركوع قال: «سمع الله لمن حمده، ربنا لك الحمد، ملء السموات وملء الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا معطى لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»(٢).

وقوله: ﴿وعشيا﴾ أى: صلوا لله عشيا.

---

(١) رواه البخارى فى الأدب المفرد (ص١٦١ - ١٦٢)، والإمام أحمد فى مسنده (٢/١٦٩-١٧٠،٢٢٥) وصحح إسناده الحافظ ابن كثير فى البداية (١/١٨٨ - ١٨٩). جميعهم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعًا فى حديث طويل، فيه ذكر وصية نوح، وفيه: «سبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل شيء وبها يرزق الخلق ... الحديث»، وعزاه السيوطى فى الدر (٣/١٠٤) للبزار، وابن مردويه، والبيهقى فى الأسماء والصفات. وأورده الحافظ ابن كثير من حديث ابن عمر عند البزار ثم قال: والظاهر أنه عن عبد الله ابن عمرو بن العاص. وله شاهد من حديث جابر رواه ابن أبى شيبة فى مصنفه (١٠/٢٩٢ رقم ٩٤٧٤)، وابن جرير (١٥/٦٥)، وابن أبى حاتم وأبو الشيخ فى العظمة كما فى الدر (٤/٢٠٢).

(٢) رواه مسلم (٦/٨٢-٨٧ رقم ٧٧١)، والترمذى (٢/٥٣ رقم ٢٦٦) وقال: حسن صحيح، وأبو داود (١/٢٠١ - ٢٠٣ رقم ٧٦٠، ٧٦١).

الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ

وقوله: ﴿وحين تظهرون﴾ أى: تدخلون فى الظهر، وفى الآية إشارة إلى أوقات الصلاة الخمس، فقوله: ﴿حين تمسون﴾ إشارة إلى صلاة المغرب والعشاء، وقوله: ﴿حين تصبحون﴾ إشارة إلى صلاة الصبح، وقوله: ﴿وعشيا﴾ إشارة إلى صلاة العصر.

وقوله: ﴿وحين تظهرون﴾ إشارة إلى صلاة الظهر.

قوله تعالى: ﴿يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى﴾ قد بينا معناه من قبل؛ وهو إخراج البيضة من الدجاجة، وإخراج الدجاجة من البيض، وإخراج الكافر من المؤمن، والمؤمن من الكافر، وغير ذلك.

وقوله: ﴿ويحيى الأرض بعد موتها﴾ أى: كما أحيا الأرض بعد موتها كذلك يحييكم بعد موتكم، وهو معنى قوله: ﴿وكذلك تخرجون﴾.

وقال بعضهم: يخرج البليد من الفطن، والفطن من البليد.

وروى الزهرى عن عبيد الله بن عدى بن الخيار[(١)]: «أن النبى ﷺ دخل على بعض نسائه وعندها خالدة بنت الأسود بن عبد يغوث: فقال: من هذه؟ قالوا: هى خالدة بنت الأسود بن يغوث. فقال: سبحان الله! يخرج الحى من الميت، ويخرج الميت من الحى»[(٢)]، وكانت المرأة صالحة، وأبوها كان كافرا.

---

(١) كذا فى «الأصل وك»، ولعله عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، فقد روى الحديث من طريق الزهرى عنه كما سيأتى فى تخريجه. وثَمَّ أمر آخر، وهو أن المزى فى تهذيب الكمال قد ذكر فى شيوخ الزهرى عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة، ولم يذكر ابن عدى بن خيار، ومثله فى ترجمة ابن عدى لم يذكر فيمن روى عنه الزهرى.

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير (٢٥ / ٩٦ رقم ٢٤٨)، والمستغفرى - كما فى الإصابة (٤ / ٢٨٠) - عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة مرسلا. وحسن الهيثمى إسناد الطبرانى فى المجمع. وعزاه السيوطى فى الدر (٢ / ١٨) لعبد الرزاق، وابن سعد، وابن جرير، وابن أبى حاتم، وابن مردويه.

ورواه الطبرانى (٢٥ / ٩٥-٩٦ رقم ٢٤٧)، وابن أبى عاصم - كما فى الإصابة - عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة عن أم خالد به. وقال الحافظ: إن كان محفوظا فعلَّها كانت كنيتها، وخالدة اسمها. وقد أعادها فى الكنى، وقال: تقدمت فى خالدة. ورواه ابن سعد فى الطبقات (٨ / ١٩٥)، وابن جرير (٣ / ١٥١) عن الزهرى معضلا. ورواه ابن سعد (٨ / ١٩٥-١٩٦)، وبقى بن مخلد - كما فى الاستيعاب (٤ / ٢٩٤) - من مسند عائشة.

خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ

قوله تعالى: ﴿ومن آياته أن خلقكم من تراب﴾ أى: خلق أصلكم من تراب؛ وهو آدم صلوات الله عليه.

وقوله: ﴿ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾ أى: تجيئون وتذهبون، ويقال: (تنتشطون)[1].

قوله تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناه: خلق حواء من ضلع آدم، والقول الثانى: أن معناه: خلق من أمثالكم أزواجا لكم، والنساء من جنس الرجال؛ لأنهم جميعا من بنى آدم.

وقوله: ﴿لتسكنوا إليها﴾ هو فى معنى قوله تعالى: ﴿وخلق منها زوجها ليسكن إليها﴾[2] أى: ليأنس بها.

وقوله: ﴿وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ المودة: الحب والعطف، وقد يتفق بين الزوجين من العطف والمودة ما لا يتفق بين الأقارب. وعن مجاهد والحسن وعكرمة أنهم قالوا: المودة: الوطئ، والرحمة: الولد.

وقوله: ﴿إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ التفكر: هو طلب المعنى من الأشياء فيما يتعلق بالقلب.

قوله تعالى: ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾ فيه قولان: أحدهما: أن اختلاف الألسنة هو اختلاف اللغات؛ فللفرس لغة، وللروم لغة، وللترك لغة، وللعرب لغة، وما أشبه هذا. وذكر كعب الأحبار أن الله تعالى قسم اثنتين وسبعين لغة بين الناس، فلولد سام [تسع عشرة[3]] لغة ولولد حام [سبع

(١) فى «ك»: تنتشطون.

(٢) الأعراف: ١٨٩.

(٣) فى «الأصل، وك»: تسعة عشر.

لآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

عشرة[(١)] لغة، والباقى لولد يافث. وأما اختلاف الألوان فهو أن هذا أحمر، وهذا أسود، وهذا أبيض، وما أشبه هذا.

والقول الثانى : أن اختلاف الألسنة هو اختلاف النغمات، فلا يتفق لاثنين نغمة واحدة، واختلاف الألوان معلوم بين الناس، وإن كان كلهم بيضًا أو سودًا، فلا يتفق لونان من جميع الوجوه. وفيه حكمة عظيمة، وهو أنه لو اتفقت الألوان والألسنة [لبطل][(٢)] التمييز، فلم يعرف الأب ابنه، والابن أباه، وكذلك فى الإخوة والأزواج وجميع الناس.

وقوله: ﴿إن فى ذلك لآيات للعالمين﴾ قرأ حفص عن عاصم: «للعَالمين» هو جمع عالم، وأما القراءة المعروفة: «للعالَمين» يعنى: الجن والإنس وجميع الخلق.

قوله تعالى: ﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله﴾ أى: منامكم بالليل، وابتغاؤكم من فضله بالنهار. ويقال معناه: ومن آياته منامكم [واشتغالكم][(٣)] من فضل الله بالليل والنهار.

وقوله: ﴿إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾ أى: يسمعون ما يذكر لهم من هذه الآيات.

قوله تعالى: ﴿ومن آياته يريكم البرق﴾ معناه: من آياته أنه يريكم البرق، وقد بينا وجه القول فى البرق. وعن بعضهم قال: إذا أبرقت السماء أربعين برقة فلا يخلفه أى: لا يتأخر المطر، قال الشاعر :

لا يكن(برقا كبرق)[(٤)] خُلَّبا إن خير البرق [ما][(٥)] الغيث معه

---

(١) فى «الأصل، وك»: سبعة عشر.

(٢) فى «الأصل»: بطل، والمثبت من «ك».

(٣) فى «الأصل و ك»: واستقاكم.

(٤) كذا، وفى تفسير القرطبى (١٤/ ١٩): بروك برقا.

(٥) فى «الأصل»: ماء.

فيُحْيِي به الأرْض بعْد موْتها إنَّ في ذلك لآيات لِّقوْمٍ يعْقلُون ﴿٢٤﴾ ومنْ آياته أن تقُوم السَّماءُ والأرْضُ بأمْره ثُمَّ إذا دعاكُمْ دعْوةً مّن الأرْض إذا أنتُمْ تخْرُجُون ﴿٢٥﴾ ولهُ من في السَّموات والأرْض كُلٌّ لَّهُ قانتُون ﴿٢٦﴾ وهُو الَّذي يبْدأُ الْخلْق ثُمَّ يُعيدُهُ وهُو أهْونُ

وقوله: ﴿ خوفا وطمعا ﴾ أى: خوفا للمسافر، وطمعا للحاضر، ويقال: خوفا من الصواعق، وطمعا فى الغيث.

وقوله: ﴿ وينزل من السماء ماء فيحيى به الأرض بعد موتها إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناه: تكونا بأمره، والقول الثانى: يدوم قيامهما بأمره. وقد أقام السماء بغير عمد ودام ذلك إلى وقته المسمى، وهو بأمره.

وقوله: ﴿ ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض ﴾ قيل: إن الدعوة من صخرة بيت المقدس، ويقال: هى من السماء. والدعوة: هى دعوة إسرافيل.

وقوله: ﴿ من الأرض ﴾ أى: يدعوكم أن تخرجوا من الأرض، وهذا على القول الذى يقول إن الدعوة من السماء.

وقوله: ﴿ إذا أنتم تخرجون ﴾ قد ذكرنا.

قوله تعالى: ﴿ وله من فى السموات والأرض كل له قانتون ﴾ أى: مطيعون، ويقال: مقرون بالعبودية.

وقوله: ﴿ وله ﴾ أى: وله مُلكا وخلقا. فإن قيل: إذا حملنا القنوت على الطاعة فليس كل من فى السموات والأرض يطيعونه! والجواب: أنه ليست الطاعة هاهنا بمعنى طاعة العباد،ة إنما الطاعة هاهنا بمعنى الانقياد بذل(١) كل شيء لما خلق له.

قوله تعالى: ﴿ وهو الذى يبدأ الخلق ﴾ أى: ينشئ الخلق ﴿ ثم يعيده ﴾ أى:

(١) كذا اجتهدت فى قراءتها. و فى «ك»: بين.

عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم

يحييهم بعد ما يميتهم.

وقوله: ﴿وهو أهون عليه﴾ فإن قيل: كيف يستقيم قوله: ﴿وهو أهون عليه﴾ والله لا يشتد عليه شيء؟ والجواب عنه: أن معنى قوله: ﴿وهو أهون عليه﴾ أى: هو هين عليه. وفى قراءة ابن مسعود: «وهو عليه هين». قال الفرزدق شعرا:

إن الذى سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعز وأطول

(بيت)[1] زرارة محتب بفنائه ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

وقوله: أعز وأطول أى عزيزة طويلة، وقال آخر:

لعمرك لا أدرى وإنى لأوْجل على أيّنا تعْدُو المنية أوّل

أى: (لوجل)[2]. والقول الثانى فى الآية أن معناه: وهو أهون عليه على ما يقع فى عقولهم؛ فإن الذى يقع فى عقول الخلق أن الإعادة أهون من الإنشاء، ويقال معناه: هو أهون على الخلق؛ لأن من ابتدأ شيئا مما يشق عليه، فإذا (أعاد)[3] ثانيا يكون أسهل وأهون.

وقوله: ﴿وله المثل الأعلى﴾ أى: الصفة الأعلى، والصفة الأعلى أنه لا شريك له وليس كمثله شيء، قاله ابن عباس. وقال قتادة: الصفة الأعلى أنه لا إله إلا الله.

وقوله: ﴿فى السموات والأرض﴾ يعنى: هذه صفة له عند أهل السموات والأرض.

وقوله: ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ أى: العزيز من حيث الانتقام، الحكيم من حيث التدبير.

(١) فى طبقات فحول الشعراء (٢ / ٣٩٠): بيتا.

(٢) فى «ك»: توجل.

(٣) فى «ك»: أعاده.

مَثَلاً مَنْ أنفسكُمْ هل لَّكُم مِّن مَّا مَلكتْ أيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ في ما رزقْناكُمْ فأنتُمْ فيه سواءٌ تخافُونهُم كخيفتكُمْ أنفُسكُمْ كذلك نُفصِّلُ الآيات لقومٍ يعْقلُون ﴿٢٨﴾ بل اتَّبع الَّذين ظلمُوا أهْواءهُم بغيْر علْمٍ فمن يهْدي منْ أضلَّ اللّهُ وما لهُم مِّن نَّاصرين ﴿٢٩﴾

قوله تعالى: ﴿ضرب لكم مثلا من أنفسكم﴾ أى: شبها من أمثالكم، ثم ذكر الشبه فقال: ﴿هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم﴾ ومعناه: هل لكم فى أموالكم شركاء من عبيدكم يساونكم فيها؟ فإذا لم ترضوا بهذا لأنفسكم فكيف ترضونه لى وتصفوننى به؟.

وقوله: ﴿فيما رزقناكم﴾ أى: فيما أعطيناكم من الرزق والمال.

وقوله: ﴿فأنتم فيه سواء﴾ إشارة إلى ما قلنا.

وقوله: ﴿تخافونهم كخيفتكم أنفسكم﴾ أى: تخافون من مشاركتهم لكم فى أموالكم كما تخافون من أمثالكم، وهو الشريك الحر من الشريك الحر، وأنفسكم هاهنا بمعنى أمثالكم، وفيه قول آخر قاله سعيد بن جبير، وهو أن الآية نزلت فى تلبية المشركين، فإنهم كانوا يقولون: لبيك اللهم لبيك لبيك، لا شريك لك إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك.

وقوله: ﴿تخافونهم كخيفتكم أنفسكم﴾ أى: تخافونهم فى اللائمة كما تخافون لائمة أمثالكم.

وقوله: ﴿كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون﴾ أى: ينظرون إلى هذه الدلائل بعقولهم.

قوله تعالى: ﴿بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم﴾ الأهواء جمع الهوى، والهوى ما يهواه الإنسان، وعن بعضهم: الهوى أعظم معبود.

وقوله: ﴿بغير علم﴾ أى: اتبعوا أهواءهم جهلا بما لا [يجب][1] عليهم.

وقوله: ﴿فمن يهدى من أضل الله﴾ أى: أضله الله.

---

(١) فى «الأصل»: يجيب.

وقوله: ﴿ وما لهم من ناصرين ﴾ أى: يمنعهم من عذابنا.

قوله تعالى: ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفًا ﴾ أى: أخلص دينك لله، وإقامة الوجه هو إقامة الدين، وقد بينا معنى الحنيف.

وقوله: ﴿ فطرة الله التى فطر الناس عليها ﴾ أما نصب الفطرة على الإغراء أى: الزم فطرة الله التى فطر الناس عليها، واختلفوا فى هذه الفطرة، فمنهم من قال: إن الفطرة هاهنا بمعنى الدين.

وقوله: ﴿ فطر الناس عليها ﴾ أى: خلق الناس عليها، ويقال هذا القول عن ابن عباس والكلبى ومقاتل وغيرهم. وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه »(١).

وثبت أيضا عن النبى ﷺ أنه قال - فيما يحكى عن ربه - أنه قال: « خلقت عبادى حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم »(٢).

فإن قيل: كيف يستقيم هذا على أصولكم، وعندكم أن الله تعالى خلق الناس صنفين: مؤمنين، وكافرين؟ هذه الآية والأخبار تدل على أن الله تعالى خلق عباده مؤمنين؛ وقد روى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن الله تعالى أخرج ذرية آدم من صلبه، وخاطبهم بقوله: ﴿ ألست بربكم ﴾(٣) فأقروا بالعبودية والإيمان، فالناس يولدون على ذلك، والجواب عنه: أن أهل العلم اختلفوا فى هذا، فحكى النحاس فى تفسيره عن ابن المبارك: أن الآية فى المؤمنين خاصة، وحكى أبو (عبيد)(٤) فى غريب الحديث عن محمد بن الحسن أنه قال: هذا قبل نزول الأحكام والأمر بالجهاد، كأنه أشار إلى أن الآية منسوخة، ثم ذكر النحاس أن كلا المعنين ضعيف.

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (٣/ ١٦٠ رقم ١٣٥٨ واطرافه ١٣٥٩، ١٣٨٥، ٤٧٧٥، ٦٥٩٩)، ومسلم (١٦/ ٣١٧-٣٢٢ رقم ٢٦٥٨).

(٢) رواه مسلم وغيره من حديث عياض بن حمار، وقد تقدم تخريجه فى سورة الأعراف.

(٣) الأعراف: ١٧٢.

(٤) فى « ك »: أبو عبيدة، وهو خطأ، وهو أبو عبيد القاسم بن سلام الإمام المشهور، صاحب الغريب وغيره.

أما [ما] ذكره ابن المبارك فهو مجرد تخصيص، وليس عليهم دليل، وأما ما ذكره محمد بن الحسن فهو إثبات النسخ فى الأخبار، والأخبار لايرد عليها النسخ، والصحيح فى معنى الآية والخبر أن معنى الفطرة هو أن كل إنسان يولد على أنه متى سئل: مَنْ خلقك؟ فيقول: الله خلقنى، وهو المعرفة التى تقع فى أصل الخلقة.

قال أبو (عبيد)(١) الهروى: وهو معرفة الغريزة والطبيعة، وإلى هذا وقعت الإشارة فى قوله: ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ﴾(٢) وبهذا القدر لا يحصل الإيمان المأمور به، فالناس خلقوا على هذه الفطرة، وأما حقيقة الإيمان وحقيقة الكفر فالناس من ذلك على قسمين على ما ورد به الكتاب والسنة. قال الزجاج والنحاس: وهذا قول أهل السنة. وهذا القول اختيار ابن قتيبة أيضا.

وقوله: ﴿ لا تبديل لخلق الله ﴾ على هذا القول أى: لا أحد يرجع إلى نفسه إلا ويعلم أن له إلها وخالقا.

والقول الثانى فى الآية: هو أن فطرة الله هاهنا بمعنى دين الله، فالخلق يولدون على العهد الذى أخذ عليهم يوم الميثاق، وهو فطرة الله، وهذا القول حكى عن الأوزاعى وحماد بن سلمة.

وقد ورد فى الخبر الذى روينا، وهو قوله: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه كما تُنْتَج البهيمةُ بهيمةً هل تحسُّون فيها من جدعاء»؟! قال: اقرءوا إن شئتم: ﴿ فطرة الله التى فطر الناس عليها ﴾(٣).

قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث على اللفظ محمد بن. عبد الله بن محمد ابن أحمد، قال: أخبرنا أبو سهل عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار، أخبرنا الغدافرى، أخبرنا الدبرى، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهرى، عن سعيد بن المسيب، عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ.. الحديث.

(١) فى «ك»: أبو عبيدة، وهو خطأ، وهو العلامة اللغوى أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن أبو عبيد الهروى الشافعى المؤدب صاحب الغريبين معجم الأدباء (٤ / ٢٦٠-٢٦١)، والسير (١٧ / ١٤٦-١٤٧).

(٢) الزخرف: ٨٧.

(٣) متفق عليه، وقد تقدم تخريجه فى الصفحة السابقة، وقوله: اقرءوا... إلى آخر الحديث من قول أبى هريرة.

وفى الآية قول ثالث: وهو ما روى أبو عبيد الهروى فى الغريبين عن ابن المبارك قال: قوله: «على الفطرة» أى: على ابتداء الخلقة فى علم الله مؤمنا أو كافرا. وحكى عن أبى الهيثم قال: المراد من الفطرة هو الخلقة التى فُطر عليها الإنسان فى الرحم من سعادة أو شقاوة، فأبواه يهودانه يعنى: فى حكم الدنيا. وقد صحح كثير من أهل المعانى ما ذكرناه من قبل، وهو أن الآية فى المسلمين خاصة، وهو عموم بمعنى الخصوص.

وقوله: ﴿لا تبديل لخلق الله﴾ فيه أقوال: أحدها: ما بينا من قبل، والقول الثانى: لا تبديل لخلق الله أى: لا ينقلب السعيد شقيا، ولا الشقى سعيدا إذا خلق على أحدهما.

والقول الثالث: لا تبديل لخلق الله أى: لا أحد يخلق مثل خلق الله، ومعناه: أنه لا خالق غيره.

وعن عكرمة قال: لا تبديل لخلق الله: هو تحريم الإخصاء.

وقد اختلف العلماء فيه، منهم من حرم فى الكل، ومنهم من أباح فى جميع البهائم سوى الآدمى، ومنهم من أباح فى جميع البهائم سوى الفرس؛ لأن فيه قطع النسل، والنسل يقصد فى الخيل ما لا يقصد فى غيره. وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «خير المال سكة مأبورة، وفرس مأمورة»[1]. والسكة المأبورة هى النخل المصطفة التى قد أبرت، والفرس المأمورة كثيرة النتاج.

---

(١) عن سويد بن هبيرة رواه الإمام أحمد فى مسنده (٣ / ٤٦٨)، والبخارى فى تاريخه (١ / ٤٣٨ – ٤٣٩)، والدولابى فى الكنى (٢ / ١٧)، وابن سعد فى الطبقات (٧ / ٥٥)، والطبرانى فى الكبير (٧ / ٩١ رقم ٦٤٧٠ ، ٦٤٧١)، وابن الأعرابى فى معجمه (١ / ٤٦٨ رقم ٤٩٩)، والقضاعى فى مسند الشهاب (٢ / ٢٣٠ – ٢٣١ رقم ١٢٥٠ ، ١٢٥١)، والبيهقى فى السنن (١٠ / ٦٤). وعزاه الزيلعى فى تخريج الكشاف (٢ / ٢٦١) لابن أبى شيبة، والحارث بن أبى أسامة، وأبى عبيد والحربى فى غريبيهما. وزاد: ورواه إسحاق بن راهويه فى مسنده موقوفا على سويد.

وأما إذا حملنا الفطرة على الدين فقوله: ﴿لا تبديل لخلق الله﴾ خبر بمعنى الأمر، كأنه قال: لا تبدلوا دين الله. وقد ورد في الخبر: الفطرة بمعنى كلمة الإسلام.

روى البراء بن عازب أن النبي ﷺ قال: «إذا أخذ أحدكم مضجعه ثم قال: اللهم أسلمت نفسي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، قال: فإن مات مات على الفطرة»(١).

وقد وردت الفطرة بمعنى السنة، وذلك في الخبر المعروف عن النبي ﷺ أنه قال: «عشر من الفطرة»(٢) أي: من السنة الخبر.

وقوله: ﴿ذلك الدين القيم﴾ أي: الدين المستقيم، ويقال: الحساب المستقيم.

وقوله: ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ ظاهر المعنى، وأنشدوا في الفطرة قول كعب بن مالك شعرا:

إن تقتلونا فدين الله فطرتنا   والقتل في الحق عند الله تفضيل

قوله تعالى: ﴿منيبين إليه﴾ أي: اتبعوا دين الله ﴿منيبين إليه﴾ أي: راجعين [إليه](٣). قال الحسن البصري: راجعين إلى الله بصلاتكم وأعمالكم. وعن بكر بن عبد الله المزني أنه قال: المنيب هو الذي يمشي على الأرض وقلبه عند الله. فإن قيل: كيف يستقيم قوله: ﴿منيبين﴾ وقد خاطب في الابتداء واحدا، وهو الرسول ﷺ بقوله: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا﴾؟ والجواب عنه، أن قوله: ﴿فأقم وجهك﴾ أي: فأقم وجهك وأمتك معك منيبين إلى الله، وحقيقة المعنى: اتبعوا الدين القيم منيبين إلى الله.

---

(١) متفق عليه. رواه البخاري (١/ ٤٢٦ رقم ٢٤٧ وأطرافه ٦٣١١، ٦٣١٣، ٦٣١٥، ٧٤٨٨)، ومسلم (١٧/ ٥١ - ٥٤ رقم ٢٧١٠).

(٢) سبق تخريجه في سورة البقرة.

(٣) من «ك».

وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا

وقوله: ﴿واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين﴾ أى: الجاحدين.

قوله تعالى: ﴿من الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا﴾ أى: تركوا دينهم، وقرئ: «فَرَّقُوا دينهم» أى: تفرقوا فى دينهم. وفى الآية أقوال، أظهر الأقاويل: أن المراد منهم اليهود والنصارى.

وقد روى فى بعض الأخبار: «أن اليهود افترقوا على إحدى وسبعين فرقة، والنصارى افترقوا على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة، كلها فى النار إلا واحدة»(١).

والقول الثانى: أن المراد من الآية هم الخوارج، حكى هذا عن أبى أمامة الباهلى.

والقول الثالث: أن المراد من الآية أهل الأهواء والبدع، وقد روى هذا فى خبر مسند عن عائشة - رضى الله عنها - أن النبى ﷺ قال لها: «إن الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا هم أهل الأهواء والبدع من هذه الأمة، يا عائشة، إن لكل قوم توبة إلا أهل الأهواء والبدع فليس لهم توبة، أنا منهم برىء، وهم منى براء»(٢).

وقوله: ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾ أى: راضون بما عندهم. وقال بعض أهل

(١) رواه أبو داود (٤ / ١٩٨ رقم ٤٥٩٧)، وأحمد (٤ / ١٠٢)، والدارمى (٢ / ٣١٤ رقم ٢٥١٨)، وابن أبى عاصم فى السنة (رقم ٦٩،٢)، والحاكم (١ / ١٢٨) وقال: هذه أسانيد تقوم بها الحجة فى تصحيح هذا الحديث، والآجرى فى الشريعة (ص١٨) من حديث معاوية بن أبى سفيان. وحسن الحافظ ابن حجر إسناده فى تلخيصه لتخريج الكشاف.

وله شواهد عن أنس، وسعد بن أبى وقاص، وأبى هريرة، وعمرو بن عوف المزنى، وعوف بن مالك، وأبى أمامة، وجابر بن عبد الله، وانظر تخريج أحاديث الكشاف للزيلعى (١ / ٤٤٧ - ٤٥٠ رقم ٤٥٥).

(٢) رواه الطبرانى فى الصغير (١ / ٣٣٨ رقم ٥٦٠)، وابن أبى عاصم فى السنة (١ / ٨رقم٤)، وأبو نعيم فى الحلية (٤ / ١٣٧ - ١٣٧) من حديث عمر بن الخطاب به مرفوعا. وقال أبو نعيم: غريب من حديث شعبة تفرد به بقية. وقال ابن كثير (٢ / ١٦٩): غريب، ولايصح رفعه. وقال الهيثمى فى المجمع (١ / ١٩٣): رواه الطبرانى فى الصغير، وإسناده جيد. وعزاه السيوطى فى الدر (٣ / ٦٩) للحكيم الترمذى، وابن أبى حاتم، وأبى الشيخ، والطبرانى، وأبى نعيم، وابن مردويه، وأبى نصر السجزى فى الإبانة، والبيهقى فى الشعب.

أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ

اللغة: الحزب بمعنى الناصر، قال الشاعر:

أم كيف أخنوا وبلال حزبى

أى: ناصرى

قوله تعالى: ﴿وإذا مس الناس ضر﴾ أى: شدة.

وقوله: ﴿دعوا ربهم منيبين إليه﴾ أى: منقلبين إليه بالدعاء، ومعناه: أنهم إذا وقعوا فى الشدة تركوا دعاء الأصنام، ودعوا الله وحده.

وقوله: ﴿ثم إذا أذاقهم منه رحمة﴾ أى: كشف الشدة عنهم برحمته.

وقوله: ﴿إذا فريق منهم بربهم يشركون﴾ أى: عادوا إلى رأس شركهم.

قوله تعالى: ﴿ليكفروا بما آيتناهم﴾ قد بينا من قبل.

وقوله: ﴿فتمتعوا فسوف تعلمون﴾ صورة أمر بمعنى التهديد، وقرأ ابن مسعود: «وليتمتعوا فسوف يعلمون».

قوله تعالى: ﴿أم أنزلنا عليهم سلطانا﴾ أى: حجة وعذرا، ويقال: أم أنزلنا عليهم سلطانا أى: كتابا ينطق بشركهم، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿فهو يتكلم بما كانوا به يشركون﴾.

قوله تعالى: ﴿وإذا أذقنا الناس رحمة﴾ أى: الخصب وكثرة المطر، ويقال: الأمن والعافية.

وقوله: ﴿فرحوا بها﴾ الفرح هاهنا فرح البَطَر وترك الشكر.

وقوله: ﴿وإن تصبهم سيئة﴾ أى: الجدب وقلة المطر، ويقال : الخوف والبلاء.

﴿٣٦﴾ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
﴿٣٧﴾ فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ

وقوله: ﴿ بما قدمت أيديهم ﴾ يعنى: من الذنوب.

وقوله ﴿ إذا هم يقنطون ﴾ أى: ييأسون، وهذا علامة غير المؤمنين، فأما علامة المؤمنين فهو شكر الله عند النعمة، ورجاء الكشف عند الشدة.

وقوله تعالى: ﴿ أو لم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ﴾.

وقوله: ﴿ ويقدر ﴾ أى: يضيق.

وقوله: ﴿ إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾ أى: يصدقون.

قوله تعالى: ﴿ فآت ذا القربى حقه ﴾ أكثر المفسرين على أن المراد من إيتاء ذى القربى هاهنا صلة الرحم بالعطية والهدية، وقال قتادة: من لم يعط قرابته، ويمشى إليه برجليه فقد قطع رحمه. وقد حمل بعضهم الآية على إعطاء ذوى قربى الرسول.

قوله: ﴿ والمسكين ﴾ أى: الطواف.

وقوله: ﴿ وابن السبيل ﴾ أى: المسافر، وقيل: الضيف.

وقد صح أن النبى ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»(١).

وروى عنه عليه الصلاة والسلام قال: «الضيافة ثلاثة أيام، وجائزته يوم وليلة»(١).

قال مالك: ومعنى الجائزة أنه يتكلف له فى يوم وليلة، وأما ما سوى ذلك فيقدم إليه ما حضر.

وقوله: ﴿ ذلك خير للذين يريدون وجه الله ﴾ أى: يطلبون رضا الله عنه.

وقوله: ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ أى: الفائزون.

قوله تعالى: ﴿ وما آتيتم من ربا ليربوا فى أموال الناس ﴾ أكثر أهل التفسير أن

(١) تقدم تخريجه فى تفسير سورة النساء.

وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ

المراد من الآية هو أن يعطى الرجل غيره عطية ليعطيه أكثر منها، وهذا جائز للناس أن يفعلوا غير أنه فى القيامة لا يثاب عليه، فهو معنى قوله: ﴿فلا يربوا عند الله﴾ وقد كان هذا الفعل حراما على النبى ﷺ، قال الله تعالى له: ﴿ولا تمنن تستكثر﴾[١] أى: لا تعط وتطلب أن تُعطَى أكثر مما أعطيت. وعن إبراهيم النخعى قال: كان الرجل يعطى صديقه مالا ليكثر مال الصديق، ولا (يرد)[٢] به وجه الله، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية. وقرئ «لِتُرْبُوا فى أموال الناس» من أموال الناس «فلا يربوا عند الله» أى: لا يكثر عند الله.

وقوله: ﴿وما آتيتم من زكاة﴾ أى: صدقة.

وقوله: ﴿تريدون وجه الله﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿فأولئك هم المضعفون﴾ أى: ذو الأضعاف.

تقول العرب: القوم مسمنون ومهزلون وملبنون، والمعنى ما بينا.

قال الشاعر:

(يخبرهم على حذر وقالت بنى (معلكم)[٣] بظل مسيف)[٤]

أى: ذو سيف.

قوله تعالى: ﴿الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم﴾ الآية ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شىء﴾ أى: مثل ذلكم من شىء.

وقوله: ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ قد بينا من قبل.

(١) المدثر: ٦.

(٢) فى «ك»: يريد.

(٣) كذا! وفى «ك»: معلمكم!

(٤) كذا!.

رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ

قوله تعالى: ﴿ظهر الفساد فى البر والبحر﴾ فى الآية أقوال: أحدها: ما روى عن ابن عباس أنه قال: الفساد فى البر هو قتل أحد ابنى آدم أخاه، والفساد فى البحر هو غصب الملك السفينة، فكلاهما فى القرآن.

وعن الضحاك قال: كانت الأرض خضرة زهرة نضرة مؤنقة، وكان لا يأتى ابن آدم شجرة إلا وجد عليها ثمرة، وكان ماء البحر عذبا، وكان لا يقصد الأسد البقر والغنم، ولا السنور الفأرة، وما أشبه ذلك، فلما قتل أحد بنى آدم أخاه اقشعرت الأرض وشاكت الأشجار، وصار ماء البحر ملحا زعاقا، وقصد الحيوانات بعضها بعضا.

والقول الثانى فى الآية أن المراد من الفساد فى البر هو الجدوبة والقحط، والفساد فى البحر قلة المطر، فإن قيل: وأى فساد بقلة المطر فى البحر والبر؟ قلنا: أما فى البر فظهور الشدة والقحط، وأما فى البحر فقد قالوا: إنه إذا لم يأت المطر فى البحر عميت دواب البحر، ويقال: إذا لم يأت المطر فى البحر خلت أجواف الأصداف من اللؤلؤ، فإن الصدف إذا جاء المطر يرتفع إلى وجه البحر، ويفتح فاه، فما يقع فيه يصير لؤلؤا. والقول الثالث فى الآية - وهو الأظهر - أن البر هو البوادى والمفازة، والبحر هو القرى والأمصار، والعرب تسمى كل قرية أو مصر على ماءٍ جارٍ بحراً.

وقوله: ﴿بما كسبت أيدى الناس﴾ أى: بما أذنبوا، وقد قال الله تعالى: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء﴾.(١)

وقوله: ﴿ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون﴾ أى: يرجعون إلى الله بالتوبة.

قوله تعالى: ﴿قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل﴾ أى: آخر أمر الذين كانوا من قبل.

---

(١) الأعراف: ٩٦.

كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ

وقوله: ﴿ كان أكثرهم مشركين ﴾ أى: بالله.

قوله تعالى: ﴿ فأقم وجهك للدين القيم ﴾ أى: اقصد جهة الدين القيم، وقيل: سدد عملك للدين القيم، ويقال: استقم على الدين القيم.

وقوله: ﴿ من قبل أن يأتى يوم لا مرد له ﴾ أى: القيامة لا يقدر أحد على رده من الله.

وقوله: ﴿ يومئذ يصدعون ﴾ أى: يتفرقون فريق فى الجنة وفريق فى السعير.

قال الشاعر:

وكنا كَنَدْمَانَىْ جَذِيمَةَ حقبةً ... من الدهرِ حتى قيل لن يَتَصدَّعا

أى: لن يتفرقا.

وقوله تعالى: ﴿ من كفر فعليه كفره ﴾ أى: وبال كفره.

وقوله: ﴿ ومن عمل صالحًا فلأنفسهم يمهدون ﴾ أى: موطئون المضاجع، ويقال: يبسطون الفرش، قال الشاعر:

أمهد لنفسك حان السقم والتلف ... ولا تضيعــن نفسًا ما لها خلف

وقوله: ﴿ ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله إنه لا يحب الكافرين ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات ﴾ الريح: جسم رقيق يجرى فى الجو يمينا وشمالا على ما دبر من حركاته فى جهاته ممتنع القبض عليه للطفه. وعن عبد الله بن عمرو قال: الرياح أربعة للرحمة، وأربعة للعذاب، وجملتها ثمانية: فالتى للرحمة: المبشرات، والناشرات، والذاريات، والمرسلات، والتى للعذاب: العقيم، والصرصر فى البر، والعاصف، والقاصف فى البحر.

لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ

وقوله: ﴿وليذيقكم من رحمته﴾ أى: المطر، ويقال: طيب الريح ولذتها.

وقوله: ﴿ولتجرى الفلك بأمره﴾ أى: لتجرى الفلك فى البحر بهذه الرياح بأمره.

وقوله: ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ أى: لتطلبوا من فضل الله تعالى بالتجارات فى البحر.

وقوله: ﴿ولعلكم تشكرون﴾ يعنى: تشكرون الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات﴾ أى: بالدلالات.

وقوله: ﴿فانتقمنا من الذين أجرموا﴾ أى: أجرموا بالتكذيب.

وقوله: ﴿وكان حقًا علينا نصر المؤمنين﴾ أى: نصرة المؤمنين بإنجائهم، وقيل: نصرة المؤمنين بالذب عنهم، ودفع العذاب [عنهم](١).

وفى بعض المسانيد برواية أم الدرداء أن النبى ﷺ قال: «من ذب عن عرض أخيه المسلم كان حقا على الله أن يرد عنه النار يوم القيامة، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وكان حقا علينا نصر المؤمنين﴾»(٢).

وقوله تعالى: ﴿الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا﴾ أى: ينشر السحاب، وفى بعض التفاسير أن الله تعالى يرسل ريحا فتقم الأرض قمًّا، ثم يرسل ريحا فتدر

(١) فى «الأصل وك»: منهم.

(٢) رواه ابن أبى حاتم - كما فى تفسير ابن كثير (٣/ ٤٣٦) - وعزاه المنذرى فى الترغيب (٣/ ٥١٧) لأبى الشيخ فى التوبيخ، وعزاه أيضا السيوطى فى الدر (٥/ ١٧١) لابن أبى حاتم والطبرانى وابن مردويه، وعزاه العراقى فى المغنى (٣/ ١٢٧) لابن أبى الدنيا، وقال: وفيه شهر بن حوشب، وهو عند الطبرانى من وجه آخر... وكلاهما ضعيف.

جميعهم من حديث أبى الدرداء، ولم أقف عليه من مسند أم الدرداء كما أورده المصنف.

الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَانظُرْ إِلَىٰ

السحاب بالمطر، فهذا معنى الآية.

وقوله تعالى: ﴿ فيبسطه فى السماء كيف يشاء ﴾ أى: مسيرة يوم ومسيرة يومين وأكثر على ما يشاء.

وقوله: ﴿ ويجعله كسفا ﴾ أى: قطعا.

وقوله: ﴿ فترى الودق يخرج من خلاله ﴾ قرأ الضحاك: «من خَلَلِه»، والودق: المطر، قال الشاعر:(١)

فلا مزنة ودقت ودقها ... ولا أرض أبقل إبقالها

وقيل: الودق: هو البرق، والأول أظهر.

وقوله: ﴿ فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون ﴾ أى: يبشر بعضهم بعضا.

وقوله: ﴿ وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين ﴾ أى: آيسين. وفى حرف ابن مسعود: «وإن كانوا من قبل أن ننزل عليهم من قبله لمبلسين»(٢).

فإن قيل: فما معنى تكرار قوله: ﴿ من قبل ﴾ هاهنا، وأى فائدة فيه؟ والجواب عنه من وجهين: أحدهما: أنه على طريق التأكيد وهو قول أكثر أهل النحو، والعرب تفعل كثيرا مثل هذا. والثانى: أن معناه: من قبل: السحاب، «ومن قبل، إنزال المطر؛ فأحدهما يرجع إلى إنزال المطر، والآخر يرجع إلى إنشاء السحاب.

قوله تعالى: ﴿ فانظر إلى آثار رحمة الله ﴾ وقرئ: «أَثَرِ رحمة الله» والآثار جمع

(١) هو عامر بن جوين الطائى، كذا عند ابن منظور فى لسان العرب (١٠/٣٧٣) وساق له هذا البيت.

(٢) كذا، وفى تفسير البغوى: «وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم لمبلسين».

آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَن

الأثر، والأثر بمعنى الآثار.

وقوله: ﴿كيف يحيى الأرض بعد موتها﴾ أى: كيف يحيى الله الأرض بالمطر بعد موتها؟ فهو يحيى الموتى يوم القيامة. وقد قال بعضهم: يحيى الأرض بعد موتها أى: القلوب الغافلة بنور العلم واليقين والتفسير.

وقوله ﴿وهو على كل شىء قدير﴾ أى: قادر.

قوله تعالى: ﴿ولئن أرسلنا ريحًا فرأوه مصفرا﴾ فيه قولان: أحدهما: رأوا الريح مصفرا، وإذا كان الريح على هذا الوجه لم ينفع. والقول الثانى - وهو المعروف - فرأوه مصفرا أى: رأوا الزرع مصفرا.

وقوله: ﴿لظلوا من بعده يكفرون﴾ يقال: ظل فلان يفعل كذا أى: جعل يفعل كذا - وهو مثل قولهم: أضحى فلان يفعل كذا، إلا أن قوله ظل يفعل فى العادة تستعمل فى جميع النهار، وقوله أضحى تستعمل فى أول النهار.

وقوله: ﴿يكفرون﴾ أى: يجحدون، وقيل: يكفرون النعمة.

قوله تعالى: ﴿فإنك لا تسمع الموتى﴾ أى: الكفار، وجعلهم بمنزلة الميت؛ لأنهم لم ينتفعوا بحياتهم.

وقوله: ﴿ولا تسمع الصم الدعاء﴾ جعلهم بمنزلة الصم؛ لأنهم لم ينتفعوا بأسماعهم.

وقوله: ﴿إذا ولوا مدبرين﴾ أى: معرضين، فإن قيل: الأصم لا يسمع سواء أقبل أو أدبر، فأيش معنى هذا الكلام؟ والجواب عنه: إذا كان مقبلا إن لم يسمع يفهم بالإشارة، وإذا كان مدبرا لم يسمع ولا يفهم بالإشارة.

ضَلالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلاَّ مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ

قوله تعالى: ﴿ وما أنت بهاد العمى عن ضلالتهم ﴾ أى: بصارف العمى عن ضلالتهم، والعمى هم الكفار. ويقال: بمرشد العمى من ضلالتهم.

وقوله: ﴿ إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا ﴾ أى: ما تسمع إلا من يؤمن بآياتنا.

وقوله: ﴿ فهم مسلمون ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ الله الذى خلقكم من ضعف ﴾ وقرئ: « من ضُعف » بالفتح والضم جميعًا، وهما بمعنى واحد. والأولى« من ضُعف » بالضم لما روى عن عطية أنه قال: « قرأت على عبد الله بن عمر هذه الآية، فقرأت: « من ضَعف » بالنصب، فقال:« من ضُعف » بالضم، وقال: أخذ على رسول الله ﷺ كما أخذته عليك »(١).

وقوله: ﴿ من ضعف ﴾ أى: من ماء مهين، وقيل: من ذى ضعف.

وقوله: ﴿ ثم جعل من بعد ضعف قوة ﴾ أى: شبابا، وهو وقت القوة.

وقوله: ﴿ ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة ﴾ وهو الهرم والشيب، [والشيب](٢): نذير الموت، قال الشاعر:

رأيت الشيب من نذر المنايا لصاحبه وحسبك من نذير

وقوله: ﴿ يخلق ما يشاء وهو العليم القدير ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ﴾ أى: يحلف المجرمون.

---

(١) رواه أبو داود (٤ / ٣٢ رقم ٣٩٧٨)، والترمذى (٥ / ٧٤ رقم٢٩٣٦) وقال: حسن غريب، والحاكم (٢ /٢٤٧)، والعقيلى فى الضعفاء (٢ /٢٣٨)، وابن الأعرابى فى معجمه (٢ / ٣٦١ رقم ١١٧٥، ١١٣٧) من حديث عطية عن ابن عمر به.

وعزاه السيوطى فى الدر (٥ / ١٧١) لسعيد بن منصور، وأحمد، وأبى داود، والترمذى وحسنه، وابن المنذر، والطبرانى، والشيرازى فى الألقاب، والدارقطنى فى الأفراد، وابن عدى، والحاكم، وأبى نعيم فى الحلية، وابن مردويه، والخطيب فى تالى التلخيص.

(٢) من « ك ».

الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ

وقوله: ﴿ما لبثوا غير ساعة﴾ أى: فى قبورهم، وقيل: فى الدنيا، وإنما قالوا ذلك من هول ما رأوا من القيامة؛ فنسوا ما كان قبل ذلك.

وقوله: ﴿كذلك كانوا يؤفكون﴾ أى: يصرفون عن الحق.

قوله تعالى: ﴿وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم فى كتاب الله﴾ أى: فى حكم الله وعلمه، قال الشاعر:

ومـال الولاء بالبـلاء فملتـم وما ذاك قال الله [إذ] هو يكتب

أى: يحكم، وقيل: فى الآية تقديم وتأخير ومعناه: وقال الذين أوتوا العلم فى كتاب الله والإيمانَ لقد لبثتم إلى يوم البعث.

وقوله: ﴿فهذا يوم البعث﴾ أى: القيامة.

وقوله: ﴿ولكنكم كنتم لا تعلمون﴾ أى: لا تعلمون أن القيامة حق.

قوله تعالى: ﴿فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم﴾ أى: عذرهم، والمعذرة: إظهار ما يسقط اللائمة.

وقوله: ﴿ولا هم يستعتبون﴾ أى: لا يستتابون. وقيل: لا يطلب منهم العتبى.

قوله تعالى: ﴿ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل﴾ أى: من كل شبه.

وقوله: ﴿ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون﴾ ظاهر المعنى.

وقوله تعالى: ﴿كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون﴾ الطبع والختم بمعنى واحد، وهو الذى يمنع القلب من البصر. وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال:

لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ .

«أعوذ بالله من طمع يدنى إلى طبع»[١]، قال الأعشى:

له أكاليـل بالياقـوت فضلها   صواغها لا ترى عيبا ولا طبعا

قوله تعالى: ﴿فاصبر إن وعد الله حق﴾ يعنى: وعد القيامة.

وقوله تعالى: ﴿ولا يستخفنك الذين لا يوقنون﴾ أى: لا يستجهلنك؛ فإن الخفة تؤدى إلى الجهل، ومعناه: لا يحملنك الذين لا يوقنون وأتباعهم فى الغى، فأمره الله تعالى بالصبر على الحق وترك اتباعهم فى الضلالات، وأن لا يصغى إلى أقوالهم. وقد روى أن عليا - رضى الله عنه - كان يصلى مرة فناداه رجل، وقال: لا حكم إلا لله، وكان الرجل من الخوارج؛ فقرأ على فى صلاته: ﴿فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون﴾.

---

(١) رواه أحمد فى مسنده (٥/ ٢٣٢، ٢٤٧)، والطبرانى فى الكبير (٢٠/ ٩٣)، وفى الدعاء له (٣/ ١٤٤٨ رقم ١٣٨٧)، والبزار (٢/ ٤٤٧ رقم ٢١٨٨ - مختصر الزوائد) بنحوه، وعبد بن حميد (٧٠ رقم ١١٥)، والشاشى فى مسنده (٣/ ٢٦٣ رقم ١٣٦٥)، والحاكم (١/ ٥٣٣) وقال: مستقيم الإسناد، وأبو نعيم فى الحلية (٥/ ١٣٦) عن معاذ مرفوعاً: «استعيذوا من طمع يهدى إلى طبع».

وقال الهيثمى (١٠/ ١٤٧): رواه الطبرانى وأحمد والبزار بنحوه، وفيه عبد الله بن عامر الأسلمى، وهو ضعيف. وفى الباب عن المقدام بن معدى كرب بنحوه، رواه الطبرانى فى الكبير (٢٠/ ٢٧٤)، وفى الأوسط (٨/ ٥٧ - ٥٨ رقم ٤٧٠٤ مجمع البحرين)، وقال الهيثمى: رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط، وفيه محمد بن عيسى الطباع، ولم أعرفه.

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓمٓ ﴿١﴾ تلك آيات الكتاب الحكيم ﴿٢﴾ هدًى ورحمةً للمحسنين ﴿٣﴾ الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون ﴿٤﴾ أولئك على هدًى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴿٥﴾ ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن

تفسير سورة لقمان

كلها مكية إلا ثلاث آيات نبينها إذا وصلنا إليها، والله أعلم

قوله تعالى ﴿ الٓمٓ تلك آيات الكتاب الحكيم ﴾ أى: المحكم بالحلال والحرام وذكر الأحكام، ويقال: بالوعد والوعيد، والثواب والعقاب. وقال بعضهم: الحكيم الذى يبين الحكمة، كالحكيم الذى ينطق بالحكمة.

وقوله: ﴿ هدًى ورحمةً ﴾ الأكثرون قرءوا بالنصب، قال الزجاج: هو نصب على الحال. وقرأ حمزة: « هدًى ورحمة » أى: هو هدى ورحمة، ومعناه: بيانٌ من الضلالة، ورحمةٌ من العذاب.

وقوله: ﴿ للمحسنين ﴾ أى: للمسلمين، والمسلم محسن إلى نفسه، وقد صح الخبر أن النبى ﷺ سئل عن الإحسان فقال: « أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك »(١). ويقال: المحسن هو الذى يحب للناس ما يحب لنفسه.

وقوله: ﴿ الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون ﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿ أولئك على هدى من ربهم ﴾ وقوله: ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ أى: السعداء، ويقال: الناجون، وقيل: هم الذين أدركوا ما أملوا، ونجوا مما عنه هربوا.

قوله تعالى: ﴿ ومن الناس من يشترى لهو الحديث ﴾ ذكر الكلبى ومقاتل أن الآية

---

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى فى صحيحه (١ / ١٤٠ رقم ٥٠، ٨ / ٣٧٣ رقم ٤٧٧٧)، ومسلم (١ / ٢٢٧ - ٢٣٣ رقم ٩، ١٠).

ورواه مسلم (١ / ٢١٣ - ٢٢٧ رقم ٨)، والترمذى (٥ / ٨ - ٩ رقم ٢٦١٠) وقال: حسن صحيح، وأبو داود (٤ / ٢٢٣ - ٢٢٤ رقم ٤٦٩٥)، والنسائى (٨ / ٩٧ - ١٠١ رقم ٤٩٩٠)، وابن ماجه (١ / ٢٤ - ٢٥ رقم ٦٣)، وأحمد (١ / ٢٧، ٥١، ٥٢، ٥٣)، وابن حبان (١ / رقم ١٦٨، ١٧٣) من حديث عمر بن الخطاب.

نزلت فى النضر بن الحارث بن كلدة، وكان يأتى الحيرة فيشترى أحاديث العجم، وكان النبى ﷺ إذا قرأ القرآن، قام وقال: أيها الناس إن محمدا يحدث عن عاد وثمود، وأنا أحدثكم عن رستم واسفنديار والعجم، فأنا أحسن حديثا منه، فأنزل الله تعالى فيه هذه الآية.

وروى أبو أمامة الباهلى عن النبى ﷺ أنه قال: «حرام تعليم المغنيات وبيعهن وشرائهن وأثمانهن حرام، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يشترى لهو الحديث﴾ وقال: ما من رجل رفع عقيرته بالغناء إلا ويأتى شيطانان، فيقعد أحدهما على كتفه الأيمن، والآخر على كتفه الأيسر، ويضربان برجلهما على ظهره وصدره حتى يكون هو يسكت»(١).

وعن عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس ومجاهد والحسن وعكرمة وأكثر المفسرين أن الآية نزلت فى الغناء، وكان عبد الله بن مسعود يحلف على ذلك. وعن إبراهيم النخعى قال: كانوا يقولون الغناء ينبت النفاق فى القلب. قال إبراهيم: وكانوا يسدون أفواه السكك ويخرقون الدفوف. وعن الضحاك قال: ﴿ومن الناس من يشترى لهو الحديث﴾ هى الشرك بالله. وعن ابن جريج: هو الطبل. وفى الأخبار المسندة أن النبى ﷺ قال: «هو المعازف والقِيان». وعن سهل بن عبد الله التسترى قال: لهو الحديث هو الجدال فى الدين، والخوض فى الباطل.

وقوله: ﴿ليضل عن سبيل الله﴾ أى: دين الله، وقرئ «لِيَضِلَ عن سبيل الله».

(١) رواه الطبرانى فى الكبير (٨/ ١٨٠-١٨١ رقم٧٧٤٩)، والبغوى فى تفسيره (٣/ ٤٨٩)، وابن الجوزى فى تلبيس إبليس (٢٨٦)، والواحدى فى أسباب النزول (٢٦٠).
وروى شطره الأول الترمذى(٣/ ٥٧٩ رقم ١٢٨٢، ٥/ ٣٢٢ رقم ٣١٩٥) وقال: غريب... وعلى بن زيد يضعف فى الحديث، وابن ماجه (٢/ ٧٣٣ رقم٢١٦٨)، وأحمد (٥/ ٢٦٤)، والطبرى (٢١/ ٦٠)، والبيهقى فى سننه (٦/ ١٤ - ١٥)، وابن الجوزى فى العلل المتناهية (٢/ ٧٨٣ -٧٨٤) وقال: ليس فيها شىء يصح. وعزاه السيوطى فى الدر (٥/ ١٧٢) لسعيد بن منصور، وابن أبى الدنيا فى ذم الملاهى، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وابن مردويه.
وروى شطره الثانى الطبرانى (٨/ ٧٨٢٥)، وابن عدى فى الكامل (٦/ ٣١٤ - ٣١٥)، وعزاه الزيلعى فى تخريج الكشاف (٣/ ٦٩ - ٧٠) لأبى يعلى، وابن راهويه، والحارث بن أبى أسامة، وابن مردويه، والثعلبى، والواحدى.

سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن

بفتح الياء، فقوله: ﴿لِيَضِلَ﴾ أى: ليضل غيره.

وقوله: ﴿لِيَضِلَ﴾ أى: ليصير إلى الضلال.

وقوله: ﴿بغير علم ويتخذها هزوا﴾ أى: يتخذ آيات الله هزوا، ويقال: يتخذ سبيل الله هزوا، والسبيل يذكر ويؤنث، قال الشاعر:

تمنى رجال أن أموت وإن أمت فتلك سبيل لست فيها بأوحد

وقوله: ﴿أولئك لهم عذاب مهين﴾ ظاهر المعنى، وقد بينا من قبل.

قوله تعالى ﴿وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبراً كأن لم يسمعها﴾ أى: كأن لم يسمع الآيات.

وقوله ﴿كأن فى أذنيه وقرا﴾ أى: صمماً، وإنما جعله كذلك؛ لأنه لم ينتفع بما يسمع، فصار بمنزلة الأصم، والوقر هو الثقل فى الأذن.

وقوله: ﴿فبشره بعذاب أليم﴾ أى: مؤلم، ومعنى المؤلم: هو الموجع.

قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا﴾ ومعناه: مقيمين فى الجنة كما وعد الله.

وقوله: ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ والعزيز هو المنتقم من أعدائه، والحكيم هو المصيب فى تدبير خلقه.

قوله تعالى: ﴿خلق السموات بغير عمد﴾ أى: بغير عمد كما، ترونها، والمعنى الثانى: أى بغير عمد ترونه، وثَمّ عَمَدٍ لا ترونها، وذلك العمد هو قدرة الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا﴾(١).

وقوله: ﴿وألقى فى الأرض رواسى﴾ أى: جبالا ثوابت، وذكر السدى أن الله

(١) فاطر: ٤١.

تميد بكُمْ وبثَّ فيهَا من كُلّ دابَّةٍ وأنزلْنا منَ السَّمَاء ماءً فأنْبَتْنا فيهَا من كُلِّ زوْجٍ كريمٍ ﴿١٠﴾ هذا خلْقُ اللَّه فأرُوني ماذا خلق الَّذين من دُونه بلِ الظَّالمُون في ضلالٍ مُّبينٍ

تعالى خلق الأرض فجعلت تميل؛ فقالت الملائكة: يا ربنا، هذه الأرض لا يستقر على ظهرها أحد، فأصبحوا وقد أرسى الله تعالى بالجبال. فقالوا: يا ربنا، هل خلقت شيئا أشد من الجبال؟ قال: نعم؛ الحديد. قالوا: يا ربنا، وهل خلقت شيئا أشد من الحديد؟ قال: نعم؛ النار. قالوا: وهل خلقت شيئا أشد من النار؟ قال: نعم؛ الماء. قالوا: وهل خلقت شيئا أشد من الماء؟ قال: نعم؛ الريح. قالوا: وهل خلقت شيئا أشد من الريح؟ قال: نعم؛ الآدمي. وقد أسند هذا بعضهم إلى رسول الله ﷺ، وفي آخر الخبر: «الآدمي يتصدق فيخفي صدقته حتى لا تعلم شماله ما تصدقت يمينه، فهو أقوى من الجميع»(١).

وقوله: ﴿أن تميد بكم﴾ أي: لئلا تميد بكم، ويقال: كراهة أن تميد بكم، والميد: هو الميل.

وقوله: ﴿وبث فيها من كل دابة﴾ أي: فرق فيها من كل دابة، والدابة كل حيوان يدب على الأرض.

وقوله: ﴿وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم﴾ أي: صنف حسن.

قوله تعالى: ﴿هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين منْ دونه﴾ أي: الذين يُعْبَدون من دونه، وهم الأصنام، وقد روى عن بعض السلف قال: ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله فيه. وذكر بعضهم هذا عن عامر بن عبد قيس وهو عامر بن عبد الله، وهو تلْوُ أويس القرني في زهاد التابعين - رضي الله عنهم - ورءوس الزهاد من التابعين

(١) رواه الترمذي (٥/ ٤٢٣ - ٤٢٤ رقم ٣٣٦٩) وقال: حسن غريب لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه، وأحمد (٣/ ١٢٤)، وأبو يعلى (٧/ ٢٨٦- ٢٨٧ رقم ٤٣١٠)، وأبو الشيخ في العظمة (٢٨٩ رقم ٨٧٤)، والبيهقي في الشعب (٧/ ٥٤- ٥٥ رقم ٣١٦٧) عن أنس مرفوعا بنحوه.

وعزاه السيوطي في الدر (١/ ٣٦٤) لأحمد، والترمذي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في الشعب.

ثمانية نفر: أولهم أويس، ثم عامر بن عبد قيس، ثم هرم بن حيان، ثم أبو مسلم الخولانى، ثم الأسود، ثم مسروق بن الأجدع، ثم الربيع بن خثيم، ثم الحسن.

وقوله: ﴿بل الظالمون فى ضلال مبين﴾ أى: فى خطأ بين.

قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾ اختلفوا فى لقمان. هل كان نبيا أو لم يكن نبيا؟ فذهب أكثر أهل العلم أنه لم يكن نبيا.

وقال الشعبى وعكرمة: إنه كان نبيا. وعن بعضهم: أن الله تعالى خيره بين النبوة والحكمة، فاختار الحكمة؛ نام نومة فذريت الحكمة على لسانه، فانتبه ينطق بالحكمة. وذكر بعضهم أنه سئل: لِمَ اخترت الحكمة على النبوة؟ فقال: خشيت أن أضعف عنها، ولو كان الله أعطانيها ابتداء ولم يخيرنى أعاننى عليها، فلما خيرنى خشيت الضعف.

وعن سعيد بن المسيب قال: كان لقمان عبدا أسود من سودان مصر. وعن غيره قال: كان عبدا حبشيا غليظ الشفتين متشقق القدمين، وحكى أن عبدا أسود سأل سعيد بن المسيب عن مسألة فأجاب، ثم قال له: لا يحزنك سوادك، فقد كان قبلك ثلاثة من السودان هم من خير الناس، ثم ذكر لقمان الحكيم، وبلالا مؤذن رسول الله ﷺ، ومَهْجَع مولى عمر بن الخطاب، وهو أول شهيد فى الإسلام، استشهد يوم بدر.

واختلفوا فى صناعة لقمان؛ فقال بعضهم: كان خياطا. وقال بعضهم: كان نجارا. وقال بعضهم: كان راعى غنم. فروى أن بعضهم لقيه وهو يتكلم بالحكمة فقال: ألست فلانا الراعى! فبم بلغت ما بلغت؟ فقال: بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وتركى ما لا يعنينى.

ومن (حكمه)[1] المنقولة: أن مولاه دفع إليه شاة وقال: اذبحها وائتنى بأطيب مضغتين منها، فجاءه بلسانها وقلبها، فسأله مولاه عن ذلك، فقال: لا شىء أطيب

(١) فى «ك»: حكمته.

فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا

منهما إذا طابا، ولا أخبث منهما إذا خبثا. وعن وهب بن منبه قال: تكلم لقمان باثنى عشر ألف باب من الحكمة، أدخلها الناس فى كلامهم ووصاياهم.

ومعنى الحكمة المذكورة فى هذه الآية هو الفقه والإصابة فى القول. ويقال: العقل الكامل.

وقوله: ﴿أن اشكر لله﴾ أى: على نعمه.

وقوله: ﴿ومن شكر فإنما يشكر لنفسه﴾ أى: منفعة الشكر تعود إليه.

وقوله: ﴿ومن كفر فإن الله غنى حميد﴾ أى: غنى عن خلقه، محمود فى فعله.

قوله تعالى: ﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه﴾ يقال: كان اسم ابنه مشكم، ويقال: أنعم، وقيل: غيره.

وقوله: ﴿يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾ أى: لا تعدل بالله أحدا فى الربوبية.

وقوله: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ الظلم هو وضع الشىء فى غير موضعه، من أشرك مع الله غيره فقد وضع الشىء فى غير موضعه.

قوله تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن﴾ أى: ضعفا على ضعف، ويقال: مشقة على مشقة. قال الزجاج: المرأة إذا حملت توالى عليها الضعف والمشقة. ويقال: الحمل ضعف، والطلق ضعف، والوضع ضعف.

وقوله: ﴿وفصاله فى عامين﴾ أى: فطامه فى عامين، والحولان نهاية مدة الفطام.

وقوله: ﴿أن اشكر لى ولوالديك﴾ قال سفيان بن عيينة: من صلى الصلوات الخمس فى مواقيتها فقد شكر الله تعالى، ومن استغفر لأبويه فى كل صلاة فقد شكر

لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ

أبويه.

وقوله: ﴿إلى المصير﴾ أى: إلى المرجع.

قوله تعالى: ﴿وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم﴾ قد بينا معنى هذه الآية، وذكرنا أنها نزلت فى سعد بن أبى وقاص، وقال بعضهم: الآية عامة فى الجميع.

وقوله: ﴿فلا تطعمها﴾ أى: فلا تطعهما فى الشرك ومعصيتى.

وقوله: ﴿وصاحبهما فى الدنيا معروفا﴾ أى: صاحبهما فى الدنيا بالبر والصلة، وهو المعروف من غير أن تطيعهما فى معصيتى.

وقوله: ﴿واتبع سبيل من أناب إلى﴾ الأكثرون أنه محمد ﷺ.

وقوله: ﴿ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾ ظاهر المعنى.

وروى [عن](١) عطاء عن ابن عباس فى قوله: ﴿واتبع سبيل من أناب إلى﴾ أن المراد منه أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - قال ابن عباس: لما أسلم أبو بكر، رضى الله عنه - جاء عثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف إلى أبى بكر الصديق - رضى الله عنهم - فقالوا: يا أبا بكر، قد صدقت هذا الرجل، وآمنت به؟ قال: نعم، هو صادق فآمنوا به، [و] حملهم إلى النبى ﷺ حتى أسلموا، فهؤلاء القوم لهم سابقة الإسلام، وأسلموا بإرشاد أبى بكر - رضى الله عنهم - وأنزل الله تعالى فى أبى بكر، ﴿واتبع سبيل من أناب إلى﴾.

وقوله: ﴿أناب﴾ أى: رجع إلى، وعلى هذا القول هو أبو بكر رضى الله عنه.

قوله تعالى: ﴿يا بنى إنها إن تك﴾ فإن قيل: قوله: ﴿إنها﴾ هذه كناية، والكناية لابد لها من مكنى، فأيش المكنى؟ والجواب عنه: أنه روى أن ابن لقمان قال: يا

(١) من «ك».

فتكُن فِي صخْرةٍ أوْ فِي السَّموات أوْ فِي الأَرْضِ يأْت بها اللَّهُ إنَّ اللَّه لطيفٌ خبيرٌ ﴿١٦﴾ يا بُنيَّ أقم الصَّلاة وأْمُرْ بالْمعْرُوف وانْه عنِ الْمُنكر واصْبرْ علىٰ ما أصابك إنَّ ذلك من

(أبه)[١]، أرأيت لو وقع شيء في مقل البحر - ومَقْل البحر مغاصيه أي: وسطه - أيعلم الله تعالى موضعه؟ فقال: يا بني، إنها إن تك مثقال حبة من خردل، يعني: إن وقعت حبة على هذا الوزن على [هذا][٢] البحر فالله تعالى يعلم موضعها. وذكر النقاش في تفسيره: أن لقمان ألقى خردلة في عرض نهر اليرموك، وقعد على شطه وبسط يده، فغاصت ذبابة وحملت الخردلة فوضعتها على كفه. وفي الآية قول آخر: وهو أن قوله تعالى: ﴿إنها إن تك﴾ يرجع إلى الخطيئة، يعني: إن تكن الخطيئة كمثقال حبة من خردل يأت بها الله تعالى يوم القيامة أي: يجازك بها. قال الحسن البصري: معنى الآية: هو الإحاطة بالأشياء صغيرها وكبيرها.

وقوله: ﴿فتكن في صخرة﴾ أي: في جبل، وقال السدي: هي الصخرة التي عليها الأرضون السبع، وهي صخرة خضراء، خضرة السماء منها.

وقوله: ﴿أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله﴾.

وقوله: ﴿إن الله لطيف خبير﴾ قال أبو العالية: لطيف باستخراج الخردلة، خبير بمكانها، وفي بعض التفاسير: أن هذه الحكمة آخر حكمة تكلم بها لقمان، فلما تكلم بها انشقت مرارته من هيبتها فتوفي.

قوله: ﴿يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر﴾ قد بينا معنى المعروف ومعنى المنكر من قبل.

وقوله: ﴿واصبر على ما أصابك﴾ أي: من الأذى.

وقوله: ﴿إن ذلك من عزم الأمور﴾ أي: من الأمور التي يؤمر بها ويعزم عليها، وقد روى حذيفة عن النبي ﷺ أنه قال: «ليس للمؤمن أن يذل نفسه، فقيل: وكيف يذل

---

(١) في «ك»: أبت.

(٢) من «ك».

عَزْمِ الأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ

نفسه؟ قال: يتحمل من البلاء ما لا يطيق»[١]. وفى هذا الخبر رخصة فى ترك الأمر بالمعروف على السلاطين والظلمة إذا خشى الهلاك، وإن أمر بالمعروف فقتل فهو شهيد.

وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»[٢].

وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «سيد الشهداء يوم القيامة حمزة بن عبد المطلب، ثم رجل قام إلى سلطان يخاف منه ويرجو، فأمره بمعروف أو نهاه عن منكر، فقتله على ذلك»[٣].

قوله تعالى: ﴿ولا تصعر خدك للناس﴾ أى: لا تعرض عنهم تكبرا. والصَّعَر هو الميل. وفى بعض الأخبار أن النبى ﷺ قال: «يأتى على الناس زمان لا يبقى إلا من هو أَصْعَرُ». يعنى: ما يدَّعى الدين»[٤]. ويقال: إن قوله: ﴿ولا تصعر خدك للناس﴾ نهى عن التشدق فى الكلام، وعن الربيع بن أنس قال: ليكن الغنى والفقير عندك سواء.

وقوله: ﴿ولا تمش فى الأرض مرحًا﴾ أى: لا تمشى فى الأرض مختالا.

وقوله: ﴿إن الله لا يحب كل مختال فخور﴾ أى: مختال على الأرض، فخور

---

(١) رواه الترمذى (٤/٤٥٣ رقم ٢٢٥٤) وقال: حسن غريب، وابن ماجه (٢/١٣٣١-١٣٣٢ رقم ٤٠١٦). وأحمد (٥/٤٠٥)، وابن عدى فى الكامل (٦/٣٠٥)، وأورده ابن أبى حاتم فى العلل (٢/١٣٨، ٣٠٦) ونقل عن أبيه فى الموضع الأول قوله: هذا حديث منكر.
وله شاهد من حديث على بن أبى طالب، رواه الطبرانى فى الأوسط (٧/٢٥٢ رقم ٤٤٠٤ - مجمع البحرين) وقال: لا يروى عن على إلا بهذا الإسناد، تفرد به الجارود.
وعن ابن عمر، رواه الطبرانى فى الكبير (١٢/٤٠٨-٤٠٩ رقم ١٣٥٠٧)، وفى الأوسط (٧/٢٥١-٢٥٢ رقم ٤٤٠٣ - مجمع البحرين) وقال: لا يروى عن ابن عمر إلا بهذا الإسناد. وقال الهيثمى فى المجمع (٧/٢٧٧): رواه البزار والطبرانى فى الأوسط والكبير، وإسناده الطبرانى فى الكبير جيد، ورجاله رجال الصحيح غير زكريا بن يحيى الضرير، ذكره الخطيب، وروى عنه جماعة، ولم يتكلم فيه أحد.
(٢)، (٣) تقدم تخريجهما فى تفسير سورة آل عمران.
(٤) أورده ابن الأثير فى النهاية (٣/٣١) ولفظه: «يأتى على الناس زمان ليس فيهم إلا أصعر أو أبتر».

بالدنيا .

قوله تعالى : ﴿ واقصد فى مشيك ﴾ يعنى : أسرع فى مشيك، ويقال معناه : واقصد فى مشيك أى : لا تسرع فى مشيك، وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ قال : « سرعة المشى تذهب بهاء الوجه »(١).

وقوله : ﴿ واغضض من صوتك ﴾ أى : لا تجهر، ومعنى واغضض أى : انقص . يقال : غض فلان من فلان أى : نقص من حقه .

وقوله : ﴿ إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾ أى : أقبح الأصوات لصوت الحمير . يقال : جاءنى فلان بوجه منكر أى : قبيح، فإن قال قائل : لم جعل صوت الحمار أقبح الأصوات؟ والجواب عنه إنما جعله أقبح الأصوات. لأن أوله زفير، وآخره شهيق، والزفير والشهيق : صوت أهل النار . وعن سفيان الثورى قال : كل شيء يسبح إلا الحمار؛ فلهذا جعل صوته أقبح الأصوات .

وذكر النقاش فى تفسيره : أن أهل الجاهلية كانوا يتنافسون فى شدة الصوت، وكانوا يقولون : من كان أجهر صوتا فهو أعز عند الله . وكانوا يجهرون بأصواتهم ويرفعونها بغاية الإمكان، فأنزل الله تعالى هذه الآية، ومعناه : أنه ليست العزة فى شدة الصوت، ولو كان من هو أشد أعز، لكان الحمار أعز من الكل . وعن جعفر بن محمد بن الصادق أنه قال فى قوله تعالى : ﴿ إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾ : هى العطسة القبيحة المنكرة .

---

(١) رواه الخطيب فى الجامع لأخلاق الراوى (١ / ٨٥)، وابن بشران فى أماليه - كما فى الكنز (١٥ / ٤١٦٢١)، والضعيفة (١ / ٧٢) - من حديث أنس بنحوه .

وقال الشيخ ناصر : إسناده باطل، ليس فيهم من هو معروف بالثقة باستثناء أنس طبعا .

وفى الباب عن أبى هريرة، وابن عمر، وابن عباس، وأبى سعيد الخدرى، وانظر : تخريج الكشاف للزيلعى (٣ / ٧٥ - ٧٦)، والضعيفة (١ / ٧٠ - ٧٤ رقم ٥٥) وقال : منكر جدا .

ومن حكم لقمان سوى ما ذكرنا ما روى أنه قال: لا مال كصحة البدن، ولا نعيم كطيب النفس. ومن حكمه أيضا أنه قال: أدب الوالد لولده كالسماد للزرع.

وحكى عكرمة أن لقمان دخل على داود - عليه السلام - وهو يصنع درعا، فلم يدر ما يصنع؛ فأراد أن يسأله، وكان (حكمُهُ)(١) تمنعه منه، فلما أتم داود الدرع لبسها، وقال: نعم جبة الحرب هى. فقال لقمان: الصمت حكم وقليل فاعله.

وحكى أيضا عكرمة أن مولاه خاطر قوما على شرب ماء البحر فى حال سكره، فدعا لقمان وقال: لمثل هذا اليوم كنت أعدك، وذكر له القصة. فقال: اجمع القوم الذين خاطرتهم؛ فجمعهم، فقال لهم: احبسوا مواد البحر حتى يشرب ماء البحر. فقالوا: كيف نحبس مواد البحر؟ فقال: كيف يشرب ماء البحر ومواده غير منقطعة؟ فخلص مولاه.

وحكى أيضا عكرمة أنه كان لمولى لقمان عبيد سواه، ولم يكن فيهم أخس منه عنده، فبعثهم إلى بستان له ليحملوا له فاكهة، فذهبوا وأكلوا الفاكهة؛ فلما رجعوا أحالوا على لقمان أنه هو الذى أكل، وصدقهم مولاه لخسة لقمان عنده، وأراد أن يؤذيه، فقال لقمان لمولاه: إن ذا اللسانين وذا الوجهين لا يكون وجيها عند الله، فاسقنى ماء حميما، واسق هؤلاء العبيد ماء حميما؛ فسقاهم، فقاء سائر العبيد ما أكلوا من الفاكهة، وقاء هو ماء بحتا، فعرف صدقه وكذبهم.

قوله تعالى: ﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض﴾ أى: ذلل.

وقوله: ﴿وأسبغ عليكم نعمه﴾ أى: أتم عليكم وأكمل نعمه ظاهرة وباطنة، قال ابن عباس: النعمة الظاهرة هى الإسلام وحسن الخلق، والنعمة الباطنة هى ما يستر من العيوب. وقال بعضهم: النعمة الظاهرة هى الإقرار باللسان، والباطنة هى الاعتقاد

(١) فى «ك»: حكمته.

وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلا

بالقلب. ويقال النعمة الظاهرة: نعمة الدنيا، والباطنة: نعمة العقبى. وقيل: النعمة الظاهرة: نعمة الأبدان، والباطنة: نعمة الأديان. ويقال: النعمة الظاهرة: تمام الرزق، والنعمة الباطنة: حسن الخلق، ويقال: النعمة الظاهرة: الزى والرياش الحسن. والنعمة الباطنة: ما أخفى من المعصية وسترها. وقال بعضهم: النعمة الظاهرة: الولد، والباطنة: الوطء.

وقوله: ﴿ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير﴾ نزلت هذه الآية فى أمية بن خلف وأبى بن خلف وأبى جهل بن هشام والنضر بن الحارث وأشباههم؛ كانوا يجادلون النبى ﷺ بالباطل فى الله وفى صفاته.

قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿أو لو كان الشيطان يدعوهم﴾ هذا جواب عن محذوف، والمحذوف: أيتبعون الشيطان، وإن كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير.

قوله تعالى: ﴿ومن يسلم وجهه إلى الله﴾ أى: ومن يخلص دينه لله، وقيل: يسلم نفسه وعمله إلى الله. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمى: «يسلِّم» بالتشديد، وقوله: ﴿يُسْلِم﴾ من التسليم، وقوله: «يُسَلِّم» من الانقياد.

وقوله: ﴿[وهو محسن](١) فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ العروة الوثقى: قول لا إله إلا الله. وقيل: العروة الوثقى: السبب الذى يوصل إلى رضا الله تعالى. والوثقى تأنيث الأوثق. والعهد الوثيق، هو العهد المحكم الشديد، والأوثق الأشد.

وقوله: ﴿وإلى الله عاقبة الأمور﴾ أى: خاتمة الأمور.

---

(١) من «ك».

يحْزُنك كُفْرُهُ إلَيْنا مرْجعُهُمْ فنُنبِّئُهُم بما عملُوا إنّ اللّه عليمٌ بذات الصُّدُور ﴿٢٣﴾ نُمتّعُهُمْ قليلاً ثُمّ نضْطرُّهُمْ إلىٰ عذابٍ غليظٍ ﴿٢٤﴾ ولئن سألْتهُم مّنْ خلق السّموات والأرْض ليقُولُنّ اللّهُ قُل الْحمْدُ للّه بلْ أكْثرُهُمْ لا يعْلمُون ﴿٢٥﴾ للّه ما في السّموات والأرْض إنّ اللّه هُو الْغنيُّ الْحميدُ ﴿٢٦﴾ ولوْ أنّما في الأرْض من شجرةٍ أقْلامٌ والْبحْرُ يمُدُّهُ منْ بعْده سبْعةُ أبْحُرٍ مّا نفدتْ كلماتُ اللّه إنّ اللّه عزيزٌ حكيمٌ ﴿٢٧﴾ ما خلْقُكُمْ

قوله تعالى: ﴿ومن كفر فلا يحزنك كفره﴾ أى: لا تحزن بكفره.

وقوله: ﴿إلينا مرجعهم﴾ أى: مصيرهم.

وقوله: ﴿فننبئهم بما عملوا﴾ أى: نخبرهم بما عملوا.

وقوله: ﴿إن الله عليم بذات الصدور﴾ أى: عالم بما فى الصدور.

قوله تعالى: ﴿نمتعهم قليلا﴾ الإمتاع هو التمتع بما فى الدنيا من نعيمها.

وقوله: ﴿ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ﴾ أى: نلجئهم إلى عذاب غليظ.

قوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿لله ما فى السموات والأرض إن الله هو الغنى الحميد﴾ أى: الغنى عن خلقه، المحمود فى فعله(١).

قوله تعالى: ﴿ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام﴾ روى أن المشركين قالوا: إن ما أتى به محمد من الكلام ينقطع ويفنى، فأنزل الله تعالى هذه الآية، يعنى: أن جميع أشجار العالم ونباتها لو بريت أقلاما، وصارت البحور مدادا ما نفدت كلمات الله أى: كلام الله وعلمه.

وقوله: ﴿إن الله عزيز حكيم﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾ معناه: ما خلقكم إلا

(١) فى «ك»: حكمه.

وَلا بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ إِنَّ

كخلق نفس واحدة، ولا بعثكم إلا كبعث نفس واحدة، يعني: في قدرته.

وقوله: ﴿إن الله سميع بصير﴾ سميع لأقوال العباد، بصير بأفعالهم. والآية التي تلي هذه الآية إلى آخرها قد بينا معناها، وأما الآيات الثلاث التي نزلت بالمدينة فهي من قوله تعالى: ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام﴾ إلى آخر الآيات الثلاث.

قوله تعالى: ﴿ألم تر أن الفلك تجرى فى البحر بنعمة الله﴾ أى: بإنعام الله.

وقوله: ﴿ليريكم من آياته﴾ أى: من عجائب صنعه وقدرته.

وقوله: ﴿إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ روى عن النبى ﷺ أنه قال: «الصبر نصف الإيمان، والشكر نصف الإيمان، واليقين هو الإيمان كله»[1]. وفى بعض الأخبار: أن أحب العباد إلى الله من يصبر عند البلاء، ويشكر عند النعماء، ويرضى بالقضاء.

---

(١) رواه ابن الأعرابى فى معجمه (رقم ٥٩٢)، والقضاعى فى الشهاب (١/ ١٢٦-١٢٧ رقم ١٥٨)، وأبو نعيم فى الحلية (٥/ ٣٤)، والخطيب فى تاريخه (١٣/ ٢٢٦)، وتمام الرازى فى فوائده (٢/ ٤٠ رقم ١٠٨٣)، وابن الجوزى فى العلل (٢/ ٨١٥ رقم ١٣٦٤) من حديث ابن مسعود مرفوعا: «الصبر نصف الإيمان، واليقين هو الإيمان كله». ونقل الحافظ ابن حجر فى اللسان (٥/ ١٥٢) عن أبى على النيسابورى قوله: هذا حديث منكر لا أصل له من حديث زبيد، ولا من حديث الثورى. وقال الحافظ فى الفتح (١/ ٦٣): لايثبت رفعه.

وقد روى موقوفا عن ابن مسعود، علقه البخارى فى صحيحه (١/ ٦٠)، ووصله الطبرانى فى الكبير (٩/ ١٠٤ رقم ٨٥٤٤)، وصحح الحافظ إسناده فى الفتح.

وروى عن أنس مرفوعا: «الإيمان نصفان، نصف شكر، ونصف صبر». رواه القضاعى فى الشهاب (١/ ١٢٧-١٢٨ رقم ١٥٩)، والخرائطى فى فضيلة الشكر، والديلمى فى مسند الفردوس - نقلا عن الضعيفة (٢/ ٦٢٥) - وقال الشيخ ناصر -حفظه الله- ضعيف جدا.

في ذلك لآيات لِّكُلِّ صبَّارٍ شكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لاَّ يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن

قوله: ﴿ وإذا غشيهم موج كالظلل ﴾ الظلل: جمع الظلة، والظلة: هى الجبل.

وقوله: ﴿ دعوا الله مخلصين له الدين ﴾ أى: أخلصوا فى الدعاء، وفى التفسير: أن الآية نزلت فى عكرمة بن أبى جهل حين هرب من مكة يوم فتحها رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ أمن جميع الناس إلا نفرا منهم عكرمة بن أبى جهل، فهرب عكرمة إلى البحر، فجاءهم ريح عاصف، فقال صاحب السفينة: أخلصوا، فإنه لاينجيكم إلا الإخلاص(١). وروى أنه قال لهم: لاتدعوا آلهتكم؛ فإن آلهتكم لاتغنى عنكم شيئا، وادعوا الله وحده.

فقال عكرمة: إنما هربت من هذا، ولئن نجانى الله من هذا لأرجعن إلى محمد، ولأضعن يدى فى يده. ثم سكن الريح، وخرج عكرمة ورجع إلى مكة، وأسلم وحسن إسلامه، وأستشهد يوم اليرموك بالشام.

وقوله: ﴿ فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد ﴾ أى: عدل فى فعله على معنى الوفاء بما وعده، ومنهم من قال: مقتصد أى: مقتصد فى القول لايسرف، ومنهم من يسرف.

وقوله: ﴿ ومايجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور ﴾ الخَتْر: هو أشد الغدر.

قال الشاعر:

فإنك لو رأيت أبا عمير ... ملأت يديك من ختر وغد

قوله تعالى: ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لايجزى والد عن ولده ﴾ أى:

(١) رواه أبو داود مختصرا (٣/ ٥٩ رقم ٢٦٨٣)، والنسائى (٧/ ١٠٥ - ١٠٦ رقم ٤٠٦٧)، وأبو يعلى (٢/ ١٠٠ - ١٠٢ رقم ٧٥٧)، والبزار (٣/ ٣٥٠ - ٣٥١ رقم ١١٥١)، والطحاوى فى شرح معانى الآثار (٣/ ٣٣٠)، والشاشى (١/ ١٣٥ - ١٣٦) من حديث سعد بن أبى وقاص مطولا. وقال الهيثمى فى المجمع (٦/ ١٧٢): رواه أبو يعلى والبزار ... ورجالهما ثقات.

والده شيئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾

لايغنى والد عن ولده، قال ابن عباس: كل امرء تهمه نفسه.

وقوله: ﴿ولامولود هو جاز عن والده شيئا﴾ أى: مغنى عن والده شيئا.

وقوله: ﴿إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولايغرنكم بالله الغرور﴾ يعنى: الشيطان، وتغريره للإنسان هو تزيينه للمعاصى وتمنيه المغفرة من الله، وعبر عنه بتزيينه له المعاصى وتمنيه المغفرة. وفى الخبر أن النبى ﷺ قال: «الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت - (أى حاسب نفسه)(١) - والفاجر من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله (المغفرة)(٢)»(٣).

قوله تعالى: ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث﴾ الآية. فى التفسير: أن رجلا من بنى محارب بن خصفة أتى النبى ﷺ وقال: يامحمد، إن أرضنا أجدبت، فمتى ينزل الغيث؟ وإنى تركت امرأتى حبلى، فماذا تلد؟ وقد علمت ما أعمل اليوم، فماذا أعمل غداً؟ وأخبرنى أنى بأى أرض أموت؟ وأخبرنى متى الساعة؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية إلى آخرها(٤).

وقد روينا برواية أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «مفاتيح الغيب خمسة، وقرأ هذه الآية إلى آخرها»(٥). وهو خبر مشهور.

وقوله: ﴿[ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا](٦) وما تدرى نفس بأى أرض تموت﴾ يقال معناه: على أى قدم تموت. فإنه مامن قدم يرفعها ويضعها إلا ويجوز أن تموت قبل ذلك ﴿بأى أرض تموت﴾ أى: على أى صفة تموت من الشقاوة أو السعادة.

وقوله: ﴿إن الله عليم خبير﴾ ظاهر المعنى.

---

(١) ليست فى «ك». (٢) فى «ك»: الأمانى. (٣) تقدم تخريجه.

(٤) نسبه السيوطى فى الدر (٥/١٨٣) لابن المنذر عن عكرمة مرسلا.

(٥) متفق عليه وتقدم تخريجه فى أول هذه السورة، وقد أورده المصنف هنا بالمعنى كشأنه فى كثير من الأحاديث. (٦) من «ك».

بسم الله الرحمن الرحيم

الـمٓ ﴿١﴾ تنزيلُ الْكتاب لا ريْب فيه من رَّبّ الْعالمين ﴿٢﴾ أمْ يقُولُون افْتراهُ بلْ هُو

تفسير سـورة السجـدة .

وهى مكية إلا ثلاث آيات نزلت فى على - رضى الله عنه - سنذكرها .

وقد روى جابر أن النبى ﷺ كان لاينام كل لية حتى يقرأ . « الم تنزيل » السجدة، و« تبارك الذى بيده الملك »(١) .

وقد ثبت أن النبى ﷺ كان يقرأ فى صلاة الصبح من يوم الجمعة سورة السجدة، وسورة « هل أتى »(٢).

قوله تعالى : ﴿ الـمٓ تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين ﴾ أى : لاشك فيه، والريب : هو الشك، وقد بينا من قبل قوله : ﴿ أم يقولون افتراه ﴾(٣) معناه : بل يقولون افتراه، قال الشاعر فى أم بمعنى : بل :

كذبتك عينك أم رأيت بواسط ... غلس الظلام على الرباب جبالا

(١) رواه البخارى فى الأدب المفرد (٣٥٠)، والترمذى (٥ / ١٥٢ رقم ٢٨٩٢)، والنسائى فى الكبرى (٦ / ١٧٨ رقم ١٠٥٤٢ ، ١٠٥٤٥)، وأحمد (٣ / ٣٤٠)، وابن أبى شيبة (١٠ / ٤٢٤)، والدارمى (٢ / ٥٤٧ رقم ٣٤١١)، وعبد بن حميد (٣١٨ رقم ١٠٤٠)، والحاكم فى مستدركه (٢ / ٤١٢) وصححه على شرط مسلم، والبيهقى فى الشعب (٥ / ٣٩١-٣٩٢ رقم ٢٢٢٨، ٢٢٢٩)، والبغوى فى تفسيره (٣ / ٥٠٤).

(٢) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (٢ / ٤٣٨ - ٤٣٩ رقم ٨٩١ ، ١٠٦٨)، ومسلم (٦ / ٢٣٩-٢٤٠ رقم ٨٨٠)، ورواه مسلم (٦ / ٢٣٨-٢٣٩رقم٨٧٩)، والترمذى (٢ / ٣٩٨رقم٥٢٠) وقال : حسن صحيح، وأبو داود (١ / ٢٨٢رقم١٠٧٤)، والنسائى (٢ / ١٥٩رقم٩٥٦)، وأحمد فى المسند (١ / ٢٢٦، ٣٣٤، ٣٤٠) به من حديث ابن عباس.

(٣) يونس : ٣٨ ، هود : ١٣ ، ٣٥، الأحقاف : ٨ .

الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ

معناه: بل رأيت.

وقوله: ﴿بل هو الحق من ربك لتنذر قومًا ما أتاهم [من نذير من قبلك](١)﴾

ما ها هنا بمعنى النفى، ومعناه: لتنذر قوما لم [يشاهدوا](٢) وآباؤهم قبلك نبيا، فإن قيل: إذا لم يشاهدوا نبيا ولم ينذروا، كيف يستوجبوا النار بترك الإيمان؟ والجواب: أنه لزمهم الإيمان بالله بإرسال الرسل الذين كانوا من قبل، وقد سمعوا ذلك.

وقال بعضهم: إن إسماعيل كان نبيا إلى العرب، وقد تركوا دينه، ويقال: إنهم تركوا دين إبراهيم صلوات الله عليه.

وقوله: ﴿لعلهم يهتدون﴾ أى: يرشدون.

قوله تعالى: ﴿الله الذى خلق السموات والأرض ومابينهما فى ستة أيام﴾ قد بينا، وعن الحسن أنه قال: هو يوم من أيام الدنيا. فإن قال قائل: حين خلق الله السموات والأرض لم يكن نهارا ولا ليلا، فكيف يستقيم هذا الكلام؟ والجواب: أن معناه: بقدر ستة أيام من أيام الدنيا.

وقوله: ﴿ثم استوى على العرش﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿مالكم من دونه من ولى ولاشفيع أفلا تتذكرون﴾ معناه: أفلا تتعظون.

قوله تعالى: ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض﴾ أى: يحكم ويقضى الأمر من السماء إلى الأرض.

---

(١) من «ك».

(٢) فى «الأصل، وك»: يشاهدهم.

فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ

وقوله: ﴿ثم يعرج إليه﴾ ثم فيه قولان: أحدهما: ثم يعرج الملك إليه بعد نزوله بالأمر. والقول الثاني: ثم يعرج إليه أى: يعرج الأمر إليه، ومعنى عروج الأمر إليه: صيرورة الأمر كله إليه، وسقوط[1] أمر الخلق كلهم.

وقوله: ﴿في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾ هذه الآية تعد مشكلة، ووجه الإشكال: أن الله تعالى قال فى آية أخرى: ﴿فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾[2] قال مجاهد: ﴿فى يوم كان مقداره ألف سنة﴾ معناه: أن من السماء إلى الأرض إذا نزل الملك خمسمائة سنة، وإذا صعد خمسمائة سنة فيكون ألف سنة.

وأما قوله: ﴿خمسين ألف سنة﴾ هو من قرار الأرض إلى العرش. وقال بعضهم: خمسين ألف سنة، وألف سنة كلها فى القيامة، فيكون يوم القيامة على بعضهم ألف سنة، وعلى بعضهم خمسين ألف سنة، واليوم واحد.

وفى بعض الأخبار: «أن الله تعالى يقصره على المؤمن حتى يكون كما بين صلاتين»[3].

وقال بعضهم: يعرج بعض الأملاك فى مقدار ألف سنة، ويعرج بعض الأملاك فى مقدار خمسين ألف سنة، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿ذلك عالم الغيب والشهادة﴾ أى: ما غاب عن العباد، ومالم يغب

---

(١) فى «ك»: ويسقط.

(٢) المعارج: ٤.

(٣) رواه الحاكم فى مستدركه (١ / ٨٤) وقال: صحيح على شرط الشيخين إن كان سويد بن نصر حفظه، على أنه ثقة مأمون، والديلمى فى مسند الفردوس (٥ / ٥٣١ رقم ٨٩٩٣) من حديث أبى هريرة مرفوعا «ما قدر طول يوم القيامة على المؤمنين إلا كقدر ما بين الظهر إلى العصر». وفى رواية: «فيهون ذلك اليوم على المؤمنين كتدلى الشمس للغروب». رواه أبو يعلى فى مسنده (١٠ / ٤١٥ رقم ٦٠٢٥)، وابن حبان فى صحيحه (١٦ / ٣٢٨رقم٧٣٣٣). وفى الباب عن أبى سعيد الخدرى رواه أحمد فى مسنده (٣ / ٧٥)، وابن جرير (٢٩ / ٧٢)، وأبو يعلى (٢ / ٥٢٧ رقم ١٣٩٠)، وابن حبان فى صحيحه (١٦ / ٣٢٩ رقم ٧٣٣٤).

الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ

عنهم، ويقال: الغيب مافى الآخرة، والشهادة مافى الدنيا.

وقوله: ﴿العزيز الرحيم﴾ أى: المنيع فى ملكه، الرحيم بخلقه.

قوله تعالى: ﴿الذى أحسن كل شىء خَلَقَهُ﴾ وقرئ: «خَلْقَهُ» بفتح اللام، فمن قرأ: «خلَقَهُ» أى: أحسن خلق كل شىء، ومن قرأ: «خلقه» معناه: حسن كل شىء خلقه. قال ابن عباس: ﴿أحسن كل شىء خلقه﴾ أى: أتقن وأحكم. وقيل: أما إن است القرد ليس بحسن، ولكنه محكم، وقيل: خلق البهائم على صورة البهائم، والآدميين على صورة الآدميين، ولم يخلق الآدميين على صورة البهائم، ولا البهائم على صورة الآدميين، فكل حيوان كامل حسن فى خلقته، وهذا معنى قول الحكماء الذين مضوا: كل حيوان كامل فى نقصانه؛ يعنى: أنه لو قوبل بغيره كان ناقصا، وهو فى نفسه وأداته كامل. وذكر بعضهم فى معنى الآية: طول رجل البهيمة، وطول عنق الطائر؛ ليصل كل واحد منهما إلى معاشه.

وقوله: ﴿وبدأ خلق الإنسان من طين﴾ أى: آدم وذريته.

قوله تعالى: ﴿ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين﴾ قد بينا معنى السلالة. وقوله: ﴿من ماء مهين﴾ أى: ضعيف.

قوله تعالى: ﴿ثم سواه ونفخ فيه من روحه﴾ قد ذكرنا.

وقوله: ﴿وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾ أى: الأسماع والأبصار والأفئدة.

وقوله: ﴿قليلا ماتشكرون﴾ أى: قليلا تشكرون.

قوله تعالى: ﴿وقالوا أئذا ضللنا فى الأرض﴾ أى: هلكنا فى الأرض، يقال: ضل

جديد بلْ هُم بلقاء ربّهمْ كافرُون ﴿١٠﴾ قُلْ يتوفّاكُم ملكُ الموْت الّذي وُكّل بكُمْ ثُم

اللبن في الماء أي: هلك، ويقال: بلينا وصرنا ترابا، وقرئ في الشاذ: «صللنا» بالصاد غير معجمة - أي: تغيرنا، يقال: صل اللحم إذا أنتن .

وقوله: ﴿أئنا لفي خلق جديد﴾ أي: نرجع أحياء بعد ما متنا، وقالوا هذا على طريق الجحد والإنكار .

وقوله: ﴿بل هم بلقاء ربهم كافرون﴾ أي: بالبعث بعد الموت جاحدون .

قوله تعالى: ﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم﴾ ملك الموت هو عزرائيل، وقيل: يتوفاكم بنفسه، ويقال: بأعوانه. وفي بعض الأخبار: أن ملك الموت على معراج بين السماء والأرض، فينزع أعوانه روح الإنسان، فإذا بلغ ثغرة نحره قبضه ملك الموت . وروى أن الدنيا عند ملك الموت كطست بين رجلي إنسان .

وعن أنس - رضي الله عنه - أنه قال: لقي جبريل ملك الموت ببحر فارس، فقال: ياملك الموت، كيف تقبض أرواح الناس إذا وقع الوباء، فيموت من هذا الجانب عشرة آلاف، ومن هذا الجانب عشرة آلاف؟ فقال: تزوى الأرض بين عيني فألتقطهم التقاطا.

وروى جعفر بن محمد عن أبيه: «أن النبي ﷺ دخل على رجل من الأنصار يعوده، فرأى ملك الموت عند رأسه، فقال له: ارفق بهذا الرجل من أصحابي، فقال: طب نفسا وقر عينا، فإني بكل مؤمن رفيق، ثم قال: يامحمد، والذي نفسي بيده لو أردت قبض روح بعوضة ماقدرت عليه حتى يأمر الله بقبضه، وإني أتصفح وجوه الناس كل يوم خمس مرات»(١) والخبر غريب .

---

(١) رواه ابن أبي حاتم (٣ / ٤٥٨ . تفسير ابن كثير)، وأبو الشيخ في العظمة (١٦٨ - ١٦٩ رقم ٤٧٥) من حديث جعفر بن محمد عن أبيه به مرسلا. ووصله الطبراني (٤ / ٢٢٠ رقم ٤١٨٨)، والبزار (٢ / ٣٤١ رقم ٥٤٦)، والسهمي في تاريخ جرجان (٧١ - ٧٢) عن عمرو بن شمر، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن الحارث بن خزرج، عن أبيه مرفوعا. قال الحافظ ابن حجر في الإصابة (١ / ٤٢٥): رواه ابن منده مختصرا، والبزار، وابن أبي عاصم، والطبراني، وابن قانع، وعمرو بن شمر متروك الحديث .

إلىٰ ربكم ترجعون ﴿١١﴾ ولو ترىٰ إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون ﴿١٢﴾ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴿١٣﴾ فذوقوا بما نسيتم

وفى بعض المسانيد برواية أنس أن النبى ﷺ قال: «الأمراض والأوجاع رسل الموت، فإذا قبض ملك الموت روح عبد، فتصارخوا عليه قال: ماذا تصرخون؟ والله مانقصت له رزقا، ولاقدمت له أجلا، ولاظلمت منكم أحدا، وإنما دعاه الله فأجابه، فليبك كل امرئ على نفسه، وإن لى إليكم عودات ثم عودات حتى لا أبقى منكم أحدا» والخبر من الغرائب أيضا.

وأما التوفي فهو استيفاء العدد، ومعناه: أنه يقبض أرواحهم حتى لايبقى أحد من العدد الذى كتب موتهم، قال الشاعر:

إن بنى الأدرم ليسوا من أحد ... ولاتوفيهم قـــريش من عـدد

يعنى: ما استوفاهم قريش من عددهم.

وقوله: ﴿ثم إلى ربكم ترجعون﴾ أى: تصيرون.

قوله تعالى: ﴿ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم﴾ معناه: ولو ترى المجرمين ناكسين رءوسهم من فرط الندم وشدة الوجل، وفى الآية حذف، والمحذوف هو: أنك لوترى المجرمين ناكسين رءوسهم عند ربهم لرأيت مايعتبر به.

وقوله: ﴿ربنا أبصرنا وسمعنا﴾ أى: قائلين ربنا أبصرنا وسمعنا أى: أبصرنا صدق وعيدك، وسمعنا منك تصديق رسلك. قال قتادة: أبصروا حين لم ينفعهم البصر. وسمعوا حين لم ينفعهم السمع. ويقال: أبصرنا معاصينا، وسمعنا ماقيل فينا.

وقوله: ﴿فارجعنا نعمل صالحا﴾ أى: ردنا نعمل صالحا.

وقوله: ﴿إنا موقنون﴾ أى: مصدقون بالبعث.

قوله تعالى: ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾ أى: هدايتها، ومعناه: لو شئنا

لقاء يومِكُمْ هذا إنَّا نسيناكُمْ وذُوقُوا عذاب الْخُلْد بما كُنتُم تعملُون ﴿١٤﴾ إنما يؤمن

لأدخلناهم فى الإيمان .

وقوله: ﴿ولكن حق القول منى﴾ أى: وجب القول منى، ويقال: سبق القول منى. قال الشاعر:

فإن تكن العتبى فأهلا ومرحبا وحُقَّت لك العتبى لدينا وقلَّت[(١)]

وقوله: ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾، وقوله: ﴿الجنة﴾ هم الجن. والجآن: أب الجن، كآدم أب (الإنس)[(٢)] .

ورفع خارجة خبرا إلى النبى ﷺ «أنه سئل هل يدخل مؤمنو الجن الجنة؟ فقال: نعم. قيل: هل يصيبون من نعيمها؟ قال: يلهمهم الله تسبيحه وذكره، فيصيبون من لدنه مايصيبه بنو آدم من نعيم الجنة» حكاه النقاش فى تفسيره .

وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «تحاجت الجنة والنار؛ فقالت النار: أوثرت بالجبابرة والمتكبرين، وقالت الجنة: مابالى يدخلنى سفلةُ الناس وسقطُهم وفى رواية: ضعفاء الناس ومساكينهم، وهو الأشهر - فقال الله تعالى للجنة: أنت رحمتى. أرحم بك من شئت، وقال للنار: أنت عذابى، أعذب بك من شئت، ولكل واحدة منكما ملؤها»[(٣)] .

قوله تعالى: ﴿فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا﴾ أى: بما تركتم من التصديق بلقاء يومكم هذا .

وقوله: ﴿إنا نسيناكم﴾ أى تركناكم من الخير والرحمة ، وقيل: تركناكم فى العذاب .

وقوله ﴿وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون﴾ أى: العذاب الدائم جزاء على

(١) فى «ك»: وقلت.

(٢) فى «ك»: البشر.

(٣) تقدم تخريجه.

بآياتنا الَّذين إذا ذُكِّرُوا بها خرُّوا سُجَّدًا وسبَّحُوا بحمد ربِّهم وهم لا يستكبرُون ﴿١٥﴾ تتجافىٰ جنُوبُهم عن المضاجع يدعُون ربَّهُم خوفًا وطمعًا وممَّا رزقناهُم يُنفقُون ﴿١٦﴾

عملكم. وحكى عن قتادة أنه قال في قوله: ﴿ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ أى: بذنوبهم. قال الأزهرى: وهو كما قال.

قوله تعالى: ﴿إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها﴾ أى: إذا دعوا إلى الصلوات الخمس أجابوا إليها، حكاه أبو معاذ النحوى، ويقال: إذا وعظوا بآيات الله اتعظوا.

وقوله: ﴿خروا سجدا﴾ أى: وقعوا سجدا، والخرور فى اللغة: هو السقوط، وعن حكيم بن حزام قال: «بايعت رسول الله ﷺ أن لا أخر إلا قائما»(١) أى: لا أموت إلا وأنا ثابت على الإسلام، وقوله: ﴿وسبحوا بحمد ربهم﴾ أى: وصلُّوا بأمر ربهم.

ويقال: سبحوا [لله](٢) وحمدوه.

وقوله: ﴿وهم لايستكبرون﴾ أى: لايتكبرون، ويقال: من سجد لله فقد طرح التكبر عن رأسه، وفى بعض الأخبار: من سجد لله سجدة رفعه الله بها درجة.

قوله تعالى ﴿تتجافى جنوبهم﴾ أى: تنبوا وترتفعوا، ومعناه: أنهم يتركون المضاجع ويقومون إلى الصلاة، قال حسان بن ثابت(٣):

يبيت يجافى جنبه عن فراشه ... إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

واختلف القول فى هذه الآية، فروى عن عطاء أنه قال: كانوا لاينامون حتى يصلوا العتمة، فأنزل الله هذه الآية.

وعن الحسن وقتادة قالا: هو الصلاة بين المغرب والعشاء.

وقال الضحاك: إذا استيقظوا ذكروا الله وسبحوه.

وعن أبى الدرداء وأبى ذر وعبادة بن الصامت - رضى الله عنهم - أنهم قالوا: هو

(١) تقدم تخريجه.

(٢) من «ك»، وفى «الأصل»: الله.

(٣) كذا قال، والمشهور أنه لعبد الله بن رواحة، وكذا هو فى تفسير القرطبى (١٤ / ١٠٠) وغيره.

فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أفمن كان

صلاة العشاء الآخرة والفجر فى جماعة.

وأشهر الأقاويل: أن المراد منه صلاة الليل، قاله مجاهد ومالك والأوزاعى وجماعة.

وعن النبى ﷺ أنه قال: «عليكم بصلاة الليل، فإنها دأب الصالحين قبلكم»[١].

وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال فى عبد الله بن عمر: نعم الرجل عبد الله لو كان يصلى بالليل، فلم يترك بعد ذلك صلاة الليل حتى توفاه الله تعالى»[٢].

وفى حديث معاذ بن جبل أن النبى ﷺ قال: «الصوم جنة، والصدقة تكفر الخطيئة، والصلاة جوف الليل، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ﴾»[٣].

وقوله: ﴿ يدعون ربهم خوفا وطمعا ﴾ أى: خوفا من النار، وطمعا فى الجنة.

وقوله: ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ يقال: إن المراد منها الزكاة المفروضة، ويقال: الصدقة التطوع.

---

(١) رواه الترمذى (٥/٥١٦ – ٥١٧ رقم ٣٥٤٩) وقال: هذا أصح من حديث بلال، وابن خزيمة (٢/١٧٦، ١٧٧ رقم ١٠٣٥)، والطبرانى (٨/٩٢ رقم ٧٤٦٦)، وابن عدى فى الكامل (٤/٢٠٧)، والحاكم (١/٣٠٨) وصححه على شرط البخارى، وعنه البيهقى فى سننه (٢/٥٠٢) من حديث أبى أمامة.
وفى الباب عن سلمان، وبلال، وانظر إرواء الغليل (٢/١٩٩ – ٢٠٢ رقم ٤٥٢).

(٢) متفق عليه من حديث ابن عمر، رواه البخارى (٣/٩ رقم ١١٢٢، وأطرافه: ١١٥٧، ٣٧٣٩، ٣٧٤١، ٧٠١٦، ٧٠٢٩، ٧٠٣١)، ومسلم (١٦/٥٦ – ٥٨ رقم ٢٤٧٩).

(٣) رواه الترمذى (٥/١٣ – ١٤ رقم ٢٦١٦) وقال: حسن صحيح، والنسائى فى الكبرى (٦/٤٢٨ رقم ١١٣٩٤)، وابن ماجه (٢/١٣١٤ – ١٣١٥ رقم ٣٩٧٣)، وأحمد (٥/٢٣٠، ٢٣٦، ٢٤٥)، والطيالسى (٧٦ – ٧٧ رقم ٥٦٠)، وعبد الرزاق فى مصنفه (١١/١٩٤ رقم ٢٠٣٠٣)، وابن أبى شيبة (١١/٧ – ٨)، والطبرانى فى الكبير (٢٠/١٠٣ رقم ٢٠٠)، والحاكم (٢/٤١٢ – ٤١٣) وصححه على شرطهما، والبيهقى (٩/٢٠) من حديث معاذ مرفوعا به، وبعضهم بأتم مما هنا.
وقد تعقب الحافظ ابن رجب تصحيح الترمذى، وأعله بأن أبا وائل لم يسمع من معاذ، وأن حماد بن سلمة رواه عن عاصم، عن شهر، عن معاذ – وهو الأشبه بالصواب – نقلا عن الدارقطنى.
قلت: والحديث فى العلل للدارقطنى (٦/٧٣ – ٧٩ رقم ٩٨٨) وليراجع جامع العلوم والحكم (٢/١٣٥).

قوله تعالى: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين﴾ وقرئ: «قرات أعين».

وقد ثبت عن النبى ﷺ برواية أبى الزناد، عن الأعرج، عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «يقول الله تعالى: أعددت لعبادى الصالحين ما لاعين رأت، ولا أذن سمعت. ولا خطر على قلب بشر، فاقرءوا إن شئتم قوله تعالى: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين﴾»(١).

قال الشيخ الإمام: أخبرنا بهذا بالحديث أبو على الشافعى، أخبرنا أبو الحسن بن [فراس](٢) أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن المقرئ، أخبرنا جدى محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ، أخبرنا سفيان بن عيينة، عن أبى الزناد .. الخبر.

وقوله: ﴿من قرة أعين﴾ أى: ما تقر به أعينهم، وحكى النقاش فى تفسيره عن موسى بن يسار قال: يمكث المؤمن فى الجنة مع زوجته حينا، فتطلع عليه أخرى، فتقول له: أما آن يكون لنا منك دولة؟ فيقول لها: من أنت؟ فتقول: أنا من الذين قال الله تعالى: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين﴾ فينتقل إليها ويمكث معها حينا، فتشرف عليه أخرى، وتقول مثل ما قالت الأولى، فيقول لها: من أنت؟ فتقول: أنا من الذين قال الله تعالى: ﴿ولدينا مزيد﴾(٣).

وعن ابن سيرين قال: ما أخفى لهم من قرة أعين: هو النظر إلى الله تعالى. (وعن بعضهم)(٤) قال: أخفوا أعمالهم فأخفى الله ثوابهم.

قال الحسن البصرى: الخفية بالخفية، و العلانية بالعلانية.

وقوله: ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾ ظاهر المعنى.

(١) متفق عليه، رواه البخارى (٦ / ٣٦٦ رقم ٣٢٤٤، وأطرافه: ٤٧٧٩، ٤٧٨٠، ٧٤٩٨)، ومسلم (١٧ / ٢٤٢ - ٢٤٣ رقم ٢٨٢٤).

(٢) فى «الأصل، وك»: فارس، والصواب ما أثبتناه، وقد سبق ذلك.

(٣) ق: ٣٥.

(٤) فى «ك»: مجاهد.

الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ

قوله تعالى: ﴿أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا﴾ أكثر المفسرين أن الآية نزلت في علي بن أبي طالب والوليد بن عقبة بن أبي معيط، وذكر بعضهم: عقبة، والأصح هو الأول. قال الوليد: أنا أحدُّ منك سنانًا، وأبسط منك لسانا، وأملأ منك للكتيبة. فقال له عليٌّ: اسكت، إنما أنت فاسق، فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقد بينا أن ثلاث آيات من هذه السورة نزلت بالمدينة، وهي من هذه الآية إلى آخر الثلاث، واستدل أهل الاعتزال بهذه الآية في القول بالمنزلة بين المنزلتين، وأن الفاسق لايكون مؤمنا، والدليل عليهم ظاهر. وأما الفاسق ها هنا بمعنى الكافر. وقال بعضهم: سماه فاسقا على موافقة قول علي - رضي الله عنه - وقيل: إن الآية على العموم.

قوله تعالى: ﴿لايستوون﴾ أي: لا يستوون في الدنيا والآخرة.

قوله تعالى: ﴿أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون﴾ أي: عطاء بما كانوا يعملون، و جنات المأوى هي الجنات التي يأوي المؤمنون إليها.

قوله تعالى: ﴿وأما الذين فسقوا فمأواهم النار﴾ أي: [يأوون][1] إلى النار، و يأوون: ينقلبون.

وقوله: ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها﴾ في بعض التفاسير: أن لجهنم ساحلا كساحل البحر، فيخرج الكفار إليه فتحمل عليهم حيات لها أنياب كالنخيل، فيرجعون إلى النار ويستغيثون بها.

وقوله: ﴿وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون﴾ والأثر الذي ذكرناه أورده أبو الحسين بن فارس في تفسيره.

---

(١) في «الأصل وك»: يأوي.

مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً

قوله تعالى: ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى﴾ قال ابن مسعود: هو الجوع الذى أصاب الكفار حتى أكلوا الميتات والجيف، وذلك بما دعا عليهم رسول الله ﷺ من السنين[١]، وعن ابن عباس قال: هو القتل ببدر، وعن جماعة من التابعين أنهم قالوا: هو المصائب. وعن بعضهم: هو الحدود، وعن جعفر بن محمد: العذاب الأدنى هو غلاء السعر، والعذاب الأكبر هو خروج المهدى بالسيف. وعلى أقوال من ذكرنا من قبل العذاب الأكبر: يوم القيامة، ونعوذ بالله منها.

وقوله: ﴿دون العذاب الأكبر﴾ أى: سوى العذاب الأكبر.

وقوله: ﴿لعلهم يرجعون﴾ أى: يرجعون عن الكفر.

قوله تعالى: ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه﴾ أى: وعظ بآيات ربه، وآيات ربه هو القرآن.

وقوله: ﴿ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون﴾ روى معاذ أن النبى ﷺ قال: «ثلاث من فعلهن فهو مجرم، من عقد لواء بغير حق فهو مجرم ومن مشى مع ظالم لينصره فهو مجرم، ومن عق والديه فهو مجرم، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿إنا من المجرمين منتقمون﴾»[٢].

قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ أى: التوراة.

وقوله: ﴿فلا تكن فى مرية من لقائه﴾ أى: فى شك فى لقائه، وفى معناه أقاويل:

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير (٢٠ / ٦١ رقم ١١٢)، وفى مسند الشاميين (٢ / ٢٧٦ - ٢٧٧ رقم ١٣٣٣)، والطبرى (٢١ / ٧٠)، وابن أبى حاتم (٣ / ٤٦٢ تفسير ابن كثير، وقال ابن كثير: حديث غريب جداً. وقال السيوطى فى الدر (٥ / ١٩٤): أخرج ابن منيع، وابن جرير، وابن أبى حاتم، والطبرانى، وابن مردويه بسند ضعيف عن معاذ فذكره.

يهدون بأمرنا لمّا صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴿٢٤﴾ إنّ ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴿٢٥﴾ أو لم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون

أحدها: ما روى أبو صالح عن ابن عباس أن معناه: فلا تكن فى شك من لقائك موسى، وقد كان لقيه ليلة الإسراء. وفى الخبر أن النبى ﷺ قال: «رأيت موسى آدم طوالا جعد الشعر كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى رجلا ربعة إلى الحمرة سبط الشعر...»(١) والخبر طويل. والقول الثانى: فلا تكن فى مرية من لقائه أى: من لقاء موسى الكتاب، ولقاء موسى الكتاب: تلقيه بالقبول، ذكره الزجاج و غيره، والقول الثالث: فلا تكن فى مرية من لقائه أى: من لقاء موسى ربه، حكاه النقاش، وفى الآية قول رابع: وهو أن معناه على التقديم والتأخير كأنه قال: ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى إسرائيل.

وقوله: ﴿فلا تكن فى مرية من لقائه﴾ راجع إلى ما سبق من قوله تعالى: ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر﴾ ومعناه: فلا تكن فى مرية من لقاء يوم العذاب، والله أعلم. ﴿وجعلناه هدى لبنى إسرائيل﴾ يقال: إنه راجع إلى موسى، ويقال: راجع إلى الكتاب.

وقوله: ﴿وجعلنا منهم أئمة﴾ أى: قادة إلى الخير، وقال بعضهم: هم الأنبياء، وقال بعضهم: أتباع الأنبياء.

وقوله: ﴿يهدون بأمرنا لما صبروا﴾ أى: يرشدون بوحينا لما صبروا، وقرئ «لما صبروا» أى: عن المعاصى، وقيل: عن شهوات الدنيا.

وقوله: ﴿وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ أى: يصدقون.

قوله تعالى: ﴿إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة﴾ أى: يحكم بينهم حكم الفصل.

وقوله: ﴿فيما كانوا فيه يختلفون﴾ ظاهر المعنى.

---

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة. رواه البخارى (٦/ ٤٩٣ - ٤٩٤ رقم ٣٣٩٤)، وأطرافه: ٣٤٣٧، ٤٧٠٩، ٥٥٧٦، ٥٦٠٣)، ومسلم (٢/ ٣٠٠ - ٣٠٢ رقم ١٦٨).

يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا

قوله تعالى: ﴿أو لم يهد لهم﴾ معناه: أو لم يبين لهم محمد ﷺ؟ وقيل: الكتاب، وقرئ: «أو لم نهد لهم» أى: نبين لهم.

وقوله: ﴿كما أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم﴾ أى: يمشى أهل مكة فى مساكنهم.

وقوله: ﴿إن فى ذلك لآيات أفلا يسمعون﴾ أى: سماع قبول.

قوله تعالى: ﴿أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز﴾ أى: اليابس الذى لاينبت شيئا، قال ابن عباس: هو أرض باليمن، وقال مجاهد: بأندلس، ويقال: الأرض الجرز هو الذى أكل زرعها ولم يبق فيها شيء.

وقوله: ﴿فنخرج به زرعًا تأكل منه أنعامهم﴾ يعنى: من العشب والتبن.

وقوله: ﴿وأنفسهم﴾ من الحنطة والشعير وسائر الأقوات.

وقوله: ﴿أفلا يبصرون﴾ ظاهر المعنى.

وقوله تعالى: ﴿ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين﴾ فيه أقوال: أحدها: أن الفتح هو فتح مكة. والآخر: أنه القتل بالسيف. والثالث: هو يوم القيامة. والرابع: هو قضاء الله بين العباد.

قوله تعالى: ﴿قل يوم الفتح لاينفع الذين كفروا إيمانهم﴾ يعنى: يوم القيامة. ومن حمل الفتح على فتح مكة أو القتل بالسيف يوم بدر، فقال: معنى قوله: ﴿لا ينفع الذين كفروا إيمانهم﴾، أى: بعد الموت.

وقوله: ﴿ولاهم ينظرون﴾ أى: يمهلون ليتوبوا أو يعتذروا، وقد كانوا يمهلون فى

إيمانهم ولا هم ينظرون ﴿٢٩﴾ فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون ﴿٣٠﴾ .

الدنيا ليتوبوا أو يعتذروا .

قوله تعالى : ﴿ فأعرض عنهم ﴾ هذه الآية قبل آية السيف ، وقد نسختها آية السيف ، ويقال : فأعرض عن أذاهم وإن أذوك .

وقوله : ﴿ وانتظر إنهم منتظرون ﴾ أى : وانتظر عذابهم ووعيدنا فيهم فإنهم منتظرون . كذلك فإن قيل : كيف قال : ﴿ إنهم منتظرون ﴾ العذاب ، وما كانوا آمنوا بالعذاب ؟ والجواب : لما كان الله تعالى وعدهم بالعذاب ، وكان ذلك واصلا إليهم لا محالة ؛ سماهم : منتظرين على مجاز الكلام ، ويقال : فإنهم منتظرون : أى موتك وحوادث الدهر لك ؛ ليستريحوا منك .

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٢) وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ

تفسير سورة الأحزاب

وهى مدنية فى قول الجميع

﴿ يا أيها النبى اتق الله ﴾ فيه أقوال: أحدها: (أى)[1] دُم على التقوى، كالرجل يقول لغيره - وهو قائم - قم هاهنا أى: اثبت قائما، والقول الثانى: أن الخطاب مع الرسول، والمراد أمته.

وقيل أيضًا فى الآية: ﴿ اتق الله ﴾ أى: استكثر من أسباب التقوى، والتقوى: هى العمل بطاعة الله رجاء رحمة الله على نور من الله، وترك معصية الله خوف عذاب الله على نور من الله، وفى الآية قول رابع: وهو ما روى أن أبا سفيان وعكرمة بن أبى جهل وأبا الأعور السلمى قدموا المدينة فى مدة الهدنة، وطلبوا من رسول الله أشياء كريهة؛ فَهَمَّ رسول الله ﷺ والمسلمون أن يقتلوهم؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ يأيها النبى اتق الله ﴾ يعنى: لاتنقض العهد الذى بينك وبينهم، ذكره الضحاك.

وقوله: ﴿ ولاتطع الكافرين والمنافقين ﴾ أى: الكافرين من أهل مكة، والمنافقين من أهل المدينة.

وقوله: ﴿ إن الله كان عليمًا حكيمًا ﴾ أى: عليما بخلقه قبل أن يخلقهم، حكيما فيما دبره لهم.

وقوله تعالى: ﴿ واتبع ما يوحى إليك من ربك ﴾ أى: من القرآن.

وقوله: ﴿ إن الله كان بما تعملون خبيرا ﴾ أى: خبيرا بأعمالكم.

قوله تعالى: ﴿ وتوكل على الله ﴾ أى: ثق بالله.

---

(١) فى «ك»: أن.

وكفىٰ بالله وكيلا ﴿٣﴾ ما جعل الله لرجلٍ من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللاَّئي تُظاهرُون منهنَّ أُمَّهاتكُمْ وما جعل أدْعياءكُمْ أبْناءكُمْ ذلكُمْ قوْلُكم بأفْواهكُمْ

وقوله: ﴿وكفى بالله وكيلا﴾ أى: وكفى بالله حافظا لك، ويقال: وكفى بالله كفيلا يرزقك.

قوله تعالى: ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه﴾ فى الآية أقوال: أحدها: ما ذكر السدى وغيره: أن رجلا كان يقال له: جميل بن معمر والأصح أبو معمر جميل ابن أسد، وكان أهل الجاهلية يسمونه ذا القلبين لشدة ذكائه وفطنته، فلما هزم الله تعالى المشركين يوم بدر فكان هو معهم انهزم أيضا؛ فلقيه أبو سفيان وإحدى نعليه فى رجله والأخرى قد علق بيده. فقال له: ما شأن الناس؟ قال: هزموا. فقال: ما شأن نعلك بيدك؟ فقال: ما علمت إلا أنها فى رجلى؛ فعلموا أنه ليس له إلا قلب واحد، وأنزل الله تعالى هذه الآية.

والقول الثانى: أن المنافقين كانوا يقولون: لمحمد قلبان؛ قلب معكم، وقلب مع أصحابه؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية و أخبر أنه ليس له إلا قلب واحد.

و القول الثالث: ما روى عن الحسن البصرى أنه قال: كان الواحد منهم يقول: إن لى نفسا تأمرنى بالخير، ونفسا تأمرنى بالشر؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأخبر أنه ليس لأحد إلا نفس واحدة وقلب واحد، وإنما الأمر بالخير بإلهام الله، والأمر بالشر بإلهام الشيطان.

والقول الرابع: ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه أى: ما جعل لرجل أبوين، وقد احتج به الشافعى فى مسألة القائفة، وقال هذا: لأن زيد بن حارثة كان ينسب إلى النبى ﷺ بالبنوة، فقال الله تعالى: ﴿ما جعل الله لرجل﴾ أبوين أى: هو ابن حارثة، وليس بابن النبى ﷺ.

وقوله: ﴿وما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن أمهاتكم﴾ والظهار هو أن يقول الرجل لزوجته: أنت على كظهر أمى، وقد كانوا يعدونه طلاقا، فإن قيل: كيف

واللَّهُ يقولُ الحقَّ وهو يهدي السبيل ﴿٤﴾ ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن

وجه الجمع بين هذا وبين ما سبق؟ والجواب عنه: أن معناه ليس الأمر كما زعمتم من اجتماع قلبين لرجل أو أبوين، ولا كما زعمتم من أن المرأة تصير كالأم بالظهار. وأما معنى الظهار وحكمه فسنذكر في سورة المجادلة.

وقوله: ﴿وما جعل أدعياءكم أبناءكم﴾ في الآية نسخ التبني، وقد كان الرجل في الجاهلية يتبنى الرجل ويجعله ابنا له مثل الابن المولود، وعلى ذلك تبنى رسول الله ﷺ زيد بن حارثة، فنسخ الله تعالى ذلك.

وقوله: ﴿ذلكم قولكم بأفواهكم﴾ أي: هو قول لا حقيقة له.

وقوله: ﴿والله يقول الحق﴾ أي: قوله الحق بما نهى من التبني.

وقوله: ﴿وهو يهدى السبيل﴾ أي: يرشد إلى طريق الحق.

قوله تعالى: ﴿ادعوهم لآبائهم﴾ قد ثبت برواية موسى بن عقبة، عن سالم، عن ابن عمر أنه قال: «ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد حتى أنزل الله تعالى: ﴿ادعوهم لآبائهم﴾»[1].

قال الشيخ الإمام: أخبرنا بذلك مكى بن عبد الرزاق، أخبرنا أبو الهيثم، أخبرنا الفربرى، أخبرنا البخارى، أخبرنا معلى بن أسد، عن عبد العزيز بن المختار عن موسى ابن عقبة.. الحديث.

وقوله: ﴿هو أقسط عند الله﴾ أي: أعدل عند الله.

وقوله: ﴿فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين﴾ أي: سموهم بأسماء إخوانكم في الدين، وذلك مثل، عبد الله، وعبد الكريم، وعبد الرحمن، وعبد العزيز، وأشباه ذلك.

---

(١) متفق عليه، رواه البخارى (٨/٣٧٧ رقم ٤٧٨٢)، ومسلم (١٥/٢٧٩ – ٢٨٠ رقم ٢٤٢٥).

مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

وقوله: ﴿ومواليكم﴾ هذا قول الرجل للرجل: أنا أخوك ومولاك، أو يقول: أنا أخوك ووليك، ويقال: إخوانكم فى الدين من كانوا فى الأصل أحراراً ومواليكم من أعتقوا، ويقال: مواليكم من أسلم على أيديكم.

وقوله: ﴿وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به﴾ الخطأ فى هذا أن يقول لغيره: يابن فلان، وهو يظن أنه ابنه، ثم يتبين أنه ليس بابنه.

والقول الثانى: الخطأ ها هنا هو ما فعلوا قبل النهى، والتعمد ما فعلوه بعد النهى.

وقوله: ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ أى: ستورا عطوفا.

قوله تعالى: ﴿النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ أى: من بعضهم ببعض.

وقد ثبت أن النبى ﷺ قال: «أنا أولى بكل مؤمن ومؤمنة من نفسه، فمن ترك مالا فلورثته ومن ترك دَيْنًا أو ضَياعًا فإلىَّ»(١).

وفى الآية قول آخر: وهو أن معناه: أن الرسول إذا دعاه إلى شىء، ونفسه دعته إلى شىء، فيتبع الرسول ولا يتبع النفس، والقول الثالث: هو ما روي أن النبى ﷺ كان يخرج إلى الجهاد، فيقول قوم: يا رسول الله، نذهب فنستأذن من آبائنا وأمهاتنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقوله: ﴿وأزواجه أمهاتهم﴾ أى: فى الحرمة خاصة دون النظر إليهن و الدخول عليهن، وفى قراءة ابن مسعود وأبى: «وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم».

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة بنحوه، رواه البخارى (٤ / ٥٥٧ رقم ٢٢٩٨ وأطرافه: ٤٧٨١، ٢٣٩٨، ٢٣٩٩، ٥٣٧١، ٦٧٣١، ٦٧٤٥، ٦٧٦٣)، ومسلم (١١ / ٨٥ - ٨٦ رقم ١٦١٩).
ورواه مسلم أيضا من حديث جابر بن عبد الله فى حديث طويل (٦ / ٢١٩ - ٢٢٣ رقم ٨٦٧)، والنسائى (٣ / ١٨٨ - ١٨٩ رقم ١٥٧٨)، وابن ماجه (١ / ١٧ رقم ٤٥)، وأحمد (٣ / ٣١٠، ٣٣٨، ٣٧١)، وابن خزيمة (٣ / ١٤٣ رقم ١٧٨٥)، وأبو يعلى (٤ / ٨٥ رقم ٢١١١)، وابن حبان فى صحيحه (١ / ١٨٦ - ١٨٧ رقم ١٠).

والْمُهاجِرين إِلاَّ أَن تفعلُوا إِلىٰ أَوْلِيائكُم مَّعْرُوفًا كان ذلك في الْكتاب مسْطُورا ﴿٦﴾

واختلفوا فى المرأة التى فارقها النبى ﷺ قبل الوفاة على ثلاثة أوجه: فأحد الوجوه: أنها محرمة أيضا، والوجه الآخر: أنها ليست بمحرمة، والوجه الثالث: أنها إن كان دخل بها فهى محرمة، وإن لم يكن دخل بها فليست بمحرمة.

و اختلف الوجه أيضا فى أنهن هل يكن أمهات المؤمنات، فأحد الوجهين: أنهن أمهات المؤمنات كما أنهن أمهات المؤمنين، والوجه الآخر: أنهن أمهات الرجال دون النساء، وروى أن امرأة قالت لعائشة: يا أماه، فقالت: أنا أم رجالكم دون نسائك.

وأما أخوة أزواج النبى ﷺ فليسوا بأخوال المؤمنين، وكذلك أخوات أزواج النبى ﷺ لسن بخالات المؤمنين.

وقد روى أنه كانت عند الزبير أسماء بنت أبى بكر، فقالت الصحابة: عند الزبير أخت أم المؤمنين، ولم يقولوا: عنده خالة المؤمنين.

وقوله: ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله﴾ أى: أولى بعضهم ببعض ميراثا فى حكم الله، وقد كانوا يتوارثون بالهجرة، فنسخ الله تعالى ذلك إلى التوارث بالقرابة. وروى أن النبى ﷺ آخى بين المهاجرين و الأنصار، وكان يرث بعضهم بعضا»، ثم نسخ ذلك.

وقوله: ﴿من المؤمنين والمهاجرين﴾ دليل على أن المؤمن لايرث الكافر، والكافر لايرث المؤمن.

وقوله: ﴿والمهاجرين﴾ دليل على أن المهاجر لايرث من غير المهاجرين، ولا غير المهاجر من المهاجر.

وقوله: ﴿إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا﴾ فيه قولان: أحدهما: إلا أن توصوا وصية لغير الأقرباء الذين هم أهل دينكم، وحقيقة المعنى: أنه نسخ ميراثهم، وأبقى جواز الوصية، والقول الثانى: أن المراد من الآية هو الوصية للكفار، فالمعنى على

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا

هذا: أن الكفار لايرثون المسلمين، ولو أوصى لهم جاز.

وقوله: ﴿كان ذلك في الكتاب مسطورا﴾ أى: فى اللوح المحفوظ، ويقال: فى القرآن وسائر كتب الله.

وقوله: ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم﴾ الميثاق: العهد الغليظ، وأشد العهد هو التحليف بالله.

وقوله: ﴿ومنك ومن نوح﴾ اختلف القول فى تقديم النبى ﷺ، فأحد القولين: ما رواه أبو هريرة عن النبى ﷺ أنه قال: «أنا أول النبيين خلقا وآخرهم بعثا»[(١)].

وعن قتادة قال: بدأ به فى الخلق، وختم به فى البعث، والقول الثانى: أن الواو توجب الجمع، ولا توجب تقديما ولا تأخيرا، فكأنه قال: أخذنا من هؤلاء النبيين ميثاقهم، وخص هؤلاء لأنهم كانوا أصحاب الشرائع وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى [ابن مريم][(٢)]، ومحمد. وأما معنى الميثاق: قال أهل التفسير: أخذ عليهم أن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادة الله، ويصدق بعضهم بعضا، وينصحوا الناس، ويقال: أخذ على نوح أن يبشر بإبراهيم، وعلى إبراهيم أن يبشر بموسى، [وعلى موسى أن يبشر بعيسى][(٢)]، وهكذا إلى محمد ﷺ.

وقوله: ﴿وأخذنا منهم ميثاقا غليظا﴾ قد بينا من قبل.

وروى عن أبى بن كعب أنه قال: أخذ ذرية آدم من ظهر آدم، والنبيون فيهم،

---

(١) رواه ابن عدى فى الكامل (٣/ ٤٩، ٣٧٣)، وابن أبى حاتم (٣/ ٤٦٩ - تفسير ابن كثير)، وأبو نعيم فى الدلائل (٦) والبغوى فى تفسيره (٣/ ٥٠٨)، وتمام فى فوائده (٢/ ١٥ رقم ١٠٠٣)، والديلمى فى الفردوس (٣/ ٢٨٢ رقم ٤٨٥٠). وقال الحافظ ابن كثير: سعيد بن بشير فيه ضعف. وقد رواه سعيد بن أبى عروبة عن قتادة مرسلا وهو أشبه. وقال الشيخ ناصر فى الضعيفة (٦٦١): ضعيف. وانظر كلامه على الحديث هناك.

(٢) من «ك».

أَلِيماً ﴿٨﴾ يا أَيُّهَا وا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ

كأنهم سُرُج تزهو، وأخذ عليهم الميثاق. وعن بعضهم: خلق الأرواح قبل الأجساد، وأخذ الميثاق على الأرواح.

قوله تعالى: ﴿ليسأل الصادقين عن صدقهم﴾ أى: ليسأل النبيين عن تبليغهم الرسالة، فإن قال قائل: وأى حكمة فى سؤالهم عن تبليغ الرسالة؟ والجواب عنه: الحكمة فى ذلك تبكيت الذين أرسلوا إليهم، وعلى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله﴾(١).

ويقال: ليسأل الصادقين عن عملهم لله، وقيل: ليسأل الصادقين بأفواههم عن صدقهم فى قلوبهم.

وقوله: ﴿وأعد للكافرين عذابًا أليمًا﴾ قد تم الكلام الأول، وهذا ابتداء كلام، ومعناه معلوم.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم﴾ أى: منة الله عليكم.

وقوله: ﴿إذ جاءتكم جنود﴾ المراد من الجنود هم الأحزاب الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ وهم: قريش عليهم أبو سفيان، وأسد عليهم طليحة بن (خويلد)(٢)، وغطفان عليهم عُيينة بن حصن، وكانت عدتهم بلغت اثنى عشر ألفا، (ورئيس الجماعة)(٣) أبو سفيان، وقصدوا استئصال النبى ﷺ وأصحابه، ودخل يهود قريظة معهم وأمرهم معهم، ونقضوا العهد الذى كان بينهم وبين النبى ﷺ فى قصة طويلة؛ فلما بلغ النبى ﷺ أمرهم حفر الخندق حول المدينة، [وهذه هى] غزوة الخندق وجمع الأحزاب.

---

(١) المائدة: ١١٦.

(٢) فى «ك»: خولة، وهو خطأ، وانظر ترجمته فى الإكمال (١/ ٨١)، والإصابة (٢/ ٢٣٤).

(٣) فى «ك»: ورئيسهم.

تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ

وقوله: ﴿فأرسلنا عليهم ريحا﴾ في التفسير: أن الله تعالى أرسل عليهم ريح الصَّبا حتى هزمتهم، قال عليه الصلاة والسلام: «نصرت بالصَّبا، وأُهْلِكت عاد بالدَّبور».(١) وكانت الريح تقلع فساطيطهم، وتقلب قدورهم، وتسف التراب في وجوههم، وجالت خيلهم بعضها في بعض؛ فانهزموا ومروا، وكفى الله أمرهم.

وقوله: ﴿وجنوداً لم تروها﴾ أي: الملائكة.

وقوله: ﴿وكان الله بما تعملون بصيرا﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿إذ جاءوكم من فوقكم﴾ في التفسير: أن الذين جاءوا من فوقهم هم أسد وغطفان.

وقوله: ﴿ومن أسفل منكم﴾ هم قريش وكنانة. ويقال: الذين جاءوا من فوقهم قريظة، ومن أسفل منكم قريش وغطفان.

وقوله: ﴿وإذ زاغت الأبصار﴾ أي: شَخُصت الأبصار، وفي العربية معنى زاغت: مالت، فكأنها مالت شاخصة، فهذا من الرعب والخوف.

وقوله: ﴿وبلغت القلوب الحناجر﴾ أي: بَنَتْ عن أماكنها وارتفعت، قال قتادة: لو وجدت مسلكها لخرجت من الحناجر، ولكنها ضاقت عليها. والأصح من المعنى أن هذا على طريق التمثيل، والعرب تقول: بلغ قلب فلان حنجرته، أي: من الرعب والخوف - والحنجرة حرف الحلقوم - وهو كلمة عبارة عن شدة الفزع.

وقوله: ﴿وتظنون بالله الظنونا﴾ أي:(٢) ودخلت الألف لموافقة (أواخر(٣)) الآيات في السورة.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) كذا في «الأصل، وك»، وفي الكلام سقط.

(٣) في «ك»: آخر.

الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ

قال الشاعر:

أقلى اللـوم عـاذل والعتابا   وقولى إن أصبت لقد أصابا

أى: أقلى ياعاذلى اللوم والعتاب.

قوله تعالى: ﴿هنالك ابتلى المؤمنون﴾ هنالك فى اللغة للبعيد، وهنا للقريب، وهناك للوسط، ومعنى هنالك ها هنا أى: عند ذلك ابتلى المؤمنون.

وقوله: ﴿وزلزلوا زِلزالا شديداً﴾ أى: حركوا حركة شديدة، وقرئ: «زَلزالا» - بفتح الزاى، والأشهر بكسر الزاى «زِلزالا»، وهو الأصح فى العربية. ومن الأخبار المشهورة: أن رجلا قال لحذيفة - رضى الله عنه -: رأيتَ رسول الله ﷺ وصحبته، والله لو رأيناه حملناه على أعناقنا. فقال حذيفة: أخبرك أيها الرجل أنا كنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة الخندق، فبلغ بنا الجهد والجوع والخوف ما الله به أعلم، فقال رسول الله ﷺ من منكم يذهب فيأتى بخبر القوم، والله يجعله رفيقى فى الجنة؟ فما أجابه منا أحد من شدة الأمر، ثم قال ثانيا، فما أجابه منا أحد، ثم قال ثالثا، فما أجابه منا أحد فقال: ياحذيفة، فلم أستطع أن لا أجيب فجئته، فقال: اذهب وأتنى بخبر القوم، ولا تحدثن أمراً حتى تأتينى، ودعانى فذهبت، وأتيته بخبر القوم فى قصة..»(١).

وإنما أراد حذيفة بهذه الرواية أن لايتمنى ذلك الرجل ما لم يدركه، فلعله لايصبر على البلوى إن أدركته.

قوله تعالى: ﴿وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا﴾ اختلفوا فى القائل لهذا القول، قال بعضهم: هو أوس بن قيظى، وقال

(١) رواه مسلم (١٢/ ٢٠١ - ٢٠٣ رقم ١٧٨٨)، وابن جرير (٢٢/ ٨٠ - ٨١)، وابن حبان (١٦/ ٦٧ - ٦٨ رقم ٧١٢٥)، والحاكم (٣/ ٣١) وصححه، وأبو نعيم فى الحلية (١/ ٣٥٤)، والبيهقى (٩/ ١٤٨- ١٤٩)، وفى الدلائل (٣/ ٤٤٩ وما بعدها).

بعضهم: عبد الله بن أبى، وقال بعضهم: مُعَتب بن قَشير، وأما الوعد الذى سموه غرورا فهو ما روى «أن النبى ﷺ لما أمر بحفر الخندق قسم الحفر على أصحابه، فوقع سلمان مع بنى هاشم، فجعل يحفر فبلغ صخرة لايستطيع حفرها، فأخذ رسول الله ﷺ المعول من يده، وضرب على الصخرة ضربة فأضاءت كالشهاب، ثم كذلك فى الثانية والثالثة، فقال سلمان: يارسول الله، لقد رأيت عجبا! فقال رسول الله ﷺ: ولقد رأيتها؟ قال: نعم، رأيت فى الضربة الأولى قصور اليمن، وفى الضربة الثانية المدائن البيض أى: قصر كسرى، وفى الضربة الثالثة رأيت قصور الشام، فقال ﷺ: ليفتحنها الله على أمتى، فانتشر ذلك فى الناس؛ فلما بلغ بهم الأمر ما بلغ، قال هؤلاء القوم: إن محمدا يعدنا ملك كسرى وقيصر، وإن أحدنا لايستطيع أن يفارق رحله (ويذهب)(١) إلى الخلاء، ما هذا إلا الغرور، فأنزل الله تعالى ما ذكرنا من الآية»(٢).

قوله تعالى: ﴿وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب﴾ هو المدينة، ويقال: يثرب موضع والمدينة منه، قال حسان بن ثابت شعرا:

سأهدى لها فى كل عام قصيدة ... وأقعد مكفيًّا بيثرب مكرما

وفى بعض الأخبار: «أن النبى ﷺ نهى أن تسمى المدينة يثرب، وقال: هى طابة»(٣) كأنه عليه الصلاة والسلام كره هذه اللفظة؛ لأنه من التثريب.

وقوله: ﴿لا مَقَام لكم﴾ وقرئ «لا مُقَام لكم» برفع الميم، فقوله: ﴿لا مُقَام لكم﴾ أى: لا إقامة لكم، وقوله: ﴿لا مَقَام لكم﴾ بفتح الميم - أى: لا منزل لكم.

---

(١) فى «ك»: يتوجه.

(٢) رواه البيهقى فى الدلائل (٣/٤١٧- ٤١٨) بإسناده عن ابن إسحاق قال: حدثت عن سلمان، فذكره بنحوه. وهو فى سيرة ابن هشام (٣/١٢٩ - ١٣٠).
وفى الباب عن عمرو بن عوف المزنى، والبراء، والسدى مرسلا، وانظر الدلائل (٣/٤١٨ وما بعدها)، والدر (٥/٢٠٢ - ٢٠٣).

(٣) رواه أحمد (٤/٢٨٥)، وابن شبة فى تاريخ المدينة (١/١٦٥)، وأبو يعلى (٣١/٢٤٧- ٢٤٨ رقم ١٦٨٨) من حديث البراء، وزاد السيوطى فى الدر (٥/٢٠٤): ابن أبى حاتم، وابن مردويه. وقال الحافظ ابن كثير (٣/٤٧٣): تفرد به الإمام أحمد، وفى إسناده ضعف.
وفى الباب عن أبى أيوب، وابن عباس. وانظر تاريخ المدينة (١/١٦٥).

فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا

وقوله: ﴿فارجعوا﴾ أى: ارجعوا عن اتباع محمد ﷺ، وخذوا أمانكم من المشركين.

وقوله: ﴿ويستأذن فريق منهم النبى﴾ هؤلاء بنو سلمة وبنو حارثة، وقيل: غيرهم.

وقوله: ﴿يقولون إن بيوتنا عورة﴾ أى: ذات عورة، وقيل: مُعْوِرة يسهل عليها دخول السُّرَّاق، ويقال: إن بيوتنا عورة أى: ضائقة، وقال الفراء: عورة ذليلة الحيطان، وليست بحَريزة، وقرئ فى الشاذ: «عَوِرة» بفتح العين وكسر الواو، والمعنى يرجع إلى ما بينا.

وقوله: ﴿وما هى بعورة﴾ يعنى: إنهم كاذبون فى قولهم، وإنما يريدون الفرار، فهو معنى قوله تعالى: ﴿إن يريدون إلا فرارا﴾ وأنشدوا فى العورة:

حتى إذا ألقت يداً فى كافر … وأجن عورات الثغور ظلامها

قوله تعالى: ﴿ولو دخلت عليهم من أقطارها﴾ أى: من نواحيها.

وقوله: ﴿ثم سئلوا الفتنة﴾ أى: الشرك، ويقال: القتال فى العصبية.

وقوله: ﴿لآتوها﴾ بالمد، وقرئ: «لأتوها»، فقوله «لآتوها» بالمد أى: لأعطوها، وقوله: «لأتوها». أى: [لقصدوها][(١)].

وقوله: ﴿وما تلبثوا بها إلا يسيراً﴾ أى: ما احتبسوا إلا يسيرا، وأعطوا ما طلب منهم طيبة بها أنفسهم.

قوله تعالى: ﴿ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لايولون الأدبار﴾ الأدبار: جمع

(١) فى «الأصل»: قصدوها، والمثبت من «ك».

﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لاَّ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً
﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلا
يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ

الدبر، أى: لا ينهزمون. وذكر مقاتل وغيره أن هذا فى الذين بايعوا مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة، وقالوا: يارسول الله، اشترط لربك، فقال: أن تعبدوه و لاتشركوا به شيئا، فقالوا: اشترط لنفسك. فقال: أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأولادكم» وكان الذين بايعوا ليلة العقبة [سبعين][(١)] نفرا، وأول من بايع أبو الهيثم بن التيهان، وهذا القول ليس بمرضٍ؛ لأن أصحاب العقبة لم يكن فيهم شاك، ولا من يقول مثل هذا القول، وإنما الآية فى قوم عاهدوا أن يقاتلوا ولا يفروا حتى يقتلوا ونقضوا العهد.

وقوله: ﴿وكان عهد الله مسئولا﴾ أى: مسئولا عنه.

قوله تعالى: ﴿قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل﴾ يعنى: أن الأجل يدرككم فى وقته.

وقوله: ﴿وإذا لاتمتعون إلا قليلا﴾ معناه: إلى منتهى آجالكم، وفى بعض الحكايات: أن رجلا انهزم [فى][(٢)] بعض الحروب، فكان يلام على ذلك، ويقرأ عليه هذه الآية ﴿قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل إذاً لا تمتعون إلا قليلا﴾ فقال: ذلك القليل أطلب.

قوله تعالى: ﴿قل من ذا الذى يعصمكم من الله﴾ أى: يجيركم ويمنعكم.

وقوله: ﴿إن أراد بكم سوءاً﴾ أى: الهزيمة وظفر عدوكم بكم.

وقوله: ﴿أو أراد بكم رحمة﴾ أى: خيرا ونصرة.

وقوله: ﴿ولا يجدون لهم من دون الله وليًّا ولا نصيراً﴾ أى: قريبا ينفعهم، وناصرا يمنعهم.

قوله تعالى: ﴿قد يعلم الله المعوقين منكم﴾ يقال: عاقه واعتاقه وعوّقه إذا صرفه

(١) فى «الأصل، وك»: سبعون، وهو خطأ.

(٢) فى «الأصل، وك»: من.

لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا ﴿١٨﴾ أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف

عما يريده. ويقال: المعوقين منكم أى: المثبطين منكم.

وقوله: ﴿ والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ﴾ أى: ارجعوا إلينا

وقوله: ﴿ ولا يأتون البأس إلا قليلا ﴾ أى: لايقاتلون إلا قليلا رياء وسمعة من غير حسبة، والآية نزلت فى قوم من المنافقين قالوا حين أحاط الجنود بالمسلمين: إن محمدا وقومه أَكَله رأس، والله لو كان محمد وأصحابه لحما لالتهمهم أبو سفيان وحزبه أى: ابتلعهم، وكانوا يقولون لأصحاب محمد ﷺ من الأنصار: دعوا محمدا، فإن محمدا يريد أن يقتلكم جميعا. وقال الكلبى فى قوله: ﴿ إلا قليلا ﴾ يعنى: إلا رميا بالحجارة.

قوله تعالى: ﴿ أشحة عليكم ﴾ أى: بخلا بالنصرة والموافقة فى القتال، وقال قتادة: بخلاء عند الغنيمة، فكأن الله تعالى قال: هم أحسن قوم عند القتال، وأشح قوم عند الغنيمة.

وقوله: ﴿ فإذا جاء الخو ف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت ﴾ والمغشى عليه من الموت قد ذهب عقله، وشخص بصره، وهو المحتضر الذى قرب من الموت.

وقوله ﴿ فإذا ذهب الخوف سلقوكم ﴾ قال الفراء: وقعوا فيكم بألسنة سليطة ذرية. وعن بعضهم: سلقوكم بألسنة حداد يعنى: عند طلب الغنائم، وعند المجادلات بالباطل، وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «البذاء (والبيان)(١) شعبتان من النفاق، والحياء والعِيّ(١) شعبتان من الإيمان»(٢).

---

(١) قال الترمذى فى سننه: العِيُّ: قلة الكلام، والبذاء هو الفحش فى الكلام، والبيان هو كثرة الكلام، مثل هؤلاء الخطباء الذين يخطبون فيوسعون فى الكلام، ويتفصحون فيه عن مدح الناس فيما لا يرضى الله أ.هـ.

(٢) رواه الترمذى (٤/ ٣٢٩ رقم ٢٠٢٧) وقال: حسن غريب، وأحمد (٥/ ٢٦٩)، وابن أبى شيبة (١١/ ٤٤ رقم ١٠٤٧٧) بشطره الثانى، وفى كتاب الإيمان له (٤٤ رقم ١٠٨)، والحاكم (١/ ٩) وصححه على شرطهما.

سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ الأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلاَّ قَلِيلاً ﴿٢٠﴾

وتقول العرب: خطيب مِسْلاق وسَلاق إذا كان بليغا فى الخطابة، وعن ابن عباس قال: سلقوكم أى: عضهوكم(١) وتناولوكم بالنقص والغيبة، قال الأعشى:

فيهم الخصب والسماحة والنجـ ـدة فيهم والخاطب السَّلاق

وقوله: ﴿أشحة على الخير﴾ قد بينا أنها عند الغنيمة.

وفى الخبر: «أن النبى ﷺ قال للأنصار: إنكم لتكثرون عند الفزع، وتقلون عند الطمع»(٢) أى: تجمعون عند القتال، وتتفرقون عند أخذ المال، وأما وصف المنافقين على الضد من هذا، فإنهم كانوا جبناء عند القتال، بخلاء عند المال.

وقوله: ﴿أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم﴾ أى: أبطل الله أعمالهم.

وقوله: ﴿وكان ذلك على الله يسيراً﴾ أى: سهلا.

قوله تعالى: ﴿يحسبون الأحزاب لم يذهبوا﴾ أى: من الجبن والخوف.

وقوله: ﴿وإن يأت الأحزاب﴾ أى: يرجعوا بعد الذهاب.

وقوله: ﴿يودوا لو أنهم بادون فى الأعراب﴾ البادون: خلاف الحاضرين، وهم الذين يسكنون البادية، وقوله: ﴿فى الأعراب﴾ أى: مع الأعراب.

وقوله: ﴿يسألون عن أنبائكم﴾ أى: [عن](٣) أخباركم، ومعنى سؤالهم عن الأخبار هو أن الظفر كان للمشركين، أو لمحمد وأصحابه.

وقوله: ﴿ولو كانوا فيكم ماقاتلوا إلا قليلا﴾ أى: تعذيرا، ومعنى تعذيرا أى:

---

(١) والعضة: هى الإفك والبهتان والنميمة، انظر اللسان (١٣/ ٥١٥).

(٢) عزاه فى الكنز (١٤/ رقم ٣٧٩٥١) للعسكرى فى الأمثال.

(٣) من «ك».

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ

يقاتلون شيئا يسيرا يقيمون به عذرهم، فيقولون قد قاتلنا .

قوله تعالى: ﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة﴾ أى: قدوة حسنة، والتأسى: هو الاقتداء، وإنما ذكر الأسوة هاهنا حتى ينصروا (ويقومون)(١) ويصبروا على مايصيبهم، كما فعل رسول الله ﷺ فإنه كسرت رباعيته يوم أحد، وشُجَّ فى جبهته، وكسرت البيضة على رأسه(٢)، وقتل عمه(٣) فلم يفتر فى أمر الله، وصبر على جميع ذلك .

وقوله: ﴿لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ أى: يرجو ثواب الله، وقيل: لمن كان يخشى الله واليوم الآخر، والرجاء يكون بمعنى الخشية، وقد يكون بمعنى الطمع .

وقوله: ﴿وذكر الله كثيراً﴾ أى: فى جميع المواطن على السراء والضراء .

قوله تعالى: ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله﴾ قال قتادة: معنى هذه الآية راجع إلى قوله تعالى فى سورة البقرة: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله﴾(٤) والآية تتضمن أن المؤمنين يلقاهم ويستقبلهم مثل هذا البلاء، فلما رأوا ذلك يوم الخندق قالوا: هذا ماوعدنا الله ورسوله .

وعن بعضهم أن النبى ﷺ قال لأصحابه: «إن المشركين سائرون إليكم فنازلون بكم عشراً»(٥) أو كما قال فلما رأى المؤمنون الأحزاب [قالوا: هذا ما وعدنا الله

(١) فى «ك»: ويقيمونه، والأشبه: ويتبعونه.

(٢) ثبت ذلك من حديث سهل بن سعد مرفوعا، رواه البخارى فى صحيحه (٧/ ٤٣٠ - ٤٣١ رقم ٤٠٧٥)، ومسلم (١٢/ ٢٠٥ -٢٠٧ رقم ١٧٩٠)، وفى الباب أحاديث.

(٣) فيه أحاديث، منها ما رواه البخارى (٧/ ٤٢٤ -٤٢٥ رقم ٤٠٧٢) من حديث وحشى بن حرب.

(٤) البقرة: ٢١٤.

(٥) ذكره الحافظ الزيلعى فى تخريج الكشاف (٣/ ١٠٠) وبيض له، وقال الحافظ ابن حجر: لم أجده.

وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ

ورسوله](١) وقد ساروا إليهم ﴿ ومازادهم إلا إيمانا وتسليمًا ﴾ أى: تصديقًا بالله، وتسليما لأمر الله.

قوله تعالى: ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه ﴾ أى: قاموا بما عاهدوا الله عليه، ويقال: قاموا بالأمر على الوفاء والصدق .

وقوله: ﴿ فمنهم من قضى نحبه ﴾ النَّحْبُ يرد بمعانى كثيرة، وأولى المعانى أنه بمعنى العهد، فمعنى الآية: أتم العهد وقام به، قال الحسن البصرى: أى أقام بالوفاء والصدق. وقال ابن قتيبة: النحب هو النذر، ومعنى قضى نحبه هاهنا أى: قتل فى سبيل الله، كأن القوم بقبولهم الإيمان نذروا أن يموتوا على مايرضاه الله، فمن قتل فى سبيل الله فقد قضى نذره.

قال محمد بن إسحاق: الآية فى الذين استشهدوا يوم أحد، وهم حمزة - رضى الله عنه - ومن استشهد معه.

وقد ثبت برواية يزيد بن هارون، عن حميد، عن أنس - رضى الله عنه - أن عمه النضر بن أنس كان تخلف عن بدر فقال: تخلفت عن أول غزوة غزاها رسول الله ﷺ، لئن أرانى الله قتالا مع المشركين لَيَرَيَنَّ الله ماأصنع، فلما كان يوم أحد وانهزم المسلمون، ورأى ذلك النضر بن أنس قال: اللهم إنى أعتذر إليك ماجاء به هؤلاء - يعنى المسلمين - وأبرأ إليك مماجاء به هؤلاء - يعنى المشركين - ثم مضى بوجوه الكفار، فلقى سعد بن معاذ دون أحد، فقال له سعد: أنا معك، قال سعد: فلم أستطع أن أصنع ماصنع، فَوجِد به بضع وثمانون من ضربة سيف، وطعنة برمح، ورمية بسهم. وفى رواية أخرى: فلم تعرفه إلا أخته بثناياه. قال أنس: ففيه وفيمن استشهد نزل قوله: ﴿ فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ﴾ »(٢).

---

(١) من «ك».

(٢) متفق عليه من حديث أنس، رواه البخارى (٦/ ٢٦ رقم ٢٨٠٥، وطرفاه: ٤٠٤٨، ٤٧٨٣)، ومسلم (١٣/ ٧١ - ٧٢/ رقم: ١٩٠٣).

عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴿٢٣﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ

يعنى: من المؤمنين من بقى بعد هؤلاء الذين استشهدوا، وهم ينتظرون أحد الأمرين إما الشهادة فى سبيل الله وإما الظفر، وأنشدوا فى النحب شعراً:

قضى نحب الحياة وكل حى … إذا يدعى لميتتــه أجـابــا

ومن المعروف أيضًا أن النحب هو الخطر العظيم. قال جرير فى النحب:

بطخفة جالدنــا الملوك وخيلنــا … عشية بسطام جرين على نحب

أى: على الخطر العظيم

وقوله: ﴿ وما بدلوا تبديلا ﴾ أى: لم يتركوا ماقبلوه وعاهدوا عليه .

قوله تعالى: ﴿ ليجزى الله الصادقين بصدقهم ﴾ أى: جزاء صدقهم، وصدقهم هو وفاؤهم بالعهد .

وقوله: ﴿ ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم ﴾ فيهديهم للإيمان .

وقوله: ﴿ وكان الله غفوراً رحيمًا ﴾ أى: ستوراً عطوفًا .

قوله تعالى: ﴿ وردَّ الله الذين كفروا بغيظهم ﴾ أى: ردهم ولم يشتفوا من محمد وأصحابه، وقد كانوا قصدوا قصد الاستئصال.

وقوله: ﴿ لم ينالوا ﴾ أى: لم يظفروا بما أرادوا.

وقوله: ﴿ [خيرا][1] وكفى الله المؤمنين القتال ﴾ أى: بما أرسل من الريح عليهم، وفى بعض الروايات الغريبة عن ابن عباس: وكفى الله المؤمنين القتال أى: لعلى بن أبى طالب – رضى الله عنه – وقد كان قتل عمرو بن عبدود فى ذلك اليوم، وكان رأسًا من رءوس الكفار كبيراً فيهم، وضر به عمرو بن عبدود فى ذلك اليوم على رأسه

(١) من «ك».

اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ

ضربة فلما ضربه، ابن ملجم وقعت ضربة ابن ملجم على موضع ضربة عمرو بن عبدود، فهلك فى ذلك رضى الله عنه .

وقوله: ﴿ وكان الله قويًا عزيزًا ﴾ أى: قويًا فى ملكه، عزيزا فى انتقامه.

قوله تعالى: ﴿ وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب ﴾ أى: عاونوهم من أهل الكتاب، وهم قريظة، وقد كانوا فى عهد النبى ﷺ، وسيدهم كعب بن أسد، وأما بنو النضير فسيدهم حيى بن أخطب، فلما أجلى رسول الله ﷺ بنى النضير إلى الشام، ذهب حيى بن أخطب، إلى قريش و(استنصرهم)(١)، وجمع الأحزاب وجاء بهم لقتال النبى ﷺ، ثم جاء إلى قريظة وحملهم على نقض العهد فى قصة طويلة، وعاهد معهم أن المشركين لو رجعوا ولم يظفروا دخل معهم في حصنهم ليصيبه ما يصيبهم، فلما هزم المشركون دخل معهم فى حصنهم، وأما قريظة فنقضوا العهد، وقصدوا حرب النبى ﷺ مع الأحزاب فى قصة مذكورة فى المغازى(٢).

وقوله: ﴿ من صياصيهم ﴾ أى: من حصونهم، ومنه صياصى البقر أى: قرونها لأنها تمتنع بها .

وقوله: ﴿ وقذف فى قلوبهم الرعب ﴾ أى: الخوف .

وقوله: ﴿ فريقًا تقتلون ﴾ قتل رسول الله ﷺ من قريظة أربعمائة وخمسين، وفى رواية ستمائة(٣)، وفيهم حيى بن أخطب وسادتهم، وكانوا يقولون: هذا ذبح كتبه الله على بنى إسرائيل .

وقوله: ﴿ وتأسرون فريقا ﴾ أسر منهم سبعمائة وخمسين، وفى رواية سبعمائة(٣)

(١) فى «ك»: واستفزهم.

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ١٣١).

(٣) سيرة ابن هشام (٢/ ١٤٧ - ١٤٨)، ودلائل النبوة للبيهقى (٤/ ٢٠).

وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن

﴿ وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم ﴾ أى: أغنمكم .

وقوله: ﴿ وأرضًا لم تطئوها ﴾ أظهر الأقاويل: أنها خيبر، وقال عكرمة: جميع مافتح الله تعالى ويفتحه من أراضى المشركين إلى يوم القيامة. وعن بعضهم: فارس والروم .

وقوله: ﴿ وكان الله على كل شيء قديراً ﴾ أى: قادراً .

وأما قصة قتل قريظة [فهو على][(١)] ماروى «أن النبى ﷺ لما رجع من الخندق إلى بيته ووضع لامته - أى: درعه - واغتسل جاء جبريل - عليه السلام - على فرس ودعاه، فلما خرج من بيته قال: أتضع سلاحك ولم تضع الملائكة أسلحتهم! وكان الغبار على وجهه ووجه فرسه، وقال: ياجبريل، إلى أين؟ قال: إلى قريظة»[(٢)]، «فخرج النبى ﷺ وخرج أصحابه إلى قريظة، ونادى فى أصحابه: لايصلين أحد منكم العصر إلا فى [بنى][(٣)] قريظة، فلم يصلوا حتى غربت الشمس، فبعضهم صلى العصر، وبعضهم لم يصل حتى وصل، فلم يعنف واحداً من الفريقين»[(٤)] وحاصرهم إحدى وعشرين ليلة، ونزلوا على حكم سعد بن معاذ، وكانوا حلفاءه فى الجاهلية - وسعد بن معاذ سيد الأوس، وسعد بن عبادة سيد الخزرج - فلما نزلوا على حكمه، وكان سعد مريضًا بالمدينة - فى بيته برمية أصابت أكحله يوم الخندق، وكان الدم لايرقأ، فدعا الله تعالى وقال: اللهم أبقنى حتى ترينى ما يقر عينى فى قريظة، فرقأ الدم.

---

(١) فى «الأصل وك»: على فهو.

(٢) متفق عليه من حديث عائشة، رواه البخارى (٦/ ٣٧ رقم ٢٨١٣، وأطرافه: ٤٦٣، ٣٩٠١، ٤١١٧، ٤١٢٢)، ومسلم (١٢/ ١٣٤ - ١٣٥ رقم ١٧٦٩).

(٣) من «ك».

(٤) متفق عليه من حديث ابن عمر، رواه البخارى (٢/ ٥٠٦ رقم ٩٤٦، ٤١١٩)، ومسلم (١٢/ ١٣٩ رقم ١٧٧٠).

كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً ﴿٢٨﴾ وَإِن

فلما نزلوا على حكمه استحضره رسول الله ﷺ، فجاء على حمار موكف وقد حف به قومه، وجعلوا يقولون له: حلفاؤك ومواليك، فقال سعد: قد آن لسعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم، فلما جاء إلى النبى ﷺ قال عليه الصلاة والسلام للأنصار: قوموا إلى سيدكم، ثم إنه حكم بأن يقتل المقاتلة، وتسبى الذرية، ويقسم المال، فقال له النبى ﷺ: حكمت بحكم الملك. وروى أنه قال: حكمت بحكم الله من فوق عرشه، ثم إنه فعل بهم ماحكم، ثم إن سعداً قال لما قتلوا: اللهم إن كنت أبقيت حربا بين رسولك وبين قريش فأبقنى لها، وإن كنت قد وضعت الحرب بين رسولك وبين قريش فاقبضنى إليك، فانفجر كلمه فى الحال، فلم يرعهم إلا والدم يسيل إليهم، وتوفى فى ذلك رضى الله عنه(١).

قوله تعالى: ﴿ يأيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها ﴾ الآية. قال المفسرون: سبب نزول الآية أن نساء النبى ﷺ سألنه شيئا من الدنيا، ولم يكن عنده، وطلبن منه زيادة فى النفقة، وآذَيْنَهَ بغيرة بعضهن على بعض؛ فأنزل الله تعالى آية التخيير.

وحكى النقاش فى تفسيره عن الضحاك: أن زينت بنت جحش سألته ثوبا ممصراً،(٢) وهو البرد المخطط، وميمونة سألته حلة يمانية، وأم حبيبة سألته ثوبا من ثياب خضر، وجويرية سألته معجراً، وعن بعضهن: أنها سألته قطيفة، ولم يكن عنده شىء من ذلك. وحكى أنهن قلن: لو كنا عند غيره كان لنا حليا وثيابا، فأنزل الله تعالى آية التخيير. وقد ثبت أن النبى ﷺ آلى منهن شهراً واعتزل فى غرفة فى قصة

(١) متفق عليه بنحوه من حديث أبى سعيد الخدرى، رواه البخارى (٦/ ١٩١ رقم ٣٠٤٣، وأطرافه: ٣٨٠٤، ٤١٢١، ٦٢٦٢)، ومسلم (١٢/ ١٣٢ - ١٣٤ رقم ١٧٦٨).

وقد روى الحديث بطوله بنحو سياق المصنف، وبعضهم يزيد عليه أو ينقص منه: الإمام أحمد فى مسنده (٦/ ١٤١ - ١٤٢)، وابن سعد (٣/ ٣٢٢ - ٣٢٣)، وابن أبى شيبة (١٤/ ٤٠٨ - ٤١١ رقم ١٨٦٤٣)، وابن حبان فى صحيحه (١٥/ ٤٩٨ - ٥٠١ رقم ٧٢٠٨).

(٢) قال أبو عبيد: الثياب الممصرة التى فيها شىء من الصفرة ليس بالكثيرة (لسان العرب ٥/ ١٧٦).

كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ

طويلة(١).

وفى بعض الروايات عن ابن عباس أن النبى ﷺ كان فى بيت حفصة فتشاجرا، فقال لها رسول الله ﷺ : أجعل بينى وبينك رجلا، أتريدين أباك؟ قالت: نعم، فدعا عمر - رضى الله عنه - فلما دخل قال النبى ﷺ لحفصة: تكلمى.

فقالت حفصة: يارسول الله، تكلم ولاتقل إلا حقا. فرفع عمر يده وضرب وجهها، وقال: ياعدوة نفسها، أتقولين هذا لرسول الله ﷺ؟ ثم إن رسول الله ﷺ آلى منهن شهراً واعتزل، وأنزل الله تعالى آية التخيير، فلما أنزل الله آية التخيير بدأ بعائشة رضى الله عنها.

وقد ثبت هذا برواية الزهرى، عن أبى سلمة، عن عائشة أن النبى ﷺ بدأ بها لما أنزل الله تعالى آية التخيير، قالت عائشة: فدخل على وقال: «يا عائشة، إنى ذاكر لك أمراً فلا عليك أن تعجلى حتى تستأمرى أبويك، وقد علم أن أبوىَّ لا يأمراننى بفراقه، ثم تلا على الآية، فقلت: أفى هذا أستأمر أبوايَّ؟ لقد اخترت الله ورسوله والدار الآخرة، ثم عرض ذلك على سائر نسائه؛ فقلن مثل ذلك»(٢). وروى هذا الخبر البخارى عن أبى اليمان، عن شعيب، عن الزهرى، والإسناد كما بينا من قبل، وأما أزواجه اللاتى خيرهن فكن تسعًا، خمسة قرشيات هن: عائشة بنت أبى بكر، وحفصة بنت عمر، وأم سلمة بنت أمية، وأم حبيبة بنت أبى سفيان، وسودة بنت زمعة، وأما غير القرشيات: فزينب بنت جحش الأسدية، وصفية بنت حيى الخيبرية، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وجويرية بنت الحارث المصطلقية.

---

(١) متفق عليه من حديث عمر بطوله، رواه البخارى (٨/ ٥٢٥ - ٥٢٦ رقم ٤٩١٣)، ومسلم (١٠/ ١١٨ - ١٣١ رقم ١٤٧٩).

(٢) متفق عليه من حديث عائشة، رواه البخارى (٨/ ٣٧٩ - ٣٨٠ رقم ٤٧٨٥، ٤٧٨٦)، ومسلم (١٠/ ١١٣ - ١١٤، ١٣١ -١٣٢ رقم ١٤٧٥)، وهو جزء من حديث عمر الطويل الذى تقدم من رواية مسلم فقط.

قال المفسرون : فلما اخترنه شكر الله تعالى لهن ذلك، فنهى النبي ﷺ أن يتزوج بسواهن أو يتبدل بهن، وذلك في قوله تعالى : ﴿ لايحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن ﴾[1] وسنذكر حكم ذلك من بعد، واختلف العلماء في هذا الخيار، أكان طلاقا؟ وإنما خيرهن على إن اخترن الدنيا فارقهن بلا طلاق، وإن اخترنه أمسكهن، وذهب جماعة إلى أن هذا الخيار كان طلاقا فكأنه خيرهن، ولو اخترن أنفسهن كان طلاقا .

واختلف الصحابة في الرجل يقول لامرأته : اختاري . فتقول : اخترت نفسي، فذهب عمر إلى أنها لو اختارت زوجها لاتكون شيئا، وإن اختارت نفسها فطلقة واحدة، والزوج أحق برجعتها .

وقال عليٌّ : إن اختارت زوجها فطلقة واحدة، والزوج أحق برجعتها، وإن اختارت نفسها فواحدة بائنة، ولايملك الزوج رجعتها، وذهب إلى أنها إن اختارت زوجها فواحدة رجعية، وإن اختارت نفسها فثلاث، وقد قيل غير هذا . وهذه الأقوال الثلاثة هي المعروفة، وقد ذهب إلى كل قول من هذه الأقوال جماعة من العلماء، والدليل على أنها إذا اختارت زوجها لاتكون طلاقا أن عائشة قالت : خيرنا رسول الله ﷺ فاخترناه، أفكان طلاقا؟![2]

وقوله : ﴿ فتعالين أمتعكن ﴾ أي : متعة الطلاق، وقد بينا في سورة البقرة .

وقوله تعالى : ﴿ وأسرحكن سراحًا جميلا ﴾ السراح الجميل هو المفارقة الجميلة، وذلك من غير تعنيف ولا أذى .

قوله تعالى : ﴿ وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات ﴾ والمحسنات هي اللاتي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، وجميع نساء النبي ﷺ قد اخترن ذلك ، فجميعهن محسنات . ويجوز أن تذكر «من» ولا تكون للتبعيض، فلا يدل ذلك على أن منهن من ليست بمحسنة .

---

(٢) الأحزاب : ٥٢ .

(٢) متفق عليه من حديث عائشة، رواه البخاري (٩/ ٢٨٠ رقم ٥٢٦٣)، ومسلم (١٠/ ١١٥ – ١١٦ رقم ١٤٧٧).

ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً ﴿٣٠﴾ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا

وقوله: ﴿ أجراً عظيماً ﴾ وفى التفسير: أن الله تعالى خيرهن بين الدنيا والآخرة، وبين الجنة و النار، فاخترن الآخرة على الدنيا، والجنة على النار.

قوله تعالى: ﴿ يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة ﴾ فإن قيل: أيدل هذا الخطاب على أن منهن من أتت بفاحشة أو تأتى بفاحشة؟ قلنا: لا، كما أن الله تعالى قال للنبى ﷺ: ﴿ لئن أشركت ليحبطن عملك ﴾[1] وهذا لايدل على أنه قد أتى بشرك أو يأتى.

جواب آخر: أنه قد حكى عن ابن عباس أنه قال: الفاحشة هاهنا بمعنى النشوز وسوء الخلق.

وقوله: ﴿ يُضَاعَفُ لها العذاب ضعفين ﴾ وقرئ: «يُضْعَّفُ» من التضعيف، وقرئ: «نُضَعِّفُ» بالنون، فقوله: ﴿ نضعف ﴾ بالنون ظاهر المعنى، وهو نسبة الفعل إلى نفسه، وقوله: «يضعف» و «يضاعف» خبر.

وقوله: ﴿ ضعفين من العذاب ﴾ أى: مثلى عذاب غيرها، فإن قيل: ولم تستحق مثلى عذاب غيرها؟ قلنا: لشرف حالها بصحبة النبى ﷺ، وهذا كما أن الحرة تحد مثلى حد الأمة لشرف حالها. وقد استدل أبو بكر الفارسى فى أحكام القرآن بهذه الآية على أنهن أشرف نساء العالم.

وقوله: ﴿ وكان ذلك على الله يسيرا ﴾ أى: هينا، وقد ذكر بعضهم أن قوله: ﴿ يضاعف لها العذاب ﴾ يقتضى ثلاثة أَعْذِبَة؛ لأن ضعف الواحد مثلاه، والأصح هو الأول.

قوله تعالى: ﴿ ومن يقنت منكن لله ورسوله ﴾ القنوت هو المداومة على الطاعة، ومنه القنوت فى الصلاة، وهو المداومة على الدعاء.

وقوله: ﴿ وتعمل صالحًا نؤتها أجرها مرتين ﴾ أى: مثلى أجر غيرها، وهذا على

(١) الزمر: ٦٥.

مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا

طريق مقابلة الثواب بالعقاب.

وقوله: ﴿وأعتدنا لها رزقًا كريمًا﴾ أى: الجنة.

قوله تعالى: ﴿يا نساء النبى لستن كأحد من النساء﴾ فإن قيل: هلا قال كواحدة من النساء؟ و الجواب، أنه قال: ﴿كأحد من النساء﴾ ليكون أعم فى الكل.

وقوله: ﴿إن اتقيتن﴾ التقوى هى الاحتراز عن المعاصى، والحذر عما نهى الله عنه.

وقوله: ﴿فلا تخضعن بالقول(١)﴾ أى: لا تلنَّ فى القول، ولا ترققن فيه. ويقال: الخضوع فى القول أن تتكلم على وجه يقع بشهوة المريب.

وقوله: ﴿فيطمع الذى فى قلبه مرض﴾ قال قتادة: أى النفاق، وقال عكرمة: شهوة الزنا.

وقوله: ﴿وقلن قولا معروفًا﴾ أى: قولا يوجبه الدين والإسلام بصريح وبيان.

قوله تعالى: ﴿وقرن فى بيوتكن﴾ وقرئ بكسر القاف؛ فقوله بالكسر من السكون والهدوء وترك الخروج. والقراءة بالنصب تحتمل هذا، وتحتمل الأمر بالوقار. وعن ابن مسعود - رضى الله عنه - أنه قال: ما تعبدت الله امرأة بمثل تقوى الله وجلوسها فى بيتها. وفى بعض الآثار، أنه قيل لسودة: ألا تخرجين كما تخرج أخواتك؟ قالت: قد حججت واعتمرت، وقد أمرنى الله تعالى أن أ قَّر فى بيتى، فلا أريد أن أعصى الله تعالى، فلم تخرج من بيتها حتى أخرجت على جنازتها.

وقوله: ﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ قال المبرد: التبرج هو أن تظهر من

(١) فى «الأصل وك»: فى القول.

نفسها ما أمرت بستره. وعن ابن أبى نجيح قال: هو التبختر. وعن قتادة قال: المشى بالتغنج والتكسر. وعن مجاهد قال: هو المشى بين يدى الرجال.

وأما الجاهلية الأولى فقيل: هى زمان نمروذ، وقد كانت المرأة تخرج وعليها قميص من لؤلؤ ثم تخيط جانباه، وعن بعضهم: ما بين نوح وإدريس، وعن الشعبى: ما بين عيسى ومحمد - عليهما الصلاة و السلام - ويقال: إن أول ما ظهر من الفاحشة فى بنى آدم أنه كان بطنان من بنى آدم أحدهما يسكنون الجبل، والآخر يسكنون السهل، وكان رجال الجبل صباحًا، وفى النساء دمامة، ونساء السهل صبيحات، وفى الرجال دمامة، فاحتال إبليس حيلةً حتى أتخَذَ عيداً، وجمع بينهم فارتكب بعضهم من بعض الفاحشة. وذكر بعضهم أن فى الجاهلية الأولى [كانت المرأة تكون](١) بين رجلين، فنصفها الأسفل لأحدهما والأعلى للآخر، فيجتمع على المرأة زوجها وحبها، و قال فى ذلك بعضهم شعراً:

أترغب فى البدال أبا جبير وأرضى بالكواعب والعجوز

وأما الجاهلية الأخرى فقوم يفعلون مثل فعلهن وذلك فى آخر الزمان، وقال بعضهم: يجوز أن يذكر الأولى وإن لم يكن لها أخرى، ألا ترى أن الله تعالى قال: ﴿وأنه أهلك عاداً الأولى﴾(٢) ولم يكن لها أخرى.

وقوله: ﴿وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت﴾ فى الآية أقوال: روى سعيد بن جبير عن ابن عباس: أنها نزلت فى نساء النبى ﷺ، وقد [قاله](٣) عكرمة وجماعة.

(١) فى «الأصل وك»: كان تكون المرأة.

(٢) النجم: ٥٥

(٣) فى «الأصل، وك»: قال، والمثبت هو الصواب، وانظر تفسير ابن كثير (٣/ ٤٨٣).

وذهب أبو سعيد الخدرى وأم سلمة وجماعة كثيرة من التابعين منهم مجاهد وقتادة وغيرهما أن الآية فى أهل بيت النبى ﷺ، وهم علىّ وفاطمة والحسن والحسين.

وروت أم سلمة «أن النبى ﷺ كان فى بيتها وعنده على وفاطمة والحسن والحسين، فأنزل الله تعالى هذه الآية فَجَلَّلَهُمْ بكساء وقال: اللهم؛ هؤلاء أهل بيتى. قالت أم سلمة: فقلت: يارسول الله، وأنا من أهل بيتك، فقال: إنك إلى خير»[١]. ذكره أبو عيسى فى جامعه.

وروى أيضا بطريق أنس «أن النبى ﷺ كان يمر بعد نزول هذه الآية على بيت فاطمة بستة أشهر، ويقول: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً»[٢].

واستدل من قال بهذا القول أن الله تعالى قال: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس﴾ ولم يقل: «عنكن»، ولو كان المراد به نساء النبى ﷺ لقال: «عنكن» ألا ترى أنه فى الابتداء والانتهاء لما كان الخطاب مع نساء النبى ﷺ خاطبهن بخطاب الإناث.

والقول الثالث: أن الآية عامة فى الكل، وهذا أحسن الأقاويل، فآله قد دخلوا فى الآية، ونساؤه قد دخلن فى الآية. واستدل من قال: إن نساءه قد دخلن فى الآية؛ أنه قال: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت﴾ وأهل بيت الرسول هن نساؤه؛ (ولأنه تقدم ذكر نسائه)[٣]، والأحسن ما بينا من التعميم.

(١) رواه الترمذى (٥/٣٢٧ - ٣٢٨ رقم ٣٢٠٥، ٥/٦٢١ - ٦٢٢) وقال: غريب، وقال فى موضع آخر (٥/٦٥٦ - ٦٥٧ رقم ٣٨٧١): حسن، وهو أحسن شىء روى فى الباب، وأحمد (٦/٢٩٨، ٣٠٤)، والبخارى فى تاريخه (٢/٦٩ - ٧٠)، وابن جرير (٢٢/٦)، والطبرانى (٣/٥٢ - ٥٣ رقم ٢٦٦٢ - ٢٦٦٥)، والحاكم (٢/٤١٦، ٣/١٤٦) وصححه على شرط البخارى.

(٢) رواه الترمذى (٥/٣٢٨ رقم ٣٢٠٦) وقال: حسن غريب، وأحمد (٣/٢٥٩، ٢٨٥)، وعبد بن حميد (٣٦٧ - ٣٦٨، رقم ١٢٢٣)، والطبرى فى تفسيره (٢٢ / ٥ - ٦)، والطبرانى (٣/٥٦ رقم ٢٦٧١)، والحاكم (٣/١٥٨) وصححه على شرط مسلم.

وعزاه السيوطى فى الدر (٥/٢١٦) لابن أبى شيبة، وابن المنذر، وابن مردويه، بالإضافة لما سبق.

(٣) فى «الأصل وك»: ولأنه تقدم وتأخر ذكر نسائه. فقوله: تأخر مقحمة هنا، والله أعلم.

فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ

وقد روى أن زيد بن أرقم سئل: مَنْ آل النبى ﷺ؟ فقال: هم الذين حرم عليهم الصدقة. وأما الرجس فمعناه: ما يدعو إلى المعصية. وقال بعضهم: عمل الشيطان. والرجس فى اللغة هو كل مستقذر مستخبث.

وقوله: ﴿ويطهركم تطهيراً﴾ أى: من المعاصى بتقوى الله تعالى، وذهب بعض (أصحاب)(١) الخواطر إلى أن معنى قوله: ﴿ويذهب عنكم الرجس﴾ أى: الأهواء والبدع ﴿ويطهركم تطهيراً﴾ بالسنة، وقال بعضهم: يذهب عنكم الرجس أى: الغل والحسد ﴿ويطهركم تطهيراً﴾ بالتوفيق والهداية، وقال بعضهم: يذهب عنكم الرجس: البخل والطمع ﴿ويطهركم تطهيراً﴾ بالقناعة والإيثار، والتفسير ما بينا من قبل.

قوله تعالى: ﴿واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله و الحكمة﴾ أى: القرآن والسنة.

وقوله: ﴿إن الله كان لطيفًا خبيراً﴾ أى: رحيمًا بهم، خبيراً بأعمالهم.

قوله تعالى: ﴿إن المسلمين و المسلمات﴾ سبب نزول الآية ما روى أن أم سلمة قالت: «يارسول الله، ما بال الرجال يذكرون فى القرآن، ولايذكر النساء، ونخشى ألا يكون فيهن خير»(٢).

وفى رواية أسماء بنت عميس: قدمت من الحبشة فدخلت على نساء النبى ﷺ: وقالت لهن: هل ذكر الله تعالى النساء بخير فى القرآن؟ قلن: لا. قالت: هذا هو

(١) فى «ك»: أهل

(٢) رواه الترمذى (٥/ ٢٢١ رقم ٣٠٢٢) وقال: مرسل، والنسائي فى الكبرى (٦/ ٤٣١ رقم ١١٤٠٤ - ١١٤٠٥)، وأحمد (٦/ ٣٠١، ٣٠٥)، والطبرى (٢٢/ ٨ -٩)، والطبرانى (٢٣/ رقم ٥٥٤، ٦٥٠، ٦٦٥)، والحاكم (٢/ ٤١٦) وصححه على شرطهما.

الخيبة والخسار، أخشى ألا يكون لله فيهن حاجة، ثم أتت النبى ﷺ وذكرت ذلك له »(١).

وفى رواية ثالثة: «أن التى قالت ذلك أم عمارة الأنصارية، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وذكر النساء بخير كما ذكر الرجال »(٢).

قوله تعالى: ﴿ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ﴾ قد بينا معنى الإسلام ومعنى الإيمان، وقد فرق بعض أهل السنة بين الإيمان والإسلام، ولم يفرق بعضهم. والمسألة فيها كلام كثير.

وقوله: ﴿ والقانتين والقانتات ﴾ المطيعين والمطيعات.

وقوله: ﴿ والصادقين والصادقات ﴾ أى الصادقين فى إيمانهم، والصادقات فى إيمانهن. يقال: إن المراد بالصدق هو صدق القول فى جميع الأشياء.

وقوله: ﴿ والصابرين والصابرات ﴾ أى: الصابرين على الطا عة، و الصابرين عن المعصية، وكذلك معنى الصابرات.

وقال قتادة: الصبر عن المعصية أفضل من الصبر على الطاعة، وعليه الأكثرون.

وقوله: ﴿ والخاشعين والخاشعات ﴾ أى: المتواضعين والمتواضعات. ويقال: إن المراد بالخشوع هو الخشوع فى الصلاة.

وعن سعيد بن جبير قال: الخشوع فى الصلاة ألا يعلم من على يمينه ولا من على

---

(١) أورده الواحدى فى أسباب النزول (٢٦٨) عن مقاتل بن حيان بلغنى أن أسماء بنت عميس فذكره. وعزاه الحافظ فى موافقه الخبر الخبر (٢/ ٢٥) لمقاتل فى تفسيره.

(٢) رواه الترمذى (٥/ ٣٣٠ رقم ٣٢١١) وقال: حسن غريب، والطبرانى فى الكبير (٢٥/ رقم ٥١، ٥٢، ٥٣). وعزاه السيوطى فى الدر (٥/ ٢١٧) للفريابى، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن مردويه. وقال الحافظ ابن حجر فى موافقة الخبر الخبر (٢/ ٢٤): هذا حديث حسن، ورجاله رجال الصحيح، لكن اختلف فى وصله وإرساله.

يساره. وقال غيره: من الخشوع أن لا تلتفت.

وقوله: ﴿ والمتصدقين والمتصدقات ﴾ أى: المتصدقين على الفقراء والمتصدقات عليهم.

وقوله: ﴿ والصائمين والصائمات ﴾ معلوم. وروى عن بعضهم: من صام ثلاثة أيام فى كل شهر فهو من الصائمين والصائمات، ومن تصدق فى كل أسبوع بدرهم فهو من المتصدقين، ومن لم يلتفت فى صلاته فهو من الخاشعين، أورده النقاش فى تفسيره.

وقوله: ﴿ والحافظين فروجهم والحافظات ﴾ أى: من ارتكاب الفواحش.

وحكى النقاش: أن من لم يزن فهو من الحافظين لفروجهم.

وقوله: ﴿ والحافظات ﴾ أى: والحافظاتها(١).

وقوله: ﴿ والذاكرين الله كثيرا والذاكرات ﴾ أى: والذاكراته، قال الشاعر:

فكُمْتًا مدماة كأن متونها ... جرى فوقها واستشعرتْ لَوْنُ مُذْهَبِ

يعنى: جرى فوقها لون مذهب واستشعرته.

وأما الذكر الكثير، فروى عن مجاهد أنه قال: لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيراً حتى يذكره قائما وقاعدا ومضطجعا.

وروى الضحاك بن مزاحم، عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال: «من قال سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، كتب من الذاكرين الله كثيرا، وتحات عنه خطاياه كما يتحات الورق عن الشجر، ونظر الله إليه، ومن نظر إليه (لم)(٢) يعذبه».

وفى بعض المسانيد برواية أبى سعيد الخدرى أن النبى ﷺ قال: «أيما رجل أيقظ

(١) أى: الحافظات فروجهن. انظر القرطبى (١٤/ ١٨٥).

(٢) فى «ك»: لا.

امرأته من الليل، فقاما وتوضيا وصليا ركعتين، كتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات»(١).

وقوله: ﴿أعد لهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾ أى: مغفرة للذنوب، وأجراً عظيما: هو الجنة.

قوله تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة﴾ الآية نزلت فى شأن زينب بنت جحش وأخيها عبد الله بن جحش، وكانا ولدى عمة رسول الله ﷺ، وهى أميمة بنت عبد المطلب، فكانا من قبل الأب من بنى أسد من أولاد غنم بن دودان، فروى «أن النبى ﷺ خطب زينب لزيد بن حارثة مولاه، فكرهت ذلك، وقالت: أنا بنت عمتك، أتزوجنى من مولاك؟! وكذلك كره أخوها، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وما كان لمؤمن﴾ أى: عبد الله بن جحش ﴿ولا مؤمنة﴾ أى: زينب»(٢).

وقوله: ﴿إذا قضى الله ورسوله أمراً﴾ أى: أراد الله ورسوله أمرا، وذلك هو نكاح زيد لزينب.

---

(١) رواه أبو داود (٢/ ٣٣ رقم ١٣٠٩)، والنسائى فى الكبرى (٦/ ٤٣٢ رقم ١١٤٠٦)، وابن ماجه (١/ ٤٢٣ - ٤٢٤ رقم ١٣٣٥)، وابن حبان فى صحيحه (٦/ ٣٠٧ - ٣٠٩ رقم ٢٥٦٨، ٢٥٦٩)، والحاكم (٢/ ٤١٦) وصححه على شرطهما، والبيهقى (٢/ ٥٠١) من حديث أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة معا مرفوعًا به.

ورواه أبو داود، ومن طريقه البيهقى عن أبى سعيد موقوفا.

وعزاه فى الدر (٥/ ٢١٧) لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وابن مردويه.

(٢) رواه الطبرانى (٢٤/ رقم ١٠٩)، والدارقطنى (٣/ ٣٠١)، والبيهقى (٧/ ١٣٦ - ١٣٧)، وأبو نعيم فى الحلية (٢/ ٥١ - ٥٢)، وابن عساكر (١٩/ ٣٥٧ رقم ٤٤٨٠) عن زينب بنحوه، وفيه ذكر أختها حمنة دون ذكر عبد الله.

وقال الزيلعى فى تخريج الكشاف (٣/ ١١٠): الحسين بن أبى السدى ضعفه أبو داود وغيره، وحفص بن سليمان الأسدى، قال البخارى: تركوه. وضعَّف إسناده الحافظ ابن حجر فى تلخيصه على تخريج الكشاف.

وقد ورد ذكر أخيها فى حديث الكميت بن زيد بنحوه مطولا، رواه الطبرانى والبيهقى، وابن عساكر، كما فى الدر (٥/ ٢٢٠).

أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي

وقوله: ﴿ أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾ أى: يكون لهم الاختيار، والمعنى: أن يريد غير ما أراد الله، أو يمتنع مما أمر الله ورسوله به.

وقوله: ﴿ ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا ﴾ أى: أخطأ خطأ ظاهرًا؛ فلما سمعا ذلك سلما الأمر، وزوجها رسول الله ﷺ من زيد بن حارثة.

قوله تعالى: ﴿ وإذ تقول للذى أنعم الله عليه ﴾ أى: أنعم الله عليه بالإسلام.

وقوله: ﴿ وأنعمت عليه ﴾ أى: بالعتق، وهو زيد بن حارثة، وقد كان جرى عليه سبى فى الجاهلية، فاشتراه رسول الله ﷺ وأعتقه وتبناه على عادة العرب.

وقوله: ﴿ أمسك عليك زوجك ﴾ أى: امرأتك، وأما سبب نزول هذه الآية: «أن النبى ﷺ لما زوج زينب من زيد ومضت على ذلك مدة، دخل عليها رسول الله ﷺ يوما فرآها قائمة، وكانت بيضاء جميلة ذات خلق، وهى فى درع وخمار، فلما رآها وقعت فى قلبه وأعجبه حسنها، وقال: سبحان مقلب القلوب. وسمعت ذلك زينب، وخرج رسول الله ﷺ وفى قلبه ما شاء الله، فلما دخل عليها زيد ذكرت ذلك له»(١). وفى بعض التفاسير: «أن زيدًا جاء يشكو زينب، وكانت امرأة لَسِنَةً، فذهب رسول الله ﷺ ليعظها، فكان الأمر على ما ذكرنا، ثم إن زيدا أتى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله، إنى أشكو إليك سوء خلق زينب، وإن فيها كِبْرًا، وإنى أريد أن أطلقها، فقال له رسول الله ﷺ: أمسك عليك زوجك - أى امرأتك - واتق الله فى أمرها»(٢).

(١) رواه الطبرى فى تفسيره (٢٢/ ١٠ - ١١) عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم بنحوه مرسلا، ورواه ابن سعد (٨/ ٨٠ - ٨١)، والحاكم فى مستدركه (٤/ ٢٣ - ٢٤) من طريق محمد بن يحيى بن حبان مرسلا بنحوه.
وذكر السيوطي فى الدر (٥/ ٢١٨ - ٢٢١) عدة روايات مرسلة أخرى، وقد أحسن الحافظ ابن كثير إذ لم يورد منها شيئًا بل قال (٣/ ٤٩١): ذكر ابن أبى حاتم وابن جرير ههنا آثارًا عن بعض السلف رضى الله عنهم أحببنا أن نضرب عنها صفحا لعدم صحتها فلا نوردها.

(٢) تقدم فى الذى قبله.

وقوله: ﴿ وتخفى فى نفسك ما الله مبديه ﴾ قال قتادة: هو محبته لها. وقال الحسن: ودَّ النبى ﷺ طلاقها ولم يظهره. وذكر على بن الحسين أن معنى الآية: هو أن الله تعالى كان أخبره أن زيداً يطلقها وهو يتزوج بها، فالذى أخفاه هو هذا، وهذا القول هو الأولى وأليق بعصمة الأنبياء. ومنهم من قال: الذى أخفى فى نفسه هو أنه لو طلقها زيد تزوج بها، وهذا أيضا قولٌ حسنٌ.

وقوله: ﴿ وتخشى الناس ﴾ أى: تستحى من الناس، ويقال: تخشى مقالة الناس ولائمتهم، وأنهم يقولون إنه تزوج بامرأة ابنه.

وقوله: ﴿ والله أحق أن تخشاه ﴾ فإن قيل: هذا يدل على أنه لم يخش الله فيما سبق منه فى هذه القصة. والجواب من وجهين: أحدهما: أن معنى قوله: ﴿ والله أحق أن تخشاه ﴾ ابتداء كلام فى جميع الأشياء، وقد أمر الله تعالى جميع عباده بالخشية فى عموم الأحوال.

والجواب الثانى: أنك أضمرت شيئا ولم تظهره، فإن خشيت الله تعالى فى إظهاره فاخشه فى إضماره. وحقيقة المعنى: أنه لاخشية إلا من الله فيما تظهر و[إلا](١) فيما تضمر، فلا تراقب الناس.

فإن قيل: إذا كان قد ود أن يطلقها كيف قال أمسك عليك زوجك؟ والجواب: أن ذاك الود ود طبع وميل نفس، والبشر لايخلو عنه.

وأما قوله: ﴿ أمسك عليك زوجك واتق الله ﴾ أمر بالمعروف، وليس عليه إثم فيما يقع فى قلبه من غير اختياره، وعلى أنا قد ذكرنا سوى هذا من الأقوال، وقد ثبت برواية مسروق عن عائشة أنها قالت: «لو كتم النبى ﷺ شيئا من الوحى لكتم هذه الآية »(٢)، وروى أنه لم تكن آية أشد عليه من هذه الآية.

وقوله: ﴿ فلما قضي زيد منها وطراً زوجناكها ﴾ فى التفسير: أن زيداً لما أخبر

(١) كذا فى المخطوطتين، وأظنها مقحمة.

(٢) متفق عليه، رواه البخارى (١٣ / ٥١٢ رقم ٧٥٣١)، ومسلم (٣ / ١١ - ١٤ رقم ١٧٧).

بالأمر طلقها، وقد ذكر بعضهم: أن النبى ﷺ تركها حتى انقضت عدتها ثم تزوجها»(١).

وليس فى أكثر التفاسير ذكر عدة، ولا ذكر تزويج من ولى، وإنما المنقول أن زيدا طلقها، وأن الله زوجها منه، وهو ظاهر.

قوله تعالى ﴿فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها﴾ وقوله: ﴿وطراً﴾ أى: حاجة، وهو بلوغ منتهى ما فى النفس، قال الشاعر:

أيها الرايح المجد ابتكــارا　　　قد قضى من تهامة الأوطارا

وقال جرير:

وبان الخليط غداة الجنـاب　　　ولم تقض نفسك أوطارها

وقد ثبت فى الصحيحين: أن زينب كانت تفتخر على سائر زوجات النبى ﷺ وتقول: زوجكن أهلوكن، وزوجنى الله من فوق سبع سموات»(٢).

وروى «أن النبى ﷺ لما أراد أن يتزوجها بعث زيداً يخطبها، فدخل عليها زيد وخطبها لرسول الله ﷺ، فقالت: حتى أوآمر ربى، وقامت إلى مسجدها، وأنزل الله تعالى: ﴿فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها﴾»(٣) وهذا خبر معروف، قال أهل التفسير: «ولما نزلت هذه الآية جاء رسول الله ﷺ ودخل عليها بغير إذن، وأولم عليها بالخبز واللحم»(٤). وقد ثبت برواية أنس «أن النبى ﷺ ما أولم على أحد من نسائه ما أولم على زينب بنت جحش، أشبع الناس من الخبز واللحم»(٥). ومن فضائل زينب «أن النبى ﷺ قال لنسائه عند الوفاة: «أسرعكن بى لحوقا أطولكن،

---

(١) رواه مسلم (٩/ ٣٢٢ - ٣٢٤ رقم ١٤٢٨)، والنسائي (٦/ ٧٩ رقم ٣٢٥١) عن أنس بنحوه مطولا.

(٢) رواه البخارى (١٣ / ٤١٥ رقم ٧٤٢١)، والنسائى (٦/ ٧٩ - ٨٠ رقم ٣٢٥٢) عن أنس به.

(٣) رواه مسلم والنسائى، وقد تقدم قبل الأخير.

(٤) رواه مسلم والنسائى من حديث أنس، وقد تقدم.

(٥) متفق عليه من حديث أنس، رواه البخارى (٨/ ٣٨٧ رقم ٤٧٩١، وأطرافه: ٤٧٩٢ - ٤٧٩٤، ٥١٥٤، ٥١٦٣، ٥١٦٦، ٥١٦٨، ٥١٧٠، ٥١٧١، ٥٤٦٦، ٦٢٣٨، ٦٢٣٩، ٦٢٧١، ٧٤٢١)، ومسلم (١٤/ ٢١٥ - ٢١٨ رقم ١٤٢٨).

زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً ﴿٣٧﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ

يدا» فكانت زينب أول من توفيت من أزواج النبى ﷺ بعده، وكانت امرأة صناعا، تكثر الصدقة بكسب يدها، فعرفوا أن معنى طول اليد هو كثرة الصدقة»(١).

وهى أيضا أول من اتخذ عليها النعش، فإنه روى أنها لما ماتت فى زمن عمر – رضى الله – عنه وكانت امرأة خليقة، كره عمر أن تخرج كما يخرج الرجال؛ فبعثت أسماء بنت عميس النعش فأمر عمر حتى (اتخذ)(٢) ذلك، وأخرجت فى النعش، وقال عمر: نعم خباء الظعينة هذا، فجرت السنة على ذلك إلى يومنا هذا. قالوا: وقد كانت أسماء رأت ذلك بالحبشة.

وقوله: ﴿لكيلا يكون على المؤمنين حرج﴾ أى: إثم.

وقوله: ﴿فى أزواج أدعيائهم﴾ أى: فى نساء يتبنونهم، وقد كانت العرب تعد ذلك حراما، فنسخ الله التبنى، وأحل امرأة (المتبنين)(٣).

وقوله: ﴿إذا قضوا منهن وطرا﴾ قد ذكرنا.

وقوله: ﴿وكان أمر الله مفعولا﴾ أى: كان حكم الله نافذًا لا يرد.

قوله تعالى: ﴿ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله﴾ أى: فيما أحل الله.

وقوله: ﴿[له](٤) سنة الله فى الذين خلوا من قبل﴾ أى: كسنة الله فى الذين خلوا من قبل، فلما نزع (الخافض انتصب)(٥)، وقيل: إنه نصب على الإغراء كأنه قال: الزموا سنةَ الله.

أما قوله: ﴿فى الذين خلوا من قبل﴾ أى: داود وسليمان، فقد بينا عدد ما كان

(١) رواه مسلم (١٦ / ١٢ رقم ٢٤٥٢)، وابن حبان (٨/ ١٠٨ رقم ٣٣١٤) عن عائشة مرفوعًا.
(٢) فى «ك»: اتخذوا.
(٣) فى «ك»: المتبنى.
(٤) من «ك».
(٥) فى «ك»: الحافظ النقيب، وهو تحريف.

ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيبا ﴿٣٩﴾ ما كان محمد أبا أحد من

لداود وسليمان من النساء. وذكر (بعضهم)(١)، أن المراد من الآية تشبيه حال النبى ﷺ بحال داود؛ فإن داود هوى امرأة فجمع الله بينهما على وجه الحلال، وكذلك الرسول هوى امرأة فجمع الله بينهما على وجه الحلال.

قوله: ﴿وكان أمر الله قدراً مقدوراً﴾ أى: قضاءً مقضيا.

قوله تعالى: ﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله﴾ أى: [خشية](٢) تحول بينهم وبين معصيته، وهذا هو الخشية حقيقة.

وقوله: ﴿ولايخشون أحداً إلا الله﴾ أى: غير الله، ومعناه: أنهم لايراقبون أحداً فيما أحل لهم. وفى بعض (الآثار)(٣): من لم يستحِ مما أحل الله له خفت مؤنته.

وقوله: ﴿وكفى بالله حسيبا﴾ أى: حافظا، ويقال: محاسبًا، تقول العرب: (أحسبنى)(٤) الشىء أى: كفانى.

قوله تعالى: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾ أكثر المفسرين أن المراد منه زيد بن حارثة، ومعناه: أنه ليس بأبى زيد بن حارثة، فإن قيل: أليس أنه قد كان له أولاد ذكور وإناث، وكذلك الحسن والحسين كانا ولديه.

وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال للحسن بن على: «إن ابنى هذا سيد يصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»(٥).

وفيه إشارة إلى الصلح الذى وقع بين أهل العراق وأهل الشام حين بايع الحسن معاوية وسلم إليه الأمر، والقصة معروفة. والجواب عنه من وجهين: أحدهما: أن

(١) ليست فى «ك». (٢) فى «الأصل»: خشيته.

(٣) فى «ك»: التفاسير.

(٤) فى «ك»: أحسبت.

(٥) رواه البخارى (٦/٧٢٧ رقم ٣٦٢٩)، وأبو داود (٤/٢١٦ رقم ٤٦٦٢)، والترمذى (٥/٦١٦ رقم ٣٧٧٣)، وقال: حسن صحيح، والنسائى (٣/١٠٧ رقم ١٤١٠)، وأحمد (٥/٤٩) من حديث أبى بكرة مرفوعا به.

رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي

معنى قوله: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾ أي: أبا رجل لم يلده، ولم يكن ولد زيد بن حارثة؛ فلم يكن أباه، وقد كان له أولاد ذكور ولدهم وهم: القاسم، والطيب، والطاهر، وإبراهيم - رضي الله عنهم - وجعل بعضهم بدل الطاهر المطهر.

والجواب الثاني: أنه قال: ﴿من رجالكم﴾ وهؤلاء كانوا صغارا، والرجال اسم يتناول البالغين. وروى عطاء عن ابن عباس أن الله تعالى لما حكم أنه لا نبي بعده لم يعطه ولداً ذكراً يصير رجلا، ولو أعطاه ولدا ذكرا يصير رجلا لجعله نبيا.

وقد قال بعض العلماء: ليس هذا بمستنكر، ويجوز أن يكون له ولد رجل ولايكون نبيا، وما ذكرناه محكي عن ابن عباس، والله أعلم.

وقوله: ﴿ولكن رسول الله وخاتِم النبيين﴾ وقرئ: «خَاتَم» بنصب التاء، فأما قوله: ﴿وخَاتَم النبيين﴾ بالفتح أي: آخر النبيين، وأما بالكسر أي: ختم به النبيين.

وقوله: ﴿وكان الله بكل شيء عليما﴾ أي: عالما، وقد ثبت برواية جابر بن عبدالله أن النبي ﷺ قال: «مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى داراً فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة منها، فجعل كل من يدخل الدار يقول: ما أحسنها وأكملها لولا موضع اللبنة، فأنا اللبنة، ولا نبي بعدي»(١).

وفي بعض الغرائب من الأخبار: أن النبي ﷺ قال: «لاتقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريبا من ثلاثين، كلهم يزعم أنه نبي، ولا نبي بعدي»(٢).

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً﴾ فيه قولان: أحدهما:

(١) متفق عليه من حديث جابر وأبي هريرة، رواه البخاري (٦/ ٦٤٥ رقم ٣٥٣٤، ٣٥٣٥)، ومسلم (١٥/ ٧٤ - ٧٦ رقم ٢٢٨٦، ٢٢٨٧).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة، رواه البخاري (٦/ ٧١٣ رقم ٣٦٠٩)، ومسلم (١٨/ ٦٣ - ٦٤ رقم ١٥٧).

عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾

أن المراد بالذكر الكثير هو الصلوات الخمس، والثانى: أن المراد بالذكر الكثير هو التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير وأشباهها، وهذه الأذكار هى التى لايمنع منها مسلم بجنابة ولاحدث ولابغير ذلك. وقال بعضهم: الذكر الكثير يكون بالقلب، وهو الذكر الذى يستديم به طاعة الله، وينتهى به عن معصيته.

وقوله: ﴿وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ أى: صلوا لله بكرة وأصيلا، والأصيل: ما بين العصر والمغرب، ويقال: صلاة الأصيل هى الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة.

قوله تعالى: ﴿هو الذى يصلى عليكم وملائكته﴾ اختلفوا فى معنى (الصلوات)(١) من الله تعالى؛ قال أبو العالية: هو الثناء من الله على عباده، (وعن)(٢) بعضهم: إشاعة الذكر الجميل لهم، وأشهر الأقوال: أن الصلاة من الله تعالى بمعنى الرحمة والمغفرة، وأما صلاة الملائكة بمعنى الاستغفار للمؤمنين. وذكر الحسن البصرى: أن بني إسرائيل قالوا لموسى – عليه السلام –: أيصلى ربك؟ فذكر موسى ذلك لله تعالى؛ فقال الله تعالى: إنى أصلى، وصلواتى أن رحمتى سبقت غضبى».

وفى بعض التفاسير: أن الله تعالى لما أنزل قوله تعالى: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبى﴾(٣) قالت الصحابة: يارسول الله، هذا لك! فما لنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿هو الذى يصلى عليكم وملائكته﴾»(٤).

وقوله: ﴿ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾ أى: من ظلمة الضلالة إلى نور الهداية، ومن ظلمة الكفر إلى نور الإيمان، وقيل: من ظلمة النار إلى نور الجنة.

وقوله: ﴿وكان بالمؤمنين رحيما﴾ يعنى: لما حكم لهم من السعادة.

---

(١) فى «ك»: الصلاة.
(٢) فى «ك»: وقال.
(٣) الأحزاب: ٥٦.
(٤) عزاه السيوطى فى الدر (٥/٢٢٣) لعبد بن حميد، وابن المنذر عن مجاهد مرسلا.

تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ

قوله تعالى: ﴿ تحيتهم يوم يلقونه سلام ﴾ وفيه أقوال: أحدها: أن معنى « يلقونه » أى: يلقون الله تعالى، والسلام من الله تعالى لهم إثبات السلامة الأبدية و الأمن من الآفات. وقيل: يسلم الله عليهم تسليما.

والقول الثانى: أن معنى قوله « يلقونه » أى: ملك الموت عليه السلام، وقد وردت الكناية عن غير مذكور فى مواضع كثيرة من القرآن. قال البراء بن عازب: ما من مؤمن إلا ويسلم عليه ملك الموت إذا أراد قبض روحه. والقول الثالث: أن المراد منه تسليم الملائكة، ومعناه: أنهم إذا بعثوا سلم عليهم ملائكة الله وبشروهم بالجنة.

وقوله: ﴿ وأعد لهم أجراً كريمًا ﴾ أى: الجنة، واعلم أنه قد ورد أخبار فى الحث على ذكر الله تعالى؛ منها ما ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: « يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه حين يذكرنى »(١).

وقد ثبت أيضا عن النبى ﷺ قال: « يقول الله تعالى: إذا ذكرنى العبد فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم.. »(٢) الخبر.

وفى بعض المسانيد أن النبى ﷺ قال: « من عجز عن الليل أن يكابده، وجبن عن العدو أن يجاهده، وبخل بالمال أن ينفقه، فعليه بذكر الله تعالى »(٣).

﴿ يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ﴾ أى: شاهداً على إبلاغ الرسل رسالة ربهم.

وقوله: ﴿ ومبشراً ﴾ أى: بالجنة، وقوله: ﴿ ونذيراً ﴾ أى: من النار.

---

(١) رواه مسلم (١٧ / ٣-٥ رقم ٢٦٧٥)، والترمذى (٥ / ٥٤٢ رقم ٣٦٠٣) وقال: حسن صحيح، والنسائى فى الكبرى (٤ / ٤١٢ رقم ٧٧٣٠)، وابن ماجه (٢ / ١٢٥٥ رقم ٣٨٢٢) عن أبى هريرة مرفوعا به.

(٢) تقدم فى الذى قبله.

(٣) رواه البزار (٢ / ٣٩٢ - ٣٩٣ رقم ٢٠٧٩- مختصر الزوائد)، والطبرانى فى الكبير (١١ / ٨٤ رقم ١١١٢١)، وابن النجار فى ذيل تاريخ بغداد (١٨ / ٢٢٠) . وقال البزار: لا نعلمه إلا من هذا الطريق، وأبو يحيى كوفى معروف لا نعلم به بأسا، وتعقبه الحافظ ابن حجر فى تلخيصه بقوله: ضعفه الجمهور.

لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً ﴿٤٧﴾ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴿٤٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن

وقوله: ﴿ وداعيا إلى الله ﴾ أى: إلى الإسلام. وقيل: إلى شهادة أن لا إله إلا الله.

وقوله: ﴿ بإذنه ﴾ أى: بأمره. وقوله: ﴿ وسراجًا منيرًا ﴾ أى: ذا سراج منير، والسراج المنير هو القرآن. وقيل: وسراجًا هو الرسول ﷺ؛ سماه سراجا لأنه يهتدى به كالسراج يستضاء به، قال الشاعر:

إن الرسول لنور يستضـاء به ... مهند من سيوف الله مسلول

وقوله: ﴿ وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيراً ﴾ روى أن الله تعالى لما أنزل قوله: ﴿ إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾(١) قالت الصحابة: يارسول الله، هذا لك فما لنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيراً ﴾.

قوله تعالى: ﴿ ولا تطع الكافرين والمنافقين ﴾ الكافرين: أبو سفيان، وعكرمة بن أبى جهل وقد أسلموا من بعد - وأبو الأعور السلمى، والمنافقين: عبد الله بن أبى، وطعمة بن أبيرق، وابن (سفنه)(٢)، وأشباههم.

وقوله: ﴿ ودع أذاهم ﴾ قال مجاهد: اصبر على أذاهم، ويقال: إن هذه الآية نسختها آية السيف.

وقوله: ﴿ وتوكل على الله ﴾ أى: ثق بالله.

وقوله: ﴿ وكفى بالله وكيلا ﴾ أى: حافظا.

قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن ﴾ فى الآية دليل على أن الطلاق لايجوز قبل النكاح؛ لأنه رتب الطلاق على النكاح فدل [على](٣) أنه لايتقدمه، وقد حكى هذا المعنى عن ابن عباس.

(١) الفتح : ١ - ٢ .

(٢) كذا.

(٣) من « ك ».

قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً ﴿٤٩﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاَّتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا

وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «لا طلاق قبل النكاح»(١) وهذا يقوى ما ذكرناه من الاستدلال بالآية.

وقوله: ﴿من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها﴾ فى الآية دليل على أنه لو طلق قبل الدخول لاتجب العدة، وأما إذا خلا بالمرأة ثم طلقها هل تجب العدة؟ فى المسألة خلاف معروف على ما عرف.

وقوله: ﴿تعتدونها﴾ أى: تستوفون عدتها.

وقوله: ﴿فمتعوهن﴾ قد بينا المتعة فى سورة البقرة. وعن بعضهم: أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم﴾(٢) ولهذا وجب نصف المفروض قبل الدخول ولم تجب المتعة، وإنما تجب المتعة للمطلقة التى لاتجب لها نصف المفروض.

وقوله: ﴿وسرحوهن سراحًا جميلا﴾ والتسريح الجميل هو الطلاق مع قضاء الحقوق.

قوله تعالى: ﴿يا أيها النبى إنا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن﴾ أى: مهورهن.

قوله: ﴿وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك﴾ أى: أغنمك الله. ويقال: رد الله عليك من الكفار، ومما أفاء الله عليه صفية بنت حيى بن أخطب وجويرية بنت أبى ضرار المصطلقية، وقد كانت مارية مما ملكت يمينه، وولد له منها إبراهيم ابنه.

وقوله: ﴿وبنات عمك﴾ أى: أولاد عبد المطلب.

---

(١) تقدم تخريجه فى سورة البقرة.

(٢) البقرة: ٢٣٧.

أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن

وقوله: ﴿وبنات عماتك﴾ أي: من أولاد بنات عبد المطلب.

وقوله: ﴿وبنات خالك وبنات خالاتك﴾ أي: من أولاد عبد مناف بن زهرة بن كلاب.

وقوله: ﴿اللاتى هاجرن معك﴾ فيه قولان: أحدهما: أسلمت معك، فيقتضى أن غير المسلمة لاتحل له وإن كانت يهودية أو نصرانية، وهى حلال لأمته. والقول الثانى: هاجرن معك إلى المدينة، فاقتضت الآية أن غير المهاجرة لاتحل له؛ وفى معناه قولان: أحدهما: أن غير المهاجرة لاتحل له من الأجنبيات والقرابات. والقول الثانى: أن غير المهاجرة لاتحل من القرابات واللاتى ذكرهن، فأما من الأجنبيات فحلال.

وروى أبو صالح عن أم هانئ أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة خطبنى، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فلم أحل له لأنى لم أكن من المهاجرات، وكنت من الطلقاء(١). وأم هانئ أخت على بن أبى طالب رضى الله عنه.

وقوله: ﴿وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى﴾ وقرئ: «إن وهَبت» بالفتح إذ بالكسر على العموم، وبالفتح على امرأة بعينها.

وعن ابن عباس أنه قال: لم يكن ممن أمسكها النبى ﷺ من النساء أحد وهبت نفسها.

وعن غيره أن ميمونة بنت الحارث كانت ممن وهبت، وممن وهبت نفسها أم شريك، وكانت امرأة صالحة. وروى أنها عطشت فى سفر، فأنزل الله تعالى عليها دلوا من السماء، وعلقت عكة فارغة فأصاب فيها سمنا، فيقال: من آيات الله عكة أم

(١) رواه الترمذى (٥/ ٣٣١ رقم ٣٢١٤) وقال: حسن صحيح، وابن سعد (٨/ ١٢١) وابن جرير الطبرى (٢٢/ ١٥)، والطبرانى (٢٤/ ٤١٣،٤١٤ رقم ١٠٠٥، ١٠٠٧)، والحاكم (٢/ ٤٢٠) وصححه، والبيهقى (٧/ ٥٤)، وزاد السيوطى فى الدر (٥/ ٢٢٥): ابن راهويه، وعبد بن حميد، وابن أبى حاتم، وابن مردويه.

دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلا يَكُونَ

شريك، «وقد كان رسول الله ﷺ عهدها جميلة، فسأل عنها يوم فتح مكة فبلغها ذلك، فجاءت ووهبت نفسها للنبى ﷺ، فلم يرها كما عهدها فتركها». (١)

وعن عائشة - رضى الله عنها - أن خولة بنت حكيم ممن وهبت نفسها للنبى ﷺ.

وعن الشعبى: أن التى وهبت نفسها للنبى ﷺ زينب بنت خزيمة الأنصارية أم المساكين.

وقوله: ﴿إن أراد النبى أن يستنكحها﴾ أى: يطلب نكاحها.

وقوله: ﴿خالصة لك من دون المؤمنين﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معنى خالصة: أنها حلال لك بغير صداق، ولاتحل لغيرك بغير صداق، وهذا قول عكرمة وجماعة. والقول الثانى: أن معنى قوله: ﴿خالصة لك﴾ يعنى: أن جواز النكاح بلفظ الهبة [خالص] (٢) لك، نسب هذا إلى الشافعى رحمه الله .

وقوله: ﴿قد علمنا مافرضنا عليهم فى أزواجهم﴾ أى: أوجبنا عليهم فى أزواجهم من الأحكام؛ والأحكام أن النكاح لايجوز إلا بشهود وولى وصداق وفراغ عن العدة وأشباه ذلك .

وقوله: ﴿وما ملكت أيمانهم﴾ أى: وما أوجبنا من الأحكام فيما ملكت أيمانهم.

وقوله: ﴿عليهم﴾ و ﴿أيمانهم﴾ ينصرف إلى المؤمنين.

وقوله: ﴿لكيلا يكون عليك حرج﴾ أى: ضيق. معناه: وسعنا عليك الأمر لكى لايكون عليك حرج .

---

(١) كذا عند المصنف! وقد روى ابن سعد فى الطبقات (١/١٢٣-١٢٤) عن الواقدى، عن الوليد بن مسلم، عن منير بن عبد الله الدوسى فذكر حديثا طويلا وفيه: «فعرضت نفسها على النبى ﷺ وكانت جميلة وقد أسنت... فقبلها النبى ﷺ» ... الحديث. وقال الحافظ فى الإصابة: مرسل، وفيه الواقدى. وأخرجه أبو نعيم وأبو موسى من طريق ابن عباس: «... ووهبت نفسها له بغير مهر فقبلها، ودخل عليها فلما رأى عليها كبرة طلقها». وذكر الحافظ فى الإصابة: أن فى إسناد أبى نعيم أحد المتروكين، وهو محمد بن مروان السدى. الإصابة (٤/٤٦٦).

(٢) فى «الأصل، وك»: خالصا، بالنصب، والصواب ما أثبتناه.

عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾ تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ

وقوله: ﴿وكان الله غفوراً رحيمًا﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿ترجى من تشاء منهن﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: تطلق من تشاء منهن، وتؤوى إليك من تشاء أى: تمسك من تشاء منهن، حَكى هذا عن ابن عباس. والقول الثانى: ترجى من تشاء منهن: لا تتزوجهن. وقوله: ﴿وتؤوى إليك من تشاء﴾ أى: من تشاء نكاحهن. والقول الثالث: ترجى من تشاء منهن أى: تؤخرهن فيخرجن من القسم .

وقوله: ﴿وتؤوى إليك من تشاء﴾ أى: تدخلهن فى القسم، وهذا أشهر الأقاويل، فكأن الله تعالى جوز أن يقسم لمن شاء، ويترك من شاء منهن. ثم اختلف القول فى أنه هل أخرج أحداً منهن عن القسم؟ فأحد القولين: أنه لم يخرج أحدا منهن عن القسم. والقول الثانى – حكاه أبو رزين – أنه أخرج خمسة وقسم لأربعة، فالخمسة التى أخرجهن: سودة، وأم حبيبة، وصفية، وجويرية، وميمونة، وأما اللاتى قسم لهن: فعائشة، وحفصة، وأم سلمة، وزينب، والأظهر هو القول الأول .

وقد روى «أنه كان فى مرض موته يدور على نسائه حتى رضين بأن يمرض فى بيت عائشة»(١) .

وقوله: ﴿ومن ابتغيت ممن عزلت﴾ أى: ممن رأيت منهن وقد أخرتها ﴿فلا جناح عليك﴾ أى: لا إثم عليك.

وقوله: ﴿ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولايحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن﴾ معناه: أنهن إذا علمن أن هذا مما أنزل الله تعالى كان أطيب لأنفسهن، وأقل لحزنهن، وأقرب إلى رضاهن. ويقال: إذا علمن أن لك أن تؤوى من شئت، فمن عزلت كان أقرب إلى

(١) متفق عليه من حديث عائشة، رواه البخارى (١/ ٣٦٢ رقم ١٩٨، وأطرافه. ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٧٩، ٦٨٣، ٦٨٧، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٦، ٢٥٨٨، ٣٠٩٩، ٣٣٨٤، ٤٤٤٢، ٤٤٤٥. ٥٧١٤، ٧٣٠٢)، ومسلم (٤/ ١٨٢ – ١٨٣ رقم ٤١٨).

بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ

ماذكرنا. وفى بعض التفاسير: «أن النبى ﷺ أراد أن يطلق جماعة من نسائه، فقلن له: اتركنا على حالنا، واقسم كما شئت»(١).

وقوله: ﴿والله يعلم مافى قلوبكم وكان الله عليمًا حليمًا﴾ أى: عليما بأمر خلقه، حليماً عن فعل خلقه.

قوله تعالى: ﴿لايحل لك النساء من بعد﴾ قد بينا أن الله تعالى لما أمر رسوله أن يخير أزواجه فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة؛ شكر لهن اختيارهن وحرم عليه ما سواهن من النساء، ونهاه عن الاستبدال بهن، ثم اختلف القول أنه هل أحل له النساء من بعد أولا؟ فعن عائشة - رضى الله عنها - أنها قالت: «ماتوفى رسول الله ﷺ حتى أحل له النساء»(٢).

والقول الثانى: أن الحرمة بقيت إلى أن توفى النبى ﷺ.

وقوله: ﴿ولو أعجبك حسنهن﴾ ظاهر المعنى، وفى الآية قول آخر. وهو ماروى عن مجاهد أنه قال: ﴿لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج﴾ أى: ليس لك أن تختار غير المسلمات على المسلمات، ومعناه: أنه لايجوز له أن يتزوج يهودية ولانصرانية. وفى بعض التفاسير: أن التى أعجبته هى أسماء بنت عميس الخثعمية، وكانت عند جعفر بن أبى طالب، فلما استشهد عنها أراد النبى ﷺ أن يخطبها، فنهى عن ذلك.

وقوله: ﴿إلا ماملكت يمينك﴾ يعنى: سوى ماملكت يمينك، وقوله: ﴿وكان الله على كل شىء رقيبًا﴾ أى: حفيظا.

---

(١) رواه الطبرى فى تفسيره (٢٢/١٨) عن أبى رزين مرسلا. ورواه الطبرى، وابن أبى شيبة، وعبد الرزاق - كما فى تخريج الكشاف (٣/١١٨ - ١١٩) عن مجاهد مرسلا بنحوه. وعزاه فى الدر (٥/٢٢٨) لابن مردويه.

(٢) رواه الترمذى (٥/٣٣٢ رقم ٣٢١٦) وقال: حسن، والنسائى (٦/٥٦ رقم ٣٢٠٥)، وأحمد (٦/١٨٠، ٢٠١)، وابن سعد (٨/١٤١)، والدارمى (٢/٢٠٥ رقم ٢٢٤١)، والطبرى (٢٢/٢٤)، وابن حبان (١٤/٢٨١ رقم ٦٣٦٦)، والحاكم (٢/٤٣٧) وصححه، والبيهقى (٧/٥٤).

وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا

قوله تعالى: ﴿ يأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبى ﴾ سبب نزول الآية: ماروى أن الصحابة كانوا يدخلون بيوت النبى ﷺ بغير إذن، وينتظرون إدراك الطعام، فإذا فرغوا من الطعام جلسوا يتحدثون وأطالوا الجلوس، وكان النبى ﷺ يتأذى بهم ويستحى منهم؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية، وعلمهم هذا الأدب بينهم وبين النبى ﷺ.

وقد ثبت برواية أنس «أن النبى ﷺ أَوْلَمَ على زينب بنت جحش ودعا أصحابه، فلما فرغوا وخرجو، جلس رجلان يتحدثان، وأحب النبى ﷺ أن يخرجا فيخلوا بأهله فلم يخرجا»(١). وفى رواية: أنه خرج مرات ليتبعاه فلم يخرجا أيضا، فأنزل الله تعالى هذه الآية. ومن المعروف أيضا أن نساء النبى ﷺ لم يكن يحتجبن عن الرجال على عادة العرب، وكان عمر يقول: يارسول الله، احجب نساءك؛ فإنه يدخل عليك البر والفاجر؛ وكان النساء يَتَّزِرْنَ بالليل، ويخرجن إلى المناصع لحاجتهن، فخرجت سودة ليلة وكانت امرأة طويلة، فقال عمر: قد عرفناك ياسودة، ورفع صوته حرصا على أن ينزل الحجاب، فأنزل الله تعالى آية الحجاب»(٢). ومن المعروف أيضا «أن النبى ﷺ كان يأكل مع عائشة حَيْسًا، فمر عمر فدعاه فجعل يأكل معهما، فوقع أُصبُعه على أُصبُع عائشة، فقال عمر: حَسِّ لو أُطاعُ فيكن [ما رأتكن](٣) عين، فأنزلت آية الحجاب»(٤).

(١) متفق عليه، وقد تقدم قبل قليل.
(٢) متفق عليه من حديث عائشة، رواه البخارى (٨/ ٣٨٨ رقم ٣٧٩٥)، ومسلم (١٤/ ٢١٥ - ٢١٨ رقم ٢١٧٠).
(٣) المثبت ساقط من «الأصل وك»، وهو من حديث عائشة، كما سيأتى فى تخريجه.
(٤) رواه النسائى فى الكبرى (٦/ ٤٣٥ رقم ١١٤١٩)، والطبرانى فى الأوسط (٦/ ٥٩ - ٦٠ رقم ٣٣٧٤ - مجمع البحرين)، والصغير (١/ ١٤٩ رقم ٢٢٧)، وابن أبى حاتم كما عند ابن كثير (٣/ ٥٠٥) كلهم من حديث عائشة وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ٩٦): رواه الطبرانى فى الأوسط، ورجاله رجال الصحيح غير موسى بن أبى كثير، وهو ثقة. وقال السيوطى فى الدر (٥/ ٢٣١): وأخرج النسائى، وابن أبى حاتم، والطبرانى، وابن مردويه بسند صحيح، فذكر الحديث. وفى الباب عن ابن عباس، ومجاهد، وانظر الدر (٥/ ٢٣١).

مُسْتَئْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ

وقوله: ﴿غير ناظرين إناه﴾ أي: إدراكه ونضجه، قال الشاعر:

تمخضت المنون له بيوم أنَى ولكل حاملة تمام

وقوله: ﴿ولكن إذا دعيتم فادخلوا﴾

وقوله: ﴿فإذا طعمتم فانتشروا﴾ قال الحسن البصرى وغيره: نزلت الآية فى الثقلاء. وعن إبراهيم النخعى: من عرف أنه ثقيل فليس بثقيل.

وقوله: ﴿ولامستأنسين لحديث﴾ أى: لايقعدوا فى بيت النبى ﷺ بعد الفراغ من الطعام يتحدثون مستأنسين بالحديث .

وقوله: ﴿إن ذلكم كان يؤذى النبى فيستحى منكم﴾ أى: يستحى من إخراجكم.

وقوله: ﴿والله لايستحى من الحق﴾ أى: لايترك بيان الحق [وذكره](1) حياء.

وقوله: ﴿وإذا سألتموهن متاعًا﴾ أى: حاجة.

وقوله: ﴿فاسألوهن من وراء حجاب﴾ أى: من وراء ستر. وفى التفسير: أنه لم يكن يحل بعد آية الحجاب لأحد أن ينظر إلى امرأة من نساء النبى ﷺ، منتقبة كانت أو غير منتقبة؛ لأن الله تعالى قال: ﴿من وراء حجاب﴾ وروى أن عائشة كانت إذا طافت ستروا وراءها.

وقوله: ﴿ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن﴾ أى: أطهر من الريب.

وقوله: ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله﴾ قال أهل التفسير: لما نزلت آية الحجاب ومنع الرجال من الدخول فى بيوت النبى ﷺ، قال رجل من الصحابة: ما بالنا نمنع من الدخول على بنات أعمامنا، والله لئن حدث أمر لأتزوجن عائشة، والأكثرون على أن القائل لهذا طلحة بن عبيد الله، وكان من رهط أبى بكر الصديق.

---

(1) فى «الأصل وك»: وذكر.

لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لا جُنَاحَ

وكان ذلك القول زلة منه؛ فأنزل الله تعالى [قوله هذا](١): ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله﴾.

وقوله: ﴿ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيمًا﴾ أى: ذنبا عظيما.

قوله تعالى: ﴿إن تبدوا شيئا أو تخفوه﴾ والذى أبدى وأظهر هو قول ذلك القائل: مابالنا نمنع من الدخول على بنات أعمامنا.

وقوله: ﴿أوتخفوه﴾ والذى أخفى هو إضماره نكاح عائشة بعد النبى ﷺ، وروى أنه لم يقل هذا، ولكنه أضمر.

وقوله: ﴿فإن الله كان بكل شىء عليمًا﴾ أى: عالمًا. فى تفسير النقاش: أن النبى ﷺ خطب بعد نزول هذه الآية، وقال: «أيها الناس، إن الله فضلنى على سائر الرجال، وفضل نسائى على سائر النساء، وإن الله حرمهن عليكم وجعلهن كأمهاتكم، فلاتعتدوا حدوده فيسحتكم بعذاب أليم، ألا وإن صفوتى من نسائى عائشة بنت أبى بكر إلا ماكان من خديجة بنت خويلد، وإن فاطمة سيدة نساء العالمين إلا ماكان من مريم بنت عمران، والحسن والحسين - رضى الله عنهما - سيدا شباب أهل الجنة، وإن أبا بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة ماخلا النبيين والمرسلين».

قوله تعالى: ﴿لاجناح عليهن فى آبائهن﴾ الآية. روى أن الآية الأولى لما نزلت قام الآباء والأبناء، فقالوا: ماحالنا يارسول الله أندخل عليهن أم لا؟ فأنزل الله تعالى قوله: ﴿لا جناح عليهن﴾ أى: لا إثم عليهن ﴿فى آبائهن ولا أبنائهن، ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن﴾ فإن قيل: لم يذكر الأعمام، وبالإجماع يجوز للأعمام أن يدخلوا عليهن، إنه قد قال: ﴿فى آبائهن﴾ وقد دخل الأعمام فى جملة

(١) فى «الأصل، وك»: هذا قوله، والمثبت هو الأليق للسياق.

عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلا أَبْنَائِهِنَّ وَلا إِخْوَانِهِنَّ وَلا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلا نِسَائِهِنَّ وَلا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ

الآباء، وقد سمَّى الله تعالى العم أبا فى القرآن، قال الله تعالى حاكيًا عن الأسباط أنهم قالوا ليعقوب: ﴿ نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ﴾[1] وقد كان إسماعيل عم يعقوب .

وقوله: ﴿ ولانسائهن ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن المراد من نسائهن المسلمات، فعلى هذا القول لم يكن يجوز لليهوديات والنصرانيات الدخول عليهن. والقول الثانى: أن قوله: ﴿ ولانسائهن ﴾ عام فى المسلمات وغير المسلمات، فعلى هذا القول إنما قال: ﴿ ولانسائهن ﴾ لأنهن من أجناسهن، وعلى القول الأول قال: ﴿ ولانسائهن ﴾ لأن نساءهن المسلمات دون غير المسلمات .

وقوله: ﴿ ولا ما ملكت أيمانهن ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن ماملكت أيمانهن هن الإماء، قال سعيد بن المسيب: لايغرنكم قوله: ﴿ ولا ماملكت أيمانهن ﴾ فإنما المراد منه الإماء دون العبيد .

والقول الثانى: أن المراد منه العبيد والإماء.

واختلف القول أن العبيد إلى ماذا يحل لهم النظر على هذا القول؟ فأحد القولين: أنه يحل لهم النظر إلى ما يحل للمحارم.

والقول الآخر: أنه يحل [النظر][2] إلى مايبدو فى العادة من الوجه واليدين والقدمين، ولا يحل النظر إلى ماسوى ذلك، هذا هو الأحوط .

وقوله: ﴿ واتقين الله ﴾ هذا خطاب لأزواج النبى ﷺ حتى لايبرزن ولايكشفن الستر عن أنفسهن .

وقوله: ﴿ إن الله كان على كل شىء شهيداً ﴾ أى: شاهداً.

(١) البقرة: ١٣٣.

(٢): زيادة ليست فى «الأصل وك»، ويقتضيها السياق.

اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ

وقوله تعالى: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبى﴾ الصلاة من الله بمعنى الرحمة والمغفرة، ومن الملائكة والمؤمنين بمعنى الدعاء.

قال ثعلب: قول القائل: اللهم صل على محمد أى: زده بركة ورحمة، وأصل الصلاة فى اللغة الدعاء، وقد بينا من قبل. وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «من صلى على مرة صلى الله عليه عشرًا»(١).

وفى بعض الأخبار: «أن جبريل عليه السلام لما نزل بهذا سجد رسول الله ﷺ شكرًا»(٢).

وقد ثبت برواية كعب بن عُجْرة أنه قال: يارسول الله، قد عرفنا السلام عليك، فكيف نصلى عليك؟ فقال: «قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد»(٣).

وعن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - أنه قال: إذا صليتم على رسول الله ﷺ فأحسنوا الصلاة عليه؛ فلعلها تعرض عليه؛ قالوا له: فَعَلِّمنا. قال: قولوا اللهم صل على محمد عبدك ونبيك، سيد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبيين، إمام الخير، وقائد الخير، ورسول الرحمة، اللهم ابعثه المقام المحمود الذى يغبطه به الأولون

(١) رواه مسلم (٤/ ١٦٨ رقم ٤٠٨)، وأبو داود (٢/ ٨٨ رقم ١٥٣٠)، والترمذى (٢/ ٣٥٥ رقم ٤٨٥) وقال: حسن صحيح، والنسائى (٣/ ٥٠ رقم ١٢٩٦)، وأحمد (٢/ ٣٧٢، ٣٧٥، ٤٨٥)، وابن حبان فى صحيحه (٣/ ١٨٦ - ١٨٧ رقم ٩٠٥، ٩٠٦) من حديث أبى هريرة مرفوعا به. وقال الترمذى: وفى الباب عن عبد الرحمن بن عوف، وعامر بن ربيعة، وعمار، وأبى طلحة، وأنس، وأبى بن كعب.

(٢) رواه أحمد (١/ ١٩١)، والحاكم (١/ ٢٢٢ - ٢٢٣) وصححه على شرطهما، والبيهقى (٢/ ٣٧١) من حديث عبد الرحمن بن عوف مرفوعا. وقال الهيثمى (٢/ ٢٩٠): رواه أحمد، ورجاله ثقات.

(٣) متفق عليه، رواه البخارى (٦/ ٤٩٦ - ٤٧٠ رقم ٣٣٧٠، وطرفاه: ٤٧٩٧، ٦٣٥٧)، ومسلم (٤/ ١٦٥ - ١٦٦ رقم ٤٠٦).

والآخرون .

وروى الأصمعى قال : سمعت المهدى - وهو محمد بن عبدالله بن جعفر المنصورى - على منبر البصرة يقول : إن الله تعالى أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته، فقال : ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبى ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾ .

وأما السلام على الرسول فهو أن تقول : السلام عليك أيها النبى ورحمه الله وبركاته، هذا فى حق أصحاب رسول الله، وكانت السنة لهم أن يواجهوا الرسول ﷺ على هذا الوجه، فأما فى حق سائر المؤمنين ففى التشهد يقول على ماهو المعروف .

وقد ذكر بعض العلماء أنه يقول فى التشهد : السلام على النبى ورحمة الله وبركاته . ولايقول : عليك .

والصحيح ما بينا، وإنما خارج المصلى، فإنه يقول : السلام على النبى ورحمة الله وبركاته .

ويستدل بهذه الآية فى وجوب الصلاة على النبى ﷺ إذا صلى، على ماهو مذهب الشافعى - رحمه الله - ووجه الاستدلال : أن الله تعالى أمرنا بالصلاة على النبى ﷺ، وأولى موضع بوجوب الصلاة فيه هو الصلاة . فوجب فى الصلاة، أن يصلى على رسول الله .

قوله تعالى : ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله﴾ قد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال : «يقول الله تعالى : يشتمنى عبدى، وماينبغى له أن يشتمنى، ويكذبنى عبدى، وماينبغى له أن يكذبنى . أما شتمه إياى هو أن يزعم أنى اتخذت ولداً . وأما تكذيبه إياى هو أنه يزعم أنى لن أعيد خلقى، وأنا المبدئ المعيد»(١) .

---

(١) رواه البخارى (٦/ ٣٣١ رقم ٣١٩٣، وأطرافه : ٧٤٠٤، ٧٤١٢، ٧٤٥٣، ٧٥٥٣، ٧٥٥٤)، والنسائى (٤/ ١١٢ رقم ٢٠٧٨)، وأحمد (٣/٣٩٣ ، ٣٩٤)، وابن حبان (١/ ٥٠٠ رقم ٢٦٧) عن أبى هريرة مرفوعا به.

وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ

وقال بعضهم: ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله﴾ أى: أولياء الله.

وأصح القولين أن قوله: ﴿يؤذون الله﴾ على طريق المجاز، وأما على الحقيقة فلا يلحقه أذى من قبل أحد.

وقوله: ﴿لعنهم الله فى الدنيا والآخرة﴾ أى: طردهم وأبعدهم من رحمته.

وقوله: ﴿وأعد لهم عذابا مهينا﴾ أى: يهينهم ويخزيهم.

قوله تعالى: ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا﴾ أى: يقعون فيهم، ويعيبونهم بغير جرم وجد من قِبَلهم.

وذكر [هنا][(١)] مقاتل أن الآية نزلت فى قوم كانوا يؤذون على بن أبى طالب - رضى الله عنه - وذكر الكلبى أن الآية نزلت فى قوم من المنافقين كانوا يمشون فى الطريق ويغمزون النساء.

وقوله: ﴿فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ ذكر المفسرون أن المدينة كانت ضيقة المنازل، وكان النساء يخرجن إلى البوار بالليالى لقضاء الحاجات، وكان قوم من المنافقين والفاسقين يرصدونهن ويتعرضون لهن، فمن كانت عفيفة منهن صاحت وتركوها، ومن كانت غير عفيفة أعطوها شيئا وواقعوها.

وفى رواية: أنهم كانوا يتعرضون للإماء، ولايتعرضون للحرائر، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقوله تعالى: ﴿يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ أى: يشتملن بالجلابيب، والجلباب

(١) من «ك».

ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلا

هو الرداء، وهو الملاءة التى تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار.

قال عبيدة السَّلْمانى: تتغطى المرأة بجلبابها فتستر رأسها ووجهها وجميع بدنها إلا إحدى عينيها.

وروى أن الله تعالى لما أنزل هذه الآية اتخذ نساء الأنصار أكسية سوداء واشتملن بها فخرجن كأن رءوسهن الغربان.

وقوله: ﴿ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين﴾ أى: يعرفن أنهن حرائر ﴿فلا يؤذين﴾ أى: لايتعرض لهن.

وقوله: ﴿وكان الله غفورا رحيما﴾ قد بينا من قبل.

وكان عمر - رضى الله عنه - إذا رأى أمة قد تقنعت وتجلببت علاها بالدرَّة، ويقول: أتتشبهين بالحرائر.

قوله تعالى: ﴿لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض﴾ أى: شهوة الزنا.

وقوله: ﴿والمرجفون فى المدينة﴾ قد كان قوم من المنافقين يكثرون الأراجيف، وكان إذا خرجت سرية أو غازية، قالوا: قد هزموا وقتلوا، ويوقعون(١) بين المسلمين أمثال هذه الأشياء؛ لتضعف قلوبهم ويحزنوا.

وقوله: ﴿لنغرينك بهم﴾ أى: نسلطنَّك عليهم، ونحملنَّك على قتلهم.

وفى بعض التفاسير: أن قوما من المنافقين هموا بإظهار الكفر، فأمر الله تعالى رسوله أن يقتلهم إذا أظهروا.

وقال السدى: من تتبع امرأة فى طريق وكابرها قتل محصنًا كان أو غير محصن لهذه الآية.

---

(١) فى «ك»: ترفعون.

قَلِيلاً ﴿٦٠﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً ﴿٦٢﴾ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا

وقوله: ﴿ثم لايجاورونك فيها﴾ أى: فى المدينة.

وقوله ﴿إلا قليلا﴾ أى: إلا وقتا قليلا.

قوله تعالى: ﴿ملعونين﴾ وهو نصب على الحال.

وقوله: ﴿أينما ثقفوا﴾ معناه: أينما صدفوا ووجدوا.

وقوله: ﴿أخذوا وقتلوا تقتيلا﴾ فقوله: قتلوا تقتيلا، قال السدى: (ماقال)(١)

قوله تعالى: ﴿سنة الله فى الذين خلوا من قبل﴾ وفعلوا مثل هذا الفعل.

وقوله: ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾ أى: تغييرا.

قوله تعالى: ﴿يسألك الناس عن الساعة﴾ أى: متى قيامها.

وقوله: ﴿قل إنما علمها عند الله﴾ أى: علم قيامها عند الله.

وقوله: ﴿وما يدريك﴾ أى: وما يعلمك؟ أى: لاتعلم وقت قيامها.

وقوله: ﴿لعل الساعة تكون قريبا﴾ أى: قريبة.

قوله تعالى: ﴿إن الله لعن الكافرين﴾ أى: أبعدهم عن الرحمة، وطردهم من الخيرات.

وقوله: ﴿وأعد لهم سعيرا﴾ أى: ناراً مسعرة.

وقوله: ﴿خالدين فيها أبدا﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿[لايجدون وليا ولانصيرا](٢) يوم تقلب وجوهم فى النار﴾ أى:

---

(١) سقط من النسختين قول السدى، وهو: أن من قتل بحق فلا دية على قاتله. انظر القرطبى: (١٤/ ٢٤٧).

(٢) من: ك.

﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لاَّ يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ
يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاْ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا
فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاْ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَا أَيُّهَا

يسحبون على وجوههم فى النار .

وقوله : ﴿ يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا ﴾ أى : الرسول، وذكر الرسولا على موافقة رءوس الآى على ما بيَّنا من قبل .

قوله تعالى : ﴿ وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا ﴾ وقرئ : « ساداتنا »، وقوله : ﴿ وكبراءنا ﴾ هم الأشراف ورءوس الناس .

قوله : ﴿ فأضلونا السبيلا ﴾ أى : السبيل، ومعناه : صدونا عن طريق الحق .

قوله تعالى : ﴿ ربنا آتهم ضعفين من العذاب ﴾ أى : عذبهم ضعفى عذاب غيرهم. وقيل : عذبهم عذاب الدنيا والآخرة، والأول أولى .

وقوله : ﴿ والعنهم لعنا كبيراً ﴾ أى : مرة بعد مرة، وقرئ : « كثيراً » بالثاء، والمعنى واحد .

قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين آذوا موسى ﴾ معناه : لاتؤذوا محمداً فتكونوا كالذين آذوا موسى، وفيما أوذى به الرسول ﷺ قولان : أحدهما : أنهم آذوه فى أمر زيد بن حارثة ونكاحه زينب .

والثانى : ماروى أنه قسم غنيمة فقام رجل وقال : اعدل، فإنك لم تعدل، فقال النبى ﷺ : « رحم الله موسى؛ لقد أوذى بأكثر من هذا فصبر »(١) .

وأما الذى أوذى به موسى ففيه قولان : أحدهما – وعليه أكثر أهل التفسير– ماروى أبو هريرة – رضى الله عنه – أن النبى ﷺ قال : « كان موسى رجلا حييا، وكان لايغتسل إلا وحده، وكان بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى (عورة

(١) تقدم تخريجه فى تفسير سورة التوبة .

الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ

البعض)[1] ، فقالوا : إن موسى لايغتسل إلا وحده؛ لأن به آفة، وقالوا : إنه آدر، فاغتسل موسى مرة ووضع ثوبه على حجر، فعدا الحجر بثوبه، فأخذ موسى العصا وجعل يقول : ثوبى ياحجر، ثوبى ياحجر، حتى مر على ملأ من بنى إسرائيل فنظروا إليه ولم يروا به بأسا، وقام الحجر فطفق يضربه بالعصا » .

قال أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ : « وكأنى بالحجر ندبا من أثر ضربه أربعا أو خمسا » . والخبر فى الصحيحين »[2] .

وفى الخبر : « أن الله تعالى أنزل فى هذا قوله [تعالى][3] : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين آذوا موسى ﴾ الآية .

وفى بعض الروايات : أن الحجر قال له : ياموسى، لم تضربنى، إنما أنا عبد مأمور .

والقول الثانى فى الآية : ماروى عن على - رضى الله عنه - أنه قال : صعد هارون وموسى الجبل، فمات هارون ونزل موسى وحده، فقالت له بنو إسرائيل : أنت قتلت هارون، وقد كان ألين جانبا منك وأحب إلينا، فبعث الله الملائكة حتى حملوا هارون ميتا إليهم، وتكلموا بموته حتى سَمِعُوا بنى إسرائيل ذلك، ثم إن الملائكة حملوا هارون ودفنوه فلم يعرف أحد موضع قبره إلا الرَّخَم، فجعله الله تعالى أصم أبكم .

وقوله : ﴿ فبرأه الله مما قالوا ﴾ أى : طهره الله مما قالوا .

وقوله : ﴿ وكان عند الله وجيها ﴾ أى : بتكليمه إياه، والوجيه فى اللغة هو ذو الجاه .

قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا ﴾ أى : صوابا،

---

(١) فى « ك » : بعض .

(٢) متفق عليه، رواه البخارى (٦ / ٥٠٢ رقم ٣٤٠٤)، ومسلم (٤ / ٤٣-٤٥، ١٥ / ١٨٣-١٨٤ رقم٣٣٩) .

(٣) من « ك » .

وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ

ويقال: صدقا.

وعن ابن عباس: هو كلمة لا إله الا الله. وقال بعضهم: سديدا، أى: مستقيما، يقال: سدد أى: استقم، قال زهير:

فقلت له سدد وأبصر طريقه وماهو فيه عن وصاتى شاغله

أى: عن وصيتى، وقال بعضهم: قولا سديدا أى: قولا يوافق باطنه ظاهره.

وقوله: ﴿يصلح لم أعمالكم﴾ أى: يزك لكم أعمالكم. وقيل: يصلح لكم أعمالكم: يتقبل منكم الحسنات.

وقوله: ﴿ويغفر لكم ذنوبكم﴾ أى: يسترها ويعف عنها.

وقوله: ﴿ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزًا عظيمًا﴾ أى: ظفر بالخير كله.

قوله تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة﴾ قال ابن عباس: الأمانة الفرائض. وقال الضحاك: الطاعة. وعن أبى العالية الرياحى: ما أمر به ونهى عنه. وقال أبى بن كعب: الأمانة هاهنا حفظ الفرج.

وأولى الأقاويل ماذكرنا عن ابن عباس، وقول الضحاك وأبى العالية قريب من ذلك. وفى بعض التفاسير: أن أول ما خلق الله تعالى من ابن آدم فرجه وأتمنه عليه، وقال: إن حفظته حفظتك.

وعن أبى حمزة السكرى أنه قال: إنى أعلم من نفسى أنى أؤدى الأمانة فى مائة ألف دينار، ومائة ألف دينار، ومائة ألف دينار إلى أن ينقطع النفس، ولو باتت عندى امرأة وأتمنت عليها خفت ألا أسلم منها.

وعن ابن مسعود أنه قال: من الأمانة أداء الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والصدق فى الحديث، وقضاء الدين، والعدل فى المكاييل والموازين، قال: وأشد من هذا كله الودائع. وهذا القول قريب من قول ابن عباس.

عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ

وقال أهل العلم: الأمانة قطب الإيمان، قال النبى ﷺ: «لا إيمان لمن لا أمانة له»(١).

ومن الأمانةأن يكون الباطن موافقا للظاهر، فكل من عمل عملا يخالف عقيدته فقد خان الله ورسوله. وقد قال الله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم﴾(٢) نزلت فى أبى لبابة بن عبد المنذر، وقد كان وضع أصبعه على حلقه، يشير إلى بنى النضير إنكم إن نزلتم فهو الذبح، وقد بينا.

وقوله: ﴿على السموات والأرض والجبال﴾ فيه أقوال:

الأول: وهو قول أكثر السلف، وهو المحكى عن ابن عباس وجماعة التابعين: هو أن الله تعالى عرض أوامره على السموات والأرض والجبال عرض تخيير لاعرض إلزام، وقال لهن: أتحملن هذه الأمانة بما فيها؟ قلن: ومافيها؟! فقال: إن أحسنتن جوزيتن، وإن عصيتن عوقبتن، فقلن: لانتحمل الأمانة، ولانريد ثوابا ولا عقابا، وعرضها على آدم فتحملها بما فيها. وفى بعض التفاسير: أنه قال: بين أذنى وعاتقى.

قال ابن جريج: عرض على السماء، فقالت: يارب، خلقتنى وجعلتنى سقفا محفوظا، وأجريت فى الشمس والقمر والنجوم، ومالى قوة لحمل الأمانة، ثم عرضها على الأرض، فقالت: يارب، خلقتنى وجعلتنى بساطا ممدوداً، وأجريت فىّ الأنهار، وأنبت فى الأشجار، ومالى قوة لحمل الأمانة، وذكر عن الجبال قريبا من هذا، وحملها آدم وأولاده. وعن مجاهد قال: أبت السموات والأرض والجبال أن يحملوا الأمانة، وحملها آدم فما كان بين أن حملها وخان فيها وأخرج من الجنة إلا مابين الظهر والعصر.

وحكى النقاش بإسناده عن ابن مسعود أنه قال: مثلت الأمانة كصخرة ملقاة،

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) الأنفال: ٢٧.

ودعيت السموات والأرض والجبال إليها فلم يقربوا منها، وقالوا: لا نطيق حملها، وجاء آدم من غير أن يدعى وحرك الصخرة، وقال: لو أمرت بحملها. فقلن له: احمل، فحملها إلى ركبتيه ثم وضعها وقال: والله لو أردت أن أزداد لزدت فقلن: احمل، فحملها حتى بلغ حقوه ثم وضعها وقال: والله لو أردت أن أزداد لزدت، فقلن: احمل، فحملها حتى وضع على عاتقه، وأراد أن يضعها، فقال الله تعالى: مكانك، فهي في عنقك وعنق ذريتك إلى يوم القيامة.

فإن قال قائل: كيف عرضها على السموات والأرض والجبال، وهي لا تعقل شيئا؟ قلنا: قد بينا الجواب عن أمثال هذا من قبل. وقال بعض أهل العلم: يحتمل أن الله تعالى خلق فيها عقلا وتمييزا حين عرض الأمانة عليهن حتى أعقلت الخطاب، وأجابت بما أجابت.

وأما قوله: ﴿فأبين أن يحملنها وأشفقن منها﴾ أى: لم يقبلوا حمل الأمانة وخافوا منها.

وقوله: ﴿وحملها الإنسان﴾ يعنى: آدم عليه السلام.

وقوله: ﴿إنه كان ظلومًا جهولا﴾ قال الحسن البصرى: ظلومًا لنفسه، جهولا بربه، حكاه أبو الحسين بن فارس. والقول الثانى: ظلوما لنفسه بأكل الشجرة، جهولا بعاقبة أمره.

وعن جماعة من العلماء: أن المراد بالظلوم الجهول هو المنافق والمشرك. وقد حكى هذا عن الحسن فى رواية.

والقول الثانى، فى أصل الآية أن المراد من العرض على السموات والأرض والجبال هو العرض على أهل السموات وأهل الأرض وأهل الجبال وهو مثل قوله: ﴿واسأل القرية﴾(١) أى: أهل القرية.

(١) يوسف: ٨٢.

وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ .

والقول الثالث ذكره الزجاج وغيره من أهل المعانى قالوا: إن الله تعالى ائتمن آدم وأولاده على شيء، وأتمن السموات والأرض والجبال على شيء، فأما الأمانة فى حق بنى آدم معلومة، وأما الأمانة فى حق السموات والأرض والجبال فهو بمعنى الخضوع والطاعة. قال الله تعالى: ﴿ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا أو كرها قالتا أتينا طائعين﴾(١).

وحكى السجود عن السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب، وذكر فى الحجارة قوله: ﴿وإن منها لما يهبط من خشية الله﴾(٢).

وقوله: ﴿فأبين أن يحملنها﴾ أى: أدين الأمانة فيها، يقال: فلان لم يتحمل الأمانة أى: لم يخن فيها.

وقوله: ﴿وأشفقن منها﴾ أى: أدين الأمانة خوفا منها.

وقوله: ﴿وحملها الإنسان﴾ أى: خان فيها وأثم، يقال: فلان حمل الأمانة أى: أثم فيها بالخيانة، قال الله تعالى: ﴿وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم﴾(٣) وقوله: ﴿إنه كان ظلوما جهولا﴾ قد بينا، قال الأزهرى: وقد أحسن وأجاد أبو إسحاق الزجاج فى هذا القول وأثنى عليه، وقول السلف ما بينا من قبل.

قوله تعالى: ﴿ليعذب الله المنافقين والمنافقات﴾ اللام هاهنا لام كى، ومعناه: كى يعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات يعنى إذا خانوا.

وقوله: ﴿ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات﴾ أى: يهديهم ويرحمهم إذا أدوا الأمانة. وعن ابن قتيبة قال معناه: ليظهر المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات، ويعذبهم على الخيانة فى الأمانات، ويظهر المؤمنين والمؤمنات بأداء الأمانة.

وقوله: ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ ظاهر المعنى.

---

(١) فصلت: ١١.

(٢) البقرة: ٧٤.

(٣) العنكبوت: ١٣.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ

تفسير سورة سبأ

وهي مكية.

﴿الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض﴾ أى: له ملك السموات والأرض. ويقال: خلق ما فى السموات وما فى الأرض.

وقوله: ﴿وله الحمد فى الآخرة﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناه له الحمد فى الأولى والآخرة على ما قال فى موضع آخر. وفى الأولى والآخرة وجهان: أحدهما: أنهما الدنيا والآخرة، والآخر: أنهما السموات والأرض.

والقول الثانى: أن قوله: ﴿وله الحمد فى الآخرة﴾ وهو ما جاء من ذكر الحمد عن أهل الجنة، وهو فى قوله تعالى: ﴿وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾(١)، وفى قوله: ﴿الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن﴾(٢)، وفى قوله: ﴿الحمد لله الذى صدقنا وعده﴾(٣).

وقوله: ﴿وهو الحكيم الخبير﴾ أى: الحكيم فى ملكه، الخبير بخلقه.

وقوله تعالى: ﴿يعلم ما يلج فى الأرض﴾ أى: يدخل فيها من المطر.

وقوله: ﴿وما يخرج منها﴾ أى: من الزرع، ويقال: إن المراد منه الأموات يدخلون إذا قبروا، ويخرجون إذا حشروا.

وقوله: ﴿وما ينزل من السماء﴾ أى: من المطر والملائكة والأحكام والأقضية.

وقوله: ﴿وما يعرج فيها﴾ أى: يصعد إليها من الملائكة والأعمال والأدعية

(١) يونس: ١٠. (٢) فاطر: ٣٤. (٣) الزمر: ٧٤.

فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ

المقبولة.

وقوله: ﴿وهو الرحيم الغفور﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة﴾ قالوا هذا تكذيبًا بالبعث.

وقوله: ﴿قل بلى وربى لتأتينكم عالم الغيب﴾ فيه تقديم وتأخير، ومعناه: قل بلى وربى عالم الغيب لتأتينكم الساعة، وقرأ حمزة: «علاَّم الغيب».

وقوله: ﴿لا يعزب عنه﴾ أى: لا يغيب عنه، وقرأ يحيى بن وثاب: «لا يغرب عنه» بالغين المعجمة والراء.

وقوله: ﴿مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض﴾ أى: وزن ذرة ﴿ولا أصغر من ذلك ولا أكبر﴾ أى: أصغر من الذرة إلى أن لا يحيط به العقل، وأكبر إلى ألا يحيط به العقل، والمعنى أن كل ذلك فى علمه.

وقوله: ﴿إلا فى كتاب مبين﴾ أى: بين.

قوله تعالى: ﴿ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أى: ليثيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

وقوله: ﴿أولئك لهم مغفرة ورزق كريم﴾ أى: العيش الهنيء.

قوله تعالى: ﴿والذين سعوا فى آياتنا معاجزين﴾ معناه: اضطربوا وعملوا فى التكذيب بآياتنا.

وقوله: ﴿معاجزين﴾ أى: مشاقين، ويقال: مسابقين، ويقال: فائتين، وقرئ: «مُعَجِّزِينَ» أى: مثبِّطين، وقيل: ظانين أنا نعجز عنهم، فيكون معنى معجزين أنهم نسبوا العجز إلينا.

لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ

وقوله: ﴿أولئك لهم عذاب من رجز أليم﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ويرى الذين أوتوا العلم﴾ قال بعضهم: هذا في مؤمني أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وغيره، والصحيح أن الآية في الذين آمنوا بالنبي من أهل مكة وغيرهم، وهو بمكة؛ لأن السورة مكية، وعبد الله بن سلام وأشباهه إنما آمنوا بالمدينة.

وقوله ﴿الذى أنزل إليك من ربك هو الحق﴾ يعني: أنه من الله تعالى.

وقوله: ﴿ويهدى إلى صراط العزيز الحميد﴾ يعني: أن القرآن الذى أنزله الله يهدى إلى صراط العزيز الحميد، وهو الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم﴾ أى: يخبركم.

وقوله: ﴿إذا مزقتم كل ممزق﴾ أى: إذا فرقتم كل تفريق، وقطعتم كل تقطيع، والمعنى: إذا أكلتكم الأرض، وصرتم رفاتًا وترابًا ينبئكم محمد إنكم لفى خلق جديد، قالوا ذلك على طريق الجحد والتكذيب.

وقوله: ﴿أفترى على الله كذبًا﴾ وقرئ بنصب الألف وكسرها، أما من قرأ بالكسر فهو راجع إلى الحكاية عن الكفار، كأنهم قالوا: افترى محمد على الله كذبا.

وقوله: ﴿أم به جنة﴾ معناه: أو به جنون لا يدرى ما يقول.

وأما من قرأ بالنصب ففيه قولان: أحدهما معناه: أفترى على الله كذبا يعنى: لم يفترِ، ويكون ابتداء كلام من الله تعالى. قال الشاعر:(١)

(١) نسب ابن منظور البيت فى اللسان (٢/ ١٣١) لذى الرمة، ولفظه:

استحدث الركب عن أشياعهم خبراً ... أم راجع القلب من أطرابه طرب؟

لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي

استحدث القلب من أشياعهم خبرا ... أم راجع القلب من أطرابهم طرب

ومعناه: استحدث. والقول الثاني: أن معنى قوله: ﴿أفترى على الله كذبًا﴾ أى أفترونه افتراء على الله كذبا.

وقوله: ﴿بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد﴾ فعلى القراءة الأولى - وهو بالكسر - هذا ابتداء كلام من الله تعالى رداً عليهم، وعلى القراءة الثانية هو مسوق على ما تقدم.

وقوله: ﴿فى العذاب والضلال البعيد﴾ أى: الشقاء الطويل؛ ذكره السدى، وقال: فى الخطأ البعيد من الحق.

قوله تعالى: ﴿أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض﴾ قال أهل التفسير: إنما ذكر هذا؛ لأن الإنسان إذا خرج من داره لا يرى إلا السماء والأرض وما فيهما. ويقال: إنما قال هذا؛ لأن السماء والأرض محيطتان بالخلق، فكأن أحدهما بين أيديهم، والأخرى خلفهم بمعنى الإحاطة.

وقوله: ﴿إن نشأ نخسف بهم الأرض﴾ أى: يغيبهم فى الأرض.

وقوله: ﴿أو نسقط عليهم كسفًا من السماء﴾ أى: جانبًا من السماء. وقيل: قطعة من السماء.

وقوله: ﴿إن فى ذلك لآية لكل عبد منيب﴾ أى: راجع إلى الله تعالى بقلبه. وقيل: منيب: أى مجيب.

قال الشاعر:

أناب إلى قولى فأصبحت مرصداً ... له بالمكافاة المنيبة والشكر

مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا

قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا داود منا فضلا﴾ اختلف القول فى الفضل الذى أوتى داود؛ فقال بعضهم: هو النبوة. وقال بعضهم: هو الملك. ويقال: القضاء بالعدل. وقيل: حسن الصوت. وقيل: تليين الحديد له، وجميع ما أعطى وخص به.

وقوله: ﴿يا جبال أوبى معه﴾ أكثر أهل التفسير على أن معناه: سبحى معه؛ وهو عن ابن عباس وغيره، ويقال: رجِّعى معه.

وقرأ الحسن: «أُوْبى معه» بضم الألف وسكون الواو، وهو فى معنى الأول.

وفى بعض التفاسير: أن داود - عليه السلام - كان إذا لحقه فتور أسمعه الله تعالى تسبيح الجبال منشطًا له.

وقوله: ﴿والطير﴾ أى: وأمرنا الطير أن تسبح معه.

وقوله: ﴿وألنا له الحديد﴾ قال قتادة: كأن الحديد جعل له كالعجين، فيعمل الدرع من غير نار ولا مطرقة.

وقوله: ﴿أن اعمل سابغات﴾ أى: الدروع الكوامل. ويقال: الطوال التى تسحب فى الأرض.

قال الشاعر:

وأكثرهم دروعًا سابغات　　　وأمضاهم إذا طعنوا سنانا

وقوله: ﴿وقدِّر فى السرد﴾ أى: عِّدل فى السرد، ومعناه: قدِّر المسامير فى حلق الدروع حتى يكون بمقدار لا يغلظ المسمار ويضيق الحلق فتفصم الحلقة، ولا توسع الحلقة وتدقق المسمار فيسلس ويقلق وهذا قول مجاهد، وقال: قدر فى السرد أى: احكم نسج الدرع. وقال قتادة: السرد: المسامير فى الحلق. وهو قريب من قول مجاهد، وأنشدوا:

أجاد المسدى سردها وأذا لها

إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ

يقول: وسعها وأجاد حلقها يقال: درع مسرودة إذا كانت مسمورة الحلق، ويقال: قدر فى السرد أى: اجعله على القصد وقدر الحاجة.

وقوله: ﴿واعملوا صالحًا إنى بما تعملون بصير﴾ ظاهر المعنى.

وفى القصة: أن داود - عليه السلام - كان يعمل كل يوم درعًا، ويبيعه بستة آلاف درهم، فينفق ألفين منها على نفسه وعياله، ويتصدق بأربعة آلاف على فقراء بنى إسرائيل. وفى بعض التفاسير: أنه عمل ألف درع.

قوله تعالى: ﴿ولسليمان الريح غدوها شهر﴾ أى: وسخرنا لسليمان الريح.

وقوله: ﴿غدوها شهر ورواحها شهر﴾ أى: مسيرة غدوها شهر، ومسيرة رواحها شهر، ومعناه: أنه كان يسير مسيرة شهرين فى يوم واحد. وفى القصة: أنه كان يسير من بيت المقدس إلى اصطخر مسيرة شهر للراكب المسرع غدوة، ويقيل بها ثم يروح مسيرة شهر إلى بابل مسيرة شهر للراكب المسرع. وقيل: كان يتغدى بالرى، ويتعشى بسمرقند. وقيل: كان يتغدى بصنعاء، ويتعشى ببابل - وهو العراق - والله أعلم.

وفى التفسير: أن الريح كانت تحمله وجنوده ولا تثير ترابًا ولا تقلب ورقة على الأرض، ولا تؤذى طائرًا فى السماء.

وقوله: ﴿وأسلنا له عين القطر﴾ أى: أسلنا له عين النحاس.

وفى التفسير: أن الله تعالى أذاب له النحاس، وجعل يسيل ثلاثة أيام من كل شهر مثل الماء.

وقوله: ﴿ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه﴾ أى: بأمر ربه.

وقوله: ﴿ومن يزغ منهم عن أمرنا﴾ أى: يعدل منهم عن أمرنا فلا يعمل لسليمان.

وقوله: ﴿نذقه من عذاب السعير﴾ أى: فى الآخرة، هذا أحد القولين، والقول

السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ

الآخر: أنه كان (يكون)[1] عند سليمان ملك قائم بيده سوط من نار، فإذا عصى أحد من الشياطين ضربه فيحرقه، فهو معنى قوله: ﴿نذقه من عذاب السعير﴾.

قوله تعالى: ﴿يعملون له ما يشاء من محاريب﴾ أى: المساجد، ويقال: الأبنية المرتفعة. وفى القصة: أنه أمرهم ببناء الحصون بالصخر، فبنوا باليمن حصونًا كثيرة عجيبة، وهى صرواح ومرواح وفلتون وهندة وهنيدة وغمدان وغير ذلك.

وقوله: ﴿ وتماثيل ﴾ أى: الصور. فإن قال قائل: أليس أن عمل الصور مكروه؟ قلنا: هو فى هذه الشريعة، ويحتمل أنها كانت مباحة فى شريعته، وقد كان عيسى يصور من الطين وينفخ فيه فيجعله الله طيراً. واختلف القول فى الصور التى اتخذتها الشياطين؛ فأحد القولين: أنها صورة السباع والطيور من العقبان والنسور، وما أشبه ذلك.

والقول الثانى: أنه أمرهم باتخاذ صورة الأنبياء والزهاد والعباد، حتى إذا نظرت بنو إسرائيل إليهم ازدادوا عبادة.

وقوله: ﴿ وجفان كالجواب ﴾ أى: كالحياض، والجفان جمع الجفنة. وفى القصة: أن كل جفنة كان يقعد عليها ألف إنسان. وأنشد حسان فى الجفنة شعرا:

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى وأسيافنا من نجدةٍ تقطر الدما

وأنشدوا فى الجابية:

كجابية الشيخ العراقى تَفْهَقُ

أى: تمتلئ.

وحكى عثمان بن عطاء عن أبيه أنه رأى مرة من هذه القصاع الصغار فقال: والله لقد ذهبت البركة من كل شىء، وقرأ قوله: ﴿وجفان كالجواب﴾.

وفى القصة: أنه كان لسليمان – عليه السلام – سماط يسع أربعمائة ألف إنسان،

(١) كذا، والأولى حذفها.

رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا

وكان يأكل خبز الشعير، ويطعم أهله وحاشيته خبز الخَشْكَار ويطعم الفقراء الدَّرْمَك، وهو الخبز النقى.

وقوله: ﴿وقدور راسيات﴾ أى: ثابتات مرتفعات، ومنه الجبال الرواسى. وفى القصة، أنه كان يصعد إليها بالسلاليم.

وقوله: ﴿اعملوا آل داود شكرًا﴾ قال: تقدر اشكروا الله شكرًا، ويقال: إن الشكر هو تقوى الله والعمل بطاعته. وقيل: إن آل داود هو داود نفسه، ويقال: داود وسليمان وأهل بيته. وفى القصة: أنه لما نزل هذا على داود قال: والله لا يزال منا بالليل والنهار قائم وصائم، فكان لا يأتى يوم إلا ومن آل داود فيه صائم، ولا تأتى ساعة من الليل إلا ومن آل دواد فيها قائم. وروى أنه ناوب ساعات الليل وكان يقوم ما شاء الله، فإذا أراد أن يرقد أيقظ بعض أهله.

وروى أنه قال لسليمان - عليه السلام - يا بنى، اكفنى أمر النهار - يعنى: فى العبادة - أكفك أمر الليل، فقال سليمان: لا أقدر، فقال: اكفنى أول النهار وأكفك الباقى. وروى أنه قال: يا رب، كيف أشكرك وشكرى لك نعمة منك على؟ فقال: الآن شكرتنى.

وقوله: ﴿وقليل من عبادى الشكور﴾ ظاهر المعنى. والفرق بين الشاكر والشكور: أن الشكور هو الذى يتكرر منه الشكر، والشاكر الذى يشكر مرة. وقيل: هما واحد.

قوله تعالى: ﴿فلما قضينا عليه الموت﴾ أى: على سليمان الموت.

وقوله: ﴿ما دلهم على موته إلا دابة الأرض﴾ قال بعض المفسرين: كانت الجن تعمل لسليمان - عليه السلام - فى بناء مسجد بيت المقدس؛ فقرب موت سليمان وقد بقى من العمل بقية، فقبض الله روح سليمان وهو متكئ على عصا، وكانوا يظنون أنه حى، ويجتهدون فى العمل، فأكلت الأَرَضة العصا فخر سليمان - عليه

السلام - ميتًا بعد حول، وقد فرغوا من العمل؛ فلما عرفوا موته تفرقوا بعد أن بقوا في العمل سنة بعد موته. قال ابن عباس: فشكرت الجن ذلك للأرَضة، فهم يأتونه بالطين والماء في جوف الخشب. وذكر بعضهم: أن سليمان - عليه السلام - كان إذا رأى شجرة نابتة سألها: ما اسمك؟ فتخبره إن كانت للغرس غرست، وإن كانت للدواء كتب اسمها، فصلى مرة فرأى شجرة نبتت في مصلاه، فقال لها: ما اسمك؟ قالت: الخروب، فقال: لم نبت؟ قالت: لخراب هذه الأرض، فعلم أن موته قد قرب، فسأل الله تعالى أن يعمى على الجن موته. فقال أهل التفسير: وكانت الجن تزعم أنهم يعلمون الغيب، فأمر الله تعالى سليمان أن يتخذ عصا ويتوكأ عليها. وقيل: اتخذها من تلك الشجرة فقبض الله تعالى روحه وهو قائم متوكئ على العصا، فكانت الجن ينظرون إليه ويظنون أنه حي، ويعملون إلى أن سقط بعد حول. وأراد الله تعالى بذلك أن يعلم الجن أنهم لا يعلمون الغيب، وقيل: ليعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب وكانوا قد شبهوا على الإنس ذلك، فإن قيل على التأويل الأول: كيف يشتبه على أحد أنه يعلم الغيب أو لا يعلم الغيب؟ وإن خفي عليه أمر غيره لا يخفى عليه أمر نفسه؟ والجواب: أن مردة الجن كانوا صوروا لضعفاء الجن أنهم يعلمون الغيب، وكان يقع بعض الاتفاقات، فكانوا يظنون أنهم يعلمون الغيب لغلبة الجهل، وعند بعضهم: أن عملهم لم يكن في بناء مسجد بيت المقدس، فإنه قد كان وقع الفراغ عن فعل ذلك بسنين، وإنما كانوا يعملون غير ذلك من الأعمال.

وقوله: ﴿تأكل منسأته﴾ أي: عصاته، والمنسأة: العصا بلغة الحبشة، وقرئ: «مِنْسَأْتَه» بسكون الهمزة، وهي ما بينا.

قال الشاعر:

إذا ادببت على المِنْساة من كبرٍ فقد تباعد عنك اللَّهوُ والغزلُ

ويقال كلاهما بالعربية. ويقال: نسأت الغنم إذا زجرتها وسقتها ويقال: نسأ الله في أجلك أي: أخره.

وقوله: ﴿فلما خر تبينت الجن﴾ أي: تبينت الجن للإنس أن لو كانوا يعلمون

الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين أى: التعب والشقاء الطويل، ذكره الأزهرى على هذا التقدير. وأما المتقدمون قالوا معناه: تبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين، والقراءة هكذا فى مصحف ابن مسعود، وهكذا قرأ ابن عباس أيضا. والتأويل الثالث: أن معنى الآية: ﴿تبينت الجن﴾ أى: عرفت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين. وروى الضحاك عن ابن عباس فى رواية أخرى: أن سليمان لم يكن متوكئًا على العصا، وإنما كان فى بيت مغلق وتوفاه الله تعالى، وأكلت الأرضة عتبة الباب، فسقط الباب بعد حول، وظهر للجن موته.

وأشهر القولين هو الأول، وفى القصة: أن سليمان – عليه السلام – لما فرغ من بناء المسجد ذبح [اثنتى عشرة](١) ألف بقرة ومائة وعشرين ألف شاة تقربا إلى الله تعالى وأطعمها الناس، وكان بناه بالصخر والقار، وزخرف الحيطان، وزين المحراب بالجواهر واليواقيت، وعملوا شيئا عجيبًا، ثم إنه قام على الصخرة وقال: اللهم، أنت أعطيتنى هذا السلطان العظيم، وسخرت لى ما سخرت، فأوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىَّ، ولا تزغ قلبى بعد إذ هديتنى وتوفنى مسلما، وألحقنى بالصالحين، اللهم إنى أسألك لمن دخل هذا المسجد ليصلى فيه خمس خصال: إن كان مذنبا تغفر له ذنبه، وإن كان فقيرًا أغنيته، وإن كان سقيمًا شفيته، وإن كان خائفا أمنته، وأسألك ألا تصرف بصرك عمن دخله حتى يخرج منه، إلا من دخله بإلحاد أو ظلم.

قوله تعالى: ﴿لقد كان لسبأ﴾ أكثر أهل التفسير على أن سبأ اسم رجل، ونسبت القبيلة إليه، كما أن تميمًا اسم رجل، ونسبت القبيلة إليه. وروى فروة بن (مُسيك الغطيفى)(٢) أن رسول الله ﷺ قال: سبأ اسم رجل ولَد عشرة من الذكور

(١) فى «الأصل، وك»: اثنى عشر، والمثبت هو الصواب.

(٢) فى «الأصل»: مسيكر العصفى، وفى «ك»: يشكر العصفى، وهو تحريف، وهو فروة بن مسيك المرادى الغطيفى أبو عمير صحابى جليل، وانظر ترجمته فى التهذيب، والإصابة وغيرهما.

عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا من رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ

فتيامن منهم ستة، وتشام أربعة، وأما الستة الذين تيامنوا: فحمير، وكندة، ومذحج، والأزد، والأشعر، وأنمار، وأما الأربعة الذين تشاموا: فعاملة، وغسان، ولَخْم، وجُذام»(١) . وأما سبأ فهو ابن يشخب بن يعرب بن قحطان. وقد قيل: إن سبأ اسم بلد، والأصح هو الأول.

وقوله: ﴿في مساكنهم آية﴾ وقرئ: «في مسكنهم» والآية هي العلامة، ومعناها: أنا جعلنا لهم آية تدلهم على أن النعم التي لهم من الله تعالى.

وقوله: ﴿جنتان عن يمين وشمال﴾ في القصة: أنه كان لهم واد يسيل، وعلى يمين الوادي جنات مصطفة - أي: البساتين - وكذلك على يسار الوادي.

وقوله: ﴿كلوا من رزق ربكم﴾ أي: قلنا لهم كلوا من رزق ربكم.

وقوله: ﴿واشكروا له﴾ أي: واشكروا الله على نعمه.

وقوله: ﴿بلدة طيبة﴾ أي: طيبة الهواء، عذبة الماء، كثيرة الفواكه، وذكر ابن زيد: أنه لم يكن بها بعوض ولا بق ولا ذباب ولا عقرب ولا حية ولا شيء من أمثال هذا، وكان الرجل الغريب يدخلها وفي ثيابه القمل، فيموت القمل في ثيابه من صحة الهواء وطيبه.

وقوله: ﴿ورب غفور﴾ أي: ورب غفور للذنوب إن شكرتم نعمه.

فإن قيل : أي فائدة لتخصيصهم بهذا، والله غفور لكل العباد؟ والجواب عنه: أن مغفرة الرب مع طيب البلدة على تلك الغاية لم تكن إلا لهم.

قوله تعالى: ﴿فأعرضوا﴾ أي: فأعرضوا عن شكر النعم.

وقوله: ﴿فأرسلنا عليهم سيل العرم﴾ اختلفوا في العرم على أربعة أقاويل: أولها:

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة النمل.

أنه اسم الوادى، والآخر: أنه اسم المُسُنَاَّة، وقد كانوا بنوا المسناة بالصخر والقار بينه وبين الماء، وجعلوا على المسناة أبوابًا تفتح وتسد، فإذا احتاجوا إلى الماء فتحوا، وإذا استغنوا سدوا.

وذكر النقاش: أنه كان ذلك من عمل بلقيس، وكانت جعلت على المسناة اثنى عشر مخرجًا، يخرج منها اثنا عشر نهرًا، وكانت المسناة سدًا بين جبلين، والمياه وراء السد تجتمع من السيول. والقول الثالث: أن العرم هو السيل الشديد أى: أرسلنا عليهم السيل الشديد. والقول الرابع: أن العرم هو اسم الجُرذ، وهو الفأرة، وقيل: كان اسم الخُلد، وسلطه الله تعالى على المسناة حتى نقبها، ودخل الماء وغرق البلد والبساتين. قال ابن الأعرابى: العرم والبر من أسماء الفأرة، ومنه قولهم: فلان لا يعرف هرا من برا أى: السنور من الفأر،ة وذكر أبو (الحسين)(١) بن فارس فى تفسيره: أن القوم كانوا قد سمعوا أن هلاك بلدهم بالفأر من كهانهم، فجاءوا بالسنانير وربطوها عند كل جرف (فى المسناة)(٢)، فجاءت فأرة حمراء كبيرة وساورت السنور وهزمته ودخلت فى الجرف، وتغلغلت المسناة حتى نقبتها وخرقتها.

وقوله: ﴿وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى﴾ أى: بدلناهم بجنتيهم اللتين كانتا ذواتى فاكهة بجنتين ذواتى ﴿أُكُلٍ خمطٍ﴾ بتنوين اللام، وقرئ: «أُكُلِ خمط» بغير التنوين على الإضافة، والقراءة على الإضافة أظهر القرائتين فى المعنى لأن الخمط اسم لشجر له شوك. قال أبو عبيدة: كل شجر له شوك فهو خمط إذا لم يكن له ثمر. وعن بعضهم: أن الخمط شجر له ثمر يسمى فسوة الضبع، لا ينتفع به ويتفرك إذا أدرك من غير أن ينفعَ أحدًا، والمعروف فى التفسير أن ثمر الخمط هو البربر، والبربر ثمر الأراك، فالخمط هو الأراك، فهو معنى قوله: ﴿أكل خمط﴾. والأُكل هو الثمر.

---

(١) فى «ك»: الحسن، وهو خطأ. وهو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد المالكى اللغوى، وتفسيره هو كتاب جامع التأويل فى تفسير القرآن فى أربع مجلدات، ذكره ياقوت الحموى فى معجم الأدباء (١ / ٥٣٣ - ٥٤٥). سير أعلام النبلاء (١٧ / ١٠٣ - ١٠٦).

(٢) فى «ك»: بالمسناة.

وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا

وأما قراءة التنوين: قال الفراء والزجاج: كل نبت له مرارة وعصوفة فهو خمط، فعلى هذا قوله: ﴿ خمط ﴾ صفة الأكل، ومعناه: ذواتى ثمر على هذا الوصف، وهو المرارة والعفوصة.

وقوله: ﴿ [وأثل](١) وشيء من سدر قليل ﴾ السدر: شجر معروف، وهو شجر النَّبق. وقيل: إن هذا السدر كان بريًا لا ينتفع به، وأما السِّدر الذى ينتفع به لغسل اليد وغيره، فهو الذى كنا نعرف فى البساتين، ولم يكن لهم ذلك.

وقوله: ﴿ ذلك جزيناهم بما كفروا ﴾ النعمة.

وقوله: ﴿ وهل نجازى إلا الكفور ﴾ يقال فى العقوبة: نجازى، وفى المثوبة: نجزى، يعنى: وهل نجازى مثل هذه المجازاة إلا من كفر النعم؟ ويقال: وهل نجازى إلا الكفور؟ أى: هل نحاسب إلا الكفور؟ وقد ثبت برواية عائشة - رضى الله عنها - أن النبى ﷺ قال: «من نوقش الحساب عذب». قالت عائشة: فقلت يا رسول الله: أليس قال الله تعالى: ﴿ فأما من أوتى كتابه بيمنه فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا ﴾(٢) فقال: ذلك العرض، ومن نوقش [الحساب](١) عذب»(٣).

فإن قيل: قد قال: ﴿ بدلناهم بجنتيهم جنتين ﴾ والأرض التى فيها أشجار الأثل والخمط لا تسمى جنة؟ والجواب عنه: إنما سمى ذلك على طريق المقابلة، وهو مثل قوله تعالى: ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾(٤) وقوله: ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾(٥).

قوله تعالى: ﴿ وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة ﴾ القرى التى

---

(١) من «ك».

(٢) الانشقاق: ٧ - ٨.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) البقرة: ١٩٤.

(٥) الشورى: ٤٠.

لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ

باركنا فيها (هى)(١) الشام، ومعنى القرى الظاهرة أى: المتصلة، وقيل: ظاهرة يعنى: [للرائى](٢)، على معنى أنهم كانوا إذا نزلوا بقرية رأوا قرية أخرى.

وقوله: ﴿وقدرنا فيها السير﴾ أى: السير أى: قدرنا سيرهم بين هذه القرى، والمعنى: أنهم كانوا إذا غدوا يقيلون بقرية، وإذا رجعوا يبيتون بقرية. وقيل: تقدير السير أن سيرهم كان فى الرواح والغدو على قدر نصف يوم، فكانوا إذا (جازوا)(٣) نصف يوم وصلوا إلى قرية ذات مياه وأشجار. قال قتادة: كانوا لا يحتاجون أن يحملوا زاداً. وقال أيضا: كانت المرأة تضع مكتلها على رأسها، وتمر تحت الأشجار فيمتلئ المكتل من الثمار من غير اجتناء.

وقوله: ﴿سيروا فيها ليالى وأياما آمنين﴾ أى: قلنا لهم سيروا فيها بالليالى والأيام آمنين من الخوف والجوع والظمأ، ومعنى قوله: ﴿سيروا﴾ أى: مكناهم من السير. ويقال: إن معنى قوله: ﴿سيروا﴾ أى: يسيرون، أمر بمعنى الخبر، ومعناه: يسيرون فيها ليالى وأياماً آمنين، وعلى ما ذكرنا.

قوله تعالى: ﴿فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا﴾ وقرئ: «بعِّد بين أسفارنا» بغير ألف، وقرأ يحيى بن يعمر: «ربنا بَاعَدَ بين أسفارنا» بنصب العين والدال، فعلى القراءة المعروفة معنى الآية سؤال، وعلى القراءة الشاذة معنى الآية على وجه الخبر. قال مجاهد: بطروا النعمة وسأموا الراحة. ومثله عن ابن عباس فقالوا: [ربنا](٤) بعد بين القرى لنركب الرواحل، ونحمل الأزواد فى الفلوات، وهذا مثل قول بنى إسرائيل: ﴿وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد﴾(٥) الآية. وأما القراءة الشاذة فكأنهم استبعدوا القريب على ما يفعله الجهلة.

وقوله: ﴿وظلموا أنفسهم﴾ أى: بترك الشكر.

---

(١) فى «ك»: قرى.

(٢) فى «الأصل وك»: الرائى.

(٣) فى «ك»: صاروا.

(٤) من «ك».

(٥) البقرة: ٦١.

أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ

وقوله: ﴿ فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ﴾ أى: أحاديث فى القرون التى تأتى، وفرقناهم وبددناهم كل مفرق ومبدد. قال الشعبى: تفرقوا فى البلاد لما غرقت قراهم وهلكت جناتهم، فمر الأزد إلى عمان، وخزاعة إلى تهامة، وغسان إلى الشام، وآل (خزيمة)(١) إلى العراق، والأوس والخزرج إلى يثرب. وكان الذى قدم المدينة منهم عمرو بن عامر وهو جد الأوس والخزرج.

وفى بعض التفاسير: أن قراهم كانت [أربع](٢) آلاف وسبعمائة قرية، وكانت متصلة من سبأ إلى الشام قرية قرية. وعن بعضهم فى معنى قوله: ﴿ فجعلناهم أحاديث ﴾ أن الناس يضربون بهم المثل فى التمزق والتفرق، والعرب تقول: صارت بنو فلان أيدى سبأ وأيادى سبأ إذا تفرقوا وتبددوا. وأنشد الأزهرى:

غيبا نرى الناس إليه تنسبا　　　من صادر أو وارد أيدى سبا

وقوله: ﴿ إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور ﴾ أى: صبار على البلاء، شكور للنعمة.

قوله تعالى: ﴿ ولقد صدق عليهم إبليس ظنه ﴾ وقرئ: «صَدَقَ» - بالتخفيف - أما بالتشديد فمعناه: أنه ظن ظنا وصدقه، وظنه فى قوله تعالى: ﴿ ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم ﴾ إلى قوله: ﴿ ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾(٣) ويقال: إنه ظن أنه إذا أغواهم اتبعوه، وكان كذلك.

وفى التفسير أن إبليس قال: لقد أخرجت آدم من الجنة مع كثرة علمه وأغويته، فأنا على ذريته أقدر .

(١) فى «الأصل»: جزيمة.

(٢) فى «ك»: أربعة.

(٣) الأعراف: ١٧.

لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا

وأما قراءة التخفيف فمعناه: صدق عليهم فى ظنه.

وقوله: ﴿ فاتبعوه إلا فريقًا من المؤمنين ﴾ يعنى: إلا كل المؤمنين، هكذا قاله أكثر أهل التفسير؛ لأن المؤمنين لم يتبعوه فى أصل الدين، وقد قال الله تعالى: ﴿ إن عبادى ليس لك عليهم سلطان ﴾(١) يعنى: المؤمنين وعن بعضهم: إلا فريقا من المؤمنين: خواص المؤمنين؛ وهم الذين يطيعون الله ولا يعصونه.

قال الحسن البصرى: والله إنه لم يسل عليهم سيفًا ولا ضربهم بسوط، وإنما وعدهم ومناهم فاغتروا.

قوله تعالى: ﴿ وما كان له عليهم من سلطان ﴾ أى: من سلطان على المؤمنين.

وقوله: ﴿ إلا لنعلم ﴾ معناه: لكى نعلم ﴿ من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك ﴾ أى: لنعلم المؤمن من الكافر علم وقوع، وقد علِمَ عِلْمَ الغيب، وقد بينا هذا من قبل. قال ابن فارس: هذا على عادة كلام العرب مع الجهلة، فإنك لو قلت: السكين تقطع اللحم، أو اللحم يقطع السكين، وقد علم قطعًا أن السكين هو الذى يقطع اللحم، ولكن يخرج الكلام على خطاب الجاهل، وتقرير الأمر له.

وقوله: ﴿ وربك على كل شىء حفيظ ﴾ أى: رقيب.

قوله تعالى: ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله ﴾ أى: الذين زعمتم [أنهم](٢) آلهة من دون الله. وفى الآية حذف، والمحذوف ادعوهم ليكشفوا عنكم الضر الذى نزل بكم، وذلك فى سنى الجوع، وكان الله تعالى ضربهم بالجوع حتى أكلوا الميتات – يعنى قريش – ثم قال: ﴿ لا يملكون مثقال ذرة ﴾ أى: الأصنام لا تملك مثقال ذرة أى: وزن ذرة من النفع والضر، والذرة هى النملة الحمراء.

(١) الحجر: ٤٢.

(٢) فى «الأصل وك»: أنها.

لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ قُلْ

وقوله: ﴿ في السموات ولا في الأرض ﴾ ظاهر.

وقوله: ﴿ وما لهم فيهما من شرك ﴾ أي: ما للآلهة التي تدعون من دون الله شركة في السموات والأرض.

وقوله: ﴿ وما له منهم من ظهير ﴾ أي: معين.

قوله تعالى: ﴿ ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾ أي: أذن الله له، وقرئ: «إلا لمن أُذِنَ له» أي: إلا لمن أذن له في شفاعته.

وقوله: ﴿ حتى إذا فزع عن قلوبهم ﴾ لابد أن يكون هاهنا محذوف؛ لأن حتى من ضرورته أن يتصل بما تقدم، ولم يوجد شيء يتصل به، فيجوز أن يكون المحذوف إثبات فزع الملائكة وخوفهم إذا قضى الله تعالى بأمر من السماء إلى الأرض.

وقوله: ﴿ فزع عن قلوبهم ﴾ أي: كشف الفزع عن قلوبهم.

وقرئ في الشاذ: «فرغ عن قلوبهم» أي: فرغت قلوبهم عن الخوف.

وقد ثبت عن النبي ﷺ برواية أبي هريرة: «أن الملائكة تسمع صوت الوحي شبه السلسلة على الصَفْوَان فيصعقون، ويضربون بأجنحتهم خُضعانا لله تعالى»(١).

وفي رواية: «يخرون على جباههم، فإذا كشف الفزع عنهم ﴿ قالوا ماذا قال ربكم ﴾» أي: قال بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم؟

وقوله: ﴿ قالوا الحق ﴾ أي: قالوا: قال الله تعالى الحق أي: الوحي وذكر السدي وغيره: أنه لما كان زمان الفترة بين عيسى ومحمد - عليهما الصلاة والسلام - وكانت بمقدار ستمائة سنة، فلم تسمع الملائكة وحيا في هذه المدة، فلما بعث محمد ﷺ

(١) رواه البخاري (٨/ ٢٣١ - ٢٣٢ رقم ٤٧٠١، وطرفاه: ٤٨٠٠، ٧٤٨١)، وأبو داود (٤/ ٣٤ - ٣٥ رقم ٣٩٨٩) والترمذي (٥/ ٣٣٧ رقم ٣٢٢٣) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (١/ ٦٩ - ٧٠ رقم ١٩٤)، والحميدي (٢/ ٤٨٧ رقم ١١٥١)، وابن حبان في صحيحه (١/ ٢٢٢ - ٢٢٣ رقم ٣٩٨٩).

نزل جبريل بالوحى، ففزعوا لذلك خوفًا من قيام الساعة، فلما كشف الفزع عن قلوبهم سألوا عما قضاه الله من أمره، فذكر لهم أن الله تعالى أوحى إلى محمد ﷺ.

وقوله: ﴿وهو العلى الكبير﴾ أى: المتعالى العظيم فى صفاته.

قوله تعالى: ﴿قل من يرزقكم من السموات والأرض﴾ فالرزق من السموات هو المطر، ومن الأرض هو النبات.

وقوله: ﴿قل الله﴾ يعنى: إن لم يقولوا: إن رازقنا هو الله تعالى، فقل أنت إن رازقكم هو الله تعالى.

وقوله ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين﴾ فإن قيل: «أو» فى كلام العرب للشك، فكيف تستقيم كلمة أو فى هذا الموضع؟ ولا يجوز لأحد أن يشك أنه على الهدى أو على الضلال، والجواب عنه من وجوه: أحدها: ما ذكره الفراء وهو: أو هاهنا بمعنى الواو، والألف صلة، فكأنه قال: «وإنا وإياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين» يعنى: نحن على الهدى وأنتم فى الضلال. قال أبو الأسود الدؤلى شعراً:

يقول الأرذلون بنو قشير ... طوال الدهر لا تنسى عليّا؟
أحب محمداً حبًا شديداً ... وعباسًا وحمزة والوَصِيا
فإن يك حبهم رشداً أُصِبْهُ ... وفيهم أسوة إن كان غيّا

فقيل: ما شككت، وقرأ قوله تعالى: ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين﴾. وروى معنى هذا القول عن عكرمة.

والجواب الثانى: أن قوله: ﴿وإنا أو إياكم﴾ خرج على شدة الاستبصار، وعلى طريق المناصفة فى الكلام، كالرجل يقول لغيره: أحدنا كاذب، فهل من سامع؟ وهو متيقن أن الصادق هو، والكاذب صاحبه. وكذلك يقول المولى لعبده عند شدة الغضب: تعال ننظر أينا يضرب صاحبه، وهو يعلم أنه هو الذى يضرب غلامه.

والثالث: ما روى عن قتادة أنه قال معنى الآية: ما نحن وأنتم على طريقة واحدة،

﴿٢٤﴾ قُل لاَّ تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاءَ كَلاَّ بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ

بل أحدنا على الهدى، والآخر على الضلالة، ثم المهتدى من الفريقين معلوم، والضال من الفريقين معلوم، وهذا القول قريب من الأول، وهو حسن.

قوله تعالى: ﴿قل لا تسألون عما أجرمنا﴾ أى: عن جرمنا.

وقوله: ﴿ولا نسأل عما تعملون﴾ أى: عن عملكم من الكفر والمعاصى.

قوله تعالى: ﴿قل يجمع بيننا ربنا﴾ يعنى: يوم القيامة.

وقوله: ﴿ثم يفتح بيننا﴾ أى: يحكم بيننا، والعرب تسمى الحاكم فتاحًا، وقد ذكرنا.

وقوله: ﴿وهو الفتاح العليم﴾ ظاهر. ويقال: هو الحاكم العالم بوجوه المصلحة.

قوله تعالى: ﴿قل أرونى الذين ألحقتم به شركاء﴾ أى: ألحقتموهم بالله شركاء.

وقوله: ﴿أرونى﴾ أى: أعلمونى ماذا خلقوا؟ وماذا صنعوا؟

وقوله: ﴿كلا﴾ يعنى: فإن لم تجيبوا بالحق، فقل: كلا أى: ليس الأمر على ما زعمتم.

وقوله: ﴿بل هو الله العزيز الحكيم﴾ أى: الغالب على أمره، الحكيم فى تدبيره.

قوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾ أى: جامعًا بالإنذار والإبلاغ. وقيل: وما أرسلناك إلا للناس كافة، على التقديم والتأخير، وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «بعثت إلى الأحمر والأسود»(١).

وعن ابن زيد: كافة للناس أى: كافاً للناس عن الكفر، والهاء للمبالغة.

وقوله: ﴿بشيرًا ونذيرًا﴾ أى: مبشرًا ومنذرًا.

وقوله: ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ أى: لا يعلمون أنك نبى. وفى بعض التفاسير: أن أجل فائدة للعباد من الله هو العلم والقدرة؛ لأن بهما يكتسب الإنسان

(١) تقدم تخريجه.

لا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا
تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ
وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ
الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ الَّذِينَ
اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ

ما يوصله إلى رضا الله تعالى، قال: والعلم أكثر فائدة من القدرة؛ لأن العلم يتمخض نفعاً، والقدرة قد يكتسب بها المعصية.

قوله تعالى: ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ يعني: القيامة.

وقوله: ﴿قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون﴾ قد فسر هذا بيوم البعث، وقد فسر بيوم الموت، وكلاهما صحيح.

قوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن﴾ أي: أشركوا.

وقوله: ﴿ولا بالذى بين يديه﴾ يعني: من التوراة والإنجيل.

وقوله: ﴿ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم﴾ أي: محبوسون عند ربهم.

وقوله: ﴿يرجع بعضهم إلى بعض القول﴾ أي: يجادل بعضهم بعضا.

وقوله: ﴿يقول الذين استضعفوا﴾ أي: استحقروا، وهم الأتباع.

وقوله: ﴿للذين استكبروا﴾ أي: تجبروا، وهم القادة والأشراف.

وقوله: ﴿لولا أنتم لكنا مؤمنين﴾ أي: لولا أنكم كنتم قادتنا ورؤساءنا لآمنا بالله وبرسوله.

قوله تعالى: ﴿قال الذين استكبروا﴾ أي: تكبروا.

وقوله: ﴿للذين استضعفوا﴾ أي: الأتباع.

وقوله: ﴿أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم﴾ أي: منعناكم.

﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن
نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الأَغْلالَ فِي أَعْنَاقِ
الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ
قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلادًا وَمَا نَحْنُ

وقوله: ﴿بل كنتم مجرمين﴾ أى: الجرم كان لكم فى اتباعكم أهواءكم.

قوله تعالى: ﴿وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار﴾ أى: مكركم بنا فى الليل والنهار. والعرب قد تضيف الفعل إلى الليل والنهار على توسع الكلام، قال الشاعر:

لقد لُمْتِنا يا أم غيلان فى السرى ونمت وما ليل المطى بنائم

وقيل: بل مكر الليل والنهار معناه: طول الأمل، وطول الأمل هو مكر الليل والنهار على طريق المجاز، وقرئ فى الشاذ: «بل مكرُّ الليل والنهار» أى: كرور الليل والنهار.

وقوله: ﴿إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادًا﴾ أى: أشباهًا.

وقوله: ﴿وأسروا الندامة﴾ قد بيَّنا أن قوله: ﴿وأسروا﴾ قد يكون بمعنى أخفوا، وقد يكون بمعنى أظهروا.

قوله: ﴿لما رأوا العذاب﴾ أى: عاينوه.

وقوله: ﴿وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا﴾ هو فرع من عذاب أهل النار.

وقوله: ﴿هل يجزون إلا ما كانوا يعملون﴾ أى: يعملون من الكفر والمعاصى.

قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا فى قرية من نذير إلا قال مترفوها﴾ أى: منعموها وأغنياؤها، والترفة: النعمة.

وقوله: ﴿إنا بما أرسلتم به كافرون﴾ أى: جاحدون.

قوله تعالى: ﴿وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادًا﴾ يعنى: قال المترفون للفقراء الذين آمنوا نحن أكثر أموالا وأولادا.

بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا

وقوله: ﴿وما نحن بمعذبين﴾ العذاب الذى يعذبون به فى الدنيا، وهو الفقر. والقول الثانى - وهو أظهر القولين - أن الذى خولنا وأعطانا الأموال والأولاد فى الدنيا لا يعذبنا فى الآخرة.

قوله تعالى: ﴿قل إن ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ الآية. وردت لرد قولهم، ومعناه: يبسط الرزق امتحانًا وابتلاء، ويضيق الرزق (نظرا)(١).

وقوله: ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ ظاهر.

قوله تعالى: ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى﴾ أى: قربى. وروى عن طاوس اليمانى أنه كان يدعو، ويقول: اللهم جنِّبنى المال والولد، وارزقنى الإيمان والعمل.

وفى الأخبار أن النبى ﷺ قال: «اللهم من أحبنى فارزقه العفاف والكفاف، ومن أبغضنى فأكثر ماله وولده»(٢).

وقوله: ﴿إلا من آمن وعمل صالحًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أن هذا استثناء منقطع، ومعناه: لكن [من](٣) آمن وعمل صالحًا.

والقول الثانى: أن معنى الآية ﴿إلا من آمن وعمل صالحًا﴾ فأولئك تقربهم أموالهم وأولادهم إلى طاعة الله، وهذا أظهر القولين.

---

(١) كذا فى «الأصل وك»!

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وله شاهد رواه ابن ماجه (٢ / ١٣٨٥ رقم ٤١٣٣)، والطبرانى فى الكبير (١٧ / ٣١)، وفى مسند الشاميين (١٤٣٢) عن عمرو بن غيلان مرفوعًا: «اللهم من آمن بى وصدقنى، وعلم أن ما جئت به هو الحق من عندك، فأقلل ماله وولده، وحبب إليه لقاءك، وعجل له القضاء، ومن لم يؤمن بى ولم يصدقنى، ولم يعلم أن ما جئت به هو الحق من عندك، فأكثر ماله وولده، وأطل عمره». وقال فى الزوائد: رجال إسناده ثقات، وهو مرسل. وفى الباب عن معاذ، وفضالة بن عبيد. وانظر الصحيحة (٣ / ١٣٣٨).

(٣) ليست فى «الأصل» ولا «ك».

فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُوْلَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ

وقوله: ﴿ فأولئك لهم جزاء الضعف ﴾ أى: التضعيف، ويقال: جزاء المضاعفة. والمضاعفة هو أنه يجزى بالواحد عشرا إلى سبعمائة.

وقوله: ﴿ وهم فى الغرفات آمنون ﴾ أى: (فى)[1] غرفات الجنة آمنون من العذاب، وقيل: من الموت، وقيل: من الأحزان.

قوله تعالى: ﴿ والذين يسعون فى آياتنا معاجزين ﴾ قد بينا معنى قوله: ﴿ معاجزين ﴾ و﴿ معجزين ﴾.

وقوله: ﴿ أولئك فى العذاب محضرون ﴾ أى: مدخلون.

قوله تعالى: ﴿ قل إن ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ﴾ فإن قيل: هذا تكرار للآية الأولى فلا يكون فيه فائدة؟ والجواب عنه: أن فيه فائدة، وهو أن الآية الأولى فيمن لا يعلم؛ لأنه قال: ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ والآية الثانية فيمن يعلم حكمة الله تعالى (فى)[2] البسط والتقدير.

وقوله: ﴿ وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ﴾ أى: يعطى خلفه. واختلف القول فى موضع إعطاء الخلف فالأكثرون أن (ذلك)[2] فى الآخرة أو الدنيا.

روى أبو هريرة - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ أنه قال: «ما من صباح إلا وينادى ملكان، يقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا»[3].

وعن الحسن البصرى قال: هو فى الدنيا خاصة، ولو لم يكن يخلف فى الدنيا لبقى العبد بلا رزق. والقول الأول أحسن.

---

(١) ليست فى «ك».

(٢) ليست فى «ك».

(٣) متفق عليه، رواه البخارى (٣/ ٣٥٧ رقم ١٤٤٢)، ومسلم (٧/ ١٣٢ - ١٣٣ رقم ١٠١٠).

مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَالْيَوْمَ لا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا

وقوله: ﴿وهو خير الرازقين﴾ أى: خير من يرزق ويعطى.

قوله تعالى: ﴿ويوم يحشرهم جميعًا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون﴾ يقول الله تعالى ذلك للملائكة توبيخا لمن عبدهم، وهو مثل قوله تعالى: ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله﴾(١) والمعنى على ما بينا.

قوله تعالى: ﴿قالوا سبحانك﴾ تسبيح الله: تعظيم له على وجه ينفى عنه كل سوء.

وقوله: ﴿أنت ولينا من دونهم﴾ أى: نحن نتولاك ولا نتولاهم.

وقوله: ﴿بل كانوا يعبدون الجن﴾ (فإن قيل: كيف يصح قوله: ﴿بل كانوا يعبدون الجن﴾)(٢) وهم عبدوا الملائكة؟ والجواب من وجهين: أحدهما: أنه قال: ﴿بل كانوا يعبدون الجن﴾ لأن الجن هم الذين زينوا لهم عبادة الملائكة، (والمراد من الجن الشياطين، والقول الثانى: أنهم صوروا صور الجن، وقالوا: هؤلاء الملائكة)(٣) فاعبدوهم.

وقوله: ﴿أكثرهم بهم مؤمنون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعًا ولا ضرًا﴾ أى: جلب نفع ودفع ضر.

وقوله: ﴿ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون﴾ أى:

(١) المائدة: ١١٦.

(٢) ليست فى «ك».

(٣) ليست فى «ك».

تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَا آتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ

تجحدون.

قوله تعالى: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات﴾ أى: واضحات.

وقوله: ﴿قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم﴾ أى: يمنعكم ﴿عما كان يعبد آباؤكم﴾ أى: من الأصنام.

وقوله: ﴿وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى﴾ يعنى: القرآن كذب مختلق.

وقوله: ﴿وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إنْ هذا إلا سحر مبين﴾ أى: بين.

قوله تعالى: ﴿وما آتيناهم من كتب يدرسونها﴾ أى: يقرءونها.

وقوله: ﴿وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير﴾ أى: لم يأتِ العرب قبلك نبى، ولا ينزل عليهم كتاب، والمراد منه قريش.

قوله تعالى: ﴿وكذب الذين من قبلهم﴾ معناه: الذين مضوا من قبلهم، وهم عاد وثمود وقوم موسى وقوم إبراهيم وقوم لوط وغيرهم.

وقوله: ﴿وما بلغوا معشار ما آتيناهم﴾ أكثر أهل التفسير أن المراد من الآية هو أن هؤلاء الكفار وهم قريش ما بلغوا معشار ما آتينا الذين من قبلهم فى القوة والمال والآلة. والقول الثانى أن معناه: وما بلغ الذين من قبلهم معشار ما آتينا هؤلاء يعنى: أن كتاب هؤلاء أبين كتاب، ورسولهم أفضل رسول، والقول الأول هو المعروف. وأما المعشار فهو العشر. وقيل: عشر العشر، وذلك جزء من مائة (جزء)[1]، وقيل: هو عشر عشر العشر، وهو جزء من ألف جزء.

---

(١) ليست فى «ك».

كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ

وقوله: ﴿فكذبوا رسلى فكيف كان نكير﴾ أى: إنكارى وتغييرى.

قوله تعالى: ﴿قل إنما أعظكم بواحدة﴾ وقال مجاهد: بطاعة الله. وقيل: بتوحيد الله، وهو قوله لا إله إلا الله. وذكر أهل المعانى مثل الفراء والزجاج وغيرهما أن معنى قوله: ﴿أعظكم بواحدة﴾ أى: آمركم بخصلة واحدة، ثم بين الخصلة (فقال)(١): ﴿أن تقوموا لله مثنى وفرادى﴾ أى: تجتمعون فتنظرون وتحاورون وتنفردون، وتخلون فتتفكرون، والمعنى: انظروا فى حال محمد عند الاجتماع وعند الخلوة فتعرفوا أنه ليس بساحر، ولا بكاهن، ولا به جنون، ولا الذى أتى به شعراً.

وقوله: ﴿تقوموا لله﴾ قال أهل التفسير: ليس المراد منه القيام الذى هو ضد الجلوس، وإنما هو مثل قوله تعالى: ﴿وأن تقوموا لليتامى بالقسط﴾.

وقوله: ﴿ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة﴾ أى: جنون.

وقوله: ﴿إن هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد﴾ أى: عظيم.

قوله تعالى: ﴿قل ما سألتكم من أجر﴾ أى: من جُعل فهو لكم أى: تركته لكم. والمعنى: أنى ما سألتكم من جُعل، لا أنه سأل وترك.

وقوله: ﴿إن أجرى إلا على الله﴾ أى: ما ثوابى إلا على الله.

وقوله: ﴿وهو على كل شىء شهيد﴾ أى: شاهد.

قوله تعالى: ﴿قل إن ربى يقذف بالحق﴾ أى: يأتى بالحق.

وقوله: ﴿علامَ الغيوب﴾ منصوب بإن، وقرئ: «علامُ الغيوب» بالرفع أى: هو علام الغيوب .

---

(١) فى «ك»: وقوله.

بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ

قوله تعالى: ﴿قل جاء الحق﴾ أى: القرآن، وقيل: الرسول.

وقوله: ﴿وما يبدئ الباطل﴾ قال قتادة: الباطل هو الشيطان هاهنا أى: مايبدئ الشيطان شيئًا [﴿وما يعيد﴾][(١)]. وفى الآية قول آخر: وهو أن الله تعالى يقذف بالحق على الباطل، فيذهب الباطل ولايبقى منه بقية تبدئ شيئًا أو تعيده. وقيل: الباطل هو الأصنام.

قول تعالى: ﴿قل إن ضللت فإنما أضل على نفسى﴾ قال المفسرون: لما بعث رسول الله ﷺ وجعل يعيب الأصنام، قال له المشركون: إنك قد ضللت بتركك دين آبائك؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقوله: ﴿فإنما أضل على نفسى﴾ أى: إثم ضلالتى على.

وقوله: ﴿وإن اهتديت فبما يوحى إلى ربى﴾ أى: من القرآن والحجج.

وقوله: ﴿إنه سميع قريب﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى ﴿ولو ترى إذ فزعوا﴾ معناه: ولو ترى إذ فزعوا حين يبعثون، وفى الآية جواب محذوف، والمحذوف: ولو ترى إذ فزعوا حين يبعثون لرأيت عبرة يعتبر بها، ويقال: ولو ترى إذ فزعوا أراد به وقت الموت.

وقوله ﴿فلا فوت﴾ أى: لايفوتون من الله، كما قال الله فى موضع آخر: ﴿ولات حين مناص﴾[(٢)].

وقوله: ﴿وأخذوا من مكان قريب﴾ فى التفسير: أخذوا من تحت أقدامهم. ويقال: أخذوا من بطن الأرض (إلى ظهرها)[(٣)].

(١) فى «الأصل»: ولا يعيده.

(٢) ص: ٣.

(٣) فى «ك»: لظهرها.

﴿٥٠﴾ ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب ﴿٥١﴾ وقالوا آمنا به وأنى
لهم التناوش من مكان بعيد ﴿٥٢﴾ وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان

قوله: ﴿ وقالوا آمنا به ﴾ يعنى: فى القيامة، وقيل: عند الموت، وهو فى معنى قوله تعالى: ﴿ فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده ﴾(١).

وقوله: ﴿ وأنى لهم التناوش ﴾ قال مجاهد وقتادة وكثير من المفسرين: التناوش هو التناول قال الشاعر:

وهى تنوش الحوض نوشًا من عَلاَ (نوشًا به تقطع)(٢) أجواز الفلا

ومعنى الآية على هذا أنهم يريدون أن يتناولوا الإيمان، وقد بعد عنهم ذلك وفاتهم، فأنى لهم ذلك. وقرئ: «وأنى لهم التناؤش» بالهمز، وذكر أهل اللغة أن النئيش هو الحركة فى إبطاء، فالمعنى على هذا أنه من أنى لهم حركتهم فيما لا حيلة لهم فيه. وعن ابن عباس قال: معنى قوله: ﴿ وأنى لهم التناوش ﴾ أنهم يسألون الرد إلى الدنيا، وأنى لهم الرد .

وقوله: ﴿ من مكان بعيد ﴾ أى: من الآخرة إلى الدنيا.

قوله تعالى: ﴿ وقد كفروا به من قبل ﴾ أى: بالقرآن، وقيل: بمحمد.

وقوله ﴿ من قبل ﴾ أى: فى الدنيا .

وقوله: ﴿ ويقذفون بالغيب ﴾ أى: يظنون ظن الغيب، ومعنى ظن الغيب: أنهم يقولون مالايعلمون؛ وقولهم فيما لايعلمون هو أنهم قالوا: محمد ساحر، وكاذب، وكاهن وشاعر، ويقال: قولهم فيما لايعملون أنهم يقولون: (لابعث ولاجنة)(٣) ولانار.

(١) غافر: ٨٤.

(٢) فى «ك»: يقطع به.

(٣) فى «ك»: لا جنة ولا بعث.

بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾ .

وقوله: ﴿ من مكان بعيد ﴾ أنهم يقولون: ما أبعد هذا، (ويقال)(١): من مكان بعيد أى: بعيد من (علمهم)(٢). والقذف هو الرجم والرمى، وجملة المعنى أنهم يخوضون فيما لاعلم لهم به .

قوله تعالى: ﴿ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ﴾ قال الحسن البصرى: هو الإيمان وقبول التوبة. ويقال: المال والولد. (وقيل)(٣): نعمة الدنيا وزهوتها. وعن إبراهيم النخعى أنه قال: ماتلوت هذه الآية إلا وذكرت الماء البارد .

وقوله: ﴿ كما فعل بأشياعهم من قبل ﴾ أى: الأمم الماضية. وقيل: بأصحاب الفيل. والأشياع: جمع شيعة، وهم الفرق .

وقوله: ﴿ إنهم كانوا فى شك مريب ﴾ أى: فى شك مرتابين، وفى الآية دليل على أن الشاك كافر بخلاف ما قاله بعض الناس، وهو غلط عظيم فى الدين، وقد دلت هذه الآية على أن الشاك كافر وهو فى النار، وكذلك دل على هذا قوله تعالى: ﴿ وما خلقنا السماء والأرض ومابينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ﴾(٤) فقد أوجب لهم الكفر والنار بالظن. وقد روى عن سعيد بن جبير فى قوله تعالى: ﴿ وقالوا آمنابه وأنى لهم التناوش ﴾ قال: هذه الآية نزلت فى جيش السفيانى، وهو رجل [يخرج](٥) فى أخواله من كلب، فخسف الله بهم بالبيداء إلا رجلا واحداً يخبر الناس ماصنع الله بهم، وفيه قصة .

(١) فى «ك»: ويقولون.

(٢) فى «ك»: عملهم.

(٣) فى «ك»: ويقال.

(٤) ص: ٢٧ .

(٥) فى «الأصل»: خرج.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة فاطر

وهي مكية

﴿الحمد لله فاطر السموات والأرض﴾ قد بينا معنى الحمد، وقوله: ﴿فاطر السموات والأرض﴾ أي: مبدعهما ومنشئهما بلا مثال.

(وقوله)(١): ﴿جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة﴾ أي: ذوي أجنحة.

وقوله: ﴿مثنى وثلاث ورباع﴾ أي: مثنى مثنى، وثلاث وثلاث، ورباع ورباع أي: اثنين اثنين، وثلاثة ثلاثة، وأربعة أربعة. شعر في المثنى: .

أحم الله ذلك من لقاء ... أحاد أحاد في شهر حلال

قال الضحاك: مثنى جبريل، وثلاث ميكائيل، ورباع إسرافيل، ومن المشهور أن النبي ﷺ قال: «رأيت جبريل (عليه السلام)(١) وله ستمائة جناح قد سد الأفق»(٢). وروى أنه لما رآه على هذه الصورة صعق»(٣). وفي بعض الأخبار: «أن جبريل - عليه السلام - يغتسل كل يوم في نهر ثم ينتفض، فما تقع قطرة إلا خلق الله تعالى منها ملكا»(٤). وفي بعض الأخبار أيضا أن الله تعالى خلق ملكا في

---

(١) لست في «ك».

(٢) متفق عليه من حديث ابن مسعود، رواه البخاري (٦/ ٣٦٠ - ٣٦١ رقم ٣٢٣٢، وطرفاه: ٤٨٥٦، ٤٨٥٧)، ومسلم (٣/ ٤-٨ رقم ١٧٤).

(٣) رواه أحمد في مسنده (١/ ٣٢٢)، والطبراني في الكبير (١١/ ٥٧ رقم ١١٠٣٣)، والبزار (٢/ ١٠٨ رقم ١٥٠٩ - مختصر الزوائد) عن ابن عباس. وقال الحافظ ابن حجر: هذا عندي خبر منكر. وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٦٠): رواه أحمد والطبراني، ورجاله ثقات، وقال في موضع آخر (٧/ ١١٧): رواه البزار عن شيخه محمد بن الحسن الكرماني، ولم أعرفه، وإدريس.. يكتب حديثه في الرقاق كما قال ابن معين، وبقية رجاله ثقات.

(٤) رواه العقيلي في الضعفاء (٢/ ٥٩-٦٠)، وابن عدي في الكامل (٣/ ١٤٤ - ١٤٥)، وابن أبي حاتم -- كما في تفسير ابن كثير(٤/ ٢٣٩) - وابن الجوزي في الموضوعات (١/ ١٤٦ - ١٤٧) جميعهم عن أبي هريرة، وقال ابن الجوزي: هذا حديث لايتهم به إلا روح بن جناح، فإنه يعرف به، ولايتابع عليه أحد. وقال الحافظ ابن كثير: حديث غريب جدا، تفرد به روح... وقد أنكر عليه هذا الحديث جماعة من الحفاظ منهم: الجوزجاني، والعقيلي، والحاكم أبو عبد الله النيسابوري، وغيرهم. قال الحاكم: لا أصل له من حديث أبي هريرة ولا سعيد ولا الزهري. وقال الحافظ عبد الغني: هذا حديث منكر بهذا الإسناد ليس له أصل....

وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَا

السماء شرفه ورفعه، وذلك فى الخبر ماشاء الله من عظمه، فهو يسبح الله تعالى، فما ينطق بتسبيحه إلا خلق الله تعالى منها ملكا .

وقوله : ﴿ يزيد فى الخلق مايشاء ﴾ أظهر الأقاويل : أن الله تعالى يزيد فى خلق الملائكة وأجنحتهم مايشاء على ماذكرنا . وعن قتادة قال : يزيد في الخلق مايشاء : هو الملاحة فى العيش . وعن الزهرى قال : هو حسن الصوت . وحكى النقاش فى تفسيره : أنه الشَعر الجعد . وفى بعض التفاسير : أنه زيادة العقل والتمييز . وعن بعضهم : هو العلم بالصناعات .

وقوله : ﴿ إن الله على كل شىء قدير ﴾ أى : قادر .

قوله تعالى : ﴿ مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ﴾ أى : من رزق وغيث . وقيل : من عافية ﴿ فلا ممسك لها ﴾ أى : لا حابس لها .

وقوله : ﴿ ومايمسك فلا مرسل له من بعده ﴾أى : مايمنع فلا مرسل له من بعد الله - أى : سوى الله - وقد ثبت أن النبى ﷺ كان يقول عقيب صلاة الفريضة : « لا إله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شىء قدير، اللهم لامانع لما أعطيت، ولامعطى لما منعت، ولاينفع ذا الجد منك الجد »(١) .

وثبت هذه اللفظة عنه أنه قالها فى القيام بين الركوع والسجود .

وقوله : ﴿ وهو العزيز الحكيم ﴾ أى : الغالب فى ملكة (الحكيم فى تدبير خلقه)(٢) .

قوله تعالى : ﴿ ياأيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم ﴾ أى : منة الله عليكم .

---

(١) متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة، رواه البخارى (٢ /٣٧٨ - ٣٧٩ رقم ٨٨٤، وأطرافه : ١٤٧٧، ٢٤٠٨، ٥٩٧٥، ٦٣٣٠، ٦٤٧٣، ٦٦١٥، ٧٢٩٢)، ومسلم (٥ /١٢٦-١٢٨ رقم ٥٩٣) .

(٢) فى « ك » : الحاكم فى تدبيره خلقه.

أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ

وقوله: ﴿هل من خالق غير الله﴾ استفهام على وجه التقرير، كأنه قال: لاخالق غير الله .

وقوله: ﴿يرزقكم من السماء والأرض﴾ أى: من السماء المطر، ومن الأرض النبات.

وقوله: ﴿لا إله إلا هو فأنى تؤفكون﴾ أى: تصرفون عن الحق.

قوله: ﴿وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك وإلى الله ترجع الأمور﴾ أى: ترد الأمور .

قوله تعالى: ﴿ياأيها الناس إن وعد الله حق﴾ يعنى: وعد القيامة حق.

وقوله: ﴿فلا [تغرنكم](١) الحياة الدنيا﴾ وفى الأثر: أن الله تعالى ما أعطى أحداً شيئا من الدنيا إلا اغتراراً، وما زَوَى من أحد شيئا من الدنيا إلا اختباراً.

وقوله: ﴿ولايغرنكم بالله الغرور﴾ أى: لايغرنكم الغرور، وهو الشيطان. قال الحسن: من الغرور أن تعمل المعصية، وتتمنى على الله المغفرة .

قوله تعالى: ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا﴾ أى: عادوه بطاعة الله.

وقوله: ﴿إنما يدعو حزبه﴾ أى: أتباعه.

وقوله: ﴿ليكونوا من أصحاب السعير﴾ أى: ليكونوا فى السعير، والسعير هو النار المتوقدة .

(١) فى «الأصل»: يغرنكم.

أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ

قوله تعالى: ﴿ الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصلحات لهم مغفرة وأجر كبير ﴾ أى: عظيم.

قوله تعالى: ﴿ أفمن زين له سوء عمله ﴾ نزلت الآية فى أبى جهل وأبى بن خلف وعتبة وشيبة والعاص بن وائل والأسود بن عبد يغوث وعقبة بن أبى معيط وأشباههم. والقول الثانى: أن الآية نزلت فى أهل الأهواء والبدع، والأولى أن يقال: إن الآية نزلت في الكفار؛ لأن عليه أكثر أهل التفسير. وعن قتادة: أنه قال: منهم الخوارج الذين يستحلون الدماء والأموال، قال: وأما أهل الكبائر فليس منهم؛ لأنهم لايستحلون الكبائر. وكذلك العمال الظلمة، لأنهم يظلمون، ويعلمون أنها ليست بحلال لهم.

وقوله: ﴿ فرآه حسنا ﴾ (وفى الآية حذف على طريقتين أحدهما: أن معنى الآية أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنًا)(١) كمن هداه الله ﴿ فإن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء ﴾ والطريق الثانى، أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا ذهبت نفسك عليه حسرة، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات، فإن الله يضل من يشاء، ويهدى من يشاء، والحسرة هو الندم الشديد على مافات.

وقوله: ﴿ إن الله عليم بما يصنعون ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابًا فسقناه إلى بلدميت ﴾ أى: لاينبت(٢) فيها.

وقوله: ﴿ فأحيينا به الأرض بعد موتها [كذلك](٣) النشور ﴾ أى: كذلك النشور

(١) ليست فى «ك».

(٢) فى «ك»: يثبت.

(٣) فى «الأصل»: وكذلك.

يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ

فى الآخرة. وروى وكيع بن عدس عن أبى رزين العقيلى أنه قال: «يارسول الله، كيف يحيى الله الموتى؟ قال له: هل مررت قط بأرض قحل - أى: يابس - ثم مررت بها وهى تهتز خضراً قال: نعم. قال: كذلك يحيى الله الموتى»[(١)].

قوله تعالى: ﴿من كان يريد العزة﴾ العزة: هى المنعة.

وقوله: ﴿فلله العزة جميعًا﴾ قال الفراء: معنى الآية: من كان يريد أن يعلم لمن العزة، فلله العزة جميعًا. وقال قتادة معناه: من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله. قال أهل النحو: هذا مثل مايقول الإنسان: من كان يريد المال فالمال لفلان أى: ليطلب المال عند فلان، كذلك معنى قوله: ﴿من كان يريد العزة فلله العزة جميعًا﴾ أى: فليطلب العزة من عنده. وقال بعض أهل التفسير: كان أهل الجاهلية يعبدون الأصنام، ويتقربون بذلك إلى الله تعالى، ويطلبون العز من عند الأصنام، قال الله تعالى ﴿واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا﴾[(٢)] فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأمرهم أن يطلبوا العز من الله لا من الأصنام .

وقوله: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ فى الكلم الطيب أقوال أحدها: أنه لا إله إلا الله. والآخر: أنه القرآن، ذكره شهر بن حوشب، والثالث: أنه ذكر الله. وعن قتادة

(١) رواه الإمام أحمد (٤ / ١١، ١٢)، والطيالسى (١٤٧ رقم ١٠٨٩)، ونعيم بن حماد فى زوائد الزهد لابن المبارك (٢ / ٣٠-٣١ رقم ١٢١)، وابن أبى عاصم فى السنة (١ / ٢٩٠ رقم ٦٣٩)، والطبرانى فى الكبير (١٩ / ٢٠٨ رقم ٤٧٠)، والحاكم (٤ / ٥٦٠) وصححه، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٦٤٩) من حديث وكيع به. وزاد السيوطى فى الدر (٥ / ٢٦٦) عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وابن مردويه. وزاد الزيلعى فى تخريج الكشاف (٣ / ١٤٧) إسحاق بن راهويه، والبيهقى فى الاعتقاد، والبعث والنشور، والثعلبى فى تفسيره، وابن أبى شيبة فى مصنفه.

(٢) مريم: ٨١.

قال: إليه يصعد الكلم الطيب[أى][1]: يقبل الله الكلم الطيب. وعن (ابن مسعود)[2] قال: مانحدثكم بحديث إلا أتيناكم تصديق ذلك من كتاب الله تعالى، ثم قال: مامن عبد يقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وتبارك الله، إلا قبض عليهن (ملك)[3] وضمهن تحت جناحه، ثم يصعد بها إلى السماء، ثم [لا][4] يمر بجمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يجئ بهن وجه الرحمن ثم تلا قوله تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ وقيل: الكلم الطيب هو الدعاء من العباد.

وفى بعض المسانيد برواية أنس عن النبى ﷺ أنه قال: « يقول الله تعالى كل يوم: أنا العزيز، فمن أراد عز الدارين فليطع العزيز »[5].

وقوله: ﴿والعمل الصالح يرفعه﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ماروى عن الحسن وسعيد بن جبير وعكرمة والضحاك وغيرهم أنهم قالوا: والعمل الصالح يرفعه أى: العمل الصالح يرفع الكلم الطيب، والقول الثانى: قول قتادة؛ قال: والعمل الصالح يرفعه أى: يرفعه الله.

والقول الثالث: والعمل الصالح يرفعه الكلم الطيب. وأولى الأقاويل هو الأول،

---

(١) فى « الأصل وك »: أن.

(٢) فى « ك »: قتادة، وهو خطأ وانظر تفسير ابن جرير (٢٢ / ٨٠)، والبغوى (٣ / ٥٦٦).

(٣) فى « ك »: ملكين.

(٤) ليست فى « الأصل » ولا « ك ».

(٥) رواه الخليلى فى الإرشاد (٣ / ٩٢١ رقم ٢٣٤)، والخطيب فى تاريخه (٨ / ١٧١)، وابن الجوزى فى الموضوعات (١ / ١١٩، ١٢٠)، وابن عساكر فى تاريخه (١٢ / ٧ رقم ٢٨٨٨) عن أنس به .. رواه ابن الجوزى من طريق داود بن عفان عن أنس به، وقال: لايصح، قال ابن حبان: داود كان يضع الحديث على أنس، ثم رواه من رواية سعيد بن هبيرة، عن همام، عن قتادة، عن أنس به ثم قال: هذا من سرقة سعيد. قال ابن عدى: وكان يحدث بالموضوعات.

أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ

وقد روي عن الحسن البصرى أنه قال: يعرض القول على العمل، فإن وافقه رفع القول مع العمل، وإن خالفه كان العمل أولى به. وفى بعض الآثار: أن العبد إذا قال: لاإله إلا الله بنية صادقة رفع إلى الله تعالى وله دوى كدوى النحل، حتى يلقى بين يديه فينظر الله تعالى [له](١) نظرة لاييأس بعدها أبداً؛ هذا إذا وافقه عمله، وإن خالفه وقف قوله حتى يتوب من عمله. (وإن خالفه وقف).(٢)

قوله تعالى: ﴿والذين يمكرون السيئات﴾ أى: يعملون السيئات، ويقال: نزلت فى مكر الكفار برسول الله ﷺ حتى خرج من مكة مهاجراً إلى المدينة على ماذكرنا .

وقوله: ﴿لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور﴾ أى: يهلك ويبطل. قوله تعالى: ﴿والله خلقكم من تراب﴾ التراب (جسم)(٣) مدقق من جنس الطين .

وقوله: ﴿ثم من نطفة﴾ ذكر السدى أن النطفة إذا وقعت فى الرحم طارت فى كل عظم وشعر و(عصب)(٤) فإذا مضت أربعون يومًا نزلت إلى الرحم، وخلق الله منها العلقة.

وقوله: ﴿ثم جعلكم أزواجًا﴾ أى: أصنافًا. وفى تفسير ابن فارس: ﴿جعلكم أزواجاً﴾ أى: زوج بعضكم من بعض.

وقوله: ﴿وما تحمل من أنثى ولاتضع إلا بعلمه﴾ أى: لايغيب عنه شىء من ذلك.

وقوله: ﴿وما يعمر من معمر﴾ يعنى: مايطول عمر معمر حتى يدركه الهرم. وقوله: ﴿ولاينقص من عمره﴾ فيرجع إلى الأول، والجواب: أنه يجوز أن يذكر على

(١) ليست فى «الأصل» ولا «ك».

(٢) كذا! ولعلها كررت من الناسخ.

(٣) فى «ك»: جنس.

(٤) فى «ك»: عظم.

ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ

هذا الوجه، ويراد به غير الأول، وهذا كما أن الرجل يقول: عندى درهم ونصفه أى: نصف درهم آخر، أورده الزجاج وغيره. والقول الثانى: ﴿وما يعمر من معمر ولاينقص من عمره﴾ هو منصرف إلى الأول. قال كعب الأحبار حين حضرا [عمر](1) الوفاة: والله لودعا عمر ربه أن يؤخر أجله لأخره، فقالوا له: إن الله يقول: ﴿فإذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون﴾(2). فقال: هذا إذا حضره الأجل، فأما قبل ذلك فيجوز أن يزاد وينقص، وقرأ هذه الآية. وذكر بعضهم: أن مثال هذا أن الله تعالى يكتب أن عمر فلان مائة سنة إن أطاعنى، وعمره خمسون أو ستون إن عصانى، وهذا جائز.

وقوله: ﴿إلا فى كتاب﴾ معناه: إلا وهو مكتوب فى كتاب. وفى التفسير أن الله تعالى يكتب أجل العبد فى كتاب، ثم يكتب فى كتاب (آخر)(3): قد انتقص من عمره يوم، شهر، سنة، إلى أن يستوفى أجله. وذكر بعضهم أنه يكتب تحت ذلك الكتاب الأول.

وقوله: ﴿إن ذلك على الله يسير﴾ أى: هين.

قوله تعالى: ﴿ومايستوى البحران هذا عذب فرات﴾ أى: شديد العذوبة.

وقوله: ﴿سائغ شرابه﴾ أى: سهل المدخل.

وقوله: ﴿وهذا ملح أجاج﴾ أى: ملح شديد الملوحة. وفى الآية بيان القدرة فى خلق الماء العذب والأجاج.

وقوله: ﴿ومن كل تأكلون لحمًا طريًّا﴾ أى: الحيتان.

وقوله: ﴿وتستخرجون حلية تلبسونها﴾ الدر والمرجان والجواهر. قال عكرمة: ما

(١) فى «الأصل و ك»: العمر.

(٢) الأعراف: ٣٤، والنحل: ٦١.

(٣) ليست فى «ك».

مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ

قطرت من السماء قطرة إلى الأرض إلا أنبتت عشبة، وما قطرت فى البحر قطرة إلا صارت درة، فإن قيل: قد قال: ﴿وتستخرجون حلية تلبسونها﴾ والدر والمرجان والجواهر لاتخرج من الأجاج، وإنما تخرج من العذب؟ وقد قال: ﴿ومن كل تأكلون لحمًا طريًّا وتستخرجون [حلية][1]﴾ الجواب عنه: يجوز أن ينسب إليهما وإن كان يستخرج من أحدهما، ومثل هذا فى كلام العرب كثير.

والثانى: وهو أن فى البحر الأجاج تكون عيونًا عذبة، فتمتزج بالملح، وتكون من بين ذلك الجواهر.

وقوله: ﴿وترى الفلك فيه مواخر﴾ قال الحسن: مواقير أى: ممتلئة. وعن بعضهم: معترضة تجئ وتذهب. وقيل: جوارى. والمخر: هو الشق، فكأن الفلك يشق الماء بصدره، فذكر مواخر على هذا المعنى.

وقوله: ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ أى: لتطلبوا من فضله، وفضله هو التجارات فى البحر.

وقوله: ﴿ولعلكم تشكرون﴾ أى: تشكرون نعم الله.

قوله تعالى: ﴿يولج الليل فى النهار﴾ قد بينا هذا من قبل.

وقوله: ﴿[ويولج النهار فى الليل][1] وسخر الشمس والقمر﴾ قال قتادة: طول الشمس ثمانون فرسخًا، وعرضها ستون فرسخا. وعن عكرمة قال: جرم الشمس كسعة الدنيا (وزيادة ثلث، وجرم القمر كسعة الدني)[2] بلا زيادة.

وقوله: ﴿كل يجرى لأجل مسمى﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه﴾ أى: من الأصنام.

(١) من «ك».

(٢) ليست فى «ك».

سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾
يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ

وقوله: ﴿ما يملكون من قطمير﴾ قال مجاهد: القطمير: لفافة النواة، وهو كسحل البصلة، وعن بعضهم: القطمير وسط النواة، والمعنى أنه لايملك شيئا قليلا ولا كثيراً.

قوله تعالى: ﴿إن تدعوهم لايسمعوا دعاءكم﴾ يعنى: إن تدعوا الأصنام لايسمعوا دعاءكم.

وقوله: ﴿ولو سمعوا ما استجابوا لكم﴾ أى: ما أجابوكم.

وقوله: ﴿ويوم القيامة يكفرون بشرككم﴾ أى: يجحدون بشرككم وموالاتكم إياهم.

وقوله: ﴿ولاينبئك مثل خبير﴾ أى: ولاينبئك بهذا أحد مثلى، والخبير هو الله تعالى، والمعنى أن الذى أنبأك بهذا خبير بالأمور، عالم بها.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله﴾ أى: إلى فضل الله، والفقير هو المحتاج.

وقوله: ﴿والله هو الغنى الحميد﴾ أى: الغنى عن خلقه، المحمود فى إحسانه بخلقه.

قوله تعالى: ﴿إن يشأ يذهبكم﴾ أى: يهلككم حتى لايبقى منكم عين تطرف.

وقوله: ﴿ويأت بخلق جديد﴾ أى: خلق لم يكونوا أنشأهم وابتدأهم.

وقوله: ﴿وما ذلك على الله بعزيز﴾ أى: بشديد.

قوله تعالى: ﴿ولاتزر وازرة وزر أخرى﴾ أى: لايؤاخذ أحد بذنب غيره.

وقوله: ﴿وإن تدع مثقلة﴾ أى: مثقلة بالذنوب ﴿إلى حملها﴾ أى: إن دعوت أحداً أن يحمل ذنوبه عنه.

يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ
أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ
يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ
﴿١٨﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا

وقوله: ﴿لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى﴾ أى: لايجد من يحمل عنه، وإن كان المدعو قريبًا أبًا أو أبناء. وعن ابن عباس أنه قال: إن الرجل (يلقى)[1] يوم القيامة أباه أو ابنه، فيقول: احمل عنى بعض ذنوبى، فيقول: لا أستطيع، حسبى ما علىَّ. وفى بعض التفاسير: أن الوليد بن المغيرة المخزومى قال لمن أسلم من بنى مخزوم: ارجعوا عن الإسلام، وأنا أحمل ذنوبكم يوم القيامة إن خفتم من الذنوب؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقوله: ﴿إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ قد بينا الخشية بالغيب.

وقوله: ﴿وأقاموا الصلاة ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه﴾ معنى التزكى ها هنا هو العمل الصالح.

وقوله: ﴿وإلى الله المصير﴾ أى: المرجع.

قوله تعالى: ﴿وما يستوى الأعمى والبصير﴾ معنى الأعمى: عن الهدى، والبصير بالهدى. وعن بعضهم: الأعمى عن الحق، والبصير بالحق.

وقوله: ﴿ولا الظلمات ولا النور﴾ والظلمات هى الضلالات ﴿ولا النور﴾ هو الهداية والبيان من الله تعالى. وقيل: هذا تمثيل الكفر والإيمان.

وقوله: ﴿ولا الظل ولا الحرور﴾ أى: الجنة والنار. قال أبو عبيدة: الحرور يكون بالنهار مع الشمس. وعن غيره: السَّموم بالنهار، والحرور بالليل. وعن بعضهم: الحرور هو الحر الدائم ليلا كان أو نهاراً، قال الشاعر:

(١) فى «ك» ليلقى.

الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلاَّ نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ

وهاجرة يشوى الوجوه حَرُورها

وقوله: ﴿وما يستوى الأحياء ولا الأموات﴾ أى: المؤمنون والكفار. وعن [ابن](١) قتيبة قال: العلماء والجهال.

وقوله: ﴿إن الله يسمع من يشاء﴾ أى: من يشاء إسماعه.

وقوله: ﴿وما أنت بمسمع من فى القبور﴾ أى: لاتسمع الكفار، وشبههم بالأموات فى القبور.

وقوله: ﴿إن أنت إلا نذير﴾ أى: منذر.

قوله تعالى: ﴿إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً﴾ أى: مبشراً ومنذراً.

وقوله: ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ أى: منذر. وفى بعض التفاسير: إلا العرب لم يكن لهم نبى سوى النبى ﷺ. وفى بعض الحكايات: أن بهلول المجنون لقى أبا يوسف القاضى، فقال له: إن الله تعالى يقول: ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ وقال النبى ﷺ: «لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها»(٢)، فما نذير الكلاب؟! فتحير أبو يوسف؛ فأخرج حجراً من كمه وقال: هذا نذير الكلاب.

قوله تعالى: ﴿وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب والمنير﴾ أى: الكتاب الواضح، وذكر الكتاب بعد الزبر على طريق

---

(١) فى «الأصل، وك»: أبى، والصواب ما أثبتناه، وانظر تفسير القرطبى (١٤/ ٣٤٠).

(٢) رواه أبو داود (٣/ ١٠٨ رقم ٢٨٤٥)، والترمذى (٤/ ٦٦ رقم ١٤٨٦)، والنسائى (٧/ ١٨٥ رقم ٤٢٨٠)، وابن ماجه (٢/ ١٠٦٩ رقم ٣٢٠٥)، وأحمد (٥/ ٥٤، ٥٦)، والدارمى (٢/ ١٢٥ رقم ٢٠٠٨)، والطحاوى فى معانى الآثار (٤/ ٥٤)، وأبو نعيم فى الحلية (٧/ ١١١) من حديث عبد الله بن مغفل مرفوعا به.

قال الترمذى: وفى الباب عن ابن عمر، وجابر، وأبى رافع، وأبى أيوب... وحديث عبد الله بن مغفل حسن صحيح.

رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ

التأكيد.

قوله تعالى: ﴿ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير﴾ أى: إنكارى وتغييرى.

قوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء﴾ (قوله)[1]: ﴿فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها﴾ أى: أبيض وأحمر وأصفر، وما أشبه ذلك.

وقوله: ﴿ومن الجبال جدد﴾ أى: طرائق (وخطط)[2] ﴿بيض﴾، والجدد: جمع جُدَّة، وهو الطريق.

وقوله: (﴿وحمر﴾)[3] أى: طرائق حمرة.

قوله: ﴿مختلف ألوانها وغرابيب سود﴾ أى: سود غرابيب على التقديم والتأخير، يقال: أسود غربيب أى: شديد السواد، وفى بعض الأخبار: «أن الله يكره الشيخ الغربيب»[4] أى الذى يسود لحيته، والخضاب بالحمرة سنة، أما بالسواد مكروه. ومعنى الآية أى: طرائق سود.

وقوله: ﴿ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك﴾ أى: مختلف ألوان هذه الأشياء، كما اختلفت ألوان ما سبق ذكره.

(١) ليست فى «ك».

(٢) فى «ك»: وخطوط.

(٣) فى «ك»: بيض وحمر.

(٤) رواه ابن عدى فى الكامل (٣/١٥٧)، ومن طريقه الديلمى - كما فى السلسلة الضعيفة (٣/١٤٧١) - وهو فى الفردوس (١/١٥٣ رقم ٥٦٠)، وقد ذكره ابن عدى من ضمن منكرات رشدين، وبه أعله الشيخ ناصر فى السلسلة الضعيفة وقال: رشدين ضعيف.

﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ
﴿٣٠﴾ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ

وقوله: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ ومن المعروف فى الآثار: «رأس العلم خشية الله»(١). ومن المعروف أيضًا: كفى بخشية الله علمًا، وبالاغترار به جهلا. ويقال: أول كلمة فى الزبور رأس الحكمة خشية الله. وعن ابن عباس قال: إنما يخشى الله من عباده العلماء أى: من يعلم ملكى وعزى وسلطانى. وعن بعضهم: إنما يخشى الله من عباده العلماء الذين يعلمون أن الله على كل شىء قدير، وعن بعض التابعين قال: من لم يخش الله فليس بعالم. ويقال: خف الله بقدر قدرته عليك، واستح من الله بقدر قربه منك.

وقوله: ﴿إن الله عزيز غفور﴾ أى: عزيز فى ملكه، غفور (لذنوب عباده)(٢).

قوله تعالى: ﴿إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور﴾ أى: لن تهلك ولن تفسد، والمراد من التجارة ما وعده الله من الثواب.

قوله تعالى: ﴿ليوفيهم أجورهم﴾ أى: ثواب أعمالهم.

وقوله: ﴿ويزيدهم من فضله﴾ هو تضعيف الحسنات، قال بعضهم: هو الشفاعة لمن أحسن إليهم، فعلى هذا يشفع الفقير للغنى الذى تصدق عليه.

وقوله: ﴿إنه غفور شكور﴾ يقال: يغفر الكثير من الذنوب، ويشكر اليسير من الطاعات.

---

(١) رواه القضاعى فى مسند الشهاب (١/٥٩ - ٦٠ رقم ٤١)، وأبو نعيم فى الحلية (٢/٣٨٧) عن أنس مرفوعا: «خشية الله رأس كل حكمة». وفى الباب عن زيد بن خالد، وابن مسعود، وعقبة بن عامر، وأبى الدرداء. وانظر المقاصد الحسنة للسخاوى (٣٥٩ - ٣٦٠ رقم ٥٠٧).

(٢) فى «ك» الذنوب.

لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّاتُ

قوله تعالى: ﴿والذى أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقًا لما بين يديه﴾ أى: من الكتب المتقدمة.

وقوله: ﴿إن الله بعباده لخبير بصير﴾ أى خبير بما فى ضمائرهم، بصير [بأفعالهم](١).

قوله تعالى: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾ الأكثرون على أن المراد من قوله: ﴿الذين اصطفينا من عبادنا﴾ هذه الأمة، وعن بعضهم: أن المراد منه الأنبياء، وعن بعضهم: أن المراد منه بنو إسرائيل، و القول الأول هو المشهور.

وقوله: ﴿وأورثنا الكتاب﴾ المراد من الكتاب: هو القرآن.

ومعنى الآية أى: انتهى إليهم الأمر بإنزالنا عليهم القرآن، وبإرسالنا محمداً إليهم.

وقوله: ﴿فمنهم ظالم لنفسه﴾ اختلف القول فى المراد بالظالم، فقال بعضهم: المراد بالظالم هو الكافر، ذكره الكلبى وغيره. وعن بعضهم: أن المراد منه المنافق، فعلى هذا لايدخل الظالم فى قوله: ﴿جنات عدن يدخلونها﴾ وقد روى هذا القول أيضا عن ابن عباس أنه حمل الظالم على الكافر.

والقول المشهور أن الظالم لنفسه من المؤمنين، وعلى هذا يستقيم نسق الآية، وعلى القول الأول يحمل قوله: ﴿الذين اصطفينا من عبادنا﴾ على الاصطفاء فى الخلقة وإرسال الرسول وإنزال الكتاب، وعلى القول الثانى يحمل الاصطفاء على الزيادة التى جعلها الله تعالى لهذه الأمة من بين سائر الأمم. وقد روى شهر بن حوشب أن عمر - رضى الله عنه - قال: سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور. وعن عائشة - رضى الله عنها - أنها قالت: السابق هم الذين مضوا على عهد النبى ﷺ، والمقتصد هم الذين اتبعوهم، والظالم مثلى ومثلك، تقول ذلك للمخاطب.

(١) فى «ك»: بأعمالهم.

عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾

وعن أبى الدرداء قال: السابق هو الذى لايحاسب أصلا يوم القيامة، والمقتصد هو الذى يحاسب حسابا يسيراً ويدخل الجنة، والظالم هو الذى يحاسب حسابًا شديدًا ويدخل النار ثم ينجو.

وعن بعضهم: أن الظالم لنفسه هم أصحاب المشأمة، والمقتصد هم أصحاب الميمنة، والسابقون هم المقربون، ذكره السدى، فعلى هذا الظالم لنفسه كافر. وعن بعضهم: أن الظالم لنفسه هم أصحاب الكبائر، والمقتصد هم أصحاب الصغائر، والسابق هو الذى لم يرتكب صغيرة ولا كبيرة، وعبر بعضهم عن هذا؛ قال: المقتصد هم أصحاب التوسط فى الطاعات، فعلى هذا من غلبت سيئاته على حسناته فهو ظالم، ومن استوت سيئاته وحسناته فهو مقتصد، ومن غلبت حسناته على سيئاته فهو سابق، وهذا قول معروف مأثور [عن رسول الله ﷺ](١).

وعن بعضهم قال: الظالم آدم، والمقتصد إبراهيم، والسابق هو محمد ﷺ. وقال بعضهم: الظالم هو المريد، والمقتصد هو المحب، والسابق هو الواله. وقال بعضهم: الظالم هو الذى همه نفسه والدنيا، والمقتصد هو الذى همه الجنة، والسابق هو الذى همه ربه.

وعن بعضهم قال: الظالم هو الواقف، والمقتصد هو السائر، والسابق هو الواصل. وفى الآية كلام كثير.

وقوله: ﴿[ومنهم مقتصد ومنهم سابق](١) بالخيرات بإذن الله﴾ أى: بالطاعات بعلم الله.

وقوله: ﴿ذلك هو الفضل الكبير﴾ أى: الفضل العظيم.

قوله تعالى: ﴿جنات عدن يدخلونها﴾ روى عن جعفر الصادق – رضى الله عنه

---

(١) من «ك».

وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ

– أنه قال: أرجى آية فى كتاب الله تعالى هذه الآية؛ لأنه جمع بين الظالم والمقتصد والسابق، ثم قال: ﴿ جنات عدن يدخلوها ﴾ وعن بعضهم قال: إن الواو فى قوله: ﴿ يدخلونها ﴾ أحب إلى من كذا وكذا. وعن كثير من السلف أنهم قالوا: كل هؤلاء من هذه الآية.

وقوله: ﴿ يحلون فيها من أساور من ذهب ﴾ ظاهر المعنى. والأساور: جمع السوار.

وقوله: ﴿ ولؤلؤ ﴾ أى: من ذهب ولؤلؤ، وقرئ: «ولؤلؤًا» بالنصب أى: يحلون لؤلؤًا.

وقوله: ﴿ ولباسهم فيها حرير ﴾ أى: الديباج. ومن المعروف أن النبى ﷺ قال: «من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة»، وقال: «هو لهم فى الدنيا، ولنا فى الآخرة»(١).

قوله تعالى: ﴿ وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ﴾ قال ابن عباس: حزن النار. وعن قتادة: حزن الموت. وعن بعضهم: هَمّ المعيشة.

وقال مجاهد: هم الخبز. والأولى أن يحمل على جميع الأحزان، فهم ينجون عن كلها، ومن المعروف أن الحزن: هو حزن أهوال القيامة.

وقوله: ﴿ إن ربنا لغفور شكور ﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿ الذى أحلنا دار المقامة من فضله ﴾ قد بينا معنى المقامة والمقامة.

وقوله تعالى: ﴿ لايمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب ﴾ أى: تعب وإعياء.

قوله تعالى: ﴿ والذين كفروا لهم نار جهنم لايقضى عليهم فيموتوا ﴾ أى: لايقضى عليهم الموت فيموتوا.

وقوله: ﴿ ولا يخفف عنهم من عذابها ﴾ أى: من عذاب النار.

(١) متفق عليه، وقد تقدم فى تفسير سورة الحج.

نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾

وقوله: ﴿كذلك نجزى كل كفور﴾ أى: كفور للنعمة.

قوله تعالى: ﴿وهم يصطرخون فيها﴾ يصطرخون يفتعلون من الصراخ، وهو الصياح.

وقوله: ﴿ربنا أخرجنا﴾ أى: يصطرخون ويقولون: ﴿ربنا أخرجنا نعمل صالحًا غير الذى كنا نعمل﴾ أى: نعمل من الصالحات بدل ما كنا نعمل من السيئات.

وقوله: ﴿أو لم نعمركم﴾ أى: يقول الله تعالى لهم: ﴿أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر﴾ معناه: أو لم نعمركم العمر الذى يتذكر فيه من تذكر. واختلف القول فى ذلك العمر؛ فالأكثرون على أنه ستون سنة، (وهذا)[١] مروى عن على - رضى الله عنه - وقد روى أبو هريرة عن النبى ﷺ أنه قال: «من عمره الله ستين سنة فقد أعذر إليه فى العمر»[٢]. وعن بعضهم: أنه أربعون سنة. وعن بعضهم: ثمانية عشر سنة. وقال الحسن البصرى: هو البلوغ. وعن بعضهم: هو سبعون سنة؛ لأنه عند ذلك يدخل فى الهرم.

وقوله: ﴿وجاءكم النذير﴾ أى: محمد ﷺ.

والقول الثانى: أنه الشيب، حكى ذلك عن وهب بن منبه وغيره. وفى الأثر: ما من شعرة تبيض إلا قالت لأختها: يا أختى، استعدى فقد قرب الموت. وقال بعضهم: الشيب (حطام)[٣] المنية. وسماه بعضهم بريد الموت.

---

(١) فى «ك»: وهو.

(٢) رواه البخارى (١١/ ٢٤٣ رقم ٦٤١٩)، وأحمد (٢/ ٢٧٥، ٣٢٠، ٤٠٥)، وابن حبان (٧/ ٢٤٥ رقم ٢٩٧٩)، والرامهرمزى فى الأمثال (ص٦٤)، والحاكم (٢/ ٤٢٧، ٤٢٨)، والبيهقى (٢/ ٣٧٠)، والخطيب فى تاريخه (١/ ٢٩٠)، والقضاعى فى مسند الشهاب (١/ ٢٦٢ رقم ٤٢٤) جميعهم من حديث أبى هريرة.

(٣) فى «ك»: خطاب.

إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ

والقول الثالث: أن قوله: ﴿وجاءكم النذير﴾ كل ما ينذر ويخوف بها. وفى غريب التفسير: أنه الحمى. وقيل أيضا: هو العقل.

وقوله: ﴿فذوقوا فما للظالمين من نصير﴾ أى: ناصر.

قوله تعالى: ﴿إن الله عالم غيب السموات و الأرض﴾ (الآية)(١) ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿هو الذى جعلكم خلائف فى الأرض﴾ أى: يخلف بعضكم بعضا، وكل من تلا إنسانا، وقام بعده فهو خليفته، ولهذا سمى أبو بكر خليفة رسول الله؛ لأنه قام بالأمر بعده، وإلا فعند أهل العلم أن الرسول ﷺ توفى، ولم يستخلف أحداً. ومن هذا قول عمر - رضى الله عنه - حين حضرته الوفاة. وقيل له: استخلف. فقال: إن لم أستخلف فلم يستخلف رسول الله ﷺ، وإن استخلف فقد أستخلف أبو بكر، وهذا قول ثابت عن عمر.

وقوله: ﴿فمن كفر فعليه كفره﴾ أى: فعليه وبال كفره.

وقوله: ﴿ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتًا﴾ أى: بغضا. وقيل: ما يوجب لهم المقت.

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ولايزيد الكافرين كفرهم إلا خساراً﴾ أى: خسرانا.

قوله تعالى: ﴿قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله﴾ أى: الذين جعلتموهم شركائى على زعمكم من الأصنام والملائكة.

وقوله: ﴿أرونى ماذا خلقوا من الأرض﴾ أى: أعلمونى.

وقوله: ﴿أم لهم شرك فى السموات﴾ أى: شركة.

(١) فى «ك» أتم الآية: ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾.

اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلاَّ غُرُورًا ﴿٤٠﴾ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾

وقوله: ﴿أم آتيناهم كتاباً فهم على بينة منه﴾ أى: على دلائل واضحة منه.

وقوله: ﴿بل إن يعد الظالمون﴾ أى: ما يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلا غرورا، والغرور كل ما يَغر الإنسان مما لا أصل له.

قوله تعالى: ﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا﴾ معناه: لئلا تزولا، وقيل: كراهة أن تزولا.

وقوله: ﴿ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده﴾ أى: لايمسكهما أحد سواه، فإن قيل: ما معنى قوله: ﴿ولئن زالتا﴾ وهى لاتزول؟

والجواب: أن الله تعالى قد قال: ﴿تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولداً﴾(١) والله تعالى يمسكهما عن هذه الأشياء. وفى بعض الآثار: أن موسى - عليه السلام - قال: يارب، كيف أعلم [أنك](٢) لاتنام؟ فوضع فى يديه قارورتين على ما ذكرنا(٣).

وفى بعض التفاسير: أن الأرض ثقيلة متسفلة، والسماء خفيفة مستطيرة، وقد ألصق الله تعالى أطراف السموات بأطراف الأرضين، فالسماء تمنع الأرض بتصعدها عن التسفل، والأرض تمنع السماء بثقلها عن الصعود، حكاه النقاش، والله أعلم.

وقوله: ﴿إنه كان حليماً غفوراً﴾ فإن قيل: ما معنى ذكر الحلم ها هنا؟

قلنا: لأن هذه الأشياء همت بما همت عقوبة للكفار، فأمسكها الله تعالى، ولم يدعها أن تزول تركا للمعاجلة فى العقوبة، وكان ذلك حلماً منه جل جلاله.

(١) مريم: ٩٠ - ٩١.

(٢) ليست فى «الأصل» ولا «ك».

(٣) تقدم فى تفسير آية الكرسى من سورة البقرة.

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ

قوله تعالى: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ هذا فى مشركى مكة، فإنهم كانوا قالوا: لو جاءنا نذير لكنا أهدى أى: أقبل للكتاب، وألزم له من اليهود و النصارى، فلم يفوا بما قالوا حين جاءهم الرسول ﷺ، فأنزل الله تعالى فى شأنهم، فهو معنى قوله: ﴿لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم﴾ أى: اليهود و النصارى.

وقوله: ﴿فلما جاءهم نذير﴾ أى: محمد ﷺ ﴿ما زادهم إلا نفوراً﴾ أى: مازادهم المجيء إلا نفوراً.

قوله تعالى: ﴿استكباراً فى الأرض﴾ يعنى: أنهم ردوا ما ردوا استكباراً فى الأرض.

وقوله: ﴿ومكر السيئ﴾ أى: وفعل المكر السيئ، وفى قراءة ابن مسعود: «ومكراً سيئًا». وفى المكر السيئ قولان: أحدهما: أنه الشرك، والآخر: أنه المكر برسول الله ﷺ.

وقوله: ﴿ولايحيق المكر السيئ إلا بأهله﴾ أى: لاتنزل عقوبة المكر السيئ إلا بأهله، وحقيقة المعنى: أن وبال المكر راجع إليهم.

وقوله: ﴿فهل ينظرون إلا سنة الأولين﴾ (أى: طريقة الأولين)(١) فى الإهلاك ونزول العذاب لهم.

وقوله: ﴿فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا﴾ ظاهر المعنى، والمراد من التكرار هو التأكيد.

قوله تعالى: ﴿أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه﴾ أى: ليفوت عنه.

(١) ليست فى «ك».

مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾.

وقوله: ﴿من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليمًا قديرًا﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا﴾ من القبائح والمعاصي.

وقوله: ﴿ما ترك على ظهرها من دابة﴾ أي: على ظهر الأرض بما كسب الناس من الذنوب. وعن ابن مسعود قال: إن الجُعَل تعذب في جحرها بذنب ابن آدم.

وقوله: ﴿ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى﴾ أي: إلى مدة معلومة.

وقوله: ﴿فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرًا﴾ أي: بصيرًا بأعمالهم يجازيهم عليها، الحسنة بالحسنة، والسيئة بالسيئة.

بسم الله الرحمن الرحيم

يس ﴿١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ

تفسير سورة يس

وهى مكية، وروى مقاتل بن حيان، عن قتادة، عن أنس، عن النبى ﷺ قال: «إن لكل شيء قلبا، وإن قلب القرآن سورة يس، ومن قرأ سورة يس أعطاه الله ثواب قراءة القرآن عشر مرات»(١).

والخبر غريب أورده أبو عيسى فى جامعه، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿يسٓ﴾ قال ابن عباس: قَسم أقسم الله به، وقال قتادة: اسم للسورة، وقال مجاهد: يس من فواتح القرآن، وقال (الحسن)(٢) وسعيد بن جبير والضحاك وجماعة معنى قوله: ﴿يس﴾ يا إنسان، وهذا هو أشهر الأقاويل، قال ثعلب: هو يا إنسان بلغة طيّ، وقال غيره: بلغة كلب، وقرأ عيسى بن عمر: «يَسنَ» بالنصب، ويقال معناه: يا محمد.

وقوله: ﴿والقرآن الحكيم﴾ يعنى: والقرآن الذى أحكم بالأمر والنهى والثواب والعقاب، وقوله: ﴿إنك لمن المرسلين﴾ على هذا وقع القسم؛ فكأن الله تعالى أقسم بالقرآن أن محمداً من المرسلين.

وروى عن على - رضى الله عنه - أنه قال: سمَّى الله رسوله محمداً ﷺ فى

(١) رواه الترمذى (٥/ ١٤٩ - ١٥٠ رقم: ٢٨٨٧)، والدارمى (٢/ ٥٤٨ رقم ٣٤١٦)، والخطيب فى تاريخه (٤/ ١٦٧)، والبيهقى فى الشعب (٥/ ٣٩٧ - ٣٩٨ رقم ٢٢٣٣)، والقضاعى فى مسند الشهاب (٢/ ١٣٠ رقم ١٠٣٥) من طريق مقاتل، عن قتادة، عن أنس مرفوعا به.

وقال الترمذى: غريب لا نعرفه إلا من حديث حميد، وهارون شيخ مجهول.

تنبيه: وقع فى النسخة المطبوعة: حسن غريب، وهو خطأ، والمثبت من تحفة الأشراف (١/ ٣٤٧)، وانظر السلسلة الضعيفة (١٦٩). ثم قال الترمذى: وفى الباب عن أبى بكر ولا يصح من قبل إسناده، إسناده ضعيف. وقال أبو حاتم (٢/ ٥٥ - ٥٦ رقم ١٦٥٢ العلل): هذا الحديث فى أول كتاب وضعه مقاتل بن سليمان، وهو حديث باطل لا أصل له.

(٢) ليست فى «ك».

﴿٤﴾ تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالاً فَهِيَ إِلَى

القرآن بسبعة أسماء: محمد، وأحمد، وطه، ويس، والمدثر، والمزمل، وعبد الله.

وقوله: ﴿على صراط مستقيم﴾ فيه وجهان: أحدهما: أنه خبر بعد خبر، والآخر أن معناه: إنك لمن المرسلين الذين هم على صراط مستقيم.

وقوله: ﴿تنزيل العزيز الرحيم﴾ أى: هو تنزيل العزيز الرحيم، وقرئ: «تنزيلَ» بنصب اللام أى: أنزله الله تنزيل العزيز الرحيم.

قوله تعالى: ﴿لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم﴾ فيه قولان: أحدهما: أن «ما» للنفى، والمعنى. لم ينذر آباؤهم أصلا؛ فإن الله تعالى مابعث إلى قريش سوى النبى ﷺ.

والقول الثانى: أن «ما» هاهنا بمعنى الذى، فمعنى الآية على هذا لتنذر قوما بالذى أنذر آباؤهم.

وقوله: ﴿فهم غافلون﴾ أى: عن الإنذار، وحكى النقاش فى تفسيره عن النبى ﷺ «أن مضر كان قد أسلم»(١).

وحكى أبو عبيدة أن تميما كان يكنى أبا زيد، وكان له صنم يعبده، فأسلم ودفن صنمه، ثم إن ابنه زيدا استخرج الصنم من ذلك المكان، وعبده فسمى زيد مناة.

قوله تعالى: ﴿لقد حق القول﴾ أى: وجب القول على أكثرهم، ومعنى وجوب القول هو وجوب الحكم بالعذاب، وقوله: ﴿[على أكثرهم](٢) فهم لايؤمنون﴾ أى: لايصدقون.

قوله تعالى: ﴿إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا﴾ فإن قيل: الغل إنما يكون على اليد! والجواب عنه: أن العادة أن اليد تغل إلى العنق، فذكر الأعناق لهذا المعنى، واكتفى

---

(١) رواه ابن سعد فى الطبقات (١/٤٨) عن عبد الله بن خالد مرسلا: «لا تسبوا مضر؛ فإنه كان قد أسلم».

ورواه الديلمى فى الفردوس (٥/١٤ رقم ٧٣٠٣) عن ابن عباس مرفوعا: «لا تسبوا ربيعة ولا مضر؛ فإنهما كانا مسلمين». وانظر كنز العمال (رقم ٣٣٩٨٧، ٣٤١١٩).

(٢) من «ك».

الأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ

بذكرها عن ذكر الأيدى، قال الأزهرى: معنى الآية: إنا جعلنا فى أعناقهم وأيديهم أغلالا، فهى كناية عن الأيدى.

فإن قيل: فكيف يكنى عن الأيدى ولم يجر لها ذكر؟ والجواب عنه: أن العرب تكنى عن الشيء وإن لم تجر له ذكرا، إذا كان معلوما .

قال الشاعر:

ولاأدرى إذا يَمَّمْتُ أرضا أريد الخير أيهما يلينى
أألخير الذى أنا أبتغيه أم الشر الذى هو يبتغينى

فقد كنى بقوله: أيهما عن الشر والخير، والشر غير مذكور .

وقوله: ﴿إلى الأذقان﴾ معناه: إلى الأعناق إلا أنه ذكر الأذقان لقرب الأعناق من الأذقان، وقوله: ﴿فهم مقمحون﴾ المقمح: هو الذى رفع رأسه وغضّ طرفه، والعرب تسمى الكانونين شهرى القماح؛ لأن الإبل ترد الماء وتشرب، فترفع رأسها من شدة البرد، قال الشاعر:

ونحن على جوانبه قُعودٌ نَغض الطرفَ كالإبل القِمَاحِ

وقرأ ابن مسعود(١): «إنا جعلنا فى أيمانهم أغلالا»، وهى قراءة معروفة عنه .

قوله تعالى: ﴿وجعلنا من بين أيديهم سَدًّا﴾ وقرئ: «سُدًّا» برفع السين .

قال عكرمة: ماكان من صنع الله فهو سُدٌّ، وماكان من صنع المخلوقين فهو سَدٌّ، وقال غيره: السُدُّ مايرى، والسَدُّ مالايرى، ومنهم من لم يفرق بينهما، وقال هما بمعنى واحد.

قال أهل التفسير: ذكر السد هاهنا على طريق ضرب المثل، وكذلك ذكر الأغلال فى الآية الأولى على قول بعضهم، والمعنى من ذكر الأغلال منعهم عن الإنفاق فى

(١) نسب القرطبى فى تفسيره (١٥/٧) هذه القراءة لابن عباس رضى الله عنهما.

فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ

سبيل الله. والمعنى من السد هو المنع من الهداية. وذكر بعضهم: أن الآية نزلت على سبب، وهو أن قوما من بنى مخزوم تشاوروا فى قتل النبى ﷺ، فجاء أحدهم ليقتله وهو فى الصلاة؛ فجعل يسمع صوته ولايرى شخصه، وجاء آخر فرأى شيئا عظيما يقصده بالهلاك؛ فخاف ورجع، ويقال: إن الثانى كان أبو جهل عليه لعنة الله، فأنزل الله تعالى هذه الآية فى هذا، وهو قوله: ﴿وجعلنا من بين أيديهم سدا﴾.

وقوله: ﴿فأغشيناهم﴾ من التغشية والتغطية، وقرأ ابن عباس وعمر بن عبد العزيز «فأعشيناهم» بالعين غير المعجمة، من قوله تعالى: ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا [فهو له قرين][1]﴾[2] أى: تعمى، فمعنى قوله: [﴿أغشيناهم﴾][3] أى: أعميناهم.

وقوله: ﴿فهم لايبصرون﴾ أى: طريق الحق.

قوله تعالى: ﴿وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون﴾ هذا فى أقوام بأعيانهم، وقد مضوا ولم يؤمنوا على ماقال الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿إنما تنذر من اتبع الذكر﴾ أى: استمع الذكر، وهو القرآن، واتبع مافيه، وقوله: ﴿وخشى الرحمن بالغيب﴾ أى: خاف الرحمن بالغيب.

وقوله تعالى: ﴿فبشره بمغفرة وأجر كريم﴾ أى: الجنة.

قوله تعالى: ﴿إنا نحن نحيى الموتى﴾ أى: فى الآخرة، ويقال: يحيى القلوب الميتة بنور الإيمان، وقوله: ﴿ونكتب ماقدموا﴾ أى: ماعجلوا.

وقوله: ﴿وآثارهم﴾ أى: ونكتب آثارهم، وفى آثارهم قولان:

---

(١) من «ك».

(٢) الزخرف: ٣٦.

(٣) فى «الأصل»: أعشيناهم، والمثبت من «ك».

نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ

أحدهما : أن معناها ماسنوا من سنة حسنة أوسيئة .

والقول الثانى : أن قوله : ﴿ وآثارهم ﴾ أى : الخطا إلى المساجد ، وروى أبو سعيد الخدرى : « أن بنى سلمة كانت منازلهم فى ناحية من المسجد أى : بعيدة ؛ فأرادوا أن ينتقلوا إلى قرب المسجد ، وقال لهم النبى ﷺ : منازلكم ، منازلكم ، تكتب آثاركم ، فتركوا الانتقال » (١) .

وقد ورد فى الخبر عن النبى ﷺ أنه قال : « من سنَّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، لا ينقص من أجورهم شيء ، ومن سنَّ سُنَّة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة ، لاينقص من أوزارهم شيء » (٢) .

وقوله : ﴿ وكل شيء أحصيناه فى إمام مبين ﴾ أى : جمعناه فى كتاب مبين ، والإمام المبين هو اللوح المحفوظ .

قوله تعالى : ﴿ واضرب لهم مثلا ﴾ ضرب المثل هو تمثيل المثل ، ومعنى الآية : واذكر لهم مثل حالهم من قصة أصحاب القرية .

وأما القرية : فأكثر أهل التفسير أن القرية هى إنطاكية ، وقال بعضهم : هى بلد من بلاد الروم ، وقوله : ﴿ إذ جاءها المرسلون ﴾ فى القصة : أن عيسى – عليه السلام – بعث إليهم برجلين من الحواريين ، ثم بعث بثالث بعدهما ، فهو معنى قوله تعالى :

(١) رواه الترمذى (٥ / ٣٣٩ رقم ٣٢٢٦) وقال : حسن غريب ، وعبد الرزاق (١ / ٥١٧ رقم ١٩٨٢) ، وابن جرير (٢٢ / ١٠٠) ، والبزار وابن أبى حاتم – كما فى تفسير ابن كثير (٣ / ٥٦٥ – ٥٦٦) ، والحاكم (٢ / ٤٢٨ – ٤٢٩) وقال : صحيح عجيب ، والواحدى فى أسباب النزول (٢٧٤) .
وله شاهد من حديث جابر ، رواه مسلم (٥ / ٢٣٦ – ٢٣٧ رقم ٦٦٥) ، وأحمد (٣ / ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٧١ ، ٣٩٠) ، وابن حبان (٥ / ٣٩٠ – ٣٩١ رقم ٢٠٤٢) ، وأبو عوانة (١ / ٣٨٧) ، والبيهقى (٣ / ٦٤) .
(٢) رواه مسلم (٩ / ١٤٢ – ١٤٦ رقم ٢٠١٧) ، والترمذى (٥ / ٤٢ – ٤٣ رقم ٢٦٧٥) ، والنسائى (٥ / ٧٥ – ٧٧ رقم ٢٥٥٤) ، وابن ماجه (١ / ٧٤ رقم ٢٠٣) ، وأحمد (٤ / ٣٥٧ ، ٣٥٨ – ٣٥٩ ، ٣٥٩) ، والطيالسى (٩٢ – ٩٣ رقم ٦٧٠) ، وابن أبى شيبة (٣ / ١٠٩ – ١٠١) ، وابن حبان (٨ / ١٠١ – ١٠٢ رقم ٣٣٠٨) ، والبيهقى (٤ / ١٧٦) من حديث جرير مرفوعا به .

فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ

﴿إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث﴾ والثالث كان اسمه شمعون رأس الحواريين، وقوله: ﴿عززنا﴾ أي: شدَّدنا وقوينا، وقرأ عاصم وحده: «فَعَزَزْنَا» بالتخفيف، وهو في معنى الأول.

وفي التفسير: أن القوم كذبوا الرسولين الأولين وهموا بقتلهما، فجاء هذا الثالث وتلطف الدخول على الملك، وكانت قد توفيت ابنته ودُفنت، فقال للملك: اطلب من [هذين](١) الرجلين أن يحييا ابنتك، فإن أحيياها فهما [صادقان](٢) فطلب منهما الملك ذلك؛ فقاما وصليا [ودعيا](٣) الله تعالى، ودعا شمعون معهما في السر، فأحيا الله تعالى المرأة، وانشق القبر عنها وخرجت، وقالت للقوم: أسلموا، فإنهما صادقان، ولا أظنكم تسلمون، ثم طلبت من الرسولين أن يرادها إلى مكانها، فذريا ترابا على رأسها، وعادت إلى قبرها كما كانت، ولم يؤمن القوم.

قوله تعالى: ﴿قالوا ماأنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون﴾ فإن قيل: كيف يكون علم الله تعالى أنهم رسل الله حجة عليهم؟

الجواب عنه: أن معناه: ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون بما أظهر على أيدينا من الآيات والمعجزات؛ فصارت الحجة قائمة بالآيات والمعجزات، لابنفس العلم.

وقوله: ﴿وماعلينا إلا البلاغ المبين﴾ أي: الإبلاغ البين.

قوله تعالى: ﴿قالوا إنا تطيرنا بكم﴾ أي: تشاءمنا بكم، وفي التفسير: أنه كان

(١) في «الأصل، وك» : هذا

(٢) في «ك» : صادقين.

(٣) في «الأصل» : ودعوا.

وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَن

حُبِس عنهم المطر حين جاءهم هؤلاء الرسل .

واختلف القول فى أنهم كانوا رسل الله أو رسل عيسى، فأحد القولين: أنهم كانوا رسل عيسى - عليه السلام - كما بيَّنا، والقول الآخر: أنهم كانوا رسل الله .

قوله: ﴿لئن لم تنتهوا لنرجمنكم﴾ أى: [لنقتلنكم][(١)] بالحجارة، وقيل: نشتمنكم، والأول أولى .

وقوله: ﴿وليمسنكم منا عذاب أليم﴾ أى: مؤلم، والمؤلم هو الموجع.

قوله تعالى: ﴿قالوا طائركم معكم﴾ أى: شؤمكم معكم بكفركم وتكذيبكم الرسل. وقيل: طائركم معكم أى: أقدار كم وأعمالكم تابعة إياكم، تقول العرب: طار بمعنى صار قال الشاعر:

تطير غدائر الإشراك شفعا ... ووترا والزعامة للغلام

وقيل: طائركم معكم أى: ماطار لكم من عمل خير أو شر فهو معكم ولازم إياكم. وقوله: ﴿أئن ذكرتم﴾ معناه: أئِن ذكرتم بالله تطيرتم، وقرئ: «أَنْ ذكرتم» أى: لأن ذكرتم تطيرتم. وقوله: ﴿بل أنتم قوم مسرفون﴾ أى: مجاوزون الحد .

قوله تعالى: ﴿وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى﴾ ذهب أكثر المفسرين أنه كان رجل يسمى حبيب النجار، وقال السدى: كان قصَّاراً. وعن بعضهم: أنه كان إسكافًا قال قتادة: كان رجلا يعبد الله فى غار؛ فسمع بخبر الرسل فجاءهم، وقال: أتطلبون جعلا على رسالتكم؛ قالوا: لا؛ فأقبل على قومه، وقال لهم ما قال الله، وهو قوله: ﴿ياقوم اتبعوا المرسلين﴾ والمدينة: هى القرية التى ذكرناها، وهى الإنطاكية.

وقوله: ﴿اتبعوا من لايسألكم أجرًا وهم مهتدون﴾ ظاهر المعنى .

وعن بعضهم أنه قال: مسكن الأشراف الأطراف، واستدل بهذه الآية، وهو قوله:

(١) فى «الأصل»: لنقتلنهم.

لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾
أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلا يُنقِذُونِ
﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ
الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾

﴿ وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى ﴾ أى: من أبعد موضع بالمدينة .

قولة تعالى: ﴿ وما لى لا أعبد الذى فطرنى ﴾ معناه: ولم لا أعبد الذى فطرنى ﴿ وإليه تُرجعون ﴾ .

فإن قيل: كيف أضاف الفطرة إلى نفسه والرجوع إليهم؟

والجواب عنه: أنه أضاف الفطرة إلى نفسه؛ لأن النعمة كانت عليه أظهر، وأضاف الرجوع إليهم؛ لأن الزجر كان بهم أحق، وفى ذكر الرجوع معنى الزجر.

قوله تعالى: ﴿ أأتخذ من دونه آلهة ﴾ استفهام بمعنى الإنكار أى: لاأتخذ، وقوله: ﴿ إن يردن الرحمن بضر ﴾ أى: بسوء ومكروه، وقوله: ﴿ لاتغن عنى شفاعتهم شيئا ﴾ أى: لاتغنى عنى الأصنام شيئا؛ لأنه لاشفاعة لهن، وقد كانوا يزعمون - الكفار - أنها تشفع لهم يوم القيامة .

وقوله: ﴿ ولاينقذون ﴾ أى: لا ينقذوننى من العذاب لوعذبنى الله .

قوله: ﴿ إنى إذاً لفى ضلال مبين ﴾ أى: فى خطأ ظاهر لو فعلت هذا .

قوله تعالى: ﴿ إنى آمنت بربكم فاسمعون ﴾ قال أبو عبيدة: مجازه فاسمعوا منى، قوله: ﴿ قيل ادخل الجنة ﴾ فى التفسير: أنه لما قال هذا القول وثب القوم عليه وثبة واحدة فوطئوه بأرجلهم حتى قتلوه، وحكى هذا عن ابن مسعود، ويقال: وطئوه حتى خرج قُصْبُه من دبره؛ فأدخله الله الجنة، فهو ثَمَّ حى يرزق، وهو معنى قوله: ﴿ قيل ادخل الجنة ﴾ .

وقوله: ﴿ ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى ﴾ أى: بمغفرة ربى لى، قال قتادة:

وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ

نصحهم حيًّا وميتًا، وقوله: ﴿وجعلنى من المكرمين﴾ أى: ممن دخل الجنة، ومن أدخل الجنة فقد أُكرم، ومن أُدخل النار فقد أهين .

قوله تعالى: ﴿وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء﴾ أى: من ملائكة، وقوله: ﴿وماكنا منزلين﴾ أى: وماكنا لنفعل هذا، بل الأمر فى هلاكهم كان أيسر مماتظنون .

قوله تعالى: ﴿إن كانت إلاصيحة واحدة﴾ أى: ما كانت إلاصيحة واحدة. وفى القصة: أن جبريل - عليه السلام - جاء ووقف على باب المدينة وصاح بهم صيحة فخروا ميتين كأن لم يكونوا، وصاروا كرماد خامدين هامدين .

وفى الأخبار: أن عروة بن مسعود الثقفى لما أسلم استأذن من رسول الله ﷺ أن يذهب إلى قومه - وهم ثقيف - ويدعوهم إلى الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «إنى أخشى أن يقتلوك، فقال: لو كنت نائما مايقظونى، ثم إنه ذهب إليهم ودعاهم إلى الإسلام، فرماه رجل بسهم فأصاب أكحله ومات، فبلغ النبى ﷺ فقال: هو فى هذه الأمة مثل صاحب يس، وهو حبيب النجار »(١).

قوله تعالى: ﴿ياحسرة على العباد﴾ فإن قيل: كيف يستقيم نداء الحسرة، والحسرة لاتعقل شيئا؟ وأيضا كيف يتحسر الله تعالى على العباد الذين أهلكهم،

---

(١) عزاه الزيلعى فى تخريج الكشاف (٣/ ١٦٣ - ١٦٤)، والسيوطى فى الدر (٥/ ٢٨٥) لابن مردويه عن المغيرة بن شعبة.

ورواه الطبرانى (١١/ ٤٠٧ - ٤٠٨ رقم ١٢١٥٦) عن ابن عباس مختصراً. قال الهيثمى فى المجمع (٩/ ٣٨٩): رواه الطبرانى، وفيه أبو عبيدة بن الفضل، وهو ضعيف.

ورواه الطبرانى (١٧/ ١٤٧ - ١٤٨ رقم ٣٧٤)، والحاكم فى المستدرك (٣/ ٦١٥ - ٦١٦)، والبيهقى فى الدلائل (٥/ ٢٩٩ - ٣٠٠) عن عروة مرسلا به. ورواه الطبرانى (١٧/ ١٤٨ رقم ٣٧٥) عن الزهرى مرسلا أيضا، وحسن إسنادهما الهيثمى فى المجمع.

كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَآيَةٌ لَّهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا

ولايجوز عليه هذه الصفة؟ والجواب عنه: أن معنى قول القائل ياحسرة مثل قوله: ياعجبا، وكذلك قوله: ياحسرتاه، مثل قوله: ياعجباه، والعرب تقول هذا على طريق المبالغة، والنداء عندهم بمعنى التنبيه، فيستقيم فيمن يعقل وفيمن لايعقل، وقوله: ياعجباه أبلغ من قولهم: أنا أتعجب من كذا، فكأنه قال: أيها العجب هذا وقتك، وأيها الحسرة هذا زمانك، وحقيقة المعنى: أن هذا الزمان زمان الحسرة والتعجب.

وأما قوله: إن الحسرة على الله لا تجوز، قلنا: نعم، ومعنى الآية: يا حسرة على العباد من أنفسهم؛ وكأنهم يتحسرون على أنفسهم غاية الحسرة، والحسرة هى التلهف على أمر فائت بأبلغ وجوهه حتى يبقى الرجل حسيرا منقطعا من شدته، وقرئ فى الشاذ: «ياحسرة العباد» وجواب آخر: أنه تعالى قال: ﴿ياحسرة على العباد﴾ لأنهم صاروا بمنزلة يتحسر عليهم، ويقال معناه: ياحسرة الرسل والملائكة على العباد، والجواب الأول أحسن الأجوبة.

وقوله: ﴿مايأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزءون﴾ أى: استهزاء التكذيب.

قوله تعالى: ﴿ألم يروا كم أهلكنا﴾ قرأ ابن مسعود «ألم يروا من أهلكنا»، والمعروف كم أهلكنا، وهو للتكثير.

وقوله: ﴿قبلهم من القرون﴾ اختلفوا فى مدة القرن، وقد بينا من قبل، وقد روى عن النبى ﷺ: أنه قال لعبد الله بن بسر المازنى: «إنك تعيش قرنا؛ فعاش مائة سنة»(١)، وقوله: ﴿أنهم إليهم لايرجعون﴾ أى: لايرجعون إلى الدنيا.

قوله تعالى: ﴿وإن كل لما﴾ «إن» ها هنا بمعنى: ما، و«لما» بمعنى: إلا، فمعنى الآية: وما كل إلا جميع لدينا محضرون، وفى مصحف أبى بن كعب على هذا الوجه.

---

(١) تقدم تخريجه.

وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَانَ

قوله تعالى: ﴿وآية لهم الأرض المَيْتَة﴾ وقرئ: «الميِّتة» بالتشديد.

وقوله: ﴿أحييناها﴾ أى: بالمطر.

وقوله: ﴿وأخرجنا منها حبا﴾ أى: الحنطة والشعير وما أشبه هذا، وقوله: ﴿فمنه يأكلون﴾ أى: من الحب يأكلون.

وقوله تعالى: ﴿وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب﴾ أى: فى الأرض جنات من نخيل وأعناب.

وقوله: ﴿وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره﴾ أى: وفجرنا فيها المياه من العيون؛ ليأكلوا من الثمر الحاصل بالماء.

وقوله: ﴿وما عملته أيديهم﴾ أى: وليأكلوا مما عملته أيديهم مما يحرثون ويزرعون ويغرسون، وقرئ: «وما عملت أيديهم» بمعنى الأول.

والقول الثانى فى الآية: أن «ما» للنفى ها هنا، ومعناه: أنا رزقناهم مما لم تعمله أيديهم.

وقوله: ﴿أفلا يشكرون﴾ يعنى: هذه النعم.

قوله تعالى: ﴿سبحان الذى خلق الأزواج كلها﴾ أى: الأصناف كلها.

وقوله: ﴿سبحان الذى﴾ أى: سبحوا الله الذى خلق الأزواج كلها. وقوله: ﴿مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لايعلمون﴾ أى: من النبات، والحيوان الذى لايعلمونه.

وذكر بعض أهل التفسير: أن ما لا يعلمون هاهنا هو الروح، والله تعالى خلق الروح فى النفس ولا يعلمه أحد، وذكر بعضهم أن قوله: ﴿وما عملته أيديهم﴾ راجع إلى العيون، ومن العيون والأنهار ما لم تعملها أيدى الخلق مثل: دجلة،

الَّذي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ

والفرات، والنيل، وسيحان، وجيحان.

قوله تعالى: ﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار﴾ أى: نكشط ونزيل، ومعناه: نذهب بالنهار ،نجىء بالليل، فكأنه استخرج منه، وقوله: ﴿فإذا هم مظلمون﴾ أى: داخلون فى الظلمة.

قوله تعالى: ﴿والشمس تجرى لمستقر لها﴾ قرأ ابن عباس - رضى الله عنهما - «والشمس تجرى لا مُسْتَقَرَّ لها» أى: تسير وتجرى أبدا من غير قرار ولا وقوف. وأما القراءة المعروفة «لمستقر لها» وفيه قولان: أحدهما: أن مستقرها هو نهاية دورانها إذا قامت الساعة.

والقول الثانى: أن مستقرها نهاية ارتفاعها فى السماء فى الصيف، ونهاية هبوطها فى الشتاء، وقد ثبت عن النبى ﷺ برواية الأعمش، عن إبراهيم التيمى، عن أبيه، عن أبى ذر أنه قال: «كنت عند النبى ﷺ حتى غابت الشمس، فقال: يا أبا ذر، أتدرى أين تذهب؟ قلت: الله ورسوله أعلم، فقال: إنها تذهب وتستأذن فى السجود». وفى رواية: «تذهب إلى تحت العرش وتستأذن فى السجود؛ فيؤذن لها فى السجود، ويقال لها: اطلعى من حيث كنت تطلعين، وكأنها قد قيل لها يوما يا أبا ذر: اطلعى من حيث جئت؛ فتطلع من مغربها، ثم قرأ النبى ﷺ قوله تعالى: «وذلك مستقر لها»(١). قال: وفى هذا الخبر أنه كذلك فى قراءة عبد الله بن مسعود.

قال الشيخ الإمام: أخبرنا بهذا الخبر عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد، أخبرنا أبو العباس الطحان، أخبرنا أبو العباس بن محبوب، أخبرنا أبو عيسى الترمذى، أخبرنا

(١) رواه الترمذى بتمامه (٥/٣٦٤ رقم ٣٢٢٧)، والحديث متفق عليه عن أبى ذر بنحوه، رواه البخارى (٦/٣٤٢ - ٣٤٣ رقم ٣١٩٩، وأطرافه: ٤٨٠٢، ٤٨٠٣، ٧٤٢٤، ٧٤٣٣)، ومسلم (٢/٢٥٦ - ٢٥٨ رقم ١٥٩).

تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لا

[هناد بن السرى، أخبرنا](١) أبو معاوية الضرير، عن الأعمش.. الخبر.

وقوله: ﴿ذلك تقدير العزيز العليم﴾ ظاهر المعنى، وذكر البخارى فى الصحيح برواية أبى ذر أيضا: «أنه سأل النبى ﷺ عن قوله تعالى: ﴿والشمس تجرى لمستقر لها﴾ قال: مستقرها تحت العرش»(٢).

وذكر الأزهرى فى قوله: ﴿تجرى لمستقر لها﴾ أى: تجرى للأجل الذى أجل لها، والتقدير الذى قُدِر لها.

قوله تعالى: ﴿والقمر قدرناه منازل﴾ قرئ بالرفع، وقرئ بالنصب، فأما بالنصب: وقدرنا القمر منازل، وأما بالرفع فمعناه: وآية لهم القمر قدرناه منازل.

وروى أن سعيد بن المسيب سمع رجلا ينشد:

وغاب قمير كنت أرجو أفوله ... وروَّح رُعْيانٌ ونوَّم سُمَّـر

فقال: قاتله الله، لقد صغَّر ما عظَّمه الله، قال الله تعالى: ﴿والقمر قدرناه منازل﴾.

وقوله: ﴿حتى عاد كالعرجون القديم﴾ قال جعفر بن محمد: كعِذْق النخلة القديمة، والأكثرون أن العرجون هو عود الكباسة إذا دُقَّ وَيبِس وتقوَّس.

وقوله: ﴿القديم﴾ هو البال، ويقال القديم هو الذى مضى عليه حول.

وأما منازل القمر فهى ثمانية وعشرون منزلا: السرطان، والبَطْين، والثُريَّا، والدَّبَران، والهَقْعَة، والهنعة، والذِّراع، والنَّثْرة، والطَّرْف، والجَبْهة، والزبرة، والصَّرْفة،

(١) فى «الأصل وك»: ابن سرى أخبرنا هناد أبو معاوية، وهو خطأ. والصواب ما أثبتناه كما عند الترمذى فى جامعه (٤/٢١٨٦)، (٥/٣٢٢٧).

(٢) تقدم فى الذى قبله.

الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

والعَوَّاء، والسِّمَاك، والغَفْر، والزُّبَانَا، والإِكْليل، والقَلْب، والشَّوْلة، والنَّعَائم، والبَلَدَة، وسَعْد الذَّابح، وسَعدْ بُلَع وسَعْد السعُّود، وسَعْد الأَخْبِية، وفَرْغُ الدلو المقَدَّم وفَرْعُ الدلو المؤخَّر، وبطن الحوت.

فهذه ثمانية وعشرون منزلا للقمر ينزل كل ليلة منزلا منها، ويكون أربعة عشر منها أبدا ظاهرة، وأربعة عشر منها غائبة، كلما طلع منزل غاب منزل، ويقال: الذى يغرب رقيب الذى يطلع، واثنا عشر منها تكون فى سواد الليل من وقت غروب الشمس إلى وقت طلوع الصبح، واثنان منها من عند طلوع الصبح إلى طلوع الشمس.

قوله تعالى: ﴿لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر﴾ أى: لايدخل الليل على النهار قبل انقضائه ، ولايدخل النهار على الليل قبل انقضائه.

قوله: ﴿ولا الليل سابق النهار﴾ أى: يتعاقبان بحساب معلوم إلى أن تنقضى الدنيا، ويقول: لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر، يعنى: لا تطلع الشمس بالليل، ولا يطلع القمر بالنهار، ويكون له ضوء، فلا يدخل واحد منهما فى سلطان الآخر.

وقيل: لايذهب واحد منهما بمعنى الآخر، وذكر يحيى بن سلام أن قوله تعالى: ﴿لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر﴾ هذا ليلة البدر خاصة؛ فإن الشمس لا تطلع إلا وقد غاب القمر، فلا يجتمعان فى رؤية العين، ويقال: لاتدركه أى: لايجتمع معه فى فلك واحد؛ فإنهم قالوا: إن الشمس فى السماء الرابعة، والقمر فى السماء الدنيا.

وقوله: ﴿ولا الليل سابق النهار﴾ أى: لايتصل ليل بليل لايكون بينهما نهار فاصل.

وقوله: ﴿وكل فى فلك يسبحون﴾ أى: يجرون ويدورون.

وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ لَهُمْ وَلا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلاَّ رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا

قوله تعالى: ﴿وآية لهم أنا حملنا ذريتهم﴾ أى: آباءهم، هكذا قاله ثعلب وغيره، واسم الذرية كما يقع على الأبناء يقع على الآباء.

وقوله: ﴿فى الفلك المشحون﴾ أى: الموفر، وقيل: الممتلئ، وعن على بن أبى طالب - رضى الله عنه - أنه قال: المراد بالآية أنا حملناهم فى بطون الأمهات، وشبه بطون الأمهات بالسفن المشحونة.

قوله تعالى: ﴿وخلقنا لهم من مثله ما يركبون﴾ فيه قولان: أحدهما: أن المراد به الزواريق الصغار والسفن التى تجرى فى الأنهار، فهى فى الأنهار كالسفن الكبار فى البحر، وهذا القول قول قتادة والضحاك وغيرهما.

والقول الثانى: وهو ما رواه أبو صالح عن ابن عباس أن معنى قوله: ﴿وخلقنا لهم من مثله ما يركبون﴾ أى: الإبل، فالإبل فى البوادى كالسفن فى البحار.

قوله تعالى: ﴿وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم﴾ أى: لامُغيث لهم ﴿ولا هم ينقذون﴾ أى: ولا هم ينجون، وقوله: ﴿إلا رحمة منا﴾ معناه: أن إنقاذهم برحمتنا.

وقوله: ﴿ومتاعا إلى حين﴾ وليمتعوا إلى مدة معلومة.

قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم﴾ أى: اتقوا ما بين أيديكم أى: القيامة فاحذروها ﴿وما خلفكم﴾ أى: الدنيا فلا تغتروا بها.

والقول الثانى: أن معنى قوله: ﴿اتقوا ما بين أيديكم﴾ أى: اتقوا مثل عذاب الأمم الذين كانوا بين أيديكم؛ لئلا يصيبكم مثل ما أصابهم.

وقوله: ﴿وما خلفكم﴾ أى: اتقوا عذاب النار، وقوله: ﴿لعلكم ترحمون﴾ أى: كونوا على رجاء الرحمة.

تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلاَّ

قوله تعالى: ﴿وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين﴾ أى: معرضين بالجحد والتكذيب.

وقوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله﴾ أى: مما أعطاكم الله.

وقوله: ﴿قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه﴾

قال ابن عباس: كان بمكة زنادقة، فكان إذا قيل لهم: أنفقوا على الفقراء مما (أعطاكم)[١] الله؛ قالوا هذا القول على سبيل الاستهزاء، وعن البصرى قال: هذا قول اليهود، وكانوا يقولون: كيف نعطيهم وقد أفقرهم الله تعالى، ولو شاء أن يعطيهم أعطاهم؟ وذكر القتيبى فى كتاب «المعارف»: أن أبا الأسود الدؤلى كان من البخلاء، وكان يقول لا تجادوا الله، فإن الله أجود وأمجد، ولو شاء أن يغنى جميع خلقه أغناهم، فهذا حجة البخلاء فى البخل، وهى حجة باطلة؛ لأن الله تعالى منع الدنيا من الفقراء لا بخلا ولكن ابتلاء، وأمر الأغنياء بالإنفاق لابحكم الحاجة إلى أموالهم لكن ابتلاء شكرهم.

وقوله: ﴿إن أنتم إلا فى ضلال مبين﴾ أى: فى خطأ بين.

قوله تعالى: ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ أى: وعد القيامة.

قوله تعالى ﴿ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون﴾ أى: يختصمون، وهكذا فى قراءة أبى بن كعب، ويقال: هم يخصمون أى: يتقاولون فى حاجاتهم، وفى الخبر عن النبى ﷺ: «إن الساعة تقوم والرجل يسقى ماشيته، وتقوم والرجل يَلُطُّ حوضه، وتقوم والرجل يعرض سلعته على البيع، وتقوم والرجل قد رفع لقمته ليضعها فى فيه، فتقوم قبل أن يضعها فى فيه»[٢].

---

(١) فى «ك»: رزقكم.

(٢) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (١١/ ٣٦٠ رقم ٦٥٠٦، وطرفه: ٧١٢١)، ومسلم (١٨/ ١٢١ - ١٢٢ رقم ٢٩٥٤).

صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلاَّ

قوله تعالى: ﴿فلا يستطيعون توصية﴾ أى: إيصاء وقوله: ﴿ولا إلى أهلهم يرجعون﴾ أى: ينقلبون، والمعنى: أن الساعة لاتمهلهم بشيء.

قوله تعالى: ﴿ونفخ فى الصور﴾ الأول: هى النفخة الأولى، والثانى: هى النفخة الأخرى، وبينهما أربعون سنة.

وقوله: ﴿فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون﴾ أى: من القبور.

وقوله: ﴿إلى ربهم ينسلون﴾ أى: يسرعون، قال الشاعر:

(عَسَلانَ)(١) الذئبِ أمسى قَارِبًا بَرَدَ الليلُ عليه فَنَسَلْ

وقال امرؤ القيس:

فَسُلِّى ثيابى من ثيابكِ تَنْسُلِ

والنسلان فوق المشى ودون العدو.

وقوله تعالى: ﴿قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا﴾ قال ابن عباس: يرفع عنهم العذاب ما بين النفختين. وعن أبى بن كعب قال: ينامون نومة قبل البعث. وعن مجاهد قال: يرفع عنهم العذاب فيهجعون ويرقدون.

وعن بعضهم: أن هذا القول من المؤمنين. وأظهر القولين هو القول الأول، وأنه قول الكافرين، وقرأ ابن مسعود: «من أهبنا من مرقدنا».

وقوله: ﴿هذا ما وعد الرحمن﴾ هو قول المؤمنين إجابة للكفار، وعلى القول الآخر قول المؤمنين، ويجيبون به أنفسهم وقوله: ﴿وصدق المرسلون﴾ ظاهر.

وقوله: ﴿إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون﴾ أى:

---

(١) فى «ك»: نسلان. والنَّسَلان والعسَلان بمعنى واحد، وهو الإسراع فى السير.

صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلالٍ عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ

حاضرون.

قوله تعالى: ﴿فاليوم لاتظلم نفس شيئا ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل﴾ وقرئ: «فى شُغْل» بالجزم، قال ابن عباس: فى افتضاض الأبكار، وعنه أيضا أنه قال: فى ضرب الأوتار، والأول هو المعروف بين المفسرين.

والقول الثالث: فى شغل عن عذاب أهل النار.

وقوله ﴿فاكهون﴾ وقرئ: «فَكِهُونَ» فمنهم من قال: هما بمعنى واحد مثل الحَذِر والحَاذِر، ومنهم من فرق بينهما، قال: الفكه هو طيب النفس معجب بحاله، والفاكه هو ذو الفاكهة. والمزاح يُسمى فكاهة، قال الحطيئة:

ودعوتنى وزعمت أنـــ ـــك لابن بالضيف تامر

أى: ذو تمر، وذو لبن، وقال آخر:

فكـه إلى جنـب الخـوان إذا غدت نكبا تقلـع ثابـت الأطنـاب

قوله تعالى: ﴿هم وأزواجهم فى ظلال﴾ الظلال: جمع الظل، وقوله: ﴿على الأرائك﴾ فى التفسير: سرر من الذهب مكللة بالدر والزبرجد والياقوت، عليها حجال.

قال ثعلب: لا تكون الأرائك أريكة حتى تكون تحت حجلة.

وقوله: ﴿متكئون﴾ أى: أنهم ذوو اتكاة، وذكر الاتكاء فى الجنة؛ لأنهم لاينامون.

قوله تعالى: ﴿لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون﴾ أى: ما يتمنون، تقول العرب: ادع على ما شئت أى تمنَّ علىَّ ما شئت، قال الأعشى:

﴿٥٧﴾ سَلامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا

ركـا شهـى نشـأة الـذى سار ملكه له ما ادعى[١]

راح عتيق مادعى

قوله تعالى: ﴿سلام قولا من رب رحيم﴾ أكثر المفسرين أن معناه: يسلم الله عليهم سلاما. وقوله: ﴿قولا﴾ أى: يقول قولا.

وفى رواية جابر عن النبى ﷺ قال: «بينما أهل الجنة فى نعيمهم إذ سطع لهم نور وأشرف عليهم ربهم - جل وعلا - فيسلم عليهم»[٢] الخبر إلى آخره، ويقال: تسلم عليهم الملائكة من ربهم، وقيل: يعطيهم الله السلامة، ويقول: اسلموا السلامة الأبدية، وقوله: ﴿من ربٍّ رحيم﴾ أى: عطوف.

قوله تعالى: ﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾ أى: امتازوا من المؤمنين. وفى التفسير: اليهود قوم، والنصارى قوم، والمجوس قوم، والصابئون قوم، والمشركون قوم، والمؤمنون قوم، والمعنى أن الله تعالى يميز بين أهل الصلاح وأهل الفساد، وبين المشركين وبين المؤمنين ،وبين المنافقين وبين المخلصين.

قوله تعالى: ﴿ألم أعهد إليكم﴾ أى: ألم آمركم ﴿يا بنى آدم ألا تعبدوا الشيطان﴾ أى: لاتطيعوا الشيطان، وعبادة الشيطان طاعته، وقوله: ﴿إنه لكم عدو مبين﴾ أى: عدوّ بين العدواة.

وقوله: ﴿وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم﴾ أى: طريق مستقيم على الحق.

---

(١) كذا!

(٢) رواه ابن ماجه (١/ ٦٥ - ٦٦ رقم ١٨٤)، وابن عدى فى الكامل (٦/ ١٣ - ١٤)، وابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (٤٤ - ٤٥ رقم ٩٧)، وابن أبى حاتم - (٣/ ٥٧٥ تفسير ابن كثير) - وأبو نعيم فى الحلية (٦/ ٢٠٨ - ٢٠٩)، وفى صفة الجنة (٣٥ - ٣٦ رقم ٩١)، وابن الجوزى فى الموضوعات (٣/ ٢٦٠ - ٢٦٢) وقال: موضوع، وقال الحافظ ابن كثير: فى إسناده نظر. وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ١٠١): رواه البزار، وفيه الفضل بن عيسى، وهو ضعيف.

صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ

قوله تعالى: ﴿ولقد أضل منكم جبلا﴾ وقرئ: «جُبْلا كثيرا»، وقرئ: «جُبُلاً» برفع الجيم و الباء، ومعناه: خلقًا كثيرًا، قال الضحاك: عشرة آلاف فما زاد، وعن بعضهم: خلقا كثيرا لايحصى عددهم إلا الله، وقوله: ﴿أفلم تكونوا تعقلون﴾ يعني: أفلم تعقلوا آياتي، وتنظروا فيها نظر من يعقل، قوله تعالى: ﴿هذه جهنم التي كنتم توعدون﴾ أي: توعدون دخولها بكفركم.

قوله تعالى: ﴿اصلوها اليوم﴾ أي: ادخلوها وقاسوا حرها [﴿بما كنتم تكفرون﴾](١)، قوله تعالى: ﴿اليوم نختم على أفواههم﴾ قال أهل التفسير: هذا حين ينكر الكفار كفرهم وتكذيبهم رسل الله، فيختم الله على أفواههم، ويأذن للجوارح في الشهادة بما عملت، وفي المشهور من الأخبار أن النبي ﷺ قال: «يقول العبد يوم القيامة: يارب، لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني، فيختم الله على فمه، ويقول لجوارحه: انطقي، فتتكلم الجوارح بما عملت، ثم يخلي بينه وبين لسانه، فيقول لجوارحه: بعداً لكنَّ وسحقًا، فعنكنَّ أناضل»(٢).

وفي الخبر أيضا أن النبي ﷺ قال: «يجاء بالناس يوم القيامة مُفدَّمة أفواههم بالفِدَام، وتشهد جوارحهم بما عملت، فأول ما يشهد فَخْذُ الإنسان وكفه»(٣).

(١) من «ك».

(٢) رواه مسلم (١٨/١٣٨ - ١٣٩ رقم ٢٩٦٩)، والنسائي في الكبرى (٦/٥٠٨ رقم ١١٦٥٣) وقال: غريب، وابن أبي الدنيا في التوبة (رقم ١٨)، وأبو يعلى (٧/٥٧ - ٥٨ رقم ٣٩٧٧)، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٣٥٨ - ٣٥٩ رقم ٧٣٥٨)، والحاكم (٤/٦٠١) وصححه على شرط مسلم. جميعهم من حديث أنس به.

(٣) رواه النسائي في الكبرى (٦/٤٣٩ رقم ١١٤٣١)، وأحمد في مسنده (٤/٤٤٦ - ٤٤٧)، وعبد الرزاق (١١/١٣٠ - ١٣١ رقم ٢٠١١٥)، وأسد بن موسى في الزهد (رقم ٩٠)، والمروزي في زوائد الزهد (رقم ٩٨٧)، والطبراني في الكبير (١٩/رقم ١٠٣٧)، وابن حبان في الثقات (٨/٣٨٧)، وابن أبي داود في البعث (رقم ٢٥)، والبيهقي في السنن (٧/٢٩٥)،وابن عبد البر في الاستيعاب (١/٣٢٣) وصححه.

أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ

وقوله: ﴿وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾ قد بينا.

وقد أنكر بعضهم كلام الجوارح، وقال: معنى الكلام وجود دلالة تدل على أنها قد عملت ما عملت، والصحيح أنها تتكلم حقيقة، وغير مستبعد كلام الجوارح فى قدرة الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿ولو نشاء لطمسنا على أعينهم﴾ أى: أعميناهم، ويقال: أضللناهم عن الهدى. قال المبرد وثعلب: المطموس والطَّمِيس هو الذى ليس فى عينيه شق.

قوله تعالى: ﴿فاستبقوا الصراط﴾ أى: فتبادروا الطريق، وقوله: ﴿فأنى يبصرون﴾ معناه: من أين يبصرون؟ وقيل: فكيف يبصرون؟.

قوله تعالى: ﴿ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم﴾ أى: جعلناهم قردة وخنازير فى منازلهم، وقيل: أقعدناهم من أرجلهم، وقوله: ﴿فما استطاعوا مضيا﴾ أى: ذاهبا، وقوله: ﴿ولا يرجعون﴾ أى: لا يرجعون إلى أهاليهم.

قوله تعالى: ﴿ومن نعمره ننكسه فى الخلق﴾ وقرئ: «نَنْكُسْه فى الخلق» أى: ومن نطل عمره ننكسه فى الخلق أى: نرده إلى أرذل العمر، ويقال: التنكيس فى الخلق هو ضعف الجوارح بعد قوتها، وقوله: ﴿أفلا يعقلون﴾ معناه: أفلا يعقلون آياتى؟.

قوله تعالى: ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغى له﴾ قالوا: كان المشركون يزعمون أن محمدا ﷺ شاعر، وأن القرآن شعر؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغى له﴾ أى: لا يسهل ولا يتزن له شعر(١)، وفى الخبر: «أن النبى ﷺ أنشد

(١) أى: لا يسهل عليه قرض الشعر ولا وزنه.

﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِيُنذِرَ مَن كَانَ
حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا

يوما :

كفى الإسلام والشيب للمرء ناهيا

فقال أبو بكر: بأبى أنت وأمى يا رسول الله هو:

كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

فقال النبى ﷺ : «كلاهما واحد» فقال أبو بكر: أشهد أنك لا تقول الشعر، ولا ينبغى لك»(١).

وعن عائشة - رضى الله عنها - أن النبى ﷺ أنشد شعر طرفة:

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا   ويأتيك بالأخبار من [لم](٢) تزود

فقال النبى ﷺ: «ويأتيك من لم تزود بالأخبار»(٣).

وقوله: ﴿إن هو إلا ذكر وقرآن مبين﴾ أى: تذكرة وقرآن بين.

قوله تعالى: ﴿لينذر من كان حيا﴾ أى: عاقلا، وقيل: مؤمنا، وقال قتادة: حى القلب، وقوله: ﴿ويحق القول على الكافرين﴾ أى: تجب حجة العذاب على الكافرين.

قوله تعالى: ﴿أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا﴾ أى: مما تولينا خلقه وإبداعه، والأولى فى الأيدى أن يؤمن بها ولا تفُسَّر.

وقوله: ﴿أنعاما فهم لها مالكون﴾ أى: ضابطون، وأنشد سيبويه:

---

(١) رواه ابن أبى حاتم، كما فى تفسير ابن كثير (٣/٥٧٨) عن على بن زيد عن الحسن مرسلا، وعزاه السيوطى فى الدر (٥/٢٩٢) لابن سعد، وابن أبى حاتم، والمرزبانى فى معجم الشعراء. وقال الحافظ فى التلخيص (٣/٢٧٢): هو مع إرساله فيه ضعف، وهو راوية عن الحسن: على بن زيد بن جدعان.

(٢) من «ك».

(٣) رواه ابن جرير (٢٣/١٩)، وابن أبى حاتم كما فى تفسير ابن كثير (٣/٥٧٩) كلاهما عن قتادة عن عائشة بنحوه، وعزاه السيوطى فى الدر (٥/٢٩١) لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر أيضا.

فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا

(لست من أجمل الأنام السلام ولا أملك رأس البعير إذ نفرا)(١)

أى: أضبط.

قوله تعالى: ﴿وذللناها لهم﴾ أى: جعلناها ذليلة لهم، وقوله: ﴿فمنها ركوبهم﴾ الركوب: ما يركب، وقوله: ﴿ومنها يأكلون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون﴾ أى: فى الأنعام منافع من الأصواف والأوبار والأشعار، وقوله: ﴿ومشارب﴾ أى: من الألبان، وقوله: ﴿أفلا يشكرون﴾ يعنى: هذه النعم.

قوله تعالى: ﴿واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون﴾ أى: تدفع عنهم العذاب، قوله تعالى: ﴿لا يستطيعون نصرهم﴾ أى: لا تستطيع الأصنام دفع العذاب عنهم.

وقوله: ﴿وهم لهم جند محضرون﴾ فيه قولان: أحدهما: وهم لهم جند أى: الكفار للأصنام جند وأتباع.

القول الثانى: أن هذا فى القيامة، وهو أنه يدعا بكل معبود عبد من دون الله، فيُجاء به ومعه أتباعه، والذين عبدوه كأنهم جنده، وقوله: ﴿فهم محضرون﴾ أى: يحضرون النار، ومعناه: يدخلونها.

قوله: ﴿فلا يحزنك قولهم﴾ أى: قولهم فيك إنه ساحر أو كاذب أو شاعر.

وقوله: ﴿إنا نعلم﴾ هذا ابتداء كلام، وقوله: ﴿ما يسرون﴾ يعنى: من

---

(١) كذا، وفى تفسير القرطبى (١٩/١٥٣):

أصبحت لا أحمل السلاح ولا أملك رأس البعير إن نفرا

يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَ لَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا

التكذيب، وقوله: ﴿ وما يعلنون ﴾ أى: من عبادة الأصنام.

قوله تعالى: ﴿ أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ﴾ نزلت الآية فى شأن أبى بن خلف، فإنه روى أنه أخذ عظما باليا ففتته بين أصابعه، وقال: يا محمد، أتزعم أن هذا يُحيى ويبعث.

وفى بعض التفاسير: أن القائل هذا كان هو العاص بن وائل السهمى، والأول أشهر؛ فقال رسول الله ﷺ: «نعم، وإن الله تعالى يميتك ثم يبعثك ثم يدخلك نار جهنم»(١).

وقوله: ﴿ فإذا هو خصيم مبين ﴾ أى: مخاصم بيِّن الخصومة. وأما وجه الحجة عليهم فى خلق الإنسان من نطفة، هو أن إعادة الخلق أهون فيما يعقله الناس من إنشاء الخلق.

قوله تعالى: ﴿ وضرب لنا مثلا ونسى خلقه ﴾ ضربه المثل ما بينا من قوله. وقوله: ﴿ ونسى خلقه ﴾ أى: وترك النظر فى إنشاء خلقه.

وقوله: ﴿ قال من يحيى العظام وهى رميم ﴾ الرمة: من العظام هى التى بليت.

قوله تعالى: ﴿ قل يحييها الذى أنشأها أوَّل مرة وهو بكل خلق عليم ﴾ أى: عالم.

---

(١) رواه ابن أبى حاتم كما فى تفسير ابن كثير ٣ / ٥٨١)، والحاكم (٢ / ٤٢٩)، وصححه على شرطهما، والإسماعيلى فى معجمه (٣ / رقم ٣٥٩) عن ابن عباس به، وزاد السيوطى فى الدر (٥ / ٢٩٢): ابن جرير وابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقى فى البعث، والضياء فى المختارة.

ورواه ابن جرير (٢٣ / ٢١) عن سعيد بن جبير مرسلا نحوه.

ورواه ابن مردويه عن ابن عباس - كما فى الدر - والواحدى فى أسباب النزول (٢٧٤) عن أبى مالك، بالقصة لكن مع أبى بن خلف.

ورواه ابن جرير أيضا عن ابن عباس بالقصة، ولكن مع عبد الله بن أبى.

الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾.

قوله تعالى: ﴿ الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا ﴾ قال أهل التفسير: والمراد منه هو المَرْخُ والعَفَارُ، وهما خشبتان تورى العرب منهما النار كما يورى الناس من الحديد والحجر، وقوله: يورى أى: يقدح، تقول العرب: فى كل شجر نار واَسْتَمْجَدَ المَرْخُ والعَفَارُ وعن أبى صالح قال: فى الأشجار نار سوى شجرة العفار.

وقوله: ﴿ فإذا أنتم منه توقدون ﴾ أى: تقدحون وتورون.

قوله: ﴿ أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ﴾ على أن ينشئ خلقًا مثلهم، وقيل: على أن يعيدهم يوم القيامة؛ فيكونوا خلقا كما كانوا.

وقوله: ﴿ بلى وهو الخلاق العليم ﴾ معناه: قل: بلى، وهو خطاب للرسول ﷺ، وقد بينا [الفرق](١) بين بلى ونعم فيما سبق، ولا يستقيم فى جواب النفى إلا بكلمة بلى، وقيل: إن الله تعالى قال مجيبا لنفسه: بلى وهو الخلاق العليم، والخلاق هو الذى يخلق مرة بعد مرة، والعليم هو (العالم)(٢) بخلقه.

قوله تعالى: ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴾ قد بينا هذا من قبل، قوله: ﴿ فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء ﴾ أى: ملك كل شيء.

وقوله: ﴿ وإليه ترجعون ﴾ أى: تردون يوم القيامة.

---

(١) ما بين المعكوفتين من عندنا ليستقيم المعنى.

(٢) فى «ك»: العليم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا

تفسير سورة الصافات

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿والصافات صفًّا﴾ روى مسروق عن ابن مسعود، وعكرمة عن ابن عباس: أنهم الملائكة، وروى الضحاك عن ابن عباس: أنهم عُبَّاد السماء.

وعن بعضهم: أن المراد منه صفوف المسلمين فى الجماعات، وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها»(١).

وأشهر الأقاويل هو القول الأول، والملائكة صفوف فى السماء يذكرون الله تعالى ويذكرهم، ويقال: إن معنى الآية أن الملائكة تصف أجنحتها إذا نزلت إلى الأرض.

وقوله تعالى: ﴿فالزاجرات زجرا﴾ ذهب أكثر المفسرين أن المراد بهم الملائكة تزجر السحاب لتسوقه إلى الموضع الذى يريده الله تعالى.

والقول الثانى: أنها زواجر القرآن.

فأما قوله: ﴿فالتاليات ذكرا﴾ ذهب أكثرهم أن المراد بها الملائكة وهى تتلوا ذكر الله.

والقول الثانى: أنهم الأنبياء يتلون ما أنزل الله تعالى والقول الثالث: أنها آيات القرآن تتلى لذكر الله تعالى.

وقوله: ﴿إن إلهكم لواحد﴾ هذا هو موضع القسم، فأقسم الله تعالى بما قدم ذكره، وقوله: ﴿والصافات﴾ أى: وربِّ الصافات صفا، وهكذا فيما بعده.

وقوله: ﴿رب السموات والأرض وما بينهما﴾ ومعنى الآية أن إلهكم لواحد، وهو

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٠٠ - ٢٠١ رقم ٤٣٠)، وأبو داود (١/ ١٧٧ - ١٧٨ رقم ٦٦١)، والنسائى (٢/ ٩٢ رقم ٨١٦)، وابن ماجه (١/ ٣١٧ رقم ٩٩٢)، وأحمد (٥/ ١٠١)، وعبد الرزاق (٢/ ٤٦ رقم ٢٤٣٢)، وابن أبى شيبة (١/ ٣٥٣)، وابن خزيمة (٣/ ٢١ - ٢٢ رقم ١٥٤٤) عن جابر بن سمرة مرفوعا به.

بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأَعْلَىٰ

رب السموات والأرض وما بينهما ﴿ورب المشارق﴾ أى: ورب المشارق والمغارب.

فإن قيل: قد قال في موضع آخر ﴿رب المشرق والمغرب﴾(١) وقال في موضع آخر: ﴿رب المشرقين ورب المغربين﴾(٢) وقال هاهنا: ﴿رب المشارق﴾ فكيف وجه التوفيق بين هذه الآية وأخواتها؟

والجواب عنه: أما قوله: ﴿رب المشرق والمغرب﴾ فالمراد منه الجهة، وللمشرق جهة واحدة، وللمغرب جهة واحدة.

وأما قوله: ﴿رب المشرقين ورب المغربين﴾ فالمراد من المشرقين: مشرق الشتاء، ومشرق الصيف، فأما قوله: ﴿ورب المشارق﴾ فللشمس مشارق تطلع كل يوم من مشرق غير المشرق الذى طلعت فيه أمس، وكذلك المغارب، فاستقام على هذا وجوه الآيات.

قوله تعالى: ﴿إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب﴾ أى: بحسن الكواكب وضيائها، وقرأ عاصم: «بزينةٍ الكواكبَ» أى: بتزيينا الكواكب، وقرأ حمزة: «بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ» بخفض الباء وتنوين الزينة، والكواكب على هذه الرواية تدل على الزينة، والمعنى : إنا زينا السماء الدنيا بالكواكب.

وقوله: ﴿وحفظا﴾ أى: وحفظناها حفظا، وقوله: ﴿من كل شيطان مارد﴾ أى: متمرد، والشيطان: كل متمرد عات من إنس أو جن أو جنَّةٍ، قال الشاعر:

ما ليلة القفير إلا شيطان

والقفير: البئر البعيدة القعر، قوله ﴿لا يَسْمَعُونَ﴾ وقرئ: «لا يَسَّمَّعُون» بنصب السين، وقوله: ﴿لا يَسَّمَّعُون﴾ أى: لا يتسمعون، وقوله: ﴿لا يَسْمَعُونَ﴾ أى: لا يستمعون.

(١) الشعراء: ٢٨.

(٢) الرحمن: ١٧.

وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن

وقوله: ﴿إلى الملأ الأعلى﴾ أي: الملائكة، ومعنى الآية: أنهم لا يستطيعون الاستماع إلى الملأ الأعلى.

وقوله: ﴿ويقذفون﴾ أي: يرجمون، وقوله: ﴿من كل جانب﴾ من جوانب السماء، وقوله: ﴿دحورا﴾ قال مجاهد: أي: مطرودين، وقال قتادة: يرمون رميا، والدحر هو الإبعاد، ويقال: دحره الله أي: أبعده الله.

وقوله: ﴿ولهم عذاب واصب﴾ أي: دائم، قوله تعالى: ﴿إلا من خطف الخطفة﴾ قال أهل التفسير: هذا استثناء منقطع، ومعناه: لكن من خطف الخطفة، والخطف هو الاستلاب بسرعة، واختطافهم واستلابهم كلام الملائكة.

وقوله: ﴿فأتبعه شهاب ثاقب﴾ أي: شهاب مضيء، وقيل: محرق، وعن يزيد الرقاشي قال: ثاقب أي: يثقبهم فينفذ من جانب آخر، والشهاب: هو النجم هاهنا.

قوله تعالى: ﴿فاستفتهم﴾ أي: فاسألهم ﴿أهم أشد خلقا أم من خلقنا﴾ قال ابن عباس وغيره: المراد منه السموات والأرض والجبال، وزعم أهل المعاني: أنه لابد أن تكون الملائكة وما خلقه الله من الجن والذين يعقلون - مراداً بالآية؛ لأن الله تعالى قال ﴿أم من خلقنا﴾ ومن لا تذكر إلا فيما يعقل.

وقوله: ﴿إنا خلقناهم من طين لازب﴾ أي: لاصق، وقال أبو عبيدة: هو لازم؛ قال الشاعر:

ولا تحسبونَ الخيرَ لا شرَّ بعدَهُ ... ولا تحسبون الشرَّ ضربةَ لازبِ

أي: لازم.

وقوله: ﴿بل عجبت﴾ وقرأ حمزة والكسائي: «بل عجبتُ» على إضافة التعجب إلى الله، وهي قراءة علي وابن مسعود وابن عباس.

طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا

وفى بعض الآثار المسندة عن شقيق بن سلمة أنه قال: كنت عند شريح؛ فقرأت «بل عجبتُ ويسخرون» فقال شريح: بئس القراءة هكذا، والله تعالى لا يتعجب من شيء، وهو عالم بالأشياء كلها؛ فقال شقيق: قد ذكرت ذلك لإبراهيم النخعى، فقال إبراهيم: إن شريحا رجل معجب بعلمه، وعبد الله بن مسعود أعلم منه.

فأما القراءة بالنصب، فهو خطاب للنبى ﷺ ومعناه: بل عجبت من وحينا إليك، وقيل: من تكذيبهم إياك مع وضوح الدلائل.

وقوله: ﴿ويسخرون﴾ أى: يسخرون ويستهزءون بك، وأما القراءة بضم التاء فالتعجب من الله ليس هو مثل التعجب من الآدميين، وقد قال الله تعالى فى موضع آخر: ﴿فيسخرون منهم سخر الله منهم﴾[1] وقال تعالى: ﴿الله يستهزئ بهم﴾[2] فمعنى قوله: ﴿عجبتُ﴾ أى: عظم حلمى عن ذنوبهم، والمتعجب هو الذى يرى ما يعظم عنده، وقيل: ﴿بل عجبت﴾ أى: حل فعلهم محل ما يتعجب منهم.

وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «عجب ربكم من شاب ليس له صَبْوه»[3].

وروى عن النبى - ﷺ - أنه قال: «عجب ربكم من إِلّكم وقنوطكم وسرعة

---

(١) التوبة: ٧٩.

(٢) البقرة: ١٥.

(٣) رواه أحمد فى مسنده (٤ / ١٥١)، وأبو يعلى (٣ / ٢٨٨ رقم ١٧٤٩)، وابن أبى عاصم فى السنة (٢ / ١١٦ رقم ١٣٠٠)، وابن عدى فى الكامل (٤ / ١٤٧)، والطبرانى (١٧ / ٣٠٩ رقم ٨٥٣)، والقضاعى فى الشهاب (١ / ٣٣٦ رقم ٥٧٦)، وتمام الرازى فى فوائده (٢ / ١١٦ رقم ١٣٠٠) من حديث عقبة بن عامر مرفوعا به. وحسن إسناده الهيثمى فى المجمع (١٠ / ٢٧٣)، والسخاوى فى المقاصد (٢٠٦) وقال: وضعفه شيخنا - يعنى الحافظ ابن حجر - فى فتاويه لأجل ابن لهيعة.

ورجح أبو حاتم الموقوف على عقبة فى العلل لابنه (٢ / ١١٦ رقم ١٨٤٣). وله شاهد من حديث أبى هريرة رواه أبو نعيم فى تاريخ أصبهان (٢ / ٦٩).

رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَ آبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَذَا

إجابته [إياكم](١)».

وقوله: ﴿وإذا ذكروا لا يذكرون﴾ وإذا وعظوا لا يتعظون.

وقوله: ﴿وإذا رأوا آية يستسخرون﴾ أي: يسخرون، ويقال: يستدعي بعضهم من بعض سخريا، وقوله: ﴿وقالوا إن هذا إلا سحر مبين﴾ أي: سحر بين.

وقوله: ﴿أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون﴾ قالوا ذلك على طريق الإنكار، وقوله: ﴿أو آباؤنا الأولون﴾ أي: نبعث ويبعث آباؤنا الأولون.

قوله تعالى: ﴿قل نعم﴾ أي: نعم لتبعثون، وقوله: ﴿وأنتم داخرون﴾ أي: صاغرون ذليلون، قال الشاعر:

(ولم يبق إلا داخر في مخيس ... ومنجحر في غير أرضك في جحري)(٢)

قوله تعالى: ﴿فإنما هي زجرة واحدة﴾ أي: صيحة واحدة.

قوله: ﴿فإذا هم ينظرون﴾ أي: ينتظرون، وقيل: ينظر بعضهم إلى بعض.

قوله تعالى: ﴿وقالوا يا ولينا هذا يوم الدين﴾ أي: يوم الحساب ويوم الجزاء، قوله تعالى: ﴿هذا يوم الفصل﴾ أي: يوم القضاء، وقيل: يوم الفصل بين المحسن والمسيء، وقوله: ﴿الذي كنتم به تكذبون﴾ أي: تجحدون.

قوله تعالى: ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم﴾ الذين ظلموا هم المشركون.

---

(١) في «الأصل، وك»: إياه، وهو خطأ، والتصويب من غريب الحديث لأبي عبيد (٢/ص١١٨ وما بعده رقم ١٧٨).

والحديث رواه أبو عبيد في الغريب عن محمد بن عمرو مرسلا، وقال الحافظ الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/١٧٥): غريب.

(٢) كذا!

يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ

وقوله: ﴿وأزواجهم﴾ أى: وأشباههم، وقيل: وقرناءهم، ويقال: وأتباعهم.

وقوله: ﴿وما كانوا يعبدون من دون الله﴾ من الأصنام، وقوله تعالى: ﴿فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾ أى: ارشدوهم إلى طريق النار.

قوله تعالى: ﴿وقفوهم﴾ فإن قيل: كيف قال: ﴿فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾ ثم قال: ﴿وقفوهم﴾ قلنا: لأنهم يوقفون على الصراط للمساءلة، ويقال: إن هذا أشد فى التعذيب والتوبيخ. وفى الخبر عن النبى ﷺ قال: «لا تزول قدما بنى آدم يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن شبابه فيما أبلاه، وعن عمره فيما أفناه، وعن ماله من أين اكتسبه وأين وضعه، وعن علمه ماذا عمل به؟»(١).

قوله تعالى: ﴿ما لكم لا تناصرون﴾ أى: لا تتناصرون؛ فينصر بعضكم بعضا. وفى التفسير: أن أبا جهل هو القائل: نحن جميع منتصر، على ما حكى الله تعالى فقال الله تعالى ردًّا لقوله: ﴿ما لكم لا تناصرون﴾ أى: لينصر بعضكم البعض اليوم إن كنتم صادقين.

قوله تعالى: ﴿بل هم اليوم مستسلمون﴾ يعنى: استسلموا وعضوا بأيديهم، وعرفوا أنه لا خلاص لهم من الهلاك والعذاب.

وقوله: ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ معناه أى: ويتلاومون، قوله تعالى: ﴿قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين﴾ قال الفراء والزجاج وغيرهما من أهل المعانى: أى من قبل الدِّين تلبسونه علينا، وقيل: من قبل الجنة تثبطوننا عنها، وذكر بعضهم: أن رؤساء الكفار كان يحلفون [للأتباع](٢) أنهم على الحق.

(١) رواه الترمذى (٤/٥٢٩ رقم ٢٤١٧) وقال: حسن صحيح، والدارمى (١/١٤٤ - ١٤٥ رقم ٥٣٧)، وأبويعلى (١٣/٤٢٨ رقم ٧٤٣٤)، والخطيب فى اقتضاء العمل (١٦ - ١٧ رقم١)، وأبو نعيم فى الحلية (١٠/٢٣٢)، كلهم عن أبى برزة الأسلمى مرفوعا به، وفى الباب عن ابن مسعود، ومعاذ بن جبل، وأبى الدرداء، وابن عباس. وانظر الصحيحة (٢/٦٦٦ - ٦٦٧ رقم ٩٤٦)، ومجمع الزوائد (١٠/٣٤٩).

(٢) فى «الأصل، وك»: الأتباع.

بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ

فقوله: ﴿إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين﴾ أى: عن الأيمان التى حلفوا بها أنهم صادقون، واليمين يذكر ويُراد به القوة، قال الشاعر:

إذا ما راية رفعت لمجد … تلقاها عرابةُ باليمين

أى: بالقوة. قوله تعالى: ﴿قالوا بل لم تكونوا مؤمنين﴾ أى: رؤساء يقولون ذلك للأتباع، وقوله: ﴿وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين﴾ يعنى: إنكم فعلتم ما فعلتم بأنفسكم، ولم نفعل بكم شيئًا.

قوله تعالى: ﴿فحق علينا قول ربنا﴾ أى: وجب علينا عذاب ربنا، قال الحسن: الضال والمضل جميعا فى النار؛ فهو معنى قوله تعالى: ﴿إنا لذائقون﴾ أى: ذائقون العذاب.

قوله تعالى: ﴿فأغويناكم إنا كنا غاوين﴾ أى: أضللناكم إنا كنا ضالين. قوله: ﴿فإنهم يومئذ فى العذاب مشتركون﴾ يعنى: أنهم جميعا فى العذاب.

قوله تعالى: ﴿إنا كذلك نفعل بالمجرمين﴾ ظاهر المعنى، والجرم هاهنا هو الشرك. قوله تعالى: ﴿إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون﴾ عن كلمة التوحيد، ويمتنعون منها.

قوله تعالى: ﴿أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون﴾ قالوا ذلك للنبى ﷺ، فقال الله تعالى ردا عليهم: ﴿بل جاء بالحق وصدق المرسلين﴾ أى: المرسلين الذين سبقوا فى الرسالة.

بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ
وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم
بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لا فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ

قوله تعالى: ﴿إنكم لذائقوا العذاب الأليم وما تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ ظاهر المعنى، قوله تعالى: ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ أى: الذين أخلصوا فى التوحيد.

قوله تعالى: ﴿أولئك لهم رزق معلوم﴾ أى: مقدر، ورزقهم المقدر هو رزقهم بكرة وعشيًّا، وقوله: ﴿فواكه وهم مكرمون﴾ الفواكه جمع الفاكهة.

وقوله: ﴿وهم مكرمون﴾ أى: بإدخالهم الجنة.

قوله تعالى: ﴿فى جنات النعيم﴾ يعنى: إنهم فى جنات النعيم.

وقوله: ﴿على سرر متقابلين﴾ قال أهل التفسير: لا ينظر بعضهم فى قفا البعض.

قوله تعالى: ﴿يُطاف عليهم بكأس من معين﴾ أى: الخمر الجارى.

وقوله: ﴿بيضاء لذة للشاربين﴾ قال الحسن البصرى: خمر الجنة أبيض من اللبن، قرأ ابن مسعود: «صفراء لذةٍ للشاربين».

قوله تعالى: ﴿لا فيها غول﴾ أى: لا تغتال عقولهم، قال الشاعر:

فما زالت الكأس تغتالنا　　وتصرع بالأول الأول

ويقال: الخمر غَوْل العقل، والحرب غَوْل النفس، ويقال: الغول هو الغائلة، ومن الغائلة ذهاب عقلهم، وسائر المفاسد التى فى الخمر، ويقال فى الخمر أربعة أشياء: السكر، والصداع، والقىء، و(البول)(١)، ولا يوجد من هذه الأربع فى خمر الجنة.

وقوله: ﴿ولا هم عنها ينزفون﴾ يقال: أنزف الرجل إذا سكر، قال الشاعر:

لعمرى لئن أنزفتمُ أو صحوتمُ　　لبئس النَّدامى كنتمُ آلَ أَبْجَرا

(١) فى «ك»: الغول.

﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ
عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ

قوله تعالى: ﴿وعندهم قاصرات الطرف﴾ أى: اللاتى قصرن أطرافهن على أزواجهن أى: عينهن أى: حبسن فلا ينظرن إلى غير أزواجهن.

وقوله: ﴿عين﴾ أى: حسان الأعين، وفى التفسير: البياض شديد البياض، والسواد شديد السواد، يعنى فى العين.

وقوله: ﴿كأنهن بيض مكنون﴾ العرب تشبه وجه المرأة فى البياض ببيضة النعامة، ويقولون: أحسن اللون بياض اللون مشوب بالصفرة، قال ذو الرمة:

كحلاء فى بزخ صفراء فى دعج   كأنها فضة قد مسها ذهب

وقوله: ﴿مكنون﴾ أى: مستور مصون من الريش (والخمار)(١).

وقال بعضهم: فى قوله ﴿بيض مكنون﴾ شبههن ببياض البيضة عند خروجها من قشرتها، وقيل: شبّه بالسِّحاء الذى بين القشر الأعلى وبين البياض.

قوله تعالى: ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ أى: يسأل بعضهم بعضا عن حاله فى الدنيا.

قوله تعالى: ﴿قال قائل منهم إنى كان لى قرين﴾ قال مجاهد: القرين هاهنا: هو الشيطان (يغويه)(٢)، ويقال: القرين هاهنا: قرينه الذى كان يدعوه إلى الكفر.

قال عطاء الخراسانى: نزلت الآية فى رجلين كانا فى بنى إسرائيل اكتسبا مالا عظيما، ويقال: ورثا مالا عظيما واقتسماه، فأنفق أحدهما نصيبه على الفقراء، وأما الآخر فاشترى به عقارا ودوراً وأثرى، وهما اللذان ذكرهما الله تعالى فى سورة الكهف، وقال بعضهم: هما أخوان سواهما.

---

(١): كذا، وفى تفسير البغوى (٤/ ٢٧) والقرطبى (١٥/ ٨٠): والغبار، وهو الأشبه.

(٢) فى «ك»: يقرنه.

الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ
﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلا
نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلاَّ مَوْتَتَنَا الأُولَىٰ وَمَا
نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾

وقوله: ﴿ يقول أئنك لمن المصدقين ﴾ أى: المصدقين بالبعث.

وقوله: ﴿ أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون ﴾ هذا قول قرينه، وقوله: ﴿ لمدينون ﴾ أى: محاسبون، وقيل: مجزيون، يقال: كما تدين تدان.

قوله تعالى: ﴿ قال هل أنتم مطلعون ﴾ اختلف القول فى هذا، فأحد القولين: أن الله تعالى يقول لهم: ﴿ هل أنتم مطلعون ﴾.

والآخر: أن هذا المؤمن يقول لإخوانه من أهل الجنة هل أنتم مطلعون؟

قوله تعالى: ﴿ فاطلع فرآه فى سواء الجحيم ﴾ أى: فى وسط الجحيم، وإنما سمى وسط الشيء سواءً لاستواء الجوانب منه.

قوله تعالى: ﴿ قال تالله إن كدت لتردين ﴾ أى: لتهلكنى، يقال: كاد يفعل كذا أى: قارب، وقرأ ابن مسعود: « إن كدت لتغوينى » من الإغواء.

قوله تعالى: ﴿ ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين ﴾ أى: ولولا رحمة ربى لكنت من المحضرين النار أى: الذين دخلوا النار.

قوله تعالى: ﴿ أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين ﴾ فيقال: أجيبونا فلا يجيبون لاستغراقهم فى العذاب، يقولون: ﴿ إن هذا لهو الفوز العظيم ﴾ وعن بعضهم: « أنه يجاء بالموت على صورة كبش فيذبح على ما ورد به الخبر »(١)، فحينئذ يقولون: أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى على طريق الإقرار والتعجب والسرور بذلك.

﴿ لمثل هذا فليعمل العاملون ﴾ أى: لمثل هذا المنزل، ولمثل هذا النعيم، فليعمل

(١) تقدم تخريجه.

أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لآكِلُونَ مِنْهَا

العاملون.

قوله تعالى ﴿أذلك خير نزلا﴾ النزل: هو العطاء الدار، ويقال: النزل هو إصلاح ما ينزل عليهم.

فإن قيل: كيف قال: ﴿أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم﴾ ولا خير فى شجرة الزقوم أصلا؟

الجواب عنه قد سبق وعن مثل هذا، والعرب تقول: تعال ننظر الصلح خير أم الحرب، والفقر خير أم الغنى، والصحة خير أم السقم، وإنما يريد تقرير الأمر للمخاطب أنه لا خير إلا فى أحدهما.

وقوله: ﴿أم شجرة الزقوم﴾ اختلفوا فى هذه الشجرة، فالأكثرون أنها شجرة لا يعرف لها مثل فى الدنيا، وقال قطرب: هى شجرة مرة خبيثة تكون بتهامة، وقال بعضهم: نبت قاتل.

وفى التفسير: أنه لما نزلت هذه الآية؛ قال أبو جهل: هل تعرفون الزقوم؟ فقال عبد الله بن الزبعرى: نعم نعرفه؛ هو بلسان البربر الزبدة والتمر – وأورد بعضهم: أنه بلغة اليمن – فقال أبو جهل لجاريته: ابغى لنا زبدا وتمرا، فجاءت بذلك، فقال: هو الزقوم الذى خوفكم به محمد، فتزقموا؛ فأنزل الله تعالى ﴿إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم﴾ أى: فى قعر الجحيم.

وقوله: ﴿طلعها كأنه رءوس الشياطين﴾ فإن قيل: كيف قال﴿ طلعها كأنه رءوس الشياطين﴾ ورءوس الشياطين لم يرها أحد، ولا يجوز التعريف إلا بما يعرف؟

والجواب عنه: أنه كان مستقرا فى النفوس قبح رءوس الشياطين، وأن جميعهم على أقبح صورة؛ فشبه بها على ما استقر فى النفوس، قال الشاعر:

يقاتلنى والمشرفىّ مضاجعى ... ومَسْنُونة زُرْق كأنياب أَغْوالِ

فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ

فشبه بأنياب الأغوال، ولم ير الأغوال، ولكن صح التشبيه لما تقرر في النفوس قبحها، وقال بعضهم: الشيطان هاهنا حية قبيحة المنظر، فمعناه: كأنها رءوس الحيات، والعرب تسمى كل قبيح مكروه شيطانا، وقال بعضهم: هو اسم لنبت من الثمر خشن اللمس منتن الريح.

وقوله: ﴿إنا جعلناها فتنة للظالمين﴾ فتنتهم بها هو ما قال أبو جهل، وزعم أنه الزبد والتمر، ومن فتنتهم أيضا بها أنهم قالوا كيف تنبت شجرة في النار، والنار تحرق الشجر؟

قوله تعالى: ﴿فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم﴾ أى: لخلطا من حميم.

وقوله: ﴿ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم﴾أى: منقلبهم، ويقال: إن شجرة الزقوم في الباب السادس من أبواب النار؛ فيخرجون من الجحيم إليه حتى يأكلون الزقوم ثم يردُّون إلى الجحيم؛ فهو معنى قوله تعالى: ﴿ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم﴾.

قوله تعالى: ﴿إنهم ألفوا آباءهم ضالين﴾ أى: وجدوا آباءهم على الضلالة، وقوله: ﴿فهم على آثارهم يهرعون﴾ أى: يسرعون، والإهراع هو الإسراع، قوله تعالى: ﴿ولقد ضلَّ قبلهم أكثر الأولين ولقد أرسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين﴾ معلوم المعنى.

قوله تعالى: ﴿إلا عباد الله المخلَصين﴾ وقرئ: «مخلِصين» بكسر اللام، فقوله: ﴿مخلَصين﴾ أى: الذين أخلصهم الله واختارهم، وأما بالكسر أى: الذين أخلصوا العمل لله تعالى.

﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا
عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ
﴿٨٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ ﴿٨٢﴾ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيمَ
﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا آلِهَةً

وقوله تعالى: ﴿ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون﴾ أى: نعم المجيب نحن له، وإنما قال: ﴿المجيبون﴾ على ما يقول الملوك والعظماء، ويخبرون عن أنفسهم بلفظ الجماعة.

وقوله تعالى: ﴿ونجيناه وأهله من الكرب العظيم﴾ أى: الغم العظيم، قوله تعالى: ﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ قد بينا أن الناس من نسل نوح - عليه السلام - ولم يبق أحد من نسل غيره.

وقوله: ﴿وتركنا عليه فى الآخرين﴾ أى: وتركنا عليه الذكر الجميل والثناء الحسن فى الآخرين، قوله تعالى: ﴿سلام على نوح فى العالمين﴾ أى: السلامة له منا فى العالمين، ويقال: السلام منا عليه فى العالمين، قوله تعالى: ﴿إنا كذلك نجزى المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين﴾ معلوم المعنى.

وقوله: ﴿ثم أغرقنا الآخرين﴾ هم الكفار، وقد سبق ذكر نوح من قبل.

قوله تعالى: ﴿وإن من شيعته لإبراهيم﴾ يقال: أن الهاء هاهنا راجع إلى محمد ﷺ والأصح أنه راجع إلى نوح، والشيعة هم الأتباع، وإنما قال من شيعته؛ لأنه كان على مسلكه، ومنهاجه.

وقوله: ﴿إذ جاء ربه بقلب سليم﴾ أى: سليم من الشرك، قال عروة بن الزبير: لم يلعن شيئا قط، فهو معنى قوله: ﴿سليم﴾.

قوله تعالى: ﴿إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون﴾ معناه: أى شيء تعبدون؟ وهو استفهام بطريق الإنكار والتوبيخ.

دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ

قوله تعالى: ﴿أئفكا آلهة﴾ أى: تطلبون آلهة مؤتفكة، ومعنى تطلبون أى: تطلبون منها ما يطلب من الله تعالى، والإفك: الكذب، ومعنى المؤتفكة: أى كذبتم لأجلها على الله، واخترعتموها من قِبَلِ أنفسكم.

قوله تعالى: ﴿[أئفكا آلهة دون الله تريدون](١) فما ظنكم برب العالمين﴾ معناه: فما ظنكم برب العالمين إذا لقيتموه، وأى شيء تتوقعون منه، وقد فعلتم ما فعلتم!

قوله تعالى: ﴿فنظر نظرة فى النجوم فقال إنى سقيم﴾

قال الخليل والمبرد: تقول العرب لكل من نظر فى أمره وتدبر ماذا يفعل قد نظر فى النجوم، هذا قول، والقول الثانى: أنه كان نجم يطلع فى ذلك الزمان، وكان كل من نظر إليه يزعمون أنه يصيبه الطاعون، ويقال: إنه كان زحل؛ فقوله: ﴿فنظر نظرة فى النجوم﴾ أى: نظر إلى النجم: ﴿فقال إنى سقيم﴾ أى: أصابنى الطاعون على ما تزعمون، وكانوا يفرون من المطعون فرارًا عظيمًا، ويزعمون أنه يعدى، ذكره السدى.

والقول الثالث: أن معنى قوله: ﴿فنظر نظرة فى النجوم﴾ أى: فيما نجم له من الأمر أى: ظهر.

والقول الرابع : أن قوله: ﴿فنظر نظرة فى النجوم﴾ أى: ينظر فى النجوم على ما ينظر فيه أهل النجوم، وكايدهم بذلك عن دينه، وكانوا أهل نجوم، ويزعمون أن الأحكام تصدر منها، والحوادث تكون عنها؛ فنظر فى النجوم، وقال هذه المقالة ليتركوه، ويتوصل بذلك إلى كيد أصنامهم.

وعن عائشة - رضى الله عنها - أن علم النجوم كان حقا إلى أن حبست الشمس ليوشع بن نون فتشوش الأمر عليهم، والله أعلم.

وقوله: ﴿إنى سقيم﴾ قد بينا، سقيم أى: سأسقم، ولابد لكل صحيح أن يسقم، وقيل: يسقم القلب لقبح أفعالكم، وهذا هو إحدى الكذبات الثلاث التى كذبها

(١) من «ك».

﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُ

إبراهيم فى الله(١)، والخبر فى ذلك معروف صحيح، وقد روينا.

وقال بعضهم: كان ذلك من معاريض الكلام، ولم يكن كذبا صريحا.

قوله تعالى: ﴿فتولوا عنه مدبرين﴾ أى: تولوا عنه وتركوه.

وقد ذكرنا أنهم خرجوا إلى عيد لهم، فلما خرجوا وبقى إبراهيم وحده عمد إلى بيت أصنامهم ودخله، وكان الطعام موضوعًا بين أيديهم؛ فقال: ألا تأكلون؟ فهو معنى قوله: ﴿فراغ إلى آلهتهم﴾ وقوله: «راغ» أى: مال.

وقوله: ﴿ألا تأكلون﴾ هذا على طريق الإنكار على المشركين؛ لأنهم كانوا قدموا الطعام إليهم ليأكلوا.

قوله: ﴿ما لكم لا تنطقون﴾ أى: لا تتكلمون، وهو أيضا مذكور على طريق الإنكار، قوله تعالى: ﴿فراغ عليهم﴾ أى: فمال عليهم يضرب ضربا باليمين.

وقوله: ﴿باليمين﴾ فيه أقوال: أحدها أن معناه: يضربهم بيمينه، ومعنى يضربهم أى: يكسرهم، ويقال باليمين أى: بالقوة.

والقول الثالث: باليمين أى: باليمين التى سبقت منه، وهو قوله تعالى: ﴿وتا لله لأكيدن أصنامكم﴾(٢).

قوله تعالى: ﴿فأقبلوا إليه يزفون﴾ أى: يسرعون، وقوله: ﴿قال أتعبدون ما تنحتون﴾ أى: تنحتون بأيديكم، وقوله: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ من هذه الأصنام، فإذا كان الله خلقها فلا يصلح أن تتخذوها آلهة، وفى الآية دليل على أهل الاعتزال فى أن أعمال العباد مخلوقة لله تعالى والدليل فى ذلك واضح، وهو معلوم فى (الكتب)(٣).

قوله تعالى: ﴿قالوا ابنوا له بنيانا﴾ أى: حظيرة، وقيل: إيوانا.

---

(١) تقدم تخريجه. (٢) الأنبياء: ٥٧.

(٣) فى «ك»: الكفار.

بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ

وقال ابن عباس: بنوا موضعا وجعلوا حوائطه من حديد، طوله فى السماء ثلاثون ذراعا، وعرضه عشرون ذراعا.

وقوله: ﴿فألقوه فى الجحيم﴾ الجحيم كل موضع عظمت فيه النار وكثرت، ويقال: الجحيم نار على نار، وجمر على جمر.

وقوله: ﴿فأرادوا به كيدا﴾ كيدهم: هو قصدهم إحراقه بالنار، وقوله: ﴿فجعلناهم الأسفلين﴾ أى: المهلكين، وقيل: الأسفلين فى الحجة، كان حجة إبراهيم عليهم، وظهرت عليهم.

قوله تعالى: ﴿وقال إنى ذاهب إلى ربى سيهدين﴾.

فى القصة: أن إبراهيم - عليه السلام - لما ألقى فى النار؛ قال حين ألقى: حسبى الله ونعم الوكيل؛ فجعل الله النار عليه بردا وسلاما، قال كعب: لم تحرق شيئا منه إلا وثاقه، وفى القصة: أن نمروذ اطلع عليه فرآه فى روضة خضراء عن يمينه شخص، وكان هو جبريل - عليه السلام - وعن يساره فراش من حرير أنزله الله عليه من الجنة.

وقوله: ﴿وقال إنى ذاهب إلى ربى﴾ فيه قولان: أحد القولين: أنه قال بعد أن خرج من النار، وأمره الله بالهجرة إلى الشام.

والقول الآخر: أنه قال هذا قبل أن [يلقى](١) فى النار، وكان عنده أنه إذا ألقى فى النار هلك، ولم يتخلص منها؛ فقال هذا القول إنى ذاهب إلى ربى.

وقوله: ﴿سيهدين﴾ على هذا القول معناه: إلى طريق الجنة، وعلى القول الأول سيهدين أى: سيرشدنى إلى الموضع الذى أمرت بالهجرة إليه.

وقوله تعالى: ﴿ربِّ هب لى من الصالحين﴾ أى: هب لى ولداً صالحا من الصالحين، قوله تعالى ﴿فبشرناه بغلام حليم﴾ أى: غلام حليم فى صغره، عليم فى

(١) فى «الأصل، وك»: ألقى.

﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ
قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ

كبره، وفى الآية دليل على أنه بشره بأنه يكبر، ويعمر حتى يوصف (بالحلم)[1] والوقار.

واختلفوا أن هذا الغلام كان إسماعيل أو إسحاق.

فذهب قوم إلى أنه إسحاق - عليه السلام - وهو قول على وابن مسعود وكعب وقتادة وجماعة، وذهب جماعة إلى أنه إسماعيل - عليه السلام - وهو مروى عن ابن عباس وسعيد بن المسيب والحسن وغيرهم.

قوله تعالى ﴿فلما بلغ معه السعى﴾ قال ثعلب: السعى مشى بسرعة، واختلفوا فى السعى هاهنا، قال بعضهم: هو العمل معه، كأنه صار يعينه فى عمله، وقيل: السعى إلى الجبل، ويقال: بلغ معه السعى أى: العبادة لله تعالى.

وقوله: ﴿قال يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك﴾ أى: أمرت بذبحك، قال ابن عباس: رؤيا الأنبياء وحى، ويقال: رأيت فى المنام ما يدل على أنى أمرت بذبحك.

وقوله: ﴿فانظر ماذا ترى﴾ وقرأ حمزة: «ماذا تُرى» أما قوله: ﴿ماذا تَرى﴾ أى: ماذا ترى فيما أمر الله به، فإن قيل: كيف يشاوره فيما أمره الله به، وهو أمر حتم لا يجوز تركه؟

والجواب عنه على وجهين: أحدهما: أن المراد منه إخباره.

والآخر: أنه أراد امتحانه فى التسليم بحكم الله.

وأما القراءة الأخرى، وهى قوله: ﴿ماذا تُرى﴾ فيه معنيان أحدهما: ماذا تشير؟ والآخر: ماذا ترى من صبرك؟ ذكره الفراء.

وقوله: ﴿قال يا أبت افعل ما تؤمر﴾ قال ذلك انقياداً لأمر ربه وطواعية، وقوله:

(١) فى «ك»: بالحكم.

لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي

﴿ ستجدنى إن شاء الله من الصابرين ﴾ أى: الصابرين على حكم الله.

قوله تعالى: ﴿ فلما أسلما ﴾ قرأ ابن مسعود: «فلما سَلَّمَا».

وقوله: ﴿ أسلما ﴾ أى: استسلما، ومعناه: أن إبراهيم سلم ابنه للذبح، والولد سلم روحه.

وقوله: ﴿ وتله للجبين ﴾ أى: صرعه للجبين، والجبهة بين الجبينين، قال الشاعر:

شككت له بالرمح جنبى قميصه ... فخر تليلا لليدين للفم

وقال آخر:

فتلَّه للجبين منعفرا ... منه مناط الوتين منتصب

واختلفوا فى الموضع الذى أراد ذبحه فيه، فمن قال: إن الذبيح كان إسماعيل قال: كان بمنى، ومن قال: إن الذبيح كان إسحاق قال: كان بالشام.

وفى التفسير: أن إسماعيل - عليه السلام - قال لإبراهيم: اقذفنى على جبينى؛ لئلا ترى وجهى فترحمنى، وحتى لا أرى الشفرة فأجزع منها، وفى القصة: أن إبراهيم - عليه السلام - خرج إلى جانب منى، وأمر إسماعيل أن يتبعه بالشفرة والحبل، فرفعهما واتبعه؛ فجاء إبليس - عليه اللعنة - وقال لإسماعيل: هل تدرى ما يريد بك أبوك؟ فقال: لا، قال: إنه يريد أن يذبحك؛ فقال: ولم؟ قال: يزعم أن الله أمره به. فقال: هو أهل أن يطاع، ثم جاء إلى أمه ووسوس كذلك؛ فأجابت كما قلنا، يعنى: كما قال إسماعيل عليه السلام.

وفى التفسير: أن إبراهيم - عليه السلام - جعل يحز ولا يقطع، وروى أن الله تعالى ضرب على عنق إسماعيل - عليه السلام - صفيحة من نحاس؛ فجعل لا يقطع، وأورد بعضهم: أنه كان يقطع ويلتئم.

وقوله: ﴿ وناديناه أن يا إبراهيم ﴾ فإن قيل: أين جواب قوله: ﴿ فلما أسلما وتله

الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا

للجبين ﴾؟

الجواب: أن جوابه قوله: ﴿ وناديناه ﴾ والواو صلة، وجعل بعضهم الجواب محذوفا، وقوله: ﴿ وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا ﴾ أى: حققت الرؤيا بما أمرت به.

وقوله: ﴿ إنا كذلك نجزى المحسنين ﴾ أى: الموحدين، فإن قيل: كيف قال: صدقت الرؤيا، ورأى أنه يذبح ولم يذبح؟

والجواب: أنه قد أتى بما قدر عليه من الذبح؛ فجعله مصدِّقا بهذا المعنى، والآخر: أن المقصود من الأمر والمطلوب منه كان هو استسلامهما، هذا لولده، وهذا لروحه، فلما فعلا ذلك سماهما مصدقين.

واختلفوا فى سن إسماعيل فى ذلك الوقت، منهم من قال: كان سنه [ثلاث][1] عشرة سنة، ومنهم من قال: كان سنه سبع سنين.

﴿ إن هذا لهو البلاء المبين ﴾ أى: البلاء البين، ومنهم من قال: النعمة البينة، والنعمة فى صرف الذبح عنه، والفداء الذى أنزل عليه.

قوله تعالى: ﴿ وفديناه بذبح عظيم ﴾ قال ابن عباس: أنزل الله تعالى عليه كبشا من الجنة، وهو الكبش الذى تقبله الله تعالى من هابيل، ويُقال: كبش رعى فى الجنة أربعين خريفا، وقال الحسن البصرى: أروية من الجبل.

وقوله: ﴿ عظيم ﴾ منهم من قال: المراد منه العظيم فى الشخص، وقيل: عظيم فى الثواب، وقال مجاهد: عظيم؛ لأنه كان مقبولاً من الله.

وفى التفسير: أن الكبش نزل عليه من جبل منى؛ فقال لإسماعيل: قم فإن الله تعالى أرسل فداك، وفى القصة: أن الكبش هرب؛ فتبعه إبراهيم حتى أخذه، فلما

(١) فى «الأصل، وك»: ثلاثة، وهو خطأ، والصواب ما أثبتناه.

عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ

كان بين الجمرتين اضطجع، ولم يطق إبراهيم حمله؛ فذبحه هنالك.

وقوله: ﴿وتركنا عليه فى الآخرين﴾ أى: تركنا له فى الآخرين حسنا وذكرا جميلا، وقوله: ﴿سلام على إبراهيم﴾ قد بينا، وقوله: ﴿كذلك نجزى المحسنين﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين﴾ استدل من قال إن إسماعيل كان هو الذبيح؛ فإنه ذكر قصة الذبيح بتمامه، ثم قال: ﴿وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين﴾ دل أنه كان غير إسحاق، وأما من قال: كان الذبيح إسحاق، فقال فى هذه الآية: إن البشارة وقعت بالنبوة فى إسحاق، والبشارة الأولى بولادته وإعطائه إياه.

وقوله: ﴿وباركنا عليه وعلى إسحاق﴾ أى: باركنا على إبراهيم وعلى إسحاق، والبركة هاهنا: كثرة الولد، ويقال: البركة كثرة الأنبياء [فى][1] أولادهما.

وقوله: ﴿ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين﴾ أى: موحِّد ومشرك.

قوله تعالى: ﴿ولقد مننا على موسى وهارون﴾ أى: أنعمنا.

وقوله: ﴿ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم﴾ أى: من الغم العظيم، وهو الغرق والهلاك.

وقوله تعالى: ﴿ونصرناهم فكانوا هم الغالبين﴾ أى: ونصرناهما، فذكر الاثنين بلفظ الجمع، وقد يذكر الواحد بلفظ الجمع أيضا، وقد بينا من قبل.

وقوله: ﴿وآتيناهما الكتاب المستبين﴾ أى: التوراة.

(١) زيادة ليست فى «الأصل وك».

الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الآخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهَ رَبَّكُمْ

وقوله: ﴿وهديناهما الصراط المستقيم﴾ أى: الإسلام، وقوله: ﴿وتركنا عليهما فى الآخرين﴾ قد بينا، وقوله: ﴿سلام على موسى وهارون إنا كذلك نجزى المحسنين إنهما من عبادنا المؤمنين﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿وإن إلياس لمن المرسلين﴾ فى التفسير: أن إلياس كان من ولد هارون، وبعثه الله إلى بنى إسرائيل، ويقال بعثه الله إلى بعلبك، وهى بلدة، وقد كان أهلها يعبدون صنما يسمى بعلا.

قوله تعالى: ﴿إذ قال لقومه ألا تتقون﴾ معناه: ألا تخافون الله وتحذرونه.

قوله سبحانه: ﴿أتدعون بعلا﴾ هو الصنم الذى قلنا، ويقال: إنه كان من ذهب مزين بالجواهر، وعن ابن عباس أنه قال: أتدعون بعلا أى: ربا، والبعل هو الرب، ومعناه: أتدعون هذا الصنم ربا؟.

وروى عن ابن عباس أنه كان جالسًا، فسئل عن هذه الآية؛ فسكت؛ فمرَّ رجل من الأزد ومعه بقرة؛ فقال له رجل: أتبيعها؟ قال: إنما يبيعها بعلها أى: ربها؛ فعرف ابن عباس أن البعل هو الرب، وكان الأزد من أفصح اليمن، وسمى الزوج بعلا من هذا، قال الشاعر:

ورأيتُ بعلَك فى الوغَى متقلدًا سيفًا ورُمْحَا

وقوله: ﴿وتذرون أحسن الخالقين﴾ أى: المقدرين، وهو الله تعالى، قوله تعالى: ﴿الله ربُّكم﴾ أى: هو ربكم، وقرئ بالنصب: «الله ربَّكم»، وهو منصرف إلى قوله: ﴿وتذرون أحسن الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الأولين﴾.

قوله تعالى: ﴿فكذبوه فإنهم لمحضرون﴾ أى: لمحضرون النار، وفى القصة: أن ذلك

وَرَبَّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلاَّ عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾

الملك كانت له امرأة قتالة للأنبياء، وكانت قد تزوجت سبعة من الملوك، قالوا: هي التي قتلت يحيى بن زكريا - عليهما السلام - فقصدت قتل إلياس؛ فدعا الله تعالى وسأله أن يرفعه إليه، ويؤخر عنه الموت؛ فبعث الله إليه بفرس من نار، وقيل: لونه كلون النار، وأمره أن يركبه؛ فركبه فألبسه الله النور، وذكر بعضهم: أن الله تعالى أنبت له الريش، وجعله أرضيا سمائيا ملكيا إنسيا، وروى أنه موكل بالفيافي، والخضر موكل بالبحار.

وقوله: ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ وقد بينا، وقوله: ﴿وتركنا عليه فى الآخرين﴾ قد بينا.

وقوله تعالى: ﴿سلام على إل ياسين﴾ وقرأ نافع: «آل إلياس». وقرأ ابن مسعود: «سلام على إدراسين» وعلى هذه القراءة: ﴿وإن إدريس لمن المرسلين﴾ وقد روى أن إلياس هو إدريس.

وأما قوله: ﴿إلياسين﴾ أى: إلياس وأتباعه وذووه؛ فسمى الجميع باسم واحد، مثل قول الرجل: رأيت المحمدين، أى محمداً وأتباعه.

وأما قوله: ﴿سلام على إل ياسين﴾ وقيل فيه قولان: أحدهما: أنه الرسول ﷺ وآله، وهذا قول ضعيف؛ لأنه لم يسبق لهم ذكر.

والثانى: إن معنى قوله: ﴿إل ياسين﴾ هو قوله «إلياسين» كأنه قال: آل إلياس، فعبر بياسين عن إلياس، وباقى الآيتين قد بينا.

قوله تعالى: ﴿وإن لوطا لمن المرسلين﴾ أى: من جملة المرسلين، وهم الأنبياء، وقوله: ﴿إذ نجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزا فى الغابرين﴾ أى: الباقين فى العذاب

وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ

والهلاك، ومعنى الآية: أنها لم تنج وبقيت فى العذاب مع قوم لوط.

وقوله: ﴿ثم دمرنا الآخرين﴾ التدمير: هو الإهلاك بوصف التنكيل.

وقوله: ﴿وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل﴾ أى: تمرون عليهم بالليل والنهار إذا ذهبتم إلى أسفاركم ورجعتم.

قوله تعالى: ﴿وإن يونس لمن المرسلين﴾ أى: من جملة رسل الله.

وقوله: ﴿إذ أبق إلى الفلك المشحون﴾ أى: السفينة الموقّرة المملوءة.

وقوله: ﴿فساهم﴾ أى: قارع.

وقوله: ﴿فكان من المدحضين﴾ أى: من المقروعين، وقيل: من المغلوبين، يقال: دحضت حجة فلان إذا بطلت، وأدحض الله حجته إذا أبطلها، والدحض الزلق، قال الشاعر:

أبا منذر رُمْتَ الوفاء فهبته وحِدْتَ كما حاد البعير عن الدَّحْضِ

وفى التفسير: أن يونس - صلوات الله عليه - وعد قومه العذاب، وكان الله تعالى أخبره أنه يرسل عليهم العذاب فى يوم كذا؛ فأخبرهم يونس - صلوات الله عليه - بذلك فلم يصدقوه؛ فخرج من بينهم، وظن أن الله تعالى إذا أرسل العذاب أهلكهم، ولم يصرفه عنهم، وقد كان الله تعالى أخبره بإرسال العذاب عليهم، ولم يخبره بإهلاكهم، ثم إن الله - تعالى - أرسل العذاب، فلما رأوا ذلك، ولم يكن نزل بهم بعد، خرجوا إلى الصحراء، وأخرجوا معهم النساء والصبيان والبهائم، وفرقوا بين الأمهات والأولاد، فضجوا إلى الله ضجة واحدة، واستغاثوا وبكوا ودعوا؛ فصرف الله عنهم العذاب، فلما بلغ يونس - عليه السلام - أنه لم ينزل بهم العذاب، ولم يهلكوا، خرج من الموضع الذى كان التجأ إليه كالمنشور الخجل من قومه، وظن أنه وعدهم وعداً من الله تعالى، ولم يحصل مصداق ذلك، فتوجه إلى جانب البحر.

﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي

وقوله تعالى: ﴿أبق﴾ أي: ذهب وتباعد، ويقال: شُبِّه بآبق، فعتب الله تعالى عليه في ذلك، وابتلاه ببطن الحوت وسجنه فيه.

وفي القصة: أنه لما وصل إلى البحر كان معه امرأته وابنان له؛ فجاء مركب وأراد أن يركب معهم في السفينة، قدم امرأته في المركب ليركب بعدها؛ فجاءت موجة وحالت بينه وبين المركب، ومرَّ المركب، ثم جاءت موجة أخرى وأخذت ابنه الأكبر، وجاء ذئب وأخذ ابنه الأصغر وبقي فريدا وحيداً، فظهر مركب آخر فلوح لهم ليحملوه فجاء المركب وركب فيه، وقعد ناحية من القوم، فلما مرت السفينة في البحر ركدت ولم تسر، واضطرب البحر، وخافوا الغرق، فقال صاحب السفينة: إن فيكم رجلا مشئومًا - وفي رواية: مذنبا وقال: لابد أن نلقيه في البحر حتى يسكن البحر وننجو - وفي رواية قال: إن فيكم عبداً آبقًا؛ فقام يونس - عليه السلام - فقال: أنا العبد المذنب، وأنا الآبق، فقالوا: من أنت؟ قال: أنا يونس بن متي؛ فعرفوه، وقالوا: لا نلقيك يا رسول الله، ولكن نتساهم؛ فتساهموا ثلاث مرات، وخرجت القرعة عليه، وروى أنهم قالوا: نكتب اسم كل واحد منا على خشبة؛ فمن غرق اسمه فهو المطلوب؛ فغرق اسم يونس من بينهم، وأوحى الله إلى حوت عظيم حتى قصد السفينة، قالوا: فلما رآه أهل السفينة وقد فَغَرَ فاه، وهو مثل الجبل عظيما؛ خافوا الهلاك، وجعل الحوت ينظر إلى من في السفينة، كأنه يطلب شيئا، ثم إن يونس لما رأى ذلك زجَّ نفسه في الماء، وروى أن القوم ألقوه برضاه فالتقمه الحوت ومرَّ به، وسكن البحر وسارت السفينة.

وفي بعض الآثار: أن الله تعالى أوحى إلى الحوت: إني لم أجعله لك رزقا، فإياك أن تكسر له عظما أو تخدش له لحما، وإنما جعلت بطنك له حرزا ومسجدا.

قوله تعالى: ﴿فالتقمه الحوت وهو مليم﴾ قد بينا الالتقام.

وقوله: ﴿وهو مليم﴾ أي: أتى بما يلام عليه.

بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن

قوله تعالى: ﴿فلولا أنه كان من المسبحين﴾ أى: من المصلين لله تعالى والذاكرين إياه قبل أن يلتقمه الحوت ﴿للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون﴾ أى: جعلنا بطن الحوت له قبرا فيُحشر منه، وقيل: فلولا أنه كان من المسبحين فى بطن الحوت، وتسبيحه ما ذكرنا من قبل: ﴿إنى كنت من الظالمين﴾(١).

قال الضحاك: شكر الله تعالى له طاعته القديم، وعن بعضهم قال: العمل الصالح يرفع صاحبه إذا عثر، ويأخذ بيده إذا صُرِعَ.

وفى بعض الآثار: أن يونس - صلوات الله عليه - لما دعا الله تعالى فى بطن الحوت، قالت الملائكة: صوت معروف من بلاد غريبة؛ فقالت الملائكة: ياربنا من هو؟ قال: عبدى يونس عصانى؛ فسجنته فى بطن الحوت.

وذكر النقاش فى تفسيره: أن يونس - صلوات الله عليه - دعا ربه فى بطن الحوت، وقال: إلهى من البيوت أخرجتنى، وفى البحار سترتنى، وفى بطن الحوت حبستنى، فإن كنت عملت لك عملا صالحا ففرج عنى.

وذكر أيضا: أنه لقى قارون فى لجج البحار؛ فسمع قارون صوت يونس - عليه السلام - فكان فى عذاب شديد؛ فطلب أن يمسك عنه العذاب، حتى يسأل يونس؛ فأمر الله تعالى بإمساك العذاب عنه، فسأل قارون يونس عن ابن عمه موسى؛ فقال: قد توفى، وسأل عن هارون؛ فقال: قد توفى قبله؛ فقال: واحزناه فأمر الله تعالى أن يرد عنه العذاب إلى يوم القيامة لما سأل عن ابن عمه.

وذكر أيضا: أن الحوت قرّ به فى لجج البحار مسيرة ستة آلاف سنة، وذكر أنه بلغ به نجوم الأرضين السابعة؛ فسمع من تسبيح الحصى وما فى قعر البحر شيئا عظيما، وذكر أن البحر تكلَّم معه، وقال: إلى أين كنت تريد أن تهرب من مولاى أيها العبد الخاطئ؟! إلى الأرض، أم إلى السماء، أم إلى البحار، أم إلى الجبال! وإنا نسبح الله تعالى منذ خلقنا ونعبده، ونخاف أن يعذبنا، والله أعلم.

(١) الأنبياء: ٨٧.

يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾

قوله تعالى: ﴿فنبذناه بالعراء وهو سقيم﴾ اختلف القول فى مقدار مكث يونس فى بطن الحوت، فذكر ابن جريج (والسدى)(١): أنه مكث أربعين يومًا، وذكر مقاتل: أنه مكث ثلاثة أيام، وذكر الضحاك: أنه مكث عشرين يومًا وذكر عطاء: أنه مكث سبعة أيام، وذكر الشعبى أنه مكث دون يوم، والتقمه الحوت ثم لفظه بعد ساعات يسيرة.

وعن ابن مسعود قال: ألقاه الحوت، وهو مثل الفرخ، وفى التفسير: أنه ألقاه الحوت وقد بلى لحمه، ورقَّ عظمه، ولم يبق له قوة.

وقوله: ﴿بالعراء﴾ فيه قولان: أحدهما: أن العراء وجه الأرض، والآخر: أنه الموضع الخالى، ذكره أبو عبيدة، قال الشاعر:

ورفعتُ رجلى لا أخاف عثارها ... ونبذتُ بالبلدِ العَراءِ ثيابِى

قوله: ﴿وهو سقيم﴾ أى: ضعيف، وقيل: بمنزلة السقيم، قوله تعالى: ﴿وأنبتنا عليه شجرة من يقطين﴾ ها هنا هو [الدُّبَّاء](٢) فى قول جميع المفسرين، وقال ثعلب: كل شجرة ليس لها ساق، وهى تنبسط على وجه الأرض فهو يقطين، والقطنية معروف، وجمعه القطانى.

وذكر النقاش: أن ذلك [الدباء](٣) كان من بذر الجنة، وكان عليه ألف ورقة.

وفى القصة: أن يونس استظل بتلك الشجرة، وجعل يأكل منها، ويشرب من مائها حتى قوى، ثم إن الله تعالى أيبس الشجرة، وقد نام نومة فاستيقظ، وقد يبست الشجرة؛ فحزن حزنا شديدا، وأصابه أوار الشمس، وجعل يبكى؛ فبعث الله إليه جبريل - عليه السلام - وقال: أتحزن على شجرة، ولا تحزن على مائة ألف من أمتك، وقد أسلموا وتابوا إلىَّ، ثم إن الله تعالى أمره أن يرجع إلى قومه، فهو معنى قوله: ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾.

(١) ليست فى «ك».

(٢) فى «الأصل، وك»: الولى، وهو تحريف، وما أثبتناه متفق مع ما جاء فى كتب التفسير. والله أعلم.

(٣) سبق فى التعليق السابق.

قال سعيد بن جبير، عن ابن عباس: كانت نبوته بعد أن أخرجه الله تعالى من بطن الحوت، والأصح أنه كان نبيا من قبل، وقد دلَّ على هذا قوله تعالى: ﴿وإن يونس لمن المرسلين إذ أبق﴾.

وقوله: ﴿إلى مائة ألف أو يزيدون﴾ قال الفراء: بل يزيدون، وقيل: يزيدون، وقال المبرد: كلمة «أو» هاهنا على بابها، ومعناه: أو يزيدون على تقدير كم وظنكم، وهو كالرجل يرى قوما؛ فيقول: هؤلاء ألف ثم يقول: ألف أو يزيدون؛ فيكون الشك راجع إلى من رآهم لا إلى الله تعالى، وأما قدر الزيادة فأشهر الأقاويل: أنها عشرون ألفا، وذكره أبو عيسى فى جامعه مرفوعا إلى النبى ﷺ (١).

والقول الثاني: خمسة وثلاثون ألفا، والقول الثالث: سبعون ألفا.

وأما البلد الذى أرسل إليه فهو «نينوى» من بلاد الموصل.

قوله: ﴿فآمنوا فمتعناهم إلى حين﴾ أى: إلى منتهى آجالهم.

فإن قيل: قال هاهنا: ﴿فنبذناه بالعراء وهو سقيم﴾ وقال فى موضع آخر ﴿لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء﴾(٢) وهو يدل على أنه لم ينبذ، فكيف وجه التوفيق بين الآيتين؟

والجواب عنه: أن الله تعالى قال فى تلك الآية: ﴿لنبذ بالعراء وهو مذموم﴾ أى: لولا رحمتنا ونعمتنا لنبذ بالعراء وهو مذموم، ولكن تداركته النعمة؛ فنبذ وهو غير مذموم، وأنشد «أو» بمعنى بل.

بدت مثل عين الشمس فى رونق الضحى وصورتها أو أنت فى العين أملح

أى: بل أنت.

قوله تعالى: ﴿فاستفتهم﴾ معناه: سلهم، وهو سؤال توبيخ وتقرير، وقوله:

---

(١) رواه الترمذى (٥/ ٣٤٠ رقم ٣٢٢٩) وقال: غريب، وابن جرير (٢٣/ ٦٧)، وابن أبى حاتم، كما فى تفسير ابن كثير (٤/ ٢٢) عن أبى بن كعب مرفوعا به.

وزاد السيوطى فى الدر (٥/ ٣١٧) نسبته لابن المنذر، وابن مردويه.

(٢) القلم: ٤٩.

﴿١٥٠﴾ أَلا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى
الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ
سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا

﴿ ألربك البنات ولهم البنون ﴾ معناه: جعلوا لربك البنات، ولأنفسهم البنين، أى: اختاروا كذلك.

وقوله: ﴿ أم خلقنا الملائكة إناثا ﴾ معناه: أخلقنا الملائكة إناثا ﴿ وهم شاهدون ﴾ خلقنا إناثا، وقد كانوا يزعمون أن الملائكة بنات الله. قال أهل التفسير: ولم يكن يزعم هذا جميع قريش، وإنما قال هذا بعض قريش، وقوم من بنى كنانة، وهم بنو مُدلج.

قوله تعالى: ﴿ ألا إنهم من إفكهم ﴾ أى: من كذبهم، وقوله: ﴿ ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون ﴾ وهو على ما قال الله تعالى. قوله تعالى: ﴿ أصطفى البنات على البنين ﴾ معناه: أصطفى البنات على البنين، وهو استفهام بمعنى الزجر والتوبيخ، وقرئ: «إصطفى» بكسر الألف (على)(١) الخبر، ومعناه: إصطفى البنات على البنين فى زعمكم وقولكم.

وقوله: ﴿ ما لكم كيف تحكمون ﴾ أى: كيف تقولون أن الله تعالى اختار البنات على البنين، وأنتم لا تختارون إلا البنين.

وقوله: ﴿ أفلا تذكرون ﴾ أى: أفلا تتعظون، قوله تعالى: ﴿ أم لكم سلطان مبين ﴾ أى: حجة بينة، وقوله: ﴿ فأتوا بكتابكم ﴾ أى: بكتاب من عندكم يدل على ما قلتموه ﴿ إن كنتم صادقين ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وجعلوا بينه وبين الجِنَّة نسبا ﴾ الجنة: هاهنا هم الملائكة فى قول أكثر المفسرين، وعن بعضهم: أنهم الجن، وقد كان زعم بعض قريش أن الملائكة بنات الله على ما ذكرنا؛ فقال أبو بكر الصديق لهم: فمن أمهاتهم؟ فقالوا: سَرَوات الجن؛ فهذا معنى قوله تعالى: ﴿ وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ﴾.

(١) فى «ك»: بمعنى.

وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ
الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلاَّ مَنْ هُوَ صَالِ
الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ

وقوله: ﴿ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون﴾ أى: محضرون الحساب، وقيل: محضرون العذاب، قوله تعالى: ﴿سبحان الله عما يصفون﴾ نزه نفسه عما وصفوه به من هذا القول الشنيع.

وقوله: ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ قد ذكرنا من قبل، فإن قيل: أى اتصال لقوله: ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ بقوله: ﴿سبحان الله عما يصفون﴾ وكيف يصح الاستثناء فى هذا الباب، وكلمة إلا للاستثناء؟

والجواب عنه: أن فى الآية تقديما وتأخيرا، فكأن الله تعالى قال: ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون العذاب إلا عباد الله المخلصين فإنهم لا يحضرون، ثم قال سبحان الله عما يصفون؛ فهذا هو التقدير فى الآية.

قوله: ﴿فإنكم وما تعبدون﴾ أى: من الأصنام، وقوله: ﴿ما أنتم عليه بفاتنين﴾ أى: ما أنتم على الله بمضلين إلا من أضله الله، قال ابن عباس: لا يضلون إلا من كتب الله له الضلال، وروى هذا القول عن الحسن البصرى ومحمد بن كعب القرظى وإبراهيم النخعى والضحاك وغيرهم.

قال الشاعر:

فردَّ بنعمته كيدَهُ عليهِ وكان لنا فاتِنا

أى: مضلا.

وقال بعضهم: لايضلون إلا من كتب الله أنه يدخل الجحيم، وقيل: إلا من أشقاه الله؛ فهذا معنى قوله: ﴿إلا من هو صال الجحيم﴾

قوله تعالى: ﴿ومامنا إلا له مقام معلوم﴾ هذا خبر عن الملائكة، ومعناه: وما منا

الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾

ملك إلا وله مقام معلوم، وفى الخبر عن النبى ﷺ أنه قال: «ليس موضع قدم فى السماء إلا وفيه ملك قائم أو راكع أو ساجد»(١).

ويقال: إن مقام جبريل عند سدرة المنتهى ولامجاوزة له إلى مأواها .

قوله تعالى: ﴿ وإنا لنحن الصافون ﴾ أى: المصطفون فى السماء للعبادة ﴿ وإنا لنحن المسبحون ﴾ أى: الممجدون لله، والمنزهون إياه عما لا يليق به .

قوله تعالى: ﴿ وإن كانوا ليقولون ﴾ معناه: وقد كانوا يقولون؛ أى: قريش .

وقوله: ﴿ لوأن عندنا ذكرا من الأولين ﴾ أى: كتابا ككتاب الأولين .

وقوله: ﴿ لكنا عباد الله المخلصين ﴾ ظاهر المعنى .

قوله تعالى: ﴿ فكفروا به ﴾ فيه حذف، والمحذوف: أنه قد جاءهم الكتاب والذكر فكفروا به، وقوله: ﴿ فسوف يعلمون ﴾ تهديد من الله لهم .

قوله تعالى: ﴿ ولقد سبقت كلمتنا ﴾ أى: حكمنا، وقوله: ﴿ لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون ﴾ أى: النصرة تكون لهم، وقد قال [الله](٢) فى موضع آخر: ﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ﴾(٣).

وقوله: ﴿ وإن جندنا لهم الغالبون ﴾ أى: الغلبة تكون للمؤمنين، وهذا لقوم دون

(١) رواه الترمذى (٥/ ٤٨١ - ٤٨٢ رقم ٢٣١٢) وقال: حسن غريب، وابن ماجه (٢/ ١٤٠٢ رقم ٤١٩٠)، وأحمد (٥/ ١٧٣)، وابن نصر فى تعظيم قدر الصلاة (١/ ٢٥٩ رقم ٢٥١)، والحاكم (٤/ ٥٧٩) وصححه على شرطهما، وأبو نعيم فى الحلية (٢/ ٢٣٦) عن أبى ذر مرفوعا بنحوه.

وفى الباب عن عائشة، وابن مسعود، وحكيم بن حزام، وانظر الصحيحة (١٠٥٩، ١٠٦٠).

(٢) من «ك».

(٣) المجادلة: ٢١ .

فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾

قوم، وفي وقت دون وقت؛ لأن المسلمين قد يغلبون وينصر عليهم غيرهم، وقيل: العاقبة تكون لهم .

وقوله تعالى: ﴿ فتولَّ عنهم حتى حين ﴾ أى: أعرض عنهم حتى حين أى: حين الموت، وقيل: إلى أن يأتيهم عذاب الله .

وقوله: ﴿ وأبصرهم فسوف يبصرون ﴾ قال قتادة: أبصروا حين لم ينفعهم البصر، قوله تعالى: ﴿ أفبعذابنا يستعجلون ﴾ قد بينا أنهم قالوا: ﴿ اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء ﴾(١) على ماقال الله، وقال تعالى فى موضع آخر: ﴿ يستعجل بها الذين لايؤمنون بها ﴾(٢) أى: يستعجل بالقيامة الذين لايؤمنون بها .

قوله تعالى: ﴿ فإذا نزل بساحتهم ﴾ أى: نزل بساحتهم، ومعناه: أصابهم العذاب، وقوله: ﴿ فساء صباح المنذرين ﴾ أى: فبئس صباح الذين أنذروا بالعذاب، وقد ثبت أن النبى ﷺ لما غزا خيبر، ووصل إليها رأى اليهود وقد خرجوا بمكاتلهم ومساحيهم من حصونهم؛ فلما رآوا الجيش، قالوا: محمد والخميس؛ فقال النبى ـ ﷺ ـ: «الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين»(٣).

قوله تعالى: ﴿ وتولَّ عنهم حتى حين ﴾ هو بمعنى الأول، وذكره على التأكيد، وقوله: ﴿ وأبصر فسوف يبصرون ﴾ أى: انتظر حالتهم ومايؤول إليه أمرهم؛ فينتظرون لحالهم وماينزل بهم .

(١) الأنفال: ٣٢ .

(٢) الشورى: ١٨ .

(٣) متفق عليه من حديث أنس، رواه البخارى (١/٥٧٢ رقم ٣٧١ وأطرافه ٦١٠، ٩٤٧، ٢٢٢٨، ٢٢٣٥، ٢٨٩٣، ٢٩٤٣ – ٢٩٤٥، ٢٩٩١، ٣٠٨٥، ٣٠٨٦، ٣٣٦٧، ٣٦٤٧، ٤٠٨٣، ٤٠٨٤، ٤١٩٧ – ٤١٩٩، ٤٢٠٠، ٤٢٠١، ٤٢١١ – ٤٢١٣، وغيرها)، ومسلم (١٢/٢٢٧ – ٢٣٠ رقم ١٨٠١).

وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ .

قوله تعالى: ﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون ﴾ أي: ذو العزة، وقوله: ﴿ وسلام على المرسلين ﴾ أي: الأنبياء الذين أرسلوا إلى الخلق .

وقوله: ﴿ والحمد لله ربِّ العالمين ﴾ على ماذكرنا، وروى الأصبغ بن نباته عن علي - رضي الله عنه - أنه قال: من أراد أن يكتال الأجر يوم القيامة بالمكيال الأوفى، فليكن آخر كلامه في مجلسه: ﴿ سبحان ربك ربِّ العزة عما يصفون ﴾ إلى آخر السورة .

وفي بعض الأخبار برواية أبي سعيد الخدري: «أن النبي - ﷺ - كان إذا صلى أو انصرف من مجلسه قال: ﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون ﴾ إلى آخر السورة» (١) .

(١) رواه عبد بن حميد (٢٩٦ - ٢٩٧ رقم ٩٥٤، ٩٥٦)، وأبو يعلى (٢/ ٣٦٣ رقم ١١١٨)، عن أبي سعيد مرفوعا بنحوه .

وزاد السيوطي نسبته في الدر (٥/ ٣٢٠) لسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وابن مردويه .

وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٥) بعد أن ساقه من طريق أبي يعلى: إسناده ضعيف .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

صٓ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن

تفسير سورة ص

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿صٓ﴾ قرأ الأكثرون: ﴿صٓ﴾ بالتسكين، وقرأ الحسن: ﴿صٓ﴾ بخفض الدال، وقرأ عيسى بن عمر النحوى: ﴿صٓ﴾ بفتح الدال، والقراءة المعروفة بالتسكين .

وعلة التسكين أنه حرف من حروف التهجى، وعند العرب أن هذا يكون ساكنا، وأما قراءة الحسن فمعناه: صادِ القرآنَ بعملك أى: عارضه بعملك، وأما قراءة الفتح فمعناه: إنك صاد .

وأما معنى «ص»: روى عن ابن عباس أنه قال: صدق محمد، وعن الضحاك: صدق الله، وقال مجاهد: هذا من فواتح السور، وقال قتادة: اسم من أسماء القرآن، وهو قسم، وذكر الكلبى أن معناه: والصادق المعنى على القسم .

وقوله: ﴿والقرآن ذى الذكر﴾ أى: ذى الشرف، وقد قال فى موضع آخر: ﴿لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم﴾[1] أى: شرفكم.

وقوله: ﴿بل الذين كفروا فى عزة وشقاق﴾ وقرئ فى الشاذ: «فى غرة وشقاق» بالغين المعجمة، والمعروف بالعين والزاى.

وقوله: ﴿فى عزة﴾ أى: فى حميِّة، قال قتادة: معنى قوله: ﴿عزة﴾ أى: نفروا عن قبول الحق، وتكبروا عن الانقياد، وأما القراءة بالغين فهو من الغرور والغفلة، وقوله: ﴿وشقاق﴾ أى: عداوة واختلاف.

قوله تعالى: ﴿كم أهلكنا﴾ اعلم أنه اختلف قول أهل التفسير فى جواب القسم؛ فقال بعضهم: جواب القسم هو قوله تعالى: ﴿إن ذلك لحق تخاصم أهل

(١) الأنبياء: ١٠.

قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوْا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ

النار﴾ وهذا قول ضعيف؛ لأنه قد تخلل بين القسم وبين هذا الجواب أقاصيص وأخبار كثيرة، والقول الثانى: أن جواب القسم قوله: ﴿كم أهلكنا﴾ وفيه حذف، ومعناه: لكم أهلكنا.

والقول الثالث: أن جواب القسم محذوف، ومعناه: صاد والقرآن ذى الذكر، ليس الأمر على مازعموا يعنى: الكفار.

وقوله: ﴿كم أهلكنا من قبلهم من قرن﴾ كم للتكثير، والقرن قد بينا من قبل.

وقوله: ﴿فنادوا﴾ أى: استغاثوا عند الهلاك، وقوله: ﴿ولات حين مناص﴾ أى: ليس حين (فرار)[1]، وقيل: ليس حين (مغاب)[2]، ويقال: نادوا وليس حين نداء.

«ولات» بمعنى ليس لغة يمانية، وقيل: ضمت «التاء» إلى «لا» للتأكيد، كما يقال: رُبَّتْ وثُمَّتْ بمعنى رُبَّ وثُمَّ، وقال أهل اللغة: ناص ينوص إذا تأخر، وباص يبوص إذا تقدم، قال الشاعر:

أَمِنْ ذكر سلمى إن نتك تَنُوصُ ... فتقصر عنها خطوة وتبوصُ

وقال آخر فى «لات» بمعنى ليس:

طَلَبوا صُلْحَنَا ولاتَ أَوَانِ ... فأجبنا أَنْ ليس حينَ بَقاءِ

وذكر بعضهم: أنه كان من عادة العرب إذا اشتدت الحرب، يقول بعضهم لبعض: مناص مناص، أى: احملوا حملة واحدة ينجو فيها من نجا، ويهلك [فيها][3] من

(١) فى «ك»: قرار.

(٢) فى «ك»: مغاث.

(٣) من «ك».

هلك فقالوا ذلك حين أصابهم العذاب من الله تعالى، فقال الله تعالى لهم: «ولات حين مناص» أى: وليس (حين هذا)[1] القول، وأنشد بعضهم شعرا:

تذكر حب ليلى لات حينا ويضحى الشيب قد قطع القرينا

قوله تعالى: ﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم﴾ أى: محمد ﷺ، وقوله: ﴿وقال الكافرون هذا ساحر كذاب﴾ أى: خادع كذاب.

قوله تعالى: ﴿أجعل الآلهة إلهًا واحدًا إن هذا لشىء عجاب﴾ أى: عجب، وعجيب وعجاب بمعنى واحد، وقرأ أبو عبد الرحمن السلمى: «إن هذا لشىء عُجَّابٌ» بالتشديد، وهو بمعني الأول.

قوله تعالى: ﴿وانطلق الملأ منهم﴾ سبب نزول هذه الآية هو «أنه جاء وجوه قريش إلى أبى طالب، وهم أبو جهل، والوليد بن المغيرة، وعتبة وشيبة وطعيمة بن عدى، وعقبة بن أبى معيط، وأُبى وأمية ابنا خلف[2]، وزمعة بن الأسود، وغيرهم، وشكوا إليه محمداً ﷺ، وقالوا: إنه يسب آلهتنا ويسفه أحلامنا، ويذكر أن آباءنا فى النار؛ فدعا أبو طالب النبى ﷺ وقال: يابن أخ، هؤلاء قومك جاءوا يشكونك، ويذكرون كذا وكذا، فماذا تطلب منهم؟قال: أطلب منهم كلمة واحدة إن قالوها دانت لهم العرب، وأدت إليهم العجم الجزية، فقال القوم: نحن نقول عشر كلمات، فماذا تريد؟ فقال: قولوا لاإله إلا الله، فنفروا وقاموا، وقالوا: لانقولها أبدا، وجعل بعضهم يقول لبعض: امشوا واصبروا على آلهتكم أى: الزموها، وأقيموا على عبادتها»[3].

وقوله: ﴿إن هذا لشىء يراد﴾ أى: أمر محمد شىء، يراد بالناس فيه الشر

(١) فى «ك»: هذا حين.

(٢) فى «ك»: وأبى أمية بن خلف، وهو خطأ.

(٣) رواه الترمذى (٥/ ٣٤١ رقم ٣٢٣٢) وحسنه، والنسائى فى الكبرى (٦/ ٤٤٢ رقم ١١٤٣٦)، وأحمد (١/ ٢٢٧، ٣٦٢)، وأبو يعلى (٤/ ٤٥٥-٤٥٦ رقم ٢٥٨٣)، وابن جرير (٢٣/ ٧٩)، وابن حبان فى صحيحه (١٥/ ٧٩-٨٠رقم٦٦٨٦)، والحاكم (٢/ ٤٣٢) وصححه، والبيهقى (٩/ ١٨٨)، والواحدى فى أسباب النزول (٢٧٥-٢٧٦) عن ابن عباس بنحوه مختصراً.

سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ ﴿٧﴾ أَؤُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ

والهلاك، وقرأ ابن مسعود - رضى الله عنه - « وانطلق الملأ يمشون أن اصبروا على آلهتكم »، ويقال : إن هذا لشيء يراد أى : لشيء يراد بأهل الأرض فى إرسال محمد ﷺ ويقال : يراد أى : يراد بمحمد ويملك علينا ويرأس .

وفى الآية قول آخر، وهو أنها نزلت فى إسلام عمر - رضى الله عنه - وما حصل للمسلمين من القوة بمكانه، فقال الكفار لما أسلم عمر : إن هذا لشيء يراد أى : إن أمر محمد لشيء يراد، حيث قوى بإسلام عمر .

قوله تعالى : ﴿ ماسمعنا بهذا فى الملة الآخرة ﴾ أى : النصرانية، هكذا قاله ابن عباس وابن جريج والسدى، وهى آخر الملل، ولم يكونوا موحدين، فإنهم كانوا يقولون : إن الله ثالث ثلاثة، وقال مجاهد : ماسمعنا هذا فى الملة الآخرة أى : فى ملة قريش، وقيل : فى ملتنا هذه، وعن مؤرّج بن عمرو(١) قال : فى الملة الآخرة أى : فى الملة الأولى، وهو لغة لبعض العرب .

وقوله ﴿ إن هذا إلا اختلاق ﴾ أى : افتعال وكذب .

قوله تعالى : ﴿ أأنزل عليه الذكر من بيننا ﴾ معناه : أن أهل مكة قالوا : أأنزل على محمد القرآن من بيننا، وليس بأفضلنا ولا أشرفنا؟ .

وقوله : ﴿ بل هم فى شك من ذكرى ﴾ أى : مما أنزلت .

وقوله : ﴿ بل لما يذوقوا عذاب ﴾ أى : لم يذوقوا عذابى وسيذقونه .

قوله تعالى : ﴿ أم عندهم خزائن رحمة ربك ﴾ معناه : أعندهم خزائن رحمة ربك؟ والخزائن : هى البيوت التى تعد فيها الأشياء النفيسة .

وحقيقة المعنى : أنه ليس عندهم خزائن الرحمة والنبوة، فيعطونها من شاءوا، ويمنعونها من شاءوا .

---

(١) وهو أبو فيد السدوسى النحوى، صاحب كتاب غريب القرآن. الإكمال لابن ماكولا (٧/ ٧٢ - ٧٣).

الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الأَسْبَابِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ

وقوله: ﴿العزيز الوهاب﴾ العزيز: هو المنيع فى ملكه، الغالب على خلقه، الوهاب: المعطى لخلقه، وقوله تعالى: ﴿أم لهم ملك السموات والأرض ومابينهما﴾ أى: ليس لهم ذلك.

وقوله: ﴿فليرتقوا فى الأسباب﴾ أى: فليعلوا فى أسباب القوة والمنعة إن كان لهم ذلك على مازعموا، قاله أبو عبيدة، وقيل: فليقعدوا إلى أبواب السماء. والأسباب هى الموصلاة فى اللغة، والحبل يسمى سببا؛ لأنه يوصل به إلى الشىء، فالارتقاء فى الأسباب هو التوصل من شىء إلى شىء حتى يبلغ أعلاه، والمراد من الآية إثبات عجزهم، وإبطال زعمهم فيما ادعوه من المنعة والقوة.

قوله تعالى: ﴿جند ماهنالك مهزوم من الأحزاب﴾ أى: جند هنالك، «وما» صلة، والمعنى أنهم مهزومون مقموعون، واختلف القول فى المعنى لهم، فأحد القولين: هم الأصنام، والقول الآخر: أن المعنى هم مشركو قريش، وهم الذين قتلوا وأسروا ببدر، وقيل: إن هنالك إشارة إلى مصارعهم من بدر.

وقوله: ﴿من الأحزاب﴾ أى: من الذين تحزبوا وتجمعوا على الأنبياء بالتكذيب، قوله تعالى: ﴿كذبت قبلهم قوم نوح وعاد﴾ قد بينا .

وقوله: ﴿وفرعون ذو الأوتاد﴾ فى الأوتاد أقوال: أحدها: أنها البنيان، قال الشاعر:

ولقد غنوا فيها بأنعم عيشةٍ ... فى ظل مُلْكٍ ثابتِ الأوتادِ

أى: الأبنية، وقيل: الأوتاد جمع الوتد، وكان إذا أراد قتل إنسان وتد فى يديه ورجليه أربعة أوتاد وهو مستلقى، ووجهه إلى السماء .

والقول الثالث: أن الأوتاد هى الملاعب بالأرسان(١) المشدودة بالأوتاد، وقد كان

---

(١) فى «ك»: الأرسال.

ذُو الأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ أُوْلَئِكَ الأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلاَّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَؤُلاءِ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾ اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ

لفرعون ذلك.

وقوله: ﴿وثمود وقوم لوط﴾ قد بينا، وحكى عطاء عن ابن عباس: أنه مامن نبى إلا ويكون له أمة يوم القيامة سوى لوط - عليه السلام - فإنه يأتى وحده، وذكر بعضهم: أن قوم لوط كانوا أربعمائة ألف بيت، فى كل بيت عشرة نفر، ولم يسلم أحد منها .

وقوله: ﴿وأصحاب الأيكة﴾ أى: الغيضة، وقوله: ﴿أولئك الأحزاب﴾ يعنى: الذين تحزبوا على الأنبياء .

قوله تعالى: ﴿إن كلٌّ إلاكذب الرسل﴾ أى: مامنهم قوم إلا وقد كذب الرسل، وقوله: ﴿فحق عقاب﴾ أى: فوجب عذابى عليهم.

قوله تعالى: ﴿وما ينظر هؤلاء إلاصيحة واحدة﴾ والصيحة هاهنا هى نفخة فى الصور، وقوله: ﴿مالها من فُواق﴾ قرئ بالنصب والرفع، وقال بعضهم: هما بمعنى واحد . وقال بعضهم: هما مختلفان؛ فقوله بالنصب: من الإفاقة، وقيل: مثنوية، ويقال: رجوع وتأخير، وقوله بالرفع أى: من انتظار، والفواق فى اللغة مابين الحَلْبتين، والمعنى أن العذاب لايمهلهم، ولايلبثهم بذلك القدر .

وقوله تعالى: ﴿وقالوا ربنا عجل لنا قطنا﴾ قال سعيد بن جبير: أى: نصيبنا (من)(١) الجنة، وقال الحسن البصرى: قطنا أى: نصيبنا من العذاب، وإنما قالوا ذلك تكذيبا واستهزاء، والقط هو الكتاب الذى يُكتب فيه(١) الجائزة، والقطوط كتب الجوائز.

وفى الآية قول آخر: وهو أن الله تعالى لما أنزل قوله: ﴿فأمَّا من أوتى كتابه

---

(١) فى «ك»: فى.

بيمينه﴾[١] ﴿وأما من أوتى كتابه بشماله﴾[٢] فسمع المشركون ذلك؛ فقالوا: ربنا عجِّل لنا قطنا أى: صحيفتنا.

وقوله: ﴿قبل يوم الحساب﴾ ظاهر، وإنما قالوا تكذيبا واستهزاء.

قوله تعالى: ﴿اصبر على مايقولون﴾ أى: على مايقول الكفار.

وقوله: ﴿واذكر عبدنا داود﴾ هو داود بن إيشا، وقد بينا، قوله: ﴿ذا الأيد﴾ أى: ذا القوة، فيقال: ذا القوة فى العبادة، ويقال: ذا القوة فى المُلك .

وأما قوله فى العبادة؛ فقد كان يصوم يوما ويفطر يوما، وكان يقوم سدس الليل وينام نصفه، ويقوم ثلثه، وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «أحب الصيام إلى الله تعالى صيام داود، وأحب القيام إلى الله قيام داود»[٣]، وقوله: ﴿إنه أواب﴾ أى: تواب، وقيل: رجاع، فقال: آب يئوب إذا رجع، قال الشاعر:

وكلُّ ذى غيبة يئوب وغائبُ الموت لايئوبُ

وقيل: أواب معناه: أنه كان كلما ذكر ذنبه استغفر الله تعالى .

قوله تعالى: ﴿إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى﴾ العشى: آخر النهار.

وقوله: ﴿والإشراق﴾ هو وقت الضحى، وعن ابن عباس قال: ماكنت أعرف معنى الإشراق حتى أخبرتنى أم هانئ – رضى الله عنها – أن النبى ﷺ صلى صلاة الضحى

---

(١) الحاقة: ١٩.

(٢) الحاقة: ٢٥.

(٣) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا به، رواه البخارى (٣/ ٢٠رقم١١٣١، وأطرافه: ١١٥٢،١١٥٣،١٩٧٤-١٩٨٠،٣٤١٨-٣٤٢٠ ، ٥٠٥٢-٥٠٥٤،٥١٩٩،٦١٣٤،٦٢٧٧)،ومسلم (٥٧٨ - ٦٩ رقم ١١٥٩).

﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ

فى بيتها، ثم قال: «هذه صلاة الإشراق»(١) والإشراق: أنه تشرق الشمس حتى تتناهى فى ضوئها.

قوله تعالى: ﴿والطير محشورة﴾ وسخرنا الطير محشورة، وقوله: ﴿محشورة﴾ مجموعة، وقوله: ﴿كل له أواب﴾ اختلف القول فى معنى قوله: ﴿كل له أواب﴾ فأحد القولين معناه: كل لله أواب أى: مسبح.

والقول الثانى: كل له أواب أى: لدواد يعنى: أواب معه.

والأواب هاهنا هو المسبح، والتسبيح هو عبادة أهل السموات والأرض.

قوله تعالى: ﴿وشددنا ملكه﴾ أى: وقوينا ملكه، قال مجاهد: كان له أربعمائة ألف رجل يحرسونه، ومن المعروف ستة وثلاثون ألفا يحرسونه. وعن بعضهم: أربعون ألفا مستلأمة أى: فى السلاح، وقد لبس لأمته أى: درعه وسلاحه.

وقوله تعالى: ﴿وآتيناه الحكمة﴾ أى: النبوة، وقيل: الفقه فى الدين، ويقال: الفهم فى القضاء.

وقوله: ﴿وفصل الخطاب﴾ فيه أقوال:

أحدها: البينة على المدعى، واليمين على من أنكر، وهو فصل الخطاب، وهذا قول مشهور ومعروف .

والقول الثانى: أن فصل الخطاب هو البيان الفاصل بين الحق والباطل .

(١) رواه الطبرانى فى الكبير (٢٤/٤٠٦ رقم ٩٨٦)، وفى الأوسط (٦/٦٣-٦٤ رقم ٣٣٨١)، والبغوى فى تفسيره (٤/٥١) عن ابن عباس بنحوه مرفوعًا. وزاد الزيلعى فى تخريجه على الكشاف (٣/١٨٧-١٨٨ رقم ١٠٠٩): الثعلبى، وابن مردويه، والواحدى. وضعف الهيثمى إسناد الطبرانى فى المجمع (٢/٢٤٨، ٧/١٠٢). ورواه الحاكم (٤/٥٣) عن ابن عباس عن أم هانئ: أن رسول الله ﷺ صلى الضحى ثمان ركعات، فخرج وهو يقول: لقد قرأت ما بين اللوحين فما عرفت صلاة الإشراق إلا الساعة ... هذه صلاة الإشراق. وقال الحافظ ابن حجر: وهو أصح.

فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ

والقول الثالث: أن معناه: أما بعد، ذكره الشعبى، وإنما سمى: أما بعد فصل الخطاب؛ لأن الإنسان يذكر الله ويحمده، فإذا شرع فى كلام آخر قال: أما بعد، فقد كان كذا، وكان كذا.

وقد ورد فى القصة: أن رجلا أتى داود - عليه السلام - وادعى أن فلانا اغتصب منه بقرا، فدعا المُدعىَ عليه، فجحد؛ فرأى فى المنام أنه أمر بقتل المدعى عليه فلم يفعل، فرأى ثانيا وثالثا، وأنذر بالعذاب إن لم يفعل، فدعا المدعى عليه، وأخبره أن الله تعالى أمره بقتله؛ فقال: أو حق هو؟ قال: نعم.

فقال: أتقتلنى بغير حجة؟ فقال له: والله لأنفذن أمر الله فيك.

فقال: إنى لم أقتل بهذا، ولكنى كنت اغتلت أبا هذا الرجل وقتلته، وأقر به، فقتله داود - عليه السلام - فلما رأت بنو إسرائيل ذلك هابوه أشد الهيبة، فهى معنى قوله ﴿وشددنا ملكه﴾.

قوله تعالى: ﴿وهل أتاك نبأ الخصم﴾ أى: خبر الخصم، وأنشدوا فى النبأ بمعنى الخبر:

إنى أرقت فلم أغمض جارى　　　جزعا من النبأ العظيم السار

والخصم اسم يقع على الواحد والاثنين والجماعة، وقيل معناه: ذو خصم ذوا خصم وذوو خصم، فعلى هذا يتناول الكل.

وقوله: ﴿إذ تسوروا المحراب﴾ أى صعدوا وعلوا، والمعنى: أنهم دخلوا من جانب سور المحراب لامن مدخل الذى يدخل الناس.

واتفقت عامة المفسرين على أن الذين دخلوا كانوا ملكين، وقيل: إنه كان أحدهما جبريل والآخر ميكائيل، وذكر تسوروا بلفظ الجمع؛ لأن الجمع يتناول الاثنين فصاعدا.

وقوله: ﴿إذ دخلوا على داود ففزع منهم﴾ أى: خاف منهم واختلف القول فى علة الخوف، فقال بعضهم: إنه خاف منهم، لأنهم دخلوا فى غير وقت الدخول، وقيل: خاف منهم؛ لأنهم دخلوا من أعلى السور.

وقوله: ﴿قالوا لاتخف﴾ يعنى: فلا تخف ﴿خصمان بغى بعضنا على بعض﴾ فإن قيل: كيف قال: ﴿خصمان بغى بعضنا على بعض﴾ ولم يكن من الملكين من بغى أحدهما على الآخر؟

والجواب عنه أن معناه: أرأيت خصمين بغى أحدهما على الآخر، فهذا من معاريض الكلام، وليس على معنى تحقيق بغى أحدهما على الآخر .

وقيل معناه: قالا: ماقولك فى خصمين بغى أحدهما على الآخر؟ وهذا قريب من الأول، وقوله: ﴿فاحكم بيننا بالحق﴾ أى: بالعدل.

وقوله ﴿ولاتشطط﴾ يقال: أشط يشط إذا جار، وشطا يشط إذا أبعد، قال الشاعر:

شطت مزار العاشقين، فأصبحت عَسِراً علىَّ طلابك ابنة مخرمِ

وقال عمر بن أبى ربيعة:

تشط غداً دار جيراننا وللدارُ بعد غد أبعد

فمعنى قوله: ﴿ولاتشطط﴾ أى: لا تَجُرْ، وقرئ بنصب التاء أى: لاتبعد عن الحق، وقوله: ﴿واهدنا إلى سواء الصراط﴾ أى: إلى الطريق المستقيم الصواب والعدل، وقوله: ﴿واهدنا﴾ أى: وأرشدنا .

قوله تعالى: ﴿إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة﴾ ذكر أهل التفسير أن سبب ابتلاء داود – عليه السلام – أنه فتن بامرأة أوريا بن حنان، وسبب ذلك أن داود – صلوات الله عليه – كان قسَّم أيامه، فكان يخلو يوما للعبادة، ويخلو يومًا لنسائه، ويجلس للقضاء يومًا مع بنى إسرائيل فيذاكرهم ويذاكرونه، فجلس يوما مع بنى إسرائيل يذاكرهم، فذاكروا فتنة النساء، فأضمر داود فى نفسه أنه إن ابتلى اعتصم .

وفى بعض التفاسير: أن داود – عليه السلام – رأى قرينيه من الملائكة، فقال لهما: ما بالكما معى، فقالا: نحفظك ونحرسك، فتفكر فى نفسه أنه كان مايحترز عنه من الأشياء يكون بحفظهما، أو مايفعل من العبادة فيكون بحفظهما، فهو لا يحمد فى ذلك؛ فأمر الله تعالى الملكين أن يخلياه يوما.

وفى بعض القصص: أن الله تعالى حذره يوما، وقال: هو يوم فتنتك، وفى بعضها: أنه سمع بنى إسرائيل يقولون فى دعواتهم: ياإله إبراهيم وإسحق ويعقوب، فأحب أن يذكر معهم، فذكر ذلك لله تعالى فى مناجاته، فقال: ياداود إنى ابتليتهم فصبروا . فقال: لوابتليتنى صبرت، فقال: يادواد إنى مبتليك يوم كذا، فلما كان ذلك اليوم دخل فى متعبده، وتخلى للعبادة، وهذا الوجه الثالث غريب، والمشهور ماذكرنا من قبل، قالوا: ولما كان فى ذلك اليوم وتخلى للعبادة وجعل يصلى ويقرأ التوراة والزبور ويكب على قراءتهما، فبينما هو خلال ذلك؛ إذ سقط طير من ذهب قريبا منه، ويقال: إنه إبليس تصور فى صورة طير، وكان جناحاه من الدر والزبرجد، فأعجبه حسن الطير، فقصد أن يأخذه فتباعد منه، وجعل هو يتبعه إلى أن أسرف فى اتباعه إلى دار من دور جيرانه، فرأى امرأة[1] تغتسل، فأعجبه حسنها وخلقها، وفتن بها، فلما أحست المرأة بمن ينظر إليها؛ حللت شعرها، فغشاها شعرها؛ فازداد داود فتنة، ورجع وسأل عن المرأة؛ فقيل: إنها امرأة أوريا بن حنان، فكان فى ذلك الوقت توجه غازيا إلى بعض الثغور، فأحب أن يقتل ويتزوج بامراته، فذكر بعضهم أن ذنبه كان هذا القدر.

وذكر بعضهم: أنه كتب إلى أمير الجيش أن يجعل أوريا قدام التابوت، وكان من جُعل قدام التابوت فإما أن يُقتل أو يفتح الله على يديه، فلما جُعل قدام التابوت قُتِلَ، فتزوج داود المرأة بعدما انقضت عدتها.

وروى مسروق عن ابن مسعود، وسعيد بن جبير عن ابن عباس أنهما قالا: كان ذنب داود أنه التمس من الرجل أن ينزل عن امرأته، هذا قول ابن مسعود، وأما لفظ ابن عباس: التمس أن يتحول له عنها.

(١) فى «ك»: امرأته.

قال أهل التفسير: وقد كان ذلك مباحا لهم غير أن الله تعالى لم يرض له بذلك، لأنه كان ذلك رغبة فى الدنيا، وازدياداً من[1] النساء، وقد أغناه الله تعالى عنها بما أعطاه من غيرها.

وذكر بعضهم: أن ذنبه كان هو أنه خطب امرأة، وقد خطبها غيره، فدخل على خطبة غيره، وكان ذلك منهيا فى شريعتهم، كما هو منهى فى شريعتنا.

قوله تعالى: ﴿إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة﴾ النعجة هاهنا كناية عن المرأة، والعرب تُكنى عن المرأة بالنعجة والشاه، قال الشاعر:

فرميتُ غفلةَ عينهِ عن شاتهِ ... فأصبتُ حبَّة قلبه وطِحَالَهَا

والمراد من الشاة هاهنا هى المرأة، وقرأ ابن مسعود: «تسعة وتسعون نعجة أنثى» قال بعضهم: ذكر أنثى على طريق التأكيد.

وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «ما أبقت الفرائض فلأَوْلى رجل ذكر»[2] فقوله: «ذكر» مذكور على وجه التأكيد.

وقيل: يجوز أن يقال: تسعة وتسعون نعجة، وإن كان فى خلالها ذكر، فلما قال: تسعة وتسعون نعجة أنثى، عرف قطعا أنه ليس فى خلالها ذكر.

وقوله: ﴿ولى نعجة واحدة﴾ فى التفسير: أنه كان لأوريا امرأة واحدة، ولداود تسعة وتسعون امرأة، فهذا هو المَعْنِىُّ بالنعاج والنعجة.

وقوله: ﴿فقال أكفلنيها﴾ أى: ضمها إلىَّ، وقيل: انزل لى عنها، وقيل: اجعلنى قيمها وكفيلا بأمرها.

وقوله: ﴿وعزنى فى الخطاب﴾ أى: غلبنى فى الخطاب، وقهرنى فى الخطاب أى:

---

(١) فى «ك»: فى.

(٢) متفق عليه من حديث ابن عباس، رواه البخارى (١٢/١٢ رقم ٦٧٣٢، وأطرافه: ٦٧٣٥، ٦٧٣٧، ٦٧٤٦)، ومسلم (١١/٧٥ - ٧٦ رقم ١٦١٥).

كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ

فى القول لقوة ملكه .

وحقيقة المعنى : أن الغلبة كانت له لضعفى فى يده، وإن كان الحق معى، وعن مجاهد قال : تحدث بنو إسرائيل عند داود أنه لايمضى على ابن آدم يوما إلا ويذنب فيه ذنبا، واعتقد داود - صلوات الله عليه - أنه يحفظ نفسه من الذنب، وعين يوما، فلما كان ذلك اليوم تخلى فى متعبده، وجعل يصلى ويسبح، ويقرأ التوراة والزبور، فابتلى بما ابتلى به على ماذكرنا .

وعن علي- رضى الله عنه - أنه قال : من زعم أن داود ارتكب محرما من تلك المرأة جلدته مائة وستين جلدة، يعني ضعف مايجلد الإنسان فى غيره .

قولة تعالى : ﴿ قال لقد ظلمك ﴾ معناه : لقد ظلمك بسؤاله نعجتك إلى نعاجه، فإن قيل : كيف قال : لقد ظلمك بمجرد قوله، ولم يكن سمع قوله صاحبه؟

الجواب عنه : أن يحتمل لقد ظلمك بمجرد قوله، ولم يكن صاحبه أقر بذلك، ويحتمل أنه قال : إن كان الأمر على ماذكرت فقد ظلمك بسؤاله نعجتك إلى نعاجه، وفى الآية حذف، والمحذوف بسؤاله أن تضم نعجتك إلى نعاجه، وقد ثبت عن ابن عباس أنه كان سأل زوج المرأة أن ينزل له عن امرأته، رواه سعيد بن جبير عنه .

وقوله : ﴿ وإن كثيرا من الخلطاء ﴾ أى : من الشركاء، يقال : هذا خليطى أى : شريكى، وقوله : ﴿ ليبغى بعضهم على بعض ﴾ أى : يظلم بعضهم بعضا .

وقوله : ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ يعنى : أنهم لايظلم بعضهم بعضا، وقوله : ﴿ وقليل ماهم ﴾ أى : وقيل هم، و« ما » صلة .

وقوله : ﴿ وظن داود أنما فتناه ﴾ أى : وأيقن داود أنما فتناه أى : ابتليناه، وأوقعناه فى الفتنة، وقرئ : « إنما فَتَنَاه » بالتخفيف، يعنى : أن الملكين فتناه .

وقوله: ﴿ فاستغفر ربه ﴾ أى: طلب المغفرة من ربه ﴿ وخرَّ راكعا ﴾ أى: ساجدا، فعبر عن السجود بالركوع؛ لأن كل واحد منهما نوع من الانحناء.

وقوله: ﴿ وأناب ﴾ أى: رجع وتاب، قال مجاهد: مكث داود ساجدا أربعين يوما لايرفع رأسه. ويقال: مكث فى السجود وبكى حتى نبت العشب حول رأسه.

وذكر النقاش فى تفسيره: أن الله تعالى بعث إليه ملكا بعد أربعين يوما أن ارفع رأسك، فلم يرفع، فقال له الملك: أيها العبد، أول أمرك ذنب وآخره معصية، ارفع رأسك حين أمرك ربك .

وذكر وهب بن منبه: أن داود -صلوات الله عليه- لم يشرب بعد ذلك ماء، إلا وقد مزجه بدموعه، ولم يأكل طعاما إلاوقد بله بدموعه، ولم ينم على فراش إلا وقد غرقه بدموعه.

وأما حكم السجود فى هذه الآية، فذكر بعضهم: أنها سجدة شكر، وذكر بعضهم: أنها سجدة عزيمة، وقد روى الشافعى - رحمه الله - بإسناده عن عبدالله بن مسعود - رضى الله عنه - أنه كان لايسجد فى «سورة ص» ويقول: إنها توبة نبى.

وفى بعض التفاسير: أن داود -عليه السلام- لما قال ماقال ضحك أحد الملكين إلى صاحبه، ثم ارتفعا إلى السماء، فعلم داود أنهما أراداه بذلك القول وأنهما ملكان مبعوثان من قبل الله تعالى فحينئذ وقع على الأرض ساجدا .

قوله تعالى: ﴿ فغفرنا له ذلك ﴾ فغفرنا له ذنبه ذلك، وعن [أبى](١) سليمان الدارانى: أن الله تعالى قال: ياداود قد غفرت ذنبك، وأما المودة التى كانت بينى وبينك فقد مضت.

وفى القصة: أن الوحوش والطيور كان تستمع إلى قراءته وتصغى إليها، فلما فعل مافعل، [كان] (٢)يقرأ الزبور بعد ذلك، ولاتصغى الطيور ولا الوحوش إلى ذلك،

(١) ليس فى «الأصل، ولا «ك». وهو أبو سليمان عبد الرحمن بن أحمد بن عطية الدارانى. وله ترجمة فى الأنساب (٢/٤٣٧) وغيره.

(٢) من «ك» وفى «الأصل»: فكان.

عندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٢٥﴾ عندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٢٥﴾ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا

فروى أنها قالت – يعنى الوحوش والطيور –: ياداود ذهبت خطيئتك بحلاوة صوتك.

وقوله: ﴿وإن له عندنا لزلفى﴾ أى: قربى ﴿وحسن مآب﴾ أى: حسن مرجع ومنقلب، وفى بعض التفاسير: أن داود –صلوات الله عليه– يحشر وخطيئته منقوشة فى كفه، فحين يراها؛ يقول: يارب، ما أرى خطيئتى إلامهلكى، فيقول الله تعالى له: إلى ياداو،د بين يدىَّ ياداود، فهو معنى قوله تعالى: ﴿وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾ وأنشدوا فى الركوع بمعنى السجود على مابينا شعراً:

فخرَّ على وجهِه راكعًا وتابَ إلى الله من كلِّ ذنب

قوله تعالى: ﴿ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض﴾ أى: خليفة عمن سبق، ويقال: خليفتى؛ ومن هذا يجوز أن يُسمى الخلفاء خلفاء الله.

وقوله: ﴿فاحكم بين الناس بالحق﴾ أى: بالعدل، وقوله: ﴿ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾ أى: يصدك ويردك عن سبيل الله.

وقوله: ﴿إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب﴾ فيه تقديم وتأخير، ومعناه: لهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا أى: تركوا أمر الله وغفلوا عن القيامة .

وفى القصة: أن الله تعالى كان قد بعث سلسلة من السماء، وكان يختصم إلى داود، والخصمان والسلسلة قدام مجلسه، فكان يأمر كل واحد منهما أن يأخذ السلسلة، وكان ينالها المحق ولاينالها المبطل، فاشتدت هيبته فى بنى إسرائيل لذلك، فاختصم رجلان فى عقد لؤلؤ أودعه أحدهما من صاحبه وجحده المودَع، فعمد المودَع إلى عصا وقوَّرها، وجعل العقد فيها، فلما اختصما إلى داود أمرهما بالتحاكم إلى السلسلة، فذهب المدعِى إلى السلسة، وقال: اللهم إن كنت تعلم أنى أودعت هذا

السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾

الرجل عقد لؤلؤ، ولم يرده إلى، فأنلنى السلسلة، ثم رفع يده ونالها، وجاء صاحبه إلى السلسلة، والعصا فى يده، فقال للمدعى: أمسك هذه العصا حتى آخذ السلسلة، فأخذها منه، فقال: اللهم إن كنت تعلم أنى قد رددتها إليه فأنلنى السلسلة، ثم إنه رفع يده، ونال السلسلة؛ فتحير داود وبنو إسرائيل فى ذلك.

ورفع الله السلسلة، وأمر داود -عليه السلام- بأن يقضى بين الناس بالبينة واليمين؛ فجرت السنة على ذلك إلى قيام الساعة.

قوله تعالى: ﴿وماخلقنا السماء والأرض ومابينهما باطلا﴾ أى: لعبًا، وقيل: لغير حكمة، وقوله: ﴿ذلك ظن الذين كفروا﴾ وهذا دليل على أن الله تعالى يعذب الكفار بالظن الباطل، وقوله: ﴿فويل للذين كفروا من النار﴾ أى: من نار جهنم.

قوله تعالى: ﴿أم نجعل الذين آمنوا﴾ معناه: أنجعل الذين آمنوا ﴿وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض﴾ أى: لانجعل.

وقوله: ﴿أم نجعل المتقين كالفجار﴾ أى: المؤمنين كالكفار، ويقال: المراد بالمتقين هاهنا أصحاب رسول الله ﷺ، وقيل: بنو هاشم وبنو المطلب، والفجار هم وجوه المشركين وسادتهم.

قوله تعالى: ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك﴾ أى: هذا كتاب أنزلناه إليك مبارك.

وقوله: ﴿ليدبروا آياته﴾ أى: ليتدبروا ويتفكروا فى آياته، وقوله: ﴿وليتذكر أولو الألباب﴾ أى: يتذكر أولو العقول، قال الحسن فى قوله: ﴿أولو الألباب﴾ عاتبهم لأنه أحبهم.

قوله تعالى: ﴿ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أوّاب﴾ قد بينا.

وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾

قوله: ﴿إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد﴾ أى: الخيل الجياد، والصافنات: هى الخيل التى قامت على ثلاث قوائم، وثنى إحدى قوائمه، وقام على السنبك.

وقيل: والصافن فى اللغة: هو القائم، وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «من سره أن يكون الناس له صفونا فليتبوأ مقعده من النار»[(١)] أى: قياما. قال الشاعر:

أَلِفَ الصُّفونَ فما يزالُ كأنَّهُ ... مِمَّا يقوم على الثَّلاثِ كسيرا

وقوله: ﴿الجياد﴾ أى: السراع، قال إبراهيم التيمى: كانت [عشرين][(٢)] فرسًا لها أجنحة، وقال عكرمة: عشرون ألف فرس لها أجنحة، وقال بعضهم: كانت ألفا من الخيل العتاق أى: الكرام، ويُقال أيضا: إن الله تعالى كان أخرجها له من البحر.

قوله تعالى: ﴿إنى أحببت حب الخير﴾ أى: آثرت حب الخير، وأما الخير؛ فأكثر المفسرين على أنها الخيل فى هذه الآية، وكذا قرأ ابن مسعود باللام.

وروى أن زيد الخيل الطائى وفد إلى النبى ﷺ فقال له النبى ﷺ: «من أنت؟ فقال: أنا زيد الخيل. فقال: أنت زيد الخير»[(٣)].

---

(١) أورده ابن الأثير فى النهاية (مادة: صفن)، وقال الزيلعى فى تخريج الكشاف (٣/ ١٨٩): غريب، وقال الحافظ فى تلخيصه للتخريج: لم أجده، يعنى بهذا اللفظ. وقد روى نحوه بلفظ: «من سره أن يتمثل له الرجال قياما.. الحديث». رواه البخارى فى الأدب المفرد (٢٨٨)، والترمذى (٥/ ٨٤ رقم ٢٧٥٥) وحسنه، وأبو داود (٤/ ٣٥٨ رقم ٥٢٢٩)، وأحمد (٤/ ٩١، ٩٣، ١٠٠)، وعبد بن حميد (١٥٦ رقم ٤١٣)، والطبرانى فى الكبير (١٩/ ٣٥١-٣٥٢ رقم ٨١٩ - ٨٢٢، رقم ٨٥٢)، والدولابى فى الكنى (١/ ٩٥)، وأبو نعيم فى أخبار أصبهان (١/ ٢١٩) عن معاوية مرفوعا به. وقال الترمذي: وفى الباب عن أبى أمامة.

(٢) فى «الأصل وك»: عشرون، وهو خلاف الجادة.

(٣) رواه ابن أبى عاصم فى السنة (١/ ١٨٠ - ١٨١ رقم ٤١٥)، وابن عدى فى الكامل (٢/ ٢٢)، والطبرانى فى الكبير (١٠/ ٢٠٢ رقم ١٠٤٦٤)، وأبو نعيم فى الحلية (٤/ ١٠٩)، وابن عساكر فى تاريخ دمشق (١٩/ ٥٢٠ - ٥٢١ رقم ٤٥٧٧، ٤٥٧٨) كلهم عن ابن مسعود به، وقال ابن عدى: وهذا حديث منكر بهذا الإسناد.. وقال الذهبى فى الميزان (١/ ٣٣١): منكر، وتبعه الحافظ فى اللسان (٢/ ٤٠)، وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ١٩٧): رواه الطبرانى، وفيه عون بن عمارة، وهو ضعيف.

رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ

والقول الثاني: أن الخير ها هناهو الدنيا أى: آثرت الدنيا على ذكر ربى أى: صلاة العصر.

قوله: ﴿حتى توارت بالحجاب﴾ أى: تورات الشمس بالحجاب، فكنى عن الشمس وإن لم يجر لها ذكر، وقد بينا مثال هذا، ويقال: قد سبق مايدل على ذكر الشمس، فاستقامت الكناية عنها، وذلك قوله تعالى: ﴿إذ عرض عليه بالعشى﴾ والعشى لايعرف إلا بالشمس.

وأما الحجاب، فيقال: إنه جبل قاف، والشمس تغرب من ورائه، ويقال: إنه جبل من ياقوت أخضر، وخضرة السماء منه.

قوله تعالى: ﴿ردوها على﴾ أى: ردوا الخيل على، وقوله: ﴿فطفق مسحا بالسوق والأعناق﴾ ذهب أكثر المفسرين إلى أن المراد منه أنه قطع عراقيبها وأعناقها، وهذا مروى عن ابن عباس والحسن وقتادة، وأورده الفراء والزجاج .

قال الحسن: كسف عراقيبها وضرب أعناقها، قال الزجاج: ويجوز أن يكون الله تعالى أباح له فى ذلك الوقت، وحرم فى هذا الوقت علينا، ولم يكن ليقدم نبى الله تعالى على ذلك، وهو محرم عليه، وكيف يستغفر من ذنب بذنب؟!.

وعن ابن عباس فى بعض الروايات: أن سليمان - عليه السلام- جعل يمسح عراقيبها وأعناقها بيده وثوبه؛ شفقة عليها، وهذا قول ضعيف، ولايليق هذا الفعل بما سبق، والمشهور هو القول الأول .

وذكر الكلبى: أن الخيل كانت ألفا، فقتل منها تسعمائة وبقيت مائة، فهى أصل الخيل العتاق التى بقيت فى أيدى الناس .

ويقال: إنها كانت خيلا أخذها من العمالقة، وكانت تعرض عليه؛ فغفل عن صلاة العصر حتى غربت الشمس، فأمر بردها عليه، وقطع عراقيبها، وضرب أعناقها؛ لأنها ألهته عن ذكر الله، ويقال: ذبحها ذبحا وتصدق بلحومها، وكان الذبح حلالا فى شريعته على ذلك الوجه .

جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ

قوله تعالى: ﴿ ولقد فتنا سليمان ﴾ أى: اختبرنا سليمان فابتليناه، ويقال: فتنا سليمان أى: ألقيناه فى الفتنة.

وقوله: ﴿ وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب ﴾ ذهب أكثر المفسرين إلى أن الجسد الذى ألقى على كرسى سليمان هو صخر الجنى.

قال السدى: كان اسمه حبقيق، وعن بعضهم: أن اسمه كان آصف، والمعروف هو الأول، وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما.

وأما قصته: فزعموا أن صخرا كان شيطاناماردا لايقوى عليه أحد، فابتلى الله تعالى سليمان به، وسلبه ملكه، وقعد هذا الشيطان على كرسيه يقضى بين الناس، وكان سبب ذلك -فيمازعموا- أن ملك سليمان كان فى خاتمه، قال وهب: وكان ذلك الخاتم فما ألبسه الله تعالى آدم - عليه السلام - فى الجنة، وكان يضىء كضوء الشمس، فلما أكل آدم من الشجرة، وعصى الله تعالى سُلب الخاتم.

ثم إن الله تعالى أنزله على سليمان، وعقد به ملكه، قالوا: وكان الخاتم مربعا له أربعة أركان، فى ركن منه مكتوب: أنا الله لم أزل، وفى الركن الثانى مكتوب: أنا الله الحى القيوم، وفى الركن الثالث مكتوب: أنا العزيز لاعزيز غيرى، وفى الركن الرابع مكتوب: محمد رسول الله.

ويقال: كان المكتوب عليه آية الكرسى، قالوا: وكان سليمان - عليه السلام - إذا دخل مغتسله سلَّم الخاتم إلى جارية له، فدخل مرة وسلم الخاتم إلى الجارية، فجاء صخر فى صورة سليمان، فأخذ الخاتم من الجارية، وخرج سليمان يطلب الخاتم، فقالت: قد أخذت منى الخاتم مرة، فعلم [سليمان](١) أن الله تعالى سلبه ملكه.

وذهب سليمان يسيح فى الأرض، ولم يعرفه أحد بصورته، وكان يستطعم الناس

(١) من «ك».

ويقول: أنا سليمان بن داود، فيكذبونه ويؤذونه ويزعمون أنه مجنون. حتى روى أنه استطعم مرة من قوم وزعم أنه سليمان بن داود، فقام رجل وشج رأسه بعصا في يده، ثم إنهم أعطوه كسرة يابسة، فحمل الكسرة إلى شط نهر ليبلها بالماء، وكان جائعا لم يصب طعاما منذ أيام، فذهب الماء بالكسرة .

ويقال: إنه كان على شط البحر، فجاءت موجة وحملت الكسرة، فدخل هو البحر فى إثرها حتى خاف الغرق؛ فرجع ورجعت الكسرة، ثم إنه طمع فيها وذهب ليأخذها، فذهبت الكسرة، هكذا مرات؛ فبكى سليمان وتضرع إلى الله تعالى فرحمه الله تعالى وردَّ إليه ملكه .

وكان سبب رد ملكه إليه أنه مرَّ على قوم صيادِين؛ فسألهم شيئا ليأكله فأعطوه سمكة ميتة، فشق جوفها، فوجد خاتمه فيها، فجعله فى أصبعه، وعاد إليه ملكه، وعكفت الطير فى الوقت على رأسه، واجتمع إليه الإنس والجن والشياطين.

وأما مدة ذهاب ملكه كان [أربعين][1] يوما، وأما حديث صخر الجنى فإنه لما أخذ الخاتم، وقد تحول فى صورة سليمان، ذهب وقعد على كرسيه، وجعل ينفذ ما كان ينفذه سليمان إلا أن الله تعالى منعه نساء سليمان، هكذا روى عن الحسن.

وقد ذكر غيره أنه كان يصيب من نساء سليمان فى الحيض، وذكر أنه يصيب فى الحيض وغير الحيض، والله أعلم .

واختلف القول فى أنه هل بقى معه الخاتم أولا؟ فأحد القولين: أنه ذهب وطرح الخاتم فى البحر.

والقول الآخر: أنه كان معه، والقول الأشهر أولى وأعرف.

وذكر النقاش فى تفسيره: أن بنى إسرائيل أنكروا أمر صخر الجنى؛ لأنه كان يقضى بغير الحق؛ فذهبوا إلى نساء سليمان، وقالوا لهن: تنكرون من أمر سليمان شيئا، فقلن: نعم؛ فحينئذ وقع فى قلبهم أن سليمان قد ابتلى، وأن الله تعالى سلبه ملكه، وأن الشخص الذى على الكرسى شيطان .

---

(١) فى «الأصل وك»: أربعون، وهو خطأ.

فأخذوا التوراة وجاءوا إلى حول الكرسى وجعل يقرءونها؛ فطار صخر إلى أشرف القصر، ثم طار من شرف القصر ومر فوقع فى البحر.

وفى التفسير: أن الله تعالى لما ردَّ على سليمان ملكه، أمر الشياطين يطلب صخر، فوجدوه وحملوه إلى سليمان؛ فصفده بالحديد، وجعله فى صندوق، وألقاه فى البحر، فهو فى البحر إلى يوم القيامة.

وأما السبب [الذى](١) ابتلى الله لأجله سليمان، ففيه أقوال كثيرة:

أحدها: أن الله تعالى كان أمره ألا يتزوج امرأة من غير بنى إسرائيل، فخالف وتزوج امرأة من غيرهم(٢)، فابتلاه الله تعالى بما ذكرنا.

والقول الثانى: أنه تزوج بامرأة؛ فعبدت المرأة صنما فى داره من غير أن يشعر سليمان بذلك، فابتلاه الله تعالى لغفلته، وهذا قول مشهور.

والقول الثالث: أنه كانت عنده امرأة، وكان يحبها حبا شديدا، فخاصم أخوها إلى سليمان فى شىء مع إنسان، فطلبت المرأة من سليمان أن يقضى لأخيها؛ فقال لها: نعم، ولم يفعل ذلك، فابتلاه الله تعالى.

والقول الرابع: أنه احتجب من الناس ثلاثة أيام، ولم يأذن لأحدٍ، ذكره شهر بن حوشب، وابتلاه الله تعالى بما ذكرنا، وأوحى الله تعالى ياسليمان، إنى إنما بعثتك وأعطيتك هذا الملك؛ لتنصف المظلومين، وتكون عونا للضعفاء على الأقوياء، ولم أعطك لتحتجب عن الناس.

والقول الخامس: أنه قال مرة: والله لأطوفن الليلة على نسائى، وكان له ثلثمائة امرأة، وسبعمائة سرية، ولتحملن كل امرأة منهن، وتلدغلاما يقاتل فى سبيل الله، فقال له الملك: قل إن شاء الله، فلم يقل، فلم تحمل امرأة منهن إلا امرأة واحدة حملت، فولدت نصف إنسان، وابتلاه الله تعالى .

(١) من «ك».

(٢) من «ك» وفى «الأصل»: بغيرهم.

أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾

وهذا خبر مرفوع إلى النبى ﷺ (١) وعلى هذا القول كان الجسد الذى ألقى على كرسيه هو ولده، وذكر بعضهم: أن سليمان -عليه السلام- ولدله ابن، فخاف عليه من الشياطين، فأودعه السحاب لتربيه؛ فسقط على كرسيه ميتا، فهو معنى قوله تعالى: ﴿وألقينا على كرسيه جسدا﴾ والله أعلم .

والقول السادس: ماروى عن الحسن قال: إنه كان أصاب من بعض نسائه فى حالة الحيض، فابتلاه الله تعالى بماذكرنا، والله أعلم بما كان، ولاشك أن الآية تدل على أن الله -تعالى- قد أقعد على كرسيه غيره، وسلبه شيئا كان له .

وقوله: ﴿ثم أناب﴾أى: رجع إلى ملكه.

قوله تعالى: ﴿قال ربِّ اغفرلى وهب لى ملكا لاينبغى لأحد من بعدى﴾ فإن قال قائل: كيف قال: ﴿لاينبغى لأحد من بعدى﴾وهل كان هذا حسداً منه لغيره، حتى لاينال غيره مانال هو ؟

والجواب: أن معنى قوله: ﴿لاينبغى لأحد من بعدى﴾ أى: لايكون لأحد من بعدى على معنى أنك تسلبه وتعطيه غيره، كما سلبت من قبل ملكى وأعطيت صخرا.. الخبر .

ويقال: إنما طلب ذلك لتظهر كرامته وخصوصيته عند الله تعالى وقد ثبت برواية أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال: «عرض لى الليلة شيطان، وأراد أن يفسد علىَّ صلاتى؛ فأمكننى الله تعالى منه، فأخذته وأردت أن أربطه حتى تصبحوا فتنظروا إليه، ثم ذكرت قول أخى سليمان ﴿رب هب لى ملكا لاينبغى لأحد من بعدى﴾ فتركته، ورده الله خائبا خاسئا» (٢).

وقوله: ﴿إنك أنت الوهاب﴾ أى: المعطى.

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة، وقد تقدم.

(٢) متفق عليه، رواه البخارى (١/ ٦٦٠ - ٦٦١ رقم ٤٦١، وأطرافه: ١٢١٠، ٣٢٨٤، ٣٤٢٣، ٤٨٠٨)، ومسلم (٥/٣٩-٤١ رقم ٥٤١).

وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٠﴾ وَاذْكُرْ

قوله تعالى: ﴿فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء﴾ أى: لينة، وقيل: رخاء مطيعة ليست بعاصية.

وقوله: ﴿حيث أصاب﴾ معناه: حيث أراد، ويقال: إنه كان يغدو بإيلياء،ويقيل بقزوين، ويبيت ببابل، والعرب تقول: أصاب الصواب فأخطأ الجواب أى: أراد الصواب فأخطأ الجواب وقال الشاعر:

وغـيَّرها ماغيَّر النـاس قبلهـا فناءت وحاجات الفؤاد تصيبها

أى: تريدها، وقوله: ﴿والشياطين كل بناء وغواص﴾ أى: وسخرنا الشياطين له كل بناء وغواص منهم، وتسخير الريح والشياطين له بعد ابتلائه بما ذكرنا.

وقوله: ﴿وآخرين مقرنين فى الأصفاد﴾ أى: مغلولين فى السلاسل، وكان يأخذ [الشيطان][(١)] فيقرنه بالشيطان، ويصفدهما فى الحديد، ويوبقهما فى السلاسل، ثم يجعلهما فى صندوق من حديد، ويلقى الصندوق فى قعر البحر.

قوله تعالى: ﴿هذا عطاؤنا﴾ فيه أقوال: أحدها -وهو الأولى- أن الملك عطاؤنا لك ﴿فامنن﴾ أى: أعط من شئت.

وقوله: ﴿أو أمسك﴾ أى: امنع من شئت ﴿بغير حساب﴾ أى: بغير حرج.

والقول الثانى: ﴿هذا عطاؤنا﴾ أى: تسخير الشياطين.

وقوله: ﴿فامنن أو أمسك﴾أى: أرسل من شئت، واحبس من شئت.

والقول الثالث: ﴿هذا عطاؤنا﴾ أى: النسوة عطاؤنا. وقوله: ﴿فامنن أو أمسك﴾ أى: طلق من شئت، واحبس من شئت ﴿بغير حساب﴾ أى: بغير حرج، قوله تعالى: ﴿وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾ أى: حسن مرجع.

---

(١) فى «الأصل»: الشياطين.

عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي

قوله تعالى: ﴿ واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب ﴾ وقرئ: «بنَصَب وعذاب» بفتح النون والصاد، والنُّصْبُ والنَّصَبُ بمعنى واحد كالحُزن والحَزَن، ويقال: بنصب فى الجسد، وعذاب فى المال.

وقد بينا قصة أيوب من قبل وما أصابه من البلاء، وذكرنا مدة بلائه، ويقال: إنه مكث فى البلاء سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام، وكانت الدواب تجرى فى جسده، وقد ألقى على مزبلة، وتأذى منه قومه غاية الأذى.

قوله تعالى: ﴿ اركض ﴾ أى: اركض الأرض برجلك، فيقال: إنه داس الأرض دوسة، فنبعت عين [ماء][1]؛ فأمره الله تعالى أن يغتسل منها، فاغتسل فذهب كل داء كان فى جسده، ومشى أربعين خطوة، فأمره الله تعالى أن يدوس الأرض برجله دوسة أخرى؛ ففعل؛ فنبعت عين أعذب ماتكون وأبرده؛ فأمره الله تعالى أن يشرب منها؛ فذهب كل داء كان فى باطنه، وصار كأصح مايكون من الرجال وأكملهم؛ فهو معنى قوله تعالى: ﴿ هذا مغتسل بارد وشراب ﴾.

قوله تعالى: ﴿ ووهبنا له أهله ﴾ قد بينا أن الله تعالى رد عليه أهله وأولاده الذين أهلكهم بأعيانهم، وقد قلنا غير هذا، والقول الأول أشبه بظاهر القرآن، ويقال: إن الأرض انشقت؛ فرأى إبله وبقره وغنمه على هيئتها وخرجت إليه، ورأى أيضا أهله وأولاده كهيئتهم وخرجوا إليه.

وقوله: ﴿ ومثلهم معهم ﴾ يقال: [إنهم كانوا سبعة] [2]بنين، وثلاث بنات فأعطاه الله تعالى مثل عددهم، وردهم الله بأعيانهم.

وقوله: ﴿ رحمة منا وذكرى لأولى الألباب ﴾ أى: لأولى العقول.

---

(١) من «ك».

(٢) فى «الأصل وك»: إنه كان سبع.

الأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾

قوله تعالى: ﴿وخذ بيدك ضغثا﴾ أى: فقلنا له: وخذ بيدك ضغثا، والضغث: كل مايملأ الكف من خشب أو حشيش أو غيره.

قوله: ﴿فاضرب به ولاتحنث﴾ يعنى: فاضرب به امرأتك، ولا تحنث فى يمينك، وكان سبب يمينه أن المرأة أتته بطعام يوما أكثر مما كانت تأتيه كل يوم؛ فاتهمها بخيانة فى نفسها، وكانت بريئة، فحلف ليضربنها [مائة](1) سوط إذا برأ من مرضه .

ويقال: إن إبليس قعد على طريق المرأة طبيبا يداوى الناس، فمرَّت به المرأة، وقالت: إن لى مريضا وأحب أن تداويه، فقال لها: أنا أدوايه، فلا أريد شيئا سوى أن يقول إذا شفيته: أنت شفيتنى، فجاءت إلى أيوب وذكرت له ذلك، فعرف أنه كان إبليس اللعين، فغضب وحلف على ماذكرنا .

ويقال: إنها باعت ذؤابتيها برغيفين لطعامه، فلما رأى ذلك أيوب -عليه السلام- غضب وحلف، وهذا قول غريب.

وقوله: ﴿فاضرب به ولاتحنث﴾ يعنى: فاضرب بالضغث الذى يشتمل على مائة عود صغار ﴿ولاتحنث﴾ أى: ولاتدع الضرب فتحنث، قال مجاهد: هذا لأيوب خاصة، وقال عطاء: له وللناس عامة.

وقوله: ﴿إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب﴾ أى: رجَّاع إلى طاعة الله. وفى القصة: أن أيوب قيل له: مأشد مامرَّ عليك فى بلائك؟ فقال: شماتة الأعداء.

قوله تعالى: ﴿واذكر عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب أولى الأيدى والأبصار﴾ إنما خص هؤلاء الثلاثة؛ لأن الله تعالى ابتلاهم فصبروا، أما ابتلاء إبراهيم فكان بالنار، وابتلاء إسحق كان بالذبح، وأما ابتلاء يعقوب بفقد الولد.

وقوله: ﴿أولى الأيدى والأبصار﴾ معناه: أولى القوة فى الطاعة، وأولى الأبصار

(١) من «ك»، وفى «الأصل»: بمائة.

إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ

في المعرفة، وقيل: أولى القوة ظاهرا، وأولى الأبصار باطنا، فالقوة قوة الجوارح، والأبصار أبصار القلوب، قال الله تعالى ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾(١).

قوله تعالى: ﴿إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار﴾ وقرئ: «بخالصة» من غير تنوين، فأما بالتنوين: فمعناه: بخلة خالصة، وهي ذكرى الدار.

وقيل: إن ذكرى الدار بدل عن قوله: ﴿خالصة﴾ على هذه القراءة، وأما القراءة بالإضافة، [فمعناها]: أخلصناهم بأفضل مافي الآخرة، حكى هذا عن أبي زيد، وقال مجاهد: أخلصناهم ماذكرنا بالجنة لهم.

وعن مالك بن دينار قال ابن عباس: أزلنا عن قلوبهم حب الدنيا وذكرها وأخلصناهم بحب الآخرة وذكرها، وعن بعضهم: وأخلصناهم عن الآفات والعاهات، وجعلناهم يذكرون الدار الآخرة، والأولى في قوله: ﴿أخلصناهم﴾ أي: جعلناهم مخلصين بما أخبرنا عنهم، وقوله: ﴿وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿واذكر إسماعيل واليسع﴾ إسماعيل: هو إسماعيل بن إبراهيم، وقوله: ﴿واليسع﴾ اليسع: هو نبي من الأنبياء، ويقال: اليسع هو تلميذ إلياس النبي – عليه السلام – ولما رفع الله إلياس –عليه السلام– خلف اليسع في قومه، وقوله: ﴿وذا الكفل﴾ قد بينا، ويقال: إنه رجل كفل لملك بالجنة إن آمن وأطاع الله تعالى وقوله: ﴿وكل من الأخيار﴾ ظاهر المعنى.

[قوله تعالى: ﴿هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب﴾](٢).

(١) الحج: ٤٦.

(٢) من «ك».

لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا
بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ
لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ
﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَآخَرُ

قوله تعالى: ﴿ جنات عدن مفتحة لهم الأبواب ﴾ أى: أبوابها.

قوله تعالى: ﴿ متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب ﴾ أى: بفاكهة الجنة وشرابها، وذكر كثيرة؛ لأن مافى الجنة كثير لعدم انقطاعه، واتساع وجوده.

قوله تعالى: ﴿ وعندهم قاصرات الطرف ﴾ أى: قصرن أطرافهن على أزواجهن، وقوله: ﴿ أتراب ﴾ أى: أمثال، ويقال: لدات مستويات الأسنان، وعن مجاهد: أتراب متواخيات لاتتعادين ولاتتباغضن، وقيل: لاتتغايرن، قال يحيى بن سلام: بنات ثلاث وثلاثين سنة، وعن بعضهم: أتراب أى: خلقن على مقادير أزواجهن، وأنشد الشاعر فى القاصرات:

من القاصراتِ الطَّرْفِ لو دقَّ مُحْوِلَ ... من الذرِّ فوقَ الإتْبِ منها لأثَّرا

قوله تعالى: ﴿ هذا ماتوعدون ليوم الحساب ﴾ أى: هذا الذى أخبرنا عنه هو ماتوعدون ليوم الحساب.

قوله تعالى: ﴿ إن هذا لرزقنا ماله من نفاد ﴾ أى: انقطاع، ومعنى قوله: ﴿ لرزقنا ﴾أى: إعطاؤنا.

قوله تعالى: ﴿ هذا وإن للطاغين لشر مآب ﴾ أى: مرجع، والمراد من الطاغين هم الكفار.

وقوله تعالى: ﴿ جهنم يصلونها ﴾ أى: يدخلونها، وقيل: يقاسون حرها، وقوله: ﴿ فبئس المهاد ﴾ أى: فبئس مامهدوا لأنفسهم، ويقال: بئس الفراش.

قوله تعالى: ﴿ هذا فليذوقوه حميم وغسَّاق ﴾ يقال: فى الآية تقديم وتأخير

مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴿٥٨﴾ هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُواْ النَّارِ ﴿٥٩﴾

ومعناه: هذا حميم وغساق فليذوقوه، وأما معنى الحميم فقد بيَّنا، وهو الماء الحار الذى انتهى فى الحرارة، وأما الغساق فهو القيح الذى يسيل من جلودهم، وعن السدى قال: الدموع التى تسيل من أعينهم، وحكى بعضهم عن ابن عباس: أنه الزمهرير يحرقهم ببرده، وحكى النقاش: أن الغساق هو المنتن بالتركية، فَعُرِّبَ، وقد قرئ بالتشديد والتخفيف، فبعضهم قال: لافرق بينهما فى المعنى، وبعضهم فرَّق بينهما ببعض الوجوه التى ذكرناها.

قوله تعالى: ﴿ وَأُخَرُ من شكله أزواج ﴾ وقرئ: «وآخَرُ من شكله»، فقوله: ﴿ وأخر ﴾ يتناول العدد، وقوله: ﴿ وآخر ﴾ بالمد يتناول الواحد.

وقوله: ﴿ من شكله ﴾ أى: مثله، وقوله ﴿ أزواج ﴾ أى: أصناف، وقيل: أنواع.

قال الشاعر:

لما اكتست من ضرب كل شكل　　　حمراً وخضراً كاخضرار البقل

ومعنى الآية: أن لأهل النار أنواعا أُخَر من العذاب على شكل ماسبق ذكره يعنى: فى الشدة.

قوله تعالى: ﴿ هذا فوج مقتحم معكم ﴾ أى: فوج مقتحم معكم بعد الفوج الأول، والاقتحام هو الدخول، واختلف القول فى الفوج الأول والفوج الثانى.

فأحد القولين: الفوج الأول هم بنو إسرائيل، والفوج الثانى هم بنو آدم، ويقال: الفوج الأول هم الرؤساء والقادة، والفوج الثانى هم الأتباع.

وقوله: ﴿ لامرحبا بهم ﴾ الرحب هو السعة، وقول القائل: لامرحبا بفلان أى: لارحبت أى: لا اتسعت عليه، قال الشاعر:

إذا جئت بوابا له قال مرحبا　　　ألا مرحبا ناديك(١) غير مضيق

(١) فى «ك»: تأذنك.

قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لا نَرَىٰ رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ

وقوله: ﴿إنهم صالوا النار﴾ أى: داخلوا النار معكم، قوله تعالى: ﴿قالوا بل أنتم لامرحبا بكم﴾ يعنى: قال الأتباع للقادة بل أنتم لا مرحبًا بكم.

وقوله: ﴿أنتم قدمتموه لنا﴾ أى: قدمتم هذا العذاب لنا بدعائكم إيانا إلى الضلالة والكفر، وقوله: ﴿فبئس القرار﴾ أى: فبئس دار القرار النار.

وقوله تعالى: ﴿قالوا ربنا من قدم لنا هذا﴾ أى: قال الأتباع: ربنا من قَدَّم لنا هذا؟ وقوله: ﴿فزده عذابا ضعفًا فى النار﴾ أى: ضاعف عليه العذاب فى النار.

قوله تعالى: ﴿وقالوا مالنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار﴾ قال ابن عباس: يقول أبو جهل وذووه حين يدخلون النار: أين بلال؟ أين عمار؟ أين خباب؟ وفلان وفلان؟

وعن بعضهم قال: أهل النار يقولون هذا حين يفقدون أهل الجنة .

وقوله: ﴿كنا نعدهم من الأشرار﴾ قال بعضهم: من الأرذال، وقال بعضهم: كنا نعدهم من شرار قومنا؛ لأنهم قد تركوا دين آبائهم.

قوله تعالى: ﴿اتخذناهم سخريا﴾ أى: كنا نسخر منهم، وقرئ: «أتخذناهم سخريا» على الاستفهام، قال أهل المعانى: والقراءة الأولى أولى، لأنهم قد علموا حقيقة الأمور فى القيامة، فلايتصور منهم الاستفهام، وقال الفراء: الألف فى قوله: ﴿أتخذناهم﴾ ألف التوبيخ والتعجب، والعرب تذكر مثل هذه الألف على طريق التوبيخ والتعجب.

وقوله: ﴿أم زاغت عنهم الأبصار﴾ أى: مالت عنهم الأبصار، ومعناه: أنهم معنا فى النار ولا نراهم.

﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ
وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ

قوله تعالى: ﴿إن ذلك لحق تخاصم أهل النار﴾ أى: مراجعة بعضهم بعضا القول بمنزلة المتخاصمين.

قوله تعالى: ﴿قل إنما أنا منذر ومامن إله إلا الله الواحد القهار﴾ أى: أنا الرسول المنذر، والله الواحد القهار [القاهر](١) عباده بما يريد.

قوله تعالى: ﴿رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار﴾ أى: المنيع فى ملكه، الغفار لذنوب عباده.

قوله تعالى: ﴿قل هو نبأ عظيم﴾ أى: القرآن نبأ عظيم، وقيل: ذو شأن عظيم، وأوَّل بعضهم النبأ العظيم بالقيامة، وقوله: ﴿أنتم عنه معرضون﴾ أى: عنه لاهون، وله تاركون.

قوله تعالى: ﴿ماكان لى من علم بالملأ الأعلى إذ يختصون﴾ ذهب أكثر أهل التفسير إلى أن المراد بالملأ الأعلى هم الملائكة، وهذا قول ابن عباس وغيره.

وقوله: ﴿إذ يختصمون﴾ قال ابن عباس - رضى الله عنه - هو قولهم لله -تعالى- فى أمر آدم: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾(٢) الآية إلى آخرها.

وأما المأثور عن النبى ﷺ فى الآية فهو مارواه معاذ بن جبل - رضى الله عنه - «أن النبى ﷺ احتبس عنا ذات غداة حتى كدنا نتراءى عين الشمس، ثم خرج سريعا، وثوب بالصلاة، وصلى ركعتين تجوَّز فيهما، ثم قال: هل تدرون بما احتبست عنكم؟ فقلنا: لا.

فقال: إنى قمت من الليل وتطهرت وصليت ماشاء الله، ثم نعست واستثقلت،

---

(١) زيادة ليست فى «الأصل» ولا «ك».

(٢) البقرة: ٣٠.

فإذا ربى فى أحسن صورة .

فقال : يامحمد، قلت : لبيك

فقال : أتدرى فيم يختصم الملأ الأعلى؟ فقلت :لا

فوضع كفه بين كتفى حتى وجدت برد أنامله فى ثَنْدُوِتى؛ فتجلَّى لى كل شىء، وعرفته .

ثم قال لى : يامحمد، أتدرى فيم يختصم الملأ الأعلى؟

فقلت : نعم فى الكفارات، قال : ما هن؟ قلت : فى مشى الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوء على المكروهات، والجلوس فى المساجد بعد الصلاة .

قال : وفيم أيضا؟

قلت : فى إطعام الطعام، ولين الكلام، والصلاة بالليل والناس نيام .

فقال لى : سل يامحمد .

فقلت : أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفرلى وترحمنى، وأسألك حبك، وحب من يحبك، وحب عمل يقربنى إلى حبك .

ثم قال النبى ﷺ : «إنهن حق فادرسوهن وتعلموهن»[1] قال أبو عيسى الترمذى : هذا حديث صحيح، وقد روى هذا الخبر بوجوه أُخر، ولم يذكر فى بعضها النوم، وأصحها هذه الرواية، والله أعلم .

وفى الآية قول آخر : أن الملأ الأعلى هم أشراف قريش واختصامهم أن بعضهم قالوا : الملائكة بنات الله، وبعضهم قالوا غير ذلك، فهو اختصامهم، والأصح هو القول الأول .

---

(١) تقدم تخريجه .

﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن
رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ
اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ
أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ

واختصام الملائكة هو كلامهم فى هذه الأعمال، وأقدار المثوبة فيها، وزيادة بعض الأعمال على البعض فى الثواب .

قوله تعالى : ﴿إن يوحى إلىَّ إلا أنما أنا نذير مبين﴾ أى : مايوحى إلىَّ إلا أنما أنا نذير مبين.

قوله تعالى : ﴿إذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشراً من طين﴾ يعنى : آدم - صلوات الله عليه - قوله تعالى : ﴿فإذا سويته﴾ أى : جمعت خلقه وأتممته.

وقوله : ﴿ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين﴾ ظاهر المعنى .

قوله تعالى : ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين﴾ قد بينا، قوله تعالى : ﴿قال يا إبليس مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى﴾ قد بينا .

وقوله : ﴿أستكبرت﴾ أى : تعظمت، وقوله : ﴿أم كنت من العالين﴾ أى : من القوم المتكبرين، قال ابن عباس : كان إبليس من أشراف الملائكة، وكان خازن الجنان، وأمين السماء الدنيا، فأعجبته نفسه، ورأى أن له فضلا على غيره، فلما أمره الله تعالى بالسجود لآدم امتنع لذلك الذى كان فى نفسه .

قوله تعالى : ﴿قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين﴾ وإنما قال إبليس هذا لأنه [ظن](١) أن للنار فضلا على الطين، ولم يكن على ماظن، بل الفضل لمن أعطاه الله الفضل .

قوله تعالى : ﴿قال فاخرج منها فإنك رجيم﴾ أى : مرجوم، والمرجوم : هو المبعد

---

(١) زيادة ليست فى «الأصل وك».

﴿٧٦﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ

باللعنة، قوله تعالى: ﴿وإن عليك لعنتى إلى يوم الدين﴾ أى: إلى يوم القيامة، وقيل: إلى يوم الحساب.

قوله تعالى: ﴿قال ربِّ فأنظرنى إلى يوم يبعثون﴾ أى: أمهلنى، وقوله: ﴿قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم﴾ أى: إلى نفخ الصور، وهو النفخة الأولى، وإنما أراد اللعين أن يمهل إلى النفخة الثانية فينجو من الموت، فعلم الله -تعالى- مراده، فلم يجبه إلى مراده، وأمهله إلى أن ينفخ فى الصور للنفخة الأولى، ويموت الخلق فيموت معهم.

قوله تعالى: ﴿قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين﴾ أى: لأضلنهم أجمعين.

وقوله تعالى: ﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾ أى: الذين أخلصتهم لنفسك.

قوله تعالى: ﴿قال فالحقَّ والحقَّ أقول﴾ وقرئ: «فالحقُّ والحق أقول»، أما القراءة بالنصب فيهما فعلى معنين:

أحدهما: حقًا حقًا أقول، والمعنى الثانى: أن الأول نصب على معنى أقول الحق، والثانى: نصب على الإغراء كأنه قال: الزموا الحق، ذكره الأزهرى، وأما القراءة الثانية قوله: ﴿فالحق﴾ أى: أنا الحق، وقيل: منى الحق، وقوله: ﴿والحق﴾ أى: أقول الحق، وقوله: ﴿لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين﴾ ظاهر المعنى.

قوله: ﴿قل ما أسالكم عليه من أجر﴾ أى: من جُعل، وقوله: ﴿وما أنا من المتكلفين﴾ أى: لم أقل ماقلته من تلقاء نفسى، وكل من قال شيئا من تلقاء نفسه فقد تكلف له.

مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾ .

قوله تعالى: ﴿إن هو إلا ذكر للعالمين﴾ أى: ماهو إلا ذكر للعالمين أى: شرف للعالمين تذكير لهم.

قوله تعالى: ﴿ولتعلمن نبأه بعد حين﴾ أى: يوم القيامة، ويقال: بعد الموت، وقيل: يوم بدر، وكان الحسن البصرى يقول: يا ابن آدم، عند الموت يأتيك الخبر.

بسم الله الرحمن الرحيم

تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا

تفسير سورة الزمر

ويقال: سورة الغرف، وهى مكية إلا قوله تعالى: ﴿الله نزل أحسن الحديث﴾(١) وإلا قوله تعالى: ﴿قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم﴾(٢) وعن وهب بن منبه أنه قال: من أحب أن يعرف قضاء الله تعالى بين خلقه، فليقرأ سورة الغرف.

قوله تعالى: ﴿تنزيل الكتاب﴾ الآية. معناه: هذا تنزيل الكتاب، ويقال: تنزيل الكتاب مبتدأ، وخبره «من الله»، وقوله: ﴿العزيز الحكيم﴾ أى: العزيز فى ملكه، الحكيم فى أمره.

قوله تعالى: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق﴾ أى: بما حق إنزاله لماحكمت بذلك فى كتب المتقدمين، ويقال: بالحق أى: بحقى عليك وعلى جميع خلقى.

وقوله: ﴿فاعبد الله مخلصا له الدين﴾ الإخلاص هو التوحيد، ويقال: الإخلاص هو تصفية النية فى طاعة الله تعالى.

وقوله: ﴿ألا لله الدين الخالص﴾ أى: الدين الذى ليس فيه شرك هو لله أى: واقع برضاه، وأما الدين الذى فيه شرك فليس لله، وإنما ذكر هذا؛ لأنه قد يوجد دين ولاتوحيد ولا إخلاص منه، ويقال: ﴿ألا لله الدين الخلاص﴾ يعنى: هو ينبغى أن يوحد، ولايشرك به سواه، وهذا لاينبغى لغيره، وعن قتادة قال: ألا لله الدين الخالص: هو قول القائل لا إله إلا الله.

قوله تعالى: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء﴾ أى: من دون الله أولياء ﴿[ما] نعبدهم﴾ قرأ ابن عباس [وابن](٣) مسعود ومجاهد قالوا: ﴿مانعبدهم﴾، وفى

(١) الزمر: ٢٣. (٢) الزمر: ٥٣. (٣) من «ك».

عَبْدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لاَّصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلا هُوَ

حرف أبى بن كعب: ﴿مانعبدكم﴾، والمعنى على القراءة المعروفة أى: قالوا مانعبدهم، أو يقولون: مانعبدهم أى: مانعبد الملائكة ﴿إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ أى: القربة.

ومعنى الآية: أنهم يشفعون لنا عند الله.

وقوله: ﴿إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون﴾ يعنى: يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿إن الله لايهدى من هو كاذب كفار﴾ أى: كاذب على الله، كفار بنعم الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى﴾ أى لاختار ﴿مما يخلق﴾ ثم نزه نفسه، فقال: ﴿سبحانه﴾ يعنى: لاينبغى له أن يفعل، ولايليق بطهارته.

وقوله: ﴿هو الله الواحد القهار﴾ أى: الواحد فى ذاته، القهار لعباده.

قوله تعالى: ﴿خلقكم من نفس واحدة﴾ أى: آدم، وقوله: ﴿وخلق منها زوجها﴾ أى: حواء، وقد بينا أنه خلقها من ضلع من أضلاعه .

وقوله: ﴿وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج﴾ أى: وخلق لكم من الأنعام ثمانية أزواج، وهو مثل قوله تعالى: ﴿يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم﴾(١) أى: خلقنا، ومثل قوله: ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد﴾(٢) أى:

(١) الأعراف: ٢٦.

(٢) الحديد: ٢٥.

الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلا

خلقنا، وفى بعض التفاسير: أن الله تعالى خلق الأنعام فى سماء الدنيا [ثم][1] أنزلها إلى الأرض، وهى ثمانية أزواج: جمل وناقة، وثور وبقرة، وكبش ونعجة، وتيس وعنز.

وفى تفسير النقاش: أن الله تعالى أنزل على آدم المعلاة والمطرقة والكلبتين، وكان على جبل، فرأى قضيبا ثابتًا من حديد؛ فأخذه وضرب به الأشجار، وكانت يابسة، فتكسرت -يعنى: الأشجار- ثم أَوْرَى نارًا من الحديد والحجر، وأوقد بالأشجار على الحديد حتى ذاب، ثم ضرب منه مُدْيَة، ثم بعد ذلك اتخذ منه تنورا، وهو التنور الخابزة، وذلك أول ما اتخذه آدم.

وقوله: ﴿يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق﴾ أى: نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظامًا.

وقوله: ﴿فى ظلمات ثلاث﴾ قال ابن عباس: ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة. وعن بعضهم: ظلمة الصلب، وظلمة الرحم، وظلمة البطن، وهذا لأن الولد يخلق حين يخلق فى الرحم، ثم يرتفع إلى البطن.

قوله تعالى: ﴿ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون﴾ أى: عن الحق، قوله تعالى: ﴿إن تكفروا فإن الله غنى عنكم ولايرضى لعباده الكفر﴾ فيه قولان: أحدهما: لايرضى لعباده المؤمنين الكفر.

والآخر: أنه لايرضى لجميع عباده الكفر، وعلى هذا القول فرق بين الإرادة وبين الرضا، فقال: إن المعاصى بإرادة الله -تعالى- وليست برضاه ومحبته، وقد نقل هذا

(١) زيادة يقتضيها السياق وليست فى «الأصل وك».

يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ

عن قتادة، وكلا القولين محتمل.

والثاني هو الأولى والأقرب بمذهب السلف.

وقوله: ﴿وإن تشكروا يرضه لكم﴾ أى: يختار الشكر لكم، وقوله: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ أى: لايحمل على أحد ذنب أذنبه غيره، وقوله: ﴿ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون إنه عليم بذات الصدور﴾.

قوله تعالى: ﴿وإذا مسَّ الإنسان ضرٌّ﴾ أى: بلاء وشدة ﴿دعا ربه منيبا إليه﴾ راجعا إليه، وقوله: ﴿ثم إذا خوَّله﴾ أى: اعطاه، قال الشاعر:

أعطى فلم يَبْخلْ ولم يُبَخَّلِ كُوم الذُّرى من خَوَلِ المُخوَّلِ

وقوله: ﴿نعمة منه﴾ أى: عطية منه، وقوله: ﴿نسى ماكان يدعو إليه من قبل﴾ أى: نسى دعاءه الذى كان يدعو من قبل، ويقال: نسى الله الذى كان يدعوه من قبل.

وقوله: ﴿وجعل لله أندادا﴾ أى: وصف الله بالأنداد والأشباه، وقوله: ﴿ليضل عن سبيله﴾ أى: عن سبيل الحق.

وقوله: ﴿قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار﴾ أى: يوم القيامة. قال أهل التفسير: نزلت هذه الآية فى أبى حذيفة بن المغيرة بن عبدالله المخزومى، وقيل: فى كل كافر.

قوله تعالى: ﴿أمَّن هو قانت﴾ وقرئ: «أمن هو قانت» أى: مطيع، وقيل: قائم، وقوله: ﴿آناء الليل﴾ أى: ساعات الليل، وقوله: ﴿ساجدا وقائما﴾ أى: ساجدا على وجهه، قائما على رجليه كمن ليس حاله هذا، وهو ماذكرنا من قبل، وقيل: أهذا أفضل أو هذا؟ وأما القراءة بالتخفيف ففيه قولان:

أَندادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴿٩﴾ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا

أحدهما: أمن هو قانت كمن ليس بقانت، والقول الآخر: معناه: يامن هو قانت على النداء، قال الشاعر:

أَبَنِي لُبَيْنَى لَسْتُمُ[1] بيد إلا يدًا ليست لهـا عَضُدُ

أي: يابني لبيني، واختلف القول في أن الآية فيمن نزلت، فعن ابن عمر. أنها نزلت في عثمان بن عفان، وعن الضحاك: أنها نزلت في أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- وحكى الكلبي: أنها نزلت في ابن مسعود وعمار وسلمان، وفي بعض الروايات: أبو ذر وصهيب معهم.

وقوله: ﴿يحذر الآخرة﴾ أي: يخاف الآخرة ﴿ويرجو رحمة ربه﴾ أي: يطمع في رحمة ربه.

وقوله: ﴿قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون﴾ بمعنى: لايستوون، ويقال: الذين يعلمون هم المؤمنون، والذين لايعلمون هم الكفار، ويقال: الذين يعلمون العلماء، والذين لايعلمون الجهال .

وحكى النقاش في تفسيره عن أبي جعفر محمد بن على الباقرأنه قال: الذين يعلمون محبونا وشيعتنا، والذين لايعلمون أعداؤنا، وقوله: ﴿إنما يتذكر أولو الألباب﴾ أي: أولو العقول.

قوله تعالى: ﴿قل ياعباد الذين آمنوا اتقوا ربكم﴾ أي: احذروا ربكم وخافوه.

وقوله: ﴿للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة﴾ أحسنوا أي: آمنوا، ويقال: أحسنوا بطاعة الله، وقوله: ﴿في هذه الدنيا حسنة﴾ أي: الصحة والعافية، وقيل: الرزق الواسع، ويقال: العيش في طاعة الله.

(١) في «الأصل» و «ك»: تشتم، والمثبت هو الصواب، وانظر ابن جرير الطبري (٢٣/ ١٢٨).

رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ

وقوله: ﴿ وأرض الله واسعة ﴾ قال سعيد بن جبير: من أمر بالمعاصى فليهرب، وفى الآية أمر بالهجرة عن البلد الذى تظهر فيه المعاصى إلى بلد لاتظهر فيه المعاصى، ويقال فيه: أرض الله واسعة أى: المدينة، فأمر بالمهاجرة من مكة إلى المدينة، ويقال: نزلت الآية فى جعفر بن أبى طالب وأصحابه، حيث هاجروا من مكة إلى الحبشة .

وقوله: ﴿ إنما يوفى الصابرون ﴾ أى: الغربَة والخروج من الوطن فرارا بدينهم ﴿ أجرهم بغير حساب ﴾ أى: بغير تقدير، وفى الخبر أن النبى ﷺ قال: «لما أنزل الله تعالى: ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ﴾(١) رب زد أمتى، فأنزل الله تعالى: ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل ﴾(٢) ثم قال: زد أمتى؛ فأنزل الله تعالى: ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾»(٣) .

وعن على - رضى الله عنه - قال: كل مطيع يكال كيلا ويوزن وزنا إلا الصابرون؛ فإنهم يُحْثَى لهم حَثْيًا .

قوله تعالى: ﴿ قل إنى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين ﴾ أى: مخلصا له التوحيد، وإخلاص التوحيد: أن لاتشرك به غيره .

وقوله: ﴿ وأمرت لأن أكون أول المسلمين ﴾ أى: أوَّل المسلمين من قريش، قوله

(١) الأنعام: ١٦٠ .

(٢) البقرة: ٢٦١ .

(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط (٣/ ٦٤ رقم ١٤٣٢ مجمع البحرين)، وابن حبان (١٠/ ٥٠٥ رقم ٤٦٤٨)، وابن شاهين فى الأفراد - كما فى مجموع فيه من مصنفات ابن شاهين (ص/ ٢٢٣ - ٢٢٤ رقم ٢٥، ٢٦)، والبيهقى فى الشعب (٦/ ٣٩٢ - ٣٩٣ رقم ٣٠٤٧) كلهم عن ابن عمر مرفوعا به. وزاد السيوطى فى الدر (١/ ٣٢٢): ابن المنذر، وابن أبى حاتم، وابن مردويه. وقال ابن شاهين: هذا حديث غريب، صحيح الإسناد، لا أعلم رواه إلا أبو إسماعيل المؤدب - ثقة - عن عيسى بن المسيب .

اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ

تعالى ﴿قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾ أي: عصيت ربي بالشرك. وقيل بالشرك وغيره، ويجوز أن يكون الخطاب معه، والمراد به الأمة.

قوله تعالى: ﴿قل الله أعبد مخلصا له ديني﴾ أي: توحيدي، وقوله: ﴿فاعبدوا ماشئتم من دونه﴾ هذا على طريق التهديد والوعيد.

وقوله: ﴿قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة﴾ فإن قال قائل: أيش معنى خسران الأهلين؟

قلنا: الجواب من وجهين: أحدهما: أنه ما من أحد إلا وباسمه أهل في الجنة، فإذا كفر وأدخل النار خسر أهله على معنى أنه يعطى الذي كان باسمه غيره.

والوجه الثاني: أن خسران النفس بإدخاله النار، وخسران الأهل بأن يفرق بينه وبين أهله.

وقوله: ﴿ألا ذلك هو الخسران المبين﴾ أي: البين، قوله تعالى: ﴿لهم من فوقهم ظلل من النار﴾ والظلل: جمع الظلة، والظلة: الجبل، والمراد من قوله: «ظلل» كثرة العذاب، وقوله: ﴿ومن تحتهم ظلل﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿ذلك يخوف الله به عباده﴾ أي: يحذرهم.

وقوله: ﴿ياعباد فاتقون﴾ أي: فاحذروا عذابي.

قوله تعالى: ﴿والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها﴾ أي: الشيطان، ويقال: الطاغوت اسم أعجمي، وقيل: اسم عربي مشتق من الطغيان.

وقوله: ﴿وأنابوا إلى الله﴾ أي: رجعوا إلى الله.

يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ ﴿١٩﴾ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ

وقوله: ﴿لهم البشرى﴾ أى: البشارة بالجنة، وقوله: ﴿فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾.

فى الآية أقاويل:

أحدها: يستمعون القول أى: القرآن، فيتبعون أحسنه، والأحسن هو العفو، والانتصار على الظالم مذكور فى القرآن، والعفو مذكور، والعفو أحسن الأمرين.

والقول الثانى: يستمعون القول أى: يستمعون القرآن وغير القرآن.

وقوله: ﴿فيتبعون أحسنه﴾ أى: القرآن، وقال بعضهم: يستمعون الرخص والعزائم، فيتبعون أحسنها أى: العزائم.

والقول الرابع: يستمعون القول أى: الكلام، فيتبعون أحسنه أى: قول لا إله إلا الله، وقوله: ﴿أولئك الذين هداهم الله﴾ أى: أرشدهم الله إلى الحق.

وقوله: ﴿وأولئك هم أولو الأباب﴾ أى: أولو العقول.

قوله تعالى: ﴿أفمن حق عليه كلمة العذاب﴾ كلمة العذاب: قوله تعالى: ﴿لأملأن جنهم من الجنة والناس أجمعين﴾(١) ويقال: كلمة العذاب: قوله «هؤلاء فى النار ولا أبالى»(٢).

وقوله: ﴿أفأنت تنقذ من فى النار﴾ أى: لاتنفذه، قوله تعالى: ﴿لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الأنهار وعد الله لايخلف الله الميعاد﴾ أى: ميعاده.

قوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فسلكه ينابيع فى الأرض﴾ أى:

(١) هود: ١١٩، السجدة: ١٣.

(٢) تقدم تخريجه.

الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم

أجراه أنهارا فى الأرض.

وقوله: ﴿ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه﴾ أى: أصفر وأحمر وأخضر.

وقوله: ﴿ثم يهيج﴾ أى: ييبس، يقال: هاج النبات إذا يبس.

وقوله: ﴿فتراه مصفرًّا﴾ أى: ترى النبات مصفرًا، وقوله: ﴿ثم يجعله حطاما﴾ أى: فتاتا، وقوله: ﴿إن فى ذلك لذكرى لأولى الألباب﴾ ظاهر المعنى، والذكرى هى: التذكرة.

قوله تعالى: ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾ أى: وسع الله صدره للإسلام .

وقوله: ﴿فهو على نور من ربه﴾ فى الخبر: أن النبى ﷺ قال: «إذا دخل النور فى قلب المؤمن انشرح وأنفسح، قيل يارسول الله، وهل لذلك من علامة؟ قال: نعم؛ التجافى عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل حلول الموت»(١).

وقوله: ﴿فهو على نور من ربه﴾ يحتمل أن يكون النور قبل أن يسلم، ويحتمل أن يكون بعد الإسلام؛ ثمرة إسلامه، وأما شرح الصدر: هو التوطئة للإسلام والتمهيد له.

وقوله: ﴿فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾ أى: الذين لايذكرون الله، وكل من ترك ذكر الله فقد قسا قلبه، قوله: ﴿أولئك فى ضلال مبين﴾ أى: بين.

(١) رواه ابن جرير (٨/٢١)، والحاكم (٤/٣١١)، ومن طريقه البيهقى فى الزهد (٣٥٦ رقم ٩٧٤)، وأبو نعيم فى أخبار أصبهان (٢/٣٨)، والبغوى فى تفسيره (٤/٧٦) كلهم عن ابن مسعود مرفوعا به. وقال الحافظ الدارقطنى فى العلل (٥/رقم ٨١٢) بعدما أورد عدة طرق عن ابن مسعود به: وكلها وهم، والصواب عن عمرو بن مرة عن أبى جعفر عبد الله بن المسور مرسلا، وعبد الله بن المسور متروك اهـ. وفى الباب أحاديث عن ابن عباس، والحسن البصرى مرسلا. وانظر تخريج الكشاف (٣/٢٠١ - ٢٠٣)، والسلسلة الضعيفة (رقم ٩٦٥).

مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى

قوله تعالى: ﴿ الله نزل أحسن الحديث ﴾ أى: القرآن، وسماه حديثًا؛ لأنه حديث إنزاله، وقيل: «الله نزل أحسن الحديث» أى: أحسن الكلام.

وقد ورد فى الأخبار: «فضل كلام الله على كلام خلقه كفضله على خلقه»(١).

وقوله: ﴿ كتابًا متشابهًا ﴾ أى: يشبه بعضه بعضا فى الصدق وصحة المعنى، ويقال: متشابهًا أى: الآية بعد الآية، والسورة بعد السورة.

وقوله: ﴿ مثانى ﴾ أى: ثنى فيه ذكر الوعد والوعيد، وذكر الأمر والنهى، ويقال: مثانى أى: الآية بعد الآية، والسورة بعد السورة.

وقوله: ﴿ تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ﴾ أى: قلوب الذين يخشون ربهم؛ فكنى بالجلود عن القلوب، ويُقال: معنى الجلود هى نفس الجلود، وفى بعض الآثار: «من أخذته قشعريرة من خوف الله تعالى تحاتت عنه خطاياه كما يتحايت(٢) ورق الشجر»(٣).

وقوله: ﴿ ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ﴾ أى: بذكر الله، وحقيقة

(١) رواه الترمذى (٥/١٦٩ رقم ٢٩٢٦) وقال: حسن غريب، والدارمى (٢/٥٣٣ رقم ٣٣٥٦)، وابن حبان فى المجروحين (٢/٢٧٧) عن عطية عن أبى سعيد مرفوعًا به. وقد تعقب الذهبى تحسين الترمذى لهذا الحديث فقال: حسنه الترمذى فلم يحسن. ميزان الاعتدال (٣/٥١٥ رقم ٧٣٨٢). وقال أبو حاتم فى العلل (٢/٨٢): حديث منكر، ومحمد بن الحسن ليس بالقوى. ورواه أبو يعلى فى معجمه (٣٢٠ - ٣٢١ رقم ٢٩٤)، وابن عدى (٥/٤٨)، والبيهقى فى الشعب (٥/١٦٥ - ١٦٦ رقم ٢٠١٨) عن شهر بن حوشب عن أبى هريرة مرفوعا به. ورواه الدارمى (٢/٥٣٣ رقم ٣٣٥٧) عن شهر بن حوشب مرسلا. ورجح الحافظ الدارقطنى المرسل فى علله (١١/٢٩) فقال: والمرسل هو الأشبه. وانظر السلسلة الضعيفة (١٣٣٤، ١٣٣٥).

(٢) فى «ك»: يتحات.

(٣) رواه البزار (٤/١٤٨-١٤٩رقم١٣٢٢)، وأبو يعلى مطولا (١٢/٦٠-٦١ رقم ٦٧٠٣)، والبيهقى فى الشعب (٢/٩٢-٩٥رقم٧٨٢،٧٨٣)، والخطيب فى تاريخه (٤/٥٦)، والبغوى فى تفسيره (٤/٧٦) كلهم عن العباس بن عبد المطلب مرفوعا به. وزاد البوصيرى نسبته إلى البيهقى وضعف إسناده، كما فى مختصر الإتحاف (رقم ٧٩٧٥)، وأشار المنذرى فى الترغيب (٤/١٢٨) إلى ضعفه، وعزاه لأبى الشيخ فى الثواب، والبيهقى.

اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ
الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ
مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ اللَّهُ

المعنى: أن قلوبهم تقشعر عند الخوف، وتلين عند الرجاء.

وقوله: ﴿ذلك هدى الله يهدى به من يشاء﴾ أى: من يشاء من عباده، وقوله: ﴿ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ أى: من مرشد.

قوله تعالى: ﴿أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه سُحِبَ فى النار سحبا على وجهه.

والقول الآخر: أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب؛ لأن يد الكافر تكون مغلولة، فيتقى بوجهه العذاب، كما يتقى الرجل بيده.

وقوله: ﴿وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿كذب الذين من قبلهم﴾ أى: بالقيامة، وقوله: ﴿فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ أى: لا يعلمون.

قوله تعالى: ﴿فأذاقهم الله الخزى فى الحياة الدنيا﴾ أى: العذاب الذى يخزيهم، وقوله: ﴿ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾ أى: عذاب الآخرة - وهو عذاب النار- أكبر من كل عذاب.

قوله تعالى: ﴿ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل﴾ أى: شبه ومثال، وقوله: ﴿لعلهم يتذكرون﴾ أى: يتذكرون ما فيه من الأمثال.

قوله تعالى: ﴿قرآنًا عربيًّا غير ذى عوج﴾ أى: أنزلنا قرآنًا عربيًّا غير ذى عوج أى: غير ذى لبس، قال مجاهد: ويقال: غير مختلف؛ لأن بعضه يصدق البعض، وروى الوالبى عن ابن عباس أنه قال: غير ذى عوج أى: غير مخلوق، وحكى سفيان بن

مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ

عيينة عن سبعين من التابعين: أن القرآن ليس بخالق ولا مخلوق، وهذا اللفظ أيضًا منقول عن على بن الحسين زين العابدين، وقوله: ﴿لعلهم يتقون﴾ أى: يتقون الله.

قوله تعالى: ﴿ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون﴾ أى: متعاسرون، وقوله: ﴿ورجلا سلما لرجل﴾ أى: سلمًا خالصًا لرجل، وهذا ضرب مثل للمؤمن والكافر؛ فإن الكافر يعبد أصناما كثيرة، والمؤمن لا يعبد إلا الله وحده.

وقوله: ﴿هل يستويان مثلا﴾ أى: شبهًا، وقوله: ﴿الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ معناه: الحمد لى على ما بينته من الحق، وقوله: ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ أى: الكفار.

قوله تعالى: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ أى: ستموت، والميِّت والميْت واحد، وفرَّق بعضهم بينهما؛ فقال: الميْت: هو الذى مات حقيقة، والميِّت هو الذى سيموت؛ قال الشاعر:

ليس من مات فاستراح بَمْيتٍ ... إنما الميِّت ميِّتُ الأحياءِ

وفائدة الآية أن الله تعالى بين أن محمداً يموت لما علم من اختلاف أصحابه فى موته.

قوله تعالى: ﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ ظاهر المعنى.

وفى بعض المسانيد برواية الزبير بن العوام -رضى الله عنه- أنه قال لرسول الله ﷺ حين نزلت هذه الآية: ﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾: «يا رسول الله، أيكرر علينا ما كان بيننا من خواص الذنوب؟ قال رسول الله ﷺ: نعم،

تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾

فقال الزبير: إن الأمر إذًا لشديد »(١).

وعن عبد الله بن عمر أنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴾ لم ندر ما هذه الخصومة حتى وقع بين أصحاب رسول الله ﷺ ما وقع؛ فعرفنا أنها هي.

قوله تعالى: ﴿ فمن أظلم ممن كذب على الله ﴾ قال مجاهد وقتادة: كذبهم على الله: زَعْمُ اليهود أن عزيرا ابن الله، وزَعْمُ النصارى أن المسيح ابن الله.

وقال بعضهم: كذبهم على الله: تكذيب أنبياء الله، وقال السدى: هو الشرك، وزَعْمُ قريش أن الملائكة بنات الله.

وقوله: ﴿ وكذَّب بالصدق إذ جاءه ﴾ أى: بالقرآن إذ جاءه، ويقال: بالرسول إذ جاءه. وقوله: ﴿ أليس فى جهنَّم مثوى للكافرين ﴾ استفهام بمعنى التقرير.

قوله تعالى: ﴿ والذى جاء بالصدق وصدق به ﴾ أظهر الأقاويل: أن معنى قوله: ﴿ والذى جاء بالصدق ﴾ محمد ﷺ ﴿ وصدق به ﴾ هم المؤمنون. وفى قراءة عبد الله ابن مسعود: « والذين جاءوا بالصدق وصدقوا به » ومعنى قوله: ﴿ والذين جاءوا بالصدق ﴾ هم المؤمنون ﴿ وصدقوا به ﴾ أى: صدقوا به فى الدنيا، وجاءوا بالصدق فى الآخرة، وأوَّل مجاهد القراءة المعروفة على هذا.

قال أهل اللغة: وقد يذكر الذين والذى بمعنى واحد، قال الشاعر:

(١) رواه الترمذى (٥/٣٤٤-٣٤٥ رقم٣٢٣٦) وقال: حسن صحيح، وأحمد (١/١٦٤،١٦٧)، والحميدى (١/٣٣-٣٤ رقم٦٠،٦٢)، والبزار (٣/١٧٩ رقم ٩٦٤، ٩٦٥)، وأبو يعلى (٢/٣١-٣٢ رقم ٦٦٨،٦٨٧)، وابن أبى داود فى البعث (رقم ٢٩)، والحاكم (٢/٤٣٥، ٤/٥٧٢) وصححه، والشاشى فى مسنده (١/٩٥ رقم ٣٢) وابن أبى حاتم كما فى تفسير ابن كثير (٤/٥٢)، وأبو نعيم فى الحلية (١/٩١-٩٢)، والبيهقى (٦/٩٣-٩٤) كلهم من حديث الزبير به.

لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي

وإن الذى جاثت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالـد

والقول الثانى فى الآية: أن الذى جاء بالصدق هو جبريل – عليه السلام – وصدق به هو محمد ﷺ.

والقول الثالث : والذى جاء بالصدق محمد ﷺ وصدق به أبو بكر – رضى الله عنه – قاله عوف بن عبد الله وغيره.

والقول الرابع : والذى جاء بالصدق محمد ﷺ، وصدق به على – رضى الله عنه – حكاه ليث عن مجاهد، وقوله: ﴿أولئك هم المتقون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿لهم ما يشاءون عند ربهم﴾ أى: ما يختارون(١).

هذه الآية تدل على النائم قد خرجت الروح من جسده، ونحن نعلم قطعًا أن الروح فى جسده، ألا ترى أنه يتنفس ويرى الرؤيا، وذلك لا يكون إلا مع قيام الروح؟

والجواب عنه: أن النفس على وجهين: أحدهما: النفس المميزة التى تكون لها إدراك الأشياء.

والآخر: هى النفس التى بها الحياة، وفى الخبر: «أن النبى ﷺ قال: «كما تنامون تموتون، وكما تستيقظون تبعثون».

ويقال: للإنسان نفس وروح، فعند النوم تخرج النفس وتبقى الروح، وهذا القول قريب من القول الأول.

وعن على – رضى الله عنه – أنه قال: تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعه فى الجسد؛ فبذلك ترى الرؤيا، وإذا نبه من النوم عادت الروح إلى جسده بأسرع من اللحظة، والله أعلم.

وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه كان يقول عند النوم: «اللهم إنك تتوفاها؛ فإن

(١) سقط من «الأصل، وك» تفسير الآيات ٣٥ – ٤٢ فليتنبه.

عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ
وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ
مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ
أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾
قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ
وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ
وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا
وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ
مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَ لَوْ

أمسكتها فاغفر لها وارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين»(١).

وقوله: ﴿إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ أى: لعبراً لقوم يتفكرون فى آياتنا.

قوله تعالى: ﴿أم اتخذوا من دون الله شفعاء﴾ أى: أصناما تشفع لهم، وهذا على طريق الإنكار والتوبيخ.

وقوله: ﴿قل أو لو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون﴾ أى: طلبوا الشفاعة ممن لا يملك شيئا ولا يعقل، قوله تعالى: ﴿قل لله الشفاعة جميعا﴾ معناه: أنه لا يشفع أحد إلا بإذنه، فالشفاعة من عنده؛ لأنها لا تكون إلا بإذنه.

وقوله: ﴿له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون﴾ ظاهر المعنى.

وروى أن جبريل – عليه السلام – قال للنبى ﷺ: لله خلق السموات وما فيهن،

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (١١/ ١٣٠ رقم ٦٣٢٠، وطرفه: ٧٣٩٣)، ومسلم (١٧/ ٥٧–٥٨ رقم ٢٧١٤).

كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾

وخلق الأرض وما فيهن، وخلق ما بينهن مما يعلم ومما لا يعلم.

قوله تعالى: ﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزت﴾ أى: نفرت وانقبضت، وقوله: ﴿قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ أى: الكفار.

وفى التفسير: أن رسول الله ﷺ كان إذا قال: لا إله إلا الله نفروا جميعًا (عن)[1] قوله.

وقوله: ﴿وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون﴾ أى: يفرحون، ويقال: إن هذه الآية نزلت حين ألقى الشيطان على لسان النبى ﷺ من ذكر الأصنام بالشفاعة، وهو قوله: تلك الغرانيقُ العُلىَ على ما ذكرنا[2]، فهو معنى قوله: ﴿إذا هم يستبشرون﴾ لأنهم لما سمعوا ذلك استبشروا وفرحوا ،وقالوا للنبى ﷺ: يامحمد، ما كنا نريد منك إلا هذا، وهو ألا تعيب آلهتنا، ولا تذكرها إلا بالخير، وإلا فنحن نعلم أن الله خالق السموات والأرض.

قوله تعالى: ﴿قل اللهم فاطر السموات والأرض﴾ أى: خالق السموات والأرض ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ أى: السر والعلانية.

وقوله: ﴿أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون﴾ أى: من أمر دينهم، وعن بعضهم قال: صحبت الربيع بن خثيم كذا كذا سنة، فلم أسمع منه كلاما إلا ذكر الله تعالى، فلما قتل الحسين - رضى الله عنه - قلنا: الآن يتكلم بشىء؛ فأخبر بذلك؛ فلما سمع قرأ هذه الآية :﴿قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة﴾ الآية.

(١) فى «ك»: من.

(٢) تقدم تخريجه.

وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ

قوله تعالى: ﴿ولو أن للذين ظلموا ما فى الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به﴾ قد بينا هذا من قبل، وقد ثبت عن النبى ﷺ: «أن الله تعالى يقول يوم القيامة للكافر: أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبا، أكنت مفتديا بها؟ فيقول: نعم. فيقول الله تعالى: سألتك أهون من ذلك وأنت فى صلب أبيك أن لا تشرك بى شيئا؛ فأبيت إلا أن تشرك بى»(١).

وقوله: ﴿من سوء العذاب يوم القيامة﴾ أى: من العذاب القبيح والشديد يوم القيامة، وقوله: ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ أى: ظهر لهم من الله ما لم يأملوه، ولم يكن فى حسابهم وظنهم، وروى أن محمد بن المنكدر جزع عند الموت؛ فسئل عن ذلك؛ فقال: أخشى أن يبدو لى من الله ما لم أحتسب.

وقوله: ﴿وبدا لهم سيئات ما كسبوا﴾ أى: ظهر لهم مساوئ أعمالهم. وقوله: ﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ أى: نزل بهم جزاء ما كانوا به يسخرون.

قوله تعالى: ﴿فإذا مس الإنسان ضر﴾ أى: شدة وبلية، وقوله: ﴿دعانا﴾ أى: طلب منا كشفه، وقوله: ﴿ثم إذا خولناه نعمة منا﴾ أى: أعطيناه نعمة منا.

وقوله: ﴿قال إنما أوتيته على علم﴾ أى: أعطيته على علم أى: لعلمى وجهدى، ويقال: أعطيته على علم الله منه - جلَّ جلاله - أنى أهل لما أعطانيه، ويقال: على شرف منى وكرامة لى.

وقوله: ﴿بل هى فتنة﴾ أى: اختبار وبلية، وقوله: ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ أى: لا يعلمون أن ما نعطى من النعمة اختبار وبلية.

---

(١) تقدم تخريجه.

مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ يَا عِبَادِيَ

قوله تعالى: ﴿قد قالها الذين من قبلهم﴾ أى: قال هذه الكلمة الذين من قبلهم، وفى التفسير: أن المراد من هذا هو قارون؛ فإنه قال: إنما أوتيته على علم عندى.

وقوله: ﴿فما أغنى عنهم ما يكسبون﴾ أى: لم يغن عنهم ما اكتسبوا شيئا.

قوله تعالى: ﴿فأصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا﴾ أى: يصيب الكفار من هذه الأمة من البلاء والعقوبة ما أصاب الأمم الماضية.

وقوله ﴿وما هم بمعجزين﴾ أى: بفائتين ولا سابقين.

قوله تعالى: ﴿أو لم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ يبسط أى: يوسع، ويقدر أى: يقلل.

وفى بعض الأخبار: «أن الله يخير لعبده، فإن كان الخيرة له فى التوسع وسع عليه، وإن كان الخيرة له فى التضيق ضَّيق عليه»(١).

وقوله: ﴿إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ أى: يصدقون.

قوله تعالى: ﴿قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ يقال: نزلت الآية فى

---

(١) رواه ابن أبى الدنيا فى الأولياء (٢٧-٢٨ رقم ١)، وأبو نعيم فى الحلية (٨/٣١٨-٣١٩) وقال: غريب، وابن عساكر (٧/٩٥-٩٦رقم١٨٨٢،١٨٨٣)، وابن الجوزى فى العلل المتناهية (١/٤٤-٤٥ رقم٢٧) جميعهم من طريق الخشنى، عن صدقة ،عن هشام الكتانى، عن أنس مرفوعا به. وقال ابن رجب فى جامع العلوم والحكم (٢/٣٣٣) بعد عزوه للطبرانى عن هذا الطريق: والخشنى وصدقة ضعيفان، وهشام لايعرف. وقال الحافظ ابن حجر فى الفتح (١١/٣٤٩): أخرجه أبو يعلى، والبزار ،والطبرانى، وفى سنده ضعف. وله شاهد عن ابن عباس، رواه الطبرانى (١٢/١٤٥-١٤٦ رقم ١٢٧١٩)، وضعفه ابن رجب وابن حجر أيضا. وله شاهد آخر عن عمر، رواه الخطيب فى تاريخه (٦/١٥)، وقال ابن الجوزى فى العلل: لايصح.

وحشى مولى مطعم بن عدى، ويقال: نزلت فى قوم من رؤساء الكفار أسلموا يوم فتح مكة مثل: سهيل بن عمرو، وحكيم بن حزام، وصفوان بن أمية، وغيرهم.

وفى التفسير: أنهم قالوا: إن محمداً يقول: من أشرك بالله أو زنا أو قتل نفسا فقد هلك، ونحن قد فعلنا هذا كله؛ فكيف يكون حالنا؟ فأنزل الله - تعالى - هذه الآية.

وروى أن وحشيا لما أسلم كان النبى ﷺ لا يطيق أن يراه؛ فظن وحشى أن إسلامه لم يُقبل؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وروى ثوبان عن النبى ﷺ أنه قال: «ما يسرنى بهذه الآية الدنيا وما فيها»(١)

وعن زيد بن على - رضى الله عنهما - أنه قال: هذه الآية أوسع آية فى القرآن.

وعن عبيد بن عمير: أن آدم - صلوات الله عليه - قال: يا رب، إنك سلطت إبليس علىَّ وعلى ولدى، وإنى لا أطيقه إلا بك.

فقال: يا آدم، إنه لا يولد لك ولد إلا وكلَّت به من يحفظه، فقال: يا رب، زدنى فقال: باب التوبة مفتوح على ولدك لا يغلق حتى تقوم الساعة.

قال: يا رب، زدنى، قال: الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها.

قال: يارب، زدنى، قال: ﴿قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾ الآية.

(١) رواه أحمد (٥/ ٢٧٥)، وابن جرير (٢٤/ ١١-١٢)، والطبرانى فى الأوسط (٦/ ٦٦-٦٧ رقم ٣٣٨٥، ٣٣٨٦/ مجمع البحرين) من حديث ثوبان به. وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ١٠٣): رواه الطبرانى فى الأوسط وأحمد بنحوه، وفيه ابن لهيعة، وفيه ضعف، وحديثه حسن. وعزاه السيوطى فى الدر (٥/ ٣٦٤) لأحمد، وابن جرير، وابن أبى حاتم، وابن مردويه، والبيهقى. وقال ابن حجر فى تلخيص تخريج الكشاف: وفيه ابن لهيعة عن أبى قبيل، وهما ضعيفان.

الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً

وقرأ ابن مسعود: «لا تأيسوا من رحمة الله»، وهو معنى قوله: ﴿لا تقنطوا﴾.

وقوله: ﴿إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم﴾ ظاهر المعنى، قال أهل التفسير: يغفر الذنوب جميعا إن شاء.

وروى أنه لما نزلت هذه الآية؛ قال رجل: «يا رسول الله، ومن أشرك؟ فسكت النبى ﷺ، ثم قال: ومن أشرك؟ قال: إلا من أشرك»(١).

وروى أن عبد الله بن مسعود مرَّ بقاص يقص، ويشدد على القوم فقال: أيها الرجل، لا تفعل كذلك، وقرأ هذه الآية: «قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم» الآية.

وروى شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد. «أن النبى ﷺ قرأ: «قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالى» ذكره أبو عيسى فى جامعه(٢).

قوله تعالى: ﴿وأنيبوا إلى ربكم﴾ معناه: وارجعوا إلى ربكم، وقوله: ﴿وأسلموا له﴾ أى: وأخلصوا له، ويقال: واستسلموا له، وقوله: ﴿من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون﴾ أى: لا تمنعون.

قوله تعالى: ﴿واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم﴾ قد بينا معنى الأحسن فيما سبق، ويقال: ﴿واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم﴾ أى: الحسن الذى أنزل إليكم من ربكم.

---

(١) هو جزء من الحديث ثوبان المتقدم.

(٢) رواه الترمذى (٥/ ٣٤٥ رقم٣٢٣٧) وقال: حسن غريب، وأحمد (٦/ ٤٥٤، ٤٥٩، ٤٦١)، وعبد بن حميد (٤٥٦رقم١٥٧٧)، وابن أبى الدنيا فى حسن الظن (٨٢رقم٧٢)، والطبرانى فى الكبير (٢٤/ ١٦١رقم٤١١)، والحاكم (٢/ ٢٤٩) وقال: غريب عال، جميعهم عن شهر به.

وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى

وقوله: ﴿ من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة ﴾ أى: فجأة ﴿ وأنتم لا تشعرون ﴾ أى: لا تعلمون.

قوله تعالى: ﴿ أن تقول ﴾ معناه: واتبعوا طاعة الله حذرا وحذارا من أن تقول ﴿ نفس يا حسرتا ﴾ أى: يا ندامتا، ويقال: معنى قوله: ﴿ يا حسرتا ﴾أى: يا[أيتها](١) الحسرة هذا وقتك.

وقوله: ﴿ على ما فرطت فى جنب الله ﴾ أى: ضيعت فى ذات الله.

وقال مجاهد : فى أمر الله، وقال الحسن: فى طاعة الله، وقيل: فى ذكر الله، وقال بعضهم: على ما فرطت فى الجانب الذى يؤدى إلى رضى الله تعالى، وقيل: « فى جنب الله » أى: فى قرب الله وجواره، حكاه النقاش وغيره.

وقوله: ﴿ وإن كنت لمن الساخرين ﴾ أى: من المستهزئين.

قوله تعالى: ﴿ أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين ﴾ معناه: على الوجه الذى بينا من الحذار.

قوله تعالى: ﴿ أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة ﴾ أى: رجعة.

وقوله: ﴿ فأكون من المحسنين ﴾ أى: المحسنين فى طاعة الله.

قوله تعالى: ﴿ بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت ﴾ أى: تكبرت، وقوله: ﴿ وكنت من الكافرين ﴾ أى: الجاحدين لنعمى.

وقوله: ﴿ بلى ﴾ فى الابتداء تقدير تحسراتهم وتأسفهم ونداماتهم على ما سبق.

---

(١) فى « الأصل، وك »: أيها.

اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُوْلَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾

قوله تعالى: ﴿ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة﴾ ومعنى كذبوا على الله أى: زعموا أن الله اتخذ ولدا أو شريكا، ويقال: هو عام فى كل كذب على الله.

وقوله: ﴿أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين﴾ هو استفهام بمعنى التقرير، قوله تعالى: ﴿وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم﴾ أى بالطرق التى تؤديهم إلى الفوز والنجاة.

وقوله: ﴿لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون﴾ ظاهر .

قوله تعالى: ﴿الله خالق كل شىء وهو على كل شىء وكيل﴾ أى: حافظ، ويقال مدبر الأمور على مشيئته.

قوله تعالى: ﴿له مقاليد السموات والأرض﴾ أى: عنده خزائن السموات والأرض، ويقال: مفاتيح الخزائن، وفى بعض الأخبار برواية عثمان -رضى الله عنه- أن النبى ﷺ قال فى تفسير المقاليد: «سبحان الله، والله أكبر، ولا إله إلا الله، والحمد لله، وأستغفر الله، ولا قوة إلا بالله، هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو بكل شىء عليم»(١).

(١) رواه الطبرانى فى الدعاء (٣/١٥٦٩ - ١٥٧٠ رقم ١٧٠٠)، والعقيلى فى الضعفاء (٤/٢٣١-٢٣٢) وقال فى إسناده نظر، وابن السنى فى عمل اليوم والليلة (٣٦ رقم ٧٣)، وأبو يعلى، وابن أبى حاتم - كما فى تفسير ابن كثير (٤/٦١) - والبيهقى فى الأسماء والصفات (١٢٧) وابن الجوزى فى الموضوعات (١/١٤٤-١٤٥) عن عثمان به مطولا. وقال ابن الجوزى: هذا الحديث من الموضوعات الباردة التى لاتليق بمنصب رسول الله ﷺ؛ لأنه منزه عن الكلام الركيك والمعنى البعيد. وقال الذهبى فى الميزان (٤/٨٤-٨٥): هذا موضوع فيما أرى. ونقل الحافظ ابن حجر فى اللسان (٧/٧٠ ترجمة مخلد) عن النسائى قوله: لايعرف هذا من وجه يصح، وما أشبهه بالوضع.

قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ

فهذا تفسير المقاليد، وأنشدوا فى الإقليد:

(لم يؤده الديك بصوت يعريك   ولـم تعالـج غلقـا بإقليـد)[1]

قوله تعالى: ﴿والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون﴾ أى: خسروا الثواب وحلَّ بهم العقاب.

قوله تعالى: ﴿قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون﴾ روى أن المشركين قالوا للنبى ﷺ: استلم بعض آلهتنا ونحن نؤمن بك، وروى أنهم قالوا: نعبد إلهك سنة، وتعبد آلهتنا سنة، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قوله: ﴿أيها الجاهلون﴾ أى: الجاهلون بالله وسلطانه وقدرته وعظمته.

قوله تعالى: ﴿ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك﴾ يقال: هذا خطاب للرسول، والمراد منه غيره، ويجوز أن يكون تأديبا للرسول، وتخويفا له ليتمسك بما عليه.

وقوله: ﴿ولتكونن من الخاسرين﴾ أى: الذين خسروا جميع ما يأملون.

قوله تعالى: ﴿بل الله فاعبد وكن من الشاكرين﴾ خطاب للرسول ﷺ.

وقوله: ﴿وكن من الشاكرين﴾ أى: الشاكرين لنعمى.

قوله تعالى: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ معناه: وما عظموا الله حق عظمته، ويقال: ما وصفوا الله حق صفته.

وقوله: ﴿والأرض جميعا قبضته يوم القيامة﴾ وقد ثبت برواية عبد الله بن مسعود: أن يهوديا أتى النبى ﷺ وقال: إذا كان يوم القيامة يضع الله السموات على

(١) كذا!.

إِ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي

إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال على إصبع، وجميع الخلائق على إصبع؛ فضحك النبى ﷺ، وقرأ قوله تعالى: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ وفى رواية: «فضحك النبى ﷺ تعجبا وتصديقا له» والخبر على الوجه فى الصحيحين(١).

وفى رواية [ابن عمر](٢) عن النبى ﷺ: «إن الله يقبض الأرض ويطوى السموات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟ قال ابن عمر: وجعل النبى ﷺ يتحرك على منبره؛ حتى قلنا: يكاد يسقط»(٣). وفى رواية: «جعل المنبر يتحرك هكذا وهكذا».

وفى رواية عائشة - رضى الله عنها - «أن النبى ﷺ قرأ: ﴿والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه﴾ قالت عائشة: فأين يكون الناس؟ قال: على الصراط»(٤). وروى أنه قال: «على جسر جهنم».

ويقال: إن قبضته ويمينه لا بوصف، قال سفيان بن عيينة: كل ما ورد فى القرآن من هذا فتفسيره قراءته، حكاه النقاش وغيره. وقيل: قبضته قدرته، والأول أولى بما بينا من قبل.

وقوله: ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ نزه نفسه عما وصفه به المشركون.

قوله تعالى: ﴿ونفخ فى الصور﴾ روى عن بعض السلف أنه قال: من أراد أن يشاهد يوم القيامة - يعنى: بقلبه - فليقرأ آخر سورة الزمر.

(١) متفق عليه، رواه البخارى (٨/٤١٢-٤١٣ رقم ٤٨١١، وأطرافه: ٧٤١٣، ٧٤١٤، ٧٤١٥، ٧٤٥١)، ومسلم (١٧/١٨٨ - ١٩١ رقم ٢٧٨٦).

(٢) فى «الأصل، وك»: ابن عثمان، وهو خطأ، والحديث متفق عليه من طريق ابن عمر، وسيأتى بعد قليل على الصواب من كلام المصنف أيضا.

(٣) متفق عليه، رواه البخارى (١٣/٤٠٤ رقم ٧٤١٢)، ومسلم (١٧/١٩١ - ١٩٣ رقم ٢٧٨٨).

(٤) رواه الترمذي (٥/٣٤٧ رقم ٣٢٤١) وقال: حسن صحيح، والنسائى فى الكبرى (٦/٤٤٧ رقم ١١٤٥٣)، وابن ماجه (٢/١٤٣٠ رقم ٤٢٧٩)، وأحمد (٦/١١٧)، وابن جرير (٢٤/١٩)، والحاكم (٢/٤٣٦) وصححه، والبيهقى فى البعث (٣٠٤ رقم ٦٢٩)، وأبو نعيم فى الحلية (٨/١٨٣).

السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم

وأما الصور وقد بينا أنه قرن ينفخ فيه، رواه عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ (١).

وروى أبو سعيد الخدرى عن النبى ﷺ أنه قال: «كيف أنعم، والتقم صاحب [القرن]، وحنى جبهته وأصغى سمعه ينظر حتى (٢) يؤمر فينفخ» (٣).

وقوله: ﴿فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله﴾ فى قوله: ﴿إلا من شاء الله﴾ قولان:

أحدهما: أنهم الشهداء، والآخر: أنهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت.

وفى تفسير الكلبى وغيره: لا يبقى إلا هؤلاء الأربعة بعد ما ينفخ فى الصور، ثم إن الله تعالى يقبض روح ميكائيل، ويقبضه ملك الموت، ثم روح إسرافيل، ثم روح ملك الموت، ثم يكون آخرهم موتا جبريل - عليه السلام - فيسقطون، ويكون فضل جبريل - عليه السلام - عليهم كفضل الجبل على الظراب.

وقوله: ﴿ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾ أى: ينظرون ماذا يؤمر فى حقهم، وقد ثبت عن النبى ﷺ، برواية أبى هريرة أن يهوديا قال فى سوق المدينة: لا والذى اصطفى موسى على البشر؛ فرفع رجل من الأنصار يده وصك وجهه، وقال: كذبت، فذكروا ذلك للنبى ﷺ، فقال النبى ﷺ: «إن الله تعالى يبعث الخلق فأكون أول من يرفع رأسه، فإذا موسى آخذٌ بقائمة من قوائم العرش؛ فلا أدرى أبعث قبلى أو هو ممن استثنى الله تعالى؟ ثم قال: من قال أنا خير من موسى فقد كذب» (٤).

قوله تعالى: ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها﴾ أى: بنور خالقها ومالكها، وعن الحسن: بعدل ربها، ويُقال: يخلق الله نورا؛ فتشرق به أرض القيامة.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) فى «ك»: متى.

(٣) تقدم تخريجه فى تفسير سورة «المؤمنون».

(٤) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (٥/٨٥ رقم ٢٤١١، وأطرافه: ٣٤٠٨، ٣٤١٤، ٣٤٧٦، ٤٨١٣، ٥٠٦٢، ٦٥١٧، ٦٥١٨، ٧٤٢٨، ٧٤٧٢)، ومسلم (١٥/١٨٨-١٩١ رقم: ٢٣٧٣).

بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾
وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ

وقوله: ﴿ووضع الكتاب﴾ المراد من الكتاب: كتاب الأعمال. وعن عطاء بن السائب أنه قال: إن أول من يحاسب جبريل - عليه السلام - لأنه كان أمين الله على جميع وحيه، وروى أن أول من يحاسب الأنبياء، وثبت فى بعض الروايات أن النبى ﷺ قال: «أول ما يقضى الله تعالى فيه بين الخلق هو الدماء»(١).

وقوله: ﴿وجىء بالنبين والشهداء﴾ أى: الذين يشهدون للأنبياء التبليغ، وعلى الأمم بالتكذيب، وقد بينا هذا من قبل.

وقوله: ﴿وقضى بينهم بالحق﴾ أى: بالعدل، وقوله: ﴿وهم لا يظلمون﴾ أى: لا يزاد فى سيئاتهم، ولا ينقص من حسناتهم.

قوله تعالى: ﴿ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون﴾ أى: يصنعون، وقد روى أبو سعيد الخدرى عن النبى ﷺ «أن الله تعالى يأمر من ينادى يوم القيامة: يا أهل الجنة، إن لكم أن تحيوا فلا تموتوا، وأن تصحوا فلا تسقموا، وأن تشبوا فلا تهرموا، وأن تنعموا فلا تبأسوا؛ ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون﴾»(٢).

قوله تعالى: ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا﴾ أى: أفواجا زمرة بعد زمرة، وقوله: ﴿حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا﴾ أى: يخوِّفونكم.

وقوله: ﴿قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب﴾ هو قوله تعالى: ﴿لأملأن جهنم

---

(١) متفق عليه من حديث ابن مسعود، رواه البخارى (١١/ ٤٠٦ رقم ٦٥٣٣، وطرفه: ٦٨٦٤)، ومسلم (١١/ ٢٣٩ - ٢٤٠ رقم ١٦٧٨).

(٢) رواه مسلم (١٧/ ٢٥٥ رقم ٢٨٣٧)، والترمذى (٥/ ٣٤٩ رقم ٣٢٤٦)، والنسائى فى الكبرى (٦/ ٣٤٥ رقم ١١١٨٤)، وأحمد (٣/ ٩٥)، والدارمى (٢/ ٤٣٠-٤٣١ رقم ٢٨٢٤) عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة مرفوعا به. وقال الترمذى عقبه: وروى ابن المبارك وغيره هذا الحديث عن الثورى ولم يرفعه.

يأْتكُمْ رُسُلٌ مّنكُمْ يتْلُونَ عليْكُمْ آيات ربّكُمْ وينذرُونكُمْ لقاء يوْمكُمْ هذا قالُوا بلىٰ ولكنْ حقّتْ كلمةُ الْعذاب على الْكافرين ﴿٧١﴾ قيل ادْخُلُوا أبْواب جهنّم خالدين فيها فبئْس مثْوى الْمُتكبّرين ﴿٧٢﴾ وسيق الّذين اتّقوْا ربّهُمْ إلى الْجنّة زُمرًا حتّىٰ إذا جاءُوها وفُتحتْ أبْوابُها وقال لهُمْ خزنتُها سلامٌ عليْكُمْ طبْتُمْ فادْخُلُوها خالدين ﴿٧٣﴾ وقالُوا الْحمْدُ للّه الّذي صدقنا وعْدهُ وأوْرثنا الأرْض نتبوّأُ من الْجنّة حيْثُ نشاءُ فنعْم أجْرُ

من الجنة والناس أجمعين ﴾[١] وقوله: ﴿على الكافرين﴾ ومعنى حقت: وجبت.

قوله تعالى: ﴿قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين﴾ أى: منزل المتكبرين عن الإيمان بالله.

قوله تعالى: ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها﴾.

واعلم أن عند الكوفيين هذه الواو محذوفة فى المعنى، وعند البصريين ليست بمحذوفة، والتقدير على قول البصريين: حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها دخلوها.

وقوله: ﴿وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم﴾ أى: نعمتم، ويقال: صححتم[٢] للجنة، وعن على - رضى الله عنه - قال: يكون [على][٣] باب الجنة عينان، يغتسل المؤمن من أحدهما؛ فيظهر ظاهره، ويشرب من الأخرى؛ فيظهر باطنه، ثم يدخله الله الجنة، وقرأ قوله تعالى: ﴿طبتم فادخلوها خالدين﴾.

قوله تعالى: ﴿وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده﴾ أى: وفَّى لنا بوعده وأتمه، وقوله: ﴿وأورثنا الأرض﴾ أى: أرض الجنة ﴿نتبوأ منها﴾ أى: ننزل منها ﴿حيث نشاء فنعم أجر العاملين﴾ بالطاعات.

قوله تعالى: ﴿وترى الملائكة حافين من حول العرش﴾ أى: محدقين محيطين[٤]

(١) هود: ١١٩، السجدة: ١٣.

(٢) فى «الأصل» و«ك»: صحتم.

(٣) زيادة ليست فى «الأصل، ك».

(٤) فى «ك»: مطيعين.

الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾

به، وقوله ﴿ يسبحون بحمد ربهم ﴾ أى: بأمر ربهم، وقيل: يسبحون حامدين لربهم، ويقال: إن هذا التسبيح تسبيح تلذذ لا تعبد.

وقوله: ﴿ وقضى بينهم بالحق ﴾ أى: بالعدل.

وقوله: ﴿ وقيل الحمد لله رب العالمين ﴾ يعنى: وقال أهل الجنة: الحمد لله رب العالمين، وقد ذكر فى موضع آخر: ﴿ وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ﴾[1] وقد بينا هذا من قبل.

(١) يونس: ١٠.

بسم الله الرحمن الرحيم

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ

تفسير سورة المؤمن

ويقال: سورة الطول، وهى مكية

وعن ابن مسعود - رضى الله عنه - أنه قال: إذا وقعت فى آل حميم وقعت فى روضات أتأنق فيهن، وتسمى الحواميم ديابيج القرآن. وفى بعض الأخبار: «أن مثل الحواميم فى القرآن مثل الحبرات فى الثياب»(١).

وفى بعض الأخبار أيضا أن النبى ﷺ قال: «من قام بالحواميم فى ليلة غفر الله له».

قوله تعالى: ﴿حمٓ﴾ قال ابن عباس: قسم أقسم الله به. وقال قتادة: اسم من أسماء القرآن. وعن بعضهم: الحاء من (الحليم)(٢)، والميم من الملك. وعن سعيد بن جبير قال: «الر» و«حم» و«نون والقلم» بمجموعها هو اسم الرحمن. ويقال: «حم» معناه: حم ما هو كائن أى: قضى ما هو كائن. وقرأ عيسى بن عمر: «حم» على نصب الميم على معنى اتل حميم.

قال الأشتر النخعى شعراً:

يُذَكِّرنى حميمَ والرمحُ شاجرٌ ... فهلاَّ تلا حميمَ قبل التقدُّمِ

وقال الشاعر فى حم بمعنى قضى:

فحم يومى فسُرَّ قوم ... كأن ليس للشامتين يوم

وقوله: ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم﴾ أى: المنيع فى ملكه، العليم بخلقه.

قوله تعالى: ﴿غافر الذنب﴾ أى: ساتر الذنب.

(١) عزاه القرطبى فى تفسيره (١٥/ ٢٨٨) للثعلبى.

(٢) فى «ك»: الحكيم.

الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلادِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ

وقوله: ﴿ وقابل التوب ﴾ أى: التوبة.

وقوله: ﴿ شديد العقاب ﴾ أى: شديد العقاب للكفار.

وقوله: ﴿ ذى الطول ﴾ أى: القدرة. وقيل: السعة والغنى. ويقال: هو التفضل. وقال بعضهم: غافر الذنب لمن قال لا إله إلا الله. وروى حماد عن ثابت قال ثابت: كنت فى فسطاط مصعب بن الزبير أقرأ هذه الآية: ﴿ غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول ﴾ فمر شيخ على بغلةٍ شهباء، فقال لى: قل يا غافر الذنب اغفر لى، ويا قابل التوب اقبل توبتى، ويا شديد العقاب [اعف][1] عنى، وياذا الطول طل علىَّ بخير، ثم لم أر الشيخ بعد.

وقوله: ﴿ لا إله إلا هو إليه المصير ﴾ أى: المرجع.

قوله تعالى: ﴿ ما يجادل فى آيات الله ﴾ أى: فى دفع آيات الله بالتكذيب.

وقوله: ﴿ إلا الذين كفروا ﴾ أى: جحدوا.

وقوله: ﴿ فلا يغررك تقلبهم فى البلاد ﴾ أى: تقلبهم سالمين فى البلاد. قال ابن جريج: لا يغررك تجارتهم من مكة إلى الشام، ومن الشام إلى اليمن. وفى بعض التفاسير: أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا متوجعين: نحن فقراء، والكفار مياسير ذو أموال، فأنزل الله تعالى هذه الآية. فعلى هذا معنى قوله: ﴿ لا يغررك تقلبهم فى البلاد ﴾ أى: لا يغررك يسارتهم وسعتهم.

قوله: ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم ﴾ وهم الذين تحدثوا على الأنبياء.

وقوله: ﴿ وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه ﴾ أى: ليقتلوه. ويقال: ليأسروه.

---

(١) من «ك» وفى «الأصل»: اعطف.

وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ

والعرب تسمى الأسير أخيذاً، قال الأزهرى: ليأخذوه فيتمكنوا من قتله.

وقوله: ﴿وجادلوا بالباطل﴾ أى: بالجدال الباطل ليدحضوا به الحق. والجدال: هو فتل الخصم عما هو عليه بحق أو باطل، وأما المناظرة لا تكون إلا بين محقين، أو بين مُحِق ومُبْطِل، والجدال قد يكون بين المبطلين.

وقوله: ﴿فأخذتهم﴾ أى: أخذتهم بالعقوبة.

وقوله: ﴿فكيف كان عقاب﴾ قال قتادة: شديد والله.

قوله تعالى: ﴿وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا﴾ أى: وجب حكم ربك على الذين كفروا أنهم ﴿أصحاب النار﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله﴾ ذكر النقاش: أن حملة العرش الكروبيون، وهم سادة الملائكة. وفى بعض التفاسير: أن أقدامهم فى تخوم الأرضين، والأرضون والسموات إلى حجزهم، وهم يقولون: سبحان ذى العز والجبروت، سبحان ذى الملك والملكوت، سبحان الحى الذى لا يموت، سبوح قدوس رب الملائكة والروح.

وقوله: ﴿ومن حوله﴾ أى: حول العرش.

وقوله: ﴿يسبحون بحمد ربهم﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما﴾ أى: وسع [علمك][1] ووسعت رحمتك كل شىء.

وقوله: ﴿فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك﴾ أى: دينك وطاعتك.

(١) من «ك»، وفى «الأصل»: عملك، وهو خطأ.

عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ

وقوله: ﴿وقهم عذاب الجحيم﴾ معناه: وادفع عنهم عذاب الجحيم، والجحيم معظم النار. وعن بعض السلف: أنصح الخلق للمؤمنين هم الملائكة، وأغش الخلق للمؤمنين هم الشياطين.

قوله تعالى: ﴿ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم﴾ بينا أن جنة عدن هى بطنان الجنة. ويقال: مصر الجنة.

وقوله: ﴿ومن صلح من آبائهم﴾ أى: ومن وحد من آبائهم، ويقال: ومن عمل صالحاً من آبائهم.

وقوله: ﴿وأزواجهم وذرياتهم﴾ أى: وأهليهم وأولادهم، قال سعيد بن جبير: يدخل المؤمن الجنة فيقول: أين أبى؟ أين أمى؟ أين زوجتى؟ فيقال: إنهم لم يعملوا مثل عملك، فيقول: إنى عملت لنفسى ولهم، فيدخلهم الله الجنة ويجمعهم إليه.

وعن بعض السلف أنه قال: إن المؤمن يحب أن يجمع شمله، ويضم إليه أهله، فيجمع الله شمله، ويضم إليه أهله فى الآخرة.

وقوله: ﴿وقهم السيئات﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿ومن تق السيئات يومئذٍ﴾ أى: ومن تق السيئات يومئذ أى: العقوبات، ويقال: جزاء السيئات.

وقوله: ﴿فقد رحمته﴾ أى: أنعمت عليه.

وقوله: ﴿وذلك هو الفوز العظيم﴾ يعنى: النجاة العظيمة.

قوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا ينادون﴾ فى التفسير: أن الكافر تعرض إليه أعما السيئة فيمقت نفسه أشد المقت، فيناديهم الله تعالى: ﴿لمقت الله أكبر من مقتكم

أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ

أنفسكم ﴾ أى: مقت الله إياكم فى الدنيا أعظم من مقتكم اليوم أنفسكم بما ظهر لكم من أعمالكم السيئة. وقد حكى معنى هذا عن ابن عباس. وقال بعضهم: لمقت الله إياكم فى الدنيا أكبر من مقت بعضكم بعضًا، وذلك حين يتبرأ بعضهم من بعض.

قوله: ﴿ إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون ﴾ يعنى: إن مقت الله إياكم كان لأن الله دعاكم إلى الإيمان فكفرتم.

قوله تعالى: ﴿ قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين ﴾ الإماتة الأولى: هو أنهم كانوا نطفًا فى أصلاب الآباء[1] موتى، ثم أحياهم بالخلق وإدخال الروح، ثم يميتهم الموت المعلوم الذى لابد من ذوقه، ثم يحييهم يوم القيامة. هذا قول مجاهد وقتادة وجماعة.

والقول الثانى فى الآية: أن الإحياء الأول حين أخرجهم من صلب آدم وأخذ عليهم الميثاق، ثم أماتهم بالرد إلى الأصلاب، ثم أحياهم بالإخراج ثانيا، ثم يميتهم الموت المعروف. فإن قيل: فأين الحياة فى الآخرة؟ قلنا: المراد على هذا القول حياتان وموتتان فى الدنيا سوى الحياة فى الآخرة.

والقول الثالث: أن الإماتة الأولى هو الموت المعروف، والإحياء الأول هو الإحياء فى القبر للمساءلة، والإماتة الثانية هى الإماتة بعد الإحياء فى القبر، والإحياء الثانية هى الإحياء للبعث، هكذا ذكره السدى.

وقوله: ﴿ فاعترفنا بذنوبنا ﴾ أى: بخطايانا.

وقوله: ﴿ فهل إلى خروج من سبيل ﴾ أى: فهل إلى خروج عن النار من سبيل.

قوله تعالى: ﴿ ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم ﴾ معناه: أن تخليدكم فى النار

---

(١) فى «ك»: الرجال.

وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن

ومكثكم فيها كان بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم.

﴿ وإن يشرك به تؤمنوا ﴾ أى: يشرك بالله تؤمنوا، أى: تصدقوا بالشرك.

وقوله: ﴿ فالحكم لله العلى الكبير ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ هو الذى يريكم آياته ﴾ أى: عبره ودلائله.

وقوله: ﴿ وينزل لكم من السماء رزقا ﴾ أى: المطر؛ لأنه سبب الأرزاق.

وقوله: ﴿ وما يتذكر إلا من ينيب ﴾ أى: وما يتعظ إلا من يرجع إلى الله فى جميع أموره.

قوله تعالى: ﴿ فادعوا الله مخلصين له الدين ﴾ أى: مخلصين له التوحيد. ومعناه: وحدوا الله ولا تشركوا به شيئًا.

وقوله: ﴿ ولو كره الكافرون ﴾ أى: سخط الكافرون، وهو مثل قوله تعالى: ﴿ ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾(١) وقد بينا هذا من قبل.

قوله تعالى: ﴿ رفيع الدرجات ذو العرش ﴾ قال ابن عباس برواية عطاء: رافع السموات، سماء فوق سماء. وعن بعضهم: رافع درجات الأنبياء والأولياء. وقال بعضهم: رفيع الدرجات أى: عظيم الصفات، وهو راجع إلى الله تعالى، قاله مقاتل. قال: الله فوق كل شىء، وليس فوقه شىء.

وقوله: ﴿ ذو العرش ﴾ أى: له العرش خلقا وملكًا.

وقوله: ﴿ يلقى الروح من أمره ﴾ قال مجاهد: هو الوحى، وسمى روحًا؛ لأنه يحيا به الخلق. وقال قتادة: هو النبوة. وقيل: هو جبريل يرسله على من يشاء من أنبيائه،

---

(١) التوبة: ٣٣، الصف: ٩.

يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ

وروح الإنسان ما يحيا به الإنسان.

وقوله: ﴿من أمره﴾ أى: بأمره.

وقوله: ﴿على من يشاء من عباده﴾ من النبيين والرسل.

وقوله: ﴿لينذر يوم التلاق﴾ المعروف بالياء، وقرئ بالتاء.

بالياء أى: لينذر الله، وقيل: لينذر الوحى. وأما بالتاء فالمراد به الرسول ﷺ.

وقوله: ﴿يوم التلاق﴾ قال قتادة: يلتقى فيه أهل السماء وأهل الأرض، الأولون والآخرون. وعن بعضهم: يلتقى فيه الخلق والخالق. وقال ميمون بن مهران: يلتقى فيه الظالم والمظلوم. وعن ابن عباس: يلتقى فيه آدم وآخر ولد من أولاده.

وقوله: ﴿يوم هم بارزون﴾ أى: بادون ظاهرون لا يتسترون بشىء من جبل وغيره.

قوله تعالى: ﴿لا يخفى على الله منهم شىء﴾ أى: من أعمالهم.

وقوله: ﴿لمن الملك اليوم﴾ قال ابن عباس: يقول الله تعالى هذا حين تفنى الخلائق، ولا يكون أحد يجيبه، فيجيب نفسه [بنفسه](١) ويقول: لله الواحد القهار. وعلى هذا عامة المفسرين. وقد ثبت برواية ابن عمر وغيره أن النبى ﷺ قال: «يقبض الله السموات والأرض بيمينه، ثم يهزهن ويقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض»(٢)؟

وفى الآية قول آخر: وهو أن الله تعالى يبعث الخلائق ويحشرهم، ثم يقول لهم: لمن الملك اليوم؟ فيجيبون: لله [الواحد](١) القهار.

وقيل: إنهم لا يقدرون على الجواب هيبة، فيجيب الله تعالى نفسه. والقول الأول

---

(١) من «ك».

(٢) متفق عليه، وقد تقدم فى تفسير سورة الزمر.

هو المشهور.

قوله تعالى: ﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت﴾ أى: المحسن بإحسانه، والمسىء بإساءته.

قوله: ﴿لا ظلم اليوم﴾ أى: أنه تعالى يفعل ما يفعل بالعدل لا بالظلم.

وقوله: ﴿إن الله سريع الحساب﴾ فى التفسير: أن الله تعالى يحاسبهم فى مقدار نصف يوم من أيام الدنيا. وعن الضحاك: ما بين صلاتين. وقيل: بقدر شربة ماء.

وقد ثبت أن النبى ﷺ [قال](١): «أول ما يقضى الله تعالى بين الخلق فى الدماء»(٢).

وفى بعض الآثار: أن الله تعالى يقول يوم القيامة: «أنا الملك الديان، لا ينبغى لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة، ولا لأحد من أهل النار أن يدخل النار، وعليه مظلمة لأحد إلا وأقتصه منه»(٣).

قوله تعالى: ﴿وأنذرهم يوم الآزفة﴾ أى: يوم القيامة. وسميت آزفة لقربها، كأنها قريبة عند الله تعالى، وإن كان الناس يستبعدونها. وقيل: هى قريبة لأنها كائنة لا محالة، وكل كائن قريب.

وقوله: ﴿إذ القلوب لدى الحناجر﴾ وعن عكرمة أنه قال: تضيق للناس أرض القيامة، حتى لا يكون لأحد إلا موضع قدمه، ثم تضيق لهم أيضًا حتى يوضع القدم على القدم، ثم يبكون حتى تنفد دموعهم، ثم يبكون الدم حتى ينفد، ثم تشخص قلوبهم إلى حناجرهم، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى

---

(١) زيادة ليست فى «الأصل ولا ك».

(٢) تقدم تخريجه فى تفسير سورة الزمر.

(٣) رواه البخارى فى الأدب المفرد (٢٨٦-٢٨٧)، وأحمد (٣/٤٩٥)، والحاكم (٢/٤٣٧-٤٣٨) وصححه، والخرائطى فى مساوئ الأخلاق (٢٢٢ رقم ٦٣٤)، والطبرانى فى الكبير (١٣/١٣٢ - ١٣٣/رقم٣٣١)، وفى مسند الشاميين (١/١٠٤-١٠٥رقم١٥٦)، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٩٩-١٠٠)، وتمام الرازى فى فوائده (١/٣٦٤-٣٦٥ رقم ٩٢٨) عن عبد الله بن أنيس مرفوعا به.

كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ

الحناجر [كاظمين](١) ﴾ قال قتادة: ترتفع القلوب من الصدور إلى الحلوق، وتلتصق بها من الخوف والفزع، فلا هى ترجع إلى أماكنها، ولا هى تخرج.

وقوله: ﴿ كاظمين ﴾ الكاظم هو الممسك على قلبه بما فيه. وقيل: مغمومين مكروبين. ويقال: باكين. ومن هذا كظم الغيظ إذا أمسكه (وصبر)(٢) عليه.

وقوله: ﴿ وما للظالمين من حميم ولا شفيع ﴾ الحميم: القريب. والشفيع: الذى يدعو فيجاب. وعن الحسن البصرى أنه قال: استكثروا من أصدقاء المؤمنين فإن لهم شفاعة عند الله تعالى.

وقوله: ﴿ يطاع ﴾ أى: يجاب.

وقوله: ﴿ يعلم خائنة الأعين ﴾ أى: خيانة الأعين. وخيانة الأعين مسارعة النظر إلى ما لا يحل.

قال ابن عباس: هو الرجل يكون بين الرجال، فتمر بهم امرأة فينظر إليها، فإذا نظر إليه أصحابه غض بصره. قال السدى: خائنة الأعين هو الرص(٣) بالعين.

وقوله: ﴿ وما تخفى الصدور ﴾ هو شهوة القلب، وقيل: هو أنه لو قدر عليها هل يزنى أو لا؟

وعن السدى قال: هو وسوسة القلب. وعن بعضهم قال (خيانة العين)(٤) أن يقول: رأيت ولم ير، وخيانة القلب هو أن يقول: علمت ولم يعلم.

وقوله: ﴿ والله يقضى بالحق ﴾ أى: بالعدل.

وقوله: ﴿ والذين يدعون من دونه ﴾ أى: الأصنام وما أشبهها.

---

(١) من «ك».

(٢) فى «ك»: صار.

(٣) فى «ك»: البص.

(٤) فى «الأصل، وك»: فى خيانة العين، والأليق ما أثبتناه.

السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا
مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم
مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ
إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ
فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا

وقوله: ﴿لا يقضون بشيء﴾ أى: لا يحكمون بشيء؛ لأنه ليس بأيديهم شيء.

وقوله: ﴿إن الله هو السميع البصير﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثاراً فى الأرض﴾ الآثار فى الأرض: هو الأبنية والمساكن وسائر العمارات.

وقوله: ﴿فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق﴾ أى: لم يكن لهم من يمنعهم من الله.

وقوله تعالى: ﴿ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات﴾ أى: بالدلالات والمعجزات.

وقوله: ﴿فكفروا فأخذهم الله إنه قوى شديد العقاب﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين﴾ أى: بالمعجزات البينة والحجة الظاهرة.

وقوله: ﴿إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب﴾ أى: كثير الكذب. وعن الضحاك قال: لم يكن هامان من بنى إسرائيل، ولا من القبط، وكان من غير الفريقين. وقد طعن بعضهم فقال: إن هامان رجل معروف (بين)[1] الفرس، ولم يكن صاحب فرعون. وليس هذا بشيء؛ لأنه يجوز أن يكون فى الفرس رجل يسمى هامان، وكان

(١) فى «ك»: من.

اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ ﴿٢٥﴾
وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي

صاحب فرعون هو هامان، فكل ما فى القرآن حق وصدق.

قوله تعالى: ﴿فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه﴾ فى القصة: أن فرعون كان رفع القتل عن أولاد بنى إسرائيل؛ فلما جاء موسى إليه رسولا أعاد القتل عليهم.

وقوله: ﴿واستحيوا نساءهم﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿وما كيد الكافرين إلا فى ضلال﴾ أى: فى هلاك، وإنما جعل كيدهم هلاكًا؛ لأنه يؤدى إلى هلاكهم.

قوله تعالى: ﴿وقال فرعون ذرونى أقتل موسى﴾ فإن قال قائل: وَمَنْ الذى كان يمنع فرعون من قتل موسى حتى يقول ذرونى أقتل موسى؟ والجواب من وجهين: أحدهما أن معناه: ذرونى أقتل موسى أى: أشيروا علىَّ بقتل موسى، كأنه طلب المشورة منهم أيقتله أو لا يقتله؟

والثانى: كان فى جملة قومه من يحذره من قتل موسى خوفًا من هلاك فرعون، فقال على هذا: ذرونى، لا تمنعونى واتركونى أقتله.

وقوله: ﴿وليدع ربه﴾ أى: وليدع ربه لينصره. قال هذا على طريق الاستبعاد.

وقوله: ﴿إنى أخاف أن يبدل دينكم﴾ أى: يبدل دينكم الذى أنتم عليه بغيره.

وقوله: ﴿أو أن يظهر فى الأرض الفساد﴾ هذا بأربعة وجوه[1] «أن يُظْهِرا»، و«أن يُظْهِر» بغير ألف، «أو أن يَظْهَرا» مع الألف ونصب الياء، «وأن يَظْهَر» بغير الألف ونصب الياء، ومعنى يُظهِر أى: يُظهِر موسى الفساد، ومعنى يَظهَر بفتح الياء أى: يَظهَر الفساد كأنه جعل الفعل للفساد بعينه. وقال بعضهم: معنى الفساد هاهنا: أن

(١) النشر (٢/٣٦٥).

الأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لاَّ يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم

موسى إذا ظهر يقتل أبناءكم، ويستحى نساءكم كما فعلتم أنتم بهم، فهو إظهار موسى الفساد فى الأرض.

قوله تعالى ﴿وقال موسى إنى عذت بربى وربكم﴾ قال أهل التفسير: لما سمع موسى كلام فرعون استعاذ بالله والتجأ إليه، وقال: إنى عذت بربى وربكم.

وقوله: ﴿من كل متكبر﴾ أى: من كل متعظم ﴿لا يؤمن بيوم الحساب﴾ ويوم الحساب: يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون﴾ قال الكلبى: هو كان من ولى العهد لفرعون، وكان يكون له من بعده، ويقال: كان ابن عم فرعون. وعن بعضهم: كان من بنى إسرائيل، وعلى هذا القول فى الآية تقديم وتأخير، فمعناه: وقال رجل يكتم إيمانه من آل فرعون. وأما اسمه قال بعضهم: اسمه حزبيل، وفى معانى الزجاج: أن اسمه سمعان، وقيل: حبيب. وفى التفسير: أنه لم يؤمن من القبط إلا ثلاثة نفر: امرأة فرعون، ومؤمن آل فرعون، والذى جاء فقال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك.

وقوله: ﴿أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله﴾ أى: لأن قال ربى الله.

وقوله: ﴿وقد جاءكم بالبينات من ربكم﴾ أى: بالدلالات الواضحات.

وقوله: ﴿وإن يك كاذبًا فعليه كذبه﴾ أى: وبال كذبه.

وقوله: ﴿وإن يك صادقًا يصبكم بعض الذى يعدكم﴾ هذه آية مشكلة؛ لأنه قال: ﴿بعض الذى يعدكم﴾ وكل ما وعده الرسل وموسى حق. والجواب عن هذا من وجوه:

أحدها: أن معنى قوله: ﴿يصبكم بعض الذى يعدكم﴾ أى: كل الذى يعدكم،

بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا

فيكون البعض بمعنى الكل، قاله أبو عبيدة، وأنشد:

أو يرتبطْ بعضَ النفوسِ حِمَامُها

أى: كل النفوس

وأنشد غيره:

قد يدرك المتــأنى بعض حاجته … وقد يكون مع المستعجل الزَّلَلُ

وقوله: بعض حاجته أى: كل حاجته.

والوجه الثانى: أنه قال: ﴿بعض الذى يعدكم﴾ على طريق الاستظهار، كأنه قال: أقل ما فى تكذيبكم إن كان صادقاً أن يصبكم بعض الذى يعدكم. وفى ذلك البعض هلاككم. وزعم أهل النحو أن هذا أحسن من الأول؛ لأن البعض بمعنى الكل لا يعرف فى اللغة.

والوجه الثالث: أن قوله: ﴿يصبكم بعض الذى يعدكم﴾ أى: عذاب الدنيا، وقد كان وعدهم عذاب الدنيا والآخرة.

والوجه الرابع: أن قوله: ﴿يصبكم بعض الذى يعدكم﴾ أى: من العقاب، وقد كان وعد العقاب إن أنكروا، والثواب إن صدقوا، والعقاب بعض الوعيد.

وقوله: ﴿إن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب﴾ أى: مشرك كذاب.

قوله تعالى: ﴿يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الأرض﴾ أى: عالين غالبين.

وقوله: ﴿فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا﴾ أى: من يمنع منا عذاب الله إن جاءنا.

وقوله: ﴿قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى﴾ يعنى: ما أرشدكم إلا إلى ما أنا عليه،

أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ

وما رأيت لكم من الحق.

وقوله: ﴿ وما أهديكم إلا سبيل الرشاد ﴾ أى: طريق الرشد والهدى. وعن معاذ بن جبل أنه قرأ: «إلا سبيل الرشَّاد» بتشديد الشين أى: سبيل الله، والرشَّاد هو الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿ وقال الذى آمن يا قوم إنى أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب ﴾ الأحزاب: الأمم الخالية مثل: قوم نوح، وعاد، وثمود، ومعنى يوم الأحزاب أى: يوم عذابهم.

وقوله: ﴿ مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود ﴾ الدأب فى اللغة بمعنى العادة، ومعنى قوله: ﴿ مثل دأب قوم نوح ﴾ أى: مثل حال قوم نوح وعاد وثمود. ويقال: كذب هؤلاء وتعودوا التكذيب مثل عادة أولئك فى التكذيب.

وقوله ﴿ وما الله يريد ظلما للعباد ﴾ معناه: أنه لا يعذب أحداً حتى يقيم الحجة عليه.

قوله تعالى: ﴿ ويا قوم إنى أخاف عليكم يوم التناد ﴾ يعنى: يوم التنادى. وفى معنى التنادى وجوه: أحدها: أنه تنادى كل أمة بكتابها وإمامها، قاله قتادة.

والثانى أن معناه: تنادى أهل الجنة أهل النار، وأهل النار أهل الجنة، وذلك مذكور فى سورة الأعراف، وهو قوله تعالى: ﴿ ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ﴾ الآية[١]، وقوله: ﴿ ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة... ﴾[٢] الآية.

(١) الأعراف: ٤٤.

(٢) الأعراف: ٥٠.

يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن

والثالث: أن معنى الآية مناداتهم بالويل والثبور ودعاؤهم على أنفسهم: واهلاكاه، واويلاه، وغير ذلك. وقرئ في الشاذ: «يوم التنادّ» بتشديد الدال، من نَدَّ يَندُّ إذا هرب، وحكى هذه القراءة عن الضحاك، وهو معنى قوله تعالى: ﴿أين المفر﴾(١) وعن بعضهم: يظهر عنق من النار فيفر الناس، فيحيط بهم ذلك العنق، حينئذ يعلمون أن لا مفر لهم.

وقوله: ﴿يوم تولون مدبرين﴾ في الحديث أن للناس جولة يوم القيامة، فيتبعهم الملائكة ويردونهم. وقيل: إنهم إذا سمعوا زفير النار فروا، فهو معنى قوله تعالى: ﴿يوم تولون مدبرين﴾ وفي الآية قول آخر: أن معنى قوله: ﴿يوم تولون مدبرين﴾ هو انطلاقهم إلى النار بسوق الملائكة.

وقوله: ﴿ما لكم من الله من عاصم﴾ أي: مانع، وقيل: ناصر.

وقوله: ﴿ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات﴾ هو يوسف بن يعقوب نبي الله. وعن بعضهم: أن الله تعالى أرسل إليهم - يعني: إلى القبط - نبيا من الجن يسمى يوسف، وهذا قول ضعيف، والصحيح هو الأول؛ لأنه أطلق ذكر يوسف، فينصرف إلى يوسف المعروف مثل إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم. وفي القصة: أن الله تعالى بعث يوسف بن يعقوب إليهم رسولا فدعاهم إلى الله تعالى، ومكث فيهم عشرين سنة بعد وفاة يعقوب عليه السلام.

وقوله: ﴿بالبينات﴾ أي: بالدلالات الواضحات.

وقوله: ﴿فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا﴾ وقرأ أُبي وابن مسعود: «ألن يبعث الله من بعده رسولا» بزيادة الألف.

(١) القيامة: ١٠.

يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي

وقوله: ﴿كذلك يضل الله من هومسرف مرتاب﴾ أى: مسرف على نفسه بالكفر والظلم، والمرتاب هو الشاك.

قوله تعالى: ﴿الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم﴾ فمعنى المجادلة هو المجادلة بالتكذيب، ومعنى السلطان هو الحجة.

وقوله: ﴿كبر مقتا﴾ أى: كبر جدالهم مقتًا، وفى التفسير: أنه يمقتهم الله تعالى، ويمقتهم الملائكة والأنبياء، ويمقتهم المؤمنون، وهو معنى قوله: ﴿عند الله وعند الذين آمنوا﴾.

وقوله: ﴿كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾ فالقراءة الأولى على الإضافة، والطبع على القلب هو الختم عليه حتى لا يدخله الحق.

وأما القراءة الثانية فهى على وصف القلب بالتكبر، يقال: قلب متكبر أى: صاحبه متكبر، وقرأ ابن مسعود: «على قلب كل متكبر جبار».

قوله تعالى: ﴿وقال فرعون يا هامان﴾ قال الحسن البصرى: كان هامان صاحب شرط فرعون، فكان من همدان، أورده أبو الحسن بن فارس فى تفسيره.

وقوله: ﴿ابن لى صرحًا﴾ أى: قصرًا عاليًا، ويقال: إن أول من طبخ اللبن حتى صار آجرًا هو هامان، فعله لفرعون. وفى تفسير النقاش: أن هامان استعمل خمسين ألف إنسان فى البناء سوى من يطبخ الآجر، ومن يعمل فى الخشب وغيره.

ويقال: إنه عمل فى بناء الصرح سبع سنين، وكان فرعون يصعد عليه راكبًا، ثم إن الله تعالى بعث ريحًا عاصفًا فجعله ثلاث قطع، فألقى قطعة فى البحر، وقطعة بالهند، وقطعة ببلاد المغرب.

(١) فى «الأصل، وك»: فقراءة، والمثبت: نسب للسياق.

أَبْلُغُ الأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا

وقوله: ﴿لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات﴾ والأسباب هى الأبواب هاهنا. ويقال معناه: الأسباب التى تؤدينى إلى السماء، وتبلغنى إليها. فإن قيل: كيف يتصور هذا فى عقل عاقل أن يقصد صعود السماء، وذلك مستحيل بهذه الحيلة؟

والجواب: أن الجهل فى العالم كثير، وليس هذا بأبدع من ادعائه الربوبية، وهو يعرف حال نفسه ويشاهدها.

وقوله: ﴿فأطلع إلى إله موسى﴾ أى: أنظر إلى إله موسى.

وقوله: ﴿وإنى لأظنه كاذبًا﴾ فى دعواه أن له إلهًا.

وقوله: ﴿وكذلك زين لفرعون سوء عمله﴾ أى: قبيح عمله.

وقوله: ﴿وَصُدَّ عن السبيل﴾ وقرئ: «وصَدَّ» بنصب الصاد، فقوله بالرفع أى: صُدَّ فرعونُ عن السبيل. وبالنصب أى: وصَدَّ فرعونُ الناسَ عن سبيل الله.

وقوله: ﴿وما كيد فرعون إلا فى تباب﴾ أى: وما حيلة فرعون ومكره إلا فى هلاك وخسران، وقال ذلك لأنه أدى إليه.

قوله تعالى: ﴿وقال الذى آمن يا قوم اتبعونى أهدكم سبيل الرشاد﴾ أى: سبيل الرشد.

وقوله: ﴿يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع﴾ أى: سريع فناؤه، والتمتع به قليل.

وقوله: ﴿وإن الآخرة هى دار القرار﴾ أى: المستقر.

قوله تعالى: ﴿من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحًا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب﴾ أى: بغير انقطاع،

مّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾ لا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلا فِي الآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾

ويقال: بغير حساب أى: لا يحسب عليهم قدر مكثهم فى الجنة واستمتاعهم، فيقول: مكثهم كذا، وأكلهم كذا، وفعلهم كذا. وقيل: بغير حساب أى: يزيد فى مدة بقائهم فى الجنة على مدة أعمالهم إلى ما لا يتناهى من المدة.

قوله تعالى: ﴿ويا قوم مالى أدعوكم إلى النجاة وتدعوننى إلى النار تدعوننى لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لى به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار﴾ العزيز هو المنتقم من أعدائه، والغفار هو الساتر لذنوب عباده.

قوله تعالى: ﴿لا جرم﴾ قد بينا معناه فيما سبق، وعن المفضل الضبى الكوفى أنه قال: لا جرم أى: لابد.

وقوله: ﴿أنما تدعوننى إليه ليس له دعوة﴾ أى: استجابة دعوة فى الدنيا. ويقال: إيصال نفع فى الدنيا ولا فى الآخرة. ويقال: جواب قوله: ﴿فى الدنيا ولا فى الآخرة﴾.

وقوله: ﴿وأن مردنا إلى الله﴾ أى: مرجعنا إلى الله.

وقوله: ﴿وأن المسرفين هم أصحاب النار﴾ أى: المشركين.

قوله تعالى: ﴿فستذكرون ما أقول لكم﴾ يعنى: حين تعاينون العذاب.

وقوله: ﴿وأفوض أمرى إلى الله﴾ أى: أسلم أمرى إلى الله، وقال يحيى بن سلام: أى: أتوكل على الله.

وقوله: ﴿إن الله بصير بالعباد﴾ ظاهر المعنى.

فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا

قوله تعالى: ﴿ فوقاه الله سيئات ما مكروا ﴾ اختلف القول فى نجاته، منهم من قال: نجا حين نجا موسى وبنو إسرائيل، وذلك عند مجاوزة البحر. وفى القصة: أنه كان قدام موسى حين توجهوا إلى البحر، فقال: إلى أين يا نبى الله؟

قال : أمامك.

فقال: إنما أمامى البحر.

فقال: والله ما كذبتُ وما كذبتَ.

والقول الثانى: أن مؤمن آل فرعون لما قال هذه الأقوال، ونصح هذه النصيحة طلبه فرعون ليقتله فهرب، فبعث فى طلبه جماعة، فوجدوه فى جبل يصلى وحواليه السباع يحرسونه ففزعوا ورجعوا.

وقوله: ﴿ وحاق بآل فرعون ﴾ أى: نزل بآل فرعون، ﴿ سوء العذاب ﴾أى: العذاب السيء.

قوله تعالى: ﴿ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ﴾ أكثر المفسرين أن هذا فى القبر. ومن المعروف عن ابن مسعود أنه قال: أرواح آل فرعون فى حواصل طير سود يردون النار غدوا وعشيا. وقد ثبت برواية مالك، عن نافع، عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال: «إن أحدكم إذا مات يعرض عليه مقعده بالغداة والعشى، إن كان من أهل الجنة فالجنة، وإن كان من أهل النار النار، ويقال: هذا مقعدك يوم القيامة»(١). قال رضى الله عنه: أخبرنا بذلك المكى بن عبد الرزاق الكشميهنى، أخبرنا أبو الهيثم جدى، أخبرنا الفربرى، أخبرنا البخارى، أخبرنا إسماعيل بن أبى أويس، عن مالك... الحديث.

وفى الآية قول آخر: وهو أنه العرض على النار يوم القيامة.

(١) متفق عليه، رواه البخارى (٣/ ٢٨٦ رقم ١٣٧٩، وطرفاه: ٣٢٤٠، ٦٥١٥)، ومسلم (١٧/ ٢٩٢ - ٢٩٣ رقم ٢٨٦٦).

غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ

قال الفراء: وفى الآية تقديم وتأخير، وكأنه قال: ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب، النار يعرضون عليها غدوا وعشيا، وهذا قول فاسد، والصحيح هو الأول.

وقوله: ﴿ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾ قرئ: «ادْخُلُوا آل فرعون أشد العذاب» على الأمر لآل فرعون بالدخول.

وقرى: ﴿أَدْخِلُوا آل فرعون أشد العذاب﴾ على الأمر لخزنة النار.

والدليل على أن الصحيح هو القول الأول أنه قال: ﴿يعرضون عليها غدوا وعشيا﴾ إذا كان يوم القيامة، فهو الإدخال حقيقة لا العرض، وإنما العرض فى القبر على ما ورد فى الحديث. وفى بعض التفاسير: أن الكافر يحيا فى القبر كل غدوة وعشية حتى ينظر إلى مقعده من النار، ثم يميته الله تعالى ثانيا، فيكون نظره إلى مقعده من النار أشد عليه من موته، وهو قول شاذ.

وأما آل فرعون فهو فرعون وقومه، وقيل: فرعون نفسه.

قال الشاعر:

فلا تبك ميتاً(١) بعد ميتٍ أحبة ... على وعباس وآل أبى بكر

معناه: وأبى بكر نفسه. وروى عن عبد الله بن أبى أوفى أنه قال: أتيت رسول الله ﷺ بصدقة بعثها أبى إليه، فقال: «اللهم صل على آل أبى أوفى»(٢). أى: أبى أوفى نفسه.

قوله تعالى: ﴿وإذ يتحاجون فى النار﴾ أى: يتخاصمون فى النار.

وقوله: ﴿فيقول الضعفاء للذين استكبروا﴾ أى: الأتباع قالوا للقادة.

(١) فى «ك»: عينا.

(٢) تقدم فى تفسير سورة التوبة.

﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَوَ لَمْ تَكُ
تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ ﴿٥٠﴾

وقوله: ﴿إنا كنا لكم تبعا﴾ أى: أتباعًا.

وقوله: ﴿فهل أنتم مغنون عنا نصيبًا من النار﴾ أى: هل تتحملون عنا بعض عذاب النار؟

قوله تعالى: ﴿قال الذين استكبروا إنا كل فيها﴾ أى: القادة والأتباع جميعًا.

وقوله: ﴿إن الله قد حكم بين العباد﴾ أى: فصل بين العباد فأدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار.

قوله تعالى: ﴿وقال الذين فى النار لخزنة جهنم﴾ فى القصة: أنهم يقولون ذلك بعد أن دعوا الله تعالى ألف عام، ولم يروا إجابة.

وقوله: ﴿ادعوا ربكم يخفف عنا يومًا من العذاب﴾ أى: يومًا واحداً من أيام الدنيا.

قوله تعالى: ﴿قالوا أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال﴾ أى: فى هلاك وبطلان، ومعناه: أن دعاءهم غير مستجاب.

قوله تعالى: ﴿إنا لننصر رسلنا﴾ قال أبو العالية: بإيضاح الحجة. وقال غيره: بالانتقام من أعدائهم. وعن السدى قال: الأنبياء قد تولى الله نصرتهم، وإن قتلوا فى الدنيا، فإن الله يبعث من بعدهم من ينتقم لهم من أعدائهم.

وقوله: ﴿والذين آمنوا فى الحياة الدنيا﴾ أى: وينصر الذين آمنوا فى الحياة الدنيا.

وقوله: ﴿ويوم يقوم الأشهاد﴾ يعنى: يوم القيامة.

والأشهاد جمع شاهد، كالأصحاب جمع صاحب. ويقال: شهيد وأشهاد مثل:

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لا يَنفَعُ
الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا
بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لأُولِي الأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ
حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي

شريف وأشراف.

قوله تعالى: ﴿يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم﴾ أى: اعتذارهم؛ لأنه لا عذر لهم ﴿ولهم اللعنة﴾ أى: عليهم اللعنة ﴿ولهم سوء الدار﴾ أى: الدار السيئة، وهى النار.

قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى الهدى﴾ أى: النبوة.

وقوله: ﴿وأورثنا بنى إسرائيل الكتاب﴾ أى: التوراة.

وقوله: ﴿هدى وذكرى لأولى الألباب﴾ ظاهر المعنى.

قوله :تعالى: ﴿فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك﴾ تمسك من جوَّزَ الصغائر على الأنبياء بهذه الآية، فأمرهم بالاستغفار عن الصغائر. ومن لم يجوز الصغائر على الأنبياء [قال](١): إنه أمر بالاستغفار تعبداً؛ لينال بذلك رضا الله تعالى، ويقتدى به من يأتى بعده.

وقوله:﴿وسبح بحمد ربك بالعشى والإبكار﴾ أى: صل شاكراً لربك بالعشى والإبكار، والعشى من وقت زوال الشمس إلى الغروب، والإبكار ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

قوله تعالى: ﴿إن الذين يجادلون فى آيات الله﴾ أى: فى دفع آيات الله بالتكذيب.

وقوله: ﴿بغير سلطان أتاهم﴾ أى: أتاهم بغير حجة.

---

(٢) فى «الأصل»: قيل.

آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ

وقوله: ﴿إن فى صدورهم إلا كبر﴾ أى: ما فى صدورهم إلا كبر. والكبر الذى فى صدورهم هو الاستكبار عن الإقرار بالتوحيد. ويقال: طلب الغلبة والعلو على محمد ﷺ.

وقوله: ﴿ما هم ببالغيه﴾ أى: ما هم ببالغى إرادتهم، وكان مرادهم أن يهلك محمد ويهلك أصحابه، ويندرس أثره ويصيروا حكاية. ويقال: كان مرادهم أن يغلبوا محمداً ويعلوا أمرهم أمره. وفى الآية قول ثالث، قاله ابن جريج وغيره.

(وهذا أن)[1] الآية نزلت فى اليهود فكانوا يقولون: يخرج منا فى آخر الزمان من يغلب على جميع الأرض، ويكون البحر إلى ركبتيه، والسحاب على رأسه، ويقتل ويُحْيى، ومعه جبل من جنة، وجبل من نار. قالوا: - يعنى أهل العلم - وهو الدجال الذى ذكر الرسول ﷺ، فلما قالوا هذا أنزل الله تعالى هذه الآية.

ومعنى قوله: ﴿ما هم ببالغيه﴾ على هذا القول أن الغلبة لا تكون للدجال على المسلمين، بل تكون للمسلمين على الدجال، فإن عيسى - عليه السلام - ينزل ويقتل الدجال نصرة للمسلمين.

وقوله: ﴿فاستعذ بالله﴾ أى: من شرك الدجال على هذا القول.

وقوله: ﴿إنه هو السميع البصير﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس﴾ أى: رفع السموات بغير عمد، وإجراء الكواكب والشمس والقمر فى مجاريها، وبسط الأرض، ونصب الجبال أهول فى قلوب الناس من خلق الآدميين. ويقال: لخلق السموات والأرض أكبر من قتل الدجال واحداً وإحيائه، فالناس هاهنا: هو الدجال على هذا القول.

وقوله: ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ أى: لا يعلمون حقيقة الأمور.

---

(١) كذا، ولعله: «وهو أن».

لا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلا الْمُسِيءُ قَلِيلاً مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي

قوله تعالى: ﴿وما يستوى الأعمى والبصير﴾ إلى قوله: ﴿قليلا ما تتذكرون﴾ بالتاء، وقرئ بالياء، والمعنى قريب بعضه من بعض.

قوله تعالى: ﴿إن الساعة لآتية لا ريب فيها﴾ أى: لا شك فيها.

وقوله: ﴿ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ أى: لا يصدقون.

قوله تعالى: ﴿وقال ربكم ادعونى أستجب لكم﴾ قد ثبت برواية نعمان بن بشير أن النبى ﷺ قال: «الدعاء هو العبادة. وقرأ هذه الآية»[1].

وعن ثابت قال: قلت لأنس: الدعاء نصف العبادة، قال: هو كل العبادة.

وقوله: ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتى﴾ أى: عن دعائى، ويقال: عن توحيدى.

وقوله: ﴿سيدخلون جهنم داخرين﴾ أى: صاغرين.

وعن كعب الأحبار قال: أعطيت هذه الأمة (ثلاثًا)[2] لم يُعْطَ أحد من الأمم: قال الله تعالى لكل نبى من الأنبياء السالفة: أنت شاهد على أمتك، وقال لهذه الأمة: أنتم شهداء على الأمم، وقال الله تعالى لكل نبى: ما عليك فى الدين من حرج، وقال لهذه الأمة: ﴿وما جعل عليكم فى الدين من حرج﴾[3] وقال لكل نبى: ادع أستجب لك، وقال لهذه الأمة ﴿ادعونى أستجب لكم﴾.

(١) رواه البخارى فى الأدب المفرد (٢١٠)، وأبو داود (٢/٧٦-٧٧ رقم ١٤٧٩)، والترمذى (٥/٣٤٩ رقم ٣٢٤٧) وقال: حسن صحيح، والنسائى فى الكبرى (٦/٤٥٠ رقم ١١٤٦٤)، وابن ماجه (٢/١٢٥٨ رقم ٣٨٢٨)، وأحمد (٤/٢٦٧، ٢٧١، ٢٧٦)، والطيالسى (١٠٨ رقم ٨٠١)، وابن أبى شيبة (١٠/٢٠٠)، وابن جرير (٢٤/٧٨)، وابن حبان (٣/١٧٢ رقم ٨٩٠)، والحاكم (١/٤٩٠ - ٤٩١) وصححه، وأبو نعيم فى الحلية (٨/١٢٠).

(٢) فى «ك»: ثلاثة.

(٣) الحج: ٧٨.

سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ الْحَيُّ

قوله تعالى: ﴿ الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه ﴾ أى: لتسترخوا[١] فيه من الأعمال، وقيل: لتناموا.

وقوله: ﴿ والنهار مبصراً ﴾ أى: مبصراً فيه، ومعناه: أن الناس يُبْصرون فيه الأشياء.

وقوله: ﴿ إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لايشكرون ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو فأنى تؤفكون ﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿ كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون ﴾ أى: يصرف عن الحق من كان مشركًا بالله جاحداً لآياته.

قوله تعالى: ﴿ الله الذى جعل لكم الأرض قراراً ﴾ أى: تستقرون فيها، ﴿ والسماء بناءً ﴾ أى: بناءة فوقكم.

وقوله: ﴿ وصوركم فأحسن صوركم ﴾ فى التفسير: أنه لا يأكل بيده [شيء][٢] سوى الآدميين، ولا صورة على هذه الصورة أحسن من الآدميين.

وقوله: ﴿ ورزقكم من الطيبات ﴾ أى: مما تستلذوها مما هو حلال لكم.

وقوله: ﴿ ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين ﴾ ومعناه: تعالى وتعظم رب العالمين عما يقول الكفار.

---

(١) فى « ك »: لتستريحوا.

(٢) فى « الأصل، وك »: شيئا، وهو خطأ.

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ

قوله تعالى: ﴿هو الحى لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين﴾ والدعاء على الإخلاص ألا يدعوا معه سواه.

وقوله: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ روى عن ابن سيرين أنه قال: من السنة أن يقول العبد لا إله إلا الله، ثم يقول عقيبه: الحمد لله رب العالمين.

قوله تعالى: ﴿قل إنى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربى﴾ أى: الحجج الواضحة.

وقوله: ﴿وأمرت أن أسلم لرب العالمين﴾ أى: أستسلم وأنقاد لحكمه.

قوله تعالى: ﴿هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا﴾ أى: أطفالا، واحداً بمعنى الجمع، ويقال: طفلا طفلا.

وقوله: ﴿ثم لتبلغوا أشدكم﴾ قد بينا معنى الأشد.

وقوله: ﴿ثم لتكونوا شيوخًا ومنكم من يتوفى من قبل﴾ أى: من قبل أن صار شيخًا.

وقوله: ﴿ولتبلغوا أجلا مسمى﴾ أى: ما قدر لكم من الحياة.

وقوله: ﴿ولعلكم تعقلون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿هو الذى يحيى ويميت فإذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون﴾ أى: تكوينه الأشياء يكون بمرة واحدة، لا بمرة بعد مرة.

﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا
بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ
يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ
تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ
اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ

وقوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين يجادلون فى آيات الله﴾ أى: يجادلون فى دفع آياتنا بالتكذيب.

وقوله: ﴿أنى يصرفون﴾ أى: كيف يصرفون عن الحق.

قوله تعالى: ﴿الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون﴾ وعيد وتهديد.

قوله تعالى: ﴿إذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسلُ﴾ وقرئ: «والسلاسلَ» بنصب اللام، فمن قرأ بالرفع، فمعناه: الأغلال فى أعناقهم والسلاسل، ومن قرأ بالنصب، فمعناه: ويسحبون السلاسل.

وقوله: ﴿يسحبون فى الحميم﴾ أى: يجرون فى الحميم.

وقوله: ﴿ثم فى النار يسجرون﴾ أى: يوقدون فى النار كما توقد التنانير بالخشب.

قوله تعالى: ﴿ثم قيل لهم أينما كنتم تعبدون من دون الله قالوا ضلوا عنا﴾ يعنى: أين هم لينصروكم؟ فيقولون: قد فاتوا وذهبوا عنا.

• وقوله: ﴿بل لم نكن ندعو من قبل شيئا﴾ أى: لم نكن ندعو من قبل شيئاً يدفع عَنَّا ضُرا، أو يجلب إلينا نفعًا.

وقوله: ﴿كذلك يضل الله الكافرين﴾ أى: عن الحق.

قوله تعالى: ﴿ذلكم بما كنتم تفرحون فى الأرض بغير الحق﴾ هذا دليل على أنه

﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ
اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن

قد يكون فرح بحق.

وقوله: ﴿ وبما كنتم تمرحون ﴾ الفرح: السرور. والمرح: البطر والأشر. وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى يبغض البذخين الفرحين المرحين، ويحب كل قلب حزين، ويبغض الحبر السمين، ويبغض أهل بيت اللحمين»(١) أى: الذين يكثرون أكل اللحم، ويقال: الذين يأكلون لحوم الناس بالغيبة. والخبر غريب.

وقوله: ﴿ فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ فاصبر إن وعد الله حق ﴾ إلى آخر الآية. ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ﴾ قال السدى: بعث الله تعالى ثمانية آلاف نبيا: أربعة آلاف من بنى إسرائيل، وأربعة آلاف من غير بنى إسرائيل. وفى بعض التفاسير: أن جميع من ذكرهم الله تعالى [فى](٢) القرآن من الأنبياء خمسة وعشرون نبيا، أولهم آدم، وآخرهم محمد ﷺ، ذكر ثمانية عشر منهم فى سورة الأنعام، والباقين فى غيرها. وعن علي - رضى الله عنه - أن الله تعالى بعث نبيا حبشيا لم يذكر اسمه فى القرآن. وأما الذى فى أفواه الناس أن الله تعالى بعث مائة وأربعة وعشرين ألف نبى.

(١) ذكره القرطبى فى تفسيره (١٥/٣٣٣) عن خالد عن ثور عن معاذ مرفوعا به، وعزاه للماوردى فى تفسيره. وللحديث شواهد: فعن أبى الدرداء مرفوعا: «إن الله يحب كل قلب حزين» رواه ابن أبى الدنيا فى الهم والحزن (رقم٢)، وابن عدى فى الكامل (٢/٣٩)، والطبرانى فى مسند الشاميين (٢/٣٥١ رقم ١٤٨٠)، والحاكم (٤/٣١٥) وصححه، وتعقبه الذهبى بقوله: مع ضعف أبى بكر منقطع، وأبو نعيم فى الحلية (٦/٩٠)، والقضاعى فى مسند الشهاب (٢/١٤٩-١٥٠ رقم ١٠٧٥)، ورواه البزار بإسناد آخر عن أبى الدرداء (٢/٤٦٨ رقم ٢٢٣٠ مختصر الزوائد)، وانظر السلسلة الضعيفة (٤٨٣)، وباقى شواهده فى المقاصد (٢٠٧ - ٢٠٨ رقم ٢٤٥).

(٢) فى الأصل: «من» وما أثبتناه من «ك».

يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ

وهو مروى عن ابن عباس برواية ضعيفة.

وقوله: ﴿وما كان لرسول أن يأتى بآية إلا بإذن الله﴾ هذا جواب للكفار، سألوا النبى ﷺ معجزة بعينه، وقالوا: افعل كذا وكذا، فرد الله عليهم ذلك بقوله: ﴿وما كان لرسول أن يأتى بآية إلا بإذن الله﴾.

وقوله: ﴿فإذا جاء أمر الله قضى بالحق وخسر هنالك المبطلون﴾ أى: هلك عند ذلك المبطلون.

وقوله: ﴿أمر الله﴾ أراد به القيامة.

قوله تعالى: ﴿الله الذى جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون﴾ قال أهل التفسير: الأنعام هى الإبل والبقر والغنم فى اللغة، إلا أنها الإبل خاصة فى هذه الآية.

وقوله: ﴿ولكم فيها منافع﴾ يعنى: سوى الركوب والأكل من الرسل والنسل والوبر وغير ذلك.

وقوله: ﴿ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم﴾ قال قتادة: الانتقال من بلد إلى بلد. قال مجاهد: أى حاجة كانت.

وقوله: ﴿وعليها وعلى الفلك تحملون﴾ ظاهر المعنى، والفلك: السفينة.

قوله تعالى: ﴿ويريكم آياته فأى آيات الله تنكرون﴾ يعنى: مع ظهورها ووضوحها.

قوله تعالى: ﴿أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً فى الأرض﴾ قال مجاهد: قوله: ﴿وآثاراً فى

كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ

الأرض ﴾ معناه: المشى فيها بأرجلهم. ويقال: الآثار فى الأرض هى العروش والزروع والأبنية.

وقوله: ﴿ فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ﴾ أى: لم يدفع عنهم كسبهم شيئًا حين ينزل العذاب بهم.

قوله تعالى: ﴿ فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم ﴾ فإن قيل: كيف يستقيم هذا، ولم يكن عندهم [علم](1) أصلا؟

قلنا: قد كان فى ظنهم أنهم علماء، فسمى ما عندهم علما على ظنهم، وكان الذى ظنوه أن لا بعث ولا جنة ولا نار ولا حياة بعد الموت.

والقول الثانى فى الآية: أن قوله: ﴿ فرحوا ﴾ يرجع إلى الرسل، ومعنى الآية: فرح الرسل بما عندهم من العلم بهلاك أعدائهم.

ويقال: فرحوا بما عندهم من العلم أى: رضوا بما عندهم من العلم، ولم يطلبوا العلم الذى أنزله الله على الأنبياء وقنعوا بما عندهم، وهو كان جهلاً على الحقيقة. وقوله: ﴿ وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ﴾ أى: نزل بهم وبال ما كانوا به يستهزئون.

قوله تعالى: ﴿ فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده ﴾ قد ذكرنا معنى البأس.

وقوله: ﴿ وكفرنا بما كنا به مشركين ﴾ وهكذا جميع الكافرين، يؤمنون عند البأس، ولا ينفعهم ذلك.

(1) فى «ك»: علمًا، وهو خطأ.

﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾

وقوله: ﴿ فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا ﴾ وقد استثنى منهم قوم يونس فى سورة يونس، وقد ذكرنا.

وقوله: ﴿ سنة الله التى قد خلت فى عباده ﴾ أى: مضت فى عباده، ومعنى السنة: هو إيمانهم وعدم النفع فى إيمانهم.

وقوله: ﴿ وخسر هنالك الكافرون ﴾ أى: هلك هنالك الكافرون.

فإن قيل: كيف قال ﴿ هنالك ﴾ وهذا يقتضى ألا يكونوا فى الحال خاسرين؟

والجواب : أن الزجاج قال: كل كافر خاسر، إلا أنه إذا رأى العذاب تبين له الخسران. فبهذا المعنى قال: ﴿ هنالك ﴾ والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ

تفسير سورة حم السجدة

وهى مكية

قوله سبحانه وتعالى: ﴿ حم ﴾ قد ذكرنا معناه.

وقوله: ﴿ تنزيل من الرحمن الرحيم ﴾ منهم من قال: فى الآية تقديم وتأخير كأنه: تنزيل كتاب من الرحمن الرحيم فصلت آياته. وقال بعضهم: فى الآية مضمر محذوف، والمحذوف هو القرآن، وكأنه قال: تنزيل القرآن من الرحمن الرحيم. قال الزجاج: قوله: ﴿ تنزيل ﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿ كتاب ﴾ خبره.

وقوله: ﴿ فصلت آياته ﴾ قال مجاهد: فسرت، وقال الحسن البصرى: فصلت بالوعد والوعيد، والثواب والعقاب. ويقال: فصلت بالحلال والحرام.

وقوله: ﴿ قرآنا عربيا ﴾ أى: بلسان العرب.

وقوله: ﴿ لقوم يعلمون ﴾ أى: يتدبرون ما فيه عن علم.

قوله: ﴿ بشيرا ونذيرا ﴾ معناه: قرآنا بشيرا ونذيرا. فالقرآن بشير للمؤمنين، نذير للكافرين.

وقوله: ﴿ فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ﴾ أى: لا يستمعون إلى القرآن.

وقوله تعالى: ﴿ وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا إليه ﴾ أى: فى أغطية. قال مجاهد: كالجعبة للنبل.

وقوله: ﴿ وفى آذاننا وقر ﴾ أى: صمم.

وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ

وقوله: ﴿ ومن بيننا وبينك حجاب ﴾ أى: حاجز. وقال بعضهم: (تفرق فى النحلة حاجز فى الطريقة)(١). وروى بعضهم: أن أبا جهل استغشى بثوب ثم قال: يا محمد، بيننا وبينك حجاب. استهزاء، ومعنى الآية: أنهم لما لم يستمعوا إلى القرآن استماع من يقبله كانوا كأن قلوبهم فى أغطية، وفى آذانهم وقر وصمم، وبينه وبينهم حجاب.

وقوله: ﴿ فاعمل إننا عاملون ﴾ معناه: [فاعمل](٢) بما [تعلم](٣) من دينك إننا عاملون بما نعلم من ديننا، قاله الفراء. وقال بعضهم: فاعمل فى هلاكنا فإنا نعمل فى هلاكك. وقال بعضهم: فاعمل لمعبودك فإنا نعمل لمعبودنا.

قوله: ﴿ إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه ﴾ أى: توجهوا إليه بالطاعة والعبادة.

وقوله: ﴿ واستغفروه ﴾ أى: من الشرك الذى أنتم عليه.

وقوله: ﴿ وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة ﴾ أى: لا يرون الزكاة واجبة عليهم كما يراه المسلمون. ويقال: معنى الإيتاء هو على ظاهره، والكافر يعاقب فى الآخرة بترك إيتاء الزكاة؛ لأنهم مخاطبون بالشرائع. ذكره جماعة من أهل العلم. وقال بعضهم: لا يؤتون الزكاة أى: لا يفعلون ما يصيرون به أزكياء. وقال بعضهم: لا يؤتون الزكاة أى: لا يقولون لا إله إلا الله، قاله ابن عباس فى رواية عطاء، فعلى هذا معناه: لا يطهرون أنفسهم من الشرك بقبول التوحيد. وعن قتادة قال: الزكاة فطرة الإسلام؛ فمن قبلها نجا، ومن ردها هلك. وأما القول الذى قلناه إنها الزكاة بعينها،

(١) كذا!.

(٢) من «ك»، وفى «الأصل»: فاعلم.

(٣) فى الأصل، وك»: تعمل، والمثبت يقتضيه السياق.

الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي

قاله الحسن البصرى وجماعة.

وقوله: ﴿وهم بالآخرة هم كافرون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون﴾ أى: غير مقطوع، ويقال معناه: غير ممنون عليهم.

قوله تعالى: ﴿قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين﴾ قال ابن عباس: يوم الأحد ويوم الاثنين. فإن قال قائل: ما الحكمة فى خلقها فى يومين، وقد كان قادرا على خلقها فى ساعة وأقل من ذلك؟ قلنا: خلق فى يومين ليرشد خلقه إلى الإناة فى الأفعال؛ وليكون أبعد من توهم اتفاق أو فعل طبع، ولأنه لا سؤال عليه فى خلقه فكيفما شاء خلق.

وقوله: ﴿وتجعلون له أندادا﴾ أى: أشباها وأمثالا وشركاء. قال حسان بن ثابت:

أتهجوه ولست له بند ... فشركما لخيركما الفداء

قال أهل المعانى: قوله ﴿وتجعلون له أندادا﴾ أى: تطيعون غيره فى معاصيه. وقال بعضهم: من ذلك أن يقول الرجل: لولا كلبة فلان لدخل اللصوص دارى، ولولا إرشاد فلان لهلكت، وما أشبه ذلك.

وقوله: ﴿ذلك رب العالمين﴾ أى: الذى فعل ذلك الفعل هو رب العالمين.

قوله تعالى: ﴿وجعل فيها رواسى﴾ أى: جبالا رواسى، وسماها رواسى لثبوتها. وفى القصة: أن الله تعالى لما خلق الأرض جعلت تميد ولا تستقر، فخلق الله الجبال عليها فاستقرت، فهو معنى قوله: ﴿وجعل فيها رواسى من فوقها﴾.

وقوله: ﴿وبارك فيها﴾ أى: أكثر فيها البركة. والبركة: المنافع، ومن بركاتها

أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ

الأشجار التى تنبت بغير غرس، والحبوب التى تنبت بغير بذر، وكل ما لم يعمله بنو آدم. وفى بعض الآثار: أن الله تعالى جمع فى (الخبز)[1] بركات السماء والأرض.

وقوله: ﴿وقدر فيها أقواتها﴾ فى التفسير أن معناه: الحنطة لقوم، والشعير لقوم، والذرة لقوم، والتمر لقوم، والسمك لقوم، واللحم لقوم. ويقال: المصرى لمصر، والسابرى لسابر، والعربى للعرب، وكل طعام فى موضعه.

وقوله: ﴿فى أربعة أيام﴾ أى: (فى تمام أربعة أيام)[2]. فإن قال قائل: قد قال هاهنا خلق الأرض فى يومين فذكر أنه بدأ بخلق الأرض وقال فى موضع آخر: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ فكيف وجه الجمع بين الآيتين؟ والجواب: أن معنى قوله: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ أى: مع ذلك، وهذا ضعيف فى اللغة، والأصح أن معنى قوله: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ أى: بسطها، وكان الله تعالى خلق الأرض قبل السموات فى يومين، وخلق الأرزاق والأقوات فيها، وأجرى الأنهار، وأظهر الأشجار، وخلق البحار فى يومين آخرين، فذلك تمام أربعة أيام، ولم يكن بسط الأرض وجعلها بحيث يسكن فيها، فلما خلق السموات بسط الأرض وجعلها بحيث يسكنها الناس.

وقوله: ﴿سواء للسائلين﴾ أى: عدلا للسائلين، ومعناه: من سألك عن هذا فأجبه بهذا، فإنه الحق والعدل.

قوله تعالى: ﴿ثم استوى إلى السماء وهى دخان﴾ أى: قصد إلى خلق السماء وهى دخان، وفى القصة أن الله تعالى خلق أول ما خلق ماء يضطرب، فأزبد الماء زبدا، وارتفع من الزبد دخان، فخلق الأرض من الزبد، وخلق السماء من الدخان.

وقوله: ﴿فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها﴾ قال بعضهم: معنى قوله:

---

(١) فى «ك»: الخيرات.

(٢) فى «ك»: فى أيام أربعة.

ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي

﴿ائتيا﴾ أى: كونا كما قدرتكما طوعا أو كرها، وعلى هذا يكون هذا القول قبل الخلق، والقول الثانى - هو قول الأكثرين - أن هذا القول من الله تعالى بعد أن خلقهما، فعلى هذا معنى قوله: ﴿ائتيا طوعا أو كرها﴾ أى: أعطيا الطاعة فيما خلقتكما له جبرا واختيارا.

وقوله: ﴿قالتا أتينا طائعين﴾ منهم من قال: هذا كله على طريق المجاز، وليس على طريق الحقيقة، وكأن الله تعالى لما أجرى أمرهما على مراده وتقديره جعل ذلك بمنزلة قول منه وإجابة منهما بالطواعية، والعرب قد تذكر القول فى مثل هذا الموضع، قال الشاعر:

امتلأ الحوضُ وقال قَطْنى مهلا رويدا قد ملأتُ بطنى

وقال بعضهم: إن القول والإجابة على طريق الحقيقة، وركب فى السموات والأرض ما عقلا به خطابه وأجاباه بالطواعية، وهذا هو الأولى. وعن ابن السماك فى موعظة: سل الأرض: من غرس أشجارك؟ وأجرى أنهارك؟ وأخرج ثمارك؟ فإن لم تجبك اختيارا أجابتك اعتبارا. فإن قيل: كيف قال: ﴿طائعين﴾ وكان من حق اللغة أن يقول: طائعات؟ قلنا: إنما قال: ﴿طائعين﴾ لأنه لما جعلها بمنزلة من يعقل فى الخطاب معها وجوابها - ذكر الكلام على نعت العقلاء.

قوله تعالى: ﴿فقضاهن سبع سموات﴾ أى: خلقهن سبع سموات ﴿فى يومين﴾ وهو يوم الخميس و[يوم](١) الجمعة. وفى بعض الآثار: «أن الله تعالى خلق الأرض يوم الأحد والاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق الأقوات والأشجار يوم الأربعاء، وخلق السموات يوم الخميس، وخلق فيها البروج والكواكب والشمس والقمر يوم الجمعة، وخلق آدم فى آخر ساعة من يوم الجمعة على عجل»(٢)، وقد حكيت اللفظة

(١) من «ك».

(٢) كذا أورده المصنف بمعناه كعادته فى كثير من الأحاديث، وهو حديث أبى هريرة مرفوعًا «إن الله خلق التربة يوم السبت... الحديث». رواه مسلم (١٧/١٩٤-١٩٥ رقم ٢٧٨٩)، والنسائى فى الكبرى (٦/٢٩٣ رقم ١١٠١٠ ورقم ١١٣٩٢)، وابن معين فى تاريخه (٣/٥٢ رقم ٢١٠)، وأحمد (٢/٣٢٧)، وابن خزيمة (٣/١١٧ رقم ١٧٣١)، وأبو يعلى (١٠/٥١٣ - ٥١٤ رقم ٦١٣٢)، والدولابى فى الكنى (١/١٧٥)، =

الأخيرة عن ابن عباس.

وقوله: ﴿وأوحى فى كل سماء أمرها﴾ أى: قدر فى كل سماء أمرها، ويقال: خلق فى كل سماء ما أراد أن يخلق فيها، وذلك من سكانها وغير ذلك.

وقوله: ﴿وزينا السماء الدنيا بمصابيح﴾ أى: بالكواكب.

وقوله: ﴿وحفظا﴾ أى: حفظنا السماء بالكواكب من الشيطان.

وقوله: ﴿ذلك تقدير العزيز العليم﴾ ظاهر المعنى، ويذكر تفسير هذه الآية من وجه آخر على ما نقل فى التفاسير.

فقوله تعالى: ﴿قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين﴾ هو يوم الأحد والاثنين، والاثنان هو العدد العدل؛ لأنه أكثر من الواحد الذى ليس دونه شيء، ولم يبلغ الثلاث الذى هو جمع. وقيل: هو خلق فى يومين، ليكون اعتبارا للملائكة فى النظر إلى خلقه أكثر، فيكون أدل على وحدانيته.

وقوله: ﴿وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿وجعل فيها رواسى من فوقها﴾ روى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أنه قال: خلق الجبال يوم الثلاثاء، وخلق السماء والأشجار والبحار والأنهار يوم الأربعاء.

وقوله: ﴿وبارك فيها﴾ أى: أكثر فيها الخير.

وقوله: ﴿وقدر فيها أقواتها﴾ فى التفسير: أنه جعل فى كل بلد ما ليس فى غيره، ليتعايش الناس ويتجروا فيها نقلا من بلد إلى بلد. ويقال: هو اليمانى باليمن،

= وابن حبان فى صحيحه (١٤ / ٣٠ رقم ٦١٦١)، وأبو الشيخ فى العظمة (٢٩٠ رقم ٨٧٧)، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٤٨٦-٤٨٨)، والخطيب فى تاريخه (٥ /١٨٨-١٨٩)، وعلقه البخارى فى تاريخه (١ /٤١٣) وقال: قال بعضهم عن أبى هريرة عن كعب، وهو الأصح. وانظر إعلال ابن المدينى للحديث فى الأسماء والصفات للبيهقى.

والقوهى بقوهستان، والسابرى بسابور، والقراطيس بمصر، والمروى بمرو، والبغدادى ببغداد، والهروى بهراة. وعن مجاهد قال: قوله: ﴿قدر فيها أقواتها﴾ هو المطر.

وقوله: ﴿فى أربعة أيام﴾ أى: فى تمام أربعة أيام، فإن قيل: قد ذكر يومين فى الآية الأولى، وأربعة فى هذه الآية، ويومين من بعد، فيكون قد خلق الله السموات والأرض فى ثمانية أيام؟ قلنا: لا، بل خلقها فى ستة أيام.

وقوله: ﴿فى أربعة أيام﴾ أى: فى تمام أربعة أيام مع اليومين الأولين، وهذا كالرجل يقول: ذهبت من البصرة إلى بغداد فى عشرة أيام، وذهبت من بغداد إلى الكوفة فى خمسة عشر يوما أى: فى تمام خمسة عشر يوما مع العدد الأول، هذا كلام العرب، ومن طعن فيه فلم يعرف كلام العرب.

وقوله: ﴿سواء للسائلين﴾ قد بينا أحد المعنيين، والمعنى الآخر: وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام للسائلين أى: المحتاجين إلى القوت.

وقوله: ﴿سواء﴾ ينصرف إلى الأيام أى: مستويات تامات. وقيل: (ذوات)[1] سواء. وقد قرئ بالخفض: «سواء للسائلين». ويقال: استوى سواء على القراءة الأولى.

قوله تعالى: ﴿ثم استوى إلى السماء وهى دخان﴾ فى التفسير: أن الدخان كان من تنفس الماء، ويقال: إنه خلق سماء واحدة ثم فتقها فجعلها سبع سموات، وقد ذكرنا من قبل.

وقوله: ﴿فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها﴾ قال بعضهم: هو على طريق المجاز مثل: قول الشاعر:

وقالت له العينان سمعا وطاعة ... وحـــدرتا كـــالدر لمـــا تثقب

وتقول العرب: قال الحائط فمال

وقوله: ﴿ائتيا طوعا أو كرها﴾ أى: أجيبا طوعا وإلا ألجأتكما إلى الإجابة كرها،

---

(١) فى «ك»: ذات.

وإنما ذكروا هذا المعنى؛ لأن الأمر لا يرد إلا بالفعل طوعا. وذكر بعضهم: أن الله تعالى خلق فى السموات تمييزا وعقلا، فخاطبهما وأجابا على الحقيقة، وقد ذكرنا. وأورد بعضهم: أن الخطاب لمن فى السموات والأرض. وفى تفسير النقاش: أن الموضع الذى أجاب من الأرض هو الأردن، وفيه أيضا: أن الله تعالى خلق سبعة عشر نوعا من الأرض، هذا الذى تراه أصغر الكل، وأسكن تلك الأرضين قوما ليسوا بإنس ولا جن ولا ملائكة، والله أعلم.

وقوله: ﴿قالتا أتينا طائعين﴾ ولم يقل: طائعتين، قالوا: لأن المراد هو السموات بمن فيها، والأرض بمن فيها. ويقال: لأن السموات سبع والأرضون سبع، وهذا مروى عن الحسن البصرى فى الأرض فقال: طائعين لأجل هذا العدد.

وقوله تعالى: ﴿فقضاهن سبع سموات فى يومين﴾ أى: خلقهن. وفى التفسير: أن الله تعالى خلق السموات يوم الخميس، وخلق الشمس والقمر والكواكب والملائكة وآدم يوم الجمعة، وسميت الجمعة جمعة؛ لأنه اجتمع فيها الخلق. وفى بعض التفاسير: أن الله تعالى خلق آدم فى آخر ساعة من ساعات الجمعة، وتركه أربعين سنة ينظر إليه ويثنى على نفسه، ويقول: ﴿تبارك الله رب العالمين﴾(١) وفى بعض التفاسير أيضا: أن الله تعالى لما خلق الأرض قال لها: أخرجى أشجارك وأنهارك وثمارك فأخرجت، ولما خلق الله السماء قال لها: أخرجى شمسك وقمرك ونجومك فأخرجت.

وقوله: ﴿وأوحى فى كل سماء أمرها﴾ أى: ما يصلحها، ويقال: جعل فيها سكانها من الملائكة.

وقوله: ﴿وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿وحفظا﴾ أى: وحفظناها حفظا من الشياطين بالشهب والنجوم.

وقوله: ﴿ذلك تقدير العزيز العليم﴾ أى: تقدير القوى على ما يريد خلقه، العليم بخلقه وما يصلحهم.

---

(١) الأعراف: ٥٤.

فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لأَنزَلَ مَلائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿فإن أعرضوا﴾ أى: أعرضوا عن الإيمان بما أنزلت عليك.

وقوله: ﴿فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾ الصاعقة نار تنزل من السماء إلى الأرض، وهى فى هذا الموضع كل عقوبة مهلكة.

وقوله: ﴿إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم﴾ أى: إلى الآباء ﴿ومن خلفهم﴾ أى: الأبناء الذين كانوا خلف الآباء، ويجوز أن يرجع قوله: ﴿ومن خلفهم﴾ إلى خلف الرسل الأولين.

وقوله: ﴿ألا تعبدوا إلا الله﴾ ظاهر.

وقوله: ﴿قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فإنا بما أرسلتم به كافرون﴾ أى: جاحدون.

قوله تعالى ﴿فأما عاد فاستكبروا فى الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة﴾ وفى القصة: أنه كان من قوتهم أن الرجل منهم كان يضرب رجله على الصخرة الصماء فتغوص فيها رجله إلى ركبته، ومن قوتهم أنهم سدوا الفج الذى كان يخرج منه الريح بصدورهم، حتى قويت الريح وأهلكتهم واحدا بعد واحد.

وقوله: ﴿أو لم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون﴾ أى: ينكرون.

قوله تعالى ﴿فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا﴾ قال مجاهد: شديدة السموم. وقال قتادة: شديدة البرد من الصِّر - وهو البرد - ويمكن الجمع بين القولين؛ لأنه قيل: إنها كانت ريحا باردة تحرق كما يحرق السموم، ويقال: صرصرا أى: ذات صيحة، ومنه سمى نهر الصرصر، وهو نهر يأخذ من الفرات.

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا

وقوله: ﴿فى أيام نحسات﴾ وقرئ: «نَحْسَات» بجزم الحاء أى: مشئومات، وكانت هذه الأيام مشائيم عليهم؛ لأنهم عذبوا فيها.

وقوله: ﴿لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا﴾ أى: عذابا يخزيهم وينكل بهم.

وقوله: ﴿ولعذاب الآخرة أخزى﴾ أى: أشد إخزاءً ﴿وهم لاينصرون﴾ أى: لايمنعون من عذابنا.

قوله تعالى: ﴿وأما ثمود فهديناهم﴾ حكى عن على بن أبى طالب - رضى الله عنه - أنه قال: هديناهم أى: دَلَلْنَاهم على الهدى. وقال مجاهد: بينا لهم طريق الهدى. وقيل: طريق الخير والشر. وفى بعض التفاسير: هديناهم أى: دعوناهم.

وقوله: ﴿فاستحبوا العمى على الهدى﴾ أى: آثروا طريق الضلال على طريق الرشد.

وقوله: ﴿فأخذتهم صاعقة العذاب الهون﴾ فصاعقة العذاب: نار نزلت من السماء إلى الأرض فتصيب من يستحق العذاب.

وقوله: ﴿الهون﴾ أى: ذى الهون، والهون والهوان بمعنى واحد، وهو عذاب يهينهم ويهلكهم.

وقوله: ﴿بما كانوا يكسبون﴾ ظاهر المعنى.

وقوله تعالى: ﴿ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ أى: يتقون الشرك.

قوله تعالى: ﴿ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون﴾ أى: يحتبس أولهم على آخرهم.

مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا

قوله تعالى: ﴿حتى إذا ماجاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون﴾ أكثر المفسرين أن الجلود هاهنا هى الفروج، وفى بعض الأخبار: «أن الله تعالى يحشر العباد مقدمين بالفدام، فأول ماينطق من جوارح الإنسان فخذه وكفه»[١] وقيل: إن قوله: ﴿وجلودهم﴾ هى الجلود المعروفة. وفى الخبر المعروف برواية أنس «أن النبى ﷺ ضحك مرة، فسئل: ممَّ ضحكت؟ فقال: عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيامة فيقول: أى رب، أليس وعدتنى أن لا تظلمنى؟ فيقول: نعم. فيقول العبد: فإنى لا أجيز اليوم شاهداً علىَّ إلا منى، فحينئذ يختم الله على فمه وتنطق جوارحه بما فعله، فيقول العبد: بُعْدا لَكُنَّ وسحقًا، فعنكن كنت أناضل»[١].

قوله تعالى: ﴿وقالوا لجلودهم لما شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء﴾ أى: كل شىء ينطق.

وقوله تعالى: ﴿وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون﴾ أى: تردون.

قوله تعالى: ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولاجلودكم﴾ فى الأخبار المعروفة عن ابن مسعود - رضى الله عنه - أنه قال: كنت مستترًا تحت ستر الكعبة، فجاء قرشيان وثقفى، أو ثقفيان وقرشى، قليلٌ فقهُ قُلُوبِهِم، كثيرٌ شحمُ بطونهم، فقال بعضهم لبعض: أسمع الله مانقول؟ فقال أحدهم: يسمع إذا جهرنا، ولايسمع إذا أخفينا، فأنزل الله تعالى: ﴿وما كنتم تستترون﴾ أى: تستخفون.

وقوله: ﴿أن يشهد﴾ معناه: من أن يشهد عليكم سمعكم ولاأبصاركم ولاجلودكم.

---

(١) تقدم تخريجه.

جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾

وقوله: ﴿ولكن ظننتم أن الله لايعلم كثيراً مما تعملون﴾ هو قول من قال: إن الله يسمع إذا جهرنا، ولايسمع إذا أخفينا.

قوله تعالى: ﴿وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم﴾ هو ماقلناه.

وقوله: ﴿أرداكم﴾ أى: أهلككم. وقد ثبت أن النبىﷺ قال: «...أنا عند ظن عبدى، وأنا معه حين يذكرنى...»(١).

وفى بعض الأحاديث: «أن الله تعالى يأمر بعبد من عبيده إلى النار، فيقول: أى رب، ماكان هذا ظنى بك. فيقول: وما كان ظنك بى؟ فيقول العبد: كان ظنى أن تغفر لى وتدخلنى الجنة، فيغفر الله له»(٢).

وفى بعض التفاسير: أن العبد إذا ظن الخير فعل الخير، وإذا ظن الشر فعل الشر.

وقوله: ﴿فأصبحتم من الخاسرين﴾ أى: الهالكين.

قوله تعالى: ﴿فإن يصبروا فالنار مثوى لهم﴾ المثوى: المنزل.

وقوله: ﴿وإن يستعتبوا فماهم من المعتبين﴾ الاستعتاب طلب الإعتاب، والإعتاب أن يعود الإنسان إلى مايحبه بعد أن فعل مايكرهه. تقول العرب: أستعتب فلانا فأعتبنى، بمعنى ماقلنا.

وقوله: ﴿فماهم من المعتبين﴾ أى: لايرجع بهم إلى ماكانوا يحبون. وقيل: إن مايحبون هو أن يعيدهم إلى الدنيا فيعبدوا الله ويطيعوه.

وأما قوله: ﴿فإن يصبروا﴾ معناه: فإن يصبروا أو لا يصبروا. ومعناه: لاينفعهم

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه مسلم (٣/٦٥ رقم ١٩٢)، وأحمد (٣/٢٢١)، وابن أبى الدنيا فى حسن الظن (٨١ رقم ٧١)، وابن أبى عاصم (٢/٤١١ رقم ٨٥٣)، وابن حبان (٢/٤٠ رقم ٦٣٢) وأبو نعيم فى الحلية (٢/٣١٥، ٢/٢٥٣)، وابن منده فى الإيمان (٢/٨٣٠ رقم ٨٦٠) جميعهم عن أنس مرفوعا بنحوه. وفى الباب عن أبى هريرة.

وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا

صبر ولاجزع.

قوله تعالى: ﴿ وقيضنا لهم ﴾ أى :صيرنا لهم، ويقال: سبَّبْنا لهم.

وقوله: ﴿ قرناء ﴾ أى: الشياطين.

وقوله: ﴿ فزينوا لهم ﴾ أى: الشياطين زينوا لهم.

﴿ مابين أيديهم ﴾ أى: زينوا لهم أن لابعث ولاجنة ولانار.

وقوله: ﴿ وماخلفهم ﴾ أى: زينوا لهم لذات الدنيا، وزينوا لهم جمع المال وإمساكه وترك إنفاقه فى سبيل الخير.

وقوله: ﴿ وحق عليهم القول ﴾ أى: وجب عليهم القول ﴿ فى أمم ﴾ أى: مع أمم.

وقوله: ﴿ قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين ﴾ أى: هالكين، فكل من هلك فقد خسر نفسه.

وقوله تعالى: ﴿ وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ﴾ اللغو كل كلام لاوجه له ولامعنى تحته. وقيل: كل مالا يُعبأ به فهو لغو. ويقال: اللغو هاهنا هو الصفير والتصفيق اللذان كان يفعلهما المشركون عند سماع القرآن، وذلك المكاء والتصدية. وقد ذكرنا من قبل. وقرئ فى الشاذ: «والغُوا فيه» بضم الغين، وهو فى معنى الأول. وقيل معناه: استعلوا عند سماع القرآن باللغو، وهو الضجيج والصياح لكيلا تسمعوا.

وقوله: ﴿ لعلكم تغلبون ﴾ أى: تغلبون محمداً ﷺ.

قوله تعالى: ﴿ فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديداً ولنجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون ﴾ أى: جزاء أعمالهم السيئة.

وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا

قوله تعالى: ﴿ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد﴾ أى: دار الخلود.

قوله تعالى: ﴿جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون﴾ أى: ينكرون.

قوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس﴾ قال أهل التفسير: الذى من الجن هو إبليس، والذى من الإنس قابيل الذى قتل هابيل، وهما أول من سن المعصية من الجن والإنس، وهذا هو القول المشهور، وهو محكى عن على - رضى الله عنه - ذكره الأزهرى بإسناده. وفى الآية قول آخر: وهو أن المراد كل داع إلى الضلالة من الجن والإنس. وفى بعض الآثار: أنه مامن أحد من الجن يعمل شرا إلا ويلعن إبليس عند موته، ومامن أحد من الإنس يعمل شرا إلا ويلعن ابن آدم عند موته، وهو قابيل. ويقال: يلعنهما كل عامل بالشر؛ لأنهما اللذان سنا الشر والمعاصى.

وقوله: ﴿نجعلهما تحت أقدامنا﴾ أى: نجعلهما تحت أقدامنا فى النار، وهو الدرك الأسفل. وقالوا ذلك حقداً عليهم وانتقاماً منهم.

وقوله: ﴿ليكونا من الأسفلين﴾ أى: أسفل منا فى النار وأشد منا فى العذاب.

وأما قوله: ﴿ربنا أرنا﴾ قيل معناه: أعطنا، وقيل معنى قوله: ﴿أرنا﴾ أى: دلنا عليهما، وهو الأولى. وعن السدى قال: ما من كافر يدخل النار إلا وهو يلعن إبليس؛ لأنه أول من سن الكفر، ومامن عاص يدخل النار إلا ويلعن قابيل؛ لأنه أول من سن المعصية.

قوله تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ روى عن أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - أنه قال: استقاموا أى: لم يشركوا بالله شيئًا، وعن عمر - رضى الله عنه - قال: لم يروغوا روغان الثعالب. ومن المعروف أن الاستقامة [هى] طاعة الله، وأداء فرائضه، واتباع سنة نبيه محمد ﷺ.

اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ

روى ثابت عن أنس: «أن النبى ﷺ قرأ قوله تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ ثم قال: قد قال قوم ولم يستقيموا عليه، فمن قال ومات عليه فقد استقام» (١).

وعن سفيان بن عبد الله الثقفى أنه قال: «قلت يارسول الله، قل لى فى الإسلام قولا أثبت عليه، فقال له: قل ربى الله ثم استقم. فقلت له: يارسول الله، ما أخوف ماتخاف علىّ؟ قال: هذا وأشار إلى لسانه» (٢).

ومن المعروف أيضا أن النبى ﷺ قال: «استقيموا ولن تحصوا، ولايحافظ على العصر إلا مؤمن» (٢).

وقوله: ﴿تتنزل عليهم الملائكة﴾ أى: عند الموت، ويقال: عند البعث. فى التفسير: أنه إذا بعث العبد تلقاه الملكان اللذان كانا يحفظانه ويكتبان عليه، ويقولان له: لاتخف ولاتحزن وأبشر بالجنة التى كنت توعد، ولايهولك الذى تراه، فإنما أريد به غيرك. وعن أبى العالية الرياحى قال: يبشر المؤمن فى [ثلاثة] (٣) مواطن: عند دخول القبر، وعند البعث، وعند دخوله الجنة.

وقوله: ﴿ألا تخافوا﴾ أى: لاتخافوا مابين أيديكم.

وقوله: ﴿ولا تحزنوا﴾ على ما خلفتم من أهل وولد وضيعة.

وقوله: ﴿وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون﴾ أى: توعدون فى كتب الله وعلى ألسنة رسله.

---

(١) رواه الترمذى (٥/ ٣٥١ رقم ٣٢٥٠) وقال: حسن غريب، والنسائى فى الكبرى (٦/ ٤٥٢ رقم ١١٤٧٠)، وأبو يعلى (٦/ ٢١٣ رقم ٣٤٩٥)، وابن جرير (٢٤/ ٧٣)، وابن أبى عاصم فى السنة (١/ ١٥ رقم ٢٠)، وابن عدى فى الكامل (٣/ ٤٥٠)، وابن أبى حاتم، كما فى تفسير ابن كثير (٤/ ٩٨)، جميعهم عن أنس مرفوعا به. وزاد السيوطى فى الدر (٥/ ٣٩٩): البزار، وابن مردويه.

(٢) تقدم تخريجه فى تفسير سورة هود.

(٣) فى «الأصل، وك»: ثلاث، وهو خطأ.

تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا

قوله: ﴿نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة﴾ ومعنى الولاية: هو الحفظ والنصرة والمعونة.

وقوله: ﴿فى الحياة الدنيا﴾ أى: عند الموت.

﴿وفى الآخرة﴾ أى: بعد البعث.

وقوله: ﴿ولكم فيها ماتشتهى أنفسكم﴾ أى: تلذه أنفسكم. ويقال: مايخطر على قلوبكم.

وقوله: ﴿ولكم فيها ماتدعون﴾ أى: تتمنون، تقول العرب: ادع علىَّ ما شئت أى: تمن علىَّ ماشئت.

ويقال: «ولكم فيها ماتدعون» أى: ما ادعيت أنه لك فهو لك.

وقوله: ﴿نزلا من غفور رحيم﴾ أى: عطاء من غفور رحيم. ومنه نُزُلُ الضيف. أى: عطاؤه. ويقال: منّاً.

﴿من غفور رحيم﴾ والغفور الساتر، والرحيم العطوف.

قوله تعالى: ﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحًا﴾ قال ابن عباس: من دعا إلى الله هو الرسول ﷺ. وحكى عن ابن عباس أنه قال: «دعا إلى الله» عام فى كل من يدعو إلى الله. وعن مجاهد أنه قال: الآية فى المؤذنين. وحكى هذا القول عن عائشة - رضى الله عنها - وقد ضعف بعضهم هذا القول؛ لأن السورة مكية، والأذان كان بعد الهجرة إلى المدينة.

وقوله: ﴿وعمل صالحًا﴾ أى: عمل بينه وبين ربه. ويقال: عمل صالحًا بأداء الفرائض، وقيل: عمل صالحًا بإخلاص الدعوة والعمل.

وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾

وقوله: ﴿وقال إننى من المسلمين﴾ أى: أَقَرَّ بالإسلام وثَبَتَ عليه. ويقال: من المستسلمين لحكم الله. ومن المعروف عن عائشة – رضى الله عنها – أن المراد من قوله: ﴿وعمل صالحًا﴾ هو ركعتان بين الأذان والإقامة. وهذا على القول الذى قلنا: إنه ورد فى المؤذنين.

قوله تعالى: ﴿ولاتستوى الحسنة ولا السيئة﴾ معناه: ولاتستوى الحسنة والسيئة و«لا» صلة.

وأما الحسنة والسيئة ففيهما أقوال:

أحدها: أنهما التوحيد والشرك، والآخر: أنهما العفو والانتصار، والثالث: أنهما المداراة والغلظة. والرابع: أنهما الصبر والجزع. والخامس: أنهما الحلم عند الغضب والسفه.

وقوله: ﴿ادفع بالتى هى أحسن﴾ أى: ادفع السيئة بالخلة التى هى أحسن، والخلة هى أحسن الحلم عند الغضب، والعفو عند القدرة، والصبر عند البلاء، وما أشبه ذلك.

وفى الآية قول آخر: أن معنى قوله: ﴿ادفع بالتى هى أحسن﴾ أى: بالسلام، قاله مجاهد. ومعناه: أنه يسلم على من يؤذيه، ولايقابله بالأذى، وعن ابن عباس: أن معنى قوله تعالى: ﴿ادفع بالتى هى أحسن﴾ هو أنه إذا أذاك إنسان وشتمك ونسبك إلى القبيح تقول له: إن كنت صادقًا فغفر الله لى، وإن كنت كاذبًا فغفر الله لك.

وقوله: ﴿فإذا الذى بينك وبينه عداوة﴾ هذا فى الحلم عند الغضب، والعفو عند القدرة.

وقوله: ﴿كأنه ولى حميم﴾ أى: صديق قريب، فالولى هو الصديق، والحميم هو القريب.

وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ

قوله تعالى ﴿ ومايلقاها إلا الذين صبروا ﴾ أى : وما يؤتى هذه الخصلة، وهى دفع السيئة بالحسنة إلا الذين صبروا أى : صبروا على أوامر الله.

وقوله ﴿ ومايلقاها إلا ذو خط عظيم ﴾ أى : ذو نصيب وافر من الدين. ويقال : ومايلقاها أى : ومايؤتى الجنة إلا ذو حظ عظيم أى : نصيب وافر. وقيل : ذو جد عظيم، والجد هو البخت.

قوله تعالى ﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ ﴾ أى : غضب. وفى بعض الأخبار : أن الغضب جمرة فى الإنسان يوقد فيها الشيطان. ويقال : نزغ أى : (وسوسة)[1].

وقوله ﴿ فاستعذ بالله ﴾ أى : اعتصم بالله. وقد روينا أن النبى ﷺ كان يقول : « أعوذ بالله من الشيطان من همزة ونفثه ونفخه »[2].

وقوله : ﴿ إنه هو السميع العليم ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى : ﴿ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ﴾ فالآية فى الليل والنهار فى زيادتها ونقصانها، والآية فى الشمس والقمر فى دورانهما على حساب معلوم.

وقوله : ﴿ لاتسجدوا للشمس ولا للقمر ﴾ قال عكرمة : الشمس مثل الدنيا وثلثها، والقمر مثل الدنيا مرة واحدة. وعن بعضهم قال : الشمس طولها ثمانون فرسخًا، وعرضها ستون فرسخًا، والله أعلم.

وقوله : ﴿ واسجدوا لله الذى خلقهن إن كنتم إياه تعبدون ﴾ أى : توحدون.

قوله تعالى : ﴿ فإن استكبروا ﴾ أى : تكبروا.

---

(١) فى « ك » : وسوسته.

(٢) تقدم تخريجه.

إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي

وقوله: ﴿فالذين عند ربك﴾ أى: الملائكة.

﴿يسبحون له بالليل والنهار وهم لايسأمون﴾ أى: لايملون. وعن كعب الأحبار أنه قال: التسبيح للملائكة كالنَّفَس والطرف لبنى آدم، فكما لايلحق الآدمى تعب فى الطرف والنفس، فكذلك لايلحقهم التعب بالتسبيح.

قوله تعالى: ﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة﴾ أى: هامدة متهشمة ميتة ليس عليها شىء.

وقوله: ﴿فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت﴾ أى: تحركت للنبات.

وقوله: ﴿وربت﴾ أى: ارتفع النبات. والقول الثانى: أن هذا على التقديم والتأخير، ومعناه: ربت واهتزت، أى: ربت الأرض بخروج النبات منها، واهتزت أى: تحركت.

وقوله: ﴿إن الذى أحياها﴾ أى: أحيا الأرض الميتة ﴿لمحى الموتى﴾ أى: فى القيامة.

وقوله: ﴿إنه على كل شىء قدير﴾ أى: قادر.

قوله تعالى: ﴿إن الذين يلحدون فى آياتنا﴾ أى: يميلون إلى الجحد و[التكذيب][(١)] فى آياتنا. وكل من مال من الحق إلى الباطل، ومن التوحيد إلى الشرك فهو ملحد.

وقوله: ﴿لايخفون علينا﴾ أى: لايخفى كفرهم علينا.

قوله: ﴿أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى[(٢)] آمنا يوم القيامة﴾ فيه أقوال: أحدها: أن الذى يلقى فى النار هو أبو جهل، والذى يأتى آمنا هو عمار، قاله عكرمة وغيره.

(١) فى الأصل: التذكيب، وما أثبتناه من «ك».

(٢) فى «الأصل»: يأتيه، وهو سبق قلم.

آيَاتِنَا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَا يُقَالُ

والقول الثانى : أن من يلقى فى النار هو أبو جهل، ومن يأتى آمنا هو حمزة بن عبد المطلب .

والقول الثالث : أن من يلقى فى النار هو كل كافر، والذى يأتى آمنا هو الرسول ﷺ . ويقال : كل مؤمن قد أمن من الخلود فى النار . ويقال : من يلقى فى النار هم الذين يبغضون آل النبى ﷺ ، ومن يأتى آمنًا هم الذين يحبونهم، وقيل : هذا فى الصحابة . والله أعلم .

وقوله : ﴿ اعملوا ماشئتم ﴾ هذا على طريق التهديد والوعيد . ومعناه : اعملوا ماشئتم فستقدمون عليه .

وقوله : ﴿ إنه بما تعملون بصير ﴾ ظاهر المعنى .

قوله تعالى : ﴿ إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم ﴾ أى : بالقرآن، وفيه حذف، والمحذوف، سيجازون على ذلك .

وقوله : ﴿ وإنه لكتاب عزيز ﴾ أى : كريم على الله . ويقال : كتاب أعزه الله .

وقوله : ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾ فيه قولان : أحدهما : لايأتيه التكذيب من الكتب المتقدمة، ولا يأتيه من بعده كتاب ينسخه ويرفعه، والقول الثانى : أن الباطل هو إبليس عليه اللعنة، ومعناه : أنه لايأتيه بزيادة ولانقصان أى : لاسلطان له عليه بواحدة منهما .

وقوله : ﴿ تنزيل من حكيم حميد ﴾ أى : حكيم فى فعله، محمود فى قوله .

قوله تعالى : ﴿ مايقال لك إلا ماقد قيل للرسل من قبلك ﴾ هذا على طريق التعزية والتسلية للنبى ﷺ ، فإن الكفار كانوا يقولون : إنه كافر وساحر وشاعر ومجنون، فقال

لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ

تعالى معزيًا ومسليًا له: ﴿مايقال لك إلا ماقد قيل للرسل من قبلك﴾ أى: لست بأول من قيل له هذا، فقد نسب الأنبياء من قبلك إلى هذه الأشياء. وقد تم الكلام على هذا ثم قال: ﴿وإن ربك لذو مغفرة﴾ أى: لذنوب العباد، لمن أراد أن يغفر له.

وقوله: ﴿وذو عقاب أليم﴾ أى: لمن أراد أن لايغفر له.

وفى قوله: ﴿لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾ قول آخر: وهو أن معناه: لايأتيه الباطل قبل تمام نزوله فهو من بين يديه.

قوله: ﴿من بين يديه﴾ أى: قبل النزول، فإن الرسل بشرت بالقرآن، فلا يأتيه ما يدحضه ويبطله ﴿ولامن خلفه﴾ أى: بعد النزول، ومعناه: أنه لا يأتيه كتاب ينسخه.

قوله تعالى: ﴿ولو جعلناه قرآنًا أعجميا﴾ أى: بلسان العجم. ويقال: أعجميا أى: غير مبين، قاله المفضل، والأول هو المشهور.

وقوله: ﴿لقالوا لولا فصلت آياته﴾ أى: بينت آياته ﴿أأعجمى وعربى﴾ معناه: أقرآن أعجمى، ورسول عربى؟.

وقرأ ابن عباس والحسن: «لولا فصلت آياته عجمى وعربى» لا على وجه الاستفهام أى: هلا جعل بعض آياته عجميا، وبعض آياته عربيا، والمختار هى القراءة الأولى على المعنى الأول. والأعجمى كل من فى لسانه عجمة، وإن كان عربياً، ومنه زيادة الأعجمى الشاعر .والعجمى هو الواحد من العجم، والأعرابى كل من يسكن البدو، والعربى الواحد من العرب، قال الشاعر:

ولم أر مثلى هاجه صوت مثلها ... ولا عربيا هاجه صوت أعجما.

ويقال: إن الآية نزلت فى يسار بن فكيهة غلام ابن الحضرمى، وكان يدخل على رسول الله ﷺ، وكان يهوديا قد قرأ الكتب، فقالوا: علم محمداً يسارُ أبو فكيهة،

قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلا كَلِمَةٌ

فقال أبو فكيهة : لا ، بل أنا أتعلم منه ، وهو يعلمنى .

وقوله : ﴿ قل هو للذين آمنوا ﴾ أى : القرآن ﴿ هدى وشفاء ﴾ أى : هدى للأبصار ، وشفاء للقلوب .

وقوله : ﴿ والذين لايؤمنون فى آذانهم وقر ﴾ أى : ثقل وصمم ، كأنه جعلهم بمنزلة الصم حين لم يسمعوا سماع قابل .

وقوله : ﴿ وهو عليهم عمى ﴾ قال الفراء : عموا وصموا على القرآن حيث لم ينتفعوا به . وقيل : عميت أبصارهم عن القرآن ، فالقرآن عليهم بمنزله العمى .

وقوله : ﴿ أولئك ينادون من مكان بعيد ﴾ أى : بعيد من قلوبهم ، حكى هذا عن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، ويقال : ينادون من مكان بعيد أى : السماء ، قال الفراء : تقول العرب لمن لايفهم القول : إنه يأخذه من مكان بعيد ، وإذا كان يفهم يقولون : إنه يأخذه من مكان قريب .

وذكر بعض النحويين أن قوله : ﴿ أولئك ينادون من مكان بعيد ﴾ جواب لقوله تعالى : ﴿ إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم ﴾ والذى ذكرنا أن الجواب محذوف هو الأولى ، وقد بينا . أورده النحاس (١) .

قوله تعالى : ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ﴾ الكتاب هو التوراة ، والاختلاف فيه أنه آمن به بعضهم وكفر بعضهم .

وقوله : ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك ﴾ أى : تأخير القيامة إلى أجل معلوم عنده . وعن عطاء قال : الكلمة التى سبقت من ربه هى أن آدم - صلوات الله عليه - لما عطس ألهمه الله تعالى حتى قال : الحمد لله ، فقال الله تعالى : يرحمك ربك . فهى الكلمة التى سبقت من الله .

(١) فى «ك» : الضحاك .

سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي

وقوله: ﴿لقضى بينهم﴾ أى: لعجل لهم العذاب.

وقوله: ﴿وإنهم لفى شك منه مريب﴾ أى: مرتاب.

قوله: ﴿من عمل صالحًا فلنفسه﴾ أى: نفع ذلك عائد إلى نفسه.

وقوله: ﴿ومن أساء فعليها﴾ أى: وبال ذلك راجع إليه.

وقوله: ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾ لأن مايفعله يكون عدلا، ولايكون ظلمًا. ويقال: معنى قوله: ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾ أى: لايعاقب أحدًا من غير جرم.

قوله تعالى: ﴿إليه يرد علم الساعة﴾ معناه: إلى الله يرد علم الساعة، وهذا على العموم، فإن كل من سئل عن الساعة يقول: الله أعلم.

وقوله: ﴿وماتخرج من ثمرة من أكمامها﴾ أى: من أوعيتها وغلفها، والكم: غلافها، ويقال: هو جف الطلع.

وقوله: ﴿وماتحمل من أنثى ولاتضع إلا بعمله﴾ أى: يعلم مدة الحمل، ويعلم وقت وضعه.

وقوله: ﴿ويوم يناديهم﴾ يعنى: ينادى الكفار ﴿أين شركائى﴾ على زعمكم؟

وفى التفسير: أن الله تعالى يقول: أين الملوك؟ أين الجبابرة؟ أين الآلهة؟ أنا الرب، لارب غيرى، أنا الله، لا إله غيرى، أنا الملك، لاملك غيرى.

وقوله: ﴿قالوا آذناك﴾ أى: أعلمناك، ومنه أُخِذَ الأذن والآذان والمؤذن. وهذا من قول الآلهة.

قال الفراء وغيره: ومعناه: أن الآلهة تقول: آذناك أى: أعلمناك يارب تكذيبهم وكفرهم ﴿مامنا من شهيد﴾ أى: ليس منا أحد يشهد أن قولهم حق، وزعمهم صحيح.

قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لا يَسْأَمُ الإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن

وقوله: ﴿وضل عنهم﴾ أى: بطل عنهم وفات عنهم ﴿ماكانوا يدعون من قبل﴾.

قوله: ﴿وظنوا مالهم من محيص﴾ أى: أيقنوا مالهم من ملجأ ومهرب.

قوله تعالى: ﴿لايسأم الإنسان من دعاء الخير﴾ أى: من دعاء المال. ويقال: هو الغنى بعد الفقر، والعافية بعد السقم. وقيل: إن الآية نزلت فى الوليد بن المغيرة كان لايزال يدعو بكثرة المال، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿وجعلت له مالا ممدوداً وبنين شهوداً﴾(١).

وقوله: ﴿وإن مسه الشر﴾ أى: البلاء والفقر والشدة.

وقوله: ﴿فيئوس قنوط﴾ أى: يئوس من الخير، قنوط من الرحمة. وقيل: قنوط أى: سىء الظن بربه، كأنه يقول: لا يكشف الله تعالى ما بى من البلاء والشدة.

قوله تعالى: ﴿ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته﴾ أى: رخاء بعد شدة، وغنى بعد فقر.

وقوله: ﴿ليقولن هذا لى﴾ أى: باجتهادى واستحقاقى.

وقوله: ﴿وما أظن الساعة قائمة﴾ أى: آتية.

وقوله: ﴿ولئن رجعت إلى ربى﴾ أى: رددت.

وقوله: ﴿إن لى عنده للحسنى﴾ أى: للخير الكثير.

قال بعض أهل العلم: الكافر بين مُنْيَتَيْنِ باطلتين فى الدنيا والآخرة، أما فى الدنيا يقول: لئن رجعت إلى ربى إن لى عنده للحسنى، وأما فى الآخرة يقول حين رأى ما

(١) المدثر: ١٢-١٣.

رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي

قدمت يداه: يا ليتنى كنت ترابًا. وفى تفسير النقاش: أن الآية نزلت فى شأن عقبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن المغيرة وأبى بن خلف وأمية بن خلف وغيرهم، وقد كانوا يمنون أنفسهم الأباطيل.

وقوله: ﴿ فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ﴾ هذا على طريق التهديد والوعيد.

وقوله: ﴿ ولنذيقنهم من عذاب غليظ ﴾ أى: شديد.

قوله تعالى: ﴿ وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونآى بجانبه ﴾ وقرئ: «وناء بجانبه» ومعنى: «نآى بجانبه»: تباعد بجانبه.

وقوله: ﴿ وإذا مسه الشر ﴾ أى: الشدة والبلاء.

وقوله: ﴿ فذو دعاء عريض ﴾ أى: كثير. قال النقاش: والآية فى الذين سبق ذكرهم. وعن بعض أهل العلم أنه قال: رب عبد يعرف الله فى الرخاء، ولايعرفه فى الشدة، ورب عبد يعرف الله فى الشدة، ولايعرفه فى الرخاء. والمؤمن من يعرفه فى الرخاء والشدة جميعًا. وفى الخبر المعروف أن النبى ﷺ قال لابن عباس: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله فى الرخاء، يعرفك فى الشدة، إذا سألت فأسال الله، وإذا استعنت فاستعن بالله....»[1]. الخبر إلى آخره.

قوله تعالى: ﴿ قل أرأيتم إن كان من عند الله ﴾ معناه: قل يأيها الكفار أرأيتم إن كان من عند الله؟ أى: القرآن.

وقوله: ﴿ ثم كفرتم به ﴾ أى: بالقرآن.

وقوله: ﴿ من أضل ممن هو فى شقاق بعيد ﴾ أى: فى عناد للحق كبير، والمعنى: أنكم أيها الكافرون فى الشقاق والضلال.

قوله تعالى: ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم ﴾ الآيات فى الآفاق آيات

(١) تقدم تخريجه.

شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾

السموات والأرضين، وذلك من رفع السماء، وخلق الكواكب، ودوران الفلك، وإضاءة الشمس والقمر، وما أشبه ذلك، وكذلك بسط الأرض، ونصب الجبال، وتفجير الأنهار، وغرس الأشجار، إلى ما لايحصى.

وقوله: ﴿وفى أنفسهم﴾ أى: من السمع والبصر، وخلق سائر الجوارح وجميع الحواس. وفى بعض التفاسير: أن من الآيات فى النفس دخول الطعام والشراب من مكان واحد، وخروجه من مكانين. وقيل: دخول الأطعمة على ألوان كثيرة، وخروجها على لون واحد. وقال السدى: الآيات فى الآفاق هى فتح الأمصار، وفى الأنفس فتح الرسول ﷺ مكة. ويقال: الآيات فى الآفاق هى الفتوح التى كانت بعد الرسول، وفى أنفسهم هى التى كانت فى زمان الرسول. وقيل: الآيات فى الآفاق ما أخبر من الأمم المتقدمة وما نزل بهم، والآيات فى الأنفس هى ما أنذرهم من الوعيد والعذاب. وقال مجاهد: الآيات فى الآفاق هو إمساك المطر من السماء. والآيات فى الأنفس هى البلايا فى الأجساد.

وقوله: ﴿حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ يعنى: أن الرسول حق. وقيل: القرآن حق.

وقوله: ﴿أولم يكف بربك﴾ يعنى: أولم يكفك يا محمد من ربك [أنه](١) على كل شىء شهيد. وقيل معناه: أو ليس فى شهادة ربك كفاية. وقيل: أو ليس فى الدلائل التى أقامها على التوحيد كفاية.

وقوله: ﴿إنه على كل شىء شهيد﴾ أى: لأنه على كل شىء شهيد، أو بأنه على كل شىء شهيد.

قوله تعالى: ﴿ألا إنهم فى مرية من لقاء ربهم﴾ أى: فى شك من البعث والنشور.

وقوله: ﴿ألا إنه بكل شىء محيط﴾ أى: محيط علمه بجميع ذلك. تمت السورة.

(١) من «ك».

بسم الله الرحمن الرحيم

حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ

تفسير سورة حم عسق

وهى مكية

(قال مقاتل)[١] : إلا قوله تعالى : ﴿ ذلك الذى يبشر الله عباده الذين آمنوا ﴾[٢] الآية، وكذلك قوله تعالى : ﴿ والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون ﴾[٣].

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى : ﴿ حم عسق ﴾ حكى عكرمة عن ابن عباس : أن الر، وحم، ونون نظم قوله الرحمن، وعن الحسن وقتادة : أنه اسم من أسماء القرآن. وعن محمد بن كعب القرظى : الحاء من الحليم والميم من الملك، والعين من العالم، والسين من القدوس، والقاف من القادر، وعن بعضهم : أن هذا قسم فكأنه أقسم بحلمه وملكه وعلمه وسنائه وقدرته، وحكى الضحاك عن ابن عباس : أن «حم عسق» اسم الله الأعظم، وقرأ ابن مسعود وابن عباس : «حم سق» بغير العين، وعن حذيفة - رضى الله عنه - قال : معناه مضى عذاب سيكون واقعًا. وقيل : إن الحاء إشارة إلى حرب سيكون، والميم انتقال ملك من قوم إلى قوم، والعين عدو يغلب العرب، ثم الدولة تكون للعرب، والسين هو [سنو][٤] المجاعة، والقاف قدرة الله النافذة فى ملوك الأرض. وفى تفسير النقاش : أن حروف الهجاء التى فى أول هذه السورة إشارة إلى فتن تكون فى هذه الأمة، قال : وبها كان على - رضى الله عنه - يعلمها ويقضى بها. وقوله : ﴿ كذلك ﴾ فى التفسير : أن «حم عسق» أوحى إلى كل نبى من الأنبياء.

وقوله : ﴿ كذلك يوحى إليك ﴾ أى : كما أوحى الله تعالى إلى الأنبياء هذه

(١) ليس فى «ك».

(٢) الشورى : ٢٣.

(٣) الشورى : ٣٩.

(٤) فى «الأصل، ك» : سنى، والصواب ما أثبتناه.

وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الأَرْضِ أَلا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾

الكلمات، كذلك يوحيها إليك. ويقال: المراد منه الوحى على الجملة.

وقوله: ﴿ وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم ﴾ يعنى: أن الله تعالى يوحى إليك وإلى الذين من قبلك وهو العزيز الحكيم أى: من صفته العزة والحكمة، ومعناه: عزيز فى نصرته، حكيم فى فعله، وقرئ: «كذلك نوحى إليك» بالنون، ومعناه معلوم.

قوله تعالى: ﴿ له ما فى السموات وما فى الأرض وهو العلى العظيم ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ تكاد السموات يتفطرن ﴾ وقرئ: «ينفطرن» ومعناه: يتشققن.

وقوله: ﴿ من فوقهن ﴾ أى: من فوق الأرضين، وانفطارها لعظيم ما جاء به الكفار. وقيل: خوفًا من الله تعالى. ويقال: هيبة وإجلالا. وقيل: لعظمة الله تعالى.

وقوله: ﴿ والملائكة يسبحون بحمد ربهم ﴾ أى: يصلون بحمد ربهم، ويقال: ينزهون ربهم.

وقوله: ﴿ ويستغفرون لمن فى الأرض ﴾ معناه: للمؤمنين الذين فى الأرض، وهذا محكى عن ابن عباس، واللفظ عام أريد به الخاص، وقيل: إن الذين يستغفرون للمؤمنين حملة العرش خاصة على ما ذكر تعالى فى سورة المؤمن. وقيل: هم جميع الملائكة. وفى التفسير: أن استغفارهم لمن فى الأرض من الوقت الذى افتتن هاروت وماروت بالمرأة التى تسمى زهرة، وفعلا ما فعلا، واختارا عذاب الدنيا، وقد كانت الملائكة من قبل يدعون على العصاة، فمن ذلك الوقت كانوا يستغفرون للعصاة من المؤمنين.

وقوله: ﴿ ألا إن الله هو الغفور الرحيم ﴾ أى: الستور لذنوب عباده.

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾

وقوله: ﴿الرحيم﴾ أى: الرحيم بهم.

قوله تعالى: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء﴾ أى: من دون الله أولياء.

وقوله: ﴿الله حفيظ عليهم﴾ أى: شاهد لأعمالهم، حافظ لها؛ ليجازيهم بها.

وقوله: ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ أى: بمسلط، وهذا قبل نزول آية السيف.

قوله تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك﴾ قد بينا من قبل.

وقوله: ﴿لتنذر أم القرى﴾ أى: أهل أم القرى. وهى مكة، وسميت أم القرى؛ لأن الأرض دُحيت من تحتها.

وقوله: ﴿ومن حولها﴾ أى: وتنذر أهل من حولها.

وقوله: ﴿وتنذر يوم الجمع﴾ أى: يوم القيامة، وهو اليوم الذى يجتمع فيه أهل السموات وأهل الأرض، وقيل: يجتمع فيه الأولون والآخرون. ومعناه: لتنذر بيوم الجمع.

وقوله: ﴿لا ريب فيه﴾ أى: لا شك فى مجيئه.

وقوله: ﴿فريق فى الجنة وفريق فى السعير﴾ روى عبد الله بن عمرو بن العاص: أن النبى ﷺ خرج يومًا وفى يده كتابان، ثم قال لأصحابه: «هل تدرون ما فيهما؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال للكتاب الذى فى يمينه: هذا كتاب فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم، قد أجمل على آخرهم لا يزداد فيهم ولا ينقص، وقال للكتاب الذى فى شماله: هذا كتاب فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم، قد أجمل على آخرهم، لا يزاد فيهم ولا ينقص، قالوا: ففيم نعمل إذًا؟ قال: اعملوا، فمن كان من أهل الجنة يختم له بعمل أهل الجنة، ومن كان من أهل النار يختم له بعمل أهل النار، وإن عمل

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي

أى عمل، ثم قال: فرغ ربكم من خلقه، فريق فى الجنة، وفريق فى السعير»(١).

وفى التفسير: أنهم يتفرقون فى الجنة والسعير فلا يجتمعون أبداً.

قوله تعالى: ﴿ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة﴾ أى: أهل دين واحد.

وقوله ﴿ولكن يدخل من يشاء فى رحمته﴾ أى: يدخل من يشاء فى الإسلام.

وقوله: ﴿والظالمون ما لهم من ولى ولا نصير﴾ أى: ولى يشفع لهم، وولى ينصرهم من العذاب.

قوله تعالى: ﴿أم اتخذوا من دونه أولياء﴾ أى: بل اتخذوا من دون الله أولياء.

وقوله: ﴿فالله هو الولى﴾ أى: هو المتولى للأشياء.

وقوله: ﴿وهو يحيى الموتى وهو على كل شىء قدير﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه إلى الله﴾ استدل من منع القياس فى الحوادث بهذه الآية، قال: الحكم إلى الله لا إلى رأى الرجال، وكذلك كان الخوارج يقولون: لا حكم إلا لله، وأنكروا الحَكَمَيْنِ، وهذا الاستدلال فاسد؛ لأن عندنا من قال بالقياس والاجتهاد فهو رجوع إلى الله فى حكمه، فإن أصول المقايسات هى: الكتاب، والسنة.

---

(١) رواه الترمذى (٤/ ٣٩١ رقم ٢١٤١)، وقال: حسن غريب صحيح، والنسائى فى الكبرى (٦/ ٤٥٢ - ٤٥٣ رقم ١١٤٧٣)، وأحمد (٢/ ١٦٧)، وابن جرير (٢٥/ ٧)، والطبرانى فى الكبير (١٣/ ١٤-١٥ رقم ١٧)، وابن أبى عاصم (١/ ١٥٤-١٥٥ رقم ٣٤٨)، والآجرى فى الشريعة (١٧٣-١٧٤)، وأبو نعيم فى الحلية (٥/ ١٦٨، ١٦٩)، وابن بطة فى الإبانة (٣/ ١/ ٣٠٥ - ٣٠٦ رقم ١٣٢٧)، والبغوى فى تفسيره (٤/ ١٢٠ - ١٢١) وزاد السيوطى فى الدر (٦/ ٤): ابن المنذر وابن مردويه جميعهم عن عبد الله بن عمرو به.

عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ

وقوله: ﴿ذلكم الله ربى عليه توكلت وإليه أنيب﴾ أى: به وثقت، وإليه أرجع فى أمورى.

قوله تعالى: ﴿فاطر السموات والأرض﴾ أى: خالق السموات والأرض.

قوله: ﴿جعل لكم من أنفسكم أزواجًا﴾ أى: النساء، وقيل: «من أنفسكم أزواجًا» أى: أصنافًا، ذكورًا، وإناثًا.

وقوله: ﴿ومن الأنعام أزواجاً﴾ أى: أصنافًا ذكوراً وإناثًا.

وقوله: ﴿يذرؤكم فيه﴾ قال الفراء: أى: يكثركم به، وقال مجاهد: نسلا من بعد نسل من الناس والبهائم إلى قيام الساعة. وفى الآية قول آخر: وهو أن معنى قوله: ﴿يذرؤكم فيه﴾ أى: يخلقكم فى هذا الوجه الذى ذكره.

وقوله: ﴿ليس كمثله شيء﴾ قال ثعلب: ليس كهو شيء، وزعم كثير من النحويين أن الكاف هاهنا زائدة، ومعناه: ليس مثله شيء، وزعم بعضهم: أن لغة تهامة أنهم يقولون: أنا كمثلك أو أنت كمثلى أى: أنت مثلى وأنا مثلك. وقال أهل المعانى: ولا يستقيم قول من يقول: ليس كمثله شيء أى: ليس كمثله مثل؛ لأن فى هذا (إثبات)[1] المثل، والله تعالى لا يوصف بالمثل، جل وتعالى عن ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وهو السميع البصير﴾ ظاهر المعنى، وأنشدوا على القول الأول:

سعد بن زيد إذا أبصرت فضلهم ... ما إن كمثلهم فى الناس من أحد

قوله تعالى: ﴿له مقاليد السموات والأرض﴾ فى المقاليد قولان: أحدهما: أنها فارسية، وهى الأكاليد واحدها إكليد. والقول الثانى: وهو الأصح أنها عربية، قال الشاعر فى المقاليد:

(١) فى «ك»: إتيان.

السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ

فتى لو تنادى الشمس ألقت قناعها   أو القمـــر الســـارى لألقى المقالد

واختلف القول فى معنى المقاليد، قال بعضهم: مقاليد السموات هى الأمطار، ومقاليد الأرض هى أنواع النبات. وقيل: مقاليد السموات والأرض هى العيون فيها. وقيل: ما يحدثه بمشيئته. وفى بعض الأخبار عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال فى مقاليد السموات والأرض: «لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله وبحمده، واستغفر الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، بيده الخير يحيى ويميت، وهو على كل شىء قدير، فمن قالها عصم من إبليس وجنوده»(١).

وقوله: ﴿يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ أى: يوسع الرزق على من يشاء، ويضيق على من يشاء.

وقوله: ﴿إنه بكل شىء عليم﴾ أى: عالم.

قوله تعالى: ﴿شرع لكم من الدين﴾ أى: بين لكم من الدين، والشرع هو البيان، ويقال: أظهر لكم وأمركم.

وقوله: ﴿ما وصى به نوحًا﴾ أى: أمر به نوحًا، ويقال: إن نوحًا - عليه السلام - أول من جاء بتحريم الأمهات والأخوات والبنات.

وقوله: ﴿والذى أوحينا إليك﴾ أى: وشرع الذى أوحينا إليك.

وقوله: ﴿وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى﴾ أى: وما أمرنا به إبراهيم وموسى وعيسى.

وقوله: ﴿أن أقيموا الدين﴾ أى: اثبتوا على التوحيد، وقيل: أقيموا الدين أى: استقيموا على الدين. ويقال: أقيموا الدين هو فعل الطاعات وامتثال الأوامر.

(١) تقدم تخريجه فى تفسير سورة الزمر.

أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَلِكَ فَادْعُ

وقوله: ﴿ولا تتفرقوا فيه﴾ أى: كما تفرقت اليهود والنصارى أى: آمنوا بالبعض وكفروا بالبعض.

وقوله: ﴿كبر على المشركين ما تدعوهم إليه﴾ أى: عظم عند المشركين ما تدعوهم إليه من التوحيد، وهو معنى قوله تعالى ﴿أجعل الآلهة إلهًا واحداً إن هذا لشىء عجاب﴾(١).

وقوله: ﴿الله يجتبى إليه من يشاء﴾ أى: يستخلص لدينه من يشاء.

وقوله: ﴿ويهدى إليه من ينيب﴾ أى: يرشد إلى الرجوع إليه من اختار الرشد والإنابة.

قوله تعالى: ﴿وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيًا بينهم﴾ يعنى: اليهود والنصارى، وقوله: ﴿بغيًا بينهم﴾ أى: حسداً بينهم.

وقوله: ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ قال أهل التفسير: الكلمة التى سبقت من الله قوله تعالى: ﴿بل الساعة موعدهم﴾(٢).

وقوله: ﴿إلى أجل مسمى لقضى بينهم﴾ أى: لفصل بينهم الأمر فى الحال ﴿وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم﴾ أى: من الذين تقدموا، وقوله: ﴿أورثوا﴾ أى: أعطوا.

وقوله: ﴿لفى شك منه مريب﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿فلذلك فادع﴾ أى: فإلى هذا فادع، وهو التوحيد، وذكر النحاس: أن فى الآية تقديمًا وتأخيراً، ومعناه: كبر على المشركين ما تدعوهم إليه فلذلك فادع [أى]:(٣) إلى ذلك فادع، وقد تذكر اللام بمعنى إلى، قال الشاعر:

---

(١) ص: ٥. (٢) القمر: ٤٦. (٣) زيادة من عندنا ليستقيم السياق.

وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ

أوحى لها القرار فاستقرت

أى: أوحى إليها.

وقوله: ﴿واستقم كما أمرت﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿ولا تتبع أهواءهم﴾ أى: أهواء الكفار.

وقوله: ﴿وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب﴾ أى: التوراة والإنجيل والقرآن وسائر الكتب.

وقوله: ﴿وأمرت لأعدل بينكم﴾ أى: لأقضى بينكم بالعدل.

وقوله: ﴿الله ربنا وربكم﴾ أى: خالقنا وخالقكم.

وقوله: ﴿لنا أعمالنا ولكم أعمالكم﴾ أى: لنا جزاء أعمالنا، ولكم جزاء أعمالكم.

وقوله: ﴿لا حجة بيننا وبينكم﴾ أى: لا محاجة بيننا وبينكم، وقد كان من حجتهم أنهم قالوا: نبينا قبل نبيكم، وكتابنا قبل كتابكم، ومعنى قوله: ﴿لا حجة بيننا وبينكم﴾ أى: لا (حجة)[1] لكم؛ لأن الله تعالى قد أدحض حجتكم، وإذا أدحض حجتهم لا تبقى بينهم وبين المؤمنين محاجة.

وقوله: ﴿الله يجمع بيننا﴾ يعنى: يوم القيامة.

وقوله: ﴿وإليه المصير﴾ أى: وإليه المرجع.

قوله تعالى: ﴿والذين يحاجون فى الله﴾ أى: يخاصمون فى الله، وقد بينا حجتهم التى تعلقوا بها، والمخاصمة فى الله أنهم كانوا يقولون: نحن أولى بالله منكم، وهو معنى قوله تعالى: ﴿هذان خصمان اختصموا فى ربهم﴾[2].

(١) فى «ك»: محاجة.

(٢) الحج: ١٩.

مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾

وقوله: ﴿من بعد ما استجيب له﴾ أى: من بعد ما استجاب المؤمنون للرسول ﷺ.

وقوله: ﴿حجتهم داحضة﴾ أى: باطلة.

وقوله: ﴿عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد﴾ قد بينا من قبل. فإن قيل: قد قال: من بعد ما استجيب له، فأى معنى لاستجابة الناس له فى هذا المحل، وحجتهم داحضة سواء استجاب له الناس أو لم يستجيبوا له؟ والجواب: أن الكفار ظنوا أن أمر محمد سيزول عن قريب، ويعود الأمر إلى ما هم عليه، وأن الناس لا يستجيبون له ولا يدخلون فى دينه، فذكر من بعد ما استجيب له أى: قد استجابه الناس، وبطل ظنكم أن أمره يزول عن قريب، وهذا أحسن فائدة. وفيه قول آخر: أن قوله: ﴿من بعد ما استجيب له﴾ أى: من بعد ما استجاب الله بما طلب من إظهار المعجزات عليه. وعن بعضهم: أن المحاجة بالباطل هى نصرة الاعتقاد الفاسد، ثم نصرة الاعتقاد الفاسد تكون على وجهين: بإيراد شبهة، وبمدافعة حجة من غير حجة.

قوله تعالى: ﴿الله الذى أنزل الكتاب بالحق﴾ أى: أنزل القرآن بالأمر والنهى والثواب والعقاب.

وقوله ﴿والميزان﴾ أى: العدل، وسمى العدل ميزانًا؛ لأن الميزان يكون (مناصف)(١) الناس فيما بينهم، وقيل: هو الميزان نفسه، ومعنى الإنزال: أن الله تعالى أنزل الحديد من السماء، ومن الحديد لسان الميزان وصنجاته.

وقوله ﴿وما يدريك لعل الساعة قريب﴾ فإن قيل: لِمَ لمْ يقل قريبة، والساعة مؤنثة؟ والجواب: أن تأنيث الساعة ليس بحقيقى؛ لأنها بمعنى الزمان والوقت، ويجوز أن تكون الساعة بمعنى البعث والنشور، فتكون الكتابة راجعة إلى المعنى.

(١) فى «ك»: بناصف.

يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ

وقوله: ﴿يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها﴾ فى التفسير: أن الكفار كانوا يأتون النبى ﷺ ويسألونه عن الساعة متى تكون؟ ويقولون: هلا سألت ربك أن يقيمها الآن؟ وكان بعضهم يقول: اللهم من كان منا على الباطل فأقم عليه القيامة الساعة؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقوله: ﴿يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها﴾ وكان استعجالهم بها على طريق الاستبعاد لقيامها تكذيبًا بها.

قوله: ﴿والذين آمنوا مشفقون منها﴾ أى: خائفون وجلون منها، وخوفهم من المحاسبة الموعودة والجزاء الواقع على الأعمال.

وقوله: ﴿ويعلمون أنها الحق﴾ أى: أنها قائمة لا محالة.

وقوله: ﴿ألا إن الذين يمارون فى الساعة﴾ أى: يشكون فيها، وقيل: يختلفون فيها اختلاف الشاكين.

وقوله: ﴿لفى ضلال بعيد﴾ أى: فى خطأ طويل.

قوله تعالى: ﴿الله لطيف بعباده﴾ أى: بار حفىٌّ رحيم بهم، ويقال: معنى اللطيف هاهنا الرزاق أى: لا يهلكهم جوعًا بل يرزقهم. وقد قال بعض أهل العلم: إن المَعْنِىَّ بعباده فى كل موضع ذكره هم المؤمنون خاصة، والهاء للإضافة، وباء التخصيص توجب هذا وتقتضيه.

وقوله: ﴿ويرزق من يشاء وهو القوى العزيز﴾ أى: القوى فى نصرة المؤمنين، وقيل: فى القدرة على إيصال الرزق إليهم، وقوله: ﴿العزيز﴾ أى: الغالب الذى لا يغالب.

قوله تعالى: ﴿من كان يريد حرث الآخرة﴾ أى: العمل للآخرة، ومنه قول

﴿نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ﴾

عبدالله بن عمرو وقيل: ابن مسعود: احرث لدنياك كأنك تعيش [أبداً](١)، واحرث لآخرتك كأنك تموت غداً.

وقوله: ﴿نزد له فى حرثه﴾ أى: نضاعف له فى الحسنات، وعن قتادة قال: إن الله تعالى يعطى الدنيا بعمل الآخرة، ولا يعطى الآخرة بعمل الدنيا. فهذا قول ثان فى معنى الآية، والقول الثالث: أن معنى الآية: ﴿نزد له فى حرثه﴾ أى: نعنه [ونوفقه](٢) على زيادة الطاعات والاستكثار منها.

وقوله: ﴿ومن كان يريد حرث الدنيا﴾ أى: عمل الدنيا ﴿نؤته منها﴾ أى: على ما نشاء ونريد، على ما قال فى آية أخرى: ﴿من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد﴾(٣) وقيل: نؤته منها بقدر ما قسم له.

وقوله: ﴿وما له فى الآخرة من نصيب﴾ هذا فيمن لم يعمل إلا للدنيا، فأما من عمل للدنيا والآخرة فيجوز أن يؤتيه الله الدنيا والآخرة.

قوله تعالى: ﴿أم لهم شركاء﴾ أى: بل لهم شركاء.

وقوله: ﴿شرعوا لهم من الدين﴾ أى: وضعوا.

وقوله: ﴿ما لم يأذن به الله﴾ أى: لم يأمر به الله.

وقوله: ﴿ولولا كلمة الفصل﴾ أى: ما أخر لهم من العذاب ﴿لقضى بينهم﴾ أى: لفصل الأمر بينهم فى الحال.

وقوله: ﴿وإن الظالمين لهم عذاب أليم﴾ أى: شديد.

قوله تعالى: ﴿ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا﴾ أى: خائفين وَجِلين.

---

(١) زيادة ليست فى «الأصل ولا ك». (٢) فى «ك»: فرزقه. (٣) الإسراء: ١٨.

بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ

وقوله: ﴿وهو واقع بهم﴾ ومعناه: أن العذاب الذى يخافونه نازل بهم، وهذا يوم القيامة.

وقوله: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات﴾ أى: البساتين.

وقوله: ﴿لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير﴾ أى: العظيم.

قوله تعالى: ﴿ذلك الذى يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أى: هذا الذى يبشر الله عباده.

وقوله: ﴿قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة فى القربى﴾ فيه أربعة أقاويل: أظهرها وأشهرها أن معناه: لا أسألكم إلا أن تودونى لقرابتى منكم. وقيل: تصلوا القرابة التى بينى وبينكم بالاستجابة لى إلى ما أدعوا إليه، وتكفوا عنى أذاكم، وهذا قول ابن عباس أورده البخارى عنه فى الصحيح على لفظ معلوم مقبول، وهو قول طاوس ومجاهد وقتادة، وعامة[1] المفسرين. قال قتادة: كانت قريش تصل الأرحام، فطلب منهم النبى ﷺ أن يصلوا القرابة التى بينه وبينهم، وألا يقطعوها.

وعن ابن عباس قال: ما من بطن من بطون قريش إلا ولرسول الله فيهم قرابة، فسألهم أن يصلوها.

والقول الثانى: ما حكى عن الحسن البصرى أنه قال: ﴿قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة فى القربى﴾ معناه: أن يتوددوا إلى الله بما يقربكم إليه من العمل الصالح.

والقول الثالث: ما حكى عن الضحاك أن الآية منسوخة بقوله: ﴿قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجرى إلا على الله﴾[2] وهذا القول غير مرضى عند أهل

---

(١) فى «ك»: وعليه قول.

(٢) سبأ: ٤٧.

﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾

المعانى؛ لأن قوله: ﴿إلا المودة فى القربى﴾ ليس باستثناء صحيح حتى يكون مخالفًا لقوله: ﴿إن أجرى إلا على الله﴾(١) بل هو استثناء منقطع، ومعناه: قل لا أسألكم عليه أجرًا أى: مالا، وتم الكلام. ومعنى قوله: ﴿إلا المودة فى القربى﴾ لكن صلوا قرابتى بالاستجابة لى أو تكفوا أذاكم عنى.

وفى بعض التفاسير: أن أهل الجاهلية لما علموا جد النبى ﷺ ظنوا أنه يطلب مالا، فجمعوا له شيئًا حسنًا من أموالهم، وقالوا: نعطيك هذا المال، وكف عما أنت عليه، فأنزل الله الآية على المعنى الذى قدمنا.

والقول الرابع: ما روى فى بعض الغرائب من الروايات برواية سعيد بن جبير عن ابن عباس أن معنى قوله: ﴿إلا المودة فى القربى﴾ أن تودوا أقربائى وتحبوهم.

وحكى بعضهم: أن النبى ﷺ سئل عن هذه، وعن معنى القربى فقال: «على وفاطمة وولدهما»(٢)، وهذا أغرب الأقاويل وأضعفها.

وقوله: ﴿ومن يقترف حسنة﴾ أى: يكتسب حسنة أى: طاعة ﴿نزد له فيها حسنًا﴾ أى: نضاعف له الحسنة.

وقوله: ﴿إن الله غفور شكور﴾ أى: غفور للكثير من الذنوب، شكور لليسير فى الطاعات.

---

(١) سبأ: ٤٧.

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير (٣/ ١٤٧ رقم ٢٦٤١، ١١/ ٤٤٤ رقم ١٢٢٥٩)، وابن أبى حاتم كما فى تفسير ابن كثير (٤/ ١١٢)، وابن مردويه (تخريج الكشاف ٣/ ٢٣٥) جميعهم من طريق حسين الأشقر، عن قيس، عن الأعمش، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس مرفوعا به. وقال الحافظ ابن كثير: هذا إسناد ضعيف، فيه مبهم لايعرف، عن شيخ شيعى محترق، وهو حسين الأشقر، ولايقبل خبره فى هذا المحل. وذكر نزول الآية فى المدينة بعيد فإنها مكية، ولم يكن إذ ذاك لفاطمة - رضى الله عنها - أولاد بالكلية، فإنها لم تتزوج بعلىٍّ - رضى الله عنه - إلا بعد بدر من السنة الثانية من الهجرة. وقال الحافظ فى تلخيص تخريج الكشاف: وحسين ضعيف ساقط.

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو

قوله تعالى: ﴿أم يقولون افترى على الله كذبًا﴾ أى: يقول على الله ما لم يقله ولم ينزله.

وقوله: ﴿فإن يشأ الله يختم على قلبك﴾ أى: ينسك القرآن حتى لا تذكر منه حرفًا، قاله قتادة، والقول الثانى: يختم على قلبك أى: يربط بالصبر على أذاهم، وهذا قول معروف أورده الفراء والزجاج وغيرهما.

وقول: ﴿ويمحُ الله الباطل﴾ قيل: هذا ابتداء كلام، ومعناه: ويمحو الله الكفر ويزيله.

وقوله: ﴿ويحق الحق بكلماته﴾ أى: ينصر دينه بالمعجزات التى يظهرها، وقيل: بتحقيق وعده، وقيل: بنصرة رسوله بإظهار دينه على الدين كله.

وقوله: ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ أى: بما فى الصدور.

قوله تعالى: ﴿وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات﴾ أى: الذنوب ﴿ويعلم ما تفعلون﴾ أى: تعملون، وقد ثبت عن النبى ﷺ برواية الزهرى، عن [أبى](١) سلمة، عن أبى هريرة – رضى الله عنه – أنه قال: قال ﷺ: «لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يضل بعيره بفلاة وعليه متاعه وطعامه فيطلبه ولا يجده، ثم ينام نومة فينتبه فإذا هو عند رأسه»(٢). قال الشيخ الإمام: أخبرنا أبو محمد عبد الله ابن أحمد أخبرنا أبو سهل عبد الصمد بن عبد الرحمن الرازى، أخبرنا أبو بكر محمد ابن زكريا العذافرى، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الدبرى، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهرى الخبر.

---

(١) من «ك»، وفى «الأصل»: ابن، وهو تحريف.

(٢) رواه مسلم (١٧/ ٩٤–٩٥رقم٢٦٧٥)، والترمذى (٥/ ٥١١رقم٣٥٣٨) وقال: حسن صحيح غريب، وابن ماجه (٢/ ١٤١٩ رقم ٣٢٤٧)، وأحمد (٢/ ٣١٦، ٥٠٠)، وعبد الرزاق (١١/ ٢٩٧ – ٢٩٨ رقم ٢٠٥٨٧)، وابن حبان فى صحيحه (٢/ ٣٨٧ – ٣٨٨ رقم ٦٢١).

وقال الترمذى: وفى الباب عن ابن مسعود، والنعمان بن بشير، وأنس.. وقد روى نحو هذا عن أبى ذر مرفوعا.

عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ

وعن ابن مسعود – رضى الله عنه – أنه سئل عن رجل زنى بامرأة ثم تزوجها، هل يجوز؟ قال: نعم، وقرأ قوله تعالى: ﴿وهو الذى يقبل التوبة عن عباده...﴾ إلى آخر الآية.

قوله تعالى: ﴿ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أى: يجيب دعاءهم.

وقوله: ﴿ويزيدهم من فضله﴾ أى: الثناء الحسن فى الدنيا، وقيل: الشفاعة فى الآخرة، والمعروف مضاعفة الحسنات.

وقوله: ﴿والكافرون لهم عذاب شديد﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده﴾ أى: وسع عليهم الرزق، وقيل: أعطاهم كل ما يتمنونه.

وقوله: ﴿لبغوا فى الأرض﴾ أى: عصوا وطغوا فى الأرض، والبغى فى الأرض هو العمل فيها بغير حق (وقيل: هو)[1] البَطَر والأَشَر.

وقوله: ﴿ولكن ينزل بقدر ما يشاء﴾ أى: بقدر كما يشاء.

وقوله: ﴿إنه بعباده خبير بصير﴾ أى: خبير بما يصلحهم، بصير بما يفعلونه ويطلبونه.

قوله تعالى: ﴿وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا﴾ أى: أيسوا، وفى بعض الأخبار، أن رجلا أتى النبى ﷺ وقال: يا رسول الله، قد أجدبت الأرض، وقنط الناس، فادع الله ينزل الغيث لنا فقال [له][2]: «ارجع إلى قومك فقد مطرتم». فكان

(١) ليست فى «ك».

(٢) من «ك».

الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾

كما قال(١).

﴿ وينشر رحمته ﴾ أى: بإنزال الغيث.

وقوله: ﴿ وهو الولى الحميد ﴾ أى: المالك لما يفعله، المستحق للحمد فيما ينزله من الغيث.

قوله تعالى: ﴿ ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن المراد به وما بث فى الأرض من دابة، فذكر السماء والأرض، والمراد أحدهما، وهو مثل قوله تعالى: ﴿ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ﴾(٢) وإنما يستخرج من أحدهما، وهو المالح دون العذب.

والقول الثانى: أن قوله: ﴿ وما بث فيهما من دابة ﴾ وهو(٣) على حقيقته، والدابة كل ما يدب، والملائكة مما يدب، قاله مجاهد وغيره.

﴿ وهو على جمعهم إذا يشاء قدير ﴾ أى: قادر.

قوله تعالى: ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ﴾ فإن قال قائل: قد نرى من تصيبه المصيبة بغير ذنب سبق منه، فكيف وجه الآية؟ والجواب من وجوه: أحدها: أن قوله: ﴿ وما أصابكم من مصيبة ﴾ هى الحدود تقام على العاصى ولا تقام إلا على العاصين، وهذا قول حسن.

---

(١) لم أقف عليه مرفوعًا، وقد روى موقوفا على عمر، رواه ابن جرير (٢٥ / ٢٠)، وعبد الرزاق فى تفسيره، والثعلبى (تخريج الكشاف ٣ / ٢٤٠) عن قتادة قال: ذكر لنا أن رجلا أتى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين، قحط المطر، وقنط الناس... فذكره. وزاد فى الدر (٦ / ١٠): عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٢) الرحمن: ٢٢.

(٣) من «ك».

وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ

والثانى: أن قوله ﴿ وما أصابكم من مصيبة ﴾ يراد بها المعاقبة فيما كسبت أيديكم، فعلى هذا يجوز أن يصيب الإنسان مصيبة من غير ذنب ولا كسب إذا لم يرد بها المعاقبة.

والقول الثالث: أن الآية على العموم، ولا يصيب أحداً بلاء وشدة إلا بذنب سبق منه، أو تنبيه لئلا يعمل ذنبًا، أو ليعتبر به ذو ذنب.

وقد روى عن النبى ﷺ [أنه](١) أنه قال: «ما من خَدْش أو عثرة قدم أو اختلاج عِرْق إلا بذنب، وما يغفر الله أكثر»(٢). وعن العلاء بن بدر: ما يصيب أحداً مصيبة إلا بذنب منه، فقيل له: كيف هذا، وقد عميت صغيراً، وما كنت أعمى؟ فقال: بذنب والدى.

تعلق بهذه الآية بعض من يقول بالتناسخ، وقال: إنا نرى البلاء يصيب الأطفال ولم يكن منهم ذنب، فدل أنه سبق منهم ذنوب من قبل وعوقبوا بها.

وتعلق بهذه الآية أيضًا من يقول إن الأطفال لا يألمون أصلا فكذلك البهائم، وإنما صياحهم لأذى قلوب الوالدين.

وكلا القولين باطل، ويجوز عند أهل السنة أن يوجد الله الألم إلى من يشاء من عباده بغير ذنب سبق منه، وكذلك إلى جميع الحيوانات، وأما وجه الآية قد بينا، وكذلك قول من يقول: إن الأطفال لا يألمون باطل؛ لأنه دفع الحس والعيان.

وقوله: ﴿ وما أنتم بمعجزين فى الأرض ﴾ أى: بمعجزين الله فى الأرض، وقد بينا معناه فيما سبق.

---

(١) من «ك».

(٢) رواه الطبرانى فى الصغير (٢/٢١٦ رقم ١٠٥٣)، وأبو نعيم فى تاريخ أصبهان (٢/٢٤٧)، وابن مردويه (تخريج الكشاف ٣/٢٤١)، وابن عساكر (٢٤/٩٠رقم٥٢١٣) جميعهم عن البراء مرفوعا به. وقد روى نحوه عن الحسن وقتادة مرسلا. وفى الباب عن على بن أبى طالب، وأبى موسى، وعمران بن حصين، وانظر الدر (٦/١٠-١١)، وتخريج الكشاف (٣/٢٤٠-٢٤١).

الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾

وقوله: ﴿ وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ ومن آياته الجوار فى البحر كالأعلام ﴾ أى: السفن، وقوله: ﴿ كالأعلام ﴾ أى: كالجبال، قالت الخنساء تمدح أخاها صخراً:

وإن صخـرا لتأتم الهداة به ... كأنه علمٌ فى رأسه نارٌ

أى: جبل.

وقوله: ﴿ إن يشأ يسكن الريح ﴾ معناه: إن يشأ تسكين الريح يسكن الريح، قال قتادة: إن السفن تجرى بالرياح؛ فإذا هبت سارت، وإذا سكنت وقفت.

وقوله: ﴿ فيظللن رواكد على ظهره ﴾ أى: ثوابت على ظهر البحر، ومعناه: الريح إذا سكنت بقيت السفن ثوابت على ظهر البحر، لا تجرى.

قوله: ﴿ إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور ﴾ أى: صبار على البلايا، شكور للنعم، وعن بعضهم: إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور أى: المؤمن؛ لأن المؤمن هو الصبار الشكور، قال مطرف: نعم العبد المؤمن إذا ابتلى صبر، وإذا أعطى شكر. وعن عون بن عبد الله قال: رُبَّ مُنْعَم عليه غير شكور، ومبتلى غير صبور.

قوله تعالى: ﴿ أو يوبقهن بما كسبوا ﴾ أى: يهلك السفن بمن فيها، وقيل: أهل السفن. وقوله: ﴿ بما كسبوا ﴾ أى: بما كسبوا من الذنوب، وقوله: ﴿ أو ﴾ معناه: أو إن يشأ يوبقهن.

وقوله: ﴿ ويعف عن كثير ﴾ أى: يتجاوز عن كثير من الذنوب، وحكى أن شريحاً رؤى وفى يده (قرحة)[1] فقيل له: ما هذا يا أبا أمية؟ فقال: وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير.

(١) في «ك»: جرحة.

وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا

وقوله: ﴿ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا﴾ وقرئ: «ويعلمُ» بضم الميم، فأما القراءة بنصب الميم فبتقدير أن، وأما بالرفع فمعناه وسيعلم الذين يجادلون فى آياتنا.

﴿ما لهم من محيص﴾ أى: ملجأ ومهرب، قاله السدى وغيره.

وقوله: ﴿فما أوتيتم من شىء فمتاع الحياة الدنيا﴾ أى: منفعة الحياة الدنيا.

وقوله: ﴿وما عند الله خير وأبقى﴾ أى: الجنة خير وأدوم.

وقوله: ﴿للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿والذين يجتنبون كبائر الإثم﴾ وقرئ: «كبير الإثم»، وقد بينا تفسير الكبائر من قبل.

وفى التفسير: أن قتل النفس، وقذف المحصنات، والإشراك بالله، وعقوق الوالدين والفرار من الزحف، وأكل مال اليتيم، والتأفيف، والسحر، وشرب الخمر؛ من الكبائر، ويقال: كل ما أوعد الله عليه فى النار فهو من الكبائر. وأما إضافة الكبائر إلى الإثم فيقال: إنما أضافها إليه؛ لأن فى الإثم كبيراً وصغيراً. ويقال: إضافة الكبائر إلى الإثم كإضافة الصفة إلى الموصوف.

وقوله: ﴿والفواحش﴾ الفواحش: هى القبائح من الزنا وغيره.

وقوله: ﴿وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾ أى: يتجاوزون، وفى الخبر المعروف أن النبى ﷺ قال: «ألا أنبئكم بالشديد؟ قالوا: نعم. قال: من ملك نفسه عند الغضب»(١).

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (١٠/ ٥٣٥ رقم ٦١١٤)، ومسلم (١٦/ ٢٤٥-٢٤٦ رقم ٢٦٠٩). وقد أورده المصنف بمعناه كعادته.

لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا

قوله تعالى: ﴿ والذين استجابوا لربهم ﴾ يقال: إن الآية نزلت فى الأنصار، ويقال: إنها عامة.

وقوله: ﴿ وأقاموا الصلاة ﴾ إقامة الصلاة إتيانها بشرائطها وحفظها بحدودها.

وقوله: ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ ذكر النقاش: أن هذا فى الأنصار وكانوا يتشاورون فى الأمر بينهم؛ فمدحهم الله على ذلك، وذلك دليل على اتفاق الكلمة، وترك الاستبداد بالرأى، والرجوع إلى الرأى عند نزول الحادثة. وقيل: إن الأنصار تشاوروا فيما بينهم حين دعاهم النبى ﷺ إلى الإيمان، ثم أجابوه إلى الإيمان.

وعن الحسن البصرى قال: ما تشاور قوم إلا هدوا إلى أرشد أمورهم. والشورى مأخوذة من قولهم: شرت الدابة أشورها إذا سيرتها مقبلة، ومدبرة لاستخراج السير منها. ويقال: لذلك الموضع المشوار. والعرب تقول: إياك والخطب فإنها مشوار كثير العناد.

وفى الخبر برواية [أبى](١) عثمان النهدى عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال: «إذا كانت أمراؤكم خياركم، وأغنياؤكم أسخياؤكم وأمركم شورى بينكم، فظهر الأرض خير لكم، من بطنها، وإذا كانت أمراؤكم شراركم، وأغنياؤكم (بخلاؤكم)(٢)، وأمركم إلى نسائكم؛ فبطن الأرض خير لكم من ظهرها»(٣).

واعلم أن هذه السورة تسمى سورة الشورى.

وقوله: ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ أى: يتصدقون.

قوله تعالى: ﴿ والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون ﴾ أى: الظلم، وقوله:

---

(١) من «ك» وفى «الأصل»: ابن، وهو تحريف.

(٢) فى «ك»: أسخياؤكم.

(٣) رواه الترمذى (٤/ ٤٥٩ رقم ٢٢٦٦)، والخطيب فى تاريخه (٢/ ١٩٠) من حديث أبى عثمان النهدى به. وقال الترمذى: هذا حديث غريب لانعرفه إلا من حديث صالح المرى، وصالح المرى فى حديثه غرائب ينفرد بها لايتابع عليها، وهو رجل صالح.

أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى

﴿ ينتصرون ﴾ أى: يتناصرون، فينصر بعضهم بعضًا لرفع البغى، وهو من باب الحسبة، ينتصرون بالأمر بالمعروف. وقيل: ينتصرون أى: ينتصرون من الظالم، والانتصار من الظالم هو أخذ الحق منه. وفى التفسير عن الحسن البصرى وغيره قال: كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم حتى لا يجترئ عليهم الفساق.

وذكر الكلبى: أن الآية نزلت فى شأن أبى بكر الصديق، فروى أن رجلا من الأنصار سبَّ أبا بكر عند النبى ﷺ، فسكت أبو بكر وسكت النبى ﷺ، ثم إن أبا بكر أجابه، فقام النبى ﷺ مُغْضَبًا، وذهب فَتَبِعَه أبو بكر، وقال: يا رسول الله، إن الذى فعلت بى أشد مما فعله الأنصارى، سَبَّنى فسكت، ولم تنكر عليه، ثم لما أجبت قُمْتَ مغضبًا، فقال: كان الملك يرد عليه حين سكت؛ فلما أجبت ذهب الملك؛ فذهبت، وأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون ﴾[1] فيجوز للمظلوم الانتصار من ظالمه.

قوله تعالى: ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ سمى الثانى [سيئة][2] على ازدواج الكلام، وعند الفقهاء أن الآية فى القتل والجراحات؛ فإذا قتله يقتله وليه، وإذا جرحه. يجرحه، وذهب جماعة من السلف إلى أن هذا فى غير القتل والجراحات أيضًا فإذا قال: أخزاك الله، يقول: أخزاك الله، وإذا قال: لعنك الله، يقول: لعنك الله، ولا يزيد عليه، وكذلك قالوا: إذا سبَّ سبَّه، وهذا فيما لا يدخله الكذب، فأما ما يدخله الكذب فلا ينبغى أن يكذب عليه، وما ذكرناه مروى عن مجاهد وغيره.

---

(١) رواه أبو داود (٤ / ٢٧٤ رقم ٤٨٩٧)، وأحمد (٢ / ٤٣٦)، والبيهقى فى السنن (١٠ / ٢٣٥ ، ٢٣٦)، وفى الآداب (٥٣ رقم ١٤٩، ١٥٠ مكرر) من حديث أبى هريرة مرفوعا ورواه أبو داود (٤ / ٢٧٤ رقم ٤٨٩٦) وغيره عن سعيد بن المسيب مرسلا، وذكر الدارقطنى فى علله (٨ / ١٥٣ رقم ١٤٧٢) أن المرسل هو الصواب، ونقل المنذرى (٣ / ٤٤٦ – الترغيب) عن البخارى مثله.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ

قوله: ﴿فمن عفا وأصلح فأجره على الله﴾ يعنى: عفا عن الظالم وأصلح الأمر بينه وبينه ﴿فأجره على الله﴾ أى: ثوابه على الله، وفى بعض الأخبار: «أن الله تعالى يقول يوم القيامة: «ألا لِيَقُمْ من أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا»[1].

وقوله: ﴿إنه لا يحب الظالمين﴾ أى: من يتجاوز عن الحق إلى غير الحق.

قوله تعالى: ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل﴾ أى: من سبيل فى القيامة.

قوله: ﴿إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق﴾ أى: يطلبون زيادة ليست لهم، وقيل: يسعون فى الأرض بالمعاصى.

وقوله: ﴿أولئك لهم عذاب أليم﴾ أى: مؤلم موجع.

قوله تعالى: ﴿ولمن صبر وغفر﴾ أى: صبر على الأذى، وغفر للمؤذى، ويقال: صبر عن المعاصى وغفر لمن يظلمه. ويقال: صبر عن ظلم الناس، ومن ظلمه عفا عنه.

وقوله: ﴿إن ذلك من عزم الأمور﴾ أى: من حق (الأمور)[2]، وقيل: من عزائم الله التى ندب إليها عباده. ويقال: من ثابت الأمور التى لا تنسخ. قال الزجاج: ندب الله تعالى المظلوم أن (يعفو)[3] عن الظالم، ويصبر عن الظلم؛ لينال الثواب فى

(١) رواه العقيلى فى الضعفاء (٣/٤٤٧ - ٤٤٨)، والطبرانى فى الأوسط (٨/١٧٢ رقم ٤٩٠٧ مجمع البحرين)، وأبو نعيم فى الحلية (٦/١٨٧)، وزاد الزيلعى فى تخريج الكشاف (٣/٢٤٣)، الطبرانى فى مكارم الأخلاق، والبيهقى فى شعب الإيمان، جميعهم عن أنس مرفوعا بنحوه. وزاد السيوطى فى الدر (٦/١٢) نسبته لابن أبى حاتم، وابن مردويه. وحسنه المنذرى فى الترغيب (٢/٣١٨، ٣/٣٠٩)، وقال العقيلى: وهذا يروى بغير هذا الإسناد من وجه أصلح منه. وفى الباب عن ابن عباس، وعبد الله بن عمرو، وأبى هريرة، وراجع تخريج الكشاف للزيلعى، والدر للسيوطى.

(٢) فى «ك»: الله.

(٣) فى «ك»: يغفر.

فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي

الآخرة، فمن كان أرغب فى ثواب الآخرة فهو أتم عزمًا على الصبر.

وقوله تعالى: ﴿ومن يضلل الله فما له من ولى من بعده﴾ أى: يضلله الله.

وقوله: ﴿فما له من ولى من بعده﴾ أى: لا يجد من بعد الله من يهديه.

وقوله: ﴿وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل﴾ أى: من رجوع إلى الدنيا ليتوب.

قوله تعالى: ﴿وتراهم يعرضون عليها﴾ أى: على النار، ويقال: إن الآية فى آل فرعون، ويقال: فى آل فرعون وغيرهم. والأصح أن هذا فى القيامة، ويعرضون على النار ليدخلوا فيها.

وقوله: ﴿خاشعين من الذل﴾ أى: خاضعين من الذل، ومعناه: [الانكسار](١) وذلة النفس حين يرون العذاب وتنزل بهم الندامة.

قوله: ﴿ينظرون من طرف خفى﴾ أى: يسارقون النظر إلى النار، ويقال: ينظرون بأنصاف عيونهم، ولا يفتحون أعينهم عليها خوفًا منها. وعن بعضهم قال: ينظرون بقلوبهم؛ لأنهم يحشرون عميًا، فالطرف الخفى هو رؤية القلب.

وقوله: ﴿وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة﴾ أما خسرانهم أنفسهم فبدخولهم النار، وأما خسرانهم أهليهم فلأنهم لو آمنوا أصابوا أهلا فى الجنة، فلما كفروا ودخلوا النار فاتهم أهلوهم فى الجنة، فهو خسران الأهل. ويقال: لكل واحد من الكفار أهل مسمى فى الجنة لو آمن.

وقوله: ﴿ألا إن الظالمين فى عذاب مقيم﴾ أى: دائم.

---

(١) فى «الأصل وك»: الإنكار، والمثبت أنسب للسياق.

عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ

قوله: ﴿وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله﴾ أى: يمنعون عنهم عذاب الله.

وقوله: ﴿ومن يضلل الله فما له من سبيل﴾ أى: من طريق إلى الجنة.

قوله تعالى: ﴿استجيبوا لربكم﴾ أى: استجيبوا لربكم بقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وقوله: ﴿من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله﴾ أى: لا رد له.

وقوله: ﴿ما لكم من ملجأ يومئذ﴾ أى: مهرب وملاذ.

وقوله: ﴿وما لكم من نكير﴾ أى: إنكار، ويقال: ليس لكم من أن تنكروا العقوبة التى تنالكم. وقيل: ما لكم من نكير أى: تغيير.

وقوله تعالى: ﴿فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظًا﴾ أى: حافظًا.

وقوله: ﴿إن عليك إلا البلاغ﴾ أى: التبليغ.

وقوله: ﴿وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة﴾ أى: النعمة والعافية.

وقوله: ﴿فرح بها﴾ أى: سُرَّ بها.

وقوله: ﴿وإن تصبهم سيئة﴾ أى: شدة وبلاء، وقيل: الجدب الذى هو ضد الخصب.

وقوله: ﴿بما قدمت أيديهم﴾ أى: من الذنوب.

وقوله: ﴿فإن الإنسان كفور﴾ معناه: كافر لنعم الله لا يشكرها.

فَإِنَّ الإِنسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ

قوله تعالى: ﴿لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثًا ويهب لمن يشاء الذكور﴾ أى: يعطى الإناث دون الذكور، والذكور دون الإناث.

وقوله: ﴿أو يزوجهم ذكرانًا وإناثًا﴾ أى: يجمع الذكور والإناث فى العطاء، ومعنى قوله: ﴿يزوجهم﴾ أى: يصنفهم كأنه يجعل الأولاد صنفين: صنفًا إناثًا، وصنفًاذكورًا.

وقوله: ﴿ويجعل من يشاء عقيمًا﴾ أى: لا يولد له أصلا، وفى التفسير: أن الآية فى الأنبياء، فقوله: ﴿يهب لمن يشاء إناثًا﴾ هو لوط النبى ﷺ كان له بنات، ولم يكن له ولد ذكر، وقوله: ﴿ويهب لمن يشاء الذكور﴾ هو إبراهيم - صلوات الله عليه - كان له بنون، ولم تكن له أنثى، وقوله: ﴿أو نزوجهم ذكرانًا وإناثًا﴾ هو الرسول - صلوات الله عليه - ولد له أربعة بنين، وأربع بنات، فالبنون: القاسم وبه كنى رسول الله ﷺ، وعبد الله، والطاهر، وكان يسمى الطيب أيضًا وإبراهيم، فالثلاثة الأولون من خديجة - رضى الله عنها -وإبراهيم بن مارية القبطية، وأما البنات: فزينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة، كلهن من خديجة - رضى الله عنها - وعنهن، وقوله: ﴿ويجعل من يشاء عقيمًا﴾ هو يحيى وعيسى عليهما السلام - لم يكن لهما ولد ولا زوجة.

وقوله: ﴿إنه عليم قدير﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيًا﴾ ذكر النقاش فى تفسيره: أن سبب نزول الآية هو أن المشركين قالوا للنبى ﷺ: هلا كلمك الله ونظرت إليه كما كان موسى؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقوله ﴿إلا وحيًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الإلهام من الله تعالى بالنفث فى

رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا

صدره، والآخر: أنه الرؤيا في المنام. وفي بعض الروايات عن ابن عباس: لم يَرَ جبريلَ من الأنبياء غيرُ أربعة هم: موسى، وعيسى، وزكريا، ومحمد - عليهم الصلاة والسلام - وأما الباقون فكان لهم وحي وإلهام، وهذه رواية غريبة.

وقوله: ﴿أو من وراء حجاب﴾ أي: كما كلم موسى من وراء حجاب، وقيل: بالحجاب على موضع الكلام لا على الله. [وقيل](١): إن موسى عليه السلام لما سمع كلام الله ولم يره كان بمنزلة من يسمع من وراء الحجاب.

وقوله: ﴿أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء﴾ يعني: يرسل جبريل بالوحي إلى من يشاء من الأنبياء، [وجملة](٢) الذي وصل إلى الأنبياء من الوحي على ثلاثة وجوه: وحي إلهام، ورؤيا في المنام، ووحي بتكليم الله تعالى، ووحي بلسان جبريل عليه السلام. وعن مجاهد أنه قال: أوحى الله تعالى الزبور إلى داود فقرأه من قلبه، ولم يكن على لسان جبريل. وفي بعض الآثار: أن الله تعالى وكل بحفظ الوحي جبريل عليه السلام، وكذلك بإيصاله إلى الأنبياء، وكذلك وكَّلهَ بنصرة الأنبياء وعذاب الكفار، ووكَّل ميكائيل بالقطر والنبات، ووكل إسرافيل بالصّور، وهو أيضًا من حملة العرش، ووكَّل ملك الموت بقبض الأرواح؛ فهم موكلون على هذه الأشياء بإذن الله تعالى.

وفي بعض الأخبار أن جبريل - عليه السلام - كان يلقى النبي ﷺ في ثياب بياض ملفوفة بالدر والياقوت ورجلاه مغموستان في خضرة. وقد ذكرنا في رواية عن النبي ﷺ «أن المرسلين من الأنبياء مائة [وخمسة](٣) عشر [جمًّا غفيرًا](٤) أولهم آدم

(١) من «ك»، وفي «الأصل»: وقال.

(٢) في «الأصل»: والجملة.

(٣) من «ك»، وفي «الأصل»: وخمسين. وقد ذكره المصنف نفسه في تفسير سورة النساء، وفيه: وثلاثمائة وخمسة عشر جمًّا غفيرًا.

(٤) في «الأصل، وك»: حشما فقراء، وما أثبتنا هو الصواب كما تقدم، وذكره المصنف نفسه في تفسير سورة النساء.

وآخرهم محمد عليهما السلام »(١).

وقوله: ﴿ إنه عليٌّ حكيم ﴾ أى: متعالٍ عما يصفونه (المشركون)(٢)، حكيم فى جميع ما يفعله.

قوله تعالى: ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ﴾ الروح هاهنا هو القرآن، سماه روحًا؛ لأنه تحيا به القلوب كالروح تحيا به النفوس، وقيل: إنه النبوة، والأول أشهر.

وقوله: ﴿ من أمرنا ﴾ أى: بأمرنا.

وقوله: ﴿ وما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ﴾ الكتاب هو القرآن، وقيل: ما كنت تدرى ما الكتاب لولا أنزلنا إياه عليك. وقوله: ﴿ ولا الإيمان ﴾ المعروف أن المراد به شرائع الإيمان، وهذا قد حكى عن محمد بن إسحاق بن خزيمة وغيره من أئمة السنة.

وعن بعضهم أن معناه: ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان أى: قبل البلوغ. والقول الثالث: ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان أى: أهل الإيمان، وهذا حكى عن الحسين بن الفضل البجلى.

وفى بعض المسانيد برواية النزال بن سبرة عن عليٍّ رضى الله عنه – أنه قال: « قيل لرسول الله ﷺ: هل عبدت وثنًا قط؟ قال: لا. وقيل له: هل شربت خمراً قط؟ قال: لا. وما زلت أعرف أن ما هم عليه باطل، ولم يوح إلى كتاب ولا إيمان(٣) » والخبر غريب.

وقوله: ﴿ ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم ﴾ أى: تدعو، وفى قراءة أبى بن كعب: « وإنك لتدعو إلى صراط مستقيم »

(١) تقدم تخريجه.

(٢) فى « ك »: المشركين.

(٣) عزاه السيوطى فى الدر (٦/ ١٤) لأبى نعيم فى الدلائل وابن عساكر.

وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ ﴿٥٣﴾ .

هى تبين معنى القراءة المعروفة، وقرأ عاصم الجحدرى: «وإنك لتُهْدَى إلى صراط مستقيم» على ما لم يسم فاعله، ومعناه بَيِّن.

قوله تعالى: ﴿صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ألا إلى الله تصير الأمور﴾ أى: ترجع الأمور، والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

حمٓ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ

تفسير سورة الزخرف

وهى مكية

﴿ حم ﴾ قد ذكرنا معنى حم.

وقوله: ﴿ والكتاب المبين ﴾ هو القرآن، وسماه مبينًا؛ لأنه أبان فيه الهدى من الضلالة، والخير من الشر، وأبان فيه جميع ما يؤتى وجميع ما يتقى. ومعنى الآية هو القسم، فكأنه أقسم بحم وبالقرآن، وجواب القسم قوله: ﴿ إنا جلناه قرآنا عربيا ﴾ وكذلك قوله: ﴿ وإنه فى أم الكتاب ﴾ جواب القسم أيضاً.

قوله تعالى: ﴿ إنا جعلناه ﴾ قال السدى: أنزلناه. وقال مجاهد: قلناه. وعن بعضهم: بيناه، قاله سفيان الثورى. واستدل بهذا من زعم أن القرآن مخلوق، وذكر أن الجعل بمعنى الخلق بدليل قوله تعالى: ﴿ الذى جعل لكم الأرض مهدا ﴾(١) أى: خلق لكم، وعندنا هذا التعلق باطل، والقرآن كلام الله غير مخلوق، وعليه إجماع أهل السنة، وزعموا أن من قال: إنه مخلوق فهو كافر؛ لأن فيه نفى كلام الله تعالى، وقد بينا وجه الآية عند السلف ومن يعتمد فى تفسيره.

وقد ورد الجعل فى القرآن لا بمعنى الخلق،قال الله تعالى: ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا ﴾(٢) ومعناه: أنهم وصفوهم بالأنوثة وليس المعنى أنهم خلقوهم.

وقوله: ﴿ قرآنا عربيا ﴾ أى: بلسان العرب.

وقوله: ﴿ لعلكم تعقلون ﴾ أى: تعقلون ما فيه.

قوله تعالى: ﴿ وإنه فى أم الكتاب ﴾ أى: القرآن فى اللوح المحفوظ. وفى بعض

---

(١) طه: ٥٣.

(٢) الزخرف: ١٩.

﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ
﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ

التفاسير: أن أم الكتاب مذكور عند الله تعالى، قد بين فيه جميع الأشياء، فإذا كان يوم القيامة عورض ما كان من المكاتبات بذلك الذكر فتوجد على السواء.

وقد ثبت عن النبي ﷺ [أنه][(١)] قال: «إن أول ما خلق الله تعالى القلم، فقال له: اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: ما هو كائن إلى يوم القيامة»[(٢)].

وقوله: ﴿لدينا﴾ أي: عندنا.

وقوله تعالى: ﴿لعلي﴾ أي: رفيع لا يناله أحد بتبديل ولا تغيير.

وقوله: ﴿حكيم﴾ أي: أحكمت آياته لا يزاد فيها ولا ينقص.

قوله تعالى: ﴿أفنضرب عنكم الذكر صفحا﴾ معناه: أفنصفح عنكم وقد كذبتم بآياتي وتركتم أوامري. قال القتيبي: وهذا مأخوذ من قولهم: ضرب فلان دابته وصفحت عنه أي: مالت عنه، وحقيقة المراد: أفنضرب عنكم الذكر صافحين أي: نهملكم ونترككم فلا نأمركم ولا ننهاكم ولا نعرفكم ما يجب عليكم ﴿أن كنتم قوما مسرفين﴾ أي: لأن كنتم قوما مسرفين. ويقال معناه: نترككم والتكذيب ولا نعاقبكم عليه.

وقوله تعالى: ﴿وكم أرسلنا من نبي في الأولين﴾ كم للتكثير.

وقوله: ﴿من نبي في الأولين﴾ أي: في القرون الماضية.

قوله تعالى: ﴿وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون﴾ أي: يسخرون، وهذا على الأكثر؛ لأنه قد كان فيهم من آمن.

قوله: ﴿فأهلكنا أشد منهم بطشا﴾ أي: فأهلكنا من هو أشد من قومك بطشا أي: قوة.

وقوله: ﴿ومضى مثل الأولين﴾ أي: عقوبات الأولين، وذكر بلفظ المثل على

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) تقدم تخريجه.

السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ

معنى أنها سنة المكذبين من قبل. وقرئ: «مُثُل الأولين» بضم الميم والثاء على الجمع، ومعناه ما بينا.

قوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض﴾ أى: ولئن سألت المشركين من خالق السموات والأرض ﴿ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾ وهذا على طريق التعجيب من حالهم أى: كيف يعبدون الأصنام ويزعمون أن لله شريكًا، وقد أقروا أن الله تعالى خالق السموات والأرض؟

قوله تعالى: ﴿الذى جعل لكم الأرض مهدا﴾ هذا ابتداء كلام من الله تعالى من غير أن يكون حكاية عن الكفار؛ لأن كلامهم قد تم فى الآية الأولى.

وقوله: ﴿وجعل لكم الأرض مهدا﴾ قد بينا من قبل.

وقوله: ﴿وجعل لكم فيها سبلا﴾ أى: [طرقًا](١).

وقوله: ﴿لعلكم تهتدون﴾ أى: تهتدون بسلوكها فى أسفاركم. وقيل: فى معايشكم وتصرفاتكم.

قوله تعالى: ﴿والذى نزل من السماء ماء بقدر﴾ أى: بمقدار معلوم، فلا ينقص عن حاجات الناس فلا ينتفعون به، ولا يزيد فيكون سيلا مهلكا، وهذا على أكثر الأحوال، وقد يكون بخلافه.

وقوله: ﴿فأنشرنا به بلدة ميتا﴾ معناه: أحيينا به أرضا ميتة.

وقوله: ﴿كذلك تخرجون﴾ يعنى: تبعثون يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿والذى خلق الأزواج كلها﴾ أى: الأصناف كلها، ويقال: لكل شيئين قرينين زوجان، وكل واحد منهما زوج صاحبه، وذلك السماء والأرض، والليل والنهار، والشمس والقمر، والجنة والنار، وما أشبه ذلك. وكذلك ما يعود إلى

(١) من «ك»، وفى «الأصل»: طريقا.

بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ

أحوال الإنسان من المرض والصحة، والفقر والغنى، والخير والشر، والنوم واليقظة، وما أشبه ذلك.

وقوله: ﴿وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون﴾ الفلك: هى السفن، واختلف القول فى الأنعام، فذهب مقاتل إلى أنها الإبل والبقر، والقول الثانى: أنها الإبل خاصة، وهو الأولى، قال أبو معاذ النحوى: ومتى ركبت البقرة؟! وفى بعض الأخبار: أن رجلا ركب بقرة فتكلمت البقرة، وقالت: ما خلقنا لهذا، وإنما خلقنا للحرث.

وقوله: ﴿لتستووا على ظهوره﴾ فإن قيل: كيف لم يقل: على ظهورها، وقد تقدم لفظ الجمع؟ والجواب: أن قوله: ﴿على ظهوره﴾ ينصرف إلى كلمة «ما»، ومعناه: لتستووا على ظهور ما تركبونه.

وقوله: ﴿ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين﴾ أى: مطيقين، أى: ما كنا نطيق تذليله وتسخيره لولا أن الله تعالى ذلله وسخره لنا. قال عمرو بن معد يكرب:

وقد علم القبائل ما عقيلٌ لنا فى النائبات بمقرنينا

وعن بعضهم أنه ركب بعيره وقال: سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، فسمعه الحسين بن على - رضى الله عنهما - فقال: أهكذا أمرت؟ إنما أمرت أن تذكر نعمة الله تعالى ثم تقول هذا، فإذا ركبت فقل: الحمد لله الذى هدانا للإسلام ومَنَّ علينا بمحمد ﷺ، والحمد لله الذى جعلنا من خير أمة أخرجت للناس، ثم قال: «سبحان الذى سخر لنا هذا».

وقد ثبت برواية ابن عمر أن النبى ﷺ كان إذا استوى على بعيره متوجها فى سفر،

﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ

كبر الله ثلاثا، ثم قال: « سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، اللهم إنا نسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى والعمل بما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا، واطوِ علينا بعده، اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل، اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب فى الأهل والمال والولد ». وإذا رجع قال: آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون »(١). خرجه مسلم فى الصحيح.

وفى بعض الكتب عن سليمان بن يسار أنه قال: كنا فى سفر وكان الناس إذا استووا على دوابهم قالوا: ﴿ سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ﴾ وكان أعرابى على بعير هزيل فاستوى على بعيره وقال: أما إنى لهذا مقرن، [فقمص](٢) به، فوقع واندقت عنقه ومات.

وفى بعض الآثار أيضا: أن رجلا شابا خرج فى حلة له، قد رَجَّل شعره، فقيل له: إنك لجميل اليوم، فقال: إن الله يعجب من جمالى؛ فمسخه الله تعالى.

وعن بعضهم أيضا أنه كان يكتب القرآن فانعقد حبره ولم يحضره الماء، فقطر فيه قطرة بول فكتب، فجفت يده.

قوله تعالى: ﴿ وإنا إلى ربنا لمنقلبون ﴾ أى: راجعون.

قوله تعالى: ﴿ وجعلوا له من عباده جزءا ﴾ أى: نصيبا، والنصيب الذى جعلوه لله تعالى هو أنهم قالوا: الملائكة بنات الله تعالى. [يقال](٣): أجزأت المرأة، إذا

---

(١) رواه مسلم (٩ / ١٥٧ – ١٥٨ رقم ١٣٤٢)، وأبو داود (٣ / ٣٣ رقم ٢٥٩٩) والترمذى (٥ / ٤٦٨ رقم ٣٤٤٧) وقال: حسن غريب، والنسائى فى الكبرى (٦ / ١٤١ رقم ١٠٣٨٢)، وأحمد فى مسنده (٢ / ١٤٤، ١٥٠)، وابن خزيمة فى صحيحه (٤ / ١٤١ رقم ٢٥٤٢)، وابن حبان (٦ / ٤١٢ – ٤١٣ رقم ٢٦٩٥، ٢٦٩٦)، والحاكم (٢ / ٢٥٤) وصححه.

(٢) فى « الأصل »: فمقمص. والقمص فى الفرس وغيره، وهو أن يرفع يديه ويطرحها معًا ويعجن برجليه. انظر لسان العرب (٧ / ٨٢).

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

بَنَات وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَ مَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾

ولدت أنثى.

وقوله: ﴿إن الإنسان لكفور مبين﴾ أى: كفور للنعم بَيِّن الكفران.

قوله تعالى: ﴿أم اتخذ مما يخلق بنات﴾ معناه: أم اتخذ الله مما يخلق بنات ﴿وأصفاكم بالبنين﴾ أى: اختار لكم البنين، وهذا، [على][1] طريق الإنكار لقولهم. وفى التفسير: أن هذا القول كان يقوله بنو كنانة وبنو عامر وحى ثالث. وعن بعضهم: أن جميع قريش كانت تقوله، فقيل لهم: من أين تقولون هذا؟ فقالت: سمعنا آباءنا يقولون كذلك، ونحن نشهد أنهم لم يكذبوا.

قوله تعالى: ﴿وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا﴾ أى: وصف الله به.

وقوله: ﴿ظل وجهه مسودا وهو كظيم﴾ أى: حزين مكروب، ويقال: مملوء غمًّا وهمًّا.

قوله تعالى: ﴿أو من يُنَشَّأُ فى الحلية﴾ أى: يُرَبَّى وينبت. وقرئ: «أو من ينشأ» أى: ينبت

وقوله: ﴿فى الحلية﴾ أى: فى الحُلِيِّ، والحلية: الزينة، والمعنى: أنها مشغولة بزينتها ليس لها رأى فى الأمور، ولا تصرف فى الأشياء.

وقوله: ﴿وهو فى الخصام غير مبين﴾ أى: فى الجدال ضعيف الحجة، ضعيف القول. وفى التفسير: قلما تكلمت امرأة بحجة فأمكنها أن تبلغ حجتها، ويقال: قلما تكلمت امرأة بحجة إلا وتتكلم ما يكون حجة عليها، والآية وردت للإنكار عليهم يعنى: أنكم جعلتم نصيبى من عبادى مثل هؤلاء، وجعلتم نصيبكم البنين.

قوله تعالى: ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا﴾ معناه: وصفوا،

(١) من «ك».

وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ

وليس الجعل هاهنا بمعنى الخلق، إنما هو بمعنى الوصف والتسمية كما يقول القائل: جعل فلان زيداً أعلم الناس أى: وصفه به، وحكم له بذلك، وقرئ: «عند الرحمن» وهو عبارة عن القرب والرفعة.

وقوله: ﴿أشهدوا خلقهم﴾ معناه: أحضروا خلقهم فعرفوا أنهم خلقوا إناثا، وقرئ: «اشهدوا خلقهم﴾ معناه: احضروا.

وقوله: ﴿ستكتب شهادتهم﴾ وقرئ: «سنكتب» بالنون يعنى: [أنهم][1] يجازون بشهادتهم الكاذبة. وقيل: سنكتب ليجازوا.

وقوله: ﴿ويسألون﴾ أى: يسألون عن شهادتهم يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم﴾ تعلق بهذه الآية القدرية، وقالوا: حكى الله تعالى عن الكفار أنهم قالوا: لو شاء الرحمن ما عبدناهم، ثم عقبه بالإنكار والتهديد فقال: ﴿ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون﴾ أى: يكذبون، وعندكم أن الأمر على ما قالوا. والجواب من وجهين: أحدهما: أن معنى قوله: ﴿ما لهم بذلك من علم﴾ أى: ما لهم بقولهم إن الملائكة بنات الله من علم، إن هم إلا يخرصون يعنى: فى هذا القول. وقد تم الكلام على هذا عند قوله: ﴿لو شاء الرحمن ما عبدناهم﴾ والإنكار غير راجع إليه، ويجوز أن يحكى من الكفار ما هو حق مثل قوله: ﴿وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه﴾[2] وهذا القول حق وصدق، فإن قيل: أول الآية وآخرها خرج مخرج الإنكار عليهم فكيف يحكى عنهم ما هو حق؟ والجواب عنه: أنهم قالوا هذا لا على اعتقاد الحق ولكن لدفع القبول عن أنفسهم، وقد كانوا أمروا

(١) من «ك».

(٢) يس: ٤٧.

يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن

بالقبول، فأرادوا أن يدفعوا القبول من أنفسهم بهذا القول، كما أن فى الآية الأخرى أرادوا أن يدفعوا الأمر بالإنفاق عن أنفسهم بما قالوه، والقول على هذا القصد غير صحيح.

والوجه الثانى: أن معنى قوله: ﴿ما لهم بذلك من علم﴾ أى: ما لهم فى هذا القول من عذر.

وقوله: ﴿إن هم إلا يخرصون﴾ أى: يطلبون ما لا يكون من طلب العذر بهذا الكلام، حكاه النحاس، والأول ذكره الفراء والزجاج وغيرهما.

قوله تعالى: ﴿أم أتيناهم كتابا من قبله﴾ أى: بما زعموا أن الملائكة خلقوا إناثا.

وقوله: ﴿فهم به مستمسكون﴾ أى: مستمسكون، وهذا على طريق الإنكار أيضا.

قوله تعالى: ﴿بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾ وقرئ: «إمة» بكسر الألف فقوله: ﴿على أمة﴾ أى: على ملة ودين، قال الشاعر:

حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبةً   وهل يأثمن ذو أُمَّة وهو طائع

أى: ذو ملة.

وأما الإمة بكسر الألف فهى بمعنى الطريقة، قال الشاعر:

ثم بعد الفلاح والملك وإلا   مة وارتهم هناك القبور

فقوله: والإمة يعنى: الطريقة الحسنة.

وقوله: ﴿وإنا على آثارهم مهتدون﴾ أى: متبعون.

قوله تعالى: ﴿وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها﴾

نَّذيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَالَ أَوَ لَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ

أى: متنعموها. ووجه الإنكار أن الرفه منعهم(١) عن طلب الحق.

وقوله: ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾ ظاهر المعنى.

وفى الآيتين دليل على ذم التقليد والرجوع إلى قول الآباء من غير حجة.

قوله تعالى: ﴿قل أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم﴾ معناه: أتتبعون ما وجدتم عليه آباءكم وإن جئتكم بأهدى منه.

وقوله: ﴿قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون﴾ أى: جاحدون.

قوله تعالى: ﴿فانتقمنا منهم﴾ أى: بالإهلاك والعقوبة.

وقوله: ﴿فانظر كيف كان عاقبة المكذبين﴾ أى: الجاحدين.

قوله تعالى: ﴿وإذا قال إبراهيم لأبيه وقومه إننى براء مما تعبدون﴾ وفى قراءة ابن مسعود: «برىء» فقوله: ﴿براء﴾ بمعنى قوله: «برىء»، ويقال: إنه لغة أهل الحجاز - يعنى قوله: ﴿براء﴾ - وهو مما لا يثنى ولا يجمع.

وقوله: ﴿إلا الذى فطرنى﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه على حقيقة الاستثناء إلا أنهم كانوا يعبدون الله وما دونه، فيستقيم الاستثناء على هذا. والثانى: أنه استثناء منقطع، ومعناه: لكن الذى فطرنى أى: جعلنى ﴿فإنه سيهدين﴾ أى: يرشدنى.

قوله تعالى: ﴿وجعلها كلمة باقية﴾ قال مجاهد: هى قول لا إله إلا الله. وقال قتادة: هى الإخلاص والتوحيد. وعن بعضهم: أن الكلمة هى قول إبراهيم:

(١) فى «الأصل» و«ك»: منعتهم.

لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾
وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ
عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم

﴿أسلمت لرب العالمين﴾[1]. وذلك عندما قيل له: ﴿أسلم﴾[1]. وأما قوله: ﴿فى عقبه﴾ أى: فى ولده. وفى التفسير: لا يزال فى عقب إبراهيم من هو مستقيم على كلمة التوحيد. وقيل: ﴿فى عقبه﴾ هو رجل واحد، وذلك محمد ﷺ. وقال السدى: فى عقبه يعنى: فى آل محمد ﷺ ورضى عنهم.

وقوله: ﴿لعلهم يرجعون﴾ أى: يرجعون إلى الهدى بعد الضلالة.

قوله تعالى: ﴿بل متعت هؤلاء وآباءهم﴾ أى: أمتعتهم بأنفسهم وأموالهم وأولادهم، وأمتعت آباءهم.

وقوله: ﴿حتى جاءهم الحق ورسول مبين﴾ أى: جاءهم القرآن يبين الهدى من الضلالة، والحق من الباطل.

وقوله: ﴿ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون﴾ أى: جاحدون.

قوله تعالى: ﴿وقالوا لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ وتقديره: على رجل من رجلى القريتين عظيم. والقريتان هما مكة والطائف، وأما الرجلان اختلفوا فيهما، قال ابن عباس: الذى من مكة هو الوليد بن المغيرة، والذى من الطائف هو حبيب بن عمرو الثقفى. وقيل: الذى من مكة هو عتبة بن ربيعة، والذى من الطائف هو عروة بن مسعود الثقفى، قاله قتادة. وقال مجاهد فى الذى من الطائف: هو ابن عبد ياليل الثقفى. وعن السدى أيضا فيه: أنه كنانة بن عدى بن عمرو.

وقوله: ﴿أهم يقسمون رحمة ربك﴾ أى: رسالة ربك فيختارون لها من شاءوا. ومعناه: أنه ليس لهم هذا الاختيار.

(١) البقرة ١٣١.

مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا

وقوله: ﴿ نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ﴾ أى: كما قسمنا معيشة الحياة الدنيا فاخترنا للغنى من شئنا، وللفقر من شئنا، فكذلك اخترنا واصطفينا للرسالة من شئنا. وقد روى ابن مسعود أن النبى ﷺ قال: «إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطى الدين إلا من يحبه، ومن أعطاه الدين فقد أحبه»(١).

وعن قتادة: رُبَّ رجل ضعيف (الجبلة)(٢) عَيِىِّ اللسان [مبسوط له](٣) فى الرزق، وَرُبَّ رجل شديد (الجبلة)(٢)، فصيح اللسان مقتَّر عليه فى الرزق.

وقوله: ﴿ ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ﴾ أى: فى الدنيا، فغنى وفقير، وفاضل ومفضول، وحر وعبد، وصحيح وسقيم، وأشباه ذلك.

وقوله: ﴿ ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ﴾ أى: خَوَلا. وقيل: بتسخير الغنى الفقير بماله، والقوى الضعيف بفضل قوته. ويقال: تتخذونهم مماليك وعبيدا، وبهذا القيام صلاح العالم، وأنشد بعضهم:

سبحان من سخر [الأنام](٤) بعضهم ... للبعض حين استوى التدبير واطردا

فصار يخدم هذا ذاك من جهة ... وذاك من جهة هذا وإن بعدا

كل بما عنده مستبشر فرح ... يرى السعادة فيما نال واعتقدا

وقوله: ﴿ ورحمة ربك خير مما يجمعون ﴾ أى: النبوة خير مما يجمعون من الدنيا، وقيل: الآخرة خير من الدنيا. وقرئ: «تجمعون» بالتاء، والأول أشهر.

قوله تعالى: ﴿ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة ﴾ معناه: ولولا أن يكون الناس كلهم كفارا. وقيل: لولا أن الدنيا تميل بالناس عن الدين، لو فعلنا هذا بالكفار لفعلنا

(١) تقدم تخريجه.
(٢) فى تفسير القرطبى (١٦/٨٣): الحيلة.
(٣) فى «الأصل» و «ك»: مبسوطة.
(٤) فى «الأصل» و «ك»: الأنعام.

لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ

هذا لهوان الدنيا عندنا.

وقوله: ﴿ لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سُقُفًا من فضة ﴾ وقرئ: «سَقْفًا» بفتح السين يعني: جعلنا جدرها فضة.

وقوله: ﴿ ومعارج عليها يظهرون ﴾ أي: جعلنا لهم مراقي من فضة يظهرون عليها على السقف. ومعناه: يظهرون يصعدون ويعلون. وفي الأخبار: أن نابغة بن جعدة أنشد للنبي ﷺ:

بلغت السماء عفةً وتكـرمًا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

أي: معلا، فقال له النبي ﷺ: «إلى أين يا أبا ليلى؟» قال: إلى الجنة. قال: «أجل إن شاء الله»[١].

وقوله: ﴿ ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون ﴾ أي: جعلنا ذلك لهم من فضة.

وقوله: ﴿ وزخرفا ﴾ فيه قولان: أحدهما: وذهبًا أي: (جعلنا)[٢] جميع ذلك من ذهب. فإن قال قائل: لم انتصب؟ قلنا: لأن المعنى من فضة ومن ذهب، فنزعت «من» فانتصب. وفي قراءة ابن مسعود: «وذهبا» وهذا يبين صحة هذا القول.

والقول الثاني: أن قوله: ﴿ وزخرفا ﴾ أي: غنى. وعن الحسن قال: الزخرف هي النقوش. وقيل: كل ما هو زينة في الدنيا.

وقوله: ﴿ وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا ﴾ أي: تكون مدة ويفنى سريعا.

---

(١) رواه البيهقي في الدلائل (٦ / ٢٣٢ – ٢٣٣)، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (١ / ٧٣-٧٤)، والبزار والحسن ابن سفيان في مسنديهما والشيرازي في الألقاب – كما في الإصابة (٣ / ٥٣٨-٥٣٩)، وابن الأثير في أُسُد الغابة (٥ / ٢٩٢ – ٢٩٣)، والحافظ في الإصابة جميعا من طريق يعلى بن الأشدق عن النابغة به. وقال ابن عبدالبر في الاستيعاب (٣ / ٥٨٤): وقد روينا هذا الخبر من وجوه كثيرة عن النابغة.

(٢) في «ك»: فعلنا.

عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾

وقوله: ﴿ والآخرة عند ربك للمتقين ﴾ أى: للمتقين من الشرك والمعاصى.

قوله تعالى: ﴿ ومن يعش عن ذكر الرحمن ﴾ قال قتادة: يعرض. ومنه قولهم: فلان يعشو أى: يمشي ببصر ضعيف. [يقال][(١)]: عشا يعشو إذا ضعف بصره، وعشى يعشى إذا عمى بصره، ومنه الأعشى. وفى الحديث أن سعيد بن المسيب ذهبت إحدى عينيه وجعل يعشو بالأخرى أى: يبصر بصرا ضعيفا. وقرئ: «يعشَ» بنصب الشين أى: يَعْمَى. ويقال فى معنى قوله: ﴿ يعش عن ذكر الرحمن ﴾ أى: يذهب عن ذكره؛ فيسير فى ظلمة وخبط[(٢)] عن جهالة.

وقوله: ﴿ نقيض له شيطانا ﴾ أى: نوكل به شيطانا. ويقال: نلقيه شيطانا. وفى التفسير: أن الكافر إذا خرج من القبر لقيه شيطان، فأدخل يده فى يده، ولا يزال معه حتى يصير إلى النار، والمؤمن إذا خرج من قبره يلقاه ملك، فيدخل يده فى يده، فلا يزال معه حتى يصير إلى الجنة.

وقوله: ﴿ فهو له قرين ﴾ أى: مقارن. ويقال: يجعلان فى سلسلة واحدة.

قوله تعالى: ﴿ وإنهم ليصدونهم عن السبيل ﴾ أى: الشياطين يصدونهم عن طريق الحق.

وقوله: ﴿ ويحسبون أنهم مهتدون ﴾ أى: الكفار يحسبون أنهم مهتدون بإرشاد الشياطين.

وفى بعض المسانيد برواية أبى بكر – رضى الله عنه – أن النبى ﷺ قال: «عليكم بلا إله إلا الله والاستغفار، فأكثروا منها فإن إبليس قال: أهلكت بنى آدم بالذنوب،

---

(١) فى «الأصل، وك»: فقال.
(٢) فى «ك»: خطب.

(٣) رواه أبو يعلى فى مسنده (١/١٢٣ – ١٢٤ رقم ١٣٦)، وابن أبى عاصم فى السنة (١/٩ رقم ٧)، والطبرانى فى الدعاء مختصراً (٣/١٦٠١ رقم١٧٨٠) عن أبى بكر، وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/٢١٠): رواه أبو يعلى، وفيه عثمان بن مطر، وهو ضعيف. وقال الشيخ ناصر فى تحقيقه على السنة لابن أبى عاصم: إسناده موضوع، آفته عبد الغفور ... وقال ابن حبان: كان ممن يضع الحديث....

حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾

وأهلكونى بلا إله إلا الله والاستغفار، فلما رأيت ذلك أهكلتهم بالأهواء، ثم قرأ النبى ﷺ: ﴿ويحسبون أنهم مهتدون﴾ »(٣).

قوله تعالى: ﴿حتى إذا جاءنا﴾ وقرئ: «جاءانا»، فقوله: «جاءنا» هو الكافر وحده، وقوله: «جاءانا» هو الكافر وقرينه الشيطان.

وقوله: ﴿قال يا ليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين﴾ فيه قولان: أحدهما: بعد المشرق من المغرب، وسماها مشرقين على عادة العرب، فإنهم يذكرون [شيئين](١) مختلفين ويسمونهما باسم واحد، قال الشاعر:

أخذنا بآفاق السماء عليكم ... لنا قمراها والنجوم الطوالع

أى: الشمس والقمر.

وقال آخر:

وبصرة الأزد لنا والعراق ... والموصلان ومنا مصر والحرم

وأراد بالموصلين الموصل والجزيرة.

وروى أن أهل البصرة قالوا لعلى - رضى الله عنه - حين حاربوه مع عائشة يوم الجمل: إنا نطلب منك سنة العمرين يعنى: أبا بكر وعمر، وقال جرير:

ما كان يرضى رسول الله فعلهم ... والعمران أبو بكر ولا عمر

والقول الثانى: بعد المشرقين أى: مشرق الشتاء ومشرق الصيف.

وقوله: ﴿فبئس القرين﴾ أى: بئس المقارن أنت.

قوله تعالى: ﴿ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم فى العذاب مشتركون﴾ أى: لن يسهل عليكم عذابكم رؤيتكم غيركم مشاركين لكم فى العذاب، فكأن الله

---

(١) فى «الأصل، وك»: بشيئين.

(٢) فى «الأصل، وك»: تسلى. والمثبت يقتضيه السياق.

أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَمْسِكْ

تعالى منعهم التأسى بما يسهل على الإنسان المصيبة والعقوبة، فإنه إذا كان فى مصيبة فرأى غيره فى مثلها سهل عليه. والتأسى [التسلى](٢). قالت الخنساء فى أخيها صخر:

ولولا كثرة الباكين حولى ... على إخوانهم لقتلت نفسى

وما يبكون مثل أخى ولكن ... أعزى النفس [عنه](١) بالتأسى

وقوله تعالى: ﴿أفأنت تسمع الصم أو تهدى العمى ومن كان فى ضلال مبين﴾ أى: لا تُسمع ولا تهدى.

وقوله تعالى: ﴿فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون﴾ فيه قولان: أحدهما معناه: فإما نخرجنك من مكة، فإنا منتقمون منهم يوم بدر بالقتل والأسر.

والقول الثانى: ﴿فإما نذهبن بك﴾ يعنى: بالوفاة، فإنا منتقمون منهم بعدك، ويقال: يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿أو نرينك الذى وعدناهم﴾ قال السدى: هذا فى المشركين. وقال الحسن وقتادة: هذا فى أمته. «وروى أن النبى ﷺ أرى فى أمته بعض ما يصيرون إليه، فما رؤى ضاحكا نشيطا بعد ذلك إلى أن فارق الدنيا»(٢).

وفى بعض التفاسير: أنه ما من نبى إلا وأُرِىَ النقمة فى أمته إلا نبينا ﷺ، فإن الله تعالى لم يره النقمة فى أمته، وقد كان فى أمته من النقمات، ويكون إلى قيام الساعة.

وقوله: ﴿فإنا عليهم مقتدرون﴾ أى: قادرون.

---

(١) فى «الأصل، وك»: عنهم، وهو خطأ، والصواب ما أثبتناه كما فى ديوان الخنساء ص٦٨.

(٢) رواه ابن جرير (٢٥/ ٤٥)، والحاكم (٢/ ٤٤٧) عن قتادة مرسلا. وزاد السيوطى فى الدر (٦/ ٢٠) نسبته لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن مردويه.

بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً

قوله تعالى: ﴿فاستمسك بالذى أوحى إليك﴾ أى: بالقرآن.

وقوله: ﴿إنك على صراط مستقيم﴾ أى: طريق واضح.

وقوله: ﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾ أى: القرآن شرف لك ولقومك.

وقوله: ﴿وسوف تسألون﴾ أى: تسألون عن شكر هذه النعمة. وعن قتادة أو غيره فى هذه الآية قال: يقال للرجل: ممن أنت؟ فيقول: من العرب. فيقال له: من أى العرب؟ فيقول: من قريش، فهو معنى قوله: ﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾ وروى بعضهم عن مالك بن أنس قال: ﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾ هو قول القائل: حدثنى أبى عن جدى، والمعروف هو القول الأول، ومعنى شرف قريش: أن القرآن نزل بلغتهم، والرسول كان منهم.

﴿[واسأل من أرسلنا من قبلك](١) من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون﴾ المعروف من القول فى هذه الآية أن معناه: واسأل أمم من أرسلنا من قبلك من رسلنا. قال ابن الأنبارى معناه: وسل تبَّاع من أرسلنا من قبلك من رسلنا. وقال بعضهم: واسأل الذين يقرءون الكتاب ممن أرسلنا إليهم رسلا من قبلك. وفى مصحف ابن مسعود: «واسأل الذين أرسلنا إليهم رسلا من قبلك هل جعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون» وهى تفسير القراءة المعروفة.

والقول الثانى فى الآية: ما رواه عطاء عن ابن عباس: أن الله تعالى جمع المرسلين ليلة الإسراء فى مسجد بيت المقدس ثم إن جبريل أذن، ثم أقام، ثم قال للنبى ﷺ: تقدم وصل بهم، فلما فرغ من صلاته، قال له: «وسل من أرسلنا من قبلك من رسلنا

(١) سقط من «الأصل، وك».

(٢) رواه ابن جرير الطبرى فى تفسيره (٢٥/ ٤٧) عن ابن زيد مرسلا بنحوه.

يَعْبُدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ

وزعم بعضهم أنه سألهم فأجابوا وقالوا: ما أمرنا الله تعالى إلا بالتوحيد والإخلاص. وفى بعض التفاسير: أن ميكائيل قال لجبريل: هل سأل محمد الرسل عما أمر به؟ فقال: لا، كان أشد يقينا وأعلم بالله من أن يسأل عن ذلك. فإن قال قائل: ما وجه السؤال والجواب فى هذه المسألة؟ والسؤال عن هذا إنما يكون من شاك فى الأمر أما من مستيقن فلا، والجواب: أن المراد من الآية هو تقرير الرسول على ما يعتقده وتوبيخ الكفار وتوقيفهم أن الأمر على ما يقول الرسول ﷺ. وقال بعضهم: الخطاب للرسول والمراد منه الأمة، ويقال: [إن] (١) الخطاب للمشركين كأنه أمرهم أن يسألوا مؤمنى أهل الكتاب، هل أمر الله بما يزعمونه فى كتاب من كتبهم، وهو عبادة الأصنام وتعظيمها؟ وقد كانوا يرجعون إلى قول أهل الكتاب فى بعض الأشياء، ويعتمدون عليه، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فقال إنى رسول رب العالمين﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿فلما جاءهم بآياتنا﴾ أى: بالمعجزات والدلالات.

وقوله: ﴿إذا هم منها يضحكون﴾ يعنى: ضحك المستهزئين المكذبين، والمراد من الآية تعجيب الرسول من ضحكهم وتكذيبهم مع ورود الآيات الظاهرة مع موسى صلوات الله عليه.

قوله تعالى: ﴿وما نريهم من آية إلا هى أكبر من أختها﴾ أى: أعظم من الآية المتقدمة. وفى تفسير النقاش: أن الآية الأولى من آيات موسى أن فرعون كان قد جعل على قصره سبع حوائط، بين كل حائطين سباع وغياض، والأبواب على الحيطان كانت تقفل ولا تفتح إلا بإذنه؛ فلما حضر موسى باب فرعون، انفتحت له الأبواب،

(١) من «ك».

مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ

وانكسرت الأقفال، وسجدت له السباع حتى وصل إلى قصر فرعون، فهذه الآية الأولى، ثم إنه لما أحضر فرعون السحرة وألقوا العصى والحبال، وهى شبه الحيات الكبار فى أعين الناس ثم ألقى موسى العصا التى كانت معه، وتلقفت جميع الحبال والعصى على ما هو المعروف فى القصة، فهذه الآية أعظم من الأولى. وزعم بعضهم أن الآيات كلها سواء فى الإعجاز والدلالة، إلا أنه سمى الآية الحاضرة أكبر من الذاهبة لحضور هذه الآية وذهاب تلك. وهذا كالرجل يقول فى علة تصيبه: ما مرت بى علة مثل هذه العلة، وإن كان قد مرت عليه علل هى أكبر منها أو مثلها، ولكنه يقول هذا القول (لحضور)(١) هذه العلة وذهاب تلك العلة. ومنهم من قال: المراد من الآيات قوله تعالى: ﴿ فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ﴾(٢) وما من آية أظهرها بعد آية إلا وهى أكبر من الأولى(٣)، وما ذكرناه من القول الأول هو الأحسن فى المعنى.

وقوله: ﴿ وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون ﴾ أى: إلى الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿ وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك إننا لمهتدون ﴾ فإن قيل: كيف قالوا: يا أيها الساحر ثم قالوا: إننا لمهتدون بك [ولا يهتدى أحد](٤) بالساحر؟ والجواب: أن الساحر عندهم هو العالم، ومعنى قوله: ﴿ يا أيها الساحر ﴾ أى: يا أيها العالم، وهذا قول الكلبى وغيره. وقال الزجاج: قالوا يا أيها الساحر على ما (كانوا)(٥) من قولهم له. وقال بعضهم: إنما قالوا ذلك على طريق الاستهزاء والسخرية ولم يكونوا اعتقدوا أن يؤمنوا به.

وقوله: ﴿ بما عهد عندك ﴾ إنما قالوا ذلك لأن موسى قال لهم: إن آمنتم كشف الله عنكم هذه العقوبة، وهذا مذكور فى سورة الأعراف على ما سبق.

(١) فى «ك»: لحصول.
(٢) الأعراف: ١٣٣.
(٣) فى «ك»: أختها.
(٤) فى «الأصل، وك»: وأحد لا يهتدى، والمثبت هو الأنسب للسياق.
(٥) فى «ك»: كان.

بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي

قوله تعالى: ﴿فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون﴾ أى: ينقضون العهد، ولا يقولون بقولهم.

قوله تعالى: ﴿ونادى فرعون فى قومه قال يا قوم أليس لى ملك مصر﴾ قال بعضهم: كان ملكه أربعين فرسخا فى أربعين. وقال بعضهم: مسيرة أربعين يوما فى أربعين يوما.

وقوله: ﴿وهذه الأنهار تجرى من تحتى﴾ أى: من تحت قصرى، وقال قتادة: بين يدى. وفى تفسير النقاش: أنه كان فى زمان فرعون خمسة أنهار بمصر اندرست من بعد، ولم يبق منها شىء. وفى هذا التفسير أيضا: أنه كان بمصر سبع خلج التى واحدها خليج، واندرست من بعد، وكان فرعون يركب من فيوم إلى دمياط والإسكندرية فلا يسير[1] إلا تحت الأشجار ملتفة وأنهار جارية.

وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «رأيت ليلة المعراج سدرة المنتهى وإذا يخرج من أصلها أربعة أنهار: نهران باطنان، ونهران ظاهران قال: فسألت جبريل عن الأنهار فقال: أما الباطنان ففى الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات»[2].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: إن الله تعالى يغذى النيل بجميع الأنهار من بين المشرق والمغرب، وذلك عند زيادته إلى أن تنتهى الزيادة منتهاها، ثم يرجع إلى ما كان عليه.

وقوله: ﴿أفلا تبصرون﴾ يعنى: أفلا ترون. وفى بعض التفاسير: أن معنى الأنهار فى هذه الآية هى الأموال، وسماها أنهاراً لكثرتها وظهورها.

وقوله: ﴿تجرى من تحتى﴾ أى: أفرقها على من شئت. قالوا: وإظهار الترغيب

---

(١) فى «ك»: يركب.

(٢) تقدم تخريجه.

أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾

والقدرة فى هذا أكبر منه فى الأنهار، ذكره الماوردى أبو الحسن القاضى.

قوله تعالى: ﴿أم أنا خير من هذا الذى هو مهين﴾ قال بعضهم قوله: ﴿أم﴾ متصل بما قبله، ومعناه: أفلا تبصرون أم تبصرون. وقيل: أم أنتم بصراء وتم الكلام على هذا، ثم ابتدأ قوله: ﴿أنا خير﴾ وهذا محكى عن الخليل وسيبويه، وقال بعضهم: «أم» صلة زائدة، والكلام فى قوله: ﴿أنا خير من هذا الذى هو مهين﴾ وفى بعض القراءات: «أنا خير» على التفخيم.

وقوله: ﴿من هذا الذى هو مهين﴾ أى: ضعيف حقير.

وقوله: ﴿ولا يكاد يبين﴾ قال أهل التفسير: إنما قال هذا للثغة التى كانت فى لسانه، وذلك بما كان بقى فى لسانه من العقدة بإلقائه الجمرة فى فيه. وقال بعضهم: إنه كانت بلسانه لا يمكنه تبيين الكلام غاية البيان، وأنشدوا فيما ذكرنا من قوله: ﴿أم﴾ قول الشاعر:

فيا ظبية الوغا بين خلاخل — وبين النقا أنت أم سالم(١)

معناه: أنتِ أحسن أم أم سالم.

قوله تعالى: ﴿فلولا ألقى عليه أساورة من ذهب﴾ وفى قراءة ابن مسعود: «أساور من ذهب» وفى القصة: أنهم كانوا إذا سوروا [رجلاً](٢) سوروه بسوار من ذهب فى يده، وطوقوه بطوق من ذهب فى عنقه. والمراد من الآية أنهم قالوا: ولو كان موسى نبيا فهلا سوره الله سواراً، أو طوقه بطوق، أو بعث معه الملائكة أعوانا له على أمره، فهو معنى قوله: ﴿أو جاء معه الملائكة مقترنين﴾ أى: متتابعين يتبع بعضهم بعضا.

---

(١) كذا فى «الأصل، وك»، وقد أورده ابن منظور فى لسانه (١١ / ١٢٢) ونسبه لذى الرمة، ولفظه:

أيا ظبية الوعساء بين جلاجل — وبين النقا آأنت أم أم سالم؟

(٢) زيادة ليستقيم السياق.

فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلاً لِّلآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ

وقوله: ﴿فاستخف قومه فأطاعوه﴾ أى: حركهم بدعائه إياهم (إلى)[1] باطله، فخفوا معه وأجابوه، ويقال: استفزهم، فأطاعوه بجهلهم.

وقوله: ﴿إنهم كانوا قوما فاسقين﴾ أى: خارجين عن الطاعة. ويقال: استخف قومه أى: حملهم على خفة الجهل، ومع[1] العقل الوقار، ومع الجهل الخفة.

قوله تعالى: ﴿فلما آسفونا﴾ أى: أغضبونا وأسخطونا. فإن قيل: الأسف إنما يكون على شيء فائت، والله تعالى لا يفوته شيء؟

والجواب [عنه][2]: أن معناه الغضب كما بينا، وقال بعضهم: آسفونا أى: فعلوا فعلا لو فعلوه مع مخلوق لكان متأسفا حزينا. وفى بعض الآثار: أن عروة بن الزبير كان جالسا مع وهب بن منبه، فجاء قوم فشكوا عاملهم، وكان العامل حاضرا، فغضب وهب بن منبه وأخذ عصا[3] وشج رأس العامل، فضحك عروة بن الزبير فقال: انظروا إلى هذا ينهى عن الغضب ويغضب؟ فقال وهب: لا، لا تلمنى، فإن الله تعالى يغضب وهو خالق الأحلام، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿فلما آسفونا انتقمنا منهم﴾ ومعنى قوله: ﴿انتقمنا منهم﴾ أى: بالإغراق والإهلاك، وهو معنى قوله: ﴿فأغرقناهم أجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين﴾ أى: سلفا للكفار ومن بعدهم، ومثلا لمن فعل مثل فعلهم. ومعنى «مثلا» أى: عظة وعبرة. وقرئ «سُلُفا»[4] وهو جمع سليف، وقرئ: «سُلَفًا» والمعنى فى الكل واحد. وعن زيد بن أسلم قال: ما من أحد إلا وله سلف فى الخير والشر.

قوله تعالى: ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلا﴾ أكثر المفسرين على أن هذه الآية نزلت فى مخاصمة عبد الله بن الزبعرى رسول الله ﷺ فى قوله تعالى: ﴿إنكم وما

(١) فى «ك»: على.
(٢) من «ك».
(٣) فى «ك»: العصا.
(٤) النشر فى القراءات العشر (٢/٣٦٩).

مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ

تعبدون من دون الله حصب جهنم ﴾[1]، فإنه لما نزل قوله تعالى: ﴿ إنكم وما تعبدون ﴾[1] إلى قوله: ﴿ أنتم لها واردون ﴾[1] وقرأها رسول الله على كفار قريش، قال عبد الله بن الزبعرى: هذا لنا ولآلهتنا خاصة أم لنا ولجميع الأمم وجميع آلهتهم؟. فقال ﷺ: بل لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم وآلهتهم، فقال ابن الزبعرى: خصمتك ورب الكعبة، ثم ذكر ما أوردنا من قبل في حق عيسى وعزير والملائكة عليهم السلام، فعلى هذا قوله تعالى: ﴿ ولما ضرب ابن مريم مثلا ﴾ معناه: لما جعلوا ابن مريم مثلا لآلهتهم، وقالوا: إذا كان ابن مريم في النار فرضينا أن نكون نحن وآلهتنا في النار »[2].

وقوله: ﴿ إذا قومك منه يصدون ﴾ بكسر الصاد أي: يضجون ضجاج المجادلين، ويقال: يصدون أي: يضحكون ويفرحون بقول ابن الزبعرى. وقرئ: « يصُدون » بضم الصاد، ومعناه: يعرضون، وفي الآية قول آخر: وهو أن النبي ﷺ لما ذكر حديث [عيسى][3] لقريش، وأنه خلقه الله تعالى من غير أب كما خلق آدم من غير أب، وذكر ما أظهر الله على يده من الآيات جعلت قريش يضحكون، وقالوا: ما يريد محمد من ذكر عيسى إلا أن نعبده كما عبدت النصارى عيسى، وهذا قول مجاهد.

قوله تعالى: ﴿ وقالوا أآلهتنا خير أم هو ﴾ على القول الأول معناه: أآلهتنا خير أم عيسى؟ بل عيسى خير من آلهتنا، فإذا كان عيسى في النار فلتكن آلهتنا في النار. وعلى القول الثاني: أآلهتنا خير أم هو؟ يعني: محمداً ﷺ، فإذا كان محمد يطلب أن نعبده فنحن نعبد آلهتنا. وفي قراءة أبي بن كعب: « أآلهتنا خير أم هذا »؟ وهذا يؤيد القول الثاني.

وقوله: ﴿ ما ضربوه لك إلا جدلا ﴾ يعني: ما قالوا هذا القول إلا مجادلة بالباطل؛

(١) الأنبياء: ٩٨.

(٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأنبياء.

(٣) ليس في « الأصل، وك » وما أثبته يقتضيه السياق.

هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلائِكَةً فِي الأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ

لأنهم علموا أن ابن مريم لا يدخل النار وعلموا أنه غير داخل فى الآية؛ لأن الله تعالى قال: ﴿إنكم وما تعبدون﴾[1] و«ما» لمن لا يعقل، لا لمن يعقل.

وقوله: ﴿بل هم قوم خصمون﴾ أى: مخاصمون بغير الحق، وقد ثبت عن النبى ﷺ برواية أبى أمامة - رضى الله عنه - أنه عليه السلام قال: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون﴾»[2]. والمراد بالآية المجادلة بالباطل لا المجادلة فى طلب الحق أو لبيان الحق؛ لأنه تعالى قد قال فى موضع آخر: ﴿وجادلهم بالتى هى أحسن﴾[3] وقال تعالى: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن﴾[4].

قوله تعالى: ﴿إن هو إلا عبد﴾ يعنى: عيسى -عليه السلام- وما عيسى ابن مريم إلا عبد ﴿أنعمنا عليه﴾ أى: بالنبوة والآيات.

وقوله: ﴿وجعلناه مثلا﴾ أى: عظة وعبرة لبنى إسرائيل، ويقال: جعلناه مثلا لهم أى: بشراً مثلهم.

وقوله: ﴿ولو نشاء لجعلنا منكم﴾ أى: بدلا منكم ﴿ملائكة فى الأرض يخلفون﴾ أى: تخلفكم، ويقال: يخلف بعضكم بعضاً.

قوله تعالى: ﴿وإنه لعلم للساعة﴾ معناه. أن عيسى - عليه السلام - شرط من

---

(١) الأنبياء: ٨٩.

(٢) رواه الترمذى (٥/٣٥٣ رقم ٣٢٥٣) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (١/١٩ رقم ٤٨)، وأحمد (٥/٢٥٢، ٢٥٦)، والعقيلى فى الضعفاء (١/٢٨٦)، وابن عدى (٤/٣٠٥)، وابن أبى عاصم فى السنة (١/٤٧ رقم ١٠١)، وابن جرير فى تفسيره (٢٥/٥٣)، والطبرانى فى الكبير (٨/٢٧٧ رقم ٨٠٦٧)، والآجرى فى الشريعة (٥٤)، والحاكم (٢/٤٤٧ - ٤٤٨) وصححه، والسهمى فى تاريخ جرجان (٧٤)، وابن عبدالبر فى جامع بيان العلم (٢/٩٧-٩٨)، والبغوى فى تفسيره (٤/١٤٣) جميعهم من حديث أبى أمامة به.

(٣) النحل: ١٢٥. (٤) العنكبوت: ٤٦.

بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ

أشراط الساعة، فيعلم بنزوله علم الساعة، وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «لينزلن ابن مريم حكمًا مقسطًا يكسر الصليب، ويقتل الخنزير»(١) الخبر.

وفى بعض الأخبار: أنه «ينزل على ثنية فوق جبل من جبال بيت المقدس وعليه ممصرتان وبيده حربة يقتل بها الدجال»(٢)، وقرأ ابن عباس: ﴿وإنه لعلم للساعة﴾ أى: آية من آيات حضورها.

قال الفرزدق يمدح على بن الحسين:

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته ... والركن يعرفه والحل والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقى النقى الطاهر العلم

وقوله: ﴿فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم﴾ أى: لا تشكن فيها أى: القيامة، والباقى ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ولا يصدنكم الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾ قال ابن عباس: من عداوته أنه أخرج أباكم من الجنة، ونزع عنهم لباس النور.

قوله تعالى: ﴿ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه﴾ قال أبو عبيدة: كل الذى تختلفون فيه. وقال غيره من أهل اللغة: لا يصح البعض بمعنى الكل، ومعنى الآية: ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه فى الإنجيل، وبعض الذى تختلفون فيه فى غير الإنجيل. ويقال معناه: ولأبين لكم ما اختلفتم فيه من أمر دينكم لا من أمر دنياكم، فهو بعض ما اختلفتم فيه، والله أعلم.

---

(١) متفق عليه، وقد تقدم.

(٢) ذكره الزيلعى فى تخريج الكشاف (٣/٢٥٤، ٢٥٥) وقال: غريب بهذا اللفظ، وهو فى تفسير الثعلبى هكذا من غير سند، وهو مفرق فى غضون الأحاديث.

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ

وقوله: ﴿ فاتقوا الله وأطيعون ﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿ إن الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿ فاختلف الأحزاب من بينهم ﴾ هؤلاء هم الذين اختلفوا فى عيسى بعد رفعه إلى السماء، فقال بعضهم: هو ابن الله، وقال بعضهم: هو الله، وقال بعضهم: هو ثالث ثلاثة.

وقوله: ﴿ فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم ﴾ أى: موجع.

قوله تعالى: ﴿ هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة ﴾ أى: فجأة، وقوله: ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ أى: لا يعلمون بمجيئها، قال أهل العلم: وقد أخفى الله تعالى أمر الساعة وزمان قيامها ليكون أبلغ فى الإنذار والتخويف.

قوله تعالى: ﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو ﴾ فى التفسير: أنهم أمية بن خلف، وعقبة بن أبى معيط، والوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، وأبو جهل بن هشام، والنضر بن الحارث، وحفص بن المغيرة، وعتبة بن ربيعة. وذكر النقاش: أن عقبة بن أبى[1] معيط كان صديقًا لأمية بن خلف، وكان عقبة يأتى النبى ﷺ ويجلس عنده ويسمع كلامه، فقال له أمية بن خلف: لقد صبوت يا عقبة، فقال: والله ما صبوت. فقال: وجهى من وجهك حرام إن لم تتفل فى وجه محمد، ففعل عقبة ذلك، فقال له الرسول ﷺ: «لئن قدرت عليك خارج الحرم لأريقن دمك، فضحك عقبة، وقال: يا ابن أبى كبشة، ومن أين تقدر علىَّ خارج الحرم؟ فلما كان يوم بدر وأسر عقبة أمر النبى ﷺ عليًّا فى بعض الطريق أن يضرب عنقه، فقال: يا معشر قريش، مالى أقتل من بينكم. فقال النبى ﷺ: بتكذيبك الله وتكذيبك رسوله. فقال: ومن للصبية؟ فقال: النار»[2].

---

(١) من «ك».

(٢) تقدم تخريجه فى تفسير سورة الفرقان.

الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم

وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ، وقيل: هو عن علىٍّ، قال: «الأخلاء أربعة: مؤمنان، وكافران، فيتقدم أحد المؤمنين فيقال له: ما تقول فى فلان؟ - يعنى: خليله-، فيقول: لقد عرفته آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر، اللهم بشره كما بشرتنى، وارض عنه كما رضيت عنى، ويتقدم أحد الكافرين فيقال له: ما تقول فى فلان؟ - يعنى: خليله -، فيقول: عرفته آمراً بالمنكر ناهيا عن المعروف، اللهم أدخله النار كما أدخلتنى، واخزه كما أخزيتنى»(١).

وفى التفسير: أن كل أُخوة تكون فى الدنيا عن معصية تصير عداوة يوم القيامة، وكل أخوة تكون عن دين تبقى يوم القيامة.

وعن مجاهد قال: قال لى ابن عباس: أحب لله وأبغض لله، ووال فى الله، وعاد فى الله، فإنه لا ينال ما عند الله إلا بهذا.

وقوله: ﴿إلا المتقين﴾ فقال: إن هذا فى أصحاب النبى ﷺ حين آخى رسول الله بينهم قال: رسول الله وعلى أخوان، وأبو بكر وعمر أخوان، وطلحة والزبير أخوان، وعثمان وعبد الرحمن بن عوف أخوان، إلى غير هذا.

قوله تعالى: ﴿يا عباد لا خوف عليكم اليوم﴾ وروى أن الله تعالى يقول يوم القيامة: ﴿يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون﴾ فيرفع جميع الخلائق رءوسهم، فيقول: ﴿الذين آمنوا بآياتنا﴾ فيرفع جميع المؤمنين واليهود والنصارى رءوسهم فيقول: ﴿وكانوا مسلمين﴾ فينكس جميع الخلق رءوسهم سوى المسلمين. وذكر بعضهم قوله: ﴿الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين﴾ مرة واحدة فى النداء.

قوله تعالى: ﴿ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون﴾ أى: تنعمون، وقيل:

(١) رواه عبد بن حميد عن قتادة مرسلا، كما فى الدر للسيوطى (٦/ ٢٣)، وروى نحوه موقوفا عن علىٍّ، رواه عبد الرزاق وابن أبى حاتم (تفسير ابن كثير ١٣٣-١٣٤)، وابن جرير (٢٥/ ٥٧)، والبغوى (٤/ ١٤٥)، وزاد السيوطى فى الدر: عبد بن حميد، وحميد بن زنجويه، وابن مردويه، والبيهقى فى الشعب.

بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ

تكرمون. والحبورة فى اللغة هى السرور والفرح. يقال: ما من حبرة إلا وبعدها عبرة، وعن يحيى بن أبى كثير قال: تحبرون هو السماع فى الجنة.

قوله تعالى: ﴿يطاف عليهم بصحاف من ذهب﴾ الصحاف: القصاع، واحدها [صحفة][(١)]. وفى التفسير: سبعون ألف [صحفة][(١)] فيها ألوان الأطعمة.

وقوله: ﴿وأكواب﴾ الأكواب واحدها كوب، وهو إناء مستدير ليس له عروة ولا خرطوم.

وقوله: ﴿وفيها ما تشتهى[(٢)] الأنفس وتلذ الأعين﴾ أى: تشتهيه الأنفس، وقد قرئ هكذا فى بعض القراءة المعروفة.

وقوله: ﴿وتلذ الأعين﴾ إنما نسب اللذة إلى الأعين؛ لأن المناظر الحسنة تلذ النفوس، فنسب اللذة إلى الأعين؛ لأن[(٣)] نسبتها كانت إليها أليق.

وقوله: ﴿وأنتم فيها خالدون﴾ أى: مقيمون لا يخرجون[(٤)] أبداً.

قوله تعالى: ﴿وتلك الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون﴾ قال ابن عباس: ما من أحد إلا وله منزل فى الجنة ومنزل فى النار، فيرث المؤمن منزل الكافر فى الجنة، ويرث الكافر منزل المؤمن فى النار.

وقوله تعالى: ﴿لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿إن المجرمين فى عذاب جهنم خالدون﴾ أى: مقيمون.

وقوله: ﴿لا يفتر عنهم﴾ أى: لا يخفف عنهم.

---

(١) فى «الأصل»: صفحة، والمثبت من «ك».
(٢) فى «ك»: تشتهيه.
(٣) فى «الأصل، وك»: لأنها.
(٤) فى «ك»: تقيمون لاتخرجون.

مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ

وقوله: ﴿وهم فيه مبلسون﴾ أى: آيسون من الخروج، والمبلس فى اللغة هو الساكت الذى سكت تحيراً ويأساً.

قوله تعالى: ﴿وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين﴾ معناه: إنا جازيناهم بعملهم، ولم نزد عليهم شيئًا.

قوله تعالى: ﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك﴾ أى: ليمتنا ربك. قال عبد الله ابن عمرو بن العاص: ينادون [مالكًا][(١)] أربعين سنة. وقال ابن عباس: ينادونه ألف سنة ثم يجيبهم فيقول: إنكم ماكثون، ثم ينادون الله تعالى، ويقولون: ﴿ربنا غلبت علينا شقوتنا﴾[(٢)] فلا يجيبهم عمر الدنيا، ثم يقول: ﴿اخسأوا فيها ولا تكلمون﴾[(٣)]. فلا يسمع منهم بعد ذلك إلا شبه صوت الحمر من الزفير والشهيق.

قوله تعالى: ﴿لقد جئناكم بالحق﴾ أى: بالقرآن.

وقوله: ﴿ولكن أكثركم للحق كارهون﴾ أى: كرهتم مجيء الحق ودعوتكم إليه.

قوله تعالى: ﴿أم أبرموا أمرًا﴾ الإبرام هو إحكام الأمر، ومعناه: أنهم عزموا وأجمعوا على التكذيب، ونحن أجمعنا على التعذيب، فهذا معنى قوله: ﴿فإنا مبرمون﴾ ويقال: أم أبرموا أى: كادوا كيداً، ومكروا مكراً، وقوله: ﴿فإنا مبرمون﴾ أى: نقابل كيدهم ومكرهم بالإبطال، ونجازيهم جزاء مكرهم، وهو فى معنى قوله تعالى: ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾[(٤)].

قوله تعالى: ﴿أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم﴾ روى أن الأخنس والأسود بن عبد يغوث كانا عند الكعبة، فقال أحدهما لصاحبه: أترى الله يسمع ما

---

(١) فى «الأصل، وك» : مالك، وهو خطأ.

(٢) المؤمنون : ١٠٦.

(٣) المؤمنون : ١٠٨.

(٤) آل عمران : ٥٤.

وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَانَ

نقول؟ فقال الآخر: إن جهرنا يسمع، وإن أسررنا لم يسمع؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقوله: ﴿بلى ورسلنا﴾ يعنى: بلى نسمع ﴿ورسلنا لديهم يكتبون﴾ أى: يكتبون بما يعملون ويقولون.

قوله تعالى: ﴿قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين﴾ الآية مشكلة، وفيها أقوال: أحدها: قول مجاهد، وهو أن معناه: قل إن كان للرحمن ولد على زعمكم فأنا أول العابدين أنه إله لا ولد له ولا شريك له، وأن ما قلتموه باطل وكذب، وهذا أحسن الأقاويل.

والقول الثانى: أن «إنْ» هاهنا بمعنى «ما»، ومعناه: قل ما كان للرحمن ولد وتم الكلام، ثم قال: فأنا أول العابدين، وأهل النحو يستبعدون(١) هذا، ويقولون: لا يجوز أن تكون «إنْ» بمعنى «ما» إلا على بعدٍ عظيم.

والقول الثالث: قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين أى: الآنفين، يقال: عَبِدَ إذا أنِف، قال الفرزدق:

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم ... وأَعْبُدُ أن يهجى كليبٌ بدارم

أى: آنف. وحكى بعضهم: أن عليا - رضى الله عنه - قال: قيل لى: إنك قتلت عثمان فَعَبِدْتُ وسكت أى: أنفت(٢).

وحقيقة المعنى فى الآية على هذا القول: أنى غضب (وله غضب)(٣) أنف أن ينسب إليه ولد كما تزعمون.

---

(١) فى «الأصل، وك»: يستعبدون، سبق قلم.

(٢) لسان العرب (٣/ ٢٧٥: مادة عبد)، وفيه: فعبد وضمد، وفى رواية: عبدت فصمت، أى أنفت فسكت.

(٣) كذا.

رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَن شَهِدَ

والقول الرابع: أن هذا على النفى من الجانبين بمعنى: إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين، وليس له ولد ولا أنا أول عابد، وهذا كالرجل يقول لغيره: إن كنت كاتبًا فأنا حاسب يعنى: لست بكاتب ولا أنا حاسب، وحكى هذا عن سفيان بن عيينة والسدى.

قوله تعالى: ﴿سبحان رب السموات والأرض﴾ أى: خالق السموات والأرض.

وقوله: ﴿رب العرش عما يصفون﴾ أى: عما يصفونه بالولد.

وقوله تعالى: ﴿فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون﴾ أى: يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله﴾ أى: معبود فى السماء والأرض.

وقوله: ﴿وهو الحكيم العليم﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿وتبارك الذى له ملك السموات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة﴾ أى: علم قيام الساعة.

وقوله: ﴿وإليه ترجعون﴾ أى: تردون.

قوله تعالى: ﴿ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة﴾ قال مجاهد: أى: عيسى وعزير والملائكة. وقال قتادة: الأصنام لأن للملائكة والنبيين شفاعة.

وقوله: ﴿إلا من شهد بالحق﴾ معناه على القول الأول: إلا لمن شهد بالحق، وهو من شهد بلا إله إلا الله. وعلى القول الثانى: لكن من شهد بالحق وهو يشفع، فعلى

بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾

هذا الأنبياء يشفعون، والمؤمنون يشفعون.

وقوله: ﴿وهم يعلمون﴾ ظاهر المعنى، ومعناه: يشهدون عن علم.

قوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون﴾ أى: يصرفون.

قوله تعالى: ﴿وقيله يارب﴾ فيه قراءتان معروفتان: «وقيلَه» بنصب اللام، «وقيلِه» بكسر اللام، والقراءة الثالثة: «قيلُه» بالضم، وهى قراءة الأعرج، أما بنصب اللام فمعناه: ويسمع قيلَه، فهو راجع إلى قوله: ﴿أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى﴾(١) أى: بلى نسمع سرهم ونجواهم، ونسمع قيلَه. وقال الزجاج: ونعلم قيلَه، وهو راجع إلى قوله: ﴿وعنده علم الساعة﴾(٢) ويعلم قيله. وعن بعضهم: «وقيله» أى: وقال: قيله أى: قال: قوله من الشكوى عن الكفار يعنى: الرسول صلوات الله عليه.

وأما القراءة بكسر اللام فمعناه: وعنده علم قِيلِه، وهو عطف على قوله تعالى: ﴿وعنده علم الساعة﴾.

وأما رفع اللام فعلى الابتداء، فكأنه قال: وقوله يارب، إن هؤلاء قوم لا يؤمنون.

قوله تعالى: ﴿فاصفح عنهم﴾ أى: أعرض عنهم، وهذا قبل نزول آية السيف. [فنسخت](٣) بآية السيف.

وقوله: ﴿وقل سلام﴾ أى: قل ما تسلم به عن شرهم، قال الحسن: «وقل سلام» أى: احلم عنهم. ويقال: هذا سلام توديع، وليس بسلام تحية.

وقوله: ﴿فسوف يعلمون﴾ تهديد ووعيد.

(١) الزخرف: ٨٠.
(٢) الزخرف: ٨٥.
(٣) فى «الأصل، وك»: نسخت.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾
فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾

تفسير سورة حم الدخان

وهى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿حم والكتاب المبين﴾ أى الكتاب الذى بين فيه الحلال والحرام، والثواب والعقاب، والوعد والوعيد.

قوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه فى ليلة مباركة﴾ فيه قولان: أحدهما: أنها ليلة القدر، وهذا قول ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير وأكثر المفسرين.

والقول الثانى: قول عكرمة، وهو أنها ليلة النصف من شعبان، وسماها مباركة لكثرة الخير فيها. والبركة: نماء الخير، ونقيضه الشؤم: نماء الشر. وقيل: مباركة لأنه يرجى فيها إجابة الدعاء.

وقوله: ﴿إنا أنزلناه﴾ أى: القرآن، وفى معنى هذا الإنزال قولان: أحدهما: أنه أنزل جميع القرآن فى ليلة القدر إلى السماء الدنيا، ثم كان جبريل - عليه السلام - يأتى به شيئًا فشيئًا إلى أن أنزل جميعه.

والقول الثانى: أن المراد بالإنزال هاهنا ابتداء الإنزال.

ومعنى قوله: ﴿أنزلناه﴾ أى: ابتدأنا إنزاله فى ليلة القدر.

وقوله: ﴿إنا كنا منذرين﴾ أى: مخوفين.

قوله تعالى: ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾ أى: يقضى كل أمر محكم، وذلك من الأرزاق والآجال والحياة والموت والخير والشر. قال مجاهد: إلا السعادة والشقاوة

أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ
وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ

فإنهما لايبدلان ولايغيران، وعن بعضهم: إلا الموت والحياة أيضًا، وفى التفسير: أنه يفرق الأحكام فى هذه الليلة إلى السنة القابلة عند هذه الليلة.

وقوله: ﴿أمرًا من عندنا﴾ نصب على المصدر كأنه قال: يفرق فرقًا، ثم وضع أمرًا مكان قوله: فرقًا.

وقوله: ﴿من عندنا إناكنا مرسلين﴾ أى: منزلين هذه الأشياء.

قوله تعالى: ﴿رحمة من ربك﴾ أى: إنزال القرآن رحمة من ربك.

وقوله: ﴿إنه هو السميع العليم﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ربِّ السموات والأرض﴾ وقرئ: «ربُّ السموات» فقوله: «ربُّ» بضم الباء عطف على قوله: ﴿هو السميع العليم﴾ وأما بالكسر بدل عن قوله: ﴿من ربك﴾.

قوله: ﴿[وما بينهما](١) إن كنتم موقنين﴾ اليقين ثلج الصدر بما يعلمه.

قوله تعالى: ﴿لا إله إلا هو يحيى ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ أى: المتقدمين.

قوله تعالى: ﴿بل هم فى شك يلعبون﴾ أى: يسمعون سماع لاعب، ويقولون قول لاعب، ويقبلون قبول لاعب.

قوله تعالى: ﴿فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين﴾ قال ابن مسعود: هذا الدخان فى الدنيا، وذلك أن النبى ﷺ دعا على كفار مضر، وقال: «اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف» فأصابتهم المجاعة والقحط

(١) من «ك».

بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾

الشديد، وأجدبت الأرض حتى أكلت العظام والميتات، وكان الرجل منهم ينظر إلى السماء فيرى بينه وبين السماء شبه الدخان من الجوع، فروى «أن أبا سفيان قدم على النبي ﷺ، وقال: يا محمد دعوت على قومك - يعنى قريشًا - وإنما هم إخوانك وأعمامك وأمهاتك وخالاتك فادع لهم فدعا لهم حتى سقوا»(١).

وروى أنه بعث معه بذهب إلى فقراء مكة حتى قسمه فيهم.

والقول الثانى: أن الدخان يكون فى القيامة، وهذا قول الحسن وقتادة، وقيل: هو الأصح. وفى التفسير: أن الناس يوم القيامة يأخذهم شبه دخان، فأما المؤمنون فيصيبهم مثل الزكام، وأما الكافرون فيدخل الدخان فى مسامعهم وأنوفهم، وتصير رءوسهم مثل الجنابذ(٢)، وقيل: إن الدخان شرط من أشراط الساعة، وفى بعض الأخبار: «بادروا بالأعمال ستًّا: طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدابة، والدجال، وخاصة الرجل فى نفسه، وأمر العامة»(٣) ومعنى خاصة الرجل هو الموت، ومعنى أمر العامة هو القيامة. وكان ابن مسعود يقول: قد مضى خمس: الدخان، والدم، والقمر، والبطشة، واللزام.

قوله تعالى: ﴿يغشى الناس هذا عذاب أليم﴾ أى: مؤلم.

قوله تعالى: ﴿ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون﴾ أى: مصدقون بمحمد إن كشفت، وهو حكاية عن الكافرين.

قوله تعالى: ﴿أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين﴾ معناه: التذكرة

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) الجنابذ: جمع جُنبذة، وهى ما ارتفع من الشيء واستدار كالقبة. انظر اللسان (٥/ ١٤).

(٣) رواه مسلم (١٨/ ١١٥ رقم ٢٩٤٧)، وأحمد (٢/ ٣٢٤، ٣٣٧، ٣٧٢، ٤٠٧، ٥١١)، والطيالسى (٣٣٢ رقم ٢٥٤٩)، والطحاوى فى مشكل الآثار (١/ ٤٢٠)، وابن حبان (١٥/ ١٩٩ - ٢٠٠ رقم ٦٧٩٠)، والحاكم (٤/ ٥١٦) وصححه. وفى الباب عن أنس رواه ابن ماجه وغيره.

ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾
يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ
رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾

والاتعاظ، وقوله: ﴿مبين﴾ أى: موضح، ﴿أنى﴾ بمعنى: كيف.

قوله تعالى: ﴿ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون﴾ والمعنى: أين لهم الاتعاظ والتذكر، وقد تولوا عن مثل هذا الرسول وأعرضوا عنه، وزعموا أنه معلم مجنون، ومعنى قوله: ﴿معلم﴾ أى: علمه جبر غلام ابن الحضرمى وعداس، وقد ذكرنا من قبل.

قوله تعالى: ﴿إنا كاشفوا العذاب قليلا﴾ أى: بدعاء النبى، والعذاب هو الدخان والقحط الذى ذكرنا، وقوله: ﴿قليلاً﴾ أى: مدة قليلة.

وقوله: ﴿إنكم عائدون﴾ أى: عائدون إلى الكفر، وقيل: صائرون إلى العذاب وهو النار.

قوله تعالى: ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه يوم بدر، والبطشة الكبرى بالأسر والقتل، والقول الآخر: أنه القيامة، وهو الأصح.

وقوله: ﴿إنا منتقمون﴾ أى: منتقمون بالعقوبة من الكفار.

قوله تعالى: ﴿ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون﴾ أى: ابتلينا.

وقوله: ﴿وجاءهم رسول كريم﴾ أى: كريم على الله، ويقال: كريم أى: حسن الأخلاق، وهو موسى عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿أن أدوا إلى عباد الله﴾ معناه: أرسلوا معى عباد الله، يعنى: بنى اسرائيل، وقيل معناه: ﴿أدوا إلى عباد الله﴾ أى: ياعباد الله، كأنه قال: أجيبوا لى وأطيعون ياعباد الله، فهو معنى الأول.

وقوله تعالى: ﴿إنى لكم رسول أمين﴾ أى: ذو أمانة، وعن أبى بكر الصديق –

وَأَن لاَّ تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلاً إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾

رضى الله عنه - وألا تعلوا على عباد الله أى: لا تتكبروا ولا تبغوا بالجحود والتكذيب.

وقوله: ﴿إنى آتيكم بسلطان مبين﴾ أى: بحجة بينة.

وقوله تعالى: ﴿وإنى عذت بربى وربكم﴾ أى: التجأت إلى ربى وربكم واعتصمت به.

وقوله: ﴿أن ترجمون﴾ أى: تقتلون، وكانوا أوعدوه بالقتل، وقيل: أن ترجمون أى: تسبون، والقول الأول أولى؛ لأنهم وصلوا إليه بالسب، فإن النسبة إلى السحر والكذب أعظم السب، ولم يصلوا إليه بالقتل.

قوله تعالى: ﴿وإن لم تؤمنوا لى﴾ أى: تصدقونى ﴿فاعتزلون﴾ أى: اعتزلوا منى، وكونوا كفافًا، لا لى ولا على.

قوله تعالى: ﴿فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون﴾ أى: مشركون.

قوله تعالى: ﴿فأسر بعبادى﴾ أى: أوحى الله تعالى أن أسر بعبادى ﴿ليلا﴾ أى: بليل.

وقوله: ﴿إنكم متبعون﴾ يعنى: أن فرعون وجنده يتبعونكم.

قوله تعالى: ﴿واترك البحر رهوًا﴾ فى قوله: ﴿رهوًا﴾ أقوال: أحدها: ساكنًا، والآخر: يبسًا، والثالث: طريقًا، والرابع: سهلا دمثًا، وقال الشاعر:

يمشين رَهْوًا فلا الأعجازُ داخلةٌ ... ولا الصدور على الأعجاز تَتَّكلُ

وفى القصة: أن موسى لما عبر البحر عطف على البحر ليضربه بعصًا فيعود[1] إلى

(١) فى «ك»: بعصاه ليعود.

وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ

ما كان، فأوحى الله تعالى: ﴿واترك البحر رهواً﴾ أى: ساكنًا.

وقوله: ﴿إنهم جند مغرقون﴾ أى: فرعون وقومه، وروى أن جند فرعون كانوا سبعة آلاف ألف رجل، وجند موسى ستمائة ألف (ونيف)(١)، وقيل: ألف ألف وستمائة ألف، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿كم تركوا من جنات﴾ أى: بساتين، وقيل: كان من الفيوم إلى دمياط والإسكندرية بساتين متصلة.

وقوله: ﴿وعيون﴾ أى: أنهار.

وقوله: ﴿وزروع﴾ أى: حروث.

وقوله تعالى: ﴿ومقام كريم﴾ أى: المنازل الحسنة، ويقال: المنابر، وقيل: إن فرعون كان قد أمر باتخاذ منابر كثيرة بمصر ليثنى عليه فيها.

وقوله: ﴿ونعمة كانوا فيها فاكهين﴾ أى: متنعمين، وقرئ: «فكهين» أى: معجبين، والنعمة مايتنعم به.

قوله تعالى: ﴿كذلك وأورثناها قوماً آخرين﴾ أى: بنى إسرائيل، وفى القصة: أن الله تعالى لما أغرق فرعون وقومه رجعت بنو إسرائيل إلى مصر، ونزلوا منازل آل فرعون وسكنوها.

قوله تعالى: ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض﴾ فيه أقوال: أحدها: ماروى أنس أن النبى ﷺ قال: «مامن مسلم إلا وله بابان فى السماء باب يصعد منه عمله، وباب ينزل منه رزقه، فإذا مات بكيا عليه، ثم تلا قوله تعالى: ﴿فما بكت عليهم

(١) فى «ك»: ونيفًا.

السماء والأرض ﴾ »(١).

وعن مجاهد قال: إذا مات العبد المسلم بكى عليه مصلاه أربعين صباحًا، وفى رواية عن على - رضى الله عنه - أنه إذا مات العبد المسلم بكى عليه موضعه الذى كان يصلى فيه، وبابه الذى كان يصعد [منه](٢) عمله. قال أبو يحيى: قلت لمجاهد: كيف تبكى السماء والأرض؟ فقال: ألاتبكى الأرض على من يعمرها بالركوع والسجود، ولاتبكى السماء على مؤمن يصعد عليه عمله الصالح؟! وعن الحسن البصرى قال: فما بكت عليهم السماء والأرض أى: أهل السماء والأرض، مثل قوله تعالى: ﴿ واسأل القرية ﴾(٣) أى: أهل القرية. وعن بعضهم: أن بكاء السماء حمرة أطرافها، وعن بعض التابعين: أن الحسين بن على - رضى الله عنهما - لما قتل أحمرت أطراف السماء أربعين صباحًا، وكان ذلك لبكائها عليه. وعن بعضهم: أن معنى بكاء السماء والأرض هاهنا هو أنهما لوكانا ممن يبكيان لم يبكيا على الكافر لما يعرفان من شدة غضب الله عليه.

والمعروف من الأقوال هو الأول، وهو المنقول عن السلف . وعن بعضهم قال: إنما ذكر بكاء السموات والأرض؛ لأن العرب تقول فى المصيبة العظيمة مثل هذا، فيقولون: كسفت الشمس لموت فلان، وبكت السماء عليه، قال الشاعر:

فالشمس كاسفة ليست بطالعة تبكى ... عليك نجوم الليل والقمرا

وقوله: ﴿ وماكانوا منظرين ﴾ أى: مؤخرين ممهلين.

---

(١) رواه الترمذى (٥/٣٥٤ - ٣٥٥ رقم ٣٢٥٥)، وأبو يعلى فى مسنده (٧/١٦٠ - ١٦١ رقم ٤١٣٣)، وابن أبى حاتم (ابن كثير ٤/١٤٢)، وأبو نعيم فى الحلية (٣/٥٣، ٨/٣٢٧)، والبغوى فى تفسيره (٤/١٥٢) جميعهم من حديث أنس بنحوه. وقال الترمذى: غريب، لانعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه، وموسى بن عبيدة ويزيد بن أبان الرقاشى يضعفان فى الحديث. وعزاه السيوطى فى الدر أيضا (٦/٣٣) لابن أبى الدنيا فى ذكر الموت، وابن مردويه، والخطيب.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) يوسف: ٨٢.

وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا

قوله تعالى: ﴿ولقد نجينا بنى إسرائيل من العذاب المهين﴾ فى التفسير: أن فرعون كان يستحقر بنى إسرائيل ويستذلهم، وكان لإسرائيل وأولاده قدر عظيم عند الله تعالى.

وقوله: ﴿من فرعون إنه كان عاليًا من المسرفين﴾ أى: جباراً متكبراً من المشركين.

قوله تعالى: ﴿ولقد اخترناهم على علم على العالمين﴾ معناه: اخترناهم على علم منَّا بهم، وقوله: ﴿على العالمين﴾ أى: على عالمى زمانهم، ويقال: على جميع العالمين؛ لأنه خصهم بكثرة الأنبياء منهم، فلهم الفضل على جميع العالمين بهذا المعنى، والمعروف هو الأول.

قوله تعالى: ﴿وآتيناهم من الآيات مافيه بلاءٌ مبين﴾ الآيات مثل: فلق البحر وإغراق فرعون، وإنجاء موسى ومن معه، وإنزال المن والسلوى، إلى غير ذلك من الآيات، وقوله: ﴿مافيه بلاء مبين﴾ أى: نعمة حسنة، تقول العرب: لفلان عندى بلاء حسن أى: نعمة حسنة، وفى القصة: أن فرعون كان يستعمل الأقوياء من بنى إسرائيل فى العمل حتى دبرت صدورهم وظهورهم من نقل الحجارة، ويذبح الأبناء، ويستحى النساء، ويستعملهن فى الغزل والنسيج، وما أشبه ذلك، وكان قد ضرب على ضعفاء بنى إسرائيل على كل واحد منهم ضريبة فيؤديها كل يوم، وكان القبطى يأتى إلى الإسرائيلى فيسخره فيما شاء من العمل، فإذا كان الظهر خلاه، وقال: اذهب واكتسب ماتأكله، ولايعطيه شيئاً يأكله؛ فنجاهم الله تعالى من هذه البلايا.

وقوله تعالى: ﴿إن هؤلاء ليقولون﴾ يعنى: مشركى مكة.

وقوله: ﴿إن هى إلا موتتنا الأولى﴾ معناه: أنا نموت مرة ولانبعث بعد ذلك.

وقوله: ﴿وما نحن بمنشرين﴾ أى: بمبعوثين، قال الشاعر:

الأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ

يا آل بكر أنشروا لى كليبا يا آل بكــر أين أين الفــرار

قوله تعالى: ﴿فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين﴾ قال أهل التفسير: إن أبا جهل قال: يا محمد، أنشر لنا بعض آبائنا وليكن فيهم قصى بن كلاب، فإنه كان شيخاً صدوقاً. وروى أنهم طلبوا منه أن يحيى لهم لؤى بن غالب، ومرة بن كعب، وقصى بن كلاب.

قوله تعالى: ﴿أهم خير أم قوم تبع﴾ يعنى: أهم أكثر قوة وأعظم نعمة أم قوم تبع. وفى بعض الأخبار: أن النبى ﷺ قال: «لاتسبوا تُبَّعًا فإنه كان قد أسلم»(١).

وعن عائشة – رضى الله عنها – أن تُبَّعًا كان مسلمًا، والتبابعة فى ملوك اليمن كالقياصرة فى ملوك الروم، والأكاسرة فى ملوك العجم.

وفى القصة: أن تبعًا خرج إلى العراق فحيَّر الحيرة، وغزا الصين، وهو الذى هدم حصن سمرقند، واستدل من قال: إن تبعًا كان قد أسلم، أن الله تعالى ذم قوم تبع، ولم يذم تبعًا، وفى القصة: أن إسلامه كان على يد اليهود، وكان أولئك اليهود على الحق.

وقوله: ﴿والذين من قبلهم أهلكناهم إنهم كانوا مجرمين﴾ أى: ذو جرم.

قوله تعالى: ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين﴾ أى: عابثين.

(١) رواه أحمد فى مسنده (٥ / ٣٤٠)، وابن جرير (٢٦ / ٩٨)، والطبرانى فى الكبير (٦ / ٢٠٣ رقم ٦٠١٣) وفى الأوسط (٦ / ٤٢٦ رقم ٣٩٢٩ مجمع البحرين)، وابن أبى حاتم (كما فى تفسير ابن كثير ٤ / ١٤٤)، والبغوى فى تفسيره (٤ / ١٥٣ – ١٥٤) جميعهم من حديث سهل بن سعد مرفوعا به، وقال الهيثمى فى المجمع (٨ / ٧٩): رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط وفيه عمرو بن جابر، وهو كذاب. وقال الحافظ ابن حجر فى تلخيصه على تخريج الكشاف: وفيه ابن لهيعة وعمرو بن جابر، وهما ضعيفان. وفى الباب عن ابن عباس، وعطاء بن أبى رباح مرسلا. وانظر تخريج الكشاف (٣ / ١٦٩ – ١٧٠)، وابن كثير (٤ / ١٤٤–١٤٥).

وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلاَّ مَن رَّحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الأَثِيمِ

قوله تعالى: ﴿ما خلقناهما إلا بالحق﴾ يعنى: للثواب العظيم، والعذاب العظيم، والمراد أهل السموات والأرض.

قوله: ﴿ولكن أكثرهم لايعلمون﴾

قوله تعالى: ﴿إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين﴾ يعنى: يوم القيامة يفصل فيه بين الخلائق أى: يقضى، ويقال: يقضى فيه بين المرء وعمله.

وقوله تعالى: ﴿يوم لايغنى مولىً عن مولىً شيئًا﴾ أى: قريبًا عن قريب شيئًا، ومعناه: أن المؤمن لاينصر قريبه الكافر، ويقال: لايتولى المؤمن الكافر لقرابته منه، ومنه قول النبى ﷺ: «من كنت مولاه فعلىٌّ مولاه»(١) أى: من توليته أنا فعلى مولاه من (موالاة)(٢) المحبة والنصرة، ويقال: إن الخبر ورد على سبب، وهو أن عليا قال لأسامة - رضى الله عنه -: أنت مولاى، فقال أسامة: لست مولاك، إنما أنا مولى رسول الله ﷺ: فقال رسول الله ﷺ: «من كنت مولاه فعلى مولاه».

وقوله: ﴿لا يغنى﴾ أى: لايدفع.

وقوله: ﴿ولا هم ينصرون﴾ أى: لايمنعون من العذاب.

قوله تعالى: ﴿إلا من رحم الله﴾ يعنى: أن المؤمنين يشفع بعضهم بعضًا، ويتولى بعضهم بعضًا، فالشفاعة: هو نفع الموالاة.

وقوله: ﴿إنه هو العزيز الرحيم﴾ أى: المنيع فى ملكه، الرحيم بخلقه.

قوله تعالى: ﴿إن شجرة الزقوم طعام الأثيم﴾ أى: الفاجر، وقيل: الكافر، وهو أبو

(١) تقدم تخريجه.

(٢) فى «ك»: تولية.

﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾

جهل فى قول أكثر المفسرين، وقد بينا معنى الزقوم، وروى أن المشركين أتوا أبا جهل وقالوا له: إن محمداً توعدنا بالزقوم، فهل تدرى ما الزقوم؟ فقال: والله إذا أنزلته غارت، هو الصرفان بالزبد، نوع من التمر الجيد. واعلم أن الزقوم فى اللغة كل طعام يتناول على كره شديد. وقال بعضهم: إن الزقوم هو الطعام اللين فى لسان البربر لا فى لسان العرب.

وقوله: ﴿ كالمهل ﴾ هو عكر الزيت، وقيل: عكر القَطِران، وقيل: الفضة المذابة.

وقوله تعالى: ﴿ يغلى فى البطون كغلى الحميم ﴾ أى: يغلى المهل فى البطون، وقيل: الزقوم فى البطون، وهو الأصح.

وقوله: ﴿ كغلى الحميم ﴾ أى: كغلى الماء الحار الذى انتهى حره.

وقوله تعالى: ﴿ خذوه فاعتلوه ﴾ أى: جروه، وقيل: سُوقوه بعنف.

وقوله: ﴿ إلى سواء الجحيم ﴾ أى: إلى وسط الجحيم.

قوله تعالى: ﴿ ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ﴾ فى التفسير: أنه يثقب وسط رأس أبى جهل ويصب فيه الحميم، فتخرج أمعاؤه من أسفله.

قوله تعالى: ﴿ ذق إنك أنت العزيز الكريم ﴾ أى: يقال له: ذق، وقوله: ﴿ العزيز الكريم ﴾ أى: فى زعمك، وكان يقول: أنا أعز أهل (الوادى)(١) وأكرمهم. ويقال: إنك أنت العزيز الكريم أى: لست بعزيز ولا كريم. وقيل: إن هذا يقال على طريق الاستهزاء به.

قوله: ﴿ إن هذا ماكنتم به تمترون ﴾ أى: تشكون.

(١) فى «ك»: البوادى.

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ
مُّتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴿٥٥﴾
لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ

قوله تعالى: ﴿إن المتقين فى مقام أمين﴾ أى: فى منزل يأمنون فيه من الموت والزوال، قال على: وأمنوا من الموت فطاب لهم العيش.

وقوله: ﴿فى جنات وعيون يلبسون من سندس﴾ أى: الرقيق من الديباج، وقيل: الخز الموشى.

وقوله: ﴿وإستبرق﴾ أى: الديباج الغليظ، ويقال: الإستبرق هو الديباج المرتفع الذى له بريق فى الأعين.

وقوله: ﴿متقابلين﴾ أى: لاينظر بعضهم إلى قفا بعض، وقيل: متقابلين بالمحبة غير متدابرين بالعداوة.

قوله تعالى: ﴿كذلك وزوجناهم بحور عين﴾ أى: كما فعلنا بهم ماذكرنا كذلك نزوجهم بالحور العين، والحور الجوارى البيض، والعين: الحسان الأعين، وقيل: سُمينَ الحور؛ لأن الأبصار تحار من جمالهن. وقرأ ابن مسعود: «[وعِيس] عين» أى: البيض.

قوله: ﴿يدعون فيها بكل فاكهة آمنين﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿لايذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى﴾ أى: سوى الموتة الأولى. والموتة الأولى لاتكون فى الجنة، وإنما قال على طريق التوسع. وقيل: هذا استثناء منقطع، ومعناه: لكن الموتة الأولى قد ذاقوها.

وقوله: ﴿ووقاهم عذاب الجحيم﴾ أى: عذاب النار، والجحيم معظم النار.

قوله تعالى: ﴿فضلا من ربك﴾ أى: تفضلا من ربك ﴿ذلك هو الفوز العظيم﴾

(١) فى «الأصل، وك» : وعيسى وهو خطأ والصواب ما أثبتناه، والعِيس بالكسر بياض يخالطه شيء من شقرة، وهى قراءة شاذة، انظر شواذ القرآن لابن خالويه (صـ١٣٧)، والمحتسب لابن جنى (٢/ ٢٦١).

ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

أى: النجاة العظيمة.

قوله تعالى: ﴿ فإنما يسرناه بلسانك ﴾ أى: يسرنا القرآن بلسانك، ويقال: أطلقنا به لسانك، وهو فى معنى قوله: ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر.... ﴾[1] الآية.

وقوله: ﴿ لعلهم يتذكرون ﴾ أى: يتعظون.

قوله تعالى: ﴿ فارتقب إنهم مرتقبون ﴾ أى: ترقب عذابهم وانتظره إنهم منتظرون.

---

(١) القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾

تفسير سورة الجاثية

وهى مكية

إلا آية واحدة وهى قوله تعالى: ﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لايرجون أيام الله﴾(١) فإنها نزلت بالمدينة، ويقال: إن الجميع مكية.

قوله تعالى: ﴿حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾ قوله: ﴿حم﴾ مبتدأ، و﴿تنزيل الكتاب﴾ خبره، وقوله: ﴿من الله العزيز الحكيم﴾ أى: الغالب على الأمور، العدل فى الأحكام.

قوله تعالى: ﴿إن فى السموات والأرض لآيات﴾ أى: لدلائل وعبراً، وذلك فى رفعها بغير عمد، وما خلق فيها من الشمس والقمر والنجوم، ومن بسط الأرض واستقرارها بمن فيها، ومانصب فيها من الجبال وأجرى فيها من الأنهار، وخلق من الأشجار، وغير ذلك، وقوله: ﴿للمؤمنين﴾ أى: للمصدقين.

قوله تعالى: ﴿وفى خلقكم﴾ أى: فى خلقكم من التراب ثم من نطفة.

وقوله: ﴿وما يبث من دابة﴾ أى: ماينشر فى الأرض من دابة، والدابة كل حيوان يدب على الأرض.

وقوله: ﴿آياتٌ﴾ وقرئ: «آياتٍ» بالرفع والخفض، فمن قرأ بالخفض فمعناه: إن فى السموات وإن فى خلقكم لآيات، ومن قرأ بالرفع فعلى الابتداء والاستئناف.

وقوله: ﴿لقوم يوقنون﴾ قال ابن مسعود: الإيمان هو اليقين كله.

---

(١) الجاثية: ١٤.

وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ

قوله تعالى: ﴿واختلاف الليل والنهار﴾ ومعنى الاختلاف هو الزيادة والنقصان والمجىء والذهاب.

وقوله: ﴿وما أنزل الله من السماء من رزق﴾ أى: المطر، قال كعب الحبر: ينزل المطر وفيه النبت فيدخل فى الأرض ثم يخرج منها.

وقوله: ﴿فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ قد ذكرنا.

﴿وتصريف الرياح﴾ معناه: مرة جنوبًا، ومرة شمالاً، ومرة رحمة، ومرة عذابًا.

وقوله: ﴿آيات لقوم يعقلون﴾ أى: يعقلون الآيات، وفى الخبر أن النبى ﷺ قال: «الريح من روح الله تأتى مرة بالعذاب ومرة بالرحمة؛ فلا تسبوها ولكن إذا جاءت(١) فسلوا الله خيرها، واستعيذوا بالله من شرها»(٢).

قوله تعالى: ﴿تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون﴾ أى: يصدقون، وحقيقة المعنى أنهم إذا لم يؤمنوا بهذا الكتاب فبأى كتاب بعده يؤمنون، ولاكتاب بعد هذا الكتاب.

قوله تعالى: ﴿ويل لكل أفاك أثيم﴾ فى التفسير أن الويل وادٍ فى جهنم يهوى الكافر فيه سبعين خريفًا قبل أن يبلغ قعره. وقوله: ﴿لكل أفاك أثيم﴾ أى: كذاب فاجر.

قوله تعالى: ﴿يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرًا﴾ أى: يصر على الكفر معرضًا عن الحق إعراض المتكبرين، والإصرار هو العقد على الشىء بالعزم

(١) فى «الأصل» و«ك»: جاء.

(٢) تقدم تخريجه.

عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا
شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا
كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى
وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾

الصحيح.

وقوله: ﴿ كأن لم يسمعها ﴾ أى: كأن لم يسمع الآيات.

وقوله: ﴿ فبشره بعذاب أليم ﴾ أى: موجع.

قوله تعالى: ﴿ وإذا علم من آياتنا شيئًا اتخذها هزواً ﴾ نزلت الآية فى النضر بن الحارث بن كلدة كان يقول فى القرآن إنه أساطير الأولين، وهو مثل حديث رستم واسفنديار، وكان يقول ذلك على جهة الاستهزاء.

وقوله: ﴿ أولئك لهم عذاب مهين ﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿ من ورائهم جهنم ﴾ قال أبو عبيدة: من قدامهم جهنم.

وقوله: ﴿ ولايغنى عنهم ماكسبوا شيئاً ﴾ قال بعض أهل التفسير: الآية فى عبدالله بن أبى بن سلول، وكسبه هو جهاده مع الرسول وصومه وصلاته وشفقته على أصحاب النبىﷺ. وقوله: ﴿ ولايغنى ﴾ أى: لا يدفع، وإنما لم يدفع؛ لأنه كان منافقًا يظهر الإسلام بلسانه ويعتقد الكفر، والأكثرون على أن هذه الآية فى النضر بن الحارث أيضًا، وهذا هو الأولى؛ لأن السورة مكية، وكسبه مافعله من الخير على زعمه.

وقوله: ﴿ ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء ﴾ أى: الأصنام.

وقوله: ﴿ ولهم عذاب عظيم ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ هذا هدى ﴾ أى: القرآن هدى للخلق.

وقوله: ﴿ والذين كفرو بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم ﴾ أى: عذاب من جهنم موجع.

اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ

قوله تعالى: ﴿الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله﴾ أى: من رزقه.

وقوله: ﴿ولعكم تشكرون﴾ قال ابن عيينة: الشكر واجب على كل مسلم؛ لأن الله تعالى قال: ﴿لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ فرزق العباد ليشكروه.

قوله تعالى: ﴿وسخر لكم مافى السموات وما فى الأرض﴾ أى: ذلل، ومعنى التسخير والتذليل خلقها على وجه ينتفع بها العباد، والانتفاع من السماء والأرض معلوم.

وقوله: ﴿جميعًا منه﴾ قال الفراء والزجاج: نعمة ورحمة منه، وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال: منه النور ومنه الشمس والقمر والنجوم. وفى بعض الآثار: أن رجلا أتى عبد الله بن عمر وقال: مم خلق الله الخلق؟ فقال: من النور والظلمة والريح، فقال: مم خلق النور والظلمة والريح فقال: لا أدرى، فأتى ابن عباس وسأل عن الأول فذكر مثل ماذكره ابن عمر، فسأله عن الثانى فقرأ قوله تعالى: ﴿وسخر لكم مافى السموات وما فى الأرض جميعًا منه﴾ أى: من تكوينه كأنه قال لها: كن فكانت. وعن ابن عباس أنه قرأ: «مِنَّةً» أى: سخر ما سخر نعمة من الله.

وقوله: ﴿إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ أى: يتدبرون.

وفى الخبر: «تفكروا فى الخلق ولاتتفكروا فى الخالق»(١).

قوله تعالى: ﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لايرجون أيام الله﴾ ذكر الضحاك وأبو صالح أن النبىﷺ وأصحابه نزلوا على ماء بالمريسيع، فبعث عبد الله بن أبى بن سلول غلامه ليأتيه بالماء، فأبطأ الغلام، فلما رجع قال له: ما الذى أبطأ بك؟ قال: جاء غلام عمر وجلس على فم البئر، ومنع الناس حتى ملأ قربة النبى وقربة أبى بكرو قربة

(١) تقدم تخريجه.

لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ

مولاه، فغضب عبد الله بن أبى لما سمع ذلك، وقال: ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قيل: سَمِّن كلبك يأكلك. ثم قال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فبلغ ذلك عمر فجاء بالسيف مشتملا عليه ليضرب به عبد الله بن أبى، واستأذن النبى ﷺ فى ذلك، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لايرجون أيام الله﴾ وهذا على القول الذى قلنا إن الآية نزلت بالمدينة، وقال بعضهم: شَتَمَ رجل من الكفار عمر بمكة فَهَمَّ أن يبطش به؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقوله: ﴿للذين لايرجون أيام الله﴾ أى: لا يسألون الله نعمه، والمعنى: أنهم لايعترفون بأن النعم من عند الله، وقيل: لايرجون أيام الله أى: لايخافون عقوبات الله ونقمه. وقيل: لايطمعون فى ثواب، ولايخافون من عقوبة.

وقوله: ﴿ليجزى قوماً بما كانوا يكسبون﴾ يعنى: يوم القيامة، ويقال: ليكون الله تعالى هو المجازى والمنتقم منهم لا أنتم.

قوله تعالى: ﴿من عمل صالحًا فلنفسه﴾ أى: نفع ذلك يعود إليه.

وقوله: ﴿ومن أساء فعليها﴾ أى: وبال ذلك عليه.

وقوله: ﴿ثم إلى ربكم ترجعون﴾ أى: تردون.

قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا بنى إسرائيل الكتاب﴾ أى: التوارة.

وقوله: ﴿والحكم والنبوة﴾ أى: العلم والنبوة.

وقوله: ﴿ورزقناهم من الطيبات﴾ أى: الحلال، وهى المن والسلوى وغير ذلك.

وقوله: ﴿وفضلناهم على العالمين﴾ أى: على عالمى زمانهم.

قوله تعالى: ﴿وآتيناهم بينات من الأمر﴾ أى: دلالات واضحات، ويقال: بينات

فَمَا اخْتَلَفُوا إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ

من الأمر مايدلهم على أمر محمد ﷺ.

وقوله: ﴿فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم﴾ أى: ما اختلفوا فى الحق إلا من بعدما جاءهم العلم بالحق.

وقوله: ﴿بغيًا بينهم﴾ أى: حسداً وظلماً وعناداً للحق.

وقوله: ﴿إن ربك يقضى بينهم﴾ ظاهر معناه إلى آخر الآية.

قوله تعالى: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر﴾ أى: طريق واضح، ويقال: على أمر بين، والشرعة هى المذهب والملة، وكذلك الشريعة.

وقوله: ﴿فاتبعها﴾ أى: اتبع الشريعة التى جاءتك من الله تعالى.

وقوله: ﴿ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾ فى التفسير: أن المشركين كانوا يقولون: يا محمد، ارجع إلى دين آبائك فإنه أولى من الدين الذى جئت به.

وقوله: ﴿إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئًا﴾ أى: لن يدفعوا عنك شيئًا يريده الله بك إن اتبعت أهواءهم.

وقوله: ﴿وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض﴾ أى: بعضهم محبو البعض.

وقوله: ﴿والله ولى المتقين﴾ أى: محب المتقين وحافظهم.

قوله تعالى: ﴿هذا بصائر للناس﴾ أى: هذا الذى أنزلناه إليك بصائر للناس أى: دلالات يبصر بها الناس.

وقوله: ﴿وهدى ورحمة لقوم يوقنون﴾ أى: يعلمون.

الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات﴾ أى: اكتسبوا السيئات، والسيئات ما قبحت شرعاً، والحسنات ما حسنت شرعاً.

وقوله: ﴿أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أى: فى دخول الجنة، وما يعطى أهل الإيمان من النعيم. والظاهر أن الآية فى الكفار وإن كانت عامة.

وقوله: ﴿سواءٌ محياهم ومماتهم﴾ وقرئ: «سواءً» بالنصب، فمن قرأ بالرفع فمنعاه: أن الكافر سواء محياه ومماته أى: يحيا كافراً ويموت كافراً.

وفى الخبر «يموت المرء على ما عاش عليه، ويبعث على ما مات عليه»(١).

وأما القراءة بالنصب فهو فى موضع مستو فانتصب لهذا، ويقال معناه: أم حسبوا أن نجعلهم والمؤمنين سواء فى المحيا والممات يعنى: أنهم لايستوون.

وقوله: ﴿ساء مايحكمون﴾ أى: بئس ما يحكمون لأنفسهم. وفى التفسير: أنهم كانوا يقولون للمؤمنين: إن دخلتم الجنة فنحن معكم، وإن دخلنا النار فأنتم معنا.

وفى بعض الآثار عن مسروق بن الأجدع قال: قدمت مكة ودخلت المسجد الحرام فقيل لى: هذا مقام أخيك تميم الدارى، جعل يصلى ليلة إلى الصباح يركع ويسجد ويبكى ويقرأ هذه الآية: ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات﴾ لا يجاوزها.

قوله تعالى: ﴿وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لايظلمون﴾ أى: لاينقص من حقوقهم شيء.

---

(١) كذا، والذى وقفنا عليه شطره الثانى ولفظه: «يبعث كل عبد على ما مات عليه». رواه مسلم (١٧/ ٣٠٥ رقم ٢٨٧٨)، وابن ماجه (٢/ ١٤١٤ رقم ٤٢٣٠)، وأحمد (٣/ ٣٣١، ٣٦٦)، وعبد الرزاق (٣/ ٥٨٦ رقم ٦٧٤٦)، والحاكم (١/ ٣٤٠) وصححه على شرط مسلم، جميعهم عن جابر مرفوعا به.

أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ

قوله تعالى: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ قال سعيد بن جبير: كان الواحد منهم يعبد الشيء، فإذا رأى شيئاً أحسن منه طرح الأول وأخذ الثانى فعبده. وقال قتادة فى معنى الآية: لا يهوى شيئًا إلا ركبه، فهو يعبد هواه. وقيل: اتخذ إلهه هواه أى: أطاع هواه وانقاد له كما ينقاد العبد لمعبوده. وقد ثبت أنه ﷺ قال: «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة»[1].

وفى بعض الأخبار أنه ﷺ [قال][2]: «ماعبد تحت ظل السماء شيء وهو أبغض عند الله من هوى»[3].

وقوله: ﴿وأضله الله على علم﴾ أى: على ماحكم [له][4] فى علمه السابق، وهو رد على القدرية، وقد أولوا هذا وقالوا: معنى قوله: ﴿وأضله الله﴾ أى: وجده ضالا، أو سمَّاه ضالا، وهو تأويل باطل؛ لأن العرب لاتقول: فعل فلان كذا إذا وجده كذلك.

وقوله: ﴿وختم على سمعه﴾ أى: ختم على سمعه فجعله لا يسمع الحق.

وقوله: ﴿وقلبه﴾ أى: وختم على قلبه فجعله لايقبل الحق.

---

(١) رواه البخارى (٦/ ٩٥ رقم ٢٨٨٦ وطرفاه: ٢٨٨٧، ٦٤٣٥)، وابن ماجه (٢/ ١٣٨٥ – ١٣٨٦ رقم ٤١٣٥)، وابن حبان (٨/ ١٢ رقم ٣٢١٨)، والبيهقى فى سننه (٩/ ١٥٩، ١٠/ ٢٤٥) كلهم من حديث أبى هريرة مرفوعا به.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) رواه ابن أبى عاصم فى السنة (١/ ٨ رقم٣)، وابن عدى فى الكامل (٢/ ٣٠١)، والطبرانى فى الكبير (٨/ ١٠٣ رقم ٧٥٠٢)، وأبو نعيم فى الحلية (٦/ ١١٨)، وابن الجوزى فى ذم الهوى، (٢٣)، وفى الموضوعات (٣/ ١٣٩) من حديث أبى أمامة مرفوعا به. قال ابن الجوزى: موضوع، ومثله الشوكانى فى الفوائد (١/ ١٩١). وقال الهيثمى فى المجمع (١/ ١٩١): رواه الطبرانى وفيه الحسن بن دينار، وهو متروك الحديث.

(٤) فى «ك»: الله.

بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ

وقوله: ﴿وجعل على بصره غشاوة﴾ أى: غطاء فلا يبصر الحق.

وقوله: ﴿فمن يهديه من بعد الله﴾ يعنى: إذا كان الله لايهديه فمن يهديه من بعد الله؟!.

وقوله: ﴿أفلا تذكرون﴾ أى: أفلا تتعظون.

قوله تعالى: ﴿وقالوا ماهى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا﴾ فيه أقوال: أحدها: أنه على التقديم والتأخير، ومعناه: نحيا ونموت، وهكذا قرأ ابن مسعود.

والقول الثانى: نموت ونحيا: أى: يموت البعض منا، ويحيا البعض منا. وفيه قولان آخران: أحدهما: وهو القول الثالث: نموت ونحيا أى: نموت نحن ويحيا أولادنا، والقول الرابع: هو أنه خلقنا أمواتًا ثم أحيانا.

وقوله: ﴿ومايهلكنا إلا الدهر﴾ قال قتادة: من الأيام والليالى. ويقال: مايهلكنا إلا الدهر أى: إلا الموت، قال الشاعر.

أَمِن المنونِ وريْبِها يتوجّعُ والدهرُ ليس بمعتب مَنْ يجزعُ

أى: الموت. ويقال: وما يهلكنا إلا الدهر أى: طول العمر، وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «لاتسبوا الدهر فإن الله هو الدهر»(١).

قال الشيخ الإمام رضى الله عنه: أخبرنا بذلك أبو الحسين النقور، أخبرنا أبو القاسم بن حبابه، أخبرنا البغوى هو ابن بنت منيع واسمه عبد الله بن محمد أبو

(١) رواه مسلم (١٥/ ٥ رقم ٢٢٤٦)، وابن جرير الطبرى (٢٥/ ٩٢)، والبيهقى فى السنن (٣/ ٣٦٥)، والخطيب فى تاريخه (٣/ ٣٠٨) من حديث محمد بن سيرين - سقط من نسخة ابن جرير المطبوعة - عن أبى هريرة مرفوعا به.

وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ

القاسم، أخبرنا هدبة بن[١] خالد، أخبرنا حماد بن سلمة، عن أيوب، عن محمد بن سيرين، عن أبى هريرة الخبر.

وروى العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «يقول الله تعالى: استقرضت من ابن آدم فلم يقرضنى، ويسبنى وهو لايعلم، ويقول: يادهراه يادهراه»[٢] وفى رواية «ياخيبة الدهر وأنا الدهر»[٣].

وفى رواية ثالثة عن النبى ﷺ أنه قال: «يقول الله تعالى: يؤذينى ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر، أدبر الأمر أقلب الليل والنهار».

وفى معنى الخبر ثلاثة أوجه: أحدها: أن معناه: لاتسبوا الدهر؛ فإن الله هو الدهر أى: خالق الدهر.

والوجه الثانى: لاتسبوا الدهر فإنى فاعل الأشياء. وكانوا يضيفون الفعل إلى الدهر ويسبونه، فإن الله هو الدهر يعنى: أن الله فاعل الأشياء لا الدهر، وهذا قول معتمد.

والوجه الثالث: وهو أنهم كانوا يعتقدون بقاء الدهر، وأنه لايبقى شىء مع بقاء الدهر فقال: لاتسبوا الدهر يعنى: لا تسبوا الذين يعتقدون أنه الباقى؛ فإن الله هو الدهر يعنى: فإن الله هو الباقى بقاء الأبد على مايعتقدون فى الدهر.

وقوله: ﴿ومالهم بذلك من علم إن هم إلايظنون﴾ أى: قالوا ماقالوه على ظن وشك لا عن علم ويقين.

قوله تعالى: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا

(١) فى «الأصل وك» بنت، خطأ، وهو هدبة بن خالد القيسى، أبو خالد البصرى، يروى عن حماد بن سلمة وعنه البغوى، كما فى ترجمته من تهذيب الكمال (٣٠/ ١٥٢ - ١٥٧).

(٢) رواه الإمام أحمد (٢/ ٣٠٠)، وابن جرير (٢٥/ ٩٢)، والحاكم (١/ ٤١٨) وصححه، عن أبى هريرة به.

(٣) متفق عليه، رواه البخارى (٨/ ٤٣٧ رقم ٤٨٢٦، وطرفاه: ٦١٨١، ٧٤٩١)، ومسلم (١٥/ ٣ - ٥ رقم ٢٢٤٦) من حديث ابن المسيب عن أبى هريرة مرفوعًا.

حُجَّتَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ
يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ
جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ

إن كنتم صادقين﴾ وقد بينا قول أبي جهل في هذا.

قوله تعالى: ﴿قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لاريب فيه ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾ أي: لا يعلمون الحق.

قوله تعالى: ﴿ولله ملك السموات والأرض، ويوم تقوم الساعة﴾ أي: القيامة.

وقوله: ﴿يومئذ يخسر المبطلون﴾ أي: يهلك الكافرون.

قوله تعالى ﴿وترى كل أمة جاثية﴾ فيه أقوال: أحدها: مستوفزين أي: جلوسًا على الركب، قال سفيان الثوري: المستوفز من لا تصيب الأرض منه إلا ركبتاه وأطراف أصابعه. والقول الثاني: جاثية أي: مجتمعة. والقول الثالث: جاثية أي: خاضعة ذليلة، وقيل: هو لغة قريش. والقول الأول هو المختار المعروف، ومنه جثا فلان بين يدي القاضي ينتظر قضاءه[1]، وعن سلمان الفارسي قال: إن في القيامة ساعة هي عشر سنين من سنين الدنيا يخر فيها الناس، ويجثون على الركب حتى إبراهيم خليل الرحمن، ويقول: نفسي لا أسألك إلا نفسي.

ويقال: ترى كل أمة جاثية أي: كل أحدٍ جاثيًا، والأمة تكون بمعنى الواحد. ويقال معناه: كل أمة رسول جاثية، والله أعلم.

وقوله: ﴿كل أمة تدعى إلى كتابها﴾ معناه: إلى قراءة كتابها.

وقوله تعالى ﴿اليوم تجزون ماكنتم تعملون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق﴾ أي: يظهر ماعملتم بالحق.

---

(١) في «ك»: رضاءه.

عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلاَّ ظَنًّا وَمَا نَحْنُ

وقوله: ﴿إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾ فيه أقوال: أحدها: نستكتب ماكنتم تعملون أى: نأمر الكتبة أن يكتبوا ويحفظوا أعمالكم. والقول الثانى: نستنسخ ماكنتم تعملون أى: نأخذ نسخة مما كتبت الملائكة عليكم. والقول الثالث: وهو المعروف، وهو مروى عن ابن عباس قال: يأمر الله تعالى الملائكة بأن يأخذوا نسخة من اللوح المحفوظ على ما يعمله العبد فى يومه وليلته، ثم يكتبون ما عمله العبد، ثم يقابلون ماكتبوا على العبد بما نسخوا من اللوح المحفوظ، فيكونان سواء لازيادة ولانقصان فيه، قال ابن عباس: انظروا هل يكون الاستنساخ إلا من أصل.

قوله تعالى: ﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته﴾ أى: جنته.

وقوله: ﴿ذلك هو الفوز المبين﴾ أى: البين.

قوله تعالى: ﴿وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتى تتلى عليكم﴾ يعنى يقال لهم: أفلم تكن آياتى تتلى [عليكم](١) أى: ألم تكن آياتى تتلى عليكم؟.

وقوله: ﴿فاستكبرتم﴾ أى: طلبتم الكبرياء والعظمة بترك التوحيد، وكل كافر متكبر، وكل مؤمن متواضع.

وقوله: ﴿وكنتم مجرمين﴾ أى: ذوى(٢) جرم.

قوله تعالى: ﴿وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لاريب فيها﴾ أى: لاشك فيها.

وقوله: ﴿قلتم ما ندرى ما الساعة إن نظن إلا ظنًّا﴾ أى: نظن أنك كاذب، ونظن أنك صادق، ولادليل معنا على صدقك، وأن ما قلته حق.

---

(١) من «ك».

(٢) فى «ك»: ذو.

بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٣﴾
وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ
﴿٣٤﴾ ذَلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ
مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

وقوله: ﴿وما نحن بمستيقنين﴾ أى: متيقنين.

قوله تعالى: ﴿وبدا لهم سيئات ماعملوا﴾ أى: ظهر لهم سيئات ماعملوا.

وقوله: ﴿وحاق بهم ماكانوا به يستهزئون﴾ أى: نزل بهم وأحاط بهم جزاء ماكانوا به يستهزئون، وفى التفسير: أنه إذا كان يوم القيامة ينادى واحد فيقال: يافلان تعال فخذ نورك، وينادى آخر فيقال: اذهب فلا نور لك.

قوله تعالى: ﴿وقيل اليوم ننساكم﴾ أى: نترككم، ومعناه: نترككم من الرحمة وإعطاء الثواب. وقيل معناه: نترككم فى العذاب، فلا نخرجكم منها كما نخرج المؤمنين .

وقوله: ﴿كما نسيتم لقاء يومكم هذا﴾ أى: كما تركتم العمل ليومكم هذا.

وقوله: ﴿ومأواكم النار ومالكم من ناصرين﴾ أى: من يمنع عذابنا منكم.

قوله تعالى: ﴿ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزواً وغرتكم الحياة الدنيا فاليوم لايخرجون منها﴾ أى: من النار.

﴿ولاهم يستعتبون﴾ أى: لايرجعون ولا يردون إلى ماكانوا عليه من العافية. ويقال: يستقيلون فلا يقالون. ويقال: ولاهم يستعتبون أى: لا يعطون العتبى، وهو طلب رضاهم ومرادهم.

قوله تعالى: ﴿فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿وله الكبرياء فى السموات والأرض﴾ أى: العظمة والعلو، وقد

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال: «يقول الله تعالى: الكبرياء ردائى، والعظمة إزارى، فمن نازعنى واحدة منهما ألقيته فى جهنم»(١).

وقوله: ﴿ وهو العزيز الحكيم ﴾ أى: العزيز فى انتقامه، الحكيم فى تدبيره، والله أعلم.

(١) رواه ابن ماجه (٢/١٣٩٧ - ١٣٩٨ رقم ٤١٧٥)، وابن عدى (٥/٣٦٤)، وابن حبان فى صحيحه (١٢/٤٨٦ - ٤٨٧ رقم ٥٦٧٢) كلهم عن عطاء بن السائب عن سعيد به، وقد أعله أبو حاتم فى العلل (٢/١٠١ رقم ١٧٩٥) وذكر أن هذا الحديث خطأ، وأن الأشبه رواية وهيب عن عطاء عن سليمان الأغر عن أبى هريرة مرفوعا. وذكره الدارقطنى فى العلل (٨/٢٨٩ - ٢٩١ رقم ١٥٧٧) وذكر الاختلاف فيه على عطاء ابن السائب، وأنه رواه بأسانيد مختلفة منها عن أبى هريرة، ومنها عن عبد الله بن عنرو، ومنها عن ابن عباس ثم قال: والصحيح عن الأغر عن أبى هريرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ

تفسير سورة الاحقاف

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿حم﴾ أى: حم الأمر وقضى، وقال قتادة: اسم من أسماء القرآن. وقال غيره: قسم، وجواب القسم قوله: ﴿ماخلقنا السموات والأرض وما بينها إلا بالحق﴾.

وقوله: ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿ماخلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ يعنى: إلا للثواب والعقاب، ويقال: إلا لإقامة الحق.

وقوله: ﴿وأجل مسمى﴾ أى: أمد ينتهى إليه، وهذا إشارة إلى فناء السموات والأرض لمدة معلومة.

وقوله: ﴿والذين كفروا عما أنذروا معرضون﴾ أى: معرضون إعراض المكذبين الجاحدين.

قوله: ﴿قل أرأيتم ماتدعون من دون الله﴾ أى: الأصنام.

وقوله: ﴿أرونى ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات﴾ أى: فى خلق السموات فتعبدونها لذلك، ومعناه: أنه ليس لهم شرك، لا فى خلق الأرض، ولا فى خلق السماء أى: نصيب، فكيف تعبد مع الله؟!

وقوله: ﴿ائتونى بكتاب من قبل هذا﴾ أى: بكتاب من قبل القرآن يدل على مازعمتوه.

﴿ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝٤ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۝٥﴾

وقوله: ﴿أو أثارة من علم﴾ قال أبو عبيدة: أى: بقية من علم. يقال: ناقة ذات أثارة أى: بقية من سمن، ويقال: أو أثارة من علم مأثور، ومعناه: إن كان [عندكم][1] كتاب من كتب الأولين، أو علم مأثور [عنهم][2] ترونه يدل على صدق ما قلتم فأتوا بذلك، وأرونيه إن كنتم صادقين. ويقال: «أو أثارة من علم» هو الخط، وهذا حكى عن ابن عباس، وروى منصور عن (ابن إبراهيم)[3] أن نبيا من الأنبياء كان يخط له، وكان ذلك هو الوحى إليه، وقد روى هذا فى خبر مرفوع[4].

وفى بعض التفاسير: أن من خط خطه علم علمه، وعن ابن إسحاق قال: أول من خط بالقلم إدريس النبى عليه السلام.

وعن (مطرف بن الوراق)[5] قال: قوله ﴿أو أثارة من علم﴾ هو الإسناد.

وقوله: ﴿إن كنتم صادقين﴾ أى: صادقين فيما تقولونه.

قوله تعالى: ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لايستجيب له إلى يوم القيامة﴾ أى: لايستجيب أبداً.

وقوله: ﴿وهم عن دعائهم غافلون﴾ أى: لايسمعون دعاءهم وإن دعوا، والمراد من الآية هو الأصنام، يعنى: كيف يعبدون الأصنام؟ ولو دعوهم لم يستجيبوا لهم

---

(١) فى «الأصل وك»: عندك.

(٢) فى «الأصل وك»: علمهم.

(٣) كذا، ولعل الصواب: عن إبراهيم - يعنى النخعى - والراوى عنه هو منصور بن المعتمر، وهو معروف بالرواية عنه، كما فى ترجمتيهما من تهذيب الكمال.

(٤) رواه مسلم (٥/ ٢٨ - ٣٥ رقم ٥٣٧)، وأبو داود (١/ ٢٤٤ - ٢٤٥ رقم ٩٣٠)، والنسائى (٣/ ١٤ - ١٨ رقم ١٢١٨)، وأحمد (٥/ ٤٤٧، ٤٤٨)، وابن خزيمة (٢/ ٣٥ - ٣٦ رقم ٨٥٩) وغيرهم عن معاوية بن الحكم السلمى مرفوعًا نحوه.

(٥) كذا فى «الأصل وك»، وأظنه مطر الوراق، وهو مطر بن طهمان الوراق أبو رجاء الخراسانى البصرى، من رجال التهذيب، ثم وقفت عليه فى كتاب المدخل إلى كتاب الإكليل للحاكم (٢٧) من طريق أبى شوذب، عن مطر الوراق به.

وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي

ولم يسمعوا كلامهم.

قوله تعالى: ﴿وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء﴾ أى: الأصنام كانوا لهم أعداء، ﴿وكانوا بعبادتهم كافرين﴾ يعنى: أنهم يقولون: مادعوناكم إلى عبادتنا.

قوله تعالى: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين﴾.

قوله تعالى: ﴿أم يقولون افتراه قل إن افتريته فلا تملكون لى من الله شيئًا﴾ فى التفسير: أن أبا جهل قال للنبى ﷺ: يامحمد، إنك تفترى على الله حيث تزعم أن هذا القرآن من وحيه وكلامه، وإنما هو كلام تقوله من تلقاء نفسك.

وقوله: ﴿فلا تملكون لى من الله شيئا﴾ أى: إن افتريت على الله وعاقبنى لا تملك دفع عقوبته عنى.

وقوله: ﴿هو أعلم بما تفيضون فيه﴾.

وقوله: ﴿كفى به شهيداً بينى وبينكم﴾ أى: كفى بالله شهيداً بينى وبينكم.

وقوله: ﴿وهو الغفور الرحيم﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿قل ماكنت بدعًا من الرسل، وما أدرى مايفعل بى ولا بكم﴾ معناه: ماكنت أول رسول أرسل إلى بنى آدم، وقوله: ﴿وما أدرى مايفعل بى ولا بكم﴾ قال الحسن البصرى: هذا فى الدنيا، فأما فى الآخرة فلا، ومعناه: فى الدنيا ولا أدرى أُترك بينكم أو أقتل؟ ويقال: لا أدرى أُخرج كما أخرجت الأنبياء من قبل أو

وَلا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لا

أُقتل كما قُتلت الأنبياء من قبل. وقوله: ﴿ولابكم﴾ هذا خطاب مع الكفار، ومعناه: لا أدرى أتؤخرون فى العذاب أو يعجل لكم العذاب، وفى بعض التفاسير: أن الله تعالى لما أنزل هذه الآية وَجَدَ النبى ﷺ والمؤمنون وَجْداً شديداً أى: اغتموا؛ فأنزل الله تعالى قوله: ﴿إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر﴾(١) فقيل له: يارسول الله، هذا لك خاصة أولنا ولك؟ فقال: هى لى ولكم إلا مافضلت به من النبوة»(٢) والخبر غريب.

وقوله: ﴿إن اتبع إلا مايوحى إلى وما أنا إلا نذير مبين﴾ أى: نذير بيِّن النذارة.

قوله تعالى: ﴿قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله﴾ قال ابن سيرين وجماعة: هو عبد الله بن سلام، وقد روى هذا أيضًا عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وغيرهم، وعلى هذا القول هذه الآية مدنية من جملة السورة؛ لأن عبد الله بن سلام أسلم بالمدينة بالاتفاق. وفى بعض الأخبار: أن جماعة من اليهود أتوا النبى ﷺ وقد جعل رسول الله ﷺ عبد الله بن سلام وراء ستر، فقال لهم: كيف ابن سلام فيكم؟ فقالوا: أعلمنا وابن أعلمنا، وخيرنا وابن خيرنا.

فقال النبى ﷺ: أرايتم لو أسلم هل تسلمون أنتم؟ فقالوا: معاذ الله أن يسلم، فخرج عبد الله بن سلام وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقالوا: هو شرنا وابن شرنا، وأجهلنا وابن أجهلنا، وجعلوا يشتمونه، فهو قوله تعالى: ﴿وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله﴾»(٣).

---

(١) الفتح: ١ - ٢.

(٢) عزاه المصنف نفسه للدمياطى فى تفسيره عن ابن عباس، كما سيأتى فى تفسير سورة الفتح.

(٣) رواه البخارى (٦/٤١٧ - ٤١٨ رقم ٣٣٢٩، وأطرافه: ٣٩١١، ٣٩٣٨، ٤٤٨٠)، والنسائى فى الكبرى (٥/٣٣٨ - ٣٣٩ رقم ٩٠٧٤)، وأحمد (٣/١٠٨)، وأبويعلى (٦/٤٥٨ - ٤٥٩ رقم ٣٨٥٦)، وابن حبان (١٦/١١٧ - ١١٨ رقم ٧١٦١)، والبيهقى فى الدلائل (٢/٥٢٨ - ٥٢٩)، والبغوى فى تفسيره (٤/١٦٥) عن أنس مرفوعا به.

يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ

وفى الآية قول آخر: وهو أن المراد به رجل من بنى إسرائيل على الجملة، وعلى هذا الآية مكية مثل سائر آيات السورة. وفى الآية قول ثالث: وهو أن الشاهد من بنى إسرائيل هو موسى - عليه السلام - شهد بمثل ماشهد به الرسول من وحدانية الله تعالى، وأن عبادة الأصنام باطلة، وهذا قول مسروق وغيره، وفى بعض التفاسير: أن قوله: ﴿وشهد شاهد من بنى اسرائيل﴾ هو يامين بن يامين، وكان من علماء اليهود أسلم على يد النبى ﷺ، والقول الأول هو المشهور.

وقوله تعالى: ﴿فآمن واستكبرتم﴾ أى: آمن بما جاء به محمد ﷺ، وتعظمتم أنتم عن الإيمان به بعد ظهور الحق.

وقوله: ﴿إن الله لايهدى القوم الظالمين﴾ ظاهر المعنى. وفى التفسير: أن فى الآية حذفًا، وتقديره: «قل أرأيتم إن كان من عند الله وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ألستم قد ظلمتم وأتيتم بالقبيح الذى لا يجوز» ثم قال: ﴿إن الله لايهدى القوم الظالمين﴾ ابتداء، يعنى: الكافرين.

قوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا...﴾ الآية. روى أن أَمَةً يقال لها: (زِنِّيرة)[1] أسلمت فقال مشركو قريش: لو كان فى هذا الدين خير ماسبقتنا إليه هذه الأمة، ويقال: كانت آمةً لعمر بن الخطاب. وفى بعض التفاسير: أن هذه الأمة عميت بعدما أسلمت، فقال الكفار: إنما أصابها ما أصابها بإسلامها، فرد الله عليها بصرها.

وفى الآية قول آخر: وهو أن مزينة وجهينة وغفار وأسلم آمنوا بالنبى ﷺ، وهى قبائل حول المدينة، فقال بنو عامر وغطفان وأسد وأشجع، وهؤلاء رءوس قبائل العرب: لو كان فى الدين خير ماسبقتنا إليه مزينة وجهينة وأسلم وغفار رُعاة البَهْم، فأنزل الله تعالى هذه الآية رداً عليهم.

وقوله: ﴿وإذ لم يهتدوا به﴾ أى: بالقرآن وبما جاء به محمد ﷺ.

(١) فى «ك»: زهرة، وهو خطأ، والصواب زِنِّيرة بكسر أولها وتشديد النون بعدها تحتانية مثناة ساكنة، وهى زنيرة الرومية، كذا ضبطه الحافظ فى الإصابة (٤ / ٣١١).

وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا

وقوله: ﴿ فسيقولون هذا إفك قديم ﴾ أى: حديث مثل حديث المتقدمين، وهى كذب وزور.

قوله تعالى: ﴿ ومن قبله كتاب موسى ﴾ أى: كتاب من قبل القرآن كتاب موسى.

وقوله: ﴿ إماماً ﴾ نصب على الحال.

وقوله: ﴿ ورحمة ﴾ معطوف عليه.

وقوله: ﴿ وهذا كتاب مصدق ﴾ أى: مصدق للتوارة.

وقوله: ﴿ لساناً عربيًّا ﴾ نصب على الحال أيضاً، ويقال معناه: بلسان عربى.

وقوله: ﴿ لينذر الذين ظلموا ﴾ أى: القرآن ينذر الذين ظلموا، وأما من قرأ بالتاء أى: تنذر يامحمد الذين ظلموا.

وقوله: ﴿ وبشرى للمحسنين ﴾ بإيمانهم وأعمالهم الصالحة.

وقوله تعالى: ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾

وقوله: ﴿ فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون ﴾ قد ذكرنا أيضاً.

قوله تعالى: ﴿ أولئك أصحاب الجنة.... ﴾ الآية ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حسناً حملته أمه كرهًا ووضعته كرها ﴾ الكَرْه: هو الإكراه، والكُره هو المشقة فى الحمل حين يثقل الحمل، والمشقة فى الوضع عند الطلق، ومعنى الكَرْه قريب من هذا أى: على كراهة منها، وفى تفسير النقاش: حملته سروراً، ووضعته سروراً، حكى عن الفراء: أن الكُره بالضم هو السرور، والكره بالفتح هو الكراهة، حكاه النقاش.

حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ

وقوله: ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾ معناه: أن أقل مدة الحمل ستة أشهر، ومدة الفصال سنتان، فذلك ثلاثون شهراً، وروى أن أمرأة أتت بولد لستة أشهر من وقت النكاح فى زمان عمر - رضى الله عنه - فَهَمَّ عمر برجمها، فقال على - رضى الله عنه - لاسبيل لك عليها، وتلا قوله تعالى: ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾ فقال عمر: لولا علىّ لهلك عمر.

وفى بعض التفاسير: أن المرأة إن وضعت لستة أشهر فمدة الفصال أربعة وعشرون شهراً، وإن وضعت لتسعة أشهر فمدة الفصال [أحد](١) وعشرون شهراً، وهذا خلاف قول الفقهاء؛ فإن عند أكثر الفقهاء مدة الفصال حولان بكل حال.

وقوله تعالى: ﴿حتى إذا بلغ أشده﴾ قد بينا معنى الأشد.

وقوله: ﴿وبلغ أربعين سنة﴾ قد بينا أيضاً، وهو منتهى مدة كمال العقل.

وقوله: ﴿قال رب أوزعنى﴾ أى: ألهمنى.

﴿أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدى وأن أعمل صالحًا ترضاه وأصلح لى فى ذريتى إنى تبت إليك وإنى من المسلمين﴾ ظاهر المعنى، واختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الآية؟ فقال الكلبى ومقاتل والضحاك: إنها نزلت فى أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - وقال الحسن البصرى: إنها عامة فى جميع المؤمنين. ومعنى الآية: هو الإرشاد إلى شكر الله ودعاء الوالدين.

قوله تعالى: ﴿أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ماعملوا﴾ أى: الأحسن من

(١) كذا بالأصل وهو استعمال على خلاف الفصيح، والأفصح أن يقال: «واحد وعشرون شهراً». وفى «ك»: إحدى وعشرون شهراً، وهو خطأ بيّن.

الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا

أعمالهم، والأحسن من الأعمال كل مايرضاه الله تعالى.

وقوله: ﴿ونتجاوز عن سيئاتهم فى أصحاب الجنة﴾ أى: مع أصحاب الجنة.

وقوله: ﴿وعد الصدق الذى كانوا يوعدون﴾ أى: يوعدون من الثواب على الأعمال الصالحة، ويقال: إن الآية الأولى نزلت فى سعد بن أبى وقاص، وكان قد أسلم ومنعه أبواه من الإسلام وشددا عليه الأمر ليرجع عن دينه، وقد بينا هذا من قبل. ويقال: نزلت فى أخيه عمير بن أبى وقاص، ومعنى الآية على هذا: هو الوصية بالإحسان إليهما دون الموافقة فى الشرك.

قوله تعالى: ﴿والذى قال لوالديه أف لكما﴾ زعم جماعة من أهل التفسير أن الآية نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر - رضى الله عنهما - [ووالديه][1] أبو بكر وأمه [أم][2] رومان. وقوله تعالى: ﴿أف لكما﴾ تبرم واستقذار، وكانا يقولان: اللهم اهده، اللهم أقبل بقلبه، وكان يقول: أتعداننى أن (أبعث)[3] أى: أتوعدانى بالبعث، وهذا هو معنى قوله: ﴿أتعداننى أن أخرج﴾.

وقوله ﴿وقد خلت القرون من قبلى﴾ أى: مضت القرون: من قبل، أين عبد الله بن جدعان؟ وفلان وفلان؟.

وقوله: ﴿وهما يستغيثان الله﴾ أى: يستغيثان بالله.

وقوله: ﴿ويلك آمن﴾ أى: ويحك، آمن ﴿إن وعد الله حق﴾.

وقوله: ﴿فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين﴾ أى: أقاصيص الأولين، وأنكر كثير

(١) فى «الأصل، وك»: ووالداه، والصواب ما أثبتناه.

(٢) زيادة ليست فى «الأصل، ولا ك»، وأم رومان امرأة أبى بكر وأم عبد الرحمن بن أبى بكر لها ترجمة في الإصابة، وغيره.

(٣) فى «ك»: أخرج.

إلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِين ﴿١٧﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ

من أهل التفسير هذا القول، وروى عن عائشة أنها كانت تنكر أن المراد بالآية أخوها، وكذلك ذكر الزجاج فى كتاب المعانى وغيره، واستدلوا على ضعف هذا القول وفساده بأن الله تعالى قال عقيب هذه الآية: ﴿أولئك الذين حق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس﴾ أى: وجب عليهم القول بالتعذيب فى النار.

وقد قال الله تعالى: ﴿مايبدل القول لدى﴾[1] وعبد الرحمن بن أبى بكر أسلم وحسن إسلامه، وهو من أفاضل المسلمين، فالصحيح أن الآية فى غيره، وهو الكافر العاق (بوالديه)[2] الذى مات على الكفر.

وقوله تعالى: ﴿فى أمم﴾ أى: مع أمم.

وقوله: ﴿قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين﴾أى: هالكين.

قوله: ﴿ولكل درجات مما عملوا﴾ أى: لكل المؤمنين درجات مما عملوا.

وفى التفسير: أن الدرجات من الذهب والفضة والياقوت والزبرجد والزمرد واللؤلؤ وغيره من الجواهر، وفى بعض الأخبار: أن الله تعالى يدخل المؤمنين الجنة ويأمرهم أن يقسموها بأعمالهم.

وقوله: ﴿(ولنوفيهم)[3] أعمالهم وهم لايظلمون﴾ أى: لايزاد فى إساءة المسىء، ولاينقص من إحسان المحسن.

وقوله تعالى: ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا﴾ أى: أذهبتم طيباتكم فى الآخرة من معاصيكم فى الدنيا، ويقال: شغلتكم

(١) ق: ٢٩.

(٢) فى «ك»: لوالديه.

(٣) انظر النشر فى القراءات العشر (٢ / ٣٧٣).

الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ

الشهوات عن الطاعات. وقيل: أخذتم نصيبكم فى الدنيا فلا نصيب لكم فى الآخرة.

وقوله: ﴿ واستمتعتم بها ﴾ أى: تلذذتم وانتفعتم بها، وفى المشهور من الخبر «أن عمر - رضى الله عنه - دخل على النبى ﷺ فى خزانته وهو مضطجع على [خَصَفَة][1] وبعضه على الأرض، وتحت رأسه وسادة حشوها ليف، وفى البيت أُهُب وقليل من القرظ، فبكى عمر، فقال له رسول الله ﷺ : ماذا (يبكيك)؟[2] فقال: ذكرت كسرى وقيصر وماهما فيه من النعم وحالك على ما أرى، وأنت نبى الله وصفوته وخيرته، فقعد رسول الله ﷺ وقال: أفى شك أنت يا ابن الخطاب! أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم فى حياتهم الدنيا، وأخرت لنا إلى الآخرة»[3].

وروى أن عمر - رضى الله عنه - قال: ما أجمل لذيذ العيش لو شئت أمرت بصغار المعزى فيسمط لنا، وأمرت بلباب البرِّ فيخبز لنا، وأمرت بالزبيب فينبذ لنا حتى يصير كعين اليعقوب، فآكل من هذا مرةَ، وأشرب من هذا مرةَ، ولكن سمعت الله يقول لقوم: ﴿ أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا ﴾، فأنا أخاف أن أكون منهم.

وروى أنه رأى جابر بن عبد الله وبيده لحم قد اشتراه قال: ماهذا؟ قال: اشتريته بدرهم. فقال: أو كلما قام أحدكم اشترى بدرهم لحمًا. وفى رواية: كلما اشتهيت اشتريت، أما سمعت الله يقول: ﴿ أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا ﴾ أما تخافون أن تكونوا منهم؟

وقوله: ﴿ اليوم تجزون عذاب الهون ﴾ أى: الهوان، وهو كذلك فى قراءة ابن مسعود.

وقوله: ﴿ بما كنتم تستكبرون فى الأرض بغير الحق ﴾أى: تطلبون العلو والرفعة

(١) فى «الأصل»: خفصة، وهو تصحيف، والخصفة هى الجلة من الخوص، وتكون وعاء للتمر، وهى أيضا فراش من خوص النخل.

(٢) فى «ك»: عليك.

(٣) متفق عليه، وقد تقدم.

الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ

والغلبة بغير الحق.

وقوله: ﴿ وبما كنتم تفسقون ﴾ أى: تخرجون عن طاعة الله.

وقوله تعالى: ﴿ واذكر أخا عادٍ ﴾ وهو هود- عليه السلام- وكان أخاهم فى النسب لا فى الدين.

وقوله: ﴿ إذ أنذر قومه بالأحقاف ﴾ أى: قومه عاداً، والأحقاف: جمع حِقف، وهو الرمل المعوج، وفى الخبر: «مر رسول الله ﷺ بظبى حاقف»[(١)] أى: قد انثنى عنقه، ويقال: الأحقاف: رمال مستطيلة شبه الدكاكين. (وقيل)[(٢)] : رمال مشرفة على البحر (بالشِّحْر)[(٣)] من اليمن. وعن ابن عباس: أرض بين عمان ومهرة، وعن ابن إسحاق: أرض بين عمان وحضرموت كانت منازل عاد بها، وروى أبو الطفيل عن على - رضى الله عنه - أنه قال: شر بئر فى الأرض بئر بوادى حضرموت يقال له: برهوت يجعل فيها أرواح الكفار، وخير بئر فى الأرض بئر زمزم. ويقال: جبال بالشام. والأصح أنهم كانوا باليمن، وأما منازل ثمود وقوم لوط بين المدينة والشام.

وقوله: ﴿ وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ﴾ أى: خلت النذر قبل هود وبعده.

وقوله: ﴿ ألا تعبدوا إلا الله إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴾ أى: كبير.

قوله تعالى: ﴿ قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا ﴾ أى: تصرفنا.

وقوله: ﴿ فأتنا بما تعدنا ﴾ أى: من العذاب.

(١) رواه النسائى (٥/١٨٢ - ١٨٣ رقم ٢٨١٨)، ومالك فى الموطأ (١/٣٥١ رقم ٧٩)، وأحمد (٣/٤٥٢)، والطبرانى فى الكبير (٥/٢٥٩ رقم ٥٢٨٣) عن البهزي به.

(٢) فى «ك»: وقال.

(٣) والشحر بالحاء المهملة: هو شط بين عدن وعمان. انظر معجم البلدان (٣/٣٧١).

إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ

وقوله: ﴿إن كنت من الصادقين﴾ يعنى: إن كنت نبياً من قبل الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿قال إنما العلم عند الله﴾ أى: وقت عذابكم يعلمه الله، ولا أعلمه أنا.

وقوله: ﴿وأبلغكم ما أرسلت به ولكنى أراكم قومًا تجهلون﴾ ومعناه: أن إلىَّ تبليغ الرسالة، وليس إلىَّ إنزال العذاب، وإنما هو إلى الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿فلما رأوه عارضًا مستقبل أوديتهم﴾ العارض: هو السحاب هاهنا قال الشاعر:

إذا نظرت إلى أسرَّة وجهه ... برقت كبرق العارض المتهلل

وقال آخر(١):

يامن يرى عارضاً قد [بت] أرمقه ... كأنما البرق فى حافاته الشعل

وفى القصة: أن الله تعالى حبس عنهم القطر ثلاث سنين، فجعلوا يدعون ويسألون الله المطر، وروى أنهم وفدوا وفداً إلى الحرم يسألون الغيث، وكان لهم واد يقال له: المغيث، وكان غيثهم يأتى من قبل ذلك الوادى، فرأوا سحابة جاءت من جانب ذلك الوادى، وكانت سوداء فاستبشروا و﴿قالوا هذا عارض ممطرنا﴾ أى: سحاب يرسل علينا المطر؛ فقال هود- عليه السلام، وكان جالسًا معهم-: ﴿بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم﴾.

وقوله: ﴿بل هو ما استعجلتم به﴾ أنهم كانوا قد قالوا: «فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين». وذكر ابن إسحاق أن أول من رأى العذاب فى السماء امرأة منهم فقالت: أرى نيرانًا أمامها رجال يقودونها.

(١) هو أعشى بنى قيس، والبيت فى ديوانه.

أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لا يُرَىٰ إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً

وفى القصة: أن قوم هود قالوا لهود: أتوعدنا بالريح، وأىُّ الريح تصرعنا وتهلكنا، فروى أن الله تعالى أمر الملك الذى هو على خزانة الريح أن يرسل الريح من الخزانة فقال: وكم أرسله؟ فقيل له: على مقدار منخر الثور، فقال: إذا تقلب الأرض بمن فيها. فقيل له: على قدر حلقة الخاتم فأرسلت على هذا القدر فجعلت تطير بالظعن بين السماء والأرض، وتحمل الراعى مع غنمه وإبله وتروحها إلى الهواء، ثم تطرحها على الجبال وتشدخها، وكذلك فعلت بجميع عاد حتى أهلكتهم، وفى التفسير: أنها كانت تحمل الرجال بين السماء والأرض حتى يرى كالجراد، وكان هذا العذاب مسخراً عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً على ماذكر الله تعالى فى موضع آخر.

وفى القصة: أن هود - عليه السلام - اعتزل بقومه الذين آمنوا به وخط لهم خطاً، وكانت الريح فى ذلك الخط ألين ريح وأطيبها، وهى تعمل بقومه العجائب. وروى أنهم لما رأوا العذاب وأرسلت الريح عليهم دخلوا بيوتهم، وهى من صخر، وأغلقوا الأبواب، ففتحت الريح أبوابهم ونزعتهم من بيوتهم، وأهالت الرمال عليهم حتى أهلكتهم تحت الرمال، وإن أنين بعضهم يسمع تحتها.

وقوله: ﴿ تدمر كل شىء بأمر ربها ﴾ أى: بإذن ربها.

وقوله: ﴿ فأصبحوا لايرى إلا مساكنهم ﴾ روى أن الله تعالى لما أهلكهم بعث بطير كثير حتى التقطتهم وألقتهم فى البحر، فأصبحت مساكنهم خالية عن جميعهم، فذلك قوله تعالى: ﴿ فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم ﴾.

وقوله: ﴿ كذلك نجزى القوم المجرمين ﴾ أى: ذوى الإجرام.

وقوله تعالى: ﴿ ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: فيما لم نمكنكم فيه أى: جعلنا تمكينهم ونعمهم فى الأرض أكثر وأوسع.

والقول الثانى: مكناهم فيما مكناكم فيه، « وإن » صلة.

﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ﴾

والقول الثالث: إن فى الآية حذفًا، وتقديرها: ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه كان عنادكم وعتوكم أكثر، وهذا هو المحذوف.

وقوله: ﴿وجعلنا لهم سمعًا﴾ أى: أسماعًا.

وقوله: ﴿وأبصاراً وأفئدة﴾ أى: (أعينا)(١) يبصرون بها، وقلوبًا يعلمون بها.

وقوله: ﴿فما أغنى عنهم﴾ أى: مادفعت عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم حتى نزل بهم العذاب.

وقوله: ﴿من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله﴾ أى: ينكرون آيات الله.

وقوله: ﴿وحاق بهم﴾ أى: نزل بهم.

وقوله: ﴿ماكانوا به يستهزئون﴾ أى: جزاؤه.

قوله تعالى: ﴿ولقد أهلكنا ماحولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون﴾ أى: منازل عاد باليمن، ومنازل ثمود، و[مدائن](٢) قوم لوط فيما بين المدينة والشام، وقوله ﴿وصرفنا الآيات﴾ أى: مرة عاقبناهم، ومرة أنعمنا عليهم، ويقال: خوفناهم مرة، وأطمعناهم مرة.

وقوله: ﴿لعلهم يرجعون﴾ أى: عن الكفر الذى كانوا عليه.

قوله تعالى: ﴿فلولا نصرهم الذين اتخذوا﴾ معناه: فهلا نصرهم ﴿الذين اتخذوا من دون الله قرباناً آلهة﴾ أى: منع الأصنام منهم عذابنا. وقوله: ﴿قرباناً﴾ إنما قال ذلك؛ لأنهم كانوا يقولون إن عبادتنا لها تقربنا إلى الله.

---

(١) فى «ك»: أبصارًا.

(٢) من «ك».

ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾

وقوله: ﴿بل ضلوا عنهم﴾ أى: ضلوا عن عبادة الأصنام ولم تنفعهم أبداً.

وقوله: ﴿وذلك إفكهم وما كانوا يفترون﴾ أى: ذلك كذبهم وفريتهم.

قوله تعالى: ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن...﴾ الآية معناه: وجهنا وجوههم إليك، وأما سبب نزول الآية: وهو أن النبىﷺ لما دعا كفار مكة إلى الإسلام وأبوا أن يسلموا خرج إلى الطائف ليدعوهم إلى الإيمان، فلما رجع إلى مكة وكان ببطن نخلة، مر عليه أشراف من جن نصيبين وهو يصلى صلاة الصبح، ويقال: إنهم رأوه ببطن نخلة وهو عامد إلى عكاظٍ. وأختلفوا فى عددهم، فقال بعضهم: كانوا سبعة نفر. وقال بعضهم: كانوا تسعة نفر. ويقال: كان فيهم زوبعة. وقد ذكر فى أسمائهم حسى ومسى ويسى وشاصر وناصر، والله أعلم. فلما سمعوا قراءة النبىﷺ اجتمعوا لسماعه. وفى التفسير أيضًا: أن الجن كانوا يستمعون إلى السماء قبل زمان النبىﷺ؛ فلما كان زمان النبى رُمُوا بالشهب، فاجتمعوا وقالوا: ماهذا إلا لأمر حدث فى الأرض، فضربوا في الأرض يميناً وشمالا حتى وجدوا النبىﷺ ببطن نخلة يصلى ويقرأ القرآن وحوله الملائكة يحرسونه؛ فعرفوا أن ماحدث من الأمر كان لأجله»(١).

وقوله: ﴿فلما حضروه قالوا أنصتوا﴾ أى: أسكت بعضهم بعضاً، وروى أنه قال بعضهم لبعض: صه أى: اسكتوا.

وقوله: ﴿فلما قضى﴾ معناه: فلما فرغ من القراءة.

وقوله: ﴿ولوا إلى قومهم منذرين﴾ أى: محذرين، ويقال: ولوا دعاة إلى التوحيد. وقد قيل: إن الجن كانوا من جن الموصل، وهى نِينَوى بلدة يونس بن متى، ويقال: من حران، وقيل: غير ذلك.

قوله تعالى: ﴿قالوا ياقومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى﴾ فإن قيل: كيف

---

(١) تقدم تخريجه.

قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ

ذكر من بعد موسى ولم يذكر عيسى، وعيسى نبى مثل موسى - عليهما السلام - وقد آتاه الله الإنجيل أيضًا وهو كتابه؟ والجواب عنه: يحتمل أنهم لم يكونوا سمعوا بذكر عيسى، ويحتمل أنهم سمعوا بذكر موسى وعيسى جميعًا إلا أنهم ذكروا موسى لأنه أقدم؛ ولأن عامة ما فى الإنجيل من الأحكام موافقه لما فى التوراة إلا فى أشياء معدودة.

وقوله: ﴿مصدقًا لما بين يديه﴾ أى: لما بين يديه من الكتب.

وقوله: ﴿يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم﴾ أى: مستوٍ.

قوله تعالى: ﴿ياقومنا أجيبوا داعى الله﴾ أى: محمداً ﷺ.

﴿وآمنوا به﴾ أى: صدقوا به ﴿يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم﴾ أى: النار.

قوله تعالى: ﴿ومن لايجب داعى الله فليس بمعجز فى الأرض﴾ أى: لا يفوت الله ولايسبقه.

وقوله: ﴿وليس له من دونه أولياء﴾ أى: أنصار [يمنعونهم](1) من العذاب.

وقوله: ﴿أولئك فى ضلال مبين﴾ أى: خطأ بين، وفى الأخبار: أن وفد الجن ذهبوا وأنذروا قومهم، وعادوا إلى النبى ﷺ بعد ما أسلم طائفة كثيرة منهم، وذهب النبى ﷺ وقرأ عليهم القرآن وعلمهم الأحكام، وفى حمله عبد الله بن مسعود مع نفسه اختلاف كثير، فروى أنه لما أراد أن يذهب إلى الجن قال: «ليقم منكم معى رجل ليس فى قلبه مثقال خردل من كبر، فقام عبد الله بن مسعود وحمله مع نفسه، وخط له خطًّا وقال له: إياك أن تبرح هذا الخط، وذهب يخاطب الجن، وكان هذا الاجتماع بالحجون، وهو موضع بأعلى مكة، فروى أنه لما سمع عبد الله بن مسعود

(1) فى «الأصل»: يمنعوهم.

لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

لغطهم وأصواتهم ظن بالنبى ﷺ الظنون، فأراد أن يخرج من الخط، ثم إنه ذكر وصية النبى ﷺ فلم يخرج، وذكر ذلك للنبى ﷺ من بعد فقال: لوخرجت لم تلقنى أبدا»(١). وروى أنه رأى بعضهم ورأى آثار نيرانهم.

وفى هذا كلام كثير، وروايات مختلفة، وفى رواية علقمة عن عبد الله بن مسعود أنه قال: لم يكن معه منا أحد ليلة الجن، والله أعلم فى ذلك.

وقال أهل العلم: فى الآية دليل على أن النبى ﷺ كان مبعوثًا إلى الجن والإنس.

وقوله تعالى: ﴿أو لم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن﴾ أى: لم يعجز عن خلقهن، وقيل: لم يتعب ولم ينصب بخلقهن، خلاف ما قالته اليهود: أنه تعب من خلقهن فاستراح يوم السبت.

وقوله: ﴿بقادر﴾ أى: قادر ﴿على أن يحيى الموتى﴾.

وقوله: ﴿بلى إنه على شىء قدير﴾ أى: قادر.

قوله تعالى: ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق﴾ معناه: يقال لهم: أليس هذا بالحق.

وقوله: ﴿قالوا بلى وربنا﴾ أى: نعم.

وقوله: ﴿قال فذوقوا العذاب بماكنتم تكفرون﴾ أى: تكفرون بالله.

قوله تعالى: ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل﴾ أى: فاصبر على مايصيبك من أذى المشركين.

وقوله: ﴿كما صبر أو لوا العزم من الرسل﴾ أكثر المفسرين على أنهم أربعة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم السلام، وقال مقاتل: أولو العزم، نوح صبر على

(١) رواه أحمد (١/٤٥٨ - ٤٥٩)، والطبرانى (١٠/٦٣-٦٤ رقم ٩٩٦٢)، والبيهقى (١/٩-١٠) عن ابن مسعود بنحوه. قال الهيثمى فى المجمع (٨/٣١٧): رواه أحمد، وفيه أبو زيد مولى عمرو بن حريث، وهو مجهول.

﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ

أذى قومه، وإبراهيم صبر على النار، وإسحاق صبر على الذبح، ويعقوب صبر على فقد الولد، ويوسف صبر على السجن، وأيوب صبر على الضر. وقيل: أولو العزم هم: نوح، وهود، وإبراهيم. وفى الآية قول آخر - وهو معروف -: أن جميع الأنبياء هم المراد بالآية، وليست «من» للتبعيض وإنما للتبيين، وقال من ذهب إلى هذا القول: ليس فى الأنبياء أحد ليس له عزم ولاحزم ولا رأى ولاعقل، بل كانوا جميعًا بهذه الأوصاف. ومنهم من قال: أولو العزم من الرسل: هم الذين أمروا بالقتال ومنابذة المشركين فقاتلوا ونابذوا، وفى بعض المسانيد براوية عائشة - رضى الله عنها - أن النبى ﷺ قال لها: «مالى وللدنيا ياعائشة، وإنما أمرت أن أصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، صبروا على مكروهها، وصبروا على محبوبها - أى: مكروه الدنيا ومحبوب الدنيا - والله لأفعلن كما فعلوا، وأجتهدن حتى أنال رضا ربى»[١] والخبر غريب. والقول الذى ذكرناه أخيراً ذكره الكلبى وغيره، وفى قول هؤلاء ليس آدم من أولى العزم ولا يونس صلوات الله عليهما.

وقوله: ﴿ولاتستعجل لهم﴾ فى التفسير: أن النبى ﷺ استبطأ عذاب الكفار [بعض][٢] الاستبطاء؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ولاتستعجل لهم﴾

وقوله: ﴿كأنهم يوم يرون مايوعدون لم يبلثوا إلا ساعة من نهار﴾ واليوم الذى يوعدون يوم القيامة، وقوله: ﴿بلاغ﴾ أى: هذا بلاغ، وهو إشارة إلى القرآن، وقرأ (أبو)[٣] مجلز لاحق بن حميد «بَلِّغْ» على وجه الأمر.

---

(١) رواه البغوى فى تفسيره (٤/ ١٧٦) من طريق ابن أبى حاتم، والديلمى فى الفردوس (٥/ ٤٢٦ رقم ٢٨٦٢٨)، وعزاه السيوطى فى الدر (٦/ ٥٠) لابن أبى حاتم والديلمى.

(٢) فى «الأصل و ك»: بعد، وهو تحريف.

(٣) في «ك»: ابن، وهو تحريف.

الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾.

وقوله: ﴿فهل يهلك إلا القوم الفاسقون﴾ أى: الكافرون، والفاسق: [هو][(١)] الخارج عن طاعة الله، وذلك الكافر، ويقال: إن هذه الآية أرجى آية فى القرآن. قال قتادة. لايهلك على الله إلا هالك، ثم فسر الهالك قال: هو كافر ولَّى الإسلام ظهره، أو منافق يصف الإيمان بلسانه وينكر بقلبه.

---

(١) فى «الأصل»: هم.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ① وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ

تفسير سورة محمد ﷺ

وهى مدنية، وهذه السورة تسمى سورة القتال، وسورة الأنفال تسمى سورة الجهاد، وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا قاتلوا العجم وغيرهم بعد رسول الله ﷺ قرءوا هاتين السورتين بين الصفين؛ ليحرضوا المسلمين على القتال.

قوله تعالى: ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم﴾ أى: أحبط أعمالهم. قال المفسرون: نزلت الآية فى المُطْعِمين يوم بدر، وهم اثنا عشر نفرا، كان كل واحد منهم ينحر كل يوم عشراً من الجزور، هذا هو القول المشهور، و﴿أعمالهم﴾ إطعامهم، أحبطها الله تعالى ولم يقبلها منهم. ويقال: إن الآية فى جميع أهل مكة من الكفار.

قوله تعالى: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصلحات وآمنوا بما نزل على محمد﴾ القول المشهور فى الآية: أن المراد بهم الأنصار، وقيل: إنه فى جميع من آمن مع النبى ﷺ.

وقوله: ﴿وهو الحق من ربهم﴾ أى: آمنوا بما هو الحق من ربهم.

وقوله: ﴿كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم﴾ أى: حالهم، [يقال](١): مابالك وما حالك بمعنى واحد.

قوله تعالى: ﴿ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل﴾ أى: ذلك الذى فعلناه من إحباط (أعمال)(٢) الكفار، وقبول أعمال المؤمنين وتكفير سيئاتهم وإصلاح بالهم، كان بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل، وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم.

(١) فى «الأصل، وك»: فقال.

(٢) فى «ك»: عمل.

بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ

وقوله: ﴿كذلك يضرب الله للناس أمثالهم﴾ أى: أمثال سيئات الكفار وحسنات المؤمنين، يقال: ضربت لفلان مثلاً أى: ذكرت له نوعًا من الكلام لمعنى معلوم.

قوله تعالى: ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب﴾ أى: فاضربوا الرقاب، وضرب الرقاب جزها وقطعها.

وفى التفسير: «أن قومًا من المسلمين كان بعثهم النبى ﷺ لقتال قوم من الكفار، فأحرقوا بعض الكفار؛ فبلغ النبى ﷺ فأنكره، وقال: «إنى مابعثت لأعذب بعذاب الله أحدًا»(١). فأنزل الله تعالى هذه الآية، وعلمهم كيفية القتل.

وقوله ﴿حتى إذا أثخنتموهم﴾ الإثخان: بلوغ الغاية فى النكاية، ويقال: الاستكثار من القتل.

وقوله: ﴿فشدوا الوثاق﴾ أى: فأسروهم وشدوهم. وسئل الأوزاعى كيف نشد الأسير؟ قال: بحبل، قيل: هل نشد بالقدِّ؟ قال: ذاك عظيم، وقيل له: نشد المرأة؟ قال: نعم.

وقوله: ﴿فإما منا بعد وإما فداء﴾ فى الآية أقوال: أحدها: أنها محكمة، وهو المعروف. قال مجاهد وغيره: والإمام بالخيار فى الأسرى؛ إن شاء قتل،وإن شاء فادى، وإن شاء مَنَّ، وإن شاء استَرَقَّ، وحكى هذا عن ابن عباس، والذى ذكرناه قول الشافعى وكثير من الأئمة.

والقول الثانى: أن الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾(٢) قاله قتادة والسدى وغيرهما.

---

(١) رواه ابن أبى شيبة (١٢ / ٣٩٠)، وابن جرير (٩ / ٣٢) كلاهما عن القاسم بن عبد الرحمن مرسلا، بدون نزول الآية.

(٢) التوبة: ٥.

والقول الثالث: أن الآية ناسخة لقوله تعالى: ﴿ فاقتلوا المشركين ﴾(١) ذكره الضحاك، ولايجوز فى الأسر القتل. والأول أولى الأقاويل؛ لأنه قد ثبت بروايات كثيرة «أن النبى ﷺ فادى كثيراً من الأسارى، ومَنَّ على كثير من الأسارى» على ماذكر فى الكتب الصحيحة(٢).

وقوله: ﴿ حتى تضع الحرب أوزارها ﴾ قال قتادة: حتى لايبقى إلا مسلم أو مسالم وقال سعيد بن جبير: حتى ينزل عيسى [ابن مريم](٣) من السماء، ويكسر الصليب، ويسلم كل كافر. وقد ثبت أن النبى ﷺ قال: «لاتزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق حتى تقوم الساعة»(٤). وفى رواية أخرى: «حتى يكون آخر من يقاتلون الدجال»(٥). وفى الجملة لاتضع الحرب أوزارها مابقى فى العالم كافر حربى.

وقوله تعالى: ﴿ ذلك ولو يشاء الله لا نتصر منهم ﴾ أى: فانتصر منهم بجند من الملائكة، أو بأى جند أراد، والانتصار هاهنا هو الانتقام، ومعناه: أنه لو يشاء لم يأمركم بقتال الكفار، وانتقم بنفسه منهم ﴿ ولكن ليبلو بعضكم ببعض ﴾ أى: ليبلو المسلمين بالكافرين، والكافرين بالمسلمين، مرة تكون النصرة للمؤمنين، ومرة تكون النصرة للكافرين مثل ماكان ببدر وأحد، وهو تبلية الله كيف يشاء لمن يشاء.

وقوله: ﴿ والذين قتلوا فى سبيل الله ﴾ أى: الشهداء.

(١) التوبة: ٥.

(٢) انظر تلخيص الحبير (٤/٢٠٢ - ٢٠٥ رقم ٢٢٤٢ - ٢٢٤٦)، وتخريج الكشاف ٣/٢٩٥ - ٢٩٧ رقم ١١٩٧)، والدر المنثور (٦/٥١ - ٥٢).

(٣) من «ك».

(٤) رواه مسلم (١٣/٩٨ - ٩٩ رقم ١٩٢٢)، وأحمد (٥/٩٨، ١٠٣، ١٠٦، ١٠٨)، والطبرانى (٢/٢١٧ رقم ١٨٩١)، وابن حبان (١٥/٢٥١ رقم ٦٨٣٧) عن جابر بن سمرة، وهو يعد من الأحاديث المتواترة، وانظر نظم المتناثر (١٤٥ رقم ١٤٦).

(٥) رواه أبو داود (٣/٤ رقم ٢٤٨٤)، وأحمد (٤/٤٢٩، ٤٣٧)، والحاكم (٤/٤٥) وصححه على شرط مسلم، وغيرهم عن عمران بن حصين مرفوعا به.

أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا

وقوله: ﴿ فلن يضل أعمالهم ﴾ أى: يثيبهم على أعمالهم.

وقوله: ﴿ سيهديهم ويصلح بالهم ﴾ أى: حالهم.

وقوله: ﴿ ويدخلهم الجنة عرفها لهم ﴾ القول المشهور أن معناه: عرفهم منازلهم، ومعنى قوله: ﴿ عرفها لهم ﴾ أى: بيَّنا لهم، فيكونون أهدى إلى منازلهم من القوم يعودون من الجمعة إلى دورهم. قال سلمة بن كهيل: عرفهم (طرق)[1] منازلهم فى الجنة. ويقال: عرفها لهم أى: طيبَّها لهم. وقيل: عرفها لهم أى: رفعها لهم، والعَرْف: هو الريح. وفى الخبر «أن من أعان على قتل أخيه بشطر كلمة لم يجد عَرْفَ الجنة، وإن ريحها يوجد من مسيرة خمسمائة عام». وهذا القول محكى عن ابن عباس. وعن مقاتل أنه قال: إذا حشر المؤمن وأمر به إلى الجنة يقدمه الملك الذى كان يكتب عمله ويطوف به فى الجنة، ويريه منازله حتى إذا بلغ به أقصى منازله ورأى جميعها انصرف الملك، وترك المؤمن فى قصوره يتنعم فيها كما شاء بما شاء.

وعن مجاهد أنه قال: لايحتاج المؤمن إلى دليل إلى قصوره ومنازله، بل يكون عارفاً بها كما يكون عالماً بمنزله فى الدنيا.

قوله تعالى: ﴿ يأأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ﴾ معناه: إن تنصروا نبى الله أو دين الله ينصركم. والنصرة من الله: هو الحفظ والهداية. وعن قتادة قال: من ينصر الله ينصره، ومن يسأله يعطه، ويقال: ينصركم بتغليبكم على عدوكم وإعلائكم عليهم.

وقوله: ﴿ ويثبت أقدامكم ﴾ أى: فى القتال. ويقال: يثبت أقدامكم على الصراط، وقد حكى هذا عن ابن عباس.

---

(١) فى «ك»: طريق.

لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ

وقوله: ﴿ والذين كفروا فتعسًا لهم وأضل أعمالهم ﴾ أى: بعدًا لهم. والتعس فى اللغة هو العثور والسقوط. وقال ثعلب: التعس: الهلاك.

قال ابن السكيت: التَّعْس أن [يَخِرَّ](١) على وجهه، والنَّكْس أن يَخِرَّ على رأسه.

ويقال: فتعسًا لهم أى: شرًا لهم وتَبًّا لهم. والذى جاء فى الخبر « تعس وانتكس »، قد بينا معنى تعس. وأما معنى قوله: انتكس أى: انقلب أمره وفسد، وهذا على معنى الدعاء.

وقوله: ﴿ وأضل أعمالهم ﴾ أى: أضل الله أعمالهم بمعنى: أحبطها، فإن قيل: وأىُّ عمل للكفار حتى يحبطه الله تعالى؟ والجواب: أنهم كانوا يعملون أعمالا على فضل الخير والتقرب إلى الله تعالى مثل: الصدقة، وصلة الرحم، والحج، والطواف، وما أشبه ذلك، ويظنون أن الله تعالى يثيبهم عليها، فأخبر الله تعالى أنه يحبطها بكفرهم.

قوله تعالى: ﴿ ذلك بأنهم كرهوا ماأنزل الله فأحبط أعمالهم ﴾ أى: كرهوا نبوة محمد وما أنزله الله من القرآن.

قوله تعالى: ﴿ أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم ﴾ أى: أهلكهم بكفرهم.

وقوله: ﴿ وللكافرين أمثالها ﴾ أى: لهؤلاء الكافرين من سوء العاقبة مثل ما لأولئك الكفار.

وقوله: ﴿ ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا ﴾ أى: وَلِىُّ الذين آمنوا، وهو كذا فى قراءة ابن مسعود .

(١) فى «الأصل، وك»: يجر، وهو سبق قلم. وانظر القرطبى (١٦ / ٢٣٣)، ولسان العرب (٦ / ٣٣).

أَمْثَالُهَا ﴿١٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا

وقوله: ﴿ وأن الكافرين لامولى لهم ﴾ أى: لايتولاهم الله تعالى، بمعنى: أنه لايهديهم ولاينصرهم. وفى بعض الآثار: أن عليا - رضى الله عنه - سأل ابن الكوا فقال: من رب العالمين؟ قال: الله. قال: صدقت. قال: من مولى الناس؟ قال: الله. قال: كذبت، وتلا قوله تعالى: ﴿ ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لامولى لهم ﴾ وعن قتادة قال: «نزلت الآية فى حرب أحد، فإنه لما فشا القتل والجراحات فى أصحاب رسول الله ﷺ، وفعل بالنبى ﷺ مافعل، نادى المشركون: يوم بيوم بدر والحرب سجال، ثم قالوا: لنا العزى، ولاعزى لكم، فقال ﷺ: قولوا: الله مولانا ولامولى لكم، ولاسواء؛ قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار»(١).

قوله تعالى: ﴿ إن الله يدخل الذين آمنوا وعملو الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام ﴾ يعنى: لايخافون عقابا، ولايرجون ثوابا. وقيل: ليس لهم هم إلا التمتع والأكل كالأنعام .

وقوله: ﴿ والنار مثوى لهم ﴾ أى: منزل لهم.

قوله تعالى: ﴿ وكأين من قرية ﴾ «وكائن من قرية»، بالتخفيف.

وأنشد الأخفش قول لبيد:

وكائن رأينا من ملوك وسوقة ... ومفتاح قيد للأسير المكبل

ومعناه: وكم من أهل قرية هم أشد قوة من أهل قريتك التى أخرجتك أى: أخرجك أهلها .

---

(١) رواه ابن جرير (٢٦ / ٢٨) عن قتادة مرسلا به، وعزاه السيوطى فى الدر (٦ / ٥٣) لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبى حاتم.

وأصل الحديث ثابت من حديث البراء مرفوعا، رواه البخارى (٧ / ٤٠٥ رقم ٤٠٤٣)، وأحمد (٤ / ٢٩٣)، وسعيد بن منصور (٣ / ٢ / ٣٥٦ - ٣٥٧ رقم ٢٨٥٣)، والبيهقى فى الدلائل (٣ / ٢٢٩ - ٢٣٠)، والبغوى فى تفسيره (٤ / ٣٥٥ - ٣٥٦). وفى الباب عن ابن عباس.

يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ

وقوله: ﴿ أهلكناهم فلا ناصر لهم ﴾ أى: لم يكن لهم أحد يمنعهم من عذابنا.

قوله تعالى: ﴿ أفمن كان على بينة من ربه ﴾ أى: على يقين من أمر ربه.

ويقال: المراد من الآية محمد ﷺ.

وقوله: ﴿ كمن زين له سوء عمله ﴾ هو أبو جهل، وقيل: الآية فى جميع المؤمنين والكفار. ومعنى الآية: أن الفريقين لايستويان، فحذف هذا لفهم المخاطب، وهذا كالرجل يقول: من فعل الخيار سعد، ومن فعل السيئات شقى. ثم يقول: أفمن سعد كمن [شقى][(١)]، يعنى: لايكون، وحذف لفهم المخاطب. وقيل: الألف فى قوله: ﴿ أفمن ﴾ ألف توقيف وتقرير لما علم المخاطب منه.

وقوله: ﴿ واتبعوا أهواءهم ﴾ أى: اتبعوا أهواءهم فى اتباع الكفر.

قوله تعالى: ﴿ مثل الجنة التى وعد المتقون ﴾، فى قراءة على رضى الله عنه: «أمثال الجنة التى وعد المتقون» والمعنى: صفة الجنة التى وعد المتقون أى: صفات الجنة التى وعد المتقون، ومعناه: وعد المتقون من (الشرك)[(٢)].

وقوله: ﴿ فيها أنهار من ماء غير آسن ﴾ أى: غير متغير. يقال: أسَن الماء يأسُن إذا تغير، وأجَن يأجُن إذا تغير أيضًا، وإنما قال ذلك لأن الماء يتغير بطول المكث، وماء الجنة لايتغير بطول المكث.

وقوله: ﴿ وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ﴾ أى: يحمض. وإنما قال ذلك لأن اللبن إذا مر عليه الزمان يتغير ويحمض، وقد ثبت أن النبى ﷺ قال: «أوتيت بإناءين ليلة المعراج فى أحدهما خمر، وفى الأخر لبن، فأخذت اللبن وشربته، فقال جبريل عليه السلام: أصبت الفطرة»[(٣)].

(١) فى «الأصل»: يشقى.
(٢) كذا!!
(٣) تقدم تخريجه.

مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ

ومن المعروف أيضا «أن النبى ﷺ كان إذا أكل طعامًا شكر الله تعالى، وسأل [الله](١) أن يرزقه خيراً منه إلا اللبن، فإنه كان إذا شرب اللبن شكر الله تعالى ولم يقل وأرزقنا خيراً منه»(٢).

وقوله: ﴿وأنهار من خمر لذة للشاربين﴾ واللذة: طيبة النفس فى الشرب، وقد بينا وصف خمر الجنة قبل هذا.

وقوله: ﴿وأنهار من عسل مصفى﴾ أى: منقى من الكدر والعكر.

ويقال: مصفى من الشمع ألا يكون فيه شمع.

وقوله: ﴿ولهم فيها من كل الثمرات﴾ أى: الفواكه.

وقوله: ﴿ومغفرة من ربهم﴾ أى: العفو من ربهم.

وقوله: ﴿كمن هو خالد فى النار﴾ أى: من يُعطَى مثل هذه النعم يكون حاله كحال من هو خالد فى النار.

وقوله: ﴿وسقوا ماء حميمًا﴾ الحميم: هو الماء الذى تناهى فى الحر، وفى التفسير: أنه ماء سعرت عليه نيران جهنم منذ خلقت، فإذا قربه الكافر إلى وجهه للشرب شوى وجهه، وسقطت جلدة وجهه وفروة رأسه.

---

(١) من «ك».

(٢) رواه أبو داود (٣/٣٣٩ رقم ٣٧٣٠)، والترمذى (٥/٤٧٢ - ٤٧٣ رقم ٣٤٥٥) وقال: حسن، وفى الشمائل (١٧٤ رقم ١٩٦)، والنسائى فى الكبرى (٦/٧٩ رقم ١٠١١٨، ١٠١١٩)، وابن ماجه (٢/١١٠٣ رقم ٣٣٢٢)، وأحمد (١/٢٢٥، ٢٨٤)، والطيالسى (٣٥٥ - ٣٥٦ رقم ٢٧٢٣)، والحميدى (١/٢٢٥ - ٢٢٦ رقم ٤٨٢) من حديث ابن عباس مرفوعا بنحوه.
وروى من فعله ﷺ من حديث عائشة بنحو رواية المصنف، رواه ابن الجوزى فى الموضوعات (٢/٢٩٣)، ونقل عن أبى حاتم قوله: لا أصل له من حديث رسول الله ﷺ.

وفى بعض المسانيد برواية أبى أمامة الباهلى أن النبى ﷺ قال: «إذا شرب الكافر الحميم؛ قطع أمعاءه فخرجت من دبره، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم﴾[1].

وفى بعض الحكايات عن محمد بن عبيد الله الكاتب قال: رجعت من مكة فمررت بطيزناباذ - وهو موضع بين الكوفة وبغداد - فرأيت كرمًا فيه عنب كثير، فذكرت قول أبى نواس:

بطيزناباذ كرم ما مررت به ... إلا تعجبت (ممن)[2] يشرب الماء

فسمعت قائلا يقول -أسمع صوته ولا أراه-:

وفى الجحيم حميم ماتجرعه ... خلق فأبقى له فى البطن أمعاء

قوله تعالى: ﴿ومنهم من يستمع إليك﴾ يعنى: ومن الكفار من يستمع إليك أى: يستمع إلى قولك.

وقوله: ﴿حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم﴾ قال عبدالله بن بريدة وجماعة: هو عبدالله بن مسعود، وقيل: إنه أبو الدرداء. وفى الآية قول آخر: أنه جميع أصحاب رسول الله ﷺ.

وقوله: ﴿ماذا قال آنفا﴾ أى: ماذا قال الآن صاحبكم؟ وآنفا: قريبا، وكانوا يقولون هذا على طريق الاستهزاء يعنى: إنا شغلنا عن سماع كلامه، فماذا قال؟

وقوله: ﴿أولئك الذين طبع الله على قلوبهم﴾ أى: ختم الله على قلوبهم، ولم يهدهم لقبول قول رسوله. وقال ابن الأعرابى: الختم على القلب (من)[3] فهم القول.

(١) رواه الترمذى (٤/ ٦٠٨ رقم ٢٥٨٣) وقال: غريب، والنسائى فى الكبرى (٦/ ٣٧١ - ٣٧٢ رقم ١١٢٦٣)، وأحمد (٥/ ٢٦٥)، وابن جرير (١٣/ ١٣١)، ونعيم بن حماد فى زوائد الزهد (٨٩ رقم ٣١٤)، والطبرانى فى الكبير (٨/ ٩٠ رقم ٧٤٦٠)، والحاكم (٢/ ٣٥١، ٣٦٨ - ٣٦٩) وصححه على شرط مسلم، والبيهقى فى البعث (٢٩٢ - ٢٩٣ رقم ٦٠٢)، وأبو نعيم فى الحلية (٨/ ١٨٢).

(٢) فى «ك»: فمن.

(٣) كذا، والأولى: عن.

﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ﴿١٨﴾ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ

وقوله: ﴿ واتبعوا أهواءهم ﴾ أى: هواهم. والمراد من الآية وفائدتها: هو منع المسلمين أن يكونوا مثل هؤلاء، وبيان حالهم للمؤمنين.

قوله تعالى: ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى ﴾ أى: زادهم بيانًا ورشدًا، ويقال: زادهم هدى أى: العمل بالناسخ بعد العمل بالمنسوخ، ويقال: الأخذ بالعزائم بعد العمل بالرخص.

وقوله: ﴿ وآتاهم تقواهم ﴾ أى: جزاء تقواهم.

قوله تعالى: ﴿ فهل ينظرون إلا الساعة ﴾ أى: فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة أى: تجيئهم فجأة.

وقوله: ﴿ فقد جاء أشراطها ﴾ أى: علاماتها. وفى التفسير: أن قوله: ﴿ فقد جاء أشراطها ﴾ هو محمد ﷺ. وقد روى عنه ﷺ أنه قال: «بعثت والساعة كهاتين، وأشار إلى السبابة والوسطى فسبقتها كما سبقت هذه»(١) وفى رواية: كادت تسبقنى. وقد اختلفت الروايات فى أول أشراط الساعة، عن بعض الأخبار: «أن أول أشراط الساعة طلوع الشمس من مغربها، وحينئذ يغلق باب التوبة، و﴿ لاينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل ﴾(٢) على ما قال الله تعالى»(٣). وفى خبر آخر: «أن

---

(١) متفق عليه من حديث سهل بن سعد، رواه البخارى (٨/ ٥٦٠ رقم ٤٩٣٦، وطرفاه: ٥٣٠١، ٦٥٠٣)، ومسلم (١٨/ ١١٨ رقم ٢٩٥٠).

وفى الباب عن أنس، وأبى هريرة، وجابر.

(٢) الأنعام: ١٥٨.

(٣) رواه مسلم (١٨ / ١٠٢ – ١٠٣ رقم ٢٩٤١)، وأبو داود (٤ / ١١٤ رقم ٤٣١٠)، وابن ماجه (٢/ ١٣٥٣ رقم ٤٠٦٩)، وأحمد (٢/ ١٦٤، ٢٠١)، والطيالسى (رقم ٢٢٤٨)، وابن أبى شيبة (١٤/ ١٢٤ – ١٢٥ رقم ١٧١٩)، والحاكم (٤/ ٥٠٠ – ٥٠١، ٥٤٧ – ٥٤٨) جميعهم عن عبد الله بن عمرو مرفوعا: «إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريبا». واللفظ لمسلم.

أول أشراط الساعة نار تخرج من المشرق فتسوق الناس إلى المغرب »(١) . ويقال : « أول أشراطها خروج الدابة »(٢)، وفى الأخبار : [أن](٣) هذه الأشراط تكون فى مدة قريبة، ويتتابع بعضها فى إثر بعض » . وقيل : « كلؤلؤ العقد إذا انحل نظامه، كان بعضه فى إثر بعض »(٤).

وقوله ﴿ فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم ﴾ معناه : فأين لهم المفر والملجأ إذا جاءهم مايذكرهم؟ يعنى : إذا عاينوا الأمر وحضرت هذه الأشراط . وقال قتادة معناه : « فأنى لهم إذا جاءتهم » أى : الساعة - « ذكراهم » أى : أنى لهم التذكر؟ أى : منفعة التذكر لو طلبوه إذا جاءتهم الساعة، والمقصود فوات منفعة التذكر عند حضور الأمر .

قوله تعالى : ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ فإن قيل : كيف قال : فاعلم أنه لا إله إلا الله وقد علم؟ والجواب من وجهين : أحدهما : أن المراد منه هو الثبات على العلم لا ابتداء العلم . والثانى : أن معناه : فاذكر أنه لا إله إلا الله، فعبر عن الذكر بالعلم لحدوثه عنده . ويقال : الخطاب مع الرسول، والمراد منه الأمة .

---

(١) رواه البخارى (٦ / ٤١٧ - ٤١٨ رقم ٣٣٢٩ ، وأطرافه : ٣٩١١، ٣٩٣٨، ٤٤٨٠) ، والنسائى فى الكبرى (٥ / ٣٣٨ - ٣٣٩ رقم ٩٠٧٤)، وأحمد (٣ / ١٠٨)، وأبو يعلى (٦ / ٤٥٨ - ٤٥٩ رقم ٣٨٥٦)، وابن حبان (١٦ / ١١٧ - ١١٨ رقم ٧١٦١)، والبيهقى فى الدلائل (٢ / ٥٢٨ - ٥٢٩)، والبغوى فى تفسيره (٤ / ١٦٥) من حديث عبد الله بن سلام، وفيه قصة إسلامه .

(٢) تقدم تخريجه .

(٣) فى « الأصل، وك » : إلى، سبق قلم .

(٤) رواه أحمد (٢ / ٢١٩)، وابن أبى شيبة فى مصنفه (١٥ / ٦٣)، والامرامهرمزي فى الأمثال (١٩٦ رقم ٨٩)، والحاكم (٤ / ٤٧٣، ٤٧٤)، وأبو الشيخ فى الأمثال (١٧١ رقم ٢٦٤) جميعهم عن عبد الله بن عمرو مرفوعا بنحوه . وفى الباب عن أنس، رواه الحاكم (٤ / ٥٤٦) وصححه على شرط مسلم .

وعن أبى هريرة رواه الطبرانى فى الأوسط (٧ / ٢٨٩-٢٩٠ رقم ٤٤٧٠ مجمع البحرين)، وابن حبان (١٥ / ٢٤٨ رقم ٦٨٣٣) .

وقوله: ﴿ واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ﴾ قد ثبت برواية الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «إنى لأستغفر الله فى اليوم سبعين مرة»(١)، وفى رواية: «مائة مرة»(١).

فإن قيل: كيف أمره بالاستغفار وكان معصومًا من الذنوب؟ والجواب: أنه كان لايخلو من الخطأ والزلل وبعض الذنوب التى هى من الصغائر، فأمره الله تعالى بالاستغفار منها، وأمره بالاستغفار للمؤمنين والمؤمنات، وكان يدعو لهم ويستغفر لهم.

وفى المشهور من الخبر أن النبى ﷺ لما ابتدأ به المرض الذى توفى فيه خرج إلى أحد، واستغفر لشهداء أحد، ثم استغفر للمؤمنين والمؤمنات»(٢)... والخبر فيه طول.

وقوله: ﴿ والله يعلم متقلبكم ومثواكم ﴾ أى: منصرفكم وموضع مقامكم، ويقال: متقلبكم بالنهار ومثواكم بالليل. وقيل: متقلبكم ومثواكم أى: يعلم جميع ماأنتم عليه فى جميع أحوالكم. ويقال: يعلم متقلبكم أى: منصرفكم فى الدنيا، ومثواكم أى: منقلبكم فى الآخرة، إما إلى الجنة، وإما إلى النار. وقد ثبت برواية حمران عن عثمان أن رسول الله ﷺ قال: «من مات وهو يعلم أن لاإله إلا الله دخل الجنة»(٣).

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) فى استغفار النبي ﷺ لشهداء أحد قبل موته أحاديث، منها حديث عائشة مرفوعا، رواه الدارمى فى سننه (١/٥١ - ٥٢ رقم ٨١)، وقال العراقى فى المغنى (٤/٣٩٩) وفيه: إبراهيم بن المختار مختلف فيه، عن محمد بن إسحاق، وهو مدلس، وقد رواه بالعنعنة.

وعن أم سلمة، رواه البيهقى فى الدلائل (٧/١٧٨) بإسناد فيه الواقدى بنحو حديث عائشة. وعن أيوب بن بشير مرسلا بنحوه أيضا، رواه البيهقى فى الدلائل (٧/١٧٧ - ١٧٨).

وروى مسلم أيضا فى صحيحه من حديث عقبة بن عامر، وفيه صلاة النبى ﷺ على أهل أحد قبل موته بقليل.

(٣) رواه مسلم (١/٢٩٩ - ٣٠٢ رقم ٢٦)، والنسائى فى الكبرى (٦/٢٧٤ رقم ١٠٩٥٢ - ١٠٩٥٤)، وأحمد (١/٦٥، ٦٩)، وأبو عوانة (١/٦، ٧)، وابن أبى شيبة (٣/٢٣٨)، وابن حبان (١/٤٣٠ - ٤٣١ رقم ٢٠١)، وأبو نعيم فى الحلية (٧/١٧٤).

وعن عبيد بن المغيرة قال: قال حذيفة بن اليمان: قوله: ﴿واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾ ثم قال: كنت رجلا ذرب اللسان على أهلى فقلت: يارسول الله، إنى أخاف أن يدخلنى لسانى النار. فقال: أين أنت [من](١) الاستغفار؟ إنى لأستغفر الله فى اليوم مائة مرة»(٢). وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ أنه قال: «خير العمل لا إله إلا الله، وخير الدعاءاستغفر الله»(٣). وفى بعض الآثار: «أن الرجل إذا استغفر للمؤمنين والمؤمنات رد الله تعالى عليه عن كل مؤمن ومؤمنة»(٤).

قوله تعالى: ﴿ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة﴾ أى: هلا أنزلت سورة، وفى التفسير: أنهم كانوا يأنسون بالوحى إذا نزل ويستبطئونه إذا تأخر.

وقوله: ﴿فإذا أنزلت سورة محكمة﴾ وفى قراءة ابن مسعود: «محدثة» وفى قوله: ﴿محكمة﴾ وجهان: أحدهما: محكمة أى: محكمة بذكر الجهاد والقتال مع الكفار، والجهاد والقتال أشد الأوامر على النفس.

(١) فى «الأصل، وك»: عن.

(٢) رواه النسائى فى الكبرى (٦/١١٧ - ١١٨ رقم ١٠٢٨٢ - ١٠٢٨٧)، وابن ماجه (٢/١٢٥٤ رقم ٣٨١٧)، وأحمد (٥/٣٩٤، ٣٩٦، ٤٠٢)، والطيالسى (٥٧ رقم ٤٢٧)، وابن أبى شيبة (١٠/٢٩٧ رقم ٩٤٩٠، ١٣/ ٤٦٣ رقم ١٦٩٢٨)، والدارمى (٢/٣٩١ رقم ٢٧٢٣)، وابن أبى عاصم فى الزهد (٥٢ -٥٣ رقم ١١٠)، وابن أبى الدنيا فى التوبة (رقم ١٧٦)، وابن حبان (٣/٢٠٥ - ٢٠٦ رقم ٩٢٦)، والحاكم (١/٥١٠، ٥١١) وصححه على شرطهما، وابن السنى (١٢٨ رقم ٣٦٤)، وأبو نعيم فى الحلية (١/٢٧٦)، والبيهقى فى الشعب (٢/٥٤٣ - ٥٤٤ رقم ٦٣٤، ٦٣٥)، والخطيب فى تاريخه (١٢/٤٨١).

(٣) عزاه فى الكنز (١/٤٨٣ رقم ٢١١٢) للحاكم فى تاريخه عن على، ولفظه «خير الدعاء الاستغفار، وخير العبادة قول لا إله إلا الله».
وهو فى الفردوس للديلمى أيضا (٢/١٧٩ رقم ٢٨٩٧).
وفى الباب أحاديث.

(٤) رواه البخارى فى الكبير (٤/٢١٩)، والعقيلى فى الضعفاء (٢/١٨٢) عن أنس مرفوعا وفيه «... رد الله عليه من آدم فما دونه». وقال البخارى: شعيب لا يعرف له سماع عن أنس، ولا يتابع عليه. وعزاه العراقى فى المغنى (١/٢٩٠) لأبى الشيخ فى الثواب، والمستغفرى فى الدعوات، وقال: إسناده ضعيف.

فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن

والوجه الثانى: محكمة بالأوامر والنواهى.

وقوله: ﴿رأيت الذين فى قلوبهم مرض﴾ أى: نفاق، فإن قيل: كيف أخبر عن المؤمنين فى ابتداء الآية ثم قال: ﴿رأيت الذين فى قلوبهم مرض﴾ وهم المنافقون، والمنافق لايكون مؤمنا؟ والجواب عنه: أن فى الآية حذفا، ومعناه: فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال، فرح المؤمنون واستأنسوا بها. و﴿رأيت الذين فى قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشى عليه من الموت﴾ أى: شخصوا بأبصارهم نحوك، ونظروا نظرا شديداً، شبه الشاخص بصره عند الموت، وإنما أصابهم مثل هذا(١)؛ لأنهم إن قاتلوا خافوا الهلاك، وإن لم يقاتلوا خافوا ظهور النفاق.

والآية فى عبد الله بن أبى بن سلول، ورفاعة بن الحارث، وسائر المنافقين.

وقوله: ﴿فأولى لهم﴾ هذا وعيد وتهديد. قال ابن عباس: هو لمن كرهها، والعرب تقول لمن قرب من عطب ونجا: أولى لك، ويريدون به تحذيره من مثل ذلك. وعن محمد ابن الحنفية أنه كان إذا مات ميت بعقوته(٢) أى: بقرب منه، قال لنفسه: أولى لك، كدت تكونِ السَّواد المُخْتَرم(٣).

وقوله: ﴿طاعة وقول معروف﴾ فيه أقوال: أحدها: أنه بمعنى الأمر، ومعناه: قولوا آمنا طاعة وقول معروف. والقول المعروف هو الإجابة بالسمع والطاعة.

والقول الثانى: أن قوله: ﴿طاعة وقول معروف﴾ أى: طاعة وقول معروف أحسن وأميل لهم.

والقول الثالث: أن هذا حكاية منهم قبل نزول آية القتال، كانوا يقولون على هذا الوجه فإذا نزلت آية القتال كرهوا وجزعوا. ويقال: قوله: ﴿طاعة وقول معروف﴾

---

(١) فى «ك»: ذلك.

(٢) العقوة: هى ساحة الدار وما حولها. لسان العرب (١٥/٧٩). وفى «ك»: بعقوفه، وهو خطأ.

(٣) انظر هذا القول فى لسان العرب (١٥/٤١٢).

تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ إِنَّ

اعتراض فى الكلام المنسوق (١) على الأول.

قوله: ﴿فإذا عزم الأمر فلوصدقوا الله لكان خيراً لهم﴾ ومعنى قوله: ﴿فإذا عزم الأمر﴾ أى: إذا جَدَّ الأمر ولزم فرض القتال. ﴿فلو صدقوا الله﴾ أى: لو وفوا بما وعدوه من الجهاد، وقابلوا أمر الله بالامتثال لكان خيراً لهم.

قوله تعالى: ﴿فهل عسيتم إن توليتم﴾ فيه قولان: أحدهما: إن توليتم ولاية أى: كانت لكم ولاية. والثانى: إن توليتم عن الإيمان بالرسول وبالقرآن أى: أعرضتم، فهل يكون منكم سوى أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم؟ وقيل على القول الأول: أنه قد كان هذا فى صدر الإسلام؛ فإن قريشا لما تولوا الأمر أفسدوا فى الأرض وقطعوا الأرحام، وذلك من قتل بنى هاشم قريشاً، وقتل قريش بنى هاشم.

وقوله: ﴿أولئك الذين لعنهم الله﴾ أى: طردهم الله.

وقوله: ﴿فأصمهم﴾ أى: جعلهم بمنزلة الصم. وقوله: ﴿وأعمى أبصارهم﴾ أى: بمنزلة العمى.

قوله تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ التدبر: هو التفكر والنظر فيما يؤول إليه عاقبة الأمر.

وقوله: ﴿أم على قلوب أقفالها﴾ معناه: بل على قلوب أقفالها، وهو على طريق المجاز، فذكر القفل بمعنى انغلاق القلب عن فهم القرآن. وفى التفسير: «أن النبى ﷺ كان يقرئ شابًا هذه الآية، فقال ذلك الشاب: بل على قلوب أقفالها حتى يفتحها الله، فقال النبى ﷺ له: صدقت» (٢).

وعن بعضهم: مثل قفل الحديد على الباب.

وقوله: ﴿إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ماتبين لهم الهدى﴾ الهدى هو

(١) فى «ك»: المسوق.

(٢) رواه الطبرى فى تفسيره (٢٦/ ٣٧)، والبغوى (٤/ ١٨٤) عن عروة بن الزبير مرسلا به، وزاد السيوطى فى الدر (٦/ ٧٣): إسحاق بن راهويه، وابن المنذر، وابن مردويه، جميعهم عن عروة به.

الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ

البيان المؤدى إلى الحق.

وقوله: ﴿الشيطان سول لهم﴾ أى: زين لهم .

وقوله: ﴿وأَمْلَى لهم﴾ أى: أمهلهم بالمد لهم فى العمر، وهو راجع إلى الله تعالى ومعناه: وأملى لهم الله تعالى، وقرئ: «وأُمْلِيَ لهم» على مالم يسم فاعله، وقرئ فى الشاذ «وأُمْلِي لهم»(١) بتسكين الياء، أى: وأنا أملى لهم.

وقوله تعالى: ﴿ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما أنزل الله﴾ فى الآية قولان: أحدهما: أنه قول اليهود للمنافقين، قالوا للمنافقين: سنطيعكم فى بعض الأمر أى: فى كتمان صفة محمد ﷺ مع علمنا بأنه رسول. والقول الثانى -وهو الأظهر- أنه قول المنافقين لليهود .

وقوله: ﴿كرهوا ماأنزل الله﴾ هم اليهود، وإنما كرهوا حسداً وبغيا.

وقوله: ﴿سنطيعكم فى بعض الأمر﴾ أى: فى بغض محمد والعداوة معه.

وقوله: ﴿والله يعلم إسرارهم﴾ أى: ما أسر بعضهم إلى بعض، وهذا القول أولى؛ لأن الآيات المتقدمة فى المنافقين.

قوله تعالى: ﴿فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم﴾أى: يضربون وجوههم عند الموت بصحائف الكفر، وقيل: فى القيامة.

وقوله: ﴿وأدبارهم﴾ أى: يضربون أدبارهم عند سوقهم إلى النار، وهذا فى القيامة. وفى بعض التفاسير: مامن عاصٍ يموت إلا وتضرب الملائكة وجهه ودبره عند إدخاله القبر .

(١) انظر «النشر» (٢/ ٣٧٤).

بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي
قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ
وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ

قوله تعالى: ﴿ ذلك بأنهم اتبعوا ماأسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم ﴾ أى: أبطلها، وقد بينا معناه من قبل.

قوله تعالى: ﴿ أم أحسب الذين فى قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ﴾ الأضغان: جمع ضِغن، وهو بمعنى: الحقد والغل والغش، ومعنى الآية: أى: أحسب المنافقون والكفار أن لن يظهر مافى قلوبهم لرسوله ﷺ وللمؤمنين .

قال الشاعر فى الضغن:

قل (لأبى)[1] هند ماأردت بمنطق ساء الصديق (وسود)[1] الأضغان

أى: الأحقاد.

قوله تعالى: ﴿ ولو نشاء لأريناكهم ﴾ أى: لعرفناهم إياك.

وقوله: ﴿ فلعرفتهم بسيماهم ﴾ أى: جعلنا لهم فى وجوههم سمةً تعرفهم بها .

وقوله: ﴿ ولتعرفنهم فى لحن القول ﴾ أى: فى فحوى القول ومقصده ومغزاه. وعن بعضهم: قول الإنسان وفعله دليل على نيته. ويقال: لحن فى القول إذا ترك الصواب، واللحن هاهنا: هو قول يفهم المخاطب معناه مع إخفاء القائل المراد فيه، قال الشاعر:

منطقٌ صائبُ ويلحن أحيا نًا وخير القول ماكان لَحْناً

وفى الخبر المعروف أن النبى ﷺ قال: «إنكم لتختصمون إلىّ، ولعلَّ بعضكم ألحن بحجته من بعض»[2] أى: أفطن. وعن بعضهم: عجبت لمن يعرف لحن الكلام كيف يكذب. وفى التفسير: أنه لم يخف منافق بعد هذه الآية على رسول الله ﷺ، وكان

(١) فى تفسير القرطبى (١٦ / ٢٥١): لابن... وشبد.

(٢) متفق عليه من حديث أم سلمة، رواه البخارى (٥ / ٣٤٠ رقم ٢٦٨٠)، مسلم (١٢ / ١٠٧ رقم ١٧١٣).

مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ﴿٣٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ

يعرفهم فى لحن كلامهم .

وقوله تعالى : ﴿ والله يعلم أعمالكم ﴾ يعنى : التى تعملونها .

قوله تعالى : ﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم ﴾ أى : نعلم علم الشهادة، وهو العلم الذى يقع عليه الوعد والوعيد . ويقال : [لنعاملكم](١) معاملة من يريد أن يعلم أعمالكم . ويقال معناه : حتى تعلموا أنا علمنا أعمالكم .

وقوله : ﴿ والصابرين ونبلوا أخباركم ﴾ أى : نعلم الصابرين، ونعلم أخباركم . وكان مجاهد إذا بلغ إلى هذه الآية قال : اللهم إنا نسألك أن لاتبلو أخبارنا فإنا نفتضح .

قوله تعالى : ﴿ إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ﴾ أى : منعوا الناس عن الإيمان بالله .

وقوله : ﴿ وشاقوا الرسول من بعدما تبين لهم الهدى ﴾ أى : خالفوا الرسول من بعد ماتبين لهم الهدى .

وقوله : ﴿ لن يضروا الله شيئا ﴾ أى : ينقصوا الله شيئا .

وقوله : ﴿ وسيحبط أعمالهم ﴾ أى : يبطل أعمالهم .

قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولاتبطلوا أعمالكم ﴾ عن أبى العالية الرياحى قال : كانوا يقولون –أى : الصحابة – لن يضر مع الإيمان شئ كما لا ينفع مع الكفر شىء، حتى أنزل الله تعالى هذه الآية : ﴿ ولاتبطلوا أعمالكم ﴾ بالشك والنفاق، ويقال : بالمكر والخداع، والمعروف بالكبائر .

---

(١) فى «الأصل» : لنعاملن معكم، وفى «ك» : لنعاملن منكم، وما أثبتناه هو الأنسب والأفصح.

كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن

قوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم﴾ ظاهر المعنى .

قوله تعالى: ﴿فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم﴾ أى: (لاتضعفوا)[1] .

وقوله: ﴿وتدعوا إلى السلم﴾ أى: إلى الصلح، نهى الله تعالى المسلمين أن يطلبوا الصلح مع الكفار إذا أمكنهم القتال .

وقوله: ﴿وأنتم الأعلون﴾ أى: الغالبون القاهرون .

وقوله تعالى: ﴿والله معكم﴾ أى: بالنصرة والحفظ .

وقوله تعالى: ﴿ولن يتركم أعمالكم﴾ أى: لن ينقصكم من ثواب أعمالكم شيئا، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «مامن ساعة تمر علي العبد المسلم لايذكر الله فيها إلا كانت عليه ترة يوم القيامة»[1] أى: نقص .

قوله تعالى: ﴿إنما الحياة الدنيا لعب ولهو﴾ أى: مايلهى ويلعب به .

وقوله: ﴿وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولايسألكم أموالكم﴾ فيه أقوال: أحدها: ولايسألكم جميع أموالكم، إنما يسألكم قدر الزكاة، وهو المعروف . والقول الثانى: لايسألكم أموالكم لنفسه، إنما يسألكم لكم . والقول الثالث: ولايسألكم أموالكم؛ لأنها ليست لكم في الحقيقة، إنما هى له .

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط (٧ / ٣٢٠ رقم ٤٥٢٤ - مجمع البحرين)، وأبو نعيم فى الحلية (٥ / ٣٦١ - ٣٦٢) وقال: غريب، تفرد به ابن علاثة، والبيهقى فى الشعب (٢ / ٤٠٧ - ٤٠٨ رقم ٥٠٨) وقال: فى هذا الإسناد ضعف، غير أن له شواهد من حديث معاذ. وقال الهيثمى (١٠ / ٨٣): رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه عمرو بن الحصين العقيلى، وهو متروك .

يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي

وقوله تعالى: ﴿إن يسألكموها فيحفكم﴾ أى: يبالغ فى مسألتكم، ويقال: يلح عليكم ويجهدكم. وفي بعض أمثال العرب: ليس للسائل المحفى مثل منع (الخامس)(١).

وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ: «إن الله يحب الحيي المتعفف، ويبغض السائل الملحف»(٢).

قوله: ﴿تبخلوا﴾ أى: تمنعوا .١٨٥و

وقوله: ﴿ويخرج أضغانكم﴾ أى: ويخرج الإحفاء أضغانكم، ويظهر ما فى بواطنكم من البخل والإمساك والنفاق والشك. وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ أنه قال: «أخبُرْ تَقْلِهْ»(٣) أى: أخبُر الإنسان ببغضه، وعن بعضهم أنه قال: «أقله بخبر، يعنى: ابغضه، فهو المختبر. وفى بعض الحكايات أن مخارقاً غني للمأمون.

---

(١) كذا.

(٢) رواه السهمى فى تاريخ جرجان (٢ : ١)، وأبو نعيم فى أخبار أصبهان (١/٧٨) من حديث أبى هريرة مرفوعًا بنحوه. وزاد الزيلعى فى تخريجه (١/١٦٤ تخريج الكشاف): البزار فى مسنده، وإسحاق بن راهويه فى مسنده، والطبرانى فى مسند الشاميين من طرق عن أبى هريرة. وفى الباب عن ابن مسعود، وقتادة مرسلا، وغيرهما، وانظر الحلم لابن أبى الدنيا (٤٩-٥٠ رقم ٥٤)، وتخريج الكشاف، والصحيحة (٣/٣١٠ - ٣١٢ رقم ١٣٢٠).

(٣) قال ابن الأثير فى النهاية (٤/١٥٠) القلى: البغض ... يقول: جرب الناس فإنك إذا جربتهم قليتهم، وتركتهم لما يظهر لك من بواطن سرائرهم. والحديث رواه ابن عدى فى الكامل (٢/٣٨)، والطبرانى فى مسند الشاميين (٢/٣٥٨ رقم ١٤٩٣)، وأبو الشيخ فى الأمثال (٧٢ رقم ١١٧)، وأبو نعيم فى الحلية (٥/١٥٤)، والقضاعى فى الشهاب (١/٣٦٨ رقم ٦٣٥، ٦٣٦)، وابن الجوزى فى العلل المتناهية (٢/٧٢٣ رقم ١٢٠٥) جميعهم من حديث أبى الدرداء مرفوعا به. وعزاه السخاوى فى المقاصد (٦٨ رقم ٣٨) لأبى يعلى، والعسكرى فى الأمثال، والطبرانى، والحسن بن سفيان، وأبى نعيم، ثم قال: وكلها ضعيفة، فابن أبى مريم وبقية ضعيفان، وقال الهيثمى فى المجمع (٨/٩٣): رواه الطبرانى وفيه أبو بكر بن أبى مريم، وهو ضعيف.

سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴿٣٨﴾.

إنى لمشتاق إلى ظل صاحب ... يرق ويصفو إن كدرت عليه

فقال المأمون: خذ منى الخلافة وأتنى بهذا الصاحب.

قوله تعالى: ﴿ها أنتم هؤلاء﴾ أى: ياهؤلاء ﴿تدعون لتنفقوا فى سبيل الله﴾ أى: فى الجهاد.

وقوله: ﴿فمنكم من يبخل﴾ أى: يمنع.

وقوله: ﴿ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه﴾ أى: يفوت حظ نفسه.

وقوله ﴿والله الغنى وأنتم الفقراء﴾ أى: الغنى عنكم، وأنتم الفقراء إليه.

وقوله: ﴿وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم﴾ أى: إن تعرضوا.

وقوله: ﴿قوماً غيركم﴾ فيه أقوال أحدها: ملائكة السماء، وهذا أشد الأقوال. والقول الثانى: إن تتولوا يامعشر قريش يستبدل قوماً غيركم أى: أهل اليمن، وقد كان الأنصار منهم، فإن الأوس والخزرج حيان من اليمن، وقد قال الشاعر:

ولله أوس آخرون وخزرج

والقول الثالث: وهو المعروف، وإن تتولوا يامعشر العرب يستبدل قوماً غيركم أى: العجم. وفى الخبر المعروف: أن قوما سألوا النبى ﷺ عن معنى هذه الآية وقالوا: من الذين يستبدلهم بنا(١)؟ وكان سلمان جالساً بجنبه فقال: هذا وقومه ثم قال: «لو كان الدين معلقاً بالثُّرَيَّا لناله رجال من فارس»(٢).

وقوله: ﴿ثم لايكونوا أمثالكم﴾ أى: يكونوا خيراً منكم وأطوع لى، ومعناه: لايكونوا أمثالكم فى مخالفة الأوامر، والله أعلم.

---

(١) فى «ك»: منا.

(٢) رواه الترمذى (٥/٣٥٨ رقم ٣٢٦٠ مختصراً، ٣٢٦١) وقال: غريب فى إسناده مقال، وابن جرير الطبرى (٢٦/٤٢)، وابن حبان (١٦/ ٦٢ - ٦٣ رقم ٧١٢٣)، والطحاوى فى المشكل (٣/٣١ - ٣٢)، والحاكم (٢/٤٥٨ مختصراً) وصححه على شرط مسلم، والبيهقى فى الدلائل (٦/٣٣٣ - ٣٣٤)، والبغوى فى تفسيره (٤/١٨٧)، والجوزقانى فى الأباطيل (٢/٢٦١ - ٢٦٢ رقم ٦٦١) وصححه، وابن عساكر فى تاريخ دمشق (٢١/٤١٦ رقم ٤٨٤١) من حديث أبى هريرة مرفوعا به.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ

تفسير سورة الفتح

وهى مدنية فى قولهم جميعا، وعن بعضهم: أنها نزلت بين مكة والمدينة عند منصرفه من الحديبية، قاله مسور بن مخرمة ومروان وغيرهما. وروى مالك عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – قال: كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فقال: «لقد أنزلت البارحة علىّ سورة هى أحب إلى من الدنيا ومافيها، ثم قرأ: ﴿إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا﴾»[1] أخرجه البخارى عن (القعنبى)[2] عن مالك.

وروى عن أنس – رضى الله عنه – أنه قال: لما انصرفنا من مكة وقد منعنا من نسكنا، وبنا من الحزن والكآبة شىء عظيم، فأنزل الله تعالى هذه السورة، فقال النبى ﷺ: «هى أحب إلىَّ من جميع الدنيا»[3].

قوله تعالى: ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا﴾ أى: قضينا لك قضاء بينا. ومعنى القضاء هو الحكم بالنصرة على الأعداء، والفتح فى اللغة هو انفتاح المنغلق، وقيل: هو الفرح المزيل الهم، ومنه انفتاح المسألة، وهو انكشاف البيان الذى يؤدى إلى البغية، وأما معنى ماوقع عليه اسم الفتح، فالأكثرون من العلماء والمفسرين على أنه صلح الحديبية، فإن قيل: كيف يكون الصلح فتحًا؟ وإن كان فتحا للمسلمين فهو فتح للكفار أيضًا؛ لأن الصلح يشتمل على الجانبين، والجواب عنه: أنه قد أشكل هذا على عمر، «فإنه لما أنزل الله تعالى هذه السورة، قال عمر: يارسول الله، أفتح هو؟

---

(١) رواه البخارى (٧/٥١٨ رقم ٤١٧٧، وطرفاه: ٤٨٣٣، ٥٠١٢)، والترمذى (٥/٣٥٩ رقم ٣٢٦٢)، والنسائى فى الكبرى (٦/٤٦١ رقم ١١٤٩٩)، ومالك فى الموطأ (١/٢٠٣ – ٢٠٤)، وأحمد فى مسنده (١/٣١).

(٢) فى «ك»: الشعبى، وهو خطأ، والصواب: القعنبى، كما عند البخارى.

(٣) متفق عليه، رواه البخارى (٧/٥١٦ رقم ٤١٧٢، وطرفه: ٤٨٣٤)، ومسلم (١٢/١٩٩ رقم ١٧٨٦).

قال :نعم »[١] .

وقيل : إنه أعظم فتح كان فى الإسلام؛ لأنه لما صالح مع المشركين ووادعهم فكان قد صالح على وضع الحرب عشر سنين، فاختلط المشركون مع المسلمين بعد ذلك، وسمعوا القرآن، ورأوا ماعليه رسول الله ﷺ وأصحابه فرغبوا فى الإسلام، وأسلم فى مدة الصلح من المشركين أكثر مما كان أسلم فى مدة الحرب، وكثر سواد الإسلام، وأسلم فى هذه المدة : خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعثمان بن طلحة العبدرى، وكثير من وجوه المشركين، وقد كان فى غزوة الحديبية بيعة الرضوان، ووعد فتح خيبر وظهور الروم على الفرس، وكان ذلك من معجزات الرسول ﷺ ، وكان ذلك مما سر المسلمين وساء المشركين؛ لأن المسلمين كانوا يودون ظهور أهل الكتاب، والمشركون كانوا يودون ظهور الفرس والعجم، فحقق الله مايوده المسلمون، وكان المشركون قالوا حين ظهرت الفرس على الروم : كما ظهر الفرس على الروم كذلك نحن نظهر عليكم، فحين أظهر الله الروم على الفرس كان ذلك علامة لظهور المسلمين على المشركين. وقيل فى الحديبية : هو إباحة الحلق والنحر قبل بلوغ الهدى محله، وفى الآية قول آخر : وهو أن المراد من الفتح هو فتح مكة، وذلك لأن الله تعالى وعده فتح مكة فى غزوة الحديبية .

قوله تعالى : ﴿ ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ قال ثعلب معناه : كى يغفر الله لك، فاللام بمعنى كى، قال : وحقيقة المعنى هو أنه يجمع لك المغفرة مع الفتح، فيتم عليك النعمة بها . وقال أبو حاتم السجستانى النحوى : معنى قوله : ﴿ ليغفر لك الله ﴾ أى : ليغفرن الله لك، فلما أسقط النون خفض اللام .

وقوله : ﴿ ماتقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ أى : ماتقدم من ذنبك قبل زمان النبوة، وماتأخر عن زمان النبوة، وقيل : ماتقدم من ذنبك قبل الفتح، وماتأخر عن الفتح . وعن الثورى قال : ما كان وما يكون ما لم تفعله، وأنت فاعله، فكأنه غفر له قبل الفعل .

(١) متفق عليه من حديث سهل بن حنيف، رواه البخارى (٦ / ٣٢٤ رقم ٣١٨٢ وأطرافه : ٣١٨١ ، ٤١٨٩ ، ٤٨٤٤ ، ٧٣٠٨)، ومسلم (١٢ / ١٩٥ – ١٩٨ رقم ١٧٨٥) .

فإن قال قائل: وأى ذنب كان له؟ قلنا: الصغائر، وقد كان معصومًا من الكبائر.

وفى تفسير النقاش: أنه كان متعبداً قبل النبوة بشريعة إبراهيم فى النكاح والطلاق والعبادات والمعاملات وغير ذلك، وكان قد تزوج خديجة وهى مشركة، وكذلك زوج ابنته رقية من عتبة بن أبى لهب وهو مشرك، و[كذلك][(١)] زوج ابنته زينب من [أبى][(٢)] العاص بن الربيع - وكان مشركاً - فهذه ذنوبه قبل النبوة، وقد غفرها الله تعالى له، وكان ذلك منه لا على طريق القصد. وقد ثبت عن النبى ﷺ «أنه صلى حتى تورمت قدماه، فقيل له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: أفلا أكون عبداً شكوراً[(٣)].

وذكر الدمياطى فى تفسيره عن ابن عباس: أن سبب نزول الآية هو أن الله تعالى لما أنزل قوله: ﴿وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم﴾[(٤)] شمت به المشركون واليهود، وقالوا: هذا رجل لا يدرى ما يفعل به ولا بأصحابه، فكيف ندخل فى دينه؟ وقال عبد الله بن أبى بن سلول الأنصارى: أتدخلون فى دين رجل وهو لا يدرى ما يفعل به، فحزن المسلمون لذلك حزنًا شديداً، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ الآية، فقال المسلمون: هنيئًا لك يا رسول الله، فكيف أمرنا؟ فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار﴾.

وقوله: ﴿ويتم نعمته عليك﴾ أى: (يتم)[(٥)] نعمته عليك بالنصر على الأعداء

(١) من «ك».

(٢) فى «الأصل وك»: ابن، وهو تحريف. وانظر ترجمته فى الإصابة (٤ / ١٢١ - ١٢٣).

(٣) متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة، رواه البخارى (٣ / ١٩ / ١١٣٠ وطرفاه: ٤٨٣٦، ٦٤٧١)، ومسلم (١٧ / ٢٣٧ - ٢٣٨ رقم ٢٨١٩).

(٤) الأحقاف: ٩.

(٥) فى «ك»: ليتم

وبالإرشاد إلى شرائع الإسلام، وقد أوَّل الفتح المذكور فى الآية بالإرشاد إلى الإسلام.

وقوله: ﴿ويهديك صراطا مستقيماً﴾ أى: يدلك على الطريق المستقيم.

وقوله: ﴿وينصرك الله نصراً عزيزاً﴾ أى: (نصرا)(١) مع عز لا ذل فيه. وفى أصل الآية قول آخر: وهو أن قوله تعالى: ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله﴾ هو فى معنى قوله تعالى فى سورة النصر: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾(٢) فذلك الفتح هو هذا الفتح. وقوله: ﴿ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجاً فسبح بحمد ربك واستغفره﴾(٢) فذلك الأمر بالتسبيح والاستغفار مدرج هاهنا، فكأن الله تعالى قال: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره﴾(٢) ﴿ليغفر لك الله﴾ ذكره أبو الحسين ابن فارس فى تفسيره، وجعل هذا الأمر جواباً لسؤال من يسأل عن الآية أنه. كيف يجعل قوله: ﴿ليغفر﴾ جواباً لقوله: ﴿إنا فتحنا﴾؟ وكلاهما من الله تعالى؟ فأجابه بهذا الوجه.

قوله تعالى: ﴿هو الذى أنزل السكينة﴾ قد بينا أن السكينة فعلية من السكون، وحقيقتها هو السكون إلى وعد الله والثقة. ويقال: السكينة هو ما ألهم الله تعالى المؤمنين من الصبر والتوكل عليه فى الأمور كلها.

وقوله: ﴿فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم﴾ أى: تصديقاً مع تصديقهم، وقيل: يقينا مع يقينهم. وعن ابن عباس: أن الله تعالى أمر المؤمنين بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فلما قبلوا ذلك زادهم الصلوات الخمس، فلما قبلوا ذلك زادهم الزكاة، ثم زادهم الحج، ثم زادهم الجهاد، فلما أكمل شرائعه أنزل قوله: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾(٣).

---

(١) فى «ك»: نصر.

(٢) سورة النصر.

(٣) المائدة: ٣.

وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ

وقوله: ﴿ولله جنود السموات والأرض﴾ أى: جموع السموات والأرض، فلو سلط أصغر خلقه على جميع العالم لقهرهم. ويقال: له جنود السموات والأرض أى: ما خلق الله فى السموات من الملائكة، وما خلق الله فى الأرض من الجن والإنس وغيرهم.

وقوله: ﴿وكان الله عليمًا حكيمًا﴾ أى: عليمًا بخلقه، حكيمًا فى تدبيره.

قوله تعالى: ﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزاً عظيمًا﴾ أى: نجاة [عظيمة](١).

قوله تعالى: ﴿ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء﴾ ومعنى ظن السوء هاهنا: هو أنهم كانوا قد ظنوا على أن أمر محمد لا يتم، ويضمحل عن قريب. ويقال: إن الرسول ﷺ لما توجه إلى مكة عام الحديبية مع أصحابه معتمرين، ولم يحمل معه من السلاح إلا السيوف فى القراب، قال المنافقون وسائر الكفار: إن محمداً لا يرجع عن وجهه هذا أبداً وأنه يهلك هو وأصحابه، فهو معنى ظن السوء.

وقوله: ﴿دائرة السوء﴾ وقرئ: «دائرة السُوء» برفع السين، ومعناهما متقارب أى: عليهم عاقبة الهلاك وقيل معناه: لهم سوء العاقبة لا للرسول.

وقوله: ﴿وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً﴾ أى: بئس المنقلب.

(١) فى «الأصل وك»: عظيمًا.

دائرةُ السَّوْءِ وغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ
جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴿٧﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً
وَنَذِيراً ﴿٨﴾ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴿٩﴾

قوله تعالى: ﴿ولله جنود السموات والأرض﴾ فى التفسير: أن المنافقين قالوا: وما يغنى عن محمد أصحابه وهم أكلة رأس، وكيف يظفر على أعدائه مع كثرتهم وقلة أصحابه؟ ولئن ظفر بقومه فكيف يظفر بجميع العرب وكسرى وقيصر؟ ما وعد محمد أصحابه إلا الغرور، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ولله جنود السموات والأرض﴾ ومعناه: أن الظفر من قبلى، والجنود كلها لى، فمن شئت أن أنصره لم يعسر ذلك علىّ، قل أعداؤه أو كثر.

وقوله: ﴿وكان الله عزيزاً حكيماً﴾ منيعاً فى النصر، حكيماً فى التدبير.

وقوله تعالى: ﴿إنا أرسلناك شاهداً﴾ أى: شاهداً على أمتك يوم القيامة. ويقال: شاهداً بتبليغ الأمر والنهى.

وقوله: ﴿ومبشراً﴾ أى: مبشراً للمطيعين.

وقوله: ﴿ونذيراً﴾ أى: مخوفاً للعاصين.

وقوله: ﴿لتؤمنوا بالله ورسوله﴾ أى: لكى تؤمنوا أيها الناس بالله ورسوله.

وقوله: ﴿وتعزروه﴾ أى: تعظموه، وقرئ فى الشاذ: «وتعززوه» أى: تقدموا بما يكون عزا له.

وقوله: ﴿وتوقروه﴾ أى: تفخموه وتبجلوه، ويقال: وتعذروه معناه: [تنصروه](١) بالسيف، وهو القول المعروف، فإن قال قائل: فإلى من ترجع الهاء؟ والجواب من وجهين أحدهما: أنها راجعة إلى الرسول، والثانى: أنها راجعة إلى الله تعالى.

(١) فى «الأصل وك»: تنصروا.

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ

وقوله: ﴿وتسبحوه بكرة وأصيلا﴾ تنصرف إلى الله قولا واحداً.

والتسبيح بالبكرة وهو صلاة الصبح، وبالأصيل صلاة الظهر والعصر.

قوله تعالى: ﴿إن الذين يبايعونك﴾ هذا فى البيعة يوم الحديبية. وقد كانوا بايعوه على ألا يفروا، وفى رواية: بايعوه على الموت.

وقوله: ﴿إنما يبايعون الله﴾ أى: من أخذ العهد منك فقد أخذ العهد منى، ومن بايعك فقد بايعنى. وعن بعضهم: من دخل فى الإسلام فقد بايع الله، وهو معنى قوله: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم...﴾(١) الآية.

وقوله: ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ أى: يد الله فى النصرة والمنة عليهم فوق أيديهم بالطاعة لك. ويقال معناه: يد الله فى الوفاء بقوله ﴿فوق أيديهم﴾ فى الوفاء بعهدهم ويقال: إحسان الله تعالى إليهم فوق إحسانهم إليك بالنصرة، ومِنّة الله عليهم فوق مِنّتهم عليك فى قبول ما جئت به.

وقوله ﴿فمن نكث﴾ أى: من نقض العهد.

وقوله: ﴿فإنما ينكث على نفسه﴾ أى: وبال نقض عهده عليه. ويقال: إن الآية نزلت فى الجد بن قيس، وكان من المنافقين، فلما بايع رسول الله ﷺ مع أصحابه بيعة الرضوان اختبأ تحت إبط بعير ولم يبايع. ومعنى النكث: [هو](٢) الترك -.

وقوله: ﴿ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً﴾ أى: كثيراً.

قوله تعالى: ﴿سيقول لك المخلفون من الأعراب﴾ نزلت الآية فى مزينة وجهينة وأشجع وأسلم، وكانوا قد تخلفوا عن رسول الله ﷺ فى غزوة الحديبية، واعتذروا

---

(١) التوبة: ١١١.

(٢) فى «الأصل»: وهو.

مِنَ الأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي

بالشغل فى الأموال والأولاد، فلما رجع رسول الله ﷺ جاءوا معتذرين، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية.

وقوله: ﴿ شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا ﴾ أى: اطلب لنا المغفرة من الله تعالى.

وقوله: ﴿ يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم ﴾ يعنى: أنهم لا يبالون استغفرت لهم أو تركت الاستغفار لهم لنفاقهم، وإنما يظهرون طلب الاستغفار تقية وخوفا. وهذا فى المنافقين من هذه القبائل لا فى جميعهم، فإنه قد كان فيهم مسلمون محققون إسلامهم.

وقوله: ﴿ قل فمن يملك لكم من الله شيئا ﴾ أى: يدفع عنكم عذاب الله، ومَنْ يمنعكم من الله إن أراد عقوبتكم.

وقوله: ﴿ إن أراد بكم ضراً أو أراد بكم نفعًا ﴾ أى: ليس الأمر فى جميع هذا إلا بيده.

وقوله: ﴿ بل كان الله بما تعملون خبيراً ﴾ أى: عليمًا. ويقال فى قوله: ﴿ شغلتنا أموالنا ﴾ أى: ليس لنا مَنْ يقوم بها.

وقوله: ﴿ وأهلونا ﴾ أى: ليس لنا مَنْ يخلفنا فى القيام بأمرهم.

وقوله: ﴿ يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم ﴾ قال ابن عباس: كان فى قلوبهم الشك.

وقوله: ﴿ قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضراً ﴾ أى: الهزيمة.

وقوله: ﴿ أو أراد بكم نفعًا ﴾ أى: النصرة والغنيمة.

قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا

قوله تعالى: ﴿بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً﴾ قد بينا ظنهم ﴿وزين ذلك فى قلوبكم﴾ أى: زينه الشيطان.

وقوله: ﴿وظننتم ظن السوء﴾ قد بينا معناه.

وقوله: ﴿وكنتم قومًا بوراً﴾ أى: هلكى. قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هو الذى لا خير فيه. ويقال: إن فى لغة أزد عمان البور: الفاسد، ويقال: رجل بور، ورجلان بوران، ورجال بور، ويقال: أصبحت أعمالهم بوراً ومساكنهم قبوراً. وقيل: بوراً: فاسدة قلوبهم، لا محسنين ولا متقين. وفى التفسير: أنه كان ظنهم أن محمداً وأصحابه يقتلون فى ذلك الوجه، ولا يرجعون أبداً إلى المدينة.

قوله تعالى: ﴿ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيراً﴾ قال ابن عباس: السعير هو الطبق السادس من جهنم.

قوله تعالى: ﴿ولله ملك السموات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفوراً رحيماً﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها﴾ سبب نزول الآية: هو أن الله تعالى وعد أهل الحديبية غنائم خيبر، وقد كان هؤلاء الأعراب الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ وظنوا ظن السوء - طمعوا فى غنائم خيبر - وكان الله قد جعل غنائم خيبر لأهل الحديبية خاصة، فلما رجع النبى ﷺ وأصحابه إلى المدينة، وتوجهوا قبل خيبر جاء هؤلاء الأعراب، واستأذنوا رسول الله ﷺ أن يكونوا معه فى هذه الغزوة، وقالوا: ذرونا نتبعكم.

وقوله: ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ يعنى: حكم الله الذى حكم فى غنائم

ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لا يَفْقَهُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿١٥﴾ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ

خيبر أنها لأهل (المدينة)[1] خاصة، حيث طمعوا أن يصيبوا منها، ويقال: معنى قوله: ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ هو قوله تعالى: ﴿قل لن تخرجوا معى أبداً ولن تقاتلوا معى عدوا﴾[2] فأرادوا [أن][3] يبدلوا هذا الكلام الذى قاله الله، ويظهروا أنا خرجنا وقاتلنا خلاف ما قال الله. وفى التفسير: أنهم لما قالوا: ذرونا نتبعكم، قال لهم أصحاب رسول الله: نأذن لكم فى القتال على أن تكونوا متطوعين فى القتال لا سهم لكم فى الغنيمة؛ لأن غنيمة خيبر لأهل الحديبية خاصة.

وقوله: ﴿قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل﴾ فعلى القول الأول [لنّ][4] تتبعونا أصلا، وعلى القول الثانى قل لن تتبعونا لأخذ الغنيمة.

وقوله: ﴿كذلكم قال الله من قبل﴾ أى: حكم الله من قبل.

وقوله: ﴿فسيقولون بل تحسدوننا﴾ أى: لم تأذنوا لنا فى اتباعكم [حسداً][5] منكم لنا لئلا نصيب ما تصيبون.

وقوله: ﴿بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا﴾ أى: لا يعلمون ما لهم وما عليهم فى الدين إلا قليلا.

قوله تعالى: ﴿قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد﴾ أصح الأقاويل أنهم بنو حنيفة، أولوا بأس شديد حيث قاتلوا المسلمين مع مسيلمة الكذاب. قال رافع بن خديج: ما كنا نعلم معنى قوله: ﴿أولى بأس شديد﴾ حتى

---

(١) كذا، والمعروف أن غنائم خيبر كانت لأهل الحديبية خاصة عوضا عن فتح مكة، وانظر تفسير البغوى، والقرطبى وغيرهما بل سيأتى من كلام المصنف نفسه ما يؤيد ذلك أيضا.

(٢) التوبة: ٨٣.

(٣) من «ك».

(٤) زيادة يقتضيها السياق.

(٥) فى «ك»: حذراً.

دعانا أبو بكر – رضى الله عنه – إلى قتال مسيلمة، وكان ذلك الحرب حرباً شديداً على المسلمين، استشهد فيه كثير من الصحابة.

ويقال: استشهد فيه سبعمائة نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم زيد بن الخطاب أخو عمر بن الخطاب وعكاشة بن [محصن][1].

والقول الثانى: أن قوله: ﴿أولى بأس شديد﴾ هو هوازن وثقيف، قاله الضحاك عن ابن عباس.

والقول الثالث: أنهم فارس، وكان الحرب معهم أشد حرب على المسلمين فى زمان عمر رضى الله عنه.

وفى القول الأول، وفى هذا القول دليل على خلافة أبى بكر وعمر، لأنهما دعوا المسلمين إلى قتال مسيلمة وقتال فارس، وقد كان مع فارس وقعة[2] القادسية، وفيها قتل رستم صاحب جيش العجم، ووقعه جلولا ووقعة نهاوند، وهى تسمى فتح الفتوح، ولم تقم بعدها قائمة، وتمزق ملكهم، وصدق الله دعوة النبى ﷺ حيث قال: «اللهم فمزق ملك فارس»[3]. وروى أن كسرى لما مزق كتاب النبى ﷺ وبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «مزق ملكه»[3]. وعن كعب الأحبار قال فى قوله: ﴿إلى قوم أولى باس شديد﴾ قال: هم الروم ومعهم الملحمة الكبرى فى آخر الزمان.

---

(١) فى «الأصل و ك»: محيصن، وهو تحريف، انظر الإصابة ٢ / ٤٩٤.

(٢) فى «ك»: وقع.

(٣) رواه البخارى (١ / ١٨٥ رقم ٦٤، وأطرافه: ٢٩٣٩، ٤٤٢٤، ٧٢٦٤)، وأحمد (١ / ٢٤٣ – ٢٤٤)، والبيهقى فى الدلائل (٤ / ٣٨٧) عن سعيد بن المسيب مرسلا. وقال الحافظ ابن حجر فى الفتح (٧ / ٧٣٣): وقع فى جميع الطرق مرسلا، ويحتمل أن يكون ابن المسيب سمعه من عبد الله بن حذافة صاحب القصة. أهـ وفى الباب عن التنوخى، وقد تقدم.

حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ

وأصح الأقاويل هو القول الأول؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ تقاتلونهم أو يسلمون ﴾ ومعناه: أو يسلموا، وهذا إنما يكون فى المرتدين الذين لا يجوز أخذ الجزية منهم، فأما المجوس والنصارى فيجوز أخذ الجزية منهم. وأما مجاهد حمل الآية على أهل الأوثان.

وقوله: ﴿ فإن تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً ﴾ أى: الجنة.

وقوله: ﴿ وإن تتولوا كما توليتم من قبل ﴾ أى: تعرضوا كما أعرضتم من قبل.

وقوله ﴿ يعذبكم عذابًا أليمًا ﴾ أى: وجيعًا. فإن قيل: ذكر فى هذه الآية قوله: ﴿ ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد ﴾ وقال فى آية أخرى: ﴿ قل لن تخرجوا معى أبداً ولن تقاتلوا معى عدواً ﴾[1] وإنما قاتلوا مع أبى بكر وعمر ولم يقاتلوا مع الرسول.

قوله تعالى: ﴿ ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ﴾ يعنى: لا حرج على من تخلف عنك بهذه الأعذار عن غزوة الحديبية.

والحرج: الإثم، ومعنى الآية: أن الله تعالى أباح غنائم خيبر لقوم تخلفوا عن غزوة الحديبية بهذه الأعذار. وقيل: إن هؤلاء القوم: أبو أحمد بن جحش، وأمه آمنة بنت عبد المطلب، وعبد الله بن أم مكتوم الأعمى، وغيرهم.

وقوله: ﴿ ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار ومن يتول يعذبه عذابًا أليمًا ﴾ ظاهر المعنى.

---

(١) التوبة: ٨٣.

إذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ

قوله تعالى: ﴿لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾ القول المعروف فى الآية أنه ﷺ لما توجه إلى مكة عام الحديبية معتمراً هو وأصحابه، وساقوا الهدى مع أنفسهم، فلما بلغوا الحديبية، وهى بئر بمكان معلوم على طرف الحرم، وتلك البقعة سميت باسم البئر، وقد ظهرت معجزة لرسول الله ﷺ فى هذا البئر؛ «فإن أصحاب رسول الله ﷺ ورضى [الله] عنهم لما وصلوا إليها نزحوها حتى لم يبق من الماء شيء فشكوا إلى رسول الله ﷺ العطش؛ فجاء رسول الله ﷺ وقعد على شفير البئر ودعا بماء فتمضمض به وصبَّه فى البئر، فجاشت البئر بالروى، فاستقى الناس، وسقوا الركاب، ولم ينزف بعد»(١).

رجعنا إلى أصل القصة: «فلما بلغوا الحديبية بركت ناقة النبى ﷺ وهى القصواء، فبعثوها فلم (تنبعث)(٢)، فقالوا: خلأت القصواء. فقال رسول الله ﷺ: «ما خلأت، ولا هو لها بخلق، ولكنها حبسها حابس الفيل، والله لا يسألوننى خطة فيها تعظيم حرم الله إلا أعطيتهم إياها»، ثم دعا عمر وأراد أن يبعثه إلى أهل مكة يستأذنهم فى الدخول، ليقضى عمرته، وينحر هديه، فقال عمر: يا رسول الله، ما لى بها من حميم ولا عشيرة وقد عرفوا شدة عداوتى لهم، وإنى أخافهم على نفسى، ولكن أدلك على من هو أعز منى بها عشيرة، قال: «ومن ذلك؟»، قال: عثمان، فأرسله إلى مكة. ثم إنه بلغ النبى ﷺ أن عثمان قتل، وعن بعضهم أن إبليس خرج وقال: إن عثمان قتل فحينئذ قام النبى ﷺ واستند إلى الشجرة - وهى شجرة سمرة - فبايع مع أصحابه وهى بيعة الرضوان، وكان بايع على القتال إلى أن يموتوا، ويقال: بايع على ألا يفروا»(٣) واختلف القول فى عدد القوم، قال ابن أبى أوفى:

---

(١) رواه البخارى (٦/٦٧٣ رقم ٣٥٧٧ وطرفاه: ٤١٥٠، ٤١٥١)، وأحمد (٤/٢٩٠) عن البراء بنحوه.

(٢) فى «ك»: تبعث.

(٣) روى من حديث المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم، رواه البخارى (٥/٣٨٨ - ٣٩٢ رقم ٢٧٣١، ٢٧٣٢)، وأبو داود (٣/٨٥ - ٨٦ رقم ٢٧٦٥ من حديث المسور مختصرا)، وأحمد (٤/٣٢٣ - ٣٢٦، ٣٢٨ - ٣٣١ - ٣٣٢ - ٣٢٢، ٣٣٨)، وعبد الرزاق فى مصنفه (٥/٣٣٠ - ٣٤٢ رقم ٩٧٢٠)، والطبرانى فى الكبير (٢٠/٩ رقم ١٣)، وابن حبان (١١/٢١٦ - ٢١٧ رقم ٤٨٧٢)، وغيرهم.

ألف وثلثمائة. وقال جابر: ألف وأربعمائة، وهو الأصح. وعن ابن عباس: ألف وخمسمائة. ثم ظهر أن عثمان لم يقتل.

وفى الآية قول آخر، رواه ابن أبى زائدة عن الشعبى قال: «مراد الله من البيعة المذكورة فى الآية بيعة رسول الله ﷺ مع السبعين من الأنصار ليلة العقبة، والقصة فى ذلك: أنه قدم سبعون نفراً من أهل المدينة ليلقوا النبى ﷺ فى أيام الحج قبل الهجرة، ورأسهم أبو أمامة أسعد بن زرارة، فخرج النبى ﷺ ومعه العباس ليلا حتى أتوا العقبة، وحضر من أهل المدينة هؤلاء السبعون، فقال العباس لهم: ليتكلم متكلمكم ولا يطول، فإن عليكم عينا، وإن تعرف قريش بمكانكم يؤذوكم. فقال أسعد بن زرارة: يا رسول الله، اشترط لربك، واشترط لنفسك، واذكر مالنا إذا قبلنا، فقال النبى ﷺ: «أشترط لربى أن لا تشركوا به شيئا، وأشترط لنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأولادكم. قال: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ قال: الجنة، قال: رضينا»(١).

روى أن إبليس صرخ على العقبة: يا معشر قريش، هؤلاء الصباة قد اجتمعوا مع محمد يبايعون عليكم. فلما سمعوا ذلك تفرق النبى ﷺ وأولئك، فجاء المشركون فلم يجدوا أحداً، والصحيح هو القول الأول.

وقوله: ﴿فعلم ما فى قلوبهم﴾ أى: من الصدق والوفاء. وقيل: هو الإخلاص.

وقوله: ﴿فأنزل السكينة عليهم﴾ أى: الطمأنينة. ويقال: الثقة بوعد الله، والصبر على أمر الله، ويقال: اعتقاد الوفاء.

وقوله: ﴿وأثابهم فتحًا قريبًا﴾ أى: فتح خيبر، ويقال: فتح مكة، والأول هو المعروف.

---

(١) رواه أحمد فى مسنده (٤/ ١١٩ - ١٢٠)، والبيهقى (٢/ ٤٥٠ - ٤٥١) كلاهما عن الشعبى مرسلا. ورواه أحمد، والطبرانى (١٧/ ٢٥٦ رقم ٧١٠)، والبيهقى موصولا عن الشعبى عن أبى مسعود. وفيه أنه كان أصغرهم سنا. وعزاه فى الكنز (١/ ٣٢٩ رقم ١٥٢٨) لابن أبى شيبة، وابن عساكر فقط. وقال الهيثمى فى المجمع (٦/ ٥١): رواه أحمد مرسلا، ورجاله رجال الصحيح، ثم ذكر أنه رواه موصولا عن أبى مسعود وقال: وفيه مجالد، وفيه ضعف، وحديثه حسن إن شاء الله.

وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ

قوله تعالى: ﴿ومغانم كثيرة يأخذونها﴾ يعني: أموال خيبر، وكانت لهم أموال كثيرة من العقارات والنخيل وغيرها.

وقوله: ﴿وكان الله عزيزاً حكيماً﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها﴾ قال مجاهد معناها: الغنائم التي تؤخذ من الكفار إلى قيام الساعة. وقال الحسن البصري: غنائم فارس والروم. وقيل: فتح مكة.

وقوله: ﴿فعجل لكم هذه﴾ أي: غنائم خيبر.

وقوله: ﴿وكف أيدى الناس عنكم﴾ في التفسير: أن أسد وغطفان كانوا حلفاء يهود خيبر، فلما توجه رسول الله ﷺ إلى خيبر أراد أسد وغطفان أن يغيروا على المدينة، فألقى الله الرعب في قلوبهم وتفرقوا. وروى أن رسول الله ﷺ مال إليهم ليقاتل معهم أولا، فهربوا وتفرقوا وخلوا أهل خيبر، فرجع رسول الله ﷺ إلى خيبر وفتحها. ويقال: كف أيدى الناس عنكم: جميع المشركين، ولم يكن في الأمم أمة أذل وأقل من العرب فأعزهم الله بالإسلام، وأغنمهم كنوز العجم والروم، وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم وكان أول ما دخل الذل على العجم حرب ذي قارٍ، وهو موضع بعث كسرى بجنوده إلى بني شيبان ليقاتلوا معهم بسبب قصة طويلة، فقاتلوا بذي قار، وجعل العرب شعارهم اسم محمد ﷺ، قال رئيسهم لهم: اجعلوا شعاركم اسم هذا القرشي الذي خرج يدعوا الناس إلى الله تعالى، فاقتتلوا وهزم الله المشركين، وقتل أكثر جنود كسرى، فلما بلغ النبي ﷺ قال: «اليوم انتصفت العرب من العجم، وبي نصروا»[1]، من ذلك الوقت دخل الذل على العجم وفني ملكهم.

(١) رواه خليفة في الطبقات (٤٣) وعنه البخاري في تاريخه (٢/ ٦٣) عن عبد الله بن الأخرم عن أبيه به. وقال الذهبي في التجريد (١/ ١٠) ترجمة الأخرم: روى عنه ابنه عبد الله من وجه ضعيف، فذكره. وعزاه الألباني في الضعيفة (٢/ رقم ٧٥٩) لابن قانع في معجم الصحابة، وقال: إسناده موضوع أهـ. وله طريق آخر =

وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ

وقوله: ﴿ولتكون آية للمؤمنين﴾ أي: معجزة، والآية في دعوة رسول الله ﷺ فتح خيبر وغنائم العجم والروم، وتحقق ذلك عن قريب.

وقوله: ﴿ويهديكم صراطًا مستقيمًا﴾ يؤديكم إلى رضا الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وأخرى لم تقدروا عليها﴾ أي: أرض العجم. ويقال: أرض مكة. ويقال: جميع ما فتح الله من الأراضي، ويفتحها إلى قيام الساعة.

وقوله: ﴿قد أحاط الله بها﴾ أي: أحاط علمه بها.

وقوله: ﴿وكان الله على كل شيء قديرًا﴾ أي: قادرًا.

قوله تعالى: ﴿ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار﴾ أي: انهزموا وكان الظفر لكم.

وقوله: ﴿ثم لا يجدون وليا ولا نصيرًا﴾ قد بينا من قبل.

قوله تعالى: ﴿سنة الله التي قد خلت من قبل﴾ أي: سنَّ الله هذه السنة، وهي نصرة أوليائه وإهلاك أعدائه. ويقال: هي أن العاقبة للمؤمنين، ومعناه: أن هذه السنة التي سننتها لكم هي سنتي فيمن خلا من قبلكم.

وقوله: ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾ أي: تغييرًا.

قوله تعالى: ﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة﴾ روى

= بنحوه: رواه خليفة (٤٢)، والبخاري في تاريخه (٢/ ١٠٥ - ١٠٦)، والطبراني في الكبير (٢/ ٤٦ رقم ١٢٣٨) عن بشير بن يزيد أو يزيد بن بشير الضبعي، وكان قد أدرك الجاهلية. وزاد في الكنز (١٠/ ٦٠١ رقم ٣٠٣١٠) نسبته لبقي بن مخلد، والبغوي، وابن السكن، وأبي نعيم. وله شاهد من رواية خالد بن العاص عن أبيه عن جده، كما في المجمع (٦/ ٢١٤)، وراجع الضعيفة للألباني.

أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ

عبد الله بن مغقل المزنى «أن النبى ﷺ كان جالسًا تحت الشجرة يبايع أصحابه – وفى رواية: وعنده على بن أبى طالب وسهيل بن عمرو يكتبا كتاب الصلح – فثار فى وجوهنا ثلاثون شابًا من المشركين قدموا من مكة بقصد رسول الله ﷺ، فدعا رسول الله ﷺ فأخذ الله بأبصارهم، فقمنا وجئنا بهم نقودهم إلى رسول الله ﷺ، فقال: «هل لكم عهد؟ هل لكم أيمان؟» فقالوا: لا. فخلى سبيلهم، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم﴾»(١).

وروى حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس قال: أهبط ثمانون رجلا متسلحين من جبل التنعيم، فأخذهم أصحاب رسول الله وجاءوا بهم إلى النبى ﷺ، فاستحياهم وخلى سبيلهم، وأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقوله: ﴿ببطن مكة﴾ يعنى: الحديبية، وإنما سماها بطن مكة لقربها من مكة.

وقوله: ﴿من بعد أن أظفركم عليهم﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿وكان الله بما تعلمون بصيرًا﴾ أى: عليمًا.

قوله تعالى: ﴿هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفا﴾ أى: وصدوا الهدى معكوفًا، ونصبه على الحال، ومعناه: محبوسًا.

وقوله: ﴿أن يبلغ محله﴾ أى: منحره، وكان رسول الله ﷺ قد ساق سبعين بدنة.

وقوله: ﴿ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات﴾ قال أهل التفسير: معنى الآية: أنه

(١) رواه النسائى فى الكبرى (٦/ ٤٦٤ – ٤٦٥ رقم ١١٥١١)، وأحمد (٤/ ٨٦ – ٨٧)، وابن جرير فى تفسيره (٢٦/ ٥٨ – ٥٩)، والحاكم (٢/ ٤٦٠ – ٤٦١) وصححه على شرطهما، والبيهقى فى سننه (٦/ ٣١٩) عن عبد الله بن مغفل به. وقال الهيثمى فى المجمع (٦/ ١٤٨)، رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

تعْلَمُوهُمْ أن تطَئُوهُمْ فتُصيبكُم مِّنْهُم مَّعرَّةٌ بغيْرِ علْمٍ لِّيُدْخل اللَّهُ في رحْمته من يشاءُ لوْ تَزيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذين كفرُوا منْهُمْ عذابًا أليمًا ﴿٢٥﴾ إذْ جعلَ الَّذين كفرُوا في قُلُوبهمُ

كان قد أسلم رجال ونساء (بمكة)(١)، وأقاموا هنالك مختلطين بالمشركين، ولم يكن يعرف مكانهم، فقال الله تعالى : ولولا هم يعنى : القوم الذين ذكرنا ﴿لم تعلموهم أن تطئوهم﴾ يعنى : توقعوا بهم وتصيبوهم بغير علم إن دخلتم محاربين مقاتلين.

وقوله : ﴿فتصيبكم منهم معرة بغير علم﴾ أى : سبَّة، ويقال : عيب وملامة، ومعناه : أن الكفار يعيبونكم، ويقولون : إنهم يقتلون أهل دينهم. ويقال فى المعرة : هى لزوم الدية عند القتل.

وقوله : ﴿ليدخل الله فى رحمته من يشاء﴾ فيه تقدير محذوف، ومعناه : حال بينكم وبينهم؛ ليدخل الله فى رحمته من يشاء أى : فى الإسلام من يشاء.

وقوله : ﴿لو تزيلوا﴾ أى : لو تميزوا أى : لو فارق المسلمون الكافرين ﴿لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليمًا﴾ ومعناه : لولا أصابتكم المعرة واختلاط [المسلمين](٢) بالكفار لعذبنا الذين كفروا أى : بالقتل بالسيف.

قوله تعالى : ﴿إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية﴾ الحمية : الأنفة والامتناع عن الشىء غضبا، ومن الأنفة محمود ومذموم. ويقال : فلان حام حومته أى : مانع لحوزته. ومعنى حمية الجاهلية هاهنا : هى أن الكفار لم يتركوا النبى ﷺ أن يدخل [هو](٣) وأصحابه مكة فى ذلك العام، وقالوا : لا يدخل علينا محمد أبداً على كره منا ما بقى منا أحد، وكان ذلك أنفة منهم وحمية، ثم إن الرسول لما صالح معهم كان فى الصلح أن يرجع هذا العام، ويعود فى العام القابل فى ذلك الشهر بعينه، ويقضى نسكه، ويقيم ثلاثا ويرجع. وفى الآية قول آخر : وهو أن [معنى](٤) حمية الجاهلية : أن سهيل بن عمرو ومعه حويطب بن عبد العزى [جاءوا](٥) ليعقدوا

---

(١) فى « ك » : مكة.

(٢) فى « الأصل وك » : المسلمون، والمثبت هو الصواب.

(٣) من « ك ».

(٤) فى « الأصل وك » : المعنى.

(٥) زيادة يقتضيها السياق.

الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ

عقد الصلح، فلما كان أوان (الكتبة)(١) قال النبى ﷺ لعلى رضى الله عنه: «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل: لا نعرف ما الرحمن الرحيم! اكتب كما نكتب: باسمك اللهم. فقال المسلمون: لا إله إلا الله - تعجبا من قولهم - ورجت بها جبال تهامة، ثم إنه ﷺ قال: اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله، فقال سهيل: ولو علمنا أنك رسول الله ما قاتلناك؛ اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله، وكتب عليٌّ ذلك، وقال عليه الصلاة والسلام: أنا محمد رسول الله، وأنا محمد بن عبد الله. وكان فى عقد الصلح أيضا: أن من جاء إلى النبى ﷺ من المشركين مسلما فى مدة الصلح يرد إليهم، ومن ذهب من المسلمين إلى الكفار مرتداً لم يردوه، وكان هذا كله من حمية الجاهلية، وعند هذه الشروط وقعت الفتنة لعمر، وأتى رسول الله ﷺ وقال: ألست رسول الله؟ قال: بلى. قال: أولسنا على الحق؟ قال: بلى. قال: علام نعطى الدنية فى ديننا؟ يعنى: نرضى بالخصلة الأدنى لأنفسنا، فقال عليه الصلاة والسلام: أنا رسول الله ولا يضيعنى، وذهب إلى أبى بكر وذكر له مثل ذلك، فقال له: إنه رسول الله، ولن يضيعه الزم [الغرز](٢)، ثم إن سهيل بن عمرو أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه، وقام فى الإسلام مقامات مشهودة.

وقوله: ﴿فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾ قد بينا معنى السكينة، والمعنى هاهنا: هو الثبات على الدين مع هذه الأمور.

وقوله: ﴿وألزمهم كلمة التقوى﴾ روى أبو الطفيل عن أبى بن كعب عن النبى ﷺ هى: «لا إله إلا الله»(٣).

وفى الخبر المشهور عن عمر قال: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنا أعلم

(١) فى «ك»: الكتابة.

(٢) فى «الأصل وك»: الغزو، وهو سبق قلم، والتصويب من مسند أحمد، وقد تقدم تخريجه.

(٣) رواه الترمذى (٥/ ٣٦٠ رقم ٣٢٦٥) وقال: غريب، وعبد الله بن أحمد فى زوائده على المسند (٥/ ١٣٨)، وابن جرير (٢٦/ ٦٦)، والبيهقى فى الأسماء والصفات (١٣٢ - ١٣٣)، وزاد السيوطى فى الدر (٦/ ٨٨): الدارقطنى فى الأفراد، وابن مردويه.

التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾

كلمة إذا قالها العبد مخلصاً من نفسه دخل الجنة، ولا أدرى ما هى، فقال(١) : أنا أدرى هى الكلمة التى ألاص عليها عمه - أى: ألحَّ على عمه أن يقولها - وهى لا إله إلا الله»(٢) . وعن الزهرى: أن كلمة التقوى بسم الله الرحمن الرحيم.

وقوله: ﴿وكانوا أحق بها وأهلها﴾ أى: كانوا محلا لهذه الكلمة وأهلا لها، ويقال: كانوا أهلها فى علم الله وحكمه، وهو الأصح.

وقوله: ﴿وكان الله بكل شىء عليما﴾ أى: عالماً.

قوله تعالى: ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق﴾ قال المفسرون: كان النبى ﷺ رأى فى منامه أنه دخل مكة مع أصحابه محلقين ومقصرين، فقص ذلك على أصحابه، ولم يشكوا أن ذلك حق، وظنوا أنه يكون فى العام الذى هم فيه، واعتمر النبى ﷺ وأصحابه وخرجوا على ذلك، فلما صدهم المشركون عن البيت ورجعوا، اغتم المسلمون غمًّا شديدا، وظنوا أنهم لا يدخلون، فأنزل الله هذه الآية. ومعنى قوله: ﴿لقد صدق الله﴾ أى: حقق الله رسوله أى: الرؤيا بالحق.

وقوله: ﴿لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون﴾ وهذا التحقيق حصل فى العام الثانى حين اعتمروا عمرة القضاء.

وقوله: ﴿فعلم ما لم تعلموا﴾ أى: وقت ظهور الرؤيا.

وقوله: ﴿فجعل من دون ذلك فتحًا قريبا﴾ أى: فتح خيبر، وفى الآية سؤال

(١) فى المسند لأحمد وغيره: أن القائل هو عمر، والسائل عثمان، ولكن هكذا أورده المنصف!

(٢) رواه أحمد (١/٦٣)، وابن حبان (١/٤٣٤ رقم ٢٠٤)، والحاكم (١/٧٢، ٣٥١) وصححه على شرطهما، وأبو نعيم فى الحلية (٢/٢٩٦، ٧/١٧٤) عن عمر به. وقال الهيثمى (١/٢٠): رواه أحمد، ورجاله ثقات.

معروف، وهو على قوله: ﴿إن شاء الله﴾ ما معنى قوله: ﴿إن شاء الله﴾ والله تعالى هو المخبر، وما يخبر عنه كائن لا محالة، والاستثناء إنما يدخل على شيء يجوز أن يكون، ويجوز ألا يكون؟ والجواب من وجوه: أحدها: أن معنى قوله: ﴿إن شاء الله﴾ إذا شاء الله.

والوجه الثانى: أن الآية على التقديم والتأخير، ومعناه: لتدخلن المسجد الحرام آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون إن شاء الله.

والوجه الثالث: أنه كان مع النبى ﷺ قوم عند نزول هذه الآية، منهم من غاب، ومنهم من مات قبل أن يحصل الموعود، فالاستثناء إنما وقع على هذا أنه يدخل بعضهم أو جميعهم.

والوجه الرابع - وهو الأولى - أن الله تعالى قال: ﴿إن شاء الله﴾ هاهنا على ما أحب ورضى وأمر به عباده، فإنه أمرهم أن يستثنوا فيما يخبرون به من الأمور المستقبلة، ويعدونه على ما قال الله تعالى: ﴿ولا تقولن لشيء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله﴾[1] وهذا أمر له ولجميع الأمة، فقال تعالى: ﴿إن شاء الله﴾ وإن علم وقوع الفعل ليقتدى به المؤمنون، ولا يتركوا هذه الكلمة فيما يخبرون به من الأمور التى لم يعلموا وقوعها. قال الأزهرى: وكأنه قال: لما قلت إن شاء الله فيما علمت وقوعه، فلأن تقولوا إن شاء الله فيما لم تعلموا وقوعه أولى.

قوله تعالى: ﴿هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله﴾ أى: على الأديان كلها، ومن المشهور أن عيسى - عليه السلام - ينزل من السماء، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ولا يبقى يهودى ولا نصرانى إلا أسلم، وحينئذ تضع الحرب أوزارها، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد.

وقوله: ﴿وكفى بالله شهيدا﴾ أى: شاهدا.

---

(١) الكهف: ٢٣ - ٢٤.

(٢٨) ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي

قوله تعالى: ﴿محمد رسول الله﴾ هذه الآية شهادة من الله تعالى لرسوله بالحق وأنه رسوله حقيقة.

وقوله: ﴿والذين معه﴾ يعنى: أصحابه.

وقوله: ﴿أشداء على الكفار﴾ أى: غلاظ شداد عليهم، وهو فى معنى قوله: ﴿أعزة على الكافرين﴾[١] ﴿رحماء بينهم﴾ أى: متوادون ومتواصلون بينهم، وهو فى معنى قوله: ﴿أذلة على المؤمنين﴾[١].

وقوله: ﴿تراهم ركعا سجدا﴾ أى: راكعين ساجدين.

وقوله: ﴿يبتغون فضلا من الله ورضوانا﴾ أى: الجنة والثواب الموعود.

وقوله: ﴿سيماهم فى وجوههم من أثر السجود﴾ قال ابن عباس: هو فى القيامة، وذلك من آثار الوضوء على ما قال ﷺ: «أمتى غر محجلون من آثار الوضوء»[٢] فعلى هذا يكون (المؤمنون)[٣] بيض الوجوه من أثر الوضوء والصلاة. وقال عكرمة: من أثر السجود: هو التراب على الجباه، وقد كانوا يسجدون على التراب، وقال الحسن: هو السمت الحسن، وعن سعيد بن جبير: هو الخضوع والتواضع، وهو رواية عن ابن عباس، ويقال: صفرة الوجه من سهر الليل، وهذا قول معروف.

وقوله: ﴿ذلك مثلهم فى التوراة﴾ أى: صفتهم فى التوراة.

وقوله: ﴿ومثلهم فى الإنجيل﴾ منهم من قال: الوقف على قوله: ﴿ذلك مثلهم فى التوراة﴾، وقوله: ﴿ومثلهم فى الإنجيل﴾ كلام مبتدأ بمعنى: صفتهم فى الإنجيل كزرع، ومنهم من قال: الوقف على قوله: ﴿فى الإنجيل﴾.

---

(١) المائدة: ٥٤.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) فى «ك»: المؤمنين.

التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

وقوله: ﴿ كزرع ﴾ معناه: هم كزرع.

وقوله: ﴿ أخرج شطأه ﴾ أي: فراخه. يقال: أشطأ الزرع إذا فرخ، ومعنى الفراخ: هو أنه ينبت من الحبة الواحدة عشر سنابل وأقل وأكثر.

وقوله: ﴿ فآزره ﴾ أي: قواه، وقرئ: «فأَزَرَه» بغير مد، وهو بمعنى الأول.

وقوله: ﴿ فاستغلظ ﴾ أي: استحكم واشتد وقوى.

وقوله: ﴿ فاستوى على سوقه ﴾ أي: انتصب على ساق.

وقوله: ﴿ يعجب الزراع ﴾ أي: الحراث. وهذا كله ضرب مثل النبي ﷺ وأصحابه، وذكر صفتهم وما قوى الله بهم النبي ﷺ ونصره بهم.

وعن جعفر بن محمد الصادق قال: ﴿ والذين معه ﴾ أبو بكر ﴿ أشداء على الكفار ﴾ عمر ﴿ رحماء بينهم ﴾ عثمان ﴿ تراهم ركعًا سجدًا ﴾ على رضى الله عنهم ﴿ يبتغون فضلا من الله ورضوانا ﴾ العشرة.

وقوله: ﴿ كزرع ﴾ محمد ﷺ ﴿ أخرج شطأه ﴾ أبو بكر ﴿ فآزره ﴾ بعمر ﴿ فاستغلظ ﴾ بعثمان ﴿ فاستوى على سوقه ﴾ بعلى رضى الله عنهم أجمعين، وهذا قول غريب ذكره النقاش، والمختار والمشهور هو القول الأول، أن الآية فى جميع أصحاب النبى ﷺ من غير تعيين، وعليه المفسرون.

وقوله: ﴿ ليغيظ بهم الكفار ﴾ أى: ليدخل الغيظ فى قلوبهم.

وقوله: ﴿ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾ اختلفوا فى قوله: ﴿ منهم ﴾ فقال قوم: من هاهنا للتجنيس لا للتبعيض. قال الزجاج: هو تخليص للجنس، وليس المراد بعضهم؛ لأنهم كلهم مؤمنون، ولهم المغفرة والأجر العظيم.

وعن ابن عروة قال: كنا عند مالك بن أنس فذكروا رجلا (يتبغض)[1] أصحاب رسول الله ﷺ، فقال مالك: من أصبح وفى قلبه غيظ على أصحاب رسول الله فقد أصابته هذه الآية، وهو قوله: ﴿ليغيظ بهم الكفار﴾..

والقول الثانى: أن معنى قوله: ﴿منهم﴾ أى: من ثبت منهم على الإيمان والعمل الصالح فله المغفرة والأجر العظيم، أورده النحاس فى تفسيره.

(١) فى «ك»: ينتقص.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ

تفسير سورة الحجرات

وهى مدنية باتفاق القراء، وروى (ثوبان)[١] عن النبى ﷺ أنه قال: « أعطيت السبع الطُوَل مكان التوراة، وأعطيت المائين مكان الإنجيل، وأعطيت المثانى مكان الزبور، وفضلنى ربى بالمفصل »[٢].

ومنهم من قال: المفصل من سورة محمد، والأكثرون على أن المفصل من هذه السورة، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تُقَدِّموا بين يدى الله ورسوله ﴾ روى على بن أبى طلحة الوالبى عن ابن عباس أن معنى قوله: ﴿ لا تقدموا بين يدى الله ورسوله ﴾ أى: لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة. وقال مجاهد: لا تفتاتوا على الله ورسوله حتى يقضى الله على لسان رسوله ما شاء. قال: ومعنى « لا تفتاتوا » أى: لا تعارضوا. ويقال معناه: لا تعجلوا بالقول قبل قول الرسول، ولا بالفعل قبل فعل الرسول، وهو فيما يوجد عنه من أمر الدين فعلا وقولا.

وعن قتادة قال: كان ناس يقولون: لو أنزل كذا، لو أنزل كذا، فأنزل الله تعالى هذه الآية. وعن الحسن البصرى قال: ذبح ناس أضحيتهم قبل صلاة النبى ﷺ يوم العيد،

---

(١) كذا، والحديث روى عن واثلة مرفوعا كما سيأتى فى تخريجه.

(٢) رواه أحمد فى مسنده (٤ / ١٠٧)، والطيالسى (١٣٦ رقم ١٠١٢)، وابن جرير (١ / ٣٤)، والطبرانى فى الكبير (٢٢ / ٧٥ - ٧٧ رقم ١٨٦، ١٨٧)، والطحاوى فى المشكل (٢ / ١٥٤)، والبيهقى فى الشعب (٥ / ٣٥٤ - ٣٥٥ رقم ٢١٩٢، ٢٢٥٥، ٢٢٥٦) كلهم من حديث واثلة مرفوعا به. وقال الهيثمى فى المجمع (٧ / ٤٩): رواه أحمد، وفيه عمران القطان، وثقه ابن حبان وغيره، وضعفه النسائى وغيره، وبقية رجاله ثقات.

وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ

فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وعن عائشة - رضى الله عنها - أن ناسًا صاموا يوم الشك، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال الزجاج معناه: لا تفعلوا الطاعات قبل وقت فعلها، وهذا فى جميع العبادات إلا ما قام (على جوازه)(١) دليل من السنة.

وروى عبد الله بن الزبير «أن وفد بنى تميم قدموا على النبى ﷺ، فقال أبو بكر: يا رسول الله، أَمِّرْ عليهم الأقرع بن حابس، وقال عمر: يا رسول الله، أمر عليهم فلانا غير الذى قال أبو بكر، ويقال: إن الرجل الذى أشار إليه عمر هو القعقاع بن معبد بن زرارة، فقال أبو بكر لعمر - رضى الله عنهما - ما أردت [إلا خلافى](٢)، وقال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا عند النبى ﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآية»(٣).

وقرأ الضحاك: «لا تَقَدَّمُوا»(٤) وهى قراءة يعقوب الحضرمى، ومعناه: لا تتقدموا.

وقوله: ﴿واتقوا الله إن الله سميع عليم﴾ أى: سميع لقولكم، عليم لما أنتم عليه.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى﴾ فى التفسير: أن الأعراب الجهال [كانوا يقدمون](٥) على النبى ﷺ، ويرفعون أصواتهم

(١) فى «ك»: على وقت جوازه.

(٢) من «ك»، وفي «الأصل»: الاختلاف.

(٣) رواه البخارى (٧/ ٦٨٥ رقم ٤٣٦٧، وأطرافه: ٤٨٤٥، ٤٨٤٧، ٧٣٠٢)، والترمذى (٥/ ٣٦١ رقم ٣٢٦٦) وقال: حسن غريب، والنسائى فى الكبرى (٦/ ٤٦٦ رقم ١١٥١٤)، وابن جرير (٢٦/ ٧٦)، والطبرانى (١٣/ ١١٣ رقم ٢٧٥، ٢٧٦) جميعهم من حديث ابن أبى مليكة عن ابن الزبير به. وذكر الترمذى عقبه: وقد رواه بعضهم عن ابن أبى مليكة مرسل.

(٤) النشر فى القراءات العشر: (٢/ ٣٧٥ - ٣٧٦).

(٥) فى «الأصل وك» يقدمون كانوا.

النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ

فوق صوته، ويدعونه باسمه فيقولون: يا محمد، يا أبا القاسم، وكان ذلك نوع تهاون بحقه، فأنزل الله تعالى هذه الآية؛ ليكلموه كلام المبجل المعظم له الدال على توفية حقه فى الخطاب.

وروى أن ثابت بن قيس بن شماس كان به صمم، وكان جهير الصوت، فلما أنزل الله تعالى هذه الآية جلس فى بيته غمًّا. ويقال: سمَّر بابه بالحديد، وقال: أخاف أن يكون قد حبط عملى، فدعاه النبى ﷺ وقال: «أما ترضى أن تعيش حميداً وتموت شهيداً» قال: نعم. قال: «تكون كذلك»(١) واستشهد يوم اليمامة.

وروى أنه قال له: «أنت من أهل الجنة»(٢).

وعن أبى بكر - رضى الله عنه - أنه قال لما نزلت هذه الآية: والله لا أكلم رسول الله إلا كأخى السرار.

وعن عمر - رضى الله عنه - أنه كان بعد نزول هذه الآية لا يكلم رسول الله ﷺ إلا خافضا صوته حتى كان يستفهمه رسول الله ﷺ ما يقوله.

وقوله: ﴿ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض﴾ هو نهى عن رفع الصوت فى حضرته. وقال بعضهم: هو أن تناديه باسمه، وهو أن تقول: يا محمد، يا أبا القاسم، فنهى الله تعالى عن ذلك، وأمر أن يدعى باسم النبوة والرسالة. وحكى عن مالك بن أنس أنه قال: من قال إن رسول الله ﷺ وسخ يريد به النقص كفر بالله

(١) رواه الطبرانى فى الكبير (٢ / ٦٧ - ٦٨ رقم ١٣١٢، ١٣١٤، ١٣١٥)، وابن حبان (١٦ / ١٢٥-١٢٦ رقم ٧١٦٧) عن إسماعيل بن ثابت أن ثابت فذكره. ورواه ابن جرير (٢٦ / ٧٥)، والطبرانى (رقم ١٣١٠، ١١٣١، ١١٣٣)، والحاكم (٣ / ٢٣٤) وصححه على شرطهما، والبيهقى فى الدلائل (٦ / ٣٥٥) عن محمد ابن ثابت عن ثابت فذكره. وإسماعيل هو ابن محمد بن ثابت يروى عن جده مرسلا، كما فى التاريخ الكبير للبخارى (١ / ١ / ٣٧١)، وانظر علل الرازى (٢ / ٢٣٦).

(٢) متفق عليه من حديث أنس، رواه البخارى (٦ / ٧١٧ رقم ٣٦١٣ وطرفه: ٤٨٤٦)، ومسلم (٢ / ١٧٥ - ١٧٧ رقم ١١٩).

أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ

تعالى.

وقوله: ﴿ أن تحبط أعمالكم ﴾ أى: فتحبط أعمالكم، وكذلك قرأ ابن مسعود، ويقال: لئلا تحبط أعمالكم.

وقوله: ﴿ وأنتم لا تشعرون ﴾ أى: لا تعلمون بحبوط الأعمال.

قوله تعالى: ﴿ إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله ﴾ أى: يخفضونها.

وقوله: ﴿ أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ﴾ أى: أخلص الله قلوبهم للتقوى. ويقال: امتحن الله قلوبهم فوجدها خالصة. ويقال: إن المراد من القلوب أرباب القلوب يعنى امتحنهم الله تعالى وابتلاهم ليكونوا متقين، واللام لام الصيرورة، وهو مثل قوله تعالى: ﴿ ليكون لهم عدواً وحزنا ﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿ لهم مغفرة وأجر عظيم ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ إن الذين ينادونك من وراء الحجرات ﴾ ذكر المفسرون أن وفد تميم قدموا على النبى ﷺ وجعلوا ينادونه من وراء الحجرات يا محمد، يا محمد اخرج إلينا، وكان فيهم قيس بن عاصم المنقرى، والزبرقان بن بدر، والأقرع بن حابس، والقعقاع بن معبد، وغيرهم.

وروى أن الأقرع بن حابس قال: يا محمد إن مدحى زين، وذمى شين، فقال رسول الله ﷺ: «ذاك هو الله»(٢).

(١) القصص: ٨.

(٢) رواه أحمد (٣/٤٨٨، ٦/٣٩٣ - ٣٩٤)، وابن جرير (٢٦/٧٧)، والطبرانى (١/٣٠٠ رقم ٨٧٨)، وابن الأثير فى أسد الغابة (١/١٣٠)، وابن عساكر (٩/١٨٥ رقم ٢٣٣٤، ٢٣٣٥)، عن أبى سلمة عن الأقرع به. وقال الهيثمى فى المجمع (٧/١١٠): وأحد إسنادى أحمد رجاله رجال الصحيح، إن كان أبو سلمة سمع من الأقرع وإلا فهو مرسل. وفى الباب عن البراء، رواه الترمذى (٥/٣٦١ - ٣٦٢ رقم ٣٢٦٧) وقال: حسن غريب، والنسائى فى الكبرى (٦/٤٦٦ رقم ١١٥١٥)، وابن جرير (٢٦/٧٧)، وأبو نعيم فى أخبار أصبهان (٢/٢٩٦) وقال: قال رجل: إن ذمى شين .. ولم يسمه.

يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾

وقوله: ﴿أكثرهم لا يعقلون﴾ أى: هم من قوم أكثرهم لا يعقلون. ويقال: كان فيهم من إذا علم يعقل ويعلم، وكان فيهم من لا يعقل ولا يعلم وإن عُلِّمَ، فلهذا قال: ﴿أكثرهم لا يعقلون﴾ وإن علموا وعقلوا.

قوله تعالى: ﴿ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم﴾ روى أن النبى ﷺ بعث سرية فأصابوا سبايا من (بلعمر)(١) بن(٢) غنم، فجاء رجالهم يطلبون الفداء وجعلوا ينادون: يا محمد، يا محمد اخرج إلينا نفاديك فخرج، وخلى عن بعض السبى وفادى البعض، وكان قد أراد أن يخلى عن جميعهم، فلما أساءوا الأدب خلى عن بعضهم، وفادى البعض، فهذا معنى قوله تعالى: ﴿ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم﴾ أى: كان خيرا لهم بأن يخلى عن جميع السبى.

وقوله: ﴿والله غفور رحيم﴾ ظاهر المعنى. وفى هذه الآيات بيان استعمال الأدب فى مجلس النبى ﷺ. وذكر بعضهم عظم الجناية فى ترك ذلك، وما يؤدى إلى حبوط العمل واستحقاق العقاب. وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يهابون أن يتكلموا بحضرته، وكانوا يحبون أن يأتى الأعرابى من البادية فيسأل رسول الله ﷺ عن الشىء ليسمعوا الجواب؛ لأنهم كانوا يهابون السؤال.

وفى حديث ذى اليدين «أنه قال لرسول الله ﷺ حين سلم عن(٢) ركعتين: أقصرت الصلاة أم نسيت؟ وقد كان فى القوم أبو بكر وعمر ووجوه أصحاب رسول الله ﷺ فهابوا أن يكلموه، وتكلم هذا الرجل؛ لأنه لم يكن يعلم من قدره وعظم حقه ما كانوا يعلمون»(٣).

---

(١) كذا فى «الأصل» وفى «ك»: بلعم، وكلاهما خطأ، والصواب: بلعنبر، وهم بطن من تميم. سيرة ابن هشام ٢ / ٦٢١.

(٢) فى «ك»: من.

(٣) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (١ / ٦٧٤ رقم ٤٨٢، وأطرافه: ٧١٤، ٧١٥، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ٦٠٥١، ٧٢٥٠)، ومسلم (٥ / ٩٤ - ٩٥ رقم ٥٧٣).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾ قال أهل التفسير: نزلت الآية فى الوليد بن عقبة بن معيط، بعثه رسول الله ﷺ إلى بنى المصطلق من خزاعة ليأخذ صدقاتهم، وكان بينه وبينهم (إحنة) فى الجاهلية، فلما قرب منهم مجيئه وسمعوا بقربه تلقوه ليكرموه، فخافهم ورجع، وقال للرسول: يا رسول الله، إنهم منعوا الزكاة - وفى رواية: إنهم ارتدوا عن الإسلام - ولم يعطوا شيئا، فبعث النبى ﷺ خالد بن الوليد سرية إليهم، [وأمره][1] أن يتعرف حالهم، فإن كان على ما قال الوليد قاتلهم، فذهب خالد وجاءهم ليلا فسمع صوت المؤذنين بينهم، وسمع تلاوة القرآن، فرجع وأخبر النبى ﷺ، وأنزل الله تعالى هذه الآية. وقد روى أن النبى ﷺ لما سمع قول الوليد غضب، وبعث من يقاتلهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية، ذكر هذا قتادة وغيره. فحكى عن رسول الله ﷺ أنه قال بعد هذا: «التأنى من الله، والعجلة من الشيطان»[2].

وقوله: ﴿إن جاءكم فاسق﴾ قالوا: الفاسق هاهنا هو الكذاب. وأما اللغة قد بينا أنه الخارج عن طاعة الله.

وقوله: ﴿فتبينوا﴾ وقرئ: «فتثبتوا» ومعناهما متقارب، وهو ترك العجلة، والتدبر والتأنى فى الأمر.

وقوله: ﴿أن تصيبوا قومًا بجهالة﴾ معناه: لئلا تصيبوا قوما بجهالة، ومعنى الإصابة هاهنا: هو الإصابة من الدم والمال بالقتل والأسر والاغتنام.

وقوله: ﴿فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ أى: تصيروا نادمين على فعلكم، وليس المراد منه الإصباح الذى هو ضد الإمساء.

قوله تعالى: ﴿واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم﴾

---

(١) فى «الأصل»: وأمرهم.

(٢) تقدم تخريجه.

وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَائِفَتَانِ

أى: لهلكتم. وقيل: غويتم وضللتم. ويقال: نالكم التعب والمشقة.

وقوله: ﴿يطيعكم﴾ نوع مجاز؛ لأن الطاعة فى الحقيقة فعل من الأدون على موافقة قول الأعلى. وقد روى عن بعض السلف أنه قال: نعم الرب ربنا، لو أطعناه ما عصانا، وهو على طريق المجاز والتوسع فى الكلام، قال الشاعر:

رب من أصبحت غيظًا صدره ... لو تمنى فِيَّ موتا لم يُطَعْ

أى: لم يدرك ما تمناه، وهو على طريق المجاز.

وقوله: ﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان﴾ يقال: حببه بإقامة الدلائل على وحدانيته وهدايتهم إليها. ويقال: حببه بذكر الثواب والوعد الصادق.

وقوله: ﴿وزينه فى قلوبكم﴾ حتى قبلوه وآثروه على طريق غيره، وطبع الآدمى مجبول على اختيار ما زين فى قلبه، فلما هدى الله المؤمنين إلى الإيمان، وأمال قلوبهم إليه حتى قبلوه، سمى ذلك تزيينا للإيمان فى قلوبهم.

وقوله: ﴿وكره إليكم الكفر﴾ يقال: كرَّه الكفر بذكر الوعيد والتخويف على فعله.

وقوله: ﴿والفسوق والعصيان﴾ والفسوق: كل ما يفسق به الإنسان أى: يخرج به عن طاعة الله. والعصيان: مخالفة الأمر.

وقوله: ﴿أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة﴾ أى: المهتدون تفضلا من الله وإنعاما.

وقوله: ﴿والله عليم حكيم﴾ أى: عليم بخلقه، حكيم فيما يدبره لهم.

قوله تعالى: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾ قال سعيد بن جبير وغيره: الآية فى الأوس والخزرج، كان بينهم قتال بالجريد والنعال والأيدى فى أمر تنازعوه بينهم.

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا

وقال غيره – وهو قتادة –: هو فى رجلين اختصما فى عهد النبى ﷺ فى حق بينهما، فقال أحدهما للآخر: لآخذن منك عنوة تعززاً بكثرة عشيرته، وقال الآخر: لا، بل أحاكمك إلى رسول الله ﷺ، فلم يزل بينهما الأمر حتى تواثبا وتضاربا، (وكان بينهما قتال)[1] بالنعل واليد، وأنزل الله تعالى هذه الآية.

قال مجاهد: الطائفة اسم للواحد إلى ألف وأكثر.

وروى أن النبى ﷺ لما قدم المدينة قيل له: لو أتيت عبد الله بن أبى بن سلول فدعوته إلى الإيمان، فركب حماراً وتوجه إليه، وكانت الأرض أرضاً سبخة، وأصحابه حوله فثار الغبار، فلما بلغ الموضع الذى فيه عبد الله بن أبى بن سلول وعنده جماعة، قال: إليك عنا يا محمد، فقد أذانا نتن حمارك. فقال عبد الله بن رواحة: والله إن حماره أطيب (ريحًا)[2] منك. فغضب لعبد الله بن أبى بن سلول قوم، ولعبد الله بن رواحة قوم، فثار بينهم الشر، وتقاتلوا بالعصى والنعال وما أشبه ذلك، وأراد النبى ﷺ أن يسكنهم فلم يمكنه، ثم إنهم سكنوا، فأنزل الله تعالى هذه الآية[3]. وذكر البخارى خبراً فى الصحيح برواية أنس قريبا من هذا فى سبب نزول هذه الآية، وإنما سمى الله تعالى ذلك مقاتلة؛ لأن الجرى عليه يؤدى إلى القتل، والذى ذكرناه من قصة عبد الله بن أُبى بن سلول وعبد الله بن رواحة ذكره الكلبى ومقاتل وغيرهما.

وقوله: ﴿فأصلحوا بينهما﴾ أى: فاسعوا (لدفع)[4] الفساد وإزالة الشر. واعلم أنه إذا وقع مثل هذا بين طائفتين يجب على الإمام أو من ينوب عن الإمام أن ينظر بينهما ويحملهما على الحق، فإن امتنعت إحدى الطائفتين عن قبول الحق [ردها][5]

(١) ليست فى «ك».

(٢) ليست فى «ك».

(٣) متفق عليه من حديث أنس، رواه البخارى (٥/ ٣٥١ رقم ١٦٩١)، ومسلم (١٢/ ٢٢٠ – ٢٢١ رقم ١٧٩٩).

(٤) فى «ك»: لرفع.

(٤) فى «الأصل، وك»: رده.

فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ

إلى الحق أولا بالكلام، ثم يترقى درجة درجة إلى أن يبلغ القتال، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله ﴾ أى: ترجع إلى أمر الله.

وقوله: ﴿ فإن فاءت ﴾ أى: رجعت، ومعناه: انقادت للحق.

وقوله: ﴿ فأصلحوا بينهما بالعدل ﴾ أى: بالحق.

وقوله: ﴿ وأقسطوا ﴾ أى: وأعدلوا.

وقوله: ﴿ إن الله يحب المقسطين ﴾ أى: العادلين، وفى الخبر عن النبى ﷺ أنه قال: «المقسطون يوم القيامة عن يمين الرحمن، قيل: ومن هم يا رسول الله؟ قال: الذين عدلوا فى حكمهم لأنفسهم وأهليهم وما ولوا»(١).

قوله تعالى: ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ أى: فى التوالى والتعاضد والتراحم، وهو فى معنى قوله تعالى: ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ﴾(٢). وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»(٣).

وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «المؤمنون كنفس واحدة، إذا اشتكى بعضه تداعى سائره للحمى والسهر»(٤).

وقد ثبت برواية ابن عمر أن النبى ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا

---

(١) رواه مسلم (١٢ / ٢٩١ رقم ١٨٢٧)، والنسائى (٨ / ٢٢١)، وأحمد (٢ / ١٦٠)، والحميدى (٢ / ٦٧ - ٦٨ رقم ٥٨٨)، وابن حبان (١٠ / ٣٣٦-٣٣٧ رقم ٤٤٨٤، ٤٤٨٥)، والآجرى فى الشريعة (٣٢٢)، والبيهقى فى السنن (١٠ / ٨٧ - ٨٨) عن عبد الله بن عمرو مرفوعا به.

(٢) التوبة: ٧١.

(٣) متفق عليه من حديث أبى موسى، رواه البخارى (١ / ٦٧٤ رقم ٤٨١، وطرفاه: ٢٤٤٦، ٦٠٢٦)، ومسلم (١٦ / ٢١٠ رقم ٢٥٨٥).

(٤) متفق عليه من حديث النعمان بن بشير، وقد تقدم.

فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ

يشتمه، ومن كان فى حاجة أخيه المسلم كان الله فى حاجته، ومن ستر على أخيه المسلم ستر الله عليه يوم القيامة، ومن فرج عن أخيه المسلم فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة». خرجه البخارى ومسلم(١).

وقوله: ﴿فأصلحوا بين أخويكم﴾ ذكر الأخوين ليدل بوجوب الإصلاح بينهما على وجوب الإصلاح بين الجمع الكثير.

وقوله: ﴿واتقوا الله﴾ أى: اتقوا الله من أن لا تتركوهم على الفساد، وأن تسعوا فى طلب الصلاح.

وقوله: ﴿لعلكم ترحمون﴾ أى: يعطف الله تعالى عليكم، ويعفو عنكم.

ويقال: ﴿فأصلحوا بين أخويكم﴾ أى: إخوانكم، وروى أسباط عن السدى أن رجلا من الأنصار كانت له امرأة، فأرادت أن تزور أهلها فمنعها زوجها، وجعلها فى عُلِّيَّة له، فجاء أهلها ليحملوها إليهم، واستعان الرجل بقومه فى منعها؛ فوقع بينهم شر وقتال، وأنزل الله تعالى هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم﴾ السخرية: هو الاستهزاء والبطر يعنى: المهانة والاحتقار.

وقوله: ﴿قوم من قوم﴾ القوم هاهنا بمعنى الرجال، قال الشاعر:

ولا أدرى ولست إخال أدرى ... أقوم آل حصن أم نساء

وإنما سمى الرجال قوما دون النساء؛ لأنهم الذين يقومون بالأمور.

قال مجاهد: الآية فى الاستهزاء؛ الغنى بالفقير، والقوى بالضعيف.

ويقال: استهزاء الدهاة بأهل سلامة القلوب.

---

(١) رواه البخارى (٥/ ١١٦ رقم ٢٤٤٢، وطرفه: ٦٩٥١)، ومسلم (١٦/ ٢٠٣ رقم ٢٥٨٠).

قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ

وقوله: ﴿عسى أن يكونوا خيراً منهم﴾ أى: عسى أن يكون المستهزَئ منه خيراً من المستهزِئ.

وقوله: ﴿ولا نساء من نساء﴾ أى: ولا يسخر نساء من نساء عسى أن تكون خيراً منهن، أى: عسى أن تكون المستهزأة منها خيراً من المستهزئة، والمراد فى الآخرة.

وفى الخبر أن النبى ﷺ قال لأبى ذر: «انظر إلى أوضع رجل فى المسجد عندك، فأشار إلى فقير عليه أطمار. فقال: انظر إلى أرفع رجل فى المسجد عندك، فأشار إلى بعض الأغنياء - وعليه شارة - فقال ﷺ: هذا يوم القيامة أفضل من ملء الأرض من هذا»[(١)] وعنى به الفقير.

وقوله: ﴿ولا تلمزوا أنفسكم﴾ أى: (لا يعيب)[(٢)] بعضكم بعضاً [أى:][(٣)] مثل قوله تعالى: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾[(٤)] أى: لايقتل بعضكم بعضا.

قال الضحاك: لا يلعن بعضكم بعضا، ويقال: لا يطعن بعضكم على بعض.

وقوله: ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾ النبز واللقب بمعنى واحد.

ومعنى النبز هاهنا: هو اللقب المكروه الذى يكره الإنسان أن يدعى به. وعن

---

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده (٥/١٥٧، ١٧٠)، وفى الزهد (٢٧-٢٨)، ووكيع فى الزهد (١/٣٧٨-٣٧٩ رقم ١٤٤)، وابن أبى شيبة فى المصنف (١٣/٢٢٢ رقم ١٦١٦٣، ١٦١٦٤)، وهناد فى الزهد (٢/٤١٦ رقم ٨١٥)، والطبرانى فى الأوسط (٨/٤٦ - ٢٤٧ رقم ٥٠٤٩ - مجمع البحرين)، وابن حبان (٢/٤٥٦ - ٤٥٧ رقم ٦٨١)، وأبو نعيم فى الحلية (٨/١١٥ - ١١٦) وقال: حديث ثابت مشهور من حديث الأعمش. وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/٢٦١): رواه أحمد بأسانيد، ورجالها رجال الصحيح. وقال فى موضع آخر (١٠/٢٦٨): رواه أحمد، والبزار، والطبرانى فى الأوسط بأسانيد، ورجال أحمد وأحد إسنادى البزار والطبرانى رجال الصحيح.

(٢) فى «ك»: يغتب.

(٣) من «ك».

(٤) النساء: ٢٩.

بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ

[أبى](١) جبيرة الأنصارى قال: «قدم رسول الله علينا المدينة ولأحدنا الاسم والاسمان والثلاثة، فكان رسول الله ﷺ يدعو بذلك الاسم، فقيل له: إنه يغضب إذا دعى بهذا، فترك ذلك، وأنزل الله تعالى هذه الآية»(٢). قال مجاهد والحسن: هو أن يقول لمن أسلم: يا يهودى، يا نصرانى تعييراً بماكان عليه من قبل. وقال قتادة وأبو العالية: هو أن يقول يا منافق، يا فاسق. وفى بعض التفاسير: أنه كان بين كعب بن مالك وعبد الله بن أبى حدرد الأسلمى منازعة فقال كعب بن مالك لعبد الله: يا أعرابى، وقال عبد الله لكعب: يايهودى، فأنزل الله تعالى هذه الآية، ونهاهم عن مثل هذا. وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ أنه قال: «من حق المسلم على المسلم أن يدعوه بأحب أسمائه إليه»(٣).

وقوله: ﴿بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان﴾ استدل بهذا من قال إن الفاسق

(١) فى «الأصل»: عن ابن جبيرة، وفى «ك»: عن ابن عباس، والصواب عن أبى جبيرة، وهو ابن الضحاك بن خليفة الأنصارى المدنى، كما سيأتى فى تخريج الحديث عند البخارى فى الأدب والترمذى وغيرهما، وانظر الإصابة (٤ / ٣١).

(٢) رواه البخارى فى الأدب (ص١٠١)، وأبو داود (٤ / ٢٩٠ - ٢٩١ رقم ٤٩٦٢)، والترمذى (٥ / ٣٦٢ رقم ٣٢٦٨) وقال: حسن صحيح، والنسائى فى الكبرى (٦ / ٤٦٦ رقم ١١٥١٦)، وابن ماجه (٢ / ١٢٣١ - ١١٣٢ رقم ٣٧٤١)، وأحمد (٤ / ٦٩ ، ٢٦٠)، وابن جرير (٢٦ / ٨٤)، والطبرانى (٢٢ / ٣٨٩ - ٣٩٠ رقم ٩٦٨، ٩٦٩)، والحاكم (٢ / ٤٦٣، ٤ / ٢٨١ - ٢٨٢) وصححه، جميعهم من حديث أبى جبيرة الأنصارى مرفوعا به.

(٣) قال الحافظ الزيلعى فى تخريج الكشاف (٣ / ٣٤٠): غريب بهذا اللفظ، لم أجده هكذا. قلت: فى حديث عثمان بن طلحة مرفوعا: «ثلاث يصفين لك ود أخيك ... وتدعوه بأحب أسمائه إليه». رواه البخارى فى تاريخه (٧ / ٣٥٢)، والطبرانى فى الأوسط (٥١ / رقم ٣٠١٨، ٣٠١٩ - مجمع البحرين)، والحاكم (٣ / ٤٢٩)، والبيهقى فى الآداب (٧٧ / رقم٢٢٩)، وابن عساكر فى تاريخه (١٣ / ٣٨٧ رقم ٣٣٢٤)، وتمام فى فوائده (١ / ١٦٢ - ١٦٣ رقم ٣٧٤، ٣٧٥). وقال أبو حاتم فى علل الرازى (٢ / ٢٦٢): هذا حديث منكر، وموسى ضعيف الحديث. وقال الهيثمى فى المجمع (٨ / ٨٥): رواه الطبرانى فى الأوسط، وفيه موسى بن عبد الملك، وهو ضعيف.

وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ

لايكون مؤمنا، قال: لأنه لو كان الفاسق مؤمنا لم يستقم قوله: ﴿ بعد الإيمان ﴾ والجواب: أن المراد منه النهى عن قوله: يا فاسق، يا منافق، وكأنه قال: بئس الوصف بالفسوق بعد الإيمان بالله. وقال: إن «بعد» ها هنا بمعنى: «مع» ومعناه: بئس اسم الفسوق مع الإيمان.

وقوله: ﴿ ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ﴾ أى: من لم يتب عن هذه الأشياء التى كانوا يفعلونها فى الجاهلية؛ فأولئك هم الظالمون.

قوله تعالى: ﴿ يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ﴾ قد ثبت برواية أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث»(١).

وفى بعض الأخبار: «إذا حسدت فلاتبغ، وإذا نظرت حداءً فامضِ، وإذا ظننت فلاتحقق»(٢).

وعن أنس أن النبى ﷺ قال: «احترسوا من الناس بسوء الظن»(٣). وهو خبر غريب. وعن سلمان الفارسى قال: إنى لأعد عراق اللحم فى القدر مخافة سوء الظن. وعن ابن مسعود أنه قال: الختم خير من (الظن السوء)(٤) وعن [أبى](٥) العالية الرياحى أنه ختم على سبع سكرات لئلا يظن ظن السوء.

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (٩/ ١٦٠ رقم ٥١٤٣، وأطرافه: ٦٠٦٤، ٦٠٦٦، ٦٧٢٤)، ومسلم (١٦/ ١٧٩ - ١٨١ رقم ٢٥٦٣).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه ابن عدى (٦/ ٤٠٢)، والطبرانى فى الأوسط (٥/ ٣٠٠ رقم ٣١٠٥ - مجمع البحرين)، وتمام فى الفوائد (١/ ٢٧٨ رقم ٢٩٦). وأورده الذهبى ضمن منكرات معاوية بن يحيى الصدفى فى الميزان (٨/ ٩٢) وعزاه للبخارى فى الضعفاء.

(٤) فى «ك»: سوء الظن.

(٥) فى «الأصل»: ابن، وهو تحريف.

بعضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُوا

واعلم أن الظن المنهى عنه هو ظن السوء بأهل الخير، فأما بأهل الشر فجائز.

وقوله: ﴿إن بعض الظن إثم﴾ يعنى: هذا الظن.

وقوله: ﴿ولاتجسسوا﴾ التجسس: هو البحث عن عورات الناس، قاله مجاهد. وقرأ ابن سيرين: «ولاتحسسوا» بالحاء. واختلفوا فى التجسس والتحسس، منهم من قال: هما واحد، ومنهم من فرّق، وقال: التجسس هو البحث عن عورات (الناس)(١) كما قلنا. والتحسس هو الاستماع إلى حديث القوم، ويقال: التجسس هو البحث عن الأمور، والتحسس هو الإدراك ببعض الحواس، وقد ثبت عن النبى ﷺ برواية أنس أنه قال: «لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تجسسوا وكونوا عباد الله إخوانا»(٢) قال الشيخ الإمام رحمه الله: أخبرنا [الشيخ](٣) أبو على الشافعى بمكة، أخبرنا أبو الحسن بن فراس، أخبرنا أبو محمد ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد عبدالله بن يزيد المقرئ، عن جده، عن محمد، عن سفيان بن عيينة، عن الزهرى، عن أنس... الحديث.

وفى بعض الآثار أن عمر - رضى الله عنه - خرج ومعه عبد الرحمن بن عوف يعس ليلة، فمرّا بدار وسمعا منها لغطًا وأصواتا، فقال عمر: أرى أنهم يشربون الخمر! ماذا نفعل؟! فقال عبدالرحمن بن عوف: أرى أنا أتينا مانهينا عنه - يعنى: التجسس- ورجع.

وفى هذا الأثر أن تلك الدار كانت دار ربيعة بن أمية بن خلف.

وفى أثر آخر أنه قيل لابن مسعود: هل لك فى الوليد بن عقبة ولحيته تقطر خمرًا- وكان الوليد أمير الكوفة، وابن مسعود فقيهها - فقال: إنا نهينا عن التجسس.

(١) فى «ك»: النساء.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) من «ك».

وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً

وقوله: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ الغيبة: أن يذكر أخاه في الغيبة بما يكره ذلك إذا سمعه. وفي حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ سئل عن الغيبة؟ فقال: «ذكرك أخاك بما يكره» فقيل: يارسول الله، إن كان في أخي ما أقول؟ فقال: «إن كان في أخيك ماتقوله فقد اغتبته، وإن لم يكن في أخيك ماتقوله فقد بهته»(١)

وفي الأخبار أن أمرأة دخلت على عائشة - رضى الله عنها - فلما خرجت قالت عائشة: ما أحسنها لولا أن بها قصراً، فقال النبي ﷺ: «لقد اغتبتيها، فاستغفرى الله»(٢) وروى عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا اغتاب أحدكم أخاه فليستغفر له؛ فإن ذلك كفارته»(٣).

وفي بعض الأخبار أيضا عن النبي ﷺ أنه قال: «إياكم والغيبة، فإن الغيبة أشد من الزنا، وإن الزاني يزني ثم يتوب فيتوب الله عليه، وإن صاحب الغيبة لايغفر له حتى يغفر له صاحبه»(٤) يعني: يعفو عنه.

(١) رواه مسلم في صحيحه (١٦/ ٢١٤ رقم ٥٨٩)، والبخاري في الأدب المفرد (رقم ٤٢٥)، وأبو داود (٤/ ٢٦٩ رقم ٤٨٧٤)، والترمذي (٤/ ٢٩٠ رقم ١٩٣٤) وقال: حسن صحيح، والنسائي في الكبرى (٦/ ٤٦٧ رقم ١١٥١٨)، وأحمد (٢/ ٢٣٠، ٤٥٨) عن أبي هريرة به. وقال الترمذي: وفي الباب عن أبي برزة، وابن عمر، وعبد الله بن عمرو.

(٢) رواه أحمد (٦/ ١٣٦، ٢٠٦)، وهناد في الزهد (٢/ ٥٦٨ رقم ١١٩٠)، وابن أبي الدنيا في الغيبة (رقم ٦٨، ٧٣)، وابن جرير (٢٦/ ٨٧)، وأبو الشيخ في التوبيخ (رقم ١٩٥)، والخرائطي في مساوئ الأخلاق (رقم ٢٠٣) جميعهم عن عائشة بنحوه، وبدون قوله: فاستغفرى الله.

(٣) رواه بن أبي الدنيا في الغيبة (رقم ١٥٤)، والخرائطي في مساوئ الأخلاق (رقم ٢١١، ٢١٢)، وأبو الشيخ في التوبيخ (رقم ٢٠٧)، والخطيب في تاريخه (٧/ ٣٠٣)، وابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ١١٨ - ١١٩) جميعهم من حديث أنس مرفوعا به. ورواه ابن الجوزي عن سهل بن سعد وجابر بن عبد الله كلاهما مرفوعا بنحوه وقال: هذه الأحاديث ليس فيها شيء صحيح. وانظر السلسلة الضعيفة (رقم ١٥١٨، ١٥١٩، ١٥٢٠).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في الغيبة (رقم ٢٥)، وهناد في الزهد (١١٧٨)، والطبراني في الأوسط (٨/ ١٩٩ رقم ٤٩٥٩)، وابن حبان في المجروحين (٢/ ١٦٨)، وأبو الشيخ في التوبيخ (رقم ١٦٨) جميعهم من حديث جابر وأبي سعيد مرفوعا به. وقال أبو حاتم: ليس لهذا الحديث أصل، وعباد ضعيف الحديث (علل الرازي ٢/ ٣١٩ رقم ٢٤٧٤). وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٩٥): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عباد بن كثير، وهو متروك، وانظر الضعيفة (١٨٤٦).

أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ

وقد ورد في الأخبار: «أنه ليس لفاسق غيبة»(١).

وقال ﷺ: «اذكروا الفاجر بما فيه، يحذره الناس»(٢)

قال أهل العلم: ليس لثلاثة غيبة: السلطان الظالم، والفاسق المعلن، والذى أحدث فى الإسلام حدثا - يعنى: المبتدع -.

وكذلك قال أهل العلم: إذا سأل إنسان إنسانا لغرض له صحيح، فلا بأس أن يذكر مافيه. والغيبة مأخوذة من الغيب؛ كأنه لما ذكره بظهر الغيب بمايسوءه كان ذكره له غيبة. وقد كان السلف يحترزون أشد الاحتراز من مثل هذا. روى أن طبيبين دخلا على ابن سيرين،فلما خرجا قال: لولا أن يكون غيبة لذكرت أيهما أطب. وعن معاوية بن قرة قال: لو دخل عليك رجل أقطع فقلت: هذا الأقطع - يعنى: بعد ماخرج - كنت قد اغتبته، قال أبو إسحاق: صدق - يعنى: السبيعى- وقال أهل العلم: إذا قال فلان الأعمش أو فلان الأعور أو فلان البطين[يريد](٣) بذلك تعريفه،

(١) رواه ابن عدى (٥/ ٢٢١)، والطبرانى (١٩/ ٤١٨ رقم ١٠١١)، والقضاعى فى مسند الشهاب (٢/ ٢٠٢ - ٢٠٣ رقم ١١٨٥، ١١٨٦)، وابن الجوزى فى العلل (٢/ ٧٨١ رقم ١٣٠٠) عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده. وقد تكلم الدراقطنى على هذا الحديث، وذكر ما ملخصه: أن أصل الحديث يرويه الجارود عن بهز بإسناده مرفوعا: «أترعون عن ذكر الفاجر، اذكروا بما فيه يحذره الناس» وهو حديث موضوع، وسرقه منه عمرو بن الأزهر، وسليمان بن عيسى، والعلاء بن بشر، ورواه الأخير عن ابن عيينة من بهز، ولم يسمع ابن عيينة من بهز، وغير لفظه فقال: «ليس للفاسق غيبة». أهـ.

وانظر تعليق الدارقطنى على المجروحين (٦٨)، والعلل المتناهية، وراجع السلسلة الضعيفة (٥٨٤).

(٢) رواه العقيلى فى الضعفاء (١/ ٢٠٢)، والطبرانى فى الكبير (١٩/ ٤١٨ رقم ١٠١٠)، وفى الأوسط (١/ ٢٦١ - ٢٦٢ رقم ٣٠٣ - مجمع البحرين)، وفى الصغير (١/ ٣٥٧ رقم ٥٩٨)، وابن عدى فى الكامل (٢/ ١٧٣، ٣/ ٢٨٩، ٥/ ١٣٤)، وابن حبان فى المجروحين (١/ ٢٢٠) وقال: والخبر فى أصله باطل. وهذه الطرق كلها بواطيل لا أصل لها، والخطيب فى سننه (١٠/ ٢١٥)، والخطيب فى تاريخه (١/ ٣٨٢، ٣/ ١٨٨، ٧/ ٢٦٢، ٢٦٨)، وابن الجوزى فى العلل (٢/ ٧٧٨ - ٧٨١ رقم ١٣:) من حديث بهز عن أبيه عن جده. وقد تقدم فى الذى قبله كلام الدارقطنى عليه.

(٣) زيادة يقتضيها السياق

عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴿١٣﴾ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم

ولايعرف إلا به ، لابأس به . وكان بعض أئمة الحديث إذا روى عن مسلم البطين يقول : حدثنا مسلم ، وأشار بيديه إلى كبر البطن .

وذكر ابن سيرين إبراهيم النخعي ووضع يده على عينه - وكان إبراهيم أعور - فقال : رأيته تلك المشاهدة ،وماخلف بعده مثله .

وقوله تعالى : ﴿ أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ﴾ أى : كما يكره أحدكم أن يأكل لحم أخيه وهو ميت، فكذلك فليكره أن يذكره بالسوء وهو غائب، فإن قال قائل : أيش التشابه بينهما في المعنى؟ والجواب : أنه إذا أكل لحمه وهو ميت فقد هتك حرمته، وهو لايشعر به، وإذا ذكره بالسوء بظهر الغيب فقد هتك حرمته، وهو لايشعر به . وعن عمرو بن العاص أنه مر على حمار ميت فقال : لأن يملأ أحدكم جوفه من هذا اللحم خير له من أن يغتاب أخاه . ويقال للمغتاب في اللغة : فلان يأكل لحوم الناس : وأنشد في التفسير في هذا المعنى :

فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم وإن هدموا مجدى بنيت لهم مجدا

وقوله : ﴿ واتقوا الله إن الله تواب رحيم ﴾ أى : قابل التوبة عن خلقه عطوف بهم .

قوله تعالى : ﴿ يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ﴾ أى : آدم وحواء عليهما السلام ﴿ وجعلناكم شعوبا وقبائل ﴾ روى عن ابن عباس أنه قال : الشعوب : الجمهور مثل : مضر،و ربيعة، والقبائل : هم البطون منهم، كتميم من مضر،وشيبان من ربيعة، ومنهم من قال : الشعوب هم الأبعدون في النسب، والقبائل هم الأقربون في النسب . وعن بعضهم : أن الشعوب في العجم، والقبائل في العرب . والواحد من الشعوب شعب وشعب بفتح الشين وكسرها ، وهو من التشعب .

وقوله ﴿ لتعارفوا ﴾ أى : ليعرف بعضكم بعضا، وقرأ الأعمش : « لتتعارفوا » وعن ابن عباس أنه قرأ : « لتعرفوا »، وقيل على هذه القراءة : « لتعرفوا أن أكرمكم عند الله

شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ

أتقاكم »(بفتح الألف)(١) . والصحيح هو القراءة الأولى، والمراد من الآية قطع التفاخر بالأحساب والأنساب.

وقوله: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ فى الخبر أن النبى ﷺ قال: « يقول الله تعالى يوم القيامة: سيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم؛ أين المتقون؟ ».

وفى خبر آخر : أن الله تعالى يقول يوم القيامة: « أيها الناس إنكم رفعتم أنسابكم ووضعتم نسبى؛ فاليوم أرفع نسبى وأضع أنسابكم؛ أين المتقون؟ »(٢)

وفى التفسير: « أن ثابت بن قيس بن شماس كان به صمم ،وكان يحب الدنو من رسول الله ﷺ يسمع كلامه، فجاء يوم وقد أخذ الناس مجالسهم ،فجعل يدخل بين القوم ليقرب من رسول الله ﷺ ، فقال له رجل: اجلس حيث انتهى بك المجلس، فقال له: من أنت؟ فقال: أنا فلان، فقال: ابن فلانة ، وذكر أُمًّا له فى الجاهلية كان يُعَيَّر بها ، فسمع ذلك رسول الله ﷺ ، فقال: « ياثابت انظر فى القوم »، فنظر، فقال: « ليس لك(٣) منهم فضل إلا بالتقوى »(٤).

وقد ذكر هذا فى سبب نزول قوله تعالى: ﴿ولاتلمزوا أنفسكم﴾ والتقوى هو

---

(١) يعنى: فتح ألف (إن).

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط (٥ / ٣٠٦ – ٣٠٧ رقم ٣١١٧ – مجمع البحرين). وفى الصغير (١ / ٣٨٣ رقم ٦٤٢). والحاكم (٢ / ٤٦٣ – ٤٦٤)، والبيهقى فى الشعب (٩ / ٣٦٣ – ٣٦٥ رقم ٤٧٧٥ ، ٤٧٧٧) عن أبى هريرة مرفوعا به. وقال الحاكم: حديث عال غريب الإسناد والمتن. وقال الذهبى فى تلخيصه: فيه ابن زبالة ساقط. وقال الهيثمى فى المجمع (٨ / ٨٧): رواه الطبرانى وفيه طلحة بن عمرو ،وهو متروك. ورواه البيهقى موقوفا على أبى هريرة (رقم ٤٧٧٦ – الشعب) وقال: هذا هو المحفوظ.

(٣) فى « ك »: لكم.

(٤) ذكره الواحدى فى أسباب النزول (٢٩٥)، والبغوى (٤ / ١١٧) عن ابن عباس به.

بدينكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن

الاحتراز عن كل مانهى الله عنه. وقد قال أهل العلم: قد يكون للنسيب فضل فى الدنيا على معنى أن غير النسيب لايكون كفأً للنسيب، وإذا اجتمع النسيب وغير النسيب فى الإمامة، فالنسيب أولى إذا اتفقا فى العلم والتقوى، فأما فى الآخرة فلا فضل للنسيب، إنما الفضل للتقوى.

وقوله: ﴿إن الله عليم خبير﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ أى: استسلمنا وانقدنا. والآية نزلت فى قوم كانوا يظهرون الإيمان بلسانهم ولايصدقون بقلوبهم. واختلف أهل العلم فى الإيمان والإسلام، قال بعضهم: هما واحد، وفرق بعضهم بينهما. وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ قال: «الإسلام علانية، والإيمان فى القلب»(١) وعن الزهرى: الإسلام هو الكلمة، والإيمان العمل. وفى خبر «جبريل صلوات الله عليه - حيث جاء يسأل عن الإسلام والإيمان، وفرَّق الرسول بينهما، فجعل الإسلام هو الأعمال الظاهرة، والإيمان هو التصديق الباطن»(٢).. وهذا خبر صحيح.

وثبت أيضاًأن النبى ﷺ أعطى قوماً، ولم يعط رجلا، فقال سعد بن أبى وقاص: إنك أعطيت فلانا وفلانا ولم تعط فلانا وهو مؤمن؟ فقال: «أومسلم»(٣) واستدل من

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده (٣/ ١٣٤ - ١٣٥)، وابن أبى شيبة فى الإيمان (رقم٦)، وأبو يعلى (٥/ ٣١٠ - ٣٠٢ رقم ٢٩٢٣)، والعقيلى فى الضعفاء (٣/ ٢٥٠)، وابن عدى (٥/ ٧٧)، وابن حبان فى المجروحين (٢/ ٢١١) عن أنس مرفوعا به.

(٢) تقدم تخريجه، وهو متفق عليه من حديث أبى هريرة.

(٣) متفق عليه من حديث سعد بن أبى وقاص. رواه البخارى (١/ ٩٩ - ١٠٠ رقم ٢٧، وطرفه: ١٤٧٨)، ومسلم (٢/ ٢٣٧ - ٢٣٩ رقم ١٥٠).

كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾

قال فى أنهما واحد بقوله تعالى: ﴿فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾(١). وأكثر الأخبار دالة على التفريق، فيجوز أن نفرق على ماقلنا وعلى ماورد فى الأخبار، ويجوز أن يقال: هما واحد، فيكون الإسلام بمعنى الإيمان، والإيمان بمعنى الإسلام، وهو المتعارف بين المسلمين أن يفهم من أحدهما مايفهم من الآخر، والله أعلم.

وقوله: ﴿ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم﴾ هو دليل على أنهم لم يكونوا مصدقين فى الباطن.

وقوله: ﴿وإن تطيعوا الله ورسوله لايلتكم من أعمالكم﴾ وقرئ: «لا يألتكم» أى: لاينقصكم.

وأما من قرأ: «لا يألتكم من أعمالكم شيئا» فهو بمعنى النقص أيضا،قال الشاعر:

وليلةٍ ذاتِ سرى سريت ولم يلتنى عن سُرَاها لَيْتُ

قوله تعالى: ﴿إن الله غفور رحيم﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾ أى: صدقوا ولم يشكوا.

وقوله: ﴿وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله﴾ أى: قدوا أنفسهم وبذلوا أموالهم فى طلب رضى الله.

وقوله: ﴿أولئك هم الصادقون﴾ بمعنى هم المحققون فى الإيمان،فكأنه لما ذكر

(١) الذاريات: ٣٦.

المنافقين فى الآية الأولى ذكر صفة المؤمنين المحققين فى هذه الآية لتكون الرغبة إليه .

قوله تعالى : ﴿قل أتعلمون الله بدينكم﴾ علم هاهنا بمعنى أعلم.

وقوله : ﴿والله يعلم مافى السموات ومافى الأرض والله بكل شيء عليم﴾ أى : عالم، وقد كانوا يقولون : إن الإسلام كذا، وقد أسلمنا، والإيمان كذا، وقد آمنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قوله تعالى : ﴿يمنون عليك أن أسلموا﴾ قال سعيد بن جبير وغيره : نزلت الآية فى أعراب من بنى أسد كانوا يقولون : يارسول الله، إنا آمنا بك،ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان،فأنزل الله تعالى هذه الآية ،وكانوا يقولون ذلك منًّا عليه ، وفى رواية أخرى :أن أعرابا قدموا المدينة وهم (جمع)(١) كثير،فأغلوا الأسعار وتحبسوا(٢) الطرق،فكانوا يقولون : يارسول الله، إنا قد آمنا بك فأعطنا كذا وكذا، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

وقوله : ﴿قل لاتمنوا علىَّ إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان﴾أى : هو الذى أنعم عليكم بإخراجكم من الكفر إلى الإيمان .

وقوله : ﴿إن كنتم صادقين﴾ معناه : واعلموا أن المنَّة لله عليكم إن كنتم صادقين أنكم آمنتم بالله .

قوله تعالى : ﴿إن الله يعلم غيب السموات والأرض والله بصير بما تعملون﴾ قد ذكرنا من قبل. وروى عبدالله بن دينار عن ابن عمر أن النبى ﷺ خطب يوم فتح مكة وقال : «أيها الناس،إن الله أذهب عنكم عبيّة الجاهلية وتعاظمها بالآباء؛ فالناس رجلان : بر تقى كريم على الله، وفاجر شقى هين على الله ، والناس بنو آدم، وآدم من

(١) فى «ك » : رجال.

(٢) يعنى أن السائرين فى الطرق يمشون ببطء لكثرتهم.

تراب، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى . . . ﴾ الآية». [1]

وروى سمرة بن جندب أن النبي ﷺ قال: «الحسب: المال، والكرم: التقوى» [2].

أورد هذين الخبرين أبو عيسى الترمذي في جامعه في تفسير هذه السورة .

---

(١) رواه الترمذي (٥ / ٣٦٣ رقم ٣٢٧٠) وقال: غريب ... وعبد الله بن جعفر يضعف.... وابن أبي شيبة (١٤ / ٤٩٣ – ٤٩٤ رقم ١٨٧٦٥)، وعبد بن حميد (٢٥٣ – ٢٥٤ رقم ٧٩٥)، والبيهقي في الشعب (٩ / ٣٥٦ رقم ٤٧٦٧)، والبغوي في تفسيره (٤ / ٢١٧ – ٢١٨)، وزاد الزيلعي فيمن رواه أيضا: ابن حبان في صحيحه، وأبو يعلى، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، جميعهم عن ابن دينار به. وقال الترمذي: وفي الباب عن أبي هريرة، وابن عباس. وانظر تخريج الكشاف (٣ / ٣٤٩ – ٣٥١ رقم ١٦٤٥).

(٢) رواه الترمذي (٥ / ٣٦٣ رقم ٣٢٧١) وقال: حسن صحيح غريب، وابن ماجه (٢ / ١٤١٠ رقم ٤٢١٩)، وأحمد (٥ / ١٠)، وابن أبي عاصم في الزهد (رقم ٢٢٩)، وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (رقم ٨)، والطبراني في الكبير (٧ / ٢١٩ رقم ٦٩١٢، ٦٩١٣)، والدارقطني (٣ / ٣٠٢)، والحاكم (٢ / ١٦٣، ٤ / ٣٢٥) وصححه، والبيهقي (٧ / ١٣٥ – ١٣٦)، وأبو نعيم في الحلية (٦ / ١٩٠)، والبغوي في تفسيره (٤ / ٢١٧)، والقضاعي في الشهاب (١ / ٤٦ – ٤٧ رقم ٢١)، وتمام الرازي في فوائده (٢ / ٢٧١ رقم ١٧١٧)، وابن الجوزي في العلل (٢ / ٦١٠ رقم ١٠٠٢)، وقال الترمذي: وفي الباب عن أبي هريرة وبريدة.

بسم الله الرحمن الرحيم

ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ

تفسير سورة ق

قال الشيخ الإمام رضى الله عنه : هى مكية .

قوله تعالى : ﴿ ق ﴾ قال قتادة : هو اسم من أسماء السورة، وقال مجاهد : ﴿ ق ﴾ جبل محيط بالدنيا من زمردة خضراء [منه][1] خضرة السماء، ومن خضرة السماء خضرة البحار، وحكى مثل هذا عن ابن عباس، وفى رواية : أن جبل « ق » من زبرجد أخضر ،والسماء مقببة عليه، والجبل محيط بالدنيا، فإذا أراد الله تعالى أن يزلزل الأرض حرَّك ذلك الجبل فتزلزلت الأرض،وهذا عند قيام الساعة .

وفى الآية قول آخر :قال عكرمة : إن « ق » من القاهر .

وفيه قول رابع : أن معناه : قُضِىَ ماكان مثل قوله : « حم » أى : حُمَّ ماكان .

وقوله : ﴿ والقرآن المجيد ﴾ أى : عظيم الكرم، ويقال : الكريم .

يقال : تماجد القوم إذا تفاخروا بالكرم، وأظهروه من أنفسهم ، وقيل : « والقرآن المجيد » : أى : الرفيع، ومعناه : رفيع القدر والمنزلة .

فقوله :﴿ والقرآن المجيد ﴾قسَمٌ، فإن قيل : أين جواب القسم ؟

والجواب : أنهم اختلفوا فيه، منهم من قال : جواب القسم قوله : ﴿ قد علمنا ماتنقص الأرض منهم ﴾ أى : لقد علمنا .

والقول الثانى : أن جواب القسم محذوف،ومعناه : ﴿ ق والقرآن المجيد ﴾ لتبعثن .

والقول الثالث : فى الآية تقديم وتأخير،ومعناه :﴿ بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم ﴾أى : محمد ﷺ .

---

(١) فى « الأصل » : منها.

عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾

وقوله: ﴿فقال الكافرون هذا شيء عجيب﴾ وتعجبهم كان من البعث بعد الموت، وهو تعجب من غير عجب، والتعجب من غير عجب مستنكر مستقبح.

قوله تعالى: ﴿أئذا متنا وكنا ترابًا﴾ معناه: أنبعث إذا متنا وكنا ترابًا،قالوه على طريق الإنكار.

وقوله تعالى: ﴿ذلك رجع بعيد﴾ أي: رجوع يبعد كونه .

قوله تعالى: ﴿قد علمنا ما تنقص الأرض منهم﴾ قال الحسن أي: يموت منهم، وقال مجاهد: ما تأكل الأرض من لحومهم وجلودهم. وعن بعضهم: موت علمائها.

وقوله: ﴿وعندنا كتاب حفيظ﴾ أي: حافظ، وهو اللوح المحفوظ،وقيل: محفوظ مافيه .

قوله تعالى: ﴿بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم فى أمر مريج﴾أى: مختلط. قال أبو ذؤيب الهذلى:

فَخَرَّ كأنه خُوطٌ مريجُ

وقال غيره:

فجالتْ فالتمستُ به حَشَاها ... فخـــر كـــأنه غصنٌ مـــريجُ

ويقال مريج: ملتبس.

ووجه الالتباس أنهم كانوا يقولون للنبى ﷺ مرة هو ساحر ،ومرةهوشاعر ، ومرة هو كاهن، [وكانوا][1]أيضا يقرون بالبعث مرة، وينكرون البعث مرة،فهذا هو معنى الاختلاط والالتباس .

---

(١) فى «الأصل وك»: وكان، والمثبت يقتضية السياق.

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ (٦) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧) تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ (٨) وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (٩) ﴾

قوله تعالى: ﴿ أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ﴾ أى: بالنجوم والشمس والقمر.

وقوله: ﴿ ومالها من فروج ﴾ أى: شقوق.

وقوله تعالى: ﴿ والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى ﴾ أى: الجبال.

وقوله: ﴿ وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ﴾ أى: من كل صنف حسن، والبهجة: الحسن، وعلى هذا قوله فى موضع آخر: ﴿ ذات بهجة ﴾(١) أى: ذات حسن.

وقوله: ﴿ تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ﴾ أى: (تبصراً)(٢) للآيات، وموعظة للقلوب. ويقال: تبصرة أى: يبصر بها ذوو العيون «وذكرى» أى: يذكر بها ذوو القلوب.

وقوله: ﴿ لكل عبد منيب ﴾ أى: راجع فى أموره إلى الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿ ونزلنا من السماء ماءً مباركا فأنبتنا به جنات ﴾ أى: البساتين.

وقوله: ﴿ وحب الحصيد ﴾ أى: حب النبت المحصود، وهو البر والشعير وغيره. ويقال: «حب الحصيد»: هو الحصيد نفسه، كأنه أضافه إلى نفسه، مثل قولهم: صلاة الأولى، ومسجد الجامع، ومثل قوله تعالى: ﴿ حق اليقين ﴾(٣).

قوله تعالى: ﴿ والنخل باسقات لها ﴾ أى: طوالاً. قال عكرمة: طوالاً فى استقامة. ويقال فى صفة النخيل: الباسقات فى الوحل، المطعمات فى المحل.

---

(١) النمل: ٦٠.

(٢) فى «ك»: تبصرة.

(٣) الواقعة: ٩٥.

وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ

وقوله: ﴿لها طلع نضيد﴾ أى: منضود، وهو المتصل بعضه ببعض.

ويقال: المتراكم بعضه على بعض. قال أهل اللغة: وإنما يسمى نضيداً مادام فى الطلع، فإذا خرج من الطلع لم يكن نضيداً، وعن بعضهم قال: إن نخيل الجنة مثمرة من أعلاها إلى أسفلها، وهى كالقلال كلما أخذت واحدة نبتت مكانها أخرى .

وقوله: ﴿رزقا للعباد﴾ الرزق: العطاء الجارى من الله تعالى على توظيف، وقد يكون بطلب، وقد يكون بغير طلب، وقد يكون بدعاء يدعو به العبد ، وقد يكون بغيره.

وقوله: ﴿وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج﴾ يعنى: كما نحيى الأرض اليابسة ونخرج منها الأشجار(والزرع)(١) والكلأ، كذلك نحيى الأجساد بعد الموت ونخرجها من الأرض. وفى التفسير: أن الله تعالى يُمطِر من السماء ماءً على الأرض حين يريد أن يبعث الخلق كمنى الرجال(فينبت)(٢) بها الأجساد فى الأرض، ويجمع الجلود إليها ثم يبعثهم .

قوله تعالى ﴿كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس﴾ قال كعب الأحبار: هم قوم رسوا نبيهم فى بئر، ويقال: هى بئر باليمامة، ويقال: بالَفلْجِ، كان عليها قوم أتاهم نبى فكذبوه فأهلكهم الله تعالى، وفى تفسير النقاش: أن اسم نَبيهم كان حنظلة بن صفوان، والله أعلم. ويقال: كان بئرًا بأذربيجان .

وقوله: ﴿وثمود وعاد وفرعون وإخوان لوط﴾ فى بعض التفاسير: أن لوطا يبعث وحده وليس معه أحد آمن به .

---

(١) فى «ك»: والزروع.

(٢) فى «ك»: فتنبت.

لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا

وعن بعضهم: أن فرعون كان رجلا أعجميًّا من أهل اصطخر فارس، ذكره أبو الحسين بن فارس فى تفسيره، وذكر فيه أنه عاش مائتين وعشرين سنة لم يؤذه شيء، ودعاه موسى ثمانين سنة، ثم أغرقه الله فجميع مدة ملكه ثلثمائة سنة ،وقوله: ﴿وأصحاب الأيكة﴾ وقرئ: «ليكة» فى موضع آخر، فليكة اسم القرية، والأيكة أسم الناحية مثل: (بكة)[١] ومكة.

وقوله: ﴿وقوم تبع﴾ فى التفسير: أن تبع اسمه أسعد بن لمكيكرب،وكنيته أبو كرب. وفى القصة: أنه خرج من اليمن غازيا سائحا فى الأرض ومعه جيش عظيم، وهو أول من حير الحيرة - أى: بناها - ومر ببلاد العجم حتى أتى سمرقند [وهدمها][٢]. ويقال: إن الذى هدم سمرقند هو شمر. ومنه سمرقندأى: شمر كندة، وهو من ملوك اليمن أيضًا، ولتبع ابن يقال له: حسان بن تبع،وكان فيهم من غزا الصين وأسكن ثم قومًا من العرب، فيقال: أن« التبت» منهم، وهم على خلقة العرب نحاف سمر.

وقد روينا أن النبى ﷺ قال: «لاتسبوا تبعًا؛ فإنه كان قد أسلم»[٣]. وقد دل على هذا قوله هاهنا: ﴿وقوم تبع﴾ ولم يذكره بينهم.

وقوله: ﴿كل كذب الرسل فحق وعيد﴾ أى: حق عليهم وعيدى وعذابى.

قوله تعالى: ﴿أفعيينا بالخلق الأول﴾ وجوابه محذوف، ومعناه: أفعيينا بالخلق الأول فنعيا بالخلق الثانى أى: عَسُر علينا ذلك فيعسر علينا هذا، يقال: عيى فلان بالأمر إذا عجز عنه .

---

(١) فى "ك" :عكة.

(٢) فى "الأصل ، وك " :وهدفه.

(٣) تقدم تخريجه.

تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ

وقوله: ﴿بل هم فى لبس من خلق جديد﴾ أى: فى شك من الخلق الثانى .

قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾ يقال: إن المراد به آدم – صلوات الله عليه – وحده. ويقال: إنه فى كل الناس .

وقوله: ﴿ونعلم ماتوسوس به نفسه﴾ الوسوسة: حديث النفس، وإن كان المراد بالآية هو آدم فالوسوسة فى حقه حديث نفسه بأكل الشجرة. وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «من توضأ فأحسن الوضوء، وصلى ركعتين ولم يحدث فيهما نفسه؛ غفر الله له ماتقدم من ذنبه»(١).

وقوله: ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ حبل الوريد: عرق فى باطن العنق، ويقال: فى البدن عرق يسمى الأكحل نهر البدن، وفى الساق يقال له: النساء، وفى البطن يسمى الحالب، وفى الظهر يسمى الأنهر، وفى اليد يسمى الأكحل، وفى العنق يسمى الوريد، وفى القلب يسمى الوتين، ويقال هما وريدان تحت الودجين. قال الشاعر:

كان كأن وريديه رشاء حبل

أى: ليف. ومعناه: أن الله تعالى أقرب إليه من كل شىء حتى إنه أقرب إليه من مماته وحياته ، وحياة الإنسان بهذا العرق،حتى إذا انقطع لم يبق حيًا .

قوله تعالى: ﴿إذ يتلقى المتلقيان﴾ معناه: اذكر يامحمد إذ يتلقى المتلقيان، وهما الملكان. والتلقى: هو القبول والأخذ، فالملك يأخذ عمله ونطقه فيثبته، ومنه قوله تعالى: ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات﴾(٢) أى: أخذ .

وقوله: ﴿عن اليمين وعن الشمال قعيد﴾ أى: قاعد،فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر، معناه: عن اليمين قاعد وعن الشمال قاعد. وفى بعض الأخبار: الصماخان مقعد(٣) الملكين، وهما جانبا الفم .

---

(١) تقدم تخريجه. (٢) البقرة: ٣٧.

(٣) عزاه الزيلعى فى تخريج الكشاف (٣/٣٥٨) للثعلبى فى تفسيره عن على بن أبى طالب بلفظ: «مقعد مليكك على ثنيتك» وفى رواية أخرى عن معاذ: «إن الله لطف بالملكين الحافظين حتى أجلسهما على الناجذين». رواه أبو نعيم والديلمى كما فى الدر (٦/١٤).

وقوله: ﴿مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ أى: رقيب حاضر.

قال الحسن: يكتب الملكان كل شيء حتى قوله لجاريته اسقينى الماء، وناولينى نعلى، أو أعطينى ردائى، ويقال: يكتب كل شيء حتى صفيره بشرب الماء .

وفى الخبر برواية أبى أمامة أن النبى ﷺ قال: «ملك اليمين أمير على ملك الشمال، فإذا عمل العبد حسنة كتبها ملك اليمين فى الحال عشرًا، وإذا عمل العبد سيئة فأراد صاحب الشمال أن يكتب، قال له صاحب اليمين: أمسك سبع ساعات، فإن تاب لم يكتب، وإن لم يتب قال: اكتبها واحدة»(١).

واعلم أن ملك اليمين يكتب الحسنات، وملك الشمال يكتب السيئات، واليمين محبوب الله ومختاره، ومنه ما روى عن النبى ﷺ «أنه كان يحب التيامن فى كل شيء، حتى فى ترجله وتنعله وطهوره»(٢) . ومن هذا إذا دخل المسجد يبدأ باليمين ليقدمها إلى موضع الخير، وإذا خرج يبدأ بالشمال ليكون مكث اليمين فى موضع الخير أكثر وإن قَل، وعلى عكس هذا دخول موضع الخلاء والخروج منه.

قوله تعالى: ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق﴾ السكرة هى (الغشية)(٣)والغمرة التى تلحق الإنسان عند القرب من الموت .

وقوله: ﴿بالحق﴾ فيه قولان :أحدهما: أن الحق هو نفس السكرة التى هى سكرة الموت، ويقال: الحق هو الله، وفى الموت لقاء الله، فهو معنى قوله: «بالحق» أى: بلقاء الحق. ويقال: هو إشارة إلى الجنة والنار؛ لأنه إذا مات إما أن يدخل الجنة، وإما أن

(١) رواه هناد فى الزهد (٢/ ٤٦٢ رقم ٩٢٠)، والطبرانى فى الكبير (٨/ ١٩١، ٢٤٧ رقم ٧٧٨٧، ٧٩٧١)، وفى مسند الشامين (١/ ٢٦٩ رقم ٤٦٨)، والبغوى فى تفسيره (٤/ ٢٢٣)، وزاد الزيلعى فى تخريج الكشاف (٣/ ٣٥٨): البيهقى فى الشعب، وإسحاق بن راهويه، والواحدى فى الوسيط. وزاد السيوطى فى الدر (٦/ ١١٤): ابن مردويه.

(٢) متفق عليه من حديث عائشة، رواه البخارى (١/ ٣٢٤ رقم ١٦٨، وأطرافه: ٤٢٦، ٥٣٨٠، ٥٨٥٤، ٥٩٢٦)، ومسلم (٣/ ٢٠٥ - ٢٠٦ رقم ٦٢٨).

(٣) فى«ك»:الخشية.

وجاءتْ كُلُّ نفسٍ مَّعها سائقٌ وَشهيدٌ ﴿٢١﴾ لَقدْ كُنت في غفْلةٍ مّنْ هذا فكشفْنا عنك غطاءك فبصرُك الْيوْم حديدٌ ﴿٢٢﴾ وقال قرينُهُ هذا ما لديَّ عتيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقيا في جهنَّم

يدخل النار . وفى الأثر المعروف أن أبا بكر- رضى الله عنه -لما احتضر كانت عائشة عنده فأنشدت :

لعمرك مايغنى الثراء عن الفتى إذا حَشْرَجتْ يومًا وضاق بها الصَّدْرُ

فقال أبو بكر- رضى الله عنه - لاتقولى هذا، ولكن قولى : وجاءت سكرة الحق بالموت » فيقال : إنه زلَّ لسانه، ويقال : هذه قراءته . قالت عائشة : فدعا بصحيفة يستخلف، وكتب وظننت أنه سيستخلف طلحة، وكنت أود ذلك؛ لأن طلحة من أقرباء أبى بكر ،فقال : اللهم إنى لم آل ولم أوال ، فعرفت أنه غير مستخلف إياه .

وقوله : ﴿ ذلك ماكنت منه تحيد ﴾ أى : تفر وتهرب، ويستحب للمؤمن حب الموت ؛ لأن به يتخلص من الأوزار، ويصل إلى محبوبه إن قدر له خير. وعن بعض السلف : لايكره الموت إلامريب . وإنما كره تمنى الموت بضُرٍّ نزل به على ما فى الخبر. فأما إذا تمنى الموت ليتخلص من الدنيا وفتنها وشوقًا إلى لقاء ربه فهو محبوب .

وقوله : ﴿ ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد ﴾ أى : يوم وعيد الكفار ووعد المؤمنين .

قوله تعالى : ﴿ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ﴾ السائق : هو الملك، والشهيد : هو العمل، قاله قتادة ومجاهد والضحاك . ويقال : السائق : ملك السيئات، والشهيد : ملك الحسنات . ويقال : السائق : الشيطان، والشهيد : الملك . وقيل فى الشهيد : إنه الجوارح .

قوله تعالى : ﴿ لقد كنت فى غفلة من هذا ﴾ يقال : إن هذا فى الكفار؛ لأنهم فى الغفلة من الآخرة على الحقيقة . ويقال : فى كل غافلٍ .

وقوله : ﴿ فكشفنا عنك غطاءك ﴾أى : كشفنا عنك ماغشيك وغطى سمعك وبصرك وعقلك، حتى لم تسمع ولم تبصر ولم تعقل الحق، وهو فى معنى قوله تعالى : ﴿ أسمع بهم وأبصر ﴾(١) .

---

(١) مريم : ٣٨ .

وقوله: ﴿فبصرك اليوم﴾ أى: نافذ، وقيل: شديد. ويقال: بصرك اليوم ﴿حديد﴾ إلى لسان الميزان، ومنه حدة البصر.

قوله تعالى: ﴿وقال قرينه﴾ أى: الملك.

﴿هذا مالدى عتيد﴾ أى: هذا الذى كتبته،وهو عندى ولَدَىّ عتيد أى: معد، ويقال: حاضر.

وقوله: ﴿ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد﴾ فإن قيل: مامعنى قوله: «ألقيا» ومَنْ المخاطب؟ والجواب: أن المخاطب ملك واحد، ولكنه قال: ألقيا على عادة العرب، فإنهم يخاطبون الواحد بخطاب الاثنين.

قال الشاعر:

فإن تَزْجُرَانِى يابنَ عفانَ أَنْزَجِرْ وإن تَدَعَانى أَحْمِ عِرضًا مُمنَّعًا.

وقال آخر:

خَلِيلَىَّ مُرَّابِى على أم جندب لنقضى حاجات الفؤاد المعذب

ألم ترأنى كلما جئت طارقا وجدت بها طيبا وإن لم تطيب

وأراد بالخليلين الواحد. وكان الحجاج إذا أمر بقتل إنسان قال: ياحرسى اضربا. وقال المبرد: معنى قوله: ﴿ألقيا﴾ أى: ألق ألق ،فلما ثنى خاطب كما يُخَاطَب اثنان.

عن بعضهم :أنه يقول للملكين حتى يلقياه فى النار.

وقوله: ﴿كل كفار عنيد﴾ أى: معاند، وعن إبراهيم النخعى قال: العنيد: هو الذى يكابر الحق كأنه يُقِرُّ به[١] وينكره.

وقوله: ﴿مناع للخير معتد مريب﴾ أى: ذى عدوان ذى ريبة، والمناع للخير: هو

---

(١) فى «ك»: له.

فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا

مانع الحقوق والصدقات والزكوات .

وقوله : ﴿ الذى جعل مع الله إلهًا آخر فألقياه فى العذاب الشديد ﴾ أى : عذاب النار . وذكر النحاس فى تفسيره قولا :أن ﴿ قرينه ﴾ فى الآية المتقدمة هو الشيطان . وقوله : ﴿ هذا مالدى عتيد ﴾ أى : هذا عمله وهو حاضر، والذى قلنا : أن المراد به الملك فهو أولى وأليق بقوله : ﴿ هذا ما لدى عتيد ﴾ يعنى : يقول الملك : هذا الذى كتبته عليه، وقد أحضرته . وقال النحاس فى قوله : ﴿ ألقيا فى جهنم ﴾ الأولى خطاب للملكين اللذين أحدهما يسوقه والآخر يشهد عليه، وهما اللذان كتبا الأعمال .

وقوله : ﴿ معتد مريب ﴾ أى : معتد فى سيرته ونطقه وخلقه .

يقال : أرابنى كذا فأنا مريب أى : شاك

قال الشاعر :

بثينة قالت ياجميل أربتنى ... فقلت كلانا يابثين مريب

ويقال فى قوله : ﴿ مناع للخير ﴾ أى : الزكاة المفروضة . وقال الضحاك : الآية وردت فى الوليد بن المغيرة المخزومى .

قوله تعالى : ﴿ قال قرينه ربنا ما أطغيته ﴾ القرين : هاهنا هو الشيطان باتفاق المفسرين . وقوله : ﴿ ربنا ماأطغيته ﴾ أى : ماأضللته .

وقوله : ﴿ ولكن كان فى ضلال بعيد ﴾ أى : وجدته وقد اختار الضلالة لنفسه، وهو معنى قوله تعالى حكاية عن إبليس : ﴿ وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى . . . ﴾(١) الآية .

قوله تعالى : ﴿ قال لاتختصموا لدى ﴾ أى : عندى .

---

(١) إبراهيم : ٢٢ .

وقوله: ﴿ وقد قدمت إليكم بالوعيد ﴾ أى: بعثت الرسل وأنزلت الكتب وبينت الأمر والنهى والوعد والوعيد. فإن قيل: قد قال فى موضع آخر: ﴿ ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴾[1] [و]قال هاهنا ﴿ لاتختصموا لدى ﴾ فكيف وجه التوفيق؟ والجواب من وجهين: أحدهما: أن للقيامة مواطن ومواقف، فهذا فى موطن. وذلك فى موطن على مابينا.

والوجه الثانى: أن قوله: ﴿ ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴾[1] للمؤمنين، وقوله: ﴿ لاتختصموا لدى ﴾ للكفار. ويقال: إنه يقول لهم لاتختصموا لدى بعد أن اختصموا ،واختصامهم ماذكر فى سورة القصص والصافات.

قوله تعالى: ﴿ مايبدل القول لدى ﴾ أى: لايكذب عندى؛ فإنه لايخفى على حقيقة الأمور وبواطنها. ويقال: «ما يبدل القول لدى» أى: لايبدل قولى: إن السيئة بمثلها ،والحسنة بعشر أمثالها .

وقوله: ﴿ وما أنا بظلام للعبيد ﴾ أى: لا أنقص ثواب المحسنين، ولا أزيد فى مجازاة المسيئين.

قوله تعالى: ﴿ يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معنى قوله: ﴿ هل من مزيد ﴾ أى: قد امتلأت ، فلا مزيد فِىّ،وحقيقته أنك قد وفيت بما وعدت ، وملأتنى فلا موضع للزيادة. وهذا مثل قوله عليه الصلاة والسلام: «وهل ترك لنا عقيل من دار»[2] أى: ما ترك.

والقول الثانى: أن معنى قوله: ﴿ هل من مزيد ﴾ أى: طلب الزيادة بقوله تغيظا على الكفار،وطلباً لزيادة الانتقام. والأول أحسن. وقد ثبت برواية أنس وأبى هريرة أن

---

(١) الزمر: ٣١.

(٢) متفق عليه من حديث أسامة بن زيد، رواه البخارى (٣/٥٢٦ رقم ١٥٨٨، وأطرافه: ٣٠٥٨، ٤٢٨٢، ٦٧٦٤)، ومسلم (٩/١٧٠ – ١٧٢ رقم ١٣٥١).

النبى ﷺ قال: «لاتزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع الجبار فيها قدمه فتقول قط قط»(١) أى: حسبى.

وهذا الخبر يؤيد القول الثانى، والخبر من المتشابه، وقد بينا وجه الكلام فى المتشابه. وقال بعضهم :أن القول من جهنم هاهنا على طريق المجاز مثل قول الشاعر:

امتلأ الحوضُ وقال قَطْنِى مَهلا رويداً قد ملأتَ بَطْنِى

فقوله: قطنى أى: حسبى. ووجه المجاز فيه أنه لما امتلأ الحوض ولم يكن فيه مزيد وكأنه قال: قد امتلأت فحسبى. كذلك فى جهنم ،وهو على توسع الكلام. والأصح أن هذا النطق من جهنم على طريق الحقيقة، وهذا اللائق بمذهب أهل السنة فى الإيمان بتسبيح الجمادات، وما نزل فى ذلك من آى القرآن. وعن الحسن البصرى قال: لو لم يعص الله إلا رجل واحد لملأ الله منه جهنم يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿وأزلفت الجنة للمتقين﴾ أى: قربت.

وفى الآثار: أن الناس إذا بعثوا من قبورهم رأوا الجنة والنار على قرب منهم. وقيل إن الجنة والنار يعرضان على المؤمنين والكفار قبل دخولهم فيهما.

وقوله: ﴿هذا ماتوعدون لكل أواب حفيظ﴾ الأواب هو الذى اعتاد الرجوع إلى الله تعالى فى كل أموره. والحفيظ هو الذى يحفظ الأمر والنهى. وعن بعضهم: أن الأواب هو المسبح.

وعن بعضهم: أنه الكثير الصلاة.

وعن بعضهم: أنه الدعاء.

---

(١) متفق عليه من حديث أنس وأبى هريرة. فحديث أنس، رواه البخارى (٨/ ٤٦٠ رقم ٤٨٤٨، وطرفاه: ٦٦٦١، ٧٣٨٤)، ومسلم (١٧/٢٦٨ - ٢٦٩ رقم ٢٨٤٨). وحديث أبى هريرة، رواه البخارى (٨/ ٤٦٠ رقم ٤٨٤٩، وطرفاه: ٤٨٥٠، ٧٤٤٩)، ومسلم (١٧/ ٢٦٤ - ٢٦٦ رقم ٢٨٤٦).

الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا

وعن بعضهم: أنه الذى يحفظ قوله وفعله فى مجلسه، فإذا أراد أن[يقوم](١) قال: سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

ويقال: حفيظ أى: حافظ لعهد الله.

قوله تعالى: ﴿من خشى الرحمن بالغيب﴾ إنما قال بالغيب؛لأنهم آمنوا بالبعث والجنة والنار والثواب والعقاب، وذلك كله غيب.

وقوله: ﴿وجاء بقلب منيب﴾المنيب قد بينا معناه فيما سبق، والرجل هو المنيب؛ لكنه أضاف إلى القلب؛لأن الأكثر من أعمال الإيمان يعمله المؤمن بقلبه.

وقوله: ﴿ادخلوها بسلام﴾ يقال: إن الله تعالى يقول ذلك، ويقال: الملك يقولها.

وقوله: ﴿بسلام﴾ أى: بسلامةٍ.

وقوله: ﴿ذلك يوم الخلود﴾ هو الخلود فى الجنة والنار.

وقوله: ﴿لهم مايشاءون فيها﴾ أى: مايشتهون فيها.

قوله: ﴿ولدينا مزيد﴾ فيه قولان: أحدهما: أن المزيد هو مالم يخطر ببالهم، ولم تصل [إليه](٢) شهوتهم وإرادتهم. والآخر: أنه النظر إلى الله تعالى.

وقوله: ﴿وكم أهلكنا قلبهم من قرن﴾ قد بينا معنى القرن، والأصح أنه أقصى مدة عمر كل قوم فى عمرهم؛ فقرن نوح على ما كان فى زمانه، وقرن إبراهيم على ماكان فى زمانه، وكذا إلى زماننا، فعلى هذا قوله: «من قرن» أى: من أهل قرن.

وقوله: ﴿هم أشد منهم بطشا﴾ أى: قوة.

وقوله: ﴿فنقبوا فى البلاد﴾ أى: طوفوا وساروا.

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) فى "الأصل وك" :إليهم.

فَنَقَّبُوا فِي الْبِلادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ

قال امرؤ القيس .

وقد نقبتُ فى البلدان حتى رضيتُ من الغنيمة بالإياب

﴿ [هل من محيص][١] إن فى ذلك لذكرى ﴾ أى : موعظة وتذكير .

وقوله : ﴿ لمن كان له قلب ﴾ أى : عقل . يقول الإنسان لغيره : مالك من قلب أى : مالك من عقل، ويقول : أين قلبك أى : أين عقلك .

وعند بعض العلماء أن محل العقل هو القلب بدليل هذه الآية . وعن بعضهم :أن محله الدماغ . يقال : فلان خفيف الدماغ أى : خفيف العقل .

وقوله : ﴿ أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾ أى : استمع بأذنه وهو حاضر بفؤاده، يقول الإنسان لغيره : ألق سمعك وارعنى سمعك أى : استمع إلىّ، والمعنى : أنه يستمع، ولايشغل قلبه بما يمنعه من السماع .

قوله تعالى : ﴿ ولقد خلقنا السموات والأرض ومابينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب ﴾ أى : إعياء ونَصَب، وهو رد لما قالته اليهود أن الله تعالى خلق السموات والأرض فى ستة أيام واستراح يوم السبت .

قوله تعالى : ﴿ فاصبر على مايقولون وسبح بحمد ربك ﴾ أى : صل حامداً لربك .

وقوله : ﴿ قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ﴾ قبل طلوع الشمس هو صلاة الصبح . وقبل الغروب هو الظهر والعصر .

وقوله : ﴿ ومن الليل فسبحه ﴾ هو المغرب والعشاء .

(١) من « ك » .

من مَّكانٍ قريبٍ ﴿٤١﴾ يوْم يسْمعُون الصّيْحة بالْحقّ ذلك يوْمُ الْخُرُوج ﴿٤٢﴾ إنَّا نحْنُ نُحْيي ونُميتُ وإليْنا الْمصيرُ ﴿٤٣﴾ يوْم تشقّقُ الأرْضُ عنْهُمْ سراعًا ذلك حشْرٌ عليْنا

وقوله: ﴿وأدبار السجود﴾ القول المعروف أنه الركعتان بعد المغرب، ورد القرآن به لزيادة التأكيد والندب إليه، وهو قول على وأبى هريرة. وقيل: إنه جميع النوافل بعد الفرائض. وقيل: إنه الوتر ؛لأنه آخر مايفعله الإنسان عند فراغه من الصلوات، وقد ذكرنا الخبر فيما جرى من الرؤية ، وقوله عليه الصلاة والسلام فى آخر ذلك الخبر: «فإن استطعتم أن [لا][1] تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وعلى صلاة قبل غروبها فافعلوا»[2] وقرأ هذه الآية .

قوله تعالى: ﴿واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب﴾ القول المعروف أنه إسرافيل - عليه السلام - ينادى الناس على صخرة بيت المقدس، فيقول: أيتها العظام البالية، والجلود المتمزقة، والأجساد المتفرقة، والأوصال المتقطعة، ارجعى إلى ربك، وقيل بلفظ آخر.

وفى الآية قول آخر: وهو أن قوله: ﴿من مكان قريب﴾ أى: من تحت أقدامهم. ويقال فى صماخ آذانهم، وقيل: إن هذا النداء هو النفخة الأولى بهلاك الناس .

وقوله تعالى: ﴿يوم يسمعون الصيحة بالحق﴾ هو النفخة الثانية، والأصح أن [كليهما][3] واحد، وذكره بلفظين .

وقوله: ﴿ذلك يوم الخروج﴾ أى: من القبور لحساب الأعمال ودخول الجنة والنار .

قوله تعالى: ﴿إنانحن نحيى ونميت وإلينا المصير﴾ أى: المرجع .

قوله تعالى: ﴿يوم تشقق الأرض عنهم سراعًا﴾ أى: لايلبثون بعد سماع الصيحة، والمعنى: أنهم إذا سمعوا الصيحة تشققت عنهم الأرض، وخرجوا من غير

---

(١) سقط من الأصل .

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) فى الأصل ،وك : وكلاهما ، والمثبت هو الصواب .

يسير ﴿٤٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

لبث ولا زمان .

قوله : ﴿ ذلك حشر علينا يسير ﴾ هو جواب لقولهم في أول السورة ذلك رجع بعيد .

قوله تعالى : ﴿ نحن أعلم بما يقولون ﴾ أى : بما يقولون من الشرك والكذب على الله وعلى رسوله .

وقوله : ﴿ وما أنت عليهم بجبار ﴾ أى : بمسلط ، وهو مثل قوله تعالى : ﴿ لست عليهم بمسيطر ﴾(١) والجبار فى صفات الله محمود ، وفى صفات الخلق مذموم ، وكذلك المتكبر ؛ لأن الخلق أمروا بالتواضع والخشوع والخضوع ولين الجانب وخفض الجناح ، وأما الرب – جل جلاله – فيليق به الجبروت والكبرياء : لأنه المتعالى عن إدراك الخلق ،القاهر لهم فى كل مايريده ، ولم يصفه أحد حق صفته ، ولاعظمه أحد حق تعظيمه ، ولاعرفه أحد حق معرفته . وقد قيل : إن الجبار فى اللغة هو القتال ، وهو فى معنى قوله تعالى فى قصة موسى عليه السلام ﴿ إن تريد إلا أن تكون جبارًا فى الأرض ﴾(٢) أى : قتالا .

وقال بعضهم :إن الآية منسوخة ،وهى قبل نزول آية السيف ، نسختها آية السيف . وفى بعض التفاسير :أن قوله : ﴿ فاقتلوا المشركين ﴾(٣) نسخت سبعين آية من القرآن .

وقوله : ﴿ فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ﴾ أى : عظ بالقرآن من يخافنى . فإن قيل : أليس يوعظ بالقرآن الكافر والمؤمن جميعًا ،فكيف معنى قوله : ﴿ من يخاف وعيد ﴾ . والكافر لايخاف وعيد الله؟ والجواب : أنه لما لم ينتفع بالقرآن إلا المؤمن فكأنه لم يخوف بالقرآن إلا المؤمنون ، والله أعلم .

---

(١) الغاشية : ٢٢ .

(٢) القصص : ١٩ .

(٣) التوبة : ٥ .

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَالْحَامِلاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمُقَسِّمَاتِ

تفسير سورة الذاريات

وهى مكية فى قول الجميع

قوله تعالى: ﴿والذاريات ذروا﴾ وروى أبو الطفيل أن على بن أبى طالب - رضى الله عنه - خطب وقال: سلونى، فوالله لاتسألونى عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلا حدثتكم به، سلونى عن كتاب الله، مامن آية نزلت إلا وأنا أعلم بليل نزلت أم بنهار، فى سهل أم فى جبل، وفيم أنزلت، فقام ابن الكوا وقال: ما الذاريات ذرواً فالحاملات وقرًا فالجاريات يسرًا فالمقسمات أمرًا؟ فقال على - رضى الله عنه - سل تفقهاً، ولاتسأل تعنتًا، «والذاريات ذرواً» هى الرياح، «فالحاملات وقرًا» هى السحاب، «فالجاريات يسرًا» هى السفن، «فالمقسمات أمرًا» هى الملائكة، ومثل هذا عن ابن عباس، وعلى هذا أكثر المفسرين .

فقوله: ﴿والذاريات﴾ هى من ذرت الريح التراب وأذرته إذا فرقته، ويقال: إن الذاريات هى النساء الحوامل تذرين الأولاد، والأول هو المختار .

وقوله: ﴿فالحاملات وقرا﴾ قيل: إنها الرياح تحمل السحاب، والوقر هو السحاب .

وقوله: ﴿فالجاريات يسرًا﴾ يقال: إنها الرياح أيضا تجرى بسهولة ويسر، ويقال ﴿فالجاريات يسرًا﴾ هى: الكواكب السبعة: الشمس، والقمر، والمشترى، وعطارد، والزهرة، وبهرام، وزحل، والقول الأول هو المختار .

وقوله: ﴿فالمقسمات أمرًا﴾ يقال: إنها الرياح أيضًا. ومعنى قسمة الأمر: أن الرياح تقسم المطر فتَصُب البعض ولاتصب البعض، والقول الأول هو المختار، والمعنى من الملائكة هم أربعة: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل؛ فجبريل على الوحى والعذاب، وميكائيل على الرزق والمطر والرياح، وإسرافيل على الصور، وعزرائيل على قبض الأرواح، وقال الأعشى فى وصف السحاب .

أمرا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾

كأن مشيتها من بيت جارتها ... مشى السحاب لاريث ولاعجل

وقوله: ﴿إنما توعدون لصادق﴾ قال مجاهد معناه: أن القيامة كائنة.

وقوله: ﴿لصادق﴾ أى: ذو صدق، وكذلك قالوا فى قوله: ﴿فى عيشة راضية﴾[1] أى: ذات رضا، ويقال: سمى الوعد صادقًا؛ لأن الصدق يقع عليه، كما يقال: ليل نائم، وخبر كاذب، وسر كاتم، وماأشبه ذلك.

وقوله: ﴿وإن الدين لواقع﴾ قال قتادة: إن الجزاء لواقع. قال لبيد شعرًا:

قوم يدينون بالنوعين مثلهما ... بالسوء سوءًا وبالإحسان إحسانا

يعنى: يجازون. فإن قيل: مامعنى القسم بالرياح والسفن والسحاب وما أشبه ذلك؟ فكيف يقسم الله بخلقه؟ والجواب معناه: ورب الذاريات، ورب الحاملات والجاريات. ويقال: إن قسمه بالشيء يدل على جلالة ذلك وعظم منفعة العباد به. وقيل: التقدير: أقسم بالذاريات.

قوله تعالى: ﴿والسماء ذات الحبك﴾ قال عكرمة: ذات الخلق الحسن، وقيل: ذات التأليف، المحكم: ويقال ذات الطرائق فى الرمل والماء إذا ضربتها الرياح حبائك، ويقال: الحبك هو بهاؤها واستواؤها، ويقال: شدتها وإحكامها، قال الشاعر:

مكلل بأصول النبت تنسجه ... ريح خريق مايد حبك

وقال أبو كثير الهذلى:

ممن حملن به وهن عواقد ... حبك النطاق تشب غير مهبل

وعن الحسن البصرى: والسماء ذات الحبك أى: النجوم.

وقوله: ﴿إنكم لفى قول مختلف﴾ يعنى: مصدق ومكذب، ويقال معناه: أن

---

(١) الحاقة: ٢١، والقارعة: ٧.

يؤفكُ عنهُ من أُفكَ ﴿٩﴾ قُتلَ الْخرَّاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ ساهُونَ ﴿١١﴾

بعضهم يقول: هو ساحر، وبعضهم يقول: شاعر، وبعضهم يقول: مجنون، وعلى هذا وقع القسم، وقيل: ﴿إنكم لفى قول مختلف﴾ أى: مناقض، ذكره القفال الشاشى. ومعنى التناقض فى هذا: أنهم أقروا بالنشأة الأولى، وأنكروا النشأة الأخرى، وهذا تناقض؛ لأن من قدر على النشأة الأولى فهو على النشأة الأخرى أقدر.

وقوله: ﴿يؤفك عنه من أفك﴾ أى: يصرف عنه من صرف، وقيل: يصرف عن الإقرار به من صرف عنه فى علم الله وحكمه، ويقال: من صرف عن هذا الخير فقد صرف عن الخير كله، كما يقال: من حرم عن كذا فقد حرم. وفى التفسير: أن أمر النبى ﷺ لما انتشر فى قبائل العرب جعلوا يبعثون الواحد والاثنين يسألون عن خبره، فكان المشركون فى أيام الموسم يبعثون الناس فى الطرقات حتى إذا جاء السائل. [وسألهم](١) عن محمد ﷺ قالوا: هو مجنون كذاب، وذكروا أمثال هذا، [وكانوا](٢) يرجعون قبل أن يلقوه، ويقولون: قومه أعلم به.

وقوله: ﴿قتل الخراصون﴾ أى: لُعِنَ الكذابون، وهذا هو المتفق عليه من أهل التفسير. وعن بعضهم: أنه لايعرف قُتِلَ بمعنى لُعِنَ فى اللغة، ومعناه: أن الخراصين قد أتوا بما يستحقون [به](٣) القتل، ولعنة الله إياهم إهلاك لهم، فهو قتلهم. والخارص هو الذى يقول بالحدس والظن.

وقوله: ﴿الذين هم فى غمرة ساهون﴾ قال السدى: فى غفلة لاهون، ويقال: فى حيرة وعمى، وقيل: فى شك وجهالة، كأن الجهل والعمى غمر حالهم، ومنه الماء الغمر إذا كان يغطى من ينزل فيه. ويقال: ساهون يتمادون يعنى: أن الشك والضلالة يتمادى بهم.

---

(١) من «ك»، وفى «الأصل»: وسألوهم.

(٢) من «ك»، وفى «الأصل»: وكان.

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

يَسْأَلُون أَيَّانَ يومُ الدِّين ﴿١٢﴾ يوْمَ هُمْ علَى النَّارِ يُفْتَنُون ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فتْنتكُمْ هذا الَّذي كُنتُم به تسْتعْجلُون ﴿١٤﴾ إنَّ الْمُتَّقين في جنَّاتٍ وعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخذين ما آتاهُمْ ربُّهُم إنَّهُمْ كانُوا قبْل ذلك مُحْسنين ﴿١٦﴾ كانُوا قليلاً مّن اللَّيْل ما يهْجعُون ﴿١٧﴾

وقوله: ﴿يسألون أيان يوم الدين﴾ أى: متى يوم الجزاء، وكانوا يسألون عن ذلك تعنتًا وتكذيبا.

وقوله: ﴿يوم هم على النار يفتنون﴾ أى: يعذبون. قال أبوعبيدة: يحرقون، وذكره القتيبى وغيره. ويقال: يفتنون أى: يدخلون النار، ومنه فتنت الذهب، وقد بينا من قبل.

وقوله: ﴿ذوقوا فتنتكم﴾ أى: عذابكم.

وقوله: ﴿هذا الذى كنتم به تستعجلون﴾ ومعنى استعجالهم: أنهم كانوا يقولون متى يوم الدين، متى يوم الحساب، متى يوم القيامة، والمراد من الآية أنه يقال لهم ذلك.

قوله تعالى: ﴿إن المتقين فى جنات وعيون﴾ أى: بساتين وأنهار.

وقوله: ﴿آخذين ما آتاهم ربهم﴾ أى: آخذين ماأعطاهم ربهم، ومعنى الأخذ هو دخولهم الجنة ووصولهم إلى ماوعدوا من الثواب.

وقوله: ﴿إنهم كانوا قبل ذلك محسنين﴾ أى: من قبل أن ينالوا مانالوا محسنين فى الدنيا. ومعنى الإحسان هاهنا هو طاعة الله تعالى، ثم فسر فقال: ﴿كانوا قليلا من الليل ما يهجعون﴾ قال إبراهيم النخعى: كانوا يقومون أكثر الليل. وعن الضحاك أن قوله: ﴿قليلا﴾ يقع على الناس، ومعناه: أن قليلا من الناس كانوا لايهجعون. وعن سعيد بن جبير أن معناه: قلما مرت عليهم ليلة لم يصلوا فيها. وقال الحسن البصرى: مدوا الصلاة إلى السحر، ثم استغفروا الله. وعن أنس بن مالك معناه: كانوا يصلون بين العشاء والعتمة، وهذا أثر مسند. ويقال: إنه فى أهل قباء كانوا يفعلون ذلك. وعن بعضهم أن معناه: كانوا لاينامون حتى يصلوا العشاء الآخرة.

وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وفي

وقوله: ﴿ وبالأسحار هم يستغفرون ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الاستغفار نفسه، والآخر أن معناه: الصلاة. وقد كان قيام الليل من دأب أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين من بعد. روى عن العباس بن عبد المطلب وكان جاراً لعمر - رضى الله عنهما - قال: عجباً لعمر نهاره صيام وحوائج الناس، وليله قيام. وعن على - رضى الله عنه - أنه كان يصلى أكثر الليل. وعن عثمان أنه كان يحيى الليل بركعة، وهى وتره. وعن ابن عمر أنه كان لاينام من الليل إلا القليل. وعن شداد بن أوس أنه كان إذا مال إلى فراشة يكون كالحية على المقلاة، ثم يقول: إن النار منعتنى النوم، ثم يقوم فيصلى حتى يصبح. وحديث عبد الله بن عمرو بن العاص معروف «أنه كان يقوم الليل ويصوم النهار إلى أن سهَّل عليه رسول الله ﷺ بعض ذلك»(١).

وقوله: ﴿ وفى أموالهم حق ﴾ يقال: إنه الزكاة المفروضة، ويقال: ماسوى الزكاة من الحقوق، وذلك أن يحمل كَلا، أو يصل رحماً، أو يعطى فى نائبة، أو يعين ضعيفاً.

وقوله: ﴿ للسائل ﴾ هو الطوَّاف على الأبواب. ويقال: كل من سأل.

وقوله: ﴿ والمحروم ﴾ فيه أقوال: قال ابن عباس: هو المحارَف، وهو الذى لايتيسر له كسب ولامعيشة. وعن بعضهم: هو الذى لاسهم له من الغنيمة، وقد ضعف هذا القول؛ لأن السورة مكية، والغنائم كانت بعد الهجرة.

ويقال: المحروم هو الذى لايسأل الناس، ولايفطن له فيعطى.

وعن الحسن بن محمد الحنفية: هو الذى أصابته (الجائحة)(٢) فى ماله، وهذا قول حسن يشهد له قوله تعالى فى سورة «ن» ﴿ فلما رأوها قالوا إنا لضالون بل نحن محرومون ﴾(٣) وكان قد هلك مالهم بالجائحة. ويقال: المحروم هو الكلب، ذكره النقاش فى تفسيره، ورواه عن محمد بن على بن الحسين، وعمر بن عبد العزيز. روى

(١) تقدم تخريجه.

(٢) فى «ك»: الحاجة.

(٣) ن: ٢٦ - ٢٧.

الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ

أن عمر بن عبد العزيز كان يأكل وثَمَّ كلب، فأمر أن يلقى له الطعام، وقال: إني إخال أنه المحروم .

وقوله: ﴿وفى الأرض آيات للموقنين﴾ أى: دلالات وعبر .

وقوله: ﴿وفى أنفسكم أفلا تبصرون﴾ قال عبد الله بن الزبير معناه: سبيل الخلاء والبول. ويقال: مايدخل فى جوفه ومايخرج منه. والأولى أن يقال: هو سائر الآيات التى فى النفس مما يدل على أن لها خالقًا وصانعًا.

وقوله: ﴿وفى السماء رزقكم﴾ أى: المطر، ويقال: إن مع كل قطرة مكتوب رزق فلان.

وقوله: ﴿وماتوعدون﴾ قال عطاء: الثواب والعقاب.

وقال الكلبى: الخير والشر. والمعروف أنه الجنة؛ لأنها فى السماء عند سدرة المنتهى، كما قال تعالى: ﴿عندها جنة المأوى﴾(١) وعن سعيد بن جبير قال: ﴿وفى السماء رزقكم﴾ الثلج، وكل ما نزل من السماء فهو مذاب من الثلج.

وعن بعضهم: أنه يحتمل «وفى السماء رزقكم» أى: تقدير رزقكم.

وقوله: ﴿فورب السماء والأرض إنه لحق﴾ يعنى: أن الوعد حق، وما ذكرت أن فى السماء رزقكم وماتوعدون حق. وقال الكلبى: إنه لحق يعنى: ما سبق من أول السورة إلى هذا الموضع .

وقوله: ﴿مثل ما أنكم تنطقون﴾ روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ويل لقوم يقسم لهم ربهم ثم لايصدقونه» رواه الحسن مرسلا(٢) . ومعنى قوله: ﴿مثل ما أنكم تنطقون﴾ يعنى: أنه حق مثل نطقكم، كما يقول القائل لغيره: إنه لحق كما أنك

---

(١) النجم: ١٥.

(٢) رواه ابن جرير (٢٦/١٢٧)، وابن أبى حاتم كما فى الدر (٦/١٢٦).

أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾

هاهنا، أو كما أنك تتكلم .

قوله تعالى : ﴿ هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين ﴾ قد ذكرنا هذا من قبل، وإكرامه إياهم هو خدمتهم بنفسه . وقد ثبت برواية أبى شريح الخزاعى وغيره أن النبى ﷺ قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله اليوم الآخر فليحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت »(١) .

قال رضى الله عنه : أخبرنا أبو على الشافعى بمكة، أخبرنا ابن فراس، أخبرنا أبو محمد المقرئ، أخبرنا جدى محمد بن عبدالله بن يزيد، عن سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن نافع بن جبير، عن [أبى](٢) شريح، عن النبى ﷺ الحديث .

والكرامة إياهم هو تعجيل الطعام .

وقوله : ﴿ إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما ﴾ وقرئ : « فقالوا سلْما » فمعنى قوله : ﴿ سلاماً ﴾ أى : سلموا سلاماً، ومعنى قوله : « سلْما » أى : عن سلم .

وقوله : ﴿ قال سلام ﴾ هو جواب سلامهم .

وقوله : ﴿ قوم منكرون ﴾ إنما قال ذلك لأنه أنكر هيئتهم، ولم يكن رآهم من قبل .

قال الشاعر :

فَأَنْكَرَتْنى وما كان الذى (نَكِرتْ)(٣) ... من الحوادث إلا الشَّيْبَ والصَّلَعا

ويقال : ﴿ قوم منكرون ﴾ أى : يخافون، يقال : أنكرتُ فلانا إذا خفته .

وقوله : ﴿ فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين ﴾ فى القصة : أن أكثر أموال إبراهيم

(١) تقدم تخريجه .

(١) ليست فى « الأصل » ولا « ك » . وهو أبو شريح الخزاعى الكعبى، واسمه خويلد بن عمرو، وقيل : عمرو بن خويلد، وقيل غير ذلك، وهو من رجال التهذيب، انظر ترجمته فى الإصابة (٤ / ١٠١ - ١٠٢) .

(٣) فى « ك » : يكون .

فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا

كان هو البقر، وكان يسمى أبا الضيفان، ويقال: كان يمشى ميلا وميلين فى طلب (الضيف)[1]، فكان لايأكل إلا مع الضيف .

وقوله: ﴿فراغ﴾ أى: ذهب خفية .

وقوله: ﴿فقربه إليهم قال ألا تأكلون﴾ فى الآية حذف، وتقديره: فقربه إليهم فلم يأكلوا قال ألا تأكلون. وفى القصة: أن إبراهيم – عليه السلام – كان إذا قعد مع الضيف نكس رأسه، وجعل يأكل ولاينظر إلى الضيف، ففعل مثل ذلك مع الملائكة، وهم أربع: جبريل، وميكائيل، وروبيل، وملك آخر، فقالت سارة: ارفع رأسك فإنهم لايأكلون، فرفع رأسه وقال: ألا تأكلون.

قوله تعالى: ﴿فأوجس منهم خيفة﴾ أى: دخل فى نفسه منهم خيفة. وفى التفسير: أن السبب فى ذلك أن الرجل كان إذا طرقه ضيف (فقدم)[2] إليه شيئًا وأكله أمن منه، وإن لم يأكل خاف شره .

وقوله: ﴿قالوا لاتخف﴾ يعنى: نحن ملائكة الله فلا تخف .

وقوله: ﴿وبشروه بغلام عليم﴾ أجمع المفسرون على أنه إسحاق عليه السلام .

قوله تعالى: ﴿فأقبلت امرأته فى صرة﴾ أى: صيحة، كأنها ولولت مثل ما تفعل النساء، ويقال: فى صرة هو حكاية صوتها فى الضحك، وقد قال فى موضع آخر: ﴿فضحكت﴾[3] وهو مثل: صرير الباب، وخرير الماء، والقهقهة غير ذلك، فالقهقهة أخذت من حكاية صوت الضاحك.

وقوله: ﴿فصكت وجهها﴾ أى: ضربت وجهها مثل ما تفعل النساء.

وقوله: ﴿وقالت عجوز عقيم﴾ وإنما فعلت ذلك؛ لأنها أنكرت ولادتها غلامًا وقد

---

(١) فى «ك»: الضيفان.

(٢) فى «ك»: يقدم. (٣) هود: ٧١ .

كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾
قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُسَوَّمَةً
عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا

صارت عجوزا عقيماً، وقد ذكرنا سنها، أنها كانت بنت تسع وتسعين سنة.

وقوله: ﴿قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم﴾ أى: الحكيم فيما يدبر، العليم بأمور خلقه.

قوله تعالى: ﴿قال فما خطبكم أيها المرسلون﴾ أى: ما شأنكم؟ ولأى شيء أرسلتم؟

قوله تعالى: ﴿قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين﴾ أى: كافرين، وقيل: ذوى جرم.

وقوله: ﴿لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة﴾ أى: معلمة، ويقال: العلامات هى الخواتيم على الأحجار، وقيل: كان اسم كل من يهلك بذلك الحجر من الكفار مكتوبًا على ذلك الحجر. وعن ابن عباس قال: ﴿مسومة﴾ أى: حمرة فى بياض. ويقال: مخططة.

وقوله: ﴿عند ربك للمسرفين﴾ أى: المشركين، وهم الذين أسرفوا فى المعاصى، وكل مشرك مسرف فى المعصية. فإن قيل: ما معنى قوله: ﴿حجارة من طين﴾ وكيف تكون الحجارة من طين؟ والجواب من وجوه: أحدها: أنه كان فى الأصل طينا فاستحجر بشروق الشمس عليه.

والثانى: أنه كان مطبوخًا من طين كما يطبخ الآجر.

والثالث: أن قوله: ﴿حجارة من طين﴾ ذكر الطين هاهنا لكى يعلم أنه لم يرد به البرد، والعرب تسمى البرد النازل من السماء حجارة.

وقوله تعالى: ﴿فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾ فيه دليل لمن قال: إن الإسلام والإيمان واحد، وقد بينا من قبل. وعن

غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾

قتادة أنه قال: لو كان فى قريات لوط بيت من المسلمين غير بيت لوط لم يهلكهم الله تعالى؛ ليعرف قدر الإيمان عند الله تعالى. واختلف القول أنه هل كان آمن بلوط عليه السلام أحد. فأحد القولين: أنه كان آمن به بضع [عشرة](١) نفساً.

والقول الثانى: أنه لم يكن آمن به أحد إلا ابنتاه.

قوله تعالى: ﴿وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم﴾ أى: عبرة، والعبرة فى قريات لوط بينة لمن مر بها، فإنها أرض سوداء (مبيئة)(٢). ويقال: معنى الآية المذكورة فى قريات لوط هو مابقى من الحجارة فيها.

وفى القصة عن ابن عباس: أن جبريل - عليه السلام - أدخل جناحه تحت الأرض السابعة، واقتلع مدائن قوم لوط من أصلها، ورفعها حتى بلغ بها السماء الدنيا، وحتى تسمع أهل السماء الدنيا نباح الكلاب وصوت الديكة منها، ثم قلبها وأرسل الله تعالى حجارة على مابينا، ويقال: أرسل الحجارة على الشذاذ والمسافرين منهم حتى أهلكهم كلهم.

وفى القصة أيضا: أن إبراهيم - عليه السلام - أصبح جالساً فى مسجده بعد أن ذهبت الملائكة - مكثوا عند إبراهيم عليه السلام حتى قالوا قيلولة، ثم راحوا إلى مدائن لوط، وكان بين قرية إبراهيم ومدائن لوط أربعة فراسخ - فلما أصبح إبراهيم رأى دخاناً ساطعاً فى السماء من مدائن لوط، فعرف أنهم قد عذبوا.

قوله: ﴿وفى موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين﴾ أى: وفى إرسال موسى آية وعبرة.

وقوله: ﴿بسلطان مبين﴾ أى: بحجة بينة.

(١) فى «الأصل، وك»: عشر، والصواب ما أثبتناه.

(٢) فى «ك»: مبنية.

فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾

قوله تعالى: ﴿فتولى بركنه﴾ قال ابن عباس: بجمعه وجنوده. وعن قتادة: بقوته فى نفسه. وعن بعضهم: برهطه الذين يتقوى بهم. وركن الشيء مايتقوى به الشيء، ومنه قوله تعالى مخبراً عن لوط عليه السلام ﴿أو آوى إلى ركن شديد﴾[1] أى: إلى رهط وقوم أتقوى بهم، وكذلك هاهنا أيضا معناه: أعرض معتمداً على رهطه وقومه الذين يتقوى بهم، وقيل: تولى بركنه أى: نأى بجانبه.

وقوله: ﴿وقال ساحر أو مجنون﴾ قال أهل العلم: هذا تناقض؛ لأن السحر لايكون إلا بعقل كامل، والمجنون هو الذى لاعقل له.

قوله تعالى: ﴿فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم﴾ أى: (طرحناهم)[2] وألقيناهم فى البحر.

وقوله: ﴿وهو مليم﴾ يقال: ألام الرجل فهو مليم، إذا أتى بما يلام عليه.

قوله تعالى: ﴿وفى عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾ الريح العقيم هى الريح التى لاخير فيها أصلا، كأنها لا تلقح شجرا، ولاتثير سحابا، ولا تأتى بمطر. وفى بعض التفاسير: أن الريح العقيم ريح محبوسة تحت الأرض السابعة أرسل منها على مقدار منخر ثور، حتى أهلكت عاداً ودمرتهم، ثم ردها إلى موضع حبسها. وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور»[3].

وعن سعيد بن المسيب والزهرى: أنهم أهلكوا بالجنوب، فقيل لسعيد: إن الجنوب تأتى بالرحمة، فقال: إن الله يصرفها كيف يشاء.

وعن على – رضى الله عنه – أنه قال: الريح العقيم هى النكباء.

---

(١) هود: ٨٠.

(٢) فى «ك»: خرجناهم.

(٣) تقدم تخريجه.

ما تذرُ من شيْءٍ أَتَتْ عليْه إلاَّ جعلَتْهُ كالرَّميم ﴿٤٢﴾ وَفي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ
حِينٍ ﴿٤٣﴾ فعتوْا عنْ أمْرِ ربِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعقَةُ وَهُمْ ينظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا
مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾

قوله تعالى: ﴿ماتذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم﴾ قال السدى: كالتراب. وعن مؤرج قال: كالرماد بلغة حضرموت. ويقال: كالعظم البالى المنسحق ومنه الرمة. ويقال كالنبت الذى يبس وديس بالرجل .

قوله تعالى: ﴿وفى ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين﴾ أى: إلى ثلاثة أيام، وقد بينا هذا من قبل .

قوله تعالى: ﴿فعتوا عن أمر ربهم﴾ أى: عصوا، ويقال: خالفوا أمر ربهم .

وقوله: ﴿فأخذتهم الصاعقة﴾ وقرئ: «الصعقة» وهما بمعنى واحد، ويقال: الصعقة الصيحة، والصاعقة فاعلة من الصعقة .

وقوله: ﴿وهم ينظرون﴾ أى: نهاراً جهاراً، وهم يرون نزول العذاب، ومعناه: أنه لم يكن بليل وهم نيام لم يشعروا به.

قوله تعالى: ﴿فما استطاعوا من قيام﴾ أى: وقعوا وقوعًا لم يستطيعوا بعده القيام. ويقال: لم يستطيعوا أن يدفعوا عن أنفسهم العذاب أى: أن يقوموا بالدفع. يقول الرجل: أنا لا أستطيع أن أقوم بهذا الأمر أى: لا أستطيع دفع هذا الأمر عن نفسى.

وقوله: ﴿وما كانوا منتصرين﴾ أى: ممتنعين من نزول العذاب بهم.

قوله تعالى: ﴿وقوم نوح من قبل إنهم كانوا قومًا فاسقين﴾ أى: خارجين عن طاعة الله تعالى .

وقوله: ﴿من قبل﴾ أى: من قبل عاد وثمود، أهلكناهم كما أهلكنا عاداً وثمود.

قوله تعالى: ﴿والسماء بنيناها بأيد﴾ أى: بقوة وقدرة .

وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ

وقوله: ﴿ وإنا لموسعون ﴾ قال مجاهد: معناه يسع قدرتنا أن تخلق سماءً مثلها، ويقال: ﴿ وإنا لموسعون ﴾ أى: فى وسعنا خلق ماهو أحكم وأرفع من هذه السماء التى ترونها، وحقيقة المعنى: أن هذا الذى خلقنا ليس هو جهد قدرتنا، فإن فى وسعنا أن نخلق أمثال هذا وأضعافه. ويقال: وإنا لموسعون أى: فى رزق العباد. ويقال: فى تدبير أمر العباد.

قوله تعالى: ﴿ والأرض فرشناها ﴾ أى: بسطناها. وفى تفسير النقاش: أنها مسيرة خمسمائة عام.

وقوله: ﴿ فنعم الماهدون ﴾ أى: الباسطون، والمعنى: أنا بسطنا الأرض على الهيئة التى يستقر عليها العباد، ولاتنكفئ بهم على مايبسط الإنسان فرشًا يمهد به لغيره موضع استقرار وسكون .

قوله تعالى: ﴿ ومن كل شىء خلقنا زوجين ﴾ أى: صنفين. ويقال: معناه زوجين زوجين، وذلك مثل: السماء والأرض، والليل والنهار، والنور والظلمة، والذكر والأنثى، والبر والبحر، وعن مجاهد قال: الكفر والإيمان، والشقاوة والسعادة، والهدى والضلالة. وعن الكلبى قال: السماء والأرض زوج، والليل والنهار زوج، والشمس والقمر زوج، وعدَّ به أشياء من ذلك، ثم قال: والله هو الوتر. وروى حذيفة عن النبى ﷺ أنه قال: «إن الله خالق كل شىء، صانع وصنعته»[1].

وفى بعض الأخبار أيضًا عن النبى ﷺ مخبرا عن الله تعالى: «لا إله إلا أنا،

(١) رواه البخارى فى خلق أفعال العباد (٧٣)، والبزار (٢/١٥٣ رقم ١٦٠٣ – مختصر الزوائد)، وابن أبى عاصم فى السنة (١/١٥٨ رقم ٣٥٧، ٣٥٨)، والحاكم (١/٣١) وصححه على شرط مسلم، وابن عدى فى الكامل (٦/٢٠) عن حذيفة به. وقال الهيثمى فى المجمع (٧/٢٠٠): رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح غير أحمد بن عبد الله الكردى، وهو ثقة. وقال الحافظ ابن حجر فى تلخيص الزوائد: رواه البخارى فى كتاب خلق الأفعال ... وإسناده صحيح.

لعلكم تذكرون ﴿٤٩﴾ ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين ﴿٥٠﴾ ولا تجعلوا مع الله إلها آخر إني لكم منه نذير مبين ﴿٥١﴾ كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون ﴿٥٢﴾

خلقت الشر، وخلقت من يجرى على يده الشر، فويل لمن خلقته للشر وأجريت الشر على يده، وخلقت الخير، وخلقت من يجرى الخير على يده، فطوبى لمن خلقته للخير وأجريت الخير على يده»[1] وذكر النقاش فى تفسيره برواية سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبى ﷺ أنه قال: «إن الله خلق الإيمان وحفه بالسماحة والحياء، وخلق الكفر وحفه بالشح والجفاء»[2].

وفى بعض الأخبار أيضًا: أن الله خلق الرفق فلو رأيته رأيت شيئًا حسنًا، وخلق الخرق فلو رأيته رأيت شيئًا قبيحا.

وقوله: ﴿لعلكم تذكرون﴾ أى: تتعظون .

قوله تعالى: ﴿ففروا إلى الله﴾ أى: من معصيته إلى طاعته، ويقال: من سخطه إلى رحمته، ومن عقابه إلى عفوه .

وقوله: ﴿إنى لكم منه نذير مبين﴾ قد بينا من قبل.

قوله تعالى ﴿ولاتجعلوا مع الله إلهًا آخر إنى لكم منه نذير مبين﴾ الآية. قد بينا.

قوله تعالى: ﴿كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون﴾ ظاهر المعنى، وهذا تسلية للنبى ﷺ أى: كما قيل لك فقد قيل لمن قبلك من الرسل.

---

(١) عزاه فى الكنز (١/ ١٢٤ رقم ٥٨٧) لابن النجار، عن أبى أمامة.

(٢) رواه الجوزقانى فى الأباطيل (١/ ٤٩ رقم ٤٣) وقال: هذا حديث باطل لاشك فيه...، والديلمى فى الفردوس (٢/ ١٨٦ - ١٨٧ رقم ٢٩٣٥) عن ابن عباس مرفوعا بنحوه. ورواه الدارقطنى فى الغرائب - كما فى تنزيه الشريعة (٢/ ١٤١ - ١٤٢) عن ابن عمر مرفوعا بنحوه، وقال: منكر باطل، وفيه أحمد بن محمد السماعى وعمران بن زياد مجهولان.

أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾

قوله تعالى: ﴿أتواصوا به﴾ أى: أوصى بعضهم بعضًا بهذا القول، ويقال: أوصى الأولُ الأخيرَ بالتكذيب.

قوله: ﴿بل هم قوم طاغون﴾ أى: عاصون يبالغون فى العصيان .

قوله تعالى: ﴿فتول عنهم فما أنت بملوم﴾ فى بعض الآثار عن على بن أبى طالب – رضى الله عنه – أنه لما نزلت هذه الآية حزن أصحاب رسول الله ﷺ حزنًا شديدًا، وظنوا أنه لاينزل الوحى بعد ذلك حيث أمر النبى ﷺ بالإعراض والتولى، وعذر بقوله: ﴿فما أنت بملوم﴾ فأنزل الله تعالى: ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ ففرحوا، وقيل: إن هذه الآية قبل نزول آية السيف، ثم نسخت بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ فى قراءة أبى بن كعب «وماخلقت الجن والإنس من المؤمنين إلا ليعبدون» وهو تفسير القراءة المعروفة.

قال الضحاك: الآية عامة أريد بها الخاص، وهم المؤمنون، وهذا القول اختيار الفراء والقتيبى وغيرهما .

والقول الثانى: وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون أى: لآمرهم بالعبادة. وقال مجاهد: لآمرهم وأنهاهم، وحكى بعضهم هذا عن على.

والقول الثالث: وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون أى: لينقادوا ويخضعوا لى، وانقيادهم وخضوعهم هو استمرارهم على مشيئته وحكمه، وهو معنى خضوع السموات والأرضين وطواعيتها وانقيادها، والمختار هو القول الأول.

قوله تعالى: ﴿ما أريد منهم من رزق﴾ أى: أن يرزقوا عبادى، ويقال: أن يرزقوا أنفسهم.

﴿وما أريد أن يطعمون﴾ هو على المعنيين الأولين، أى: يطعموا عبادى، أو يطعموا أنفسهم، فإذا قلت فى الأول هو رزق أنفسهم فمعنى هذا إطعام العباد، وإذا

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ۝٥٨ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ۝٥٩ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ۝٦٠﴾

قلت فى الأول رزق العباد فمعنى هذا طعامهم أنفسهم، وإنما قال: ﴿يطعمون﴾ لأن الخلق عباد الله، فإذا أطعمهم (فكأنه)[1] أطعم الله على المجاز.

وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال حاكيا عن الله تعالى فيما يقول لعبده يوم القيامة: «استطعمتك فلم تطعمنى، فيقول: يارب، وكيف أطعمك، وأنت رب العالمين؟ فيقول: استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه، ولو أطعمته لوجدته عندى... الخبر إلى آخره»[2].

قوله تعالى: ﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾، الرزاق بمعنى الرازق، ويقال: يقتضى مبالغة وتكثيراً.

وقوله: ﴿ذو القوة المتين﴾ أى: القوة البالغة .

قوله تعالى: ﴿فإن للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم﴾ أى: نصيب من العذاب مثل نصيب أصحابهم، أى: أمثالهم من المشركين الذين تقدموا، فجعلهم أصحابهم لما اجتمعوا فى الكفر، وإن تفرقت بهم القرون. والذنوب فى اللغة: هو الدلو العظيم، ومنه أخذ النصيب .

وقوله: ﴿فلا يستعجلون﴾ أى: العذاب نازل بهم فلا ينبغى أن يستعجلوا، وقد تقدم ذكر استعجالهم فيما سبق .

قوله تعالى: ﴿فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون﴾ قد بينا معنى الويل. وقوله: ﴿من يومهم الذى الذى يوعدون﴾ هو يوم القيامة، وهو اليوم الموعود المنتظر لجزاء العباد، ونسأل الله حسن العاقبة بفضله ومَنِّه (آمين)[3].

---

(١) فى «ك»: فكأنما.

(٢) رواه مسلم (١٦/ ١٨٩ - ١٩٠ رقم ٢٥٦٩)، والبخارى فى الأدب المفرد (١٥٢ - ١٥٣)، وابن حبان (١/ ٥٠٣ رقم ٢٦٩)، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٢٨٥) عن أبى هريرة مرفوعًا.

(٣) من «ك».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾

تفسير سورة الطور

وهى مكية . وقد ثبت برواية جبير بن مطعم أنه قال : « سمعت النبى ﷺ يقرأ فى المغرب سورة الطور »[١] .

قوله تعالى : ﴿ والطور ﴾ قال مجاهد : هو بالسريانية اسم للجبل . والأصح أنه اسم الجبل بالعربية . وحكى عن ابن عباس أنه قال : كل جبل ينبت فهو طور ، وكل ما لا ينبت فليس بطور . وقال كعب الأحبار وغيره : هو الطور الذى كلم الله عليه موسى . وقد روى هذا القول عن قتادة وعكرمة . وعن نوف البكالى[٢] : أن الله تعالى أوحى إلى الجبال أنى منزل على جبل منكن ، فشمخت الجبال بأنفسها ، وتواضع الطور وقال : أنا راض بما قسم الله لى ، وكان عليه الأمر[٣] .

وقوله : ﴿ وكتاب مسطور ﴾ فيه أقوال : : أنه القرآن ، وهو مروى عن الحسن البصرى . والآخر : أنه التوراة كتبها الله تعالى فى الألواح . والثالث أنه الكتاب الذى أثبت الله[٤] فيه أعمال بنى آدم ، ويخرج يوم القيامة فيكون صحائف ، فآخذ بيمينه وآخذ بشماله ، وآخذ وراء ظهره ، وهذا قول معروف ذكره الفراء وغيره .

ويقال : إن المراد منه الصحف التى تقرأ منها الملائكة فى السماء القرآن على ما قال تعالى : ﴿ فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدى سفرة ﴾[٥] ويقال : إنه اللوح المحفوظ قد كتب فيه ما هو كائن إلى يوم القيامة .

---

(١) متفق عليه ، رواه البخارى (٢ / ٢٨٩ رقم ٧٦٥ ، وأطرافه : ٣٠٥٠ ، ٤٠٢٣ ، ٤٨٥٤) ، ومسلم (٤ / ٢٣٩ رقم ٤٦٣) .

(٢) فى « الأصل » و « ك » : نوفل الميكائى ، والصواب ما أثبتناه . وهو نوف بن فضالة البكالى ، وهو من رجال التهذيب . قال الحافظ فى التقريب : كذب ابن عباس ما رواه عن أهل الكتاب .

(٣) هذا الخبر من الإسرائيليات التى لايعتد بها ، بل هو غريب جدا .

(٤) من « ك » .

(٥) عبس : ١٣ – ١٥ .

﴿فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ ۝٣ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝٤﴾

وقوله: ﴿فى رق منشور﴾ والرق: هو الأديم الذى يكتب فيه الشيء.

وقوله: ﴿منشور﴾ أى: مبسوط، وهذا يؤيد القول الذى قلنا إن الكتاب هو صحائف الأعمال فى الآخرة، لأن الله تعالى قد قال فى موضع آخر: ﴿وإذا الصحف نشرت﴾(١) والمراد منه صحائف الأعمال فى الآخرة.

قوله تعالى: ﴿والبيت المعمور﴾ قال بعضهم: هو الكعبة ،وعمارته بالحج والطواف. والقول المعروف أنه بيت(٢) فى السماء، قاله ابن عباس وعامة المفسرين - وهو مروى عن على بن أبى طالب - رضى الله عنه - أيضًا.

واختلفوا فى موضعه، فروى أنس عن مالك بن صعصعة عن النبى ﷺ فى قصة المعراج أنه قال: «رفع لى البيت المعمور فى السماء السابعة»(٣).

وعن على - رضى الله عنه - أنه فى السماء السادسة. وعن الربيع بن أنس وغيره أنه فى السماء الدنيا بحيال الكعبة لو سَقَطَ سَقَطَ عليه.

وفى القصة: أن البيت المعمور [أنزله](٤) الله تعالى من السماء لآدم، ووضعه مكان الكعبة فلما كان زمان نوح رفعه الله تعالى إلى السماء الدنيا فهو موضع حج الملائكة وحرمته كحرمة الكعبة فى الأرض.

قال على وغيره: اسمه الضراح يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه أبداً وقد أسند هذا اللفظ إلى الرسول ﷺ.(٥)

وعن بعضهم أنه فى السماء الرابعة. وفى بعض المسانيد «أن الله تعالى خلق نهراً

---

(١) التكوير: ١٠.

(٢) فى «ك»: ثبت.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) فى «الأصل، وك»: أنزلها.

(٥) تقدم تخريجه.

تحت العرش يسمى نهر الحيوان فيدخله جبريل عليه السلام كل يوم حين تطلع الشمس ثم يخرج، وينتفض انتفاضة فيقطر منه سبعون ألف قطرة يخلق الله تعالى من كل قطرة منها ملكا فهم العباد فى البيت المعمور». وهذا خبر غريب.

قوله تعالى: ﴿والسقف المرفوع﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه السماء، والآخر: أنه العرش.

وقوله: ﴿والبحر المسجور﴾ أشهر الأقاويل فيه أنه الممتلئ. وعن ربيع[(١)] بن أنس فى قوله تعالى: ﴿وكان عرشه على الماء﴾[(٢)] قال: إن الله تعالى جعل ذلك الماء نصفين حين خلق السموات والأرض، فجعل نصفًا منه تحت الأرض السابعة ونصفًا منه تحت العرش ،فإذا كان بين النفختين ينزل الله منه قطراً على الأرض، فينبت به الأجساد فى القبور.

والقول الثانى فى الآية: أن البحر المسجور هو المفجور على ما قال تعالى فى موضع آخر: ﴿وإذا البحار فجرت﴾[(٣)] وتفجيرها هو بسطها وإرسالها على الأرض. وقد روى عن ابن عباس أنه قال: البحر المسجور هو المرسل، وذلك لمعنى ما بينا.

والقول الثالث: أن البحر المسجور هو الموقد ناراً، من قولهم: سجرت التنور. وعن على – رضى الله عنه – أنه قال لكعب الأحبار: أين جهنم؟ قال: هو البحر، فقال: ما أراك إلا صادقا، وقرأ قوله تعالى: ﴿وإذا البحار سجرت﴾[(٤)]

والقول الرابع: أن البحر المسجور هو البحر الذى يبس ماؤه وذهب، كأن بحار الأرض تفرغ عن الماء يوم القيامة. وعبر بعضهم عن هذا البحر المسجور بالفارغ.

(١) فى «ك»: الربيع.

(٢) هود: ٧.

(٣) الانفطار: ٣.

(٤) التكوير: ٦.

إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾

قوله تعالى: ﴿إن عذاب ربك لواقع﴾ على هذا وقع القسم، وإلى هذا الموضع كان قسمًا على التقدير الذى قلنا فى السورة المتقدمة.

وقوله: ﴿واقع﴾ أى: كائن.

وقوله: ﴿ما له من دافع﴾ أى: ماله دافع من الكفار. وعن جبير بن مطعم: «أنه أتى المدينة ليفدى بعض أسارى بدر، فسمع النبى ﷺ يقرأ فى الصلاة سورة الطور، فلما سمع قوله: ﴿إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع﴾ غَشِيَهُ وَجَلٌ وخوفٌ، وكان ذلك سبب إسلامه»(١).

قوله: ﴿يوم تمور السماء مورًا﴾ أى: تدور، ويقال: تجىء وتذهب. والمراد: سيرها. ويقال: تكفأ بأهلها.

وقوله: ﴿وتسير الجبال سيرًا﴾ أى: تجىء وتذهب على وجه الأرض، ويقال: سَيَّرها سير السحاب بين السماء والأرض على ما قال تعال: ﴿وهى تمر مر السحاب﴾(٢).

وقوله: ﴿فويل يومئذ للمكذبين الذين هم فى خوض يلعبون﴾ أى: فى باطل لاهون، ويقال: يخوضون فى أمر النبى ﷺ بالتكذيب، ويلعبون بما هو [الجد](٣). وعن بعضهم: أنه رؤى فى المنام، فقيل له: كيف الأمر؟ فقال: الأمر جد فإياك أن تخلطه بالهزل. وقيل: إن الله تعالى جعل كل ما فيه الكفار لعبًا.

قوله تعالى: ﴿يوم يدعون إلى نار جهنم دعا﴾ أى: يدفعون فى نار جهنم.

وقوله: ﴿دعا﴾ أى: دفعًا. والدع فى اللغة: هو الدفع بشدة وعنف.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) النمل: ٨٨.

(٣) من «ك»، وفى الأصل: الحسد، تحريف.

يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنتُمْ لا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ

وقوله: ﴿ هذه النار التى كنتم بها تكذبون ﴾ يقال لهم هذا على طريق التوبيخ والتقريع.

قوله تعالى: ﴿ أفسحر هذا ﴾ فى التفسير: أنهم لما كانوا يرون الآيات فى الدنيا ودلائل نبوة الرسول ﷺ فيقولون: إنها سحر(١) ونحن لا نبصر ما يقول - أى: لا نعلم - فإذا كان يوم القيامة وعاينوا العذاب يقال لهم: أفسحر هذا كما تزعمون فى الدنيا لما رأيتم من الآيات أم أنتم لا تبصرون، أى: هل أنتم لا تبصرون كما لم تبصروا فى الدنيا على زعمكم؟.

والقول الثانى فى قوله: ﴿ أم أنتم لا تبصرون ﴾ أى: معناه بل كنتم لا تبصرون، أى: لا تعلمون، وهذا قول معروف.

وقوله: ﴿ اصلوها ﴾ أى: ادخلوها. ويقال: قاسوا حرها.

وقوله: ﴿ فاصبروا أو لا تصبروا ﴾ هو مثل قوله تعالى: ﴿ سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ﴾(٢) والمعنى: أنكم سواء صبرتم أو جزعتم، فالعذاب واقع بكم ولا يخفف عنكم. وفى بعض الآثار: أن أهل النار يجزعون مدة مديدة ،وينادون على أنفسهم بالويل والثبور ثم يقولون: تعالوا نصبر، فيصبرون أيضاً مدة مديدة فلا ينفعهم واحد من الأمرين، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ سواء عليكم ﴾ أى: مستوٍ [كلتا](٣) الحالتين، والعذاب مستمر بكم فيهما.

وقوله: ﴿ إنما تجزون ما كنتم تعملون ﴾ يعنى: أن هذا عملكم بأنفسكم.

قوله تعالى: ﴿ إن المتقين فى جنات ونعيم ﴾ أى: بساتين ونعمة.

---

(١) فى «ك»: لسحر.

(٢) إبراهيم: ٢١.

(٣) فى «الأصل،وك»: كلا، والمثبت هو الصواب.

مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾

وقوله: ﴿فاكهين﴾ قال ابن عرفة - وهو نفطويه النحوى - فاكهين: ناعمين. ويقال: فاكهين ذوى فاكهة. يقال: فلان لابن أى: ذو لبن، وتامر أى: ذو تمر. وقرئ: ﴿فكهين﴾ أى: معجبين مسرورين بحالهم.

وقوله: ﴿بما آتاهم ربهم﴾ أى: أعطاهم ربهم.

وقوله: ﴿ووقاهم ربهم عذاب الجحيم﴾ أى: عذاب النار، والجحيم: معظم النار.

قوله تعالى: ﴿كلوا واشربوا هنيئًا﴾ أى: تهنئون هنيئًا.

وقوله: ﴿بما كنتم تعملون﴾ أى: تعملون من الطاعات.

قوله تعالى: ﴿متكئين على سرر﴾ هو جمع سرير.

وقوله: ﴿مصفوفة﴾ أى مضموم بعضها إلى بعض. ويقال: مصطفة.

وفى التفسير: أن ارتفاع السرير يكون كذا كذا ميلا، فإذا أراد المؤمن أن يصعده تطامن[١] حتى يرتفع عليه المؤمن، ثم يعود إلى ما كان.

وقوله: ﴿وزوجناهم﴾ أى: قَرَنَّاهم، قاله الفراء والزجاج وغيرهما من أهل المعانى. قالوا: وليس المراد منه التزويج المعروف الذى يكون فى الدنيا، فإن عقد التزويج من عقود الدنيا ليس من عقود الآخرة.

وقوله: ﴿بحور عين﴾ الحور: البيض، ومنه الحوارى، ومنه الحواريون، لأصحاب عيسى، وهم القصارون الذين يبيضون الثياب. والعرب تسمى نساء الأمصار حواريات لبياضهن.

وقال بعضهم:

فقل للحواريات يبكين غيرنا ... ولا تبكنا إلا الكلاب النوابح

وقوله: ﴿عين﴾ أى: حسان العين. ويقال: سميت الواحدة منهن حوراء؛ لشدة

(١) تطأمنت الأرض: إذا انخفضت. وطامن ظهره: إذا حنى ظهره. لسان العرب (١٣/ ٢٦٨).

مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم

بياضها، وسواد (حدقتيها)[١].

قوله تعالى: ﴿ والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم ﴾ وقرئ: «واتبعتهم ذريتهم» وفي الخبر موقوفًا على ابن عباس ومرفوعًا إلى رسول الله ﷺ: «أن الله تعالى يرفع ذرية المؤمن إلى درجته، وإن لم يبلغها عملهم؛ لتقر عينه بهم»[٢] وعن بعضهم أن هذا في الآباء مع الأولاد، والأولاد مع الآباء جميعا، كأن الله تعالى يبلغ الوالد درجة الولد إذا كان أرفع منه في الدرجة، ويبلغ الولد درجة الوالد إذا كان أرفع منه في الدرجة. وقد ورد في بعض الكتب: أن هذا يكون أيضًا للأخ مع أخيه في الإيمان يقول الأخ: يا رب، ارفعه إلى درجتي، فيقول: إنه لم يعمل مثل عملك، فيقول: إني عملت لنفسي وله.

وفي بعض الأخبار عن النبي ﷺ «أن أولاد المؤمنين يكونون مع آبائهم في الجنة وأولاد الكفار مع آبائهم في النار.»[٣]

(١) في «ك»: حدقتها.

(٢) رواه البزار (٢/١٠٨ رقم ١٥٠٨ - مختصر الزوائد)، وابن عدي في الكامل (٦/٤٢)، والطحاوي في المشكل (٢/١٥)، وأبو نعيم في الحلية (٤/٣٠٢) وقال: غريب من حديث عمرو ....، والبغوي في تفسيره (٤/٢٣٩) جميعهم من حديث ابن عباس مرفوعا به. وقال البزار، لانعلم أسنده إلا الحسن عن قيس - عن عمرو- وقد رواه الثوري عن عمرو موقوفا والثوري أحفظ من قيس وأوثق. وزاد الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/٣٧٢) عزوه لابن مردويه، والثعلبي وقال الهيثمي في المجمع (٧/١١٧) رواه البزار وفيه قيس بن الربيع وثقه شعبة والثوري، وفيه ضعف.

(٣) رواه عبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (١/١٢٤ - ١٢٥)، وابن أبي عاصم في السنة (١/٩٤ رقم ٢١٣)، والبغوي في تفسيره (٤/٢٣٩) من حديث علي مرفوعا به. قال ابن الجوزي في جامع المسانيد: في إسناده محمد بن عثمان، لايقبل حديثه، ولايصح في تعذيب الأطفال حديث. وقال الذهبي في الميزان (٣/٦٤٢ ترجمة محمد بن عثمان): لايدرى من هو، فتشت عنه في أماكن، وله خبر منكر، فذكره. وفي الباب عن عائشة، وانظر تعليقنا عليه في جزء فيه من حديث لوين رقم(٣١).

وفى بعض الأخبار: «أن أولاد المشركين يكونون خدم أهل الجنة»(١). وقد ثبت برواية عائشة - رضى الله عنها -: أنه مات صبى من الأنصار، فقالت عائشة: طوبى له عصفور من عصافير الجنة، فقال عليه الصلاة والسلام: «يا عائشة أو غير ذلك؟ إن الله تعالى خلق النار وخلق لها أهلا، وخلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم، وخلق الجنة وخلق لها أهلا، خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم»(٢). قال الشيخ الإمام رضى الله عنه: أخبرنا بذلك أبو على الشافعى رحمه الله بمكة، أخبرنا أبو الحسن بن فراس أخبرنا أبو محمد المقرئ أخبرنا جدى عن سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عائشة بنت طلحة، عن عائشة أم المؤمنين، عن النبى ﷺ ... والخبر فى صحيح مسلم.

وقد قال أهل العلم: إن الأصح فى ذرارى المؤمنين أنهم فى الجنة، ويحتمل أن النبى ﷺ إنما قال ذلك على ما كان عرفه فى الأصل، ثم إن الله تعالى أخبره أن ذرارى المسلمين فى الجنة بهذه الآية وغيرها، وأما ذرارى الكفار: فالأصح أن الأمر فيهم على التوقف على ما روى عن النبى ﷺ «أنه سئل عن أطفال المشركين فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين»(٣).

وقوله: ﴿بإيمان﴾ أى: بإيمانهم، إما بإيمانهم بأنفسهم ،أو بثبوت الإيمان لهم

(١) رواه الطيالسى (٢٨٢ رقم ٢١١١)، وأبو يعلى (٧/١٣٠ - ١٣١ رقم ١٣٣٥)، والبزار (٢/١٦٢ رقم ١٦٢٠، ١٦٢١ - مختصر الزوائد)، والطبرانى فى الأوسط (٥/٣٨٦ - ٣٨٧ رقم ٣٢٥٥، ٣٢٥٦)، وأبو نعيم فى الحلية (٦/٣٠٨)، وتمام فى فوائده (١/١٠٠ رقم ٢٣٠)، عن أنس مرفوعا به. وله شاهد عن سمرة ابن جندب. وانظر الصحيحة (١٤٦٨).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) متفق عليه عن أبى هريرة، رواه البخارى (٣/٢٨٩ رقم ١٣٨٤، وطرفاه: ٦٥٩٨، ٦٦٠٠)، ومسلم (١٦/٣٢٢ - ٣٢٣ رقم ٢٦٥٩). وعن ابن عباس، رواه البخارى (٣/٢٨٩ رقم ١٣٨٣، وطرفه: ٦٥٩٧)، ومسلم (١٦/٣٢٣ رقم ٢٦٦٠).

وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا

بإيمان الآباء.

﴿ألحقنا بهم ذريتهم﴾ أى: فى الدرجة على ما قلنا.

وقوله: ﴿وما ألتناهم من عملهم من شىء﴾ أى: ما نقصناهم من عملهم من شىء. وقرأ ابن كثير: «وما أَلِتناهم» بكسر اللام، والأول هو الأولى. وقرأ ابن مسعود: «وما لتناهم» والكل بمعنى واحد.

قال الشاعر:

أبلغ بنى ثقل عنى مغلغلة جهد الرسالة لا ألتا ولا كذبا

قوله تعالى: ﴿كل امرئ بما كسب رهين﴾ هذا فى المشركين، ومعناه: أن الكفار محبوسون فى النار بعملهم، وأما المؤمن فهو غير محبوس ولا مرتهن، فإن ارتهن بعمله فلابد أن يدخل النار. وفى الخبر المعروف أنه عليه الصلاة والسلام قال: «لن ينجى أحدا منكم عمله، قيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل له»(١).

قوله تعالى: ﴿وأمددناهم بفاكهة﴾ هذا رجوع إلى صفة أهل الجنة.

وقوله: ﴿ولحم طير مما يشتهون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿يتنازعون فيها كأساً﴾ أى: يتعاطون، والمعنى: بعضهم يعطى بعضاً على ما يفعل الشراب فى الدنيا.

قال امرؤ القيس:

فلما تنازعنا الحديث وأسمحت هصرت(٢) بغصنٍ ذى شماريخ ميال

(١) تقدم تخريجه.

(٢) فى «الأصل وك»: فصبرت. والهصر: شدة الغمر. وانظر لسان العرب: (٥/ ٢٦٥).

لاَّ لَغْوٌ فِيهَا وَلا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾
وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾

وقوله: ﴿لا لغو فيها ولاتأثيم﴾ أى: لا يجرى بينهم كلام باطل، ولا كلام يأثم به قائله، على ما يكون بين الشراب فى الدنيا. قال القتيبى: معناه: لا يسكرون فيكون منهم كلام لغو أو كلام يأثمون به.

قوله تعالى: ﴿ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون﴾ أى: مصون مستور من الشمس والريح، ومن كل ما يذهب صفاءه وبهاءه ويغيره.

قوله تعالى: ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ فى الآية دليل على أن أهل الجنة يجتمعون، ويذكرون أحوال الدنيا ،ويسأل بعضهم بعضًا عن ذلك.

وقوله: ﴿قالوا إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين﴾ أى: وجلين خائفين،فيقال: إن خوفهم ووجلهم هو من يوم القيامة. ويقال: إن خوفهم ووجلهم من أن لا تقبل منهم أعمالهم، وهو فى معنى قوله تعالى: ﴿إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون﴾(١) قالت عائشة: عملوا ما عملوا من الطاعات، وخافوا أن لا تقبل منهم. ويقال: إن المؤمن فى بيته وجل؛ لأنه يحتاج إلى معاشرة أهله وولده، ولابد له مع ذلك أن يتقى الله تعالى، ولا يقول ولا يفعل ما لا يرضاه الله، وهذا هو أشد شىء على المؤمنين أن يكونوا على حذر من ربهم وعلى طلب رضاه منهم(٢) فيما بين أمورهم مع الخلق.

قوله تعالى: ﴿فمن الله علينا﴾ أى: أنعم الله علينا.

وقوله: ﴿ووقانا عذاب السموم﴾ أى: عذاب جهنم، فيقال: إن السموم اسم من أسماء جهنم. ويقال: عذاب السموم أى: عذاب سموم جهنم.

قوله تعالى: ﴿إنا كنا من قبل ندعوه﴾ أى: نوحده ونعبده، والدعاء هاهنا بمعنى

---

(١) المؤمنون: ٥٧.

(٢) كذا فى «الأصل» و «ك»!

فمنَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ
﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ

التوحيد، وعليه أكثر المفسرين. ويقال: إنه الدعاء المعروف.

قوله: ﴿إنه هو البر الرحيم﴾ قرئ بفتح الألف وكسرها، فمن قرأ بالكسر فهو على الابتداء والاستئناف، ومن قرأ بالفتح فمعناه: إنا كنا من قبل ندعوه بأنه هو البر الرحيم أى: لأنه. والبر: هو البار اللطيف بعباده، ولطفه بعباده هو إنعامه عليهم مع عظم جرمهم وذنبهم. والرحيم: هو العطوف على ما ذكرنا. وعن بعضهم :أن البر الذى يصدق وعده لأوليائه.

وعن ابن عباس فى عذاب السموم قال: السموم هو الطبق السابع من النار، وهو الطبق الأعلى. والسموم يكون بالحر ويكون بالبرد.

قال الشاعر:

اليوم يوم بارد سمومه ... من يجزع اليوم فلا ألومه

ويقال: السموم وهج النار.

قوله تعالى: ﴿فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون﴾ قوله: ﴿فذكر﴾ أى: فعظ، ويقال: ذكر عقاب الكافرين، ونعيم المؤمنين.

وقوله: ﴿بكاهن ولا مجنون﴾ الكاهن هو الذى يخبر عن الغيب كذبًا. يقال: تكهن كهانة إذا فعل ذلك. والمجنون: هو الذى زال عقله واختلط.

قوله تعالى ﴿أم يقولون شاعر﴾ يقال: إن «أم» هاهنا بمعنى الاستفهام يعنى: أتقولون شاعر. ويقال: المعنى: بل. قال النحاس: «أو» فى اللغة للخروج من حديث إلى حديث.

وقوله: ﴿شاعر نتربص به ريب المنون﴾ معناه: حوادث الدهر.

وقال الخليل: المنون هو الموت، ذكره ابن السكيت أيضًا. وقيل: هو صرف الدهر،

بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُم
بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لاَّ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ

وقال الشاعر:

أَمِـنَ المنونِ وريبِها نتوجعُ ... والموتُ ليس بمُعْتِبٍ من يجزعُ

والمنون يؤنث ويذكر، فمن ذكَّر فعلى اللفظ، ومن أنث فهو على أنه بمعنى المنية. ويقال: (ريب)(١) المنون الدهر، مكاره الدهر، فقال: رابني(١) كذا أى: أصابني منه ما أكره. وفى التفسير: أن هذا القول قاله أبو جهل وعقبة بن أبى معيط وشيبة بن ربيعة والنضر بن الحارث وغيرهم. قالوا: هو شاعر ننتظر به حوادث الدهر، ونتخلص منه بها كما تخلصنا من فلان وفلان.

قوله تعالى: ﴿ قل تربصوا ﴾ أى: انتظروا.

﴿ فإنى معكم من المتربصين ﴾ أى: المنتظرين، وانتظاره كان [إما](٣) أن يظفر بهم أو يسلموا.

وقوله تعالى: ﴿ أم تأمرهم أحلامهم بهذا ﴾ أى: عقولهم، وكانوا يدعون أنهم ذوو عقول وأحلام. والعقل: هو الداعى إلى الحلم فسماه باسمه. ويقال: إن المعنى من هذا هو تسفيههم وتجهيلهم أى: ليس لهم حلم ولا عقل حيث قالوا مثل هذا القول، وحيث نسبوا إلى الشعر والجنون من دعاهم إلى التوحيد وأتاهم بالبراهين.

وقوله: ﴿ أم هم قوم طاغون ﴾ أى: بل هم قوم طاغون.

قوله تعالى: ﴿ أم يقولون تقوله ﴾ أى: افتراه واختلقه.

وقوله: ﴿ بل لا يؤمنون ﴾ أى: لا يصدقون.

قوله تعالى: ﴿ فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴾ أى: بكتاب مثل ما أتى به

---

(١) فى «ك»: ركب.

(٢) فى «ك»: رابتنى.

(٣) زيارة يقتضيها السابق.

مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾

محمد ﷺ إن كانوا صادقين أنه اختلقه وافتراه. وهذا بمعنى التحدى على ما ذكره فى مواضع كثيرة.

قوله تعالى: ﴿أم خلقوا من غير شيء﴾ فيه قولان: أحدهما أن معناه: أم خلقوا من غير أن يكون لهم خالق وصانع أى: تَكَوَّنوا بأنفسهم.

وقوله: ﴿أم هم الخالقون﴾ أى: خلقوا أنفسهم، والمراد على هذا القول، أنهم إذا لم يدَّعوا أنهم تكَوَّنوا من غير خالق وصانع، ولا ادَّعَوا أنهم هم الذين خلقوا أنفسهم، وأقروا أن خالقهم هو الله، فلا ينبغى أن يعبدوا معه غيره. والقول الثانى أن معناه: أم خلقوا من غير شيء أى: لغير شيء، وهو مثل قوله تعالى: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا﴾(١) ومثل قوله تعالى: ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾(٢) فإن قال قائل: هل يجوز أن يكون «من» بمعنى اللام؟ والجواب: أن بعضهم قد أجاز ذلك، ومن لم يجز قال معناه: أم خلقوا من غير شيء توجبه الحكمة يعنى: أن الحكمة أوجبت خلقهم. ذكره النحاس أيضاً، والأول أظهر فى المعنى.

قوله تعالى: ﴿أم خلقوا السموات والأرض﴾ معناه: أم يدعون خلق السموات والأرض للأصنام التى يعبدونها.

وقوله: ﴿بل لا يوقنون﴾ أى: لا يوقنون بما يدعون. وقيل: أم خلقوا السموات والأرض أى: أهم الذين خلقوا السموات والأرض. ومعناه: أنهم لم يخلقوا السموات والأرض.

وفى التفسير: أنهم كانوا مقرين بأن الله خالق السموات والأرض. فالمعنى: أنهم إذا كانوا مقرين بأن الله هو الخالق فلم يشركون معه غيره؟!.

---

(١) المؤمنون: ١١٥.

(٢) القيامة: ٣٦.

أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن

قوله تعالى: ﴿أم عندهم خزائن ربك﴾ أى: عطايا ربك، ويقال: خزائنه من الرزق والمطر، فهم يملكون ويعطون من شاءوا.

قوله ﴿أم هم المسيطرون﴾ أى: الأرباب المسلطون. قال أبو عبيدة والمعنى: أنهم ليسوا كذلك. يقال: تسيطر الرجل على فلان، إذا حمله على ما يحبه ويهواه.

قوله تعالى: ﴿أم لهم سلم﴾ أى: درج ومرقى.

وقوله: ﴿يستمعون فيه﴾ أى: عليه، وهو مثل قوله تعالى: ﴿ولأصلبنكم فى جذوع النخل﴾(١) أى: على جذوع النخل.

وقوله: ﴿فليأت مستمعهم بسلطان مبين﴾ أى: فليأت من ادَّعى الاستماع منهم بحجة بينة. وفى بعض التفاسير: كما أتى جبريل بالحجة فى أنه قد سمع الوحى.

قوله تعالى: ﴿أم له البنات ولكم البنون﴾ معناه: كيف تقولون أن له البنات وأنتم لا ترضون ذلك لأنفسكم؟ والمعنى: أنه ليس الأمر كما تزعمون.

قوله تعالى: ﴿أم تسألهم أجرًا﴾ أى: جُعْلًا على تبليغ الرسالة.

وقوله: ﴿فهم من مغرم مثقلون﴾ أى: فهم من المغرم الذى لحقهم مثقلون. يقال: لحق فلاناً دين فادح، أو دين ثقيل، فهو مثقل.

قوله تعالى: ﴿أم عندهم الغيب فهم يكتبون﴾ معناه: علم الغيب، ويقال: اللوح المحفوظ، فهم يكتبون منه ما يزعمونه ويدعونه، ومعناه: أنه ليس عندهم ذلك، فقد ادعوا ما ادعوا فقالوا ما قالوا زوراً وكذبًا. ويقال: أم عندهم الغيب أى: كتاب من الله فهم يقولون ما يقولون منه.

قوله تعالى: ﴿أم يُريدون كيداً﴾ أى: كيداً بك، وكيدهم: هو ما دبَّروه فى أمره

(١) طه: ٧١.

مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن

ﷺ ليخرجوه من مكة أو يقتلوه أو يحبسوه.

وقوله: ﴿ فالذين كفروا هم المكيدون ﴾ أى: هم المقتولون، وقد قتلوا ببدر. ويقال معناه: أن كيدنا ومكرنا نازل بهم.

قوله تعالى: ﴿ أم لهم إله غير الله ﴾ فإن قيل: قد كانوا يدعون أن لهم آلهة غير الله، فكيف يصح قوله أم لهم(١) إله غير الله يحى ويميت، ويعطى ويمنع، ويرزق ويحرم؟!.

وقوله: ﴿ سبحان الله عما يشركون ﴾ نزه نفسه عن شركهم، وعما كانوا يعتقدونه من عبادة غيره.

قوله تعالى: ﴿ وإن يروا كسفا من السماء ﴾ أى: جانبا من السماء، أو قطعة من السماء، وإنما قال ذلك لأن بعض الكفار قالوا: ﴿ فأسقط علينا كسفا من السماء إن كنت من الصادقين ﴾(٢). والمعنى أنه [لو](٣) سقط عليهم جانب من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا: إنما سكرت أبصارنا.

قوله تعالى: ﴿ فذرهم حتى يلاقوا يَوْمَهُم الذى فيه يَصعِقون ﴾ وقرئ:(٤) « يُصعَقون » يعنى: يموتون. ويقال: هو يوم القيامة، ويصعقون هو نزول العذاب بهم.

قوله تعالى: ﴿ يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئا ﴾ أى: حيلتهم.

وقوله: ﴿ ولا هم ينصرون ﴾ أى: لا يمنع منهم العذاب. ويقال: لا يكون لهم ناصر يدفع عنهم.

قوله تعالى: ﴿ وإن للذين ظلموا عذابًا دون ذلك ﴾ الأكثرون على أنه عذاب

(١) فى «ك»: معهم.
(٢) الشعراء: ١٨٧.
(٣) زيارة يقتضيها السياق.
(٤) النشر فى القراءات العشر (٢/ ٣٧٩).

يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ

لقبر. وعن مجاهد: أنه الجوع في الدنيا. ويقال ﴿أكثرهم لا يعلمون﴾ أى: لا يعلمون أن العذاب نازل بهم، فهذا دليل على أنه قد كان فيهم من هو متعنت يعرف وينكر.

قوله تعالى: ﴿واصبر لحكم ربك﴾ أى: لما حكم عليك، وهذا تعزية وتسلية له ﷺ فى الأذى الذى كان يلحقه من الكفار.

وقوله: ﴿فإنك بأعيننا﴾ قال ابن عباس: بمرأى منا، ويقال: نحن نراك ونحفظك ونرعاك. قال أهل المعانى: وهذا إنما قاله لتيسير الأمر عليه وتسهيله، لأنه إذا علم أن الأذى الذى يلحقه من الكفار بحكم الله ومرأى منه، سهل عليه بعض السهولة، فإنه لا يترك مجازاتهم على ذلك وإثابته على ما لحقه من الأذى.

وقوله: ﴿وسبح بحمد ربك﴾ أى: صل حامداً لربك.

وعن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أن معناه: هو أنه إذا قام إلى الصلاة يقول: سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك.

وعن بعضهم أنه إذا قام إلى الصلاة يقول: الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلا، فهو المراد من الآية، قاله زر بن حبيش. وقال أبو الأحوص معناه: أنه يقول: سبحانك وبحمدك إذا قام [من](١) أى مجلس كان. وعن بعضهم أنه يقول: إذا قام من المجلس: سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، استغفرك وأتوب إليك. فهو كفارة لكل مجلس جلسه الإنسان.

وقوله: ﴿حين تقوم﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿ومن الليل فسبحه﴾ أى: صل له، ويقال: إنه صلاة المغرب

(١) زيارة يقتضيها السياق

لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾

والعشاء. قال مجاهد: هو الليل كله.

وقوله: ﴿وإدبار النجوم﴾ قال علي وابن عباس: هو الركعتان قبل الصبح. وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها»(١).

فعلى هذا معنى «أدبار السجود» ركعتا المغرب، قاله ابن عباس، «وإدبار النجوم» ركعتا الصبح، وإنما سماهما إدبار النجوم لأن الرجل يصليهما عندما يزول سلطان النجوم من الضوء، كالرجل يدبر عن الشيء فيزول سلطانه عنه. ويقال: معنى قوله: ﴿وإدبار النجوم﴾ هو التسبيح بعد صلاة الصبح.

(١) رواه مسلم (٦/ ٧-٨ رقم ٧٢٥)، والترمذى (٢/ ٢٧٥ رقم ٤١٦) وقال: حسن صحيح، والنسائى (٣/ ٢٥٢)، وأحمد (٦/ ٥٠ - ٥١، ١٤٩، ٢٦٥)، وابن أبى شيبة (٢/ ٢٤١)، وابن خزيمة (٢/ ١٦٠ رقم ١١٠٧)، وابن حبان (٦/ ٢١١ رقم٢٤٥٨)، والحاكم (١/ ٣٠٦ - ٣٠٧)، وأبو عوانه (٢/ ٢٧٣)، والبيهقى (٢/ ٤٧٠) عن عائشة مرفوعا به.

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾

تفسير سورة والنجم

وهى مكية، وفى قول بعضهم إلا قوله تعالى: ﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم﴾(١) الآية. قال: هى نزلت بالمدينة.

وهذه السورة أول سورة أعلنها النبى ﷺ وقرأها جهراً عند المشركين.

قوله تعالى: ﴿والنجم﴾ قال ابن عباس فى رواية الوالبى هو الثريا، [وهى] إحدى الروايتين عن مجاهد. وروى أسباط عن السدى: أنه الزهرة. وعن ابن عباس فى رواية أخرى، وهو قول جماعة: أن المراد به القرآن أنزل نجماً نجماً فى عشرين سنة. وقيل: فى ثلاث وعشرين سنة.

والقول الرابع: قول قتادة وغيره أنه جميع النجوم فى السماء، عبر عنها باسم الجنس، وهذا أظهر الأقاويل؛ لأنه يطابق اللفظ من كل وجه. ويجوز أن يذكر النجم بمعنى النجوم.

قال [عمر](٢) بن أبى ربيعة:

أحسن [النجم](٣) فى السماء الثريا والثريا فى الأرض زَيْنُ النساءِ

ومعناه: أحسن النجوم.

وقوله: ﴿إذا هوى﴾ أى: غاب وغار هذا إذا حملناه على النجم المعروف، وأما إذا حملناه على نجوم القرآن؛ فمعناه: إذا نزل يعنى: نزل جبريل عليه السلام.

وعن بعضهم أنه قال: ﴿والنجم إذا هوى﴾ أى: تساقطت يوم القيامة أى:

---

(١) النجم: ٣٢.

(٢) فى «الاصل، وك»: عمرو، وهو تحريف.

(٣) من تفسير القرطبى (١٧/ ٨٢).

مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾

النجوم، وهو فى معنى قوله تعالى: ﴿وإذا النجوم انكدرت﴾(١) أى: انتثرت. وعن بعضهم: ﴿إذا هوى﴾ معناه: انقضاضها فى أثر الشياطين، وهو الرمى بالشهب على ما ورد به القرآن فى مواضع كثيرة.

قوله تعالى: ﴿ما ضل صاحبكم وما غوى﴾ الآية الأولى وردت على وجه القسم، ومعناه: ورب النجم.

وقوله: ﴿ما ضل صاحبكم﴾ على هذا وقع القسم، وكانت قريش يقولون: إن محمداً ضال غاوٍ، فأقسم الله تعالى أنه ما ضل وما غوى، أى: ما أخطأ [طريقًا](٢) ﴿وما غوى﴾ أى: ما خرج عن الرشد فى أمر دينه ودنياه، والغى. ضد الرشد. ويقال: ما غوى أى: ما خاب سعيه فيما يطلبه. كأنه أشار إلى وجود ما هو فى طلبه.

قال الشاعر:

ومن يلقَ خيراً يَحْمَدَ الناسُ أمْرَه ... ومن يغوِ لا يَعْدَم على الغَيِّ لائما

أى: من خاب سعيه، ولم(٣) يجد ما يطلبه.

قوله تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى﴾ قال أبو عبيدة: بالهوى. وقال غيره: ما ينطق عن هواه أى: ما ينطق بغير الحق؛ لأن من اتبع الهوى فى قوله قال بغير الحق.

وقوله: ﴿إن هو إلا وحى يوحى﴾ الوحى فى اللغة: إلقاء الشىء إلى النفس خُفْيَة، وهو فى عرف أهل الإسلام عبارة عما ينزله الله تعالى على الأنبياء، ومن الأنبياء التبليغ إلى الخلق.

قوله تعالى: ﴿علمه شديد القوى﴾ أكثر أهل التفسير على أن المراد به جبريل عليه السلام، وهو الذى علم الرسول ما أنزله الله تعالى عليه.

---

(١) التكوير: ٢.

(٢) فى «الأصل، وك»: طريق، وهو خلاف الجادة.

(٣) فى «ك»: ولا.

ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾

وروى عباد بن منصور عن الحسن البصرى أن قوله: «علمه شديد القوى» هو الله تعالى. والقوى جمع القوة. قال ابن عباس: من قوة جبريل أنه أدخل جناحه تحت الأرض السابعة، وقلع مدائن لوط، ورفعها إلى السماء، ثم قلبها. وعن كعب الحبر(١): أن إبليس تعرض لعيسى -عليه السلام- على عقبة من الأعقاب، وقصده، فنفخه جبريل بجناحه نفخة ألقاه إلى الهند.

قوله تعالى: ﴿ذو مرة فاستوى﴾ قال الحسن: ذو مرة أى: ذو منظر حسن. وقال غيره -وهو الأولى- ذو قوة. يقال: حبل مرِّى أى: محكم الفتل.

وقوله: ﴿فاستوى﴾ أى: فاستوى جبريل فى أفق السماء على صورته التى خلق فيها. وكذا قول ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وقتادة وعلقمة وقرة بن شراحيل وأكثر أهل التفسير. وعن الحسن البصرى: أنه الله تعالى، والأصح هو الأول.

قوله تعالى: ﴿وهو بالأفق الأعلى﴾ هو الأفق الذى تطلع من جانبه الشمس. وقيل: الذى يجىء منه النهار. والأفق: جوانب السماء. ويقال بالأفق الأعلى أى: بالسماء. وفى الأخبار: «أن جبريل -عليه السلام- أظهر نفسه للنبى ﷺ على صورته التى خلق عليها، وقد سد الأفق»(٢).

وفى بعض الروايات: رأسه فى السماء ورجلاه فى الأرض، فقد ملأ بجناحيه ما بين المشرق والمغرب.

قوله تعالى: ﴿ثم دنا﴾ أى: دنا جبريل من النبى عليه الصلاة والسلام.

وقوله: ﴿فتدلى﴾ أى: زاد فى الدنو. وقال بعضهم: قوله: ﴿ثم دنا فتدلى﴾ على التقديم والتأخير.

وقوله: ﴿تدلى﴾ أى: هوى وأرسل نفسه من السماء، ثم دنا أى: دنا جبريل من

(١) فى «ك»: الأخبار.

(٢) تقدم تخريجه.

فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾

النبى ﷺ، وصار ما بينهما قاب قوسين أو أدنى، وهو معنى قوله: ﴿ فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾ أى: كان (بينهما)[١] مقدار قوسين أو أقل من ذلك، وقاب لغة يمانية فى هذا المعنى، قال الشاعر:

(ألم تعلموا أن رشيمة لم تكن لتبخسنا من وراء قاب إبهام)[٢]

وعن عائشة -رضى الله عنه- قاب نصف الإبهام. وروى أسباط عن السدى أن قوله[٣]: ﴿ فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾ أى: قدر ذراعين. وقال مجاهد: من الوتر إلى المِقْبَض. وقيل: من السية[٤] إلى السية، فإن قيل: إذا حملتم هذا على جبريل، فكيف تقدير الآية؟ والجواب: أن معناه: «أن جبريل لما استوى فى الأفق الأعلى على صورته غشى على النبى ﷺ»[٥] وهو مروى فى الأخبار من عظم ما رأى، فانتقل جبريل من صورته إلى الصورة التى كان يلقى النبى ﷺ فيها، وهو صورة رجل، ودنا من النبى ﷺ، وهو معنى قوله: ﴿ ثم دنا ﴾ ثم نكس رأسه إليه، بمعنى قوله: ﴿ فتدلى ﴾ وضمه إليه، فسكنه من روعته.

فإن قيل: ما معنى قوله: ﴿ فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾ [و][٦]«أو» كلمة تشكيك، ولا يجوز الشك على الله تعالى. وإن كان بمعنى الواو، فكان ينبغى أن يقول: فكان منه أدنى[٧] من قاب قوسين، وأيضاً فقد قال: ﴿ قاب قوسين أو أدنى ﴾ وأىُّ معنى لذكر القوسين هاهنا وتخصيصهما بالذكر، وقد كان يمكنه تمثيله وتشبيهه بشىء واحد غير القوس فلا يحتاج إلى ذكر القوسين؟ والجواب: أن القرآن نزل بلغة العرب على ما كانوا يتخاطبون به، ويفهم بعضهم من بعض، فعلى هذا

(١) فى «ك»: ما بينهما.
(٢) كذا.
(٣) فى «ك»: أنه قال.
(٤) فى «ك»: الشية. وسية القوس: ما عطف من طرفيها، وجمعه: سيات. انظر ترتيب القاموس (٢/ ٦٦٠).
(٥) تقدم تخريجه.
(٦) زيادة يقتضيها السياق.
(٧) فى «ك»: أوفى، وهو خطأ.

نزلت الآية، إنكم لو رأيتموه لقلتم إن القُرْب الذى بينهما قاب قوسين أو أدنى أو أنقص، وقيل: أزيد أو أنقص، وأما ذكر القوس فهو على ما كانوا يعتادونه، وقرب القوس من الوتر معلوم. ويقال: إن القوسين هاهنا بمعنى القوس الواحد، وقد ذكرنا أن الشيء الواحد يذكر بلفظ التثنية. والظاهر أن المراد منه القوسان على الحقيقة، وهو غير مستنكر فى لغة العرب، ولا يستبعد.

القول الثانى فى الآية: أن قوله ﴿ ثم دنا ﴾ أى: دنا محمد ﷺ من ربه.

وقوله: ﴿ فتدلى ﴾ أى: زاد فى الدنو. وفى رواية مالك بن صعصعة(١) أن النبى ﷺ [قال]: « بينا أنا قاعد إذ أتانى جبريل فلكزنى بين كتفى، فقمت فإذا شجرة عليها شبه وكرين، فجلست فى أحدهما، وجلس جبريل فى الآخر، وارتفعنا إلى السماء، ورأيت نوراً عظيماً، ونظرت فإذا جبريل كالحلس فعرفت فضل خشيته على خشيتى، ولَطَّ دوننا الحجاب »(٢). وفى بعض الروايات قال: « فارقنى جبريل، وهدأت الأصوات، وسمعت من ربى: ادن يامحمد ». وقد ذكر هذا اللفظ فى الصحيح(٣)، وهو دنو محمد من ربه ليلة المعراج.

والقول الثالث: أن معنى قوله: ﴿ ثم دنا ﴾ أى: دنا الرب من محمد، وهو لفظ ثابت أيضاً، وهو على ما شاء الله.

وقوله: ﴿ فتدلى ﴾ أى: زاد فى الدنو، والمعروف عند الأكثرين القول الأول، وهو الأسلم.

---

(١) كذا، ولم نقف على الحديث إلا من رواية أنس، ونصَّ البزار على تفرده به.

(٢) رواه البزار (١/ ٩٤ - ٩٥ رقم ٣٤ - مختصر البزار)، والطبرانى فى الأوسط (١/ ٩٩ رقم ٥٩ مجمع البحرين)، وأبو الشيخ فى العظمة (رقم ٣٠٤ و ٣٦٢)، وأبو نعيم فى الحلية (٢/ ٣١٦)، والبيهقى فى الدلائل (٢/ ٣٦٨ - ٣٦٩)، وفى الشعب (١/ ٤٢٨ - ٤٣٠ رقم ١٥٣) جميعهم عن أنس مرفوعاً به.
وذكره الحافظ ابن حجر فى تلخيص البزار وقال: إنه من مناكير الحارث بن عبيد، وقال الحافظ ابن كثير فى تفسيره (٤/ ٢٢٨) بعد ما ذكر ما ضعف به الحارث: فهذا الحديث من غرائب رواياته؛ فإن فيه نكارة وغرابة ألفاظ وسياقا عجيبا.

(٣) تقدم، وهو من رواية شريك عن أنس.

فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿ فأوحى إلى عبده ما أوحى ﴾ فيه قولان: أحدهما: فأوحى جبريل إلى عبد الله ما أوحى، وهو محمد ﷺ.

والقول الثاني: فأوحى إلى عبده ما أوحى أى: أوحى الله تعالى إلى محمد ما أوحى. وفي الأخبار: أنه كان مما أوحى الله إليه أنه فرض على هذه الأمة خمسين صلاة في اليوم والليلة ثم ردت إلى الخمس، [ومما] أوحى إليه أيضًا خواتيم سورة البقرة، ومما أوحى إليه تلك الليلة أنه غفر لأمته المقحمات ما لم يشركوا بالله»(١) يعنى: يغفر.

قوله تعالى: ﴿ ما كذب الفؤاد ما رأى ﴾ قال المفسرون معناه: رأى شيئًا، وصدق فيما أخبر عن رؤيته. ويقال: ما كذب الفؤاد ما رأى أى: رأى الفؤاد ما رآه حقيقة، ولم يكن على تخييل وحسبان.

تقول العرب: كذبتْ فلاناً عينُه: إذا تخيل له الشيء على غير حقيقته.

قال أبو معاذ النحوى: يقال: ما كذب فلان الحديث. أى: ما كذب فيه.

وقرئ: ﴿ ما كذَّب الفؤاد ما رأى ﴾ من التكذيب، والأول أولى، قال الشاعر:

كذبتك عينك أو رأيت بواسطة ... غلس الظلام من الرباب(٢) خيالا(٣)

ويقال: ما كذب الفؤاد العين أى: لم توهمه أنه علم شيئًا ولم يعلمه. وقد ثبت عن ابن عباس -رضى الله عنه- أنه قال: رأى محمد ربه بفؤاده مرتين. فإن قال قائل: المؤمنون يرونه بفؤادهم، وليس ذلك إلا العلم به، فما معنى تخصيص النبى ﷺ؟

---

(١) رواه مسلم (٣/ ٣-٤ رقم ١٧٣)، والترمذى (٥/ ٣٦٦ - ٣٦٧ رقم ٣٢٧٦)، والنسائى (١/ ٢٢٣ - ٢٢٤رقم ٤٥١)، وأحمد (١/ ٣٨٧) من حديث عبد الله بن مسعود مرفوعا بنحوه.

(٢) فى «ك»: غلس الذياب من الظلال خياما، وهوخطأ، والرباب هو السحاب (لسان العرب ١/ ٤٠٢).

(٣) كذا فى النسختين، والبيت للأخطل، ونصه كما أورده ابن منظور فى لسان العرب (١/ ٧٠٦):

كذبتك عينك أم رأيت بواسط ... غلس الظلام من الرباب خيالا

أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾

والجواب: أنهم قالوا: إن الله تعالى خلق رؤية لفؤاده، فرأى بفؤاده مثل ما يرى الإنسان بعينه. وعلى القول الأول الرؤية منصرفة إلى جبريل.

قوله تعالى: ﴿أفتمارونه على ما يرى﴾ يعنى: أفتجادلونه، وكانت مجادلتهم مجادلة الشاكين المكذبين. وقد روى أنهم استوصفوه مسجد بيت المقدس، واستخبروه عن عِيرِهم فى الطريق وقربها من مكة. وقرئ: «أَفَتَمْرُونَهُ على ما يرى» أى: أفتجحدونه، قال الشاعر:

لئِن هجرت أخا صِدقٍ ومَكْرُمَةٍ　　　فقد مَرَيْتَ أخًا ما كان يَمْرِيكَا

أى: جحدت.

قوله تعالى: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ أى: رأى جبريل -عليه السلام- نزلة أخرى أى: مرة أخرى. فإن قيل: قد كان رآه كثيرًا، فما معنى نزلة أخرى؟ والجواب: أنه لم ير جبريل فى [صورته التى خلق عليها](١) إلا مرتين: مرة بالأفق الأعلى، وكان ذلك عند ابتداء الوحى، وقال أهل المعانى: كان ذلك شبه آية أراها النبى ﷺ ليعلم أنه من الله. والمرة الثانية رآه عند سدرة المنتهى ليلة المعراج كما قال: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى﴾ والسدرة شجرة النبق. وفى التفسير: أنها فى السماء السابعة، ويقال: فى السادسة. وعن عكرمة :هى على يمين العرش.

وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «رُفعت لى سدرة المنتهى فإذا نبقها كقلال هَجَر، وأوراقها كآذان الفيلة، يخرج من أصلها أربعة أنهار: نهران ظاهران، ونهران باطنان»(٢). على ما بينا.

واختلف القول فى معنى المنتهى، قال بعضهم: ينتهى إليها علم الملائكة، ولا يعلمون ما وراء ذلك، وهو القول المعروف.

(١) فى «الأصل»: صورة التى خلق فيها. والمثبت من «ك».

(٢) تقدم تخريجه.

والقول الثاني : ينتهى إليها ما يصعد إلى السماء، وينتهى إليها ما يهبط من فوق .

وفى بعض الأخبار : أن الملائكة تصعد بأعمال بنى آدم حتى إذا انتهوا إلى سدرة قبضت منهم، ولم يعلموا ما وراء ذلك .

وقد ذكر أبو عيسى القول الثاني الذى ذكرنا مسنداً إلى النبى ﷺ(١) .

والقول الثالث : أن معنى المنتهى أنه ينتهى إليها مقام جبريل . وفى الآية قول آخر : وهو أن معنى قوله : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ أى : رأى محمد ربه نزلة أخرى، وقد ذكرنا قول ابن عباس من قبل .

واختلف أصحاب رسول الله ﷺ ورضى عنهم فى هذا، فقال ابن مسعود وجماعة : إنه رأى جبريل ولم ير الله تعالى .

وعن مسروق قال : قالت عائشة -رضى الله عنها- من زعم ثلاثًا فقد أعظم الفرية، من زعم أن محمداً يعلم ما فى غد فقد أعظم الفرية؛ قال الله تعالى : ﴿ إن الله عنده علم الساعة ﴾(٢) وذكرت الآية، ومن زعم أن محمداً كتم من الوحى فقد أعظم الفرية؛ قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾(٣) ومن زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم الفرية، قال الله تعالى : ﴿ لا تدركه الأبصار . . . ﴾(٤) الآية(٥) .

وروى عكرمة عن ابن عباس : « أن محمداً ﷺ رأى ربه ليلة المعراج بعينه »(٦) . وهو قول أنس وكعب الأحبار وجماعة كثيرة من التابعين منهم : الحسن، وعكرمة : أن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى، فكلم موسى مرتين، ورأى محمد ربه

---

(١) هو حديث عبد الله بن مسعود المتقدم قبل حديث .

(٢) لقمان : ٣٤ .

(٣) المائدة : ٦٧ .

(٤) الأنعام : ١٠٣ .

(٥) تقدم تخريجه .

(٦) عزاه السيوطى فى الدر (٦ / ١٣٧) لابن مردويه .

﴿عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾﴾

مرتين. وهذا قول جماعة من الأئمة منهم أحمد بن حنبل، وإسحاق، وغيرهما. وفى بعض الروايات: جعلت الخلة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد ﷺ.

فإن قيل: كيف تجوز الرؤية على الله تعالى فى الدنيا؟ والجواب: أنه لم يكن فى الدنيا، وإن كان فى الدنيا فكل ما فعل الله تعالى وأكرم به نبيًا من أنبيائه فجائز بلا كيف.

وفى رواية [زرين](١) حبيش عن ابن مسعود فى معنى الآية «أن النبى ﷺ رأى جبريل وله ستمائة جناح» والخبر صحيح(٢). وقد ثبت برواية عكرمة عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال: «رأيت ربى فى أحسن صورة(٢)» والله أعلم.

قوله: ﴿عندها جنة المأوى﴾ أى: يأوى إليها المؤمنون يوم القيامة، ويقال: تأوى إليها أرواح الشهداء. وقيل: [تأوى](٣) إليها الملائكة.

قال سفيان بن عيينة: كالغربان يقعن على الشجر. وفى الآية دليل على أن الجنة فى السماء وأنها مخلوقة، ومن زعم أنها غير مخلوقة فهو كافر بهذه الآية.

وعن على بن أبى طالب -رضى الله عنه- قال: جنة المأوى جنة المبيت. وعن بعضهم: جنة المثوى والمقام. وعن بعضهم: يأوى إليها جبريل والملائكة المقربون.

قال كعب الأحبار: هى جنة فيها طير خضر فى حواصلها أرواح الشهداء.

قوله تعالى: ﴿إذ يغشى السدرة ما يغشى﴾ قال ابن مسعود: يغشاها فراش من ذهب. وعن الحسن: يغشاها نور الرب تعالى. فى بعض الأحاديث: أن الملائكة استأذنوا لربهم أن ينظروا إلى محمد ﷺ ليلة المعراج، فأذن لهم، فاجتمعوا على السدرة(١).

---

(١) سقط من «الأصل، وك»، والمثبت هو الصواب كما سبق فى تخريجنا للحديث.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) من «ك».

وفى هذا الحديث أن النبى ﷺ قال: «رأيت على كل ورقة منها ملكا قائما يسبح الله تعالى»[2]. أورده أبو الحسن[3] بن فارس قال: فهو معنى قوله: ﴿إذ يغشى السدرة ما يغشى﴾ وفى بعض الروايات: يغشاها جراد من ذهب. واعلم أن السدرة شجرة تجمع ثلاثة أشياء: الظل المديد، والطعم اللذيذ، والرائحة الطيبة، كذلك الإيمان يجمع ثلاثة أشياء: النية، والقول، والعمل. واعلم أنا قد ذكرنا اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ ورضى عنهم فى أنه هل رأى ربه ليلة المعراج أو لا؟

وذكر أبو الحسين بن فارس فى تفسيره آثاراً سوى ما ذكرناها؛ فحكى عن ابن عمر أن الله تعالى احتجب عن خلقه بنور وظلمة ونار. وروى عن [أبى][4] العالية الرياحى - رحمه الله - أن النبى ﷺ قال: «رأيت ليلة المعراج نهراً، ورأيت وراءه حجاباً، ورأيت وراء الحجاب نوراً، ولا أدرى ماوراء ذلك»[5]. وروى عن محمد بن كعب القرظى «أن النبى ﷺ رأى ربه بفؤاده كما يرى بالعين».

وفى رواية أبى ذر «أن النبى ﷺ سئل هل رأيت ربك؟ فقال: نور أنى أراه»[6]. فالروايات مختلفة فى الباب، والله أعلم بالصواب من ذلك. وينبغى أن يقال: إن ثبت النقل أنه رأى ربه نحكم بالرؤية ونعتقدها، وإن لم يثبت النقل فالأمثل أنه لم ير.

قوله تعالى: ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾ فى التفسير أن معناه: لم يلتفت يميناً ولا

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر (٦/ ١٣٩) لعبد بن حميد من حديث سلمة بن وهرام قوله.

(٢) رواه ابن جرير فى تفسيره (٢٧/ ٣٣) عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم مرسلا.

(٣) كذا فى النسختين، والصواب أبو «الحسين»، وهو أحمد بن فارس بن زكريا القزوينى اللغوى المعروف بالرازى وصاحب كتاب جامع التأويل فى تفسير التنزيل، وسيأتى على الصواب بعد أسطر قليلة، وانظر ترجمته من السير (١٧/ ١٠٣ - ١٠٦)، وهدية العارفين (٦٨ - ٦٩) وغيرهما.

(٤) من «ك»، وفى «الأصل»: ابن، وهو تحريف.

(٥) عزاه السيوطى فى الدر (٦/ ١٣٨) لابن المنذر وابن أبى حاتم فى تفسيريهما.

(٦) رواه مسلم (٣/ ١٥ - ١٦ رقم ١٧٨)، والترمذى (٥/ ٣٦٩ رقم ٣٢٨٢) وقال: حسن، وأحمد فى مسنده (٥/ ١٥٧، ١٧١، ١٧٥)، وابن خزيمة فى التوحيد (٢٠٥ - ٢٠٧)، وابن أبى عاصم فى السنة (١/ ١٩٢ رقم ٤٤١)، وأبو نعيم فى الحلية (٩/ ٦١)، والبغوى فى تفسيره (٤/ ٢٤٧) من حديث أبى ذر مرفوعا بنحوه.

مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾

شمالا . ويقال معناه : ما قصر عما أمر بالنظر إليه، وما جاوز بصره فى النظر إلى غير ما أمر به بالنظر . ومعنى الزيغ فى اللغة : هو الميل به، ومعنى الطغيان : هو التجاوز .

قوله تعالى : ﴿ لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ قال ابن مسعود : أى : جبريل وله ستمائة جناح قد سد الأفق . وفى رواية ينتثر من ريشه الدر والياقوت (والتعاويذ)[1] . وفى رواية أخرى عن ابن مسعود : أنه رأى رفرفاً أخضر قد ملأ الأفق .

وتقدير الآية : « رأى من آيات ربه الآية الكبرى » . وقيل : رأى من آيات ربه الكبرى، أى : النور الذى رآه فى تلك الليلة .

قوله تعالى : ﴿ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ﴾ معناه : أفرأيتم هذه الأصنام التى تعبدونها، هل تملك شيئاً مما ذكر الله تعالى؟ أو هل لها من العلو والرفعة والقدرة مثل ما ذكرنا؟ .

وأما تفسير هذه الأصنام : « فلات » صنم كانت ثقيف تعبده، وقيل : إنه كان صخرة . وأما « العزى » فشجرة كانت تعبدها غطفان وجشم وسُلَيم . ويقال : كان بيت عليه سدنة، وكانت العرب قد علقوا عليه السوار، وزينوه بالعهن وما يشبهه . وقد روى عن النبى ﷺ « أنه بعث خالد بن الوليد ليهدم العزى فقطع شجرات ثم، وهدم بعض الهدم، فرجع إلى النبى ﷺ وأخبره، فقال : هل رأيت شيئاً؟ فقال : لا . قال : إنك لم تفعل، عد، فعاد وبالغ فى الهدم وقتل السدنة، وكانوا يقولون : يا عزى عوزيه، يا عزى خبليه . قال : فخرجت امرأة عريانة من جوف العزى، ناشرة شعرها، تدعو بالويل والثبور، وتحثو التراب على رأسها، فعمها خالد بالسيف وقتلها، ورجع

---

(١) كذا فى النسختين، والصواب . التهاويل، وهى الأشياء المختلفة الألوان . النهاية فى غريب الحديث (٥ / ٢٨٣) . وهو كذلك عند أحمد وغيره كما تقدم .

إلى النبى ﷺ وذكر له ذلك. فقال: تلك العزى لا تعبد بعد اليوم »(١). وهذا خبر معروف. وأما « مناة » صنم كان « بقُدَيد » بين مكة والمدينة. ويقال: بالمُشَلَّل.

قال أهل التفسير: وإنما قال: ﴿ ومناة الثالثة الأخرى ﴾ لأنهم كانوا يعتقدون أن مناة دون اللات والعزى. وفى التفسير: أن « اللات » كان رجل يلت السويق على حجر، فكان كل من يأكل منه سمن، فلما مات عبدوه، واتخذوا حجراً (بصورته)(٢).

قال الشاعر:

لا تعبدوا اللات إن الله مهلكها وكيف ينصركم من ليسَ ينْتَصِرُ

واعلم أنا قد ذكرنا فى سورة الحج: « أن النبى ﷺ قرأ هذه السورة على المشركين، فلما بلغ هذه الآية ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى »(٣). رواه سعيد بن جبير. وغيره عن ابن عباس قال: « فلما قرأ (كذلك)(٤) فخرج المشركون وقالوا: ما كنا نطلب منك إلا هذا، وهو أن لا تعيب آلهتنا ولا تسبها، وتعلم أن لها شفاعة يوم القيامة. لما بلغ آخر السورة سجد النبى ﷺ وسجد المسلمون والمشركون جميعًا، ثم إن جبريل أتاه وأمره أن يقرأ عليه السورة، فقرأ كما قرأ على المشركين، فقال: إن هذا لم أنزله عليك، واستخرج ذلك من قراءته، وحزن النبى ﷺ بذلك حزنًا شديداً حيث عمل الشيطان على لسانه ما عمل، فأنزل الله تعالى مسليًّا ومعزيا له: ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته . . . ﴾(١) الآية. ثم إن الرسول لما رجع عما سمع منه، وعاد إلى

---

(١) رواه النسائى فى الكبرى (٦ / ٤٧٤ رقم ١١٥٤٧)، وأبو يعلى (٢ / ١٩٦ - ١٩٧ رقم ٩٠٢)، ومن طريقه رواه البيهقى فى الدلائل (٥ / ٧٧) عن أبى الطفيل عامر بن واثلة به.

وقال الهيثمى فى المجمع (٦ / ١٧٩): رواه الطبرانى، وفيه يحيى بن المنذر، وهو ضعيف.

وفى الباب أحاديث عن ابن عباس وغيره، وانظر تخريج الكشاف (٣ / ٣٨٢ - ٣٨٤).

(٢) فى « ك »: لصورته.

(٣) وهذا حديث باطل، وقد تقدم تخريجه.

(٤) فى « ك »: ذلك.

أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم

سب آلهتهم وعيبها، عاد المشركون إلى ما كانوا عليه»(٢).

وفى القصة: أنه كان قد وصل ذلك الخبر إلى الحبشة، أن المسلمين والمشركين قد اتفقوا، وأن الكفار قد سجدوا بسجود النبى ﷺ حتى الوليد بن المغيرة، وقد كان شيخهم وكبيرهم فرفع التراب إلى جبهته وسجد عليه، فرجع المسلمون من الحبشة، فلما صاروا فى بعض الطريق بلغهم الخبر فرجعوا إلى الحبشة.

قوله تعالى: ﴿ألكم الذكر وله الأنثى﴾ هذا على طريق الإنكار عليهم، لأنهم كانوا يقولون: هذه الأصنام على صور الملائكة، والملائكة بنات الله، وهذا قول بعضهم.

وقوله: ﴿تلك إذاً قسمة ضيزى﴾ أى: جائرة. وحقيقة المعنى: أنكم إذا كرهتم البنات لأنفسكم فأولى أن تكرهوها لله تعالى.

وقد حكى أهل اللغة هذه الكلمة عن العرب على أربعة أوجه: ضيزى، وضوزى بغير همزة، وضأزَى، وضازِى بغير همزة، وهذه اللغات وراء ما ورد به التنزيل.

قوله تعالى: ﴿إن هى إلا أسماء سميتموها أنتم وأباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان﴾ أى: حجة. وعن ابن عباس: أن كل سلطان فى القرآن فهو بمعنى الحجة.

وقوله: ﴿إن يتبعون إلا الظن﴾ فى بعض الآثار: أن المؤمن أحسن العمل فحسن ظنه، وأن المنافق أساء العمل فساء ظنه. وفى بعض الأخبار: «أكذب الحديث هو الظن».

(١) الحج: ٥٢.

(٢) وهذا حديث باطل، وقد تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ الآخِرَةُ وَالأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴿٢٦﴾ إِنَّ

وقوله: ﴿وما تهوى الأنفس﴾ أى: ما تدعوا إليه هو النفس.

وقوله: ﴿ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ أى: طريق الرشد والحق.

وقوله تعالى: ﴿أم للإنسان ما تمنى﴾ معناه: أللإنسان ما تمنى؟ أى: ليس له ما تمنى. واعلم أن الأمنية مذمومة، والإرادة محمودة، والفرق بينهما أن الأمنية شهوة لا يصدقها العمل، والإرادة هو ما يصدقه العمل. وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ أنه قال: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والفاجر من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله المغفرة»(١). وعن بعضهم: الأمانى رأس مال المفاليس.

وقوله: ﴿فلله الآخرة والأولى﴾ أى: الملك فى الآخرة والأولى.

قوله تعالى: ﴿وكم من ملك فى السموات﴾ روى عن كعب الأحبار أنه قال: ما من موضع شبر فى السماء إلا وفيه ملك قائم أو ساجد.

وقد روى مثل هذا فى الأرض أيضاً عن غيره. وكم فى اللغة للتكثير.

وقوله: ﴿لا تغنى شفاعتهم شيئًا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى﴾ والمعنى: أنهم لا يملكون الشفاعة لأحد حتى يأذن الله فيه ويرضاه. وفى بعض التفاسير: أن هذا جواب لقول المشركين: إن الغرانقة تشفع يوم القيامة عند الله تعالى، وهى الأصنام، فأخبر الله تعالى أن أحداً لا يملك الشفاعة إلا بإذن الله تعالى ورضاه فى ذلك.

قوله تعالى: ﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى﴾ هو قولهم للأصنام وتسميتهم إياها – اللات، والعزى، ومناة – تسمية الإناث. وكانوا يقولون: إن هذه الأصنام على صورة الملائكة.

---

(١) تقدم تخريجه.

الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلائِكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن

وقوله: ﴿ وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئاً ﴾ أى: لا ينوب على الحق أبداً.

قوله تعالى: ﴿ فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ﴾ يقال: إن هذه الآية نزلت قبل نزول آية السيف، ثم نسختها آية السيف.

وقوله: ﴿ ذلك مبلغهم من العلم ﴾ أى: لا يعلمون إلا أمر المعاش فى الحياة الدنيا. وعن الحسن البصرى قال: رب رجل ينقر درهماً بظفره - فيذكرونه - ولا يخطئ فيه، وهو لا يحسن يصلى.

وقوله: ﴿إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى ﴾ أى: يعلم المهتدى والضال، والمؤمن والكافر، ولا يخفى عليه شيء من أمرهم.

وقوله: ﴿ ولله ما فى السموات وما فى الأرض ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ﴾ أى: بالجنة.

قوله تعالى: ﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش﴾ وقرئ: «كبير الإثم» وقد بينا معنى الكبائر من قبل. وقيل: إنه كل ما أوعد الله عليه بالنار. والفواحش: المعاصى.

وقوله: ﴿إلا اللمم ﴾ قال ابن عباس وغيره: وهو أن يلم بالذنب ثم يتوب منه. أى: يفعل ذلك مرة ولا يصر عليه. وعنه أيضاً أنه قال: ما رأيت شيئا أشبه باللمم مما رواه أبو هريرة أن النبى ﷺ قال: «إن الله تعالى كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اليد اللمس، والنفس تمنى وتشتهى، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه»(١). وهو حديث صحيح.

(١) متفق عليه، رواه البخارى (١١/ ٢٨ رقم٦٢٤٣، وطرفه:٦٦١٢)، ومسلم (١٦/ ٣١٥ - ٣١٦ رقم٢٦٥٧).

سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿٣١﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ

.فعلى هذا القول: اللمم هو النظر واللمس وما يشبه ذلك. وفيه حديث نبهان التمار الذى ذكرنا فى سورة هود.

وفى الآية قول ثالث: أن اللمم هو الصغائر. وفيه قول رابع: أن اللمم هو ما فعله المسلمون فى الجاهلية قبل إسلامهم، فلما أسلموا وقع العفو عنها.

وقيل: إن اللمم هو النظر فجأة ،ثم يغض بصره فى الحال. وعن بعضهم:

إن تغفر اللهم فاغفر جما   فأى عبد لك لا ألمـــا.

وقد روى بعضهم هذا مسنداً إلى النبى ﷺ (١) وأما معنى «إلا» فى الآية، فقال بعضهم: هو منقطع، فكأنه قال: لكن اللمم. ومنهم من قال: الاستثناء على حقيقته، واللمم: فواحش إلا أن الله تعالى يعفو عنها بمشئيته.

وقوله: ﴿إن ربك واسع المغفرة﴾ أى: كثير المغفرة.

وقوله: ﴿هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض﴾ معناه: هو ابتداء خلقكم من تراب ثم من نطفة.

وقوله تعالى: ﴿وإذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم﴾ يعنى: أنه كان عالماً بأحوالكم وأنتم أجنة فى بطون الأمهات جاهلون بأحوالكم.

وقوله: ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾ أى: لا تمدحوا أنفسكم.

وقوله: ﴿هو أعلم بمن اتقى﴾ أى: هو أعلم بالمتقين. وعن عطاء بن أبى رباح: أن اللمم أن يعزم على الذنب ثم لا يفعل. ذكره القفال الشاشى فى تفسيره. وحُكِى عن أبى هريرة أنه قال: اللمم: الغَمْزَة والقُبْلَة.

(١) رواه الترمذى (٥ / ٣٧٠ رقم ٣٢٨٤) وقال: حسن صحيح غريب، وابن جرير (٢٧ / ٣٩)، والبزار (٢ / ١٠٩ - ١١٠ رقم 1151 - مختصر الزوائد)، والحاكم (٢ / ٤٦٩) وصححه على شرطهما، جميعهم من حديث ابن عباس مرفوعا به. وصححه الحافظ ابن حجر فى مختصر الزوائد.
وقال الهيثمى فى المجمع (٧ / ١١٨): رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح.

أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴿٣٢﴾ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي

وأما قوله: ﴿ فلا تزكوا أنفسكم ﴾ قد بينا. وفى تفسير النقاش: أن الرجل من اليهود كان إذا مات له طفل يقول: هو صِّديق، فأنزل الله تعالى هذه الآية ردًا عليهم. ويقال: إن الآية فى الرجل يخبر بصومه وصلاته وفعله الخير بين الناس، وقد كان منهم من يقول كذلك فعلنا كذا، وصنعنا كذا، فنهاهم الله تعالى عن ذلك. واعلم أن مدح الرجل نفسه مكروه، وكذلك مدح الرجل غيره فى وجهه.

وفى الخبر المعروف: أن رجلا مدح رجلاً عند النبى ﷺ فقال: «ويلك قطعت عنق أخيك فإن كنت قائلا شيئا، فقل: أحسب فلانا كذا، ولا أزكى على الله أحداً»(١).

وفى خبر آخر «احثوا التراب فى وجوه المداحين»، رواه المقداد عن النبى ﷺ(٢).

وقوله: ﴿ هو أعلم بمن اتقى ﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿ أفرأيت الذى تولى ﴾ أى: أعرض عن الإيمان بالله.

وقوله: ﴿ وأعطى قليلا وأكدى ﴾ معنى قوله أكدى: أى: قطع عطاءه.

ويقال: أكدى معناه: أجبل. ومنه الكدية، وهى إذا حفر الرجل بئرًا فبلغ موضعًا لا يمكنه العمل فيه من صخرة وما يشبهها، يقال له: الكدية. ومعنى قوله أجبل أى: بلغ جبلاً. وفى التفسير: أن الآية نزلت فى الوليد بن المغيرة، ويقال: فى العاص بن وائل، كان يحضر مجلس النبى ﷺ ويستمع إلى القرآن، ثم إن المشركين عيَّروه فقال: إنى أخشى العذاب، فقال له بعضهم: أعطنى شيئًا أتحمل عنك العذاب يوم القيامة، فأعطاه وتحمل عنه، فعلى هذا قوله: «أعطى قليلا» أى: استمع ورغب فى الإسلام.

---

(١) متفق عليه من حديث أبى بكرة، رواه البخارى (٥/ ٣٢٤ رقم ٢٦٦٢، وطرفاه: ٦٠٦١، ٦١٦٢)، ومسلم (١٨/ ١٧١ - ١٧٢ رقم ٣٠٠٠).

(٢) رواه مسلم (١٨/ ١٧٢ - ١٧٤ رقم ٣٠٠٢)، والبخارى فى الأدب المفرد (١٠٣)، وأبو داود (٤/ ٢٥٤ رقم ٤٨٠٤)، والترمذى ٤/ ٥١٨ رقم ٢٣٩٣) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٢/ ١٢٣٢ رقم ٣٧٤٢)، وأحمد (٦/ ٥)، والطبرانى فى الكبير (٢٠/ ٣٣٩ رقم ٥٦٥، ٥٦٦)، وأبو نعيم فى الحلية (٤/ ٣٧٧)، والبيهقى (١٠/ ٢٤٢) من حديث المقداد.

تولَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلاً وَأَكْدَىٰ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ

وقوله: ﴿ أكدى ﴾ أى: قطع ما أعطى. وقال مقاتل: أعطى بلسانه وقطع بقلبه. وحكى بعضهم عن ابن عباس أن معنى الآية: أطاع ثم عصى. وذكر بعضهم: أن رجلا من جهلاء الأعراب، وكان قد أسلم وقدم المدينة فجعل يقول: من يشترى حسناتى بصاع من تمر، فقال أبو خيثمة الأنصارى، وكان رجلا فيه خير: أنا أشتريها منك بوسق من تمر. والوسق: ستون صاعاً، فباع الأعرابى منه حسناته وأخذ الوسق، فأنزل الله تعالى فى الأعرابى هذه الآية. والمعروف هو القول الأول.

قوله تعالى: ﴿ أعنده علم الغيب فهو يرى ﴾ أى: يعلم. والرؤية تكون بمعنى رؤية البصر، وتكون بمعنى العلم. تقول العرب: رأيت فلانا عالماً أى: علمت. ومعنى الآية: أكان عند من (تحمل)(١) الذنوب عن الوليد علم الغيب فهو يعلم أنه يتحملها عنه يوم القيامة؟.

قوله تعالى: ﴿ أم لم ينبأ بما فى صحف موسى ﴾ معناه: أم لم يخبر.

وقوله: ﴿ بما فى صحف موسى ﴾ ذكر وهب بن منبه: أن الله تعالى أنزل مائة [وأربعة](٢) كتب؛ ثلاثون صحيفة على شيث، وخمسون على إدريس، وعشرون على إبراهيم، وأربعة على موسى وداود وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام.

قوله: ﴿ وإبراهيم الذى وفى ﴾ قرأ الحسن البصرى «وفى» مخفَفا أى: بما أمر به. ويقال: [وفَّى فى ذبح ابنه](٣).

وأما القراءة المعروفة بالتشديد فيجوز أن تكون بمعنى «وفَّى» إلا أنه أكده بالتشديد ويقال: وفَّى [بسهام](٤) الإسلام. قال الحسن: لم يؤمر بأمر إلا عمل به.

---

(١) فى «ك»: يحمل.

(٢) فى «الأصل، وك»: أربع، وهو خلاف الجادة.

(٣) من «ك»، وفى «الأصل»: وفى بذبح ابنه.

(٤) من «ك»، وفى الأصل»: سهام.

﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُ

وعن ابن عباس أنه قال: الإسلام ثلاثون سهمًا، لم يتم جميعها غير إبراهيم ومحمد عليهما السلام. وقال الفراء: «وفَّى» معناه: بلغ. وعن الهذيل بن شرحبيل قال: كان بين نوح وإبراهيم قرون يأخذون الجار بذنب الجار، وابن العم بذنب ابن العم، والصديق بذنب الصديق، فجاء إبراهيم وبلغ عن الله تعالى: ﴿ألا تزر وازرة وزر أخرى﴾ أى: لا يؤخذ أحد بذنب غيره.

قوله تعالى: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ معناه: إن سعى فى الخير يلق الخير، وإن سعى فى الشر يلق الشر.

وقوله: ﴿وأن سعيه سوف يرى﴾ أى: يراه على معنى أن الله تعالى يريه إياه، وهو الجزاء الذى يجازيه عليه، وهو معنى قوله: ﴿ثم يجزاه الجزاء الأوفى﴾ أى: الأكمل الأتم.

قوله تعالى: ﴿وأن إلى ربك المنتهى﴾ أى: مصير العباد ومرجعهم إليه. قال محمد بن على الباقر: تاه فيه العقول أى: تحيرت. فعلى هذا معنى الآية: أن العقول إذا انتهت إلى أوصافه تحيرت، يعنى: أنها لا تدرك أوصافه على الكمال. وفى بعض التفاسير: أن بعض الملائكة تفكر فى الله تعالى فصيحت عليه صيحة، فتاه عقله، فهو يسمى بين الملائكة التائه.

قوله تعالى: ﴿وأنه هو أضحك وأبكى﴾ قال ابن عباس: أضحك أهل الجنة، وأبكى أهل النار. ويقال: أضحك بالوعد، وأبكى بالوعيد. ويقال: أضحك الأرض بالنبات، وأبكى السماء بالمطر. والأصح من الأقاويل أنه أضحك الخلق وأبكاهم.

قوله تعالى: ﴿وأنه هو أمات وأحيا﴾ يقال: أمات الآباء، وأحيا الأبناء وقيل: أمات قوما بالضلالة، وأحيا قوما بالهداية. والأصح أنه أمات الخلق وأحياهم.

قوله تعالى: ﴿وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى﴾ أى: الصنفين. قال الضحاك:

هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ

آدم وحواء. والأصح أنه الذكر والأنثى من بنى آدم.

وقوله: ﴿من نطفة إذا تمنى﴾ أى: تُقَدَّر. تقول العرب: ما تمنى تلك [الأمانى](١) أى: يُقدر ذلك المقدر. وقيل: إذا تمنى، هو عبارة عن الوطء أى: من نطفة تحصل بالجماع.

قوله تعالى: ﴿وأن عليه النشأة الأخرى﴾ أى: البعث يوم القيامة، وإنما قال: «الأخرى» لأنها ثانية النشأة الأولى، والنشأة الأولى ابتداء الخلق.

قوله تعالى: ﴿وأنه هو أغنى وأقنى﴾ معناه: أعطى وأوسع، فقوله: ﴿أقنى﴾ أى: أعطى القنية، والقنية: هى أصل مال يتخذ. قالوا: وهو مثل الإبل والبقر والضياع والنبات وما أشبه. ويقال: أغنى بالذهب والفضة، وأقنى بغيرهما من الأموال. ويقال: أغنى وأقنى: أى: أعطى وقنع بما أعطى. قال القتيبى: أغنى أى: أعطى المال، وأقنى أى: أخدم كأنه أعطاه من يخدمه. وقال أغنى: أى: أعطى بما أعطى. وعن بعضهم أغنى: أى: أغنى نفسه، كأنه وصف نفسه بالغنى. وقوله: ﴿وأقنى﴾ أى: أفقر خلقه إلى نفسه، ويقال: أغنى وأقنى: أى: وسع وقتر.

قوله تعالى: ﴿وأنه هو رب الشعرى﴾ فى التفسير: أنه كان رجل من خزاعة خالف دين آبائه وعبد الشعر العَبُور، وهو كوكب خلف الجوزاء تسمى المرزم، وهما الشعريان: [إحداهما](٢): الغميصاء، والأخرى: العبور، فالغُمَيَصاءُ فى المجرة، والعبور خلف الجوزاء وتسمى كلب الجوزاء. وكان ذلك الرجل يعبد الشعرى، ويقول: إنها تقطع الفلك عرضا دون سائر الكواكب، فإنها تقطع أموالا(٣)، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وذكر أنه خالق الشعرى التى تعبدونها. [قاله](٤) مجاهد وقتادة وغيرهما. وعن بعضهم: أنها الزهرة، وهذا مخالف لظاهر الآية.

(١) فى «الأصل» و«ك»: المافى. (٢) فى الأصل: إحديهما، وهو خلاف الجادة.

(٣) كذا! والصواب: أطوالا، وانظر تفسير البغوى (٤ / ٢٥٧) وغيره. (٤) فى «الأصل وك»: قاله.

الشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾

قوله تعالى: ﴿وأنه أهلك عاداً الأولى﴾ فإن قيل: ما معنى قوله: «عادا الأولى»، وعاد كانت واحدة لا اثنين؟ والجواب: أن ثمود وعاداً كانا من ولد آدم بن سام بن نوح، فعاد هم قوم هود، وهم عاد الأولى، وثمود هم قوم صالح وهم عاد الأخرى.

وقوله: ﴿وثمود فما أبقى﴾ أى: أبادهم وأفناهم.

قوله تعالى: ﴿وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى﴾ أى: أكبر وأشد طغيانا. وفى القصة: أن الرجل منهم كان يأتى بابنه إلى نوح فيقول: احذر هذا الشيخ، وإياك أن يضلك، فإن أبى حملنى وأنا فى مثل سنك إليه وحذرنى منه كما حذرتك منه.

قوله تعالى: ﴿والمؤتفكة أهوى﴾ المؤتفكة هى مدائن لوط، ائتفكت بهم الأرض أى: انقلبت بهم.

وقوله: ﴿أهوى﴾ يقال: هوى إذا سقط، وأهوى إذا أسقط. وقد بينا أن جبريل عليه السلام قلعها من أصلها، وبلغ بها السماء الدنيا حتى سمع أهل السماء الدنيا نباح الكلاب وأصوات ديكتهم، وكان فيها أربعمائة ألف رجل. وقد قيل أكثر من ذلك، ثم إن جبريل قلبها فجاءت تهوى فهو معنى قوله: ﴿والمؤتفكة أهوى﴾ قال عكرمة: فهى تتجلجل فى الأرض إلى قيام الساعة. والعرب تقول: أهوى أى: وقع فى هوة ، والهوة: الحفرة.

قوله تعالى: ﴿فغشاها ما غشى﴾ أى: غشاها من الحجارة ما غشى. يقال: من عذاب الله ما غشى. والتغشية: التغطية. وفى القصة: أن الحجر يتبع شرادهم حتى أهلكهم جميعاً، وكان فى الحرم رجل منهم فوقف حجر فى الهواء سبعة أشهر، ثم خرج، فلما خرج وخطا خطوة سقط عليه الحجر وأهلكه، وكان اسمه أبو رُغال.

قوله تعالى: ﴿فبأى آلاء ربك تتمارى﴾ أى: تتشكك، ومعناه: تشك، وقيل:

فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ الآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلا

تكذب. والمرية: هى الشك فى اللغة. والخطاب للكافر يعنى: فبأى آلاء ربك تتمارى أيها الكافر.

وقوله: ﴿ هذا نذير من النذر الأولى ﴾ أى: نبى يشبه الأنبياء المتقدمين.

وقوله: ﴿ أزفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة ﴾ فإن قيل: ما معنى قوله: «كاشفة»؟ ولم أدخل هاء التأنيث؟ والجواب: أن بعضهم قال: لموافقة رءوس الآى. وقال بعضهم معناه: ليس لها من دون الله نفس كاشفة. وهذا أحسن. ومعنى الآية: أنه لا يعلم علمها سوى الله تعالى، وهو علم قيامها وتجليها. ويقال: لا يأتى بها أحد سوى الله تعالى.

يقال: كشف عن الشىء إذا أظهره أى: لا يكشف عن القيامة ولا يظهرها غير الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿ أفمن هذا الحديث تعجبون ﴾ أى: القرآن.

وقوله: ﴿ تعجبون ﴾ أى: تتعجبون، وتعجبهم أنهم قالوا: كيف أنزل على واحد مثلنا. ويقال: تعجبهم من قوله إن الله واحد على ما قال فى موضع آخر ﴿ أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشىء عجاب ﴾(١).

وقوله: ﴿ وتضحكون ولا تبكون ﴾ يعنى: من حقكم أن تبكوا لا أن تضحكوا. وفى التفسير: «أن النبى ﷺ لما نزلت هذه الآية لم يُرَ ضاحكًا إلى أن خرج من الدنيا، غير أنه كان يتبسم»(٢). وفى بعض الأخبار: عجبت من ضاحك (ملء فيه والموت يطلبه)(٣).

(١) ص: ٥.

(٢) رواه وكيع فى الزهد (١/ ٢٦٦ رقم ٣٦)، وهناد فى الزهد (١/ ٢٧١ رقم ٤٧٣)، وابن أبى شيبة (١٣/ ٢٣٤ رقم ١٦٢٠٣) عن صالح أبى الخليل مرسلا.

وعزاه السيوطى فى الدر (٦/ ١٤٥) لأحمد فى الزهد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبى حاتم.

(٣) فى «ك»: ملاقيه الموت.

تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ ﴿٦١﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴿٦٢﴾

وقوله: ﴿وأنتم سامدون﴾ أى: لاهون غافلون، ويقال: متكبرون. قال مجاهد: السمود هو الغناء بلغة حِمّير. يقولون: يا جارية سمدى لنا: أى غنى. ويقال له: البرطمة أيضاً وأنشد بعضهم:

رمى الحدثان نسوة آل حرب ... بداهية سمدن لها سموداً

ويروى:

بمقدار سمدن له سمودًا.

فرد شعورهن السود بيضا ... ورد وجوههن البيض سودًا

وقوله: ﴿فاسجدوا لله واعبدوا﴾ حمل بعضهم هذا على الصلوات الخمس. وقيل: إن الآية نزلت بمكة قبل فرض الصلوات الخمس، والسورة مكية، فعلى هذا معناه: فاسجدوا لله واعبدوا أى: اخضعوا لله ووحدوا. ويقال: المراد منه أصل السجود، والمراد من العبادة هى الطاعة، وهو موضع سجود[1] عند أكثر الفقهاء إلا مالك حيث قال: ليس فى المفصل سجود أصلا. وقد ثبت عن النبى ﷺ برواية عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - «أنه عليه الصلاة والسلام قرأ سورة والنجم فسجد فيها، فما بقى من القوم أحد إلا سجد غير رجل واحد أخذ حصى ووضعه على جبهته، وقال: يكفينى هذا. وقال عبد الله: فرأيته قتل كافرًا»[2]. والله أعلم.

---

(١) زاد فى «الأصل، وك» بعد كلمة سجود: الملائكة، وهو زيادة مقحمة.

(٢) متفق عليه، رواه البخارى (٢/ ٦٤١ رقم ١٠٦٧، وأطرافه: ١٠٧٠، ٣٨٥٣، ٣٩٧٢، ٤٨٦٣)، ومسلم (٥/ ١٠٣ - ١٠٤ رقم ٥٧٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝١﴾

تفسير سورة القمر

وهى مكية إلا قوله تعالى: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾(١) والآية التى بعدها.

قوله تعالى: ﴿اقتربت الساعة﴾ أى: دنت القيامة، وهو مثل قوله تعالى: ﴿أزفت الآزفة﴾(٢)، ومثل قوله: ﴿اقترب للناس حسابهم﴾(٣)، وقد روى أنس أن النبى ﷺ خطب عند مُغَيْرِبَانِ الشمس حتى كادت تغرب، فقال: «مابقى من الدنيا فيما مضى إلا كما بقى من هذا اليوم فيما مضى منه»(٤). وعن كعب ووهب: أن مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، والذى يمضى هو الألف السابع.

وقوله ﴿وانشق القمر﴾ روى ابن مسعود - رضى الله عنه - قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى فانشق القمر فلقتين، فلقة وراء الجبل، وفلقة دونه، وأنزل الله تعالى ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾. وعن ابن عباس: أن المشركين سألوا من النبى ﷺ آية. وروى أنهم قالوا له إن كنت صادقًا فشق القمر لنا حتى نرى قطعة منه على أبى قُبَيس، وقطعة منه على (قُعَيْقَعَان)(٥)، فدعا الله تعالى وانشق القمر على ما أرادوا، فقال النبى ﷺ: «اشهدوا اشهدوا»(٦).

(١) القمر: ٤٥.

(٢) النجم: ٥٧.

(٣) الأنبياء: ١.

(٤) رواه ابن عدى فى الكامل (٦ / ٣٤٥)، والبزار - كما فى المجمع (١٠ / ٣١٤) - وقال الهيثمى: رواه البزار من طريق خلف بن موسى عن أبيه، وقد وثقا، وبقية رجاله رجال الصحيح.

ومعنى الحديث رواه ابن عمر أيضا، كما فى البخارى (٢ / ٤٦ رقم ٥٥٧، وأطرافه: ٢٢٦٨ ....) وغيره، وفى الباب أحاديث عن عدة من الصحابة.

(٥) فى «ك»: قيقعان، وهو خطأ. انظر معجم البلدان (٤ / ٤٣٠ - ٤٣١).

(٦) تقدم تخريجه.

وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾

فإن قيل: ابن عباس لم يكن رأى انشقاق القمر، فكيف تصح روايته؟ وأما ابن مسعود فقد تفرد بهذه الرواية، ولو كان قد انشق القمر لرواه جميع أصحاب رسول الله ﷺ، وأيضًا لو كان ثابتا لرواه جميع الناس، ولأرخوا له تاريخًا؛ لأنهم قد أرخوا مادون هذا من الحوادث، وإنما معنى الآية: انشق القمر أى: ينشق، وذلك يوم القيامة. ويقال: معنى انشق القمر أى: انكسف.

والجواب: أنه قد ثبت انشقاق القمر بالرواية الصحيحة. رواه ابن مسعود وجبير بن مطعم شهدا بالرؤية، ورواه ابن عباس وابن عمر وأنس، وروى بعضهم عن بعضهم عن عبد الله بن عمرو، ومن المحتمل أنه روى عن رؤية، وقد كان ابن مسعود روى هذا عن [رؤيته](١)، ولم ينكر عليه أحد من الصحابة، فكان ذلك اتفاقًا منهم، ثم الدليل القاطع على ثبوته الآية .

وقوله إن معناه سينشق القمر. قلنا: هذا عدول عن ظاهر الآية، ولايجوز إلا بدليل قاطع، ولأن الله تعالى قال: ﴿وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر﴾ وهذا دليل على أنهم قد رأوها، ولأنه سماه آية، وإنما يكون آية إذا كانت فى الدنيا؛ لأن الآية هاهنا بمعنى الدلالة والعبرة.

وقوله: إن الناس لم يروا. قلنا: يحتمل أنه كان فى زمان غفلة الناس، أو تستر عنهم بغيم، وقد رد الله تعالى الشمس ليوشع بن نون، ولم ينقل أنه أرخ لذلك أيضًا. وقد ذكر فى بعض التفاسير أن أهل مكة قالوا: سحرنا ابن أبى كبشة، فقال بعضهم: سلوا السُّفَّار الذين يقدمون، فإنه إن كان سحرنا فلايقدر أن يسحر جميع الناس، فقدم السُّفَّار وسألوهم وأخبَروُا أنهم قد رأوا.

وقوله تعالى: ﴿وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر﴾ قال الفراء: أى: يشبه بعضه بعضًا، فيحتمل أن يكون معناه: فعله هذا فى السحر يشبه سائر أفعاله فى

(٣) فى «الأصل»: رؤية.

وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴿٥﴾

السحر، ويحتمل أن معناه: سحره يشبه سحر موسى وعيسى وغيرهما. وعن بعضهم: أن قوله: ﴿مستمر﴾ أى: ذاهب باطل، يبطل ويذهب بمضى الزمان، ذكره أبوعبيدة. ويقال: سحر مستمر: أى: شديد محكم . ويقال: استمر من الأرض إلى السماء أى: ظهر سحره فى السماء.

وقوله: ﴿وكذبوا واتبعوا أهواءهم﴾ أى: اتبعه مادعته نفوسهم إليه من الباطل .

قوله: ﴿وكل أمر مستقر﴾ قال مجاهد: الخير لأهل الخير، والشر لأهل الشر. ويقال: الجنة لمن يعمل بالطاعة، والنار لمن يعمل بالمعصية. وقيل: كل أمر مستقر: أى واقع. وقيل: لكل قول حقيقة وغاية ونهاية فى وقوعه وحلوله، ذكره السدى. وعن بعضهم: ويحتمل أن يكون معناه: الإشارة إلى دوام ثواب المؤمنين فى الجنة، وعقاب الكافرين فى النار.

قوله تعالى ﴿ولقد جاءهم من الأنباء﴾ أى: من الأخبار، وهى الأقاصيص وأخبار الأنبياء.

وقوله: ﴿مافيه مزدجر﴾ أى: متعظ. يقال: زجرته فانزجر، وكففته فكف، ووعظته فاتعظ.

وقوله: ﴿حكمة بالغة﴾ معناه أى: القرآن، وما بلغه الرسول عن الله حكمة بالغة، أى: تامة كاملة، ويقال معناه: أنه صواب كله. وقد بينا أن الحكمة هى الإصابة قولا وفعلا.

وقوله: ﴿فما تُغْنِ النذر﴾ أى: أَىُّ شىء تغنى النذر. ويقال: «ما» بمعنى «لا» أى: لاتغنى النذر عنهم شيئًا، وهذا فى أقوام بأعيانهم، علم الله منهم أنهم لايؤمنون، (وأنه)[1] لاينفعهم إنذار الرسل وإقامة الآيات.

---

(١) فى «ك» : وأنهم.

فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ

قوله تعالى: ﴿ فتول عنهم ﴾ منهم من قال: قوله: ﴿ فتول عنهم ﴾ عليه الوقف، وبه تم الكلام ثم ابتدأ، وقال: ﴿ يوم يدع الداع ﴾، ومنهم من قال: معناه: فتول عنهم يوم يدعو الداعى. وأما معنى دعاء الداعى: فى التفسير أنه قيام إسرافيل - عليه السلام - على صخرة بيت المقدس، ونفخه فى الصور. ويقال: هو دعاء الناس إلى الحساب.

وقوله: ﴿ إلى شىء نُكُر ﴾ أى: فظيع شديد هائل. وكل ما يهول الإنسان فهو منكر عنده. ويقال: نكر أى: لايطاق حمله. وعن مجاهد أنه قرأ: ﴿ يوم يدع الداع إلى شىء نُكِرَ ﴾ بخفض الكاف وفتح الراء، أى: جحد وكفر به، وهذه قراءة شاذة. وعن ابن عمر أنه قرأ: ﴿ إلى شىء نكْر ﴾ بتسكين الكاف، وأنشدوا فى هذا شعراً:

أبى اللـه إلا عـدله ووفـاءه　　　فلا النكر معروف ولا العرف ضائع

وقوله: ﴿ خشعا أبصارهم ﴾ أى: خاشعة أبصارهم، يعنى: ذليلة، وقرئ: « خاشعا أبصارهم » ويجوز التوحيد إذا تقدم فعل الجماعة دون ما إذا تأخر، يقال: مررت بشباب حسان وجوههم، وحسن وجوههم، وحسنة وجوههم.

قال الشاعر:

فى شباب حسن أوجههم　　　مـن إيادِ بن نِزارِ بن مَعَد

وقوله: ﴿ يخرجون من الأجداث ﴾ أى: من القبور، واحدتها جدث. وفى لغة تميم هو الجذف. وفى الخبر عن النبى ﷺ أنه قال: « مواتهم أجداثهم » أى: قبورهم.

وقوله تعالى: ﴿ كأنهم جراد منتشر ﴾ أى: داخل بعضهم فى بعض كالجراد، وقال تعالى فى موضع آخر: ﴿ كالفراش المبثوث ﴾(١) هو المنتشر والمختلط أيضاً، لايقصدون جهة واحدة، بل ينتشر فى جهات مختلفة بخلاف الجراد، فإن الكل يتبعون جملة واحدة.

---

(١) القارعة: ٤.

الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾

وروى أن مريم - عليها السلام - سألت ربها أن يطعمها لحماً بغير دم، فقالت: اللهم أعشها بغير [رضاع][1]، وتابع بينها بغير شياع. ثم ذكر أن التوفيق بين الآيتين هو أن الناس إذا خرجوا من قبورهم يختلط بعضهم ببعض، ولا يتبعون جملة واحدة، فهم كالفراش المبثوث، ثم يدعون إلى المحشر أو إلى الحساب فيتبع كلهم الجهة التى يدعون إليها، فهم كالجراد المنتشر.

وقوله: ﴿ مهطعين إلى الداعِ ﴾ أى: مسرعين مقبلين، ويقال: مهطعين الإهطاع: هو النسلان، ويقال: الخبب[2].

وقوله: ﴿ يقول الكافرون هذا يوم عسر ﴾ أى: غير سهل.

قوله تعالى: ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا ﴾ أى: نوحاً عليه السلام.

وقوله: ﴿ وقالوا مجنون وازدجر ﴾ أى: زجر بالشتم والسب.

ويقال: زجرا بالتخويف بالقتل، قاله سعيد بن جبير وقتادة وغيرهما. ويقال: ازدجر، أى: استطر عقله، كأنهم قالوا: مجنون ومعتوه.

وقوله: ﴿ فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر ﴾ أى: انتصر لدينك بالانتقام من أعدائك.

وقوله: ﴿ ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ﴾ قال على بن أبى طالب - رضى الله عنه - (فتح)[3] موضع المجرة، وهى شَرَج[4] السماء. وفى القصة: أن الله تعالى أرسل الماء من السماء بدون سحاب، ولم يكن أرسل المطر قبله ولا بعده إلا من

(١) فى «الأصل، وك» : رضا، والتصويب من النهاية لابن الأثير (٢ / ٥٢٠).

(٢) الخبب : ضرب من العدو، وقيل: مثل الرمل. (لسان العرب ١ / ٣٤١).

(٣) فى «ك» : ففتح.

(٤) الشرج: هو مسيل الماء. النهاية فى غريب الحديث (٢ / ٤٥٦).

وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾

سحابة، وقيل: إن الأبواب هاهنا بطريق المجاز، والمعنى: أرسلنا من السماء بماء منهمر أى: كثير.

قال الشاعر:

أعينى جودا بالدموع الهوامر (على حىّ باد من بعد وضامر) (١)

ويقال: منهمر أى: منصب سائل.

وقوله: ﴿ وفجرنا الأرض عيونا ﴾ أى: فتحنا عيون الأرض بالماء .

قوله: ﴿ فالتقى الماء على أمر قد قدر ﴾ أى: التقى ماء السماء وماء الأرض على أمر قدر كونه، وهو تغريق أهل الأرض سوى أصحاب السفينة. ويقال: على أمر قد قدر: هو تقدير الماء، يعنى: أن الماء أنزل من السماء وفجر من العيون على كيل وتقدير معلوم.

وقوله تعالى: ﴿ وحملناه على ذات ألواح ودسر ﴾ أى: على السفينة ذات ألواح، ودسر أى: مسامير، ويقال: ودسر أى: معاريض السفينة، وهى الخشب التى تعرض عليها. ويقال: دسر أى: صدر السفينة، كأنها قد تَدْسُر الماء بصدرها، أى: تدفع.

وقوله: ﴿ تجرى بأعيننا ﴾ أى: بمرأى منا وحفظ منا.

وقوله تعالى: ﴿ جزاء لمن كان كفر ﴾ أى: جزاء على ماصُنِعَ بمن كفر به، وهو نوح عليه السلام. ويقال: جزاء النوع وهو الذى كفر به، ذكره الزجاج وغيره. وقيل: جزاء لمن كان كفر أى: جزاء عمن كفر به وهو الله تعالى. وقرئ فى الشاذ: «جزاء لمن كان كَفَرَ» وهو ظاهر.

---

(٣) كذا ! وفى تفسير القرطبى (١٧ / ١٣١): على خير باد من معد وحاضر.

وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ
يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ
﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ النَّاسَ

قوله تعالى: ﴿ولقد تركناها آية﴾ أى: تركنا السفينة آية وعبرة، قال قتادة: بقيت سفينة نوح بباقِرْدَى من بلاد الجزيرة حتى أدركها أوائل هذه الأمة.

وقوله: ﴿فهل من مدكر﴾ أى: متعظ متذكر.

وقوله: ﴿فكيف كان عذابى ونذر﴾ أى: كيف كان تعذيبى وإنذارى.

قوله تعالى: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ أى: متفكر، ومعنى تيسر القرآن للذكرى: هو قراءته عن ظهر قلب، ولم يعط هذا فى كتاب الله غير هذه الأمة، فإن أهل الكتابين إنما يقرءوا فهماً عن الصحف.

قوله تعالى: ﴿كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر﴾ أى: تعذيبى وإنذارى لهم.

وقوله: ﴿إنا أرسلنا عليهم ريحًا صرصراً﴾ أى: باردة، ويقال: شديدة الهبوب.

وقوله: ﴿فى يوم نحس﴾ أى: فى يوم مشئوم، وعن جعفر بن محمد قال: كان فى أربعاء لاتدور، ذكره النقاش. ويقال: كان زحل راجعًا هابطًا، وهو ضعيف متروك.

وقوله: ﴿مستمر﴾ أى: دائم الشؤم، ودوام الشؤم أن الريح استمرت بهم سبع ليال وثمانية أيام. ويقال: مستمر أى: استمر بهم العذاب حتى أوقعهم فى جهنم .

قوله تعالى: ﴿تنزع الناس﴾ أى: تقلع الناس. وفى القصة: أن الريح كانت تقلعهم، وتجعل أعلاهم أسفلهم وأسفلهم أعلاهم. قال الحسن البصرى: لما جاءت الريح أخذ بعضهم بيد بعض، وجعلوا دست، وضربوا بأقدامهم على الحجر حتى رسخت فيه، وقالوا: من الذى يزيلنا عن أماكننا؟ وفى القصة: أن طول الواحد منهم كان ستمائة ذراع وخمسمائة، والأقصر ثلاثمائة ذراع بذراعهم، فلما فعلوا ذلك خرجت من تحت أقدامهم وقلعتهم.

كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا
الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا
وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ

وقوله: ﴿كأنهم أعجاز نخل منقعر﴾ أى: أصول نخل منقلع. فإن قيل: قد قال فى موضع آخر: ﴿كأنهم أعجاز نخل خاوية﴾(١) وقال ها هنا: ﴿منقعر﴾ ولم يقل منقعرة. قلنا: النخل يذكر ويؤنث. فإن قيل: فلم شبه بأصول النخل لا بجميعه؟ قلنا فى القصة: أن الريح كانت تقلع رءوسهم أولا، ثم تخرب أجسادهم وتجعلها (كأصول)(٢) النخل، فهو معنى الآية.

وقوله: ﴿فكيف كان عذابى ونذر﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾.

﴿كذبت ثمود بالنذر﴾ أى: بالرسل. ويجوز أن يكون أراد به صالحًا وحده، وذكر الواحد باسم الجمع.

قوله تعالى: ﴿فقالوا أبشراً منا واحداً نتبعه﴾ أى: نتبع بشرًا منا واحدًا. قالوا على طريق الإنكار، أى: لا نتبعه.

وقوله: ﴿إنا إذًا لفى ضلال وسعر﴾ أى: فى ضلال وعناء، ويقال: فى ضلال وجنون. يقال: ناقة مسعورة، أى: كالمجنونة من النشاط.

قوله تعالى ﴿أؤلقى الذكر عليه من بيننا﴾ أى: النبوة.

وقوله: ﴿بل هو كذاب أشر﴾ أى: كذاب متكبر. والأشرُ: البَطِرُ الفَرِحُ، كأنه يتكبر بطرًا وفرحًا.

---

(١) الحاقة: ٧.

(٢) فى «ك»: كرءوس.

كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ

وقوله: ﴿سيعلمون غداً من الكذاب الأشر﴾ أى: يوم القيامة حتى يلقون جزاء أعمالهم. وقرئ فى الشاذ: «من الكذاب الأشَر» وقرئ أيضًا: «الأشُر» بضم الشين. والأشَر والأشِر بمعنى واحد، وهو مثل حذَر وحذِر.

قوله تعالى ﴿إنا مرسلو الناقة فتنة لهم﴾ فى القصة: أن قوم صالح طلبوا منه أن يخرج من هذه الصخرة - وأشاروا إلى صخرة بعينها - ناقة حمراء عشراء، والعشراء: هى الناقة الحامل التى أتى على حملها عشرة أشهر، وتلد سقبًا فى الحال، ثم ترد ماءهم وتشرب جميع ما فيها، وتعطى لبنا بقدر ماشربت من الماء، فأعطاهم الله تعالى هذه الآية. وروى أن الصخرة تمخضت كما تتمخض الناقة عند الولادة، ووضعت ناقة فى الحال كأعظم مايكون. وروى أن عظم الناقة كان بحيث إذا مشت بين الوادى أخذ بطنها مابين الجبلين.

وقوله ﴿فتنة لهم﴾ أى: اختباراً لهم.

وقوله: ﴿فارتقبهم واصطبر﴾ أى: انتظرهم واصبر.

وقوله: ﴿ونبئهم أن الماء قسمة بينهم﴾ أى: للناقة يوم ولهم يوم.

وقوله: ﴿كل شرب محتضر﴾ أى: كل نصيب بحضرة مَنْ له.

قوله تعالى: ﴿فنادى صاحبهم﴾ يعنى: قُدَار بن سالف، وهو أحمر ثمود. وفى المَثَل: أشأم من أحمر عاد. يعنى: على قومه. وإنما قيل: عاداً لأن ثمود من نسب عاد. وفى الخبر أن النبى ﷺ قال: «انبعث له - يعنى لقتل الناقة -رجل عزيز فى قومه مثل [أبى](١) زمعة»(٢).

---

(١) فى «الأصل، وك»: ابنى، وهو تحريف، والصواب ما أثبتناه، كذا رواه البخارى ومسلم كما سيأتى.

(٢) متفق عليه من حديث عبد الله بن زمعة، رواه البخارى (٨/ ٥٧٥ رقم ٤٩٤٢)، ومسلم (١٨/ ٢٧٤ رقم ٢٨٥٥).

﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾

وقوله: ﴿فتعاطى فعقر﴾ أى: ارتكب المعصية فعقر الناقة. والعقر: هو القتل. وفى الخبر: «أفضل الجهاد من أُريق دَمُه وعُقِرَ جَوَادُه».

وقوله: ﴿فكيف كان عذابى ونذر﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة﴾ فى القصة: أن جبريل - عليه السلام - قام فى جانب قريتهم، وصاح عليهم صيحة واحدة، فماتوا جميعًا.

وقوله: ﴿فكانوا كهشيم المحتظر﴾ الهشيم مايبس من النبات والشجر، والهشيم هاهنا: ماتناثر من التراب عن الجواد، يعنى: صاروا كذلك.

وقوله ﴿المحتظر﴾ وقرئ: «المحتظَر» بفتح الظاء. قال أهل المعانى: هو أن يأخذ الراعى حظيرة حوالى غنمه من شوك وشجر، فإذا يبس وتناهى فى اليبس تكسر وتشتت، فشبههم حين هلكوا بذلك. وأما المحتظِر هو الذى يتخذ الحظيرة، والمحتظَر بالفتح هو المُتَخَذُ.

قوله تعالى: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ أى: متعظ. قال قتادة: هل من طالب خير فيعان عليه.

قوله تعالى: ﴿كذبت قوم لوط بالنذر﴾ فإن قيل: كيف قال: ﴿بالنذر﴾ ولوط كان واحداً؟ قلنا: لأن من كذب واحداً من الرسل، فكأنه كذب جميع الرسل.

قوله تعالى: ﴿إنا أرسلنا عليهم حاصبًا﴾ أى: ريحًا ذات حصباء، وهى الحجارة.

قوله: ﴿إلا آل لوط نجيناهم بسحر﴾ هو لوط وابنتاه. وفى الخبر: أنه وأعنزة بين

نِعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾

يديه، وهى أربعون يسوقها، وهو آخذ بيد ابنته الكبرى بيمينه، وبيد ابنته الصغرى بيساره، وامرأته خلفه، فلما سمعوا الوصية فى هلاك القوم سجد هو وابنتاه شكرًا، والتفتت المرأة فأصابتها الحجارة وهلكت.

وقوله: ﴿ نعمة من عندنا ﴾ أى: إنعامًا من عندنا.

وقوله: ﴿ كذلك نجزى من شكر ﴾ أى: شكر نعم الله .

وقوله: ﴿ ولقد أنذرهم بطشتنا ﴾ أى: خوفهم بطشتنا بهم فى الإهلاك .

وقوله: ﴿ فتماروا بالنذر ﴾ أى: شكوا برسالة الرسل.

قوله تعالى: ﴿ ولقد راودوه عن ضيفه ﴾ أى: طلبوا من لوط أن يسلم إليهم أضيافه. وفى القصة: أن جبريل - عليه السلام - جاء ومعه ملكان، وكان قوم لوط قد قالوا له: إنا لانمتنع من عملنا، فإياك أن تضيف أحدًا من الغرباء، فلما جاء جبريل - عليه السلام - مع الملكين فى صورة البشر، مرت العجوز الخبيثة وأخبرتهم بورودهم، وذكرت لهم حسن وجوههم، فجاءوا يطلبون الفاحشة، فهو معنى قوله تعالى: ﴿ راودوه عن ضيفه ﴾ .

وقوله: ﴿ فطمسنا أعينهم ﴾ روى أن جبريل - عليه السلام - صفق أعينهم صفقة بجناحه، فصاروا عميانا يلتمسون الجدار بالأيدى. وروى أن وجوههم صارت سطحًا واحدًا ما بقى عليها أثر شيء.

وقوله: ﴿ فذوقوا عذابى ونذر ﴾ أى: فذوقوا عذابى وعاقبة إنذارى.

قوله تعالى: ﴿ ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر ﴾ أى: نزل بهم العذاب واستقر بكرة. ومعنى الاستقرار هو هلاكهم بذلك العذاب.

فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾

وقوله: ﴿فذوقوا عذابى ونذر﴾ قد بينا.

وقوله تعالى: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ قد ذكرنا.

وقوله: ﴿ولقد جاء آل فرعون النذر﴾ يعنى: موسى وهارون، ويقال: جاءهم الإنذار.

وقوله: ﴿كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر﴾ أى: قوى قادر، وقد بينا معنى العزيز القادر.

قوله تعالى: ﴿أكفاركم خير من أولئكم﴾ معناه: أكفاركم خير من الكفار الذين كانوا قبلكم، يعنى: ليسوا بخير منهم، فكما أهلكناهم فسنهلك هؤلاء.

وقوله: ﴿أم لكم براءة فى الزبر﴾ أى: براءة من الكتب أنا لانهلككم[1] كما أهلكنا مَنْ قبلكم .

وقوله: ﴿أم يقولون نحن جميع منتصر﴾ يعنى: أيقولون نحن جميع ينصر بعضنا بعضًا، أو ننتصر من أعدائنا. وفى المغازى أنه لما كان يوم بدر خرج أبو جهل على قدميه، وهو يقول: نحن جميع منتصر، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾، قال عمر: فرأيت النبى ﷺ يَثِبُ فى درعه، ويقول: «سيهزم الجمع ويولون الدبر». وفى بعض التفاسير: أن عمر - رضى الله عنه - قال: نزل قوله تعالى: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ ولم أعرف تأويله، حتى كان يوم بدر فرأيت النبى

(١) فى «ك»: لانهلكهم.

بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ

ﷺ يثب فى درعه ويقول: «سيهزم الجمع ويولون الدبر»(١). وهذا الخبر دليل أيضاً أن هذه الآية مكية، وقد بينا فى رواية آخرى أنها مدنية. والدبر بمعنى الأدبار.

وقوله: ﴿بل الساعة موعدهم﴾ أى: القيامة موعدهم، وسميت الساعة لقرب كونها. وقيل: سميت ساعة؛ لأنها كائنة لامحالة كالوقت، وهو كائن لامحالة فسمى ساعة.

وقوله: ﴿والساعة أدهى وأمر﴾ أى: أقطع وأشد. والداهية: كل أمر لايهتدى إلى الخروج منه. «وأمر»: هو من المرارة.

قوله تعالى: ﴿إن المجرمين فى ضلال وسعر﴾ قد بينا. وعن الأخفش: أن السعر جمع السعير، ويقال معناه: فى نار يحترقون فيها ولايعلمونها، وهذا إشارة إلى العاقبة، ومايصير إليه حالهم.

قوله تعالى: ﴿يوم يسحبون فى النار على وجوههم﴾ قال ابن مسعود: «يوم يَسْحَبُونَ فى النار». والمعروف الأول، وهو من السحب والجر.

وقوله: ﴿ذوقوا مس سقر﴾أى: يقال لهم ذلك، وهو على طريق المجاز، كما يقول القائل لغيره وهو يضربه: ذق وبال أمرك، أى: عمله، ومثله كثير فى العربية وكلامهم.

قوله تعالى: ﴿إنا كل شىء خلقناه بقدر﴾ نصب كل بتقدير فعلٍ محذوف، وكأنه قال: إنا خلقنا كل شىء خلقناه بقدر. وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «كل

(١) رواه ابن جرير (٢٧ / ٦٤)، وعبد الرزاق فى تفسيره، وابن راهويه، وابن أبى حاتم وابن مردويه فى تفسيريهما – كما فى تخريج الكشاف ٣ / ٣٩١ – عن عكرمة مرسلا عن عمر. ووصله الطبرانى فى الأوسط عن أنس (٥ / ٩١ – ٩٢ رقم ٢٧٤٧ مجمع البحرين) وفى الباب عن أبى هريرة، رواه الطبرانى فى الأوسط (٥ / ٩٢ – ٩٣ رقم ٢٧٤٨).

خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ

شيء بقدر حتى الكَيْس والعَجْز»[١] . وعن ابن عباس: كل شيء بقدر حتى وضعك يدك على خدك . وعن على: ماطن ذباب إلا بقدر .

وعن أبى أمامة الباهلى قال: أشهد أن هذه الآية نزلت فى القدرية ردًا عليهم وتلا هذه الآية: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ وهو خبر غريب .

وعن الحسن البصرى - رحمه الله - أنه قال: لو صام إنسان حتى يصير كالحبل هزلا، وصلى حتى يصير كوتد، وذبح ظلمًا بين الركن والمقام، ثم كان مكذبًا بقدر الله، لأدخله الله النار، ويقال له: ذق مس سقر.

وفى رواية عائشة أن النبى ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين خصماء الرحمن؟ فيقوم القدرية ثم تلا قوله: ﴿إن المجرمين فى ضلال وسُعر﴾ ومابعدها»[٢]. وخصومتهم أنهم يقولون: قدرت علينا المعاصى وكيف تعذبنا؟

وقوله: ﴿وما أمرنا إلا واحدة﴾ يعنى: إلا مرة واحدة .

وقوله: ﴿كلمح بالبصر﴾ أى: كسرعة اللمح بالبصر فى النفوذ والوقوع، وفى بعض التفاسير فى قوله تعالى: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ أى: جعلنا لكل شيء مايصلح له، مثل ثياب الرجال للرجال، وثياب النساء للنساء، والسرج للفرس، والإكاف للحمار، ومأشبه ذلك، والمعنى: أى: قدرنا لكل شيء مايصلح له، ذكره

(١) رواه مسلم (٢٦/٣١٣ رقم ٢٦٥٥)، وأحمد (٢/١١٠)، ومالك فى الموطأ (٢/٨٩٩)، وابن بطة فى الإبانة (٢/٢/ ١٧٣ رقم ١٦٦٣،١٦٦٤) من حديث ابن عمر مرفوعا به.

(٢) روى ابن أبى عاصم فى السنة (١/ ١٤٦ رقم ٣٣١) من حديث عائشة مرفوعا: «مجوس هذه الأمة القدرية، وهم المجرمون الذين سماهم تعالى: ﴿إن المجرمين فى ضلال وسعر﴾ . وقد روى عمر مرفوعا بنحو رواية المصنف. رواه ابن أبى عاصم (١/١٤٨ رقم ٣٣٦)، والطبرانى فى الأوسط (٥/٣٩٦ رقم ٣٢٧١)، وابن الجوزى فى العلل المتناهية (١/١٤٩ رقم ٢١٩). وقال أبو حاتم (٢/٤٣٥ رقم ٢٨١٠ علل الرزاى): حديث منكر، وحبيب بن عمر ضعيف الحديث، مجهول لم يرو عنه غير بقية. وقال الدارقطنى فى علله (٢/٧١ رقم ١١٥): هذا حديث مضطرب ... والحديث غير ثابت. وقال الذهبى فى تلخيصه للعلل (ص٣٦): لم يصح هذا ... وروى بسند آخر مظلم.

فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾

بن فارس فى تفسيره.

وقوله تعالى: ﴿ولقد أهلكنا أشياعكم﴾ أى: أشابهكم ونظراءكم من الكفار.

وقوله: ﴿فهل من مدكر﴾ أى: متعظ.

وقوله: ﴿وكل شىء فعلوه فى الزبر﴾ أى: مسطور مكتوب فى الزبر. ويقال: كل شىء محفوظ فى الزبر.

وقوله: ﴿وكل صغير وكبير مستطر﴾ أى مسطور مكتوب فى اللوح المحفوظ. وفى الآثار المروية عن ابن عباس أنه قال: خلق الله اللوح المحفوظ من درة بيضاء ودفتاه[١] من ياقوت أحمر، قلمه ذهب وكتابة[٢] نور، ينظر الله كل يوم فيه ثلاثمائة وستين نظرة، يخلق، ويحى، ويميت، ويرزق، ويفعل مايشاء. وهذا أثر معروف.

قوله تعالى: ﴿إن المتقين فى جنات ونهر﴾ فى بعض الآثار: أن الرجل لايكون متقيا حتى يدع ماليس به بأس حذراً مما به بأس، وقد روى بعضهم هذا مرفوعًا إلى النبى ﷺ، وهو غريب[٢].

وقوله تعالى: ﴿فى جنات ونهر﴾ أى: بساتين وأنهار، واحد بمعنى الجمع، والأنهار هذه ماذكرها الله تعالى فى «سورة محمد» ﷺ.

والقول الثانى: أن معنى قوله: ﴿فى جنات ونهر﴾ أى: ضياء وسَعة.

قال قيس بن الخطيم:

ملكتُ بها كفى فأنهرتُ فتقَها ... يَرى قائما من دونها ما وراءها

أى: أوسعت. وقرئ: «فى جنات ونُهُر» بضم النون والهاء، وهو بمعنى النهار.

وقال الشاعر:

(١) فى «ك»: وقتادة، وهو تحريف. (٢) رواه الترمذى (٤ / ٥٤٧ رقم ٢٤٥١) وقال: حسن غريب، وابن ماجه (٢ / ١٤٠٩ رقم ٤٢١٥)، وعبد بن حميد (١٧٦ رقم ٤٨٤) وغيرهم من حديث عطية السعدى مرفوعًا به.

لولا الثريدانِ هَلكنا بالضُّمُمْ ثريدُ ليلٍ وثريدٌ بالنُّهُرْ

وعن أبى عمران الجونى قال: ليس فى الجنة ليل، هو نهار كله، ويعرف مجىء النهار بفتح الأبواب ورفع الستور، ويعرف مجىء الليل برد الأبواب وإرخاء الستور.

وقوله: ﴿فى مقعد صدق﴾ أى: مجلس حسن، ويقال: فى مقعد لا لغو فيه ولا تأثيم. وكل مكان ليس فيه لغو ولاتأثيم، فهو مقعد صدق.

وقوله: ﴿عند مليك مقتدر﴾ يقال: إن الملك والمليك بمعنى واحد.

قال ابن الزبعرى:

يارسول المليك إن لسانى رائق مافتقت إذ أنا بورُ

أى: رسول الملك. وقيل: إن المليك هو المستحق للملك، والملك: القائم بالملك. ومعنى الآية: ذكر كرامة المؤمنين وقربهم من الله تعالى، وهو النهاية فى الإكرام.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الإِنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤ الشَّمْسُ

تفسير سورة الرحمن

وهى مكية فى قول الأكثرين, وقال بعضهم: هى مدنية.

قوله تعالى: ﴿الرحمن﴾ قال الحسن: هو اسم لا يستطيع أحد أن ينتحله. ويقال: اسم ممتنع، وإنما (لم)(١) يصح أن يقال لغيره، وصح أن يقال: راحم ورحيم؛ لأن معنى الرحمن أن رحمته وسعت كل شيء، وهذا لا يصح فى غير الله جل وعلا. وحكى بعضهم: أن الرحمن هو مجموع فواتح ثلاث سور «الر - حم - ن».

وقوله: ﴿علم القرآن﴾ أى: يسر وسهل تعلمه.

وقوله: ﴿خلق الإنسان﴾ قال قتادة: هو آدم - صلوات الله عليه - وقال الضحاك: هو محمد ﷺ. وعن بعضهم: هو جنس الناس، واحد بمعنى الجمع، مثل قوله تعالى: ﴿والعصر إن الإنسان لفى خسر﴾(٢) أى: الناس.

وقوله: ﴿علمه البيان﴾ فعلى القول الذى قلنا إن المراد به آدم، فمعنى تعليم البيان: تعليم الأسماء. وعلى القول الذى يقول: إنه محمد ﷺ، فمعنى تعليم البيان: هو أنه بيَّن له الحلال والحرام. ويقال: بيَّن له طريق الهدى وطريق الضلالة. ويقال: بين الخير والشر. وإذا حملنا على جنس الناس فمعنى البيان: هو المنطق والكلام. وكل عاقل مميز له بيان يعقله وتمييزه.

قوله تعالى: ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾ أى: بحساب. قاله مجاهد وغيره ويقال(٣): بحسبان، أى بجرى معلوم فى منازل معلومة. وقال السدى: بأجل معلوم، فإذا بلغا أجلهما هلكا. وقيل: الحسبان قطب الرحا. والمعنى: أنهما يدوران كما يدور

---

(١) فى «ك»: لا.

(٢) العصر: ١-٢.

(٣) فى «ك»: وقوله.

وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ ﴿١٠﴾

الرحا على القطب.

وقوله ﴿ والنجم والشجر يسجدان ﴾ قال أهل اللغة: النجم كل ما نبت لا على ساق، والشجر ما نبت على ساق. ويقال: النجم نجم السماء، والشجر جميع الأشجار. وأما سجودهما، قال ابن عباس: يسجدان إذا طلعت الشمس وإذا قالت الشمس إلى أن تغرب. ويقال: سجودهما هو ما سخرهما الله تعالى على مشيئته وأمره. والأولى هو أن يقال: إن سجود الموات ثابت بنص الكتاب، هو على ما أراد الله تعالى، والعلم بحقيقته موكول إليه، وهو مذهب أهل السنة. ويقال: سجودهما بدوران الظل يمينا وشمالاً.

قوله تعالى: ﴿ والسماء رفعها ﴾ أى: أعلاها بحيث لا تنالها الأيدى.

وقوله: ﴿ ووضع الميزان ﴾ فيه قولان، أحدهما: أنه الميزان المعروف، والآخر: أن المراد منه العدل.

وقوله: ﴿ أن لا تطغوا فى الميزان ﴾ قرأ ابن مسعود: «لا تطغوا فى الميزان» أى: لا تجوروا فيه، ولا تجوزوا الحد. والطغيان: مجاوزة الحد.

وقوله: ﴿ وأقيموا الوزن بالقسط ﴾ أى: بالعدل. وإقامة الوزن: إقامة لسان الميزان من غير ميل وجور.

قوله: ﴿ ولا تخسروا الميزان ﴾ أى: لا تنقصوا ولا تبخسوا. وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: يا معشر الموالى - يعنى: العجم - إنكم وليتم أمر من فيهما هلك كثير من الأمم قبلكم المكيال والميزان.

قوله تعالى: ﴿ والأرض وضعها للأنام ﴾ أى: بسطها. وفى الأنام ثلاثة أقوال، أحدها: ذكره الحسن البصرى أنه الجن والإنس. والآخر: أنه الإنس خاصة. والثالث:

فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ

كل ما دب ودرج.

قوله تعالى: ﴿ فيها فاكهة ﴾ الفاكهة كل ما يتفكه به.

وقوله ﴿ ذات الأكمام ﴾ جمع الكِمِّ، والكَمُّ: كل ما يغطى شيئًا، ومنه الكم المعروف، فلأنها تغطى اليد. والقلنسوة تسمى الكُمَّة؛ لأنها تغطى الرأس. ومعنى الكم هاهنا: هو الغلاف الذى يكون لثمرة النخل، ويقال: الكم هو الطلع.

قوله تعالى: ﴿ والحب ذو العصف والريحان ﴾ العصف: ورق الزرع، فإذا يبس صار تبنًا، ويقال: العصف هو البقل الذى ينبت من الأرض.

وقوله: ﴿ والريحان ﴾ أى: الثمرة. قال ابن كيسان: إذا نبت الزرع فأوله يكون عصفًا، ثم يظهر فيه الريحان، وهو ثمرته. وقيل: إن الريحان هو الرزق، قال الشاعر:

سلامُ الإلهِ وريحانُه ورحمتُه وسماء درر

قال الحسن البصرى: هو الريحان الذى يشم. وأولى الأقاويل أن العصف هو التبن، والريحان هو الحب الذى خلق فيه للأكل، سماه ريحانا؛ لأن منه رزق العباد. وفى المصاحف: «والحب والعصف» ومعناه: وخلق الحب ذا العصف.

وقوله: ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ معناه: بأى نعم ربكما تكذبان أيها الإنس والجن؟ والمراد من الآلاء النعم التى عدها من قبل. وقد ثبت برواية محمد بن المنكدر عن جابر أن النبى ﷺ قرأ سورة الرحمن على أصحابه، فلم يجيبوا بشىء، فقال: «ما لى أراكم سكوتا! للجن كانوا أحسن منكم ردًّا، ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ إلا قالوا: ولا بشىء من نعمك ربنا نكذب، فلك الحمد»(١).

---

(١) رواه الترمذى (٥/ ٣٧٢ - ٣٧٣ رقم ٣٢٩١)، وقال: غريب، وابن أبى الدنيا فى الشكر (رقم ٦٨)، وأبو الشيخ فى العظمة (٤٢٥ رقم ١١١٨)، والحاكم (٢/ ٤٧٣) وصححه على شرطهما، وابن عدى فى الكامل (٣/ ١١٨ - ١١٩)، وأبو نعيم فى تاريخ أصبهان (١/ ١٨١)، والبيهقى فى الشعب (٥/ ٤٣٤ رقم ٢٢٦٤)، وفى الدلائل (٢/ ٢٣٢)، والإسماعيلى فى معجمه (١/ ٣٨٨ - ٣٩٨ رقم ٢٥)، وابن عساكر فى تاريخ دمشق (٦/ ٣٦٨، ١٩/ ١١٧) عن ابن المنكدر به. وفى الباب عن ابن عمر. أخرجه البزار (٢/ ١١٠ - ١١١ رقم ١٥١٤ مختصرًا)، وابن جرير (٢٧/ ٧٢)، وزاد السيوطى فى الدر (٦/ ١٥٥): ابن المنذر، والدارقطنى فى الأفراد، وابن مردويه، والخطيب فى تاريخه بسند صحيح عن ابن عمر مرفوعا، فذكره بنحوه.

آلاءِ ربِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ الإنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾

قوله تعالى: ﴿خلق الإنسان من صلصال كالفخار﴾ الصلصال: الطين اليابس الذى يصوت إذا نقر وحرك.

وقوله: ﴿كالفخار﴾ أى: الخزف. فإن قيل: قد قال فى موضع آخر: ﴿من طين لازب﴾(١)، وقال فى موضع: ﴿من حمأ مسنون﴾(٢)، وقال هاهنا: ﴿من صلصال﴾ فكيف وجه التوفيق؟

الجواب عنه: أن الجميع صحيح على القطع، فالله تعالى خلق آدم من تراب جعله طينا لازبا، ثم جعله حمأ مسنونا، ثم جعله صلصالا كالفخار، ثم صوره. قال قتادة: هو الماء يصيب الأرض، ثم يذهب الماء فيجف موضع الماء وييبس وينشق، فهو الصلصال كالفخار. وذكر أبو الحسين بن فارس فى تفسيره: أنه ورد فى بعض الحديث أن الله تعالى حين أراد أن يخلق آدم - عليه الصلاة والسلام - جعل التراب طينا لازبا، وتركه أربعين سنة، ثم جعله صلصالا كالفخار، وتركه أربعين سنة، ثم صوره وتركه جسداً لا روح فيه أربعين سنة، وكانت الملائكة يمرون عليه فيقولون: سبحان الذى خلقك، لأمر ما خلقك. وقد ثبت عن النبى ﷺ «أن إبليس عليه اللعنة لما رأى الصورة فوجده أجوف، فعلم أنه خلق لا يتمالك»(٣).

قوله تعالى: ﴿وخلق الجان من مارج من نار﴾ أى: من لهب النار. ويقال: خالص النار. وإن الجان هو أبو الجن.

وقوله: ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ قد بينا معناه. وقال الحسن: الجان هو

---

(١) الصافات: ١١.

(٢) الحجر: ٢٦، ٢٨، ٣٣.

(٣) رواه مسلم (١٦/ ٢٤٨ رقم ٢٦١١)، وأحمد (٣/ ١٥٢، ٢٢٩، ٢٤٠، ٢٥٤)، والطيالسى (٢٧٠ رقم ٢٠٢٤)، وابن حبان (١٤/ ٣٥ رقم ٦١٦٣)، والحاكم (١/ ٣٧) وصححه، وأبو الشيخ فى العظمة (٣٧٣، ٣٧٥ رقم ١٠٣٣، ١٠٤٠).

رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾

إبليس.

وقوله: ﴿من مارج من نار﴾ قد ذكرنا. وقال سعيد بن جبير: المارج: الخضرة التى تكون بين النار وبين الدخان. ويقال: المارج نار مختلطة بسواد. وقال الفراء فى قوله: ﴿من نار﴾: هى نار دون الحجاب، ومنها الصواعق التى يراها الناس.

قوله تعالى: ﴿رب المشرقين ورب المغربين﴾ معناه: مشرق الصيف، ومشرق الشتاء. والذى قال فى موضع آخر: ﴿رب المشرق والمغرب﴾(١) هو مشرق كل يوم فى الصيف والشتاء. ويقال: المشرقان: الشمس والفجر، والمغربان: الشمس والشفق.

قوله تعالى: ﴿مرج البحرين يلتقيان﴾ أى: خلاهما وأرسلهما، قاله الفراء والزجاج وغيرهما، وعن بعضهم: مرج البحرين أى: لاقى بينهما.

وقوله: ﴿البحرين﴾ فيه أقوال: قال مجاهد: بحر السماء والأرض. وقال الحسن: بحر فارس والروم. ويقال: بحر المشرق والمغرب. ويقال: بحر الملح والعذب.

وقوله: ﴿يلتقيان﴾ أى: يلقى أحدهما صاحبه.

وقوله: ﴿بينهما برزخ لا يبغيان﴾ أى: حاجزه.

وقوله: ﴿لا يبغيان﴾ أى: لا يختلط أحدهما بالآخر، لا يختلط الملح بالعذب [فيفسده](١)، ولا العذب بالملح فيختلج. ويقال: الحاجز حاجز من القدرة.

والآية وردت فى موضع مخصوص من بحر فارس والروم. وقيل: فى موضع مخصوص من العذب والملح. والعذب هو النيل، والملح هو بحر الروم، يلتقيان ولا يختلطان.

---

(١) الشعراء: ٢٨، والمزمل: ٩.

(٢) فى «الأصل، وك»: ويفسده.

يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾

وقال بعضهم: الحاجز هو الأرض من بحر السماء وبحر الأرض. وعن بعضهم: أن الحاجز هو جزيرة العرب.

قوله تعالى: ﴿يُخْرَجُ منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ وقرئ: «يُخْرِجُ» و«يَخرج» أي: يخرج الله. وأما اللؤلؤ، فهو الحب المعروف منه الصغار والكبار، وأما المرجان، قال ابن مسعود: هو خرز أحمر. ويقال: إنه [البُسَّدُ](١) جوهر معروف. وقال قتادة وغيره: المرجان كبار اللؤلؤ، واللؤلؤ صغاره، وقيل على العكس: المرجان صغار اللؤلؤ، واللؤلؤ كباره. فإن قيل: قد قال: ﴿يخرج منهما﴾ وأجمع أهل العلم بهذا الشأن أنه يخرج من الملح دون العذب. والجواب: أنه ذكرهما والمراد أحدهما، كما تقول العرب: أكلت خبزاً ولبناً، وإنما الأكل فى أحدهما دون الآخر. قال الزجاج: لما ذكر البحرين ثم ذكر اللؤلؤ والمرجان، وهو يخرج من أحدهما، صحب الإضافة إليهما على لسان العرب. وذكر القفال الشاشى فى تفسيره: أن اللؤلؤ والمرجان لا يكون إلا فى ملتقى البحرين فى أول ما يخلق، ثم حينئذٍ موضع الأصداف هو البحر الملح دون العذب، فصح قوله: ﴿يخرج منهما﴾ لأنهما فى ابتداءٍ عند ملتقى البحرين، وهذا قول حسن إن كان كذلك. وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن السماء إذا أمطرت ارتفعت الأصداف إلى وجه البحر وفتحت أفواهها، فما وقع من قطر السماء فى أفواهها يكون الدر.

قوله تعالى: ﴿وله الجوار المنشآت﴾ وقرئ بكسر الشين، والأول أشهر؛ فمعنى الكلمة على الفتح أى: المرفوعات الشُّرُع، ويقال: المخلوقات. ومعنى الكلمة بالكسر أى: المقبلات، ويقال: المبتدئات فى السير، فعلى هذا المعنى إذا قرئ بالفتح فمعناه: أبتدئ بهن فى السير، ذكره الأزهرى. والجوارى: هى السفن.

وقوله: ﴿فى البحر كالأعلام﴾ أى: الجبال، قال الشاعر:

(١) فى «الأصل، وك»: الند، كذا. والمثبت من لسان العرب، مادة: مرج.

كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ

إذا قطعن علماً بدا علم

وقالت الخنساء:

وإن صخراً ليأتم الهداة به ... كأنه علم فى رأسه نار

أى: جبل. ويقال: كالأعلام أى: كالقصور. وعن بعضهم: أن السفن فى البحر كالجبال فى البر.

قوله تعالى: ﴿كل من عليها فان﴾ أى: كل من على الأرض هالك.

وقوله: ﴿ويبقى وجه ربك﴾ أى: يبقى ربك، وروى الضحاك عن ابن عباس: أنه يبقى ما أريد به وجه ربك.

وقوله: ﴿ذو الجلال والإكرام﴾ أى: الكبرياء والعظمة. وأما الإكرام: هو ما أكرم أولياءه، وأصفياءه.

قوله تعالى: ﴿يسأله من فى السموات والأرض﴾ فى الآية أقوال: أحدها: يسأله من فى السماء الرحمة، ومن فى الأرض الرزق والمغفرة. قال الكلبى: لا يستغنى عنه أحد من أهل السماء وأهل الأرض. وقال قتادة: يسأله أهل السماء وأهل الأرض المغفرة. وعن بعضهم: يسأله من فى السماء - أى: الملائكة - لأهل الأرض المغفرة والرزق، ويسأله من فى الأرض لأنفسهم المغفرة والرزق، وهذا قول الحسن البصرى. فالمسئول له فى السؤالين أهل الأرض. والجملة أن معنى الآية: أن كل أهل السماء وأهل الأرض يسألونه حوائجهم، ولا غنى لأحد عنه.

وقوله: ﴿كل يوم هو فى شأن﴾ روى أبو الدرداء عن النبى ﷺ قال: «يغفر ذنباً،

ويفرج كربًا، ويرفع قومًا، ويضع آخرين»(١).

وعن بعضهم: يعطى سائلا، ويجيب داعيا، ويفك عانيا. وعن بعضهم: يحيى ويميت، ويعز ويذل، ويخلق ويرزق. وعن بعضهم: يعتق رقابا، ويعطى رِغابًا، ويفحم خطابا.

قوله تعالى: ﴿سنفرغ لكم أيها الثقلان﴾ أى: الجن والإنس.

والثقل فى كلام العرب: كل ما يتنافس فيه، ويسمون بيض(٢) النعامة ثقلا؛ لأنه يتنافس فيها. وفى الخبر أن النبى ﷺ قال: «تركت فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتى»(٣). وهو إخبار عن عظم قدرهما. فإن قيل: قد قال: ﴿سنفرغ﴾ والفراغ لا يكون إلا عن شغل، ولا يجوز الشغل على الله تعالى، فكيف معناه؟

والجواب: أن هذا على طريق التهديد والوعيد، كالإنسان يقول لغيره: سأفرغ لك، وإنه لم يكن فى الحال فى شغل. وقال الزجاج: والفراغ يكون على وجهين: أحدهما: الفراغ من الشغل. والآخر: بمعنى القصد، كالرجل يقول لغيره: قد تفرغْتَ لأذاى ومكروهى أى: أخذت فى مكروهى وأذاى. ويقول الرجل لغيره: اصبر حتى أتفرغ

---

(١) رواه ابن ماجه (١/ ٧٣ رقم ٢٠٢)، وابن أبى عاصم فى السنة (١/ ١٢٩ - ١٣٠ رقم ٣٠٠)، وأبو الشيخ فى العظمة (٦٨ رقم ١٥٠)، وابن حبان فى صحيحه (٢/ ٤٦٤ رقم ٦٨٩)، وأبو نعيم فى الحلية (٥/ ٢٥٢ - ٢٥٣)، والبيهقى فى الشعب (٣/ ٣٠١ - ٣٠٢ رقم ١٠٦٦)، وذكره الدارقطنى فى العلل (٦/ ٢٢٨ - ٢٢٩ رقم ١٠٩٣)، وذكر الاختلاف فى رفعه ووقفه، وصوَّب الموقوف. وعزاه السيوطى فى الدر (٦/ ١٥٨) للحسن بن سفيان، والبزار، وابن جرير، والطبرانى، وابن مردويه، وابن عساكر أيضا. وفى الباب عن ابن عمر، وابن عباس، وعبد الله بن منيب. وانظر الدر المنثور.

(٢) فى «الأصل»: ببعض.

(٣) رواه مسلم (١٥/ ٢٥٥ - ٢٥٨ رقم ٢٤٠٨)، وأحمد (٤/ ٣٦٦ - ٣٦٧، ٣٧١)، وابن أبى عاصم فى السنة (٢/ ٦٢٩ رقم ١٥٥١)، والطبرانى فى الكبير (٥/ ١٨٣ رقم ٥٠٢٨)، والحاكم (٣/ ١٠٩) وصححه على شرطهما، جميعهم عن زيد بن أرقم مرفوعا به.

مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ

لك أي: أقصدك وأعمدك، فمعنى قوله: ﴿سنفرغ لكم﴾ أي: سنقصد ونعمد بالمؤاخذة والمجازاة.

وأنشد المبرد فى هذا المعنى قول جرير:

لما اتقى القين العراقى [باسته](١) فرغت إلى العبد المقيد فى الحجل

قوله تعالى: ﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض﴾ أى: جوانب السموات والأرض.

وقوله: ﴿أن تنفذوا﴾ أى: تخرجوا.

وقوله: ﴿فانفذوا﴾ أى: اخرجوا، وهذا على طريق التهديد.

وقوله: ﴿لا تنفذون إلا بسلطان﴾ أى: حجة. ويقال: لا تنفذون إلا فى سلطان، والباء بمعنى فى، حيثما كنتم فأنتم فى سلطانى وملكى. واختلفوا أن هذا القول متى يكون؟ فالأكثرون على أنه يوم القيامة يكون، وينزل الله تعالى الملائكة حتى ينفذوا على أقطار السموات والأرض، فإذا رأى الجن والإنس أهوال القيامة هربوا، فتردهم الملائكة.

وروى أبو صالح عن ابن عباس قال: بينما يكون الناس فى أسواقهم إذ رأوا السماء قد تشققت، ونزلت الملائكة، فيهرب الناس، فتتبعهم الملائكة ويردونهم إلى أمر الله تعالى وهو الهلاك. وهذا قول غريب. ويقال: إن المراد هو الهرب من الموت، يعنى: إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض هَرَبًا من الموت فانفذوا.

وقوله: ﴿لا تنفذون إلا بسلطان﴾ يعنى: حيث ما كنتم أدرككم.

قوله تعالى: ﴿يرسل عليكما شواظ من نار﴾ أى: لهب من نار، قاله ابن عباس.

(١) فى «الأصل، وك»: يأتيه. والتصويب من لسان العرب (٨/٤٤٥).

وَنُحَاسٌ فَلا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ

وقال مجاهد: قطعة من النار فيها خضرة. والمراد بالإرسال هو إرسال العذاب.

وقوله: ﴿عليكما﴾ منصرف إلى الجن والإنس.

وقوله: ﴿ونحاسٍ﴾ يقرأ بكسر السين وضمها، والنحاس من الدخان، وفى قول الأكثرين، قال الشاعر:

يضيء كضوء سراج السليطـ ـة لم يجعلِ اللهُ فيه نُحَاسَا

وقال مجاهد: النحاس: الصُّفْر المذاب على رءوس الكفار.

وقوله: ﴿فلا تنتصران﴾ أى: لا تمتنعان، ويقال: لا يكون لكما قوة دفع العذاب.

قوله تعالى: ﴿فإذا انشقت السماء فكانت وردة﴾ أى: حمراء.

وقوله: ﴿كالدهان﴾ وقال ابن عباس: كالأديم الأحمر، وفى رواية أخرى عنه: أن الوردة وردة النبات، وهى تكون حمراء فى الأغلب، قال عبد بنى الحساس:

فلو كنت وردًا لونه [لعشقننى][1] ولكن [ربى شاننى][2] بسواديا

وذكر الفراء والزجاج وغيرهما أن الوردة هاهنا: لون الفرس الورد، وهو الكميت. وذلك يتلون فى فصول السنة، فيكون أصفر فى فصل، وأحمر فى فصل، وأغر فى فصل. والدهان جمع الدهن، وهى مختلفة الألوان. فمعنى الآية: أن السماء يختلف لونها يوم القيامة كاختلاف لون الورد، واختلاف لون الدهن. وقال تعالى فى موضع آخر ﴿يوم تكون السماء كالمهل﴾[3] قالوا: هو دُرْدِيُّ الزيت، أى: فى اللون.

وقال بعضهم: يصير مثل الدهن الأصفر، وهذا كله من فزع القيامة وهولها.

قوله تعالى: ﴿فيومئذٍ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان﴾ أى: لا يسأل سؤال

(١) فى «الأصل، وك»: يعشقنى، والتصويب من ديوان سحيم (ص٢٦).

(٢) فى «الأصل، وك»: زين شانى، والتصويب من الديوان السابق.

(٣) المعارج: ٨.

إِنسٌ وَلا جَانٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾

استعلام، وإنما يسأل سؤال تقريع وتوبيخ، ولا يقال لهم: هل فعلتم؟ بل يقال لهم: لم فعلتم؟

وعن بعضهم: أن معناه: لا يسأل بعضهم بعضا. وعن بعضهم: أن الملائكة لا يسألون عن ذنوب بنى آدم؛ لأنهم قد رفعوا الصحف، وأدوا الأمانة فيها. والقول الأول هو الصحيح.

قوله تعالى: ﴿يعرف المجرمون بسيماهم﴾ قال الحسن البصرى وغيره: بسواد الوجوه وزرقة العيون.

وقوله: ﴿فيؤخذ بالنواصى والأقدام﴾ أى: يجرون بنواصيهم وأقدامهم إلى النار، ويقال: يجمع بين نواصيهم وأقدامهم ويشد، ثم يلقى (فى)[1] النار.

قوله تعالى: ﴿هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون﴾ يقال لهم هذا حين يرون جهنم، وهذا على طريق التقريع والتوبيخ، يعنى: ما أنكرتموه وجحدتموه فأبصروه عيانًا.

وقوله: ﴿يطوفون بينها وبين حميم آن﴾ أى: يطاف بهم مرة إلى الحميم، ومرة إلى الجحيم.

وقوله: ﴿آن﴾ هو الحميم الذى انتهى حره. وقيل: آنٍ أى: آنَ وحضر وقت عذابهم به وشربهم إياه.

قوله تعالى: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ لما ذكر عذاب الكفار أتبع ذكر نعيم المؤمنين.

---

(١) فى «ك»: إلى.

وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾

وقوله: ﴿خاف مقام ربه﴾ أى: قيامه بين يدى ربه للسؤال والحساب، ويقال: هو من قَدَرَ على الذنب فذكر ربه فخاف منه وتركه. وعن عطية بن قيس: «أن الآية وردت فى الرجل الذى أوصى بنيه، وقال: إذا مت فأحرقونى واسحقونى وذرونى فى الريح، لعلى أضل ا لله، ففعلوا، فأحياه الله تعالى وقال: لم فعلت ذلك؟ قال: مخافتك، فغفر الله له». وهذا خبر صحيح(١).

وعن ابن الزبير أن الآية نزلت فى أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - وهذا محكى عن عطاء بن أبى رباح. قال الضحاك: شرب أبو بكر - رضى الله عنه - لبنا، ثم سأل عنه، وكان من غير وجهه، فاستقاءه، فأنزل الله هذه الآية.

وقوله: ﴿جنتان﴾ أى: بستان. ويقال: بستان لمسكنه، وبستان لخدمه وحشمه. ويقال: مسكن له، وبستان له. وعن بعضهم معناه: جنة عدن، وجنة النعيم، وهذا قول حسن. وقال مجاهد فى قوله: ﴿خاف مقام ربه﴾ أى: هَمَّ بالمعصية فتركها خوفا من الله تعالى.

وقال الفراء: الجنتان هاهنا بمعنى الجنة الواحدة، وقد ورد هذا فى الشعر.

قال الشاعر:

ومهمهين فرقدين مرتين(٢)

وأراد به الواحدة. وقد أنكر عليه ذلك. وقيل: هذا ترك الظاهر، وإنما الجنتان بستانان. وفى الخبر المشهور أن النبى ﷺ قال: «جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما»(٣) رواه أبو موسى.

---

(١) رواه البخارى (٦/ ٥٧٠ رقم ٣٤٥٢ وطرفاه: ٣٤٧٩، ٦٤٨٠)، والنسائى (٤/ ١١٣ رقم ٢٠٨٠) عن حذيفة مرفوعا به.

(٢) انظر لسان العرب (٢/ ٤٦ مادة: السمت).

(٣) متفق عليه، رواه البخارى (٨/ ٤٩١ رقم ٤٨٧٨ وطرفاه: ٤٨٨٠، ٧٤٤٤)، ومسلم (٣/ ٢٠ - ٢١ رقم ١٨٠).

ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ

قوله تعالى ﴿ ذواتا أفنان ﴾ فيه قولان: أحدهما أن معناه: ذواتا ألوان من الفاكهة، كأن الأفنان بمعنى الفنون. والقول الثانى: أن الأفنان بمعنى الأغصان، وهو الأظهر. قال عكرمة: ظل الأغصان على الحيطان. وأما الأول قاله الضحاك، وجمع عطاء بين القولين فقال: على كل غصن أنواع من الفواكه.

قوله تعالى: ﴿ فيهما عينان تجريان ﴾ فقال: هما التسنيم والسلسبيل، وعن[١] بعضهم: تجريان بكل خير وبركة.

قوله تعالى: ﴿ فيهما من كل فاكهة زوجان ﴾ أى: نوعان وصنفان، وهو الرطب من الفواكه وما يشبهها، كالعنب والزبيب، والرطب والتمر، ونحو ذلك. وعن[١] ابن عباس: ليس مما وصف فى الجنة فى الدنيا شىء إلا الأسماء. كأنه ذهب إلى أن شيئا مما فى الدنيا لا يماثل ما فى الجنة.

قوله تعالى: ﴿ متكئين على فرش بطائنها من إستبرق ﴾ قال الحسن البصرى: بطائنها أى: ظواهرها، تقول العرب: هذه بطن السماء، وهذه ظهرها، لما يرى من السماء، وهذا القول ذكره الفراء أيضًا، وأما سائر أهل التفسير قالوا: إن المراد من البطائن حقيقة البطانة. والإستبرق: هو الديباج الغليظ، مثل ما يعلق من الديباج على الكعبة. وقيل: إنها فارسية معربة من قولهم: إستبر. وعن بعضهم: أنه مثل الحرير الصينى. قال أبو هريرة: هذه البواطن، فما ظنكم بالظواهر، ومثله عن ابن مسعود. وعن سعيد بن جبير قال: ظواهرها نور يتلألأ. وعن بعضهم: ظواهرها مما قال الله تعالى: ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ﴾[٢].

---

(١) فى «ك»: وقال.

(٢) السجدة: ١٧.

وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾

وقوله: ﴿ وجنى الجنتين دان ﴾ أى: ثمار الجنتين دانية، ومنه قول العرب: هذا جناى[١] خياره فيه، إذ كل جان يده إلى فيه، وهو يحكى عن على بن أبى طالب – رضى الله عنه – حين دخل بيت المال بالكوفة، ورأى ما فيه من الذهب والفضة فقال: يا صفراء، ويا بيضاء غُرّا غيرى، ثم قال: هذا جناى... إلى آخره.

وقوله: ﴿ دان ﴾ أى: قريب المتناول. قال قتادة: لا يرده عنها بُعْدٌ ولا شوك. وقال غيره: يتناولها قائماً وقاعداً ومضطجعاً.

قوله تعالى: ﴿ فيهن قاصرات الطرف ﴾ فإن قيل: كيف قال: ﴿ فيهن ﴾ وإنما ذكر الجنتين؟

والجواب: قال بعضهم: إن الاثنين يذكران بلفظ الجمع، فيجوز أن يرد الكلام إليهما بلفظ الجمع. والأصح أن قوله: ﴿ فيهن ﴾ ينصرف إلى الفرش[٢]، ومعناه: عليهن، مثل قوله: ﴿ ولأصلبنكم فى جذوع النخل ﴾[٣] أى: على جذوع.

وقوله: ﴿ قاصرات الطرف ﴾ أى: قصرن أطرافهن على أزواجهن لا يرون غيرهم، وهذا أحسن خصلة من خصال النساء. قال ابن مسعود: لسن بمتبرجات، ولا ضماخات، ولا دفرات. وقال بعضهم: لسن بمتشرفات، ولا بمتطلعات، ولا صياحات، ولا صخابات. وقال الحسن: لسن بالطوافات فى الأسواق.

وقوله: ﴿ لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان ﴾ أى: لم يمسسهن إنسى ولا جنى. قال الفراء: الطمث: هو الوطء بالتدمية، وهو الافتضاض.

قال الفرزدق:

---

(١) فى «الأصل، وك»: جنانى، وهو خطأ، والتصويب من مجمع الأمثال لأبى الفضل الميدانى (٢/٣٩٧ رقم ٤٥٦٧)، ولسان العرب (١٤/١٥٥)، وسيأتى على الصواب من قول على بن أبى طالب – رضى الله عنه – بعده.

(٢) فى «ك»: الفراش.

(٣) طه: ٧١.

كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾

رفعن إليّ لم يطمثن قبلي   وهن أصح من بيض النعام

وعن الحسن البصرى: أن المراد من قوله: ﴿ فيهن قاصرات الطرف ﴾ هن المؤمنات من الآدميات. فعلى هذا قال بعضهم: يجوز أن يطأ الجنى الإنسية، واستدل بظاهر الآية. وأما الأكثرون أنكروا هذا، وقالوا: معنى الآية: لم يطمثهن، الجنية جنى، ولا الإنسية إنسى، وقوله: ﴿ فيهن قاصرات الطرف ﴾ يتناول الإنسيات والجنيات. فإن قال قائل: هل يقولون إن الجن يدخلون الجنة، ويكون لهم أزواج مثل الإنس؟

والجواب : أن العلماء اختلفوا فيه، فقال بعضهم: يدخل الله المؤمنين منهم الجنة كما يدخل الكافرين منهم النار، وهو قول ضمرة بن جندب وغيره. وقال بعضهم: ليس لهم ثواب. قال ليث بن أبى سُلَيْم: مؤمنو الجن يحاجزون من النار ثم يجعلون ترابًا، وأما الكفار منهم يخلدون فى النار.

وأما على الأول إذا حملنا الآية على الحور العين لا يرد شىء من هذه الأسئلة.

قوله تعالى: ﴿ كأنهن الياقوت والمرجان ﴾ أى: فى صفاء الياقوت وبياض المرجان، وقد بينا أن المرجان هو اللؤلؤ الصغار، وقيل: الكبار.

قوله تعالى: ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾ معناه: هل جزاء الطاعة إلا الثواب. ويقال: هل جزاء من قال لا إله إلا الله إلا الجنة. وفى رواية ابن عمر عن النبى ﷺ أنه قال حاكيا عن الله تعالى: «جزاء ما أنعمت عليه بالتوحيد إلا أن أدخلته جنتى»(١) . وقيل: الآية على الجملة، ومعناها: هل جزاء من أحسن إلا أن يحسن إليه. وعن بعضهم: أنه يحتمل أن معنى الآية: هل جزاء إحسان الله إليكم إلا أن تحسنوا بالطاعة.

(١) كذا، والحديث رواه ابن أبى حاتم، وابن مردويه، والبيهقى فى الشعب – وضعفه – عن ابن عمرمرفوعًا: «ماجزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة»، كما فى الدر (٦ / ١٦٥)، وذكر له شواهد عن عدة من الصحابة.

وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَامَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾

قوله تعالى: ﴿ومن دونهما جنتان﴾ أى: من دون الجنتين جنتان، فيقال: الجنتان المذكورتان أولا للمقربين، والمذكورتان آخراً لأصحاب اليمين، ويقال: المذكورتان أولا للسابقين، والمذكورتان آخراً للتابعين. واختلف القول فى قوله: ﴿ومن دونهما جنتان﴾ قال بعضهم معناه: أن الجنتين المذكورتين آخراً دون الجنتين المذكورتين أولا فى النعيم والكرامة. وقال بعضهم: هو مأخوذ من الدنو على معنى القرب، كأن هاتين الجنتين أقرب إلى المؤمن - يعنى: إلى مسكنه ومنزله - من الجنتين الأولتين. فإن قال قائل: أىُّ كرامة فى ذكر الجنتين، وهنا ذكر جنة واحدة؟

والجواب: أن التنقل من بستان إلى بستان من الاستلذاذ والتنعم ما لا يخفى، فذكر الجنتين للزيادة والكرامة والنعمة.

قوله تعالى: ﴿مدهامتان﴾ أى: خضراوتان من الرِّىِّ. قال مجاهد: مسودتان من شدة الخضرة، وهذا قول صحيح؛ لأنه ما من أخضر إلا وإذا اشتدت خضرته يضرب إلى السواد، والعرب كانت تسمى قرى العراق سواداً لشدة خضرتها، وكثرة أشجارها.

قوله تعالى: ﴿فيهما عينان نضاختان﴾ أى: فوارتان، والنضخ فوق النضح ودون الجرى. ويقال: نضاختان بالعنبر والمسك.

قوله تعالى: ﴿فيهما فاكهة ونخل ورمان﴾ حكى عن ابن عباس أنه قال: الرمان ليس من الفاكهة، وكذلك الرطب؛ لأنهما أفردا بالذكر عن الفاكهة، وذكر الفراء هذا أيضاً. و[هذا](١) عن ابن عباس قول غريب، والأكثرون على أن الجميع فاكهة؛ لأن الفاكهة ما يتفكه به، والإفراد بالذكر للتنبيه على نوع فضل، لا أنه ليس من الفاكهة، وهو مثل قوله تعالى: ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾(٢) ومثل قوله

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) البقرة: ٢٣٨.

فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ

تعالى: ﴿من كان عدوًا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال﴾(١).

والرمان نوع فاكهة يمص ويرمى بثفله. وعن الحسن البصرى قال: لو قال رجل لامرأته: إن أكلت فاكهة فأنت طالق، فأكلت الرمان أو الرطب وقع الطلاق. وهذا قول أكثر أهل العلم، وهو المختار. وعند أبى حنيفة - رضى الله عنه - لا يقع الطلاق. قال سعيد بن جبير: نخل الجنة جذوعها من ذهب، وأغلافها من ذهب، وكرانيفها من زمرد، وسعفها كسوة أهل الجنة، وثمرها كالدلاء، أحلى من كل شيء، وألين من كل شيء.

قوله تعالى: ﴿فيهن خيرات حسان﴾ قرئ فى الشاذ: «خيِّرات حسان» وهما بمعنى واحد، مثل: هين وهيِّن، ولين وليِّن. ومعنى الآية: خيرات الأخلاق، حسان الوجوه.

قوله تعالى: ﴿حور مقصورات فى الخيام﴾ أى: محبوسات، وليس هذا الحبس إهانة، إنما هو حبس الكرامة، قال عمر - رضى الله عنه - الخيمة مجوفة. وعن ابن مسعود قال: كل خيمة لها أربعة أبواب، يدخل عليه من كل يوم هدية جديدة من الله تعالى. وعن ابن عباس: الخيمة فرسخ فى فرسخ من درة واحدة، لها أربعة آلاف مصراع من ذهب. وقال بعضهم: الخيمة بمعنى القبة، وهى قباب العرب التى كانوا يسكنونها فى البادية، فذكر لهم مثل ما كانوا يستلذونها ويستطيبونها، وقد كانوا يستطيبون السكنى فى الخيام فى البوادى، وقد قيل: إن هذه الخيام خارج الجنة كالبوادى للحاضرة.

وقوله: ﴿لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿متكئين على رفرف﴾ قال الفراء: هو رياض الجنة. وقال أبو عبيدة:

(١) البقرة: ٩٨.

رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾

فُرُش الجنة. وعن ابن مسعود فى قوله: ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾(١) أى: رفرفاً أخضر قد سد الأفق، وهو البساط. وعلى الجملة: الرفرف كل فرش يرتفع، مأخوذ من الرَّف، وهو المرتفع فى الجدار.

وقوله: ﴿وعبقرى حسان﴾ وقرئ فى الشاذ: «عباقرى حسان» قال الحسن البصرى: عبقرى حسان هو الوسائد.

وقال أبو عبيدة: الطَّنَافس، وعن بعضهم: الزَّرَابى، وعبقرى: قرية باليمن(٢) ينسج بها الوَشْى، وهم ينسبون إليها كل شىء حسن. وفى «كتاب الغريبين»: أن عبقر قرية يسكنها الجن، والعرب ينسبون كل شىء فائق إليها، قال الشاعر:

بِخَيْلٍ عليها جِنَّةٌ عبقرية ... جديرون يوماً أن ينالوا ويستعلوا(٣)

وقد ذكر بعضهم أن العبقرى هاهنا: هو الوَشْى. قال مجاهد: هو الديباج. وعن بعضهم: هو الديباج الذى عُمل فيه بالذهب. وأما الخبر الذى روى عن النبى ﷺ أنه قال فى عمر: «فلم أرَ عَبْقَرِيًّا يَفْرِى فَرِيَّه(٤)»(٥). معناه: فلم أر سيد قوم وجليلهم يعمل عمله.

قوله تعالى: ﴿تبارك اسم ربك ذو الجلال والإكرام﴾ وقرئ: «ذى الجلال والإكرام» معناه: ذو العظمة والمهابة. ويقال: ذو الجلال والإكرام أى: يجل المؤمنين ويكرمهم، والقول الأول أولى؛ لأنه(٦) ينصرف إلى عظمة الله وعلو شأنه.

(١) النجم: ١٨.

(٢) فى «ك»: فى اليمن.

(٣) فى «ك»: وتشغلوا، وفى لسان العرب (٤/ ٥٣٥): أن ينالوا فَيَسْتَعلُوا.

(٤) فى النهاية فى غريب الحديث: أى يعمل عمله، ويقطع قطعه. قال: ويروى «يَفْرِى فَرْيَةُ» بسكون الراء والتخفيف، وحكى عن الخليل أنه أنكر التثقيل وغلط قائله.

(٥) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (٧/ ٢٣ رقم ٣٦٦٤، وأطرافه: ٧٠٢١، ٧٠٢٢، ٧٤٧٥)، ومسلم (١٥/ ٢٢٨ - ٢٣٠ رقم ٢٣٩٢).

(٦) فى «الأصل و ك»: أنه.

وقوله: ﴿ ذو الجلال ﴾ ينصرف إلى الاسم، وقوله: ﴿ ذى الجلال ﴾ ينصرف إلى الرب، والاسم والمسماة واحد عند أكثر أهل السنة. وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام»(١) أى: الزموا وداموا عليه.

فإن قال قائل: ما معنى تكرير قوله: ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ فى هذه السورة؟ وكان يوقف على المعنى بالمرة الواحدة؟

والجواب: أن القرآن نزل على لسان العرب على ما كانوا يعتادونه ويتعارفونه فى كلامهم، ومن عادتهم أنهم إذا ذكروا النعم على إنسان، يكررون التنبيه على الشكر أو ذكر التوبيخ عند عدم الشكر، والله تعالى عد النعم فى هذه السورة، وذكر عند كل نعمة هذه الكلمة؛ لئلا ينسوا شكرها، ويعرفوا إحسان الله عليهم، ويجددوا الحمد عليها. تمت السورة.

---

(١) رواه النسائى فى الكبرى (٦/ ٤٧٩ رقم ١١٥٦٣)، والبخارى فى تاريخه (٣/ ٢٨٠)، وأحمد (٤/ ١٧٧)، والطبرانى فى الكبير (٥/ ٦٤ رقم ٤٥٩٤)، والحاكم (١/ ٤٩٨ - ٤٩٩) وصححه، والقضاعى فى مسند الشهاب (١/ ٤٠٢ - ٤٠٣ رقم ٦٩٣)، وابن عساكر فى تاريخ دمشق (١٨/ ٦٦ - ٦٨ رقم ٤١٨٢، ٤١٨٣، ٤١٨٤)، وابن الأثير فى أسد الغابة (٢/ ٢١٣) جميعهم عن ربيعة بن عامر به. ونقل ابن عساكر عن ابن منده قوله: هذا حديث غريب، لم نكتبه إلا من هذا الوجه. ونقل الزيلعى عن ابن طاهر فى تخريج الكشاف (٣/ ٣٩٦) قوله: إسناده لابأس به. وحسنه الحافظ ابن حجر فى مختصر الكشاف. وفى الباب عن أنس، وابن عمر، وأبى هريرة.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ

تفسير سورة الواقعة

وهى مكية، وعن مسروق أنه قال: من أراد أن يعلم نبأ الأولين والآخرين، ونبأ أهل الجنة وأهل النار، ونبأ الدنيا والآخرة، فليقرأ سورة الواقعة. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿إذا وقعت الواقعة﴾ معناه: إذا كانت القيامة، وهذا قول عامة المفسرين. وسميت القيامة واقعة؛ لأنه لابد من وقوعها. والعرب تسمى كل متوقع لابد منه واقعًا، وقال الضحاك: الواقعة ها هنا هى الصيحة لموت الخلائق. وقيل: سميت القيامة واقعة؛ لكثرة ما يقع فيها من الشدة. وعن بعضهم: لأنها تقع على غفلة من الناس. فإن قيل: أين جواب قوله: ﴿إذا﴾؟ ولابد لهذه الكلمة من جواب، والجواب: أن جوابه قوله: ﴿فأصحاب الميمنة﴾(١).

وقوله: ﴿ليس لوقعتها كاذبة﴾ قال قتادة: ليس مثنوية ولا رد ولا رجعة. ويقال معناه: هى صدق ولا كذب فيها. وقيل: ليس لوقوعها من نفس كاذبة، حكى هذا عن سفيان، ومعناه: ليس عند وقوعها مكذب بها.

وقوله: ﴿خافضة رافعة﴾ قال ابن عباس: تخفض أقواما، وترفع آخرين، وعنه فى رواية أخرى: تخفض أقواماً ارتفعوا، وترفع أقواماً خفضوا فى الدنيا. وعن السدى: ترفع أقواما فى الجنة، وتخفض أقواماً فى النار. ومعنى هذا: تخفض أهل المعصية بإيجاب النار لهم، وترفع أهل الطاعة بإيجاب الجنة لهم. قال ابن جريج: خافضة رافعة بالحسنات والسيئات.

قوله تعالى: ﴿إذا رجت الأرض رجًّا﴾ قال المبرد: الرجة حركة يسمع منها صوت،

---

(١) الواقعة: ٨.

الأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنْبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا

وهى أكثر من الصيحة. فعلى هذا معنى الآية: حركت الأرض بمن فيها، وهو فى معنى قوله تعالى: ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾(١).

قوله: ﴿وبست الجبال بسا﴾ قال ابن عباس: فتتت فتا. وعن الحسن البصرى: قلعت من أصلها. وقال السدى: كسرت كسراً. قال مجاهد: بست كما يُبَسُّ السويق أى: دقت، والبسيسة هى الدقيق، والسويق يُلَتُّ ويتخذ منه الزاد. وقال قتادة: بست أى: جعلت كبيس الشجرة تذروه الرياح، وقال الشاعر فى البس بمعنى اللت:

لا تَخْبِزَا خُبْزًا وبُسَّا بسًّا

أورده النحاس. وقال بعضهم: بست أى: سُيِّرت، ومنه قوله عليه السلام: «يخرج من المدينة قوم يَبُسُّون والمدينة خير لهم»(٢) أى: يسيرون.

وقوله: ﴿فكانت هباءً منبثا﴾ قال على - رضى الله عنه - هو ما سطع من سنابك الخيل من المرضح والغبار، ثم يذهب.

وعن بعضهم: إن الهباء المنبث هو الذى يرى فى الكوَّة من ضوء الشمس كالعمود الممدود.

والأصح هو الأول هو الهباء المنبث(٣). وعن بعضهم: أن الهباء المنبث هو الرماد.

وقوله: ﴿وكنتم أزواجًا ثلاثة﴾ أى: أصنافًا ثلاثة.

قوله تعالى: ﴿فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة﴾ قال يزيد بن أسلم: هم الذين أخذوا من الشق الأيمن من آدم عليه السلام،

(١) الزلزلة: ١.

(٢) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (٤/ ١٠٧ رقم ١٨٧٥)، ومسلم (٩/ ٢٢٤ - ٢٢٥ رقم ١٣٨٨).

(٣) كذا، وفى الكلام سقط.

أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي

وأصحاب المشأمة هم الذين أخذوا من الشق الأيسر. وعن محمد بن كعب القرظى قال: أصحاب الميمنة هم الذين يعطون الكتاب بأيمانهم، وأصحاب المشأمة هم الذين يعطون الكتاب بشمالهم. وقال السدى: أصحاب الميمنة: جمهور أهل الجنة، وأصحاب المشأمة: جمهور أهل النار. ويقال: أصحاب الميمنة هم الميامين على أنفسهم، وأصحاب المشأمة هم المشائيم على أنفسهم. والعرب تسمى الجانب الأيسر الجانب الأشأم، وتسمى اليسار الشؤمى، واليمين اليمنى(١).

وقوله ﴿ما أصحاب الميمنة﴾ و﴿ما أصحاب المشأمة﴾ هذا فى كلام العرب للتعجيب، وهو فى كلام الله مع عباده للتنبيه على عظم شأن الأمر.

وقوله: ﴿والسابقون السابقون﴾ قال كعب: هم الأنبياء عليهم السلام. وعن بعضهم: هو كل من صلى إلى القبلتين. وعن ابن عباس فى بعض الروايات: مؤمن آل فرعون سبق إلى موسى، ومؤمن آل ياسين سبق إلى عيسى، وعلىٌّ سبق إلى محمد ﷺ بالإيمان، أورده أبو الحسين بن فارس. ويقال: السابقون هم المبادرون إلى الطاعات.

وقوله: ﴿السابقون﴾ تقدير الآية: والسابقون إلى الخيرات والطاعات هم السابقون فى الدرجات. وقيل: هو على طريق التأكيد.

وقوله: ﴿أولئك المقربون﴾ أى: المقربون من المنزلة والكرامة والوصول إلى رضا الله تعالى. وذكر فى موضع آخر أصنافا ثلاثة فقال: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات﴾(٢) فذهب بعض أهل التفسير إلى أن الأصناف المذكورين فى سورة الواقعة [كلهم](٣) من المؤمنين مثل الأصناف المذكورين فى تلك السورة، وأن أصحاب المشأمة هم

---

(١) فى «ك»: اليومى.

(١) فاطر: ٣٢.

(٣) فى «الأصل، وك»: كله.

جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ ﴿١٤﴾

الظالمون لأنفسهم، وأصحاب الميمنة هم المقتصدون، والسابقون هم السابقون بالخيرات. والقول الأول هو الأصح، وأن أصحاب المشأمة هم الكفار؛ ولأن الله تعالى قال بعده: ﴿ وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال فى سموم وحميم ﴾(١) ووصفهم بالكفر على ما سيأتى.

وقوله: ﴿ فى جنات النعيم ﴾ ذكر النقاش فى تفسيره عن النبى ﷺ فى وصف جنة النعيم: «أن لبنة منها فضة، ولبنة ذهب، وطينها المسك، وترابها الزعفران، وحصباءها الدر والياقوت»(٢).

قوله: ﴿ ثلة من الأولين ﴾ أى: جماعة من الأولين، ولفظ الثلة مأخوذ من الثل وهو القطع.

وقوله: ﴿ وقليل من الآخرين ﴾ اختلف أهل التفسير فيه على القولين: أحدهما: أن المراد من الأولين هم أتباع الأنبياء المتقدمين قبل نبينا محمد ﷺ.

وقوله: ﴿ وقليل من الآخرين ﴾ هم من أمة محمد ﷺ.

والقول الثانى: أنهما جميعًا من هذه الأمة، وقد روى هذا فى خبر مرفوع، وهو قول الحسن وابن سيرين. فإن قيل على القول الأول: كيف يستقيم هذا، وأتباع الرسول من المؤمنين أكثر من أتباع الأنبياء؟ والجواب: أن المراد من الأولين هو من رأى جميع الأنبياء وآمن بهم، ومن الآخرين من رأى محمداً ﷺ وآمن به، وعلى القطع

(١) الواقعة: ٤١ - ٤٢.

(٢) رواه الترمذى (٤/ ٥٨٠ رقم ٢٥٢٦)، وأحمد (٢/ ٣٠٤-٣٠٥)، وابن المبارك فى الزهد (٣٨٠ رقم ١٠٧٥)، والطيالسى (٣٣٧ رقم ٥٨٣)، وهناد (١/ ١٠٦ رقم ١٣٠)، والحميدى (٢/ ٤٨٦ رقم ١١٥٠)، والدارمى (٢/ ٤٢٩ رقم ٢٨٢١)، وابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (١١ - ١٢ رقم ٤)، وابن حبان فى صحيحه (١٦/ ٣٩٦ - ٣٩٧ رقم ٧٣٨٧)، وأبو نعيم فى صفة الجنة (٥٢ رقم ١٣٦)، والبيهقى فى البعث (١٦٢ - ١٦٣ رقم ٢٨٤). وقال الترمذى: هذا حديث ليس إسناده بذاك القوى وليس هو عندى بمتصل، وقد روى هذا الحديث بإسناد آخر عن أبى مدلة عن أبى هريرة مرفوعا. وفى الباب عن ابن عمر، وانظر الدر (١/ ٤٢).

عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾

يعلم أن أولئك ممن رأى نبينا وآمن به، فإن الله تعالى قال في يونس عليه السلام: ﴿ وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون ﴾[1] هذا في نبي واحد، فكيف في جميع الأنبياء؟ وإنما كثرت هذه الأمة بعد وفاة الرسول ﷺ، وقد روى «أنه لما نزلت هذه الآية حزن أصحاب رسول الله ﷺ حزنا شديداً لقوله: ﴿ وقليل من الآخرين ﴾ فقال النبي ﷺ: «إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، بل ثلث أهل الجنة، بل نصف أهل الجنة، وتقاسمونهم في النصف الثاني»[2]. وفي بعض الأخبار: أن أهل الجنة مائة وعشرون صفًّا[3]، ثمانون من هذه الأمة»[4].

قوله تعالى: ﴿ على سرر ﴾ فالسرر جمع سرير. وفي بعض الأخبار: أن ارتفاعه سبعون ذراعًا، وقيل: أكثر من ذلك، والله أعلم.

وقوله: ﴿ موضونة ﴾ أي: مرمولة بقضبان الذهب. وقيل: مشبكة منسوجة بالدر والياقوت. والوضين في كلام العرب هو الحزام الذي يشد به بطن الدابة، سمي وضينا لنسجه وإدخال بعضه في بعض، قال الشاعر:

إليك تعدو قلقا وضينها

معترضا في بطنها جنينها

مخالفًا دين النصارى دينها

---

(١) الصافات: ١٤٧.

(٢) رواه الإمام أحمد، وابن أبي حاتم من حديث أبي هريرة مرفوعا بنحوه كما في تفسير ابن كثير (٤ / ٢٨٤)، وزاد السيوطي في الدر (٦ / ١٧١): ابن المنذر، وابن مردويه.

(٣) في «ك»: صنفا، خطأ.

(٤) رواه الترمذي (٤ /٥٨٩ رقم ٢٥٤٦) وحسنه، وابن ماجه (٢ /١٤٣٣ - ١٤٣٤ رقم ٤٢٨٩)، وأحمد (٥ /٣٤٧)، والدارمي (٢ / ٤٣٤ رقم ٢٨٣٥)، والحاكم (١ / ٨١ - ٨٢) وصححه على شرط مسلم، وابن عدي (٤ / ١٠٠)، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (١ /٢٧٥). وانظر علل الحديث (٢ / ٢١٥ رقم ٢١٣٤ لابن أبي حاتم). وفي الباب عن عدد من الصحابة.

مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لا يُصَدَّعُونَ عَنهَا

وقال آخر:

ومن نسجِ داودَ مَوضونة　　　تُساقُ مع الحى عِيراً فعيرا

والسرير المرمول أوطأ من السرير الذى هو غير مرمول. وقيل: موضونة أى: مصفوفة.

وقوله: ﴿متكئين عليها﴾ الاتكاء هو الاستناد على طريق التنعم.

وقوله ﴿عليها متقابلين﴾ هو مثل قوله: ﴿إخوانا على سرر متقابلين﴾[1] أى: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض، ووجوههم إلى وجوه إخوانهم.

قوله تعالى: ﴿يطوف عليهم ولدان مخلدون﴾ أى: غلمان.

وقوله: ﴿مخلدون﴾ أى: لايموتون. وقيل: مخلدون مسرورون. وقيل: مُقرَّطون، قال الشاعر:

ومخلدات باللُّجينِ كأنما　　　أعجازُهُنَّ [أقاوز][2] الكُثْبَانِ

وقوله: ﴿بأكواب﴾ قال أبو عبيدة: الأكواب هى الأوانى المستديرة الرءوس، وليست لها خراطيم، والأباريق التى لها خراطيم. وفى الخبر فى وصف الكوثر أكاويبه عدد نجوم السماء.

وقوله: ﴿وكأس من معين﴾ فى التفسير: أن العرب لا تسمى الإناء كأسًا حتى يكون فيه الخمر.

وقوله: ﴿معين﴾ أى: خمر جار. ويقال: إن خمر أهل الجنة تكون بيضاء، وقيل: حمراء، والله أعلم.

---

(١) الحجر: ٤٧.

(٢) من لسان العرب (٥/ ٣٩٩ مادة: قوز)، وفى «الأصل، وك»: أقاول، وهو كثب من الرمل صغير مستدير تشبه به أرداف النساء.

﴿وَلاَ يُنْزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ
عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لا يَسْمَعُونَ
فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلاَّ قِيلاً سَلامًا سَلامًا ﴿٢٦﴾﴾

وقوله: ﴿لا يصدعون عنها﴾ أى: لا يلحقهم من شربها صداع مثل ما يصيب شارب الخمر فى الدنيا.

وقوله: ﴿ولا ينزفون﴾ أى: ولا تذهب عقولهم. وقيل: لا يسكرون. وقيل: لا تتغير ألوانهم، وقيل: لا يقيئون مثل ما يقىء شارب الخمر فى الدنيا. وفى اللغة يسمى ذاهب اللون منزوفًا، وذاهب العقل نزيفا، وكذلك العطشان، قال الشاعر:

فلثمت فاها آخذًا بقرونها   شرب النزيف ببرد ماء الحشرج

وقرأ ابن مسعود: «ولا ينزِفون» بكسر الزاى، ومعناه: لا تفنى خمرهم.

قوله تعالى: ﴿وفاكهة مما يتخيرون﴾ أى: يختارون.

وقوله تعالى: ﴿ولحم طير مما يشتهون﴾ أى: يريدون.

وقوله: ﴿وحور عين﴾ بالرفع فيهما، وقرئ بالكسر فيهما، وقرئ بالفتح فيهما فى الشاذ، فعلى الرفع معناه: ولهم حور عين، وعلى الكسر معناه: ويطاف عليهم بحور عين، وعلى النصب معناه: ويعطون حورًا عينًا. والمشهور بالرفع والخفض، وسميت الحور حورًا؛ لبياضهن وشدة سواد أعينهن، وقيل: سمين حورًا؛ لأن الطرف يحار فيهن.

وقوله: ﴿عين﴾ أى: حسان الأعين، وهو ما ذكرنا من بياض البشرة وسواد الحدقة.

وقوله: ﴿كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾ أى: اللؤلؤ المكنون فى أصدافه لم تنله يد.

وقوله: ﴿جزاءً بما كانوا يعملون﴾ أى: ثوابًا لهم لعملهم.

قوله تعالى: ﴿لا يسمعون فيها لغوًا ولا تأثيما﴾ أى: كلاما باطلا، وكلامًا يأثم به قائله، واللغو كل ما يُلغى.

وقوله: ﴿إلا قيلا سلامًا سلامًا﴾ معناه: إلا قولهم السلام بعد السلام، والتحية بعد

وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ

التحية. وقد قالوا: إن الاستثناء هاهنا من غير جنس المستثنى منه، فهو منقطع، وهو بمعنى لكن. وقيل: إنه من جنس المستثنى منه؛ لأن اللغو كلام مسموع، والسماع كلام مسموع. واختلفوا فى نصب قوله: ﴿ سلامًا ﴾ قال بعضهم: انتصب لأن معناه: سلمك الله سلامًا أى: يقول بعضهم لبعض، ومنهم من قال: انتصب تبعًا لقوله: ﴿ قيلا ﴾ لأن سلاما هو الفعل المذكور.

وقوله تعالى: ﴿ وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين ﴾ قد بينا، وعن ميمون بن مهران قال: لهم منزلة دون منزلة المقربين. وروى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده: أنهم الذين خلطوا عملا صالحًا وآخر سيئًا ثم تابوا.

وذكر الضحاك عن ابن عباس: أن الله تعالى مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فاستخرج منها ذرية شبه الذر بيضًا؛ وقال لهم: ادخلوا الجنة برحمتى، ثم مسح صفحة ظهره اليسرى واستخرج منها ذرية كالحمم سوداء، وقال لهم: ادخلوا النار ولا أبالى.

وفى رواية: أخذ بيمينه كل طيب، وأخذ بشماله كل خبيث.

وفى الصحيح «أن كلتا يديه يمين»(١). فعلى هذا معنى قوله: ﴿ وأصحاب اليمين ﴾ هم الذين أخذوا من صفحة ظهر آدم اليمنى.

وقوله: ﴿ فى سدر مخضود ﴾ أى: قد قطع شوكه ونزع. والسدر: شجر النبق، قال السدى: ثمرة أحلى من العسل. وقيل: مخضود أى: موقر حملا. ويقال: لا عجم فى ثمره. وفى اللغة الخضد هو القطع. قال النبى ﷺ فى صفة مكة: «لا يخضد شجرها»(١) أى: لا يقطع.

وقوله: ﴿ وطلح منضود ﴾ قرأ علىٌّ رضى الله عنه: «وطلع منضود» وهو مثل قوله

(١) تقدم تخريجه.

(٢) ق: ١٠.

﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لا مَقْطُوعَةٍ وَلا

في موضع آخر: ﴿لها طلع نضيد﴾[٢] وقال أبو هريرة وأبو سعيد الخدرى وابن عباس والحسن وغيرهم: هو الموز.

قوله: ﴿منضود﴾ أى: متراكم بعضه على بعض، وذكر النحاس أن العرب تقول: عسى يا فلان تطلح ، أى: بنعمة، قال الشاعر[١]:

كم رأينا من أناس هلكوا ... ورأينا المرء عمراً بطلح

أى: بنعمة .ويقال: إن الطلح هاهنا هو شجر العضاه، وهو أكثر شجر العرب، وله منظر حسن. وروى أن أصحاب رسول الله ﷺ ورضى الله عنهم لما ذهبوا إلى الطائف أعجبهم طلح وَجٍّ[٢]، فذكر الله تعالى أن لهم فى الجنة طلحًا. فإن قال قائل: كيف يكون لهم فى الجنة شجرة شوك؟: قلنا: لا يكون ثَمَّ شوك، إلا أنه شجر يشبه شجر الطلح فى الكبر وحسن المنظر، ويجوز أن يكون فى الجنة شجراً؛ لأكل الثمر منه، وشجر يحسن النظر إليه، والأصح أنه الموز.

وقوله تعالى: ﴿منضود﴾ قالوا معناه: أن ثمره وورقه من أوله إلى آخره ليست لها ساق بارزة.

وقوله: ﴿وظل ممدود﴾ قال الحسن: لا ينقطع. وعن يحيى بن أبى كثير: أن ساعات الجنة تشبه الغداة الباردة فى الصيف. ويقال: إنها مثل سجسج ليس فيه حر ولا برد. وقد ثبت أن النبى ﷺ قال: «إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعه، واقرءوا إن شئتم: ﴿وظل ممدود﴾»[٣].

وقوله: ﴿وماء مسكوب﴾ أى: مصبوب، ومعناه: أنه ينصب إليهم من العلو. قال الحسن: مسكوب أى: جار لا ينقطع أبداً.

وقوله تعالى: ﴿وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة﴾ قال الزجاج: لا مقطوعة

(١) هو الأعشى. لسان العرب (٢/ ٥٣١ - ٥٣٢)، وفيه: ورأينا الملك عمراً بطلح.

(٢) قال القرطبى فى تفسيره: وهو واد بالطائف مخصب (القرطبى ١٧/ ٢٠٧).

(٣) تقدم تخريجه.

مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾

أى: لا يكون فى حين دون حين، ولا ممنوعة أى: لا يُخْطَر عليها كما يخطر على البساتين فى الدنيا، وقيل: لا مقطوعة: لا ينقطع أبداً، والمعنى على هذا أنها إذا جنيت ظهر مكانها فى الحال مثلها أو خير منها.

وقوله: ﴿ولا ممنوعة﴾ أى: لا يمنع الأخذ منها، وقيل: لا يمنع الأخذ بُعْدٌ ولا شوك. وعن ابن شوذب قال: رأيت الحجاج بن فرافصة واقفا فى سوق الفاكهة بالبصرة، فقلت: ما تصنع هاهنا؟ فقال: أنظر إلى هذه المقطوعة الممنوعة.

وقوله تعالى: ﴿وفرش مرفوعة﴾ أى: عالية، ويقال: بعضها فوق بعض. وروى أبو سعيد الخدرى أن النبى ﷺ قال: «ارتفاعها ما بين السماء والأرض، ومسيرة ما بينهما[١] خمسمائة عام»[٢]. وذكر أبو عيسى الترمذى هذا الحديث فى كتابه، وقال: هو غريب. وذهب جماعة من التابعين أن الفرش المرفوعة هاهنا هى النساء، والعرب تسمى المرأة فراش الرجل ولحافه. وسماهن مرفوعة؛ لأنهن رفعن بالفضل والجمال والكمال. والعرب تسمى كل فاضل رفيعا. ويقال: سماهن فرشا؛ لأنهن على الفرش، فكنى بالفرش عنهن.

قوله تعالى: ﴿إنا أنشأناهن إنشاء﴾ فيه قولان: أحدهما: أنهن الحور، ومعنى الإنشاء فيهن أن الله تعالى يجعل الصبايا والعجز على سن واحدة فى الصورة والشباب. وعن بعض التابعين أنه قال فى هذه الآية: هن العجز الرمص العمش. وفى بعض الروايات عن النبى ﷺ أنه قال: «تفضل المرأة الصالحة فى الحسن على الحور

(١) فى «الأصل، وك»: وإنما مسيرة خمسمائة، والمثبت من الترمذى (٥/٣٧٤ رقم ٣٢٩٤) وغيره، كما سيأتى فى تخريجه.

(٢) رواه الترمذى (٤/٥٨٦ رقم ٢٥٤٠، ٥/٣٧٤ رقم ٣٢٩٤) وقال: غريب، وأحمد (٣/٧٥)، وأبو يعلى (٢/٥٢٨ رقم ١٣٩٥)، وابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (رقم ١٥٤)، وابن جرير فى تفسيره (٢٧/١٠٦)، وابن حبان فى صحيحه (١٦/٤١٨ - ٤١٩ رقم ٧٤٠٥)، وأبو الشيخ فى العظمة (رقم ٥٩٥، ٢٧٤)، وأبو نعيم فى صفة الجنة (رقم ٣٥٧)، والبيهقى فى البعث (١٨٤ رقم ٣٤٢)، والبغوى فى تفسيره (٤/٢٨٣) عن أبى سعيد به.

فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ ﴿٤٠﴾

سبعين ضعفًا » ذكره النقاش، وهو غريب جدا.

وقوله: ﴿ فجعلناهن أبكاراً ﴾ أى: عذارى. قال الضحاك: أهل الجنة لا يأتون النساء من مرة إلا وجدوهن عذارى.

وقوله تعالى: ﴿ عربا ﴾ أى: محببات إلى أزواجهن. وعن ابن عباس: عواشق لأزواجهن. وعن بعضهم: غنجات. وعن بعضهم: شكلات. وعن بعضهم: مغتلمات. تقول العرب للناقة إذا كانت تشتهى الفحل: عروبة.

وعن زيد بن أسلم: حسنات الكلام. وعن بعضهم: عربًا أى: يتكلمن بالعربية. والمعروف الأول، [و](١) يمكن الجمع بين هذه الأقوال كلها، فكأنها تتحبب(٢) إلى زوجها بغَنج، وشكل، وكلام حسن، وميل شديد، وبلفظ عربى.

وقوله: ﴿ أترابا ﴾ أى: لِدَاتٍ، كأنهن على سن واحد وميلاد واحد.

ويقال: أترابا: أشكالا لأزواجهن فى الجسم والمقدار، قال الشاعر:

أبرزوها مثل المهاة تهادى ... بين جنس كواعب أتراب

وقوله: ﴿ لأصحاب اليمين ﴾ أى: هذا الذى قلنا لأصحاب اليمين.

وقوله تعالى: ﴿ ثلة من الأولين وثلة من الآخرين ﴾ أى: جماعة من الأولين، وهم الذين اتبعوا الأنبياء والمتقدمين - صلوات الله عليهم أجمعين - وجماعة من الآخرين، وهم الذين اتبعوا نبينا ﷺ، والثلة: القطعة.

وقد روى أبان بن أبى عياش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبى ﷺ قرأ هذه

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) فى « ك »: وانتخبت.

(٣) رواه ابن جرير (٢٧ / ١١) وضعفه، وابن عدى فى الكامل (١ / ٣٨٧)، والبغوى (٤ / ٢٨٥ - ٢٨٦). وزاد الزيلعى فى تخريج الكشاف (٣ / ٤٠٤): ابن مردويه، والواحدى، والثعلبى، وقال الحافظ فى تلخيصه لتخريج الكشاف: وأبان هو ابن أبى عياش متروك. وقال السيوطى فى الدر (٦ /١٧٦): أخرج الفريابى، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن عدى، وابن مردويه بسند ضعيف فذكره.
وله شاهد عن أبى بكرة، انظر تخريج الكشاف والدر.

وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾

الآية: ﴿ ثلة من الأولين وثلة من الآخرين ﴾ وقال: « الثلتان من أمتى ».(٣) فعلى هذا الثلة الأولى هم الذين عاينوا النبى ﷺ وآمنوا به، والثلة الثانية هم الذين آمنوا به ولم يروه.

فإن قيل: كيف وجه الجمع بين هذه الآية وبين الآية التى تقدمت، وهى قوله: ﴿ وقليل من الآخرين ﴾(١) والجواب: قد روينا أن تلك الآية لما نزلت حزن أصحاب رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وذكرنا معنى القليل، وهم من عاين النبى ﷺ واتبعه، فعلى هذا معنى الثلة هاهنا جميع من اتبعه، عاينه أولم يعاينه.

قوله تعالى: ﴿ وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال ﴾ فقد ذكرنا معناه.

قوله: ﴿ فى سموم ﴾ هى الريح الحارة. وقيل: إنه اسم جهنم.

وقوله: ﴿ وحميم ﴾ أى: الماء الذى انتهى حره. وفى التفسير: أنه يخرج من صخرة فى جهنم. وفى التفسير أيضا عن ابن مسعود: أن أنهار الجنة تخرج من جبل من الكافور فى الجنة.

وقوله: ﴿ وظل من يحموم ﴾ أى: دخان أسود يغشى أهل النار، ويصيبهم من حره مايغلى دماغهم. وعن بعضهم: أن اليحموم اسم من أسماء جهنم. وعن (ابن البريدة)(٢): أن اليحموم جبل فى النار يظل أهل النار مدة أن يستظلوا بظله، فيؤذن لهم بعد مدة، فيصيبهم من حره ما يستغيثون منه، ويكون ذلك أشد عليهم مما كانوا فيه.

وقوله: ﴿ لا بارد ولا كريم ﴾ أى: لا بارد المدخل، ولا كريم المنظر. قال الفراء: العرب تجعل الكريم تابعًا فى كل مايبقى عنه، وصف يراد به الذم. يقول: هذه الدار ليست بواسعة ولا كريمة، وهذا الفرس ليس بجواد ولا كريم.

---

(١) الواقعة: ١٤.

(٢) كذا، وفى تفسير القرطبى: ابن زيد.

وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ

قوله تعالى: ﴿إنهم كانوا قبل ذلك مترفين﴾ أى: منعَّمين، والترفة: النعمة. وفى بعض الأخبار: أن عباد الله ليسوا بالمتنعمين. والمعنى: التوسع فى الحُرُمِ ومالايحل؛ لأن التوسع فى الحلال والتنعم منه جائز، ولايستحق عليه عقوبة.

وقوله: ﴿وكانوا يصرون على الحنث العظيم﴾ قال مجاهد وقتادة: الشرك. ويقال: هو الإثم العظيم. ويقال للصبى إذا بلغ: قد بلغ الحنث أى: بلغ زمان الإثم. وعن على- رضى الله عنه - قال: الحنث العظيم: اليمين الفاجرة. وعن الشعبى: هو اليمين الغموس.

وقوله تعالى: ﴿يصرون﴾ أى: يقيمون عليه إلى أن ماتوا.

وقوله: ﴿وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون﴾ أى: بعث القيامة، قالوا ذلك على طريق الإنكار.

وقوله: ﴿أو آباؤنا الأولون﴾ أى: أو يبعث آباؤنا الأولون بعد أن صاروا ترابا ورممًا(١).

قوله تعالى: ﴿قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم﴾ وهو يوم القيامة.

وقوله: ﴿ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم﴾ والزقوم كل طعام يصعب على الإنسان أكله ويشق عليهم، وقد بينا معناه من قبل.

وقوله: ﴿فمالئون منها البطون﴾ قال أهل اللغة: الشجر يؤنث ويذكر، وذكره على بن عيسى.

(١) فى «ك»: ورميما.

(٢) فى «الأصل»: غدا، وفى «ك»: خلا، وما أثبته هو الأنسب للسياق.

الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ
خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ
الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ

وقوله: ﴿ فشاربون عليه من الحميم ﴾ قال ذلك لأن من أكل شيئا و[وغص][٢] منه عطش وشرب.

وقوله: ﴿ فشاربون شرب الهيم ﴾ قال ابن عباس: الإبل العطاش. وعند أهل اللغة أن الهيم داء يصيب الإبل، فتعطش، ولا تروى أبدا حتى لاتزال تشرب فتهلك. ويقال: شرب الهيم: الرمل كلما يصب عليه الماء لم يظهر عليه ويشربه.

وقوله: ﴿ هذا نزلهم يوم الدين ﴾ أى: رزقهم وعطاؤهم. فإن قيل: النزل إنما يستعمل فى الإكرام والإحسان، والجواب: أنه لما جعل هذا فى موضع النزل لأهل الجنة سماه نزلا، وهو كما أنه سمى عقوبتهم ثوابا، ووعيدهم بشارة، والمعنى فيه مابينا.

وقوله: ﴿ نحن خلقناكم فلولا تصدقون ﴾ أى: هلا تصدقون مع ظهور هذه الدلائل أى: صدقوا.

قوله تعالى: ﴿ أفرأيتم ماتمنون ﴾ الإمناء: إلقاء المنى.

وقوله: ﴿ أأنتم تخلقونه ﴾ أى: تخلقون منه الإنسان.

وقوله: ﴿ أم نحن الخالقون ﴾ أى: بل نحن الخالقون. قال الأزهرى فى هذه الآية: إن الله تعالى احتج عليهم بأبلغ دليل فى البعث والإحياء بعد الموت فى هذه الآية، وذلك لأن المنى الذى يسقط من الإنسان ميت، ثم يخلق الله منه شخصا حيا، وقد كانوا مقرين أن الله خلقهم من النطف، وكانوا منكرين للإحياء بعد الموت، فألزمهم أنهم لما أقروا بخلق حى من نطفة ميتة يلزمهم أن يقروا بإعادة الحياة فى ميت. ومعنى الآية: كما أقررتم بذلك فأقروا بهذا.

وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾
وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنتُمْ
تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا

قوله تعالى: ﴿نحن قدرنا بينكم الموت﴾ يعنى: إنا نميتكم أى: لوكنا نعجز عن إحيائكم بعد الموت لعجزنا عن إماتتكم بإخراج أنفسكم.

وقوله تعالى: ﴿وما نحن بمسبوقين﴾ أى: بمغلوبين. قال الفراء معناه: إذا أردنا أن نعيدكم لم يسبقنا سابق، ولم يفتنا شيء. ويقال: لو أراد غيرنا أن يفعل مثل فعلنا لعجز عنه، تقول العرب: ماأسبق فى هذا الفعل أى: لايفعل مثل فعلى أحد.

وقوله: ﴿على أن نبدل أمثالكم﴾ أى: لو شئنا أن نميتكم ونخلق أمثالكم لقدرنا عليه.

وقوله: ﴿وننشئكم فيما لاتعلمون﴾ من الهيئة والصورة أى: لوشئنا فعلنا ذلك. ويقال: أن نجعلكم فى صورة القردة والخنازير. ويقال: ننشئكم من مكان لاتعلمون أى: فى عالم لاتعلمونه.

قوله تعالى: ﴿ولقد علمتم النشأه الأولى﴾ أى: الخلق الأول، استدل عليهم بالنشأة الأولى على النشأة الثانية.

وقوله تعالى: ﴿فلولا تذكرون﴾ أى: هلا تتعظون وتعتبرون.

قوله تعالى: ﴿أفرأيتم ماتحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون﴾ أى: تنبتونه. يقال للولد: زرعه الله أى: أنبته الله .

قوله: ﴿أم نحن الزارعون﴾ أى: نحن المنبتون.

وقوله: ﴿لو نشاء لجعلناه حطاما﴾ أى: يابسا يتفتت وينكسر لا شيء فيه.

وقوله: ﴿فظلتم تفكهون﴾ أى: تتعجبون. ويقال: تندمون وتتحسرون.

لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا

وقوله: ﴿إنا لمغرمون﴾ أى: معذبون. قاله مجاهد. وقال قتادة: ملقون بالشر، وعن بعضهم: أنه من الغرام، وهو الهلاك. وقيل: من الغُرْم؛ لأنهم غرموا ولم يصيبوا شيئا.

وقوله: ﴿بل نحن محرمون﴾ أى: حرمنا الجد، ولم نصل إلى ماكنا نأمله ونرجوه. وعن تغلب: أن المُغْرَم هو المولع، يقال: فلان مغرم أى: مولع به، فعلى هذا معنى قوله: ﴿إنا لمغرمون﴾ أى: ولع بنا المصيبة والحرمان. ويقال: إنا لمغرمون أى: غرمنا كما غرمنا ولم نصب شيئا، وقال الشاعر في الغرم بمعنى العذاب:

ويوم النيار(١) ويوم الجفا ... ر كانا عذابا فكانا غراما

قوله تعالى: ﴿أفرأيتم﴾ هذا مذكور للتنبيه على مافيه من الدليل.

وقوله: ﴿الماء الذى تشربون﴾ معلوم.

وقوله: ﴿أأنتم أنزلتموه من المزن﴾ أى: من السحاب. قال نفطويه: المزن هو السحاب الملآن من الماء، قال جرير:

كأنها مزنة غراء رائحة أو ... درة لا يوارى لونها الصدف

وقوله: ﴿أم نحن المنزلون﴾ أى: نحن أنزلنا الماء من المزن، ولم تنزلوه أنتم، ينبههم بذلك على عظيم قدرته.

قوله تعالى: ﴿لو نشاء جعلناه أجاجا﴾ أى: مرًّا شديد المرارة. وقيل: ملحا شديد الملوحة. يقال: أج الماء تأج إذا ملح. والمعنى: أنا لونشاء جعلناه أجاجا بحيث لا يمكن شربه، ينبههم بذلك على الشكر. وفى بعض الأخبار: أن النبى ﷺ كان إذا

---

(١) كذا فى النسختين، وفى لسان العرب (١٢/٤٣٧، ٤/١٤٤، ٢٠٥: النسار) ويوم النسار ويوم الجفار.

وهما يومان من أيام العرب مشهوران، وكانا بهما شدة وقتال.

(١) رواه ابن أبى الدنيا فى الشكر (رقم ٦٩)، والطبرانى فى الدعاء (٢/١٢١٨ رقم ٨٩٩) كلاهما عن أبى جعفر الباقر مرسلا به. وزاد السيوطى فى الدر (٥/٢٦٩). البيهقى فى الشعب.

﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾﴾

شرب قال: «الحمد الله الذى جعله عذبا فراتا، ولم يجعله ملحًا أجاجا»(٢). أو لفظ هذا معناه.

قوله: ﴿فلولا تشكرون﴾ أى: فهلا تشكرون.

قوله تعالى: ﴿أفرأيتم النار التى تورون﴾ أى: تقتدحون.

يقال: أورت الزند إذا استخرج النار منه. ويقال: زند وزندة للحجر الذى يقدح منه النار.

وقوله: ﴿أأنتم أنشأتم شجرتها﴾ أى: خلقتم شجرتها.

وقوله: ﴿أم نحن المنشئون﴾ يعنى: أم نحن خلقنا الشجرة. وشجرة النارشجرة معروفة، ويقولون: فى كل شجر نار، واسْتَمْجدَ [المَرْخُ والعَفَار](١).

وقوله تعالى: ﴿نحن جعلناها تذكرة﴾ أى: جعلنا النار تذكرة من النار الكبرى، وهى نار جهنم. وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم»(٢). وفى بعض الروايات: «ضربت بالماء مرتين»(٣).

وقوله ﴿ومتاعًا للمقوين﴾ أظهر الأقاويل فيه: أن المقوين المسافرين، وهم الذين ينزلون فى الأرض القفر الخالية. والقول الثانى: أنه لجميع الناس المقيمين والمسافرين. وعلى القول الأول خص المسافرين؛ لأن منفعتهم بالنار أكثر؛ لأجل الاصطلاء من

(١) فى «الأصل، وك»: المدح والغناء، والمثبت هو الصواب كما فى مجمع الأمثال لأبى الفضل الميدانى (٢/ ٧٤) رقم (٢٧٥٢)، ومعنى: استمجد المرخ والعفار أى: استكثرا وأخذا من النار ما هو حسبهما، ولأنهما يسرعان الورى، والمرخ والعفار نوعان من الشجر يتخذ منه الزناد.

(٢) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (٦/ ٣٨٠ - ٣٨١ رقم ٣٢٦٥)، ومسلم (١٧/ ٢٦١ - ٢٦٢ رقم ٢٨٤٣).

(٣) رواه أحمد (٢/ ٢٤٤)، والحميدى (٢/ ٤٧٩ رقم ١١٢٩)، وابن حبان (١٦/ ٥٠٤ رقم ٧٤٦٣)، والبيهقى فى البعث (٢٧٢ رقم ٥٥٠).

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾﴾

البرد، والاستضاءة بالليل، وفى إيقاد النار رد السباع، ومنفعة الاستضاءة الاهتداء عند ضلال الطريق.

قال أبو عبيدة: ومتاعا للمقوين أى: منفعة لكل من ليس له (زاد)(١) ولامال.

ويقال: أقوى المكان إذا خلا عن الشيء. وأنكر القتيبى وغيره هذا القول، وقالوا: منفعة الغنى بالنار أكثر من منفعة الفقير، والعرب تقول للفقير مقوى ،وللغنى مقوى؛ تقول للفقير مقوى؛ لنفاد مامعه وخلوه عنه،وللغنى مقوى لقوته وقدرته على مالا يقدر عليه الفقير، فعلى هذا معنى الآية: أن النار منفعة لجميع الناس من الفقراء والأغنياء والمقيمين والمسافرين.

وقوله: ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ لما ذكر الله الدلائل على الكفار فى هذه الآيات المتقدمة ،ووجه الدليل فيها أنهم كانوا مقرين أن فاعل هذه الأشياء هو الله، وأنهم عاجزون عنها، وينكرون البعث والنشأة الآخرة؛ فقال الله تعالى لهم: لما لم تنكروا قدرة الله تعالى على هذه الأشياء ومافيها من عجيب الصنع، فكيف تنكرون قدرته على بعثكم وإحيائكم بعد موتكم؟ فلما ألزمهم الدليل قال لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ كأنه أرشده إلى الاشتغال بتنزيه الرب وتسبيحه وتقديسه حين لزم الكفار الحجة، وقد ثبت أن النبى ﷺ قال: «أفضل الكلام سبحان الله وبحمده»(٢).

قوله تعالى: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾ أى: أقسم، و«لا» صلة. وقيل: إن معنى «لا» أى: ليس الأمر كما قالوا من أن القرآن شعر وسحر وكهانة، بل أقسم بمواقع النجوم. وعن ابن عباس :أن معنى مواقع النجوم أى: مساقط النجوم. ويقال: مساقطها ومطالعها أقسم بها لما علق بها من مصالح العباد. وعن ابن عباس فى رواية أخرى - وهو قول جماعة كثيرة من التابعين (منهم)(٣): الحسن، وقتادة، وعكرمة،

(١) فى «ك»: دار.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) فى «ك»: فيهم.

وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لا

وغيرهم – أن مواقع النجوم هاهنا نجوم القرآن، ومعنى المواقع نزوله نجما نجما. وفى الخبر: أن الله تعالى أنزل القرآن جملة إلى السماء الدنيا، ثم أنزل نجما نجما فى ثلاث وعشرين سنة إلى النبى ﷺ.

وفى الآية قول ثالث: وهو أن المراد من مواقع النجوم انتشارها وتساقطها يوم القيامة.

وقوله: ﴿ وإنه لقسم لو تعلمون عظيم ﴾ قال ذلك لأن قسم الله عظيم، وكل ماأقسم به. ويقال: إن تخصيصه هذا القسم بالعظم؛ لأنه أقسم بالقرآن على القرآن؛ قاله القفال الشاشى.

وقوله: ﴿ إنه لقرآن كريم ﴾ هو موضع القسم، وهو المقسم [عليه](١).

وقوله: ﴿ كريم ﴾ أى: كثير الخير والبركة. تقول العرب: هذه الناقة كريمة، وهذه النخلة كريمة، إذا كثرت فوائدها ومنافعها.

قوله: ﴿ فى كتاب مكنون ﴾ أى: مصون، وقد فسر باللوح المحفوظ، وفسر أيضا بكتاب فى السماء عند الملائكة فيه القرآن.

وقوله: ﴿ لايمسه إلا المطهرون ﴾ أكثر المفسرين على أن المراد به أنه لايمس ذلك الكتاب إلا الملائكة المطهرون. قال قتادة: فأما المصحف يمسه كل أحد، وإنما المراد ذلك الكتاب فى السماء. والقول الثانى :أن المراد به المصحف، وقوله: ﴿ لايمسه إلاالمطهرون ﴾ خبر بمعنى النهى أى: لا تمسوه إلا على الطهارة. وقد ورد أن النبى ﷺ كتب فى كتاب عمرو بن حزم «ولايمس القرآن إلا طاهر»(٢). وعن علقمة والأسود

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) رواه ابن حبان فى صحيحه (١٤ / ٥٠١ – ٥١٠ رقم ٦٥٥٩)، والدارقطنى فى السنن (١ / ١٢٢، ٢ / ٢٨٥)، والحاكم (١ / ٣٩٥ – ٣٩٧)، والبيهقى فى سننه (١ / ٨٧ – ٨٨، ٣٠٩، ٤ / ٨٩ – ٩٠)، وفى الخلافيات (١ / ٥٠١ – ٥٠٢ رقم ٢٩٧)، وغيرهم، وراجع ما سطره محقق كتاب الخلافيات الأستاذ مشهور على تخريجه لهذا الحديث.

وفى الباب أحاديث عن حكيم بن حزام، وعمرو بن حزام، وابن عمر، وعثمان بن العاص، وثوبان، وانظر نصب الراية (١ / ١٩٦ – ١٩٩)، وتلخيص الحبير (١ / ٢٢٧ – ٢٢٨)، وإرواء الغليل (١ / ١٥٨ – ١٦١).

يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾

أنهما دخلا على سلمان ليقرآ عليه القرآن، فجاء من الغائط ،فقالا له: توضأ لنقرأ عليك القرآن، فقال: اقرآني، لا أريد أن أمسه، ثم قرأ: ﴿ لايمسه إلا المطهرون ﴾.

وقوله: ﴿ تنزيل من رب العالمين ﴾ أى: القرآن نزله رب العالمين.

قوله تعالى: ﴿ أفبهذا الحديث أنتم مدهنون ﴾ أى: مكذبون تكذيب منافق. والمدهن والمداهن بمعنى واحد، والمداهن هو ذو الوجهين،وهو الذى يكون قلبه خلاف لسانه ،ولسانه خلاف قلبه. ويقال: المدهنون: هم الذين يدفعون الصدق والحق بأحسن وجه يقدر عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿ ودوا لو تدهن فيدهنون ﴾(١) يعنى:تكذب فيكذبون، وترائى فيراءون .

وقوله: ﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾ قرأ على: «وتجعلون شكركم أنكم تكذبون» وهو معنى القراءة المعروفة يعنى: تضعون التكذيب موضع الشكر/ ومنه قول الشاعر:

تحية بينهم ضرب وجيع

أى: يضعون الضرب الوجيع موضع التحية. ويقال معنى الآية: تجعلون شكر رزقكم أنكم تكذبون، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، مثل قوله تعالى: ﴿ واشتعل الرأس شيبا ﴾(٢) أى: شعر الرأس.

وعن الحسن البصرى: أن الرزق هاهنا بمعنى الهداية التى أعطاهم الله تعالى بالقرآن، فكأن الله تعالى لما أنزل القرآن، وبيَّن لهم طريق الحق به فكذبوه وأنكروا، سمى ذلك البيان رزقًا، وجعل تكذيبهم كفرانا لهذا الرزق. وروى عن الحسن البصرى أنه قال: خسر قوم جعلوا حظهم من القرآن التكذيب. والقول الثالث – وهو

(١) القلم: ٩.

(١) مريم: ٤.

فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾

المعروف فى الآية - أن الرزق هاهنا هو المطر، والتكذيب هو قولهم: مطرنا بنوء كذا. وقد ثبت برواية أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «ألا ترون إلى ما قال ربكم؟ قال: ماأنعمت على عبادى نعمة إلا أصبح فريق منهم بها كافرين يقولون: الكوكب وبالكوكب..» أورده مسلم فى صحيحه(١). وفى خبر آخر برواية (معاوية)(٢) الليثى أن النبى ﷺ قال: «يصبح القوم مجدبين، فيأتيهم الله برزق من عنده، فيصبحوا مشركين يقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا»(٣).

قوله تعالى: ﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم﴾ أى: بلغت النفس الحلقوم. والآية فى بيان عجزهم، وذكر قدرته عليهم.

وقوله: ﴿وأنتم حينئذ تنظرون﴾ الخطاب لأهل الميت.

وقوله: ﴿ونحن أقرب إليه منكم﴾ أى: بالقدرة. وقد قيل: ملك الموت وأعوانه يعنى: أنهم أقرب إلى الميت منكم.

وقوله: ﴿ولكن لاتبصرون﴾ أى: لا ترون.

وقوله تعالى: ﴿فلولا إن كنتم﴾ أى: فهلا إن كنتم، [وقوله](٤): ﴿غير مدينين﴾ أى: غير مدبرين مملوكين مقهورين يعنى: إن كنتم قادرين على ماشئتم، ولم تكونوا فى ملكنا وقهرنا [فردوا](٥) روح الميت إلى مكانه، وهو معنى قوله:

---

(١) رواه مسلم (٢/ ٨١ رقم ١٢٦)، والنسائى (٣/ ١٦٤ رقم ١٥٢٤)، وأحمد (٢/ ٣٦٨). والحديث متفق عليه من حديث زيد بن خالد، وقد تقدم.

(٢) فى «ك»: أبى معاوية، وهو خطأ، ومعاوية الليثى له ترجمة فى الإصابة (٣/ ٤٣٨) وذكر له هذا الحديث، وعزاه للطيالسى فى مسنده.

(٣) رواه الإمام أحمد (٣/ ٤٢٩)، والطيالسى (١٧٨ رقم ١٢٦٢)، والبخارى فى تاريخه (٧/ ٣٢٩)، والطبرانى فى الكبير (١٩/ ٤٣٠ رقم ١٠٤٣)، وابن الأثير فى أسد الغابة (٥/ ٢١٤) من حديث معاوية الليثى به. وزاد الحافظ فى الإصابة: ابن أبى خيثمة، والبغوى.

(٤) من «ك».

(٥) فى «الأصل، وك»: فى رد، وما أثبته يقتضيه السياق.

﴿تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾

﴿ترجعونها إن كنتم صادقين﴾ ينبئهم بذلك على عجزهم. ويقال: غير مدينين أى: غير محاسبين ومجزيين.

والقول الأول هو الوجه فى معنى الآية.

قوله تعالى: ﴿فأما إن كان من المقربين﴾ ذكر الله تعالى فى هذه الآيات حال الأصناف الثلاثة عند الموت، وهى الأصناف التى ذكرهم فى أول السورة، فقال تعالى: ﴿فأما إن كان من المقربين﴾ أى: السابقين إلى الخيرات، المبرزين فى الطاعات.

وقوله تعالى: ﴿فروح﴾ قراءة عائشة رضى الله عنها: «فَرُوح» واختاره يعقوب الحضرمى، والأشهر: «فَرَوْح» بفتح الراء، ومعناه: الرحمة. ويقال: [الروح](١) الاستراحة، ومن قرأ بضم الراء فهو بمعنى الحياة الدائمة التى لافناء بعدها. وفى الخبر: «أنه إذا وضع المؤمن فى قبره، وأجاب بجواب الحق يقال له: نم نومة العروس، لا هَمٌّ ولا بؤس»(٢). وفى خبر آخر: «يفتح له باب إلى الجنة، ويقال له: هذا موضعك»(٣).

وقوله تعالى: ﴿وريحان﴾ أى: رزق، وهو الرزق الذى يدر عليه من الجنة فى القبر. وقد بينا من قبل الريحان بمعنى الرزق فى شعر العرب:

سلام الإله وريحانه ... ورحمته وسماء درر

وقال الحسن البصرى: هو الريحان الذى يشم. قال أبو الجوزاء: يؤتى بضبائر من ريحان الجنة فتجعل روحه فيها.

وقوله: ﴿وجنة نعيم﴾ هى الجنة الموعودة. قال أهل التفسير: الروح والريحان فى القبر، وجنة نعيم يوم القيامة. ويقال: الروح عند الموت، والريحان فى القبر، وجنة نعيم فى القيامة عند البعث. وقد ثبت أن النبى ﷺ قال: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، وقيل: يارسول الله،لكنا نكره الموت قال:

(١) من «ك»، وفى «الأصل»: الفرح، وهو تحريف.
(٢) تقدم فى حديث البراء الطويل.
(٣) متفق عليه من حديث ابن عمر رواه البخاري (٣ / ٢٨٦ رقم ١٣٧٩ وطرفاه: ٣٢٤٠، ٦٥٥) ومسلم (١٧ / رقم ٢٨٦٦).

وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

لا، إن المؤمن إذا بشر برحمة الله أحب لقاء الله ،فأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا بشر بالنار كره لقاء الله وكره الله لقاءه» وقرأ هذه الآية(١).

قوله تعالى: ﴿وأما إن كان من أصحاب اليمين﴾ قد بينا أصحاب اليمين.

وقوله: ﴿فسلام لك من أصحاب اليمين﴾ أى: تسلم الملائكة عليهم. وقيل: يسلم الله عليهم ،فيقول: سلام عليك. ولك بمعنى عليك.

وقوله تعالى: ﴿من أصحاب اليمين﴾ أى: لأنك من أصحاب اليمين. وهذا قول كثير من المفسرين. وقال بعضهم: الخطاب للنبى ﷺ ومعناه: أبشر بالسلامة لأصحاب اليمين ،كأنه يقول: لاتشغل قلبك بهم، فإنهم قد نالوا السلامة. وقيل: المراد من الآية تسليم بعضهم على بعض، كأن بعضهم يسلم على بعض، ويهنئ بالسلامة .

قوله تعالى: ﴿وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم﴾ أى: المعد له شراب من حميم.

وقوله: ﴿وتصلية جحيم﴾ أى: دخول الجحيم يقال: أصلى كذا أى: قاسه، فعلى هذا تصلية جحيم أى: مقاساة الجحيم.

قوله تعالى: ﴿إن هذا لهو حق اليقين﴾ أى: محض اليقين، يشير إلى أنه كائن لاخلف فيه. ويقال معناه: إنه يقين أحق اليقين، كما يقال: حق عالم أى: عالم حق.

وقوله: ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ أى: نزه ربك وعظمه، كأنه أرشده إلى الاشتغال بثنائه وتسبيحه وتقديسه ليصل إلى درجة المقربين.

---

(١) متفق عليه من حديث عبادة بن الصامت، رواه البخارى (١١/ ٣٦٤ رقم ٦٥٠٧)، ومسلم (١٧/ ١٥ رقم ٢٦٨٣ مختصراً) وليس فيه قراءة الآية عند أحدهما.
وفى الباب أحاديث عن عائشة، وأبى هريرة، وأبى موسى.

بسم الله الرحمن الرحيم

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ

تفسير سورة الحديد

وهى مكية فى قول الكلبى وجماعة. وقال بعضهم: إنها مدنية. وعن سعيد بن جبير أنه قال: اسم الله الأعظم فى ست آيات من أول سورة الحديد. وعن أبى التياح أنه قال: من أراد أن يعرف كيف وصف الجبار نفسه فليقرأ ست آيات من أول سورة الحديد. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿ سبح لله ما فى السموات والأرض ﴾ أى: صلى وتعبد، ويقال: نزّه وقدس. وقد ذكر بعضهم أن تسبيح الجمادات هو أثر الصنع فيها. والأصح أنه التسبيح حقيقة، وهو قول أهل السنة؛ لأنه لو كان المراد منه أثر الصنع لم يكن لقوله: ﴿ ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾(١) معنىً، لأن أثر الصنع يعلمه ويفهمه كل واحد.

وقوله ﴿ وهو العزيز الحكيم ﴾ أى: الغالب الحكيم فى أمره.

قوله تعالى: ﴿ له ملك السموات والأرض يحيى ويميت ﴾ أى: له الملك فى السموات والأرض محييا ومميتا. قال الزجاج: يحيى من النطفة الميتة، ويميت الشخص الحى.

وقوله تعالى: ﴿ وهو على كل شىء قدير ﴾ أى: قادر.

قوله تعالى: ﴿ هو الأول والآخر ﴾ أى: الأول قبل كل شىء، والآخر بعد كل شىء. وقيل: الأول فلا أول له، والآخر فلا آخر له، وهو فى معنى الأول. وقيل: الأول بلا ابتداء، والآخر بلا انتهاء.

(١) الإسراء: ٤٤.

وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ

وقوله: ﴿والظاهر والباطن﴾ أى: الظاهر بالدلائل والآيات، والباطن لأنه لا يرى بالأبصار، ولا يدرك بالحواس. وقيل: الظاهر هو الغالب؛ وهذا يحكى عن ابن عباس. والباطن المحتجب عن خلقه. (وعن)(١) بعضهم: العالم بما ظهر وبطن.

وقوله: ﴿وهو بكل شىء عليم﴾ أى: عالم.

قوله تعالى: ﴿هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام﴾ فى التفسير: أن كل يوم ألف سنة. وقيل: أسامى الأيام: أبجد هوز حطى كلمن سعفص قرشت.

وقوله تعالى: ﴿ثم استوى على العرش﴾ قد بينا. وعن وهب بن منبه قال: خلق العرش من نوره. وعن بعضهم: هو ياقوتة حمراء. وسمى العرش عرشًا لارتفاعه.

وقوله: ﴿يعلم ما يلج فى الأرض﴾ أى: يدخل فيها من مطر وحب وميت.

وقوله: ﴿وما يخرج منها﴾ أى: من نبات وشجرة ونحوه.

وقوله تعالى: ﴿وما ينزل من السماء﴾ أى: من المطر والرزق والملائكة.

وقوله تعالى: ﴿وما يعرج فيها﴾ أى: من الملائكة وأعمال بنى آدم.

وقوله: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ أى: بعلمه وقدرته، ذكره ابن عباس وغيره. وقال الحسن: هو معكم بلا كيف.

وقوله: ﴿أينما كنتم﴾ أى: حيثما كنتم.

وقوله: ﴿والله بما تعملون بصير﴾ أى: خبير.

قوله تعالى: ﴿له ملك السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور﴾ أى: ترد الأمور.

---

(١) فى «ك»: والحق.

وَالأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ

قوله تعالى: ﴿يولج الليل فى النهار﴾ أى: ينقص من الليل، ويزيد فى النهار.

وقوله: ﴿ويولج النهار فى الليل﴾ أى: ينقص من النهار ،ويزيد فى الليل.

وقوله: ﴿وهو عليم بذات الصدور﴾ أى: بما فيها.

قوله تعالى: ﴿آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾ أى: أنفقوا من الأموال التى خلفتم فيها من قبلكم. وقيل: مستخلفين فيه أى: معمرين بالرزق.

وقوله: ﴿فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير﴾ أى: عظيم.

قوله تعالى: ﴿وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم﴾ أى: العهد منكم ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ أى: مصدقين.

قوله تعالى: ﴿هو الذى ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾ أى: من الكفر إلى الإيمان.

وقوله: ﴿وإن الله بكم لرءوف رحيم﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿وما لكم ألا تنفقوا فى سبيل الله﴾ معناه: أى فائدة لكم إذا تركتم الإنفاق فى سبيل الله ،وأموالكم تصير إلى غيركم؟والمعنى: هو الإنكار، كأنه قال: ولم لا تنفقون أموالكم لتصلوا بها إلى ثواب الله، وهى لا تبقى لكم إذا لم تنفقوا؟

وقوله: ﴿ولله ميراث السموات والأرض﴾ هو إشارة إلى ما بينا من قبل.

أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ

وقوله: ﴿لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل﴾ أى: لا يستوى من أنفق وقاتل قبل فتح مكة، ومن أنفق وقاتل بعد فتح مكة. وإنما لم يستويا؛ لأن أصحاب النبى ﷺ نالهم من التعب والمشقة والمكروه والشدة قبل الفتح ما لم ينلهم بعده. وذكر الكلبى أن الآية نزلت فى أبى بكر الصديق -رضى الله عنه- وقد ورد فى بعض المسانيد عن ابن عمر «أن النبى ﷺ كان جالسًا وعنده أبو بكر الصديق، وعليه عباءة قد خَلَّلها فى صدره؛ فجاء جبريل -عليه السلام- وقال للنبى ﷺ: يقول الله تعالى: سلم على أبى بكر، وقل له: أراضٍ أنت عنى فى فقرك أم ساخط؟ فقال النبى ﷺ لأبى بكر: هذا جبريل يقرئك من ربك السلام، ويقول كذا، فبكى أبو بكر وقال: بل أنا راضٍ عن ربى، بل أنا راضٍ عن ربى»(١).

وذكر النقاش أن الآية نزلت فى عثمان بن عفان -رضى الله عنه- وكان قد جهز جيش العسرة، وأعطى سبعمائة وثلاثين بعيراً، وأعطى سبعين فرسًا، وكان أعطاها بآلاتها.

وفى رواية: جاء بخمسة آلاف دينار وصبها بين يدى النبى ﷺ، فجعل النبى عليه الصلاة والسلام يقلبها بيده ويقول: «ما ضر عثمان ما يفعل بعد هذا»(٢).

وقوله: ﴿أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا﴾ قد بينا المعنى فى ذلك.

---

(١) رواه ابن حبان فى المجروحين (٢/ ١٨٥)، وابن شاهين فى شرح مذاهب أهل السنة (١٧٣ رقم ١٢٤)، وأبو نعيم فى الحلية (٧/ ١٠٥)، والواحدى فى أسباب النزول (٣٠٣)، والبغوى فى تفسيره (٤/ ٢٩٥).
وقال الذهبى فى الميزان (٣/ ١٠٣): هذا كذب. وقال ابن طاهر فى التذكرة (١٦١ رقم ٣٨٠): وهذا موضوع.

(٢) رواه الترمذى (٥/ ٥٨٥ رقم ٣٧٠١) وقال: حسن غريب، وأحمد (٥/ ٦٣)، وابن أبى عاصم فى السنة (٢/ ٥٧٣ رقم ١٢٧٩)، والحاكم (٣/ ١٠٢) وصححه، وابن شاهين فى شرح مذاهب أهل السنة (٧٢ رقم ٧٨)، والبيهقى فى الدلائل (٥/ ٢١٥) عن كثير مولى ابن سمرة عن عبد الرحمن بن سمرة به، وفيه: «فجاء بألف دينار». وفى الباب عن عبد الرحمن بن خباب، وحذيفة، وأنس.

وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا

وقوله: ﴿وكلا وعد الله الحسنى﴾ أى: الجنة.

وقوله: ﴿والله بما تعملون خبير﴾ أى: عالم، والمعنى: أن الله تعالى وعد جميع المتقين الجنة ،وإن تفاضلوا فى الدرجة.

قوله تعالى: ﴿من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا﴾ قال عكرمة: لما أنزل الله تعالى هذه الآية تصدق أبو الدحداح بحائط فيه ستمائة نخلة. وفى رواية: تصدق بنصف جميع ماله حتى نعليه تصدق بأحدهما ،ثم جاء إلى أم الدحداح وقال: إنى بعت ربى، فقالت: ربح البيع. فقال رسول الله ﷺ: «كم من نخلة مدلاة لأبى الدحداح فى الجنة، عروقها من زبرجد وياقوت»(١).

وعن بعضهم: أنه لما نزلت هذه الآية جاء اليهود إلى النبى ﷺ، وقالوا: أفقير ربنا فيستقرضنا؟ فأنزل الله تعالى قوله: ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء﴾(٢).

وقال الزجاج: العرب تقول لكل من كل فعل فعلا حسنًا: قد أقرض، قال الشاعر:

وإذا جُوزِيتَ قرضًا فاقضِه ... إنما يَجزِى الفتى ليس الإبل

فمعنى الآية على هذا :من الذى يفعل فعلا حسنا فيجازيه الله بذلك .وهو على العموم.

(١) عزاه الحافظ ابن كثير لابن أبي حاتم عن ابن مسعود بطوله (٤/ ٣٠٧ تفسير ابن كثير).

وعن جابر بن سمرة مرفوعًا: «كم من عذق معلق - أو مدلي - في الجنة لأبي الدحداح». رواه مسلم (٧/ ٤٦ - ٤٨ رقم ٩٦٥)، وأحمد (٥/ ٩٠، ٩٥، ٩٨، ٩٩)، وابن حبان (١٦/ ١١١ - ١١٢ رقم ٧١٥٧)، والبيهقي (٤/ ٢٢ - ٢٣).

ورواه سعيد بن منصور في تفسيره (٣/ ٩٣٤ رقم ٤١٧)، وأبو يعلي (٨/ ٤٠٤ رقم ٤٩٨٦)، والبزار (١/ ٣٩٣ رقم ٦٤٩)، وابن جرير (٢/ ٣٧١)، والطبراني (٢٢/ ٣٠١ رقم ٧٦٤) عن ابن مسعود مرفوعا مختصراً. وفي الباب عن أنس. وانظر الهيثمي في المجمع (٩/ ٣٢٧).

(٢) آل عمران : ١٨١

فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن

وقوله تعالى: ﴿فيضاعفُه له﴾ قرئ برفع الفاء ونصبها، فبالرفع هو معطوف على قوله: ﴿يقرض﴾ وبالنصب يكون على جواب الاستفهام بالفاء.

وقوله: ﴿وله أجر كريم﴾ أى: حسن.

قوله تعالى: ﴿يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم﴾ قال الحسن البصرى: على الصراط. وعن ابن مسعود قال: نور كل إنسان على قدر عمله، فمنهم من نوره كالجبل العظيم، ومنهم من نوره كنخلة، ومنهم من نوره على إبهامه ينطفى مرة ويتقد أخرى. وفى بعض الأخبار: أن نورهم ما بين صنعاء إلى عدن. يعنى: فى القدر. وعن ابن عباس فى رواية الضحاك قال: الصراط فى دقة الشعرة، وحدة (الشفرة)[١]، والمؤمنون يمرون عليه نورهم من بين أيديهم، بعضهم كالبرق، وبعضهم كالريح، وبعضهم كالطير، وبعضهم (كحضرة)[٢] الفرس.

وقوله تعالى: ﴿وبأيمانهم﴾ أى: النور بأيمانهم.

وقوله: ﴿بشراكم اليوم﴾ أى: بشارتكم اليوم ﴿جنات تجرى من تحتها الأنهار﴾.

وقوله: ﴿خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم﴾ أى: النجاة [العظيمة][٣].

قوله تعالى: ﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا﴾ من الإنظار، وأشهر القراءتين هى الأولى ،ومعناه: انظرونا. وأما بنصب الألف فمعناه: اصبروا لنا، قال الشاعر:

أبا هندٍ فلا تعجلْ علينا   وأَنْظِـرنا نُخَبِّرْكَ الْيقينَا

(١) فى «ك» : السيف.

(٢) فى «ك» : كجرية. والحُضْر بالضم، يعنى العدو. النهاية لابن الأثير (١/٣٩٨).

(٣) فى« الأصل وك» : العظيم.

نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ

وقوله: ﴿ نقتبس من نوركم ﴾ فى الأخبار: أن الناس يحشرون والمنافقون مختلطون بالمؤمنين، ثم إن الله تعالى يرسل نوراً للمؤمنين فيمشون فى نورهم ،فيتبعهم المنافقون ويقولون: انظرونا نقتبس من نوركم ، وكانوا قد بقوا فى الظلمة ، وفى رواية أخرى :أن الناس يحشرون فيغشاهم أمر من أمر الله ،فيبيض وجوه المؤمنين، ويسود وجوه الكفار، ثم يغشاهم أمرٌ آخر،فيقسم بين المؤمنين النور على قدر أعمالهم، ويبقى الكفار والمنافقون فى الظلمة، فيقولون للمؤمنين: « انظرونا نقتبس من نوركم » .

وقوله: ﴿ نقتبس ﴾ أى: نأخذ شيئًا من نوركم.

وقوله: ﴿ قيل ارجعوا وراءكم ﴾ أى: إلى الموضع الذى قسم فيه النور.

وقوله: ﴿ فالتمسوا نوراً ﴾ أى: اطلبوا نوراً ثَمَّ، فيرجعون فلا يجدون شيئا. وقال بعضهم معناه :فارجعوا إلى الدنيا ،واطلبوا النور بالأعمال الصالحة، وهذا على التعيير والتبكيت ،وهو قول غريب،والمعروف هو الأول.

وقوله: ﴿ فضرب بينهم بسور له باب ﴾ فى التفسير: أنهم إذا رجعوا إلى ذلك الموضع ولم يجدوا النور، عادوا ليتبعوا نور المؤمنين، فيغشاهم عذاب من عذاب الله، ويضرب بينهم وبين المؤمنين بسور، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ فضرب بينهم بسور له باب ﴾ وقيل: هو الأعراف الذى [ذكر][1] فى سورة الأعراف. وعن عبادة بن الصامت وعبد الله بن عمرو بن العاص أن السور حائط مسجد بيت المقدس الشرقى منه، فالذى يلى المسجد هو الذى قال: ﴿ باطنه فيه الرحمة ﴾ والذى يلى وادى جهنم هو الذى قال: ﴿ وظاهره من قبله العذاب ﴾ وثَمَّ واد يقال له: وادى جهنم ، وهو معروف.

(١) من ك وفى « الأصل »: ذكرت.

﴿١٤﴾ فَالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا

قوله تعالى: ﴿ينادونهم ألم نكن معكم﴾ يعنى : أن المنافقين ينادون المؤمنين أَلَمْ نكن معكم؟ معناه: ألم نكن معكم فى صلاتكم وصيامكم ومساجدكم ،وما أشبه ذلك.

وقوله: ﴿قالوا بلى﴾ أى: بلى كنتم فى الظاهر.

وقوله: ﴿ولكنكم فتنتم أنفسكم﴾ أى: استعملتم أنفسكم فى الفتنة، ويقال: فتنتم أنفسكم أى: اتبعتم المعاصى والشهوات.

وقوله: ﴿وتربصتم﴾ أى: تربصتم بالنبى ﷺ وبالمؤمنين دوائر الدهر. ويقال: تربصتم بالتوبة أى: أخرتموها .

وقوله: ﴿وارتبتم﴾ أى: شككتم فى الدين.

وقوله: ﴿وغرتكم الأمانى﴾ أى: أمنيتكم أن محمدا يهلك، ويبطل أمره.

وقوله: ﴿حتى جاء أمر الله﴾ أى: أمر الله بنصر نبيه والمؤمنين. ويقال: النار.

وقوله: ﴿وغركم بالله الغرور﴾ أى: الشيطان، وإنما سمى الشيطان غروراً؛ لأن الناس تغر الناس بتمنية الأباطيل.

وعن سعيد بن جبير أنه قال: الغرور: أن تعمل بالمعصية ،وتتمنى على الله المغفرة.

قوله تعالى: ﴿فاليوم لا يؤخذ منكم فدية﴾ فى قراءة أبى بن كعب: « جزية » ومعنى الفدية: هو ما يفتدى به نفسه من العذاب.

وقوله: ﴿ولا من الذين كفروا مأواكم النار﴾ أى: [منزلتكم][(١)] النار.

وقوله: ﴿هى مولاكم﴾ أى: النار أولى بكم.

(١) فى «الأصل» : منزلكم.

يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ

وقوله: ﴿ وبئس المصير ﴾ أى: بئس المنقلب النار.

قوله تعالى: ﴿ ألم يأن للذين آمنوا ﴾ معناه: ألم يحن، من الحين وهو الوقت.

يقال: آنَ يئين وحان يحين بمعنى واحد.

وقوله: ﴿ أن تخشع قلوبهم لذكر الله ﴾ أى: تلين وترق.

قال ابن عباس: فى الآية حث لطائفة من المؤمنين على الرقة عند الذكر. وعن ابن مسعود قال: ما كان بين إسلام القوم وبين أن عاتبهم الله على ترك الخشوع والرقة إلا أربع سنين. وعن مقاتل: أن أصحاب رسول الله ﷺ أخذوا فى نوع من المرح، فأنزل الله تعالى هذه الآية. وعن بعضهم: أن أصحاب رسول الله ﷺ أصابتهم ملة فقالوا: (حدثنا)(١) يا رسول الله، فأنزل الله تعالى: ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص ﴾(٢)، ثم أصابتهم ملة، فأنزل الله: ﴿ الله نزل أحسن الحديث ﴾(٣) ثم أصابتهم ملة، فأنزل الله تعالى: ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ﴾.

وقال مقاتل بن حيان: إن قوله: ﴿ ألم يأن للذين آمنوا ﴾ هو فى مؤمنى أهل الكتاب، حثهم على الإيمان بالرسول. وعن بعضهم: هو فى المنافقين؛ آمنوا بألسنتهم، ولم يؤمنوا بقلوبهم ﴿ وما نزل من الحق ﴾ [أى](٤): القرآن.

وقوله: ﴿ ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل ﴾ أى: اليهود والنصارى.

وقوله ﴿ فطال عليهم الأمد ﴾ أى: المدة. ويقال: الأجل. وعن ابن مسعود أنه قال:

(١) فى «ك»: خذ بنا.

(٢) يوسف: ٣.

(٣) الزمر: ٢٣.

(٤) فى "الأصل،وك": أيها، والمثبت هو الصواب.

تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ

لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، فقد طال عليهم الأمد فقست قلوبهم ،ولكن ما أمركم به القرآن فأتمروا به، وما نهاكم عنه فانتهوا.

وقوله: ﴿ فقست قلوبهم ﴾ أى: يبست.

وقوله: ﴿ وكثير منهم فاسقون ﴾ أى: خارجون عن طاعة الله. ويقال: هو فى ابتداعهم الرهبانية.

قوله تعالى: ﴿ اعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها ﴾ فى الخبر عن [أبى](١) رزين العقيلى أنه قال: يا رسول الله، كيف يحيى الله الموتى؟ فقال: «أرأيت أرضا مخلاء ثم أرأيتها خضراء، قال: نعم. قال: هو كذلك»(٢). وعن صالح المزنى قال: يحيى القلوب بتليينها بعد قساوتها .فهو المراد بالآية.

وقوله: ﴿ قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ إن المصدقين والمصدقات ﴾ قرئ: بتشديد الصاد وتخفيفها، فعلى تخفيف الصاد يعنى: المؤمنين، وعلى تشديد الصاد يعنى :المتصدقين.

وقوله: ﴿ وأقرضوا الله قرضًا حسنا ﴾ قيل: لا تكون الصدقة قرضا حسنا حتى تجتمع فيها خصال: أولها :أن تكون من حلال، وأن يعطيها طيبة بها نفسه، وأن لا يتبعها منًّا ولا أذى، وأن يتيمم الجيد من ماله لا الخبيث والردىء، وأن يعطيها ابتغاء وجه الله لا مراءاة للخلق، وأن يخرج الأحب من ماله إلى الله تعالى، وأن يتصدق وهو صحيح يأمل العيش ويخشى الفقر، وأن لا يستكثر ما فعله بل يستقله، وأن يتصدق بالكثير.

وقوله: ﴿ يضاعف لهم ولهم أجر كريم ﴾ أى: كثير حسن.

(١) فى «الأصل»: «ابن» وهو تحريف، وأبو رزين العقيلى هو لقيط بن صبرة صحابى مشهور.
(٢) تقدم.

لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾
اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ
كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ

قوله تعالى: ﴿ والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون ﴾ الصديق هو كثير الصدق ،كالسكيت كثير السكوت.

وعن أبى هريرة قال: كلكم صديق وشهيد. فقيل له: كيف يا أبا هريرة؟ فقرأ قوله فى هذه الآية. واختلف القول فى قوله: ﴿ والشهداء ﴾ فأحد الأقوال: أنهم الشهداء المعروفون ،وهم الذين استشهدوا فى سبيل الله.

والقول الثانى: أنهم النبيون، ذكره الفراء.

والقول الثالث: أنهم جميع المؤمنين. فعلى هذا يكون الشهداء معطوفا على قوله: ﴿ أولئك هم الصديقون ﴾ وعلى القولين الأولين تم الوقف والكلام على قوله: ﴿ أولئك هم الصديقون ﴾،وقوله: ﴿ والشهداء عند ربهم ﴾ ابتداء كلام. وفى قوله: ﴿ عند ربهم ﴾ إشارة إلى منزلتهم ومكانتهم عند الله.

وقوله: ﴿ لهم أجرهم ونورهم ﴾ أى: ثوابهم وضياؤهم.

وقوله: ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم ﴾ معلوم المعنى، والجحيم معظم النار.

وقوله تعالى: ﴿ اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة ﴾ أى: هى ما يلعب به ويلهى ويتزين به. والمراد به: كل ما أريد به غير الله، أو كل ما شغل عن الدين. ويقال: لعب ولهو: أكل وشرب. ويقال: اللعب الأولاد ، واللهو النساء.

وقوله تعالى: ﴿ وتفاخر بينكم ﴾ أى: تفاخر من بعضكم على بعض.

وقوله: ﴿ وتكاثر فى الأموال والأولاد ﴾ أى: تطاول بكثرة الأولاد والأموال. والفرق بين التفاخر والتكاثر: أن التفاخر قد يكون ممن له ولد ومال مع من لا ولد له

عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ

ولا مال، وأما التكاثر لا يكون إلا ممن له ولد ومال مع من له ولد ومال.

وقد ورد في بعض الأخبار أن النبي ﷺ قال: «من طلب الدنيا تعففا عن السؤال، وصيانة للولد والعيال، جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر، ومن طلبها تفاخراً وتكاثراً ورياء للناس، فليتبوأ مقعده من النار»(١) أو لفظ هذا معناه.

وقوله: ﴿كمثل غيث أعجب الكفار نباته﴾ أي: الزراع، وذلك حين ينبت ويحسن في أعين الناس.

وقوله: ﴿ثم يهيج فتراه مصفراً﴾ أي: ييبس ويجف.

وقوله: ﴿مصفرا﴾ أي: أصفر يابسا.

وقوله: ﴿ثم يكون حطاما﴾ أي: يتكسر ويتهشم. وقيل: يكون نبتا لا قمح فيه.

وقوله: ﴿وفي الآخرة عذاب شديد﴾ يعني: لمن آثر الدنيا على الآخرة.

وقوله ﴿ومغفرة من الله ورضوان﴾ يعني لمن آثر الآخرة على الدنيا.

قال قتادة: رجع الأمر إلى هذه الكلمات الثلاث ﴿وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ ومتاع الغرور قد بينا من قبل، وهو كل ما لا أصل له، أو كل ما لا بقاء عليه.

قوله تعالى: ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم﴾ أي: سارعوا، يقال: إن المسابقة بالإيمان. ويقال: بالتكبيرة الأولى والصف الأول، حكى هذا عن رباح بن عبيدة. وعن وكيع بن الجراح قال: كنا إذا رأينا الرجل يتهاون بالتكبيرة الأولى علمنا أنه لا يفلح.

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ١٦ - ١٧)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ١١٠، ٨/ ٢١٥) كلاهما عن أبي هريرة مرفوعا به.
وعزاه العراقي في المغني (٢/ ٥٦) لأبي الشيخ في الثواب، وأبي نعيم في الحلية، والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بسند ضعيف.

وَرُسُله ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ

وقوله: ﴿وجنة عرضها كعرض السماء والأرض﴾ المراد منه: ألصق بعضه ببعض فما يبلغ عرض الجميع، فهو عرض الجنة. وقيل: المراد من المسابقة: المسابقة إلى التوبة. وقيل: إلى النبي ﷺ.

وقوله: ﴿عرضها كعرض السماء والأرض﴾ أى: سعتها، قال الشاعر:

كأن بلادَ اللهِ وهى عريضةٌ على الخائفِ المطلوبِ كِفَّةُ حابِلِ

وقوله تعالى: ﴿أعدت للذين آمنوا بالله ورسله﴾ أى: صدقوا الله، وصدقوا له رسله.

وقوله: ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم﴾ المصيبة فى الأرض: ما يصيب الأرض من الجدب والقحط وهلاك الثمار وما أشبه ذلك، والمصيبة فى الأنفس هى الأسقام والأمراض وما يشبهها.

وقوله: ﴿إلا فى كتاب﴾ قد ثبت أن النبى ﷺ قال: «لما خلق الله القلم قال له: اكتب. قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة»(١). والكتاب هو اللوح المحفوظ.

وقوله: ﴿من قبل أن نبرأها﴾ أى: من قبل أن نخلقها. والكتابة يجوز أن ترجع إلى النقوش، ويجوز أن ترجع إلى المصيبة.

وقوله: ﴿إن ذلك على الله يسير﴾ أى: هين.

قوله تعالى: ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم﴾ الأسى: هو الحزن والتندم.

---

(١) تقدم تخريجه.

فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ

وقوله: ﴿ ولا تفرحوا بما آتاكم ﴾ أى: لا تبطروا ولا تأشروا. وعن ابن عباس قال: ما من أحد إلا ويحزن ،ولكن المراد بالآية هو أن نشكر عند النعمة ،ونصبر عند المصيبة. وعن بعضهم معناه: لا يجاوز ما حده الله تعالى يعنى: لا يجزع عند المصيبة جزعا يخرجه إلى ترك الرضا ،ولا يفرح عند النعمة فرحا يخرجه عن طاعة الله ،أو يمسكها عن حقوقها ،ولكن إذا علم أن الكل بقضاء الله وقدره ،وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه ،وما أصابه لم يكن ليخطئه ،هان عليه ما فات ،ولم يفرح بما أصاب. وعن عمر بن عبد العزيز أنه قال: إذا استأثر الله عليك بشىء [ما فاتك](١) ذلك عن ترك ذكره.

ومن المعروف قول النبى ﷺ «لله ما أخذ، ولله ما أعطى»(٢).

وقوله: ﴿ والله لا يحب كل مختال فخور ﴾ أى: متكبر منَّان بما أعطى.

قوله تعالى: ﴿ الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ﴾ قال أهل العلم: البخل حقيقته هو منع المال عن حق الله تعالى. وقال بعضهم: إذا وضعه فى غير موضعه فهو بخيل ،وإن أعطى وأكثر، وإذا وضعه فى موضعه فليس ببخيل وإن أقل. وعن بعضهم أنه قال: من أدى زكاة ماله فقد برىء من البخل.

وفى الآية قول آخر ذكره السدى وغيره :أن الآية فى اليهود؛ وبخلهم هو كتمان صفة الرسول، وأمرهم بالبخل أمرهم بالكتمان.

وقوله: ﴿ ومن يتول فإن الله هو الغنى الحميد ﴾ أى: الغنى عن طاعة خلقه، الحميد فى فعاله. وقيل: الغنى عن صدقات الخلق، الحميد فى إفضاله عليهم.

وعن سعيد بن جبير قال: يبخلون أى: لا يتصدقون، ويأمرون الناس بالبخل، أى:

(١) فى «الأصل، وك» من نالك.

(٢) متفق عليه من حديث أسامة بن زيد، رواه البخارى (٣/ ١٨٠ رقم ١٢٨٤ وأطرافه: ٥٦٥٥، ٦٦٠٢، ٦٦٥٥، ٧٣٧٧، ٧٤٤٨)، ومسلم (٦/ ٣١٨ - ٣١٩ رقم ٩٢٣).

وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ

بترك الصدقة. والفرق بين البخيل والسخى: أن السخى هو الذى يلتذ بالإعطاء، والبخيل هو الذى يلتذ بالإمساك. وقيل: البخيل هو الذى يعطى ما يعطى ونفسه غير طيبة، والسخى هو الذى يعطى ما يعطى طيبة بها نفسه.

قوله تعالى: ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب﴾ أى: الكتب.

وقوله: ﴿والميزان﴾ قال قتادة: العدل. وقال الكلبى: الميزان المعروف الذى توزن به الأشياء. ومعناه: وضعنا الميزان، وعلى القول الأول معناه: أمرنا بالعدل.

وقوله: ﴿ليقوم الناس بالقسط﴾ أى: بالعدل فى الميزان.

وقوله: ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد﴾ قوله: ﴿أنزلنا الحديد﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناه: وخلقنا الحديد وأحدثناه.

والقول الثانى: أن المراد به هو الإنزال من السماء حقيقة، «وأن الله تعالى لما أنزل آدم إلى الأرض أنزل معه العَلاة والكلبتين والمِيقَعَة»(١) – وهى المطرقة – وقيل: أنزل معه الحجر الأسود وعصا موسى من آس الجنة وما ذكرنا من الحديد.

وقوله: ﴿فيه بأس شديد﴾ أى: هو سلاح وجُنة. فالسلاح يقاتل به، والجُنة يتقى بها.

وقوله: ﴿ومنافع للناس﴾ هى ما يتخذ من الآلات من الحديد مثل: الفأس، والقدوم ،والمنشار، والمسلة ،والإبرة ،ونحوها.

وقوله: ﴿وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب﴾ ذكر هاهنا هذا؛ لأن نصرة الله تعالى ونصرة رسله بالقتال، والقتال بآلات الحديد، وإنما قال: ﴿بالغيب﴾ لأن كل ما يفعله العباد من الطاعات إنما يفعلونه بالغيب، على ما قال الله تعالى: ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾(٢).

وقوله: ﴿إن الله قوى عزيز﴾ ظاهر المعنى.

(١) رواه ابن عباس مرقوفاً كما فى النهاية لابن الأثير (٤ / ٣٨١) ولفظه: «نزل مع آدم عليه السلام الميقعة والسندان والكبتان». ثم قال: الميقعة التى يضرب بها الحديد وغيره، والجمع: المواقع.

(٢) البقرة: ٣.

فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ

قوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد﴾ أى: مسلم. ﴿وكثير منهم فاسقون﴾ أى: كافرون.

قوله تعالى: ﴿ثم قفينا على آثارهم برسلنا﴾ أى: أتبعنا.

وقوله: ﴿وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل﴾ أى: أعطيناه الإنجيل جملة.

وقوله: ﴿وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة﴾ الرأفة: أشد الرحمة، والمراد بهؤلاء: هم الذين بقوا على دين الحق ،ولم يغيروا ولم يبدلوا بعد عيسى عليه السلام.

وقوله: ﴿ورهبانية ابتدعوها﴾ أى: وابتدعوها رهبانية من تلقاء أنفسهم، والرهبانية هى ما ابتدعوها من السياحة فى البرارى (والمفاوز)(١). قيل: هو التفرد فى الديار والصوامع للعبادة. وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «لا رهبانية فى الإسلام»(٢). وفى رواية قال: «رهبانية أمتى الجهاد فى سبيل الله»(٣). وفى الأخبار: أن سبب ابتداعهم الرهبانية أن الملوك بعد عيسى –عليه السلام– بدلوا دين عيسى، وقتلوا العباد والأخيار من بنى إسرائيل حين دعوهم إلى الحق؛ فقال الأخيار فيما بينهم – وهم الذين بقوا إنهم وإن قتلونا لا يسعنا المقام فيما بينهم والسكوت، فلحق بعضهم بالبرارى وساحوا ،وبنى بعضهم الصوامع وتفردوا فيها للعبادة ،فكان أصل الرهبانية بهذا السبب.

وقوله: ﴿ما كتبناها عليهم﴾ أى: ما فرضناها عليهم.

---

(١) فى «ك»: والمبارزة.

(٢) قال الحافظ ابن حجر: لم أره بهذا اللفظ، لكن في حديث سعد بن أبى وقاص عند البيهقى: «إن الله أبدلنا بالرهبانية الحنيفية السمحة».

(٣) تقدم.

أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِئَلاَّ

وقوله: ﴿إلا ابتغاء رضوان الله﴾ انتصب لمحذوف،والمحذوف :ما ابتدعوها إلا ابتغاء رضوان الله.

وقوله: ﴿فما رعوها حق رعايتها﴾ أى: ما قاموا كما يجب القيام بها.

وقوله: ﴿فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم﴾ أى: ثوابهم، وهم الذين آمنوا بمحمد ﷺ بعد أن ترهبوا.

وقوله: ﴿وكثير منهم فاسقون﴾ أى: الذين بقوا على الكفر.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته﴾ أى: نصيبين. وقيل: أجرين من رحمته. وفى التفسير: أن سبب نزول الآية أن الله تعالى لما أنزل عليهم قوله: ﴿وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا﴾ إلى قوله: ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين﴾(١) تفاخر الذين آمنوا من أهل الكتاب على سائر المؤمنين من الصحابة، وقالوا: إنكم تؤتون أجوركم مرة ،ونحن نؤتى مرتين، فأنزل الله تعالى هذه الآية بشارة لسائر المؤمنين. وقد ثبت عن النبى ﷺ برواية أبى موسى الأشعرى أنه قال عليه الصلاة والسلام: «ثلاثة يؤتون أجورهم مرتين: رجل آمن بالكتاب الأول ثم آمن بالكتاب الثاني، ورجل اشترى جارية فأدبها وأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها، وعبد أطاع ربه ونصح لسيده»(٢). وقيل: قوله: ﴿يؤتكم كفلين من رحمته﴾ وهو أجر السر وأجر العلانية. وقيل: أجر أداء حق الله تعالى وأداء حق العباد.

وقوله: ﴿ويجعل لكم نوراً تمشون به﴾ هو النور الذى بينا من قبل يضيئهم على الصراط. وقيل: هو نور الإسلام.

وقوله: ﴿تمشون به﴾ أى: تسلكون طريق الإسلام بنوره.

---

(١) القصص: ٥٣ - ٥٤.

(٢) تقدم تخريجه

يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ .

وقوله: ﴿ ويغفر لكم والله غفور رحيم ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ لئلا يعلم أهل الكتاب ﴾ وهما بمعنى واحد(١)، وهو تفسير القراءة المعروفة. وقد قال الأخفش والفراء وغيرهما: إن «لا» صلة هاهنا، وهو مثل قول الشاعر:

ولا ألزم البيض أن لا تسحروا(٢)

أي: أن تسحروا.

وقوله: ﴿ ألا يقدرون على شيء من فضل الله ﴾ معناه: إنا أعطينا ما أعطينا من الكفلين من الرحمة للمؤمنين؛ ليعلم أهل الكتاب أن ليس بأيديهم إيصال فضل الله الواحد، ويعلم المؤمنون أن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، وهو معنى قوله: ﴿ وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ﴾ أي: يعطيه من يشاء، وقيل معنى الآية: ليعلم أهل الكتاب أن من لم يؤمن بمحمد ﷺ ليس له نصيب من فضل الله يوم القيامة.

وقوله: ﴿ ألا يقدرون على شيء من فضل الله ﴾ أي: لا يصلون إلى شيء من فضل الله حين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ، والفضل بيد الله يوصله إلى المؤمنين بمحمد ﷺ بمشيئته، والفضل هاهنا هو الجنة.

وقوله: ﴿ والله ذو الفضل العظيم ﴾ أي: له الفضل العظيم، وهو القادر على إيصال الفضل العظيم - يعني: إلى من يشاء من عباده - والله أعلم بالصواب.

---

(١) كذا في النسختين، والكلام فيه سقط فليتنبه.

(٢) كذا!.

بسم الله الرحمن الرحيم

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ

تفسير سورة المجادلة

وهى مدنية

قوله تعالى: ﴿قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله﴾ نزلت الآية فى خولة بنت ثعلبة، وهى امرأة أوس بن الصامت، ويقال: خولة بنت خويلد. وقيل: خولة بنت الصامت، والأصح هو الأول، وعليه أكثر أهل التفسير منهم: مجاهد، وقتادة، ومحمد بن كعب القرظى، وغيرهم. وكان أوس بن الصامت ظَاهر منها. وفى رواية عن خولة أنها قالت: «كان بأوس بن الصامت لَممَ، فراجعته فى بعض الأمر فظاهر منى»(١). قال محمد بن كعب القرظى: أتت خولة بنت ثعلبة رسول الله ﷺ وقالت: إن أوس بن الصامت زوجى وابن عمى وأحب الناس إلىَّ وقد ظاهر منى، فقال عليه السلام: «ما أراك إلا وقد حرمت عليه»، فجعلت تشتكى وتقول: أبو ولدى وزوجى ولا أستطيع فراقه، ورسول الله ﷺ يقول: «ماأراك إلا وقد حرمت عليه»، وهى تراجعه مرة بعد أخرى، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها﴾»(١) قالت عائشة رضى الله عنها: سبحان الذى وسع سمعه الأصوات، كنت فى جانب البيت ولا أسمع ماتقول خولة، فأنزل الله تعالى: ﴿قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها﴾.

وقوله: ﴿وتشتكى إلى الله﴾ اشتكى وشكا بمعنى واحد.

وقوله: ﴿والله يسمع تحاوركما﴾ أى: تراجعكما.

وقوله: ﴿إن الله سميع بصير﴾ ظاهر.

(١) رواه ابن جرير (٢٨ / ٤) عن محمد بن كعب القرظى مرسلا.

اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللاَّئِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ

قوله تعالى: ﴿الذين يظاهرون منكم من نسائهم ماهن أمهاتهم﴾ أى: ليس هن بأمهاتهم، والمعنى: أنه ليس أزواجهن كما قالوا: إن ظهورهن كظهر أمهاتهم.

وقوله: ﴿إن أُمهاتهم إلا اللائى ولدنهم وإنهم ليقولون منكرًا من القول وزوراً﴾ قال قتادة: أى: كذبا. والكذب هو قوله لها: أنت عليَّ كظهر أمى.

وقوله: ﴿وإن الله لعفو غفور﴾ أى: لمن ندم على قوله، وهذا قوله تعالى: ﴿والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير﴾ قال الحسن وطاوس والزهرى: العود هو الوطء، وهذا قول مالك. وعن ابن عباس: هو أن يندم على ما قال ويرجع إلى الألفة. ومذهب الشافعى فى العود أنه[١] يمسكها على النكاح عقيب الظهار ولايطلقها، قال: وإنما يكون هذا عوداً ؛لأن الظهار قصد التحريم ،فإذا مضى وقت عقيب الظهار، ولم يحرمها على نفسه بالطلاق ،فهو عائد عما قال. ويجوز أن يكون على هذا قول ابن عباس الذى ذكرنا.

وأما مذهب أبى حنيفة – رضى الله عنه – فإنه قال: العود هو أن يعزم على إمساكها، فإذا فعل ذلك فقد تحقق العود. والفرق بين هذا وبين قول الشافعى أنه إذا مضى عقيب الظهار وقت يمكنه أن يطلقها فيه ولم يطلق فهو عائد، وإن لم يعزم على إمساكها.

وعند أبى حنيفة مالم يعزم على إمساكها لايكون عائداً.

وفى الآية قول رابع، وهو قول أبى العالية وبكير بن عبدالله الأشج: أن العود هو أن يكرر لفظ الظهار وأوَّلا العود لما قالوا بهذا. وقال القتيبى: ثبت الظهار بنفس القول وتجب الكفارة. ومعنى العود فى هذا هو العود إلى ماكان عليه أهل الجاهلية من فعل

(١) فى «الأصل، وك»: أنه إن.

تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ

الظهار، وكأنه قال: «ويعودون لما قالوا» يعني: إلى ما قاله أهل الجاهلية. وقال الأخفش سعيد بن مسعدة: في الآية تقديم وتأخير ،وتقديرها: والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون فتحرير رقبة بما قالوا.

وقوله: ﴿من قبل أن يتماسا﴾ يعنى :الوطء ،وأما اللمس فيما دون الفرج اختلفوا فيه، فحكى عن الحسن البصرى أنه قال: يجوز .

وقال الزهرى: لايجوز، والأصح أنه لايجوز حتى يكفر.

وقوله: ﴿ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿فتحرير رقبة﴾ قال ابن عباس: مؤمنة. وعن الشعبى قال: رقبة قد صلَّت وعرفت الإيمان. وفى الخبر أن النبىﷺ دعا أوس بن الصامت وقال: «اعتق رقبة. فقال: لاأجدها. فقال: صم شهرين متتابعين، قال: لاأستطيع -وكان شيخا قد أسن وكبر- فقال: أطعم ستين مسكينا، فقال: نعم». وروى أنه قال: «لا أجد إلا أن تعينني، فأعانه رسول الله ﷺ بفرق من تمر ،وأعانته المرأة بفرق من تمر». وفى رواية: «أنه لما أعطاه رسول الله ﷺ التمر قال: ليس فى المدينة أحد أحوج إليه منى، فقال: كله أنت وعيالك»(١).

قوله تعالى:﴿فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا﴾ قد بينا. وعن سعيد بن المسيب قال: إذا أفطر بعذر يقضى يوما مكانه ولا يستقبل. وقال إبراهيم النخعى: يستقبل .وعليه أكثر الفقهاء.

(١) رواه أبو داود (٢/٢٦٦ - ٢٦٧ رقم ٢٢١٤، ٢٢١٥)، وأحمد (٦/ ٤١٠)، وابن جرير (٢٨/٥)، والطبرانى فى الكبير (١/٢٢٥ - ٢٢٦ رقم ٦١٦)، وابن الجارود فى المنتقى (٢٨٢ رقم ٧٤٦)، وابن حبان فى صحيحه (١٠/١٠٧ - ١٠٨ رقم ٤٢٧٩)، والبيهقى فى سننه (٧/٣٨٩، ٣٩١) جميعهم من حديث خولة، وبعضهم ببعض الروايات دون البعض.

اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ

وقوله: ﴿فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا﴾ قد بينا، والأصح أنه يطعم مداً مداً، وهو قول ابن عباس.

وقوله: ﴿ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله﴾ أى: سنة الله، ويقال: أوامر الله.

وقوله: ﴿وللكافرين عذاب أليم﴾ أى: مؤلم.

قوله تعالى: ﴿إن الذين يحادون الله ورسوله﴾ أى: يكونون فى حد غير حد المؤمنين. ويقال: إن الذين يحادون الله ورسوله أى: يعادون الله ورسوله. وقوله فى موضع آخر: ﴿ومن يشاقق الله ورسوله﴾(١) أى: يكون فى شق غير شق المؤمنين.

وقوله: ﴿كبتوا﴾ أى: أخزوا، قاله قتادة. ويقال: أهلكوا.

قال أبو عبيدة: ويقال: لعنوا، قاله السدى.

وقوله: ﴿كما كبت الذين من قبلهم﴾ أى: كما أخزى وأهلك ولعن الذين من قبلهم.

وقوله: ﴿وقد أنزلنا آيات بينات وللكافرين عذاب مهين﴾ أى: يهينهم، وهو من الهوان، ومن عذبه الله فقد أهانه.

قوله تعالى: ﴿يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا﴾ أى: يخبرهم.

وقوله: ﴿أحصاه الله ونسوه﴾ أى: أحاط به علم الله، ونسوه أى: نسيه من عمل به.

وقوله: ﴿والله على كل شىء شهيد﴾ أى: شاهد.

قوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله يعلم مافى السموات ومافى الأرض مايكون من نجوى

(١) الأنفال: ١٣

يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَىٰ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ

ثلاثة إلا هو رابعهم ﴾ ذكر الزجاج أن السِّرَار والنجوى بمعنى واحد. وعن بعضهم: أن السرار يكون بين اثنين، والنجوى [تكون](١) بين ثلاثة وأكثر إذا أخفى.

وقوله: ﴿ إلا هو رابعهم ﴾ يعنى: بالعلم والقدرة.

وقوله: ﴿ ولاخمسة إلا هو سادسهم ﴾ هو كما بينا.

وقوله: ﴿ ولا أدنى من ذلك ولاأكثر إلا هو معهم أينما كانوا ﴾ هو كما بينا.

وقوله: ﴿ ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم ﴾ أى: عالم.

قوله تعالى: ﴿ ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ﴾ نزلت الآية فى قوم من المنافقين كان رسول الله ﷺ إذا بعث سرية قالوا فيما بينهم: قد أصاب السرية، وكذا قد أسروا وقتلوا ومايشبه ذلك إرجافاً بالمسلمين ،فنهاهم النبى ﷺ عن ذلك، فكانوا يقولون قد نبئنا. [قوله](٢) : ﴿ ثم يعودون[لما نهوا عنه](١) ﴾.

قوله: ﴿ ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول ﴾ وهو بالمعنى الذى بيناه من قبل.

وقوله: ﴿ وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ﴾ هذا فى اليهود. ويقال: إن أول الآية فى اليهود أيضا، وتحيتهم أنهم كانوا يقولون: السام عليك يامحمد، وكان السام فى لغتهم الموت والهلاك، وكان رسول الله ﷺ يقول: «وعليكم». فروى فى بعض الأخبار :«أن عائشة سمعتهم يقولون ذلك، فجعلت تسبهم وتلعنهم، فزجرها النبى ﷺ عن ذلك وقال لها: «يا عائشة،إن الله لايحب الفحش والتفحش، وقالت:

---

(١) من «ك».

يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ

يارسول الله، ألم تسمع ماقالوا؟! فقال رسول الله: ألم تسمعي ماقلت، قلت: وعليكم، وإنا نستجاب فيهم، ولايستجابون(١) فينا»(٢).

وقوله: ﴿ويقولون فى أنفسم لولا يعذبنا الله بما نقول﴾ المعنى: أنهم كانوا يقولون: لوكان محمد نبيا لعذبنا الله بما نقول.

وقوله: ﴿حسبهم جهنم﴾ أى: كافيهم عذاب جهنم.

وقوله: ﴿يصلونها﴾ أى: يدخلونها.

وقوله: ﴿وبئس المصير﴾ أى: المنقلب والمرجع.

قوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى﴾ أى: وما تتقون به.

قوله: ﴿واتقوا الله الذى إليه تحشرون﴾ يوم القيامة. وإذا حملنا الآية على المنافقين فقوله: ﴿يأيها الذين آمنوا﴾ أى: آمنوا بألسنتهم، والأصح أن الخطاب للمؤمنين، أمرهم الله تعالى ألا يكونوا كالمنافقين وكاليهود.

قوله تعالى: ﴿إنما النجوى من الشيطان﴾ يعنى: أن النجوى بينهم على ما بينا [هى] من الشيطان.

وقوله: ﴿ليحزن الذين آمنوا﴾ أى: ليحزنوا بمايسمعون من الإرجاف بالسرية.

(١) فى «ك»: وأنا يستجاب لى فيهم، ولا يستجاب لهم فىَّ.

(٢) متفق عليه من حديث عائشة، رواه البخارى (١١ / ٤٤ رقم ٦٢٥٦، وطرفه: ٦٩٢٧)، ومسلم (٢٦ / ٢٠٧ – ٢٠٩ رقم ٢١٦٥). وقوله: «إنا نستجاب فيهم ولا يستجابون فينا»، تفرد بها مسلم.

﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي

وقوله تعالى: ﴿ وليس بضارهم شيئا ﴾ يعنى: أن الإرجاف لايضر السرية.

وقوله تعالى: ﴿ إلا بإذن الله ﴾ أى: بعلم الله. وقوله: ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ أى: فليتق المؤمنون.

قوله تعالى: ﴿ ياأيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا فى المجلس[١] فافسحوا يفسح الله لكم ﴾ معناه: إذا قيل لكم توسعوا فى المجلس أى: فى مجلس رسول الله ﷺ فوسعوا يوسع الله لكم. أى: فى الجنة.

وفى التفسير: أن الآية نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس، وكان به صمم، فجاء يوما وقد (جلس)[٢] الناس عند النبى ﷺ، فطلب أن يوسعوا له ليقرب من النبى ﷺ ويسمع، فوسعوا له إلارجلا واحداً- وكان قريبا من النبى ﷺ- لم يوسع له، وقال له: قد أصبت موضعاً فاقعد، فَعَيَّره ثابت بن قيس بأم كانت له فى الجاهلية، فسمع النبى ﷺ ذلك فقال: «ياثابت، انظر من القوم فليس لك على أحد منهم فضل إلا بالتقوى»[٣]. وأنزل الله تعالى هذه الآية، وأمر المسلمين أن يتوسعوا فى المجلس. قال الحسن البصرى: نزلت الآية فى صفوف الجهاد. والمراد من التفسح هاهناهو القعود فى المكان من (اختباء)[٤] لاللحرب. والقول الأول أظهر.

وقوله: ﴿ وإذا قيل انشزوا فانشزوا ﴾ قال قتادة معناه: إذا دعيتم إلى خير فأجيبوا. وقال الحسن: هو فى الحرب. وقيل: هو النهوض فى جميع الأشياء بعد أن يكون من الخيرات، وذلك مثل: الجهاد، وصفوف الجماعات، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، ومأأشبه ذلك.

---

(١) فى قراءة عاصم: المجالس، بألف على الجمع. وقرأ الباقون بغير الألف على التوحيد. النشر فى القراءات العشر (٢/٣٨٥).

(٢) فى «ك»: حبس.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) فى «ك»: اختيار.

الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا

وفى الآية قول ثالث: أن قوله: ﴿فانشزوا﴾ هو إذا فرغ النبى ﷺ فاخرجوا من عنده، ولاتلبثوا عنده فتثقلوا عليه، وهو فى معنى قوله تعالى: ﴿فإذا طعمتم فانتشروا ولامستأنسين لحديث﴾(١).

وقوله: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ أى: بإيمانهم وعلمهم. وقيل: كان النبى ﷺ يستحب أن يكون بالقرب منه أولوا العلم والنهى من أصحابه، فكان غيرهم يأتى ويقرب من النبى ﷺ، ثم إذا حضر الأكابر وأولوا العلم من أصحابه كان يقول: «يافلان، قم، ويافلان، قم وتأخر؛ ليقعد أولوا العلم والنهى بالقرب منه»، فعلى هذا معنى قوله: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ إشارة إلى ماكان يرفعهم النبى ﷺ ويقعدهم بالقرب. يعنى: أنهم أصابوا ما أصابوا من الرفعة والرتبة بالإيمان والعلم.

وقوله: ﴿والله بما تعملون خبير﴾ أى: عليم.

قوله تعالى: ﴿يأأيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة﴾ سبب نزول الآية أن الناس كانوا يستكثرون من السؤال على النبى ﷺ، وكان الواحد منهم يتناجى مع رسول الله ﷺ طويلا، فأراد الله أن يخفف عن نبيه، فأنزل هذه الآية . وعن مجاهد عن على - رضى الله عنهما - أنه قال: لم يعمل بهذه الآية غيرى ،كان عندى دينار فتصدقت به،وانتجيت مع الرسول ﷺ . وفى رواية: أنه صارف الدينار بعشرة دراهم، فكان كلما أراد أن يتناجى مع الرسول عليه الصلاة والسلام تصدق بدرهم.

وذكر النقاش فى تفسيره :أن المنافقين قالوا: قد طال نجوى محمد مع ابن عمه

(١) الأحزاب: ٥٣

فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا

فقال النبى ﷺ : « ما انتجيته أنا ولكن الله انتجاه »(١).

فى بعض التفاسير :أن هذا الأمر لم يبق إلاساعة من النهار حتى نسخ.

وفى التفسير أيضا : أن النبى ﷺ قال لعلى : « كم تقدر فى الصدقة؟ فقال :شعيرة، فقال : إنك لزهيد »(٢)، « وكان الرسول قد قال : « يتصدقون بدينار. فقال على : إنهم لا يطيقونه »(٢).

وذكر بعضهم :أن المنافقين كانوا يأتون النبى ﷺ [ويتناجون](٣) معه طويلا تصنعا ورياء، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فبخلوا بأموالهم وكفوا عن النجوى.

وقوله تعالى : ﴿ ذلك خير لكم وأطهر ﴾ أى : أزكى.

وقوله : ﴿ فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم ﴾ أى : إن لم تجدوا ما تتصدقون به فإن الله غفر لكم، ورحمكم بإسقاط الصدقة عنكم.

وقوله تعالى : ﴿ أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات ﴾ معناه : أأشفقتم على أموالكم وبخلتم بها؟

وقوله : ﴿ فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله ﴾ نسخ ذلك الأمر بهذه الآية ،كأنه قال : فإذا لم تفعلوا ونسخناه منكم ﴿ فأقيموا الصلاة ﴾ أى : حافظوا عليها ﴿ وآتوا الزكاة ﴾ أى : أدوها ﴿ وأطيعوا الله

---

(١) رواه الترمذى (٥/٥٩٧ رقم ٣٧٢٦) وقال : حسن غريب، وابن أبى عاصم فى السنة (٢/٥٨٤ رقم ١٣٢١)، والطبرانى فى الكبير (٢/١٨٦ رقم ١٧٥٦)، وأبو نعيم فى تاريخ أصبهان (١/١٤١)، والخطيب فى تاريخه (٧/٤٠٢).

(٢) رواه الترمذى (٥/٣٧٩ رقم ٣٣٠٠) وقال : حسن غريب، والنسائى فى الكبرى (٥/١٥٢ - ١٥٣ رقم ٨٥٣٧)، وابن أبى شيبة (١٢/٨١ - ٨٢)، وعبد بن حميد (٥٩ - ٦٠ رقم ٩٠)، وأبو يعلى (١/٣٢٢ - ٣٢٣ رقم ٤٠٠)، وابن جرير (٢٨/٢١)، وابن حبان (١٠/٣٩٠ - ٣٩٢ رقم ٦٩٤١، ٦٩٤٢)، والعقيلى (٣/٢٤٣)، وابن عدى (٥/٢٠٤) عن على بن أبى طالب به.

(٣) فى "الأصل وك" : ويناجون.

تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ
وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَن

ورسوله ﴾ فيما يأمران من الأمر ﴿والله خبير بما تعملون ﴾ أى: عليم بأعمالكم.

قوله تعالى: ﴿ ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ﴾ نزلت فى المنافقين كانوا[يتولون](١) اليهود، وقالوا لهم: نحن معكم فى السر.

وقوله: ﴿ ماهم منكم ولامنهم ﴾ أى: المنافقين.

وقوله: ﴿ ويحلفون على الكذب وهم يعلمون ﴾ روى «أن النبى ﷺ دعا عبد الله ابن نبتل - وكان أحد المنافقين - فقال له: مالك تشتمنى وتؤذينى وقومك وأصحابك، فذهب وجاء بأصحابه يحلفوا أنهم لم يقولوا له إلا خيرا»(٢)، فهو معنى قوله: ﴿ ويحلفون على الكذب وهم يعلمون ﴾.

قوله: ﴿ أعد الله لهم عذابا شديداً إنهم ساء ماكانوا يعملون ﴾ أى: ساءت أعمالهم.

قوله تعالى ﴿ اتخذوا أيمانهم جنة ﴾ معناه: اتقوا بأيمانهم كما يتقى المحارب

(١) فى الأصل :تولوا، وفى ك :يتولوا ، وكلاهما خطأ و الصواب ما أثبتناه.

(٢) ذكره الواحدى فى أسباب النزول (٣٠٩) هكذا عن مقاتل والسدى ولم يسنده. وقال الحافظ فى تلخيص الكشاف: لم أجده هكذا.

قلت : وقد ذكر نحو هذا الحديث بدون تسمية ذلك المنافق من رواية سماك، عن سعيد بن جبير ،عن ابن عباس مرفوعا بنحوه. رواه الإمام أحمد (١/ ٢٤٠، ٢٦٧، ٣٥٠)، وابن جرير (٢٨/ ١٧)، والطبرانى (١٢/ ٧-٨ رقم ١٢٣٠٧)، والحاكم (٢/ ٤٨٢) وصححه على شرط مسلم، والواحدى فى أسباب النزول (٣٠٩).

وزاد فى تخريج الكشاف (٣/ ٤٣١ - ٤٣٢): ابن أبى شيبة، والبيهقى فى الدلائل، وابن أبى حاتم، وابن مردويه. وقال الزيلعى : وهذا سند جيد.

ونسبه الهيثمى فى المجمع (٧/ ١٢٥) لأحمد والبزار والطبرانى وقال: ورجال الجميع رجال الصحيح.

ونسبه ابن كثير فى تفسيره (٤/ ٣٢٨) لابن أبى حاتم، وأحمد، والطبرى وقال: إسناد جيد.

تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ
﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ
أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ
الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

بجنته ،وهى ترسه.

وقوله: ﴿فصدوا عن سبيل الله﴾ أى: أعرضوا عن سبيل الله.

وقوله: ﴿فلهم عذاب مهين﴾ ظاهر المعنى.

قوله: ﴿لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا﴾ أى: لن تدفع عنهم أموالهم ولاأولادهم من عذاب الله شيئا.

وقوله: ﴿أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ أى: دائمون .قوله تعالى: ﴿يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم﴾ أى: يحلفون لله كذبا كما حلفوا لكم كذبا.

وقوله: ﴿ويحسبون أنهم على شىء﴾ أى: يظنون أنهم على شىء.

وقوله: ﴿آلا إنهم هم الكاذبون﴾ أى: الكاذبون على الله وعلى رسوله.

قوله: ﴿استحوذ عليهم الشيطان﴾ أى: غلب عليهم الشيطان. وفى صفات عمر- رضى الله عنه- أنه كان أحوذيا نسيج وحده. وفى رواية أحوزيا(١). ومعناه بالذال أى: غالبًا على الأمور.

وقوله: ﴿فأنساهم ذكر الله﴾ أى: أنساهم الشيطان ذكر الله.

وقوله: ﴿أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾ أى: خسروا رضا الله تعالى والجنة.

قوله تعالى: ﴿إن الذين يحادون الله ورسوله﴾ قد بينا .

(١) قال ابن الأثير فى النهاية (١/ ٤٥٧): ومنه حديث عائشة تصف عمر «كان أحوزيا نسيج وحده» الأحوزى: الجاد المنكمش فى أموره، الحسن السياق للأمور.

أُوْلَٰئِكَ فِي الأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ

وقوله: ﴿أولئك فى الأذلين﴾ أى: الأقلين. وكل كافر ذليل، وكل مؤمن عزيز. ومعناه: هم أقل درجة ورتبة.

وقوله: ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلى﴾ أما غلبة الله معلومة ؛لأن كل الأشياء على مراده ومشيئته، وأما غلبة رسله فهى بالنصر تارة وبالحجة أخرى.

وقوله: ﴿إن الله قوى عزيز﴾ أى: قوى فى الأمور، غالب عليها.

قوله تعالى: ﴿لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله﴾ أى: لايكون من صفة المؤمنين أن يوادوا من حاد الله ورسوله ﴿ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾ فى نزول الآية قولان: أحدهما: أنها نزلت فى حاطب بن أبى بلتعة حين كتب إلى مكة يؤذنهم بغزو النبى ﷺ؛ وستأتى قصة ذلك فى سورة الممتحنة. والقول الثانى: أن الآية نزلت فى غيره .

وقوله: ﴿ولو كانوا آباءهم﴾ نزل فى أبى عبيدة بن الجراح ،وكان قتل أباه الكافر وجاء برأسه إلى النبى ﷺ .وقد قيل: إن أباه مات قبل أن يسلم أبو عبيدة، والله أعلم.

وقوله: ﴿أو أبناءهم﴾ نزل فى أبى بكر- رضى الله عنه- أراد أن يخرج إلى ابنه عبدالرحمن فيبارزه، فمنعه النبى ﷺ عن ذلك وقال: «نبله منه غيرك».

وقوله: ﴿أو إخوانهم﴾ نزل فى عمر بن الخطاب -رضى الله عنه -قتل أخاه هشام بن العاص يوم بدر، وكان أخاه من أمه.

وقوله: ﴿أو عشيرتهم﴾ نزل فى حمزة وعلى وعبيدة بن الحارث -رضى الله عنهم- بارزوا مع عتبة وشيبة والوليد بن عتبة، وقد كانوا عشيرتهم وقرابتهم.

وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ .

وقوله: ﴿أولئك كتب في قلوبهم الإيمان﴾ أي: أدخل في قلوبهم الإيمان. وقيل: كتب أي: جعل في قلوبهم علامة تدل على إيمانهم.

وقوله: ﴿وأيدهم بروح منه﴾ أي: قواهم بنصر منه. وقيل: بنظر منه. وقيل: برحمة منه.

وقوله: ﴿ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه﴾ معلوم المعنى.

وقوله: ﴿أولئك حزب الله﴾ أي: جند الله. وقيل: خاصة الله وصفوته. وتقول العرب: أنا فى حزب فلان أى: فى شق فلان وجانبه .

وقوله: ﴿ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾ أي: هم السعداء الباقون فى نعيم الأبد. وقيل: هم الذين نالوا رضا الله تعالى ،والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ

تفسير سورة الحشر

وهى مدنية

وعن ابن عباس: أنه سماها سورة النضير ،والله أعلم

قوله تعالى: ﴿سبح لله مافى السموات ومافى الأرض﴾ أى: صلَّى وتعبد لله. والتسبيح لله تعالى: هو تنزيهه من كل سوء. وذكر بعضهم عن ابن عباس أنه قال: كل تسبيح ورد فى القرآن فهو بمعنى الصلاة. ومنه قوله: سبحة الضحى أى: صلاة الضحى.

وقوله: ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ أى: الغالب على الأشياء، الحكيم فى الأمور.

قوله تعالى: ﴿هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم﴾ قال جماعة المفسرين: هم بنو النضير من اليهود ،وكان رسول الله ﷺ وادعهم وشرط عليهم أن لاينصروا مشركى قريش ، فنقضوا العهد. وروى أن نقضهم العهد كان هو أن النبى ﷺ أتاهم يستعين بهم فى دية التلاديين – وقيل العامريين – قتلى عمرو بن أمية الضمرى، فجاء وقعد فى أصل حصنهم فقالوا: ماجاء بك يامحمد؟! فذكر لهم ماجاء فيه ،واستعان بهم، فدبروا ليلقوا عليه صخرة ويقتلوه؛ فجاء جبريل –عليه السلام –وأخبره، فرجع إلى المدينة ثم حاصرهم وأجلاهم»(١).

وقوله: ﴿لأول الحشر﴾ قال الحسن: معنى أول الحشر: هو أن الشام أرض المحشر والمنشر،وكان رسول الله ﷺ أجلاهم إلى الشام، فإجلاؤه إياهم كان هو الحشر الأول، والحشر الثانى يوم القيامة ، وهو قول عكرمة أيضا . وقال عكرمة: من شك أن الشام أرض المحشر فليقرأ قوله تعالى: ﴿لأول الحشر﴾. وقيل: إن بنى النضير كانوا أول من

(١) تقدم تخريجه.

الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلا أَن

أجلوا عن بلادهم من اليهود فقال: ﴿ لأول الحشر ﴾ بهذا المعنى. ثم إن عمر -رضى الله عنه- أجلى باقى اليهود عن جزيرة العرب استدلالا بقوله عليه الصلاة والسلام: «لايجتمع دينان فى جزيرة العرب» قال أبو عبيدة: وجزيرة العرب من حفر أبى موسى إلى أقصى حجر باليمن طولا، ومن رمل يبرين[(١)] إلى منقطع السماوة عرضا. والقول الثانى قول مجاهد وغيره.

وقوله: ﴿ ماظننتم أن يخرجوا ﴾ معناه: ماظننتم أيها المؤمنون أن يخرجوا؛ لأنهم كانوا أعز اليهود بأرض الحجاز وأمنعهم جانبا.

قوله: ﴿ وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله ﴾ أى: من عذاب الله.

وقوله: ﴿ فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ﴾ قال السدى: هو بقتل كعب بن الأشرف، قتله محمد بن مسلمة الأنصارى حين بعثه رسول الله ﷺ- وكان صديقا لكعب فى الجاهلية - فجاءه ليلا ودق عليه باب الحصن، فنزل فاغتاله وقتله، وروى أن محمد بن مسلمة قال لكعب: ألست كنت تعدنا خروج هذا النبى؟ وتقول: هو الضحوك القتَّال يركب البعير، ويلبس الشملة، يجترئ بالكسرة، سيفه على عاتقه، له ملاحم وملاحم. فقال: نعم، ولكن ليس هو بذاك. فقال: كذبت ياعدو الله، بل حسدتموه.

وقوله: ﴿ وقذف فى قلوبهم الرعب ﴾ أى: الخوف، وقد ثبت أن النبى ﷺ قال: «نُصرت بالُّرعب مسيرة شهر»[(٢)].

وقوله: ﴿ يُخْربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين ﴾ وقرئ: «يُخَرِّبون» من

(١) فى «ك»: بعل أبرين. والصواب: رمل يبرين أو أبرين. انظر معجم البلدان (٥ / ٤٩٠).

(٢) تقدم تخريجه.

كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ

الإخراب، فمنهم من قال: هما واحد ،والتشديد للتكثير. وقال أبو عمرو: يُخَرِّبُون من فعل التخريب، ويُخْرِبُون بالتخفيف أى: يتركوها خرابا. فإن قيل: كيف قال: ﴿ يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين ﴾ ولايتصور أن يخربوا بيوتهم بأيدى المؤمنين؟ والجواب: إنما أضاف إليهم ؛لأنهم هم الذين ألجأوا المؤمنين إلى التخريب، وحملوهم على ذلك بامتناعهم عن الإيمان. فإن قال قائل: لم خربوا بيوتهم؟ قلنا: طلبوا من ذلك توسيع موضع القتال. وعن الزهرى: أن المسلمين كانوا يخربون من خارج الحصن ،واليهود كانوا يخربون من داخل الحصن، وكان تخريبهم ذلك ليحملوا ما استحسنوه من سقوف بيوتهم مع أنفسهم. وقيل: لئلا تبقى للمؤمنين.

وقوله: ﴿ فاعتبروا يا أولى الأبصار ﴾ والاعتبار هو النظر فى الشىء ليعرف به جنسه ومثله. وقيل معناه: فانظروا وتدبروا ياذوى العقول والفهوم ،كيف سلط الله المؤمنين عليهم ،وسلطهم على أنفسهم؟ وقد استدل بهذه الآية على جواز القياس فى الأحكام ،لأن القياس نوع اعتبار؛ إذ هو تعبير شىء بمثله بمعنى جامع بينهما ليتفقا فى حكم الشرع.

قوله تعالى: ﴿ ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ﴾ أى: بالسيف. واستدل بعضهم بهذه الآية على أن الإخراج من الدار بمنزلة القتل؛ وعليه يدل قوله تعالى: ﴿ أن اقتلوا أنفسكم أو أخرجوا من دياركم ﴾(١) .

وقوله: ﴿ ولهم فى الآخرة عذاب النار ﴾ أى: عذاب جهنم.

وقوله تعالى: ﴿ ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ﴾ أى: خالفوا الله ورسوله. وقد ذكرنا أن معناه: صاروا فى شق غير شق المؤمنين.

وقوله: ﴿ ومن يشاق الله ﴾ أى: يخالف الله ﴿ فإن الله شديد العقاب ﴾ .

(١) النساء: ٦٦.

أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ

قوله تعالى: ﴿ ماقطعتم من لينة ﴾ قال سعيد بن جبير: اللينة كل تمر سوى البَرْنِي والعجوة، وأهل المدينة يسمون التمور الألوان. وقيل: اللينة: النخلة. وعن بعضهم أن اللينة: جمع الأشجار، سميت لينة للينها بالحياة. وعن سفيان قال: اللينة كرائم النخيل. وقيل: هو الفسيل، سمى لينة لأنه لايكون فى شدة الحر. ومن المشهور أن النبى ﷺ قال: «العجوة من الجنة وفيها شفاء من السم»(١).

وفى القصة: أن أصحاب رسول الله ﷺ لما حاصروا بنى النضير كان بعضهم يقطع النخيل وبعضهم يتركها.

وفى رواية: «أن النبى ﷺ أمرهم بقطع النخيل، فخرج اليهود حين رأوا ذلك وقالوا: يامحمد، ألست تنهى عن الفساد، وهذا من الفساد، فأنزل الله تعالى هذه الآية»(٢).

وقد ثبت برواية نافع عن ابن عمر «أن النبى ﷺ حرق نخيل بنى النضير وقطعها، فأنزل الله تعالى: ﴿ ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله ﴾»(٣) أى: بأمر الله، قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الخبر المكى بن عبد الرزاق، أخبرنا جدى، أخبرنا الفربرى، أخبرنا البخارى، عن قتيبة، عن الليث بن سعد، عن نافع. الخبر. وفى رواية: أن النبى ﷺ حرق البُوَيْرة، وقال شاعرهم شعرا:

وهان على سراة بنى لؤى ... حريق بالبويرة مستطير

والبويرة: موضع بنى النضير

---

(١) رواه الترمذى (٤/ ٣٥٠ رقم ٢٠٦٦) وقال: حسن غريب، (٤/ ٣٥١ رقم ٢٠٦٨) وقال: حسن، وابن ماجه (٢/ ١١٤٣ رقم ٣٤٥٥)، وأحمد (٢/ ٣٠١، ٣٠٥، ٣٢٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٤٢١، ٤٨٨)، وابن أبى شيبة (٧/ ٣٧٦)، والدارمى (٢/ ٤٣٦ رقم ٢٨٤٠) جميعهم من حديث أبى هريرة مرفوعا به. وفى الباب عن سعيد بن زيد، وأبى سعيد الخدرى، وجابر، وابن عباس.

(٢) ذكره ابن هشام فى السيرة (٣/ ١٠٧) من قول ابن إسحاق به. وعزاه السيوطى فى الدر (٦/ ٢٠٨) لابن إسحاق عن يزيد بن رومان مرسلا.

(٣) متفق عليه، رواه البخارى (٧/ ٣٨٣ رقم ٤٠٣١)، ومسلم (١١/ ٧٦-٧٧ رقم ١٧٤٦).

رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ

وقوله: ﴿ وَلِيُخْزِيَ الفاسقين ﴾ هم اليهود، وإخزاؤهم هورؤيتهم كيف يتحكم المؤمنون فى أموالهم.

قوله تعالى: ﴿ وما أفاء الله على رسوله منهم ﴾ أى: من بنى النضير، والفىء كل مال رد الله تعالى من الكفار إلى المسلمين ،وهو مأخوذ من الفىء بمعنى الرجوع يقال: فاء إذا رجع، ومنه فىء الظل ،والفرق بين الفىء والغنيمة: أن الغنيمة هى مأأخذه المسلمون من الكفار بإيجاف الخيل والركاب ،والفىء ماصار إلى المسلمين من أموال الكفار من غير إيجاف خيل وركاب.

وقوله: ﴿ فما أوجفتم عليه من خيل ولاركاب ﴾ الركاب: الإبل، والمعنى: أن أموالهم صارت إلى رسول الله ﷺ من غير إيجافكم بخيل أو إبل. والإيجاف :الإسراع. فجعل الله تعالى أموال بنى النضير للنبى خاصة ،لأن النبى ﷺ ظهر عليهم من غير قتال من المسلمين، وكان يدخر منها قوت سنة لعياله، والباقى يتخذ منه الكُرَاع وعدة فى سبيل الله»(١).

وفى تفسير قتادة: أن المسلمين طلبوا أن يقسم بينهم ،فأنزل الله تعالى هذه الآية، وجعل ما أصابوه للرسول خاصة، وكان رسول الله ﷺ لما أجلاهم شرط أن لهم ماتحمله إبلهم إلا الحلقة، يعنى: السلاح.

وقوله: ﴿ ولكن الله يسلط رسله على من يشاء ﴾ أى: رسوله على من يشاء.

وقوله: ﴿ والله على كل شىء قدير ﴾ أى: قادر.

قوله تعالى: ﴿ ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴾ فى الآية بيان مصارف الخُمس، وقد بينا من قبل،

(١) متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب، رواه البخارى (٦ / ١١٠ رقم ٢٩٠٤، وأطرافه: ٣٠٩٤، ٤٠٣٣، ٤٨٨٥، ٥٣٥٧، ٥٣٥٨، ٦٧٢٨، ٧٣٠٥)، ومسلم (١٢/ ١٠٣ - ١٠٩ رقم ١٧٥٧).

وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ
وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ
﴿٧﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ
وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ

والقرى هى القرى العربية مثل: خيبر، ووادى القرى، وفيماء، وغيرها. ومن المشهور فى التفسير أيضا :أن النبىﷺ قسم أموال بنى النضير بين المهاجرين ،ولم يعط الأنصار منها شيئا إلا ثلاثة نفر: سهل بن حُنيف ،وأبا دُجَانة ،والحارث بن الصمة، وهذا قول غير القول الأول الذى ذكرنا، وهو الأشهر، فعلى هذا لما جعل الله أموال بنى النضير للرسول خاصة قسمها بين المهاجرين ليكفى الأنصار مؤنتهم.

وقوله تعالى: ﴿كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم﴾ أى: لئلا يتداوله الأغنياء منكم. والتداول هو النقل من يد إلى يد .

وقوله: ﴿وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ حثَّ الله تعالى المسلمين فى هذه الآية على التسليم لأمر الله تعالى ونهيه؛ لأن المعنى وما أتاكم الرسول عن الله فخذوه ،وما نهاكم عن الله فانتهوا.

وقوله: ﴿واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾ أى: العقوبة.

قوله تعالى: ﴿للفقراء المهاجرين﴾ يعنى: ما أفاء الله على رسوله للفقراء المهاجرين ﴿الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم﴾ فديارهم مكة وغيرها، وأموالهم ماخلفوها عند هجرتهم.

وقوله: ﴿يبتغون فضلا من الله ورضوانا﴾ أى: يطلبون فضل الله ورضاه.

وقوله: ﴿وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون﴾ أى: الصادقون عقداً وقولا وفعلا.

قوله تعالى: ﴿والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم﴾ أجمع أهل التفسير على أن المراد بهم الأنصار.

وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ

وقوله: ﴿ تبوءوا الدار والإيمان ﴾ أى: استوطنوا المدينة، وقبلوا الإيمان. وقيل: تبوءوا الدار أى: أعدوا الديار للمهاجرين وواسوهم فى كل مالهم.

وقوله: ﴿ والإيمان ﴾ أى: جعلوا دورهم دور الإيمان، وذلك بإظهارهم الإيمان فيما بينهم، فإن قيل: كيف يستقيم قوله: ﴿ من قبلهم ﴾ والأنصار إنما آمنوا من بعد المهاجرين؟ والجواب أن قوله: ﴿ من قبلهم ﴾ ينصرف إلى تبوّء الدار لا إلى الإيمان. والثانى :أن قوله: ﴿ من قبلهم ﴾ وإن انصرف إلى الإيمان فالمراد منه قبل هجرتهم؛ لأن الأنصار كانوا قد آمنوا قبل هجرتهم.

وقوله: ﴿ يحبون من هاجر إليهم ﴾ أى: من أهل مكة وغيرهم .

وقوله: ﴿ ولايجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ﴾ قال قتادة: وعند كثير من المفسرين معناه: حسداً مما أُعطوا، وقيل: ضيقاً فى قلوبهم مما أعطى المهاجرين ،وهو بمعنى الأول. وقد ذكرنا ماأعطى رسول الله المهاجرين من أموال بنى النضير، فالمعنى ينصرف إليهم .

وقوله: ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ﴾ أى: يقدمون المهاجرين على أنفسهم.

وقوله: ﴿ ولو كان بهم خصاصة ﴾ أى: فقر وحاجة. ومن المعروف برواية أبى هريرة أن بعض الأنصار أضاف رجلا من الفقراء ،ولم يكن عنده فضل عما يأكله ويأكل أهله وصبيانه. وفى رواية :أن ذلك الرجل كان جاع ثلاثة أيام ولم يجد شيئا، وطلب رسول الله ﷺ له شيئا فى بيوت أزواجه ولم يجد، فأضافه هذا الأنصارى، حمله إلى بيته وقال لأهله: نومى الصبية وأطفئى السراج[بعلة](١) الإصلاح، ففعلت ذلك، وجعلا يمدان أيديهما ويضربان على (الصحفة)(٢)؛ ليظن الضيف أنهما يأكلان، ولايأكلان ففعلا ذلك وأكل الضيف حتى شبع، فلما غدا

(١) فى « ك »:بعد.

(٢) فى« الأصل، وك »: الصفحة، والمثبت هو الصواب.

الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا

على النبىﷺ قال: «لقد عجب الله من صنيعتكم البارحة»(١) فأنزل الله تعالى هذه الآية.

ومن المعروف أن النبىﷺ قال للأنصار: «إنكم لتكثرون عند الفزع، وتقلون عند الطمع»(٢).

وقوله: ﴿ومن يوق شح نفسه﴾ أى: بخل نفسه ﴿فأولئك هم المفلحون﴾ أى: السعداء الفائزون. وعن ابن مسعود أن رجلا قال له: إنى لاأستطيع أن أعطى من مالى شيئا أفتخش البخل(٣). قال: ذلك البخل، وبئس الشىء البخل ،وإنما الشح أن تأخذ المال من غير حقه. وقيل: البخل أن يبخل بمال نفسه ،والشح أن يبخل بمال غيره. وقال مقاتل بن سليمان: ومن يوق شح نفسه أى :حرص نفسه. وقيل: هوى نفسه. وقال سعيد بن جبير: هو منع الزكاة. وعن ابن زيد: هو أن يأخذ ماليس له أن يأخذ، ويمنع مالايجوز له منعه.

قوله تعالى: ﴿والذين جاءوا من بعدهم﴾ هم التابعون. وقيل: الذين يؤمنون إلى يوم القيامة.

وقوله: ﴿يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولاتجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا﴾ أى: خيانة وحقدا، وفى الآية دليل على أن الترحم للسلف

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (٧/١٤٩ رقم ٣٧٩٨، وطرفه: ٤٨٨٩)، ومسلم (١٤/١٧– ١٩ رقم ٢٠٥٤).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) كذا! وقد أخرج هذا الأثر الفريابى، وسعيد بن منصور، وابن أبى شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والطبرانى، والحاكم وصححه، والبيهقى فى الشعب عن ابن مسعود: أن رجلا قال له: إنى أخاف أن أكون قد هلكت. قال: وما ذاك؟ قال: إنى سمعت الله يقول: ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ وأنا رجل شحيح لايكاد يخرج منى شىء. قال له ابن مسعود: ليس ذاك بالشح، ولكنه البخل ... وذكر الحديث. الدر المنثور (٦/٢١٧).

بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى

والدعاء لهم بالخير وترك ذكرهم بالسوء من علامة المؤمنين. وروى أن رجلا جاء إلى مالك بن أنس فجعل يقع فى جماعة من الصحابة مثل :أبى بكر ،وعمر ،وعثمان، وغيرهم، فقال له: أنت من الفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم؟ قال: لا. قال: أنت من الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم؟ قال: لا. فقال: أشهد أنك لست من الذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفرلنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان.

وعن ابن عباس أنه قال: ليس لمن يقع فى الصحابة ويذكرهم بالسوء فى الفىء نصيب ،وتلا هذه الآيات الثلاث. وروى أن عمر بن عبدالعزيز سئل عما جرى بين الصحابة من القتال وسفك الدماء فقال: تلك دماء طهر الله يدى عنها، فلا أحب أن أغمس لسانى فيها.

من المعروف أن النبىﷺ قال: «إذا ذكر أصحابى فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا»(١) والمراد به الإمساك عن ذكر المساوئ لاعن ذكر المحاسن. وفى بعض الروايات: «إذا ذكر النجوم فأمسكوا»(٢).

وقوله: ﴿ربنا إنك رءوف رحيم﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين نافقوا﴾ هم عبد الله بن أبى بن سلول ،وعبدالله بن نفيل، وزيد بن رفاعة وغيرهم.

(١) رواه الطبرانى فى الكبير (١٠/١٩٨ رقم ١٠٤٤٨)، وابن عدى فى الكامل (٧/٢٥)، والخرائطى فى مساوئ الأخلاق (٢٧١ - ٢٧٢ رقم ٧٨٢)، وأبو نعيم فى الحلية (٤/١٠٨) -وقال: غريب من حديث الأعمش- جميعهم من حديث ابن مسعود مرفوعا به. وعزاه الحافظ فى المطالب (٣/٧٩ رقم ٢٩٣٢) للحارث بن أبى أسامة، وضعّف البوصيرى إسناده فى زوائده. وقال العراقى فى المغنى (١/٢٦): رواه الطبرانى من حديث ابن مسعود بإسناد حسن. وفى الباب عن ثوبان ،وابن عمر، وعن طاوس، والحسن كلاهما مرسلا. وانظر السلسلة الصحيحة رقم ٣٤.

(٢) تقدم فى الذى قبله.

الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ

وقوله: ﴿ يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنهم بنو النضير، قال لهم المنافقون ذلك قبل أن أجلوا.

والقول الآخر: أنهم بنو قريظة ،قال لهم المنافقون ذلك بعد أن أجلى بنو النضير .

وقوله: ﴿ لئن أخرجتم لنخرجن معكم ﴾ أى: لئن أخرجتم من المدينة لنخرجن معكم فى القتال.

وقوله : ﴿ ولانطيع فيكم أحدا أبدا ﴾ أى: لانطيع محمداً فيكم.

وقوله: ﴿ وإن قوتلتم لننصرنكم ﴾ معناه: ولئن قاتلكم [محمداً] (١) لنكونن معكم فى القتال.

وقوله: ﴿ والله يشهد إنهم لكاذبون ﴾ أى: فى هذا القول.

قوله تعالى: ﴿ لئن أخرجوا لايخرجون معهم ﴾ يعنى: لئن أخرج اليهود لايخرج معهم المنافقون.

وقوله: ﴿ ولئن قوتلوا لاينصرونهم ﴾ أى: لئن قوتل اليهود لاينصرهم المنافقون.

وقوله: ﴿ ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لاينصرون ﴾ فإن قيل: كيف قال ﴿ لاينصرونهم ﴾ ثم قال ﴿ ولئن نصروهم ﴾ وإذا أخبر الله تعالى أنهم لاينصرونهم كيف يجوز أن ينصروهم؟ والجواب من وجوه: أحدها: أن قوله: ﴿ لاينصرونهم ﴾ فى قوم من المنافقين، وقوله: ﴿ ولئن نصروهم ﴾ أى: فى قوم آخرين منهم، وهم الذين لم يقولوا ذلك القول.

والوجه الثانى :أن قوله: ﴿ لاينصرونهم ﴾ أى: طائعين.

(١) فى "الأصل ،وك" : محمد ،والمثبت هو الصواب.

الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا
يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ
شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن

وقوله: ﴿ولئن نصروهم﴾ أى: مكرهين.

والوجه الثالث :أن قوله: ﴿لاينصرونهم﴾ أى: لايدومون على نصرهم. وقوله: ﴿ولئن نصروهم﴾ أى: نصروهم فى الابتداء.

والوجه الرابع كما قاله الزجاج: هو أنهم(١) لاينصرونهم على ما قال الله تعالى، وقوله: ﴿ولئن نصروهم﴾ أى: قصدوا نصرتهم، لولوا الأدبار أى: انهزموا، وذلك بما يلقى الله تعالى فى قلوبهم من الرعب .

وقوله: ﴿ثم لاينصرون﴾ أى: لاينصر اليهود.

قوله تعالى: ﴿لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله﴾ قال ابن عباس: يعنى: أنتم[أشد](٢) رهبة فى صدورهم من الله إذ يخافون منكم مالايخافون منه.

وقوله: ﴿ذلك بأنهم قوم لايفقهون﴾ أى: لايعلمون عظمة الله وقدرته فيخافون منه.

قوله تعالى: ﴿لايقاتلونكم جميعا إلا فى قرى محصنة أو من وراء جدر﴾ يعنى: أنهم لايمكنهم أن يصافوكم فى القتال [ويواجهوكم](٣) به، وإنما يقاتلونكم فى الحصون ووراء الجدر لقلتهم ودخول الرعب عليهم.

قوله: ﴿بأسهم بينهم شديد﴾ قال مجاهد: يعنى أنهم يقولون فيما بينهم :لنفعلن كذا ولنفعلن كذا.

وقوله: ﴿تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى﴾ يعنى: أن المنافقين قط لايخلصون لليهود،ولا اليهود للمنافقين.

وقوله: ﴿ذلك بأنهم قوم لايعقلون﴾ أى: لايتدبرون بعقولهم، فهم بمنزلة من

(١) فى «ك»: أنه.
(٢) زيادة يقتضيها السياق.
(٣) فى "الأصل ، وك" : ويواجهونكم.

قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا

لاعقل له.

قوله تعالى: ﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر﴾ أى: مثل هؤلاء المنافقين مع اليهود كمثل الشيطان مع الكافر. وأكثر المفسرين على أن هذا الكافر هو رجل من بنى إسرائيل يعبد الله تعالى فى صومعة دهراً طويلا، وكان اسمه برصيصا العابد، وكان فى بنى إسرائيل ثلاثة إخوة لهم أخت حسناء بها شيء من اللَمَم، وقيل: كانت مريضة ،فعرض لهم سفر فقالوا :نسلم أختنا إلى فلان العابد فيحفظها إلى أن نرجع - وفى رواية: يدعو لها ويقوم عليها- فإن ماتت دفنها ،وإن برأت فكانت عنده إلى أن نرجع، فسلموها إليه بجهد، فقام عليها حتى برأت. ثم إن الشيطان جاءه وزين له أن يواقعها فواقعها وحبلت منه، ثم جاء الشيطان وقال: إنك تفضح إذا قدم إخوتها فاقتلها وادفنها وقل إنها ماتت،ففعل ذلك ودفنها فى أصل صومعته، فلما رجع الإخوة وجاءوا [إليه](١) ذكر لهم أنها قد ماتت فصدقوه، ثم إن الشيطان أراهم فى المنام أن العابد قد قتل أختكم ودفنها فى موضع كذا، فجاءوا إلى ذلك الموضع، وحفروا واستخرجوا أختهم مقتولة، فذهبوا وذكروا ذلك للملك، فجاء الملك والناس واستنزلوا العابد من صومعته ليقتلوه، فجاءه الشيطان وقال: أنا الذى فعلت بك مافعلت فأطعنى حتى أنجيك، فقال: أيش أفعل؟ فقال: تسجد لى سجدة ففعل، وقتل على الكفر، ونزلت هذه الآية فى هذه القصة .وقد روى عطية عن ابن عباس قريبا من هذا. وذكر بعضهم هذه القصة مسندة إلى الرسول ﷺ برواية سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار بألفاظ قريبة من هذا فى المعنى(٢). قال الشيخ: أخبرنا بذلك أبو على الشافعى بمكة ،أخبرنا ابن فراس، أخبرنا أبو جعفر الديبلى، أخبرنا سعيد بن

---

(١) من «ك»، وفى «الأصل»: إليهم.

(٢) رواه ابن أبى الدنيا فى مكائد الشيطان (٨٠ - ٨١ رقم ٦١) من طريق عمرو بن دينار ،عن عبيد بن رفاعة مرسلا. وعزاه السيوطى فى الدر (٦ / ٢٢١) لابن مردويه، والبيهقى فى الشعب.

أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا

عبدالرحمن المخزومي ،عن سفيان .

وقوله : ﴿ فلما كفر قال إني برىء منك إني أخاف الله رب العالمين ﴾ هذا مثل قوله تعالى : ﴿ فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني برىء منكم إني أرى ما لاترون إني أخاف الله والله شديد العقاب ﴾(١) وقيل : إن خوفه من العقوبة في الدنيا لامن العقوبة في الآخرة . وقيل : هو الخوف من العقوبة في الآخرة إلا أن خوفه لاينفعه لعدم الإيمان . وقيل : إن الآية نزلت في جميع الكفار لا في كافر مخصوص، والمشهور هو القول الأول .

قوله تعالى : ﴿ فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها ﴾ يعني : عاقبة الكافر وإبليس ﴿ خالدين فيها ﴾ أي : دائمين فيها .

وقوله : ﴿ وذلك جزاء الظالمين ﴾ أي : الكافرين .

قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد ﴾ قال قتادة : مازال يقرب الساعة حتى جعل كالغد .

وقوله : ﴿ واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾ الأمر بالتقوى على طريق التأكيد .

قوله تعالى ﴿ ولاتكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ﴾ أي : تركوا أمر الله فتركهم من نظره ورحمته . وقيل معناه : تركوا طلب الحظ لأنفسهم في الآخرة بماتركوا من أمر الله ،ونسب إلى الله تعالى ؛ لأن تركهم طلب الحظ لأنفسهم وفواته إياهم كان لأجل ماتوجه عليهم من أمر الله ،وقيل معناه : أغفلهم عن حظ أنفسهم عقوبة لهم . قال النحاس : ويستقيم في العربية أن يقال : نسيهم فلان بمعنى تركهم . ولايستقيم أنساهم بمعنى تركهم .

(١) الأنفال : ٤٨ .

كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ

وقوله: ﴿أولئك هم الفاسقون﴾ أى: الخارجون عن طاعة الله.

قوله تعالى: ﴿لايستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون﴾ أى: الناجون.

قوله تعالى: ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله﴾ أى: إذا جعلنا له مايميز ويعقل. قيل: هو مذكور على طريق التمثيل لاعلى طريق الحقيقة، وعند أهل السنة: إن لله تعالى فى الموات والجمادات علما (لا)[1] يقف عليه الناس. وقد قال فى موضع آخر: ﴿ولكن لاتفقهون تسبيحهم﴾[2] وهو دليل على ماذكرنا من قبل.

وقوله: ﴿خاشعا﴾ أى: ذليلا، وقيل: متصدعا أى: متشققا من خشية الله.

وقوله: ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾ أى: يتدبرون.

قوله تعالى: ﴿هو الله الذى لاإله إلا هو عالم الغيب والشهادة﴾ أى: السر والعلانية، وقيل: عالم الغيب والشهادة أى: ماكان ومايكون.

وقوله: ﴿هو الرحمن الرحيم﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿هو الله الذى لاإله إلا هو الملك﴾ أى: المقتدر على الأشياء.

وقوله: ﴿القدوس﴾ أى: الطاهر، وقيل: المنزه من كل نقص وعيب، وقيل القدوس: المقدس، يعنى: يقدسه الملائكة ويسبحونه، وفى تسبيح الملائكة: سبوح

---

(١) فى «ك»: لم.

(٢) الإسراء: ٤٤.

﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ

قدوس رب الملائكة والروح. ومنه بيت المقدس، ومنه حظيرة القدس، وهى الجنة. قال رؤبة: .

دعوت رب العزة القدوسا دعاء من لايقرع الناقوسا

وقوله: ﴿السلام﴾ قال قتادة: معناه: مسلم من الآفات والعيوب. وقال مجاهد: سلم الناس من ظلمه. وفى بعض الأخبار :أن النبى ﷺ قال: «السلام اسم من أسماء الله تعالى [وضعه][1] بينكم فأفشوه»[2].

وقوله: ﴿المؤمن﴾ فيه أقوال: أحدها: أنه يؤمن المؤمنين من النار والعذاب. والآخر: أن المؤمنين أمنوا من ظلمه فهو مؤمن. والقول الثالث: أنه شهد لنفسه بالوحدانية ،فهو مؤمن بهذا المعنى، وشهادته لنفسه بالوحدانية هو قوله تعالى: ﴿شهد الله أنه لاإله إلاهو﴾[3]

وقوله: ﴿المهيمن﴾ قال قتادة: أى: الشهيد. وقال بعضهم: هو الأمين، ومعنى كونه أمينا: أنه لايضيع أعمال العباد،فكأن أعمال العباد فى أمانته لايضيعها. وقيل: هو الرقيب. وقيل: إن المهيمن أصله المؤيمن إلا أنه قد قلبت الهمزة هاء مثل قولهم: أرقت الماء وهرقته.

وقوله ﴿العزيز﴾ أى الغالب. وقيل: القاهر. وقيل: المنيع.

وقال الشاعر فى المهيمن.

---

(١) فى الأصل: وصفته، وفى «ك»: وضعته، والمثبت من الأدب المفرد.

(٢) رواه البخارى فى الأدب المفرد (٢٩١) عن أنس مرفوعا به. وفى الباب عن ابن مسعود، وأبى هريرة، وانظر السلسلة الصحيحة (١٨٤).

(٣) آل عمران: ١٨.

سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ .

مليك على عرش السماء مهيمن [لعزته](١) تعنو الوجوه وتسجد

وقوله: ﴿الجبار﴾ أى: جبر الخلق على مراده ومشيئته. وقيل: الجبار أى: العظيم. وقيل: هو الذى يفوت عن(٢) الأوهام والإدراك .

يقال: نخلة جبارة إذا كانت طويلة لايوصل إليها بالأيدى.

قوله: ﴿المتكبر﴾ أى: الكبير. وقيل: المتكبر هو الذى أعلى نفسه وعظمها(٣)، وهذا ممدوح فى صفات الله، مذموم فى صفات الخلق؛ لأن الخلق لايخلون عن نقيصة، فلا يليق بهم إعظامهم أنفسهم وإعلاؤهم إياهم، والله تعالى لايجوز عليه نقص فيصح مدحه لنفسه وإعظامه.

وقيل: مدح نفسه ليعلم خلقه مدحهم إياه ليثيبهم عليه ،إذ لايجوز أن يعود إليه ضر ولانفع.

وقوله: ﴿سبحان الله عما يشركون﴾ قد بينا فى كثير من المواضع.

قوله تعالى: ﴿هو الله الخالق البارئ﴾ أى: مقدر الأشياء ومخترعها .

وقوله: ﴿البارئ﴾ قيل: هو فى معنى الخالق على طريق التأكيد، وقيل: إن معناه المحيى بعد الإماتة. قال الشاعر:

وكل نفس على سلامتها يميتها الله ثم يبرؤها

ذكره أبو الحسن بن فارس.

وقوله: ﴿المصور﴾ هو التصوير المعلوم يصور كل خلق على مايشاء. وقيل:

---

(١) فى "الأصل،وك" :يعز به ،والمثبت من تفسير القرطبى (١٨ / ٢٤٨)، و الميت لأمية بن أبى الصلت .

(٢) فى «ك»: على.

(٣) فى «الأصل وك»: وعظمه.

التصوير هو تركيب مخصوص فى محل مخصوص من الخلق .

وقوله تعالى : ﴿له الأسماء الحسنى﴾ الحسنى : هو تأنيث الأحسن ،وهى هاهنا بمعنى العليا .

وقوله : ﴿يسبح له مافى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾ ظاهر المعنى . وقد ورد فى بعض المسانيد برواية ابن عباس عن النبى ﷺ أنه قال : «إن اسم الله الأعظم فى ثلاث آيات من آخر سورة الحشر»(١) . والله أعلم .

(١) عزاه السيوطى فى الدر (٦/ ٢٢٤) للديلمى عن ابن عباس، وهو فى الفردوس (١/ ٤١٦ رقم ١٦٨٦) وفيه: «... فى ست آيات ...».

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا

تفسير سورة الممتحنة

وهى مدنية، والله أعلم

قوله تعالى: ﴿ يأأيها الذين آمنو لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء ﴾ نزلت الآية فى حاطب بن أبى بلتعة حين كتب كتابا إلى المشركين يخبرهم ببعض أمر النبى ﷺ، والخبر فى ذلك ما أخبرنا به أبو على الحسن بن عبد الرحمن بن الحسن الشافعى، أخبرنا أبو الحسن بن فراس، أخبرنا أبو محمد المقرئ، أخبرنا جدى محمد بن عبدالله ابن يزيد المقرئ[١] ،أخبرنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن الحسن بن محمد بن الحنفية، عن عبيد الله بن أبى رافع قال: سمعت عليا -رضى الله عنه- يقول: «بعثنى رسول الله ﷺ والزبير والمقداد بن الأسود فقال: انطلقوا إلى روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب، فخرجنا [تتعادى][٢] بنا خيلنا حتى بلغنا روضة خاخ، فوجدنا بها ظعينة وقلنا لها: أخرجى الكتاب. فقالت: ما معى كتاب. فقلنا: لتُخْرِجَنَّ الكتاب أو لَنُقَلِّبَنَّ ثيابك. فأخرجت كتابا من عقاص شعرها، فأخذناه وأتينا به النبى ﷺ ،فإذا هو كتاب من حاطب بن أبى بلتعة إلى المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر النبى ﷺ، فدعا حاطباً وقال له: «ماهذا؟» فقال: يارسول الله، لاتعجل علىَّ، إنى كنت امرأً مُلْصَقاً فى قريش - يعنى حَلِيفاً - ولم أكن من أنفسهم ،وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها قراباتهم ،ولم يكن لى بمكة قرابة، فأحببت إذ فاتنى ذلك أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتى، والله مافعلته شكًّا فى الإسلام،ولا رضا بالكفر، فقال النبى ﷺ: «لقد صدقكم» فقال عمر: يارسول الله، دعنى أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبى ﷺ: «إنه قد شهد بدراً،ولعل الله

(١) فى «الأصل، وك»: المقبرى، وهوتحريف، وهو محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ أبو يحيى المكى، وهو من رجال التهذيب، وهذا الإسنادمن الأسانيد الدائرة للمصنف .

(٢) أى: تجرى .

بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ

اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم»(١).

قال أهل التفسير: «وكان عليه الصلاة والسلام إذا أراد غزواً ورَّى بغيره»(٢). وكان يقول: «الحرب خدعة»(٣) فلما أراد أن يغزو مكة كتم أمره أشد الكتمان، وكتب حاطب بن أبى بلتعة على يدى امرأة تسمى سارة كتابا إلى أهل مكة يخبرهم بمسير النبى ﷺ، فأطلع الله نبيه على ذلك ،وكان الأمر على مابينا،وأنزل الله تعالى هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿ يأيها الذين آمنوا ﴾ فى الآية دليل على أن حاطب لم يخرج من الإيمان بفعله ذلك.

وقوله: ﴿ لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء ﴾ أى: أعدائى وأعداءكم ،وهم مشركو قريش.

وقوله: ﴿ تلقون إليهم بالمودة ﴾ أى: تلقون إليهم أخبار النبى ﷺ وسره بالمودة التى بينكم وبينهم. ويقال: تلقون إليهم بالمودة أى: بالنصيحة، قاله مقاتل. وقيل: تلقون إليهم بالمودة أى: بالكتاب. وسمى ذلك مودة وكذلك النصيحة؛ لأن ذلك دليل المودة.

وقوله: ﴿ وقد كفروا بما جاءكم من الحق ﴾ الواو واو الحال قاله الزجاج. ومعناه: وحالهم أنهم كفروا بما جاءكم من الحق.

وقوله: ﴿ يخرجون الرسول وإياكم ﴾ أى: أخرجوا الرسول وأخرجوكم، ومعنى الإخراج هاهنا هو الإلجاء إلى الخروج.

---

(١) متفق عليه، رواه البخارى (٧/ ٥٩٢ رقم ٤٢٧٤)، ومسلم (١٦/ ٨٠-٨٣ رقم ٢٤٩٤).

(٢) متفق عليه، وهو جزء من حديث كعب بن مالك الطويل، رواه البخارى (٧/ ٧١٧ - ٧١٩ رقم ٤٤١٨)، ومسلم (١٧/ ١٣٦-١٥٧ رقم ٢٧٦٩).

(٣) متفق عليه من حديث جابر، رواه البخارى (٦/ ١٨٣ رقم ٣٠٣٠)، ومسلم (١٢/ ٦٧ رقم ١٧٣٩).

جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ

وقوله تعالى: ﴿أن تؤمنوا بالله ربكم﴾ أى: لأنكم آمنتم بالله ربكم.

وقوله: ﴿إن كنتم خرجتم جهاداً فى سبيلى﴾ قالوا: فى الآية تقديم وتأخير، والمعنى: إن كنتم خرجتم جهاداً فى سبيلى وابتغاء مرضاتى فلا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء. وقيل معناه: لا تسروا إليهم بالمودة إن كنتم خرجتم جهاداً فى سبيلى وابتغاء مرضاتى، فهو معنى قوله: ﴿تسرون إليهم بالمودة﴾ خبر بمعنى النهى.

وقوله: ﴿وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم﴾ أى: بما أسررتم وما ظهرتم.

وقوله: ﴿ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل﴾ أى: أخطأ طريق الحق.

قوله تعالى: ﴿إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء﴾ معناه: إن يظفروا بكم، والعرب تقول: فلان ثَقِفٌ لَقِفٌ، إذا كان سريع الأخذ.

وقوله: ﴿يكونوا لكم أعداء﴾ أى: يعاملونكم معاملة الأعداء.

وقوله: ﴿ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء﴾ أى: أيديهم بالسيف، وألسنتهم بالشتم.

وقوله: ﴿وودوا لو تكفرون﴾ أى: وأحبوا لو تكفرون كما كفروا.

قوله تعالى: ﴿لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم﴾ يعنى: أنكم فعلتم ما فعلتم لأجل قراباتكم وأرحامكم، ولن ينفعكم ذلك يوم القيامة.

وقوله: ﴿يوم القيامة يفصل بينكم﴾ أى: يفصل بينكم يوم القيامة؛ فيبعث أهل الطاعة إلى الجنة، وأهل المعصية إلى النار.

وقوله تعالى: ﴿والله بما تعملون بصير﴾ ظاهر المعنى.

أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ

قوله تعالى: ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة﴾ أى: قدوة حسنة.

وقوله: ﴿فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا﴾ المعنى فى الكل: أنه أمرهم بأن تأسوا بإبراهيم فى التبرؤ من المشركين وترك[1] الموالاة معهم.

وقوله: ﴿إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك﴾ قال قتادة معناه: اقتدوا بإبراهيم إلا فى هذا [الموضع][2]، وهو استغفاره لأبيه المشرك، وقد بينا سبب استغفار إبراهيم لأبيه من قبل. وقوله: ﴿وما أملك لك من الله من شىء﴾ أى: لا أدفع عنك من الله من شىء، وهو قول إبراهيم لأبيه.

وقوله: ﴿ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير﴾ إخبار عن إبراهيم وقومه من المؤمنين يعنى: إنهم ذلك.

قوله تعالى: ﴿ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا﴾ قال مجاهد وغيره: أى: لاتعذبنا بأيدى الكفار ولابعذاب من عندك، فيظن الكفار أنا على غير الحق حيث عذبنا، فيصير فتنة لهم فى دينهم، ويظنون أنا كنا على الباطل؛ لأنهم يقولون لوكان هؤلاء على الحق لم يعذبوا ولم يظفر بهم.

وقوله: ﴿واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة﴾ كرر المعنى الأول على طريق التأكيد.

(١) فى «الأصل، وك»: تركوا.

(٢) من «ك».

أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

وقوله: ﴿لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ أى: يخاف الله، ويخاف يوم القيامة.

وقوله: ﴿ومن يتول فإن الله هو الغنى الحميد﴾ أى: المستغنى عنهم،الحميد فى فعاله. والمعنى: أنهم إذا خالفوا أمره،وتولوا الكفار لم يعد إلى الله من ذلك شيء.

قوله تعالى: ﴿عسى الله﴾ قد بينا أن عسى من الله واجب.

وقوله تعالى: ﴿أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتهم منهم مودة﴾ أكثر المفسرين على أن المراد منه تزويج أم حبيبة بنت أبى سفيان من رسول الله ﷺ. وقيل: هو إسلام أبى سفيان بن حرب، وأبى سفيان بن الحارث ،وسهيل بن عمرو ،وحكيم بن حزام، وصفوان بن أمية وغيرهم. وفى بعض التفاسير: أن النبى ﷺ توفى وأبو سفيان بن حرب أمير على بعض اليمن، فلما ارتدت العرب قاتل هودا الحمار وقومه على ردتهم، فكان [هو](١) أول من يجاهد مع المرتدين.

وقوله: ﴿والله قدير﴾ أى: قادر على أن يجعل بينكم وبينهم مودة.

وقوله: ﴿والله غفور رحيم﴾ أى: لما كان منهم قبل إسلامهم ،وقبل حدوث المودة بينكم وبينهم.

قوله تعالى: ﴿لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم﴾ فيه أقوال :أحدها: أن المراد منه قوم كانوا على عهد النبى ﷺ من الكفار من خزاعة ،و هى مدلج وغيرهم. والقول الثالث(٢) :أن قتيلة [كانت كافرة،و](٣) كانت

(١) من «ك».

(٢) كذا فى "الأصل،وك" :أن سقط القول الثانى .

(٣) فى "الأصل،وك" :أن قتيلة كافرة ، وقيل :كانت .

الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ

أم أسماء ،فلم تقبل أسماء هديتها حتى سألت النبىﷺ ، فأنزل الله تعالى هذه الآية، ورخص فى القبول والمكافأة، قاله عبد الله بن الزبير.

والقول الرابع : أن هذا قبل نزول آية السيف،ثم نسخت بآية السيف، قاله قتادة وغيره.

وقوله : ﴿ أن تبروهم وتقسطوا إليهم ﴾ أى : تحسنوا إليهم،وتستعملوا العدل معهم أى : المكافأة.

وقوله : ﴿ إن الله يحب المقسطين ﴾ أى : الفاعلين للعدل.

قوله تعالى : ﴿ إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم ﴾ أى : عاونوا على إخراجكم.

وقوله : ﴿ أن تولوهم ﴾ معناه : أن تتولوهم.

وقوله : ﴿ ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ﴾ أى : وضعوا الموالاة فى غير موضعها.

قوله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات ﴾ سماهن مؤمنات قبل وصولهن إلى النبىﷺ ؛لأنهن على قصد الإيمان وتقديره، ذكره الأزهرى.

وقوله : ﴿ فامتحنوهن ﴾ أى : اختبروهن. قال أهل التفسير : نزلت الآية « فى العهد الذى كان بين النبىﷺ وبين المشركين،وهو عهد الحديبية، وكان النبىﷺ عاهد مع المشركين على أن من جاءه منهم يرده (عليهم)(١)، ومن لحق بهم من المؤمنين لم يردوا »(٢)، وأن الله تعالى نسخ هذا العهد ،ورفعه فى النساء وأمره بالامتحان . وقال

(١) فى « ك » : إليهم.
(٢) تقدم تخريجه.

عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ

بعضهم: كان العهد مطلقا ،ولم يكن نص فى النساء بردهن عليهم. وقال بعضهم: كان قد نص فى النساء أن يردهن عليهم وإن جئن مؤمنات، ثم نسخ، وهو الأشهر، فكانت التى أتت مؤمنة مهاجرة بعد العهد: أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط ،وأما الامتحان ،قال ابن عباس: هو أن يحلفها أنها ماهاجرت إلا حبًّا لله ورسوله ،ورغبة فى الإسلام، وأنها لم تهاجر بحدث أحدثته،ولا لبغض زوج،ولا لرغبة فى مال، ولا حبًّا لإنسان .

وقوله: ﴿ الله أعلم بإيمانهن ﴾ يعنى: إخلاصهن فى إيمانهن.

وقوله: ﴿ فإن علمتوهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار ﴾ فإن قال قائل: كيف التوفيق بين قوله: ﴿ فإن علمتوهن مؤمنات ﴾ وبين قوله: ﴿ والله أعلم بإيمانهن ﴾؟ والجواب عنه: أن معنى قوله: ﴿ فإن علمتموهن مؤمنات ﴾ أى: إيمان الإقرار والامتحان ،كأنهن أقررن بالإيمان، وحلفن عند الامتحان.

وقوله: ﴿ فلاترجعوهن إلى الكفار ﴾ أى: لاتردوهن.

وقوله تعالى: ﴿ لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن ﴾ أى: لاهن حل للكفار نكاحًا ولاهم يحلون للمؤمنات نكاحًا.

وقوله: ﴿ وآتوهم ما أنفقوا ﴾ أوجب الله على المسلمين أن يردوا على أزواجهن ما أعطوهن من المهور.

وقوله: ﴿ ولاجناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن ﴾ أى: مهورهن، وفيه دليل على أن النكاح لايكون إلا بمهر.

وقوله: ﴿ ولاتمسكوا بعصم الكوافر ﴾ أى: لاتمسكوا بنكاح الكوافر، والكوافر جمع الكافر، والمعنى: أن الرجل إذا أسلم وهاجر إلينا، وخلف امرأته فى دار الحرب

الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ

كافرة لم يعتد بها، ولم يبق نكاح بينه وبينها. وروى أن عمر - رضى الله عنه - لما هاجر خلف امرأتين بمكة مشركتين، فتزوج (إحديهما)(١) معاوية، والأخرى صفوان بن أمية.

وقوله: ﴿واسألوا ماأنفقتم﴾ أى: ماأعطيتم، وهذا فى المرأة من المسلمات إذا لحقت بالمشركين، فطالب زوجها المشركين بالمهر الذى أعطاها.

وقوله: ﴿وليسألوا ماأنفقوا﴾ أى: ماأعطوا من المهر وهو ماقدمنا، وليس هذا معنى الأمر والواجب أن يسألوا لا محالة، ولكن معناه: إن سألوا أُعطوا، وكل هذا منسوخ، وقد كان ذلك عهدا بين الرسول وبينهم، وقد ارتفع ذلك.

وقوله: ﴿ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم﴾ ظاهرالمعنى.

قوله تعالى: ﴿وإن فاتكم شىء من أزواجكم إلى الكفار﴾ أى: [التحقت](٢) واحدة من أزواجكم إلى الكفار، يعنى: النساء ﴿فعاقبتم﴾ أى: غنمتم. قال القتيبى: معناه: كانت لكم عقبى خير فى الغنيمة والظفرة. وقرئ: «فعقبتم». وهو (بذلك)(٣) المعنى أيضا.

قوله: ﴿فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا﴾ أى: مثل الذى أعطوا من المهر. ومعنى الآية: أن امرآة المسلم إذا التحقت بالمشركين ولم يردوا المهر، وظفر المسلمون بهم وغنموا، يردون من الغنيمة التى أخذوا مهر الزوج الذى أعطاه.

وقوله: ﴿واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون﴾ أى: مصدقون، وهذا الحكم منسوخ أيضا.

(١) فى «ك»: أحدهما.

(٢) فى «الأصل،ك» التحق.

(٣) فى «ك»: ذلك.

أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ

قوله تعالى: ﴿ يأيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لايشركن بالله شيئا ولايسرقن ولايزنين ولايقتلن أولادهن ﴾ الآية وردت فى بيعة النساء،وكان قد بايع الرجال على الإيمان والجهاد فحسب، وبايع النساء على هذه الأشياء كلها، فروى «أن النبى ﷺ قعد على الصفا حين فتح مكة،وقعد دونه عمر، وجاءته النساء يبايعنه، وفيهن هند بنت عتبة منتقبة متنكرة، فلما قال النبى ﷺ: «إنا نبايعكن على أن لاتشركن بالله شيئا» قالت هند: ما جئنا إليك وقد بقى فى قلوبنا شرك، فلما قال: «وعلى أن لاتسرقن» قالت هند: إنى قد أخذت من مال أبى سفيان هنات وهنات ولا أدرى أتحللها لى أو لا؟ وكان أبو سفيان حاضرا،فقال: حللتك عما مضى وعما بقى. وفى رواية :أنها لما قالت ذلك عرفها النبى ﷺ فقال: «أو هند بنت [عتبة](١)؟» قالت: نعم ،اعف عما سلف يانبى الله ،عفا الله عنك، فقال: «إن الإسلام يجب ماقبله»، فلما قال النبى ﷺ: «وعلى أن لاتزنين» قالت هند: أو تزنى الحرة؟! فضحك عمر -رضى الله عنه- فلما قال: «وعلى ألا تقتلن أولادكن - والمعنى: لاتئدن أولادكن - قالت هند: ربيناهم صغارا فقتلتموهم كبارا -وكان قتل ابنها حنظلة بن أبى سفيان يوم بدر- فلما (كان)(٢) قال: ﴿ ولايأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ﴾ قالت هند: ماعلمت البهتان إلا قبيحا»(٣). ومعنى الآية: لاتلحق المرأة

(١) فى «الأصل، وك»: عقبة، وهو تحريف، وهى هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس القرشية. الإصابة (٤/ ٤٢٥ - ٤٢٦).

(٢) كذا!وأظنها مقحمة، والحديث أورده الزيلعى فى تخريج الكشاف (٣/ ٤٦٢) وفيه، فقالت: فقتلتموهم كبارا، فانتم وهم أعلم. وفى رواية: فانتم وهم أبصر.

(٣) ذكره الزيلعى فى تخريج الكشاف (٣/ ٤٦١ - ٤٦٣) وقال: غريب بهذا اللفظ - وقال الحافظ ابن حجر فى تلخيصه للكشاف: لم أره بسياقه. وقد روى نحوه من حديث ابن عباس، رواه ابن جرير (٢٨/ ٥١)، وزاد السيوطى فى الدر (٦/ ٢٣٢): ابن مردويه وقال ابن كثير (٤/ ٣٥٤): هذا أثر غريب وفى بعضه نكاره وفى الباب أحاديث. قلت :وانظر رواية فى الدر المنشور.

وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ

بزوجها ولداً ليس منه. وقيل معناه: أن تلتقط ولداً،وتقول لزوجها: هذا ولدى منك. ومن حمل على هذا قال: هذا أولى، لأن الله تعالى قال: ﴿ولايزنين﴾ فقد تضمن اليمين عن الزنا اليمين على المعنى الأول،فلابد لهذا من معنى آخر.

وقوله: ﴿يفترينه بين أيديهن وأرجلهن﴾ قال ذلك ؛لأن الولد إذا سقط من المرأة سقط بين يديها ورجليها. وقيل: لأن الثدى بين يدين، والفرج بين الرجلين، والمرأة تضع وترضع. وقيل: إن ذكر اليدين والرجلين على طريق التأكيد، مثل قوله تعالى: ﴿ذلك بما[قدمت](١) أيديكم﴾(٢) يعنى: بما كسبتم، وذكر الأيدى على طريق التأكيد، فلما قال النبى ﷺ: «ولاتعصينني فى معروف» قالت هند: ماجئناك لنعصيك. وروى أنها قالت: إنك لتأمر بمكارم الأخلاق»(٣).

وأما المعروف ففيه قولان: أحدهما: أنه جميع الطاعات، والآخر: أنه النياحة وما يفعله النساء على الموتى من شق الجيوب ،وخمش الوجوه ،وقطع الشعور،وما أشبه ذلك. وهذا القول هوالأشهر، وقد روته أم عطية مسنداً إلى النبى ﷺ فسر بالنياحة(٤). وفى بعض الروايات: «ماوفت بذلك امرأة إلا أم عطية». وروى أبو عيسى الترمذى فى جامعه برواية شهر ابن حوشب عن أم سلمة الأنصارية أن امرأة من النسوة قالت: «ماهذا المعروف الذى لاينبغى لنا أن نعصيك فيه؟ قال: «لاتُنحْنَ»(٥) فقالت: يارسول الله، إن بنى فلان قد أسعدونى على عمى ولابد من قضائهن، فعاتبته مراراً ،فأذن لى فى قضائهن، فلم أنح بعد فى قضائهن ولاغيره حتى الساعة، ولم يبق من النسوة امرأة إلا وقد ناحت غيرى» . قال الشيخ الإمام: أخبرنا بذلك عبدالرحمن ابن عبدالله بن أحمد القفال، أخبرنا أبو العباس بن سراج ،أخبرنا أبو العباس المحبوبى

(١) فى «الأصل، ك»: كسبت، ولعله أراد الآية التى فى سورة الشورى ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾.

(٢) الأنفال: ٥١.

(٣) متفق عليه، رواه البخارى (٣/ ٢١٠ رقم ١٣٠٦، وطرفاه: ٤٨٩٢، ٧٢١٥)، ومسلم (٦/ ٣٣٦ - ٣٣٧ رقم ٩٣٦).

(٤) سبق فى الذى قبله.

(٥) فى «ك»: ألا تنحن.

وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ

أخبرنا أبو عيسى، أخبرنا عبد بن حميد، عن أبى نعيم ،عن يزيد بن عبد [الله](١) الشيبانى،عن شهر بن حوشب . . الحديث :قال أبو عيسى : وأم سلمة الأنصارية هى أسماء بنت يزيد السكنى(٢).

وقوله : ﴿ فبايعهن واستغفر لهن الله ﴾ أى : قد غفر الله لكن .

وقوله : ﴿ إن الله غفور رحيم ﴾ قد بينا . وقد ثبت برواية عائشة « أن النبى ﷺ مامس بيده يدامرأة قط إلا يد امرأة يملكها »(٣) . والمشهور فى بيعة النساء « أنه دعا بإناء فيه ماء وغمس فيه يده فجعل كل من بايعت غمست فيه يدها »(٤) وقد قيل : « إنه أخذ بيدهن وراء الثوب »(٥) والأصح هو الأول .

قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتتولوا قوما غضب الله عليهم ﴾ فيه رجوع إلى قصة حاطب بن أبى بلتعة ،وتأكيد النهى عن موالاة الكفار . وقيل : إن الآية عامة .

وقوله : ﴿ قوما غضب الله عليهم ﴾ قيل : هم المنافقون . وقيل : هم اليهود، وعلى

---

(١) سقط من "الأصل ،وك" .

(٢) رواه الترمذى (٥ / ٣٨٣ – ٣٨٤ رقم ٣٣٠٧) وحسنه، وابن ماجه (١ / ٥٠٣ رقم ٥٧٩)، وأحمد (٦ / ٣٢٠)، وابن جرير (٢٨ / ٥٢) . وزاد السيوطى فى الدر (٦ / ٢٣٢) نسبته لابن سعد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وابن مردويه .

(٣) متفق عليه، رواه البخارى (٨ / ٥٠٤ – ٥٠٥ رقم ٤٨٩١)، ومسلم (١٣ / ١٥–١٦ رقم ١٨٦٦) .

(٤) رواه الطبرانى فى الكبير (١٧ / ١٤٩ رقم ٣٧٦) من حديث عروة بن مسعود الثقفى . وقال الهيثمى فى المجمع (٦ / ٤٢) : فيه عبد الله بن حكيم الداهرى، وهو ضعيف . ورواه أبو نعيم فى تاريخ أصبهان (١ / ٢٩٣) عن أسماء بنت يزيد . ورواه ابن سعد وابن مردويه كلاهما من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، كما فى تخريج الكشاف للزيلعى (٣ / ٤٦٣)، والسيوطى فى الدر (٦ / ٢٣٣) .

(٥) رواه الطبرانى فى الكبير (٢٠ / ٢٠١ رقم ٤٥٤)، وفى الأوسط (١ / ٧١ رقم ٢٣ مجمع البحرين) عن معقل ابن يسار مرفوعا به . قال الهيثمى فى المجمع (٦ / ٤٢) : فيه عتاب بن حرب ،وهو ضعيف . ورواه عبد الرزاق فى مصنفه (٦ / ٩ رقم ٩٨٣٢) عن إبراهيم النخعى مرسلا . ورواه أبو داود فى المراسيل (٢٧٤ رقم ٣٧٣) عن الشعبى مرسلا .

عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾ .

القول الأول هم المشركون.

وقوله: ﴿ قد يئسوا من الآخرة ﴾ أى: يئسوا من البعث بعد الموت، وهذا فى المشركين ظاهر؛ لأنهم كانوا ينكرون البعث، وقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم قالوا: ﴿ ماهى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ومايهلكنا إلا الدهر ﴾(١) وكذلك فى المنافقين ظاهر. وأما إذا حملنا على اليهود، فالمراد من الآية هم اليهود الذين كانوا يعرفون النبى ﷺ ،ويعلمون أنه نبى الله ،وينكرون نبوته حسداً وبغياً. ومعنى إياسهم من الآخرة هو اليأس من الثواب؛ لأنهم إذا عرفوا الحق [وأنكروه](٢) متعنتين عرفوا حقيقة أنهم فى النار فى الآخرة. وقيل: إن المعنى على هذا القول هو أن اليهود كانوا يقولون: ليس فى الجنة أكل ولاشرب ولا استمتاع،فمعنى اليأس هو يأسهم عن هذه النعم لمكان اعتقادهم .

وقوله تعالى: ﴿ كما يئس الكفار من أصحاب القبور ﴾ فيه قولان: أحدهما: كما يئس الكفار من أصحاب القبور عن إصابتهم الثواب، ووصولهم إلى الجنة؛ لأنهم عاينوا الأمر ،وعرفوا أنهم أهل النار قطعاً.

والقول الثانى: كما يئس الكفار من أصحاب القبور أنهم لايعودون إليهم، فعلى القول الأول المراد من الكفار هم الكفار الذين ماتوا، وعلى القول الثانى المراد من الكفار هم الأحياء منهم. والله أعلم.

(١) الجاثية: ٢٤.

(٢) فى «الأصل، ك»: وأنكروها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ

تفسير سورة الصف

وهي مدنية

قوله تعالى: ﴿سبح لله ما في السموات وما في الأرض﴾ قد بينا معنى هذه الآية. وفي بعض الأخبار: أن أحب الكلام إلى الله تعالى سبحان الله، ولحبه هذه الكلمة ألهمها أهل السموات والأرض.

وقوله: ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾ قال ابن عباس: اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ وتذاكروا البعث وأمر الآخرة ثم قالوا: لو علمنا ما يحبه الله ففعلنا ولو نبذل نفوسنا. وفي رواية: أن عبد الله بن رواحة كان يقول لمن يلقاه: تعال نؤمن ساعة، ونذكر الله تعالى، ويقول: وددت أن لو عرفت ما يحبه الله فأفعله؛ فلما فرض الله الجهاد وأمرهم ببذل النفس والمال، وكتب عليهم القتال أحبوا الحياة وكرهوا القتال، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾ وعن قتادة: أن أصحاب رسول الله ﷺ لما فروا يوم أحد إلا نفرا يسيرًا منهم أنزل الله تعالى هذه الآية. والآية وإن كانت عامة فإنها في بعض الصحابة دون البعض، فإن الله تعالى قال في موضع آخر: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا﴾(١) وهذا دليل ظاهر على أن الآية في هذه السورة لم ترد في حق جميعهم على العموم. وفي التفسير: أن عبدالله بن رواحة قال: لما نزلت آية الجهاد حبست نفسي في سبيل الله، ثم إنه لما خرج إلى غزوة مؤتة، «وكان النبي ﷺ أمَّر زيد بن حارثة، فإن

(١) الأحزاب: ٢٣.

يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ

استشهد فجعفر بن أبى طالب، فإن استشهد فعبد الله بن رواحة [قال: فاستشهد زيد][(١)] بن حارثة، ثم أخذ الراية جعفر فاستشهد، ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فاستشهد، ثم إنه أخذ الراية خالد بن الوليد وقاتل حتى رجع بالمسلمين»[(٢)].

وقوله: ﴿كبر مقتا عند الله﴾ أى: بغضاً ﴿أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ والمعنى: أن الله تعالى يبغض من يقول شيئا ولا يفعل.

قوله تعالى: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾ أى: ملزق بعضه ببعض. وقيل: يثبتون فى الحرب مع الكفار ثبات البنيان الذى وضع بعضه على بعض وسد بالرصاص. والعرب إذا بنت البناء بالحجارة يرصون الحجارة ثم يجعلونه فى خلال البناء، ويسمونه البناء المرصوص.

قوله تعالى: ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذوننى﴾ قد بينا ما كان يؤذون به موسى – عليه السلام – فى سورة الأحزاب.

وقوله: ﴿وقد تعلمون أنى رسول الله إليكم﴾ أى: وتعلمون، «وقد» صلة.

وقوله: ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾ أى: مالوا عن الحق [فأمال][(٣)] الله قلوبهم، أى: زادهم ميلا عن الحق.

وقوله: ﴿والله لا يهدى القوم الفاسقين﴾ أى: الكافرين.

قوله تعالى: ﴿وإذ قال عيسى ابن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعد اسمه أحمد﴾ وقد ثبت

(١) فى «الأصل، وك»: فإن استشهد فزيد، وهو تكرار، والمثبت من صحيح البخارى.

(٢) رواه البخارى (٧/٥٨٣ رقم ٤٢٦١) وغيره من حديث ابن عمر مرفوعا بنحوه.

(٣) فى «الأصل، وك» أمال.

إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الإِسْلامِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ

برواية محمد بن جبير بن مطعم ،عن أبيه، عن النبى ﷺ قال: «لى خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحى يمحو الله بى الكفر، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى، وأنا العاقب الذى لا نبى بعدى». قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث أبو على الشافعى ،أخبرنا [ابن](١) فراس ،أخبرنا أبو جعفر الديبلى،أخبرنا سعيد بن (جبير)(٢) عبد الرحمن المخزومى، عن سفيان، عن الزهرى، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه.. الحديث(٣).

وقوله: ﴿فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين﴾ أى: ظاهر. وفى تفسير النقاش: أن اسم الرسول ﷺ فى الإنجيل فار قليطا، وبشر عيسى به بما أخذ عليه من العهد، والعهد المأخوذ هو فى قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه...﴾(٤) الآية وأما معنى اسمه أحمد على وجهين: أحدهما: لأنه كان يحمد الله كثيرا.

والثانى: لأن الناس حمدوه فى فعاله.

قوله تعالى: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام والله

(١) فى «الأصل، وك»: فراس بدون ابن، والصواب إثباتها ،وهو أحمد بن إبراهيم بن فراس أبو الحسن العبقسى كما فى ترجمته من الأنساب (٤/ ١٤٣) وهذا إسناد دائر للمصنف يروى به تفسير سفيان بن عيينة، وقد سبق التنبيه على ذلك.

(٢) كذا فى «الأصل، وك»: وهى مقحمة، وهو سعيد بن عبد الرحمن المخزومى، يروى عن ابن عيينة، كما فى ترجمتيهما من تهذيب الكمال. وعنه أبو جعفر الديبلى كما فى ترجمة الديبلى من السير (١٥/ ٩). ولعل الناسخ قد أخطأ فيه لشهرة سعيد بن جبير، فكتبه على الجادة، وهو خطأ، والله أعلم.

(٣) متفق عليه، رواه البخارى (٦/ ٦٤١ رقم ٣٥٣٢ وطرفه ٤٨٩٦)، ومسلم (١٥/ ١٥٢ - ١٥٤ رقم ٢٣٥٤).

(٤) آل عمران: ٨١.

بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ

لا يهدى القوم الظالمين ﴾ قد بينا من قبل.

قوله تعالى: ﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ﴾ يقال: هو القرآن. ويقال: هو محمد ﷺ.

وقوله: ﴿ والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾ أى: يتم أمر نوره ولو كره الكافرون.

قوله تعالى: ﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ أى: على جميع الأديان شرقا وغربا، ومصداق هذه الآية على الكمال إنما يكون عند نزول عيسى ابن مريم حيث لا يبقى إلا دين الإسلام.

قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ﴾ والتجارة أن تبذل شيئا وتأخذ شيئا، فكأنه جعل بذل النفس والمال وأخذ الثواب تجارة،وهو على طريق المجاز.

قوله تعالى: ﴿ تؤمنون بالله ورسوله ﴾ فى قراءة ابن مسعود: «آمنوا بالله ورسوله» وهو معنى القراءة المعروفة،وجوابه: يغفر لكم ذنوبكم.

وقوله: ﴿ وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ ظاهر المعنى.

قوله: ﴿ يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ﴾ أى: بساتين، والأنهار هى الأنهار الأربعة تجرى من غير أخدود.

وقوله: ﴿ ومساكن طيبة فى جنات عدن ﴾ أى: يستطيبونها، والعدن موضع الإقامة،قال ابن مسعود: هو بطنان الجنة. وفى بعض الأخبار: أن الله غرس جنة عدن

الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ

بيده.

وقوله: ﴿ ذلك هو الفوز العظيم ﴾ أى: النجاة العظيمة.

قوله تعالى: ﴿ وأخرى تحبونها ﴾ أى: تودونها.

وقوله تعالى: ﴿ وأخرى ﴾ أى: خصلة أخرى. وقيل: تجارة أخرى.

وقوله: ﴿ نصر من الله وفتح قريب ﴾ هو فتح مكة. وقيل: هو فتح فارس والروم.

وقوله: ﴿ وبشر المؤمنين ﴾ أى: بالنصر فى الدنيا، وبالجنة فى الآخرة.

قوله: ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله ﴾ وقرئ: «أنصاراً لله».

وقوله: ﴿ كما قال عيسى ابن مريم للحواريين ﴾ الحواريون صفوة الأنبياء وخالصتهم، ومنه قول النبى ﷺ للزبير: «هو ابن عمتى وحوارى من أمتى»(١). ومنه الخبز الحوارى لبياضه ونقائه. والعرب تسمى نساء الأمصار الحواريات، قال الشاعر:

فقل للحواريات يبكين غيرنا ... ولا تبكنا إلا الكلاب النوابح

وفى القصة: أن عيسى -عليه السلام -جمع الحواريين فى بيت - وهم اثنا عشر رجلا - وقال: إن أحدكم يكفر بى اليوم اثنتى عشر مرة،فكان كما قال. وقال: من يختار منكم أن يلقى عليه شبهى فيقتل ويصلب؟ فقام شاب منهم وقال: أنا. فقال: اقعد. ثم قال ذلك ثلاث مرات، وفى الجميع يقوم(٢) ذلك الشاب، فقال عيسى: أنت هو. ثم إن الله تعالى رفعه من الروزنة إلى السماء،ودخل اليهود وألقى الله تعالى شبه عيسى على ذلك الرجل فقتلوه وصلبوه.

(١) رواه النسائى فى الكبرى (٥/ ٦٠ رقم ٨٢١٢)، وأحمد (٣/ ٣١٤)،وابن أبى شيبة فى مصنفه (١٢/ ٩٢)، والخطيب فى تاريخه (٥/ ١٢٦) من حديث جابر مرفوعا به. وهو متفق عليه بلفظ «إن لكل نبى حوارى وحوارى الزبير» وقد تقدم فى تفسير سورة آل عمران.

(٢) فى «ك»: يقول.

قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾.

وقوله: ﴿من أنصارى إلى الله﴾ أى: مع الله. وقيل معناه: من أنصارى ينصر منه إلى: نصر أى: مضموم إليه.

وقوله: ﴿قال الحوايون نحن أنصار الله﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿فآمنت طائفة من بنى إسرائيل وكفرت طائفة﴾ فى التفسير: أن عيسى- صلوات الله عليه- لما رفعه الله تعالى إلى السماء اختلف أصحابه؛ فقال بعضهم: كان هو الله فنزل إلى الأرض ففعل ما شاء ثم ارتفع إلى السماء ،وهم النسطورية. وقال بعضهم: كان هو ابن الله أنزله إلى الأرض ثم رفعه إلى السماء ،وهم اليعقوبية. وقال بعضهم: هو ثالث ثلاثة، وثلاثة هو أب وابن وزوج،وقالوا: ثلاثة قدما أقانيم، وعيسى أحد الثلاثة،وهم الملكانية؛ وعليه أكثر النصارى. وقال قوم: هو عبد الله ورسوله فغلبت الطائفة الثلاثة هذه الطائفة قبل النبى ﷺ، فلما بعث عليه الصلاة والسلام غلبت الطائفة المؤمنة الطوائف الثلاث،فهو معنى قوله تعالى: ﴿فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم﴾ أى: نصرنا وقوينا.

وقوله: ﴿فأصبحوا ظاهرين﴾ أى: غالبين. والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ

تفسير سورة الجمعة

مدنية فى قول الجميع ،وذكر بعضهم :أنها مكية ،وليس بصحيح.

قوله تعالى: ﴿يسبح لله﴾ قد بينا معنى التسبيح، وهو تنزيه الرب عن كل ما لا يليق به. ويقال: التسبيح لله هو ذكر الله. وذكر القفال الشاشى: أن معنى تسبيح الجمادات هو ما جعل فيها من دلائل حدثها ،وأن لها صانعا وخالقا. وهذا ليس بصحيح، وقد ذكرنا من قبل ما قاله أهل السنة فيها.

وقوله: ﴿ما فى السموات وما فى الأرض الملك القدوس﴾ أى: الطاهر من كل عيب وآفة.

وقوله: ﴿العزيز الحكيم﴾ أى: الغالب فى أمره، العدل فى فعله.

قوله تعالى: ﴿هو الذى بعث فى الأميين رسولا﴾ روى منصور،عن إبراهيم :أن الأمى هو الذى لا يكتب ولا يقرأ. وروى ابن عمر أن النبى ﷺ قال: «نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا وهكذا»[١]. وأشار بأصابعه العشر، وحبس إبهامه فى المرة الثالثة.

ويقال: سمى الأمى أميًّا نسبة إلى ما ولدته عليه أمه. ويقال: سمى أميًّا لأنه الأصل فى جبلة الأمة، والكتابة لا تكون إلا بتعلم. وعن بعضهم: سميت قريش أميين نسبة إلى أم القرى – وهى[مكة][٢] – فإن قال قائل: لم يكن كل قريش أميا، وقد قال: ﴿فى الأميين﴾ والجواب: أن الله تعالى سماهم أميين باعتبار غالب أمرهم، وقد كانت الكتابة نادرة فيهم ، وقد كانت العرب تسمى من علم الكتابة والسباحة والرمى شاعرا الكامل. قال ابن عباس: تعلمت قريش الكتابة من أهل

(١) تقدم تخريجه.

(٢) فى "الأصل ،وك" :مكية.

الَّذي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ

لحيرة، وتعلمها أهل الحيرة من أهل الأنبار .

والحكمة فى كون الرسول أميًّا انتفاء التهمة عنه فى تعلم أخبار الأولين ودراستها من كتبهم .ويقال : ليكون موافقا لصفته فى كتب الأولين.

وقوله : ﴿ يتلو عليهم آياته ﴾ أى : القرآن .

وقوله : ﴿ ويعلمهم الكتاب ﴾ أى : كتاب الله . وعن ابن عباس : هوا لخط بالقلم، فإن الكتابة كثرت فى قريش وسائر العرب بعد رسول الله ﷺ ، وهذا موافق لقوله تعالى : ﴿ علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ﴾(١) .

وقوله : ﴿ والحكمة ﴾ أى : السنة . ويقال : الفقه فى الدين .

وقوله تعالى : ﴿ وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين ﴾ أى : فى ضلال من الحق بيِّن .

قوله تعالى : ﴿ وآخرين منهم ﴾ قال الأزهرى : هو فى موضع الخفض يعنى : بعث فى الأميين وفى آخرين .

وقوله : ﴿ لما يلحقوا بهم ﴾ أى : لم يلحقوا بهم وسيلحقون .ويقال فى قوله : ﴿ وآخرين ﴾ أى : يعلمهم الكتاب والحكمة، ويعلم آخرين، أورده النقاش .

واختلفت الأقوال فى المراد بالآخرين مَنْ هم؟ قال عكرمة : هم التابعون . وقال سعيد بن جبير : هم العجم . (وقائل)(٢) هذا القول ما رواه أبو هريرة « أن النبى ﷺ قرأ هذه الآية وأشار إلى سلمان ،وقال : لو كان الدين معلقا بالثريا لناله رجال من قوم

---

(١) العلق : ٤ — ٥ .

(٢) كذا، وفى « ك » : وقال!ولعل الصواب :واستدل من قال هذا القول بما . . .

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ

هذا»[١] أى :العجم . وقال الضحاك : هو كل من آمن وعمل صالحا إلى يوم القيامة .

وقوله تعالى : ﴿ وهو العزيز الحكيم ﴾ قد بينا .

قوله تعالى : ﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ﴾ أى : النبوة .ويقال : ما سبق ذكره من تعليم الكتاب والحكمة .

وقوله : ﴿ والله ذو الفضل العظيم ﴾ ظاهر . وقد ورد فى الخبر «أن الفقراء شكوا إلى النبى ﷺ وقالوا : ذهب أهل الدثور بالأجور ، فأرشدهم الرسول إلى التسبيح والتهليل وأنواع من الذكر؛ فسمع الأغنياء بذلك فجعلوا يقولون مثل ما يقول الفقراء؛ فجاء الفقراء إلى رسول الله ﷺ وذكروا له ذلك؛ فقرأ هذه الآية ،وهو قوله : ﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ وهو خبر مشهور[٢] .

قوله تعالى : ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ﴾ أى : حملوا القيام بها (واستعمالها)[٣]، وهو من الحَمَالة وليس من الحمل أى : ضمنوا القيام بها والعمل بما فيها .

وقوله : ﴿ ثم لم يحملوها ﴾ أى : ضيعوها ولم يعملوا بما فيها ﴿ كمثل الحمار يحمل أسفارا ﴾ قرأ ابن مسعود : « كمثل حمار يحمل أسفاراً » والأسفار جمع سِفْر، والسفر هو الكتاب ،فجعل الكفار لما ضيعوا كتاب الله ولم يعملوا بما فيه مثل الحمر تحمل الكتب ولا تدرى ما فيها .

---

(١) متفق عليه، رواه البخارى (٨ / ٥١٠ رقم ٤٨٩٧ ، وطرفه ٤٨٩٨)، ومسلم (١٦ / ١٥١ رقم ٢٥٤٦) .

(٢) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (٢ / ٣٧٨ رقم ٨٤٣ وطرفه ٦٣٢٩)، ومسلم (٥ / ١٢٩ - ١٣١ رقم ٥٩٥) . وفى الباب عن على، وأبى ذر، وأبى الدرداء، وابن عمرو، وابن عباس وغيرهم .

(٣) فى « ك » : واستعملوها .

الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ

وقوله: ﴿ بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله ﴾ أى: بئس المثل مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله وقوله: ﴿ والله لا يهدى القوم الظالمين ﴾ أى: الكافرين.

قوله تعالى: ﴿ قل يا أيها الذين هادوا ﴾ وفى بعض التفاسير: أن يهود المدينة بعثوا إلى يهود خيبر يسألونهم عن النبى ﷺ، فكتب يهود خيبر إلى يهود المدينة، وقالوا: إنا لا نعرف نبيًّا يخرج من العرب، وإن هذا الرجل يريد أن يضعكم ويصغر شأنكم، وأنتم أولياء الله وأحباؤه فلا تتبعوه، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقوله: ﴿ إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس ﴾ هو ما قلنا.

وقوله: ﴿ فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ﴾ أى: صادقين أنكم أولياء الله، فإنكم إذا متم وصلتم إلى كرامة الله وجنته على زعمكم، فتمنوا لتصلوا. وفى أكثر التفاسير: أن الآية معجزة للرسول ﷺ، فإن الله كان قد قضى أنهم لو تمنوا ماتوا فى وقتهم ذلك، فلم يتمن أحد منهم، ففى صرفهم عن التمنى مع حرصهم على إظهار كذب الرسول، وفى علمهم أنهم لو تمنوا ماتوا، دليل بيِّن على صدق الرسول ﷺ.

قوله تعالى: ﴿ ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم ﴾ أخبر أنهم لا يتمنون، ولم يتمن أحد منهم.

وقوله: ﴿ والله عليم بالظالمين ﴾ أى: بظلمهم على أنفسهم بكتمانهم وصف الرسول -عليه الصلاة والسلام- فى كتبهم.

قوله تعالى: ﴿ قل إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم ﴾ فى الآية دليل على أنهم لو تمنوا ماتوا، وإنهم لم يتمنوا فراراً من الموت.

وقوله: ﴿ فإنه ملاقيكم ﴾ أى: الموت ملاقيكم.

مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ

وقوله: ﴿ ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة ﴾ أى: عالم بما ظهر وخفى.

وقوله: ﴿ فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ أى: بما عملتم.

قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة ﴾ أى: لصلاة الجمعة من يوم الجمعة، وسمى اليوم جمعة ؛لأنه جمع فى هذا اليوم خلق آدم. وقد روى بعضهم هذا مرفوعا إلى النبى ﷺ (١).

وقوله تعالى: ﴿ فاسعوا إلى ذكر الله ﴾ قرأ عمر وابن مسعود وابن الزبير: « فامضوا إلى ذكر الله ». قال ابن مسعود: لو قرأت: « فاسعوا إلى ذكر الله » لسعيتُ حتى يسقط ردائى. والمعروف: « فاسعوا » وقد روى عن بعض التابعين أنهم كانوا يعدون. قال ثابت البنانى: كنت عند أنس بن مالك :فنودى لصلاة الجمعة فقال: قم نسع. والصحيح أن السعى هاهنا بمعنى العمل والفعل، قاله مجاهد وغيره، وحكى ذلك عن الشافعى ،واستشهد بقوله تعالى: ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾(٢) أى: إلا ما عمل، وكذلك قوله تعالى: ﴿ إن سعيكم لشتى ﴾(٣) وأمثال هذا. وقد قال الشاعر:

أسعى على جُلِّ بنى مالكٍ ... كل امرئٍ فى شأنه ساعى

فالسعى هاهنا بمعنى العمل والتصرف .وعن الحسن وقتادة: أن المراد من قوله: ﴿ فاسعوا ﴾ هو النية بالقلب والإرادة لها. وقال عبد الله بن الصامت: كنت أمشى مع أبى ذر إلى الجمعة فسمعنا النداء للصلاة، فرفعت فى مشى، فجذبنى جذبة، وقال:

(١) رواه أحمد (٥/ ٤٣٩)، والطبرانى فى الكبير (٦/ ٢٣٧ رقم ٦٠٨٩) ،والحاكم (١/ ٢٧٧) وصححه ،كلهم من حديث سلمان مرفوعا به. وزاد السيوطى فى الدر (٦/ ٢٣٩) نسبته لسعيد بن منصور، والنسائى، وابن أبى حاتم ،وابن مردويه.

(٢) النجم: ٣٩.

(٣) الليل: ٤.

خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا

ألسنا نسعى. وقوله: ﴿إلى ذكر الله﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الخطبة ،والآخر: أنه الصلاة . وهو الأصح .

وقوله تعالى: ﴿وذروا البيع﴾ أى: واتركوا البيع. ويقال المراد منه: إذا دخل وقت الصلاة وإن لم يؤذن لها بعد، ويقال: إنه بعد سماع النداء. والأول أحسن. ومن قال بالثاني، قال :النداء هو الآذان إذا جلس الإمام على المنبر ،وهو الذى كان فى زمان رسول الله ﷺ، وأما الآذان الأول أحدثه عثمان -رضى الله عنه- حين كثر الناس. والمراد من قوله: ﴿وذروا البيع﴾ أى: البيع والشراء وكل ما يشغل عن الجمعة. واختلف العلماء أنه لو باع هل يجوز ذلك البيع؟ فذهب أكثرهم إلى أن البيع جائز، والنهى نهى كراهة. وذهب مالك وأحمد إلى أن البيع لا يجوز أصلا. وحكى بعضهم عن مالك أنه رجع من التحريم إلى الكراهة، والقول الأول أولى؛لأن الله تعالى قال: ﴿ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ جعل ترك البيع خيرا،وهذا يشير إلى الكراهة فى الفعل دون التحريم، ولأن النهى عن العقد للاشتغال عن الجمعة لا لعين العقد.

قوله تعالى: ﴿فإذا قضيت الصلاة﴾ أى: فرغ منها.

قوله تعالى: ﴿فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله﴾ هو أمر ندب لا أمر حتم وإيجاب، مثل قوله تعالى: ﴿وإذا حللتم فاصطادوا﴾(١) وعن ابن محيريز قال: يعجبنى أن يكون لى حاجة بعد الجمعة فأنصرف إليها ،وابتغى من فضل الله منها. وعن عبد الله [بن](٢) بسر:أنه كان يخرج من المسجد إذا صلى الجمعة ،ثم يعود ويجلس إلى أن يصلى العصر. وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ فى معنى قوله

(١) المائدة: ٣.

(٢) من "ك".

تعالى: ﴿ فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله ﴾ قال: «ليس هو طلب دنيا ،وإنما هو عيادة مريض، أو شهود جنازة، أو زيارة أخ فى الله». والخبر غريب[1].

وقوله: ﴿ واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها ﴾ سبب نزول هذه الآية أن رسول الله ﷺ كان على المنبر يخطب، وقد كان أصاب أهل المدينة غلاء ومجاعة، فقدمت عير تحمل الطعام- ويقال: كانت لدحية بن خليفة الكلبى- فنزلوا عند أحجار الزيت، وضربوا بالطبل ليعلم الناس، فسمع المسلمون ذلك فى المسجد فذهبوا إليها، وبقى النبى ﷺ مع اثنى عشر نفرا فيهم أبو بكر وعمر. وأورد البخارى خبرا فى هذا، وأورد هذا العدد[2]. وقيل: فى [ثمانية][3] رجال ، والأول أصح ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

والتجارة معلومة ،وهى التجارة فى الطعام وتحصيلها، واللهو هو الطبل،قاله مجاهد. ويقال: هو المزامير، وكان الأنصار يستعملون ذلك إذا زفوا امرأة إلى زوجها، وذلك مثل الدف والطبل وما يشبهه، فعلى هذا القول سمع المسلمون صوتها فى السوق – وكانوا يزفون امرأة – فذهبوا إليها، والأول هو المشهور، وهو الثابت.

وقوله: ﴿ وتركوك قائما ﴾ لأنه كان يخطب، وفيه دليل على أن السنة أن يخطب قائما، وأول من خطب قاعداً معاوية وتبعه على ذلك مروان. والسنة ما بينا. فإن قال قائل: كيف قال: ﴿ انفضوا إليها ﴾ وقد تقدم سببان؛التجارة واللهو،ولم يقل: «انفضوا إليهما»؟ والجواب أن معناه: وإذا رأوا تجارة انفضوا إليها، وإذا رأوا لهواً انفضوا إليه، فاكتفى بأحدهما عن الآخر. وقد ذكرنا من قبل أن العرب قد تذكر شيئين وترد الكناية إلى أحدهما، والمراد كلاهما، قال الشاعر:

---

(١) رواه ابن جرير الطبرى فى تفسيره (٢٨ / ٦٧) عن أنس مرفوعاً، وعزاه السيوطى فى الدر (٦ / ٢٤٣) للطبرى فقط.

(٢) متفق عليه من حديث جابر، رواه البخارى (٢ / ٤٩٠ رقم ٩٣٦ وأطرافه: ٢٠٥٨، ٢٠٦٤، ٤٨٩٩)، ومسلم (٦ / ٢١٥ – ٢١٦ رقم ٨٦٣).

(٣) فى "الأصل ،وك" :ثمان، والمثبت هو الصواب .

إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾ .

نحن بما عندنا وأنت بما ... عندك راضٍ والرأى مختلف

ويقال: فى الآية تقديم وتأخير ومعناه: وإذا رأوا تجارة انفضوا إليها أو لهواً والانفضاض هو الذهاب بسرعة.

وقوله: ﴿قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة﴾ أى: ذكر الله تعالى والاشتغال فى الصلاة خير من اللهو والتجارة ،وقوله: ﴿والله خير الرازقين﴾ قال الزجاج معناه: أنه يرزقكم ولا يمسكه عنكم فلا تشتغلوا بطلبه عن الصلاة وعن ذكر الله. ويقال: الرزق مسجلة للبر والفاجر. وروى الحسن البصرى أن النبى ﷺ قال حين نفر الناس إلى العير وبقى فى اثنى عشر رجلا: «لو لحق آخرهم أولهم لاضطرم الوادى عليهم نارا»(١).

وقد وردت أخبار كثيرة فى فضل الجمعة وثوابها منها: ما روى سعيد بن المسيب، عن جابر ،عن عبد الله أن النبى ﷺ قال: «يا أيها الناس توبوا إلى ربكم من قبل أن تموتوا ،وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تُشْغلوا، وصلُوا الذى بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له والصدقة فى السر والعلانية تُنصروا وتُجبروا وتُرزقوا، واعلموا أن الله تعالى قد فرض عليكم الجمعة فى مقامى هذا فى يومى هذا فى شهرى هذا فى عامى هذا إلى يوم القيامة ،فمن تركها فى حياتى أو بعد موتى وله إمام عادل أو جائر استخفافا بها وجحودا لها، ألا فلا جمع الله شَمْلهُ، ولا بارك له فى أمره ألا لا ...»(٢).

---

(١)رواه عبد حميد كما فى الدر(٦ / ٢٤٤)،وأورده شاهداً عن ابن عباس ، وعزاه لابن مردويه فى تفسيره.

(٢) رواه ابن ماجه (١ / ٣٤٣ رقم ١٠٨١)، وأبو يعلى (٣ / ٣٨١ - ٣٨٢ رقم ١٨٥٦)، وابن عدى (٤ / ١٨١)، والعقيلى (٢ / ٢٩٨)، وابن حبان فى المجروحين (٢ / ٣٠٥ - ٣٠٦) ، والبيهقى (٣ / ٩٠ ، ١٧١) وضعفه، والخطيب (٣ / ٢٦٦ - ٢٦٧) عن جابر به. وقال أبو حاتم (العلل ٢ / ١٢٨ - ١٢٩): هو حديث منكر. وفى الباب عن أبى هريرة، وأبى سعيد، وطلحة بن عبيد الله. وانظر: علل الدارقطنى (٩ / ٢١٠) وقد ذكر من حديث جابر وأبى هريرة: وقال:كلاهما غير ثابت. وابن عدى (٣ / ٤٤)، ومسند عمر بن عبد العزيز للباغندى (رقم ٨٨) والهيثمى فى المجمع (٢ / ١٧٢)،وغيرهم.

وروى مالك ،عن سمى ،عن أبى صالح ،عن أبى هريرة،أن النبى ﷺ قال: «من اغتسل يوم الجمعة ثم راح فى الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة، ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن، ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا [شرع](١) الإمام طويت الصحف، وحضرت الملائكة يستمعون الذكر»(٢) . قال رضى الله عنه: أخبرنا بذلك أبو الحسين(٣) بن النقور، أخبرنا أبو طاهر المخلص(٤) أخبرنا يحيى بن محمد بن صاعد ،أخبرنا أبو مصعب عن مالك الخبر.

وورد أيضًا برواية عمران بن الحصين ،عن أبى بكر الصديق -رضى الله عنه- أن النبى ﷺ قال: «من اغتسل يوم الجمعة غسلت ذنوبه وخطاياه ،فإذا راح كتب الله بكل قدم عمل عشرين سنة، فإذا قضيت الصلاة أجيز بعمل مائتى سنة»(٥) والخبر غريب جداً.

والخبر الثالث أن النبى ﷺ قال: «من اغتسل يوم الجمعة من الجنابة ،ولبس من صالح ثيابه ،ومس من طيب بيته ،ولم يفرق بين اثنين غفر له ما بينه وبين الجمعة

(١) فى «الأصل، وك»: شرح.

(٢) متفق عليه، رواه البخارى (٢/٤٢٥ - ٤٢٦ رقم ٨٨١)، ومسلم (٦/١٩٣ رقم ٨٥٠).

(٣) فى «ك»: الحسن، خطأ. وهو أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن النقور البغدادى. تاريخ بغداد (٤/٣٨١ - ٣٨٢)، والسير (١٨/٣٧٢ - ٣٧٤) وغيرهما.

(٤) فى «الأصل»: أبو طاهر بن المخلص، وهو أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن بن العباس البغدادى الذهبى، مخلص الذهب من الغش، فالمخلص لقب له لا لأبيه كما فى ترجمته من تاريخ بغداد (٢/٣٢٢ - ٣٢٣)، والسير (١٦/٤٧٨ - ٤٨٠).

(٥) رواه أبو بكر المروزى فى مسند أبى بكر الصديق (رقم ١٣١)، والطبرانى فى الكبير (١٨/١٣٩ - ١٤٠ رقم ٢٩٢)، وفى الأوسط (٢/٢١١ رقم ٩٦٥ مجمع البحرين)، والعقيلى (٢/٢٢٠)، وابن عدى (٤/٩٩)، وابن الجوزى فى العلل (١/٤٦٠ - ٤٦١ رقم ٧٨٧). وقال الهيثمى فى المجمع (٢/١٧٧): رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط، وفيه الضحاك بن حمزة ضعفه ابن معين والنسائى وذكره ابن حبان فى الثقات. وذكره الدارقطنى فى العلل (١/٢٦٠ - ٢٦١ رقم ٥٣) وقال: والحديث غير ثابت.

الأخرى وزيادة ثلاثة أيام». ذكره البخارى فى كتابه(١).

وورد أيضا فى بعض الأخبار أن النبى ﷺ قال: «من ترك الجمعة ثلاث مرات من غير عذر طبع الله على قلبه»(٢). والله أعلم.

(١) رواه البخارى (٢/ ٤٣٠ - ٤٣١ رقم ٨٨٣ وطرفه ٩١٠)، والنسائى (٣/ ١٠٤ رقم ١٤٠٣)، وأحمد (٥/ ٤٣٨، ٤٤٠)، والدارمى (١/ ٤٣٥ رقم ١٥٤١)، وابن حبان فى صحيحه (٧/ ١٤ رقم ٢٧٧٦).

(٢) رواه أبو داود (١/ ٢٧٧ رقم ١٠٥٢)، والترمذى (٢/ ٣٧٣ رقم ٥٠٠) وحسنه، والنسائى (٣/ ٨٨ رقم ١٣٦٩)، وابن ماجه (١/ ٣٥٧ رقم ١١٢٥)، وأحمد (٣/ ٤٢٤)، والدارمى (١/ ٤٤٤ رقم ١٥٧١)، وابن خزيمة (٣/ ١٧٥ - ١٧٦ رقم ١٨٥٧، ١٨٥٨)، وابن حبان (٧/ ٢٦ رقم ٢٧٨٦)، والحاكم (١/ ٢٨٠) وصححه على شرط مسلم، والبيهقى (٣/ ١٧٢، ٢٤٧) عن أبى الجعد الضمرى.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً

تفسير سورة المنافقين

وهى مدنية فى قول الجميع. والله أعلم

قوله تعالى: ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله﴾ قال أهل التفسير: نزلت السورة فى شأن عبد الله بن أبى بن سلول وأصحابه، كانوا يأتون النبى ﷺ ويقولون: نحن مؤمنون بك، ونشهد إنك لرسول الله، وأن ما جئت به حق، ثم إذا رجعوا إلى ما بينهم أظهروا الكفر. وعن بعضهم: أن قوله تعالى: ﴿نشهد﴾ معناه: نحلف بدليل أن الله تعالى قال بعد هذه الآية: ﴿اتخذوا أيمانهم جنة﴾.

قال الشاعر:

وأشهد عند الله أنى أحبها فهذا لها عندى فما عندها ليا

أى: أحلف.

وقوله: ﴿والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾ هو تطييب لقلب النبى ﷺ وتسلية له، ومعناه: أن علمى أنك رسول الله وشهادتى لك بذلك خير من شهادتهم.

وقوله: ﴿إنهم لكاذبون﴾ قال أبو عبيد: أى: الكافرون، يسمى الكفر باسم الكذب. وقال غيره: هو الكذب حقيقة. وسمى قولهم كذبا؛ لأنهم كذبوا على قلوبهم. وقيل: لما أظهروا بألسنتهم خلاف ما كان فى ضمائرهم سمى بذلك كذبا، كالرجل يخبر بالشىء على خلاف ما هو عليه.

قوله تعالى: ﴿اتخذوا أيمانهم جنة﴾ أى: سترة لما أبطنوه من الكفر. وقيل: جنة أى: يترسوا بها عن القتل، مثل المجن يتترس بها المقاتل عن سلاح العدو.

فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا

وقوله: ﴿ فصدوا عن سبيل الله ﴾ أى: منعوا الناس عن سبيل الإيمان. ومعنى صدهم الناس عن سبيل الله أنهم كانوا يقولون لضعفة المسلمين: إنا نشهد عند هذا الرجل ونظهر خلاف ما نسر، فلو كان نبيا لعلم إسرارنا، ومنعنا من المخالطة مع أصحابه.

وقوله: ﴿ إنهم ساء ما كانوا يعملون ﴾ أى: بئس العمل عملهم. وقرئ فى الشاذ: «اتخذوا إيمانهم جنة» بكسر الألف، والمعروف أيمانهم بالفتح جمع اليمين.

قوله تعالى: ﴿ ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا ﴾ أى: آمنوا بألسنتهم، وكفروا بقلوبهم.

وقوله: ﴿ فطبع على قلوبهم ﴾ أى: ختم على قلوبهم فلا يدخلها الإيمان وقبول الحق.

وقوله: ﴿ فهم لا يفقهون ﴾ أى: لا يتدبرون، والفقه هو التدبر والتفهم. وقيل: فهم لا يفقهون أى: لا يعقلون، كأنهم لما لم يقبلوا الدين مع ظهور الدلائل عليه كانوا بمنزلة من لا يعقل.

قوله تعالى: ﴿ وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم ﴾ فى التفسير: أن عبد الله بن أبى ابن سلول كان رجل جسيماً فصيحا صبيحا ذلق اللسان. قال الزجاج: أخبر الله تعالى بصحة أجسامهم وحسن مناظرهم وفصاحة ألسنتهم. وهو فى قوله: ﴿ وإن يقولوا تسمع لقولهم ﴾ أى: للسان الذى لهم، ثم قال فى شأنهم: ﴿ كأنهم خشب مسندة ﴾ أى: هم مناظر بلا مخابر، وصور بلا معانى، وإنما مثَّلهم بالخشب؛ لأن الخشب لا قلب له ولا عقل، ولا يعى خبراً ولا يفهمه. ويقال فى العادة: فلان خشب أى: ليس له عقل ولا فهم. وقرئ: «خُشْبٌ» بسكون الشين، وكلاهما بمعنى واحد، يقال: بُدْن وبَدَنة وثُمر وثَمرة، فالخُشُب والخُشْب جمع، والواحدة خشبة، ومثاله ما ذكرنا.

تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا

وقوله تعالى: ﴿مسندة﴾ أى: ممالة إلى الجدار. قال على بن عيسى: جعلهم كخشب نخرة، متآكلة فى الباطن، صحيحة فى الظاهر.

وقوله: ﴿يحسبون كل صيحة عليهم﴾ يعنى: إذا سمعوا نداء أو سمعوا من ينشد ضالة أو أى صوت كان، ظنوا أنهم المقصودون بذلك الصوت، وأن سرائرهم قد ظهرت للمسلمين، وهو وصف لجبنهم وخوفهم من المسلمين. وفى بعض التفاسير أن معناه: هو أن كل من سارَّ النبى ﷺ بشىء كانوا يظنون أن ذلك فى أمرهم وشأنهم. وقيل: كان كلما نزلت آية أو سورة ظنوا من الخوف أنها نزلت فيهم، قاله ابن جريج. وأنشدوا لجرير فى الجبن:

ما زلت تحسب كل شىء بعدهم ... خيلا تكر عليهم ورجالا

وقال غيره:

لقد خفت حتى لو تمر كمامةٌ ... لقلت عدوا وطليعة معشر

وقوله: ﴿هم العدو﴾ أى: الأعداء.

وقوله: ﴿فاحذرهم﴾ قال ذلك لأنهم يطلعون المشركين على أسرار المسلمين، ويجبنون ضعفاء المسلمين.

قوله: ﴿قاتلهم الله﴾ أى: أخزاهم وأهلكهم. وقيل: نزلهم منزلة من يقاتله عدو قاهر له.

وقوله: ﴿أنى يؤفكون﴾ أى: كيف يصرفون عن الحق مع ظهوره؟ وهو يتضمن تقبيح فعلهم وتعجيب رسول الله منهم.

قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله﴾ كان المؤمنون يقولون للمنافقين: احضروا النبى ﷺ واعترفوا بذنوبكم يستغفر لكم، وكانوا يهزون

رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ

رءوسهم، وينظرون يمنة ويسرة استهزاء، وقيل: هذا في عبد الله بن أبي بن سلول خاصة. قال بعض الصحابة له ذلك فثنى رأسه وحركه استهزاء، فهو معنى قوله: ﴿لَوَّوْا رءوسهم﴾ ويقرأ بالتخفيف. ومعناه: ثنوا رءوسهم، ومن قرأ بالتشديد فهو تأكيد.

وقوله: ﴿ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون﴾ أي: يعرضون وهم ممتنعون عن الإيمان.

وقوله: ﴿سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم﴾ ومعناه: أن استغفارك لهم لا ينفعهم، وعندهم أن وجوده وتركه واحد. فإن قيل: كيف استغفر لهم رسول الله وقد علم أنهم منافقون؟ والجواب: أنه كان يستغفر لهم لأنهم كانوا يأتون يطلبون الاستغفار، ويسألون منه الصفح والعفو، مثل ما ذكرنا في سورة التوبة، ولم يكن ينفعهم؛ لأنهم كانوا كفارا عند الله.

وقوله: ﴿إن الله لا يهدى القوم الفاسقين﴾ أي: المنافقين، وهم كفار وفساق ومنافقون. وحكى بعضهم عن حذيفة بن اليمان أنه قيل له: من المنافق؟ قال: الذى يصف الإيمان ولا يعمل به. وعن عمر - رضى الله عنه - قال: إنى لا أخاف عليكم مؤمنًا تبين إيمانه، ولا كافرًا تبين كفره، وإنما أخاف عليكم كل منافق عليم اللسان.

قوله تعالى: ﴿هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى يَنْفَضُّوا﴾ وقرئ فى الشاذ «حتى يَنفضُوا» من النفضِ أى: حتى ينفضوا أوعيتهم فيفتقروا ويتفرقوا.

وقوله: ﴿هم الذين يقولون﴾ يقال: الواو محذوفة، ومعناه: وهم الذين يقولون، وكذلك فى قوله: ﴿لئن رجعنا إلى المدينة﴾ أى: ويقولون، قال الشاعر:

لأمر ما تصرفت الليالى　　　لأمر ما تحركت النجوم

أى: ولأمر.

وقوله: ﴿لا تنفقوا على من عند رسول الله﴾ نزلت الآية على سبب، وهو ما رواه الزهرى، عن عروة، عن أسامة بن زيد أن عمر - رضى الله عنه - كان استأجر رجلا من غفار يقال له: «جَهْجَاه» ليعمل له فى بعض الغزوات، وهى غزوة «المُرَيْسِيع» فجرت بينه وبين رجل من الأنصار منازعة على رأس بئر للإسقاء[١] فقال الأنصارى: يا للأنصار، وقال جهجاه: يا للمهاجرين، فسمع النبى ﷺ ذلك فقال: «ما بال دعوى الجاهلية دعوها فإنها ميتة». وبلغ ذلك عبد الله بن أبى بن سلول فغضب وقال: هذا مثل ما قال الأول سمن كلبك، وقال: أما إنكم لو أطعمتمونى لم تنفقوا على من اجتمع عند هذا الرجل - وكان الأنصار ينفقون على المهاجرين، وكانوا ينفضون عنه - وقال: لئن رجعنا إلى المدينة لَيُخْرِجَنَّ الأعز منها الأذل - وعنى بالأعز نفسه، وبالأذل محمداً ﷺ - فبلغ ذلك النبى ﷺ وقال عمر: دعنى أضرب عنق هذا المنافق. فقال عليه الصلاة والسلام: «لا يبلغ الناس أن محمدا يقتل أصحابه»[٢] - أى: لا أقتله لهذا - قال رضى الله عنه: أخبرنا بذلك أبو على الشافعى بمكة، أخبرنا أبو الحسن بن فراس، أخبرنا أبو جعفر محمد بن إبراهيم الديبلى، أخبرنا أبو عبد الله سعيد بن عبد الرحمن المخزومى، أخبرنا سفيان عن الزهرى ... الحديث.

وقد ذكر البخارى هذا الخبر فى كتابه برواية زيد بن أرقم قال: كنت مع عمر فى غزاة فسمعت عبد الله بن أبى بن سلول يقول لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا، وقال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. قال فجئت إلى عمر وذكرت له ذلك، وذكر عمر ذلك لرسول الله ﷺ، فجاء ابن أبى بن سلول إلى النبى ﷺ وحلف أنه ما قاله فصدقه وكذبنى، فأصابنى من الهم ما لم يصبنى مثله قط حتى جلست فى بيتى، فأنزل الله تعالى هذه الآية والتى قبلها،

---

(١) فى «ك» للاستقاء.

(٢) ذكره الثعلبى بتمامه - تخريج الكشاف (٤ / ٣٥) - والواحدى فى أسباب النزول (٣٢١ - ٣٣٢) مختصراً كلاهما عن أصحاب السير.

الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ

فدعاني رسول الله ﷺ وقال: «إن الله تعالى قد صدقك»(١).

وفي رواية سفيان عن عمرو بن دينار عن جابر «أن رجلا من المهاجرين كسع رجلا من الأنصار، فقال الأنصاري: ياللأنصار، وقال المهاجري: ياللمهاجرين – وكان الأنصار أكثر من المهاجرين حين قدم رسول الله ﷺ المدينة، ثم كثر المهاجرين من بعد – فلما سمع عبدالله بن أبي بن سلول ذلك قال ما ذكرناه، (وساق)(٢) الحديث قريبا من الذي ذكرناه أولا»(٣). قال رضي الله عنه: أخبرنا بذلك أبو علي الشافعي بمكة بالإسناد الذي ذكرنا عن سفيان.

وقوله: ﴿حتى ينفضوا﴾ أي: يتفرقوا.

وقوله تعالى: ﴿ولله خزائن السموات والأرض﴾ معناه: أنهم لو لم تنفقوا فلله خزائن السموات والأرض فهو يرزقكم. ويقال: خزائن السموات بالمطر، وخزائن الأرض بالنبات. وعن بعضهم: خزائن السموات ما قضاه، وخزائن الأرض ما أعطاه. وقال بعض أرباب الخواطر: خزائن السموات: الغيوب، وخزائن الأرض: القلوب. والصحيح الأول.

قوله: ﴿ولكن المنافقين لا يفقهون﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل﴾ قد ذكرنا، والأعز هو الأقدر على منع الغير، والأذل هو الأعجز عن نفع الغير. وقيل معناه: ليخرجن العزيزُ منها الذليلَ. وفي أفعل بمعنى فعيل قال الفرزدق:

إن الذي سمك السماء بنى لنا ... بيتا دعائمه أعز وأطول

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٨/ ٥١٥ – ٥١٦ رقم ٤٩٠٢ – ٤٩٠٤)، ومسلم (١٧/ ١٧٦ – ١٧٨ رقم ٢٧٧٢).

(٢) في «ك»: وذكر.

(٣) متفق عليه، رواه البخاري (٨/ ٥١٦ رقم ٤٩٠٥)، ومسلم (١٦/ ٢٠٧ – ٢٠٩ رقم ٢٥٨٤).

وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي

أى: عزيز طويلة.

وقوله: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ أى: الغلبة والمنعة والقوة، والعزة لله لعزة فى ذاته، والعزة لرسوله وللمؤمنين بما أعطاهم الله تعالى من الغلبة والمنعة والقوة.

وقوله: ﴿ولكن المنافقين لا يعلمون﴾ أى: لا يعلمون أن العزة والغلبة لله ولرسوله وللمؤمنين.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم﴾ أى: لا تشغلكم، ومعناه: لا تشتغلوا بالقيام على أموالكم وأولادكم فيشغلكم ذلك عن ذكر الله كما شغل المنافقين. وذكر الله هو الإيمان به هاهنا.

وقوله: ﴿ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون﴾ أى: المغبونون بحظوظهم. ويقال: هم الذين غبنوا أنفسهم وخسروها فى الآخرة. وعن عطاء: أن ذكر الله هاهنا هو الصلوات الخمس. وقال الضحاك: هو جميع ما فرضه الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وأنفقوا مما رزقناكم﴾ الأصح أنه الزكاة، وقيل: هو صدقة التطوع، وكل ما ندب الله تعالى إليه من النفقة فى الخيرات.

وقوله: ﴿من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى﴾ أى: هلا أخرتنى.

قوله: ﴿إلى أجل قريب﴾ أى: إلى مدة قريبة. قال ابن عباس: كل من كان له مال ولم يؤد زكاته يسأل الله الرجعة إذا حضره الموت. فقالوا له: يا ابن عباس، اتق الله، فإنما الرجعة للكافر، فقال: اتلوا هذه الآية: ﴿وأنفقوا مما رزقناكم﴾ الآية. وفى رواية: أن هذا فى الحج بدل الزكاة.

إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾

وقوله: ﴿ فأصدق وأكن من الصالحين ﴾ وقرئ: «وأكون»، ومن قرأ «وأكون» فهو معطوف على قوله فأصدق. وقيل لابن عمر: وكيف خالفت المصحف فى قوله: ﴿ وأكون من الصالحين ﴾؟ فقال: هو مثل قولهم فى هجاء أبجد كلمن، وهو كلمون.

وأما تقرير الآية على القراءة بدون الواو: «وإن أخرتنى أصدق وأكن من الصالحين». وقيل: «أصدق» أى: أزكى، «وأكن من الصالحين» أى: أحج.

قوله تعالى: ﴿ ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها ﴾ أى: لا يتقدم ولا يتأخر إذا جاء الأجل.

وقوله: ﴿ والله خبير بما تعملون ﴾ ظاهر المعنى.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ

تفسير سورة التغابن

وهى مدنية فى قول الأكثرين. وقال الضحاك: مكية. وقال الكلبى: مكية ومدنية. ومعناه: أن بعضها مكية، وبعضها مدنية. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿ يسبح لله ما فى السموات وما فى الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ﴾ قد ذكرنا معانى هذا من قبل.

قوله تعالى: ﴿ هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ﴾ قال على بن أبى طلحة الوالبى: خلقكم كفارا وخلقكم مؤمنين، قاله ابن عباس، وقد أيد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ إن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ﴾(١) فأخبر أن الله تعالى خلقه كذلك. وفى الخبر أنه عليه الصلاة والسلام قال: «إن الله تعالى خلق يحيى سعيداً فى بطن أمه، وخلق فرعون كافرًا فى بطن أمه»(٢).

وروى سفيان عن عمرو بن دينار عن [أبى](٣) الطفيل قال: سمعت ابن مسعود - رضى الله عنه - يقول: الشقى من شقى فى بطن أمه، والسعيد من وعظ بغيره. فقلت: ثكلت أم الشقى من قبل أن يعمل، فلقيت حذيفة بن أسيد - وكنيته أبو شريحة الغفارى - فذكرت له ذلك فقال: ألا أخبرك بأعجب من هذا! سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا استقرت النطفة فى رحم المرأة أربعين ليلة - أو قال: خمسا

(١) آل عمران: ٣٩.

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير (١٠/ ٢٢٤ رقم ١٠٥٤٣)، وابن عدى فى الكامل (١/ ٣٥٠، ٦/ ٢١٦، ٧/ ٣٣)، والآجرى فى الشريعة (١٨٥ - ١٨٦)، وأبو نعيم فى تاريخه (٢/ ١٩٠)، وابن بطة فى الإبانة (٢/ ٢/ ٣٢ - ٣٣ رقم ١٤١٥، ١٤١٦) من حديث ابن مسعود. وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ١٩٦): رواه الطبرانى وإسناده جيد.

(٢) فى «الأصل وك»: ابن، وهو تحريف، وأبو الطفيل هو عامر بن واثلة، والحديث فى مسلم وغيره من رواية أبى الطفيل عن حذيفة بن أسيد.

وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ

وأربعين ليلة - دخل عليها الملك فيقول : أى رب، شقى أو سعيد؟ فيقول الله، ويكتب الملك . فيقول : أذكر أم أنثى؟ فيقول الله، ويكتب الملك . فيقول : يارب، ما أجله؟ ما عمله؟ ما رزقه؟ ما مصيبته؟ فيقضى الله تعالى، ويكتب الملك، ثم يطوى الصحيفة، فلا يزاد ولا ينقص إلى يوم القيامة »(١) .

وروى سفيان أيضا عن طلحة بن يحيى، عن عمته، عن عائشة بنت طلحة، عن عائشة أم المؤمنين أن النبى ﷺ أتى بصبى من الأنصار ليصلى عليه، فقلت : طوباه عصفور من عصافير الجنة . فقال : « أو غير ذلك يا عائشة؛ إن الله تعالى خلق الجنة وخلق لها أهلا خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم، وخلق النار وخلق لها أهلا وهم فى أصلاب آبائهم »(١) .

قال رضى الله عنه : أخبرنا بهذين الحديثين أبو على الشافعى بمكة، أخبرنا أبو الحسن بن فراس، أخبرنا الديبلى، أخبرنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومى، عن سفيان بن عيينة . . الخبر كما ذكرنا .

والقول الثانى فى الآية أن معناها : فمنكم كافر بأن الله خلقه، ومنكم مؤمن ومنكم فاسق . والمعروف هو القول الأول .

وقوله : ﴿ والله بما تعملون بصير ﴾ ظاهر .

قوله تعالى : ﴿ خلق السموات والأرض بالحق ﴾ أى : بالعدل . ويقال : بإحكام الصنعة وحسن (التقدير)(٢)، ويقال : للحق .

وقوله : ﴿ وصوركم فأحسن صوركم ﴾ قال مقاتل : خلق آدم بيده، فهو معنى قوله : ﴿ وصوركم فأحسن صوركم ﴾ وعن غيره : أنه فى معنى قوله تعالى : ﴿ لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم ﴾(٣) وعن بعضهم قال : خلق الإنسان فى أحسن

(١) تقدم تخريجه .
(٢) فى « ك » : التدبير .
(٣) التين : ٤ .

صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾

صورة، ولو عرض الله عليه الصور ما اختار غير صورته.

وقوله: ﴿وإليه المصير﴾ أى: المرجع.

قوله تعالى: ﴿يعلم ما فى السموات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور﴾ أى: بما تكنه الصدور.

قوله تعالى: ﴿ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل﴾ هذا خطاب لمشركى قريش.

وقوله: ﴿فذاقوا وبال أمرهم﴾ أى: فى الدنيا.

وقوله: ﴿ولهم عذاب أليم﴾ أى: فى الآخرة.

قوله تعالى: ﴿ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات﴾ أى: بالدلالات الواضحات.

وقوله: ﴿فقالوا أبشر يهدوننا﴾ مثل قوله تعالى: ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا﴾(١).

وقوله: ﴿فكفروا وتولوا﴾ أى: جحدوا وأعرضوا.

وقوله: ﴿واستغنى الله﴾ يعنى: أن الله غنى عن طاعتهم وعبادتهم وتوحيدهم.

وقوله: ﴿والله غنى حميد﴾ أى: مستغنى عن أفعال العباد، مستحمد إلى خلقه بالإنعام عليهم. ويقال: حميد أى: مستحق للحمد. ويقال: حميد أى: يحب أن يحمد. وقد ثبت أن النبى ﷺ قال: «ما أحد [أغير](٢) من الله وما أحد أحب إليه

(١) الإسراء: ٩٤.

(٢) فى «ك»: أغنى

زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ

الحمد من الله، وما أحد أحب إليه العذر من الله»(١).

وقوله تعالى: ﴿زعم الذين كفروا﴾ حكى عن مجاهد أنه كان يكره لفظة زعموا، وكذلك حكى عن ابن مسعود. وفى بعض التفاسير عن ابن عمر قال: كنية الكذب. ونحو ذلك عن شريح. فزعموا هاهنا بمعنى قالوا وأخبروا، قال الشاعر:

ألا زعمت بسباسة اليوم أننى ... كبرت وألا يحسن السر أمثالى

وقوله: ﴿أن لن يبعثوا﴾ يعنى: بعد الموت.

وقوله: ﴿قل بلى وربى لتبعثن﴾ قوله: ﴿بلى﴾ فى هذا الموضع لتكذيب القوم فيما زعموا، وهو مثل قول القائل لغيره: وقد أمرتك بكذا وكذا، فيقول الرجل: ما سمعت وما أمرتنى به، فيقول: بلى، أى: وكذبت، قد سمعت وقد أمرتك.

وقوله: ﴿ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير﴾ أى: هين.

قوله تعالى: ﴿فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا﴾ أى: القرآن الذى أنزلناه على محمد ﴿والله بما تعملون خبير﴾ أى: عليم.

قوله تعالى: ﴿يوم يجمعكم ليوم الجمع﴾ أى: يوم القيامة، وسمى يوم الجمع؛ لأنه يجتمع فيه الأولون والآخرون، ويجتمع أهل السموات وأهل الأرض.

وقوله: ﴿ذلك يوم التغابن﴾ عن ابن عباس أنه قال: هو اسم ليوم القيامة. وفى التغابن معنيان: أحدهما: أن أهل الحق يغبنون أهل الباطل، وأهل الإيمان يغبنون أهل الكفر.

---

(١) متفق عليه عن ابن مسعود، رواه البخارى (٨/١٤٦ رقم ٤٦٣٤، وأطرافه: ٤٦٣٧، ٥٢٢٠، ٤٧٠٣)، ومسلم (١٧/١٢٠ - ١٢١ رقم ٢٧٦٠).

وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن

والقول الثانى: أن الله تعالى سمى لكل أحد من خلقه منزلا فى النار ومنزلا فى الجنة، فمن كان مؤمنا يرث منزل الكافر فى الجنة، ومن كان كافراً يرث منزل المؤمن فى النار، وهو معنى التغابن يوم القيامة. وعن بعضهم: أن الغبن هو أخذ الشيء بدون قيمته، فبالتفاوت الذى يقع بين القيمة وما دونها يحصل التغابن، فالمؤمنون لما عملوا للجنة وللنعيم الباقى فقد غبنوا أهل النار، والكفار لما اختاروا النعيم المنقطع على النعيم الباقى، والدار التى تفنى على الدار التى لا تفنى؛ فقد غبنوا. قال زيد بن على: غبنوا أنفسهم. والغبن هاهنا يعنى الخسران فى (غير)[1] هذا الموضع.

وقوله تعالى: ﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير﴾ أى: المرجع والمنقلب.

قوله تعالى: ﴿ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله﴾ أى: بعلمه وقضائه وتقديره.

وقوله: ﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾ قال علقمة: ومن يؤمن بالله فى المصيبة أى: يعلم أنها من الله يهد قلبه للاسترجاع والتسليم لأمر الله تعالى. ومثله عن سعيد بن جبير. وعن بعضهم: يهد قلبه أى: للصبر إذا ابْتُلِى، وللشكر إذا أُنعِم عليه، وللعفو إذا [ظلم][1] وقال عكرمة: يهد قلبه لليقين، فيعلم أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه. وذكر الأزهرى فى كتابه أن معنى قوله: ﴿يهد قلبه﴾ أى: يجعله مهتديا، وقد أيد هذا القول ما حكى عن ابن جريج أنه قال: من عرف الله فهو مهتدى القلب.

---

(١) كذا، وأظنها مقحمة.

(٢) فى «الأصل وك»: أظلم.

يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ

وقوله: ﴿والله بكل شيء عليم﴾.

قوله تعالى: ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين﴾ أى: البين.

قوله تعالى: ﴿الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم﴾ أى: أعداء لكم فاحذروهم. قال ابن عباس: نزلت الآية فى قوم أسلموا بمكة، وكانوا يريدون أن يهاجروا إلى المدينة فيمنعهم أولادهم وأهلوهم ويقولون: فارقتمونا بدينكم فلا تفارقونا بأنفسكم، فأنزل الله تعالى هذه الآية. وعن مجاهد قال: نزلت الآية فى عوف بن مالك الأشجعى، وكان قد لقى جفاء من أهله وولده.

وقوله: ﴿وأن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم﴾ قال ابن عباس: لما تخلف هؤلاء بسبب أهليهم وأولادهم ثم هاجروا من بعد فرأوا قوما قد أسلموا من قومهم، وتقدموا فى الهجرة وتفقهوا فى الدين، حزنوا لذلك حزنا شديداً، وهموا أن يعاقبوا أهليهم وبنيهم ويتركوا الإنفاق عليهم، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿وأن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم﴾.

قوله تعالى: ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ أى: بلاء ومحنة، ومعنى البلاء والمحنة من الأموال والأولاد أنه يشتغل بهم عن طاعة الله تعالى، ويحمله طلب المال ورضا الأولاد على معصية الله تعالى. وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ أنه قال: «الولد مبخلة مجبنة محزنة مجهلة»(١). ومعناه: أنه يحمل على البخل والجبن والحزن

(١) تقدم تخريجه.

والجهل. وعن عيسى ابن مريم - عليه السلام - قال: من اتخذ أهلا ومالا وولداً كان للدنيا عبداً.

وروى عبد الله بن بريدة [عن أبيه](١) «أن النبي ﷺ كان يخطب فدخل الحسن والحسين - رضي الله عنهما - وعليهما قميصان أحمران يعثران في ذلك، فنزل النبي ﷺ عن المنبر وحملهما ووضعهما بين يديه، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ ثم قال: رأيت هذين الصبيين يعثران في قميصهما، فما ملكت نفسي حتى نزلت وحملتهما»(٢).

وأنشدوا في لفظ الفتنة لبعضهم:

قد فتن الناس في دينهم ... وخلى ابن عثمان شراً طويلا

يعني: قد ابتلى الناس.

وقوله: ﴿والله عنده أجر عظيم﴾ أي: كثير.

قوله تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ قال ربيع بن أنس: بجهدكم وطاقتكم. وروى معمر، عن قتادة أن هذه الآية نسخت قوله تعالى: ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾(٢) ومثل هذا عن جماعة من التابعين. وقال جماعة من أهل العلم: الأولى أن يقال: هذه الآية رخصة وليست بناسخة. وذكر القفال أن هذه الآية مبينة لقوله تعالى: ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾(٣) لأن الله تعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها. وذكر مثل ذلك على ابن عيسى وغيره.

---

(١) سقوط من «الأصل، وك»، والمثبت من كتب التخريج.

(٢) رواه أبو داود (١/ ٢٩٠ رقم ١١٠٩)، والترمذي (٥/ ٦١٦ - ٦١٧ رقم ٣٧٧٤) وقال: حسن غريب، والنسائي (٣/ ١٠٨ رقم ١٤١٣، ١٥٨٥)، وابن ماجه (٢/ ١١٩٠ رقم ٣٦٠٠)، وأحمد (٥/ ٣٥٤)، وابن أبي شيبة (١٢/ ٩٩ - ١٠٠)، وابن خزيمة (٢/ رقم ١٤٥٦، ٣/ رقم ١٨٠١، ١٨٠٢)، والطبري (٢٨/ ٨١)، وابن حبان في صحيحه (١٣/ ٤٠٢ - ٤٠٣ رقم ٦٠٣٨، ٦٠٣٩)، والحاكم (١/ ٢٨٧) وصححه على شرط مسلم، والبيهقي (٣/ ١٢١٨)، والبغوي (٤/ ٣٥٤).

لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴿١٦﴾ إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم ﴿١٧﴾

والمختار ما عليه السلف، وهو القول الأول. وقد ذكرنا عن ابن مسعود فى قوله تعالى: ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾(١) هو أن يطاع فلا يعصى، ويذكر ولا ينسى، ويشكر فلا يكفر.

وقوله: ﴿واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم﴾ نصب قوله: ﴿خيراً﴾ على تقدير: اتقوا فى الإنفاق خيراً. ومثله قوله تعالى: ﴿انتهوا خيراً لكم﴾(٢).

وقوله: ﴿ومن يوق شح نفسه﴾ أى: بخل نفسه، ويقال: الشح هو منع حقوق الله الواجبة. وقال سفيان بن عيينة: الشح هاهنا هو الظلم دون البخل؛ لأن الله تعالى قد قال: ﴿ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه﴾(٣).

وقوله: ﴿فأولئك هم المفلحون﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿إن تقرضوا الله قرضا حسنا﴾ قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: هو الإنفاق فى سبيل الله. ويقال: هو جميع حقوق المال، وسمى ذلك قرضا؛ لأن الله تعالى يثيبهم عليه ويعطيهم عوضه، فهو بمنزلة القرض.

وفيه قول ثالث: أن الإقراض هاهنا هو قول القائل: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. وذكر القفال: أن بعض السلف كان إذا سمع سائلا يقول: من يقرض الله قرضا حسنا يقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. وأما قوله ﴿حسنا﴾ أى: طيبة بها أنفسكم. ويقال: من خيار المال لا من رذاله.

وقوله: ﴿يضاعفه لكم﴾ أى: يجعل الواحد عشرا. ويقال: يضاعف لا إلى عدد معلوم.

وقوله: ﴿ويغفر لكم والله شكور حليم﴾ الشكر من الله هو جزاؤه المحسنين جزاء

(١) آل عمران: ١٢، النساء: ١.
(٢) النساء: ١٧١.
(٣) محمد: ٣٨.

﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾

من يشكرهم على إحسانهم. ويقال: الشكر من الله هو العفو عن السيئات وقبول الحسنات. ويقال: هو العفو عن الكثير وقبول القليل.

وقوله: ﴿ حليم ﴾ معناه: إمهال العباد وترك معاجلتهم بالعقوبة.

قوله تعالى: ﴿ عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم ﴾ ظاهر المعنى.

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ

تفسير سورة الطلاق

وهى مدنية فى قول الجميع

قوله تعالى: ﴿يا أيها النبى إذا طلقتم النساء﴾ فإن قيل: كيف خاطب النبى ﷺ وحده فى الابتداء ثم قال: ﴿إذا طلقتم النساء﴾؟ والجواب من أوجه: أحدها: أن خطاب النبى - عليه الصلاة والسلام - خطاب لأمته، مثل خطاب الرئيس يكون خطابا للأتباع وكأنه قال: ياأيها النبى والمؤمنون إذا طلقتم النساء.

والجواب الثانى أن قوله: ﴿إذا طلقتم النساء﴾ على تحويل الخطاب إلى الغير مثل قوله تعالى: ﴿حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها..﴾(١).

والجواب الثالث: أن فيه تقدير محذوف، وتقديره: ياأيها النبى قل للمؤمنين إذا طلقتم النساء. وروى قتادة عن أنس أن النبى ﷺ طلق حفصة،فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقال له جبريل: يقول لك ربك : راجعها فإنها صوَّامة قوَّامة، وهى من أزواجك فى الجنة.

وقوله: ﴿فطلقوهن لعدتهن﴾ معناه: لزمان عدتهن وهو الطهر، وفيه دليل على أن الأقراء التى تنقض بها العدة هى الأطهار، وهذا قول أهل الحجاز. وأما من قال: إن الأقراء هى الحيض، قال معنى قوله: ﴿لعدتهن﴾ أى: ليعتددن مثل قوله تعالى: ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا﴾(٢) أى: ليحزنوا، ذكره النحاس، وقرأ فى الشاذ: «فطلقوهن لقبل عدتهن» وقيل: إنها قراءة النبى ﷺ، فمن قال: إن الأقراء هى الحيض استدل بهذه القراءة، لأن هذه اللفظة تقتضى أن يكون زمان الطلاق قبل

(١) يونس: ٢٢. (٢) القصص: ٨.

زمان العدة، وأن زمان العدة يتعقب زمان الطلاق.

وأما من قال: بأن الأقراء هن الأطهار، قال فمعنى قوله: «لقبل عدتهن» أى: لوجه عدتهن؛ فإن قيل: إن قُبَلَ الشىء وجهه، والمراد فى أول زمان الطهر، فإن قيل: أول زمان الطهر وآخره واحد فى الطلاق؛ فليس المعنى إلا ماذكرنا.

قلنا: ليس كذلك، بل الأولى أن يطلق فى أول زمان الطهر إذا أراد الطلاق؛ لأنه إذا أخر لم يأمن أن يجامعها ثم يطلق، فيكون قد طلق طلاق البدعة.

وقد روى عن عمر وابن مسعود وابن عباس ومجاهد وغيره من التابعين معنى قوله: ﴿ لعدتهن ﴾ أى: طاهرا من غير جماع. وقد ثبت هذا اللفظ عن النبىﷺ برواية نافع عن ابن عمر أنه طلق امرأته فى حال الحيض، فقال له النبىﷺ: «راجعها ثم أمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شئت طلقها طاهرا من غير جماع»(١). وتلك العدة التى أمر الله تعالى أن يطلق لها النساء. وفى رواية: أنه قال لعمر: «مره فليراجعها». وفى رواية «ثم إذا طهرت إن شاء طلقها طاهرا من غير جماع» ولم يذكر ثم تحيض ثم تطهر. وعن أنس[و](٢) ابن سيرين أنه قال لابن عمر: «احتسبت بتلك الطلقة؟ قال: نعم.

(وفى رواية: خمسة)(٣). وفى رواية ثالثة: قال: نعم وإن عجزت واستحمقت.

وقوله: ﴿ وأحصوا العدة ﴾ هذا خطاب للأزواج ،أمرهم أن يحصوا العدة ليعرفوا زمان الرجعة ومدة انقطاعها. ويقال: ليعرفوا مدة الإنفاق عليهن.

وقوله: ﴿ واتقوا الله ربكم ﴾ يعنى: طلقوا للسنة، ولاتطلقوا للبدعة. ويقال: اتقوا ربكم فى ترك إخراجهن من البيوت، وأما صفة طلاق السنة فهو من حيث الوقت أن

(١) متفق عليه، رواه البخارى (٩/ ٣٥٨ رقم ٥٢٥١)، ومسلم (١٠/ ٨٨ - ١٠٢ رقم ١٤٧١).

(٢) من «ك»

(٣) كذا! وأظنها مقحمة.

يطلقها طاهراً من غير جماع، وأما من حيث العدة ،فمذهب مالك والثورى وأبى حنيفة وكثير من العلماء أنه يكره الطلاق ثلاثا جملة، والسنة أن يطلقها واحدة ويتركها حتى تنقضى عدتها، هذا هو الأولى، قاله مالك. وإن أراد أن يطلق ثلاثا فرق على الأطهار، فيطلق لكل طهر طلقة، وأما مذهب الشافعى - رحمه الله - أنه ليس فى الجمع والتفريق سنة ولا بدعة. وقد ذكر الأصحاب الأولى أن يطلق واحدة وإن لم يكره الجمع بين الثلاث، قالوا: وهو المذهب. وفى الآية دليل (الشافعى)(١) على قوله؛ لأن الله تعالى أباح الطلاق بقوله: ﴿ فطلقوهن لعدتهن ﴾ مطلقا ولم يفرق بين أن يطلق واحدة أو أكثر منها، ولأن الله تعالى بين وقت الطلاق ولم يبين عدده، والآية وردت لبيان المسنون من الطلاق، فلو كان فى عدد الطلاق سنة لم يؤخر بيانها.

وقوله: ﴿ لاتخرجوهن من بيوتهن ﴾ أى: فى زمان العدة، ونسب البيوت إليهن لأجل السكنى.

وقوله: ﴿ ولايخرجن ﴾ أى: لايخرجن بأنفسهن.

وقوله: ﴿ إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ﴾ اختلف القول فى معنى الفاحشة هاهنا، فأظهر الأقاويل: أنها الزنا، وهذا قول ابن مسعود وإحدى الروايتين عن ابن عباس وهو قول الحسن والشعبى وعكرمة و(حماد بن أبى سلمة)(٢) والليث وجماعة كثيرة، والمراد من الآية على هذا إلا أن تزنى فتخرج لإقامة الحد.

والقول الثانى: أن الفاحشة هى أن تبذو(٣) على أهلها، قاله ابن عباس فى إحدى الروايتين، ويقال فى قراءة أبى بن كعب: «إلا أن يَفْحُشْنَ» وهذه القراءة تقوى هذا القول. وروى عن عائشة أنها قالت لفاطمة بنت قيس: اتقى الله فإنك تعلمين أن

(١) كذا، ولعله: للشافعى.

(٢) كذا «بالأصل وك»، وإظهر أن الصواب: حماد بن أبى سليمان الأشعرى أبو إسماعيل الكوفى الإمام الفقيه.

(٣) البذاء هو المفاحشة، وقد بذو يبذو بذاءة. النهاية (١ / ١١٠)

وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ

الرسول ﷺ أخرجك، يعني: من بيت زوجها، وكانت تبذو بلسانها.

والقول الثالث ماروى عن ابن عمر أنه قال: الفاحشة نفس الخروج. وهو محكى عن إبراهيم النخعي. فعلى هذا تقدير الآية إلا أن يأتين بفاحشة مبينة بخروجهن.

وقال بعضهم: الفاحشة هاهنا جميع المعاصي. وأولى الأقاويل هو الأول لكثرة من قال به؛ ولأنه موافق لقوله: ﴿واللاتى يأتين الفاحشة﴾(١) وأجمعوا على أن المراد به الزنا.

وقوله: ﴿وتلك حدود الله﴾ قال السدى: هى شروط الله. ويقال: شرع الله، وقيل: أمره ونهيه.

وقوله: ﴿ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه﴾ أى: أهلك نفسه وأوبقها.

وقوله: ﴿لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا﴾ القول المعروف فى هذا أنه الرغبة فى المراجعة، وفيه دليل على أن المراد بقوله: ﴿فطلقوهن﴾ فى ابتداء الآية هو الطلقة والطلقتان دون الثلاثة ، ويقال: إن المراد منه الواحدة والثلاث جميعا. قال فى قوله تعالى: ﴿لاتدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا﴾ قال: هو النسخ؛ ومعناه: لعل الله ينسخ هذا الحكم ويرفعه. وقيل: هو الرغبة فى ابتداء النكاح بعد زوج آخر.

وقوله: ﴿فإذا بلغن أجلهن﴾ أى: قاربن بلوغ أجلهن، وهو انقضاء العدة.

وقوله: ﴿فأمسكوهن بمعروف﴾ أى: راجعوهن بمعروف، ومعناه: على ما أمر الله تعالى. ويقال: المعروف هاهنا: هو أن يراجعها ليمسكها لا أن يراجعها فيطلقها، فيطول العدة عليها على ما كان يفعله أهل الجاهلية.

وقوله: ﴿أو فارقوهن بمعروف﴾ معناه: أن يتركها لتنقضى العدة فتقع الفرقة. والمعروف: هو ما أمر الله تعالى به من إيصال حقها إليها من السكنى والنفقة فى

(١) النساء: ١٥.

بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ

موضع الوجوب، ويقال: بمعروف أى: من غير قصد مضارة.

قوله: ﴿ وأشهدوا ذوى عدل منكم ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن الإشهاد واجب فى الطلاق والرجعة بظاهر الآية.

والقول الثانى: أن الإشهاد يجب فى الرجعة ولايجب فى المفارقة وهو أحد قولى الشافعى - رضى الله عنه - وهو قول طاوس من التابعين.

والقول (الثانى)(١): أنه يندب إلى الإشهاد فى الرجعة، ولا يجب، وعليه أكثر أهل العلم، وهو قول آخر الشافعى رحمة الله عليه.

وأما العدل هو مستقيم الحال فى معاملات الشرع وأوامره. وقال منصور: سألت إبراهيم عن العدل فقال: هو الذى لم يظهر فيه ريبة.

وقوله: ﴿ وأقيموا الشهادة لله ﴾ هو خطاب للشهداء بأداء الشهادات على وجوهها.

وقوله: ﴿ ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾

وقوله: ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ﴾ قال ابن عباس: من كل أمر ضاق على الناس. وعنه قال: إذا اتقى الله فى الطلاق على وجه السنة بأن طلق واحدة، جعل له مخرجا منه فى جواز الرجعة - وروى أن رجلا أتاه وقال: إن عمى طلق امرأته ثلاثا فهل له مخرج؟ فقال: إن عمك عصى الله فأثم، وأطاع الشيطان فلم يجعل له مخرجا. وفى بعض الأخبار برواية ابن عباس أن النبى ﷺ قال فى قوله: « ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ﴾ قال: « من غموم الدنيا وغمرات الموت وشدائد الآخرة »(٢).

وقوله ﴿ ويرزقه من حيث لايحتسب ﴾ أى: من حيث لا يرجو ولا يأمل، وقيل:

---

(١) كذا! ولعله: الثالث.

(٢) عزاه الزيلعى فى تخريج الكشاف (٤ / ٥٠) للثعلبى فى تفسيره، والواحدى فى تفسيره الوسيط، وعزاه السيوطى فى الدر (٦ / ٢٥٧) لأبى يعلى، وأبى نعيم، والديلمى. ونص الزيلعى على أنه فى الحلية موقوفاً.

حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ

يقنعه بما رزقه. وفى التفسير: «أن هذه الآية نزلت فى عوف بن مالك الأشجعى أسر ابنه، فجاء إلى النبى ﷺ يشكو إليه فقال: «اصبر واتق الله» فرجع، ثم إن العدو غفلوا عن ابنه، مرة ،فهرب منهم وساق مع نفسه إبلا ورجع إلى أبيه وجاء بالإبل، فأتى النبى ﷺ وأخبره بذلك، وسأله عما ساقه إليه ابنه هل يحل له ذلك؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية»(١) فالمعنى بقوله: ﴿ويرزقه من حيث لايحتسب﴾ هو ماجاء به ابن عوف ابن مالك إلى أبيه من الإبل.

وقوله تعالى: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ أى: يثق بالله ويفوض أمره إليه، ويقال: التوكل على الله هو الرضا بقضائه. وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ أنه قال «من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة، ومن انقطع إلى الخلق وكله إليهم»(٢).

وقوله: ﴿إن الله بالغ أمره﴾ أى: كل مايريده فى خلقه.

وقوله: ﴿قد جعل الله لكل شىء قدرا﴾ أى: مقداراً وأجلا ينتهى إليه.

قوله تعالى: ﴿واللائى يئسن من المحيض من نسائكم﴾ الآية مشكلة لقوله: ﴿إن ارتبتم﴾ واختلفت الأقوال فى قوله: ﴿إن ارتبتم﴾ أظهر الأقاويل: أن الله تعالى لما بين عدة ذوات الأقراء قال جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ قد عرفنا عدة ذوات

---

(١) رواه الحاكم (٢/٤٩٢)، والواحدى فى أسباب النزول (٣٢٤) عن جابر بن عبد الله مختصراً بنحوه، وفيه أن رجلا من أشجع هو الذى اشتكى للنبى ﷺ دون تسميته عوف بن مالك.

وقال الحاكم: صحيح. وتعقبه الذهبى بقوله: بل منكر، وعباد رافضى جبل، وعبيد متروك، قاله الأزدى.

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط (٨/٢٨٢ رقم ٥١١٦ مجمع البحرين)، وفى الصغير (١/٢٠١ رقم ٣٢١)، وابن أبى حاتم - (٤/٣٨١) تفسير ابن كثير - والخطيب فى تاريخه (٧/١٩٦)، وابن الجوزى فى العلل (٢/٨٠١ رقم ١٣٣٨) عن عمران بن حصين مرفوعا بنحوه.

وعزاه العراقى فى المغنى (٤/٢١١) للطبرانى فى الصغير ،وابن أبى الدنيا ،ومن طريقه البيهقى فى الشعب من رواية الحسن عن عمران، وقال: لم يسمع منه، وفيه إبراهيم بن الأشعث تكلم فيه أبو حاتم.

إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللاَّئِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُوْلاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ

الأقراء، فكيف عدة الآيسات والصغائر وذوات الأحمال؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقوله: ﴿إن ارتبتم﴾ خطاب لأولئك الجماعة أى: شككتم فى عدتهن فلم تعرفوها. وفى بعض التفاسير: أن معاذ بن جبل سأل رسول اللهﷺ عن ذلك. وعن بعضهم: أن أبى بن كعب سأل رسول اللهﷺعن ذلك.

والقول الثانى: أن قوله تعالى: ﴿إن ارتبتم﴾ أى: لم تعرفوا أنها تحيض، أولا تحيض وذلك فى المرأة الشابة إذا ارتفع حيضها لعلة. قال عمر رضى الله عنه: تنتظر سبعة أشهر، فإن لم تر الحيض اعتدت بثلاثة أشهر، وهذا قول مالك، وحكى عن مجاهد نحو ما ذكرنا.

والقول الثالث أن قوله: ﴿إن ارتبتم﴾ راجع إلى قوله تعالى: ﴿لاتخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن﴾ والمعنى إن ارتبتم فى انقضاء عدتها فلا تخرجوهن من بيوتهن ولايخرجن، ذكره النحاس. وأما الآيسة فهى التى لاترى أمثالها الحيض فعدتها ثلاثة أشهر. وعلى مذهب أكثر العلماء أن الشابة وإن ارتفع حيضها لعلة لا تنقضى عدتها بالشهور مالم تيئس،قالوا: ولو شاء الله لابتلاها بأكثر من ذلك.

وقوله: ﴿واللائى لم يحضن﴾ هن الصغائر.

وقوله: ﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾ هذا الحكم متفق عليه فى المطلقات الحوامل، فأما المتوفى عنها زوجها اختلف الصحابة فى ذلك، فقال على وابن عباس: إن عدتها أبعد الأجلين. وقال عمر وابن مسعود وابن عمر وأبو هريرة: إن عدتها بوضع الحمل، وهذا هو القول المختار. وعن ابن مسعود أنه قال: نزلت سورة

وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن

النساء القصوى بعد قوله تعالى: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً﴾(١) فقد نقل ابن مسعود نسخ تلك الآية بهذه الآية. وفى رواية عنه أنه قال: هذه الآية ناسخة لتلك الآية. وروى أن أبا هريرة وابن عباس اختلفا فى هذه (المسألة)(٢)، فقال ابن عباس: تعتد بأبعد الأجلين، وقال أبو هريرة: تعتد بوضع الحمل؛ فبعث ابن عباس كريبا مولاه إلى أم سلمة يسألها عن ذلك، فروت أن سبيعة الأسلمية توفى عنها زوجها وهى حامل فوضعت لنصف شهر؛ فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «حللت للأزواج». وهذا خبر صحيح(٣).

وقوله: ﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا﴾ أى: يتق الله فى أمر الطلاق فيطلب للسنة.

وقوله: ﴿يجعل له من أمره يسرا﴾ أى: الرجعة (وقال بعضهم)(٤): «ومن يتق الله» أى: يحذر عن المعاصى ويعمل بالطاعات «يجعل له من أمره يسرا» أى: يوفقه ويسدده وييسر عليه الأمور.

قوله تعالى: ﴿ذلك أمر الله أنزله إليكم﴾ أى: ماتقدم من الأمر والنهى فى الطلاق وأحكامه.

وقوله: ﴿ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً﴾ أى: فى القيامة.

قوله تعالى: ﴿أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم﴾ اختلف العلماء فى وجوب السكنى للمبتوتة مع اتفاقهم أنها واجبة للرجعية؛ فمذهب الشافعى: أن السكنى واجبة لها دون النفقة إلا الحامل تجب لها النفقة والسكنى، وهو قول مالك.

---

(١) البقرة: ٢٣٤.
(٢) فى «ك»: الآية.
(٣) متفق عليه، رواه البخارى (٨/ ٥٢١ رقم ٤٩٠٩ وطرفه ٥٣١٨)، ومسلم (١٠/ ١٥٥ - ١٥٦ رقم ١٤٨٥).
(٤) فى «ك»: وقوله.

وُجْدِكُمْ وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُوْلاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ

ومذهب أحمد وجماعة: أن السكنى والنفقة غير واجبين للمبتوتة لحديث فاطمة بنت قيس.

ومذهب أبى حنيفة رحمه الله: أنهما واجبتان.

وقوله: ﴿ من وجدكم ﴾ أى: من سعتكم. وقال الفراء: مما تجدون. وقرأ الأعرج: «من وَجْدِكم» وهو لحن لأن الوَجْد من الجِدَة، والجد من الحزن والحث والعطف، وليس هذا موضعه.

وقال: ﴿ ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن ﴾ قال منصور عن [أبى][(١)] الضحى: المضارة هو أن يراجعها حين تشرف على انقضاء العدة من غير رغبة ليطول عليها العدة. ويقال: [إن][(٢)] المراد من المضارة هاهنا هو المضارة فى المنزل والسكنى، قاله مجاهد.

وقوله: ﴿ وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن ﴾

من لم يوجب النفقة للمبتوتة الحامل استدل بهذه الآية وقال: إن الله تعالى: شرط فى وجوب النفقة للمبتوتات أن يكن حوامل. ومن أوجب النفقة لهن قال: قوله: ﴿ ولاتضاروهن لتضيقوا عليهن ﴾ أى: فى ترك الإنفاق على العموم فى المبتوتات.

وقوله: ﴿ وإن كن أولات حمل ﴾ تخصيص بعض ماتناوله اللفظ الأول بالذكر مثل قوله تعالى: ﴿ وجبريل وميكال ﴾[(٣)] بعد ذكر الملائكة. قال بعضهم: الآية لبيان مدة النفقة يعنى: أن النفقة تجب للحامل وإن طالت مدة حملها إلى أن تضع الحمل.

وقوله: ﴿ فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن ﴾ أى: الأم إذا أرضعت بعد الطلاق

(١) فى «الأصل، وك»: ابن، وهوتحريف، وهو مسلم بن صبيح أبو الضحى، من رجال التهذيب.

(٢) من «ك».

(٣) البقرة: ٩٨.

وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا

يؤتيها الأب أجرها.

وقوله ﴿ وأتمروا بينكم بمعروف ﴾ أى: لينفق الوالد والوالدة على ماهو الأنفع للصبى، فلا تمتنع الوالدة من الإرضاع، ولا يمتنع الأب من إعطاء الأجر. قال السدى: « وائتمروا بينكم بمعروف » أى: تشاوروا بينكم بالمعروف. وهو قول ضعيف. وقال المبرد: ليأمر بعضكم بعضا بالمعروف.

وقوله: ﴿ وإن تعاسرتم ﴾ أى: تضايقتم وتنازعتم فى الأجر.

وقوله: ﴿ فسترضع له آخرى ﴾ أى: إذا لم ترض الأم بأجر المثل وطلبت أكثر منه يسلم الولد إلى غيرها لترضع بأجر المثل.

وقوله: ﴿ فسترضع له أخرى ﴾ خبر بمعنى الأمر أى: لترضع، مثل قوله تعالى: ﴿ والوالدات يرضعن أولادهن ﴾(١).

وقوله: ﴿ لينفق ذو سعة من سعته ﴾ أى: بمقدار سعته، وهو حث على التوسع فى النفقة لمن وسع الله عليه.

وقوله: ﴿ ومن قدر عليه رزقه ﴾ أى: ضيق عليه رزقه، ولم يكن له إلا القوت ومايشبهه وهو قوله: ﴿ فلينفق مما آتاه الله ﴾ أى: على قدر ذلك. وعن عمر- رضى الله عنه - أنه سمع أن أبا عبيدة بن الجراح يلبس الثوب الخشن ،ويأكل الطعام (الجَشْب)(٢) ، فبعث إليه بألف دينار من بيت المال، وأمر الرسول أن يتعرف حاله بعد ذلك، فتوسع وأكل الطيب من الطعام، ولبس اللين من الثياب، فرجع الرسول فأخبر عمر بذلك فقال: إنه تأول قوله تعالى: ﴿ لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ﴾ ذكره القفال فى تفسيره.

وقوله: ﴿ لايكلف الله نفسا إلا ما آتاها ﴾

(١) البقرة : ٢٣٣.
(٢) فى «ك»: الخشن.

آتاها سيجعل الله بعد عسرٍ يسراً ﴿٧﴾ وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حساباً شديداً وعذبناها عذاباً نكراً ﴿٨﴾ فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسراً ﴿٩﴾ أعد الله لهم عذاباً شديداً فاتقوا الله يا أولي الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكراً ﴿١٠﴾ رسولاً يتلو عليكم

وقوله: ﴿ سيجعل الله بعد عسر يسرا ﴾ أى: بعد ضيق سعة، وبعد فقر غنى. قال أهل التفسير: أراد به أصحاب رسول الله ﷺ كانوا فى ضيق، ثم وسع الله عليهم.

قوله تعالى: ﴿ وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله ﴾ أى: عتى أهلها عن أمر ربها، والعتو هو المبالغة فى العصيان. وعن ابن عباس: أن الله تعالى لم ينزل قطرة من السماء إلا بوزن معلوم إلا فى زمان نوح، ولايرسل ريحا إلا بكيل معلوم إلا فى زمان عاد، فإنها عتت على خزانها.

وقوله: ﴿ فحاسبناها حسابا شديداً ﴾ الحساب الشديد هو الذى ليس فيه عفو ولا تجاوز.

وقوله: ﴿ وعذبناها عذابا نكرا ﴾ أى: ينكر، والمنكر: الفظيع.

قوله تعالى: ﴿ فذاقت وبال أمرها ﴾ أى: عاقبة أمرها من المكروه، يقال: طعام وبيل أى: مكروه، وهو ضد الهَنِىء من الطعام. ويقول: الوبيل من الطعام: هو الذى تؤدى عاقبته إلى الهلاك.

وقوله: ﴿ وكان عاقبة أمرها خسرا ﴾ أى: هلاكا، وقيل: نقصانا.

وقوله تعالى: ﴿ أعد الله لهم عذابا شديدا ﴾ وهو النار.

وقوله: ﴿ فاتقوا الله يأولى الألباب ﴾ أى: أولى العقول الذين آمنوا، وهذا يدل على أن العقل إنما ينفع مع الإيمان، أما بدون الإيمان لاينفع.

آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ

وقوله: ﴿ قد أنزل الله إليكم ذكرا رسولا ﴾ فيه وجوه: أحدها: أنزل إليكم ذكرا أى: دليلا، وأنزل رسولا. ويقال: الذكر: القرآن، وقوله: ﴿ رسولا ﴾ منصوب على البدل. وقيل: «رسولا» أى: رسالة. فمعناه: أنزل قرآنا رسالة.

وقوله: ﴿ يتلو ﴾ يقال: هو محمد ﷺ، (ويقال)(١): هو جبريل عليه السلام.

وقوله: ﴿ عليكم آيات مبينات ﴾ أى: واضحات.

وقوله: ﴿ ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور ﴾ أى: من الكفر إلى الإيمان، ومن الباطل إلى الحق، وما أشبه ذلك.

وقوله: ﴿ ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا ﴾ أى: الجنة.

قوله تعالى: ﴿ الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ﴾ ليس فى القرآن آية تدل على عدد الأرضين بسبع مثل عدد السموات سوى هذه الآية، وقد ثبت أيضا عن النبى ﷺ أنه قال: «من غصب شبرا من أرض طوقه الله من سبع أرضين»(٢).

وعن ابن عباس أنه قال: سبع سموات بعضها فوق بعض، وسبع أرضين بعضها تحت بعض، وبين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة سنة، وكذلك بين كل أرض وأرض. وعنه أنه قال: خلق السماء الدنيا من موج مكفوف، والسماء الثانية من صخرة، والسماء الثالثة من حديد، والرابعة من نحاس، والخامسة من فضة، والسادسة

(١) فى «ك»: وقيل.

(٢) متفق عليه، رواه البخارى (٦/٣٣٨ رقم ٣١٩٥)، ومسلم (١١/٧١ رقم ١٦١٢). وقد رواه عدة من الصحابة، وانظر تلخيص الحبير (٣/١١٨ - ١١٩ رقم ١٢٩١).

الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾

من ذهب، والسابعة من درة، وخلق الكرسى فوق السموات السبع والسموات والأرض فى جنب الكرسى كحلقة فى فلاة ويحمل الكرسى أربعة أملاك لكل ملك أربعة أوجه، وجه على صورة الآدميين يسأل الرزق للبشر، ووجه على صورة سيد السباع - وهو الأسد - يسأل الرزق للسباع، ووجه على صورة سيد الطير - وهو النسر يسأل الرزق للطيور. ووجه على صورة سيد الأنعام - وهو الثور يسأل الرزق للأنعام.

قال ابن عباس: مازالت على وجهه الذى هو على صورة الثور عمامة منذ عبد العجل من دون الله، فملكان يقولان: اللهم لك الحمد على حلمك بعد علمك، وملكان يقولان: اللهم لك الحمد على عفوك بعد قدرتك.

وعنه رضى الله عنه أنه قال: فى كل أرض آدم كآدم أبى البشر، ونوح مثل نوح، وإبراهيم كإبراهيم، وموسى كموسى، وعيسى كعيسى، ومحمد كمحمد. ذكر هذه الآثار عن ابن عباس أبو بكر محمد بن الحسن النقاش فى تفسيره. وعن قتادة قال: فى كل سماء وفى كل أرض خلق من خلقه، وأمر من أمره، وقضاء من قضائه.

وقوله تعالى: ﴿يتنزل الأمر بينهن﴾ أى: بين السموات والأرضين، وهو معنى ما بينا.

وقوله: ﴿لتعلموا أن الله على كل شيء قدير﴾ أى: قادر.

وقوله: ﴿وأن الله قد أحاط بكل شيء علما﴾ ظاهر المعنى، وهو منصوب على (التفسير)(١)، والله أعلم.

(١) كذا فى «الأصل وك». والنصب على المصدر المؤكد، (انظر القرطبى ١٨/ ١٧٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾﴾

تفسير سورة التحريم

وهى مدنية

قوله تعالى: ﴿ يا أيها النبى لم تحرم ماأحل الله لك تبتغى مرضات أزواجك والله غفور رحيم ﴾ فى الآية قولان معروفان: أظهر القولين: أنها نزلت فى تحريم رسول الله ﷺ على نفسه مارية القبطية، وسبب ذلك: أن النبى ﷺ خلا بها فى بيت حفصة، وكانت حفصة قد خرجت لزيارة أبيها، فلما رجعت وعرفت ذلك فوقفت على الباب، وخرج النبى ﷺ ورأى الكآبة فى وجهها. وفى رواية: أنها راجعته فى ذلك ببعض المراجعة وقالت: هذا من حقارتى عندك وصغر شأنى، ولو كانت فى بيت غيرى لم تفعل ذلك، فحرم مارية على نفسه لطلب رضاها وقال لها: «لا تخبرى بذلك عائشة(١)».

والقول الثانى: «أن النبى ﷺ كان يشرب عسلا فى بيت زينب بنت جحش - وفى رواية: فى بيت سودة، وفى رواية: فى بيت أم سلمة - فتواطأت عائشة وحفصة على أن النبى ﷺ إذا دخل على واحدة منهما - أيتهما كانت - قالت: إنى أجد منك(٢) ريح مَغَافير»(٣) وقد روى أن صفية كانت معهما فى هذه المواطأة، فدخل النبى ﷺ على عائشة فقالت له ذلك، ودخل على حفصة فقالت له ذلك، ودخل على صفية فقالت له ذلك، فكان النبى ﷺ يكره أن يوجد منه ريح لأجل الملائكة فقال: شربت عسلا عند زينب. فقلن له: جَرَسَتْ نخلةُ العُرْفُطَ - والعرفط شجرة يوجد منها ريح

---

(١) رواه ابن جرير الطبرى (٢٨/ ١٠١)، وابن سعد، وابن مردويه - كما فى الدر (٥/ ٢٦٥) عن ابن عباس بنحوه.

(٢) فى «ك»: مثل.

(٣) متفق عليه، رواه البخارى (٨/ ٥٢٤ رقم ٤٩١٢ وأطرافه: ٥٢١٦، ٥٢٦٧، ٥٤٣١، ٥٥٩٩، ٥٦١٤، ٥٦٨٢، ٦٦٩١، ٦٩٧٢)، ومسلم (١٠/ ١٠٨ - ١٠٢ رقم ١٤٧٤).

قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ

مكروه - فحرم العسل على نفسه، وقال: لا أعود إلى شربه أبدا». حكى هذا القول عبيد بن عمير عن عائشة. والأول قول عمر وابن مسعود وابن عباس وعامة المفسرين.

وعن ابن عباس فى رواية: أن الآية وردت فى الواهبة نفسها للنبى ﷺ، وهو قول شاذ، ومعنى الآية: هو المعاتبة مع النبى ﷺ فى تحريم ما أحل الله له لطلب رضا أزواجه.

وقوله: ﴿والله غفور رحيم﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم﴾ أى: كفارة أيمانكم، والفرض هاهنا بمعنى البيان والتسمية ويقال: بمعنى التقدير؛ لأن الكفارات مقدرة معدودة، فإن قيل: أين اليمين فى الآية، والله تعالى قال: ﴿قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم﴾؟ والجواب من وجهين: أحدهما: أن النبى ﷺ كان حرم وحلف فعاتبه على التحريم، وأمره بالتكفير فى اليمين، وهذا قول منقول عن جماعة من التابعين منهم مسروق والشعبى وغيرهما.

والوجه الثانى: أنه كان حرم ولم يحلف إلا أن تحريم الحلال يوجب الكفارة، وهذا قول ابن عباس وغيره.

واختلف العلماء فى تحريم الحلال، فذهب ابن مسعود أنه إذا حرم حلالا أى حلال كان، فعليه الكفارة، وهذا قول جماعة من التابعين، وهو قول سفيان الثورى والكوفيين. وأما مذهب مالك والشافعى أن تحريم الحلال فى النساء يوجب الكفارة، وفى غير النساء لايوجب شيئا. وذهب جماعة إلى أن تحريم الحلال ليس بشىء، قال مسروق: لاأبالى أحرمت امرأتى أو قصعة من ثريد يعنى: أنه ليس بشىء. وعن بعضهم: أنه إيلاء. وعن بعضهم: أنه ظهار. وعن بعضهم: أنه يلزمه الطلاق الثلاث بتحريم الحلال فى النساء. وعن بعضهم: أنه على نيته. وتحلة اليمين كفارة اليمين، وسماها تحلة؛ لأنه يتحلل بها عن اليمين أى: يخرج. وعن بعضهم: أن تحلة اليمين

وَاللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ

هو الاستثناء؛ لأنه يخرج به عن اليمين. والأول هو المعروف. وبيان الكفارة فى سورة المائدة فى قوله تعالى: ﴿ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان﴾[١] الآية، فروى «أن النبى ﷺ أعتق رقبة»[٢].

وقوله: ﴿والله مولاكم﴾ أى: ولى أموركم، يهديكم إلى الأرشد والأقوم والأولى.

وقوله: ﴿وهو العليم الحكيم﴾ أى: العالم بأمر خلقه، الحكيم بما يدبره لهم.

قوله تعالى: ﴿وإذ أسر النبى إلى بعض أزواجه حديثا﴾ هى حفصة - رضى الله عنها - والذى أسره إليها هو تحريمه مارية. وقال ميمون بن مهران: أسر إليها هذا، وأسر إليها أن الخلافة بعده لأبى بكر، ثم لأبيها بعده، وهذا مذكور فى كثير من التفاسير عن ميمون بن مهران وغيره.

وقوله: ﴿فلما نبأت به﴾ روى أن النبى ﷺ قال لحفصة: «لاتخبرى بذلك أحداً» وكانت لاتكتم شيئا عن عائشة - رضى الله عنها - فذهبت وأخبرت عائشة بذلك؛ فنزل جبريل وأخبره بما كان بينهما، وذلك قوله: ﴿وأظهره الله عليه﴾.

وقوله: ﴿عَرَّف بعضه﴾ أى: عرفها بعض ماكان بينهما، وأعرض عن البعض تكرما وصفحا، والتغافل عن كثير من الأمور من شيمة العقلاء وأهل الكرم. ويقال: العاقل هو المتغافل. والذى أظهره لها هو إخبارها بتحريم مارية، والذى أعرض عنه هو حديث أبى بكر وعمر كرامة أن يفشو ذلك بين الناس. وقرأ الكسائى: «عَرَفَ بعضه» بالتخفيف. قال الفراء: أى: جازى عليه، ومجازاته إياها أنه طلقها، ثم إنه نزل جبريل وأمره بمراجعتها، وقال: إنها صوامة قوامة. وقال الفراء: وهو مثل قول القائل لغيره: لأعرفن ماعملت أى: لأجازينك عليه. وهو أيضا مثل قوله تعالى: ﴿وأوحينا إليه

(١) المائدة: ٨٩.

(٢) عزاه السيوطى فى الدر (٦/ ٢٦٥) لابن مردويه عن أنس به.

وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا

لتنبئنهم بأمرهم ﴾(1) أى: لتجازينهم.

وقوله: ﴿ وأعرض عن بعض ﴾ أى: لم يجاز عليه.

وقوله: ﴿ فلما نبأها به ﴾ أى: أخبرها.

وقوله: ﴿ قالت من أنبأك هذا ﴾ أى: من أخبرك بهذا.

وقوله: ﴿ قال نبأنى العليم الخبير ﴾ أى: الله، فإنه العليم بالأمور، الخبير بما فى الصدور.

وقوله تعالى: ﴿ إن تتوبا إلى الله ﴾ هذا خطاب لعائشة وحفصة، ومعناه: إن تتوبا فقد فعلتما ما عليكما، التوبة فى ذلك، والذى فعلنا: المظاهرة على النبى ﷺ بالمواطأة على ما بينا، وبالسرور بما يكرهه من تحريم ما أحل الله له، وبشدة الغيرة عليه وأذاه بذلك.

وقوله: ﴿ فقد صغت قلوبكما ﴾ أى: مالت قلوبكما عن الصواب. وقد روى «أنه ﷺ كان يصغى الإناء للهرة»(2) أى: يميل.

وقوله: ﴿ قلوبكما ﴾ أى: قلباكما. قال الفراء: هو مثل قول العرب: ضربت ظهوركما، وهشمت رءوسكما أى: رأسيكما وظهريكما. ويقال: إن أكثر مافى الإنسان من الجوارح اثنان اثنان، وإذا هى تذكر باسم الجمع، فما كان واحدا جرى ذلك المجرى، مثل: الرأس والقلب وغير ذلك، ذكره النقاش.

---

(1) يوسف: 15.

(2) رواه الدارقطنى (1/66 - 67، 70)، والطحاوى فى شرح المعانى (1/19)، وابن شاهين فى الناسخ والمنسوخ (103 - 104 رقم 146) عن عائشة مرفوعا به. وقد ضعف الحافظ ابن حجر فى تلخيص الحبير (1/69) إسناد روايتى الدارقطنى، فقال فى الأولى: فيه عبد ربه بن سعيد، وهو متفق على ضعفه، وفى الأخرى: فيه الواقدى. وفى الباب عن جابر. وراجع تلخيص الحبير.

وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ

وقوله: ﴿وإن تظاهرا عليه﴾ ثبت أن ابن عباس سأل عمر - رضى الله عنهما - عن المرأتين اللتين تظاهرتا على النبى ﷺ أى: توافقتا على فعل مايشتد عليه ويؤذيه غيْرةً عليه، فقال: هما حفصة وعائشة.

وقوله: ﴿فإن الله هو مولاه﴾ أى: ناصره وحافظه ﴿وجبريل﴾ أى: ينصره أيضا ويحفظه.

وقوله: ﴿ وصالح المؤمنين﴾ فيه أقوال: أحدها: قال العلاء بن زياد: هم الأنبياء، وهو قول قتادة فى إحدى الروايتين، وهو قول سفيان الثورى.

وعن قتادة فى رواية أخرى قال: هو أبو بكر وعمر، وهما أبوا المرأتين. قال سعيد بن أبى عروبة - وهو الحاكى ذلك عن قتادة - : ذكرت ذلك لسعيد بن جبير فقال: صدق قتادة. وروى الليث عن مجاهد أنه قال: هو علىٌّ رضى الله عنه. وعن بعضهم: هو خيار المؤمنين.

وقوله: ﴿والملائكة بعد ذلك ظهير﴾ أى: ظهراء وأعوان، واحد بمعنى الجمع، مثل قوله تعالى: ﴿وحسن أولئك رفيقا﴾(١) أى: رفقاء. قال الشاعر

إن العواذل ليس لى بأمير

أى: بأمراء. وروى أن عمر عاتب حفصة وقال: لو أمرنى رسول الله ﷺ أن أضرب رقبتك لضربت.

قوله تعالى: ﴿عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيراً منكن﴾ فإن قيل: كيف خيراً منكن ولم يكن فى ذلك الوقت أحد من النساء خيراً منهن؟ والجواب: أن معناه: إن طلقكن بإلجائكن إياه إلى الطلاق، وشدة آذاكن له، وترك التوبة فيبدله خيراً منكن أى: أطوع له منكن، ويقال: أحب له منكن.

(١) النساء: ٦٩.

مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا

وقوله: ﴿ مسلمات ﴾ أى: خاضعات منقادات.

وقوله: ﴿ مؤمنات ﴾ أى: مصدقات.

وقوله: ﴿ قانتات ﴾ أى: مطيعات.

وقوله: ﴿ تائبات ﴾ أى: تائبات من كل الذنوب، ومن كل مايؤذى النبى ﷺ.

وقوله: ﴿ عابدات ﴾ أى: متذللات أو فاعلات للطاعة كما أمرهن الله تعالى.

وقوله: ﴿ سائحات ﴾ أى: صائمات، قال ابن قتيبة: سمى الصائم سائحا؛ لأن السائح يسيح بغير زاد، فإن وجد شيئا أكل على جوع شديد. ويقال: سائحات أى: مهاجرات.

وقوله: ﴿ ثيبات وأبكارا ﴾ ظاهر المعنى. ويقال: الثيب مثل: آسية، والأبكار مثل: مريم عليهما السلام.

قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا ﴾ أى: بفعلكم طاعة الله، وأمركم إياهن بطاعة الله. ويقال: أدبوهن وعلموهن ودلوهن على الخير. وفى بعض الغرائب من الأخبار: «علق السوط حيث يراه أهلك»(١) يعنى: بالتأديب. وعن عمرو بن قيس الملائى قال: إن المرأة لتخاصم زوجها يوم القيامة عند الله فتقول: إنه كان لايؤدبنى، ولايعلمنى شيئا، كان يأتينى بخبز السوق. وقيل: قوا أنفسكم وأهليكم ناراً أى: قوا أنفسكم نارا، وقوا أهليكم ناراً بما ذكرنا، وهو تقدير الآية.

---

(١) رواه البخارى فى الأدب المفرد (ص ٣٥٨)، وعبد الرزاق (٩/ ٤٤٧ رقم ١٧٩٦٣)، والطبرانى فى الكبير (١٠/ ٢٨٤ - ٢٨٥ رقم ١٠٦٦٩ - ١٠٦٧٢)، وفى الأوسط (٥/ ٣١٣ رقم ٣١٣٠ مجمع البحرين)، وابن عدى فى الكامل (٣/ ٩٠)، والخطيب فى تاريخه (١٢/ ٢٠٣) عن ابن عباس مرفوعا. وقال الهيثمى فى المجمع (٨/ ١٠٩): وإسناد الطبرانى فيهما حسن. وفى الباب عن ابن عمر، وجابر، وانظر تخريج الكشاف (١/ ٣١٦).

وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

وقوله: ﴿وقودها الناس والحجارة﴾ قد بينا في سوره البقرة، وهو حجارة الكبريت.

وقوله: ﴿عليها ملائكة غلاظ شداد﴾ أى: غلاظ القلوب، شداد الأيدى. وفى التفسير: أن واحداً منهم يلقى سبعين ألفا بدفعة واحدة فى النار. وفى بعض الآثار: «أن الله تعالى لم يخلق فى قلوب الزبانية شيئا من الرحمة»(١). وعن بعضهم: أنه يأخذ العبد الكافر بعنف شديد، فيقول ذلك العبد: أما ترحمنى؟! فيقول: كيف أرحمك، ولم يرحمك أرحم الراحمين.

وفى بعض الآثار أيضا: أن الله تعالى يغضب على الواحد من عبيده، فيقول للملائكة: خذوه فيبتدره مائة ألف ملك، كلهم يغضبون بغضب الله تعالى، فيجرونه إلى النار، والنار أشد غضبا عليه منهم بسبعين ضعفا.

وقوله: ﴿لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين كفروا لاتعتذروا اليوم﴾ يعنى: يقال لهم يوم القيامة: لاتعتذروا، أى: لاعذر لكم فتعتذروا.

وقوله: ﴿إنما تجزون ماكنتم تعملون﴾ أى: بعملكم فى الدنيا.

قوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا﴾ قال (الزهرى)(٢): كل موضع فى القرآن ﴿يأيها الذين آمنوا﴾ افعلوا كذا فالنبى - عليه السلام - فيهم. وعن خيثمة قال: كل مافى القرآن ﴿يأيها الذين آمنوا﴾ فهو فى التوراة يا أيها المساكين. وقد ذكرنا عن ابن مسعود أنه قال: إذا سمعت الله يقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ فارعها سمعك، فإنه شىء تؤمر به، أو شىء تنهى عنه.

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد فى زوائده على الزهد عن أبى عمران الجونى قال: بلغنا... فذكره. الدر المنثور (٦/ ٢٧٠).

(٢) فى «ك»: الأزهرى.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ

وقوله: ﴿توبوا إلى الله توبة نصوحا﴾ قال عمر وابن مسعود: هو أن يتوب من الذنب ثم لايعود إليه أبدا، ويقال: نصوحًا أى: صادقة، ويقال: خالصة، وقيل: محكمة وثيقة. وهو مأخوذ من النصح وهو الخياطة، كأن التوبة ترقع خرق الذنب فيلتئم، كالخياط يخيط الشيء بالشيء فيلتئم. وقرئ: «نُصوحا» بضم النون أى: ذات نصح.

وقوله: ﴿عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم﴾ قد بينا أن عسى من الله واجبة.

وقوله: ﴿ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار﴾ أى: بساتين.

وقوله: ﴿يوم لايخزى الله النبى﴾ أى: لا يهينه ولا يفضحه، وهو إشارة إلى كرامة فى الآخرة؛ يعنى: يكرمه ويشرفه فى ذلك اليوم، ولا يهينه، ولايذله.

وقوله ﴿والذين آمنوا معه﴾ أى: كذلك يفعله بالذين آمنوا معه.

وقوله: ﴿نورهم يسعى بين أيديهم﴾ هو نور الإيمان يكون قدامهم على الصراط يمشون فى ضوئه. وفى التفسير: أن لأحدهم مثل الجبل، ولآخر على قدر ظفره ينطفئ مرة ويتقد أخرى.

وقوله: ﴿وبأيمانهم﴾ فيه قولان: أحدهما: وبأيمانهم كتبهم، والآخر: وبأيمانهم نورهم كالمصابيح.

وقوله: ﴿يقولون ربنا أتمم لنا نورنا﴾ وفى [التفسير](1): أنهم يقولون ذلك حين يخمد وينطفئ نور المنافقين، فيقولون ذلك إشفاقا على نورهم.

وقوله: ﴿واغفر لنا إنك على كل شىء قدير﴾ أى: قادر.

---

(1) فى «الأصل، وك»: تفسير.

شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا

قوله تعالى: ﴿ياأيها النبى جاهد الكفار﴾ أى: بالسيف.

وقوله: ﴿والمنافقين﴾ أى: باللسان، ويقال: بالغلظة عليهم. قال ابن مسعود: أن يلقاهم بوجه مكفهر. ويقال: بإقامة الحدود عليهم، ذكره قوم من التابعين.

وقوله: ﴿واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾ أى: المنقلب.

قوله تعالى: ﴿ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط﴾ فى بعض التفاسير: أن اسم (إحديهما)[1] كانت والهة، والأخرى كانت والغة.

وقوله: ﴿كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين﴾ أى: نوح ولوط عليهما السلام.

وقوله تعالى: ﴿فخانتاهما﴾ اختلف القول فى هذا؛ فأحد الأقوال: أنه الخيانة بالكفر.

والقول الثانى: أنه الخيانة بالنفاق، كانتا تظهران الإيمان وتسران الكفر.

والقول الثالث: بالنميمة.

والقول الرابع: بالنسبة إلى الجنون لنوح، والدلالة على الأضياف للوط، فكانت امرأة نوح تقول لمن يقصد نوحا - عليه السلام - ليسمع كلامه: إنه مجنون، وامرأة لوط كانت تدل قومها على أضياف لوط لقصد الفاحشة. وفى القصة: أنها كانت بالنهار ترسل[2]، وبالليل تدخن وتوقد نارا ليعلموا. قال ابن عباس: مابغت امرأة نبى قط أى: مازنت.

وقوله: ﴿فلم يغنيا عنهما من الله شيئا﴾ أى: لم (يدفعا)[3] نوح ولوط عنهما

(١) فى «ك»: أحدهما.
(٢) فى «ك»: ترشد.
(٣) كذا، والأفصح أن يقول: لم يدفع.

وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا

أى: عن امرأتيهما. والمراد تحذير عائشة وحفصة، يعنى: أنكما إن عصيتما ربكما لم يدفع رسول الله عنكما شيئا، كما لم يدفع نوح ولوط عن امرأتيهما.

وقوله: ﴿وقيل ادخلا النار مع الداخلين﴾ أى: قيل للمرأتين.

وقوله تعالى: ﴿وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون﴾ وهى آسية بنت مزاحم، وكانت آمنت بالله وبموسى - عليه السلام - سرًا ثم أظهرت، فعذبها فرعون وعاقبها، وفى القصة: أنه وتدها بأربعة أوتاد من حديد، وفى القصة: أن أول من آمنت امرأة خازن فرعون، ويقال: ماشطة بنت فرعون، فعذبها فرعون فصبرت على ذلك، فأظهرت حينئذ آسية إيمانها.

وقوله: ﴿إذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة﴾ أى: داراً.

وقوله: ﴿ونجنى من فرعون وعمله﴾ فيه قولان: أحدهما: من شركه، والآخر: من المضاجعة معه. ويقال: من الجماع.

وقوله: ﴿ونجنى من القوم الظالمين﴾ أى: من قوم فرعون.

قوله تعالى: ﴿ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها﴾ أشهر القولين أنه الفرج بعينه. والعرب تقول: أحصنت فلانة فرجها إذا عفت عن الزنا.

والقول الثانى: أن الفرج هاهنا هو الجَيْب. قال الفراء: كل خرق فى درع أو غيره فهو فرج، ويقال: فى قراءة أبى بن كعب: «فنفخنا فى جيبها من روحنا»

وقوله: ﴿فنفخنا فيه من روحنا﴾ فى القصة: أن جبريل - عليه السلام - نفخ فى جيب درعها فحملت بعيسى، وروى أنه دخل عليها فى صورة شاب أمرد جعد قطط، وهى فى مدرعة صوف. قال أبو معاذ النحوى: فى مدرعتها. وعلى القول الأول إذا

قلنا إنه الفرج بعينه يصير النفخ في جيب درعها كالنفخ في فرجها بعينه.

وقوله: ﴿ وصدقت بكلمات ربها ﴾ وقرئ: «بكلمة ربها» فمعنى الكلمات ما أخبر الله تعالى من البشارة بعيسى وصفته وكرامته على الله وغير ذلك. ويقال: بكلمات ربها أى: بآيات ربها. وأما قوله: ﴿ بكلمة ربها ﴾ هو عيسى عليه السلام.

وقوله: ﴿ وكتابه ﴾ أى: الإنجيل، وقرئ: «وكتبه» أى: التوراة والزبور والإنجيل.

وقوله: ﴿ وكانت من القانتين ﴾ فإن قيل: كيف قال ﴿ من القانتين ﴾ ولم يقل: «من القانتات»؟ قلنا: قال أبو العباس ثعلب معناه: كانت من قوم قانتين. والقنوت هو الطاعة على ما بينا. ويقال: قنوتها هاهنا هو صلاتها بين المغرب والعشاء، وهو أيضا فعل القانتين على هذا القول، والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سـورة الملـك

وهى مكية

روى أبو هريرة - رضى الله عنه -أن النبى - عليه الصلاة والسلام - قال: «إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لصاحبها حتى غفرله، وهى تبارك الذى بيده الملك»[١].

وروى أبو الزبير عن جابر أن النبى ﷺ كان لاينام حتى يقرأ: ﴿الم تنزيل الكتاب﴾[٢]، و﴿تبارك الذى بيده الملك﴾[٣] قال طاوس: يفضلان سائر السور بسبعين حسنة.

وروى أبو الجوزاء عن ابن عباس أن رجلا ضرب خباءه على قبر وهو لايحسب أنه قبر، فسمع قارئا: ﴿تبارك الذى بيده الملك﴾ حتى ختم السورة، فأتى النبى ﷺ فذكر له ذلك، فقال: «هى الْمُنْجية، هى المانعة، تنجيه من عذاب القبر»[٤] ذكر هذه الأخبار أبو عيسى الترمذى فى جامعه بإسناده. وفى غيره أن الزهرى روى عن حميد ابن عبد الرحمن أن النبى ﷺ قال: «سورة الملك تجادل عن صاحبها يوم القيامة».

---

(١) رواه أبو داود (٢ / ٥٧ رقم ١٤٠٠)، والترمذى (٥ / ١٥١ - ١٥٢ رقم ٢٨٩١) وحسنه. والنسائى فى الكبرى (٦ / ١٧٨ ، ٤٩٦ رقم ١٠٥٤٦ ، ١١٦١٢)، وابن ماجه (٢ / ١٢٤٤ رقم ٣٧٨٦)، وأحمد (٢ / ٢٩٩، ٣٢١)، وعبد بن حميد (٤٢١ - ٤٢٢ رقم ١٤٤٥)، وابن حبان فى صحيحه (٣ / ٦٧ - ٦٩ رقم ٧٨٧ ، ٧٨٨)، والحاكم (١ / ٥٦٥ ، ٢ / ٤٩٧ - ٤٩٨) وصححه، والبيهقى فى الشعب (٥ / ٤٤٥ رقم ٢٢٧٦).

(٢) يعنى سورة السجدة.

(٣) تقدم تخريجه فى تفسير سورة السجدة.

(٤) رواه الترمذى (٥ / ١٥١ رقم ٢٨٩٠) وقال: حسن غريب، والطبرانى فى الكبير (١٢ / ١٧٤ - ١٧٥ رقم ١٢٨٠١)، وابن عدى (٧ / ٢٠٥)، وأبو نعيم فى الحلية (٣ / ٨١)، والبيهقى فى الدلائل (٧ / ٤١) وقال: تفرد به يحيى بن عمرو النكرى، وهو ضعيف، إلا أن لمعناه شاهدا عن ابن مسعود، والبيهقى فى الشعب (٥ / ٤٤٨ - ٤٤٩ رقم ٢٢٨٠). وعده ابن عدى والذهبى فى الميزان (٤ / ٣٩٩) من مناكير يحيى بن عمرو النكرى.

وهوَ علىٰ كُلِّ شيْءٍ قديرٌ ﴿١﴾ الَّذي خلق الْموْت والْحياة ليبْلُوكُمْ أيُّكُمْ أحْسنُ عملاً

وروى مرة الهمدانى عن عبد الله بن مسعود: أن رجلا أتى فى قبره من جوانبه، فجعلت سورة من القرآن تجادل عن صاحبها حتى الجنة. قال مرة: فنظرت أنا وخيثمة فإذا هى سورة الملك، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿تبارك الذى بيده﴾ قد بينا أن تبارك تفاعل من البركة، والمعنى: أن جميع البركات منه تعالى. ويقال: تبارك أى: تعظَّم وتقدس وتعالى، ومنه البرك فى الصدر.

وقوله: ﴿الذى بيده الملك﴾ أى: ملك السموات والأرض. ويقال: ملك النبوة، يعز به من اتبعه ،ويذل به من خالفه، حكى ذلك عن محمد بن إسحاق.

وقوله ﴿ وهو على كل شىء قدير﴾ أى: قادر.

وقوله تعالى: ﴿الذى خلق الموت والحياة﴾ أى: الموت فى الدنيا، والحياة فى الآخرة. ويقال: خلق الموت أى: النطفة فى الرحم لأنها ميتة، والحياة هو أنه نفخ فيها الروح من بعد. ويقال: خلق الموت والحياة، أى: الدنيا والآخرة. وحكى أبو صالح عن ابن عباس: «أن الله تعالى خلق الموت على صورة كبش أغبر، لا يمر بشىء، ولا يطأ على شىء ولايجد ريحه شئ إلا مات، وخلق الحياة على صورة فرس أنثى بلقاء لاتمر على شىء، ولاتطأ على شئ ولاتجد [ريحها][(١)] شئ إلا حيى. قال: وهى دون البغلة وفوق الحمار، خطوها مد البصر، وكان جبريل راكبا [عليها][(٢)] يوم غرق فرعون، ومن تحت حافرها أخذ السامرى القبضة. وقال بعضهم: خلق الدنيا للحياة ثم للموت، وخلق الآخرة للجزاء ثم للبقاء.

وقوله: ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ أى: ليختبركم فيظهر منكم أعمالكم الحسنة وأعمالكم السيئة ويجازكم عليها.

وقوله: ﴿أحسن عملا﴾ فيه أقوال: أحدها: أتم عقلا وأورع عن محارم الله، وهو

(١) فى «الأصل، وك»: ريحه.

(٢) فى «الأصل، وك»: عليه.

وهو الْعزيزُ الْغفُورُ ﴿٢﴾ الّذي خلق سبْع سموات طباقا مّا ترىٰ في خلْق الرّحْمن من تفاوُت فارْجع الْبصر هلْ ترىٰ من فُطُور ﴿٣﴾ ثُمّ ارْجع الْبصر كرّتيْن

قول مأثور.

والقول الثانى: أحسن عملا أخلص عملا.

والقول الثالث: أحسن عملا أى: أزهد فى الدنيا وأترك لها، وهو مروى عن الحسن وسفيان الثورى.

والقول الرابع: أحسن عملا أى: أشدكم ذكرا للموت وأحسنكم له استعدادا. ويقال: أشدكم لله مخافة. ويقال: أبصركم بعيوب نفسه.

وقوله: ﴿وهو العزيز الغفور﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿الذى خلق سبع سموات طباقا﴾ أى: بعضها فوق بعض، بين كل سماءين أمر من أمره، وخلق من خلقه.

وقوله: ﴿ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت﴾ أى: من خلل وعيب. ويقال: من اضطراب وتباين. وقرئ: «تفوّت» واختاره أبو عبيد. قال الفراء: تفوت وتفاوت بمعنى واحد كما يقال: تعهد وتعاهد وغير ذلك. ويقال: تفوت أى: لاتفوت بعضه بعضا.

وقوله: ﴿فارجع البصر﴾ أى: رد البصر.

وقوله: ﴿هل ترى من فطور﴾ أى: صدوع وشقوق وخروق. ويقال: فطر ناب البعير أى: انشق.

وقوله: ﴿ثم ارجع البصر كرتين﴾ أى: مرتين، ومعناه: مرة بعد مرة، وإن زاد على المرتين، كالرجل يقول لغيره: قد قلت لك هذا القول مرة بعد مرة، وقد كان قال له مرات، ذكره القفال. وقال بعضهم: إنما ذكر المرتين؛ لأن الإنسان فى المرة الثانية يكون أحد بصرا وأكثر بصرا وأكثر نظرا. ويقال: الكرة الأولى بالعين. والأخرى بالقلب. قال الفراء: يجوز أن يكون معنى كرتين كرة واحدة، وأنشدوا:

يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ

مهمهين قــذفين مرتين ... قطعته [بالسمت][1] لا بالسمتين

وأراد مهمها واحدا.

وقوله: ﴿ ينقلب إليك البصر ﴾ أى: يرجع إليك البصر ﴿ خاسئا ﴾ أى: صاغرا ﴿ وهو حسير ﴾ أى: كليل يعنى: ضعيف عن إدراك ما أراده من طلب العيب والخلل. ويقال: دابة حسرى أى: كالة.

قال الشاعر:

به جيف الحسرى فأما عظامها ... فبيض وأما جلــدها فصليب

قال الزجاج: معنى الآية: أنه يبالغ فى النظر، فرجع البصر إليه خاسئًا ولم ينل ما أراده، ولم ير عيبا وخللا.

وقوله: ﴿ خاسئًا ﴾ من ذلك قولهم للكلب اخسأ وابعد، قال الفرزدق فى جرير:

اخســأ إليك جــريرا يامعر ... نلنا السماء نجومها وهلالها

قوله تعالى: ﴿ ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح ﴾ أى: بسرج، وسمى النجوم مصابيح لإضاءتها.

وقوله: ﴿ وجعلناها رجوما للشياطين ﴾ أى: رجمنا بها الشياطين عن استراق السمع. قال محمد بن كعب القرظى: إن النجم لايطلع لموت أحد ولا[لحياته][2]، ولكنه زينة الدنيا ورجوم الشياطين. وعن قتادة قال: خلق الله النجوم لثلاثة أشياء: جعلها زينة للسماء الدنيا، ورجوما للشياطين، وهاديا للناس فى الطرق، فمن تكلف غير ذلك فقد قال مالا علم له به.

---

(١) فى «الأصل وك»: بالام، والتصويب من لسان العرب (٢ / ٤٦)، والسمت هو الطريق.

(٢) من «ك»،وفى الأصل»: حياته.

وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾

وقوله تعالى: ﴿وأعتدنا لهم عذاب السعير﴾ أى: المسعرة. وعن ابن عباس: أن السعير هو الطبق الرابع من جهنم.

وقوله: ﴿وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم﴾ إنما سمى جهنم جهنما لبعد قعرها، تقول العرب: ركية جهنام أى: بعيدة القعر.

وقوله: ﴿وبئس المصير﴾ أى: المرجع.

قوله: ﴿إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا﴾ أى: لجهنم، والشهيق: أول صوت الحمار. وقيل: الشهيق. أول صوته، والزفير. آخر صوته. وقيل: الشهيق فى الصدر، والزفير فى الحلق. وقيل: إن الشهيق من الكفار حين يدخلون جهنم. والقول الأول أظهر فى هذه الآية.

وقوله: ﴿وهى تفور﴾ قال ابن مسعود: تغلى غليان القدر بما فيه. وعن مجاهد: تغلى غليان الماء الكثير بالحَبِّ القليل.

وقوله: ﴿تكاد تميز من الغيظ﴾ أى: تتقد وتتفرق. يقال: فلان امتلأ غيظا حتى يكاد يتقد. وغيظها حنقا على أعداء الله وانتقامها.

وقوله: ﴿كلما ألقى فيها فوج﴾ أى: قوم ﴿سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير﴾ أى: رسول. وعن مجاهد قال: الرسل من الإنس، والنذر من الجن. وهو قول مهجور.

قوله تعالى: ﴿قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا مانزل الله من شىء إن أنتم إلا فى ضلال كبير﴾ أى: عظيم. ويقال: خاطئين.

وقالوا لو كُنَّا نسمعُ أو نعقلُ ما كُنَّا في أصْحَابِ السَّعيرِ ﴿١٠﴾ فاعترفُوا بذنبِهِمْ فسُحقًا لأصحابِ السَّعيرِ ﴿١١﴾ إنَّ الَّذينَ يخشوْنَ ربَّهُم بالغيبِ

قوله تعالى: ﴿وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل﴾ أى: نسمع سماع من يميز ويتفكر، ونعقل عقل من يتدبر وينظر ﴿ماكنا فى أصحاب السعير﴾ والمعنى: أنا لم نسمع الحق ولم نعقله أى: لم ننتفع بأسماعنا وعقولنا. وفى بعض الغرائب من الأخبار: أن النبى ﷺ قال: «لكل شىء دعامة، ودعامة الدين العقل»(١)

وروى أيضا أن النبى ﷺ قال: «إن الرجل يكون من أهل الجهاد وأهل الصلاة وأهل الصيام، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وإنما يجازى يوم القيامة على قدر عقله»(٢) وهو حديث حسن الإسناد(٣).

قوله تعالى: ﴿فأعترفوا بذنبهم﴾ أى: بذنوبهم، واحد بمعنى الجمع، وقوله: ﴿فسحقا لأصحاب السعير﴾ أى: بعدا، يقال: مكان سحيق أى: بعيد. وعن مجاهد: السحق اسم واد فى جهنم.

قوله تعالى: ﴿إن الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ أى: بالوعد والوعيد الذى غاب عنه، ويقال: بالجنة والنار، ويقال: فى الخلوات .

---

(١) عزاه الحافظ ابن حجر فى المطالب (٣/ ١٧ رقم ٢٧٥٤) للحارث بن أبى أسامة فى مسنده عن أبى سعيد به مرفوعا، وأشار إلى وضعه، وأنها من نسخة داود بن المحبر صاحب كتاب العقل، وهى موضوعة كلها.

وقال البوصيرى فى إتحاف المهرة: كل حديث فى هذا الباب ضعيف، بل موضوع لايثبت منها الشىء. وأقر ابن عراق فى تنزيه الشريعة (١/ ٢١٥) كلام الحافظ ابن حجر.

(٢) رواه الحارث بن أبى أسامة فى مسنده عن أبى الدرداء كما فى المطالب العالية (٣/ ٢١ رقم ٢٧٦٧) ونبه الحافظ على وضعه، كما تقدم. وروى من حديث ابن عمر مرفوعا به، رواه الطحاوى فى المشكل (٢/ ١٢٥)، والعقيلى (٤/ ١٩٢)، وابن حبان فى المجروحين (٣/ ٤٠)، والخطيب فى تاريخه (١٣/ ٧٩ – ٨٠)، وابن الجوزى فى الموضوعات (١/ ١٧٢). وقال ابن معين وأبو حاتم: باطل، كما فى العلل لابن أبى حاتم (٢/ ١٢٩ رقم ١٨٧٩). وانظر تنزيه الشريعة (١/ ٢٠٣).

(٣) كذا قال رحمه الله، وانظر ما تقدم.

لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا

وقوله: ﴿لهم مغفرة وأجر كبير﴾ أى: عظيم.

قوله تعالى: ﴿وأسروا قولكم أو اجهروا به﴾ فى التفسير: أن الكفار كان بعضهم يقول لبعض: أسروا بقولكم حتى لايسمع رب محمد فيخبره قولكم؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقوله: ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ أى: بما فى الصدور. قال الحسن: يعلم من السر مايعلم من العلانية، ويعلم من العلانية مايعلم من السر.

قوله تعالى: ﴿ألا يعلم من خلق﴾ استفهام بمعنى الإنكار والتوبيخ، والمعنى: ألا يعلم من فى الصدور من خلق الصدور. ويقال: ألا يعلم ماخلق، «من» بمعنى «ما»، وهو مثل قوله تعالى: ﴿والسمآء وما بناها﴾(١) أى: ومن بناها.

وقوله: ﴿وهو اللطيف الخبير﴾ أى: اللطيف فى علمه، يعلم مايظهر ومايسر وكل مادق، يقال: لطيف، ويقال: الخبير هو العالم.

قوله تعالى: ﴿هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا﴾ أى: مذللة، وتذليلها: تسهيل السير فيها والقرار عليها.

وقوله: ﴿فامشوا فى مناكبها﴾ أى: فى جوانبها، ويقال: فى فجاجها، ويقال: فى طرقها، وقيل: فى جبالها. وعن بشير بن كعب الأنصارى أنه كان يقرأ هذه السورة، فبلغ هذه الآية، فقال لجارية له: إن عرفتى معنى قوله: ﴿فى مناكبها﴾ فأنت حرة، فقالت: فى جبالها. فشح الرجل بالجارية وجعل يسأل أبا الدرداء فقال: دع مايريبك إلى مالايريبك خلها. وحكى قتادة عن أبى الجلد قال: الأرض كلها [أربعة](٢) وعشرون ألف فرسخ؛ اثنا عشر ألفا للسودان، وثمانية آلاف للروم، وثلاثة آلاف للعجم، وألف للعرب.

---

(١) الشمس: ٥.

(٢) فى الأصل «ك»: أربع.

فامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ

وقوله: ﴿وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾ أى: فى الآخرة.

قوله تعالى: ﴿أأمنتم من فى السماء﴾ قال ابن عباس أى: الله.

وقوله: ﴿أن يخسف بكم الأرض فإذا هى تمور﴾ أى: تضطرب وتدور، ويقال: تمور أى: تخسف بكم حتى تجعلكم فى أسفل الأرضين، قال الشاعر:

رمين فأقصدن القلوب ولن ترى ... دمًا مائرًا إلا جرى فى الحيازم

أى: سائلا.

قوله تعالى: ﴿أم أمنتم من فى السماء﴾ أى: أأمنتم ربكم ﴿أن يرسل عليكم حاصبا﴾ أى: ريحا ذات حصباء ،ويقال: حجارة فيهلككم بها. والحصباء الحجارة.

وقوله: ﴿فستعلمون كيف نذير﴾ أى: إنذارى، والمعنى :كنت محقا فى إنذارى إياكم العذاب.

قوله تعالى: ﴿ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير﴾ أى: إنكارى.

قوله تعالى: ﴿أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات﴾ يقال: صف الطير جناحه إذا بسطه، وقبضه إذا ضربه، والمراد من القبض: هو ضرب الجناحين بالجنبين، وهذا القبض والبسط فى بعض الطيور لافى جميع الطيور، فإن بعضها يقبض بكل حال، وبعضها يبسط تارة ويقبض أخرى.

وقوله: ﴿مايمسكهن إلا الرحمن﴾ يعنى: ما يمسكهن عن الوقوع إلا الرحمن. قالوا: والهواء للطير بمنزلة الماء للسابح، فهو يسبح فى الهواء بجناحيه كما يسبح الإنسان فى الماء بأطرافه.

وقوله: ﴿إنه بكل شىء بصير﴾ أى: عليم.

﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلاَّ فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم﴾ معناه: أين هذا الذى هو جند لكم يمنعكم من عذاب الله؟ وهو استفهام بمعنى التوبيخ والإنكار.

وقوله تعالى: ﴿إن الكافرون إلا فى غرور﴾ أى: ما الكافرون إلا فى غرور.

قوله تعالى: ﴿أمن هذا الذى يرزقكم﴾ المعنى: أن الله هو الذى يرزقكم إن أمسك رزقه، فمن [ذا] الذى يرزقكم سواه؟.

وقوله: ﴿بل لجوا فى عتو ونفور﴾ العتو هو التمادى فى الكفر، والنفور هو التباعد عن الحق. ويقال المعنى: أن اللجاج حملهم على الكفر والنفور عن الحق، فإن الدلائل أظهر وأبين من أن تخفى على أحد، والعرب تسمى كل سفيه متمرد متماد فى الباطل عاتيا.

قوله تعالى: ﴿أفمن يمشى مكبا على وجهه﴾ فى الضلالة لا يبصر الحق. ويقال: مكبا على وجهه أى: لاينظر من بين يديه ولاعن يمينه ولاعن (يساره)(١) ولامن خلفه. وقيل: إن هذا فى الآخرة، فإن الله تعالى يحشر الكفار على وجوههم على مانطق به القرآن فى غير هذا الموضع، وقد ثبت أن النبى ﷺ قال: «إن الذى قدر أن يمشيهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم»(٢).

وقوله: ﴿أهدى أمن يمشى سويًا على صراط مستقيم﴾ أى: يمشى فى طريق الحق بنور الهدى. ويقال: ينظر من بين يديه وعن يمينه وعن يساره ومن خلفه. وقيل: هو فى الآخرة. وعن عكرمة قال: قوله: ﴿أفمن يمشى مكبا على وجهه﴾ هو أبو جهل، وقوله: ﴿أم من يمشى سويا على صراط مستقيم﴾ هو عمار بن ياسر. وحكى بعضهم عن ابن عباس: أنه حمزة بن عبد المطلب وكنيته أبو عمارة.

(١) فى «ك»: شماله.

(٢) تقدم تخريجه.

قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ماتشكرون﴾ أى: قل شكركم لهذه النعم.

قوله تعالى: ﴿قل هو الذى ذرأكم فى الأرض﴾ أى: خلقكم فى الأرض ﴿وإليه تحشرون﴾ أى: فى الآخرة.

قوله تعالى: ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ أى: القيامة.

قوله تعالى: ﴿قل إنما العلم عند الله﴾ أى: علم الساعة عند الله.

وقوله: ﴿وإنما أنا نذير مبين﴾ أى: منذر بيِّن النذارة.

قوله: ﴿فلما رأوه زلفة﴾ قال المبرد وثعلب: أى: رأوا العذاب حاضرا. وقيل: قريبا.

وقوله: ﴿سيئت وجوه الذين كفروا﴾ أى: تبين السوء والكآبة فى وجوههم. ويقال: اسودت وجوههم.

قوله تعالى: ﴿وقيل هذا الذى كنتم به تدَّعون﴾ وقرئ فى الشاذ: «تدْعُون» بغير تشديد. وعن بعضهم: أن تدَّعون وتدْعون بمعنى واحد، فقوله: ﴿تدَّعُون﴾ أى: تدعون الله به. وقوله: ﴿تدْعُون﴾ أى: تتداعون به، وهو مثل قوله: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء﴾(١) وقال تعالى فى آية أخرى: ﴿قالوا ربنا عجل لنا قطنا﴾(٢) أى: نصيبنا من العذاب. قال ابن قتيبة: تدَّعون افتعال من الدعاء. وعن بعضهم: تدَّعون أى: تكذبون. ويقال: تستعجلون

(١) الأنفال: ٣٢.

(٢) ص: ١٦.

قُلْ أرأيْتُمْ إنْ أهْلكني اللّهُ ومن مَّعي أوْ رحمنا فمن يُجيرُ الْكافرين منْ عذاب أليم ﴿٢٨﴾ قُلْ هُو الرَّحْمنُ آمنّا به وعليْه توكّلْنا فستعْلمُون منْ هُو في ضلال مُّبين ﴿٢٩﴾ قُلْ أرأيْتُمْ إنْ أصْبح ماؤُكُمْ غوْرًا فمن يأْتيكُم بماء مَّعين ﴿٣٠﴾

وتمترون وتختلفون. وقيل: تدعون تمنون. تقول العرب لغيره: ادع ماشئت أى: تمن، وهذا القول يقرب من القول الأول.

قوله تعالى: ﴿قل أرأيتم إن أهلكنى الله ومن معى أو رحمنا﴾ قال أهل التفسير: كان الكفار يقولون: إن محمدا وأصحابه أكلة رأس، يهلكون عن قريب، وكل يرجون الأباطيل فى حق الرسول وأصحابه، فقال الله تعالى: ﴿قل أرايتم إن أهلكنى الله ومن معى أو رحمنا﴾ يعنى: إن نجونا أو هلكنا [﴿فمن يجير الكافرين من عذاب أليم﴾ أى](١): فمن يجيركم من عذاب الله تعالى وقد كفرتم به.

قوله تعالى: ﴿قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو فى ضلال مبين﴾ أى: خطأ بين، وتباعد من الحق وضلال عنه.

قوله تعالى: ﴿قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا﴾ أى: غائرا، ومعناه: ذاهبا. قال قتادة: ويقال: لاتناله الدلاء، قاله سعيد بن جبير. وقيل: إن الآية نزلت فى بئر زمزم وبئر ميمون، وهما بمكة.

وقوله: ﴿فمن يأتيكم بماء معين﴾ قال ثعلب: أى ظاهر. وهو منقول عن الحسن وقتادة ومجاهد وغيرهم. ويقال: بماء عذب، ويقال: بماء جار. يعنى: أن الله هو القادر أن يأتى به، ولا تصلون إليه بأنفسكم.

---

(١) من «ك».

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة القلم

وهى مكية فى قول الأكثرين. وعن بعضهم: أن بعضها مكية، وبعضها مدنية.

قوله تعالى: ﴿ن﴾ اختلف القول فيه؛ قال مجاهد: هى السمكة التى عليها قرار الأرضين. وفى تفسير النقاش: أن جميع المياه تنصب من شدقها.

والقول الثانى: أنه اسم من أسماء السورة.

والقول الثالث: أنه حرف من حروف التهجى. وعن ابن عباس: أن «الر» و«حم» و«ن» مجموع من اسم الرحمن.

والقول الرابع: أن النون هى الدواة، وهو قول الحسن وقتادة، وفيه خبر مأثور برواية أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «إن الله خلق أول ما خلق القلم، ثم خلق النون وهى الدواة، ثم قال للقلم: اكتب. فقال: وما أكتب؟! فقال: اكتب ما يكون وما كان من عمل وأجل ورزق إلى يوم القيامة. فكتب القلم وختم الله على فِيِّ القلم فلم ينطق، ولا ينطق إلى يوم القيامة، ثم خلق العقل و قال له: ما خلقت خلقا أعجب إلىَّ منك، وعزتى لأكَمِّلنك فيمن أحببت، ولأنقصنَّك فيمن أبغضت، ثم قال النبى ﷺ: أكمل الناس عقلا أطوعهم لله وأعملهم بطاعته، وأنقص الناس عقلا أطوعهم للشيطان وأعملهم بطاعته»(١).

(١) رواه ابن عدى فى الكامل (٦/ ٢٦٩) وقال: وهذا بهذا الإسناد باطل منكر. وأيده الذهبى فى الميزان (٤/ ٦١)، وعزاه الحافظ فى اللسان (٧/ ٤١) للدارقطنى فى الغرائب - وانظر كلام الدارقطنى هناك - ومن طريقه رواه ابن عساكر كما فى اللآلئ (٢/ ١٣١). وعزاه السيوطى فى الدر للحكيم الترمذى مختصراً (٦/٢٧٦).

﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا

قوله: ﴿والقلم﴾ فى التفسير: أنه خلق من نور، وطوله ما بين السماء والأرض. وفى خبر عبادة بن الصامت أن النبى ﷺ قال: «أول ما خلق الله القلم وقال له: اكتب. فقال: وما أكتب؟ قال: ما هو كائن إلى يوم القيامة»(١).

واختلف القول فى هذه الدواة والقلم، الأكثرون أنه الدواة والقلم الذى كتب به الذكر فى السماء.

و القول الثانى: أنه الدواة والقلم الذى يكتب به بنو آدم. ومعنى الآية هو القسم، ولله أن يقسم بما شاء من خلقه. وقال قتادة: لولا القلم ما قام لله دين، ولا كان للخلق عيش.

وقوله: ﴿وما يسطرون﴾ أى: ما يكتبون من أعمال بنى آدم يعنى: الملائكة. وحكى النقاش عن ابن عباس: أن الكفار لا يكتب لهم حسنات ولا سيئات، وإنما يكتب ذلك للمؤمنين وما يفعلون من الحسنات فى الدنيا ويكافئون عليها، وما يفعلون من السيئات، فالشرك أعظم من ذلك كله.

قوله تعالى: ﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾ هذا موضع القسم، وهو جواب لقولهم على ما حكى الله تعالى عنهم: ﴿وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون﴾(٢).

وقوله: ﴿بنعمة ربك﴾ أى: برحمة ربك. ويقال: بإنعامه عليك، كأنه نفى عنه الجنون بما أنعم الله عليه، كما يقول القائل لغيره: أنت عاقل أو غنى بنعمة الله عليك.

وقوله: ﴿وإن لك لأجرا غير ممنون﴾ أى: غير منقطع. ويقال: غير محسوب. ويقال: غير ممتن به عليك.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) الحجر: ٦.

غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾

وقوله: ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ أى: على الخلق الذى أدبك الله به مما نزل به القرآن من الإحسان إلى الناس، والعفو، والتجاوز، وصلة الأرحام، وإعطاء النَّصَفة، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، وما أشبه ذلك. وفى حديث سعد بن هشام أنه سأل عائشة - رضى الله عنها - عن خلق النبى ﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن»(١). أى: كان موافقا لما نزل به القرآن. وفى رواية أنها قالت: «لم يكن رسول الله فحاشا ولا متفحشا، ولايجزئ السيئة بمثلها، ولكن يعفو ويصفح»(٢). وقال السدى: وإنك لعلى خلق عظيم أى: على الإسلام. وقال زيد بن أسلم: على دين عظيم، وهو الدين الذى رضيه الله تعالى لهذه الأمة، وهو أحب الأديان إلى الله تعالى.

وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى خلق مائة وسبعة عشر خُلُقًا، فمن جاء بواحدة منها دخل الجنة»(٣). وعنه ﷺ أنه قال: «بعثت لأتمم مصالح

---

(١) رواه مسلم (٦/٣٧ - ٤٢ رقم ٧٤٦)، وأبو داود (٢/٤٠ - ٤١ رقم ١٣٤٢)، والنسائى (٣/١٩٩ - ٢٠١ رقم ١٦٠١)، وأحمد (٦/٩١، ١٦٣)، والحاكم (٢/٤٩٩) وصححه على شرطهما، والبيهقى فى سننه (٢/٤٩٩ - ٥٠٠). وفى الدلائل له أيضا (١/٣٠٨).

(٢) رواه الترمذى (٤/٣٢٤، رقم ٢٠١٦) وقال: حسن صحيح، وفى الشمائل (٢٧٤ رقم ٣٣٠)، وأحمد (٦/١٧٤، ٢٣٦، ٢٤٦)، والطيالسى (٢١٤ رقم ١٥٢٠)، والبيهقى فى الدلائل (١/٣١٥)، وابن عساكر فى تاريخه (٣/٣٨٠ - ٣٨٢ رقم ٧٣٦ - ٧٤٠).

(٣) رواه الطيالسى (١٤ رقم ٨٤)، والبزار (٢/٩١ رقم ٤٤٦)، وابن أبى الدنيا فى مكارم الأخلاق (٢٤ رقم ٢٧)، وابن الجوزى فى العلل (٢/٩٣٣ - ٩٣٤ رقم ١٥٥٧) من حديث عثمان بن عفان به. وقال البزار: لا نعلمه يروى إلا من هذا الوجه، وعبد الواحد بن زيد ليس بالقوى، وعبد الله بن راشد لا نعلم حدث عنه إلا عبد الواحد.

وذكره الدارقطنى فى العلل (٣/٣٨ - ٣٩ رقم ٢٧١) وقال: يرويه عبد الواحد بن زيد عن عبد الله بن راشد، عن عثمان، وخالفه الحسن بن ذكوان، رواه عن عبد الله بن راشد عن أبى سعيد الخدرى مرفوعا. وهما بصريان ضعيفان، والحديث غير ثابت.

وعزاه الهيثمى فى المجمع (١/٤١) لأبى يعلى فى المسند الكبير وقال: وفي إسناده عبد الله بن راشد وهو ضعيف.

الأخلاق »(١).

وقيل: على خلق عظيم أى: طبع كريم.

قوله: ﴿ فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون ﴾ وقال أبو عبيدة الباء صلة. ومعناه: أيكم المفتون، وأنشد شعرا:

نضرب بالسيف ونرجوا بالفرج

أى: الفرج.

وأما الفراء والزجاج وسائر النحويين لم يرضوا هذا القول، وذكروا قولين آخرين: أحدهما: أن معنى قوله: ﴿ بأيكم المفتون ﴾ أى: بأيكم الفتنة يقال: ما لفلان معقول ولا مجلود أى: عقل ولا جلد.

والقول الثانى: بأيكم المفتون أى: فى أيكم المفتون (يعنى)(٢): فى الفرقة التى فيها رسول الله وأصحابه، أو فى الفرقة التى فيها أبو جهل وذووه. وحقيقة المعنى: أنكم تبصرون يوم القيامة، وتعلمون أن المجنون كان فيكم، لا فى رسول الله ﷺ وأصحابه أى: فى الفرقة التى فيها رسول الله وأصحابه. وذكر النحاس [قولين](٣) أيضا قال: معنى قوله: ﴿ بأيكم المفتون ﴾ أى: بأيكم [فتنة](٤) المفتون مثل قوله

(١) رواه البخارى فى الأدب (ص٨٤)، وفى التاريخ (٧/ ١٨٨)، وأحمد (٢/ ٣٨١)، ومالك فى الموطأ (٢/ ٩٠٤) بلاغا، وابن سعد فى الطبقات (١/ ١٥١)، وابن أبى الدنيا فى مكارم الأخلاق (٢١ رقم ١٣). والحاكم (٢/ ٦١٣) وصححه على شرط مسلم، والبيهقى فى السنن (١٠/ ١٩١ - ١٩٢)، والقضاعى فى الشهاب (٢/ ١٩٢ - ١٩٣ رقم ١١٦٥)، وابن عساكر فى تاريخه (١٩/ ٢٥٢) عن أبى هريرة مرفوعا.
وقال ابن عبد البر: هو متصل من وجوه صحاح عن أبى هريرة وغيره مرفوعا. المقاصد الحسنة (١٨٠).

(٢) فى « ك »: أى.

(٣) فى « الأصل، وك » : قولان، وهو خلاف الجادة.

(٤) فى « الأصل، وك » : الفتنة.

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ

تعالى: ﴿ واسأل القرية ﴾[١] أى: أهل القرية[٢].

قوله تعالى: ﴿ إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ فلا تطع المكذبين ﴾ يعنى: المكذبين بآيات الله.

وقوله: ﴿ ودوا لو تدهن فيدهنون ﴾ أى: تضعف فى أمرك فيضعفون، أو تلين لهم فيلينون. والمداهنة معاشرة فى الظاهر، ومحالمة من غير موافقة الباطن. وقال القتيبى فى معنى الآية: إن الكفار قالوا للنبى ﷺ نعبد معك إلهك مدة، وتعبد معنا إلهنا مدة، فهو معنى قوله: ﴿ ودوا لو تدهن فيدهنون ﴾ أى: تميل إلى مرادهم فيميلون إلى مرادك.

قوله تعالى: ﴿ ولا تطع كل حلاف مهين ﴾ قال ابن عباس: هو الوليد بن المغيرة. وعن مجاهد: هو الأسود بن عبد يغوث. وعن بعضهم: هو الأخنس بن شريق. وقيل: هو على العموم.

وقوله: ﴿ كل حلاف ﴾ أى: كثير الحلف.

قوله: ﴿ مهين ﴾ أى: حقير، ومعناه ها هنا: قلة الرأى والتمييز.

وقوله: ﴿ هماز ﴾ أى: (عتاب)[٣] مغتاب طعَّان فى الناس.

وقوله: ﴿ مشاء بنميم ﴾ أى: بالنميمة، وهو نقل الحديث من قوم إلى قوم. وقد ثبت عن النبى ﷺ برواية حذيفة أنه قال: «لا يدخل الجنة قتات»[٤] أى: نمام. وعنه

(١) يوسف: ٨٢.

(٢) لم يذكر القول الثانى، فليتنبه.

(٣) فى «ك»: عياب.

(٤) متفق عليه، رواه البخارى (١٠ / ٤٨٧ رقم ٦٠٥٦)، ومسلم (٢ / ١٤٨ - ١٥٠ رقم ١٠٥).

عليه الصلاة والسلام أنه قال: «شرار الناس المشاءون بالنميمة الباغون للبراء العنت[(١)]»[(٢)]. وعن يحيى بن أبى كثير قال: يفسد النمام فى يوم ما لا يفسده الساحر فى شهر.

وقوله: ﴿ مناع للخير ﴾ أى: بخيل: ويقال: مناع من الإسلام. وكان الوليد بن المغيرة قال لبنيه وأهله: من أسلم منكم قطعت منه رفدى ورفقى.

وقوله: ﴿ معتد ﴾ أى: متجاوز فى الظلم.

وقوله: ﴿ أثيم ﴾ أى: كثير الإثم.

قوله: ﴿ عتل ﴾ أى: الفاحش الخلق. وقيل: الجافى الغليظ. وقال ابن عباس: من يعمل السوء ويعرف به. أورده النقاش. وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «ألا أنبئكم بأهل النار؟ كل جعظرى جوّاظ صخاب بالأسواق، جيفة بالليل حمار بالنهار، وعالم بالدنيا جاهل بالآخرة»[(٣)]. فمعنى الجعظرى: هو الأكول الشروب الظلوم، وهو كالعتل. والجواظ: هو الجمّاع المنّاع، ذكره شداد بن أوس، وقال ثعلب: الجواظ: هو الكثير اللحم المختال فى مشيته. ويقال: فلان جظ، أى: ضخم.

---

(١) أى: الطالبون العيوب القبيحة والفساد والغلط للشرفاء المنزهين عن الفواحش. النهاية (٣/٣٠٦).

(٢) رواه أحمد (٦/٤٥٩)، وعبد بن حميد (٤٥٧ رقم ١٥٨٠)، وابن أبى الدنيا فى الغيبة (رقم ١١٩)، والطبرانى فى الكبير (٢٤/ ١٦٧ - ١٦٨ رقم ٤٢٣ - ٤٢٥)، والخرائطى فى مساوئ الأخلاق (٩٨ رقم ٢٣٢)، وأبو الشيخ فى التوبيخ (٢٣٧ - ٢٣٨ رقم ٢١٧) جميعهم من حديث شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد به. ورواه أحمد (٤/ ٢٢٧) عن شهر عن عبد الرحمن بن غنم به. ورواه أبو الشيخ فى التوبيخ (رقم ٢٣٣) عن شهر عن عبد الرحمن بن غنم عن أبى مالك الأشعرى به.
وقال العراقى فى المغنى (٢/١٦٣) رواه أحمد من حديث أسماء بسند ضعيف. وعزاه الهيثمى فى المجمع (٨/٩٦) للطبرانى من حديث عبادة بن الصامت، وفيه يزيد بن ربيعة، وهو متروك.

(٣) رواه ابن حبان فى صحيحه (١/٢٧٣ - ٢٧٤)، وأبو الشيخ فى الأمثال (١٤٦ رقم ٢٣٤)، والبيهقى (١٠/ ١٩٤) من حديث أبى هريرة به.

بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ

وفى بعض الغرائب من الأخبار أن النبى – عليه السلام – قال: «تبكى السماء من عبد أصحَّ الله جسْمَه، وأرحب جوفه، وأعطاه مقضما ثم يكون ظلوما، وتبكى السماء من شيخ زان، وتكاد الأرض لا تُقلّه»(١).

وقوله: ﴿بعد ذلك زنيم﴾ أى: دَعِىّ. وقيل: مُلْصَق بالقوم وليس منهم. ويقال: الذى له زَنَمة فى الشر يعرف بها مثل زنمة الشاة. قال حسان فى الزنيم:

زنيمٌ تداعاه الرجال زيادة ... كما زيد فى عَرْضِ الأديم الأكاريع

قوله تعالى: ﴿أن كان ذا مال وبنين﴾ وقرئ: «أأن كان». فقوله: ﴿أن﴾ أى: لأن كان ذا مال وبنين يفعل كذا ويقول كذا أى: لأجل أنه. وقوله: «أأن كان» أى: ولا تطعه، وإن كان ذا مال وبنين.

وقوله: ﴿إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين﴾ قد بينا. والأساطير واحدها أسطورة. وقال الكسائى: ترهات من الكلام لا نظام لها.

وقوله تعالى: ﴿سنسمه على الخرطوم﴾ قال أبو عبيدة والمبرد وغيرهما: الخرطوم: الأنف. ومعناه: يجعل على أنفه سمة يعرف بها أنه من أهل النار. قال جرير:

لما وضعت على الفـرزدق مِيسمِى ... وعلى البعيث جدعْتُ أنف الأخْطل

ويقال: معنى قوله: ﴿سنسمه على الخرطوم﴾ أى: سنسود وجهه، (ووصف)(٢) الأنف موضع الوجه لأنه منه. وقيل: يلصق به عارا ومسبة وشينا لايفارقه أبدا.

قوله تعالى: ﴿إنا بلوناهم﴾ أى: أهل مكة، وذلك حين دعا رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٩ / ١٦) من رواية زيد بن أسلم عن النبى ﷺ مرسلا، وعزاه السيوطى فى الدر (٦ / ٢٧٩) لعبد الرزاق، وابن المنذر.

وقال الحافظ ابن كثير (٤ / ٤٠٤) بعد ما أورده من رواية الطبرى: وهكذا رواه ابن أبى حاتم من طريقين مرسلين.

(٢) كذا، ولعله: ووضع، فهو الأنسب للسياق.

كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ﴿١٧﴾ ولا يستثنون ﴿١٨﴾ فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون ﴿١٩﴾

وقال: «اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف؛ فأصابهم الجوع حتى أكلوا العلهز[1] والعظام المحترقة»[2].

وقوله: ﴿كما بلونا أصحاب الجنة﴾ في أكثر التفاسير أن هذا رجل شيخ باليمن كان له بنون، وله بستان يتصدق منه على المساكين، وينفق منه على نفسه وأولاده. ويقال: كان يتصدق بالثلث، وينفق على نفسه وأولاده الثلث، ويرد الثلث في عمارة الجنة، فلما مات الشيخ قال بنوه: العيال كثير، والدخل قليل ولايفى بإعطاء المساكين، فتوافقوا على أن يذهبوا إلى البستان حين يصبحون على سدفة من الليل، فيصرموا ويقطعوا قبل أن يعلم المساكين. وكان المساكين قد اعتادوا الحضور عند الجذاذ والصرام؛ فحين اتفقوا على ذلك أرسل الله تعالى نارا من السماء في تلك الليلة فاحترق البستان والأشجار، ويقال: إن هذا الرجل هو رجل من ثقيف.

وقوله: ﴿إذ أقسموا﴾ أى: حلفوا.

وقوله: ﴿ليصرمنها مصبحين﴾ أى: يقطعون فى الوقت الذى قلنا.

وقوله: ﴿ولايستثنون﴾ أى: لم يقولوا: إن شاء الله.

وقوله: ﴿فطاف عليها طائف من ربك﴾ أى: طرق طارق من العذاب، وهى النار التى أرسلها الله تعالى. والعرب لاتستعمل الطائف إلا فى العذاب. وفى بعض التفاسير: أن الله تعالى أمر ملكا حتى اقتلع تلك الجنة بأشجارها وغروسها فوضعها فى موضع الطائف اليوم.

وقوله: ﴿وهم نائمون﴾ ذكرنا.

(١) قال ابن الأثير فى النهاية: (٣/٢٧٣) هو شيء يتخذونه في سني المجاعة. يخلطون الدم بأوبار الإبل ثم يشوونه بالنار ويأكلونه، وقيل فيه غير ذلك، راجع النهاية.

(٢) تقدم تخريجه.

فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾

قوله: ﴿فأصبحت كالصريم﴾ أى: كالليل المظلم. ويقال: كالنهار الذى لا شىء فيه.

والعرب تسمى العامر من الأرض نهارًا لبياضه، والغامر ليلا لسواده وخضرته. والصريم من الأضداد، هو اسم لليل والنهار جميعا؛ لأن كل واحد منهما يقطع عن صاحبه. و يقال: كالصريم أى: المصروم فاعل بمعنى مفعول يعنى: أنه لم يبق شىء فيها.

وقوله: ﴿فتنادوا مصبحين﴾ أى: نادى بعضهم بعضا عند الصباح.

وقوله: ﴿أن اغدوا على حرثكم﴾ أى: اقصدوا حرثكم. وفى القصة: أنه كانت لهم حروث وأعناب.

وقوله: ﴿إن كنتم صارمين﴾ أى: قاطعين. يقال: فى العنب الصرام، وفى الزرع الحصاد.

قال الشاعر:

غدوت عليه غدوة فوجدته ... قعودا عليه بالصريم عواذله

والصريم ها هنا: هو الجرة السوداء. وقد ذكره ابن فارس فى معنى الصريم الذى ذكرناه من قبل. وعن ابن جريج أنه قال: خرجتْ عنق من النار من جوف واديهم فأحرقت جنتهم.

وقوله: ﴿إن كنتم صارمين﴾ قال مجاهد: المراد منه صرام العنب. وكان حرثهم العنب.

قوله: ﴿فانطلقوا وهم يتخافتون﴾ أى: يتكلمون سرا وخفية، وكان كلامهم لايدخلنها اليوم عليكم مسكين أى: لا تتركوا المساكين [يدخلون](١) عليكم.

---

(١) فى «الأصل، وك»: يدخلوا، والصواب ما أثبتناه.

وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ

وقوله: ﴿وغدوا على حرد قادرين﴾ أشهر الأقاويل أن معناه: على حسد، وهو قول قتادة ومجاهد والحسن وجماعة. وعن الشعبى وسفيان أنهما قالا: على غضب. أى: على المساكين. وقال أبو عبيدة: «على حرد» أى: على منع. يقال: حاردَت السنة فليس فيها مطر، وحاردت الناقة إذا لم يكن بها لبن. ومعنى المنع هو ما عقدوه من منع المساكين. وعن الحسن فى رواية: على حرص. وقيل: على قصد .قال الشاعر:

أقبل سَيْلٌ جاء من أمر اللهْ ... يَحْرِدُ حَرْدَ الجنة المُغلَّةْ

أى: يقصد . وعن السدى: أن الحرد اسم جنتهم.

وقوله: ﴿قادرين﴾ أى: قادرين عند أنفسهم على الصرام.

وقيل: «قادرين» أى: على أمر أسسوه بينهم.

قوله تعالى: ﴿فلما رأوها قالوا إنا لضالون﴾ يعنى: أنهم لما رأوا موضع الجنة وليس فيها شجر ولا نبات قالوا: إنا لضالون أى: أخطأنا طريق جنتنا.

وقوله: ﴿بل نحن محرومون﴾ معناه: أنهم تنبهوا على الأمر، وعرفوا أنهم لم يخطئوا الطريق فقالوا: بل نحن محرومون أى: نزل العذاب وحرمنا ثمار جنتنا .

قوله تعالى: ﴿قال أوسطهم﴾ أى: خيرهم وأعدلهم. ومثله قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾(١) أى: عدلا خيارا. وقال سعيد بن جبير: أعقلهم.

وقوله: ﴿ألم أقل لكم لولا تسبحون﴾ أى: هلا قلتم إن شاء الله تعالى. ووضع التسبيح ها هنا موضع المشيئة؛ لأن التسبيح هو تنزيه الله تعالى عن كل سوء. وقوله: إن شاء الله فيه معنى التنزيه، وهو أنه لا يملك أحد فعل شىء إلا بمشيئة، فينزه أن

(١) البقرة: ١٤٣.

﴿٢٩﴾ فأقْبل بعْضُهم علىٰ بعْضٍ يتلاومُون ﴿٣٠﴾ قالُوا يا ويْلنا إنَّا كُنَّا طاغين ﴿٣١﴾
عسىٰ ربُّنا أن يُبْدلنا خيرا مّنْها إنَّا إلىٰ ربّنا راغبُون ﴿٣٢﴾ كذلك العذابُ ولعذابُ الآخرة
أكْبرُ لوْ كانُوا يعْلمُون ﴿٣٣﴾ إنَّ للْمُتَّقين عند ربّهمْ جنَّات النَّعيم ﴿٣٤﴾

يكون شيء في ملكه إلا أن يريده. وعن عكرمة: أنه كان استثناؤهم هو التسبيح يعني: أنهم كانوا يقولون مكان قولنا إن شاء الله: سبحان الله.

وقوله: ﴿قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين﴾ أي: بمنع المساكين.

وقوله: ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون﴾ أي: يلوم بعضهم بعضا، فيقول هذا لذاك: أنت فعلت والذنب لك، ويقول ذلك لصاحبه مثله.

وقوله: ﴿قالوا يا ويلنا﴾ دعوا بالويل على أنفسهم.

وقوله: ﴿إنا كنا طاغين﴾ أي: ظالمين.

وقوله: ﴿عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها﴾ هذا إخبار عن توبتهم وندامتهم، وسؤالهم من الله تعالى أن يبدلهم بجنتهم خيرا منها فيعطوا حق المساكين. وفي بعض التفاسير: أن الله تعالى قبل توبتهم وأعطاهم جنة خيرا منها. والله أعلم.

وقوله: ﴿إنا إلى ربنا راغبون﴾ أي: بسؤالنا.

وقوله: ﴿كذلك العذاب﴾ أي: كذلك عذاب الدنيا.

وقوله: ﴿ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾ أي: عذاب الآخرة. ويقال: كما عذبنا هؤلاء وأنزلنا بهم، كذلك نعذب قريشا وننزله بهم. وروى في التفسير: أن الله تعالى أنزل العذاب بهم يوم بدر، فإنهم لما خرجوا إلى بدر قالوا: لنقتلنهم، ولنقتلن محمدا ولنأسرنهم، ونرجع إلى مكة فنطوف بالبيت، ونحلق رءوسنا، ونشرب الخمر، وتعزف على رءوسنا القيان، وحلفوا على ذلك، فأخلف الله ظنهم ونزل بهم ما نزل من القتل والأسر.

قوله تعالى: ﴿إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم﴾ لما ذكر عذاب الكفار وما ينزله بهم ذكر ما وعده للمؤمنين في هذه الآية؛ فروى أن عتبة بن ربيعة قال لما نزلت

أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ

هذه الآية: لئن أعطاكم الله تعالى فى الآخرة جنات النعيم فيعطينا مثل ما يعطيكم أو خيرا منها، فأنزل الله تعالى: ﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين﴾ [أى](١): نسوى بين المسلمين والمشركين فى إعطاء جنات النعيم، وهو مذكور على طريق الإنكار أى: لا يفعل كذلك.

وقوله: ﴿ما لكم كيف تحكمون﴾ أى: كيف تقضون؟ والمراد من الحكم هو حكمهم فى أنفسهم بالجنة.

وقوله: ﴿أم لكم كتاب فيه تدرسون﴾ أى: تدرسون ما تحكمون به. وقيل: ترددون النظر فيه، فتحكمون منه لأنفسكم ما حكمتم.

وقوله: ﴿إن لكم فيه لما تخيرون﴾ أى: تختارون، وهو بيان لذلك الحكم.

وقوله تعالى: ﴿أم لكم أيمان علينا بالغة﴾ أى: مؤكدة، ومعنى البالغة فى كلام العرب فى مثل هذه المواضع: هو بلوغ النهاية، يقال: هذا شىء جيد بالغ، أى: بلغ النهاية فى الجودة.

وقوله: ﴿إلى يوم القيامة﴾ يعنى: اللزوم والثبات، وقيل: ألكم أيمان مؤكدة ألا نعذبكم إلى يوم القيامة.

وقوله: ﴿إن لكم لما تحكمون﴾ تفسير لما وقع عليه اليمين.

وقوله: ﴿سلهم أيهم بذلك زعيم﴾ أى: كفيل.

وقوله: ﴿أم لهم شركاء﴾ هذا على توسع الكلام. ومعناه: عندهم وفى زعمهم. وقيل: أم بهذا شهد الشركاء بمعنى الشهداء، ذكره النقاش.

---

(١) من «ك».

فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ

وقوله: ﴿ فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين ﴾ أى: بشركاء فيهم على زعمهم على القول الأول، وعلى القول الثانى بشهاداتهم إن كانوا صادقين.

قوله تعالى: ﴿ يوم يكشف عن ساق ﴾ قال عكرمة عن ابن عباس: عن الأمر الشديد، وفى هذه الرواية عن ابن عباس أنه قال: إذا أشكل عليكم القرآن فالتمسوه فى الشعر، فإنه ديوان العرب، وأنشد:

وقامت الحرب بنا على ساق

وهذا قول معروف، وقال ابن قتيبة: كانت العرب إذا اشتد بهم الأمر عبروا بهذا اللفظ؛ لأن الإنسان إذا وقع له الأمر وأخذه بجد وجهد يقول: شمر عن ساقه، فوضعت الساق موضع الشدة.

قال الشاعر:

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقال دريد بن الصمة:

كميش الإزار خارج نصف ساقه صبور على العوراء (طلاع)(١) أنجد

وفى رواية أخرى عن ابن عباس: يوم يكشف عن ساق أى: عن هول وكربة وشدة، وهو بمعنى الأول. وقال مجاهد: هو أول ساعة من ساعات القيامة، وهى أفظعها وأشدها على الناس. هذا كله قول واحد.

وروى أبو سعيد الخدرى عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا كان يوم القيامة يكشف ربنا عن ساقه فيسجد كل مؤمن ومؤمنة، ويذهب المنافقون ليسجدوا فلا يستطيعون»(٢). وعن ابن مسعود أنه قال نحواً من هذا. وقال الحسن البصرى: يوم يكشف عن ساق أى: الستر بين الدنيا والآخرة. ويقال: الغطاء بين الدنيا والآخرة، ومعناهما قريب.

---

(١) فى «ك»: قلاع.

(٢) متفق عليه، رواه البخارى (٨/٥٣١ رقم ٤٩١٩)، ومسلم (٣/٣٢ - ٤٣ رقم ١٨٣).

ويدْعَوْنَ إلى السُّجُود فلا يسْتطيعُون ﴿٤٢﴾ خاشعة أبْصارهم ترْهقهم ذلّةٌ وقد كانوا يُدْعَوْنَ إلى السُّجُودِ وهُمْ سالمُون ﴿٤٣﴾

وقوله: ﴿ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون﴾ أى: لايستطيع المنافقون السجود. وفى الخبر: فيعقم أصلابهم - أى أصلاب المنافقين - وقوله: يعقم أى: يصير طبقا واحدا. وفى رواية: تصير كسفا قيد الحديد. وفى الخبر برواية أبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا كان يوم القيامة مُثل لكل قوم ما كان [يعبدونه](١) فى الدنيا فيتبعونه، ويبقى أهل التوحيد فيقال لهم: قد ذهب الناس فماذا تنتظرون؟ فيقولون: إن لنا ربا كنا نعبده. فيقال لهم: هل تعرفونه لو رأيتموه؟ فيقولون: نعم. فيقال [لهم](٢): كيف تعرفونه ولم تروه؟ فيقولون: إنه لا شبه له. فيكشف لهم الحجاب فيسجد كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى المنافقون فلا يستطيعون السجود، وتصير ظهورهم كصياص البقر. فيقول الله تعالى للمؤمنين: ارفعوا رءوسكم فقد جعلت بدل كل رجل [منكم رجلا](٣) من اليهود والنصارى فى النار»(٤).

وقوله: ﴿خاشعة أبصارهم﴾ أى: ذليلة أبصارهم، والمراد منه ذل الندامة والحسرة.

وقوله: ﴿ترهقهم ذلة﴾ أى: يغشاهم الذل والهوان.

وقوله: ﴿وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون﴾ أى: يدعون إلى صلاة الجماعة وهم سالمون أى: معافون، والآن السجود لهم (مهيات)(٥).

(١) فى «الأصل، وك»: يعبده.

(٢) من «ك».

(٣) من «تفسير القرطبى».

(٤) رواه أبو الليث السمرقندى فى تفسيره، كما فى تفسير القرطبى (١٨/ ٢٤٩ - ٢٥٠)، وابن عساكر عن أبى موسى به، وبنحوه عن أبى موسى أيضا رواه عبد بن حميد، والدارقطنى، وابن مردويه، كما فى الدر (٦/ ٣٢٤).

(٥) كذا، ولعلها مهيهات، ويعنى أن السجود الآن لهم بعيد.

فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾

وظاهر الآية أن معناها السجود فى الصلاة. وعن إبراهيم التيمى أنه قال: هو الصلاة المكتوبة. وقال سعيد بن جبير: يدعون إلى السجود بحى على الفلاح وهم سالمون فلا يجيبون.

قوله تعالى: ﴿فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث﴾ أى: خلنى وإياه وكله إلى لأجازيه بعمله. وقيل: ذرنى أى: لاتشغل قلبك به، ودعنى وإياه فإنى مجازيه ومكافئه، وهو بمعنى الأول. والعرب تقول مثل هذا القول، وإن لم يكن هناك أحد يمنعه منه، قال الشاعر:

ذرينى والثعلب أم سعد تقلنى الأرض (أو بيتك)[1] أمالا[2]

وقوله: ﴿سنستدرجهم من حيث لايعلمون﴾ الاستدراج فى كلام العرب هو الأخذ قليلا قليلا، ومنه درج الصبى إذا مشى قليلا قليلا.

وروى عبد الرحمن بن داود الخريبى عن سفيان الثورى أنه قال: الاستدراج هو إسباغ النعم، ومنع الشكر. وقيل: هو أنه كلما جدد ذنبا جدد الله له نعمة. وعن عقبة بن مسلم قال: إذا كان العبد على معصية الله ثم أعطاه الله ما يحب، فليعلم أنه فى استدراج. وعن الحسن البصرى قال: كم من مستدرج يحسن الثناء عليه، ومغرور يستر الله عليه. (وقيل)[3]: سنستدرجهم أى: نمكر بهم من حيث لايعلمون.

وقوله: ﴿وأملى لهم﴾ أى: أمهلهم ولا أباغتهم جهرا، بل آخذهم وأمكر بهم قليلا قليلا. وقد بينا معنى الإمهال والإملاء من قبل.

وقوله: ﴿إن كيدى متين﴾ أى: شديد.

(١) فى «ك»: تقلن الأرض أوشك.

(٢) كذا.

(٢) فى «ك»: وقوله.

أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ

قوله تعالى: ﴿أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون﴾ أى: أجرا على تبليغ الرسالة فهم من الغرم مثقلون.

وقوله: ﴿أم عندهم الغيب فهم يكتبون﴾ أى: عندهم اللوح المحفوظ، وسماه غيبا لأنه كتب فيه ما غاب عن العباد.

وقوله: ﴿فهم يكتبون﴾ أى: يكتبون منه ما يحكمون لأنفسهم ويقع بشهواتهم.

قوله تعالى: ﴿فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت﴾ أى: فى الضجر وترك الصبر. ويقال: لا تغاضب كما غاضب صاحب الحوت، وهو ذو النون. واسمه يونس بن متى صلوات الله عليه.

وقوله: ﴿إذ نادى وهو مكظوم﴾ أى: مملوء كربا وغما. ويقال: كظم البعير بجرته إذا حبسها، والمعنى: أنه لم يجد للغم الذى فى قلبه نفاذا ومساغا فكظم عليه أى: حبسه.

وقوله: ﴿لولا أن تداركه نعمة من ربه﴾ أى: رحمة من ربه.

وقوله: ﴿لنبذ بالعراء﴾ العراء هو وجه الأرض. ويقال: المكان الخالى البارز.

وقوله: ﴿وهو مذموم﴾ أى: نبذ غير مذموم، ولولا رحمة ربه لكان مذموما.

قوله تعالى: ﴿فاجتباه ربه﴾ أى: اصطفاه واختاره.

وقوله: ﴿فجعله من الصالحين﴾ أى: من عباده الصالحين. وقد ذكرنا قصته من قبل.

قوله تعالى: ﴿وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم﴾ قرأ ابن عباس:

﴿ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾

«ليزهقونك بأبصارهم» والزلق هو السقوط، والإزلاق: الإسقاط. وفى الآية قولان معروفان: أحدهما: ليزلقونك بأبصارهم أى: يعتانونك، ومعناه: يصيبونك بأعينهم. ذكره الكلبى ومقاتل وغيرهما، وذكره الفراء أيضا فى كتابه. وروى أن الرجل من العرب كان يجوع نفسه ثلاثة أيام، ثم يخرج فتمر عليه إبل جاره أو غنمه فيقول: ما أحسنها، وما أعظمها، وما أسمنها ومثل هذا؛ فيسقط (منها)[1] العدَّة فتهلك. وفى بعض التفاسير: أن هذا كان فى بنى أسد من العرب وكان الرجل يعتان إبل الواحد منهم أو الغنم، ثم يقول لغلامه: اذهب بمكتل ودرهم لتأخذ لنا من لحمه، وكان يتيقن أنه يسقط فينحر.

والقول الثانى فى الآية – وهو أحسن القولين – أن المراد منها هو أنهم ينظرون إليك نظر البغضاء و العدواة فيكادون من شدة نظرهم أى: يصرعونك ويسقطونك، وهذا على مذهب كلام العرب. تقول العرب: نظر فلان نظرا يكاد يصرعه أو يأكله، أو ينظر إلىَّ فلان نظرا يكاد يصرعنى أو يكاد يأكلنى به أى: لو أمكنه أن يصرعنى به يصرعنى أو يأكلنى به لأكلنى. وهذا اختيار الزجاج وغيره من أهل المعانى. وأنشدوا:

يتلاحظون إذا التقوْا فى موطن ... نظــراً يزيل (مواطـن)[2] الأقــدام

وقوله: ﴿لما سمعوا الذكر﴾ أى: القرآن وكانت عداوتهم وبغضاؤهم تشتد إذا سمعوه ﷺ يقرأ القرآن.

وقوله: ﴿ويقولون إنه لمجنون﴾ اسم سموه به.

وقوله: ﴿وما هو إلا ذكر للعالمين﴾ أى: شرف للعالمين، وهو كناية عن الرسول. والأظهر أن القرآن ذكر للعالمين. وقيل: الرسول مذكر للعالمين، وقد بينا معنى العالمين من قبل.

---

(١) فى «ك»: فيها.

(٢) فى «ك»: مواطئ.

تفسير سورة الحاقة

وهى مكية

وذكر النقاش فى كتابه بروايته أن عمر - رضى الله عنه - قال: تعرضت لرسول الله ﷺ قبل أن أسلم - فمضيت إلى المسجد فوجدته قد سبقنى إليه، وقام يصلى فقمت خلفه - فقرأ سورة الحاقة، فجعلت أتعجب من تأليف القرآن، وأقول: هو شاعر كما يقوله قريش حتى بلغ قوله تعالى: ﴿إنه لقول رسول كريم وماهو بقول شاعر﴾[1] إلى آخر السورة، فعلمت أنه ليس بشاعر، ووقع الإسلام فى قلبى.

(١) الحاقة: ٤٠ - ٤١.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾

قوله تعالى: ﴿ الحاقة ما الحاقة ﴾ وهى اسم للقيامة. وسميت القيامة حاقة؛ لأن فيها حواق الأمور، أى: حقائقها. ويقال: لأنها حققت على كل إنسان عمله من خير وشر، وتظهر جزاءه من الثواب والعقاب.

قال الأزهرى: سميت حاقة؛ لأنها تحق الكفار الذين حاقوا الأنبياء فى الدنيا إنكارا لها. تقول العرب: حاققت فلانا فحققته، أى: خاصمته فخصمته.

وقوله: ﴿ ما الحاقة ﴾ مذكور على وجه التعظيم والتفخيم.

قال امرؤ القيس:

فدع عنك نهبا صيح فى حجراته ولكـن حديـث ما حديـث الرواحل

فما للاستفهام، وهو مذكور فى هذا الموضع لتعظيم أمر الرواحل. كذلك هاهنا.

وقوله: ﴿ وما أدراك ما الحاقة ﴾ قال ابن عباس: كل ما قال: «أدراك» فقد أعلم النبى ﷺ، وما قال: «ومايدريك» فلم يعلمه. وهو مذكور أيضًا على طريق التعظيم والتهويل. ومثله قول أبى النجم شعرًا:

أنا أبو النجم وشعرى شعرى

قوله تعالى: ﴿ كذبت ثمود وعاد بالقارعة ﴾ القارعة اسم للقيامة أيضًا. قال المبرد: سميت القيامة قارعة؛ لأنها تقرع القلوب، وتهجم عليها بالشدة والكرب.

وقوله: ﴿ فأما ثمود فأهلكوا بالطاغيه ﴾ قال مجاهد: بطغيانهم، وهو قول أبى

وأمَّا عادٌ فأُهْلكُوا بريحٍ صرْصرٍ عاتيةٍ ﴿٦﴾ سخَّرها عليْهِمْ سبْعَ ليالٍ وثمانية أيَّامٍ حُسُومًا فترى الْقوْم فيها صرْعىٰ كأنَّهُمْ أعْجازُ نخْلٍ خاوِيةٍ ﴿٧﴾ فهلْ ترىٰ لهُم مِّنْ باقيةٍ ﴿٨﴾

عبيدة أيضًا. ويقال: بالطاغية أى: بالصيحة. (وقيل)[1]: بالرجفة. وسمى الصيحة طاغية؛ لأنها زادت على المقدار الذى تطيقه الأسماع.

وقوله: ﴿وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر﴾ أى: ذات برد شديد. وعلى هذا القول أخذ من الصِّر وهو البرد. وقيل: [هى][2] ذات صيحة. وعلى هذا مأخوذ من الصَّرَّة وهى الصيحة.

وقوله: ﴿عاتية﴾ أى: عتت على خُزَّانها. قال قبيصة بن ذؤيب: لم يرسل الله ريحاً إلا بقدر معلوم غير الريح التى أرسلها على عادٍ، فإنها خرجت بغير قدر معلوم غضبًا بغضب الله تعالى. وقد روى هذا عن ابن عباس. ويقال: سمى هذه الريح عاتية؛ لأنها جاوزت المقدار.

وقوله: ﴿سخرها عليهم﴾ أى: سلطها وأرسلها عليهم ﴿سبع ليال وثمانية أيام حسومًا﴾ أى: متتابعة. وقيل: مشائيم. ويقال: سماها حسومًا؛ لأنها قتلتهم وأفنتهم، من الحسم وهو القطع.

وفى التفسير: أن ابتداءه كان من غداة يوم الأربعاء، ويقال: من غداة يوم الأحد.

وقوله: ﴿فترى القوم فيها صرعى﴾ أى: صرعوا وصاروا ﴿كأنهم أعجاز نخل﴾ أى أصول نخل منقطعة عن أماكنها. ﴿خاوية﴾ قال الأزهرى: سماه خاوية؛ لأنها إذا (انقلعت)[3] خلت أماكنها منها.

وقوله: ﴿فهل ترى لهم من باقية﴾ أى: من نفس باقية. ويقال: من بقاء.

---

(١) فى «ك»: ويقال.

(٢) من «ك».

(٣) فى «ك»: انقطعت.

وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴿١٢﴾

قوله تعالى: ﴿وجاء فرعون ومن قَبْلَهُ﴾ وقرئ: «ومن قِبَلَهُ» أي: الأمم الذين كانوا قبله.

وقوله: ﴿والمؤتفكات﴾ هي قريات لوط. فعلى هذا معناه: وأهل المؤتفكات. وقيل المؤتفكات: هم قوم لوط؛ لأنه ائتفك بهم.

وقوله: ﴿بالخاطئة﴾ أي: بالخطأ العظيم، أي: بالذنب العظيم.

وقوله: ﴿فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية﴾ أي: زائدة على الأخذات. ويقال: زاد العذاب على قدر أعمالهم.

قوله تعالى: ﴿إنا لما طغى الماء﴾ قال سعيد بن جبير: غضب بغضب الله فطغى. ويقال: طغى أي: جاوز المقدار. فيقال: إنه زاد كل شيء في العالم خمسة [أذرع](١). وقد قيل أكثر من ذلك.

وقوله: ﴿حملناكم في الجارية﴾ أي: السفينة، وجمعها الجواري وهي السفن.

وقوله: ﴿لنجعلها لكم تذكرة﴾ أي: عبرة وعظة. قال قتادة: أدرك أوائل هذه الأمة سفينة نوح، وكم من السفن قد هلكت، ولكن الله تعالى أبقى هذه السفينة تذكرة لهذه الأمة وعبرة لها. ويقال: جعلها لكم تذكرة، أي: تذكروا هذه القصة فتكون لكم ولمن سمعها عبرة وعظة.

وقوله تعالى: ﴿وتعيها أذن واعية﴾ أي: أذن عقلت أمر الله وعملت به. وروى مكحول أن هذه الآية لما نزلت قال النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه: «سألت الله أن يجعلها أذنك». قال علي: فما سمعت بعد ذلك شيئًا فنسيته(٢).

(١) في «الأصل، وك»: ذراع، والصواب ما أثبتناه.

(٢) رواه ابن جرير الطبري (٢٩/ ٣٥)، وابن أبي حاتم - (تفسير ابن كثير ٤/ ٤١٣) - من رواية مكحول به مرسلا. وروياه أيضا من حديث ابن مرة الأسلمي به، ورواه ابن جرير من حديث بريدة به وقال الحافظ ابن كثير: ولا يصح أيضا.

فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ

قوله تعالى: ﴿ فإذا نفخ فى الصور ﴾ قد بينا معنى الصور.

وقوله: ﴿ نفخة واحدة ﴾ أى: النفخة الأولى.

وقوله: ﴿ واحدة ﴾ أى: ليست لها مثنوية.

وقوله تعالى: ﴿ وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة ﴾ أى: زلزلتا زلزلة واحدة. ويقال: فتتا فتة واحدة. وقيل: ضرب أحدهما بالآخر فانهدمتا وهلكتا.

وقوله: ﴿ فيومئذٍ وقعت الواقعة ﴾ أى: قامت القيامة.

وقوله: ﴿ وانشقت السماء فهى يؤمئذ واهية ﴾ أى: ضعيفة.

قال على بن أبى طالب : تنشق من المجرة. يقال: شقًا واهٍ أى: ضعيف متخرق.

ومن أمثالهم:

خلِّ سبيل من وهى شقاؤه ومن هريق بالفلاة ماؤه

وقيل: فهى يؤمئذ واهية، أى: منشقة منخرقة، لأن ماوهى ينشق ويتخرق.

وقوله: ﴿ والملك على أرجائها ﴾ أى: على أطرافها. قال الكسائى: على حافتها.

وقيل: على (مواضع)(١) شقوقها يتظرون إلى الدنيا.

وقوله: ﴿ ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذٍ ثمانية يومئذ تعرضون ﴾ قيل: ثمانية صفوف من الملائكة. وفى جامع أبى عيسى الترمذى برواية الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب أن النبى ﷺ كان جالسًا فى عصابة من أصحابه، فمرت سحابة فقال: «هل تدرون ما اسم هذه؟ قالوا: نعم، هذا السحاب. قال رسول الله ﷺ: المزن؟ قالوا: والمُزْن. قال رسول الله: والعَنان؟ قالوا: والعنان. قال لهم رسول الله ﷺ:

(١) فى «ك»: موضع.

تدرون كم بُعْدُ ما بين السماء والأرض؟ قالوا: لا، والله ما ندرى. قال: فإن بُعْدُ ما بينهما إما واحدة وإما اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة، والسماء التى فوقها كذلك حتى عدهن سبع سموات. قال: فوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله كما بين السماء إلى السماء، وفوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهن وركبهن ما بين سماء إلى السماء، ثم فوق ظهورهن العرش بين أسفله وأعلاه ما بين السماء إلى السماء، والله فوق ذلك. قال رضى الله عنه: أخبرنا بذلك والدى أبو منصور محمد بن عبد الجبار السمعانى، أخبرنا أبو العباس بن محبوب أخبرنا أبو عيسى الترمذى أخبرنا [عبد بن حميد](١) أخبرنا عبد الرحمن بن سعد، عن عمرو بن أبى قيس، عن سماك بن حرب، عن عبد الله بن عميرة عن الأحنف ابن قيس، عن العباس بن عبد المطلب ... الخبر(٢).

وفى بعض الأخبار: أن من جملة حملة العرش ملكا على صورة ديك، رجلاه فى تخوم الأرضين ورأسه تحت العرش، وجناح له بالمشرق وجناح بالمغرب، إذا سبح الله تعالى سبح له كل شىء. وروى الزهرى عن أنس أن النبى ﷺ قال لجبريل: «إنى أريد أن أراك فى صورتك. فقال: إنك لاتطيق ذلك، فقال: أنا أحب أن تفعل، قال: فخرج رسوله الله ﷺ إلى البطحاء، وأراه جبريل نفسه فى صورته التى خلقه الله تعالى عليها، وجناح له بالمشرق وجناح له بالمغرب، ورأسه فى السماء، فغشى على النبى ﷺ ثم أفاق ورأسه فى حجر جبريل، وقد وضع إحدى يديه على صدره والأخرى بين كتفيه، ثم قال: لو رأيت إسرافيل وله اثنا عشر جناحًا، والعرش على كاهله، وإنه ليتضاءل أحيانًا من خشية الله حتى يصير مثل الوضع، فلا يحمل العرش

---

(١) فى «الأصل، وك»: أبو عبد بن حميد، وهو خطأ، والصواب ما أثبتناه كما عند الترمذى ٥/٣٩٥ رقم ٣٣٢٠.

(٢) رواه أبو داود (٤/٢٣١ -٢٣٢ رقم ٤٧٢٣ - ٤٧٢٥)، والترمذى (٥/٣٩٥ - ٣٩٦ رقم ٣٣٢٠) وقال: حسن غريب، وابن ماجه (١/١٦٩ رقم ١٩٣)، وأحمد (١/٢٠٦ - ٢٠٧)، وابن خزيمة فى التوحيد (١٠١ - ١٠٢)، وابن أبى عاصم فى السنة (١/٢٥٣ رقم ٥٧٧)، والعقيلى (٢/٢٨٤)، والحاكم (٢/٥٠١). وأبو الشيخ فى العظمة (رقم ٢٠٦، ٢٠٧)، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٥٢٦)، وابن عبد البر فى التمهيد (٧/١٤٠ - ١٤١)، والبغوى فى تفسيره (٤/٣٨٧ - ٣٨٨).

تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾

إلا عظمة الله »(١).

وقوله تعالى: ﴿يومئذٍ تعرضون لاتخفى منكم خافية﴾ أى: فعلة خافية، والمعنى: أنه لايخفى شيء على الله تعالى. وقد روى عن عمر - رضى الله عنه- أنه قال: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتهيئوا للعرض الأكبر. وعن أبى موسى الأشعرى قال: في القيامة ثلاث عرضات: عرضتان جدال ومعاذير، والعرضة الثالثة فيها تطاير الكتب. وقد روى هذا مرفوعًا(٢). وفى بعض الأخبار عن عائشة قالت: «يارسول الله، هل تذكرون أهاليكم يوم القيامة؟ قال: أما فى ثلاثة مواطن فلا، وذكر عند تطاير الكتب، وعند الميزان، وعلى الصراط»(١).

قوله تعالى: ﴿فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه﴾ أى: تعالوا اقرءوا كتابيه. وقيل: خذوا. تقول العرب للواحد: هاءَ، وللاثنين هاؤما، وللجماعة هاؤموا. وقد روى «أن رجلا نادى رسول الله وقال: يا محمد. فقال النبى ﷺ: هاؤم»(٣).

وقوله: ﴿إنى ظننت أنى ملاقٍ حسابيه﴾ أى: أيقنت. قال الحسن البصرى: إن

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه ابن ماجه (٢ / ١٤٣٠ رقم ٤٢٧٧)، وأحمد (٤ / ٤١٤) عن أبى موسى مرفوعا.

ورواه ابن جرير (٢٩ / ٣٨) موقوفا. وقال الدارقطنى فى العلل (٧ / رقم ١٣٣١): والموقوف هو الأصح.

ورواه الترمذى (٤ / ٥٣٣ رقم ٢٤٢٥) عن أبى هريرة، وقال: ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبى هريرة، وقد رواه بعضهم عن على الرفاعى عن الحسن عن أبى موسى عن النبى ﷺ. ثم قال: ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبى موسى.

(٤) رواه الترمذى (٥ / ٥١٠ - ٥١١ رقم ٣٥٣٦) وقال: حديث حسن صحيح، والطيالسى (ص ١٦٠ رقم ١١٦٧)، وصححه ابن حبان (٢ / ٣٢٢ رقم ٥٦٢) من حديث صفوان بن عسال به.

فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾

المؤمن أحسن الظن بالله فأحسن العمل، وإن المنافق أساء الظن بالله فأساء العمل.

وقوله: ﴿فهو فى عيشة راضية﴾ أى: ذات رضا. وقال أبو عبيدة: مرضية. ويقال: عيشة راضية: الجنة.

وقوله: ﴿فى جنة عالية﴾ أى: مرتفعة.

وقوله تعالى: ﴿قطوفها دانية﴾ قال البراء بن عازب: يتناولها قائمًا وقاعدًا ونائمًا، أى: مضطجعًا. ومعنى دانية: قريبة المتناول، لايمنع منها بُعْدٌ ولاشوك.

وقوله: ﴿كلوا واشربوا هنيئًا بما أسلفتم﴾ أى: قدمتم ﴿فى الأيام الخالية﴾ أى: الماضية، وهى فى الدنيا. وعن بعضهم: أن الآية فى الصائمين.

قوله تعالى: ﴿وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه﴾ أى: كتابى﴿ ولم أدر ماحسابيه﴾. أى: لم أتق حسابى؛ لأنه لايرى لحسابه حاصلا، ويرى كل شىء عليه.

وقوله: ﴿ياليتها كانت القاضية﴾ أى: ياليت الميتة كانت قاضية أى: لم أحى بعدها، فقضت عَلَىَّ الفناء أبداً. وقيل: ياليتها أى: ياليتنى مت الآن.

وقوله: ﴿ما أغنى عنى ماليه﴾ أى: مالى.

وقوله: ﴿هلك عنى سلطانيه﴾ أى: بطلت حُجتى، ولم يسمع عذرى، وإنما لايسمع لأنه لاعذر له. وسمى السلطان سلطانا؛ لأنه يقام عنده الحجج، أو لأنه حجة على الخلق ليقيموا أمورهم. قال قتادة: ليس هو أن يلى قرية فيجيبها، ولكنه أراد به سلطانه على نفسه، حيث ضيّع ماجعله الله له، وارتكب المعاصى، وضيّع الأوامر.

خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لا يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾ فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾

قوله تعالى: ﴿خذوه فغلوه﴾ هو من غل اليد إلى العنق. وقيل: يشد قدمه برقبته، ثم يجر على وجهه.

وقوله: ﴿ثم الجحيم صلوه﴾ أى: اشوه.

وقوله: ﴿ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعًا﴾ قال نوف البكالى: كل ذراع سبعون باعًا، وكل باع من هاهنا إلى مكة، وكان بالكوفة يومئذٍ.

وروى نحوًا من ذلك عن سعيد بن جبير.

وقوله: ﴿فاسلكوه﴾ فى التفسير: أنها تدخل فى فيه حتى تخرج من دبره، فهو معنى قوله: ﴿فاسلكوه﴾.

وقوله: ﴿إنه كان لايؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين﴾ أى: لايحث. قال الحسن: أدركت أقوامًا يعزمون على أهليهم إذا خرجوا أن لايردوا سائلا، وأدركت أقوامًا كان الواحد منهم يخلف أخاه فى أهله أربعين عامًا.

وقوله: ﴿فليس له اليوم هاهنا حميم﴾ أى: قريب.

وقوله: ﴿ولا طعام إلا من غسلين﴾ الغسلين: صديد أهل النار. وعن الربيع بن أنس قال: هو شجرة تخرج طعامًا هو أخبث أطعمة أهل النار. وفى الخبر أن دلوًا من غسلين لو صب فى الدنيا لأنتن أهل الدنيا.

وقوله: ﴿لايأكله إلا الخاطئون﴾ أى: المشركون. ويقال: أهل المعصية.

وقوله تعالى: ﴿فلا أقسم بما تبصرون﴾ أى: أقسم، و «لا» صلة. وقيل معنى ﴿ومالا تبصرون﴾ أى: الملائكة. وفى التفسير: أن فى الآية ردا على المشركين

إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾

حيث قال بعضهم: إن محمداً ساحر، وهو وليد بن المغيرة ومن تبعه، وقال بعضهم: هو شاعر، وهو أبو جهل ومن تبعه، وقال بعضهم: هو كاهن، وهو عقبة بن أبى معيط ومن تبعه.

وقوله: ﴿إنه لقول رسول كريم﴾ أى: رسول كريم على الله. وقيل: إنه جبريل. وقيل: إنه محمد ﷺ. فإن قال قائل: كيف قال: ﴿إنه لقول رسول كريم﴾ وإنما هو قول الله تعالى؟

والجواب من وجهين: أحدهما: أن معناه تلاوة رسول كريم، والثانى: قول الله وإبلاغ رسول كريم، فاتسع فى الكلام واكتفى بالفحوى .

وقوله: ﴿وما هو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون﴾ أى: لاتؤمنون أصلا. يقول الرجل لغيره: قليلا ما تأتينى، أى: لاتأتينى أصلا.

وقوله: ﴿ولابقول كاهن﴾ الكاهن هو الذى يخبر عن الغيب كذبًا. وقيل: بظن وحدسٍ لا عن علم.

وقوله تعالى: ﴿قليلا ماتذكرون﴾ أى: لاتتعظون أصلا كما بينا.

وقوله: ﴿تنزيل من رب العالمين﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ولوتقول علينا بعض الأقاويل﴾ يعنى: أن محمداً لو تَقَوَّل علينا بعض الأقاويل، أى: قال مالم نقله.

وقوله: ﴿لأخذنا منه باليمين﴾ أى: بالقوة. أى: انتقمنا منه بقوتنا وقدرتنا، قاله مجاهد.

قال الشماخ:

ثم لقطعنا منه الوتين ﴿٤٦﴾ فما منكم من أحد عنه حاجزين ﴿٤٧﴾ وإنه لتذكرة للمتقين ﴿٤٨﴾ وإنا لنعلم أن منكم مكذبين ﴿٤٩﴾ وإنه لحسرة على الكافرين ﴿٥٠﴾ وإنه لحق اليقين ﴿٥١﴾ فسبح باسم ربك العظيم ﴿٥٢﴾

رأيت عرابة الأوسى يسمو ... إلى الخيرات منقطع القرين

إذا ماراية رفعت لمجد ... تلقاها [عرابة] باليمين

أى: بالقوة. وقال مؤرج: قوله: ﴿لأخذنا منه باليمين﴾(١) وعن ثعلب: بالحق. وهو مروى عن السدى أيضا. وعن الحسن. لأخذنا منه باليمين، أى: أذهبنا قوته. ويقال: «لأخذنا منه باليمين» هو مثل قول القائل: خذ بيمينه إذا فعل شيئا ـ أى: بالقوة ـ يستحق العقوبة.

وقوله: ﴿ثم لقطعنا منه الوتين﴾ أى: نياط القلب؛ فإذا انقطع لم يحى الإنسان بعده.

قال الشماخ أيضا مخاطبا لناقته:

إذا بلغتنى وحملت رحلى ... عرابة فاشرقى بديم الوتين

وقوله: ﴿فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾ يعنى. إنكم تنسبونه إلى الكذب على، ولو أخذته لم يقدر أحد منكم على دفعنا عنه.

وقوله: ﴿وإنه لتذكرة للمتقين﴾ أى: القرآن.

وقوله: ﴿وإنا لنعلم أن منكم مكذبين﴾ أى: بالقرآن وبالرسول .

وقوله: ﴿وإنه لحسرة على الكافرين﴾ أى: البعث حسرة على الكافرين.

وقوله: ﴿وإنه لحق اليقين﴾ أى: البعث محض اليقين وعين اليقين.

وقوله: ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ أى: نزه ربك العظيم، واذكره بأوصافه المحمودة اللائقة. وفيه دليل أن الاسم هو المسمى، ولافرق بينهما.

(١) سقط من «الأصل، وك» قول مؤرج.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢) ﴾

تفسير سورة المعارج

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿ سأل سائل بعذاب واقع ﴾ أى: واقع أى: دعا داع(١).

والآية نزلت فى النضر بن الحارث بن كلدة وأنه قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فنزلت هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿ بعذاب واقع ﴾ «الباء» صلة. ومعناه: دعا داع، والتمس ملتمس عذابا من الله تعالى.

وقوله: ﴿ واقع ﴾ أى: كائن حاصل فى حق الكافرين، وذلك يوم القيامة يقع بهم ذلك لامحالة. وقيل: هو فى الدنيا، وقد وقع ذلك بالنضر بن الحارث، حيث قتل صبراً يوم بدر. وهذا الذى ذكرنا معنى قول مجاهد وغيره.

والقول الثانى فى الآية: سأل سائل عن عذاب واقع، «فالباء» بمعنى «عن»، قاله الفراء وغيره. والمعنى: سأل سائل بمن يقع العذاب؟ وعلى من ينزل العذاب؟ فقال الله تعالى: ﴿ للكافرين ﴾ يعنى: على الكافرين. وقرئ فى الشاذ: «سال سائل» يقال: سال بمعنى سأل على الهمز. وقيل: سال سائل أى: واد فى جهنم يسيل على الكفار بالعذاب.

وقوله تعالى: ﴿ ليس له دافع ﴾ أى: لا يدفع العذاب عن الكافرين أحد، ولايمنعه منهم.

---

(١) يعنى أن السؤال بمعنى الدعاء، والمعنى: دعا داع بعذاب. القرطبى (١٨ / ٢٧٨).

مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾

وقوله: ﴿من الله ذى المعارج﴾ أى: ذى السموات، وسميت السموات معارج، لأن الملائكة يعرجون إليها. ويقال: ذى المعارج أى: ذى الفواضل. ويقال: ذى الدرجات على معنى إكرامه المؤمنين بالدرجات وإعطائها إياهم.

وقوله: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ قد بينا معنى الروح. وقيل: هم فى خلق السماء يشبهون الآدميين، وليسوا بآدميين.

وقوله: ﴿فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ قال ابن عباس: هو يوم القيامة، وهو أصح القولين. وروى الحسن مرسلا وأبو سعيد الخدرى مسنداً فى بعض الغرائب من الروايات: «أن الله تعالى يخففه على المؤمنين، فيجعله بقدر صلاة مكتوبة خفيفة»[١]. وفى بعض الآثار: «بقدر مابين الظهر إلى العصر»[٢]. وقال وهب بن منبه: من قرار الأرض إلى فوق العرش خمسين ألف سنة. وقيل معنى قوله: ﴿فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ يعنى: لو عمل عامل أو حاسب محاسب مايعمل الله تعالى فى ساعة أو فى يوم واحد، لم ينقطع إلى خمسين ألف سنة. وعن ابن عباس فى بعض الروايات أن قوله تعالى: ﴿فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ وقوله: ﴿فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾[٣] آيتان لايعلم معناهما إلا الله. ومثله عن قتادة.

---

(١) رواه أحمد (٣/٧٥)، وأبو يعلى (٢/٥٢٧ رقم ١٣٩٠)، وابن جرير (٢٩/٤٥)، وابن أبى الدنيا فى الأهوال (١٣١ رقم ١٠٣)، وابن حبان فى صحيحه (١٦/ ٣٢٩ رقم ٧٣٣٤)، وابن عدى (٣/١١٤). والبغوى فى تفسيره (٤/٣٩٢) جميعهم من طريق دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد. وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٣٤٠): رواه أحمد وأبو يعلى، وإسناده حسن على ضعف في راويه. وقال ابن كثير (٤/٤١٩): إلا أن دراجا وشيخه أبا الهيثم ضعيفان.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) السجدة: ٥.

فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ

وقوله: إن قوله: ﴿ألف سنة﴾ هو مسافة ما بين السماء والأرض صاعدا ونازلا.

وقوله: ﴿خمسين ألف سنة﴾ مسافة ما بين الأرض إلى العرش صاعدا. والله أعلم.

وقوله: ﴿فاصبر صبرًا جميلا﴾ أى: صبرا لا جزع فيه ولا شكوى. وعن قيس بن الحجاج فى قوله: ﴿فاصبر صبرًا جميلا﴾ قال: هو أن يكون صاحب المصيبة فى القوم ولا يُدْرَى من هو، وإنما أمره بالصبر؛ لأن المشركين كانوا يؤذونه، فأمره بالصبر إلى أن ينزل بهم عذابه.

وقوله: ﴿إنهم يرونه بعيداً﴾ أى: العذاب.

وقوله: ﴿ونراه قريبا﴾ لكونه ووقوعه لا محالة.

قوله تعالى: ﴿يوم تكون السماء كالمهل﴾ أى: كدُرْدى الزيت، ويقال: كعكر القطران. وعن ابن مسعود قال: هو المذاب من جواهر الأرض مثل النحاس والرصاص والفضة، فالكل مهل.

وقوله: ﴿وتكون الجبال كالعهن﴾ والعهن: الصوف المصبوغ، وشبهه به فى ضعفه ولينه.

وقوله: ﴿ولا يسأل حميم حميما﴾ أى: لا يسأل قريب عن حال قريبه لشغله بنفسه. وقرئ: «ولا يُسأل حميم حميما» أى: لا يُسأل أحد أين حميمك؟

وقوله: ﴿يبصرونهم﴾ أى: يعرفونهم. ومعناه: يعرف بعضهم بعضا، ولا يسأله عن حاله لشغله بنفسه. وقيل: يعرف بعضهم بعضا بالسمات والعلامات، فإن لأهل الجنة سمات وعلامات، وكذلك لأهل النار.

يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ

وقوله: ﴿يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذٍ ببنيه وصاحبته﴾ أى: امرأته.

﴿وأخيه﴾ هو الأخ المعروف.

وقوله: ﴿وفصيلته التى تؤويه﴾ أى: عشيرته التى يأوى إليهم، وقيل: أقربائه الأدنون. والفصيلة أحضر وأدنى من الفحل. ويقال: العباس هو من فصيلة الرسول.

وقوله: ﴿ومن فى الأرض جميعًا ثم ينجيه﴾ أى: لو يفتدى بمن فى الأرض جميعاً لينجو فلا ينجو.

وقوله: ﴿كلا﴾ هو ما بينا من المعنى. وعن عمر بن عبد الله مولى غفرة: أن كل ما جاء فى القرآن «كلا» هو بمعنى كذبت.

وقوله: ﴿إنها لظى﴾ اسم من أسماء جهنم. ويقال: «إنها لظى» عذاب لازم لا ينجو منها أبدا.

وقوله: ﴿نزاعة للشوى﴾ الأكثرون أن الشوى هو الأطراف مثل اليدين والرجلين وغير ذلك. وذكر الفراء أنها جلدة الرأس. وقيل: قحف الرأس. ويقال: الجلد واللحم حتى يبقى العظم. وقيل: الجلد واللحم والعظم إلى أن يصل إلى القلب، وهو نضيج، ذكره مجاهد.

وقوله: ﴿تدعو من أدبر وتولى﴾ أى: تُنادى من أدبر وتولى من الكفار فتقول: يا فلان وتذكر اسمه أقبل إلىَّ وتأخذه. وقال المبرد فى قوله: ﴿تدعو﴾ أى: تعذب. وروى عن النضر عن الخليل أنه سمع أعرابيا يقول لآخر: دعاك الله، أى: عذبك الله. وأما ثعلب فإنه قال: تناديهم واحداً واحداً بأسمائهم. وهو الأظهر.

وقوله: ﴿وجمع فأوعى﴾ أى: جمع المال فأوعاه، أى: جعله فى وعاء وأوكأ

﴿١٨﴾ إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ
الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلاَّ الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾
وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ

عليه، وهو كناية عن البخل ومنع الحق.

قوله تعالى: ﴿إن الإنسان خلق هلوعا﴾ أى: جزوعًا. قال ثعلب: سألنى محمد ابن عبد الله بن طاهر عن هذه الآية، فقلت: الهلع أسوأ الجزع. وقيل: هلوعًا: ضجراً. وعن الحسن: ضعيفًا. وقال الضحاك: بخيلاً. وعن غيرهم: حريصًا. ويقال تفسيره هو قوله: ﴿إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا﴾ أى: إذا مسه الشر لم يصبر، وإذا مسه الخير لم يشكر.

وقوله: ﴿إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون﴾ هذا الاستثناء منصرف إلى ابتداء الكلام، ومعناه: أن هؤلاء ينجون من العذاب.

وروى سفيان عن منصور عن إبراهيم قال: الآية فى الصلوات المكتوبة. وقيل: إدامتها هو إقامتها فى أوقاتها. ويقال: ليست إدامتها أن يصلى أبداً، ولكن إدامتها أنه إذا صلى لم يلتفت يمينا ولا شمالا. ويقال: إدامة الصلوات: ألا يتركها، وهذا قول حسن. وعن بعض السلف هو ألا يؤخرها عن المواقيت؛ فأما إذا تركها كفر.

وقوله: ﴿والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل﴾ وهو الطواف الذى يسأل (عن)[1] الناس.

وقوله: ﴿والمحروم﴾ هو الذى لا يسأل، ويقال: هو المُحارَف، وقيل: المحدود. وكلاهما بمعنى واحد. يقال: فلان مجدود، وفلان محدود، والمجدود الذى يوافقه الجَدُّ، والمحدود المحروم. قال ابن عمر: المحروم هو الكلب. وعن الشعبى قال: أعيانى أن أعرف معنى المحروم. وقيل: هو الفقير الذى لا شىء له.

وقوله: ﴿والذين يصدقون بيوم الدين﴾ أى: يؤمنون به.

(١) كذا، والأولى حذفها.

يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾

وقوله: ﴿والذين هم من عذاب ربهم مشفقون﴾ أى: خائفون.

وعن معاذ بن جبل قال: إذا كان يوم القيامة ينادى مناد أين الخائفون؟ فيحشرون فى كنف الرحمن لا يحتجب الله منهم. ذكره أبو الحسين بن فارس فى تفسيره. وفى الخبر المعروف أن النبى ﷺ قال حاكيا عن الله تعالى: «لا أجمع على عبدى خوفين ولا أمنين، فإذا خافنى فى الدنيا أمنته فى الآخرة، وإذا أمننى فى الدنيا خوفته فى الآخرة»(١).

قوله: ﴿إن عذاب ربهم غير مأمون﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين﴾ قال ابن عيينة: من لام أحداً فيما ملكت يمينه وإن كثر، أو لامه فى نسائه إذا بلغ الأربع، فقد عصى الله تعالى؛ لقوله تعالى: ﴿فإنهم غير ملومين﴾ وقال أيضا: من تزوج [بأربع](٢) نسوة، أو تسرى بمماليك، فلا خلل فى زهده فى

---

(١) رواه البزار (٢/٤٦٥ – ٤٦٦ رقم ٢٢٢٥ مختصر الزوائد)، وابن صاعد فى زوائده على الزهد لابن المبارك (٥١ رقم ١٥٨)، وابن حبان (٢٤٩٤ – الموارد)، والبيهقى فى الشعب (٣/٦٨ – ٦٩ رقم ٧٥٩). وفى الآداب (٣٣٣ رقم ١٠٠٥) عن أبى هريرة به. وقال الحافظ ابن حجر: صحيح.

ورواه ابن المبارك فى الزهد (٥٠ – ٥١ رقم ١٥٧)، والبزار (٢/٤٦٥ رقم ٢٢٢٤) عن الحسن مرسلا. وقد رجح الدارقطنى فى العلل (٨/٣٨ رقم ١٣٩٦) الرواية المرسلة.

(٢) فى «الأصل، وك»: بأربعة، والصواب ما أثبتناه.

وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾

الدنيا، فإن عليا- رضى الله- عنه قتل عن أربع عقائل[وتسع عشرة](١) سرية وكان أزهد الصحابة. وفى الآية دليل على تحريم المتعة. وسئلت عائشة عن المتعة فقالت: بينى وبينكم كتاب الله، وتلت هذه الآية. وسئل ابن عمر عن ذلك فقال: هو زنا. فقيل: إن فلانا يبيحها، فقال: أفلا ترمرم به فى زمان عمر، والله لو أخذه فيها لرجمه.

وقوله: ﴿فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾ هو دليل على مابينا. والعادى والمتعادى واحد.

وقوله: ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾ أى: حافظون. وقيل: أصل الأمانة أن كلمة التوحيد ائتمن الله تعالى المؤمنين عليها.

وقوله: ﴿والذين هم بشهادتهم قائمون﴾ وقرئ: «بشهاداتهم» إحداهما بمعنى الجمع، والأخرى بمعنى الوحدان. ومعنى ﴿قائمون﴾ أى: يؤدونها على وجهها.

وقوله: ﴿والذين هم على صلاتهم يحافظون﴾ قد بينا المعنى.

وقوله: ﴿أولئك فى جنات مكرمون﴾ أى: بساتين يكرمهم الله بأنواع النعم.

وقوله تعالى: ﴿فمال الذين كفروا قبلك مهطعين﴾ أى: مسرعين. قال أبو جعفر النحاس: والآية فى المعنى مشكلة، والمراد والله أعلم: فما للذين كفروا يسرعون إليك لاستماع القرآن، ثم يتفرقون بلا قبول له والإيمان به. وفى التفسير: أنهم كانوا يأتون ويجلسون حول النبى ﷺ وينظرون إليه نظر البغضاء والعداوة، ويستمعون القرآن استماع الاستهزاء والتكذيب.

وقوله: ﴿عن اليمين وعن الشمال عزين﴾ أى: متفرقين حلقا حلقا. وروى أن

(١) في «الأصل، وك»: وتسعة عشر، والصواب ما أثبتناه.

أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلاَّ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ

النبى ﷺ خرج إلى المسجد وأصحابه متفرقون كل جماعة فى موضع، فقال: «مالى أراكم عزين»(١). والسنة أن يجلسوا حلقة واحدة، أو بعضهم خلف بعض، ولايتفرقون فى الجلوس.

قوله تعالى: ﴿أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم﴾ قال المفسرون: لما ذكر الله تعالى الجنة للمؤمنين قال الكفار: ونحن أيضًا ندخل معكم؛ فأنزل الله تعالى: ﴿كلا﴾ أى: لايكون الأمر كما يُطمع ويُظَن.

وقوله: ﴿إنا خلقناهم مما يعلمون﴾ أى: من الأقذار والنجاسات. والمعنى: أنه ليس إدخال من يدخل الجنة بكونه مخلوقًا؛ لأنه خلق من شيء نجس قذر، فلا يستحق دخول الجنة، وإنما يُستحق دخول الجنة بالتقوى والدين.

ويقال: إنا خلقناهم من أجل ما [يعلمون](٢)،وهو عبادة الله والإيمان به

قال الشاعر:

أَأَزْمَعْتَ من آل لَيْلى ابتكارا وشطَّت على ذى هوى أن تُزارا

أى: من أجل آل ليلى.

وقيل: ﴿إنا خلقناهم مما يعلمون﴾ أى: ممن يعلمون. والقول الأصح هو الأول.

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٠٠ - ٢٠١ رقم ٤٣٠)، وأبو داود (٤/ ٢٥٨ رقم ٤٨٢٣، ٤٨٢٤)، وأحمد (٥/ ٩٣، ١٠١، ١٠٧)، والطبرانى فى الكبير (٢/ ٢٠٢ - ٢٠٤ رقم ١٨٢٣، ١٨٣٠، ١٨٣١)، والبيهقى فى السنن (٣/ ٢٣٤) عن جابر بن سمرة به

وله شاهد عن أبى هريرة، رواه الطبرى (٢٩/ ٥٤)، وابن حبان فى صحيحه (٤/ ٥٣٤ - ٥٣٥ رقم ١٦٥٤)

(٢) في «الأصل، وك»: يعلمون، والمثبت يقتضيه السياق.

وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

قوله تعالى: ﴿فلا أقسم برب المشارق والمغارب﴾ معناه: أقسم، وهو على مذهب العرب، وكانوا يقولون هكذا. وذكر هاهنا المشارق والمغارب؛ لأن الشمس فى كل يوم تشرق من مكان آخر غير ماكان فى اليوم الأول، وكذلك فى المغرب. وفى التفسير: أنها تطلع كل يوم من كوة أخرى، وتغرب فى كوة أخرى.

وقوله: ﴿إنا لقادرون على أن نبدل خيراً منهم﴾ أى: أطوع لله منهم، وأمثل منهم.

وقوله: ﴿وما نحن بمسبوقين﴾ أى: معاجزين، وقد بينا من قبل.

قوله تعالى: ﴿فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون﴾ هو يوم القيامة. وهو مذكور على طريق التهديد لا على طريق الإطلاق والإذن.

وقوله تعالى: ﴿يوم يخرجون من الأجداث سراعا﴾ أى: من القبور. والجَدَث: القبر، والأجداث الجمع.

وقوله: ﴿كأنهم إلى نَصَبٍ يوفضون﴾ أى: يخرجون سراعًا كأنهم إلى علم نصب لهم يسرعون، وقرئ: «نُصُبٍ يوفضون» بضم النون، والنُصُب والنَصَب بمعنى الأصنام، وقد كانوا يسرعون إلى أصنامهم إذا ذهبوا إليها، فيعظموها ويستلموها.

وقوله: ﴿خاشعة أبصارهم﴾ أى: ذليلة أبصارهم ﴿ترهقهم ذلة﴾ أى: مذلة.

وقوله: ﴿ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون﴾ أى: يقال لهم: هذا اليوم هو اليوم الذى وعدتم فى الدنيا. والله أعلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ
يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم

تفسير سورة نوح
عليه السلام
وهى مكية

وهو نوح بن لمك بن مُتَوَشْلخِ بن أخنوخ. وعن ابن عباس: أنه بعث وهو ابن أربعين سنة. وعن عوف بن أبى شداد: أنه بعث وهو ابن ثلثمائة وخمسين سنة. ويقال: سمى نوحًا؛ لأنه كان ينوح على نفسه. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿إنا أرسلنا نوحًا إلى قومه أن أنذر قومك﴾ معناه: بأن أنذر قومك إلا أنه حذف الباء. وفى قراءة ابن مسعود: ﴿أنذر قومك﴾ من غير «أنْ» ومعناه: وقلنا له أنذر قومك.

وقوله: ﴿من قبل أن يأتيهم عذاب أليم﴾ قيل: هو الغرق فى الدنيا.

وقيل: هو النار فى الآخرة.

قوله تعالى: ﴿قال ياقوم إنى لكم نذير مبين﴾ أى: بيِّن النذارة.

وقوله: ﴿أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون﴾ وهذا هو الذى بعث الله لأجله الرسل، فإن الله تعالى مابعث رسولا إلا ليعبدوه ويتقوه ويطيعوا رسوله.

وقوله: ﴿يغفر لكم من ذنوبكم﴾ أى: من ذنوبكم التى أوعدكم عليها العقوبة. وقد كانت لهم ذنوب أُخَر عفا الله عنها. وقال الفراء: «من» ليست هاهنا للتبعيض،

من ذنوبكم ويؤخركم إلىٰ أجل مسمى إنّ أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون ﴿٤﴾ قال رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا ﴿٥﴾ فلم يزدهم دعائي إلاّ فرارا ﴿٦﴾

ولكنها للتخصيص على معنى تخصيص الذنوب بالغفران.

وقوله: ﴿ويؤخركم إلى أجل مسمى﴾ أى: إلى الموت. فإن قيل: هذه الآية تدل على أنه يجوز أن يكون للإنسان أجلان، وأن العقوبة تقع قبل الأجل المضروب للموت.

والجواب من وجهين: أحدهما: أنه يجوز أن يقال: إن الأجل أجلان: أحدهما: إلى سنة أو سنتين إن عصوا الله، والآخر: إلى عشر سنين أو عشرين سنة إن أطاعوا الله فعلى هذا قوله تعالى: ﴿إن أجل الله إذا جاء لايؤخر﴾ أى: فى حالتى الطاعة والمعصية.

والوجه الثانى: أن الأجل واحد بكل حال.

وقوله ﴿ويؤخركم إلى أجل مسمى﴾ أى: يميتكم غير ميتة الاستئصال والعقوبة، وهو الموت الذى يكون بلاغرق ولاقتل ولاحرق. وقيل: يؤخركم إلى أجل مسمى، أى: عندكم، وهو الأجل الذى تعرفونه، وذلك موت من غير هذه الوجوه. وهذا القول أقرب إلى مذهب أهل السنة، فعلى هذا قوله: ﴿إن أجل الله إذا جاء لايؤخر﴾ هو الأجل المسمى المضروب لكل إنسان.

وقوله: ﴿لو كنتم تعلمون﴾ [أى](١): إن كنتم تعلمون.

قوله تعالى: ﴿قال رب إنى دعوت قومى ليلا ونهارا﴾ قال الفراء: أى: من كل وجه وفى كل زمان أمكنت فيه الدعوة من ليل أو نهار.

وقوله تعالى: ﴿فلم يزدهم دعائى إلا فرارا﴾ أى: فرارا من الإيمان.

---

(١) من «ك».

وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ

وقوله: ﴿وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم﴾أى: ليؤمنوا فتغفر لهم، فكنى بالمغفرة عن الإيمان؛ لأن الإيمان سبب المغفرة.

وقوله: ﴿جعلوا أصابعهم فى آذانهم﴾ يعنى: فعلوا ذلك لئلا يسمعوا.

وقوله: ﴿واستغشوا ثيابهم﴾ أى: تغطوا بثيابهم لئلا يروا نوحًا، ولايسمعوا كلامه، وذكر النحاس قولا آخر وقال: إن معنى قوله: ﴿واستغشوا ثيابهم﴾ أى: أظهروا العداوة. ويقال: لبس فلان ثياب العداوة على معنى إظهار العداوة.

وقوله: ﴿وأصروا﴾ قال (أبو عبيد)(١): [أى](٢): أقاموا عليه. والإصرار أن يفعل الفعل ثم لايندم. وفى بعض الغرائب من الآثار؛ «لاصغيرة مع الإصرار، ولاكبيرة مع الاستغفار»(٣).

وقوله: ﴿واستكبروا استكباراً﴾ أى: تكبروا تكبراً. وقد بينا أن الشرك وترك الإقرار بالتوحيد استكبار.

قوله تعالى: ﴿ثم إنى دعوتهم جهاراً ثم إنى أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً﴾ فإن قيل: أليس قد دخل هذا فى قوله تعالى: ﴿رب إنى دعوت قومى ليلا ونهاراً﴾؟ قلنا: يجوز أن يكون قال هذا على وجه التأكيد، والإعلان والجهر بمعنى واحد، وهو كلام بحيث يسمع الجماعة، وأن الإسرار هو أن يقوله مع الإنسان وحده فى خلوة.

والجواب الثانى: أن معنى قوله: ﴿إنى دعوت قومى ليلا ونهاراً﴾ إلى التوحيد، وأما قوله: ﴿ثم إنى دعوتهم جهاراً ثم إنى أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً﴾ هو دعاؤه إياهم إلى الاستغفار لما يتلوه من بعد، وهو قوله تعالى: ﴿فقلت استغفروا

(١) في «ك»: أبو عبيدة.

(٢) من «ك».

(٣) تقدم تخريجه.

لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾

ربكم إنه كان غفارا﴾. وقوله: ﴿يرسل السماء عليكم مدراراً﴾ أى: ليرسل. ومدراراً، أى: متتابعاً. والسماء: المطر. وقيل: هو المطر فى إبانه. وفى بعض الأخبار: إذا أراد الله بقوم خيراً أمطرهم فى وقت الزرع، وحبس عنهم فى وقت الحصاد، وإذا أراد بقوم سوءاً أمطرهم فى وقت الحصاد، وحبس فى وقت الزرع.

وروى الشعبى أن عمر- رضى الله عنه- خرج (مرة)[1] للاستسقاء فلم يزد على الاستغفار ثم نزل. فقيل له: ياأمير المؤمنين، إنك لم تستسق! فقال: لقد طلبت الغيث بمجاديح السماء التى يستنزل بها المطر، وتلا قوله تعالى: ﴿استغفروا ربكم إنه كان غفاراً﴾.

وقوله: ﴿ويمددكم بأموال وبنين﴾ قال قتادة: علم أن القوم أصحاب دنيا، فحركهم بها ليؤمنوا. وعن بعضهم: أن الله تعالى أعقم أرحام نسائهم أربعين سنة، وحبس عنهم المطر أربعين سنة، فهو معنى قول نوح: ﴿يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين﴾.

وقوله تعالى: ﴿ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً﴾ أى: بساتين وأنهاراً تجرى فيما بينها.

قوله تعالى: ﴿ما لكم لاترجون لله وقارا﴾ أى: تخافون لله عظمة وقدرة. وقال قطرب: مالكم لاتبالون من عظمة الله تعالى.

وقيل: وقاراً، أى: طاعة، ومعناه: مالكم لاترجون طاعة الله، أى: لا تستعملونها. والقول الأول هو المعروف، ذكره الفراء والزجاج وغيرهما، وقد يذكر الرجاء بمعنى الخوف؛ لأنه لايكون الرجاء إلا ومعه خوف الفوت.

---

(١) فى «ك»: يوما.

وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ

قال الشاعر:

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها وخالفها فى بيت نوب (عوامل)(١)

وقال آخر:

إذا أهل الكرامة أكرمونى فلا أرجو الهوان من اللئام

أى: لا أخاف.

وقوله ﴿وقد خلقكم أطوارا﴾ قال أبو عبيدة: الطور: الحال. وذكره ابن الأنبارى أيضاً.

قال الشاعر:

والمرء يخلق طورا بعد (أطوار)(٢)

ومعنى الحالات هاهنا: أنه خلقه نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظمًا ولحمًا إلى أن أتم خلقه.

قوله تعالى: ﴿ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿وجعل القمر فيهن نوراً﴾ فإن قال قائل: القمر إنما خلق فى سماء الدنيا، فكيف قال: ﴿فيهن نوراً﴾؟

والجواب من وجوه: أحدها: أنه يجوز فى لسان العرب أن (يقال)(٣): فيهن نوراً، وإن كان فى إحديهن، كالرجل يقول: توارى فلان فى دور فلان، وإن كان توارى فى إحديها. ويقول القائل: ونزلت على بنى تميم، وإن كان نزل عند بعضهم.

---

(١) أورده ابن جرير فى تفسيره (٢٩ / ٦٠) ونسبه لأبى ذؤيب ومثله فى لسان العرب (١٤ / ٣١٠) وفيهما: ... عواسل.

(٢) في «ك»: طور.

(٣) فى «ك»: يقول.

فيهنَّ نُوراً وجعلَ الشَّمْسَ سراجاً ﴿١٦﴾ واللَّهُ أنْبتكُم مّنَ الأَرْضِ نباتاً ﴿١٧﴾ ثمَّ يُعيدُكُمْ فيهَا ويُخْرجُكُمْ إخْراجاً ﴿١٨﴾

والوجه الثانى : ماقاله عبد الله بن عمرو بن العاص أن وجه القمر إلى السموات السبع وقفاه إلى الأرض، وكذا قال فى الشمس، فعلى هذا قوله : ﴿ فيهن نورا ﴾ أى : نوره فيهن .

والوجه الثالث : أن السموات فى المعنى كشىء واحد ، فقال : ﴿ فيهن نورا ﴾ لهذا، وإن كان فى سماء واحد .

والوجه الرابع : أن معنى قوله : ﴿ فيهن نوراً ﴾ أى : معهن نورا .

قال امرؤ القيس :

وهل ينعمن من كان آخر عهده ثلاثين شهـــراً فى ثلاثة أحوال

أى : مع ثلاثة أحوال .

وقوله : ﴿ وجعل الشمس سراجاً ﴾ أى : فيهن، والمعنى مابينا . وعن عبد الله بن عمرو أيضا قال : ماخلق الله شيئاً أشد حرارة من الشمس، ولولا أن السماء تحول بين الأرض وبين ضوئها وإلا (لأحرقت)(١) كل شىء فى الأرض . وروى أنه سئل لماذا يبرد الزمان فى الشتاء، وبم يكون الحر فى الصيف؟ فقال : تكون الشمس فى الصيف فى السماء الدنيا، وفى الشتاء فى السماء السابعة .

قوله تعالى : ﴿ والله أنبتكم من الأرض نباتا ﴾ يجوز فى اللغة إنباتا ونباتا . وقيل : أنبتكم فنبتم نباتا .

وقوله : ﴿ ثم يعيدكم فيها ﴾ أى : بالموت .

وقوله : ﴿ ويخرجكم إخراجا ﴾ عند النشور .

قوله تعالى : ﴿ والله جعل لكم الأرض بساطا ﴾ أى : بسطها بسطاً .

---

(١) فى « ك » : لاحترقت .

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ
رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا
كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ

وقوله: ﴿لتسلكوا منها سبلا فجاجًا﴾ أى: طرقاً واسعة. والسبيل قد يذكر ويؤنث.

قال الشاعر:

تمنى رجال أن أموت وإن أمت فتلك سبيل لست فيها بأوحد

أى: بواحد.

وقوله: ﴿قال نوح رب إنهم عصونى واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلاخسارا﴾ يعنى: أن الضعفاء اتبعوا الأشراف والأكابر والرءوس من الكفار الذين لم تزدهم أموالهم وأولادهم إلاخسارا.

وقوله: ﴿ومكروا مكراً كباراً﴾ أى: كبيرا، وكبار فى اللغة أشد من الكبير.

وقوله: ﴿وقالوا لاتذرن آلهتكم﴾ أى: لا تذروا آلهتكم، ﴿ولاتذرن﴾ أى: ولاتذروا ﴿ودا ولاسواعًا ولايغوث ويعوق ونسراً﴾ هذه الأسماء أسماء أصنامهم التى كانوا يعبدونها. وفى التفسير: أن وداً كانت لكلب، والسواع كانت لهذيل، ويغوث كانت لبنى غطيف بن دارم، ويعوق كانت لهمدان، ونسرا كانت لحمير، وقد قيل على خلاف هذا. وكانت بقية هذه الأصنام لهم من زمان نوح قد غرقت، فاستخرجها لهم إبليس حتى عبدوها. وعن أبى عثمان النهدى قال: كانت يغوث من رصاص رأيته، وكانوا يحملونه على جمل أَجْرَد إذا سافروا ولايهيجون الجمل ويجعلونه قدامهم، فإذا برك فى موضع نزلوا، وقالوا: رضى ربكم المنزل.

وعن محمد بن كعب القرظى قال: هذه الأسماء أسماء قوم صالحين قبل نوح، فلما ماتوا زين الشيطان لأبنائهم ليتخذوا أشخاصًا على صورهم، فيكون نظرهم إليها حثاً لهم على العبادة، ثم إنهم عبدوها من بعد لما تطاول لهم الزمان.

وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿وقد أضلوا كثيراً﴾ أى: ضل كثير من الناس بسببهم.

وقوله: ﴿ولاتزد الظالمين إلا ضلالا﴾ دعا عليهم هذا الدعاء عقوبة لهم، وهو مثل دعاء موسى على قوم فرعون ﴿ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم﴾(١).

قوله تعالى ﴿مما خطيئاتهم﴾ أى: من خطيئاتهم، ﴿اغرقوا فادخلوا نارا﴾ يعنى: اغرقوا فى الدنيا، وادخلوا ناراً فى الآخرة. وقيل: هو فى القبر. وعن الحسن قال: البحر طبق جهنم. وقيل: البحر نار ثم نار.

وقوله: ﴿فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً﴾ أى: أحداً يمنعهم من عذاب الله.

قوله تعالى: ﴿وقال نوح رب لاتذر على الأرض من الكافرين ديارا﴾ أى: أحداً. وقيل: ديارًا أى: من ينزل دارًا، مأخوذ من الدار.

وقوله: ﴿إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولايلدوا إلا فاجرًا كفارًا﴾ وهذا على ما أخبره الله تعالى عنهم ﴿أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن﴾(٢) وعن مجاهد: أن الرجل منهم كان يأتى نوحًا فيضربه حتى يغشى عليه، فإذا أفاق قال: اللهم اغفر لقومى فإنهم لايعلمون. ثم إنه لما أخبر الله تعالى أنه لايؤمن أحد منهم دعا عليهم. وفى القصة: أن الرجل منهم كان يحمل ابنه على كتفه إليه ويقول: احذر هذا الشيخ المجنون، فإن أبى أحذرنى إياه كما حذرتك، ففعلوا كذلك حتى مضى سبعة قرون،

---

(١) يونس: ٨٨.

(٢) هود: ٣٦.

رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾

فروى أن آخر من جاءه منهم قال كذلك لابنه، فقال ذلك الصبى: أنزلنى فأنزله، فجعل يرميه بالحجر حتى شجه، فغضب حينئذٍ ودعا عليهم.

قوله تعالى: ﴿رب اغفر لى ولوالدى﴾ قرأ سعيد بن جبير: «لوالِدِى» وفى بعض القراءات: «لوالَدَىَّ».

وقوله: ﴿ولمن دخل بيتى مؤمنا﴾ أى: سفينتى. وقيل: صومعتى. وقيل: بيتى الذى أسكنه.

وقوله: ﴿وللمؤمنين﴾ أى: لكل المؤمنين والمؤمنات إلى يوم القيامة.

وقوله: ﴿ولاتزد الظالمين إلا تبارا﴾ أى: هلاكا.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ ﴾

تفسير سورة الجن

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿ قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن ﴾ سبب نزول هذه الآية ماروى سعيد بن جبير عن ابن عباس «أن النبى ﷺ انطلق فى نفر من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، فمر بالنخلة، وقد كان الشياطين منعوا من السماء، وأرسلت الشهب عليهم، فقالوا لقومهم: قد حيل بيننا وبين خبر السماء، فقالوا: إنما ذلك لأمر حدث فى الأرض. وروى أنهم قالوا ذلك لإبليس، وأن إبليس قال لهم: اضربوا فى مشارق الأرض ومغاربها لتعرفوا ما الأمر الذى حدث؟ فمر نفر منهم نحو تهامة فرأوا النبى ﷺ يصلى بأصحابه صلاة الفجر ببطن نخلة، وهو يقرأ القرآن، فقالوا: هذا هو الأمر الذى حدث، ورجعوا إلى قومهم وأخبروهم بذلك، وأنزل الله تعالى هذه الآية»(١) . وقد روى البخارى فى الصحيح نحوا (من رواية)(٢) ابن عباس. وذكر ابن جريج فى تفسيره عن أبى عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن ابن مسعود «أن النبى ﷺ انطلق إلى الجن ليقرأ عليهم القرآن ويدعوهم إلى الله، فقال لأصحابه: من يصحبنى منكم؟ وفى رواية: ليقم منكم رجل معى ليس فى قلبه حبة خردل من كبر. فسكت القوم. فقال ذلك ثانيا وثالثا، فقام عبدالله بن مسعود، قال ابن مسعود: فانطلقت مع رسول الله ﷺ قبل الحَجُون حتى دخلنا شعب أبى دُبٍّ، فقال: فخطَّ لى خطًّا فقال: لا تبرح هذا الخط، ونزل عليه الجن مثل الحَجَل. قال: فقرأ عليهم

(١) تقدم تخريجه.

(٢) في «الأصل، وك» : من هذا هذا هو رواية، والصواب ما أثبتناه.

القرآن وعلا صوته، فلصقوا بالأرض حتى لا أراهم» وفى رواية: أنهم قالوا له: «ما أنت؟ ما أنت؟ قال: نبى. قالوا: ومن يشهد لك؟ فقال: هذه الشجرة، قال: فدعا الشجرة فجاءت تجر عروقها، لها قعاقع، وشهدت الشجرة له بالنبوة، ثم عادت إلى مكانها»(١) وفى هذا الخبر: «أنهم سألوه الزاد فأعطاهم العظم والبعر، فكانوا يجدون العظم أوفر ما يكون لحما، والبعر علفا لدوابهم، ونهى الرسول ﷺ حينئذ الاستنجاء بالعظم والروث»(١). قال جماعة من أهل التفسير: أن أمر الجن كان مرتين، مرة بمكة ومرة ببطن نخلة، فالذى رواه ابن عباس هو الذى كان ببطن نخلة، والذى رواه ابن مسعود هو الذى كان بمكة، فأما الذى كان ببطن نخلة فإنهم مروا بالنبى ﷺ واستمعوا القرآن، وأما الذى كان بمكة فإن الرسول انطلق إليهم، وقرأ عليهم القرآن ودعاهم إلى الإيمان، فهذا هو الجمع بين الروايتين. وقد روى أن عبد الله بن مسعود رأى بالعراق قوما من الزُّط، فقال: أشبههم بالجن ليلة الجن. وفى رواية علقمة: أنه قال لعبد الله بن مسعود: هل كان منكم أحد مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: لا، ما شهده منا أحد، وساق خبرا ذكره مسلم فى كتابه.

وفى الباب اختلاف كثير فى الروايات، وأما ما ذكرناه هو المختصر منها، ويحتمل أن ابن مسعود كان مع رسول الله ﷺ ليلة الجن إلا أنه لم يكن معه عند خطاب الجن وقراءة القرآن عليهم؛ فإنه روى أنه قال: «خط رسول الله ﷺ لى خطا وقال: لا تبرح هذا الخط وانطلق فى الجبل، قال: فسمعت لغطا وصوتا عظيما، فأردت أن أذهب فى أثره، فذكرت قول رسول الله ﷺ: لا تبرح الخط فلم أذهب، فلما رجع ذكرت له ذلك، فقال لى: لو خرجت من الخط لم ترنى أبدا»(١).

قوله تعالى: ﴿قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن﴾ قال الفراء: النفر اسم لما بين الثلاثة إلى عشرة. وحكاه ابن السكيت أيضا عن ابن زيد. يقولون: عشرة نفر، ولايقولون: عشرون نفرا، ولا ثلاثون نفرا. وقد روى أنهم كانوا تسعة نفر، وذكروا أسماءهم، وقد بينا. وروى عاصم عن زر أنه كان فيهم زوبعة.

---

(١) تقدم تخريجه.

فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا

وقوله تعالى: ﴿فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا﴾ أى: عجبا فى نظمه وتأليفه وصحة معناه، ولايصح قوله: ﴿إنا سمعنا﴾ إلا بالكسر.

قوله: ﴿يهدى إلى الرشد﴾ أى: إلى الصواب وطريق الحق.

وقوله تعالى: ﴿فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا﴾ أى: لانجعل أحدا من خلقه شريكا له.

قوله تعالى: ﴿وأنه تعالى جد ربنا﴾ قرئ بالكسر وبالفتح، فمن قرأ بالكسر فهو أن الجن قالوا، ومن قرأ بالفتح فنصبه على معنى: آمنا وأنه تعالى جد ربنا، فانتصب بوقوع الإيمان عليه، والقراءة بالكسر أحسن القراءتين.

وقوله تعالى: ﴿جد ربنا﴾ أى: عظمة ربنا، هذا قول قتادة وغيره.

والجد: العظمة، وهو البخت أيضا، وهو أب الأب. وفى حديث أنس: كان الرجل منا إذا قرأ البقرة وآل عمران جَدَّ فينا، أى: عَظُم [فينا](١).

وقوله عليه الصلاة والسلام: «ولاينفع ذا الجَدِّ منك الجَدُّ»(٢) أى: لا ينفع ذا البخت منك بخته إذا أردت به سوءاً أو مكروها.

وعن الحسن قال: تعالى جد ربنا أى: غنى ربنا. وعن إبراهيم والسدى قالا: جد ربنا أى: أمر ربنا.

---

(١) من «ك».

(٢) رواه مسلم (٤/٢٥٨ - ٢٥٩ رقم ٤٧٧)، وأبو داود (١/٢٢٤ رقم ٨٤٧)، والنسائى (٢/١٩٨ - ١٩٩ رقم ١٠٦٨) وغيرهم من حديث أبى سعيد الخدرى به.

ورواه مسلم (٤/٢٦٠ - ٢٦١ رقم ٤٧٨)، وأبو عوانة (٢/١٧٦ - ١٧٧)، وابن حبان (٥/٢٣٢ رقم ١٩٠٦) وغيرهم من حديث ابن عباس مرفوعا به أيضا.

ما اتخَّذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّن

وقوله تعالى: ﴿ما اتخذ صاحبة ولا ولدا﴾ أى: زوجة وولدا.

قوله تعالى: ﴿وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا﴾ فيه قولان: أحدهما: أن السفيه هو إبليس عليه اللعنة، وهو قول مجاهد، والآخر: أنه كل عاص متمرد من الجن.

وقوله: ﴿شططا﴾ أى: كذبا. وقيل: جورا.

قوله تعالى: ﴿وأنا ظننا أن لن تَقُولَ الإنس والجن على الله كذبا﴾ وقرأ يعقوب: «أن لن تَقَوَّل الإنس والجن» أى: لن تقول، معناه ظاهر، كأنهم ظنوا أن كل من قال على الله شيئا فهو كما قال، وأنه لا (يجزى)[1] الكذب على الله

قوله تعالى: ﴿وأنه كان رجال من الإنس﴾ فإن قال قائل: قد قرئ هذا كله بالنصب، فما وجه النصب فيه؟ والجواب عنه: قد بينا وجه النصب فيما سبق، وباقى الآيات نصبت بحكم المجاورة والعطف، أو بتقدير آمنا أو ظننا أو شهدنا، والعرب قد تتبع الكلمة الكلمة فى الإعراب بنفس المجاورة والعطف مثل قولهم: جحر ضب خرب.

وقوله: ﴿يعوذون برجال من الجن﴾ فى التفسير: أن الرجل كان يسافر والقوم كانوا يسافرون، فإذا بلغوا مكانا قفرا من البرية وأمسوا قالوا: نعوذ بسيِّد هذا الوادى من سفهاء قومه. وحكى عن بعضهم - وهو السائب بن أبى كَرْدَم - أنه قال: انطلقت مع أبى فى سفر ومعنا قطعة من الغنم، فنزلنا واديا قال: فجاء ذئب وأخذ حملا من الغنم، فقام أبى وقال: يا عامر الوادى، نحن فى جوارك، فحين قال ذلك أرسل الذئب الحمل، فرجع الحمل إلى الغنم فلم تصبه كدمة. فإن قال قائل: كيف برجال من

(١) كذا، ولعلها: يجترئ.

الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا ﴿٦﴾ وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا ﴿٧﴾ وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا

الجن، والجن لايسمون رجالا؟ والجواب: قلنا يجوز على طريق المجاز، وقد ورد فى بعض أخبار العرب فى حكاية أن قوما من الجن قالوا: نحن أناس من الجن، فإذا جاز أن يسموا أناسا جاز أن يسموا رجالا.

وأما قوله: ﴿ فزادوهم رهقا ﴾ فيه قولان: أحدهما: إلا أن الإنس زادوا الجن رهقا أى: عظمة فى أنفسهم ،كأن الإنس لما استعاذوا بالجن ازدادوا الجن فى أنفسهم عظمة.

والقول الثانى: هو أن الإنس ازدادوا رهقا بالاستعاذة من الجن. ومعناه: طغيانا وإثما، كأن الإنس لما استعاذوا بالجن وأمنوا على أنفسهم ازدادوا كفرا، وظنوا أن أمنهم كان من الجن. وقيل: رهقا أى: غشيانا للمحارم. وقيل: مفارقة اللائم.

قال الأعشى:

لاشيء ينفعنى من دون رؤيتها   هل يشتفى عاشق مالم يصب رهقا

قوله تعالى: ﴿ وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا ﴾ فى الآية دليل على أنه كان فى الجن قوم لايؤمنون بالبعث كما فى الإنس.

قوله تعالى ﴿ وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا ﴾ أى: ملئت حرسا بالملائكة.

وقوله: ﴿ شهبا ﴾ جمع شهاب، وهو قطعة من النار، وقد ذكرنا من قبل صورة كيفية استراق الشياطين السمع من السماء، وأنهم كانوا يسمعون الكلمة فيضمون إليها عشرة ويلقونها إلى الكهنة، فلما كان فى زمان النبى ﷺ حرست السماء، ورمى الشياطين بالشهب. فإن قال قائل: لم يزل هذا الأمر معهودا قبل الرسول، وهو انقضاض الكواكب، وذكره شعراء الجاهلية فى أشعارهم، وقال بعضهم:

﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا
﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾

فانقضَّ كالدُّرِّى يتبعه نقْــعٌ (يثور)[١] تَخالُـه طُنُبــا

(قاله لاقوه إلا وروى)[٢]

وإذا كان هذا أمرا معهودا فى الجاهلية فما معنى تعليقه بنبوة محمد ﷺ، وعندكم أنه كان معجزة له وأساسا لنبوته؟ والجواب عنه من وجهين: أحدهما: أنه لم يكن هذا من قبل، وإنما حدث فى زمان نبوة الرسول ﷺ، والأشعار كلها منحولة على الجاهلية، أو قالوها بعد مولده حين قرب مبعثه. وذكر السدى: أن أول من تنبه للرمى بالشهب هو هذا الحى من ثقيف، فخافوا خوفا شديدا وظنوا أن القيامة قد قربت، فجعلوا يعتقون العبيد ويسيبون المواشى، فقال لهم ابن عبد ياليل: لاتعجلوا، وانظروا إلى النجوم المعروفة هل هى فى أماكنها؟ فقالوا: هى فى أماكنها. قال: فإن هذا لأمر هذا الرجل الذى خرج بمكة.

والجواب الثانى - وهو الأصح - أن الرمى بالشهب قد كان من قبل، ولكنه لما كان فى زمان الرسول كثر وقوى. قال معمر: قلت للزهرى: أكان الرمى بالشهب قبل الرسول فى الجاهلية؟ قال: نعم، ولكنه لما كان زمان الرسول كثر واشتد.

قوله تعالى: ﴿وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع﴾ أى: مقاعد للاستماع.

وقوله: ﴿فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا﴾ أى: يجد شهابا أرصد له [وهيء][٣] ليرمى به.

قوله تعالى: ﴿وأنا لاندرى أشر أريد بمن فى الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا﴾ أى: أريد بهم الصلاح فى ذلك أو الفساد أو الخير أو الشر.

---

(١) من تفسير القرطبى (١٩/١٣).

(٢) كذا! وهى عبارة غير مفهومة.

(٣) في «الأصل، وك»: وهن.

وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾

قوله تعالى: ﴿وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك﴾ أى: سوى ذلك. قال الحسن البصرى: فى الجن قدرية ومرجئة وروافض وخوراج، وغير ذلك من الفرق، وفيهم العاصى والمطيع والمصلح، وغير ذلك من المؤمن والكافر.

وقوله ﴿كنا طرائق قددا﴾ أى: ذا أهواء مختلفة. وقددا معناه: متفرقة. قال الشاعر:

القابض الباسط الهادى بطاعته ... فى فتنة الناس إذ أهواؤهم قِدَدُ

أى: متفرقة.

قوله تعالى: ﴿وأنا ظننا أن لن نعجز الله فى الأرض﴾ معنى الظن هاهنا: اليقين أى: أيقنا أن لن نعجزه فى الأرض أى: لن نفوته، ولايعجز عنا بأخذه إيانا.

وقوله: ﴿ولن نعجزه هربا﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به﴾ أى: بالهدى، والهدى هو القرآن لأنه يهدى الناس.

وقوله: ﴿فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا﴾ أى: نقصانا من حسناته ولازيادة فى سيئاته. وقيل: أى: ظلما.

قوله تعالى: ﴿وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون﴾ أى: الجائرون هم الكفار. يقال: أقسط إذا عدل، وقسط إذا جار. فمن أقسط مقسط، ومن قسط قاسط.

قال الفرزدق.

قومى هم قتلوا ابن هندٍ عنوةً ... عمْراً وهم قَسَطُوا على النعمانِ

وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا

أى: جاروا

وقوله: ﴿فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا﴾ أى: طلبوا الرشد (وتوخوا)[1] له. والمتحرى والمتوخى بمعنى واحد.

وقوله: ﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا﴾ أى: الكافرون، وهو فى معنى قوله تعالى: ﴿وقودها الناس والحجارة﴾[2].

قوله تعالى: ﴿وأن لو استقاموا على الطريقة﴾ فى الطريقة قولان: أحدهما: أنها الإيمان، وهذا قول مجاهد وقتادة وعكرمة وجماعة، وهو فى معنى قوله تعالى: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا﴾[3]. والقول الثانى: أن الطريقة ها هنا طريقة الكفر والضلالة، وهذا قول أبى مجلز لاحق بن حميد من التابعين، وهو قول الفراء وجماعة، وهو فى معنى قوله تعالى: ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة﴾[4] الآية. فجعل تماديهم فى الكفر سببا لتوسيع النعم عليهم، وكذلك قوله تعالى: ﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شىء﴾[5] الآية، ومعناه: أبواب كل شىء من الخيرات والنعم. قالوا: والقول الأول أولى؛ لأنه عرف الطريقة بالألف واللام، فينصرف إلى الطريقة المعروفة المعهودة شرعاً وهى الإيمان.

وقوله ﴿لأسقيناهم ماءً غدقا﴾ أى: كثيرا. تقول العرب: فرس غيداق إذا كان كثير الجرى واسعة. ومعناه: أكثرنا لهم المال والنعمة؛ لأن كثرة الماء سبب لكثرة المال.

وقوله: ﴿لنفتنهم فيه﴾ أى: لنبتليهم فيه، ونختبرهم فيه[6].

---

(١) فى «ك»: وتحروا.
(٢) البقرة: ٢٤، التحريم: ٦.
(٣) الأعراف: ٩٦.
(٤) الزخرف: ٣٣.
(٥) الأنعام: ٤٤.
(٦) فى «ك»: لنبتلينهم فيه ونختبرنهم فيه.

صعداً ﴿١٧﴾ وأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾

واستدل بهذا من قال: إن معنى الطريقة هو الكفر والضلالة؛ لأنه قال: ﴿ لنفتنهم فيه ﴾ وهذا لايلزم من قال بالقول الأول؛ لأن كثرة النعم فتنة للمؤمنين والكفرة جميعا.

وقوله: ﴿ ومن يعرض عن ذكر ربه ﴾ أى: عن الإيمان بربه ﴿ يسلكه عذابا صعدا ﴾ أى: شاقا. والعذاب الشاق هو النار، ومعناه: يدخله النار. ومنه قول عمر رضى الله عنه: ماتصعَّدنى شيء ماتصعدتنى خُطبة النكاح. أى: شقت. وعن ابن عباس: أن قوله: ﴿ صعدا ﴾ هو جبل فى جهنم. وقيل: هو صخرة من نار يكلف الصعود عليها، فإذا صعد عليها وقع فى الدرك الأسفل.

قوله تعالى: ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ﴾ اتفق القراء على فتح الألف فى هذه الآية، وعلة النصب أن معناه: ولأن المساجد لله، ثم حذفت اللام فانتصب الألف. وقيل: انتصبت لأن معناه: أوحى إلىَّ أن المساجد لله. وسبب نزول هذه الآية أن الجن قالوا للنبىﷺ: نحن نود أن نصلى معك، فكيف نفعل ونحن ناءون عنك؟ فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ وأن المساجد لله ﴾ ومعناه: أنكم أين صليتم فمقصودكم حاصل من عبادة الله تعالى، فلا تشركوا به أحدا، وهو معنى قوله: ﴿ فلا تدعوا مع الله أحدا ﴾ ويقال: هو ابتداء كلام. والمعنى: أن اليهود والنصارى يشركون فى البيع والصوامع، وكذلك المشركون فى عبادة الأصنام، فأنتم أيها المؤمنون اعلموا أن الصلوات والسجود والمساجد كلها لله، فلا تشركوا معه أحدا. وفى المساجد أقوال: أحدها: أنها بمعنى السجود، وهى جمع مسجد. يقال: سجدت سجوداً ومسجداً والمعنى: أن السجود لله يعنى: هو المستحق للسجود. والقول الثانى: أن المساجد هى المواضع المبنية للصلاة المهيأة لها، وهى جمع مسجد، ومعنى قوله: ﴿ لله ﴾ نفى الملك عنها، أو معناه: الأمر بإخلاص العبادة فيها لله. والقول الثالث: أن المساجد هى الأعضاء التى يسجد عليها الإنسان من جبهته ويديه وركبتيه وقدميه، والمعنى: أنه لاينبغى أن يسجد على هذه الأعضاء إلا لله.

وأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾

وقد روى ابن عباس عن النبى ﷺ أنه قال: «أمرت أن أسجد على سبعة أعظم، وألا أكف ثوبا ولاشعرا»(١).

قوله تعالى: ﴿وأنه لما قام عبد الله﴾ فمن قرأ بالكسر ينصرف إلى قول الجن، ومعناه: قال الجن: ﴿وإنه﴾ وقيل: ينصرف إلى قول الله أى: قال الله تعالى: وإنه لما قام عبد الله ومن قرأ بالفتح معناه: أوحى إلى أنه لما قام عبد الله. فعلى القول الأول قوله: ﴿كادوا يكونون عليه لبدا﴾ ينصرف إلى أصحاب النبى ﷺ، وعبد الله هو الرسول ﷺ، والمعنى: أن الجن لما رأو النبى ﷺ وأصحابه خلفه وشاهدوا طواعيتهم له قالوا: كادوا يكونون عليه لبدا أى: يركب بعضهم بعضا من الطواعية. وعلى القول الثانى المعنى: هو أن الله تعالى حكى عن الجن أن الرسول ﷺ لما قرأ القرآن عليهم - يعنى: على الجن - كادوا يكونون عليه لبدا أى: على الرسول- عليه الصلاة والسلام- أى: يركب بعضهم بعضا لحب الإصغاء إلى قراءته والاستماع إليها. ويقال: إن الرسول ﷺ كان صلى بهم وازدحموا عليه، وكاد يركب بعضهم بعضا. وفى بعض التفاسير: كادوا يسقطون عليه. وأما على قراءة الفتح قوله: ﴿كادوا يكونون عليه لبدا﴾ ينصرف إلى الجن أيضا، و(هو)(٢) أظهر القولين أن الانصراف إلى الجن. ومن اللبد قالوا: تلبَّد القوم إذا اجتمعوا، ومنه اللِّبْد، لأن بعضه على بعض. وقيل: كادوا يكونون عليه لبدا أى: تلبدت الجن والإنس واجتمعوا على أن يطفئوا نور الله لما قام الرسول ﷺ يدعوه أى: يدعو الله، وقرئ: «لبدا» أى: كثيرا. واللُّبَد أيضا اسم آخر نسر من نسور (نعمان)(٣) بن عاد، وكان عاش سبعمائة سنة. وقيل فى المثل: طال لُبَد على أمد.

قوله تعالى: ﴿قل إنما أدعو ربى﴾ وقرئ: «قال إنما أدعو ربى» فى التفسير: أن

(١) متفق عليه، رواه البخارى (٢/ ٣٤٤ - ٣٤٥ رقم ٨٠٩ وأطرافه: ٨١٠، ٨١٢، ٨١٥، ٨١٦)، ومسلم (٤/ ٢٧٥ - ٢٧٦ رقم ٤٩٠).

(٢) كذا، والأولي حذفها.

(٣) فيي تفسير القرطبى (١٩/ ٢٤-٢٥): لقمان.

قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢) إِلاَّ بَلاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

النضر بن الحارث قال للنبي ﷺ : إنك جئت بأمر عظيم، وخالفت دين آبائك، وأن العرب لا يوافقونك على هذا، فارجع إلى دين آبائك فأنزل الله تعالى قوله : ﴿ قل إنما أدعو ربى ﴾ أى : أوحد ربى ﴿ ولا أشرك به أحداً ﴾ أى : معه أحدا . ويقال : إن هذا قاله مع الجن، وهو نسق على ماتقدم .

قوله تعالى : ﴿ قل إنى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا ﴾ يعنى : لا أملك ذلك بنفسى، وإنما هو من الله تعالى وبعونه وتوفيقه .

قوله تعالى : ﴿ قل إنى لن يجيرنى من الله أحد ﴾ روى أن النضر بن الحارث قال له : ارجع إلى دين آبائك ولاتخف من أحد ، فإنا نجيرك ونمنعك، فأنزل الله تعالى : ﴿ قل إنى لن يجيرنى من الله أحد ﴾ أى : لن ينصرنى ويمنعنى من عذاب الله أحد . ويقال : إنه خطاب الجن نسقا على ماتقدم . وروى أبو الجوزاء عن ابن عباس : أن ابن مسعود خرج مع النبى ﷺ ليلة الجن، فازدحم الجن على النبى ﷺ وتعاووا عليه، فقال واحد منهم يقال له وَرْدان : يا محمد ، لا تخف فأنا أجيرك منهم، فأنزل الله تعالى : ﴿ قل إنى لن يجيرنى من الله أحد ﴾ .

وقوله : ﴿ ولن أجد من دونه ملتحدا ﴾ أى : ملجأ . وقيل : مهربا .ويقال : متعرجا .

وقوله : ﴿ إلا بلاغا من الله ﴾ أى : لا أملك شيئا من الضر والرشد إلا أن أبلغ رسالة ربى أى : ليس بيدى إلا هذا وهذا التبليغ . وقد قيل : ضرا ولا رشدا أى : لا أدفع عنكم ضرا، ولا أسوق إليكم خيرا، وليس بيدى إلا أن أبلغ رسالة ربى .

وقوله : ﴿ ومن يعص الله ورسوله فإن له نارجنهم خالدين فيها أبدا ﴾ أى : دائما .

قوله تعالى : ﴿ حتى إذا رأوا ما يوعدون ﴾ أى : القيامة، قاله سعيد بن جبير وغيره . وقيل : العذاب فى الدنيا، قاله قتادة وغيره .

فإنَّ لهُ نار جهنَّم خالدين فيها أبداً ﴿٢٣﴾ حتَّىٰ إذا رأوْا ما يُوعدُون فسيعْلمُون من أضْعفُ ناصراً وأقلُّ عدداً ﴿٢٤﴾ قُلْ إنْ أدْري أقريبٌ مَّا تُوعدُون أمْ يجْعلُ لهُ ربي أمداً ﴿٢٥﴾ عالمُ الغيْب فلا يُظْهرُ علىٰ غيْبه أحداً ﴿٢٦﴾ إلاَّ من ارْتضىٰ من رسُول فإنَّهُ يسْلُكُ من بيْن يديْه

وقوله: ﴿فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا﴾ أى: وأقل جندا وأعوانا. ويقال: معنى قوله: ﴿وأقل عددا﴾ أى: فى القيامة. وفى التفسير: أن الله تعالى يعطى المؤمنين من الأزواج والولدان والحور والقهارمة (و)(١) ومايكثر عددهم ويزيدوا على أهل بلدة كثيرة من بلاد الدنيا، فهو معنى قوله: ﴿فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا﴾ فإن المشركين كانوا يعيرون النبى ﷺ والمؤمنين بقلة الناصر وقلة العدد، فقال: ﴿فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا﴾ أى: فى القيامة، وإذا وصل كل أحد إلى مستقره.

قوله تعالى: ﴿قل إن أدرى أقريب ماتوعدون أم يجعل له ربى أمدا﴾ أى: مدة وغاية، والمعنى: لا أدرى أنه يعجل لكم العذاب أو يؤخره، ويعجل لكم مدة ومهلة. وقد روى أن المشركين كانوا يستعجلونه العذاب، ويقولون: إلى متى توعدنا العذاب؟ فأين العذاب؟ فأمره الله تعالى أن يكل ذلك إلى الله تعالى، وأن يقول: إنه بيد الله لابيدى.

قوله تعالى: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا﴾ أى: هو عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا ﴿إلا من ارتضى من رسول﴾ فإنه يطلعه على غيبه بما ينزله عليه من الآيات والبينات.

وقوله: ﴿فإنه يسلك من بين يديه﴾ أى: يجعل من بين يديه ﴿ومن خلفه رصدا﴾ أى: حَفَظة. وروى سفيان عن منصور عن إبراهيم قال: ملائكة يحرسونه. وفى التفسير: أن الله تعالى مابعث وحيا من السماء إلا ومعه ملائكة يحرسونه. فإن قال قائل: ومن ماذا يحفظونه ويحرسونه؟ والجواب: أن الحفظ والحراسة لخطر شأن

(١) كذا، والأولي حذفها.

ومنْ خَلْفه رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِيعلَم أن قدْ أبْلَغُوا رِسالاتِ ربِّهمْ وأحاط بما لديهم وأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾

الوحى ولتعظيمه فى النفوس، لابحكم الحاجة إلى الحراسة والحفظة. يقال: إن الحفظ والحراسة من المسترقين للسمع، لئلا يسرقوا شيئا من ذلك ويلقوه إلى الكهنة. وقد ورد فى الأخبار: «أن الله تعالى لما أنزل سورة الأنعام بعث معها سبعين ألف ملك يحرسونها»(١). وفى الآية دليل على أن من قال بالنجوم شيئا وادعى علما من الغيب بجهتها فهو كافر بالقرآن. وقد قال بعضهم: الطرق والجبت والكهان كلهم مضللون ودون الغيب أشاروا. وقد ورد فى الأخبار: «أن النبى ﷺ نهى عن النظر فى النجوم»(٢). والمعنى هو النظر فيها للقول بالغيب عنها، فأما النظر فيها للاهتداء أو للاعتبار أولمعرفة القبلة وما أشبه ذلك مطلق جائز.

وقوله تعالى: ﴿ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم﴾ وقرئ: «رسالة ربهم» وهى واحد الرسالات. واختلف القول فى قوله تعالى: ﴿ليعلم﴾ فأحد الأقوال هو أن معناه: ليعلم محمد أن الرسل الذين كانوا قبله قد أبلغوا رسالات ربهم على ماأنزل إليهم. والقول الثانى: أنه منصرف إلى الجن. وقرئ: «ليعلم الجن أن قد أبلغ الرسل رسالات ربهم على ما أنزل إليهم». والقول الثالث: ليعلم المؤمنون. والقول الرابع: ليعلم الله، أورده الزجاج وغيره. فإن قال قائل: مامعنى قوله: ليعلم الله، وهو عالم

(١) تقدم تخريجه فى تفسير سورة الأنعام.

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط (٧/١٣٦ رقم ٤١٩١ مجمع البحرين)، والعقيلى فى الضعفاء (٣/٣٥٣)، وابن عدى فى الكامل (٥/٢٧٨)، وابن حبان فى المجروحين (٢/١٩٩)، والخطيب فى تاريخه (٦/١٣٣ - ١٣٤) من حديث أبى هريرة مرفوعا.

واستنكره أبو حاتم الرازى فى الجرح والتعديل (٦/٣١٤)، وقال الهيثمى فى المجمع (٥/١١٩ - ١٢٠): رواه الطبرانى فى الأوسط، وفيه عقبة بن عبد الله الأصم، وهو ضعيف، وذكر عن أحمد أنه وثقه، وأنكر أبو حاتم عليه هذا الحديث.

وفى الباب عن على، وعائشة، والحسن بن على، انظر الدر (٣/ ٣٨ - ٣٩).

بالأشياء قبل كونها ووجودها؟ والجواب :أنا قد بينا الجواب فيما سبق في مواضع كثيرة . وقد قيل : ليعلم الله تعالى أن قد أبلغ الرسل رسالات ربهم شهادة ووجودا، وقد كان يعلم ذلك غيبا .

وقوله : ﴿وأحاط بما لديهم﴾ أي : أحاط علمه بما عندهم .

وقوله : ﴿وأحصى كل شيء عددا﴾ أي : وأحصى كل شيء معدوداً .ويقال : عد كل شيء عددا، وهذا على معنى أنه لايخفى على الله شيء كثير أو قليل، جليل أو دقيق . والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً (٢) ﴾

تفسير سورة المزمل

وهى مكية. وعند بعضهم هى مكية إلا قوله تعالى: ﴿إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل﴾ إلى آخر السورة.

قوله تعالى: ﴿يا أيها المزمل﴾ معناه: يا أيها المتزمل، أدغمت التاء فى الزاى، ومثله قوله تعالى: ﴿يا أيها المدثر﴾(١) أى: يا أيها المتدثر، أدغمت التاء فى الدال.

قال ابن عباس: لما تراءى له جبريل - صلوات الله عليه - فى ابتداء الوحى فرق منه فرقًا شديداً، فرجع إلى بيته وتزمل بثيابه؛ فأنزل الله تعالى قوله: ﴿يا أيها المزمل﴾ ثم إن جبريل - عليه السلام - أكثر المجئ إليه حتى أنس. قال إبراهيم النخعى: وكان متزملا فى قطيفة. وعن الضحاك فى قوله: ﴿يا أيها المزمل﴾ يا أيها النائم. وفى بعض الروايات أن جبريل - عليه السلام - جاء إليه وهو نائم، فقال: يا أيها المزمل - أى: النائم - قم، واتخذ لنفسك ظلا يوم لا ظل إلا ظله. وفى بعض التفاسير عن عكرمة: ﴿يا أيها المزمل﴾ يا أيها المتزمل بالنبوة. وهو غريب. وأنشد فى المزمل:

كأن ثبيراً فى عرانين وبلة … كبير أناس فى بجاد مُزَمَّلِ

وقرئ فى الشاذ: «يا أيها المُزَمَّل».

وقوله: ﴿قم الليل إلا قليلا﴾ أى: إلا شيئًا يسيراً منه.

قال الكلبى: هو الثلث، ومعناه: قم (ثلثى)(٢) الليل. وعن وهب بن منبه: إلا

---

(١) فى «ك»: ثلث.

(٢) المدثر: ١.

نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴿٤﴾

قليلا هو دون السدس.

وقوله: ﴿ نصفه ﴾ يدل على الليل أى: قم نصفه إلا قليلا. وقيل فى القليل على هذا القول: نصف السدس.

وقوله: ﴿ أو انقص منه قليلا ﴾ أى: من النصف إلى الثلث.

وقوله: ﴿ أو زد عليه ﴾ أى: زد على النصف إلى الثلثين. والمَعْنى من الآية: إيجاب القيام عليه مع توسيع الأمر فى المقدار. وذكر النقاش أن قوله: «نصفه» معناه: أو نصفه.

وقوله: ﴿ ورتل القرآن ترتيلا ﴾ أى: بيِّنه تبييناً. قال الضحاك: حرفًا حرفًا. وحقيقة الترتيل هو الترسل فى القراءة وإلقاء الحروف حقها من الإشباع بلا عجل ولا (هذرمة)[١]. وروى أبو جمرة عن ابن عباس قال: لأن أقرأ سورة البقرة أرتل ترتيلا أحب إلى من أن أقرأ جميع القرآن هذرمة.

وعن أنس أنه سئل عن قراءة النبى ﷺ فقال: «كان يمد مداً»[٢]. وفى الحكايات عن صدقة المقابرى أنه قال: قمت ليلة وقرأت أحدر حَدْرًا فرأيت فى المنام كأنى أزرع شعيراً، ثم رتلت فرأيت فى المنام كأنى أزرع حنطة، ثم حققت فرأيت فى المنام كأنى أزرع سمسماً.

وقد صح برواية سعد بن هشام أنه قال: قلت لعائشة رضى الله عنها: أخبرينى عن قيام رسول الله ﷺ بالليل. فقالت: ألست تقرأ سورة المزمل؟ قلت: نعم. قالت:

(١) وهى كثرة الكلام، ويقال: هو السرعة فى القراءة والكلام. لسان العرب ١٢ / ٦٠٦.

(٢) رواه البخارى (٨/ ٧٠٩ رقم ٥٠٤٥ وطرفه ٥٠٤٦)، وأبو داود (٢/ ٧٣ رقم ١٤٦٥)، والنسائى (٢/ ١٧٩ رقم ١٠١٤)، وابن ماجه (١/ ٤٣٠ رقم ١٣٥٣)، وأحمد (٣/ ١٣١، ١٩٢، ٢٨٩) وغيرهم.

إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا

«فرض الله تعالى قيام الليل على النبى ﷺ وأصحابه، فقاموا سنة حتى تورمت أقدامهم، ثم أنزل الله تعالى قوله: ﴿إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل﴾ فنسخ قيام الليل»(١). وفى هذا الخبر أنه أنزل أول السورة وأمسك خاتمتها سنة. وفى بعض الروايات: ستة عشر شهراً. وفى بعض الغرائب من الروايات: عشر سنين.

قوله تعالى: ﴿إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا﴾ قال الحسن: ثقيلا العمل به. وقال الزجاج: هو الصلاة والصيام وسائر الأوامر والنواهى، لا يفعلها الإنسان إلا بتكلف يثقل عليه. وعن قتادة قال: ثقيل و الله حدوده وفرائضه. وقيل: ثقيلا فى الميزان يوم القيامة، قاله الحسن فى إحدى الروايتين. وقال الفراء: هو قول ثقيل، أى: ليس بخفيف ولا بسفساف، وهو ثقيل، أى: له وزن بصحته وبيانه وتقشعه. يقال: هذا كلام رزين صين أى: ليس بقول لا معنى له.

قوله تعالى: ﴿إن ناشئة الليل﴾ روى عن ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وسعيد ابن جبير: أنه الليل كله. وعن ابن عمر وأنس: هو ما بين المغرب والعشاء. وعن الكسائى: أول الليل. وعن بعضهم: من صلاة العشاء الأخيرة إلى الصبح، قاله الحسن والحكم بن عتيبة.

وعن ابن الأعرابى: هو أن يستقيظ بعد أن ينام. وناشئة الليل: ساعات الليل، وحقيقته هى أن ساعات الناشئة من الليل، أى: التى ينشأ بعضها فى إثر بعض.

وقوله: ﴿هى أشد وَطْأً﴾ وقرئ: «وطاءً» أما قوله: ﴿وطأً﴾ قال الأخفش سعيد ابن مسعدة: أشد قياماً. والوطء فى اللغة هو الثقل. قال النبى ﷺ: «اشدد وطأتك على مُضَر»(٢). يقال: اشتد وطء السلطان فى بلد كذا، أى: ثقله. فعلى هذا معنى

(١) تقدم تخريجه فى تفسير سورة «ن»، وهو جزء من حديث: «كان خلقه القرآن».

(٢) تقدم تخريجه.

وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً ﴿٧﴾

قوله: ﴿أشد وطأ﴾ أى: ثقلا. والمعنى: أنه أثقل على البدن؛ لأنه وقت الراحة والسكون، فيكون القيام فيه أثقل، وإذا كان القيام أثقل فالثواب أعظم، فإن الجهد إذا كان أشد، والعمل أتعب، فالثواب أكبر، وهو المراد بالآية فى هذه القراءة. وأما القراءة الثانية أى: أشد مواطأة، ومعناه: موافقة بين السمع والبصر والقلب، وذلك لقلة الحركات وهَدْءِ الأصوات، فإن بالنهار تكون العين مشتغلة بالنظر، والأذن بالسمع، والقلب مشتغل بالتصرفات، فلا تقع الموافقة بالاستماع والتفهم. قال الفراء: ﴿أشد وطأ﴾ أى أجدر أن تحصوا مقادير قيامكم لفراغ قلوبكم.

وقوله: ﴿وأقوم قيلا﴾ قال الكلبى ومقاتل: أبين قولا. وعن أنس أنه قرأ قوله: ﴿أشد وطاء﴾ «أهيأ وطاء»(١) وهو قريب المعنى من الأول. وعن ابن مسعود أنه قال: ناشئة الليل هو جميع الليل بالحبشية، وهى معربة.

قوله تعالى: ﴿إن لك فى النهار سبحًا طويلا﴾ أى: فراغًا طويلا للاستراحة. وقال ابن قتيبة: سبحا طويلا، أى: تصرفًا وإقبالا وإدباراً فى أمورك. وقرأ يحيى بن يعمر «سبخا طويلا» بالخاء المعجمة. قال ثعلب: السبح هو الاضطراب، والسبخ هو السكون. ومنه قوله عليه الصلاة والسلام لعائشة– رضى الله عنها – فى السارق منها: «لا تستبخى برأيك عليه»(٢)، أى: لا تخففى.

(١) كذا فى «الأصل، وك»، فى الدر المنثور (٦/ ٣٠٨ – ٣٠٩) قال: وأخرج أبو يعلى وابن جرير ومحمد بن نصر وابن الأنبارى فى المصاحف، عن أنس بن مالك أنه قرأ هذه الآية: «إن ناشئة الليل هى أشد وطاء وأصوب قيلا». فقال له رجل: «إنا نقرؤها: «وأقوم قيلا»! فقال: إن أصوب وأقوم وأهيا، وأشباه هذا واحد.

(٢) رواه أبو داود (٢/ ٨٠ رقم ١٤٩٧، ٤/ ٢٧٨ رقم ٤٩٠٩)، وابن أبى شيبة (١٠/ ٣٤٨ رقم ٩٦٢٦) عن عائشة قالت: «سرقت ملحفة لها فجعلت تدعو على من سرقها، فجعل النبى ﷺ يقول: لا تسبخى عنه». قال أبو داود: لا تسبخى، أي: لا تخففى عنه. واللفظ لأبى داود.

وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴿٨﴾ رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً ﴿٩﴾ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي

وقوله: ﴿واذكر اسم ربك﴾ قال مقاتل: إذا قرأت فقل: بسم الله الرحمن الرحيم عند افتتاح السورة. وقيل: اذكر ربك.

وقوله: ﴿وتبتل إليه تبتيلا﴾ أى: انقطع إليه انقطاعا.

ومنه العذراء البتول لمريم، أى: المنقطعة إلى الله تعالى فى النسك.

وكذلك الزهراء البتول لفاطمة، أى: المنقطعة عن أقرانها فى الفضل، ومنه صدقة بتلة، أى: منقطعة خارجة من مال المتصدق بها.

وقيل ﴿وتبتل إليه تبتيلا﴾ أى: أخلص له إخلاصا. وذكر النقاش عن محمد بن على الباقر: أنه رفع اليدين فى الصلاة. وعن زيد بن أسلم: أنه رفض الدنيا، وطلب ما عند الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا﴾ قال الفراء: كفيلا. وقيل: إلها. وقيل: كل أمورك(١).

قوله تعالى: ﴿واصبروا على ما يقولون﴾ وهذا فى ابتداء الإسلام قبل نزول آية السيف، وكذلك قوله تعالى: ﴿واهجرهم هجرًا جميلا﴾ وقد نسخ بآية السيف. والهجر الجميل قيل: هو الذى لا جزع فيه.

قوله تعالى: ﴿وذرنى والمكذبين﴾ فإن قال قائل: أيش معنى قوله: ﴿وذرنى والمكذبين﴾ ولا حائل يحوله عنهم؟

والجواب: أن العرب تقول ذلك وإن لم يكن ثَمَّ حائل ولا مانع على ما بينا.

وقوله: ﴿أولى النعمة﴾ أى: التنعم. وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ قال: «إن

---

(١) يعنى: كفيلا فى كل أمورك.

والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلا ﴿١١﴾ إن لدينا أنكالا وجحيما ﴿١٢﴾ وطعاما ذا غصة وعذابا أليما ﴿١٣﴾

عباد الله ليسوا بمتنعمين»[١].

وقوله: ﴿ومهلهم قليلا﴾ أى: أمهلهم مدة قليلة. قالت عائشة رضى الله عنها: لم يكن بين نزول هذه الآية ووقعة بدر إلا شيئًا (يسيرا)[٢]. وقد قيل: إن الآية نزلت فى بنى المغيرة، وهو مغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. ويقال: إنها نزلت فى اثنى عشر رهطا من قريش، هم المطعمون يوم بدر.

قوله تعالى: ﴿إن لدينا أنكالا﴾ أى: قيودًا. وقالت الخنساء:

دعــاك فقطعــت أنكالــه ... ولولاك يا صخر لم تقطع

وقال أبو عمران الجونى: إن لدينا أنكالا أى: اللُّجُم من النار.

وقوله: ﴿وجحيما﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿وطعاما ذا غصة﴾ قال مجاهد: هو الزقوم، وقيل: هو شوك يحصل فى الحلق، فلا ينزل ولا يخرج. وقيل: هو الضريع.

وفى الحكايات أن الحسن البصرى طوى ثلاث ليال ولم يفطر، وكان كلما قدم إليه الطعام ذكر هذه الآية فيأمر برفعه، حتى أُكْره من بعد على شربة سويق. وقد ورد فى بعض الغرائب من الأخبار «أن النبى ﷺ قرئ عنده هذه الآية فصعق صعقة»[٣]،

---

(١) رواه أحمد (٥ / ٢٤٣)، وفى الزهد (٦)، وأبو نعيم فى الحلية (٥ / ١٥٥) عن معاذ بن جبل مرفوعا به. وقال المنذرى فى الترغيب (٣ / ١٤٢)، والهيثمى فى المجمع (١٠ / ٢٥٣): رواه أحمد، ورجاله ثقات. وقال الألبانى فى المشكاة (٢ / ٦٦٩ رقم ٥٢٦٢): إسناده جيد.

(٢) فى «ك»: قليلا.

(٣) رواه ابن عدى فى الكامل (٢ / ٤٣٦)، ومن طريقه البيهقى فى الشعب (٣ / ١٦٦ - ١٦٨ رقم ٨٨٩) عن حمران عن أبى حرب بن أبى الأسود مرسلا.
وروى عن حمران مرسلا أيضا، رواه أحمد فى الزهد (٢٧)، وابن جرير الطبرى (٢٩ / ٨٥)، وابن عدى فى الكامل (٢ / ٤٣٦). ورواه الواحدى فى تفسيره الوسيط بإسناده إلى حمران عن عبد الله بن عمر. وانظر تخريج الكشاف للزيلعى (٤ / ١١١).

يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً ﴿١٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾

وهو غريب جدا.

قوله: ﴿وعذابًا أليما﴾ أى: موجعا. وفى بعض الأخبار أن الله تعالى يحب النَّكل على النَّكل .أى: الرجل القوى المجرَّب على الفرس المجرب.

قوله تعالى: ﴿يوم ترجف الأرض والجبال﴾ أى: تتزلزل، ومنه الرجفة، أى: الزلزلة.

وقوله: ﴿وكانت الجبال كثيبا مهيلا﴾ أى: رملا سائلا.

ويقال: المهيل هو الذى إذا أخذ الطرف منه انهال الطرف الآخر.

قوله تعالى: ﴿إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدًا عليكم﴾ وهو محمد ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿كما أرسلنا إلى فرعون رسولا﴾ هو موسى صلوات الله عليه.

وقوله: ﴿فعصى فرعون الرسول﴾ أى: خرج عن أمره.

وقوله: ﴿فأخذناه أخذًا وبيلا﴾ أى: شديداً. يقال: طعام وبيل إذا أكله الإنسان فلم يستمرئه. وقيل وبيلا: ثقيلا.

قوله تعالى: ﴿فكيف تتقون إن كفرتم يوما﴾ أى: كيف تتقون [إن كفرتم من عذاب يوم ؟](١) ثم وصف اليوم فقال: ﴿يجعل الولدان شيبا﴾ وهذا على طريق كلام العرب فى ذكر شدة اليوم، فإنهم يقولون: هو يوم تشيب [فيه](١) النواصى، ويوم يبيض فيه القار. فالمراد من الآية هو الإخبار عن شدة الأمر. وفى التفسير: أنه يشيب فيه ولدان الكفار لا ولدان المؤمنين.

---

(١) من « ك ».

السَّماءُ مُنفطرٌ به كان وعدُهُ مفعُولاً ﴿١٨﴾ إنَّ هذه تذْكرةٌ فمن شاءَ اتَّخذ إلىٰ ربه سبيلاً ﴿١٩﴾ إنَّ ربَّك يعْلمُ أنَّك تقُومُ أدْنىٰ من ثُلُثي اللَّيْل ونصْفهُ وثُلُثهُ وطائفةٌ من

وقوله: ﴿السماء منفطر به﴾ قد ورد عن كثير من السلف أن قوله: ﴿منفطر به﴾ أى: بالله، وهو نزول يوم القيامة لفصل القضاء بلا كيف. وقيل: السماء منفطر به أى: فيه، يعنى أن السماء منشقة فى يوم القيامة. ذكره أبو جعفر النحاس، وذكر أنه أحسن المعانى.

وقوله: ﴿كان وعده مفعولا﴾ أى: متحققاً كائنًا لا محالة.

قوله تعالى: ﴿إن هذه تذكرة﴾ أى: السورة تذكرة عبرة عظة.

قوله: ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا﴾ أى: طريقا ووجهة إلى الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفَه﴾ وقرئ: «ونصْفِه» فمن قرأ بفتح الفاء نصبه على تفسير الأدنى، ومن قرأ بكسر الفاء، أى: أدنى من نصفه.

وقوله: ﴿وثلثه﴾ معطوف [على](١) النصف فى القراءتين.

وقوله: ﴿وطائفة من الذين معك﴾ قد بينا أن النبى ﷺ وأصحابه قاموا حولا حتى تورمت أقدامهم. وفى التفسير: أنهم كانوا يقومون جميع الليل مخافة أن ينقصوا من المقدار المفروض. واختلف القول فى أنه كان القيام مفروضًا على النبى ﷺ وجميع أصحابه أو على النبى وحده؟

ففى أحد القولين: أنه كان مفروضًا عليه وعلى جميع أصحابه.

وفى قول آخر: كان مفروضًا عليه وحده [ذكره](٢) أبو الحسن الماوردى، وذكر أيضا قولين فى أنه هل بقى عليه قيام الليل بعد النسخ؟

(١) من «ك» و فى «الأصل»: إلى.

(٢) فى «الأصل، ك»: وذكر.

الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ

فأحد القولين: أن النسخ كان في حق الصحابة، وأما في حقه بقي إلى أن توفاه الله تعالى.

والقول الثاني: أنه صار منسوخًا في حقه والصحابة جميعًا، وإنما بقي التنفل والتطوع به فحسب.

وقوله: ﴿والله يقدر الليل والنهار﴾ أي: لا يفوت عن علمه ساعات الليل والنهار، فيعلم ما يقومون من ذلك وما يتركون.

وقوله: ﴿علم أن لن تحصوه﴾ أي: لن [تطيقوه][(١)]. والمعنى: أنه يشق عليكم معرفة مقدار المفروض والقيام بالأمر، وذلك لأن الإنسان إذا نام ثم استيقظ لا يدرى كم نام وكم بقي من الليل، وقد كان الله تعالى فرض قيام الليل على مقدار معلوم، وهو لا ينقص من الثلث، ويبلغ الثلثين إن أراد.

وقوله: ﴿فتاب عليكم﴾ أي: نسخه عليكم ورفضه، ومعنى التوبة هو الرفع والعفو هاهنا.

وقوله: ﴿فاقرءوا ما تيسر من القرآن﴾ فيه قولان:

أحدهما: صلوا ما تيسر من (الصلاة)[(٢)]، وهذا على طريق النافلة والتطوع لا على طريق الفرض. وقال الحسن وقتادة: يجب قيام الليل ولو حلب شاة لهذه الآية. والأصح هو القول الأول؛ «لأنه قد ثبت أن النبي ﷺ جاءه أعرابي ثائر الرأس يسمع دوى صوته، ولا يفهم ما يقول... الخبر إلى أن قال: هل على غيرهن؟ قال: لا، إلا أن

---

(١) في «الأصل، ك»: تطيقونه، والمثبت هو الثواب.

(٢) في «ك»: الصلوات.

عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

تطوع»(١). فدل هذا الخبر أن قيام الليل ليس بمفروض، وفيه إجماع.

والقول الثانى :[أن](٢) قوله: ﴿فاقرءوا ما تيسر من القرآن﴾ أى: فاقرءوا فى الصلاة ما تيسر من القرآن من غير توقيف ولا تقدير. وهذا على قول الشافعى وعامة العلماء فيما وراء الفاتحة. وقد ذكر أبو [الحسن](٣) الدارقطنى فى كتابه بإسناده عن قيس بن أبى حازم أنه قال: صليت خلف ابن عباس فقرأ الفاتحة فى الركعة الأولى، وقرأ الآية الأولى من سورة البقرة، ثم قام فى الركعة الثانية وقرأ الفاتحة والآية الثانية من سورة البقرة، فلما فرغ قرأ قوله تعالى: ﴿فاقرءوا ما تيسر من القرآن﴾ يعنى: أنه الذى تيسر. قال على بن عمر وهو الدارقطنى: هو دليل على قول من يقول أن ما تيسر هو ما وراء الفاتحة.

وقوله: ﴿علم أن سيكون منكم مرضى﴾ أى: (ذوو)(٤) مرض.

قوله: ﴿وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله﴾ أى: التجار وسائر المسافرين.

وقوله: ﴿وآخرون يقاتلون فى سبيل الله﴾ أى: الغزاة. والكل بيان وجوه المشقة فى قيام الليل.

(١) متفق عليه من حديث طلحة، رواه البخارى (١/ ١٣٠ - ١٣١ رقم ٤٦ وأطرافه ١٨٩١، ٢٦٧٨، ٦٩٥٦)، ومسلم (١/ ٢٣٣ - ٢٣٦ رقم ١١).

(٢) في «الأصل، ك»: إلى.

(٣) فى «الأصل، وك»: الحسين، وهو سبق قلم، وهو أبو الحسن على بن عمر بن أحمد البغدادى الدارقطنى الإمام المشهور صاحب العلل والسنن وغيرهما. تاريخ بغداد (١٢/ ٣٢ - ٤٠)، والسير (١٦/ ٤٤٩ - ٤٦١).

(٤) في «ك»: ذو.

فَاقْرَءوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾.

وقوله: ﴿ فاقرءوا ما تيسر منه ﴾ معناه على ما بينا.

وقوله: ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ أى: الصلوات الخمس المفروضة، والزكاة المفروضة. وقيل بأن الزكاة هاهنا: زكاة الرءوس، وهى زكاة الفطر.

وقوله: ﴿ وأقرضوا الله قرضًا حسنا ﴾ قد ذكرنا من قبل.

وقيل: هو جميع النوافل ووجوه الصلاة. وقيل: هو قوله: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. ويقال: إنه النفقة على الأهل.

وقوله: ﴿ وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله ﴾ أى: ثوابه عند الله يوم القيامة.

وقوله: ﴿ هو خيراً وأعظم ﴾ نصبه على أنه مفعول ثان من تجدوه. وقيل: هو فصل كلام، ذكره الأزهرى.

وقوله: ﴿ وأعظم أجرًا ﴾ معطوف على الأول.

وقوله: ﴿ واستغفروا الله إن الله غفور رحيم ﴾ ظاهر المعنى والله أعلم.

تفسير ســورة المدثر

وهى مكية

وذكر جابر بن عبد الله أنها أول سورة أنزلت من القرآن.

وروى أن النبى ﷺ قال: «جاورت بحراء شهراً، فلما نزلت واستبطنت الوادى نوديت يا محمد، فنظرت من قدامى وخلفى ويمينى وشمالى فلم أر أحداً، فنوديت ثم نوديت ثم نوديت، فرفعت رأسى فإذا هو فى العرش فى الهواء. يعنى جبريل عليه السلام، فَجُئِثْتُ منه فَرَقًا، فرجعت إلى البيت وقلت: زمِّلونى دثِّرونى».

وفى رواية: «صبوا علىَّ ماءً بارداً، ثم جاءنى جبريل فقال: ﴿يا أيها المدثر قم فأنذر﴾»(١). ومن المعروف أن أول ما نزل من القرآن سورة اقرأ، ونبين من بعد ويمكن الجمع بين الروايتين فيقال: إن سورة اقرأ أول ما نزل من القرآن حين بدىء بالوحى، وسورة المدثر أول ما نزل بعد فتور الوحى، والله أعلم.

---

(١) متفق عليه بنحوه عن جابر، رواه البخارى (١/ ٣٧ رقم ٤، وأطرافه: ٣٢٣٨، ٤٩٢٢ - ٤٩٢٦، ٤٩٥٤، ٦٢١٤)، ومسلم (٢/ ٢٦٩ - ٢٧٣ رقم ١٦١).

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) ﴾

قوله تعالى ﴿ يا أيها المدثر ﴾ معناه: يا أيها المتدثر، مثل قوله: ﴿ يا أيها المزمل ﴾ أى: المتزمل. والفرق بين الشعار والدثار، أن الشعار هو الثوب الذى يلى جلد الإنسان، والدثار هو الثوب الذى فوق ذلك. وقد روى معمر عن الزهرى عن أبى سلمة عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحى، فقال فى حديثه: «بينما أنا أمشى سمعت صوتا من السماء، فرفعت رأسى، فإذا الملك الذى جاءنى بحراء [جالساً](١) على كرسى بين السماء والأرض، فجئثت منه رعبًا، فرجعت وقلت: زملونى دثرونى، فأنزل الله تعالى: ﴿ يا أيها المدثر ﴾، وهذا خبر متفق على صحته. قال رضى الله عنه: أخبرنا به أبو محمد عبد الله بن محمد ابن أحمد، أخبرنا أبو سهل عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار، أخبرنا أبو بكر محمد بن زكريا [العذافرى](٢)، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الدبرى أخبرنا عبد الرزاق عن معمر ... الخبر(٣).

قوله تعالى: ﴿ قم فأنذر ﴾ قال أبو الحسين بن فارس: القيام فى لغة العرب على وجهين: قيام جدٍ وعزم، وقيام انتصاب، فقيام الانتصاب معلوم، وقيام الجد والعزم فهو مثل قول الشاعر:

قد رضيناه فقم فسمه

قاله لبعض الخلفاء فى بعض ولاة العهد. وقال الضحاك: كان النبى ﷺ قائما فنزل

(١) في «الأصل ،وك» : جالس. والصواب ما أثبتناه.

(٢) فى «الأصل، وك»: الغذافرى بالغين المعجمة، والصواب بالعين المهملة كما فى الأنساب (٤ / ١٧١).

(٣) تقدم فى الذى قبله.

وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾

﴿يا أيها المدثر﴾ أى: النائم.

﴿قم فأنذر﴾ أى: قم من النوم وأنذر الناس.

وقوله: ﴿وربك فكبر﴾ أى: عظمه، ودخلت الفاء بمعنى جواب الجزاء. وقيل: ربك فكبر، أى قل: الله أكبر.

وقوله: ﴿وثيابك فطهر﴾ قال مجاهد وقتادة معناه: لا تلبسها على غدر وفجور. وقال السدى: وعملك فأصلح.

وقال الشاعر فى القول الأول:

وإنى بحمد الله لاثوب فاجر لبست ولامن غدرة أتقنع

وقال السدى: تقول العرب فلان نقى الثياب إذا كانت أعماله صالحة، وفلان دنس الثياب إذا كانت أعماله خبيثة. وقيل: «وثيابك فطهر» أى: قلبك فأصلح.

قال امرؤ القيس:

فإن يك قد ساءتك منى خليقة فسُلِّى ثيابى من ثيابك تنسُلِ

وقال طاوس: وثيابك فطهر، أى: قصر، فإن الثوب إذا طال انجر على الأرض فيصيبه ما ينجسه. وقال عمر فى رجل يجر ثيابه: قصِّر من ثيابك فإنه أنقى وأبقى وأتقى. وعن ابن سيرين فى قوله: ﴿وثيابك فطهر﴾ أى: [اغسلها](١) من النجاسات. وهو قول مختار عند الفقهاء. وذكر الزجاج أن التطهير هو التقصير على ما ذكرنا عن طاوس.

وقيل: ونساءك فأصلح، أى: تزوج المؤمنات العفيفات. وقد بينا أن اللباس يكنى

(١) من «ك». وفى «الأصل»: اغسلها.

﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ﴾

به عن النساء، فكذلك يجوز فى الثياب.

وقوله: ﴿ والرجز فاهجر ﴾ قال مجاهد وإبراهيم معناه: فاهجر، أى: ابعد، والقول الثانى: فى الأوثان فاهجر، وهو قول معروف.

وقد قرئ: «والرِجْزَ فاهجر» لهذا المعنى. وقال الفراء: الرِجْزَ والرُجْز بمعنى واحد. وقيل: الرجز هو الرجس، يعنى: اجتنب الرجاسات والنجاسات. وعلى هذا القول أبدلت السين بالزاى. ويقال: الرِجْزُ هو العذاب، والمعنى: اجتنب ما يؤدى إلى العذاب.

وقوله ﴿ ولا تمنن تستكثر ﴾ وقرأ ابن مسعود: «ولا تمنن أن تستكثر». قال الكسائى: سقطت «أن» فارتفع. وقال الحسن معناه: لا تمن بعطائك على أحد. وذكر الاستكثار لأنه إنما يمن إذا رآه كثيراً. والقول المعروف: لا تُعْط أحداً لتُعْطَى أكثر مما تُعْطى. قال إبراهيم: وهذا فى حق النبى ﷺ خاصة؛ لأن الله تعالى أمره بأشرف الآداب وأجل الأخلاق، فأما فى حق غيره فلا بأس به. رواه المغيرة بن مقسم الضبى عن إبراهيم. وقد حكى هذا الذى قلناه عن غير إبراهيم.

وقوله: ﴿ ولربك فاصبر ﴾ قال مجاهد: على ما أوذيت. وقيل: على الحق وإبلاغ الرسالة. وعن إبراهيم قال: ولربك فاصبر حتى تثاب على عملك. أورده النحاس عنه.

قوله تعالى ﴿ فإذا نقر فى الناقور ﴾ أى: الصور. ويقال: هو النفخة الأولى. ويقال: هو الثانية. وقد روى أن زرارة بن أبى أوفى كان يصلى بقوم فقرأ: ﴿ فإذا نقر فى الناقور ﴾ فخر مغشيا [عليه][1]. وقيل: إنه شبه البوق.

وقوله: ﴿ فذلك يومئذ يوم عسير ﴾ أى: شديد ﴿ على الكافرين غير يسير ﴾ أى:

(١) من «ك».

ذرْني ومنْ خلقْتُ وحيدًا ﴿١١﴾ وجعلْتُ لهُ مالا مّمْدودا ﴿١٢﴾ وبنين شُهُودًا ﴿١٣﴾

غير هين ولا لين.

قوله تعالى: ﴿ذرنى ومن خلقت وحيدا﴾ قوله: ﴿ذرنى﴾ معناه: دعنى. وقد بينا وجه ذلك.

وقوله: ﴿وحيدا﴾ فيه قولان: أحدهما: خلقته وحده لا مال له ولا ولد. والثانى: خلقته وحدى لم يشركنى فى خلقه غيرى، وهو الوليد بن المغيرة على قول أكثر المفسرين.

وقوله: ﴿وجعلت له مالا ممدودا﴾ فيه أقوال كثيرة: أحدها: أنه ألف دينار، قاله ابن عباس. وعن سفيان: أربعة آلاف دينار، وقال قتادة: ستة آلاف دينار. وعن مجاهد فى بعض الروايات: مائة ألف دينار. والقول الأول معروف؛ لأن الحساب يمتد إليه فيقطع. وعن عمر بن الخطاب: غلة شهر بشهر. وقد ورد أنه كان له بستان بالطائف لا ينقطع دخله شتاء ولا صيفا. ويقال: هو المال الذى يستوعب جميع وجوه المكاسب من التجارة والزرع والضرع وغير ذلك. وعن ابن عباس فى بعض الروايات: كانت له الإبل المؤبلة والخيل المسومة والأنعام من الإبل والبقر والغنم والذهب والفضة وغير ذلك.

قوله تعالى: ﴿وبنين شهودا﴾ فى التفسير: أنه كان له [عشرة](١) بنين، وقيل: ثلاثة عشر. وقيل: غير ذلك.

وقوله: ﴿شهودا﴾ أى: حضورا لا يغيبون عنه لحاجة أو لخوف. (رواه مسلم)(٢).

---

(١) فى «الأصل، ك»: عشر. والصواب ما أثبتناه.

(٢) كذا! وأظنها مقحمة.

﴿وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾

[و] من بنيه أسلم اثنان : خالد بن الوليد ، وهشام بن الوليد ، والباقون ماتوا فى الجاهلية .

وقوله : ﴿ ومهدت له تمهيدا ﴾ التمهيد هوالتهيئة والتوطئة . وقيل : وسعت عليه الأمر توسيعًا . (ويقال)(١) : بسطت له ما بين اليمن والشام . أى : فى التجارة . وقيل : التمهيد هو تيسير أسباب المعيشة ، كأنه كان يتيسر عليه كل ما كان يطلبه ويريده من أسبابها .

وقوله : ﴿ ثم يطمع أن أزيد ﴾ وروى أن النبى ﷺ لما ذكر ما أعد الله تعالى للمسلمين من نعيم الجنة ، قال الوليد بن المغيرة : أنا أيسركم وأكثركم بنين ، فأنا أحق بالجنة منكم ، فأنزل الله تعالى : ﴿ ثم يطمع أن أزيد كلا ﴾ أى : لا أزيد . وقيل هذا فى الدنيا ، وقد أعسر من بعد واحتاج .

وقوله : ﴿ إنه كان لآياتنا عنيدا ﴾ أى : معاندا . وقيل : جاحدًا .

وقوله : ﴿ سأرهقه صعودا ﴾ الإرهاق فى اللغة : هو حمل الرجل على (الشىء)(٢) .

وقوله : ﴿ صعودًا ﴾ روى أبو سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال : « هو جبل من نار يتصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى به كذلك فيه أبدًا »(٣) . ذكره أبو عيسى الترمذى فى كتابه ، وروى أنه صخرة من نار إذا وضع يده عليها ذابت ، وإذا رفعها عادت .

(١) فى « ك » : وقيل .

(٢) فى « ك » : المشى .

(٣) رواه الترمذى (٥ / ٣٩٩ – ٤٠٠ رقم ٣٣٢٦) وقال : غريب ، وأحمد (٣ / ٧٥) ، وأبو يعلى (٢ / ٥٢٣ رقم ١٣٨٣) ، وابن جرير (٢٩ / ٩٧) ، والحاكم (٢ / ٥٠٧) وصححه ، والبيهقى فى البعث (٢٦٧ رقم ٥٣٧) كلهم من طريق دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد به .

إنَّهُ فكَّرَ وقدَّرَ ﴿١٨﴾ فقُتِلَ كيْفَ قدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كيْفَ قدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نظر ﴿٢١﴾ ثُمَّ عبس وبسر ﴿٢٢﴾

قال الكلبي: يجر من قدامه بالسلاسل ويضرب من خلفه بالمقامع فإذا صعد عليها هوى هكذا أبداً. ويقال الصعود: العقبة الشاقة. وهذا القول قريب مما ذكرنا.

قوله تعالى: ﴿إنه فكر﴾ أي: تدبر.

وقوله: ﴿وقدر﴾ هو بمعنى التفكر أيضاً.

وقوله: ﴿فقتل كيف قدر﴾ أي: لعن كيف قدر. قال صاحب النظم معناه: لعن على أي حال قدر ما قدر.

وقوله ﴿ثم قتل كيف قدر﴾ على وجه التأكيد، ومعناه ما بينا.

وقوله ﴿ثم نظر﴾ أي: برأيه وعقله في أمر النبي ﷺ. وروى إسحاق [بن](١) إبراهيم الحنظلي في كتابه بإسناده عن مجاهد أن المشركين اجتمعوا عند الوليد بن المغيرة وقالوا: هذا الموسم يأتي ويقدم فيه الناس، ويسألوننا عن هذا الرجل، فإن سألونا نقول: إنه شاعر. فقال الوليد: إنهم يسمعون كلامه ويعلمون أنه ليس بشاعر. فقالوا: نقول: إنه مجنون: فقال: إنهم يسمعون حديثه فيعلمون أنه عاقل. فقالوا: نقول إنه كاهن. فقال: إنهم قد رأوا الكهنة فيعلمون أنه ليس بكاهن. قالوا: فماذا نقول؟ فحينئذٍ فكر وقدر ونظر.

وقوله تعالى: ﴿ثم عبس وبسر﴾ أي: قطَّب وجهه.

يقال للقاطب: وجهه باسر. وقيل: العبوس بعد المحاورة، والبسور قبل المحاورة. والأصح أنهما بمعنى واحد، وإنما قال ذلك؛ لأن الإنسان إذا أهمه الأمر، وجعل يتفكر فيه، ويؤتى بعبس وجهه كالمتكاره بشيء. ثم إن الوليد لما فعل جميع ما فعل للقوم [قال]:(١) قولوا: إنه ساحر؛ فإن الساحر يبغض بين المتحابين، ويحبب بين

(١) سقط من الناسخ.

ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ ﴿٢٨﴾

المتباغضين، وإن محمداً كذلك، فخرجوا واجتمعوا على هذا القول، وجعلوا يقولون لكل من يلقاهم: إنه ساحر، فهو معنى قوله تعالى: ﴿فقال إن هذا إلا سحر يؤثر﴾ أى: القرآن.

وقوله: ﴿يؤثر﴾ أى: يأثره عن غيره. كانوا يقولون: إنه يتعلم من غلام ابن الحضرمى، وقيل غيره.

وقوله: ﴿ثم أدبر واستكبر﴾ أى: تولى وتكبر.

قوله: ﴿إن هذا إلا قول البشر﴾ أى: القرآن قول البشر، ليس بقول الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿سأصليه سقر﴾ سأدخله، وسقر اسم من أسماء جهنم. قال ابن عباس: هو الدرك الخامس، والدركات سبع كلها فى القرآن: جهنم، لظى، والجحيم، وسقر، وسعير، والهاوية، والحطمة.

وقوله: ﴿وما أدراك ما سقر﴾ قاله تعظيما لأمر السقر.

وقوله: ﴿لا تبقى ولا تذر﴾ قال مجاهد: لا تبقى حيا فيستريح، ولا ميتا فيتخلص، وهو معنى قوله تعالى: ﴿لا يموت فيها ولا يحيى﴾(١).

ويقال: ﴿لا تبقى ولا تذر﴾ أى لا تبقى لحمًا ولا عظمًا ﴿ولا تذر﴾ أى: إذا أحرقت الكل لم تذر؛ لأنه يعود خلقًا جديدًا. وقيل: لا تبقى أحدًا من الكافرين، أى: تأخذ جميع الكافرين ولا تذرهم من العذاب وقتًا ما، أى: تحرقهم أبدًا. وفى بعض التفاسير: أن كل شيء يسأم ويمل سوى جهنم.

وقوله: ﴿لواحة للبشر﴾ أى محرقة. قال أبو رزين: تحرقهم حتى يصيروا سودًا

(١) الأعلى: ١٣.

لوّاحةٌ لّلْبشر ﴿٢٩﴾ عليْها تسْعة عشر ﴿٣٠﴾ وما جعلْنا أصْحاب النّار إلاّ ملائكة

كالليل المظلم. وقيل: لواحة للبشر أى: تحرق اللحم حتى تلوح العظم. ويقال معناه: أن بشرة أجسادهم تلوح على النار، حكى هذا عن مجاهد. وقيل: لواحة للبشر، أى: معطشة للبشر، قال الشاعر:

سقتنى على لوح من الماء شربة ... سقاها به الله الرباب والغواديا

وقوله: ﴿عليها تسعة عشر﴾ أى: من الزبانية وخزنة النار.

وفى التفسير: أن من منكب أحدهم إلى المنكب الآخر مسيرة سنة، ويأخذ بكفه مثل عدد ربيعة ومضر، ويدفع فى النار بدفعة واحدة سبعين ألفا. وقيل: تسعين ألفا، وأعينهم كالبرق الخاطف، وأسنانهم كصياص البقر. وذكر الكلبى أن لهم من الأعوان والجند ما لا يعلم عددهم إلا الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة﴾ سبب نزول هذه الآية أن النبى ﷺ لما أخبر بعدد الزبانية، وقال أبو جهل: أرى محمداً يوعدكم بتسعة عشر وأنتم الدهم، أفلا تقرنون معهم ليعمد كل عشرة منكم إلى واحد فيدفعه.

وقال أبو الأسد بن كلدة - وكان رجلاً من بنى جمح -: أنا أتقدمكم على الصراط، فأدفع عشرة بمنكبى الأيمن، وتسعة بمنكبى الأيسر، ونمرُّ إلى الجنة. وقال كلدة بن أسيد: أنا أكفيكم سبعة عشر، فاكفونى أنتم اثنين؛ فأنزل الله تعالى: ﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة﴾ أى: هؤلاء التسعة عشر من الملائكة، وكيف تطيقونهم؟ وروى أن المسلمين لما سمعوا منهم هذا قالوا: تقيسون الملائكة بالحدادين؟ أى: (السجانين)(١).

---

(١) فى «ك»: الشحانين. وهو خطأ. والحداد هو السجان. كما فى لسان العرب (٣ / ١٤٢). وأورد هذا الحديث.

وما جعلنا عدَّتهُمْ إلاَّ فتْنةً لِّلَّذين كفرُوا ليسْتيْقن الَّذين أُوتُوا الْكتاب ويزْداد الَّذين آمنُوا إيمانًا ولا يرْتاب الَّذين أُوتُوا الْكتاب والْمُؤْمنُون وليقُول الَّذين في قُلُوبِهم مَّرضٌ والْكافرُون ماذا أراد اللَّهُ بهذا مثلاً كذلك يُضلُّ اللَّهُ من يشاءُ ويهْدي من يشاءُ وما يعْلمُ جُنُود ربِّك إلاَّ هُو

وقوله تعالى: ﴿وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا﴾ أى: محنة وبلية حتى قالوا ما قالوا.

وقوله ﴿ليستيقن الذين أوتوا الكتاب﴾ أى: ليستيقن الذين أوتوا الكتاب أن محمداً ﷺ قال ما قال من الله تعالى؛ فإنه وافق هذا العدد الذين (وعدوا)[1] فى التوراة والإنجيل.

وقوله: ﴿ويزداد الذين آمنوا إيمانا﴾ أى: يزداد الذين آمنوا من أهل الكتاب إيمانًا. وقيل: يزداد جميع المؤمنون إيمانا إذا رأوا ما قاله النبى ﷺ موافقًا لما حكاه أهل الكتاب.

وقوله: ﴿ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون﴾ أى: لا يشكوا فى العدد إذا وجدوا التوراة والإنجيل والقرآن متفقة على هذا العدد.

وقوله: ﴿وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا﴾ أى: كيف ذكر الله هذا العدد وخص الزبانية به؟ وهو تفسير قوله تعالى: ﴿إلا فتنة للذين كفروا﴾.

وقوله: ﴿كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء﴾ يعنى: كما أضل الكفار بهذا العدد، وهدى المؤمنين لقبوله، كذلك يضل الله من يشاء، ويهدى من يشاء بما ينزل من القرآن.

وقوله تعالى: ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ روى أن الكفار لما سمعوا هذا العدد

(١) كذا فى «الأصل، وك»، ولعلها: عدوا.

وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلاَّ وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيراً لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾

قالوا: ما أقل هذا العدد؛ فأنزل الله تعالى: ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ أى: له من الجنود سوى هذا العدد ما لا يعلم عددها إلا هو.

وقوله: ﴿وما هى إلا ذكرى للبشر﴾ أى: هذه الآية عظة وعبرة للبشر.

قوله تعالى: ﴿كلا والقمر﴾ كلا: هو رد لما قالوا.

وقوله: ﴿والقمر﴾ ابتداء قسم.

وقوله: ﴿والليل إذ أدبر﴾ وقرئ: ﴿إذا دَبَر﴾ أى: تولى وذهب.

وقوله: ﴿إذ أدبر﴾ أى: إذا جاء خلف النهار.

وروى أن عبد الله بن عباس سئل عن قوله: ﴿والليل إذا دبر﴾ فقال للسائل: امكث. فلما أذن المؤذن للصبح قال: هذا حين دَبَرَ الليلُ. وقد أنكر بعضهم هذه القراءة. وقالوا: إذا دبر، إنما يقال فى ظهر البعير. والصحيح ما بينا، وهما قراءتان معروفتان. وقال الكسائى والفراء: دبر وأدبر بمعنى واحد.

وقوله: ﴿والصبح إذا أسفر﴾ أى: تبين وأضاء. يقال: سفرت المرأة عن وجهها، (وسفر)(١) الرجل بيته إذا كنسه حتى كشف عن تراب البيت.

وقوله: ﴿إنها لإحدى الكبر﴾ أى: القيامة لإحدى العظائم. ويقال: الكبر دركات جهنم. وقوله: ﴿إنها لإحدى الكبر﴾ أى: سقر إحدى دركات جهنم، فينصرف (إلى ما)(٢) ذكرنا.

وقوله: ﴿نذيراً للبشر﴾ أى: إنذاراً للبشر. وذكر النحاس أنه رجع إلى قوله:

---

(١) فى «ك»: وتسفر.

(٢) فى «ك»: لما.

لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا
أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ
فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾
وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ
﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾

﴿قم﴾ أى: قم نذيراً للبشر.

وقوله: ﴿لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر﴾ أى: يتقدم إلى الإيمان أو يتأخر عنه.

وقوله: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ أى: مرتهنة.

وقوله: ﴿إلا أصحاب اليمين﴾ فليسوا بمرتهنين؛ لأنه ليست لهم ذنوب. قال زاذان عن عليٍّ: هم ولدان المسلمين. وقيل: هم الأنبياء. وقيل: هم الذين يعطون الكتاب بأيمانهم. وقيل: هم الذين أخذوا من صلب آدم من الجانب الأيمن، وقال الله تعالى لهم: هؤلاء فى الجنة ولا أبالى. وعن ابن عباس: أنهم الملائكة.

وقوله: ﴿فى جنات﴾ أى: بساتين.

وقوله: ﴿يتساءلون عن المجرمين ما سلككم فى سقر﴾ أى: ما أدخلكم فى سقر، وإنما سألوا عن ذلك؛ لأنهم لم يعرفوا الذنوب، وهذا يصح إذا حملنا على الملائكة وولدان المسلمين، وأما إذا حملنا على غيرهم، فهو سؤال مع المعرفة، ويجوز أن يسأل الإنسان عن غيره مع معرفة حاله.

قوله تعالى: ﴿قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين﴾ قال قتادة: كلما غَوَى قوم غَوَينا معهم.

وقيل: كنا نخوض مع الخائضين فى أمر محمد، وننسبه إلى السحر والشعر وغير ذلك.

وقوله: ﴿وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين﴾ أى: الموت.

وقوله: ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ لأنهم كفرة، فلا يكون لهم شفيع ولو

فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿٥٥﴾

كان لم ينفعهم. وفى التفسير: أن هذا حين يخرج قوم من المؤمنين من النار بشفاعة الأنبياء والرسل والملائكة والعلماء والصديقين، وكل هذا مروى[فى](1) الأخبار، ويبقى الكفار فى النار على الخصوص.

وقوله: ﴿فما لهم عن التذكرة معرضين﴾ أى: العظة والعبرة.

وقوله: ﴿كأنهم حمر مستنفرة﴾ وقرئ: ﴿مستنفَرة﴾ بفتح الفاء. وقوله: ﴿مستنفرة﴾ نافرة.

وقوله: ﴿مستنفَرة﴾ أى: مذعورة.

وقوله: ﴿فرت من قسورة﴾ قال ابن عباس وأبو هريرة: هو الأسد. وقال ابن عباس: يقال بالعربية الأسد، وبالحبشية القسورة، وبالفارسية شير، وبالنبطية أريا. وعن أبى موسى الأشعرى فرت من قسورة: هم النقابون. وقيل: هم رماة النبل.

وقوله: ﴿بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منشرة﴾ روى أن الكفار قالوا: لا نؤمن بك يا محمد حتى تأتى كل واحد منا كتابا من الله أن آمن بمحمد فإنه رسولى.

وقوله: ﴿كلا﴾ أى: لا يؤتون هذه الصحف. وقيل: كلا أى: لو أوتوا هذه الصحف لم يؤمنوا.

وقوله: ﴿بل لا يخافون الآخرة﴾ أى: لو خافوا لم يطلبوا هذه الأشياء.

وقوله: ﴿كلا إنه تذكرة﴾ أى: القرآن عظة وعبرة.

وقوله: ﴿فمن شاء ذكره﴾ أى: اتعظ به واعتبر به، ثم رد المشيئة إلى نفسه فقال:

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

﴿ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾ ﴾

﴿ وما يذكرون إلا أن يشاء الله ﴾ أى: لا يعتبرون ولا يتعظون إلا بمشيئتى.

وقوله: ﴿ هو أهل التقوى وأهل المغفرة ﴾ أى: أهل أن أبقى خالداً فى الجنة من اتقى، ولم يجعل معى إلها. ﴿ وأهل المغفرة ﴾ أى: من اتقى ولم يجعل معى إلها فأنا أهل أن أغفر له. وفى هذا خبر مسند برواية أنس عن النبى ﷺ على نحو هذا المعنى ذكره أبو عيسى فى كتابه(١).

وعن محمد بن النضر بن الحارث فى هذه الآية أن قوله: ﴿ هو أهل التقوى وأهل المغفرة ﴾ المعنى: أنا أهل أن أتقى بترك الذنوب ﴿ وأهل المغفرة ﴾ أى: وأنا أهل أن أغفر للمذنبين إن لم يتقوا.

وذكر الأزهرى فى قوله: ﴿ بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منشرة ﴾ قولا آخر: هو أن المشركين قالوا: كانت بنو إسرائيل إذا أذنب الواحد منهم ذنباً ظهر ذنبه مكتوباً على باب داره، فما بالنا لا يكون لنا ذلك إن كنا مذنبين؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأخبر على هذا المعنى، وأخبر أنه لا يفعل ذلك لهذه الأمة، وأن ذلك كان مخصوصاً ببنى إسرائيل. والله أعلم.

---

(١) رواه الترمذى (٥/ ٤٠٠ - ٤٠١ رقم ٣٣٢٨) وقال: غريب، وسهيل ليس بالقوى فى الحديث، وقد تفرد بهذا الحديث، والنسائى فى الكبرى (٦/ ٥٠١ رقم ١١٦٣٠)، وابن ماجه (٢/ ١٤٣٧ رقم ٤٢٩٩)، وأحمد (٣/ ٢٤٣)، وأبو يعلى (٦/ ٦٦ رقم ٣٣١٧)، والدارمى (٢/ ٣٩٢ رقم ٢٧٢٤)، والعقيلى فى الضعفاء (٢/ ١٥٤)، وابن عدى فى الكامل (٣/ ٤٥٠)، والحاكم (٢/ ٥٠٨) وصححه، والخطيب فى تاريخه (٥/ ٥٢)، والبغوى فى تفسيره (٤/ ٤٢٠).

وفى الباب عن أبى هريرة، وابن عمر، وابن عباس، وانظر الدر (٦/ ٣١٨)، وتخريج الكشاف للزيلعى (٤/ ١٢٢).

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۝١ ﴾

تفسير سورة القيامة

وهى مكية

وعن عمر– رضى الله – عنه أنه قال: من أراد أن يشاهد القيامة فليقرأ سورة القيامة. وعن المغيرة بن شعبة أنه قال: يقولون القيامة ومن مات فقد قامت قيامته. أورد هذين الأثرين النقاش فى تفسيره.

قوله تعالى: ﴿ لا أقسم بيوم القيامة ﴾ قال سعيد بن جبير معناه: أقسم بيوم القيامة. وعنه أيضاً أنه سأل ابن عباس عن قوله: ﴿ لا أقسم بيوم القيامة ﴾ فقال: إن ربنا تعالى يقسم بما شاء من خلقه. واختلفوا فى قوله: «لا» على أقوال: أحد الأقوال: أنها صلة، أى: زائدة على ماهو مذهب كلام العرب، وأنكر الفراء هذا وقال: الصلة إنما تكون فى أثناء الكلام، فأما فى ابتداء الكلام فلا، ومعنى قوله: ﴿ لا ﴾ أى: ليس الأمر كما يزعمون أن لا بعث ولا جنة ولا نار، ثم ابتدأ بقوله: ﴿ أقسم ﴾ وأجاب من قال بالقول الأول أن القرآن كله متصل بعضه بالبعض فى المعنى، فيصلح أن تكون «لا» صلة فى هذا الموصل وإن كان (عند)[1] ابتداء السورة. والقول الثالث أن معنى قوله: ﴿ لا ﴾ على معنى التنبيه، كأنه قال: ألا فتنبه ثم أقسم، ومثله قول الشاعر:

ألا وأبيكِ ابنةَ العامرىِّ لا يَدَّعِى قومٌ أنى أفر

وقرأ ابن كثير: «لأقسم بيوم القيامة» وهى قراءة الحسن والأعرج. وأنكر النحويون

(١) فى «ك»: فى.

وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿٤﴾

من البصريين هذه القراءة وزعموا أنها لحن، وقالوا: لابد من دخول النون إذا كان على هذا الوجه، والصحيح هى القراءة المعروفة، وأكثر القراء على هذا.

وقوله: ﴿بيوم القيامة﴾ سميت القيامة؛ لأن الناس يقومون فى هذا اليوم للحساب وجزاء الأعمال.

وقوله: ﴿ولاأقسم بالنفس اللوامة﴾ أى: أقسم. وعن الحسن أنه قال: أقسم بيوم القيامة، ولم يقسم بالنفس اللوامة. والأصح أن القسم بهما. وفى اللوامة أقوال: أحدها: أنها الفاجرة تلام يوم القيامة، فمعنى اللوامة: الملومة هاهنا على هذا القول. والقول الثانى - وهو الأصح -: أنها المؤمنة تلوم نفسها على ماتفعل من المعاصى. قال مجاهد: المؤمن يلوم نفسه على المعاصى، والكافر يمضى قدما قدما فى المعاصى ولايفكر فيه. وفى التفسير: أنه مامن أحد إلا ويلوم نفسه يوم القيامة؛ إن كان محسنا يلوم ألا ازداد واستكثر من الإحسان، وإن كان مسيئا يلوم نفسه ألا أقلع عن الإساءة والمعاصى.

وقوله: ﴿أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه﴾ أى: لن نحيى عظامه (فنجمعها)(١) للإحياء بعد تفرقها.

وقوله: ﴿بلى﴾ هو جواب القسم، وعليه وقع القسم.

وقوله: ﴿قادرين﴾ أى: بلى لنجمعنكم قادرين. وقيل: بلى نقدر قادرين.

وقوله: ﴿على أن نسوى بنانه﴾ أى: على تسوية بنانه، وهى أطراف الأصابع، وفيها عظام صغار، وخصها بالذكر؛ لأنه تعالى إذا قدر على جمع العظام الصغار فعلى الكبار أقدر على جمعها وإحيائها. وعن قتادة فى قوله: ﴿على أن نسوى بنانه﴾ أن

(١) فى «ك»: فلن نجمعها.

بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾

نجعل أصابعه بمنزلة خف البعير وحافر الحمار، وهذا قول مشهور فى التفاسير.

قوله تعالى: ﴿بل يريد الإنسان ليفجر أمامه﴾ فى التفسير: أن معناه: يقدم الذنب ويؤخر التوبة. وهو بمعنى التسويف فى ترك المعاصى والتوبة إلى الله. وروى على بن أبى طلحة الوالبى عن ابن عباس أن معناه: هو التكذيب بالقيامة، والفجور هو الميل عن الحق، والكاذب مائل عن الصدق فهو فاجر. وحكى ابن قتيبه أن أعرابيًا جاء إلى عمر - رضى الله - عنه وقال: إن بعيرى قد دبر فاحملنى على بعير، فلم يحمله عمر، فولى الأعرابى وهو يقول:

أقسمَ باللهِ أبو حفصٍ عُمَرْ ... ما مسه من نَقَبٍ ولا دَبَـر

اغفر له اللهم إن كان فجر

أى: كذب.

قال مجاهد فى قوله تعالى: ﴿يفجر أمامه﴾ أى: يمضى أمامه راكبا هواه لايفكر فى ذنب، ولايتوب عن معصية.

قوله تعالى ﴿يسأل أيان يوم القيامة﴾ أى: متى يوم القيامة، وكانوا يقولون ذلك على وجه الاستهزاء، وهو دليل على صحة القول الذى ذكرناه عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿فإذا بَرِقَ البصر﴾ وقرئ: «بَرَقَ» بالفتح، فقوله: «بَرَقَ البصر» أى: شخص من الهول فلم يطرف. وقوله: «برق» أى: تحير وجزع، ويقال: غشيه مثل البرق.

وقوله: ﴿وخسف القمر﴾ أى: ذهب ضوءه. ومنه يقال: بئر منخسفة وغير منخسفة. وعن أبى حاتم محمد بن إدريس الرازى أنه قال: الكسوف أن يذهب بعض

وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلاَّ لا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾

الضوء، والخسوف أن يذهب جميع الضوء. وهو قول مروى عن غيره أيضًا.

وقوله: ﴿وجمع الشمس والقمر﴾ أى: فى الخسفة وإذهاب الضوء. قال ابن مسعود: يصيران كالبعيرين القرينين، ثم يلقيان فى النار فيصيران نارًا على الكفار، وهذا على معنى قوله. وعن مجاهد: وجمع الشمس والقمر أى: كور كلاهما.

وقوله: ﴿يقول الإنسان يومئذ أين المفر﴾ أى: أين المهرب؟ وقرئ: «أين المقر» أى: أين موضع القرار؟.

وقوله: ﴿كلا لا وزر﴾ أى: لا مهرب ولا فرار.

وأما قوله: ﴿لاوزر﴾ فيه أقوال: قال سعيد بن جبير: لا محيص. وقال عكرمة: لامنعة. وعن مجاهد: لا منجا. وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير، والضحاك: لاجبل. وهو قول مشهور، وقد كانت العرب إذا طرقتهم الخيل قالوا: الوزر الوزر، أى: الجبل الجبل.

قال الشاعر:

لعمرك ماللفتى من وزر ... إذا الموت يدركه والكبر

وهذا على المعنى المنجا.

وقوله: ﴿إلى ربك يومئذ المستقر﴾ أى: يظهر مستقر العباد فى الجنة أو النار.

وقوله: ﴿ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر﴾ قال ابن مسعود وابن عباس: بما قدم من طاعة فعمل بها، وأخر من (سنة)(١) سيئة، فعُمِلَ بها بعده. ويقال: ﴿بما قدم وأخر﴾ بأول عمله وآخره. وهو محكى عن مجاهد وإبراهيم. وقيل: ﴿بما قدم وأخر﴾

(١) ليست فى «ك».

بَلِ الإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾ لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾

أى: يلقى جزاء جميع أعماله من طاعة ومعصية. وعن زيد بن أسلم: بما قدم من المال للصدقة، وأخر من المال للورثة.

وقوله: ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة﴾ أى: شاهد، والمعنى: هو لزوم الحجة عليه كما يلزم بالشهادة، وما من أحد إلاوله من نفسه على نفسه حجة. وقيل: هو شهادة الجوارح عليه يوم القيامة. قال ابن عباس: تشهد عليه يداه ورجلاه وفرجه وغير ذلك. ودخلت التاء فى قوله: ﴿بصيرة﴾ للمبالغة مثل قولهم: علامة وراوية وما يشبهها.

وقوله: ﴿ولو ألقى معاذيره﴾ فيه قولان معروفان: أحدهما: ولو جاء بكل عذر، وأدلى بكل حجة أى: لايقبل منه ذلك؛ لأنه لاعذر له ولاحجة. والقول الثانى: أن قوله: ﴿ولو ألقى معاذيره﴾ أى: ستوره، واحدها معذار، قال الزجاج: وهو الستر. وقيل: هو لغة يمانية.

والمعنى: أنه وإن ستر جميع أعماله بالسُّتور، فإنما تظهر يوم القيامة ويجازى عليه.

قوله تعالى: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾ روى سفيان بن عيينة، عن موسى ابن أبى عائشة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس «أن النبى ﷺ كان إذا نزل عليه الوحى يحرك به لسانه يريد أن يحفظه فأنزل الله تعالى قوله: ﴿لاتحرك به لسانك لتعجل به﴾ قال: وحرك سعيد بن جبير شفتيه، وحرك ابن عباس شفتيه»(١). قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث أبو على الشافعى، أخبرنا أبو الحسن بن (فراس)(٢)، أخبرنا أبو جعفر الديبلى، أخبرنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومى عن ابن عيينة.. الحديث.

(١) متفق عليه، وقد تقدم تخريجه فى تفسير سورة «طه».

(٢) في «الأصل، وك». فارس، وهو تحريف، وقد سبق التنبيه عليه فى أكثر من موضع.

إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾ كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾

واختلف القول أن النبي ﷺ لماذا كان يحرك لسانه؟ فأحد القولين: أنه كان يحركه مخافة الانفلات لكيلا ينساه، وهو المعروف. والقول الثاني: أنه كان يحرك لسانه حبًّا للوحي، ذكره الضحاك.

وقوله: ﴿إن علينا جمعه وقرآنه﴾ أي: جمعه في صدرك. و«قرآنه» أي: نيسر قراءته عليك؛ فالقرآن هاهنا بمعنى القراءة.

وقال قتادة: إن علينا جمعه وقرآنه في صدرك وتأليفه على ما أنزلناه.

وقوله: ﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾ أي: إذا أنزلناه فاستمع له.

ويقال: إذا قرأه جبريل عليك فاتبع قرآنه، وقيل: فاتبع قرآنه أي: فاتبع القرآن بالعمل به في الحلال والحرام والأمر والنهي.

وقوله: ﴿ثم إن علينا بيانه﴾ أي: علينا أن نجمعه في صدرك لتبينه للناس وتقرأه عليهم، وهو مذكور بمعنى تيسير الحفظ عليه وتسهيله بمعونه: الله تعالى، وقد كان يلقى من الحفظ شدة قبل ذلك، فلما أنزل الله تعالى هذه الآية كان إذا قرأ عليه جبريل أطرق، فإذا ذهب قرأ كما أنزل.

قوله تعالى: ﴿كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة﴾ هي خطاب للكفار؛ لأنهم كانوا يعملون للدنيا ولايعملون للآخرة، فهذا هو معنى الآية.

وقوله: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ قوله: ﴿ناضرة﴾ بالضاد أي: مسرورة طلقة هشة بشة. والنضرة: هي النعمة والبهجة في اللغة.

وقوله: ﴿إلى ربها ناظرة﴾ هو النظر إلى الله تعالى بالأعين، وهو ثابت للمؤمنين في الجنة بوعد الله تعالى وبخبر الرسول ﷺ.

قال رضى الله عنه: أخبرنا أبو الحسن بن النقور، أخبرنا أبو القاسم بن حبابة، أخبرنا البغوى، أخبرنا هدبة [بن](١) خالد عن حماد بن سلمة عن ثابت البنانى عن عبدالرحمن بن أبى ليلى عن صهيب عن النبى ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فماأعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى الله تعالى»(٢). قال رضى الله عنه: أخبرنا أبو على الشافعى بمكة، أخبرنا أبو الحسن بن فراس بإسناده عن إسرائيل عن ثوير بن أبى فاختة عن ابن عمر - رضى الله عنهما - أن النبى ﷺ قال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر فى ملكه ألف سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه، وإن أفضلهم منزلة لمن ينظر إلى الله تعالى كل يوم مرتين». وفى رواية: «غدوة وعشيا، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾»(٣).

---

(١) فى «الأصل، وك»: بنت، وهو تحريف، وهو هدبة بن خالد بن الأسود القيسى أبو خالد البصرى. يروى عن حماد بن سلمة كما فى ترجمتيهما من تهذيب الكمال.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه الترمذى (٥/٤٠٢ رقم ٣٣٣٠) وقال: غريب، وأحمد (٢/١٣، ٦٤)، وعبد بن حميد (٢٦ رقم ٨١٩)، وأبو يعلى (١٠ / ٧٦ - ٧٧ رقم ٥٧١٢، ٥٧٢٩)، وابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (رقم ٩٦) فى السنة (رقم ٢٧٤، ٢٧٥)، والطبرى (٢٩/ ١٢٠)، وابن عدى فى الكامل (٢/١٠٦)، والآجرى فى الشريعة (٢٦٩)، والحاكم (٢/٥٠٩ - ٥١٠)، وأبو الشيخ فى العظمة (رقم ٦٠٦)، وأبو نعيم فى ا لحلية (٥/ ٨٧)، وفى صفة الجنة (رقم ٤٥١)، والبيهقى فى البعث (رقم ٤٧٧، ٤٧٨)، والبغوى فى تفسيره (٤/ ٤٢٤).

وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٤١٠): رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى، وفى أسانيدهم ثوير بن أبى فاختة، وهو مجمع على ضعفه. قلت: وبه أعله الذهبى فى تلخيصه على المستدرك.

﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾

والذى ذكرناه من النظر إلى الله هو قول عامة المفسرين، وهو مروى عن الحسن البصرى أيضا أنه حمل الآية على هذا، وذكره سائر الرواة. وحكى بعضهم عن مجاهد: إلى ثواب ربها ناظرة، وليس يصح؛ لأن العرب لاتطلق هذا اللفظ فى مثل هذا الموضع إلا والمراد منه النظر بالعين، ولعل القول المحكى عن مجاهد لا يثبت؛ لأنه لم يورده من يوثق بروايته.

وحمل بعضهم قوله: ﴿ ناظرة ﴾ أى: منتظرة، وهذا أيضا تأويل باطل؛ لأن العرب لاتصل قوله: «ناظرة» بكلمة «إلى» إلا بمعنى النظر بالعين، قال الشاعر:

نظرت إليها بالمُحصَّب من منىً ... ولى نَظَرٌ ولولا التَّحَرُّج عارِمُ

فأما إذا [أراد](١) الانتظار فانهم لايصلونها بإلى، قال الشاعر:

فإنكما إن تَنظُرانىَ ساعةً ... من الدهر تَنْفَعِنى لَدَى أمِّ جُنْدُبِ

أى: تنتظرانى، وعلى المعنى لايصح أيضا هذا التأويل؛ لأن الطلاقة والهشاشة والسرور إنما يكون بالوصول إلى المطلوب فأما مع الانتظار فلا، فإن فى الانتظار تنغصاً ومشقة.

وقوله: ﴿ ووجوه يومئذ باسرة ﴾ أى: كالحة عابسة.

وقوله: ﴿ تظن أن يفعل بها فاقرة ﴾ أى: تتيقن أن الذى يفعل بها فاقرة، والفاقرة هو الأمر الشديد الذى ينكسر معه فَقَار الظهر. وقيل: فاقرة: واهية، أو أمر عظيم.

قوله تعالى: ﴿ كلا إذا بلغت التراقى ﴾ المعنى: أنه ليس الأمر كما يظنون ويتوهمون، (ويستعملون)(٢) ذلك إذا بلغت النفس التراقى. والتراقى جمع تَرْقُوة،

(١) فى «الأصل، وك»: أرادت.

(٢) كذا! ولعلها وسيعلمون.

وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ﴿٣٣﴾

وهو مقدم الحلق المتصل بالصدر، وهو موضع الحشرجة، ذكره أبو عيسى.

وقوله: ﴿ وقيل من راق ﴾ أى: هل من طبيب يشفى ويداوى، قاله قتادة. وقيل معناه: أن الملائكة يقولون من يرقى بروحه أى: تصعد ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب.

وقوله: ﴿ وظن أنه الفراق ﴾ قرأ ابن عباس: «وأيقن أنه الفراق». وهو صحيح عنه، وهو المعنى.

وقوله: ﴿ والتفت الساق بالساق ﴾ أى: [اتصلت](1) شدة الدنيا بشدة الآخرة. وقيل: يجتمع عليه كرب الموت وهول المطلع. قال الضحاك: هو فى أمر عظيم، الناس يجهزون بدنه، والملائكة يجهزون روحه. وعن الحسن: «والتفت الساق بالساق» أى: فى الكفن، وهو الساق المعروف، وعلى القول الأول الساق بمعنى الشدة. وقد ذكرنا من قبل.

وقوله: ﴿ إلى ربك يومئذ المساق ﴾ أى: السوق، فإنه يساق إما إلى الجنة، وإما إلى النار بأمر الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿ فلا صدق ولا صلى ﴾ معناه: فلا صدق الكافر ولاصلى معناه: لم يصدق الكافر ولم يصل. قال المفسرون: نزلت الآية فى أبى جهل بن هشام.

قوله: ﴿ ولكن كذب وتولى ﴾ أى: كذب بآيات الله، وأعرض عن الحق.

وقوله: ﴿ ثم ذهب إلى أهله يتمطى ﴾ أى: يتبختر. ومشية المُطَيْطَاء هى مشية التبختر. وقيل: هو أن يولى مطاوه، والمطا الظهر. وفى بعض التفاسير: أنه مشية بنى مخزوم. وقيل: التمطى: هو التمدد من كسل أو مرض، فأما من المرض فهو غير مذموم، وأما من الكسل إذا كان تثاقلا عن الحق فهو مذموم.

(١) فى «الأصل، ك»: اتصل.

أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾

وقوله: ﴿ أولى لك فأولى ﴾ اختلف القول فى هذه اللفظة، فأحد الأقوال: أن معناها: الويل لك ثم الويل لك. والثانى: معناها: وليك المكروه وقارب منك، وهذا قول قتادة وجماعة. والقول الثالث: الذم أولى لك، ثم طرحت لفظ الذم للاستغناء عنها ولأنه معلوم، ذكره على بن عيسى. وفى التفسير: «أن النبى ﷺ لقى أبا جهل وهو يخرج من باب بنى مخزوم يتبختر، فأخذ بيده وهزه مرة أو مرتين، ثم قال له: أولى لك فأولى، فأخبر الله تعالى فى القرآن قول الرسول على ما قال»(١)، وهذا قول حسن؛ لأن أولى فى لغة العرب بمعنى كاد وهم، ولفظة كاد بالخلق أليق؛ فهو حكاية من الله تعالى لقول الرسول ﷺ. وأنشدوا فى كلمة أولى قول الخنساء:

هممتُ بنفسىَ بعض الهمومِ ... فأولى لنفسى أولى لها

سأحملُ نفسى على آلةٍ ... فإما عليها وإما لها

آلة أى: حالة.

قوله تعالى: ﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدا ﴾ أى: مهملا لايؤمر ولاينهى. قاله مجاهد. وقيل: لايبعث ولايحاسب ولا يعاقب، قال الشاعر:

فَأُقْسِمُ بالله جهدَ اليميـ ... ـن ماترك اللـهُ شيئًا سُدَى

وقوله: ﴿ ألم يك نطفة من منى يمنى ﴾ وقرئ بالتاء: «تمنى». والمنى ماء معروف يخلق منه الإنسان، فالقراءة بالياء تنصرف إلى المنى، والتاء تنصرف إلى معناه، وهو النطفة.

وقوله: ﴿ يمنى ﴾ أى: يقذف فى الرحم. وقيل: يقدر.

(١) رواه عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر عن قتادة مرسلا بنحوه، كما فى الدر (٦/ ٣٢٨).

ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

قال الشاعر:

مـا يَمْنـى لـك المانـى

أى: ما يُقدِّر لك المقدر

قوله تعالى: ﴿ثم كان علقة﴾ أى: المنى علقة، وهو الدم المنعقد.

وقوله: ﴿فخلق فسوى﴾ أى: فخلق منه الإنسان فسوى خلقه.

وقوله: ﴿فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى﴾ وقيل: من المنى الذكر والأنثى.

وقوله: ﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى﴾ معناه: أليس الله الذى خلق الإنسان من النطفة بقادر على أن يحيى الموتى؟ يعنى: هو قادر. وعن ابن عباس أنه كان إذا بلغ هذه الآية قال: اللهم بلى. وفى رواية: سبحانك بلى. وقد روى هذا مرفوعا فى بعض المسانيد(١). والله أعلم وأحكم.

(١) فى الباب عن أبى هريرة وأبى أمامة وجابر، وانظر الدر المنثور (٦/٣٢٩).

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ

تفسير سورة الإنسان

وهى مكية فى قول بعضهم. مدنية فى قول بعضهم، وقيل: بعضها مكية وبعضها مدنية.

قوله تعالى: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر﴾ معناه: قد أتى على الإنسان حين من الدهر، قاله الفراء. وقيل: أتى على الإنسان حين من الدهر، والإنسان هو آدم على قول أكثر المفسرين. وعن ابن جريج: أنه كل إنسان من الآدميين.

وقوله تعالى: ﴿حين من الدهر﴾ هو أربعون سنة. قال محمد بن إسحاق: صور الله آدم - عليه السلام - ثم تركه أربعين سنة ينظر إليه، ثم نفخ فيه الروح. وفى رواية: خلقه من طين ثم بعد أربعين سنة صار صلصالا من غير أن تمسه النار. وفى رواية: كان أربعين سنة طينا، وأربعين سنة حمأ مسنونا، وأربعين سنة صلصالا.

وقوله: ﴿لم يكن شيئا مذكورا﴾ أى: كان شيئا إلا أنه لم يكن شيئا يذكر. وروى أنه قرأت هذه الآية عند عمر - رضى الله عنه - فقال: يا ليتها تَمَّتْ، أى: تلك الحالة.

قوله تعالى: ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج﴾ أى: أخلاط. قال ابن مسعود: أمشاجها عروقها التى فى النطفة. وفى اللغة: أن الأمشاج واحدها مشيج، وهو الخلط. (والمعنى):(١) هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة، أو اختلاط الدم بالنطفة.

(١) فى «ك»: ومعناها.

﴿ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ۝٤ ﴾

وقيل: إن الله تعالى خلق الطبائع التى فى الإنسان فى النطفة من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، فهى الأمشاج، ثم عدلها ثم بنى البنية الحيوانية على هذه الطبائع المعدلة، ثم نفخ فيها الروح، ثم شق لها السمع والبصر، فسبحان من خلق هذا الخلق من نطفة مهينة أو علقة نجسة. وقيل: أمشاج أى: أطوار، فالنطفة طور، والعلقة طور، والمضغة طور، وكذلك ما بعدها. وقيل: أمشاج أى: ألوان. وفى الخبر: «أن ماء الرجل أبيض غليظ، وماء المرأة أصفر رقيق، فإذا علا ماء المرأة ماء الرجل آنثَتْ، وإذا علا ماء الرجل ماء المرأة أذْكَرَتْ»(١).

وقوله: ﴿ نبتليه ﴾ أى: نختبره ونمتحنه. وقيل: فى الآية تقديم وتأخير، ومعناها: فجعلناه سميعا [بصيراً](٢) نبتليه ونختبره.

قوله تعالى: ﴿ إنا هديناه السبيل ﴾ أى: الخير والشر، وهو مثل قوله تعالى: ﴿ وهديناه النجدين ﴾(٣). وقيل: بينا له طريق الإيمان والكفر.

وقوله تعالى: ﴿ إما شاكرًا وإما كفوراً ﴾ عند البصريين أن «إما» بمعنى «أو» وعند الكوفيين أن معناه: إما كان شاكرًا وإما كان كفوراً. وقيل: إما شقيًّا، وإما سعيداً.

قوله: ﴿ إنا أعتدنا للكافرين سلاسلا وأغلالا وسعيراً ﴾ وقرئ: «سلاسل»(٤)، والأصل سلاسل لا تنصرف، وأما صرفه على (قراءة)(٥) من قرأ «سلاسلا وأغلالا

---

(١) رواه مسلم (٣/ ٢٩١ - ٢٩٤ رقم ٣١٥)، والنسائى فى الكبرى (٥/ ٣٣٧ - ٣٣٨ رقم ٩٠٧٣)، وابن حبان (١٦ / ٤٤٠ - ٤٤١ رقم ٧٤٣٢)، والحاكم (٣/ ٤٨١ - ٤٨٢) وغيرهم عن ثوبان مرفوعا به.

(٢) من «ك».

(٣) البلد: ١٠.

(٤) انظر النشر (٢/ ٣٩٤).

(٥) فى «ك»: قول.

وسعيرا » على موافقة قوله : ﴿ أغلالا ﴾ وذلك جائز على مذهب العرب . والأغلال جمع غل . وروى جبير بن نفير عن أبى الدرداء أنه قال : ارفعوا أيديكم إلى الله قبل أن تُغَلَّ بالأغلال .

وقوله : ﴿ سعيراً ﴾ أى : نارا موقدة . وفى بعض الأخبار برواية عطية، عن أبى سعيد الخدرى : أن الله تعالى يبعث سحابة فتقف على رءوس أهل النار، ويقال لهم : ما تريدون : فيقولون : الشراب، فيمطرهم الله منها السلاسل والأغلال والحميم .

قال الحسن : إن الله لا يغل الكفار عجزا عن حفظهم، ولكن حتى إذا خبت النار عنهم أرسبتهم [أغلالهم](١) فى أسفل النار .

قوله تعالى : ﴿ إن الأبرار يشربون ﴾ الأبرار : هم المطيعون .

وقيل : هم الذين بَرُّوا الآباء والأبناء . وعن الحسن : هم الذين لا يؤذون الذَّرَّ . وفى بعض الأخبار : « ما من ولد ينظر إلى والده نظر بر وعطف إلا كتب الله له به حجة، فقيل : يا رسول الله، وإن نظر فى اليوم مائة مرة! قال : الله أكبر وأطيب »(٢) .

وقوله : ﴿ من كأس ﴾ قال الزجاج : العرب لا تذكر الكأس إلا إذا كانت فيها الخمر . قال الشاعر :

صرفتِ الكأسَ عنّا أمّ عمرو   وكان الكأسُ مَجْرَاها اليمينا

---

(١) فى « الأصل وك » : أغلاهم .

(٢) رواه ابن أبى الدنيا فى مكارم الأخلاق (٧٤ رقم ٢١٥)، والإسماعيلى فى معجمه (١ / ٣٥٦ - ٣٥٧ رقم ٧)، وذكره الديلمى فى الفردوس (٤ / ٢٠ رقم ٦٠٥٧)، وعزاه فى الكنز إلى الحاكم فى تاريخه، وابن النجار (١٦ / ٤٧٧)، وفى المشكاة (٢ / ٦٠٤) للبيهقى فى الشعب، وقال الألبانى فى تحقيقه للمشكاة : وما أراه إلا موضوعا .

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾

وقوله: ﴿كان مزاجها كافورا﴾ أى: يُمزج بالكافور، وهو مزاج وجود الرائحة لا مزاج وجود الطعم. وقيل: إن الكافور والزنجبيل اسمان لعينين من عيون الجنة.

وقوله: ﴿عينا يشرب بها عباد الله﴾ النصب على المدح، أعنى عينا ﴿يشرب بها عباد الله﴾ أى: منها - عباد الله.

وقوله: ﴿يفجرونها تفجيرا﴾ أى: يجرونها [جراء](١) على ما يريدون ويشتهون. وقيل: إن الآية نزلت فى أبى بكر وعمر وعلى والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد وأبى عبيدة. وفى بعض التفاسير: وابن مسعود وحذيفة وسلمان وأبى ذر.

قوله تعالى: ﴿يوفون بالنذر﴾ أى: يوفون بأقوالهم.

وقيل: هو نفس النذر. والأول أولى؛ لأن النذر مكروه على ما ورد فى بعض الأخبار: «أن النذر يستخرج به من البخيل»(٢). والمعنى: أن الجواد لا يحتاج إلى النذر، وعلى الجملة الوفاء بالنذر محمود.

وقوله: ﴿ويخافون يوما كان شره مستطيراً﴾ أى: فاشيًا. وقيل: ممتدًا. وقيل: منتشرًا.

قال الشاعر:

وَهانَ على سَرَاة بنى لُؤىٍّ ... حَـريقٌ بالبُويرة مُسْتَطيرُ

أى: منتشر، وانتشار شر يوم القيامة فى السموات والأرض، أما فى السموات فبتكوير شمسها، وخسوف قمرها، وانتشار كواكبها، وطى السموات كطى السجل،

---

(١) فى «الأصل وك»: إجراء، ومعنى جراء: أى: جرى معه، لسان العرب (١٤ / ١٤١).

(٢) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (١١ / ٥٠٨ رقم ٦٦٠٨ وطرفاه ٦٦٩٢، ٦٦٩٣)، ومسلم (١١/١٤٢ - ١٤٣ رقم ١٦٤٠).

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾

وما أشبه ذلك. وأما شره فى الأرض فبقلع جبالها، وطم أنهارها، وإخراب نباتها، وكسر بعضها على بعض، وما شبه ذلك من تبديل الأرض وإهلاك الخلق وغيره.

وقوله: ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكينا﴾ أى: على حب الطعام وشهوتهم إياه وحاجتهم إليه.

وقوله: ﴿مسكينًا﴾ هو المحتاج ﴿ويتيمًا﴾ هو الذى لا أب له ﴿وأسيرًا﴾ قال سعيد بن جبير: هو المحبوس المسجون.

وعن مجاهد وقتادة وجماعة: هو الأسير من المشركين. وعن أبى (سليمان)(١) الدارانى: على حب الله. واختلف القول فيمن نزلت هذه الآية، فأصح الأقاويل: أن الآية على العموم. والقول الثانى: أنها نزلت فى على وفاطمة والحسن والحسين، رواه عمرو بن عبيد، عن الحسن البصرى، وحكى عن ابن عباس ذلك فى بعض الروايات. وفى القصة: أن عليا وفاطمة أصبحا صائمين، فهيأت فاطمة ثلاثة أقراص من شعير لتأكل قرصا بنفسها، ويأكل علىٌ قرصًا، وللحسن والحسين قرص؛ فلما كان المساء جاء مسكين فأعطوه أحد الأقراص، ثم جاء يتيم فأعطوه القرص الثانى، ثم جاء أسير فأعطوه القرص الثالث وطووا. وفى رواية: أن عليا كان أجر نفسه من يهودى يستقى له بشىء من شعير، وحمل ذلك الشعير إلى فاطمة، وأخذت منه الأقراص الثلاثة. وفى بعض الروايات؟ أن ذلك كان فى ثلاث ليال. والله أعلم. وفى هذه القصة خبط كثير تركنا ذكره. وقيل: إن الآية نزلت فى أبى الدرداء.

قوله تعالى: ﴿إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً﴾ أى: جزاء بالفعل، ولا ثناء بالقول. وفى التفسير: أنهم لم يقولوا هذا القول، ولكنه كان فى

(١) فى «ك»: سلمان، وهو تحريف.

﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِئِينَ

ضميرهم فأخبر الله تعالى على ما كان فى ضميرهم.

قوله: ﴿إنا نخاف من ربنا يومًا عبوسًا قمطريراً﴾ لأن الوجوه تنعبس فيه، وأضاف العبوس إلى اليوم على طريق مجاز. ومعنى «نخاف من ربنا يوما» أى: من عذاب يوم. وقوله: ﴿قمطريرا﴾ أى: شديدا. يقال: يوم قمطرير وقُمَاطر إذا اشتد فيه الأمر.

قال الشاعر:

بنى عَمِّنَا هل تذكرون بَلاءَنا　　　عليكمْ إذا ما كان يومٌ قُمَاطِرُ

وقوله تعالى: ﴿فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا﴾ أى: نضرة فى الوجه، وسرورا فى القلوب. والنضرة: هى الحسن فى الوجوه من النعمة، وهى التنعم.

وقوله: ﴿وجزاهم بما صبروا﴾ على الأمر والنهى. وقيل: على المحن والشدائد، وعلى الجوع مع الإيثار.

وقوله: ﴿جنة وحريراً﴾ أى: البساتين والثياب من الديباج.

وقوله تعالى: ﴿متكئين فيها على الأرائك﴾ الأرائك: هى [السُّرُر](١) فى الحِجَال عليها الفرش، والعرب لا تسميها أريكة إلا إذا كانت فى حَجَلة.

وقوله تعالى: ﴿لا يرون فيها شمسا ولا زمهريراً﴾ أى: حرا ولا بردا.

قال الشاعر:

مُنعَّمةٌ طَفْلَةٌ مهـــاة(٢)　　　لم تر شمسًا ولا زمهرِيرا

(١) من «ك»، وفى «الأصل»: السرور.

(٢) كذا!

فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا
وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ
﴿١٥﴾ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا
زَنجَبِيلاً ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿ودانية عليهم﴾ نصب «ودانية» عطفا على قوله: ﴿متكئين﴾.
وقوله: ﴿عليهم ظلالها﴾ أى: ظلال الحجال.

وقوله: ﴿وذللت قطوفها تذليلا﴾ أى: أدنيت قطوفها إليهم. وفى التفسير: أنهم إذا قاموا ارتفعت إليهم، وإذا قعدوا نزلت إليهم، وإذا اضطجعوا دنت منهم، وقيل: لا يمنعهم منها بُعْدٌ ولا شوك.

وقوله تعالى: ﴿ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب﴾ والأكواب هى الأباريق التى لا خراطيم لها، واحدها كوب.

وقوله تعالى: ﴿كانت قواريرا﴾ قال الشعبى: لها صفاء القوارير وبياض الفضة. وعن ابن عباس: أنه لو أخذت قطعة من فضة وجعلت فى الرقة كجناح ذُبَاب لم ير من داخله، وفضة الجنة يرى من داخلها، فهو فى صفاء القوارير على هذا المعنى. وعنه أيضا: أن القوارير فى الدنيا أصلها من الرمل، فإذا كان أصلها من الفضة فى الجنة فكيف تكون فى الحسن والصفاء. وعنه أيضا: أنه لا يشبه شيء فى الجنة شيئا فى الدنيا، وإنما فى الدنيا الأسامى مما فى الجنة فحسب.

وقوله: ﴿قوارير من فضة قدروها تقديرا﴾ أى: مقدرة على قدر الرى لا زيادة ولا نقصان. وقيل: على قدر الكف أى: على ما يسعه. وقيل: ممتلئة.

وقوله: ﴿ويسقون فيها كأسا﴾ أى: من كأس.

وقوله: ﴿كان مزاجها زنجبيلا﴾ كانت العرب تستطيب طعم الزنجبيل، فذكر ذلك على ما [اعتادوه](١). وقيل: الزنجبيل اسم العين لا أنه زنجبيل معروف فى الطعم

(١) فى «الأصل، و ك»: اعتاده، والمثبت هو الصواب.

وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ

والرائحة. فعلى هذا قوله: ﴿ مزاجها زنجبيلا ﴾ أى: مزاجه من عين الزنجبيل.

وقوله: ﴿ عينا فيها تسمى سلسبيلا ﴾ يقال: إن السلسبيل هو عين الزنجبيل أيضا، ونصب على المدح، ومعناه: أعنى عيناً.

وقوله: ﴿ تسمى سلسبيلا ﴾ أى: سلسبيل الجَرْى فى حلوقهم. وفى بعض الآثار: أنها إذا أدنيت من أفواههم تسلسلت فى حلوقهم. ومن قال فى قوله: ﴿ سلسبيلا ﴾ سلنى سبيلا إليها فقد أبعد، وهو تأويل باطل، وليس هو من قول أهل العلم. وعن ابن الأعرابى قال: لم أسمع سلسبيلا إلا فى القرآن. وقيل: هو اسم العين على ما ذكرنا. فإن قيل: إذا جعلتم سلسبيل اسم العين فكيف ينصرف؟ والجواب: إنما انصرف؛ لأنه رأس آية، وقد بينا من قبل. وروى سفيان، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد قال: سلسبيلا أى: شديدة الجرى. وقال قتادة: سَلِسَة أى: تجرى فى حلوقهم على غاية السهولة. وقال ثعلب: سلسبيلا أى: لينا. وعن سعيد بن المسيب: السلسبيل عين تجرى تحت العرش فى قضيب من ذهب. وفى قوله: ﴿ كان مزاجها زنجبيلا ﴾ كلام آخر، وهو أنه تمزج لسائر أهل الجنة، ويشربه المقربون صرفا، وهو مثل التسنيم على ما يأتى من بعد.

وأنشدوا فى الزنجبيل:

وكأنَّ طَعْمَ الزنجبيلِ بهِ ... إذْ ذُقتَهُ وسلافةَ الخَمْرِ

وهذا يدل على أنهم كانوا يستطيبون طعم الزنجبيل. وقيل فى السلسبيل أيضا: إنه يسيل عليهم فى قصورهم وغرفهم وعلى مجالسهم.

قوله تعالى: ﴿ ويطوف عليهم ولدان مخلدون ﴾ أى: غلمان مخلدون.

وقوله: ﴿ مخلدون ﴾ أى: لا يبلون ولا يفنون. وقيل: مخلدونُ مقرَّطون مُسوَّرون. قال الشاعر:

﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ﴾

ومخلدات باللجين كأنما أعجازهن أقاوز الكثبان

وقوله: ﴿إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا﴾ إنما شبه باللآلئ فى الصفاء والحسن والكثرة. وذكر منثورا لأن اللؤلؤ المنثور فى المجلس أحسن منه منظوما.

وفى تفسير النقاش: أنهم ينشرون فى الخدمة، فلهذا قال: ﴿لؤلؤا منثورا﴾ فلو كانوا صفا واحداً لقال منظوما.

قوله تعالى: ﴿وإذا رأيت ثم رأيت﴾ فيه حذف، والمعنى: إذا رأيت ما ثم رأيت ﴿نعيما وملكا كبيرا﴾ قال سفيان الثورى: بلغنا أنه تسليم الملائكة عليهم. وعن الكلبى ومقاتل وغيرهما أنهم قالوا: هو استئذان الملائكة للتسليم عليهم، فهو المُلْك الكبير. وفى بعض الأخبار برواية أبى سعيد الخدرى: «أن أدنى أهل الجنة منزلة يكون له ثمانون ألف خادم واثنتان وستون زوجة»(١). وفى بعض الأخبار أيضا: للواحد منهم سبعون قصرا، فى كل قصر سبعون دارا، فى كل دار سبعون بيتا، فى كل بيت خيمة طولها فى السماء فرسخ، وعرضها فرسخ فى فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب.

قوله تعالى: ﴿عَالِيْهِم﴾ وقرئ: «عَالِيَهُم» فمن قرأ بفتح الياء أى: فوقهم، ومن قرأ بسكون الياء فمعناه: عليهم. ويقال: عليهم أى: عال الحجال المذكورة من قبل.

وقوله: ﴿ثياب سندس خضر﴾ وخضر أى: ألوانها خضر. فمن قرأ بالرفع فينصرف إلى الثياب، ومن قرأ بالكسر فهو نعت السندس. والسندس هو ما رق من

(١) رواه الترمذى (٤/ ٥٩٩ رقم ٢٥٦٢) وقال: غريب، لا نعرفه إلا من حديث رشدين، وأحمد (٣/٧٦)، وأبو يعلى (٢/٥٣٢ رقم ١٤٠٤)، ونعيم بن حماد فى زوائده على الزهد (١٢٧ - ١٢٨ رقم ٤٢٢)، وابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (رقم ٢١١)، وابن أبى داود فى البعث (رقم ٧٧)، وابن حبان (١٦/ ٤١٤ - ٤١٥ رقم ٧٤٠١) عن أبى سعيد به، وفيه: وسبعون زوجة.

وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾

الديباج، والاستبرق ما غلظ منه.

وقوله: ﴿وإستبرق﴾ وقرئ: «وإستبرقٍ» فعلى الرفع ينصرف إلى الثياب، وعلى الخفض على تقدير من إستبرق.

وقوله: ﴿وحلوا أساور من فضة﴾ الأساور والأسورة جمع السوار، فإن قيل: وأى زينة فى السوار والأغنياء لا يبالون بها؟ والجواب عنه: أنه قد ذكر الذهب واللؤلؤ فى موضع آخ،ر فيحلون من ذهب تارة، ومن فضة (تارة)(١)، ومن لؤلؤ تارة؛ ليكون أجمع لمحاسن الزينة. ويقال: الذهب للنساء، والفضة للرجال. وقيل: إن الذهب إنما يفضل الفضة فى الدنيا لكثرة الفضة وعزة الذهب، وهذا التفاوت لا يوجد فى الجنة، وإنما المقصود عين الزينة، والزينة توجد فيهما جميعا.

وقوله: ﴿وسقاهم ربهم شرابا طهورا﴾ قال الزجاج: ليس برجس كخمر الدنيا. وعن أبى قلابة وإبراهيم أنهما قالا: إذا فرغ أهل الجنة من الطعام يؤتون بالشراب الطهور، فيطهر أجوافهم، ويضمر بطونهم، ويوجد منهم جشاء ورشح له رائحة المسك فيشتهون الطعام مرة أخرى. وقيل: إن الشراب الطهور من عين على باب الجنة، فإذا شرب منها المسلمون طهرت أجوافهم من كل غل وخيانة وحسد، وهذا قول(٢) لأن الطهور هو الطاهر المطهر على ما ذكر فى القصة. والدليل عليه قوله عليه الصلاة والسلام [حين](٣) سئل عن التوضؤ بماء البحر فقال: «هو الطهور ماؤه» أى: المطهر ماؤه.

قوله تعالى: ﴿إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا﴾ الشكر المضاف

(١) فى «ك»: أخرى.

(٢) كذا. ولعله: هذا قول صحيح، أو حسن، وما يشبههما.

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلاً ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴿٢٥﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ

إلى الرب تعالى هو بمعنى قبول الحسنات والعفو عن السيئات.

قوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما أو كفورا﴾ في التفسير: أن الآثم هو عتبة بن ربيعة، والكفور هو الوليد بن المغيرة.

وقيل: إن الآثم هو أبو جهل. وفي بعض التفاسير: أن الوليد بن المغيرة قال للنبي ﷺ: لم تركت دين آبائك؟ ولعلك إنما تركت للفقر، فارجع إلى دين آبائك وأعطيك نصف مالي. وقال أبو البختري بن هشام: أنا أزوجك ابنتي، وهي أحسن النساء جمالا، وأفصحهن منطقا، وأعذبهن لسانا. وقد علمت قريش ذلك. فسكت النبي ﷺ. فقال: أبو مسعود الثقفي: إن كنت تخاف من الله فأنا أجيرك منه. فحين سمع النبي ذلك قام وذهب؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية، وهو قوله: ﴿إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا﴾ إلى آخر الآيتين. فإن قيل: هلا قال: آثما وكفورا؟ وأيش معنى «أو» هاهنا؟ والجواب عنه: أن لكلمة «أو» هاهنا زيادة معنى لا توجد في الواو، وهو المنع من طاعة كل واحد منهما على الانفراد، فإن الرجل إذا قال لغيره: لا تطع فلانا وفلانا، فإذا أطاع أحدهما ما كان عاصيا على الكمال، وإذا قال: لا تطع فلانا ولا فلانا أو فلانا فإذا أطاع أحدهما كان عاصيا على الكمال. وهو مثل قولهم: جالس الحسن أو ابن سيرين معناه: أيهما جالسته فأنت مصيب، وإذا قال: جالس الحسن وابن سيرين فلا تكون مصيبا إلا إذا جالستهما. وكذلك يقال: اقتد بمالك أو الشافعي على هذا المعنى.

قوله تعالى: ﴿واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا﴾ أي: بالغدو والعشي. وفي بعض الغرائب من الأخبار أن النبي ﷺ كان إذا صلى الغداة قال: «الله أكبر ثلاثا، وإذا صلى العصر قال: الله أكبر ثلاثا».

قوله تعالى: ﴿ومن الليل فاسجد له﴾ أي: صل له. وقيل: هو صلاة المغرب والعشاء.

لَيْلاً طَوِيلاً ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَؤُلاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلاً ﴿٢٧﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً ﴿٢٩﴾

وقوله: ﴿وسبحه ليلا طويلا﴾ هو التطوع من بعد صلاة العشاء الأخيرة إلى الصبح، وهذا على الندب والاستحباب.

قوله تعالى: ﴿إن هؤلاء يحبون العاجلة﴾ معناه: إن هؤلاء الكفار يحبون العاجلة أى: الدنيا.

وقوله تعالى: ﴿ويذرون وراءهم يوما ثقيلا﴾ هو يوم القيامة، وتركهم له هو تركهم العمل والسعى له.

وقوله: ﴿ثقيلا﴾ يجوز أن يكون سماه ثقيلا لشدة الهول والفزع فيه، ويجوز أن يكون سماه ثقيلا لفصل القضاء فيه بين العباد وعدله معهم، وهو فى غاية الثقل عليهم إلا من تداركه الله بفضله.

قوله تعالى: ﴿نحن خلقناهم وشددنا أسرهم﴾ أى: قوينا خلقهم. وقيل: شددنا مفاصلهم. وقيل: هى الأوصال فشددها بالعروق والأعصاب. وعن مجاهد: أن الأَسْر هو الشَّرْج، وذلك مصر الإنسان (تسترخيان)[1] عند الغائط ليسهل خروج الأذى، فإذا خرج انقبضا.

قوله تعالى: ﴿وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا﴾ أى: أهلكناهم وخلقنا خلقا غيرهم.

قوله: ﴿إن هذه تذكرة﴾ أى: الآيات التى أنزلناها تذكرة أى: موعظة وعبرة.

قوله تعالى: ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا﴾ أى: من شاء منكم أيها المخاطبون أن يتخذ إلى ربه سبيلا فيسهل ذلك عليه لوجود الدلائل ورفع الأعذار، فليفعل.

(١) فى «ك»: يستهلان.

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾

وقيل: هو بمعنى الأمر.

وقوله: ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾ رد مشيئتهم إلى مشيئته، والمعنى: لا يريدون إلا بإرادة الله، وهو موافق لعقائد أهل السنة، أنه لا يفعل أحد شيئا ولا يختاره ولا يشاؤه إلا بمشيئة الله. وفى بعض الأخبار: أن رجلا كان يقول: إلا ما شاء الله وشاء محمد؛ فسمع النبى – عليه السلام – ذلك فقال: «أمثلان؟ ثم قال: قل إلا ما شاء الله ثم شاء محمد».

وقوله: ﴿إن الله كان عليما حكيما﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿يدخل من يشاء فى رحمته﴾ أى: فى جنته، وقيل: فى الإسلام. والأول أفضل فى هذا الموضع، لأن الله تعالى قال عقيبه: ﴿والظالمين أعد لهم عذابا أليما﴾ أى: النار، ونصب الظالمين؛ لأن تقديره: وأعد للظالمين عذابا أليما. وأورد أبو الحسين بن فارس فى تفسيره فى آخر السورة برواية جابر الجعفى عن قيس مولى عليٍّ أن الحسن والحسين مرضا مرضاً شديداً، فنذر عليٌّ صيام ثلاثة أيام، ونذرت فاطمة كذلك، ونذر الحسن والحسين كذلك، فلما شفاهما الله تعالى ابتدءوا جميعا الصوم، فلما كان فى اليوم الأول خبزت فاطمة ثلاثة أقراص من شعير، وقدموها عند إفطارهم ليفطروا، فجاء مسكين وقال: يا أهل بيت الرسول، مسكين على الباب أطعموا مما أطعمكم الله. فأعطوه الأقراص وطووا، ثم (إنه)[1] لما كان فى اليوم الثانى اتخذت فاطمة – رضى الله عنها – مثل ما اتخذت فى اليوم الأول، وقدموه عند المساء ليفطروا، فجاء يتيم ودعا كما ذكرنا، فأعطوه وطووا، ثم لما كان فى اليوم الثالث اتخذت فاطمة ما بينا وقدموه [فى][2] المساء ليفطروا، فجاء أسير وقال: يا

(١) فى «ك»: إنهم.

(٢) من «ك».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٣) ﴾

تفسير سورة المرسلات

وهى مكية

وعن ابن عباس وقتادة قالا: هى مكية إلا قوله تعالى: ﴿ وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ﴾(١) وروى إبراهيم عن الأسود عن عبد الله بن مسعود قال: نزلت سورة والمرسلات على رسول الله ﷺ ونحن معه على جبل حراء، فأخذتها رطبا من فيِّ رسول الله ﷺ، فخرجت حية من جحرها فقصدناها فدخلت جحره،ا فقال النبى ﷺ: « وُقِيت شركم كما وُقيتم شرها »(٢). والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿ والمرسلات عرفا ﴾ قال أكثر المفسرين: على أنها الرياح ترسل عرفا أى: تتبع بعضها بعضا كعرف الفرس. وعن ابن مسعود وأبى هريرة قالا: هى الملائكة ترسل بالعرف أى: المعروف.

وقوله: ﴿ فالعاصفات عصفا ﴾ هى الرياح، وعصفها: شدة هبوبها، يقال: عصفت الريح وأعصفت إذا اشتدت، قاله ابن السكيت. يقال: الرياح عاصفات لأنها تأتى بالعصف أى: بورق الزرع. وقيل: إنها الملائكة تعصف بأرواح الكفار.

وقوله: ﴿ والناشرات نشرا ﴾ وهى الرياح أيضا تنشر السحاب. وقيل: إنها الملائكة تنشر الصحف على العباد يوم القيامة. وقال أبو صالح: هى الأمطار تنشر النبات. قال الأعشى:

---

(١) المرسلات: ٤٨.

(٢) متفق عليه، رواه البخارى (٦/ ٤٠٩ رقم ٣٣١٧ وطرفاه ٤٩٣٠، ٤٩٣١)، ومسلم (١٤/ ٣٣٤ - ٣٣٥ رقم ٢٢٣٤).

فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾

لو (أسندت)(١) ميتا إلى صدرها   عاش ولم ينقل إلى قابر
حتى يقول الناس (مما)(٢) رأوا   يا عجبا للميت الناشر

وقوله: ﴿ فالفارقات فرقا ﴾ في قول أكثر المفسرين: هم الملائكة يأتون بالفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام. وقال قتادة: هي آي القرآن فرقت بين الحق والباطل والحلال والحرام.

وقوله: ﴿ فالملقيات ذكرا ﴾ هي الملائكة تلقى الوحي على الأنبياء والرسل. وقيل: إنهم الأنبياء، وكذلك فسرت الآية الأولى، وهي مثل قوله: ﴿ فالفارقات فرقا ﴾ في بعض الأقوال، والإلقاء طرح الشيء على الشيء، وهو في هذا الموضع للتبيين والإفهام؛ فالملائكة يلقون على الأنبياء، والأنبياء يلقون على الأمم، والعلماء يلقون على المتعلمين.

وقوله: ﴿ عُذُرا أو نذرا ﴾ وقرئ: «عُذْرا»(٣) بتسكين الذال. قال الفراء: إعذارا أو إنذارا. وقيل: للإعذار والإنذار. وقال الحسن: ليقيم عذره [على خلقه](٤) بإقامة الحجة عليهم، وأنه عذبهم حين استحقوا العذاب بإنكارهم بعد إقامة الحجج. والعذر ظهور معنى يوضع اللوم عن الإنسان، وهذا الحد في حق الخلق، فأما في حق الله فلا. ونصب «عذرا» على أنه بدل من قوله: «ذكرا» وكأنه قال: فالملقيات عذرا أو نذرا.

قوله تعالى: ﴿ إنما توعدون لواقع ﴾ إلى هذا الموضع كان قسما.

وقوله: ﴿ إنما توعدون لواقع ﴾ عليه وقع القسم. وقيل: إن الله تعالى أقسم بهذه

(١) في «ك»: اشتديت
(٢) في «ك»: لما.
(٣) انظر النشر في القراءات العشر (٢/ ٢١٥ - ٢١٧).
(٤) في «الأصل وك»: مخلقة، وهو خطأ.

فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾
وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا
يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾

الأشياء، [و] له أن يقسم بما شاء من خلقه. وقيل: فى الآيات إضمار، ومعناه: ورب المرسلات عرفا، ورب العاصفات... إلى آخره، فيكون قد أقسم بنفسه.

قوله تعالى: ﴿فإذا النجوم طمست﴾ أى: محيت وأذهب ضوءها.

وقوله: ﴿وإذا السماء فرجت﴾ أى: شُقَّت.

وقوله: ﴿وإذا الجبال نسفت﴾ أى: قلعت من أماكنها.

وقوله: ﴿وإذا الرسل أقتت﴾ أى: جمعت لوقتها، وهو يوم القيامة؛ ليشهدوا على الأمم. وقيل: التوقيت تقدير الوقت لوقوع الفعل، فلما كانت الرسل - عليهم السلام- قد قدر إرسالهم لأوقات معلومة بحسب صلاح العباد (بها)[1]، كانت قد وقتت بكل الأوقات. وقرئ: «وُقِّتَتْ» و«وُقِتَت» و«أوقتت» بمعنى واحد، والواو إذا ضمت وابتدأ بها الكلمة أبدلت بالهمز، تقول العرب: ووجوه وأُجُوه، ووجدانا وأُجدانا. وقيل: «وإذا الرسل وقتت» أى: أجلت.

وقوله: ﴿لأى يوم أجلت﴾ أى: لأى يوم أخرت.

وقوله: ﴿ليوم الفصل﴾ أى: أخرت ليوم الفصل، وهو يوم القيامة.

وقوله: ﴿وما أدراك ما يوم الفصل﴾ قال الحسن: والله ما درى حتى أعلمه الله تعالى.

وقوله: ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ قال النعمان بن بشير: الويل واد فى جنهم فيه ألوان من العذاب. وهو مروى عن ابن مسعود أيضا.

---

(١) فى «ك»: لها.

أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾

قوله تعالى: ﴿ألم نهلك الأولين﴾ أى: قوم نوح وعاد وثمود ومن قرب من زمانهم.

وقوله: ﴿ثم نتبعهم الآخرين﴾ أى: الذين كانوا بعد ذلك من فرعون وهامان وقارون ومن بعدهم.

وقوله: ﴿كذلك نفعل بالمجرمين﴾ أى: مشركى مكة ننزل بهم مثل ما نزل بهم، لأنهم عملوا مثل عملهم. وقيل: «ثم نتبعهم الآخرين» هم كفار قريش.

وقوله: ﴿كذلك نفعل بالمجرمين﴾ هم الذين يأتون بعدهم من الكفار إلى يوم القيامة. وقرأ ابن مسعود: «ثم سنتبعهم الآخرين» وقرأ الأعرج: «ثم نتبعْهم» بجزم العين.

وقوله: ﴿ألم نخلقكم من ماء مهين﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: ضعيف.

وقوله: ﴿فجعلناه فى قرار مكين﴾ قال عطاء وابن جريج والربيع بن أنس: هو الرحم، والماء المهين هو النطفة.

وقوله: ﴿إلى قدر معلوم﴾ أى: إلى وقت معلوم، وهو إشارة إلى مدة مكثه فى البطن فى رحم الأم.

قوله: ﴿فَقَدَرْنَا فنعم القادرون﴾ وقرئ: «فَقَدَّرنا» بتشديد الدال. قال القتيبى: هما بمعنى واحد. والعرب تقول: قَدَر وقَدَّر. ومنه قوله عليه السلام: «فإن غم عليكم فاقدروا له»(١) أى: قدِّروا له. (وقد اعترض على هذا القول، فقيل: لو كان قَدَّرنَا

(١) تقدم تخريجه.

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ

بمعنى قَدَرْنا)(١) لقال. فنعم المقدرون. والجواب: أنه جمع بين اللغتين، وقال الشاعر فى مثل هذا:

وأَنْكَرتنِى وما كانَ الذى نَكِرَتْ … من الحوادثِ إلا الشَّيّبَ والصَّلَعَا

وقيل: فى الفرق بين قدَّرنا وقدَرنا، بالتخفيف معناه: ملكنا فنعم المالكون، ومعنى قدّرنا بالتشديد أى: قدرنا خلق الإنسان على تارات مختلفة من نطفة وعلقة ومضغة، وما بعد ذلك إلى أن جعلناه إنسانا سويا. وقيل: قدرنا شقيا وسعيدا، وصغيرا وكبيرا، وأسود وأبيض وغير ذلك.

قوله تعالى: ﴿ألم نجعل الأرض كفاتا﴾ أى: كَفْتًا. وقيل: مجمعا، فالكَفْتُ هو الضم، ومعنى الكفات هاهنا: هو أن الأرض تضم الخلق أحياء وأمواتا، فالضم فى حال الحياة هو باكتنانهم واستقرارهم على ظهرها، وبعد الممات باكتنانهم فى بطنها وهو القبور، وكان بقيع الغرقد يسمى الكَفْتة.

وعن (ابن)(٢) يحيى بن سعيد وربيعة: أن اللباس يقطع إذا أخرج الكفن ومن الحرز، وقرأ قوله تعالى: ﴿ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا﴾ رواه سليمان بن (بليل)(٣). وعن الخليل بن أحمد: أن الكَفْتَ هو التقلب. وقوله: ﴿كفاتا﴾ أى: متقلبا.

قوله تعالى: ﴿وجعلنا فيها رواسى شامخات﴾ أى: مرتفعات. يقال: شمخ فلان بأنفه إذا رفع قدره، قال بعضهم:

إذا كانت الأحرار أصلى ومنصبى … وقام بأمرى خازم وابن خازم

---

(١) ما بين القوسين ليس فى «ك».

(٢) كذا، والصواب بحذفها، وهو يحيى بن سعيد بن قيس الأنصارى النجارى قاضى المدينة، وربيعة هو ابن أبى عبد الرحمن المعروف بربيعة الرأى.

(٣) كذا، والصواب: بلال، وهو سليمان بن بلال القرشى التيمى فهو يروى عن يحيى بن سعيد الأنصارى وربيعة الرأى كما فى تراجمهم من تهذيب الكمال، والله أعلم.

وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾

عطست بأنف شامخٍ وتناولت ... يداى الثريا قاعداً غير قائم(١)

وقوله: ﴿ وأسقيناكم ماء فراتا ﴾ أى: عذبا. وعن ابن عباس قال: أصول الأنهار العذبة أربعة: جَيْحان وهو نهر بلخ، ودجلة وفرات للكوفة، ونيل مصر. وذكر الكلبى أن فى الدنيا ثلاثة من الجنة: [الدجلة]، والفرات، ونهر الأردن، وأنشد الشاعر:

إذا غاب عنا غاب فراتنا ... وإن شهد إحدى نبله وفواضله

قوله: ﴿ انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون ﴾ فى التفسير: أن الناس يقفون على رءوس قبورهم أربعين عاماً إذا بعثوا، وتدنوا الشمس من رءوسهم ويزاد فى حرها حتى يأخذهم الكرب العظيم وحتى تأخذ بأنفاسهم ثم إن الله تعالى ينجى المؤمنين إلى ظل من ظله برحمته، ويبقى الكفار فيخرج لهم دخان من النار ويتشعب ثلاث شعب فيقال لهم: انطلقوا إلى ذلك الدخان فاستظلوا به فهو معنى قوله تعالى: ﴿ انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون ﴾ وإنما قال: ﴿ ما كنتم به تكذبون ﴾ لأنهم كانوا يكذبون بالنار. وهذا دخان النار.

وقوله تعالى: ﴿ انطلقوا إلى ظل ذى ثلاث شعب ﴾ فهو ما ذكرنا وهو بيان الأول.

وقوله: ﴿ [لا](٢) ظليل ﴾ الظل: حجاب عال يدفع أذى الحر عن الإنسان فقوله: ﴿ لا ظليل ﴾ أى: لا يدفع الأذى فهو فى صورة ظل وليس له معنى الظل.

وقوله: ﴿ ولا يغنى من اللهب ﴾ أى: لا يدفع عنهم أذى اللهب، واللهب لهب النار. وعن قطرب قال: اللهب هو العطش.

---

(١) والشعر لإسحاق بن إبراهيم الموصلى، أورده ابن العديم فى بغية الطلب فى ترجمة إسحاق (٣/١٤١٦)، ونصه:

إذا كانت الأحرار أصلى ومنصبى ... ودافع ضيمى خازم وابن خازم
عطست بأنف شامخ وتناولت ... يداى السماء قاعدا غير قائم

(٢) فى «الأصل»: فى.

إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾

وقوله: ﴿إنها ترمى بشرر﴾ أى: يتطاير منها الشرر.

وقوله: ﴿كالقصر﴾ قال أبو عمرو: كالبناء العظيم. وقيل: كالخيمة من خيام العرب، والعرب تسمى ذلك قصراً. وقرأ ابن عباس: «كالقَصَر» بتحريك الصاد. وقيل: إنها أعناق النخيل. وقيل: أصول النخيل. وعن بعضهم أنه خشبة كان أهل الجاهلية يتنضدون بها نحو ثلاثة أذرع يسمونها القصر. وعن مجاهد: أن القصر بتسكين الصاد هو الجبل. وعن قتادة: أعناق الدواب وهو بنصب الصاد. (وعن ابن عباس فى رواية هو قلوس السفن. وقيل: حبال السفن](1). وعن (المبرد)(2) قال: هو الجزل العظيم من الحطب.

وقوله: ﴿كأنه جمالات صفر﴾ أى: نوق سود، والجمالات جمع جمل. وقيل: إنها جمع الجمع كأنهم قالوا جمل وجمال وجمالات، وهو مثل قولهم: رجل ورجال ورجالات. وقرى بضم الجيم، وهى جُمال. وقرئ: «جُمَالَة» على الوحدان مثل حجر وحجارة وحمل وحمالة.

وقوله: ﴿صفر﴾ أى: سود وإنما سماها صفراً لأنه يشوبها لون من السود وإن كانت صفراً. ومنه يقال: [لبيض الظباء](3) أدم لأنه يشوبها شىء من الكدورة وإن كانت بيضاء. وقال الشاعر:

تلك خيلى منها وتلك ركابى   هن صفر (ألوأنها)(4) كالزبيب

(1) كذا!، وإنما قال ذلك فى تفسير قوله تعالى: ﴿جمالات صفر﴾ - كما فى تفسير بن جرير الطبرى (29/148) وغيره.

(2) فى «ك»: مجاهد.

(3) فى «الأصل، وك»: للظباء البيض، وهو تحريف، والصواب ما أثبتناه، كما فى تفسير البغوى والقرطبى وغيرهما.

(4) فى «ك»: ألوانهن.

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَذَا يَوْمُ لا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلاً إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾

أى : سود .

قوله تعالى : ﴿ هذا يوم لا ينطقون ﴾ فإن قال قائل : قد قال فى موضع آخر : ﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾(١) فكيف الجمع بين الآيتين؟ والجواب : بينا أن ليوم القيامة مواطن ومواقف .

وقوله : ﴿ ولا يؤذن لهم فيعتذرون ﴾ لأنه لا عذر لهم فيعتذرون .

وقوله : ﴿ هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين فإن كان لكم كيد فكيدون ﴾ أى : إن كان لكم حيلة فاحتالوا .

قوله تعالى : ﴿ إن المتقين فى ظلال وعيون ﴾ قيل : ظلال القصور والأشجار . وقيل : إن الظل هو ما يدفع أذى الحر عن الإنسان . وهواء الجنة ينافى كل أذى فهو ظل على هذا المعنى وإن لم يكن هناك شمس .

وقوله : ﴿ وفواكه مما يشتهون ﴾ أى : يتمنون .

وقوله : ﴿ كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون ﴾ قد بينا من قبل .

وقوله : ﴿ إنا كذلك نجزى المحسنين ﴾ قال الحسن البصرى : المحسن من أدى جميع فرائض الله واجتنب جميع مناهى الله .

---

(١) الصافات : ٢٧ .

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المرسلات : ١ - ٥٠]

قوله تعالى: ﴿ كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون ﴾ هذا على طريق التهديد والوعيد لا على طريق الأمر. ومعناه: افعلوا ما أنتم فاعلون فسينالكم رعب ذلك وعاقبته.

وقوله: ﴿ وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ﴾ معناه: إذا قيل لهم: صلوا لا يصلون. وقيل: إنها نزلت فى ثقيف استعفوا من الصلاة. وقيل: كانوا استعفوا من الركوع والسجود فقال النبى ﷺ: «لا خير فى دين ليس له ركوع ولاسجود»(١).

وقوله: ﴿ فبأى حديث بعده يؤمنون ﴾ أى: بأى كتاب بعد القرآن يؤمنون إن لم يؤمنوا بهذا الحديث بعد ظهور براهينه وقيام الدلائل على أنه من عند الله؟! فإن قال قائل: ما وجه التكرار فى قوله: ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ فى هذه السورة والمرة الواحدة تغنى عن المراد به؟ والجواب قد بينا هذا فى سورة الرحمن. ووجه ذلك أنه لما كرر ذكر النعم فى تلك السورة كرر الزجر عن كفرانها والنهى عنها بقوله: ﴿ فبأى آلا ربكما تكذبان ﴾(٢) ولما كرر ذكر الآيات فى هذه السورة لإقامة الحجج عليهم كرر ذكر العقوبة عليهم بذكر الويل ليكون أبلغ فى الإنذار والإعذار وهو على عادة كلام العرب فإن الرجل يقول لغيره: ألم أحسن إليك بأن فعلت لك كذا ؟ألم أحسن بأن خلصتك من المكاره؟ ألم أحسن بأن تشفعت لك إلى فلان؟ وغير ذلك فيحسن منه التكرير لاختلاف ما يقرره به. قال مهلهل بن ربيعة يرثى أخاه كليبًا على هذا المعنى:

على أن ليس عِدْلًا من كليب ... إذا طرد (اللئيم)(٣) عن الجزور

على أن ليس عِدْلًا من كليب ... إذا ما ضيم جيران المجير

(١) عزاه الزيلعى فى تخريج الكشاف (١٤ / ١٣٩) للثعلبى عن مقاتل موسلا. وروى بنحوه بدون نزول الآية عن الحسن عن عثمان بن أبى العاص، رواه أبو داود (٣ / ١٦٣ - ١٦٤ رقم ٣٠٢٦)، وأحمد (٤ / ٢١٨)، والطيالسى (١٢٦ رقم ٩٣٩) وغيرهم. وذكر الزيلعى عن عبد الحق قوله: لايعرف للحسن سماع من عثمان، وليس طريق الحديث بقوى.

(٢) الرحمن: ١٣، وفى مواضع أخرى من السورة.

(٣) كذا، ولعل الصواب: اليتيم.

عـلىّ أن ليـس عَدْلًا من كليـب إذا خرجت[١] مخبأة الخـدور
عـلى أن ليس عَدْلًا من كليـب غـداة بلائك الأمـر الكـبير
على أن ليـس عِـدْلًا من كليـب إذا ما ضـام[٢] جار المستـجير

والله أعلم

(١) في «ك»: صرخت، وفي لسان العرب (١١ / ٤٣٢- مادة: عدل): برزت.

(٢) في «ك»: جار.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾
كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾

تفسير سورة النبأ

وهى مكية

قوله تعالى ﴿عم يتساءلون عن النبأ العظيم﴾ معناه: عن ما يتساءلون فأدغمت النون فى الميم، وأسقطت الألف فصار عمَّ. قال الزجاج: لفظه لفظ الاستفهام، والمعنى تفخيم القصة مثل القائل: أى شيء زيد؟

وفى التفسير: أن رسول الله ﷺ لما بعث ودعا المشركين إلى التوحيد جعل بعضهم يسأل بعضًا فبماذا بعث محمد؟ وإلى ماذا يدعو؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية. ومعنى يتساءلون أى: يسأل بعضهم بعضًا.

وقوله: ﴿عن النبأ العظيم﴾ قيل معناه: عن النبأ العظيم: واختلف القول فى النبأ العظيم: روى أبو صالح عن ابن عباس: أنه القرآن، وعن قتاده: أنه البعث، وهو قول أبى العالية والربيع بن أنس وجماعة، وعن الحسن أنه قال: هو النبوة، والقولان الأولان معروفان.

وقوله: ﴿الذى هم فيه مختلفون﴾ أى: منهم المصدق، ومنهم المكذب.

وقوله: ﴿كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون﴾ قال الحسن: هو تهديد بعد تهديد. وعن الضحاك قال: قوله: ﴿كلا سيعلمون﴾ أى: الكفار.

وقوله: ﴿ثم كلا سيعلمون﴾ أى: المؤمنون، والظاهر أنهما جميعًا للكفار.

قوله تعالى: ﴿ألم نجعل الأرض مهاداً﴾ لما أخبر الله تعالى باختلافهم فى القرآن والقيامة - وكان اختلافهم فى البعث بالتصديق والتكذيب - واختلافهم فى القرآن

وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾

أنه سحر أو شعر أو كهانة، فذكر الله تعالى الدلائل عليهم فى التوحيد، وأن ماأنزله حق وصدق، وعدد نعمه عليهم، ليعترفوا به ويشكروه.

قوله تعالى: ﴿ مهادًا ﴾ أى: بساطًا وفراشًا والنعمة فى تذليلها وتوطئتها لهم.

وقوله: ﴿ والجبال أوتادًا ﴾ قال ابن عباس: لماخلق الله تعالى الأرض جعلت تكفأ- وحرك ابن عباس يده- فخلق الله الجبال وأرساها بها - أى: أثبتها- فهى أوتاد الأرض، كما يثبت الشىء على الحائط بالوتد.

وقوله: ﴿ وخلقناكم أزواجًا ﴾ أى: أصنافًا وموضع النعمة هى سكون بعضهم إلى بعض، فالرجل والمرأة زوج، وكذلك السماء والأرض، والليل والنهار، وغير ذلك من الخلق، وقيل: أزواجًا أى: متآلفين، تألفون أزواجكم، وتألفكم أزواجكم.

وقوله: ﴿ وجعلنا نومكم سباتًا ﴾ قال ثعلب: قطعًا لأعمالكم، وأصل السبات هو التمدد والسكون.

والمعنى: أنهم ينقطعون عن الحركة بالليل فيسكنون ويستريحون، وقيل: سباتًا أى: راحة.

وقال الشاعر:

ومطوية (الأقتـاب)[1] أما نهارها فسبت وأما ليلها فزميل

أى قطيع[2].

وقوله تعالى: ﴿ وجعلنا الليل لباسًا ﴾ أى: سترًا لكم، وهو مذكور على طريق المجاز، ووجهه أن ظلمة الليل لما غشيت كل إنسان كما يغشاه اللباس، سماه لباسًا

---

(١) وفى لسان العرب (٢ / ٣٨ مادة: سبت): الأقراب.

(٢) كذا !، والسبت هنا يعنى السير السريع، وقيل: سير سهل لين، وانظر المرجع السابق.

وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾

على طريق المجاز.

وقوله: ﴿وجعلنا النهار معاشًا﴾أى: مبتغى معاش ومطلب معاش، والمعنى: أنه الزمان الذى يعيشون وينصرفون فيه.

وقوله: ﴿وبنينا فوقكم سبعًا شدادًا﴾ أى: السماوات السبع.

وقوله: ﴿شدادًا﴾ أى: صلبة، وفى الآثار: أن غلظ كل سماء مسيرة خمسمائة عام.

وقوله: ﴿وجعلنا سراجا وهاجا﴾ أى: جعلنا الشمس وقادًا متلألئًا.

وقوله: ﴿وأنزلنا من المعصرات ماء﴾ قال ابن عباس: هى الرياح، وتسميتها بهذا الاسم؛ لأن الرياح تلقح السحاب ليكون فيه المطر، فكأن المطر كان من الرياح، والقول الثانى: أن المعصرات هى السحاب، وهو مروى عن ابن عباس أيضا، وهو قول مجاهد وجماعة. قال المبرد: تسميته بالمعصرات، لأنه ينعصر بالمطر شيئًا فشيئًا، وقيل: من المعصرات أى: بالمعصرات ماء ثجاجا.

وقوله(١): ﴿ثجاجًا﴾ أى: منصبًا بعضه فى إثر بعض. وعن النبى ﷺ أنه قال: «أفضل الحج العج والثج»(٢) فالعج رفع الصوت بالتلبية، والثج إراقة الدماء. وعن

(١) من «ك».

(٢) رواه الترمذى (٣ / ١٨٩رقم ٨٢٧)، وابن ماجه (٢ / ٩٧٥ رقم ٢٩٢٤)، والدارمى (٢ / ٤٩ رقم ١٧٩٧)، وأبو يعلى فى مسنده (١ / ١٠٨-١٠٩رقم ١١٧)، والبزار (١ / ١٤٢- ١٤٤ رقم ٧١، ٧٢)، وابن خزيمة (٤ / ١٧٥ رقم ١٢٦٣١، والمروزى فى مسند أبى بكر (رقم ٢٥، ١١٦، ١١٧)، والدار قطنى فى العلل (رقم ٧١)، والحاكم (١ / ٤٥٠-٤٥١) وصححه، والبيهقى (٥ / ٤٢-٤٣)، جميعهم من حديث أبى بكر الصديق به. وفى الباب عن عبد الله بن مسعود، رواه أبو يعلى(٩ / ١٩ رقم ٥٠٨٦)، وأعله الهيثمى فى المجمع (٣ / ٢٢٧) براوٍ ضعيف.

لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا
﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا
﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾

قتادة: أن المعصرات هو السماء، وهو قول غريب.

قوله: ﴿لنخرج به حبا ونباتًا وجنات ٍ ألفافًا﴾ أى: ملتفة، وواحد الألفاف لِفّ، والملتفة هى الداخل بعضها فى بعض.

قوله تعالى: ﴿إن يوم الفصل كان ميقاتًا﴾ أى: ميعاداً للخلائق، وهو يوم القيامة.

وقوله: ﴿يوم ينفخ فى الصور﴾ ذكر النقاش فى تفسيره: أن إسرافيل - عليه السلام- ينزل فيجلس على صخرة بيت المقدس، وتجعل الأرواح فى الصور كأمثال النحل، وإستدارة فم الصور كما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام، ثم ينفخ فتخرج الأرواح منها، وترجع إلى أجسادها.

وقوله: ﴿فتأتون أفواجًا﴾ قال مجاهد: زمرًا زمرًا.

وقوله: ﴿وفتحت السماء﴾ أى: جعلت طرقًا، وقيل: فتحت أبواب السماء لنزول الملائكة.

وقوله: ﴿فكانت أبوابًا﴾ أى كانت طرقا على مابيننا.

وقوله: ﴿وسيرت الجبال فكانت سرابًا﴾ أى: هباء منبثًّا، وقيل: هو يصير كالسراب ترى أنه شىء وليس بشىء.

وقوله: ﴿إن جهنم كانت مرصادا﴾ قال أهل اللغة: كل شىء كان أمامك فهو رصد، والمراد (١) أنه المكان الذى يرصد فيه الكفار لنزول العذاب بهم. وعن بعضهم: ياصاحب الرصد، اذكر الرصد، وقيل: مرصاداً أى: يرصدون بالعذاب أى: على معنى أنه يعدٌ لهم.

وقوله: ﴿للطاغين مآبا﴾ أى: منقلبًا، يقال: آب إلى مكان كذا أى: رجع وانقلب.

(١) فى «الأصل، وك»: المكان، وما أثبتناه هو الأليق للسياق.

لِلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا ﴿٢٤﴾

وقوله: ﴿ لابثين فيها أحقابًا ﴾ الحقْبة فى اللغة قطعة من الزمان مثل الحين. قال متمم بن نويرة يرثى أخاه مالكًا:

وكنا كندمانى جذيمة حقبة   من الدهـر حتى قيـل لن يتصدعـا

أى: قطعة، وأما المنقول فى التفاسير عن السلف فى معنى الحُـقب: فأظهر الأقوال أنه ثمانون سنة، كل سنة ثلثمائة وستون يوما، كل يوم ألف سنة، وهو مروى عن عبدالله بن عمرو بن العاص، وسعيد بن جبير، وقتادة وغيرهم، ومثله عن أبى هريرة. وعن بعضهم: أنه ثلثمائة سنة كل، سنة ثلثمائة وستون يوما، كل يوم مثل مدة الدنيا، وعن بعضهم: بضع وثمانون عامًا، فإن قيل: هذه الآية تدل على أن عذاب الكفار ينقطع عند مضى الأحقاب؟ والجواب من وجوه: (أحدها)[1]: أن معناه لابثين فيها أحقابًا لايذوقون فيها بردًا ولا شرابًا أى: يعذبون بهذا النوع من العذاب أحقابًا، وثَمَّ أحقاب أخر لسائر أنواع العذاب، قاله المبرد. والوجه الثانى: وهو أن معنى لابثين فيها أحقابا لاتخبو عنهم النار، فإذا خبت النار وزيدوا سعيرًا لبثوا أبدًا والوجه الثالث: ما قاله ابن كيسان، وهو أن معناه لابثين فيها أحقابا إلى أحقاب لاتنقطع أبدا. قال النحاس: وهو أبين الأقوال.

وقوله: ﴿ لايذوقون فيها بردًا ﴾ قال ثعلب: نومًا، وتقول العرب: منع البرد، والبرد أى: نوم، وقال الشاعر:

فإن شئت حرمت النساء سواكم   وإن شئت لم أطعم نقاخا ولابردا

النُّقَاخ الماء الزلال وقيل: «بردا» أى: (راحة)[2]، وقيل: «بردا» لايبرد عنهم حر السعير ولهبه.

وقوله: ﴿ ولاشرابًا ﴾ أى: لايسكن منهم العطش .

---

(١) فى «ك»: أحدهما.

(٢) فى «ك»: راحته.

إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا ﴿٣٠﴾

وقوله: ﴿إلاحميماً وغساقًا﴾ قال أبو عبيدة: الحميم الماء الحار، ومنه الحمى، ومنه قوله تعالى: ﴿وظل من يحموم﴾(١) وقيل: الحميم هو أنه تجمع دموعهم فيسقون.

وقوله: ﴿وغساقًا﴾ أى: القيح الغليظ، وقيل: [هو](٢) صديد أهل النار، وقيل: الحميم ماهو فى نهاية الحر، والغساق ماهو فى نهاية البرد وهو الزمهرير، فيعذبون بكل واحد من العذابين.

وقوله: ﴿جزاءً وفاقًا﴾ أى: جزاء يوافق أعمالهم.

قال ابن زيد: عملوا شراً، فجوزوا شراً.

قوله تعالى: ﴿إنهم كانوا لايرجون حسابًا﴾ أى: لايخافون، وقد بينا الرجاء بمعنى الخوف فيما سبق.

وقوله: ﴿وكذبوا بآياتنا كذابًا﴾ أى: تكذيبًا، قال الفراء: هى لغة فصيحة يمانية.

وقوله: ﴿وكل شىء أحصيناه كتابا﴾ هو مثل قوله تعالى: ﴿وكل شىء أحصيناه فى إمام مبين﴾(٣) أى: بيناه فى اللوح المحفوظ.

وقوله: ﴿فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابًا﴾ أى: يقال لهم: فذوقوا العذاب فهو غير منقطع عنكم، ولاتزادون إلا العذاب.

قال الشاعر:

---

(١) الواقعة: ٤٣.

(٢) من «ك».

(٣) يس: ١٢.

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا

فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كِذَابُهْ .

قوله تعالى : ﴿ إن للمتقين مفازا ﴾ أى : فوزًا، والمفاز : موضع الفوز .

وقوله : ﴿ حدائق وأعنابًا ﴾ ظاهر المعنى، وقد بينا .

وقوله : ﴿ وكواعب أترابا ﴾ الكواعب : هى النواهد، يقال : جارية كاعب أى خرج ثديها مثل الكعب وهى ناهد .

وقوله : ﴿ أترابًا ﴾ أى لدات، وقيل : هى بنات ثلاث وثلاثين سنة .

وقوله : ﴿ وكأسًا دهاقًا ﴾ أى ممتلئة، قاله مجاهد، وقال عكرمة : صافية، وعن بعضهم : متتابعة، والقول الأول أظهر، وهو محكى عن ابن عباس، وعنه أنه قال : كثيراً سمعت العباس يقول : اسقينى ياجارية الكأس وادهقى، وعنه أيضا : أنه دعا بكأس فجاءت به الجارية ملآن فقال : هذا هو الدهاق .

وقوله : ﴿ لايسمعون فيها لغواً ولاكذابًا ﴾ اللغو : هو الكلام المطرح .

وقوله : ﴿ كذابًا ﴾ أى : لايكذب بعضهم بعضًا، وقرئ : « كذابًا » بالتخفيف ومعناه : الكذب لاغير، قال الشاعر :

فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه

أى : كذبه .

وقوله تعالى : ﴿ جزاءً من ربك عطاءً حسابًا ﴾ أى : عطاء كافيًا يقال : أعطانى فلان حتى أحسبنى، يعنى : حتى قلت حسبى، وقال قتادة : عطاء حسابًا أى : كثيرا، وقال الشاعر فى المعنى الأول .

ونقفى وليد الحى إن كان جائعا ونحسبه إن كان ليس بجائع

وقوله : ﴿ جزاءً من ربك عطاءً ﴾ أى : جوزوا جزاء، وأعطوا عطاء .

﴿٣٦﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ

قوله تعالى: ﴿ربُّ السماوات والأرض ومابينهما الرحمنُ﴾ كلاهما بالرفع، وقرئ: «رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن» الأول بالجر، والآخر بالرفع. وقرىء كلاهما بالكسر: «ربِّ السماوات والأرض ومابينهما الرحمنِ»[1] فوجه القراءة الأولى أن قوله: ﴿رب السماوات والأرض﴾ رفع بالابتداء والرحمن خبره، ووجه القراءة الثانية أن قوله: ﴿رب السماوات والأرض﴾ مخفوض اتباعا لقوله: ﴿من ربك﴾وقوله: ﴿الرحمن﴾ ابتداء، ووجه القراءة الثالثة، أن كليهما مخفوض اتباعا لقوله: ﴿من ربك﴾ .

وقوله تعالى: ﴿لايملكون منه خطابًا﴾ أى:لايتكلمون مع الله، ويمنعون من الكلام معه، وقيل: لايملكون منه خطابا أى: لايشفعون لأحد إلابإذنه، على ماقال من بعد قوله تعالى:﴿يوم يقوم الروح﴾ قال مجاهد: الروح خلق يشبهون بنى آدم، وليسوا بنى آدم، وقيل: هو جبريل- عليه السلام- وقيل: هو خلق من خلق الله لم يخلق بعد العرش أعظم منه يقوم يوم القيامة صفًّا وجميع الملائكة صفًّا، وقيل: صفًّا، أى: صفوفًا وموضع صلاة العبد يسمى صفًّا، لأنه موضع الصفوف.

وقوله: ﴿لايتكلمون﴾ أى:لايشفعون ، أى: الملائكة وقيل: لايتكلمون مطلقًا.

قوله: ﴿إلا من أذن له الرحمن﴾ أى: بالشفاعة والكلام.

وقوله: ﴿وقال صوابًا﴾ أى:حقا،وقيل: هولا إله إلا الله، والمعنى: أنهم لايتكلمون إلا بالإذن أو كلامًا صوابًا، وهو لا إله إلا الله.

قوله تعالى ﴿ذلك اليوم الحق﴾ أى: القيامة هو اليوم الحق، ومعنى الحق هاهنا: أنه

(١) انظر النشر (٢/٣٩٧).

﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾﴾

كائن لامحالة.

وقوله ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا﴾ أى منقلبا حسنا بالطاعة والعبادة.

وقوله تعالى ﴿إنا أنذرناكم عذابا قريبا﴾ أى النار وكل آت فهو قريب.

وقوله ﴿يوم ينظر المرء ما قدمت يداه﴾ أى ماقدمت يداه من الخير والشر.

وقوله ﴿ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا﴾ روى [جعفر بن برقان](1) عن ابن الأحم عن ابن عباس أن الله تعالى يجمع الخلق يوم القيامة من الدواب والطيور والناس والجن فرذا نزل الثقلين منازلهم، قال للطيور والبهائم والدواب: كونى ترابا، فتكون ترابا فحيئذ يقول الكافر: ياليتنى كنت ترابا. قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث أبو محمد عبدالله بن أحمد أخبرنا أبو سهل عبد الصمد بن عبد الرحمن البراز أخبرنا أبو بكر محمد بن زكريا الغدافرى أخبرنا الدبرى هو إسحاق بن إبراهيم أخبرنا عبد الرازق عن معمر عن جعفر بن برقان.. الحديث.

وقيل: إن الكافر ها هنا هو أبو جهل. وذكر النقاش فى تفسيره عن الحسن بن واقد قال: إن الكافر يقول: ياليتنى كنت خنزيرا فأصير ترابا، فيقول التراب له: لا ولاكرامة لك - يعنى لايكون مثلى. وحكى مثل هذا عن السدى أيضا. وعن بعضهم أن معنى قوله ﴿ياليتنى كنت ترابا﴾ أى ياليتنى لم أبعث.

وقد ورد فى الحقب الذى ذكرنا أثران عن ابن عمر أنه قال: ليعمل أحدكم بالطاعة ولايتكلمن على أنه يدخل النار ثم يخرج منها فإنه لايدخل النار أحد فيخرج منها إلابعد أن يمكث أحقابا وذكر الحقب كما بينا من ذكر الثمانين.

---

(١) فى «الأصل»: روى أبو جعفر بن برقان، وفى«ك»: روى أبى جعفر بن برقان، وكلاهما خطأ، والصواب روى جعفر بن برقان، وهو من رجال التهذيب شيخ معمر ويروى عن يزيد بن الأصم كما فى ترجمته من تهذيب الكمال (٥ / ١١-١٨) وسيأتى على الصواب فى إسناد المصنف لهذا الحديث.

والأثر الثانى ماروى عن ابن مسعود فى بقاء النعيم لأهل الجنة والعذاب لأهل النار وهو ماروى السدى عن مرة عن عبدالله أنه قال: لو علم أهل النار أنهم يمكثون فى النار عدد الحصى سنين ثم يخرجون منها لفرحوا ولو علم أهل الجنة أنهم يمكثون عدد الحصى سنين ثم يخرجون منها لحزنوا. والأثران غريبان.

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴿٢﴾

تفسير سورة والنازعات

وهي مكية، والله أعلم

قوله تعالى: ﴿ والنازعات غرقًا ﴾ فيه أقوال: أظهرها: أنها الملائكة تنزع أرواح الكفار بشدة، وهو قول ابن عباس وجماعة وروى مثله عن ابن مسعود في رواية مسروق.

قوله: ﴿ غرقاً ﴾ أي: إغراقا يقال: أغرق في النزع إذا بلغ الغاية. وعن الحسن: أنها النجوم تنزع من أفق إلى أفق، أي: تطلع وتغرب، وعن عطاء بن أبي رباح: أنها القسي وهو من نزع القوس والإغراق فيه.

وقوله: ﴿ والناشطات نشطًا ﴾ على القول الأول هي الملائكة أيضًا تنشط أرواح الكفار أي: تجذبها بسرعة، قال الشاعر:

أمست همومي تنشط المناشطا الشام بي طوراً وطوراً واسطا

والنشط في اللغة: هو الجذب، ويقال: تجذب روح الكفار كما يجذب السفود[١] من الصوف الرطب، وقيل: إن معنى الناشطات أخذ الملائكة أرواح المؤمنين بسهولة كما ينشط البعير من العقال.

وفي الأخبار: أن الملائكة تأخذ روح الكفار بغاية الشدة، فإذا بلغت ترقوته ردوا الروح في جسده، ثم نزعته هكذا مرات عقوبة له، وتأخذ روح المؤمن سرعة وسهولة، والقول الثاني: أن الناشطات هي النجوم على ماذكرنا عن الحسن، والمراد سرعة

(١) السفود - بالتشديد -: الحديدة التي يشوى بها اللحم.

وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾

سيرها، ويقال: رجوعها من المغرب إلى مطالعها، وذلك فى السبع السيارة، وهو فى معنى قوله تعالى: ﴿فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس﴾[1] على ماسنبين، ذكره النقاش.

والقول الثالث: أنها الأوهاق.

وقوله تعالى: ﴿والسابحات سبحًا﴾ على القول الأول هى الملائكة، وسبحها سيرها بين السماء والأرض، وعلى القول الثانى أنها النجوم، وسبحها فى الفلك، والقول الثالث: أنها الخيل، وسبحها سرعة جريها، يقال للفرس الجواد: سابح.

وقوله: ﴿فالسابقات سبقًا﴾ على القول الأول هى الملائكة، وسبقها مبادرتها إلى الأعمال الصالحة والخيرات.

ويقال: سَبْقُها: هو المسابقة إلى تبليغ الوحى قبل استراق الشياطين السمع، وعلى القول الثانى هى النجوم تسبق بعضها بعضًا فى السير، وعلى القول الثالث هى الخيل أيضا يسبق بعضها بعضًا عند المسابقة، ويقال: إنها النفوس تسبق إلى الخروج عند الموت.

وقد ذكر السدى أيضًا أن معنى النازعات: هى النفوس والأرواح تنزع عند الموت.

وقوله تعالى: ﴿فالمدبرات أمرًا﴾ هى الملائكة فى قول الجميع، إلاماروى فى رواية غريبة برواية خالد بن معدان، عن معاذ بن جبل: أنها النجوم. فمعنى التدبير من الملائكة هو ماجعل الله إليها من الأمور. قال عبد الرحمن بن سابط: فإلى جبريل الجنود، وإلى ميكائيل القطر والنبات، وإلى عزرائيل قبض الأرواح، وإلى إسرافيل إنزال

---

(١) التكوير: ١٥-١٦. (٢) الوهق: هو الحبل تشدبه الإبل والخيل لئلا تند، (لسان العرب، مادة: وهق).

يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾
أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ

لأمور إليهم فى هذه الأشياء [إلى](١) : الملائكة، وأما إذا حملناه على النجوم، فيجوز أن يعلق الله تعالى على مطالعها ومغاربها وسيرها أشياء، وأضاف التدبير إليها على طريق المجاز.

واختلف القول فى المقسم به والمقسم عليه: فأحد القولين: أنه أقسم بهذه الأشياء، ولله أن يقسم من خلقه بماشاء، والقول الثانى: أن معناه: ورب النازعات، فذكر الرب مضمر فى هذه الكلمات، وإنما أقسم بنفسه لابهذه الأشياء.

وأما الذى وقع عليه القسم ففيه قولان: أحدهما: أنه محذوف، والمعنى: لتبعثن ولتحاسبن، وماأشبه ذلك. والقول الثانى: أن الذى وقع عليه القسم هو قوله تعالى: ﴿إن فى ذلك لعبرة لمن يغشى﴾(٢).

قوله تعالى: ﴿يوم ترجف الراجفة﴾ الرجف والراجفة هى الاضطراب والزلزال الشديد، وهو فى معنى قوله تعالى: ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾(٣) وقيل: الراجفة هى الصيحة الأولى التى يميت بها الخلائق.

وقوله: ﴿ تتبعها الرادفة﴾ فيه قولان: أحدهما: أنها القيامة، والآخر: أنها الصيحة الثانية. وعن ابن عباس :أن بينهما أربعين سنة، وتمطر السماء فى هذه الأربعين فتهتز الأرض، وتنبت الناس فى القبور، ثم ترد إليهم أرواحهم فى الصيحة الثانية.

وقوله تعالى: ﴿ قلوب يومئذ واجفة﴾ أى: مضطربة، يقال: وجف يجف، ووجب يجب بمعنى واحد وقيل: واجفة أى: وجلة.

وقوله : ﴿أبصارها خاشعة﴾ أى: ذليلة.

وقوله: ﴿يقولون﴾ هذا إخبار عن قولهم فى الدنيا أى: يقولون فى الدنيا: ﴿أئنا

(١) فى «الأصل، وك» : أى، وهو تحريف.	(٢) النازعات: ٢٦.	(٣) الزلزلة: ١.

أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾

لمردودون فى الحافرة ﴾ أى: إلى أول أمرنا، والمعنى: أنرد أحياء بعد أن متنا على طريق الإنكار، يقال: رجع فلان على حافرته إذا رجع من حيث جاء. العرب تقول: النقد عند الحافرة أى: عند أول كلمة، أى: فى السوم. وقال الشاعر:

أحافرة على صلع وشيب ... معاذ الله من سفه وعار

وقال السدى: ﴿ أئنا لمردودون فى الحافرة ﴾ أى: إلى الحياة، وهو على ماقلنا، وقيل: إلى النار.

وقوله تعالى: ﴿ أئذا كنا عظاما نخرة ﴾ وقرئ: «ناخرة»، قال الفراء: هما واحدة، وهى البالية الفانية. وعن أبى عمرو بن العلاء: أن النخرة هى التى قد بليت، والناخرة هى التى لم تبل بعد، وعن وكيع قال: هى التى تدخل الريح فى جوفها فتنخر، وهو منقول أيضًا عن أهل اللغة.

وقوله: ﴿ قالوا تلك إذا كرة خاسرة ﴾ أى: رجعة ذات خسران، والمعنى: أنا نكون فى خسار إن رجعنا، ويجوز أن يكون المراد أنهم يخسرون إذا رجعوا. وعن الحسن قال: خاسرة أى: كاذبة يعنى: ليست بكائنة.

وقوله: ﴿ فإنما هى زجرة واحدة ﴾ هو إخبار عن سهولة الأمر على الله فى الفهم، والزجرة: الصحية.

وقوله: ﴿ فإذا هم بالساهرة ﴾ القول المعروف أنها وجه الأرض يعنى: أنهم يخرجون من بطنها إلى ظهرها، وسميت الأرض ساهرة، لأن عليها سهر الخلق ونومهم، وقال النخعى «فإذا هم بالساهرة» أى: فوق الأرض. وعن وهب بن منبه أنه قال: الساهرة جبل بجنب بيت المقدس، قال الشاعر فى الساهرة:

فإنما قصرك ترب الساهرة ... ثم تعود بعدها فى الحافرة

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾

من بعد ماكُنَّا عظامًا ناخرة

قوله تعالى: ﴿هل أتاك حديث موسى﴾ أى: قد أتاك.

وقوله: ﴿إذ ناداه ربه بالواد المقدس﴾ أى: المطهر.

وقوله: ﴿طوى﴾ أى: طوى بالبركة والتقديس مرتين، وقيل: سماه طوى لأن موسى وطئه بقدمه، وقيل: إنه اسم الوادى وقيل: هو الأرض التى بين المدينة ومصر. وقرأ الحسن: «طِوى» بكسر الطاء، والمعروف طوى، وهو غير مصروف لأنه اسم البقعة من الوادى وهو معروف وعن الزجاج قال: يجوز أن يكون معدولا من طاوٍ، فلهذا لم يصرف مثل: عمرو معدول عامر، وقرئ: مصروفًا وأنشدوا:

أعاذل إن اللوم فى غير كنهه ... على طوى من غيك المتردد

وقول: ﴿اذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ قد بينا، والطغيان هو مجاوزة الحد.

وقوله: ﴿فقل هل لك إلى أن تزكى﴾ وقرئ: «تَّزكَّى» بالتشديدين. قال أبو عمرو ابن العلاء: لايجوز بالتشديدين، ويجوز بالتخفيف؛ لأن تزكى هو من إعطاء الزكاة.

وقوله: ﴿تَزَكَّى﴾ هو الدخول فى طهارة الإسلام، وتابعه أبو عبيد على هذا [وذكر] (١) النحاس فى تفسيره: أن هذا غلط، وتَزَكَّى وتزَّكَّى بمعنى واحد، فتزكى مدغم، وتزكى محذوف منه يقال: زكاه الله أى: طهره بالإسلام فتزكى ويقال أيضا لمن أعطى زكاة ماله: تزكى.

وقوله: ﴿وأهديك إلى ربك فتخشى﴾ أى: إذا أصبت الهداية حسنت منك.

وقوله: ﴿فأراه الآية الكبرى﴾ يقال: (هى) (٢) العصا، وقيل: إنها اليد البيضاء، ويقال: كلاهما.

---

(١) فى «الأصل وك»: وذكره، (٢) فى «ك»: أنه.

﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۝٢١ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ۝٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ
الْأَعْلَىٰ ۝٢٤ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ۝٢٥ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن
يَخْشَىٰ ۝٢٦ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ۝٢٧﴾

وقوله: ﴿فكذب وعصى ثم أدبر يسعى﴾ أى: أعرض وجعل يسعى فى إبطال أمر موسى.

وقوله: ﴿فحشر فنادى﴾ الحشر هو الجمع من كل جهة.

وقوله: ﴿فنادى﴾ أى ناداهم، وقال لهم: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ أى: لارب فوقى. قال الحسن: كان فرعون علجا من أهل أصبهان طوله أربعة أشبار، وعن مجاهد: علج من أهل همذان، وعن بعضهم: أنه من أهل اصطخر. وفى القصة: أن موسى قال لفرعون: لك ملك لايزول، وشباب لاهرم فيه، ولك الجنة فى الآخرة فقل: هو ربى وأنا عبده فقال: حتى استشير هامان، فلما استشاره قال: أتصير عبداً بعد أن كنت معبوداً، لا تقل هذا. فأبى أن يقول. ذكره النقاش فى تفسيره.

وقوله: ﴿فأخذه الله نكال الآخرة والأولى﴾ أى: أخذه أخذاً نكالا لمقالته الآخرة والأولى، فمقالته الأولى قوله: ﴿ماعلمت لكم من إله غيرى﴾(١)، ومقالته الآخرة، قوله ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ ويقال: نكل به وعاقبه فى الدنيا والآخرة، ففى الدنيا هو الغرق، وفى الآخرة هو النار.

وقوله: ﴿إن فى ذلك لعبرة لمن يخشى﴾ أى: اعتباراً لمن يخاف الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿أأنتم أشد خلقا﴾ استدل عليهم بهذه الآيات فى قدرته على البعث، والمعنى بأن إعادتكم خلقا جديدا أشد أم خلق السماء؟ وهو مثل قوله تعالى: ﴿لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس﴾(٢).

وقوله: ﴿أم السماء بناها﴾ معناه: أم السماء التى بناها؟ وقيل المعنى: أأنتم أشد

(١) القصص: ٣٨.
(٢) غافر: ٥٧.

رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ

خلقا أم السماء؟ وتم الكلام ثم قال: ﴿ بناها ﴾ أي: بناها الله تعالى.

وقوله: ﴿ رفع سمكها فسواها ﴾ هو في معنى قوله تعالى: ﴿ هل ترى من فطور ﴾[1] أي: من شقوق وفروج، وقيل: معنى التسوية هاهنا هو أنه ليس بعضها أرفع من بعض ولا أخفض من بعض، والسمك الارتفاع.

وقوله: ﴿ وأغطش ليلها وأخرج ضحاها ﴾ أي: أظلم ليلها. وقوله: ﴿ وأخرج ضحاها ﴾ أي: أبرز نهارها، وقيل: أظهر ضوءها، وأضاف الظلمة والضوء إلى السماء، لأنهما يظهران من جانب السماء عند طلوع الشمس وغروبها ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها ﴾ أي: بسطها.

قال أمية بن أبي الصلت:

وبث الخلق فيها إذ دحاها فهم قطانها حتى التنادي

وقال سعيد بن زيد:

أسلمت بوجهي لمن أسلمت له الأرض تحمل صخراً ثقالا

دحاها فلما استوت شدها وأرسى عليها جبالا[2]

وقوله: ﴿ بعد ذلك ﴾ أي: مع ذلك، وقيل: إنه خلق الأرض قبل السماء على ماقال في «حم السجدة»، ثم بسطها بعد خلق السماء. وفي الأثر عن ابن عباس: أنه لم يكن إلا العرش والماء، فخلق على الماء حجراً كالفهر، ثم خلق عليه دخانا ملتصقا به، ثم خلق موجًا على الماء، ثم رفع الدخان من الحجر، وخلق من الحجر الأرض، ومن الدخان السماء، ومن الموج الجبال.

---

(١) الملك: ٣.

(٢) أورده ابن هشام في سيرته (٢٤٦) وفيه:

دحاها فلما رآها استوت على الماء أرسى عليها الجبالا.

دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ
وَلأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ مَا سَعَىٰ
﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا
﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾

وقوله: ﴿ أخرج منها ماءها ومرعاها ﴾ أى: أخرج من الأرض الماء لحياة النفوس، والمرعى للأنعام.

وقوله: ﴿ والجبال أرساها ﴾ أى: أثبتها.

وقوله: ﴿ متاعًا لكم ﴾ أى: إمتاعًا لكم ﴿ ولأنعامكم ﴾ وإنما انتصب لأن معناه: للإمتاع، ثم نزعت اللام الخافضة فانتصب

قوله تعالى: ﴿ فإذا جاءت الطامة الكبرى ﴾ الطامة فى اللغة: هى الداهية العظيمة، وقيل: هى الأمر الذى لايستطاع ولايطاق، يقال: طم الوادى إذا جاء منه مالايطاق وعلا كل شيء، وعن ابن عباس: أن الطامة اسم القيامة، وسميت القيامة طامة؛ لأنها تطم كل شيء أى: فوق كل شيء. وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ أنه قال: «مامن طامة إلا وفوقها طامة»(١) وهو خبر غريب.

وقوله: ﴿ يوم يتذكر الإنسان ماسعى ﴾ أى: يذكر.

قوله: ﴿ وبرزت الجحيم لمن يرى ﴾ وفى التفسير: أن الحكمة فى إظهار الجحيم مشاهدة الكفار مكان عقوبتهم، وليعلم المؤمنون من أى عذاب نجوا.

وقوله: ﴿ فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا ﴾ أى: على الآخرة. وحكى أبو الحسين بن فارس فى تفسيره عن حذيفة: أن من أكل على مائدة ثلاثة ألوان من الطعام، فقد آثر الحياة الدنيا، وأورد فى خبر مرفوع أن النبى ﷺ قال: «من آثر الحياة الدنيا على الآخرة شتت الله عليه همه، ثم لم يبال بأيها هلك».

وقوله: ﴿ فإن الجحيم هى المأوى ﴾ أى: مأواه الجحيم، وهو معظم النار.

(١) عزاه السخاوى فى المقاصد (٢٤٠) لابن لال فى المكارم، من حديث ابن عباس.

وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا ﴿٤٥﴾

وقوله: ﴿ وأما من خاف مقام ربه ﴾ أى: قيامه عند ربه للحساب. وقوله: ﴿ ونهى النفس عن الهوى ﴾ أى: عما هواه ويشتهيه على خلاف الشرع. وقوله: ﴿ فإن الجنة هى المأوى ﴾ أى: منزله ومأواه الجنة، وفى بعض التفاسير: أن الآية الأولى نزلت فى النضر بن الحارث وأمية بن خلف وعقبة وعتبة ابنى أبى لهب وجماعة، والآية الثانية نزلت فى مصعب بن عمير، وكان قد وقى رسول الله ﷺ بنفسه يوم أحد حتى دخلت المشاقص فى جوفه، واستشهد فى ذلك اليوم، وكان صاحب لواء المهاجرين.

قوله تعالى: ﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها ﴾ أى: متى قيامها؟ ومرساها: منتهاها، والمعنى: عن ماهيتها.

وقوله: ﴿ فيم أنت من ذكراها ﴾ أى: مالك ومعرفة وقت قيام الساعة؟ وفى بعض التفاسير: «أن النبى ﷺ كان يسأل كثيراً جبريل متى الساعة، فلما أنزل الله تعالى هذه الآية، ارتدع وكف ولم يسأل بعد ذلك»(١) وهو مثل قول القائل لغيره: مالك وهذا الأمر؟ وفيه زجر إياه عن السؤال. قوله: ﴿ إلى ربك منتهاها ﴾ أى: منتهى علم قيامها، وقيل معناه: أن كل من يسأل عنه يقول: الله أعلم، فيرد علمها إلى الله.

وقوله: ﴿ إنما أنت منذر من يخشاها ﴾ أى: تنذر بعذاب يوم القيامة من يخشى القيامة.

---

(١) رواه البزار (٢ / ١١٥، رقم ١٥٢٤ مختصر زوائد البزار)، وابن جرير (٣٠ / ٣١) والحاكم (٢ / ٥١٣-٥١٤) وصححه على شرطهما جميعهم من حديث عائشة بنحوه. وقال الهيثمى فى المجمع (٧ / ١٣٦): رواه البزار ورجاله رجال الصحيح. وقال الحافظ ابن حجر فى مختصر البزار: صحيح. وذكره ابن حاتم فى العلل (٢ / ٦٨رقم ١٦٩٣) ونقل عن أبى زرعة أن الصحيح مرسل. وروى عن طارق بن شهاب، وعروة كلاهما مرسلا، وانظر الدر (٦ / ٣٤٩).

(٢) الأحقاف: ٣٥

كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٦﴾

وقوله: ﴿ كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أوضحاها ﴾ أى: أول نهار أو آخر نهار، فأول النهار من طلوع الشمس إلى ارتفاعها، وآخر النهار من العصر إلى غروبها، وهو مثل قوله تعالى: ﴿ كأن لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ ﴾(٢) فإن قيل: كيف أضاف ضحى النهار إلى عشيته، وإنما ضحى النهار يضاف إلى النهار فبأى وجه تستقيم هذه الإضافة؟ والجواب: أنه يجوز مثل هذا فى كلام العرب، وهم يفعلون كذلك ويريدون بمثل هذه الإضافة، الإضافة إلى النهار.

قال الشاعر:

نحن صبحنا عامراً فى دارها عشية الهلال أوسرارها

وقيل معنى ذلك: كأن لم يلبثوا إلاعشية أو ضحاها أى: يوماً من الأيام، فالمراد من العشية هو اليوم، والضحى هو اليوم أيضاً، فإن قيل: كيف يصح هذا الظن، وعندكم أنهم يعذبون فى قبورهم؟ والجواب: أنهم يخفتون خفتة بين النفختين، فإذا بعثوا ظنوا مابينا، لأنهم نسوا العذاب فى تلك الخفتة، والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١﴾ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾

تفسير سورة عبس

وهى مكية، والله أعلم

قوله تعالى: ﴿عبس وتولى﴾ هو الرسول ﷺ فى قول الجميع، ومعنى عبس: كلح وجهه، وتولى أى: أعرض، والمعنى: أظهر الكراهة.

وقوله: ﴿أن جاءه الأعمى﴾ قال الزجاج معناه: لأن جاءه الأعمى، ونصب على أنه مفعول، وهو عبد الله بن أم مكتوم فى قول [الجميع](١).

وسبب نزول الآية «هو أن النبى ﷺ كان يكلم رجلا من أشراف المشركين، ويدعوه إلى الإسلام – قال عطاء: كان عتبة بن ربيعة، وقال قتادة: كان أبى بن خلف، وقال مجاهد: كان عتبة وشيبة ابنى ربيعة وأبى بن خلف – وكان يدعوهم إلى الإسلام، ويقرأ عليهم القرآن، وفى بعض الروايات: أنه كان عنده جماعة من أشراف قريش، وكان يدعوهم إلى الإسلام، واشتد طمعه فيهم، فجاء عبد الله بن أم مكتوم، وجعل يقول: يارسول الله، علمنى مما علمك الله، أرشدنى. وفى رواية، أنه جاء مع قائده، فأشار النبى ﷺ إلى قائده أن كفه، فدفع فى ظهر قائده، وأقبل النبى ﷺ»(٢).

(١) فى «الأصل، وك»: جميع.

(٢) روى نحوه عن عائشة رضى الله عنها، رواه الترمذى (٥/ ٤٠٢ – ٤٠٣ رقم ٣٣٣١) وقال: غريب وذكر أن بعضهم رواه عن عروة مرسلا، وابن حبان (٢/ ٢٩٣ – ٢٩٤ رقم ٥٣٥) والحاكم (٢/ ٥١٤) وصححه على شرطهما وقال: أرسله جماعة عن هشام بن عروة [عن أبيه] وقال الذهبى: وهو الصواب – يعنى من رواه مرسلا – والواحدى فى أسباب النزول (٣٣٢)، وابن المنذر وابن مردويه، كما فى الدر (٦/ ٣٥٠) وانظر الدر المنثور.

وفى الباب عن أنس، وابن عباس وغيرهما.

ورواه مالك فى الموطأ (١/ ٢٠٧)، وابن سعد فى الطبقات (٤/ ١٥٧) عن عروة مرسلا.

وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾

وفى بعض الروايات عن سفيان الثورى أن الذى كان يكلمه ويدعوه إلى الإسلام كان العباس بن عبد المطلب، فلما دخل ابن أم مكتوم فى خطابه، وجعل يكرر عليه قوله: علمنى أرشدنى، كره رسول ﷺ ذلك حتى ظهرت الكراهة فى وجهه، وعبس وأعرض عنه، فأنزل الله تعالى هذه الآية معاتبًا له فيما فعله. وفى بعض الروايات: أنه عليه السلام قام وذهب.

وقوله: ﴿وما يدريك لعله يزكى﴾ أى: يتزكى، والمراد منه ابن أم مكتوم.

وقوله: ﴿يزكى﴾ أى: يقبل ما تذكره به وتعلمه، وقيل: يتطهر.

وقوله: ﴿أو يذكر﴾ معناه: أو يتذكر.

وقوله: ﴿فتنفعه الذكرى﴾ أى: تنفعه التذكرة والعظة. والمعنى: أنك تعرض عنه إعراض من لا ينفعه تعليمه وتذكيره، ولا تدرى لعله ينفعه التعليم والتذكير، فعليك أن تعلمه وتذكره.

وقوله: ﴿أما من استغنى﴾ يعنى: من أظهر الاستغناء عنك.

وقوله: ﴿فأنت له تصدى﴾ أى: تتعرض وتقبل عليه، وقيل: إن أصله تصدد فقلبت إحدى الدالين ياء.

قوله: ﴿وما عليك ألا يزكى﴾ أى: وما عليك ألا يسلم، والمعنى: أنه لو لم يسلم ذلك الذى أقبلت عليه، لم يكن عليك من ذلك شىء.

وقوله: ﴿وأما من جاءك يسعى﴾ أى: يطلب الخير.

وقوله: ﴿وهو يخشى﴾ أى: يخاف الله تعالى.

وقوله: ﴿فأنت عنه تلهى﴾ أى: تعرض، وقيل: تشتغل عنه بغيره. ومن هذا ما

فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾

روى عن عمر بن عبد العزيز – رضى الله عنه – أنه قال: إذا رأيت الله استأثر عليك بشيء فَالْهَ عنه – أى: اتركه وأعرض عنه، وقد قال سفيان بن عيينة: «كان النبى ﷺ بعد ذلك إذا جاءه عبد الله بن أم مكتوم بسط رداءه وقال: يا من عاتبنى فيه ربى». واستخلفه على المدينة مرتين، وقيل مرات حين خرج إلى الغزو. وفى بعض التفاسير: «أن النبى ﷺ ما رئى بعد ذلك متصديا لغنى، ولا معرضا عن فقير»[1].

قوله تعالى: ﴿ كلا ﴾ قال الحسن: حقا، وقيل: المعنى هو للردع والزجر يعنى: ليس ينبغى أن يكون الأمر على هذا، وهو ما سبق ذكره.

وقوله: ﴿ إنها تذكرة ﴾ أى: هذه السورة تذكرة، وقيل: الأنباء والقصص تذكرة.

وقوله: ﴿ فمن شاء ذكره ﴾ أى: فمن شاء الله ألهمه وذكَّره.

وقوله: ﴿ فى صحف ﴾ يعنى: القرآن، وقيل: الأنباء والقصص، فعلى القول الأول قوله ﴿ فمن شاء ذكره ﴾ ينصرف إلى القرآن. والصحف جمع صحيفة.

وقوله: ﴿ مكرمة ﴾ أى: كريمة على الله، وقيل: مكرمة لأنها نزلت من رب كريم.

وقوله: ﴿ مرفوعة ﴾ يجوز أن يكون المعنى مرفوعة فى المكان، ويجوز أن يكون المعنى مرفوعة القدر والمنزلة عند الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿ مطهرة ﴾ قال الحسن: مطهرة من كل دنس، وقيل: مطهرة أى: مصونة من أن تنالها أيدى الكفار الأنجاس.

وقوله: ﴿ بأيدى سفرة ﴾ السفر هى الملائكة الذين يسفرون بالوحى بين الله وبين رسوله، ويقال للكتاب سفر، وللمصلح بين الجماعة سفير، وهو مأخوذ من تبين الأمر وإيضاحه، يقال: سفرت المرأة عن وجهها إذا كشفته، ويقال: أسفر الصبح إذا أضاء،

(١) رواه ابن أبى حاتم عن الحكم مرسلا به. الدر المنثور (٦/ ٣٥٠).

مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾

ومنه قول نوبة بن حمير:

إذا ماجئت ليلى تبرقعت فقد ... رابنى منهـا الغداة سفورها

أى: ظهورها. وقال قتادة والضحاك: ﴿بأيدى سفرة﴾: هم القراء الذين يقرءون الآيات. وقال الفراء فى قوله: ﴿مرفوعة مطهرة﴾ سماها مرفوعة مطهرة؛ لأنها أنزلت من اللوح المحفوظ. وقيل: سفرة هم ملائكة موكلون بالأسفار من كتب الله تعالى، ومنه أسفار موسى، واحدها سفر. وقال الشاعر:

فما أَدعُ السِّفارة بين قومى ... وما أمشى بغش إن مشيت

وسمى السفير بين الاثنين سفيراً؛ لأنه يظهر عما فى قلب هذا وعما فى قلب الآخر ليصلح بينهما.

وقوله: ﴿كرام بررة﴾ فقوله: ﴿كرام﴾ صفة الملائكة أى: كرام على الله، وقوله: ﴿بررة﴾ أى: مطيعين، وهو فى معنى قوله: ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾(١) وفى بعض الكتب أن فى السماء ملائكة بأيديهم الصحف يقرءون القرآن وعبادتهم ذلك، وهذا راجع إلى ما بينا من قبل قول الضحاك.

قوله تعالى: ﴿قتل الإنسان ما أكفره﴾ ثم بين الله تعالى من العبر والآيات فى الآدمى ما لا ينبغى أن يكفر معها.

وقوله: ﴿قتل﴾ أى: لعن، والإنسان هو الكافر، وقيل: هو الوليد بن المغيرة، وقيل: أمية بن خلف. وروى الضحاك عن ابن عباس «أن الآية نزلت فى عتبة بن أبى لهب لما أنزل الله تعالى سورة «والنجم» قال عتبة: أنا أكفر بالنجم إذا هوى، فقال النبى ﷺ: «اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك»، وروى أنه قال: «اللهم سلط عليه أسد الغاضرة» - والغاضرة موضع - ثم إنه خرج بعد ذلك فى رفقة، فلما بلغ ذلك

(١) التحريم: ٦ .

مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴿٢٢﴾

الموضع ذكر قول الرسول ﷺ، فأمر أهل الرفقة أن يحرسوه تلك الليلة ففعلوا، وجاء الأسد ووثب وثبة وصار على ظهره وافترسه»(١).

وقوله: ﴿ما أكفره﴾ ويجوز أن يكون أيضًا على وجه التوبيخ، وإن كان اللفظ لفظ الاستفهام فالمعنى: أى شيء أكفره بالله، وقد أراه من قدرته ما أراه.

وقوله: ﴿من أى شيء خلقه﴾ معناه: أفلا يتفكر هذا الكافر من أى شيء خلقه الله تعالى، ثم بين من أى شيء خلقه، وقوله: ﴿من نطفة خلقه﴾، وقوله تعالى: ﴿فقدره﴾ قال الكلبى: سوى خلقه من يديه ورجليه وعينيه وسائر جوارحه الظاهرة والباطنة، وهو فى معنى قوله تعالى: ﴿خلقك فسواك﴾(٢) وقيل: فقدره أى: وضع كل شيء موضعه، وهيأ له ما يصلحه.

وقوله: ﴿ثم السبيل يسره﴾ أكثر أهل التفسير على أن المراد منه هو الخروج من الرحم، وقيل معناه: يسر له سبيل الخير، وقيل: بين له سبيل الشقاوة والسعادة، قاله مجاهد، والذى تقدمه قول الحسن.

وقوله: ﴿ثم أماته فأقبره﴾ أى: جعل له قبراً يدفن فيه، يقال: قبرت فلانًا إذا دفنته، وأقبرته إذا جعلت له موضعاً يدفن فيه. قال الأعشى:

لو أسندت مَيتاً إلى نحرها ... عـــاش ولم يُنْقَل إلى قَابِر

وقوله: ﴿ثم إذا شاء أنشره﴾ أى: أحياه وبعثه.

قال الأعشى:

حتى يقول الناس مما رأوا ... يا عجبا للميت الناشر

(١) عزاه السيوطى فى الدر (٦ / ١٣٥) لأبى نعيم فى الدلائل، وابن عساكر فى تاريخه ،عن عروة بن الزبير، عن هبار بن الأسود بنحوه.

(٢) الانفطار: ٧ .

كَلاَّ لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾

وقوله: ﴿كلا لما يقض ما أمره﴾ يعنى: لم يفعل ما أمره الله تعالى. قال مجاهد: ليس أحد من الخلق يفعل كل ما أمره الله تعالى.

وعن ابن عباس: ﴿كلا لما يقض ما أمره﴾ أى: ما أخذ عليه من العهد يوم الميثاق.

وقوله تعالى: ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه﴾ أى: فلينظر الإنسان إلى الطعام والعلف الذى خلقه الله تعالى لحياة الخلق، وعن ابن عباس معناه: فلينظر الإنسان إلى طعامه أى: إلى ما يخرج منه كيف انقلب من الطيب إلى الخبيث. وعن الحسن: أن الله تعالى وكل ملكا فإذا جلس الإنسان على حاجته ثنى رقبته لينظر إلى ما يخرج منه ذكره النقاش.

وأورد أيضًا: أن أبا الأسود الدؤلى سأل عمران بن الحصين لِمَ ينظر الإنسان إلى ما يخرج منه؟ فلم يدر عمران ما يجيبه به، ثم ذهب عمران إلى المدينة، فذكر ذلك لأبى بن كعب فقرأ هذه الآية: ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه﴾ ثم قال: ينظر ليعلم إلى ما صار ما بخل به.

وقوله: ﴿أنا صببنا الماء صبا﴾ قرئ بكسر الألف وفتحها؛ فقوله بالكسر «إنا» على الابتداء، وقوله: ﴿أنا﴾ بالفتح منصوب على البدل من الطعام كأنه قال: فلينظر الإنسان إلى أنا صببنا، ذكره الفراء. وقيل معناه: فلينظر الإنسان إلى طعامه لأنا صببنا.

وقوله: ﴿صببنا الماء صبًا﴾ أى: أجريناه إجراءً.

وقوله: ﴿ثم شققنا الأرض شقًا﴾ أى: بخروج النبات.

وقوله: ﴿فأنبتنا فيها حبًّا﴾ هو البر والشعير، وكل ما هو قوت الناس.

وقوله: ﴿وعنبًا﴾ هو العنب المعروف.

وقوله: ﴿وقضبًا﴾ هو القت بلغة أهل مكة، وعن ابن عباس: هو الرطبة – وهو

وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴿٣٣﴾

قول معروف - وسمى قضبًا؛ لأنه يقضب أى: يقطع وينبت، ثم يقطع وينبت هكذا.

وقوله: ﴿وزيتونا﴾ هو الزيتون المعروف.

وقوله: ﴿ونخلا وحدائق غلبًا﴾ الحديقة كل بستان يتحوط عليه، وما لا يكون محوطا عليه لا يكون حديقة.

وقوله: ﴿غلبًا﴾ أى: غلاظ الأعناق، يقال: رجل أغلب إذا كان شديداً غليظ الرقبة. وقيل: «غلبا» ملتفة أى: دخل بعضها فى بعض.

وقوله: ﴿وفاكهةً وأبًّا﴾ الفاكهة هى الثمار، والأب هى الكلأ. قال ابن عباس ومجاهد: الأب مرعى الأنعام، وقيل: الأب للبهائم بمنزلة الفاكهة للناس. وقال (الضحاك)(١): الأب التين، وعن الحسن: أن الفاكهة ما طاب واحلو لى من الثمار(٢).

ومن المعروف أن عمر - رضى الله عنه - قرأ قوله تعالى: ﴿وفاكهةً وأبا﴾ ثم قال: قد عرفت الفاكهة فما الأب؟ ثم قال: يا ابن الخطاب، هذا والله هو (التكذيب)(٣)، وألقى العصا من يده.

وقوله: ﴿متاعًا لكم ولأنعامكم﴾ أى: منفعة لكم ولأنعامكم.

وقوله: ﴿فإذا جاءت الصاخة﴾ هى اسم من أسماء يوم القيامة، ذكره ابن عباس مثل الطامة والحاقة والقارعة وأشباهها، وقيل: الصاخة هى الداهية التى يعجز عنها الخلق، وقيل: الصاخة الصاكة، يقال: صخ فلانًا إذا صكه.

---

(١) فى «ك»: مالك.

(٢) أخرجه عبد بن حميد كما فى الدر (٦/ ٣٥٣).

(٣) كذا فى «الأصل، وك»، وقد روى ابن جرير الطبرى وغيره هذا الأثر وفيه: «... هذا والله هو التكلف..».

﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾﴾

قال الشاعر:

يا جارتى هل لك أن تجالدى جـلادة كالصـخ بالجلامـد

أى: كالصك، وقيل: إن الصاخة صيحة إسرافيل تصك الأسماع، وعن بعضهم: أن الصاخة ما يصخ له كل شىء أى: ينصت يقال: رجل أصخ أى أصم.

وقوله: ﴿يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه﴾ يفر منهم لأنه لا يمكنه أن ينفعهم وينتفع بهم. قيل: يفر لئلا يروا الهوان الذى ينزل فيه، وقيل: يفر منهم ضجرا لعظم ما هو فيه، وفى بعض التفاسير: أن قوله: ﴿من أخيه﴾ قابيل من هابيل.

وقوله: ﴿وأمه﴾ هو الرسول ﷺ من أمه.

وقوله: ﴿وأبيه﴾ هو إبراهيم - صلوات الله عليه - من أبيه.

وقوله: ﴿وصاحبته﴾ هو لوط - عليه السلام - من زوجته.

وقوله: ﴿وبنيه﴾ هو آدم - عليه السلام - من بنيه المفسدين، وقيل: هو نوح - عليه السلام - من ابنه.

وقوله: ﴿لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ أى: شىء يكفيه ويشغله، وقال القتيبى: شىء يصرفه عن غيره، والشأن: هو الأمر العظيم، يقال: فلان فى شأن، أى: فى أمر عظيم.

وقرئ فى الشاذ: «يعنيه» من عنى يعنى بالعين غير معجمة.

قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ مسفرة﴾ أى: [ذات](1) فرحة مسرورة، وقيل: نيرة، وقيل: هو فى معنى قوله تعالى: ﴿يوم تبيض وجوه﴾(2) أى: وجوه يومئذ تبيض.

---

(1) من «ك».

(2) آل عمران: ١٠٦.

ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

وقوله: ﴿ضاحكة مستبشرة﴾ أى: من السرور والفرح.

وقوله: ﴿ووجوه يومئذ عليها غبرة﴾ أى: كسوف وسواد.

وقوله: ﴿ترهقها قترة﴾ أى: تعلوها الكآبة والحزن، وقيل: هو فى معنى قوله تعالى: ﴿وتسود وجوه﴾(١) عن عطاء الخرسانى: ﴿وجوه يومئذ مسفرة﴾ لكثرة ما أغبرت فى الدنيا بالحق.

وقوله: ﴿ووجوه يومئذ عليها غبرة﴾ من كثرة ما ضحكت فى الباطل.

وقوله: ﴿أولئك هم الكفرة الفجرة﴾ يعنى: أصحاب الوجوه هم الذين كفروا بالله وفجروا، والله أعلم.

(١) آل عمران: ١٠٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ۝٢﴾

تفسير سورة (كورت)[١]

وهى مكية

روى عبد الرزاق، عن عبد الله بن بجير، عن عبد الرحمن بن يزيد الصنعانى قال: سمعت ابن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى عين ذلك اليوم فليقرأ: ﴿إذا الشمس كورت﴾ و﴿إذا السماء انفطرت﴾[٢] و﴿إذا السماء انشقت﴾[٣]. قال رضى الله عنه أخبرنا بهذا الحديث أبو عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد القفال، أخبرنا أبو العباس السنجى الطحان[٤]، أخبرنا العباس بن عبد العظيم العنبرى، أخبرنا عبد الرزاق[٥].

قوله تعالى: ﴿إذا الشمس كورت﴾ قال ابن عباس: ذهب ضوؤها. وروى سفيان الثورى، عن أبيه، عن الربيع بن خثيم قال: كورت رمى بها. وعن سعيد بن جبير كورت: غُوِّرَت، وقال: كُوِّر: كوز، وقيل: اضمحلت، وقيل: لُفَّتْ وجمعت، ومنه كور العمامة، والمعنى: أنها لفت وجمعت وطرح بها.

وقوله: ﴿وإذا النجوم انكدرت﴾ أى: تناثرت وتساقطت، وفى بعض التفاسير: أن النجوم فى قناديل من نور معلقة بالسماء الدنيا بسلاسل فى أيدى الملائكة، فإذا جاء

---

(١) فى «ك»: التكوير. (٢) الانفطار: ١. (٣) الانشقاق: ١.

(٤) وهو أبو العباس أحمد بن محمد بن سراج السنجى الطحان. انظر الأنساب (٣/٣١٨).

(٥) رواه الترمذى (٥/٤٠٣ رقم ٣٣٣٣) وقال: حسن غريب، وأحمد (٢/٢٧، ٣٦، ١٠٠)، وابن أبى الدنيا فى الأهوال (رقم ١٩)، والحاكم (٤/٥٧٦) وصححه، وأبو نعيم فى الحلية (٩/٢٣١).

وقال الهيثمى فى المجمع (٧/١٣٧): رواه أحمد بإسنادين ورجالهما ثقات، ورواه الطبرانى بإسناد أحمد.

وقال الحافظ ابن حجر فى الفتح (٨/٥٦٤): حديث جيد.

وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾

يوم القيامة تساقطت السلاسل من أيدى الملائكة، وانتثرت النجوم. وروى أن أهل الأرضين يسمعون إِدَّة عظيمة من وقوع النجوم على الأرض.

وقوله: ﴿ وإذا الجبال سيرت ﴾ أى: سيرت وكانت سرابًا، وقيل: دقت دقا، وصارت بمنزلة الهباء، والآية فى معنى قوله تعالى: ﴿ وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب ﴾(١).

وقوله: ﴿ وإذا العشار عطلت ﴾ العشار واحدها عشراء، وهى الناقة التى أتت عشرة أشهر على حملها، وهى أحسن ما يكون من النوق، وأعزها على أربابها، وتعطيلها إهمالها وتركها بلا راع يرعاها، ولا يفعل ذلك إلا يوم القيامة، والمعنى: أن كل إنسان يشتغل بنفسه عن كل شيء، وإن كان عزيزًا عنده.

وقوله: ﴿ وإذا الوحوش حشرت ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن المعنى ماتت، والحشر هو الجمع، فكأنها جمعت فى الموت، والقول الثانى: وهو الأظهر أن حشرها إحياؤها يوم القيامة.

وقد ورد فى الخبر المشهور عن النبى ﷺ أنه قال: «يقتص للجماء من القرناء»(٢). وعن ابن عباس قال: يحشر كل شيء حتى الذباب.

وقوله: ﴿ وإذا البحار سجرت ﴾ قال الحسن: يبست، وعنه أنه قال: فاضت أى: أدخل بعضها فى بعض. وعن كعب الأحبار سجرت أى: ملئت نارًا. وقال شمر بن عطية: تسجر كما يسجر التنور.

---

(١) النمل: ٨٨.

(٢) رواه مسلم (١٦ / ٢٠٥ رقم ٢٥٨٢)، والبخارى فى الأدب المفرد (رقم ١٨٣)، والترمذى (٤ / ٥٣٠ رقم ٢٤٢٠) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٢ / ٣٥، ٣٠١، ٣٧٢، ٤١١)، وأبو يعلى (١١ / ٣٩٥ رقم ٦٥١٣)، وابن حبان (١٦ / ٣٦٣ - ٣٦٤ رقم ٧٣٦٣)، والبيهقى (٦ / ٩٣) جميعهم من حديث أبى هريرة مرفوعا به.

وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾

وعن سعيد بن المسيب أن عليًّا - رضى الله عنه - سأل رجلا من اليهود عن جهنم؟ فقال: هو البحر، فقال: ما أراه إلا صادقًا، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ وإذا البحار سجرت ﴾. وعن بعضهم: أن بحر الروم وسط الأرض، وفي أسفله آبار من نحاس مطبقة، فإذا كان يوم القيامة سجرت ناراً، ومن هذا قوله تعالى: ﴿ والبحر المسجور ﴾(١) وقد بينا، ويجوز أن يجمع بين هذه الأقاويل، فيقال: إن البحار يدخل بعضها فى بعض فتصير بحراً واحداً، ثم يفيض وييبس ثم يملأ ناراً.

وقوله: ﴿ وإذا النفوس زوجت ﴾ قال الشعبى: الأبدان بالأرواح، وقيل: قرنت بأعمالها. وعن عمر - رضى الله عنه - قال: الصالح مع الصالح، والفاجر مع الفاجر. وعن بعضهم: المؤمنون يقرنون بالحور العين، والكفار بالشياطين.

﴿ وإذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت ﴾ الموءودة: هى الولد، كان أهل الجاهلية يقتلونه، وكان الواحد منهم إذا ولد له ابن تركه، وإذا ولد له بنت دفنها حية. وذكر بعضهم. أن المرأة كانت إذا أخذها المخاض حفرت حفيرة، وجلست عليها فإن ولدت ابنًا حبسته، وإن ولدت بنتًا ألقتها فى الحفيرة، وقد كان بعضهم يترك الجارية حتى تصير شديدة، ثم يقول لأمها: طيبيها زينيها، وقد حفر بئراً فى الصحراء، ويحملها مع نفسه، ويأمرها أن تطلع فى البئر، ثم يدفعها من خلفها فى البئر، ويهيل التراب، وكانوا يفعلون ذلك إما خشية الإملاق، أو [دفعا] للعار وأنفة عن أنفسهم.

وقوله: ﴿ سئلت بأى ذنب قتلت ﴾ هو سؤال توبيخ للوائد؛ لأن من جواب هذا السؤال أن يقول: قتلت بغير ذنب. وقرأ ابن عباس والضحاك وجماعة: «وإذا الموءودة سألت بأى ذنب قتلت» والمعنى معلوم. وذكر بعضهم فى تفسيره: أنها تأتى متلطخة بالدماء، وتتعلق بثدى أمها وتقول: يارب، هذه أمى وقد قتلتنى.

واعلم أنه ورد كثير من الأخبار فى أن أولاد المشركين خدم أهل الجنة(٢).

(١) الطور: ٦.

(٢) تقدم تخريجه.

وكان ابن عباس يقول: من قال الموءودة فى النار فقد كذب، وتلا هذه الآية. وعن النبى ﷺ أنه قال: «سألت ربى عن اللاهين من ذرية البشر فأعطانيهم»[1]. وعنه عليه الصلاة والسلام: «أنه سئل عن أطفال المشركين؟ فقال: هم خدم أهل الجنة»[2]. وقد وردت أخبار أخر أن أولاد المشركين فى النار، وقد ذكرنا بعض ذلك فيما سبق، وعنه ﷺ أنه قال لعائشة: «لو شئت أسمعتك تضاغيهم فى النار»[3]، وعنه عليه – الصلاة والسلام – أنه قال: «الوائدة والموءودة فى النار»[4]، وقد ثبت برواية أبى هريرة أن النبى ﷺ سئل عن أطفال المشركين؟ فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»[5].

فالأولى أن يتوقف، ويوكل علم ذلك إلى الله تعالى، وهم على مشيئته يفعل بهم ما يشاء. واعلم أنه قد كان فى العرب من يحيى الأطفال الموءودة، وذلك بأنهم (يفرون)[6] من آبائهم.

وقال الفرزدق يفتخر:

ومنا الذى منع الوائدا ت فأحيا الوئيد فلم يوأد

قاله فى جده صعصعة بن مجاشع.

---

(١) رواه أبو يعلى (٦/ ٢٦٧، ٣١٦ رقم ٣٥٧٠، ٣٦٣٦، ٧/ ١٣٨ رقم ٤١٠١، ٤١٠٢)، وابن عدى (٥/ ١٥١، ٦/ ٢٠)، وابن الأعرابى فى معجمه (٢/ ١٢٦ رقم ٨١٤)، وأبو نعيم فى أخبار أصبهان (١/ ٣٤٤)، وابن الجوزى فى العلل (٢/ ٩٢٦ رقم ١٥٤٥) عن أنس بن مالك به.
وحسن الحافظ فى الفتح (٣/ ٢٩٠) إسناده، وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ٢٢٢): رواه أبو يعلى من طرق ورجال أحدهما رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن المتوكل وهو ثقة.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه الإمام أحمد (٦/ ٢٠٨)، ولوين (رقم: (٣١) بتحقيقنا)، وابن عدى (٧/ ٢٠٧)، وابن الجوزى فى العلل (٢/ ٩٢٤ رقم ١٥٤١) وقال: لا يصح، جميعهم عن عائشة مرفوعا به.

(٤) رواه أبو داود (٤/ ٢٣٠ رقم ٤٧١٧)، والطبرانى فى الكبير (١٠/ رقم ١٠٠٥٩، ١٠٢٣٦)، والبزار فى مسنده (٥/ رقم ١٥٩٦، ١٦٠٥، ١٨٢٥)، وابن حبان فى صحيحه (١٦/ ٥٢١ – ٥٢٢ رقم ٧٤٨٠)، وفي المجروحين (٢/ ٢٦١)، والشاشى فى مسنده (٢/ ١١٨ – ١١٩ رقم ٦٤٨) عن ابن مسعود مرفوعا به.
وقد أطال الدارقطنى الكلام عليه فى العلل (٥/ ١٦٠ – ١٦٣ رقم ٧٩٤) فراجعه.

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) كذا، ولعله: يشترونهن. انظر القرطبى (١٩/ ٢٣٢ – ٢٣٣).

وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلا أُقْسِمُ

قوله تعالى: ﴿ وإذا الصحف نشرت ﴾ يعنى: على الخلائق، فمنهم من يعطى بيمينه، ومنهم من يعطى بشماله.

وقوله: ﴿ وإذا السماء كشطت ﴾ وقرأ ابن مسعود: «قُشِطَت» وهما بمعنى واحد، كالكافور والقافور.

وقوله: ﴿ كشطت ﴾ أى: قلعت، وقيل: نزعت.

وقوله: ﴿ وإذا الجحيم سعرت ﴾ أى: أوقدت، وهى توقد مرة بعد مرة فاستقام على هذا الكلام. قال قتادة: سَعَّرَهُ غضب الله وخطايا بنى آدم.

وقوله ﴿ وإذا الجنة أزلفت ﴾ أى: قربت وأدنيت، وهى للمتقين.

وقوله: ﴿ علمت نفس ما أحضرت ﴾ قال الربيع بن خثيم: إلى هذا جرى الكلام، وحكى معنى هذا عن ابن عباس. والمعنى: أنه إذا كانت هذه الأشياء علمت نفس ما أحضرت يعنى: من الخير والشر.

قوله تعالى: ﴿ فلا أقسم بالخنس ﴾ قال على - رضى الله عنه - هى خمسة كواكب: بهرام، وعطارد، وزحل، والزهرة، والمشترى، وذكر بعضهم الشمس والقمر فى ذلك. وعن بعضهم: أنها جميع النجوم.

وقوله: ﴿ الخنس ﴾ أى: تغيب فى سيرها، وقيل: تغيب فى النهار، وتظهر بالليل، وقيل: ترجع فى مسيرها من المغرب، وذلك ظاهر فى الكواكب الخمسة.

وقوله: ﴿ الجوار الكنس ﴾ أى: النساء السائرات الكنس، والكنس المستترات عن الأبصار. وقيل: بالغروب، وقيل: بالنهار. وهذه الكواكب هى الكواكب التى يسميها المنجمون المتحيرة، وقد تفردت حيث تسير بخلاف سائر الكواكب؛ لأن سائر الكواكب تسير من المشرق إلى المغرب، وهى تسير من المغرب إلى المشرق، ويحيلون

بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾

عليها الأفعال فى العالم، ونحن نتبرأ إلى الله تعالى من هذا الاعتقاد، ونحيل الجميع على الله تعالى، وإنما النجوم آيات ودلائل ومسخرات خلقت لمعانى ذكرناها من قبل، وفى الآية قول آخر: وهو أن الخنس هى بقر الوحوش. قال عمرو بن شرحبيل: قال لى عبد الله بن مسعود: أنتم قوم عرب، فما معنى ﴿الخنس الجوار الكنس﴾؟ قال عمرو: هى بقر الوحش، قال ابن مسعود: وأنا أرى ذلك وهو أيضًا إحدى الروايتين عن ابن عباس، والقول الأول هو المشهور.

والخنس على هذا القول: هى صغار الأنف، والكنس من استتارها فى كنسها.

وقوله: ﴿والليل إذا عسعس﴾ أى: أقبل بظلامه، وقيل: أدبر، وهو من الأضداد. والأول هو المعروف.

وقوله: ﴿والصبح إذا تنفس﴾ أى: ظهر وطلع، وقيل: ارتفع.

وقوله: ﴿إنه لقول رسول كريم﴾ أى قول أنزله رسول كريم أى كريم على مرسله وهو جبريل صلوات الله عليه. وحمل الآية على ما جاء به جبريل عليه السلام على الرسول ﷺ من غير القرآن. فعلى هذا يجوز أن يقال: هو قول جبريل. وقيل: إن قوله ﴿رسول كريم﴾ وهو محمد ﷺ والقول الأول هو المشهور.

وقوله ﴿ذى قوة عند ذى العرش مكين﴾ فى الخبر أن النبى ﷺ سأل جبريل عن قوته وأمانته؟

فقال: «أما قوتى فإن الله تعالى أرسلنى إلى مدائن لوط، وهى أربع مدائن فى كل مدينة أربعمائة ألف مقاتل سوى الذرية فأدخلت جناحى تحتها ورفعتها إلى السماء الدنيا حتى سمع أهل السماء الدنيا نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبتها. وأما أمانتى فإنى لم أعد ما أُمرت به إلى غيره[1].

(١) عزاه السيوطى فى الدر (٦/٣٥٧) لابن عساكر عن معاوية بن قرة به.

مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾

وقوله ﴿مكين﴾ هو بمعنى المكانة أو المنزلة عند الله تعالى. وذى العرش: هو الله تعالى.

وقوله ﴿مطاع ثم أمين﴾ فى التفسير أن الملائكة يطيعونه فيما يأمرهم به. وقد قيل: إن معناه أنه قال: لرضوان خازن الجنان ليلة المعراج: افتح الباب لمحمد ففتحه. وقال لمالك خازن النار: افتح الباب لمحمد ففتحه.

وقوله ﴿أمين﴾ قد ذكرنا. وقيل فى معنى الأمانة، أنه يرفع سبعين سرادقاً من غير استئذان. وقيل: يلج سبعين حجاباً من نور من غير استئذان.

وقوله تعالى ﴿وما صاحبكم بمجنون﴾ معنى الرسول ﷺ. وعن عطية أن نبى الله ﷺ سأل جبريل أن يريه نفسه على ما يكون فى السماء؟ فقال: ليس ذلك إلى حتى أستأذن ربى، فأذن الله تعالى له فى ذلك. فلما رأى جبريل على ما خلقه الله من العظمة وكثرة الأجنحة على ما ذكرنا غشى عليه، فلما رآه قريش مغشيا عليه قالوا: مجنون مجنون فأنزل الله تعالى ﴿وما صاحبكم بمجنون﴾.

وقوله ﴿ولقد رآه بالأفق المبين﴾ فى التفسير أنه عند مطلع الشمس، والذى رآه جبريل، وقد بينا هذا فى سورة والنجم.

وقوله ﴿وما هو على الغيب بضنين﴾ قرئ بالضاد والظاء. قال إبراهيم النخعى: بظنين بالظاء، بمتهم، وبضنين بالضاد، ببخيل. أورده النحاس وهو قول جماعة من المفسرين والغيب: هو الوحى.

وقوله ﴿وما هو بقول شيطان رجيم﴾ قال: هذا لأنهم كانوا يقولون أن محمداً يقول ما يقول عن الشيطان.

وقوله: ﴿فأين تذهبون﴾ أى: أين تذهبون عن هذا الحق الذى ظهر بدلائله؟.

إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾

وقوله: ﴿إن هو إلا ذكر للعالمين﴾ أى: تذكرة وعظة للعالمين.

وقوله: ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم﴾ فى التفسير أنه لما نزلت هذه الآية، قال أبو جهل: الأمر إلينا إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم، فأنزل الله تعالى قوله، ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾ ردا عليه. وفى الباب أحاديث كثيرة منها ما روى مالك عن زيد بن أبى أُنَيْسة أن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أخبره عن مسلم بن يسار الجهنى أن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - سئل عن هذه الآية ﴿وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم﴾(١) إلى أن قال: ﴿ألست بربكم﴾(١) الآية. فقال عمر بن الخطاب: سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها؟ فقال: «إن الله خلق آدم فمسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج، فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون، فقال رجل: يا رسول الله، ففيم العمل؟ فقال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل أهل الجنة، فيدخله به الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت، وهو على عمل أهل النار فيدخله به النار، وقال الله تعالى ﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله﴾(٢) .وقال تعالى ﴿وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله﴾(٣) قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث أبو محمد هياج بن عبيد الخطيبى بمكة قال: أخبرنا أبو محمد الحسن بن جميع،أخبرنا جدى، أخبرنا محمد بن عبدان القزاز، أخبرنا أبو مصعب عن مالك الحديث (٤). والله أعلم.

(١) الأعراف: ١٧٢.

(٢) الأنعام: ١١١.

(٣) يونس: ١٠٠.

(٤) تقدم تخريجه فى تفسير سورة الأعراف.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ
﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا

تفسير سورة (انفطرت)(١)

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿إذا السماء انفطرت﴾ معناه: انشقت، ومنه انفطر ناب البعير.

وقوله: ﴿وإذا الكواكب انتثرت﴾ أى: تساقطت.

وقوله: ﴿وإذا البحار فجرت﴾ قال الحسن: يبست. وعن غيره: ملئت، والمعروف فجر بعضها فى بعض، العذب فى المالح، والمالح فى العذب، وقيل: فجرت أى: جعلت بحراً واحداً، وذلك بتفجير بعضها فى بعض.

وقوله: ﴿وإذا القبور بعثرت﴾أى: بحثرت وبحثت، والمعنى: قلبت ترابها، وأخرج ما فيها من الموتى. وفى الخبر: أن الأرض تلقى أفلاذ كبدها يوم القيامة، فتخرج كنوزها وموتاها وكل ما فيها.

ومن المعروف أن النبى ﷺ قال: «يوشك أن يحسر الفرات على جبل من ذهب، فيقتتل الناس عليه»(٢).

قال القفال: يجوز أن يكون ما ذكره الله تعالى من هذه الأشياء قبل قيام الساعة، ويجوز أن يكون بعد قيام الساعة.

وقوله: ﴿علمت نفس ما قدمت وأخرت﴾ أى: ﴿ما قدمت﴾ فعملت من عمل ﴿وأخرت﴾ أى: ترك من العمل، وقيل: ما قدمت وأخرت أى: ما عملت من قديم

(١) فى «ك»: الانفطار.

(٢) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (١٣ / ٨٤ رقم ٧١١٩)، ومسلم (٢٨ / ٢٦-٢٧ رقم ٢٨٩٤).
وفى الباب عن أبى بن كعب، رواه مسلم (٢٨ / ٢٧ رقم ٢٨٩٥)، وأحمد (٥ / ١٣٩)وغيرهما.

﴿ الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ﴾

وحديث، وقيل في قوله: ﴿ وأخرت ﴾ أي: من سنة سيئة عمل بها بعده.

قوله تعالى: ﴿ يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ﴾ قيل: نزلت الآية في الوليد بن المغيرة، وقيل: في أبي جهل، وقيل: في غيرهما.

وقوله: ﴿ ما غرك بربك الكريم ﴾أي: أي شيء غرك وجرأك وسول لك حتى ارتكبت ما ارتكبت؟

وقوله: ﴿ بربك الكريم ﴾ يتجاوز عنك، وذلك في الدنيا. وفي بعض التفاسير: أن الآية نزلت في أبي الأسد، وكان قد ضرب النبي ﷺ، فلم يعاقبه الله تعالى في الدنيا، فهو معنى قوله: ﴿ بربك الكريم ﴾ الذي تجاوز عنك، ولم يعاقبك في الدنيا.

قال رضي الله عنه: أخبرنا محمد بن عبد العزيز الجنوجردي: أخبرنا أبو إسحاق الثعالبي: أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن فنجويه: أخبرنا أبو علي بن حبش المقرئ: أخبرنا أبو القاسم بن الفضل المقرئ: أخبرنا أبو علي بن الحسين: أخبرنا المقدمي، أخبرنا كثير بن هشام: أخبرنا جعفر بن برقان قال: حدثني صالح بن مسمار، قال: «بلغني أن النبي ﷺ تلا هذه الآية: ﴿ يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ﴾ قال: جهله»[1].

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال: ما منكم من أحد إلا سيخلوا الله به يوم القيامة فيقول: يا ابن آدم، ما غرك بي؟ يا ابن آدم، ماذا عملت فيما علمت؟ يا ابن آدم، ماذا أجبت المرسلين؟ وعن السدي (بن المفلس)[2] قال: غره رفقه به.

وعن إبراهيم بن الأشعث أن الفضيل بن عياض قيل له: لو قال الله تعالى لك: ما غرك بي فماذا تقول له؟ قال: أقول ستورك المرخاة. ونظم ذلك بعضهم:

(١) عزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٤ / ١٦٧) للثعلبي وعنه الواحدي في تفسير الوسيط، وقال: ورواه أبو عبيد في كتاب فضائل القرآن إلا أنه قال: غره حلمه. وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ٣٥٩) لعبد بن حميد فقط.

(٢) كذا! وأظنها مقحمة، وقد أورده البغوي (٤ / ٤٥٥) عن السدي قوله.

الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾

يا كاتم الذنب أما تستحي والله في الخلوة ثانيكا

غرك من ربك إمهاله وستره طول مساويكا

وعن يحيى بن معاذ قال: لو يقول الله تعالى: ما غرك بربك؟ فأقول: تركك لى سالفًا وآنفًا. وعن أبى بكر الوراق قال: أقول غرنى كرم الكريم. وعن منصور بن عمار قال: أقول غرنى ما علمت من سابق أفضالك. وقال بعضهم:

يا من خلا في الغي والتيه وغره طول تماديه

أملى لك الله فبارزته ولم تخف غب معاصيه

وقوله: ﴿الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة﴾ قال عطاء: جعلك قائمًا معتدلا حسن الصورة، وقيل: سواك أى: سوى بين يديك ورجليك وعينيك وأذنيك،[و](١)ووضع كل شيء موضعه، وهو أيضًا معنى قوله:﴿فعدلك﴾ ذكره الكلبى وغيره. وقيل: عدلك أى عَدَّل خلقك، وهو على ما بينا. وقرئ بالتخفيف أى: صرفك فى أى صورة شاء من حسن وقبيح، وطويل وقصير. وفى بعض الغرائب من الأخبار: «أن الله تعالى إذا أراد خلق عبد أحضر خلقه كل عرق كان بينه وبين آدم، فيخلقه على ما يريد من الشبه بمن شاء»(٢). وقد قيل: فعدل فى أى صورة ما شاء ركبك أى: من شبه أب وأم وعم وخالٍ، وقال أبو على الفارسى: معنى عدلك

(١) فى «ك»: فى.

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير (١٩ / ٢٩٠رقم ٦٤٤) ،وفى الأوسط (٦ / ٨٣ رقم ٣٤١١ مجمع البحرين) وفى الصغير (١ / ٨٢ رقم ١٠٦) عن مالك بن الحويرث مرفوعًا به.وقال الهيثمى فى المجمع (٧ / ١٣٧): رواه الطبرانى فى الثلاثة ورجاله ثقات ، ونسبه ابن رجب فى جامع العلوم والحكم (١ / ١٥٤-١٥٥) للطبرانى وابن منده فى التوحيد ، وذكر عن ابن منده قوله: إسناده متصل مشهور على رسم أبى عيسى والنسائى وغيرهما. وقال السيوطى فى الدر (٦ / ٣٦١): أخرج الحكيم الترمذى والطبرانى وابن مردويه بسند جيد والبيهقى فى الأسماء والصفات ، فذكره. وفى الباب عن موسى بن على بن رباح عن أبيه عن جده، وانظر جامع العلوم والحكم ،والدر.

كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ

بالتخفيف أي: في عدل بعضك ببعض، فكنت معتدل الخلق مناسبها فلا تفاوت فيها.

قوله تعالى: ﴿كلا بل تكذبون بالدين﴾ أي: بيوم القيامة، وقيل: بالحساب.

وقوله: ﴿وإن عليكم لحافظين كرامًا كاتبين﴾ في بعض الأحاديث «أن النبي ﷺ قال: أكرموا الكرام الكاتبين فإنهم معكم، إلا عند الجنابة والتبرز للحاجة»(١). وقد ورد عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿كرام بررة﴾(٢) أنهم الملائكة، يكرموا أن يكونوا مع ابن آدم عند خلوته بأهله، وعند حاجته.

وقوله: ﴿كاتبين﴾ هم الملائكة يقعدون عن يمين الإنسان ويساره، فيكتبون ما عليه وله، وقيل: واحد عن يمينه، وواحد عن يساره، فالذى عن يمينه يكتب الحسنات، والذى عن يساره يكتب السيئات، وقيل: إن الذى عن يمينه أمين على الذى على يساره لا يكتب إلا بإذنه. وفي الخبر برواية أبي هريرة عن النبي ﷺ: «إن العبد إذا هم بحسنة يكتب له الملك حسنة، فإذا عملها كتب له عشر حسنات، وإذا هم بسيئة لم تكتب عليه شيئًا، فإذا عملها كتب سيئة»(٣).

وقوله: ﴿يعلمون ما تفعلون﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿إن الأبرار لفى نعيم﴾ في الخبر أن النبي ﷺ قال: «هم الذين بروا آباءهم وأبناءهم»(٤). وظاهر المعنى أنهم المطيعون.

(١) رواه الترمزى (٥ / ١٠٤ رقم ٢٨٠٠) وقال: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وفي الباب عن ابن عباس ومجاهد مرسلا.

(٢) عبس: ١٦.

(٣) متفق عليه، رواه البخاري (١٣ / ٤٧٣ - ٤٧٤ رقم ٧٥٠١) ومسلم (٢ / ١٩٤ رقم ١٢٨).

(٤) رواه ابن عدى (٤ / ٣٢٣) ضمن منكرات عبيد الله الوصافي عن محارب عن ابن عمر، وقال: ولايتابع عليه. وعزاه الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤ / ٤٨٢) لابن عساكر في تاريخه.

وقال الهيثمي في المجمع (٨ / ١٤٩): رواه الطبراني وفيه عبيد الله الوصافي وهو ضعيف.

﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ
الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا
وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾

وقوله: ﴿ وإن الفجار لفي جحيم ﴾ هي النار، نعوذ بالله منها. وفي الحكايات: أن سليمان بن عبد الملك حج، فلقي أبا حازم سلمة بن دينار فقال: يا أبا حازم، كيف القدوم على الله؟ فقال: أما المحسنون فكالغائب يقدم على أهله، وأما المسيء فكالعبد الآبق يرد إلى سيده، فبكى سليمان، ثم قال: ليت شعري نعلم ما حالنا عند الله؟ فقال أبو حازم: اعرضها على كتاب الله تعالى، فقال: وعلى أي ذلك أعرض؟ فقال على قوله تعالى: ﴿ إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم ﴾ قال سليمان: فأين رحمة الله؟ قال: قريب من المحسنين.

قوله تعالى: ﴿ يصلونها يوم الدين ﴾ أي: يدخلونها يوم القيامة.

وقوله: ﴿ وما هم عنها بغائبين ﴾ أي: مبعدين.

وقوله: ﴿ وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين ﴾ هو على معنى تفخيم الأمر وتعظيمه.

وقوله: ﴿ يَوْمَ لا تملك نفس لنفس شيئًا ﴾ أي: لا تغني نفس عن نفس شيئًا. ويوم منصوب على الظرف، وقرئ «يَوْمُ» بالرفع، وهو ظاهر.

وقوله: ﴿ والأمر يومئذ لله ﴾ أي: الأمر يوم القيامة لله ليس لأحد معه أمر، والله أعلم.

تفسير بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣)﴾

سورة المطففين

وهى مدنية

قال ابن عباس: هى أول سورة نزلت بالمدينة، قدم رسول الله ﷺ المدينة، وهم أخبث الناس كيلاً ووزنًا، فأنزل الله تعالى هذه السورة، فاستقاموا، فهم أوفى الناس كيلا ووزنًا إلى (اليوم) (١).

قوله تعالى: ﴿ويل للمطففين﴾ الويل: هو الدعاء بالشدة والهلاك. وعن السدى هو واد فى جهنم، يسيل فيه صديد أهل النار.

وقوله: ﴿للمطففين﴾ هم الذين لا يوفون الكيل والوزن ويبخسون. قال الزجاج: سمى مطففًا، لأنه لا يُطف بهذا الفعل بالشيء الطفيف أى: اليسير وقد بينا أنها نزلت فى أهل المدينة، وقيل: نزلت فى أبى جهينة، كان رجلا من أهل المدينة له صاعان يكيل بأحدهما على الناس أى:عن الناس ويقال: اكتلت على فلان أى: استوفيت ما عليه.

وقوله: ﴿يستوفون﴾ أى: يستوفون حقوقهم على الكمال، وقيل: يستوفونه راجحًا.

وقوله ﴿وإذا كالوهم﴾ كالوا لهم. وكذلك:﴿أو وزنوهم﴾ أى:وزنوا لهم. [قاله](٢) أبو عبيدة والأخفش والفراء – والأخفش هو سعيد بن [مسعدة](٣)، وهو الأخفش الكبير(١)– وقال الفراء: هو لغة حجازية، سمعت بعضهم بمكة يقول: إذا

(١) فى «ك»: يوم القيامة.

(٢) فى «الأصل، وك»: قال.

(٣) فى «الأصل، وك»: سعد، والصواب مسعدة، وانظر طبقات النحويين واللغويين ص٧٢ والسير (١٠ / ٢٠٦)، وغيرهما.

أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

صدر الناس أتينا التاجر، فكال المد والمدين إلى العام المقبل أى: كال لنا.

و﴿ يخسرون ﴾ أى: ينقصون.

وقوله: ﴿ ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ﴾أى :ألا يستيقنوا أولئك أنهم مبعوثون. وعن ابن عباس أنه قال :خمس بخمس: ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم، وما حكم قوم بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، وما نقصوا من المكيال والميزان إلا منعوا النبات وأجدبوا بالسنين، وما منع قوم الزكاة إلا حبس عنهم القطر.

وعن مالك بن دينار قال: دخلت على جارٍ لى أعوده، وقد نزل به الموت، فجعلت ألقنه كلمة الشهادة، وهو يقول: جبلان من نار، جبلان من نار. فما زال يقول حتى مات، فسألت عنه؟ قالوا: كان له مكيال وميزان يطفف بهما.

وقيل فى قوله: ﴿ ألا يظن ﴾ يعنى: أنهم لا يعملون عمل من يظن أنهم مبعوثون.

وقوله:﴿ ليوم عظيم ﴾ هو يوم القيامة. سماه عظيماً لعظم ما فيه وشدته.

وقوله:﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ روى ابن عمر عن النبى ﷺ أنه قال: « يقومون مائة سنة على رءوس قبورهم »، وعن بعض الصحابة: ثلثمائة سنة، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص: يقومون ألف عام فى الظلمة.

وروى حماد بن سلمة، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبى ﷺ أنه قال فى قوله تعالى ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ قال:« يقومون حتى يبلغ الرشح

(١) كذا قال، والمعروف أن الأخفش سعيد بن مسعدة هو الأخفش الأوسط، كما فى ترجمته فى السير وغيره، وأما الأخفش الكبير فهو أبو الخطاب البصرى، واسمه عبد المجيد بن عبد المجيد، كما فى السير (٧ / ٣٢٣) وغيره.

كَلَّآ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾

أطراف آذانهم »[١] . قال رضى الله عنه : أخبرنا بهذا الحديث أبو الحسين بن النقور، أخبرنا أبو طاهر المخلص.[٢] أخبرنا ابن بنت منيع – هو أبو القاسم البغوى –أخبرنا أبو نصر التمار، أخبرنا حماد بن سلمة، الحديث. خرجه مسلم فى صحيحه عن أبى نصر التمار، وذكر البخارى هذا الحديث بإسناده، وذكر أنهم يقومون حتى يبلغ الرشح أنصاف آذانهم، وروى سليم بن عامر، عن المقداد بن الأسود أن النبى ﷺ قال : « تُدْنَى الشمس من رءوس الخلائق، حتى تكون على قدر ميل من رءوسهم » قال سليم : فلا أدرى أراد ميل المسافة أم ميل الذى يكتحل به – قال : « فتصهرهم الشمس، فيكونون فى العرق على قدر أعمالهم، فمنهم من يأخذه العرق إلى كعبيه، ومنهم إلى ركبتيه، ومنهم إلى حقوه، ومنهم من يلجمه إلجامًا، ووضع رسول الله ﷺ يده على (فمه)[٣] »[٤] .

وفى بعض الأخبار : « أن العرق يذهب فى الأرض سبعين ذراعا »[٥] والله أعلم.

قوله تعالى : ﴿ كلا إن كتاب الفجار لفى سجين ﴾ كلا ردع وزجر وتنبيه، كأنه يقول :ليس الأمر كما تزعمون فارتدعوا. وقوله : ﴿ إن كتاب الفجار لفى سجين ﴾ فيه قولان : أحدهما : أنه كتاب الأعمال، والآخر : أنه أرواح الكفار، والأظهر هو الأول.

(١) متفق عليه، رواه البخارى (٨ / ٥٦٥ رقم ٤٩٣٨ وطرفه ١٦٥٣١) ومسلم (١٧ / ٢٨٤ – ٢٨٥ رقم ٢٨٦٢).

(٢) فى « الأصل وك » : أبو طاهر بن المخلص، وهو أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن بن العباس أبو طاهر البغدادى

(٣) فى « ك » : فيه.

(٤) رواه مسلم (١٧ / ٢٨٥ – ٢٨٦ رقم ٢٤٦٤)، والترمذى (٤ / ٦١٤ رقم ٢٤٢)، وأحمد (٦ / ٣–٤)، والطبرانى فى الكبير (٢٠ / ٢٥٥رقم ٦٠٢)، وابن حبان (١٦ / ٣٢٥ رقم ٧٣٣٠)، والبغوى فى تفسير (٤ / ٤٥٨).

(٥) متفق عليه من حديث أبي هريرة، رواه البخارى (١١ / ٤٠٠ رقم ٦٥٣٢)، ومسلم (١٧ / ٢٨٥ رقم ٢٨٦٣) .الملقب بالمخلص وهو مخلص الذهب من الغش.

وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ

وقوله: ﴿لفى سجين﴾ هو فعيل من السجن، قال عطاء الخراسانى: هو الأرض السفلى فيها إبليس وذريته. وعن مجاهد: صخرة تحت الأرض السابعة تقلب، ويجعل تحتها كتاب الفجار. وعن الحبر أنه قال فى قوله: ﴿إن كتاب الفجار لفى سجين﴾: هو روح الكافر تُقبض ويصعد به إلى السماء ،فتأبى السماء أن تقبله، ثم يهبط به إلى الأرض، فتأبى الأرض أن تقبله، فيهبط به تحت الأرضين، فيجعل تحت خد إبليس. وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ: « أن الفلق جُبٌّ فى جهنم مغطى، والسجين جب فى جهنم مفتوح »(١).

وقوله: ﴿وما أدراك ما سجين﴾ قال الزجاج: لم يعلمه رسول الله حتى أعلمه الله.

وقوله: ﴿كتاب مرقوم﴾ أى كتاب الفجار، وقال بعضهم: كتاب مرقوم يرجع إلى السجين، والأصح ما بينا.

قوله: ﴿ويل يومئذٍ للمكذبين﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب به إلا كل معتد أثيم إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين﴾ أى: أباطيل الأولين وأكاذيبهم.

قوله تعالى: ﴿كلا بل ران على قلوبهم﴾أى: غلب على قلوبهم. قال الفراء: استكثروا من المعاصى والذنوب فأحاطت بقلوبهم. وروى القعقاع بن حكيم، عن أبى صالح، عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ أنه قال: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت فى قلبه نكتة، فإن هو نزع واستغفر وتاب صُقلت، وإن عاد زيد فيها حتى يغلق قلبه، فهو

(١) رواه ابن جرير الطبرى (٣٠ / ٦١، ٢٢٥)، واستنكره الحافظ ابن كثير فى تفسيره (٤ / ٥٧٣، ٤٨٥) وقال فى الموضع الأول: حديث مرفوع منكر. إسناده غريب ولايصح رفعه.

آياتُنا قالَ أَساطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلاَّ بَلْ رانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾
كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ

لرَّين الذى قال الله تعالى: ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾»[١] . قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث الشريف أبو نصر محمد بن محمد بن على الزينبى، أخبرنا أبو طاهر المخلص، أخبرنا البغوى، أخبرنا زغبة، عن الليث، عن ابن عجلان، عن القعقاع بن حكيم الحديث.

ويقال: ران أى: غطى وغشى، وهو قريب من الأول.

قال الحسن: هو الذنب على الذنب حتى يسود قلبه، وروى نحو هذا عن مجاهد.

قوله تعالى: ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾ فى الآية دليل على أن المؤمنين يرون الله تعالى، وقد نقل هذا الدليل عن مالك والشافعى-رحمة الله عليهما- قال مالك: لما حجب الله الفجار عن رؤيته دل أنه ليتجلى للمؤمنين حتى يروه. ومثل هذا رواه الربيع بن سليمان، عن الشافعى، قال الربيع: قلت للشافعى: أيُرى الله بهذا؟ فقال: لو لم أوقن أن الله يرى فى الجنة لم أعبده فى الدنيا. وقد رُوى هذا الدليل عن (أحمد بن يحيى بن ثعلب الشيبانى ابن عباس)[٢]. وعن الحسن البصرى قال: لو عرف المؤمنون أنهم لا يرون الله فى الآخرة، لانزهقت أرواحهم فى الدنيا.

وفى الآية أبين دليل من حيث المعنى على ما قلنا،لأنه ذكر قوله: ﴿ كلا إنهم عن

(١) رواه الترمذى (٥ / ٤٠٤ رقم ٣٣٣٤) وقال: حسن صحيح، والنسائى فى الكبرى (٦ / ١١٠ رقم ١٠٢٥١، ١١٦٥٨)، وابن ماجه (٢ / ١٤١٨ رقم ٤٢٤٤)، وأحمد (٢ / ٢٩٧)، وابن أبى الدنيا فى التوبة (رقم١٩٨)، وابن جرير الطبرى فى تفسيره (١ / ٨٧، ٣٠ / ٦٢)، وابن حبان فى صحيحه (٣ / ٢١٠رقم ٩٣٠)، والحاكم (٢ / ٥١٧) وصححه على شرط مسلم، والبيهقى (١٠ / ١٨٨) وفى الآداب أيضا (رقم ١٠١٦) وغيرهم.

(٢) كذا فى «الأصل وك»، وهو خطأ، والصواب: أحمد بن يحيى بن يزيد أبو العباس ثعلب كما فى ترجمته من تاريخ بغداد (٥ / ٢٠٤- ٢١٢)، وطبقات النحويين (١٤١-١٥٠)، والسير (١٤ / ٥ - ٧).

يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ

ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾ فى حق الكفار عقوبة لهم، فلو قلنا: إن المؤمنين يحجبون، لم يصح عقوبة الكفار به. وقد ذكر الكلبى فى تفسيره عن ابن عباس فى هذه الآية: أن المؤمنين يرونه فى الجنة، ويحجب الكفار. وعن الحسين بن الفضل قال: كما حجبهم فى الدنيا عن توحيده، كذلك فى الآخرة عن رؤيته.

وقوله: ﴿ ثم إنهم لصالوا الجحيم ﴾ أى: لداخلوا الجحيم.

وقوله: ﴿ ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون ﴾ يقال لهم ذلك على طريق التوبيخ والتعيير.

قوله تعالى: ﴿ كلا إن كتاب الأبرار لفى عليين ﴾ قال الفراء: ارتفاع بعد ارتفاع. وقال كعب: يقبض روح المؤمن فيصعد به إلى السماء، فتتلقاه الملائكة إلى أن تبلغ السماء السابعة، فيوضع تحت العرش.

يقال: إن الكتاب هو كتاب الأعمال، وقد بينا أنه أظهر القولين، والمعنى: أنه يوضع فى أعلى الأمكنة إظهاراً لخسة عمل الفجار.

وقوله: ﴿ وما أدراك ما عليون ﴾ قال الزجاج: لم يدر حتى أعلمه الله.

وقوله: ﴿ كتاب مرقوم يشهده المقربون ﴾ أى كتاب مكتوب، أو كتاب عليه علامة القبول، يشهده الملائكة، وقيل: يشهده مقربو كل سماء.

قوله تعالى: ﴿ إن الأبرار لفى نعيم ﴾ أى: فى نعيم الجنة.

وقوله: ﴿ على الأرائك ينظرون ﴾ الأرائك جمع أريكة، وهى السرر فى الحجال كما بينا.

وقوله: ﴿ تعرف فى وجوههم نضرة النعيم ﴾ أى: بهجة النعيم وحسنها. وهو

﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ

مثل قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾(١).

وقوله: ﴿يسقون من رحيق مختوم﴾ روى مسروق عن ابن مسعود، وسعيد بن جبير عن ابن عباس أنهما قالا: الرحيق هو الخمر وقيل: هو الشراب الذى لا غش فيه.

وقوله: ﴿مختوم﴾ أى: لم تمسسه الأيدى.

وقوله: ﴿ختامه مسك﴾ قال إبراهيم النخعى وسعيد بن جبير: آخره رائحة المسك، وطعمه طعم ألذ الأشربة. وعن جماعة من المفسرين أنهم قالوا: إذا بلغ آخر الشرب وجد رائحة المسك والمعنى: أن الشراب الذى يكون فى الدنيا يكون فى آخره الكدر، وما تكرهه النفس، فذكر الله تعالى أن شراب الآخرة على خلافه.

وقرأ على - رضى الله عنه - «خاتمه مسك» وقرأ عيسى بن عمر «خاتمه مسك» بكسر التاء، وقيل فى معنى قوله تعالى: «خاتَمَهُ مسك» بفتح التاء أى: (طينته) ﴿(٢)﴾ مسك، وفى قوله: «خاتِمَهُ مسك» بكسر التاء أى: آخره وعاقبته.

وقوله ﴿وفى ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ أى: فليتبادر المتبادرون، والمنافسة إظهار شدة الطلب، وقيل: هى المسابقة إلى التحصيل.

وقوله: ﴿ومزاجه من تسنيم﴾ قال سعيد بن جبير عن ابن عباس، وعلقمة عن ابن مسعود: هو أشرف شراب لأهل الجنة يشربه المقربون صرفًا، ويمزج للأبرار، ومثله رواه منصور عن مالك بن الحارث.

وقيل فى التسنيم: هو عين تتسنم على أهل الجنة من الغرف، وقيل: هو عين من ماء.

وقوله: ﴿عينًا يشرب بها المقربون﴾ قد بينا، ونصب عينًا بمعنى: أعنى عينًا، أو أريد عينًا.

(١) فى «ك»: طيبه.

(٢) القيامة: ٢٢ - ٢٣.

الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾

وقوله: ﴿ بها ﴾ أي: منها.

قوله تعالى: ﴿ إن الذين أجرموا ﴾ هم الكفار. وقيل: هذا في قوم مخصوصين من قريش، منهم أبو جهل والوليد بن المغيرة، والأسود بن عبد يغوث، والنضر بن الحارث وغيرهم.

وقوله: ﴿ كانوا من الذين آمنوا يضحكون ﴾ قيل: إنه في قوم مخصوصين من المؤمنين منهم خباب وبلال وأبو ذر وعمار وغيرهم من فقراء الصحابة.

وقوله: ﴿ وإذا مروا بهم يتغامزون ﴾ أي: يشيرون بالأعين والحواجب.

وقوله: ﴿ وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فاكهين ﴾ أي معجبين بأفعالهم. وقيل: طيبين الأنفس مستبشرين. والعرب تقول: رجل فكه وفاكه إذا كان ضحوكا طيب النفس.

وقوله: ﴿ وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون ﴾ أي: أخطأوا الحق وطريق الرشد واتبعوا الباطل.

وقوله: ﴿ وما أرسلوا عليهم حافظين ﴾ أي ما أرسلوا عليهم ليحفظوا أعمالهم. أي ما أرسل الكفار على المؤمنين، والمعنى: أنهم ما وكلوا بالمؤمنين ليحفظوا عليهم ما يفعلون. وقيل: إن هذه الآية نزلت في المنافقين. وقيل: إنها نزلت في أبي جهل وأصحابه.

وقوله: ﴿ من الذين آمنوا ﴾ علي رضي الله عنه وأصحابه. وهو قول بعيد.

وقوله: ﴿ فاليوم الذين آمنوا ﴾ هم المؤمنون من أصحاب الرسول ﷺ.

عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

وقوله :﴿ من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون ﴾ فى بعض التفاسير إن للجنة كوى إلى أهل النار متى شاء أهل الجنة فتحوا الكوى ونظروا إلى النار وضحكوا منهم. وقد بينا معنى الأرائك من قبل.

وقوله ﴿ هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ﴾ أى هل جوزى الكفار ما كانوا - أى بما كانوا - يفعلون.

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾

تفسير سورة الكدح

وهى مكية، والله أعلم

قوله تعالى: ﴿إذا السماء انشقت﴾ هو فى معنى قوله: ﴿إذا السماء انفطرت﴾[١] ويقال: انشقت بالغمام، مثل قوله تعالى: ﴿ويوم تشقق السماء بالغمام﴾[٢] وقد ذكرنا، وقيل: انشقت لنزول الملائكة. وفى تفسير النقاش: انشقت لنزول الرب عز اسمه، وهو بلا كيف، وقيل: (مزقت)[٣]. وعن على - رضى الله عنه - أنه قال: تنشق السماء من المجرة، ويقال: هى باب السماء.

وقوله: ﴿وأذنت لربها وحقت﴾ أى: واستمعت لأمر ربها، وحق لها أن تستمع. قال الشاعر:

القلب تعلل بَدَدَنْ　　　إن همى فى سماع وأَذَنْ[٤]

وقال بعضهم: صم إذا سمعوا خيراً ذكرت به، وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا، أى: استمعوا. وفى الخبر عن النبى ﷺ: «ما أذن الله بشىء كإذنه لنبى يتغنى بالقرآن»[٥]. وأما استماع السماء فيجوز أن يكون على الحقيقة، ويجوز أن يكون استماعها انقيادها لما تؤمر به، والله أعلم.

وقوله: ﴿وإذا الأرض مدت﴾ أى: مدت مد الأديم لايبقى عليها جبل ولاشىء إلا

(١) الانفطار: ١　　(٢) الفرقان: ٢٥.　　(٣) فى «ك»: فرقت.

(٤) والبيت فى لسان العرب (١٣ / ١٠ مادة أذن) ونسبه لعدى، وأوله: يأيها القلب .. فذكره.

(٥) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (٨ / ٦٨٦ رقم ٥٠٢٣ وأطرافه ٥٠٢٤، ٧٤٨٢، ٧٥٤٤)، ومسلم (٦ / ١١٢-١١٤ رقم ٧٩٢).

وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ ﴿٦﴾

دخل فى جوفها، وقيل: زيد فى سعتها لتسعهم.

وعن بعضهم: غيرت عن هيئتها بالتبديل، وغير ذلك، فهو معنى قوله: ﴿مدت﴾.

وقوله: ﴿وألقت مافيها وتخلت﴾ أى: وألقت مافى جوفها، من الكنوز والموتى فخلى جوفها، ويقال: ألقت بما استودعت، وتخلت عما استحفظت، وكأنها ألقت ما على ظهرها، وتخلت عما فى جوفها.

وقوله ﴿وأذنت لربها وحقت﴾ قد بينا.

فإن قيل: أين جواب قوله: ﴿إذا السماء انشقت﴾ وهو يقتضى جوابا؟ والجواب من وجوه: قال الفراء: جوابه محذوف، والمعنى: إذا السماء انشقت وكان كذا، رأى كل إنسان ماوجد من الثواب والعقاب، ويقال: علم كل منكر للبعث أنه كان فى ضلالة وخطأ.

والوجه الثانى: أن الجواب قوله: ﴿وأذنت﴾ والواو زائدة، فالجواب: أذنت.

والوجه الثالث: أن الجواب قوله: ﴿فملاقيه﴾ أى: يلقى عمله من خير وشر.

والوجه الرابع: أن فى الآية تقديماً وتأخيراً، والمعنى: ياأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحًا فملاقيه إذا السماء انشقت.

قوله تعالى: ﴿يأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحًا فملاقيه﴾ قال قتادة: عامل لربك عملاً. والكدح هو السعى بتعب ونصب.

قال الشاعر:

ومضت بشاشة كل عيش صالح وبقيت أكدح للحياة وأنصب

ويجوز أن يكون ذكر الواحد هاهنا بمعنى الجمع، فيكون بمعنى يأيها الناس. وكان الحسن البصرى يقول: يأيها الرجل، وكلكم ذلك الرجل.

فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾

وقوله تعالى: ﴿ فملاقيه ﴾ قال قتادة: أى: فملاقٍ عملك من خير وشر.

ويقال: ملاقٍ ربك.

وقوله: ﴿ فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا ﴾. أى هينًا، وقيل فى اليسير: هو أن يقبل الحسنات، ويتجاوز عن السيئات. وقد ثبت برواية أبى مليكة[١] عن عائشة أن النبى ﷺ قال: «من نوقش فى الحساب هلك، قلت: يارسول الله، فإن الله عز وجل يقول: ﴿ فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا ﴾ قال: ذلك العرض»[٢] قال رضى الله عنه أخبرنا بهذا الحديث أبو الحسين ابن النقور، أخبرنا أبو طاهر (بن)[٣] المخلص، أخبرنا أبو محمد يحيى بن صاعد،[٤] أخبرنا الحسن بن الحسين المروزى، عن عبد الله بن المبارك، عن عثمان بن الأسود، عن ابن أبى مليكة الخبر.

وأورد أبو عيسى برواية (ابن عمر)[٥] أن النبى ﷺ قال: «من حوسب عذب»[٦]، وهو بإسناد غريب. وفى رواية ثالثة عن عائشة – رضى الله عنها– أن النبى ﷺ رآها، وقد رفعت يديها وهى تقول: اللهم حاسبنى حسابًا يسيرًا. فقال: «ياعائشة، أتدرين

(١) كذا فى «الأصل و ك»، والصواب ابن أبى مليكة، وهو عبد الله بن عبيد الله بن أبى مليكة من رجال التهذيب، وهوالراوى عن عائشة –رضى الله عنها– وسيأتى على الصواب فى إسناد المصنف للحديث.

(٢) تقدم تخرجه.

(٣) كذا، وهو أبو طاهر المخلص، وقد سبق التنبيه عليه.

(٤) فى «الأصل، وك»: أبو محمد بن يحيى ..والصواب أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد بن كاتب الإمام الحافظ المجود المشهور، فهو يروى عن المروزى، وعنه أبو طاهر المخلص كما فى ترجمته من سير الأعلام (١٤ / ٥٠١ – ٥٠٧).

(٥) كذا، وإنما هو عن أنس بن مالك.

(٦) رواه الترمذى (٥ / ٤٠٦ رقم ٣٣٣٨) وقال: غريب، وابن عدى فى الكامل (٥ / ١٨٢) عن أنس به. وعزاه فى كشف الخفاء أيضا للضياء فى المختارة (٢ / ٣٣٨).

وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾

ما ذلك الحساب؟ قالت عائشة: فقلت ذكر الله فى كتابه: ﴿ فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابًا يسيرا ﴾ فقال رسول الله ﷺ: من حوسب خصم، وذلك الممر بين يدى الله تعالى». وذكر الحاكم أبو عبد الله الحافظ فى المستدرك على الصحيحين بإسناده عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «ثلاث من كن فيه حاسبه الله حسابًا يسيراً، وأدخله الجنة برحمته. قال أبو هريرة: قلت يارسول الله، لمن ذلك؟ قال: «أن تصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك، وتعطى من حرمك»(١).

وقوله: ﴿ وينقلب إلى أهله مسروراً ﴾ أى: فرحًا مستبشراً، ويجوز أن ينقلب إلى أهله من الحور العين، ويجوز أن يكون المعنى ينقلب إلى أهله الذين كانوا له فى الدنيا، وقيل: نزلت فى أبى سلمة بن عبد الأسد، وكان زوج أم سلمة، وهو أول من هاجر إلى المدينة.

وقوله: ﴿ وأما من أوتى كتابه وراء ظهره ﴾ نزلت فى الأسود بن عبد الأسد.

قوله تعالى: ﴿ وأما من أوتى كتابه وراء ظهره ﴾ قال مجاهد: يخلع يده اليمنى، ويجعل يده اليسرى وراء ظهره، فيوضع كتابه فيها.

وقال الكلبى: تغل يده اليمنى، ويوضع كتابه فى شماله من وراء ظهره. وروى أبو

(١) رواه البزار (٢ / ٢٤٦ رقم ١٧٩٥-مختصره)، وابن أبى الدنيا فى مكارم الأخلاق (رقم٢١)، والطبرانى فى الأوسط (٥ / ١٦٦-١٦٧ رقم ٢٨٥٦-مجمع البحرين)، وابن عدى(٣ / ٢٧٦-٢٧٧)،والحاكم (٢ / ٥١٨) وصححه ،وتعقبه الذهبى بقوله : سليمان - يعنى ابن داود اليمامى- ضعيف، والبيهقي (١٠ / ٥٣٤) .قلت: وأعله الحافظ ابن حجر فى مختصر البزار بسليمان بن داود وقال: ليس بالقوى، ولايتابع على حديثه، ومثله الهيثمى فى المجمع (٨ / ١٥٧). وقال: سليمان بن داود متروك وكذلك المنذرى فى الترغيب(٣ / ٣٠٨) وقال: سليمان واه .

﴿فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾﴾

موسى الأشعرى -وهو عبد الله بن قيس -أن النبى ﷺ قال: «يكون فى القيامة ثلاث عرضات: فعرضتان جدال ومعاذير، والعرضة الثالثة عند تطاير الصحف، فآخذ بيمينه وآخذ بشماله»(١) .وذكر النقاش فى تفسيره بإسناده أن النبى ﷺ قال: «من حاسب نفسه فى الدنيا هون الله عليه الحساب فى الآخرة».

﴿فسوف يدعو ثبوراً﴾ معناه: يقول واثبوراه، ومعنى قوله: واثبوراه: واهلاكاه. يقال: رجل مثبور أى: هالك.

وقوله: ﴿ويصلى سعيراً﴾ أى: يقاسى النار، ويقال: يدخل، ومنه قوله تعالى ﴿اصلوها﴾(٢) أى: ادخلوها، وقرئ: «ويُصلى سعيراً» أى: يكثر عذابه بنار جهنم، ذكره الأزهرى.

قوله تعالى: ﴿إنه كان فى أهله مسرورا﴾ أى: لم يحزن للتقصير فى أوامر الله تعالى، ولم يتعب، ولم ينصب فى العمل بطاعة الله، ذكره القفال. ويقال: كان فى أهله مسروراً، أى: راكبًا هواه، متبعًا شهوته.

وقوله ﴿إنه ظن أن لن يحور﴾ أى: أن لن يرجع إلى الله تعالى، وهو إخبار عن إنكاره بالبعث.

وقوله: ﴿يحور﴾ يرجع، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «أعوذ بالله من الحُور بعد الكور»(٣) أى: النقصان بعد الزيادة. وفى رواية: «من الحَوْر بعد الكور» أى: من انتشار أمره بعد أن كان مجتمعاً، أو من فساد أمره بعد أن كان صالحًا.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) يس: ٤٦، الطور: ١٦.

(٣) رواه مسلم (٩ / ١٥٩-١٦٠ رقم ١٣٤٣)، والترمذى (٥ / ٤٦٤ رقم ٣٤٣٩) وقال: حسن صحيح، والنسائى (٨ / ٢٧٢ رقم ٥٤٩٨، ٥٤٩٩)، وابن ماجه (٢ / ١٢٧٩ رقم ٣٨٨٨)، وأحمد (٥ / ٨٣)، وابن خزيمة (٤ / ١٣٨ رقم ٢٥٣٣) جميعهم عن عبد الله بن سرجس به.

بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾

وقال الشاعر:

وما المرء إلا كالشهاب وضوئِه ... يحورُ رمادًا بعد إذ هو ساطع

وقوله: ﴿ بلى إن ربه كان به بصيرًا ﴾ أى: عالمًا.

وقوله تعالى: ﴿ فلا أقسم بالشفق ﴾ أى: أقسم بالشفق، قال مجاهد: هو النهار كله(١). والمعروف أن الشفق هو الحمرة من عند غروب الشمس إلى العشاء الآخرة. قال الفراء: سمعت العرب تقول على فلان ثوب كأنه الشفق، وكان عليه ثوب مصبوغ بالحمرة. وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ أنه قال: «الشفق هو الحمرة»(٢). وهو قول جماعة من الصحابة وجماعة من التابعين منهم: ابن عمر، وسعيد بن المسيب، وغيرهما.

وعن أبى هريرة: أن الشفق هو البياض، وهو قول عمر بن عبد العزيز.

قوله: ﴿ والليل وماوسق ﴾ أى: وما جمع ولف، وضم الأشياء بعد انتشارها، وإنما قال ذلك؛ لأنه إذا كان الليل آوى كل شىء إلى مأواه، ورَجَعَ كل إنسان إلى منزله، وإذا كان النهار انتشروا فى التصرف.

وقوله: ﴿ والقمر إذا اتسق ﴾ أى: إذا اجتمع ضوءه، ويقال: امتلأ نوراً، وهو ليلة الثالث عشر من الشهر والرابع عشر والخامس [عشر](٣).

---

(١) فى «الأصل»: وكله.

(٢) رواه الدار قطنى (١ / ٢٦٩)، والبيهقى (١ / ٣٧٣) عن ابن عمر مرفوعا وموقوفا به. وقال البيهقى: والصحيح موقوف.

(٣) من «ك».

لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾

قال الشاعر:

إن لنا قلائصا حقائقا مستوسقات (لو)(١) يجدن سائقًا

وقوله ﴿لَتَرْكَبُنَّ طبقا عن طبق﴾ وقرئ: «لَتَرْكَبُنَّ» على الوحدان، فمن قرأ على الجمع فمعناه: لتركبن أيها الناس حالاً بعد حال، والحال هو بمعنى الطبق.

قال الشاعر:

فبينا المرء فى عيش لذيذ ناعم خفض أتاه طبق يومًا على منقلب دحض

ومعنى حال بعد حال: هو أنه يكون نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم ينفخ فيه الروح، وبعد ذلك تتبدل أحواله، ويختلف على المعهود المعلوم من طفولية، وشباب، وهرم، وغير ذلك. ويقال: لتركبن طبقًا عن طبق أى: شدة على شدة، والمعنى: أنه حياة ثم موت ثم بعث ثم جزاء.

فأما القراءة على الوحدان ففيه قولان:

أحدهما: أن المراد منه السماء، والمعنى: أنه ينشق ويكون مرة كالدهان، ومرة كالمهل، ومرة مشقوقة، ومرة صحيحة، وهو مروى عن ابن مسعود وغيره.

والقول الثانى: أنه خطاب للنبى ﷺ، والمعنى لتركبن أطباق السماء طبقًا على طبق، وذلك ليلة الإسراء، ويقال: لتركبن طبقًا عن طبق يعنى: أصلاب الآباء، وذلك للرسول ﷺ. قال العباس فى مدح النبى ﷺ:

من قبلها طبت فى الصلاب وفى مستودع حين يخصف الورق.
تنقل من صالب إلى رحم إذا مضى عالم بدا طبق

(١) فى «ك»: لم.

بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

وقوله ﴿ فما لهم لايؤمنون وإذا قرئ عليهم القرآن لايسجدون ﴾ فى التفسير :أن النبى ﷺ سجد وأصحابه، والكفار على رؤوسهم يصفقون ويصفرون فأنزل الله تعالى ﴿ فما لهم لايؤمنون وإذا قرئ عليهم القرآن لايسجدون ﴾ وقد ثبت برواية أبى هريرة «أن النبى ﷺ سجد سجد فى هذا الموضع»(١) .

وقوله ﴿ بل الذين كفروا يكذبون والله أعلم بما يوعون ﴾ أى: يكتمون ويجمعون فى صدورهم.

قوله ﴿ فبشرهم بعذاب أليم ﴾ أى أجعل لهم النار موضع البشارة للمؤمنين بالجنة.

وقوله ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون ﴾ أى غير منقوص ولامقطوع. ويقال: لايمتن عليهم أحد غير الله تعالى فيكدره عليهم المنة والله أعلم.

(١) متفق عليه، رواه البخارى (٢ / ٢٩٢ رقم ٧٦٦ وأطرافه٧٦٨، ١٠٧٤، ١٠٧٨)ومسلم (٥ / ١٠٦ - ١٠٩ رقم ٥٧٨).

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾

تفسير سورة البروج

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿ والسماء ذات البروج ﴾ أى: النجوم العظام. قال عكرمة: ذات القصور. ويقال: ذات الخلق الحسن، ويقال: ذات المنازل، وهى منازل القمر، وهى ثمانية وعشرون منزلا ذكرناها من قبل.

وقوله: ﴿ واليوم الموعود ﴾ وهو يوم القيامة بالاتفاق.

وقوله: ﴿ وشاهد ومشهود ﴾ فيه أقوال: روى أبو إسحاق، عن الحارث، عن على- رضى الله عنه -أن الشاهد هو يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة. قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الأثر أبو محمد عبد الله بن محمد الصريفينى، أخبرنا أبو القاسم بن حبابة أخبرنا أبو القاسم البغوى، عن على بن الجعد، عن شريك، عن [أبى](١) إسحاق

الأثر. والقول الثانى: الشاهد يوم النحر، والمشهود يوم عرفة، قاله إبراهيم النخعى. والقول الثالث: أن الشاهد هو الملائكة، والمشهود هو الإنسان، قاله السدى، والقول الرابع: أن الشاهد هو محمد ﷺ، والمشهود يوم القيامة، وهو مروى عن الحسن بن على، وابن عمر، وابن الزبير - رضى الله عنهم- والقول الخامس: الشاهد هو الله،

(١) فى «الأصل و ك»: ابن، وهو تحريف، وهوابو إسحاق الهمدانى عمرو بن عبد الله بن عبيد السبيعى الراوى عن الحارث الأعور، كما فى ترجمته من تهذيب الكمال، وقد سبق على الصواب فى أول الأثر.

والمشهود هو يوم القيامة، والقول السادس: أن الشاهد هو عيسى ابن مريم، والمشهود يوم القيامة، والقول السابع: أن الشاهد هو الجوارح، والمشهود هو نفس الإنسان، والقول الثامن: أن الشاهد يوم الاثنين، والمشهود يوم الجمعة، وشهادة الأيام شهادتها على الأعمال ومعنى المشهود فى الأيام هو أنه يشهدها الناس، وهو فى يوم القيامة على معنى أنه تشهده الملائكة وجميع الخلائق.

قوله تعالى: ﴿قتل أصحاب الأخدود﴾ والأخدود جمع خد، وهو شق فى الأرض، واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية؟. قال على: فى قوم من الحبشة، وعن مجاهد: فى قوم من نجران، وعن ابن عباس: فى قوم من اليمن، وعن بعضهم قوم بالروم، وقيل غير ذلك.

وفى التفسير: أنه كان بنجران قوم على شريعة عيسى بن مريم – صلوات الله عليه– يدينون بالتوحيد، فجاءهم ذو نواس وأحضرهم – وهو ملك من ملوك اليمن – وخيرهم بين اليهودية والإحراق بالنار، فاختاروا الإحراق بالنار ،فخدَّ لهم أخدوداً، وأضرم فيها النار، وأمرهم بالتهود أو يلقوا أنفسهم فيها، فألقوا أنفسهم فيها حتى احترقوا.

وفى بعض التفاسير: أنه كان فى آخرهم امرأة ومعها صبى رضيع، فلما بلغت النار توقفت فتكلم الصبى وقال: يا أماه، سيرى ولا تنافقى، فإنما هى غميضة. وقد ذكر مسلم فى الصحيح فى هذا قصة طويلة، وكذلك أبو عيسى على غير هذا الوجه الذى ذكرنا، وذكرا فيه حديث الملك والراهب والساحر، وهو ما روى عن ثابت البنانى، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى، عن صهيب قال: «كان رسول الله ﷺ إذا صلى العصر همس، والهمس فى بعض قولهم تحرك شفتيه كأنه يتكلم، فقيل له: إنك يا رسول الله إذا صليت العصر همست قال: إن نبيا من الأنبياء كان أعجب بأمته،مَنْ يقوم لهؤلاء؟ فأوحى الله إليه أن خيرهم بين أن أنتقم منهم وبين أن أسلط

عليهم عدوهم، فاختاروا النقمة، فسلط عليهم الموت فمات منهم في يوم سبعون ألفا قال: وكان إذا حدث بهذا الحديث حَدَّثَ بهذا الحديث الآخر، قال: كان ملك من الملوك، وكان لذلك الملك كاهن يكهن له، فقال (الكاهن)[1]: انظروا لي غلاما (فهما)[2] - أو قال فَطِنًا لَقِفًا - فأعلمه علمي هذا، فإني أخاف أن أموت فينقطع منكم هذا العلم، ولا يكون فيكم من يعلمه. قال: فنظروا له على ما وصف، وأمروه أن يحضر ذلك الكاهن وأن يختلف إليه. قال: فجعل يختلف إليه، وكان على طريق الغلام راهب في صومعةٍ - قال معمر: أحسب أن أصحاب الصوامع كانوا يومئذ مسلمين- قال: فجعل الغلام يسأل ذلك الراهب كلّما مر به، فلم يزل به حتى أخبره، فقال: إنما أعبدُ اللهَ. قال: فجعل الغلام يمكث عند الراهب، ويبطئ عن الكاهن، فأرسل الكاهن إلى أهل الغلام إنه لا يكاد يحضرني، فأخبر الغلام الراهب بذلك، فقال له الراهب: إذا قال لك الكاهن: أين كنت؟ فقل: عند أهلي، فإذا قال لك أهلك: أين كنت؟ (فأخبرهم أنك)[3] كنت عند الكاهن. قال فبينما الغلام على ذلك إذ مر بجماعة من الناس كثير قد حبستهم دابة- وقال بعضهم: إن الدابة كانت أسدا- قال: فأخذ الغلام صخراً وقال: اللهم إن كان ما يقول الراهب حقًّا فاسألك أن أقتله، ثم رمى فقتل الدابة. فقال الناس: من قتلها؟ فقالوا: الغلام، ففزع الناس وقالوا: قد علم هذا الغلام علمًا لم يعلمه أحد. قال: فسمع به أعمى، وقال له: إن أنت رددت بصري فلك كذا كذا. فقال له: لا أريد منك هذا، ولكن إن أنت شرطت إن رجع إليك بصرك أن تؤمن بالذي رده عليك فعلت؟ قال: فدعا الله فرد عليه بصره، فآمن الأعمى، فبلغ الملك أمرهم، فبعث إليهم، فأُتيَ بهم فقال: لأقتلن كل واحد منكم قتلة لا أقتل [بها][4] صاحبه، فأمر بالراهب والرجل الذي كان أعمى فوضع المنشار على مفرق أحدهما فقتله، وقتل الآخر بقتلة أخرى، ثم أمر بالغلام فقال: انطلقوا به إلى جبل كذا وكذا فألقوه من رأسه، فلما انتهوا إلى ذلك المكان الذي أرادوا أن يلقوه منه جعلوا يتهافتون من ذلك الجبل ويتردَّون، حتى لم يبق منهم إلا

(١) في «ك»: للملك.

(٢) في «ك»: فيهما.

(٣) في «ك»: فقل.

(٤) في «الأصل وك»: به.

الغلام. قال: ثم رجع، فأمر به الملك أن ينطلقوا به إلى البحر فيلقوه فيه، فانطلقوا إلى البحر، فغرّق الله الذين كانوا معه وأنجاه، فقال الغلام: إنك لا تقتلنى حتى تصلبنى وترمينى، وتقول إذا رميتنى: باسم الله ربِّ هذا الغلام. قال: فأمر به فصلب ثم رماه، وقال: باسم الله رب هذا الغلام. قال: فوضع الغلام يده على صدغه حين رمى به ثم مات، فقال الناس: لقد علم هذا الغلام علمًا ما علمه أحد، فإنا نؤمن برب الغلام. قال: فقيل للملك: [أجزعت][(١)] إن خالفك ثلاثة، فهذا العالم كلهم قد خالفوك. قال: فخدَّ أخدودًا، ثم ألقى فيها الحطب والنار، ثم جمع الناس. فقال: من رجع عن دينه تركناه، ومن لم يرجع ألقيناه فى هذه النار، فجعل يُلقيهم فى تلك الأخدود. قال: يقول الله تعالى: ﴿قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود﴾ حتى بلغ ﴿ذو العرش المجيد﴾ قال: فأما الغلام فإنه دفن. قال: فذكر أنه أخرج فى زمن عمر بن الخطاب، وأصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل»[(٢)]. قال أبو عيسى: حديث حسن غريب (صحيح)[(٣)]. قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث أبو عبد الرحمن ابن عبد الله بن أحمد، أخبرنا أبو العباس بن سراج، أخبرنا أبو العباس [المحبوبى][(٤)]، أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر... الخبر. وذكر مسلم هذا الخبر فى كتابه، وخالف فى مواضع أخر منه.

وفى بعض الروايات: أن اسم ذلك الغلام كان عبد الله بن التامر. قال محمد بن إسحاق: حفر فى زمن عمر -رضى الله عنه- حفيرة، فوجدوا عبد الله بن التامر، ويده على صدغه فكان كلما أخروا يده عن ذلك الموضع (انثعب)[(٥)] دما، وإذا تركوا

(١) فى «الأصل وك»: أفزعمت، وهو خطأ والتصويب من جامع الترمذي (٥ / ٤٠٨) وهى الرواية التى ينقل عنها المصنف هذا الحديث.

(٢) رواه مسلم (١٨ / ١٧٧-١٨٠ رقم ٣٠٠٥)، والترمذي (٥ / ٤٠٧-٤٠٩ رقم ٣٣٤٠) وقال: حسن غريب، والنسائى فى الكبرى (٦ / ٥١٠-٥١٢ رقم ١١٦٦١)، وأحمد (٦ / ١٧-١٨)، وعبد الرازق (٥ / رقم ٩٧٥١)، والطبرانى فى الكبير (٨ / ٤١-٤٥رقم ٧٣١٩، ٧٣٢٠).

(٣) كذا، ولعلها مقمحة، فالذى فى تحفة الأشراف(٤ / ١٩٩) وفى سنن الترمذي: حسن غريب.

(٤) فى «الأصل وك»: محبوب، وهو خطأ، وهو أبو العباس محمد بن أحمد بن محبوب المحبوبى المروزى.

(٥) فى «ك»: انتقب.

النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾

اليد ارتدت إلى مكانها، وكان فى أصبعه خاتم حديد مكتوب عليه: ربى الله، فأمر عمر أن يرد إلى ذلك الموضع كما وجد.

وعن الحسن البصرى أن النبى ﷺ كان إذا ذكر هذه القصة قال: «اللهم إنى أعوذ بك من جهد البلاء» (١). وقد ذكر بعض أهل المعانى أن قوله: ﴿قتل أصحاب الأخدود﴾ هو جواب القسم.

قوله: ﴿النار ذات الوقود﴾ على قول البدل من الأخدود كأنه قال: «قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود، والوقود» ما يوقد به النار، وقيل: ذات الوقود أى: ذات التوقد، وهو الأصح.

قوله: ﴿إذ هم عليها قعود﴾ أى: جلوس، وفى القصة: أن الملك وأصحابه كانوا قد قعدوا على كراسى عند الأخاديد.

وقوله: ﴿وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود﴾ فعل ما فعل بالمؤمنين بحضورهم.

وقوله: ﴿وما نقموا منهم﴾ قال ابن عباس: وما كرهوا. وعن غيره: وما عابوا. وذكر الزجاج: ما أنكروا. قال عبد الله بن قيس (بن)(٢) الرقيات:

ما نقموا من بنى أمية إلا … أنهم يحلمون إن غضبوا

وأنهم سادة الملوك … فلا يصلح إلا عليهم العرب

وقوله: ﴿إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾ والمعنى أنهم ما أنكروا عليهم إلا إيمانهم بالله.

---

(١) رواه ابن أبى شيبة (١٣ / ٢٢٧ رقم ١٦١٨٠)، وعبد بن حميد-كما فى الدر(٦ / ٣٧١) عن الحسن بنحوه.

(٢) كذا، والصواب أن الرقيات لقب لعبد الله بن قيس كما فى الألقاب لابن حجر (١ / ١٢٨-٣٢٩) وغيره.

الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ

وقوله: ﴿العزيز الحميد﴾ أى: الغالب بقدرته، الحميد فى أفعاله.

قوله تعالى: ﴿الذى له ملك السموات والأرض والله على كل شىء شهيد﴾ ظاهر المعنى. قال الزجاج: والمراد من الآية أن الله تعالى ذكر قومًا بلغت بصيرتهم فى الدين أن خيروا بين الكفر وبين الإحراق بالنار، فصبروا حتى أحرقوا بالنار. وقد ورد فى بعض الأخبار عن النبى ﷺ قال: «لا تشرك بالله وإن قتلت وأحرقت»[1].

قوله تعالى: ﴿إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات﴾ أى: أحرقوا، يقال: فتنت الذهب بالنار إذا أدخلته فيها، ويقال: حرة فتين إذا كانت سوداء كالمحترقة (﴿ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق﴾)[2] بكفرهم ونوعا من العذاب بإحراقهم المؤمنين. وعن الربيع بن أنس: أن النار التى أحرقوا المؤمنين فيها ارتفعت من الأخدود، فأحرقت الملك وأصحابه، فهو معنى قوله: ﴿ولهم عذاب الحريق﴾.

قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير﴾ أى: العظيم، وهذا على ما جرى أمر القرآن، فإنه إذا ذكر الوعد للكفار يذكر الوعد للمؤمنين بجنبه، وهو ظاهر فى أكثر القرآن.

قوله تعالى: ﴿إن بطش ربك لشديد﴾ البطش هو الأخذ بعنف وشده.

قوله تعالى ﴿إنه هو يبدئ ويعيد﴾ أى: يبدئ الخلق فى الدنيا، ثم يعيدهم فى الآخرة.

قوله تعالى: ﴿وهو الغفور الودود﴾ الغفور هو الستور بذنوب عباده، الودود هو

(١) رواه ابن ماجه (٢ / ١٣٣٩رقم ٤٠٣٤) عن أبى الدرداء. وقال الحافظ فى تلخيص الحبير (٢ / ٢٣٩رقم ٨١٠): وفى إسناده ضعف وفى الباب عن معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، وثوبان، وأم أيمن. ضعف .وأميمة مولاة النبى ﷺ . وراجع تلخيص الحبير.

(٢) سقط تفسير آخر الآية، وهى من قوله: ﴿ثم لم يتوبوا.....الحريق﴾.

الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾

المحب للمؤمنين، وقيل: المتودد إلى المؤمنين بجميل أفعاله وكثير إحسانه. وذكر الأزهرى: أنه يجوز أن يكون الودود، بمعنى المودود كالحلوب والركوب بمعنى المحلوب والمركوب، فعلى هذا فى قوله: ﴿الودود﴾ معنيان: أحدهما: أنه المحب لعباده المؤمنين. والآخر: الذى يحبه المؤمنون.

وقوله: ﴿ذو العرش المجيد﴾ قرأ أكثر القراء بالرفع، وقرأ حمزة والكسائى بالخفض. والعرش هو السرير فى اللغة، وأما فى القرآن هو العرش المعروف فوق السماوات. وفى التفسير: أنه لا يقدر قدره. وعن بعضهم: ذو العرش ذو الملك، يقال: كل عرش فلان أى: ملك فلان، ويقال: تبوأ فلان على سرير ملكه أى: استقر ملكه، وإن لم يكن ثم سرير فى ذلك الوقت، حكاه القفال، والقول الصحيح الأول. وأما قراءة الرفع فهو صفة الله تعالى، وذلك بمعنى العلو والعظمة، وأما قراءة الخفض ففيه أقوال: أحدهما: أنه صفة العرش، ومعنى المجيد فيه العالى الرفيع، والقول الثانى: أنه صفة الله تعالى إلا أنه خفض بالجوار، والقول الثالث: أنه راجع إلى قوله: ﴿إن بطش ربك﴾ كأنه قال: إن بطش ربك المجيد لشديد، أورده النحاس. وعن بعضهم: أن جواب القسم قوله: ﴿إن بطش ربك لشديد﴾ وهو قول الأكثرين.

وقوله تعالى: ﴿فعال لما يريد﴾ أى: ما يشاء ويختار.

وفى بعض الآثار أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه مرض فدخل القوم يعودونه فقالوا له: ألا ندعو لك طبيبا؟ فقال: قد دعوته. فقالوا: فماذا قال؟ قال أبو بكر: فقال أنا فاعل لما أريد.

قوله تعالى ﴿هل أتاك حديث الجنود﴾ أى قد آتيك حديث الجنود.

وقوله ﴿فرعون وثمود﴾ أى جنود فرعون وثمود. وذكر النقاش أن فرعون لما أتبع بنى إسرائيل كانوا خمسة آلاف وخمسمائة ألف.

بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾

وقوله ﴿بل الذين كفروا فى تكذيب﴾ أى فى تكذيب الرسل.

وقوله ﴿والله من وراءهم محيط﴾ أى محيط بأفعالهم وأقوالهم.

وقوله ﴿بل هو قرآن مجيد﴾ فى بعض التفاسير أن الرسول لما قرأ عليهم ما ذكرنا من الآيات قالوا له : لعلك غلطت أو سهوت؟ ولعل الذى ينزل عليك ليس من قبل الله؟ فأنزل الله تعالى ﴿بل هو قرآن مجيد﴾ هو المتجمع بخصال الخير. وقرأ محمد اليمامى : «بل هو قرآن مجيد» على الإضافة معنى قرآن رب مجيد.

وقوله ﴿فى لوح محفوظ﴾ قرئ بالرفع والخفض مع التنوين فيهما، ففى الرفع ينصرف إلى القرآن، وفى الخفض ينصرف إلى اللوح. وروى سعيد بن جبير، عن ابن عباس أن اللوح المحفوظ من درة بيضاء دفتاه ياقوت أحمر كتابته نور وقلمه نور ينظر الله فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة يميت ويحيى، ويعز ويذل، ويفقر ويغنى، ويفعل ما يشاء.

وفى بعض الأخبار : أنه مكتوب فى صدره لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا إله إلا الله محمد رسول الله. وذكر الحفظ هاهنا ليبين أن ما يوحى إليه من القرآن هو محفوظ من السهو والغلط، وأن ما يقوله النبى ﷺ يقوله عن الله سبحانه وتعالى. وعن فرقد السبخى : أن قوله : ﴿فى لوح محفوظ﴾ هو قلب المؤمن، وهو قول ضعيف، والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾

تفسير سورة الطارق
وهى مكية

قوله تعالى: ﴿والسماء والطارق﴾ الطارق هاهنا هو النجم، وأما فى لغة العرب فالطارق هو كل ما يطرق ليلا، وقد قيل: هو الذى يطرق ليلا كان أو نهاراً.

وأما قول القائل:

نحن بنـــــات طـــــارق

أى: بنات النجوم شرفًا وعلواً.

وقال جرير:

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت المقـــامة فارجعى بســـلام

وقوله: ﴿وما أدراك ما الطارق﴾ إنما قال ذلك؛ لأن الطارق يتناول النجم وغيره، فذكر هاهنا قوله: ﴿وما أدراك ما الطارق﴾ لأن الرسول ﷺ لم يدر أى طارق أراد.

وقوله: ﴿النجم الثاقب﴾ قال ابن عباس: المضىء. وعن مجاهد: هو المتوهج. وعن بعضهم: هو المستدير. وعن بعضهم: الثاقب النجم الذى يثقب الشياطين بالنار. وذكر الفراء: أنه زحل، وهو أكبر النجوم. وقد حكى هذا القول عن على. وعن بعضهم: أنه نجم خلقه الله فى السماء السابعة، لم يخلق فيها غيره، يطرق

إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾

السموات ثم يرجع إلى مكانه. وعلى القول الذى قلنا [أن زحل هو الثاقب][1]، يعنى أنه يثقب السموات بضيائه. وعن ابن زيد: أنه الثريا. والعرب إذا أطلقت النجم عنت به الثريا.

وقوله: ﴿إن كل نفس لما عليها حافظ﴾ هو جواب القسم. وقد قرئ بالتشديد والتخفيف، فمعنى التشديد: إلا عليها حافظ، ومعنى التخفيف: لعلها حافظ، و«ما» زائدة، والحافظ: هو الملك، وعن بعضهم: قرينه الذى يحفظ عليه عمله، وقيل: الحافظ هو الله تعالى يحفظ عليهم أعمالهم.

وقوله تعالى: ﴿فلينظر الإنسان مم خلق﴾ أى: من أى شيء خلق.

وقوله: ﴿خلق من ماء دافق﴾ أى: مدفوق مثل قوله تعالى: ﴿فى عيشة راضية﴾[2] أى: مرضية، وقيل: ﴿ماء دافق﴾ أى: منصب جار.

وقوله: ﴿يخرج من بين الصلب والترائب﴾ أى: من صلب الرجل، وترائب المرأة. وفى الخبر: أنه يخرج من كل خرزة من صلبه، والترائب ثمانية أضلاع: أربعة يمنة، وأربعة يسرة، وقيل: هو الصدر، وقيل: بين الثديين، وقيل: ما دون الترقوة.

وقوله: ﴿إنه على رجعه لقادر﴾ فيه أقوال: أحدها: على رد النطفة فى الإحليل لقادر، قاله مجاهد وإبراهيم وعكرمة، والقول الثانى: هو قادر أن يرده إلى حالة الطفولية، وقيل: يرد من (الشيخوخية)[3] إلى الكهولة، ومن الكهولة إلى الشباب، ومن الشباب إلى الصغر، ومن الصغر إلى الطفولية، ومن الطفولية إلى رحم المرأة، ومن الرحم إلى الصلب، فهو معنى قوله: ﴿إنه على رجعه لقادر﴾.

والقول الثالث - وهو أولى الأقاويل- أن المراد منه، أنه على إحيائه بعد الإماتة لقادر، ذكره الفراء والزجاج وغيرهما.

---

(١) فى «الأصل، ك»: الذى زحل معنى الثاقب!

(٢) الحاقة: ٢١.

(٣) فى «ك»: الشيخوخة.

يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ
﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾
إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾

قوله تعالى: ﴿يوم تبلى السرائر﴾ أى: تختبر وتمتحن، وقيل: تظهر، وهو الأولى. وفى التفسير: أنه يظهر سر كل إنسان ،ويبدو أثره على وجهه، فتبيض بعض الوجوه، وتسود بعض الوجوه.

وقوله: ﴿فما له من قوة ولا ناصر﴾ أى: قوة يتقوى بها، وناصر ينصره، فيدفع به العذاب عن نفسه.

وقوله تعالى: ﴿والسماء ذات الرجع﴾ أى: المطر، وهو القول المعروف، وسمى المطر رجعًا؛ لأنه يرجع مرة بعد أخرى.

والقول الثانى : أنه الشمس والقمر والنجوم، وسميت رجعًا؛ لأنها تطلع وتغيب، وترجع من المغرب إلى المشرق.

وقوله: ﴿والأرض ذات الصدع﴾ أى: النبات، وهو قول الجميع، وسمى صدعًا؛ لأن الأرض تنصدع به.

وقوله: ﴿إنه لقول فصل﴾ أى: ذو فصل، وهو الفصل بين الحق والباطل.

وقوله: ﴿وما هو بالهزل﴾ أى: باللعب والعبث، والمعنى: أنه قول جد.

قوله تعالى: ﴿إنهم يكيدون كيدًا﴾ أى: يمكرون مكرًا، والكيد فى اللغة هو صُنع يصل به إلى الشىء على الخفية والاستتار.

﴿وأكيد كيدًا﴾ الكيد من الله هو الاستدراج من حيث لا يعلمون الكفار، والاستدراج هو الأخذ قليلا قليلا، وقيل: هو الأخذ من حيث يخفى عليهم، وقيل: ﴿وأكيد كيدًا﴾ أى: أعاقبهم عقوبة كيدهم.

وقوله: ﴿فمهل الكافرين﴾ أى: أمهل الكافرين، وهذا قبل آية السيف.

فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾

وقوله: ﴿أمهلهم رويداً﴾ أى: أمهلهم قليلا، والعرب تقول: رويدك يا فلان أى: كن على أودة ورفق، وأما هاهنا فهو بمعنى القليل على ما بينا. وقد أخذهم يوم بدر بالسيف، وسيأخذهم بعذاب الآخرة عن قريب.

بسم الله الرحمن الرحيم

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴿١﴾

تفسير سورة الأعلى

وهى مكية

وفى رواية الضحاك أنها مدنية، والأصح هو الأول، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ أى: عظم ربك الأعلى، وقيل: نزه، وتنزيه الله - عز اسمه - ألا يوصف بوصف لا يليق به. وروى أبو صالح، عن ابن عباس أن معناه: صل بأمر ربك، وقيل: صل لربك المتعالى. وفى الآية دليل أن الاسم والمسمى واحد؛ لأن المعنى سبح اسم ربك الأعلى وفى قراءة أُبى: « سبحان ربك الأعلى ».

وقال الشاعر:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

أى: ثم السلام عليكما. وروى إسرائيل، عن ثوير بن أبى فاختة، عن أبيه، عن على - رضى الله عنه - « أن النبى ﷺ كان يحب سورة سبح اسم ربك الأعلى »(١).

قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابى، أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حمويه، أخبرنا إبراهيم بن خزيم الشاشى، أخبرنا عبد ابن حميد، أخبرنا وكيع، عن إسرائيل الخبر.

(١) رواه أحمد (١/ ٩٦)، والبزار (٣/ ٢٧-٢٨ رقم ٧٧٥، ٧٧٦)، وابن عدى فى الكامل (٢/ ١٠٦) من حديث ثوير به. وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ١٣٩): رواه أحمد وفيه ثوير، وهو متروك.

الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾

وفى حديث عائشة – رضى الله عنها – «أن رسول الله ﷺ كان يقرأ فى الركعة الأولى من الوتر ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾، وفى الثانية: ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ وفى الثالثة: سورة الإخلاص والمعوذتين»[(١)].

وعن على وابن عباس وابن عمر أنهم كانوا إذا قرءوا سبح اسم ربك الأعلى قالوا: سبحان ربى الأعلى امتثالا للأمر. [والأولى][(٢)] أن يقول كذلك.

[و]من المعروف عن عقبة بن عامر أنه قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ قال النبى ﷺ: «اجعلوه فى سجودكم، ولما نزل قوله: «سبح اسم ربك العظيم» قال: اجعلوه فى ركوعكم»[(٣)].

وقوله: ﴿ الذى خلق فسوى ﴾ أى: خلقك وجعلك رجلا سويا. وهو فى معنى قوله: ﴿ الذى خلقك فسواك ﴾[(٤)] على ما بينا.

وقوله: ﴿ والذى قدر فهدى ﴾ قال السدى: قدر خلق الذكر والأنثى، وهدى أى:

(١) رواه أبو داود (٢/٦٣ رقم ١٤٢٤)، والترمذى (٢/٣٢٦–٣٢٧ رقم ٤٦٣) وقال: حسن غريب، وابن ماجه (١/٣٧١ رقم ١١٧٣)، وابن حبان (٦/١٨٨ رقم ٢٤٣٢)، والعقيلى (٤/٣٩٢)، والدارقطنى (٢/٣٥)، والطحاوى فى شرح معانى الآثار (١/٢٨٥)، والبيهقى (٣/٣٧، ٣٨) وفى الشعب (٥/٤٦٥ رقم ٢٢٩٦)، والبغوى فى تفسيره (٤/٤٧٧).

وفى الباب عن على بن أبى طالب، وأبى بن كعب، وابن مسعود، وابن عباس، وأبى أمامة وغيرهم، وانظر تفسير ابن كثير (٤/٤٩٩).

(٢) فى «الأصل وك»: الأول.

(٣) رواه أبو داود (١/٢٣٠ رقم ٨٦٩)، وابن ماجه (١/٢٨٧ رقم ٨٨٧)، وأحمد (٤/١٥٥)، والطيالسى (١٣٥ رقم ١٠٠٠)، والدارمى (١/٣٤١ رقم ١٣٥)، وابن خزيمة (١/٣٠٣ رقم ٦٠٠، ٦٠١، ٦٧٠)، وابن حبان (٥/٢٢٥ رقم ١٨٩٨)، والطبرانى فى الكبير (١٧/ رقم ٨٨٩ – ٨٩١)، والحاكم (١/٢٢٥) وصححه وتعقبه الذهبى بأن فى إسناده إياس – يعنى ابن عامر – وليس بالمعروف، والبيهقى (٢/٨٦).

(٤) الانفطار: ٧.

﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ (٥) سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ (٦)﴾

هدى الذكر إلى الأنثى. وقيل: قدر خلق كل شيء، وهداه إلى ما يصلحه، وهذا في الحيوانات. وقيل: هداه إلى رزقه، كالطفل يهتدى إلى الثدى، ويفتح فاه حين يولد طلبا للثدى، والفرخ يطلب الرزق من أمه وأبيه، وكذلك كل شيء. وقال مجاهد: هدى الإنسان لسبيل الخير ،والشر والسعادة والشقاوة. ويقال: فى الآية حذف، والمعنى: وهدى وأضل.

وقوله: ﴿والذى أخرج المرعى﴾ أى: مرعى للأنعام. قال الشاعر:

وقد ينبت المرعى على دِمنِ الثرى ... وتبقى حزازات النفوس كما هيا

وقوله: ﴿فجعله غثاء أحوى﴾ فى الآية تقديم وتأخير، والمعنى: أخرج المرعى أحوى.

﴿فجعله غثاء﴾ أى: يابسًا. والغثاء هو ما حمله السيل من النبات اليابس والحشيش، والطفاط ما ألقاه القدر من الزبد، والأحوى الأسود، والحوة (السواد)(١). وإنما سماه أحوى؛ لأن كل أخضر يضرب إلى السواد إذا اشتدت خضرته.

قال ذو الرمة:

لميــاء فى شفتيها حــوة لعس ... وفى اللثات وفى أنيابها شنب

ويقال: أخرج المرعى أخضر، ثم جعله أحوى، ثم جعله غثاء.

قوله: ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾ ذكر [ابن](٢) أبى نجيح بروايته عن ابن عباس أن النبى ﷺ: «كان إذا قرأ عليه جبريل سورة من القرآن فيحرك شفتيه بقراءتها مخافة أن

(١) فى «ك»: السواد.

(٢) سقط من «الأصل وك».

﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾﴾

يتفلت منه، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾»(١). والمعنى: أنك كفيت النسيان، (فلم ينس)(٢) بعد ذلك.

وقوله: ﴿إلا ما شاء الله﴾ يعنى: إلا ما شاء الله أن ينساه، والمراد منه نسخ التلاوة، وقيل: النسيان هاهنا بمعنى الترك، أى: لا يترك إلا ما شاء الله أن يترك بالنسخ. وعن بعضهم: أن قوله: ﴿إلا ما شاء الله﴾ ذكر مشيئته على التعليم حتى يقرن لفظ المشيئة بجميع أقواله مثل قوله: ﴿لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله [آمنين](٣)﴾(٤) قد قال: ﴿إلا ما شاء الله﴾ يعنى: أن تنسى، ولم يشأ. مثل قوله تعالى: ﴿خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك﴾(٥) ولم يشأ، ذكره ابن فارس.

وقوله: ﴿إنه يعلم الجهر وما يخفى﴾ أى: السر والعلن، ويقال: ما فى القلب، وما على اللسان.

وقوله: ﴿ونيسرك لليسرى﴾ اليسرى فُعْلَى من اليسر، ومعناه: للأيسر من الأمور.

وقوله: ﴿فذكر إن نفعت الذكرى﴾ فإن قال قائل: كيف قال: إن نفعت الذكرى، وهو مأمور بالتذكير على العموم نفعت أو لم تنفع؟

والجواب من وجهين: أحدهما: أن معنى قوله: ﴿إن نفعت الذكرى﴾ إذ نفعت الذكرى، مثل قوله تعالى: ﴿وخافون إن كنتم مؤمنين﴾(٦) ومعناه: إذ كنتم مؤمنين.

---

(١) رواه الطبرانى (١٢/ ١٢٠ رقم ١٢٦٤٩)، وابن مردويه - كما فى الدر (٦/ ٣٧٨)- عن ابن عباس مرفوعا بنحوه، وأعله الهيثمى فى المجمع (٧/ ١٣٩) بأن فى إسناده جويبر وهو ضعيف. وأصل الحديث فى الصحيحين، وقد تقدم تفسير سورة القيامة.

(٢) فى «ك»: فلا تنس.

(٣) فى «الأصل»: تعالى، والمثبت من «ك».

(٤) سورة الفتح: ٢٧.

(٥) هود: ١٠٧، ١٠٨.

(٦) آل عمران: ١٧٥.

سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ

والوجه الثاني: ذكر بكل حال، فقد نفعت الذكرى، فهو تعليق بمتحقق والمعنى: إن نفعت، وقد نفعت.

قوله تعالى: ﴿سيذكر من يخشى﴾ يقال: نزل هذا في عبد الله بن أم مكتوم. وقيل: هو على العموم والمعنى: من يخشى الله.

وقوله: ﴿ويتجنبها الأشقى الذى يصلى النار الكبرى﴾ يقال: هو الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة.

وقوله: ﴿يصلى النار الكبرى﴾ أي: يدخل النار الكبرى. قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: هو الطبق الأسفل من جهنم.

وقوله: ﴿ثم لا يموت فيها ولا يحيى﴾ أي: لا يموت فيستريح، ولا يحيا حياة فيها راحة، ويقال: لا يموت، ولا يجد (روح الحياة)(١).

قوله تعالى: ﴿قد أفلح من تزكى﴾ أي: تطهر بالعمل الصالح، ويقال: فلان تزكى بقول لا إله إلا الله.

وقال سعيد بن جبير: آمن ووحد ربه. وعن عطاء: أي أعطى زكاة ماله.[و] قال ابن مسعود من لم يزك لم تقبل الصلاة منه. وعن ابن عمر: أنها صدقة الفطر. وهو قول عمر بن عبد العزيز. وكان ابن عمر يقول لنافع حين يصبح يوم العيد: أخرجت زكاة الفطر؟ فإن قال: نعم، توجه إلى الصلاة، وإن قال: لا، يأمره بالإخراج، ثم يتوجه، وهذا على القول الذى قلنا أن السورة مدنية، فأما إذا قلنا: مكية، وهو الأصح، فلا يرد هذا القول؛ لأن صدقة الفطر لم تكن واجبة بمكة، وإنما وجبت بالمدينة، وكذلك صلاة العيد، إنما صليت بالمدينة.

وقوله: ﴿وذكر اسم ربه فصلى﴾ أي: ذكر ربه فصلى، ويقال: الذكر هو التكبير،

(١) في «ك»: راحة.

﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾

والصلاة هى الصلاة المعروفة، وقيل: صلاة العيد.

قوله تعالى: ﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا﴾ أى: تختارون. قال ابن مسعود: عجلت لهم الدنيا، وغيبت عنهم الآخرة، فاختاروا الدنيا على الآخرة، ولو عاينوا الآخرة ما اختاروا عليها شيئًا. وروى أبو موسى الأشعرى عن النبى ﷺ أنه قال: «من أحب دنياه أضر بآخرته، ومن أحب آخرته أضر بدنياه، فآثروا ما يبقى على ما يفنى»(١).

وقوله: ﴿والآخرة خير وأبقى﴾ أى: أدوم [وأبقى](٢).

وقوله: ﴿إن هذا لفى الصحف الأولى﴾ أى: ما ذكره الله فى هذه السورة، وقيل: من قوله - تعالى -: ﴿قد أفلح من تزكى﴾ إلى قوله: ﴿وأبقى﴾ قال قتادة: فى جميع كتب الأولين أن الآخرة خير وأبقى.

وقوله: ﴿صحف إبراهيم وموسى﴾ أى: الكتب التى أنزلها الله تعالى على إبراهيم وموسى، وقد أنزل على إبراهيم صحفًا، وأنزل على موسى التوراة، فهى المراد بالآية، والله أعلم.

(١) رواه أحمد (٤/ ٤١٢)، وابن أبى الدنيا فى ذم الدنيا (رقم ٨)، وابن أبى عاصم فى الزهد (رقم ٤٥١)، وابن حبان (٢/ ٤٨٦ رقم ٧٠٩)، والحاكم (٤/ ٣٠٨، ٣١٩) وصححه وأعل الذهبى الموضع الأول بالانقطاع، والبيهقى (٣/ ٣٧٠)، وفى الزهد (رقم ٤٥١)، وفى الآداب (رقم ٩٩٣)، والقضاعى فى مسند الشهاب (١/ ٢٥٨-٢٥٩ رقم ٤١٨) عن أبى موسى به، وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٢٥٢): رواه أحمد والبزار والطبرانى ورجالهم ثقات.

(٢) من «ك».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾

تفسير سورة الغاشية

وهى مكية بالإجماع

قوله تعالى: ﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾ أى: القيامة، وسميت غاشية؛ لأنها تغشى كل شيء بالأهوال، ويقال: تغشى كل كافر وفاجر بالعذاب، والغاشية هى المجللة، ومعنى هل أتاك: قد أتاك.

وقوله: ﴿وجوه يومئذ خاشعة﴾ أى: ذليلة لما ترى من سوء العاقبة، والمعنى: ركبها الذل.

وقوله: ﴿عاملة ناصبة﴾ أى: عملت فى الدنيا لغير الله، فنصبت وتعبت فى الآخرة بعذاب الله. وعن السدى وجماعة: أنهم الرهبان وأصحاب الصوامع من النصارى واليهود. وقد روى عن عمر أنه لما قدم الشام فمر بصومعة راهب فناداه، فاطلع عليه، وقد تنحل من الجوع والضر والعبادة، وعليه برنس، فبكى عمر - رضى الله عنه - فقالوا: يا أمير المؤمنين، ومايبكيك؟! فقال: مسكين طلب أمرًا، ولم يصل إليه، وسلك طريقًا وأخطأه، ثم قرأ قوله: ﴿عاملة ناصبة﴾ الآية.

وقوله: ﴿تصلى نارًا حامية﴾ أى: تقاسى حرها.

وقوله ﴿تسقى من عين آنية﴾ أى: انتهت فى الحر.

قال الحسن البصرى: أوقدت عليها جهنم منذ خلقت، فدفعوا إليها وردًا، أى: عطاشًا.

تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴿٥﴾ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ

قال النابغة:

ويخضب نحبة (غدرت)(١) وهانت بأحمر من جميع الجوف آنِ

وفى بعض التفاسير: أنهم إذا دنوا ذلك من وجوهم سلخت وجوههم، فإذا شربوا منها قطعت أمعاءهم.

وقوله: ﴿ليس لهم طعام إلا من ضريع﴾ هو شجر يسمى بالحجاز: الشبرق، له شوك كثير، فإذا يبس يسمى الضريع. قال ابن قتيبة: الضريع شيء إذا وقعت عليها الإبل فأكلته هلكت هزلا. ويقال: الضريع هو الحجارة، وهو مروى عن سعيد بن جبير وغيره، وهو قول غريب. ويقال: نبت فيه سم.

وفى التفسير: أن أهل النار سلط الله عليهم الجوع حتى يعدل بما هم فيه من العذاب، فيستغيثون فيغاثون بالضريع، ثم يستغيثون فيغاثون بطعام [ذى](٢) غصة، ثم يذكرون أنهم كانوا فى الدنيا يدفعون الغصة بالماء، فيستغيثون فيتركون ألف سنة يستسقون ثم يسقون الحميم.

وقوله: ﴿لا يسمن ولا يغنى من جوع﴾ روى أن المشركين قالوا: إن إبلنا تسمن على الضريع، وقد كذبوا فى ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿لا يسمن ولا يغنى من جوع﴾.

قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناعمة﴾ أى: ذات نعمة.

وقوله: ﴿لسعيها راضية﴾ أى: مرضية.

وقوله: ﴿فى جنة عالية لاتسمع فيها لاغية﴾ أى: لغواً فاعلة بمعنى المصدر، وهو

---

(١) فى «ك»: عذرى.

(٢) فى «الأصل وك»: ذا.

﴿١٠﴾ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا

فى معنى قوله: ﴿لاتسمع فيها لغواً ولا تأثيماً﴾(١).

وقوله: ﴿فيها عين جارية﴾ قد بينا من قبل.

وقوله: ﴿فيها سرر مرفوعة﴾ أى: مرتفعة عن أرض الجنة. ويقال فى التفسير: السرر مرتفعة، عليها فرش محشوة، كل فرش كجنبذ(٢). وفيه أيضًا أنها تتطامن للمؤمن، فإذا صعد عليها ارتفعت.

وقوله: ﴿وأكواب موضوعة﴾ قد بينا معنى الأكواب، وهى الأباريق التى لاخراطيم لها.

وقوله: ﴿ونمارق مصفوفة﴾ أى: وسائد صف بعضها إلى بعض، قال الشاعر:

وإنا لنجرى الكأس بين شروبنا وبين أبى قابوس فوق النمارق

وقوله: ﴿وزرابى مبثوثة﴾ أى: بسط، واحدها زُرْبية.

وقوله: ﴿مبثوثة﴾ متفرقة، ومعنى المتفرقة: أنها قد فرقت فى المجالس، وفرشت المجالس بها.

وقوله تعالى: ﴿أفلا ينظرون﴾ فإن قيل: كيف يليق هذا بالأول؟

والجواب: أن النبى ﷺ لما ذكر لهم ما أوعده الله للكفار، ووعده للمؤمنين، استبعدوا ذلك غاية الاستبعاد.

وقالوا: لا نفهم حياة بعد الموت، ولاندرى وعداً ولاوعيداً، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وذكر لهم من الدلائل ماهى مجرى أبصارهم. قال أبو سليمان الخطابى - رضى الله عنهم - ذكر الله تعالى هذه الأربع وهى الإبل، والسماء، والأرض، والجبال، وخصها بالذكر من بين سائر الأشياء؛ لأن الأعرابى إذا ركب بعيره، وخرج إلى البرية،

(١) الواقعة: ٢٥.

(٢) الجنبذة: هو ما ارتفع من الشيء واستدار كالقبة، انظر لسان العرب (٣/ ١٨٢) مادة: جنبذ.

يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلاَّ مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ

فلا يرى إلا بعيره الذى هو راكبه، والسماء التى فوقه، والأرض التى تحته، والجبال التى هى نصب عينه.

وقوله: ﴿إلى الإبل كيف خلقت﴾ فى الإبل من أعجوبة الخلق ماليس فى غيرها؛ لأنها مع كبرها وعظمها تنقاد لكل واحد يقوده، وأيضا فإنها تبرك ويحمل عليه الحمل الثقيل، وتقوم من بروكها، ولايوجد هذا فى غيره، والطفل الصغير يقوده فينقاد، وينخه فيستنخ. وفى بعض الحكايات: أن فارة جرت بزمام بعير، ودخلت جحرها، فنزل البعير، وجَرَّت الفأرة الزمام، فوضع فاها على الجحر.

قوله تعالى: ﴿وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت﴾ أى: بسطت. وعن أبى عمرو بن العلاء: أن قوله: ﴿إلى الإبل كيف خلقت﴾ أنها السحاب، وهو قول شاذ، ويجوز أن يحمل هذا على هذا إذا شدد ومد. وقرئ فى الشاذ بالتشديد. وقال المبرد: قد قيل الإبل: القطع العظام من السحاب، يقال: فلان يوبل على فلان أى: يكبر عليه ويعظم.

قوله تعالى: ﴿فذكر إنما أنت مذكر﴾ فى التفسير: أنه عظة للمؤمن، وحجة على الكافر، ويقال: ذَكِّر أى: اذكر دلائل توحيد الله تعالى، وما أنعم عليه من النعمة.

وقوله: ﴿لست عليهم بمسيطر﴾ أى: بمسلط، وقيل: إن هذا قبل آية السيف، فأما بعد نزولها فقد سلط عليهم.

وقوله: ﴿إلا من تولى وكفر﴾ استثناء منقطع كأنه قال: لكن من تولى وكفر ﴿فيعذبه الله العذاب الأكبر﴾.

وقوله: ﴿إن إلينا إيابهم﴾ أى: رجوعهم، يقال: آب يَئُوب إذا رجع، قال الشاعر:

وكل ذى غيبة يئوب ... وغائب الموت لايؤوب

الْعَذَابَ الأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

وقوله: ﴿ ثم إن علينا حسابهم ﴾ أى: فى القيامة.

فإن قيل: قال: ﴿ ليس لهم طعام إلا من ضريع ﴾، وقال فى موضع آخر: ﴿ فليس له اليوم هاهنا حميم ولاطعام إلا من غسلين ﴾(١) فكيف وجه الجمع بينهما؟

والجواب من وجوه: أحدها: أن الضريع والغسلين واحد.

والوجه الثانى: أن هذا لقوم، وذاك لقوم آخرين.

والوجه الثالث: أن الغسلين طعام لاينفع، ولايغنيهم من شىء، فوضع الضريع موضع ذلك؛ لأن الكل بمعنى واحد، ذكره النحاس، والله أعلم.

(١) الحاقة: ٣٥-٣٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾

تفسير سورة الفجر

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿والفجر﴾ روى أبو صالح عن ابن عباس: أنه فجر المحرم، وذلك أول يوم منه، وفى رواية أخرى عنه: أنه فجر يوم النحر، ويقال: هو الفجر فى كل الأيام.

وقوله: ﴿وليال عشر﴾ أكثر الأقاويل: أنها عشر ذى الحجة، وعن ابن عباس فى رواية: أنها العشر الأخير من رمضان، وعن مسروق: أنها العشر التى قال الله تعالى فى قصة موسى: ﴿وأتممناها بعشر﴾(١) وعن بعضهم: أنها العشر الأول من المحرم.

وقوله: ﴿والشفع والوتر﴾ روى عمران بن حصين عن النبى ﷺ: «(أنه)(٢) الصلاة، منها شفع، ومنها وتر» رواه أبو عيسى فى جامعه(٣).

والقول الثانى: أن الشفع هو يوم نحر، والوتر يوم عرفة، وروى بعضهم هذا مرفوعًا

(١) الأعراف: ١٤٢.

(٢) فى «ك»: أنها.

(٣) رواه الترمذى (٥/٤٠٩ رقم ٣٣٤٢) وقال: غريب، لا نعرفه إلا من حديث قتادة، وأحمد (٤/٤٣٧، ٤٣٨، ٤٤٢)، وابن جرير (٣٠/١٠٩)، والطبراني (١٨/٢٣٢- ٢٣٣ رقم ٥٧٨، ٥٧٩)، والحاكم (٢/٥٢٢) وصححه. وزاد السيوطي فى الدر أيضا (٦/٣٨٦): عبد بن حميد، وابن أبى حاتم، وابن مردويه.

وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾

إلى النبي ﷺ (١). وهو مروى عن ابن عباس أيضاً. وهو قول معروف. وعن ابن الزبير: أن الشفع هو قوله تعالى: ﴿فمن تعجل في يومين﴾(٢) فاليومان الأولان من أيام الرمى شفع، واليوم الثالث وتر.

وروى هشيم، عن مغيرة، عن إبراهيم أن الشفع هو الزوج، والوتر هو الفرد. قال مجاهد: هو العدد كله، منه الشفع، ومنه الوتر، وهو قريب من قول إبراهيم. وعن عطاء قال: الشفع هو عشر ذى الحجة، والوتر أيام التشريق. وعن جماعة أنهم قالوا: الشفع هو الخلق، والوتر هو الله تعالى.

ويقال: الشفع هو آدم وحواء، والوتر هو الله. وقرئ: «والوتر» بالفتح، وقال أهل اللغة: بالفتح والكسر بمعنى واحد.

وقوله: ﴿والليل إذا يسر﴾ قال أبو العالية: إذا أقبل، وقال إبراهيم: إذا استوى، وعن بعضهم: «إذا يسر» يعنى: إذا يُسرى فيه، فيذهب بعضه فى إثر بعض، وقيل: يُسرى فيه. وقد أول بليلة جمع، وهى ليلة يوم النحر.

وقوله: ﴿هل فى ذلك قسم لذى حجر﴾ أى: لذى عقل.

وقال الفراء: «لذى حجر» أى: لمن كان ضابطًا لنفسه قاهرًا لهواه. ويقال: «لذى حجر» أى: لذى حكم، والحَجْر فى اللغة: هو المنع، والحِجْر مأخوذ منه، وسمى

(١) رواه النسائى فى الكبرى (٦/ ٥١٤ رقم ١١٦٧٢، ١١٦٧٣)، وأحمد (٣/ ٣٢٧)، وابن جرير الطبرى (٣٠/ ١٠٨)، والحاكم (٤/ ٢٢٠) وصححه على شرط مسلم، جميعهم عن جابر به.

وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ١٤٠): رواه البزار وأحمد ورجالهما رجال الصحيح غير عياش بن عقبة وهو ثقة.

وقال ابن كثير (٤/ ٥٠٥): وهذا إسناد رجاله لا بأس بهم، وعندى أن المتن فى رفعه نكارة، والله أعلم.

(٢) البقرة: ٢٠٣.

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾

العقل حِجراً؛ لأنه يمنع الإنسان من القبائح، وهذا لتأكيد القسم، وليس بمقسم عليه.

قوله تعالى: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم﴾ هو أبو عاد؛ لأنهم قالوا: هو عاد ابن إرم بن عوص بن سام بن نوح، ومنهم من قال: هو اسم بلدة، ولهذا لم يصرف، فإن قلنا: هو اسم رجل، فلم نصرفه؛ لأنهاسم أعجمى.

وعن مالك بن أنس: أن إرم كورة دمشق.

وعن محمد بن كعب القرظى: أنه الإسكندرية.

وقوله: ﴿ذات العماد﴾ أى: ذات البناء الرفيع، هذا إذا قلنا: إن إرم اسم بلدة.

والقول الثانى: أن قوله: ﴿ذات العماد﴾ أى: ذات الأجسام الطوال. يقال: رجل معمد إذا كان طويلا، فعلى هذا عاد اسم القبيلة، فقوله: ﴿ذات العماد﴾ منصرف إلى القبيلة. وفى القصة: أن طول الطويل منهم كان خمسمائة ذراع، والقصير ثلثمائة. وعن أبى هريرة قال: كان الواحد منهم يتخذ المصراع من الحجر، فلا ينقله خمسمائة نفر منكم، وقال مجاهد: ذات عماد أى: ذات عمود، والمعنى: أنهم أهل خيام لايقيمون فى موضع واحد، بل ينتجعون لطلب الكلأ أى: ينتقلون من موضع إلى موضع، وقال الضحاك: ذات العماد أى: ذات القوة، مأخوذ من قوة الأعمدة. وفى القصة: أن عاج بن عوج كان منهم. وذكر النقاش: أن طول موسى كان سبعة أذرع، وعصاه سبعة أذرع، ووثب سبعة أذرع، فأصاب كعب عاج بن عوج فقتله.

وفيما نقل فيه أيضاً فى القصص: أن ضلعاً من أضلاعه جسر أهل مصر كذا كذا سنه أى: كان جسراً لهم وهو على النيل، وفى التفسير: أن عاداً اثنان: عاداً الأولى، وعاداً الأخرى، فعاد الأولى عاد إرم، وعاد الثانية هو عاد المعروفة، وهو الذى أرسل إليهم هود النبى عليه السلام. قال ابن قيس الرُّقَيات:

الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾

مجداً تليداً بناه أوله أدرك عاداً وقبله إرما

وقوله: ﴿التى لم يخلق مثلها فى البلاد﴾ أى: لم يخلق مثل (أجسامهم)(١) فى البلاد. وفى رواية أبى بن كعب وابن مسعود: «الذين لم يخلق مثلهم فى البلاد».

وقوله: ﴿وثمود الذين جابوا الصخر بالواد﴾ قطعوا ونقبوا، وهو فى معنى قوله تعالى: ﴿وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين﴾(٢).

وقوله: ﴿وفرعون ذى الأوتاد﴾ يقال: كان له أربعة أوتاد، فإذا غضب على إنسان وعذبه زند يديه ورجليه على الأرض بتلك الأوتاد. فى القصة: أنه عذب امرأته آسية(٣) بمثل هذا العذاب، ووضع على صدرها صخرة حتى ماتت، وعن بعضهم: أنه كان له أربع أساطين، يشد الرجل بيديه ورجليه بها.

وقيل: ذى الأوتاد أى: ذى الملك الشديد، قال الشاعر:

فى ظل ملك ثابت الأوتاد

وقوله: ﴿الذين طغوا فى البلاد﴾ أى: جاوزوا الحد بالمعاصى، ويقال: تمادوا فيها.

وقوله: ﴿فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب﴾ أى: عذبهم، وقيل: إنه جعل عذابهم موضع السوط فى العقوبات، وعن بعضهم: أنهم كانوا يعدون الضرب بالسياط إلى أن يموت أشد العذاب، فذكر العذاب بذكر السوط هاهنا، على معنى أنه بلغ النهاية فى عذابهم.

وقوله: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ أى: إليه مرجع الخلق ومصيرهم، والمعنى: أنه

(١) فى «ك»: أجسادهم. (٢) الحجر: ٨٢.

(٣) فى «الأصل»: آيسية، وما أثبتناه من «ك».

فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾

لايفوت منه أحد، وعن الحسن: أنه بمرصاد أعمال العباد، وعن ابن عباس أن قوله: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ أى: يسمع ويرى، وعنه أيضا: أن على جهنم سبع قناطر، فيسأل على القنطرة الأولى عن الإيمان، وعلى الثانية عن الصلاة، وعلى الثالثة عن الزكاة، وعلى الرابعة عن صيام رمضان، وعلى الخامسة عن الحج والعمرة، وعلى السادسة عن صلة الرحم، وعلى السابعة عن المظالم.

وقوله: ﴿إن ربك لبا لمرصاد﴾ وقع القسم.

قوله تعالى: ﴿فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن﴾ نزلت الآية فى أمية بن خلف الجمحى، ويقال: هذا على العموم.

وقوله: ﴿فيقول ربى أكرمن﴾ أى: أنا كريم عليه حيث أعطانى هذه النعم.

وقوله: ﴿وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه﴾ أى: ضيق عليه. [وقوله](1) ﴿فيقول ربى أهانن﴾ أى: فعل مافعل بى لهوانى عليه، والمعنى: أنهم زعموا أن الله يكرم بالغنى، ويهين بالفقر.

وقوله: ﴿كلا﴾ رد لما قالوا، يعنى: أن الله لايكرم بالغنى، ولايهين بالفقر، وإنما يكرم بالطاعة، ويهين بالمعصية، وعن كعب الأحبار قال: إني لأجد فى بعض الكتب أن الله تعالى يقول: لولا أنه يحزن عبدى المؤمن، لكللت رأس الكافر بالأكاليل، فلا يصدع، ولا ينبض منه عرق بوجع.

وقوله: ﴿بل لاتكرمون اليتيم﴾ ذكر مايفعله الكفار، واستحقوا به العذاب فى قوله: ﴿لاتكرمون اليتيم﴾ فيه قولان: أحدهما: هو أكل مالهم أى: اليتامى.

والقول الثانى: أنه ترك الإحسان إليهم.

وقوله: ﴿ولايحضون على طعام المسكين﴾ أى: لايحثون، وقرئ: «ولاتحاضون

(1) من «ك».

وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾

على طعام المسكين» أى: لايحض بعضهم بعضاً.

وقوله: ﴿وتأكلون التراث أكلالـمًا﴾ التراث والوراث بمعنى واحد، وهو الميراث.

وقوله: ﴿أكلا لـمًّا﴾ أى: بخلط الحلال بالحرام. وقال مجاهد: ﴿لـمًّا﴾ أى: سفًّا، فيجمع البعض إلى البعض ويسف سفا.

وقوله: ﴿وتحبون المال حبا جما﴾ أى: كثيراً، وقرئ بالتاء والياء، فمن قرأ بالياء فعلى الخبر، ومن قرأ بالتاء فهو على الخطاب.

قوله تعالى: ﴿كلا إذا دكت الأرض دكا دكا﴾ أى: فتت ودقت.

وقوله: ﴿وجاء ربك﴾ وهو من المتشابه الذى يؤمن به ولايفسر، وقد أول بعضهم: وجاء أمر ربك، والصحيح ماذكرنا.

وقوله: ﴿والملك صفا صفا﴾ أى: صفوفًا.

وقوله: ﴿وجىء يومئذٍ بجهنم﴾ وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ: «أنه يجاء بجهنم مزمومة بسبعين ألف زمام، ويقودها الملائكة، فتقام على سائر العرش فحينئذٍ يجثوا الأنبياء على ركبهم، ويقول كل واحد: نفسى، نفسى». والخبر غريب، وهو معروف عن غير الرسول.

قوله: ﴿يومئذٍ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى﴾ أى: يتعظ، وأنى له الاتعاظ، أى: نفع الاتعاظ.

وقوله: ﴿يقول ياليتنى قدمت لحياتى﴾ أى: لآخرتى، وهو فى معنى قوله: ﴿وإن الدار الآخرة لهى الحيوان﴾(١) أى: الحياة الدائمة، والمعنى هاهنا: لحياتى فى الآخرة.

وقوله: ﴿فيومئذٍ لايعذب عذابه أحد ولايوثق وثاقه أحد﴾ بالكسر، وهو الأشهر

(١) العنكبوت: ٦٤.

فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾

من القراءتين، ومعناه: لايعذب أحد فى الدنيا بمثل مايعذبه الله فى الآخرة، ولايوثق أحد فى الدنيا مثل ما يوثقه الله فى الآخرة، وقرئ: «فيومئذ لايُعَذَّب عذابه أحد» بفتح الذال، ومعناه: لايعذب أحد مثل عذاب هذا الكافر، أو لايعذب أحد مثل عذاب هذا الصنف من الكفار، وكذلك قوله: ﴿يوثَق﴾ بفتح الثاء.

قوله تعالى: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾ أى: المؤمنة الساكنة، ويقال: المطمئنة إلى وعد ربها، وقيل: إن المراد بالنفس هو الروح هاهنا، ويقال: هو جملة الإنسان إذا كان مؤمنًا.

وقوله: ﴿ارجعى إلى ربك راضية مرضية﴾ أى: رضيت عن الله، وأرضاها الله تعالى عن نفسه. وفى بعض الآثار: أن ملكين يأتيان المؤمن عند قبض روحه، فيقولان: أخرج أيها الروح إلى روح وريحان، ورب غير غضبان.

وقوله: ﴿فادخلى فى عبادى﴾ أى: مع عبادى.

﴿وادخلى جنتى﴾ وهذا القول يوم القيامة.

وقرئ فى الشاذ: «فادخلى فى عبدى» أى: يقال للنفس - أى: الروح - ادخلى فى عبدى أى: فى جسده، وادخلى فى جنتى، وذلك عند البعث. وعن عكرمة: أنه لما نزلت هذه الآية قال أبو بكر: إن هذا لخير كثير، فقال النبى ﷺ: «أما إن الملك سيقولها لك»(١). وعن (أبى بريدة)(٢): أن الآية نزلت فى حمزة بن عبد المطلب.

(١) رواه ابن أبى حاتم - كما فى تفسير ابن كثير (٤/ ٥١٠) - وابن مردويه (الدر ٦/ ٣٩٠) كلاهما عن ابن عباس مرفوعا به.

وروى عن سعيد بن جبير مرسلا، رواه عبد بن حميد، وابن جرير - (٣٠/ ١٢٢) - وابن أبى حاتم، وابن مردويه، وأبو نعيم فى الحلية - كما فى الدر (٦/ ٣٩٠) - وقال ابن كثير فى تفسيره: وهذا مرسل حسن.

(٢) كذا! والصواب: بريدة، وهو ابن الحصيب الأسلمى الصحابى الجليل، وعزاه السيوطى فى الدر لابن المنذر وابن أبى حاتم عن بريدة قوله. الدر (٦/ ٣٩١).

﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي ۝٣٠﴾

وعن بعضهم: أنها نزلت في خُبَيْبِ بن عدى، وهو الذى أسر وصلب بمكة، وهو أول من سن الصلاة ركعتين عند الصلب، وهو القائل:

فلست أبالى حين أقتل مسلماً على أى جنب كان فى الله مصرعى

وذلك فى ذاتِ الإله وإن يشأ (يبارك فى شلو الأديم الممزع)[1]

وعن عامر بن قيس: أنه وفد على عثمان - رضى الله عنه - فجلس على بابه، فخرج عليه عثمان فرأى أعرابيًا فى بَتٍّ، فلم يعرفه، فقال: أين ربك يا أعرابى؟ قال: بالمرصاد. فافحم عثمان، وهذا على قوله: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ والله أعلم.

---

(١) كذا.

بسم الله الرحمن الرحيم

لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾

تفسير سورة البلد

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿لا أقسم بهذا البلد﴾ معناه: أقسم، و «لا» صلة. قال الفراء: وهو على مذهب كلام العرب، يقولون: لاو الله لا أفعل كذا. أى: والله، وكذلك لا والله لأفعلن كذا، أى: والله، فيجوز أن تكون «لا» صلة، ويجوز أن يكون ردا لقول سابق، وابتداء القسم من قوله والله، فكذلك قوله: ﴿لاأقسم﴾ يجوز أن يكون «لا» صلة، ويجوز أن يكون ردا لزعمهم من إنكار البعث أو إنكار نبوة الرسول ﷺ، والقسم من قوله: ﴿أقسم﴾ وقال الفراء: هذا الثانى أولى.

وقوله: ﴿بهذا البلد﴾ هو مكة فى قول الجميع، ذكره مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وغيرهم.

وقوله ﴿وأنت حل بهذا البلد﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أى: حلال لك أن تقاتل فى هذا البلد، ولم يحل لأحد قبلك، وقد ثبت أن النبى ﷺ قال: «إن مكة حرام، حرمها الله يوم خلق السموات والأرض، لم تحل لأحد قبلى، ولاتحل لأحد بعدى، وإنما أحلت لى ساعة من نهار»(١).

والقول الثانى: أن قوله: ﴿وأنت حل بهذا البلد﴾ أى: استحلوا منك ما حرمه الله من الأذى، وإيصال المكروه إليك مع اعتقادهم حرمة الحرم، ذكره القفال.

والقول الثالث: ﴿وأنت حل بهذا البلد﴾ أى: نازل بهذا البلد، وهو إشارة إلى زيادة حرمة وشرف للبلد لمكان النبى ﷺ فيه.

(١) تقدم تخريجه.

﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ ﴾

وقوله: ﴿ووالد وما ولد﴾ قال مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وأبو صالح معناه: آدم وولده، وعن أبى عمران [الجونى][(١)]: هو إبراهيم وولده. وروى عكرمة عن ابن عباس أن قوله: ﴿ووالد وماولد﴾ هو الوالد والعاقر، معنى الذى يلد، والذى لايلد، فتكون ما للنفى.

وقوله: ﴿لقد خلقنا الإنسان فى كبد﴾ على هذا وقع القسم، (ومعنى القسم)[(٢)] ومعنى الكبد: الشدة.

وروى شريك، عن عاصم، عن زر عن، على فى قوله: ﴿ووالد وماولد﴾ آدم وذريته، على ما ذكرنا. قال رضى الله عنه: أخبرنا بذلك أبو محمد الصريفينى، أخبرنا أبو القاسم بن حبابة، أخبرنا أبو القاسم البغوى، أخبرنا على بن الجعد، عن شريك ... الأثر.

وأما الكبد بينا أنه الشدة. وروى على بن الجعد، عن على بن على الرفاعى، عن الحسن البصرى قال: ليس أحد يكابد من الشدة ما يكابده الإنسان. وقال سعيد: «خلقنا الإنسان فى كبد» أى: فى مضائق الدنيا وشدائد الآخرة. قال رضى الله عنه: أخبرنا بما ذكرنا عن الحسن: الصريفينى، عن [ابن][(٣)] حبابة، عن البغوى، عن على ابن الجعد. وقيل فى تفسير الكبد: هو أنه يكابد ضيق الرحم، وعسر الخروج من بطن الأم، ثم يكون فى الرباط والقماط، ثم نبات الأسنان، ثم الختان، ثم إذا بلغ التكليفات والأوامر والنواهى، ثم يكابد أمر معيشته، والأحوال المنقلبة عليه إلى أن

---

(١) فى «الأصل وك»: الجزي، وهو تحريف، وهو أبو عمران الجونى عبد الملك بن حبيب من رجال التهذيب، وقد أخرج هذا الأثر عنه ابن جرير وابن أبى حاتم، كما فى الدر المنثور (٦/٣٩٣).

(٢) كذا! ولعلها وأظنها مقحمة من الناسخ.

(٣) فى «الأصل وك»: عن أبى، والصواب ما أثبتناه، وهو أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن إسحاق بن سليمان بن حبابة البغدادى البزاز، وهو يتكرر فى إسناد المصنف كثيراً كما فى الإسناد السابق. وانظر ترجمته فى السير (١٦/٥٤٨).

لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾

يموت، ثم بعد ذلك مايعود إلى أهوال القبر وأهوال القيامة، إلى أن يستقر فى إحدى المنزلتين.

وقال لبيد فى الكبد:

ياعين هلابكيت أربد إذ قمنا وقام الخصوم فى كبد

أى: فى شدة.

وقال إبراهيم ومجاهد وعبد الله بن شداد: فى كبد أى: فى انتصاب، والمعنى: أنه خلق منتصبًا فى بطن أمه، غير منكب على وجهه بخلاف سائر الحيوانات. وفى تفسير النقاش: أن الله تعالى وكل ملكًا بالولد فى بطن الأم، فإذا قامت المرأة، أو اضطجعت رفع رأس الولد؛ لئلا يغرق فى الدم.

قوله تعالى: ﴿أيحسب الإنسان أن لن يقدر عليه أحد﴾ نزلت الآية فى [أبى](١) الأشدين، فكان رجلا من بنى جمح من أقوى قريش وأشدهم، وكان يبسط له الأديم العكاظى، فيقوم عليه، ويجتمع القوم على الأديم، فيجذبونه من تحت قدمه فينقطع ولاتزول قدمه، وكان شديداً فى عداوة النبى ﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآية فيه. ومعناه: أيظن أن لن يقدر عليه الله، وقال ذلك لأنه كان مغتراً بقوته وشدته.

وقوله: ﴿يقول أهلكت مالا لبدا﴾ أى: أنفقت مالا كثيراً فى عداوة محمد، و«لبداً» أى: بعضه على بعض. قال الكلبى: وكان يكذب فى ذلك، فقال الله تعالى: ﴿أيحسب أن لم يره أحد﴾ أيحسب أن الله لم ير ما أنفقه، ويقال: أيحسب أن لم يطلع الله على فعله فيكذب، ولايعلم الله كذبه.

قال معمر: قرئت هذه الآية عند قتادة، فقال: أيحسب أن لن يسأله الله تعالى من أين جمعه، وأين أنفقه؟. وعن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «يؤتى بالعبد يوم

(١) فى «الأصل وك»: ابن، والمثبت من تفسير ابن جرير الطبرى (٣٠/١٢٦)، وسماه فى الكشاف: أبو الأشد.

أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾

القيامة، فيقال له: ماذا عملت بمالك؟ فيقول: أنفقت، وزكيت طلبًا لرضاك، فيقول: كذبت إنما أنفقت وأعطيت، ليقال: فلان سخى، وقد قيل ذلك، فجروه إلى النار»(١). والخبر طويل صحيح خرجه مسلم.

ومن المعروف أن النبىﷺ قال: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن أربعة: عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله من أين كسبه وأين وضعه؟»(٢).

قوله تعالى: ﴿ألم نجعل له عينين﴾ قال أهل التفسير: ثم إن الله تعالى ذكر نعمه عليه وعظيم قدرته، ليعرف أن الله تعالى قادر على إعادته يوم القيامة خلقًا جديداً، وأنه مسئول عما يفعل.

وقوله: ﴿ولسانا وشفتين﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿وهديناه النجدين﴾ قال ابن مسعود: سبيل الخير وسبيل الشر. وروى عكرمة عن ابن عباس أن قوله: ﴿وهديناه النجدين﴾ أى: اليدين. والقول الأول أشهر، وهو قول أكثر المفسرين. وقد روى عن النبىﷺ أنه قال: «إنما هما نجدان، نجد خير، ونجد شر، فلا تجعل نجد الشر أحب السبيل من نجد الخير»(٣).

---

(١) رواه مسلم (١٣/٧٥-٧٦ رقم ١٩٠٥)، والترمذى (٤/٥١٠-٥١٢ رقم ٢٣٨٢) وقال: حسن غريب، والنسائى (٦/٢٣-٢٤ رقم ٣١٣٧)، وابن حبان (٢/١٣٥-١٣٦ رقم ٤٠٨)، والبيهقى فى السنن (٩/١٦٨).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير (٨/٢٦١-٢٦٢ رقم ٨٠٢٠)، والقضاعى فى مسند الشهاب (٢/٢٣٥-٢٣٦ رقم ١٢٦٣) عن أبى أمامة مرفوعا به. وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/٢٥٩): رواه الطبرانى من حديث فضال، عن أبى أمامة، وفضال ضعيف.

وفى الباب عن أنس، والحسن وقتادة كلاهما مرسلا، وانظر الدر (٦/٣٩٤).

فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾

وقوله: ﴿ فلا اقتحم العقبة ﴾ أى: فهلا أنفق ماله الذى أنفقه فى عداوة محمد فى اقتحام العقبة، ويقال: ﴿ فلا اقتحم العقبة ﴾ أى: لم يقتحم العقبة، ومعناه: لم يجاوزها، وقيل: إن العقبة جبل فى النار، ويقال: هبوط وصعود، مصعد سبعة آلاف سنة، ومهبط ألف سنة.

وقيل: مصعد ألف عام، وفيها غياض ممتلئة من الأفاعى والحيات والعقارب. قال الحسن البصرى فى العقبة: إنها مجاهدة النفس والهوى والشيطان. فعلى هذا ذكر العقبة تمثيل؛ لأن العقبة يشق صعودها، كذلك الإنسان يشق عليه مجاهدة النفس والشيطان.

وقوله: ﴿ وما أدراك ما العقبة ﴾ أى: فما أدراك (ما تجاوز بها)[1] العقبة، ثم فسَّر فقال: ﴿ فك رقبة ﴾ وفك الرقبة اعتاقها. وروى عقبة بن عامر: أن النبى ﷺ قال: «من أعتق رقبة، كانت فكاكه من النار»[2]. ومن المعروف أن رجلا أتى النبى ﷺ فقال: «يا رسول الله، علمنى عملا يدخلنى الجنة، فقال: لئن أقصرت الخطبة فقد أعرضت فى المسألة، أعتق النسمة، وفك الرقبة، فقال: أوليسا واحداً يارسول؟ قال: لا، عتق النسمة أن تنفرد بعتقها، وفك الرقبة أن تعين فى ثمنها، وعليك بالفىء على ذى الرحم الظالم، فإن لم يكن ذلك، فأطعم الجائع، واسق الظمآن، وأْمُرْ بالمعروف، وانه

(١) فى «ك»: ما تجاوزها.

(٢) رواه أحمد (٤/١٤٧)، والطيالسى (١٣٦ رقم ١٠٠٩)، وأبو يعلى (٣/٢٩٦-٢٩٧ رقم ١٧٦٠)، والطبرانى فى الكبير (١٧/٣٣٢-٣٣٣ رقم ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠)، والحاكم (٢/٢١١) وصححه.

وقال الهيثمى فى المجمع (٤/٢٤٥): رواه أحمد، أبو يعلى والطبرانى، ورجاله رجال الصحيح خلا قيس الجذامى، ولم يضعفه أحد.

وقال المنذرى فى الترغيب (٣/٣٠): رواه أحمد بإسناد صحيح.

﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾﴾

عن المنكر، فإن لم تطق ذلك، فكف لسانك إلا من خير»(١).

وورد – أيضًا – عن النبي ﷺ أنه قال: «من أعتق رقبة مسلمة، أعتق الله بكل عضوٍ منها عضواً منه من النار»(٢). والخبر صحيح.

وقرئ: «فكَّ رقبةً»، فمن قرأ بالرفع فمعناه: هى فك رقبة، ومن قرأ بالنصب فمعناه: لا يقتحم العقبة إلا من فكَّ رقبة.

وقوله ﴿أو إطعام فى يوم ذى مسغبة﴾ أى: إطعام مسكين فى يوم ذى جوع، والسغب: الجوع، والمسغبة: المجاعة.

قال الشاعر:

فلو كنت جاراً يابن قيس بن عاصم ... لما بت شبعانًا وجارك ساغب

أى: جائع.

وقوله تعالى: ﴿يتيمًا ذا مقربة﴾ أى: ذا قرابة، واليتيم هو الذى لاوالد له، ويقال: هو الذى ليس له أبوان.

قال قيس بن الملوح:

إلى الله أشكو فقد ليلى كما شكا ... إلى الله فقد الوالدين يتيم

وقوله: ﴿أو مسكينًا ذا متربة﴾ أى: لصق بالتراب من الفقر. قال مجاهد: لايحول بينه وبين التراب شىء. وقيل: ذا متربة، أى: ذا زمانة، وقيل: ذا متربة أى: ليس له أحد من الناس.

(١) رواه البخارى فى الأدب المفرد (رقم ٦٩)، وأحمد (٤/ ٢٩٩)، والطيالسى (١٠٠ رقم ٧٣٩)، وابن حبان فى صحيحه (كما فى موارد الظمآن)، والدارقطنى (٢/ ١٣٥)، والحاكم (٢/ ٢١٧) وصححه، والبيهقى (١٠/ ٢٧٢ – ٢٧٣)، والبغوى فى تفسيره (٤/ ٢٩٠) عن البراء بن عازب مرفوعا به.

(٢) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (٥/ ١٧٤ رقم ٢٥١٧ وطرفه: ٦٧١٥)، ومسلم (١٠/ ٢١٢ – ٢١٣ رقم ١٥٠٩).

أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾

وقوله: ﴿ ثم كان من الذين آمنوا ﴾ يعنى: يقتحم العقبة من فَعَلَ هذه الأشياء، فكان من الذين آمنوا. فإن قيل: كلمة «ثم» للتراخى باتفاق أهل اللغة، فكيف وجه المعنى فى الآية، وقد ذكر الإيمان متراخيًا عن هذه الأشياء؟

والجواب: قال النحاس: هو مشكل، وأحسن ماقيل فيه أن معناه: ثم أخبركم أنه كان من الذين آمنوا حين فعل هذه الأشياء، وقد قيل: إن «ثم» بمعنى الواو، وليس يصح.

وقوله: ﴿ وتواصوا بالصبر ﴾ أى: بالصبر عن معاصى الله، وقيل: بالصبر على طاعة الله، وقيل: بالصبر عن لذات الدنيا وشهواتها.

وقوله: ﴿ وتواصوا بالمرحمة ﴾ أى: مرحمة بعضهم على بعض، وتواصوا بالمرحمة هو وصية البعضِ البعضَ.

وقوله: ﴿ أولئك أصحاب الميمنة ﴾ أى: أصحاب اليمين، وهم الذين استخرجوا من شق آدم الأيمن، ويقال: الذين [يعطون](١) الكتاب بأيمانهم، وقيل: الميامين على أنفسهم.

وقوله: ﴿ والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة ﴾ أى: المشائيم على أنفسهم، ويقال: هم الذين يعطون الكتاب بشمالهم، وكذلك القول الأول.

وقوله: ﴿ عليهم نار مؤصدة ﴾ أى: مطبقة، يقال: وصدت الباب، وأصدته إذا أطبقته، ويقال: مؤصدة أى: مبهمة لاباب لها.

قال الشاعر:

قوم يصالح شدة أبنائهم ... وسلاسلا حلقًا وبابًا مؤصدًا

أى: مطبقًا.

---

(١) فى «الأصل وك»: يعطى.

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا

تفسير سورة والشمس

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿والشمس وضحاها﴾ أى: وضوئها، وقيل: هو النهار كله.

وقوله: ﴿والقمر إذا تلاها﴾ أى: تبعها، وهو قول مجاهد وقتادة وعامة المفسرين، وهو مروى أيضًا عن ابن عباس، ومعنى تبعها: يعنى أن الشمس إذا غربت يليها القمر فى الضوء، ويقال: هو فى الأيام البيض إذا غربت الشمس طلع القمر، وقيل: هو فى أول ليلة من الشهر، إذا غربت الشمس رئى الهلال، وعلى الجملة القمر أحد النيرين، وهو يتلو الشمس إذا استدار واستتمه فى إضاءة الدنيا.

وقوله: ﴿والنهار إذا جلاها﴾ فيه قولان: أحدهما: جلا الظلمة فكنى عن الظلمة من غير ذكرها، وهو كثير فى كلام العرب، والقول الآخر: جلاها أى: جلا الشمس؛ لأن النهار إذا ارتفع أضاءت الشمس وانبسطت.

وقوله: ﴿والليل إذا يغشاها﴾ يعنى: إذا يغشى الشمس أى: يستر ضوءها.

وقوله: ﴿والسماء وما بناها﴾ معناه: ومن بناها، وقيل: والذى بناها. وعن ابن الزبير أنه سمع صوت الرعد فقال: سبحان ما سبحت له، أى: الذى سبحت له، ويقال: وما بناها أى: وبنائها.

وقوله: ﴿والأرض وما طحاها﴾ أى: ومن بسطها، وقيل: الأرض وطحوها أى: وبسطها.

وقوله: ﴿ونفس وما سواها﴾ أى: ومن سواها، وقد بينا معنى التسوية، وقيل: هو

سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ
مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾

اعتدال القامة.

وقوله: ﴿ فألهمها فجورها وتقواها ﴾ أى: عرفها وأعلمها، وقال مجاهد والضحاك وغيرهما: جعل فى قلبه فجورها وتقواها، وهو أولى من القول الأول؛ لأن الإلهام فى اللغة فوق التعريف والإعلام. وقال الزجاج: عدلها للفجور، ووفقها للتقوى ﴿ قد أفلح من زكاها ﴾ على هذا وقع القسم، والمعنى: قد أفلحت نفس زكاها الله.

وقوله: ﴿ وقد خاب من دساها ﴾ أى: وخاب نفس دساها الله، وقيل: أفلح من زكى نفسه وأصلحها، وخاب من أخمد نفسه ودسها، فعلى هذا قوله: ﴿ دساها ﴾ أى: دسيها.

يقول الشاعر:

يقضى البازى إذا البازى انكسر

أى: يقضض البازى. قال الفراء: العامل بالفجور خامل عند الناس غامض الشخص، منكسر الرأس، والمتقى عال مرتفع. وقال ثعلب: «من دساها» أى: أغواها، وعنه أنه قال: دساها أى: دس نفسه فى أهل الخير وليس منهم. قال الشاعر:

وأنت الذى دسيت عمرا فأصبحت ... حلائله منه أرامل ضُيَّعا

وقوله: «دساها» ها هنا: أهلكت، فعلى هذا معنى قوله: ﴿ وقد خاب من دساها ﴾ أى: أهلكها بالمعاصى.

وروى نافع بن عمر الجمحى، عن ابن أبى مليكة قال: قالت عائشة - رضى الله عنها - انتبهت ليلة فوجدت رسول الله ﷺ وهو يقول: «أعط نفس تقواها، وزكِّها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها»(١). قال رضى الله عنه: أخبرنا بذلك أبو

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده (٦/٢٠٩). وقال الهيثمى فى المجمع (٢/١٣١): رواه أحمد ورجاله ثقات. وقال أيضا (١٠/١١٣): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، غير صالح بن سعيد الراوى، عن عائشة وهو ثقة.

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا

الغنائم عبد الصمد بن على العباسى، أخبرنا أبو القاسم عيسى بن على بن عيسى، أخبرنا البغوى، أخبرنا داود بن عمرو الضبى، عن نافع بن عمر . . . الحديث.

وقوله: ﴿ كذبت ثمود بطغواها ﴾ أى: بطغيانها، ويقال: بأجمعها.

وقوله: ﴿ إذا انبعث أشقاها ﴾ هو قدار بن سالف، وقد بينا من قبل. وروى رشدين، عن يزيد بن عبد الله بن سلامة، عن عثمان بن صهيب، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ لعلى: «من أشقى الأولين؟ قال: عاقر الناقة، قال: صدقت، قال: فمن أشقى الآخرين؟ قال: قلت: لا أعلم يا رسول الله. قال: الذى يضربك على هذه، وأشار بيده إلى يافوخه»(١).

قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا كريمة بنت أحمد قالت: أخبرنا أبو على زاهر بن أحمد، أخبرنا محمد بن إدريس [السامى](٢)، أخبرنا سويد بن سعيد، عن رشدين. . الخبر وهو غريب.

وقوله: ﴿ فقال لهم رسول الله ﴾ ﷺ، وهو صالح.

وقوله: ﴿ ناقة الله وسقياها ﴾ أى: ذروا ناقة الله وسقياها، ومعنى سقياها: شربها على ما قال فى موضع آخر: ﴿ لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ﴾(٣).

وقوله: ﴿ فكذبوه فعقروها ﴾ أى: فكذبوا صالحًا، وعقروا الناقة.

(١) رواه أبو يعلى (١/ ٣٧٧-٣٧٨ رقم ٤٨٥)، والطبرانى فى الكبير (٨/ ٣٨ رقم ٧٣١١) عن صهيب به.
وقال الهيثمى فى المجمع (٩/ ١٣٩): رواه الطبرانى وأبو يعلى، وفيه رشدين بن سعد وقد وثق، وبقية رجاله ثقات. وله شواهد عن عمار وعلى بن أبى طالب، وجابر بن سمرة وغيرهم.

(٢) فى «الأصل، وك»: الشافعى، وهو تحريف، وهو محمد بن إدريس السامى أبو لبيد السرخسى شيخ زاهر بن أحمد السرخسى ويروى عن سويد بن سعيد، كما في ترجمته من السير (١٤/ ٤٦٤ - ٤٦٥).

(٣) الشعراء: ١٥٥.

فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾

وقوله: ﴿ فدمدم عليهم ربهم بذنبهم ﴾ عن ابن الزبير: أنه «فرمرم عليهم ربهم»، وهو معنى القراءة المعروفة، ويقال: دمدم أي: غضب عليهم ربهم، يقال: فلان يدمدم إذا كان يتكلم بغضب. والقول المعروف أن معنى قوله: ﴿ فدمدم عليهم ﴾ أي: أطبق عليهم بالعذاب يعني: عمهم ولم يبق منهم أحداً، ويقال: الدمدمة هو الهلاك باستئصال.

وقوله: ﴿ بذنبهم فسواها ﴾ أي: سواهم بالأرض، فلم يبق منهم أحداً صغيراً ولا كبيراً. ويقال: سوى بينهم بالعذاب.

وقوله: ﴿ ولايخاف عقبيها ﴾ وقرئ: «فلا يخاف عقباها» وفيه قولان: أحدهما: أن الله تعالى لايخاف أن يتبعه أحد بما فعل، قاله الحسن وغيره، والقول الثاني: لم يخف عاقر الناقة عاقبة فعله، والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ (٤) ﴾

تفسير سورة والليل

وهي مكية

قوله تعالى: ﴿ والليل إذا يغشى ﴾ قال قتادة: يغشى الأفق بظلمته، وفي رواية عنه: يغشى مابين السماء والأرض بظلمته. وقيل: ﴿ والليل إذا يغشى ﴾ أي: أظلم. ويقال: يغشى النهار.

وقوله: ﴿ والنهار إذا تجلى ﴾ معناه: إذا أضاء وانكشف، ويقال: جل الظلمة فكأنه قال: تجلت الظلمة بها.

وقوله: ﴿ وما خلق الذكر والأنثى ﴾ قرأ ابن مسعود وأبو الدرداء: « والذكرِ والأنثى » وقد صح هذا بروايتهما عن النبي ﷺ أنه قرأ كذلك(١)، وأما القراءة المعروفة: ﴿ وما خلق الذكر والأنثى ﴾ وفيه قولان: أحدهما: وماخلق الذكر والأنثى مثل قوله: ﴿ والسماء وما بناها ﴾(٢) أي: فمن بناها.

والقول الثاني: وماخلق من الذكر والأنثى. وذكر الفراء والزجاج: أن الذكر والأنثى هو آدم وحواء. وقد قيل: إنه على العموم، ولله أن يقسم بما شاء من خلقه، وقد ذكرنا أن القسم على تقديره ذكر الرب، وكأنه قال: ورب الليل، ورب النهار إلى آخره.

وقوله: ﴿ إن سعيكم لشتى ﴾ على هذا وقع القسم، والمعنى: إن عملكم

---

(١) متفق عليه من حديث أبي الدرداء مرفوعا، رواه البخاري (٨/٥٧٧ رقم ٤٩٤٣، ٤٩٤٤)، ومسلم (٦/١٥٦ - ١٥٩ رقم ٨٢٤).

(٢) الشمس: ٥.

فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾

مختلف، وقيل: إن سعيكم لشتى أى: منكم المؤمن والكافر، والصالح والطالح، والشكور والكفور، وأمثال هذا.

قال الشاعر:

سعى الفتى لأمور ليس يدركها   فالنفس واحدة والهم منتشر

والمرء ماعاش ممدود له أثر   لاينتهى العمر حتى ينتهى الأثر

قوله تعالى: ﴿فأما من أعطى واتقى﴾ ذهب أكثر المفسرين إلى أن هذه الآية نزلت فى أبى بكر الصديق، رضى الله عنه.

وقوله تعالى: ﴿أعطى واتقى﴾ أى: بذل المال بالصدقة، وحاذر من الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وصدق بالحسنى﴾ أى: بالخلف من الله تعالى [قاله](١) عكرمة عن ابن عباس، وهو أشهر الأقاويل.

والقول الثانى: وصدق بالحسنى أى: بالجنة، قاله مجاهد.

وقيل: بالثواب، وقال أبو عبد الرحمن السلمى وعطاء: صدق بالحسنى أى: بلا إله إلا الله.

وقوله: ﴿فسنيسره لليسرى﴾ أى: للحالة اليسرى والمعنى: يسهل عليه طريق (الطاعات)(٢)، والأعمال الصالحة. قال الأزهرى: ييسر عليه ما لا ييسر إلا على المسلمين.

قوله تعالى: ﴿وأما من بخل واستغنى﴾ يقال: نزلت الآية فى أمية بن خلف، وقيل: فى أبى سفيان بن حرب.

(١) فى «الأصل وك»: قال. وانظر الدر (٦/ ٤٠٠).

(٢) فى «ك»: الطاعة.

﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾

وقوله: ﴿بخل﴾ أى: بخل بماله، واستغنى أى: عن ثواب ربه.

وقوله: ﴿وكذب بالحسنى﴾ هو ما بينا.

وقوله: ﴿فسنيسره للعسرى﴾ أى: يسهل عليه طريق الشر، وروى أبو صالح عن ابن عباس قال: يحول بينه وبين الإيمان بالله وبرسوله. قال الفراء: فإن سأل سائل قال: كيف يستقم قوله: ﴿فسنيسره للعسرى﴾ وكيف ييسر العسير؟ أجاب عن هذا: أن هذا مثل قوله تعالى: ﴿فبشر الذين كفروا بعذاب أليم﴾ فوضع البشارة موضع الوعيد بالنار، وإن لم تكن بشارة على الحقيقة، كذلك وضع التيسير فى هذا الموضع، وإن كان تعسيراً فى الحقيقة.

وقد ذكر عطاء الخراسانى أن الآية نزلت فى رجل من الأنصار كان له حائطٌ، وله نخلة تتدلى فى دار جاره، ويأكل جاره مما يسقط من ثمارها، فمنعه الأنصارى، فشكى ذلك الفقير إلى رسول الله ﷺ، فقال النبى للأنصارى: «بِعْنى هذه النخلة بنخلة لك فى الجنة، فأبى أن يبيع، فاشتراها منه أبو الدحداح بحائط له، وأعطاها ذلك الفقير، فأنزل الله تعالى فيهما هذه الآيات(١). والأصح أن الآية نزلت فى أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - لأن السورة مكية على قول الجميع، فلا يستقيم أن تكون الآية منزلة فى أحد من الأنصار. وقد (ورد)(٢) فى الآيتين خبر صحيح، وهو ماروى منصور بن المعتمر، عن سعد بن عبيدة، عن أبى عبد الرحمن السلمى، عن على بن أبى طالب قال: «كنا فى جنازة بالبقيع، فأتى النبى ﷺ فجلس وجلسنا معه، ومعه عود ينكت به فى الأرض، فرفع رأسه إلى السماء وقال: مامن نفسٍ منفوسة إلا وقد كتب مدخلها، فقال القوم: يارسول الله، أفلا نتكل على كتابنا، فمن كان من أهل السعادة فإنما يعمل للسعادة، ومن كان من أهل الشقاء فإنه يعمل للشقاء، قال:

(١) تقدم تخريجه.

(٢) فى «ك»: روى.

وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ

بل اعملوا فكلٌ ميسر، أما من كان من أهل السعادة فإنه ييسر لعمل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاء فإنه ييسر بعمل الشقاء، ثم قرأ: ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى﴾»(١).

قال رضى الله عنه: أخبرنا بذلك أبو على الشافعى بمكة، أخبرنا أبو الحسن بن فراس، أخبرنا الديبلى أخبرنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومى، أخبرنا سفيان بن عيينة، عن منصور الحديث.

قوله تعالى: ﴿وما يغنى عنه ماله إذا تردى﴾ معناه: إذا هلك، يقال: تردى أى: سقط فى النار، وهو الأصح؛ لأن التردى فى اللغة هو السقوط، يقال: تردى من مكان كذا أى: سقط.

وقوله: ﴿إن علينا للهدى﴾ قال الزجاج: علينا بيان الحلال والحرام، والطاعة والمعصية. ويقال: من سلك سبيل الهدى، فعلينا هداه مثل قوله: ﴿وعلى الله قصد السبيل﴾(٢) أى: بيان السبيل لمن قصد.

وقوله: ﴿وإن لنا للآخرة والأولى﴾ أى: ملك الآخرة والأولى، وقيل: ثواب الآخرة والأولى.

وقوله: ﴿فأنذرتكم ناراً تلظى﴾ أى: تتلظى، ومعناه: تتوهج.

وقوله: ﴿لايصلاها إلا الأشقى الذى كذب وتولى﴾ أى: كذب بالله، وأعرض عن طاعته. وفى الآية سؤال للمرجئة والخوارج، فإن الله تعالى قال: ﴿لايصلاها إلا الأشقى﴾ أى: لايقاسى حرها، ولايدخلها إلا الأشقى الذى كذب وتولى، فدل أن

(١) متفق عليه، رواه البخارى (٣/٢٦٧ رقم ١٣٦٢ وأطرافه: ٤٩٤٥ - ٤٩٤٩، ٦٢١٧، ٦٦٠٥، ٧٥٥٢)، ومسلم (١٦/٢٩٩ - ٣٠٢ رقم ٢٦٤٧).

(٢) النحل: ٩.

﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾

المؤمن وإن ارتكب الكبائر لايدخل النار، هذا للمرجئة، وأما الخوارج قالوا: قد وافقتمونا أن صاحب الكبائر يدخل النار، فدل أنه كفر بارتكاب الكبيرة، والتحق بمن كذب وتولى حيث قال الله تعالى: ﴿لايصلاها إلا الأشقى الذى كذب وتولى﴾.

والجواب من وجوه: أحدها: أن معناه: لايصلاها إلا الأشقى الذى كذب وتولى، فالأشقى هم أصحاب الكبائر، والذى كذب وتولى هم الكفار. والعرب تقول: أكلت خبزاً لحماً تمراً. أى: ولحماً وتمراً، وحذفوا الواو، وكذلك هاهنا، وأنشد أبو زيد الأنصارى:

كيف أصبحت كيف أمسيت فما يثبت الود فى فؤاد الكريم

أى: وكيف أمسيت؟

والوجه الثانى: أن للنار دركات، والمراد من الآية دركة بعينها، لايدخلها إلا الكفار، قال الله تعالى: ﴿إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار﴾(١) دلت الآية أنه مخصوص للمنافقين، وهذا جواب معروف.

والوجه الثالث: أن المعنى: لا يصلاها، لايدخلها خالداً فيها إلا الأشقى الذى كذب وتولى، وصاحب الكبيرة وإن دخلها لايخلد فيها.

وقوله: ﴿وسيجنبها الأتقى الذى يؤتى ماله يتزكى﴾ أى: يعطى ماله ليصير زاكيا طاهراً، وهو وارد فى أبى بكر الصديق على قول أكثر المفسرين، ويقال: إن الآية الأولى نزلت فى أمية بن خلف، وأما إيتاؤه المال فهو أنه أعتق سبعة نفر كانوا يعذبون فى الله، منهم بلال الخير، وعامر بن فهيرة، والنهدية، وزنيرة، وغيرهم. وروى أنه لما اشترى الزنيرة وأعتقها - وكانت قد أسلمت - عميت عن قريب، فقال المشركون: أعماها اللات والعزى، فقالت: أنا أكفر باللات والعزى، فرد الله عليها بصرها.

ومن المعروف أن النبى ﷺ مر على بلال، وهو يعذب فى رمضاء مكة، وهو يقول: أحد أحد، فقال النبى ﷺ: «سينجيك أحد، ثم إنه أتى أبا بكر وقال: رأيت بلالا

(١) النساء: ١٤٥.

وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

يعذب في الله، فذهب أبو بكر إلى بيته، وأخذ رطلا من ذهب، وجاء إلى أمية بن خلف واشتراه منه وأعتقه، فقالت قريش: إنما أعتقه ليد له عنده، فأنزل الله تعالى: ﴿وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى﴾ أي: إلا طلب رضاء ربه المتعالي.

وقوله: ﴿ولسوف يرضى﴾ أي: يرضى ثوابه في الآخرة، والمعنى: يعطيه الله حتى يرضى. وذكر النقاش في تفسيره: «أن جبريل - عليه السلام - أتى النبي ﷺ فقال: قل لأبي بكر يقول الله تعالى: أنا عنك راضٍ، فهل أنت عني راضٍ؟، فذكر ذلك لأبي بكر [فبكى][1] وخر ساجداً، وقال: أنا عن ربي راضٍ، أنا عن ربي راضٍ»[2].

وروى عليٌّ أن النبي ﷺ قال: «رحم الله أبا بكر، زوجني ابنته، وحملني إلى دار الهجرة، واشترى بلالا وأعتقه»[3].

(١) في «الأصل»: ويكى.

(٢) تقدم.

(٣) رواه الترمذي (٥/٥٩٢ رقم ٣٧١٤) وقال: غريب، وابن أبي عاصم في السنة (٢/٥٦٣ رقم ١٢٣٢)، والعقيلي (٤/٢١٠ - ٢١١)، وابن حبان في المجروحين (٣/١٠)، وابن عدي في الكامل (٦/٤٤٥).

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾

تفسير سورة الضحى

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿ والضحى ﴾ أقسم بالنهار كله، وقيل: بوقت الضحوة، وهو وقت ارتفاع الشمس. قال مجاهد: سجى: استوى، وقال عكرمة: سكن الخلق فيه، وقيل: استقرت ظلمته. قال الأصمعى: سجو الليل: تغطية النهار، يقال: ليل داج، وبحر ساج، وسماء ذات أبراج، قال الراجز:

ياحبذا القمراء والليل (الداج)[1] وطرق مثل ملاء النَّسَّاج

وقال آخر:

فما ذنبنا أن جاش بحر ابن عمكم وبحرك ساج (ما)[2] يوارى الدعامصا

وقوله: ﴿ ما ودعك ربك وما قلى ﴾ قال أهل التفسير: أبطأ جبريل عن الرسول ﷺ مرةً؛ فقالت قريش: ودعه ربه وقلاه. وروى أن امرأة قالت له: يا محمد، أرى أن شيطانك قد تركك؛ فأنزل الله تعالى هذه السورة، وأقسم بما ذكرنا أنه ما ودَّعه وما قلاه.

وروى زهير، عن الأسود بن قيس، عن جندب البجلى قال: كنت مع النبى ﷺ فى غازية، فدميت أصبعه، فقال النبى ﷺ:

---

(١) أورده ابن منظور فى لسان العرب (١٤/ ٣٧١ - مادة: سجا) ونسبه للحارثى، وفيه: الساج، ومثله فى ابن جرير الطبرى (٣٠/ ١٤٧).

(٢) فى اللسان: «لا» (١٤/ ٣٧١).

«هل أنت إلا أصبع دُميت وفي سبيل الله ما لقيت»

قال: فأبطأ جبريل – عليه السلام – فقال المشركون: قد وُدع محمد ﷺ؛ فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ما ودعك ربك وما قلى﴾»(١) قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث أبو محمد المكى بن عبد الرزاق الكشميهنى، أخبرنا جدى أبو الهيثم الفربرى، أخبرنا البخارى، أخبرنا أحمد بن يونس، عن زهير بن معاوية بن حديج الحديث.

وذكر بعضهم: أن الآية نزلت حين سأل اليهود رسول الله ﷺ عن خبر أصحاب الكهف وعن ذى القرنين، وعن الروح فقال: سأخبركم غداً، ولم يقل: إن شاء الله، فتأخر جبريل – عليه السلام – سبعة عشر يوماً، وقيل: أقل أو أكثر، فقال المشركون: قد ودعه ربه وقلاه؛ فأنزل الله تعالى هذه السورة»(٢).

وقد قرئ فى الشاذ بالتخفيف، والمعروف بالتشديد أى: ما قطع عنك الوحى، (وقيل)(٣): ما أعرض عنك. وبالتخفيف معناه: ما تركك، تقول العرب: دع هذا، وذر هذا، واترك هذا بمعنى واحد.

وقوله: ﴿وما قلى﴾ أى: ما قلاك بمعنى: ما أبغضك، (وقيل)(٣): ما تركك منذ قبلك، وما أبغضك منذ أحبك. قال الأخطل:

المهديات هو من بيته والمحسنات لمن قلين مقالاً

أى: أبغضن.

(١) رواه الترمذى (٥/ ٤١١–٤١٢ رقم ٣٣٤٥)، وقال: حسن صحيح. والحديث قسمه البخارى ومسلم إلى قسمين: فالأول: رواه البخارى (٦/ ٢٣ رقم ٢٨٠٢ وطرفه ٦١٤٦)، ومسلم (١٢/ ٢١٥– ٢١٦ رقم ١٧٩٦).

والثانى: رواه البخارى (٨/ ٥٨٠ – ٥٨١ رقم ٤٩٥٠، ٤٩٥١)، ومسلم (١٢/ ٢١٦ – ٢١٨ رقم ١٧٩٧).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) فى «ك»: أى.

﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ ﴾

وقوله: ﴿ وللآخرة خير لك من الأولى ﴾ يعنى: ثواب الله خير لك من نعيم الدنيا، وقد روى أن عمر - رضى الله عنه - دخل على النبى ﷺ فرآه مضجعًا على حصير، قد أثر الحصير فى جنبه، فبكى عمر - رضى الله عنه - فقال رسول الله ﷺ: «وما يبكيك يا عمر؟ فقال: ذكرت كسرى وقيصر وما هما فيه من النعيم، وذكرت حالك وأنت رسول الله. فقال له النبى ﷺ: أما ترضى أن تكون لهم الدنيا»(١).

وقوله: ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ أى: من الثواب والكرامة والمنزلة حتى [ترضى](٢)، وفى بعض التفاسير: هو ألف قصر من اللؤلؤ وترابها المسك، والقول الثالث: أنه الشفاعة لأمته، وعن محمد بن على الباقر قال: إنكم تقولون: إن أرجى آية فى كتاب الله تعالى قوله: ﴿ قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾(٣) الآية، ونحن نقول: أرجى آية فى كتاب الله تعالى هو قوله: ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ يعنى: أنه يشفعه فى أمته حتى يرضى.

قوله تعالى: ﴿ ألم يجدك يتيما فآوى ﴾ سماه يتيمًا؛ لأن أباه توفى وهو حَمْل، وقيل: بعد ولادته بشهرين، وتوفيت أمه وهو ابن ست سنين، وكفله جده عبد المطلب، ثم مات وهو ابن ثمان سنين، وكفله عمه أبو طالب، ومعنى قوله: ﴿ فآوى ﴾ أى: جعل لك مأوى، وهو أبو طالب، والمعنى: يأوى إليه، وتوفى أبو طالب قبل الهجرة بثلاث سنين.

وقوله: ﴿ ووجدك ضالا فهدى ﴾ أى: عن الشرائع والإسلام فهداك إليها، ويقال: عن النبوة، وقيل: ووجدك ضالا أى: غافلا عما يراد بك فهداك إليه، وهو أحسن

(١) تقدم تخريجه.

(٢) فى «الأصل وك»: ترى.

(٣) الزمر: ٥٣.

﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ (٩) ﴾

الأقاويل. وقيل: ضالا عن طريق الحق فهداك إليه. وعن بعضهم: وجدك في قوم ضالٍ، وأولى الأقاويل أن يكون محمولا على الشرائع، وما أنزل الله مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿ ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ﴾(١) أو يكون المعنى وجدك ضالا أى: غافلا عن النبوة والوحى الذى أنزل إليه مثل قوله فى قصة موسى - صلوات الله عليه -: ﴿ قال فعلتها إذًا وأنا من الضالين ﴾(٢) أى: من الغافلين.

وقوله: ﴿ ووجدك عائلاً فأغنى ﴾ أى: فقيراً فأغناك بمال خديجة.

[وقال الكلبى(٣) ومقاتل]: أغناك بالرضا والقناعة بما أعطاك، وهو أولى القولين، وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «ليس الغنى عن كثرة العرض، إنما الغنى غنى القلب»(٤)، وأنشد بعضهم:

فما يدرى الفقير متى غناه ... وما يدرى الغنى متى يعيل

أى: يفتقر. ويقال: ﴿ ووجدك عائلا ﴾ أى: ذا عيال، فأغنى أى: كفاك مؤنتهم، ومن المعروف أن النبى ﷺ قال: «يارب، إنك اتخذت إبراهيم خليلا وموسى كليماً، وسخرت مع داود الجبال، وفعلت كذا وكذا، فما فعلت بى؟ فأنزل الله تعالى ﴿ ألم يجدك يتيمًا فآوى ﴾ والسورة الأخرى، وهى قوله تعالى: ﴿ ألم نشرح لك

---

(١) الشورى: ٥٢.

(٢) الشعراء: ٢١.

(٣) فى «الأصل، وك»: الكبرى ومقاتل ويقال، والصواب ما أثبتناه، وانظر القرطبي (٢٠ / ٩٩).

(٤) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (١١/ ٢٧٦ رقم ٦٤٤٦)، ومسلم (٧/ ١٩٨ رقم ١٠٥١).

وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

صدرك ﴾(١) وفى هذا الخبر أن الرسول ﷺ قال : « وددت أنى لم أقل ما قلت »(٢).

قوله سبحانه وتعالى : ﴿ فأما اليتيم فلا تقهر ﴾ أى لاتحتقره، والمعروف : لا تظلمه أى : تأخذ حقه وتتقوى به، وقد كان أهل الجاهلية يفعلون ذلك فى أموال اليتامى. وقرأ ابن مسعود : « فلا تكهر » أى : لا تزجره.

وقوله : ﴿ وأما السائل فلا تنهر ﴾ أى : رد برفق ولين، فإما أن تعطيه، وإما أن ترده بالرفق وتدعو له، وحكى عن الحسن البصرى أنه قال : محمول على سائل العلم دون سائل الطعام، وعن أبى الدرداء - رضى الله عنه - أنه كان إذا جاءه طالب علم قال : مرحبًا بأحبة رسول الله ﷺ، وعن إبراهيم بن أدهم - قدس الله روحه - قال : إنى أظن أن الله تعالى يصرف العقوبة عن أهل الدنيا برحلة أصحاب الحديث فى طلب العلم.

وقوله تعالى : ﴿ وأما بنعمة ربك فحدث ﴾ أى : بالنبوة. وقوله : ﴿ فحدث ﴾ أى : ادع الناس إليها، وقد كان يكتم زمانًا ثم أظهرها، وقيل : هو القرآن فعلى هذا قوله : ﴿ فحدث ﴾ أى : اتله على الناس، ويقال : جميع النعم. وقوله : ﴿ فحدث ﴾ أى : أظهر بالشكر، وعن الحسن بن على - رضى الله عنهما - أنه قال : إذا أصبت خيرًا أو نعمةً فحدث به الثقات من إخوانك. وعن عمرو بن ميمون أنه قال : من قام لورده فى الليل فلا بأس أن يحدث به الثقة من إخوانه، ويقول : رزقنى الله كذا وكذا. وفى

(١) الشرح : ١ .

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير (١١ / ٤٥٥ رقم ١٢٢٨٩)، وفى الأوسط (٦ / ١٤٧ - ١٤٨ رقم ٣٥١٣ مجمع البحرين)، والحاكم (٢ / ٥٢٦) وصححه، والبيهقى فى الدلائل (٧ / ٦٢-٦٣)، والبغوى فى تفسيره (٤ / ٤٩٩) عن ابن عباس مرفوعا به.

وقال الهيثمى فى المجمع (٨ / ٢٥٧) : رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط، وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط.

بعض الأخبار: «أن إظهار النعمة شكر، والسكوت عنها كفر»(١) والله أعلم.

وقرأ ابن كثير - رحمه الله عليه - من هذا الموضع بالتكبير في خواتم السور إلى آخر القرآن، وذكر أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك، وقرأ مجاهد على ابن عباس - رضى الله عنهما - فأمره بذلك، وقرأ ابن عباس على أبى بن كعب - رضى الله عنهما - فأمره بذلك، وقرأ (ابن مسعود) على النبى ﷺ فأمره بذلك(٢). والتكبير هو قوله: الله أكبر، قالوا: وسبب هذا أن المشركين لما قالوا للنبى ﷺ إن ربه ودعه وقلاه، وفى رواية أنهم قالوا: قد هجره شيطانه، فلما أنزل الله تعالى هذه السورة وفيها قوله تعالى: ﴿ما ودعك ربك وما قلى﴾ كبر النبى ﷺ فرحا بنزول هذه السورة، فصار سنة إلى آخر القرآن. والله أعلم.

---

(١) روى مرفوعا عن النعمان بن بشير، ولفظه «والتحدث بنعمة الله شكر، وتركها كفر». رواه الإمام أحمد فى مسنده (٤ / ٢٧٨)، وعبد الله ابنه فى زوائده (٤ / ٣٧٥)، وابن أبى الدنيا فى الشكر (رقم ٦٣)، والبغوى فى تفسيره (٤ / ٥٠٠)، وضعف إسناده ابن كثير فى تفسيره (٤ / ٥٢٣)، والسيوطى فى الدر (٦ / ٤٠٥).

(٢) رواه أبو يعلى الخليلى فى الإرشاد (١ / ٤٢٧ - ٤٢٨)، وابن شاهين فى الأفراد (الجزء الخامس رقم ٨٣)، والحاكم (٣ / ٣٠٤) وصححه، وتعقبه الذهبى وقال: البزى قد تكلم فيه، والبيهقى فى الشعب (٥ / ٤٣- ٤٤ رقم ١٩١٣، ١٩١٤)، والبغوى فى تفسيره (٤ / ٥٠٠- ٥٠١) من حديث ابن عباس عن أبى مرفوعا.

وقال أبو حاتم فى العلل (٢ / ٧٧): هذا حديث منكر، وكذا استنكره الذهبى فى الميزان (١ / ١٤٤ - ١٤٥)، وانظر النشر لابن الجزرى (٢ / ٤١٢ - ٤١٤).

بسم الله الرحمن الرحيم

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾

تفسير سورة ألم نشرح
وهى مكية

قوله تعالى: ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ معناه: ألم نفتح لك صدرك؟ وقيل: ألم نوسع لك صدرك، والقول الأول، قاله مجاهد والحسن. وقال السدى: ألم نلين لك قلبك، وقال الحسن فى رواية أخرى: ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ معناه: أنه ملىء حكمة وإيمانًا. وقد ورد فى الأخبار برواية قتادة، عن أنس، [عن](١) مالك بن صعصعة، أن نبى الله ﷺ قال: «بينما أنا عند البيت بين النائم واليقظان إذ سمعت قائلا يقول: هو بين الثلاثة، فأتيت بطست من ذهب فيه ماء زمزم، فشرح الله صدرى إلى كذا وكذا. قال قتادة: قلت: ما تعنى؟ قال: إلى أسفل بطنى، فاستخرج قلبى وغسله بماء زمزم، ثم أعاده إلى مكانه، ثم حشاه إيمانًا وحكمةً». وفى الحديث قصة طويلة، قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث القاضى الإمام أبو الدرداء، أخبرنا أبو العباس بن سراج، أخبرنا أبو العباس بن محبوب أخبرنا أبو عيسى الحافظ، أخبرنا محمد بن بشار، أخبرنا محمد بن جعفر، وابن أبى عدى، عن سعيد بن أبى (عروبة)(٢)، عن قتادة، عن أنس بن مالك الحديث. وهو حديث صحيح(٣).

وورد أيضًا فى الأخبار أن النبى ﷺ قال: «إذا دخل النور فى قلب المؤمن انشرح وانفسح. فقيل يا رسول الله وهل لذلك من علامة؟ قال التجافى عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل حلول الموت»(٣).

(١) فى «الأصل، وك»: بن، وهو تحريف، والحديث متفق عليه من حديث قتادة، عن أنس، عن مالك بن صعصعة به مرفوعًا.

(٢) فى الأصل: «عروة» وهو تحريف.

(٣) تقدم تخريجه.

وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾

وقوله: ﴿ووضعنا عنك وزرك﴾ قال مجاهد: أى: غفرنا لك، وهو فى معنى قوله تعالى ﴿ليغفر لك الله ما تقدم ما ذنبك وما تأخر﴾(١)

وقوله: ﴿وزرك﴾ قال مجاهد: أى: ثقلك. وعن بعضهم: ووضعنا عنك وزرك، أى: حططنا عنك ثقلك. وفى رواية ابن مسعود: وحللنا عنك وقرك.

وقوله: ﴿الذى أنقض ظهرك﴾ قال الزجاج: أى: أثقلك ثقلا، يسمع منه نقيض ظهرك، وهذا على طريق التشبيه والتمثيل، يعنى: لو كان شيئًا يثقل، يسمع من ثقله نقيض ظهرك. فإن قال قائل: وأيش كان وزره؟ وهل كان على دين قومه قبل النبوة أو لا؟

والجواب: قد ورد فى التفسير: أنه كان على دين قومه قبل ذلك، ومعنى ذلك: أنه كان يشهد مشاهدهم، ويوافقهم فى بعض أمورهم من غير أن يعبد صنماً أو يعظم وثنًا، وقد كان الله عصمه عن ذلك، فما ذكرنا هو الوزر الذى أنقض ظهره.

وقوله ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ فيه أقوال: أحدها: ورفعنا لك ذكرك بالنبوة والرسالة.

والآخر: رفعنا لك ذكرك أى: جعلت طاعتك طاعتى، ومعصيتك معصيتى، والقول المعروف فى هذا أنى لا أذكر إلا ذكرت معى، قال ابن عباس: فى الأذان والإقامة والتشهد وعلى المنابر فى الجمع والخطب فى العيدين ويوم عرفة وغير ذلك.

وقال قتادة: ما من متشهد ولا خطيب ولا صاحب صلاة إلا وهو ينادى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

وقد ورد فى بعض الأخبار هذا مرفوعًا إلى جبريل - عليه السلام - برواية أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال لى: «إن جبريل قال: قال الله عز وجل: إذا ذكرتُ ذكرتَ معى». (٢)

(١) الفتح: ٢

(٢) رواه أبو يعلى (٢ / ٥٢٢ رقم ١٣٨٠)، وابن جرير (٣٠ / ١٥١)، وابن حبان (٨ / ١٧٥ رقم ٣٣٨٢)، والخلال فى السنة (٢٦٢ رقم ٣١٨)، والبغوى (٤ / ٥٠٢). وقال الهيثمى فى المجمع (٨ / ٢٥٧): رواه أبو يعلى، وإسناده حسن.

فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾

و قال حسان بن ثابت يمدح النبى ﷺ:

أغـر عليـه للنبـوة خـاتم ... من الله مشهـود يلوح ويشهـد
وضم الإله اسم النبى مع اسمـه ... إذا قال فى الخمس المؤذن أشهـد
وشـق له من اسمـه ليجلـه(١) ... فذو العرش محمود وهذا محمـد

قوله تعالى: ﴿فإن مع العسر يسرا﴾ أى: مع العسر يسراً. فى التفسير: أن المشركين عيروا النبى ﷺ وأصحابه، وقالوا: لو شئت جمعنا لك شيئًا من المال لترجع عن هذا القول، فأكربه ذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

والمعنى: إن مع الفقر غنى، ومع الضيق سعة، وإن مع الحزونة سهولة، ومع الشدة رخاء. وقد حقق الله ذلك فى الدنيا بما فتح على النبى - عليه الصلاة والسلام - وعلى أصحابه، فإن الله تعالى فتح للنبى ﷺ الحجاز، وتهامة، وما والاها، وعامة بلاد اليمن، وكثيراً من البوادى إلى [قريب](٢) من العراق والشام، وفتح على أصحابه ما فتح وأغنمهم كنوز كسرى وقيصر، وقد صار حال النبى ﷺ فى آخر أمره أنه كان يهب المائين من الإبل، والألوف من الغنم، ويدخر لعياله قوت سنة، فهذا الذى ذكرناه هو معنى الآية. وقد روى معمر (عن أيوب)(٣) عن الحسن «أن النبى ﷺ خرج يوماً مسروراً إلى أصحابه وقال: أبشروا لن يغلب عسر يسرين، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً﴾»(٤) قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد، أخبرنا سهل بن عبد الصمد بن عبد الرحمن البزاز أخبرنا العذافرى، أخبرنا الدبرى، عن عبد الرزاق، عن معمر... الحديث.

(١) فى «الأصل»: كى يجله.

(٢) فى «الأصل، ك». قريباً.

(٣) ليست فى «ك».

(٤) رواه بن جرير (٣٠/١٥١) والحاكم (٢/٥٢٨) عن الحسن مرسلا، وزاد السيوطى فى الدر (٦/٤٠٧): عبد بن حميد، وبن مردويه.

فإن قال قائل: ما معنى قوله: لن يغلب عسر يسرين، وقد كرر كلاهما؟

والجواب عنه: أن الفراء ذكر أن النكرة إذا كررت نكرة، فالثانى غير الأول، والنكرة إذا أعيدت معرفة فالثانى هو الأول تقول العرب: كسبت اليوم درهمًا، وأنفقت الدرهم. فالثانى هو الأول. ونقول: وعلى معنى هذا ورد قوله تعالى: ﴿كما أرسلنا إلى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول﴾(١) وعن ابن مسعود قال: لو دخل العسر فى جحر لتبعه اليسر حتى يستخرجه. وفى معنى اليسرين قولان: أحدهما: يسر الدنيا، والآخر يسر الآخرة، فعلى هذا معنى الخبر، إن غلب العسر يسر الدنيا، فلا يغلب يسر الآخرة.

والقول الثانى: أن اليسر الأول هو للرسول ﷺ، واليسر الثانى لأصحابه. قال رضى الله عنه: أخبرنا أبو بكر محمد بن محمد بن عبد العزيز الجنوجردى قال: أخبرنا أبو إسحاق الثعلبى الحسن بن محمد النيسابورى قال: سمعت محمد بن عامر البغدادى قال سمعت عبد العزيز بن يحيى قال: سمعت عمر قال العتبى يقول: كنت ذات ليلة فى البادية، فألقى فى روعى بيت من شعر، فقلت:

أرى الموت لمن أصبـــ ... ـــح مغمومًا أروح

فلما جن الليل سمعت هاتفًا يهتف من الهواء:

ألا أيها المــرء الـــ ... ـــذى الهم به يبرح
وقد أنشد بيتا ... لم يزل فى فكره يسنح
إذا اشتدت بك العسرى ... ففكر فى ألم نشرح
فعسر بين يسرين ... إذا أبصرته فافرح

قال: فحفظت الأبيات، وفرج الله غمى.

قال رضى الله عنه: وأنشدنا أبو بكر قال: أنشدنا أبو إسحاق قال أنشدنا الحسن بن محمد بن الحسن قال: أنشدنا أحمد بن محمد بن إسحاق الحيرى قال: أنشدنا

(١) المزمل: ١٥ – ١٦.

فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾

إسحاق بن بهلول القاضي :

فلا تيأس وإن أعسرت يوما ... فقد أيسرت في دهر طويل
ولا تظنن بربك ظن سوء ... فإن الله أولى بالجميل
وإن العسر يتبعه يسار ... وقول الله أصدق كل قيل

قال رضى الله عنه : وأنشدنا أبو بكر قال : أنشدنا أبو إسحاق قال : أنشدنا الحسن قال : أنشدنا الحسن بن محمد قال : أنشدني محمد بن سليمان بن معاذ (الكرخي)(١) قال أنشدنا أبو بكر بن الأنباري :

إذا بلغ العسر مجهوده ... فثق عند ذاك بيسر سريع
ألم تر نحس الشتاء النطيع ... يتلوه سعد الربيع البديع

قال رضى الله عنه : وأنشدنا أبو بكر، أنشدنا أبو إسحاق، أنشدني عيسى بن زيد الطفيلي أنشدني سليمان بن أحمد الرقي :

توقع إذا ما عدتك الخطوب ... سروراً يسردها عندك فسرا
ترى الله يخلف ميعاده ... وقد قال إن مع العسر يسرا

قوله تعالى ﴿ فإذا فرغت فانصب ﴾ قال مجاهد وقتادة والضحاك و الكلبي ومقاتل : إذا فرغت من الصلاة فانصب للدعاء، وارغب إلى الله في المسألة . وقال الشعبي : إذا فرغت من التشهد فادع لدنياك وآخرتك . وروى نحو ذلك عن الزهري وعن ابن مسعود : إذا فرغت من الفرائض فانصب لقيام الليل .

وعن بعضهم إذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب لجهاد الكفار .

وقوله : ﴿ وإلى ربك فارغب ﴾ هو الحث على الدعاء [و] المسألة . وقال الزجاج : إلى ربك فارغب وحده، ولا تكن رغبتك إلى أحد سواه . والله أعلم .

(١) في « ك » : الكوفي .

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾

تفسير سورة التين

وهى مكية

وقد ثبت برواية البراء بن عازب أن النبى ﷺ قرأ هذه السورة فى صلاة المغرب خرجه مسلم فى كتابه.

قوله تعالى: ﴿والتين والزيتون﴾ قال مجاهد والحسن: هو التين الذى يؤكل والزيتون الذى يعصر. والمعنى: ورب التين والزيتون. وقال قتادة: التين هو الجبل الذى عليه دمشق، والزيتون هو الجبل الذى عليه بيت المقدس. وقال كعب: هو دمشق وبيت المقدس. وحكى الفراء أنهما جبلان مابين حلوان إلى همذان. ويقال: أراد منابت التين والزيتون. قال النحاس: وهذا قول يخالف ظاهر الآية، ولم ينقل عمن يكون قوله حجة.

وقوله: ﴿وطور سنين﴾ أكثر المفسرين أنه الجبل الذى كلم الله عليه موسى. وقد ثبت عن عمر أنه قرأ: «وطور سَيْنَاء»، وفى حرف ابن مسعود: «وطور سِيْنَاء» بكسر السين. وقال الحسن: الطور هو الجبل، وسنين: المبارك. وعن الأخفش: طور: اسم الجبل وسنين: اسم الشجر.

وقوله ﴿وهذا البلد الأمين﴾ هو مكة بالإجماع، ومعنى الأمين أى: آمن من فيه.

وقوله ﴿لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم﴾ هو جواب القسم. قال مجاهد وإبراهيم وجماعة: فى أحسن تقويم أى: فى أحسن صورة. وقيل: فى أحسن تقويم: هو أعتداله واستواؤه.

وقوله: ﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾ قال مجاهد والحسن: إلى النار إلا من آمن. فعلى هذا تكون الآية فى الكفار. وقد قيل: إنه ورد فى كافر بعينه فيقال: إنه أبو

إلاَّ الَّذين آمنُوا وَعَملُوا الصَّالحَات فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذّبُكَ بَعْدُ بِالدّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكمينَ ﴿٨﴾

جهل. وقيل: إنه الوليد بن المغيرة. وقيل غيرهما. وقال إبراهيم والضحاك وجماعة: ثم رددناه أسفل سافلين: هو أرذل العمر، والسافلون هم الضعفاء والمرضى والشيوخ العجزة.

وقوله: ﴿إلا الذين آمنوا﴾ الاستثناء مشكل فى هذه السورة، فعلى قول الحسن ومجاهد يكون الاستثناء ظاهراً والمعنى: رد الناس إلى النار إلا من آمن وعمل صالحًا فإنه لايرد إلى النار، ومعنى الإنسان: الناس. وأما على قول إبراهيم والضحاك فالاستثناء مشكل على هذا القول، قاله النحاس. والمعنى على هذا إلا الذين آمنوا فلا يردون إلى أرذل العمر، ومعناه: أنه يكتب لهم أعمالهم الصالحة بعد الهرم على ماكانوا يعملونها فى حالة الشباب وإن عجزوا عنها، فكأنهم لم يردوا إلى أرذل العمر، وقد حكى معنى هذا عن إبراهيم، وروى ذلك مرفوعا فى بعض الأخبار إلى الرسول ﷺ.

وقوله ﴿فلهم أجر غير ممنون﴾ فيه قولان: أحدهما: لايمتن به عليهم أحد - سوى الله - مِنَّة تكدر النعمة عليهم. والقول المعروف: غير مقطوع وهو مؤيد لما ذكرناه من التأويل.

قوله تعالى: ﴿فما يكذبك بعد بالدين﴾ المعنى: فما يكذبك أيها الشاك بيوم الحساب بعد ما شاهدت من قدرة الله تعالى ما شاهدت، هذا هو القول المعروف. وفى الآية قول آخر: أن معناه: فمن يكذبك بعد بالدين على خطاب النبى ﷺ أى: من الذى يكذبك بيوم الحساب بعد أن ظهر من البراهين والآيات ماظهر، ذكره أبو معاذ النحوى، القول الأول أولى؛ لأن ما بمعنى من، يبعد فى اللغة.

وقوله: ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ هو استفهام بمعنى التحقيق وهو مثل قول جرير:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

أى: أنتم كذلك. وقد ورد عن جماعة من الصحابة أنهم كانوا إذا ختموا السورة قالوا: اللهم بلى، وفى رواية: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين؛ منهم أبو هريرة وابن عباس رضى الله عنهما.

بسم الله الرحمن الرحيم

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾

تفسير سورة العلق

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق ﴾ أكثر أهل العلم [أن] هذه السورة أول سورة أنزلت من القرآن، وهو مروى عن على، وابن عباس، وعائشة، وابن الزبير. وروى محمد بن إسحاق، عن الزهرى، عن عروة، عن عائشة «أن أول سورة أنزلت من القرآن، سورة اقرأ باسم ربك الذى...» قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث الحاكم أبو عمرو ومحمد بن عبد العزيز القنطرى، أخبرنا أبو الحارث على بن القاسم الخطابى أخبرنا أبو لبابة محمد بن المهدى، أخبرنا أبو عماد بن الحسين بن بشر، عن [سلمة][(١)] بن الفضل عن محمد بن إسحاق. الخبر.

وعن جابر: أن أول سورة أنزلت سورة المدثر، [و] قد بينا، والأصح هو القول الأول، وقد ثبت برواية عائشة - رضى الله عنها - قالت: «أول مابدئ به رسول اللهﷺ من الوحى الرؤيا (الصادقة)[(٢)] فى النوم، فكان لايرى رؤيا إلاجاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، فكان يأتى حراء فيتحنث فيه الليالى ذوات العدد- وهو التعبد - ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها، حتى (فجئه)[(٣)] الحق وهو فى غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، فقال النبىﷺ قلت: ما أنا بقارئ. قال:

(١) فى «الأصل، وك»: مسلمة، وهو تحريف والصواب سلمة وهو ابن الفضل الأبرش الأنصارى، يروى عن بن إسحاق، كما فى ترجمتيهما من تهذيب الكمال (١١ / ٣٠٥ - ٣٠٧، ٢٤ / ٤٠٥ - ٤١١).

(٢) فى «ك»: الصالحة.

(٣) فى «ك»: جاءه.

خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾

فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم، أرسلنى، فقال: اقرأ، فقلت ما أنا بقارئ، فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى، فقال اقرأ، فقلت ما أنا بقارئ، فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى، فقال: اقرأ باسم ربك الذى خلق... حتى بلغ مالم يعلم». والخبر طويل مذكور فى الصحيحين.(١)

وقوله: ﴿باسم ربك﴾ أى: اقرأ مفتتحًا باسم ربك، وقيل: اقرأ اسم ربك، والباء زائدة، قاله أبو عبيدة، ومثله قول الشاعر:

هن الحرائر لاربات أخمرة   سود المحاجر لايقرأن بالسور

أى: السور، والباء زائدة. وقيل: اقرأ على اسم ربك، كما يقال: سر باسم الله أى: على اسم الله، والقولان الأولان هما المعروفان.

وقوله: ﴿الذى خلق﴾ يعنى: خلق الناس.

وقوله: ﴿خلق الإنسان من علق﴾ أى: العلقة وهى الدم، وذكرها هنا العلقة؛ لأنها من الأمشاج، فدل بها على غيرها.

وقوله: ﴿اقرأ وربك الأكرم﴾ أى كريم، ومن كرمه أن يحلم عن ذنوب العباد، ويؤخر عقوبتهم، وعن بعضهم: من كرمه أن يعبد الآدمى غيره، ولايقطع عنه رزقه.

وقوله: ﴿الذى علم بالقلم﴾ أى: الكتابة بالقلم ،وهى نعمة عظيمة، قال قتادة: القلم نعمة من الله عظيمة، لولا ذلك لم يقم دين، ولم يصلح عيش ،واختلف القول فى المراد بالتعليم، فأحد القولين هو آدم صلوات الله عليه،والقول الآخر: كل آدمى يخط بالقلم.

وقوله: ﴿علم الإنسان مالم يعلم﴾ قد بينا، وهو ظاهر المعنى.

قوله: ﴿كلا إن الإنسان ليطغى﴾ نزل فى أبى جهل، وقد ورد فى بعض الأخبار

(١) وقد تقدم.

أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ

عن النبي ﷺ أنه قال: «إن لكل أمة فرعون، وفرعون هذه الأمة أبو جهل»(١). وهو خبر غريب. وقوله: ﴿ليطغى﴾ أي: يجاوز الحد في العصيان، قال الكلبي: من الطغيان أن يتنقل من منزلة إلى منزلة في اللباس والطعام. وفي بعض التفاسير: هو أنه إذا كثر ماله زاد في طعامه وشرابه وثيابه (ومركبه)(٢). وعن ابن مسعود أنه قال: منهومان لايشبعان، طالب علم، وطالب مال لايستويان، أما طالب العلم فيبتغي رضا الرحمن، وأما طالب المال فيطلب رضا الشيطان.

وقوله: ﴿أن رآه استغنى﴾ أي: رأى نفسه غنيًا.

وقوله: ﴿إن إلى ربك الرجعى﴾ أي: الرجوع والمرجع.

وقوله تعالى: ﴿أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى﴾ هو أبو جهل أيضًا، والعبد الذي يصلي هو الرسول ﷺ، وقد ثبت برواية ابن عباس(٣) أن أبا جهل قال: إن رأيت محمداً يصلي لأطأنَّ على رقبته، فذكر له أنه يصلي فجاء ليطأ على رقبته، فلما قرب منه نكص على عقبيه، فقيل له: ما لك يا أبا الحكم؟ فقال: رأيت بيني وبينه خندقًا من نار، وهؤلاء ذوو أجنحة، فقال النبي ﷺ: «لو دنى مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً» خرجه مسلم في كتابه(٤). وقوله: ﴿أرأيت﴾ هو تعجيب للسامع، وقيل

(١) رواه الشاشي في مسنده (٢/ ٣٣١ - ٣٣٢ رقم ٩٢٢) عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه به. وقد رواه الإمام أحمد (١/ ٤٠٣) في قصة قتل بن مسعود لأبي جهل بنحوه.

(٢) في «ك»: ومركوبه.

(٣) رواه البخاري (٨/ ٥٩٥ رقم ٤٩٥٨)، والترمذي (٥/ ٤١٣ رقم ٣٣٤٨) وقال: حسن صحيح غريب. والنسائي في الكبرى (٦/ ٣٠٨ رقم ١١٠٦١، ١١٦٨٥)، وأحمد (١/ ٢٤٨، ٣٦٨) وغيرهم.

(٤) كذا قال، وإنما خرجه مسلم من رواية أبي هريرة، وحديث أبي هريرة، رواه مسلم (١٧/ ٢٠٣ - ٢٠٤ رقم ٢٧٩٧)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٥١٨ رقم ١١٦٨٣)، وأحمد (٢/ ٣٧٠)، وبن حبان (١٤/ ٥٣٢ - ٥٣٣ رقم ٦٥٧١) وغيرهم.

﴿١٥﴾ ناصِيَةٍ كاذِبَةٍ خاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلاَّ لا تُطِعْهُ واسْجُدْ واقْتَرِبْ ﴿١٩﴾

معناه: أرأيت الذى ينهى عبداً إذا صلى، كيف يأمن عذابى؟ وقيل معناه أمصيب هو؟ يعنى: ليس بمصيب، وفى قول سيبويه معناه: أرأيت من كان هذا عمله، أخبرنى عن أمره فى الآخرة؟ وهو إشارة إلى أنه يصير إلى عقوبة الله فى الآخرة.

قوله تعالى: ﴿ أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى ﴾ يعنى: محمداً ﷺ.

وقوله: ﴿ أرأيت إن كذب وتولى ﴾ يعنى: أبا جهل، والمعنى: أن من كذب وتولى ونهى عبداً إذا صلى، كيف يكون كمن آمن بربه واتقى وصلى!

وقوله: ﴿ ألم يعلم بأن الله يرى ﴾ هو تهديد ووعيد.

قوله تعالى: ﴿ كلا لئن لم ينته لنسفعًا بالناصية ﴾ أى: لَنَجُرَّن بناصيته إلى النار، وقيل: لنسودنَّ وجهه، وذكر الناصية ليدل على الوجه، وقيل: لنسمنَّ موضع الناصية بالسواد، فاكتفى به من سائر الوجه. وفى اللغة: الأسفع: الثور الوحشى الذى فى خديه سواد، وأنشدوا على القول:

قوم إذا سمعوا الصريخ رأيتهم ... من بين ملجم مهره أوسافع

أراد وآخذ بناصيته .

وأنشدوا على القول الثانى:

وكنت (إلى)(١) نفس الغوى نزت به ... سفعت على العرنين منه بميسم

أراد وسمته على عرنينه.

وقوله: ﴿ ناصية كاذبة خاطئة ﴾ أى: ناصية صاحبها كاذب خاطئ.

وقوله تعالى: ﴿ فليدع ناديه ﴾ روى: «أن أبا جهل لما أنكر على النبى ﷺ صلاته،

(١) فى «ك»: على. وقد أورده بن منظور فى لسان العرب (٨/١٥٨) مادة: (سفع) وفيه: وكنت إذا نفس الغوى...

انتهره النبى - عليه الصلاة والسلام - فقال له أبو جهل: أتنهرنى يامحمد، وما بها أكثر ناديًا منى؛ أعمر مجلسًا وأكثر قومًا، فأنزل الله تعالى: ﴿ فليدع نادية ﴾»(١) أى قومه الذى يتعزز بهم، وهم أهل مجلسه.

وقوله: ﴿ سندع الزبانية ﴾ هم الملائكة الذين قال الله تعالى فى وصفهم: ﴿ عليها ملائكة غلاظ شداد ﴾(٢) وقيل: هم أعوان ملك الموت. (وواحد الزبانية زبنية فى قول الكسائى زبانى، وعن بعضهم: زبان)(٣).

وقوله: ﴿ كلا لا تطعه واسجد واقترب ﴾ أى: واسجد لله واقترب منه بالطاعة، وقيل: واسجد يامحمد واقترب يا أبا جهل، لترى عقوبة الله، وهو قول غريب.

(١) رواه الترمذى (٥/٤١٤ رقم ٣٣٤٩) وقال: حسن غريب صحيح، والنسائى (٦/٥١٨ رقم ١١٦٨٤ - الكبرى) وأحمد (١/٢٥٦، ٣٢٩)، وابنه عبد الله (١/٢٥٦)، والطبرى (٣٠/١٦٤) عن بن عباس بنحوه.

(٢) التحريم: ٦.

(٣) كذا فى «الأصل وك» والذى فى لسان العرب أن واحد الزبانية عند الكسائى زِبْنِىٌّ، وعند الزجاج زِبْنِية، وقال الأخفش: قال بعضهم: واحد الزبانية زَبَانِىّ، وقال بعضهم: زابنٌ، وقال بعضهم: زبنية مثل عفْرِية» انظر اللسان (١٣/١٩٤).

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١)﴾

تفسير سورة القدر

وهى مدنية

قوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه فى ليلة القدر﴾ أى: القرآن، وقد ذكرنا أن الله تعالى أنزل جميع القرآن فى ليلة القدر إلى السماء الدنيا، ثم أنزله تفاريق على الرسول ﷺ، بعضه فى إثر بعض، والهاء كناية عن القرآن، وإن لم يكن القرآن مذكوراً، وصح ذلك لأنه معلوم. وليلة القدر: هى ليلة الحكم. قال مجاهد فى التفسير: إن الله تعالى يقسم فيها [الأرزاق](١) والأعمال.

واختلفوا فى ليلة القدر، فحكى عن بعضهم: أنها رفعت حين توفى النبى ﷺ، وليس بصحيح، بل هى باقية إلى قيام الساعة. وعن ابن مسعود - رضى الله عنه - أنه قال: فى الحول، ومن يقم حولا يصيبها. والصحيح أنها فى العشر الأخير من رمضان، وقد ثبت برواية زر بن حبيش أنه قال لأبى بن كعب: «إن أخاك عبد الله بن مسعود يقول: إنها فى الحول، فقال أبى بن كعب: يرحم الله أبا عبد الرحمن! لقد علم أنها فى العشر الأخير من رمضان، وعلم أنها ليلة السابع والعشرين، ولكن أراد أن لايتكل الناس على ذلك، ثم حلف أبى بن كعب، ولم يستثنِ أنها ليلة السابع والعشرين، قال زر: فلما رأيته يحلف، قلت: يا أبا المنذر، بم تعرف ذلك؟ قال بالعلامة التى ذكرها لنا رسول الله ﷺ، وهى أن تطلع الشمس فى صبيحتها ولاشعاع لها»(٢).

---

(١) فى «الأصل»، «ك» أرزاق.

(٢) رواه مسلم (٦/ ٦٢ - ٦٤ رقم ٧٦٢، ٨/ ٩١ - ٩٣ رقم ٧٦٢)، وأبو داود (٢/ ٥١ رقم ١٣٧٨)، والترمذى (٥/ ٤١٥ رقم ٣٣٥١).

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ ﴾

وقد ثبت أيضًا عن النبي ﷺ أنه قال: «تحروها في العشر الأواخر من رمضان»(١). أي: اطلبوها، وفي بعض الروايات: «اطلبوها في الأفراد»(٢)، وفي رواية أبي سعيد الخدري: «أنها ليلة الحادي والعشرين»(٣). وقيل غير ذلك، وأصح الأقاويل وأشهرها أنها ليلة السابع والعشرين، ومن قام العشر أدركها قطعا وحقيقة.

وقوله: ﴿ وما أدراك ماليلة القدر ﴾ قد بينا أن ماورد في القرآن على هذا اللفظ، فقد أعلمه الله تعالى.

وقوله: ﴿ ليلة القدر خير من ألف شهر ﴾ أي: ثواب العمل فيها أكثر من ثواب العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، وذكر أبو عيسى الترمذي في جامعه برواية يوسف بن سعد، أن الحسن بن علي - رضي الله عنهما - لما بايع معاوية، وسَلَّمَ إليه الخلافة، قال له رجل: يامسود وجوه المؤمنين، أو يامذل المؤمنين، فقال: لاتقل بها، فإن رسول الله ﷺ أُرِيَ بني أمية على منبره، فساءه ذلك، فأنزل الله تعالى عليه: ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾(٣)، وأنزل أيضًا: ﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر ﴾، وقال: ﴿ ليلة القدر خير من ألف شهر ﴾ أي: خير من ألف شهر يملك فيها بنو أمية»(٤). قال أبو عيسى: وهو غريب. وفي بعض التفاسير: أن النبي ﷺ قال: «إن رجلا من بني

(١) متفق عليه من حديث بن عمر، رواه البخاري (٤ / ٣٠١ رقم ٢٠١٥)، ومسلم (٨ / ٨٢-٨٥ رقم ١١٦٥).
ومن حديث عائشة، رواه البخاري (٤ / ٣٠٥ رقم ٢٠١٧) وطرفاه ٢٠١٩، ٢٠٢٠)، ومسلم (٨ / ٩١ رقم ١١٦٩).

(٢) متفق عليه، رواه البخاري (٢ / ٣٤٧ رقم ٨١٣ وطرفاه ٢٠١٦، ٢٠١٨)، ومسلم (٨ / ٨٦ - ٩٠ رقم ١١٦٧) وفيه قصة.

(٣) الكوثر: ١.

(٤) رواه الترمذي (٥ / ٤١٤) وقال: غريب، وابن جرير (٣٠ / ١٦٧)، والطبراني (٣ / ٨٩ - ٩٠ رقم ٢٧٥٤)، والحاكم (٣ / ١٧٠ - ١٧١، ١٧٥) وصححه، والبيهقي في الدلائل (٦ / ٥٠٩ - ٥١٠).
وقال الحافظ بن كثير (٤ / ٥٣٠): هذا الحديث على كل تقدير منكر جدا، قال شيخنا الإمام الحافظ الحجة أبو الحجاج المزي: هو حديث منكر. وقال الذهبي في تلخيص المستدرك: ما أدري آفته من أين.

﴿تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۝٥﴾ .

إسرائيل جاهد أعداء الله ألف شهر، وكان مع ذلك يقوم بالليل، ويصوم النهار، فاغتم من ذلك لقصر أعمار أمته، وقلة أعمالهم، فأنزل الله تعالى هذه السورة، وأخبر أنه أعطاه ليلة يكون العمل فيها خيراً من عمل ذلك الرجل ألف شهر»(١). وقد ثبت فى فضلها عن النبى ﷺ أنه قال: «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ماتقدم من ذنبه»(٢).

وقوله: ﴿تنزل الملائكة والروح فيها﴾ أى: جبريل فيها.

وقوله: ﴿بإذن ربهم من كل أمر﴾ أى: لكل أمر، وهو ماذكرنا من مقادير الأشياء.

وقوله: ﴿سلام هى﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن المراد منه تسليم الملائكة على من يذكر الله تعالى فى تلك الليلة.

والقول الثانى: ﴿سلام﴾ أى: سلامة، والمعنى: أنه لا يعمل فيها داء ولا سحر ولا شىء من عمل الشياطين والكهنة.

وقوله: ﴿حتى مطلع الفجر﴾ وقرئ: «مطلع الفجر» بكسر اللام، فالبفتح على المصدر وبالكسر على وقت الطلوع.

---

(١) رواه الواحدى فى أسباب النزول (٣٣٩ - ٣٤٠) عن مجاهد مرسلا. وعزاه السيوطى فى الدر (٦/ ٤١٥) لابن المنذر، وابن أبى حاتم، والبيهقى.

(٢) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (٤/ ٣٠٠ رقم ٢٠١٤)، ومسلم (٦/ ٦٠ رقم ٧٦٠).

بسم الله الرحمن الرحيم

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ

تفسير سورة لم يكن

وهى مكية فى قول بعضهم،

(مدنية فى قول بعضهم، والله أعلم)(١)

قوله تعالى: ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ قرأ أبى بن كعب: «ماكان الذين كفروا» وهو شاذ، والمعروف هو الأول.

وقوله تعالى: ﴿من أهل الكتاب والمشركين منفكين﴾ أى: منتهين، ومعناه: أن الكفار من أهل الكتاب والمشركين ماكانوا منتهين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة أى: حتى أتاهم الرسول، مستقبل بمعنى الماضى، وقيل: البينة هى القرآن، وهذا قول معروف معتمد، والقول الثانى: أن أهل الكتاب والمشركين الذين سمعوا منهم لم يزالوا على إقرار بالنبى ﷺ قبل ظهوره، فلما ظهر اختلفوا، فأقر بعضهم، وأنكر البعض، وقوله: ﴿رسول من الله﴾ أى: هو رسول من الله، وقيل: حتى أتاهم رسول من الله.

وقوله: ﴿يتلو صحفًا مطهرة﴾ أى: مافى الصحف، وقوله: ﴿مطهرة﴾ أى: من التغيير والتبديل والإدناس والإنجاس.

وقوله: ﴿فيها كتب قيمة﴾ أى: أحكام مستقيمة عادلة، والكتاب يأتى بمعنى الحكم، والكتب بمعنى الأحكام، وفى قصة العسيف أن النبى ﷺ قال: «لأقضين بينكما بكتاب الله»(٢) أى: بحكم الله.

(١) ليست فى «ك».

(٢) متفق عليه من حديث أبى هريرة، وزيد بن خالد، رواه البخارى (٤/٥٧٤ رقم ٢٣١٤، ٢٣١٥، وأطرافه: ٢٦٤٩، ٢٦٩٥، ٢٦٩٦، ٢٧٢٤، ٢٧٢٥، ٦٦٣٣، ٦٦٣٤ وغيرهم)، ومسلم (١٠/٢٩٣ - ٢٩٥ رقم ١٦٩٧ - ١٦٩٨).

أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾

وقوله: ﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب﴾ أى: فى أمر النبى ﷺ وما جاء به.

وقوله: ﴿إلا من بعد ما جاءتهم البينة﴾ أى: البينات والبراهين والدلائل.

قوله تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء﴾ قد ذكرنا معني الحنيف، وقيل: إذا كان مسلمًا فهو الحاج، وإذا كان غير مسلم فهو الإسلام، والمعنى: أمروا أن يكونوا حنفاء، فإن كان الخطاب مع المسلمين فالمراد منه أن يكونوا حجاجًا وإن كان الخطاب مع الكفار فالمراد أن يكونوا مسلمين.

وقوله: ﴿ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾ أى: ذلك الملة القيمة، وقيل: دين الأمة المستقيمة على الحق، وقيل: دين الملة القيمة.

قوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية﴾ قرئ بالهمز وترك الهمز، فالقراءة بالهمز من برأ الله الخلق، وبترك الهمزة من البَرَى، وهو التراب أى: شَرُّ مَنْ خَلَقَ مِنَ البَرَى، والعرب تقول: بفيك البرى والثرى.

وقوله: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصلحات أولئك هم خير البرية﴾ قد ذكرنا، وروى سفيان الثورى، عن المختار بن فلفل، عن أنس بن مالك: «أن رجلا قال للنبى ﷺ ياخير البرية قال: ذاك إبراهيم - صلوات الله عليه»(١) أورده أبو عيسى الترمذى فى جامعه، وقال: هو صحيح غريب.

(١) رواه مسلم (١٥/ ١٧٨ - ١٧٧ رقم ٢٣٦٩)، وأبو داود (٤/ ٢١٨ رقم ٤٦٧٢)، والترمذى (٥/ ٤١٥ - ٤١٦ رقم ٣٣٥٢) وقال: حسن صحيح، والنسائى فى الكبرى (٦/ ٥٢٠ رقم ١١٦٩٢). وأحمد (٣/ ١٧٨، ١٨٤).

﴿جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ۝٨﴾

وقوله: ﴿جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى﴾ قال ابن عمر: خلق الله أربعة أشياء بيده: القلم، والعرش، وجنة عدن، وآدم - صلوات الله عليه، وقال لسائر الأشياء: كونى فكانت.

وقوله: ﴿تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضى الله عنهم ورضوا عنه﴾ أى: رضى أعمالهم، ورضوا ثوابه.

وقوله: ﴿ذلك لمن خشى ربه﴾ أى: خاف ربه.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾

تفسير سورة إذا زلزلت

وهى مكية، وقيل: مدنية.

وقد روى أنس أن النبى ﷺ قال: « من قرأ: ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾ عدلت له بنصف القرآن، ومن قرأ: ﴿قل يا أيها الكافرون﴾[1] عدلت له بربع القرآن، ومن قرأ: ﴿قل هو الله أحد﴾[2] عدلت له بثلث القرآن »[3] أورده أبو عيسى فى جامعه وقال: هو حديث غريب.

وأورد - أيضا - برواية سلمة بن وردان عن أنس بن مالك قال: إن النبى ﷺ قال لرجل من أصحابه: « هل تزوجت يا فلان؟ قال: لا والله، ولا عندى ما أتزوج به، فقال: أليس معك ﴿قل هو الله أحد﴾[2]؟ قال: بلى، قال: ثلث القرآن، قال: أليس معك ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾[4]؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن، قال: أليس معك ﴿قل يا أيها الكافرون﴾؟ قال: بلى. قال: ربع القرآن، قال: أليس معك ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن، قال: تزوج تزوج »[5].

---

(١) الكافرون: ١. (٢) الإخلاص: ١.

(٣) رواه الترمذى (٥ / ١٥٢ رقم ٢٨٩٣) وقال: غريب، لانعرفه إلا من حديث هذا الشيخ الحسن بن سلم، والعقيلى (١ / ٢٤٣)، والبيهقى فى الشعب (٥ / ٤٥٤ - ٤٥٥ رقم ٢٢٨٦) وقال: هذا العجلى مجهول. وقال الذهبى فى الميزان (١ / ٤٩٣): هذا منكر، والحسن لايعرف.

(٤) النصر: ١.

(٥) رواه الترمذى (٥ / ١٥٣ رقم ٢٨٩٥) وحسنه، وأحمد (٣ / ٢٢١)، وابن حبان فى المجروحين (١ / ٣٣٢ - ٣٣٣)، وابن عدى فى الكامل (٣ / ٣٣٣ - ٣٣٤)، والبيهقى فى الشعب (٥ / ٤٥٣ - ٤٥٤ - رقم ٢٢٨٥)، وأعله الهيثمى فى المجمع (٧ / ١٥٠) بقوله: رواه أحمد، وسلمة ضعيف.

وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الإنسانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾

قوله تعالى: ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾ قال ابن عباس: حركت من أسفلها. والزلزال هو التحريك الشديد، وعن ابن عباس أنه عقيب النفخة الأولى. وفى التفسير: أن إسرافيل إذا نفخ فى الصور النفخة الأولى يكسر كل شيء على وجه الأرض من شدة نفخته، ويدخل فى جوف الأرض، فإذا نفخ النفخة الثانية أخرجت جميع ما فى جوفها، وألقتها على (وجهها)(١).

وقوله: ﴿وأخرجت الأرض أثقالها﴾ هو ما ذكرنا، وذلك عقيب النفخة الثانية، قال مجاهد وقتادة: كنوزها وموتاها.

وقوله: ﴿وقال الإنسان ما لها﴾ أى: وقال الكافر ما لها؟ يعنى: ما للأرض أخرجت أثقالها. وإنما قال الكافر ذلك؛ لأنه لم يكن يؤمن بالبعث.

وقوله: ﴿يومئذ تحدث أخبارها﴾ أى: تحدث بما عمل عليها من خير وشر - يعنى الأرض - وروى سعيد بن أبى أيوب، عن يحيى بن أبى سليمان، عن سعيد المقبرى، عن أبى هريرة قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يومئذ تحدث أخبارها﴾ قال: أتدرون ما أخبارها؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها، أن تقول: عمل كذا وكذا فى يوم كذا وكذا، قال: فهذه أخبارها»(٢). قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث أبو الحسين بن النقور، أخبرنا أبو طاهر (بن)(٣) المخلص، أخبرنا يحيى بن محمد بن صاعد، أخبرنا [الحسين

(١) فى «ك»: وجه الأرض.

(٢) رواه الترمذى (٤/ ٥٣٥ رقم ٢٤٢٩) وقال: حسن غريب، (٥/ ٤١٦ رقم ٣٣٥٣) وقال: حسن صحيح، والنسائى فى الكبرى (٦/ ٥٢٠ رقم ١١٦٩٣)، وأحمد (٢/ ٣٧٤)، وابن حبان (١٦/ ٣٦٠ رقم ٧٣٦٠)، والحاكم (٢/ ٢٥٦، ٥٣٢) وصححه، وتعقبه الذهبى بأن فى إسناده يحيى وهو منكر الحديث، والبغوى فى تفسيره (٤/ ٥١٥).

(٣) كذا، وهو أبو طاهر المخلص، وقد سبق التنبيه عليه.

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾

بن الحسن](١) المروزى، أخبرنا عبد الله بن المبارك، عن سعيد بن أبى أيوب .. الحديث، ويقال: المعنى: وقال الإنسان ما لها؟ أى: ما للأرض تحدث أخبارها.

قوله: ﴿بأن ربك أوحى لها﴾ أى: أوحى إليها أن تحدث. قال الشاعر:

أوحى لها القرار فاستقرت

أى: إليها. والمعنى: أن الأرض أخبرت بوحى الله إليها. قال أبو جعفر النحاس: الوحى على وجهين: أحدهما: وحى الله إلى أنبيائه عليهم السلام، والآخر: بمعنى الإلهام، مثل قوله تعالى: ﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾(٢)، ومثل هذه الآية، وهو قوله تعالى: ﴿بأن ربك أوحى لها﴾ أى: ألهمها أن تحدث.

قوله تعالى: ﴿يومئذ يصدر الناس أشتاتا﴾ أى: متفرقين.

يقال: شتان ما بين فلان وفلان أى: ما أشد التفرقة بينهما.

وقوله: ﴿ليروا أعمالهم﴾ أى: أعمالهم التى عملوها.

وقوله: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ قال ابن مسعود: هذه الآية أحكم آية فى القرآن.

وروى أن عمر بن الخطاب سأل قومًا: أى آية فى كتاب الله أحكم؟ فقالوا: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ فقال: أفيكم ابن أم عبد؟ فقالوا: نعم، وأراد أن هذا جائز منه. وروى أن صعصعة عم الفرزدق أتى النبى ﷺ فأسلم، فسمع هذه الآية: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ قال: حسبى لا أبالى ألا أسمع من القرآن غيرها. رواه الحسن مرسلا.

(١) فى «الأصل» و«ك»: الحسن بن الحسين، وهو تحريف، والصواب ما أثبتناه وهو الحسين بن الحسن بن حرب أبو عبد الله المروزى صاحب ابن المبارك. انظر ترجمته فى التهذيب، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ١٩٠) وغيرهما.

(٢) النحل: ٦٨.

وروى المغيرة بن قيس عن ابن الزبير، عن جابر قال: «قلت يا رسول الله، إلى ما ينتهى الناس يوم القيامة؟ قال: إلى أعمالهم؛ من عمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن عمل مثقال ذرة شرا يره»(١).

وفى الذرة قولان: أحدهما: أنها النملة الحمراء الصغيرة - وهو قول معروف، والآخر: هى ما يعلق بيد الإنسان إذا وضع يده على الأرض، وقيل: هى الذرة التى ترى فى الكوة منبثًا فى الهواء فى ضوء الشمس، وذكر النقاش عن بعضهم: أن الذرة جزء من ألف وأربعة و(عشرين)(٢) جزءاً من شعيرة. وعن بعضهم: أنه بسط ذرات كثيرة على وجه إحدى كفتى الميزان، فلم تمل عين الميزان.

وعن ابن عباس قال: [يرى المؤمن حسناته وسيئاته فيرد عليه حسناته وتأخر سيئاته](٣). وعن بعضهم: أن ذكر الذرة على طريق التمثيل والتشبيه، والمعنى أنه يلقى عمله الصغير والكبير، فما أحب الله أن يغفر غفر، وما أحب الله أن يؤاخذ به أخذ والله أعلم.

(١) عزاه الحافظ فى المطالب (٣ / ٢١ رقم ٢٧٦٦) للحارث بن أبى أسامة عن طريق داود بن المحبر.

(٢) فى «ك»: عشرون، وهو خلاف الجادة.

(٣) كذا فى «الأصل، وك» وفى العبارة سقط وخطأ، وقد روى هذا الأثر ابن جرير فى تفسيره (٣٠ / ١٧٣)، والبيهقى فى البعث (رقم: ٥٩) عن ابن عباس قال: ليس مؤمن ولا كافر عمل خيراً ولا شراً فى الدنيا إلا أراه الله إياه، وأما المؤمن فيريه حسناته وسيئاته، فيغفر له من سيئاته، ويثيبه بحسناته، وأما الكافر فيريه حسناته وسيئاته فيرد عليه حسناته، ويعذبه بسيئاته» واللفظ للبيهقى.

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾

تفسير سورة العاديات

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿ والعاديات ضبحا ﴾ قال على وابن مسعود: هى الإبل. قال على: لم يكن يوم بدر إلا فرسان: أحدهما للمقداد، والآخر للزبير. وقال ابن عباس: هى الخيل. وهذا القول أظهر. وأقسم بالخيل العادية فى سبيل الله، وضبيحها. صوت أجوافها، وقيل: صوت أنفاسها عند العدو. قال ابن عباس: ليس بصهيل ولاحمحمة.

وقوله: ﴿ فالموريات قدحا ﴾ قال ابن مسعود: هى الإبل تقدح بمناسمها، وعلى قول ابن عباس: هى الخيل تقدح الأحجار بحوافرها، فتورى النار.

وقوله: ﴿ فالمغيرات صبحا ﴾ قال ابن مسعود: هى الإبل حين يفيضون من جمع، وعلى قول بن عباس: هى الخيل تغير فى سبيل الله، قال قتادة: أغارت حين أصبحت.

قوله تعالى: ﴿ فأثرن به نقعا ﴾ على قول ابن مسعود أثرن بالوادى فكنى عنه وإن لم يكن مذكوراً، وعلى قول ابن عباس بالمكان المغار. قال مجاهد عن ابن عباس: النقع التراب، وقال قتادة :هو الغبار.

وقوله تعالى: ﴿ فوسطن به جمعا ﴾ فعلى قول ابن مسعود أى: جمع المزدلفة، وعلى قول ابن عباس جمع العدو، فأقسم الله تعالى برب هذه الأشياء، وقيل: بهذه الأشياء بأعيانها، وقيل: إن النبى ﷺ كان بعث سرية إلى بنى كنانة فأغاروا عند الصباح، وتوسطوا جمع العدو، وكانوا أصحاب خيل، فأقسم الله تعالى بهم.

وقوله: ﴿ إن الإنسان لربه لكنود ﴾ على هذا وقع القسم.

وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾

وقوله: ﴿لكنود﴾ أى: لكفور، وقيل: هو البخيل السيء الخلق. وفى بعض الأخبار مرفوعا إلى النبى ﷺ برواية أبى أمامة عن النبى ﷺ فى قوله: ﴿إن الإنسان لربه لكنود﴾ قال: «هو الذى يأكل وحده، ويمنع رفده ويضرب عبده».(١) قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث الحاكم محمد بن عبد العزيز القنطرى، أخبرنا محمد بن الحسين [الحدادى](٢)، أخبرنا محمد بن يحيى، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا (المؤتمن)(٣) بن سليمان، عن جعفر بن الزبير، عن القاسم، عن أبى أمامة الحديث.

وقوله: ﴿وإنه على ذلك لشهيد﴾ أى: وإن الله على ذلك لشهيد أى: على كفره. وقال عطاء عن ابن عباس: وقوله: ﴿وإنه لحب الخير لشديد﴾ معناه: إن الإنسان لأجل حب المال لبخيل. يقال: شديد ومشدد أى: بخيل. قال طرفة:

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى ... عقيلة مال الفاحش المتشدد

أى: البخيل

(١) رواه ابن جرير الطبرى (٣٠ / ١٨٠)، وابن أبى حاتم (تفسير بن كثير ٤ / ٥٤٢)، والطبرانى فى الكبير (٨ / ١٨٨ رقم ٧٧٧٨، ١٨ / ٢٤٥ رقم ٧٩٥٨)، وابن حبان فى المجروحين (١ / ٢١٢).
وأعله الحافظ ابن كثير بجعفر بن الزبير، وقال: هو متروك. وقال ابن حبان فى المجروحين: روى جعفر ابن الزبير، عن القاسم، عن أبى أمامة نسخة موضوعة أكثر من مائة حديث، ثم ذكر هذا الحديث.
وقال السيوطى فى الدر (٦ / ٤٣٠): أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم والطبرانى وابن مردويه والبيهقى وبن عساكر بسند ضعيف عن أبى أمامة فذكره.

(٢) فى «الأصل، وك»: الحذارى، وهو تصحيف، والصواب ما أثبتناه وهو أبو الفضل محمد ابن الحسين ابن محمد ابن موسى بن مهران الحدادى المروزى له ترجمة فى الأنساب (٢ / ١٨٢ - ١٨٣ مادة: الحدادى)، والجواهر المضية (٣ / ١٤٤ - ١٤٥)،.

(٣) كذا، وهو تحريف، والصواب معتمر ابن سليمان، فهو يروى عن جعفر ابن الزبير وهو الحنفى كما فى ترجمة جعفر فى تهذيب الكمال (٥ / ٣٢ - ٣٣)، وهو شيخ إسحاق ابن إبراهيم، وهو ابن راهويه، كما فى ترجمتيهما من تهذيب الكمال.

﴿أَفَلا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝١١﴾

قوله تعالى: ﴿أفلا يعلم إذا بعثر ما فى القبور﴾ أى: أخرج، وقرأ ابن مسعود: «بحث»، وعن غيره وهو أبى بن كعب: «بحثر» أى : قلب.

قوله: ﴿وحصل ما فى الصدور﴾ أى: أظهر ما فيها. وقيل: جُمِعَ يعنى: ما فى صحائف الأعمال.

وقوله: ﴿إن ربهم بهم يومئذ لخبير﴾ أى: عالم، ويقال: أى: يجازيهم بأعمالهم، ومثله قوله تعالى: ﴿أولئك الذين يعلم الله مافى قلوبهم﴾(١) أى: يجازيهم الله بما فى قلوبهم. وكذلك قوله: ﴿وما تفعلوا من خير يعلمه الله﴾(٢) أى: يجازى عليه، وقيل فى قوله: ﴿وحصل ما فى الصدور﴾ أى: ميز ما فيها من الخير والشر، والله أعلم.

---

(١) النساء: ٦٣

(٢) البقرة: ١٩٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

الْقَارِعَةُ (١) ما الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ ما الْقَارِعَةُ (٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ (٥) فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ

تفسير سورة القارعة

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿القارعة ما القارعة﴾ هى القيامة، سميت قارعة؛ لأنها تقرع القلوب بالهول والشدة.

وقوله: ﴿ما القارعة﴾ مذكور على وجه التعظيم والتهويل، وكذلك ﴿وما أدراك ما القارعة﴾.

قوله تعالى: ﴿يوم يكون الناس كالفراش المبثوث﴾ الفراش هو صغار الحيوان من البق والبعوض والجراد وما يجتمع عند ضوء السراج، والمبثوث سماه مبثوثا؛ لأنه يركب بعضه بعضا، وقيل: يمرج بعضه فى بعض، وهو مثل قوله تعالى: ﴿كأنهم جراد منتشر﴾(١) وشبه الناس عند الحشر به؛ لأنه يمرج بعضهم فى بعض.

وقوله: ﴿وتكون الجبال كالعهن﴾ أى: الصوف الذى يدف، والعهن هو الصوف المصبوغ، وهو أرخى ما يكون من الصوف، وذكر هذا على معنى أن الجبال من هول يوم القيامة مع صلابتها وقوتها تصير كالعهن المنفوش.

قوله تعالى: ﴿فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية﴾.

قال الفراء والزجاج: أى ذات رضا. وقيل: مرضية.

وقوله: ﴿وأما من خفت موازينه﴾ فى بعض التفاسير: أن لكل إنسان ميزانا على حدة لعمله من الخير والشر.

وقوله: ﴿فأمه هاوية﴾ أى مرجعه إلى الهاوية، وسماها أمه؛ لأن الإنسان يأوى إلى

(١) القمر: ٧.

مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

أمه؛ فالهاوية تؤوى الكفار، فهى أمهم، وفى بعض الأخبار فى نعت النار: فبئست الأم، وبئست المربية، ويقال: الهاوية كل موضع يهوى فيه الإنسان ويهلك.

وقوله: ﴿وما أدراك ما هيه﴾ الهاء فى قوله: ﴿ما هيه﴾ هاء الوقف على فتحة الياء.

وقوله: ﴿نار حامية﴾ أى: حامية على الكفار محرقة لهم، والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ

تفسير سورة التكاثر

وهي مكية

قوله تعالى: ﴿ألهاكم التكاثر﴾ أى: شغلكم التكاثر بالأموال والأولاد عما أمرتم به.

وقوله: ﴿حتى زرتم المقابر﴾ فيه قولان: أحدهما: حتى متم، والقول الثانى: هو أنه تفاخر حيان من قريش، وهما بنو عبد مناف، وبنو الزهرة، وقيل: بنو زهرة وبنو جمح - وهو الأصح - فعدوا الأحياء فكثرتهم بنو زهرة فعدوا الأموات فكثرتهم بنو جمح، فهو معنى قوله تعالى: ﴿حتى زرتم المقابر﴾ أى: عددتم من فى القبور. وروى شعبة، عن قتادة، عن مطرف بن عبد الله بن الشخير، عن أبيه قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول: «ألهاكم التكاثر» قال: يقول ابن آدم: مالى مالى، وما لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؟»[(١)]. قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث أبو محمد عبد الله بن محمد الصريفينى المعروف بابن هزارمرد، أخبرنا أبو القاسم بن حبابة، أخبرنا البغوى، أخبرنا على بن الجعد، عن شعبة.. الحديث، خرجه مسلم عن بندار، عن غندر، عن شعبة.

وقوله تعالى: ﴿كلا سوف تعلمون﴾ تهديد ووعيد.

وقوله: ﴿ثم كلا سوف تعلمون﴾ تهديد بعد تهديد، ووعيد بعد وعيد، والمعنى: ستعلمون عاقبة تفاخركم وتكاثركم إذا نزل بكم الموت.

(١) رواه مسلم (١٨/ ١٢٥ - ١٢٦ رقم ٢٩٥٨)، والترمذى (٤/ ٤٩٤ - ٤٩٥ رقم ١٣٤٢)، ٥/ ٤١٦ - ٤١٧ رقم ٣٣٥٤) وقال: حسن صحيح، والنسائى (٦/ ٢٣٨ رقم ٣٦١٣)، وابن جرير (٣٠/ ١٨٣).

لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾

قوله تعالى: ﴿كلا لو تعلمون علم اليقين﴾ جوابه محذوف، والمعنى: كلا لو تعلمون علم اليقين لارتدعتم عما تفعلون، وقيل: ما ألهاكم التكاثر.

وقوله: ﴿لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين﴾ قال بعضهم: الثانى تأكيد للأول، والمعنى فيهما واحد، وقال بعضهم: لترون الجحيم عن بعد إذا أبرزت، ثم لترونها عين اليقين إذا دخلتموها. وعن قتادة قال: كنا نتحدث أن علم اليقين أن يعلم أن الله باعثه بعد الموت. ويقال: لترون الجحيم فى القبر، ثم لترونها عين اليقين فى القيامة.

وقوله: ﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾ قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس: النعيم صحة الأبدان والأسماع والأبصار، يسأل الله تعالى عباده يوم القيامة فيم استعملوها؟ وهو أعلم بذلك منهم.

وعن ابن مسعود: أنه الأمن والصحة. وعن قتادة: هو المطعم الهنى والمشرب الروى.

وروى أبو هريرة مرفوعا إلى النبى ﷺ «أنه الظل البارد والماء البارد»(١). وروى عمر بن أبى سلمة أن النبى ﷺ وأبا بكر وعمر أتوا منزل أبى الهيثم بن التيهان، وأكلوا عنده لحماً وتمراً، ثم قال النبى ﷺ: «هذا من النعيم الذى تسألون عنه».

وروى أن عمر قال: «يا رسول الله، نسأل عن هذا؟ قال: نعم إلا كسرة يسد الرجل بها جوعه، وخرقة يستر بها عورته، وجحراً يدخل فيه من الحر والقر»(٢). وروى ابن أبى نجيح عن مجاهد قال: كل لذات الدنيا. وعن بعضهم: النوم مع العافية.

---

(١) رواه الترمذى (٤/ ٥٠٤ - ٥٠٥ رقم ٢٣٦٩) وفى الشمائل (٢٩٠ - ٢٩١ رقم ٣٥٤)، والنسائى فى الكبرى (٦/ ٥٢١ - ١١٦٩٧)، وابن جرير (٣٠/ ١٨٥)، والحاكم (٤/ ١٣١) وصححه على شرطهما. والبغوى (٤/ ٥٢١ - ٥٢٢) عن أبى هريرة مطولا، وفيه قصة أبى الهيثم مطولا، ماعدا النسائى فهو عنده مختصر.

(٢) رواه أحمد (٥/ ٨١)، وابن جرير (٣٠/ ١٨٥ - ١٨٦)، وابن عدى فى الكامل (٢/ ٤٤١)، وأبو نعيم فى الحلية (٢/ ٢٧ - ٢٨).

﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾

وذكر أبو عيسى أخباراً فى هذه، منها ما روينا من حديث مطرف، وقال: هو حديث حسن صحيح، ومنها حديث المنهال بن عمرو، عن زر بن حبيش، عن على قال: ما زلنا نشك فى عذاب القبر حتى نزلت ﴿ ألهاكم التكاثر ﴾. قال أبو عيسى: وهو حديث غريب.

ومنها حديث يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، عن عبد الله بن الزبير بن العوام، عن أبيه قال: « لما نزلت ﴿ ثم لتسألن يومئذ عن النعيم ﴾ قال الزبير: يا رسول الله، وأى النعيم يسأل عنه، وإنما هما الأسودان: التمر والماء؟ قال: أما إنه سيكون »(١) قال: وهو حديث حسن.

وروى عن محمد بن عمرو، عن أبى سلمة، عن أبى هريرة قال: « لما نزلت هذه الآية: ﴿ ثم لتسألن يومئذ عن النعيم ﴾ قال الناس: يا رسول الله، عن أى النعيم نسأل، وإنما هما الأسودان، والعدو حاضر، وسيوفنا على عواتقنا؟ قال: إن ذلك سيكون »(٢).

روى عن الضحاك بن عبد الرحمن [بن](٣) عرزم الأشعرى قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: « إن أول ما يسأل عنه يوم القيامة - يعنى العبد من النعيم - أن يقال له: ألم نصحح لك جسمك، ونروك من الماء البارد »(٤). قال: وهو حديث غريب، والله أعلم.

---

(١) رواه الترمذى (٥ / ٤١٧ رقم ٣٣٥٦) وحسنه، وابن ماجه (٢ / ١٣٩٢رقم ٤١٥٨)، وأحمد (١ / ١٦٤)، والحميدى (١ / ٣٣ رقم ٦١)، والبزار (٣ / ١٧٨ رقم ٩٦٣)، وأبو يعلى (٢ / ٣٧ رقم ٦٧٦).

(٢) رواه الترمذى (٥ / ٤١٧ - ٤١٨ رقم ٣٣٥٧)، وعبد بن حميد وابن مردويه كما فى الدر (٦ / ٤٣٤).

(٣) سقط من الناسخ، وهو الضحاك بن عبد الرحمن بن عرزب ويقال: عرزم، وهو من رجال التهذيب.

(٤) رواه الترمذى (٥ / ٤١٨ رقم ٣٣٥٨) وقال: غريب، وعبد الله بن أ حمد فى زوائد الزهد (٣١)، وابن جرير (٣٠ / ١٨٦)، وابن حبان (١٦ / ٣٦٤ - ٣٦٥ رقم ٧٣٦٤)، وفى مسند الشاميين (١ / ٤٤٢ رقم ٧٧٩)، والحاكم (٤ / ١٣٨) وصححه، والخطيب فى تاريخه (٧ / ٢٢٤ - ٢٢٥) وغيرهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

تفسير سورة العصر

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿والعصر إن الإنسان﴾ قال ابن عباس: هو الدهر، وفيه العبرة لمرور الليل والنهار أنهما على ترتيب واحد. وعن الحسن وقتادة: أنه العشى. قال الشاعر:

تروح بنا عمر وقد قصر العصر وفى الروحة الأولى المثوبة والأجر

والعصران: هما الليل والنهار، ويقال: هما الغداة والعشى. وقال مقاتل: العصر هو صلاة العصر. وعن بعضهم: أنه عصر النبى ﷺ أقسم به، وحكى أن فى حرف علىٍّ: «العصر ونوائب الدهر إن الإنسان لفى خسر. وهو فيه إلى آخر العمر».

وقال الزجاج: والمعنى: ورب العصر.

وقوله: ﴿إن الإنسان لفى خسر﴾ معناه: لفى غبن، ويقال: فى شر، ويقال: فى هلاك، والخسران هو ذهاب رأس المال، ورأس مال الآدمى هو عمره ونفسه، فإذا كفر فقد ذهب رأس ماله، والإنسان هو الكافر، وقيل: واحد بمعنى الجمع، وقيل: هو فى كافر بعينه، فقيل: إنه أبى بن خلف، وقيل: وليد بن المغيرة، وقيل: أبو جهل بن هشام.

وقوله: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أى: بالطاعات.

وقوله: ﴿وتواصوا بالحق﴾ قال الحسن وقتادة: أى بالقرآن واتباعه، وقيل: بالتوحيد. وعن السدى: بالله أى: تواصوا بالله، وعن الفضيل بن عياض قال: يحث بعضهم بعضاً على طاعة الله.

وقوله: ﴿وتواصوا بالصبر﴾ عن المعاصى، وقيل: بالصبر على الطاعة، وقد ورد خبر غريب برواية أبى أمامة أن قوله: ﴿إن الإنسان لفى خسر﴾ هو أبو جهل بن هشام.

وقوله: ﴿إلا الذين آمنوا﴾ هو أبو بكر ﴿وعملوا الصالحات﴾ هو عمر ﴿وتواصوا بالحق﴾ هو عثمان ﴿وتواصوا بالصبر﴾ هو على، رضى الله عنهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ

تفسير سورة الهمزة

وهى مكية، والله أعلم

قوله تعالى: ﴿ويل لكل همزة﴾ قد بينا معنى الويل.

وقوله: ﴿همزة لمزة﴾ قال ابن عباس: الهمزة الذى يطعن فى الناس ويعيبهم، واللمزة هو الذى يغتابهم ومثله عن مجاهد، وقيل على العكس، فالهمزة هو المغتاب، واللمزة الذى يطعن فى الناس، قاله السدى وغيره، وعن بعضهم: أن الهمزة هو الذى يؤذى الناس بلسان أو يد، واللمزة هو الذى يؤذيهم بحاجب (وعين)،(١) وهو قول غريب، وعن ابن عباس فى رواية: أن الآية نزلت فى الأخنس بن شريق الزهرى، وهو قول معروف، وأنشدوا فى الهمزة واللمزة:

تدلى بودى إذا لاقيتنى كذبا ... وإن تغيبت كنت الهامز اللمزة

وقوله: ﴿الذى جمع مالا وعدده﴾ بالتشديد والتخفيف، فقوله: ﴿جمع﴾ بالتخفيف معلوم، وبالتشديد فالمعنى: أنه جمّع من كل وجه شيئًا فشيئًا.

وقوله: ﴿وعدّده﴾ أى أعده لنفسه ولحوادثه، وقرئ: «وعَدَدَه» بالتخفيف، ومعناه: جمع عددا أى: قومًا وأنصارًا يتقوى بهم.

وقوله: ﴿يحسب أن ماله أخلده﴾ أى: يبقى حتى بقيته، قاله الحسن، وقال بعضهم: أى: يمنع الموت عنه.

وقوله: ﴿كلا لينبذن فى الحطمة﴾ هو اسم من أسماء جهنم، وقرأ ابن مصرف:

(١) فى «ك»: عينه.

﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

«لينبذن فى الحطمة» يعنى: نفسه وماله، وسميت النار حطمة؛ لأنها تأكل كل شىء. يقال: رجل حُطَمة أى: أكول، وقيل: لأنها تكسر كل شىء من الحَطْم وهو الكسر.

وقوله: ﴿وما أدراك ما الحطمة﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة﴾ يعنى: يصل ألمها ووجعها إلى الفؤاد. قال محمد بن كعب القرظى: تأكل النار أجسادهم، فإذا وصلت النار إلى القلب أعيدوا كما كانوا، وتعود النار إلى أكلهم فهكذا أبدا.

وقوله: ﴿إنها عليهم مؤصدة﴾ قال ابن عباس وأبو هريرة: مطبقة، وقيل: مغلقة. يقال: أصدت الباب أى أغلقته.

وقوله: ﴿فى عُمَدٍ﴾ وقرئ: «فى عمد ممددة» بفتح العين ورفعه، وقرأ الأعمش وطلحة ويحيى بن وثاب: «بعُمد ممدة» وهو معنى القراءة المعروفة، وعن بعضهم: أن العمد الممدة هى الأغلال فى أعناقهم، وعن بعضهم: [هو] القيود فى أرجلهم، وعن بعضهم: قيود على قبرهم من نار يعذبون فيها، وأولى الأقاويل هو أنها مطبقة بعمد يعنى: مسدودة لا يخرج منها غمر، ولا يدخلها روح. وعن قتادة: يعذبون بالعُمُد، وهى جمع عمود. وعن أبى جعفر القارئ: أنه بكى مرة حين قرئت هذه السورة عليه، فقيل له: ما يبكيك يا أبا جعفر؟ فقال: أخبرنى زيد بن أسلم أن أهل النار لا يتنفسون فذلك أبكانى.

وقوله: ﴿ممدة﴾ وقيل: مطولة، ويقال: ممدودة. وذكر النقاش فى تفسيره: أنه يبقى رجل من المؤمنين فى النار ألف سنة يقول: يا حنان، يا منان، وهو فى شعب من شعاب النار، فيقول الله لجبريل: أخرج عبدى من النار، فيجىء جبريل - عليه السلام - فيجد النار مؤصدة أى: مطبقة، فيعود ويقول: يا رب، إنى وجدت النار مؤصدة،

فيقول: يا جبريل عد وفكها، وأخرج عبدى من النار، فيعود جبريل ويخرجه، وهو مثل الخلال (أسود)[1] فيلقيه على ساحل الجنة حتى ينبت الله له شعراً ولحمًا ودمًا ويدخله الجنة. رواه عن سعيد بن جبير، وذكر أن النار تطبق عليهم لييأسوا من الخروج منها، والله أعلم.

(١) فى «ك»: الأسود.

بسم الله الرحمن الرحيم

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾

تفسير سورة الفيل

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿ألم تركيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾ الفيل دابة معلومة، ومعنى قوله: ﴿ألم تر﴾ أى: ألم تعلم؟ وقيل: ألم تر آثار ما فعل ربك بأصحاب الفيل؟ وأصحاب الفيل هم جند من الحبشة أميرهم أبرهة بن الصباح أبو يكسوم، وقيل: غيره. غزوا الكعبة، وقصدوا تخريبها وهدمها، وأصح ما حكى فى سببه أن أبرهة كان نصرانيًا بنى بيعة بصنعاء اليمن، وزينها بالفاخر من الثياب والجواهر، وقال: بنيت هذا، يحجه العرب وأكفهم عن حج الكعبة، وأمر الناس بذلك وأجبرهم عليه، فجاء رجل من العرب - وقيل: إنه كان من بنى كنانة - ودخل البيعة، وأحدث فيها وهرب، فذكر ذلك لأبرهة فغضب غضبًا شديداً وحلف بالنصرانية والمسيح ليغزون الكعبة، وليهدمنها حجراً حجراً، ثم إنه غزا الكعبة مع جيش عظيم. وفيه قصة طويلة، وساق مع نفسه فيلا يقال له: محمود، وقيل: كانت ثمانية من الفيلة أكبرها هذا الفيل، ولقى فى الطريق جنداً من العرب وهزمهم، وقتل منهم حتى أتى الطائف، ثم إنه توجه من الطائف إلى مكة، ودليله أبو رغال، فمات أبو رغال فى الطريق فقبره هو القبر الذى ترجمه العرب، وهو بين مكة والطائف، ونزل أبرهة والجند بالمغمس، وسمع أهل مكة بذلك، وسيدهم يومئذ عبد المطلب بن هاشم، وأغار الجند على ماوجدوا من أموال أهل مكة وإبلهم، وأخذوا مائتى بعير لعبد المطلب ثم إنه جاء عبد المطلب، إلى أبرهة فى طلب بعيره - وكان رجلاً جسيمًا وسيمًا - فلما رآه أبرهة أعجبه حسنه وجماله فقال: ماحاجتك؟ فقال: أن ترد على إبلى. فقال لترجمانه: قل

ألمْ يجعلْ كيْدهُمْ في تضْليلٍ ﴿٢﴾

له: أعجبنى ما رأيت من هيئتك، ثم رغبت عنك حين سمعت كلامك، فقال عبد المطلب: وما الذى رغب الملك عنى؟ فقال: جئت لأهدم شرفك وشرف آبائك، فتركت ذكره وسألتنى إبلا أخذت لك! فقال له عبد المطلب: أنا رب الإبل، وإن للبيت ربا يمنعه، فأمر برد الإبل عليه، فعاد عبد المطلب، وأمر أهل مكة حتى تنصرف فى رءوس الجبال، وقال: قد جاءكم مالاقبل لكم به. ثم أخذ عبد المطلب بحلقة الكعبة وقال:

يارب، لا أرجو لهم سواكا يارب، فامنع منهم حماكا

إن عدو البيت من عاداك

ومن المعروف أيضا أنه قال:

يارب إن المـرء يمنـــ ـــنع حله فامنع حـلالك

لايغلـبن صليبهــــم ومحالهـم أبدا محــالك

والمحال: العقوبة.

إن كنت تاركهم وكعبتنا فـــامر مـــا بدالــــك

ثم خرج مع القوم وخلوا مكة، فروى أن الفيل كان إذا أحس التوجه قبل مكة امتنع، فإذا وجه نحو اليمن أسرع وهرول، وحبس الله الفيل عن البيت، وهو معنى ماثبت عن النبى ﷺ أنه قال يوم الحديبية حين بركت ناقته - وهى القصواء - وقال الناس: خلأت القصواء فقال النبى ﷺ: «لا، لكن حبسها حابس الفيل»[1] ثم إن الله تعالى بعث عليهم طيراً خرجت من قبل البحر، قال ابن عباس: لها خراطيم الطير وأنف الكلاب، وقيل: كانت سوداء، وقيل: حمراء، ومع كل طير ثلاثة أحجار: حجران فى كفيه، وحجر فى منقاره، وفى القصة: أن الحجر كان دون الحمص وفوق

(١) تقدم تخريجه.

وأرسل عليهم طيرًا أبابيل ﴿٣﴾ ترميهم بحجارة من سجيل ﴿٤﴾ فجعلهم كعصف مأكول ﴿٥﴾

العدس، فجاءت الطير ورمتهم بالأحجار، وفى القصة: أن الحجر كان يصيب رأس الإنسان، فيخرج من دبره، فيسقط ويموت، وكان إذا وقع على جانب منه خرج من الجانب الآخر، وهرب القوم وتساقطوا فى الطريق. وقيل: إن الحجر إذا أصاب الواحد منهم نفط موضعه وأصابه الجدرى، فهو أول ما رئى الجدرى فى ديار العرب، والله أعلم. وأما أبرهة فتساقط فى الطريق أنملة أنملة، ثم إنه انصدع صدره عن قلبه[1] ومات.

وعام الفيل هو العام الذى ولد فيه النبى ﷺ، وقد قيل: إنه ولد بعد ذلك بسنتين، والصحيح هو الأول، وقال أهل العلم: كان ذلك إرهاصًا لنبوه النبى ﷺ وتأسيسًا بها.

قوله تعالى: ﴿ألم يجعل كيدهم فى تضليل﴾ أى: أبطل مكرهم وسعيهم، ويقال: قوله: ﴿فى تضليل﴾ أى: ضل عنهم، وفاتهم ماقصدوا.

وقوله: ﴿وأرسل عليهم طيرًا أبابيل﴾ قال أبو عبيدة: جماعات فى تفرقة، وعند أبى عبيدة والفراء: لا واحدلها، وعند الكسائى: واحدها: أبول مثل عجاجيل وعجول. ويقال: طيرًا أبابيل أى: كثيرة، ويقال: أقاطيع يتبع بعضها بعضًا.

وقوله: ﴿ترميهم بحجارة من سجيل﴾ قال ابن عباس: السجيل بالفارسية (سنك)[2] كل، ويقال: من سجيل من السماء، وهو اسم سماء الدنيا. وقوله: ﴿فجعلهم كعصف مأكول﴾ العصف: هو ورق الزرع، ومعناه: كعصف قد أكل مافيه، وقيل: كل ثمره. والمعنى: أن الله تعالى شبههم بالزرع الذى أكلته الدواب وراثته وتفرقت، ولم يبق من ذلك شىء فشبه هلاكهم بذلك، والله أعلم.

---

(١) فى الأصل: قبله.

(٢) فى «ك»: شك، وهو تصحيف.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾

تفسير سورة لإيلاف

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿لإيلاف قريش﴾ روى سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله: ﴿لإيلاف قريش﴾ قال: نعمتى على قريش بإيلافهم رحلة الشتاء والصيف. والإيلاف فى اللغة هو ضد الإيحاش، وهو نظير الإيناس، فإن قال قائل: ما معنى ابتداء السورة باللام؟ والجواب من وجهين: أحدهما أن معناه: اعجبوا لإيلاف قريش وتركهم الإيمان بى، كأنه يذكر نعمته عليهم، ويذكر كفرانهم لنعمته بترك الإيمان، والوجه الثانى أن معناه: أن هذا متصل فى المعنى بالسورة المتقدمة، وكأنه قال: ﴿فجعلهم كعصف[١] مأكول لإيلاف قريش﴾ أى: ليبقى لهم ما ألفوه من رحلتى الشتاء والصيف. وذكر القتيبى فى معنى السورة: أن القوم لم يكن لهم زرع ولاضرع إلا القليل، وكانت معايشهم من التجارة، وكانت لهم رحلتان: رحلة فى الصيف إلى الشام، ورحلة فى الشتاء إلى اليمن، وقيل: غير هذا، وكانوا إذا خرجوا من مكة لا يتعرض لهم أحد، فإذا لقيهم قوم قالوا: نحن أهل الله فيكفون عنهم ولا يحاجون. وروى أنهم كانوا يقولون: نحن من حرم الله، فتقول العرب: هؤلاء أهل الله فيكفون عنهم، وهو معنى قوله تعالى: ﴿أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمناويتخطف الناس من حولهم﴾[٢] فذكر الله تعالى فى هذه السورة والسورة المتقدمة منته عليهم فى دفع أصحاب الفيل عنهم، ليبقى لهم ما ألفوه من التجارة فى رحلتى الشتاء والصيف. وأما قريش: فهم أولاد النضر بن كنانة، فكل من كان من أولاد النضر بن كنانة فهو

(١) الفيل: ٥.

(٢) العنكبوت: ٦٧.

إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾

قرشي واختلفوا في اشتقاق هذا الاسم، فقال الأكثرون: سموا قريشًا للتجارة، وكانوا أهل تجارة، والقرش: الكسب، يقال: كان فلان يقرش لعياله ويقترش أي: يكتسب. وعن ابن عباس: أنه سميت قريش قريشًا بدابة تكون في البحر، يقال لها: القرش، لاتمر بغث ولاسمين إلا أكلته وأنشدوا في ذلك:

وقريش هي التي تسكن البحـ ـر وبها سميت قريش قريشا
تأكل الغث والسمين ولاتتـ ـرك فيه لذي الجناحين ريشا
هكذا في البلاد هي قريش يأكلون البلاد أكلا كميشا
ولهم آخر الزمان نبي يكثر القتل فيهم والخموشا

وقوله: ﴿فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع﴾ قال ذلك لأنهم كانوا يجلبون الطعام من المواضع البعيدة وكان هو الذي يسهل لهم ذلك، ويرزقهم إياها بتيسير أسبابها لهم.

وقوله: ﴿وآمنهم من خوف﴾ أي: من خوف الغارة والقتل على ماقلنا، وقيل: من خوف الجذام، والأصح هو الأول. وفي بعض التفاسير: أن أول من جمع قريشًا على رحلتي الشتاء والصيف هاشم بن عبد مناف، وكانوا يأخذون في بضائعهم باسم الفقراء شيئًا معلومًا فإذا رجعوا أعطوهم ذلك تقربًا إلى الله.

وقال الشاعر في هاشم:

عمرو العلا هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف
الخالطين فقيرهم بغنيهم حتى يصير فقيرهم كالكاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾

تفسير سورة أرأيت

وهى مكية

وقيل: إنها مدينة، وقيل: نصفها مكية، ونصفها مدنية، فالنصف الأول إلى قوله ﴿**فويل للمصلين**﴾ مكية، والنصف الباقى مدنية، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿أرأيت الذى يكذب بالدين﴾ أى: بالجزاء، وقيل: بالحساب، قاله مجاهد، والمعنى: أرأيت من يكذب بالدين أمخطئ هو أم مصيب؟ يعنى: أنه مخطئ فلا توافقه ولاتتبعه.

وقوله: ﴿فذلك الذى يدع اليتيم﴾ وورد فى الحديث أن النبى ﷺ قال: «من ضم يتيما من بين المسلمين إلى نفسه، وجبت له الجنة»(١).

وقرئ فى الشاذ: «يَدعُ اليتيم» أى: يترك العطف عليه والرحمة له.

وقوله تعالى: ﴿ولايحض على طعام المسكين﴾ قيل: لايطعم بنفسه، ولا يأمر به غيره.

قوله تعالى: ﴿فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ قال قتادة: غافلون. وروى المغيرة عن إبراهيم قال: مضيعون للوقت، وهذا قول معروف، وهو وارد عن جماعة من التابعين، وذكروا أن المراد بالسهو هاهنا هو تأخير الصلاة عن وقتها، والقول الثالث: وهو أن الآية وردت فى المنافقين.

ومعنى قوله: ﴿الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ يعنى: أنهم إن صلوها لم يرجوا

(١) رواه أحمد (٤/٣٤٤، ٥/٢٩)، وأبو يعلى (٢/٢٢٧ رقم ٩٢٦)، والطبرانى فى الكبير (١٩/٢٩٩ - ٣٠٠ رقم ٦٦٧ - ٦٧٠) عن عمرو بن مالك القشيرى، وحسنه الهيثمى فى المجمع (٤/٢٤٦، ٨/١٦٤)، والمنذرى فى الترغيب (٣/٣٤٨).

الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾

ثوابًا، وإن تركوها لم يخافوا عقابًا. قال ابن زيد: هم المنافقون صلوها، وليست الصلاة من شأنهم. وروى الوالبى عن ابن عباس قال: هم المنافقون، كانوا إذا حضروا صلوها رياءً، وإذا غابوا تركوها. وقال محمد بن كعب القرظى: هو المنافق، إذا رأى الناس صلى، وإذا لم ير الناس لم يصل. وقيل: ساهون أى: لاهون، والمعنى أنهم يشتغلون بغيره عنها.

وقوله: ﴿الذين هم يراءون﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿ويمنعون الماعون﴾ قال على: هو الزكاة، حكاه مجاهد عنه، وهذا القول محكى أيضًا عن الحسن وإبراهيم التيمى. وقال ابن عباس: هو العارية، وسميت ماعونًا؛ لأن الناس يعين بعضهم بعضًا. وقد ورد فى الخبر: أنه مثل الماء والملح والفأس والقدر والمقدحة وما أشبه ذلك.

وفى بعض الأخبار عن عائشة - رضى الله عنها - أنها سألت النبى ﷺ ما الذى لايحل منعه؟ قال: «الماء والملح والنار»(١). وفى بعض الروايات زيادة: «والحجر والدلو».

وحكى أبو الحسين بن فارس عن أبيه فارس، أن الماعون هو الماء، حكاه عن أهل اللغة، وقد ذكره النحاس أيضًا فى كتابه. وأنشدوا:

يمج صبيرة الماعونَ مجا

وأنشدوا فى الماعون بمعنى الزكاة:

قوم على الإسلام لَمَّا يمنعوا ماعُونَهمْ ويُضَيَّعوا التَهليلا

(١) رواه بن ماجه (٢/ ٨٢٦ - ٨٢٧ رقم ٢٤٧٤)، والطبرانى فى الأوسط (٣/ رقم ١٤٣٦، ١٤٤٠ - مجمع البحرين). وقال الهيثمى فى المجمع (٣/ ١٣٦): رواه بن ماجه باختصار، والطبرانى فى الأوسط، وفيه زهير بن مرزوق قال البخارى: مجهول، منكر الحديث.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾

تفسير سورة الكوثر

وهى مكية

روى المختار بن فُلْفُل عن أنس قال: «بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا، إذا أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسماً، فقلت: ما أضحكك يارسول الله؟ فقال: أنزلت علىَّ آنفًا سورة» فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شائنك هو الأبتر﴾ ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم.

قال: فإنه نهر وعدنيه ربى خيراً كثيراً، هو حوضى ترد عليه أمتى يوم القيامة، آنيته عدد نجوم السماء، فيختلج العبد منهم، فأقول: رب إنه من أمتى، فيقول: إنك لاتدرى ما أحدثوا بعدك»(١). رواه مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة، عن على بن مسهر عن المختار بن فُلْفُل.

قوله تعالى: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ قد بينا.

وروى همام، عن قتادة عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «بينا أنا أسير فى الجنة إذا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، فقلت: ماهذا ياجبريل؟ فقال: هذا الكوثر الذى أعطاك ربك، فضرب الملك بيده، فإذا طينه مسك أذفر»(٢). قال رضى الله عنه:

(١) رواه مسلم (٤/١٤٨ - ١٤٩ رقم ٤٠)، وأبو داود (١/٢٠٨ رقم ٧٨٤، ٤/٢٣٧ رقم ٤٧٤٧)، والنسائى (٢/١٣٣ - ١٣٤ رقم ٩٠٤)، وأحمد (٣/١٠٢)، وابن أبى شيبة فى مصنفه (١١/٤٣٧ - ٤٣٨ رقم ١١٧٠)، وهناد فى الزهد (١/١٠٨ - ١٠٩ رقم ١٣٣)، وابن أبى عاصم فى السنة (٢/٣٥٥ رقم ٧٦٤)، وابن جرير الطبرى (٣٠/٢١١).

(٢) رواه البخارى (١٠/٤٧٢ رقم ٦٥٨١)، والترمذى (٥/٤١٨ - ٤١٩ رقم ٣٣٦٠) وقال: حسن صحيح، والنسائى فى الكبرى (٦/٥٢٣ - ٥٢٤ رقم ١١٧٠٦)، وأحمد (٣/١١٥، ٢٦٣)، وابن أبى شيبة (١١/٤٣٧ رقم ١١٧٠، ١٣/١٤٧ رقم ١٥٩٥٢)، وابن جرير (٣٠/٢٠٩) وغيرهم.

فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾

أخبرنا بهذا الحديث أبو الحسن بن النقور، أخبرنا أبو القاسم بن حَبَابَة، أخبرنا البغوى، أخبرنا هُدْبَة، عن همام.... الحديث. وأخرجه البخارى عن هدبة، وذكره أبو عيسى فى كتابه بروايته عن قتادة، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أنا أسير فى الجنة إذا عرض [لى](١) نهر حافتاه قباب اللؤلؤ، قلت للملك: ماهذا؟ قال: هذا الكوثر الذى أعطاكه الله، قال: ثم ضرب بيده إلى طينه فاستخرج مسكًا، ثم رفعت لى (سدرة المنتهى)(١) فرأيت عندها نوراً عظيماً»(٢).

قال: وهو حديث حسن صحيح، وروى أيضًا بطريق [مُحَارب](٣) بن دثار عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «الكوثر نهر فى الجنة، حافتاه من ذهب، ومجراه على الدر والياقوت، [و](٤) تربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل، وأبيض من الثلج»(٥). قال: هو حديث حسن.

وفى بعض التفاسير برواية عائشة - رضى الله عنها - أن النبى ﷺ قال: «من أراد أن يسمع خرير الكوثر، فليدخل أصبعه فى أذنيه»(٦). وهو غريب جدا.

وفى الكوثر قول آخر، وهو أنه الخير الكثير، فهو فَوْعَل من الكثرة، وقد أعطى الله

(١) المثبت من جامع الترمذى.

(٢) تقدم تخريجه فى الحديث السابق.

(٣) فى «الأصل، وك»: محار، وهو خطأ.

(٤) من «ك».

(٥) رواه الترمذى (٥/ ٤١٩ رقم ٣٣٦١) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٢/ ١٤٥٠)، وابن أبى شيبة (١١/رقم ١١٧٠٨، ١٣/ رقم ١٥٩٤٥)، وهناد فى الزهد (١/رقم ١٣٢)، وابن جرير الطبرى فى تفسيره (٣٠/ ٢١٠) وغيرهم.

(٦) عزاه السخاوى فى المقاصد الحسنة للدارقطنى (المقاصد ٨٩)، وكذا السيوطى فى الجامع (٥٥٣). وحكم عليه الشيخ ناصر - حفظه الله - بالوضع فى ضعيف الجامع، وكذا الشيخ محمد عمرو - حفظه الله - فى تكميل النفع (١/ ١٠ رقم ١).

إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ ﴿٣﴾

رسوله محمداً ﷺ من الخير مالا يحصى ولايعد كثرة فى الدنيا والآخرة، وقال الحسن البصرى: هو القرآن، وقيل: العلم والقرآن.

وقوله: ﴿فصل لربك وانحر﴾ أى: صل الصلوات الخمس، وانحر البدن، وقيل: صل بَجْمعٍ(١)، وانحر بمنى، قاله مجاهد وعطاء، وعن على - رضى الله عنه - أن معنى قوله: ﴿وانحر﴾ هو وضع اليمين على الشمال فى الصلاة على النحر. وقيل: وانحر واستقبل القبلة بنحرك. قال الشاعر:

أبا حكم هل أنت عم مجالد ... وسيد أهل الأبطح المتناحر

أى: المتقابل.

وروى مقاتل بن حيان، عن الأصبغ بن نباتة، عن على بن أبى طالب - رضى الله عنه - قال: «لما نزلت على النبى ﷺ: ﴿إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر﴾ قال النبى ﷺ لجبريل - عليه السلام -: ماهذه النحيرة التى أمرنى بها ربى؟ قال: إنها ليست بنحيرة، ولكنه يأمرك إذا (تحرمت)(٢) بالصلاة، أن ترفع يديك إذا كبرت، وإذا ركعت، وإذا رفعت رأسك من الركوع، فإنها من صلاتنا وصلاة الملائكة فى السموات السبع»(٣). وعن محمد بن كعب القرظى: أن قوماً كانوا يصلون وينحرون

(١) جمع: أى: المزدلفة.

(٢) فى «ك»: أحرمت.

(٣) رواه بن أبى حاتم - (تفسير ابن كثير (٤/٨٥٨) وابن حبان فى المجروحين (١/١٧٧ - ١٧٨)، وابن الأعرابى فى معجمه (٢/٢٢٧ رقم ٩٦٧)، والحاكم (٢/٥٣٧ - ٥٣٨)، والبيهقى (٢/٧٥ - ٧٦) عن مقاتل به.

قال ابن حبان: هذا متن باطل إلا ذكر رفع اليدين فيه، وهذا خبر يرويه عمر بن صبيح عن مقاتل، وعمر يضع الحديث، فظفر عليه إسرائيل بن حاتم فحدث به عن مقاتل.

وقال الذهبى فى تلخيصه على المستدرك: إسرائيل صاحب عجائب لايعتمد عليه، وأصبغ شيعى متروك عند النسائى. واستنكره الحافظ ابن كثير فى تفسيره، وقال: حديث منكر جدا.

لغير الله، فقال الله تعالى: ﴿فصل لربك وانحر﴾ أى: اجعل صلاتك ونحرك لله.

وقوله: ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ أكثر المفسرين أن المراد به هو العاص بن وائل السهمى، كان إذا ذكر له رسول الله ﷺ قال: دعوا ذكره، فإنه أبتر يعنى: أنه لاولد له، فإذا مات انقطع ذكره، واسترحتم منه، وكانت قريش تقول لمن مات ابنه، أو لم يكن له ابن: أبتر.

فقال الله تعالى: ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ يعنى: مبغضك هو الأبتر أى: الذى انقطع خيره وذكره فى الدنيا والآخرة والبتر هو القطع. وقيل: إن الآية فى عقبة بن أبى معيط وقيل: إن المراد به كعب بن الأشرف، قدم مكة، فقالت له قريش: ماتقول أيها الحبر فى هذا (الصنبور)(1)؟ أهو خير أم نحن؟ إنه سب ألهتنا، وفرق جمعنا، ونحن أهل حرم الله وحجيج بيته وسدنته، فقال: بل أنتم خير منه، فأنزل الله تعالى: ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ فيه.

(1) فى «ك»: الصنبور. والطنبور هو الفرد الضعيف الذى لاعقب ولا ناصر له. (لسان العرب: مادة صنبر).

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ (٤) وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ

تفسير سورة (قل يا أيها الكافرون)(١)

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ قال المفسرون: لما قرأ رسول الله ﷺ سورة والنجم، وألقى الشيطان على لسانه عند ذكر أصنامهم: وإن شفاعتهن لترتجى، فقال الكفار: يامحمد، نصطلح تعبد آلهتنا سنة، ونعبد إلهك سنة، ونعظم إلهك، وتعظم آلهتنا، وذكروا من هذا النوع شيئًا كثيراً، فحزن النبى ﷺ لمقالتهم، ورجع إلى بيته حزينًا، فأنزل الله تعالى هذه السورة، وهى ﴿قل يا أيها الكافرون لا أعبد ماتعبدون﴾ أى: اليوم. ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ اليوم. ﴿ولا أنا عابد ما عبدتم﴾ فى المستقبل. ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ فى المستقبل. ﴿لكم دينكم ولى دين﴾ لكم جزاء عملكم، ولى جزاء عملى. قالوا: وهذا فى قوم بأعيانهم، منهم الوليد بن المغيرة، وأمية بن خلف، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، وقد كان الله أخبر أنهم يموتون على الكفر. وقيل: إن هذه السورة نزلت قبل آية السيف، ثم نسخت بآية السيف. وقد ورد فى الخبر: أن قراءة هذه السورة براءة من الشرك. روى أبو خيثمة، عن ابن اسحاق، عن فروة بن نوفل، عن أبيه أنه أتى النبى ﷺ وقال: جئت يارسول الله ﷺ لتعلمنى شيئًا أقوله عند منامى، فقال: «إذا أخذت مضجعك فاقرأ: ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ ثم نم على خاتمتها، فإنها براءة من الشرك»(٢). وعن

---

(١) فى «ك»: الكافرون.

(٢) رواه أبو داود (٤/٣١٣ رقم ٥٠٥٥)، والترمذى (٥/٤٤٢ رقم ٣٤٠٣)، والنسائى فى الكبرى (٦/٢٠٠ رقم ١٠٦٣٦ - ١٠٦٤٠، ٦/٥٢٤ رقم ١١٧٠٩)، وأحمد (٥/٤٥٦)، وابن أبى شيبة (١٠/٢٤٩)، والدارمى (٢/٥٥١ رقم ٣٤٢٧)، وابن حبان فى صحيحه (٣/٧٠ رقم ٧٩٠)، والحاكم (١/٥٦٥، ٢/٥٣٨) وصححه، وغيرهم. وفى الباب عن أنس.

وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

بعضهم قال: «كنت أمشي مع النبيﷺ في ليلة ظلماء، فسمع رجلا يقرأ: ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ فقال: أما هذا فقد برئ من الشرك، وسمع رجلا يقرأ: ﴿قل هو الله أحد﴾ فقال: أما هذا فقد غفر له»(١).

وفي السورة سؤال معروف، وهو السؤال عن معنى التكرير؟ وقد أجبنا، ويقال: إنهم كرروا عليه الكلام مرة بعد مرة، فكرر الله تعالى عليهم الإجابة.

وفي السورة سؤال آخر، وهو في قوله: ﴿قل﴾ كيف قرئت هذه الكلمة، وهي أمره بالقراءة؟ وكذلك في قوله: ﴿قل هو الله أحد﴾ . والجواب عنه: أن قوله ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ جميعه قرآن، ونحن أمرنا بتلاوة القرآن على ما أنزل، فنحن نتلو كذلك. وفي السورة سؤال ثالث وهو أنه قال: ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ ولم يقل: من أعبد؟

والجواب عنه أنه قال ذلك على موافقة قوله: ﴿ولا أنا عابد ماعبدتم﴾ وقد قيل: إن «ما» بمعنى «من» هاهنا، والله أعلم.

---

(١) رواه النسائي في الكبرى (٦/١٧٧ رقم ١٠٥٤٠)، وأحمد (٤/٦٤،٦٥، ٥/٣٧٦، ٣٧٨)، والدارمي (٢/٥٥١ رقم ٣٤٣٦)، وسعيد بن منصور في تفسيره (٢/٤٠٢ رقم ١٢٩)، والبيهقي في الدلائل (٧/٨٦) عن رجل من الصحابة لم يسم به.

وقال الهيثمي في المجمع (٧/١٤٨): رواه أحمد بإسنادين في أحدهما شريك، وفيه خلاف وبقية رجاله رجال الصحيح. وفي الباب عن ابن مسعود.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾

تفسير سورة النصر

وهى مدنية

قوله تعالى: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ أجمعوا على أن الفتح هو فتح مكة، وقيل: إن النصر فيه أيضًا، ويقال: إن النصر هو يوم الحديبية، والأول هو الأظهر والأشهر.

وقوله: ﴿ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا﴾ أى: زمرًا زمرًا، وفوجًا فوجا. وفى التفسير: أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة قال المشركون: إن محمداً قد نصره الله على قريش، وهم أهل الله وأهل حرمه، فقد منع الله الفيل عنهم فلا يدان لأيد [أحدٍ] (١) بمحمد يعنى: لا قوة، فدخلوا فى دينه أفواجًا وكانت القبيلة بأسرها تسلم، ووفد عليه الوفود من الجوانب، ودخل أكثر ديار العرب فى الإسلام، ولم يبق إلا القليل، وقد كان قبل ذلك يدخل الواحد والاثنان على خوف شديد، فهو معنى قوله تعالى: ﴿ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا﴾.

وقوله: ﴿فسبح بحمد ربك﴾ أى: صل حامدا لربك.

والأصح أن معناه: اذكره بالتحميد والشكر لهذه النعمة العظيمة ،فإن التسبيح هو بمعنى الذكر فصار معنى الآية على هذا: فاذكر ربك بالتحميد والشكر.

وقوله: ﴿واستغفره﴾ أى: اطلب التجاوز والعفو عنه.

وقوله :﴿إنه كان توابًا﴾ أى: توابًا على عباده، ويقال: التواب هو المسهل لسبيل التوبة، ويقال: هو القابل لها.

---

(١) فى «الأصل»: لأحد.

وقد ثبت عن ابن عباس أن فى السورة نعى النبى ﷺ إلى نفسه، وأمره بالتسبيح والاستغفار ليكون؛ آخر أمره وخاتمة عمله على زيادة الطاعة والذكر لله.

وورد أيضًا أن عمر -رضى الله عنه -كان إذا أحضر المهاجرين واستشارهم فى شيء، أحضر معهم عبد الله بن عباس، فقالوا: يا أمير المؤمنين، إن لنا أولاداً مثله - يعنى أنك لا تحضرهم - فقال: إنه من حيث تعلمون، ثم إنه سألهم مرة عن هذه السورة فقالوا: إن الله تعالى أمر رسول الله بالتسبيح والاستغفار حين جاءه الفتح، ودخل الناس فى الدين أفواجا، فسأل عبد الله بن عباس عن معنى السورة فقال: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى نعى إلى رسول الله نفسه بهذه السورة، وأمره بزيادة العمل والذكر؛ ليكون خاتمة عمره عليه فقال لسائر المهاجرين: إنما أحضره لهذا وأمثاله ،أو كلام هذا معناه، واللفظ المذكور فى الصحيح فى هذا الخبر أن ابن عباس قال: إنما هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه إياه فقال له عمر: والله لا أعلم منها إلا ما تعلم.

وقيل: إن السورة نزلت فى أوسط أيام التشريق.

وقيل: إن رسول الله ﷺ لم يعش بعد هذه السورة إلا ثمانين ليلة.

وقد قيل: إنها آخر سورة نزلت من القرآن كاملة، والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾

تفسير سورة تبت

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿ تبت يدا أبى لهب وتب ﴾ سبب نزول هذه السورة هو ما روى أبو معاوية [الضرير محمد بن خازم] (١) عن الأعمش، عن عمرو بن مرة ،عن سعيد ابن جبير،عن ابن عباس أن النبى ﷺ صعد ذات يوم الصفا وقال: « ياصباحاه » فاجتمعت قريش فقالوا له: مالك؟ فقال: « (أرأيتم)(٢) لو أخبرتكم أن العدو مصبحكم أوممسيكم، أما (تصدقوننى؟)(٣) » قالوا: بلى. قال: « فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد » فقال أبو لهب: تبًا لك، ألهذا دعوتنا جميعًا فأنزل الله تعالى: ﴿ تبت يدا أبى لهب وتب ﴾ إلى آخر السورة »(٤).

قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث أبو محمد المكى بن عبد الرزاق، أخبرنا جدى أبو الهيثم، أخبرنا الفربرى، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا (محمد)(٥) بن سلام، عن [أبى](٦) معاوية.. الحديث.

---

(١) فى « الأصل،وك »: أبو معاوية النضر بن محمد حازم، وهو خطأ والصواب أبو معاوية الضرير محمد بن خازم الكوفى أحفظ الناس لحديث الأعمش، وعنه محمد بن سلام وهو البيكندى ، والحديث رواه البخارى فى صحيحه عن البيكندى عنه به، وانظر تهذيب الكمال (٢٥ / ١٢٣ - ١٣٣، ٣٤٠ - ٣٤٤).

(٢) فى « ك »: أرأيتكم .

(٣) فى « ك »: مصدقى.

(٤)تقدم.

(٥) فى « ك »: أبو محمد، وهو خطأ، والصواب محمدوهو ابن سلام البخارى البيكندى، وقد تقدم.

(٦) فى « الأصل » : ابن وهو خطأ، وقد تقدم التنبيه عليه.

مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾

قوله ﴿ وتب ﴾ قال مقاتل وغيره : خسرت، والتباب فى اللغة هو الهلاك، وهو الخسران أيضًا . قال الفراء : الأول دعاء، والثانى إخبار، فالأول هو قوله : ﴿ تبت يدا أبى لهب ﴾ والثانى قوله : ﴿ وتب ﴾ على ما معنى الخبر أى : وقد خسر وهلك، وفى قراءة ابن مسعود : « وقد تبت » .

وقوله : ﴿ ما أغنى عنه ماله وما كسب ﴾ أى : لا يدفع عنه ماله وولده شيئًا من عذاب الله، فيكون قوله : ﴿ وما كسب ﴾ بمعنى وما ولد على هذا القول . قال أبو جعفر النحاس : ويبعد أن تكون ما بمعنى من فى اللغة .

فقوله : ﴿ وما كسب ﴾ أى : وما كسب من جاء ومايشبهه وأما أبو لهب فهو عم النبى ﷺ واسمه عبد العزى، ويقال : سمى أبو لهب لتلهب وجهه حسنا . وذكره الله تعالى بكنيته؛ لأنه كان معروفا بذلك أو لأن اسمه كان عبد العزى فكره أن تنسب عبوديته إلى غيره .

وفى تفسير النقاش : أن أبا لهب انتفى بنى هاشم، وانتسب إلى أبى أمية، وقال : لا أكون من قوم فيهم كذاب مثل محمد . ومن المعروف عن طارق المحاربى أنه قال : « كنت بسوق ذى المجاز فإذا أنا بشاب يقول : أيها الناس، قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا، وإذا الرجل خلفه يرميه بالحجر، وقد أدمى (عقبيه)، وهو يقول : أيها الناس، لا تصدقوه فإنه كذاب . قال : فسألت عنهما، فقيل : إن الشاب محمد ﷺ، والرجل الذى خلفه عمه أبو لهب »(٢) .

(١) فى « ك » : عقبه .

(٢) رواه ابن أبى شيبة (١٤ / ٣٠٠ رقم ١٨٤١٤)، والطبرانى فى الكبير (٨ / ٣١٤ - ٣١٥ رقم ٨١٧٥)، وابن حبان فى صحيحه (١٤ / ٥١٧-٥١٩)، والدارقطنى فى سننه (٣ / ٤٤-٤٥)، والحاكم (٢ . ٦١١-٦١٢) وصححه، والبيهقى فى سننه (١ / ٧٦،٦ / ٢٠ / ٢٠-٢١) وفى الدلائل (٥ / ٣٨٠-٣٨١) .

وقال الهيثمى فى المجمع (٦ / ٢٦) : رواه الطبرانى وفيه أبو جناب الكلبى وهو مدلس، وقد وثقه ابن حبان، وبقية رجاله رجال الصحيح .

وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾

ويقال فى قوله: ﴿ما أغنى عنه ماله﴾: أى: أى شىء أغنى عنه ماله ﴿وما كسب﴾ إذا دخل النار؟.

وقوله: ﴿سيصلى نارا ذات لهب﴾ يقال: صلى الشىء إذا قاسى شدته وحره. ويقال: صليته أى شويته، ومنه: شاة مصلية أى مشوية والمعنى: سوف يصلى أى يدخل ناراً ذات لهب أى: ذات التهاب وتوقد.

وقوله: ﴿وامرأته﴾ أى: تصلى امرأته أيضا.

وقوله: ﴿حمالة الحطب﴾ فيه قولان: أحدهما: ما رواه الضحاك عن ابن عباس أنها كانت تحمل الشوك فتلقيه على طريق النبى ﷺ لتعقر رجله. قال عطية: كانت تلقى العضاة فى طريق النبى ﷺ. وكانت كالكثيب من الرمل لقدم النبى ﷺ، والقول الثانى: أن قوله: ﴿حمالة الحطب﴾ معناه: الماشية بالنميمة. قال الشاعر:

إن بنى الأجرم حمالوا الحطب ... هم الوشاة فى الرضا وفى الغضب

عليهم اللعنة تترى والحرب

وامرأته هى أم جميل بنت حرب بن أمية أخت أبى سفيان. وقد قرئ: «حمالةَ الحطب» بالنصب فالبرفع على معنى حمالة الحطب، وبالنصب على معنى أعنى حمالة الحطب.

وقوله: ﴿فى جيدها حبل من مسد﴾ فيه قولان: أظهرهما أنه السلسلة التى ذكر الله تعالى فى كتابه: ﴿فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا﴾(١) والمسد هو الفتل والإحكام قال: لأنه أحكم من الحديد، والقول الثانى: إن المراد من الآية أنها كانت تحمل الحطب بحبل من مسد فى عنقها فذكر الله تعالى ذلك على أحد وجهين: إما

(١) الحاقة: ٣٢.

لبيان تخسيسها وتحقيرها، أو لأنها عيرت رسول الله بالفقر فابتلاها الله تعالى بما هو من عمل الفقراء، وقيل: حبل من مسد أى: حبل من شعر أحكمت فتله، وقيل: من ليف أحكم فتله. وروى «أن هذه السورة لما نزلت وسمعتها امرأة أبى لهب أخذت (فهراً)(١) بيدها، وجاءت تطلب النبى ﷺ وتقول:

مذمم أبينا ودينه قلبينا وأمره عصينا

وتعنى بمذمم محمدا - عليه الصلاة والسلام - لأن كفار قريش كانوا يشتمونه مذمما، فلما جاءت، قال أبو بكر للنبى ﷺ: إن هذه المرأة قد جاءت، فقال: إنها لا ترانى فدخلت ولم تر رسول الله ﷺ، فقالت لأبى بكر: أين صاحبك؟ فقال: ما شأنك؟ فقالت: بلغنى أنه هجانى، فجئت لأكسر رأسه بهذا الحجر، فقال أبو بكر: إنه ما هجاك، فرجعت وعثرت فى مرطها، فقالت: تعس مذمم ومضت»(٢).

(١) الفهر: هو الحجر مل الكف. النهاية لابن الأثير (٣ / ٤٨١).

(٢) تقدم تخريجه.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١)﴾

تفسير سورة الإخلاص

وهى مدنية

وقيل: إنها مكية

يزيد بن كيسان، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «احشدوا أقرأ عليكم ثلث القرآن فخرج رسول الله ﷺ، فقرأ عليهم: ﴿قل هو الله أحد﴾ ثم دخل بيته قال: فقال القوم: قال لنا رسول الله ﷺ: احشدوا أقرأ عليكم ثلث القرآن فقرأ: ﴿قل هو الله أحد﴾ ثم دخل، ما هذا إلا شيء[١]؟ قال: فسمعها فخرج إلينا فقال: إن هذه السورة تعدل ثلث القرآن» رواه مسلم فى كتابه عن محمد بن حاتم ويعقوب الدورقى، عن يحيى بن سعيد، عن (يزيد)[٢] بن كيسان.. الحديث[٣].

وروى إسماعيل بن أبى (زياد)[٤] عن جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس قال: دخلت اليهود على نبى الله ﷺ فقالوا: يا محمد، صف لنا ربك، وانسبه لنا فقد وصف نفسه فى التوراة ونسبها فارتعد رسول الله ﷺ حتى خر مغشيًا عليه، فقال: «كيف تسألوننى عن صفة ربى ونسبه، ولو سألتمونى أن أصف لكم الشمس لم أقدر عليه»، فهبط جبريل - عليه السلام - فقال: يا محمد، قل لهم: الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد أى: ليس بوالد ولا بمولود، وليس له

(١) كذا، وفى صحيح مسلم: فقال بعضنا لبعض: إنى أرى هذا خبر جاءه من السماء، فذاك الذى أدخله.

(٢) فى «ك»: زيد، وهو تحريف.

(٣) رواه مسلم (٦/١٣٧ - ١٣٨ رقم ٨١٢)، والترمذى (٥/١٥٥ رقم ٢٩٠٠)، وأحمد (٢/٤٢٩)، والبيهقى فى الشعب (٥/٤٧٨ - ٤٧٩ رقم ٢٣٠٦).

(٤) فى «ك»: دثار، وهو تحريف، وسيأتى على الصواب بعد قليل.

اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾

شبيه من خلقه». قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث الشيخ العفيف أبو على بن بندار بهمدان بإسناده عن إسماعيل بن أبى زياد.. الحديث. وفى بعض (الأخبار): [(١)] أن سورة قل يا أيها الكافرون وسورة قل هو الله أحد هما المقشقشتان أى: تبرئان من الشرك والنفاق، ويقال: قشقش المريض من علته إذا برأ، وسميت السورة سورة الإخلاص لأنه ليس فيها إلا وصف الرب عن اسمه وليس فيها أمر ولا نهى ولا وعد ولا وعيد. وذكر أبو عيسى الترمذى فى كتابه برواية أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس، عن أبى العالية، عن أبى بن كعب أن المشركين قالوا: يا رسول الله، انسب لنا ربك، فأنزل الله تعالى: ﴿قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد﴾ لأنه ليس شىء يولد إلا سيموت، وليس شىء يموت إلا سيورث، وإن الله لا يموت ولا يورث، ﴿ولم يكن له كفوا أحد﴾ قال: لم يكن له شبيه ولا عدل، وليس كمثله شىء.

قوله تعالى: ﴿قل هو الله أحد﴾ أى: قل هو الله الواحد، أحد بمعنى الواحد، وقد فرق بين الأحد والواحد. وقيل: إن الأحد أبلغ من الواحد، يقال: فلان لا يقاومه أحد نفيا للكل، ويقال: لا يقاومه واحد، ويجوز أن يقاومه اثنان، وأيضاً فإن الواحد يكون الذى يليه الثانى والثالث فى العدد، والأحد لا يكون بمعنى هذا الحال، وأكثر المفسرين أنه بمعنى الواحد.

وقوله: ﴿هو﴾ الابتداء فيه اسم مضمر، كأنه أشار إلى أن الذى سألتمونى عنه هو الله الواحد، فيكون قوله: ﴿الله أحد﴾ تبييناً وكشفاً لاسم المضمر فى قوله: ﴿هو﴾.

وقوله: ﴿الله الصمد﴾ فيه أقوال: أحدها: أنه الذى يصمد إليه فى الحوائج، والآخر: أنه هو الذى انتهى فى السؤدد وبلغ كماله. قال الشاعر:

ألا بكر الناعى بخير لى بنى أسد ... بعمر وابن مسعود وبالسيد الصمد

(١) فى «ك»: الأحاديث.

وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾

وقال آخر :

علوته بحســـــامٍ ثم قلت له ... خذها حذيف فأنت السيد الصمد

والقول الثالث : أنه الذى ليس له جوف أى لا يأكل، والقول الرابع : أن تفسيره قوله : ﴿ لم يلد ولم يولد ﴾ وقيل : إنه الباقى الذى لا يفنى، وقيل : إنه الدائم الذى لا يزول .

وقوله : ﴿ لم يلد ولم يولد ﴾ أى : ليس له والد ولا ولد . وقيل : إنه نفى لقول اليهود والنصارى : عزير بن الله، والمسيح ابن الله، ونفى لقول المشركين : إن الملائكة بنات الله. فهذا كله فى قوله : ﴿ لم يلد ﴾ .

وقوله : ﴿ ولم يولد ﴾ فيه نفى لقول النصارى : إن مريم – عليها السلام – ولدت إلهًا، وهو المسيح .

وقوله : ﴿ ولم يكن له كفوا أحد ﴾ أى لم يكن أحد نظيرا له ولا شبيهًا، فهو على التقديم والتأخير كما ذكرنا، ومعنى أحد فى آخر السورة غير معنى أحد فى أول السورة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾

تفسير سورة الفلق

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ فيه أقوال: أحدها - وهو الأظهر- : أن الفلق هو الصبح، قال الله تعالى: ﴿فالق الإصباح﴾(١)، والقول الثانى: أنه جميع الخلق، والقول الثالث: أنه بيت فى النار، إذا فتح بابه صاح أهل جهنم من شدة حره، قاله كعب الحبر، والقول الرابع: جب فى جهنم، قاله مجاهد.

وقوله: ﴿من شر ما خلق﴾ أى: من شر جميع ما خلق.

وقوله: ﴿ومن شر غاسق إذا وقب﴾ فيه أقوال أيضا: أحدها: من شر الليل إذا أظلم، فالغاسق هو الليل، قاله الحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة، ويقال: من شر الليل إذا أقبل. يقال: وقب: دخل، وقيل: أقبل، ومعنى الاستعاذة من الليل؛ (لأن)(٢) فيه يكون تحرك الهموم وهجوم كل ذى شر بقصد، والقول الثانى: أن قوله: ﴿ومن شر غاسق إذا وقب﴾ هو القمر، وفيه خبر معروف روى ابن أبى ذئب، عن الحارث بن عبد الرحمن، عن أبى سلمة، عن عائشة قالت: «أخذ رسول الله ﷺ بيدى، وأشار إلى القمر وقال: تعوذى بالله من شر هذا، هو الغاسق إذا وقب»(٣). وذكره أبو عيسى

(١) الأنعام: ٩٦.

(٢) فى «ك»: لأنه.

(٣) رواه الترمذى (٥/ ٤٢١ - ٤٢٢ رقم ٣٣٦٦) وقال: حسن صحيح، والنسائى فى الكبرى (٦/ ٨٣ - ٨٤ رقم ١٠١٣٧، ١٠١٣٨)، وأحمد (٦/ ٦١، ٢٠٦، ٢١٥، ٢٣٧، ٢٥٢)، والطيالسى (٢٠٨ رقم ١٤٨٦)، وأبو يعلى (٧/ ٤١٧ رقم ٤٤٠)، وعبد بن حميد (رقم ١٥١٧)، وابن جرير (٣٠/ ٢٢٧)، والحاكم (٢/ ٥٤٠ - ٥٤١) وصححه، والجوزقانى فى الأباطيل (٢/ ٣٠٨ رقم ٧٢٢) وصححه، والبغوى في تفسيره (٤/ ٥٤٧)، وحسن إسناده الحافظ فى الفتح (٨/ ٦١٣).

وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

في جامعه وقال: هو حديث صحيح. قال النحاس: يجوز أن تكون الاستعاذة من القمر، لأن قوماً أشركوا بسببه، فنسب إليه الاستعاذة على المجاز. قال القتيبى: من شر غاسق إذا وقب: هو القمر إذا دخل فى شاهوره - أى: فى غلافه - وهو إذا غاب. وذكر بعضهم: أن الاستعاذة من القمر؛ لأن أهل البرية يتحينون وجه القمر - أى غروبه - وهم اللصوص وأهل الشر والفساد، والقول الثالث: أن الغاسق هو الثريا.

وقوله: ﴿إذا وقب﴾ إذا غاب، وذكر ذلك إذا غاب الثريا ظهرت العاهات والبلايا، وإذا طلع الثريا رفعت العاهات والبلايا.

وقد ورد عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا طلع النجم رفعت العاهة عن كل بلد».(١) وذلك مثل الوباء والطواعين والأسقام وما يشبهها.

وقيل: «من شر غاسق إذا وقب» أى: من شر الشمس إذا غربت.

وذكر النقاش بإسناده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: من شر غاسق إذا وقب: من شر الذكر إذا دخل، قال النقاش: فذكرت ذلك لمحمد بن إسحاق بن خزيمة، وقلت: هل يجوز أن تفسر القرآن بهذا؟! قال: نعم، قال النبى ﷺ: «أعوذ بك من شر منيى»(٢)، وهو خبر معروف، وهو أن النبى ﷺ قال: «أعوذ بك من شر سمعى ومن شر بصرى» فعدد أشياء، وقال فى آخرها: ومن شر منيى»(٢).

وقوله: ﴿ومن شر النفاثات فى العقد﴾ أى: السواحر، والنفث هو النفخ بالفم،

(١) رواه الطبرانى فى الصغير (١ / ٨١ رقم ١٠٤)، وأبو الشيخ فى العظمة (رقم ٧٠٠)، وأبو نعيم فى الحلية (٧ / ٣٦٧)، وفى أخبار أصبهان (١ / ١٢١) وأبو يعلى فى الإرشاد (١ / ٣١٩ رقم ٥٤) وقال: رواه الخلق عن أبى حنيفة يتفرد به ولايتابع عليه، وتمام الرازى فى فوائده (١ / ٣٠٩ رقم ٧٧١) عن أبى هريرة به.

(٢) رواه أبو داود (٢ / ٩٢ رقم ١٥٥١)، والترمذى (٥ / ٤٨٩ رقم ٣٤٩٢) وقال: حسن غريب، والنسائى (٨ / ٢٦٧ رقم ٥٤٨٤)، وأحمد (٣ / ٤٢٩)، وابن أبى حاتم فى العلل (٢ / ٢٠٣ رقم ٢١٠٠)، والحاكم (١ / ٥٣٢ - ٥٣٣) وصححه جميعهم عن شتير بن شكل، عن أبيه به.

والتفل هو إذا كان معه ريق.

وقوله: ﴿ ومن شر حاسد إذا حسد ﴾ الحسد هو تمنى زوال النعمة عن المنعم عليه، وقد ذكرنا فى الحسد أشياء من قبل، وقيل: من شر حاسد إذا حسد أى: إذا ظلم. واعلم أن المفسرين قالوا: إن هذه السورة والتى تليها نزلتا حين سحر النبى ﷺ، سحره لبيد بن أعصم اليهودى.

والنفاثات فى العقد يقال: إنهن بناته. وكان لبيد قد سحر النبى ﷺ، وجعل ذلك فى بئر (ذى أروان)[1] (فاعتل)[2] النبى ﷺ، واشتدت علته وكان يخيل إليه أنه يفعل الشىء ولا يفعله، ثم إن جبريل - عليه السلام - أنزل المعوذتين. وروى أنه قال لعائشة: «هنا [و] أنا نائم نزل علىّ ملكان، فقعد أحدهما عند رأسى، والآخر عند رجلى، فقال أحدهما لصاحبه: ما حال الرجل؟ فقال: مطبوب، فقال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن أعصم اليهودى، فقال: وأين ذلك؟ فقال: فى مشط ومشاطة تحت راعونة فى بئر (ذى أروان)[1]، ثم إن النبى ﷺ بعث عليًّا، وقيل: إنه بعث عماراً، وقيل: بعث أبا بكر وعمر حتى استخرجوا ذلك السحر، وأنزل الله تعالى هاتين السورتين، وكان على ذاك الشىء [إحدى عشرة][3] عقدة، فقال له جبريل: اقرأ آية فانحلت عقدة، وكان كلما قرأ آية انحلت عقدة، حتى انحلت العقد كلها، وقام النبى ﷺ كأنما أنشط من عقال»[4].

(١) فى «ك»: ذروان.

(٢) فى «ك»: فاغفل.

(٣) فى «الأصل، وك»: أحد عشر، وهو خلاف الجادة.

(٤) تقدم تخريجه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾

تفسير سورة الناس

وهى مدنية

قوله تعالى :﴿ قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس ﴾ هو الشيطان، والمعنى من شر الشيطان ذى الوسواس، ويقال: سمى وسواسًا؛ لأنه يجثم ، فإن ذكر العبد ربه خنس – أى تأخر – وإن لم يذكر: وسوس. وفى رواية: التقم ووسوس أى القلب. وفيه خبر صحيح على هذا المعنى.

وقوله: ﴿ الخناس ﴾ معناه ما قلنا يعنى: إذا ذكر العبد ربه وسبح رجع أى: تأخر وخنس وتنحى.

وقوله: ﴿ الذى يوسوس فى صدور الناس ﴾ هو الشيطان.

وقوله: ﴿ من الجنة ﴾ أى: من الجن.

وقوله: ﴿ والناس ﴾ أى: ومن الناس. والمعنى: أنه أمره بالاستعاذة من شياطين الجن والإنس، والشيطان كل متمرد سواء كان جنيًا أو إنسيًا، وقد ورد فى الأخبار المعروفة «أن النبى ﷺ كان إذا أراد أن ينام قرأ سورة الإخلاص والمعوذتين ،وينفث فى كفيه، ثم يمسح بكفيه ما استطاع من جسده، ويبدأ بوجهه ورأسه»(١) .وروى أنه ﷺ كان يعوذ بهما الحسن والحسين –رضى الله عنهما– . وذكر أبو عيسى الترمذى برواية إسماعيل بن أبى خالد قال: حدثنى قيس بن أبى حازم، عن عقبة بن عامر الجهنى،

(١) رواه البخارى (٨ / ٦٧٩ – ٦٨٠ رقم ٥٠١٧ وطرفاه ٥٧٤٨ ، ٦٣١٩)، وأبو داود (٤ / ٣١٣ رقم ٥٠٥٦) ، والترمذى (٥ / ٤٤١ رقم ٣٤٠٢) ، والنسائى فى الكبرى (٦ / ١٩٧ رقم ١٠٦٢٤) ، وابن ماجه (٢ / ١٢٧٥ رقم ٣٨٧٥) .

عن النبي ﷺ أنه قال: «قد أنزل الله تعالى عليّ آيات لم ير مثلهن ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ إلى آخر السورة، و﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ إلى آخر السورة»(١) قال: وهو حديث حسن صحيح. قال رضى الله عنه: أخبرنا بذلك أبو عبد الله عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد أخبرنا أبو العباس بن سراج السبخى، أخبرنا أبو العباس بن محبوب أخبرنا أبو عيسى الحافظ، أخبرنا (٢)محمد بن بشار، أخبرنا يحيى بن سعيد القطان، عن إسماعيل بن أبى خالد.. الحديث.

فإن قال قائل: لمَ لمْ يكتب ابن مسعود هاتين السورتين فى مصحفه؟ وهل يجوز أن يشتبه على أحد أنهما من القرآن أو ليستا من القرآن؟ والجواب عنه: أن حماد بن سلمة روى عن عاصم بن بهدلة، عن زر بن حبيش قال: قلت لأبى بن كعب: إن ابن مسعود لم يكتب فى مصحفه المعوذتين! فقال أبى: قال رسول الله ﷺ: «قال جبريل – عليه السلام – ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ فقلتها، وقال: ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ فقلتها» فنحن نقول: يقول رسول الله ﷺ. كأن أبيًا وافق ابن مسعود(٣). قال رضى الله عنه :أخبرنا بهذا الحديث أبو الحسين بن النقور ،أخبرنا أبو القاسم بن حبابة، أخبرنا البغوى، أخبرنا هدبة، عن حماد بن سلمة.. الحديث خرجه مسلم فى الصحيح فيجوز أن ابن مسعود وأبيًا من كثرة ما سمعا النبى ﷺ يقرأ هاتين السورتين ويتعوذ بهما ظنا أنهما عوذة، فلم يثبتاهما فى المصحف، وقد قيل: إنهما مكتوبتان فى مصحف أبى.

---

(١) رواه مسلم (٦ / ١٣٩ – ١٤٠ رقم ٨١٤)، والترمذى (٥ /١٥٧ رقم ٢٩٠٢)، والنسائى (٢ /١٥٨ رقم ٩٥٤، ٨ /٢٥٤ رقم ٥٤٤٠)، وأحمد (٤ / ١٤٤، ١٥٠، ١٥١)، والدارمى (٢ / ٥٥٤ رقم ٣٤٤١).

(٢) فى «ك» : أبو محمد، والصواب مافى الأصل،

(٣) رواه البخارى (٨ / ٦١٤ رقم ٤٩٧٧)، وأحمد (٥ / ١٢٩ – ١٣٠)، والحميدى (١ / ١٨٥ رقم ٣٧٤)، والبيهقى (٢ / ٣٩٣ – ٣٩٤)، وابن حبان رقم (٧٩٧).

....

وذكر بعضهم أن عبد الله بن مسعود لم يشتبه عليه أنهما من القرآن، ولكن لم يكتبهما لشهرتهما ،كما ترك كتبة سورة الفاتحة لشهرتها، والله أعلم وأحكم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين وسلم تسليما كثيرًا

(١) تم بعون الله وتوفيقه تفسير أبى المظفر السمعانى، ويتلوه إن شاء الله تعالى الفهارس العلمية.

الفهارس العلمية

(١) فهرس مسائل العقيدة

الأسماء و الصفات

الإيمان بالملائكة

الإيمان بالرسل

الإيمان باليوم الآخر

الإيمان بالقدر

(٢) فهرس المسائل الفقهية

كتاب الزكاة

كتاب الصيام

كتاب المناسك

كتاب البيوع

كتاب القرض

كتاب الضمان

كتاب التفليس

كتاب الوصايا

كتاب الفرائض

كتاب النكاح

كتاب الطلاق

كتاب الرضاع

كتاب الدماء

كتاب الحدود

كتاب الجهاد والسير

كتاب السبق والرمى

كتاب الصيد والذبائح والأطعمة

كتاب الأيمان

كتاب الأقضية والأحكام

(٣) فهرس أطراف الحديث

– حرف البـاء –

- حرف التاء -

- حرف الثاء -

- حرف الجيم -

- حرف الحـــاء -

- حرف الخـاء -

- حرف الدال -

- حرف الذال -

- حرف الـراء -

- حرف الزاى -

- حرف السين -

– حرف الشين –

- حرف الصـاد -

- حرف الضـاد -

- حرف الطـاء -

- حرف الظـاء -

- حرف العـين -

- حرف الغين -

- حرف الفاء -

- حرف القاف -

- حرف الـلام -

- حرف الميم -

– حرف النون –

- حرف الهاء -

- حرف اليـاء -

(٤) فهرس الشعر

- باب الهمزة -

فصل الهمزة المضمومة

فصل الهمزة المفتوحة

فصل الهمزة المكسورة

باب الباء

فصل الباء المضمومة

فصل الباء المفتوحة

فصل الباء المكسورة

فصل الباء الساكنة

باب التاء

فصل التاء المضمومة

فصل التاء المفتوحة

فصل التاء المكسورة

باب الثاء

باب الجيم

فصل الجيم المضمومة

فصل الجيم المفتوحة

فصل الجيم المكسورة

فصل الجيم الساكنة

باب الحاء

فصل الحاء المضمومة

فصل الدال المفتوحة

فصل الدال المكسورة

باب الراء

فصل الراء المضومة

فصل الراء المكسورة

فصل الراء الساكنة

باب الزاى

فصل الزاى المضمومة

فصل الزاى المكسورة

باب السين

فصل السين المضمومة

فصل السين المفتوحة

فصل السين المكسورة

باب الطاء

فصل الطاء المضمومة

فصل الطاء المفتوحة

فصل الطاء المكسورة

باب العين

فصل العين المضمومة

فصل العين المفتوحة

فصل العين المكسورة

فصل العين الساكنة

باب الفاء

فصل الفاء المضمومة

فصل الفاء المفتوحة

فصل الفاء المكسورة

فصل الفاء الساكنة

باب القاف

فصل القاف المضمومة

فصل القاف المفتوحة

فصل القاف المكسورة

فصل القاف الساكنة

باب الكاف

فصل الكاف المضمومة

فصل الكاف المفتوحة

فصل الكاف المكسورة

باب اللام

فصل اللام المضمومة

فصل اللام المفتوحة

فصل اللام المكسورة

فصل الميم المفتوحة

فصل الميم المكسورة

فصل الميم الساكنة

باب النون

فصل النون المضمومة

فصل النون المفتوحة

فصل النون المكسورة

فصل الهاء المكسورة

باب الياء

فصل الياء المضمومة

فصل الياء المفتوحة

فهرس أنصاف الأبيات

ف

ق

ك

ل

م

ن

و

و

تفسير القرآن

للإمام العلامة شيخ الإسلام حجة أهل السنة والجماعة

أبي المظفر السمعاني

منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي المروزي الشافعي السلفي

٤٢٦ - ٤٨٩ هـ

تحقيق

أبي تميم ياسر بن إبراهيم

أبي بلال غنيم بن عباس بن غنيم

دار الوطن

تفسير القرآن